منشورات
الشيخ أبي هارون
مختار الأخضر
الطيباوي

جاء في الحدِيثِ مَوقُوفًا ومَرفُوعًا: ((مَا مِنْ أَحَدٍ إِلَّا فِي رَأْسِهِ حِكْمَةٌ فَإِنْ تَوَاضَعَ قِيلَ لَهُ: انْتَعِشْ نَعَشَكَ اللَّهُ وَإِنْ رَفَعَ رَأْسَهُ قِيلَ لَهُ: انْتَكِسْ نَكَسَكَ اللَّهُ))
قالَ الألبانِي في (صحيح الترغيب..): حَسَن لِغيرِه.

تجديد التعليم بتجدد أسبابه:

تجديد التعليم يكون بحسب تجديد الأسباب، فالمجتمعات الإسلامية تتغير و متطلبات هذه المجتمعات تتغير، مما يعني أن متطلبات النهضة و الرقي تتغير، فيجب أن يتجدد التعليم الديني ـ وغير الديني ـ وفقا لهذه المتغيرات ليخدم أهداف و خطط التنمية الانسانية و الاجتماعية، ولا يجب أن يبقى ساكنا لا يتجاوب مع المتغيرات، ففي بعض البلدان يقوم التعليم الديني أو ما يسمى بالتربية الإسلامية على كتب كتبت في فترات مغايرة لهذا العصر، وكانت أصلا موجهة لإصلاح بيئة مغايرة للبيئة الحالية، فلاشك مثلا أننا حين نكون تحت وطأة الاستعمار ونريد التحرر منه، أو نعاني من بعض مخلفات عصور الضعف و نريد التخلص منها نضطر إلى صياغة التربية الإسلامية وفق هذا الوضع ليخدم الهدف المنشود، فإن كان زمن الحرب أو المعاداة شكلنا المادة وفق ذلك، و بعد أن نحقق هذين الهدفين وهما التخلص من الاستعمار و مخلفات عصور الضعف لا تعد هذه الكتب صالحة للتربية الإسلامية، فنحتاج إضافة إلى فقه الجهاد و النوازل إلى فقه السلم و التعامل، فقه الضرورات و المستجدات الداخلية و الخارجية، و إلى أن نجعل عقيدة الموالاة بجنب عقيدة المعاداة حتى لا يختل الزمن، و لا ينشأ الجيل على روح الحرب وهو في السلم.
فكل بيئة و كل ظرف يتطلب توجيها و ترشيدا يوافقه، وعليه فإن بعض الأزمات الحادة التي تشهدها بعض البلاد الإسلامية ناجمة عن هذا الخلل، وهو أن التعليم الديني فيها قائم على بث روح التشدد و الغلو و التي إن صلحت لزمان لا تصلح لزمان آخر، و التي كذلك لا تتجاوب مع الحاجات المتجددة لهذه المجتمعات، ولا مع طموحاتها و خططها التنموية، فبمجرد النظر في مقررات التربية الإسلامية في هذه البلاد يتبين لك أنها تشكل شرخا مع طموحات هذه المجتمعات، و أنها تزرع روحا متشددة لا توافق الواقع و المتاح الممكن لهذه المجتمعات.
ونحن نعلم أن لكل سبب مسبب، ولكل نتيجة مقدمات، و أن الأشياء لا تقع عبثا أو

تنبثق فجأة لتظهر في مجتمعات مسالمة آمنة، بل تتشكل الأسباب و المقدمات في فترات زمنية متغايرة أقلها 25 سنة وهي المدة الكفيلة بتربية جيل كامل.

و إذا كان الأمر كذلك عرفنا أن إزالة هذه التوترات و التشنجات الاجتماعية يكون بإزالة أسبابها و مقدماتها، أما ما تفعله هذه الدول من حشد علماء الدين في الوسائل الإعلامية لمجابهة الحدث فقد يكون له أثر ما إلا أنه غير كفيل بالمعالجة التامة، إذ المشكل ذو أبعاد اجتماعية و سياسية و علمية دينية، و الإعلام لا يشكل فيه إلا دور الغطاء و التحسيس و التوعية، أما الحل الحقيقي فهو إصلاح اجتماعي و سياسي يقوم على العدل و تساوي الجميع أمام القانون، و ديني يدرك المستجدات و تغير الأجيال بسبب التأثيرات المتوالية، فيجدد خطابه بحسب حاجة كل جيل، فلا يخاطب جيلا نشأ على الرفاهية و الترف ولم يعرف الاستعمار و الفقر و الحرمان بخطاب كان يصلح لجيل لم يعد موجودا اليوم.

إن الخطاب الديني يكتسب مصداقيته بالبعد عن مراكز السلطة، لأنه حين يتقرب منها بشكل جماعي أو رسمي، ولا يترك لنفسه هامشا من الحرية، يشكل غطاءً لهذه السلطة التي ترتكب تجاوزات، ولا تسمح له بتقويمها و التحدث عنها، و قد يتفهم الخطاب الديني هذا الأمر و يراعي مصالح البلد و المجتمع، ولكن تقويض دوره و فعاليته الذي تمارسه السلطة عليه يجعله في نظر المجتمع متواطئا معها، في حين كان عليه أن يمثل الشرع فقط، و يذود عن لشرع فقط، و لا يترك نفسه لعبة في يد السياسيين يحققون بها أغراضهم دون أن يحقق هو غرضه أو بعضا منه.

إن الفكر الإسلامي المتشدد و الذي تجاوز حدود التشدد لم ينبثق هكذا، بل كانت له بوادر يكفي النظر في المواقع الإلكترونية لتعرف أنه كان ينمو و يترعرع في غفلة تامة من السلطات، و بعض علماء الدين ظهر عدم مماشاتهم لزمنهم بهذا المثال، فالجيل الذي لم يكن يملك قنوات التخاطب و منابر يستقطب بها الناس قد ولى وجاء جيل له مكنات استفادها من التقدم التقني في هذا العصر، فبدأ يتكون في هامش القنوات الرسمية و يتشكل جزءا فجزءا في غفلة تامة من الجهات المعنية حتى صار إلى ما صار إليه الآن.

فإن كنا فعلا نريد إصلاح مجتمعاتنا إصلاحا دينيا حقيقيا يتماشى و مصالح الأمة العظمى يجب علينا أولا الإقرار أننا نحن أسباب هذه الفتنة، كل شارك بقسط إما

بغفلته، و إما بتورطه في بناء جيل مشوه الأفكار معقد البنية، و إما لأننا دخلنا في لعبة السياسيين فسلمناه لهم يقضون به حاجاتهم ويزجونه في صراعات دولية كان لهم غرض فيها، ولم تكن عفوية أو وليدة حاجة إسلامية محضة، بقدر ما نسجتها أيدي الأخطبوط العالمي.
فمشكلتنا في الوعي و التعليم وحلها بالوعي و التعليم.

آدمية العلماء (؟)
لما وقعت المحنة لأبي الفرج بن الجوزي لم يدخل الحمام[الاغتسال] مدَّة خمس سنين "مدة المحنة"، وكان يقول: ((قرأتُ مدَّة مقامي كل يوم ختمة ،ما قرأت فيها سورة يوسف من حُزني على ولدي يوسف)) ـ (المذيَّل على الروضتين)(1/57) لأبي شامة.

من المتناقض (؟)
مما أستغربه بشدة ،ولم أجد له لحد الآن تفسيرا مقنعا كيف يستشهد المتناقضون المختلفون المتضادون المتلاعنون المضللون لبعضهم بعضا بكلام بعض الشيوخ كالألباني وابن باز و العثمين وبدرجة أقل بالفوزان و ابن جبرين وهم في طرفي نقيض.
فهذا ينقل عنهم ما ينقض مخالفيه ،و مخالفه ينقل عنه ما ينقضه (!)
فإما إحدى الطائفتين تكذب باستمرار(!)
وإما أنهم يتناوبون في الكذب عليهم(!)
وإما إحدى الطائفتين لم تفهم كلامهم جيدا (!)
وإما يتناوبون في عدم فهم كلام هؤلاء الشيوخ(!)
وإما الشيوخ متناقضون يقولون أمورا وبعد ذلك يقولون أخرى تناقضها (؟!)
وإما القضية متنوعة تحتمل هذا وتحتمل ذاك ونريد ان نجعلها شيئا واحدا(؟)

بين الإباحة و العفو مرتبة لا يعرفها إلا العلماء الجهل بها هو سبب ضعف الخطاب

الدعوي وقلة إقبال الشباب على الالتزام.

أحيانا تقتضي المصلحة أن نرجح خطاب بعض الدعاة الذين عليهم مؤاخذات فإنهم وإن كانوا مرجوحين مطلقا بالنظر إلى غيرهم ،فإنهم بالنظر إلى حاجة المجتمع وقدرته على التقيُّد بالممكن بسبب الجهل أو الظلم يكونون خيرا من كثير من الشيوخ من هذه الناحية، ذلك أن الدين الذي يعرضه بعض الشيوخ على الناس خاصة الشباب لا يمكن الشباب الالتزام به، وهو بالنسبة إليهم شاق مكلف ،وهذا يدعوهم إلى الانحراف إلى كرة القدم ،وغيرها من الهوايات وتحويلها إلى ما يشبه العبادة،و اتِّباع مشاهير الغناء و السينما (؟!)

بينما الطريقة التي يعرض بها هؤلاء الدعاة الدين تشد هذا الشباب داخل البعد الإسلامي، فكأنه لا يجد معارضة بين دينه وبين انفتاحه على الواقع المعاش بكل ما يحمله،نعم هو دين ناقص لكن إما هذا، وإما تجندهم العلمانية وتزحف على المجتمع ، هذا ما لم يفهمه بعض (العلماء).

إن الشيوخ الذين لا يعرف الواحد منهم لغة أجنبية واحدة ،ولا يتابع ما يجري في العالم ، ولا يعرف العلوم و الثقافة المعاصرة،بل لم يسبق له أن قرأ الأدب العالمي ولا العربي ـ وليس هذا للانتقاص منهم ولكن لإثبات حالة ـ لا يشعر بقوة الجذب الذي يمارسه النموذج الاجتماعي و السياسي الغربي على أمتنا، و بالخصوص على شبابنا ،و أن الطريقة التقليدية و المادة الدينية التي نعرضها على شبابنا لا تسمح له بالصمود أمام هذا الجذب، و عدم الانحناء نحوه .

وهكذا تنسلخ مجتمعاتنا في كل يوم نحو هذا النموذج بدون أن نشعر بدورنا السلبي ذلك أننا لا نميز بوضوح بين الإسلام في حال الظهور ، و الإسلام في حال الاستضعاف ،ولا بين الإسلام في قيادة الحكم، و الإسلام المحكوم، ولا بين الإسلام كقائد للحضارة البشرية، والإسلام المستهلك لحضارة الغير، و هكذا.

ولم ندرك أن الحاكم في جميع بلدان العالم يهمه أولا كرسيه و سلطانه ،وأنه طوَّل أو قصَّر سيضطر لتلبية رغبات الجمهور و السواد الأعظم، وأنه لا محالة سيميل حيث مالوا ،وأننا بدون إدراك لمخاطر المرحلة ،و أن الشعوب معيارها العدل الاجتماعي،وأن المرونة في الدعوة حسب هذا التأصيل هو الكفيل بالمحافظة على هوية الأمة ،و الانتقال بها إلى الأحسن، ونحن نرى مجتمعات إسلامية في حركة

إقبال مخادع،وأخرى في إدبار محير، و الأيام القادمة ستوقظ النيام.

قضية الشيخ حازم أبو إسماعيل

ما دخل الولايات المتحدة لتراسل لجنة الانتخابات الرئاسية المصرية(؟) .

طريقة تعامل الإعلام الخاص و العام المصري مع قضية جنسية والدة الشيخ حازم طريقة خبيثة تعطي أمريكا صكا على بياض على صدق المعلومات.

هل ستغامر وزارة الخارجية الأمريكية أمام الرأي العام الداخلي و الخارجي بمعلومات كهذه دون أن تكون موثقة (؟)

هل يعقل أن تتقدم سيدة طاعنة في السن بطلب الجنسية الأمريكية (؟)

كل هذا لا يهم ،قد تقرر التخلص منه بحق أم بباطل.

الخلاصة:

في كثير من المصريين (الإعلاميين و السياسيين و الاقتصاديين) عساكر بثوب مدني.

طرق الألفة و أسباب الاتفاق:

قال الله عز وجل عن اليهود: { تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى } أي قلوبهم متفرقة لا ألفة بينها فما بينهم إلا الإحن و العداوات، هذه نتيجة وخلاصة، وليست السبب، إنما السبب لهذا التفرق و التشتت هو {ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْقِلُونَ }(الحشر الآية14) أي: لا يعلمون طرق الألفة، و أسباب الاتفاق الموجبة لاتحاد الكلمة، و اجتماع القلوب.

فإذا كان تشتت القلوب يوهن العقول، فكيف صار عدم العقل سببا لتشتت القلوب؟

إن أهمية القلوب هنا في كونها محل النيات، و الألفة و أسبابها تبدأ بالنيات،فمن كانت نيته إلى الألفة قادت عقله إلى طلب أسبابها و اجتناب عوائقها، ومن لم تكن نيته كذلك، و إن أظهر بعض موجباتها، فإن النية غالبة و مسيطرة على عقل الإنسان و عمله، فستظهر في أول فرصة ، ولما كان الاختلاف في الرأي أمرا طبيعيا فطريا، فإن عديم النية بمجرد ظهور بوادر اختلاف الرأي تطفو نيته إلى السطح، و يبادر إلى إبراز هذا الاختلاف، و تضخيمه فيقطع بذلك أول أسباب الألفة.

إن استواء النيات في طلب الألفة ، و الثبات على موجباتها من الاحترام و التقدير للآخر، و عقد النية على اجتماع الكلمة، و الحرص عليها بترك الخلاف السائغ جانبا،

و الحرص على التعاضد على الحق، ورمي العدو المشترك لكل أهل السنة عن قوس واحدة، هو ما يجعل العقول خاضعة و تابعة للقلوب، فيتوجه عمل العقول من فكر وتدبر و علم ونظر نحو ما يعقد أواصر الألفة، لا إلى ما يوهننا كما هو حاصل اليوم،فلما لم تنعقد النيات و العزائم على طلب الألفة و اجتماع الكلمة صارت العقول تعمل لتتبع العثرات و الهفوات ونقاط الاختلاف، وقد علمنا أن تركيز النظر و الفكر على نقاط الاختلاف، و الغرق فيه، غالب و قاض على القواسم المشتركة ونقاط الائتلاف.

إن أسباب الألفة و اجتماع الكلمة: التحاب، و اتصال الأيدي، و التعاضد على الخير، و الشورى، فهذا هو السبيل الوحيد لاجتماع الكلمة.

الائتلاف رحمة.....

و إذا كانت الأمور التي تفرقنا، و تشتت قلوبنا سببا في ضياع أحوالنا، وهواننا أمام أمتنا و أمام الأمم، و تخلفنا، فالأمر باجتنابها أوكد و أظهر، وعليه يجب الحذر ممن همه إبراز الاختلاف بين أهل السنة و الجماعة بصورة عصبية، بحيث لا يحتمل الخلاف السائغ، ولا يبحث عن القواسم المشتركة يظهرها و ينميها و يقويها، فإنه سبب من أسباب الهلاك و الضياع.

إن الافتراق يتضمن الإيحاش، و قطع الألفة، وترك التعاضد على الحق و الخير،فلئن حافظت كل فرقة على نفسها مبدئيا لأن أهل السنة صاروا فرقا، أقصد على شكلها، فإن الأمة تضيع فيه بلا أدنى شك، ومتى ضاعت جماعة أهل السنة ضاعت الأمة، و انهارت الملة، فما فائدة الجماعات ، ولا بقاء لأهل السنة إلا كجماعة واحدة قوية ، تحرص الدين و تجمع المسلمين.

و عليه، يجب أن نعلم أن الإسلام ألفة و اجتماع كلمة، لا تفرق و تشتت، وقد علمنا نقلا وواقعا أن الألفة رحمة، و الفرقة عذاب وسخط،فمن دعا إلى الألفة دعا إلى الرحمة، ومن دعا إلى الفرقة دعا إلى العذاب، قال قتادة:" الإسلام ألفة و اجتماع الكلمة،أما و الله الذي لا إله إلا هو إن الألفة لرحمة و إن الفرقة لعذاب" القرطبي في"التفسير".

التفرق:

سبب التفرق شيئان لا ثالث لهما : الغلو في الدين، و البغي قبل الاختلاف باتباع الهوى، و بعده في الزيادة بالإنكار، وتجاهل الحق الذي مع الآخر، و الظلم بالهجر و المقاطعة، و الذم و الطعن في دينه.

فإذا وقع هذا بين من يقول بالكتاب و السنة و الإجماع، و يتولى البخاري، و احمد، و مالك، و سعيد بن المسيب، و الحسن البصري ، و الصحابة كلهم، فما هذا الاختلاف إلا لشيء خارج عن هذا كله، لا شك أنه الهوى.

تجديد قواعد التعامل بين المسلمين:

إن على أهل السنة إن كانوا حقا أهل سنة، فاسمهم: أهل السنة و الجماعة، وليس أهل السنة فقط، تجاوز الاختلافات التي لم ينزل الله بها من سلطان، لينظروا في حالهم وحال أمتهم، وماكان من قواعد التعامل بين المسلمين في العصور الغابرة من باب السياسة الشرعية و سد الذرائع فيجب تجديدها لا باختراع قواعد جديدة بدعية ، ولكن بتجديد القواعد الشرعية على ضوء الحنفية السمحة، لا العصبية المذمومة،وذلك من خلال فهم مقاصد الأئمة ،فإنهم ما عملوا بقاعدة الهجر و التحذير إلا للحفاظ على جماعة المسلمين،فإن تغيّر الحال ، و صار المطلب الشرعي إيجاد الجماعة ، و إصلاح السواد الأعظم من الأمة، فلا شك انه لن يصلح بالهجر و التحذير، وقد فقد شروطه .

و في ديننا ما يكفي من النصوص لاستخلاص ما يدعونا إلى الاجتماع و العمل به، فقط يجب إبرازه وتركيز النظر عليه.

لقد أشار النبي صلى الله عليه و سلم إلى قواعد التعامل بين المسلمين، التي توجب الائتلاف و اجتماع الكلمة، وتنفي التفرق و التشتت عندما قال:" اقْرَءُوا الْقُرْآنَ مَا ائْتَلَفَتْ عَلَيْهِ قُلُوبُكُمْ فَإِذَا اخْتَلَفْتُمْ فَقُومُوا عَنْهُ " (البخاري في"فضائل القرآن " و" الاعتصام").

وقد فسر العلماء هذا الحديث تفسيرا مطابقا للقرآن ، مطابقا لجوهر الدعوة الإسلامية،

منهم القاضي عياض ـ رحمه الله ـ فقالوا: اقرؤوا القرآن و ألزموا الائتلاف على ما دل عليه، و قاد إليه، ـ و القرآن دل على أن أمتنا واحدة، لأن ربها واحد، و نبيها واحد، و كتابها واحد، وهذا أصل اجتماعها و أصل قوتها، ودل على الأخوة الإسلامية، و المحبة بين المسلمين ، وعلى تعاونهم على البر و التقوى، ودل على خفض الجناح للمسلمين، و التذلل لهم الذلة المشروعةـ و إذا وقع الاختلاف، أو عرض عارض شبهة، يقتضي المنازعة الداعية للافتراق، فأمر بترك القراءة، و التمسك بالمحكم الذي يوجب الألفة، و اعرضوا عن المتشابه المؤدي للفرقة.

فما كان متشابها في المنهج، قال به إمام، وتركه إمام، أو مطلقا يقيد أحيانا، و يبقى على إطلاقه أحيانا، فيجب التعامل معه على هذا الأساس،فلا وقوف إلا عند القطعي من قواعد المنهج،وهو إما ما قامت عليه أدلة الكتاب و السنة، أو ما اجتمع عليه أئمة السنة.

ولذلك قال النبي صلى الله عليه و سلم:" إِذَا رَأَيْتُمْ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَّى اللَّهُ فَاحْذَرُوهُمْ"(مسلم، و الترمذي في "السنن")

فإذا كانت هذه وصية رسول الله صلى الله عليه و سلم في القرآن، يقدم الائتلاف و اجتماع الكلمة على مواصلة قراءة القرآن، و الخوض فيما اختلفنا فيه، وقد علمنا أن المتشابه أمر نسبي، فما هو متشابه عند هذا، قد يكون محكما عند الآخر، ومع ذلك يحثنا رسول الله صلى الله عليه و سلم على ترك ما يوجب اختلافنا، و التمسك بما يوجب ائتلافنا.

البدعة:

قال ابن تيمية ــ رحمه الله ـــ(مجموع الفتاوى19/190):

((وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ لَكِنْ إذَا كَانَ صَاحِبُهَا قَاصِدًا لِلْحَقِّ فَقَدْ يُعْفَى عَنْهُ فَيَبْقَى عَمَلُهُ ضَائِعًا لَا فَائِدَةَ فِيهِ وَهَذَا هُوَ الضَّلَالُ الَّذِي يُعْذَرُ صَاحِبُهُ فَلَا يُعَاقَبُ وَلَا يُثَابُ.)).

إنما الأعمال بالنيات،ونية المرء أبلغ من عمله ،ففرقوا بين فساد التصور وبين سوء القصد.

بين جاهل عن شبهة بسيطة أو مركبة يحتاج لمن يرحمه وبين منافق يتعمد مخالفة

الشريعة ويعاديها ظاهرا أو باطنا.

بعض الأقوال المحكية في الكتب و المنسوبة إلى الأئمة الكبار عند التحقق منها نجدها غير صحيحة.

وبعض المذاهب المحكية عن بعض الأئمة صيرت مذاهب وهي في الحقيقة تدل على عدم دقة من ذاك الإمام.

فحكاية الخلاف و المذاهب النظرية شيء، و الوقوف عند المذاهب الصحيحة تحقيقا علميا عمليا شيء آخر.

ولنأخذ على ذلك مثلا يشكل العمود الفقري لكل المسائل المتعلقة بالابتداع و الفسق و الكفر وهي مسألة اعتقاد التحريم ،فهل مثلا يصح موافقة للقرآن و السنة تقسيم الفسق إلى فسق معصية وفسق تأويل (؟)

نصوص نبوية في قواعد التعامل بين المسلمين:

لقد أشار النبي صلى الله عليه و سلم إلى قواعد التعامل بين المسلمين، التي توجب الائتلاف و اجتماع الكلمة، وتنفي التفرق و التشتت عندما قال:" اقْرَءُوا الْقُرْآنَ مَا ائْتَلَفَتْ عَلَيْهِ قُلُوبُكُمْ فَإِذَا اخْتَلَفْتُمْ فَقُومُوا عَنْهُ " (البخاري في"فضائل القرآن " و" الاعتصام").

وقد فسر العلماء هذا الحديث تفسيرا مطابقا للقرآن ، مطابقا لجوهر الدعوة الإسلامية، منهم القاضي عياض ـ رحمه الله ـ فقالوا: اقرؤوا القرآن ،و ألزموا الائتلاف على ما دل عليه، و قاد إليه، ـــــ[و القرآن دل على أن أمتنا واحدة، لأن ربها واحد، و نبيها واحد، و كتابها واحد، وهذا أصل اجتماعها و أصل قوتها، ودل على الأخوة الإسلامية، و المحبة بين المسلمين ، وعلى تعاونهم على البر و التقوى، ودل على خفض الجناح للمسلمين، و التذلل لهم الذلة المشروعةـ ،و إذا وقع الاختلاف، أو عرض عارض شبهة، يقتضي المنازعة الداعية للافتراق، فأمر بترك القراءة، و التمسك بالمحكم الذي يوجب الألفة، و اعرضوا عن المتشابه المؤدي للفرقة.

فما كان متشابها في المنهج، قال به إمام، وتركه إمام، أو مطلقا يقيد أحيانا، و يبقى على إطلاقه أحيانا، فيجب التعامل معه على هذا الأساس،فلا وقوف إلا عند القطعي

من قواعد المنهج،وهو إما ما قامت عليه أدلة الكتاب و السنة، أو ما اجتمع عليه أئمة السنة.

أقصد أنه ما ثبتت صحته بنصوص أو إجماع ولم ينازع الأئمة في دلالته فهو ما يجب أن يتمسك به المسلم ويلزم به غيره بالحجة و البيان ،أما المسائل المنهجية التي يدعي لها الصحة بعض الشيوخ بالفرض و التهويل وبدعوى أنها من منهج أهل السنة ولا خلاف فيها فلا يجوز امتحان الناس به فضلا عن تبديعهم به.

فما لم يكن الأمر فيه من الجليات عند أهل السنة فيعذر المخالف فيه.

تجديد قواعد التعامل بين المسلمين

في الحديث الذي روى بعضه الإمام مسلم، و سائره في " مسند" الإمام أحمد، لما خرج النبي صلى الله عليه و سلم على بعض الصحابة ،و هم يتناظرون في القدر، فغضب وقال لهم: ((أبهذا أمرتم، إنما هلك من كان قبلكم بهذا ضربوا كتاب الله بعضه ببعض و إنما نزل كتاب الله ليصدق بعضه بعضا لا ليكذب بعضه بعضا انظروا ما أمرتم به فافعلوه وما نهيتم عنه فاجتنبوه)

((إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِهَذَا ضَرَبُوا كِتَابَ اللَّهِ بَعْضَهُ بِبَعْضٍ وَإِنَّمَا نَزَلَ كِتَابُ اللَّهِ يُصَدِّقُ بَعْضُهُ بَعْضًا فَلَا تُكَذِّبُوا بَعْضَهُ بِبَعْضٍ فَمَا عَلِمْتُمْ مِنْهُ فَقُولُوا وَمَا جَهِلْتُمْ فَكِلُوهُ إِلَى عَالِمِهِ)).(الإمام أحمد في "المسند")

لم يقل لهم صلى الله عليهم وسلم: بعضكم على حق، وبعضكم أخطأ، ولكنه علم خطر الاختلاف في مثل هذه الأمور، و أمرهم بلزوم الأوامر وترك النواهي، فهي ما يمثل حقيقة الإيمان بالله، و حقيقة الطاعة،ونحن مأمورون بهذا الأمر النبوي، فلندع ما يفرقنا من هذا القبيل، و لننظر فيما أمرنا الله به لنأتيه، وما نهانا عنه لنتركه.

إننا حين نتكلم في أمور الدين لا يجب أبدا أن نغفل هذه الوصية النبوية ،فالكلام في القدر من ركائز الدين لان الإيمان بالقدر من أركان الإيمان ، و القدر نظام التوحيد كما قال ابن العباس رضي الله عنهما، ولا شك أنه أجل من أية مسألة منهجية تتعلق بالجرح المفسر و بقدح الساخط ومدح المحب، و مجالسة المبتدع ،و الامتحان بالأشخاص ،ومع ذلك نهى النبي صلى الله عليه و سلم عن الاختلاف فيه و أمرنا بتعظيم الأمر و النهي،و إن كان هذا لا يعني عدم الكلام في القدر، ولكنه يعني عدم

ضرب القران بعضه ببعض ، فليكن هذا الحديث قاعدة نقيس عليها المسائل الأخرى التي تشبهه.

المعاني والعلل

معرفة المعاني و العلل التي علِّقت بها الأحكام منه الجليُّ الذي يعرفه أكثر الناس،ومنه الدقيق الذي لا يعرفه إلا خواصُّ العلماء،الأمة اليوم في فوضى عارمة، و الناس يتصرفون بدون الرجوع إلى العلماء ،وربما كثير منهم لا يعذرون المخطئين بالجهل بحجة أنهم يجب عليهم طلب العلم ومعرفة حكم الشريعة ،فهل سألتم العلماء قبل أن تفعلوا (؟!)

كم ناصرٍ للدين بما يوهنه (!)

فقه العجز

الحمد لله وحده، و الصلاة و السلام على من لا نبيَّ بعده.

أما بعد؛لقد داست الأمة على علمائها و استحقرتهم فهم بين طاعن فيهم وبين مستقل مستحقر لإيمانهم وعلمهم حتى رأى الغر أنه أقوم بالدين منهم ،وأمة طلع فيها قرن الرويبضة وساقها الأغمار وأهل التهوُّر ممن يعيشون في أوهام حيث ما حل فكرهم ببلد ضاع،لا اعرف بلد من بلدان المسلمين رفعت لهم فيه راية إلا سقط في دوامة فتنة لا نهاية لها.

عوام يذمون الحكام بما فيهم،وحكام يذمون العوام بما فيهم،و العلماء وسطهم كالأطرش في الزفة، و اليتيم في مأدبة اللئام.

إن عقيدة أهل السنة ليست غضبا لانتهاك الحرمات و المقدسات فقط ولكنها أيضا عقيدة في القدر و القدرة و الاستطاعة فعلى هذه العقيدة بنيت شروط التكليف وبه قامت الواجبات أو سقطت وكل واجب معجوز عنه ساقط الوجوب،وكل ما مآله إضعاف الأمة فهو أشد حرمة.

وكما قال الشاعر:

لا تضجرنّ ولا تدخلك معجزة ... فالنجح يهلك بين العجز والضجر

فالشريعة تفرق بين عجز مقرون بنية الفعل و عجز معدوم من نية الفعل،الأول يرفع

التكليف ويفتح باب البديل و الثاني يثبت اللوم ولا يرفعه.
فما مع العجز لا يكلف الله نفسًا إلا وسعها،وما عجزوا عنه سقط وجوبه ،لأن مبنى الشريعة على الفرق بين حال القدرة و حال العجز،و العجز نوعان: عجز حقيقي كما هو حال الأمة الآن فإن سب النبي صلى الله عليه وسلم كفر يوجب القتل في شريعة الإسلام الذي يباشر الإمام وليس عوام الناس، ولكن قتل من سب وليس الأبرياء أو من لا علاقة له به
و النوع الثاني: العجز الذي يقصد به المشقَّة العظيمة ، و الراجح من أقوال أهل العلم أنهما يرفعان التكليف و الوجوب بدون فرق.
و المسلمين اليوم بين رجل لا يعرف مقام النبوة وما يجب له وهذا عدم علم وبين عاجز عن استيفاء الحق فالأول عدم علم يؤثر في الأحكام ظاهرا لا باطنا و الثاني عجز يؤثر فيها باطنا وظاهرا.
و إذا كان من المتفق عليه عند أهل العلم أنه لا يجوز للعامي أن يقدم على فعل لا يعلم جوازه ويفسق به إن كان مما يفسق عند كثير من العلماء لم يجز لأمة راشدة أدبها الدعاة و تعرف شريعتها أن تصدر بدون رأي كبار العلماء ،فإن هذه القضايا لا يقبل فيها رأي صغار العلماء ممن لم يثبت رسوخه وثباته في العلم ،لأن هذه القضايا لا تحتاج فقط إلى العلم كما قد يبدو للشباب ولكن إلى علم وحكمة و تجربة .
إن إظهار الدين و الدفاع عن المقدسات واجب شرعي ولكنه في الوقت نفسه يتوقف على القدرة و المصلحة المرجوة وكما قال العلماء : كل جناية وجب تطهير الأرض منها تكون بحسب القدرة ومن هنا فإن مهادنة الكافر المعجوز عنه حكم شرعي صحيح.
وكلنا يعلم ضعف الأمة في جميع المجالات بل تسميتها بالأمة فيه بعض المبالغة إذا قصدنا وحدة الصف وهي ليست ضعيفة في مقابل الكفر فقط بل ضعيفة في ذاتها وفي شخصيتها وفي دينها أقصد ضعيفة في موجبات القوة الداخلية فما بالك بالقوة الخارجية ومن ضعفها التصرفات غير المحسوبة وخروج العوام عن طاعة العلماء والتمسك بما لا يجدي من الوسائل و الذي قصده من يستفزها لأنه يعلم أنها ستزداد ضعفا بهذه الوسائل وستمكن أعدائها منها أكثر مما هي عليه ، و العجيب أن الشرير راشد في تصرفاته يحقق بها مقصده و الخير طائش في رد فعله .

جاء في (سنن أبي داود) عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لرجلين اختصما فقال المقضي عليه : حسبي الله ونعم الوكيل،فقال النبي صلى الله عليه وسلم : ((إن الله يلوم على العجز ولكن عليك بالكيس،فإذا أحزنك أمر فقل حسبي الله و نعم الوكيل))
و معنى الحديث أن الله يلوم على العجز الذي هو ضد الكيس وهو التفريط فيما نؤمر بفعله أي لا ينافي عدم القدرة المقارنة للفعل، فمن العجز الذي نؤاخذ به أن لا يكون للمسلمين رد فعل وتصرف سياسي وثقافي مضبوط بتوجيهات العلماء ومن العجز لا أن يغضب المسلم في نفسه وأن لا يحزن على سب نبيه صلى الله عليه وسلم ولكنه كذلك ليس من الكيس توريط بلداننا و قتل الأبرياء وسفك دماء المعاهدين وقد علمت أن أحدهم بال على الانجيل وهذا و العياذ بالله عقوبته شديدة فإنه بال على كلام الله الذي تضمنه الإنجيل وقد شدد العلماء الوعيد في من يهين الكتب المنزلة ولو كانت محرفة.
و الناس في هذا الباب الخطير على أربعة أقسام كما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ :
1 ـ قسم نظر إلى الأمر و النهي و العبادة و الطاعة شاهدين ألوهية الله الذي أمروا أن يعبدون ولم ينظروا إلى جانب القضاء و القدر و التوكل و الاستعانة فمع حسن قصدهم وتعظيمهم لحرمات الله و شعائره يغلب عليهم الضعف و العجز و الخذلان ولم يدركوا أن الاستعانة بالله و التوكل عليه و اللجأ إليه و الدعاء له هي التي تقوي العبد و تيسر عليه الأمور فمن سره أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله ،وعلى المسلم أن يكون كنبيه صلى الله عليه وسلم كما في الصحيحين عن ابن عمر:
((صفته فِي التَّوْرَاة إِنَّا أَرْسَلْنَاك شَاهدا وَمُبشرا وَنَذِيرا وحرزا للأميين أَنْت عَبدِي ورسولي سميتك المتَوَكل لَيْسَ بِفَظٍّ وَلَا غليظ وَلَا صخاب فِي الْأَسْوَاق وَلَا يَجْزِي بِالسَّيِّئَةِ السَّيئَة وَلَكِن يَجْزِي بِالسَّيِّئَةِ الْحَسَنَة وَيغْفر وَلنْ أقبضهُ حَتَّى اقيم بِهِ الْملَّة العوجاء فأفتح بك أعينا عميا وآذانا صمًّا وَقُلُوبًا غلفًا بِأَن يَقُولُوا لَا إِلَه إِلَّا الله)).
وما قدر حملة العرش على حمله إلا بقولهم : لا حول ولا قوة إلا بالله فإنها قول الأقوياء وليست ذكر الضعفاء ،فالصخب و الفظاظة ورفع الأصوات و قتل الأبرياء و تحطيم الممتلكات ليست من ديننا ولا من هدي نبينا صلى الله عليه وسلم.
2 ـ قسم يشهدون ربوبية الحق و افتقارهم إليه ويستعينون بها على اهوائهم و أذواقهم

غير ناظرين إلى حقيقة أمره و نهيه ورضاه و غضبه ومحبته ،وهذا حال الصوفية يعملون على الأحوال ليتصرفون بها في الوجود لا يقصدون بها ما يرضي الله فيظنون معصيته هي مرضاته ويعطلون الأمر و النهي و يظنون الحقيقة الكونية أنها دينية فيحتجون بالقدر ولا ينازعونه بالمر و النهي وعاقبتهم إلى غير تقوى إلا من رحم الله.

3 ـ وقسم أعرض عن عبادة الله و استعانته فهؤلاء شر الأقسام .

4 ـ وهو القسم الذي حقق إياك نعبد و إياك نستعين قال عنهم صاحب هذا التقسيم:

((فاستعانوا بِهِ على طَاعَته وشهدوا أَنه إلههم الَّذِي لَا يجوز أَن يعبدوا إِلَّا إِيَّاه وَطَاعَة رَسُوله وَأَنه رَبهم الَّذِي لَيْسَ لَهُم من دونه ولي وَلَا شَفِيع وَأَنه { مَا يفتح الله للنَّاس من رَحْمَة فَلَا مُمْسك لَهَا وَمَا يمسك فَلَا مُرْسل لَهُ من بعده} ،{ وَإِن يمسسك الله بضر فَلَا كاشف لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يردك بِخَير فَلَا راد لفضله}، { قل أَفَرَأَيْتُم مَا تدعون من دون الله إِن أرادني الله بضر هَل هن كاشفات ضره أَو أرادني برحمة هَل هن ممسكات رَحمته}.

وَلِهَذَا قَالَ طَائِفَة من الْعلمَاء: الِالْتِفَات إِلَى الْأَسْبَاب شرك فِي التَّوْحِيد ومحو الْأَسْبَاب أَن تكون أسبابا نقص فِي الْعقل والإعراض عَن الْأَسْبَاب بِالْكُلِّيَّةِ قدح فِي الشَّرْع وَإِنَّمَا التَّوَكُّل الْمَأْمُور بِهِ مَا يجْتَمع فِيهِ مقتضي التَّوْحِيد وَالْعقل وَالشَّرْع.))

صدق والله أعرضنا عن الأسباب الأصلية "قوة الأمة المعنوية و المادية" و قصَّرنا في معرفة الأسباب الصحيحة لمقاومة هذه الأفعال .

وفي حديث ابن مسعود عند مسلم قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((ما تعدون الرقوب فيكم؟ قالوا: الرقوب الذي لا يولد له، قال: ليس ذلك بالرقوب! ولكن الرقوب الرجل الذي لم يقدم من ولده شيئا، ثم قال: ما تعدون الصرعة فيكم؟ قلنا: الذي لا تصرعه الرجال فقال: ليس بذلك ولكن الصرعة الذي يملك نفسه عند الغضب)).

فعلينا بالصبر عند المصيبة وهذه و الله مصيبة عظيمة كما علينا بالصبر عند الغضب فلا نفعل إلا ما تقره الشريعة ويرضاه الله ،قال الله تعالى في المصيبة: {وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ - الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ}

وقال الله تعالى في الغضب: {وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ}

فلا يظن المسلم أن القعود عن مثل هذه الأفعال لهذه الأسباب ينقص من أجره أو إيمانه فإن الله فرَّق في كتابه بين القاعدين غير أولي الضرر و المجاهدين في سبيله باستثناء القاعدين من أولي الضرر مما يعني أن لهم نفس أجر المجاهدين وهذا دلت عليه نصوص أخرى كثيرة.

و المقصود من كانت له قدرة على دفع هذا المكروه بمنصبه و علمه فهو مأجور ومن لم يقدر على هذا المستوى من التصرُّف فلا يكلف الله نفسا إلا وسعها ولا يزيد في ضعف هذه الأمة و مصائبها.

فإن العجز مع النية الفعل صحيح بخلاف العجز مع عدم النية على الفعل،ومن لم يمنعه من نصرة النبي صلى الله عليه وسلم إلا العجز فلا بد له أن يفعل ما يقدر عليه من مقدمات هذا النصر لكن بشرطه وضابطه ومقدمات الانتصار للنبي صلى الله عليه وسلم ،حبه و اتباعه و الدعوة إلى حبه و اتباعه وطلب القوة المادية بالحرص على التعليم المادي و الحفاظ على المسلمين وعدم تفريقهم و تحميلهم ويلات الأفعال و طاعة العلماء و عدم التقدم عليهم في المواقف وترك ما للعلماء و الساسة و المثقفين و الإعلاميين وعدم الانحشار فيه.

إننا كثيرا ما لا نفرق بين المواقف فلا نفرق بين إقامة الدين بحسب الإمكان و الانتصار وبين حالة العجز التي توجب أن يمسك النفس عن المعجوز عنه من الانتصار و الصبر على البلاء من غير منافقة لكافر أو منافق أو مبتدع لكن بالمداراة .

هذه وجهة نظر ، و الأمر للعلماء.

هدي النبي صلى الله عليه وسلم في الغضب لدين الله

الحمد لله وحده،و الصلاة و السلام على من لا نبيَّ بعده.

أما بعد؛ فخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم في كل شيء،ومن هديه صلى الله عليه وسلم الذي يجب أن يقتدي به المؤمن هديه عند الغضب.

لقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعوذ من الغضب ويحذر غائلته ومن دعائه : ((اللَّهُمَّ إِنِّي أَسَالَك خشيتك فِي الْغَيْب وَالشَّهَادَة وأسالك كلمة الْحق فِي الْغَضَب وَالرِّضَا.))

فلا يجب أن يخرج الغضبُ المسلم عن حد الحق،فلا يقول إلا حقا ولا يفعل إلا حقا،فإن الباطل يبقى باطلا ولو في حالة الغضب و المعصية معصية ولو في حال الغضب،لكن نفرق بين الغضب النبيل الغضب الحق الذي يكون لأجل الدين و الغضب الباطل الذي يكون بسبب الشيطان الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم كما عند أبي داود : ((الْغَضَبُ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَإِنَّ الشَّيْطَانَ مِنَ النَّارِ، وَإِنَّمَا تُطْفَأُ النَّارُ بِالْمَاءِ، فَإِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَتَوَضَّأْ))

وقد كان الغضب يعرف في وجه نبي الله صلى الله عليه وسلم ولا يزداد على ذلك كما جاء في صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو أنه قال: ((هجرت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما، فسمع أصوات رجلين اختلفا في آية، فخرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرف في وجهه الغضب)).

فكان صلى الله عليه وسلم إذا غضب احمر وجهه كما أو فقيء في وجهه حب الرمان،فهذا الغضب الحق الذي لا يخرج إلى حد الطيش و الذي يجب على المسلم أن يروض نفسه عليه حتى تكون جميع أفعاله و أقواله راشدة ،ذلك أن الإفراط في الغضب كالإفراط في الفرح و في الحزن يخرج الإنسان عن حد الاعتدال حتى يصير مرضا،فالغضب إذا زاد عن حده صار مرضا.

و في هذه القضية المثارة في أمريكا يجب أن نفرق بين ما يقع في ديار الإسلام وفي سلطاننا وبين ما يقع في ديار الكفر وخارج سلطاننا ،فلا شك أن القدرة تختلف ،وتحميل هذا جناية ذاك ليس من الإسلام في شيء فلا تزر وازرة وزر اخرى .

فسب رسول الله صلى الله عليه وسلم مناف للإسلام كلية ومتى وقع سب عليه صلى الله عليه وسلم سقط ضده وهو الاحترام و التعظيم فيلزم عن ذلك سقوط الرسالة وبطلان الدين ،فالثناء عليه صلى الله عليه وسلم و تعظيمه و توقيره يقوم به الإسلام و ضده يسقط به الدين لأن تعظيمه و توقيره أصل الإيمان فإن وقع انتهاك لعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم وجب على المسلمين الانتصار له من خلال أئمتهم و حكامهم بقتل المنتهك حتى نحفظ الدين لكن هذا المحذور عندما يقع الانتهاك في أرض المسلمين.

فلا شك أن سب رسول الله صلى الله عليه وسلم في ديار الكفر ليس له هذا الوقع على الإسلام لأن كتبهم مملوءة به ولا يزيد في المسلمين إلا الغيرة على الدين و شدة

تمسكهم به إضافة إلى كونه خارج قدرتهم ويعجزون على استيفاء حقهم من الساب إلا بعواقب وخيمة عليهم .
أخرجه الحاكم في (المستدرك (4 / 73، 74) ،بسند فيه محمد بن ذكوان وه ضعيف، لكن الحديث يقوى بمجموع الشواهد :
إنا لقعود بفناء النبي صلى الله عليه وسلم إذ مرت بنا امرأة، فقال بعض القوم: هذه ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال أبو سفيان: مثل محمد في بني هاشم، مثل الريحانة في وسط النتن، فانطلقت المرأة فأخبرت النبي صلى الله عليه وسلم، فجاء النبي صلى الله عليه وسلم يعرف في وجهه الغضب فقال: " ما بال أقوال تبلغني عن أقوام، إن الله خلق السموات سبعا فاختار العلى منها، وأسكنها من شاء من خلقه، ثم خلق الخلق، فاختارمن الخلق بني آدم، واختار من بني آدم العرب، واختار من العرب مضر، واختار من مضر قريشا، واختار من قريش بني هاشم، واختارني من بني هاشم، فأنا من خيار إلى خيار، فمن أحب العرب، فبحبي أحبهم، ومن أبغض العرب فببغضي أبغضهم)).
فلا ريب أن إظهار سب رسول الله صلى الله عليه وسلم في بلاد المسلمين ليس كإظهاره في بلاد الكفر ،ولئن كان سبه صلى الله عليه وسلم في أي بقعة من الأرض يغيض المسلمين أكثر من قتل أبنائهم و أنفسهم و الشارع يطلب في هذه الحالة شفاء صدورهم وذهاب غيظ قلوبهم الذي لا يحصل إلا بقتل الساب وهذا لا يكون إلا إن كان في ولايتهم سواء كان مسلما أم ذميا الأمر المنتفي عندما يكون الساب خارج ولايتهم.
فوجود فرق بين الحالتين ظاهر وقد يدلك على هذا الفرق أن فقهاء المسلمين الذين بحثوا حكم ساب رسول الله صلى الله عليه وسلم في ديار المسلمين سواء كان من أهل الذمة او من المسلمين .
ونحن نعلم أن غير المسلمين كاليهود وبعض النصارى يسبون النبي صلى الله عليه وسلم في خاصتهم ولكننا نعاقبهم عندما يظهرونه بين المسلمين فهذا الأمر يجب أن يكون معتبرا وهذا كشربهم الخمر و أكلهم الخنزير وترديد الترانيم التي فيها كفر وشرك .
قال شيخ الإسلام في (الصارم المسلول)(): ((أن قتل ساب النبي صلى الله عليه وسلم

وإن كان قتل كافر فهو حد من الحدود ليس قتلا على مجرد الكفر والحراب لما تقدم من الأحاديث الدالة على أنه جناية زائدة على مجرد الكفر والمحاربة ومن أن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه أمروا فيه بالقتل عينا وليس هذا موجب الكفر والمحاربة ولما تقدم من قول الصديق رضي الله عنه في التي سبت النبي صلى الله عليه وسلم: "إن حد الأنبياء ليس يشبه الحدود" ومعلوم أن قتل الأسير الحربي ونحوه من الكفار والمحاربين لا يسمى حدا ((ولأن ظهور سبه في ديار المسلمين فساد عظيم أعظم من جرائم كثيرة)) فلا بد أن يشرع له حد يزجر عنه من يتعاطاه فإن الشارع لا يهمل مثل هذه المفاسد ولا يخليها من الزواجر وقد ثبت أن حده القتل بالسنة والإجماع وهو حد لغير معين حي لأن الحق فيه لله تعالى ولرسوله وهو ميت ولكل مؤمن وكل حد يكون بهذه المثابة فإنه يتعين إقامته بالاتفاق.))

نعم لا يجب أن نسكت عن هذا الفعل الشنيع لكن مع اعتبار هذا الفرق،فإن تطبيق الحدود يكون في ولايتنا وبلداننا لمن يعيش بيننا أم قتل من لا علاقة له بالأمر ولو كان كافرا ذميا أو معاهدا أو مستأمنا فإنه جريمة وذنب كبير.

ولكل وسائله وطرقه بدون أن نفتح على بلداننا أزمات أكبر مما قد تحتمله خاصة و أن طوائف كثيرة في الداخل الإسلامي متربصة لتندس بين الصفوف لصالح حسابات أخرى ،فأكثر القنوات التي تنفخ في هذه القضية و تهيج المشاعر هي القنوات الشيعية و العلمانية ـ هذه الـأخيرة في مصر ـ والهدف معروف إحراج النظام الجديد وتوريطه داخليا و خارجيا ولعل موقف الرئيس المصري كان أقوى المواقف السياسية الرسمية ،وهو موقف كاف من حيث التصريحات يبقى على الجمعيات و الشخصيات الإسلامية في الغرب أن تعمل على الجانب القانوني و الثقافي الحواري الاجتماعي.

ثم نحن نعلم حقيقة أوضاعنا و أوضاع العالم ونعلم أن الانتقام سيكون سببا لزيادة شر أعدائنا،وقوتهم،فربما هذه الحادثة في ليبيا قدمت خدمة كبيرة للجمهوريين وهم أسوأ من غيرهم في عداوتهم للمسلمين ، فقد يكون الصبر و ابتغاء الطرق القانونية داخل المجتمع الأمريكي أنفع لنا و العاقل لا يختار أعظم الضررين وكم جلب الانتقام للمسلمين من شر عجزوا عن دفعه وذهبت فيه نفوس و بلاد ودول و أموال.

و اعتبروا بالحالات السابقة من تدنيس المصحف وحرقه هل غيَّرت شيئا في أمريكا و أوروبا أم زادت الطين بلة ،فالمظاهرات في البلاد الإسلامية لم تجلب إلا قتلى من

المسلمين ومزيدا من الضغوط على الدول الإسلامية .
ومهما كان لا يجب على المسلمين أن يخرجوا عن حد العدل فيعتدوا على الأبرياء أو يقتلوا شرطتهم لأنهم يدافعون على السفارات لأن الدفاع عن هذه السفارات واجبا عليهم بحكم عقد التعاهد بين البلدين و أني لأعجب لمن يقف أمام سفارة أياما لا يصلي فيها .
إن قول الرئيس المصري في عقر أوروبا : الرسول صلى الله عليه وسلم خط أحمر ومن يعتدي عليه نعاديه موقف من الناحية السياسية في ظل الظروف الحالية لا يحتاج إلى مزيد و مزايدات عليه فإن انضاف إلى ذلك خطوات قانونية و ثقافية في الغرب فهذا المطلوب حاليا و لنحرص على بلداننا ونعمل على النهوض بها ،وهذه فرصة ليس للتظاهر ولكن لرفع رصيد التدين و تصحيح العقيدة عند المسلمين و زيادة تعلقهم بالنبي صلى الله عليه وسلم بذكر ما يقوي محبته في القلوب و الانعطاف على اتباع هديه و التمسك بسنته.و الله اعلم.

ما بال الرافضة (؟)
ذكر البارحة خطيب مسجدنا وهو يتحدث عن مقام نبيِّنا صلى الله عليه و سلم عند الصحابة موقف الرافضة من الفيلم المسيء وتعجب منهم أشد التعجب .
فكان مما قاله: أنتم أول من أساء إليه فزعم أنه عاش مع زوجة خائنة ولم يعرف حقيقتها حتى جئتم انتم ،وليس أبلغ من هذه الإساءة ؟!
وزعمتم ان صحابته كانوا مرتدين ومنهم من لم يدخل في الإسلام أصلا فنسبتم إليه الفشل في تربية أصحابه إلا ثلاثة ونسبتم إليه الغفلة فكيف تغضبون من هذا الفيلم وإساءتكم له لا تقل عن إساءته ؟!
و الظاهر أن للرافضة هدفا من الدندنة حول هذا الموضوع و تضخيمه وهو بث الفوضى في بلاد السنة خدمة لقضيتهم وحتى ينساهم الغرب في ضوضاء الفوضى.
فهذا صنف ممن له مصلحة في خروج الأمور عن نصابها ،وهناك أصناف أخرى.

أحكام السُّفراء في الإسلام

الحمد لله وحده،و الصَّلاة و السَّلام على من لا نبيَّ بعده.

أما بعد؛فقد زعم أحد الإخوة أنه يجوز قتل السفراء لأنهم ليسوا رسلا لبلدانهم، فالرسول لا يمكث و السفراء يمكثون ،و السفارات فيها سلاح وأمور أخرى عبارة عن دعاوى مطلقة من جنس أن أمريكا نقضت عهد الله (؟!)ومن هنا لا يجوز قياسهم على الرسل (؟!)

وقد فات هذا الأخ الكثير، وجاء بما لم يسبقه إليه أحد من المسلمين، فلم يعتبر العلة المؤثرة في كون السفراء من الرسل، ولم يعتبر العلة المؤثرة في كون الرسل لا يقتلون، فجعل الفارق المؤثر في الفرق بين النوعين ـ الوهميين في ذهنه ـ هو المكث وحمل السلاح كأن الرسل في زمنه صلى الله عليه وسلم لم تكن تحمل السلاح (؟!) وفاته أن يحدد لنا مدة المكث،ففي أي مدة زمنية يبق عندنا نعتبره رسولا فلا نقتله، فإن تجاوز هذه المدة صار سفيرا فيحل دمه (؟!)

وهل إذا اتفقت البلدان فيما بينهم أن يكون المكث سنة أو سنتين أو خمسة ثم يجدد السفير يكون هذا معتبرا أم ملغيا في جواز قتلهم (؟!)

وما الدليل على أنه ليس للمسلمين و لحاكمهم أن يقرروا مع دولة أخرى تبادل السفراء لخدمة مواطنيهم في تلك البلاد، و لغيرهم لمن يرغب في زيارة بلدنا ،أو نحتاج اليه. و كذلك لتمثيل دولنا و الدفاع عن مصالحها (؟!)

فمن أين لهم هذا التفريق، ولا أصل له في كتاب، ولا في سنة، ولا في إجماع، ولا في عقل، بل يعارض مصالح المسلمين،ومعلوم أن تصرُّف الإمام على الرعية منوط بالمصلحة،وحتى في قتل الجاسوس رجع القول الحق الراجح إلى تقدير الإمام لمصلحة المسلمين فكيف بالسفراء الذي عاهد على استقبالهم و حمايتهم وأعطاهم مواثيق الأمان (؟!)

أما مخالفته لهدي النبي صلى الله عليه وسلم في التعامل مع سفراء الدول و الوفود كما سأوضحه لاحقا فواضح و جلي.

و الله لقد لعب الشيطان بعقول بعض المسلمين فصار يهذي بمثل هذا الهذيان، و هان الدين و العلم على الناس فاتبع الشباب رؤوسا جهالا فأضلوهم ،و نطق كل واحد بما يشبه عقله، وخربت البلدان .

ثم لم يرض بهذا القول الذي لا أصل له فتحدى العلماء ليجيبوه عن دليله ؟!
1 ـ أرسل الشيء معناه أطلقه و أهمله،فيقال: أرسل الكلام أي أطلقه من غير قيد،وأرسل الرسول يعني بعثه برسالة، وعلى هذا معنى الرسول ، فرسل الله بعثهم الله بالكتب و الوحي،ورسل الملوك و الدول تبعثهم بالرسائل و المواثيق و الاتفاقيات و التشاور و غير ذلك.
وتسمى الرسل بالسفراء لأنهم سفراء الله إلى عباده ،و كلمة سفراء أصلها من السَفر ولهذا جاء في الحديث فالذي يجمع بين الرسول و السفير أنهما مبعوثان مسافران من و إلى لكن اصطلح في العصر الحديث على تسمية رسل الدول بالسفراء .
وسمى الملائكة بالسفرة، قال تعالى: {فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ * مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ * بِأَيْدِي سَفَرَةٍ * كِرَامٍ بَرَرَةٍ} [عبس:13-16]
والسفرة هم الملائكة، وسموا سفرة لأنهم كتبة، مأخوذة من السِّفْر وهو الكتاب، لقوله تعالى: {كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً} [الجمعة:5] .
وقيل السفرة: الوسطاء بين الله وبين خلقه، من السفير وهو الواسطة بين الناس،كما كان جبريل عليه السلام واسطة بين الله ورسله، ومنه حديث أبي رافع رضي الله عنه: (أن النبي صلى الله عليه وسلم تزوج ميمونة قبل أن يحرم، قال: وكنت السفير بينهما) أي: الواسطة.
فتضمن معنى السفير معنى الوساطة و الرسالة و السفر و الانتقال و البعث وهي تقريبا نفس المعاني التي في كلمة رسول .
فتبيَّن من هذا أنه لا فرق بين الرسول و السفير لغة و اصطلاحا شرعيا، و أن مدة المكث أمر عرفي وليس شرعي يرجع لأعراف الدول المعاصرة، ولا تأثير له في الحكم، لا من قريب ولا من بعيد، إذا بقاء الرسول في بلدنا إلى مدة محددة أو غير محددة هو برضانا وعهدنا و يقابله في الجهة الأخرى نفس الفعل.
و السفير كالرسول ينقل كلام المرسِل ويمثل مصالحه ،ويكون وسيطا لدى المرسل إليه.
فعلى طالب العلم المتكلم في هذه القضايا الخطيرة بحيث يريد نقض ما اتفق عليه فقهاء المسلمين من قوله صلى الله عليه وسلم : ((لولا أن الرسل لا تقتل)) أن ينظر في تحقيق مناط الحكم ،فما تبيَّن أنه من الفروق الفاسدة أسقطه ، فإن اشتبه عليه هذا

الأمر كان حكمه حكم نظائره .
فالقياس الصحيح أن السفير إن لم يكن هو الرسول ـ ولا فرق بينهما من أية جهة ـ فهو في أقل أحواله نظيره فيأخذ حكمه ،وهذا في الحقيقة بديهي ولكن هذا زمان فرض علينا إثبات البدهيات رحمة بشبابنا حتى ينزلق في الضلال من حيث يريد الخير.
فالفارق المؤثر لابد أن يكون شرعيا وليس لمجرد الاختلاف الطفيف بين عبارتين،كالاختلاف بين قعد و جلس،وسرق ونهب،فالتفريق بين حكم الرسل وحكم السفراء باطل في معناه ولفظه،وهو متناقض لا يعقل معناه.
وإذا كانت الفروق غير مؤثرة في الشرع و العقل و اللغة كان لابد من إلحاق هذا بأصله وهو الرسول فإن إلحاق الشيء بما يشبهه أولى وأجلى وأليق بأصول الشريعة،ولا يحتاج إلى تكثير الكلام.
وإذا كان المكث غير مؤثر في حصانة الرسول فهو غير مؤثر في حصانة السفير سواء بسواء،فجهالة مدة مكث الرسول غير معتبرة وغير مؤثرة في حصانته فلا يكون تحديدها مؤثرا.
وإذا أثبتنا أنه لا فرق بين الرسول و السفير في سبب حصانتها علمنا أن الفرق اللفظي الطفيف ملغى لان الاشتراك بينهما في موجب الحصانة قوي وظاهر فثبت ان المشترك هو العلة فيلزم من حصوله في الفرع ثبوت الحكم
فهذا استخراج للعلة بطريق السبر ،وكانت علة الحصانة التي هي حمل الرسالة وما يدخل في ضمنها موجودة في السفير غلبت جهة الاشتراك جهة الامتياز وإن كنت لا أرى أي امتياز بين الرسول و السفير.
فمحمل الحكم في الرسول بأنه لا يقتل أنه مرسل، وهو نفس الشيء في السفير.
هذا إن كان رسول دولة معادية محاربة فكيف إذا كان لدولة حليفة أو صديقة أو تربطنا بها معاهدة ومواثيق ثنائية ودولية أقررنا بها طواعية .
وقد اصطلح المعاصرون على تسمية الرسول بالسفير إن كان له مقر معين في البلد المرسل إليه وله مهام محددة وموسعة.

كان الماوردي ذا علاقات مع رجال الدولة العباسية، كما كان سفير العباسيين ووسيطهم لدى بني بويه والسلاجقة، وبسبب علاقاته هذه يرجِّح البعض كثرة كتابته

عمَّا يسمَّى بالفقه
ـ حاطب بن أبي بلتعة، سفير المصطفى إلى المقوقس.
ـ دحية الكلبي رضي الله عنه سفير النبي عليه السلام إلى هرقل

كما اصطلحوا على تسمية الرسول في قضية خاصة مبعوثا، ولا فرق من جهة اللغة أو الشرع بين اللفظين إلا اصطلاحا عصريا لمجرد التمييز و التعريف .
ولو نظرنا في هدي النبي صلى الله عليه وسلم في اختيار رسله و معاملة الرسل الوافدة عليه لا نجده مختلفا عن الدبلوماسية الحديثة ،فكان يختار رسله على أساس جمال الخلقة و الكفاءة الممتازة فكان من رسله حاطب بن أبي بلتعة بعثه إلى قريش و دحية الكلبي الذي بعثه إلى قيصر وكان دحية من أجمل أهل عصره و أكثرهم أناقة في ملبسه و هيئته وبه كان يتمثل جبريل عليه السلام.
وكذلك كان معاذ بن جبل،وأبو موسى الأشعري،وعبد الله بن حذافة،وعمرو بن العاص ،وكل هؤلاء كانوا رسله ومن ينظر في تراجمهم يجد هذا العامل جمال الخلقة و حصافة العقل و الذكاء وفصاحة اللسان وقوة الحجة و القراءة و الكتابة.
وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حريصا على هذه الأمور كما جاء في قوله : ((إن أبردتم إليّ بريدا، فاجعلوه حسن الوجه حسن الاسم)) . الألباني، صحيح الجامع الصغير (ج 1، ص 132) .
وحق الأمان الذي كان يتمتع به الرسل و السفراء في عهده و الذي نسميه اليوم "الحصانة" تمتع به حتى رسل مسيلمة الكذاب فقال لهم : ((لولا أن الرسل لا تقتل لضربت أعناقكما)) فبيَّن بهذا القول أن هذا الأمان جرى عليه العرف عند الناس أو عند الأنبياء وأن الإسلام يؤكده.
ومعلوم أنه إذا لم يأمن الرسل و السفراء على أنفسهم لم يمكنهم أداء مهامهم ولهذا قال السرخسي: ((إذا وجد الحربي في دار الإسلام، فقال: أنا رسول، فإن أخرج كتابا عرف أنه كتاب ملكهم كان آمنا حتى يبلغ رسالته ويرجع؛ لأن الرسل لم تزل آمنة في الجاهلية والإسلام؛ وهذا لأن أمر القتال أو الصلح لا يتم إلا بالرسل؛ فلابد من أمان الرسل ليتوصل إلى المقصود)).(المبسوط)(10/92).
وكذلك كان من حقوقهم ألا يحبسوا أو يمنعوا من الرجوع إلى قومهم،كما جاء في

قصة أبي رافع عندما وقع في نفسه الإسلام وكان رسولا لقريش عند النبي صلى الله عليه وسلم فأراد ان يبقى في المدينة باختياره ولا يعود إلى مكة ، قال له النبي صلى الله عليه وسلم : ((إني لا أخيس بالعهد، ولا أحبس البرد، ارجع إليهم، فإن كان الذي في قلبك الذي فيه الآن فارجع)). أحمد، المسند (ج 6، ص 8) . أبو داود، السنن (ج 3، ص 189، 190)

قال ابن القيم في (زاد المعاد)(3/139): ((قوله: لا أحبس البرد، إشعار بأن هذا حكم يختص بالرسل مطلقا)) .

كما ردَّ إلى المشركين أبا جندل للعهد الذي كان بينه وبينهم أن يرد إليهم من جاءه منهم مسلما.

فالوفاء بالعهد حتى المجحف في حق المسلمين هو هدي النبي صلى الله عليه وسلم و نقضه من غير منابذة ممن أعطاه لهم جهرا تعتبره شريعتنا غدرا وتتوعد عليه أشد الوعيد .

كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يحفظ لهم حق العبادة كما في قصة وفد نجران ،وينهى عن التعرض لهم .

كما كان يتجمل لهم كما جاء في(صحيح البخاري)(4/85) أن رجلا أهدى النبي صلى الله عليه وسلم حله وقال له : ((لتتجمل بها يا رسول الله للوفود))

كما كان يكرمهم ويبسط لهم رداءه و يشركهم في الجلوس معه وقال: ((إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه)) (ابن ماجة)(2/1223).

كما خصَّص لهم مكانا ينزلون فيه و اعتبرهم ضيوفا وذكر ابن سعد أن ذلك كان في دار رملة بنت الحارث النجارية .(الطبقات)()ص:374)

كما كان يعطيهم الجوائز بعد نهاية مهامهم و انصرافهم راجعين إلى بلدانهم ،قال ابن خلدون في (التاريخ)(2/52) : ((كان النبي صلّى الله عليه وسلم يحسن وفادة الوفود ويحسن جوائزهم، وهذا كان شأنه مع الوفود ينزلهم إذا قدموا ويجهزهم إذا رحلوا))

روى الإمام أحمد في (المسند)(4/75) أن رسول هرقل قدم على النبي صلى الله عليه وسلم وهو في تبوك،فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم معتذرا له من عدم وجود جائزة يجيزه بها فقال: ((إن لك حقّا، وإنك لرسول، فلو وجدت عندنا جائزة لجوزناك بها، ولكن جئتنا ونحن مرملون (مسافرون) فقال عثمان: أنا أكسوه حلّة صفورية،

وقال رجل من الأنصار: عليّ ضيافته)) .
ويتضح من هذا أن كسوة الرسول صلّى الله عليه وسلم وضيافته هما من حقوق الرسول كجزء من الاستقبال والتكريم.
كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشترط هذا لرسله فذكر ابن سعد في (الطبقات)(1/288) عن وفد نجران أن النبي صلّى الله عليه وسلم ((اشترط عليهم مؤنة رسله وضمان الحماية لهم)).
وقد أوصانا رسول الله صلى الله عليه و سلم بالمداومة ومواصلة هديه مع الوفود فجاء في (صحيح البخاري)(4/84) باب جوائز الوفود قوله صلى الله عليه وسلم :
((وأجيزوا الوفود بنحو ما كنت أجيزهم))
ومن أراد الاستزادة من هذا البحث فلينظر (الإدارة في عصر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم) لأحمد عجاج كرمي، و (التراتيب) للكتاني.
تعريف العهد و المعاهد ودليل دخول السفراء فيه بطريق أولى:
ولتعرف الآن معنى العهد و المعاهد، وكيف يدخل السفير في المعاهد، وحكم قتل المعاهد أو ظلمه إليك التالي:
العهد في اللغة هو الوصية،فنقول: عهِد إليه إذا أوصاه.
و العهد هو الأمان،والموثق،والذمة،و اليمين،وكل ما عوهد الله عليه،وكل ما بين العباد من المواثيق فهو عهد.(انظر (لسان العرب) و(المعجم الوسيط))
ولا يخالف المعنى الاصطلاحي المعنى اللغوي.
وقد علمنا أن السفراء لا يدخلون بلداننا إلا بموجب اتفاقية بيننا وبين بلدانهم هي ميثاق وعقد،وذمة،وبموجب معاهدات دولية فهم أخص من تنطبق عليه صفة المعاهد.
ولقد أوجب علينا الإسلام الوفاء بالعهد،والتزم رسول الله صلى الله عليه وسلم بعهوده،امتثالا لقوله تعالى :{وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ}.
و شدَّد الوعيد في نقض العهد حتى نفى الدين عمن لا عهد له فقال: ((لاَ دِينَ لِمَنْ لاَ عَهْدَ لَهُ)) أحمد (3 / 135) من حديث أنس بن مالك.
ومن الأمثلة على وفائه بالعهد وفاؤه بالوثيقة التي عقدها لليهود عندما دخل المدينة،وصلح الحديبية.
و الخلاصة أن نقض العهد محرَّم تحريما قطعيا ،وهو من خصال النفاق ، قال النبي

صلى الله عليه وسلم : ((أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا: إِذَا أُؤْتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ)) أخرجه البخاري (فتح الباري 1 / 89) من حديث عبد الله بن عمرو.

ويعتبر نقض العهد من ظلم المعاهد ،وأمر الله تعالى بإتمام مدة العهد،فقال سبحانه: {فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ} [التوبة].

ووصف الذين ينقضون عهدهم بالخسران في قوله: {الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ} [البقرة]

ومن أقواله صلى الله عليه وسلم في النهي عن ظلم المعاهدين قوله : ((مَنْ ظَلَمَ مُعَاهِدًا أَوِ انْتَقَصَهُ أَوْ كَلَّفَهُ فَوْقَ طَاقَتِهِ أَوْ أَخَذَ مِنْهُ شَيْئًا بِغَيْرِ طِيبِ نَفْسٍ فَأَنَا حَجِيجُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)) أخرجه أبو داود (3 / 437) وقال السخاوي في المقاصد (ص392) : سنده لا بأس به.

وعليه فيجب على المسلمين الوفاء بالعهد الذي تعطيه بلدانهم حكامهم للأجانب،وهذا من اختصاص الحاكم ولا يعود إلى فئة معينة.

ويجوز لهم نقض العهد في حالة واحدة وهي أن يعلموا المعاهد صراحة جهرا و علنا كما تفعل الدول حاليا تمهل السفير كذا ساعة أو يوم لمغادرة ترابها و إلا اعتبر غدرا بمعاهد.

قال النبي صلى الله عليه وسلم : ((مَنْ كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ قَوْمٍ عَهْدٌ فَلاَ يَشُدُّ عُقْدَةً وَلاَ يَحِلُّهَا حَتَّى يَنْقَضِيَ أَمَدُهَا، أَوْ يَنْبِذَ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ)) أخرجه أبو داود (3 / 190) والترمذي (4 / 143) من حديث عمرو بن عبسة، وقال الترمذي: حسن صحيح.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم في الغادر : ((لِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُعْرَفُ بِهِ)) أخرجه البخاري (فتح الباري 5 / 283) ومسلم (3 / 1360 من حديث ابن عمر.

وبهذا نعرف أن سفراء البلدان الأجنبية في بلادنا من المعاهدين الذين لا يجوز ظلمهم فضلا عن قتلهم ،وليس لأحد أن ينبذ إليهم عهدهم إلا الدولة ،وحتى في هذه الحالة لا يجوز قتلهم ولا حبسهم، ويطلب منهم مغادرة البلاد ،وتحدد لهم مهلة.

فهذا الصنيع الغدر بالسفراء ،و قتلهم و حبسهم، وقطع الطعام و الشراب عنهم

محاصرة يصنعه الرافضة لا أهل السنة و الجماعة الذين يهتدون بهدي نبيهم صلى الله عليه وسلم.
وأي عهد من عهود الله نقضت أمريكا، وهي أصلا دولة كافرة (؟!)
ثم يستدل بآية وردت في قوم مشركين وليسوا أهل كتاب نقضوا عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم .
و السؤال هل يتحمل المسلمون جرائم بعض أفرادهم في حق بلد من البلدان(؟)
فكر مظلم بالجهل سيجلب لنفسه ظلام العلمانية فهو أقرب مساعديها للعودة إلى الحكم وحينها يرتد من يرتد ويقتل من يقتل ويذل من يذل ويدخل الباقي في الصف.
و الحمد لله وحده، و الصلاة و السلام على من لا نبيَّ بعده.

الفرق بين أن تجري بك الأحداث وبين أن تجري في الأحداث هو الوعي بهذه الأحداث.
عندما يكون أبناء الدنيا ــ على اختلاف مللهم ــ أكثر فطنة من أصحاب الدين يكون الأمر لهم شئنا أم أبينا.
عندما ندرك الواقع على حقيقته أي واقعنا وواقع غيرنا ندرك أننا نخضع للعاطفة، ونعيش داخل الأوهام ،ونتصرف بتهور، ونقرأ الأحداث سطحيا، وتخدر عقولنا بالكلام الحماسي وبأنصاف الحجج .

أمتنا... تحتاج إلى رقة الخطاب.
إلى من يحبها ويعذرها ،ولا ينابذها قولا وفعلا.
إلى من يكشف لها روعة الإيمان الحي، ويستخرج منها بقاياه .
إلى من يريها جمال الإسلام الحق.
برحمة، وحلم، ومنطق يخترق بسلاسته حجب الشبهات، و التقليد، و الجهل.
ألا فليقف دعاة الهدى.

الفرق بين النقد الصَّحيح و النقد الفاسد(الدعاية)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده، و الصلاة و السلام على من لا نبيّ بعده، وبعد...

حال الأمة في عمومها، لا ترى للنقد الذاتي أي مسوغ أخلاقي أو علمي،و إن مارسته فللهدم فقط، أو لتوطيد المذاهب الموروثة ولذلك قلَّما يكون متجردا من مشاعر الانتماء و الانتساب،والحب و البغض ،و ليس لإحقاق الحق.

وهي بهذا ابتعدت عن قاعدة منهجية عظيمة جاء بها الإسلام، وهي قاعدة محاسبة النفس، فالفرد عليه أن يحاسب نفسه عن أدائها، كما على الجماعة أن تحاسب نفسها و تقوِّم أداءها بنظرتين: نظرة رجعية لما مضى من مسيرتها لتمييز السلبيات و الإيجابيات، و بنظرة تطلعية للمستقبل.

مراحل النقد الذاتي و شروط نجاح العمل الإسلامي الفردي و الجماعي:

- لقد فصَّل أئمة الإسلام و عبَّاده مسألة المحاسبة ودليلهم من القرآن قوله تعالى:{يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله و لتنظر نفس ما قدمت لغد}[الحشر]،و ذكروا كلاما في غاية الأهمية.

ومن هؤلاء الإمام ابن القيم الجوزية، فإنه ذكرا كلاما بليغا منهجيا، و ضبط المسألة بحيث يمكن اعتبار ما ذكره شروطا ضرورية لنجاح العمل الإسلامي الفردي و الجماعي ، قال في (إغاثة اللهفان){81/1}: ((محاسبة النفس نوعان: - نوع قبل العمل ونوع بعده :

النوع الأول: هو أن يقف عند أول همه و إرادته ولا يبادر بالعمل حتى يتبين له رجحانه على تركه، قال الحسن رحمه الله:" رحم الله عبدا وقف عند همِّه فإن كان لله مضى و إن كان لغيره تأخر".

و شرح هذا بعضهم فقال:إذا تحركت النفس لعمل من الأعمال وهمَّ به العبد وقف أولا و نظر:هل ذلك العمل مقدور له أو غير مقدور ولا مستطاع(؟)

فإن لم يكن مقدورا لم يقدم عليه.

و إن كان مقدورا وقف وقفة أخرى و نظر: هل فعله خير له من تركه أو تركه خير له من فعله(؟)

فإن كان الثاني تركه ولم يقدم عليه.

و إن كان الأول وقف و قفة ثالثة و نظر: هل الباعث عليه إرادة وجه الله عز وجل و

ثوابه، أو إرادة الجاه و الثناء و المال من المخلوق(؟)
فإن كان الثاني لم يقدم عليه، و إن أفضى به إلى مطلوبه، لئلا تعتاد النفس الشرك، ويخف عليها العمل لله تعالى، فبقدر ما يخف عليها ذلك يثقل عليها العمل لله تعالى حتى يصير أثقل شيء عليها.
و إن كان الأول وقف وقفة أخر و نظر: هل هو معان عليه ، وله أعوان يساعدونه و ينصرونه إذا كان العمل محتاجا إلى ذلك أم لا(؟)
فإن لم يكن له أعوان أمسك عنه كما أمسك النبي عن الجهاد بمكة حتى صار له شوكة و أنصار.
و إن وجد معانا عليه فليقدم عليه، فإنه منصور، ولا يفوت النجاح إلا من فوت خصلة من هذه الخصال، و إلا فمع اجتماعها لا يفوته النجاح.
فهذه أربعة مقامات يحتاج إلى محاسبة نفسه عليها قبل العمل:
1 ـ فما كل ما يريد العبد فعله يكون مقدورا له.
2 ـ ولا كل ما يكون مقدورا له يكون فعله خيرا من تركه.
3 ـ ولا كل ما يكون فعله خيرا له من تركه يفعله لله.
4 ـ ولا كل ما يفعله لله يكون معانا عليه.
فإذا حاسب نفسه على ذلك تبين له ما يقدم عليه و ما يحجم عنه.
فشروط نجاح العمل بناء على النقد الذاتي القبلي هي:
1 ـ القدرة (المعنوية و المادية).
2 ــ الترجيح بين مصلحته و مفسدته بالنظر في مآله.
3 ــ الإخلاص وهو أساس الأمر كله.
4 ــ التعاون و التكافل.
و الحقيقة لو أن الجماعات الإسلامية عملت بهذه المبادئ في المجالات التي دخلتها كالمجال السياسي و التربوي، و العمل الجماعي، و تم انتقاء المجالات و المواضيع على ضوء هذا التفكير لكانت النتائج أحسن بكثير مما هي عليه الآن.
ولكن عندما ينظر للنقد العلمي على أنه خيانة، وخروج على الجماعة ،و شق الصفوف، تكون العثرات أكثر من النجاحات.
النوع الثاني: محاسبة النفس بعد العمل وهو ثلاثة أنواع:

1 ـ محاسبتها على طاعة قصرت فيها من حق الله تعالى فلم توقعها على الوجه الذي ينبغي.
وحق الله تعالى في الطاعة ستة أمور تقدمت وهي:
1 ـ الإخلاص في العمل.
2 ـ النصيحة لله فيه.
3 ـ متابعة الرسول فيه.
4 ـ شهود مشهد الإحسان فيه.
5 ـ شهود منة الله عليه.
6 ـ شهود تقصيره فيه بعد ذلك كله.
فيحاسب نفسه: هل وفى هذه المقامات حقها ،و هل أتى بها في هذه الطاعة(؟)
2 ـ أن يحاسب نفسه على كل عمل كان تركه خيرا له من فعله.
3 ـ أن يحاسب نفسه على أمر مباح أو معتاد لم فعله، و هل أراد به الله و الدار الآخرة، فيكون راجحا، أو أراد به الدنيا و عاجلها فيخسر ذلك الربح و يفوته الظفر به".
ثم ذكر ـ رحمه الله ـ أن من أسباب الهلاك و فساد الأعمال ترك محاسبة النفس، و الاسترسال مع الأحداث ،و الواقع، و النظر للأمور بعقلية التساهل في الأمور، و تمشيتها.
ولو أردنا أن نصوغ المنهج العلمي الإسلامي العملي الذي يزاوج بين العلمية و العملية لما وجدنا أحسن من عبارة بعض العارفين:" محاسبة النفس ـ ملاطفة الخلق ـ مراقبة الحق"، أي: النقد الذاتي المستمر ـ الرحمة بالخلق، و ذلك بربط الأمور بالممكن من علم الخلق و قدرتهم، و ترتيب الأعمال و نقلهم فيها بحسب الإمكان بحيث لا يطالبوا بالأعمال من الدرجة الأولى إلا إذا قدروا عليها ـ التقيُّد بالشرع في جميع الأعمال.
وهذا الوضع العلمي المختل سببه عدم منهج علمي رصين يحدد ما هو الفاسد و ما هو الصالح.
وعليه، فضرورة تحديد هذا المنهج أضحت ضرورية لهذه الأمة.
قيمة النقد في حياة الأمة ونهوضها:

قيمة النقد الذاتي الفردي و الجماعي، و أنه في التعبير الإسلامي يمكن تسميته بمحاسبة النفس، أو المراجعة، و أن هذه المحاسبة أو النقد الذاتي هو من صميم التوحيد العملي الإرادي القلبي، فهو بالتالي عمل إيماني يقوم به كل مسلم بحسب وعيه و إدراكه لقيمته الإيمانية و العلمية.

كذلك بينت أنه أنواع كما ذكر ذلك بعض العلماء المحققين، فمنه ما يسبق العمل، ومنه ما يأتي بعده.

ومن هنا تتجلى قيمة النقد الذاتي في الفكر الإسلامي، و اليوم كان لابد علينا أن نتكلم عنه كمنهج علمي و خطة في المنهج التربوي الذي نريد أن تتبناه جامعاتنا الإسلامية و مختلف معاهدنا و مدارسنا، فهو الوسيلة الحقيقية و الكفيلة بتحييد النعرات المذهبية، أو الإقلال من قوتها داخل المجتمع المسلم.

الروح النقدية:

بعث الروح النقدية في المجتمع المسلم، و تربية الأجيال عليها حتى تصير خلقا فيها في المجال التربوي، هو أهم خطوات النهضة، فالباحث و العالم قد يكون على جانب كبير من العلم، وله قدرة فائقة على البحث و التنقيب و الاستقراء و الاستنباط، ولكنه عندما يفتقد إلى الخلق الإيماني الذي يستوجب عليه لزوما ذاتيا الصدق و الموضوعية، كالتفريق بين النسبي و المطلق، و التحقق من المعطيات، لا يمكن لأي منهج علمي مهما بلغ من قوة أن يؤدي إلى فائدة مرجوة، فالعلم من جنس الشعور و الاعتقادات، و تأثير الإيمان و الأخلاق عليه مباشر و ضروري.

فتنمية حب الحق، و الرضا به، و القدرة النفسية على التسليم بقراراته في نفس الناشئة هو أول خطوات المنهج العلمي، الذي يجب أن ندخله في المناهج التربوية، ثم بعد ذلك نعلمهم الروح النقدية، و ندربهم عليها وفقا للمناهج العلمية الصحيحة.

فعندما نغرس في الناشئة اليقظة الذهنية التي تمنعهم من التسليم بأي أمر قبل فحصه و تمحيصه، لمعرفة حقيقة مدلوله وفحواه، و أصل مأتاه و غاية مغزاه، حبا في موافقة الكتاب و السنة، وبغضا لمخالفتهما فيما يتعلق بهما من مجالات، نكون قد علمناهم الروح النقدية الكفيلة ببناء الأمة على أسس سليمة و قواعد صحيحة، تعمل ذاتيا في التخلص من الشوائب العقدية و الفكرية و العرفية التي لصقت بالدين، ويصير نبذ الباطل مهما كان نوعه ومهما كان قائله أمرا ذاتيا في الناس، لأن روح النقد تجانب

روح التقليد وروح التعصب.

الفرق بين النقد و الدعاية:

إذا حددنا معنى النقد ،وما الغرض منه أمكننا معاينة حال الفكر الإسلامي في هذا العصر، هل يقع ضمن مفهوم النقد أم أنه في غالبيته حمالات دعائية تقوم بها الجماعات لمناهضة غيرها ،و الحط من شأن المخالف، فهل القائم حاليا هو من جنس النقد العلمي أم من جنس الدعاية(؟)

فإذا كانت الدعاية هي "الدعوة إلى اعتقاد رأي من خلال استعمال الوسائل الإعلامية كالكتب و الشريط ،و التلفزيون ،و الإنترنيت وغيرها، من خلال استغلال قابلية الناس المتخلفين علميا شرعيا للإيحاء، و التوجيه ،و التصديق، عن طريق عمل كل ما في الوسع من التضليل المعلوماتي بالصور و الأفلام المزورة،والأخبار الملفقة"، و الحجر على العقول، لإخماد روح النقد و التمحيص لديهم، بحجة مخالفة الشيوخ، أو الجماعة، مع تزيين ما يراد اعتقاده أو فعله بالأسماء المحبوبة، أو التنفير من الغير بالأسماء المذمومة، كالخيانة، و العمالة، و البدعة، و المروق، و التمييع، أو التشدد، و الغلو وغيرها كما هو حال الجماعات الإسلامية التي تتراشق بهذه العبارات.

لن تجد الأمة طريقها إلى تصفية تراثها، ورسم مشروعها المستقبلي بدون نقد علمي صارم منهجيا ومتجرد من المشاعر و الانتماء، و معيار الصدق الوحيد الذي يعتمد عليه هو الدليل الصحيح المعتبر مع الإخلاص في قصد الحق.

المقومات العملية لوجود الأمة القوية:

بسم الله الرحمن الرحيم

قال النبي صلى الله عليه وسلم : ((ثلاث لا يغل عليهن قلب مسلم إخلاص العمل لله ومناصحة ولاة الأمور ،ولزوم جماعة المسلمين))

فهذا النص المفصلي في بناء الأمة يحث على الاجتماع و الائتلاف عندما ذكره النبي صلى الله عليه وسلم ذكره وهو يعلم، أو قد سبق منه وأن ذكر حديث الافتراق وأحاديث الفتن،فيجب أن يكون هذا الحديث هو علاج هذا الأمر القدري الذي كتبه الله على هذه الأمة.

ومعلوم أن أهل السنة مذهبهم منازعة القدر بالأمر الشرعي،فحديث الافتراق حديث

من باب الإخبار عما سيكون، و هذا الحديث حديث أمر و نهي ،مما يدل على أنه العلاج لتجاوز سلبيات الافتراق حتى لا تزول الأمة ككيان مادي له مقومات مادية (عملية).

فهل القضايا النظرية التي نصبتها كل طائفة على أنها قضية الدين الجوهرية، و التي بدونها لا يكون الدين هي القضايا التي بها تكون الأمة موجودة عمليا أو لا تكون موجودة أم لا؟

فما الذي لا يمكن أن يتحقق المعنى الذي جاء في هذا الحديث إلا به ؟

هل هو القضايا المذهبية على اختلاف دراجتها (؟)

هل هو النظريات أقصد القضايا النظرية كالكلامية و الفرعية المذهبية وما يلتحق بها من قضايا منهجية ؟

هل قضايا المستحبات و الواجبات المعجوز عنها (؟)

في نظر ابن تيمية ـ رحمه الله ـ أنه لا يتحقق معنى هذا الحديث أي الائتلاف و الاجتماع إلا بالعمل بحديث عملي آخر هو قوله صلى الله عليه وسلم : ((وليأت إلى الناس الذي يجب أن يؤتى إليه))

فهل نحن نعمل بهذين الحديثين: نخلص العمل لله ، ونناصح ولاة الأمور بالإرشاد و التنبيه و الحث على الواجبات المقدورة لهم،و الأعذار في الواجبات المعجوز عنها.

و المناصحة كالمراجعة و المواجهة و المعاينة و المشفاهة و المراهنة والمشاتمة والمقاتلة والمضاربة و المشاركة والمعاونة على وزن مفاعلة أي مفاعلة من الجانبين تستدعي الفعل من طرفين و المناصحة مفاعلة من النصيحة، وهي صيغة تقتضي في الأغلب المشاركة من جانبين أو فريقين في أمر، ولا بد في كل مفاعلة إذا كانت بمعنى أصلها الثلاثي من أن تحمل معنى زائداً على الأصل، لزيادة لفظها، يعني دوام النصح و امتداده .

ونلزم جماعة المسلمين التي هي كما في نصوص أخرى السواد الأعظم وليس جماعتك أم صرنا نكفر السواد الأعظم ، ونضلله ونبدعه و نفسقه مع تقصير فادح في تبليغ الدين له،وهل يمكن أن تنجح أية دعوة يعاديها السواد الأعظم (؟)

وهل نأتي الناس (المخالفين لنا) ما نحب أن نؤتى إليه ، فكلنا يحب أن يحترم ،وان يخاطب بلطف، وان ينصح بالتي هي أحسن ،وأن يرشد إلى الحق باللين و الحلم،

ويحب أن يصبر عليه وغير ذلك فهل نعامل المخالف بهذا (؟)
إن هذا الحديث تضمن القدر الواجب أو الحد الأدنى لوجود الأمة الوجود المادي الذي هو شرط لوجود سائر المقومات الأخرى.
وقد صار هذا الحديث هو القدر الواجب لأنه مقرون بالإيمان،فالمؤمن في ظل حال الأمة الآن هو الذي يعمل بموجبات هذا الحديث مع شرطه،و لابد فِي الْإِيمَان من التعاون والتناصر على فعل مَا يُحِبهُ الله تَعَالَى وَدفع مَا يبغضه الله تَعَالَى،وفي المشترك الكثير منه.
آلا ترون أن النبي صلى الله عليه وسلم حينما يسأل عن الأعمال التي تدخل الجنة وتنجي من النار يذكر فعل الواجبات و ترك المحرمات الفردية، بينما هذا الحديث هو واجب جماعي أي من الواجبات التي تتعلق بجماعة المسلمين بالأمة.
و السؤال ما الذي منع المسلمين وأقصد هنا الجماعات السنية على اختلاف دراجتها من العمل بموجب هذا الحديث إلا النظريات التي نصبتها أمام عينها وجعلتها هي الدين كل الدين؟!
ألستم تجتمعون على اختلاف مذاهبكم على إمام واحد في الصلاة ،و الحج، و العيد، و الاستسقاء، و الجمعة، فلمَ لا تجتمعون على التمكين لما أجمعت عليه الأمة هو الأمر و النهي ؟
فهل يجب أن يمنع الاجتماع الخاص (الطائفة) من الاجتماع العام ، اجتماع الأمة (أهل السنة)؟
دعونا ممن شذ وخرج على الأمة بالسيف فهذا لا وعي له، وهو إلى طريق مسدود.
إن روح الاجتماع من أبرز ما حث عليه الإسلام فحتى في السفر حث على تأمير واحد والمقصود من التأمير الاجتماع لا الإمارة في حد ذاتها.
و الجمعة اجتماع، و العيد اجتماع، و الحج اجتماع ، ورمضان اجتماع، و الفريضة اجتماع وكل شيء في الإسلام اجتماع، ونحن جعلناه افتراق.
طيب أن اعلم أن السلفي يقول في نفسه أنا على هدي السلف من الخلفاء و التابعين فكيف اجتمع مع من خالف منهجهم (؟)
فإليك الحل العملي من عند شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ فإن لم تفهمه فإن الحق الذي أنت عليه سيكون في جانب ما باطلا يضعف الأمة، و يذهب ريحها .

((يجب علينا أن نرجح عند الازدحام و التمانع خير الخيرين،وندفع عند الاجتماع شر الشرين،ونقدم عند التلازم (تلازم الحسنات و السيئات) ما ترجح منها فإن غالب رؤوس المتأخرين وغالب الأمة من الملوك و الأمراء و المتكلمين و العلماء و العباد وأهل الأموال يقع غالبا فيه ذلك .

وأما الماشون على طَرِيقَة الْخُلَفَاء الرَّاشِدين فليسوا أكثر الْأمة، وَلَكِن على هَؤُلَاءِ الماشين على طَرِيقَة الْخُلَفَاء أن يعاملوا النَّاس بِمَا أمر الله بِهِ وَرَسُوله من الْعدْل بَينهم، وإعطاء كل ذِي حق حَقه، وإقامة الْحُدُود بِحَسب الإمكان إذ الْوَاجِب هُوَ الأمر بِالْمَعْرُوفِ وَفعله، وَالنَّهْي عَن الْمُنكر وَتَركه بِحَسب الإمكان، فَإِذا عجز أتباع الْخُلَفَاء الرَّاشِدين عَن ذَلِك قدمُوا خير الخيرين حصولا وَشر الشرين دفعا))(الاستقامة)

الخلاصة أنه حينما تكون على هدي الخلفاء الراشدين فهذا جيد لك وللأمة،وقد أديت واجب الاتباع، لكن يبقى عليك واجبك اتجاه الأمة،فإما تعمل معها بحسب الإمكان في إصلاح حالها، ولا تجعل محاولتك لإصلاحها وسيلة لإضعافها و تشتيتها، و زيادة في هوانها وتطويلا لمدة مرضها.

فهناك واجب النصح، وواجب الحفاظ، واجب التصحيح العلمي، وواجب الألفة و الاجتماع ، ذلك أن بعضا ممن يرى نفسه على هدي السلف الصالح قد زاد في أكبر أمراض الأمة وهو التفرق و التعادي و التحارب، كمن أدى فرضا وأضاع فرضا.

فلا يجب أن يمنعك استقلالك في المختلف فيه على التعاون في المشترك.

وقد اقتضت الفطرة التعاون بسبب الاشتراك و التجاور،فالناس يتعاونون لأنهم مشتركون في أشياء فجلب المنفعة المشتركة و دفع الضرر المشترك فطرة في الناس.

فالاشتراك و التعاون إما يثبته فيهم الوعي و الفهم وغما يثبته الاشتراك في أصل أو نسب أو لغة مما هو من خلق الله تعالى ولذلك قال الله تعالى ـ كما أشار إليه ابن تيمية ـ {وَاتَّقوا الله الَّذِي تساءلون بِهِ والأرحام} .

فالعمل المشترك لأجل إصلاح الأمة في المشترك فيه إما سببه الفهم الدقيق أو رحم السنة بيننا.

قال ابن تيمية في (جامع الرسائل)(): ((فَلَا يفرق بَين الْمُؤمنِينَ لأجل مَا يتَمَيَّز بِهِ بَعضهم عَن بعض مثل الْأَنْسَاب والبلدان والتحالف على الْمذَاهب والطرائق والمسالك والصداقات وَغير ذَلِك بل يعْطى كل من ذَلِك حَقه كَمَا أَمر الله وَرَسُوله وَلَا يجمع

بَينهم وَبَين الْكفَّار الَّذين قطع الله الْمُوَالَاة بَينهم وَبَينه فَإِن دين الله هُوَ الصِّرَاط الْمُسْتَقيم صِرَاط الَّذين أنعم الله عَلَيْهِم من النَّبِيين وَالصديقين وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحسن أُولَئِكَ رَفِيقًا)).

فيجب الحذر من أن يكون في دعوتنا من الشر و الفساد أكثر مما هو موجود في الأمة في هذا الجانب.

علم الحجج و الدلالات وعلم السياسة و الأمارات

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، و الصّلاة و السّلام على رسول الله، ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله، وبعد...

عندما نتصدى للحديث عن مهام العلماء والمثقفين المسلمين اليوم، لا يجب أن نقف عند الإشارات و الدلالات التي يمكن أن نستنبطها من كتاب الله و سنة نبيه و أقوال علماء الأمة ـ فيما يخص العلوم الشرعية ـ فحسب، بل يجدر بنا أن لا نغفل حاجيات الأمة إلى الإجابة القاطعة عن العلوم "الإنسانية "المتجددة و المتنامية، و اتساع رقعة تدخل العلماء المسلمين في حياة المسلمين، في جميع جوانبها الفكرية ،صيانة لهم من الفكر الدخيل المعارض للدين .

نحن نعلم أن العلماء، و النظار، و الفقهاء، و المحدثين، و المفسرين، وعلماء اللغة و النحو، اكتسبوا في التراث الإسلامي تصنيفات عديدة، و تقسيمات بديعة، تدل على غنى الساحة الفكرية عند المسلمين، و تشبعها بالاختصاصات، مما يدل أنه في فترات من التاريخ الإسلامي كانت العقلية الإسلامية قابلة للإخصاب و التجديد، ولهذا ظهرت اختصاصات أو تصنيفات، الواحدة تلو الأخرى.

وكون ثقافة ما تتقبل الاختصاصات الجديدة، يعني ـ حتما ـ قبول تلك العقلية للتجديد، بناء على الاستكشاف العلمي، و التدقيق في البحث والاستقصاء.

فإذا كانت التحديات الجديدة، التي تواجه الأمة، باتت أمرا واقعا مشاهدا، يعلمه كل أفراد الأمة، ولم تعد حكرا على فئة المثقفين، بحيث صار الحديث عن صعوبة العصر و مشاكله حديث الخاص و العام.

فهل لقيت هذه التحديات من المثقف المسلم جوابا مناسبا ،أو إنه تجاهلها، وجمد على مواقف (دعها تسير حتى يفرغ البنزين...!) ، أو أنه فهمها بشكل سيء، فراح يطلب

لها حلولا خاطئة، و أحيانا مميتة لأمته؟
العلماء المُغيّبون:
يكثر بعض المعاندين معرفيا من القول :إن الكلام عن فقه الواقع، و الإحاطة بالثقافة العصرية تلبيس، يمارسه دعاة الضلالة لتضليل الأمة، و الطعن في أهل العلم!
وحتّى نبيّن لهم أنّ فقه الواقع[من خلال الوعي بحاجياته الشرعية الملحة]، و الإحاطة بالثقافة المعاصرة مطلب شرعي، دل عليه الشرع، و مارسه أكبر علماء الملة .
و أن مهاجمة من يحث على ذلك، تقع في غالب الأحيان من أناس، هم أقرب إلى التصوف السلبي و الدروشة، منهم إلى العلم و الفكر الصحيح.
ذكر الله سبحانه و تعالى في القرآن أنه يرفع درجات من يشاء،ذكره في مناظرة إبراهيم عليه السلام، فقال:{ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ }(الأنعام).
وهي مناظرة جرت بين إبراهيم و قومه، ظهر عليهم إبراهيم عليه السلام بالحجة، أو أسلوب النقض و قياس الأولى.
وفي قصة احتيال يوسف عليه السلام، قال:{ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ }(يوسف).
قال العلماء: يرفعهم بالعلم؛ ونحن إذا نظرنا في قصة إبراهيم لوجدناها في العلم بالحجة، و المناظرة لدفع ضرر الخصم المشبه في الدين.
أما قصة يوسف، فهي في العلم بالسياسة، و التدبير لتحصيل المنفعة، ودفع المضرة،ونشر العدل.
فالعلم الأول:هو العلم الذي يدفع المضرة عن الدين، أو علم الأقوال النافعة عند الحاجة إليها، ويدخل في هذا معرفة حجج أعداء الدين، و علومهم، و ثقافتهم التي يهاجمون بها الدين، وهذا من فقه الواقع.
و العلم الثاني: هو علم الأفعال النافعة عند الحاجة إليها، فالحاجة جلب المنفعة و دفع المضرة، وهذا عين الواقع.
قال ابن تيمية في هذا الشأن، في(المجموع){276/14}:
((و لهذا كان المقصرون عن علم الحجج و الدلالات، وعلم السياسة و الأمارات مقهورين مع هذين الصنفين، تارة بالاحتياج إليهم إذا هجم عدو يفسد الدين بالجدل أو

الدنيا بالظلم، وتارة بالاحتياج إليهم إذا هاجم على أنفسهم من أنفسهم ذلك، و تارة بالاحتياج إليهم لتخليص بعضهم من شر بعض في الدين و الدنيا، وتارة يعيشون في ظلهم في مكان ليس فيه مبتدع يستطيل عليهم، ولا وال يظلمهم، وما ذاك إلا لوجود علماء الحجج الدامغة لأهل البدع و السياسة الدافعة للظلم)).

فإذًا، العلماء الذين يستطيعون دفع هجمات من يريد إفساد الدين، من مختلف أعدائه، ويوجهون مختلف الفاعلين في المجتمع الإسلامي، وينصحونهم بصدق ، هم العلماء الذين يحيطون بثقافة عصرهم، و ثقافة عدوهم، وثقافة المخالف لهم، و يحسنون تسييس الناس، كل الناس.

وكل هذا يحتاج إلى نوع فقه للواقع السياسي، و الاقتصادي، و الاجتماعي، و الإحاطة بثقافة العصر، وذلك بتوجيه إشارات علمية وفكرية معينة، واقتراح الإصلاحات في مختلف القطاعات و المجالات.

فهؤلاء العلماء يملكون (بقوة منصبهم الشرعي) زمام المبادرة إلى اقتراح إصلاح كل ما يرونه فاسدا، أو قابلا للتحسين، ففرق بين من يبادر، وبين من ينتظر أن يستشار.

و الخلاصة أن نقول:لا يقتصر دور علماء الدين على حراسة الدين، و الحفاظ عليه، ولكن ـ كذلك ـ حراسة حملة الدين، و الحفاظ عليهم،إذ الدين جاء ليحفظ لهم مصالحهم الدنيوية و الأخروية.

أقصد أن الدين لا يكون دينا حيا معاشا، حتى يحمله الناس، و يتدينون به وحراسته دون حراستهم(حقوقهم)، إخلال بمقاصد هذا الدين أولا، و تضييع له ثانيا.

فالإنسان الحامل للدين ليس أقل شأنا من الدين نفسه، إذ هو المقصود بالدين على معنى حرمة المسلم أعظم من حرمة البيت الحرام.

فقد جاء في الحديث:(مرحبا بك من بيت ما أعظمك و أعظم حرمتك وللمؤمن أعظم حرمة عند الله منك إن الله حرم منك واحدة وحرم من المؤمن ثلاثا" دمه وماله و أن يظن به ظن السوء).

أخرجه البيهقى في(شعب الإيمان) (3/444 ، رقم 4014) .

فكيف نحرس الدين، ولا نحرس هذا الإنسان، من كل ما يضيع دينه ودنياه ويفسدهما من ظلم و تجهيل؟!

لقد علمنا من خلال آيات القرآن الكريم، و الأحاديث الشريفة، وممارسات علماء

الأمة، في العصور الذهبية للإسلام أن دور العلماء أولا:
تكريس الجهود لتفسير النصوص الشرعية، وتحديد معانيها الدقيقة، و استنباط الأحكام منها، انطلاقا من هذه المعاني.
صرنا اليوم نرى فئة ـ قليلة ـ منهم ، لا تهمهم مسألة المعنى، بقدر ما يهمهم الوقوف عند ظاهر ألفاظها، دون تجاوزها إلى باطن معانيها.
وعندما نقول: " باطنها" لا نقصد أن للنصوص باطنا مناقضا للظاهر، و إنما نقصد البحث عن العلل، و المقاصد ،و مراعاة تكامل منظومة النصوص.
فالنصوص الشرعية متشابكة فيما بينها، و هي بمجموعها تشكل منظومة تشع روحا وجوهرا، وقد عبر عن هذا الأمر علماء الأصول في مسألة" جمع النصوص و أخذ الحكم الزائد"،و"هل العبرة بعموم اللفظ أم بخصوص السبب"، وغير ذلك من قواعد.
و أحيانا نجد وقوف هذه الطائفة من العلماء عند مقالات لأئمة كثر تداولها في عصرهم، ولكنها لا تمثل ما يسميه ابن تيمية :" الشرع المنزل"، بل هي من قبيل الشرع المؤول، و أحيانا الشرع المبدل، فيعتمدونها أصلا يبنون عليه كل فقههم.
ولعل أبرز ما يدل على انغلاق هذه الفئة داخل سياج الممارسات الخاطئة الموروثة، إما بالتأصيل للبدع الظاهرة،أو التقليد الأعمى، هو تمثلات فكرهم عمليا، و كيف أنهم يولون الشكل و الظاهر أهمية تكاد تكون أصولية و أساسية عندهم، سواء في ممارساتهم التعبدية التي تتسم بالموسمية.
حتى في مسألة الشعارات، و الانتساب إلى فلان وعلان من الصالحين، و العلماء، و المتكلمين.
إن الحدود العملية البدعية، أو الضعيفة الترجيح، التي أغلقوا بواسطتها على النصوص الشرعية الصحيحة، تبين كيفية توظيفهم للنصوص الشرعية، حيث أدى بهم ذلك إلى جعل الاستثنائي عاما،و المقيد بشروط مطلقا.
فيظن الواحد أنه متمسك بسنة، لأن معه حديث صحيح، وهو غارق في مذهب وفهم ضعيف ومرجوح،هذا إن لم يكن بدعة .
ففي تصورهم ـ عموما ـ التفكر في معاني هذه النصوص غير خاضع لحرية البحث و النظر، ولا يتاح للعقل النظر البتة للجمع بين المتماثلات، و التفريق بين المختلفات.
و إنما هو التلقي من فيض الشيوخ لبعضهم، و التقليد بدون فهم و بحث لبعضهم

الآخر،ومنهم من جعل كل ما سطر في كتب الأقدمين صحيحا!
ولذلك لا يوجد في قاموسهم:كلمة " فكر ونظر"، ويتوجسون من هذه الكلمة أشد التوجس، بل بعضهم جعلها قرينة على أن الناطق بها من هذه الجماعة أو تلك، ممن يرى أنها لا تتقيد بالسنة!
فلا يوجد عندهم فكر إسلامي له نطاق معين، تحرصه الثوابت والمقاصد الشرعية، وليس من شرطه أن يكون لكل فكرة يحللها نص يدل عليها بالمطابقة.
يأتي أحدهم إلى آية من كتاب الله عامة ،و محكومة بعرف من نزلت فيهم وبفهمهم ، ثم يغلق عليها داخل سياج من ممارسته العملية المتمثلة في قيود يضيفها من فهمه هو،لا علاقة لها بفهم السلف.
ثم بعد ذلك يوظف هذه الآية، أو ذاك الحديث، في نشاطه الدعوى، جازما أنه السنة و الشرع و الحق، و المخالف لفهمه مخالف للسلف، مبتدع يعادي أهل السنة و الجماعة، و يحارب الله ورسوله والمؤمنين!
فمن خلال هذا، يتبين لك أن المعرفة عند هذه الفئة هي مجرد استنباط لغوي من النصوص[أقصد أن اللفظ يحتمل ذاك المعنى]، لا تعتمد مبدأ: كيف فهمها من نزل فيهم القرآن، وكيف تعاملوا معها تطبيقا وواقعا.
فالمعرفة عندهم، هي ما ورثته عن الشيخ والبيئة و المجتمع ، و ليست عبارة عن استنباط للمعاني حرمن قيود المذهبية و الأفكار المسبقة، داخل نطاق الفكر الإسلامي، و ثوابته المتفق عليها، وهي : الكتاب و السنة و الإجماع.
فلا المعاني مستنبطة، ولاهي تتجدد بتجدد الفكر و دواعيه، ليشمل الإسلام كل جديد لم يعرفه السابقون.
لقد رسخ هذا المنظور عند هؤلاء ، رغم اختلاف المشارب، و بنوا عليه نظريتهم في الإصلاح ، فلم نلاحظ عندهم أية ممارسة فكرية لتراث الأمة الإسلامية، بمنظور تطلب المعاني المتجددة.
وعليه صار هؤلاء منغلقين على أنفسهم، قد حول فريق منهم بعض قواعد السياسة الشرعية ،كقاعدة " سد الذرائع المرنة " إلى مجموعة تدابير أسميها: " الإجراءات البوليسية وحالات الطوارئ " للحفاظ على نظريتهم من الذوبان داخل ساحة فكرية أقوى منهم ،إما بحكم التأصيل و سلامة التحليل ، وإما بحكم حاجات الأمة التي لم

ينهضوا بها.
وهناك فريق آخر ذاب في متاهات العصر، و أراد أن يجعل الإسلام على مقاس العصر، فأخذ يقطع من أطرافه تأويلا ،أو حتى تبديلا.
وليس هذا خاصا بهذين الفريقين، بل جل المذاهب و الجماعات الإسلامية تعاني من نفس المشكل،فمنهم من لا يهجر الأفراد، ممن يظهر بمظهر المنفتح، ولكنه يمارس حجرا علميا على كتب بعض العلماء المسلمين الذين غيروا مجرى التاريخ المعرفي للأمة، كابن تيمية الذي صار الدارئة التي توجه إليها سهام كل من يرفض إصلاح نفسه، و النهوض بهذه الأمة من مخلفات التاريخ ورواسبه، التي غلفت الوحي بقسميه، بقشرة من الظلمات أدخلت العقل المسلم في عالم من الخرافات و الترهات و الأساطير،هذا بنظرية الأئمة، وذاك بنظرية الأولياء و رجال الغيب، إلا لأنه أراد لهذه الأمة أن تكبر، وتشع على هذا الكوكب علما ورحمة.
إن سياسة الحجر عليه، وعلى غيره من العلماء، قد أضرتهم أكثر مما أضرت به ، إذ فاتهم علم جم، كانوا بحاجة إليه لبناء النهضة الإسلامية الحديثة.
فمسألة نقض المنطق الصوري أو الأرسطي، وهي مسألة معرفية جوهرية في البناء الحضاري المعرفي المعاصر، إذ لولا المنهج التجريبي لما وصل الغرب إلى ما هو عليه، قد سبق إليه ابن تيمية جون ستوارت مل، و ديكارت بقرون.
ولكن الحجر عليه هو الذي دفع بمراكز علمية مرموقة في العالم الإسلامي أن تتخلف قرونا طويلة، فمجرد النظر في المقرر فيها في علم المنطق تدرك في أي الأزمان الغابرة بقيت المعرفة عند المسلمين، في هذا المجال،كأنما توقف العلم، و سكن البحث القفار، ومات الاجتهاد غما من التعصب.
في الأخير أقول:
إذا كانت الأمة الإسلامية بحاجة ماسة في هذا العصر إلى هذين الصنفين من العلماء:الذين يحاجون عن الدين، ويحمونه من جميع أعدائه، من داخل الأمة ومن خارجها.
و الذين يحسنون جلب المنافع ودفع المضار عنها بما أتوا من حسن السياسة و البراعة فيها، فإنها بحاجة كذلك إلى بقية أصناف العلماء كـ: الفقهاء، و المفسرين، و المحدثين،و أهل النحو و اللغة ، و الدعاة، و الوعاظ.

لكن ليس عليهم أن يعتبروا الصنفين السابقين منافسين لهم، فيركنونهم في خانة المفكرين، كأنه صنف أقل قيمة، بل هم سادة العلماء،فهم أصحاب الحجج الدامغة للفكر البدعي و الكفري، و السياسة الدافعة للظلم، ولقلتهم في هذا الزمان تعاني الأمة ما تعانيه من شبه وجور.

إن العالم و المفكر عليه أن يخوض عمليتين فكريتين:

الأولى: هي الالتفات إلى جهات القضية كلها بنظر فاحص يأخذ الحوادث بحسب ترتيبها التراجعي أي بالعودة تدريجيا إلى الماضي.

و الثاني: هو انطلاق من هذا الماضي نحو المستقبل أي الهدف، وهذا الثاني نسميه التطلع، وعليه لا يقوم التطلع بدون عودة تراجعية للماضي و التاريخ، فالعملية الفكرية الأولى هي طلب تفسير الوقائع بمقارنتها بمثيلتها، فنحن عندما نبحث عن سبل النهوض بالأمة عرفنا أن أول المراحل هي التربية الإيمانية و التعليم، لأننا عندما عدنا إلى تاريخنا وجدنا أول ما بدأ به النبي صلى الله عليه و سلم هو التربية الإيمانية و التعليم، ومن ثم أدركنا استحالة قيام نهضة حقيقية بدون التخلص من التربية و التعليم الذي سبب لنا هذا التخلف و هذا الضعف و هذا الهوان و الانحلال و التشتت.

فالعالم و المفكر يدور عمله على هاتين العمليتين أو النظرتين:نظرة تراجعية للماضي و نظرة تطلعية للمستقبل، نظرة للعودة إلى الهوية الحقيقية ،و معالم الشخصية، و استخلاص العبر من التجارب الماضية.

و نظرة فاحصة موجهة للأمام نحو الأهداف و الغايات، و بالتالي إلى المستقبل، لمعرفة ما سيجري فيه بالاعتماد على ما هو جار في الحاضر.

فإذا أرادنا لمستقبلنا أن يسير نحو اتجاه معين فالعمل يكون في الحاضر.

فحمله على معنى معين من غير دليل ممتنع وهنا يتوجه الخطاب لغلاة المنتمين للسلفية كما يتوجه للرافضين للسلفية برمتها دون تمييز بين مختلف تيارتها، فإذا كان لفظ السنة لفظا عاما مشتركا لم يجز نفيه عن غيرهم، ولا نفيه عن كل أحوالهم و أعمالهم وهذا لغلاة السلفيين، أما غلاة النافيين لشرعية السلفية و أكثرهم أصله الوقف في صيغ العموم، و انه لا يجوز حملها على الاستغراق إلا بدليل، يقف في ألفاظ العموم فكيف لهم الجزم في الألفاظ المشتركة بالاستغراق من غير دليل، و قد ثبت

بالدليل والبرهان مخالفة بعض عقائدهم و دلائلهم للسنة جملة و تفصيلا.
نعم الحقيقة العرفية تقلب الاسم من الخصوص إلى العموم، و لكنها تبقى حقيقة عرفية لا حقيقة شرعية بالنقل أو بالعقل.
فوجب الرجوع إلى الاعتدال الذي يقره العلم و الموضوعية، و الإُقرار بالخطأ و محاولة التصحيح ما أمكن ذلك.

قيل :من ضبط حاشيته ضبط قاصيته. ومن يصارحك خير ممن يداريك.

قيل:ما أصاب الحق في مقتل إلا من يصوغون الكلام في حلة العروس، و يشققون الألفاظ تشقيقا، ويمدحونك في وجهك مدحا يحرق جلد الوجه؟

قيل:ما أصاب الحق في مقتل إلا من يصوغون الكلام في حلة العروس، و يشققون الألفاظ تشقيقا، ويمدحونك في وجهك مدحا يحرق جلد الوجه؟

حال وترحال:
الجماعات الإسلامية في هذا العصر هي في الحقيقة مجموعة جماعات ، كل جماعة تتبع شيخا،وتقوم هذه الجماعات في غالبيتها على الفردانية الفكرية، وهي مذهب أو حال نفساني لمن ينيط الحقيقة بالفرد على وجه الأولوية، فتجعل الشيخ مركزا لذاتها بإطلاق،حتى يكبر هذا الشيخ على جماعته و يبلعها ، فتصبح الجماعة برمتها زائدة في جسمه كأصبع سادس في يده أو قمرا يدور في فلكه، بحيث يشعر الفرد المنتمي إلى هذه الجماعة أنه إذا أخطا الشيخ فقد أخطأت الجماعة برمتها، و إذا أصاب فقد أصاب الكل!

مشكلة الشرخ بين الشيوخ و الشباب:
مشاكل نقل الأفكار و المناهج إلى الأجيال اللاحقة
من عوامل تحول بعض المجتمعات الصالحة أو التي يغلب عليها الصلاح إلى الفتنة أو الفساد الأخلاقي أو ظهور تيارات فكرية فيها معاندة أو معارضة لما قام به الآباء و

الأجداد من إصلاح هو عدم التجاوب مع متطلبات العصر، فالجيل الذي يقوم بالإصلاح يعجز بعد عقدين أو ثلاثة عن توصيل فكرته الإصلاحية إلى الأجيال المتعاقبة، لأنه يخاطبها بخطاب كان في عصره ووقته، ولا يوفر لها الحصانة العملية من الفكر المضاد، فيقتصر على بعض التعاليم التحذيرية و بطبيعة الحال لا تفلح تلك المحاذير بسبب قوة الفكر المضاد وكمه و كيف أنه يقولب فكره للشباب في لغتهم و نفسياتهم، فيمازج بين التصور الفلسفي العميق و بين السطحية و الظاهرية التي توافق نفسية الشباب و ميولاتهم الفطرية، ففي حين يغري هذا الفكر الهدام الشباب بالعزف على وتر الشهوات الفطرية يقابله فكر آخر يقوم على إنكار هذه الشهوات الفطرية و قمعها بالمحاذير، ومعلوم أن النفس البشرية قد ركبت فيها شهوات غريزية فطرية لا يستطيع أحد مقاومتها، ولكن يمكن توجيه مسارها لتتماشى مع المباديء الدينية الإسلامية، تماما كالسيل الجرار تغيير مساره خير و أجدى من محاولة توقيفه.
وعليه،فإن للشباب حاجات نفسية و ووجدانية لا توجد عند الكهول و كبار السن، و مخاطبتهم وفق حاجة الكهول و كبار السن هو الذي يوجد الشرخ و العناد بين الأجيال.

إن الوعي الشامل، و التفكير العميق، و ليس الانطباعات المأخوذة من قناة الجزيرة أو مصر25هو ما يفرق بين المسلم الفطن الذي يريد لبلده كل الخير، و يسلك الوسائل المضمونة العاقبة لتحقيق هذا الخير، و بين المسلم الذي غلبت آماله علاقته بالواقع وموضوعيته، وصار محل توجيه من قوى يستحيل أن تريد له الخير أو أن توصله إليه، فإما هي أنظمة استبدادية غير شرعية بأي وجه من الأوجه،أو طموحات وتصورات خاطئة يروجها حسن الظن ،أو جهات مالية تجارية تعمل لصالح مشروع سياسي استراتيجي أمريكي ،أو غربية مسيحية لا يهمُّها إلا ما تشفطه و تمصه من دمه و خيراته، و أن يبقى إلى الأبد متخلفا،ضعيفا، معتمدا عليها، و الله المستعان....
هذا جزء من المقال الذي سنزل على موقعي هذه الليلة إن شاء الله (التداوي من أوهام السياسة الحزبية)

نعتقد أننا الحل لهذه الأمة ....(؟)
ونحن في الحقيقة إلى الآن جزء من مشكلتها (!)
واعتقد في نفسك ما تشاء حقيقتك ما صدقه العمل.

ذمُّ الغُلُوّ فِي التَّبدِيْعِ وَمَرَاتِبُ البِدَعِ
الفَرْقُ الشَّرْعِيُّ بَيْنَ ذَمِّ البِدْعَةِ وَذَمِّ المُبْتَدِعِ

بسم الله الرَّحمن الرَّحيم
الحمد لله حقَّ حمده،والصَّلاة و السَّلام على نبيّه وآله وصحبه.
أمَّا بعـــد؛لا يشكُّ مسلم عاقل أنَّ التَّبديع (ذمُّ البدعة و المبتدع) وإن كان حقًّا،وأصلا ثابتا في شريعة الإسلام فإنَّ الموضوع معقَّدٌ غاية التَّعقيد، وتلبسه النِّسبيَّة في كثير مِن أحواله حتَّى يدخل فيه المختلفون في القصد و الأسباب،بل قد تدخل فيه السُّنَّة، وتخرج منه البدعةُ الحقيقيَّة.
وعندما يصبح هذا الموضوع شائكًا صعبًا ،وتترامى أطرافُه على مسائل كثيرةٍ ومساحة شاسِعة ،وتتداخل مسالكُه، كلَّما نزل في المذاهب، وتعمَّق في المقالات تعذَّر على كثير من أهل العلم تحديد أصوله وضوابطه؛ فينفتح ـ حينئذ ـ على مصراعيه حتَّى يصير فتنةً عمياء تضرُّ المسلمين أكثر ممَّا تنفعهم.
و السَّبب في كلِّ هذا هو الابتعاد عن التَّأصيل العقديِّ للمسألة، أو الغفلة عنه،بحيث أنَّنا لا نهتمُّ إلاَّ بظاهر الأقوالِ و الأفعال، ونغفل عن مصدرها وسببِها ،وباطنها ،أي: عن الاعتقاد الموجب لها .
فلا يمكن لنا أن نفهم حقيقة الموقف الشَّرعيِّ من البدعة و المبتدع، وأنَّهما ليسا في

نفس الدَّرجة، ولا على مستوى واحد من الذَّمِّ إلاَّ بفهم مسألة " اعتقاد التَّحريم" ودورها في لحوق الحكم و الذَّمِّ بالمعيَّن.

فالتَّشدُّد في مواقف بعضنا مع مَن يَعُدُّهم مبتدعةً سببُه تصوَّر أملته مواقف العلماء العمليَّة الَّتي يأخذها مجرَّدة عن تأصيلها الشَّرعيِّ، فلا يُفرِّق بين حالة وحالة ـ ويقابل الكلَّ بمعاملة واحدة.

قال الشَّاطبيُّ ـ رحمه الله ـ في (الاعتصام)(2/730):

((....فَإِنَّ الْبِدَعَ الْمُحْدَثَةَ تَخْتَلِفُ، فَلَيْسَتْ كُلُّهَا فِي مَرْتَبَةٍ وَاحِدَةٍ فِي الضَّلَالِ، أَلَا تَرَى أَنَّ بِدْعَةَ الْخَوَارِجِ مُبَايِنَةً غَايَةَ الْمُبَايَنَةِ لِبِدْعَةِ التَّثْوِيبِ بِالصَّلَاةِ الَّتِي قَالَ فِيهَا مَالِكٌ: التَّثْوِيبُ ضَلَالٌ))

وبهذا نفهم أنَّ البدع مختلفة الرُّتب في القبح، و في الذَّمِّ و الإنكار، فلا نعامِل هذا معاملةَ الآخر.

ومنها بدعٌ تُخرج مِن السُّنَّة، وبدعٌ لا تخرج منها.

ومنها بدعٌ يُعذر صاحبها، وبِدعٌ لا يعذر بعد أن تقام عليه الحجَّة

قال ابن حزم في (الإحكام)(1/47): ((والبدعة كلُّ ما قيل أو فُعل ممَّا ليس له أصل فيما نُسب إليه صلَّى الله عليه وسلَّم، وهو في الدِّين: كلُّ ما لم يأت في القرآن، ولا عن رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم إلاَّ أنَّ منها :ما يؤجر عليه صاحبُه، ويعذر بما قصدَ إليه من الخير.

ومنها ما يؤجر عليه صاحبُه ويكون حسنًا ،وهو ما كان أصله الإباحة كما روي عن عمر ــ رضي الله عنه ـ : نعمتْ البدعةُ هذه.

وهو ما كان فعل خير جاء النَّصُّ بعُمُومِ استحبابِهِ، وإن لم يقرِّر عملَه في النَّصِّ.

ومنها ما يكون مذمومًا، ولا يعُذر صاحبُه، وهو ما قامت به الحجَّةُ على فسادِه ،فتمادى عليه القائلُ بهِ))

فلا يلزم حينئذ أنَّ كلَّ مبتدعٍ يكون مذمومًا، أو يلحقُه حُكمُ المبتدعِ،أو عقوبتُه كالتَّحذير و الهجرانِ.

يتبع ....

البطون الجائعة ليس لها آذان

يصنع بعض الأحزاب و المرشحين في فترة الانتخابات طعاما للناس من باب شراء أصواتهم،وقد يفعله بعض الإسلاميين من باب تأليف القلوب لأنهم يعتقدون أنه في مقابل الأحزاب و المرشحين غير الإسلاميين (الليبراليين و القوميين و الاشتراكيين) يحق لهم تأليف القلوب على الحق (المرشح الإسلامي) (؟)

ويرى بعض الإخوة أن هذا الطعام حرام لا يجوز تناوله وينزلون عليه أحاديث وردت في المشركين أو في الرشوة وغير ذلك أو لأنه طعام مبتدعة (؟)

و إذا تعلمنا الحياة شيئا فهو أن البطن الجائع ليس له أذن تسمع العلم أو الفتوى أو موعظة ،فمن أجهده الجوع،أو يتوق إلى طعام طيب من عشرات السنين يصعب عليه الاستجابة إلى مثل هذا الكلام.

وعليه،فإن اعتبرنا هؤلاء (الأحزاب) مبتدعة فطعام المبتدع حلال جائز بالاتفاق يمتنع منه في بعض الأحيان من باب العقوبة أما أصلا فهو طعام مسلم، وطعام المسلم حلال.

وإن كان القصد منه شراء الأصوات فقد ذكر الماوردي في (الأحكام السلطانية) الفرق بين الرشوة و الهدية فقال: ((الْفَرْقُ بَيْنَ الرِّشْوَةِ وَالْهَدِيَّةِ أَنَّ الرِّشْوَةَ مَا أُخِذَتْ طَلَبًا، وَالْهَدِيَّةُ مَا بُذِلَتْ عَفْوًا.)) فيجوز للمسكين المحتاج لهذا الطعام أن يأكله،وقد قال صلى الله عليه وسلم : ((أَطْعِمُوا الْجَائِعَ وَعُودُوا الْمَرِيضَ وَفُكُّوا الْعَانِي)) أخرجه البخاري من حديث أبي موسى الأشعري (فتح الباري 10 / 112)

ولكن ليصوت حسب ضميره ،ومن لم يكن في حاجة إليه فلا يجوز له تناوله ،وليأخذ بالاحتياط، و الله اعلم.

عندما تنقل قول العالم (مهما كان كبيرا) دون أن تقارنه بقول غيره خاصة ممن يخالفه فإنك تفرض (لزوما) أنه قد استقرأ جميع الأدلة توثيقا و دلالة ،وعرف الاعتراض ورد عليه ،وهذا غير صحيح.

ومن هنا يستدرك عليك الناس بالقناطير ، فلا تنقل كلام العالم كانه وحي منزل أجمعت عليه الأمة إلا بنقل قول من يخالفه ،فإن كنت متمكنا من الترجيح فلك ذلك و إلا فلا تفسد عقول الناس بتقليدك وتسلطهم على عالمك بالنقد.

مشاكل الاعتراض عند طلبة العلم:

((كثير ممن قد تعود عبارة معينة إن لم يخاطب بها لم يفهم، ولم يظهر له صحة القول وفساده، وربما نسب المخاطب إلى أنه لا يفهم ما يقول!))

ابن تيمية (منهاج السنة النبوية)

ومعلوم أن الحجة تصاغ بعبارات متنوعة و المعنى واحد،فبسط العبارة بالمعاني دليل على الإحاطة بالمقاصد و العلل،وما علمنا فساده ببديهة العقل و العلم لا نحتاج إلى سرد الأدلة على بطلانه.

فحري بنا التفريق بين المنازعات اللفظية و المنازعات المعنوية، لأن المنازعات اللفظية غير معتبرة في المعاني العقلية، ومتى كان البحث في المعنى العقلي لم يلتفت إلى اللفظ، لأن سبب اللبس يقع من جهة الاشتراك اللفظي، ككثير من ألفاظ الذم التي نطلقها في هذا العصر .

فهذه الألفاظ توجب الاختلاف، و يحصل بها التمانع ، بينما المعاني العقلية المحصورة كيفما عبرت عنها تجدها معاني صحيحة،فالخطاب العلمي يدور بين ثبوت عموم الألفاظ، وبين ثبوت عموم المعاني بالاعتبار و القياس،و الثاني هو ألحق بلغة العلم و الاستنباط، بينما الأول هو ألحق بلغة الأحكام.

البلاغة و الفصاحة عند أرباب المعاني:

قال ابن تيمية ـ رحمه الله ـ في (المنهاج):

وليست الفصاحة التشدق في الكلام، والتقعير في الكلام، ولا سجع الكلام، ولا كان في خطبة علي ولا سائر خطباء العرب من الصحابة وغيرهم تكلف الأسجاع، ولا تكلف التحسين الذي يعود إلى مجرد اللفظ، الذي يسمى علم البديع، كما يفعله المتأخرون من أصحاب الخطب والرسائل والشعر.

وما يوجد في القرآن من مثل قوله {وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً} (الكهف) و {إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ} (العاديات)، ونحو ذلك فلم يتكلف لأجل التجانس، بل هذا تابع غير مقصود بالقصد الأول، كما يوجد في القرآن من أوزان الشعر، ولم يقصد به الشعر، كقوله تعالى: {وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ} (سبأ)

وقوله: {نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ} (الحجر)، {وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ}(الشرح)، ونحو ذلك
وإنما البلاغة المأمور بها في مثل قوله تعالى: {وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلاً بَلِيغاً } (النساء) هي علم المعاني والبيان، فيذكر من المعاني ما هو أكمل مناسبة للمطلوب ويذكر من الألفاظ ما هو أكمل في بيان تلك المعاني.
فالبلاغة بلوغ غاية المطلوب، أو غاية الممكن من المعاني، بأتم ما يكون من البيان فيجمع صاحبها بين تكميل المعاني المقصودة، وبين تبيينها بأحسن وجه، ومن الناس من تكون همته إلى المعاني، ولا يوفيها حقها من الألفاظ المبينة، ومن الناس من يكون مبينا لما في نفسه من المعاني، لكن لا تكون تلك المعاني محصلة للمقصود المطلوب في ذلك المقام، فالمخبر مقصوده تحقيق المخبر به، فإذا بينه وبين ما يحقق ثبوته، لم يكن بمنزلة الذي لا يحقق ما يخبر به، أو لا يبين ما يعلم به ثبوته.
والأمر مقصوده تحصيل الحكمة المطلوبة، فمن أمر ولم يحكم ما أمر به، أو لم يبين الحكمة في ذلك، لم يكن بمنزلة الذي أمر بما هو حكمة، وبين وجه الحكمة فيه
وأما تكلف الأسجاع والأوزان والجناس والتطبيق ونحو ذلك مما تكلفه متأخرو الشعراء والخطباء والمترسلين والوعاظ، فهذا لم يكن من دأب خطباء الصحابة والتابعين والفصحاء منهم ،ولا كان ذلك مما يهتم به العرب.
وغالب من يعتمد ذلك يزخرف اللفظ بغير فائدة مطلوبة من المعاني، كالمجاهد الذي يزخرف السلاح وهو جبان، ولهذا يوجد الشاعر كلما أمعن في المدح والهجو خرج في ذلك إلى الإفراط في الكذب، يستعين بالتخيلات والتمثيلات".
فمن كان حاذقا في معاني النصوص، حاذقا في التعبير عنها بلغة عصرية،أو بلغة المفكرين،أو بلغة يفهمها المخاطب فقد أحسن،خاصة و أننا نعاني في هذا العصر من عجمة في فهم معاني القرآن العقلية.

هل من ملاحظات على منهج تكوين طلبة العلم الشرعي (؟)

من المفيد لنا أن نتساءل عن صلاحية التكوين العلمي و المعرفي لطالب العلم المعاصر ،وهل يمكّنه من مزاولة مهامه الجليلة في بناء أمة القرآن ، فهنالك مدلولات كثيرة لنوعية التكوين الذي تلقوه، و الذي هو متأثر بشكل عميق و كبير إما بعصر

الضعف الذي شهده العالم الإسلامي، أو بمسخ من الفكر الغربي كما هو الحال عند بعض الجماعات الأخرى.

وإذا كنا نزعم الطموح للعودة إلى ما كان عليه السلف الصالح فيجب علينا أولا التخلص من هيمنة مناهج وآليات عصر الضعف التي لم تحمل لمسلمي ذلك العصر لمسات التجديد ،و لم تولدها لديهم، وكونت حولهم سياجا جامدا وصلبا من التقليد لا يقبل أي حراك علمي و معرفي ،وقادتهم إلى الانحطاط على جميع المستويات، كما هو معروف لكل من درس تلك الحقبة.

فعصر الضعف الإسلامي يتعارض، بل ويتناقض كثيرا مع منهاج و آليات وسلوكات السلف الصالح،وعقلية هذا العصر متغلغلة في الكتب التي دونت فيه إلا من رحم الله من العلماء، وهم قلة،فكل الأمراض التي تعيشها الأمة اليوم هي من مخلفات هذا العصر.

إن العلم و الفكر متى أصبح عبارة عن إجراءات هي أساليب دعائية لا علاقة لها بالحقيقة الشرعية إلا من بعيد، تعتمد مبدأ البكاء على الأطلال،أو تمجيد المذهب و الجماعة في غفلة عن الواقع الموجود، و تركز على ذكر مثالب الآخر للتنفير منه، وتمارس حجرا فكريا صريحا عندما تنيط الحق باجتهاد شيخ معين ،و توصي بهجر المخالف بإطلاق.

و إذا حاولنا تفهم هذه الإجراءات ، فإننا بلا شك نتفهم الإزعاج و الحرج اللذين يعاني منه بعضنا نظرا لفقرهم العلمي التحقيقي للتراث، ولكن عندما يهرب المسلم من مخالطة غيره من المسلمين لان مخالطته تسبب له إزعاجا علميا و خلقيا يكتشف من خلاله ضعفه أو عجزه ، فمثل هذا السلوك المتمثل في الهروب من الغير، و مجانبته و مفاصلته لاتقاء وطأة الحوار و النقاش، أو لاتقاء نتائج الاحتكاك قاد هؤلاء إلى الانزواء على النفس، و نبذ الغير بقواعد زينوها بشيء من الشبه الشرعية(مسائل لها شبه في النصوص)، ثم التخلي عن المسؤولية الدينية التي حملهم إياها الشرع، و المتمثلة في الدعوة و التبليغ، ونقل رسالة الإسلام إلى كل الأطياف، وكل الناس.

في حين أن طائفة أخرى انبثقت من هذه الأوضاع قادها ذلك إلى رفض الواقع، و بالتالي التمرد عليه بالعنف دون أن تحاول فهم هذا الواقع و أسبابه، و السبل الشرعية للتعامل معه بكفاءة و فاعلية.

فإذا كانت مسألة التكوين المعرفي لطلبة العلم ضخمة التبعات ومهولة المسؤوليات وذات أهمية قصوى، و لكنها مطمورة في الوقت نفسه تحت رغبات ونزوات الذين يجدون كل مصالحهم مع بقاء الأشياء على حالها.

إن روح العداء الذي يبثه كلام بعض المنتسبين للسلف اتجاه المخالف لهم بعلم وعدل ليست إلا سلاحا معنويا وحجة وذريعة مستمرة لتبرير أعمال ومواقف مصلحية لهم، و بالتالي تبرير كل عيب وخلل في هذا المنهج كارتمائه في أحضان الفرقة، وخلوه من المعيارية، أو تلاعبه بالشعارات الإسلامية الصحيحة، كذاك الذي حصر الطائفة المنصورة في شيوخه و أحبابه و المتواطئين معه.

ليس على هذا المنهج عند مواجهة أي نقد صحيح له سوى وسم هذا النقد بالكذب و العداء للسنة و لأئمة السنة، لأن في تلاعبه بالشعارات يعتبر نقد ممارسته نقدا للسنة، أو هكذا يخيّل إليه.

إننا إذا ما عدنا إلى المنهج العلمي و نظام مبادئه عند سلف الأمة نجد في منظوره النفسي السلوكي الحرص الشديد على الابتعاد عن كل ما يفقده الاستقلالية ،بينما بعض الفئات منا ،من مختلف المشارب لعدم الحرص على هذا المبدأ مضطرة للتقيّد بموقف التحفظ، و أحيانا الانخراط بشكل عميق في الدفاع عن وجهة نظر تتعارض مع الدين صراحة ، ومع أصول السلفية المتفق عليها.

ولهذه الأسباب نلاحظ غياب الوظيفة النقدية التي كان يقوم بها العلماء المسلمون في القديم لدى هذه الفئة من طلبة العلم، و التي ربما لا تمارس النقد العلمي إلا على كل سلفي يريد انتشالها من منهج عصر الضعف، منهج التقليد، و الاحتطاب،ومنهج تضخيم الخلاف وتقزيم الائتلاف ،منهج التلفيق لا التوفيق.

إن في السلفيين رجالا يعملون على استعادة الوظيفة الأساسية لطالب العلم كما صورهم القرآن، و هي ممارسة النقد العلمي البناء نصحا لله ولرسوله و لعامة المسلمين وخاصتهم لحراسة الدين و القيم، و التأمل الخلاق، و التوجيه الحكيم للأمة عند تلاطم الشبهات، و توسيع نطاق هذه الوظيفة لتستوعب الواقع المعرفي الموجود داخل الفكر الإسلامي المعاصر، وخاصة استعادة حق المبادرة إلى النقد و اقتراح الإصلاحات، وعدم الاكتفاء بدور المستشار.

قال ابن تيمية:" من كان شعاره الدعاء إلى الكتاب و السنة فالقرآن مملوء من طريق تعريف الله تعالى لعباده بالأدلة الواضحة المعقولة و الأمثال المضروبة التي هي القياسات العقلية".
فإن كان هذا فلسفة (!)فقد عرفنا سبب ضعفنا ،وسبب استطالة البدع و الكفر .

العلم ليس محصورا في طائفة وإن انتسبت للسلف

بعض من ينتسب إلى الحديث أو إلى الحنابلة أو إلى السلفية قوله موافق لأقوال النجدات أو المعتزلة أو الأشعرية كما في مسألة المعلوم من الدين بالضرورة فيقول لك: من جحد أو خالف معلوما من الدين بالضرورة فلا يعذر (؟!)
وهذا قول وإن قاله بعض العلماء فلتقليه عن هؤلاء من كتب الأصول ولا دليل عليه من الشريعة ولا من الواقع ن فالمعلوم من الدين بالضرورة يختلف في الزمان و المكان و هو علم خاص بمن قام به وليس بغيرهن فقد يكون معلوما من الدين بالضرورة عندك غير معلوم عند غيرك فكيف تحكم على غيرك بعلمك يا نبيه (؟!)
الشذوذ مخالفة النص ومخالفة الاجماع و مخالفة العقل أما مخالفة طائفة منتسبة الى السنة فهو الحق .
لا تعارض التحقيق العلمي بالتقليد فإن كتب اهل العلم مملوءة بالغث و الضعيف و المذكوب و المخالف للاجماع و المخالف للعقل الصريح إنما الشأن في موافقة القرآن و السنة .
وجزم بعض الناس وإن كان جزما فهو جزم هوى لا جزم علم.

تعريف الدليل:

الشيخ، و العالم، و العبقري، و النابغة، و الفهامة، و العلامة ، ومفتي الثقلين، و الإمام الأعظم، و الكبريت الأحمر، وشيخ الإسلام، و سيد الحفاظ،وسلطان العلماء ـ كل هذه التصنيفات و الألقاب دال، وليست دليلا.
لأن الدليل معدول عن الدال، وهو ما يؤكد فيه صفة الدلالة، فكل دليل دال، وليس كل دال دليلا، وليس هو من أسماء الآلات التي يفعل بها، فإن فعيلا ليس من أبنية الآلات كمفعل ومفعال.

قال النظار المسلمون: الدليل هو المرشد إلى المطلوب، وهو الموصل إلى المقصود ؛ وهو ما يكون العلم به مستلزما للعلم بالمطلوب، أو ما يكون النظر الصحيح فيه موصلا إلى علم أو إلى اعتقاد راجح .

ثم الضابط في الدليل أن يكون مستلزما للمدلول،ولا يوجد من المسلمين من يقول: إن الشيخ مستلزمم للحق، فكلما كان الدليل مستلزما لغيره أمكن أن يستدل به عليه فإن كان التلازم من الطرفين أمكن أن يستدل بكل منهما على الآخر فيستدل المستدل بما علمه منهما على الآخر الذي لم يعلمه ، ثم إن كان اللزوم قطعيا كان الدليل قطعيا، وإن كان ظاهرا - وقد يتخلف - كان الدليل ظنيا .

وسواء كان الملزوم المستدل به وجودا أو عدما فقد يكون الدليل وجودا وعدما ويستدل بكل منهما على وجود وعدم، فإنه يستدل بثبوت الشيء على انتفاء نقيضه وضده، ويستدل بانتفاء نقيضه على ثبوته، ويستدل بثبوت الملزوم على ثبوت اللازم، وبانتفاء اللازم على انتفاء الملزوم ، بل كل دليل يستدل به فإنه ملزوم لمدلوله ."نقض المنطق"

قلت:فهل إذا عدم الشيخ فلاني عدم المدلول الشرعي؟!

وسلطان الله في العلم هو الرسالة، وهو حجة الله على خلقه، كما قال تعالى : { لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل }.

وقال تعالى : { إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان }.

وقال : { أم أنزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون }.

فالعلماء والمشايخ والأمراء مطالبون باتباع ما أنزل إليهم من ربهم: من الكتاب والسنة - بحسب الإمكان بعد الاجتهاد التام -،فالاجتهاد في الكتاب و السنة ،و ليس في المشائخ.

فالمشائخ تجدهم مختلفين في فهم بعض النصوص و تفسيرها، ويتصرف هذا في الجمع بين النصوص، واستخراج الأحكام منها بنوع من الترتيب والتوفيق ليس هو النوع الذي سلكه غيره.

وقد يتمسك هذا بآية أو حديث، وهذا بحديث أو آية أخرى ،ومن طلبة العلم من يسلك في العلم طريقة ذلك العالم حتى يسمع كلام غيره فيرجح الراجح منهما، فتتنوع في حقهم الأقوال.

فطالب العلم مطالب بالترجيح بينهما بالعلم، لا بشيخ آخر، فإن هذا يستلزم الدور والدور باطل، فإذا اختلف الشيخ ناصر مع الشيخ العثيمين ـ رحمهما الله ـ من نتبع، و كيف نرجح بينهما؟

فإن قلنا: يرجح شيخ ثالث، فما الدليل على أن قوله صحيح؟

فرجع الأمر أولا و آخرا إلى الدليل، لا إلى إمضاء الشيخ و توقيعه.

اختلاف التنوع لا اختلاف التضاد.

ولعل كلام ابن القيم في"عدة الصابرين"{1/.23} يوضح هذا الإشكال بطريقة أفضل، وبه تتفطن إلى العدوان و البغي الموجود بين المسلمين بسبب هذا الفهم السيئ لهدي النبي صلى الله عليه و سلم، قال ـ رحمه الله ـ:" و مما ينبغي أن يعلم أن كل خصلة من خصال الفضل قد أحل الله رسوله في أعلاها، وخصه بذروة سنامها، فإذا احتجت بحاله فرقة من فرق الأمة التي تعرفت تلك الخصال و تقاسمتها على فضلها على غيرها، أمكن الفرقة الأخرى أن تحتج به على فضلها أيضا:

فإذا احتج به الغزاة المجاهدون على أنهم أفضل الطوائف، احتج به العلماء و الفقهاء على مثل ما احتج به أولئك.

و إذا احتج به الزهاد و المتخلفون عن الدنيا على فضلهم، احتج به الداخلون في الدنيا و الولاية و سياسة الرعية لإقامة دين الله و تنفيذ أمره.

و إذا احتج به الفقير الصابر، احتج به الغني الشاكر.

و إذا احتج به أهل العبادة على فضل نوافل العبادة و ترجيحها، احتج به العارفون على فضل المعرفة .

و إذا احتج به أرباب التواضع و الحلم، احتج به أرباب العز و القهر للمبطلين و الغلظة عليهم و البطش بهم.

و إذا احتج به أرباب الوقار و الهيبة و الرزانة، احتج به أرباب الخلق الحسن و المزاح المباح الذي لا يخرج عن الحق وحسن العشرة للأهل و الأصحاب.

و إذا احتج به أصحاب الصدع بالحق و القول به في المشهد و المغيب، احتج به أصحاب المدارة و الحياء و الكرم أن يبادروا الرجل بما يكرهه في وجهه.

و إذا احتج به المتورعون على الورع المحمود، احتج به الميسرون المسهلون الذين

لا يخرجون عن سعة شريعته و يسرها و سهولتها.
و إذا احتج به من صرف عنايته إلى إصلاح دينه و قلبه، احتج به من راعى إصلاح بدنه و معيشته و دنياه، فإنه بعث لصلاح الدنيا و الدين.
و إذا احتج به من لم يعلق قلبه الأسباب ولا ركن إليها ،احتج به من قام بالأسباب ووضعها مواضعها و أعطاها حقها.
و إذا احتج به من جاع و صبر على الجوع، احتج به من شبع و شكر ربه على الشبع.
و إذا احتج به من أخذ بالعفو و الصفح و الاحتمال، احتج به من انتقم في مواضع الانتقام.
و إذا احتج به من أعطى لله ووالى لله، احتج به من منع لله و عادى لله.
و إن احتج به من لم يدخر شيئا لغد، احتج به من يدخر لأهله قوت سنة .
و إذا احتج به من يأكل الخشن من القوت و الآدم كخبز الشعير و الخل، احتج به من يأكل اللذيذ الطيب كالشوى و الحلوى و الفاكهة و البطيخ ونحوه.
و إذا احتج به من سرد الصوم، احتج به من سرد الفطر، فكان يصوم حتى يقال: لا يفطر و يفطر حتى يقال لا يصوم.
و إذا احتج به من رغب عن الطيبات و المشتهيات، احتج به من أحب أطيب ما في الدنيا وهو النساء و الطيب.
و إذا احتج به من ألان جانبه و خفض جناحه لنسائه، احتج به من أدبهن و آلمهن و طلق و هجر و خيرهن.
و إذا احتج به من ترك مباشرة أسباب المعيشة بنفسه، احتج به من باشرها بنفسه فأجر و استأجر و باع و اشترى و استسلف و أدان ورهن.
و إذا احتج به من يجتنب النساء بالكلية في الحيض و الصيام، احتج به من يباشر امرأته وهي حائض بغير وطء، ومن يقبل امرأته وهو صائم.
و إذا احتج به من رحم أهل المعاصي بالقدر، احتج به من أقام عليهم حدود الله فقطع السارق ورجم الزاني و جلد الشارب.
و المقصود بهذا الفصل أنه ليس الفقراء الصابرون بأحق به من الأغنياء الشاكرين، و أحق الناس به أعلمهم بسنته و أتبعهم لها و بالله التوفيق."
فإذا فهمت هذا الأصل فحكِمه في مسألة الانتساب إلى السلف الصالح، و كيف بغى

المسلمون على بعضهم البعض فيها، و في أسماء أخرى تنجلي لك المسألة.

شروط الاحتجاج بالسلف:

السلف الصالح إجماعهم حجة على غيرهم أما إذا اختلفوا فإن الترجيح بين أقوالهم يكون بالكتاب و السنة، وعند الترجيح تختلف المدارك، فقد يتمسك أحدهم بقول لا يعرف عن احد من السلف المعروفين بالعلم و إنما هو محض اجتهاده و لا إمام له فيه، فينسب الأمر إلى السلفية برمتها، أو قد يتمسك بقول قاله بعض السلف ولكن هو مرجوح في نفسه يخالف النصوص الصحيحة، أو قد يتمسكون بقول السلف فيزيدون فيه أو ينقصون منه، أو يفهموا من كلام السلف مالم يريدوه، وغير ذلك من أسباب الخطأ الوارد و الممكن على كل أحد.

ولكن الفرق بين السلفيين(أهل العلم منهم) و غيرهم من الناس أنهم و إن كان احتمال الخطأ واردا عليهم إلا أنهم لا يتعمدون مخالفة الحق، و إذا خالفوه لم يخالفوه لاتباع أصول مبتدعة دخيلة على الدين (إلا عن غفلوا عنها)، وهم ابعد الناس عن الابتداع في الدين و أشدهم محافظة على السنة، إلا أن الغلو في الإنكار من بعضهم، والزيادة على الحد المشروع، أو تقصير بعضهم في مجالات أخرى هي كذلك من الدين بسبب ظنون و شبهات قد يعده آخرون من البدع.

قال ابن تيمية في"مجموع الفتاوى"{432/16}:" فإن طائفة ممن انتسب إلى السنة و عظم السنة و الشرع، و ظنوا أنهم اعتصموا في هذا الباب بالكتاب و السنة جمعوا أحاديث وردت في الصفات، منها ماهو كذب معلوم انه كذب، ومنها ماهو إلى الكذب أقرب ومنها ما هو إلى الصحة أقرب، ومنها متردد، وجعلوا تلك الأحاديث عقائد و صنفوا مصنفات، ومنهم من يكفر من يخالف ماد لت عليه تلك الأحاديث"

الشبهة عند العالم

يعتقد بعض الناس أن كلام العلماء كله محكم لا يوجد فيه متشابه،فينقلون منه ما يقع تحت أيديهم موافقا لشيء من فهمهم و تصورهم على أنه حجة ،أو قال قال به عالم كبير(؟!)

ولم يفطنوا أن العلماء قد تشتبه عليهم بعض الأمور فيفتون فيها بالتقليد أو يتوقفون

فيها،أو يترددون بين جوابين أو يجيبون جوابا غير صحيح.
ومن ذلك أنني قرأت هذه الأيام على صفحات الفيسبوك بعض الكلمات نقلها أحدهم عن الشيخ محمد الصالح العثيمين مفادها أنه لا يوجد تفكير إسلامي (؟!)
ولنا هنا مسلكان: إما حمل كلام الشيخ المحمل الحسن و التأويل له بأن المسلم منضبط بالنصوص و ليس برأيه و أن الفكر المقصود هنا هو الرأي المجرد.
وإما نقول : لقد اشتبه الأمر على الشيخ فإن إنكار الفكر كإنكار التفكير و إنكار كونه إسلاميا كإنكار ان يكون للمسلمين وسائلهم ومناهجهم في الاستنباط.
ذلك أن التفكير عند أئمة الإسلام في الفقه و الأصول و اللغة هو النظر و التامل و الاستنباط و قد يستعين بعلوم غير المسلمين لكن ليخدم النص و يعضده و ليس ليعارضه.
فكل فكر له مجاله، و لا يكون الفكر إسلاميا حتى يكون داخل نطاق الإسلام أي محاط بنصوصه و أصوله خادما لها.
و بالتالي فإن كلمة الشيخ ليست صحيحة و منتهاها أنه أمر اشتبه عليه،وفرق بين الببغائية التي قد يظن بعضهم أنها من العلم أو كمال العلم و بين فهم كلام العلماء و معرفة مقاصده و القدرة على توجيهه بما يناسب علمهم وفهمهم ومكانتهم.
لكن المشكل في النت أنه يكتب فيه كثير من الأغمار و حسن الظن يجعلك تظنهم طلبة علم وهم في أحسن أحوالهم مبتدئة أو كبار سن لم يرزقهم الله من العلم ما يفقهون به هذه الأمور،ولعلك تجد علامة بارزة في كلامهم تكثير النعوت.

هل السلفية خطر على الجزائر (؟)

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله وحده، و الصلاة و السلام على من لا نبيَّ بعده.
أما بعد،فهذا جواب عن سؤال مركب من مغالطات عديدة فجاء الجواب مغالطا للحقيقة الشرعية و الواقعية غارقا في تصور مثير هذا السؤال.
فلا شك أن أحدهم ـ ربما وزير الشؤون الدينية ـ اعتبر السلفية خطرا على الجزائر فجاء جواب بعض من ينتحل اتباع السلف أن السلفية هي تعبير عن الدين الصحيح من لدن أبي بكر وإلى يومنا ،وأنها دعوة الأمان و السلم و العلم و الرحمة .

وإن ظهر الجواب للوهلة الأولى أنه صحيح فإنه زاد الطين بلة بسبب وهم ومشكل زائف يقوم في ذهن المجيب به، يوضحه:

لو فرضنا أن السلفية جماعة واحدة ومنهج واحد غير قابل للتعدد كما يعتقده المجيب فهذا من الناحية الشرعية كما يتصورها المجيب ،أما من ناحية الواقع (الحقيقة الموجودة) فإن السلفية عبارة عن تيارات متعددة : العلمية ،وهي تيارات، تيار الشيخ ربيع، و تيار مخالفيه كالشيخ العباد ،و أعضاء اللجنة الدائمة، وسلفية الشام، و السلفية المصرية، و السلفية اليمنية، وحتى السلفية في الجزائر لا يمثلها من أمضوا على البيان الذي نشرته جريدة الشروق فهم في الحقيقة ممثلة الشيخ ربيع في الجزائر، و يوجد غيرهم من أتباع الشيخ الألباني و الحلبي و الحويني ،و العباد و غيرهم ،وهم عشرات الشيوخ أكثر علما وكفاءة على جميع المستويات من أولئك.

وتيار السلفية الجهادية وهو كذلك متعدد، و السلفية السياسية وهي أقرب للجهادية منها إلى العلمية، وكون هؤلاء (غير السلفية العلمية :سلفية المجيب عن السؤال) ليسوا من السلفية الحقيقية أمر لا قيمة له بالنسبة للهجوم الذي تتعرض له السلفية لأنهم في الواقع الموجود يتسمون بالسلفية، و ينتسبون إليها، و لهم نفس مرجعية السلفية العلمية ،و نفس المنطلق و نفس التاريخ، فالتفرع جاء متأخرا عن الانتساب إلى السلفية، كما أن من يحدد الأسماء هو الإعلام العالمي، و ليس السلفية العلمية، فتركيز الجواب على نفي السلفية عن التيار السلفي الجهادي لغو ومشكل زائف يزيد الشبهة حدة و تعقيدا .

فهؤلاء سلفية شاءت السلفية العلمية أم أبت إما بالواقع و إما بما يشتركون فيه، و الخلاف معهم في التكفير بمسألة الحكم بغير ما أنزل الله ،و في الجهاد الذي تراه السلفية العلمية أنه بدعي، وماعدا هذا فهم مشتركون في كل شيء، فكيف لا يكونون سلفية إضافة إلى أنهم ينتحلون اتباع السلف، و يسميهم الإعلام العالمي بالسلفية الجهادية ،فالصراع حول أحقية الانتساب إلى اسم السلفية صراع لغو و فاشل، ويوقعنا في مغالطة شرعية كبيرة:

فنحن نعلم أن الأمة الإسلامية عبارة عن ثلاث وسبعين فرقة بنص الحديث ،فإن كان الخوارج و الشيعة و القدرية و المعتزلة و الصوفية و الأشعرية وغيرهم من الإسلام، ومع ذلك نخالفهم ،ونرد عليهم ،ونبين لهم أين خالفوا الإسلام الصحيح بدون حاجة

إلى إخراجهم من الإسلام، فكذلك نرد على السلفية المتحزبة و السلفية الجهادية ،ونبين لهم أين خالفوا السلف بدون حاجة إلى إخراجهم من السلفية،فمنهج أئمة السنة أي المنهج السلفي الإنكار على الناس مخالفة السنة و ليس إنكار عليهم انتحال السنة فإن انتحال السنة محمود ومطلوب و يسرع عملية الإصلاح و يسهل إقامة الحجة.

وهذا هو المطلوب لأننا لن ننجح عن سلب اسم السلفية عنهم، وسيصبح نزاعا لفظيا ويغيب المضمون، وهنا نخسر ما نبحث عنه، وهو التميز عنهم حفاظا و حماية للسلفية الحقة كما في تصورنا ،و سيجعلنا الناس في سلة واحدة.

ومشكلة هذا الخطأ القاتل أننا بسبب وهم سكن عقولنا مع إفراط في حب التميز عن بقية الطوائف تركنا الاسم الشرعي" أهل السنة و الجماعة" لأن بعض الطوائف انتحلته (؟!) فلما انتحل آخرون اسم السلفية الذي أرادنا التميز به وقعنا في ورطة، و لو اتبعنا وهمنا السابق لوجب علينا إحداث اسم ثالث ،وهكذا نقع في الدور الممتنع سمعا وعقلا، شرعا وواقعا.

ولا شك أن كل واحد من المسلمين يعتقد في نفسه أنه على الحق وإلا غير مذهبه، ولكن الاقتناع الشخصي و الاعتقاد الشخصي و الجزم بالظن شيء، و إثبات ذلك بالدليل الذي يسلم به المخالف وإقناعه شيء آخر .

فمن لم يناظر مخالفه و يظهر عليه بالحجة كيف له أن يجزم أنه السلفي الحق و غيره من أدعياء السلفية، ثم يجعل اعتقاده الشخصي منصة يبني عليها مذهبه المضطرب في عدم تعدد السلفية ،و أنها واحدة، و البقية أدعياء السلفية وحقيقتهم أنهم مبتدعة دون أن يفرق بين التقسيم النظري الذهني والواقعي التاريخي، وبين التقسيم الواقعي المعاصر و الإعلامي،وبين الانتساب مع المخالفة كانتساب كثير من الناس إلى الإسلام مع مخالفتهم الواضحة لبعض نصوصه،وانتساب آخرون لمذهب الشافعي أو احمد مع مخالفتهم له فلم يكن احمد مائلا للمعتزلة و لا للمفوضة و لا للأشعرية ومع ذلك يوجد في المنتسبين لمذهبه من هو كذلك.

وكذلك بالنسبة للمذاهب الأخرى.

ومن هنا جاء جوابه استمرارا لمغالطة السائل، فلو عرف أن السلفية، وإن لم تتعدد في حقيقتها النظرية و التاريخية، فإنها في الحقيقة الموجودة (الواقع) متعددة) لكان جوابه مبتدئا بالسؤال التالي: أي سلفية تقصدون بقولكم أنها خطر على الجزائر (؟)

فإن هذا الاسم، ولو لم يكن مشتركا في ذهني وتصوري فإنه مشترك إعلاميا، و في واقع الساحة الإسلامية، و بين السلفية العلمية و السلفية الجهادية و الحركية فرق شاسع في التأصيل، و فهم النصوص، و في العمل الدعوي في الواقع، فجعل كل السلفيات في سلة واحدة مغالطة ،فإذا لم يجز لنا بالضرورة أن نجعل المعتزلة مع الأشاعرة و الشيعة مع الخوارج رغم اشتراكهم في الانتساب للإسلام لم يجز بالضرورة أن نجعل السلفية الجهادية و الحركية في سلة مع السلفية العلمية، وهم في طرفي نقيض في المسائل التي تهدد أمن البلد حسب هذا الناطق.

فلا يجب أن نسلم لخصومنا بالتصنيف ثم نتعامل على أساسه ،كما يجب أن نعالج القضايا المستدركة علينا كسلفية علمية بموضوعية و إنصاف فنجيب عن الشبهة التي تلاحقنا فيما يخص محاربة مذهب مالك و الأشعرية و التصوف، و محاولة طمس الهوية الجزائرية، و النقص في الوطنية، و تبعيتنا العمياء دينيا إلى دول غير دولتنا و تاريخنا الثقافي و الديني،وهذا سيكون موضوع رسالة كبيرة قريبا إن شاء الله.

و التميز عن السلفية الجهادية التي تعتبرها السلطات أو جهات فيها خطرا على أمن الجزائر يكون بالرد على تأصيلاتها في التكفير و الجهاد بتأصيلات مضادة صحيحة ،ومبنية على أدلة قوية ،و نشرها بين الناس ، وليس بمحاولة سلبهم اسم السلفية، فهذا هراء فكري يدل على سذاجة التصور لطبيعة الخلاف لأننا حينئذ لم نفرق بين الدفاع عن منهج السلف وبين الدفاع عن السلفيين،فمنهج السلف منهج معصوم بينما ممارسة السلفيين فيها الخطا و الاجتهاد و غير ذلك فإقرارنا بخطأ بعض السلفيين ليس إقرارا منا بخطا منهج السلف.

وعندما نزعم أن السلفية تبدأ بأبي بكر الصديق رضي الله عنه فهذه طامة لأن أبا بكر لم يكن سلفيا ولا خلفيا كان مسلما مؤمنا صديقا، وكيف يكون سلفيا ولم تكن في وقته هذه الطوائف، فإنه إن كانت السلفية هي اتباع منهج السلف الصالح في التعامل مع النصوص إثباتا وتوثيقا و استخراجا للدلالات منها أي الأخذ بآلياتهم في التفكير و الفهم فهذا جاء عندما ظهرت الفرق و أخذت بمناهج مخالفة لمنهج السلف ،وحينئذ كيف يصح لنا أن نجعل أبا بكر من رواد السلفية، وهذا اسم لم يعرفه حتى مالك و الشافعي و احمد فما بالك بالحسن البصري و مجاهد فما بالك بالصحابة (؟)

يجب أن نفهم أولا ما هي السلفية بتصور واضح وعملي، ثم كيف خرجت هذه

التيارات السلفية الجهادية من السلفية الأم،كما خرجت سائر الفرق من الإسلام، وما هي الوسائل العملية للتميز عنها بكفاءة للحفاظ على منهج السلف الصالح سالما كما نتصوره ونعتقده(؟)
فالجواب سهل عندما يكون التصور صحيحا،يكفي أن تقول: نحن لا نوافق هذه السلفية الجهادية في الخروج على الحكام وفي بعض مسائل التكفير وما يتعلق بها ،وهذه أدلتنا وكتبنا و أشرطتنا ،وإن كنا نشاركهم في الاسم فالسلفية عندنا هي كذا وكذا،أما تركيز الجواب على مجملات وعلى محاولة سلب الاسم عنهم فسحاب خلب.

هل انتحال السلفية أعظم من انتحال الإسلام (؟!)

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله وحده، و الصلاة و السلام على من لا نبيَّ بعده.
أما بعد،يعتقد بعض المنتسبين إلى السلف باسم السلفية أنه بمجرد نفي هذا الاسم عن بعض من يتسمى به و يخالفهم في مسائل التكفير و الجهاد ينتهي الإشكال و تصان السلفية من أخطاء هؤلاء (؟!)
فصار الواحد منهم يشبه قوله في التسمي بالسلفية قول المعتزلة في الشيئية يعتقد الشيء في عقله ثم يتبعه شعوره فيظن أنه قد حسم الموضوع في الخارج (الواقع) لأنه محسوم في داخل عقله (الوجود الذهني)(؟!)
ومن هنا صار اسم "السلفية" قلعة جامدة يتصارع عليها المنتسبون إلى السلف مع تفاضلهم في هذا الانتساب بحسب تفاضلهم في معرفة النصوص و الآثار و أقوال السلف وحقيقتها.
ومعلوم بالبداهة و الضرورة أن انتحال جماعة من الناس السلفية ليس بأعظم من انتحال الإسلام إلا إذا صار التسمي بالسلفية مرتبة من مراتب الإيمان كالإحسان (؟!)
كما أننا نعلم أنه قد انتحل الإسلام في مختلف عصوره منافقون وزنادقة وآخرون ابتدعوا بدعا فيه باجتهاد غير سائغ أو متكلف فكيف يكون هذا أدنى من انتحال

بعضهم السلفية مع مخالفتهم للسلف في بعض المسائل أو أخذهم بقول من أقوال السلف ثبت ضعفه ومرجوحيته،و بدلا من أن ننكر عليه مخالفة الشريعة أو مخالفة القول الراجح أو مخالفة قول السلف ننكر عليه التسمي بالسلفية ،وقد عرفنا أن باب الأسماء ليس لنا فيه سلطان، ولا يبني الناس تسميتهم على تصنيفاتنا (؟)

ومما يدلك على أن هذا إشكال زائف يزول بمجرد تفكيك أجزائه أن الصراع على حق التسمي بالسلفية لم يقتصر على السلفية الجهادية و السياسية بل هو داخل السلفية العلمية أشد بكثير فكل من خالف الشيخ ربيع من هذه السلفية بدعهم وأخرجهم من السلفية بل أحيانا يعتبرهم أشر من الخوارج و الرافضة كما ثبت عنه مرارا (؟!)

فإذا كانت السلفية العلمية شق الشيخ ربيع هذا حالها حتى مع المنتمين إليها وهي السلفية التي يمثلها من وقع على بيان جريدة " الشروق" بمثل هذا الاضطراب ورأسهم يستعمل هذا الاسم على هواه يدخل فيه من يناصره ويخرج منه من يخالفه كان هذا هو الهوى و التلاعب بالشعارات و الرموز، فهذه السلفية التي لا تنضبط بقواعد علمية منهجية واضحة في التعامل مع التسمي بهذا الاسم حولته إلى حزبية مقيتة لأن كل ما قام على مجرد الولاء ومناصبة العداء للمخالف فهو حزبية مذمومة مقيتة (؟!)

ومما يدل على قلة العلم عند هذه الطائفة و تحكمها بالهوى في توزيع بطاقات الانتماء إلى السلفية أنها جعلت انتحال السلف قولا ونسبة و تلقيا و استشهادا من شعار أهل البدع و الضلالة (؟!)

قال ابن تيمية في (مجموع الفتاوى)(4/156): ((أمّا أن يكون انتحال السّلف من شعائر أهل البدع،فهذا باطل قطعا،فإنّ ذلك غير ممكن إلاّ حيث يكثر الجهل ويقلّ العلم)).

قلتُ:فقد كثر فيكم الجهل والهوى أو التعصب حتى صرتم تقيسون من يخالفكم من أهل السنة على الجهم بن صفوان الذي كفّره السّلف؟!

وعلى الرافضة،و الخوارج،وأصحاب وحدة الوجود،فأي جهل أعظم من هذا الجهل، و أي جريمة أكبر من هذه الجريمة؟!

و الذي رفع السماء بغير عمد لا يصح لكم هذا القياس في الأشاعرة ،فكيف بأهل السنة السلفيين وإن وقعوا في بدع أو اخطاء؟!

نعم قد يدّعي السنة من ليس منها،ولكن تعرفه من أصوله البدعية،و مصادره، ومثله و إن زعم موافقة السنة،فإنه لا يستشهد بأئمة السنة، ولا يسلك طريقتهم في العلم،وهذا فرق واضح لمن يميّز بوضوح بين السنة و البدعة.
يزعمون زورا أن المبتدعة يلبسون على الناس بانتحال اتباع ابن تيمية و أحمد حتى يغروا الناس بقولهم وتنطلي عليهم بدعهم، وهذا باطل عظيم إذ لم يكن في يوم ما انتحال اتباع أحمد و ابن تيمية شعار المبتدعة، بل شعار المبتدعة إظهار بدعهم في قوالب السنة وذم الإمام أحمد و ابن تيمية تصريحا أو تلميحا، فيسمون الأشياء بتسميتها الشرعية و يقصدون بدعهم و باطلهم، فمتى كان ديدن الرجل الاستشهاد بأئمة السنة فهو سني قد يخطئ، ولكن لا يكون المبتدع أبدا ممن يداوم على الاستشهاد بأئمة السنة.
وعليه، يظهرون باطلهم في القوالب الشرعية، كأن ينسبون بدعهم للسلفية، وهذه بعض اللامحات قس عليها أعمالهم ، قال ابن القيم في (إغاثة اللهفان){81/2}: ((أخرج الظلمة الفجرة الظلم و العدوان في قالب السياسة و عقوبة الجناة {...}و أخرج الروافض الإلحاد و الكفر و القدح في سادات الصحابة وحزب رسول الله و أوليائه و أنصاره في قالب محبة أهل البيت و التعصب لهم وموالاتهم، و أخرجت الإباحية و فسقة المنتسبين إلى الفقر و التصوف بدعهم و شطحهم في قالب الفقر و الزهد و الأحوال و المعارف و محبة الله ونحو ذلك، و أخرجت الاتحادية أعظم الكفر و الإلحاد في قالب التوحيد و أن الوجود واحد{...} و أخرجت القدرية إنكار عموم قدرة الله تعالى على جميع الموجودات أفعالها و أعيانها في قالب العدل، وقالوا:لو كان الرب قادرا على أفعال عباده لزم أن يكون ظالما لهم، فاخرجوا تكذيبهم بالقدر في قالب العدل، و أخرجت الخوارج قتال الأئمة و الخروج عليهم بالسيف في قالب الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر.
و اخرج أرباب البدع جميعهم بدعهم في قوالب متنوعة بحسب تلك البدع، فكل صاحب باطل لا يتمكن من ترويج باطله إلا بإخراجه في قالب حق.))
قلتُ: لا يصير انتحال السلف شعارا للمبتدعة إلا حيث كثر الجهل،وهذا زمن بلغ فيه الجهل شغاف القلوب و استقالت العقول،و الجهل في جميع الأطراف موجود من نسب بدعته إلى السلف ،ومن أخرج صاحب هذه البدعة من السلفية.

و الذي لم يفطن له كثير منَّا أننا في زمن الطوائف و المذاهب البدعية مدعون إلى دعوة الناس إلى انتحال السلف و تعريفهم بمنهجهم وطريقتهم وعلمهم لا إنكار انتسابهم إليهم،فإن من انتحل السلف فقد سهل عليك مناظرته ومراجعته ونقده و إلزامه بخلاف من يطعن فيهم فإن مناظرته تكون أصعب وقد اخرج بطعنه عليهم الاستشهاد بالنصوص و الآثار ووجب تجريد الدليل العقلي معه أو الاعتماد على النصوص التي يقر صحتها ،ومن لم يفهم هذا فإني لا أملك له إلا الدعاء.

وهذه الطريقة(الاحتجاج على المخالف بمن ينتحل) قد استعملها أئمة السنة فقال الكرجي في كتابه(الفصول في الأصول عن الأئمة الفحول إلزاما لذوي البدع و الفضول):((إن في النقل عن هؤلاء إلزاما للحجة على كل من ينتحل مذهب إمام يخالفه في العقيدة، فإن أحدهما لا محالة يضلل صاحبه و يبدعه أو يكفره، فانتحال مذهبه مع مخالفته له في العقيدة مستنكر و الله شرعا و طبعا، فمن قال: أنا شافعي الشرع أشعري الاعتقاد، قلنا له: هذا من الأضداد لا بل من الارتداد، إذا لم يكن الشافعي أشعري الاعتقاد، ومن قال: أنا حنبلي الفروع معتزلي في الأصول: قلنا قد ضللت إذا عن سواء السبيل فيما تزعمه إذ لم يكن أحمد معتزلي الدين والاجتهاد)){المجموع} {105/2}.

ولماذا أحرص على هذا التفصيل في التعامل مع السلفية الجهادية مع أني أرد مذهبهم في الجهاد، وكتبت في ذلك مقالات عديدة،وكذلك في العذر بالجهل،و التكفير لأن مفتاح القلوب الإنصاف، ومفتاح العلم الصدق في الإخبار عن مقالات الناس أو أحوالهم،ولأن تصرفات بعض المنتسبين إلى السلفية لهي أعظم معين للمبتدعة على التوغل في بدعتهم و الاجتهاد فيها فتصير الحبة قبة و الشعرة حبلا بسبب العدوان و البغي عليهم،

قال ابن تيمية وهو يتحدث عن المعتزلة في (مجموع الفتاوى)(4/155): ((وَلِلنَّظَّامِ " مِنْ الْقَدْحِ فِي الصَّحَابَةِ مَا لَيْسَ هَذَا مَوْضِعَهُ. وَإِنْ كَانَ مِنْ أَسْبَابِ انْتِقَاصِ هَؤُلَاءِ الْمُبْتَدِعَةِ لِلسَّلَفِ مَا حَصَلَ فِي الْمُنْتَسِبِينَ إلَيْهِمْ مِنْ نَوْعِ تَقْصِيرٍ وَعُدْوَانٍ وَمَا كَانَ مِنْ بَعْضِهِمْ مِنْ أُمُورٍ اجْتِهَادِيَّةٍ الصَّوَابُ فِي خِلَافِهَا فَإِنَّ مَا حَصَلَ مِنْ ذَلِكَ صَارَ فِتْنَةً لِلْمُخَالِفِ لَهُمْ: ضَلَّ بِهِ ضَلَالًا كَبِيرًا: فَالْمَقْصُودُ هُنَا: أَنَّ الْمَشْهُورِينَ مِنْ الطَّوَائِفِ - بَيْنَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ - الْعَامَّةِ بِالْبِدْعَةِ لَيْسُوا مُنْتَحِلِينَ لِلسَّلَفِ بَلْ أَشْهَرُ الطَّوَائِفِ

بِالْبِدْعَةِ: الرَّافِضَةُ حَتَّى إنَّ الْعَامَّةَ لَا تَعْرِفُ مِنْ شَعَائِرِ الْبِدَعِ إلَّا الرَّفْضَ وَالسُّنِّيَّ فِي اصْطِلَاحِهِمْ: مَنْ لَا يَكُونُ رافضيا. وَذَلِكَ لِأَنَّهُمْ أَكْثَرُ مُخَالَفَةً لِلْأَحَادِيثِ النَّبَوِيَّةِ وَلِمَعَانِي الْقُرْآنِ وَأَكْثَرُ قَدْحًا فِي سَلَفِ الْأُمَّةِ وَأَئِمَّتِهَا وَطَعْنًا فِي جُمْهُورِ الْأُمَّةِ مِنْ جَمِيعِ الطَّوَائِفِ فَلَمَّا كَانُوا أَبْعَدَ عَنْ مُتَابَعَةِ السَّلَفِ كَانُوا أَشْهَرَ بِالْبِدْعَةِ.

فَعُلِمَ أَنَّ شِعَارَ أَهْلِ الْبِدَعِ: هُوَ تَرْكُ انْتِحَالِ اتِّبَاعِ السَّلَفِ. وَلِهَذَا قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي رِسَالَةِ عبدوس بْنِ مَالِكٍ: " أُصُولُ السُّنَّةِ عِنْدَنَا التَّمَسُّكُ بِمَا كَانَ عَلَيْهِ أَصْحَابُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ".))

و العاقل من أهل السنة يرى خاصية التفتت و التفكك و قابلية الانشطار في السلفيين تكاد تماثل ما عند المبتدعة حتى إنك تجد التلميذ يضلل شيوخه ويطعن فيهم بطريقة أو بأخرى كما فعل الشيخ ربيع من الألباني (سلفيته ضعيفة) ومع ابن باز (طعن في ظهر السلفية) ومع العثيمين (فيه إخوانية) ومع ابن جبرين (ضيع دينه) ومع العباد (يناصر ويدافع عمن يثني عن المبتدعة وأصحاب وحدة الوجود) ومع ابن تيمية و الذهبي (في كتبهما من الشبهات ما يفوق شبهات الجهمية ملايين المرات).

قال ابن تيمية في (المجموع){52/4}: ((ففي المعتزلة من الاختلافات و تكفير بعضهم بعضا حتى يكفر التلميذ أستاذه من جنس ما بين الخوارج)).

في الأخير أقول: إذا كنا نعتقد أن السلفية الجهادية جهادها بدعي ،وفيها مبالغة في التكفير و مخطئة في جميع تأصيلاتها المتعلقة بالخروج على الحكام وأنها لا تعدو كونها تأويلات باردة متطرفة أثبتت لحد الان فشلها و زادت أوضاع الدول الإسلامية سوءا على جميع المستويات فالواجب مقارعة التأصيل بالتأصيل و الحجة بالحجة وكشف الشبهات و تزييفها و الإشعار بذلك حتى يستقر في وعي الناس الأمر المنتفي تماما عن أي واحد ممن وقع على بيان جريدة الشروق ، وبالتالي فإن الاقتصار على نفي اسم السلفية عنهم و الاعتماد عليه كحجة واحدة ووحيدة لهو قصور و تقصير يدل على اضطراب في فهم منهج السلف وعلى عجز في التعامل مع الأفكار المزاحمة و المناهج المضادة جزئيا أو كليا.

وإذا كانت السلفية هي الإسلام الصحيح كما عبر بذلك أصحاب البيان،وهذه جملة مجملة خطابية تطلقها كل طائفة على نفسها بوضع اسمها في محل المبتدأ فليس من الإسلام الصحيح إنكار ما مع الناس من حق وإن جمعوا بين حق وباطل، وليس من

الإسلام الصحيح الطعن في أئمة السنة كما بينته،وليسن من الإسلام الصحيح في شيء اعتبار اهل السنة كالجهمية و أصحاب وحدة الوجود فهذا من البدع الصريحة وليس من الإسلام الصحيح.
وإذا كانت السلفية هي الإسلام الصحيح فأين جهودكم في مقارعة الإسلام المؤول و المبدل وليس فيكم من رد ردا صريحا واضحا على الطوائف المعادية للإسلام الصحيح لا الرافضة،ولا الفلاسفة، و لا المذاهب الفكرية المعاصرة بل حتى السلفية الجهادية ردودكم عليها عبارة عن كلمات تنفير و عبارات موهمة مجملة قادحة،وكل همكم متابعة الدعاة من أهل السنة و الكذب عليهم،وصناعة الإشاعة و الكذب وتفريق الصفوف حتى داخلكم بأمور ليست من دين الله ولا من منهج السلف.
فرق بين من يناضل عن السنة و يجاهد المبتدعة ويقارع الأدلة المضادة ويكشف الشبهات بإنصاف وعدل، وبين من يذم الناس مكتفيا بالكلام المرسل و المجملات قد جعل خياله وأوهمامه حقيقة واقعية يلزم بها الناس بل من شدة عدم فهمه لمنهج السلف تراه ينكر على الناس مخالفة السلف في مسائل خالفوا فيها نصوصا صحيحة، فجعل مرتبة النص دون مرتبة العز والى السلف ،وهذا ظاهر عليهم في كلامهم فعندما يحتجون على الأشعري أو المعتزلي لا يقولون له: قد خالفت القرآن،بل قد خالفت السلف، وهو مخالف لصريح القرآن،فإذا كان هو نفسه يعظم السلف و يقول: طريقتهم أسلم وطريقة الخلف أحكم كيف تحتج عليه بمخالفة السلف (؟!)
إن السلفية في مجملها تعاني من عجز واضح في الالمام بآليات السلف في التعامل مع النصوص استنباطا و احتجاجا بها،فهي تقلد السلف لا تنقل براهين السلف وهذا فرق إن انتبهت إليه لان لك العلم و أدركت أساليب التفكير الإسلامي الصحيحة النابعة من الإسلام وتجاوز النزاعات اللفظية إلى المضامين.
قال لي احد أفاضل الأصدقاء من أئمة المساجد قرب العاصمة: أريد أن أتعلم آداب المناظرة و أحكام الجدال فإن المناقشات لا تكاد تنتهي إلى نتيجة.
فقلتُ له: عندما يتعلم من يُعلِّم الناس ستجده في الناس (أقصد أساليب النقاش التي أصلها العلماء في كتب أصول الفقه و الجدل وآداب البحث التي كبتها المرصفي و الايجي و غيرهما عندما تجد طلبة العلم يعتنون بها فاعلم بأننا في طور الانتقال من النقل إلى الشرح و النقد).

تدجين الوعي:
من سنوات عديدة نشرت جريدة السفير الجزائرية تحقيقا مفصلا عن اللفيف الأجنبي فب فرنسا زاعمة التعريف الصحفي لكن التفاصيل التي ذكرتها بحيث ذكرت ثكانته في امدن الفرنسية بعنوانينها و كيفية الالتحاق بها ومزايا الانضمام إلى هذا اللفيف كالحصول على الاقامة و الجنسية ترك انطباعا لدى بعض القراء أن تروج له في بلد اجنبي الأمر الممنوع قانونا بغض النظر عن الجانب الديني و المعنوي.
وهكذا عندما تجد في صحفنا بعض التحقيقات عن بعض الشخصيات أو المسائل الدينية فاعلم أن من ورائها قصد فإن الذي يقدمها هو نفسه الذي يقدم القبورية و يعمل على نشرها.
تهيئة العقول و تشكيل الوعي للقادم إن لم تفطن له صرت ضحية له.

تصحيح أخطاء السابقين:
بعض العلماء وكبار طلبة العلم شوهوا منزلة العلماء و الدعوة و العلم بشراسة أخلاقهم وما حشروا به كلامهم من سوء الخلق و الطعن في الذمم و الدخول في قضايا شخصية لا علاقة لها بالمسائل المختلف فيها .
فعل الأجيال الصاعدة من طلبة العلم أن تتحرر من قبضتهم ووطأة سلوكهم عليها وتحرص على تقليد أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم فتلزم نفسها ترويضا و مجاهدة بالحلم و الرفق و الصبر على لدد المخالف أو سوء خلقه وعلى سعة الصدر حتى نتخلص من هذه الظاهرة المشينة للدعوة و التي باتت تلاحق كل الدعاة سلبا فغير بسط الأدلة العلمية لا تدخلوا في شيء آخر لعل الله يصلح بكم ما أفسده من سبقكم و يجعلكم خيرا منهم علما وعملا.
وأنا اعلم يقينا صعوبة أن يخالف الإنسان طبعه و سجيته لكن منزلة الدعوة تقتضي الاستعانة بالتقوى الباطنية تقوى القلوب وإصلاح الباطن بالمجاهدة رغم العثرات وإرغام النفس على الصبر.
كما يجب أن نفرق بين غمز العلماء وغمز العوام وإن عدهم بعض الناس طلبة علم،فالغمز العلمي من جنس ما بال أقوام من دأب العلماء تجدونه في مقدمة صحيح

مسلم وهو غمز علمي بينما غمز العوام غمز شخصي فلا ينتبه للفرق فيقابل غمزك العلمي بغمز شخصي وهذه مصيبة سوء التلقي على يد الفاشلين علميا.

بمن نحتج في فهم النصوص بفهم السلف (المتفق عليه أو الراجح) أم بفهم السلفيين (؟)

ـ بالنسبة لمن يعتمد في مقابل الفرق الإسلامية المختلفة الاسم الأصلي "السنة و الجماعة" و لم يجعل اسم "السلفية" قبلة له ،ولا يعتمد عليه اعتمادا محوريا في الذم و المدح ،أي: لا يعتبره وسيلة مشروعة للتزكية بعيدا عن عرض القول و العمل على الدليل الشرعي المعتبر والذي هو الكتاب و السنة و الإجماع، وليس شيئا آخر، ويقتصر على هذا الاسم في وصف المسائل العلمية ،و المذاهب كالعقيدة و المنهج، وليس الأشخاص ،لأننا في الحقيقة محتاجون للتداعي إلى السلف، و ليس إلا السلفية، لان السلف ثبت أن فهمهم شرعي وصحيح، وأنهم أفضل المسلمين بخلاف السلفية، فإنها من أشخاص معاصرين، لا يملكون هذه المزية، و محاكمتهم في الفهم و غيره تكون إلى السلف، و ليس إلى أنفسهم، وهذا بديهي، فاسم "السلفية" اسم سائغ شرعا ككثير من الأسماء، و ليس اسما شرعيا يلزم به المسلمين كما قال ابن تيمية في الحنبلية في أصول الدين،قال في المجموع(56/6): ((وَأَمَّا " السالمية " فَهُمْ وَالْحَنْبَلِيَّةُ كَالشَّيْءِ الْوَاحِدِ إلَّا فِي مَوَاضِعَ مَخْصُوصَةٍ تَجْرِي مَجْرَى اخْتِلَافِ الْحَنَابِلَةِ فِيمَا بَيْنَهُمْ وَفِيهِمْ تَصَوُّفٌ وَمَنْ بَدَّعَ مِنْ أَصْحَابِنَا هَؤُلَاءِ يُبَدِّعُ أَيْضًا التَّسَمِّيَ فِي الْأُصُولِ بِالْحَنْبَلِيَّةِ وَغَيْرَ ذَلِكَ وَلَا يَرَى أَنْ يَتَسَمَّى أَحَدٌ فِي الْأُصُولِ إلَّا بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَهَذِهِ " طَرِيقَةٌ جَيِّدَةٌ " لَكِنَّ هَذَا مِمَّا يَسُوغُ فِيهِ الِاجْتِهَادُ؛ فَإِنَّ مَسَائِلَ الدِّقِّ فِي الْأُصُولِ لَا يَكَادُ يَتَّفِقُ عَلَيْهَا طَائِفَةٌ))

ومعلوم أن أبا طالب المكي وأبا علي الاهوازي من السالمية ،وبعض السالمية معتزلة،ومع ذلك فيهم من ينتسب للحديث و السنة ((وَكَانَ " أَبُو الْحَسَنِ الْأَشْعَرِيُّ " لَمَّا رَجَعَ عَنْ الِاعْتِزَالِ سَلَكَ طَرِيقَةَ أَبِي مُحَمَّدِ بْنِ كُلَّابٍ فَصَارَ طَائِفَةٌ يَنْتَسِبُونَ إلَى السُّنَّةِ وَالْحَدِيثِ مِنْ السالمية وَغَيْرِهِمْ كَأَبِي عَلِيٍّ الْأَهْوَازِيِّ يَذْكُرُونَ فِي مَثَالِبِ أَبِي الْحَسَنِ أَشْيَاءَ هِيَ مِنْ افْتِرَاءِ الْمُعْتَزِلَةِ وَغَيْرِهِمْ عَلَيْهِ لِأَنَّ الْأَشْعَرِيَّ بَيَّنَ مِنْ تَنَاقُضِ أَقْوَالِ الْمُعْتَزِلَةِ وَفَسَادَهَا مَا لَمْ يُبَيِّنْهُ غَيْرُهُ حَتَّى جَعَلَهُمْ فِي قَمْعِ السِّمْسِمَةِ.))

و المقصود أن الأسماء التعريفية سائغة وبعضها أفضل من بعض و إن كان الجيد الانتساب في أصول الدين خاصة للكتاب و السنة .
بالنسبة إليه إشكالية وصف الجهاديين به ،أو اعتبارهم رافدا سلفيا إشكالية سطحية أدبية وليست علمية لأن هذا الطرح يسمح لنا بالدقة و الإنصاف فنقول: عقيدتهم سلفية، وفقههم في الإمامة و الجهاد بدعي (بالنسبة لنا) بخلاف من يجعل معيار التقييم "السلفية" ممثلة في شخصه وفهمه، ويصفهم بإطلاق بالبدعة فهذا مخالف للحقيقة حتما.و الله اعلم.

أنصح المجتهدين في تكفير الحكومة الجزائرية لأنها سمحت بتحليق الطائرات الفرنسية فوق أراضيها أن يتمهلوا فهذا أمر بعيد عنا إدراك حقائقه و تداعياته القريبة و البعيدة.
ولا شك أن كثيرا من الطبقة السياسية لم يعجبهم هذا الأمر لكن من يده في النار ليس كمن يده في الماء.
وما يجري في المالي أول من اكتوى به الجزائر فعطل صناعتها و مصالحها وإذا كان يجوز للجزائر شرعا أن تحرص على مصالحها ومصالح شعبها فالوسيلة متوقفة على القدرة ولا يكلف الله نفسا إلا وسعها.
وهؤلاء و إن كانوا مسلمين فإنهم مارقة سفكوا الدماء في الجزائر و خربوا العمران وضربهم واجب أما مظاهرة فرنسا فلا اعتقد أن هذا الامر يدخل في المظاهرة لأني لا اعتقد أن الجزائر تملك القدرة على الامتناع وسبب هشاشة موقفها هم هذه الطائفة الموجودة في مالي و التي تهدد أمنها و يخشى من توظيفها في ضرب الجزائر فحتى لا يجتمع عليها كما اجتمعوا على غيرها فهي مضطرة لمسايرة الأمر .
و حتى المظاهرة فيها تفصيل وما يدعو اليه الجهاديون منها هو خاص بهم وفقا لتأصيلاتهم ولا يعني أنه صواب موافق للشريعة فهذه ليست موالاة ولا مظاهرة للكفر أو لأجل مصالح دنيوية بحته.
وهذا ما كنا نخشاه من هذه الحرب أن يتم التهييج على الجزائر من قبل من خربوا بلدانهم ومقتهم الناس على سواء.
سنفصل المظاهرة تفصيلا يدلك حصونهم قريبا إن شاء الله.

الحرب في مالي وموقف الجزائر منها في ميزان الشرع

الحلقة الأولى

تكييف مسألة مرور الطائرات الحربية الفرنسية عبر الأجواء الجزائرية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده، و الصلاة و السلام على من لا نبيَّ بعده.

أما بعد،فقد كتبتُ من مدة بحثا مفصَّلا عن حكم مظاهرة الكفار و الاستعانة بهم ردا على أحد الإخوة السعوديين انتقد كتابا في الباب قدَّم له فضيلة الشيخ الفوزان، ولكن بسبب عطل في حاسوبي القديم ضاع البحث، أو بالأحرى عجز مهندسي الإعلام الآلي عن فتحه مع مجموعة بحوث أخرى.

ولما جاءت الحرب في مالي، ورأيت بعض الإخوة يسارع إلى الحكم على الحكومة الجزائرية بالردة لأنها سمحت للطائرات الفرنسية بالمرور في أجوائها ،وهي متجهة لضرب الجماعات المسلحة في مالي هالني الأمر، و المغالطة التي بني عليها هذا الحكم الجائر، و التداعيات الخطيرة التي قد يقود إليها ،فاضطررت إلى معاودة البحث فيه نصحا لله ولرسوله و لأئمة المسلمين و عامتهم ،فأقول:

الشرط الأول في الحكم الفقهي هو التكييف فمتى غلطنا في التكييف كان الحكم باطلا قطعا،ومن اعتبر مرور الطائرات الفرنسية في الأجواء الجزائرية من مظاهرة الكفار على المسلمين ،أو من الاستعانة بهم على المسلمين فقد أخطأ التكييف فلزم حتما أن يكون حكمه باطلا لهذا السبب.

ومعلوم أن مسألة الاستعانة و المظاهرة فيها خلاف حول بعض أوجهها عند قدماء العلماء و المعاصرين منهم لاختلاف فهوم العلماء في فقه النص المحتمل لأكثر من وجه تتعلق بالمعنى من حيث مدلولات الالفاظ واختلاف حقائقها لغة وشرعا و حظ الضرورة و الحاجة و تأثير القدرة في وصف الوجوب وتحققها فالواجبات المعجوز عنها ساقطة وما لا يتأتى فعله إلا بنوع سيئة من الواجبات فيجب فعله.

و المسألة تعود إلى عدة أصول و ليس لأصل واحد كما يوهمه بعض الناس ومعلوم ما للخلاف من أثر في التكييف ،وكذلك من حيث التعارض لأسباب مختلفة،فالاختلاف في هذه المسائل قد يرجع للنص وقد يكون خارجا عن النص أي الاختلاف في فهم

الواقع.
ومثل هذه المسائل التي تتعلق بالدول لا يفتى فيها بظاهرية سطحية عرجاء تنظر لنص واحد و تغفل عشرات النصوص الأخرى، وترجح اجتهادا لأنه يوافق تطلعاتها على الرغم ضعفه(؟!)

المنهج القويم:

يجب علينا أولا الدقة في تحرير الموضوع،و الأصالة في اختيار الرأي العلمي المبني على التمييز بين الاتباع بعلم و التقليد الفاسد في المسائل الخلافية تحديدا و تأصيلا، وموازنة بين مذاهب الأئمة، و ترجيحا بينها.

فالشرط الأساسي ترجيح القول بعلم، و اجتناب اتباع الهوى عند الترجيح، فلا نتبع ما يوافق هوانا، بل ما نجد أنفسنا جازمين بالعلم به .

فالسلفي الذي طرد أصول منهجه العلمي القائمة على الاتباع بعلم لا التقليد الفاسد ليس مجرد ناقل يحكي آراء العلماء و مذاهبهم في العلم، بل يقابل بين الأقوال المختلفة فيرد منها ما يرد، و يصحح ويرجح محتكما إلى الأسس العلمية القوية، و الأصول المعتبرة نظرا ونقلا.

فالسلفي الذي ارتسم في ذهنه منهج الإتباع بالعلم يعرف أهمية الاستنباط و تنظيم الاجتهاد النسبي، و تأصيل مسائل الخلاف، و بيان وجوه الاستدلال، و ضبط قواعد النقد و التعارض و الترجيح،لا يقوم منهجه العلمي على تقليد الأشد و الأورع من الأقوال لأن أعظم الورع موافقة الحق الشرعي.

و الورع إنما يستحب حيث يخاف الهوى و غلبة النفس كمسائل الأموال و الجاه و الرئاسة و غيرها، و العلم مع الخطأ خير من الجهل مع الإصابة،لان العلم بما دقّ حكمه، وخفي فيه وجه الاشتباه أعظم من الورع مع قيام احتمال التورع في الخطأ.

و المنهج السلفي العلمي المبني على الاتباع بالعلم يجب تقديمه في التطبيقات العملية سواء في مجال الاستنباط وعرض الأحكام المختلفة، أو مجال حصر الخلاف و تعدد الأقوال، فلا يليق بنا نصرة قول و طرح آخر بغير منهج علمي رصين .

فمنهج الاتباع العلمي هو الطريقة العلمية للتغلب على كثرة وجوه الخلاف و صوره.

فأسلك في عرض الأحكام مسلك فقهاء الحديث المهتمين بالفروع الجزئية و إخضاعها للأصول الكلية لرد الفرع إلى أصله، وربطه بمقاصده ،مفرقا بين القواعد المطلقة

وبين القواعد المقيدة، ثم التمكين لهذا المقصد في الواقع العملي لا مسلك التنظير.
منهج الاتباع بعلم منهج يقوم على مسائل:
1 ـ كيفية أخذ الأحكام مصدرا وطريقة.
2 ـ كيفية تضييق نطاق الخلاف العلمي.
3 ـ استثمار أصول الاجتهاد على أوسع نطاق علمي ممكن.
فهو منهج لا يهيم في جزئيات لا ضابط لها، و إنما التعمق في الأصول التي تتحكم في هذه الجزئيات،كما لا يضيع في الظاهر المحض الذي قامت النصوص و القرائن المعارضة له.
كل ذلك بمقتضى الأصول، وعدم الوقوف عند جملة الأحكام وقوف من يرجح باعتقاده مع قيام الاحتمال المعارض القوي كما يفعل بعض ظاهرية الفهم.
فعلى الإخوة أن يهتموا بالكلمات التي يطلقونها ككلمة "ردة" وتقدير أهميتها و أبعادها ،ولا يخضعنهم ظاهر بعض الكلام العلمي المنسوب إلى بعض العلماء فإن بعض المسائل المتعلقة بمظاهرة الكفار في بعض المراجع التي يعتمد عليها الجهاديون تحتاج إعادة مراجعة وتقييم لأنها تقوم على اجتهادات هؤلاء العلماء، وفي تقسيماتهم لأنواع المظاهرة خلل وضعف ظهر في حرب الخليج الأولى فذكر بعضهم فروقا هي في الحقيقة أوصاف منعدمة التأثير لأن اختلاف اللفظ لا يعني اختلاف المعنى حتما،وكذلك التفريق بين مقاتلة المسلمين و التجسس عليهم مع العلم أن الجوسسة أخطر بكثير من المقاتلة فإنها تكشف عورة المسلمين وتسهل تخريب المنشآت و القضاء عليهم.
ولنبدأ القصة من أولها:
1 ـ يعلم الجميع أن موقف الجزائر من الوضع في مالي كان عدم التدخل العسكري لا الجزائري، و لا الأجنبي، لأن المشكل في هذا البلد مركب من مشاكل عديدة ،فإنه و إن كان يوجد فيه تنظيمات مسلحة معادية للجزائر و للدول المحيطة فإن بعض الفصائل الطوارقية (الأزواد) المالية لها مشكل سياسي من الحكم المركزي في مالي، فسكان مالي في الشمال وهم أقلية من أعراق مختلفة لا تتمتع بحقوقها كما تتمتع بها أعراق الجنوب، وهذه مطالب سياسية عادلة ومحقة، لا يجب أن تجابه بالقوة العسكرية خاصة الغربية منها لما سبق وعلمناه من سوء طوية الغرب و إضماره

الشر للمسلمين و أن أهدافه المعلنة غير أهدافه المبطنة.
ولما كان النظام السياسي في مالي منهارا ،و الجيش مضعضعا كان مشروع الجزائر الذي سعت له في المحافل الدولية هو إعادة بناء الدولة في مالي، و إعطاء أهل الشمال حقوقهم ، ثم تقوية الجيش المالي ليخوض هو عملية ملاحقة التنظيمات المسلحة الأجنبية عن مالي.
ومعلوم كذلك أن الأزواد مجموعتان : الجبهة الوطنية لتحرير الأزواد وهي حركة علمانية تابعة لفرنسا ضعف نشاطها في السنوات الأخيرة بسبب المد الإسلامي في هذا الإقليم.
أما الأزواد من التيار الإسلامي أي: جماعة "أنصار الدين" فإنهم تربطهم بالجزائر رابطة قوية وكل المساعدات يتلقونها من الجزائر ،ولا يوجد بلد في العالم دافع عنها حتى أخرجتهم أمريكا من قائمة الجماعات الإرهابية كما فعلت الجزائر،وقد كان موقف الجزائر الممانع للحرب في مالي سببه الرئيس مصالح حركة جماعة أنصار الدين و أن مطالبها وطنية عادلة، فلا يأتي أحدهم ويقول: الحكومة الجزائرية مرتدة لأنها تساعد على المسلمين، فهذا شخص فيه جهل ولا يعرف حقيقة الأمور، و يحكم بالظاهر السطحي حسب ما تروج له وسائل الإعلام الغربية التي لا زالت لحد الآن تسمي ما جرى في الجزائر بالحرب الأهلية(؟!).
2 ـ وعليه فإن هذه الحرب لم تسع إليها الجزائر، ولا حرضت عليها، ولا شاركت فيها بقوات مسلحة ،ولا بتزويد بوقود، أو سلاح ،أو غير ذلك، و الحكومة و الشعب في الجزائر يرجوان أن تتوقف هذه الحرب التي لا نحبها ،ولا نريدها ، والذي أشعلها هو تهور التنظيمات المسلحة ،لكننا كسائر المسلمين لا نسيَّر العالم الغربي ،بل هو من يسلحنا، ويطعمنا ويداوينا ،ونحن عالة على أنفسنا، فافطنوا من وهمكم لأن آخر المطاف أن يقتل المسلمون بعضهم بعضا، و يخربون بلدهم، وكل هذا لصالح الغرب .
وهل يعتقد عاقل أنه لو رفضت الجزائر مرور الطائرات الفرنسية الحربية عبر أجوائها كانت الحرب ستتوقف (؟!) فلفرنسا قواعد جوية في تشاد و النيجر و ساحل العاج، ولم تكن العملية ستخسر إلا زيادة في وقود الطائرات، وقد علمتم من رحلة الرئيس الفرنسي الأخيرة من سيدفع ثمن الحرب و تكاليفها.

فلا يجب أن نقف عند أمور ثانوية غير مؤثرة في حقيقة الوضع فقد امتنع أردوغان ظاهرا في الحرب على العراق من استعمال قواعد الناتو على أرض تركيا لكن سمح بها لغزو أفغانستان(؟!)

و عندما تخترق هذه التنظيمات الخط الفاصل بين الشمال و الجنوب، وتهدد عاصمة البلاد تتحرك القوى الغربية لحفظ مصالحها ففي عاصمة مالي 6000 فرنسيا،واكبر مناجم اليورانيوم في النيجر المجاور، وسقوط بماكو يعني سقوط النيجر ،وهنا نسأل: من ورَّط البلاد في هذه الحرب، و أضعف موقف الجزائر على الساحة الدولية حتى اتهموها بمساندة التنظيمات المسلحة، وان موقفها غامض، وأنها تدير هذه التنظيمات ،أليست هذه التنظيمات التي جلبت لنفسها هذه الحرب برعونتها، فهل كان في ظنهم أن الدول الغربية و الإفريقية ستتركهم يستولون على مالي، وهم أقلية فيه بما فيهم الأزواد (؟!)

فنحن نعلم أن شعب الأزواد يمثل حوالي 12 بالمائة من الشعب المالي تتقاسمه حركتان و الباقي شعب عادي ليس له في السياسة ، فهل منطق أقلية و إن كانت مظلومة يُغلَّب على غالبية الشعب المالي المسلم، فنهتم للضحية الذي هو في حقيقته الجاني في هذه القضية، و نهدر حق الضحية الحقيقي و هو عموم الشعب المالي المسلم (؟!)

ثم لنسأل ما مصلحة التنظيمات المسلحة في عملية عين أمناس البارحة،فهل ستتوقف الحرب بسبب الرعايا الأجانب المخطوفين، أم القصد منها توفير مزيد من الفرص لاستدراج ودعوة أمريكا وبريطانيا و اليابان للدخول في الحرب إلى جانب فرنسا، وتوريط دول الجوار فالحرب ستطأ موريتانيا و المغرب وتونس ولبيا عاجلا أم آجلا على مختلف المستويات (؟!)

وممكن أن الحدث بهذه المدينة يقصد منه الضغط لوقف الحرب من طرف جهات أخرى،أما لتبرير الحرب فلو تعلق بالجزائريين فنعم ولكنهم ركزوا على الأجانب. ومعلوم أن المستهدف الرئيسي من الحرب في مالي هي الجزائر باستنزاف جيشها على الحدود الطويلة جدا ما يقرب 7000 كلم، و التنظيمات المسلحة دورها توفير الأسباب من خلال جرها إلى هذه الحرب بحماقات ارتكبتها عندما هاجمت غاو و جبالي.

3 ـ معلوم أن الذي طلب التدخل الفرنسي باستعجال، وطلب من الجزائر المساعدة هي دولة مالي فانتفى عنصر الاستعانة بالكفار على مقاتلة المسلمين الذي سنفصله لاحقا ،ونبين الصواب فيه، ولازم حتما أن الجزائر لم تستعن لا بفرنسا، ولا بغيرها، على حرب هذه التنظيمات المسلحة المالية الأزوادية و الأجنبية.
وموقف الجزائر عشية الهجمة الفرنسية على شمال مالي أن الماليين أحرار في حل مشاكلهم و الاستعانة بمن شاءوا،وهذا موقف صحيح ،فإنه لا يعرف مصلحة مالي إلا الماليون أنفسهم.
4 ـ بقيت قضية المظاهرة فنقول: يكون الفعل من المظاهرة إن كان عن طواعية بالاتفاق، أما أن أكره الفرد أو الجماعة أو الدولة عليه بحيث نعلم يقينا أن الجزائر، ولا أي دولة إسلامية (كما سأمثل له بعد قليل) لا تملك القدرة السياسية، و لا الاقتصادية ،و العسكرية عن الامتناع عنه، خاصة وان الحرب قامت على من يهدد أمنها، وضربها مرارا، وخربها لسنوات طويلة ،وليس على شعب أعزل مسالم، فهذا يدخل في باب الإكراه.
تحديد الإكراه:
قال القرطبي في (معالم التنزيل)(10/191): ((وَاخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي حَدِّ الْإِكْرَاهِ، فَرُوِيَ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: لَيْسَ الرَّجُلُ آمَنٌ عَلَى نَفْسِهِ إِذَا أَخَفْتَهُ أَوْ أَوْثَقْتَهُ أَوْ ضَرَبْتَهُ.
وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ :مَا كَلَامٌ يَدْرَأُ عَنِّي سَوْطَيْنِ إِلَّا كُنْتُ مُتَكَلِّمًا بِهِ.
وَقَالَ النَّخَعِيُّ: الْقَيْدُ إِكْرَاهٌ، وَالسَّجْنُ إِكْرَاهٌ. وَهَذَا قَوْلُ مَالِكٍ، إِلَّا أَنَّهُ قَالَ: وَالْوَعِيدُ الْمُخَوِّفُ إِكْرَاهٌ وَإِنْ لَمْ يَقَعْ، إِذَا تَحَقَّقَ ظُلْمَ ذَلِكَ الْمُعْتَدِي وَإِنْفَاذَهُ لِمَا يَتَوَعَّدُ بِهِ، وَلَيْسَ عِنْدَ مَالِكٍ وَأَصْحَابِهِ فِي الضَّرْبِ وَالسَّجْنِ تَوْقِيتٌ، إِنَّمَا هُوَ مَا كَانَ يُؤْلِمُ مِنَ الضَّرْبِ، وَمَا كَانَ مِنْ سِجْنٍ يَدْخُلُ مِنْهُ الضِّيقُ عَلَى الْمُكْرَهِ. وَإِكْرَاهُ السُّلْطَانِ وَغَيْرِهِ عِنْدَ مَالِكٍ إِكْرَاهٌ.
وَتَنَاقَضَ الْكُوفِيُّونَ فَلَمْ يَجْعَلُوا السَّجْنَ والقيد إكراها على شرب الخمر واكل الميتة، لأنه لا يخاف منهما التلف. وجعلوها إكراها في إقراره لفلان عندي ألف درهم. قال ابن سحنون: وفى إجماعهم على أن الألم والوجع الشديد إكراه مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْإِكْرَاهَ يَكُونُ مِنْ غَيْرِ تَلَفِ نَفْسٍ.

وَذَهَبَ مَالِكٌ إِلَى أَنَّ مَنْ أُكْرِهَ عَلَى يَمِينٍ بِوَعِيدٍ أَوْ سَجْنٍ أَوْ ضَرْبٍ أَنَّهُ يَحْلِفُ، وَلَا حِنْثَ عَلَيْهِ، وَهُوَ قَوْلُ الشَّافِعِيِّ وَأَحْمَدَ وَأَبِي ثَوْرٍ وَأَكْثَرُ الْعُلَمَاءِ.))

و الخلاصة أن الإكراه لا يكون فقط في تلف النفس ، فكيف بتلف بلد مثل الجزائر أو مالي،وإذا كانت الجزائر رافضة للتدخل العسكري من بداية الأزمة وليس من اليوم، ممتنعة عن المشاركة فيه عسكريا بصفة صارمة، فهذا يعني أنها كارهة له، و الكاره الفاعل يستلزم أنه مكره، وهذا بديهي.

وكل البلاد الإسلامية وقع عليها في يوم من الأيام مثل هذا،فكلنا يتذكر حرب الخليج الأولى و الثانية ،وحرب ليبيا ،وحرب سورية الآن، فلمَ انتبه الجهاديون للجزائر فقط ،و نسوا إخوانهم الذين يقاتلون في سوريا بالمساعدة الأمريكية و الفرنسية و البريطانية، وقاتلوا في ليبيا تحت غطاء طائرة الناتو و حمايته، التي بدونها كان القذافي سيسحقهم في بنغازي، أفلم يرتدوا حينها بمظاهرة الكفار على مقاتلة المسلمين(؟!)

فإن زعموا أن القذافي و الأسد كافران فويلات الحرب طالت عموم الشعب و جنود مسلمين لا يحملون فكرهم ولا ناقة لهم في الحرب ولا جمل، و السؤال:

عندما يقاتلون لصالح الغرب و بمعونته يكونون مؤمنين، وعندما يقاتلهم الغرب يكفر من يعينه عليهم ولو كان مكرها (؟!)

وعليه،فالذي طلب التدخل و استعان بفرنسا هو مالي، وليس الجزائر،وهذا سنبحثه في حلقة موقف مالي من الجماعات المسلحة.

نعم، كان الشعب الجزائري بقياداته السياسية و الثقافية يفضل أن لا تسمح الجزائر بمرور الطائرات الفرنسية عبر أجوائها، لكن التمني شيء و الواقع المفروض عليك شيء آخر،فأنا لا أنكر أن السياسة الجزائرية الداخلية عليها تساؤلات عديدة فإنها لا تقدر الرأي العام الجزائري الذي تبلغه الأخبار المتعلقة بالجزائر من القنوات الأجنبية، و الانسجام الداخلي بين السياسيين يكاد يكون منعدما بسبب الصراع على الكرسي و الضبابية التي تلف السياسة الجزائرية بسبب السكوت الغريب الذي يطبع مواقفها، وكذلك التعتيم الإعلامي، وتغييب الفاعلين من رجال السياسة و العلماء وعدم إشراكهم في اتخاذ المواقف،والمساهمة في إيجاد الحلول، فهشاشة السلطة في الجزائر له أسباب كثيرة منها هذه التي ذكرتها لكن السبب الرئيسي هي التنظيمات المسلحة

التي تهدد أمن البلاد و التي يخاف صانع القرار أن توظفها الدول الغربية في ضرب البلاد و الاستيلاء على ثرواتها كما وقع في بلاد قريبة فإنها التنظيمات الوحيدة المنظمة و المهيئة للدخول في عمليات عسكرية ضد الدولة ، فهاشة الجبهة الداخلية هو ما يسبب هشاشة الموقف الخارجي و العجز عن مقاومة مطالب الغرب.
وهذا ليس خاصا بالجزائر ، بل يعم جميع الدول الإسلامية بدون استثناء ،فيوجد في دول الخليج قواعد أجنبية،و في أفغانستان ألف من جنود الإمارات،و قد شاركت السعودية و مصر و غيرهما في حرب الخليج الأولى و الثانية ، وقناة السويس و المياه الإقليمية للدول العربية كلها مستعملة من طرف الأساطيل الغربية، بل توجد سجون أمريكية سرية على أراضي بعد البلاد العربية و الإسلامية، مما لا يوجد مثيله في الجزائر ،وبعض الدول التي ترفض سياسيا التدخل الفرنسي في مالي يوجد على أراضيها محققون و قوات خاصة فرنسية و أمريكية في أعماق صحاريها (؟!)
وأعود فأقول :الأهداف غير المعلنة هي أن الجزائر مستهدفة، وعلى أبنائها الوعي و تفويت الفرصة على الغرب بوحدة الصف و الوقوف بقوة ضد ما يحاك ضد بلدهم ، فإننا لا نريد ما وقع في بعض البلاد العربية أن يقع في بلدنا فقد ذقنا ثماره من قبلهم ولا نتوقع منه إلا خراب البلاد و الغزو الفكري و السياسي و الاقتصادي.
و الدليل على أن الجزائر مكرهة هو أنها مقصودة قصدا غير معلن ،و الحرب تهددها أكثر من تهديد هذه الجماعات المسلحة من جميع النواحي، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم مستضعفا كما في الحديبية ،وتنازل عن واجبات شرعية كبرى كصفة النبوة، ورد المسلمين إلى الكفار، ومعلوم أن ردهم إليهم سيسبب لهم إما القتل، أو الردة ، أو السجن و العذاب،فإنه لم يشترط في المعاهدة فيمن يردهم أن لا يقتلوا، فمن يقول لا تجوز استعانة بكافر على مسلم لقتله فقوله فيه اضطراب من جهتين: من جهة أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يقاتل المسلمين حتى نطلب دليلا من سمعيا الشريعة، ومن جهة ثانية تبين نفصلها في الحلقة القادمة(؟)
ومعلوم أن الاستعانة بهم إن كان الحكم لأهل الإسلام كالاستعانة بآلاتهم في الحرب كما حققه جمهور الفقهاء ،وقد قال النيسابوري: ((قد مضى جواز الاستعانة بالكفار في دفع الظلم و الغرق و الحرق)) وهذه أمور دنيوية ليست أخروية أي ليست دينية على الأقل ليست دينية محضة، ومعلوم كذلك أن تصرف الإمام على الرعية منوط

بالمصلحة المتحققة،فقتل الجاسوس ثابت بالنص ولكن يجوز للإمام تركه إن كان في تركه مصلحة للمسلمين كما حققه العلماء المعتبرون ،هذا فيما يخص مالي و استعانتها بفرنسا.
المهم كانت هذه الحلقة لتكييف موقف الجزائر و أنه من باب التنازل عن واجب السيادة بسبب الإكراه وعدم القدرة،أما الثانية فسأخصصها لمسألة المظاهرة التي يعتمدها الجهاديون في الحكم بالردة على الحكومات و الشعوب فإن مطلب الاستعانة بفرنسا في مالي مطلب قطاع واسع من بسطاء المسلمين الذين تضرروا من هذه التنظيمات و خافوا على بلدهم.و الله المستعان.

بعض الناس (سُممت عقولهم) لا يفرقون بين الدفاع عن الجزائر أو أي بلد آخر وبين الدفاع عن نظامه لأنه لا يرى إلا النظام (؟!)
وتزعجه الحجج فيضع عليها بطاقات التصنيف المفبركة الني صنعها شيوخه لإعلاق عقله (!)

الفرق بين الذاتي و الاضافي
قد تكون الصفات الذاتية للشيء محمودة ولكن الاشكال في صفاته الاضافية المتعدية،ربما تعارض الإرادات كحب الشيب من جهة وبغضه من جهة أخرى.

الخوارج (؟؟؟)
بسم الله الرحمن الرحيم
لا يغرَّنكم الجدال (البيزنطي) في مسألة الإيمان فإن الخوارج عند النبي صلى الله عليه وسلم هم من وصفهم بهذه الصفات، فمن كانت فيه فهو منهم،ومن زاد عليها زاد في ضلاله ليس إلا:
1 ـ الذين: ((يقرؤون القرآن يحسبون أنه لهم وهو عليهم)).
2 ـ الذين: ((يقتلون أهل الإيمان و يدعون أهل الأوثان)).
هل من يقتل الذمي و المعاهد يدخل فيهم (؟)
3 ـ الذين: ((تكون أمتي فرقتين فتخرج من بينهما مارقة يلي قتلهم أولى الطائفتين

بالحق))
و قد أخبر صلى الله عليه و سلم أنَّهم لا يزالون يخرجون إلى زمن الدجال، و الصحابة كانوا يروون الحديث مطلقا.
4 ـ الذين: ((يحقر أحدكم صلاته إلى صلاتهم)) علامة الخوارج التعمق و التنطع في الدين حتى اعتقدوا أنهم أكثر حرصا على الشريعة و العدل من غيرهم،وسبب ضلالهم معارضة السنة بالقرآن.
5 ـ الخوارج يذمون سلفهم ومن ينتحلون اتباعه، فقد قال النبي صلى الله عليه و سلم لأولهم: ((لقد خبت و خسرت إن لم أعدل))، أي: إذا كنت مقرا بأني رسول الله فأنت تزعم أني أظلم فأنت خائب خاسر.
فانظر من كان يتبع بعض كبار العلماء ثم صار يتهمهم بالبدعة و التواطؤ مع الأنظمة.
فقه الحديث متروك لكم.

سطوة المذاهب.

الذي يثير الإعجاب و الاحترام ليس إنصاف الموافق لأنه قد يكون مجانسة يخدم بها نفسه،ولكنه إنصاف المخالف.
و المخالف منه من ينظر لجميع الأمور من زاويته ووفقا لمنهجه وعقيدته ثم يحمل عليها آراء المخالفين له فهو يفكر بمنطقه ويريد أن يلزم به غيره، و الحق في مثل هذه الحالة أن لا يلزم الناس إلا بالمشترك بينهم وبينه يبني عليه استدلاله.
فبعضهم قد حسم اعتقاده في مسألة ونصب العداء لجهة ما فكل كلامه عنها يخضع لعدائه لها فلا إنصاف إلى مع طائفته ونفسه أما الأعداء فلا أمانة في النقل،ولا اعتبار لنظرتهم وأدلتهم،فكل المجملات التي يعرفها يطبقها عليها ولا تفصيل و استفصال إلا لنفسه.
وكل معترض عليه أن يتوخى الصحَّة في دعواه، ويَبنِيها على مقدِّمات صحيحة لا شبهات يستلفها مِن المبتدعة فيفرق بين الدليل الأصلي و بين التعضيد وبين التقرير و الاحتمال وبين التقرير المعلق بشرط و التقرير المطلق ، وبين العبارات وفقا لسياقها كالوجوب بين الوجوب الشرعي وبين الحتم و الاضطرار(؟!)
كما عليه أن يحترز في تقرير أدلَّته مِن الأمثلة المضادة ،فإنَّه متى أُعترض عليه

بمثال مضاد لتقريره سقط استدلاله ، ودلَّ ذلك أنَّه لم يقم استدلاله على استقراء تامٍّ، وأنَّه في بحثه عن دليل يُعضد به مقاله ركب الأسهل، ولم يصبر على الاستقراء وانجرَّ مع الاستقطاب و الاستمالة الَّتي تمارسها علينا قناعتُنا الشخصيَّة، وأفكارنا المركزيَّة المهيمنة على فكرنا.

إلى من نعزو هذا التقصير (؟)

رئيس الوزراء الجزائري باسم الشعب الجزائري وباسم رئيس الجمهورية وباسمه يترحم على الأجانب الموتى وأكثرهم نصارى أو كلهم (؟)

وسبقه الدكتور القرضاوي ـ في حادثة أخرى ـ الذي تدارك نفسه فقال: برحمتهم (هفوة لتصحيح هفوة) (!)

وبعض الدكاترة الأزهريين (امرأة على قناة مصرية) لا يعتبرون النصارى كفرة (؟!)

و الرئيس المصري يفسر آية تفسيرا شاذا فينسب الخشية لله (؟)

وآخر (رجل مسلم محافظ على دينه) قال لي: العام القادم إن شاء الله يأتي الحج في رمضان(!)

وبعض الناس يعتقد أن موسى عليه السلام من الصحابة ، وكذلك الأئمة الأربعة (!)

وذهب أحد إخواني إلى العمرة مع مجموعة من أصدقائه فكان يراهم ينتهون من الطواف بسرعة فسألهم عن ذلك فقالوا له: نعم، نطوف ثلاثة أشواط وننصرف (؟!)

فكيف نتحدث عن إقامة الحجة ،و الجهل بالأبجديات الضروريات الإسلامية عند المسئولين وبعض العلماء ،أما العوام .... (؟)

هل يصل الخطاب الدعوي الناس أم أنه محصور داخل كل طائفة لأنه خطاب باسم الطائفة وليس باسم الإسلام(؟)

موقف شيخ الإسلام أبي عثمان الصابوني من الأشعري:

لما وقعت الفتنة ببغداد بين الحنابلة و الأشاعرة بزعامة القشيري كتب القشيري رقعة أمضى عليها أبو محمد الجويني،و الصابوني.

وهذا نص الرقعة كما نقلها السبكي عن ابن عساكر:

((بسم الله الرحمن الرحيم اتفق أصحاب الحديث أن أبا الحسن على بن إسماعيل الأشعري كان إماما من أئمة أصحاب الحديث ،ومذهبه مذهب أصحاب الحديث تكلم في أصول الديانات على طريقة أهل السنة، ورد على المخالفين من أهل الزيغ والبدعة، وكان على المعتزلة والروافض والمبتدعين من أهل القبلة والخارجين من الملة سيفا مسلولا، ومن طعن فيه أو قدح أو لعنه أو سبه فقد بسط لسان السوء في جميع أهل السنة.

بذلنا خطوطنا طائعين بذلك في هذا الدرج في ذي القعدة سنة ست وثلاثين وأربعمائة، والأمر على هذه الجملة المذكورة في هذا الذكر، وكتبه عبد الكريم بن هوازن القشيري.

وكتب تحته الخبازى، كذلك يعرفه محمد بن على الخبازى، وهذا خطه.

والشيخ أبو محمد الجويني الأمر على هذه الجملة المذكورة فيه، وكتبه عبد الله بن يوسف.

وبخط أبى الفتح الشاشي، وعلى بن أحمد الجويني ،وناصر العمري، وأحمد بن محمد الأيوبي، وأخيه على، وأبى عثمان الصابوني، وابنه أبى نصر بن أبى عثمان، والشريف البكري ،ومحمد بن الحسن، وأبى الحسن الملقاباذي.

وقد حكى خطوطهم ابن عساكر)).

لا شك أن لعن الأشعري خطأ لم يشارك فيه إمام متبوع من أئمة السنة لكن مثل هذا الأمر يبين أنا علاقة أئمة السنة بأئمة الأشاعرة لم تكن كما يعتقده كثير من السلفيين علاقة حرب و عداء مستمر.

علي المسلم المنصف واجبان اتِّجاه المخالف :

بسم الله الرَّحمن الرَّحيم

1 ـ ألاَّ يُقصِّر في تقرير السُّنَّة بالأدلَّة العلميَّة الثابتة باللُّغة العلميَّة الَّتي يفهمها

المخالف، ودرء ما يعارضها من شبهات ، فيقيم الحجَّة عليهم، لأنَّه إن قصَّر في ذلك ظنُّوا أنَّهم على الحقِّ، ورأوا شبههم أدلَّة ،ولم تقم الحجَّة بأدلَّته.
2 ـ أن لا يعتدي عليهم فيما معهم من حقٍّ و صواب بسبب العداوة و الشدَّة، فيكون قد صار فتنة لهم يضلُّون بها، و يبتعدون عن الشَّرع و الهدى، فإنَّ الإنسان بطبعه إذا خالفت الضَّرورة عنده، أو أنكرت ما معه من حقٍّ أنكر ما معك من الحقِّ.
فالتَّقصير في تقرير الحقِّ، و العدوان على حقِّ الغير هما أعظم أسباب الفتنة المضلة للمخالفين، فإن توفرت الشُّروط بعد ذلك وظهرت المصلحة في هجرانهم هجرهم، و إن لم تظهر بل بدت موجبات التأليف، فإنَّ التأليف عند أهل السُّنَّة لم يكن أبدا سببا لترك التحذير من البدعة و الرَّدِّ عليها و بيانها و إظهارها للنَّاس، بل هذا واجب لا يسقط إذ هو المصلحة و المفسدة هي تركه، بينما هجر المبتدع (الحقيقي لا المتوهم) يتوقف على المصلحة و المفسدة، و القدرة وما شابه ذلك.

دور الهوى في تذكية نار الاختلاف

الحمد لله وحده و الصلاة و السلام على من لا نبيّ بعده.
أما بعد ......
يتهم بعض الناس كل من خالفهم بالبدعة، و اتباع الهوى، و عداوة السنة، ومعلوم أن المبتدعة هم أهل الأهواء، فكأنه يشهد لنفسه بالسلامة من الهوى، أو كأنما عنده أمان من الله بان لا يدخل الهوى قلبه.
و الخلاف قد يكون ناشئا عن الهوى المضل، و قد يكون ناشئا عن تحري قصد الاتباع.
و إذا دخل الهوى أدى إلى اتباع المتشابه حرصا على الغلبة و الظهور، و أدى إلى الفرقة و التقاطع و العداوة و البغضاء، للاختلاف الأهواء و عدم اتفاقها.
و معلوم أن الشرع جاء بحسم مادة الهوى بإطلاق، و المبتدع نوعان: من يتبع الهوى على الإطلاق وهو من لم يصدق بالشريعة رأسا، و أما من صدق بها و بلغ فيها مبلغا، بحيث أكثر أقواله موافقة للحق، لا يقال عنه: انه متبع للهوى بإطلاق، فيوصف بالمبتدع و الضال و عدو السنة وغير ذلك.

كما صدر من الأخوة السالمين من اتباع الهوى !.
و إذا كان دخول الهوى في الأعمال و الأقوال خفيا بالاتفاق، ما حجتهم في تنزيه أنفسهم عنه، و اتهام غيرهم به، إلا أن يكون لهم دليل على موافقتهم الحق و مخالفة غيرهم له، وهم أصلا لم يسوقوا في كلامهم دليلا واحدا، و إنما شبهوا ببعض الكلام الذي حشوه الظن الكاذب، و الغرور بالنفس، و الافتنان بها بالطواف حول حجة التقليد وغيرها.
وعندما نجعل الهوى مقدمة في الدليل ـ كما جعلوا تقليدهم لشيخ حجة والتقليد من الهوى ـ، لم ينتج هذا الدليل إلا ما فيه اتباع الهوى و التعصب له، وهذا مخالف للشرع من جهة الإخلاص و من جهة الاتباع.
فمن يسمونهم مبتدعة وأعداء السنة و تمييعين، من جهة ما وافقوا فيه الحق يجب أن يحصل الائتلاف، ومن جهة ما خالفوه ـ حسب فهمهم ـ يجب أن يحصل الاختلاف، و هم إنما يأمرون بالاختلاف في كل حال، وهذا اتباع للهوى، وتمييع للحق، وغير ذلك.
وقد كره الله لنا الفرقة و حذرنا من الاختلاف، ونهانا عنه، ورضي لنا الطاعة و الألفة و الجماعة، وكما قال عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ:"و إن ما تكرهون في الجماعة و الطاعة هو خير مما تستحبون في الفرقة"، فالألفة رحمة و الفرقة عذاب.
قال ابن عبد البر:" كان يقال:لا خير مع الخلاف، ولا شر مع الائتلاف."
ولم يفرط الله في كتابه من شيء، فجعله لنا بيانا لكل شيء و تفصيلا، وقد تقول:هذا كلام عام في الألفة والوفاق، وليس هذا بصحيح .
فإذا اخبر الله في كتابه أنه قدر وكتب الخلاف على عباده، وعرفنا أن الاختلاف مركوز في فطرنا ومطبوع في خلقتنا، ولا يمكن ارتفاعه وزواله إلا بارتفاع هذه الخلقة، وهي لا ترتفع إلا بالموت، وجب ضرورة أن الله أرشدنا إلى الأمر الشرعي الذي ينجينا مما قدر من شر هذا الاختلاف، وبه نتجاوزه، وهو قوله تعالى:{و تعاونوا على البر و التقوى ولا تتعاونوا على الإثم و العدوان}.
وقد قال النبي صلى الله عليه و سلم:"اقرءوا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم، أي: اجتمعت، فإذا اختلفتم أي: في فهم معانيه فقوموا عنه أي: تفرقوا لئلا يتمادى بكم الاختلاف إلى الشر"{فتح الباري101/9}.
وقال النبي صلى الله عليه و سلم ـ أيضا ـ:" و إمام قوم وهم له كارهون"، وقد يكون

المأمومون من أهل الأهواء و الإمام أفضل منهم، و لكن التأليف أولى.
جاء في" كشف القناع"{484/1}:"و إذا كان بين الإمام و المأموم من جنس معاداة أهل الأهواء و المذاهب لم ينفع أن يؤمهم لعدم الائتلاف و المقصود بصلاة الجماعة إنما يتم بالائتلاف".
والعاقل يجتنب مواقع المنازعة، كالمقالات الدقيقة التي لا يفهمها أكثر الناس، وهذه المقالات التي توجب المنازعة و المعارضة و المنافرة لا يثيرها إلا عند الضرورة، وعليه أن يتمسك بالجمل الثابتة و الأصول العامة الموجبة للألفة.
والدين شيئان:الإخلاص و المتابعة، فإن اختلفنا في المتابعة لأسباب كثيرة بعضها سائغ، و بعضها غير سائغ يلحق به الإثم و التضليل، فإن الأسباب السائغة لا يلحق بها التضليل و التأثيم و التفسيق.
ومع ذلك الاختلاف في المتابعة ممكن ومعروف و مشاهد، ولكنه لا يوجب الاختلاف حول الإخلاص لله، الذي لا يعرفه إلا الله، والإخلاص لله في الدعوة إلى الله هو الإخلاص في الدعوة إلى الإسلام و السنة، قال أبو العالية في قوله تعالى: ولا تفرقوا: لا تعادوا عليه، يقول: في الإخلاص لله وكونوا إخوانا{القرطبي32/4}
و السلام عليكم .

تطوير المواقف بالحوار و النقاش لتضييق مساحات الاختلاف.
وتطوير المواقف بالنقاش العلمي الصحيح لا يحتاج إلى عدة وعتاد، و لا إلى جامعات مرموقة و عمائم ملفوفة تضيع معها الحقائق في المجاملات الزائفة، إنه لا يحتاج إلا إلى معايير الحق و الحقيقة: الصدق و الضمير، ثم الاشتغال على الكلمة من حيث جوانبها الأربع:
1- الجانب العاطفي لكل كلمة، وهو مراعاة مشاعر الناس، وعدم جرحها باختيار العبارات الحسنة و الجميلة، امتثالا لقوله تعالى: { وقولوا للناس حسنا}.
قال علي بن أبي طالب - رضي الله عنه :يعنى الناس كلهم.
وعن عطاء قال: للناس كلهم، للمشرك وغير المشرك .
وقال تعالى: (وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسنُ)، و قد استنبط الأئمة من هذه الآيات قاعدة علمية سلوكية هي :ملاطفة الخلق و الصدع بالحق.

2ـ جانب المضمون، و هو مراعاة المعنى الذي نريد إيصاله، و أن يكون لفظا مؤديا لهذا المعنى في أقصى حد، فلا ننزل عبارة أطلقت على كافر في مسلم، أو على بدعة غليظة ننزلها على بدعة خفيفة،فلفظ "بدعة" أو "مبتدع" ينتظم أقساما كثيرة لا تتبعها نفس الأحكام، و إطلاقه بدون مراعاة المضامين هو انحراف عن منهج الشريعة.
فلا نتقيد باللفظ و نضيع المضمون، فالمضمون هو الذي يعبر عن فحوى النصوص الشرعية، ووضوح المغزى يقتضي ضبط المعنى المطلق و المعنى الخاص، و قدر الاشتباه بينهما، و بالتالي تحديد المقصد.
3ـ جانب الترابط، أي ما الذي يربط الكلمة بأختها، و الجملة بالتي تعقبها، هل العلاقة بينهم علاقة منطقية(علاقة علة بمعلول) أم مجرد اشتراك لفظي، السلف قصدوا الجهم بن صفوان و أنا أقصد كل من يخالفني ولو كان سنيا؟!
ترك الاسترسال مع الجمل القوية (التي تحمل عبارات تجريحية شديدة) فهي تسحبه بسهولة، فينقاد لها،فإن من الناس من ينساق مع السهولة اللغوية على حساب المعنى وعلاقته بالحدث أو الحالة.
ومعلوم أن ما يمكن ربطه لغويا لا يعني حتما أنه مربوط في الواقع.
فورود الدليل على شكل صحيح لا يعني أن مواده صحيحة، و كذلك الربط بين النص الشرعي و القاعدة المنهجية و بين فلان من الناس إذا أجازته اللغة، فلا يعني أنه يوجد بينهما ربط في الواقع.
ـ الوجه الرابع أن نجعل في مقدمة الخطاب: القدر المشترك و المتفق عليه بيننا، و نؤخر المميز إلى حين صفاء النفوس، و زوال سوء الفهم، و بناء الثقة بين الطرفين.

لمن أعيش (؟)

الشَّيخ العلاَّمة الجزائريُّ عبد الحميد بن باديس

بسم الله الرَّحمن الرَّحيم
الحمد لله وحده، و الصَّلاة و السَّلام على من لا نبيَّ بعده.
أيُّها الإخوة:

ينبغي لكلِّ قوم جمعهم عمل أن يفهم بعضُهم بعضا، كما ينبغي أن يفهموا العمل الَّذي هم متعاونون عليه ليكونوا في سيرهم على بصيرة من أنفسهم و عملهم ،فقد يجتمع قوم على عمل مع اختلاف منازعهم، وربَّما انتهى بهم الأمر إلى افتراق وعدوان، ولو أنَّهم في أوَّل الأمر تفاهموا لما تخاصموا.

فنحن ـ أيَّها الإخوة ـ الَّذين اجتمعنا على التَّربية و التَّعليم من مُعلِّم ومتعلِّم يجب علينا أن يفهم بعضُنا بعضا ،و المعلِّم هو الَّذي يجب أن يفهمه المتعلِّمون و يفهمهم هو في نفسه لأنَّه هو الَّذي انتصب ليبثَّ فيهم أفكارا و أخلاقا و آدابا ،وهو مؤثِّر عليهم آثارا ما لا محالة،فمن واجب نصحه لهم أن يفهم في نفسه لينظروا في قبول التَّأثُّر به فيستمرون معه،وعدم قبوله فيفارقونه ،و ليكون من قبلوا و استمروا مجتمعين على شيء قد فهموه و اتَّفقوا على البقاء فيه ،و التَّعاون عليه.

وأنا أظنُّ نفسي مفهوما عند من يتَّصلون بي مثلكم، ولو كان ذلك في زمن قليل لأنَّني ما فتئت أعلن عن فكرتي الَّتي أعيش لها، و غايتي الَّتي أسعى إليها في كل مناسبة .

و اليوم ـ وقد كان تباينٌ ما في بعض من يتَّصلون بي ـ رأيت من الواجب أن ألقي عليكم هذا البيان مختصرا في سؤال وجواب ثمَّ أقفي عليه بشيء من الشَّرح و التَّفصيل:

س: لمن أعيش أنا ؟

ج: أعيش للإسلام و الجزائر

فقد يقول قائل: إنَّ هذا ضيق في النَّظر ،وتعصُّب للنَّفس ،وقصور في العمل،وتقصير في النَّفع،فليس الإسلام وحده دينا للبشريَّة ،ولا الجزائر وحدها وطن الإنسان، و لأوطان الإنسانيّةِ كلِّها حقٌّ على كلِّ واحد من أبناء الإنسانيَّة ،ولكلِّ دين من أديانها حقُّه من الاحترام.

فأقول: نعم إنَّ خدمة الإنسانيَّة في جميع شعوبها ، و الحدب عليها في جميع أوطانها،واحترامها في جميع مظاهر تفكيرها و نزعاتها،هو ما نقصده و نرمي إليه،و نعمل على تربيتنا، وتربية من إلينا عليه،ولكن هذه الدَّائرة الإنسانيَّة الواسعة ليس من السَّهل التَّوصُّل إلى خدمتها مباشرة ونفعها دون واسطة، فوجب التَّفكير في الوسائل الموصلة إلى تحقيق هذه الخدمة، و إيصال هذا النَّفع.

ونحن لمَّا نظرنا في الإسلام وجدناه الدِّين الَّذي يحترم الإنسانيَّة في جميع أجناسها

فيقول:{ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَم } [الإسراء].
ويقرِّر التَّساوي و الأخوَّة بين جميع تلك الأجناس، ويبيِّن أنَّهم كانوا أجناسا للتَّمييز لا للتَّفضيل، و أنَّ التَّفاضل بالأعمال الصَّالحة فقط فيقول:{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُم } [الحجرات].
ويدعو الأجناس كلَّها إلى التَّعاطف و التَّراحم بما يجمعها من وحدة الأصل، ووشائج القرابة القريبة و البعيدة فيقول:{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَام} [النساء]. ويقرِّر التَّضامن الإنسانيَّ العامَّ بأنَّ الإحسان إلى واحد إحسان إلى الجميع، و الإساءة إلى واحد إساءة إلى الجميع فيقول: { مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا} [المائدة].
ويعترف بالأديان الأخرى، ويحترمها، ويسلِّم أمر التَّصرُّف فيها لأهلها فيقول:{ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِين } [الكافرون].
ويقرِّر شرائع الأمم ،ويهوِّن عليها شأن الاختلاف، و يدعوها كلَّها إلى التَّسابق في الخيرات فيقول:{ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُون } [المائدة].
و يأمر بالعدل العامِّ مع العدوِّ و الصَّديق فيقول : {وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا } [المائدة].
ويحرِّم الاعتداء تحريما عامًّا على البغيض و الحبيب فيقول:{ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا } [المائدة].
ويأمر بالإحسان العامِّ فيقول :{ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ } [النحل].
ويأمر بحسن التَّخاطب العامِّ فيقول :{ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا} [البقرة]
فلما عرفنا هذا و أكثر، من هذا الإسلام ـ وهو الدِّين الَّذي فطرنا عليه الله بفضله ـ علمنا أنَّه دين الإنسانيَّة الَّذي لا نجاة لها، ولا سعادة إلاَّ به ،وإنَّ خدمتها لا تكون إلاَّ على أصوله ،وأنَّ إيصال النَّفع إليها لا يكون إلاَّ من طريقه،فعاهدنا الله على أن نقف حياتنا على خدمته، و نشر هدايته ،وخدمة كلِّ ما هو سبيله، ومن ناحيته ،فإذا عشت

له فإنِّي أعيش للإنسانيَّة لخيرها و سعادتها ،في جميع أجناسها و أوطانها،وفي جميع مظاهر عاطفتها وتفكيرها وما كنَّا لنكون هكذا إلاَّ بالإسلام الَّذي ندين به، ونعيش له، ونعمل من أجله.
فهذا ـ أيُّها الإخوان ـ معنى قولي (إنَّني أعيش للإسلام)
أمَّا الجزائر فهي وطني الخاصِّ الَّذي تربطني بأهله روابط من الماضي و الحاضر و المستقبل بوجه خاصٍّ، وتفرض عليَّ تلك الروابط لأجله كجزء منه فروضا خاصَّة.
وأنا أشعر بأنَّ كلَّ مقوماتي الشَّخصيَّة مستمدة منه مباشرة ،وكما أنَّني كلَّما أردت أن أعمل عملا وجدتني في حاجة إليه :إلى رجاله، و إلى ماله، وإلى حاله، وإلى آلامه، و إلى آماله،كذلك أجدني إذا عملت قد خدمت بعملي ناحية أو أكثر ممَّا كنت في حاجة إليه .
هكذا هذا الاتِّصال المباشر أجده بيني و بين وطني الخاصِّ في كلِّ حال، وفي جميع الأعمال،و أحسب أنَّ كلَّ ابن وطن يعمل لوطنه لابدَّ أن يجد نفسه مع وطنه الخاصِّ في مثل هذه المباشرة ،وهذا الاتِّصال.
نعم إنَّ لنا وراء هذا الوطن الخاصِّ أوطانا أخرى عزيزة علينا ،هي دائما منَّا على بال ،ونحن فيما نعمل لوطننا الخاصِّ نعتقد أنَّه لابدَّ أن نكون قد خدمناها و أوصلنا إليها النَّفع و الخير من طريق خدمتنا لوطننا الخاصِّ.
وأقرب هذه الأوطان إلينا هو المغرب الأدنى و المغرب الأقصى اللَّذان ما هما و المغرب الأوسط إلاَّ وطن واحد ،لغة و عقيدة و آدابا و أخلاقا وتاريخا ومصلحة، ثمَّ الوطن العربيُّ و الإسلاميُّ، ثمَّ وطن الإنسانيَّة العامِّ.
ولن نستطيع أن نؤدِّي خدمة مثمرة لشيء من هذه كلِّها إلاَّ إذا خدمنا الجزائر.
وما مثلنا في وطننا الخاصِّ ـ وكلِّ ذي وطن خاصٍّ ـ إلاَّ كمثل جماعة ذوي بيوت من قرية واحدة ،فبخدمة كلِّ واحد لبيته تتكون من مجموع البيوت قرية سعيدة راقية ، ومن ضيَّع بيته فهو لما سواها أضيع، و بقدر قيام كلِّ واحد بأمر بيته تترقى القرية و تسعد ،وبقدر إهمال كلِّ واحد لبيته تشقى القرية وتنحطُّ.
فنحن إذا كنَّا نخدم الجزائر فلسنا نخدمها على حساب غيرها، ولا للإضرار بسواها ـ معاذ الله ـ ولكن لننفعها، و ننفع ما اتَّصل بها من أوطان الأقرب فالأقرب.
هذا ـ أيَّها الإخوان ـ هو مرادي بقولي : (إنَّني أعيش للجزائر)

و الآن ـ أيُّها الإخوة ـ وقد فهمتموني وعرفتم سمو فكرة العيش للإسلام و الجزائر، فهل تعيشون مثلي للإسلام و الجزائر ؟
نعم نعم بصوت واحد.
فلنقل كلُّنا : ليحي الإسلام، و لتحي الجزائر.
قلتُ: أن تكون مسلمًا فتلك رحمةٌ، ويا لها من رحمة.
أن تفهم أنَّ الإسلام حقٌّ ورحمة فتلك رحمة أخرى.
أن تعيش للحقّ بالرَّحمة فهذه ـ في الدُّنيا ـ سرُّ الحقِّ وغاية الرَّحمة.
أرزيو/ الجزائر،في04فبراير2013م
مختار الأخضر طيباوي

عندما يختار بعض الدعاة الانفصال عن دورهم وولايتهم على الأمة بما فيها ،و الانضمام إلى السقاء ،و الطيان، و ضراب اللبن، و التاجر، و الفلاح، كما وازن الجاحظ بين الكُتاب و بين أصحاب الحرف يصبحون أسوأ منهم ، قال : ((يتنافسون كالكلاب يمر بها أصناف الناس فلا يتحركون ،وإن مر بهم كلب منهم نهضوا إليه بأجمعهم حتى يقتتلوا في حين انك لو نظرت للقصابين في سوقهم لوجدت احدهم إن أعلن حاجته إلى المال سارع الآخرون لعونه و جعلوا ربح يوم من كسبهم فأين هؤلاء من أولئك)) (الجاحظ و الحضارة العباسية) لوديعة طه نجم.

إصلاح العقليَّة :
لنفهم حقيقة الدَّعوة السَّلفيَّة التَّجديديَّة الإصلاحيَّة عند ابن باديس، و أنَّها مميَّزة، ـ في بعض جوانبها ـ أنَّه أقامها على ثلاثة أمور جوهريَّة :
1 ـ إصلاح عقليَّة الجزائريِّين، فكان يُدرِّس في الجامع الأخضر (مقدِّمة ابن خلدون)،ومن يعرف القيمة العلميَّة لهذا الكتاب، وما احتواه من تاريخ التَّشريع، و تاريخ العلوم، وأسباب انهيار الكيان السِّياسيِّ ثمَّ الحضاريِّ للأمَّة يعرف أنَّه أسهل طريق لإصلاح العقليَّة ، وتزويدها بوسائل تجاوز التَّقليد، و القذف بها داخل العصر الحديث،فلا جدوى من أيِّ إصلاح لا يبدأ بإصلاح العقليَّة العلميَّة ،وتزويدها بآليات البحث و الاستقراء و الفهم و الموضوعيَّة العلميَّة، ويبعث فيها الرُّوح العلميَّة، ويخمد

داخلها روح التَّعصُّب و الانتماء المذهبيِّ المسيطرة على المسلمين.
وقد يقال: إنَّ إصلاح العقيدة يقود ـ حتما ـ لإصلاح العقليَّة (؟)
فنقول: نعم؛إن كان النَّاس يفهمون اللُّغة العربيَّة كما كان يفهمها الصَّحابة،وإلاَّ فإنَّنا نرى من عقيدته صالحة وعقليَّته فاسدة،فإمَّا جاءه الفساد العقليُّ من جهة أنَّه مقلِّد في العقيدة،أو شبه فاهم،أو بسبب التَّعقيدات الَّتي دخلت العلوم الإسلاميَّة فصار صعبا إصلاح العقليَّة إلاَّ بنوع علم دقيق يشرح أسباب الانهيار كما تفعله "المقدِّمة"،ويخلِّص العقليَّة من الأوهام
قال المفكِّر الإسلاميُّ مالك بن نبي ـ رحمه الله ـ في محاضرة ألقاها في الملتقى الرَّابع للتَّعرُّف على الفكر الإسلاميِّ بقسنطينة بتاريخ:10/19 أوت 1970 8/7 جمادى الثانية 1390 عن (مقدِّمة ابن خلدون): ((ومنذ قرون أراد عملاق من عمالقة الفكر الإسلاميِّ أن يُطلق في الضَّمير الإسلاميّ و الوعي الإسلاميِّ صرخة خطر، أن يطلق أبواق النَّذير و النَّفير، وهو ابن خلدون.
ورأى بوجه خاصٍّ التَّدهور الاجتماعيَّ، و الأشياء الَّتي تنذر بأنَّ الخطر ليس بخطر يُهدِّد الكيان السِّياسيَّ، ولكن يهدِّد الكيان الاجتماعيَّ الكيان الحضاريَّ نفسه)).
فكان المقصود من إصلاح عقليَّة الجزائريِّين :العمل على تثبيت الوسائل العقليَّة الصَّحيحة لبناء عقليَّة الدُّعاة و المصلحين من خلال انضباط منهجي يقوم على الاعتماد القويِّ على النُّصوص بعقليَّة متجرِّدة عن التَّعصُّب، تُفكِّر في معالجة أسباب التَّخلُّف، مع تبصُّر في الأحداث، و التفات مستمر إلى الواقع الاجتماعيِّ، متشبِّعة بالقرآن، عفيفة اللِّسان،بعيدة عن أساليب الجدل و التَّهريج، و الإسراف في القول.
يقول الشَّيخ الإمام في(التَّفسير)(43/1): ((العقل ميزة الإنسان، وأداة علمه- العلم هو وحده الإمام المتَّبع في الحياة، في الأقوال والأفعال والاعتقادات)).
من مقالي"مشارب السلفيَّة الجزائرية واطوارها التَّاريخيَّة"

السفسطة و القرمطة في في العلم.
أصحاب السفسطة هم من يجعل الحقائق تابعة للعقائد، وليس للأدلَّة، فالعلاقة عندهم بين الحقِّ و الحقيقة و الكلام هي القدرة على الجدال بأي شيء ولو بتغيير مسار الكلام و باللعب بالألفاظ لإفحام الخصوم، وهذا خداع و تمويه للحقيقة يمارسه كثير من

المنتسبين للدين و للسلفية،فعندما يلزمهم الناس بقول لا يردون عليه بل ينتقلون إلى شيء آخر.
فالرد عندهم ـ غالبا ما يكون ـ متموجا متذبذبا ليس القصد منه إدراك الحقيقة و تعظيم العلم و المعرفة ،ومن هنا كان الكلام عندهم كما عند أصحاب السفسطة أداة إقناع تحمل على الاعتقاد و الظن دون أن يعير اهتماما للحق و الباطل،فعندما يغيرون اتجاه الكلام مع أتباعهم عن خصومهم فهذا تحويل للعلم و قصد الحق إلى موضوع كلام لا يوجد فيه مكان لتمييز الدليل الصحيح من الفاسد و للدليل من المدلول بل تضمحل الحقيقة العلمية في التشقيقات الكلامية و المواضيع الفرعية الأجنبية عن محل النزاع.
وهكذا يمارسون سلطة على عقول أتباعهم من خلال شحنهم بأكاذيب تغمر جانبهم العاطفي ببغض خصمهم و الحنق عليه فيؤثر ذلك على حكمهم و تمييزهم بين الأقوال ، فالإقصاء ليس سببه العلم و الحجة ولكن العاطفة البغض و الكراهية لأنهم يصورون خصمهم مبغضا للسنة عدوا لها محبا للمبتدعة و البدعة،أو مرجئا أو غير ذلك من كلمات التنفير التي تدل على ضعف العقول.
وعليه، فالردود عندهم :تشتيت المسائل بتسليط جهالهم في المنتديات مجرد تقنية يمكن أن تنتج الرأي الصحيح أو الرأي الخاطئ لا يهمهم ذلك المهم الرد على الخصم أما الكيفية فلا عبرة بها فمن يقدر على الرد و تسطير أسود على أبيض ولو كان كذبا ويكثر الكلام الفارغ هو من يمتلك السلطة على الأتباع لأنه يمتلك لغة التضليل و بلاغة التمويه و الكذب وصنع الحقائق الزائفة من خلال الترديد و التكرار سفسطة محضة وقرمطة في الأدلة قحة.
فالمنتهض منهم للرد على المخالف صاحب الحجة ليس مطالبا في عرفهم بتقديم المعنى و العلة و الدليل بل بالطواف و المراوغة حولهم هو فن تلبيس الأغلوطات شكل دليل يجعل أسوأ الكلام و أقبحه يبدو لأنه زين في البداية بكلام مشترك عن ذم البدعة ووجوب الرد على المبتدعة وبعض الآيات و الأحاديث والنقول عن العلماء كأنه أحسن الكلام و أعظم الأدلة.
إنما يسفسطون و قصدهم المغالطة وصرف نظر أتباعهم عن جوهر القضية ولب النزاع فمنهجهم الملتوي هذا لا يعتمد على استخراج العلة و البرهان بل يقوم كلية على الإقناع و التضليل بالتمويه و المغالطة .(من مقالي " الانتعاش"

مشارِبُ السَّلفيَّة الجزائريَّة وأطوارها التَّاريخيَّة

بسم الله الرَّحمن الرَّحيم
الحمد لله وحده، والصَّلاة و السَّلام على من لا نبيَّ بعده.
أمَّا بعد، فيجب أن أقول بدايةً ـ ولنتَّفق على هذا لأنَّه المفتاح لفهم هذا المقال ـ أنَّه لا توجد سلفيَّات، سلفيَّة مصريَّة، وسلفيَّة سعوديَّة، وسلفيَّة شاميَّة، وسلفيَّة جزائريَّة، بل هي سلفيَّة واحدة، لأنَّه دين واحد، ومنهج واحد.
ولكن لكلِّ شعب خصائصه ومميِّزاته ومشاكله، فلا يجب أن نغلق الأبواب و النَّوافذ كما يقترح بعضُنا ممَّن يتحدَّث عن "المرجعيَّة الجزائريَّة" ،و "السَّلفيَّة الوطنيَّة"، كما يفعل السيِّد وزير الشُّؤون الدِّينيَّة و الأوقاف.
ولا أن نفتح الأبواب و النَّوافذ وحتَّى ننزع السَّقف كما يقترح بعض إخواننا السَّلفيِّين عندما يدخلوننا في معارك وهميَّة طائرة في الهواء تتعلَّق ببعض البلاد الأخرى .
ذلك أنَّ آثار الاستعمار لم تمس المثقَّف بالفرنسيَّة فقط بل مسَّت كلَّ الجزائريِّين حتَّى أهل الدِّين منهم ،وأعمق من ذلك مسَّت ذاكرة الشَّعب وعمقه الحضاريِّ ،ففي بلد حُوِّل تسع أعشار مساجده إلى ثكنات و إصطبلات، وسُلِّطت عليه كلُّ أنواع الطَّمس و التَجريف للهويَّة و اللُّغة و التَّاريخ لا يمكن لأيِّ سلفيٍّ لا يكون مُنتميًا لهذا الوطن، ناشئًا فيه، دارسًا لتاريخه الدِّينيِّ و الحضاريِّ دراسةً واعية أن يدرك حجم المأساة الَّتي تُفجِّر في كيانه في الوقت نفسه روعةَ هذا الشَّعب، وعمق جذوره الضَّاربة في الإسلام، والَّتي أحسن التَّعبير عنها الشَّيخ العلاَّمة أحمد حماني ـ رحمه الله ـ عندما قال : ((الإسلام فينا عريقٌ، ونحن عريقون في الإسلام))
والَّتي دفعت بشاعر الجزائر الكبير "مفدي زكريا" إلى غلوٍّ لفظي مقيَّد، فقال:
ولولا العقيدة تغمر قلبي *** لما كنت أومن إلاَّ بشعبي
لقد كانت الجزائر تزخر بالمعاهد، و الجامعات العلميَّة، زاهرة بعمرانها، في غاية الأناقة و الجمال ،فُتن المؤرِّخون و الرَّحَّالة،و الأدباء، و الشُّعراء بها، فعندما تقرأ ما ذكره عنها ابن خلدون ،و العبدريُّ، وابن رشيق،وابن خميس، والمُقريُّ، والشَّيخ أحمد بن عمَّار المستغانميُّ الأصل الجزائريُّ الدَّار ،وحتَّى الانجليز و الأسبان كتبوا عنها

قبل الاحتلال ،ووصفوها منبهرين بها.
عندما تبحث عن أثره الآن لا تجد إلاَّ القليل منه، لأنَّ المدَّ الإسباني على كبريات المدن السَّاحليَّة، ثمَّ الفرنسيَّ لم يترك منها شيئًا قائما حتَّى أسوار المدن، و جدران المعاهد ، حتَّى المواقع الأثريَّة، و الأطلال اختفت ،اجتثُّوها من الأرض لمحو الهويَّة، واغتيال الذَّاكرة.
وعندما أنظر إلى صورة قديمة لسور مدينتنا الجميل جدًّا،و الَّذي لم يعد له وجود الآن أقول: لمَ تركوا أسوار مدنهم قائمة حتَّى الآن، وحطَّموا أسوار مدننا، ومساجدنا ،ومعاهدنا، وكلَّ ما يدلُّ على عمقنا الحضاريِّ، وقوَّتنا الَّتي طالما شهدوا بها (؟)
يشهد بعضُهم ـ الحاكم الفرنسيُّ بيشون ـ بما فعلوه فيقول :
((وللحقِّ: الخراب فيها حتَّى خشب السُّقوف، وكذلك أشجار الحدائق، والزَّيتون، و البرتقال و التِّين فانَّ معظمها تلهبه نيران المطابخ)).
((إنَّه لمنظر محزن هذا الَّذي نشاهده.... وأنَّ هذه الدُّور الَّتي نشاهد آثارها الدَّالَّة على أنَّها كانت جميلة جدًّا كثيرة ... أنَّ مساكن بئر مراد رايس، وبئر خادم وغيرها من مساكن الفنِّ كلُّها لحقها الخراب)).
ويقول الجنرال لا موريسيير : ((البلد الَّذي نقيم فيه لذيذ؛ الهواء فيه ممزوجٌ بعطرِ الياسمين و إبرة الرَّاعي و الورد.
أمَّا الدَّار التي أنزل فيها فلا تبعدُ عن البحر إلاَّ بمئتين خطوة، إنَّها مكان استجمام آخر داي، في كلِّ مكان أحواضُ الرُّخام، و نفورات الماء، و الينابيع الحيَّة.
هنا، وسط روائع الفنِّ و الطَّبيعة يقيم جهازي العسكريُّ ، حيث صباحا ومساءً أتناول قهوتي، و أدخِّن غليوني الطَّويل)).
يقول الكاتب الفيلسوف "جول فيري" بعد عودته إلى باريس من لجنة تفتيش أرسلتها فرنسا إلى الجزائر: ((إنَّهم لم يقبلوا حقوقنا السِّياسيَّة، ولا تعليمَنا، ولا خدمتَنا العسكريَّة، إنهَّم يطلبون المحافظة على أحوالهم الشَّخصيَّة ،و تعاليم القرآن غير ناقصة)).
((إنَّ هذه المراكز "المساجد و الزوايا" لا تُرجى من تعليمها أيَّة فائدة، بل رأت تلك السُّلطات أنَّها مراكز تنبثق من تعاليمها العداوةُ و الكراهية لفرنسا، ولهذا حطَّمتها الواحدة بعد الأخرى)).

إنَّ هذا الطَّمس و المسخ الَّذي مارسه علينا الاستخرابُ سبقه طمسٌ ومسخٌ مارسناه على أنفسِنا حينما انهار المجتمع في الخرافات والبدع الَّتي لا تُعقل ، فمن يقرأ مقامات الأدباء الجزائريِّين باللُّغة المهلهلة الجامعة بين الفصحى و الدَّارجة، وكتابات بعض علماء هذا البلد ـ الَّتي سترى بعضًا منها في هذا المقال ـ يُدرك أنَّنا سهَّلنا عليهم المهمَّة، فزادوا من انحدارنا في هذه الحفرة .

وهذه حال عمَّت ربوع الوطن الإسلاميِّ فمن يقرأ (رحلة الورتلاني) وقد أرَّخت لشرق ووسط الجزائر,و(رحلة العيَّاشيِّ)،و(رحلة أبي رأس النَّاصريِّ) لا يصدِّق أنَّنا نزلنا إلى تلك الهاوية:غياب سلطة مركزيَّة إلاَّ داخل المدن الكبرى،قبائل تقاتل بعضها بعضًا،سُفول في الأخلاق،غياب الأمن ،شرك لا نظير ،وعقليَّة دجليَّة خرافيَّة إلى أقصى حدٍّ.

يصف هذه الحال الَّتي صار إليها البلد في فترة الاستعمار بما يدهش ويحزن من هول المصاب الشَّيخ المناظرُ البارع ،و الخطيب المنصف، والمجاهد الصَّادع بالحقِّ: عبد الحليم بن سماية ـ رحمه الله ـ كما نقله عنه تلميذه الشَّيخ عبد الرَّحمن الجيلالي في كتابه الأصيل (تاريخ الجزائر الحديث):

((....وبعد فإنَّ الجزائر بلدة ـ يقصد العاصمة ـ كانت يشار إليها بالبنان ،في العلم و الهناء، ومصادر الخيرات و الجودة والإحسان ،مصونة ممَّا هو نصب الأعين من التَّجاهر بالفساد ،وممَّا هو شائع وذائع ـ يقصد في بعض المناطق ـ من مراءي الزِّنا، و السُّكر، وكلِّ ما يقذي العين، ويشجي الفؤاد، مشكومة أهلها بشكيمة الدِّين، ولجام العفَّة، ومكارم الأخلاق و الحياء،عن التَّلَفُّظ بألفاظ الفحش فضلا عن التَّجاهر به في الخلاء و الملاء إلى أن قضى الله بهتك سترها فأفضت إلى ما هو مشاهد من أمرها ،بعوامل قاطعة لأزمة الدِّين،و الحسنة لاطة فيه بالقذف و التَّقبيح و التَّشبين، إلى أن انقلب ظهرُ المجنِّ ،وسُدَّت أبواب الأرزاق ،وضاق بالخلق النِّطاق محنة دخلت على المسلمين من إهمالهم وصية سيِّد المرسلين (من حسن إسلام المرء تركه ما لايعنيه)فعوضًا عن العمل بها اشتغل كلُّ فرد إلاَّ القليل بما لا ينفعه ولا يغنيه...الخ)).

فمن يعرف عمق المأساة ،وغور الجرح لا بدَّ أن يتأثَّر، و يمرض، و يشتدَّ انفعاله ممَّا يراه من حال قومه، وما آلت إليه شخصيَّتُهم و ثقافتهم ووضعيَّتهم،فإن كان عاقلا فَقَدَ عقلَه.

ومن أكثر أضرار الاستعمار أثره على المثقَّف الجزائريِّ المتديِّن و المتغرِّب على حدٍّ سواء أنَّه انفصل عن شعبه وتراثه الَّذي تركه في وادي الإهمال و النِّسيان من أجل الثَّقافة الحديثة بنوعيها المستوردة الَّتي تعالج مشاكل شعوب أخرى، لأنَّها ثقافة جاهزة يستطيع استغلالها بسهولة، أمَّا تراثه و تاريخه فيتطلَّب جهدا جديدا.

فصار السَّلفيُّ ـ بعضُهم ـ الَّذي يجهل سلفيَّة بلده ومشاربها وتاريخها وظروفها كالَّذي يعرف قواعد اللُّغة لا اللُّغة،أو كما يقول ابن خلدون: ((يعرف النَّحو، ولكنَّه لا يعرف ماذا يصنع بالنَّحو، كمن يُعلِّمك قواعد النِّجارة و الخياطة، ولكنَّه لا يعرف شيئا من الخياطة و النِّجارة نفسها)).

فأدخل شعبَه ــ بعوامِّه وخواصِّه ،بشيوخه و أطفاله ــ في معارك مستوردة محدثة لا شأن للجزائريِّ بها ،فأدخلهم في معارك الشُّيوخ السَّلفيِّين فيما بينهم في قضايا علميَّة خاصَّة ممَّا لا يحتاجون إليه، وليس من أولويَّاتهم فأضرَّ بسلفيَّته ،وفتنها، وشتَّت جهدها لأنَّه ما الطَّائل من هذه المعارك إلاَّ منع عموم النَّاس من الاستفادة من هؤلاء المشايخ، فلو ترك هذه المعارك على مستوى طلبة العلم و العلماء ،ولم يوظِّفها لحساب ولايات أخرى خارج بلده لكان فاهمًا لمعنى السَّلفيَّة و التَّجديد و الإصلاح، فما المانع من أن يستفيد الشَّاب الجزائريُّ ممَّا هو من الدِّين العامِّ و المشترك الَّذي لا علاقة به بالقضايا المتنازع حولها.

إنَّ مشايخ السَّلفية في الجزائر المتناحرين على ما ليس جوهريًا في السَّلفيَّة، كلُّ واحد منهما يغرس في نفوس الشَّباب النَّاشئ اتِّجاهات متضادَّة لا يقدر على هضمها، مثقلة بالاصطلاحات كالطَّلاسم بالنِّسبة للعوامِّ، فيقحمهم هذا الصِّراع في أزمة ضمير، وهم لا يملكون وسائل الفحص و المقارنة، فإمَّا يكفرون بالجميع للتَّناقض و التَّضارب كما حصل للكثير فيصبحون أشباحا لا حياة فيها، و إمَّا ينساقون وراء الرَّأي البسيط و يستسهلون السَّطحيَّة .

لقد خرج الجزائريُّون من الاستعمار "كالأيتام يقتلعون أشواك الأمِّيَّة و الجهل عن أنفسهم بأظافرهم العاريَّة، فمن وجد منهم أمامه العربيَّة المتجمِّدة [بثقافة أهلها وعصور الانحطاط] طريقا للثَّقافة أخذ بها بما فيها من رواسب الانحطاط [المتمثِّلة في التَّقليد و التَّعصُّب و الخرافات] ،ومن وجد السَّبيل مهيَّأة بالفرنسيَّة لم يأخذ باللُّغة وحدها ،بل أخذ معها مفاهيمها الحياتيَّة وقوالبها الذِّهنيَّة ، وطمح إلى المستوى

الحضاريِّ الَّذي لأبنائها ، وكلُّ لغة نمت بمعزل عن الأخرى ، فصار المجتمع الجزائريُّ كتلاً منعزلة" كما يقوله الدكتور "مصطفى الأشرف".
فهذا الموروث عن الاستعمار الاستخرابي حتَّى قال ابن باديس عن هذين النَّوعين : ((طائفة تقتصر على أخذ علوم الدِّين و اللِّسان ،و أخرى تدرس العلوم الطَّبيعيَّة وغيرها باللِّسان الأجنبيِّ "فهؤلاء يعتبرون الآخرين أحجارا ..وأولئك يعتبرون هؤلاء كفَّارا")).
وإذا كنَّا بصدد الحديث عن السَّلفيَّة و السَّلفيِّ، أي: عن أهل الدِّين ،فيجب أن يكون خطابنا موجَّها بالدَّرجة الأولى إلى هؤلاء ، ففي ظنِّي مسؤوليَّة الوضع الدِّينيِّ و الاجتماعيِّ و الثَّقافيِّ للجزائر تقع على كاهلهم ،ومشاكل المتغرِّبين ثقافيًّا هي من مسؤوليَّة المتديِّنين لأنَّه عندما يكتفون بما تيسر من أسباب الحياة الفكريَّة و العلميَّة يَفصِلون أنفسهم عن الثَّقافة الحديثة، فيُفصلون عن المعارك الفكريَّة الحديثة، و يُغيَّبون عنها إلاَّ كبيادق فيها،لأنَّ دعاة اليوم يجب أن يتسلَّحوا بوسائل اليوم.
إنَّ مسؤوليَّة اكتشاف الذَّات الثَّقافيَّة الدِّينيَّة الحضاريَّة الجزائريَّة على حقيقتها مسؤوليَّة السَّلفيِّ بالدَّرجة الأولى، فحياة شعبِنا اليوميَّة و الحضاريَّة، و تقاليده وعاداته، ومعاركه كشعب سُنِّيٍّ أثريٍّ بامتياز مع الشِّيعة و الخوارج و الاعتزال و التَّنصير، وخصوصًا مع البدع و التَّصوُّف البدعيِّ كما لم يشهدها بلد مسلم آخر إلاَّ نادرا ظلَّت أحداثا تاريخيَّة جامدة في حدود ما سجَّل التَّاريخ حتَّى ظنَّ وزير الشُّؤون الدِّينيَّة ،و بعض الشَّخصيَّات الثَّقافيَّة أنَّ محاربة الشِّرك و البدع ،و الدَّعوة إلى الكتاب و السُّنَّة بدعةٌ سلفيَّة استوردتها السَّلفيَّة الجزائريَّة من الخارج(؟!)
فشعر شبابُنا بالاستخفاف قابلوا به تراثنا الحضاريَّ، وشعروا أنَّ تاريخنا نفسه فارغ من التَّجارب الإصلاحيَّة الرَّائدة و القيِّم العاليَّة،وأنَّ السَّلفيَّة دخلت الجزائر في السَّبعينيَّات،فحتَّى أولئك الَّذين يزعمون أنَّ مرجعيَّتهم السَّلفيَّة ـ أهمُّها وليس كلُّها ـ هي الجيل المميَّز لجمعيَّة العلماء المسلمين كابن باديس، و الإبراهيمي، و العُقبي، و التِّبسي، و المِيلي،وغيرهم كانوا متناقضين في أشدِّ التَّناقض، إذ لم نر إلاَّ قليلا منهم يشرح كتب هؤلاء، و يُدرِّسها للنَّاشئة بل أجزم أنَّ بعضهم لم يفهم سلفيَّة ابن باديس ،ولا مميِّزاتها الخاصَّة كما سنبحثه في هذا المقال.
وممَّا يحز في النُّفوس أنَّ بعض شيوخ السَّلفيَّة بسبب غياب العمق التَّاريخيِّ،والدراية

بمشارب سلفيَّة ابن باديس لا يتفاعلون مع مجتمعهم بطريقة ايجابيَّة فيعبِّرون عن تديُّنه ومشاكله الثَّقافيَّة من الخارج "بخطاب خارجي"، الأمر الَّذي يجعل مواعظهم ومقالاتهم تبدو كأنَّها كُتبت من طرف أجانب.
يجب أن نحتاط من البداية لأنَّ بعض الأمراض إذا بدأت استفحلت ،وإذا استفحلت صعُب علاجها،أو استحال، فيجب أن نعرف أنَّ أصل الدَّاء كامنٌ في غياب وعينا التَّاريخيّ، وانَّه حان الوقتُ لنستأصِله من طباعنا مهما كلَّف الأمر، فلقد ترك الاستعمارُ وراءه سمومًا حاول ويحاول أن يجتثَّ بها عناصر شخصيَّتنا ،ويمسخ هُويَّتنا بتشوُّهات نحسبها من صميمنا وهي من صُنعه ، فترك لنا عقولا ممسوخة تعتبر اللُّغة العربيَّة صالحةً للمساجد فقط كما هي اللاتينية للكنائس، رسبت في أعماقهم بذورُ الاستعمار،وقد تجدهم متديّنون بالعادة ،وهؤلاء مسؤوليَّتنا أن نوصل إليهم معنى الإسلام الصَّحيح، ونعرِّفهم بحقيقة الهويَّة الجزائريَّة، وأهمِّيَّة اللُّغة العربيَّة في بناء الشَّخصيَّة الجزائريَّة، ولكن باللُّغة العلميَّة الَّتي يفهمونها.
لا نشكُّ إطلاقا في الدَّور الايجابيِّ العظيم للسَّلفيَّة الجزائريَّة الحديثة، ولكن الأحداث الجارية والتَّغيُّرات المتتالية على الأمَّة و الأوطان تحتِّم علينا الانتقال بكفاءة إلى مستوى أعلى من الأداء الدَّعويِّ، وإلى التَّجاوب السَّريع معها، فكلُّ من لا يتقدَّم نحو الكمال، فهو يتأخَّر نحو النَّقص.
لكن مع السَّيطرة الكاملة على المواضيع، و الضَّبط الدَّقيق لها بسبب تعدُّد المعارف وتوسُّعها الثَّقافيِّ في مختلف العلوم، و إتقان الحدود الموجودة بينها، والتَّمسُّك بالنَّقد و النِّقاش الاستدلاليِّ الهادئ معهم، و تتبُّع العبارات و الأفكار بأمانة، ولا نتعرَّض للأشخاص، و لا نشنِّع عليهم ،ولا نعرِّض بأهل العلم،مجتنبين الجدل لأنَّنا نقصد الحقيقة بذاتها ،ولا نقصد الانتصار لمذهب بالتَّعصُّب وتبريراته.
لسنا في حاجة إلى البحث عن سلفيَّة جديدة نسمِّيها "السَّلفيَّة الوطنيَّة"، ولكنَّنا بحاجة إلى معرفة سلفيَّتنا،وهي لا تختلف عن بقيَّة السَّلفيَّات في شيء إلاَّ أنَّها كانت بأيدٍ وعقول جزائريَّة و الإيمان بأصالتها ،و إلى الإخلاص لها .
هناك جوانب خفية في تاريخ السَّلفيَّة الجزائريَّة تتعلَّق بمختلف مشاربها، إذ يعتقد كثير من النَّاس (طلبة العلم)أنَّ أصلها يعود إلى ابن باديس أصالة، وغفلوا عن مؤثِّرات أقدم من مرحلة ابن باديس وجمعيَّة العلماء.

كما لا يعرفون بدقَّة المشارب السَّلفيَّة للشَّيخ ابن باديس ، و أنَّها كانت مختلفة، و ذات أوجه متعدِّدة، لكنَّها تصبُّ كلُّها في :ردُّ الدِّين إلى الكتاب و السُّنَّة، ونبذ البدع، و محاربة التَّقليد.
وهل أخذ هذه المشارب من رحلته إلى الحجاز للحجِّ، أم هناك روافد أخرى استفاد منها في صياغة السَّلفيَّة الجزائريَّة الحديثة منها ما هو أقدم من ابن باديس بكثير،ومنها ما سبق مرحلته ورحلته إلى الحجاز و لقاءه بالشَّيخ الإبراهيميِّ في المدينة المنوَّرة.

مخاطر الفيسبوك على العقل و المنهج و الفهم

هذا الفيسبوك الذي اخترع في ثقافة غربية لها متطلبات مادية تجاوزت حدود حاجة الإنسان السوي، وقائمة على مبادئ ونفسيات وأخلاق غربية بدأ يؤثر على عقلية الشباب المسلم ونفسيتهم ومنهجهم، فبينما عُمل للتواصل الاجتماعي، وهو لا يتجاوز في العرف الغربي قضايا العشق و الحب و الزواج وما يرتبط بها حوَّله المسلمون و الجماعات الإسلامية إلى منبر للدعوة لكنهم لم يخرجوا عن آلياته المتمثلة في الايجاز الشديد و الاختصار فصار العلم كالسياسة القصد إثارة الإعجاب و استغفال العقول تقوم على الجمل القصيرة التي تختار بعناية فحولوا العلم الشرعي و قضايا الأمة المعقدة التي تحرر الخلاف فيها المجلدات إلى تغريدات فلا عجب أن نرى انتكاسة في الدعوة وفي المستوى العلمي و انحطاطا في الأخلاق.
و النصيحة لإخواني أن يجتنبوا الكلام في قضايا الشرعية بالطريقة الفيسبوكية و التويترية فهي لا تصلح إلا للكلام المرسل و الجمل المطلقة من باب التنبيهات فقط أما قضايا العقيدة و الأحكام فإن هذه الطريقة مفسدة لها ولعقولكم ذلك أننا في مرحلة تحقيق التراث العلمي الإسلامي بكل روافده وهي عملية تطلب مستوى من التحليل و البسط و من التجرد العقلي و النفسي و الثبات عليه تتنافى وهذه الطرق العلمية الجديدة(الفيسبوكية) المتمثلة في الرجوع إلى الكتب و استجزاء جملة أو فقرة قصيرة وإنزالها مهدرا مهملا السياق و الأدلة المضادة وفوائد البسط و التحليل التي يتطلبها تحقيق التراث لتنقيته من النعرات و شوائب المذهبية و التقليد و المستجدات التي تليق بكل زمان ولا تصلح لعصرنا.
وربما العمل بهذا المنهج هو الأجدى لكم معاشر طلبة العلم :

((لما كان الشارع نصوصه كلمات جوامع، وقضايا كلية ،وقواعد عامة، يمتنع أن ينص على كل فرد من جزئيات العالم إلى يوم القيامة، فلابد من الاجتهاد في المعينات،هل تدخل في كلماته الجامعة أم لا؟)){ المنهاج140/7}

كل قضية حق في غير آوانها فهي باطل ،فالواجب لا يجوز تاخيره عن وقته كما لا جوز تقديمه على وقته.

هذا ما لم يفهمه كثير من الناس ولذلك لم نشهد في هذه الأيام ولن نشاهد في القادمة إلا الحرائق و الدخان التي بدأت تلف المشروع الإسلامي المقصود استنفاد طاقته و إفراغه من مضمونه وتجريده من قوته بأيد أهله.

مسألة للنقاش العلمي الهادىء:

قال الأستاذ سعيد فودة ـ نقله أحد الفضلاء من الأردن ـ منتقدا العقيدة السلفية:

((يزعم البعض أن مقولة (أن الله لا داخل العالم ولا خارجه) هي تقابل أضداد وأن الضدين إذا لم يكن ثمة واسطة بينهما يستحيل رفعهما معاً، وتارة يزعمون أنهما نقائض!!

فنقول: إن الداخل والخارج إذا كانا من باب المتضادين، فيجوز رفعهما عن غير القابل لهما، وأما القابل لأحدهما، فقابِلٌ للآخر، فلا يجوز عروه عنهما معاً، ولكن مقام الكلام في الوجود الإلهي، فنحن نقول: إن وجود الله تعالى لا يصح أن يوصف بالدخول في العالم ولا بالخروج عنه؛ لأن شرط الدخول والخروج -وهو الحدُّ والتحيز- غير متحقق له جل شأنه، ولو كان وجودُه وجود متحيزات كالأجسام، لكان إمَّا داخل العالم أو خارجه، ولكنَّا لما نفينا ذلك عنه، استلزم ذلك انتفاء الاثنين معاً، وليست المسألة عصية إلا على أفهام المجسمة.

نقول للمخالفين: إن الداخل والخارج من باب المتضايفين، فلا يعقل الداخل إلا بتعقل الخارج، فبينهما نسبة إضافية، ولذلك لا ينفك أحدهما عن الآخر في الذهن، كما في الخارج، فكلُّ ما كان في الخارج يمكن أن يجوز عليه الكون في الداخل، وما ذلك إلا لأنه إذا صح عليه أحدهما، فقد اتصف بالمصحح لمقابله، فجاز عليه أيضاً.

ولذلك فإنه لو قيل: إن الله تعالى خارج العالم، لجاز عليه قطعاً لذاته أن يكون داخل

العالم، ولجاز عليه أن يكون محاطاً بخلقه، وكيف يُفْحِمون إذن النصارى الذين قالوا بالحلول والاتحاد، فالحلول والاتحاد على مذهب المجسمة جائز بلا ريب، ولا يملكون دليلاً على بطلانه، وذلك أن العالم مهما كان صغيراً بالنسبة لعظمة الله تعالى، فما دام الله تعالى -عندهم- متحيزاً، فهو محدود، فيجوز على الله تعالى أن يزيد في خلق العالم حتى يصبح العالم أكبر منه في الحجم، وعندئذ يجوز تصور الدخول كما جاز تصور الخروج من قبل.

وإنما نتكلم معهم بمثل هذه الطريقة لأننا إذا جردنا لهم المعاني فإن عقلهم لا يسعفهم على الفهم.

فظهر أن كل من أجاز كون الله تعالى خارج العالم، فقد أجاز كون الله تعالى داخل العالم، وهذا عين تجويز الحلول، وهو كفر ككفر النصارى.

وكيف يتسنى للتيمية أن يتهربوا من إلزام من ألزمهم بأن الله تعالى محاطٌ بخلقه، إمَّا فعلاً أو إمكاناً مع قولهم بالدخول والخروج، أو بالخروج فقط، مع قولهم بإمكان أن يزيد الله تعالى العالم حجماً وبسطة في الجسم.

وإذا قالوا: إن الله تعالى لا يقدر على أن يزيد في بسط حجم العالم إلا إلى قدر حجم الإله -كما يعتقدون- لئلا يصير أعظم من الإله!! لزمهم قطعاً تعجيز الله تعالى ومحدودية قدرته.

ولذلك فلا يُسَلَّمُ لأحد تنزيهُ الإله تعالى إلا بعد نفيِه الحدَّ والجهة والتحيز.))انتهى:

الرجاء أن نبين أولا: الخطأ في تصوير مذهب أهل السنة.

ثانيا: الخطأ في تقرير دليله(وجه الشبهة و الالتباس).

لابأس بالرد جملة واحدة .

مفارقات

بعض الأحزاب "الإسلامية" لا أدري أهي إسلامية في حزبيتها،أم في رؤيتها وممارستها السياسية،أم في الإسلام الذي يشاركها فيه غيرها (؟)

تبحث عن التمكين،أي الاستيلاء على السلطة في جميع مفاصلها فتعقد التحالفات المضادة لطبيعتها،وتمارس السياسة بمفهومها الغربي المكيافلي،السعي بكل الطرق حتى غير المشروعة و المخالفة لآدابه وقيمه وأحكامه،معتمدة على قراءة خاطئة

للواقع أو مغالطة لتبرر تصرفاتها الخرقاء بسبب أنها انغمست في فكرها المتخلف عن مجريات الأحداث بثمانين سنة حتى صار الواحد منها يتمنى أن يحشر على فكرها ويلقى الله على فكرها فتحولت مع الوقت من جماعة دعوية إلى مذهب ديني محدث ممزوج بحزب سياسي.

وبعضها الآخر يبحث عن المشاركة السياسية أي: التواجد مع النخب السياسية في دوائر السلطة ،وهذه أقل خطورة على الدين وعلى نفسها من سابقتها وإن كان مصيرها أنها صارت تؤصل لعلمانية إسلامية إن صح التعبير (تحييد المميزات و الفوارق و العمل في المشترك) ولستُ ادري إن كانت فهما ووعيا بضرورات الوقت أم من باب الإجراء الاستراتيجي فقط.

ويبقى الإصلاح على نهج النبوة (ما استطعت إليه سبيلا) مغيبا عن فكر هذه الأحزاب لأنها لا تريد الإصلاح بل تريد الحكم، والإصلاح لا يحتاج أن تحكم لتمارسه،و الوصول للحكم لا يحتاج إلى الإصلاح.

والعمل السياسي بطبعه ـ في الإسلام ـ لا يمكن إلا أن يكون فرديا بعيدا عن تسييس الجماعات لأنه من غير أن يشعر قد حوَّلها إلى طوائف بالمعنى المذموم فاصلت المجتمع وأهدرت رأس مالها الرمزي وبددته في معارك تافهة مفتعلة جُرت إليها بسذاجة عجيبة.

ما الذي تحتاجه الأمة (؟)

في وعي كثير من طلبة العلم أن سبب تعثر الأمة ،وتقلبها في هذه الاضطرابات "المتكررة باستمرار" و التكرار كالتعاقب يدل في عقول البشر أن العلة هي نفسها،فتكرار الأحداث في المكان وتكرارها في الزمان يدل على أننا ندور على علة اضطراب واحدة لم نقدر ـ لحد الآن ـ إما على التفطن لها كأننا بدون دين ونصوص،تركنا الشارع هملا لنجتهد بمحض آرائنا للخروج من التخلف و الضعف و التفرق ...الخ

وإما أننا ركبنا الهوى المحض أو المحلل بالتأويل فصرنا أغبياء ــ و الهوى بنوعيه يجعل الذكي غبيا كما جعل ـ قديما ــ أذكى العلماء و النظار أغبياء كاد اللهُ عقولهم ، نعتقد أن تكرار نفس الأسباب قد يفضي إلى نتائج مغايرة (؟!)

فهل تحتاج الأمة إلى عالم تلتف حوله غالبية الأمة ،أو مصلح يحرك الصفوف و الأعراف و الذهنيات السلبية ،وهل سبق للأمة أن عرفت مثل هذا المصلح أو العالم فأعقب دعوته دولة إسلامية قوية أو انتقلت من الضعف إلى القوة، ومن التخلف إلى الازدهار،ومن الظلم الاجتماعي إلى العدل أم العكس هو الصحيح ،أو بمجرد موت الجيل الأول تعود ريمة لعادتها القديمة ،وتعود الدولة إلى التقهقر في عقيدتها ودينها ،أما في دنياها فهي أصلا لم تتحرك إلا كمستهلك بشراهة لما يصنع أعداؤها (؟)

هل يسمح هذا العصر بسرعته في كل شيء ،وبانفتاحه إعلاميا واختراقه الحدود الجغرافية و الإدارية ،وبتطور الدجل فيه إلى حد صار علما يشكل وعي الجماهير ويتحكم فيه فصارت الصورة و الخطاب خاضعين لصناعة دجلية توظف علوم النفس و الاجتماع وتحصي على الإنسان دراسة وبحثا حركاته وشهواته وأمنياته فقدمت له الخير المادي و العلمي على طبق مسموم فإما يعتزل الحضارة أو يقبل عليها بحذر ومع ذلك يضيع شيئا من دينه وقيمه وسيادته على نفسه وأرضه وفكره .

هل يسمح بظهور مثل هذا المصلح و العالم ،وهل يقدر هذا المصلح و العالم على انقاع جمهور الأمة بفكره وإصلاحه في ضوء هذه المعطيات،أم أن هذه أمنية مغلوطة فلسنا بحاجة إلى مثل هذا العالم أو المصلح بقدر ما نحن بحاجة إلى من يبين لنا رأسنا من رجلنا أي يحقق لنا التراث و يجيب على إشكاليات التاريخ و العصر وينشر الوعي بمشروع إسلامي صحيح في تأصيلاته وصحيح في تنزيلاته ،وأهم من ذلك واضح في خطواته بدقة متناهية يتحول في الشباب إلى منهج حياة متكاملة عملية تقذف بالشباب ــ وقود الإصلاح وقادته الحقيقيين ـ في عمق المجتمع، وفي جميع طبقاته، قد عرف من أين جاء ،وإلى أين يتجه، ومتطلبات كل مرحلة، فيصلح الأجزاء جزءا جزءا لينصلح الكل،يغرس المشروع في عقول وقلوب السواد الأعظم الذي يرفع وعيه، ودرجة رشده، ولا يسوِّق له الأوهام يزينها بالنصوص،فكم من مشروع إصلاحي أخفق، فيفوز بحبه وثقته قبل أن يفوز بأصواته في صناديق الاقتراع.

أكمل المثقفين هم المؤرخون ـ الدراسات التاريخية المعاصرة خاصة ـ فلندرس التاريخ لننظر فيه هل سبق ونجحت دعوات وحركات إسلامية كالموجودة حاليا،وإذا نجحت هل استمرت أم بأسرع ما اعتلت العرش بأسرع ما سقطت عنه (؟)

بين الوجود العيني و الثبوت العلمي تستشرف الأمة مستقبلها وغير ذلك سوء فهم للدين أو خطأ في قراءة الواقع بسبب الهوى فعين المحب للشيء كليلة عن العيوب كما عين الساخط كليلة عن الفضائل.
بحاجة إلى محققين ومربين على ما خلص إليه التحقيق.

وصلتني رسالة من إحدى عبدة الشيطان أظنهم بمصر ملخصها:

الله هو إبليس، وإبليس هو الله (!)
و الأنبياء هم الكذبة، و الكذبة هم الأنبياء(!)
و الملائكة هم الشياطين،و الشياطين هم الملائكة (!)
والقرآن هو المزمار،و المزمار هو القرآن(!)
و الهدى هو الضلال،والضلال هو الهدى(!)
و الخير هو الشر ، و الشر هو الخير(!)
و المعروف هو المنكر،و المنكر هو المعروف(!)
و الآخرة هي الدنيا،والدنيا هي الآخرة(!)
و الماء هو النار، و النار هي الماء(!)
و النهار هو الليل ،و الليل هو النهار(!)
و المنطق هو اللامنطق،و اللامنطق هو المنطق(!)
والخلاصة: من يأمر بالصدق، والأمانة، وبر الوالدين، والإحسان إلى الناس، وإغاثة الملهوف، ونصرة المظلوم، وحفظ الأنساب، و العفة، وينهى عن السرقة، وشهادة، الزور، وشرب الخمر، و الإفك و البهتان، و القتل، ويأمر بإكرام الإنسان هو الشيطان (؟!)
ومن يأمر بالكذب،و الخيانة،وعقوق الوالدين،والإساءة إلى الناس،و الظلم،وتدنيس الأنساب،والزنا،والسرقة،وشهادة الزور،وشرب الخمر ،والربا،والبهتان،والقتل،وإهانة الإنسان،هو الله (؟!)
عقول ممسوخة وأنفس نجسة تستطيب القذارة.

حيث يوجد سنة وشيعة بنسب متقاربة :

إما يتقاتلون ..... إلى غير نهاية حتى يسحق أحدهما الآخر وهذا في ظني غير ممكن.
وإما يقسمون البلاد،وكل يحكم في منطقته .
وإما يتعايشون ،وهذا غير ممكن بدون تفاهم مسبق على طبيعة الصراع ونوعه ومنزلته ومستوياته.
هل هناك حل آخر موضوعي بعيدا عن الخيال وفكرة الاستئصال (؟)

الواقع لا يخضع لأحوال النفس : التشاؤم و التفاؤل (!)

ومن لم يدرك أن سورية قد ضاعت (بالمفهوم الديني و السياسي) مهما كانت النتيجة،فلأنه نسي أن يرتب بيته ـ ونحن هكذا ـ نصنع المستقبل بالأحلام لا بالأخذ بالأسباب الحقيقية،أفراد يعيشون في دول تناقضهم في كل شيء.
وإذا لم نصنع الفارق في أقل الأشياء كلفة فكيف ببناء الدول ومصارعة العالم ،أما إن أردنا التجربة،و المصارعة من أجل المصارعة و العبث بالوقت فليس أبرع منا في تضييع الوقت وقلب الأمور على نفسه.

سكرات الفيسبوك (!)

بعضُ شبابنا إذا أعطى لنفسه وقتًا للتفكير العميق ــ بعيدًا عن ضجة الإعلام ــ يُعجبك عقله وقدرته على التحليل،وهدوء النظرة وغورها، وإذا استرسل مع ثقافة "الفيسبوك" صار يكتب كلَّ ما يمر بعقله، فيكثر تناقضه، وتغلبه العاطفة العاصفة بكل منطق وموضوعية، وحينئذ يقع في الكمائن المنصوبة له من كل جهة، وبمختلف الألوان و اللغات، فيستدعى لديه الانتماء و التاريخ و الشعارات ممن يزور التاريخ،ويتلاعب بالانتماء، ويفرغ الشعارات من كل مدلولاتها الصحيحة.

أهمية العلم الاجتماعية في الأمة:

لا تكمن أهمية العلم في شرفه، و ما ينتفع به الفرد و المجتمع من ظهروه بينهم في أخراهم ،بل العلم الشرعي نافع للدنيا أكثر من العلم الدنيوي ،فإن هذا الأخير قد يكون مدعاة لقيام الحروب ،و تسلط الإنسان على أخيه الإنسان، بينما العلم الشرعي هو ترمومتر السلم الاجتماعي، و الأمن في الأوطان؛ و دليل ذلك ما قاله النبي صلى الله

عليه و سلم كما في حديث أبي هريرة عند البخاري: ((يُقْبَضُ العِلْمُ، وَيَظْهَرُ الجَهْلُ وَالفِتَنُ، وَيَكْثُرُ الهَرْجُ» ، قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الهَرْجُ؟ فَقَالَ: «هَكَذَا بِيَدِهِ فَحَرَّفَهَا، كَأَنَّهُ يُرِيدُ القَتْلَ»

نقل ابن القاسم عن مالك أنه قال: ((إن أقواما ابتغوا العبادة و أضاعوا العلم فخرجوا على أمة محمد صلى الله عليه و سلم بأسيافهم، ولو ابتغوا العلم لحجزهم عن ذلك)).

لكل عصر علم يطابق ثقافة أهله،يسود مجتمعاته ويشتغل به صغيرهم وكبيرهم،يبرز فيه علماء يمثلون عصره الذهبي تدوينا وتحقيقا وصياغة.

وعلم هذا العصر الحديث ليس علم الكلام، ولا كل علم فرغ منه الأوائل ــ وإن كان بعضها كعلم الحديث،وأصول الفقه يحتاج إليها في كل عصر،أما علم الكلام فإن إحياءه إحياء لأمراض الأمة الخطيرة،والأولى تجاوزه إلى ما قبل ظهوره ــ ،ولا يشتغل به المتأخرون إلا تقليدا،علم هذا العصر بامتياز: علم السياسة بأنواعه،ثم علم الاجتماع السياسي الذي يحتاج المسلمون إلى تأصيلها لبناء دولهم وامتهم،وتنظيم مجتمعاتهم في نشاطها السياسي و المصلحي"المدني" وفقا لمبادئ دينهم والإجابة عن إشكاليتها جوابا إسلاميا يوضح لهم الرؤيا ولا يتركهم في هذا التخبط و الفوضى التي حولت بلدانهم إلى مدخنة.

هذا لقادة الفكر و العلم.

يمين ويسار.....(؟)

يجد الدارس للعلوم الشرعية ـ في إطار دراسة معرفية منهجية شاملة ـ و لتاريخ العلوم وحقباتها أن علماء أهل السنة لم يكونوا على موقف واحد من كل القضايا ـ ولو من ناحية الحدة في الموقف ـ مثل موقفهم من التصوف و الصوفية ،ومن العقل و القياس،ومن علم الكلام،وعلم أصول الفقه،والعلاقة مع الملوك"السياسة"،ومن الزهد،و الجرح و التعديل وغير ذلك،بل حتى في اللين و الشدة والاعتدال مع المخالف "الأشاعرة مثلا" .(من لا يعرف هذا، الله يرحم والديه يذهب ليقرأ)

فهل يعني هذا ـ بالتعبير السياسي المعاصر ـ أنهم كان فيهم "يمين" يقترب من أقصى اليمين "الخوارج" في بعض المسائل كالتكفير في بعض القضايا، والعلاقة مع الحكام، وفي باب الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر (؟)

ويسار يقترب من أقصى اليسار "المرجئة" في قضايا الحكم و الولاية، والأمر بالمعروف و النهي عن المنكر(؟)
أم أنهم كانوا طبقة واحدة في كل شيء ـ بغض النظر عن قضايا التخطئة و التصويب ـ ولهذا يتصارعون على أحقية الانتساب للسلف.
ولا شك أن الكتلة الكبرى من السلف كانت على الاعتدال لكن البال على الأطراف.
وإذا صح هذا الأمر فما الفائدة المستخلصة منه بالنسبة لنا (؟!)

أمراءٌ على ركام حجارة (!!!)

عندما يجب بعض الشيوخ المهتمين بقضايا الحكم و السياسة و العلمانية عن أسباب ظهور العلمانية في العالم الغربي يذكرون فساد الكنيسة و دين النصارى وأنه كان السبب المباشر لظهور العلمانية وإضعافها لأثر الدين في المجتمع.
ولا أدري من أي معطيات تاريخية و علمية انطلقوا ليقرروا أن العلمانية لا يمكنها أن تنتشر في أمتنا بينما النصوص تخبرنا العكس وإن لم تصرح بآفة العلمانية.
ربما قارنوا بين الإسلام السني الصحيح الذي يعرفونه وبين البدع النصرانية فغفلوا عن كونهم لا يمثلون الغالبية في الأمة،وأن في أمتنا من يبيع ما يشبه صكوك الغفران كما كان القساوسة يبيعها،وهي صكوك أحيانا تتخذ صورة تراب قبور الصالحين،وأحيانا طلب رضاهم.
وكما تواطأت الكنيسة مع الملوك في إقرار النظام الإقطاعي فإن في المسلمين من أهل الدين حتى لا أقول العلماء من يتواطئون مع الحكم على نهب أموال الشعوب ولو بالسكوت،أو بموقف التحفظ السلبي.
وإذا افترق من قبلنا على 71و72فرقة و افترقنا على 73 فرقة فهذا يعني أنه قد وقع فينا ما وقع فيهم بالتمام و الفرقة الزائدة هي نتيجة متعلقة بالنبي صلى الله عليه وسلم وليس بأمته، يعني أن المهتدي من أهل الكتاب قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم ضلَّ بعدم اتباع نبينا ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ، فلذلك افترقت أمتنا زيادةً عليهم ثلاثةً وسبعين.
وجاء عن أبي سعيد ـ رضي الله عنه ـ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:((لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ شِبْرًا بِشِبْرٍ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّى لَوْ سَلَكُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَسَلَكْتُمُوهُ)) ،

قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ: اليَهُودَ، وَالنَّصَارَى قَالَ: «فَمَنْ)).
فوجبَ بمقتضى هذا الخبر البيّن أن يكون في أمتنا ما كان في أهل الكتابين قبلنا..
وهذا يؤيده قوله تعالى:: {قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ} [آل عمران: 137] ، يعني: المؤمنين و الكافرين في الخير و الشر.

وجاء عن أبي واقد الليثي أن بعض الصحابة قالوا للنبي صلى الله عيه وسلم :
((يَا رَسُولَ اللَّهِ، اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ. فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، قُلْتُمْ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَى: {اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ} [الأعراف: 138] الْآيَةَ. «إِنَّهَا السُّنَنُ، سُنَنُ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ)).
ويمكن أن نحمل نهي الله تعالى عن التشبه بهم في الاختلاف في الدين من باب حرص المؤمن كل الحرص على أن يقع فيه ،لكنه لا يمنع وقوعه، قال تعالى:
{ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِين تفرقُوا وَاخْتلفُوا من بعد مَا جَاءَهُم الْبَينَات وَأُولَئِكَ لَهُم عَذَاب عَظِيم} [سُورَة آل عمرَان 105].
وإذا نظرنا في الحروب التي يخوضها السودان،الحرب مع الجنوب،وفي دارفور، والنيل الأزرق،و الحرب في شمال مالي، ومطالبة ولاية برقة في ليبيا بحكم فيدرالي،و الحرب في العراق،وتحالف الشيعة فيه مع بعض الأكراد السنة نعرف أن الأمة مقبلة على حروب الهوية: الدينية أو المذهبية أو العرقية وربما حتى الجهوية يعني مقبلة على تمزيق الممزق حتى يكثر الأمراء أو الملوك أو الرؤساء الملوك لكن على أكوام الحجارة أو انتشار العلمانية في فكرة بسيطة يدركها عوام الناس كما يدركها خواصهم إن أردتم الاستقرار و الازدهار و الاجتماع فجنبوا دولكم الخصائص الدينية أو المذهبية أو العرقية وندخل في حلقة زمنية حضارية أخرى حتى تشيخ العلمانية وتضعف.

الحق بين إطلاق القول ونفيه.
"انتبه يرحمك الله لهذا الكلام، فهذا بحر موحش تحيط به جبال عالية ،و الطريق إليه طويل مقفر، لا يسبح إليه إلا طويل الأرجل كما كان ابن تيمية في العلم ـ رحمه الله ـ

قال شيخ الإسلام في "الدرء"(1/297):((فقد يكون المعنى صحيحاً ويمتنع من إطلاق اللفظ لما فيه من مفسدة، وقد يكون اللفظ مشروعاً ولكن المعنى الذي أراده المتكلم باطل، كما قال علي رضي الله عنه ـ لمن قال من الخوارج المارقين لا حكم إلا لله ـ: كلمة حق أريد بها باطل.)).

لقد وصف النبي صلى الله عليه وسلم الخوارج بأنهم يقولون الحق بألسنتهم،وهذا يعني أن خطابهم،أو وصفهم الواقع قد يكون صحيحا لكن أعمالهم وأفعالهم مارقة من الدين لأنها مبنية على فهم خاطئ للدين لا يتجاوز ألسنتهم وحناجرهم،أي يوافقون الحق بألفاظهم ويخالفونه بأعمالهم،ولهذا كان أصل ضلالهم أنهم جعلوا الظلم كفرا ثم بنوا عليه الخروج بالسيف.

فسردك الوقائع ـ أحيانا ـ يكون صحيحا لكن ما اللباس الذي تلبسه إياها (؟)

هل هو لباس الإثارة، أم لباس الإخبار،أم لباس التحليل الموضوعي (؟)

هذا بيت القصيد: الوقائع صحيحة و التفسير خاطئ.

على كل في المقال القادم تفصيلات أكثر.

تويتر......(!)

بطلب من أحد الإخوة الأعزاء فتحت حسابا في "تويتر" ظناً منِّي أنه مجال للتواصل الإسلامي"أي العلمي المفيد" فإذا بي أجد شبكة كانما صنعت لتنفخ في الانسان فحولت الناس ولو كانوا سفهاء الأحلام إلى حكماء(!)

الكل يزقزق وليس يغرد ،تحول الناس فجأةً إلى فلاسفة في الحياة و الدين و السياسة و الحب،وهذا يقول" أنا شاعر" ،والآخر يقول:" تابعني ولن تندم"....

المهم حاولت مجاراة القوم يومين فبدأت أفكر ـ في كل صباح ـ أو أحاول أن أصنع حكمة أغرد بها معهم حتى تداركني الله برحمته فقلت في نفسي: ماذا تصنع(؟) الحكمة لا يفكر فيها "ليست مصطنعة" الحكمة تجربة باطنية او خارجية ،أو إلهام من الله .

فقررت أن أكتب في المستقبل إلا ما يزيد في عقلي وعقل الناس،وفي ديني ودين الناس .

ولعلكم لاحظتم تغلب جنسية عربية بشكل مريب على تويتر ، فهل لأنه موافق لطباعهم(؟) أم لسبب تقني (؟)الله اعلم.

التفوُّق على مستوى الخطاب:(؟)

التفوُّق على مستوى الخطاب يخبرك بكل شيء، فإن أيَّده الواقع فاعلم أن أحدهم يعيش حاضره ويأخذ بأسبابه، والآخر يعيش على ذكريات الماضي يستحضرها لواقع مغاير لها من كل وجه.

لما قال ـ يوم أحد ـ أبو سفيان: اعل هبل.

عجز الصحابة ـ بسبب المصاب ـ عن إجابته،فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم قولوا له: ((الله أعلى وأكبر)).

و المقصود أن التفوُّق في الخطاب ليس بالأمر الهين،لأنه يدل على قوة الحق في جميع الظروف،و المفروض أنه أعلى في جميع الأحوال، و الباطل أسفل في جميع الأحوال،وإن كانت له جولات.

أقول هذا لأن ما أصبحنا نشاهده ونسمعه على الشاشات من خطاب كثير من الشيوخ يدل على عجز في فهم المشهد ثارت عليه العاطفة فكانت تصريحاتهم غير مسئولة كمن أراد قتل فأر فهدَّ البيت على رأسه لأن المطبخ بما فيه من قمامة وغاز أو المرحاض من البيت كذلك"إذا صحَّ التمثيل".

سطوة الاعتقاد:

من المسائل التي وقف عندها شيخ الإسلام لاهميتها خاصة في مسألة "أنواع العلم"،و"تصويب المجتهدين"،و" السفسطة" مسألة:" الفرق بين رجحان الاعتقاد و اعتقاد الرجحان" وذلك لشدة سطوة االاعتقاد والمقصود هنا " الاحكام العرية عن دليل" و العاطفة " الحب و البغض" على العقل ،حتى إن العقول لتسكر بالحب و بالبغض فتفقد التمييز .

كم يصعب مناقشة بعض الناس قدموا عاطفتهم وحبهم وبغضهم على عقولهم حتى صارت عقولهم ذيلا للعاطفة.

من رزقه الله تجردا من العاطفة، و الأخيار،وقوة على مخالفة العواطف عندما تصدم الشريعة و العقل و الحقيقة فليحمد الله حمدا كثيرا ،فقد اصطفاه الله لنور العلم وفضبله على كثير من خلقه تفضيلا.

الأمور بعواقبها

الأحداث التي يشهدها العالم الإسلامي ـ خاصة العربي منه ـ ليست مذنبًا في مجرة اكتشفت حديثا يتجه نحو الأرض ،ويقدر علماء الفلك أنه سيصل إليها بعد مليار سنة ضوئية.

إن هي إلا شهور للعارفين وسنوات قليلة ويظهر من يفهم دينه جيدا،ومن هو جاهل ورط أمته في فتن عمياء،كما سيظهر المخلصون لدينهم و المخلصون لسلاطينهم.

نسأل الله السلامة للجميع وأن يقلب مقلب الجواهر السيء إلى خير وعاقبة محمودة.

الأمراء الذين حذَّر منهم النبي صلى الله عليه وسلم:

ـ روى كعب بن عجرة و غيره عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه قال: ((سيكون بعدي أمراء فمن دخل عليهم و "صدقهم بكذبهم"، و "أعانهم على ظلمهم" فليس مني و لست منه، ولا يرد علي الحوض، ومن لم يصدقهم بكذبهم ولم يعنهم على ظلمهم فهو مني و أنا منه و سيرد علي الحوض)).

تشخيص سهل نعرف به أمراء السوء: الكذب و الظلم(؟!)

قال الفضيل بن عياض:" ربما دخل العالم على السلطان ومعه دينه فيخرج وما معه منه شيء، قالوا:كيف ذلك؟،قال: بمدحه في وجهه و يصدقه في كذبه".

الشريعة بين فهم الفقهاء وفهم الغلاة:

((فإن الله أرسل رسله و أنزل كتبه ليقوم الناس بالقسط وهو العدل الذي قامت به السماوات و الأرض، فإذا ظهرت أمارات العدل، و تبين وجهه بأي طريق كان فثم شرع الله و دينه، و الله تعالى لم يحصر طرق العدل و أدلته و علاماته في شيء و نفى غيرها من الطرق التي هي مثلها أو أقوى منها، بل بيَّن ما شرعه من الطرق أن مقصوده: "إقامة العدل و قيام الناس بالقسط" فأي طريق استخرج بها العدل و القسط فهي من الدين.)) ابن القيم.

فالسياسة العادلة ليست مخالفة لما نطق به الشرع، بل موافقة لما جاء به،يعني أنه يستحيل أن يكون العدل مخالفا للشريعة إذ هو القصد الأسمى من الشريعة،و الشريعة تدل عليه صراحة أو بطرق الاستنباط.

الحق الموجود (الواقع)
حاول بعض "الإسلاميين" ـ في مصر ـ في مناسبات عدة محاصرة مدينة الإنتاج الإعلامي لأن بعض القنوات الفضائية الموجودة فيها بوق الفتنة، وتحرض على الإسلاميين،وهذا في غاية الصحة ،ولو قلنا: إن سقط النظام الحالي فتحت ضرباتها لم نبتعد عن الحقيقة.
لكن هل هذا هو الحل،وهل هذا تعبير عن فشل القنوات "الإسلامية" فعددها غير قليل، فلمَ عجزت عن إسكات القنوات العلمانية أو كشفها وسحب جمهور المتابعين منها أي:ايجاد إعلام بديل لها (؟)
هل السبب هو إقبال جمهور الناس عليها لأن تقدم خدمات تريفيهية : أفلام، مسلسلات،غناء ورقص ،وهذا ما يدل عليه جهاز قياس المتابعين للبرامج؟
وإذا كان الأمر كذلك فلم صدعنا المتحزبون بأن الشعوب الإسلامية تحب تحكيم الشريعة و تطالب بها ،فإما تحب شريعة لا تحرم هذه الأشياء(؟) ،وإما انتخبتكم لمصالحها الدنيوية فزعمتم الدينية،ولا يزال الطريق أمامنا طويلا (؟)
نقل الناس إلى الحق المقصود (الشريعة) لا يكون إلا بالإخبار الصادق عن الحق الموجود(الواقع) ومتى كذبت أو غلطت في معرفة الحق الموجود(الواقع) تعذر عليك نقل الناس إلى الحق المقصود(الشريعة) .
وقت الصحو من سكر السياسة أقترب.

المرأة المتحجة محتجبة عن التلفزيون
ذكر الأستاذ عاطف عبد الرشيد رئيس قناة"الحافظ" ومنشط حصة "في ميزان الكتاب و السنة"على إحدى القنوات في قضية الممثلة" أنهم لا يسمحون بوجود نساء متحجبات في قنواتهم لأن المرأة تظهر في التلفزيون جميلة، و التلفزيون وسيلة تتطلب تركيز النظر، وقد أمرنا بغض البصر (؟)
قلتُ: هذا صحيح،لكن كذلك النساء أمرن بغض البصر ،ويعجبهن الرجال،ويحتجن إلى تركيز النظر للمتابعة والإصغاء، إلا إن قلنا : لا يجوز لهن مشاهدة الحصص الدينية التلفزيونية فيصبح التلفزيون حكرا على الرجال ،أو نفقأ أعينهن (؟!)
أظن أن التناقض في مثل هذه القضايا يخدم ويعمل ضدنا.

مقالات في السياسة ـ لمن يهمه هذا الفن ـ

الانعتاق من سياسة الإخوان وحلفائهم ضرورة بكل المقاييس لإنقاذ ما تبقى
إن المشروع السياسي الإسلامي ـ وليس هو مشروع الإسلام بل هو مشروع المتسيسين من الجماعات ـ تم التنظير له دون المستوى المطلوب وبشكل سيء لأنها لا تستطيع أن تفسر بعضا من تطورات الحياة المعاصرة لقد حان الوقت للذهاب أبعد من تفكير الإخوان و التكفيريين المحدود ،وأبعد من الاختفاء وراء التصرف الاعتباطي العفوي للتعاطي مع الأسئلة الكبيرة التي تطرحها مشاكل المجتمع المسلم.
فإذا ما كان على الإسلاميين المتسيسين أن يؤدوا دورا ما في نظرية الحكم المعاصرة فستكون الحاجة ماسة إلى إعادة صياغة تصورهم المناهض في الحقيقة لغايتهم أشد المناهضة، و إغنائه بعمل فكري عميق يهيأ له شروط العالم الواقعي الملموس، فالتنظير للسياسة و الحكم الراشد العادل بمصطلحات محدودة كالتي يتشدق بها الإخوان و حلفاؤهم هي في الحقيقة مناهضة للدولة الراشدة،و لإجراءات العلمية و العملية الحكيمة للوصول إلى الدولة الراشدة العادلة،فإن الخطاب السياسي الإخواني و التكفيري تحت مسميات عديدة حال دون الإمساك بالممكنات و الفرص المنبثقة عن الفعل السياسي الذي أعقب التغييرات .
أقصد أن مشروعهم سقط و قضي الأمر و التأخير في إجراءات الدفن فقط، فالعاقل المتجرد من هوى الانتماء يلاحظ تآكلا خطيرا لرصيد الجماعات الإسلامية، و انهيارا ذريعا في مكانتهم، وتنامي الأدبيات الساخطة عليهم حتى من الدعاة و العلماء فمعايير السلوك لدى كثير من المتسيسين من الإخوان وأنصارهم رخيصة منحطة ولغتهم السياسية فظة عاطفية منطوية على النفس استحواذية بتسلط تهيج الشارع ، و تعليقاتهم على خصومهم ـ مهما كانت حقيقة العداء مؤلمة ــ جارحة في مجتمعات مرهقة بالظلم الاجتماعي الذي كان المسئول الأول عن ضمور الروابط الأخلاقية.
إن السياسة التي يمارسها الإخوان بطوائفهم و التكفيريون بمسمياتهم المختلفة لن تدفع المجنمع إلا إلى ازدراء الشأن السياسي،وتنامي الغضب الشعبي منهم فالسوداوية وفقدان الثقة بدأ يبلغ مستويات غير مسبوقة لأن الشعب بدأ يستشعر الانهيار للدولة،وتفكك الروابط الاجتماعية، وتحزيب المجتمع حزبيات خطيرة ،و أصبح شبه

مقتنع بريبة عميقة تحركه الآن أن الإخوان وحفائهم لا يسعون سياسيا من أجل المصالح المشتركة للشعب،والتصرفات الخيرة و الآتية إما تبدد بعضا من هذه الهواجس أو تعمقها وعليهم السلام.
فإذا ما أرادوا الالتحاق بالمشروع الحقيقي القائم على قاعدة الإصلاح القرآنية التي من ثمرتها التمكين للأمة وليس لفصيل باحترام تحديات الواقع،وسنن التدرج ، لا على نظرية التمكين الاخوانية أصلا وتأصيلا فعليهم بالانعتاق من نظريتهم كلية.
تحسين مظهر الجماعات بالتخلي عن تكفير المسلمين و تضليلهم باحترام مستواهم في هذه المرحلة، و إنعاش وعي الأفراد السياسي ،وتقوية أعراف المسلم الصالح قلبا وقالبا،والمواطنة الحسنة ،و ليكون أي مشروع خاص وله الحق أن يكون خاصا بأصحابهم خادما للصالح العالم فقط.
هو الإبحار وسط أمواج الاضطرابات السياسية ومجتمع وعالم معقد بالمتناقضات بحكمة وبصيرة .

قصَّة التَّمكين و الفهم الخاطئ (؟)
بسم الله الرحمن الرحيم
أوَّلا:أطياف المعارضة المصرية:علمانيون: ليبراليون ويساريون، رجال النظام السابق ، بلطجية،وآخرون(؟)
المحصلة: خصوم "الدين في الحكم"، خصوم العدالة الاجتماعية، خصوم الوطن، لكن ـ و الاستثناء هنا في غاية القوة ـ فيهم خصوم فهم الإخوان و حلفائهم للدين،و للسياسة، و معايير الدولة الإسلامية الحديثة،سلفيون،وأزهريون وإخوان وغيرهم.
وهؤلاء يعارضون الإخوان و حلفائهم لأن منهم من يرى فيهم فسادا في بعض عقيدتهم، وفسادا في بعض فهمهم للدين، وفسادا في منهجهم، وخطرا على الدين، وعلى الدولة.
وحتى لا نتيه في التحليلات الموسَّعة نأخذ نظرية التَّمكين ـ الجوهرية في منهجهم ـ نموذجا.
التَّمكين:
يعتقد الإخوان ومن يدور في فلكهم أن الإسلام لا تقوم له قائمة إن لم يمكنوا

للشريعة"الأحكام"، و الشريعة لا تقوم لها قائمة إن لم يتمكنوا من مفاصل الحكم، ودوائر الدولة (؟)

و المشكل أن هذا التصور لا يمكن أن يتحقق إلا من خلال ثورة جذرية تقضي على جميع السلطات و القوى الموجودة قضاء مبرما، و تستبدلهم بنفسها، في حين نرى طريقة وصول الإخوان إلى الحكم لم تكن لتتحقق بدون خصومهم و معارضيهم في المنهج و التصور .

و الظاهر أنهم لم يفرقوا بين التمكين للنفس وبين أن يمكن لك الله تعالى دينك،فالأول أسباب عرفية دنيوية لا علاقة لها بالدين تنتهجها كل الجماعات البشرية للوصول للحكم و السلطة ،من التحزب، و التنظيم السري و العلني، و التمويل،و اختراق الحكم ،و الأجهزة الأمنية،و المشاركة في العملية الديمقراطية،أو طبخ الانقلابات،والاستحواذ على المناصب،وغير ذلك ،وهذا ما يسير عليه الإخوان و حلفائهم معتقدين أن الدين أمرهم به (!)

أما تمكين الله للمؤمنين دينهم فله أسباب أخرى ذكرها في القرآن عندما قال: {وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا} [النور: 55] .

فالتمكين هنا أسبابه : الإيمان الصحيح، و العمل الصالح الصحيح،و الذي من ضمنه: إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، و الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر ، وباختصار شديد الدين الذي ارتضاه الله ،فهل عقيدة هؤلاء ومنهجهم وطريقتهم في معاملة المسلمين وفيهم خلف الوعد،ونقض العهد، و الكذب، والاعتداء على الغير بالتكفير،و اليد،و المصادرة، وغير ذلك هو من الدين الذي ارتضاه الله تعالى(؟)

ففرق بين الدين الذي أمر الله به وبين الدين الذي تفهمه ، فالتمكين في القرآن نتيجة الإيمان و العمل الصالح، ننتيجة الدين الذي ارتضاه الله، و أمر به،وكل هذا لا يكون إلا بتجريد الاتباع للكتاب و السنة بينما التمكين في نظرية الإخوان و حلفائهم : هو خطوات إجرائية للوصول إلى الحكم ثم الانفراد به(؟)

فمتى حصل الهدى إلى الصراط المستقيم حصل التمكين، ومشكلة الإخوان وحلفائهم حسن ظنهم بدينهم و اعتقادهم أنهم قائمون بما يجب عليهم، تاركون لما نهوا عنه،

وان خصومهم في خلاف ذلك أهل باطل،قد تركوا ما أمروا به، وفعلوا ما نهوا عنه. فبلاء الإخوان و حلفائهم مبناه جهلهم بحقيقة الدين و مقاصده،ومن الدين معرفة الفصل الواضح بين ما هو ديني وما هو دنيوي،ومَن جهل بالدين الحق لم يفِ بمطالبه: أوامره ونواهيه و بالتالي لم يقم به ، فلا يكون له تمكين ولا نصر.
و الذي أراه وهو واضح أن التغيير بنظرية فوقية عمودية الذي يعتقده هؤلاء يدل على انهم مفصولون عن الواقع لم يدركوا أن المجتمع الحالي لا يقبل هذه النظرية لأنه أصبح مجتمع متحرك يكسب وعيه بعيدا عن السلطة و ليس أدل على ذلك من الخروج السياسي الذي أصبح ينتهجه وعندما يكون المجال العام المتحكم في الرأي العام لا تكن مقاليد الأمور في يد السلطة فرجعنا إلى منهج الأنبياء منهج القرآن وهو أن يكون التغيير من الأسفل إلى الأعلى وليس العكس.

المشكل باختصار شديد:

في شقه الديني: التربة(الشعب) الفقيرة الضعيفة تحتاج إلى أسمدة وراحة(إصلاح وتهيئة للزرع) فمن أراد أن يزرع فيها من غير استصلاح فإما رجل لا يعرف الزراعة، و إما متهور يخالف الطبيعة،وبدون شك اللوم عليه لا على التربة.
في شقه الدنيوي: لا ينظَّر للدول بمعزل عن العمليات الاقتصادية،و التعجل في القضايا الدينية قبل تهيئة المناخ لها يقوض انتعاش الاقتصاد مما يؤدي إلى نشوء الاضطراب و واللامساواة في الفرص فيحبط عموم الشعب، فتعلموا في البلديات والمجالس المحلية، و لكل حادث حديث.

لقد اكتسبت السياسة و الانشغال بالشأن السياسي في هذا العصر زخما بسبب الانفجار الإعلامي الذي وفرته الفضائيات ومع هذا الانفجار انفجرت المصالح بالنسبة للناس وصارت غلواء السياسة ظاهرة العصر فالقضية إذا ملحة لا يمكن الانسحاب العام منها ببساطة كما يقترح بعض إخواننا ،بل الحق وسط بين مفهوم الإخوان للانغماس التام في السياسة، وبين مفهوم السلفيين الانسحاب العام منها.

اقتلاع العقول المتكلِّسة من أحشاء الوهم
لنحاول إخواني أن نكتب شيئا ذا قيمة بشغف، وحتى بنفس حاد،فإن اللحظة مفصلية في تاريخنا ولنحاول اجتناب الفكر المتكرر برجوع مبدع إلى سيرة نبينا صلى الله عليه وسلم،وإلى تاريخنا،وتاريخ الأمم ،وتبصر دقيق في الواقع يتجاوز ما تلتقطه العين إلى ما تستبصره و تستشرفه العقول فإن أدبياتنا الموافقة و المعارضة للسياسة لم تعد منسجمة مع واقعنا و تطلعاتنا لأنها كلها مقولات مركزية لا تتسم بأي مرونة لم تسبر بما يكفي الساحة و العقول و الأنفس و القوى الظاهرة و الخفية مما يعني أننا نعاني من قصور فادح في إدراك الواقع بايجابياته التي تخدم دعوتنا و سلبياته التي تقوضها فنحن بحاجة ماسة في ظل المعطيات الحالية إلى مقاربة كاشفة للخلل مضيئة للطريق تخضع التجربة للتقييم الموضوعي بتحليلات واسعة تصوغ مفهوما جديدا نقوم به الفرضيات السياسية و الدعوية .
إننا بحاجة إلى متانة فكرية صارمة تتجرد من العاطفة و العصبية الحزبية،والله المستعان .

من باع سلعة وهو يجد من يشتريها بخير من ذلك الثمن،فقد خان صاحبه لا سيما إن باعها إلى من بينه مودة أو قرابة .
التاريخ يستفاد منه ليس بنقل احداثه ولكن بنقل عواقبها يا عقلاء.

أركان الولاية "الحكم"
القوة و الأمانة ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: {إنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ} وَقَالَ صَاحِبُ مِصْرَ لِيُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ {إنَّك الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ} ، وَقَالَ تَعَالَى فِي صِفَةِ جِبْرِيلَ: {إنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ} {ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ} {مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ} .
وَالْقُوَّةُ فِي كُلِّ وِلَايَةٍ بِحَسْبِهَا؛ فَالْقُوَّةُ فِي إمَارَةِ الْحَرْبِ تَرْجِعُ إلَى شَجَاعَةِ الْقَلْبِ وَإِلَى الْخِبْرَةِ بِالْحُرُوبِ وَالْمُخَادَعَةِ فِيهَا؛ فَإِنَّ الْحَرْبَ خُدْعَةٌ وَإِلَى الْقُدْرَةِ عَلَى أَنْوَاعِ الْقِتَالِ وَالْقُوَّةُ فِي الْحُكْمِ بَيْنَ النَّاسِ تَرْجِعُ إلَى الْعِلْمِ بِالْعَدْلِ الَّذِي دَلَّ عَلَيْهِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ وَإِلَى الْقُدْرَةِ عَلَى تَنْفِيذِ الْأَحْكَامِ.
وَالْأَمَانَةُ تَرْجِعُ إلَى خَشْيَةِ اللَّهِ وَأَلَّا يَشْتَرِيَ بِآيَاتِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا وَتَرَكَ خَشْيَةَ النَّاسِ؛ وَهَذِهِ

الْخِصَالُ الثَّلَاثُ الَّتِي أَخَذَهَا اللَّهُ عَلَى كُلِّ مَنْ حَكَمَ عَلَى النَّاسِ؛ فِي قَوْله تَعَالَى {فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ} .

وَلِهَذَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ {الْقُضَاةُ ثَلَاثَةٌ: قَاضِيَانِ فِي النَّارِ وَقَاضٍ فِي الْجَنَّةِ. فَرَجُلٌ عَلِمَ الْحَقَّ وَقَضَى بِخِلَافِهِ فَهُوَ فِي النَّارِ. وَرَجُلٌ قَضَى بَيْنَ النَّاسِ عَلَى جَهْلٍ فَهُوَ فِي النَّارِ. وَرَجُلٌ عَلِمَ الْحَقَّ وَقَضَى بِهِ فَهُوَ فِي الْجَنَّةِ} رَوَاهُ أَهْلُ السُّنَنِ.

وَالْقَاضِي اسْمٌ لِكُلِّ مَنْ قَضَى بَيْنَ اثْنَيْنِ وَحَكَمَ بَيْنَهُمَا سَوَاءٌ كَانَ خَلِيفَةً أَوْ سُلْطَانًا أَوْ نَائِبًا أَوْ وَالِيًا؛ أَوْ كَانَ مَنْصُوبًا لِيَقْضِيَ بِالشَّرْعِ أَوْ نَائِبًا لَهُ حَتَّى مَنْ يَحْكُمُ بَيْنَ الصِّبْيَانِ فِي الْخُطُوطِ. إذَا تَخَايَرُوا. هَكَذَا ذَكَرَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ ظَاهِرٌ.ابن تيمية.

نصيحة أخيرة:

فهم ذرائعي محض للسياسة منشغل بذاته، ويسعى وراء عاطفته، يستوجب توجيه الضمير إلى الباطن، فلم تعد المعرفة ذات قيمة ،وقد نبتت قرون الفتنة،وصارت هذه المعرفة و الخطب بها تُشكِّل ظلالَها أعمالُ طائشة ،وأقوال تافهة،غير محسوبة،حق باللسان و باطل بالعمل ....إلى اللقاء.

إشكاليات العقل العربي

هل هناك إمكانية للتَّحرُّر من التَّصوُّرات المسبقة الَّتي صنعها فهم فلان وحماس علان ، يستدعي قدرا من الرقابة على عقولنا بالرُّجوع الخالص المتجرِّد إلى المعين فإنَّها فعلاً مستعمرةٌ بالجهل،و السذاجة،والأوهام ،و التأويلات لم تفطن بعد أنَّها لم تخرج من سلبيات الماضي، وتعيش بكلِّ وجدانها في نقاطه السَّوداء الَّتي ذهبت بريح الأمَّة،فما كسر الخلافة إلاَّ ثورات السُّوق،وفتن المذاهب و الطوائف،و التَّطاحن على السُّلطة الَّذي يقود للتَّحالف مع الشيطان.

قال الإمام أحمد للفقهاء(؟!) : ((لا تخلعوا يداً من طاعة، ولا تَشُقُّوا عَصَا المسلمين، ولا تسفكوا دماءكم ولا دماء المسلمين معكم، انظروا في عاقبة أمركم، ولا تعجلوا واصبروا حتى يستريح بر، ويستراح من فاجر...)).

أظنُّ أنَّه في عرف بعض شيوخ هذا الزمن كان الإمام أحمد مخطئًا،أو مغرَّرًا به لم

يفهم النُّصوص جيدا،أو متمسكا بالموضوعات و الضعيفة ....(!)
و الترجيح ليس دائما في الفعل،فقد يكون في الترك.
((فإذا كان الفعل فيه صلاح وفساد رجحوا الراجح منهما، فإذا كان صلاحه أكثر من فساده رجحوا فعله، وإن كان فساده أكثر من صلاحه رجحوا تركه.)) ابن تيمية.
روى الأصبهاني بسند صحيح قول النبي صلى الله عليه و سلم:"ألا أدلك على صدقة يحب الله موضعها؟ تصلح بين الناس فإنها صدقة يحب الله موضعها".
دمتم في رعاية الله و حفظه.

حاجة الأحزاب :

تحتاج بعض الأحزاب إلى خبراء اتصال لتعليمها كيفية مخاطبة الرأي العام،و الإجابة عن أسئلة الصحفيين " الماكرة"
باختصار تسويق الجيد "الإشهار له" وفق متطلبات صناعة الرأي،وتحويل السلبيات إلى مقدمة موضوع لإيجابيات، السياسة فن التواصل،وتقليل المخالف ،و الطعام الطيب في إناء قذر تعافه النفوس،و الطعام الرديء في الإناء الجميل تشتهيه الأنفس.

حكمة المجانين:

كان أحد المجانين عندنا يقول عن الجزائر وأنا أنزلها على الدول العربية:
هي كراس مسودة كبير ،يخرمط"يخربش" فيه كل من هب ودبَّ.

رغم التَّجديف بقوَّة لم يصل قاربُنا بعد شواطئَ هذا العصر

بسم الله الرحمن الرحيم
السياسة المحضة شأن آخر تتطلب فهما زائدا على ما بأيدي بعضنا،وليس المطلوب أن يفهمها جمعينا ،ولا المطلوب أن يعلِّق عليها كلُّنا.
و السياسة هي علم فهم المشهد و استباق الحدث،وقياس المسافة بين الخطوط المتوازية، وقراءة ما لم يكتب، وما لم يقال ،فالآتي هو ما يعطي المقال السياسي قيمته المعرفية،فهذه محاولة للقفز في الضوء بعد أن قفز بنا إخواننا في الظلام.

التنظيمات على شكل تنظيم الإخوان التي نشأت في القرن الماضي وفقا لثقافته، و آلياته الاجتماعية، ووعيه السياسي، متأثرةً بأحداثه كـ"سقوط الخلافة"، وربما مستلهمة من تجارب أخرى غير النموذج النبوي في خطة التَّمكين،وفي شكلية التنظيم، وسريته،و، وخططه في الوصول إلى الحكم تجاوزها العصر،فلم تقدِّم شخصية سياسية تفتح القلوب لأنها تنظيم جماعي لا يسمح ببروز الفرد و القائد المتميز،وكل حركة دعوية تستهدف استثمار خطابها الدعوي للوصول إلى الحكم تحتاج إلى قيادة بارزة متميزة تحوِّل الرصيد الدعوي،وتدفق القوة الشعبية إلى سياسة عملية ،ولا مشروعا يجذب إليه الناس إلا فئة من المناصرين الناشئين عليه الذين أشربوا حُبَّه .

فالتجربة الإخوانية من أفشل التجارب حتى بالمقارنة بالتجارب التي لا تتخذ الإسلام شعارا فقط بالنظر إلى كم المشاكل في مدتها القصيرة وأدائها تكتشف ذلك، و السبب أنها تجربة قامت كلية على فكرتين أخطأت في الترتيب لها : فكرة الأممية "الخلافة"، و فكرة السيطرة على السلطة بشكل تسلطي استحواذي .

و التناقض في فكر الإخوان أنه في مرحلته الدعوية جعل النجاح الاجتماعي قنطرة النجاح السياسي ثم الديني، وعندما وصل للسلطة جعل السيطرة على مفاصلها همَّه،فتنامى ضده السخط الاجتماعي، وفجَّر كلَّ الهواجس قبل أن يشتدَّ عوده.

وإذا عرفنا أن الإسلام ثورة ـ إذا صح التعبير ـ اجتماعية تفتح القلوب و العقول على ثورة القيم و الأخلاق، و الكل يدعم نظرية التوحيد. قالت خديجة ـ رضي الله عنها ـ واصفة رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((كلا، والله ما يخزيك الله أبدا، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق))صحيح البخاري {3 1/20}.

وكل هذه الأوصاف في تعبيرنا المعاصر خدمات اجتماعية،وهذه الصفات الاجتماعية التي كان يتحلى بها صلى الله عليه وسلم نجدها في حياته، وفي تشريعات الإسلام بعد الوحي إليه،فقد رفعها عاليا في مراتب الإيمان كما في قوله صلَّى الله عليه وسلَّم الذي رواه عنه ابن عمر ـ رضي الله عنه ـ : ((أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ، وَأَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ سُرُورٌ تُدْخِلُهُ عَلَى مُسْلِمٍ، أَوْ تَكْشِفُ عَنْهُ كُرْبَةً، أَوْ تَقْضِي عَنْهُ دَيْنًا، أَوْ تَطْرُدُ عَنْهُ جُوعًا، وَلَأَنْ أَمْشِيَ مَعَ أَخٍ لِي فِي حَاجَةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتَكِفَ

فِي هَذَا الْمَسْجِدِ شَهْرًا فِي مَسْجِدِ الْمَدِينَةِ، وَمَنْ كَفَّ غَضَبَهُ سَتَرَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ كَظَمَ غَضَبَهُ وَلَوْ شَاءَ أَنْ يُمْضِيَهُ أَمْضَاهُ، مَلأَ اللَّهُ قَلْبَهُ رَخَاءً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ مَشَى مَعَ أَخِيهِ فِي حَاجَةٍ حَتَّى تَتَهَيَّأَ لَهُ ثَبَّتَ اللَّهُ قَدَمَهُ يَوْمَ تَزُولُ الْأَقْدَامُ»،وإن سوء الخلق يفسد العمل كما يفسد الخل العسل))صحيح بمجموع طرقه.

وقال : ((المؤمن يألف ويؤلف ولا خير فيمن لا يألف، ولا يؤلف وخير الناس أنفعهم للناس)) الدارقطني و الضياء وغيرهما.

وقال: ((لقد شهدت في دار عبد الله بن جذعان حلفا ما أحب أن لي به حمر النعم، ولو أدعى به في الإسلام لأجبت)).

كما روى الطبراني بسند صحيح عن أبي ذر الغفاري ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: ((قلت يا رسول الله :ماذا ينجي العبد من النار؟قال:الإيمان بالله،قلت:يا نبي الله إن مع الإيمان عمل؟قال: يرضخ مما رزقه الله، قلت: يا رسول الله أرأيت إن كان فقيرا لا يجد ما يرضخ به؟ قال: يأمر بالمعروف و ينهى عن المنكر، قلت:يا رسول الله أرأيت إن كان عييا لا يستطيع أن يأمر بمعروف ولا ينهى عن منكر؟ قال: يصنع للأخرق، قلت:أرأيت إن كان أخرق لا يستطيع أن يصنع شيئا؟قال: يعين مغلوبا، قلت: أرأيت إن كان ضعيفا لا يستطيع أن يعين مظلوما؟فقال: ما تريد أن تترك في صاحبك من خير؟: تمسك الأذى عن الناس، فقلت: يا رسول الله إذا فعل ذلك دخل الجنة؟قال: ما من مسلم يفعل خصلة من هؤلاء إلا أخذت بيده حتى تدخله الجنة)).

فالدعوة الإسلامية قدمت للمجتمع الجاهلي تغييرا على جميع المستويات فبدأت بالجانب الإنساني، وأثارت اهتمام الإنسان إلى فضائل الإسلام، وأنه دين بني على العدل،فحيثما يكون العدل فثم الإسلام،وحيث الإسلام فثم العدل،فخاطبت العبيد خطابا ردَّ إليهم إنسانيتهم وكرامتهم الآدمية ،وحاربت العنصرية بإقرارها معايير للتفضيل جديدة على المجتمع الجاهلي مبنية على التقوى فحسب،وأكرمت المرأة بتخليصها من الوأد،وأعطتها حقها في الميراث، ورفعت قيمتها لتضعها في مركز المجتمع من خلال نصوص رائعة أرست حقوق المرأة كما لم تشهدها أية حضارة أخرى،وأعطت الفقير حقه في مال الغني، وحقه في تكفل المجتمع به عندما حرمت الربا،وجعلت كل شيء فيها يدور بحسب الضعفاء فيها ،وأعادت الروابط الاجتماعية بالحث على حسن الجورة، وصلة الرحم ،و تحريم الظلم بجميع أشكاله ، وغير ذلك كثير ، فكان ذلك

فاتحا جاذبا لقلوب الأغلبية ،ولم يتأخر إلا صاحب مصلحة قامت على الظلم خاف من ضياع منصبه الاجتماعي القائم على التوارث، و عصبية الجاهلية، أو على أمواله القائمة على استعباد الناس، أو الإغارة على بني جنسه، أو التربح بالربا و استغلال بؤس الناس، أو المتاجرة ببيع الأصنام أو بعبادتها.
قال جعفر للنجاشي ـ رضي الله عنهما ـ: ((أيها الملك كنا قوماً على الشرك: نعبد الأوثان، ونأكل الميتة، ونسيء الجوار، ونستحل المحارم بعضنا من بعض في سفك الدماء وغيرها، لا نحل شيئاً ولا نحرمه، فبعث الله إلينا نبياً من أنفسنا نعرف وفاءه وصدقه وأمانته فدعانا إلى أن نعبد الله وحده لا شريك له، ونصل الرحم، ونحسن الجوار، ونصلي ونصوم، ولا نعبد غيره))
هذه هي دعوة الإسلام إخراج الناس من استعباد و ظلم و طغيان الأديان الباطلة إلى عدل الإسلام القائم على الكفاءة و الأمانة لا على المداهنة و العصبية تحت أي اسم كانت ،و بهذا يسهل إخراجهم من عبادة الناس إلى عبادة رب الناس.
ومن هنا لم يعد بالإمكان لجماعة الإخوان وهي بعيدة عن هذا الفهم "أن طريق القلوب إلى الحق العدالة الاجتماعية"،و"أن تأليف القلوب حتى قلوب الكفار و المنافقين أصل دعوي" باعتبارها نظاما من جماعة سياسية انسخلت من واجبها الوطني لصالح خطة التمكين تماما، بُنيت على عقيدة مصالحية متماسكة داخليا لكنها متعارضة متنازعة مع مفهوم الدولة الحديثة التي أصبح المواطن فيها صاحب رأي يقيمه أساسا على العدالة الاجتماعية.
لم تفهم هذه الجماعة أن موقف المواطن ينتظم حول العلاقات المباشرة مع حالته الاجتماعية فرضه عليه تطور المجتمع المعاصر وصعوبته ،فهي وإن كانت جماعة منظمة سياسيا مبنية على منطقها الخاص " التمكين أولا" إلا أنها لم تستثمر هذا التنظيم لإنجاز النجاحات و الاستفادة من التجارب الأخرى، ولم تدرك أن وصولها للسلطة يعود إلى هذا التنظيم لا إلى فكرها ومشروعها ،حفَّز ظهورها عدم البديل المنظم، ورأس مال دعوي بذرته ببذخ بتلك الأخطاء الصبيانية التي سببها الغرق في فكر تنظيم قديم أعماها عن قراءة المشهد وفهم طبيعة الناس وحقيقة مواقفهم.
ولأن مشروعها لم يقم في يوم ما على سياسة "عيش الناس الكريم ضمن شروط الحرية و المسئولية"أولا ثم رفعهم إلى مستوى رسالة الإسلام، انكبت منذ تسلمها

السلطة على مصالحها الخاصة، وانطوت على ذاتها التنظيمية،وبدلا من الشروع في إجراءات بناء الثقة و طمأنة الناس صدمتهم بسياسة اقتصادية مشوشة تركت مشكلة الفقر الثابتة خلفها وراحت تعالجها إعلاميا بدلا من ممارسات الميدان، وتصرفات سياسية ابتزازية افتزازية مع جميع السلطات وأهل الشوكة في البلاد .

و العجيب أن الإخوان قبل أن يتمكنوا من الحكم أقنعوا كثيرا من أعدائهم الآن بمناصرتهم على حساب المرشح الآخر فكل التصريحات التي أطلقها مرشحهم و التطمينات و الوعود كذبوها بأفعالهم المناقضة لها مما يدل على أن جهاز قياس المسافات و الزمن عندهم معطل.

هل ظن الإخوان وقد أقحموا أنفسهم في حال سياسية معقدة،أن الشعب سيعفيهم من النظر في آثار عجلتهم في الاستيلاء على الحكم دون المقدمات الاقتصادية و الاجتماعية التي أشرتُ إليها و التي عجزوا عن الارتفاع بها إلى مستوى مقبول جماهيريا ؟

لقد كان من المفروض عليها كحزب عالي التنظيم أن تراعي في بدايتها التقاليد السياسية في ظل بيئة الكل فيها مرتاب منها،حذر من مبادراتها السياسية،و الانعتاق من منهجها القديم المتمثل في التخطيط المركزي في مكتب الإرشاد لتناقض الظرفين و الواجبين واجب الدعوة وواجب الحكم،واجب السعي للوصل للسلطة وواجب ممارسة السلطة لأنها لا تفرق بين السلطة التي شدتها وبين المسؤولية التي تستلزم أن توسع منظورها وآفاقها وتعلم أنها تدير دولة كبيرة متنوعة الشرائح الاجتماعية و المذاهب السياسية، وليس جماعة أو تنظيم سري ربط ربطا وثيقا بين التمكين و الطغيان السياسي مما لم يسمح لها برد سياستها إلى قلب القضايا المعاصرة ،وأدى هذا التخبط و الارتباك و العجز عن خلع عباءة التنظيم إلى أن خبا بريقها .

وإذ أقول هذا فأنا مدرك تمام الإدراك أنها الآن في طور الانتقال من الصراع على التمكن من السلطة إلى طور الانهيار و الانفجار من داخل.

لا أقول : لسنا مستعدين لممارسة السلطة وإدارة شؤون الدولة بما تقتضيه المرحلة ويتطلبه العصر و تستشرف له شعوبنا من الازدهار و التقدم الذي يجب أن يكون عملنا الأول قبل أن نستشرف بها نحن مقاصد الشريعة الكبرى، بل أقول: لسنا مستعدين لهذا العصر ،ومع التجديف المتعب لم نصل بعد شواطئ هذا العصر.

الناس يفهمون كلامنا برصيد معرفتهم السابقة بنا ،وما علق في إدراكهم، ولحد الآن لم ندرك أن السياسة ليست وعظا يعتمد كلية على جمال الكلمة وقوة معناها بل على الفعل السياسي الملموس ، فالناس في عالم السياسة وتسيير الدول: يشاهدونك ولا يسمعونك.
تناولت الإخوان بهذا النقد وهو يعم غيرهم من الجماعات الإسلامية لأنهم هم من تولى سلطة فعلية في البلاد الإسلامية، ومع ذلك لابد أن أحيي النضج و الوعي الذي أظهره حزب النور المصري، و الذي يبشر بالخير إن استمر في التقدم على هذا الفكر.
وهنا أفرق بين قول من يريد الابتعاد عن السياسة لإصلاح المجتمع دعويا،فهذا بالنسبة لي شطر المهمة،و الشطر الثاني: النضج السياسي ومعرفة شروط العصر الذي هو من اختصاص السياسة لا الدعوة،وكما قلتُ سابقا: لا الانغماس التام،ولا الانسحاب العام، بين ذلك نلتمس طريقا.
عندما حدثتكم عن فن أو علم التواصل خاصة في المجال السياسي فليس من نافلة القول بل هو فهم لطبيعة الناس ،فرؤساء الدول الغربية لا يظهرون على الشاشات إلا بعد أن يرسلوا مدراء مكاتبهم السياسية وهم خبراء في التواصل والإشهار يحددون عدد الكاميرات،ومواضعها،و جهة الوجه التي يجب أن تظهر في الصورة،وإذا ما كانوا يجيزون دوران الكاميرا أم لا ، وعدد مصابيح الإنارة، ولون الطاولة وغير ذلك كثير، ذلك أنهم أدركوا أن من الناس من يقتنع بك بسبب منطقك"مخارج الحروف،ونبرة الصوت"،ومنهم من يقتنع بك لجمالك ،ومنهم بسبب هدوءك،أو لباقتك ،أو مضمون كلامك،أو كثرة حفظك للأرقام،وقوة حجتك وغير ذلك ،وربما نجد أصل هذا في سنة النبي صلى الله عليه وسلم فإنه صح عنه أنه كان إذا حدث أحدهم أخذ بيده،أو وضعها على كتفه وغير ذلك من حركات تفتح القلوب وتهيئها للاستماع.
وفي ظني أننا نتعامل مع جهاز رقمي بخبرة بدائية : نبحث عن مكان أزرار التحكم.
قال صلى الله عليه و سلم:"اعف عمن ظلمك وصل من قطعك و أحسن إلى من أساء إليك وقل الحق ولو على نفسك".
لعله خير لهم ، بل هو خير لجميع المسلمين.

الأيام دول و الدول أيام

بسم الله الرحمن الرحيم

إننا عندما نصل درجة تجريد معارفنا عن قوانا الباطنية الشعورية المتمثلة في الحب و البغض ،أي عندما نجرد النقد من البغض ،بل عندما يدل النقد على الحب و الاهتمام حب الحقيقة و الحق، وحب نصح المسلم لأخيه المسلم، و إظهار الاهتمام به نكون قد قطعنا شوطا كبيرا في إعادة بناء الصرح الإسلامي الشامخ، لكن الحب و الاهتمام له ألفاظه و مصطلحاته و عباراته و مظاهره العملية.

إنه بالأهمية بمكان أن نقول لإخواننا المتسيسين أنه لم يعد ممكننا في هذا العصر أن تتجلى علاقتا بالله عز وجل استنادا على الرموز و الشعارات الدينية و الافتتان و التعجب من الماضي، فهذه الأشياء قد حطمت من قبل ممارسات خاطئة استغلتها أفكار كثيرة لتحل في مجتمعاتنا، ونحن من بذر رأسماله الديني، و كرس الخيبة العامة، و الانهيار الذريع لقيم الإسلام الحقيقية التي من ضمنها: المساواة في الحقوق، و الحرية الشرعية، و العدالة الاجتماعية والتعاون و التكافل ،فالنصوص الشرعية المتعلقة بحقوق المسلم، والتي تجعل منه لاعبا مهما في بناء المجتمع، و بعث الحضارة الإسلامية و بنائها تنص على أن الناس سواسية كأسنان المشط،وأنه لا فرق بين عربي وعجمي و أبيض و أسود إلا بالتقوى، لا بالولاء أو القبلية أو القومية و القطرية، و أنهم يولدون أحرارا، و أن حرمتهم أعظم من حرمة البيت الحرام،والحرمة كلمة واسعة تتناول حرمة النفس والولد و الأهل و المال و الكرامة و الشرف وحرمة حقه ونسبه وغيرها، و تحرم الظلم في جميع أشكاله، وتضع نظاما محكما للمسؤولية يقوم على المحاسبة في الدنيا و الآخرة.

إن علاقتنا بالله لها أن تتجلى في أعمالنا التي سنحققها لأمتنا في كل ميدان يؤكد تلاحم هذه الأمة و تواجدها بقوة ،و يعيد كل مقومات الأمة القرآنية، وهذه الأعمال أعمالنا نحن لا أعمال سلفنا، وهي الشهيد الوحيد الذي تقبل شهادته على تعلقنا بالإسلام، و إخلاصنا لله عز وجل، و هي السبيل الوحيد الذي يمكننا من التفوق على الإشكالات التي ورثناها إرثا ثقيلا على أكتافنا {تلك أمة قد خلت لها ما كسبت و عليها ما اكتسبت ولا تسألون عما كانوا يفعلون}.

الرجوع للخلف للقفز أبعد هو التصرف الذكي.

لا تحزن ولا تفرح أنت حيثما كنت وتحت أي لون أنت المستهدف.
ليس المشكل في الخطأ المشكل في عدم التعلم من الخطأ.
ومن خلال مشاركات الشباب أعلم أن الطريق لا يزال طويلا ،السكون على الرأي،و الدوران على الذات،وتخطئة الآخرين هو أبرز ملامحنا الظاهرة المنبئة عن حيرة مفادها لم تفلح الأسلحة التي جربناها فماذا بعد ؟
لعلنل في موضع ما من مسيرتنا أخطأنا ، هل هذا ممكن(؟)
فلا يفرح الساكنون على مواقف العدمية على انكسار المتحركين المجربين .فكلنا في النتيجة سواء،فلا السكون نفع ولا هذه الحركة نفعت فلعل الطريق يحتاج إلى استكشاف وهو ما بين ذلك.

مصر ....تغسل ثيابها في الشارع
مصر في قمع كلما تقدَّمت فيه ضاق(؟)
وكما يقول الناس عندنا: " خلطوا القصعة بكرع كلب".

الشعبوية:
الظاهر أن مصر تحوَّلت إلى دولة شعبوية يوجِّه فيها الشعب كل شيء، و يتدخَّل في كل شيء،لأن السياسة عند الأمم قيادة الشعب بكفاءة ولصالحه، و ليس اتّباعه.
لقد تحوَّلت عبارات "الثوار و الثورة" إلى أسطورة سياسية تقول رأيها في كل شيء حتى تحول النظام السياسي إلى دولة شعبوية .
و اليوميات المعاشة للمواطن المصري العادي تكذب كل مظاهر الديمقراطية الجديدة .
و عليه فإن الديمقراطية التي تتحدث عنها النخب السياسية المصرية أسطورة سياسية الغرض منها إقامة دولة الأقلية الأوليغارغي سواء أقلية باسم الثورية ، أو أقلية نخبوية سياسية ثقافية مالية عسكرية و المصري البسيط سيبقى في الفقر المدقع.

الديمقراطية(مع التحفظ) مع التخلف كالحناء على الوسخ لا تمسك(!)

هل هذا ممكن (؟)
انبثاق دولة عادلة مزدهرة يحتضنها الشعب فجأة ،وهي تنزح من مجتمعها المملوء بالظلم و الجهل، وضعف التدين الصحيح المبني على عقيدة وأخلاق إسلامية صحيحة(؟)
و اللازم حينئذ (؟)

حتى لا تغضب من إخوانك:
بعض الإخوة يعتقد أن معركته إيمانية، وهي كذلك بالنسبة إليه، ولكنها ليست كذلك لكل المسلمين فلا تلزم الناس برؤيتك وتجربتك مهما كان تعلقك بها، لأنه قد يقود أصدق الناس المسلمين إلى ما لا تحمد عقباه،ولهم حق التحفظ و الخوف و التريث واقتراح وسائل أخرى.
وكونك في صراع مع أعداء الدين وهم كذلك، وما اكثرهم في مجتمعاتنا، لا يعني حتما موافقتك على وسائلك فانتبه.

المصيبة أن الطريق البديل غير واضح لحد الآن
إن الواقع المتحول و المتغير باستمرار الذي تعيشه الأمة جعلنا نعجز عن فهمه لأننا لم يكن لنا في يوم من الأيام علاقة بهذا الواقع كما هو إنما نعيش داخل تصوراتنا، ولما كان هذا حالنا، ولم نهضمه جيدا جاءت مواقفنا من قضايا الأمة مواقف ثابتة جامدة على قضايا متحركة، فما كان صائبا في ظرف ما صار اليوم تصرف بخلاف الوقت و العصر،و بالتالي صرنا نتفرج على الواقع يمر أمامنا يصنع بنا الحدث ولا نصنعه.
ومع ذلك أقول: لم يفت الوقت بالنسبة لنا لتجاوز الخيبة و الخذلان الذي أحدثناه لما وظفنا في قضايا لا تقبلها المرحلة فيجب على وجه السرعة أن نخرج من مرحلة تضييع التفكير إلى مرحلة تجديد التفكير لتعريف الشعوب بحقيقة الإسلام والنظام الإسلامي، و أنه نظام العدل الحقيقي و المشورة الحقيقية ،و انه يتفوق على الديمقراطية رغم ما فيها من إيجابيات لأنها ليست إلا أسطورة سياسية ومسرحية يقوم

بالأدوار فيها ثالوث متحالف من رجال الأعمال و النخبة الفكرية و الإعلام
لكن يجب أن نثبت ذلك عمليا من خلال عمل في الميدان الاجتماعي عميق، ولنقل أن التجربة في ظل المحفزات الاصطناعية التي وضعت في مسارها لجذبها لهذا المستنقع، وفي ظل تركيبة الجماعات الإسلامية المشغوفة بتكوينها بالسياسة، و التشوف إلى الحكم كانت من المجازفات الضرورية التي كان من الصعب بمكان تجاوزها،ولعل الخواطر الآن هدأت للتفكير العميق المتمهل في القادم.
وفي ظني الأطروحات البسيطة المتمثلة في المواقف المجملة أو التي ليس لها إطار محدد من فريق اعتزال السياسة بكل أشكالها و الانصباب على الدعوة كما كانت و التي بدورها عجزت عن تجاوز حدودها الضيقة و المتقلصة باستمرار لن يساعد إخواننا في الاقتراب منها وفي صياغة مشروع جديد لها استراتيجيات واضحة و صلبة.

متى تكون الدعوة بديلا عن المشاريع التي أخفقت:
الإخفاق الذي نعايشه في جميع المستويات السياسية و الجهادية، لا يعني انتصار أنصار الدعوة بدعوتهم الحالية .
فلا يجب أن تقس نجاحك بإخفاقات الآخرين التي تدل في الحقيقية على إخفاق دعوتك التي عجزت عن إقناعهم ،وهم أقرب الناس إليك
أول خطوة في المراجعة تغيير الخطاب البيني من سب و عاطفة إلى علم وأخلاق .
أنا مذهول من عدم رؤية قصور الدعوة الحالية ومحدوديتها.
وأنا مع أنصار الدعوة في اعتبار الدعوة العلمية هي الأصل، والجزء الأكبر من الحل لكن أية دعوة (؟)
فإن كنا نقصد الحالية فما أبعدها عن الفعالية، وجلد هذا العصر أغلظ من أن يخرقه نصل سهمها.
ثانيا: إذا بقيت الدعوة بهذا الشكل فهي في تراجع أمام الفكر العلماني المعاصر الذي يحاول وربما بدأ يتغلغل في عوام المسلمين بمسلمات سياسية و اجتماعية، وأصبح يُطعِّم خطابه ببعض الدين تلبيسا وتشويها .
و الدعوة الآن خطاب ضعيف للغاية لا يستهوي إلا البسطاء في الأغلب، عاجزة عن

الوصول إلى المثقفين، وأكثرها إجراءات وتدابير دفاعية، وليست خطابا علميا وفكريا متزنا ولا محيطا بقضايا المجتمع و العصر، بله أن يهيمن على المجتمع ،فإما جرح وتعديل، وإما علم كلام ومواضيع غير مرتبطة بواقع الناس وما يحتاجه إصلاح أخلاقهم وعقيدتهم وخاصة وعيهم بمتطلبات الهوية الإسلامية.

نحو تجديد الفقه السِّياسيِ الإسلاميِّ

شبهاتٌ فِي الفِقْهِ السِّيَاسِيِّ عِنْدَ بَعْضِ الإِسْلَامِيِّينَ
طَبِيْعَةُ الصِّرَاعِ الإِسْلَامِيِّ العَلْمَانِيِّ
والتَّأثيرات العلمانيَّة الخفيَّة في الفكرِ السِّياسيِّ لدى بعض الإسلاميِّين

بسم الله الرَّحمن الرَّحيم

الحمد لله وحده، و الصَّلاة و السَّلام على من لا نبيّ بعده.
أمَّا بعدُ:
بعض النَّاس ـــــــ ممَّن يجد ضيقًا في صدره مِن الإمام أحمد، ومن شيخ الإسلام ابن تيميَّة (رحمهما الله) ويريد أن يتخلَّص منهما في منهجيَّته العلميَّة ـــــــ يبدأُ خطابه السَّياسيَّ (مصادرةً على المطلوب) بتقسيم السَّلفيَّة إلى سلفيَّة مجدِّدة و سلفيَّة محافظة، سلفيَّة قبل العصر العبَّاسيِّ، و سلفيَّة بعد العصر العبَّاسيِّ (؟!)
وهو نوع من التَّحليل التَّاريخيِّ الاجتماعيِّ الَّذي بدأه مالك بن نبيٍّ (رحمه الله) عندما قسَّم التَّاريخ الإسلاميَّ في كتابه (مشكلة الأفكار) إلى ما قبل عصر الموحِّدين، وما بعد عصر الموحِّدين.
ولا شكَّ أنَّه يوجد في السَّلفيِّين هذا التَّقسيم، ولكن ما المقصود بالتَّجديد، و ما المقصود بالمحافظة(؟)
وما الفرق بين أهل السُّنَّة قبل العصر العبَّاسيِّ، و أهل السُّنَّة بعد العصر العبَّاسيِّ(؟)
الظَّاهر أنَّهم يريدون من هذا التَّقسيم البرهنة على آرائهم السِّياسيَّة، ولكنَّهم يبدؤون النَّاس بدعواهم هذه مِن باب المقدِّمة المسلمة و المصادرة على المطلوب(!!)

وصاحب هذا التقسيم لم يستطع من خلال مقالاته العديدة أن يثير دليلا واحدًا مِن الكتاب و السُّنَّة بمفهوم السَّلف قبل العصر العبَّاسيِّ كافيًا على أنَّ آراء الإمام أحمد و ابن تيميَّة في السِّياسة و الإمامة مرجوحة ،لا يأخذ بها إلاَّ المقلِّد.
كذلك يقال له : إنَّ أهل السُّنَّة المعاصرين لا يريدون حلَّ مشكلات النَّاس عبر فكر ابن تيميَّة لأنَّه فكر بن تيميَّة، و لكن لأنَّ الدَّليل الشَّرعيَّ من الكتاب و السُّنَّة و الإجماع يوافق هذا الَّذي تسمِّيه "فكر ابن تيميَّة".
فهم في الحقيقة يريدون حلَّ مشكلات النَّاس عبر الحلول الشَّرعيَّة، سواء كان ممَّا نقله، أو قرَّره ابن تيميَّة، أو ابن حزم، أو غيرهما.
ويصحُّ لك هذا الادِّعاء إذا تمكَّنتَ أن تثبت لنا أنَّ فكر ابن تيميَّة في المسائل المتعلِّقة بواقع المسلمين تخالف الشَّرع.
و إذا لم تقدر على ذلك فإنَّ كلامك هذا يبقى مجرَّد شبهة تعتري كثيرا مِن النَّاس ممَّن لم يحيطوا بالمعرفة الشَّرعيَّة، مِن مصادرها الأصليَّة.
ما هي إذن المشاكل و الإشكالات الَّتي تعترض النَّاس في هذا العصر، ولم يقدر أهلُ السُّنَّة من حلِّها لأنَّهم يقلِّدون الإمام أحمد، و ابن تيمَّية ،و الفكر النَّاشئ في العصر العبَّاسيِّ (؟)
إنَّها الهيمنة الثَّقافيَّة الغربيَّة على العالم بما فيه العالم الإسلاميِّ، و تغلغل العلمانيَّة داخل المجتمعات الإسلاميَّة وفي عقول المهووسين بالسِّياسة و السُّلطة من الإسلاميِّين.
فهل منهج أهل السُّنَّة اليوم لم يستطع مقاومة هذه الهيمنة، ومقاومة العلمانيَّة لأنَّه يدعو إلى تصفية الدِّين من الدَّخيل عليه (؟!)
أم لأنَّه لم يتبن منهج التَّغيير في الفكر الاعتزاليِّ، أو حسب التَّسميَّة الشَّرعيَّة "منهج الأمر بالمعروف و النَّهيِّ عن المنكر في عقيدةِ المعتزلة" الَّتي تقتضي الاقتحام السِّياسيِّ بعنف، و استعمال القوَّة (؟)
مرَّة أخرى يظهر أنَّ عبد الله الحامد يوحِّد بين الدِّين الإسلاميِّ و بين النِّتاج الفكريِّ العامِّ للحضارة الإسلاميِّة،وينطلق في معالجته لواقع المسلمين اليوم مِن نظرة فلسفيَّة مفادها أنَّ الحياة الاجتماعيَّة تؤثِّر في نظريَّة المعرفة لدى الفرد، بحيث إنَّ رؤية الفرد تختلف من مجتمع إلى آخر.

و لذلك تراه إمَّا يُضعِّف النُّصوص المتواترة المرويَّة عند البخاريِّ ،و مسلم، و أهل السُّنن الخاصَّة بتسيير علاقة الحاكم بالمحكوم، أو يدَّعي أنَّ المفهوم السَّائد لهذه النُّصوص هو مفهوم أفرزتهُ ظروفٌ خاصَّةٌ اجتماعيَّة و سياسيَّة في العصر العبَّاسيّ، و بالتَّالي هو مفهوم وليد تلك الظُّروف، و لا تدلُّ عليه أقوال السَّلف الصَّالح قبل العصر العبَّاسيِّ ، وهذا المفهوم الزَّمنيُّ تتَّخذه السَّلفيَّةُ اليوم منهجا و أصولا ثابتة (!!) فيحاول استعمال مذهب التَّاريخانيَّة الَّتي تعتمد في محاولة تمييعها للنُّصوص على أنَّ هذه الأخيرة لها تاريخ و تاريخيَّة(؟!)

و حتَّى ندخل معه في صميم الموضوع نذكِّره بمرجعيَّة آرائه الَّتي يدعو إليها:

نحن نعلم أنَّ فكرتي الحرِّيَّة و المسؤوليَّة لم تعالج في الفكر الاعتزاليِّ بطريقة مباشرة ، و إنَّما اندرجت في إطار مبحث "التَّكليف"، و تحت أصل" العدل" الَّذي أدخلوا فيه مسألة الملكيَّة و أنَّه عقد يقع بالتراضيِّ، و أرادوا أن يعمموه على مسألة الإمامة.

فخلُص هؤلاء المعاصرون إلى أنَّ الحياة الاجتماعيَّة يجب أن تكون قائمةً على التَّعاقد و التَّراضي،و أنَّ القيِّمَ الوحيد على هذا المبدأ هو المجتمع المدنيُّ الَّذي يكون عبارةً عن مؤسَّسات مدنيَّة موازيَّةٍ للسُّلطة ،و معارضةٍ في مجال: القانون، والحرِّيَّات، و المراقبة السِّياسيَّة و الاجتماعيَّة و الاقتصاديَّة و الثَّقافيَّة، و المطالبة و غير ذلك.

و لذلك لا غرابة إذا قلنا: إنَّ تصوُّر الدكتور للحرِّيَّة السِّياسيَّة و الاجتماعيَّة يندرج في التَّصوُّر المعتزليِّ، و إن كان ليس بالضَّرورة أن يكون معتزليًّا.

وفي الحقيقة أخذ عبد الله الحامد و أضرابه هذه النَّظريَّة مِن العلمانيَّة، وحتَّى يسوغ لهم تمريرها ألبسوها ثوبًا إسلاميًّا، و استعاروا لذلك التَّأصيل المعتزليِّ.

ومعلوم أنَّ هذه النَّظريَّة "التَّعاقد الاجتماعيّ" هي عبارة فضفاضة

وعليه يمكننا القول :إنَّ الدُّعاة إلى الديمقراطيَّة سواء داخل التِّيَّار العلمانيِّ العربيِّ، أو داخل التِّيَّار الإسلاميِّ السِّياسيِّ الحزبيِّ يجدون في الاعتقاد الاعتزاليِّ فيما يخصُّ نظريَّة "التَّعاقد الاجتماعيِّ" مرتعًا خصبًا في عقيدة المعتزلة في " التَّعديل و التَّجوير" و مرجعًا، و سندًا يظنُّون أنَّه يعطيهم، أو يضفي على مطالبهم السِّيساويِّة الصِّبغة الشَّرعيَّة ، لأنَّ المعتزلة انطلقوا في مفهومهم للحرِّيَّة و الاختيار من أساس شرعيٍّ و عقائديٍّ إسلاميٍّ بحث ،والنَّتيجة : فإنَّ نظرتهم ليست نظرة بدعيَّة كما يزعم السَّلفيُّون (!!)

وعليه؛ فإنَّ رأي الإمام أحمد و أهل السُّنَّة والجماعة في العصر العبَّاسيِّ وهو العصر الَّذي انتشرت فيه عقيدة الاعتزال لا يمثِّل إلاَّ وجهة نظر الإمام أحمد الَّتي لا يجب أن نعتبرها هي مذهب السَّلف الصَّالح قبل العصر العبَّاسيِّ (!!)

كما لا يجب أن نخلط بين أقوال الإمام احمد الأصوليَّة الممثِّلة للأصول السَّلفيَّة وبين اجتهاده في مثل هذه المسألة.

ولو أنَّنا عدنا قليلا إلى صورة وموضوع عقيدة الحرِّيَّة و الاختيار عند المعتزلة لوجدناها كالتَّالي: يرى المعتزلة أنَّه يجب استخدام القوَّة في الأمر بالمعروف و النَّهيِّ عن المنكر، وهذا أحد أصولهم الخمسة ، فإذا جار الحاكم أو ظلم يجب الخروج عليه، و مقاومته لخلعه وتنحيته أمرًا بالمعروف و نهيًّا عن المنكر.

وحتَّى يكون الإنسان مسئولا عن أفعاله يجب أن يكون خالقًا لها لأنَّه لو خلقها الله لم يكن هذا الإنسان مسئولا عنها ، فاقتضى ذلك تحقيق حرِّيَّة الفرد بإنكار القدر (!!)

و إذا اقتضت المسؤوليَّة و الحرِّيَّة إنكار القدر فإنَّهما يقتضيان الأمر بالمعروف و النَّهيِّ عن المنكر باليد، و أنَّ اعتقاد الجبر يولد سلطة الفرد و تسلُّطه.

و إذا وجب إثبات الإنسان قادرا مسئولا عن أفعاله لتنزيه الله عن تكليف مالا يطلق كان في مقدور الإنسان تغيير جور الحاكم فلا معنى للواجب إلاَّ أن تكون قادرا مختارا أو مضطرًّا ممنوعا (!!)

و الأمر بالمعروف و النَّهيُّ عن المنكر واجب مؤكَّد فلزم على النَّاس ـــــ من باب المسؤوليَّة عن أفعالهم أمام الله ـــــ إزالة جور و ظلم الحاكم باستعمال القوَّة (!!)

و عليه؛ قد يتبيَّن للقارئ أنَّ رد الدكتور عبد الله الحامد ــــ وغيره من المفكِّرين المعاصرين ـــ أصول السَّلفيَّة و منهجها إلى العصر العبَّاسيِّ ليزعم أنَّهم كانوا يدافعون عن مواقف سياسيَّة معيَّنة هي مذهبهم الجبريُّ في الإمامة، لأنَّ الجبر ــــ في عقيدة الدكتور ــــ يقتضي التَّسليم للواقع.(!)

ومذهب أهل السُّنَّة في الإمامة يرتكز عند الدكتور عبد الحامد على أحاديث ضعيفة و عند آخرين على الجبر لأنَّه لم يكن آنذاك فرق بين الدِّين و الدَّولة فكان لابدَّ للموقف الاجتماعيِّ أن يظهر في الثوب الدِّينيِّ العقائديِّ كما عند السَّلفيِّين أو في المظهر السِّياسيِّ الحزبيِّ كما عند الخوارج و الشِّيعة (!!)

وعليه؛ كان لهذا المظهر الاجتماعيِّ الانطواء تحت تأويل ملائم لجوهر الدِّين و

أصوله.

و نحن وبعد أن تفحَّصنا مضامين كلام الدكتور وجدناه يتحاكم إلى معايير اعتباطيَّة متغيِّرة تمثِّل فوضويَّة التَّفكير و القراءة لا ترجع في التَّحليل إلى المعيار الثَّابت و الشامل ، فاعتبارهما السَّلفيَّة هي مظهر لخلفية اجتماعيَّة مضطربة و لنزاع سلطويٍّ بين العائلات القرشيَّة لا يرجع لأيِّ معيار علميٍّ إلاَّ التَّقليد للمستشرقين و العلمانيِّين و الرَّافضة.(يتبع)

ما رأيكم في هذا التحليل(؟)

من وحي المقارنة بين ميادين مصر الحالية

أو لماذا نحن منتصرون حتما؟

أبو يعرب المرزوقي

منزل بورقيبة في 2013.07.05

لا حاجة لطويل تحليل. نحن المنتصرون حتما بمشيئة الله للعلل التالية: فأفضل ما يدعيه خصومنا في معركة التحرر من قيم توصل إليها العقل الإنساني أثبتت جموع المحتمين بالعسكر أنهم لا يؤمنون بها. والحمد لله أن ذلك حصل بعد أن أثبتنا أننا تمكنا من استيعاب هذه القيم بمقتضى أصولها حتى باتت لا تجد ممثلا له إلا بيننا:

القيم النظرية للاجتهاد المعرفي والعقدي

والقيم العملية للجهاد النظري والعملي

وكل هذه القيم ليست عندنا إلا ما به نجعل الدنيا مطية لما يسمو عليها أعني حرية الإنسان وكرامته التي تجعله لا معبود له سوى الله. لكن كلا الصنفين مفقود عند خصومنا لأنهم حصروها في بعدها الدنيوي فحبسوا أنفسهم في المتناهي والمحدود ولذلك فهم لم يستوعبوا شيئا من قيم العقل بل اكتفوا بالتسيب الخلقي والتشدق الإيديولودجي.

وأفضل ما كاد يقتله الانحطاط من قيمنا التي توصل إليها الوحي عدنا إفأحييناها وقضينا أكثر من قرن نتدرب عليها خلال كل المحن التي مررنا بها والتي كان سببها فساد خصومنا واستبدادهم. وهذه القيم هي بدورها:
قيم الاجتهاد المعرفي والعقدي
وقيم الجهاد النظري والعملي

وكل هذه القيم تحررت جميعها من الاقتصار على الدنيوي فهما لدورها الجاعل منها مطية لما يتعالى عليها. وبذلك فنحن لسنا سجناء المتناهي والمحدود بل نحن المتحررون من سجن المتناهي والمحدود. لذلك فصبرنا لا يضاهيه صبر وقدرتنا على المقاومة لا تتناهي. لذلك فالنصر حتم بإذن الله.
ومن ثم فالمسلمون عادوا إلى التاريخ ولن يوقف عودتهم أي قوة في العالم حتى لو اتحدت كل قوى الطغيان فيه بل إن هذه القوى من حيث لا تعلم تسرع عودتهم بعنفوان لا طاقة لهم به.

وقد استعجل الخصوم المعركة في وقت يئس فيها من كان يساندهم من إمكانية هزم المسلمين بسبب ما نبين هنا من مميزات البشر المتحررين من سجن المتناهي والمحدود في مقابل سجنائها. لذلك جعلنا من المقارنة بين الميادين في مصر الآن منطلق هذا الفهم لما يجري في لحظة الأمة التاريخية الراهنة وحتى نفهم طبيعة المعركة وبين أي صفين هي الآن جارية:

صف المتحررين من المتناهي والمحدود لتعاليهم على الأداتي من أجل ما هو أداة له أعني غايات الوجود الإنساني الحر والكريم. إنهم المتحررون من عبادة الدنيا والهوى الذين يوجدون في أرحب العوالم ومن ثم فهم ممن لا يتزحزح إيمانهم لتحرر من الفاني والسعي إلى الباقي مع وعي جديد بضرورة حماية ما يجعل الفاني أداة للباقي وهو معنى السياسي في الإسلام.

و صف سجناء المتناهي والمحدود لتغافلهم عن الغائي من أجل الغرق في ما هو أداتي آكلين أكل الأنعام. إنهم سجناء الدنيا والهوى الذين يوجدون في أضيق العوالم ومن ثم فهم -إذا ما استثنينا منهم من استعملوه تغريرا به لعلمهم برد فعله الدال على العجز دون تحمل مسؤولية السعي لتحقيق الكرامة والحرية-لا يفهمون معنى للحرية والكرامة لعبادتهم الفاني دون سواه.

وهؤلاء لم يفهموا بعد أن الغرب مهما ناور لمساعدتهم سينتهي إلى ضرورة مهادنة الإسلام العائد لأن هزيمته تبينت أمرا مستحيلا لأكبر قوى الغرب. إنهم إذن يخوضون معركة خاسرة لأنها تأتي وهم في حشرجات الاحتضار لأن من يحتمون به في الخارج مضطر للحفاظ على ما نقبل به من تبادل للمصالح المشروعة بينه وبيننا ومن ثم فعملاؤه الذين باتوا "ثوارا" لتيهمونا بالعمالة قد أثبتوا بهذه الفزة الانتحارية أنهم هم العملاء.

أما نحن ففضلا عن أن كل المقاومات في حرب التحرير لم تكن إلا منا ولا تزال فإن الغرب يعلم ما نسعى إليه جيد العلم ولذلك فهو يخافنا وسيضطر لمهادنتنا ونحن كذلك نفعل لأننا لسنا من طالبي العدوان بل نريد أن نحقق النهوض الحقيقي وغير التابع أعني توحيد الأمة وتمكينها من شروط القيام المستقل في المجالات المقومة لكل أمة حية أي:

في حرية الإرادة السياسية للأمة ولشعوبها وأفرادها
وفي حرية الخيارات التربوية للأمة ولشعوبها وأفرادها
وفي عدم تبعية المقومات الاقتصادية للأمة ولشعوبها وأفرادها
وفي حرية الأذواق الثقافية للأمة ولشعوبها وأفرادها
وأخيرا في شرط كل هذه الحريات أعني الكرامة الإنسانية إذ لا معنى لإنسان بات مثاله الأعلى أن يكون نسخة مطابقه من مستعبده كما هي الحال عند أدعياء التحديث المستبد والفاسد.

المشكلة ليست مع حزب النور:

لقد ركَّز كثير من الحانقين على ما جرى في مصر على موقف حزب النور ذما له بشكل يوحي أن جوهر المشكل هو موقف حزب النور،وفي الحقيقة فإن موقف هذا الحزب لا يغير من المعادلة في شيء فالغطاء الديني أخذ من الأزهر ،و بالتالي فإن صب جم الغضب على حزب النور هو في ظني خطأ في تحديد الدائرة.

وغاية ما يجنيه هذا الحزب إن انسحب من الائتلاف هو أن يوضع مع إخوانه في سلة القمع و الاعتقال و التهميش،وعليه فإن التركيز على ما لا يغير وجوده أو عدمه في المعادلة عبث سياسي.

لقد رأيت بعض الشيوخ يؤصل تأصيلات رخوة لرد حجج حزب النور ترتكز في معظمها على أن الشعب الذي خرج على الإخوان وإن كان كبير العدد فإنه لا يُعتد به لأنه يجب النظر فيمن أخرجه و جيَّشه، و العجيب أنه في نفس الفقرة يؤكد شرعية الرئيس مرسي بنفس اختيار هذا الشعب(؟!)

وحجته الثانية أن الدماء التي تسيل يتحملها من شارك أو وافق على هذا الانقلاب العسكري وهذه حجة عامية من حجج الدهماء لا تنتمي للغة أهل العلم تشبه إلى حد بعيد حجة من كان مع معاوية رضي الله عنه في مقتل عمار بن يسار رضي الله عنه " قتله من جاء به إلى الحرب"(؟!)

ثالثا: من المعلوم أن الله بعث الرسل و أنزل الكتب ليكون الناس على غاية ما يمكن من الصلاح، لا لرفع الفساد بالكلية ، فإن هذا ممتنع في الطبيعة الإنسانية،إذ لا بد فيها من فساد،وما وقع في مصر فيه فساد من الجهتين لا شك في ذلك يحتاج إلى اجتهاد وتحقيق المناط دفع شر الشرين.

و الاجتهاد في مثل هذه القضايا " السياسية" يترنح بين اختيار أحد الطرفين بدون اجتهاد في أصلحهما لأنه ليس موازنة بين خيرين أو الاختيار بحسب المصلحة.

ولا شك أن في موقف حزب النور ودخوله في التحالف يتضمن ترك بعض الدين الواجب لكنه في الوقت نفسه يتضمن تحقيق واجبات أعظم وهي حقن الدماء ودخول البلد في حرب أهلية لأنه يجب ترك الدعاية جانبا من خرج على الرئيس مرسي أضعاف مضاعفة ممن يؤيده.

فالواجب إشباع الرأي بوجهات النظر المختلفة دون صب جم الغضب على حزب

النور لأنه ليس عاملا فاعلا مؤثرا فيما جرى.
وكون الرئيس مرسي قد تمَّ انتخابه لا يلزم الموت دونه،أو التقاتل مع جمهور الشعب المصري فإذا لم يكن المعتبر في اختيار الحاكم النص إذا لم يحقق مصلحة الحكم فما بالك باختيار الشعب المتغير في آرائه و المنقلب على اختياره،
قال ابن تيمية في " المنهاج"{553/1}: ((و النبي صلى الله عليه وسلم قد أخبر أمته بما سيكون و ما يقع بعده من التفرق، فإذا نص لأمته على إمامة شخص يعلم أنهم لا يولونه، بل يعدلون عنه، و يولون غيره يحصل لهم بولايته مقاصد الولاية ، و أنه إذا أفضت النوبة إلى المنصوص حصل من سفك دماء الأمة ما لم يحصل قبل ذلك، ولم يحصل من مقاصد الولاية ما حصل بغير المنصوص، كان الواجب العدول عن المنصوص)).
و الواجب هنا هو الواجب الشرعي، فها هنا واجبان يتدافعان أحدهما أكبر من الآخر، وهو واجب حفظ دماء الأمة و ووحدتها على واجب تولية المنصوص عليه " فما بالك بمن خرج عليه من انتخبه؟)
فموجب الترجيح هنا هو الواقع و المتاح الممكن، و لذلك يقرر علماء الإسلام و فقهاؤه أن التكليف مرهون بالممكن من العلم و الممكن من القدرة.
هذا هو الفقه السياسي الشرعي المبني على فقه مقاصد الأحكام لا التأصيل استجابة للعاطفة بالأدلة الضعيفة .
نعم، يتعرض إخواننا ـ إلى مؤامرة كبيرة ـ يلزم أن يدلنا حجمها على عدم القدرة و الوقت لا ان يشحنا بالتصدي لها مع ما في ذلك من شرور كبرى،والله اعلم.

أهل الشوكة

بسم الله الرحمن الرحيم
ينتقد العلمانيون ومن سلك سبيلهم أمثال المعتزلة و الرافضة وخوارج العصر نظرية أهل الشوكة في الإمامة عند فقهاء الإسلام، و يرون أنها تكرس الاستبداد و الغطرسة ،و تمنع الشعوب من الحرية و غير ذلك ،وهم بذلك لم يفرقوا بين أمرين اثنين.
الشوكة في الإمامة لا تعني ـ بالضرورة ـ الغلبة بل تعني الفعالية ، وعليه لا يجب تفسير مذهب أهل السنة بأنه مذهب يقر الاستبداد السلطوي ، ويجعل من الملك

العضوض هدفا وغاية ،ولكن أهل السنة يتكلمون في حدود المتاح الممكن، و ليسوا كالعلمانيين وعباد الكرسي يحاولون تطبيق نماذج سياسية ثقافية معقدة في بلدان غالب سكانها من الأميين ، فلا يراعوا حالة الشعوب و إمكانياتها.

((فأهل السنة لا ينازعون في أنه كان بعض أهل الشوكة بعد الخلفاء الأربعة يولون شخصا وغيره أولى بالولاية منه، وقد كان عمر بن عبد العزيز يختار أن يولي بعده القاسم بن محمد لكنه لم يطق ذلك، لأن أهل الشوكة لم يكونوا موافقين على ذلك)){المنهاج} {550/1}.

((و حينئذ فأهل الشوكة الذين قدموا المرجوح وتركوا الراجح،أو الذي تولى بقوته وقوة أتباعه ظلما و بغيا يكون إثم هذه الولاية على من ترك الواجب مع قدرته على فعله أو أعان على الظلم،و أما من لم يظلم، ولا أعان ظالما ،و إنما أعان على البر و التقوى،فليس عليه في هذا شيء.))

و معلوم أن صالحي المؤمنين لا يعاونون الولاة إلا على البر و التقوى، لا يعاونونهم على الإثم والعدوان، ولكن إدخال البلاد في دوامة و تفريق المسلمين هو أكبر جرما من أن يولي أهل الشوكة شخصا مرجوحا.

وعليه لا محذور من اعتبار رأي أهل الشوكة إذا كانت مخالفتهم تؤدي إلى مفاسد كبيرة كالاقتتال وغير ذلك ، والديمقراطية نفسها تقر بمبدأ الشوكة والغلبة و الفعالية ، فهي تأمر بتغير الأنظمة الديكتاتورية سلميا، ولا تقر مبدأ مقاتلة الحاكم الديكتاتوري الذي ولاه أهل الشوكة وهم في العصر الحديث العسكر ، وتطلب بالتغيير السياسي سلميا ، فكذلك مذهب أهل السنة يطلب بتغيير النظام الفاسد سلميا بالنصيحة والأمر بالمعروف و النهي عن المنكر وتوعية الفاعليات الاجتماعية المختلفة ، وهذا يتجلى من خلال قولهم : ((ينبغي أن يولى الأصلح للولاية إذا أمكن إما وجوبا عند أكثرهم ،و إما استحبابا عند بعضهم، و أن من عدل عن الأصلح مع قدرته لهواه فهو ظالم، ومن كان عاجزا عن تولية الأصلح مع محبته لذلك فهو معذور)).

فهذا مذهب في غاية الوضوح و القوة، و يرتكز على شرعية نصوصية قوية ، وعليه فليس أهل السنة أعوانا للمستبدين بأموال الشعوب و المضايقين لحقوق الناس و غير ذلك ، ولكنهم يميزون بين طرق التولية و يراعون المصالح درءا للمفاسد ، فلا يجب وفق مذهبهم الجري وراء النظرية الجيدة و المذهب الشرعي المتمثل في تولية

الأصلح، والواقع السياسي و الاجتماعي لا يمكن من تحقيقها، أو المطالبة بها بالعنف و القوة يقود إلى شر أكبر منها.
إن التفريق بين المثالية و الواقع، و التعامل مع الواقع في حدود المتاح و الممكن مع مراعاة مصالح المسلمين الكبرى، و دفع عنهم المفاسد التي تتنافى و دور وجود الدولة هو ما تحث عليه الشريعة فما بالك إن كان موافقا لرأي الغالبية .

الفرح

ولذلك يقدرون الأمور، ولا يمنعون الناس ما يصيبهم من خير لاعتبارات أخرى ،فأرفع درجات القلوب فرحها التام بما جاء به الرسول صلى الله عليه و سلم و ابتهاجها و سرورها، كما قال تعالى:{ وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ }(الرعد).
و قال:{ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا }(يونس).
ففضل الله ورحمته: القرآن و الإيمان، من فرح به فقد فرح بأعظم مفروح به، ومن فرح بغيره فقد ظلم نفسه، ووضع الفرح في غير موضعه.
فإذا استقر حب الله و فرحه بكتابه و سنة نبيه في القلب، و تمكن فيه العلم بكفاية الله لعبده ورحمته و حلمه و إحسانه إليه على الدوام، أوجب له الفرح و السرور أعظم من فرح كل محب بكل محبوب سواه.
فالناس يختلفون فيما يفرحون به بين من يفرح بشيوخه وطائفته وهؤلاء يفرحون بالناس إذا دخلوا في طائفتهم،أما إذا انتموا إلى طائفة أخرى أو لم ينتموا أساسا لطائفة ما فلا يفرحون بهم ولو تركوا الفجور و الفسق و الشرك.
ومنهم من يفرح بعلمه، ومن يفرح بأصحابه،لكن أعظم الفرح أن نفرح بالمسلمين الذين يعودون إلى دينهم ،أن نفرح أولا بالتزام الناس بأركان الإسلام و أركان الإيمان،ثم نفرح بعد ذلك بانتشار السنة و اندحار البدعة، وهذا الفرح يجب تقديره واعتباره.
اقتباس من ابن تيمية مع التصرف.

رسالة إلى مصر (تكتبها ذكريات حزينة)

بسم الله الرحمن الرحيم
قالوا: "الحقائق(المدفونة في العقول)، (المطمورة في القلوب)، (المكتومة في الضمائر) تصبح مسمومة"...
وتتكرر الأخطاء ....وتتكرر الأحزان...
لن يظل الأمر كما هو... ستعود الطرائد الصائدة إلى وكرها..
سيفطن الغافل،وينكشف اللباس،تتعرى عورات النفوس، وتبرز أورام العقول،وتنحل العقد...
ومن الدماء المهرقة ستسيل الحقائق المكلومة بسيوف الخديعة...
ومن تحت عمامة أو خوذة الجاني سيتدلى لسانه معلقةً عليه كل الخيانات ..كل الكذبات...كل الضلالات.
سيجف الدم،وتقشره أظافر التاريخ ، ثم يصير غبارا تجمعه ريح الأيام .
شعور محزن مظلم يسطو بعنجهية وغطرسة على صور مظلمة يخرجها من كهف الذكريات كقطع خشب خاوية تطفو على صفحة الماء من أعماق قررتُ من زمان أن لا أغوص إليها صعَدت بعدما قذفت بها هوةُ الجهل السحيقة في وجهي...
كأنها نصل سيف صدأ من قرون يغرز في صدري صارخا ملأ سمعي لا تغب بنظرك عنهم...
قلوب زكية ركَّبها الخالق المبدع في نفوس رهيفة تمشي على الأرض كأنها زوارق ممشوقة سجَّلها رسَام على لوحة رائعة الجمال شوَّه رونقها مار حالمٌ غضوبٌ بلطخة مداد أسود...
غابت تلك الأنوار.
بالذكريات الجميلة أكمِّد جرح غيابهم ....في مرآة الذاكرة انظر إلى وجوه قارئي القرآن بالعيون التي صبغ لونها الدم.
كل شرارة قدحها لسان جاهل تحرق في مصر تفتت ذاكرتي.
في ليلة مصرية ساحت فيها كل الألوان على ركام الصور الممزقة ثم خنقها لون أحمر...
ومع كل مغيب شمس تأتي ليال بدون مقياس، تحت وابل من النجوم المتساقطة، تخترق الرعود سكينة الذكريات...

وبرق يجري على ضفاف النيل يسابق جهل القلوب وعمى العقول، خفت الضوء على طريق غير معبد..
أيها المسكين اقتلعوا أزهار سعادتك، على قرص خبزك غرسوا شجرة الأحزان...
مالَكَ ولصراع الجبابرة..... آكلة الأكباد...
بلفائف خنقوا بها حلمك ضمدوا عينيك .
هذا....لا يمكن أن أقتسمه معكم... إن لم تعيشوه .... وتفقدوا ما فقدت.
للعقول التي فلتت من ضميرها وروحها كسفن قطَّعت الأعاصير حبال رسوها،تتلاعب بها أمواج الفتن...والصخور المشققة المدببة تتأهب لها.
للقلوب التي امتلأت بالغضب و الكراهية فوضع الجهل على رأسها تاج المكابرة أقول :
لجماعة جديدة،لعهد جديد،لبلد جديد ، تحتاجون إلى لغة جديدة ....
سيأتي يوم وتكون لهذه العبارات...هذه الخرزات... قيمة الكنز المدفون....
سلامي يا مصر من شاهد مشفق ينظر إلى ما تقذفه أحشاؤك.

قيمة الاجتماع والائتلاف في الكتاب و السنة:

إن من أعظم قواعد الدين التي أضاعها بعض من ليست له غاية من هذا الدين إلا أن يقول في إخوانه المسلمين، و ينتقدهم نقدا هداما :وحدة المسلمين، أما من جعل العلم وسيلة لتحقيق عبادة الله وحده لا شريك له، فإنه لا يغفل عن هذا الأصل العظيم، فإن تأليف القلوب، و اجتماع الكلمة، و صلاح ذات البين، من أعظم ما وصانا به الله سبحانه و تعالى في كتابه حيث قال: { فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ }(الأنفال الآية01)"،
وقال:{ وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ}(آل عمران الآية105).
و الذي يعتقد هذا الأصل، و يعمل من أجله بعلمه و قلمه هم أهل الجماعة، كما أن الخارجين عنه هم أهل الفرقة، فلا يجب على المسلم العاقل أن يجري وراء تدقيقات علمية يضيع بها هذا الأصل العظيم، فمن قدر على أن يجمع بين النقد و الرد و التصحيح و التقويم، و تأليف القلوب، فهذا قد خصّ بخير عميم.

وجماع السنة و عمودها طاعة الرسول صلى الله عليه و سلم في النفس، و في الأهل ،و في الأصحاب، وفي الأمة، و في الناس أجمعين، قال عليه الصلاة و السلام:" إِنَّ اللَّهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا وَيَسْخَطُ لَكُمْ ثَلَاثًا يَرْضَى لَكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَأَنْ تُنَاصِحُوا مَنْ وَلَّاهُ اللَّهُ أَمْرَكُمْ وَيَسْخَطُ لَكُمْ قِيلَ وَقَالَ وَإِضَاعَةَ الْمَالِ وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ "
وقال ـ أيضا ـ" ثَلَاثٌ لَا يُغِلُّ عَلَيْهِنَّ قَلْبُ مُسْلِمٍ إِخْلَاصُ الْعَمَلِ لِلَّهِ وَمُنَاصَحَةُ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَلُزُومُ جَمَاعَتِهِمْ فَإِنَّ الدَّعْوَةَ تُحِيطُ مِنْ وَرَائِهِمْ ".
وعليه، فالمسلم مطالب بالحرص على السنة قولا وعملا وحالا وسلوكا، فينظر لنفسه بعين الشرع فيلزمها أفضل الأعمال و الأحوال و الأقوال، وهذا لا يكون إلا بإدراك مراد الرسول، ولكن ينظر لغيره بعين الرحمة، فيراعي مراتب الأعمال ،كما بينته في رسالتي "النصيحة"، بحيث يقود إخوانه المسلمين لما فيه الخير بحسب الممكن من قدرتهم و علمهم ، ولا يكلف الناس فوق ما يقدرون، ويعاملهم وفق تقسيم العزيز العليم:ظالم لنفسه، و مقتصد، و سابق بالخيرات، وهذا التقسيم يعم الإيمان، و الاعتقاد، و العمل، و القول، و السلوك، و العلم.

هي هكذا:

فالذي أوجبه الله علينا أن نتعاون على البر و التقوى، و أن ننصر بعضنا البعض، و أن نجعل نصب أعيننا أن الدين و العلم و السياسة وجميع أحوال الإنسان يقع فيها اجتهاد الآراء، و اختلاف الأهواء، وتنوع أحوال أهل الإيمان، وما لابد منه من نزغات الشيطان ما لا يتصور أن يعرى عنه نوع الإنسان، فإذا عرفت هذا سهل عليك أن تقول ما تشاء، و تنتقد من تشاء ـ بالحجة و البرهان ـ دون أن يفسد ذلك الأخوة و الود و الألفة، ثم يسهل عليك أن تلقى أذى الناس من طائفتك و جماعتك و غيرهم بصدر رحب سليم.

زمن الكلمات النتنة.....(؟!)

في زمن نتنت فيه كلمات بعض الناس حتى لا يمكن حملها او لمسها إلا بقفاز تخرج علينا وزارة الطرقية(الأوقاف و الشؤون الدينية) في الجزائر بالأعاجيب تماشيا مع أحداث مصر التي يريد كل طاعن حاقد على أهل السنة ان يستثمرها لضرب السنة

ورفع لواء البدعة.
يريدون أن يقطعوا الإسلام إربا إربا ليشبعوا شهواتهم إلى البدع وليفعلوا به ما يحلوا لهم من زيادة ونقصان.
أهل السنة في الجزائر جزائريون بأتم معنى الكلمة ولهم شخصية جزائرية أصيلة لكن الإسلام أكبر من الجزائر ومن مصر ومن أي بلد في هذه الدنيا ،إنه دين الله ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم لا يستطيع أن يكون جزائريا أو مصريا أو سعوديا .
ثم لنسأل هذه الوزارة البائسة من أين تأخذوا دينكم(طرقيتكم) فهل كان مالك أو الأشعري أو عبد القادر جزائريين (؟!)

الأصنام التي يعبدها الإعلام المصري:
الجيش ((الوطني))،القضاء((الشامخ))،الإمام((الأكبر))....(؟!)
أين كانوا في زمن مبارك،ألم يكونوا جزءا وأصلا في نظامه (؟!)
قال أحدهم: اللهم لا تكل مصرا إلا إليك، لا تكلها إلى شعبها،ولا إلى جيشها،ولا إلى أحزابها،ولا إلى جماعاتها.
إذا اصطدم عاقل بمجنون فعلى العاقل أن يتراجع رحمة بنفسه و بالمجنون.

الطريق إلى الألفة واجتماع الكلمة
يتفطر قلب المسلم حسرة على ما أصاب المسلمين من ضياع حقوقهم، وتخلفهم وهوانهم أمام طوائف ضالة مضلة ،و أمم كافرة في الشرق و الغرب، يأكل الفرد فيها كل نجس، و يعمل كل قبيح، يخالف أخاه في كل شيء، إلا فيما يوجب القوة والاتحاد على المصلحة و المضرة المشتركة،أمم أقل عقلا من المسلمين، تقوم على دين كله خرافات وهرطقات ،عاقلة في الدنيا بهيمة في الدين، استطاعت رغم فساد عقلها في أهم المطالب الإلهية أن تجتمع وتتجاوز خلافتها، وتكون أمة واحدة في جلب مصالحها المشتركة، واحدة على عدوها.
فهل ما أنزل الله على نبيه صلى الله عليه و سلم، وهو الكتاب الحكيم، و المهيمن على ما سواه يدعونا عندما نقرأه إلى التفرق و التناحر و التصارع، و ينمي العداوات بيننا،

أم العكس تماما؟
هو يدعونا إلى اتجاه، ونحن نذهب في اتجاه آخر،فهل من كان إلههم واحدا، و نبيهم واحدا، و كتابهم واحدا، ولغتهم واحدة، وبلدهم واحدا، و تاريخهم واحدا، ومصيرهم واحدا، ومذهبهم واحدا ،ومصدر التلقي واحدا،بل أئمتهم جماعة واحدة، يكون مصيرهم الاختلاف ،و التناحر، و البغضاء، و العداوة، و التفرق، و التشتت ؛أم إن الإشكال في إيمانهم وفهمهم؟
ألم ينهانا الله عز وجل و نبيه صلى الله عليه و سلم عن الفرقة و التباغض فتذهب ريحنا{ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ }(الأنعام الآية 159).
إنه لا جواب صريح صحيح على التناقض بين ما يدعو إليه القرآن و السنة، وبين حالنا، إلا أن ما يجمعنا ويوحدنا وهو الإيمان بالله الواحد، و الكتاب الواحد، و النبي الواحد، ووحدة المصير في الدنيا والآخرة، لم يعد له القيمة العلمية و الإيمانية، و الرمزية التي كانت له عند الصحابة ـ رضوان الله عليهم ،و أصبح أقلّ قيمة من كل ما نختلف فيه و يشتتنا، إما من أمور الدين التي يسع فيها الاختلاف، ووقع فيها الاختلاف ــ حتى عند الصحابة ــ، فضلا عن التابعين، فضلا عن الأئمة، و إما من أمور الدنيا.
أفليس هذا الوضع المزري سببا كافيا يدعونا إلى الشك في صحة إيماننا، أو على الأقل الشك في أفهامنا، و صحة عقولنا و سلامتها؟!
إن في أفهامنا و عقولنا بدون شك سقما سببه أشياء من الهوى، و حب الخلود إلى الأرض كامنة في قلوبنا، سممت عقولنا و أفهامنا، فكيف يدعو القرآن و السنة إلى الشيء، ونذهب إلى ما يناقضه و ينافره،أي عقل هذا؟!

الطريق إلى الألفة واجتماع الكلمة

يتفطر قلب المسلم حسرة على ما أصاب المسلمين من ضياع حقوقهم، وتخلفهم وهوانهم أمام طوائف ضالة مضلة ،و أمم كافرة في الشرق و الغرب، يأكل الفرد فيها كل نجس، و يعمل كل قبيح، يخالف أخاه في كل شيء، إلا فيما يوجب القوة والاتحاد على المصلحة و المضرة المشتركة،أمم أقل عقلا من المسلمين، تقوم على دين كله

خرافات وهرطقات ،عاقلة في الدنيا بهيمة في الدين، استطاعت رغم فساد عقلها في أهم المطالب الإلهية أن تجتمع وتتجاوز خلافتها، وتكون أمة واحدة في جلب مصالحها المشتركة، واحدة على عدوها.

فهل ما أنزل الله على نبيه صلى الله عليه و سلم، وهو الكتاب الحكيم، و المهيمن على ما سواه يدعونا عندما نقرأه إلى التفرق و التناحر و التصارع، و ينمي العداوات بيننا، أم العكس تماما؟

هو يدعونا إلى اتجاه، ونحن نذهب في اتجاه آخر،فهل من كان إلههم واحدا، و نبيهم واحدا، و كتابهم واحدا، ولغتهم واحدة، وبلدهم واحدا، و تاريخهم واحدا، ومصيرهم واحدا، ومذهبهم واحدا ،ومصدر التلقي واحدا،بل أئمتهم جماعة واحدة، يكون مصيرهم الاختلاف ،و التناحر، و البغضاء، و العداوة، و التفرق، و التشتت ؛أم إن الإشكال في إيمانهم وفهمهم؟

ألم ينهانا الله عز وجل و نبيه صلى الله عليه و سلم عن الفرقة و التباغض فتذهب ريحنا{ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ }(الأنعام الآية 159).

إنه لا جواب صريح صحيح على التناقض بين ما يدعو إليه القرآن و السنة، وبين حالنا، إلا أن ما يجمعنا ويوحدنا وهو الإيمان بالله الواحد، و الكتاب الواحد، و النبي الواحد، ووحدة المصير في الدنيا والآخرة، لم يعد له القيمة العلمية و الإيمانية، و الرمزية التي كانت له عند الصحابة ـ رضوان الله عليهم ،و أصبح أقلّ قيمة من كل ما نختلف فيه و يشتتنا، إما من أمور الدين التي يسع فيها الاختلاف، ووقع فيها الاختلاف ــ حتى عند الصحابة ــ، فضلا عن التابعين، فضلا عن الأئمة، و إما من أمور الدنيا.

أفليس هذا الوضع المزري سببا كافيا يدعونا إلى الشك في صحة إيماننا، أو على الأقل الشك في أفهامنا، و صحة عقولنا و سلامتها؟!

إن في أفهامنا و عقولنا بدون شك سقما سببه أشياء من الهوى، و حب الخلود إلى الأرض كامنة في قلوبنا، سممت عقولنا و أفهامنا، فكيف يدعو القرآن و السنة إلى الشيء، ونذهب إلى ما يناقضه و ينافره،أي عقل هذا؟!

تجديد قواعد التعامل بين المسلمين

لقد أشار النبي صلى الله عليه و سلم إلى قواعد التعامل بين المسلمين، التي توجب الائتلاف و اجتماع الكلمة، وتنفي التفرق و التشتت عندما قال:" اقْرَءُوا الْقُرْآنَ مَا ائْتَلَفَتْ عَلَيْهِ قُلُوبُكُمْ فَإِذَا اخْتَلَفْتُمْ فَقُومُوا عَنْهُ " (البخاري في"فضائل القرآن " و" الاعتصام").

وقد فسر العلماء هذا الحديث تفسيرا مطابقا للقرآن ، مطابقا لجوهر الدعوة الإسلامية، منهم القاضي عياض ـ رحمه الله ـ فقالوا: اقرؤوا القرآن و ألزموا الائتلاف على ما دل عليه، و قاد إليه، ـ و القرآن دل على أن أمتنا واحدة، لأن ربها واحد، و نبيها واحد، و كتابها واحد، وهذا أصل اجتماعها و أصل قوتها، ودل على الأخوة الإسلامية، و المحبة بين المسلمين ، وعلى تعاونهم على البر و التقوى، ودل على خفض الجناح للمسلمين، و التذلل لهم الذلة المشروعةـ و إذا وقع الاختلاف، أو عرض عارض شبهة، يقتضي المنازعة الداعية للافتراق، فأمر بترك القراءة، و التمسك بالمحكم الذي يوجب الألفة، و اعرضوا عن المتشابه المؤدي للفرقة.

فما كان متشابها في المنهج، قال به إمام، وتركه إمام، أو مطلقا يقيد أحيانا، و يبقى على إطلاقه أحيانا، فيجب التعامل معه على هذا الأساس،فلا وقوف إلا عند القطعي من قواعد المنهج،وهو إما ما قامت عليه أدلة الكتاب و السنة، أو ما اجتمع عليه أئمة السنة.

ولذلك قال النبي صلى الله عليه و سلم:" إِذَا رَأَيْتُمْ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَّى اللَّهُ فَاحْذَرُوهُمْ"(مسلم، و الترمذي في "السنن")

فإذا كانت هذه وصية رسول الله صلى الله عليه و سلم في القرآن، يقدم الائتلاف و اجتماع الكلمة على مواصلة قراءة القرآن، و الخوض فيما اختلفنا فيه، وقد علمنا أن المتشابه أمر نسبي، فما هو متشابه عند هذا، قد يكون محكما عند الآخر، ومع ذلك يحثنا رسول الله صلى الله عليه و سلم على ترك ما يوجب اختلافنا، و التمسك بما يوجب ائتلافنا، أفليس أحرى بنا أن نعمل بهذا الأصل فيما هو دون القرآن مكانة وقيمة، ككثير من المباحث الكلامية التي لم يشر إليها النبي صراحة، ولم يمتحن عليها الأمة، وما إلى ذلك من أمور منهجية وفقهية وسياسية.

وفي الحديث الذي روى بعضه الإمام مسلم، و سائره في " مسند" الإمام احمد، لما

خرج النبي صلى الله عليه و سلم على بعض الصحابة ،و هم يتناظرون في القدر، فغضب وقال لهم:"أبهذا أمرتم، إنما هلك من كان قبلكم بهذا ضربوا كتاب الله بعضه ببعض و إنما نزل كتاب الله ليصدق بعضه بعضا لا ليكذب بعضه بعضا انظروا ما أمرتم به فافعلوه وما نهيتم عنه فاجتنبوه"
" إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِهَذَا ضَرَبُوا كِتَابَ اللَّهِ بَعْضَهُ بِبَعْضٍ وَإِنَّمَا نَزَلَ كِتَابُ اللَّهِ يُصَدِّقُ بَعْضُهُ بَعْضًا فَلَا تُكَذِّبُوا بَعْضَهُ بِبَعْضٍ فَمَا عَلِمْتُمْ مِنْهُ فَقُولُوا وَمَا جَهِلْتُمْ فَكِلُوهُ إِلَى عَالِمِهِ".(الإمام أحمد في "المسند")
لم يقل لهم صلى الله عليهم وسلم: بعضكم على حق، وبعضكم أخطأ، ولكنه علم خطر الاختلاف في مثل هذه الأمور، و أمرهم بلزوم الأوامر وترك النواهي، فهي ما يمثل حقيقة الإيمان بالله، و حقيقة الطاعة،ونحن مأمورون بهذا الأمر النبوي، فلندع ما يفرقنا من هذا القبيل، و لننظر فيما أمرنا الله به لنأتيه، وما نهانا عنه لنتركه.
وقد شدد الوعيد على الاختلاف في القرآن وقال:" الْمِرَاءُ فِي الْقُرْآنِ كُفْرٌ " (أبو داود في "السنن").
و إذا كانت الأمور التي تفرقنا، و تشتت قلوبنا سببا في ضياع أحوالنا، وهواننا أمام أمتنا و أمام الأمم، و تخلفنا، فالأمر باجتنابها أوكد و أظهر، وعليه يجب الحذر ممن همه إبراز الاختلاف بين أهل السنة و الجماعة بصورة عصبية، بحيث لا يحتمل الخلاف السائغ، ولا يبحث عن القواسم المشتركة يظهرها و ينميها و يقويها، فإنه سبب من أسباب الهلاك و الضياع.
إن الافتراق يتضمن الإيحاش، و قطع الألفة، وترك التعاضد على الحق و الخير،فلئن حافظت كل فرقة على نفسها مبدئيا لأن أهل السنة صاروا فرقا، أقصد على شكلها، فإن الأمة تضيع فيه بلا أدنى شك، ومتى ضاعت جماعة أهل السنة ضاعت الأمة، و انهارت الملة، فما فائدة الجماعات ، ولا بقاء لأهل السنة إلا كجماعة واحدة قوية ، تحرص الدين و تجمع المسلمين.
و عليه، يجب أن نعلم أن الإسلام ألفة و اجتماع كلمة، لا تفرق و تشتت، وقد علمنا نقلا وواقعا أن الألفة رحمة، و الفرقة عذاب وسخط،فمن دعا إلى الألفة دعا إلى الرحمة، ومن دعا إلى الفرقة دعا إلى العذاب، قال قتادة:" الإسلام ألفة و اجتماع الكلمة،أما و الله الذي لا إله إلا هو إن الألفة لرحمة و إن الفرقة لعذاب" القرطبي

في"التفسير".

الدُّنيا دار استدارج

الجمع بين صبر المصيبة وصبر الغضب نظير الجمع بين صبر النعمة وصبر المصيبة كما في قوله تعالى: {وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ - وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ - إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ} [هود: 9 - 11] (سورة هود: الآيات 9 - 11) . وقال: {لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ} [الحديد: 23] (سورة الحديد: من الآية 23) . وبهذا وصف كعب بن زهير من وصفه من الصحابة المهاجرين حيث قال:

لا يفرحون إذا نالت سيوفهم ... قوما وليسوا مجازيعا إذا نيلوا

وكذلك قال حسان بن ثابت:

لا فخر إن هم أصابوا من عدوهم ... وإن أصيبوا فلا خور ولا هلع

العلم رحمة :

قول أبي يزِيد: ((عملت فِي المجاهدة ثَلَاثِينَ سنة فَمَا وجدت أَشد على من الْعلم ومتابعته وَلَوْلَا اختلاف الْعلمَاء لبقيت وَاخْتِلَاف الْعلمَاء رَحْمَة إِلَّا فِي تَجْرِيد التَّوْحِيد))

ضعوها على جراحكم تبرأ.

حمل مجمل كلام العلماء على مفصله رحمة:

قال ابن تيمية : ((فَلَا يُوجد عَمَّن لَهُ فِي الْأمة حمد شئ من ذَلِك إِلَّا وَعنهُ مَا يُخَالف ذَلِك ،وَهَذَا من رَحْمَة الله بعباده الصَّالِحين حَيْثُ يردهم فِي آخر أَمرهم إِلَى الْحق الَّذِي بَعثه بِهِ رَسُوله وَلَا يجعلهم مصرين على مَا يُخَالف الدّين الْمَشْرُوع))

ثوار مصر" ثوار 25 يناير"

كنا بالأمس يدا على مبارك ونظامه، و أصبحنا اليوم جبلين من حديد، يزحف أحدنا إلى صاحبه... ما أغرب السياسة... وما أغرب الشعوب ... وما تفاهة العقول.

سبحان الله آيات باهرة ظاهرة تكشف انكسار الجسر لا نبصرها حتى نسقط جميعا منه(!)

{فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا} [الفتح: 18]
إلى كل من أقلقته مصائب حلت به،أو أيام قادمة يخشى منها:

يتقلب الإنسان في الدنيا بين أحكام الأوامر وأحكام النوازل،ولا يقدر على الأوامر إلا بمعونة الله ،ولا يقدر على النوازل إلا بلطفه،لكن على قدر قيامه بالأوامر يحصل على اللطف عند النوازل .
ولطف الله بعبده عند النوازل له صورتان : صورة ظاهرة بتخفيفها ثم إزالتها وإنهاء أثرها على النفس.
وصورة باطنة: هي ما يحصل للقلب من سكينة وطمأنينة تزيل اضطرابه الذي يحدثه القلق و الجزع.
فأطلب أسباب السكون بالثقة بالله وحسن الظن به:
قال العارفون:إذا عرف العبد أن الله تعالى إذا حكم بحكم و قضى أمرا فلا مرد لقضائه، ولا معقب لحكمه، فمن حكم له بحكم، وقسم له بنصيب من الرزق أو العلم أو الطاعة أو الحال أو غيره، فلابد من حصوله له.
ومن لم يقسم له ذلك فلا سبيل إليه البتة كما لا سبيل إلى حمل الجبال وشرب البحار و الطيران في السماء، وبهذا الفهم يقعد عن منازعة الأقسام.
فما كان له منها فسوف يأتيه على ضعفه، وما لم يكن له منها فلن يناله على قوته.
وعليه فاختر ما تشاء،وتوجه حيث تريد، لن تخرج عن قدر الله، فخير لك أن تسكن إليه ،تخلص من الالتفات،والتعرج،فهو أعلم منك، وأقرب إليك من حبل الوريد،وأرحم بك من أمك،ولا يريد لك إلا الخير
ابن القيم/

على ماذا الغضب يا أخي، ماذا كنت تتوقع...(؟)
على العنصرية من الإسلاميين التي بدأت تنتشر في كل الدول العربية (؟)
من حقك أن تكون ساذجا يُحوِّلك أعداء الدين وأعداء كرامة الشعوب إلى قبلة حياة، ومصل انتعاش للأنظمة المتهاوية،بدأت فوضى 25 يناير بطلب القصاص من الشرطة والأمن ثم تحولت إلى إسقاط النظام ،وبدأت فوضى 30 يونيو بطلب

انتخابات رئاسية مبكرة، ثم تحولت إلى القضاء على الإسلاميين واقصائهم.
ليس من حقك أن تُحمِّل الدعوة مزيدا من الخسارة و التضييق،فعلى ماذا تموت: على شرعية الصناديق، على الديمقراطية أم على الأمل المهدر (؟)
على أخطاء الإخوان كحزب متعصب لذاته، طفولي في فهم السياسة، ومتطلبات المراحل المختلفة،أغرته السياسة،واستدرجته أمريكا إلى مقتله بعدما كان يرفض الترشح للرئاسيات و السيطرة على البرلمان لعلمه بأن ما يسمى بثورة25 يناير لم تسقط النظام لأنها لم تحتل الحكم ،وبقي جهاز الدولة ورأس المال و الجيش و القضاء الفلولي في العمق لا يتعاون مع حكومة الإخوان ونظامهم، بل يعارضها ويجيش الجماهير ضدهم .
على عدم تفريق الإخوان بين ضرورة الحكم بالتوافق مع الثوار و المعارضة كضرورة أي حكم يعقب ثورة وبين الحكم بالأغلبية الذي يرفضه الشريك في الثورة .
على السذاجة في تحويل الصراع مع النظام السابق وإصلاح جهاز الدولة الفلولي إلى صراع مع شركاء الثورة و الغفلة عن النظام السابق الذي خرج من الصورة إلى الخفاء مما اضطر شركاء الثورة إلى التحالف معه لإسقاطكم .
على إعلانات دستورية وصناعة دستور أيقظت كل الهواجس فبعدما كان عزل النائب العام مطلبا شعبيا أصبح دليلا على استفرادكم بالحكم ومطلبا لإسقاطكم.
على الشرطة التي قتلت في 25 يناير، وفي مسبيرو، ومحمد محمود، وبور سعيد، و الاتحادية، والمنصة، ورابعة عدوية، وفي كل مرة يتهم طرف ثالث لغباء الأحزاب السياسية.

على إعلام بكى على سقوط مبارك يحرض على الإسلاميين عنصريا وليس سياسيا بالكذب و التحريض تمونه دول ديمقراطية خليجية عريقة في الديمقراطية .
على شعبوية المصريين إخوان وجيش وأحزاب سياسية تتصارع بالحشود وليس بالمنطق و الحق و الصواب فما كان حشده أكبر كان أحق بالحكم ولو كان فاجرا ظالما قاتلا (؟)
على شعب يحب الزي العسكري ويعشقه كعشق بعض الضحايا للجلادين،خرج بطلب العسكر أكثر من خروجه ضد مبارك.

على سذاجة الإخوان في فهم بيانات الجيش التي كانت ظاهرة واضحة بأنه يريد دخول السياسة و الرجوع للحكم ، فكيف يجعل وزير الدفاع رئيسه طرفا في الخصام مع الأحزاب الأخرى ويمهله مدة إلا إن كان فوقه.
على بيانات حرضت صراحة الشعب على الخروج في الشوارع فلم يسبقها الإخوان باجراءات عاجلة فما معنى أن يقول قائد الجيش أن الموت أفضل لهم من أن يورع أحد المصريين (؟)
على الثورة التي اعتقدتم فيها ودعوتم اليها وما هي إلا فوضى تتأول النصوص .
على وصفة سريعة لصناعة ثورة
عساكر : ملوك على سلاح سماه القذافي "أواني مطبخ" لقتل الشعوب.
قضاء مرتشي فاسد يميل مع الأقوى.
مؤسسة دينية ترتع حيث المرعى خصب.
شعب (أكثره) جاهل مغيب غلب بطنه عقله.
إعلام شيطاني يبيع أمه لشهوة.
وعندك ثورة ضخمة تخرج فيها الملايين لم تخرج لما سُب نبيها وأهين مصحفها واحتلت أراضيها، ووو مليون قصة(؟!)
ارحموا هذه الشعوب من هذه الفتن وأخلصوا في تعليمها دينها وتوعيتها بحقيقة قضيتها.

نقد تحوُّل الديمقراطيَّة إلى أسطورة سياسيَّة، و الثورة الشَّعبيَّة إلى معاول هدم للأوطان

بسم الله الرَّحمن الرَّحيم
الحمد لله وحده، و الصَّلاة و السَّلام على من لا نبيّ بعده.
أمَّا بعد؛إنَّ الواقع الاجتماعي و الإعلامي و السِّياسيِّ الفاسد في العالم الإسلاميِّ حريص قبل كلِّ شيء على ضمان استمراريته و مشروعيته.
وإذا غابت المساواة الاجتماعية: "لكلٍّ حسب حاجته، ومن كلٍّ حسب قدرته"، ظهرت الطبقية و التفاوت بين أفراد المجتمع فلزم حتما ضياع المساواة الأخلاقية في القيمة و

الكرامة،و المساواة أمام القانون في الحقوق و الواجبات،ومن ثم المساواة في السياسة، وهو حق المواطن المؤهل تأهيلا شرعيا في المشاركة في إدارة الدولة.
و أية محاولة لتغطية البؤس و المأساة التي يعيشها أكثر المواطنين بالترقيع،و بالتخدير بوطنية الفكلور: أخطف الخبز من عند فمك ثم أعزف لك الأناشيد الوطنية على حساب الحقوق لن تفلح في تهدئة الخواطر إلا بإعادة تسوية السطح،فالانسجام الاجتماعي لا يكون إلا بالتوزيع العادل لثروات البلاد و إلا قام صراع المصالح.
ولا الحقوق السياسية، و لا الحرية و لا أي شيء يغطي هذا المطلب فهو أم المطالب الشعبية وهو الصخرة التي تتكسر عليها جميع المحاولات النهضوية الحديثة في العالم العربي و الإسلامي.
و أسوأ الثورات ثورات الجياع أي أن الاعتراض بدوافع اجتماعية أخطر من الاعتراض بدوافع سياسية.
ولحد الآن لم يفهم بعض الناس من الإسلاميين أن المطالبة بالتغيير في المنظور الإسلامي تتجاوز المطالبة بحق رغيف الخبز و العدالة الاجتماعية و الحرية رغم أهمية هذا المطالب وشرعيتها وأنها منصة المشروع الايماني، لأن مصير الأمة في ظل هذا الواقع أصبح مهددا.
وهذا الواقع بكل تركيبته الحالية يشكل عائقا أمام نهضة الأمة و تطورها لتدافع عن نفسها في هذا العالم المتصارع و المتفوق عليها في كل المجالات،إنها قضية مصير أمة ليست قضية فقر و طعام.
وليس المطلوب عند من يريد الإصلاح التغيير جذريا، لأن الإنسان المكون لهذا المجتمع يصلح ولا يتغير جذريا، و إصلاح الإنسان يحتاج إلى مناهج تعليم وتربية جادة تصاغ وفق رؤية مسبقة.
و بناء الإنسان المسلم يحتاج إلى ثقافة تربط بين جذوره و حاضره،و إلى تعليم كفؤ ،و إلى إعلام يحضن هذه الثقافة و يعمم نشرها في المجتمع فإن لم يقم الإعلام بهذا الدور أصبح مكانا للضياع كما هو حاصل حاليا.
و لأن المعرفة ليست نوعا واحدا فيجب العمل على تقاطع و تلاقح الآراء،وتقبل استفهام و تساؤل الآخر،فإننا لا نريد دولة الوصاية سواء كانت وصاية عسكرية تحت شعار: نحن نحفظ البلاد.

أو وصاية الثوار تحت شعار: نحن قمنا بالثورة فلنا الوصاية على الشعب.
أو وصاية الأقلية: أهل المعرفة و التقنية تحت شعار: نحن أعلم بالأشياء فنحن من يقرر.
ولا دولة شعبوية يوجه فيها الشعب كل شيء، و يتدخل في كل شيء،لأن السياسة قيادة الشعب و ليس اتّباعه.
وكما لا تقوم الصفحة بدون هامش لا يقوم رجال السياسة و رجال التقنية،و أهل العلم بدون عموم الشعب.
و لأنه لا أحد مفوض بالوصاية على المسلمين إلا من اختاروه ورضوه بشرط أن لا يتلاعب بوعيهم بتزييف الحقائق.
يتبع..

نقد تحوُّل الديمقراطيَّة إلى أسطورة سياسيَّة، و الثورة الشَّعبيَّة إلى معاول هدم للأوطان

بسم الله الرَّحمن الرَّحيم
الحمد لله وحده، و الصَّلاة و السَّلام على من لا نبيّ بعده.
أمَّا بعد؛فإنَّ الواقع الاجتماعي و الإعلامي و السِّياسيِّ الفاسد في العالم الإسلاميِّ حريص قبل كلِّ شيء على ضمان استمراريته و مشروعيته.
وإذا غابت المساواة الاجتماعية: "لكلٍّ حسب حاجته، ومن كلٍّ حسب قدرته"، ظهرت الطبقية و التفاوت بين أفراد المجتمع فلزم حتما ضياع المساواة الأخلاقية في القيمة و الكرامة،و المساواة أمام القانون في الحقوق و الواجبات،ومن ثم المساواة في السياسة، وهو حق المواطن المؤهل تأهيلا شرعيا في المشاركة في إدارة الدولة.
و أية محاولة لتغطية البؤس و المأساة التي يعيشها أكثر المواطنين بالترقيع،و بالتخدير بوطنية الفكلور: أخطف الخبز من عند فمك ثم أعزف لك الأناشيد الوطنية على حساب الحقوق لن تفلح في تهدئة الخواطر إلا بإعادة تسوية السطح،فالانسجام الاجتماعي لا يكون إلا بالتوزيع العادل لثروات البلاد و إلا قام صراع المصالح.
ولا الحقوق السياسية، و لا الحرية و لا أي شيء يغطي هذا المطلب فهو أم المطالب

الشعبية وهو الصخرة التي تتكسر عليها جميع المحاولات النهضوية الحديثة في العالم العربي و الإسلامي.
و أسوأ الثورات ثورات الجياع أي أن الاعتراض بدوافع اجتماعية أخطر من الاعتراض بدوافع سياسية.
ولحد الآن لم يفهم بعض الناس من الإسلاميين أن المطالبة بالتغيير في المنظور الإسلامي تتجاوز المطالبة بحق رغيف الخبز و العدالة الاجتماعية و الحرية رغم أهمية هذا المطالب وشرعيتها وأنها منصة المشروع الايماني، لأن مصير الأمة في ظل هذا الواقع أصبح مهددا.
وهذا الواقع بكل تركيبته الحالية يشكل عائقا أمام نهضة الأمة و تطورها لتدافع عن نفسها في هذا العالم المتصارع و المتفوق عليها في كل المجالات،إنها قضية مصير أمة ليست قضية فقر و طعام.
وليس المطلوب عند من يريد الإصلاح التغيير جذريا، لأن الإنسان المكون لهذا المجتمع يصلح ولا يتغير جذريا، و إصلاح الإنسان يحتاج إلى مناهج تعليم وتربية جادة تصاغ وفق رؤية مسبقة.
و بناء الإنسان المسلم يحتاج إلى ثقافة تربط بين جذوره و حاضره،و إلى تعليم كفؤ ،و إلى إعلام يحضن هذه الثقافة و يعمم نشرها في المجتمع فإن لم يقم الإعلام بهذا الدور أصبح مكانا للضياع كما هو حاصل حاليا.
و لأن المعرفة ليست نوعا واحدا فيجب العمل على تقاطع و تلاقح الآراء،وتقبل استفهام و تساؤل الآخر،فإننا لا نريد دولة الوصاية سواء كانت وصاية عسكرية تحت شعار: نحن نحفظ البلاد.
أو وصاية الثوار تحت شعار: نحن قمنا بالثورة فلنا الوصاية على الشعب.
أو وصاية الأقلية: أهل المعرفة و التقنية تحت شعار: نحن أعلم بالأشياء فنحن من يقرر.
ولا دولة شعبوية يوجه فيها الشعب كل شيء، و يتدخل في كل شيء،لأن السياسة قيادة الشعب و ليس اتّباعه.
وكما لا تقوم الصفحة بدون هامش لا يقوم رجال السياسة و رجال التقنية،و أهل العلم بدون عموم الشعب.

و لأنه لا أحد مفوض بالوصاية على المسلمين إلا من اختاروه ورضوه بشرط أن لا يتلاعب بوعيهم بتزييف الحقائق.
يتبع.....

لا يصلح الناس الفوضى لا سراة لهم * ولا سراة إذا جهالهم سادوا**
والبيت لا يبتني إلا على عمد ***ولا عماد إذا لم ترس أوتاد
فأن تجمع أوتاد وأعمدة * يوماً فقد بلغوا الأمر الذي كادوا**

لا يصلح الناس إلا دولة قوية لها حرمة، ولا تكون قوية إلا إذا كانت عادلة ،تؤدي أمانات شعبها، وتسهر على خدمتهم، و الارتقاء بهم،ولا تفرقهم أحزابا ومذاهب، ولا تخوض بهم المجهول ،وتتهور بهم في الصراعات العالمية.

السياسة يا كلمة تلبست بالهرج والمرج:

الاشتغال بالسياسة إنما قصده في نهاية المطاف صلاح الناس في دنياهم بالعدل، و أداء الأمانات ، وصلاحهم في الآخرة بإقامة الدين الواجب عليهم،و الذي بدوره هو أعظم أسباب الصلاح الدنيوي.
:{وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَما ظَلَمُوا} [18/59]

السياسة الشرعية ليست جامدة على مواقف وشخصيات معينة:

قال ابن تيمية في (مجموع الفتاوى)(20/55): ((إذَا كَانَ الْمُتَوَلِّي لِلسُّلْطَانِ الْعَامَّ أَوْ بَعْضَ فُرُوعِهِ كَالْإِمَارَةِ وَالْوِلَايَةِ وَالْقَضَاءِ وَنَحْوُ ذَلِكَ إذَا كَانَ لَا يُمْكِنُهُ أَدَاءُ وَاجِبَاتِهِ وَتَرْكُ مُحَرَّمَاتِهِ وَلَكِنْ يَتَعَمَّدُ ذَلِكَ مَا لَا يَفْعَلُهُ غَيْرُهُ قَصْدًا وَقُدْرَةً : جَازَتْ لَهُ الْوِلَايَةُ وَرُبَّمَا وَجَبَتْ وَذَلِكَ لِأَنَّ الْوِلَايَةَ إذَا كَانَتْ مِنْ الْوَاجِبَاتِ الَّتِي يَجِبُ تَحْصِيلُ مَصَالِحِهَا مِنْ جِهَادِ الْعَدُوِّ وَقَسْمِ الْفَيْءِ وَإِقَامَةِ الْحُدُودِ وَأَمْنِ السَّبِيلِ : كَانَ فِعْلُهَا وَاجِبًا فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ مُسْتَلْزِمًا لِتَوْلِيَةِ بَعْضِ مَنْ لَا يَسْتَحِقُّ وَأَخْذِ بَعْضِ مَا لَا يَحِلُّ وَإِعْطَاءِ بَعْضِ مَنْ لَا يَنْبَغِي ؛ وَلَا يُمْكِنُهُ تَرْكُ ذَلِكَ : صَارَ هَذَا مِنْ بَابِ مَا لَا يَتِمُّ الْوَاجِبُ أَوْ الْمُسْتَحَبُّ إلَّا بِهِ فَيَكُونُ وَاجِبًا أَوْ مُسْتَحَبًّا إذَا كَانَتْ مَفْسَدَتُهُ دُونَ مَصْلَحَةِ ذَلِكَ الْوَاجِبِ أَوْ الْمُسْتَحَبِّ بَلْ

لَوْ كَانَتْ الْوِلَايَةُ غَيْرَ وَاجِبَةٍ وَهِيَ مُشْتَمِلَةٌ عَلَى ظُلْمٍ ؛ وَمَنْ تَوَلَّاهَا أَقَامَ الظُّلْمَ حَتَّى تَوَلَّاهَا شَخْصٌ قَصْدُهُ بِذَلِكَ تَخْفِيفُ الظُّلْمِ فِيهَا ، وَدَفْعُ أَكْثَرِهِ بِاحْتِمَالِ أَيْسَرِهِ : كَانَ ذَلِكَ حَسَنًا مَعَ هَذِهِ النِّيَّةِ وَكَانَ فِعْلُهُ لِمَا يَفْعَلُهُ مِنْ السَّيِّئَةِ بِنِيَّةِ دَفْعِ مَا هُوَ أَشَدُّ مِنْهَا جَيِّدًا .
وَهَذَا بَابٌ يَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ النِّيَّاتِ وَالْمَقَاصِدِ فَمَنْ طَلَبَ مِنْهُ ظَالِمٌ قَادِرٌ وَأَلْزَمَهُ مَالًا فَتَوَسَّطَ رَجُلٌ بَيْنَهُمَا لِيَدْفَعَ عَنْ الْمَظْلُومِ كَثْرَةَ الظُّلْمِ وَأَخَذَ مِنْهُ وَأَعْطَى الظَّالِمَ مَعَ اخْتِيَارِهِ أَنْ لَا يَظْلِمَ وَدَفْعَهُ ذَلِكَ لَوْ أَمْكَنَ : كَانَ مُحْسِنًا وَلَوْ تَوَسَّطَ إعَانَةً لِلظَّالِمِ كَانَ مُسِيئًا .))

فهذا هو الفهم الذي يجب أن يدخل به المسلم المعترك السياسي، لا قناعة ورضا بواقع مختل، ولا طلبا لمثالية يستحيل تحقيقها، فهذا الفكر الشرعي الذي فصّله ابن تيمية يمثل العالم الرباني المتصل و المرتبط بواقعه و بيئته وظروفه، المعتبر لشريعة دينه وغايته.

لم أفهم:

هل المعركة لأجل نتائج الصندوق (ديمقراطية أفلاطون) أي من أجل الرياسة، أم من أجل الإيمان (؟)

فأين الإيمان في كل أعمالكم السياسية ،وهل خصومكم كفار (؟!)

عندما يكتب رافضي في علم الحديث لا يجعل ذلك منه محدثا فضلا على أن يكون من أهل السنة .

وكذلك عندما يخوض مسلم أو ملتزم أو سلفي في السياسة لا يعني أن سياسته سلفية أو شرعية أو إيمانية ....

اتركوها في خانة " الديمقراطية" فالشريعة بعيدة عن الهرج و المرج جملة وتفصيلا.

استباق الوقت.

هذا زمن الكذب زمن الدجل تضخ القوى العالمية وجنودها الإقليميين في عقول الشعوب كمًّا مهولا من المعلومات المسمومة، يتيه فيه العاقل، و تغرق في تصفيتها وترتيبها أعرق أجهزة الاستخبارات ومراكز الدراسات الإستراتيجية حتى لا يعرف العاقل رأسه من رجله.

لا تزال السياسة العالمية تلعب دورها في توجيه الفكر في العالم العربي، وتحدِّد مساره ومنعرجاته، ولزلنا عرضةً لنتائجها المضللة، يأتي وزير أمريكي وتذهب وزيرة أروبية(؟!)

و تصريحات هنا يتمايل لها هذا الطرف تُنوِّمه وتُعوِّمُه، وغدا تصريحات لصالح الطرف الآخر فإذا سألنا أنفسنا: ما الذي يتهدد الغرب، وخاصة إسرائيل دولة مصرية مستقرة أخذة بزمام أمورها في طريق البناء و النهضة، أو دولة هشة، ضعيفة، منقسمة على نفسها إلى أحزاب وطوائف تتقاتل و تتناحر، يتلاعب بها الغرب حتى يظن كل طرف أنه منتصر، وأنه مدعوم من هذا الغرب، فلا يفرق الأغبياء البلهاء من كل طرف بين الدولة الضائعة، و التي لا تقوم لهم بدونها قائمة ،ولا تكون دولة حتى تكون تابعة لخدمة مصالح الشعب وحده، مستقلة عن النظام ،وبين هذا النظام أو ذاك النظام الذي لن يتعدى دوره تسيير الأمور وتصفيات الحسابات في غياب المسير الحقيقي (؟)

إنه بدون استقلال الفكر في رؤيته المستقبلية و التحليلية عن الواقع الملتبس بمعطيات مدسوسة ومعلومات مسمومة الغرض منها تعويم الحقائق ،و ليبق الجميع في الضباب لا يمكن لهذه الشعوب العربية أن تستشرف المستقبل ،يجب على الفكر أن يتجرد عن معطيات الواقع لأنها مغلوطة وينطلق من المسلمات الشرعية إلى الحقائق الكونية التي تؤسس لمعايير بناء الدول المستقرة القوية التي تخدم هويتها الحقيقية لا التأويلية و تؤدي رسالتها.

جاء في (صحيح ابن حبان) عن أبي ذر أنه قال : ((رَكِبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِمَارًا، وَأَرْدَفَنِي خَلْفَهُ، ثُمَّ قَالَ: يَا أَبَا ذَرٍّ، أَيْنَ أَنْتَ إِنْ أَصَابَ النَّاسَ جُوعٌ شَدِيدٌ حَتَّى لَا تَسْتَطِيعَ أَنْ تَقُومَ مِنْ فِرَاشِكَ إِلَى مَسْجِدِكَ كَيْفَ تَصْنَعُ؟ فَقَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: تَعَفَّفْ. قَالَ: يَا أَبَا ذَرٍّ، أَرَأَيْتَ إِنْ أَصَابَ النَّاسَ مَوْتٌ شَدِيدٌ حَتَّى يَكُونَ الْبَيْتُ بِالْعَبْدِ كَيْفَ تَصْنَعُ؟ قَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: اصْبِرْ. يَا أَبَا ذَرٍّ، أَرَأَيْتَ إِنْ قَتَلَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا حَتَّى تَغْرَقَ حِجَارَةُ الزَّيْتِ مِنَ الدِّمَاءِ كَيْفَ تَصْنَعُ؟ قَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: اقْعُدْ فِي بَيْتِكَ، وَأَغْلِقْ عَلَيْكَ بَابَكَ. فَقَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ أُتْرَكْ؟ قَالَ: فَأْتِ مَنْ أَنْتَ مِنْهُ، فَكُنْ فِيهِمْ. قَالَ: فَآخُذُ سِلَاحِي؟ قَالَ: إِذًا تُشَارِكُهُمْ فِيهِ، وَلَكِنْ إِنْ خَشِيتَ أَنْ يَرُوعَكَ شُعَاعُ السَّيْفِ فَأَطْلِقْ طَرَفَ رِدَائِكَ عَلَى وَجْهِكَ يَبُوءُ بِإِثْمِكَ وَإِثْمِهِ)) .

وفي الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : ((سَأَلْتُ رَبِّي ثَلَاثًا فَأَعْطَانِي اثْنَتَيْنِ، وَمَنَعَنِي وَاحِدَةً، سَأَلْتُهُ أَنْ لَا يُهْلِكَ أُمَّتِي بِسَنَةٍ عَامَّةٍ، فَأَعْطَانِيهَا، وَسَأَلْتُهُ أَنْ لَا يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ فَيَجْتَاحَهُمْ، فَأَعْطَانِيهَا، وَسَأَلْتُهُ أَنْ لَا يَجْعَلَ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ، فَمَنَعَنِيهَا، فَلَنْ زَالَ الْهَرْجُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ)) .

هذا إخبار قدري غيبي يخبر فيه النبي صلى الله عليه وسلم أن القتل في هذه الأمة بسيوف الأمة باق إلى يوم القيامة، ولو بسطنا هذا الحديث على التاريخ الإسلامي من مقتل عثمان رضي الله عنه إلى يومنا هذا لما وجدنا سببا له إلا الصراعات السياسية.

ومن هنا كان من أعظم حسنات معاوية رضي الله عنه عندما ننظر في هذا التاريخ المتوهج بلون الدم المسفوح في الثورات و الصراعات السياسية أنه كسر حلقة هذا الهرج و أوقف وديان الدم بقطع أسبابه ولعل مدح النبي صلى الله عليه وسلم للحسن بن علي رضي الله عنهما بسبب تنازله عن الحكم لمعاوية حقنا للدم المسلم وهو أحق بها يؤكد هذا المعنى ،فلئن كان المؤمن أعظم كرامة عند الله من البيت الحرام فكيف يكون الكرسي أعظم حرمة من المؤمن.

إن هذه الأحاديث الصحيحة ليست أخبارا عن تاريخ أمم غابرة بل أخبار عن غيب مكتوب كائن بأسباب منا تؤسس لضرورة تجرد الفكر من معطيات الواقع المسمومة المصنوعة بأيد ماكرة تحمل بين طياتها الحل الوحيد الأوحد لهذه الأمة لكن بشرط الإيمان الصحيح الذي أول مشارفه طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم، وهو أن لا تكون لك يد في هذه الفتن و هذه الدماء .

وهنا يكمن الفرق بين الإيمان الصحيح الممزوج بالرحمة و الشفقة وبين إيمان من طال عليهم الأمد فقست قلوبهم فإن لديهم من التأويل ما يجعل هذه النصوص التي وردت في خير أجيال المسلمين كان لم تكن.

هنا الفرق ،ومن هنا المنطلق، و كما العلم رحمة فإن الجهل يكون بالنسبة لبعض الأشخاص رحمة لأنهم حينما يعرفون الحكم الشرعي ويجعلونه وراءهم ظهريا فقد باؤوا بغضب من الله وستنبت لهم ذيول من الدم المسلم البريء.

كل معركة قبل أوانها انتحار.........

المصدر قناة الشروق الجزائرية نقلا عن تقرير للمخابرات الأمريكية:

يأتي الجزائريون المتطوعون في الحرب السورية في المرتبة العاشرة، و التوانسة في المرتبة الأولى يتسم المغاربة بالتهور و الاندفاع، ويهتم الخليجيون بالفتوى و القيادة (؟)
حللها كيفما تشاء ...
أظن أنه قد صدر القرار(الغربي الإقليمي) بتوقيف الموجة الإسلامية .

الفرق بين العالم و الجاهل لا يعرفه الجاهل، إنما يعرفه العالم كما قال تعالى:{ لا يستوي الدين يعلمون و الذين لا يعلمون إنما يتذكر أولو الألباب}، فالعالم يعرف ما في نفس الجاهل لأنه كان في يوم ما جاهلا، و الجاهل لا يعرف ما في نفس العالم، لأنه لم يتعلم.
سينتهي كل رجل إلى رأيه خيرا أو شرا كان و المصيبة في تبعات أقواله .
فقه العوام
ثلاث كلمات قالها لي بعض العوام تحمل مجلدات من علم السلوك:
الأولي: خليها عند الله ولا تفكر فيها
الثانية: قالها لي رجل كانت ابنته مع ابني في الإنعاش وتوفت يوم العيد؛قال:لسناأفضل من بقية المسلمين الذين أصابهم ما أصابنا
الثالثة: قالهالي والدي: لا يتغير المؤمن عند الشدائد إلا إذا تغير إيمانه فثبات قلبه ولسانه وحاله الباطن و الظاهر من ثبات إيمانه وعقيدته بالضبط يقينه.

ما رأيكم (؟)
أطلعني نأحد الأصدقاء الأفاضل على مقال للدكتور أحمد الزهراني يهاجم فيه الإخوان في الخليج في إطار الحملة التي شنت عليهم مؤخراً زاعما أنهم ليسوا من أهل السنة لأنهم لا يعملون بمبدأ الولا ء و البراء غير مفرق بين متطلبات السياسي و الدعوي و متطلبات العلمي كم لا يفرق بين متطلبات الحرب و متطلبات السلم!
كما لم يفرق بيم الحكم في الابتداء والحكم بالمأل.
و السؤال هل الحملة عليهم في دول الخليج القصد منها الإخوان فقط أم الدعوة برمتها وليس الإخوان إلا ذريعة وحجة لاستدراج بعض المنتمين للسلفية لقيادتها(؟!)

نقض مقال أحمد الزهراني

مع بيان الفرق بين الإخوان و الخوارج

بسم الله الرحمن الرحيم

إنّا إذا مالت دواعي الهوى *** وأنصت الســامع للقائل
واعتلج النـــــاس بألبابهم *** نقضي بحكم عادل فاصل
لا نجعل الباطل حقا ولا *** نلطّ دون الحق بالباطل
نكره أن تسفه أحلامنا *** فنخمل الدهر مع الخامل

الحمد لله وحده، و الصلاة و السلام على من لا نبيَّ بعده.
أمَّا بعد؛ فقد قرأتُ مقال ـ الدكتور ـ أحمد الزهراني: "" بتمعن وتركيز شديدين فوجدته قد تحامل على جماعة "الإخوان المسلمون" وأعملَ فيهم بتأويل متعسفٍ كلامًا أطلقه أئمة السُّنة في الجهمية و المعتزلة و الرافضة ونحوهم ،أي: في أصحاب البدع الغليظة المكفِّرة،فجمعَ حيث فرَّق السلف(!)
و مقال الدكتور بناه على محورين اثنين:
الأول: أن الإخوان من الفرق البدعية الهالكة المتوعدة بالنار، أي: من أمة الاستجابة فقط، و علة هذا الحكم "أنهم يعطِّلون عقيدة الولاء و البراء" فيضمُّون في صفوفهم رجالا من شتى الطوائف لا يظهرون لهم العداوة و التبري ،ومن عطَّل هذا الأصل كان من الفرق الهالكة ،قال: ((هم خارجون عن منهج السلف من حيث القدر الذي خالفوا فيه السلف ، ألا وهو هدم ركيزة الولاء للسنة وأهلها والعداء للبدعة وأهلها))(؟!)
وهنا أخطأ من جهتين:
الأولى: أنه جعل إظهار العداوة شرطا واجبا في التبري في جميع الحالات يبطل بعدمه، وهذا غير صحيح ،وسنذكر له الأدلة، وسبب عدم إظهار الإخوان للعداوة وتحاشيهم القضايا الخلافية.
وكيف يهدمون الولاء للسُّنة(؟) ،و هم يوالون جميع المسلمين بطوائفهم ممن ينسب

نفسه للسنة من أشعرية بروافدها وصوفية،فلا يمكن أن يوالوا هؤلاء كلهم إلا السلفيين (؟!)

فالمعادلة غير صحيحة، لأن المبتدع يوالي المبتدعة ويعادي أهل السنة، والإخوان لا يعادون أهل السنة إنما لا يعادون غيرهم.

الثانية: أنه يخلط بين واجب الدعوة و العلم و الصراع الفكري وبين متطلبات السياسة و الحروب، فلا شك أن السياسي و المحارب يحتاج إلى توافق أكبر عدد من الناس معه لينجح بخلاف المفتي و المعلم و الداعية، ومطالبته بمعاداة أفراد مجتمعه إن لم تكن خارج تصور العقل و الشرع فهي انتحار وتناقض.

المحور الثاني: أن من يدافع عن الإخوان ويعتذر لهم أو يعتبرهم من أهل السنة هو أشد بدعية منهم (!)،وهذا أصل آخر باطل يدل على ضيق أفق الدكتور نناقشه إن شاء الله فيه بإسهاب.

ولهذا سأناقشه أولا في أدلة تبديع الإخوان، ثم نفترض صحة حكمه وننظر هل يلزم من ذلك أن نعاملهم كما نعامل الرافضة و المعتزلة(؟)

وهل المنهج الذي ينسبه لأهل السنة هو فعلا بتمامه أم انه أغفل حالات وضوابط مهمة لم يذكرها (؟)

ثم في الأخير نناقشه في حكم من يثني على الإخوان ويعتبرهم من أهل السنة أو يعتذر لهم.

المقدمة:

كل ما استدعاه الدكتور الزهراني من نقولٍ عن أئمة السنة منزَّلا في غير محله إلا بنوع قياس ضعيف، وخلط فاحش بين حكم الأشياء في الابتداء وحكمها في الانتهاء،فالشيء قد يكون مصلحة يصير مفسدة بالتبعات و التداعيات كما أن المفسدة قد تتقدمها أسباب تجعلها مصلحة.

و الحكم على الإخوان بسبب مواقفهم السياسية أو انخراطهم في العمل السياسي بحكم أئمة السنة في الجهمية و الرافضة حكم مخالف لشريعة الإسلام، ومسلمات منهج أهل السنة و الجماعة الذي يحاول البعض حصره في فئة ضيقة على مقاس فهمه.

وهذا الموقف المتمثل في جعل صاحب البدعة العملية أو البدعة الخفيفة كصاحب البدعة الغليظة ،والذي قد نجد له أثرا عند عالمٍ من علماء السنة أطلقه من باب المبالغة

في التنفير و التغليظ للتحذير، أو لم يكن دقيقا فيه.
فلم يكونوا طبقة واحدة في الفهم و الفقه و التعبير عن مواقفهم،مع اختلاف كلامهم بحسب الأزمان و الحالات ،وكان فيهم غلاة في بعض المواقف كما هو حالهم في قضايا الجرح و التعديل، ليس هو منهج أهل السنة قاطبة، أو ما استقرَّ عليه كبارهم و المتأخرون منهم الذي يُفرِّق بميزان الشريعة بين أنواع البدع ،ومراتب الأعمال الشرعية، قال ابن تيمية في(المسودة){ص:264}: ((كلام أحمد يفرق بين أنواع البدع و يفرق بين الحاجة إلى الرواية عنهم وعدمها، كما يفرق بين الداعي و الساكت مع أن نهيه لا يقتضي كون روايتهم ليست بحجة، لما ذكرته من أن العلة الهجران)).
كما يُفرق بين عبارات التنفير وأحكام التفصيل.
فهناك كثير من الأقوال و العبارات أطلقها أئمة السنة في ذم المبتدعة لا يمكن حملها على أنها من قبيل الحكم الشرعي بل هي من جنس كلمات التنفير بالمبالغة في الذم، أو فلتات الغضب أثناء التحذير ، وكتب العلم ـ خاصة ـ كتب الجرح و التعديل مملوءة بها .
ومنهم من تكلَّم بحسب مناسبة الحال أو السؤال ،ولم يستقص المسألة ويتكلم فيها من كل أوجهها،لذا كان حتما علينا الاستقراء و الاستقصاء، و الابتعاد عن منهج الانتقاء بدون استيفاء.
وعدم ملاحظة هذا الفرق قد سبب كثيرا من الاضطراب في فهم بعض السلفيين المعاصرين حتى خرج عن منطق العقل السليم الذي جعل الله معياره الجمع بين المتماثلات و التفريق بين المختلفات ووقع في منهج أصحاب وحدة الوجود ـ من حيث لا يدري ـ الذي يجعل المتقين كالفجار .
فمن ينقل عن أئمة السنة دون أن يفرق بين الحالتين، ولا يراعي التطورات الزمنية، ولا يحدد صنف المبتدعة الذين قصدهم أئمة السنة يقع في منهجه خلط و اضطراب شديد.
هذا إذا سلمنا له أن "الإخوان المسلمون" جماعة بدعية كالرافضة و المعتزلة لأننا مع إقرارنا بوجود أخطاء في دعوتهم إلا أنها ليست من جنس بدع المعتزلة و الرافضة و الخوارج بل يقعون تحت مظلة أهل السنة .
لقد تبنى الدكتور الزهراني من الإخوان موقفا صارما دافعه عاطفي وليس بعلمي

أبعده عن الإنصاف و الموضوعية، وهو موقف ينقصه النضج المنهجي ذلك أنه زعم في أول مقاله أنه سيتكلم عن الإخوان بعدل، أي: بإنصاف بين طرف المزكي لهم ،و الذين وصفهم بأبواق الإخوان في دول الخليج (؟!)، و طرف الذام لهم بإطلاق لكنه في الحقيقة لم يختلف موقفه عن هذا الطرف الثاني في شيء ملموسٍ.
كما أنه نسب موقفه من الإخوان إلى منهج أهل الحديث، وليس هذا بصحيح، فإن موقف أهل الحديث و السنة من أهل البدع يختلف بحسب نوع البدعة، وبحسب حالهم، وهناك فرق كبير بين الجمل المطلقة من بعض أهل الحديث في ذم المبتدعة و هجرهم و التبرؤ منهم، وبين العمل التطبيقي،أي: مواقفهم العملية كما سأوضحه بمثال شيخ الإسلام الصابوني وابن بطة وغيرهما.
أقول هذا في المستوى الثاني من المناقشة عندما نفترض جدلا أنهم فرقة بدعية هالكة ،من باب إيضاح خطأ الدكتور في حملته على من يثني أو يعتذر للإخوان لأننا في المستوى الأول سنناقشه أو بالأحرى نكشف له أنه لم يسق أي دليل معتبر يثبت عليهم مخالفات شرعية توجب اعتبارهم من الفرق الهالكة فإن غاية ما عند الدكتور هو منهجهم السياسي وتعاطيهم السياسة الذي يعتبره الدكتور بدعة ،ولو كان الخطأ في السياسة بدعة توجب التصنيف ضمن الفرق الهالكة كالمعتزلة و الرافضة لكان كثير من السلف أو حتى الخوارج و الشيعة صنفوا ضمن هذه الفرق بسبب مواقفهم السياسية، وهذا ما لم يحصل، ولا أثر له عند أئمة السنة.
فحينما نتكلم عن تداعيات الفعل السياسي السلبية، وعدم توفر شروطه في الوقت الراهن فهذا شيء ،و مخالفة الشريعة مخالفة أصلية بارتكاب ما تحرمه الشريعة أو اعتقاد بخلاف ما يقرره القرآن فهذا شيء آخر.
يتبع في التعليقات......واتركوا لنا فرصة إنزاله كله.

فمن الإخوان من لا يتعاطي العمل السياسي ومنهم ـ كمثال ـ قسم كبير في الجزائر (جمعية الإرشاد) رفض الدخول في العملية السياسية، واكتفى بالعمل الدعوي، فعلى أي أساس يبدِّعهم الدكتور الزهراني، ويجعلهم من الفرق الهالكة (؟)
وكل موقف الدكتور الزهراني أقامه على تداعيات العمل السياسي عند الإخوان بالنظر إلى الأحداث الأخيرة ، ونحن نعلم أن أية جماعة إسلامية حتى السلفي

الصحيح من كل وجه قد يتعرض إلى الاضطهاد و المطاردة ،و هذا لا يجعل منهجه بدعة.
فتبديع الإخوان واعتبارهم من الفرق النارية، و اعتبار الانتساب إليهم عيبا بالنظر إلى تداعيات عملهم السياسي خطأ واضح وصريح لو ننزله على بعض الأحداث التاريخية نقع في ورطة علمية فإن لم يكن لهم عقيدة خاصة تخالف عقيدة القرآن و السنة ،و ما يتلقاه الفرد المنتمي إليهم ليس فيه مخالفات شرعية لم يجز لنا أن نعتبرهم فرقة بدعية ،فقد لا يشارك بعضهم في مثل هذه الأعمال السياسية ،وهي محل اختلاف فيما بينهم، وإذا قدر أنهم وقعوا في عمل سياسي مخالف للشريعة فهو بدعة عملية لا تجعل منهم فرقة نارية، وإلا كان كل صاحب بدعة عملية ـ و السياسة من الأحكام وليست من العقيدة ـ من الفرق النارية ،ولن يسلم إلا القليل من علماء السنة.
وفي رأيي المستفاد من تحليل فصول هذا المقال أن فضيلة الدكتور لم يفرق بين حكم المآل و التبعات للعمل السياسي الذي ينتهجه الإخوان، و الذي لم يظهر فساده إلا بعد حصوله وبأسباب في أحيان كثيرة خارج دائرة الإخوان، أي: من خصومهم ، وبين ما ثبت بنصوص شرعية واضحة أنه بدعة، فكون الفعل يصير منهيا عنه بسبب المآل غير كونه منهيا عنه أصالة.
نعم،لا أشك أن منهج الإخوان السياسي و الذي لا يمكن اعتباره بحال بدعة في العقيدة أو منهج التأصيل بل هو من البدع العملية ـ إذا اعتبرناه بدعة أو حراما ـ مفسدته أكثر من مصلحته لا يمكن أن يصل موقفنا منه إلا اعتبارهم كالجهمية و الرافضة، فهذا ظلم لهم، وبغي عليهم،فإن الحاجة إلى النهي عن منهجهم، أو التحذير منه لا تستلزم بحال إنزالهم منازل الجهمية و الرافضة.
وهذه بعض الملاحظات على أخطائه فيما نسبه للإخوان و لمنهج أهل السنة و الجماعة:
قال الدكتور:
))أوّلها : من تدليس ناشري تلك الفتاوى أنّهم ينشرون ما يظنّون أنّه يؤيّد تزكية "الإخوان المسلمين"مع أنّ الأمانة تقتضي نشر الجميع ولا بأس بعد ذلك من توجيه ما يخالف ترجيحهم((.
قلتُ: لا أظن أن من ينشر فتاوى اللجنة الدائمة و الشيوخ كابن باز و العثيمين و الألباني وغيرهم يدلِّس على الناس لكن الخطأ عند الدكتور فإن التزكية العامة وحتى الخاصة لشخص أو جماعة لا تعني البراءة من الأخطاء و العصمة من الذنوب، فقد زكى النبي صلى الله عليه وسلم أبا بكر وعمر بما لا يلحقهما أحد من المسلمين، ومع ذلك خطَّأهما في قضايا، وتبيَّن خطؤهم في أخرى، وهذا أمر مشهور،مما يعني أن

كون الشخص أو الجماعة من أهل السنة لا يعني أنها لا تقع في أخطاء،فلم يسلم من الأخطاء علماء من السلف.

فهناك فرق بين تزكية الانتساب: تزكية الاسم، وبين تزكيةٍ على سبيل العموم المستغرق لكل حال وقول المزكَّى.

ثم هذا الأمر"الاستشهاد بتزكيات العلماء" في مقام الاستدلال يقع فيه السلفيون كثيرا ،وهم مختلفون في كثير من الأشياء فلئن أثبتنا العصمة لإجماع السلف فإنها غير ثابتة لمن يزعم اتباعهم من المتأخرين،ومن قال إن السلفيين لم يقعوا في أخطاء منهجية ودعوية وواقعهم يشهد على شدة اختلافهم حتى في منهج النقد،وأولويات الدعوة ،ومادة الخطاب وغير ذلك.

و الحقيقة لا تعارض بين التزكية وبين وقوع الخطأ إلا عند من يجعل التزكية شهادة بالسلامة من الأخطاء و الذنوب، وليس هذا بمنهج أهل السنة و الجماعة.

وعليه،فإن كان المنقول عن الشيوخ الكبار حقا، وقد صدر منهم فإن نقله للناس من باب نقل الصدق، وليس من باب التدليس، يبقى الاختلاف في تأويله وإنزاله ،وهنا المرجع إلى قوة الأدلة و القرائن ،نعم، قد يحاول بعضهم استغلاله لتزكيتهم في أشياء أخرى لم تدر بخلد الشيوخ عندما أطلقوا تلك العبارات ،ومن هنا لم يكن كل من ينقل هذا الكلام مدلسا مغرضا فليس مجرد نقله تدليسا ، وإلا كان عدم نقله هو الآخر تدليسا.

وقد تعجبتُ كثيرا من تأويل الدكتور الزهراني للكلام الصادر في الإخوان عن كبار الشيوخ وكيف أنه في سعيه لتعضيد موقفه ترك خلفه قواعد قرآنية ثابتة كقوله تعالى:{ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى} لأجل كلام عالم من العلماء يحتمل التأويل، وقد يكون خطئا خاصة إذا تجرد عن الدليل الشرعي، وكان عبارة عن تقدير شخصي.

قال الدكتور:

))ثانيها : يجب أن نفرق بين التزكية المطلقة وبين التزكية النسبية ، فعبارات مثل : «أقرب للسنة» أو «قرب للحق» لا تفيد التزكي المطلقة فهذه العبارات تقال عن فرق متفق على بدعيتها ، كما يقال إنّ الزيدية أقرب للسنة أي من الرافضة وبقية فرق الشيعة ، والكلابية أقرب للحق أي من فرق المعتزلة والجهمية ، ونحو ذلك((.

قلتُ: دلالة مثل هذه العبارات يحددها السياق لأنها لا تقال فقط على الفرق المتفق على بدعيتها،بل تقال على المتفق على سنيته أيضا،فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم عن الصحابة الذين يقاتلون الخوارج :" تَمْرُقُ مَارِقَةٌ عَلَى حِينِ فُرْقَةٍ مِنْ الْمُسْلِمِينَ تَقْتُلُهُمْ أَدْنَى الطَّائِفَتَيْنِ إِلَى الْحَقِّ"،وفي رواية : " أَوْلَى الطَّائِفَتَيْنِ بِالْحَقِّ"،وكلها في

الصحيحين ،فقاتلهم علي بن أبي طالب ومن معه من الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ،ولا يقال على هؤلاء :"أتفق على بدعيتهم(!)"
ولا شك أن علماء السنة عندما يستعملون مثل هذه التعبيرات يعرفون دلالاتها ولهم قصد فيها.
ونجد العلماء يقولون: قول المالكية أقرب إلى الحق، قول الأحناف أقرب إلى أصول الشريعة وهكذا ، فهناك مسائل ثابتة بالكتاب و السنة، و هناك مسائل ظنية لا نجزم بها ،فنقول: هذا أقرب إلى الحق، أو إلى الكتاب و السنة ،أو إلى أصول فلان كما كان ابن تيمية ـ رحمه الله ـ يقول : ((أَمَّا الْأَشْعَرِيُّ فَهُوَ أَقْرَبُ إلَى أُصُولِ أَحْمَدَ مِنْ ابْنِ عَقِيلٍ وَأَتْبَعُ لَهَا فَإِنَّهُ كُلَّمَا كَانَ عَهْدُ الْإِنْسَانِ بِالسَّلَفِ أَقْرَبَ كَانَ أَعْلَمَ بِالْمَعْقُولِ وَالْمَنْقُولِ. وَكُنْت أُقَرِّرُ هَذَا لِلْحَنْبَلِيَّةِ))(المجموع228/3) وغير ذلك من عبارات الغاية منها نفي الحق المطلق، أو الإصابة في كل شيء، أو نفي القطع،أو لبيان أن معه بعض الحق، أو كثيرا من الحق مع بعض الباطل.
وهنا قضية مهمة قد يتذكرها الناقد أثناء نقده لجماعة أو شخص وقد يغفل عنها، ستكون الفيصل في فهم كلام الشيخ ابن باز الذي نقله الزهراني لبيان بدعية الإخوان، وفي رد كلام الزهراني عن القدر المشترك و القدر المميز:
نحن نعلم أن التعظيم إنما هو للكتاب و السنة ، فكلما كان الرجل عالما بهما متبعا لهما ازداد تعظيمه، فلا يعظم الرجل أو الجماعة إلا بتعظيمهما ،ولا يذم إلا بمخالفتهما،و التفاوت في ذم المبتدعة بحسب نوع البدعة ونوع خطورتها بحسب درجة مخالفتها للكتاب و السنة.
ومن هنا لم يكن عند أئمة السنة صاحب البدعة العملية أو الخفيفة أو ذات الاشتباه كصاحب البدعة الغليظة المكفرة ،ولم يكن الباغي كالخارجي، فمن حكم على الفرد بحكم الجماعة فقد ظلمه، ومن حكم على فردين مختلفين ينتميان إلى جماعة واحدة فقد ظلم أقربهما إلى الحق،لأننا إذا جعلنا المخطئ في مسألة كالمخطئ في عشرة،و المخطئ في بدعة عملية كالمخطئ في أصول الدين، فقد جعلنا السني المخطئ كالمبتدع المخطئ، وهذا باطل إذ يجب شرعا التفريق بين المخطئ بسبب اجتهاد سائغ وبين المخطئ المعرض عن الكتاب و السنة.
فكل من مدح شخصا فلموافقته السنة، وكل من ذمه فلمخالفته لها، فكلما كان الرجل أعظم موافقة للسنة وأئمتها كان مدحه أعظم،و التفاضل بين أئمة السنة بسبب تفاضل تعظيمهم للسنة، فما فضل الدارمي على مسلم، وابن خزيمة على ابن حبان، واحمد على غيره إلا بهذا ، فكيف لا يكون هذا الأصل الشرعي معيارا في التعامل مع

الإخوان أو الأشاعرة فيكون أعظمهم تعظيما للسنة أقربهم للحق وأولاهم بالمدح من بين أصحابه(؟)
قال شيخ الإسلام في (المجموع)(17/4): ((فَالْأَشْعَرِيُّ نَفْسُهُ لَمَّا كَانَ أَقْرَبَ إلَى قَوْلِ الْإِمَامِ أَحْمَد وَمَنْ قَبْلَهُ مِنْ أَئِمَّةِ السُّنَّةِ كَانَ عِنْدَهُمْ أَعْظَمَ مِنْ أَتْبَاعِهِ وَالْقَاضِي " أَبُو بَكْرٍ بْنُ الْبَاقِلَانِي " لَمَّا كَانَ أَقْرَبَهُمْ إلَى ذَلِكَ كَانَ أَعْظَمَ عِنْدَهُمْ مِنْ غَيْرِهِ.))
ومن هنا نقول للدكتور الزهراني: إذا أقررت ـ في مقالك ـ باختلاف المنتمين للإخوان و تفاضلهم في العلم و الحق،وأن فيهم أهل السنة ،فكيف حكمت عليهم حكما واحدا بأنهم من الفرق النارية،وبوجوب التبري منهم،و تمحيض المعاداة لهم ،وهذا مخالف للقرآن و السنة و منهج أئمة السنة (؟!)
ولماذا نُفرِّق بين طبقات الأشاعرة، فنفرق بين الأشعري و أتباعه ،وبين المتقدمين منهم و المتأخرين، وبين أهل الحديث منهم وأهل الكلام، وبين أهل الكلام منهم و المتفلسفة منهم(؟)
بل كيف نُفرِّق في التكفير وهو أخطر حكم شرعي يأتي التبديع بعده بين أوائل الجهمية و الرافضة وبين طبقاتهم اللاحقة مع أن الفرق هو العمد و التأويل فقط،وليس الاقتراب من الحق،فأقوالهم واحدة (؟)
وعليه أقول: عندما نطلق هذه العبارة :"أقرب إلى الحق" ونطلقها في حق من هو أبعد يكون لها معنى،وعندما نقيدها بإضافة حاصرة فنقول: أقرب الطوائف أو الجماعات أو المذاهب إلى الحق يكون لها معنى آخر يفيد أن الاختلاف معهم في أشياء و الغالب الموافقة.

مدار أهل اليقين : علمٌ لا يداهن، فيه حقيقة التَّعظيم لأمر الله، و نصيب وافر من الرَّحمة و الشفقة، فيه خلاصة الشفقة على المسلمين.

إذا دبَّ الحسد في شعبٍ كثر اختلافه.
وتكبر الفتن عندنا لأننا نتاجر بها.
وكثير منَّا يقتات على الأخلام.
ولا يزال الرجل يفكر فيما سيفعله حتى يفعل ما قُدر له أن يفعله ....!!!

استعجال النقد قبل استكمال الفهم ؟

بعض الشباب الفاضل يتصل بي للاستشكال على موضوع كتبته بمجرد أن يقف عند جملة لا يفهما فلا يصبر حتى ينتهي من قراءة المقال كله ،ومن الحرج أن أفهم من سؤاله أنه لم يكمل المقال، و أن الجواب على استشكاله تضمنه المقال فما عليه إلا أن يرد الجملة إلى سياقها.

فإما لم يتم قراءة المقال ،و إما لم يفهم ، وفي الحالتين الاستشكال و الاستدراك يدل على استسهال الاعتراض و ضعف الصبر على القراءة ومجاهدة الفهم عن الناس.

وهذه صفات طبيعية في كثر من الشباب يحتاج إلى اجتنابها بدون أن يجربها لأنها ستضيع عليه وقتا ثمينا.

التواصل

هل هو (عندنا)فعل يهدف إلى التفاهم أم إلى السيطرة ؟

يحدد الإجابة النية المضمرة التي تدخل بها الحوار .

الاستيقاظ

صراعات علمية وفكرية ودعوية كبيرة جداً نخوض فيها ونحن في أعماق البئر كلنا لم أجد فيها كلمة واحدة عن طريقة الخروج من البئر

اكتشاف

إذا اجتمعت النفس المريضة بالعقل المغيب تجد المشهد الحالي متاهة وحيرة

قاعِدةٌ فِي مُناظَرة الرَّافِضة

بسم الله الرَّحمن الرَّحيم

الحمد لله وحده، و الصَّلاة و السَّلام على من لا نبيَّ بعده.

أمَّا بعد؛فإنَّ بعض المنتسبين للسُّنَّة يعتقد أنَّ الصَّحابة لم تقع منهم أخطاءٌ و ذنوب ،وإن وقعت فلا يجوز بحالٍ الخوض فيها، فإذا ما عارضهم الرَّافضة بمرويات أهل السُّنَّة الَّتي فيها شيئٌ من هذا أُسقِطوا في أيديهم ،ولم يدروا كيف يدفعون عنهم عواقب تلك الأخطاء و الذُّنوب في تقرير أحكامِ الإمامة، و إثبات صوابيَّة موقفِهم، لأنَّهم لم يفهموا حقيقة وصايا أهل السُّنَّة بعدم الخوضِ في تلك الأمور.

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة ـ رحمه الله ـ في (4/434)(المجموع):

((مِمَّا يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ أَنَّهُ وَإِنْ كَانَ الْمُخْتَارُ الْإِمْسَاكَ عَمَّا شَجَرَ بَيْنَ الصَّحَابَةِ وَالِاسْتِغْفَارَ لِلطَّائِفَتَيْنِ جَمِيعًا وَمُوَالَاتَهُمْ؛ فَلَيْسَ مِنْ الْوَاجِبِ اعْتِقَادُ أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْ الْعَسْكَرِ لَمْ يَكُنْ إلَّا مُجْتَهِدًا مُتَأَوِّلًا كَالْعُلَمَاءِ بَلْ فِيهِمْ الْمُذْنِبُ وَالْمُسِيءُ وَفِيهِمْ الْمُقَصِّرُ فِي الِاجْتِهَادِ لِنَوْعِ مِنْ الْهَوَى لَكِنْ إذَا كَانَتْ السَّيِّئَةُ فِي حَسَنَاتٍ كَثِيرَةٍ كَانَتْ مَرْجُوحَةً مَغْفُورَةً.

" وَأَهْلُ السُّنَّةِ " تُحْسِنُ الْقَوْلَ فِيهِمْ وَتَتَرَحَّمُ عَلَيْهِمْ وَتَسْتَغْفِرُ لَهُمْ لَكِنْ لَا يَعْتَقِدُونَ الْعِصْمَةَ مِنْ الْإِقْرَارِ عَلَى الذُّنُوبِ وَعَلَى الْخَطَأِ فِي الِاجْتِهَادِ إلَّا لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،وَمَنْ سِوَاهُ فَيَجُوزُ عَلَيْهِ الْإِقْرَارُ عَلَى الذَّنْبِ وَالْخَطَأِ لَكِنْ هُمْ كَمَا قَالَ تَعَالَى: {أُولَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ} الْآيَةَ.

وَفَضَائِلُ الْأَعْمَالِ إنَّمَا هِيَ بِنَتَائِجِهَا وَعَوَاقِبِهَا لَا بِصُوَرِهَا.))

فيجب عليك التَّفريق بين مذهبِنا عند الإثبات بالإجمال، وهو خلاصة تحقيق ما جرى بين الصَّحابة (تُحْسِنُ الْقَوْلَ فِيهِمْ وَتَتَرَحَّمُ عَلَيْهِمْ وَتَسْتَغْفِرُ) وبين مذهبنا عند التَّفصيل في مناظرة الرَّافضة، وهو توجيه الوقائع التَّاريخيَّة الثَّابتة لما يوافق الأصول الشَّرعيَّة و الطَّبيعة الآدميَّة و حقيقة الفضائل (لَكِنْ لَا يَعْتَقِدُونَ الْعِصْمَةَ مِنْ الْإِقْرَارِ عَلَى الذُّنُوبِ وَعَلَى الْخَطَأِ فِي الِاجْتِهَادِ إلَّا لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،وَمَنْ سِوَاهُ فَيَجُوزُ عَلَيْهِ الْإِقْرَارُ عَلَى الذَّنْبِ وَالْخَطَأِ)،بين الحقِّ الموجود و الحقِّ المقصود،فإنَّ إنكار الحقائق التَّاريخيَّة و الوقائع الثَّابتة، و الكذب في الإخبار عن الحقِّ الموجود ليس من شريعة الله في شيءٍ،و ليس مذهبًا لعاقلٍ، وهو في الغالب يُضعفك عند تقرير الحقِّ المقصود،لكن إن فرَّقت بين الحقَّين :بين الواقع الموجود و الحقِّ المقصود ثبت مذهبُك و ظهرت مزاياه لأنَّ (وَفَضَائِلُ الْأَعْمَالِ إنَّمَا هِيَ بِنَتَائِجِهَا وَعَوَاقِبِهَا لَا بِصُوَرِهَا) ، فلا يمكنك بحالٍ تخطِّي ما كان لتُثبتَ ما لم يكن(فَلَيْسَ مِنْ الْوَاجِبِ اعْتِقَادُ أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْ

الْعَسْكَرِ لَمْ يَكُنْ إلَّا مُجْتَهِدًا مُتَأَوِّلًا كَالْعُلَمَاءِ بَلْ فِيهِمْ الْمُذْنِبُ وَالْمُسِيءُ وَفِيهِمْ الْمُقَصِّرُ فِي الِاجْتِهَادِ لِنَوْعِ مِنْ الْهَوَى)،وإنَّما تَقدر على تجاوزِ هذا بإثبات نظيره، أو ما هو أكثر منه في مناقضِهم أو خصمِهم من الصَّحابة،فما تُثبتُ به الفضائل لهم تُثبت به الفضائل لمخالفِهم من الصَّحابة، وما تُقرِّر به عذرَهم هو نفسه ما تُقرِّر به عذر مخالفِهم مِن الصَّحابة.

فمذهبنا عند الإجمال هو مذهب تعليميٌّ لا يمكنك أن تُجيب به عن الشُّبهات،لأنَّ مذهب الرَّافضة مذهبُ من لا عقل له، يقدحُ في الطَّريق الَّتي يُثبت بها فضائل إمامِه، فلا تَثبُت له فضيلة ،ومذهبُ الطَّعنِ يُبطله مذهبُ الطَّعنِ مثله ،وهو مذهبُ الخوارج و النَّاصبة لأنَّه ليس من طريق أهلِ السُّنَّة الطَّعنُ في واحدٍ من الصَّحابة، فإذا لم تصحَّ فضيلة إلاَّ بطريق أهل السُّنَّة لم يندفع قدح إلاَّ بطريق الخوارج و النَّاصبة (لأنَّنا لا نقدح في الصَّحابة)،فإن لم يصمد مذهبُ الرَّافضة أمام اعتراضات الخوارج فهو أحرى أن لا يصمد أمام أهلِ السُّنَّة، فأحكام المناظرة و الجدل غير أحكام التَّعليم،فالمذاهب الباطلة قد يُستعان في نقضِها بمذاهب أقلَّ بُطلانا منها، ويَبطُل جميعُ الباطلِ في النِّهاية ،فلا يصمد إلاَّ المذهب الحقُّ لأنَّ الاعتبار بكمال النِّهاية لا بما جرى في البداية؛ و الأعمال بخواتيمها.

الثورة (بمعنى التغيير الجذري و المفاجيء) بين مفاهيم الإسلاميين و التغريبيين:

ولو أننا قارنا بين الثورة الفرنسية و الثورات العربية ، لوجدنا أن الثورات العربية لا تشكل إلا حدثا تاريخيا لأنها لم تكن ثورات فكرية وعلمية و عقدية على أوضاع فاسدة، ولكنها في الغالب ثورات من أجل الأرض و استرجاع الأرض، و دفع الصائل أمر فطري في الناس لا علاقة له بالإسلام، و كل شعوب المعمورة قامت به.

ولذلك ليس للثورات التي قام بها العرب في هذا العصر أي امتداد فكري و عقدي و خلقي على حياة المسلمين اللهم إلا [ثورة] الشيخ محمد عبد الوهاب ، بخلاف الثورة الفرنسية التي قامت من أجل تغيير فكري و المطالبة بوضع فكري جديد، وكانت لها قاعدتها الفكرية المتمثلة في الجمهورية و قيم العلمانية وغير ذلك، لا زالت هذه الثورة حية لحد اليوم و تشكل دافعا في الثقافة اليومية للغربيين.

و عليه فإن الإسلام أو الثورة الإسلامية ـ إذا صحّ التعبير ـ التي قام بها الصحابة على

الجاهلية و الشرك ، لم تكن من أجل استرجاع الأرض ، أو دفع الصائل، و لكنها قامت لتقر مبدأ التوحيد، وتحمل القيم الجديدة و الخالدة إلى البشرية جمعاء ،فهي ثورة علمية معرفية لنشر الإيمان و الفضيلة ترتكز على أساس عقدي متكامل، له وسائله العلمية و المنهجية ما دامت موجودة في الناس مادامت الثورة العلمية الدعوية على الشرك و الكفر و الانحراف قائمة .

ولكن عندما تحدث فجوة بين الأساس العقدي و الفكري العلمي لهذه الثورة المتمثل في منهج السلف الصالح و مفهومهم للدين، وبين واقع المسلمين اليوم لا يصبح الدين إلا كحدث تاريخي لا أثر له في حياة الناس اليومية إلا عبر التقليد ، أو الظهور في المواسم و الأعياد.

فإذا أزمة المسلمين اليوم مع الإسلام أزمة تضييع الأساس الفكري و العقدي لهم الذي يتيح لهم رؤية الإسلام عامل عملي في حياتهم اليومية يدفعهم إلى التفوق و البحث عن حلول الإشكالات ، هذا هو الطرح السني في ثوبه الفكري عندما يطالبون الناس بالرجوع إلى عقيدة ومنهج وفكر السلف الصالح قبل أن تظهر فيه عوامل خارجية سلبية مع الاستعداد لقبول كل جديد لا يتعارض و أصول الإسلام و ثوابته .

فعندما ينادي أهل السنة باعلى صوتهم أن السبيل هو العقيدة ومنهج السلف الصالح ليس لنا ان نتصور في أذهاننا مسجدا قد امتلأ عن آخره بالعباد بل علينا ان نتصور إنسانا و أمة مستسلمة لله تعالى في عقيدتها و فكرها و أخلاقها و معاملتها في أي مجال من المجالات،أي عباد في البيت و الشارع و المعمل و المسجد.

فالنهضة الإسلامية مربوطة حتما بالانطلاق العقدي و الفكري و المنهجي و إلا ستصير كالثورات العربية المعاصرة حدث تاريخ يموت امتداده يوم يموت من قاموا به، وإن أرادت السلطات إحيائه لاستغلاله في تسييس الشعوب و تلهيتها فالأموات لا يرجعون إلى الحياة إلا كأصنام ودمى وصور على الحائط.

في فوضى المشروع السِّياسيّ الإسلاميّ

أنا أفهم أنَّ النَّاظرين إلى نفس المشهد من نافذتين مختلفتين لا ينكشف لهما نفس المشهد لاختلاف زاوية النَّظر لكن القواعد العامَّة حاكمة ومرجِّحة، و إذا كنَّا لا نختلف أنَّ هناك خططا مضادَّة للتَّجربة الإسلاميَّة موضوعة على طريقها فإنَّ الألغام

العلمانية على اختلاف درجة تمسُّكها بعلمانية الدَّولة يجب تفجيرها في الرِّمال وليس في وجه الشَّعب.
وهذه الخطط و المكائد معروفة لنا مُسبقا، وكذلك الدَّوائر المعارضة لنجاح التَّجربة الإسلاميَّة في الدَّاخل و الخارج ،ومن العرب و العجم معروفة لنا مُسبقا ،فكيف نفاجأ بها، و نسقط في حيلها إلاَّ إن لم نكن محضِّرين لها ، ولم نفكِّر في وسائل مواجهتها بالوسائل السِّلميَّة المتكافئة ، وهذه فوضى باسم الإسلام، و ليست سياسة باسم الإسلام ؟

الفرق بين أن نكون على قلب رجل واحد وبين أن نكون على عقل رجل واحد:

بدلا من البحث عن أسباب القصور صرنا نؤصِّل للقصور،وكلَّما وجدنا مظهرا سلبيًّا عائقا أمام إقامة الدِّين كلِّه بحثنا عن الأدلَّة لتبريره و استدامته، و اقترحنا حلولا غير واقعية لم تعرفها الأمَّة إلاَّ مؤخَّرا ف وهي أن نكون كلُّنا على قلب رجل واحد في (كلِّ شيء) لكن بمعنى على عقل رجل واحد، وهذا لم يكن ولن يكون ،وبهذا المفهوم لا نملك إلاَّ أن نبرِّر الموجود من شرك وكفر وفجور و ظلم و هوان إلى أن ينزل المسيح عليه السَّلام.

من ورطات الأمور:

جاء في (صحيح البخاريّ) عن سمرةَ بن جندبٍ قال: ((أَوَّلُ مَا يُنْتِنُ مِنَ الْإِنْسَانِ بَطْنُهُ، فَمَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ لَا يَأْكُلَ إِلَّا طَيِّبًا فَلْيَفْعَلْ، وَمَنِ اسْتَطَاعَ أَنْ لَا يَحُولَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ مِلْءُ كَفٍّ مِنْ دَمٍ أَهْرَاقَهُ فَلْيَفْعَلْ.)).
عجبا لمن ترك الحذر و توغل في التأويل ،قال الإمام أحمد في رواية الشالنجي:"وَكَذَلِكَ الْكُفْرُ حَتَّى يَجِيءَ مِنْ ذَلِكَ أَمْرٌ لَا يَخْتَلِفُ فِيهِ"

لكل أجل كتاب:

بعض الغلاة من الدعاة يقع في الناس بغير حق، ولا يجد من يرد عليه لأنه لم يحن وقته بعد ،وعندما يأذن المولى تأتيه عقوبة من جنس عمله فيسلط عليه من يسلخه،وعلى نفسها جنت براقش.

تحريرُ العقول من رقِّ الفهم المعلول
(سلسلة مقالات لتجديد الفهم و الوعي)

الحشّاشيَّة في السّلفيَّة

هذا هو المنهج السَّلفيُّ في عرف الشَّيخ ربيع ومقلِّدته كالشَّيخ رسلان

بسم الله الرَّحمن الرَّحيم

الحمد لله وحده، و الصَّلاة و السَّلام على من لا نبيَّ بعده.
أمَّا بعد؛فإنَّ السَّفسطة تكون في العقليَّات بينما تكون القرمطة في السَّمعيات،أي: التَّمويه، و الكذب،وتجاهل المطلوب ،والمغالطة،وما جرى مجراها في العقليَّات نسمِّيها "سفسطة"،و في السَّمعيات و النَّقليات نسمِّيها "قرمطة"،ولذلك اشتهر هذان المرضان في الفلاسفة و المتكلِّمين و الباطنيَّة من الشِّيعة وغيرهم.
وأصحاب السَّفسطة هم من يجعل الحقائق تابعة لعقيدته و ظنِّه وحبِّه وبغضه ، وليس للأدلَّة، فالعلاقة عندهم بين الحقِّ و الحقيقة و الكلام هي القدرة على الجدال بأيِّ شيء ولو بتغيير مسار الكلام و باللَّعب بالألفاظ لإفحام الخصوم.
وهذا خداعٌ و تمويه للحقيقة يمارسه ـ للأسف ـ كثير من المنتسبين للدِّين و للسَّلفيَّة،و اشتهر به منهج الشَّيخ ربيع، ومارسه مقلِّدته،ولا يعرفون منهجًا غيره؛ فعندما يلزمهم النَّاس بقولٍ لا يردُّون عليه بل ينتقلون إلى شيء آخر، فيقول لهم شيخهم الكبير أو أحد نقبائه: لكنَّه يثني على المبتدعة، لكنَّه ينتمي للجمعيَّة الفُلانيَّة، لكنَّه يفعل كذا وكذا ، فما علاقة الجرح المفسَّر وحمل المجمل على المفصَّل ـ مثلا ـ بجوابهم هذا إلاَّ السَّفسطة.
فالردُّ عندهم ـ غالبا ما يكون ـ متموِّجًا متذبذبا، ليس القصد منه إدراك الحقيقة و تعظيم العلم و المعرفة.
ومن هنا كان الكلامُ عندهم كما عند أصحاب السَّفسطة أداة إقناع تحمل على الاعتقاد و الظنِّ دون أن يعير اهتماما للحقِّ و الباطل،فعندما يغيِّرون اتِّجاه الكلام عن خصومهم مع أتباعهم فهذا تحويل للعلم و قصدِ الحقِّ إلى موضوع كلام لا يوجد فيه مكان لتمييز الدَّليل الصَّحيح من الفاسد، و للدَّليل من المدلول، بل تضمحلُّ الحقيقة العلميَّة في التَّشقيقات الكلاميَّة و المواضيع الفرعيَّة الأجنبيَّة عن محلِّ النِّزاع.
وهكذا يمارسون سُلطةً على عقول أتباعهم من خلال شحنهم بأكاذيب تغمر جانبهم

العاطفيّ ببغضِ خصمهم و الحنق عليه، فيؤثِّر ذلك على حكمهم و تمييزهم بين الأقوال ، فالإقصاء الحاصل في عقول أتباعهم ليس سببه العلم و الحجَّة ولكن العاطفة الملقَّنة : "البغض و الكراهية"، لأنَّهم يصوِّرون لهم خصمَهم مُبغضًا للسُّنَّة، عدوًا لها، محبًّا للمبتدعة و البدعة؛ و لذلك يركِّزون في أيِّ قضيَّة علميَّة ـ ولو كانت رياضيات وفيزياء ـ على أنَّه يثني على المبتدعة، ويقع في أهل السُّنَّة، لأنَّ المبتدعة عندهم هم ـ وفقًا لأهوائهم ـ خصومهم، ولو كانوا أعظم في السُّنَّة منهم، و أهل السُّنَّة جماعتهم وحلفهم فقط، ولو كان فيهم من البدع و الظُّلم و الفجور ما كان.

وعليه، فالرُّدود عندهم :"تشتيتُ المسائل بتسليط جهالهم في المنتديات"، مجرَّد تقنيَّة بدعيَّة سخيفة يمكن أن تنتج الرَّأي الصَّحيح صدفةً أو الرَّأي الخاطئ عمدًا، لا يهمُّهم ذلك، المهمُّ هو الرَّدُّ على الخصمِ، أمَّا الكيفيَّة فلا عبرة بها، فمن يقدر على الرَّدِّ و تسطير أسود على أبيض ـ ولو كان كذبًا ـ ويكثر الكلام الفارغ هو من يمتلك السُّلطة على الأتباع، لأنَّه يمتلك لغة التَّضليل، و بلاغة التَّمويه و الكذب، وصنع الحقائق الزَّائفة من خلال التَّرديد و التِّكرار؛ سفسطة محضة، وقرمطة في الأدلَّة قِحَّة.

فالمنتهض منهم للرَّدِّ على المخالف صاحب الحجَّة ليس مطالبًا في عرفهم بتقديم المعنى و العلَّة و الدَّليل، بل بالطَّواف و المراوغة حولهم بتشويه المخالف، هو فن تلبيس الأغلوطات شكلَ دليلٍ يجعل أسوأ الكلام و أقبحه يبدو لأنَّه زُيِّن في البداية(المقدِّمة) بكلام مشترك عن ذمِّ البدعة، ووجوب الرَّدِّ على المبتدعة، وبعض الآيات و الأحاديث والنُّقول عن العلماء كأنَّه أحسن الكلام و أعظم الأدلَّة (!)

فهكذا عندما يتحدَّثون أنَّ فلانا عمل مع جمعيَّة كذا، و اشترى سيارة كذا، ويقبض كذا، و لحيته ليست طويلة،وجلس إلى فلان، وابن عمِّه يقول كذا، ....الخ ومثْل هذه السَّخافات إنَّما يسفسطون، و قصدهم المغالطة، وصرف نظر أتباعهم عن جوهر القضيِّة ولبِّ النِّزاع ؛ فمنهجهم المُلتَوي هذا لا يعتمد على استخراج العلَّة و البرهان، بل يقوم كلِّيَّة على الإقناع و التَّضليل بالتَّمويه و المغالطة.

وعليه،فإنَّ المغالطة بتجاهل المطلوب بتحويل الحديث من القضيَّة (أ) إلى القضيَّة (ب) الَّتي لا علاقة لها بها لا علاقة حمل، ولا علاقة مساواة أو تكافؤ كما يقول المناطقة، كأن نتحدَّث عن تناقضات الشَّيخ ربيع، أو أحد حلفائه، وضعف منهجهم العلميِّ، وفقره من دليل صحيح،أو نتحدَّث عن جهلهم باتِّباعهم الشَّيخ ربيع في أحكامه

على طلبة العلم و العلماء، فيحوِّلون الحديث إلى الاختيارات الفقهيَّة كأنَّما قد أجمعت الأمَّة على اختياراتهم المرجوحة في أكثرها .
هذا المسخ العلميُّ و السُّلوكي هو ما يُسمَّى ـ اليوم ـ بالسَّلفيَّة، ويرادُ له أن ينتشر، فلا عجب أن لا أتباع له إلاَّ من عوامِّ النَّاس، ومرضى النُّفوس أصحاب الشَّهوات المتكالبين على حطام الدُّنيا،ما إن ينضج عقلُ الواحد منهم، أو يطهِّر اللهُ قلبه من أمراض النُّفوس حتَّى يهجره و ينابذه.
وهذه السَّلفيَّة الحشَّاشيَّة يصدق عليها قول العامَّة ـ فيما يخصُّ القدر الَّذي أخذته عن السَّلف ـ : " يُصلِّي و يقضي حاجته في الدَّقيق"،أو "يؤدِّي الفرض و يثقب الأرض".

المنهج السلفي الصحيح للخوض في العلم و تقرير مسائله

الحمد لله وحده و الصلاة و السلام على من لا نبيّ بعده،وبعد......
إن من السلفيين من يأبى إلا الخصومة في الدين،فهو ينتقل من خصومة هذا إلى خصومة ذاك،ومعلوم أن الخصومة في الدين ليست من طريقة أهل السنة و الجماعة ـ كما قال الإمام أحمد ـ ، وقد يظن صديقه بله أخاه عدوا،وعدوه صديقا إذا فقد القدرة على التمييز،فيجعل مسألة خبر الثقة كمسألة الحديث الآحاد،فإن كان عالما بوجه الفرق فهذا مبطل فساده في الدين أعظم بكثير من صلاحه، و إن كان جاهلا ففساده ليس بأهون من الأولى، فإن من يجهل الفرق بينهما لا يحل له مناقضة أهل العلم و الرد عليهم.
ومن تعصب لشيخ لحب أو مأرب يناله منه فإنه يترك العلم و أهله إلى رأيه وهواه،فإن عارضه أحدهم فزع إلى العلم ولم يستعد له،و لجأ إلى أقوال أهل العلم، ولم يتعلم كيف ينظر فيها،فتراه يناظر بما يضحك،ويجعل جهله علما ينفي به قول مخالفه،فيصير ينقل من الكتب السلفية كحاطب ليل يجمع ما وقعت يداه عليه .
ومع كل ما يثيره إخواننا، ومع كل تقصيرهم في العلم و الدعوة يهمنا موافقتهم في المنهج، و مناصرتهم على أهل الباطل، وشد أزرهم ومعاونتهم، ولكن على الحق وبالحق،و إن بدا لقصور أفهامهم و فساد تصوراتهم أن فيه وهنا لمنهج السلف، أو تضعيفا لجماعتنا.

فإن الحق كيفما أدير لا يكون إلا حقا، ولا يكون عونا على الباطل،و المبتدع لا ينتفع بما معه من الحق لرد الحق، بل يكون الحق الذي معه سببا و دليلا على ما معه من الباطل، فحتى الحق الذي مع المعتزلة يدل على باطلهم، ويدل على الحق الذي مع أهل السنة,فلا يجب أن نخشى من الحق،فإن الحق حق و الباطل باطل.

للتَّذكير .... أنا على موقفي من سلفيَّة التَّجريح (السَّلفيَّة الشَّيخويَّة بمنهج الحشَّاشين)

لأنَّ المناسبة تجدَّدت ...

الحمد لله وحده، و الصَّلاة و السَّلام على من لا نبيَّ بعده.

أمَّا بعد؛ فإنَّ هذا المقال كتبتُهُ ـ من مدَّة ـ بالنَّظر إلى القِيم الإسلاميَّة العالية على كلِّ مذهبٍ أو شيخ يُبالَغ في هالتِهِ؛لا يخترع شيئًا جديدًا، و إنَّما يردُّ على بعض النَّاس ـ ممَّن نسي أو أخطأ ـ بضاعتهم!

إنَّ الجروح (الحزن و الأسى) الَّتي تسبَّب فيها الدكتور ربيع وعصبته لكلِّ من يجلُّ السَّلف، و يتَّخذهم نموذجا له في الدَّعوة إلى الله عميقة، بل بعضهم عندما ينظر في حال المسلمين ، وما أصابهم على اختلاف درجاتهم : "علماء ،و دعاة، و عوامٌّ" من هذا المنهج الَّذي يدعو إليه الدكتور ربيع ، يشعر بالحرج من أن يكون الانتساب للسَّلف الصَّالح ـ نجوم هذه الأمَّة ـ سببًا في كلِّ هذا الضَّياع، و العبث بالرُّموز، و التَّبذير لطاقات الشَّباب المسلم.

فهل يغلقُ على نفسه في رأيه ويتجاهله، و يترك هذا المنهج يعبثُ بعقول الشَّباب، أم يدخل معه في المزايدات على أسماءٍ فارغة من كلِّ مدلول عمليِّ ؟!

أم يفضح هذا النَّموذج المغلوط ، و يناقشه وفقًا لتأصيلات الدكتور ربيع و أتباعه، و يترك محاكمتهم للعلم و التَّاريخ ،مع علمه ـ مسبقًا ـ أنَّه سيتعرَّض لعنف كلامي بقصدِ إرهابه .

إنَّ الإصلاح و التَّجديد صعب، ولكنَّ المصلح بخلاف غيره ،عندما لا يَتغيَّر مجتمعُه لا يُغيّر عقيدته، و يكيّف مبادءه مع الواقعِ المختل، بل يغيّر أسلوبه و طريقَته فقط، و يواصلُ مواجهة الأعاصير حتَّى يُغيِّر مجتمعه، أو كما في التَّعبير القرآنيّ: {عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ}.

إنَّ المنهج الَّذي يؤصِّل له الدكتور ربيع يخدع النَّاس بالجدال حول فروع الفروع، أي: الخلافات المجهريَّة في مسائل ليست من المطالب الشَّرعيَّة، لاجتناب الحديث عن الإشكالات الحقيقيَّة الَّتي تواجهُ المسلمين في هذا العصرِ.

إنَّ منهج الدكتور ربيع يقومُ كلِّيَّةً على شخصنة الخلاف،ولذلك يختصرُ النِّقاش العلميَّ معه في التَّجريح، و ما يتعلَّق به من قواعد، يخرجها عن إطارها و سياقها ،وهي قواعد تدور كلُّها على الشَّخص، و ليس على القضيَّة العلميَّة في حدِّ ذاتها.

إنَّ منهج النَّقد و الرَّدِّ عند الدكتور ربيع لا يُفرِّق بين النَّقد و النَّاقد ،و لذلك كثيرًا ما يُسارع إلى محاكمة النَّاقد لا النَّقد ،لأنَّه ينطلقُ من منهج سوء الظَّنِّ بمن يخالفه ؛وهذه إستراتيجيته في الحوار، أو ما يُسمِّيه :"الرُّدود العلميَّة"،أي: شخصنة الكلام ، وغلق الباب على أصابع المخالف بكلمات يُردِّدها الرَّديف له، تتجاوز حدَّ السَّبِّ و الشَّتيمة إلى درجة سلخ المخالف من إسلامه (التُّهمة بالقول بوحدة الأديان) أو سنِّيَّته، وحتَّى من آدميَّته!

فمخالفهم أضلُّ من إبليس، و أخطر من الجهم بن صفوان، و أعتى من اليهود و النَّصارى؟!

إنَّه الاختصار السَّهل للإشكالات العلميَّة الحقيقيَّة الَّتي تواجه تفاهم الأمَّة باللُّجوء إلى الإسقاط و التَّضليل.

و لأنَّ هذا المنهج لا شكل له في الحقيقة، فهو ذاهب في كلِّ اتِّجاه، لا يُطرد، ولا يُعكس إلاَّ وقع على أمِّ رأسه،لا يُفرِّق الدكتور ربيع بين شروط حمل صوت السَّلفيَّة، وبين شروط أن يكون ناطقًا باسمها.

فالأوَّل مجرَّد مُبلِّغ، لا يتصرَّف في النَّصِّ، إنَّما يوصل صوت السَّلف إلى النَّاس، بينما الثَّاني لا يكون ناطقًا باسمها إلاَّ في حالة الوفاق عليه و الإجماع، أو أن يحمل أدلَّة قاطعةً لا يوجد ما يقومُ على معارضتها، بحيث يجزمُ ـ جزمَ علمٍ لا جزمَ هوى ـ أنَّها مراد الله ورسوله.

إنَّ منهج الدكتور ربيع لا يحمل أيَّة اقتراحات ملموسة لحلِّ الأزمة بينهُ و بين بقيَّة المسلمين، ذلك أنَّ الطَّريق الَّذي يقترحه لا يمكن سلوكه، فالنَّاس مثله لن تتخلَّى عن قناعتها لأنَّها دين؛ولأنَّ الدكتور ربيع لا يعرف شيئًا يُسمَّى "تطوير المواقف" بالحوار و النِّقاش لتضييق مساحات الاختلاف.

وتطوير المواقف بالنِّقاش العلميِّ الصَّحيح لا يحتاج إلى عُدَّة وعتاد، و لا إلى جامعات مرموقة و عمائم ملفوفة تضيع معها الحقائق في المجاملات الزَّائفة، إنَّه لا يحتاج إلاَّ إلى معايير الحقِّ و الحقيقة: الصِّدق و الضَّمير، ثمَّ الاشتغال على الكلمة من حيث جوانبها الأربع:

1- الجانب العاطفي لكلِّ كلمة، وهو مراعاة مشاعر النَّاس، وعدم جرحها باختيار العبارات الحسنة و الجميلة، امتثالا لقوله تعالى: { وقولوا للنَّاسِ حُسنا}.

قال عليُّ بن أبي طالب - رضي الله عنه :"يعنى النَّاس كلَّهم".

وعن عطاء قال: "للنَّاس كلِّهم، للمشرك وغير المشرك" .

وقال تعالى: (وقُل لِعبادي يقُولوا الَّتي هيَ أحسنُ)، و قد استنبط الأئمَّة من هذه الآيات قاعدة علميَّة سلوكيَّة هي : "ملاطفةُ الخلقِ و الصَّدع بالحقِّ".

2- جانب المضمون، وهو مُراعاة المعنى الَّذي نُريد إيصاله، و أن يكون لفظًا مؤدِّيًا لهذا المعنى في أقصى حدِّ، فلا نُنزل عبارةً أُطلقت على كافرٍ في مسلم، أو على بدعة غليظة نُنزلها على بدعة خفيفة،فلفظُ "بدعة" ،أو "مبتدع" ينتظم أقسامًا كثيرة لا تَتبعُها نفسُ الأحكام، و إطلاقُه بدون مراعاة المضامين هو انحرافٌ عن منهج الشَّريعة.

فلا نتقيَّد باللَّفظ و نُضيِّع المضمون، فالمضمون هو الَّذي يُعبِّر عن فحوى النُّصوص الشَّرعيَّة، ووضوح المغزى يقتضي ضبطَ المعنى المطلق و المعنى الخاصِّ، و قدرَ الاشتباه بينهما، و بالتَّالي تحديد المقصد.

3- جانب التَّرابط، أي: ما الَّذي يربطُ الكلمةَ بِأختها، و الجملة بالَّتي تعقبها، هل العلاقة بينهم علاقة منطقيَّة(علاقة علَّة بمعلول،شرط بمشروط، مقدِّمة صحيحة بنتيجة صادقة) أم مجرَّد اشتراك لفظيٍّ؛ السَّلفُ قصدوا الجهمَ بن صفوان و أنا أقصد كلَّ من يُخالفني ولو كان سُنِّيًّا؟!

وقد عُرف عن الدكتور ربيع الاسترسال مع الجمل القوِيَّة (الَّتي تحملُ عبارات تجريحيَّة شديدة) فهي تسحبُه بسهولة، فينقادُ لها،فإنَّ من النَّاس من ينساق مع السُّهولة اللُّغويَّة على حسابِ المعنى، وعلاقتِهِ بالحدث أو الحالة.

ومعلوم أنَّ ما يمكن ربطه لُغويًّا لا يعني - حتمًا - أنَّه مربوطٌ في الواقع.

فعندما يبدأ الدكتور ربيع أو أتباعُه كلامَهم بمقدِّمة طويلة عن فضائل السُّنَّة ،و مخاطر

البدعة، ثمَّ ينزلون اسمَ مخالِفهم(في قاموسهم : عدوِّهم) في ربطٍ لا معنى له، ولا علاقة بينهما، كأنَّما كلُّ تلك المقدِّمة و ما احتوته من نصوص شرعيَّة صحيحة أُطلقت على هذا المخالف في زمن النُّبوَّة أو زمن السَّلف، وهو المقصود منها أوَّلا!
فهذا ربط لغويٌّ لا معنى له في الواقع، لأنَّه يفتقدُ إلى منطقٍ يجعلُ العلاقةَ بينهما علاقة صحيحة، فالرَّبط بين الطَّرفين قد يكون كاذبًا.
فهذا يشبه الفرق بين الصِّحَّة المنطقيَّة و الصِّحَّة المادِّيَّة، فورود الدَّليل على شكلٍ صحيح لا يعني أنَّ موادَّه صحيحة، و كذلك الرَّبط بين النَّصِّ الشَّرعيِّ و القاعدة المنهجيَّة و بين فُلانٍ من النَّاس إذا أجازته اللُّغة، فلا يعني أنَّه يوجد بينهما ربطٌ في الواقع.
كذلك يجب علينا في العمليَّة العكسيَّة، أي :عند الاقتباس أن لا نهدر السِّياق ، فلا يجوز بحال ـ بل هو جريمة في حقِّ المنقول عنه، وفي حقِّ المسلمين ـ أن نَنقُل قولاً أُطلقَ في أصحابِ وحدة الوجود ـ وهم كفَّارٌ عند صاحبِ القول ـ ونُنزله على جماعة التَّبليغ أو الإخوان أو السَّلفيين المخالفين لنا .
4ـ الوجه الرَّابع أن نجعل في مقدِّمة الخطاب: القدرَ المشترك و المتَّفق عليه بيننا، و نؤخِّر المميِّز إلى حين صفاء النُّفوس، و زوال سوء الفهم، و بناء الثِّقة بين الطَّرفين.
مِن أين يأتي التَّسماح ؟
إنَّ التَّسامح يُعبِّر عن علمٍ مُهيمن شاملٍ عند المتسامح ،و أقصد بالشَّامل: الإحاطة بمسالك المذاهب، و بمواطن الاشتباه، و بالأعذار الشَّرعيَّة.
وعليه، فعندما يغيبُ التَّسامحُ بين المتخاطبين فهذا يعني غياب علم حقيقيٍّ، و أنَّ النَّظريَّات، و المبادئ، و القواعد، ليست مُبرهنة، فهي مجرَّد ظنون أُنزلت منزلة البرهان بالاقتناع النَّفسيِّ، وليس باليقين العلميِّ.
و التَّسامح هو الَّذي يدفعُ بالكلمات الموزونةِ، ويجعل ردودنا مُتدرِّجةً في القوَّة، ويُضفي مناخًا من الثِّقة بين المتخاطبين.
و التَّسامحُ هو من يُجنِّبنا مضغ الكلام، و بالتَّالي يجنِّبنا السُّقوط في كلِّ مرَّة على نفسِ المشكل.
و التَّسامح هو الَّذي يوجد مساحات التَّفاعل ويُبرزها، و يُعلِّمنا كيف نقود المخالف من كلامِه إلى كلامِنا.

و التَّسامح هو الَّذي يدلُّ على الأحقِّيَّة، و يدلُّ على التَّفوُّق، وهو سلوك عمليٌّ، و ليس مقالات داخل منهجٍ مناقضٍ لهُ.
بينما الكراهية، و سوء الظِّن هو ما يلوِّثُ الألسنة بالسَّبِّ و الشَّتم، وهو الَّذي يدلُّ على الجهل و الشَّكِّ الدَّاخليِّ.
و الخلاصة الَّتي سنخرج بها من هذا البحثِ أنَّ منهج الذكتور ربيع ليس إلاَّ تعويمًا للخلافِ العلميِّ في مصطلحات الجرح و التَّعديل، و تصفيفًا للحقائق المتضادَّة حتَّى لا يعرف السَّامعُ رأسَهُ من رجليهِ!
إنَّه منهج الانقياد للأتباعِ، بينما دورُ العلماء في العلم: قيادة النَّاس و توجيههم لا اتِّباعهم، ويمكن الاستماع لهم في غير ذلك من أمورِ الحياة.
إنَّني هنا لا أزعم أنَّي أملك الحقيقة، و لكن حسبي أن أُحصي عوائقَ الطَّريق، و أقترحُ طريقًا يمكن لأهل السُّنَّة سلوكَه، وليس طريقًا قد يكونُ صحيحًا نظريًّا لكنَّه مقطوع، أو لا يمكن السَّير عليه، كالطَّريق الَّذي يقترحُه علينا الدكتور ربيع.
إنَّ هذا المنهج وفقًا لنظرة الدكتور ربيع هو اليوم في فقدان مستمر للقوَّة ، فبعد استنفاد أثر الانطلاقة أصبح يراوح في مكانه، رغم خطاب النَّفخ في الرَّماد ، ذلك أنَّه لم يدرك في غمرة الفرحة بالتَّوسع أنَّه ينتشر في فراغ فكريٍّ، لأنَّه أخلى المساحات للمخالفين، فلكلِّ فكرة ـ ليست حقًّا ثابتا ـ عمر معدود، فعندما تصلُ النَّاسَ تبحث عن الاستمرار، ولكن بدون توازن بينها وبين ضرورة تطوير نفسها مع واقعها ،تغرق في شوائبها، فتصبح باليةً، قد سئم النَّاسُ خطابها الأحادي، لأنَّ جوهرها ضاع في قوَّة الانطلاقة، أو لأنَّه تمَّ استرجاعها و إعادة توظيفها.
إنَّ من يعتقد أنَّه يجب كنس الواقع الموجود لبناء واقع مقصود يعيش في وهم المثالية ،وَهْم: "جمع النَّاس على فكرةٍ واحدة، وفهمٍ واحد"، ذلك أنَّ الأنبياء انطلقوا من واقعهم نحو هدفهم، و بالاستمرار في تحقيق الهدف صار واقعهم يتغيَّر ليستجيب لواقع جديد، إنَّه الانتقال من مستوى واقع إلى مستوى آخر،أو إن شئت: القدرة على قلب الواقع لصالحه بالتَّعامل مع الواقع بنظرة إيجابيَّة، و ليس بمحاولة كنسه، وقلب دوران عجلة التَّاريخ.
هذا هو الحلُّ البديل المقترح لمنهج الإدانة و المفاصلة بإطلاق : التأليف أوَّلا و الحوار و النِّقاش ،هو المنهج الوحيد الَّذي بإمكانه أن يخرجنا من تحت قبضة التَّناحر و

التَّدابر،و التَّفرُّق الَّذي ذهب بريح المسلمين.
ولكن هذا المنهج يحتاج إلى من يثق في العلم وقدرته على الإصلاح، و يثق بأنَّ الحقَّ لا يحتاج ليهزم الباطل إلاَّ أن تعرضه على النَّاس، لأنَّه الحقُّ، و الحقُّ لا ينتصر بالإكراه، ولكن بالإيمان به .
لقد حوَّل سوء فهم و سوء استعمال هذا المنهج بعض السَّلفيّين إلى وكالة تنقيط توزع النِّقاط على العلماء و الدُّعاة بالنَّظر إلى مدى انخراطهم في التَّجريح.
ثمَّ نسي أصحاب هذه الوكالة أن يمعنوا النَّظر جيِّدا، و يبحثوا في طيَّات الثَّوب، فسيجدون كلَّ البدع الَّتي تحذِّر منها السَّلفيَّة الحقيقيَّة كالمذهبيَّة(أقصد مذهبية طلبة العلم) و التَّعصُّب، و الغلوِّ في الرِّجال ،و التَّقليد الأعمى، يروَّج لها تحت أسماء أخرى، و أعذار أخرى.
نعم، يوجد في أمَّتنا كثير من الأفكار الدَّخيلة المحدثة الَّتي تحتاج إلى الصَّرف الصِّحِّي ، ولكن ليس باحتقار النَّاس، و الاسترسال مع فكرة مركزية مهيمنة هي الهجر و التَّحذير، بل هناك نظرة شرعيَّة أخرى هي التَّأليف و الحوار (أي: أن نهزمها بالعلم)، و نكشف خبايا و خلفيات هذه الأفكار ونفضحها .
هذا المنهج الَّذي يمكنه مراقبة احتمال الخطر و تأطيره، و يتحرَّك للجديد، وهو يحمي المتحصل عليه ، منهج رجال يدحرجون صخرتهم مهما كانت العقبة، و يتقدَّمون زحفًا أو مشيا، بوجههم أو بظهرهم، ولكنَّهم يتقدَّمون بالإسلام إلى الأمام .
قد لا يكون كثير من النَّاس قد انتبه إلى التَّغييرات الَّتي حدثت على السَّلفيَّة لأنَّها تغييرات بالمليمتر بالنِّسبة للبعض، أو لأنَّها تغييرات القوَّة القاهرة بالنِّسبة للبعض الآخر، و لكنَّها تغييرات لا داعي لإنكارها، أو اعتبارها من قبيل تغيير الزِّينة.
لأنَّ النَّاس الَّذين قاموا بها ، فهموا و أدركوا بوعيهم أنَّهم يجب عليهم الخروج من هذا الطابور الَّذي يمثِّل فعلا فخا مميتا، و أنَّه لا يجب أن تقتصر مهمَّة السُّنِّيِّ الحقيقيِّ على حمل نعش العلماء و الدُّعاة،ولا أن نكون كمن أطلق الرَّصاص على قدمه، بل إحياء السُّنَّة في كلِّ مجال، بأن تُعرض على مختلف النَّاس بمختلف اللُّغات العلميَّة و الفكريَّة، من خلال تعليم النَّاس دينهم الصَّحيح بعيدا عن الشعوذة و الهرطقة الروحية و الفكرية ،و قيادتهم نحو الانتصار الحاسم على كلِّ أمراض الأمَّة الإسلاميَّة ، و الَّذي لا يكفي فيه تدابير حقيرة الحجم، ولا تظاهرات روح الطفولة: الفرح بالنَّجاة

الفردية ظنًّا أو اعتقادا .
لقد أدرك كثير من الفضلاء أنَّه يجب الاستماع إلى نداء المساحات الَّتي تركوها للباطل، و أنَّ دورهم أن يزاحموه، ولكن بحقٍّ و بعلم و بمسؤولية، و أكثر من ذلك بفعالية.
إنَّنا في الحقيقة بحاجة إلى إعادة نظر في العمق، و لعلَّ أهمُّها أن نتعلَّم الفرح بالإسلام، فمجرد كون الإنسان مسلما يلزم أن يمده بسعادة عارمة، وكما قال أحد أئمَّة التَّابعين:إذا دخل معك القبر الإسلام فأبشر.
يتبع.....

الردود ما بين السلفيين ما لها وما عليها

ينفر بعض الشباب لطيبة نفسه من الردود بين المنتمين أو المنتسبين للسلفية ويرى أنها مضيعة للوئام مفرقة للصف، وهذا الرأي له وجه لو كان ينطلق من نظرة للواقع صحيحة، فلا يوجد في الواقع وئام أو ائتلاف أو جماعة، لا يوجد إلا جماعة مشتتة تأكل بعضها بعضا هذا أولا.
ثانيا: يتبع بعض العلماء وطلبة العلم سياسة إهمال الغلاة وعدم الرد عليهم ، وهؤلاء الشيوخ هم سبب تنامي هذه الظاهرة المرضية ،و انتشارها في الأمة كانتشار النار في الهشيم، لأن من يعرف أن أمتنا حاليا أمة يغلب عليها العوام و الجهل، ويعرف أن هؤلاء تستقطبهم الشدة و السب يعلم أنه بدون مواجهة صارمة لهؤلاء الغلاة حتى تقتلعهم من الساحة الدعوية أو تضعفهم لحد ينكمشون على أنفسهم، لا يمكن أن ننجز شيئا لهذه الأمة .
لكن يجب التفريق بين من يفعل ذلك صراعا على الزعامة أو كراهية لمخالفيه، ومن يفعله رحمة بالمسلمين وحرصا على مستقبلهم .
فهذه المهمة و إن كانت شاقة و لا يخرج منها القائم بها سالما من الطعون ولكن الصادق يتصدق بعرضه في سبيل القضية ليرتاح غيره ويتحرر دينه من هذه الشوائب.

قراءة تحليلية في سر تصلب مواقف جماعة الجرح و التجريح (السلفية الحدادية)

ـ نتف متفرقة ـ1

إن روح العداء الذي يبثه فكر هذه الفئات من المسلمين اتجاه المخالف لها ليست إلا سلاحا معنويا وحجة وذريعة مستمرة لتبرير أعمال ومواقف و بالتالي تبرير كل عيب وخلل في هذا الفكر كارتمائه في أحضان الفاعلين في المجتمع أو تلاعبه بالشعارات الإسلامية الصحيحة .

ليس على هذا الفكر و المنهج عند مواجهة أي نقد صحيح له سوى وسم هذا النقد بالكذب و العداء للسنة لأن نقد ممارسته نقد للسنة أو هكذا يتخيل إليه، ثم ليرم بهذا النقد في زبالة الذاكرة الجماعية للمسلمين.

إننا إذا ما عدنا إلى جهاز الفكر الإسلامي و نظام مبادئه عند سلف الأمة نجد في منظوره النفسي السلوكي الحرص الشديد على الابتعاد عن كل ما يفقده الاستقلالية في الجانب المادي كما هو منصوص عن سفيان الثوري و الإمام أحمد و غيرهم و كم وقع عمليا للإمام النووي.

بينما بعض الفئات من المثقفين و العلماء المسلمين من مختلف المشارب لعدم الحرص على هذا المبدأ مضطرة للتقيد بموقف التحفظ و أحيانا الانخراط بشكل عميق في الدفاع عن وجهة نظر تتعارض مع الدين ومع مصالح الأمة.

ولهذه الأسباب نلاحظ غياب الوظيفة النقدية التي كان يقوم بها العلماء المسلمون في القديم لدى هذه الفئة من العلماء و المثقفين و التي ربما لا تمارس النقد العلمي إلا على كل ضعيف.

إن في المسلمين رجالا من كل المشارب الفكرية الإسلامية يعملون على استعادة الوظيفة الأساسية للعلماء كما صورهم القرآن، و هي ممارسة النقد العلمي البناء، و التأمل الخلاق، و التوجيه الحكيم للأمة، و توسيع نطاق هذه الوظيفة لتستوعب الواقع المعرفي الموجود داخل الفكر الإسلامي المعاصر وخاصة استعادة حق المبادرة إلى النقد و اقتراح الإصلاحات وعدم الاكتفاء بدور المستشار.

حقوق المخالف لنا:

فمن المعلوم أن من عيوب هذا الزمان أن قلّ فيه الخير المحض،فيندر أن تجد شيئا مما يتعلق بالمعاملات المتنوعة بين الناس لم يخالطه دخن وشر، و لذلك جاءت أحكام الشريعة مبنية على ترجيح المصالح لجلب أكبرها ودرء المفاسد ودفع أكبرها.

1 ـ ألا يقصِّر في تقرير السنة بالأدلة العلمية الثابتة، ودرء ما يعارضها من شبهات و شهوات فيقيم الحجة عليهم، فإنه إن قصر في ذلك ظنوا أنهم على الحق، ورأوا شبههم أدلة.
2 ـ أن لا يعتدي عليهم فيما معهم من حق و صواب بسبب العداوة و الشدة، فيكون قد صار فتنة لهم يضلون بها، و يبتعدون عن الشرع و الهدى، فإن الإنسان بطبعه إذا خالفت الضرورة عنده، أو أنكرت ما معه من حق أنكر ما معك من الحق.

للتَّذكير .... أنا على موقفي من سلفيَّة التَّجريح (السَّلفيَّة الشَّيخويَّة بمنهج الحشَّاشين)

لأنَّ المناسبة تجدَّدت ...2
لقد جعلنا الإسلام (في دعوتنا) مباحث أكاديمية في مصطلح الحديث، و أصول الفقه، و مساجلات نظريَّة، ومجادلات تفصيليَّة حتَّى نسينا فطرته و جماله و سهولته، و أنَّه لا حرج فيه، و نسينا أن نفرح به، وأن نفرح له.
لقد نسينا أن ننسج روابط بين المضاربات العلميَّة و المساجلات الجدليَّة، وبين بساطة الإسلام و فطريَّته، وواقع المسلمين اليوميِّ.
لقد أفلس الخطاب الدَّعوي المبني على التَّجريح الباطل إفلاسا غير مسبوق حينما حوَّلوا الشِّعار الدِّينيِّ: الفرقة النَّاجية، و الطَّائفة المنصورة .... إلى لافتة ليس لها إلاَّ أثر لافتة.
ما هو الحلُّ؟
يمكن للسَّلفيِّين عموما و هؤلاء خصوصا أن يستعيدوا دور الدَّعوة إلى الله ، من خلال إعادة صياغة الإصلاح لإنقاذ ما تبقى، ليس بإضافة طبقة دهان على القديمة، ولكن بزعزعة الأعراف المعوَّجة فيهم، وكسر الحدود الجامدة بينهم وبين النَّاس،والَّتي ولَّدها خطاب معقَّدٌ بالمصطلحات،وذلك من خلال إيجاد الدَّاعية الشَّريف النَّزيه، صاحب الضَّمير الحي ،الَّذي يملك نظاما فكريًّا حرًّا وخاصًّا به داخل الشَّخص السَّلفيِّ الجماعي(ليس مقلِّدا) ، يتحمَّل مسؤوليَّة تميِّزه عن غيره، و يدير التَّناقضات مع مخالفه بسلاسة ، لا ينكر الظَّواهر ولكنَّه يتعامل معها، ولا يقول الشَّيء و ضدَّه، ولا يقترح حلول النِّجارة و (الحتحات) .

ينطلق من الملموس إلى المأمول، لا يخطئ في تقدير الأبعاد، و لا يغلط في حربه وعدوه، ولا يبني تحليلاته على المثال الهامشي ،ولا على الأحكام المسبقة، لا يضيِّع تاريخه و أصالته، وفي نفس الوقت لا يترك المستقبل يفرُّ منه.

وأهمُّ من ذلك لا يسمح لنفسه بان يكون موضوع استرجاع وظيفته تصفيف الحقائق المضادَّة ليضيع الحقُّ في الضَّباب، فحتَّى عندما يكون في تماس مع السُّلطة فلخدمة الدِّين، وللدِّفاع عن المقدَّسات، ولحراسة القيم، و إحياء الضَّمائر.

إنَّ التَّنوُّع داخل أهل السُّنَّة موجود شئنا أم أبينا،و تجاوزه وهمٌ يضيع علينا كثيرا من الوقت ،و السُّنَّة عائلات علميَّة و دعوية متفاضلة فيما بينها، هذه حقيقة واضحة، و هم أهل الوسطيَّة الحقيقيَّة ،ولكن حساسية الوسطيَّة أنَّها تتجاذبها الأطراف، ممَّا يعني أنَّ الميل ـ أحيانا ـ إلى هذا الطَّرف أو ذاك لا يستبعد، ولا يمكن تفاديه، فلنتعامل معه برحمة و مسامحة، والوسطيَّة قد تكون أحيانا (البين طرفين)، و أحيانا أخرى هي (غير الطَّرفين).

على هذا السَّلفيِّ إذا ما أراد أن لا تكنسه رياح التَّغيير و رياح التَّاريخ أن يظهر وعيه للنَّاس بقضاياهم و همومهم، وأكثر من ذلك:سعادته بخدمتهم، و أنَّه صاحب أماني في الدُّنيا كما له أماني في الآخرة.

إنَّ التَّراجع عن الخطأ ليس هزيمة، ولا يعني أنَّ بقية الجماعات صفحة بيضاء، فهذا من أخطار الخبرة، لأنَّ بعضهم ساهم مباشرة في إسقاط الدَّعوة إلى الله أرضا، وحطَّم شجرتها عودا عودا.

وهم خير مثال على فساد قوى الخير بالغلوِّ و التَّطرُّف أو الإهمال و التَّسيُّب.

على كلِّ حال الإصلاح كالدواء المرِّ الكريه يجب بلعه، ولا بأس بالتَّخفيف من مرارته بالضَّجر و الصُّراخ.......يتبع

بين المدخلية والحدادية (عماد فرج)

ما رأيكم فيه،ولنرد عليه هنا في شكل مناقشة بـــ(علم وأدب)

موقفي من الحجوري و نصيحة الشباب بوجوب التفريق بين العلم وسياسة العلم

الحمد لله وحده، و الصلاة و السلام على من لا نبيَّ بعده.
راسلني بعض الإخوة من طلبة العلم معبرا عن استيائه من موقف الشيخ الحلبي من الحجوري، و أنه أصبح يستنصر بأعداء السنة ،ويستنكر عليه موقفه من الشيخ محمد حسان، فكان جوابي التالي:
أما بعد؛فعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.
أخي الفاضل أستشف من كلامك خلافا مع الشيخ علي الحلبي، وليس هذا بمشكل، فلكي تتعاون معه على الخير لا يلزم أن تكون موافقا له في كل شيء،والرجل له ظروفه الخاصة فيحاول التوفيق بين المصالح ،كما يجب أن تعلم أن للحرب و النزاع كلاما وللسلم و الموادعة كلاما، ولم أره يحشر في خلافه مع الشيخ ربيع إلا أهل السنة ،قد يخالفه غيره في تقييم بعض الرجال لكن المرء يرجع إلى اعتقاده واجتهاده هو لا إلى اجتهاد غيره.
ولا أدري ما سبب هذا الاستشكال فإن كان الشيخ الحجوري ومدرسته بدماج فأنا لي رأيي فيها، ولست ألزم به أحدا ،ورغم الجهود العلمية في هذه المدرسة وفي اليمن عموما إلا أنها لا تخرج إلا غلاة، ضعفاء في الفهم بعيدين عن العلم الحقيقي، ليسوا بأفضل من الشيخ ربيع في منهجهم، و الشكوى منهم في كل مكان.
والأمة ـ اليوم ـ لا تحتاج إلى هذا الصنف، كما لا يجب أن نتسرع في الحكم على الناس و تبديعهم،نعم نخالفهم لكن نفرق بين مستقر المنهج وبين مضطرب جرت عليه الفتنة فهو يتقلب فيها من موقف إلى آخر، فهذا وإن بينا خطأه و نصحناه لم يلزم أن نبدعه لأنه في الحقيقة طالب حقيقة لم يجد بعد منهجه الذي يسير عليه،ومن خبره يعرف أنه لا يتعمد الخطأ لكنه لا يملك وسائل التمييز فلهذا نجده مضطربا في هذه المسائل التي اجتاحت بلده.
على كل أحسبك على قدر من الفهم و الذكاء و سعة الاطلاع ما يبعدك لمسافات طويلة عن منهج الحجوري ومدرسته الجامد المتجمد على فهم مشوه للدين، يزينه بتدريس الحديث، وهذا شيء يحمد عليه لكنه لا يخلي مسؤوليته، وضيق عطنه، وقلة فهمه، وسوء منهجه.
أسأل الله أن يفتح عليك ويرزقك فهما ثاقبا، ولا تربط عملك لله بالرجال، و خذ من كل واحد منهم أحسن ما فيه، ودع ما لا ترتضيه منه.

الكلام بعلم و إنصاف يستلزم:

1 ـ اجتناب أخطاء التواصل التي لا تزال مستمرة بين أهل السنة بدون استثناء إلا ما رحم الله .

2 ـ التفريق بين الخطأ في حق السنة، وفي حق الدين، وفي حق الأوطان، وهو وارد، وبين الجريمة في حق السنة، وفي حق الدين، و في حق الأوطان.

3 ـ عدم محاكمة الأخطاء في غير سياق ظروفها وزمنها و مناخها .

4 ـ الوفاء لمبادئ منهج أهل السنة في الفقه السياسي و الدعوي لكن مع الانفتاح على الأخريين، لأن دوري الدعوة و الإصلاح ما استطعت إليه سبيلا، و ليس الإدانة و المعاقبة.

5 ـ التفريق بين البحث في المطلق، و ما يستلزمه من شروط ذهنية ،وبين الكلام عن الواقع، ومعالمه المتغيرة بسرعة.

6 ـ التأكيد على أن ما يجمعنا ـ أهل السنة ـ أكثر مما يفرقنا، و أن هذه الحقيقة تستوجب التواصل، و لا تنفي الإنكار، و الرد، و التصحيح، و النصيحة.

كيف نعرف مذاهب العلماء و نرد عليها:

عندما ننتقد العلماء لا يجب أن نقرأ لهم قراءة غير بريئة، بحيث نشد كل ذهننا للوقوع على عبارة غير مضبوطة، نحملها ما لا تحتمل، فهذا منهج العداوة و الخصومة ، لأن المنهج العلمي يقتضي لزوما عليك أنك إذا أردت أن ترد على عالم من العلماء ،فيجب عليك ما يسمى بالمشروع الفكري، وهو:

1 ـ أن تدرس حياة هذا الرجل دراسة مفصلة، و تمييز جميع مراحله العلمية التي مر بها.

2 ـ ثم تدرس آثاره و انجازاته.

3ـ وبعد ذلك تدرس كل كتبه، حتى يتسنى لك تكوين نظرة علمية صحيحة و شاملة على فكره و منهجه، و حينئذ يمكنك الرد عليه، و يمكنك أن تنسبه لمذهب معين.

أما ما نراه اليوم من تصيد كلمة ثم نبني عليها مئات الردود،و نبني عليها المذاهب التي ننسبها إليهم ،فهذا ليس من العلم و العدل في شيء.

إصلاح المنهج السلفي المعاصر

إصلاح المنهج السلفي المعاصر ضرورة شرعية وواقعية ملحة، فإن الروح الحزبية(الحزبية داخل أهل السنة) التي أصبح ينطلق منها السلفي مؤخرا كالهالة التي نزلت إلى العنق و أصبحت تخنق صاحبها.

و المنهج السلفي المعاصر قابل للإصلاح و التطوير إذا كانت إصلاحات مضبوطة و محسوبة ، ولكن الإصلاح يحتاج إلى علماء التوازن و الاعتدال، إلى علماء متبصرين، حقيقيين في مبادئهم، لا مكيّفين يلعبون دورا ما ، ولا تتجاذبهم المصالح الشخصية و المديونيات،ويثقون في الاعتدال وليس في الغلو.

مما أتعجب

لا أتعجب من الشيخ ربيع و رسلان، وهذه الطائفة، فلم يخلو عصر من عصور الإسلام من علماء غلاة، فهذا إضافة إلى كونه سوء فهم للنصوص، ومبالغة في تقريرها تصل درجة الظاهرية، فهو مزاج و نفسية تغلب على صاحبها.

ولكن أتعجب ممن يسمي نفسه طالب علم،ولا ينظر في الأدلة، ولا يتشوف إلى الحق، كل همه أن يرضى عنه الدكتور ربيع أو عصابته ؟!

التمييع:

بعض الشيوخ عندما يتكلم عن الغلو أو التمييع هو أسوأ بتناقضه من الجميع؟

يقسم بعض السلفيين السلفية إلى ثلاثة أقسام أو أجنحة : السلفية الجهادية، و السلفية الحركية، و السلفية العلمية ،هذا عند المدح!

أما عند الذم فالأولى تسمى: "التكفيرية"، و الثانية:" الحزبية"، و الثالثة: "السلطانية"،أو " المرجئة".

وهذه الأخيرة بدورها تنقسم فيما بينها إلى "حدادية"، و" تمييعية"، و" جامية"، و " مدخلية" ،وغير ذلك من ألفاظ يتراشقون بها!

وهذا التجاذب حول شرعية الانتساب إلى السلف يدل على أن نقطة التقاء هذه السلفيات وهي السلف الصالح كان من المفروض أن تشكل مساحة التلاقح بين هذه السلفيات، لا مصدر التجاذب و الصراع،فإن السلف الذين تريد هذه الجماعات السلفية

الانتساب إليهم لم يكونوا بمثل هذا الاختلاف و التناقض أولا.

الموازنة الصحيحة بين التمييع و الغلو

الحمد لله وحده، و الصلاة و السلام على من لا نبيّ بعده،وبعد:
التهمة بالتمييع قد تكون حقا، وقد تكون باطلا ينفس به عن نفسه حانق أو غاضب وقد تكون من قبيل معارضة الكبر و الاستكبار عن قبول الحق، ممن يرون أنهم أعلم من غيرهم ، كما قال تعالى:{ فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم}"غافر".
و هذا شأن النفوس الجاهلة الظالمة إذا كان عندها شيء من العلم قد تميزت به عمن هو أجهل منها، وحصل لها نوع رياسة به، فإذا جاءها من هو أعلم منها بموضوع النزاع، عارضته بما عندها من العلم، و طعنت فيه بحجج متهافتة كتهافت الزجاج ، أو بابتداع أسماء ما أنزل الله بها من سلطان، كاسم: مميع!
قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ : " ليس لأحد أن يبتدع اسما مجملا يحتمل معاني مختلفة لم ينطق به الشرع ،و يعلق عليه دين المسلمين".
ومعاصي اللسان فاكهة الإنسان كالنميمة، و الغيبة، و الكذب على الناس، و المراء بالركب، و الثناء على النفس بالسلفية المحضة تعريضا و تلميحا و تصريحا، و هو ـ ربما ـ من سلفية الرسوم، وحكاية كلام الجهال، و الطعن على من يبغضه، ومدح من يحبه سمة من يصف الناس بالتمييع، ويتخذه اسما لبعضهم.
ـ التمييع هو تضييع الحق بالغلو فيه أو بالجفاء عنه، و إن كان يقصد معنى إذابته بإبطال حدوده ،فلا شك أن التمييع ـ في مثل هذه المسائل ـ أحسن و أفضل للأمة من الغلو، فإن الأول يحفظ كرامة الناس، و شرفهم، ودماءهم و أموالهم، و الثاني يهدرها .
و الأول من قبيل السهل، و الثاني من قبيل الصعب، و السهل أحب إلى الله وإلى رسوله من الصعب، و الرحمة أولى من العقوبة، و الرضا أولى من الغضب وهكذا.
و خطأ المميع في الإحسان إلى المسلمين بالدعاء لهم، و الثناء عليهم، و الذب عنهم خير من خطأ الغالي المتشدد بالإساءة لهم، و اللعن لبعضهم، و الذم و الطعن و

التضليل و السب و الشتم، فمهما كان الحال الخطأ من جنس الرحمة خير من الخطأ من جنس الغضب و العقوبة.

ـ وقد ينصر الرجل الحق في قضية و يضيعه في أخرى، فهو من جهة من أهل الحق، و من جهة أخرى مميع، فمن لا ينصر الدين و الاعتقاد، و لا يرد على من يطعن فيه، لا شك انه مميع قد ضيع الحق، و إن كان يقوم به في الرد على آخرين ليسوا هم مشكلة الأمة، بل هم أحق منه بالسنة علما وعملا ودعوة وجهادا في سبيلها بالقلم و اللسان .

وهذا باب ضيق على كثير من الناس، لاختلاف نفوس الناس، و قدرة كل واحد على السيطرة على نفسه و إلزامها أمر الله، فالإنسان فيه ظلم وجهل، فإذا غلب عليه رأي في الفقه أو الحديث أو السياسة أو غير ذلك، أو غلب عليه خلق، كالشدة أو اللين أو التسرع وغير ذلك، استعمله في الحق و الباطل جميعا، فلا يحفظ حدود الله في هذه الدقائق.

لأنه لا يعرف من حدود الله إلا الأوامر والنواهي الظاهرة، المشهورة، المعروفة، فمثل هذا إن كان في خلقه لين وسماحة، فتجده يسمح لمن ظلمه، ويعفو، ويلين الخطاب للناس وهذه أمور حسنة يحبها الله، ولكن تجده من جهة أخرى يتساهل في معصية الله، ولا يغضب لذلك، ويجيز الإنفاق في غير المعروف، فهو يحب الحق، ويحب الباطل معا.

وآخر يكون في خلقه شدة وصلابة ككثير من العوام، فيمتنع عن الذنوب و المعاصي، ويبغضها، ولكنه يبغض كذلك الناس، ولا يحسن إليهم، ولا يحلم عن سيئاتهم، فتجده يبغض نوعا من الحق و يحب نوعا، ويبغض نوعا من الباطل، ويحب نوعا.

فالإنسان فيه النفس الأمارة بالسوء، ويزين له الشيطان سوء عمله، وفيه الخير و الإيمان الذي يدعوه للمعروف، فتجتمع فيه حب سيئة وبغض سيئة، وحب حسنة وبغض حسنة، فتجتمع في قلبه السيئات والحسنات، لأن خلقته قد اجتمعت فيها قوتان: قوة الحب وقوة البغض، فيستعملهما معا في الحق، ويستعملهما معا في الباطل، و إنما خلق الله فيه قوة الحب ليحب الحق الذي يحبه الله، وقوة الغضب و البغض، ليبغض الباطل الذي يبغضه الله.

فترة تغلب عليه هذه القوة فيميل معها، وتارة تغلب عليه الأخرى فيميل معها، والسعيد

من جعل قوة حبه، وقوة بغضه مع النصوص، فما أبغضه الله أبغضه هو، وما أحبه الله أحبه هو، فيكون ولاؤه لله تاما، لان حبه لله فوق حبه لكل واحد.[نقلا عن شيخ الإسلام بتصرف]

وعليه، فمن تدعوه نفسه إلى الشتيمة والوقيعة و الغضب، و الكذب و البهتان إذا انتقد شيخه، أو إمامه فحبه لله دون حبه لشيخه، قد أعطى شيخه كمال محبته وبغضه.

ـ هذه الأسماء ما أنزل الله بها من سلطان، يتقاذف بها الناس بحسب أهوائهم، الأولى الرجوع إلى الألفاظ المشهورة، المتفق عليها عند أهل السنة و الجماعة، و لئن يكون الرجل مميعا خير له من أن يكون باغيا، ظالما، معاندا، مفسدا، مفرقا، محزبا للناس، لأن الحزبية التي ذمها الله في كتابه هي أولى و أخطر من الحزبية السياسية، فالمتحزب الذي يُحزب المسلمين بعضهم على بعض، و يبث بينهم العداوة و البغضاء، بل الذي يحزب أهل السنة ويفرقهم و يشتتهم، و يفرق صفوفهم بآرائه، ويثير الخلافات في أشياء صغيرة، هذا هو المتحزب في عرف السلف الصالح، قال تعالى:{كل حزب بما لديهم فرحون}،فهو كلما فرق صفا أو شتت جماعة فرح، ومن علامته أنه يفرح بالسب و الشتم و الوقيعة في الناس، و يهتف لها أكثر مما يفرح بمن يأمر بالعدل مع الناس، و يحفظ لسانه من الفحش.

و هذه الألفاظ المستعملة في هذا العصر، مصدرها في الغالب الحقد و الأهواء، قال ابن تيمية" المجموع"{225/28}:" ليس لأحد أن يعلق الحمد و الذم و الحب و البغض و الموالاة و المعاداة و الصلاة و اللعن بغير الأسماء التي علق الله بها ذلك، مثل: أسماء القبائل و المدائن و المذاهب و الطوائف المضافة إلى الأئمة و المشائخ و نحو ذلك مما يراد به التعريف، فذكر الأزمان و العدل بأسماء الإيثار و الولاء و البلد أو الانتساب إلى عالم أو شيخ إنما يقصد بها التعريف به ليتميز عن غيره، فأما الحمد و الذم و الحب و البغض و الموالاة و المعاداة فإنما تكون بالأشياء التي انزل الله بها سلطانه، و سلطانه كتابه، فمن كان مؤمنا و جبت موالاته من أي صنف كان، ومن كان كافرا وجبت معاداته من أي صنف كان، كما قال تعالى:{ إنما وليكم الله ورسوله و الذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ومن يتولى الله ورسوله و الذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون"

فالعبارات الموهمة، و التي هي من جنس اللمز والهمز كالمميع وغيرها يستحسن

تركها أو استعمالها بما يليق من تقييد وضبط.
ولقد صدق القائل: "عدو عاقل خير من صديق جاهل أو أحمق "، فالنصارى بحمقهم قصدوا تعظيم المسيح، فاجتهدوا في ذمه و تنقصه و الإزراء به و الطعن عليه، و كان مقصودهم التشنيع على اليهود، و تنفير الناس عنهم فنفروا الأمم عن النصرانية، وعن المسيح و دينه أعظم تنفير".{هداية الحيارى}.
وهكذا حال بعضهم، أراد التنفير من البدعة و الترغيب في السنة فوقع منه العكس، لسوء فهمه و فساد طريقته.
و السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.
أرزيو/ الجزائر في 15/08/2009
مختار الأخضر طيباوي

الحق ليس كغيره:
من جعل الحقَّ متوقِّفا على سِنِّ القائل، أو بلده، أو شهرته، كأنَّما جعله متوقِّفا على كبر جثَّته أو عدد أسنانه!

انتبه لهذا التأصيل :
"إذا كان الله يغفر لمن جهل تحريم الخمر لكونه نشأ بأرض جهل ؛ مع كونه لم يطلب العلم، فالفاضل المجتهد في طلب العلم بحسب ما أدركه في زمانه ومكانه إذا كان مقصوده متابعة الرسول بحسب إمكانه هو أحق بأن يتقبل الله حسناته ويثيبه على اجتهاداته ولا يؤاخذه بما أخطأ.....و أهل السنة جزموا بالنجاة لكل من اتقى الله تعالى ؛ كما نطق به القرآن، وإنما توقفوا في شخص معين ؛ لعدم العلم بدخوله في المتقين ".

هذا الحديث يعجبني حتى لا أكاد أقوى على الوقوف:
((عَنْ أَبِي وَائِلٍ، قَالَ: جَلَسْتُ مَعَ شَيْبَةَ عَلَى الكُرْسِيِّ فِي الكَعْبَةِ، فَقَالَ: لَقَدْ جَلَسَ هَذَا المَجْلِسَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقَالَ: «لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ لاَ أَدَعَ فِيهَا صَفْرَاءَ وَلاَ بَيْضَاءَ إِلَّا قَسَمْتُهُ» . قُلْتُ: إِنَّ صَاحِبَيْكَ لَمْ يَفْعَلاَ، قَالَ: «هُمَا المَرْءَانِ أَقْتَدِي بِهِمَا)) صحيح

البخاري.
وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم و أبا بكر رضي الله عنه بالمروءة أو الكاملان في المروءة وهي صفة في نفس الرجل تحمل مراعاتها على محاسن الأخلاق وجميل الأفعال.
فقلتُ: صدق عمر رضي الله عنه وكما قال ابن باديس : تجد علماء غاية في العلم مع قلة مروءة.

وصية صغيرة لكنها جامعة من شيخ الإسلام ابن تيمية :
فِي حَدِيث ابْن مَسْعُود مَرْفُوعا وموقوفا:((إن كل آدب يحب أَن تُؤْتى مأدبته وَإِن مأدبة الله هِيَ الْقُرْآن)) والآدب المضيف فَهُوَ ضِيَافَة الله لِعِبَادِهِ آخر اللَّيْل، وأوقات الْأَذَان ،وَالْإِقَامَة ،وَفِي سُجُوده وَفِي أدبار الصَّلَوَات.
وَيضم إِلَى ذَلِك: الاسْتِغْفَار فَإِنَّهُ من اسْتغْفر الله ثمَّ تَابَ إِلَيْهِ متعهُ مَتَاعا حسنا إِلَى أجل مُسَمّى وليتخذ وردا من الْأَذْكَار فِي النَّهَار وَوقت النّوم.
وليصبر على مَا يعرض لَهُ من الْمَوَانِع والصوارف فَإِنَّهُ لَا يلبث أَن يُؤَيّدهُ الله بِروح مِنْهُ، وَيكْتب الْإِيمَان فِي قلبه.
وليحرص على إِكْمَال الْفَرَائِض من الصَّلَوَات الْخمس باطنة وظاهرة فَإِنَّهَا عَمُود الدّين.
وَليكن هجيراه: لَا حول وَلَا قُوَّة إِلَّا بِاللَّه فَإِنَّهَا بهَا تحمل الأثقال، وتكابد الْأَهْوَال، وينال رفيع الْأَحْوَال.
وَلَا يسأم من الدُّعَاء والطلب فَإِن العَبْد يُسْتَجَاب لَهُ مَا لم يعجل فَيَقُول: ((قد دَعَوْت ودعوت فَلم يستجب لي، وليعلم أَن النَّصْر مَعَ الصَّبْر، وَأَن الْفرج مَعَ الكرب، وَإِن مَعَ الْعسر يسرا))، وَلم ينل أحد شَيْئا من ختم الْخَيْر نَبِي فَمن دونه إِلَّا بِالصبرِ.

ذمُّ الغُلُوّ فِي التَّبدِيْع وَمَرَاتِبُ البِدَع
الفَرْقُ الشَّرْعِيُّ بَيْنَ ذَمِّ البِدْعَةِ وَذَمِّ المُبْتَدِع

بسم الله الرَّحمن الرَّحيم

الحمد لله حقَّ حمده،والصَّلاة و السَّلام على نبيِّه وآله وصحبه.
أمَّا بعـــد؛لا يشكُّ مسلم عاقل أنَّ التَّبديع (ذمُّ البدعة و المبتدع) وإن كان حقًّا،وأصلا ثابتا في شريعة الإسلام فإنَّ الموضوع معقَّدٌ غاية التَّعقيد، وتلبسه النِّسبيَّة في كثير مِن أحواله حتَّى يدخل فيه المختلفون في القصد و الأسباب،بل قد تدخل فيه السُّنَّة، وتخرج منه البدعةُ الحقيقيَّة.
وعندما يصبح هذا الموضوع شائكًا صعبًا ،وتترامى أطرافُه على مسائل كثيرةٍ ومساحة شاسِعة ،وتتداخل مسالكُه، كلَّما نزل في المذاهب، وتعمَّق في المقالات تعذَّر على كثير من أهل العلم تحديد أصوله وضوابطه؛ فينفتح ـ حينئذ ـ على مصراعيه حتَّى يصير فتنةً عمياء تضرُّ المسلمين أكثر ممَّا تنفعهم.
و السَّبب في كلِّ هذا هو الابتعاد عن التَّأصيل العقديّ للمسألة، أو الغفلة عنه،بحيث أنَّنا لا نهتمُّ إلاَّ بظاهر الأقوالِ و الأفعال، ونغفل عن مصدرها وسببِها ،وباطنها ،أي: عن الاعتقاد الموجب لها .
فلا يمكن لنا أن نفهم حقيقة الموقف الشَّرعيِّ من البدعة و المبتدع، وأنَّهما ليسا في نفس الدَّرجة، ولا على مستوى واحد من الذَّمِّ إلاَّ بفهم مسألة " اعتقاد التَّحريم" ودورها في لحوق الحكم و الذَّمِّ بالمعيَّن.
فالتَّشدُّد في مواقف بعضنا مع مَن يَعُدُّهم مبتدعةً سببُه تصوُّر أملته مواقف العلماء العمليَّة الَّتي يأخذها مجرَّدة عن تأصيلها الشَّرعيِّ، فلا يُفرِّق بين حالة وحالة ـويقابل الكلَّ بمعاملة واحدة.
قال الشَّاطبيُّ ـ رحمه الله ـ في (الاعتصام)(2/730):
((....فَإِنَّ الْبِدَعَ الْمُحْدَثَةَ تَخْتَلِفُ، فَلَيْسَتْ كُلُّهَا فِي مَرْتَبَةٍ وَاحِدَةٍ فِي الضَّلَالِ، أَلَا تَرَى أَنَّ بِدْعَةَ الْخَوَارِجِ مُبَايِنَةً غَايَةَ الْمُبَايَنَةِ لِبِدْعَةِ التَّثْوِيبِ بِالصَّلَاةِ الَّتِي قَالَ فِيهَا مَالِكٌ: التَّثْوِيبُ ضَلَالٌ))
وبهذا نفهم أنَّ البدع مختلفة الرُّتب في القبح، و في الذَّمِّ و الإنكار، فلا نعامِل هذا معاملةَ الآخر.
ومنها بدعٌ تُخرج مِن السُّنَّة، وبدعٌ لا تخرج منها.
ومنها بدعٌ يُعذر صاحبها، وبِدعٌ لا يعذر بعد أن تقام عليه الحجَّة
قال ابن حزم في (الإحكام)(1/47): ((والبدعة كلُّ ما قيل أو فُعل ممَّا ليس له أصل

فيما نُسب إليه صلّى الله عليه وسلَّم، وهو في الدِّين: كلُّ ما لم يأت في القرآن، ولا عن رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم إلاَّ أنَّ منها :ما يؤجر عليه صاحبُه، ويعذر بما قصدَ إليه من الخير.

ومنها ما يؤجر عليه صاحبُه ويكون حسنًا ،وهو ما كان أصله الإباحة كما روي عن عمر ـ رضي الله عنه ـ : نعمتْ البدعةُ هذه.

وهو ما كان فعل خير جاء النَّصُّ بعُمُومِ استحبابِهِ، وإن لم يقرِّر عملَه في النَّصِّ.

ومنها ما يكون مذمومًا، ولا يعُذر صاحبُه، وهو ما قامت به الحجَّةُ على فسادِه ،فتمادى عليه القائلُ بهِ))

فلا يلزم حينئذ أنَّ كلَّ مبتدعٍ يكون مذمومًا، أو يلحقُه حُكمُ المبتدعِ،أو عقوبتُه كالتَّحذير و الهجرانِ.

جاء في (المسوَّدة)(1/264): ((ولهذا ذكر القاضي أنَّ الشُّروط في قبول الخبر خمسة: العقل، والعدالة، والبلوغ، والضَّبط، وأن لا يكون داعيًّا إلى بدعة، فجعل الدُّعاء إلى البدعة قسما ليس بداخل في مطلق العدالة.))

الوسط الذي هو قول أهل السنة والجماعة أنهم لا يسلبون الاسم على الإطلاق ،ولا يعطونه على الإطلاق . فنقول : هو مؤمن ناقص الإيمان، أو مؤمن عاص، أو مؤمن بإيمانه ،فاسق بكبيرته، ويقال : ليس بمؤمن حقا، أو ليس بصادق الإيمان.

ولنفهم هذه المسألة نطرح السُّؤال التَّالي:

ما الفرق في الإيمان و التَّقوى بين مؤمنٍ امتنعَ عن أكل لحم الخنزير لاعتقاده التَّحريم، وبين مُؤمنٍ أكله لعدم علمه بالتَّحريم، أو لاعتقادِه بأنَّه لحم خروف(؟)

المبتدع الذي لا يعلم بأنه يفعل بدعة بل يعتقد أنها سنة، أو مما أمر الله به ورسوله، أو مما دل عليها القرآن و السنة قد يكون مؤمنا ورعا تقيا لا يمنع ذلك من معاقبته إن تعدى ضرره لغيره بالهجر و العقوبة إذا توفرت الشروط،وإن كان في الآخرة غير معاقب لعذره ،لاختلاف مراتب الذنوب بين الدنيا و الآخرة.

ومواضع الاشتباه أن هذا البحث غير بحث ذم البدعة أو وجوب محاربتها، فنحن هنا لا نتكلم عن البدعة بل عن المبتدع.

قلبوا الحقائق فأفسدوا الطرائق، ثم ضلت الخلائق...

هل يوجد فرق بين حوار الأديان ووحدة الأديان

الشيخ ربيع يعتبر مجرّد مكالمة أهل الكتاب أو محاورتهم من وحدة الأديان؟!
الصحيح في الأوصاف التى شهد لها الشرع بالاعتبار وعلق بها الأحكام دون مظانها فأين علق الشارع التهمة بالمخاطبة و الحوار؟
فالاستدلال إنما يكون بما ثبت بنص أو إجماع وليس معكم شيء من ذلك.إلا التخمين الواسع الأرجاء
لا تلازم بين قبول الحوار وبين الأخذ بمقرراته أو الموافقة على موضوعاته.
فلا يجوز تخصيص حوار الأديان بوصف وحدة الأديان إلا إذا كان على أساس التنازل عن القول بوجوب اتباع الإسلام.
و احتمال أن بعضهم يريد من الحوار ما فيه وحدة الأديان لا يمنع من محاورته ورد فكرته الكفرية هذه.
إن هذه الدعوى : وحدة الأديان، هادمة للدين كله، مخالفة لبديهيات الاعتقاد مبطلة للقرآن، تصطدم مع النبوة، لا يختلف اثنان في حرمتها، و أنها لا تستحق سوى المحق و الإنكار و المحاربة بكل ما وسعنا من جهد وطاقة، للتنفير منها و التشهير بها عند المسلمين حتى لا تنطلي عليهم تحت العناوين المبطنة، فكيف تنسب لدعاة السنة؟!
ولكن هذا لا يمنع أن نتعقل ونتمهل ونفرق بينها وبين الحوار المقصود منه تضييق حدة العداء السياسي و العنصري، من قبيل التعايش، كما في تصوير شرعنا لا كما تصوره العلمانية و اليهودية.
و إذا كان الحوار مع الأديان الأخرى لدعوتها إلى الحق من قبيل :{ قُلْ ياأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ } [آل عمران:64]
فهذا حوار مشروع، الغرض منه الإقرار و التأكيد على أن الاسلام ناسخ لكل الأديان ، و كذلك القرآن ناسخ مهيمن على سائر الكتب المنزلة

جوابا على سؤال رفعت سعيد

أسباب اللغط في المسألة

التكفير بتهمة وحدة الأديان

هل هو تكفير الاعتقاد أم تكفير الشتم؟!

تحذير المهتدين من الطواف حول تكفير الموحدين

سبب اللَّغط بين العلماء

الحمد لله وحده، و الصلاة و السلام على من لا نبيّ بعده، وبعد....

عندما يثبت أحدنا بمجرد الاحتمال ما تيقَّن غيره عدم وجوده تنقص حرمته عند هذا المتيقّن، و يصير عنده إما جاهلا أو معاندا ـ خاصة ـ إذا كان هو المعني بهذا الإثبات، كأن ينسب له ما لم يقله، أو ما لم يقصده بحال، مما هو قادح في دينه و عقيدته عند جميع أهل السنة.

وكذلك العكس الصحيح، من ينفي بمجرد التظني ما تيقّن غيره وجوده.

وعندما يعاند أحدهم في رميك بما لا يوجد ما يدل عليه، فإما يدعوك ذلك إلى رد ما معه من حق كما يحصل لكثير من الناس، و إلى عدم قبول قوله كلية، وعدم اعتبار خلافه.

وعليه ، فمن رمانا بشيء ليس فينا بمجرد الدعاوى العريضة، و طالبناه بالبيّنة فامتنع لم نعبأ به لهذا السبب.

وبعض أهل العلم أو أتباعهم لا يكذبون فيما يقولونه، ولكن لا يعني ذلك أنهم مصيبون،فهم في أنفسهم صادقون، ولكن في الوقت نفسه مصدّقون بما حقيقته كذب وبهتان، أو بما هو محض ظن أو تخرّص.

وقد يكون سبب خطئهم ـ رغم تحريهم القصد ـ هو أن هواهم و جهلهم بالمسألة المعينة يحملهم على تكذيب غيرهم، و إن كان صادقا، ومعلوم أن تكذيب الصادق هو من الكذب.

ومن يناظر في العلم، و يخاصم فيه بالدعاوى و الظنون، قد حكم على نفسه بالخسران و الانقطاع ،وقد فاته شيء مهم من دينه، و إلا لم يكتف بهذا المنهج في اتهام الناس بما حقيقته كفر أو بدعة غليظة .

وكما أشار إليه شيخ الإسلام لو علم أن الله فطر عباده على طلب الدليل المثبت لقول المدعي، و غرس فيهم أنهم لا يقبلون قولا لم يقم الدليل على صحته، ولهذا أقام الله

تعالى البراهين القاطعة ،و الحجج الساطعة، و الأدلة الظاهرة، و الآيات الباهرة على صدق رسله إقامة للحجة، و قطعا للمعذرة، لأنه غرس في نفوس عباده حبها، و طلبها، و طرق تمييزها إلا من فسدت فطرته.

ومن رمى غيره بتهمة مكفرة كالقول بوحدة الأديان، وبوحدة الوجود أو الدفاع عنها، ومعلوم لدى أهل العلم أن عدم تكفير الكافر كفر في أحد قولي العلماء، و إن كان مرجوحا، قال ابن تيمية في (مجموع الفتاوى)(12/486) عن مذهب أحمد في المسألة: ((وعنه في تكفير من لا يكفّر روايتان أصحّهما لا يكفُر،وربّما جعل بعضهم الخلاف في تكفير من لا يكفّر مطلقا وهو خطأ وهو خطأ محض.))

ولم يقم الأدلة، ولم يبن اتهامه على أدلة قاطعة، بل بالمحتمل من الأقوال، وغفل على أن من أصول أهل السنة عدم التكفير بالمحتمل من الأقوال، فهذا حتما يقصد المشاقة و المعاداة لهوى نفسه، ومثله يكفينا الله أمره.

فمن قصد الحق لم يظهر عليه العناد و إن كان جاهلا بالمسألة، أما إهدار حق من يرميهم بهذه التهم بالنظر في أدلتهم التي تدفع عنهم هذه التهمة، وواجب عليه بشريعة ربنا أن يدفع حججهم و يبطلها، فإن لم يفعل فليس هو إلا معاند.

ومعلوم أن العناد لا يكون إلا لغرض ،ومن رفض الرد على الأدلة التي تبرئ الناس من تهمه فما يمنعه إلا عناده و عادته،أو عناده و تقليده بالنسبة لأتباعه.

وعليه، سأحاول أن أجيب على تهمة الشيخ ربيع المركبة من ثلاث تهم خطيرة قال:

((لا يَغُرَّنَّ السلفيَّ الفَطِنَ ما تظاهرَ به عليٌّ الحلبيٌّ مِن التكفير بوحدة الأديان؛ لأنَّهُ ينتقدُها مِن جهةٍ، ويُدافعُ عنها هو وأعوانُهُ مِن جهةٍ أُخرَى، ويُزَكُّونَ مَن يدعو إليها، ويُحارِبُونَ مَن انتقدَها، ويَصِفُونَهُم بأنَّهُم غُلاةٌ وخوارج، ويُؤَلِّبُونَ عليهم.

وكَم عندهُ مِن التَّلاعُبِ بالعواطِفِ العَمياء!!!)).

قلت: أوّل أخطائهم الصريحة:

إن لم يكن هذا تكفيرا صريحا ـ لان الحلبي يكفّر بوحدة الأديان، ولم ينكروا عليه التكفير بها ،وإن زعموا أنه يتظاهر بذلك،مما يعني أنها كفر عندهم،فإن كانت كفرا فما حكم من يدافع عنها، أي يدافع عن الكفر؟

وما حكم من يدافع و يزكي من يدعو إليها، وحتى تفهم: ما حكم ـمثلا ـ من يدافع عن النصارى و اليهود و الملحدين أو يزكيهم لدعوتهم إلى كفرهم؟

ومعلوم أن التظاهر بكفرية الكفر يعني عدم اعتقاد كفرية الكفر في الباطن، هو رمي بالنفاق وما يشبه، لأنه لا يتظاهر بالحكم بكفرية الكفر الصريح إلا الزنديق.
فهو تكفير ضمني ،وسواء قلنا : هذا تكفير صريح،أو تكفير ضمني فهو بلا شك شتم بالتكفير ، و الشتم بالتكفير في أقل أحواله هو كقتل المؤمن.
ورغم أنني سبق و أجبت عن هذه المسألة في (صناعة التبديع) جوابا قاطعا لمواد العناد، قامعا للبغي و العدوان إلا أن القوم لعنادهم لم يثنهم ذلك عن هذا الباطل العظيم.
ولكوني أعلم أن بعض القوم قد يطلقون عبارات لا يدرون تداعياتها الشرعية فإن كان هذا حالهم فمن شتم مسلما أو كفّره أو بدّعه وهو يعتقد في نفسه حرمة عرضه أو عدم كفره و بدعيته فهذا لا يكون إلا سفها منه.
ولاشك أننا جميعا ـ من يخالف الشيخ ربيع في هذه المسائل ـ نعتقد ظلمه للشيخ الحلبي و لبقية إخوانه من أهل السنة، خاصة بنصيحته الأخيرة فقد كانت ظلما وبغيا في أكثرها، حتى الأحاديث النبوية الصحيحة ظلمها عندما قصد من معاينها غير مراد قائلها عليه الصلاة و السلام، و ظلم بها إخوانه إذ أنزلها فيهم تعيينا.
و الرد على الظالم غير الرد على غيره، قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ في (الجواب الصحيح)(1/219): ((الظالم لم يؤمر بجداله بالتي هي أحسن فمن كان ظالما مستحقا للقتال غير طالب للعلم والدين فهو من هؤلاء الظالمين الذين لا يجادلون بالتي هي أحسن، بخلاف من طلب العلم والدين، ولم يظهر منه ظلم سواء كان قصده الاسترشاد، أو كان يظن أنه على حق يقصد نصر ما يظنه حقا، ومن كان قصده العناد يعلم أنه على باطل ويجادل عليه، فهذا لم يؤمر بمجادلته بالتي هي أحسن لكن قد نجادله بطرق أخرى نبين فيها عناده وظلمه وجهله جزاء له بموجب عمله)).
ولو كفّر الشيخ ربيع الشيخ عليا الحلبي تكفيرا صريحا مباشرا أي: قال هو كافر ولم يقل: يدافع عن وحدة الأديان، و يزكي من يدعو إليها لا علم أنه لن يجد حتى في أخص أتباعه من يقبله.
و لذلك يطوفون بعبارات موهمة كقولهم: "يدافع عن وحدة الأديان"، «يزكي من يدعو إليها" لان هذا في نظرهم أشد قدحا فيه، و أيسر على النفوس الضعيفة تصديقه من تكفيره بصراحة ومباشرة.
و المقصود هنا أن الطواف حول هذه القضية لهو أشد ضررا على أهل السنة و على

قائله من المواجهة بالتكفير الصريح المباشر لأنه أدعى إلى اعتقاد الباطل من قبول تكفير لا يقبله شرع ولا عقل.
إن الاقتصاد في التكفير، و الاقتصاد في التبديع هو من الاقتصاد في السنة لأن الاقتصاد في السنة هو الانضباط بها في كل الأحوال.
ومن كفّر أو ضلّل بمسألة لا يعلم حقيقتها، ولا يميّز بين أنواعها أو ما يشبهها و ليس منها، فهذا إنما خطؤه من التساهل و عدم التحقيق، و مثله لا يلج هذه المسائل إلا ظالما لنفسه.
بل المسلم العاقل المقتصد في السنة لا يبالغ في تكفير الكافر، فإن كفّر بمسألة مستحقة لا يكفّره بما لم يثبت عليه، كما قال ابن تيمية عن النصارى في (الجواب الصحيح) : ((وهم يبالغون في تكفير اليهود بأعظم مما يستحقه اليهود من التكفير)).
هذا لان من يقول بالموازنة و المعادلة يقول بالعدل،ولا يدعوه كفر الكافر أن يزيد عليه ما ليس فيه.
ولا تدعوه بدعة المبتدع أن يزيد عليه ما لا ليس فيه.
ولا تدعوه مخالفة المخالف له أن يزيد عليه ما ليس فيه، فبالعدل قامت السماوات وبه ينقسم الناس إلى ظالم و عدل، وبر وفاجر،و أهل جنة و أهل نار.
فكيف بالمسلم الموحد الذي رفع بصوته و بشهادته راية التوحيد شاهدة ببراءته من الكفر ؟!
إن تكفير العلماء و طلبة العلم ليس كتفكير غيرهم،ذلك أن أهل العلم ملزمون بالخوض في المسائل العلمية الكبيرة و الدقيقة، و محتاجون إلى إجابة الأمة في كثير من القضايا العلمية العويصة، و قد تشتبه عليهم المذاهب لكثرة الأقوال.
و طبيعة وظيفتهم تعرضهم أكثر من غيرهم إلى الخطأ و السهو و الغفلة و التناقض، ولا فرق في ذلك بين أصول وفروع، بين مسائل علمية و مسائل عملية.
ووحدة الأديان على فرض التسليم أن الشيخ عليا الحلبي دافع عنها وعن بعض القائلين بها، فهل دافع عنها معتقدا أنها كفر صريح؟
أم دافع عنها معتقدا أنها ليست بكفر أي متأولا؟
و الذين دافع عنهم ممن يقول بها، هل دافع عنهم بمعنى أنهم لا يقولون بها، ولا يعتقدونها؟

أو بمعنى أنهم حتى ولو قالوا ببعض مسائلها لا يكفرون، و يعتبر ذلك في حقهم خطئا أو بمعنى أنهم لا يكفرون لأنها ليست كفرا؟

فهذه احتمالات كثيرة لا تسمح للمنضبط بالشريعة الإسلامية تكفيره، أو القول عنه بأنه يدافع عن الكفر، لأنه كما سبق وبيّنت لا تكفير بالمحتمل، ولا تكفير إلا بعد التبيّن، و إقامة الحجة الدافعة للشبهة.

قال ابن تيمية : ((إن التكفير لا يكون بأمر محتمل ثمّ هو مع هذا بيّن أنّ علماء المسلمين المتكلّمين في الدنيا باجتهادهم لا يجوز تكفير أحدهم بمجرّد خطأ أخطأه في كلامه، و هذا كلام حسن تجب موافقته عليه،فإنّ تسليط الجهّال على تكفير علماء المسلمين من أعظم المنكرات))(مجموع الفتاوى)(35/100).

و شيخ الإسلام يتحدث هنا عن أبي حامد الغزالي الذي قال: أخطا النبي صلى الله عليه و سلم في مسألة تأبير النخل، فهذا هو الأمر المحتمل.

ومعلوم أن العلماء قد يطلقون هذه العبارة و قصدهم حسن، وقد يطلقها بعض الملحدين أو المنافقين و يقصد التنقيص أو عزل الشريعة، ممن يقول بالروحي و الزمني!

وقال كذلك في (الكيلانية)(1/95): ((وليس لأحد أن يكفر أحدا من المسلمين وإن أخطأ وغلط حتى تقام عليه الحجة، وتبيّن له المحجة، ومن ثبت إسلامه بيقين لم يزل ذلك عنه بالشك ؛ بل لا يزول إلا بعد إقامة الحجة وإزالة الشبهة)).

وقال ابن مفلح في (الفروع) (12/449) : ((و قال ابن الجوزي في كتابه (السرّ المصون) : رأيت جماعة من العلماء أقدموا على تكفير المتأوّلين من أهل القبلة، و إنّما ينبغي أن يقطع بالكفر على من خالف إجماع الأمة ولم يحتمل حاله تأويلا)).

فهذه كلها كلمات للعلماء واضحات، بيّنات، نيّرات، تحذر من تكفير أهل العلم، بالخطأ، و بالتأويل، و بالمحتمل من أقوالهم، فكيف بمن لا يوجد أدنى شبهة في بعده عن الكفر؟!

وقد يهوّل بعضهم لأن المسألة من مسائل الاعتقاد، و غرضه تغليظ قوله و تقويته بالتهويل، ومع ذلك فقد قال ابن تيمية في (الاستقامة)(1/165) : ((فمن أخطأ في بعض مسائل الاعتقاد من أهل الإيمان بالله وبرسوله وباليوم الآخر والعمل الصالح لم يكن أسوأ حالا من الرجل فيغفر الله خطأه أو يعذبه إن كان منه تفريط في اتباع الحق

على قدر دينه، وأما تكفير شخص علم إيمانه بمجرد الغلط في ذلك فعظيم.
فقد ثبت في الصحيح عن ثابت بن الضحاك عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه قال :
((لعن المؤمن كقتله ومن رمى مؤمنا بالكفر فهو كقتله)) .
وثبت في الصحيح أن ((من قال لأخيه يا كافر فقد باء به أحدهما)).
وإذا كان تكفير المعين على سبيل الشتم كقتله، فكيف يكون تكفيره على سبيل الاعتقاد، فإن ذلك أعظم من قتله، إذ كل كافر يباح قتله، وليس كل من أبيح قتله يكون كافرا، فقد يقتل الداعي إلى بدعة لإضلاله الناس وإفساده مع إمكان أن الله يغفر له في الآخرة لما معه من الإيمان، فإنه قد تواترت النصوص بأنه يخرج من النار من في قلبه مثقال ذرة من إيمان)).
فهل ما جاء في النصيحة من عبارات صريحة تقتضي التكفير كـ : "كونه يدافع عن عقيدة وحدة الأديان" وهي كفر عند صاحب النصيحة، و" يزكي من يدافع عنها" هو تكفير اعتقاد أم تكفير شتم؟!
وهذه التهم ليست من قبيل لازم المذهب، بل هي كما ترى عبارات صريحة نظمت على شكل مقدمات واضحة و صريحة ،و تركوا للقارئ أن يستنبط النتيجة المتضمنة أصلا في الكبرى.
أي قياسهم على الشكل التالي:
وحدة الأديان كفر(كبرى)- و الحلبي يدافع عن وحدة الأديان(صغرى أولى)، - و يزكي أصحابها(صغرى ثانية)، و النتيجة المنطقية هي أنه يدافع عن الكفر، وعن الدعاة إلى الكفر، و بطبيعة الحال من يفعل هذا لا يكون إلا كافرا.
وحتى لا يقعوا في المطالبة بتبرير هذا التكفير، و أنهم أغفلوا شروطه، و ضربوا بعرض الحائط ضوابطه تركوا النتيجة للقارئ بعد أن أظهروها بالقرائن من كل وجه.
قال ابن تيمية في (مجموع الفتاوى)(9/212):
((وقد اتّفق أهل السنة و الجماعة على أنّ علماء المسلمين لا يجوز تكفيرهم بمجرّد الخطأ المحض، بل كلّ أحد يؤخذ من قوله و يترك إلاّ رسول الله صلى الله عليه و سلم و ليس كل من يترك بعض كلامه لخطأ أخطأه يكفّر ولا يفسّق، بل ولا يأثم،فإن الله تعالى قال في دعاء المؤمنين:{رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا } وفي الصَّحِيحِ عن النبي صلى الله عليه و سلم :((أن اللَّهَ تَعَالَى قَالَ قَدْ فَعَلْت)).

وكل هذا أقوله على سبيل الافتراض و التقدير أن رسالة عمان قد تضمنت دعوة صريحة لا تأويل فيها إلى عقيدة وحدة الأديان.

و أن الشيخ الحلبي يدافع عن هذه الرسالة لاعتقاده أنها خالية من عقيدة وحدة الأديان، ولم يظهر عقيدته في وحدة الأديان هل هي كفر أم لا؟

أما و قد بيّنت سابقا حقيقة رسالة عمان ،و أن الرجل لا ينكر وجود بعض العبارات فيها مما يمكن استدراكه، و أن نفي وجود الشيء في موضع ما غير نفي وجوده كلية ، و أنه يصرح بكفرية هذه العقيدة، فاتهامه بهذه التهمة لا يكون إلا بدعوى باطلة من جنس القذف الذي يفصل فيه القضاة لا العلماء.

و قد يستغرب بعض القراء هذا الأمر بهذا الشرح و التحليل، و ذلك لأنهم ربما لم يعرفوا بعض العلماء المسارعين إلى تكفير المخالف كما حكاه ابن تيمية عن أبي الحسن علي بن شكر، و بعض أتباع ابن منده (434/16)(المجموع).

ولو قلنا مثل هذا الشرح استنباطا من لازم قول صاحب النصيحة فإنه لازم له و يعتبر من مذهبه لأنه يلتزمه و يكرره في كل مناسبة.

وعليه، فإن دفع التكفير عن علماء المسلمين مطلب شرعي و غرض حسن قال شيخ الإسلام في (مجموع الفتاوى)(477/4):

((بل دفع التّكفير عن علماء المسلمين و إن أخطئوا وهو من أحقّ الأغراض الشّرعيّة، حتى لو فرض أن دفع التّكفير عن القائل يعتقد أنه ليس بكافر حماية له، ونصرا لأخيه المسلم، لكان هذا غرضا شرعيّا حسنا،وهو إذا اجتهد في ذلك فأصاب فله أجران، و إن اجتهد فيه فأخطأ فله أجر واحد، فبكلّ حال هذا القائل محمود على ما فعل،مأجور على ذلك، مثاب عليه إذا كانت له فيه نيّة حسنة، و المنكر لما فعله أحقّ بالتّعزير منه.))

إن التكفير و ما يتعلق به أصل اضطربت فيه الأمة اضطرابا كبيرا حتى اضطرب بعض الأئمة في تكفير أهل البدع، فما منهم إلا و له قولان،وقد عصم الله فقهاء السنة في هذا الأصل بتمسكهم بالعلم و العدل.

وقد يمرق الرجل من السنة وهو لا يدري ،بسبب الغلو و التشدد و المغالبة في المناظرة و عند الاختلاف، قال ابن تيمية في (الفتاوى الكبرى)(3/383):

((فإذا كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلفائه الرّاشدين قد انتسب إلى

الإسلام من مرق منه مع عبادته العظيمة ؛ حتى أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتالهم فيعلم أن المنتسب إلى الإسلام أو السنة في هذه الأزمان قد يمرق أيضا من الإسلام والسنة حتى يدّعي السنة من ليس من أهلها بل قد مرق منها، وذلك بأسباب: - منها الغلوّ الذي ذمّه الله تعالى في كتابه حيث قال : { يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ } إلى قوله : { وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا } ،وقال تعالى : { قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ } ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم :((إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ الْغُلُوُّ فِي الدِّينِ)) وهو حديث صحيح .

ومنها التّفرّق والاختلاف الذي ذكره الله تعالى في كتابه العزيز.

ومنها أحاديث تروى عن النبي صلى الله عليه وسلم وهي كذب عليه باتفاق أهل المعرفة يسمعها الجاهل بالحديث فيصدق بها لموافقة ظنه وهواه.)).

قلت: فهذه أسباب تجعل الإنسان يمرق من السنة وهو لا يدري أو لا يشعر،وقد تدفع بصاحبها إلى تأصيل أصول باطلة يعتقدها صحيحة، و يصدق بها في نفسه ولا تشهد لها النصوص بالصحة.

فالغلوّو التّشدّد، وتشجيع الفرقة و الاختلاف، و العمل بالنصوص الضعيفة هو سبب هذا الداء ،وقد يدخل في النصوص الضعيفة العمل بما لا تدل عليه النصوص الصحيحة، أو بما يناقض دلالتها عند أهل العلم بها.

و ليس المقصود إخراج هذا أو ذاك من السنة،فهذا أمر كبير و شأن عظيم، ولكن التحذير ببيان الأسباب المفضية إلى هذه النتيجة الخطيرة.

وفي الأخير أقول: إذا قدر وجود بعض العبارات القاسية في حق الشيخ ربيع فهذا بسبب ما سبق و بيّنته، فإن الناس ولابد يدافعون عن أعراضهم ودينهم، و أشد الطعن: الطعن في دين المرء، و الشيخ ربيع يوافق بسكوته على أتباعه ما يصنعون من الكذب على الناس .

ومع ذلك فإننا نفضل أن نخاطبه بالاحترام و التقدير رعاية لسنه، و مكانته عند أتباعه و أصحابه، و لبعض فضله في العلم إلا ما سبق به القلم وغفل عنه القلب، ففلتة اللسان لم يسلم منها حتى بعض الأكابر، و الله من وراء القصد و هو يهدي السبيل.

وبعد هذه الجولات أظن أنه قد انكشف لكم مخطط القوم، ومراميهم ، وحقيقة ردودهم و نصائحهم ،فمن كان موقنا بكفاية ربه له، و أن النفع و الضر بيده سبحانه و تعالى ،و أن العزيز من أعزه الله، و الذليل من أذله الله ، جهر بمخالفتهم و بمنابذة هذا المنهج المنحرف ، وهذه أيام يداولها الله، والعبرة بالعاقبة، فمن لحق بالحق أدرك نفسه، و من فاته الحق أهلك نفسه، و الله المستعان.

و الحمد لله على ما أعطى وعلى ما منع، نسأله علما نفرق به بين الحق و الباطل، وعملا ننصر به الحق على الباطل ،و الصلاة و السلام على نبينا الداعي إلى الحق و الهادي (دلالة و إرشادا و بيانا)إلى الحق ، و السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أرزيو/ الجزائر ، في 17صفر1432هـ

مختار الأخضر طيباوي

مثال على منهج توليد البغلة ونقضه:

يقول الشيخ ربيع في كتبه(إزهاق أباطيل عبد اللطيف باشميل)(ص:47) : ((فلا خير فينا إذا لم ننصر المظلوم، و ندفع عنه حتى لو كان كافرا فضلا عن عالم سلفيّ.))

فهل يمكن أن نشم من كلامه هذا رائحة وحدة الأديان، لأنه يقر الدفاع عن اليهود و النصارى، وربما يقول آخر: هذا فيه تحالف مع اليهود و النصارى؟!

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في رسالته إلى ملك جزيرة قبرص النصراني، وهو يدعوه إلى فك أسرى المسلمين:

((والملك وأصحابه إذا عاونونا على تخليص الأسرى والإحسان إليهم كان الحظ الأوفر لهم في ذلك في الدنيا والآخرة، أما في الآخرة فإن الله يثيب على ذلك ويأجر عليه ،وهذا مما لا ريب فيه عند العلماء المسيحيين الذين لا يتبعون الهوى))(مجموع الفتاوى)(28/628).

يقصد شيخ الإسلام أن الملك ملك النصارى إذا أحسن إلى أسرى المسلمين سيعود عليه إحسانه في الآخرة، و نحن نعلم يقينا من ديننا أنه لا ثواب للكافر في الآخرة على حسنات الدنيا، و نسميه :"الإحباط"، و لكن علماء النصارى الذين لا يتبعون الهوى يعلمون أن دينهم يحث على فك الأسير و الإحسان إليه، و يعدهم بالجزاء على ذلك في الآخرة، فشيخ الإسلام يحتج عليهم هنا بما يؤمنون به، و بما يوجد في دينهم.

وهذا منهج قرآني نبوي ،قال تعالى :{ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّىَ تُقِيمُواْ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلاَ تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ}(المائدة).

و احتج النبي صلى الله عليه و سلم على اليهود في رجم الزاني المحصن بالتوراة.

و قد يقول مخبول:إن شيخ الإسلام يقول بوحدة الأديان لأنه يثبت للنصارى الثواب في الآخرة؟!

و يقول في تعريفهم بالإسلام و قدره، و أن من أحسن إلى المسلمين نفع نفسه:

((وما زال في النصارى من الملوك والقسيسين والرهبان والعامة من له مزية على غيره في المعرفة والدين، فيعرف بعض الحق، وينقاد لكثير منه، ويعرف من قدر الإسلام وأهله ما يجهله غيره فيعاملهم معاملة تكون نافعة له في الدنيا والآخرة))

((وأبو العباس حامل هذا الكتاب قد بث محاسن الملك وإخوته عندنا واستعطف قلوبنا إليه فلذلك كاتبت الملك لما بلغتني رغبته في الخير وميله إلى العلم والدين)).

و الحقيقة تقال: إن رسالة شيخ الإسلام إلى ملك النصارى بقبرص تعد نموذجا رائعا للخطاب الإسلامي للمسيحيين ، فقد تضمنت فصولا من العلم و الحكمة ورغم ذلك لم تخلو من نصيحة الملك النصراني، و لكن بما يخدم مصالح المسلمين ولا يضيعها، فتراه يقول مثلا : ((والملك وكل عاقل يعرف أن أكثر النصارى خارجون عن وصايا المسيح والحواريين ورسائل بولص وغيره من القديسين، وأن كان أكثر ما معهم من النصرانية: شرب الخمر، وأكل الخنزير، وتعظيم الصليب ،ونواميس مبتدعة ما أنزل الله بها من سلطان، وأن بعضهم يستحل بعض ما حرمته الشريعة النصرانية.)).

وهذا من الاستشهاد عليهم بواقعهم و بدينهم حتى لا يعد طعنا فيهم، لأن من تستشهد عليه بدينه و بواقعه لا يعتبر ذلك طعنا، بخلاف لو استشهدت عليه بدينك.

وقد ختم شيخ الإسلام رسالته بالدعاء لهذا النصراني، و لكن بدعاء صالح و حقيقي لا يخرج عن إطار العقيدة الإسلامية، فقال له: ((والله المسئول أن يعين الملك على مصلحته التي هي عند الله المصلحة وأن يخير له من الأقوال ما هو خير له عند الله ويختم له بخاتمة خير.)).

هو هنا في الحقيقة يدعو له بالإسلام، لأنه هو المصلحة عند الله، بالنسبة للناس، و هو خير الأقوال، و هو خاتمة الخير، ولكن دون أن يطعن في دينه و يشهر به، كما يفعل

السفهاء في هذا الزمان.

من أخطاء طلبة العلم في الرُّدود: الحزبيَّة الخفيَّة

بعض طلبة العلم ممَّن رزقوا إنصافا وموضعية إذا رأوا مخالفَهم أو (خصمهم)في العلم و الدَّعوة مظلومًا لم ينصروه من باب العقوبة، وهذا من الحزبيَّة الخفيَّة.
وهو خطأٌ فإنَّ نصرة المظلوم المخالف من أعظم أسباب رجوعه، و تقاربه معك، أو تفهُّمه لموقفك، وهو لا يُظلم إلاَّ بالكلام الباطل،وحكمه يدور بين الاستحباب الوجوب ،ومهما يكن فهو مأمور به بحسب قدرة الشَّخص،كما في الحديث الصَّحيح عن البراء بن عازب : ((أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِسَبْعٍ وَنَهَانَا عَنْ سَبْعٍ أَمَرَنَا بِعِيَادَةِ الْمَرِيضِ وَاتِّبَاعِ الْجِنَازَةِ وَتَشْمِيتِ الْعَاطِسِ وَإِبْرَارِ الْقَسَمِ أَوْ الْمُقْسِمِ وَنَصْرِ الْمَظْلُومِ وَإِجَابَةِ الدَّاعِي وَإِفْشَاءِ السَّلَامِ؛ وَنَهَانَا عَنْ خَوَاتِيمَ أَوْ تَخَتُّمِ الذَّهَبِ؛ وَعَنْ شُرْبٍ بِالْفِضَّةِ؛ وَعَنْ الْمَيَاثِرِ وَعَنْ الْقِسِيِّ وَلُبْسِ الْحَرِيرِ؛ وَالْإِسْتَبْرَقِ وَالدِّيبَاجِ)).
فإن لم تدافع عنه عقوبةً له فأدنى ما تصنع: لا تقرِّر القواعد الباطلة الَّتي ظُلم بها بسكوتك عنها.
وعندما تنصر رجلا مظلومًا فذلك نصرة للدِّين و الحقّ، وهو يزيد فيك، ولا ينقص منك إلاَّ عند السُّفهاء، و دفاعك عنه لا يلزم منه تأييد مذهبه أو موافقته في كلِّ شيء، وقد دافع شيخ الإسلام ابن تيميَّة عن الأشاعرة و الكلابيَّة و الكراميَّة ضدَّ الرَّافضة، ودافع عن الغزاليِّ ضدَّ ابن رشد، ودافع عن ابن ملكا ضدَّ ابن سينا، ودافع عن الرازيِّ ضدَّ الطُّوسيِّ ،وهكذا.
فإن لم ندافع إلاَّ عن أصحابنا و أتباع مذاهبنا صرنا حزبًا كسائر الأحزاب نقول الحقَّ ليخدمنا فقط.
فالمنهج الصَّحيح: دافع عن كلِّ مظلوم، وكلِّ مصيبٍ، و إن كان مخالفًا ،و انتقد كلَّ ظالم، وكلَّ مخطئ، و إن كان شيخك، و إمام مذهبك، أو صاحبك؛ ويزيل الشَّحناء، و يحميك من شرِّ النَّصيحة: الإخلاص، و الأدب العالي.
ولا تشمت بالمخالف المظلوم لا ظاهرا ،ولا باطنا يزكو قلبك.

منطق التَّحليل في الخلاف مع حزب النور

عندما يختلف الناس في كليات مسألة ما ، سياسية محضة كانت أو سياسية شرعية لا يمكنهم أبدًا أن يتَّفقوا في الجزئيات و الفرعيات المتولِّدة عن هذه الكليات ،وكلَّما تقدَّم المسار و تتالت الأحداث ازدادوا خلافا، و ازداد المساران بُعدا عن بعضهما بعضا لأن الخلاف في أصل المسألة وكلياتها.
وقد اتَّفق الجميع على المصلحة، واختلفوا في تحقيق مناطها ،والذهاب إلى غير هذا لن يخدم القضية الإسلامية وستكون معالجة خطأ ـ في نظر الفريق الآخر ـ بخطأ أشد منه.

الخروج من الكهف يكون بتوقيف الأفكار المسبقة إلى حين

الذي يجب علينا هو أن نجتنب ـ كما يقول المفكرون ـ الأفكار الثابتة أي التصورات المسبقة التي تستحوذ على مجال الشعور و تستقطب جميع الذهن إليها فيتعذر على الإرادة استبعادها إلا أن تكون نصوصا صحيحة أو إجماعا فهذه ثوابت ثابتة.
والذي يقع فيه بعض الفضلاء هو من هذا الجنس استولى على ذهنهم تصور معين لم يستطيعوا معه النظر في التقييدات و فصول الكلام المختلفة فدار توجسهم وحذرهم من عبارات و مصطلحات خافوا إن هم قبلوها أن ينهار مذهبهم، وحب الحيازة و التملك فينا متجذر.

ضوابط الحوار

الحمد لله وحده،و الصَّلاة و السَّلام على من لا نبيَّ بعده.
ممَّا قلتُه سابقا:
لأني وجدت بعض الإخوة لا يعطي كلام المخالف حقَّه من الفحص فيظن أنَّنا حينما نتكلَّم عن الفرق بين حكم البدعة وحكم المبتدع،و أنواع البدع و اختلاف الحكم و العقوبة عليها، أنَّنا نهوِّن من البدع، أو حينما نتكلَّم عن العذر بالجهل وقد نشأ على اعتقاد جماعة هم عنده في المحل الأسمى من العلم و التحقيق لدقائقه ،يظن أنَّنا نهوِّن من الشرك الذي يقع فيه بعض المسلمين فلا يفرِّق بين من يهمُّه أن يقول لهذا المسلم: أخي الكريم هذا الذي تقوله أو تفعله هو شرك في القرآن و السنة و إليك الدليل ،ثم يعاني معه الأمرين ليرفع عنه شبهة نشأ عليها لُقِّنت له، فيبلِّغه حجة الإسلام التي هي

حجة عند الله ورسوله ناصعة متجرِّدةً من كل شبهة مهما كانت مركَّبة ،وبين من يُجر بسهوله، ولا يعرف إلى أنه يقول له: أنت مشرك، فالمسلم الموحد الحقيقي هو الذي يقول للمسلم الذي وقع في شرك أو كفر أنت مشرك و كافر؟

أوَّلا: مرحبا بإخواني في النِّقاش العلميِّ على هذه الصَّفحة الذي نرجو أن يوقظ في الشَّباب الهِمَّة العالية لطلب العلم بتفاصيله،و(تدبيب) العُمومات، و يُكسبهم مهارة التَّمييز و التَّدقيق في الأقوال، و الصِّدق و الإنصاف في الردِ و الاستدراك.

و أهمُّ من ذلك الاستبصار في العلم، و ليس في اللَّفظ و التَّعبير، أقصد الوجود في العلم، لا في اللَّفظ،فالعلم أمر وجوديٌّ، بخلاف عدم العلم فإنَّه وصف عدميٌّ.

و الأمر الوجوديٌّ يَتوقَّف على السَّبب التامِّ، أمَّا العدميُّ فيكفي فيه عدم السَّبب أو نقصه.

و إذا كان كذلك فليس مجرَّد علم الإنسان بالدَّليل (علَّة كان أو سببا أو شرطا) يوجب علمه بالمدلول (معلولا كان أو مسببا أو مشروطا)، إن لم يستحضر في ذهنه دلالة الدَّليل على المدلول، و يتفطَّن لما فيه من الدلالة، مُفرِّقا بين مقام مخاطبة ومقام إخبار،مقام شرح ومقام نقل،مُعطيا كلَّ احتمال حقَّه،بدون ميل إلى الاحتمال الذي يوجِّهه هو ،ولا تفرضه الموضوعية، و اتِّجاه المقال، و دلالة السِّياق، لأنَّ ((العقل(الأحكام العقليَّة) لا يحصر شيئا قبل الإحاطة بأفراده، ولا يلزم بين شيئين قبل العلم بوجه الملازمة)).

فمع العلم بالحكم يجب أن يقترن معه ما يوجب العلم في قلبه.

ضوابط الحوار:

1 ـ بخصوص طريقتي في إدارة النِّقاش فهي الجواب بالاستشكال و الاستفصال وقد أضمِّن جوابي استشكالا، أو أضمِّن استشكالي جوابا يعني أحاول أن أطعن حجتي في عقل المخالف وقلبه بدون أن يشعر ببرودة الخنجر و ألم الطعنة.

وغرضي ليس الاستدراك على الإخوة، فإنَّ مجال الاستدراك عليهم متوفِّر، ولكن دفعهم للبحث عن الجواب بأنفسهم،و نقلهم من مستوى إلى آخر بقصد إدراك جوهر الموضوع و أصله الذي هو مفتاحه، و إن كان علمُهم ببعض فروعه صحيحا (تقليدا)، أو غير دقيق أو خطا بالمرَّة،فإنَّهم بإدراك مفتاح القضيَّة يصحِّحون كلَّ فروعها، كما يَتعذَّر الوقوف عند كل لفظ يحتاج إلى تفصيل أو استثناء.

وطريقة الاستشكال في التَّعليم غير طريقة التَّقرير، وقد أوضحتُ تفاصيل هذه الطَّريقة سابقا.

كيف نفهم كلام المتكلِّم:

1 ـ معلوم أنَّ الجواب قد يكون صحيحا ولكن في غير موضعه،ويكون سبب هذا التخالُف بين صحَّة الجواب وموضعه كثرة الاحتمالات التي تبرُز من الكلام أو السُّؤال، و التي لا يمكن الجزم بواحد منها إلاَّ بدليل يؤكِّدُه السِّياق أو التِّكرار فإنَّ التِّكرار قد يدلُّ على العلَّة، فإن ظهر من السِّياق تنوُّع في العبارات فإمَّا طبيعة الموضوع و مسالكه تقبل التَّنوُّع مع التَّقييد بالقرائن، وهنا نحذر العجز عن تصوُّر تنوُّعها أي مختلف زوايا المسألة حيث تتقاطع مسالكُها .

و إمَّا هي متناقضة متعارضة، متقابلة تقابل الضِّدَّين.

فإذا كان الكلام قد يكون صوابا، وقد يكون خطئا بحسب الاتِّجاه الذي نقوده إليه كان الفيصل السِّياق و المعهود، لا قصد الحامل.

2ـ نحرص على اجتناب التَّسرُّع في الاستدراك،وعندما نستدرك على بعضنا البعض ليكن الاستدراك دقيقا يعطي المُستدرَك عليه حقَّه ،فلا نُهمل سياق كلامه ولا قرائنه اللَّفظية لأنَّ الكلام كما فيه تطويل فيه إيجاز،وفيه عموم وخصوص، و إطلاق و تقييد ،وفيه إفراد و تركيب، تتغيَّر به دلالته في نفسه، أو بالقرائن اللَّفظية المتَّصلة ،أو السِّياقية المعنويَّة أو الاصطلاحيَّة التي لا تظهر إلاَّ في التَّركيب، فإنَّ السِّياق يُعيِّن أحد محتملات اللَّفظ،ويُبيِّن المراد ، أو بما يدلُّ عليه حال المتكلِّم من كلامه، وقيوده السَّابقة (القرائن المنفصلة).

3 ـ و إذا كانت كلمتُه محتملة لعدَّة أوجه نستفصِل منه أوَّلا مراده منها، ونطالبه بإحكام دلالات لفظه ،و بعد جوابه نستدرك عليه إن بقي مجالٌ للاستدراك لأنَّنا في مجال التَّعليم لا المناقضة للمُغالبة.

فهذه ضوابط مهمَّة في الحوار و المناظرة، بها يكتسب الكلام صفةَ الظُّهور، وبدونها يكثر التَّخبُّطُ في الكلام، ويطول الاستدراك بلا طائل، وندخل في المجادلات العقيمة التي يكثر فيها تفسيرُ الكلام بحسب قصد المخالف لا بحسب الموضوعيَّة، ونصير فريقان: مثبت يُفسِّر كلامه ولو كان باطلا بالمعنى الحقِّ،ونافي يفسِّر كلام غيره (الصَّواب) بالمعاني الباطلة.

ونحن إنَّما نبغي التَّعلُّم و الاستفادة من بعضنا البعض، فليس بيننا إحن، ولا ثأر ليس بيننا إلاَّ الإخوة الإيمانيَّة، و التَّعاون على البِرِّ و التَّقوى.
وكلٌّ يؤخذ من قوله و يترك،وكلٌّ يُجيد في موضع و يسيء في آخر،وكلٌّ يعبِّر أحيانا بدقَّة و أحيانا يهم ،فيكون غلطه(وهمُه) غير متعمَّد، وغير دائم في الإدراك أو الحكم أو الاستدلال (في مختلف فصول كلامه،إنَّما في فصل واحد)،سببُه سبق الذِّهن إلى الظَّاهر.
وفي هذه النُّقطة (الاستدراك عند تعدُّد الاحتمالات) قد يغلب القصدُ فيقرِّر سلوك هذا الاتِّجاه أو ذاك، وهذا ما نُسمِّيه سطوة المشاعر و الاعتقاد، و تأثيره على التَّرجيح.
4 ـ تحرير نقل كلام المخالف ثمَّ النَّظر في دليله،فقد رأيتُ أنَّ بعض الإخوة فهم صحيحا، ولكنَّه أخطا في التَّسمية و الاصطلاح ، فهذا البحث معه لفظيٌّ، و ليس بمعنويٍّ،والاستدراك عليه يكون في اللَّفظ و الاصطلاح، وليس في المعاني.
هذه بعض التوجيهات أحببتُ أن أقاسمكم إيَّاها ليكون الحوار مُثمرا نافعا مُعلِّما مؤدِّبا لنا،حوار طلبة علم بحقٍّ، ليس كما هو منتشر في المنتديات المختلفة: جهل مبطن بمصطلحات علميَّة، ومغالبة حيوانيَّة،وتحكُّمات جزافية، فمن قدر عليها(الضَّوابط) فقد أحسن، ومن لم يقدر عليها أعناه بما نستطيع توجيها أو نقضا،وما بعد ذلك فإلى الله المصير.
ولا أقصد بهذه الضَّوابط أيًّا من المشاركين قصدا خاصًّا فإنَّكم أجادتم في مشاركاتكم، وقد سعدتُ بها جدًّا لأنَّها تضيف لنا نفسا جديدا، و عينا أخرى، و عقلا آخرا.
وهذا زيادة في الخير لأنَّ مشاركتكم ستقودنا إلى تفصيل مسائل مهمَّة قد لا يعرف تفاصيلها كثير منا.

أسس المنهج العلمي الصحيح

الحمد لله رب العالمين ، و الصلاة و السلام على أشرف المرسلين.
وبعد.....
امتاز أهل السنة بمنهج علمي صارم ومتين طيلة التاريخ الإسلامي، على فترات يقوى تعميمه، و فترات أخرى يخفت صوته، قال محمد بن أبي يعلى أبو الحسين في"طبقات

الحنابلة"{207/2} وهو يقرر منهجه العلمي في صورته المجملة:"1 ـ ترك ما تراه لما أمرت به مع تبيين الأمر المتمسك بموجبه.
2 ـ قلة الاكتراث بكثرة المبطلين".
فالأساس الأول لمنهجه العلمي هو عدم الرضا بالواقع أو الاستجابة إليه بفكر سلبي يسلم له، بل يجب البحث و طلب الحقيقة الشرعية العلمية، ولو كانت غائبة في الواقع، ثم وجوب بيان المأخذ و الدليل على ذلك، فالتغيير لا يقوم إلا بالمخالفة و إقناع المخالف بهذه المخالفة عن طريق بيان الأدلة، و هذا التغيير له هدف يصل إليه هو الحقيقة الشرعية كما وردت في الكتاب و السنة .
الأساس الثاني هو أساس أخلاقي اجتماعي يقصد به تحلي العالم و الباحث بالشجاعة الأدبية، و مخالفة الموروث، و المعهود و العادات إذا كانت مخالفة للحقيقة العلمية.
فهذا الذي بينه محمد بن أبي يعلى هو ما سنجده عند ابن تيمية بتعبير أدق الحقيقة الموجودة و الحقيقة المقصودة، أي الواقع و المشروع، و الواقع عند ابن تيمية يجب معرفته و الصدق في الإخبار عنه، و على أساسه يستدعى الشرع لنقل الناس من الحق الموجود إلى الحق المقصود.
فعلى السلفي أولا: البحث الجاد و العميق عن الحقيقة الشرعية في جميع تجلياتها و إسنادها إلى دليل شرعي معتبر.
ثانيا: ثم بيانها للناس بدليلها، و منع درأ ما يعارض هذا الدليل .
ثالثا:عدم الاكتراث بكثرة المخالفين.
و السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.
أرزيو/الجزائر في 01 شوال 1430
مختار الأخضر طيباوي

الروح النقدية:

بعث الروح النقدية في المجتمع المسلم، و تربية الأجيال عليها حتى تصير خلقا فيها ، هو أهم خطوات النهضة، فالباحث و العالم قد يكون على جانب كبير من العلم، وله قدرة فائقة على البحث و التنقيب و الاستقراء و الاستنباط، ولكنه عندما يفتقد إلى الخلق الإيماني الذي يستوجب عليه لزوما ذاتيا الصدق و الموضوعية، كالتفريق بين

النسبي و المطلق، و التحقق من المعطيات، لا يمكن لأي منهج علمي مهما بلغ من قوة أن يؤدي إلى فائدة مرجوة، فالعلم من جنس الشعور و الاعتقادات، و تأثير الإيمان و الأخلاق عليه مباشر و ضروري.

فتنمية حب الحق، و الرضا به، و القدرة النفسية على التسليم بقراراته في نفس الناشئة هو أول خطوات المنهج العلمي، الذي يجب أن ندخله في المناهج التربوية، ثم بعد ذلك نعلمهم الروح النقدية، و ندربهم عليها وفقا للمناهج العلمية الصحيحة.

فعندما نغرس في الناشئة اليقظة الذهنية التي تمنعهم من التسليم بأي أمر قبل فحصه و تمحيصه، لمعرفة حقيقة مدلوله وفحواه، و أصل مأتاه و غاية مغزاه، حبا في موافقة الكتاب و السنة، وبغضا لمخالفتهما فيما يتعلق بهما من مجالات، نكون قد علمناهم الروح النقدية الكفيلة ببناء الأمة على أسس سليمة و قواعد صحيحة، تعمل ذاتيا في التخلص من الشوائب العقدية و الفكرية و العرفية التي لصقت بالدين، ويصير نبذ الباطل مهما كان نوعه ومهما كان قائله أمرا ذاتيا في الناس، لأن روح النقد تجانب روح التقليد وروح التعصب.

قيمة النقد

قيمة النقد الذاتي الفردي و الجماعي، و انه في التعبير الإسلامي يمكن تسميته بمحاسبة النفس، أو المراجعة، و أن هذه المحاسبة أو النقد الذاتي هو من صميم التوحيد العملي الإرادي القلبي، فهو بالتالي عمل إيماني يقوم به كل مسلم بحسب وعيه و إدراكه لقيمته الإيمانية و العلمية.

كذلك بينت أنه أنواع كما ذكر ذلك بعض العلماء المحققين، فمنه ما يسبق العمل، ومنه ما يأتي بعده، ومن هنا تتجلى قيمة النقد الذاتي في الفكر الإسلامي، و اليوم كان لابد علينا أن نتكلم عنه كمنهج علمي و خطة في المنهج التربوي الذي نريد أن تتبناه جامعاتنا الإسلامية و مختلف معاهدنا و مدارسنا، فهو الوسيلة الحقيقية و الكفيلة بتحييد النعرات المذهبية، أو الإقلال من قوتها داخل المجتمع المسلم.

الفرق بين النقد و الدعاية:

إذا حددنا معنى النقد وما الغرض منه أمكننا معاينة حال الفكر الإسلامي في هذا العصر، هل يقع ضمن مفهوم النقد أم انه في غالبيته حمالات دعائية تقوم بها

الجماعات لمناهضة غيرها و الحط من شأن المخالف، فهل القائم حاليا هو من جنس النقد العلمي أم من جنس الدعاية؟

فإذا كانت الدعاية هي الدعوة إلى اعتقاد رأي من خلال استعمال الوسائل الإعلامية كالكتب و الشريط و التلفزيون و الإنترنيت وغيرها، من خلال استغلال قابلية الناس المتخلفين علميا شرعيا للإيحاء و التوجيه و التصديق، عن طريق عمل كل ما في الوسع من التضليل المعلوماتي و الحجر على العقول، لإخماد روح النقد و التمحيص لديهم، بحجة مخالفة الشيوخ أو الحاكم أو الجماعة، مع تزيين ما يراد اعتقاده أو فعله بالأسماء المحبوبة، أو التنفير من الغير بالأسماء المذمومة، كالخيانة للوطن و العمالة للأعداء، و البدعة و المروق و التمييع أو التشدد و الغلو و الظلامية الخ.

مراحل النقد الذاتي و شروط نجاح العمل الإسلامي الفردي و الجماعي:

ـ لقد فصل أئمة الإسلام و عباده مسألة المحاسبة و ذكروا كلاما في غاية الأهمية ،ومن هؤلاء الإمام ابن القيم الجوزية، فإنه ذكرا كلاما بليغا منهجيا، و ضبط المسألة بحيث يمكن اعتبار ما ذكره شروطا ضرورية لنجاح العمل الإسلامي الفردي و الجماعي ، قال في " إغاثة اللهفان"{81/1}:" محاسبة النفس نوعان: ـ نوع قبل العمل ونوع بعده :

النوع الأول: هو أن يقف عند أول همه و إرادته ولا يبادر بالعمل حتى يتبين له رجحانه على تركه، قال الحسن رحمه الله:" رحم الله عبدا وقف عند همه فإن كان لله مضى و إن كان لغيره تأخر".

و شرح هذا بعضهم فقال:إذا تحركت النفس لعمل من العمال وهم به العبد وقف أولا و نظر:هل ذلك العمل مقدور له أو غير مقدور ولا مستطاع، فإن لم يكن مقدورا لم يقدم عليه،و إن كان مقدورا وقف وقفة أخرى و نظر: هل فعله خير له من تركه أو تركه خير له من فعله، فإن كان الثاني تركه ولم يقدم عليه، و إن كان الأول وقف و قفة ثالثة و نظر: هل الباعث عليه إرادة وجه الله عز وجل و ثوابه، أو إرادة الجاه و الثناء و المال من المخلوق،فإن كان الثاني لم يقدم عليه، و إن أفضى به إلى مطلوبه، لئلا تعتاد النفس الشرك ويخف عليها العمل لله تعالى، فبقدر ما يخف عليها ذلك يثقل عليها العمل لله تعالى حتى يصير أثقل شيء عليها، و إن كان الأول وقف وقفة أخر و نظر:

هل هو معان عليه وله أعوان يساعدونه و ينصرونه إذا كان العمل محتاجا إلى ذلك أم لا؟

فإن لم يكن له أعوان امسك عنه كما أمسك النبي عن الجهاد بمكة حتى صار له شوكة و أنصار.

و إن وجد معانا عليه فليقدم عليه، فإنه منصور، ولا يفوت النجاح إلا من فوت خصلة من هذه الخصال، و إلا فمع اجتماعها لا يفوته النجاح.

فهذه أربعة مقامات يحتاج إلى محاسبة نفسه عليها قبل العمل، 1 ـ فما كل ما يريد العبد فعله يكون مقدورا له، 2 ـ ولا كل ما يكون مقدورا له يكون فعله خيرا من تركه، 3 ـ ولا كل ما يكون فعله خيرا له من تركه يفعله لله، 4 ـ ولا كل ما يفعله لله يكون معانا عليه، فإذا حاسب نفسه على ذلك تبين له ما يقدم عليه و ما يحجم عنه.

فشروط نجاح العمل بناء على النقد الذاتي القبلي هي: القدرة، الترجيح بين مصلحته و مفسدته بالنظر في مآله، الإخلاص وهو أساس الأمر كله، التعاون و التكافل.

و الحقيقة لو أن الجماعات الإسلامية عملت بهذه المبادئ في المجالات التي دخلتها كالمجال السياسي و التربوي و العمل الجماعي، و تم انتقاء المجالات و المواضيع على ضوء هذا التفكير لكانت النتائج أحسن بكثير مما هي عليه الآن، ولكن عندما ينظر للنقد على أنه خيانة وخروج على الجماعة و شق الصفوف تكون العثرات أكثر من النجاحات.

النوع الثاني: محاسبة النفس بعد العمل وهو ثلاثة أنواع:

1 ـ محاسبتها على طاعة قصرت فيها من حق الله تعالى فلم توقعها على الوجه الذي ينبغي، وحق الله تعالى في الطاعة ستة أمور تقدمت وهي: الإخلاص في العمل ـ النصيحة لله فيه ـ متابعة الرسول فيه ـ شهود مشهد الإحسان فيه ـ شهود منة الله عليه ـ شهود تقصيره فيه بعد ذلك كله.

فيحاسب نفسه: هل وفى هذه المقامات حقها و هل أتى بها في هذه الطاعة؟

2 ـ أن يحاسب نفسه على كل عمل كان تركه خيرا له من فعله.

3 ـ أن يحاسب نفسه على أمر مباح أو معتاد لم فعله، و هل أراد به الله و الدار الآخرة، فيكون رابحا أو أراد به الدنيا و عاجلها فيخسر ذلك الربح و يفوته الظفر به".

ثم ذكر ـ رحمه الله ـ أن من أسباب الهلاك و فساد الأعمال ترك محاسبة النفس و الاسترسال مع الأحداث و الواقع و النظر للأمور بعقلية التساهل في الأمور و تمشيتها.
ولو أردنا أن نصوغ المنهج العلمي الإسلامي العملي الذي يزاوج بين العلمية و العملية لما وجدنا أحسن من عبارة بعض العارفين:" محاسبة النفس ـ ملاطفة الخلق ـ مراقبة الحق"، أي النقد الذاتي المستمر ـ الرحمة بالخلق و ذلك بربط الأمور بالممكن من علم الخلق و قدرتهم و ترتيب الأعمال و نقلهم فيها بحسب الإمكان بحيث لا يطالبوا بالأعمال من الدرجة الأولى إلا إذا قدروا عليها ـ التقيد بالشرع في جميع الأعمال.

لماذا هذه المقالات؟

هذه المقالات و غيرها كتبتها تقريبا سنة 2003 م عندما تصورتُ جيدا منهج السلفيين ـ خاصة ـ منهج الشيخ ربيع ـ سدده الله ـ حيث أدركتُ النقص و التقصير في المنهج العلمي: منهج الاستنباط و الاستدلال ،و اظن أن الخلل لم يعالج لحد الآن ،وهو فينا ـ جميعا ـ على درجات مختلفة .

التحذير من لغة "منهج التّنفير":

التَّنفير عن الشيء هو: الزّجر و الدّفع عنه ،وقد يكون حقًّا، وقد يكون باطلا، وقد يكون في وقت وظرف حقّا ، وفي وقت و ظرف آخر باطلا.
كمن يريد التّنفير عن العسل فيمكر في العبارة ،ويقول: "مائع أصفر، يُشبِه العَذِرة المائعة".
فإذا كان لك ولد مريض بالحسّاسيَّة للعسل، و قلت له هذه العبارة لتمنعَه من أكله، فهذا المقصِد حقّ و حسن،ولكنّه لا يُغيّر من حقيقة العسل، و أنّه ليس عذرة.
كذلك كلمات التّنفير الصّحيحة لا تطابق الحقيقة الكاملة، و إن كانت مبنيَّة على جزء منها، فالعسل مثلا: مائع و أصفر، وهذا حقّ، فالمُنَفِّر عنه أخذ وصفا حقيقيًّا صحيحا، و أضاف له وصفا باطلا.
ومثله التّرغيب، قد يكون حقّا، و قد يكون باطلا، وقد يختلف حكمه بحسب الوقت و

الظُّروف، فمن يُسمِّي الأشياء القبيحة بالأسماء الجميلة الطيِّبة هو من التّرغيب الباطل، كما فعلوا مع المُجُون سمَّوه :"فنًّا"، و الخمر: "مشروبا روحيّا"، وغير ذلك.
هل لغتنا الدعوية و العلمية مبنية على هذا المنهج ؟

الفرق بين الوسطية الحقيقية و الوسطية التلفيقية

قال تعالى:{ وَمَن يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ} و تأويل قوله "سواء السبيل" فإنه يعني بالسواء: القصد و المنهج، و أصل السواء: الوسط، ذكر عن عيسى بن عمر النحوي أنه قال: ما زلت اكتب حتى انقطع سوائي يعني: وسطي.
و قال حسان بن ثابت: يا ويح أنصار النبي و نسله بعد المغيب في سواء الملحد يعني بالسواء: الوسط.
و العرب تقول: هو في سواء السبيل يعني في مستوى السبيل، وسواء الأرض مستواها عندهم، و أما السبيل فإنها الطريق المسبول، صرف من مسبول إلى سبيل"."الطبري"{485/1}.
فالمنهج العلمي الإسلامي يجب أن يكون مسبولا معبدا وسطيا يقود للإيمان بالخالق و عبادته، و إلا ضل عن الوسطية و الاعتدال في الأمر.
لكن الوسطية كشعار "السلفية" و "الطائفة المنصورة" و "الفرقة الناجية" و شعار "الكتاب و السنة"، و"أهل الحق" وغير ذلك كل الناس تدعيها،لكن بدون شك هي تتوقف على مدى علمك بالشريعة أحكاما وعللا وشروطا و مقاصد، فالوسطية هي وقوفك في وسط علمك ، يعني هذا يقف في بداية الخط أو بعد خطوات و الآخر في آخر الخط و كلهم يعتقد أنه في الوسط، وهو في الحقيقة لم يكذب، هو في وسط علمه لكن علمه هو الذي قصر أو زاد عن حد الوسطية الشرعية.
وهذه كلمات لابن تيمية في هذا المعنى: إذا خرج جسم الإنسان عن الاعتدال فزادت حرارته أو برودته مرض،كما أن الجسد إذا صح من مرضه قيل: قد اعتدل مزاجه،فكل ما خرج عن حد الاعتدال كان مرضا،حتى الحب و البغض و الرطوبة و اليبوسة و اللين و الشدة، وجميع الأخلاق و الصفات المتضادة أو المتقابلة.
حتى الشمس عندما تتوسط السماء،يتوسط النهار وعندما تتوسط الفلك يتوسط الجو فإذا انحرفت عن الوسطية فإما حر و إما قر.

وكذلك " مرض القلب " هو نوع فساد يحصل له يفسد به تصوره وإرادته فتصوره بالشبهات التي تعرض له حتى لا يرى الحق أو يراه على خلاف ما هو عليه وإرادته بحيث يبغض الحق النافع ويحب الباطل الضار ؛ فلهذا يفسر المرض تارة بالشك والريب . كما فسر مجاهد وقتادة قوله : { في قلوبهم مرض } أي شك .
" العدل " هو الاعتدال والاعتدال هو صلاح القلب كما أن الظلم فساده، ولهذا جميع الذنوب يكون الرجل فيها ظالما لنفسه ،والظلم خلاف العدل فلم يعدل على نفسه ؛ بل ظلمها ؛ فصلاح القلب في العدل ،وفساده في الظلم.
وإذا ظلم العبد نفسه فهو الظالم وهو المظلوم كذلك إذا عدل فهو العادل والمعدول عليه فمنه العمل وعليه تعود ثمرة العمل من خير وشر . قال تعالى : { لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت }
فمتابعة الآثار فيها الاعتدال والائتلاف والتوسط الذي هو أفضل الأمور لأن الاعتدال يستلزم إتمام الطرفين أي وضع اللين موضعه ووضع الشدة موضعها.
و التوسط يدل على القوة و المكنة ويدل على استقرار الحال بمعرفة الطرفين
الانحراف عن الوسط كثير في أكثر الأمور في أغلب الناس ، مثل تقابلهم في بعض الأفعال يتخذها بعضهم دينا واجبا أو مستحبا أو مأمورا به في الجملة . تقصير في المأمور " أو " اعتداء في المنهي " : إما من جنس الشبهات وإما من جنس الشهوات.
فأما " الأمة الوسط " : فلهم العلم والرحمة كما أخبر عن نفسه بقوله : { ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما } وقال تعالى : { ورحمتي وسعت كل شيء } وقال : { إنما إلهكم الله الذي لا إله إلا هو وسع كل شيء علما } وكذلك وصف العبد الذي لقيه موسى حيث قال : { آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما}.
والدين الوسط هو ما عليه خيار هذه الأمة قديما وحديثا والله أعلم .

كلمةُ حقٍّ يُراد بها باطل

عندما نقول تلك العبارة السلفية المشهورة : "كل يؤخذ من قوله ويترك......"، لا يجب أن نُغالط بها الناس أو أنفسنا فتصير كلمة حق يراد بها الباطل،لأن هذه القاعدة لم توضع لتبرير أخطاء العلماء، ولكن لعدم اتِّباعها ،وكذلك ليست حيلة و رخصة لترك القول الراجح لأنه يجب الأخذ بالدليل الصحيح الذي تزوَّج الدلالة و أنجب منها البنين

و البنات، وكذلك الترك بدليل طلَّق الدلالة طلاقا بائنا لا رجعة فيه .

الرد الحاسم على كتبة جريدة الشروق الجزائرية
التحذير من المد الرافضي الصفوي

وصايا لمن شاء أن يأخذ بها :
- إن كان السؤال فاسدا فلا تجب عليه.
-الغاية من السؤال كشف الحق لا العناد و التعنت و الهزل و التلاعب.
-إلزام النفس بقبول الحجة فهو أنبل لقدر الرجل، وأعون على إدراك الحق ، و سلوك سبيل الصدق
- الالتزام بمقالتك كما بدأتها وعدم إنكارها عند خوف الانقطاع لأن الانقطاع خير من المكابرة و الكذب، فكثير منا عند الشعور بالانقطاع يبدأ يغيَّر في مقالته.
- لا تتكلم، ولا تناظر، و لا تناقش في علم لا تفهمه ، أو في علم مخالفك فيه ضعيف إلا أن تكون معلما، فكلامك فيما لا تعلم مهين لك ،و كلامك مع من لا يعلم جور عليه.
- لا تورد على المخالف شبهة تعلم أنها لا ترد عليه أو لا تلزمه فهذا من الأغلوطات .
- لا تنصب نفسك في وظيفة المستدل إلا إذا كنت ممن يفيد سؤاله .
- لا تعرض في جوابك عن محل السؤال الى غيره
- لا تنتظر مطالبة المعترض بذلك فتصديه للاعتراض استدعاء للدليل.
-ليكون السؤال صحيحا مستقيما يجب أن تتوفر فيه أربع صفات:
أن يكون مفيدا مستفيدا أي فاهما لسؤاله عارفا بحقيقة مطلبه، فلا يكون غير عالم بالمسؤول عنه أي لا يسأل عما ليس من علمه.
- إن كنتَ ناقلا فالصحة وإن كنت مدعيا فالدليل.
- طلبُ الدليلِ على المقدمات نُسمِّيه"المنع".
- تدفعُ الدليلَ بدليلٍ يساويه، أو تنقضُه بالتخلُفِ، أو تُعارض بدليل الخلاف - فإما تدفَعُ بالأصلِ أو تنقضُ بالخُلف.

مما يعاب في النقاش :
تكرار الحجج التي أجيب عنها ...

الكلام بغير تأصيل واضح
إيراد ما لا يلزم المخالف .

أسباب الخطأ:
1 ـ النظر في الشبه باعتبارها نقيض الأدلة توقع في الباطل فتؤثر في حال الدليل فلا تقوم به معرفة
2 ـ إجراء الشبهة مجرى الدلالة
3 ـ الاستناد على الماضي للحكم على القادم
4 ـ لا يتم النظر ولا يكمله فيبدأ صحيحا لكن لا يستوفي النظر و التحليل

قواعد النقاش:
1 ـ تحرير المدعى (قالت النصارى ،قالت المعتزلة ،قالوا)
2 ـ توجيه المدعى (رأيناكم تقولون ، الذي دعاكم إلى هذا القول، هذا الكلام يحتمل معناه)
3 ـ التأويل (يجوز أن يكون المعنى المقصود كذا)
4 ـ العمل باللزوم (إذا قلتم كذا فيستلزم كذا)
5 ـ الرد إلى المحال (هذا ممتنع عقلا وشرعا ، هذا مخالف للضرورة ، بين الاستحالة)
6 ـ الاستفسار (أخبرونا عن هذه الألفاظ هل هي مجملة مشتركة،)
7 ـ قلب الأدلة (هذا يشهد لنا ،قولكم لنا و عليكم .)
8 ـ إعادة بناء كلام الخصم (بذكر الأوجب فالأوجب و الأقرب فالأقرب)
9 ـ إبراز الأصول (إذا لم تصح الأصول اضطربت الفروع)
التبيان و التحقق و الاستبصار و الفهم و الفقه و الفطنة و العقل و الإحاطة و الإدراك

نصيحة لطالب العلم:
كل ناظر وكل متكلم هو مدع عليه أن يتوخى الصحة و السلامة عن المعارض،ويجتنب ركوب الأسهل و الانجرار بالمشهور من الأقوال مجتنبا لخطاب

الاستقطاب و الاستمالة،مع العدل في النظر في مقالات غيره فهي متكافئة عنده متساوية في الحق و الباطل.

من لم يعرف علل مخالفيه لم تقو معرفته بحقيقة قوله ،ومتى عرفها عرف ما يفسدها،و الذي يفسدها مصحح لقوله

ـ و الباحث عن الحق يقف عند نفسه وقوف الباحث المستبصر المسترشد و ليس وقوف المقرر المتيقن،ويفصل بين اليقين و غالب الظن و الاحتجاج و التقريب (تنشيط البطال وهداية الضال)

جرد بعناوين مقالاتي في الرد على منهج الشيخ ربيع

1 ـ اختِلافُ الشَّيخِ رَبِيع (الشّيخ ربيع يقول بالموازنة!)

2 ـ إفحام الشّيخ ربيع في معنى الإلزام

3 ـ من أين استمدَّ الشّيخ ربيع منهجه؟ الأَثَرُ السَّلبِيّ لكَلماتِ التَّنفِير عَلى صِيَاغَة مَنهجِ الشَّيخِ رَبِيعٍ النَّقدِيّ

4 ـ الاعتراض الرفيع على الشيخ ربيع في مسألة التبديع بدون إقامة الحجة

5 ـ الانتِعَاش لاستِخْرَاج أخطَاء الشَّيخ رَبِيع العِلمِيَّة بِالمِنْقَاش

الوقوف على أخطاء الشَّيخ ربيع في كتاب(فتاوى الشَّيخ ربيع)

البدعَةُ المُفَسِّقَة عند الشَّيخ ربيع وإشكاليات التَّمثيل للتَّأصيل

6 ـ الرّد الضَلَيع بالعلم المَرِيع على أوهام الشّيخ ربيع

الحلقة ما قبل الأولى (تحت الصفر)!

7 ـ الرّد الضَلَيع على أوهام الشّيخ ربيع

8 ـ المُؤَامرة ...(على) أو (مِنَ) الشّيخ ربيع المدخلي ؟!

9 ـ حسم السِّجال حول مذهب الشِّيخ ربيع في الرِّجال

10 ـ شروط الشّيخ ربيع في التّبديع بين النَّظريَّة و التَّطبيق

11 ـ صِناعَة التَّبدِيع فِي زَمَن الشَّيخ رَبِيع ـ النَموذَج :وَحْدَةُ الأَديَان ـ

12 ـ عندما يصير الحقُّ مكيدة ومكرا لم يبق للشَّيخ ربيع إلاَّ الإصرار و التِّكرار.....

12 ـ فضح التّرقيع في نصيحة الشّيخ ربيع

13 ـ الرَّدُّ الضّليع على أوهام الشّيخ ربيع الحلقة الثّانية كشف الجهل الصميم بالصراط

المستقيم
14 ـ حقيقة علم الشَّيخ ربيع ونماذج حيَّة من تناقضاته
مرَّة أخرى (!)... الشَّيخ ربيع المدخلي يُصحِّح منهج " الموازنات"
15 ـ من يأبه للشيخ ربيع؟....ربما جاهل (مجنون) ! أو خاسر (مغبون)!
16 ـ القاضية في كشف أخطاء الشيخ ربيع المنهجية
17 ـ التكفير بتهمة وحدة الأديان هل هو تكفير الاعتقاد أم تكفير الشتم؟!
18 ـ منزلة الإيمان عند الشيخ ربيع مصيبة عظيمة؟!
19 ـ منزلة الإيمان في الدعوة عند الشيخ ربيع
20 ـ مناقشة أدلة الشيخ ربيع في حمل المجمل على المفصل قطعا لعذر المتحاملين
21 ـ الانتعاش لاستخراج أخطاء الشَّيخ ربيع العلميَّة بالمنقاش(4) الحلقة الرابعة أخطاء الشيخ ربيع في مجالسة المبتدع
22 ـ الانتعاش لاستخراج أخطاء الشَّيخ ربيع العلميَّة بالمنقاش(2) الحلقة الثانيَّة ضوابط الخروج من السُّنَّة عند الشَّيخ ربيع
23 ـ الانتعاش لاستخراج أخطاء الشَّيخ ربيع العلميَّة بالمنقاش(3)الحلقة الثالثةخلط الشيخ ربيع في مسألة الموازنة
24 ـ الحافر على الحافر ربيع خلف الحداد
25 ـ فيصل التفرقة بين منهج الشَّيخ الألبانيِّ السَّلفيِّ ومنهج الشَّيخ ربيع المدخليِّ (الخلفيِّ
26 ـ ذم الغلاة أشباه القضاة بعدم التفريق بين جرح العلماء و جرح الرواة.
27 ـ انهاء المداولة على مسألة الجرح للعداوة.
28 ـ المنهج المنير في قاعدة الهجر و التحذير فيه كل الردود على الظفيري 11 رسالة.
29 ـ فيصل التفرقة العلمية بين السلفية السنية و السلفية البدعية

30 ـ مخاطر الغلو في استخدام شعار "السلفية"
31 ـ ايثار الإنصاف على التحامل في الخلاف.
وهناك أزيد من 20رسالة كلها في رد منهج الشيخ ربيع و 17 رسالة في الرد على

العتيبي و 07 في الرد على بازمول و 02 في الرد على علي رضا و 04 في الرد على الجابري و01 في الرد على الصومالي و الحجوري و 11 في الرد على أتباعه في الجزائر ...

فائدة معرفة تاريخ المقالات:

من أفضل كتب شيخ الإسلام ابن تيمية لطالب العلم المبتديء كتابه" الفرقان بين الحق و الباطل" ، فهذا كتاب يؤرخ للمقالات الإسلامية الكبرى فيذكر سبب ظهورها وهذا أهم شيء يجب أن يعرفه طالب العلم لأن معرفة سبب ظهور البدعة هو العلاج لها .

وفي هذه الكتاب الذي يقول بعض الناس أنه آخر كتبه وضع ابن تيمية خلاصة علمه و تجربته ومعرفته بالفرق و المقالات مؤصلا سبب ظهورها فمن يطالعه يفهم كثيرا من الأصول البدعية و سبب نشأتها ثم كيف دخلت على الناس و انتشرت فيذكر رحمه الله سبب الضلال ،وهذا أهم ما في هذا الباب.

وهذا نمودج من كتابه الآخر، قال شيخ الإسلام في (الدرء){3.9/2}: ((وقد رأيت من أتباع الأئمة أبي حنيفة و مالك و الشافعي و احمد و غيرهم من يقول أقوالا و يكفر من خالفها و تكون الأقوال المخالفة هي أقوال أئمتهم بعينها، كما أنهم كثيرا ما ينكرون أقوالا و يكفرون من يقولها و تكون منصوصة عن النبي صلى الله عليه و سلم لكثرة ما وقع من الاشتباه و الاضطراب في هذا الباب، ولئن شبه الجهمية النفاة أثرت في قلوب كثير من الناس حتى صار الحق الذي جاء به الرسول وهو المطابق للمعقول لا يخطر ببالهم ولا يتصورونه، وصار في لوازم ذلك من العلم الدقيق مالا يفهمه كثير من الناس، والمعنى المفهوم يعبر عنه بعبارات فيها إجمال و إبهام يقع بسببها نزاع و خصام ، والله تعالى يغفر لجميع المؤمنين و المؤمنات ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رءوف رحيم.))

حل شبهة لغلاة التجريح:

ـ بعض الناس يذم بحرف و يمدح بحرف لم يتمرس بعد على قواعد أهل العلم ،ما إن يظفر بشيء يعتقد أنه يخدم غرضه حتى تصدر عنه الأحكام متنوعة الأوصاف ،فما

يراه غلاة التجريح تهوينا من الخلاف مع أهل البدع هو في الحقيقة تخفيف من البغي على أهل البدع.
وما يراه توجعا عليهم هو توجع على حقوق المسلمين التي أهدرها فلاة التبديع بحجة أنهم مبتدعة.
وما يرونه طعنا في العلماء المخالفين أي الشيخ ربيع و أتباعه هو نصيحة لهم و نقد وتوجيه حماية للشريعة من غلوهم و سوء فهم وبغيهم على المسلمين.

تنزيه كلام سيِّد ولد عدنان من فُحش رسلان

، هيا بنا نُعلِّم رسلان الفرق بين فُحشه وقول النَّبيِّ فَأَعِضُّوهُ بهن أَبِيهِ

بسم الله الرَّحمن الرَّحيم

الحمد لله وحده، و الصَّلاة و السَّلام على من لا نبيَّ بعده.
أمَّا بعد؛ فنعيق الغربان أدلُّ على معنى ما في عقلها من كلام الدكتور رسلان.
و منذ بلغني كلامه فإنَّ السُّخرية ـ بمعنى الاستحقار و الاستهانة و التَّنبيه على عيوبه وبيان بُعده عن محجة العلماء ـ منه تراودني للطَّبيعة الآدميَّة، وفي بالي كلامٌ لو قلته له يمرض ويلازم الفراش، لكن قد جعلنا الله في منصبٍ لا نملك فيه حرية التَّفوُّه بالقاذورات أو سبِّ النَّاس،ثمَّ نتعلَّل بأنَّ الغضب تملَّكنا وكما قال أحد كتبة الإنجيل: نحن سفراء الرَّبِّ فلنظهر للنَّاس وجوهًا بسَّامة .
فنحن قدوة ،من يستمع أو يقرأ لنا يتعلَّم حسن الخلق، وسعة الخاطر، وسلامة الصدر، ثمَّ الكلام بعلم نافع وحجَّة صحيحة، و لأنَّنا لسنا مثله علمًا وحالا فإنَّ الَّذي يهمُّني بالدَّرجة الأولى هو تنزيه الشَّريعة من جهل المنتسبين لها، و تقرير الحقِّ الَّذي يلزم جميع المسلمين، أمَّا أعراضنا فقد وهبناها للمسلمين، وجميع الدُّعاة إلى الله بحقٍّ في منزلة رفيعة و إن أصابتهم الوضيعة.
وهنا الفرق بين أمثال الدكتور رسلان ممَّن يُعظِّم نفسه و يسعى في حظِّها فإن نصحه ناصحٌ أخذته العزَّة بالإثم ففجر في الخصومة، وبين الدُّعاة بحقٍّ الَّذين يُعظِّمون أمر الله في كلِّ شيء، و كلامهم دائما لتكون كلمة الله هي العليا، و ليطاع فلا يعصى ،و

ليكون الدِّين كلُّه لله، فلا يخرج كلامهم عن هذا القصد في غضب أو رضا.
لقد قلتُ في مقالي " وقفة مع الشَّيخ المفبرك رسلان" أنَّ هذا الرَّجل جاهل و فحَّاش،لا يصلح لمنصب الدَّعوة و التَّعليم ، و اليوم سأؤكد على ذلك بما تفوَّه به ، و إن كنتُ سأعرض عن كلِّ ما لا علاقة له بالعلم، و تقرير أحكام الشَّريعة كالسَّبِّ و الكذب ،و التَّقوُّل على النَّاس بالبهتان، و اكتفي ببيان جهله في مسألة واحدة أراد من خلالها أن يستحلَّ لنفسه الشَّتم و التَّفحُّش محتجًّا بحديث صحيح في غير موضعه كما هو صنيع الجهَّال، وغرضه في النِّهاية هو أن يقول لنا: الفحش و التَّفحُّش أمر مشروع، أمرت به الشَّريعة ،و ليس كما فهمتم أنَّ الله لا يحبُّ الفحش و التَّفحُّش!، فأقول:
إنَّ من أفسد الدُّعاة و أجهلهم و أفجرهم و أخطرهم على المسلمين من يحتجُّ لما هو فجور، و نقصان فيه بنصِّ الكتاب و السُّنَّة بكلمات للنَّبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم لم يفهما، فمِن حيث أراد تبرير فحشه و سوء خلقه نسب النَّقص و الانتقاص إلى خير البشر سيِّد ولد آدم، و أحسنهم خلقا ،لأنَّ ما لا يجوز أن يُقاس عليه ما لا يجمعه به علَّة صحيحة، وما يخرج عن إطاره الشَّرعيِّ و حدِّه الفطريِّ فيه انتقاص من هيبته صلَّى الله عليه وسلَّم في نفوس المسلمين، ومن انتقص النَّبيَّ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ولو من غير شعور منه ـ انتكس فتنزيه النَّبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم من كلِّ ما لا ينبغي مع مقام النُّبوة واجبٌ على كلِّ مسلم.
وهذا مثل من يعمل في مهنة حقيرة فيحتج لحقارتها و ليس لإباحتها بأنَّ النَّبيَّ صلَّى الله عليه وسلَّم كان يرعى الغنم،فتنزيه النَّبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم من العبارات الَّتي توهم نقصا واجب، فما بالك بأن ننسب له الفحش و التَّفحُّش؟
وقد نهانا الله تعالى عن الخلق النَّاقص و أشدّ منه نهانا عن قبول قول من يأمر بالخلق النَّاقص لأنَّه أبلغ في الزَّجر من النَّهي عن التَّخلُّق به، فحيث قال: (و لا تطع) فإنَّ النَّهي أبلغ .
فعندما يحتجُّ الدكتور رسلان على فحشه و تفحُّشه و سبِّه العلماء و الدُّعاة ،ووصفه النَّاس بالقردة و الاستهزاء بخلقتهم بقول النَّبيِّ صلَّى الله عليه و سلَّم :
((مَنْ تَعَزَّى بِعَزَاءِ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَعِضُّوهُ بهن أَبِيهِ وَلَا تَكْنُوا فَسَمِعَ أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ رَجُلًا يَقُولُ: يَا لِفُلَانٍ فَقَالَ: اعْضَضْ أَيْرَ أَبِيك فَقَالَ: يَا أَبَا الْمُنْذِرِ؛ مَا كُنْت فَاحِشًا. فَقَالَ بِهَذَا أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)) ،فإنَّه يزعم أنَّ النَّبيَّ صلَّى الله عليه وسلَّم أمره

بذلك، فيكون النَّبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم يأمر بالفحش و التَّفحُّش و الاستهزاء بالنَّاس بخلقتهم !
لأنَّه لو لم يفعل الدكتور رسلان فعل فجَّار أهل الأهواء من الغرق في القياس مع الفارق الشَّديد، و احتجَّ بهذا النَّصِّ على من تعزى بعزاء الجاهلية فأجابه بهذه العبارة لما كان عليه استدراك، ولكنَّه احتجَّ به على سوء الخلق، وعلى شتم النَّاس، و الاستهزاء بخلق الله، وما بين دلالة هذا النَّصِّ و بين صنيع رسلان كما بين النُّور و الظَّلام.
وعليه أقول: هذا الاستدلال فيه استخفاف بدلالة النَّصِّ، و اجتراء على القياس الباطل، و سفاهة تنقص من حرمة النَّصِّ تجعل الإسلام دين التَّفحُّش، فهو بصورة أم بأخرى طعن في الأخلاق الَّتي وصى بها النَّبيُّ صلَّى الله عليه و سلَّم، لأنَّنا عرفنا يقينًا من القرآن و السُّنَّة و باتِّفاق المسلمين بل هو من المعلوم من الدِّين بالضَّرورة أنَّ النَّبيَّ صلَّى الله عليه وسلَّم كان يأمر بالخلق الحسن، و ينهى عن التَّفحُّش ،فهذا هو الأصل العامُّ، فعن أبي عبد الله الجدلي قال: ((سَمِعْتُ عَائِشَةَ، وَسَأَلَهَا عَنْ خُلُقِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَتْ: " لَمْ يَكُنْ فَاحِشًا وَلَا مُتَفَحِّشًا، وَلَا سَخَّابًا فِي الْأَسْوَاقِ، وَلَا يَجْزِي بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَصْفَحُ، أَوْ يَغْفِرُ)) شَكَّ أبو داود.
وفي الصَّحيحين عن عبد الله بن عمرو: ((لَمْ يَكُنْ فَاحِشًا وَلَا مُتَفَحِّشًا))
وممَّا لا شكَّ فيه أن الإسلام قد حثَّ على الحياء حتَّى قال أبو سعيد الخدريُّ ـ رضي الله عنه: ((كانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَشَدَّ حَيَاءً مِنَ الْعَذْرَاءِ فِي خِدْرِهَا، فَإِذَا رَأَى شَيْئًا يَكْرَهُهُ عَرَفْنَاهُ فِي وَجْهِهِ)). رواه البخاري ومسلم ، و النُّصوص في الباب كثيرة جدًّا.
قال ابن القيِّم في (زاد المعاد):
((كَانَ يَتَخَيَّرُ فِي خِطَابِهِ وَيَخْتَارُ لِأُمَّتِهِ أَحْسَنَ الْأَلْفَاظِ وَأَجْمَلَهَا، وَأَلْطَفَهَا، وَأَبْعَدَهَا مِنْ أَلْفَاظِ أَهْلِ الْجَفَاءِ وَالْغِلْظَةِ وَالْفُحْشِ، فَلَمْ يَكُنْ فَاحِشًا وَلَا مُتَفَحِّشًا وَلَا صَخَّابًا وَلَا فَظًّا.))
ومن هنا كان استدلال الدكتور رسلان بهذا الحديث على فحش لسانه و قذارته مفسدًا للدِّين و الأخلاق ،وفي غير محلِّه من عدَّة أوجه:
1 ـ من يتتبَّع خطب الدكتور رسلان يجد السَّبَّ و الشَّتم و الاستهزاء هو الغالب عليه، ولا يقاس النَّادر على الغالب.

2 ـ المواضيع الَّتي تدفعه للتَّفحُّش ليست التَّعزي بعزاء الجاهلية ،و لكن الخلاف حول مسائل علميَّة ظنِّيَّة، و أحيانا مسائل دنيويَّة محضة تافهة .

3 ـ الأصل العامُّ الَّذي أمر به الله تعالى و رسله هو حسن الخلق و تحريم التَّفحُّش، و هذا الحديث استثناء إمَّا ننزله في الحالة المنصوصة فيها فقط، و هي علَّة الحكم ، فيبقى الأصل العامُّ محفوظا ، وهذا النَّصُّ معمولا به في موضعه المنصوص.

و إمَّا نعمِّم هذا الاستثناء كما يصنع الدكتور رسلان، فنهدر الأصل العامَّ بآياته و أحاديثه الصَّحيحة الكثيرة المتواترة ،ونهمل دلالة القرآن العقليَّة و السَّمعيَّة عليه ،و نحدث دينًا جديدا !

4 ـ هذا النَّصُّ لم يجعل هذه العبارة " اعْضَضْ أَيْرَ أَبِيك " من طيِّب الكلام، بل يؤكد أنَّها من الفحش ،و الدَّليل قول الرَّجل لأبي :" يَا أَبَا الْمُنْذِرِ؛ مَا كُنْت فَاحِشًا " فهي فحش في لغة العرب، وهذا لا يحتاج إلى دليل، وقد وجَّهها العلماء عدَّة توجيهات.

فعند علماء الإسلام ـ و ليس عند الجهلة ـ الشَّارع لا يهمل بيِّنةً و دلالة تحفظ الأصل العامَّ الَّذي ظهر لكلِّ أحد، فتحول دون أن يظنَّ الجهال أنَّ الإسلام يُبيح الفحش و التَّفحش فالنَّاس على اختيارهم في التَّفحُّش حتَّى تُمكِّن للفاجر الظَّالم منهم ظلمه وفجوره يفعل في النَّاس ما يريد ،ويقول: ليس عليَّ حرجٌ فقد أجاز لنا النَّبيُّ صلَّى الله عليه و سلَّم التَّفحُّش بسبِّ النَّاس بفروج آبائهم و أمَّهاتهم !

فهذه حالات خاصَّة أجاز فيها الشَّارع مثل هذه العبارة لأنَّ انتن شيء و أخطره دعوى الجاهليَّة فصرَّحوا بآلة أبيه الَّتي كانت سببا في وجوده تأديبًا له على هذه الجريمة النتنة في حقِّ البشرية ألا وهي التَّعزي بعزاء الجاهليَّة من العصبية للجنس و القبيلة ، فهذا تأديب قوي على ذنب كبير هو التَّكبُّر بالأنساب.

ومن باب التَّنزُّل مع الدكتور رسلان فإنَّ البذاء جائز على من يستحقُّ ذلك،وليس على أهل العلم و الدُّعاة، و النصوص بيَّنت مواضعه فما بال من يبدأ النَّاس به؟

بل قد قال السَّرخسيُّ في (شرح السير الكبير)(1/90): أراد به و الله أعلم أن امنعوه عن ذلك ولا تذكروه بسوءٍ.

قال العلماء كما نقل عنهم ابن تيميَّة في (منهاج السُّنَّة): يجوز التَّصريح باسم العورة للحاجة والمصلحة.

فنقول: هل من المصلحة أن يتفحَّش الدُّعاة و الوعَّاظ و الخطباء؟

وأين المصلحة في التَّفحُّش في الخلافات العلميَّة؟
و أين المصلحة وهي استثنائية في كلام رجل كلّه تفحُّش؟
لا يجوز القياس عليه.
ومع هذا كلِّه نقول للدكتور رسلان :إنَّ النَّبيَّ صلَّى الله عليه وسلَّم كنَّى في هذا الحديث ولم يصرِّح، لأنَّ كلمة "هن" نفسها كناية عن الفرج، وليست تصريحا باسمه، فقد قال ابن الأثير في (النِّهاية):" والهن بالتَّخفيف والتَّشديد كناية عن الشَّيء ،لا تذكره باسمه".
وحتَّى هذه الكلمة"أَيْر" تستعمل لغير الفرج كما في كتب اللُّغة و الأدب فتستعمل بهذا الوزن وغيره "إِيْرٌ، أَيِّرٌ" دلالة على ريح الصِّبا،وكذلك للسَّماء "إِيرٌ، وأَيْرٌ، وأَيِّرٌ، وأَوُورٌ" ،ومثل هذه العبارات المشتركة في الاستعمال لا يكون الحياء بها كالمختصَّة بمعنى واحد.
و نحن قد نتحدَّث عن الجماع فنقول : الجماع ،و المعاشرة ،و الفراش و غير ذلك ، وهناك عبارات نجتنبها لأنَّها قبيحة في لغتنا ،و بها يتفحَّش النَّاس ،وكذلك الفروج نتكلَّم عنها بعبارات لا حياء منها، ولكنَّنا نجتنب أخرى وهي الَّتي يستعملها النَّاس عند السَّبِّ.
5- وهذه التَّوجيهات تخبرنا أنَّه لا يجوز القياس على هذا النَّصِّ في غير علَّته فإنَّ النَّبيَّ صلَّى الله عليه وسلَّم لم يأمر أحدا بمثل هذا الكلام إلاَّ في التَّعزي بعزاء الجاهليَّة، و نقله إلى غيره تقوُّل عليه ، و لم نعلم عالما احتجَّ به في غير هذا، ولا وجدنا في كلامهم مثل هذه العبارات، فمن اليقين الضَّروريِّ لو كان الأمر كما لبَّس الدكتور رسلان لوجدناه في كتب أهل العلم، ولم يأت عن النَّبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم إلاَّ هذا الحديث، و لا اشتهر الصَّحابة و العلماء بمثل هذا القول في خصوماتهم، ولا نعرف أنَّ العلماء عملوا به في نزاعتهم ،ولا يُهمل الأئمَّة مثل هذا المباح لو كان مشروعا في غير موضعه من النُّصوص.
فما خُصَّت به تلك الأسباب لا يقاس بها غيرها،فما علمنا علَّته وعلمنا انتفاء الفارق ألحقنا به ما شاركه في العلَّة و إلاَّ فلا يجوز القياس سواء كان على وفق القياس أو خلافه.
كما لا يلزم أن ما حسن وقبح من بعض الأشخاص أو في بعض المواطن يحسن ويقبح

من غيرهم ،وفي كلِّ المواطن لاختلاف الأعراف و تغيُّر اللُّغات، فبعض العبارات في الشَّرق عيب وفي الغرب حسنٌ.

6 ـ ولهذا قال خبراء اللُّغة :كثير ما ينال معنى الكلمة نفسه تغييرا أو تحريفا عند انتقالها من عصر إلى عصر،أو من منطقة إلى منطقة فقد يخصَّص معناها العامّ, أويقصر على بعض ما يدلُّ عليه، وقد يعمَّم مدلولها الخاصّ، وقد تستعمل في غير ما وضعت له لعلاقة ما بين المعنيين، وقد تختلط إلى درجة وضيعة في الاستعمال؛ فتصبح من فحش الكلام وهجره، وقد تسمو إلى منزلة راقية فتعتبر من نبيل القول ومصطفاه.

فقوله صلى الله عليه و سلم :" من تعزى بعزاء الجاهليَّة" لم ترد لها أخت في كلِّ النُّصوص المرفوعة فيجب علينا في مثل هذه الحال أن لا نهمل هذا الموضع و أنَّه محلُّ التَّحليل و التَّحريم فالاعتبار بالحقائق الشَّرعيَّة وليس بالأقيسة الباطلة.

وفي الأخير أقول كما قال العلماء قبلي: رسول صلَّى الله عليه وسلَّم أكمل البشر في جميع أحواله فما تركه من القول والفعل فتركه أكمل من فعله، وما فعله ففعله أكمل من تركه،وما فعله لحاجة لا يجوز فعله لغير تلك الحاجة إلاَّ أن يرد دليل التَّعميم،و إذا وصَّانا بحسن الخلق، وترك التَّفحُّش إلاَّ في موضع لا يجوز لنا تجاوز ذاك الموضع فإنَّ العموم هنا محفوظ، وكلُّ استثناء يخرج عن موضعه يبطل أصلا من أصول الإسلام فهو استثناء باطل فما بلك إن كان يتضمَّن انتقاص أخلاق النَّبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم، فحيث أجازت لنا الشَّريعة الرَّدَّ بالمثل ، لا يجوز لنا في غيرها من حالات ، ومن عمَّم خاصًّا لتبرير شرّ نفسه و سوء خلقه فهو أسوء من الجهَّال، و علمه بهذا النَّصِّ نقمة عليه، وعلى من يستمع إليه.

و لا أظنُّ أنَّه يستمع لهذا الرَّجل شخص عنده عقل صحيح و نفس سويَّة، فإنَّه قد تعدَّى بهذا الاستدلال الشَّريعة تعدِّيا فاحشًا ،و غلطا على النَّبيِّ صلَّى الله عليه و سلَّم غلطا قبيحا، وهذا الاستدلال من جنس التَّبجُّح بتبرير معصية سوء الخلق، فالرَّجل فاحش بذي يحذر منه النَّاس و يتَّقون شرَّه ،وما كان هذا حال النَّبيِّ صلَّى الله عليه و سلَّم،ولا حال علماء المسلمين.

كيف وهو صلَّى الله عليه و سلَّم القائل: ((إِنَّمَا بُعِثْت لِأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ))،((أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا))

قال ابن تيميَّة في (مجموع الفتاوى): ((رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِي والطَّبَرَانِي مِنْ حَدِيثِ أَسْمَاءِ بِنْتِ عميس قَالَتْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ((بِئْسَ الْعَبْدُ عَبْدٌ تَخَيَّلَ وَاخْتَالَ وَنَسِيَ الْكَبِيرَ الْمُتَعَالَّ، بِئْسَ الْعَبْدُ عَبْدٌ تَجَبَّرَ وَاعْتَدَى وَنَسِيَ الْجَبَّارَ الْأَعْلَى بِئْسَ الْعَبْدُ عَبْدٌ سهى ولهى وَنَسِيَ الْمَقَابِرَ وَالْبِلَى بِئْسَ الْعَبْدُ عَبْدٌ بَغَى وَاعْتَدَى وَنَسِيَ الْمَبْدَأَ وَالْمُنْتَهَى بِئْسَ الْعَبْدُ عَبْدٌ يَخْتِلُ الدُّنْيَا بِالدِّينِ، بِئْسَ الْعَبْدُ عَبْدٌ يَخْتِلُ الدِّينَ بِالشُّبُهَاتِ، بِئْسَ الْعَبْدُ عَبْدٌ رَغَبٌ يُذِلُّهُ وَيُزِيلُهُ عَنْ الْحَقِّ، بِئْسَ الْعَبْدُ عَبْدٌ طَمَعٌ يَقُودُهُ، بِئْسَ الْعَبْدُ عَبْدٌ هَوَى يُضِلُّهُ))قَالَ التِّرْمِذِيُّ غَرِيبٌ. وَفِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ الْمُتَقَدِّمِ مَا يُقَوِّيهِ.))

وهذا الاستدلال الباطل من المخاصمة في الباطل بالباطل وهو يعلم أنَّه ليس بحقٍّ.

و في القادم ما يكشف عظيم جهله.

أرزيو/ الجزائر في،01/02/2014م

مختار الأخضر طيباوي

شبهة وحلها وقيسوا عليها جميع تهم غلاة التجريح متحزب، إخواني...الخ :الجزأرة

الحمد لله وحده، و الصلاة و السلام على من لا نبيَّ بعده.

أما بعد؛ فقد نشأ بعض الشباب السلفي على منهج بدعي أصله لهم بعض الدعاة : " من لا يوافقك فارمه بتهمة " و الفرق بين أهل العلم و العوام في اتهام الناس هو التدليل و التأصيل .

ومن عجيب ما سمعت مؤخرا " التهمة بالجزأرة" لأن المتهم يلبس اللباس الجزائري، و يراعي الأعراف الجزائرية التي لا تصدم الشريعة، فقد نام في ذهن هذا الشباب أن السلفي هو الذي يضع خمارا أو شماخا ،و يلبس لباس المشرقيين، و الجزأري هو الذي يلبس لباس المغاربة و يتحدث عن هموم و أحوال بلده، فالسلفي ـ في عرفهم ـ يتكلم عن المشاكل الاجتماعية في السعودية ،و الجزأري يتكلم عن المشاكل الاجتماعية في الجزائر (؟!)

و الإسلام دين واحد لا يتجزأ، ولا يتبعض، ولا يختلف من بلد إلى آخر، بل الحلال ما أحله الله، و الحرام ما حرمه الله، لكن اختلاف الواقع و العادات حتى قال الفقهاء"

العادة محكمة" موجود ومعتبر في الشريعة ،واعتبار اختلاف الثقافات و الأعراف و الأحوال في تنزيل حكم الشريعة هو من الشريعة، ولا علاقة له بالجزأرة.
ولذلك يقول ابن تيمية ـ رحمه الله ـ في (مجموع الفتاوى) السنة أن تلبس لباس بلدك و أن تأكل طعام أهل بلدك و أن تركب مراكب بلدك.

نهي الطَّالح عن التَّمسُّح بالسَّلف الصَّالح

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله وحده، و الصلاة و السلام على من لا نبي بعده.
أمَّا بعد، فقد زعم الدكتور رسلان في خطبته بالأمس أنَّ السَّلف كانوا أشداء على المبتدعة ،وهذا في الحقيقة ظنُّ كلِّ غلاة التَّجريح يخلطون بين الإسلام و الموسوية، قال شيخ الإسلام ابن تيمية في (الجواب الصحيح)(2/79): ((إِنَّ شَرِيعَةَ التَّوْرَاةِ تَغْلِبُ عَلَيْهَا الشِّدَّةُ، وَشَرِيعَةَ الْإِنْجِيلِ يَغْلِبُ عَلَيْهَا اللِّينُ، وَشَرِيعَةَ الْقُرْآنِ مُعْتَدِلَةٌ جَامِعَةٌ بَيْنَ هَذَا وَهَذَا، كَمَا قَالَ - تَعَالَى -: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا} [البقرة: 143] .
وَقَالَ فِي وَصْفِ أُمَّتِهِ:{مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ} [الفتح: 29] وَقَالَ - أَيْضًا -:{فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ} [المائدة: 54] . فَوَصَفَهُمْ بِالرَّحْمَةِ لِلْمُؤْمِنِينَ، وَالذِّلَّةِ لَهُمْ، وَالشِّدَّةِ عَلَى الْكُفَّارِ وَالْعِزَّةِ عَلَيْهِمْ.
وَكَذَلِكَ كَانَ صِفَةُ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - نَبِيِّهِمْ، أَكْمَلِ النَّبِيِّينَ وَأَفْضَلِ الرُّسُلِ؛ بِحَيْثُ قَالَ: ((أَنَا مُحَمَّدٌ وَأَنَا أَحْمَدُ، وَأَنَا نَبِيُّ الرَّحْمَةِ، وَأَنَا نَبِيُّ الْمَلْحَمَةِ، وَأَنَا نَبِيُّ التَّوْبَةِ، وَأَنَا الضَّحُوكُ الْقَتَّالُ)) وَهَذَا أَكْمَلُ مِمَّنْ نُعِتَ بِالشِّدَّةِ وَالْبَأْسِ غَالِبًا، أَوْ بِاللِّينِ غَالِبًا، وَقَدْ قِيلَ بِسَبَبِ ذَلِكَ: أَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ نُفُوسُهُمْ قَدْ ذُلَّتْ لِقَهْرِ فِرْعَوْنَ لَهُمْ وَاسْتِعْبَادِ فِرْعَوْنَ لَهُمْ، فَشُرِعَتْ لَهُمُ الشِّدَّةُ لِتَقْوَى أَنْفُسُهُمْ وَيَزُولَ عَنْهُمْ ذَلِكَ الذُّلُّ..))
من المعلوم البديهي من أصول أهل السنة و الجماعة أن المسلم في أحكامه و أقضيته و محاورته و مناظراته يجب أن يعود أولا إلى الكتاب و السنة و الإجماع، ثم يستشهد بكلام أهل العلم، أما الرجوع إلى كلام بعض السلف دون جميعهم، وعلى حساب نصوص الكتاب و السنة فليس هو من أصول

أهل السنة و الجماعة في شيء، ولذلك يتناظر أهل السنة بالكتاب و السنة و الإجماع، ولا يتناظرون بأسماء الرجال.
وإذا عدنا إلى الكتاب و السنة و الإجماع عرفنا الأصول وعرفنا الاستثناء، عرفنا العموم وعرفنا الخاص، عرفنا الناسخ و عرفنا المنسوخ، عرفنا المحكم و عرفنا المتشابه
وفي هذه المسألة المتعلقة بأسلوب الدعوة سنرى من خلال هذا البحث حث القرآن و السنة على اللين و الرفق و المداراة، و أن الشدة و الغلظة استثناء له موضعه، و لكن ليس هو القاعدة العامة، ولا الأصل الجامع.
كذلك يجب على المسلم أن ينتبه إلى شيئين مهمين جدا هما:
1 ـ لقد أمر الله في كتابه بالحكمة و الموعظة الحسنة و بالجدال بالتي هي أحسن:{ادعوا إلى سبيل ربك بالحكمة و الموعظة الحسنة و جادلهم بالتي هي أحسن}، وليس في واحدة من هذه الثلاثة الشدة و الغلظة، بل كلها تدل على اللين و الرفق و المداراة و الرحمة.
2 ـ هذا يقتضي أن الناس ثلاثة أصناف: العلماء العقلاء الذين تكون دعوتهم بالحكمة و العلم و الحوار الهاديء و تبليغ الحجة
و الصنف الثاني: أصحاب القلوب الطيبة المتذكرة، الذين أبعدهم الجهل أو الغفلة عن طريق الله، فهؤلاء يتم دعوتهم بالموعظة الحسنة التي هي التذكير بالترغيب و الترهيب و الوعظ و القصص.
و الصنف الثالث: هو من عنده شبهة و نوع علم أو جهل مركب، فهؤلاء يتم دعوتهم بالمجادلة بالتي هي أحسن، بنقض قواعدهم، و بيان عوار مذهبهم، و قرع الحجة بالحجة.
فلا الناس كلهم يحتاجون إلى الحكمة، و لا الناس كلهم يحتاجون إلى الموعظة، ولا الناس كلهم يحتاجون على الجدال بالتي هي أحسن، و إن كان الغالب منهم بحاجة إلى الوعظ لأن الغالب هم العوام.
وهذه الحقيقة تقودنا إلى نتيجة هامة جدا: وهي أن من التزم أسلوب النقض و الرد و الجدال وحده، فلا شك أن قسما كبيرا من الناس لن يقبل على علمه، فإما يُنوِع في خطابه للناس، و إما يترك القائمين بالخطابات الأخرى يقومون بدورهم، ولا يعكر

عليهم مالم يكونوا دعاة إلى ضلالة.
فليس كل الناس يخالف الحق لسوء القصد و سوء النية، ولا كلهم يخالفه لفساد التصور و عدم العلم، فلا يجب أن يخلط بين الأمرين.
أن السلف كانوا يعتمدون على اللين و المدارة و يجعلون الشدة في موضعها شدة العالم في دين الله، في العلم و الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر كشدة المقاتل في سبيل الله، لا يقضي شيئا إذا كان رخوا، وهي في السياق العام لمنهج أهل السنة من باب العقوبات، والعقوبة لا تكون أبدا باللين وخفظ الجانب و غير ذلك.
و هذه الشدة معروفة عن أئمة السنة في كل العصور خاصة العصور الأولى، و لكن تنزيل عصر مالك على هذا العصر دون اعتبار الفوارق الموجودة يفوت المقاصد الشرعية لتفاوت العصرين، فالعمل بمنهج أهل السنة في عصر مالك بتمامه يمكن إذا كان دين الحق منتشرا مهيمنا في هذا العصر كما كان في عصر مالك
لاشك أننا نسعى جاهدين بكل ما نملك من قوى أن نعيد الأمة في جميع المجالات إلى ما كانت عليه زمن مالك، فلا يجب حينئذ أن نعزل الأحكام عن أسبابها، و نأخذ بالحكم دون أن يتحقق موجبه في زمن مالك.
فدور مالك، و أحمد، و الشافعي، و قبلهم الزهري، و سعيد بن المسيب، و الحسن البصري و غيرهم كان حفظ السنة بتعلمها و تعليمها و استنباط الأحكام منها، وحفظها بخلاف دور العلماء اليوم الذي يكاد يقتصر على وجوب التعريف بالسنة و نشرها، فحفظ عقائد المسلمين و منهجهم غير محاولة نشر هذه العقيدة و هذا المنهج بينهم، و قد أخذوا في عقيدة أخرى، و المعلم لا يمتحن طلبته حتى يعلمهم الدرس، أما أن يبدأهم بالامتحان ولم يعلمهم الدرس بعد فهذا لا يعقل.
و إذ قد يقال: من بلاد المسلمين ما السنة فيها قوية معروفة ظاهرة، قلت: ففي هذه البلدان يجب هجر المبتدعة و معاقبتهم وترك مخاطبتهم و الشدة عليهم و غير ذلك لحفظ السنة و حماية الناس من البدعة، على فرض وجود مثل هذا البلد، أما إذا كان في هذا البلد المبتدعة يدرسون ويفتون و يعلمون، ولهم مكانة، ولا يلتفت إلى السني إذا خالفهم، و هذا هو الواقع فالواجب المجابهة و الدعوة.
و إذا تتبعنا ما ينقله الإخوة عن شدة العلماء، علماء السنة على المبتدعة، وهي نقول صحيحة يمكن توجيها مع ما يتماشى و الأصل العام الذي بيَّناه، فعبد الله بن أبي

حسان اليحصبي، كما قال عنه ابن فرحون كان: "جواد مفوها قويا على المناظرة ذابا عن السنة"، و الدار مي" أظهر السنة ببلده و دعا إليها، و ذب عن حريمها، و قمع مخالفها[بالحجة و البرهان]" كما قال عنه ابن حبان، و:"لهجا بالسنة بصيرا بالمناظرة جذعا في أعين المبتدعة" كما قال عنه الذهبي، فهذا يعني أنهم كانوا أشداء على المبتدعة بتتبع زلاتهم و مناظرتهم بالعلم حتى يضيق عليهم البلد، و ينكشف حالهم للناس.

فمثل هؤلاء الأئمة كان همهم الأكبر تتبع المبتدعة و الرد عليهم، و مناظرتهم، وكشف شبهاتهم حتى يتعروا أمام المسلمين، و هذه الطريقة الناجعة لحفظ السنة و قمع البدعة و المبتدعة، فإن المبتدع إذا كشفت شبهاته و ثابرت على ذلك، و أكدت عليها حتى تصير معروفة عند المسلمين ثم حذرت منه اتبعك الناس على دلك، فإن المبتدع كلما ناظرته و كشفت شبهاته كلما ضعف و قل صيته، أما إذا تركته على ماهو عليه حرا، يدعو إلى بدعته و يفعل ما يشاء، يكتب و يسجل و يحاضر، و لا أحد يرد عليه، فقد كفيته [شرك] و أعانته من حيث لا تدري على نشر بدعته.

قال شيخ الإسلام في " المنهاج"{239/5}، مبينا القصد من التغليظ في ذم البدعة:" الرد على أهل البدع من الرافضة و غيرهم إن لم يقصد فيه بيان الحق و هدى الخلق و رحمتهم و الإحسان إليهم لم يكن عمله صالحا، و إذا غلظ في ذم بدعة و معصية كان قصده بيان ما فيها من الفساد ليحذرها العباد كما في نصوص الوعيد وغيرها، و قد يهجر الرجل عقوبة و تعزيرا و المقصود ردعه و ردع أمثاله للرحمة و الإحسان لا للتشفي و الانتقام."

فيجب أن نفهم ما معنى الشدة على المبتدعة، و أنها قد تتناول الشدة في اللفظ في مواضع، ولكن ليس ذاك هو المقصد الكبير، بل المناظرة، و الرد، و الكشف، و التتبع، وتكرار ذلك حتى تضيق عليه الأرض و يصير معروفا مشهورا بها هو الشدة النافعة، كما فعل الشافعي مع غيلان القدري، و حفص الفرد، و فعل أحمد مع الجهمية، و عبد العزيز الكناني، و نصر الخز اعي، و الدار مي ،و ابن خزيمة، والبر بهاري، و ابن تيمية، و ابن القيم ، و الشيخ الألباني و غيرهم.

و إذا ترك بعض الأئمة المناظرة و الرد بسبب قوة السنة، واكتفوا بمعاقبتهم، أو جمعوا اهتمامهم على الكتابة في العلم، فإن أئمة علماء أهل السنة هم أئمتهم في

الاعتقاد الذين ناظروا و كتبوا و كشفوا.
و لكن الشدة لا تكون ابتداء بل تكون انتهاء، كما بين هذا الأصل ابن القيم في كتابه" بدائع الفوائد" في فصل" تليين الخطاب مع الرؤساء"، و استدل على ذلك بآيات من القرآن بين فيها أسلوب القرآن في المناظرة، و أسلوب الأنبياء في مخاطبة قومهم، كما فعل إبراهيم عليه السلام مع أبيه، وموسى عليه السلام مع فرعون، وكذلك كان أسلوب شيخ الإسلام تليين الخطاب أولا، ومراعاة الألفة و الاستدراج بذكر أخف المخالفات، وقد يضطر أحيانا إلى هتك الأستار و ذكر اللوازم الشنيعة.
فالشدة تخص المبتدع لا تخص أتباعه، وهنا يجب أن نلاحظ قضية هامة جدا تندرج تحت الأصل العام الذي بيناه سابقا، وهو التفريق بين مقام القوة و الحكم، و مقام الضعف و الدعوة، ومقام المخاطبة و مقام النقض، فإنه و إن جاز الشدة على المبتدع مشافهة، فإنه في الكتابة لا تقضي الشدة شيئا يذكر، لأننا و نحن في مقام الدعوة يجب أن نراعي مشاعر أتباع المبتدع حتى يسمعوا الحجج، و نبين لهم أخطاء من يتبعون، أما إذا ابتدأناهم بالشدة فإنهم سينفرون منا ومن كتبنا، و يصبح صعبا على السلفي أن يخاطب غيره، و يوصل الخطاب إلى ملايين المسلمين، وبهذا تنقطع أسباب الدعوة و التبليغ.
فهذا أمر على غاية من الأهمية يجب ملاحظته، حتى لا نضيع المصلحة العظمى وهي نشر السنة، فإن السنة لا تحفظ إلا إذا كانت منتشرة معروفة، وهذا واضح.
قال القرطبي في(تفسيره){16/2}:
((فينبغي للإنسان أن يكون قوله للناس لينا ووجه منبسطا طلقا مع البر والفاجر و السني و المبتدع، مداهنة أن يتكلم معه بكلام يظن أنه يرضي مذهبه، لأن الله تعالى قال لموسى وهارون:{فقولا له قولا لينا} ، فالقائل ليس بأفضل من موسى و هارون، والفاجر ليس بأخبث من فرعون، و قد أمرهما الله تعالى باللين معه، وقال طلحة بن عمر قلت لعطاء:" إنك رجل يجتمع عندك ناس ذوو أهواء مختلفة و أنا رجل فيّ حدة فأقول لهم بعض القول الغليظ، فقال: لا تفعل، يقول الله تعالى:{ وقولوا للناس حسنا} فدخل في هذه الآية اليهود و النصارى فكيف بالحنيفي؟)).
و الأمر بالرفق و اللين ورد في كثير من آيات القرآن مما يدل على انه الأصل في معاملة الناس، و أن الشدة و الغلظة استثناء له موضعه وشروطه الدقيقة، فمنها:

قوله تعالى:{ وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا}(الفرقان). قال ابن القيم في (مدارج السالكين){327/2}: ((أي سكينة ووقارا متواضعين غير أشرين ولا مرحين ولا متكبرين، قال الحسن: علماء رحماء، وقال محمد بن الحنفية: أصحاب و قار و عفة لا يسفهون و إن سفه عليهم حلموا، والهون بالفتح في اللغة: الرفق و اللين، و الهون بالضم:الهوان، فالمفتوح منه صفة أهل الإيمان و المضموم صفة أهل الكفران، وجزاؤهم من الله النيران)).

و قال تعالى:{ يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم و يحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين}(المائدة).

قال ابن القيم في المصدر نفسه:

((وهذا الذل منهم ذل رحمة وعطف و شفقة و إخبات و لذلك عداه بأداة "على" تضمينا لمعاني هذه الأفعال، فإنه لم يرد به ذل الهوان الذي صاحبه ذليل، و إنما هو ذل اللين و الانقياد الذي صاحبه ذلول، فالمؤمن كما في الحديث:" المؤمن كالجمل الذلول، والمنافق و الفاسق ذليل)).

ـ وروى الطبري من طريقه عن عكرمة في قول الله:{فقل لهم قولا ميسورا}

قال:الرفق.

و قال تعالى:{فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك}، فمن كان طبعه الغلظة ولا يعفو عن الناس، فإنه سرعان ما ينفض عنه الناس و أصحابه ولا يبقى معه إلا من يشبهه في خلقه، وهذا إن كان رجلا عاديا فالأمر هين، و لكن عندما يكون داعية يكون فاشلا في مهمته،و الإنسان لا يمنعه اللين و الرفق من قول الحق ونصيحة المخطيء ،ولكن كذلك لا يدعوه النصح و الرد و بيان الخطأ إلى ترك اللين و الرفق، و الموفق من جمع بينهما.

وروى عن النبي صلى الله عليه و سلم انه قال لعائشة:

((لا تكوني فحاشة فإن الفحش لو كان رجلا لكان رجل سوء)) .

قال في (فيض القدير){519/5}:

((من ابتلى بمخالطة الناس معاملة و معاشرة فألان جانبه و تلطف و لم ينفرهم كتب له صدقة، قال ابن حبان: المداراة التي تكون صدقة للمداري تخلقه بأخلاقه المستحسنة مع نحو عشيرته مالم يشنها بمعصية، و المداراة محثوث عليها مأمور بها ومن ثم

قيل: اتسعت دار من يداري، وفي شرح البخاري: قالوا: المداراة الرفق بالجاهل في التعليم و بالفاسق بالنهي عن فعله وترك الإغلاظ عليه))
وقال{207/6}:
((كان صلى الله عليه و سلم في غاية اللين فكان إذا ذكر أصحابه الدنيا ذكرها معهم، و إذا ذكروا الآخرة ذكرها معهم، و إذا ذكروا الطعام ذكره معهم)).
و قد جاء الأمر بالرفق في عدة أحاديث صحيحة تبلغ العشرات، وقد صح عن نبينا الأمر بالرفق بالنساء، و الرفق بالأطفال، والرفق بالبهائم، والرفق بالجاهل، و الرفق بالميت وغير ذلك، و اجمع ما صح في الرفق قوله صلى الله عليه و سلم:
- ((إن الله رفيق يحب الرفق و يعطي على الرفق مالا يعطي على العنف)).
ومعلوم أن الرفق و اللين من أسباب المحبة بين الناس، فإن الناس يحبون من يرفق بهم و يقودهم بلطف إلى الخير، ومتى شعروا منك بالرفق و اللين أحبوك، و إذا أحبوك قبلوا منك النصح و العتاب، ألم تر كيف يقبل المحب العتاب من حبيبه، وربما يجده حلوا.
فهذا أثر الرفق في توليد المحبة بين الناس لغرض خدمة الخير و المعروف، وكما قال الشاعر:
أحب أبا ثروان من أجل تمره***** و اعلم أن الرفق بالجار أرفق
والله لولا تمره ما حببته ***** ولا كان أدنى من عبيد ومشرق
- وقوله صلى الله عليه و سلم:(مهلا يا عائشة إن الله يحب الرفق في الأمر كله فإن الرفق لم يكن في شيء قط إلا زانه ولانزع من شيء قط إلا شانه).
-:(إن الله عز وجل رفيق يحب الرفق و يعين عليه مالا يعين على العنف).
-(من يحرم الرفق يحرم الخير كله).
-:(من يعط الرفق في الدنيا ينفعه في الآخرة).
-:(يا عائشة أرفقي فأن الله إذا أراد بأهل بيت خيرا دلهم على باب الرفق).
وفي (فتح الباري){325/1}:
في قصة بول الأعرابي في المسجد:((فيه الرفق بالجاهل و تعليمه ما يلزمه دون تعنيف إذا لم يكن ذلك منه عنادا، وفيه رأفة النبي صلى الله عليه و سلم و حسن خلقه)).

ـ و قال رجل للنبي صلى الله عليه و سلم:((أنا طبيب، قال له:" أنت رفيق و الله الطبيب)).
ولقد كان رسول الله صلى الله عليه و سلم في قمة الرفق و اللين، فكان إذا أتاه طالب حاجة لم يرده إلا بها أو بميسور من القول ،فلما تحاكم إليه علي وزيد و جعفر في ابنة حمزة،فلم يقض بها لواحد منهم ،و لكن قضى بها لخالتها، ثم طيب قلب كل واحد منهم بكلمة حسنة فقال لعلي: ((أنت مني و أنا منك))، وقال لجعفر:((أشبهت خلقي وخلقي))، و قال لزيد:((أنت أخونا ومولانا)).
وجاء في (الزهد)لابن مبارك{470/1}:
((عن حبيب بن حجر القيسي أنه قال:" كان يقال: ما أحسن الإيمان يزينه العلم، و ما أحسن العلم يزينه العمل، وما أحسن العمل يزينه الرفق، و ما أضيف شيء إلى شيء أزين من حلم إلى علم)).
ـ وكان عمر بن عبد العزيز ـ رضي الله عنه ـ يقول:((و الله لأريدن أن أخرج لهم المرة من الحق فأخاف أن ينفروا عنها فأصبر حتى تجيء الحلوة من الدنيا فأخرجها معها فإذا نفروا لهذه سكنوا لهذه)).{السياسة الشرعية} {114}.
وروى الخطيب في(تاريخ بغداد){287/13}:
((عن نصر بن علي انه قال:" دخلت على المتوكل فإذا هو يمدح الرفق فأكثر، فقلت: يا أمير المؤمنين أنشدني الأصمعي:
ولم أر مثل الرفق في لينه**** أخرج العذراء من خدرها
من يستعين بالرفق في أمره**** يستخرج الحية من جحرها
فقال: يا غلام الدواة و القرطاس فكتبهما)).
وقد جمع ابن القيم مقالا فريدا في صفة المؤمن الداعية إلى الله، وكيف يكون المؤمن الحقيقي متصفا بالصفات التي يحبها الله، وهو قمة التعامل بين المسلمين فتأمله، قال ـ رحمه الله ـ في (الوابل الصيب){54}:
((وهو سبحانه و تعالى رحيم يحب الرحماء، و إنما يرحم من عباده الرحماء، وهو ستير يحب من يستر على عباده، وعفو يحب من يعفوا عنهم من عباده، وغفور يحب من يغفر لهم من عباده، ولطيف يحب اللطيف من عباده و يبغض الفظ الغليظ القاسي الجعظري الجواظ، ورفيق يحب الرفق، وحليم يحب الحلم، وبر يحب البر و أهله،

وعدل يحب العدل، وقابل للمعاذير يحب من يقبل معاذير عباده، ويجازي عبده بحسب هذه الصفات فيه وجودا وعدما، فمن عفا عفا عنه، ومن غفر غفر له، ومن سامح سامحه، ومن حاقق حاققه، ومن رفق بعباده رفق به، ومن رحم خلقه رحمه، ومن أحسن إليهم أحسن إليه، ومن جاد عليهم جاد عليه، ومن نفعهم نفعه، ومن سترهم ستره، ومن صفح عنهم صفح عنه، ومن تتبع عورتهم تتبع عورته، ومن هتكهم هتكه وفضحه، ومن منعهم خيره منعه خيره، ومن شاق شاق الله تعالى به، ومن مكر مكر به، ومن خادع خدعه، ومن عامل خلقه بصفة عامله الله تعالى بتلك الصفة بعينها في الدنيا و الآخرة.

فالله تعالى لعبده على حسب ما يكون العبد لخلقه، ولهذا جاء في الحديث:" من ستر مسلما ستره الله تعالى في الدنيا و الآخرة، ومن نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله تعالى عنه كربة من كرب يوم القيامة ، و"من يسر على معسر يسر الله تعالى حسابه ، و"من أقال نادما أقال الله تعالى عثرته" ، و "من أنظر معسرا أو وضع عنه أظله الله تعالى في ظل عرشه" ، لأنه لما جعله في ظل الأنظار و الصبر و نجاه من حر المطالبة و حرارة تكلف الأداء مع عسرته و عجزه نجاه الله تعالى من حر الشمس يوم القيامة إلى ظل العرش.

وكذلك الحديث الذي في الترمذي و غيره عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال في خطبته يوما:" يا معشر من آمن بلسانه و لم يدخل الإيمان إلى قلبه لا تؤذوا المسلمين ولا تتبعوا عوارتهم، فإنه من يتبع عورة أخيه يتبع الله عورته، ومن يتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف بيته" كما تدين تدان، وكن كيف شئت فإن الله تعالى لك كما تكون أنت لعباده.))

وكما جاء في الحكمة: "لا تكن حلوا فتبلع ولا مرا فتلفظ."

قال ابن القيم في(الوابل الصيب) في صفة قلب المؤمن:

((هي الصفاء و الرقة، فيرى الحق و الهدى بصفائه و تحصل منه الرأفة و الرحمة و الشفقة برقته، ويجاهد أعداء الله تعالى و يغلظ عليهم و يشتد في الحق و يصلب فيه بصلابته ولا تبطل صفة منه صفة أخرى، ولا تعارضها بل تساعدها و تعاضدها{أشداء على الكفار رحماء بينهم})).

فقد بان موضع الشدة و موضع الرحمة.

وقد كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول:
((أكره أن يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه)).
وقال فيما عامل به ابن أبي من الكرامة:((رجوت أن يؤمن بذلك ألف من قومه فحقق الله رجاءه)) ـ(الصارم المسلول){ص:828}.
فعلينا اعتبار هذه الحكمة، و الإحسان إلى الرؤوس في الخطاب و تليينه معهم رجاء نفع أتباعهم و إبلاغهم الهدى و الحق.
مع العلم أن القتل جنس يقع تحته أنواع من القتل، فالواحد منا إذا صار يذم أصحابه أمام الناس، و يشهر بهم بأسمائهم، و يعيب عليهم أخلاقهم، أو أقوالهم،و لا يترك لهم مكانة عند الناس، بل يسلط عليهم الجهال ،فإن ذلك ولابد أن يعود عليه بالأثر السيء،فيصير الناس يخشون من مقاربته و مخاطبته و مجالسته وغير ذلك.
و إذا حصل مثل هذا لأحدنا بالحق، لأنه تكلم بحق في مقال ضال ، فهذا مثله مثل عمر ـ رضي الله عنه ـ لم يترك له الحق أصحابا، وهذا فضل و جهاد وقوة لا تجدها إلا عند الصديقين، ولكن يفرق بين الكلام عن المقال و بين الكلام في صاحب المقال الذي له أخطاء، له عليها حجج و أدلة أو شبهات علمية أو أقوال مرجوحة،و لكن يصعب علينا إقامة الحجة عليه بشكل قاطع ،و نعرف منه حب السنة و الذود عنها ،و القول بالحق ،فمثل هذا الإبقاء عليهم، و حسن مخاطبته، و اللين معه هو الأفضل وهو المشروع و الله اعلم.
ومن لحظ هذا المقام و الذي قبله هان عليه كل ما يلقى من الأذى في الله تعالى، وربما دعا لمن آذاه كما قال ذلك صلى الله عليه و سلم لما ضربه قومه فجعل يمسح الدم عن وجهه ويقول:((رب اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون)) .
و بكل حال فتبين الرفق في الإنكار، قال سفيان الثوري:
((لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر إلا من كان فيه ثلاث خصال: رفيق بما يأمر رفيق بما ينهى، عدل بما يأمر عدل بما ينهى، عالم بما يأمر عالم بما ينهى)).
و قال أحمد:
((الناس محتا جون إلى مداراة ورفق الأمر بالمعروف بلا غلظة إلا رجل معلن بالفسق فلا حرمة له)).
قال: وكان أصحاب ابن مسعود إذا مروا منهم ما يكرهون[أي مروا بأصحاب المنكر]

يقولون:
((مهلا رحمكم الله، مهلا رحمكم الله)).
و قال أحمد:
((يأمر بالرفق و الخضوع فإن أسمعوه ما يكره لا يغضب، فيكون يريد أن ينتصر لنفسه)).
لقد نفع الحوار الهاديء كثيرا من الناس عبر التاريخ الإسلامي، فانتفعت به طائفة عظيمة من الخوارج ناظرها ابن عباس فعادت إلى الجادة، وكذلك عمر بن عبد العزيز، وهذه قصة إمام من أئمة الحديث كان على رأي يعده بدعة، نفعه الحوار العلمي الهاديء فها هو يتكلم عن قصته فلتكن لنا عبرة و مثالا في الدعوة إلى الله:
جاء في (تاريخ بغداد) {68/6}:
((وذكر جماعة من العراقيين: ما تركنا بدعتنا حتى رأينا الشافعي
قال أبو عثمان: و حدثنا أبو عبد الله النسوي عن أبي ثور قال: لما ورد الشافعي العراق جاءني حسين الكرابيسي و كان يختلف معي إلى أصحاب الرأي، فقال:قد ورد رجل من أصحاب الحديث يتفقه فقم بنا نسخر به، فقمت وذهبنا حتى دخلنا عليه فسأله الحسين عن مسألة، فلم يزل الشافعي يقول: قال الله و قال رسول الله صلى الله عليه و سلم حتى اظلم علينا البيت فتركنا بدعتنا و اتبعناه)).
قلت: هذا هو منهج أهل السنة قد يخالفه بعضهم لأسباب لا يعلمها إلا الله، و لكن الحجة في النقل عنهم و إسناد الأقوال، و بعد هذا لا يهمك من خالف، و قد يطعن عليك، فاعمل بنصيحة الشافعي ـ رحمه الله ـ:
((قال يونس بن عبد الأعلى: قال لي الشافعي: ليس إلى السلامة من الناس سبيل فانظر الذي فيه صلاحك فألزمه)).
و لا خير في الوقيعة في الناس إن لم يكن نصيحة لدين الله بالعدل و الإنصاف وعدم تجاوز الحد، فالأصل في المسلم أن يعمل صالحا،و يقول طيبا، فإن هو تكلم في الناس لغرض النصح و التحذير فليتحر الدقة و الصواب و عدم تجاوز الحد، ولا يجعل همه و نهمته في الكلام في الناس فيأتي يوم القيامة و ليس في صحيفته إلا الكلام في الناس، فإن هو أصاب فقد نجا، و إن لم يصب ولو كان مجتهدا مغفورا خطاه يجد صحيفته خلوا من العمل الصالح ، قال الشافعي:

((بئس الزاد إلى المعاد العدوان على العباد)).
و إن رجلا تعلِّمه سنة و تهديه إلى خير أو تنزع عنه شركا و بدعة بكلمة طيبة و صحبة صادقة تعينك على ذلك، لهو خير لك من حمر النعم و من الدنيا و متاعها،و الله اعلم.
دعوكم من الدكتور رسلان الآن فإنه لم يحقِّق منهج أهل السنة نسأل الله تعالى أن يبصره و يهديه إلى القول الحق.
أرزيو/ الجزائر في،01/02/2014م
مختار الأخضر طيباوي

هل للضَّرورة ـ في المنهج الدَّعوي ـ أحكام أم هو التَّناقض(؟)

وأنا أقرأ كلاما للدكتور رسلان حول كتاب " شرح السُّنَّة" للبربهاري ـ رحمه الله ـ وجدته يستشهد في آخره بالنَّقل عن ابن الجوزيِّ و أبي الوفاء علي بن عقيل ـ رحمهما الله ـ فنقض كلَّ ما قاله في أوَّله، ومع ذلك لم ينتبه إلى أنَّه يهدم ما بناه ،فإمَّا لا يعرف الرَّجلين معرفة علميَّة إنَّما هما اسمان التقطتهما أذناه ،ومثله لا يصلح ليتكلَّم في أهل العلم،أو هو يعرفهما معرفة علميَّة لكنَّه لن يستطيع الكلام لو التزم أو طرد منهجه ؟
لأنَّ أكثر العلماء لهم أخطاء خاصَّة من وصلتنا كتبهم ومقالاتهم ، ولم يسلم منهم إلاَّ القليل،فما بالك بابن الجوزيِّ الَّذي يجيز تحري الدُّعاء عند القبور، بل صرَّح في " صفة الصَّفوة" أنَّه كانت إذا ضاقت عليه الدُّنيا لجأ إلى قبر معروف الكرخيِّ، وهو مفوِّض جلد، يعتبر عقيدة أهل السُّنَّة و الجماعة تجسيمًا ، كتب كتابه "دفع التَّشبيه بأكف التَّنزيه" وله أشياء أخرى منها أنَّه كان يقع في الحنابلة بتطرُّف حتَّى ردَّ عليه ابن تيميَّة في " المجموع".
أمَّا ابن عقيل فهو كذلك لم يسلم من كثير من السَّقطات في باب العقيدة، وعنده ميل ظاهر للمعتزلة ، وكذلك الحافظ ابن حجر أحصى عليه العلماء ما يزيد عن 17 زلَّة في العلم كما كان شديد التَّحامل على ابن تيميَّة يخفيه بطرق لا ينتبه إليها أمثال الدكتور رسلان.
و السُّؤال: ما الفرق بين هؤلاء ـ ولا شكَّ أنَّهم عندما يحذِّرون من البدعة و تنقل

كلامهم لا يقصدون أنفسهم ـ وبين من يشبههم من المعاصرين ؟
وهل تُبدِّع و تضلِّل أهل السُّنَّة المعاصرين، و تنصح بهجرهم، وهم أفضل من هؤلاء عقيدة وسلوكا ؟
ومن جهل الرَّجل، أو ربَّما من ظلمه لأنَّ الكذب على النَّاس ظلم لهم أنَّه زعم أنَّ من قال بأنَّ حملته على أهل الدِّين و العلم يستغلُّها العلمانيون، و لذلك ينشرون مقالاته، و فيديوهات خطبه على قنواتهم فقد كفَّره ؟
فالرَّجل يستعطف الجهَّال ممَّن أحاطوا به، و يغريهم بشبهات ميِّتة،وهكذا منهج جميع غلاة التَّجريح تناقضات وموازنات بالهوى لأنَّه منهج لا أصل له هو تعبير عن قصور شديد في طلب العلم وتحقيق مسائله ،و تكالب على رئاسة العوامِّ.

لماذا ندافع عن دعاة أهل السنة ؟

قد يظن بعض الناس أننا نريد الدفاع عن هؤلاء المشايخ لمجرد الدفاع، أو قد يقولون أشياء أخرى، وليس هذا المهم، فإن الرجال يزولون و يبقى الدين، فعندما نقر بالباطل في أي صورة تلبس بها، فإننا حينئذ نخذل الدين لا نخذل الرجال، والواجب على المسلم أن يقوم مع الحق أين توجهت ركائبه، فإذا أقرينا المحذرين من هؤلاء المشايخ الفضلاء بهذا الأسلوب الباطل، نكون قد أقرينا الباطل في ديننا، فإن كانوا مظلومين فينصرهم الله، أما نحن فقد ظلمنا الدين بالإقرار على الباطل، فالمشكل أكبر بكثير من قضية المشايخ المجروحين على أهميتها..
إنه مشكل في صميم المنهج، لا يمكن السكوت عنه، فإما يتكلمون في الدين بالحق، و الحق وحده، و إلا فإن كثيرا من الناس سيكونون حربا عليهم، ولو قال قائل: يجب التحذير من هؤلاء المحذرين لكان قد أصاب الحق، فإن هؤلاء من عامية الأذهان و التصور، لو تركوا على باطلهم لساد الفساد، فيجب على المؤمن أن يقوم مع الحق ولا يدع طائفته أو أصحابه أو مشيخته يتكلمون في الدين أو في الناس بالباطل، فإنه أحق الناس بنصيحتهم والرد عليهم.
وفي هذا المقالات سترى بالدليل المعتبر مجانبة المحذرين للصراط المستقيم، وسلوكهم درب الاعوجاج و العدوان، و الجمود على شبهات لا تنفق عند العقلاء، و لا تصمد أمام النقض، وعلى الله التكلان.

فكان الواجب على طلبة العلم ،ومن يدعي لنفسه حظا من العلم و الإنصاف النظر في تعليلاتهم بميزان الشرع، ووفق قواعد الجرح و التعديل، لا إحداث قواعد جديدة أو التمسك بعبارات المدح و القدح خرجت بسبب اختلاف الفهم، وعدم الإحاطة الموضوعية بالقضايا المتنازع حولها.

تذكيرا لبعض الأفاضل :

العلم المحقق في الردود عندما تكون بعلم و تتجرد عن سطوة الانتساب و مشاعر الحنق و الحب، لأن أعظم كتب العلم ككتب ابن تيمية أو غيره هي ما جاءت ردا لأنه حينئذ يمتزج العلم بالايمان بالقضية فيتدفق التوفيق على الكاتب.

فالردود هي ما يعبر عن حيوية الأمة ونضجها و تلاقح أفكارها بشرط أن تبتعد عن العدوان و العدائية و التعصب على عمى فلا تغلطوا هذا الغلط الفاحش فما قام الدين و ارتفعت الوية العلم الصحيح إلا بجهاد من جاهد بلسانه و قلمه الشبهات و المناهج الباطلة.

فإن كنت على ها المنهج : ((قال شيخ الإسلام ابن تيمية في"الدرء"{275/4} :" وتحقيق الأمر أن الكلام بالعلم الذي بينه الله ورسوله مأمور به وهو الذي ينبغي للإنسان طلبه، وأما الكلام بلا علم فيذم، ومن تكلم بما يخالف الكتاب والسنة فقد تكلم بلا علم، وقد يتكلم بما يظنه علما : إما برأي رآه، وإما بنقل بلغه، ويكون كلاما بلا علم، وهذا قد يعذر صاحبه تارة وإن لم يتبع، وقد يذم صاحبه إذا ظلم غيره ورد الحق الذي معه بغيا،كما ذم الله ذلك بقوله : { وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم } فالبغي مذموم مطلقا، سواء كان في أن يلزم الإنسان الناس بما لا يلزمهم، ويذمهم على تركه، أو بأن يذمهم على ما هم معذورون فيه، والله يغفر لهم خطأهم فيه، فمن ذم الناس وعاقبهم على ما لم يذمهم الله تعالى، ويعاقبهم فقد بغى عليهم، لا سيما إذا كان ذلك لأجل هواه، وقد قال تعالى : { ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله } والله تعالى قد قال : { وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا * ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات }

فالسعيد من تاب الله عليه من جهله وظلمه، وإلا فالإنسان ظلوم جهول، وإذا وقع الظلم

والجهل في الأمور العامة الكبار أوجبت بين الناس العداوة والبغضاء، فعلى الإنسان أن يتحرى العلم والعدل فيما يقوله في مقالات الناس، فإن الحكم بالعلم والعدل في ذلك أولى منه في الأمور الصغار ،وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : " القضاة ثلاثة : قاضيان في النار وقاض في الجنة رجل علم الحق وقضى به فهو في الجنة ورجل قضى للناس على جهل فهو في النار ورجل علم الحق وقضى بخلافه فهو في النار " فإذا كان هذا فيمن يقضي في درهم وثوب، فكيف بمن يقضي في الأصول المتضمنة للكلام في رب العالمين وخلقه وأمره ووعده ووعيده ؟")) فرد ورد حتى لا تجد من ترد عليه.

شروط جرح العلماء:

شروط نقل كلامهم و الخبر عنهم:

بسم الله الرحمن الرحيم

هذه نتف من مسألة كبيرة تفي بالغرض إن شاء الله.

1 ـ من المعلوم بداهة من صنيع الأئمة و كلامهم أنه يُشترط في الجارح الصدق، فإن كان كاذبا سقط هو قبل غيره، و يلحق به من يصدق الكاذبين فينقل أخباره عن الفسقة و المجاهيل لأنها توافق هواه، فهذا يستلزم تكذيب الصادقين، وتصديق الكاذبين، وهو نوع من الكذب، و يتضمن جرح العدول و توثيق الفسقة و المجاهيل بالتضمن لأنه صدقهم.

2 ـ فيجب أن يكون صادقا، وهذا لا يكفي، فإمام الجرح و التعديل يجب عليه تحري الصدق فكونه صادقا هو صفة لنفسه، وكونه يتحرى الصدق هو صفة لصناعته الجرح و التعديل. ومن تأمل في بعض المواقع "السلفية" المشهورة بجرح العلماء و الدعاة وجد فيها تشييخا لأناس لا يعلمون بطلب علم ولا بشم رائحته، بل لا يعرفهم احد من مشايخ بلدهم ولا سمع بذكرهم ،بغض النظر عن عدالتهم، فهل يصح لمن يقبل خبر هؤلاء جرح أهل العلم؟!

وعندما يتكلم في أهل العلم من لا يعرف شروط قبول الخبر،بحيث ينقل على شبكته خبر مجهول العين، بل المجهول بالمعنى اللغوي فحتى اسمه لا يعرفونه ،وهذه طامة كبرى و بدعة عصرية يشتهر بها هذا الموقع: جرح العلماء و الدعاة بالتستر تحت

الأسماء المستعارة،وعليه يتبين لكل منصف أن هذا الموقع موقع السباب و الضباب،سب الناس و الضباب في العلم.

3 ـ يجب عليه عندما يجرح العلماء أن ينقل ألفاظهم لا معانيها ،فإن المعاني واسعة يحملها المغرضون على أهوائهم، فإذا نقل اللفظ ولم يجرده عن قرائنه أمكن أهل العلم فحص جرحه ومن ثم موافقته أو مخالفته .

4 ـ أن لا ينقل كلام العلماء من شريط يقوم بإفراغه، فإن هذا كلام المذاكرة يحتاج قائله لمراجعته فمن المعلوم أن نقل الكلام عن العلماء من أفواههم يجب أن يراعى فيه السياق، فلا يختزل بطريقة تغير معناه ،فلا يمكن أن ننسب كل كلمة قالها إلى أنها مذهبه و عقيدته،ور أيه، ذلك أن الكلام الجزئي يجب تنزيله على الكلام الكلي بمعنى أنه يجب رد التفاصيل إلى الكليات، فإن جاء القول المراد الجرح به في سياق كلام شفوي عفوي فيجب رده إلى مذهب العالم الثابت عنه، ذلك أن الاسترسال في الكلام المباشر يقع فيه السقط و الغفلة بخلاف الكتابة.

وكمثال على ذلك ما نقله الأخ عكاشة عبد المنان الطيبي من كلام العلامة الألباني رحمه الله في كتاب سماه :"فتاوى الألباني" فإنه نقل فيه {ص:296} قول الألباني:" و الواقع يشهد أن أي جماعة مسلمة تقوم إما بمقاتلة المعتدي كما وضع للأفغان مثلا،أو بالخروج على الحاكم الذي ظهر كفره، كما وقع في الجزائر" مع العلم أن مذهب الألباني المعروف عنه و المشهور به في كتبه كـ"فتنة التكفير" وكثير من الأشرطة التي تضمنت موضوع الجزائر ليس فيها هذا الأمر.

ـ ومعلوم لأهل العلم أنه يقع في كلام كثير من العلماء و الأئمة عبارات لا توافق أصولهم و مذهبهم، و لذلك يرفضها أئمة المذهب تجد هذا بكثرة في كتب الفقه، وهو شائع بين أهل العلم .

فأهمية القرائن كبيرة لان العالم في الشريط و الجلسات يرد على الأسئلة المباشرة قد لا يحضره علمه، أو لا يسعه التفصيل،أو يغفل عن اللوازم، بخلاف الكتابة فإنه يراجع ويدقق الأمر ،و يحذف ما لا يتناسب مع مذهبه،و ليس هذا خاصا بالعلماء بل أي كاتب يكتب رسالة إلى صديقه يراجعها باستمرار فتراه يضيف ويحذف حتى يستقيم له المعنى الذي أراد فإن المعاني أوسع من الألفاظ، وقد لا تطيق حملها الألفاظ فيحتاج إلى إضافة قرائن و جملا استطرادية ليتضح المعنى الذي يقصده.

كذلك قد يجيب العالم بطرق متنوعة فأحيانا يسرد أدلته، و أحيانا يفترض أدلة خصومه، ويفترض صحة مقدماتهم من باب عكس الدليل، لا من باب قبول المقدمة والاقتناع بها، فيأتي من لا يفهم كلامه ولا يعرف طرق الاستدلال و الاعتراض فيتهمه.

5 ـ على إمام الجرح و التعديل! أن يسمي المنقول عنه، وهذه طامة تلطخت بها صفحات الكتب و المواقع على الشبكة ، فتجد نواب إمام الجرح و التعديل ينقلون أخبارا يجرحون بها عن أناس لا يعرفونهم بحال، ثم بعد ذلك هل يعرف من تكلم فيه، هل جالسه أو جاوره أو شاركه في تجارة أو دراسة أو سفر بل هل لقيه، ولومن بعيد، لأنه لا يكفي شرط المعاصرة في الجرح و التعديل خاصة إذا لم نامن الدس والتدليس و التزوير و الكذب و البهتان! ،وهل هو من أقرانه، فربما بينهما فرق في العمر يصل إلى عشرين سنة ؟؟؟

كثير من الأسئلة تسقط المتسلطين على العلماء و الدعاة، لا في الجهل فحسب، بل في الكذب و استعمال الكذب، لان الجرح إما رواية فيشترط له صحة السند وهي العدالة و الضبط، وفي مثل هذه المسائل الفقه و الفهم،و إما معاينة وهي منعدمة في هذا المثال ، ومعلوم حكم هؤلاء عند أهل العلم قديما وحديثا.

و معلوم أن العالم المحقق و المتحري لا يروي ما لا ينضبط من الروايات التي هي ترهات لا تحقق شيء بعد فحصها،فمن بنى تعديله أو تجريحه على رواية الترهات كان علمه من جنسها.

و السؤال :هل يجوز لمثل هؤلاء الكلام على السماسرة في السوق فضلا عن أهل العلم، ممن زكاهم من نصّب أئمة الجرح و التعديل كالشيخ أبي الحسن الماربي و علي الحلبي و أبي إسحاق الحويني و المغراوي ، فإن شرطة الضمائر سمتها الشك و التهمة، وتوقع الغيب.

إنما العيب و اللوم يقع على من يدعي العلم و اتباع السنة، فإني لا اعتقد أن من أهل السنة من يجيز الكذب على الناس، ولا قبول خبر المجاهيل و الكذبة.

6 ـ أن يكون عارفا بحال المتكلم فيه إن جرحه بالرواية أي بالخبر عنه، وهذا فصلته سابقا، و إن جرحه اجتهادا كما يفعل القضاة، وجب أن يكون مشاركا له في علمه، عارفا بمرتبته في العلم.

7 ـ وأن يكون الجارح عارفا بمدلولات الألفاظ فإن قال: هو مبتدع أو مبتدع ضال،لا يجب أن يقصد به من وقع في بدعة اجتهادا،أو وقع في بدعة خفية غير ظاهرة،فإنه حينئذ يكون الجارح مغالطا جائرا مائلا عن محجة العلماء.

8 ـ يجب عليه أن يعبر عنه بعبارة لا تزيد عليه ولا تنقص عنه،فلا يقول: للمتهم بالكذب كذابا،ولا لقليل الوهم كثير الوهم،ولا يترك هواه يغلبه الهوى فيزيد على المجروح ما ليس فيه ككونه اخطر على الإسلام من كذا وكذا،وهو حرب على السنة،وغيرها من ألفاظ التنفير التي لا تصلح في علم الجرح و التعديل، وهذا تعلمه من الجارح إذا وجدته يطنب في مدح من يوافقه، ويبالغ في ذم من يخالفه و إن كان المخالف له أجل و اعلم من أتباعه، فتراه يمتدح الصغير في العلم لأنه موافق له، و يذم الجهبذ لأنه يخالفه،و إذا ترجم مخالفه جاء بكل ما قيل فيه من جرح و قصّر في نقل التعديل، وإذا ترجم موافقه عكس القضية.

و إن كنا نعلم أن التجرد عن الهوى يندر في هذه الأزمان، ولكن هذا شرط العلماء في كل الناس بله في العلماء، بل هو شرط الله في المسلمين ، فمن نصّب نفسه لجرح العلماء و الدعاة و لم يروض نفسه على العدل ليقهر به هواه ، ويحمل نفسه على الإنصاف كرها كثر خصومه في الدنيا و الآخرة.

و بالنسبة لموضوعنا: التفريق بين شروط جرح الرواية وشروط جرح العلماء،فإن أهم الشروط أن يشارك المجروح في علمه و يعرف مرتبته فيه، فمن عرف بعض مسائل الاعتقاد كيف يجرح من أحاط به مجملا ومفصلا ، بادلته الشرعية، و بادلته الجدلية مثلا.

ومن أحسن الأمثلة على ذلك كلام ابن معين في الشافعي، وقول الإمام أحمد ابن حنبل: إنه لا يعرف الشافعي، ولا يعرف ما يقول".

وقد يسأل عن احد الدعاة أو العلماء فيقول: مسكين، دعونا منه لا أحب الكلام عنه، سقط الرجل،مات مسكين، الله يهديه، الله يصلحه،عبارات الذم و القدح و التجريح في صورة الشفقة و الرحمة.

وقد يتكلم عن نفسه فيقول: رحم الله من أهداني عيوبي، إن كان فيّ خطا فأخبروني به جزاكم الله خيرا، والله لو اخطات أتوب حالا وهو في الحقيقة وهذا يظهر من واقعه لا يظن نفسه أنه أخطأ أو سيخطئ، مدح النفس و الطواف حولها بعبارات التواضع.

وحتى نزيد الأمر توثيقا فيرسخ في الأذهان هذا مثال آخر من ضمن عشرات الأمثلة، لا يسع هذا المقال ذكرها كلها، يبين أن عدم المشاركة في العلم مطب كبير و حاجز مرتفع وحفرة سحيقة تقف أمام الإنصاف وتخلط الغث بالسمين .

يعلم من يطالع كتاب الذهبي "سير أعلام النبلاء" أنه قد حاد ى عن الصواب في بعض انتقاداته لشيخ الإسلام ابن تيمية ،وهي انتقادات يخرجها أحيانا في صورة التعقب، و الذهبي نفسه يتناقض في بعض المسائل ويجازف ببعض العبارات، كما في مسألة "إقعاد النبي على العرش" في كتابه " العلو" قال في ترجمة الآمدي :"قال لي شيخنا ابن تيمية:يغلب على الآمدي الحيرة و الوقوف حتى انه أورد على نفسه سؤالا في تسلسل العلل وزعم أنه لا يعرف عنه جوابا و بنى إثبات الصانع على ذلك فلا يقرر في كتبه إثبات الصانع ولا حدوث العالم ولا وحدانية الله ولا النبوات ولا شيئا من الأصول الكبار".

ثم قال:"قلت: هذا يدل على كمال ذهنه،إذ تقرير ذلك بالنظر لا ينهض و إنما ينهض بالكتاب و السنة،وبكل قد كان السيف غاية، ومعرفته في المعقول نهاية، وكان الفضلاء يزدحمون في حلقته"

قلت:ما نقله شيخ الإسلام عن الامدي ثابت عنه في كتبه، وهذا يدل على أن الذهبي لم يحقق المسألة ،و قال بما ظهر له ،وكلام الذهبي يبطل نفسه بنفسه حيث إن ابن تيمية لم يقل: إن هذه المسائل تقرر بالعقل وحده، بل شيخ الإسلام ما ناقض الامدي إلا ليثبت له أنها تقرر بالكتاب و السنة، ولكن الطريق التي اختاراها المتكلمون هي تقرير هذه المسائل بالأدلة العقلية، وعندما يورد الآمدي على نفسه سؤالا في هذه المسائل الكبار التي بنى عليها دينه، ثم يقف متحيرا يكون متناقضا،هذا لا مرية فيه.

و إذا لم تقرر هذه المسائل بالعقل عند المتكلمين فماذا يوجد في كتب الامدي كـ" أبكار الأفكار" ، و"غاية المرام"،و"دقائق الحقائق "إلا هذه المسائل التي يثبتها مرة و يتوقف فيها مرة أخرى.

فلعل الذهبي لم ينظر في كتب الآمدي نظر الفاحص ، فإن تقرير هذه المسائل فيها مشهور و بالتالي سقط تعقبه و استدراكه، إذ العبرة بالدليل، وابن تيمية أثبت شيئا موجودا في كتب الآمدي و الذهبي نفى ما لم يعلم انتفاؤه، وهذا واضح في المفارقة، خاصة و أن الذهبي قال عن الامدي بأنه كان غاية في المعقول!

ولم أجد في كتب الذهبي ما يدل على أنه كان يعرف المعقول، فكيف يحكم على الآمدي أنه كان غاية في المعقول؟ مع أن الذهبي رحمه الله عندما يترجم الفلاسفة و المتكلمين كثيرا ما يحكم فيهم بترجمة شيخ الإسلام لهم .
ثم نقول: إذا كان الامدي غاية ومعرفته في المعقول نهاية فلماذا قال فيه في نفس الترجمة:" قلت: ثم أقرأ الفلسفة والمنطق بمصر بالجامع الظافري، وأعاد بقبة الشافعي، وصنف التصانيف، ثم قاموا عليه، ورموه بالانحلال، وكتبوا محضرا بذلك.
قال القاضي ابن خلكان: وضعوا خطوطهم بما يستباح به الدم، فخرج مستخفيا، ونزل حماة.
وألف في الأصلين، والحكمة المشؤومة ، والمنطق، والخلاف، وله كتاب " أبكار الأفكار " في الكلام، و " منتهى السول في الأصول " و " طريقة " في الخلاف.
ثم تحول إلى دمشق، ودرس بالعزيزية مدة، ثم عزل عنها لسبب اتهم فيه، وأقام بطالا في بيته."
وقال عنه أيضا:" أخرجه منها الاشرف، ونادى في المدارس: من ذكر غير التفسير والفقة، أو تعرض لكلام الفلاسفة نفيته، فأقام السيف خاملا في بيته إلى أن مات، ودفن بتربته بقاسيون".
قلت: فلو ترك الذهب تعقبه لكان أحسن مسلكا و أفضل مخرجا .
ثم السؤال: أين قرر الامدي أمر النبوات و الوحدانية و غيرها بغير المعقول في كتبه؟!
قال الامدي في "غاية المرام في علم الكلام" {16/1} :"فكان اللائق البحث والفحص عن الأهم فالأهم والنظر في تحصيل ما الفائدة في تحصيله أعم وأهم المطالب وأسنى المراتب من الأمور العملية والعلمية ما كان محصلا للسعادة الأبدية وكمالا للنفس الناطقة الإنسانية وهو اطلاعها على المعلومات وإحاطتها بالمعقولاوت لما كانت المطلوبات متعددة والمعلومات متكثرة وكل منها فهو عارض لموضوع علم يستفاد منه وتستنبط معرفته عنه كان الواجب الجزم واللازم الحتم على كل ذي عزم البداية بتقديم النظر في الأشرف الأجل والأسنى منها في الرتبة والمحل ، وأشرف العلوم إنما هو العلم الملقب بعلم الكلام الباحث عن ذات واجب الوجود وصفاته وأفعاله ومتعلقاته إذ شرف كل علم إنما هو تابع لشرف موضوعه الباحث عن أحواله

العارضة لذاته ولا محالة أن شرف موضوع هذا العلم يزيد على شرف كل موضوع ويتقاصر عن حلول ذراه كل موجود مصنوع إذ هو مبدأ الكائنات ومنشأ الحادثات وهو بذاته مستغن عن الحقائق والذوات مبرأ في وجوده عن الاحتياج إلى العلل والمعلولات كيف والعلم به أصل الشرائع والديانات ومرجع النواميس الدينيات ومستند صلاح نظام المخلوقات،فلا جرم سرحت عنان النظر وأطلقت جواد الفكر في مسارح ساحاته ومطارح غاياته وطرقت أبكار أسراره ووقفت منه على أغواره فلم تبق غمة ألا ورفعتها ولا ظلمة إلا وقشعتها حتى تمهد سراحه واتسع براحه فكنت بصدد جنى ثمراته والتلذذ بحلواته "

قلت:فأين قول الذهبي:" إذ تقرير ذلك بالنظر لا ينهض و إنما ينهض بالكتاب و السنة" فهذا الآمدي يقرر بأن أهم مسائل الدين تقرر بعلم الكلام،وبدا بتقرير مسألة إثبات الواجب بذاته،طريق إثبات الواجب، فأين الكتاب و السنة في كل كتب الآمدي أم هو التعليق من أجل سبب ما!

وبهذا يتبين أن الجرح و التعديل يطلق على موضوعين مختلفين: توثيق رواة الحديث وتجريحهم،وتزكية العلماء وتجريحهم.

و الجانب المتعلق بتوثيق العلماء و تجريحهم من حيث السنة و البدعة موضوعه شاسع لا يقوم به علم الحديث وحده كما أوضحته في هذا المقال ،وكل من تكلم فيه وهو ضعيف في غير علم الحديث، غير مشارك للعلماء في علومهم، وغير عارف بمراتبهم فيها، فهو متطفل على علم الجرح و التعديل في شقه هذا .

إن الذين حسبوا أنفسهم أوصياء على علم الجرح و التعديل يعتقد أتباعهم فيهم أنهم أئمة في الجرح و التعديل، أي أئمة في كتب الجرح والتعديل من ابن حجر فصاعدا، و أن مثل الشيخ علي الحلبي و أبي الحسن الماربي و المغرواي و أبي إسحاق الحويني مثل أولئك الرواة المترجم لهم في "ضعفاء العقيلي" و " المجروحين" لابن حبان .

ومن عجيب هذا الزمان أن تجد رجلا جالسا في مقهى قد انتشى بسيجارة محشوة يسمع احدهم يقول: قال القرضاوي، فيقول له:مجروح!

و أعجب منه أن يصير علم الجرح و التعديل علما يقلد فيه ،ومعلوم أن علامة فساد استخدام هذا العلم هو انقلابه على أصحابه ، ومن علامة فساد العداوة الدينية و أنها

لغير الله تعالى تلبسها بالجهل ،وهو هنا عدم الانضباط بقواعد الجرح ،و بالتعدي وهو هنا رد ما مع المخالف من حق.

و الحمد لله رب العالمين و الصلاة و السلام على اشرف المرسلين.

أرزيو في10-04-2009

مختار الأخضر طيباوي

لماذا يجب أن نرد على المخالف خاصة الظالم منهم ؟

إن السلفيين الذين هم على منهج الأوائل علما وعملا، اعتقادا وسلوكا درع الإسلام الذي يرد عنه ضربات العدو، إنهم يصولون ويجولون في ميادين الفكر والمعرفة الهادفة بدافع الإيمان، و إن كان في لهجتهم حرارة فهي حرارة الإيمان المنافية لبرودة البدعة، و حرارة اليقين بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم، واليقين بأن أصل المعرفة وجذعها وغصنها وثمرتها في كتاب الله وسنة نبيه، لا يشكون في ذلك أدنى شك، إنهم ليسوا مجرد ناعقين أو مرددين مقلدين، إنهم يحملون للعالم نور المعرفة الحقيقية، وجمال الإنسانية العابدة لربها الموقنة بآخرتها، المقتدية بنبيها في أبهى الصور و أجمل الأمثلة.

إنهم رواد المعرفة الشرعية والعقلية، وحماتها من الطفيليين والصابئة والمتهوكين، مهما سمى المخالفون معرفتهم بأنها نقلية أو سمعية أو حشوية، فإن الله ورسوله، وصالح عباده والتاريخ قد حكم على مخالفهم بالزيغ والضلال.

النقد عند السلفيين:

إن مصدر النقد عند السلفيين إيماني ديني، ولذلك يقع بين النفي والإثبات، نفي الباطل وما يقود إلى الباطل، و إثبات الحق وما يقود إلى الحق، ولعل جميع النظريات الكبرى في الفكر البشري التي أثرت عليه جاءت ضمن هذا المنطلق: مواقف عقدية، إذ إن الحافز عامل هام في النقد، ولذلك نجد البحوث الخالية من هذا العامل تحت عذر الحياد أو الموازنة بحوثا عقيمة لا تولد نتائج معتبرة، ولا تحسم النزاع بشكل ملاحظ وجلي.

الأخطاء العلمية لا توجب التبديع في كل حال

لم أجد الوقت لتهذيبه

أنواع خطأ العلماء في المسائل العلمية:
من المعلوم أنه لا يكاد يوجد من لم يخطيء في العلم خاصة بعد القرون المفضلة
قال ابن تيمية في"الدرء"{35/7}:"و أهل العلم بالحديث أخص الناس بمعرفة ما جاء به الرسول ومعرفة أقوال الصحابة و التابعين لهم بإحسان، فإليهم المرجع في هذا الباب، لا إلى من هو أجنبي عن معرفته، ليس له معرفة بذلك، ولولا أنه قلد في الفقه لبعض الأئمة لكان في الشرع مثل آحاد الجهال من العامة.
فإن قيل:قلت: إن أكثر أئمة النفاة من الجهمية و المعتزلة كانوا قليلي المعرفة بما جاء به الرسول و أقوال السلف في تفسير القرآن و أصول الدين و ما بلغوه عن الرسول، ففي النفاة كثير ممن له معرفة بذلك؟
قيل هؤلاء أنواع: نوع ليس لهم خبرة بالنقليات، بل هم يأخذون ما قاله النفاة عن الحكم و الدليل و يعتقدونها براهين قطعية، وليس لهم قوة على الاستقلال بها، بل هم في الحقيقة مقلدون فيها، و قد اعتقد أقوال أولئك في جميع ما يسمعونه من القرآن و الحديث و أقوال السلف، لا يحملونه على ما يخالف ذلك، إما أن يظنوه موافقا لهم، و إما أن يعرضوا عنه مفوضين لمعناه.
وهذه حال مثل أبي حاتم البستي، و أبي سعد السمان المعتزلي، و مثل أبي ذر الهروي، و أبي بكر البيهقي، و القاضي عياض، و أبي الفرج بن الجوزي، و أبي الحسن على بن المفضل المقدسي و أمثالهم.
و الثاني من يسلك في العقليات مسلك الاجتهاد و يغلط فيها كما غلط غيره، فيشارك الجهمية في بعض أصولهم الفاسدة، مع انه لا يكون له من الخبرة بكلام السلف و الأئمة في هذا الباب ماكان لائمة السنة، و إن كان يعرف متون الصحيحين و غيرهما.
وهذه حال أبي محمد بن حزم، و أبي الوليد الباجي، و القاضي أبي بكر بن العربي، و أمثالهم.
ومن وهذا النوع بشر المريسي، و محمد بن شجاع الثلجي و امثالهما[قلت:
ومنهم:النووي و ابن حجر و كثير من المعاصرين]ويمكن إلحاقهم بالنوع الثالث .
ونوع ثالث: سمعوا الأحاديث و الآثار و عظموا مذهب السلف و شاركوا المتكلمين

الجهمية في بعض أصولهم الباقية، ولم يكن لهم من الخبرة بالقرآن و الحديث و الآثار ما لأئمة السنة و الحديث، لا من جهة المعرفة و التمييز بين صحيحها و ضعيفها، و لا من جهة الفهم لمعانيها، وقد ظنوا صحة بعض الأصول العقلية للنفاة الجهمية، ورأوا ما بينها من التعارض، وهذا حال أبي بكر بن فورك، و القاضي أبي يعلى، و ابن عقيل و أمثالهم، و لهذا كان هؤلاء تارة يختارون طريقة أهل التأويل كما فعله ابن فورك و أمثاله في الكلام على مشكل الآثار.

و تارة يفوضون معانيها و يقولون: تجري على ظواهرها، كما فعله القاضي أبو يعلى و أمثاله في ذلك.

وتارة يختلف اجتهادهم، فيرجحون هذا تارة، و هذا تارة كحال ابن عقيل و أمثاله، وهؤلاء قد يدخلون في الأحاديث المشكلة ماهو كذب موضوع، ولا يعرفون إنه موضوع..."

ومن يطعن على فضلاء الأشاعرة الذين ذكرهم ابن تيمية في (الدرء)(2/35) الذين خدموا الدين وناضلوا عنه،وعظموا السنة لكنهم وقعوا في بدع بسبب خلل في التصور ومقدمات فاسدة ظنوها صحيحة مع سلامة قصدهم وتحريهم اتباع الحق فيلزمه في شيوخه ما يلزم به هؤلاء .

ومن يقيم عذرهم لكن يبين أخطاءهم بالعلم و الحجة فيلزمه طرد أصوله في أمثالهم أو فيمن هو أقل منهم .

وعجبا من سلفية بدعية تتأول لرجل ـ وهو تأويل صحيح ـ أخطأ في مسالة الايمان،وفي القدر و القضاء،وفي زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم ،وتأول بعض الصفات،والتوحيد عنده ما عليه المتكلمون:"واحد في ذاته لا قسيم له،وواحد في صفاته لا شبيه له،وواحد في أفعاله لا شريك له" وهذا توحيد الفلاسفة لا توحيد الكتاب و السنة بل صرح أنه لا طريق لفهم آيات الصفات إلا بطريق السلوب وهوصريح مذهب المعتزلة، وكل هذا من البدع الغليظة و المتوسطة التي شدد السلف النكير فيها ،وتنازعوا في كفر صاحبها إضافة الى أخرى ثم تبدع من هو أحسن اعتقادا منه بمسائل ليست من العقيدة وهي أشبه بالاختيار الفقهي كحمل المجمل على المفصل،ونصحح ولا نجرح،ولزوم قبول الجرح المفسر،والموازنة بين الحسنات و السيئات ،وتجعل كل كلمة حق في حاكم ولو كانت نصيحة مضبوطة من الخروج

عليه بالسيف(!)

دون تفريق بين حاكم يمكن أن نحكم عليه بنوع من الصلاح نظرا لتعظيم الدين و أهله في بلده، وحاكم الدين عنده في أسفل سافلين،وأهله في قهر وقمع ،وبين بلد في أمن يراد له الفتنة ،وبلد في فتنة يراد له الامن،ولا يسمون السيئات بأسمائها ،ولا يذكرون إلا حسناتهم ،ويصدقونهم في كذبهم ،وقد علموا سبب خلع كتف مالك و الطواف به منكوسا على ظهر حمار،وسبب سجن أحمد وجلده، وما قاله في أموالهم وثغورهم وجباياتهم، وسبب هروب سفيان الى مكة ،و اختفائه بين صنعة الجراب، وقد علموا شدته على الملوك مع نهيه عن الخروج عليهم ،وعلموا موقف حي بن صالح ،وموقف ابن أبي ذئب مع السفاح ،وموقف النووي مع قطز ،وموقف ابن تيمية مع الناصر قلاوون ،وكل هؤلاء "الحكام"كانوا يحكمون بشريعة الله ،و يجاهدون في سبيل الله ،و الدولة قائمة شامخة في عهدهم، ومع ذلك قام عليهم أئمة الحق بالحق من غير أن يخرجوا عليهم، أو يثيروا عليهم العامة أو يشعلوا الفتن ،كانوا علماء أمة تحملوا واجبهم و أدوا ما عليهم، ومن تخلف وفر من الحكام بدينه لم يلموه،ومن خالطهم و نصحهم لم يلموه،ومن صدع بالحق في وجوههم لم يلموه ،إنما نهوا أن يجروا العوام الى الفتنة و سفك الدماء و تفريق صفوف المسلمين و اضعاف شوكتهم ،وكانوا يتدخلون في الحسبة فان رأوا احتكارا للسلعة ،أو غلاء المعيشة كتبوا للملوك الرسائل و نصحوهم ،ونهوهم عن ظلم العامة ،و عن إثقال كاهلهم بالضرائب وغير ذلك ،فقاموا بحقوق الأئمة و بحقوق الأمة ،وجمعوا بين حق الدين ومدافعة ظلم الحكام له بما ينصرونه من بدع و مبتدعة يقربونهم منهم ويولونهم المناصب بمدافعتهم بالعلم و الحجة و الصبر على آذاهم من غير دعوة للخروج عليهم، و أمروا بالصلاة خلفهم، و إعطاء الزكاة لهم، و الحج معهم، و الجهاد معهم، و الدعاء لهم، و طاعتهم في المعروف فقط فكانوا أئمة هدى بحق عاشوا لدين الله وماتوا على دين الله ،ومات المئات منهم في السجون ،من وفقه الله وثبت في وجه الباطل صيانة للدين كان من خيارهم، ومن اضطر لاجابة الملوك وهو كاره الى بعض بدعهم رحموه، ولم يكلفوه ما لا يقدر عليه ،هم أئمة إن نطقوا فبالشرع ،و إن سكتوا فبالشرع، فإن الشرع مدح الصادع بالحق، ورحم من خاف سوط السلطان وسيفه، وليس لنا الا ان نقول بما قال به الشرع، لكن بكل ما قال،ومن أراد الزيادة زدناه، و إن كانت الأمور واضحة

معلومة لا تخفى إلا على الناشئين في العلم الذين لم يعرفوا فيه إلا التقليد ،هذا هو المنهج الحق الذي كان عليه أئمة السنة ،لا الخروج على الحكام و تهييج العوام عليهم،وضرب استقرار الأمة ، وتمزيق صفوفها، ولاالاستكانة لهم و تزيين الباطل لهم أي الأمر بالمعروف بمعروف، و النهي عن المنكر بغير منكر، ومن اراد الحق خالصا من قلبه هداه الله اليه .

ماذا يملكون ؟ !

مساكين غلاة التَّجريح، رحم الله ضعفهم؛ لا يملكون غير السَّبِّ و الشَّتم و اللَّعن .

أهذا ما تعلمتموه من شيوخكم ؟

أهذا أدب القرآن أم هذه السُّنَّة و منهج السَّلف الصَّالح : الرَّدُّ بالسَّبِّ و اللَّعن؟

لو كان سبُّ المسلمين جائزا لمنع سبُّ الدُّعاة لأنَّه يفضي إلى ما لا يجوز عندكم يا فقهاء، وهو سبُّ شيوخكم.

قال الجاحظ المعتزلي المشهور:

((رأيت أنَّ سبَّ الأولياء أشفى لدائك، وأبلغ في شفاء سقمك، ورأيت أنَّ إرسال اللِّسان أحضر لذَّة، وأبعد من النَّصب، ومن إطالة الفكرة، ومن الاختلاف إلى أرباب هذه الصِّناعة.

ولو كنت فطنت لعجزك، ووصلت نقصك بتمام غيرك، واستكفيت من هو موقوف على كفاية مثلك، وحبيس على تقويم أشباهك كان ذلك أزين في العاجل.

وأحقّ بالمثوبة في الآجل، وكنت إن أخطأتك الغنيمة لم تخطك السَّلامة، وقد سلم عليك المخالف بقدر ما ابتلي به منك الموافق. وعلى أنَّه لم يبتل منك إلاَّ بقدر ما ألزمته من مؤنة تثقيفك، والتشاغل بتقويمك.(((الحيوان)

إلى كلِّ من سبَّني لأنَّ ردودي على شيوخه أزعجته :غفر الله لك و أحسن عاقبتك .

أخلاق رسلان لازمة عن طاعة الشَّيطان بعيدة عن عِباد الرَّحمن

بين أخلاق العلماء و أخلاق الدَّهماء بُعد السَّماء

بسم الله الرَّحمن الرَّحيم

الحمد لله ربِّ العالمين، و الصَّلاة و السَّلام على أشرف المرسلين.
أمَّا بعد؛فما أسهل الطَّعن في النَّاس، وما أطيب لذَّته عندما تفسد الفطر، وتضمحل الأخلاق، وتصير التَّقوى ظاهرًا لا باطن له ؟
لقد ضمَّن الدكتور رسلان خطبته الأخيرة كلامًا قبيحا يصعب على النَّفس السَّويَّة حكايته،فإنَّ من يستحي مِن الله يعجز عن البذاءة فيما بينه وبين نفسه فما بالك على رؤوس الأشهاد؟
وليست هذه مَرَّته الأولى، فالرَّجل على طبعه يسير حتَّى عمَّت منه في النَّاس الإساءة، يقطر لسانه بذاءة وسلاطة ، لا يعرف عذب الكلام الطَّيِّب فإنَّ القلب إذا طاب بذكر الله طاب لطيبته اللِّسان،و الله اختار أسماءنا، ولكلٍّ منَّا من اسمه نصيبٌ.
ولعلَّ بعض الأفاضل يستغرب و يسأل نفسه من أين للدكتور رسلان هذه الوَعْقة و الشَّراسة ، وقد نسب نفسه للعلم، وزعم ارتباطه بالقرآن و السُّنَّة ، هل هي فهم معوجٌّ للدِّين أم داء باطن غلب طبعه فتطبَّع به مُكرها ،لأنَّ البشر يحبُّون بفطرتهم حسن الخلق و جميل الكلام؟
و الجواب ذكره أبو حامد الغزاليُّ ونقله عنه المُناويُّ ـ رحمهما الله ـ في كتابه(فيض القدير)(2/498) : ((قال الغزاليُّ: ومن طاعة الشَّيطان في الغضب ينتشر إلى القلب صفة البذاءة، والبذخ، والكبر والعجب، والاستهزاء، والفخر، والاستخفاف، وتحقير الخلق، وإرادة الظُّلم وغيرها))
فهذه الصِّفات ناجمة إذًا عن طاعة الشِّيطان في الغضب،يعني: الرَّجل يغضب لنفسه لأنَّه يحبُّ أن يتعقَّب النَّاس بدون أن يتعقَّبوه،فإن تعقَّبه أحدهم بنصيحةٍ غضب فركبه الشَّيطان وقاده من قرني نفسه إلى هذه الصِّفات القبيحة شرعا وعُرفًا.
لدى بعد تحليل نفسيَّة الدكتور رسلان سأعرض عن أقبح ما في كلامه، وأختار أفضل ما جاء فيه و أردُّ عليه،وقد سبق أن أجبته عن استشهاده على فحشه وتفحُّشه بسنَّة النَّبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم كما أجبته عن تمسُّحه في سوء خلقه بشدَّة السَّلف كأنَّ الشِّدَّة عند السَّلف تعني سوء الخلق و الظُّلم و التَّفحُّش؟
زعم أنِّي كفَّرته ـ ويعلم من يعرفني أنَّي أبعد النَّاس عن تكفير المسلمين فهو أشدُّ ما أخشى في مسائل الأسماء و الأحكام، و أترك الاجتهاد فيه لغيري ـ لأنِّي جعله عميلا

للعلمانيِّين، وهذا تكفير له؟
وهذا كذب سمج و تحريف للكلام، فإنَّ الَّذي قلته له لا يشبه هذا من بعيد ولا من قريب،فإنِّي قلتُ بالحرف: ((ليصفهم بـ"الجراثيم" على معنى اللَّفظ في لغة إعلام العلمانيِّين الَّذين يستنصرون بسبِّه للعلماء و الدُّعاة لذمِّ الدِّين و أهله.))،((هذا الَّذي يدافع عن العلمانيِّين و دستورهم بسكوته حين يجب النُّصح، في حين أكل الرَّهج لأجل الطَّعن في الإخوان وذمِّ دستورهم))
فأين العمالة للعلمانيِّين، وأين التَّكفير ثمَّ أين الصِّدق الَّذي يهدي للبرِّ من الكذب الَّذي يهدي للفجور؟
ثانيا: قام بقلب اسمي من الطيباوي إلى النجساوي؟
فأقول: هذه لعلَّها تخفى على البشر، ولا يقدر عليها من دونهم إلاَّ الدكتور رسلان،فهي الحجَّة الَّتي دوَّخ البحث عنها المتقدِّمين و المتأخِّرين،لا تظفر بها في كتاب، ولا تأتيك في منام، لعلَّه بحث تحت بيته فوجدها في آثار الفراعين، فهي من بقاياهم ؟
2 ـ أنصحه أن ينزل سوقا من أسواق بلده، و يجادل بها باعة البرسيم فربَّما تنقطع أنفاس المساكين من قوَّتها فيعطونه برسيمهم مجَّانا يمضغه مع من يعلم إذا اشتدَّ به الغضب حتَّى يمنع لسانه من هذا السَّقط.
أزمة الأمَّة هي بالدَّرجة الأولى أزمة نخبة وقيادة كما جاء في الأحاديث الصَّحيحة ،فصلاح السَّواد الأعظم مرتبط بصلاح النخبة، وكما قال الماورديُّ: "العلماء للنَّاس كالملح للطَّعام فإن فسد الملح فمن يصلح الطَّعام".
وعندما ينظر كلُّ واحد منَّا في نفسه،وفي معارفه من الدُّعاة و طلبة العلم و النخبة بصورة عامَّة يجد انحطاطا في الأخلاق، حيث أباحوا لأنفسهم بتأويل فاسدٍ نسبوه للشَّريعة الشَّراسة، وسوء الظَّنِّ و الكذب،و التَّآمر،و التَّكتُّل الباطل، ،و السَّبَّ،وربَّما موالاة الظَّالمين.
فالعلماء ـ بعضهم أو كثير منهم، وأقصد هنا من ينسبُ نفسه للعلم كالدكتور رسلان ـ يردُّون على بعضهم بأخلاق الدَّهماء، ويكذبون على بعضهم بعضًا ، ويزوِّرون الحقائق، وينقلبون على بعضهم من أقصى إلى أقصى في ليلة واحدةٍ،ويستبيحون سوء الخلق، و السَّبَّ و الوقيعة ؟
وكلُّ هذا ليس من دين الله، ولا من أخلاق رسوله صلَّى الله عليه وسلَّم، فصار الدِّين لا

يؤخذ عن النَّبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم لأنَّ كلَّ نصوصه وقع عليها التَّخصيص و الاستثناء و التقييد بالأفهام و الأوهام المعوجَّة، وطُوِّعت لصالح الطَّائفيَّة الحزبيَّة ،و الصِّراعات بين العلماء، فاحتار العوامُّ في أخلاقنا وسلوكنا بين من اكتُشف على حقيقته فوجدوه طالب دنيا باسم الدِّين، وآخر نصَّابا،أو كذَّابا،أو مراوغا،أو عابدا للدِّينار، أو عابدا للكرسي.

والمسلم العاميُّ ينظر إليهم بعين حائرة؛ نقول: مشكلة الأمَّة وإن كانت معقَّدة فإنَّما عقَّدها فساد التَّربية و السُّلوك عند تجَّار الدِّين و العلم؛ أخذنا كلَّ شيء من الدِّين، وتفوَّقنا في الكلام عنه إلاَّ أخلاق الرَّسول صلَّى الله عليه وسلَّم نحن أبعد النَّاس عنها، وفي العوامِّ من رُزق منها أكثر من كثير من تجَّار الدِّين و العلم .

و الحلُّ ـ في الحقيقة ـ بسيط : تعاملوا مع النَّاس كما تعامل النَّبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم، وتخلَّقوا بأخلاقه يزول عنكم كلُّ هذا الضَّياع.

أهمِّيَّة الأخلاق للمسلم المعاصر ـ خاصَّة المنتسبين للعلم و الدَّعوة ـ أهمِّيَّة قصوى، بسبب طغيان الشَّهوات على المجال العلميِّ من حبِّ الشُّهرة و الرِّئاسة بحيث لم يعد الانحراف الأخلاقيُّ محصورًا في فئة محرومة، أو أمِّيَّة جاهلة بأحكام دينها ، بل قد تجاوز ذلك إلى النُّخبة العلميَّة فضلا عن بقية النُّخب.

فكان من أهمِّ عوامل ظهور الاستبداد بالرَّأي، وحبِّ الانفراد بالتَّأثير(إقصاء المنافس) كخلق في طالب العلم مهما كان هذا الطَّالب، ومهما كانت منزلته في العلم و مقامه في الدَّعوة إلى الله تعالى، بحيث صار الاستبداد بالرَّأي (إعجاب كلِّ ذي رأي برأيه) خلقا عامًّا.

كذلك انتشار ظاهرة الكذب في العلم، و تكذيب المخالف و استهجانه و احتقاره، و الشُّعور الزَّائف باحتكار الحقيقة ، و ازدراء النَّاس، وغمط المخالف حقَّه من أهمَّ أسبابه ضعف الأخلاق بسبب ضعف الوازع الدِّينيِّ الحقيقيِّ يعني: عدم التَّقوى الباطنة الَّتي هي ثمرة أعمال القلوب.

وعليه فإنَّ تنمية المبادئ الأخلاقية العلميَّة يعلِّم طالب العلم الَّذي يجالس أمثال الدكتور رسلان تعليق الحكم ،و تعليق العمل بسبب الشَّكِّ في البُعد الأخلاقي، فبدون أخلاق ربَّانيَّة رأسها الإخلاص، وقلبها الصِّدق يصير العلم غابةً يسكنها أناسٌ أجسادهم أجساد إنسيَّة و أنفسهم أنفس بهيميَّة شيطانيَّة،إمَّا الحال حال إيمانيٌّ، و القول قول

شيطانيٌّ، و إمَّا القول قول قرآنيٌّ و الحال شيطانيٌّ.
إنَّ الإسلام يقوم في جوهره ـ في جانبه السُّلوكي ـ على الالتزام الأخلاقي، لا على الشُّرطة ـ جميع أنواع الشُّرطة ـ و القمع، فالإيمان و ما ينتج عنه من أخلاق قلبيَّة نفسيَّة و أخرى لسانيَّة هو الَّذي يدفع المسلم إلى التَّقيُّد بفعل الواجب و بالفضيلة، وترك المحرَّم من تلقاء نفسه، لا خوفا من سطوة الدَّولة، ولا طمعا في ثواب النَّاس من الرِّياء و الجاه، بل خوف الله ،و رجاء ثوابه في الآخرة، وخوف تعيير النَّاس المؤمنين، و اجتناب لوم الضَّمير الحيِّ هو الرَّقيب على المسلم.
وعندما لا يقوم طالب العلم على الخوف من طائفته و أصحابه و شيوخه بل على الخوف من الله يكون عبدا لله اتَّخذ العلم وسيلةً لطلب مرضاة الله، لا لنيل مأربا شهوانيًّا، ولا لاعتداء على النَّاس،راقيا في سماء العبوديَّة ،يتقدَّم بأيسر الوسائل و بأقلِّ التَّكاليف، مستجيبا لأوامر الشَّريعة، محبًّا لمكارم الأخلاق،باحثا عن أعلى المنازل وأرقى المقامات .
فعندما يدرك المسلم خاصَّة طالب العلم أنَّه إذا تصرَّف خلاف الشَّريعة، وخلاف الفضيلة، و خلاف منصب العلم و الدَّعوة شعر بالنَّدم الشَّديد، و أصاب ضميره تأنيب حادٌّ يستدعي لديه قلقا بالتوبة و الإصلاح، هنا وهنا فقط يكون الدِّين فيه قد وصل إلى مستواه الحقيقيِّ، كما أنزله الله، دين لا حرج فيه لأنَّه نابع من أعماق النَّفس اتَّحدت ـ موافقةً ـ فيها إرادتها مع إرادة الخالق.
قال أبو حبَّان التيمي:"العلماء ثلاثة: عالم بالله ليس عالما بأمر الله، وعالم بأمر الله ليس عالما بالله، و عالم بالله و بأمر الله، فالعالم بالله الذي يخشى الله و العالم بأمر الله الذي يعرف الحلال و الحرام.
و إذا عرفت هذا عرفت سبب طغيان الهوى على بعض المنسوبين للعلم وكثرة الفحش و التَّفحُّش في كلامهم ،و مجانبتهم الصَّواب و الحقَّ.
وفي الأخير أقول: للعلماء أخلاق تليق بجلالة العلم وقدره عند الله من أبرزها أنَّه عندما يتبيَّن لهم الرُّشد في غير آرائهم يرجعون إليه،وقد أرشدنا الدكتور رسلان إلى الحقِّ بأدلَّته، وليس بالسَّبِّ و الكلام المرسل من كلِّ قيد صحَّة أو قيد ضمير.
قال وهب بن منبِّه كما في(حلية الأولياء)(4/36) : ((زَيِّنْ طَاعَةَ اللهِ بِالْعِلْمِ، وَالْحِلْمِ، وَالْفِقْهِ، ثُمَّ أَكْرِمْ نَفْسَكَ عَنْ أَخْلَاقِ السُّفَهَاءِ، وَعَبِّدْهَا عَلَى أَخْلَاقِ الْعُلَمَاءِ، وَعَوِّدْهَا عَلَى

فِعْلِ الْحُلَمَاءِ، وَامْنَعْهَا عَمَلَ الْأَشْقِيَاءِ، وَأَلْزِمْهَا سِيرَةَ الْفُقَهَاءِ، وَاعْزِلْهَا عَنْ سُبُلِ الْخُبَثَاءِ.))

وما ورد من غمز خفي في هذا المقال فلستُ أقصد به الإيذاء، و إنَّما رسالة للدكتور رسلان أنَّنا لا نعجز عن شدَّة اللِّسان و الاستهزاء، لو كان هذا سبيل الرُّشد،لدى تركناه اختيارا وليس ضعفا.

أمَّا للشَّباب المحيط بالدكتور رسلان مَّمن يتشوف للعلم، و يريد أن يسلك مسلك السَّلف الصَّالح فأقول لهم: قال لقيط بن صبرة للنَّبيِّ صلَّى الله عليه و سلَّم : ((إِنَّ لِي امْرَأَةً وَإِنَّ فِي لِسَانِهَا شَيْئًا - يَعْنِي الْبَذَاءَ -فقَالَ له: «فَطَلِّقْهَا إِذًا» ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ لَهَا صُحْبَةً، وَلِي مِنْهَا وَلَدٌ، قَالَ: " فَمُرْهَا يَقُولُ: عِظْهَا فَإِنْ يَكُ فِيهَا خَيْرٌ فَسَتَفْعَلْ، وَلَا تَضْرِبْ ظَعِينَتَكَ كَضَرْبِكَ أُمَيَّتَكَ)) سنن أبي داود(1/35).

قلتُ: إنكم لن تقدروا على وعظه، ولو قدرتم لن يستجيب لكم، فطلِّقوه هو أسلم لكم عاقبة، وأنفع لكم علما ومعرفة، فكما في هذا الحديث البذاءة مبيحة للفراق.

و الحمد لله و الصَّلاة و السَّلام على رسول الله.

أرزيو/ الجزائر ،في03/02/2014م

مختار الأخضر

تنبيه للغافل الذي يجالس رسلان:

هذه حجة حاول أن تتخلص منها

إذا كان الغناء عند العقلاء يستقبح إن كان فيه شيء من الخنا والفحش فكيف بدروس العلم و خطب المنبر عند الأتقياء؟

قال أحمد بن يحيى بن الوزير: خرج الشافعي ـ رحمه الله تعالى ـ يوماً من سوق القناديل فتبعناه فإذا رجل يسفه على رجل من أهل العلم فالتفت الشافعي إلينا وقال: ((نزهوا أسماعكم عن استماع الخنا كما تنزهون ألسنتكم عن النطق به فإن المستمع شريك القائل، وإن السفيه لينظر إلى أخبث شيء في إنائه فيحرص أن يفرغه في أوعيتكم، ولو ردت كلمة السفيه لسعد رادها كما شقي بها قائلها))

من يسمع لرسلان هل عنده عقل ولو مثل عقل آكلات الأعشاب التي تنفر من خبيث الطعام وناجسه، لا ترضى حتى بشمه بله مضغه؟

أيمكنكم أن تحدثوا آباءكم و أمهاتكم بتلك العبارات؟
الظاهر أن من يفعل هذا في المساجد وعلى المنابر المختلفة قد تجاوز أفٍ إلى كفٍ.

بعض الصَّراحة لا يقتل.

أين يكمن الإشكال السَّلفيُّ ؟
مادام عقلاء الأمَّة يعتبرون السَّلفيَّة اللَّقيطة ،سلفيَّة القُمامة جماعة سلفيَّة فلن تتوقَّف هذه المهازل.
هؤلاء فرقة لقيطة من سِفاحٍ بين فهمٍ للدِّين قاصر و وواقع معادي يوظِّفهم، تقتات على القُمامة ينفخ فيها أعداء الدِّين.
بهذا وحده يسلم لك التَّحليل حينما تكلُّ في البحث عن أسبابٍ موضوعية لهذا الوباء الكارثي في العلم و السُّلوك.

زجر أتباع القرآن عن سماع خنا رسلان

الحمد لله وحده، و الصَّلاة و السَّلام على من لا نبيَّ بعده.
أمَّا بعد؛فإنِّي أكاد أعاف العلم عندما يضطرُّك الجهلة إلى الخوض في التُّرَّهات البسابِس و الكلام السَّخيف لأنَّ بعض من ينسب نفسه لأهل السُّنَّة من الشَّباب المغرَّر بعقله أرخى أذنه لأمثال [الدكتور] رسلان وما ينبغي لشباب أهل السُّنَّة أن يقادوا كالبعير ليصبَّ [الدكتور] رسلان القاذورات في قلبوهم حتَّى تتعفَّن فإنَّ نور القرآن و نور السُّنَّة لا يجتمعان أبدًا في قلب امتلأ بالخنا.
و لا ازداد كلَّ يوم إلاَّ احتقارا لهذه الفئة المتشيِّخة زورًا ،التَّافهة علمًا ، السَّاقطة أخلاقا ، و أجد أنَّه من العار أن يردَّ طالب علم على المخالف له مهما كان بالتَّفحُّش، فهذا لا يفعله إلاَّ أهل النِّفاق من الرَّافضة و أشباههم،أو أهل الفجور، فعندهم وفي كتبهم نجد الطَّعن في الأنساب و التَّقاول بالعورات؟
و أقول لهذا الدَّعيِّ بخصوص ردوده ما قاله شيخ الإسلام لابن الجوزيِّ ثمَّ ليقابل أتباع [الدكتور] رسلان بين كلام شيخهم وطريقته وبين هذا الكلام ثمَّ ليحكموا بأنفسهم ، قال في (المجموع)(4/186): ((هَذَا الْكَلَامَ لَيْسَ فِيهِ مِنْ الْحُجَّةِ وَالدَّلِيلِ مَا يَسْتَحِقُّ أَنْ

يُخَاطَبَ بِهِ أَهْلُ الْعِلْمِ. فَإِنَّ الرَّدَّ بِمُجَرَّدِ الشَّتْمِ وَالتَّهْوِيلِ لَا يَعْجِزُ عَنْهُ أَحَدٌ، وَالْإِنْسَانُ لَوْ أَنَّهُ يُنَاظِرُ الْمُشْرِكِينَ وَأَهْلَ الْكِتَابِ: لَكَانَ عَلَيْهِ أَنْ يَذْكُرَ مِنْ الْحُجَّةِ مَا يُبَيِّنُ بِهِ الْحَقَّ الَّذِي مَعَهُ وَالْبَاطِلَ الَّذِي مَعَهُمْ، فَقَدْ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِنَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ {ادْعُ إلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} وَقَالَ تَعَالَى: {وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} ، فَلَوْ كَانَ خَصْمُ مَنْ يَتَكَلَّمُ بِهَذَا الْكَلَامِ - سَوَاءٌ كَانَ الْمُتَكَلِّمُ بِهِ أَبُو الْفَرَجِ أَوْ غَيْرُهُ مِنْ أَشْهَرِ الطَّوَائِفِ بِالْبِدَعِ كَالرَّافِضَةِ - لَكَانَ يَنْبَغِي أَنْ يَذْكُرَ الْحُجَّةَ وَيَعْدِلَ عَمَّا لَا فَائِدَةَ فِيهِ إذْ كَانَ فِي مَقَامِ الرَّدِّ عَلَيْهِمْ دَع وَالْمُنَازِعُونَ لَهُ - كَمَا ادَّعَاهُ - هُمْ عِنْدَ جَمِيعِ النَّاسِ أَعْلَمُ مِنْهُ بِالْأُصُولِ وَالْفُرُوعِ.))

فإذا اختلف العلماء في حكم إنشاد الشّعر في المسجد وذهب بعضهم إلى جوازه بشرط خلوه من الخنا و الزُّور كما قال ابن بطَّال في شرحه على البخاريّ (2/103).

وقال ابن عبد البرّ في (الاستذكار) : ((وَأَمَّا مَا كَانَ فِيهِ مِنَ الْفَخْرِ بِالْآبَاءِ الْكُفَّارِ وَالتَّشْبِيبِ بِالنِّسَاءِ وَذِكْرِهِنَّ عَلَى رُؤُوسِ الْمَلَأِ وَشِعْرٌ يَكُونُ فِيهِ شَيْءٌ مِنَ الْخَنَا فَهَذَا كُلُّهُ لَا يَجُوزُ فِي الْمَسْجِدِ وَلَا فِي غَيْرِهِ وَالْمَسْجِدُ أَوْلَى بِالتَّنْزِيهِ مِنْ غَيْرِهِ))

ثمَّ بيَّن رحمه الله عادة العرب في الخطاب فقال في المرجع نفسه (2/298): ((فِي هَذَا الْحَدِيثِ قَوْلُهُ "إِذَا أَرَادَ أَحَدُكُمُ الْغَائِطَ" مَا يَدُلُّ عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ الْعَرَبُ فِي مُخَاطِبَاتِهَا مِنَ الْبُعْدِ عَنِ الْفُحْشِ وَالْبِذَاءِ وَالْقَذَعِ وَمَجَانَبَةِ الْخَنَا وَدَنَاءَةِ الْقَوْلِ وَفُسُولَتِهِ ،وَلِهَذَا قَالُوا لِمَوْضِعِ حَاجَةِ الْإِنْسَانِ: الْخَلَاءُ، وَالْمَذْهَبُ وَالْغَائِطُ، وَالْمَخْرَجُ، وَالْكَنِيفُ، وَالْحُشُّ، وَالْمِرْحَاضُ، وَالْمِرْفَقُ، وَكُلُّ ذَلِكَ كِنَايَةٌ وَفِرَارٌ عَنِ التَّصْرِيحِ بِاسْمِ الرَّجِيعِ))

فهل يجوز لرسلان في دروس علميَّة أو خطب منبريَّة أو مقالات كتابيَّة أن يتفوَّه بتلك القاذورات؟

وإذا نحكم على هذا الرَّجل فإنَّنا لا نحكم عليه إلاَّ بالقرآن و السُّنَّة و كلام العلماء ، قال النَّبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم : ((مَنْ لَمْ يَدَعِ الْخَنَا وَالْكَذِبَ، فَلَا حَاجَةَ لِلَّهِ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ)) رواه الطَّبرانيُّ في (الأوسط) وقال الحافظ في (الفتح): رجاله ثقات.

فإن قال فقيه السَّبَّابة رسلان: هذا يخصُّ الصَّوم ؟

قلنا له:حسنات الأبرار سيِّئات المقربين، و العلماء - إن كان فيك عشرهم - يصومون الدَّهر عن الخنا و الكذب.

لقد جمع بعض الإخوة معجم شتائم و تفحُّشات الدكتور رسلان، فأنا أسأل مرَّة أخرى من يتبعه أو يجالسه اذهب بها فإن قدرت أن تلقيها على والدك أو والدتك فهي حقٌّ، و إن عجزت فأنت أدرى بحالك، فإيَّاك و كلمات طالما لفظها الكرام، فلسان رسلان دليل على عقله ،وقديما قالوا:

لا تبسط لسانك فيفسد عليك شأنك.

أقول لمن لا يزال بعد المقالات الواضحات الكاشفات لجهل [الدكتور] رسلان يعتقد فيه: دين العجائز خيرٌ لك من مجالسة هذا الرَّجل،فالجاهل أمره أهون حالا منك وقد رأيتَ كيف يقابل العلم بالخنا،و الاستدلال بالآيات و النُّصوص السَّاطعات بالحديث عن العورات،فإن لم يشخص بك طلب التَّمييز بين الحقِّ و الباطل إلى مفارقة أهل السُّوء و إن تعمَّموا فأنت أنت قعدت بك خسَّة النَّفس وضعف الهمَّة،لأنَّ الإنسان الشَّريف يتشوَّف إلى الأفضل و إن لم يقدر عليه لم يرض لنفسه ما هو دون المفضول، و مجالسة رسلان أسوأ من مصاحبة مخبول.

واحترم نفسك ودينك ،و لا تدعه يستخفُّ بعقلك،لأنَّ من جعل نفسه ـ تصريحا ـ كماء زمزم، فمن ردَّ عليه فقد بال في ماء زمزم، يعني: إذا كان ماء زمزم مباركا لا يشبه بقية المياه، وفيه الشِّفاء و غير ذلك، فكلام رسلان بقياس عرجان العقول كلام معصوم ،فيه الشِّفاء و البركة؟

فإن رضيتم بالعصمة لغير الأنبياء فأنتم في الجماعة الخطأ لأنَّ هذا تجدوه عند ابن الرومي و القونوي و التِّلمساني،وليس في السَّلفيَّة؟

ثم أقول لكم ما قاله ابن القيِّم في (طريق الهجرتين) : ((...كلَّ حال وذوق ووجد وشهود لا يشرق عليه نور العلم المؤيَّد بالدَّليل فهو من عبث النَّفس وحظوظها، فلو قدر أنَّ المتكلِّم إنَّما تكلَّم بلسان العلم المجرَّد فلا ريب أنَّ ما كشفه العلم الصَّحيح المؤيَّد بالحجَّة أنفع من حال يخالف العلم والعلم يخالفه))

قال المناويُّ في(فيض القدير): ((ومن لم يسمع اختلاف المذاهب وتضليل أهلها بعضهم لبعض كان أمره أهون ممَّن سمع منها وهو حائم لا يشخص به طلب التَّمييز بين الحقِّ والباطل، ولهذا كان الإمام الرَّازيُّ فيما نقله ابن حجر مع تبحُّره في الأصول يقول: من التزم دين العجائز فهو الفائز.))

أرزيو/ الجزائر ، في 04/02/2014م

مختار الأخضر الطيباوي

وسائلُ تَخطِّي سلبيَّات الطَّائِفيَّة

بسم الله الرَّحمن الرَّحيم

الحمد لله وحده، و الصَّلاة و السَّلام على من لا نبيَّ بعده.

أمَّا بعد؛فإنَّ توجيه المسلمين إلى الحقِّ الظَّاهر و الواضح بمعالم العلم، بحثًا عن قواسم مشتركةٍ، تَصلُح أساسًا لبناء أمَّة إسلاميَّة جديدةٍ ،على قواعد تعامليَّة جديدة ومتينةٍ ـ لا تَغرق في التَّاريخ الطَّائفي و الصِّراعي التَّناحري،و دون أن نجعل من هذا الحقِّ سلاحًا لنطأَ بِهِ رقابَ المسلمين ولنذمَّهم، أو لنستخرجَ به ضغائنهم المتولِّدة من ممارسات يطبعُها البغيُ و العُدوان طيلةَ مسيرة التَّاريخ ـ ليس هو المشكل الَّذي يُعيق نهوض الأمَّة و توَّحدها.

إنَّ اتِّخاذ القضايا العلميَّة الصَّحيحة ـ ضدَّ وظيفتها ـ وسيلةً لإثارة العواطف العدائيَّةِ الكامنة، و إبراز التَّناقضات، هو ما يُبقي هذه الأمَّة في حالتها الرَّاهنة، وهي أسوأ وضعيَّة مرَّت بها الأمَّة،هذه الوضعيَّة الَّتي أصبحت بلونِها ومظهرِها، و صُعودِها ونزولها تحكي حالة الحيرة الَّتي تنتابُ المسلمَ المعاصر، الَّذي يجد نفسه يُعادي مُسلمًا آخر، ويحاول أن يُحاصِرَه و القضاءَ على وجودِه، لأنَّه حليق اللِّحية، أو لأنَّه يلبسُ بذلة، أو لأنَّه يضعُ على رأسِهِ عمامةً ،أو لأنَّه أشعريٌّ أو يحبُّ التَّصوُّفَ ـ و العكس صحيح ـ

إنَّ تجاوزَ العصورِ و اختراقها، للوصول إلى قواعد "التَّعامل البيني" بين المسلمين، كما كانت في عهد النَّبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم، لتجديدها، و إعادةِ بعثِها حيَّة في هذا العصرِ، هو الحلُّ الوحيدُ الكفيل بالنُّهوض بهذه الأمَّة، و إعادةِ بعثِ رسالتها.

إنَّ الاستخدام المفرط لاجتهادات العصورِ القديمة في المشكلات المستجدَّة، لن تتمكَّن من إقناع المسلم المعاصرِ، الواعي بالمخاطر الَّتي تتهدَّد أمَّته بهذا المنهج،لأنَّه أصبح يَشعُر أكثر فأكثر بوطأة هذا المنهج على مُستقبل الأمَّة، و مساهمتهِ في تضخيم وضعها المزري.

إنَّنا بالبحث عن قواعد جديدةٍ ومتينة للتَّعامل بين المسلمين، تنطلقُ بهم في مضمارٍ سليم، وعلى هُدى وبصيرة بدور أمَّتِهم، وشموليَّة دينِهم، وقُدرته على تجاوز

الاختلاف ـ الطَّبيعيِّ الفطريِّ ـ في أُطر الإدراك، والاختلافِ نتيجةَ تطوُّر العلوم و الأفكار وتشابك مسالكها، ونتيجة الصِّراعات السِّياسيَّة و العرقيَّة ،لا نبتغي بهِ اختراع هذه القواعد من غير سابق، لأنَّها ـ في الحقيقة ـ موجودة في الإسلام قبلَ وبعدَ أن غزته الطَّوائف،إنَّها موجودةٌ في كلِّ عصر مرَّ به الإسلامُ، ولكن غطَّى عليها عدمُ الوعي وسُنَّة التَّدهورِ و الانحطاط.

و إنِّني في إسهامٍ قادم ـ إن شاء الله ـ سأُبرزها في سلسلةِ مقالات، لتكونَ واضحةً للعيان، وحتَّى تُبدِّدَ القلقَ العلميَّ و المرجعي،الَّذي يُسبِّب لبعضِ المسلمين المعاصرين التَّردُّد والحيرة في التَّعامل مع بقيَّة المسلمين.

ألا يمكن للطَّائفة من المسلمين أن تكتملَ بِبقيَّة المسلمين دون أن تلغيهم، أو أن تلغي نفسَها وتذوبَ فيهم ،من خلالِ التَّعامل الواعي معهم، والالتفاف حول القواسم المشتركةِ.

مرسى أرزيو/ الجزائر ،في 10/12/2013م

مختار الأخضر طيباوي

سلسلة فيصل التفرقة العلمية بين السلفية السنية و السلفية البدعية

الحلقة الأولى

قال الله عز وجل:{قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا} .

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين و الصلاة و السلام على أشرف المرسلين.

أما بعد،يجمع بعض المنتمين إلى السلفية في منهجهم بين متناقضين:البراءة الحرورية و الولاء المرجئي، فمع المسلمين تتبرأ ممن وقع في خطأ كما يتبرأ الخوارج، وفي الوقت نفسه توالي الظالمين و المخطئين من أتباعها ولا تتبرأ منهم ولو صدر منهم ما صدر، كما يوالي المرجئة.

خصائصه وعلامات السلفية البدعية:

هم من حيث العموم أشبه بالقعيدية من الخوارج في بعض الأوجه، و أصولهم العلمية توافق أصول الخوارج، و إن حاولوا نسبتها إلى أهل السنة و الجماعة، فهم برزخ بين أهل السنة و الجماعة و بين الخوارج، منهم من هو أميل إلى أصول أهل السنة و الجماعة، ومنهم من هو أميل إلى أصول الخوارج، وبعضهم يعرف حقيقة مذهبه، و البعض الآخر لا يعرف ذلك، التبس عليه الأمر فدخل معهم وهو يحسبهم أهل سنة وجماعة، فلعل هذا المقال يبصرهم بحقيقتهم فيتداركوا أمرهم قبل أن يموتوا على مذهب مركب من أصول الخوارج و المرجئة و شبه حالية رافضية.

من أخطاء السلفية البدعية

لا يفرقون بين مرحلة و مرحلة، بين فترة وفترة، بسبب سوء فهمهم لقاعدة التبديع و التفسيق و التحريم و التكفير، فعندهم طاعة الرسول واجبة في جميع الأحوال و بدون شروط أو انتفاء موانع، أما أهل السنة فيعبر ابن تيمية عن منهجهم المأخوذ من الكتاب و السنة و الإجماع فيقول في"المجموع"{71/19}:" طاعة الرسول إنما تمكن مع العلم بما جاء به و القدرة على العمل به، فإذا ضعف العلم و القدرة صار الوقت و قت فترة في ذلك الأمر فكان و قت دعوة و نبوة في غيره."

و ينعكس هذا على الحدادية بفروعها فلا يفرقون في مسألة هجر المبتدعة و مقاطعتهم بين الفترة التي يكون فيها العلم بالسنة منتشرا و أهل السنة أقوياء، بيدهم الحكم والولايات و القضاء، وبين الفترة التي تكون فيها السنة مندرسة و أهلها مستضعفين ليس بأيديهم شيء كما صح عن الإمام أحمد و ابن تيمية و الألباني و كما صح عن ابن عباس و علي بن أبي طالب في قصة صبيغ، فلا تسمع شيخا من هؤلاء إلا وهو يحتج عليك بقصة نصر بن الحجاج بن العلاط وينسى قصة صبيغ بن عسل.

إلى شبابنا الطيب:

ذكر ابن الجوزي ـ رحمه الله ـ في كتابه(صفة الصفوة) هذه القصة ،وفيها عبرة لكل من أسرف على نفسه ،و الشباب كما قال عمر: شعبة من الطيش: ((قال أبو عمرو بن نجيد : كنت أختلف إلى أبي عثمان مدة في وقت شبابي، وكنت قد حظيت عنده.

فقضي من القضاء أني اشتغلت بشيء مما يشتغل به الفتيان، فنقل ذلك إلى أبي عثمان

وانقطعت عنه بعد ذلك. وكنت إذا رأيته في الطريق اختفيت فدخلت يوماً سكة من السكك فخرج علي أبو عثمان من عطفة فلم أجد عنه محيصاً، فتقدمت إليه وأنا دهش متشور. فقال لي: يا أبا عمرو لا تثقن بمودة من لا يحبك إلا معصوماً.))

ضوابط توجيه كلام النَّاس:
ليس كلَّ من نطق بشيء سمَّاه علمًا يوجَّه كلامه إذا اكتنفه الغموض أو غطَّاه الاستغراب،أو داخلته السَّواقط، إنَّما ذلك ـ كما أشار إليه ابن حزم ـ لعلِّيَّة الرِّجال الَّذين تُحصى أنفاسهم، و تتبع معاني كلامهم ، فتوجَّه لها الوجوه البعيدة ، لأنهم بخلاف الجهلة لا يوقعونها سدى، ولا يلقونها هملا.

العقل عند أرباب علم القلب
كلمات لأشهر العبَّاد ـ يعني أرباب القلوب و الأحوال ـ في العقل الَّذي ضيَّع بعض المنتسبين للسُّنَّة مكانته،وعدُّوه عدوًّا لها، تجمَّل بها تحملك في سفرك إلى الله، وتؤنس غربتك،وتكشف لك حقائق النَّاس بأقوالهم :
1ـ صناعة العقل: حسن الاختيار ـ
ـ التَّودُّد إلى النَّاس نصف العقل، وحسن السُّؤال نصف العلم.
ـ العقل معدن والفكر معول.
ـ ما أوتي عبد بعد الإيمان أفضل من العقل.
ـ لا عدم كعدم العقل.
ـ ما خلع الله عزَّ وجلَّ على عبد من عبيده خلعة أفضل من العقل.
ولا قلَّده قلادة أجمل من العلم، ولا زيَّنه بزينة أفضل من الحلم، وكمال ذلك كله التَّقوى.المرجع (صفة الصَّفوة)

أذكياءٌ عقلاء في علوم الدُّنيا وبُهْمٌ في علوم الدِّين:
ممَّا يأسف له الإنسان أنَّ بعض الشَّباب الَّذين أحاطوا ببعض شيوخ الفتنة أقوَمُ بالعلم، وأملك لأسباب الفهم و آلاته من شيوخهم، فتجد الواحد منهم مهندسًا أو طبيبًا، أو في الدِّراسات الجامعيَّة العليا قد سمح لنفسه أن يستخفَّ به شيخ جاهلٌ أو مضطرب النَّفس

و المزاج ،يقوده في قضايا بديهيَّة ضروريَّة جعلوها من المشكلات كـ"الجرح المفسَّر، و الموازنة وحمل المجمل على المفصَّل" و أشباه هذه القضايا الَّتي ليست من المواضع المُشْكلة العويصة ولا من محارات العقول حتَّى يحتار فيها العاقل.
فهذه القضايا الَّتي بَنَى عليها هؤلاء الشُّيوخ منهجهم الجديد المحدث قضايا عقليَّة وليست سمعيَّة، يُدرك حقيقتها أقلُّ النَّاس ذكاءً فيتنازل هذا الشَّباب المتعلِّم العاقل وربَّما المثقَّف عن عقله ،و يعزله عن التَّفكير فيها، و يسمح لجاهل أن يقدح له في مقدِّمات بديهيَّة يقينيَّة ليست من القضايا الَّتي تَشْتَبِه على أذكياء المؤمنين، سأضربُ مثلا بالجرح المفسَّر في مقال لاحق.
وما يقع لهم هذا الحطُّ من شخصيَّتهم إلاَّ بسبب حسن ظنِّهم بهؤلاء الشُّيوخ، و عزلهم عقولهم عن التَّفكير في دينهم، أو لمناسبة و مُشاكَلة بين نفسيَّتهم و نفسيَّة هؤلاء الشُّيوخ فإنَّ من يكون شديدا قاسيًا بطبعه إن لم يُخالف نفسه و يضبطها مالت به إلى كلِّ مُتشدِّد.
فلو فكَّر هذا الشَّباب ساعةً من نهار في أمر هؤلاء الشُّيوخ ـ فإنَّ العلم الصَّحيح عليه نور ـ فيما أحدثوه في أهل السُّنَّة، وكيف قطَّعوهم شيعًا، وفرَّقوا أمرهم وكان مجتمعًا لعرفوا أنَّهم ليسوا من شيوخ الصِّدق الَّذين هم أصفياء القلوب، ومرايا المحاسن و العيوب.
كيف و قد نصب الله علامات و رفع رايات على فساد علم ودين هؤلاء الشُّيوخ، لا يخطئها إلاَّ أعمى البصيرة، أو رجل يكمن الظُّلم في باطنه فخذله الله، فليس أدلَّ على الضَّلالة و الجهالة من سوء الخلق، والجهل بالضَّروريَّات البديهيَّات.
قال ابن حزم في (الإحكام في أصول الأحكام)(4/44) وهو يردُّ على أحدهم: ((ليس العجب ممَّن يطلق لسانه بمثل هذا الخنا فإنَّه قد عدم الرِّقابة والحياء والخوف، ولا يبالي بالإثم ،ولا بالعار، وإنَّما العجب ممَّن يسمعه ثمَّ يقبله، ويكتبه مصدِّقا له ،مستحسنا، وإنا لله وإنا إليه راجعون على دروس العلم وذهابه))
فما نفقت سوق شيوخ الفتنة إلاَّ بسذاجة الفئة المتعلِّمة من شبابنا الَّتي أوجدت لها آذان العوامِّ،وروَّجت الجهليات المحسوبة على العلم.
طالب العلم عند الشُّيوخ مكلَّف كسائر النَّاس فلا يعتقدن أنَّه قد رفع عنه التَّكليف بمجالسة شيوخ التَّأفيف.

هل السَّلفيُّون نسخة واحدة طبق الأصل؟

قال الشَّافعيُّ فيما حدث عنه يونس الصَّدفيُّ: ((ما رأيت أعقل من الشَّافعيِّ ناظرته يوما في مسألة ثمَّ افترقنا، ولقيني فأخذ بيدي ثمَّ قال:" يا أبا موسى ألا يستقيم أن نكون إخوانًا و إن لم نتَّفق في مسألة"{سير أعلام النُّبلاء} {16/11}

قال الذَّهبيُّ: هذا يدلُّ على كمال عقل هذا الإمام وفِقه نفسه فما زال النُّظراء يختلفون.

قلتُ: أمَّا أن يكون السَّلفيُّون نسخة واحدة ـ فيما عادا كلِّيَّات منهج أهل السُّنَّة ـ فهذا لم يكن ولن يكون،و الذَّهاب في هذا الاتِّجاه يولِّد مزيدا من الأزمات و التَّشنُّجات،وهو خرافة و كالجري وراء السَّراب،و إن كان السَّلف أقلُّ النَّاس اختلافا فإنَّ المطالع على أحوالهم و أخبارهم يجدهم قد اختلفوا في الأحكام ،و بعض مسائل العقيدة الدَّقيقة ،و اختلفوا كثيرًا في جرح الرِّجال و تعديلهم،كما تجده في كتب الجرح و التَّعديل، ولم يدعوهم ذلك إلى التَّنافر، بل كانوا يدا واحدة على أعداء الدِّين.

فالرَّجل متى كان على اعتقاد أهل السُّنَّة و الجماعة، يقول بالكتاب و السُّنَّة و الإجماع فهو من أهل السُّنَّة و الجماعة، و إن كانوا أصلا متفاوتين في تمسُّكهم بالسُّنَّة أو في فهمهم لها، فمنهم من كان يميل إلى الزُّهد، و منهم من كان يميل إلى العقليَّات، و منهم من كان على طريقة أهل الحديث المحضة، ومنهم من كان متوقِّفا فيما لم يرد به النَّصُّ الصَّريح، ومنهم من كان يقول بلوازم النَّصِّ و لوازم الإجماع، وقد ترجم الذَّهبيُّ محمَّد بن سعيد بن كلاب فقال عنه: كان من متكلِّمة أهل الحديث، و كذلك قال ابن تيميَّة عنه و عن الأشعريِّ و ابن كرَّام.

وقد اختلف أهل السُّنَّة و الجماعة حول الأحداث الكبرى الَّتي جرت في الإسلام الاختلاف العلميَّ لا اختلاف أهل الأهواء و البدع .

ومن قدر على جمع كلمة الجماعة، و التَّقليل من حدَّة الخلاف بعلم وحكمة فقد أدرك أبعاد الإسلام، قال شيخ الإسلام في(المجموع){422/28}: ((فالله الله عليكم بالجماعة و الائتلاف على طاعة الله و رسوله ،و الجهاد في سبيله يجمع الله قلوبكم، و يكفِّر عنكم سيِّئاتكم ،و يحصل لكم خير الدُّنيا و الآخرة)).

فمتى توجَّهنا لجهاد أعداء الدِّين بالبيان والكشف و التَّحذير، و الرَّدِّ عليهم جمع الله قلوبنا ووحَّد صفوفنا ،و أذهب خلافاتنا، فإنَّ أعظم أسباب الائتلاف جهاد المبتدعة و

أعداء الدِّين وفقا للضَّوابط الشَّرعيَّة و الآداب الإسلاميَّة، فهذا من أهمَّ عوامل تأليف القلوب.
و يبقى النَّقد و النُّصح محفوظا إن كان بحجَّة تدفع الحجَّة ،و بحسن الظَّنِّ، ورعاية آداب الاختلاف وموجبات الائتلاف.
فالاختلاف والتَّنوُّع الفكريُّ سنَّة كونيَّة وحقيقة تاريخيَّة، لذا لا يمكن إلغاؤه وتجاوزه، وإنَّ ما يخفِّف من آثاره الضَّارَّة اعتماد منهج القرآن الكريم في الحكم على الآراء والأشياء والأشخاص بتحري الحقيقة الموضوعية، والعدل { قُلْ هاتُوا بُرْهانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ}، والتَّعايش مع هذا الاختلاف وضبطه، والتَّفريق بين الثوابت و الاجتهادات في مجال التَّنوُّع والاختلاف، وتحديد مرجعيَّته بالكتاب والسُّنَّة.

كلمة رائعة لابن القيم عن الاختلافات الشرعية و الاختلافات المحدثة وشرط التمسك بالإسلام:

قال في (مختصر الصواعق المرسلة)(1/601):
((فَكُلُّ مَسْأَلَةٍ حَدَثَتْ فِي الْإِسْلَامِ فَخَاضَ فِيهَا النَّاسُ وَاخْتَلَفُوا، وَلَمْ يُورِثْ هَذَا الِاخْتِلَافُ بَيْنَهُمْ عَدَاوَةً وَلَا نَقْصًا وَلَا تَفَرُّقًا، بَلْ بَقِيَتْ بَيْنَهُمُ الْأُلْفَةُ وَالنَّصِيحَةُ وَالْمَوَدَّةُ، وَالرَّحْمَةُ وَالشَّفَقَةُ، عَلِمْنَا أَنَّ ذَلِكَ مِنْ مَسَائِلِ الْإِسْلَامِ يَجُوزُ النَّظَرُ فِيهَا، وَالْآخَرُ يَقُولُ مِنْ تِلْكَ الْأَقْوَالِ مَا لَا يُوجِبُ تَبْدِيعًا وَلَا تَكْفِيرًا كَمَا ظَهَرَ مِثْلُ هَذَا الِاخْتِلَافِ بَيْنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ مَعَ بَقَاءِ الْأُلْفَةِ وَالْمَوَدَّةِ.
وَكُلُّ مَسْأَلَةٍ حَدَثَتْ فَاخْتَلَفُوا فِيهَا فَأَوْرَثَ اخْتِلَافُهُمْ فِي ذَلِكَ التَّوَلِّيَ وَالْإِعْرَاضَ وَالتَّدَابُرَ وَالتَّقَاطُعَ، وَرُبَّمَا ارْتَقَى إِلَى التَّكْفِيرِ، عَلِمْتَ أَنَّ ذَلِكَ لَيْسَ مِنْ أَمْرِ الدِّينِ فِي شَيْءٍ، بَلْ يَجِبُ عَلَى كُلِّ ذِي عَقْلٍ أَنْ يَجْتَنِبَهَا وَيُعْرِضَ عَنِ الْخَوْضِ فِيهَا.
إِنَّ لِلَّهِ تَعَالَى شَرْطًا فِي تَمَسُّكِنَا بِالْإِسْلَامِ أَنْ نُصْبِحَ فِي ذَلِكَ إِخْوَانًا، فَقَالَ تَعَالَى:
{وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا} [آل عمران: 103] .))

في فوضى منهج الهذيان

هذه أسباب انهيار السَّلفيَّة التَّجريحيَّة بكلِّ رموزها و أذنابها

بسم الله الرَّحمن الرَّحيم

الذَّكيُّ يقرأ بعقله ،وينظر بأذنيه و عينيه، ويسمع بعينيه و أذنيه.

الحمد لله وحده، و الصَّلاة و السَّلام على من لا نبيَّ بعده.
إذ أكتب هذا المقال الَّذي انتقد فيه سلفيَّة يحسبها كثير من الشَّباب أنَّها تمثِّل السَّلف الصَّالح، و تحرس الشَّريعة الإسلاميَّة، فإنِّي أقصد بالذَّات أولئك الشَّباب الجامعيِّين و طلبة العلم الشَّرعيّ، ممَّن ركَّب الله فيهم عقولا صحيحة، و لهم ذهن سيَّال، قد دجَّنت هذه السَّلفيَّة عقولهم بخطاب مغلوط ، و شعارات دينيَّة محتلَّة، لا تمتُّ لها بصلة وثيقة، أو توضع في غير موضعها، مِن وصف أهل الحقِّ بالضَّلال و الزَّيغ و الفتنة ، و تغليف تأصيلاتها بشعارات كـ:" السُّنَّة، و الحقِّ، و الطَّائفة المنصورة، و الفرقة النَّاجية، و السَّلف، و أهل السُّنَّة"، فينغلق عقل هذا الشَّباب، أو يحجز عليه فلا يستطيع التَّمييز، أو لا يتلقَّى من العلم ما يستطيع التَّمييز به بين منهج السُّنَّة الحقيقيِّ، و بين منهج هؤلاء المركَّب من قواعد سنِّيَّة ممزوجة بقواعد خارجيَّة و تصرُّفات شخصيَّة، وسوء فهم وترتيب للأدلَّة الشَّرعيَّة، و بعد عن الواقع، و عجز عن فصل علميٍّ واضح بين اجتهادات أئمَّة السُّنَّة والأصول الشَّرعيَّة .
هذا المنهج الَّذي أدخل هؤلاء الشَّباب فيما يشبه العلمانيَّة الدِّينيَّة، و فصلهم عن الحياة الإسلاميَّة العاملة، و قتل فيهم روح العمل للإسلام، و الدَّعوة إليه لا إلى الأشخاص ، فصاروا عقولا ساكنة عن الأمر بالمعروف و النَّهي عن المنكر، لا تتحرَّك إلاَّ لإيذاء العلماء و الدُّعاة، و قطع طريق الدَّعوة إلى الله أمامهم .
لأنَّه إذا انفردت الحياة عن الدِّين فسدت أحوال النَّاس، وقد صار هؤلاء الشَّباب بمعزل عن حقيقة الإيمان و كمال الدِّين، و صار الدِّين عندهم في محلِّ رحمة و شفقة، لا في محلِّ علوٍّ وعزٍّ ،فلما غلب عليهم العجز عن تكميل الدِّين، و الجزع لما قد يصيبهم في إقامته من البلاء ضعفت طريقتهم في الدَّعوة إلاَّ الله، و اقتصرت على تتبُّع أخطاء العلماء، أو افتعالها إن لم توجد ،لأنَّه لا شيء لهم يعملونه غير ذلك.
و إن غلب على بعضهم الحماس للدِّين، لكنَّهم أعرضوا عمَّا لا يتمُّ الدِّين إلاَّ به من

الجماعة الواعية العاملة لبسط الدِّين على حياة المسلمين برمَّتها.
فإلى هؤلاء الشَّباب ممَّن يملكون عقولا صحيحة، و نفوسا أبيَة، و فطرة سليمة أقول:
ألا ترون مآسي هذه الجماعة، و كيف أصبحت الأمَّة تئنُّ من خذلانها و شقِّها لصفوف أهل السُّنَّة ؟!
يلاحظ المتتبِّعون لأحوال السَّلفيَّة التَّجريحيَّة المتقلِّبة أنَّها في المدَّة الأخيرة دخلت في طور الاحتضار و التَّلاشي، فأصبح الحوار العلميُّ الصَّادر عنها حوارا داخليًّا في الصَّميم، وعندما أقول الحوار العلميَّ فإنِّي أقصد حملات السَّبِّ و الشَّتم و التَّجريح المتبادلة، و إن شابها شيءٌ من العلم.
وقد بدأ هذا الانهيار يوم جعلت هذه السَّلفيَّة مهمَّتها في الدِّين التَّطبيق الحرفيَّ لمسألة "هجر المبتدع و التَّحذير منه"،و لا أقصد هنا المبتدع حسب معايير هذه السَّلفيَّة، فهذا شأنٌ آخر ، ولكن المبتدع وفق المعايير الشَّرعيَّة، فبدلا من التَّضييق عليه بشغل المساحات الفكريَّة و الاجتماعيَّة، و ما يتفرَّع عنها، الَّتي ينشط فيها وحجزها لنفسه نظرًا لاهتمامه بحياة النَّاس الواقعية، و اقتراحه البدائل لهم انسحبت السَّلفيَّة التَّجريحيَّة إلى مجال مطاردته فيما أصاب فيه، و أجاد في استعماله، كخطابه للمعاندين للدِّين، و مزاحمته العلمانية في مراكز نفوذها و نشاطها .
فالأفكار المعادية للدِّين أصبحت اليوم تجتاح المجتمعات الإسلاميَّة، و تكتسح المجالات الحيويَّة للأمَّة، كالجامعات، مستعملة خطابا ملغَّما بشبهات المعتزلة و العقلانيِّين من المتكلِّمين، تزعزع به مكانة القرآن و السُّنَّة في نفوس المسلمين و عقولهم.
و إذا كنَّا نتفهَّم سبب إغفال هذه السَّلفيَّة لهذا الخطر، و أنَّ تكوينها العلميَّ، و أفقها المعرفي، وربَّما أحيانا بيئتها الضَّيِّقة، المتكوِّنة من العناصر المشابهة لها، و المنقطعة عن العالم الخارجيِّ عنها، و العاجزة كلِّيَّة عن توجيه أي خطاب إسلاميِّ موضوعي وصحيح لأيِّ طبقة من طبقات المجتمع الثَّقافيَّة أو الاجتماعيَّة خارج جماعتها.
فمن يخاطب هؤلاء النَّاس الَّذين ليسوا علمانيِّين، ولا شيوعيِّين، ولا رافضة، و لكن فيهم الاستعداد لأن يصيروا من عناصر هذه الدَّعوات الباطلة؟!
ولكنَّنا لا نتفهَّم هجومها على العلماء و الدَّعاة و المفكِّرين المسلمين الَّذين تنبَّهوا باكرًا لهذا الوباء ، وكيف جعلتهم إمَّا يرضون بتهميش أنفسهم، أو تضييع وقتهم في الرَّدِّ

على تفاهاتها ، و استفراغ الجهد في كشف حقيقتها.
فلم تفهم هذه السَّلفيَّة، ولم تدرك وجه الاختلاف بين المبتدع في زمن السَّلف، وفي تصوُّرهم، أي: المبتدع الَّذي لا يملك أي مسوِّغ شرعيٍّ على بدعته، ففي أقلِّ أحواله هو أكبر سِنًّا من بدعته في الأصول، وبين مبتدع هو ضحية و نتاج سنين وقرون من التَّأصيل لهذه البدع ،و تزيينها بالأدلَّة البدعيَّة ذات الاشتباه الشَّرعيِّ، أو هي من البدع العمليَّة الَّتي أفرزتها الأحاديث الضَّعيفة و الموضوعة، و الَّتي لم يكن أصحابها أبدا محلَّ هجر عند السَّلف.
فبدلا من إظهار السُّنَّة بالدَّعوة الجميلة الَّتي تُبرز محاسنها، و تفوُّقها في التَّأصيل و الأسلوب المعتمد على الملاطفة و الإقناع، و الَّذي يظهر باللُّزوم مساوئ البدعة و ضعف تأصيلها.
فبدلاً من إثبات محاسن الشَّريعة، وما فيها من الأمر بمصالح العباد، وما ينفعهم من النَّهي عن مفاسدهم ،وما يضرُّهم، وأنَّ الرَّسول الَّذي بُعث بها بعث رحمةً كما قال الله تعالى : { وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ }.
ووصف نبيَّه بالرَّحمة فقال :{ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ } { الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ }،راحت هذه السَّلفيَّة تحاول إظهار مساوئ البدعة، و هذا خلط كبير إذ مساوئ البدعة لا تكشف محاسن السُّنَّة و لكنَّ العكس صحيح.
ولما نفذ مخزون المعرَّضين للتَّجريح و الذَّمِّ، أو قُل: لم يتضرَّر من هذا المنهج التَّجريحي المبتدعون الحقيقيُّون، لأنَّهم ينشطون في مساحات لا تنشط فيها هذه السَّلفيَّة، و لا جمهورهم هو جمهورها.
قامت السَّلفيَّة التَّجريحية بتعويض النَّقص بالتَّسلُّط على أبناء دعوتهم، و لذلك لم يتأثَّر سلبًا بهذا المنهج إلاَّ أهل السُّنَّة الَّذين شوَّهت صورتهم عند الموافق و المخالف.
ومن أبرز العلامات الَّتي تدلُّك على بدعيَّة هذا المنهج التَّجريحي التَّخريبي و أنَّه صورة مشوَّهة، و اختزال فاحش مخلٌّ لمنهج السَّلف، ما تعانيه هذه الجماعة من تآكل داخليٍّ، فلم تعد تستهوي إلاَّ الأحداث، ممَّن لا يعرف رأسه من قدميه في الدِّين، أو

أصحاب المصالح من الفاشلين في العلم ، الَّذين يغطُّون عجزهم و تقصيرهم في حمل رسالة الإسلام إلى كلِّ الآفاق الثَّقافيَّة و الفكريَّة بابتغاء العنت لدعاة و علماء السُّنَّة العاملين بصدق.

فمنهج هؤلاء هو إفرازات لصفات نفسيَّة تعتري شعورهم فتؤثِّر على فكرهم ،و تجعلهم يميلون دائما لناحية التَّعنت و التَّصلُّب،و لذلك لا يستهويهم من صنوف العلم إلاَّ مقالات الطَّعن في فلان، و كشف ضلالات علَّان؟

و لعل عدَّاد المواقع الالكترونية يكشف لك عدد القرَّاء لمثل هذه المقالات، و عدد قرَّاء المقالات العلميَّة.

وهذا الأمر عُرف قديما في الخوارج، و حتَّى تتحقَّق منه في القوم فإليك بعض أوجه التَّشابه، تفهم من خلالها أنَّ القواعد المعمول بها في منهج هؤلاء أقصد قواعد الجرح و التَّعديل، هي قواعد الخوارج، و ليست قواعد أهل الحديث و السُّنَّة.

ومعلوم أنَّ للخوارج عقيدة معروفة كما لهم منهج معروف في التَّعامل مع الأخطاء الَّتي هي في نظرهم أخطاء، و يتَّسم هذا المنهج بالتَّسرُّع في الحكم بموجب الخطأ، و عدم اعتباره للاجتهاد، و التَّأويل، وعدم العلم، وغيرها من أعذار شرعيَّة صحيحة.

كما أنَّ علاقتهم ببعضهم بعضا يُنظِّمها التَّوجُّس من الإخوان، و الحذر منهم، و الكمين لبعضهم بعضا، كأنَّهم لا همَّ لهم إلاَّ تصيُّد الأخطاء، فهم دائما في استعداد لتلقُّفها ، و يتوقَّعونها في كلِّ حين، لذلك عرفوا في التَّاريخ بسرعة الانشقاق و الانشطار، فكلَّما حدث فيهم موضوع علميٌّ انقسموا إلى فرقتين أو ثلاث.

و اليوم نجد بعض من ينتسب للسَّلف قد أخذ بمنهجهم في إهدار حسنات المؤمنين و الترَّكيز على أخطاء أهل العلم، أو بالأحرى تخطئتهم ولو كانوا مصيبين حتَّى يذعنوا لهم، و يستسلموا لهم، و لا يصدروا إلاَّ عن رأيهم و أمرهم.

ولبيان أنَّ منهج هذه السَّلفيَّة الشَّاذَّة و المنحرفة عن منهج السَّلف الصَّالح أذكر بعض أوجه التَّشابه و المقاربة بينهم و بين الخوارج، نلمس من خلالها منهج هؤلاء الحقيقيّ، ومن أين استمدُّوه.

يتعامل هؤلاء في العلم ومع النَّاس بكثير من القواعد الضَّعيفة يخرجونها في قالب السُّنَّة، وذلك بالتَّعبير عنها بألفاظ أهل السُّنَّة و الجماعة ومصطلحاتهم، وحتَّى تعرف ضررهم على الدَّعوة الإسلاميَّة ، وتعرف أنَّ الألفاظ إذا خالفت مدلولاتها لا تكون

عنوانا للحقِّ، ولا للسُّنَّة مهما كان الحال،فهذه بعض قواعدهم:
تابعها على صفحتي الرَّسميَّة تحت عنوان: "فيصل التَّفرقة العلميَّة بين السَّلفيَّة الشَّرعيَّة و السَّلفيَّة البدعيَّة"
وغدا .... مقال آخر ليوم آخر.

نحو تجديد الفقه السِّياسيِّ الإسلاميِّ

شبهاتٌ فِي الفِقْهِ السِّيَاسِيِّ عِنْدَ بَعْضِ الإِسْلَامِيِّينَ
طَبِيْعَةُ الصِّرَاعِ الإِسْلَامِيِّ العَلْمَانِيِّ
والتَّأثيرات العلمانيَّة الخفيَّة في الفكرِ السِّياسيِّ لدى بعض الإسلاميِّين
فحص شبهة أنَّ السَّلفيَّة وليدة الصِّراعات السِّياسيَّة

(1)

بسم الله الرَّحمن الرَّحيم

الحمد لله وحده، و الصَّلاة و السَّلام على من لا نبيَّ بعده.
أمَّا بعدُ:
فإنَّ بعض النَّاس ـــــــ ممَّن يجد ضيقًا في صدره مِن الإمام أحمد، ومن شيخ الإسلام ابن تيميَّة (رحمهما الله) ويريد أن يتخلَّص منهما في منهجيَّته العلميَّة ـــــــ يبدأُ خطابه السَّياسيَّ (مصادرةً على المطلوب) بتقسيم السَّلفيَّة إلى سلفيَّة مجدِّدة و سلفيَّة محافظة، سلفيَّة قبل العصر العبَّاسيِّ، و سلفيَّة بعد العصر العبَّاسيِّ (؟!)
وهو نوع من التَّحليل التَّاريخيِّ الاجتماعيِّ الَّذي بدأه مالك بن نبيِّ (رحمه الله) عندما قسَّم التَّاريخ الإسلاميَّ في كتابه (مشكلة الأفكار) إلى ما قبل عصر الموحِّدين، وما بعد عصر الموحِّدين.
ولا شكَّ أنَّه يوجد في السَّلفيِّين هذا التَّقسيم، ولكن ما المقصود بالتَّجديد، و ما المقصود بالمحافظة(؟)

وما الفرق بين أهل السُّنَّة قبل العصر العبَّاسيّ، و أهل السُّنَّة بعد العصر العبَّاسيِّ(؟)
الظَّاهر أنَّهم يريدون من هذا التَّقسيم البرهنة على آرائهم السِّياسيَّة، ولكنَّهم يبدؤون النَّاس بدعواهم هذه مِن باب المقدِّمة المسلمة و المصادرة على المطلوب(!!)
وصاحب هذا التقسيم لم يستطع من خلال مقالاته العديدة أن يثير دليلا واحدًا مِن الكتاب و السُّنَّة بمفهوم السَّلف قبل العصر العبَّاسيِّ كافيًا على أنَّ آراء الإمام أحمد و ابن تيميَّة في السِّياسة و الإمامة مرجوحة ،لا يأخذ بها إلاَّ المقلِّد.
كذلك يقال له : إنَّ أهل السُّنَّة المعاصرين لا يريدون حلَّ مشكلات النَّاس عبر فكر ابن تيميَّة لأنَّه فكر بن تيميَّة، و لكن لأنَّ الدَّليل الشَّرعيَّ من الكتاب و السُّنَّة و الإجماع يوافق هذا الَّذي تسمِّيه "فكر ابن تيميَّة".
فهم في الحقيقة يريدون حلَّ مشكلات النَّاس عبر الحلول الشَّرعيَّة، سواء كان ممَّا نقله، أو قرَّره ابن تيميَّة، أو ابن حزم، أو غيرهما.
ويصحُّ لك هذا الادِّعاء إذا تمكَّنتَ أن تثبت لنا أنَّ فكر ابن تيميَّة في المسائل المتعلِّقة بواقع المسلمين تخالف الشَّرع.
و إذا لم تقدر على ذلك فإنَّ كلامك هذا يبقى مجرَّد شبهة تعتري كثيرا مِن النَّاس ممَّن لم يحيطوا بالمعرفة الشَّرعيَّة، مِن مصادرها الأصليَّة.
ما هي إذن المشاكل و الإشكالات الَّتي تعترض النَّاس في هذا العصر، ولم يقدر أهلُ السُّنَّة من حلِّها لأنَّهم يقلِّدون الإمام أحمد، و ابن تيمَّية ،و الفكر النَّاشئ في العصر العبَّاسيِّ (؟)
إنَّها الهيمنة الثَّقافيَّة الغربيَّة على العالم بما فيه العالم الإسلاميِّ، و تغلغل العلمانيَّة داخل المجتمعات الإسلاميَّة وفي عقول المهووسين بالسِّياسة و السُّلطة من الإسلاميِّين.
فهل منهج أهل السُّنَّة اليوم لم يستطع مقاومة هذه الهيمنة، ومقاومة العلمانيَّة لأنَّه يدعو إلى تصفية الدِّين من الدَّخيل عليه (؟!)
أم لأنَّه لم يتبن منهج التَّغيير في الفكر الاعتزاليِّ، أو حسب التَّسميَّة الشَّرعيَّة "منهج الأمر بالمعروف و النَّهيِ عن المنكر في عقيدةِ المعتزلة" الَّتي تقتضي الاقتحام السِّياسيِّ بعنف، و استعمال القوَّة (؟)
مرَّة أخرى يظهر أنَّ عبد الله الحامد يوحِّد بين الدِّين الإسلاميِّ و بين النِّتاج الفكريِّ

العامّ للحضارة الإسلاميّة،وينطلق في معالجته لواقع المسلمين اليوم مِن نظرة فلسفيَّة مفادها أنَّ الحياة الاجتماعيَّة تؤثِّر في نظريَّة المعرفة لدى الفرد، بحيث إنَّ رؤية الفرد تختلف من مجتمع إلى آخر.
و لذلك تراه إمَّا يُضعِّف النُّصوص المتواترة المرويَّة عند البخاريِّ ،و مسلم، و أهل السُّنن الخاصَّة بتسيير علاقة الحاكم بالمحكوم، أو يدَّعي أنَّ المفهوم السَّائد لهذه النُّصوص هو مفهوم أفرزتهُ ظروفٌ خاصَّةٌ اجتماعيَّة و سياسيَّة في العصر العبَّاسيّ، و بالتَّالي هو مفهوم وليد تلك الظُّروف، و لا تدلُّ عليه أقوال السَّلف الصَّالح قبل العصر العبَّاسيِّ ، وهذا المفهوم الزَّمنيُّ تتَّخذه السَّلفيَّةُ اليوم منهجا و أصولا ثابتة (!!) فيحاول استعمال مذهب التَّاريخانيَّة الَّتي تعتمد في محاولة تمييعها للنُّصوص على أنَّ هذه الأخيرة لها تاريخ و تاريخيَّة(؟!)
و حتَّى ندخل معه في صميم الموضوع نذكِّره بمرجعيَّة آرائه الَّتي يدعو إليها:
نحن نعلم أنَّ فكرتي الحرِّيَّة و المسؤوليَّة لم تعالج في الفكر الاعتزاليِّ بطريقة مباشرة ، و إنَّما اندرجت في إطار مبحث "التَّكليف"، و تحت أصل" العدل" الَّذي أدخلوا فيه مسألة الملكيَّة و أنَّه عقد يقع بالتراضيِّ، و أرادوا أن يعمِّموه على مسألة الإمامة.
فخلُص هؤلاء المعاصرون إلى أنَّ الحياة الاجتماعيَّة يجب أن تكون قائمةً على التَّعاقد و التَّراضي،و أنَّ القيِّمَ الوحيد على هذا المبدأ هو المجتمع المدنيُّ الَّذي يكون عبارةً عن مؤسَّسات مدنيَّة موازيَّةٍ للسُّلطة ،و معارضةٍ في مجال: القانون، والحرِّيَّات، و المراقبة السِّياسيَّة و الاجتماعيَّة و الاقتصاديَّة و الثَّقافيَّة، و المطالبة و غير ذلك.
و لذلك لا غرابة إذا قلنا: إنَّ تصوُّر الدكتور للحرِّيَّة السِّياسيَّة و الاجتماعيَّة يندرج في التَّصوُّر المعتزليِّ، و إن كان ليس بالضَّرورة أن يكون معتزليًّا.
وفي الحقيقة أخذ عبد الله الحامد و أضرابه هذه النَّظريَّة مِن العلمانيَّة، وحتَّى يسُوغ لهم تمريرها ألبسوها ثوبًا إسلاميًّا، و استعاروا لذلك التَّأصيل المعتزليِّ.
ومعلوم أنَّ هذه النَّظريَّة "التَّعاقد الاجتماعيَّ" هي عبارة فضفاضة.
وعليه يمكننا القول :إنَّ الدُّعاة إلى الديمقراطيَّة سواء داخل التَّيَّار العلمانيِّ العربيِّ، أو داخل التِّيَّار الإسلاميِّ السِّياسيِّ الحزبيِّ يجدون في الاعتقاد الاعتزاليِّ فيما يخصُّ نظريَّة "التَّعاقد الاجتماعيِّ" مرتعًا خصبًا في عقيدة المعتزلة في " التَّعديل و التَّجوير" و مرجعًا، و سندًا يظنُّون أنَّه يعطيهم، أو يضفي على مطالبهم السِّيساويِّة الصِّبغة

الشَّرعيَّة ، لأنَّ المعتزلة انطلقوا في مفهومهم للحرِّيَّة و الاختيار من أساس شرعيٍّ و عقائديٍّ إسلاميٍّ بحث ،والنَّتيجة : فإنَّ نظرتهم ليست نظرة بدعيَّة كما يزعم السَّلفيُّون (!!)

وعليه؛ فإنَّ رأي الإمام أحمد و أهل السُّنَّة والجماعة في العصر العبَّاسيِّ وهو العصر الَّذي انتشرت فيه عقيدة الاعتزال لا يمثِّل إلاَّ وجهة نظر الإمام أحمد الَّتي لا يجب أن نعتبرها هي مذهب السَّلف الصَّالح قبل العصر العبَّاسيِّ (!!)

كما لا يجب أن نخلط بين أقوال الإمام احمد الأصوليَّة الممثِّلة للأصول السَّلفيَّة وبين اجتهاده في مثل هذه المسألة.

ولو أنَّنا عدنا قليلا إلى صورة وموضوع عقيدة الحرِّيَّة و الاختيار عند المعتزلة لوجدناها كالتَّالي: يرى المعتزلة أنَّه يجب استخدام القوَّة في الأمر بالمعروف و النَّهيِّ عن المنكر، وهذا أحد أصولهم الخمسة ، فإذا جار الحاكم أو ظلم يجب الخروج عليه، و مقاومته لخلعه وتنحيته أمرًا بالمعروف و نهيًّا عن المنكر.

وحتَّى يكون الإنسان مسئولا عن أفعاله يجب أن يكون خالقًا لها لأنَّه لو خلقها الله لم يكن هذا الإنسان مسئولا عنها، فاقتضى ذلك تحقيق حرِّيَّة الفرد بإنكار القدر (!!)

و إذا اقتضت المسؤوليَّة و الحرِّيَّة إنكار القدر فإنَّهما يقتضيان الأمر بالمعروف و النَّهيِّ عن المنكر باليد، و أنَّ اعتقاد الجبر يولد سلطة الفرد و تسلُّطه.

و إذا وجب إثبات الإنسان قادرا مسئولا عن أفعاله لتنزيه الله عن تكليف مالا يطاق كان في مقدور الإنسان تغيير جور الحاكم فلا معنى للواجب إلاَّ أن تكون قادرا مختارا أو مضطرًّا ممنوعا (!!)

و الأمر بالمعروف و النَّهيُّ عن المنكر واجب مؤكَّد فلزم على النَّاس ــــ من باب المسؤوليَّة عن أفعالهم أمام الله ــــ إزالة جور و ظلم الحاكم باستعمال القوَّة (!!)

و عليه؛ قد يتبيَّن للقارئ أنَّ رد الدكتور عبد الله الحامد ــــ وغيره من المفكِّرين المعاصرين ــــ أصول السَّلفيَّة و منهجها إلى العصر العبَّاسيِّ ليزعم أنَّهم كانوا يدافعون عن مواقف سياسيَّة معيَّنة هي مذهبهم الجبريُّ في الإمامة، لأنَّ الجبر ــــ في عقيدة الدكتور ــــ يقتضي التَّسليم للواقع.(!)

ومذهب أهل السُّنَّة في الإمامة يرتكز عند الدكتور عبد الحامد على أحاديث ضعيفة و عند آخرين على الجبر لأنَّه لم يكن آنذاك فرق بين الدِّين و الدَّولة فكان لابدَّ للموقف

الاجتماعيّ أن يظهر في الثوب الدِّينيّ العقائديّ كما عند السَّلفيِّين أو في المظهر السِّياسيّ الحزبيّ كما عند الخوارج و الشِّيعة (!!)

وعليه؛ كان لهذا المظهر الاجتماعيّ الانطواء تحت تأويل ملائم لجوهر الدِّين و أصوله.

و نحن وبعد أن تفحَّصنا مضامين كلام الدكتور وجدناه يتحاكم إلى معايير اعتباطيَّة متغيِّرة تمثِّل فوضويَّة التَّفكير و القراءة لا ترجع في التَّحليل إلى المعيار الثَّابت و الشَّامل ، فاعتبارهما السَّلفيَّة هي مظهر لخلفيَّة اجتماعيَّة مضطربة و لنزاع سلطويّ بين العائلات القرشيَّة لا يرجع لأيِّ معيار علميٍّ إلاَّ التَّقليد للمستشرقين و العلمانيِّين و الرَّافضة.صفية

وإذا علمنا أنَّ سقوط الخلافة الفعليّ بدأ عندما دخل البويهيُّون بغداد بجيش من الأتراك والديالمة، ولم يبقوا على الخليفة إلى لجباية المال و التَّحكُّم في المسلمين بالتَّبعيَّة للخليفة و إيجاد المبرِّر الشَّرعيّ لحكمهم، وكانوا كما تفعل أمريكا اليوم يعدِّلون ميزان القوَّة بين الترك السُّنِّيِّين و الديالمة الشِّيعة حتَّى تبقى القوَّة لهم، ولا يبرز عنصر آخر خلاف عنصرهم.

فهذه الخلفيَّة السِّياسيَّة الاجتماعيَّة الَّتي ولدت الأزمات بين الفرق الإسلاميَّة جاءت متأخِّرة عن العصر العبَّاسيّ الَّذي كان فيه الإمام أحمد.

وعليه لا يمكن اعتبار العقيدة أو المنهج أو الفكر السَّلفيّ و ليد صراعات سياسيَّة كحكم البويهيِّين ،وثورة الزِّنج، وثورة الشُّطَّار و العيَّارين وغيرها ، وهذا واضح.

يعتقد كثير من النَّاس بدون تمييز حقيقيّ بين مذهب السَّلف في الإمامة ومذهب الأشاعرة أنَّ دفاع أهل السُّنَّة عن الخلافة السُّنِّيَّة هو إقرار بمبدأ عدم جواز خلع الإمام الجائر،فهم بنوا عقيدتهم في الإيمان على مبدأ قبول الواقع ،أو مبدأ قبول الحتميَّات الاجتماعيَّة !

نجيبه عن هذه الشُّبهة الميِّتة الحيَّة في سياق الكلام.

.... يتبع غدا إن شاء الله.

مغالطات علميَّة في طريق الدَّعوة الإسلاميَّة

من أيِّ أنواع أهل السُّنَّة أنت (؟!)

بسم الله الرَّحمن الرَّحيم

الحمد لله وحده، و الصَّلاة و السَّلام على من لا نبي بعده.
أمَّا بعد:
فإنَّ عوامل التَّغيير المعتبرة الَّتي طرأت على الأمَّة يجب أخذها بالحسبان، فأهل السُّنَّة ـــ اليوم ـــ فئات متناحرة، تتصارع على حقِّ الانتساب لهذا الاسم كأنَّه قلعةٌ جامدة في صحراء باردة (!)
بينما السُّنَّة أصول ثابتة في العقائد، تتضمَّن أصولا علميَّة منهجيَّة في نظريَّة المعرفة، و ما يتعلَّق بها من قطعية النَّصِّ ودلالاته، و مرتبته في الاستدلال، وقواعد علميَّة مرنة في غير ذلك.
فاليوم إذا كتبتَ، أو تكلَّمتَ أوَّل ما يبحث عنه القارئ، أو المستمعُ هو: مِن أيِّ أصناف أهل السُّنَّة أنت (؟!)
يريدُ أن يصنِّفك أوَّلا حتَّى يهيمن هذا التَّصنيف على كلِّ وجدانه، ويُشعل في عقله أضواء التَّحذير، و التَّوجُّس، و التَّوقُّف: الحمراء ،و الصَّفراء، و البرتقاليَّة (!)
فيقرأ لك، أو يستمع إليك بحكم مسبق يقطع الطَّريق لأيِّ تواصل معه مثمر.
لا يهمُّ ما تقول، إن كان نصًّا قاطعًا،أو إجماعا صحيحًا،أو فهمًا ثاقبًا،المهمُّ عنده:إلى أيِّ صنف منهم تنتمي(!)
إنَّنا نلاحظُ في المحصِّلة العلميَّة الفكريَّة لدى فئة مِن أهل السُّنَّة تمجيدا مفرطًا للتَّقليد الجديد(تأصيل أخطاء المشايخ)، قد يصل إلى حدِّ التَّبجيل و التَّبرير العقيم لأخطاء المشايخ العلميَّة، أصبح يسيء إلى الإسلام أكثر ممَّا يفيده.
فلم تقم هذه الفئةُ، على دراسة هذا التُّراث السُّنِّيِّ دراسةً علميَّة نقديَّة موضوعيَّة مستبصرة، تُفرِّق بين محلِّ الاتِّفاق وموارد الاجتهاد.
و بين الأصول الثَّابتة المستدامة، و بين القواعد الاستثنائيَّة الاحتياطيَّة، بحيث تكشف جوانب منهج أهل السُّنَّة ، و تُبيِّن قيمتَه الحقيقيَّة كمنهج علميٍّ رصين و صارم يُشكِّل لسان الميزان في الأمَّة.
يحافظ عليها من خلال حفاظه على جوهر الدِّين الإسلاميِّ، وروحه الحقَّة ، ومقاصدِه في كلِّ باب.

هذا الدَّورُ الَّذي يمكن له أن يُمارسَه بكفاءةٍ عالية إذا أتيح له مَن يُزيل عنه وصمة الغلوِّ و التَّشدُّد و الانغلاق داخل الألفاظ المجرَّدة عن معانيها عند بعض الدُّعاة إليه. بحيث يفتح مثل هذا الاستيعاب لطريقة السَّلف في العلم الطَّريق أمام بقية المسلمين لتجاوز سلبيَّات التَّقليد الفاسد و العصبيَّة المذهبيَّة الَّتي لا تزال تعيق نهضة الأمَّة الإسلاميَّة نهضة علميَّة حقيقيَّة ،وتغرقها في روح بعيدة عن روح الإسلام الحقَّة.
إنَّ الأسلوب العنيف و الملتهب لهذه الفئة من المسلمين، وهي موجودة في بعض طوائف أهل السُّنَّة، وبحكم غياب منهج علميٍّ متكامل يقوم على الاتِّباع بعلم ،والَّذي يقوم في جوهره على روح النَّقد العلميِّ البنَّاء ، لا يزال ينخرُ الجماعة خصوصا و الأمَّة الإسلاميَّة عموما ،من خلال تلك المعارك المذهبيَّة الوهميَّة الَّتي يحييها في وسط أهل السُّنَّة، في زمن زالت موجباتُها وظروفُها.
هذا المنهجُ لدى هذه الفئة يولِّدُ لديها سياجًا يزيد مِن حبسِها داخل دائرة التَّقليد الفاسد بكلِّ سلبيَّاتِه.
يخلع بعضُ أهل العلم على بعض اختياراتهم العلميَّة الَّتي يتبعون فيها شيخا يعظِّمونه رداء اليقين الشَّرعيَّ، فتصبح مذهب سنِّيًّا قطعيًّا، مَن يخرجُ عنه يُعتَبر خارجًا عن السُّنَّة (!)
فإذا ما دقَّقنا النَّظر في هذه الأشياء، وعرفنا منشأها تبيَّن لنا أنَّها مذهبٌ لأحدهم، أو مِن قبيل المشهورات الَّتي لا ترتكز على أساس علميٍّ شرعيٍّ يدلُّ على أنَّها مذهب السَّلف قاطبةً.
و لكنَّها بالنِّسبة للشَّاب الَّذي لا يستطيع التَّفريقَ بين ما هو متَّفق عليه، و بين ما هو مختلف فيه ، يصبح التَّعظيم لها عامًّا شاملا ،و تُغطَّى بلباس السُّنَّة ثمَّ يستتبع ذلك بالدِّفاع و الحماية، و ما ينتج عنه من مصادمات و طعونات.
فبعض مواقف طلبة العلم قد تكون نفسيَّة أو شخصيَّةً، ولكن صدورها منهم، وقد اعتاد النَّاس منهم التَّعميم يجعلها سنِّيَّةً في عرف هؤلاء النَّاس.
إنَّ طلبة العلم الَّذين يرفضون الانخراط في عمليِّة الإصلاح العلميِّ للسَّواد الأعظم من هذه الأمَّة بحجَّة هجر المبتدع، أو خوفًا من الشبه (!) لا يميِّزون تمييزا واضحا بين هجر الرُّؤوس ودعوة الأتباع ، ولذلك يعجزون عن تربية المقلِّد(العوام) على آداب التَّقليد و شروطه و ضوابطه.

و عليه، فالتَّنديد بهذه العيِّنة المتغافلة عن متطلبات الإصلاح العلميِّ للسَّواد الأعظم، و التَّنديد بموقفها السَّلبيِّ من عمليَّة الإصلاح هذه، صار من المتطلبات الشَّرعيَّة ،لأنَّ تخلُّف قسم كبير من أهل السُّنَّة ـ في المدَّة الأخيرة ـ خلف الخطوط الخلفيَّة للدَّعوة الإسلاميَّة خطر على المسلمين عموما.

إنَّ مشاكل أهل السُّنَّة قد تعقَّدت و تكاثرت كلَّما ألحقت هذه الفئة المشاكل ذات البعد النَّفسي الشَّخصي من الصِّراع حول الرِّئاسة و المشيخة و التَّحكُّم في الجماعة بالأصول العلميَّة السُّنِّيَّة،فيستتبعه التراشق بالتَّبديع و التَّضليل.

فهذا الخلط الخطير بين الأصول العلميَّة و الزَّعامة الدِّينيَّة أدَّى إلى تشكيل تصوُّر لدى الشَّباب الصاعد ألغى كلَّ دور للعلم في تعيين المصيب من المخطئ ، بل و راح ينتقد المخالفة المبنيَّة على العلم، و يعتبرها من وسائل التَّشبيه، وشقِّ الصُّفوف!

فصار الحثُّ على الاتِّباع بعلم شبهةً و شقًّا للصُّفوف!

و صار التَّقليد الفاسد يقينا و جمعًا للصُّفوف!

فسيطرت ظاهرة التَّزكيات على ضمير ووعي هذا الشَّباب حتَّى إنَّهم ليرجِّحون قول شيخ تجاوز الثمانين بالتَّزكيات ، كأنَّه مبتدئ؟

و بذلك صار التَّقليد بغير حجَّة وسيلة للسطو على الأحقيَّة العلميَّة .

إنَّ هذه الفئة من أهل السُّنَّة الَّتي راحت تطالب كافَّة أهل السُّنَّة بالخضوع لتصوُّراتها الخاطئة و بتفهُّم مواقفها المتخاذلة في الصِّراع القائم بين الإيمان و الكفر، بين السُّنَّة و البدع الظَّاهرة ،ووضعيَّتها الضَّعيفة في الدِّفاع عن الأمَّة ،بل و تخاذلها أحيانا في الدِّفاع عن القضايا الإسلاميَّة لم تثقِّف الفرد المنتمي إليها، وتزوِّده بالمعارف الدِّينيَّة اللَّازمة، و الأدوات الثَّقافيَّة المعاصرة، و الكشف الإعلامي ليتفهَّم موقفها السِّلبي أو الضَّعيف المنحاز على حساب مصالح الأمَّة الإسلاميَّة.

بل كانت دائما تتبع معه سياسة أو إستراتيجيَّة التَّعتيم و التَّجهيل و التَّكذيب و إخفاء الحقائق، وهي اليوم تقطف ثمار هذه السِّياسة بالإنفجارات الدَّاخليَّة الشَّديدة ،و بحراك علميٍّ داخلها معارض و قويّ ينمو ويقوى كلَّ يوم.

إنَّ هذه الفئة الَّتي راحت تضخُّ منهج الهجر و التَّجريح في وعي أفرادها إرضاءً لمطالب نفسيَّته، أو لجهات ما، دون أن تفرِّق بين حال القوَّة و حال الضَّعف،ودون أن تحاول التَّأليف أوَّلا، تقفُ أو وقفت حاجزا أمام الدَّعوة الإسلاميَّة، أضاعت عليها

سنين مهمَّة.
إنَّ تعليم الأصول الثَّابتة و المتَّفق عليها لا يتعارض و تعليم فقه الأولويَّات و فقه الموازنة و الضَّرورات.
عدم جدِّية الحلِّ الَّذي تقترحه هذه الفئة:
إنَّه من خلال تفحص منهج هذه الفئة من المسلمين نجده يطرح حلولا لبعض المشاكل الَّتي تعاني منها الأمَّة معرفيا و اجتماعيًّا، و لكنَّها حلول تبقى غير عمليَّة، ونظريَّة بحته، ثبت عدم نجاعها في الماضي أيام كانت الوسائل و الشُّروط متوفِّرة لها لتنفيذها.
و عليه، و جب تجاوز هذه الحلول الَّتي تبقى في جوهرها معتمدة على السَّيطرة بالقوَّة، و تحييد الأفكار المخالفة و المعارضة عن طريق بسط سلطة مادِّيَّة أو معنويَّة تقهر كلَّ مخالف، و تحدُّ من فعاليَّته و نشاطه المعارض لها.
فهذا حلٌّ بغضِّ النَّظر عن شرعيَّته يبقى حلا نظريًّا لا يتَّسم بالعمليَّة، و لا بالإيجابيَّة، ولم يظهر إلاَّ مزيدا من التَّشتُّت و التَّفرُّق و الضَّعف داخل أهل السُّنَّة.
الخاتمة:
كذلك يجب أن نقول: إذا كان تصوُّر هذه الفئة للأمَّة الإسلاميَّة القرآنيَّة العصريَّة تمثِّله الأوضاع الرَّاهنة فعليهم مراجعة أصولهم خاصَّة ما يتعلَّق بالعودة إلى ما كان عليه النَّبيِّ صلَّى الله عليه و سلَّم و أصحابه.
لأنَّه حينئذ ستكون هذه الأمَّة ومقوِّمات وجودها و أهدافها محطَّ سخط كبير ومحاربة شديدة من أهل العلم الصَّحيح، فهي لن تقارب حتَّى من بعيد أي مرحلة تمثِّلها الدَّولة الأمويَّة أو العبَّاسيَّة، بل ستكون أشبه بأمَّة عصر المماليك في أحلك عصورهم و أسوئها.
وعليه، فعليهم العمل بجدٍّ ليعودوا بهذه الأمَّة إلى ما كان عليه النَّبيُّ صلَّى الله عليه و سلَّم و أصحابه تنظيمًا لعلمهم ووجودا كأفراد و ككيان.
وبالعودة معرفيا إلى ما كان عليه النَّبيُّ صلَّى الله عليه و سلَّم و أصحابه نعلم أنَّ القيادة العلميَّة الرَّاشدة هي الَّتي أوجدت تلك الأمَّة الَّتي لا مثيل لها، وتلك الأمَّة صارت فيما بعد تنجب القيادات الرَّاشدة في كلِّ المجالات.
ففساد النَّاس بسبب وجود من يُغطِّي على هذا الفساد بتأويل ما، أو رخصة ما، أو بالسُّكوت السِّلبي عنه،أو يؤصِّل له،و الله المستعان.

إنَّه بالأهمِّيَّة بمكان أن نقول لإخواننا السَّلفيِّين أنَّه لم يعد ممكنًا في هذا العصر أن تتجلَّى علاقتنا بالله عزَّ وجلَّ استنادا على الرُّموز و الشِّعارات الدِّينيَّة و الافتتان و التَّعجُّب من الماضي، فهذه الأشياء قد حُطِّمت من قبل ممارسات خاطئة استغلَّتها أفكار كثيرة لتحلَّ في مجتمعاتنا، ونحن من بذَّر رأسماله الدَّعوي، و كرَّس الخيبة العامَّة، و الانهيار الذَّريع لقيمة الأخوة الإسلاميَّة الحقيقيَّة.
إنَّ علاقتنا بالله لها أن تتجلَّى في أعمالنا الَّتي سنحققِّها لأمَّتنا في كلِّ ميدان يؤكِّد تلاحم هذه الأمَّة و تواجدها بقوَّة ،و يعيد كلَّ مقوِّمات الأمَّة القرآنيَّة، وهذه الأعمال أعمالنا نحن لا أعمال سلفنا، وهي الشَّهيد الوحيد الَّذي تقبل شهادته على تعلُّقنا بالإسلام، و إخلاصنا لله عزَّ وجلَّ، و هي السَّبيل الوحيد الَّذي يمكِّننا من التَّفوُّق على الإشكالات الَّتي ورثناها إرثا ثقيلا على أكتافنا { تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ }.
وعلى هذا الأساس نحذِّر من الذَّوبان كلِّيَّة في خُطَى السَّابق، لأنّ لكلِّ ظروفه و خصائصه، و الجامع بيننا هو الكتاب و السُّنَّة ، وعلى كلِّ جيل أن يوقِّع على عصره.

أرزيو/ الجزائر في 10/04/2010م
مختار الأخضر الطيباوي

بيتان من الشعر يريحانك من سقط ولدد وفجور الحدادية بفروعها:

وأبعدُ من ناداك من لا تجيبه ***وأغيظُ من عاداك من لا تشاكل
وما التيهُ طِبِّي فيهمُ غير أنَّني **** بغيضٌ إليَّ الجاهلُ المتعاقِلُ

هل يمكن إزالة الخلاف العلميِّ بين أهل السُّنَّة؟

عندما نعاين الوضع السُّنِّيَّ الرَّاهن، وما آل إليه حال أهل السُّنَّة علميًّا ودعويًّا، نجد أنَّ الجماعة السُّنِّيَّة يعوزها السَّلام بين مختلف مكوِّناتها، فبسبب الاختلاف المبرَّر وغير المبرَّر، لا تفتأ كل جماعة تثور على مخالفيها ذمًّا وهدمًا ؟
وقد نشأ عن ذلك تشتُّت القلوب و اختلاف الكلمة ،فلم يعد الاختلاف بين الدُّعاة و العلماء السُّنِّيِّين يُعبِّر عن اختلاف أطر الإدراك والتَّصوُّر والاجتهاد، بقدر ما صار يُعبِّر عن التَّشبُّع بنزعة الحقد، التي أصبح بعضهم يبثُّها في الأتباع، في حين أنَّ

الإسلام توصَّل في عصر النُّبوَّة، وعصر الخلفاء الرَّاشدين إلى نزع الأحقاد من عقول النَّاس قبل قلوبهم، من خلال إقرار أصل مهمٍّ، يُبيِّن أنَّ اختلاف النَّاس من سنن الله في خلقه، ولن تجد لسنَّة الله تحويلا{ وَلَوْ شاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً واحِدَةً وَلا يَزالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلاَّ مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذلِكَ خَلَقَهُمْ}[هود]،{ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ }[يوسف].

وعلى هذا عرف أئمَّة الإسلام أنَّه يتوجَّب نزع الأحقاد، وترك أنواع الاضطهاد للمخالف من أهل السُّنَّة أوَّلا، لأنَّ الخلاف قائم مهما فعلوا، ولذلك قالوا:"معرفة الحقِّ ورحمة الخلق".

أفنكره المخالف من أهل السُّنَّة على التَّنكُّر لعلمه و اعتقاده، و يتبعنا على غير بصيرة،أم أنَّنا لا نملك إلاَّ أن نُبيِّن له الأمر بأدلَّته وبراهينه، و ندرأ كل ما يعارضه من أدلَّة و شُبه، ما قدرنا على ذلك، وقد تمَّ واجبنا على وجهه، وما بعد ذلك فهو في يد الله، قال تعالى:{ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ }[البقرة]، فكيف بالسُّنِّيِّين، ممَّن لهم علم، و أدلَّة على أقوالهم ومذاهبهم، ويعتقدون جازمين أنَّهم على الحقِّ؟

التَّملُّق طريق العمالة

بعض النَّاس جعل الطَّعن في أهل الدِّين ـ و أهل السُّنَّة منهم على وجه الخصوص ـ بالتَّفحُّش و الكذب علما وجهاد و نصيحة ومنهجا سلفيًّا متينا ،وجعل التَّملُّق للكبراء ،و التَّقرُّب من الرُّؤساء و الطَّمع في الجاه الكاذب من المكارم؟

و عندما يكون التَّملُّق ظاهرا واضحا فلا يعرف صاحبه إلاَّ المداهنة يكون قرينة قويَّة على العمالة.

و أقصد بالعمالة هنا : العمالة بالنَّتيجة لأنِّي لا أملك دليلا مادِّيًّا على العمالة بالقصد، وإن كنت أشعر بها ،لكن الشُّعور لا يكفي لإثبات التُّهمة، والعمالة بالَّنتيجة يعني: ما يقومون به من تشويه لأهل العلم يخدم أعداءهم، و لعل كلامهم عن النِّظام المصري الحالي يقطع الجدال حول هذه القضيَّة.

و السُّنِّيُّ شريف في دينه يمنعه شرفه من الدَّناءة ،و عفيف تمنعه عفَّته من التَّملُّق للظَّلمة.

طبائع الجاهل

الجاهل إمَّا مقدار لسانه فاضل على مقدار علمه،و إمَّا مقدار علمه فاضل على مقدار عقله.

قال الجاحظ في (البيان و التَّبيين) : ((المعنى الحقير الفاسد، و الدَّنيء السَّاقط، يُعشِّش في القلب ثمَّ يبِيض ثمَّ يُفرِّخ، فإذا ضرب بجرانه ومكَّن لعروقه، استفحل الفساد وبزل، وتمكَّن الجهل وقرح ، فعند ذلك يقوى داؤه، ويمتنع دواؤه، لأنَّ اللَّفظ الهجين الرَّديء، والمستكره الغبيَّ، أعلق باللِّسان، وآلف للسَّمع، وأشدُّ التحاما بالقلب من اللَّفظ النَّبيه الشَّريف، والمعنى الرَّفيع الكريم.

ولو جالست الجهَّال والنَّوكى، والسُّخفاء والحمقى، شهرا فقط، لم تنق من أوضار كلامهم، وخبال معانيهم، بمجالسة أهل البيان والعقل دهرا، لأنَّ الفساد أسرع إلى النَّاس، وأشدُّ التحاما بالطَّبائع. والإنسان بالتَّعلُّم والتَّكلُّف، وبطول الاختلاف إلى العلماء، ومدارسة كتب الحكماء، يجود لفظه ويحسن أدبه، وهو لا يحتاج في الجهل إلى أكثر من ترك التَّعلُّم، وفي فساد البيان إلى أكثر من ترك التَّخيُّر))

قال تعالى: {وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا} [الفرقان: 63].

لما كان الجهل أنواع : جهل بمعنى عدم العلم ، فمن لم يعلم الحقَّ فهو جاهل جهلا بسيطا، فإن اعتقد خلاف الحقِّ فهو جاهل جهلا مركَّبا، وهذا الثَّاني جهل بمعنى عدم اتِّباع العلم.

وأسوأ منه الجهل الثالث: جهل من يقول خلاف الحقِّ، عالما بالحقِّ.

فهذه حالات الجهل الممكنة، وكلُّنا فيه قدر منها، فلابدَّ أنَّ الواحد منَّا يجهل كثيرا من المسائل العلميَّة، وهذا لا يضرُّه إلاَّ حينما تتعلَّق باعتقاد واجب، أو عمل واجب، فلا يحصل علم ما يجهل، وقد توفَّرت لديه أسباب العلم، ولم تتخلَّف القدرة.

كذلك الجهل الثَّاني فينا بعض الشَّيء منه، وفي الغلاة في كل زمان الكثير منه، هو اعتقاد خلاف الحقِّ، ولكن من الذي يعذرانه يكون بسبب عدم تصور صحيح، وهذا جهل من لا يدري، ويعتقد أنَّه يدري!

وهذا النَّوع من الجهل قد لا يضرُّ صاحبه إذا كانت القوَّة القلبيَّة عنده أقوى من القوى الشَّهوانيَّة، فإذا نصح، أو انتقد لم تأخذه عزَّة الإثم، ورجع بطيبة نفس وتواضع.

فإن لم يملك هذه القوَّة أهلك الأخضر و اليابس.

و أمَّا الجهل الثالث فهو جهل أرباب المقالات الضالَّة، المعرضين عن علم الكتاب و السُّنَّة، وهذا يجمع بين الجهل وسوء القصد.
المقصود :أنَّ الجهل يصيبنا كلنا، ولكن الإفراط فيه هو سبب الضلال، و الانحراف و البغي، و الظُّلم، وضيق العطن، وسوء الطوية، و الغرور بالنَّفس، و الافتنان بها ،و الطَّواف عليها.
و الذي يعنينا هو الجهل الذي يصيب المنتمين للحقِّ،كلٌّ حسب درجة قربه من الرَّسول علما وحالا، و للأسف يوجد في هذا الصِّنف أمثال شيوخ التَّجريح ـ أصلحهم الله ـ من إذا ناظرك سلب عنك النَّقيضين!
فتراه يبدأ بكلام يجعله الحقَّ الذي لا يختلف فيه اثنان، فإذا أخذته لتلزمه به جعله من الباطل المحض، وذمَّك به ،يقول الشَّيء و نقيضه!
فكلامه ليس إلاَّ مغاليط يروِّجها على جهَّال أتباعه.
فإذا فهمت هذا، وعرفت هذا الصِّنف و علاماتهم، و أبرزها عدم التَّفريق بين لوازم الأقوال ،ولوازم الظُّنون الكاذبة المستخرجة من هذه الأقوال فهمت تلك المسألة العلميَّة اللَّطيفة التي ذكرها الفقهاء، و علماء الأصول، و التي تدلُّ على درايتهم بأحوال الواقع، و حقائق النَّاس، و أمراض نفوسهم، مسألة: "فتيا الجاهل الذي يظنُّه أهل بلدته من العلماء!"
قالوا رحمهم الله ـ (المسوَّدة) ـ :
((فإن كان في البلد من هو معروف عند العوام بالفتيا، وهو في الباطن جاهل تعيَّن على هذا الجواب، والأظهر أنَّه لا يتعيَّن عليه بذلك لحديث ابن أبى ليلي))
فقد نظرت في المسألة متمعنًا مدقِّقا من كل أوجهها ،محاولا اختراق ما خلفها، ومعرفة كيف عرف العلماء أنَّه يوجد فيهم من يعدُّه النَّاس عالما مفتيا، وهو في الباطل جاهل إلاَّ إن كانوا ابتلوا بهذا الصِّنف.
فتقول : سبحان الله يوجد مثل هذا في زمن العلم و الفضيلة، فكيف في زماننا نحن ،زمن المطالبة بإثبات البديهيات، و الضَّروريات، و المتواترات !؟
ولكن إذا ما عدت للقرآن فستجد جوابا عن هذه الحالة المرضية، يوضِّحه:
لقد أخبر القرآن أنَّ العبد ظالم جاهل، وكثير من العباد يعتقد أنَّه أتى بما يستوجب عليه كمال العمل، أو كمال العلم، وهذا أسهل من الذي يليه.

ولكن الشَّرَّ كل الشَّرِّ فيمن يعتقد أنَّه أتى بالواجب في العلم، و الواجب في العمل.
وكما يقول شيخ الإسلام :
((قد يكون ما آتى به يستوجب اللَّعنة و الغضب بمنزلة من معه نقد مغشوش جاء ليشتري متاعا رفيعا فلم يبيعوه فَظنَّ أنَّهم ظلموه،وهو الظَّالم [لنفسه ولهم])).
قال: ((وَهُوَ فِي ذَلِك شَبيه بِأحد ابْني ادم {إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ } [سُورَة الْمَائِدَة]
وعليه، فمن لم يصلح نفسه بتقوى الباطن،ومراقبة الله عند الخواطر فإنَّه لا يصلح للعلم، وسيتضرَّر كثيرا لو حصل له العلم، وكذلك يضرُّ غيره .
فمن يتشوَّق إلى الدَّرجات العالية في العلم و العمل، وهو لا يقدر أن يقوم بحقوقها سيكون وصوله إليها وبالا في حقِّه وحقِّ غيره.
فمن كان ذاهلا عن جهله، جاهلا بحقيقة ما يقوله،جاهلا بلوازم قوله،جاهلا بمقادير أهل العلم ومعاذيرهم العلميَّة،جاهلا بدقائق الشَّريعة ومقاصدها، و بالأصول العلميَّة ،فليس عليه كلفة اللَّوم إلاَّ على جهله.

تقييم الوضع

بسم الله الرحمن الرحيم
لاشكَّ أنَّ بعض طلبة العلم قد أحاط معرفة بأحوال المسلمين الدَّعوية و الاجتماعيَّة و غيرها،و إلى أيِّ مدى تغلغل الضَّعف و الإحباط إلى بعضهم، خاصَّة من أهل السُّنَّة،وكيف أنَّ أعداء الدِّين و السُّنَّة قد وجدوا فرصتهم ليبثُّوا دعاتهم و يكثِّفوا نشاطاته، فصار أهل السُّنَّة في وضع حرج تتجاذبهم مختلف الهجمات التي يتعرَّضون لها من هنا و هناك.
هذا عند مَن يعي الحال وله دراية بالسَّاحة، أمَّا من أهمَّته نفسه، و اكتفى بأن يبقى على هامش الأحداث فالأمور على خير ما يرام!
و الحقيقة تقال: أصبح الواحد لا يرى إلا مجموعة جهَّال متفيقهة قتلوا الحقَّ بجهلهم وكسلهم، يعيشون في غيبوبة، تركوا الميدان لأعداء الدِّين ثمَّ لأعداء السُّنَّة الذين تحالفوا و أصبح الإعلام يغلي بهجوماتهم اليومية يلتهمونه وهم يتفرجون،حتَّى فقد الأخيار التَّفوُّق العلميَّ وزمام المبادرة ،و أصبحوا في وضع الدِّفاع عن النَّفس ،هذا

إذا وجد من يدافع عن السُّنَّة في بعض الأماكن بشكل واضح وصريح .
و عليه، فقد حان الوقت لمن كان يريد الله و الدَّار الآخرة، ويهمُّه حال الدِّين ، ويسعى لرفع معالمه وراياته عالية أن يستجمع قواه ،و يجمع أهل السُّنَّة بحقِّ على أداء واجبهم الدَّعوي، و تعريف النَّاس أوَّلا بحقيقة السُّنَّة بعيداً عن غلوِّ بعض المنتسبين لها و ثانيا:بحقائق هذه الطَّوائف المعادية للدِّين و المعادية للسُّنَّة من خلال طريق واحد لا غير هو كشف شبهاتهم و الرَّدِّ عليها بصرامة علميَّة وليس بالشِّدَّة اللِّسانيَّة.
و إن كان هذا العمل شاقًّا، و يحتاج إلى جهود جبارة فقد تحضَّر أعداء الدِّين و أعداء السُّنَّة طيلة سنين، و بحوثهم الطَّاعنة في أهل السُّنَّة كثيرة و متشعِّبة، ومملوءة بالشُّبهات و التَّحريف ،فإنَّ بوسع طلَّاب العلم النَّابهين الذين تزخر بهم السُّنَّة ، أن يجعلوا ذلك نصب أعينهم، و يبدون رغبتهم بعيدا عن انتظار أن يفيق بعض الشُّيوخ من سباتهم، حريصين على الخير لأمَّتهم، متشاركين الرَّأي الصَّائب، و متناصحين بالحقِّ، صادقين في قصدهم وعملهم، يكنُّون لبعضهم بعضا الحبَّ و المودة،متجاوزين بسماحة الخلاف في الجزئيَّات، متعاضدين على الكلِّيَّات ، فاصلين بوضوح بين وظيفة النُّخبة الريادية و ووظيفة العوامِّ، متنبِّهين إلى الدَّور السِّلبيِّ الخطير ممَّن لا يجوِّع الذِّئب، ولا يغضب الرَّاعي.

فهذه وسيلة بارعة لجمع شتات أهل السُّنَّة، و توجيه جهودهم وتركيزها على ما يخدم الدِّين بدون شخصنة وفردانية.
أرجو من الله تعالى أن يكون عونا لهم على إحقاق الحقِّ و إزالة اللَّبس عن بعض القضايا العلميَّة وردِّ الاعتبار لإخوانهم الذين ظلمهم الجهل و الغلوُّ، و الله تعالى هو النَّصير ينصر ما يشاء و ينشره، و يمسك ما يشاء حتَّى يطويه النِّسيان.
فالشَّباب هم قاطرة الأمَّة كما قال تعالى: (إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدىً) ، وقال تعالى: (قَالُوا سَمِعْنَا فَتىً يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ) ، (وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ).
فالشَّباب ألين أخلاقا من الشُّيوخ، و أكثر التصاقا بالواقع،و إدراكا لقضاياه العصريَّة و إن كان للشُّيوخ من العلم و البصيرة و الحكمة ما لا يستغنى عنه مؤمن فطن.

بين الحياد و التَّحيَّز ...... ؟

الحياد هو عدم الميل إلى أحد الطَّرفين المتخاصمين، وقد يكون ايجابيًّا إذا طالبهما باستيفاء الحقوق و لزوم الجادَّة، و سلبيًّا إذا جعل المصيب كالمخطئ، وقاتل الذُّبابة كذابح أبويه.
و التَّحيُّز هو مناصرة أحد هذين الطَّرفين دون مراعاة لشروط صدق هذا الطَّرف وصوابه، و لو كان محقًّا، ولا أجر فيه..
فالحياد قد يكون إنصافاً و عن عدالة حقيقة إن كان الطَّرفان المتنازعان متكافئين في الصَّواب و الخطأ، الحقِّ و الباطل، الظُّلم و العدل.
وقد يكون نأياً بالنَّفس من تكاليف جهاد المخطئ على العرض و الوقت و المصالح.
وقد يكون شراءً للسَّكوت عنه وطلبا للسَّلامة.
وقد يكون عجزا عن تبصُّر المصيب من المخطئ.
وقد يكون تصفية مع أحد الطَّرفين نعلم أنَّه مصيب لكن ننتقم منه لقضيَّة أخرى، فنتركه لحتفه، و نتمنى أن ينال منه خصمه.
وهناك أسباب أخرى لكنَّها لا تخرج عن هذه، ومخاطر الحياد في غير موضعه و بدون شروطه هو أن يحيد بك عن المنهج السَّوي لأنَّه يصبح تحيُّزا للباطل، كالتَّحيَّز بدون حقٍّ تماما.

للتَّاريخ:

الأمَّة مدينة ـ في الضَّعف الشَّديد الذي أصاب منهج العلق مصَّاص الدِّماء ـ إلى موقع الاستقامة، ومنتديات مأرب، ومنتديات كل السَّلفيِّين، و إن كان هناك مواقع أخرى واجهة هذا المنهج المنحرف من الوهلة الأولى غير أنَّ هذه التي ذكرتها كان لها الفضل الأكبر.
فلولا هذه الجهود كان بعض الشُّيوخ يسقطون تحت ضربات الفئران التي كانت تهيَّج عليهم،وكان بعضهم لا يجد أين يبيع كتبه خاصَّة من لم ينصر حقًّا ولا هدَّم باطلا ، ففي فترة ازدهار هذا المنهج المنحرف كان الشَّيخ يشير و الفئران تُسقط الثيران.
ومن الشَّخصيَّات التي أثَّرت في السَّاحة الإسلاميَّة فحرَّكت المياه الرَّاكدة وافقناها أم خلفناها كلِّيًّا أم جزئيًّا: الألباني ،القرضاوي، سفر الحوالي، المأربي، و الحلبي ،أمَّا البقية ـ على جلالة قدرهم عند من يحبُّهم ـ فلم يخرجوا عن المعهود المعروف.

يمكن الإضافة على هؤلاء كل حسب معرفته و علمه و ذاكرته.

دلالة السِّياق

قاعدة في ضوابط فهم كلام العلماء:

من المعلوم أنَّ نقل الكلام عن العلماء سواء من أفواههم أو من كتبهم يجب أن يراعى فيه السِّياق فلا يختزل بطريقة تغيِّر معناه ،فلا يمكن أن ننسب كلَّ كلمة خطَّها كاتب في كتبه إلى أنَّها مذهبه و عقيدته ورأيه، ذلك أنَّ العالم ينقل في كتبه كلامه وكلام غيره، و يردُّ بطرق متنوِّعة، فأحيانا يسرد أدلَّته و أحيانا يفترض أدلَّة خصومه، و يقلب الأمر على وجهه حتَّى يستبين الحقُّ،و الله عزَّ وجلَّ قد نقل في كتابه العزيز قول الكفَّار و المشركين و اليهود و النَّصارى حكايةً عنهم، فلو أنَّ أحدهم ادَّعى أنَّ الله ثالث ثلاثة لأنَّه قرأها في القرآن لكان هذا الرَّجل مغفلا في أقلِّ أحواله .

فلا يوجد في كلام البشر كلام مطلق مجرَّد من كلِّ قيد أو شرط، فهذا ممتنع عقلا، فمن المعلوم عند العقلاء أنَّ التَّكلُّم باللَّفظ المطلق من كلِّ قيد لا وجود له أبداً ، فلا يتكلَّم العاقل إلاَّ بكلام مؤلَّف مقيَّد مرتبط بعضه ببعض، وإلاَّ صار كلامه لغوا لا قصد من ورائه ، فالألفاظ عند بني البشر لا تستعمل إلاَّ مقيَّدة بقيود لفظيَّة وحالية تتعلَّق بالمتكلِّم ، يدلُّ عليها السِّياق، و المسار العامُّ للمقال أو عادته في الكلام.

دلالة السِّياق:

وإن كان انتقاد و استدراك بعض النَّاس لا تعلُّق له بدلالة السِّياق لأنَّهم وببساطة يمارسون جريمة التَّحريف أو لا يفهمون الكلام أساسا.

و مع ذلك نشرح بإيجاز أهمِّيَّة دلالة السِّياق.

لقد عرف عن العرب أنَّهم أحيانا يحذفون الفعل تعويلا على دلالة السِّياق عليه كما يحذفون الخبر لمساواته المبتدأ وعدم زيادته عليه لفظاً فيحذفونه للتَّخلُّص من تكرار اللَّفظ بعينه مع دلالة السِّياق على المحذوف،ذلك أنَّ دلالة السِّياق كافية في صحَّة الإضمار.

وقد اختلف علماء الأصول في اعتبار عود الضَّمير إلى بعض أفراد العامِّ مخصِّصاً للعموم. ومنه قوله تعالى { وبُعُولَتُهنّ أحقُّ بردهن } [البقرة : 228] فإنَّ ضمير { بعولتهن } عائد إلى المطلقات الرَّجعيات من قوله تعالى { والمطلقات يتربصن

بأنفسهن } [البقرة : 228] الذي هو عامٌّ للرجعيات وغيرهن .
ومن ذلك نفي الاستواء بين شيئين يراد به غالباً تفضيل أحدهما على مُقابله بحسب دلالة السِّياق كقوله تعالى : { أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستوون } [السجدة : 18
قال الزركشي في " البرهان"{200/2}:"دلالة السِّياق فإنَّها ترشد إلى تبيين المجمل والقطع بعدم احتمال غير المراد، وتخصيص العامِّ، وتقييد المطلق، وتنوُّع الدلالة، وهو من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلِّم فمن أهمله غلط في نظره وغالط في مناظراته وانظر إلى قوله تعالى {ذق إنك أنت العزيز الكريم} كيف تجد سياقه يدل على أنه الذليل ".
وقرينة السِّياق هي ما يؤخذ من لاحق الكلام الدَّال على خصوص المقصود أو سابقه .
وأما قرينة السِّباق بالباء الموحَّدة فهي دلالة التركيب على معنى يسبق إلى الفهم منه مع احتمال إرادة غيره وتسمَّى دلالة السِّياق كما أن قرينة السِّياق تسمى كذلك.
فأهمِّيَّة دلالة السِّياق هي أنَّها تقوم مقام القرائن القويَّة المقتضية لتعيين المراد.

لا يجب أن نسلِّم لخصومنا بالتَّصنيف ثمَّ نتعامل على أساسه ،ونصدر الأحكام بناء عليه؟

هل هذا زمان القيادة العلمية أو الإصلاحية الراشدة الواحدة؟

ما الذي تحتاجه الأمة (؟)
بين الوجود العيني و الثبوت العلمي تستشرف الأمة مستقبلها وغير ذلك سوء فهم للدين أو خطأ في قراءة الواقع بسبب الهوى فعين المحب للشيء كليلة عن العيوب كما عين الساخط كليلة عن الفضائل.
في وعي كثير من طلبة العلم أن سبب تعثر الأمة ،وتقلبها في هذه الاضطرابات "المتكررة باستمرار" و التكرار كالتعاقب يدل في عقول البشر أن العلة هي نفسها،فتكرار الأحداث في المكان وتكرارها في الزمان يدل على أننا ندور على علة اضطراب واحدة لم نقدر ـ لحد الآن ـ إما على التفطن لها كأننا بدون دين ونصوص،تركنا الشارع هملا لنجتهد بمحض آرائنا للخروج من التخلف و الضعف و

التفرق ...الخ
وإما أننا ركبنا الهوى المحض أو المحلل بالتأويل فصرنا أغبياء ــ و الهوى بنوعيه يجعل الذكي غبيا كما جعل ـ قديما ــ أذكى العلماء و النظار أغبياء كاد اللهُ عقولهم ، نعتقد أن تكرار نفس الأسباب قد يفضي إلى نتائج مغايرة (؟!)
فهل تحتاج الأمة إلى عالم تلتف حوله غالبية الأمة ،أو مصلح يحرك الصفوف و الأعراف و الذهنيات السلبية ،وهل سبق للأمة أن عرفت مثل هذا المصلح أو العالم فأعقب دعوته دولة إسلامية قوية أو انتقلت من الضعف إلى القوة، ومن التخلف إلى الازدهار،ومن الظلم الاجتماعي إلى العدل أم العكس هو الصحيح ،أو بمجرد موت الجيل الأول تعود ريمة لعادتها القديمة ،وتعود الدولة إلى التقهقر في عقيدتها ودينها ،أما في دنياها فهي أصلا لم تتحرك إلا كمستهلك بشراهة لما يصنع أعداؤها (؟)
هل يسمح هذا العصر بسرعته في كل شيء ،وبانفتاحه إعلاميا واختراقه الحدود الجغرافية و الإدارية ،وبتطور الدجل فيه إلى حد صار علما يشكل وعي الجماهير ويتحكم فيه فصارت الصورة و الخطاب خاضعين لصناعة دجلية توظف علوم النفس و الاجتماع وتحصي على الإنسان دراسة وبحثا حركاته وشهواته وأمنياته فقدمت له الخير المادي و العلمي على طبق مسموم فإما يعتزل الحضارة أو يقبل عليها بحذر ومع ذلك يضيع شيئا من دينه وقيمه وسيادته على نفسه وأرضه وفكره .
هل يسمح بظهور مثل هذا المصلح و العالم ،وهل يقدر هذا المصلح و العالم على إقناع جمهور الأمة بفكره وإصلاحه في ضوء هذه المعطيات،أم أن هذه أمنية مغلوطة فلسنا بحاجة إلى مثل هذا العالم أو المصلح بقدر ما نحن بحاجة إلى من يبين لنا رأسنا من رجلنا أي يحقق لنا التراث و يجيب على إشكاليات التاريخ و العصر وينشر الوعي بمشروع إسلامي صحيح في تأصيلاته وصحيح في تنزيلاته ،وأهم من ذلك واضح في خطواته بدقة متناهية يتحول في الشباب إلى منهج حياة متكاملة عملية تقذف بالشباب ــ وقود الإصلاح وقادته الحقيقيين ـ في عمق المجتمع، وفي جميع طبقاته، قد عرف من أين جاء ،وإلى أين يتجه، ومتطلبات كل مرحلة، فيصلح الأجزاء جزءا جزءا لينصلح الكل،يغرس المشروع في عقول وقلوب السواد الأعظم الذي يرفع وعيه، ودرجة رشده، ولا يسوِّق له الأوهام يزينها بالنصوص،فكم من مشروع إصلاحي أخفق، فيفوز بحبه وثقته قبل أن يفوز بأصواته في صناديق

الاقتراع.
أكمل المثقفين هم المؤرخون ـ الدراسات التاريخية المعاصرة خاصة ـ فلندرس التاريخ لننظر فيه هل سبق ونجحت دعوات وحركات إسلامية كالموجودة حاليا،وإذا نجحت هل استمرت أم بأسرع ما اعتلت العرش بأسرع ما سقطت عنه (؟)

الموازنة ... و التحذير من فرعون !!!
بعض الناس جعل أعلام الكفر و الضلال ممن يجب التحذير منهم وذكر سيئاتهم كلما ذكرتهم؟!
ونحن لا نلزمه إلا بتطبيق هذا المبدأ على كل عالم ثبت خطؤه أو زلته، فمثلا إذا ذكر كلمة طيبة أو دليلا صحيحا عن ابن الجوزي أن يقول أولا: قال ابن الجوزي المفوض المتحري للدعاء عند القبور كذا وكذا!
قال ابن القيم القائل بفناء النار القول المخالف للنصوص كذا وكذا.
قال ابن خزيمة المؤول لحديث الصورة كذا وكذا !!!!
قال ابن حجر المخطئ حسب إحصاء بعض الباحثين في 17 مسألة هي كذا وكذا قال كذا وكذا...!!
فإن قدر على ذلك هذا بطبيعة الحال إن سمح له عقله، فضلا عن وقته، و مساحة الصفحة ، قلنا إذا ذكرنا فرعون أو قارون أو ابن سينا أو ابن رشد أو ابن باجة مثله.
لا يعقل أن نحذر من الشخص أو نذكر سيئاته عندما نتحدث عن أعلام الضلال أو الكفر.

ممَّا لم يحصِّل النَّاس معناه
صنفٌ من المنتسبين للسَّلفيَّة احتار عقلاء الأمَّة فيه لأنَّهم لا يملكون اسما لماهيَّته؟

قال ابن القيم:
طَائِر الطَّبْع يرى الْحبَّة وَعين الْعقل ترى الشّرك .

افتح عين البصيرة في أقوال من تسيء الظن بهم:

قال ابن القيم في (مفتاح دار السعادة):
((وَنحن نَسْتَغْفِر الله من التَّقْصِير فِي رد أهل الْمَذْهَب الْقَبِيح، وَلَكِن ظُهُور قبحه للعقول وَالْفطر أقوى شَاهد على رده وإبطاله، وَلَقَد كَانَ كافينا من رده نفس تَصْوِيره وَعرضه على عقول النَّاس وفطرهم فَلْيتَأَمَّل اللبيب الْفَاضِل مَاذَا يعود إِلَيْهِ نصر المقالات والتعصب لَهَا، والتزام لوازمها، وإحسان الظَّن بأربابها بِحَيْثُ يرى مساويهم محَاسِن ،وإساءة الظَّن بخصومهم بِحَيْثُ يرى محاسنهم مساوي كم أفسد هَذَا السلوك من فطْرَة وصاحبها من الَّذين يحسبون أَنهم على شَيْء إِلَّا أنهم هم الْكَاذِبُونَ ،وَلَا يتعجب من هَذَا فان مرْآة الْقلب لَا يزَال يتنفس فِيهَا حَتَّى يستحكم صداؤها فَلَيْسَ ببدع لَهَا أَن ترى الْأَشْيَاء على خلاف مَا هِيَ عَلَيْهِ، فمبدأ الْهدى والفلاح صقال تِلْكَ الْمرْآة، وَمنع الْهوى من التنفس فِيهَا وَفتح عين البصيرة فِي أَقْوَال من يسيء الظَّن بهم كَمَا يقبحها فِي أَقْوَال من يحسن الظَّن بِهِ وقيامك لله وشهادتك بِالْقِسْطِ ،وَأَن لَا يحملك بغض منازعيك وخصومك على جحد دينهم وتقبيح محاسنهم ،وَترك الْعدْل فيهم فان الله لَا يعْتد بتعب من هَذَا ثناه، وَلَا يجدي علمه نفعا أحْوج مَا يكون إِلَيْهِ ،وَالله يحب المقسطين وَلَا يحب الظَّالِمين))
مناهج السنة أولا سلوك يعرف شريعة الله في أعمال القلوب ويفقه أحوالها فمنها العدل

قيل:
كن عاقلاً حتَّى (لا تغترَّ)، وخبيراً حتَّى (لا تغرَّ)
(لا تغترَّ) بصواب الجاهل، فإنَّه كزلَّة اللَّبيب... يسقيك عسلا مرَّة ثمَّ تموت عطَشا .
(لا تغترَّ) بما يشيعه الجهَّال فأنت فقيه نفسك، شاهد الأمر بنفسك: بعقلك ،فالعقل يغني عن السَّمع و البصر،و بالأثر نعرف المؤثِّر، ومن البناء نعرف الباني.
(لا تغترَّ) بالكثرة، ولا بالقلَّة، الحقُّ برهانٌ وليس عددا كبُر أو صغر.
(لا تغترَّ) بموافقة الأفاضل لك فإنَّهم لا يعرفون نيَّتك.

قال حاتم الأصمُّ :
(لَا تَغْتَرَّ) بِمَكَانٍ صَالِحٍ، فَلَا مَكَانَ أَصْلَحُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَلَقِيَ فِيهَا آدَمُ مَا لَقِيَ.
وَلَا تَغْتَرَّ بِكَثْرَةِ الْعِبَادَةِ، فَإِنَّ إِبْلِيسَ بَعْدَ طُولِ الْعِبَادَةِ لَقِيَ مَا لَقِيَ.

وَلَا تَغْتَرَّ بِكَثْرَةِ الْعِلْمِ، فَإِنَّ بَلْعَامَ بْنَ بَاعُورَا لَقِيَ مَا لَقِيَ وَكَانَ يَعْرِفُ الِاسْمَ الْأَعْظَمَ.
وَلَا تَغْتَرَّ بِلِقَاءِ الصَّالِحِينَ وَرُؤْيَتِهِمْ، فَلَا شَخْصَ أَصْلَحُ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَمْ يَنْتَفِعْ بِلِقَائِهِ أَعْدَاؤُهُ وَالْمُنَافِقُونَ.(مدارج السالكين)

للمقلّد في (الشَّرّ) :

لا فائدة لك في طلب الكثير وقد عجزت عن معرفة القليل.

بعض الإخوة صُدرت عقولهم فهي محتجزة في وادي الغلو، صادرها من يحب أن يتبعه الناس بحق و بباطل ، حتى إنهم لا يحكمونها في شيء واضح ظاهر، بل لا يحكمون إلا ما ضُخ في عقولهم، و أشربته قلوبهم، مما تمجه الأسماع و تعافه نفوس الفاضلين، فلو رأى أحدهم زهرة قد بهرت ألوانها الأبصار، و استولى عبقها على الأرجاء، فشم عرفها، و شعر بلين ملمسها لقال هذه شوكة لأنه أُخبر أنها شوكة!

أخرج الإمام أحمد في (الزهد) عن عبد العزيز بن عمر أنه سمع عمر يقول: ((لا يعجبنكم طنطنة الرجل، ولكن من أدى الأمانة وكف عن أعراض الناس فهو الرجل)).

قيل لأحد الشعراء وكان مغرما بالهجاء وثلب أعراض الناس :مالك لا يكاد يجود شعرك إلا في الهجاء؟ فقال: خاطري لا يغرف إلا من البحر المنتن.

فمن كتب كتابا أو مقالا سلق فيه أعراض الناس، وملأه بمساوئ الخلق، وكل ما رموا به إن صدقاً وإن كذبا، وزعم أنه قام في ذلك بواجب شرعي، وهو الجرح والتعديل،وهو لا من طينة مالك و أحمد، ولا من مسلاخ البخاري بل ثبت قلة فقهه وعدم درايته فلنقل له: هذا جهل مبين وضلال وافتراء على الله مشين، بل قمت بجرم كبير وبئت بوزر كثير.

طغى ابن فلان على ربِّه ... وما منه في الخلق من سالم
وذاك قليلٌ وإن ضوعفوا ... دعــوه يسبُّ إلـــــى آدم
كنوز المعايب في عرضه ... يفــرّق منها على العــالم

ومن علامات البغي ، مخاطبة الشخص بما يكره، وتوبيخ الرجل من غير أن يكون بينه وبين الرجل عداوة ولا صحبة، مع الطيش والخفة وإفحاش في اللفظ.

ومن خفي عليه طريق أهل العلم في ترتيب العلماء و الأئمة يقصر بالرجل العالي القدر عن درجته، و يرفع متضع القدر في العلم فوق منزلته، ولا يعطى كل ذي حقه .
ومن يتبع الأثر عليه أن يتأكد أثر من يتبع؟

أحيانا من حُسن السَّمت ترك السَّمت (بحسب صلاح نفسك).
قال ابن أبي عمر عن سفيان قال: سمعت الأعمش يقول: ((جَهَدْنَا بِإِبْرَاهِيمَ أَنْ نُجْلِسَهُ إِلَى أُسْطُوَانَةٍ فَلَمْ نَقْدِرْ عَلَيْهِ قَالَ: وَلَوْ رَأَيْتُهُ رَجُلًا أَعْوَرَ، عَلَيْهِ قِبَاءٌ مَحْشُوٌّ، وَمَلْحَفَةٌ حَمْرَاءُ، وَهُوَ يُجَالِسُ الشُّرْطَ، لَقُلْتَ: مَا هَذَا بِفَقِيهٍ.)) (تاريخ أبي زرعة الدمشقي).

عجيب أمر الغلاة مع التزَّكيات في كلِّ زمان ؟
إذا انتقدتَ شيخهم قالوا لك ولم يفحصوا أدلَّتك، ولا يهمُّهم النَّظر فيها أبدًا: ((هو أعلم منك بالدَّليل، و أنت أولى بالخطأ منه، و الظَّاهر انَّه يعرف ما يدفع دليلكم و إن لم يبديه!))
فإن جئتهم بالأخرى - كما قال المعلمي رحمه الله - و أظهرت الثَّناء عليه تأليفًا لقلوبهم كانوا أشدَّ غلوًّا فيه ،وقالوا لك ما قاله بعضهم لعمَّار بن يسار - رضي الله عنه - يوم الجمل، عندما خطب ليكفَّ النَّاس عن الخروج مع أمِّ المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - فقال لهم (البخاري) : ((و الله إنَّها لزوجة نبيِّكم صلَّى الله عليه و سلَّم في الدُّنيا و الآخرة، ولكن الله تبارك و تعالى ابتلاكم ليعلم إيَّاه تطيعون أم هي؟))
فلم يؤثِّر في أكثرهم، وروي أنَّ أحدهم أجابه :" فنحن مع من شهدت له بالجنَّة يا عمَّار"!
فلا تهرِّس رأسك،ولا تقطِّع ثيابك على الاستخفاف بالعلم و بالأدلَّة فالوضع طبيعيٌّ عندهم ؟
قال المعلمي : ((والأئمَّة[انتبه يقول: الأئمَّة لا المجاهيل] غير معصومين من الخطأ والغلط، وهم إن شاء الله تعالى معذورون مأجورون فيما أخطئوا فيه كما هو الشَّأن فيمن أخطأ بعد بذل الوسع في تحري الحقِّ، لكن لا سبيل إلى القطع بأنَّه لم يقع منهم في بعض الفروع تقصير يؤاخذون عليه، أو تقصير في زجر أتباعهم عن الغلوِّ في تقليدهم.))

مشاكل النت

المشكل في النت (الفيسبوك وغيره) أنَّه يدخله كثير من الأغمار (هو الجاهل الغرُّ الذي لم يجرِّب الأمور فلا غناء عنده ولا رأي) ،و حسن الظَّنِّ يجعلك تظنُّهم طلبة علم، وهم في أحسن أحوالهم نابتة مبتدئة وجدوا منبرا،أو عوامٌّ بهرهم المجال وقالوا: لمَ لا نقول نحن أيضا؟، أو كبار سن لم يرزقهم الله من العلم ما يفقهون به الكلام ،ولعلك تجد علامة بارزة في كلامهم تكثير النُّعوت،و التَّشغيب بالبديهيات و الأوليات و الضروريات المضمرة.

يستدرك بأي شيء،و يصف الدليل بالشبهة و الشبهة بالدليل، فإذا كان لا يعرف ماهية الدليل ولا شرطه فكيف يعرف الشبهة؟

عَمَائِمُ الحَمْلَةِ فِي صَالُوْنَات الإِعْلَام الرَّخِيْص

تَثْقِيف قضَايا المسلمين بالشُّبُهات لِتَدجين الضَّمائِر و تَروِيض الإرادَة

بسم الله الرَّحمن الرَّحيم

الحمد لله وحده، و الصَّلاة و السَّلام على من لا نبيَّ بعده.

تشهد الأمَّة الإسلاميَّة و بالأخصِّ العربيَّة أزمة داخليَّة خانقة، لها تداعيات سياسيَّة إقليمية كبيرة،وهي ما يجري في فلسطين ومصر و سوريا وغيرها ،وما يتعرَّض له الضَّمير الإسلاميُّ في الشُّعوب الإسلاميَّة من محاولات تخريبٍ و تدنيس وهدمٍ.

وقد أصيب المسلم البسيط الخاضع للإعلام الرَّخيص بالحيرة المطبقة، بسبب التَّناقضات الشَّديدة التي أصبحت كثيرٌ من الفضائيات تُغرقه بها،فأصبح المسكين مصطبَّة الجزَّار التي يقطع على سطحها اللَّحم.

فكثرت عليه التَّحاليل السِّياسيَّة، وكلها تتَّسم ـ بالنِّسبة لأصحابها ـ بالدِّراسة و التَّعمُّق و التَّعقُّل و المنطق والواقعية، و بل وبالوطنيَّة!

ففجأة لم يعد يوجد خونة، وعملاء، و منهزمون، و بائعون للذِّمم والضَّمائر، كلُّهم وطنيُّون شرفاء بطريق أو بأخرى، و بقي المواطن المسلم المسكين حائرًا ،يسأل نفسه: ماذا يفعل؟

بل من بسطاء المسلمين من غسل يديه من قضايا المسلمين إلى حين تتَّضح له الرُّؤية،

و تتميَّز الصُّفوف، فيفرِّق بين الوطنيِّين و العملاء.
ولكن إلى أن يُصفَّى له الماء، و يزول الغبش و الضَّباب، فقد غسل يديه كلِّيَّة من العرب و قضاياهم، و أصبحت ـ بفعل فاعل ـ المقارنة بين فريق البرازيل و الأرجنتين ، وريال مدريد وبرشلونة هاجسه الدَّائم، و قضيَّته الأولى.
إذا ما نظرنا في الأسباب التي تذكرها جهاتٌ فاعلة لتعليل ما فعلته في هذا البلد أو ذاك من التَّواطؤ على الاضطرابات التي يشهدها ،ومستوى المخالفات و الانتهاك للدِّين و القانون و الضَّمير ،فإنَّ المواطن البسيط لا يحتاج إلى تحليلات المحلِّلين ليفهم ما يحدث، و أنَّ سببه الأوَّل و الأخير بعض أبناء هذه الأمَّة و بالضَّبط نخبتُها.
فهو منذ فترة كان يشعر بوجود تيَّار منهزم في صفوف الأمَّة ، يحاول أن يجعله يُصدِّق بأنَّ غالبيَّة الدُّعاة و العلماء و المصلحين قد حاد عن المسار الصَّحيح ،ولم يعد التَّذكير بتاريخهم وأعمالهم السَّابقة له أيَّة قيمة، إذ الحاضر وحده هو الذي يهمُّ ، فالبرُّ يصير فاجرا، و الفاجر يصير برًّا، والمؤمن كافرا، و الكافر مؤمنًا ، وقد كان إبليس في يوم ما من المقرَّبين ؟
إنَّها عمليَّة ممنهجة لهز الثِّقة و التَّشكيك في المسلمات، و تدجين الضَّمير الشَّعبيَّ بمصطلحات الانهزام لتبرير الخذلان و الخنوع و إرجاء الإصلاح.
إنَّنا وإن لم نعجب من موقف المفسدين بالظُّلم أو بالتَّشويه للدِّين من أنصار "الحياة بلا دين" فإنَّنا نعجب إلى حدِّ الاختناق بالعجب من بعض من يزعم نفسه خادما للدَّعوة إلى الله ،و منافحًا عن الإسلام ينافح عن الفساد بأنواعه و الظُّلم بطبقاته ،يؤصِّل له شرعيًّا فلا يجد ما يتمسَّك به في سقوطه هذا إلاَّ الافتراء على إخوانه يتدبَّر لهم المخالفات الشَّرعيَّة في زعمه، أو قد يتعذَّر بأعذار هي في حدِّ ذاتها جريمة في حقِّ المسلمين كأن ينسبهم لخدمة اليهود و أمريكا،و التَّواطؤ مع الشِّيعة لقتل أهل السُّنَّة ، أو يُدندن حول حال الأمَّة و ابتعادها عن الشَّرع فإن كان هذا صحيحا فهو مدعاة للتَّشمير عن ساعد الجدِّ لنصرة كلِّيَّات الدِّين، فإن هذا، في هذا الوقت بالذَّات هو الانتصار لكتاب الله و سنَّة نبيه ، ليس الوقت وقت التَّدقيقات الفقهيَّة الفارغة من كل معنى.
إنَّنا لنعجب ممَّن يقف حائرا مرتابًا لا يُميِّز بين أخيه وعدوِّه، كما لا يُميز بين الإعانة و الخيانة، همُّه التَّنظير للفساد.

وفي معنى ذلك ما جاء في الحديث الصَّحيح : ((مَنْ أَعَانَ عَلَى خُصُومَةٍ بِظُلْمٍ)) لفظ رواية الحاكم: ((بِغَيْرِ حَقٍّ كَانَ فِي سَخَطِ اللَّهِ حَتَّى يَنْزِعَ))، أي يقلع عما هو عليه من الإعانة وهذا وعيد شديد يفيد أن ذا كبيرة ،ولذلك عدَّه الذَّهبيُّ من الكبائر.

وكثير من هؤلاء كراهته للأمر بالمعروف و النَّهي عن المنكر و الإصلاح بين المتنازعين أعظم من كراهته للمفسدين و الظَّلمة وللمنكرات التي يشيعونها في الوطن .

رضوا بالحياة الدُّنيا، و نسوا الله فأنساهم أنفسهم، أكلوا حقَّ موالاة إخوانهم ولو بالنَّصيحة بدون التَّحامل عليهم خدمة بالباطل لفاسدين في أقلِّ أحوالهم، فماتت نفوسهم فأصبحت لا تحبُّ مصابرة الأمر بالمعروف و النَّهي عن المنكر، واحتمال ما يؤذيهم من الأقوال والأفعال .

تراهم يتحدَّثون بكلِّ لغة عن نصرتهم الدِّين بالوقوع في إخوانهم المصلحين، و يشبِّهون على المسلمين البسطاء زاعمين أنَّهم يذودون عن حوض الدِّين و الوطن الذي لا عدوَّ لهما إلاَّ من يُنادي بالإصلاح ولو كان في ندائه بعض الزَّلل، وأنَّهم إنَّما يحافظون على مصلحة الوطن ،و أي وطن لهم يتفشَّى فيه الفساد ، و أيَّة نخوة لهم و النَّاس تُظلم بهم ؟

وعليهم ينطبق قوله تعالى : { أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً } الآيات إلى قوله : { وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقِيتًا } [النساء].

وعليه فليحسبن مؤمن أنَّ ما يفعله هؤلاء من مرواغات علمويَّة، و تضييق الخناق على الصَّادقين من النَّاصحين ليس من الإعانة على الإثم والعدوان.

ومن هنا يظهر الفرق بين الإيمان وآثاره، والكفر و الفسق وآثاره، والفرق بين المؤمن البرِّ وبين الكافر والفاجر.

فإنَّ المؤمنين عندما يرون الفساد و الظُّلم يثور ما في قلوبهم من إيمان و محبَّة للمؤمنين و تعظيم لحرمات الله ،ومنها حرمة الدَّم المسلم، وحرمة ماله و عرضه، قال تعالى في حقِّ المؤمنين : { وَالَّذِينَ إِذا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْياناً } [الفرقان]

فهذا الذي يجري الواجب أن يُذَّكرهم بواجباتهم اتِّجاه دينهم و أوطانهم بالنَّصيحة لكلِّ

طرف، وليس التَّحامل على طرف دون طرف .
أمَّا هؤلاء فلا ترى على وجوهم الغضب لكلِّ الفساد الذي يجري في بلدانهم، بل يناورون يظاهرون أحيانا أهل الصَّلاح بألسنتهم، و قلوبهم مع الفاسدين و الظَّلمة، قال الله تعالى في حقِّ الكفَّار : { فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ }[المدثر]،فهؤلاء فيهم شبه من هذا فلا تذكُّر لهم، ولا عبرة.
وهذه الفئة جهرت بموقفها حتَّى إنَّها لم تعد مؤخَّرا تظاهر المصلحين حتَّى بلسانها، بل تظهر عداءها لهم ،وباتت تعادي كلَّ كلمة لتهدئة الأطراف، وردِّهم للرُّشد و الصَّالح العامِّ وتتحرَّج منها أيُّما تحرُّج.
وعليه فإنَّ رؤية هذا التَّخاذل و العمالة في هذه اللَّحظة، وهي لحظة الكلمة الجامعة و الصَّادقة و المتجرِّدة لدفع شر ما أصاب هذه البلاد يطرح أسئلة مُزعجة.
فإنَّ مدار الشَّريعة على قوله تعالى : { فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ }[التغابن] المفسِّر لقوله : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ } وعلى قول النَّبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم { إِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ } أخرجاه في الصَّحيحين .
و إنَّ أقلَّ ما يقدر عليه المؤمن في هذه السَّاعة في بلد كمصر و قد اختلطت الخطوط و غلب التَّأويل على الأطراف أن يدعو للصُّلح و المصالحة، ولا يتحامل على أحد خاصَّة أهل الصَّلاح، و إن كانوا دون ما يأمل.

فصل التَّفكُّك

السَّلفيَّة في الأطوار الأخيرة لعمليَّة تفكُّك وتحلُّل أجزائها المتساقطة على أرض الواقع بعد أن عصفت بها رياح العصر الذي دخلته بدون عُدَّته، نرجو من الله أن تكون سمادا نافعا لا سامًّا للنِّبتة القادمة.
عندهم سوء فهم لمنهج السَّلف يعني: فهم خاطئ للدِّين، فجعل بعضهم كثيرا من الأشياء من لوازم لا إله إلا الله إلاَّ العدل بين النَّاس، و الإحسان إلى الخلق ، و الألفة و اجتماع الكلمة ،فلابدَّ أن يزولوا كفكرة ناقصة متلاشية من ذاتها لتخلفها فكرة أكمل توافق مقاصد الدِّين ، فليس أدل على فساد الفكرة من اختلاف حملتها حولها اختلاف الأهواء و البغضاء، و تشظِّيهم باستمرار ،ومن لا يرى فساد الفكرة عند كثير من السَّلفيين في أخلاقهم وفكرهم ونظرتهم للواقع وخططهم (المعدومة) للمستقبل فقد فقدَ

بصيرته الدِّينيَّة قبل بصره الواقعي.

الفكرة المتلاشية من ذاتها:

من تدبر الأشياء بروية يعرف أن الفكرة التي ترفض الحوار، ومقارعة خصومها بالدليل و الحجة هي فكرة سائرة في طريق التلاشي، ولذلك تلجأ إلى الانزواء على نفسها، و تشبه على نفسها ذلك ببعض الحجج الشرعية تضعها في غير موضعها وقصدها تهميش الذات، و الإسلام و السنة دور المسلم نشرهم و الدعوة إليهم لا الحجر عليهم.

ومن يصدق مع نفسه يعرف أنه في تقلص و غيره في زيادة، وما فائدة أن احفظ نفسي و أصحابي و طائفتي ولا احفظ الأمة.

هذه المسألة كبيرة تحتاج إلى مساهمة من الكافة، من كافة أهل السنة و الجماعة، و الذي يظهر لي أن أهل السنة كل يوم في تفرق و تشتت، وكلما أصيب أحدهم مالت معه جماعة، فهم الآن جماعات متعادية متنافرة، يهجر بعضهم بعضا، هؤلاء مع الجارح، وهؤلاء مع المجروحين، وليس من علامات أهل السنة التفرق، بل علامتهم الائتلاف و الجماعة، هكذا ذكرت النصوص و ذكر أئمة السنة، فإن صار طابعهم التفرق و التشتت فهي علامة البدعة و مخالفة سبيل الأولين.

وقد يكذب بعضنا على نفسه، ولكن الواقع يكذبه و يفرض نفسه عليه، و الله المستعان.

الفرق بين السَّلفيَّة والسَّلفيّين:

السَّلفية فكرةٌ رائعة، ومنهج قويم، وسلوك راق، تُمثِّل البقاء على الإسلام صافيًا عندما بدأت أفكار غريبةٌ تدخل على المسلمين، فانتهض أئمَّة السَّلف للحفاظ على الإسلام كما جاء به النَّبيُّ صلَّى الله عليه و سلَّم صافيا نقيًّا من كلِّ أنواع الشَّوائب، فوضعوا قواعد توثيق النُّصوص، وقواعد استخراج الدَّلالة، و القصد إثبات عصمة النَّصِّ في مقابل كل حملات التَّشكيك فيه، و أنَّه طريق الهداية السَّالم الموصل إلى المقصود الوحيد.

لكن هذه السَّلفيَّة قابعة في الكتب لا تُمثِّل نفسها عند النَّاس إلاَّ عند فئة قليلة يمكنها مطالعة الكتب و التَّعرُّف عليها، إنَّما يُمثِّلها في عالم الواقع السَّلفيُّون،فإن أحسنوا

التَّمثيل تعرَّف النَّاس على مزايا السَّلفيَّة، ومحاسنها، ورأوا فيهم روعتها ،ورونقها، وجمالها ،و اعتدالها، و وسطيتها، ورحمتها، و أكثر من ذلك رأوا فيها الخلاص في الدُّنيا من الضَّنك في المعيشة ، ومن الظُّلم و التَّناحر ، و شتات الكلمة و الهوان، وفي الآخرة من سخط ربِّ العالمين.

و إن أساؤوا لم يروا إلاَّ إساءتهم ،وصارت السَّيِّئة هي المرادف في تصوُّرهم و ضميرهم للسَّلفيَّة ،ولا يغالط بعضُ السَّلفيِّين أنفسهم فيظنُّون أنَّ القلَّة القليلة، و إن فرضنا جدلا سلامتها من الأخطاء ستنقذ الصُّورة من التَّشويه لأنَّ الحكم يتبع الغالب وليس النَّادر.

وحتَّى كبار العلماء لا يمثِّلون في أعين النَّاس السَّلفيَّة لأنَّهم في الغالب معزولون بلغتهم العلميَّة الخاصَّة و اهتماماتهم عن عوام النَّاس و السَّواد الأعظم من المسلمين، ولا يطَّلع على أحوالهم إلاَّ الحاشية القريبة منهم، وإنَّما يُمثِّل السَّلفيَّة أفرادُها الذين يخالطون النَّاس في كلِّ مكان، فهم سفراؤها إلى النَّاس و أنا و إيَّاكم نعرف أحوالهم فإن أحسنوا فهي حسنة، و إن أساؤوا فهي سيئة.

أربعة أسئلة في العلم لو يُطبِّقها السَّلفيُّون ينتهي الخلاف بينهم

حصر ابن عقيل و الكيا الأسئلة في أربعة:

1 ـ السُّؤال عن المذهب، ذكر من على هذا القول من الأئمَّة السَّابقين.

2 ـ السُّؤال عن الدَّليل.

و إلى هنا لا اعتراض عند أهل العلم، ولا يعترض هنا إلاَّ جاهل لا يعرف آداب الاعتراض و أصول المناظرة.

3 ـ السُّؤال عن وجه دلالة الدَّليل.

4 ـ المطالبة بإجراء العلَّة في معلولها.

وعلى الثالث و الرَّابع يقع الإنكار بمعنى التَّخطئة و الإبطال.

التَّحفُّظ و البراءة بالوكالة:

يصحُّ التَّوكيل بالإبراء،ولكن لا بدَّ من الإذن الخاصِّ به،ولا يكفي له إذن الوكالة بعقد ما،وقد تحصل البراءة بإزالة سبب الضَّمان،فمن وكَّل شخصا لإبراء غرمائه،وكان

الوكيل منهم لم يُبرئ نفسه،لأنَّ المخاطب لا يدخل في عموم أمر المخاطب له.
إن كنتم تفقهون الكلام، و تعرفون شريف المعاني في قالب المصطلحات البسيطة.
عندما أردُّ فإنِّي لا أردُّ على الوكلاء و المالكين أحياء، ولا قيمة للوكيل عندي، ولستُ أحتفل به ،ولا أعيره أدنى اهتمام ،وكلامه أردُّه بكلامه ،ومن كلامه أظهر له حقيقته (لو أردتُ) ،ومن أشبه شيخه (قياسا على أبيه) فما ظلم .
إظهار المواقف بصراحة ووضوح لا يضرُّ النَّاس إن كانت حقًّا، النَّاس يضرُّهم الباطل، تضرُّهم الإشكالات المصطنعة، و الشُّبه الملقَّنة، و تضرُّهم سياسة "تخطي رأسي وتفوت"، "لستُ على رأيه ولكن أخشى ردَّه فأعترض عليه بالوكلاء".
و كلام النَّاس لا بدَّ فيه من لفظ دال على المعنى دلالة وضعية نعرفها بالعقل، فأمَّا مجرَّد الكلمات التي هي في حقيقتها أصوات مكتومة فهي دلالة طبيعيَّة حسِّيَّة على ذهن المصوِّت.
لتتأوَّل كلام النَّاس تحتاج إلى معرفة ماهيَّته الموجودة في الخارج، وليس في تصوُّرك وفهمك المسجون داخل معرفتك المحدودة ،ثمَّ تحتاج بعد ذلك للتَّمييز بينها وبين ما يشبهها ،و النَّاس يتفاضلون في فهم كلام ربِّ العالمين فكيف بكلام أمثالهم من البشر، كلٌّ بحسب ما خصَّه الله به كلَّ واحد منَّا من قوَّة الفهم .
فهم الكلام الواضح بنفسه لا يتوقَّف على أن أضمر فيه كلَّ القيود لأنَّها مرادة من مجموع السِّياق واتِّجاه المقال،فكيف يتوقَّف فهم الكلام الواضح بنفسه على دليل منفصل عنه يُبيِّن عند المعترض أنِّي أضمرتُ فيه خلاف الظَّاهر منه ؟
فمن ظنَّ أنَّه لا يبرئ نفسه إلاَّ بهذه الطَّريقة فهو جاهل.
وكما قال الشَّاعر:
وقَاتَلَ كَلْب الحَيِّ عَنْ نَارِ أَهْلِهِ ... لِيَرْبِضَ فيهَا، والصَّلا مُتَكَنَّفُ
رجا أن تنجيه خساسة قدره ......ولم يدرك أنَّ الليث يفترس الكلبا

إشكالية دعويَّة سلفيَّة عويصة بالنِّسبة لبعض المسلمين طرحه عليَّ وصغته لكم:
يقول السَّلفيُّون: لا وسيلة إلى إقامة الدِّين إلاَّ بالدَّعوة إلى التَّوحيد و السُّنَّة، يعني: يجتهدون في دعوة أفراد الأمَّة حتَّى يصيرون سلفيَّة المعتقد و المنهج.
وعندما يصيرون كذلك لابدَّ أنَّ الواحد من هؤلاء الأفراد إمَّا معلم، أو أستاذ يريد أن

يحصِّل قوته يقولون له: لا تُدرِّس حتَّى يرفع الاختلاط عن المؤسَّسات العلميَّة و التَّعليميَّة، ولو عرفناك قبل أن تصير مدرِّسا لمنعناك من الدِّراسة فإنَّ لك في التِّجارة مندوحة؟

وإمَّا صاحب شهادة عليا يريد أن يصير ضابطا في الشُّرطة أو الجيش، فيقولون له: لا تنخرط في هذه حتَّى تصير جيوشا سلفيَّة و شرطة سلفيَّة، ولا تكون كذلك حتَّى تخدم الدَّولة التي تحكم بالشَّريعة ؟

وإمَّا قانوني يريد أن يشتغل محاميًّا أو مستشارا قانونيا فيقولون له: لا يجوز أن تشتغل في القانون و الحكم حتَّى يحكم بشرع الله؟

وإمَّا متخصِّص في علوم إداريَّة أو سياسيَّة يريد أن يكون رئيس دائرة أو قُنصلا فيقولون له: لا يجوز لك الاشتغال في هذه المهن حتَّى يحكم بشرع الله، ولو طلب منهم الإذن للاشتغال في السِّياسة الخارجيَّة، أو الاقتصاد الدَّولي لكان نفس الجواب.

يعني: كلُّ ما يتعلَّق بمؤسَّسات الدَّولة لا يجوز الاشتغال فيه حتَّى تحكم الدَّولة بشرع الله، فيلزم حينئذ أن تكون دعوتهم موجهة أوَّلا إلى الحكَّام لتحكيم الشَّريعة لأنَّكم أوقفتم كلَّ شيء عليها؟

ثم يقال لكم:إن لم يشغل هذه المناصب هؤلاء الأفراد الذين حوَّلتموهم إلى السَّلفيَّة فكيف سيكون مجتمعا إسلاميًّا في هذه المجالات يسعى لتطبيق شرع الله ؟

وكيف لا نجد لمسألة شرع الله مكانة في خطابكم الدَّعوي ونجدها في اعتراضكم على الآخرين، يعني: هي تصلح لوسم النَّاس بالحزبيَّة و تكتيفهم عن الاسترزاق ولا تصلح للدَّعوة؟

في الحقيقة يظنُّ هؤلاء السَّلفيُّون أنَّ الدَّعوة وحدها كفيلة بكلِّ شيء من تلقاء نفسها، فكلُّ رجل تربيه على السَّلفيَّة تخزنه في هامش المجتمع، لا يفعل شيئا حتَّى يموت و يخلفه آخر، فإذا فعلنا هذا انبثق فجأة رجلٌ يكون غير محكِّم لشريعة الله وربَّما علماني ، يهديه الله بدون تدخُّل البشر، فيقرِّر في الصباح تحويل الدَّولة إلى دولة إسلاميَّة في كلِّ شيء، وحينها يخرج السَّلفيُّون من كلِّ حدب وصوب ليشغلوا بالطفرة (الانتقال من واحد إلى ثلاثة بدون المرور على اثنين) كلَّ المناصب في أجهزة الدَّولة و مؤسَّساتها، ونعيش سعداء، أمَّا كلُّ العلمانيُّون في أجهزة الدَّولة ومؤسَّساتها، وفي مراكز المجتمع فسيحملون حقائبهم ،و يتحوَّلون إلى فرنسا مثلا ؟

و الحل حسب هذا الفهم أن نقول: العلمانيُّون شيوعيُّون و ليبراليُّون مسلمون حكما وحقيقة ،كبيرهم و صغيرهم، و الدَّولة الإسلاميَّة دولة مدنيَّة (لا على اصطلاح الإسلاميّين يحكمها الأكفاء لا الفقهاء) بل على اصطلاح العلمانيِّين: لا نصيب لأيِّ حكم شرعيٍّ في إدارتها.
وهنا فقط تكون الدَّعوة بهذا المفهوم (الجدُّ والنَّشاط في الكلام، و الكسل و التَّهميش في العمل) هي الوسيلة الوحيدة للإصلاح الأمَّة و إقامة الدِّين.
فهل من متصدِّق يتفضَّل و يشرح للمسلمين ما هو الحلُّ الذي تقترحه السَّلفيَّة للإقامة الدِّين.

العداوة بين أهل العلم:
ليس عليك أن تقلِّد العلماء في نفسيَّتهم، ومزاجهم، و صداقاتهم وعداواتهم، فهذا ليس ممَّا يؤخذ عن أكثرهم إن لم تظفر بمثل أحمد و البخاريِّ و ابن تيميَّة ـ مثلا، وأنَّى لك في هذا الزَّمن مثلهم ـ ممَّن غلبت تقواه باطنه، وتجرَّد من العلائق، وطهَّر نفسه من شرك الأغيار، و استوى عنده الحيُّ و الميِّت في الخوف و الرَّجاء، فحفظ السِّرَّ مع الله لأنَّ لكلِّ سالك طريق الله، و المفروض على العلماء أن يكونوا في أوَّل السَّالكين سرٌّ مع الله ، وجمع قلبه على طلب رضاه ولو في سخط النَّاس، فماتت فيه الأطماعُ، فلم يطغه علم عن التَّواضع للحقِّ، ولم تكسر شهوةٌ إرادته للحقِّ في كلِّ صوره و تجلِّياته،قطع الشَّواغل عن الاجتهاد،ورضي بما تيسَّر من العيش.

الفرق بين الدَّعوة و الأمر بالمعروف و النَّهي عن المنكر: الإقناع
فالدَّعوة قصدها الوصول إلى قلوب النَّاس بالإقناع لتحويلهم من الكفر إلى الإيمان، ومن الشِّرك إلى التَّوحيد، ومن المعصية إلى الطَّاعة، ومن البدعة إلى السُّنَّة.
بينما الأمر بالمعروف و النَّهي عن المنكر يهدف إلى حصول المعروف وزوال المنكر، ولذلك كان على ثلاثة مراتب: باليد و اللِّسان و القلب.

المسلم رجل حرٌّ إلا من قيود العبودية لله، و الحرِّيَّة اختيار عقليٌّ وشعور قلبي:
الذي يُعبِّر عن حقيقة الإنسان ليس ما كان عليه، لأنَّه قد كان على هذه الصِّفة لسبب

من الأسباب، ولأنَّ الماضي يُصحِّحه الحاضر، و العبرة بالعاقبة و كمال النِّهاية، الحاضر هو ما يُعبِّر عن اختيارك لما تريد أن تكون في المستقبل.
فالذي يعبر عن حقيقة الإنسان هو قدرته على الاختيار بناء على التَّحسين و التَّقبيح ،والذي يرى أنَّه يملك الاختيار ويختار هو إنسان حرٌّ ،بينما الذي قيَّدته الصُّحبة، أو المشيخة، أو الطَّائفة، أو المصالح فقد فقدَ حرِّيَّته.
أقول هذا لأنَّ فساد بعض المذاهب و المناهج ظاهر لكلِّ واحد من ذات نفسه ،فالحقُّ لا يتناقض،ولا يخالف الفطرة الصَّحيحة ،ولا يخاصم الضَّروريات و البدهيات ،فما بقاء من له عقل سليمٌ، ونفس معتدلة في مثل مناهج الغلاة إلاَّ لأحد الأسباب التي أشرت إليها.
وسواء تسمَّيتَ بالسَّلفيَّة أو بأيِّ شيء محمود محبوب عندك أو عند بعض النَّاس فحقيقتك :واقعك و أعمالك وحالك ،فقبل أن تحرص على أيِّ شيء احرص على أن تكون رجلا حرًّا لأنَّ العبودية لله وحده تستلزم التَّسليم له وحده ،و الخضوع له وحده، و التَّحرُّر من الخضوع لكلِّ من سواه ،وإيثاره على ما سواه.
وحرِّيَّتك هذه إنَّما تتجلَّى في اختياراتك ،الأمر الذي لا يملكه المقلِّد الأعمى، أو المقلِّد بهوى ،فحقيقة الغلوِّ طغيان المحبَّة على حكم العقل حتَّى تخرج عن حدِّ الاعتدال، إنَّها انحراف في قوى النَّفس سببه الجهل، أو سطوة المشاعر على العقل، وتحكُّمها فيه ،وهذا سبب ضلال كثير من البشر عرفوا الحقَّ ولكنَّهم لم يتبعوه.
عندما يقول ابن تيميَّة : ((على المنهج الذي جاء به الكتاب والسُّنَّة، وهو المنهج العقليُّ المستقيم فيستعملون في هذا الباب قياسَ الأولى والأحرى والتَّنبيه في باب النَّفي والإثبات)) (بيان تلبيس الجهمية) (5/80) ، هل هذا المنهج نطبِّقه في إثبات الصِّفات و المدح لله تعالى أم هو منهج علميٌّ في جميع المسائل؟
وعندما يقول : ((جميع الأدلَّة عقليَّة؛ بمعنى أنَّ العقل إذا تصوَّرها، علم أنَّها تدلُّ؛ فإنَّ الدَّليل هو ما يكون النَّظر الصَّحيح فيه مفضياً إلى العلم بالمدلول عليه، وإنَّما يكون النَّظر الصَّحيح، لمن يعقل دلالة الدَّليل، فمن لم يعقل كون الدَّليل مستلزماً للمدلول، لم يستدلَّ به.))(النبوات)
وعندما يقول :((لما كان الشَّارع نصوصه كلمات جوامع، وقضايا كلِّيَّة ،وقواعد عامَّة، يمتنع أن ينصَّ على كلّ فرد من جزئيَّات العالم إلى يوم القيامة، فلابدَّ من

الاجتهاد في المعيَّنات،هل تدخل في كلماته الجامعة أم لا؟))(المنهاج140/7).
هل هذا هو حقيقة المنهج السَّلفي المعاصر :يُعمل العقل لتأييد النُّصوص الصَّحيحة بدون عقدة نقص اتِّجاه جميع أنواع العقلِّيَّات ليستشكف المجهول انطلاقا من المعلوم، وليجيب كلَّ الأفكار المضادَّة أو المعارضة، ويقدِّم للبشر بديلا له رؤية شاملة لمتطلباتهم الفطرية ،و يكون ملجأ صحيحا متينا لطريق التَّجرُّد الصَّحيح وطريق العقل الصَّحيح ليجمعهما طريق الإيمان ؟
فأين هذا المنهج من مناهجنا، و أين اختياراتنا المعبرة عن حرِّيَّتنا الحقيقيَّة المعبرة عن صحَّة عقولنا وشرف أنفسنا وزكاة قلوبنا.
هذه سلفيَّة بعيدة ـ الآن ـ عن متناول فكرنا ، فلنبدأ بالتخلي عن عقدة التَّفوق الزائفة و عن الظنون الكاذبة و لنتواضع للمسلمين و لنقل لهم ـ إن كنَّا نملك جوابا صحيحا مقنعا يدفع المعارض ويدرء المضاد : الطريق من هنا.

التكوين العلمي لطلبة العلم

من المفيد لنا أن نتساءل عن صلاحية التكوين العلمي و المعرفي لطالب العلم المعاصر ،وهل يمكّنه من مزاولة مهامه الجليلة في بناء أمة القرآن ، فهنالك مدلولات كثيرة لنوعية التكوين الذي تلقوه، و الذي هو متأثر بشكل عميق و كبير إما بعصر الضعف الذي شهده العالم الإسلامي، أو بمسخ من الفكر الغربي كما هو الحال عند فئة منا.
وإذا كنا نزعم الطموح للعودة إلى ما كان عليه السلف الصالح فيجب علينا أولا التخلص من هيمنة مناهج وآليات عصر الضعف التي لم تحمل لمسلمي ذلك العصر لمسات التجديد ،و لم تولدها لديهم، وكونت حولهم سياجا جامدا وصلبا من التقليد لا يقبل أي حراك علمي و معرفي ،وقادتهم إلى الانحطاط على جميع المستويات، كما هو معروف لكل من درس تلك الحقبة.
فعصر الضعف الإسلامي يتعارض، بل ويتناقض كثيرا مع منهاج و آليات وسلوكيات السلف الصالح،وعقلية هذا العصر متغلغلة في الكتب التي دونت فيه إلا من رحم الله من العلماء، وهم قلة،فكل الأمراض التي تعيشها الأمة اليوم هي من مخلفات هذا العصر.

إن العلم و الفكر متى أصبح عبارة عن إجراءات هي أساليب دعائية لا علاقة لها بالحقيقة الشرعية إلا من بعيد، تعتمد مبدأ البكاء على الأطلال،أو تمجيد المذهب و الجماعة في غفلة عن الواقع الموجود، و تركز على ذكر مثالب الآخر للتنفير منه، وتمارس حجرا فكريا صريحا عندما تنيط الحق باجتهاد شيخ معين ،و توصي بهجر المخالف بإطلاق.
و إذا حاولنا تفهم هذه الإجراءات ، فإننا بلا شك نتفهم الإزعاج و الحرج اللذين يعاني منه بعضنا نظرا لفقرهم العلمي التحقيقي للتراث، ولكن عندما يهرب المسلم من مخالطة غيره من المسلمين لان مخالطته تسبب له إزعاجا علميا و خلقيا يكتشف من خلاله ضعفه أو عجزه ، فمثل هذا السلوك المتمثل في الهروب من الغير، و مجانبته و مفاصلته لاتقاء وطأة الحوار و النقاش، أو لاتقاء نتائج الاحتكاك قاد هؤلاء إلى الانزواء على النفس، و نبذ الغير بقواعد زينوها بشيء من الشبه الشرعية(مسائل لها شبه في النصوص)، ثم التخلي عن المسؤولية الدينية التي حملهم إياها الشرع، و المتمثلة في الدعوة و التبليغ، ونقل رسالة الإسلام إلى كل الأطياف، وكل الناس.
في حين أن طائفة أخرى انبثقت من هذه الأوضاع قادها ذلك إلى رفض الواقع، و بالتالي التمرد عليه بالعنف دون أن تحاول فهم هذا الواقع و أسبابه، و السبل الشرعية للتعامل معه بكفاءة و فاعلية.
فإذا كانت مسألة التكوين المعرفي لطلبة العلم ضخمة التبعات ومهولة المسؤوليات وذات أهمية قصوى، و لكنها مطمورة في الوقت نفسه تحت رغبات ونزوات الذين يجدون كل مصالحهم مع بقاء الأشياء على حالها.
إن روح العداء الذي يبثه كلام بعض المنتسبين للسلف اتجاه المخالف لهم بعلم وعدل ليست إلا سلاحا معنويا وحجة وذريعة مستمرة لتبرير أعمال ومواقف مصلحية لهم، و بالتالي تبرير كل عيب وخلل في هذا المنهج كارتمائه في أحضان الفرقة، وخلوه من المعيارية، أو تلاعبه بالشعارات الإسلامية الصحيحة، كذاك الذي حصر الطائفة المنصورة في شيوخه و أحبابه و المتواطئين معه.
ليس على هذا المنهج عند مواجهة أي نقد صحيح له سوى وسم هذا النقد بالكذب و العداء للسنة و لأئمة السنة، لأن في تلاعبه بالشعارات يعتبر نقد ممارسته نقدا للسنة، أو هكذا يخيّل إليه.

إننا إذا ما عدنا إلى المنهج العلمي و نظام مبادئه عند سلف الأمة نجد في منظوره النفسي السلوكي الحرص الشديد على الابتعاد عن كل ما يفقده الاستقلالية ،بينما بعض الفئات منا ،من مختلف المشارب لعدم الحرص على هذا المبدأ مضطرة للتقيّد بموقف التحفظ، و أحيانا الانخراط بشكل عميق في الدفاع عن وجهة نظر تتعارض مع الدين صراحة ، ومع أصول السلفية المتفق عليها.

ولهذه الأسباب نلاحظ غياب الوظيفة النقدية التي كان يقوم بها العلماء المسلمون في القديم لدى هذه الفئة من طلبة العلم، و التي ربما لا تمارس النقد العلمي إلا على كل سلفي يريد انتشالها من منهج عصر الضعف، منهج التقليد، و الاحتطاب،ومنهج تضخيم الخلاف وتقزيم الائتلاف ،منهج التلفيق لا التوفيق.

إن في السلفيين رجالا يعملون على استعادة الوظيفة الأساسية لطالب العلم كما صورهم القرآن، و هي ممارسة النقد العلمي البناء نصحا لله ولرسوله و لعامة المسلمين وخاصتهم لحراسة الدين و القيم، و التأمل الخلاق، و التوجيه الحكيم للأمة عند تلاطم الشبهات، و توسيع نطاق هذه الوظيفة لتستوعب الواقع المعرفي الموجود داخل الفكر الإسلامي المعاصر، وخاصة استعادة حق المبادرة إلى النقد و اقتراح الإصلاحات، وعدم الاكتفاء بدور المستشار.

1- هل طبيعة ونوع التكوين العلمي لطلبة العلم يسمح لهم أولا بنقد التراث الإسلامي(؟)

فمن هو العالم في التعريف الشرعي،فمن يكون عالما بالنسبة لفئة ما فبالنظر إلى مستوى إدراك هذه الفئة، لذلك لا يكون عالما عند غيرها.

وأنت شخصيا تجد نفسك تُغيِّر نظرتك وتقييمك للعلماء كلما ارتفع مستواك العلمي و الثقافي، ولذلك يكثر التنقل عند طلبة العلم الأذكياء في هذا الباب، وهذا سببه.

وإذا كان كذلك فهل تجاوزنا مرحلة النقل و الشرح وبدأنا مرحلة النقد وإعادة الصياغة (؟)

وهل يسمح لهم تكوينهم بمجارات العصر و تحدياته،وبعضهم لا يعلم ببعض المذاهب الفكرية الموجود معه في هذا العصر ،وفي مجتمعه،ربما لا يعرف مجرد اسمها،فإذا كانت العلمانية"الحداثة" تحللنا اجتماعيا وفكريا ونحن في غفلة كيف يمكن لنا التعامل بكفاءة مع أعدائنا (؟)

الأمم الحية.

أمة ميتة بكفرها حية بقيمها و أعمالها يحاسب فيها خادمها الأول (حاكمها) على كل تجاوز ،حتى على ثمن السيجار ووجبة الفطور و تذكرة الطائرة .

أمة يدفع فيها الوزراء ثمن الغذاء من جيوبهم ويأكلون جميعا في قاعة أقل من القاعة التي يأكل فيها مساكين الطرقات .

وأمية حية بإيمانها ميتة باعمالها لا يجرؤ علماؤها على تسمية المخطيء ومواجهته صراحة بالنصح؟

ليس لنا إلا نقول ما قاله ابن القيم :إيمانٌ لم تزك به عُقولُهم و أحلامُهم فلم تُشرق بهِ أيامُهم.

فقه مجدَّد لأيام جديدة

أسباب الهوَّة بين السَّلفيّين و عموم الأمَّة

بسم الله الرَّحمن الرَّحيم

لتكون السَّلفيَّةُ دين السَّواد الأعظم من الأمَّة يجب أن تكون ملجأً لهذا السَّواد ،ولتكون ملجأً لهذا السَّواد يجب أن تتخلَّى عن نظرتها المثاليَّة عندما تستدعي أعلى صور الإسلام و أكملها إلى زمن الغربة و الاستضعاف ،فلا تُفرِّق بين طور التَّأسيس وطور التَّسييس،طور الدَّعوة وطور الحكم، طور أحكام المستضعف وطور أحكام المتمكِّن. عندما تدرك أنَّ الحياة الواقعيَّة ليست قاعة محاضرات في جامعة ،وأنَّ عموم الأمَّة لا يملك أدوات الفهم الأكاديمي، وأنَّه بخلاف أهل الدِّين الذين يعيشون ـ في الحقيقة ـ في هامش مجتمعاتهم يعيش النَّاس وسط الإكراهات اليومية المختلفة، وأنَّ أكثرهم لا يتأتى له فعل كثير من الحسنات إلاَّ ببعض السيِّئات، وأنَّ بعض الواجبات التي يقدر عليها مفاصلُ المجتمع بوظيفته أو بعقليَّته يعجزون عنها، و أنَّ هذا الواقع هو الذي يمنع كثير من خيار الأمَّة ونخبتها من اللُّجوء إلى السَّلفيَّة بسبب القيود التي تصادفهم مع أنَّهم مقتنعون بها لأنَّ السَّلفِّيين لم يدركوا أو لا يريدون أن يدركوا أنَّ السَّلفيَّة تتفاضل و يتفاضل المنتمون إليها حالا وعلما.

و قد يكون التفاضل بسبب الواجبات المعجوزة عنها التي يختلف النَّاس فيها بحسب موقعهم في المجتمع و الإكراهات التي تعترض حياتهم، ولأنِّي لم أجد تأصيلا يخدم هذا الفهم، ويفتح أمامنا المجالَ على مصراعيه لندرك الحاجة الملحَّة إلى هذا الطَّرح، وندخل في مرحلة جديدة تفتح فيها السَّلفيَّة ذراعيها للسَّواد الأعظم على أساس :

1 ـ السَّلفيَّة تتفاضل علما وحالا، ولا يجب أن نضغط إلى درجة الانفجار ليكون السَّلفيُّون كقطرتي ماء متطابقين حتَّى في التَّوقيع الكيميائي.

2 ـ الأعمال الشَّرعية مراتب ثلاث: المشروع أصلا ووصفا، المشروع أصلا المبتدع وصفا، المبتدع أصلا ووصفا، فينقل المسلم إلى الثانية و الأولى حسب الممكن من علمه وقدرته، وليس على حساب علم وقدرة السَّلفيّ.

فإليكم كلام ابن تيميَّة في الموضوع اقرؤه بكلِّ عقولكم ـ خاصَّة القسم المسطَّر تحته ـ مستحضرين أحوال مجتمعاتنا ،و إكراهات هذا العصر، ثمَّ أنزلوه على كلِّ الحالات المعلومة لكم، تدركون سبب الهوَّة بين السَّلفيَّة و العصر، و أنَّه خلل في فهم الدِّين ،وليس في إدراك الواقع.

((يَتَفَرَّعُ مِنْ هُنَا " مَسْأَلَةٌ " وَهُوَ مَا إذَا كَانَ لَا يَتَأَتَّى لَهُ فِعْلُ الْحَسَنَةِ الرَّاجِحَةِ إلَّا بِسَيِّئَةٍ دُونَهَا فِي الْعِقَابِ: فَلَهَا صُورَتَانِ:

إحْدَاهُمَا: إذَا لَمْ يُمْكِنْ إلَّا ذَلِكَ فَهُنَا لَا يَبْقَى سَيِّئَةٌ فَإِنَّ مَا لَا يَتِمُّ الْوَاجِبُ؛ أَوْ الْمُسْتَحَبُّ إلَّا بِهِ: فَهُوَ وَاجِبٌ أَوْ مُسْتَحَبٌّ. ثُمَّ إنْ كَانَ مَفْسَدَتُهُ دُونَ تِلْكَ الْمَصْلَحَةِ لَمْ يَكُنْ مَحْظُورًا كَأَكْلِ الْمَيْتَةِ لِلْمُضْطَرِّ وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنْ الْأُمُورِ الْمَحْظُورَةِ الَّتِي تُبِيحُهَا الْحَاجَاتُ كَلُبْسِ الْحَرِيرِ فِي الْبَرْدِ وَنَحْوِ ذَلِكَ. وَهَذَا بَابٌ عَظِيمٌ. فَإِنَّ كَثِيرًا مِنْ النَّاسِ يَسْتَشْعِرُ سُوءَ الْفِعْلِ؛ وَلَا يَنْظُرُ إلَى الْحَاجَةِ الْمُعَارِضَةِ لَهُ الَّتِي يَحْصُلُ بِهَا مِنْ ثَوَابِ الْحَسَنَةِ مَا يَرْبُو عَلَى ذَلِكَ؛ بِحَيْثُ يَصِيرُ الْمَحْظُورُ مُنْدَرِجًا فِي الْمَحْبُوبِ أَوْ يَصِيرُ مُبَاحًا إذَا لَمْ يُعَارِضْهُ إلَّا مُجَرَّدُ الْحَاجَةِ كَمَا أَنَّ مِنْ الْأُمُورِ الْمُبَاحَةِ؛ بَلْ وَالْمَأْمُورِ بِهَا إيجَابًا أَوْ اسْتِحْبَابًا: مَا يُعَارِضُهَا مَفْسَدَةٌ رَاجِحَةٌ تَجْعَلُهَا مُحَرَّمَةً أَوْ مَرْجُوحَةً كَالصِّيَامِ لِلْمَرِيضِ وَكَالطِّهَارَةِ بِالْمَاءِ لِمَنْ يُخَافُ عَلَيْهِ الْمَوْتُ كَمَا قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ {قَتَلُوهُ قَتَلَهُمْ اللَّهُ هَلَّا سَأَلُوا إذَا لَمْ يَعْلَمُوا فَإِنَّمَا شِفَاءُ الْعِيِّ السُّؤَالُ} .

وَعَلَى هَذَا الْأَصْلِ يُبْنَى جَوَازُ الْعُدُولِ أَحْيَانًا عَنْ بَعْضِ سُنَّةِ الْخُلَفَاءِ كَمَا يَجُوزُ تَرْكُ بَعْضِ وَاجِبَاتِ الشَّرِيعَةِ وَارْتِكَابُ بَعْضِ مَحْظُورَاتِهَا لِلضَّرُورَةِ؛ وَذَلِكَ فِيمَا إذَا وَقَعَ

الْعَجْزُ عَنْ بَعْضِ سُنَّتِهِمْ أَوْ وَقَعَتْ الضَّرُورَةُ إلَى بَعْضِ مَا نَهَوْا عَنْهُ؛ بِأَنْ تَكُونَ الْوَاجِبَاتُ الْمَقْصُودَةُ بِالْإِمَارَةِ لَا تَقُومُ إلَّا بِمَا مَضَرَّتُهُ أَقَلُّ.

وَهَكَذَا " مَسْأَلَةُ التَّرْكِ " كَمَا قُلْنَاهُ أَوَّلًا وَبَيَّنَّا أَنَّهُ لَا يُخَالِفُهُ إلَّا أَهْلُ الْبِدَعِ وَنَحْوُهُمْ مِنْ أَهْلِ الْجَهْلِ وَالظُّلْمِ.

" وَالصُّورَةُ الثَّانِيَةُ " إذَا كَانَ يُمْكِنُ فِعْلُ الْحَسَنَاتِ بِلَا سَيِّئَةٍ؛ لَكِنْ بِمَشَقَّةٍ لَا تُطِيعُهُ نَفْسُهُ عَلَيْهَا أَوْ بِكَرَاهَةٍ مِنْ طَبْعِهِ بِحَيْثُ لَا تُطِيعُهُ نَفْسُهُ إلَى فِعْلِ تِلْكَ الْحَسَنَاتِ الْكِبَارِ الْمَأْمُورِ بِهَا إيجَابًا أَوْ اسْتِحْبَابًا إنْ لَمْ يَبْذُلْ لِنَفْسِهِ مَا تُحِبُّهُ مِنْ بَعْضِ الْأُمُورِ الْمَنْهِيِّ عَنْهَا الَّتِي إثْمُهَا دُونَ مَنْفَعَةِ الْحَسَنَةِ فَهَذَا الْقِسْمُ وَاقِعٌ كَثِيرًا: فِي أَهْلِ الْإِمَارَةِ وَالسِّيَاسَةِ وَالْجِهَادِ وَأَهْلِ الْعِلْمِ وَالْقَضَاءِ وَالْكَلَامِ؛ وَأَهْلِ الْعِبَادَةِ وَالتَّصَوُّفِ وَفِي الْعَامَّةِ. مِثْلُ مَنْ لَا تُطِيعُهُ نَفْسُهُ إلَى الْقِيَامِ بِمَصَالِحِ الْإِمَارَةِ - مِنْ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنْ الْمُنْكَرِ وَإِقَامَةِ الْحُدُودِ وَأَمْنِ السُّبُلِ وَجِهَادِ الْعَدُوِّ وَقِسْمَةِ الْمَالِ - إلَّا بِحُظُوظِ مَنْهِيٍّ عَنْهَا مِنْ الِاسْتِئْثَارِ بِبَعْضِ الْمَالِ؛ وَالرِّيَاسَةِ عَلَى النَّاسِ وَالْمُحَابَاةِ فِي الْقَسْمِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ الشَّهَوَاتِ وَكَذَلِكَ فِي الْجِهَادِ: لَا تُطِيعُهُ نَفْسُهُ عَلَى الْجِهَادِ إلَّا بِنَوْعِ مِنْ التَّهَوُّرِ. وَفِي الْعِلْمِ لَا تُطِيعُهُ نَفْسُهُ عَلَى تَحْقِيقِ عِلْمِ الْفِقْهِ وَأُصُولِ الدِّينِ إلَّا بِنَوْعِ مِنْ الْمَنْهِيِّ عَنْهُ مِنْ الرَّأْيِ وَالْكَلَامِ. وَلَا تُطِيعُهُ نَفْسُهُ عَلَى تَحْقِيقِ عِلْمِ الْعِبَادَةِ الْمَشْرُوعَةِ وَالْمُعَرَّفَةِ الْمَأْمُورِ بِهَا إلَّا بِنَوْعِ مِنْ الرَّهْبَانِيَّةِ. فَهَذَا الْقِسْمُ كَثُرَ فِي دُوَلِ الْمُلُوكِ؛ إذْ هُوَ وَاقِعٌ فِيهِمْ وَفِي كَثِيرٍ مِنْ أُمَرَائِهِمْ وَقُضَاتِهِمْ وَعُلَمَائِهِمْ وَعُبَّادِهِمْ. أَعْنِي أَهْلَ زَمَانِهِمْ. وَبِسَبَبِهِ نَشَأَتْ الْفِتَنُ بَيْنَ الْأُمَّةِ. فَأَقْوَامٌ نَظَرُوا إلَى مَا ارْتَكَبُوهُ مِنْ الْأُمُورِ الْمَنْهِيِّ عَنْهَا؛ فَذَمُّوهُمْ وَأَبْغَضُوهُمْ. وَأَقْوَامٌ نَظَرُوا إلَى مَا فَعَلُوهُ مِنْ الْأُمُورِ الْمَأْمُورِ بِهَا فَأَحَبُّوهُمْ. ثُمَّ الْأَوَّلُونَ رُبَّمَا عَدُّوا حَسَنَاتِهِمْ سَيِّئَاتٍ. وَالْآخَرُونَ رُبَّمَا جَعَلُوا سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ.

وَقَدْ تَقَدَّمَ أَصْلُ هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ وَهُوَ أَنَّهُ إذَا تَعَسَّرَ فِعْلُ الْوَاجِبِ فِي الْإِمَارَةِ إلَّا بِنَوْعِ مِنْ الْمُلْكِ: فَهَلْ يَكُونُ الْمُلْكُ مُبَاحًا كَمَا يُبَاحُ عِنْدَ التَّعَذُّرِ؟ ذَكَرْنَا فِيهِ الْقَوْلَيْنِ؛ فَإِنْ أُقِيمَ التَّعَسُّرُ مَقَامَ التَّعَذُّرِ: لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ إثْمًا وَإِنْ لَمْ يَقُمْ كَانَ إثْمًا. وَأَمَّا مَا لَا تَعَذُّرَ فِيهِ وَلَا تَعَسُّرَ: فَإِنَّ الْخُرُوجَ فِيهِ عَنْ سُنَّةِ الْخُلَفَاءِ اتِّبَاعٌ لِلْهَوَى.

" فَالتَّحْقِيقُ " أَنَّ الْحَسَنَاتِ: حَسَنَاتٌ وَالسَّيِّئَاتِ: سَيِّئَاتٌ وَهُمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا. وَحُكْمُ الشَّرِيعَةِ أَنَّهُمْ لَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فِيمَا فَعَلُوهُ مِنْ السَّيِّئَاتِ وَلَا يُؤْمَرُونَ بِهِ. وَلَا يُجْعَلُ حَظُّ أَنْفُسِهِمْ عُذْرًا لَهُمْ فِي فِعْلِهِمْ؛ إذَا لَمْ تَكُنْ الشَّرِيعَةُ عَذَرَتْهُمْ؛ لَكِنْ يُؤْمَرُونَ بِمَا

فَعَلُوهُ مِنْ الْحَسَنَاتِ وَيُحَضُّونَ عَلَى ذَلِكَ؛ وَيُرَغِّبُونَ فِيهِ. وَإِنْ عُلِمَ أَنَّهُمْ لَا يَفْعَلُونَهُ إلَّا بِالسَّيِّئَاتِ الْمَرْجُوحَةِ؛ كَمَا يُؤْمَرُ الْأُمَرَاءُ بِالْجِهَادِ؛ وَإِنْ عُلِمَ أَنَّهُمْ لَا يُجَاهِدُونَ إلَّا بِنَوْعٍ مِنْ الظُّلْمِ الَّذِي تَقِلُّ مَفْسَدَتُهُ بِالنِّسْبَةِ إلَى مَصْلَحَةِ الْجِهَادِ. ثُمَّ إذَا عُلِمَ أَنَّهُمْ إذَا نُهُوا عَنْ تِلْكَ السَّيِّئَاتِ تَرَكُوا الْحَسَنَاتِ الرَّاجِحَةَ الْوَاجِبَةَ لَمْ يُنْهَوْا عَنْهَا؛ لِمَا فِي النَّهْيِ عَنْهَا مِنْ مَفْسَدَةِ تَرْكِ الْحَسَنَاتِ الْوَاجِبَةِ؛ إلَّا أَنْ يُمْكِنَ الْجَمْعُ بَيْنَ الْأَمْرَيْنِ فَيُفْعَلُ حِينَئِذٍ تَمَامُ الْوَاجِبِ كَمَا كَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ يَسْتَعْمِلُ مَنْ فِيهِ فُجُورٌ؛ لِرُجْحَانِ الْمَصْلَحَةِ فِي عَمَلِهِ؛ ثُمَّ يُزِيلُ فُجُورَهُ بِقُوَّتِهِ وَعَدْلِهِ.

وَيَكُونُ تَرْكُ النَّهْيِ عَنْهَا حِينَئِذٍ: مِثْلَ تَرْكِ الْإِنْكَارِ بِالْيَدِ أَوْ بِالسِّلَاحِ إذَا كَانَ فِيهِ مَفْسَدَةٌ رَاجِحَةٌ عَلَى مَفْسَدَةِ الْمُنْكَرِ. فَإِذَا كَانَ النَّهْيُ مُسْتَلْزِمًا فِي الْقَضِيَّةِ الْمُعَيَّنَةِ لِتَرْكِ الْمَعْرُوفِ الرَّاجِحِ: كَانَ بِمَنْزِلَةِ أَنْ يَكُونَ مُسْتَلْزِمًا لِفِعْلِ الْمُنْكَرِ الرَّاجِحِ كَمَنْ أَسْلَمَ عَلَى أَنْ لَا يُصَلِّيَ إلَّا صَلَاتَيْنِ كَمَا هُوَ مَأْثُورٌ عَنْ بَعْضِ مَنْ أَسْلَمَ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْ أَسْلَمَ بَعْضُ الْمُلُوكِ الْمُسَلَّطِينَ وَهُوَ يَشْرَبُ الْخَمْرَ أَوْ يَفْعَلُ بَعْضَ الْمُحَرَّمَاتِ وَلَوْ نَهَى عَنْ ذَلِكَ ارْتَدَّ عَنْ الْإِسْلَامِ. فَفَرْقٌ بَيْنَ تَرْكِ الْعَالِمِ أَوْ الْأَمِيرِ لِنَهْيِ بَعْضِ النَّاسِ عَنْ الشَّيْءِ إذَا كَانَ فِي النَّهْيِ مَفْسَدَةٌ رَاجِحَةٌ وَبَيْنَ إذْنِهِ فِي فِعْلِهِ.

وَهَذَا يَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ الْأَحْوَالِ. فَفِي حَالٍ أُخْرَى يَجِبُ إظْهَارُ النَّهْيِ: إمَّا لِبَيَانِ التَّحْرِيمِ وَاعْتِقَادِهِ وَالْخَوْفِ مِنْ فِعْلِهِ. أَوْ لِرَجَاءِ التَّرْكِ. أَوْ لِإِقَامَةِ الْحُجَّةِ بِحَسَبِ الْأَحْوَالِ؛ وَلِهَذَا تَنَوَّعَ حَالُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ وَجِهَادِهِ وَعَفْوِهِ؛ وَإِقَامَتِهِ الْحُدُودَ وَغِلْظَتِهِ وَرَحْمَتِهِ.))(مجموع الفتاوى)(28/35)

المروق من السُّنَّة:

مرق الخوارج من الإسلام بالغلوِّ في القرآن و تعطيل السُّنَّة، ومرق بعضهم من السُّنَّة بالغلوِّ فيها و تفريق المسلمين.

قال ابن تيميَّة في (مجموع الفتاوى){383/3}: ((قَدْ انْتَسَبَ إلَى الْإِسْلَامِ مَنْ مَرَقَ مِنْهُ مَعَ عِبَادَتِهِ الْعَظِيمَةِ؛ حَتَّى أَمَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقِتَالِهِمْ فَيُعْلَمُ أَنَّ الْمُنْتَسِبَ إلَى الْإِسْلَامِ أَوْ السُّنَّةِ فِي هَذِهِ الْأَزْمَانِ قَدْ يَمْرُقُ أَيْضًا مِنْ الْإِسْلَامِ وَالسُّنَّةِ حَتَّى يَدَّعِيَ السُّنَّةَ مَنْ لَيْسَ مِنْ أَهْلِهَا بَلْ قَدْ مَرَقَ مِنْهَا وَذَلِكَ " بِأَسْبَابِ ": - مِنْهَا الْغُلُوُّ الَّذِي ذَمَّهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ حَيْثُ قَالَ: {يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إلَّا الْحَقَّ

إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ} إلَى قَوْلِهِ: {وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا} وَقَالَ تَعَالَى. {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ} وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ {إيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ الْغُلُوُّ فِي الدِّينِ} وَهُوَ حَدِيثٌ صَحِيحٌ. وَمِنْهَا التَّفَرُّقُ وَالِاخْتِلَافُ الَّذِي ذَكَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ))

ماذا كان سيقول لو رأى حال المنتسبين للسنة في هذا العصر من التناحر و تضليل بعضهم بعضا ،وتبادل التهم حتى الحقيرة منها؟!

ماذا كان سيقول إذا رأى بعض المنتسبين للسلفية يزعم أن من أهل السنة من هو من أحط أهل البدع واضر على المسلمين من الرافضة واليهود و النصارى ومن إبليس ويعمل فيهم أقوال السلف في الجهمية ؟!

عوائق في طريق طالب العلم :

نصيحة خاصة عممتها للفائدة

قد لاحظتُ ـ في المدَّة الأخيرة ـ على الموضوعات التي ينزلها بعضُ الإخوة نمطا واحدا، فهمتُ منه أنَّهم يمرُّون بمرحلة قلق و اضطراب يمرُّ بها جميع النَّاس في فترة من فترات حياتهم، خاصَّة الصَّالحين منهم، وكما قال ذو الإصبع العدواني :

أطافَ بنا ريْبُ الزَّمان فداسنا *** له طائِفٌ بالصَّالحين بصيرُ

وقال البحتري:

ألم ترَ للنَّوائبِ كيف تسْمو ***إلى أهلِ النَّوافِلِ والفضولِ

وقال أبو الطيِّب:

أفاضل النَّاس أغراض لذا الزَّمن **** يخلو من الهمِّ أخلاهم من الفطن

وليس الإشكال في هذه الاضطرابات في حدِّ ذاتها، ولكن في طريقة التَّعامل معها، والخروج منها بأقصى سرعة ممكنة ،وبأقلِّ الأضرار، فمهما كان لن يغلب عسرٌ يسرين، ومهما طال اللَّيل طاردته أنوار الصُّبح من على رؤوس الجبال .

وفي الحديث: ((ما يصيب المسلم من نَصَبٍ ولا وَصَبٍ ـ وهما المرض والتعب ـ ولا همٍ ولا حزنٍ ولا غمٍ ولا أذى، حتى الشوكة يشاكها، إلا كفَّر الله بها من خطاياه)).

المهمُّ: ما تعانون منه ـ العجز عن الدِّراسة ـ يكون بسببين اثنين:
إمَّا عين تصيب الإنسان فتتغيَّر أحواله من الاجتهاد إلى الكسل، ومن الذَّكاء إلى البلادة وصعوبة الفهم، أو عدم القدرة على التَّذكُّر و التَّركيز حتَّى يستغرب ذلك من نفسه.
وإمَّا مشاكل اجتماعيَّة أو عاطفيَّة تُشتِّت الذِّهن، و تُضعف العزيمة، وتُوهن القوى العقليَّة ،وتقتل الرَّغبة في طلب العلم، والعلم يحتاج إلى الاستقرار النَّفسي ،وإلى راحة البال، وبدون ذلك يُصبح مضيَّعة للوقت ،فأعرف كثيرا من الشَّباب، ومن طلبة العلم من هذا حاله، لأنَّه عجز عن تجاوز هذه المرحلة بتدابير حاسمة حازمة.
وعليه،وبما أنِّي لا أعرف أسباب مشكلتكم بالضَّبط فأقترح عليكم أوَّلا أن يكون لكم وردٌّ من الذِّكر "الحوقلة ـ والاستغفار" ساعة بعد الصُّبح، وساعة قبل المغرب،أو حسب وقتكم ،واستعانة بالصَّلاة "وقت الضُّحى ـ أو بعد العشاء مباشرة- أو قبيل الصُّبح "كلُّه طيِّب،{واستعينوا بالصَّبر و الصَّلاة }فلابدَّ من الفزع إليها.
واعلموا أنَّ الأشياء بقدر فاطلبوها بعزَّة نفس، وتوكَّلوا على الحيِّ الذي لا يموت ،فالتَّوكُّل حصن الله من الأعداء، من دخله كان آمنا محفوظا محفوفا برعاية الله و لطفه،واعلموا أنَّه لو رفعت الجبال فوق رأس العبد فالأفضل له أن يبقى ساكن القلب، لأنَّه عبد مملوك لإله عليم حكيم رحيم، فاستعينوا بالصَّلاة على السَّبب المعيَّن ترزقون التَّوكُّل .
وذلك كما قال العارفون : إذا علمتم أنَّ الأمر كلَّه بيد الله، قال تعالى:{ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ } ،وقال:{ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الأمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ} فمن علم أنَّ الأمور كلُّها بيد الله :أمر الدُّنيا وأمر الآخرة، والنُّفوس والقلوب لم يبق له نظر إلى سواه، وانجمع بكلِّيَّته على الله ، قال تعالى:{ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا } حسبه أي: كافيه، ومن كان الله كافيه ماذا يفوته؟!
ثانيا:إن كانت مشكلتكم اجتماعيَّة"عاطفيَّة" أو ما في ضمنها فيجب أن تحسموا أمركم وتتَّخذوا قرارا نهائيا ،فإن التَّردُّد هو مشكل و ضعف أكثر النَّاس ،وحتَّى يسهل عليكم ذلك عليكم أن لا تفكِّروا في عاقبته تماما ،فمهما كان هذا القرار، ومهما كانت نتائجه

لن يخرج عن قضاء الله وقدره ،و الخير ليس في الشَّيء نفسه، ولكن في مصيره الذي لا يقدر على التَّحكُّم فيه إلاَّ الله تعالى ،وهذا يكون بالنِّيَّة الصَّالحة التي تقترن مع هذا القرار، فليس لكم من الأمر شيء إلاَّ النِّيَّة ،و الله كفيل بتغيير الأحوال وتقليبها فهو الوحيد الذي له القدرة على تغيير جواهر الأشياء و طبيعتها. {فَعَسَى أَن تَكرَهُوا شَيئاً وَيَجعَلَ اللهُ فِيهِ خَيراً كَثِيراً }

وقوله : {وَعَسَى أَن تَكرَهُوا شَيئًا وَهُوَ خَيرٌ لكُم وَعَسَى أَن تُحِبوا شَيئًا وَهُوَ شَر لكُم وَاللهُ يَعلَمُ وَأَنتُم لاَ تَعلَمُونَ }

فنحن في قاعة امتحان كبيرة نُمْتحن فيها كلَّ يوم تُدعى الحياة، فكلّ ما فيها امتحان وابتلاء : المال فيها امتحان، والزَّوجة والأولاد امتحان، والغنى والفقر امتحان، والصِّحَّة والمرض امتحان، وكلُّنا ممتحن في كلِّ ما نملك، وفي كلِّ ما يعترينا في هذه الحياة حتَّى نلقى الله، قال تعالى : {كُل نَفسٍ ذَائِقَةُ المَوتِ وَنَبلُوكُم بِالشر وَالخَيرِ فِتنَةً وَإِلَينَا تُرجَعُونَ }.

وقال جلَّ ذكره: {أَحَسِبَ الناسُ أَن يُترَكُوا أَن يَقُولُوا ءامَنا وَهُم لاَ يُفتَنُونَ (2) وَلَقَد فَتَنا الذِينَ مِن قَبلِهِم فَلَيَعلَمَن اللهُ الذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعلَمَن الكَاذِبِينَ }.

فأنت أيها المعافى ممتحن، ولكن ما أحسست أنَّك في قاعة امتحان حتَّى ابتُليت، وليس فينا من هو أكبر من أن يمتحن ، وكيف لا وفي الحديث الصَّحيح : "أشدُّ النَّاس بلاءً الأنبياء، ثمَّ الأمثل فالأمثل..." .

كما أنَّه ليس فينا من يملك رفض هذا الامتحان، ولكن فينا من يُمتحن بالبلاء فينجح بالصَّبر والإيمان والاحتساب، وفينا من يمتحن بالبلاء فيرسب بالجزع والاعتراض على الله.

إنَّ الله تعالى قسَّم بين النَّاس معايشهم وآجالهم، قال تعالى: {نَحنُ قَسَمنَا بَينَهُم معِيشَتَهُم فِى الحَياةِ الدنيَا }. فالرِّزق مقسوم، والمرض مقسوم، والعافية مقسومة، وكلُّ شيء في هذه الحياة مقسوم، فكلُّ شيء بيده يقلِّبه كيف يشاء، فيمتحن من يشاء، ويعافي من يشاء { أَلاَ لَهُ الخَلقُ وَالأمرُ } .

أسأله تعالى بمنه وكرمه أن يصلح بالكم، ويلهمكم رشدكم، ويخرجكم من كلِّ ضيق إلى سعة رحمته، وعظيم عنايته ولطفه، وأن يمنَّ عليكم بما يفرح قلوبكم ويرضيه عنكم إنَّه ودود كريم.

شغف طالب العلم

الشَّغف: حرقة يجدها الرَّجل مع لذَّة فِي قلبه، وقيل: الشَّغف أن يبلغ الحبُّ شغاف القلب.

هذا وصفٌ لبعض الحالات وليس لكلها قبل أن (يتزوَّج) الشاب.

عندما تسمع بعنوان كتاب مفيد أشار إليه عالمٌ فلا يهدأ لك بال حتى تُحصِّله؟

وعندما تحصِّله فلا تضعه من يدك حتى تنهيه، فإن قطع بينكما قاطع ظل ذهنُك مشغولا به حتى تستأنف قراءته؟

عندما يكون استكشافه وتقليب صفحاته ألذ من الطَّعام؟

عندما تشعر بأنَّك منقوص حتى تكمل قراءته؟

عندما تذهب أموالك ـ للعزاب ـ في اقتناء الكتب؟

وعندما تقتصر وصيتك لكل مسافر إلى بلد ما على البحث عن عنوان كتاب؟

فأنت مشغوف بالعلم و الكتب.

وعندما تعلو قيمة التَّعليق على هامشه برسم الأسهم و الدَّوائر و المستطيلات على جمال ورقاته وقيمته النَّقدية فأنت طالب علم ولست جامع كتب، يُفكر في تحصيل ما فيه على إطالة عمر ورقه وغلافه.

وعندما تصادفك كلمات علميَّة لا تفهمها فلا تشتكي صعوبة الكتاب بل تشتعل فيك نار معرفة المجهول فتقرِّر دراسة ذاك العلم بدون تأخير، فأنت طالب علم، صاحب همَّة عالية، لا يحب الأسئلة التي تبقى عالقة.

وعندما تقرأ فصول الكتاب بخيالك فكأنَّها مشاهد تعقب مشاهد، كلما قلبت صفحة كأنما فتحت بابا إلى مدينة جديدة أو غرفة كنوز منيعة، و تسأل في نفسك:

لمَ لم يقل هذا الجواب؟ هنا احتمال لم يذكره؟ هذا فصل تكلَّم فيه فلان بأجود من هذا؟ ألم يقل في بداية الكتاب كذا وكذا؟ هذا يصلح دليلا على المسألة الفلانية؟

فأنت قارئ بين السُّطور، يتصوَّر ما خلف الكلمات وما أمامها، وظني أنك مُعان.

وإلاَّ فلا تُضيِّع وقتك ،خذ ما تحتاجه ويُقيم دينك، و اشتغل بما فيه صلاحك وصلاح المسلمين، فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ ،و البرُّ أبوابه كثيرة .

الموضوعية

جوابا على استشكال الأخ hamada bahi كثرة تعصُّب من يعتبرون أنفسهم طلبة علم

الموضوعية ليست رفاهية الباحث بل هي رياضة عقلية وقلبية يجبر عليها نفسه كأشد ما يجبر العارف نفسه و بدنه بمستلزمات السلوك وموافقة الإرادة الشرعية.
إننا نريد أن نشقَّ لأمَّتنا طريقا إلى العلياء، ولسنا ملزمين أن نعبِّده، فهذا يفعله غيرنا، وهو ربَّما لا يزال ـ الآن ـ بعيدا عنَّا؛ وإذًا فاستعد لتتلقى بوجهك كل شظايا الصُّخور و الأشجار التي سدَّت من قرون الطَّريق.
أمَّا إن كنت تريد أن تكون شيخا متبوعا، له جماهير تجادل و تتعارك باسمه،وتتغذى نفسه على الهتافات و التزكيات و المدائح ،يخشى من مخالفتها أن يزول جاهه، و تولي أيام سعدِه،فلا يبيع كتبا كثيرة يتربح بها قُوته ،ويصير مجلسه أطلالا بعد أن كان عامرا بالمحبِّين، فجار التيَّار، و امش تحت الجدار، وقبِّل أقدام المصالح، وأيدي الشيوخ الملوك،ملوك الشهرة، باعة التزكيات.
لتكون صريحا مقداما لا تخشى في الله لومة لائم ،صادعا بالحق، تحتاج أن تعوِّد نفسك الاستئناس بالله و العزلة فرصة للعبادة و الخلوة مع الله، وجرعة يومية من اللامبالاة بآراء الدهماء، وقد يكرمك الله ببعض الأصحاب يغنوك بوفائهم عن البشر جميعا.
وتذكر: قد مات عبد الله بن مسعود مهجورا ،ومات أبو ذر مهجورا .
ومات البخاري مهجورا على مرمى حجر من قريته.
ومات محمد بن يحي المروزي مهجورا.
ومات ابن حزم مطارد مهجورا .
ومات ابن تيمية مسجونا بين أربعة جدران.
ومات ابن القيم محاصرا،و الطبري قبله مردوما،وأبو شامة و النسائي مطعونا.
هي أمةٌ لا ينهض بها الجبناء، ولا الأغبياء، ولا بائعي الذمم، ولا ساقطي الهمم.
أبناء الدين لنار الدنيا وقود، وفي عقود الخيانة بنود، وعلى أنهار الفتن سدود .
أوصيك بشيئين: مع كل حرف تكتبه ليقم في نفسك شاهدُ نيَّتك عليه.
وإن عدَّك كثيرون عدوًّا لهم فأنت ليس لك عدوٌّ منهم، أنت رجل ملَّة يقول لله، ويفعل لله، يريد أن يُخلِّص أمَّته من شوائب الدهور لتخرج من القبور و تعتلي القصور.

العبد حر ما قنع ...... و الحر عبد ما طمع

لعل القارئ النابه العالم بأحوال المسلمين في خطابهم العام يلاحظ وجود ظاهرة التحيز فيهم بقوة،و أنها عموما تقوم على قاعدة العرب في الجاهلية :"كذَّاب ربيعة أفضل من صادق مضر".

مما يعني غياب الروح العلمية، و ضيق الأفق و عدم الهدف الحقيقي لدى هذه الفئة من المسلمين، هذا الهدف الذي يجب أن يكون الحقيقة الشرعية وحدها.

هناك علماء و مفكرون يتمتعون بمنهجية علمية مقبولة ولكن الكلام هنا على سبيل العموم (الأكثرية)، و الظاهر الغالب أن أكثريتنا غارق في الطائفية و التعصب لجماعته و مذهبه، و أحيانا لخياله و أوهامه المتكلسة، و كما يقال عندنا:"يد واحدة لا تصفق".

الروح العلمية تقتضي أن يخدم العلم الحقيقة العلمية الشرعية في الدين، و منافع الإنسان في الدنيا، سواء كانت منافع معنوية أو مادية، و قد شهد التاريخ الإسلامي اختلال الروح العلمية عند بعض العلماء، وهو ما أخبر عنه الشرع من توظيف بعض الناس علمهم لخدمة الظلمة أو المستبدين من الحكام، أو طلب الجاه و المال بالعلم،أو التعصب للمذهب.

وهكذا بدأ التعصب عندما بدأ العلماء يبحثون في مسألة من هو أعلم الأئمة الأربعة،وأكثرهم يقول فيها بغير علم أو لم يقدر على التخلص من عواطفه فهذا حال العلماء فكيف بحال العوام.

عندما قال الشافعي:سمعت من جابر الجعفي كلاما خشيت أن يسقط علينا السقف ،أدركت قوة تجرد السلف من مشاعرهم أثناء المباحثة العلمية ،فلو نبحث القضايا العلمية كما تبحث الرياضيات بدون أحكام مسبقة وبدون عواطف أو نتركها لمواضعها، نكون قد بلغنا مرحلة الانطلاق الفعلي في إعادة بناء صرح الإسلام العلمي.

لكن يجب أن نشهد أن بعضهم كان على مستوى وظيفة العلم ،ذكر المؤرخون أن شيوخ المذاهب الأربعة في زمن ابن الصباغ كانوا يجتمعون في الأعراس يتناظرون مع كل الود والاحترام لو سقط عليهم السقف لم يبق من يفتي الناس ،فيجب التفريق بين الدفاع عن المذهب ووجهة النظر بعلم وبين الدفاع عنها بالتعصب و العدوان على

المخالف.
فالمشكل دائما من أنصاف العلماء هم سبب التعصب.
الموضوعية في الإسلام ليست كالموضوعية في الفكر الغربي من كل وجه، فلئن كانت الموضوعية في الفكر الغربي تقوم على ملاحظة الوقائع بدون حكم مسبق، فإن الموضوعية في الإسلام تقوم على ركنين اثنين:
الأول:هو اعتبار الحقيقة الموجودة كما هي موجودة بحيث ينظر إليها على ما هي عليه، وليس على حسب ما يرغب و يهوى، دون أن يتأثر بالآراء و الأحكام المسبقة إلا أن تكون وحيا .
و عليه؛ فإن النظر إلى الأشياء وفق ما ثبت عصمته:الكتاب و السنة و الإجماع لا يقدح في الموضوعية بشيء.
فالحقيقة الموجودة قد تكون مضادة للشريعة فتكون باطلة، فالحقيقة نوعان: حقيقة هي حق صحيح فهي لب الشريعة لا قسيمتها، و حقيقة باطلة مخالفة للشريعة.
فهذا التقسيم يخرجنا من دوامة التقسيمات المحدثة في الإسلام كتقسيم بعضهم أمور الدولة إلى سياسية و شرعية، و تقسيم آخرين الدين إلى شريعة و حقيقة، و تقسيم بعض النظار العلم إلى العقل و الشرع، فإنهم وجدوا أحوالا مخالفة للشرع، و لم يمكنهم صرف النظر عن مخالفتهم للشرع فجمعوا بينها بهذا التقسيم، لأنهم لم ينظروا في هذه الحقائق الموجودة هل هي موافقة للشرع أو مخالفة له، فليس مجرد كونها حقيقة موجودة يكسيها الشرعية.
ثانيا:توجيه النتيجة نحو الحق المقصود أي العمل على تقويم الحق الموجود و تصحيحه ليسير نحو التحول إلى الحق المقصود، فالحق الموجود قد يكون مقصودا إذا كان موافقا للإسلام و مبادئه، وقد لا يكون إن كان مخالفا له، ففي الحالة الثانية يتلخص عملنا في تحويله إلى الحق المقصود.
وهنا قد تكون الحقيقة الموجودة وسيلة لتحقيق الحقيقة المقصودة، فإن لم تكن الحقيقة الموجودة معارضة للشريعة تكون العبرة بتحقيق المقصود لا إلى ما ظهر به المقصود، وقد تكون الحقيقة الموجودة موافقة للشريعة، فتتخذ وسيلة لتحقيق مقصود مخالف للشرع،كما هو الحال بالنسبة لبعض الجماعات تنطلق من حق موجود يمثل التدهور و البعد عن الدين، وبعض مظاهر الظلم و الفجور لتحقيق مقصود مخالف

للشرع، فهنا العبرة بالحقيقة المقصودة ، لا بالوسائل المطلوبة لغيرها،أي مجرد كون الوسائل شرعية لا يعني شرعية المقصود.
مشكلة النت كثرة الدهماء فاصبر عليهم.

قال الفضيل بن عياض:
((لأن يصحبني فاجر حسن الخلق أحب إلي من أن يصحبني قارئ سيء الخلق))
إن الفاسق إذا كان حسن الخلق عاش بعقله، وخف على الناس، وأحبوه، وإن العابد إذا كان سيء الخلق ثقل على الناس، ومقتوه، ابن حبان البستي في(روضة العقلاء) (1/64)

عندما يختلف الزوجان في المناهج المحدثة الواهية
لقد نصَّ فقهاء الإسلام (المالكية) على أنه لا يجوز للمسلم إكراه زوجته الكتابية على ما لا يحل لها في دينها،ولا يجوز له منعها من أكل الخنزير ، ونص الحنابلة على أنه لا يجوز للزوج المسلم أن يكره امرأته اليهودية على إفساد يوم السبت مع تأكُّد حقِّه؟
وتصلني أخبار عن زوج من أتباع غلاة التبديع يريد فراق زوجته لأنها سلفية مثله لكن على غير منهج غلاة التبديع،يريد أن يكرهها على رأيه فتذم من يذم و تمدح من يمدح ؟
أما حديثهم عن المرأة المسلمة الإخوانية و التبليغية فقد جعلوها دون الكتابية؟

الاهتمام باللباس وترك الرياء به:
خرج سيار بن دينار إلى البصرة فقام يصلي إلى سارية في المسجد الجامع وكان حسن الصلاة، عليه ثياب جياد،فرآه مالك بن دينار فجلس إليه فسلم يسار، فقال له مالك: هذه الصلاة و هذه الثياب؟ فقال له سيار: هذه ترفعني عندك أو تضعني؟ فقال: تضعك،قال : هذا ما أردت،ثم قال له: يا مالك إني لأحسب ثوبيك هذين قد أنزلاك من نفسك مالم ينزلك من الله فبكى مالك، وقال له: أنت سيار؟ قال:نعم،فعانقه.
ـ كان إبراهيم النخعي يلبس الثوب المصبوغ بالزعفران أو بالعصفر وكان من يراه لا يدري أمن القراء هو أم من الفتيان.

ـ قال غيلان: كان مطرف بن الشخير يلبس البرانس و يلبس المطارف و يركب الخيل و يغشى السلطان غير أنك كنت إذا أفضيت إليه أفضيت إلى قرة عين.
ـ قال حماد بن زيد: لو رأيتم أيوب ثم استسقاكم شربة من ماء على النسك لما سقيتموه، له شعر وافر و شارب وافر وقميص جيد هروي يشم الأرض و قلنسوة جيدة و طيلسان جيد ورداء عدني.
ـ كان يحي بن أبي كثير حسن اللبس حسن الهيئة ومات ولم يترك إلا ثلاثين درهما كفنوه بها.
وكان العارف الرباني عبد القادر الجيلاني يلبس جميل الثياب ويركب البغلة؟

كيف نتعلَّم

الحمد لله رب العالمين و الصلاة و السلام على من لا نبيّ بعده،وبعد.
فأحسن الله إليك، و ذلل لك صعاب العلم، ويسر لك دقائقه، و رزقك همة وعزيمة في تحصيله، ثم أعانك على تبليغه و العمل بموجبه.
أجيبك و ليس المسؤل بأعلم بالسائل بهذه المسألة، فإني رأيت الناس و الدعاة و العلماء يطلبون العلم فمنهم من يحصل بعضه، ومنهم من تغلق الأبواب دونه، ومنهم من يحصل منه على ما يعرفه غيره، ومنهم من يفتح الله عليه أبوابه فيرزقه نظرا ثاقبا، و فهما قويما، و العلم هو الفهم و ليس الحفظ، فمتى رزقت فهما قل الجهد وكثر الثمر،وقد رأيت أشياء تمنع العلم ،و أقصد بالعلم هنا قوة علمية و خواطر قلبية يحرر بها الرجل محل النزاع، و يبصره الله بالحق في مضائق الاختلاف.
أولها:طلب العلم لغير وجه الله، وعلامته عدم بذله إلا بمقابل من مال أو شهرة أو رئاسة،وهذا أمر استعن به بالدعاء، و بمشاهدة عظمة الله و ضعة الإنسان، فالعلم إما يكسرك و يعرفك حقيقة نفسك، و إما يطغيك،و الإخلاص هو السر في هذا الباب.
ثانيها: الغلط في التوجه إلى الباب الصحيح، فمن أراد العلم فليطلبه من الله تعالى حالا ومقالا، فمن طلبه من شيخ أو كتاب غافلا عن هذا لم ينله.
ثالثها:الصدق في شيئين: في اعتقاد أن العلم و الحقيقة في كلام الله ورسوله اعتقادا لا يخالجه شك بل بيقين تام مهما تعاظمت عليه أقوال الناس فلا يرهب ولا يدخله ريب.

و الثاني في الصدق مع النفس فما عرف قلبك انه الحق فلا تخالفه لصحبة أو مشيخة أو غير ذلك، بل عليك الثبات عليه .

فهذه ركائز طلب العلم،و كل ما سواها لا تأثير له على الحقيقة .

أما مواد العلم فانظر إلى استعدادك النفسي و أي العلم تجد فيه اللذة فاشتغل به أكثر من غيره، و الكيفية هي أن تأخذ كتابا في هذا العلم يكون لرجل ثبتت إمامته فيه ثم اقرأ عشر صفحات ثلاث مرات في اليوم لمدة ثلاثة أيام، فإن فهمت فهو ذاك، فإن لم تفهم فقد حفظت منه شيئا تجده في طريقك بعد مدة، و ما تقراه ذاكر به أصحابك و تلامذتك، وعندما تشعر أن الموضوع مغلق دونك فتصدق بنية فهمه، ولا تزال تتصدق بشيء حتى يفتح عليك فيه.

و اجعل كتابا للدراسة بهذه الطريقة، و كتابا للمطالعة، الأول يكون من علوم الآلة كالنحو و أصول الفقه و مصطلح حديث وعلم العقائد يدرس بهذه الطريقة، و الثاني يكون في التفسير و السيرة و التاريخ و علوم القرآن تنالها بالمطالعة.

ومرة في السنة أو السنتين تعيد مراجعة أهم الكتب التي درستها أو طالعتها.

أما كيف تعلم طلبتك فاختر لهم كتابا ميسرا تكون قد درست كتبا مطولة في الموضوع ثم اطرح الإشكال و دعهم يخوضون فيه، و أنت توجه و تشرح مصطلحات الموضوع، و قضايا الخلاف فيه ، ولا تعلم شيئا لست متصورا له بحيث تعبر عنه بألفاظك، و ليس بألفاظ الكاتب.

و عليك بالرفق بهم، و علمهم التفكير في المسائل العلمية لمدة يومين أو ثلاثة و البحث فيها ، لا يعتمدون على ما تلقيه عليهم فقط .

أما الكتب التي عليك أن تشتريها فأولا : جميع كتب ابن تيمية و ابن القيم فهي البحر الذي لا تخرج منه أبدا.

كتب أصول الفقه خاصة كتب المتقدمين من جميع الطوائف إلا كتب الرافضة.

كتب مصطلح الحديث ككتب ابن حجر و الصنعاني و السخاوي ثم شرح علل الترمذي لابن رجب، و التمييز لمسلم .

كذلك عليك بكتب السنة " الحديث " ما قدرت عليه منها.

أهم كتب التفسير و أحسنها تفسير القرطبي و البغوي و ابن عطية و ابن كثير و الطبري.

المهم طالب العلم يتوقف اقتناء الكتب عنده على تصوره للدور الذي يريد أن يؤديه فإن كان من مدرسة ابن تيمية فيقتني كل كتاب يقع تحت يديه، و لكن بعد تحصيل علم السنة خاصة عقيدة أهل السنة بأدلتها الجدلية.
أما في الفقه فمجموع الفتاوى و زاد الميعاد و المحلى لابن حزم، و فتح الباري مع مجموع النووي ومراجع المتاخرين كفتاوي اللجنة الدائمة و فتاوى الأزهر و في الفقه ركز على شروح السنة كنيل الأوطار و فتح الباري و غيرها.
ولا تقرا شيئا من فقه المعاملات حتى تقرأ القواعد النورانية لابن تيمية.
أما كتب المالكية فحصل منها كل ما تقدر عليه منها، وحتى كتب الاعتقاد الأشعري التي كتبها المالكية ولكن ركز في دراستها على كتب قدماء المالكية كتب ابن عبد البر و أبي بكر بن العربي و الباجي و القاضي عبد الوهاب، والقاضي عياض وكتب التراجم المالكية خاصة تراجم المتاخرين منهم كالمعيار المعرب للونشريسي و التنبكتي و البستان لابن مريم و غيرها.
على كل حال كنت قد تعرضت لهذا الموضوع في مقال بعنوان: شرح مقولة ابن سيرين تجده في منتدى كل السلفيين.
و في الأخير احرص على الفهم، ولا تحرص على الحفظ فتضيع وقتك،فإن استحق شيء الحفظ بعد القرآن و الحديث النبوي فالمصطلحات و معانيها.
ولو وجهت لي السؤال عن علم واحد حتى إذا حصلت منه على ما كتب الله لك انتقلت لعلم آخر كان الجواب أدق تفصيلا من هذا.
وفي الأخير قبل أن تبدأ بأي شيء من هذا اقرأ فهرس مجموع الفتاوى لابن تيمية مرات عديدة فسيقودك و يدلك على تصورات وفوائد عزيزة الوجود.
أما فيما يخص الحفظ و الذاكرة فأحسن دواء ترك معاصي العلم و سؤال الله مع التصدق ،أما الأدوية الطبيعية فهناك أقوال عن اللبان و لكني لا أظن الأمر صحيحا و أحسن طعام طبيعي مفيد للدماغ السمك الطازج و أكل الحلو كالزبيب و البرقوق و المشمش المجفف، و التمر.
و السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.
أرزيو/ الجزائر في 30 شعبان 1430
أخوك مختار الأخضر طيباوي

مقدِّمة عامَّة عن كيفيَّة الطَّلب:

بالنِّسبة لي لم أجد أحسن من برنامج ابن خلدون ـ رحمه الله ـ الَّذي ذكره في (تاريخه) مع بعض الإضافة و التَّحسين، ذلك أنَّ الرَّجل شديد الذَّكاء ،واسع الاطِّلاع، قلَّ من يعرف المذاهب الإسلاميَّة العقديَّة و الفقهيَّة، وفي شتَّى العلوم مثله؛ فإنَّ من يكتب عنها تلك الملخَّصات في كتابه(المقدِّمة) لا يكون إلاَّ واسع العلم و المعرفة، دقيق الملاحظة ، محلِّلا بارعًا ،ففي الحقيقة لا يوجد للكلام عن البرامج العلميَّة لطلب العلم أحسن من العلماء الموسوعيِّين مثل ابن خلدون و السُّيوطيِّ و الزَّركشيِّ وغيرهم.

وقد وقف غير واحد عند طرق العلم المنتشرة في العالم الإسلاميِّ و انتقدها ، منهم أبو بكر بن العربيِّ المالكيِّ في كتابه الرَّائع (ترتيب الرِّحلة) و الَّذي نقل منه في (العواصم من القواصم)جزء الكلاميَّات، فتحدَّث عن طريقة المغاربة و الأندلسيِّين في التَّعليم ، و انتقد بعض فصولها خاصَّة اعتمادهم الشَّديد على الحفظ دون مراعاة لقوَّة الإدراك و التَّصوُّر.

ومثله فعل ابن خلدون وكتب لنا هذا الفصل الرَّائع ، فقال:

((وجه الصَّواب في تعليم العلوم وطريق إفادته:

اعلم أنَّ تلقين العلوم للمتعلِّمين إنَّما يكون مفيدا إذا كان على التَّدريج شيئا فشيئا، وقليلا قليلا يُلقى عليه أوَّلا مسائل من كلِّ باب من الفنِّ هي أصول ذلك الباب، ويقرَّب له في شرحها على سبيل الإجمال، ويراعى في ذلك قوَّة عقله واستعداده لقبول ما يرد عليه حتَّى ينتهي إلى آخر الفنِّ، وعند ذلك يحصل له ملكة في ذلك العلم إلاَّ أنَّها جزئيَّة وضعيفة، وغايتها أنَّها هيَّأته لفهم الفنِّ وتحصيل مسائله، ثمَّ يرجع به إلى الفنِّ ثانية فيرفعه في التَّلقين عن تلك الرُّتبة إلى أعلى منها ويستوفي الشَّرح والبيان، ويخرج عن الإجمال، ويذكر له ما هنالك من الخلاف ووجهه إلى أن ينتهي إلى آخر الفنِّ فتجود ملكته، ثمَّ يرجع به وقد شدَّ فلا يترك عويصا ولا مهمًّا ولا مغلقا إلاَّ وضَّحه، وفتح له مقفله، فيخلص من الفنِّ وقد استولى على ملكته.

هذا وجه التَّعليم المفيد، وهو كما رأيت إنَّما يحصل في ثلاث تكرارات.

وقد يحصل للبعض في أقلِّ من ذلك بحسب ما يخلق له، ويتيسَّر عليه، وقد شاهدنا كثيرا من المعلِّمين لهذا العهد الَّذي أدركنا يجهلون طرق التَّعليم وإفاداته، ويحضرون

للمتعلِّم في أوَّل تعليمه المسائل المقفلة من العلم، ويطالبونه بإحضار ذهنه في حلِّها، ويحسبون ذلك مرانا على التَّعليم وصوابا فيه، ويكلِّفونه رعي ذلك وتحصيله، ويخلطون عليه بما يلقون له من غايات الفنون في مبادئها، وقبل أن يستعدَّ لفهمها، فإنَّ قبول العلم والاستعدادات لفهمه تنشأ تدريجا، ويكون المتعلِّم أوَّل الأمر عاجزا عن الفهم بالجملة إلاَّ في الأقلِّ، وعلى سبيل التَّقريب والإجمال والأمثال الحسِّيَّة، ثمَّ لا يزال الاستعداد فيه يتدرَّج قليلا قليلا بمخالفة مسائل ذلك الفنِّ وتكرارها عليه والانتقال فيها من التَّقريب إلى الاستيعاب الَّذي فوقه، حتَّى تتمَّ الملكة في الاستعداد ثمَّ في التَّحصيل، ويحيط هو بمسائل الفنِّ، وإذا ألقيت عليه الغايات في البداءات وهو حينئذ عاجز عن الفهم والوعي، وبعيد عن الاستعداد له كلَّ ذهنُه عنها، وحسب ذلك من صعوبة العلم في نفسه فتكاسل عنه، وانحرف عن قبوله، وتمادى في هجرانه، وإنَّما أتى ذلك من سوء التَّعليم.

ولا ينبغي للمعلِّم أن يزيد متعلَّمه على فهم كتابه الَّذي أكبَّ على التَّعليم منه بحسب طاقته وعلى نسبة قبوله للتَّعليم مبتدئا كان أو منتهيا، ولا يخلط مسائل الكتاب بغيرها حتَّى يعيه من أوَّله إلى آخره، ويحصِّل أغراضه، ويستولي منه على ملكة بها ينفذ في غيره، لأنَّ المتعلِّم إذا حصَّل ملكة ما في علم من العلوم استعدَّ بها لقبول ما بقي، وحصل له نشاط في طلب المزيد والنُّهوض إلى ما فوق حتَّى يستولي على غايات العلم، وإذا خلط عليه الأمر عجز عن الفهم وأدركه الكلال، وانطمس فكره، ويئس من التَّحصيل، وهجر العلم والتَّعليم، والله يهدي من يشاء. وكذلك ينبغي لك أن لا تطوِّل على المتعلِّم في الفنِّ الواحد بتفريق المجالس، وتقطيع ما بينها لأنَّه ذريعة إلى النِّسيان، وانقطاع مسائل الفنِّ بعضها من بعض فيعسر حصول الملكة بتفريقها.

وإذا كانت أوائل العلم وأواخره حاضرة عند الفكرة مجانبة للنِّسيان كانت الملكة أيسر حصولا وأحكم ارتباطا وأقرب صبغة لأنَّ الملكات إنَّما تحصل بتتابع الفعل وتكراره، وإذا تُنوسي الفعل تنوسيت الملكة النَّاشئة عنه، والله علَّمكم ما لم تكونوا تعلمون.

ومن المذاهب الجميلة والطُّرق الواجبة في التَّعليم أن لا يخلط على المتعلِّم علمان معا فإنَّه حينئذ قلَّ أن يظفر بواحد منهما لما فيه من تقسيم البال، وانصرافه عن كلِّ واحد منهما إلى تفهُّم الآخر فيستغلقان معا ويستصعبان، ويعود منهما بالخيبة.

وإذا تفرَّغ الفكر لتعليم ما هو بسبيله مقتصرا عليه فربَّما كان ذلك أجدر لتحصيله،

والله سبحانه وتعالى الموفِّق للصَّواب.

واعلم أيُّها المتعلِّم أنِّي أتحفك بفائدة في تعلُّمك فإن تلقَّيتها بالقبول، وأمسكتها بيد الصِّناعة ظفرت بكنز عظيم، وذخيرة شريفة، وأقدِّم لك مقدِّمة تعينك في فهمها، وذلك أنَّ الفكر الإنسانيَّ طبيعة مخصوصة، فطرها الله كما فطر سائر مبتدعاته، وهو (وجدان حركة للنَّفس) في البطن الأوسط من الدِّماغ. تارة يكون مبدأ للأفعال الإنسانيَّة على نظام وترتيب، وتارة يكون مبدأ لعلم ما لم يكن حاصلا بأن يتوجَّه إلى المطلوب، وقد يصوِّر طرفيه يروم نفيه أو إثباته فيلوح له الوسط الَّذي يجمع بينهما أسرع من لمح البصر إن كان واحدا، أو ينتقل إلى تحصيل آخر إن كان متعدّدا ويصير إلى الظّفر بمطلوبه هذا شأن هذه الطّبيعة الفكريّة الّتي تميّز بها البشر من بين سائر الحيوانات. ثمّ الصّناعة المنطقيّة هي كيفيّة فعل هذه الطّبيعة الفكريّة النّظريّة تصفه لتعلم سداده من خطئه وأنّها وإن كان الصّواب لها ذاتيّا إلّا أنّه قد يعرض لها الخطأ في الأقلّ من تصوّر الطّرفين على غير صورتهما من اشتباه الهيئات في نظم القضايا وترتيبها للنّتاج فتعين المنطق للتّخلّص من ورطة هذا الفساد إذا عرض. فالمنطق إذا أمر صناعيّ مساوق للطّبيعة الفكريّة ومنطبق على صورة فعلها ولكونه أمرا صناعيّا استغني عنه في الأكثر.

ولذلك تجد كثيرا من فحول النّظّار في الخليقة يحصلون على المطالب في العلوم دون صناعة علم المنطق ولا سيّما مع صدق النّيّة والتّعرّض لرحمة الله تعالى فإنّ ذلك أعظم معنى. ويسلكون بالطّبيعة الفكريّة على سدادها فيفضي بالطّبع إلى حصول الوسط والعلم بالمطلوب كما فطرها الله عليه. ثمّ من دون هذا الأمر الصّناعيّ الّذي هو المنطق مقدّمة أخرى من التّعلّم وهي معرفة الألفاظ ودلالتها على المعاني الذّهنيّة تردها من مشافهة الرّسوم بالكتاب ومشافهة اللّسان بالخطاب. فلا بدّ أيّها المتعلّم من مجاوزتك هذه الحجب كلها إلى الفكر في مطلوبك. فأوّلا: دلالة الكتابة المرسومة على الألفاظ المقولة وهي أخفّها ثمّ دلالة الألفاظ المقولة على المعاني المطلوبة ثمّ القوانين في ترتيب المعاني للاستدلال في قوالبها المعروفة في صناعة المنطق. ثمّ تلك المعاني مجرّدة في الفكر اشتراطا يقتنص بها المطلوب بالطّبيعة الفكريّة بالتّعرّض لرحمة الله ومواهبه. وليس كلّ أحد يتجاوز هذه المراتب بسرعة ولا يقطع هذه الحجب في التّعليم بسهولة، بل ربّما وقف الذّهن في حجب الألفاظ بالمناقشات أو عثر في اشتراك الأدلّة

بشغب الجدال والشّبهات وقعد عن تحصيل المطلوب. ولم يكد يتخلّص من تلك الغمرة إلّا قليلا ممّن هداه الله. فإذا ابتليت بمثل ذلك وعرض لك ارتباك في فهمك أو تشغيب بالشّبهات في ذهنك فاطرح ذلك وانتبذ حجب الألفاظ وعوائق الشّبهات واترك الأمر الصّناعيّ جملة وأخلص إلى فضاء الفكر الطّبيعيّ الّذي فطرت عليه. وسرّح نظرك فيه وفرّغ ذهنك فيه للغوص على مرامك منه واضعا لها حيث وضعها أكابر النّظّار قبلك مستعرضا للفتح من الله كما فتح عليهم من ذهنهم من رحمته وعلّمهم ما لم يكونوا يعلمون. فإذا فعلت ذلك أشرقت عليك أنوار الفتح من الله بالظّفر بمطلوبك وحصل الإمام الوسط الّذي جعله الله من مقتضيات هذا الفكر ونظره عليه كما قلناه وحينئذ فارجع به إلى قوالب الأدلّة وصورها فأفرغه فيها ووفّه حقّه من القانون الصّناعيّ ثمّ اكسه صور الألفاظ وأبرزه إلى عالم الخطاب والمشافهة وثيق العرى صحيح البنيان.

وأمّا إن وقفت عند المناقشة والشّبهة في الأدلّة الصّناعيّة وتمحيص صوابها من خطئها وهذه أمور صناعيّة وضعيّة تستوي جهاتها المتعدّدة وتتشابه لأجل الوضع والاصطلاح فلا تتميّز جهة الحقّ منها إذ جهة الحقّ إنّما تستبين إذا كانت بالطّبع فيستمرّ ما حصل من الشّكّ والارتياب وتسدل الحجب على المطلوب وتقعد بالنّاظر عن تحصيله. وهذا شأن الأكثرين من النّظّار والمتأخّرين سيّما من سبقت له عجمة في لسانه فربطت عن ذهنه ومن حصل له شغب بالقانون المنطقيّ تعصّب له فاعتقد أنّه الذّريعة إلى إدراك الحقّ بالطّبع فيقع في الحيرة بين شبه الأدلّة وشكوكها ولا يكاد يخلص منها. والذّريعة إلى إدراك الحقّ بالطّبع إنّما هو الفكر الطّبيعيّ كما قلناه إذا جرّد عن جميع الأوهام وتعرّض النّاظر فيه إلى رحمة الله تعالى وأمّا المنطق فإنّما هو واصف لفعل هذا الفكر فيساوقه في الأكثر. فاعتبر ذلك واستمطر رحمة الله تعالى متى أعوزك فهم المسائل تشرق عليك أنواره بالإلهام إلى الصّواب. والله الهادي إلى رحمته وما العلم إلّا من عند الله.))

كلامه في المنطق يحتاج إلى تفصيل و المراد هنا الاستفادة من تجربته.

تلخيص طريقة ابن خلدون:

1 ـ التدرج في كل فن.

2 ـ يكون التدرج بإلقاء المسائل على الطالب على سبيل الإجمال.

3 ـ القصد من هذه الطريقة تحصيل الملكة ،وتهيئ الفهم ، لا الإحاطة و التحقيق.
4 ـ يدرس كل فن على ثلاث مراحل،أي يرجع إليه ثلاث مرات ،كل مرة تكون أوسع من سابقتها ،فالمرة الأولى للتعرف على الفن و معرفة مصطلحاته ومسائله ،ثم الثانية للتوسع فيه و الإحاطة بجميع قضاياه بالشرح و البيان، و الثالثة لمعرفة الخلاف فيه و تحقيق المذاهب.
5 ـ يدرس كل فن على حد، ولا يخلط بين الفنون،ولا يغادر الفن حتى ينتهي منه،وهذا أكد عليه ابن رشد في مقدمة" الضروري في أصول الفقه".
6 ـ حتى لا يفوته الانسجام العلمي عندما يقتصر على دراسة فن واحد يخصص ساعة للمطالعة وليس للدراسة يطالع فيها كتبا وعلوما مختلفة.
وقد ذهب إلى هذا المعنى الزركشي فقال في كتابه (المنثور في القواعد الفقهية)() في كيفية تعلم علم الفقه:
((فإن ضبط الأمور المنتشرة المتعددة في القوانين المتحدة هو أوعى لحفظها وأدعى لضبطها وهي إحدى حكم العدد التي وضع لأجلها، والحكيم إذا أراد التعليم لا بد له أن يجمع بين بيانين:
1 ـ إجمالي تتشوف إليه النفس.
2 ـ وتفصيلي تسكن إليه.
ولقد بلغني عن الشيخ قطب الدين السنباطي (ـ رحمه الله ـ) أنه كان يقول: الفقه معرفة النظائر.

البارود الأخضر

من أراد أن يلمس من واقع معاشٍ مرض الأمة الغريب الخفي، الذي أعي أهل الفكر في الشكف عنه و التعرف عليه ،و تطلُّب العلاج منه، و بالتالي يُدرك المشكل الكبير عندما غيَّب الإيمانُ الناقص العقلَ في صراع الحق للباطل؛ في حين كان من المفروض أن يؤكِّد العقلُ الإيمان، ويكون درعه وسلاحه فليقرأ كتاب واسيني الأعرج : الأمير (مسالك أبواب الحديد).
وعندما يدرك الفرق بين البارود الأسود و البارود الأخضر يدرك الفرق بين الأمة في الزمن الفاضل والأمة في هذا العصر، عندما سخِر جبروت الكفر من سذاجة وسائل

المؤمنين إيمانا ناقصا، جعل العقل صديقا لعدوه.

أفضل طريقة لتُعطِّل عقلك هو أن تُحسن الظنَّ بعقل غيرك

نصيحة خاصَّة لبعض الشَّباب

بسم الله الرحمن الرحيم

يقول ابن تيميَّة ـ في بعض المواضع من كتبه ـ عندما يصدمه قول غارق في الجهل يصدر من منسوب إلى العلم و الذَّكاء و الفطنة : ((ولا ريب أنَّ هذه العقول كادها باريها... وقعت في هذا الجهل الطَّويل))

قال : إذا شرح الله صدر العبد للإسلام يتعجب غاية العجب ممن ضل عقله حتى أشرك كما روي أن بعض الناس قال للنبي صلى الله عليه وسلم : ((ما كان لهم عقول ـ يعني لمشركي قريش ـ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: كانت لهم عقول أمثال الجبال ولكن كادها باريها)).

وروي أن خالد بن الوليد لما هدم العزى، وكانت عند عرفات قال: ((يا رسول الله عجبت من أبي وعقله كان يجيء إلى هذه العزى فيسجد لها وينسك لها ويحلق لها رأسه ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: تلك عقول كادها باريها))

إن من أشد مكر الله بالمرء ـ ومكر الله أن يعاقبه على سيئاته ـ أن يمكر به بالسبب الذي أشرك به،أو ظلم به،وقد يكون حتفه في شيء أصله حق ظلم به الناس فصار فتنة له {فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا}.

كثير من الشباب غُيِّب عقله حتى أصبح يلعب به بعض السفهاء يدحرجه كالكرة، لأنه سلَّم لهم عقله،و جعل السلفية التي هي حق في نفسها وسيلةً لظلم الناس، و العدوان عليهم، و الضر بالمسلمين أشد الضر، فكانت هي حتفه، وسبب غفلته، و قبوله ما لا يقبله آحاد البشر، مما يخالف الضرورة و البديهة .

إن ما نعيش به حياتنا اليومية، و نتعامل به مع غيرنا من طرق التفاهم و التخاطب، و الشعور كالحب و البغض ،هو من بديهيات البشر أو من ضروريات طباعهم، ومن عاداتهم التي لا يحتاجون لمعرفتها إلى إعمال عقولهم كالمعاني الدقيقة التي يطول عهد المرء بها فينسى تفاصيلها .

دور العقل ليس التفكير في "حمل المجمل على المفصل من كلام الناس"،أو "الموازنة بين سيئاتهم وحسناتهم"، فهذه ضروريات آدمية في حياة الناس ،دور العقل : حسن الاختيار، الإبداع في استخراج المعاني الشرعية،التبصر الدقيق في الواقع لإصلاحه، دور العقل الاستشراف ،دور العقل سبر الأفكار و الوقائع، الغوص في المعاني الدقيقة ، دور العقل المقاربة الكاشفة لغوامض العلل ، دور العقل التحليل العميق ،دور العقل الفطري : الجمع بين المتماثلات و التفريق بين المختلفات.

أما تلك المسائل التي يثيرها بعض السلفيين فإنها لا تحتاج لإعمال العقل، لأنها من ضروريات الحياة الآدمية.

عندما يقول لك شيخ: لا تحمل "مجمل كلام الناس على مفصله"، و"مبهمه على مفسره" فإنه بدعة، و أنت في كل صباح يوم جديد تقول للناس و لأقربهم إليك: "لم أفهم أتقصد الباب الداخلي أم الباب الخارجي؟" ،"لم أقل لك: لا أعمل اليوم ، قلتُ : لا توقظني كالعادة باكرا ؟"

وعندما تسأل والدتك أو زوجتك ماذا تطبخين لنا اليوم؟ فتقول لك : "اللوبيا" تقول مباشرة ومن غير تردد: يابسة أم خضرة ،يعني: تستفصل .

عندما يقول رجل: لم يبق دين، ولا مروءة.

لا تزعم عليه أنه يكفِّر الأمة، و ينفي عنها المروءة بالاستغراق و الشمول.

عندما يفتح الحجاب لرجل فيرى مشهد القدر: كلٌّ يجري بإرادة الله و تقديره، فيقول من شدة وقع الكشف على قلبه: والله ما ثمة إلا الله.

لا تتهمه بوحدة الوجود حتى تنظر في جميع كلامه و تحاول التعرف على مقصده، فإن من الكلام ما يقوله الصديق و يقوله الزنديق.

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ في (إغاثة اللهفان){233/1}:" ذكر البخاري في الصحيح عن أم الدرداء ـ رضي الله عنها ـ قالت: ((دخل علي أبو الدرداء مغضبا، فقلت له: مالك؟ فقال: والله ما اعرف فيهم شيئا من أمر محمد صلى الله عليه و سلم إلا أنهم يصلون جميعا)).

و قال الزهري:((دخلت على انس بن مالك بدمشق وهو يبكي فقلت له: ما يبكيك؟ فقال: ما اعرف شيئا مما أدركت إلا هذه الصلاة، وهذه الصلاة قد ضيعت)) ذكره البخاري.

و في لفظ آخر: ((ما كنت أعرف شيئا على عهد رسول الله صلى الله تعالى عليه و آله و سلم إلا قد أنكرته اليوم)).
و قال الحسن البصري: ((سأل رجل أبا الدرداء ـ رضي الله عنه ـ فقال: رحمك الله لو أن رسول الله صلى الله تعالى عليه و سلم بين أظهرنا، هل كان ينكر شيئا مما نحن فيه؟ فغضب و اشتد غضبه و قال: وهل كان يعرف شيئا مما انتم عليه؟)).
وقال المبارك بن فضالة: ((صلى الحسن الجمعة و جلس فبكى فقيل له: ما يبكيك يا أبا سعيد؟ فقال: تلومونني على البكاء ولو أن رجلا من المهاجرين اطلع من باب مسجدكم ما عرف شيئا مما كان عليه على عهد رسول الله صلى الله تعالى عليه و سلم أنتم اليوم عليه إلا قبلتكم هذه)).
فهذا الكلام من الصحابة و التابعين لهم بإحسان ليس مبالغات مجازية فإنهم رضوان الله عليهم بكوا مما رأوا من حال الأمة المتغير، لا يعني أنهم كفَّروا الأمة برمتها.
إذا احتاجت البديهيات أو الضروريات في الطبع الآدمي إلى إعمال العقل كنت كمن استهلك عقله في اكتشاف الغريزة ،إعمال العقل حيث نريد التعرف على الحكم على الحالة المعينة .
عندما يقال لك: "لا اجتهاد مع النص" هنا يجب عليك إعمال العقل لتفهم القصد منها، و أنها لا تمنع من الاجتهاد في فهْم النص، ففرق بين اجتهاد يضع علة موازية للنص وبين الاجتهاد في فهم دلالة النص.
إعمال العقل حيث التشابه لإدراك الفارق المعتبر (قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ)
لقد بعتَ عقلك أو تصدقت به أو رميته في سلة المهملات لأنك أحسنت الظن بعقل غيرك ،و ظلمتَ الناس بحسن ظنك بعقل هذا الشيخ ، فكان عقلك دليلا و آية على جهلك و مخالفتك الفطرة.
وعندما يقول لك شيخ: الموازنة بدعة، ولا يمكنك أن تقسم قلبك شطرين : شطر يحب في المبتدع ما وافق فيه الشريعة وقسم يبغض فيه ما خالفها فيه، فقد أكل عقلك ،ولو أعملت عقلك في كلامه فقط ستجده واهيا، أما لو رددته للشريعة فستجده مضلا.
فبالنسبة لهذا الشيخ يستحيل تقسيم القلب وتوزيع الحب و البغض في أهل البدع لكنه يناقض نفسه فيقول : ((ونحن إذا أبغضنا أهل البدع من الصوفية وغيرهم ، وهم فِرق كثيرة ، ومن الأشعرية وغيرهم ، لا نُبغضهم مثل بُغض اليهود والنصارى، يعني أن

الحب مثل الإيمان يزيد وينقص، ويتفاوت في العباد ، والبغض كذلك ، بُغضِي لليهود غير بُغضي للنصارى، غير بُغضي لأهل البدع.))

يعني نبغضهم بأقل من بغضنا اليهود و النصارى فذكر جزء القضية و أغفل جزءها الآخر فإن التفاوت في البغض معلوم سببه وعلته، وهو الفرق بين الإسلام و الكفر، لكن الجزء الذي بقي فارغا من بغض الأشعري بماذا تملأه بالحب أم بالعدم لأنه شيء؟

و السؤال: هل تبغض الأشعري كما تبغض المعتزلي أو الرافضي ؟ ومعلوم أن المحل إما يشغله بغض أو حب، وقلبك تضمن بغضا للأشعري على بدعته، وهي متفاوتة مع بدعة الرافضي فما بقي من المحل يلزم أن يشغله الحب لأنه يستحيل أن يبقى الجزء الذي وافق فيه الأشعري الشريعة بدون حكم : لا حب ولا بغض، أو يلحقه البغض، فهذا باطل إذ يلزم المسلم أن يحب الحق و يبغض الباطل، و قد أبغضت منهم الباطل فكيف لا تحب فيهم الحق؟

وهل هذا الشيخ يحب من ابنه كل شيء،أو يبغض فيه كل شيء؟

ليتفكر في هذا ساعة يعلم إن كان قادرا على الجمع بين الحب و البغض في الذات الواحدة المتعددة الصفات؟

عجبا لمن يصل بعد كلفة ومشقة إلى التشكيك في البديهيات و الطعن على الضروريات.

أما من حيث الشريعة: كما قال النبي صلى الله عليه و سلم :((لاَ يَفْرَكْ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً إِنْ كَرِهَ مِنْهَا خَلْقًا رَضِيَ آخَرَ)) .مسلم (2/091)، وأحمد (2/329)،وغيرهما.

الممتنع أن تحب و تبغض الصفة الواحدة ، لا الصفات المتعددة، إلا إن كانت متعدية إضافية، و ليست حسنا أو قبحا في ذاتها، كالشيب فمحبوب من وجه مبغوض من وجه، محبوب من جهة كونه علامة على حكمة السن، و نورا للمؤمن، ومبغوض من جهة دلالته على العجز و الشيخوخة، فالشاب يبغضه من جهة و يحبه من جهة أخرى،وكذلك الشيخ يحبه من جهة، ويبغضه من جهة أخرى.

هؤلاء الشيوخ يريدون منكم أن تكونوا نسخا مكررة عنهم ، لا يريدونكم أن تتفوقوا عليهم في العلم لتتقدم الأمة،فإن التكرار يدل على استقرار الحال على ما هو عليه و الأفضلية تدل على الحركة إلى الأمام، تدل على التطور، وكما يريد الأب لابنه أن

يكون خيرا منه،يريد الشيخ لطلبته أن يكونوا خيرا منه ليس من باب الإيثار فإنه لا إيثار في العمل الصالح ولكن لعلمه أننا أبعد ما يكون عن حقيقة هذه الأمة التي أرادها الله لها، و أنها لن تقترب من الغاية المقصودة بها ومنها إلا بأن يكون اللاحق أفضل من السابق .

لقد أحسن بعض الناس الظن ببعض الشيوخ لأبَّهة العلم فلما تعلَّموا عدوهم من العَمِينَ،ومن لم يكن له نصيب من عقل راجح يُعمله في المتشابه ،ودين يُحي فيه واعظ نفسه، قاده حسنُ الظن إلى مهلكه و عطَّل فيه ميزة العقل، ونعمة إعماله.

مرجعية الأزهر

من المسائل العلمية الدقيقة التي بحثها القرافي وابن القيم تقسيمهم لحكم النبي صلى الله عليه و سلم إلى حكم صدر عن صفة النبوة وحكم صدر عن صفة الحاكم .

وقد خاطب النبي صلى الله عليه وسلم ملوك الأمم قياصرة وغيرهم بخطاب يليق بمنصبهم فقال في رسالته إلى قيصر: إلى قيصر عظيم الروم ،و كان ينزل الناس منازلهم وكذلك فعل ابن تيمية مع ملك قبرص النصراني.

فالخطاب السياسي يختلف عن التدافع الفكري وله اكراهات وشروط و متطلبات لو نزلت الدول إلى مستوى الفهم الضعيف الذي يظهر عندما ننتقد كلمة الشيخ صالح آل الشيخ عن الأزهر لما قامت علاقة مصلحة .

والأزهر مرجعية لأهل السنة حقيقة بحسب ما تدل عليه هذه الكلمة عند من يتخذه مرجعا،وقد كان مرجعا لهم طيلة قرون طويلة فإن لم يكن مرجعا لهم في مسائل العقيدة(السلفيين فقط) فقد كان مرجعا لهم في الإمامة و الأحكام وغيرها.

أزمة السياسة عند الإسلاميين

بسم الله الرحمن الرحيم

عندما نتحدث عن العمل السياسي يجب ضرورة إخضاع التجارب السابقة للتقييم الموضوعي،فإن لم نجد حالة واحدة ايجابية يصبح التأصيل لهذه الضرورة تنظيرا ، ومثله لا ينفع في شيء، ربما يجب الابتعاد عن السياسة مدة زمنية لأننا غير مهيئين

ثقافيا للكلام عنها فضلا عن ممارستها حتى يقوم أهل العلم و الفكر بدورهم (بتأصيلات معمقة وليس مجرد فتاوى هي أقرب إلى الآراء و التقديرات الخاصة) ،لأن المشكل ليس في التأصيل الشرعي فهي مسألة اجتهادية لكن في واقعها و حقيقتها.

الإشكال في العمل السياسي عند الإسلاميين بنيوي لا تحسمه الكتابات الفقهية السطحية ،لأنها أولا مسألة اجتهادية تدور مع المصلحة، فليست مما حكمت فيه النصوص بحكم قطعي واضح،و المصلحة يعرفها من تخصهم ويعرفون أحوالهم السياسية وغيرها.

و ثانيا: لا يمكن أن نحسم هذه المسألة وقد سجنا مستقبل الأمة داخل اجتهادات قديمة أو جديدة ،فعندما أرى السلفيين يحاولون الفصل في مسألة العمل السياسي بالعودة إلى فتاوى الألباني و ابن باز ـ رحمهما الله ـ اعتقد إن الإشكال عندنا أعمق بكثير من مشكلة العمل السياسي في حد ذاتها، فأولا: هذا يرفع الشيوخ إلى مصف النص و الرسالة، و فتاويهم و إن زعم فريق أنها كانت في قضايا معينة فإن ذلك يعني أنها اجتهادية تتبع المصلحة، ولا تقليد في معرفة تحقق المصلحة من عدمه،فالأحكام مثل هذه تتبع المصالح،و المصالح المتعينة لا نستخرجها من الفتاوى بل من الواقع، وما كان يتبع المصلحة لا يرتقي في التقعيد التأصيلي إلى درجة نحكم بها على قضايا لم يعرفها الشيوخ و استحدثت بعدهم بفتاويهم في قضايا أخرى لأن فتاويهم كانت في أحداث سياسية معينة ولم تكن قضايا دينية عامة فلا يجب أن ننزلها منزلة العموم ونقيس عليها في الجواز أو في المنع.

الرجوع إلى فتاوى الشيخين لا يكفي أبدا لتفسير التحولات الكبيرة التي طرأت على الأمة و تزايد التجانس السياسي سواء أخذنا بها للمنع أو للجواز، و الأولى بنا أن نخرج من هذا النظر القاصر إلى نظرة علمية كاملة.

قلتُ بأن العمل السياسي مشكلة بنيوية في الفكر السياسي الإسلامي لأن فكرنا السياسي جزئي أو لم يخرج من النظرة الجزئية للموضوع،و يريد ـ بالنسبة لأنصار العمل السياسي ـ أن ينفتح على ثقافة سياسية ذات نسق شمولي تستهلكه بسهولة و تحيط به، والإشكال ليس في التأصيل الشرعي و لكن شروط التجربة الواقعية التي غلبت عليها السلبية لأنها لم تكن تملك مخططا للتحول التدريجي، و قصدت هرم

السلطة رأسا يعني قصدت الحكم ولم تقصد الإصلاح التدريجي.
وإذا لم يستطع المانعون من العمل السياسي التحلل من روابط اجتهادية ثقيلة تمنعهم من تحقيق المواكبة لتحديات عصرهم لا يمكنهم أن يحسموا مسألة العمل السياسي بفكر كامل ونهائي،فإن الامتناع المطلق والحكم بالورع لا ينفع في مثل هذه القضايا.
لكن في الوقت نفسه يجب على أنصار العمل السياسي أن يكونوا واضحين في هدفهم، لا يسمحون للقوى المختلفة أن تفرض عليهم معاييرها السياسية و الثقافية لتحقيق مخططتها بهم، كالتفريق بين العمل السياسي لتحسين ظروف الدعوة و البقاء في السباق للحفاظ على مسافة تحكُّم من الخصوم ، وبين العمل السياسي للوصول إلى السلطة، الأول ممكن بل وضروري في نظري، و ضريبته صغيرة يمكن احتمالها ، ولا يحتاج إلى حشد الجماهير و مخاطره يمكن إدارتها و الحد من تأثيرها ،بينما الثاني انتحار في رابعة النهار.
وموقف السلفية من العمل السياسي موقف دفاعي فالسلفية لا تملك حلا بديلا،ومشروعها دعوي محض لا يمكن أن يكون بديلا سياسيا، ومن يظن أن الدعوة بديل عن السياسة سيجد نفسه في كل يوم يتأخر إلى الخلف لأن السياسي المعادي سيهمشه فضلا على أن يكون بديلا نابعا من خصوصيات الثقافة الإسلامية،فباستثناء فترات حكم الخلفاء الراشدين لا تشكل أنظمة الحكم الأخرى نموذجا شرعيا ،وتعامل أئمة السلف معها كان من باب التعامل مع الواقع(الضرورة) وليس تشريعا لها.
ولا يمكننا أن نكون حلا في وطن جرَّب كل الحلول اليسارية و الليبرالية بإخفاق كبير دون أن نحافظ على هويتنا و ثقافتنا يعني على أصالة الحل الإسلامي الذي يظل شرطا أسياسيا لكل عمل سياسي نقوم به، هنا أخالف و أخاف من الإسلاميين السياسيين الحالين لأني أجدهم تحت وطأة الحاجة و الاكراهات لا يعودون إلى الأصل بل يتقدمون نحو الغرب.
و التوليفة الصحيحة هي إيجاد التكامل الثقافي و الاستراتيجي: أنا في الدعوة و أنت في السياسة بشرط أن لا تكونَ أحزابا متعددة وتكون أهدافك محددة مسبقا، لكن مع التفريق بين التضامن الخاطئ حينما تطلب مني التضامن معك في قرارات لم أشارك فيها أو أرى أنها خاطئة تضرني، و التضامن التكاملي في الانتخابات .
كما نحتاج إلى علماء مفكرين لا ينخرطون في السياسة يكون دورهم صياغة

المشروع يأخذون البعد الضروري إزاء الأحداث السياسية و الجماعات الإسلامية التي تعاني حاليا من ارتباطات منهجية عدوانية اتجاه بعضها بعضا.

فالتجربة السياسية الإسلامية لا يجب أن تبتر من جذورها الإسلامية وتصبح مسخا من ثقافة سياسية غربية وضعت لأهداف الهيمنة فتصبح حدثا عارضا في تاريخ الشعوب،فالفوضى إستراتيجية غربية،وهي وسيلة للهيمنة النهائية كما في الاقتصاد : البطالة ليست مشكلة عندهم ولكنها بالنسبة لهم من الحلول الكبرى يفتعلون الإفلاس للاستيلاء على البلدان فالفوضى في السياسية مناورة وقناع .

صوروا لنا الديمقراطية الليبرالية على أنها أرض الميعاد كما يقول فوكياما بينما هي جهنم القيم ،و لنطرح على أنفسنا هذا السؤال: لمَ أرقى دول العالم في التنمية هي أيضا أنجحها في مضمار الديمقراطية؟

ولماذا حققت بعض الدول تنمية سريعة وقوية بدون ديمقراطية؟

الحديث عن السياسة قد يكون من الوجهة العلمية فيكون خاضعا لمقاييس العلم و شروطه، وقد يكون من الوجهة العملية،أي حقيقته الباطنة بعيدا عن النظرة الفلسفية للفكرة، و التي تستوجب البحث في التاريخ، و تتبع المسالك الاقتصادية و الاجتماعية الثقافية للسياسة و إلا كان وسيلة للضياع، ومع احترامي الكبير لكثير ممن كتب في هذا الموضوع أرى أنه خاضع لبريق الواقع الجاذب نحو السياسة دون وعي حقيقي بمتطلباتها،فممارسة السياسة يجب أن تكون مقرونة بوعي كبير بالجيو سياسي.

عندما أنظر في المقالات التي تناولت ما يسمى بـ"الربيع العربي" يذهلني غياب التحليل العميق ـ عند أهل السنة ـ للثورة الشيعية(الخمينية) و أسباب نجاحها ،هل كانت بسبب ظروف نهاية السبعينيات،أم إستراتيجيتها التي أخذت بكل أسباب نجاح الثورة كأنها درس في علم الاجتماع السياسي.

فنحن نعلم أن الثورات العربية لم يدعو إليها الإسلاميون ولم يكونوا قادتها، و لذلك كانوا أول ضحاياها، بينما في إيران كانت الثورة جذرية اقتلعت النظام السابق من جذوره، و تجاوزتها إلى التربة التي كانت تحتضن هذه الجذور،و الملالي هم من نظَّر لها ونظَّمها لسنوات طويلة ،هذا هو الفرق بين الثورتين، وبين الفكرين الثوريين.

لذا استغرب من بعض الدعاة عندما يتحدثون عن ثورة تخدم أغراض التغريبيين ولا تخدم الدين، ولم تكن من أجل الدين لا ينتبهون إلى شروط ثورة قامت لتمكن للدين

(عند أصحابه) كما في إيران،غيرت مسار التشيع ووضعيته في العالم، ثم لم يدركوا أننا لسنا بحاجة لها إذا فقدت هذا الشرط، ولن تخدمنا في شيء، وستكون أحوالنا فيها أسوأ مما كانت عليه،وهي كذلك.
لا أقول هذا من باب تزيين الثورة فأنا ضدها كلية لكن من باب التقييم داخل فكر الثوريين أنفسهم.
و الخلاصة أن الصواب يتردد بين الموقفين، حذر المانعين وشعور المجيزين بالضرورة، و المطلوب توليفة تجمع بينهما،كما يجب التفريق بين ذم الديمقراطية و بين ذم العمل السياسي.

التخندق في حروب فرسان الريح مع طاحونات الهواء.
الحزبية في الجماعات الإسلامية ضاربة بجذورها إلى أعماق باطنهم كلهم بدون استثناء،و العصبية فيهم لا تقل عن عصبية أية طائفة معروفة بالتعصب و النعرة المذهبية ،وكلهم قد تخندق في فكره، ولا يوجد بينهم أي خط تواصل،وهم تكتلات داخل الجماعة الواحدة، و أحيانا على أسباب تافهة فأكثر هذه التكتلات من أجل أشخاص أو على حساب أشخاص،و الحال هذه لا نفع من الكتابة ولا من الردود ولا من المراجعات و النقد إلا بالنسبة لفئة قليلة متحررة من الشباب تخطت حزبية الانتماء.
و الظاهر أن الذين انصرفوا إلى أمسيات الشعر ووعظ العوام قد أدركوا مبكرا صعوبة تحرير العقول المتكلسة من هواجسها.
فلشبابنا المتحررين من الانتماء إلا إلى الدليل الذين أعتقد أنهم آمال هذه الأمة نسهر الليالي الطويلة نفكر في أسباب الأزمة ومقومات الحل الأمثل.
أسر الفرضيات الجاذبة و النظريات الجَزرِية

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله وحده،و الصلاة و السلام على من لا نبي بعده.
أما بعد؛فإننا كثيرا ما نبني نظريتنا في الإصلاح من منطلق الموضوع المهيمن على الجماعة أو التيار الذي ننتمي عليه،فمنا من ينظر إلى كل شيء بمنظور الجرح و

التعديل وبعض الجمل في الفقه السياسي،ومنا من ينظر إلى هذا العالم بكل مكوناته وتناقضاته بمنظر المسألة العقدية المهيمنة على أدبياته الدعوية ،وكل واحد يصوغ نظرته عن الإسلام وما يجب أن يكون عليه،و الأمة وطرق إصلاحها،و الصراع مع الثقافات المعادية وكيف يدار وهكذا من مطلق فكرته المركزية التي هي وسيلته الوحيدة لتحليل الأحداث و الظواهر.

وفي المحصلة سنجد أن كل واحد منا يعيش داخل نظريته كمن يعيش من أخرجه البحر إلى جزيرة نائية لا يربطها باليابسة أي طريق فهو عالم خيالي افتراضي فقد نقاط الاتصال بالعالم الخارجي تجذبه النظرية لأنها مزينة بالأدلة الشرعية التي يخضِع تفسيرها إلى تطويعه .

فالعلاقة مع الواقع تمر عبر نظريته فقط، لا يوجد شيء آخر يدخل في تركيبة التحليل فهو مأسور داخل نظريته تجذبه لأنها تتحول بالاستحسان الشخصي و القناعة الذاتية الخاضعة إلى العاطفة وسطوة الانتماء إلى فرضية للحل النهائي لمشاكل الأمة، كل مشاكل الأمة.

وقد كان من المفروض أن يُقيِّم نظريته أولا فينظر في المسالك(نقاط الاتصال و الروابط) مع المجتمع،مع السياسة،مع الطوائف و الجماعات الأخرى،مع العالم المعادي،وخاصة مع التاريخ،أي يسأل نفسه: لمَ يعجز عن تسويقها لغيره بالصورة و النسبة التي من المفروض أن تكون للحق؟

ما عمر نظريته؟ وكم عاشت في التاريخ؟

وهل يبحث بها عن حد الإجزاء كما يقول الفقهاء أم كمال العمل لأن بين القصدين فرقا شاسعا؟

و ما القيمة العلمية للمقارنة التي أجراها بينها وبين غيرها من نظرية الإصلاح الديني و السياسي و الاجتماعي؟

وهل سأل نفسه عن أسباب انتشار المذهب الأشعري مثلا؟

باختصار لا يمكنك أن تنظر إلى العالم من داخل نظريتك عليك أن تخرج منها وتنظر إليها من أعلى، إلى تاريخها،إلى نقاط اتصالها بالنظريات الأخرى، بالمجتمع، بالسياسة،و خاصة بالواقع ، يعني حيث كانت الفرصة مواتية لتطبيق نظريتك ما الذي برز و نتج عنه؟

هل نجحت في إحداث التغيير الذي كنت تتوقعه أم أنها اصطدمت بواقع لم يكن في الحسبان،يعني ما نسبة الايجابية و السلبية فيها؟
باختصار شديد: لا يمكنك أن تعزل نظريتك كأنها جزيرة عن التاريخ الفكري و الاجتماعي و السياسي للمسلمين.
لا يمكنك أن تستهدف حالة لم تدم في التاريخ الإسلامي أكثر من ثلاثين سنة دون مراحل تسبقها تبدأ بها فالسقوط كان تدريجيا وكذلك العودة تكون.
لا تنقض النظريات المخالفة بفكر غيرك فهذا يدل على عجز نظريتك.
إذا عجزت عن إقناع العدد اللازم لكل فكرة لتكون ناجحة ففي نظريتك خلل وليس في الناس.
لا يمكنك أن تعزل جزءا من المجتمع عن النسق العام و تكلفه بما لا تكلف البقية به،فأطراف المجتمع صورة لبعضهم بعضا.
هذا موضوع البحث القادم ـ بعد شهور ـ يناقش النظريات الجاذبة عند الإسلاميين قيمتها العلمية وحقيقتها الواقعية.

كل نظرية إصلاحية لم تثبت جدارتها في الواقع فهي مجرد فرضية.
لا يزال الشباب رهن الأحداث فإن أصاب خصومه خطب جزم أن فكرته صحيحة، و إن منَّ الله عليهم بشيء من خير حزن لأن في نصرتهم هزيمة فكره،وما هكذا تقيم صوابية الفكرة من خطئها بل ما تنتجه كل فكرة بسببها الخاص من خير تزعم أنها السبيل إليه هو ما يجعلها صوابا أو فعالة.
فالمشكل بالنسبة لكل من لم يقدر على الخروج من باطن نظريته إلى النظرة الشاملة لكل مكونات الأمة الثقافية و الاجتماعية و السياسية، وكيف يمكن إيجاد نوع من الدينامكية التفاعل الايجابي بينها في نفس الاتجاه أنه لم يعرف أين موقع المعركة بعد فهو كمن غُرس سيخ في رأسه و يعتقد أن مسمارا أنغرز في قدمه،يعني حتى خاصية الشعور بالألم في موضعه انتزعت منه.
و المقصود أنه يجب على الشباب الفاهم أن يكونوا خارج دوائر الانتماء فإن كانوا من حملة العقيدة الصحيحة فذاك أفضل المطلوب،لكن لا يجب أن تستلزم العقيدة الصحيحة عندهم الانتماء إلى جماعتهم ،أو التبري من بقية المسلمين الداخلين في

دائرة أهل السنة لأنهم يعرفون أسباب الاختلاف الفكري المختلفة العلمية التاريخية السياسية و الاجتماعية، و لأنهم لا يمكنهم بناء الأمة بدون البقية،
فالخروج من دوائر الانتماء ليكون خطابهم عاما،و الخروج من داخل النظريات الخاصة بهم لينظروا لها في مكانها الحقيقي ضمن بقية النظريات و المجالات المرتبطة معها فتسمح لهم المسافة من النظر إلى المجموع بحيث يعملون على تحرك الجميع في نفس الاتجاه لأن تخلف مجال واحد يكبح الكل.
فهذا هو إشكال النظريات الإصلاحية الحالية لم تخرج من الجزئية ظنا منها أن نظريتها الجزئية كفيلة بتحقيق ما تصبو به الأمة بدون بقية مكونات الأمة و بقية المجالات.

مشكلة التفاهم

من أبرز ما نلاحظه على التخاطب الإسلامي مشكلة التفاهم، يعني أن المخالف يقرأك بفكره هو،و الكلام مهما كان صلبا في معناه يمكن تطويعه كالعجين، و الشرط الوحيد لفهم كلام المخالف هو النية الصادقة التي تفرض التجرد و الموضوعية.
و لست أدري أهو مشكل اختلاف المستويات الثقافية ودرجة الانضباط بالاصطلاح في هذا العالم الرقمي،أم مشكلة جوهرية في طرق التفكير السليم، و أننا لا نملك أية آلية منهجية تضبط التفكير لتسلم نتائجه ، على الأقل أن نفهم كلام غيرنا.
فبعضهم لا يفرق بين كلامك الاستشرافي عن حالة غير موجودة الآن تهيأ للقادم، و آخر ينسب إليك شيئا لا أثر له في كلامك، ومع أنك تعتني بوضع القيود و القرائن في كلامك حتى تكاد الجمل الاعتراضية تذهب بتسلسل و ترابط الكلام الأصلي يأبى بعضهم إلا أن يطوع كلامك على حسب الإشكالات القديمة بينه وبين غيره من الجماعات، يعجز عن أن يفهم أن هذا الطرح لا يوجد عند أية طائفة مما سبق له مصارعتهم، و بالتالي اعتراضاته في غير محلها و قاصرة عن أن تبلغ الطرح الجديد.
وهكذا نحن نفكر دائما بأن الآتي سيكون صورة مكررة عن الفائت سواء في الضربات التي سنتلقاها من عدونا،أو في ضرورة تطوير ما عندنا نتكرر باستمرار مقتنعين أن ما عندنا هو الصورة النهائية لأقصى درجات الفكر الإسلامي الصحيح.

عندما يصل الاعتراض درجة أنه يخاطب نفسه،و يبلغ مستوى من التسطيح و البساطة لا يمكن التفاعل معه،و الأولى آن تقول لنفسك ليس هؤلاء من خاطبتُ.
و إذا كانت المادة العلمية (بعضها) عند بعضنا جيدة يعني موثقة و أصيلة لكن طرق توظيفها في التفكير عليها ملاحظات في منهجية التفكير، لنسأل: هل نقرأ بالاستقراء، و نحلل بالسبر و التقسيم؟
فكيف يكون الكلام علميا إن لم يكن وفقا لقواعد التفكير العلمي الإسلامي؟
أظن انه قد أصبح من أوكد الواجبات على طلبة العلم أن يدرسوا قواعد أصول الفقه و قواعد الحدل الإسلامي ليتعلموا طرق التفكير العلمي الصحيحة لأنه بصدق كلامنا كلام عوام بلغة عربية

ضرورة تجديد العلم و تطويره
حكم المصطلحات المتجددة نموذجا

بسم الله الرحمن الرحيم

لاشك أن العمل الإسلامي الحالي ـ في غالبيته ـ يتسم بالغوغائية، ولاشك ـ أيضا ـ أننا نعاني من مشاكل التواصل العلمي، من قلته أو انعدامه إلى فقدانه لشروط التخاطب العلمي السلوكية و الفكرية.
و السؤال: ما الذي يمنعنا من حوار حي واسع مفتوح على مختلف المستويات و القضايا، حقيقي لا تزيفه المجاملات،وواقعي يبحث مشاكل العصر وليس مشاكل التاريخ،يتقدم بحسب ما يستجد من فهم وحقائق علمية تنكشف لكل طرف ،يعيد النظر في السؤال التالي:
هل يمكن أن تنجح الدعوة بغير شكلها الشامل؟
ويعمل على تجديد ثقافة إسلامية تشيع الفهم السليم المتكامل، تجمع بين الفهم الأصيل للدين و الفهم الجديد المتكامل للواقع بمختلف التخصصات الضرورية، تتجاوز أزمة التفكير الحالية من خلال إرساء قواعد التفكير الإسلامية الصحيحة،و تضع في الحسبان خصوصيات كل بلد، و تخرج بتقييم أمين لمختلف ساحات الدعوة و

التحديات المواجهة، تعيد البناء الدعوي و تتجاوز الاضطراب الحالي.
لماذا يجب علينا تطوير فكرنا:
هناك معرفتان أو نوعان من المعرفة، معرفة أهل العلم التي يستخلصونها بعد البحث العلمي المنهجي ومعرفة العوام التي تأخذ الأشياء كما تعرض لها دون دراية بطبائعها و أسبابها، فالأولى يصح تسميتها المعرفة العلمية و الثانية يصح تسميتها بالمعرفة العامية.
و المعرفة العلمية هي التي تقود إلى التغيير و الإصلاح، لأنها تقود لقبول الحق مهما كان قائله، بينما المعرفة العامية لا تقود إلا إلى التعصب، فمتى وجدت التعصب دلك ذلك على أنها معرفة عامية، و التعصب هو الإفراط في الحرص على مناصرة المذهب و الجماعة و القول، و مناهضة ما سواه.
و عليه تبين لنا ضرورة البحث عن المعرفة العلمية، و الحد من انتشار المعرفة العامية بين الناس خاصة بين طلبة العلم و أهل العلم أنفسهم، الذين ينصرون قضايا لا يملكون عليها أدلة صحيحة و دقيقة بل هي مما تلقوه من غيرهم، وقد تكون هذه القضايا صحيحة و شرعية لا غبار عليها، ولكن ذلك لا يمنع أنها معرفة عامية، لا يمكنها التغيير و الإصلاح إلا إذا أضحت معرفة علمية، و المعرفة العلمية هي التي تقوم على البرهان و الصحة العلمية، لا التقليد أو التسليم أو حسن الظن.
و المعرفة لا تحصل بمجرد العبارة عنها إلا لمن يكون ذاق الشيء المعرف إدراكا و بحثا و استنباطا، فلا يعرف الشيء إلا من خبره، و لهذا كان المسلمون قديما يسمون الأئمة العباد الذين يتكلمون على المقامات و الأحوال في علم السلوك "أهل المعرفة"، لأن ما عرفه غيرهم بالخبر و النظر عرفوه هم بالذوق و الوجد الذي هو نوع من التجربة الداخلية.
ولست أقصد هنا بالدرجة الأولى التفكير العلمي الذي هو تفكير العلماء بالضرورة الخاضع للتخصص ولغة علمية اصطلاحية خاصة، لأنه قد يكون التفكير علميا لمراعاته لبعض القواعد البسيطة كأن يكون منظما مبنيا على مجموعة قواعد، بعيدا عن العفوية ورد الفعل، مثل: قاعدة التفريق بين المختلفات و الجمع بين المتماثلات،أو استحالة تأكيد الشيء ونقيضه في آن واحد،وأنه من المحال أن يحدث شيء من غير سبب.

والمقصود هو أن تكون عقليتنا علمية، وهي العقلية المتخلصة من الأحكام المسبقة،تتحقق من كل معطى بعيدا عن العاطفة،و تعرف الجمع بين المعطيات المختلفة.

فالمشكل فينا لحد الآن أن تفكيرنا خاضع لأنظمتنا الاجتماعية، و الواجب أن يكون متحررا منها كما يقال عن بعض العلماء: "جاء في غير وقته"،"في غير زمانه"،"سبق زمانه"،لأنه تحرر من قبضة النظم الاجتماعية المسيطرة على الفكر بخاصيتين: العودة إلى المعين، و الاستفادة من المجهود البشري الصحيح خاصة للنقض.

ففي بعض النظم الاجتماعية التي مرت بها الأمة كان إقرار مبدأ من مبادئ العلم كالاجتهاد و التحرر من حدود المذهب مثلا معركة ضخمة مات لأجلها بعض العلماء أو سجنوا.

عندما قال معمر : "من طلب العلم جملة فاته العلم جملة ،إنما يدرك العلم بالحديث و الحديثين"كان قصده أن العلم تراكمي،ولاشك أن من يعرف ألفا أعلم ممن يعرف عشرة،و خاصية التراكم في العلم تعني التوسع و التدقيق كما تعني التطوير ، وقد مثله بعضهم بالبناء كلما شيد طابقا فوق طابق انتقل إلى الطابق الأعلى، و أصبحت الطوابق السفلى مجرد أساس يرتكز عليه البناء.

فقد تحل النظريات العلمية الجديدة في محل القديمة فتنسخها كما في العلوم المادية،لكن في الغالب خاصة في العلوم الإسلامية لا تكون الجديدة بديلا عن القديمة تلغيها، ولكن نظرية متجددة توسع القديمة و تكشف لنا أبعادا جديدة لا تستطيع القديمة تفسيرها أو التعامل معها،فالقديمة تعمل لحساب الجديدة وهي جزء منها لكن الجديدة هي الواجهة لها، فالتجديد هو إضافة الجديد إلى القديم بحسب ما ينكشف لنا.

وعلى هذا الأساس لابد أن نفهم أين تكمن الشبهة في الجامدين على العجز وعدم الكفاءة في نقل السنة إلى مستويات متطورة في الخطاب الدعوي بحسب الحاجة لتهيمن على الفكر المعاصر تحت ذريعة التمسك بما كان عليه السلف.

الفرق بين الدَّليل و الشُّبهة

يعتقد بعض النَّاس أنَّ كلام العلماء كله محكم لا يوجد فيه متشابه، فينقلون منه ما يقع تحت أيديهم موافقًا لشيء من فهمهم و تصوُّرهم على أنَّه حجَّة، أو قال به عالم كبير.

ولم يفطنوا أنَّ العلماء قد تشتبه عليهم بعض الأمور فيفتون فيها بالتَّقليد، أو يتوقَّفون فيها،أو يتردَّدون بين جوابين، أو يجيبون جوابا غير صحيح.

قد تكون الشُّبهة علميَّة،وهي الشُّبهة القياسيَّة النَّاجمة عن قياس مع فارق لم ينتبه إليه القائس،وقد تكون شبهة أدبيَّة ناجمة عن تشابه بين اللَّفظين،أو الوقوف على دلالة لفظيَّة حاقَّة، أو على معنى اصطلاحي متجدِّد، أو عن ربط الشَّائع الفاسد بالأمر في حقيقة نفسه، فيرى ـ مثلا ـ جُلَّ ما يُسمَّى بالفكر الإسلاميِّ عبارات عن تمحُّلات، أو محاولات للانفلات من الواجبات الشَّرعيَّة، أو من جنس التَّأويل المنفلت الذي لا ضابط له، فيحكم على الكلِّ بالفساد،أو لأنَّه لم يعرف العلوم المختلفة، ولم يدرك حقيقتها ،وأنَّ كثيرا منها إذا ما أحسن استغلاله يُعضِّد الشَّريعة و يخدمها.

وقد تجمع الشُّبهة بين كونها قياسيَّة وأدبيَّة معا ،كما هو حاصل للمتأخِّرين الحصَّة الكبرى من خلافهم عبارة عن ممحاكات و منازعات لفظيَّة مبنيَّة على شُبه قياسيَّة تزداد حدَّة بالوقوف عند المعاني بفهم متعارض، وهذه أكثر ما تكون في الاعتراض المبني على الانطباعات الأوَّليَّة التي تسبق التَّفكير.

عندما نصفُ كلاما (ما) بأنَّه شبهة ماذا نقصد ؟

هل هو تعبير عن رسوخ علمنا، وثباتنا على الحقِّ الظَّاهر الواضح، وأنَّ قائله صاحب هوى أو جهل؟

هل هو تعبير عن التباس الحكم الشَّرعيِّ علينا، وعدم اتِّضاحه، وأنَّ التَّعارض بين الأدلَّة،و الوهم ،و التَّشابه بين المسائل من بعض أوجهها، و اختلافها من أوجه أخرى، هو ما جعله شبهةً عندنا، لا عند قائله؟

فهل هذه الشُّبهة ناجمة عن خفاء الأدلَّة أو تعارضها ظاهرا ،أم سببها الخطأ في مناط الحكم ومحلِّه لتعارض الأصول، ومراتب الأدلَّة، وظنِّيَّتها وقطعيَّتها ،أم هي تعبيرٌ عن جهلنا، أو غفلتِنا، أو قلَّة بضاعتنا ؟

ذلك أنَّ صفة الاشتباه إمَّا تكون في الدَّليل، أو في محلِّه، أو في رأس المتلقِّي.

قال ابن القيِّم في(مدارج السَّالكين) (3/299) : ((فَإِنَّ الشُّبْهَةَ هِيَ اشْتِبَاهُ الطَّرِيقِ عَلَى السَّالِكِ، بِحَيْثُ لَا يَدْرِي أَعَلَى حَقٍّ هُوَ أَمْ عَلَى بَاطِلٍ؟))

فقد يكون الكلام شبهة في نفسه بمعنى أنَّه ملبس غير واضح، وقد تكون الشُّبهة في تلقِّي المستمع وليس في الكلام، وهذه نسمِّيها "شبهة نسبيَّة "بحيث تكون عند أحدهم،

ولا تكون عند الآخر.
وبيان الشُّبهات و تجليتها، وكشف حقيقتها هو أهمُّ وخير من بيان الأصول الواضحة ذلك أنَّ الالتباس هو أصل الضَّلال و الخطأ و الانحراف عن المقاصد الشَّرعيَّة.
ومن هنا؛ فإنَّ حكم الاشتباه هو: إزالته بكلِّ الطُّرق الممكنة ،فيلزمنا عند حدوث الاشتباه التَّوقُّف و الإمساك عن الأمر، كما جاء في الحديث الصَّحيح ((فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ، كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ.))
قال الخطابي: ((الواجب على من اشتبه عليه أن يتوقَّف و يستبرىء الشَّكَّ، ولا يقدم إلاَّ على بصيرة)) (معالم السُّنن)(3/625).
ثانيا: البحث عن إزالته من خلال سؤال أهل العلم، وبالنِّسبة للعلماء من خلال الاجتهاد في معرفة الحقِّ وردِّ الشُّبهة.
ثالثا: إذا عجز عن إزالة الاشتباه أخذ بالأحوط، وراعى اختلاف العلماء في ذلك
قال ابن القيِّم: ((إذا اشتبه المباح بالمحظور، وكان له بدلٌ لا اشتباه فيه انتقل إليه وترك المشتبه فيه،وإن لم يكن له بدل ودعت الضَّرورة إليه اجتهد في المباح و اتَّقى الله ما استطاع)) (بدائع الفوائد)(3/258).
و الخلاصة: يجب أن نفرِّق بين الشُّبهة الحقيقيَّة وبين الشُّبهة النِّسبيَّة، كما يجب أن نتعلَّم كيف نتصرَّف مع الشُّبهات وليس الفرار منها، أو اتِّخاذها ذريعة لاجتناب الاجتهاد في المسائل العلميَّة أو النِّقاش حولها.
في الأخير وهو الأهمُّ في كل هذا:
من عرف ماهيَّة الدَّليل، ونوعه، وشرطه، عرف الشُّبهة، لأنَّها كلُّ شيء شابه الدَّليل، وليس في الحقيقة بدليل.
وللدليل قوانين منها:
1- ما يعجز عن رد المعارض فليس بدليل:
الدليل لا يتمّ إلاّ بالجواب عن المعارض؛ فالأدلة تشتبه كثيراً بما يعارضها، فلا بُدّ من الفرق بين الدليل الدالّ على الحقّ، وبين ما عارضه؛ ليتبين أنّ الذي عارضه باطلٌ.
فالدليل يحصل به الهدى وبيان الحق، لكن لا بد مع ذلك من الفرقان؛ وهو الفرق بين ذلك الدليل، وبين ما عارضه.

فالفرقان يحصل به التمييز بين المشتبهات، ومن لم يحصل له الفرقان كان في اشتباه، وحيرة.

2 ـ الدليل يجب طرده، لا يجب عكسه ـ في بعض مؤلفاته: "فمن المعلوم أنّ الدليل يجب طرده، وهو ملزوم للمدلول عليه؛ فيلزم من ثبوت الدليل ثبوت المدلول عليه، ولا يجب عكسه؛ فلا يلزم من عدم الدليل عدم المدلول له.

يعني أن الدليل مستلزمٌ للمدلول، لا يكون دليلاً حتى يكون مستلزماً للمدلول؛ متى وُجِدَ وُجِدَ المدلول، وإلاّ فإذا وُجِدَ تارةً مع وجود المدلول، وتارةً مع عدمه [فليس بدليل] الدليل هو مستلزمٌ لمدلوله، لا يجب أن يكون أعمّ وجوداً منه، بل إما أن يكون مساوياً له في العموم والخصوص، أو يكون أخصّ منه. الدليل لا يكون إلاَّ مستلزما للمدلول عليه مختصاً به، لا يكون مشتركاً بينه وبين غيره؛ فإنّه يلزم من تحقّقه تحقّق المدلول. وإذا [انتفى] المدلول انتفى هو؛ فما يوجد مع وجود الشيء، ومع عدمه، لا يكون دليلاً عليه، بل الدليل ما لا يكون إلاَّ مع وجوده.

3 ـ ليس من شرط الدليل استدلال أحدٍ به، بل ما كان النظر الصحيح فيه موصلاً إلى علمٍ، فهو دليل، وإن لم يستدلّ به أحدٌ. (النبوات) بتصرف.

4 ـ مما يعلم به الدليل السبر و التقسيم.

الموضوع:

بعض الناس صاروا يؤصِّلون تأصيلات فاسدة ما أنزل الله بها من سلطان، وينسبون للسلف الكلام بدون علم،فمن يحرّم التكلَّم بلفظ دون أن يعرف معناه،ويعرف مخالفة هذا المعنى للمعاني الشرعية فقد زعم عليهم أنهم يتكلّمون بدون علم.

ومن زعم على السلف أنهم ينهون عن اللفظ بدون أن يعرفوا معناه،وبدون أن يدركوا مخالفته للكتاب و السنة ، فهؤلاء ينفون التعطيل(التفويض) جملة ويثبتونه تفصيلا.

فلا يفرق بين ما يلزم المتكلمين لإثباتهم العقائد بأصول عقلية باطلة، وبين المثبت للعقائد بالكتاب و السنة و الأدلة العقلية المستنبطة من الكتاب و السنة، لا بالأدلة العقلية المجردة و الصحيحة .

فلا يفرق جهلا أو عمدا بين نقض الكلام بسلاحه في الدرجة الثانية بعد نقضه بالكتاب و السنة لحاجة المخطئ في العقيدة إلى ذلك ،وعدم اكتفائه بالنصوص بسبب شبه تقاوم فهمه لمراد النص، وبين التكلُّم في العقائد بعلم الكلام الفاسد ، فهذا في الحقيقة

في عالم آخر.
فلا يميِّز بين من يبدأ التقرير بنقل كلام السلف المملوء بآيات الكتاب الحكيم و الأحاديث الصحيحة ثم أقوال التابعين و علماء السنة، وبعد ذلك ما يضطر إليه من نقض للقواعد العقلية الكلامية و الفلسفية بمعاول العقل الصحيح الموافق للكتاب و السنة كما هو صنيع ابن تيمية في جميع كتبه بدون استثناء ،وبين من محض جوابه بعلم الكلام و الفلسفة كالمتكلمين و الفلاسفة.
فهذا في الحقيقة ممن يعتقد أن العقل عدو للكتاب و السنة، ومكالمة هذا الشخص كصب الماء في الرمل.
لما كانت السنة وحدها كان الناس يتكلمون بالكتاب و السنة،ثم دخلت البدعة فنهوا عنها ،وحذروا منها ،و نهوا عن مخاطبة المبتدعة و الرد عليهم،ثم انتشرت البدعة فتحولوا إلى مناظرتهم و الرد عليهم فكتبوا الكتب في ذلك.
ثم زاد الشر فغلب على الناس لغة الكلام و المنطق حتى دخل في ذلك أقوام من أهل الحديث و أئمته وتعرفون أسماءهم.
فكان لازما ضرورة تحذيرهم من هذه القواعد العقلية و المصطلحات الكلامية الفاسدة، و بيان ذلك بالحجة و الدليل.
ثم جاء قوم لا يفقهون قولا فحرَّموا مكالمة الناس بلغتهم التي يفهمونها؟
وحرَّموا الرد على المبطلين بأدلة الكتاب و السنة المشفوعة بالأدلة العقلية الصحيحة كأنما فهموا أن القرآن حرَّم استعمال العقول،و الرد بالمعقولات الصحيحة و اللوازم البديهية فنهوا عن بدعة ووقعوا في أخرى
ولما كان هذا الأصل فاسدا كانت تفصيلاتهم فاسدة فلم يحددوا لنا ضابط نعرف به اللفظ المحدث،كأنما جعلوا المحدث من الألفاظ كل لفظ متجدِّد بعد القرن السابع الهجري،وما تكلَّم به قبل ذلك أهل السُّنة فهو شرعي بامتياز؟
فإن كان الأفاضل أصَّلوا أصلا لا نعرفه ،وهو : كل ما لم يتكَّلم به الصحابة أو التابعون من الألفاظ فهو محدث بدعة،فقرنوا بين إحداث الألفاظ و البدعة ؟
ثم هم متناقضون إذا ما تكلم به قدماء أهل السنة لا يعدونه محدثا مع أنه هو كذلك محدث؟
فمن أين لهم هذا التحديد و التفصيل، وليس لأحد أن يدعي التخصيص بدون دليل فما

دليل تخصيص طبقة من المسلمين بحق اتخاذ ألفاظ محدثة؟
وقد علمنا أن المحدث هو ما لم يتكلَّم به الشارع ،ولم يكن من لغة الصحابة، فهل تقسيم التوحيد إلى توحيد الأسماء و الصفات ، وتوحيد الربوبية و توحيد الألوهية ،هل هذه ألفاظ تكلَّم به الشارع و الصحابة.
وهل لفظ "الربوبية" ، و "الالوهية" (مصدر صناعي حديث في اللغة العربية)، و "الصفات الذاتية" ، و "اللازمة"، و "الاختيارية" ،و "الخبرية"،و"قيام الحوادث"، و "الأسماء توقيفية" كذلك لفظ "الحد" ، و "الحركة" ،و"كلام الله غير مخلوق"،و "الكلام النفسي"،و "بائن من خلقه " و البينونة إلزام عقلي، وغيرها كثير، كلها ألفاظ محدثة لم يتكلم به الشارع، و لا الصحابة بناء على قاعدتكم الكلية السلفية(!) : " كل ما لم يتكلم فيه الصحابة فهو بدعة".
فهل استعملوا هذه الألفاظ لأنه وحدهم لهم حق إحداث الألفاظ، أم لأن معانيها صحيحة موافقة للكتاب و السنة ،فهي من قبيل الإخبار و ليس المخاطبة؟
فإذا قلتم : هذه العبارات لها ما يدل عليها من الكتاب و السنة.
قلنا لكم: هذا لا يمنع أنها محدثة، وجاءت في أكثرها ردا على أهل البدع .
كما يلزم من هذا أنكم تقبلون اللفظ الذي دل على معناه الكتاب و السنة ، فيلزم منه حتما أنكم تردون اللفظ الذي يخالف ما دل عليه الكتاب و السنة فما بال تبديعكم باللفظ لكونه محدثا فقط ؟
ثم ما موجب التفريق بين ألفاظ الفقه و الحديث و أصول الفقه و التفسير و علوم القرآن و اللغة و النحو، وبين ألفاظ العقيدة، هل هي علوم دنيوية مثلا؟
فالمحدث هو ما لم ينطق به الشرع، ولا الصحابة فلزم أن كل ما تكلَّم به أهل السنة و لم يتكلَّم به الشرع ولا الصحابة فهو محدث بدعة يجب النهي عنه حسب تفصيلكم؟
فإذا لم يفصِّل أهل السنة هذا التأصيل كان تأصيل هؤلاء باطلا مخالفا للعلم فالشمول و العموم يقتضي تشبيه شيء بشيء بجامع أو بغير جامع.
و التأصيل يقتضي إدراج الخاص تحت العام فأين التشبيه هنا و أين التأصيل؟
فلما أصَّلوا هذا الأصل الباطل، و أرادوا تفصيله انكشف عيب الأصل، و دل التفصيل على فساد التأصيل ،ذلك أنهم أصَّلوا تأصيلا مستلزما لبطلان التفصيل، وفصَّلوا تفصيلا دل على بطلان الأصل، فهذا التناقض بين التأصيل و التفصيل كلما حاولوا

طرده خرجوا عن موجب العقل و البديهة و النقل عن أئمة السُّنة.
إن التأصيل السليم يستلزم التفصيل السليم ، وسلامة التأصيل و التفصيل تستلزم وحدة المنهج حتى يصير الكلام هنا يفسر الكلام هناك ، فلا يختلف كلام الشخص الواحد مع كثرة كلامه لان التأصيل و التفصيل سليمان
فتراه في الحديث يقول لك : "حد الصحيح كذا" ، و له "شروط وجودية وشرط عدمي" ،و"فسق تأويل و فسق اعتقاد"، وهذا "آحاد، وهذا متواتر"، وكل هذا منطق ،و علم كلام.
و يذهب يدرس (شرح قطر الندى) في النحو وهو كله مكتوب بطريقة المناطقة ، ويبدأ درسه بقوله: "الكلام جنس يتناول الاسم و الفعل و الحرف" ، ثم بعد ذلك يقول: التكلُّم بكلمة جنس بدعة محدثة.
ويخرج عليك في درس الفقه فيقول لك : الماء المطلق و مطلق الماء.....
ويستعمل في لغته : "النتيجة"، و "القضية" ، و "الاستدلال"، ،و "المقدمة" ،و"تحصيل حاصل"، و"مصادرة على المطلوب"،و"الحكم فرع على التصور" ، و"قياس دلالة"، وقياس شبه" و"الشرط يدخل في ماهية المشروط"(ويستعمل هذه في العقيدة)
و هذه ألفاظ منطقية بامتياز ،تماما كلفظ " التضمن" و "المطابقة" و "اللزوم" .
و"رسم"و"حد"، "ومانع وجامع".
وعندما يتكلم في أصول الفقه فحدث ولا حرج تجده غارقا في الأصول الكلامية.
و قد وقع النزاع في الإيمان فدخلنا في "شرط" و"ماهية"، و"مطلق" و"مقيد"،و "استلزام" و"شرط صحة" و"شرط كمال" وكلها ألفاظ محدثة أو منطقية.
ويطلب منك مصحف تلاوة ،وهو يعرف أن تشكيل المصحف و تنقيطه محدث، بل عند السلف(عمر) تصغير حروفه بدعة.
وقد يقول لك : تنقيط المصحف جاء لحاجة الناس إلى ضبط القراءة بسبب العجمة.
وينسى حاجة الناس إلى فهم المعاني الشرعية،و ضبط العلوم، و التخاطب فيما بينهم.
ويلزم من كلامه ذم الألباني، و ابن باز، و العثيمين، و الفوزان، و جميع أهل السنة الذين مدحوا (متن الطحاوية) لأن أكثره عبارات محدثة لم ينطق بها الصحابة ، ولا أثر لها في الكتاب و السنة.

فهل قوله مثلا : ((قديم بلا ابتداء دائم بلا انتهاء))هو آية أم حديث (؟!)
وكذلك قوله : ((لا يفنى ولا يبيد)) ،((لا تبلغه الأوهام ولا تدركه الإفهام))،((متعال عن الأضداد و الأنداد))،وقوله : ((وَمَنْ لَمْ يَتَوَقَّ النَّفْيَ وَالتَّشْبِيهَ زَلَّ وَلَمْ يُصِبِ التنزيه . فَإِنَّ رَبَّنَا جَلَّ وَعَلَا مَوْصُوفٌ بِصِفَاتِ الْوَحْدَانِيَّةِ مَنْعُوتٌ بِنُعُوتِ الْفَرْدَانِيَّةِ - وَتَعَالَى عَنِ الْحُدُودِ وَالْغَايَاتِ وَالْأَرْكَانِ وَالْأَعْضَاءِ وَالْأَدَوَاتِ لا تحويه الجهات الست كسائر المبتدعات)).
لأنه لم يفرِّق بين الألفاظ الصحيحة منطقية كانت أو كلامية كالتي مثَّلت بها، وبين قواعد المنطق التي تقود إلى الزندقة و تعارض الكتاب و السنة، وألفاظهم ومصطلحاتهم الفاسدة فكل شيء مخلوط في رأسه.
وعندما يقولون : الدعوة لا تكون بهذه الألفاظ .
لا يفرقون بين دعوة السليم من الشبهة الكلامية ،وبين المتلبس بها،فإذا أمرنا الله بجدالهم بالتي هي أحسن فبم نجادلهم ولا يعرفون إلا مصطلحاتهم؟
فإذا قلتَ لأحدهم : صل في ثلث الليل الأخير لأن الله تعالى ينزل فيه .
فيقول لك: ثلث الليل يختلف من بلد لآخر فكيف يكون هذا النزول ؟
فبماذا تجيبه ،بنص آخر ،أم ترده إلى عدم تشبيه الله تعالى بخلقه ، و أن الزمن لا يجري عليه،وغير ذلك ،وان هذا النزول يليق به تعالى وهو قادر عليه كما هو قادر على النظر إلى جميع خلقه دفعة واحدة فلا تخفى عليه خافية،وغير ذلك.
فإما نقول: الأمر يرجع إلى الشريعة فيما يخص الأسماء التي يتعلَّق بها حكم شرعي، و أما ما كان من قبيل المخاطبة أي الشرح و التفسير لا من قبيل الإخبار فهو مفتوح بشرط أن لا يتضمن معنى باطلا.
فرد المصطلح أو العبارة لمجرد أن الصحابة و التابعين لم ينطقوا بها، ولا قام عندهم مقتضى النطق بها فهذا في حد ذاته إحداث.
فإما نقول: ما لم يتكلم به الشرع و الاستثناء الوحيد للصحابة لأسباب معروفة فهو محدث و يتناول ذلك كل من جاء بعدهم، و هذا محال وممتنع، ويبطل أكثر علوم المسلمين.
وإما نقول : الضابط هو ما وافق من المعاني الكتاب و السنة ،وما كان صحيحا ليس فيه معارضة للكتاب و السنة فهو مقبول في التخاطب، و الضابط التفريق بين مقام

المخاطبة و مقام الإخبار.
فالجانب الأول من النظر في المصطلحات هو: هل هي حق؟ ، هل هي تصور صحيح؟ ولذلك تجد شيخ الإسلام يناقش المخالفين في معاني هذه المصطلحات، ويبين أنها قوالب لباطلهم وبدعهم، و أنها باطل يجب رده.
الجانب الآخر وهو أقل أهمية من الجانب الأول: استعمال هذه المصطلحات عند أصحابها، فمنهم من يقصد منها معنى لا يقصده الآخر، أو أنهم يريدون منها في باب معنى، وفي باب آخر معنى آخر، ولذلك فإن الذين يردون هذه المصطلحات بإطلاق لم يقضوا شيئا، و لم يميزوا بين الحق والباطل فيها، ولا أدركوا مقاصد أصحابها.
وقال في (المجموع){66/4}:
((ولا ريب أن الألفاظ في المخاطبات تكون بحسب الحاجات، كالسلاح في المحاربات فإذا كان عدو المسلمين في تحصنهم وتسلحهم على صفة غير الصفة التي كانت عليها فارس والروم، كان جهادهم بحسب ما توجبه الشريعة التي مبناها على تحري ما هو لله أطوع وللعبد أنفع، وهو الأصلح في الدنيا والآخرة، وقد يكون الخبير بحروبهم أقدر على حربهم ممن ليس كذلك، لا لفضل قوته وشجاعته ولكن لمجانسته لهم، كما يكون الأعجمي المتشبه بالعرب ـ وهم خيار العجم ـ أعلم بمخاطبة قومه الأعاجم من العربي وكما يكون العربي المتشبه بالعجم ـ و هم أدنى العرب ـ أعلم بمخاطبة العرب من العجمي.))
فإذا كان السني يعتقد بجزم أن المعقولات الصريحة لا تناقض المنقولات الصحيحة، لم يجز له مخاصمة أو عزل هذه أو تلك، فإن خالف النص المعقولات الصحيحة فقد يكون الخلل في فهمه هو، وليس في النص، فإن أكثر الغلط في هذا الباب أن يجعل ما ليس بمعقول معقولا للاشتباه الأمر و دقة المسائل، فالمطالب الإلهية دل عليها القرآن والسنة بالأدلة العقلية والبراهين اليقينية، ومن هذه الجهة فهي كذلك نقلية أي: إن الأدلة العقلية التي أرشد إليها القرآن والسنة هي كذلك نقلية، و كونها نقلية لا يمنع أنها عقلية، و إذا كانت الأدلة من الكتاب والسنة نقلية عقلية، علمنا أن المنقولات الصحيحة عن المعصوم لا تتناقض، و علمنا أن المعقولات الصريحة لا تتناقض كذلك، فإن العقل الصريح من طرق الهداية التي زود الله بها الإنسان ليعلم الحق، ويفهم الوحي، ويتبع الكتاب، ولم يزوده به ليخالف ما جاءت به الأنبياء.

وعليه فكل ما خالف نصوص الكتاب والسنة مما يسمى بالعقليات و الفكر، فليس هو العقل الفطري الصحيح الذي منحه الله الإنسان، و إنما هو العقل المركب من الشبهات والشهوات التي أوحتها الشياطين لبني البشر، فيلزم عدم عزل العقل والفكر، ولا الخوف منه، ولا التردد في استعماله بعد معرفة الكتاب والسنة، إذ عزل العقل و الفكر و النظر عزل للوحي وللشرع.

المهم أن لا يخوض الإنسان فيما لا يفهم، ولكنه كذلك عليه أن لا يعارض من خاض فيما يفهم لأنه هو لم يفهم، فيكون من الصادين عن الحق، بل عليه أن يسترشد، و إذا استشكل عليه شيء، و اشتبه عليه مأخذ المسألة استعان بالله و استهداه و دعاه، وأظهر فقره إليه مستيقنا هذه الحقيقة، وهو إن الذي أنزل الوحي هو الذي وهب العقل و الفكر و النظر، فأتباع الوحي هم أهل العقل والفكر و النظر على الحقيقة، فكل من يناقض المبتدعة في بعض لوازمهم دون أن يفهم هذه اللوازم قد يناقض الحق، فمثل هذا يبني نقضه لهذه اللوازم ويفترضها من الباطل لأنها صادرة عن صاحب الباطل، والقسطاس المستقيم الذي جاء به القرآن أن ينظر في الأقوال ذاتها فما كان حقا قبله، وما كان باطلا رده، لا يرد الكلام أو يقبله لأن الأول قاله سني والثاني قاله إخواني ، فهذا من الهوى وتحكيم الهوى، ذلك أن السني إذا أخطا لم يخرجه ذلك من السنة، و المبتدع إذا أصاب لم يدخله ذلك في السنة، ويعلم الناس و أهل العلم خاصة أن ما من فرقة إلا ومعها بعض الحق تخلطه بباطلها إلا أهل السنة فليس معهم إلا الحق، و لكن هذا لجملتهم وعمومهم لا لمعينهم، فالحق لا يخرج عنهم أبدا.

قال شيخ الإسلام في (المجموع){80/13} ما فيه نقض واضح لأصلكم المحدث: ((والسلف لم يذموا جنس الكلام، فإن كل آدمي يتكلم، ولا ذموا الاستدلال والنظر والجدل الذي أمر الله به ورسوله، والاستدلال بما بينه الله ورسوله، بل ولا ذموا كلاما هو حق، بل ذموا الكلام الباطل، وهو المخالف للكتاب والسنة، وهو المخالف للعقل أيضا وهو الباطل، فالكلام الذي ذمه السلف هو الكلام الباطل، وهو المخالف للشرع والعقل.))

إذًا فمعرفة معاني ما يتكلم به الناس، وكونه يوافق معاني الكتاب و السنة أو يخالفها ضروري لبيان مراد الله ورسوله، وتوصيله للناس، و إقامة الحجة، و إظهارها بالشكل المطلوب شرعا.

فنحن نذم العقل الفاسد و النظر الباطل و الفكر المذموم لا نذم جنس العقل و جنس النظر و جنس الفكر.
لكن من كان في درس تعليم بسطاء الناس فلا يعلمهم إلا بألفاظ النصوص و إن دعت الحاجة فبألفاظ السلف،ولا ينطق أمامهم بالمصطلحات المتجددة إلا إن كانوا طلبة علم يحتاجون إلى مناظرة المخالفين و دعوتهم.

الضمير الغائب
في مواقف المديونيَّة وصناعة معايير خاصة للحقِّ

بسم الله الرحمن الرحيم

عندما يحضر الموت ـ و الدنيا مهما طالت انقضت ـ يحي الضمير الميت و المتبلد و الغائب، يعود من سفره البعيد في عوالم المصلحة و الشهوات، وقد هجره الكذب و التضليل و التأويل للنفس و الاختفاء تحت الشعارات الرنانة ليقف أمام صاحبه عريانا يُذكِّره بكل كلمة قالها،أو خطَّها ،هل كانت لله مجردة من كل مصلحة شخصية أم لمصلحة هذه الجهة أو ذاك الشخص {لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ }.
ذهب صديق لي لعيادة مريض ـ في المستشفى ـ على فراش الموت(رحمه الله)، كان هذا المريض رجلا صاحب نفوذ كبير في منطقته، له قريب مطرب مشهور جدًا،
فسأله السؤال الاعتيادي: كيف تجدك؟
فرد عليه: كيف سيكون حال رجل عاش بالكذب و التزوير يشهد لهذا زورًا ليأخذ حقا ليس له؟
{رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا}
عندما تقف أمام الشهوة لا يمكنك العودة، إن رفعت الإزار ولجت، و المستور من ستره الله، فابق بعيدا ولا تدع نفسك تزين لك الدنيا باسم الدين، فالأكل من المزابل مع الذباب و الكلاب خير لك من أن تبيع دينك، و لعمر الحق لقد باع بعضهم دينه ،لن ينفعهم تبديع هذا وتشويه ذاك.

جئناها عراة وسنخرج منها عراة.

لا نلومكم على الخطأ فلم يسلم منه أحد إلا من سلمه الله، ولا على قلة الوعي، ولا على السذاجة،ولا على الطمع في الحطام، نعذر الضعف الإنساني، نلومكم على التواطؤ، على المتاجرة بكلمات حق أطلقها السلف في ميادين الحق تبيعونها في سوق الباطل.

إلى متى التزحلق على الأسئلة الحقيقية و الصحيحة بأجوبة الحيدة؟

المهارة في إخفاء الأغراض الخسيسة لحمل الشباب المحب للسلف على قبولها و المشاركة فيها ما لو علم الغرض منها لم يفعلها وتبرأ منكم، لن تستمر طويلا.

صنع القضايا السلفية الباطلة عندما تركِّبونها من قضايا حقٍ يحشد بها المؤمنون ،وشحنهم بخطاب دِّينيِّ مفبرك بمعايير خاصة مستحدثة على منهج: "كلمة حقٍّ يُراد بها باطل" لن يدوم .

ترسيخ الحنين للمجد الضائع مع عمل كل ما في الوسع لعدم عودته،وقتل المستقبل بصورة خيالية عن الماضي بضرب وحدة الأمة و ائتلافها وترابطها بحجة نزاعات فقهية وعقدية توضع في غير إطارها لتزيدهم فرقة و تعصبا يكاد يستنفد وقوده.

لأن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أخبر: ((أن الله لا يجمع هذه الأمة على ضلالة ، وأن الله لا يزال يغرس في هذا الدين غرسا يستعملهم فيه بطاعته)) غرس يعرفون الحق ولا يخالفونه،ولا يصدرون إلا عن دليل صحيح.

كما قال العارفون:الصدْق سيف الله فِي الأَرْض مَا وضع على شَيْء إِلَّا قطعه، هذا معيار تقييم الدعاة.

فكرنة ومنهجة المسائل البديهية،وتحويل اختلاف درجات إلى اختلاف كليات في زمن التخليط و البغي تعمية على أتباعكم انتهت مدة صلاحيته.

سياستكم سياسة الملوك لا سياسة العلماء: مداهنة أضداد الدين قبل مكاشفتهم، تظهرون الميل إليهم إما بباطنكم أو مداهنة لهم.

لا يغرنكم بياض القبة من الخارج فقد اسودت من الداخل بدخان الشموع، حقيقتكم خلف أسوار لحاكم بشعة {يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلائِكَةَ لا بُشْرى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْراً مَحْجُوراً (22) وَقَدِمْنا إِلى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْناهُ هَباءً مَنْثُوراً (23) أَصْحابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلاً}.

توضيح:

عندما يقول أحدهم: الإخوان جماعة اجتماعية سياسية حزبية لا يعني أنها ليست دعوية، وكونها دعوية وتتحدث في قضايا الدين، وخطابها الأساسي دعوي، فهذا لا يجعل منها فرقة دينية كالخوارج أو الشيعة و المرجئة و المعتزلة لأن لكل فرقة من الفرق الإسلامية عقيدة تتميز بها عن غيرها و عقيدة تشارك بها بقية الفرق.

ولا يعد الإنسان منها حتى يوافقها على الجزء المميز، و إلا جاز أن ننسب كل من وافق الخوارج في بعض أقوالهم إليهم، وهكذا مع جميع الفرق.(عند ابن حزم في " الملل" فصل دقيق في الباب)

والإخوان ليس لديهم عقيدة خاصة بهم حتى نجعلهم فرقة بدعية، وكونهم يعملون بالسياسة لا يجعلهم من الخوارج لأن أكثر الفرق بدأت بنزاع سياسي كالخوارج و الشيعة.

والخلاف بينهم وبين بعض السلفيين لا يتجاوز مسألة" الفقه السياسي" وهو نفسه فيما بين السلفيين أنفسهم،و الفقه السياسي من مسائل الأحكام وليس من مسائل العقيدة.

و النقد لهم لا يحتاج بالضرورة إلى إخراجهم من السنة،فهذا تسطيح للموضوع ،و عجز عن بيان أخطائهم في منهجهم السياسي ،وبعض الناس أصبح يعلق عليهم مشاكل العمران و الهندسة في العالم الإسلامي.

الانصاف

قال ابن تيمية في (المجموع)(4/4582)وَلِهَذَا كَانَ أَعْدَلُ الطَّوَائِفِ " أَهْلَ السُّنَّةِ " أَصْحَابَ الْحَدِيثِ. وَتَجِدُ هَؤُلَاءِ إذَا أُمِرُوا بِقِتَالِ مَنْ مَرَقَ مِنْ الْإِسْلَامِ أَوْ ارْتَدَّ عَنْ بَعْضِ شَرَائِعِهِ يَأْمُرُونَ أَنْ يُسَارَ فِيهِ بِسِيرَةِ عَلِيٍّ فِي قِتَالِ طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرِ؛ لَا يُسْبَى لَهُمْ ذُرِّيَّةٌ وَلَا يُغْنَمُ لَهُمْ مَالٌ وَلَا يُجْهَزُ لَهُمْ عَلَى جَرِيحٍ وَلَا يُقْتَلُ لَهُمْ أَسِيرٌ وَيَتْرُكُونَ مَا أَمَرَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَسَارَ بِهِ عَلِيٌّ فِي قِتَالِ الْخَوَارِجِ وَمَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ رَسُولَهُ وَسَارَ بِهِ الصِّدِّيقُ فِي قِتَالِ مَانِعِي الزَّكَاةِ فَلَا يَجْمَعُونَ بَيْنَ مَا فَرَّقَ اللَّهُ بَيْنَهُ مِنْ الْمُرْتَدِّينَ وَالْمَارِقِينَ وَبَيْنَ الْمُسْلِمِينَ الْمُسِيئِينَ؛ وَيُفَرِّقُونَ بَيْنَ مَا جَمَعَ اللَّهُ بَيْنَهُ مِنْ الْمُلُوكِ وَالْأَئِمَّةِ الْمُتَقَاتِلِينَ عَلَى الْمُلْكِ وَإِنْ كَانَ بِتَأْوِيلِ. وَاَللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ.

فهم الكلام

يتفاضل النَّاس في فهم كلام بعضهم بعضا بحسب ما خصَّ الله به كلَّ واحد منهم من قوَّة العقل،وبحسب ما جمع من معلومات تعينه على إدراك معاني ما يتكلَّم به غيرُه.

فمنهم النقَّاب الفطن الذَّكي العالم بدقائق الأمور،ومنهم البطيء الثقيل الذي يحتاج إلى وقت لاستيعاب المعاني.

وقد يتكلَّم النَّاس في حديثهم بكثير من العبارات التي لا فائدة منها في فهم الكلام ،إذ حتى لو جمع بينها منطق نحويٌّ، وكانت سالمة من هذه الجهة افتقدت إلى منطق المعاني و ترابط التصوُّر،فكثرة العبارات الزائدة قد تزيل سبل الفهم.

ومن مزلَّات الفهم الجمود على الألفاظ دون اعتبار لسياقها ودلالتها المتطورة أو المختلفة من شخص لآخر،فالحدود العلمية في غالبيتها مركبة من عدة ألفاظ كل لفظ منها يدل على معنى فإن لم يعرف دلالاتها في حال الإفراد قبل أن تجمع أي لم يعلم معانيها المفردة لم يمكن فهمها و العلم بها في حالة التركيب ، فمن لا يعرف معنى الماء ومعنى التراب لا يتصور معنى الطين.

وكما قال ابن تيمية ـ رحمه الله ـ :

((والإنسان قد يعلم تفسير الكلام ومعناه ولا يعلم تأويله فإن التأويل يفتقر إلى معرفة ماهيته الموجودة في الخارج والتمييز بينها وبين غيرها وليس كمن فَهِمَ الكلاَمَ وتفسيرَه عَلِمَ ذلك كالذي يعرف أسماء أمكنة الحج وأفعاله وقد قرأ القرآن والحديث وكلام العلماء في ذلك لكنه لم يعرف عين البيت وعين الصفا والمروة وعين عرفة والمشعر الحرام ونحو ذلك مما لا يعرفه الإنسان إلا بالمشاهدة ولكن قد يعرف بالعلم)).

ومن هنا عندما تقرأ ما يكتبه طلبة العلم تجده ـ في كثير من الأحيان ـ يفتقد لهذه الضوابط حتى يختلف في فهم النص الواحد،ويكثر نقل كلام العلماء و الاحتجاج به كنقل إلى صاحبه وليس كدليل تضمن دليلا شرعيا،وهذا لا يفرق بين العلم و التقليد،وبين الفهم و الترديد،وبين التصور التام و التصور الساذج.

من كانت لديه كلمة نافعة علمية مؤصلة دليلا شرعيا معتبرا فلينفع بها إخوانه و إلا فإن السكوت اجمل ببعض الناس صبرنا عليهم.

غرائب هذا الزمان

بعض الناس لا يتحدثون عن حكم الشريعة إلا عند الدفاع عن الذي لا يطبقها أو لا يسعى لتطبيقها

ينتقدون من يسعى لتطبيقها ـ بغض النظر هنا عن خطابه ووسيلته ـ بأنه وصل الحكم ولم يطبقها؟

وبعضهم لو فتحنا قائمة الاختلافات و التناقضات بين شيوخه في كل المسائل لما انتهينا منها ينتقد بالتفريق و الحزبية من هم جماعة واحدة؟

وبعض الناس يتبع سياسة بلد حيثما توجهت، فمن جعلته سنيا تحركت آلتها لتجعله سنيا، ومن قررت إخراجه أخرجوه،وما أفغانستان منا ببعيد؟

وبعضهم يتبع بلدا إذا رضي عن حكم علماني رضي عنه،و إن قرر محاربته حاربوه؟

وبعضهم يدندن حول التكفيريين طول يومه و يستدل عليك بشيوخ يخالفونه جملة وتفصيلا في الأسماء و الأحكام؟

وبعضهم لا يعتبر ترك الحكم بالشريعة كفرا بواحا يستدل على الإخوان بشيوخ يرونه كفرا بواحا؟

حاول التأليف بين شيوخك أولا، ثم حدد على أي قدم تقف وكن واضحا لا تتراوح بين المذاهب تسلم من التناقض ومن أن تكون لعبة في يد غيرك.

ولا تكن كالقاص سئل عن مذهبه،فقال: في أي بلد؟

مفهوم الفرقة الناجية في صراع التأويلات و أسلحة التصفيات.

لما ناظر بعض المتكلمين شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ في مسائل الإيمان، و قال لهم: ((مِنْ أُصُولِ الْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ: أَنَّ الْإِيمَانَ وَالدِّينَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ قَوْلُ الْقَلْبِ وَاللِّسَانِ وَعَمَلُ الْقَلْبِ وَاللِّسَانِ وَالْجَوَارِحِ))

قالوا له معترضين: ((فَإِذَا قِيلَ إنَّ هَذَا مِنْ أُصُولِ الْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ خَرَجَ عَنْ الْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ مَنْ لَمْ يَقُلْ بِذَلِكَ))

فأجاب ـ رحمه الله ـ : ((لَيْسَ كُلُّ مَنْ خَالَفَ فِي شَيْءٍ مِنْ هَذَا الِاعْتِقَادِ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ هَالِكًا فَإِنَّ الْمُنَازِعَ قَدْ يَكُونُ مُجْتَهِدًا مُخْطِئًا يَغْفِرُ اللَّهُ خَطَأَهُ وَقَدْ لَا يَكُونُ بَلَغَهُ فِي ذَلِكَ مِنْ الْعِلْمِ مَا تَقُومُ بِهِ عَلَيْهِ الْحُجَّةُ وَقَدْ يَكُونُ لَهُ مِنْ الْحَسَنَاتِ مَا يَمْحُو اللَّهُ بِهِ سَيِّئَاتِهِ، وَإِذَا

كَانَتْ أَلْفَاظُ الْوَعِيدِ الْمُتَنَاوَلَةُ لَهُ لَا يَجِبُ أَنْ يَدْخُلَ فِيهَا الْمُتَأَوِّلُ وَالْقَانِتُ وَذُو الْحَسَنَاتِ الْمَاحِيَةِ وَالْمَغْفُورُ لَهُ وَغَيْرُ ذَلِكَ: فَهَذَا أَوْلَى، بَلْ مُوجِبُ هَذَا الْكَلَامِ أَنَّ مَنْ اعْتَقَدَ ذَلِكَ نَجَا فِي هَذَا الِاعْتِقَادِ وَمَنْ اعْتَقَدَ ضِدَّهُ فَقَدْ يَكُونُ نَاجِيًا وَقَدْ لَا يَكُونُ نَاجِيًا كَمَا يُقَالُ مَنْ صَمَتَ نَجَا.)).(مجموع الفتاوى))(3/179)

أقول هذا: لأن بعض الناس صار يدخل في الفرق الهالكة من يخالفهم في قضايا سائغة أو مرجوحة،أو من الأحكام وليست من أصول الدين بغير دليل، ولا يفرق بين مثل هذه الضوابط التي ذكرها ابن تيمية ولا يهتم لها، لا يهتم إلا برأيه هو الذي يريد أن يجعله شرعيا بأية وسيلة.

ـ و إذا كان شعار الفرق المتوعدة بالهلاك هو مفارقة الكتاب و السنة و الإجماع،كان من قال بالكتاب و السنة و الإجماع من أهل السنة و الجماعة.

لكن الجزم بأن هذه الفرقة الموصوفة ... هي إحدى الثنتين و السبعين لابد له من دليل،فإن الله حرم القول بلا علم عموما،وحرم القول عليه بلا علم خصوصا.

وكثير من الناس يخبر عن هذه الفرق بحكم الظن و الهوى فيجعل طائفته و المنتسبة إلى متبوعه الموالية له هم أهل السنة و الجماعة ، ويجعل من خالفها أهل البدع. (3/345) باختصار.

وعليه، فكيف نجعل من ليسوا بفرقة كالخوارج و الشيعة و المعتزلة و غيرهم،ليس لهم عقيدة واحدة تتبناها جماعتهم فهم إما سلفية أو أشعرية في المعتقد فرقة هالكة خارجة عن أهل السنة،و هم يحتجون بالكتاب و السنة و الإجماع،وليس من شعارهم مفارقة الكتاب و السنة و الإجماع.

وما هو الدليل الصحيح على أنهم من الفرق الهاكلة، هل مجرد اشتغالهم بالسياسة يجعلهم فرقة هاكلة؟

و إذا كان السلفيون يعلنون نظريا أنهم لا يتبعون إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا حق لكن عمليا كل فرقة منهم تتعصب لشيخ وتوالي وتعادي عليه وتمتحن الناس بموافقته،وليس هذا من علامة الفرقة الناجية،ولو أنهم جعلوا شيخهم طريق من طرق العلم لا يتعصبون له و يعتنون به كما يعتني أتباع المذاهب بأقوال أئمتهم فليس في هذا الإشكال ولكن في الموالاة و المعاداة عليه.

مشكلة تصنيف الفرق و الجماعات و الأشخاص في هذا العصر

بسم الله الرحمن الرحيم

من اكبر مشاكل هذا العصر تصنيف الناس بالإلحاق المباشر بالفرق الهالكة،وهذا موضوع اضطرب فيه المتقدمون و المتأخرون، فالحديث لم يعدد الفرق، وجاء العلماء و اجتهدوا كابن المبارك ـ رحمه الله ـ فجعلهم خمسة أو أربعة تتفرع عنها بقية الفرق ،لكنهم اختلفوا بشدة في الاتفاق على تسمية كل الفرق.

ومما لاشك فيه أنه لا يجوز لإنسان أن يجزم بأن هذه الجماعة أو هذا الشخص من الفرق الهالكة من غير دليل،وفي أقل أحواله أن يثبت نسبتها إلى إحدى الفرق الأربعة الأصلية ،و المشكل هنا بالنسبة للمجتهدين في وصف الناس بأنهم من الفرق الهالكة أن هذه الجماعات جديدة يعني يتم إلحاقها بالقياس.

وعندما ننظر في تاريخ الأمة العلمي سنجد كما ذكره ابن تيمية في غير موضع أن الأمة دخلت عليها مقالات بدعية كثيرة أصبح من الصعب معرفة الباطل فيها إلا باجتهاد و علوم دقيقة يعجز عنها الغالبية ومن هنا دخل فيها بعض أهل السنة و الحديث ،ولأجل هذا فرق العلماء كابن تيمية بين الطبقة الأولى من الجهمية و الرافضة وبين الطبقات المتأخرة وعللوا أن الطبقات الأولى كانوا زنادقة تعمدوا إفساد الدين الأمر الذي لا يمكن تطبيقه على المتأخرين بسبب دخول كثير من الفضلاء في قواعد كلامية جهمية ظنوها صحيحة .

ولاشك أن هذا من دقيق العدل و عزيزه، ولهذا يجد المتتبع لكلام ابن تيمية أنه عندما يتكلم عن الأشخاص دائما ما يكون بالمقابلة بين طرفين،لأن الذي حدث في المتأخرين أنك تجد الرجل فيه بدعة وسنة،و قد تغلب عليه السنة مع قول بدعي،فالكلام عنه بالصفة المطلقة يصبح مجانبا للصواب والأولى تفصيل حاله.

فنجده مثلا يقول:

((أَمَّا الْأَشْعَرِيُّ فَهُوَ أَقْرَبُ إلَى أُصُولِ أَحْمَدَ مِنْ ابْنِ عَقِيلٍ وَأَتْبَعُ لَهَا فَإِنَّهُ كُلَّمَا كَانَ عَهْدُ الْإِنْسَانِ بِالسَّلَفِ أَقْرَبَ كَانَ أَعْلَمَ بِالْمَعْقُولِ وَالْمَنْقُولِ. وَكُنْت أُقَرِّرُ هَذَا لِلْحَنْبَلِيَّةِ))(المجموع3/228)

وإذا أقر السلفيون باختلاف المنتمين للإخوان و تفاضلهم في العلم و الحقّ،وأنَّ فيهم أهل السُّنَّة ،فكيف حكموا عليهم حكما واحدا بأنَّهم من الفرق النارية،وبوجوب التبري

منهم،و تمحيص المعاداة لهم ،وهذا مخالف للقرآن و السُّنَّة ،و منهج أئمَّة السُّنَّة(؟!) ولماذا نُفرِّق بين طبقات الأشاعرة، فنفرِّق بين الأشعري و أتباعه ،وبين المتقدِّمين منهم و المتأخِّرين، وبين أهل الحديث منهم وأهل الكلام، وبين أهل الكلام و المتفلسفة منهم(؟)

بل كيف نُفرِّق في التَّكفير وهو أخطر حكم شرعيٍّ يأتي التبديع بعده بين أوائل الجهميَّة و الرَّافضة وبين طبقاتهم اللاحقة مع أنَّ الفرق هو العمد و التأويل فقط،وليس الاقتراب من الحقِّ،فأقوالهم واحدة(؟)

قال شيخ الإسلام في(مجموع الفتاوى){360/6}: ((و أما من قال منهم بكتاب الإبانة للأشعري ولم يظهر مقالة تناقض ذلك فهذا يعد من أهل السنة لكن مجرد الانتساب إلى الأشعري بدعة لا سيما و انه بذلك يوهم حسنا بكل من انتسب هذه النسبة و ينفتح بذلك أبواب شر)).

هنا فوائد جمة في غاية الأهمية:

الأولى: لم يحكم على الأشاعرة بحكم واحد بل استثنى من يقول بما في كتاب (الإبانة) للأشعري و اعتبره من أهل السُّنَّة فلزم أنَّه إذا اختلف أفراد جماعة واحدة لم يعمِّم عليهم حكما واحدا ،وهذا من الإنصاف الذي تدعو إليه الشَّريعة، فكيف يكون السَّلفي السُّنِّيُّ أو العاميُّ المنتمي إلى جماعة الإخوان من الفرق الهالكة خارج عن أهل السُّنَّة (؟!)

الثانية: فرَّق شيخ الإسلام بين حكم الانتساب وحكم العقيدة و العمل،فمع اعتباره من أهل السُّنَّة اعتبر انتسابه إلى الأشعري بدعة.

مفاهيم خاطئة عن السياسة

يمكن لكل واحد منا أن يكون سياسيا إذا كانت السياسة في عرفه هي ترشيح نفسه لانتخابات ما، أو تكوين حزب، أو الكلام في مواضيع السياسة؟

لكن إذا كانت السياسة علما خاصا ـ يدخلها كل من هب ودب،وكل من عجز عن الطرق الشرعية في تحصيل الثروة، و لذلك قتلت المشاريعَ الجماعية المشاريعُ الشخصية داخلها مهما كان نوع الأحزاب السياسية ـ فإن السياسة حينئذ عمل صعب يتطلب كفاءة زائدة على ما لدى الدعاة اليوم.

لا يمكن أن تكون سياسيا بدون علم عميق بمقاصد الشريعة،وبدون قاعدة متينة بعلم الاجتماع وعلم الاقتصاد، وبدون دراية تامة بأحوال الواقع الداخلي و الإقليمي و العالمي،وبدون فكر استشرافي على قاعدة "لست بالخب ولا الخب يخدعني".
في السياسة لا يوجد ـ في الظاهرـ عدو دائم، ولا صديق للأبد، السياسة قدرة على صناعة الجمل القصيرة بدون ملل ولا نضب، هي التكيف مع الحدث بأقل الأضرار، وأن ترى في كل حدث مهما كان فرصة لشيء ما يخدمك.
السياسة المحضة شأن آخر تتطلب فهما زائدا على ما بأيدي بعضنا،وليس المطلوب أن يفهمها جمعينا ،ولا المطلوب أن يعلِّق عليها كلُّنا.
و السياسة هي علم فهم المشهد و استباق الحدث، وقياس المسافة بين الخطوط المتوازية، وقراءة ما لم يكتب، وما لم يقال.
السياسة باختصار أن تسمح لك معرفتك القوية بمعرفة أين يطبخ القرار، ومن يطبخه، وماذا يريد منه؟

التكوين العلمي لطلبة العلم

من المفيد لنا أن نتساءل عن صلاحية التكوين العلمي و المعرفي لطالب العلم المعاصر ،وهل يمكّنه من مزاولة مهامه الجليلة في بناء أمة القرآن ، فهنالك مدلولات كثيرة لنوعية التكوين الذي تلقوه، و الذي هو متأثر بشكل عميق و كبير إما بعصر الضعف الذي شهده العالم الإسلامي، أو بمسخ من الفكر الغربي كما هو الحال عند فئة منا.
وإذا كنا نزعم الطموح للعودة إلى ما كان عليه السلف الصالح فيجب علينا أولا التخلص من هيمنة مناهج وآليات عصر الضعف التي لم تحمل لمسلمي ذلك العصر لمسات التجديد ،و لم تولدها لديهم، وكونت حولهم سياجا جامدا وصلبا من التقليد لا يقبل أي حراك علمي و معرفي ،وقادتهم إلى الانحطاط على جميع المستويات، كما هو معروف لكل من درس تلك الحقبة.
فعصر الضعف الإسلامي يتعارض، بل ويتناقض كثيرا مع منهاج و آليات وسلوكيات السلف الصالح،وعقلية هذا العصر متغلغلة في الكتب التي دونت فيه إلا من رحم الله من العلماء، وهم قلة،فكل الأمراض التي تعيشها الأمة اليوم هي من مخلفات هذا

العصر.
إن العلم و الفكر متى أصبح عبارة عن إجراءات هي أساليب دعائية لا علاقة لها بالحقيقة الشرعية إلا من بعيد، تعتمد مبدأ البكاء على الأطلال،أو تمجيد المذهب و الجماعة في غفلة عن الواقع الموجود، و تركز على ذكر مثالب الآخر للتنفير منه، وتمارس حجرا فكريا صريحا عندما تنيط الحق باجتهاد شيخ معين ،و توصي بهجر المخالف بإطلاق.
و إذا حاولنا تفهم هذه الإجراءات ، فإننا بلا شك نتفهم الإزعاج و الحرج اللذين يعاني منه بعضنا نظرا لفقرهم العلمي التحقيقي للتراث، ولكن عندما يهرب المسلم من مخالطة غيره من المسلمين لان مخالطته تسبب له إزعاجا علميا و خلقيا يكتشف من خلاله ضعفه أو عجزه ، فمثل هذا السلوك المتمثل في الهروب من الغير، و مجانبته و مفاصلته لاتقاء وطأة الحوار و النقاش، أو لاتقاء نتائج الاحتكاك قاد هؤلاء إلى الانزواء على النفس، و نبذ الغير بقواعد زينوها بشيء من الشبه الشرعية(مسائل لها شبه في النصوص)، ثم التخلي عن المسؤولية الدينية التي حملهم إياها الشرع، و المتمثلة في الدعوة و التبليغ، ونقل رسالة الإسلام إلى كل الأطياف، وكل الناس.
في حين أن طائفة أخرى انبثقت من هذه الأوضاع قادها ذلك إلى رفض الواقع، و بالتالي التمرد عليه بالعنف دون أن تحاول فهم هذا الواقع و أسبابه، و السبل الشرعية للتعامل معه بكفاءة و فاعلية.
فإذا كانت مسألة التكوين المعرفي لطلبة العلم ضخمة التبعات ومهولة المسؤوليات وذات أهمية قصوى، و لكنها مطمورة في الوقت نفسه تحت رغبات ونزوات الذين يجدون كل مصالحهم مع بقاء الأشياء على حالها.
إن روح العداء الذي يبثه كلام بعض المنتسبين للسلف اتجاه المخالف لهم بعلم وعدل ليست إلا سلاحا معنويا وحجة وذريعة مستمرة لتبرير أعمال ومواقف مصلحية لهم، و بالتالي تبرير كل عيب وخلل في هذا المنهج كارتمائه في أحضان الفرقة، وخلوه من المعيارية، أو تلاعبه بالشعارات الإسلامية الصحيحة، كذاك الذي حصر الطائفة المنصورة في شيوخه و أحبابه و المتواطئين معه.
ليس على هذا المنهج عند مواجهة أي نقد صحيح له سوى وسم هذا النقد بالكذب و العداء للسنة و لأئمة السنة، لأن في تلاعبه بالشعارات يعتبر نقد ممارسته نقدا للسنة،

أو هكذا يخيّل إليه.
إننا إذا ما عدنا إلى المنهج العلمي و نظام مبادئه عند سلف الأمة نجد في منظوره النفسي السلوكي الحرص الشديد على الابتعاد عن كل ما يفقده الاستقلالية ،بينما بعض الفئات منا ،من مختلف المشارب لعدم الحرص على هذا المبدأ مضطرة للتقيّد بموقف التحفظ، و أحيانا الانخراط بشكل عميق في الدفاع عن وجهة نظر تتعارض مع الدين صراحة ، ومع أصول السلفية المتفق عليها.
ولهذه الأسباب نلاحظ غياب الوظيفة النقدية التي كان يقوم بها العلماء المسلمون في القديم لدى هذه الفئة من طلبة العلم، و التي ربما لا تمارس النقد العلمي إلا على كل سلفي يريد انتشالها من منهج عصر الضعف، منهج التقليد، و الاحتطاب،ومنهج تضخيم الخلاف وتقزيم الائتلاف ،منهج التلفيق لا التوفيق.
إن في السلفيين رجالا يعملون على استعادة الوظيفة الأساسية لطالب العلم كما صورهم القرآن، و هي ممارسة النقد العلمي البناء نصحا لله ولرسوله و لعامة المسلمين وخاصتهم لحراسة الدين و القيم، و التأمل الخلاق، و التوجيه الحكيم للأمة عند تلاطم الشبهات، و توسيع نطاق هذه الوظيفة لتستوعب الواقع المعرفي الموجود داخل الفكر الإسلامي المعاصر، وخاصة استعادة حق المبادرة إلى النقد و اقتراح الإصلاحات، وعدم الاكتفاء بدور المستشار.
1- هل طبيعة ونوع التكوين العلمي لطلبة العلم يسمح لهم أولا بنقد التراث الإسلامي(؟)
فمن هو العالم في التعريف الشرعي،فمن يكون عالما بالنسبة لفئة ما فبالنظر إلى مستوى إدراك هذه الفئة، لذلك لا يكون عالما عند غيرها.
وأنت شخصيا تجد نفسك تُغيِّر نظرتك وتقييمك للعلماء كلما ارتفع مستواك العلمي و الثقافي، ولذلك يكثر التنقل عند طلبة العلم الأذكياء في هذا الباب، وهذا سببه.
وإذا كان كذلك فهل تجاوزنا مرحلة النقل و الشرح وبدأنا مرحلة النقد وإعادة الصياغة (؟)
وهل يسمح لهم تكوينهم بمجارات العصر و تحدياته،وبعضهم لا يعلم ببعض المذاهب الفكرية الموجود معه في هذا العصر ،وفي مجتمعه،ربما لا يعرف مجرد اسمها،فإذا كانت العلمانية"الحداثة" تحللنا اجتماعيا وفكريا ونحن في غفلة كيف يمكن لنا التعامل

بكفاءة مع أعدائنا (؟)
و ما ضل الناس كما قال أحمد رحمه الله إلا بالمجمل و القياس،وكلامنا على كثير من قضايا العصر،كلام مجمل لا يتنزل على الوقائع.

كيف ترون الأمور؟
عندما أقابل بين سنوات 60 و70 وهذه السنوات أجد أننا كسبنا بعض الأشياء المهمة كانتشار الدعوة و تنامي ظاهرة الالتزام الديني و تنامي الوعي الديني لكن في الوقت نفسه نجد أننا فقدنا أمورا أخرى،فازداد الشقاق،وسوء الأخلاق ،وتدهور غير مسبوق على المستوى الحضاري،فحيث كنتُ أرى الكتب منشورة في زاوية كل شارع، وحيثما وليت وجهك وجدت شخصا يقرأ في كتاب،في الساحات العمومية، في الحدائق، في وسائل النقل ،وحتى في المجالات التي لا تناسب توجهاتنا كالمسرح و السينما و الطرب و غيرها كان المستوى أعلى بكثير مما هو عليه الآن، فكأنه وقع تسطيح للفكر و الثقافة فبدلا من أن نقوم بتصفية الثقافة لتخدم توجهاتنا الحضارية ألغيناها نهائيا،و بإقصائنا للثقافة السلبية أقصينا معها الايجابية فارتد ذلك على العقلية المحتضنة للعلوم الشرعية فغلبت الظاهرية الحرفية، وبرز دعاة لا يقدرون على الرؤية الكاملة للصورة تتجاذبهم قوى مختلفة يكفي أن تنظر في منهج أكبر وسائل الإعلام العربية في تغطية الأحداث الجارية لتدرك الهيمنة الممارسة على جميع التيارات الإسلامية.
و السؤال كيف تكون أجيال سنوات 40 و 50 مثلا أوعى من الأجيال الحالية،فعندما أجد المكاتبة بين ابن باديس و الإبراهيمي في أواخر سنوات30 يشرح فيها هدف تكوين جمعية العلماء، ولماذا يجب أن تضم في صفوفها خريجي الزوايا الطرقية، و أنه لا يمكن النضال ضد الاستعمار بدون جمع جميع قوى البلد، و أنظر في أحوال أبناء اليوم أقول في نفسي: المشكل ليس في العلوم الدينية ولكن في العقلية التي تحتضنها وبدون إصلاح العقلية فإن إصلاح العقيدة و الأخلاق يبقى عملا ناقصا،فأنت ترى أبناء العقيدة الواحدة يتقاتلون، و أبناء المنهج الواحد يتناحرون،أما الأخلاق خاصة أخلاق اللسان فتجدها عند غيرنا أقوى، و السبب واضح لا يحتاج إلى تحليل عميق :فساد العقلية.

وما أريد أن أسمع فيه آراء الإخوة هو إلى أين نسير، فالوضع في العراق و في سوريا و الآن في ليبيا و اليمن لا يبشر بالخير،و الصراع الفكري في دول الخليج و المغرب الإسلامي ومصر يميل بشكل واضح للتغريبيين.
وهناك تشجيع خفي ـ في كل مكان ـ لنرتكب بعض الحماقات يدفع الشعوب نحو مفهوم الدولة المدنية على النمط العلماني، فبعض الجهات تحرص على بقاء الفوضى وعدم الاستقرار لمصلحتها الخاصة و أخرى تبحث عن إيجاد دولة مركزية قوية لكن بإلغاء كل التطلعات المشروعة للشعوب الإسلامية وكذلك لمصلحتها، وقسم من الإسلاميين مع الجهات الأولى، وقسم آخر مع الثانية، و المحصلة أن مصيرهم جميعا في يد الجهة التي ستغلب،واحدة تريد توظيفهم لخدمة سياستها و الأخرى تريد القضاء عليهم يعني إضعافهم و إبعادهم إلى الهامش؟
و لأن العقلية فاسدة تتسم بالتعصب للرأي و الجمود على الفكرة التي تقريبا صارت وهما أظن أن المقبل هو عملية عجن ضخمة نسأل الله أن يخرج منها الخير لأمتنا.

مفاهيم خاطئة حول الاستقرار المنهجي.

نصيحة للشباب الناشئ في العلم، المغمور بالعاطفة و الأحكام المسبقة و الظنون الغالبة و اعتقاد الرجحان عندما تريد التعبير عن رأيك و تستدعي نصوصا شرعية أو كلمات سلفية مشهورة يجب أن تراعي التالي و إلا كان كلامك مضلا باطلا و إن كان أصله حقا لأن التوظيف باطل، فحيث يجب التفصيل يصبح الإجمال باطلا مضلا موهما لخلاف الحقيقة.

ينشأ جميع الناس أو أكثرهم ـ كما قال ابن القيم ـ على حب الآباء و الأسلاف و الشيوخ وحسن الظن بهم،ومنهم من يحمله محبة إلفه للدين الذي نشأ عليه، فجبل بطبعه فصار انتقاله عنه كمفارقة الإنسان ما طبع عليه، وأنت ترى هذا السبب كيف هو الغالب المستولي على أكثر بني آدم في إيثارهم ما اعتادوه من المطاعم و المشارب و الملابس و المساكن و الديانات على ما هو خير منه و أوفق بكثير (هداية الحيارى)
ينشأ الناس على أوضاع علمية معوجة أو صحيحة إجمالا عندما تفرض عليها

الأحداث بسط التفاصيل يضطربون وتتنابهم الحيرة و تدهشهم التفاصيل لعجزهم عن رد الجزئيات إلى كلياتها،و التفاصيل إلى جملتها،يريدون أن يبقوا كما هم على الأمر القديم، ليس على الكتاب و السنة،ولكن على فهمهم للكتاب و السنة وهو فهم ظرفي أو مجمل لم تتحداه المستجدات ليجدد نفسه.

وعندما يحصرون الحق في فهم عدد معين،و العدد مما لا يحتفل به عاقل في معرفة الحق،يصعب عليهم تجديد فهم بدون متتالية عددية.

و العجيب أنهم تركوا فهم بعض كبار الصحابة لأجل الدليل كما يزعمون،وتركوا فهم كبار التابعين لأجل الدليل كما يزعمون،تركوا عشرات الأقوال إن لم تكن المئات،لمالك، و الشافعي، و أحمد،وغيرهم فكم من قول لعلمائهم المعاصرين تركوا؟

و الأمر القديم أو العتيق عند التكفيري شيء،و عند التجريجي شيء،وعند الواقع بينهما شيء ثالث،فصارت ثلاثة وهذا حلول علمي يعجز العقل عن تصوره.

بل تركوا فهم هذا المعاصر لفهم ذاك المعاصر فأي أمر عتيق تركوا؟ وعلى أي أمر عتيق أقبلوا؟

هل يريدون أن يؤصلوا في الدين أصولا ما أنزل الله بها من سلطان باسم الألف و العادة و الاستئناس و الحنين.

وقد تكون المطالبة بالثبات على الأمر العتيق صحيحة إذا كان القصد ما ثبت بالكتاب و السنة من غير نزاع سائغ،وما ثبت بإجماع أهل السنة لكن إجمال العبارة باطل، فالقديم و العتيق كلمة مجملة إن اتفقنا عليها مجملا في تحديد المراد منها اختلفنا في إنزالها.

وحيث يكون التفصيل واجبا يصبح الإجمال باطلا وسببا للتضليل و الإيهام.

قال شيخ الإسلام ـ في المجموع ـ : (({أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ} وهذا يتناول من بين له أن القول الآخر هو أهدى من القول الذي نشأ عليه فعليه أن يتبعه كما قال: {وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ} {فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا} وَقَالَ: {الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ} والواجب في الاعتقاد أن يتبع أحسن القولين ليس لأحد أن يعتقد قولا وهو يعتقد أن القول المخالف له أحسن منه وما خير فيه بين فعلين وأحدهما أفضل فهو أفضل وإن جاز له فعل المفضول فعليه أن يعتقد أن ذلك أفضل ويكون ذاك أحب إليه من هذا؛ وهذا اتباع للأحسن.))

وعليه عندما تستعمل كلمة سلفية(يعني مشهورة معتمدة عند السلفيين) صحيحة لكنها مجملة على قضية معينة لا تكون صحيحة حتى تبين بالبرهان أن تلك القضية المعينة مخالفة للكلمة السلفية الصحيحة،وهذا شأن آخر.

ومن هنا أنصح طلبة العلم الناشئين باجتناب الإيجاز، و قضاء المزيد من الوقت في إعداد كلماتهم و فهمها، و الصبر عليها،وتركها تسنح في خاطرهم وتجول في قلوبهم،فإن واعظ الله يدفع عن المخلصين الذين يريدون بكلامهم وجه الله نزغات الشيطان وهواجس النفس فيتبين لهم الصواب فيضيفون عليها التقييدات الواجبة المزيلة للبس و الغموض و التوظيف السيئ أو الفهم الناقص. وفقهم الله.

رأي لا غير.

إذا سألتني عن علماء الحصر الحديث فبينهم خصوص وعموم،و قد يبني الرجل رأيه عنهم،ثم يطالع كتابا لأحدهم فيغيره، فهذه مسائل نسبية تعود لثقافة كل واحد وقدرته على تقييم المجموع،والآراء يجب أن تبقى في إطار الآراء ليست أدلة شرعية ولا سلاحا في معارك استحقاق الإمامة.

بالنسبة لي أكثر المعاصرين تعلقا بالأثر عناية وتوثيقا، وأيضا أكثرهم تحررا الألباني، و أصحهم منهجا شمولا ابن باز،وأكثرهم وعيا بالتحديات الحضارية و تفكيرا في أثرها على مناهج الإصلاح الإسلامية محمد الغزالي.

وإن كنت تقصد التأصيلات المحققة العميقة المتكاملة فقد توقفت عند ابن القيم رحم الله جميعهم.

أما تدقيق المعلومات في العلوم الشرعية: عقيدة، وأصول الفقه، وعلوم حديث، وغيرها، فقد استفدناها من رسائل جامعية ماجستير ودكتوراه لمغمورين لا يعرفهم الناس، منهم من صار مشهورا، ومنهم من لا يزال مغمورا.

وقد أصاب الدكتور العودة كبد الحقيقة عندما قال:(الفارق الجوهري هو بين مجتمع واعٍ قادر على تنمية فكره وتجديده، وآخر مقتنع بمثاليته مشبع نفسه بوهم الكمال.)

فهذا هو حالنا على الحقيقة شبعنا حتى التخمة من وهم الكمال العلمي و الصحة المنهجية.

بقي لي أن أنهي مقالا صغيرا " هذا أوانها" ربما أنزله غدا إن شاء الله و سأقاطع

النت إلى الخريف أفي لبعض الإخوة ببعض البحوث و أتم قصتي عن بحارة حبالهم عمائمهم وسفنهم من دخان.

هذا أوانها

سُنِّيَّة ، لا تكفيرية همُّها تكفير الحكام، و تسعة أعشار دينها نزاع مع الحاكم، و البحث عن كل الأسباب الممكنة نظريا لتكفير عُصاة المسلمين وجُهالِهم، لأنها تفرق بين المبدأ و الحالات، فمع وجود حالات لا تعذر فإن المبدأ هو العذر.

وإن وجد الكفر الحقيقي الشرعي البعيد عن اجتهاد فلان، وتأويلات علان فهو سبب للدعوة ؛ (إذ علة المقاتلة الحرابة و ليس الكفر)، ولا يكون ـ أبدًا ـ سببا ومنهجا لأدلجة الفوضى و تفتيت المجتمعات .

سُنية؛ لا تضليلية، ولا تجريحية فجة همُّها التطبيل للحكام ، و تسعة أعشار دينها التأصيل لطاعة ولي الأمر بدون شرط ولا قيد، و الطعن في أهل السنة،و البحث عن كل الأسباب الممكنة نظريا لتضليل المخالفين من المسلمين.

سُنية ؛ تدعو إلى الإسلام النقي توثيقا ودلالة قد أدركت أن الصراع الشرس في هذا العصر على مستوى نظرية المعرفة، تبشر و لا تنفر،تيسر ولا تعسر، تنصح من يحتاج النصيحة،و تأمر بالمعروف و تنهى عن المنكر بعلم وعدل و حلم من غير فتنة،ولا مفاصلة اجتماعية،تعيش وسط أمتها بوصفها المميز و المشترك،تجاري الأعراف الصحيحة، و تحتضنها بالدعوة الصحيحة ،تعرف متى تسكت ،و أين تسكت،ومتى يكون السكوت واجبا، تترك المعجوز عنه إلى حين تقدر عليه، و تفعل المضطر إليه بعيدا عن الورع الفاسد.

تبسط الحجة و تنشر البراهين بلغات الناس وحسب طباقتهم، تعذر الجاهل وترحم المقلد بالتعليم و تبليغ الحجة بلاغا صحيحا يدرأ الشبهة.

تتعاون مع كل أهل السنة في الخير و المعروف،تسعى لجمع المسلمين على الخير،تقدم المتفق عليه في التعاون الدعوي و الاجتماعي و السياسي، وتؤخر المختلف فيه لمنزلته و مكانه في التدافع العلمي و الفكري.

سُنية؛ تحترم المخالف من غير تنازل عن الحق، تخاطب الناس بأدب، تصدع بالحق و تلاطف الخلق، تعلم الحق وترحم الخلق، تعتقد في التفاضل بين الناس علما وحالا،

وعلى أساسه تحتضنهم.
سُنية؛ تحترم من اقترب من السلطان من أهل العلم و تثمن جهوده، و ترجو له التوفيق، وتعلم دقة و حساسية مهمته، لا تطعن في دينه و نيته لأنها تسدد و تُقارب، ولا تلهث وراء المثالية، فلابد للسلطان من بطانة خير، فليس من شرط الإصلاح العداوة المحضة.
ومن ابتعد عنه من أهل العلم و اختار الهامش، و نصحه بعلم، ولم يكلف الناس ما لا يطيقون تحترمه و تثمن جهوده،و تشكر صدقه ، والكل يخدم هدفا واحدا.
ليست لديها حساسية من السياسة لكن تعمل أولا على تحديد المفاهيم الصحيحة، تعمل لتغيير الواقع وليس لتبريره و استدامته لكن في إطار مشروع حضاري متكامل، الدين قلبه و العلم المادي جنوده.
سُنية، تنظر إلى الضفة الأخرى، تبحث عن الحوار و النقاش، ولا تهرب منه، تهتم بالفكر المعاصر تستثمر الصحيح منه في دعوتها.
تعتقد بتعدد الواجبات و تقسطها، منها من يهتم بتحقيق التراث و إعادة صياغته باللغة العلمية المعاصرة، يجيب عن الإشكالات الفكرية المعاصرة متحررا من كل القيود إلا ما سلم به الدليل،يوفر المادة العلمية المحققة للدعاة و الوعاظ و الساسة.
إننا بالعودة إلى القرآن و السنة، يجب أن نترك كل ما يورث البغضاء في القلوب، و يقطع روابط المودة بين المسلمين، و نتمسك بما يوجب الاحترام المتبادل، و الحفاظ على السمعة و الكرامة و الشعور، فمتى عاب المسلم أخاه فقد عاب نفسه وهذا معنى قوله تعالى :{ ولا تلمزوا أنفسكم}.
ومن يرى أننا قد رفعنا السقف عاليا، نقول له: لو نستطيع فقط أن نكلم بعضنا بعضا باحترام كالبشر صحيحي الفطرة، فذاك الطريق إلى الفلاح.
إلى اللقاء،و السلام عليكم.

صناعة الفكر الصحيح

معرفة الأمور على حقيقتها كما هي في الواقع بعيدا عن المحسنات اللغوية و الافتراضات الذهنية المسكرة للموضوعية يحتاج إلى إحصائها ويكون بالاستقراء ثم تصنيفها بحسب جنسها ونوعها ويحتاج إلى إدراك أوجه التشابه و أوجه الاختلاف فإن كانت مما يقوم على القياس احتجت إلى مثيل تقيس عليه و إن كانت غير مسبوقة

احتجت إلى معرفة أسبابها و استخراج عللها وردها إلى مقاصد الشريعة .
فإن لم تملك القدرة على مسالك العلة لن ينفعك شيء من العلوم وستكون صورة طبق الأصل للموجود في أحسن أحوالك و إلا فمشوهة.
ليست المشكلة في تناطح الآراء ولا في كونها تختلف من حيث سن أصاحبها ولكن في القدرة على فهم رأي المخالف و التفاعل معه انطلاقا من رأيه وليس من رأيك.
فصاحب الفكر الصحيح يقودك إلى الحق من أي رأي انطلقت و غيره إن خرج عن رأيه أضاع الطريق إلى بيتهم.

مغالطات متسلفة على ظهر التعصب و الجمود

بسم الله الرحمن الرحيم

1 ـ بعض الناس ينتقد حركة حماس خصوصا و الإخوان عموما بما يوجد في طائفته ،يعمل جاهدا لاقناع الناس بأنهم طائفة بدعية يعني فرقة إسلامية بدعية خارجة عن السنة وليسوا جماعة دعوية أو سياسية وشبهته الوحيدة التي يبني عليها رأيه هذا هي وجود بعض المخالفين للعقيدة السلفية بين صفوفهم؟
و السؤال بأية عقيدة سلفية أو منتسبة للسلف أخرجتهم من السنة؟
هل تقصد عقيدة التكفيريين،أوعقيدة من يكفر بالجهل وبالاعذار بالجهل،أو عقيدة المرجئة،أو عقيدة من يتبرأ من الطائفتين،أو بالمباحث الكلامية؟
فبأي عقيدة خرجوا عن السنة،وهل يصح شرعا الحكم على الجماعة بما اتصف به الواحد؟

2 ـ يزعم هؤلاء أن شيوخهم أو أئمتهم قد أقاموا الحجة على بدعية الاخوان ولم نعلم أن شيوخهم رسل على أكتافهم خواتيم النبوة،وليس في مصادر التشريع إلا الكتاب و السنة و الاجماع فكيف يرفعهم في المحاججة إلى مصف مصادر التشريع، ويجعل المظنونات قطعيات؟
فشيوخه و أئمته يمكن الاستدراك عليهم من الصباح إلى المساء وليس عندهم إلا ظنيات ضعيفة و مسلمات تخصهم وحدهم و سنرى بعض النماذج منها.

3 ـ عندما يزعم العاقل الذي يدري ما يخرج من رأسه أنه قد أقام الحجة على شخص أو جماعة فيجب أن يعرف أولا ماهية الحجة فقد أصبحنا نرى بعض الشيوخ فضلا عن أتباعهم يصف الكلام غير المفهوم للمخاطب بأنه حجة يعني جعل مجرد الإسماع

حجة،و لا يوصف الكلام بكونه حجة حتى يفهم المخاطب معناه ودلالته فإذا خاطبتُ صينيا و أسمعته القرآن باللفظ العربي لا يكون بالنسبة اليه حجة حتى يفهم معانيه و تصله دلالته فهذا الذي نسميه تبليغ الحجة و بهذا فقط يكون الكلام حجة أما إقامتها فوصف زائد أو آخر يتحقق عندما أزيل المعارض،وهذا مذهب العلماء قاطبة نقلتُ في مواضع أخرى كلامهم إلا من شذ بآراء ضعيفة هجينة.

فلا يوصف الكلام بأنه حجة حتى تبلغ دلالته و معانيه وليس مجرد إسماع ألفاظه، فمن عجز عن إظهار مراد الكلام عجز عن إقامة الحجة،فالعجز عن ابتدائها أي تبليغها يلزم عنه حتما العجز عن إقامتها .

و العجيب أن هؤلاء يعيش معهم أشاعرة وملاحدة و غيرهم في بيوتهم و مدنهم و يدرسون معهم في الجامعات و يعملون معهم يعجزون أن يقيموا عليهم حجة صحيحة؟

يعتبر أكثر الناس أن الحجة و الدليل واحد،و يذهب بعضهم إلى ان الحجة هي ما دل به على صحة الدعوى ويفرقون بين الحجة التي هي في منزلة البرهان و الحجة الاقناعية القابلة للتشكيك،و سواء أكانت مساوية للدليل أو خاصة فإن الدليل يقع على كل ما يعرف به المدلول.

و الدليل قد يكون ناقصا وقد يكون تاما، وهو لايتمّ إلاّ بالجواب عن المعارض؛ فالأدلة تشتبه كثيراً بما يعارضها و إذا كان المعارض مساويا له لم يكن دليلا فضلا عن أن يكون راجحا عليه، فلا بُدّ من الفرق بين الدليل الدالّ على الحقّ، وبين ما عارضه؛ ليتبين أنّ الذي عارضه باطلٌ.

فالدليل يحصل به الهدى وبيان الحق، لكن لا بد مع ذلك من الفرقان؛ وهو الفرق بين ذلك الدليل، وبين ما عارضه، فالفرقان يحصل به التمييز بين المشتبهات، ومن لم يحصل له الفرقان كان في اشتباه، وحيرة فجعل سماع النص كسماع صوت الرعد و بالتالي جعل سماع الأصوات غير المفهومة حجة ودليلا؟

5 ـ ليس مجرد علم السلفي بالدليل يوجب علمه بالمدلول إن لم يستحضر في ذهنه دلالة الدليل على المدلول فيتفطن لما فيه من الدلالة لان العقل لا يحصر شيئا قبل الاحاطة بأفراده ولا يلزم بين شيئين قبل العلم بوجه الملازمة ، مثال على ذلك.

أ ـ ييستدل بعضهم في مسألة العذر بالجهل بقوله تعالى: {فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ

يَفْقَهُونَ حَدِيثًا} و يقصد أنك مهما فعلت لن يفهموا عنك و بالتالي فالحجة قائمة في حقهم ولو لم يفهموها.

و هذا إخراج للآيات عن مدلولاتها،فهؤلاء الذين تتحدث عنهم الآية قالوا عن ظلم وشك وقلة فهم وعلم : {إِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ} فصححت لهم الفهم وبينت لهم حقيقة ما يصيبهم من حسنات و سيئات فليست في سياق إثبات الحجة بالخطاب غير المفهوم،ولا يوجد في القرآن مثل هذا و يجب أن نفرق بين العجز عن الفهم وبين عقوبة عدم الفهم كما في قوله تعالى:{وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا}

ومعلوم أنه لو كان فهمه للآية صحيحا يعني مجرد إسماع المخاطب النص يعتبر حجة في حقه حتى و إن لم يفهمه لأن الله تعالى أخبر عن الكفار أنهم لا يفقهون حديثا وقد علمنا أن كثيرا من الكفار دخلوا الإسلام مما يعني أنهم فقهوا الحديث مما يقودنا إلى أن الآية تقصد صنفا من الناس و ليس كل الناس.

فاللازم من هذا الاستدلال الباطل أن نقول:إذا كان لا يتسحق دفع المعارض لديه لأنه لا يفقه حديثا و الحجة قائمة في حقه سواء فهم معنى الخطاب أو لم يفهمه: لا نحتاج إلى إسماعه النص أصلا لأن الله تعالى قال: وَقَوْلُهُ: {وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا} أي مهما رأوا من الآيات و الدلالات و الحجج و البينات لا يؤمنوا بها،فليس ما ينقصهم هو الفهم ولكن الاستسلام وعدم العناد و الجحود،فعدم فهمهم للقرآن هو عقوبة لهم لتوليهم عن سماعهم و إعراضهم عن دلائله و النظر فيها و لذلك قال في موضع آخر:{وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لأسْمَعَهُمْ [وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ] }

و بالتالي تكون الحجة قائمة في حق من لم يسمعها تماما كما في حق من لم يفهمها بسبب خارج عن قدرته وصار عدم سماعها في مستوى سماعها أو عدم فهمها؟

فَأخْبر سُبْحَانَهُ انه مَنعهم فقه كَلَامه وَهُوَ الادراك الَّذِي ينْتَفع بِهِ من فقهه، وَلم يكن ذَلِك مَانِعا لَهُم من الادراك الَّذِي تقوم بِهِ الْحجَّة عَلَيْهِم فانهم لَو لم يفهموه جملَة مَا ولوا على أدبارهم نفورا عِنْد ذكر تَوْحِيد الله فَلَمَّا ولوا عِنْد ذكر التَّوْحِيد دلّ على انهم كَانُوا يفهمون الْخطاب وان الَّذِي غشى قُلُوبهم كَالَّذي غشى آذانهم وَمَعْلُوم انهم لم يعدموا لاسمع جملَة ويصيروا كالاصم.

فالإسماع يوجب التمكن من النظر في الحجة فإن أعرض كانت ملزمة له ن فإن نظر

فيها وعارضتها شبهة وجب درء الشبهة و إزالتها أما مجرد الإسماع المجرد من الفهم فلا تقوم به حجة.
العقوبة أو العذاب يكون مستحقا بسببين اثنين: الأول: الإعراض عن الحجة وعدم قصد و إرادة العلم بها وبوموجبها.
الثاني: العناد لها بعد قيامها وترك إرادة موجبها ،ولحد هنا لم يدخل صاحب الشبهة أو المعارض لمعنى الحجة فإن لم يدخل في النوعين : كفر الإعراض و كفر العناد دخل في كفر الجهل مع عدم قيام الحجة وعدم التمكن من معرفتها أو معرفة ما يرد عنها الشبهة، فهذا لا يكفر ولا يعاقب إلا بعد قيام الحجة بشرطها.ابن القيم طريق الهجرتين 1/414
تعالى:{ يَا أَيهَا الَّذين آمنُوا لَا تقربُوا الصَّلَاة وَأَنْتُم سكارى حَتَّى تعلمُوا مَا تَقولُونَ }
فجعل الغاية التي يزول بها حكم السكر أن يعلم ما يقول،فمتى كان لا يعلم ما يقول فهو في السكر،وإذا علم ما يقول خرج عن حكمه،فهذا أصل يجب اعتباره.
فغيبة العقل تكون عذرا في رفع القلم وكذلك الشبهة التي يرفع معها قيام الحجة قد تكون عذرا في الظاهر ،وإن لم تكن عذرا في الباطن بمعنى أنها ليست حقا في الباطن لكن ما ظن أنها حق صارت عذرا في الظاهر.
ب ـ يقول بعضهم ممن يكفر علماء المسلمين فضلا عن عوامهم بكفر العاذر وسواء اشترط إقامة الحجة على العالم أم لم يشترط فقوله باطل و هو في نهاية المطاف يكفر نفسه، كيف ذلك؟
يأتي إلى قول الشيخ محمد عبد الوهاب ((الرافضي إذا سب الصحابة , فاختلف العلماء في كفره , وأما إذا اعتقد في علي أو الحسين , فهو كافر إجماعاً , والسني الذي يشك في كفره كافر)) (الدرر السنية 10/ 129).
نلاحظ أن ظاهر هذا الكلام أنه لم يعتبر الجهل، ولا قيد به حكم التكفير، فكفَّر الرافضي الذي يعتقد في علي أو الحسين وكفَّر السني الذي يشك في كفره؟
وإلى قوله في نواقض الإسلام : ((من لم يكفر المشركين أو شك في كفرهم أو صحح مذهبهم كفر ، وقال الشيخ الإسلام ابن تيميه رحمه الله من دعا علي بن أبي طالب فقد كفر ومن شك في كفره فقد كفر) (الدرر السنية 7 /374).
قلتُ: العبارة المنقولة عن شيخ الإسلام ابن تيمية لم أجدها لعله نقلها عنه بالمعنى، لكن

لشيخ الإسلام عبارات مثلها في أصحاب وحدة الوجود و الدروز غير أنها مقيدة بقيود لفظية و سياقية واضحة وصريحة.
وعليه نفهم من خلال كلام الشيخ محمد عبد الوهاب أنه يكفر الجاهل الواقع في الشرك ولا يعذره بالجهل، ولا يشترط إقامة الحجة عليه كما يكفر من يعذره من العلماء.
لكننا نجد له كلاما آخر مناقض مخالف لتقريره هذا كقوله في رده على رسالة الشريف:
((وأما الكذب والبهتان، فمثل قولهم: (إنا نكفر بالعموم)، ونوجب الهجرة إلينا على من قدر على إظهار دينه، و(أنا نكفّر من لم يكفّر ومن لم يقاتل)، ومثل هذا وأضعاف أضعافه. فكل هذا من الكذب والبهتان الذي يصدون به الناس عن دين الله ورسوله , و(إذا كنا لا نكفر من عبد الصنم الذي على عبد القادر , والصنم الذي على قبر أحمد البدوي وأمثالهما لأجل جهلهم وعدم من ينبههم) , فكيف نكفر من لم يشرك بالله تبارك وتعالى إذا لم يهاجر إلينا ولم يكفر ويقاتل , (سبحانك هذا بهتانُ عظيم) " [الدرر السنية 1/66] .
فالشيخ محمد عبد الوهاب يصرح بوضوح أنه يعذر بالجهل في مسائل الشرك ولا يكفر بها و يشترط إقامة الحجة، ولا يكفر من لا يكفر، فإما نعتبر قوله هذا تفصيلا لما انبهم من أقواله وقيدا عليها ،وهو الموافق لعقيدة أهل السنة خاصة، وقد نقل عنه أئمة الدعوة هذا المذهب فقال الشيخ سلميان بن سحمان : ((لو قدر أن أحداً من العلماء توقف عن القول بكفر أحد من هؤلاء الجهال المقلدين للجهمية أو الجهال المقلدين لعباد القبور أمكن أن نعتذر عنه بأنه مخطئ معذور ولا نقول بكفره لعدم عصمته من الخطأ ، والإجماع في ذلك قطعي، ولا بدع أن يغلط فقد غلط من هو خير منه ... وقد ذكر شيخ الإسلام في رفع الملام عن الأئمة الأعلام عشرة أسباب في العذر لهم فيما غلطوا فيه وأخطئوا وهم مجتهدون؛ وأما تكفيره أعني المخطئ والغالط فهو من الكذب والإلزام الباطل فإنه(لم يكفر أحد من العلماء أحدا إذا توقف في كفر أحد لسبب من الأسباب التي يعذر بها العالم إذا أخطأ ولم يقم عنده دليل على كفر من قام به هذا الوصف الذي يكفر به من قام به) ؛ بل إذا بين له ثم بعد ذلك عاند وكابر وأصر)) .
(كشف الأوهام والالتباس عن تشبيه بعض الأغبياء من الناس)(1/70).

وكذلك كتب الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن، إلى: عبد العزيز الخطيب في رسالة مطولة يقول فيها : ((وقد رأيت سنة أربع وستين، رجلين من أشباهكم، المارقين، بالأحساء، قد اعتزلا الجمعة والجماعة، وكفرا من في تلك البلاد من المسلمين، وحجتهم من جنس حجتكم، يقولون: أهل الأحساء يجالسون ابن فيروز، ويخالطونه، هو وأمثاله، ممن لم يكفر بالطاغوت، ولم يصرح بتكفير جده، الذي رد دعوة الشيخ محمد، ولم يقبلها، وعاداها.

قالا: ومن لم يصرح بكفره، فهو كافر بالله، لم يكفر بالطاغوت ; ومن جالسه، فهو مثله ; ورتبوا على هاتين المقدمتين الكاذبتين الضالتين، ما يترتب على الردة الصريحة من الأحكام، حتى تركوا رد السلام، فرفع إلي أمرهم، فأحضرتهم، وتهددتهم، وأغلظت لهم القول; فزعموا أولا: أنهم على عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وأن رسائله عندهم، فكشفت شبهتهم، وأدحضت ضلالتهم، بما حضرني في المجلس.

وأخبرتهم ببراءة الشيخ من هذا المعتقد والمذهب، وأنه لا يكفر إلا بما أجمع المسلمون على تكفير فاعله من الشرك الأكبر، والكفر بآيات الله ورسله، أو بشيء منها، بعد قيام الحجة، وبلوغها المعتبر" [الدرر السنية 1/466].

فإذا نظرنا في تضارب هذه النقول فإما أن الشيخين يكفران أنفسهما لأنهما يكفران العاذر و قد صح عنهما العذر بالجهل و إما نقول: الشيخ ناقض نفسه وما يلزم عن هذا التناقض من مستشنع الأقوال.

و الصحيح اللائق بعلم الشيخين ومكانتهما أن المستدل بكلامهما على كفر العاذر إما لا يعرف كيف يستدل بكلام العلماء فلا يفرق بين كلامهم في سياق المسألة وكلامهم في سياق مخالف للمسألة يكتفى فيه العالم مثلهما بمعونة المقام عن التصريح، أو هو متضمن بالضرورة من علمه لمقدمات مضمرة،أو مع تقدير محذوف التفصيل ،و إما أنه مبطل ملبس غارق في عقيدة الخوارج التكفيريين يتمسح بأئمة السنة.

ولزيادة التوضيح في كيفية فهم كلام العلماء ورده للكتاب و السنة ننظر في قول شيخ الإسلام ابن تيمية في الدروز : ((كفر هؤلاء مما لا يختلف فيه المسلمون؛ بل من شك

في كفرهم فهو كافر مثلهم))
يفهم منه الجاهل الضال الذي يكفر العاذر من العلماء أن شيخ الإسلام لا يعذر بالجهل، ويكفر من شك في كفرهم ،وهذا بهتان عظيم،وضلال مبين لأن كلام ابن تيمية في الدروز من جنس كلامه في أصحاب وحدة الوجود ، فعندما يقول عنهم ((فَهَؤُلَاءِ كُفْرُهُمْ شَرٌّ مِنْ كُفْرِ النَّصَارَى الَّذِينَ قَالُوا: إنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ. وَأَمَّا الْأَوَّلُونَ: فَيَقُولُونَ بِالْإِطْلَاقِ. وَيَقُولُونَ: النَّصَارَى إنَّمَا كَفَرُوا بِالتَّخْصِيصِ. وَأَقْوَالُ هَؤُلَاءِ شَرٌّ مِنْ أَقْوَالِ النَّصَارَى وَفِيهَا مِنْ التَّنَاقُضِ مِنْ جِنْسِ مَا فِي أَقْوَالِ النَّصَارَى؛ وَلِهَذَا يَقُولُونَ بِالْحُلُولِ تَارَةً وَبِالِاتِّحَادِ أُخْرَى وَبِالْوَحْدَةِ تَارَةً فَإِنَّهُ مَذْهَبٌ مُتَنَاقِضٌ فِي نَفْسِهِ؛ وَلِهَذَا يَلْبِسُونَ عَلَى مَنْ لَمْ يَفْهَمْهُ. فَهَذَا كُلُّهُ كُفْرٌ بَاطِنًا وَظَاهِرًا بِإِجْمَاعِ كُلِّ مُسْلِمٍ وَ(مَنْ شَكَّ فِي كُفْرِ هَؤُلَاءِ (بَعْدَ مَعْرِفَةِ قَوْلِهِمْ وَمَعْرِفَةِ دِينِ الْإِسْلَامِ) فَهُوَ كَافِرٌ كَمَنْ يَشُكُّ فِي كُفْرِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَالْمُشْرِكِينَ.)) المجموع2/268.
فقدضمَّن ابن تيمية كلامه قيدين الأول: أن يعرف قولهم يعني يعرف حقيقته،الثاني: أن يعرف دين الإسلام أي مدى مناقضة قولهم للإسلام فهذا إن لم يكفرهم يكفر ، أما بغير هذين القيدين فتكفيره جهل بالكتاب و السنة، وظلم للمسلمين ليس بعده ظلم.
و إذا صح عن شيخ الإسلام تكفير ابن عربي و صح عنه كما في القول المنقول وفي مواضع أخرى التصريح بكفر من لم يكفر أصحاب وحدة الوجود فهمنا أنه بناء على القيدين المذكورين وهذا واضح بالضرورة العقلية لأنه إذا كفَّر ابن تيمية من لم يكفر من كفَّره هو بغض النظر عن معرفته بحقيقة قول المكفَّر ومباينته للإسلام لزم ضرورة أن من حق هذا العاذر الذي كفَّره ابن تيمية ان يقول: من كفَّر من لم أكفر فهو كافر ،و أصبح تكفير الغير عائدا إلى علم المكفر(بكسر الفاء) وليس إلى علم المكفَر(بفتح الفاء) وهذا باطل من كل وجه لأنه إما نكفر بقناعة المكفِّر و إما نكفِّر بالحجة القائمة في النفس ،فإن لزم التكفير بالحجة لزم تبليغه و دفع ما يعارضها، وهذا يبطل مذهب من لا يعذر بالجهل ومذهب من يكفِّر العاذر.
وقد صح عن الذهبي أنه لم يكفر ابن عربي و شك في كفره، قال و كذلك الحافظ و كثير من العلماء فهل يكونون كفارا بذلك أم يجب أن نظهر لهم الحجة بمعنى نبلغهم الأدلة ـ و التبليغ ليس مجرد الإسماع بل الافهام ـ وندفع شبهاتهم ليلزمهم تكفيره؟
نظرة سريعة في صورة من صور ضعف الاستدلال و المنافرة بين الدليل و الدلالة:

يستدل من يكفِّر العاذر بقصة امرأة المختار بن عبيد الثقفي التي رفضت تكفير زوجها وهي ابنة أحد الصحابة فقتلها مصعب بن الزبير ، ولم يعذرها بالجهل،أو لم يعذر عذرها لزوجها الذي ادعى النبوة فهي كافرة لأنها لم تكفِّر زوجها ؟

وفي الحقيقة لا يمكن أن نعتبر هذه القصة دليلا بأي حال من الأحوال،لأن هذه القصة تصلح دليلا على كفر ووجوب قتل من ادعى النبوة،لا على أي نوع من أنواع العذر بالجهل،وقد قلنا في مناسبات عديدة أن الدليل مستلزمٌ للمدلول،و الدليلَ لا يكون دليلاً حتى يكون مستلزماً للمدلول؛ متى وُجِدَ وُجِدَ المدلول، وإلاّ فإذا وُجِدَ تارةً مع وجود المدلول، وتارةً مع عدمه فليس بدليل، الدليل هو مستلزمٌ لمدلوله وهذا ما لا يتوفر في هذه القصة بحيث يدل الدليل على مدلول آخر غير المطلوب، فقد افتقدت لشروط العذر بالجهل فهذه المرأة لم تكن جاهلة بحال زوجها، بل كانت عالمة به و بدعواه النبوة و قد طلب منها مصعب بن الزبير الإقرار بكفره، ولا يصح أن نقيس المختار الثقفي الذي ادعى النبوة على المسلم الجاهل الذي يقع في شرك، لوجود فوارق كبيرة جدا فأولا: تكفير الصحابة و التابعين للمختار بن عبيد لادعائه النبوة و أنه يوحى اليه،وهذا لا يعذر به أحد، وقد عرفنا أنه لا نبي بعد محمد صلى الله عليه وسلم، و بالتالي فإن من لم يكفِّر مدعي النبوة كالمختار بن عبيد هو كافر قطعا، وهنا تكون زوجته بمثابته في الكفر فكيف تكون من بنات الصحابة وفي زمنهم ولا تعرف أن النبي صلى الله عليه وسلم هو خاتم الأنبياء الذي لا نبوة ولا رسالة من بعده؟

ومع ذلك فقد استتيبت ولم يقتلها مصعب مباشرة بل استفتى فيها عبد الله بن الزبير فكتب اليه إن لم تبرأ منه فاقتلها، وهذا يعني أنهم بينوا لها كفره، فليس في هذه القصة ما يصلح لنقيس عليها العالم الميسلم العاذر للجاهل من المسلمين يقع في شيء من الشرك جهلا .

وعندما يقال: ((وإذا كان الصحابة قتلوا المرأة التي هي من بنات الصحابة لما امتنعت من تكفيره ، فكيف بمن لم يكفر البدو مع إقراره بحالهم))

نقول: هذا دليل مقلوب معكوس،لأن كون المرأة من بنات الصحابة ليس مانعا من قتلها بل هو سبب إضافي لعلمها بحقيقة كفر زوجها، فكيف نقيس بنات الصحابة ومن عاش في زمنهم مع بدو جهال بينهم وبين عهد النبوه قرون طويلة، بغض النظر عن البدو المقصودين؟

ومن هنا نفهم سبب الجهل المطبق الذي يقع فيه من يكفِّر علماء السنة القائلين بعذر الجاهل لأنه ينزل آيات نزلت في الصحابة على جهال لا يشاركونهم في العلم، ولم يحصل لهم من تفاصيل العلم و اليقين ما حصل للصحابة، ولهذا كان ابن تيمية الذي يستدل بأقواله هؤلاء على تكفير العاذر بجمل مقتطعة في غير سياق موضوعاتها ومظانها ((و لهذا كنتُ أقول للجهميَّة مِن الحلوليَّة والنُّفاة الَّذين نفوا أن يكون الله تعالى فوق العرش كما وقعت محنتهم:أنا لو وافقتكم كُنتُ كافرًا لأنِّي أعلم أنَّ قولَكم كفرٌ، وأنتم عندي لا تكفرون لأنَّكم جُهَّال.

وكان هذا خطابنا لعلمائِهم، وقضاتهم، وشيوخهم، وأمرائهم، وأصلُ جهلِهم شبهاتٌ عقليَّةٌ حَصلَت لرؤوسهم في قصور معرفة المنقول الصَّحيح، والمعقول الصَّريح الموافق له فكان هذا خطابنا)) الرد على البكري1/38.

و الخلاصة أننا لا نجد عند هؤلاء إلا نصوصا يحملونها ما لا تحتمل و ينزلونها على غير محلها،ويجعلون حكمها على العالم بها كحكمها على الجاهل بها الذي لم يعرف معانيها أو فسرت له بطريقة خاطئة و أكثر أدلتهم قال ابن بطين، قال فلان، من كتب فيها تناقض شديد، فتجد فيها الرسالة تكفر شخصا بعينه تحكم أخرى بجانبها بإسلامه و ايمانه؟

وقد يحمل بعضهم هذا التناقض على أنه من قبيل تقابل المجمل مع المفصل،وليس كذلك بل هو تقابل تناقض له أسباب ظاهرة تجدها في تعليلاتهم و لعل قصة ابن فيروز خير مثال كفروه في مواضع و حكموا بإسلامه في مواضع أو كفره بعضهم وحكنم بإسلامه بعضهم الآخر.

أسئلة فلسطين

لابد أن نقر لحركة حماس الفلسطينية بأنها قد أدت ما عليها وزيادة في إدراة المعركة العسكرية الأخيرة،فلا يمكن من هذه الناحية أن نطالبها بما يفوق قدراتها الفعلية،ولكن المعركة العسكرية جزء من إدارة الصراع،وهنا تبرز أسئلة تحتاج إلى أجوبة بعيدا عن العاطفة الايمانية:

1 ـ يجب أن نفرق بين التعاطف معها في جميع الأحوال مادام سلاحها موجها لنحور الصهاينة و أنها فخر الأمة تذود عن شرفها وجزء من الطائفة المنصورة في أكناف

بيت المقدس، وبين نقد أدائها السياسي و الاجمالي،فمنطلق النقد أخوي وليس لعداء مذهبي وكراهية مصطنعة لا تمت لمبدأ الأخوة الإسلامية بصلة.

2 ـ ما هو موقف سكان غزة مما يحدث لهم،هل يوافقون توجهات حماس بالاجماع أو الأغلبية أم أنهم مغلوبون على أمرهم لا يملكون القدرة على إظهار مخالفتها و إلا يتعرضون للقمع؟

3 ـ لماذا القضية الفلسطينية واحدة و الفصائل الفلسطينية 27 فصيلا؟

4 ـ فهل يمكن لحركة حماس ومن يواليها حسم الصراع مع إسرائيل بمعزل عن بقية الفصائل،وهل في مقدورها فرض توجهاتها على دول الإقليم و العالم أم أنها تسير نحو الجدار، يعني هل يمكنها حسم صراع المحاور الداخلي و تجاوز صراع المحاور الإقليمي ؟

5 ـ لماذا يضرب الإسرائليون غزة في كل سنتين؟

6 ـ لماذا لا يشجع حركة حماس على القتال إلا الشيعة،هل لهم مصلحة في صدام المحاور الإقليمي يتمددون في غفلته ،ملاحظة: إذا جاز إطفاء النار بالبول جاز لحماس أن تستفيد من أموالهم وسلاحهم؟

7ـ ما هي الأهداف الإسرائلية الحقيقة في غزة، هل هي ما يعلنه كيانهم و إعلامهم، أم أن غزة حصان طراودة في سياستهم الدولية و الإقليمية؟

8 ـ هل تعجز إسرائل عن اجتياح غزة؟ فلم لا تفعل؟ ومن صور لنا أنهم يخافون من وقوع ضحايا في جيشهم فما بال معاركهم السابقة و اجتياحهم لبيروت سنة1982م؟

9ـ ما هي معايير الانتصار وحجم الضريبة المقبول،هل هو منع إسرائيل من تحقيق أهدافها المعلنة بغض النظر عن عدد القتلى وكمية الدمار؟

10 ـ ما دور تركيا وقطر اللتين يثق فيهما صانع القرار الأمريكي؟ هل هو ترويضها على نار هادئة أو لبث الشقاق بين قيادتها السياسية و قيادتها العسكرية أو بين الخارج و الداخل،أو لم تبق لهم أوراق كثيرة للمناورة السياسية أم يجب أن نصدق أنهما فعلا يريدان الخير لها؟

11 ـ هل يجب على حركة حماس أن تقاتل وهي لا تقدر على حماية شعب غزة كما تستطيع إسرائيل حماية شعبها أم أنها لا تملك الخيار و المعركة مفروضة عليها فلا تملك إلا الاستعداد لها في حدود الممكن؟

12 ـ هل تعتقد حماس أن مطالبتها بفك الحصار ممكن بدون تسوية نهائية مع كل الفلسطينين؟
13 ـ هل تبقى لحماس مكانةسياسية داخليا و خارجيا إن هي ألقت السلاح وتناغمت مع السلطة الفلسطينية؟
14 ـ هل تساعدها ظروف الدول العربية الراهنة على مشروعها ؟
هذه مجموعة أسئلة تدور في الخاطر من مدة أحببتُ مشاركتكم إياها مع اعتقادي أن من يخلط بين مسألة توقيت القتال وحثيات الصراع مع مسألة التعاطف و التأييد على العدو الأول للأمة قد فقد النظر إلى المسائل من زاوية الايمان الإسلامي، وطوعته نظريات سياسية لبعض الدول لايهمها ما يجري في غزة أصلا لأنها أولا لا تهتم لما يجري لمواطنيها؟
على كل و في جميع الأحوال يبقى اهتمامي بما يشعر به سكان غزة وما يعتقدونه في المسألة فعلى رؤوسهم تقع الصواريخ.

النصيحة:
انصح بالمقدور الممكن ،خذ أسباب الاصغاء اليك، ولا تطالب من تكفِّره،أو تحاربه،أو تسعى للقضاء عليه مصيبا كنت أم مخطئا، أن ينصرك على عدوك لأنك عدوه.
فقد بعض الناس كل منطق سليم وجرفتهم العاطفة في سيول الأحداث.

كيف تصحح كلامك:
ـ يمكن أن نكتب ردنا على المخالف كمسودة ثم نقوم بالرد عليه بأنفسنا كأننا المخالف فنراجع دلالة النص هل هي قطعية متفق عليها أم ظنية مختلف فيها،وفي النصوص المعارضة ومدى صحتها،و الأوجه المتعددة للاحتمالات الممكنة ،وكذلك العبارات المستعملة إن كانت مما جعل لها الشارع حقائق و مقاصد أم من المستحدثة المستجدة،وهل قد وفينا حقائقها المقومة لها و مقاصدها المحصلة لها؟
و التكلم بالألفاظ الشرعية مشروط بإرادة معانيها لا المعاني الاجتهادية أو التقديرية ،و التكلم بها حقيقة غير التكلم بها حكما، فرقا بين المعنى المقرر و المعنى المغير

ككلمة جهاد مثلا، هل المراد بها الجهاد الشرعي أم الجهاد البدعي؟
وكذلك مراعاة باب النية و القصد لأنها مؤثرة في الألفاظ المحتملة بالتساوي لأن الواحد منا قد يطلق اللفظ الشرعي ويريد به المعنى البدعي،أو ما يعتقد أنه شرعي وليس كذلك في الحقيقة ،وهكذا؟
وهل قياسنا على الحوادث التاريخية أو العلل الشرعية علمي منضبط بقواعد القياس الصحيح فنحدد هل العلة منصوصة أم مستنبطة وبأي طريق استخرجناها أم أدبي ،وهكذا.
و أجزم أننا سننتبه للفجوات الخفية و القياسات الضعيفة ونعاود التصحيح فننتفع علما ونزيد في المخالف ونعينه على الفهم أو نرجع الى بعض كلامه خضوعا لما أدى إليه الدليل.
كما علينا الابتعاد عن أمراض المجاملة المزيفة و الحزبية العلمية الحقيرة،فنجيب قدر السؤال ونعترض قدر كلام المخالف وفي موارده فتجاهل المطلوب و المصادرة عليه سفسطة أو عصبية لا تليق بطلاب الحق لان طالب العلم طالب حق، فإن قدرنا على الجمع بين المادة العلمية الصادقة الموثقة مع الشكل الصحيح فهذا أفضل و إلا فإن في صدق المقدمات كفاية و غنية عن الشكل الصحيح.

تشييخ طلبة العلم

نسعى في هذه الأيام لمشروع دعوي مهم أعمل جاهدا ليكون المتقدمون فيه من الشباب لأن المعروفين استهلكوا وقودهم في معارك "دون كيشوط" و أكثرهم تجاوزته الأحداث و أصبح من العسير عليه مجاراة الشباب فمكانهم الطبيعي في الخلف ينصحون في حدود ما يدركون و ينفعون بتجاربهم .
وقد جالست كثيرا من الشباب من أئمة المساجد و خريجي المعاهد الشرعية من مختلف الولايات فوجدتُهم أدرى بالواقع و أكثر تصديقا لوعود الإسلام،و أسلم صدرا و أصح فهما من كثير ممن بلغ سني بدون مجاملة، و الحديث معهم مفيد يعترضون عليك من غير أن تشعر فتستفيد منهم و تدبِّب علمك،و يسمعون منك بتواضع صادق .
و لأني لستُ على منهج الشيخ ربيع ـ سدده الله الحزبي ـ عليكم بفلان و فلان، أربط الناس بمن يواليني بل أسعى لربطهم بالكتاب و السنة و أذكي فيهم حب مقارعة الأدلة

و الصبر على عناء البحث و المقابلة أقول: هم بحق شيوخ و يستحقون هذا الوصف لكن ليفهموا أن المشيخة تتفاضل كثيرا، وهي مسؤولية جسيمة تقوم على بذل الجهد في العلم ليكون صادقا ثم بذله للناس على حد سواء و أن تكون في متناول الناس تجالسهم مع العلم أن خدمة طلبة العلم شاقة في غاية التكليف إذ الجواب على أسئلتهم يكاد أحيانا يبلغ جهد كتابة رسالة ليسانس وليس هذا بالشيء الهين ومن لا يقدر على هذا فليغير الوظيفة لأنه لا يصلح لها و ستكون عليه ويلا في الدنيا أو في الآخرة.
فلا يجب علينا أن نقطع الطريق على المستحق منهم ليبق دائما تحت جناحنا في خدمة أهدافنا الخاصة و لنأخذ هذه الكلمة على حقيقتها الشرعية و الواقعية تزكية هذا في علم لا تعني تزكيته في علم آخر، و تزكية ذاك بالإجمال أو بالتفصيل لا تعني بحال العصمة و يبقى علمك شاهدك الوحيد الذي يقبل نقضا في أي ساعة ، في أي سنة وكما قال الشيخ ربيع أحسن الله إلينا و إليه : يزكيك علمك.

النقد لجمع الرأي و احتواء المخطيء و ليس للتدابر و الاقصاء

لا تدع النقاش يصل نقطة القطيعة ،حافظ على شعرة التواصل فارجع إذا رأيت النفس قد دخلت و اختم بكلمة سواء ،في الحوار القادم تتجدد لك فرصة أخرى لمزيد من التفاهم
أقول هذا بالنسبة للمعتدلين من كل طائفة ، البقية لا تصدع رأسك.

مركز نماء؟

ما رأيكم في المواضيع التي ينشرها مركز نماء ،بالنسبة لي هي متفاوتة القيمة، بعضها من جنس ما يقال عندنا "جاء ليكحل لها فأعماها" و أقصد أن أصحابها اكتشفوا الخطا و الضرر الحاصل منه على الأمة لكن اقترحوا حلولا أفسد من الخطأ، و بعضها قيم الطرح و التحليل، يشكل قفزة فكرية علمية كبيرة .
وهل يقوم المركز بفتح هذه المواضيع أمام النقاش المضاد أم النقاش داخل اتجاه فكري واحد؟

اليمن الذي كان سعيدا :من ضد من؟

لو نجد أخا يمنيا أو مطلعا على أحوال اليمن يشرح لنا الوضع في اليمن، فيبدو أننا لا نهتم لهم كما ينبغي، ربما لبعد اليمن عن مركز العالم الإسلامي،وضعف التغطية الاعلامية.
و الذي أعرفه عن اليمن مسميات على شيء ضبابي: الحوثية، القاعدة، الحراك الجنوبي، الثورة الشعبية، القبائل المسلحة، الزيدية؟

مشاكل الاستدلال عند طلبة العلم:

نقل أحد الإخوة الفضلاء عن عبد الرحمن بن حسن ـ رحمه الله ـ قوله : ((ولا رَيبَ أنَّ اللهَ تعالـــى لم يَعذُرْ أهلَ الجاهليَّةِ ـ الذينَ لا كتابَ لَهُم ـبهذا الشِّرك الأكبَرِ ، فكيفَ يعذرُ أمَّةً كتابُ اللهِ بين أيديهم يقرؤونَهُ ـفهو حجَّةُ اللهِ عَلَى عبادِهِ ـ " ا.هـ)).
و لستُ بصدد تحقيق المسألة، فالنقل في حد ذاته لم أراجعه لكني أريد الكلام عن منهجية الاستدلال فأقول:

1 ـ هل هذا من الأدلة الشرعية المعتبرة ؟

لأنه إذاكان استدلال الشيخ به يعد دليلا فهو بالنسبة للناقل مجرد خبر ، و الأخبار التي نحتج بها هي الأخبار النبوية ،إلا أن يقدر على الاستدلال له من وجه آخر.

2 ـ فإن كان هذا هو مصدر عقيدته في المسألة فقد رفع كلام العلماء الى مصف مصادر الاستدلال،وما هذا بمنهج الشريعة ،و إن كان بصدد تحقيق مذهب الشيخ فله ذلك.

3 ـ قول الشيخ رحمه الله : ((ولا رَيبَ أنَّ اللهَ تعالـــى لم يَعذُرْ أهلَ الجاهليَّةِ ـ الذينَ لا كتابَ لَهُم ـبهذا الشِّركِ الأكبَرِ)) يخبر عن علمه هو أو عن موقف أئمة السنة بالاجماع،أم هو باعتبار ذاته؟

فأولا: اختلف أهل العلم في أهل الفترة لانه قد ورد فيهم أحاديث، أنهم يمتحنون يوم القيامة، وآيات مشيرة إلى عدم تعذيبهم أي أنهم يوم القيامة يعامل معاملة من لم يكلف في الدنيا لجنونه أو بلهه أو صغره وعدم تكليفه،وجاء في فتوى اللجنة الدائمة رقم:6465 ((من من بلغته الدعوة للإسلام ممن كان قبله أو في زمنه ولم يجب ومات على ذلك فهو من أهل النار، ومن لم تبلغه الدعوة فإنه يمتحن يوم القيامة، كما صحت في ذلك السنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.))توقيع : عبد الله بن قعود ... عبد

الله بن غديان ... عبد الرزاق عفيفي ... عبد العزيز بن عبد الله بن باز
ومن هنا قال العلماء في باب الفتوى: من لم يجد من ينقل له حكما في نازلته ، فالصحيح انتفاء التكليف عن العبد .
و المقصود تنبه الفاضل إلى منهجية الاستدلال الصحيحة وله أن يتبع ما انتهت اليه قناعته لكن بمنهجية علمية صحيحة.

الصحابة

مع كل النوايا الحسنة و الجهوذ التي قد تبذلها في الترجيح و التوفيق بين ما ظاهره التعارض لن يتجاوز فهمك لقضايا الصحابة فهم السلف فلا تتعداهم الى فهمك، وما لم تكن مضطرا للرد على الرافضة فلا تدخل هذه القضايا فإنها باب الشر، و أكثر الشبه فيها الخلط بين الطبع الآدمي و الفضل الديني،وللرافضة غرض في بحث هذه المسائل هو ابطال الشريعة و الطعن في الطريق اليها ،ولن تربح شيئا يزيد في دينك بالنبش في أمور خلت لن تسأل عنها.

الدفع نحو التطرف:

لا تعتقد أنك تغيضهم باندفاعك نحو التطرف، بل هذا ما يسعون إليه :"دفع المعتدلين نحو التطرف".
نحن الآن على مشارف منعرج تدور عليه رحى الإسلام " إفراغ الدعوة الإسلامية من كل مصداقية" و جعل العلمانية على الأقل السياسية المنفذ الوحيد أمام الأمة.
في ظني سينجحون في سقوطها لكن في الحقيقة لن تسقط إلا الأوهام المنسوبة زورا للإسلام ،وسيكون مكرهم نارا عليهم لأنه سيولد بخلاف ظنهم جيل و أمة تستحق قيادة هذا العصر.
يبدو لي أن الفتنة تلفعت بالسواد وحملت رايات التضليل وقد فتحت أبوابها على مداها لتعم النار كل الحصيد، ومع ذلك فمن الحريق يخرج أخصب فصول الربيع.

كيف ينظر طالب العلم

لما كان ظني بك فقه واقع (السلفيين) خصوصا و (الإسلاميين) عموما، و معرفة

خلفية الإشكالات الواقعة، و أن المرء لا ينفعه إلا عمله، و لا يبصره إلا علمه بهداية الله سبحانه فاعلم أن أهل العلم بعضهم لبعض ظهير،وخير من ينصر طالب العلم طالب علم مثله، فإن ما تراه من تناحر و تدابر و تراشق بالغث و السمين يكشف لك أن أصحابه ما هم إلا فئة من العوام شيّخوا و نصبوا، قد كثر فسادهم في الدعوة،وستسير الأمور إلى ما يحبه الله ويرضاه من اقتراب أجل خمود فتنتهم ، ورجوع كل واقف في الساحة العلمية إلى مكانه الحقيقي،فلا تعجل لأن العاقبة للتقوى.

واصل طريقك:

النقد العلمي واجب شرعي، و لكنه لا يعني أبدا الوقوف عنده و الركون إليه وترك ما سواه، فكيفي المسلم أن ينبه على الأخطاء بالأدلة الصحيحة لتبرأ ذمته، ثم ينصرف إلى شؤونه الأخرى التي هي أهم بكثير.

و إنما يكرر الكلام و يمضغه حتى يصير لا ذوق له من يحرص على الناس أن يطؤا عقبه، وفي هذا حتفه، قال عبد الرحمن بن مهدي:" يا قوم لا تطؤا عقبي و لا تمشوا خلفي،ووقف فقال:حدثني أو الشهب عن الحسن قال :قال عمر بن الخطاب :"إن خفق النعال خلف الأحمق قل ما يبقى من دينه."حلية الأولياء"{11/9}

والجدال شريعة موضوعة للتعاون على إظهار الحق ، فإذا ظهر الحق ولم يبق به خفاء فلا فائدة في الخصومة ،وقد وضح الحق واستبان فيما يخص المسائل المتنازع حولها إلا للغر أو الناشئة،فلا خصومة بيننا ولا مجادلة ،فمن رجع رجع لنفسه ،ومن لم يرجع فعليها .

أما الوقوف على هذا الشفير فما هو من هدي أهل السنة و الجماعة،فما منهم رجل وقف على مثل ما وقفنا عليه يكرر الكلام حتى مجته الأسماع .

قيمة العمل الجماعي في الإسلام

(1)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، و الصلاة و السلام على أشرف و أفضل المرسلين.

أما بعد؛ فإن من أهم الوسائل المدمرة التي استخدمت لضرب العمل الإسلامي المشروع،ـ تشتيتا لجهود العلماء و الدعاة ، وتفريقا بين الأمة و علمائها ، حتى يكون

العالم في مجتمعه في وضع حرج، يغلب عليه موقف التحفظ، أو يعيش في هامشه بالكلية ـ الحرب الضروس الخفية و المعلنة على العمل الجماعي المنظم تحت غطاء الشرعية ،فهذا خطر دامس، قلما تفطن له الناس، ولذلك فإنك إن دخلت المكتبات في بعض البلاد الإسلامية ، فقد يدهشك جنس الكتب التي تعرض فيها ، مما يعني أن يدا ما تريد نشر فكر معين، له حساسية شديدة ضد كل ما يسمى جماعة، و يحارب كل عمل جماعي دعوي أو خيري.

لا يخفى على المهتمين بالشأن الإسلامي مدى حاجة المجتمع المسلم إلى العمل الجماعي، و أن الدولة المعاصرة عاجزة عن الإيفاء بمتطلبات الحاجات الاجتماعية المتنامية في كل يوم، و بالتالي عجزها عن متطلبات النهضة بالأمة.

و الدولة و إن أمكنها تسطير بعض الخدمات الاجتماعية و الثقافية و إيجاد مؤسسات تقوم بها، فإن اتساع هذه الخدمات لتشمل كل الناس مكلف جدا حتى بالنسبة للدول الغنية، مما يدعو على وجه التعجيل إلى أن يتكفل المجتمع بهذه الخدمات بنفسه.

كذلك الدولة، ولكونها مؤسسات إدارية تديرها جماعات لا يمكنها أحيانا التفطن للتغيرات الحادثة في المجتمع، و إن هي تفطنت فبعد مدة طويلة، و قد لا تتفطن لحاجات المجتمع المختلفة، ولا تكون عندها نظرة مطابقة لواقع حالة المجتمع في مختلف المجالات.

ولاشك أيضا أن وجود خدمات، و مراكز للتربية و التعليم، و التثقيف، و الترشيد، و الإعانة الاجتماعية موازية لمؤسسات الدولة بحيث تجبر نقصها، و تقوم قصورها، مطلوب و ضروري في أقصى درجات الضرورة.

ولعل أكثر الناس قد أدركوا هذه الحتمية، و عندهم وعي بمشاكل و تحديات النهضة، فمن هؤلاء من قد تصور طبيعة المعركة الداخلية التي يجب على الأمة أن تخوضها في المجال الاجتماعي لإيجاد مجتمع واع و متكفل ببعضه بعضا ،و متماسك الأوصار و العلاقات، و في المجال الاقتصادي و السياسي، و بالتالي عندهم تصور لمشكلة التربية و التعليم، و لكيفية تصليحها و تنميتها، و مراحلها المختلفة.

إن سر قوة الإسلام و المسلمين عبر العصور، ودوام نفوذهم يكمن في قوة المجتمع المسلم، فقد زالت الخلافة الموحدة و الإدارة السياسية المشتركة مبكرا، و انقسم العالم الإسلامي إلى مجموعة دول، ولكن ذلك لم يمنع بقاء الأمة الإسلامية قوية في المجال

العلمي و العسكري، وما ذلك إلا لقوة المجتمع المسلم، الذي لم يبن على الأبعاد السياسية و الإدارية، أو لم يكن جوهر وجوده سياسيا أو إداريا، بل كان مجتمعا مبنيا على العقيدة الإسلامية، وعلى الترابط الاجتماعي.

ولكن فئة أخرى، و بسبب فساد تصورها للدين، وخلطها بينه و بين أحداث تاريخية محضة، تقف عاجزة عن هذا الإدراك، و تعمل عن غير وعي كل ما في وسعها لهدم كل عمل جماعي.

فهذه الفئة لم تدرك بعد أنه لا يمكن الفرد المسلم أن ينبثق داخل مجتمعه تطورا و تقدما و إنتاجا للمعرفة ،ولا أن يتمتع بعلو الهمة والإرادة الجازمة في مجتمع تنعدم فيه الحرية و التكافل و التعاون، و يسوده الظلم بمختلف مظاهره، مهما بلغ هذا الفرد في المجال الديني من إدراك ووعي ومعرفة.

و أمة الإسلام تستلهم تشريعها من كتاب الله و سنة نبيه صلى الله عليه و سلم، أما ما حدث في تاريخها في المجال السياسي و الاجتماعي و الإداري و الاقتصادي، فإنها تعرضه على الكتاب و السنة فما وافق ما دلا عليه أخذت به، ومالم يوافق تركته، و لن تجد الأمة الجواب عن كل الإشكالات التي تعترض سبيلها في اجتهادات الأئمة، بل ستجدها في كتاب الله و سنة رسوله،لأن العصمة أولا فيهما، و لأنه ثانيا أنزلا لهداية البشر إلى يوم الدين.

و الذين بحجة محاربة البدعة و المبتدعة امتنعوا عن أي تعاون مع غيرهم، لم يأخذوا ذلك من كتاب الله و سنة نبيه، بل من مواقف بعض أئمة الإسلام اقتضى الحكم الشرعي وواقعهم تلك المواقف.

فلاشك أن مهمة السلف في بعض جوانبها تختلف عن مهمة المسلمين المتأخرين، فالسلف وجدوا مجتمعا إسلاميا قائما على كتاب الله و سنة نبيه، و الأمة على خير كثير، فلما بدأت الشرور المختلفة تدخل عليهم تصرفوا وفق ما يستجلب حماية المجتمع المسلم، في وحدته العقدية و السياسية و الاجتماعية، فاتخذوا مجموعة إجراءات وقائية صيانية، بينما المسلم في هذا العصر المتأخر ورث مجتمعا مخلخلا مختلفا متفرقا، يعاني من شرور كثيرة، و يتعرض باستمرار للغزو في مختلف المجالات، مسلوب الإرادة و حرية القرار، مسلوبة أصالته و قيمه، فلزم أن مهمته غير مهمة السلف، فمهمة السلف كانت الحفاظ على المجتمع الإسلامي، ومهمة المسلم

المتأخر إيجاد المجتمع الإسلامي القرآني، و هذا فرق جوهري، إذ هو الفرق بين من أقام له بيتا فهو يتحفه و يحافظ عليه و يحرسه، وبين من يريد إقامة القواعد الأساسية لمثل هذا البيت.

نعم هناك وجه للتشابه و التماثل، وهو أن نبني بالكيفية التي بنوا، أي علينا إيجاد المجتمع المسلم بالكيفية التي أوجد بها النبي صلى عليه و سلم و أصحابه مجتمعهم المسلم مع الأخذ بعين الاعتبار المستجدات غير المسبوقة.

و عليه، فإن من لم يلاحظ هذا الفرق لم يستشعر نقاط الاتفاق و نقاط الاختلاف، و يفتقد الغائية في عمله، ولذلك تجد هؤلاء لا يفرقون بين الهجر و المقاطعة كإجراء وقائي لبعض ضعفة العقول و النفوس، و بين الهجر التأديبي الذي يمارسه كبار الأئمة إذا اقتضى فائدة مرجوة وبانت منه مصلحة جلية، و إلا كان التأليف أولى منه.

فإذا ما عدنا إلى الكتاب و السنة و جدنا النصوص فيهما، و ما ارتبطت به من علل و مقاصد، ووجدنا حال النبي صلى الله عليه و سلم في بدايته أشبه بحالنا من حال السلف، و قد وجدت الأمة.

المقصود أن الهدف في الكتاب و السنة من إيجاد المجتمع المسلم، أو إن شئت من اجتماع الناس و تعاشرهم هو التعاون على البر و التقوى، فيعين كل واحد صاحبه على ذلك علما و عملا، أي بالترشيد و التربية و التعليم، و بالتعاون و التكافل و المساعدة، فالمسلم بمفرده لا يستقل بعلم جميع أنواع البر و جميع أنواع الشر، ولا قدرة له عليه، فاقتضت حكمة الله سبحانه و تعالى أن جعل بني البشر قائمين ببعضهم بعضا، معينين بعضهم بعضا.

فالإنسان مدني بالطبع، ولابد له أن يعيش مع الناس، و الناس لهم إرادات و تصورات و اعتقادات يطلبون منه أن يوافقهم عليها، و يبغضون من يخالفهم فيها، و قد يريدون منه أن يوافقهم على ظلم أو فاحشة أو شهادة زور أو معونة على باطل و غير ذلك، فإن لم يوافقهم آذوه و عادوه، و إن وافقهم أفسد عاقبته، ففي كل الأحوال يلزمه آذى و ألم، ولكن ألم و آذى الناس أهون و اخف و أسهل من ألم و آذى يلحق عاقبته.

فلا انفصال للمسلم من هذا، فلزمه معاشرتهم بالمعروف، و العمل لإصلاحهم حتى تصلح نفسه، ويلحقه أقل آذى و ألم ممكنين له و لأسرته و جماعته و لأهل الخير من أمته، فصارت دعوة مجتمعهم و نصحه و إرشاده و أمره بالمعروف و نهيه عن

المنكر لازمة لذاتهم قبل لزومها لذات المجتمع نفسه.
و بهذا تعرف حتمية العمل الجماعي، و ضرورة أن يجد المسلم جماعة ينتمي إليها، و يعمل معها للإصلاح جماعة المسلمين الكبرى التي لا يمكن بناء أمة الإسلام حضارة و علما وقوة و رسالة بدونها، وهذا مفهوم "لزوم السواد الأعظم".
أما من لا اهتمام عنده بحال الأمة، ولا يحمل أي مشروع لها، ولم يتصور مهمتها و هدفها في الحياة، فإنه سيركن إلى بعض المقولات المأثورة عن السلف، كقول بعضهم: ((الجماعة هي أن تكون على الحق ولو كنت لوحدك))، وهذه مقولة صحيحة ولكن يجب أن يضعها المسلم المعاصر في موقعها، فهي ليست دعوة للانزواء و تهميش النفس، بل دعوة للزوم الحق و الثبات عليه، ولكنها لا تنفي أبدا ضرورة الدعوة إلى هذا الحق و حب إيصاله للغير.
فدستور المسلم الذي لا يتأثر بزمن أو بظروف اجتماعية و تاريخية معينة هو قوله تعالى: { وتعاونوا على البر و التقوى ولا تعاونوا على الإثم و العدوان و اتقوا الله}، ومن أعطى هذه الآية حقها ـ كما قال ابن تيمية ـ من الفهم و التدبر أغنته عن سواها، فالإثم ما كان محرما لجنسه، كالزنا و الربا و شرب الخمر و السرقة و الشرك و الكفر و النفاق، و القول على الله بغير العلم، و غير الحق، و الابتداع في الدين.
و الإثم ما حرم لزيادة في قدر و تعدي ما أباح الله منه، كالزيادة في بغض المسلم العاصي أو المبتدع، و الزيادة في هجره و مقاطعته بحيث يفضي ذلك إلى ضعف الأمة و تشتتها و غير ذلك.
فالمسلم عليه فيما بينه و بين الناس أن يخالطهم و يصبر على آذاهم، فتكون مخالطته لهم تعاونا على البر و التقوى علما و عملا كما بيناه سابقا، و عليه فيما بينه و بين الله تعالى أن يؤثر طاعته و يجتنب معصيته وهو مفهوم قوله تعالى: {و اتقوا الله}.
فهؤلاء الذين امتنعوا عن أي تعاون مع غيرهم من المسلمين لم يفهموا القرآن، بل تركوا ما دل عليه كقاعدة يتعامل بها المسلمون على مدار الزمن، و تمسكوا بما هو مؤقت وزمني يرجع لظروف معينة، فأدخلوا في مسمى الهجر و البدعة ما ليس منها، فحكموا بحكم مراد النصوص من الهجر و المقاطعة على ما ليس منها، فسووا بين ما فرق الله بينهما.
ثم لزمهم بعد ذلك أن أخرجوا من مسمى الأخوة الإسلامية، والولاء الإسلامي، و

التعاون على البر و التقوى بعض أفراده الداخلة تحته، فسلبوا عنها حكمه، ففرقوا بين ما جمع الله بينهما.

فهؤلاء تركوا الواجب الشرعي في التعاون على البر و التقوى بحجة مقاطعة المبتدع و هجره، و أهملوا شؤون السياسة العامة، و شؤون المجتمع بحجة الورع و اجتناب الشبهات، ومعلوم أن التعاون نوعان، تعاون على البر و التقوى من الجهاد بالكلمة و القلم و اليد وفق الشروط الشرعية، و تعاون على الحكم بحكم الله من إقامة الحدود، و إعطاء المستحقين حقوقهم، و استيفاء الحقوق، ورعاية اليتامى و الأرامل، وتربية النشء، و مساعدة الفقير، و الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر، مما أمر الله و رسوله، ومن أمسك عن التعاون في هذا المجال خشية عدم مقاطعة المبتدع أو خشية أن يكون عونا لهم أو للظلمة فقد ترك فرضا على الأعيان أو على الكفاية متوهما أنه متورع، و متبع لمنهج لسلف الصالح، فما أكثر ما يشتبه الفشل، و الجهل و الجبن بالورع، إذ كل منها كف و إمساك و امتناع.

وهنا يتجلى لنا فرق آخر بيننا و بين السلف الصالح الذين كانوا يمتنعون من الدخول على الحكام، و مصاحبتهم، وتولي المناصب لهم، وهو أن غنى المجتمع المسلم آنذاك بالعلماء و الصالحين جعل انسحابهم من هذه الساحة لا يؤثر على خيرية المجتمع، فإن لم يتول أبو حنيفة أو سفيان الثوري القضاء للخليفة، ففي المسلمين من أهل الخير و الدين من سيقوم به، أما نحن اليوم فنعاني من ندرة في الرجال الأخيار، و متى رفض أهل الخير هذه المهمات تولاها أهل الشرور من العلمانيين و غيرهم، فإن كان للسلف مندوحة في اعتزال السلطة وما إليها، وهذا لكون قرنهم خير من قرننا، فإننا بخلافهم ليس لنا بد من مكابدة هذا الأمر الخطير، صابرين محتسبين مستعينين بالله، و متقين له بحسب الاستطاعة و الإمكان، أما ترك المجال لأعداء الدين ليوجهون ويقررون و غير ذلك، فليس هذا مذهبا للسلف الصالح في شيء.

و التعاون الثاني: تعاون على الإثم و العدوان كالإعانة على الدم المعصوم، و العرض المعصوم، و المال المعصوم، أو الإعانة على البدعة و الحرام،والإعانة على الاستبداد بالرأي و المال بتوفير الغطاء الشرعي و غير ذلك مما نهى الله و رسوله عنه.

فالقيام بالقسم الأول من التعاون لا يستلزم المشاركة في الثاني وهذا واضح.

وكما يقول ابن القيم من سافر بفكره في أحوال أمتنا و بلداننا، و رأى ما رأى من المعاصي الكبيرة، و المظالم المنتشرة، و كان له نوع نظر في القرآن و أحوال الأمم، عارفا بالوجود العيني و الثبوت العلمي عرف أن الله سبحانه و تعالى جعل أعمالنا مقتضية لآثار من جنسها اقتضاء لابد منه، فجعل منع الإحسان و الزكاة و الصدقة، وعدم التكافل و التعاون، و تفريج الكربات سببا لمنع المطر من السماء و القحط و الجدب، وجعل ظلمنا لبعضنا بعضا، و ظلمنا للضعيف، و بخس الموازيين، و تعدي الأقوياء على الضعفاء سببا لجور الحكام و الولاة، و تسلط الأعداء علينا.
فلما قحطت نفوسنا عن الخير قحطت السماء فوق رؤوسنا، وعندما ظلمنا ظلمنا، وعندما منعنا الحقوق منعنا حقوقنا، ولما تسببنا في هموم وغموم أصابتنا هموم وغموم، و هكذا ردت أعمالنا علينا في صورتها و قالبها، لم يتغير منها شيء.
إن على المسلمين أن يبتغوا و يتطلبوا الوسائل و الطرق التي تتضمن نفع المجتمع المسلم وحمايته، و الذب عن دينه و أخلاقه و نصر المظلومين من أفراده، و إغاثة الملهوفين منهم.
فهذه من أجل الأعمال و أنفعها، و يجوز للمسلم أن يظهر قولا أو فعلا يقصد به قصدا صالحا، و إن ظن بعض الناس أنه يقصد به غير ذلك، فمتى كان في الفعل مصلحة دينية محققة شرعا، كدفع الظلم عن نفسه، وعن المسلمين أو نصرة حق أو إبطال باطل كالدعوات التنصيرية و العلمانية، كانت الوسيلة مطلوبة شرعا ما لم تفض إلى مفسدة أعظم.
يتبع.....

منهجية التمثيل بوقائع الصحابة:
قد لا يفرق بعض طلبة العلم عند تمثيلهم بوقائع الصحابة بين شيئين مختلفين:
هو أنه قد يحتاج الواعظ و المعلم إلى ضرب الأمثلة، ولكن عدم التوفيق أو الخيبة تجعله لا يجد من الأمثلة إلا سيرة الصحابة يتأولها في غير محلها،و الدقة العلمية تقتضي من العالم أن يمثل بأخطاء الصحابة التي صح عن النبي صلى الله عليه وسلم تقويمها، فهي تشكل بالتالي مثالا جيدا للتعليم والاعتبار .
أما اللجوء إلى استنباط أخطاء من سيرتهم اجتهادًا منه ، ولم يصح أن ذلك خطأ،أو

التمثيل بما هو من جنس الاجتهاد المرجوح المخالف للنصوص، فهو زلة لا محالة تقتضي من هؤلاء معاودة منهجهم في التعليم، فليس لأحد من دون الصحابة أن يقول: إنهم أخطؤا في كذا، و ليس له دليل من الكتاب أو السنة أنهم أخطئوا.
وبعض الناس لا يبحث عن الحق،يبحث عن تزيين باطله و تلفيق الأدلة له،فيأخذ ما قد عُلم بالنصوص الصحيحة، وبمخالفة الصحابة الصريحة بناءً على هذه النصوص أنه اجتهاد خاطيء و يجعله معتمده ، وقد ينسب للصحابة تعمد الخطأ،و مستشنع الأقوال و المذاهب الشاذة التي لا تليق بعلمهم و حالهم الإيماني،وما غرضه إلا تأصيل باطله و التلبيس على الناس ، فليس لأحد حجة في تقليد الصحابي في اجتهاد مرجوح أو خطأ مغفور .

قيمة العمل الجماعي في الإسلام

(2)

بسم الله الرحمن الرحيم

هدي النبي صلى الله عليه و سلم في رحمة الفقير ومحاربة الظلم

و عليه، كان الرجوع إلى سيرة المصطفى، لنستلهم منها طريقته و هديه في العمل الجماعي، كفيل لنا بإيجاد الحلول الناجحة، لإخراج الأمة من الركود الذي تعاني منه على جميع المستويات.
فمن خلال النظر في تفاصيل بنود حلف الفضول، وهي في الحقيقة بند واحد، و استعداد النبي صلى الله عليه وسلم لقبوله بعد أن أكرمه الله سبحانه و تعالى بالنبوة، نعرف أن أولويات العمل الجماعي الاجتماعي تبدأ بمحاربة الظلم بجميع أنواعه، و أنه المفتاح لإيجاد مجتمع قوي على درجة عالية من الوعي بحاجاته و مهمته في الحياة.
فلابد أن نلقي نظرة عن مكانة محاربة الظلم في الإسلام، وكيف تم تحديد ضوابط جد مهمة لتيسير هذه العملية، وذلك من خلال تحديد الأبعاد الاجتماعية و الإنسانية الإسلامية لحلف الفضول:
وقع هذا الحلف بين قبائل قريش من بني هاشم و بني المطلب و أسد بن عبد العزى،

وزهرة بن كلاب، و تيم بن مرة، فعقدوا اجتماعا في دار عبد الله بن جذعان التيمي، و اتفقوا على أنهم لا يجدوا بمكة مظلوما من أهلها وغيرهم من سائر الناس إلا قاموا معه، وكانوا على ظالمه حتى ترد عليه مظلمته، وبالطبع شهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو إذ ذاك شاب لم يوح إليه بعد؛ قال بعد أن أكرمه الله بالرسالة ـ وهذا ما يعطي هذا الحلف بعده الشرعي ـ:" لقد شهدت في دار عبد الله بن جذعان حلفا ما أحب أن لي به حمر النعم، ولو أدعى به في الإسلام لأجبت"{ الرحيق المختوم، ص:69}

[سمي هذا الحلف بحلف المطيبين، وقد يظهر لبعضهم أن دخول المسلم في حلف يعارضه قوله صلى الله عليه و سلم كما ورد في صحيح مسلم عن جبير بن مطعم:" لا حلف في الإسلام وما كان من حلف في الجاهلية فلم يزده الإسلام إلا شدة".

و الحقيقة لا تعارض بين الحديثين كما ذكر ذلك ابن القيم رحمه الله، فالحلف إن اقتضى شيئا يخالف الإسلام فهو باطل، و إن اقتضى ما يقتضيه الإسلام، فلا تأثير له، فلا فائدة فيه، و إذا كان وقع في الجاهلية ثم جاء الإسلام بمقتضاه لم يزده إلا شدة و تأكيدا.

وهذا أصل في دخول التحالفات، و الجمعيات التي يكون مقصودها إقامة العدل، و ما يقتضيه الإسلام و يدعو إليه.].

وما يمكن أن نستخلصه من هذا الحديث الشريف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو رسول الإسلام و قائده الأعلى يولي نصرة المظلوم أهمية بالغة، ويعتبره من أفضل الأعمال و أحبها إليه، فهو يفضله على حمر النعم، وهو القائل:" أفضل الأعمال أن تدخل على أخيك المؤمن سرورا أو تقضي عنه دينا أو تطعمه خبزا" حديث حسن ، وقال أيضا:

وقال صلى الله عليه و سلم:"أحب الناس إلى الله تعالى أنفعهم للناس و أحب الإعمال إلى الله عز وجل سرور يدخله على مسلم أو يكشف عنه كربة أو يقضي عنه دينا أو تطرد عنه جوعا،ولأن أمشي مع أخ في حاجة أحب إلي من أن أعتكف في هذا المسجد{يعني مسجد المدينة} شهرا،ومن كف غضبه ستر الله عورته ، ومن كظم غيضه ولو شاء أن يمضيه أمضاه ملأ الله قلبه رجاء يوم القيامة، ومن مشى مع أخيه في حاجة حتى تتهيأ له أثبت الله قدمه يوم تزول الأقدام،وإن سوء الخلق يفسد العمل

كما يفسد الخل العسل"صحيح
ولا يستبعد هذا من رجل قضى حياته ينصر المظلومين، ويعطف عليهم، ويحن عليهم، ومعلوم أن المظلوم في غالب الأحيان يراد به معنى الضعيف، فلا تظلم المجتمعات من أفرادها إلا الضعفاء:
ضعفاء البدن، وضعفاء العقل، و ضعفاء المال، و ضعفاء الشرف و النسب، وهذا يستلزم أن الظلم قد يقع على البدن بالضرب و التعذيب و القتل و التسخير بالعمل مقابل أجرة لا تمثل قيمة العمل المؤدى، و الغصب و الزنا و اللواط، و ظلم العجزة و الشيوخ بعدم توقيرهم وتوفير حاجيتهم، و الظلم على العقل بالحجر عليه و منعه من حرية الرأي و حرية التعبير و التفكير و إبداء وجهة نظره، ومنعه من الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر، و إخفاء الحقائق عليه، و مخاطبته بلغة الخشب وغير ذلك مما هو استهتار بعقول المسلمين، وحقهم في المعرفة، والظلم الواقع على المال بمنع الناس من حقوقهم، وعدم تقسيم الثروات قسمة عادلة، وتبديد المال العام، أو صرفه في مجالات يذمها الشرع أو يحرمها، وتعطيل جمع الزكاة، وفرض ضرائب على الناس لا تحتاج إليها الدولة، وتبديد أموال المسلمين في شراء القصور في أوروبا، وشراء الجياد الأصيلة بأموال طائلة، وتبديد الأموال على الحفلات الغنائية و المهرجانات الشعرية و الرياضية، وفي البلد مسلمون يموتون جوعا ومرضا وفقرا، وفي العالم من المسلمين من يحتاج إلى الدواء، ومنهم من يحتاج إلى اللباس و الغطاء، ومنهم من يحتاج إلى التعليم، و منهم من يحتاج إلى الغذاء، فكل هذه الأموال التي يصرفها المتنفذون وحاشيتهم على مثل هذه التافهات هي أموال المسلمين يحاسبهم عليها الله حسابا عسيرا،وهي من الغلول، غلول المسؤولين، وقد ثبت في "سنن الترمذي" عنه صلى الله عليه و سلم أن كل من استخدمه فغل إبرة مخيط فما فوقها يأتي بها يوم القيامة، أما تلك الفتيتات التي يقدمونها في بعض البلدان فإنهم يقدمونها لدفع تأنيب الضمير و الكذب على أنفسهم، فالظلم الواقع على مال الفرد أو الجماعة يتخذ أشكالا عدة حتى قال النبي صلى الله عليه وسلم:" مطل الغني ظلم " فمتى مطل الغني عن قضاء دينه فقد ظلم المدين، ومع ذلك فإن الإسلام لا يقاوم الظلم بالظلم، بل يقاومه بالعدل، فالعدل أن تباح عقوبته، لأنه يملك الوفاء بدينه، ولكن المدين الذي ليس له ما يقضي به دينه، فإنه لا يجوز عقوبته، لان الإسلام دين ربط أحكامه بالعلم و

القدرة، ومتى كلفنا الإنسان مالا يعلم أو ما لا يقدر عليه فقد ظلمناه، ولذلك صح عن علي ـ رضي الله عنه قوله:" حبس الرجل في السجن بعد معرفة ما عليه من الحق ظلم".

فأين هذا من القوانين الوضعية قوانين:"حوت يأكل حوت و قليل الجهد يموت"، التي تسن قانون الإكراه البدني، وهو أن من لا يقدر على تسديد ديونه يسجن و يسمونه الإكراه البدني.

أما الظلم الواقع على الشرف و النسب فهو إباحة الاختلاط، و تشريع قوانين تسمح للمرأة بالخروج عن طاعة والديها و زوجها و إخوتها، وتزويج نفسها و التغريب وغير ذلك مما هو اعتداء على شرف المسلمين يقود لتدنيس الأنساب.

فإذا حذر رسول الله صلى الله عليه و سلم من الظلم في جميع صوره، بحيث منع ظلم الأرض، و هي لا تظلم إلا عندما تنزع من صاحبها فقال:"من ظلم شبرا من الأرض طوقه من سبع أرضين يوم القيامة" فكيف بظلم بنات الناس، و إفسادهن بتربية و تعليم ماجن، و تشريع القوانين ليخرجن عن سلطة الأب و حمايته، و تسهيل لهن طرق الاعوجاج و الفساد، بحيث يسخرن في الملاهي و بيوت الدعارة، تحت أعين السلطات.

إن الظلم في الإسلام نوعان: منع ما يجب للمسلمين من حقوق و هو التفريط، و يعلم الله ما للمسلمين من حقوق مهضومة في بلدانهم، وفعل ما يضر بهم وهو العدوان عليهم.

فدور الدولة في الإسلام أن تحمي المسلمين مما يضرهم، و أن تدفع لهم حقوقهم، وفي المسلمين من لا يعرف مصلحته، فقد يسجل ابنه في مدرسة تنصره أو تغربه وهو لا يدري، أو يدخله ناديا أو مركزا للشباب و الشبات يفسد أخلاقه و دينه وهو لا يدري، لأن هذه الأمور أصبحت تلبس قوالب شتى، لا يتفطن لها كثير من الناس، فدور الدولة أن تحميه من مثل هذه المخاطر وهي مسئولة أمام الله إن لم تحمه منها، فهذا من الظلم الذي حرمه الإسلام و قاومه بشدة.

كذلك الاستبداد بالحكم دون مشورة المسلمين، وفرض عليهم ما لا يوافق دينهم و عقيدتهم وشريعتهم، و عدم اعتبار رأي العلماء و المفكرين و أهل الصلاح، وفرض أمر الواقع على المسلمين بحد السيف، فهذا كله ظلم يصدر من الحكام، فإن كان

العامي مأمورا بالصبر تبعا لوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإنه على العلماء الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر، وهم شركاء الأمراء في السلطة، لأنه إذا صح أن أولي الأمر هم العلماء و الأمراء، فهذا يعني أن الأمراء ليسوا فوق العلماء ولكنهم شركاء، بل العلماء فوقهم، فإن ولايتهم لله و رسوله وهم خلفاء الأنبياء، و الأنبياء فوق كل حاكم ومحكوم، فلزم أن العالم مطالب بتقويم السلطان وفقا ضوابط أهل السنة وهي عديدة أهمها أن يلزم البيعة، ولا يغدر، و يخلص النصح، ولا يجعل النصيحة فضيحة، و ليس له استعمال اليد أو القوة وماهو في معناها أو يقود إليها، بل يأمر بالمعروف و ينهى عن المنكر بلسانه فقط، قال القرطبي في تفسيره{49/9}:"قال العلماء: الأمر بالمعروف باليد على الأمراء، و باللسان على العلماء، و بالقلب على الضعفاء يعني عوام الناس"ـ ذكر بعض الصالحين شروط المجتمع الإسلامي الفاضل فقالوا:" كل بلدة يكون فيها أربعة، فأهلها معصومون من البلاء، إمام عادل لا يظلم،و عالم على سبيل الهدى، ومشائخ يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر،و يحرضون على طلب العلم و القرآن،و نساؤهم مستورات لا يتبرجن تبرج الجاهلية الأولى".تفسير القرطبي.

وذكر شيخ الإسلام مثل هذا في تفسيره لقوله تعالى:"نرفع من نشاء درجات"، فقال ما مفاده أن المجتمع الذي يوجد فيه صنفان من العلماء وهم علماء الحجاج و الدفاع عن الدين لرد صيال الكفرة و المبتدعين عليه،و العلماء العارفين بما ينفع و ما يضر ، أو علماء حسن السياسة،فالصنف الأول يحمي للمجتمع دينه، و الصنف الثاني يدفع عنه ظلم الحكام، و ذلك بحسن سياستهم، ومثل لذلك بعلمي إيراهيم و يوسف عليهما و على نبينا الصلاة و السلام.

ومعلوم أن نصيحة الحاكم و أمره بالمعروف و نهيه عن المنكر لابد أن يكون بالمعروف و إلا بطل، و في الدولة المعاصرة التي اتسعت مجالات اختصاصاتها و صار الحاكم لا يتولى الأمور بنفسه مباشرة بل له نوع من المسؤولية المعنوية عليها، فكثير مما يقع في بلده لا يعلم به أو لم يأمر بها، فقد تركب جهاز الحكم في الدولة المعاصرة من الحاكم و المقربين منه وهم يشكلون الصف الأول في القيادة وهناك الصف الثاني ثم الصف الثالث وهم كبار الموظفين، وفي مثل هذه الحال لا يحتاج العالم المتبحر في العلم الشرعي، و المتمرس، والذي له لسان صدق في الأمة

ويطالب بالمتاح تغييره لا يخاطب الحاكم بمثالية لو حكم هو لم يحققها، إلى مخاطبة الحاكم مباشرة، بل دوره يكون أكثر فعالية من خلال كشفه لنقاط الضعف، و مواطن التقصير و العجز، فإذا بين عيوب مناهج التعليم و الخلل فيها، أو أشار إلى انتشار ظاهرة الرشوة و ووجوب حربها، فهو لا يحتاج في كل هذا إلى أن يخاطب الحاكم مباشرة أو باسمه، وهكذا كان علماء السلف يتكلمون عن تعطيل الجهاد و الغزو و الرباط، و الزيادة في الخراج و غلاء المعيشة و غير ذلك مما يستنكرونه دون أن يربطوا ذلك مباشرة بالحاكم، وهذا أمر يمكن للعلماء أن يقوموا به إذا مكنوا من وسائل الإعلام و اتاحها لهم الحاكم، إذا لا يجب عليه أن يمنعها عليهم فإذا اتاحها لهم فليزينوا صورته، وهو إنما يفعل هذا إما لعدم تمييزه بين العلماء الثقات العارفين بالمصالح و المفاسد، و الذين متى مكنوا من وسائل الإعلام استغلوها أحسن استغلال ولم يثروا أية فتنة، وبين من ليس كذلك، و إما لعدم تقديره لدورهم حقيقة التقدير، فأحيانا وفي كثير من الانتقادات الموجهة للعلماء تكون انتقادات ظالمة، أو غير عارفة بحقيقة الوضع و الأولى توجيهها لغيرهم ـــ، لا التصفيق له و مدحه على رؤوس الأشهاد بالقصائد و الخطب الطويلة، وهو يعلم أن له سيئات ومصائب سيغطي عليها مدحه، فإن اقتضت الضرورة مدحه فليمدحه سرا، ولا يجعل ذلك تزكية له، و قد كان الأئمة قديما إذا مدحوا في أول رسائلهم للحكام فلينتقدوا و ينصحوا في آخرها.

قال ابن مسعود:" إن على أبواب السلطان فتنا كمبارك الإبل و الذي نفسي بيده لا تصيبون من دنياهم شيئا إلا أصابوا من دينكم مثله"التمهيد"{53/13}.

قال الفضيل بن عياض:" ربما دخل العالم على السلطان ومعه دينه فيخرج وما معه منه شيء، قالوا:كيف ذلك؟،قال: يمدحه في وجهه و يصدقه في كذبه".

وفي "فتح الباري" عن أسامة بن زيد أنه قال:" "لا أقول لأحد يكون علي أميرا أنه خير الناس"، قال ابن حجر: فيه ذم مداهنة الأمراء في الحق، و إظهار ما يبطن خلافه كالمتملق بالباطل، فأشار أسامة على المداراة المحمودة و المداهنة المذمومة، وضابط المداراة: أن لا يكون فيها قدح في الدين، و المداهنة المذمومة أن يكون فيها تزيين القبيح و تصويب الباطل ونحو ذلك."

فلعل الذي يمدحهم في وجههم، وهو يعلم مالهم من سيئات، و مخالفات للحق قال ذلك من باب الأدب معهم، ورجاء أن يقول لهم بعد ذلك الحق، قال الحافظ ـ رحمه الله ـ:"

تعظيم الأمراء و الأدب معهم و تبليغهم ما يقول الناس فيهم ليكفوا و يأخذوا حذرهم بلطف و حسن تأدية بحديث يبلغ المقصود أدية للغير " أي بدون أدية الغير.
وموقف العلماء من السلطة موقف المشارك المراقب و المقوِم، لا موقف المؤيد و المدافع، والمتستر على جرائمها و أخطائها تمسكا بدلالة نص عام، وتركا لعشرات النصوص الأخرى.
المهم قد مكن الله العلماء القادرين و المصلحين من الوسائل الشرعية الخالية من الفتن و المفاسد ما يؤهلهم للقيام بهذا الدور و مسايسة الحكام بها بحيث يقل ظلمهم و يكثر خيرهم ما فيه غنية عن المناهج الجديدة التي تفتقد للنية الخالصة، ولوضوح الهدف و طهارة الوسيلة و شرعيتها.
كذلك من أبرز سمات الظلم أو من أهم مظاهره إلزام الناس بالمذاهب المعينة، وحملهم عليها بالإكراه، و تهميش المخالف، وعدم الإنصات له و محاورته، وهذا نابع من شعور الغرور وعقدة التفوق، بحيث يظن نفسه الممثل الشرعي للدين أو السنة،و أنه أكثر اتباعا من غير أن يكلف نفسه النظر فيما عند غيره أو إقناعه بوجهة نظره،ولذلك تظهر التصدعات في المجتمع و يثور الناس على هذه المذاهب التي قد تكون حقا لم يستطع الذين فرضوها الدفاع عنها لأنهم لم ينشروها بالحجة و سلطان العلم ولكن بالقوة.
وقد يأتي أحدنا مقللا من شأن ظاهرة ما و يقول: هؤلاء أغمار، و مجموعة شباب طائش، أو هذه ظاهرة منعزلة، ولا يكلف نفسه عناء معرفتهم ومحاورتهم و إصلاحهم حتى يكبر الخطر و يعم البلاء.
لقد كان لإمام مالك موقف علمي و سياسي و اجتماعي يمثل حقيقة ما جاء به هذا الدين الحنيف من محاربة الظلم في أصغر صوره و أخفاها على الناس، فلما طلب منه أبو جعفر المنصور حمل المسلمين على كتابه الموطأ، رفض ذلك مقرا أصلا عظيما تمسك العلماء من بعده به وهو أن الإسلام يحتوي مجالا واسعا للاختلاف العلمي، و أن حرية الرأي العلمي وحرية التعبير عنه حق للمسلمين كلهم، ماداموا يتمسكون بالأصول الثابتة، ومادامو ا يرتكزون على أدلة معتبرة شرعا، و إن كانت مرجوحة.
إن موقف الإمام مالك ـ رحمه الله ـ موقف يعطي العقل الفردي قيمته ومكانته داخل العقل الجماعي، و عندما يقوى العقل الفردي و يصبح مبدعا مجتهدا مجددا للدين،

يكون العقل الجماعي للأمة المبني على عقيدة التوحيد، و ضابط الكتاب و السنة و الإجماع محصنا من أن يحمل المسلمين على أحادية الرأي، فيجعل منهم كتيبة عسكرية داخل ثكنة، تلبس نفس اللباس، و تأكل نفس الطعام، و تفكر نفس التفكير، وهذا يقتل الاجتهاد و التجديد.

إن موقف الإمام مالك موقف من يعتبر الآخر، و يعتبر رأيه و علمه إذا كان مستلهما مستنبطا من المصادر الأصيلة للإسلام، فهو لا يريد حمل الناس على علمه، و قد علم أن فيهم من يخالفه، فالإطلاع على مذاهب الآخرين يقلل من غرور النفس وقطعها وجزمها فيما لا قطع فيه ولا جزم.

إن هذا الإشكال في طغيان العقل الجماعي على العقل الفردي، أثر على الدعوة الإسلامية اليوم تأثيرا بالغا، حيث أصبحت خلافات فرعية تثير الشقاق، و تدخل هذا في الجماعة الفلانية، وتخرج ذاك من الجماعة الفلانية، لأن بعض المنسوبين للعلماء اليوم يحملون اعتقادا تطغى عليه العقلية الجماعية، فيريدون حمل الناس على رأي واحد، و أحيانا على رؤيتهم الخاصة و فهمهم ولذلك يطاردون من يخالفهم، و يضيق صدرهم عن قبول المخالف، ووجهة النظر العلمية الأخرى.

لقد رفض العلماء قديما، و على رأسهم الإمام أحمد أن يعلموا أولاد السلاطين في قصورهم، تقريرا لمبدأ المساواة بين المسلمين في التعليم، و أن العالم لا يقبل بوجهه على فئة و يترك فئة، و أن العلم يؤتى إليه و لا يأتي هو أحدا، و أن الحاكم ليس هو فوق العلم بل هو تحته، فلزم أن ولاية العلم أعلى من ولاية السلطان، كما قال ابن القيم: في" مفتاح دار السعادة" {152/1}:

" فملك لا يتأيد بعلم لا يقوم، وسيف بلا علم مخراق لاعب، وقلم بلا علم حركة عابث، والعلم مسلط حاكم على ذلك كله، ولا يحكم شيء من ذلك على العلم".

ثم هل مبدأ تقويم الطالب للعالم، و العالم للحاكم مبدأ لا تقره الفطرة و لا يقره الإسلام حتى يثور بعض العلماء عندما يسمع أحدهم ينتقد الحاكم أو ينتقد عالما أكبر منه علما وسنا، إن هذه الروح العدائية للنقد البناء، روح مخالفة لمقاصد الدين جملة و تفصيلا، وهي لا تعبر إلا عن اعتقاد فاسد و سوء فهم لبعض أصول الإسلام، قال الهدهد لسليمان: { أحطت بما لم تحط به} {النمل} وليس الهدهد قريبا من سليمان، وموسى عليه السلام استفاد ثلاث مسائل من الخضر وهو أفضل منه، و نبينا صلى الله عليه

وسلم كان يشاور أصحابه و يرجع إليهم أحيانا في الرأي كما هو ثابت في خبر الحباب بن المنذر في غزوة بدر، وكما جرى مع سعد بن معاذ، في يوم الخندق عندما أراد أن يصالح غطفان على نصف تمر المدينة، و كما أشار عليه عمر في غزوة تبوك بأن يجمع المسلمون زادهم و غيرها من الأمثلة الكثيرة.

ولا يزال المتعلمون في المدارس و المعاهد و الجامعات و المساجد ينبهون معلمهم على أشياء و يستفيد ها المعلم منهم، وكذلك الصناع مع أن عامة ما عند المتعلم من أصول تعلمه من المعلم، وعليه فإن تقويم الحاكم أو تنبيهه أو الإشارة عليه أو نصحه مبدأ هام لتوطيد عقلية التعاون في المجتمع المسلم، ومراقبة جهاز الحكم حتى يقوم بدوره، ولا يخرج عن مهمته الأساسية.

و إذا كان الشيعة يرون أن الحاكم يكمل المحكوم و الراعي يكمل الرعية، فإن أهل السنة بخلافهم يرون أن الإمام و الرعية يتعاونون على البر و التقوى، لا على الإثم و العدوان، بمنزلة قائد الجيش يكمل جنده بخبرته و علمه ومعرفته وقيادته، و جنده يكمله بما غاب عن ذهنه، و بما لا يعرفه في أرض الواقع و غير ذلك، و بمنزلة إمام الصلاة يكمل المأمومين، و يكمله المأمومون بتقويمه إذا أخطأ و تنبيهه، و بمنزلة الوالد في بيته يكمل أسرته برعايته لها، و تكمله الأسرة بنصيحته و المشورة له و غير ذلك.

فقد يتبين الحق ووجه الصواب للحاكم دون العلماء في بعض الأمور التي يجهلون حقيقتها، ولم يطلعوا على حيثياتها كبعض مسائل السياسة الدولية، و أبعاد بعض التحالفات، و مدى تأثيرها على استقرار البلد و غير ذلك، فيكون الاجتهاد الصحيح مع الحاكم، و هنا يلزمه أن يبينه لهم ويوضح لهم وجه الأمر، ولا يأنف من استدعائهم و بيان الأمر لهم، ولا يظن ذلك انتقاصا لنفوذه و سلطانه، فإنه إن لم يفعل ذلك ذهب من يصبر و يقدر الأمور وجاء آخرون.

وقد يكون العكس، فيجب على من عرف الصواب و كان اجتهاده صائبا أن يبينه لغيره عالما كان أو حاكما.

أما إذا اختلف الاجتهاد، فالواجب اتباع اجتهاد الحاكم و الترجيح به، و هذا أمر منطقي و موضوعي.

وبهذا تعرف أن أخطر أنواع الظلم المتسبب في هوان الأمة و سقوطها ظلم العلماء و

المصلحين بتكميم أفواههم و احتقار آرائهم وعزلهم عن كواليس السلطة.
فعلينا أولا أن نحدد ماهو الظلم، و لا نحصره في صورة واحدة فقط، نركز عليها، وهي ظلم الناس لبعضهم البعض، و نترك صوره الأخرى الأشد فتكا بالمسلمين و بالمجتمعات و الأسر و الأفراد، ولذلك قال تعالى:" إن الشرك لظلم عظيم "، فبين أن الشرك من أعظم الظلم، وقال في الحديث القدسي:" إني حرمت الظلم على نفسي و جعلته بينكم محرما" ثم ذكر صور الظلم المشهورة و الأكثر وجودا، وهي الظلم في الطعام واللباس والرزق و النفس.
وكل المظلومين، في أية صورة ظلموا ولاهم الإسلام عنايته البالغة حتى ذكر الفقهاء الاختلاف في بناء المساجد ومرافقها و أنه إذا اعترض الشيوخ و العجزة على مرفق بسبب عجزهم فالقول قولهم، و هذا أمر أخذوه عن نبيهم صلى الله عليه و سلم فقد صح عنه كما رواه جملة من المحدثين و الحفاظ أنه رخص لضعفاء المسلمين صلاة الصبح بمنى ليلة مزدلفة، وقيل:رخص لهم في رمي جمرة العقبة قبل طلوع الشمس، و صح عنه كما في صحيح البخاري عن عثمان بن أبي العاص أنه قال له:"تجوز في الصلاة و أقدر الناس بأضعفهم، فإن فيهم الكبير و الضعيف و السقيم و ذا الحاجة".
فالإسلام اعتنى بالضعفاء في جميع المجالات بدءا من التشريع، فالحاكم و الإمام و العالم يقدرون أمور الحياة كلها بضعفاء المسلمين بل ذهب أبعد من ذلك عندما جعل لهم نوع شفاعة في النصر و الرزق، فقد صح عن نبينا صلى الله عليه و سلم أنه قال:"هل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم"
فإن لم تعتن أمتنا اليوم بهذه الفئة و فئة المعاقين عندما تبني المرافق العامة أو عند تشريع القوانين، أو أنها بدأت تفكر فيه تقليدا للغرب، فليس القصور في الإسلام و لكن القصور في أبنائه وحملته ـ ومع ذلك فإن بقاء بعض الدين و القيم في مجتماعتنا، فمهما بلغ الحال فهي خير من مجتمعات الغرب قد تكفل للشيوخ و العجائز بحقوق ورعاية لا توجد في الغرب، وقد عرف العالم ما جرى في فرنسا هذه الصائفة عندما ارتفعت درجة الحرارة، فقد مات في ظرف شهر ما يزيد على 15 ألف من الشيوخ و العجائز، لأنهم يعيشون بمفردهم قد اعتزلهم أبناؤهم و جيرانهم و مجتمعهم، ولم يدل على موتهم إلا انبعاث رائحة أجسادهم المتحللة،و الحمد لله أن هذا لم يصر عندنا و إن كان بعض أبناء هذه الأمة قد بدأ يشبه الغربيين يودع والديه دار العجزة أو يتركهم

لمصيرهم بسبب تجارة أو غير ذلك.
بمجرد دخول النبي صلى الله عليه و سلم المدينة المنورة يعلن أن المسلمين يجير عليهم أدناهم، فقضى على مزايا الأشراف في الجاه والجورة، و أصبح أي مسلم ضعيف يمكنه أن يجير شخصا، أو يتوسط له في مظلمة، أو مطلب مشروع، ثم قام رسول الله صلى الله عليه وسلم بتجسيد هذا البند بأعمال تطبيقية، فقد قبل فداء ابنته زينب لزوجها لما بعثت إليه بعد بدر بقلادة أمها خديجة فرق لها ولم يخفر ذمتها و قبل فداءها على قلته بل أرجعه إليها، وفي فتح مكة قبل جيرة أم هاني بنت المطلب لما أراد علي ـ رضي الله عنه ـ قتل أحدهم فقبل النبي صلى اله عليه وسلم منها ولم يخفر جورتها لذاك الشخص، وهو الذي أقام بناء الإسلام على رعاية الضعفاء و حبهم و السعي في مصالحهم، ففي الصحيحين من حديث أبي ذر أنه كان جالسا عند النبي صلى الله عليه و سلم إذا مر به رجل من أشراف الناس فقال:"يا أبا ذر أتعرف هذا؟»قلت:نعم يا رسول الله، هذا حري إن خطب أن ينكح، و عن قال أن يسمع لقوله،و إن غاب أن يسأل عنه، ثم مر رجل من ضعفاء المسلمين فقال:"يا أبا ذر أتعرف هذا؟" قلت: نعم يا رسول الله، هذا رجل من ضعفاء الناس، هذا حري إن خطب أن لا ينكح، و إن قال أن لا يسمع لقوله، و إن غاب أن يسأل عنه، فقال:"يا أبا ذر لهذا خير من ملء الأرض مثل هذا"ـ هذا الحديث لا يعني أن يتقدم أحد عند الله بسلطانه وماله، ولا بذله وفقره و إنما يتقدم عنده بالإيمان و العمل الصالح ـ.......... .... يتبع بإذن الله تعالى

الأمة ـ الآن ـ تستفرغ بكل طرق الاستفراغ: التقيؤ ، الإسهال، الفصد ، الحجامة (؟) تتخلص من السموم الماكثة في أحشائها ودمائها فاستبشروا خيرًا .
وقد بدأت السلفية (أهل الحديث و السنة) يفترقون عن نبتات التصقت بهم،وهذا أعظم الفتح عليهم.

الإرهاب الفكري
الإرهاب الفكري الحقيقي ليس ما يفعله أتباع الشيخ ربيع عندما يخيفون الناس بإسقاطهم وثلبهم و التشهير بهم و تطلب السقطات لهم ، هذا إرهاب أخف بكثير من

إرهاب المؤسسات العلمية المتنفذة التي عندما يخالف شخص ما توجهاتها تكلف الجامعات و المعاهد بما تملك من مال ونفوذ لتخصص دراسات دكتوراه وماجستير تبحث وترد كل حرف قاله فيتيه المسكين، فكيف له أن يرد على عشرات أو مئات الردود التي أخذت أعواما من البحث و التنقيب فلا يجد المسكين إلا مروحة باي الجزائر يصد بها الريح؟
ومع ذلك سيجعل الله بأسهم بينهم، ومن بطونهم يخرج من يرد باطلهم ولله في خلقه شؤون، له الأمر من قبل ومن بعد.

نحن وهم؟

السياسة إما أن تفهمها بالحدس يعني بمجرد وضع المطلوب تتمثل الحد الأوسط،وإما أن تفكر فيها مليا بعيدا عن الخبر نفسه تعمل معطيات كثيرة لثقافة سابقة للحدث،فإن لم يكن ثمة حدس ولا فكر فهي الفوضى.
إنما يكون الاعتبار عندما نقيس الحدث الثاني بالأول، وكانا مشتركين في المقتضي للحكم، والاعتبار في كتاب الله تعالى الذي أمر به يكون بقياس الطرد وقياس العكس كما قال ابن تيمية.
لننظر إلى أبعد من ساحتنا ـ فما هي إلا ورشة لإعادة تشكيل المجال الحي لمصالحهم ـ إلى حيث يستعدون للمعركة الكبرى نعرف دورنا القادم، وهو أن نكون نوعا من مغول العصر تحت السيطرة بالمحرك الذاتي المغروس فينا.

مزامير الإعراض: الجهل بفقه الواقع الحقيقي

كون بعض المنتسبين للعلم لم يدركوا بعد طبيعة العصر الذي يعيشون فيه و حقيقته الاجتماعية و السياسية، ولا أدركوا الفوارق الجوهرية بين الواقع التاريخي والواقع العصري،و سبل الاستفادة من التاريخ في بناء المستقبل، فينزلون أحكاما لا تنطبق على الواقع المعاصر، فكون هؤلاء لا يزالون يعانون من تعمية و تضليل تمارسه عليهم جهات مختلفة، بحكم تقصيرهم في طلب أسباب الإحاطة بواقع العالم وواقع أمتهم، و الذي هو في الحقيقة تقصير في الإحاطة بالمقاصد الشرعية أكثر منه في الإحاطة بواقع لم تعد الثقافة الدينية (التقليدية) قادرة على الإحاطة به، و بالتالي

ضرورة العودة أو إعادة بعث الفقه السياسي و الاعتناء به وتجديده دراسة مقارنة بالعلوم العصرية التي من جنسه، وهو بحمد الله متوفر في الكتاب و السنة و مواقف علماء المسلمين، و خاصة في التاريخ الإسلامي الذي لم يعد مادة أصيلة يستلهم منها العلماء أحكامهم و قياساتهم، و أبعاد نظرهم السياسي و التدافعي مع أعداء الأمة .
فلقد أصبح خطاب هؤلاء خاليا من أي تحليل تاريخي، أو اعتبار لمجريات التاريخ والوقائع المشابهة، وكيف تعامل معها أهل العلم في زمنهم كما سنضرب عليه مثالا لاحقا.
وفقه الواقع ليس هو الإحاطة بأخبار الناس و الأحداث اليومية في البلدان،وجمع قصاصات الصحف، بل فقه الواقع هو معرفة طبيعة المجتمعات خاصة الدول المهيمنة، وما هي الآليات المتحكمة فيها : الآليات النفسية و الاقتصادية و الثقافية و الجذور الدينية عن طريق معرفة ثقافة الحضارة الفلانية القديمة و المعاصرة ، وذلك بمعرفة أسلوب تفكيرهم و تاريخهم القديم و المعاصر.
فالذي عنده فقه بواقع العالم الغربي أو بطبيعة أمريكا النفسية و الاجتماعية يعرف مسبقا مبادئ سياستها و أهدافها ، فينزل فتاويه باعتبار هذا الواقع ليصد أمامها الأبواب ،ومن لم يعرف أمريكا معرفة علمية ،فإنه لا يقدر خطورتها و بالتالي قد تصدر منه فتاوى تكون لها عواقب وخيمة على الأمة .
ومن فقه الواقع معرفة أحوال المسلمين و الاهتمام بها و الانشغال بها و اعتبار ذلك في الفتوى ومراعاة عموم البلوى و سد الذريعة ومآلات الأفعال و غير ذلك.
ليست مراكز الدراسات الاستراتيجية هي المطلوبة ولكن مطلوب الفكر الشرعي الصحيح لدى من يوجهون الأمة فكريا ، على الأقل أن يفقهوا الواقع العالمي و الاقليمي السياسي و الاجتماعي و الاقتصادي الذي يعيشه الناس.
ثم فقه النصوص الواردة في المشكلات التي يعيشها الناس، فيجب مطابقة النصوص على أحكام العرف والواقع والحوادث،ومن هنا فإن معرفة الواقع والتفقه فيه هو المنطلق إلى معرفة حكم الله ورسوله في هذا الواقع؛وبدون الفقه في أحكام الحوادث الكلية، والفقه في نفس الواقع المعين وأحوال الناس علما وحالا، ثم المطابقة بينهما يكون الحكم مخالفا للواقع.
فالعالم الذي تحتاجه الأمة هو من يملك القدرة على التوصل من معرفة الواقع و التفقه

فيه إلى معرفة الحكم الشرعي فيه.
و إذا لم يختلف اثنان بأن الواقع متغير متطور لزم أن يتفق الجميع على أن الفتاوى والأحكام متغيرة متطورة هي الأخرى؛ لأن تغير الواقع يستلزم تغير المصالح، وهي التي عليها مبنى الشريعة الإسلامية،وقد ضرب الفقهاء كابن القيم أمثلة على تغير الفتوى و الأحكام بتغير الأزمنة و الأمكنة و اختلاف المصالح.
عندما نجد بعض العلماء يعيشون خارج عصرهم إما يجهلون الحق الموجود(الواقع)، و إما يكابرون في إنكاره نعلم أن الحق المقصود ضاع بين ثنايا تناقضاتهم و في استسلامهم إلى فكر أقوى منهم لا يملكون إلا الاستسلام و الخضوع لألاعيبه، فتنشأ كردة فعل قيادات شبابية مضادة يقودها الصدق على حساب الفهم القويم إلى حتفها، و حينئذ يصح عليها مثل العوام: جاء يسعى فأضاع تسعا.
إن الخرافية في الخطاب الإسلامي السياسي الحالي هي الابتعاد بهذا الخطاب الديني عن مجريات الواقع و إشكالاته وتجاوزها إلى عملية التهويل و المبالغة في مدح الذات و تزيلاتها ،و الشهادة لها بالصحة العلمية و الأحقية الشرعية فوق ما تحتمله الشعارات و الرموز المستخدمة،و اختزال كل مشاكلنا الحضارية الدينية و العقلية و الفكرية و الاجتماعية و السياسية في نظرة عقدية ضيقة تحطم قيدا لتستبدله بقيد أشد و أوثق كمن رفض طاعة الحاكم في دفع نفقة أولاده و حضانتهم ففر إلى حيث يوجد حاكم يفرض عليه رعي الخنازير بدون أجرة.

إننا لا نجد في هذا الفكر أية إشارة إلى مسألة الدولة، أو النظام السياسي، و تنظيم السلطات و تنظيم المجتمع ، و الحريات الأساسية للفرد المسلم، و التأكيد على حقوقه، إنه تيار ينظر لكل الواقع المعاصر بنوع من الشك والارتياب، و يرفض كل دعوة لتجديد الدين، و لو كانت نابعة من داخله مما يعني أنه لا يملك أية نظرة علمية وتصور صحيح لأمة الإسلام، و للمشروع الإسلامي، فليس له تصور للدولة الإسلامية المعاصرة.
لم يفرق بين الاستسلام الواقع،وبين رفضه و التمرد عليه بدون أن يسعى لفهمه و إدراك أسبابه ومعرفة السبل الشرعية للتعامل معه بكفاءة و فاعلية .
فقه الواقع هو أن يكون فقيها لدين الله في فهم طبيعة النفس البشرية، وطبيعة البشر و

عاداتهم و شبهاتهم و شهواتهم عارفا بأسباب الهدى و أسباب الضلال، فقيها بأحوالهم وواقعهم،عارفا بثقافة عدوه و علومه يقيمها و يمحصها، ويستعمل الصحيح منها، يسوس أمته بلطف ورفق بحسب حاجاتهم، و بحسب ما يقدرون عليه،مراعيا مراتب الأعمال الشرعية ومراتب الناس.

القلب و العقل و الآلة

ما نزال في بريق ماضينا فحتى في أناشيد (الجهادية) تسمع صهيل الخيل وحمحمتها، وصرير السيوف، ولو جعلنا بدلها زمجرة القاذفات، وصفير الراجمات لكنا حقيقة في عصرنا؟

نقرأ في كتبنا: فحمي الوطيس، ضربه فجندله صريعا، اختلطت الصفوف وصبر الفريقان على ضرب الهام، ثم حملوا حملة صادقة، حكمت السيوف في قمم الكفار....الخ

و اليوم تقود النفاثة امرأة تخاف من فأر، نظهر لها من أعلى كالنمل، تفرغ على رؤوسنا النار ،ويتحكم في الصواريخ جبان من خلف شاشة يمضغ علكة ويفجر برجا؟

هل يتحول الحق إلى هوى؟

عندما يجلس مسلم إلى جانب برنارد ليفي فيرضى هذا الأخير عن عمله،و يعرض عليه المساعدة فليكن موقنا بأنه يعمل ضد نفسه كيقينه بأن الشيطان لا يأمر إلا بالشر. فهذا المسلم لم يُحكِّم عقيدته ولا عقله، إنما اتبع هواه، وقد نجعل الحق هوى عندما نهمل ونهدر أسبابه الشرعية و الكونية،فالنفس إذا أحبت شيئا سعت لتحصيله بما يمكن فإن لم تلتزم بشروطه الشرعية و أسبابه الكونية كان ذلك من الهوى وليس من الشريعة، فأصل الهوى محبة النفس،وقد نحب الشيء لأنه من ديننا لكنه يمتزج بحبنا لأنفسنا فيصبح من الهوى.

و حب الشيء من الشريعة مشروط باتباع أمر الله ورسوله، فمن أهدر شروطه و أهمل علله و ضيع ما يسبقه من واجبات فقد اتبع هواه بغير هدى من الله ولو كان ينادي به.

و لتفهم الأمر على وجهه،وكيف يدخل الهوى على الصالحين فيجرهم الشيطان الى

حتفهم وهم يظنون أنهم يحسنون صنعا تأمل كلام ابن تيمية الآتي، وقد مثَّل لك بخيرة المسلمين و لكأنه يتحدث عنا،:

قال ابن تيمية في (الأمر بالمعروف)(1/32): ((ولما كان في آخر خلافة عثمان وخلافة علي كثر القسم الثالث[الأنفس اللوامة]، فصار فيهم شهوة وشبهة مع الإيمان والدين، وصار ذلك في بعض الولاة وبعض الرعايا، ثم كثر ذلك بعد، فنشأت الفتنة التي سببها ما تقدم من عدم تمحيص التقوى والطاعة في الطرفين، واختلاطهما بنوع من الهوى والمعصية في الطرفين، وكل منهما متأول أنه يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وأنه مع الحق والعدل، ومع هذا التأويل نوع من الهوى، ففيه نوع من الظن وما تهوى الأنفس، وإن كانت إحدى الطائفتين أولى بالحق من الأخرى.

فلهذا يجب على المؤمن أن يستعين بالله، ويتوكل عليه في أن يقيم قلبه ولا يزيغه، ويثبته على الهدى والتقوى، ولا يتبع الهوى، كما قال تعالى: {فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ} [الشورى: 15] (سورة الشورى: من الآية 15) .

وهذا أيضا حال الأمة فيما تفرقت فيه واختلفت في المقالات والعبادات، وهذه الأمور مما تعظم بها المحنة على المؤمنين، فإنهم يحتاجون إلى شيئين: إلى دفع الفتنة التي ابتلي بها نظراؤهم من فتنة الدين والدنيا عن نفوسهم مع قيام المقتضي لها، فإن معهم نفوسا وشياطين كما مع غيرهم، فمع وجود ذلك من نظرائهم يقوى المقتضي عندهم، كما هو الواقع، فيقوى الداعي الذي في نفس الإنسان وشيطانهم، وما يحصل من الداعي بفعل الغير والنظير، فكم ممن لم يرد خيرا ولا شرا حتى رأى غيره - لا سيما إن كان نظيره - يفعله ففعله! فإن الناس كأسراب القطا، مجبولون على تشبه بعضهم ببعض.))

بهذا الكلام و التأصيل أرجو ان تفهم ما يقع في المسلمين اليوم،و تفهم لمَ الإدانة مخلوطة بالعذر.

النسخ:

يوجد شيء في الشريعة يُسمَّى النَّسخ، وهو رفع الحكم الشرعي بنص شرعي

متأخر،هذا في الشريعة أما في كلام الناس فهو التراجع أو التفصيل،وللناس حق تفصيل مجمل كلامهم أو تقييده، فما قلته في سنة2006 ليس شريعة يلزم أن أجمد عليها ، فقد يظهر لي اليوم غير ما كان ظاهرا لي آنذاك.

وقد رجع الأئمة عن مذاهب بأسرها فكيف برأي حول حقيقة لفظ.

و القول أن منع العدو من تحقيق أهدافه المعلنة هو نصر هو من المعايير الجديدة التي جاء بها المسمى"حزب الله" ونشرتها الجزيرة تزييفا للوعي، وكنتُ سابقا أعتقد ذلك ككثير من الناس اليوم،أما اليوم فاعتره تلاعبا بالعقول فمن المعلوم أن النصر العسكري هو أن تغلب عدوك فتطرده من أرضك أو تأخذ أرضه،أو تقتل منه أكثر مما يقتل منك، أو تأسر منه أكثر مما يأسر منك،جاءت الجزيرة بنظرية المسمى حزب الله حول النصر و الهزيمة المتمثلة في أنه لا عبرة بعدد الموتى في صفوفك، ولا بمساحة الأرض التي تضيبيعها، ولا بكمية الدمار الذي لحقك المعتبر في تحديد من المنتصر هو عدم السماح للعدو بتحقيق أهدافه المعلنة.

ومعلوم أن أغبى الدول في التقدير الذهني لا تعلن أهدافها الحقيقية لا القريبة و لا البعيدة، وما يدخل كجزء من المعركة مثل تدمير المتاريس الأنفاق البنية التحتية لا يمكن أن نعتبره من أهداف المعركة فللمعركة أهداف سياسية و إستراتيجية و الجزء الحربي أداتها فقط إلا إن كانت معركة مواجهة شاملة أو معركة وجود فالهدف معروف مسبقا هو البقاء.

نعم،يمكن أن نعتبر انجازا منعك العدو من تحقيق أهدافه المعلنة لكن لا يمكن أن تعد ذلك نصرا إلا إن حققت أهدافك ومن الطبيعي أن يكون هدفك الكلي منع تحقيق أهداف العدو المعلنة بل تحرير الأرض أو فك الحصار و ما يدخل في ضمنه بصورة تضمن ديمومتها، يعني لا يعود العدو و يسلب منك بعض ما كسبته فيضيق المساحة أو عرض المياه الإقليمية أو غير ذلك، هذا هو النصر.

كذلك لا يجب أن نقبل كذبة الجزيرة التي مفادها أن المسمى حزب الله أو حركة حماس قد فعلا ما لم تفعله الجيوش العربية لأن قياس حرب العصابات و قتال المتترس بين المدنين على قتال الجيوش الكلاسيكية غير صحيح فأية قوة إسلامية اليوم تقاتل الغرب أو إسرائيل قتالا تقليديا جيش مقابل جيش تباد نهائيا فمن هذه الجهة هذه مغالطة.

أما تطوير وسائل القتال و رفع المكنات و القدرات و النيل من العدو بما لم يسبق فهذه انجازات حقيقية لا ينكرها إلا مكابر وإنما النصر شيء آخر له معايير أخرى.
و في نشوة تقديرات سياسية خاطئة أو متعجلة، أو نسبة الانفعال فيها غلبت نسبة العقل والحكمة تقوم الجزيرة خدمة للسياسية القطرية بدفع المسلمين إلى مفهوم المقاومة عند المسمى"حزب الله" :ّ ليمت منا من مات لا يهم العدد لن تحقق إسرائيل أهدافها المعلنة " اندفاع العطشان إلى النمير العذب.
و للناس حق اعتبار ما يشاءون نصرا ،ولهم أن يفرحوا به إن كان نصرا في عرفهم،إن قبلوا بتلك المعايير فهذا شأنهم،أما كونه نصرا بالعرف الحربي أو الضرورة العقلية فهذا فيه نزاع شديد.
وليس لأحد أن يرد كلامي اليوم بكلام قلته في سنة 2006 فهذا تدليسٌ على الناس إن كان يعرف قولي الأخير،ومن عجيب قول الناس أن الدمار و الموت الذي لحق الشيعة في لبنان مسرحية وما لحق أهل غزة حقيقة؟
أما القول بأن معايير النصر شيء خارج موازين البشر فهو نوع من السفسطة في العقل، وعلى المتكلم التحكم في كلمته فإن لازم كلامه شنيع جدا.
في الأخير: من أراد أن يفرح، و يسمي ما حصل نصرا فله ذلك، ولا يحتاج إلى موافقة الناس له، ولا أن يتكأ على أقوال قديمة للمخالفين له، فالحقائق في ذاتها شيء مجرد عن الاعتقاد الخاص بكل شخص.

أمراءٌ على ركام حجارة (!!!)

في حوار لوزير الدفاع الفرنسي الحالي عن محاربة ما يسميه "الإرهاب" في شمال مالي قال: إننا نريد تحرير كيدال و غاو (يقصد الطريق إلى مناجم اليورانيوم و الذهب) فقال له الصحفي: وماذا عن الجبال في حدود الجزائر؟
فرد عليه: لا مانع لدينا من أن يكونوا أمراء على ركام حجارة.

فائدة:

ذكر ابن سعد عن غزوة مؤتة أن الهزيمة كانت على المسلمين، والذي في (صحيح البخاري)، أن الهزيمة كانت على الروم.

قال ابن القيم :والصحيح ما ذكره ابن إسحاق أن كل فئة انحازت عن الأخرى، يعني لا هزيمة ولا نصر.
و اعتبر أكثر العلماء أن ما جرى في أحد هو هزيمة وهكذا سموها في كتبهم ولم يتضايق أحد من أحد؟

الحقيقة العملية(لا النظرية) للعلم النافع عند الجماعات الإسلامية: حكاية عجيبة

العلم النافع الوحيد عند بعضهم هو علم الجرح و التعديل بطبعته الحديثة، يعني: التكلم في أهل العلم و العناية بإسقاطهم، وهذا منهج أتباع الشيخ ربيع.
وعند جماعة أخرى قريبة من الأولى، هو الكلام عن الشيخ ربيع و بيان أخطائه حصرا وقصرا، أما الكلام في السياسة و الفكر المعاصر و الاهتمام بشؤون المسلمين و غير ذلك فليست علما وربما هي بدعة.
وهو عند جماعة الإخوان الكلام عن السياسة و المقاومة، و فقه الواقع أن تقول: هذا زمن المقاومة و المظاهرات، وكل من لا يقول بقولهم فهو من جنود السلطان؟
وعند الجهاديين هو الكلام عن الجهاد و مسائل التكفير بطبيعة الحال.
و اللازم من هذه الحيثية أن أحسن الجماعات هي من جعلت العلم النافع هو "رياض الصالحين" و "الترغيب و الترهيب"، و كتب فضائل الصحابة.
قلنا للشيخ ربيع: من تزعم من أهل السنة أنهم مبتدعة ليسوا كذلك، ولا يمكن أن نوافقك على تبديعهم، وقمنا مع الشيخ المأربي بما نقدر عليه دفاعا عنهم،فقالوا: حزبي يدفع له المأربي.
ثم قمنا مع أهل الشام دافعنا عن تلامذة الألباني فيما رأيناه صوابا فقال بعضهم: مرجئي تدفع له جمعية التراث؟
وأراد بعضهم منا أن نبدع الشيخين العودة و الحوالي فقلنا: أصول أهل السنة لا تسمح، فقالوا: تكفيري حزبي؟
وأرادوا منا تزكية الثورات فقلنا: نفهم أسبابكم ولكننا نفضل عليها مجالدة الإصلاح، فقالوا: عبيد الأنظمة ..الخ
و أرادوا منا تبديع الإخوان و المشاركة في الحمل عليهم فقلنا: طردنا أصولنا التي فهمناها من السنة فلم تخرج بنتيجتكم، و الخطأ لا يلزم منه ضرورة الخروج من السنة

فقالوا: إخواني.
انتقدنا منهج الاخوان السياسي،ولم نوافق حركتهم المسلحة حماس على توقيت المعركة، ولا على كيفيتها فقالوا: مردخاي(الناطق الرسمي للجيش الإسرائيلي)، و متواطئ ...الخ
إن أجملنا القول نقدا وحذفنا البديهيات استهجنوه ،و إن فصلناه حجة مقابل حجة قالوا: يسهر الليل على ما لا ينفع.
نفينا عن السنة ما نسب إليها من التفحش،وعن السلف ما نسب إليهم من تمحيض الشدة فقالوا: ابزقوا عليه؟
دافعنا عن عوام المسلمين عذرا بالجهل وعن تكفير من يعذرهم من العلماء وقلنا: تكفيرهم ليس من عقيدة أهل السنة، فقالوا: مرجئي جهمي .
دافعنا عن أئمة الأشعرية وقلنا: يجب رد الاعتبار إليهم لمكانتهم في الأمة، ودورهم في حفظ علوم القرآن و السنة،ومواجهة الزحف الشيعي علما و سياسة ، وفرقنا بين رد الاعتبار إلى العقائد الكلامية ورد الاعتبار إلى جانبهم الحق،مع التفريق بين التدافع الفكري العلمي وبين البغضاء و الكراهية و إنكار الحق الموجود فقالوا: تمييعي.
قلنا: يا جماعة السنة ليست حفظ أسانيد محفوظة في الكتب مات رواتها من مئات السنين، السنة الدفاع عن عصمة النص أمام الهجمات التي يتلقاها، السنة حفظ مقام النبوة فوق العقل وفوق الوجد،لكن بدون عزل العقل عن محل ولايته،و لا إنكار مرتبة الوجد فقالوا: متفلسف.
يريدون رأيهم فقط، هذه هي الأزمة: تخرجه من قبره و تنفض عنه الغبار فيرد لك الجميل و يفضل عليك من يُبدعه، و يسعى لإيذائك بكل سبيل ، قليل منهم من يطيق أن تخالفه ثم يزعمون أنهم قد ظفروا بطريق النهضة بهذه الأمة،وحالهم يغني عن معرفة عقولهم،والله المستعان؟

قال بعض الحمقى:
سبوا عليا كما سبوا عتيقكم ... كفرا بكفر وإيمانا بإيمان
فمن يرى مقابلة الفاسد بمثله فهو جاهل

(منقول بتصرف)

إشكال:
يقول بعضهم: الخطأ المشهور خير من الصحيح المهجور(جاءت في سياق الكلام عن الألفاظ).
فما رأيكم في هذه المقولة على العموم (مع ضرورة أن تعرفوا أنه يمكن استبدال عبارة "الخطأ" ،"الصحيح")؟

الصدع بالحق في العلم و الصدع بالحق في غيره:
عن أبي ذر الغفاري ـ رضي الله عنه ـ : ((أَنَّ رَجُلًا أَتَاهُ فَقَالَ: إِنَّ مُصَدِّقِي رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتَوْنَا فَصَدَّقُونَا , ثُمَّ أَتَانَا مُصَدِّقُو أَبِي بَكْرٍ فَصَدَّقُونَا كَمَا صَدَّقَنَا مُصَدِّقُو رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ أَتَانَا مُصَدِّقُو عُمَرَ فَصَدَّقُونَا كَذَلِكَ ثُمَّ أَتَى مُصَدِّقُو عُثْمَانَ فَصَدَّقُونَا كَذَلِكَ صَدْرًا مِنْ خِلَافَتِهِ , ثُمَّ ازْدَادُوا عَلَيْنَا، أَفَأُغَيِّبُ عَنْهُمْ مِنْ مَالِي بِقَدْرِ مَا ازْدَادُوا عَلَيْنَا؟ فَقَالَ: " لَا، قِفْ بِمَالِكَ عَلَيْهِمْ وَقُلْ: مَا كَانَ لَكُمْ مِنْ حَقٍّ فَخُذُوهُ , وَمَا كَانَ بَاطِلًا فَذَرُوهُ , فَمَا تَعَدَّوْا عَلَيْكَ جُعِلَ فِي مِيزَانِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَعَلَى رَأْسِهِ فَتًى مِنْ قُرَيْشٍ , فَقَالَ: مَا نَهَاكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَنِ الْفُتْيَا؟ قَالَ: أَرَقِيبٌ أَنْتَ عَلَيَّ؟ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ , لَوْ وَضَعْتُمِ الصَّمْصَامَةَ هَا هُنَا , ثُمَّ ظَنَنْتُ أَنِّي مُنْفِذٌ كَلِمَةً سَمِعْتُهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ أَنْ تُجِيزُوا عَلَيَّ لَأَنْفَذْتُهَا "))
رواه الدارمي و ابن زنجويه وغيرهما، وعلق البخاري في (صحيحه) طرفا منه،في بعض طرقه انقطاع،حكم الحافظ بصحته في (المطالب العالية).
شرح العلماء هذا الحديث، فقال ابن بطال: يعنى ما سمع من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من الفرائض، والسنن، وما ينتفع الناس به في دينهم مما أخذ الله به الميثاق على العلماء ليُبيننه للناس ولا يكتمونه.
قلتُ: يعني العلم وليس شيئا آخر، لأنا نجد من الناس من يكتم بعض العلم المخالف لجماعته فيجد التناقض في معتمدها،و غاية ما يقوله إذا أُلزم: فيه إشكالات، و يحرص على الصدع بالحق في كل ما يتعلق بالأخبار الاجتماعية و الاقتصادية و السياسية؟
قال الحافظ في (فتح الباري): وَنَكَّرَ كَلِمَةً لِيَشْمَلَ الْقَلِيلَ وَالْكَثِيرَ وَالْمُرَادُ بِهِ يُبَلِّغُ مَا

تَحَمَّلَهُ فِي كُلِّ حَالٍ وَلَا يَنْتَهِي عَن ذَلِك وَلَو أشرف على الْقَتْل وَلَو فِي كَلَامِهِ لِمُجَرَّدِ الشَّرْطِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُلَاحَظَ الِامْتِنَاعُ أَوِ الْمُرَادُ أَنَّ الْإِنْفَاذَ حَاصِلٌ عَلَى تَقْدِيرِ وَضْعِ الصَّمْصَامَةِ وَعَلَى تَقْدِيرِ عَدَمِ حُصُولِهِ أَوْلَى فَهُوَ مِثْلُ قَوْلِهِ لَوْ لَمْ يَخَفِ اللَّهَ لَمْ يَعْصِهِ وَفِيهِ الْحَثُّ عَلَى تَعْلِيمِ الْعِلْمِ وَاحْتِمَالُ الْمَشَقَّةِ فِيهِ وَالصَّبْرُ عَلَى الْأَذَى طلبا للثَّواب.

ليس المطلوب هذه الدرجة فهذا فأصبح الآن من النظريات المثالية،لكن على الأقل إذا اكتشف ضعفا أو تناقضا أن يبينه لطلبة العلم و لا يدع الآلاف منهم يذهبون هدرا أو يضيعون أوقاتهم فيه أو يظلمون به المسلمين.

أحاديث لقطع الطريق :القائم بذاته

بينما كنتُ أتحدث مع الشيخ بدر الدين أثناء عودتنا إلى مدينتنا جاء الحديث عن مفهوم التجسيم وقرينة التجسيم ، و ما بُنيت عليه كحجة التركيب و الافتقار و غيرها،فكان مما دار بيننا هذا الاستلزام:

هل يمكن أن نُعير إنسانا مخلوقا، صنعه غيره بقولنا: يا من يبصر بعينيه

يا من يقف على قدميه

يا مفتقرا إلى يديه، ألا تستحي: تبصر بعينيك و تمشي بقدميك

فهل يجوز عقلا أن يكون التنزيه و نفي النقص عن الله تعالى بنفي صفاته بحجة أنها غير ذاته،و أنها مفتقرة لذاته، وذاته مفتقرة إليها

و إذا قالوا هو مفتقر إلى غيره، قلنا: غير صحيح، فهل هو مفتقر لشيء مباين له؟

بهذا الاعتبار نقول: هو مفتقر إلى بعضه ،و ليس إلى غيره،و المفتقر إلى بعضه غير مفتقر إلى غيره ضرورة، فهل القائم بذاته شيء غير هذا، وهو أن لا يفتقر لشيء مباين له؟

رأي و نقاش:

في رأيي الخاص يجب أن يبقى الفيسبوك جامعا قدر الامكان حتى للأشاعرة أنفسهم وهنا أريد ان أبحث معكم أمرا في غاية الأهمية وهو:

ذهب فضيلة الشيخ صالح آل الشيخ إلى أن الأشاعرة من أهل السنة لأنهم ممن يحتج بها و ليسوا من أهل السنة و الجماعة لانهم فرقوا دينهم شيعا يعني بما أحدثوه في باب الأسماء و الصفات،فما رأيكم في هذا التقسيم؟

قواعد مهمة في التبديع

1 ـ أخطاء التبديع بأدلة المتشابه:

المتبع من العلماء للمتشابه من الأدلة نوعان: نوع لا يعرف المحكم، فهذا معذور لا يُبدِّعه إلا جاهل أو ضال أو ظالم او من جمع هذه الأوصاف، إذ لا يحكم على الإنسان إلا بما علم، كما في الإيمان يكون بحسب ما بلغه من تكاليف الشرع، وليس بحسب المعلومة عند غيره، أو التي عجز عنها عجزا تكفله الشريعة يعني عدم القدرة المعتبر،وهذا أصل آخر في التكفير و التبديع الجائر أوضحه في القاعدة الثانية.

ونوع في قلبه زيغ يتبع المتشابه من الأدلة و الأقوال، وقد عرف المحكم المطلوب المقصود، يتمسكون بالقدر المشترك المتشابه في المقاييس وآراء العلماء و الألفاظ،و النصوص، ويعرضون عما بينها من الفروق المانعة من الإلحاق والاستواء في الحكم، الفاصلة بين المتبع بحسب ما بلغه من علم، ويدخل في ذلك الخاضع لشبهة قوية عجز علمُه عن تجاوزها، وبين التارك للمحكم لهوى أو عصبية، وهذا صنف يوجد في كل الطوائف حتى في السلفيين المهتمين حصريا بالتكفير و التبديع، يتمسكون بالمتشابه القليل الخفي الموجود في الكتب و يتركون الكثير الواضح، يردون مفصل أقوال الناس بمجملها،ومحققها بمطلقها،يتمسكون بالكلام المرسل في غير سياقه،و بالكلام الموجز المحذوف المقدمات،أو المضمرة فيه لضرورة السياق ،ويتركون الكثير المحقق المفصل المستقصي للمسألة،(قد مثلت لذلك بعدة أدلة في مسألة العذر بالجهل،و التبديع) لا يميزون بين العام المتشابه في أفراده وبين غيره، وقد يتصورون المسألة خاصة مقيدة معينة كمسألة التبديع ويعممون الحكم.

و إذا علمنا أن الحقائق إما متماثلة، وهي " المتشابه " وإما مماثلة، وهي: "الأصناف والأقسام والأنواع"،فالبدع متماثلة من حيث الجنس ،مماثلة من حيث التصنيف أو الأقسام، تشترك في اسم البدعة تختلف في الحكم،وكذلك الخطأ و البدعة فيهما تماثل من جهة مخالفتهما للشريعة وإن كانا مختلفين من جهة التصنيف و التقسيم و الحكم.

المتشابه هو المحتمل لعدة أوجه،أو المحتمل للتأويل، ومن هنا كان نسبيا،وقد يقصد به السلف:" كل ظاهر ترك ظاهره لمعارض راجح كتخصيص العام وتقييد المطلق" بسبب احتماله لمعنيين.

وقد يكون التشابه في الأصول وقد يكون في الأحكام،و اتباع المشتبه قد يكون صاحبه معذورا لا يبدع بحال لأنه لا يعلم المحكم،وقد يكون في قلبه زيغ متبعا للمتشابه، وفي هذا يدخل بعض من يُبدع الناس وأدلته هو نفسه متشابهة ليست محكمة ،و إن كانت واردة في القرآن و السنة،أو مما قاله علماء السنة، كيف ذلك؟

معلوم أنه من طرق إزالة الاشتباه: التقسيم و التبيين حتى يتبين المشترك بين المتشابهين من وجه كالتشابه بين المبتدع بدعة مكفرة،و المبتدع بدعة خفيفة أو ذات اشتباه،و كالتشابه بين المبتدع و المخطئ،و كالتشابه بين خطأ العالم الذي لم يعرف المحكم،و خطأ العالم الذي عرفه، و كالتشابه بين المخطئ و بين المتعمد، و كالتشابه بين المعرض جحودا أو تكبرا و بين المعرض تأولا،و كالراد للنص تعنتا،و الراد له لاعتقاده استحالة صدوره عن الشارع، و كالتشابه بين العالم بعلم صوري، و العالم بعلم مطابق،و كالتشابه بين الجاهل بالمحكم غير شاعر بجهله و الجاهل بالمحكم الشاعر بجهله،و كالتشابه بين المبتدع و الفاسق،و كالتشابه بين التأويل السائغ و التأويل المتعسف،و كالتشابه بين التخطئة و التأثيم،وهكذا.

وعليه، فليس مجرد أخذ الدليل من القرآن و السنة أو كلام السلف ينفي عنك اتباع المتشابه، لان وجود الدليل فيهما هو أول خطوة الاستدلال أي النظر و ليس هو الاستدلال كله،فالعام و المطلق و المنسوخ موجودون فيهما كما الخاص و المقيد و الناسخ و المفصل و المبين،فالشأن في الاستدلال التام أن تعرف مطلوب الله، فمن عرفه عرف الراجح،فإن هو تركه و أخذ المرجوح فهذا في قلبه زيغ و هو متبع للمتشابه من أي طائفة كان،وهذا التشابه موجود في أدلة الأصول و الأحكام، ومن هنا لا يكون تبديع العالم من أي طائفة كان إلا إذا عرف الراجح وتركه.

فلا يكفي أن تجد الدليل في الكتاب و السنة إن كان يقابله دليل مثله لتحتج به و تُبدع به حتى تعرف أنه مطلوب الله، قصده الله و أراده.

وعليه،عندما نتحدث عن التبديع عموما و الأشاعرة خصوصا يجب أن نلاحظ هذا الأصل،هل عرفوا الدليل الراجح وتركه اتباعا لمذهبهم و عصبية له،أم ذاك مبلغهم من العلم،قصدوا اتباع الحق،و اجتهدوا في ذلك لكن دخلت عليهم قواعد عقلية ظنوها صحيحة موافقة للشريعة،أو من الأدلة الضرورية فاتبعوها ولم يكن قصدهم مخالفة الرسول بل فيهم أهل إيمان،بل هم من أهل الإيمان و التقوى المعظمين للرسول اشتبه

عليهم الحق بما دخل الأمة من مقالات و شبهات صار العلم بالحق عندئذ مشروطا بعلوم دقيقة يعجز عنها كثيرون،فإن هو أحصى المقالات العقلية عجز عن المعرفة التامة بالنصوص ودلالتها،فهذا الغزالي ذكر في المنقذ من الضلال طرق طالبي الحق فذكر الفلاسفة و الصوفية و المتكلمين و الشيعة ولم يعرف بطريق أهل الحديث و السنة.

و عندما يقول شيخ الإسلام عن الرازي : (بخلاف ما يظنه الناس هو لا يتعمد مخالفة الحق) يجب أن نفهم هذا الأصل: ترك الدليل الراجح عمداً،أما تقصيرا، فإدراك التقصير و الإحاطة به لا ينضبط إلا بتفصيل مسألة" كيف ينشأ العلم" و" الشعور بالعلم" وعلاقتها بالعلم وعدمه، نفصلها غدا بإذن الله.

وخلاصة للمنشور السابق: إن لم تكن أقوالهم أو بعضها من أقوال أهل السنة،فهم منها سواء سميناهم: متكلمة أهل السنة،أو متكلمة أهل الإثبات،أو متكلمة الصفاتية، لهذا الاعتبار و لاعتبارات كثيرة ذكرتها في المنشور السابق وغيره،وبدون إقامة الحجة فالحكم على الشخص مجرد تخمين،وهم كسائر طوائف أهل السنة فيهم وفيهم، فيهم الصادق وفيهم الكاذب،فيهم الموالي لله و لرسوله و لصالح المؤمنين وفيهم غيره.

الأحجية:

لا تمارس في الإقصاء ديناً فهماً منهجا تمارسه عليك طائفة أكثر غلوا منك؟

وعندكم الأمثلة فما عليكم إلا الترتيب بحسب درجة الغلو سواء في التبديع أو التكفير أو التأويل في علم الكلام وغيرها.

فبعضهم يبدع الأكثر اعتدالا منه، وهو نفسه مبدع عند الأكثر غلوا منه، مثال: الحداد ربيع، و القائمة مفتوحة، فما الضابط؟

و بعضهم يكفر الأكثر اعتدالا منه،وهو نفسه مكفر عند الأكثر غلوا منه، مثال: داعش النصرة و القائمة مفتوحة، فما الضابط؟

و بعضهم يرجح مذهب التأويل و ينتصر له لكن على رأي جماعته،وهو نفسه يذم تأويل الشيعة و المعتزلة و الباطنية و الفلاسفة،وهم يحتجون عليه بما قرره من التأويل ،فما الضابط؟

الرد على الإلزام:

عندما نرد إلزاما (ما) فهذا لا يعني أننا نعتقد وجود الملزوم به،فمجرد الانتهاض لرده يعني أننا ننفي وجوده على الصورة التي جاء بها في الإلزام المنقض، فافهم هذا لا ينتشر الكلام و يتشعب وراء محل النزاع.

الحكم على الناس فرع على إدراكهم

إن كان العذر بالجهل يتناول المسائل العملية فقط، و لا يتناول من مسائل أصول الدين إلا قضايا التوحيد العلمي النظري لم تقم حاجة إلى بعثة الرسل {ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَى كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ} و أصبحت هذه المسائل من المعلوم بالضرورة، مغروسة في فطر البشر، لا يحتاجون مع ذلك إلى رسل ،يعني يحاكمون على علمهم الضروري بهذه القضايا؟ عندما اعتقد بعض المتكلمين،أن المحكم و المتشابه،و القطعي و الظني،و المعلوم من الدين بالضرورة مسائل جامدة لا تتحرك بحسب الإدراك المتغير بحسب المكان أو الزمان ـ مع أنها ظاهرة التفاوت بالضرورة العقلية و النقلية بين العلماء أنفسهم، وبين العلماء و عوام الأمة ـ ولم يجد منكرو العذر بالجهل إلا هذه الأغلوطات الكلامية استلفوها منهم،وتلك مصيبة مزقت الأمة،و أحدثت فيها مصيبة عظيمة.سنقف بعون الله مع كل مسألة بشيء من التفصيل.

لماذا هذه المقالات:

لأن بعض الناس يعذرون بالجهل في التكفير، ولا يعذرون به في التبديع ؟

وبعضهم يعذر به في التبديع ولا يعذر به في التكفير؟

و الأصول واحدة، مزقوا الأمة وزادوها وهنا على وهن....؟

وقد تبين أن مذهب من لا يعذر بالجهل مبني على كثير من أدلة المعتزلة، فالمضمون للمعتزلة و القالب اللفظي للسنة.

و العجيب الذي اكتشفته أن بعضنا لا يعرف مذهب أهل السنة في المحكم و المتشابه، و الظني و القطعي، و المعلوم من الدين بالضرورة، و لا يفرق بين الصفة الذاتية والصفة الإضافية الاعتبارية، ولا يعرف الفرق بين الحق في نفسه و الحق باعتبار

مبلغ العلم ووسع الجهد؟
ويجعل العلم النظري الكسبي علما ضروريا، و يجعل الجاهل كالعالم، لأن العالم يعلم من نفسه انه عالم فقد كان في يوم ما جاهلا، والجاهل قد لا يعلم أنه لا يعلم،وقد يسمع موعظة أو درسا في مسجد فيظن نفسه عالما بمسألة، وهو في الحقيقة قد سمع مذهبا باطلا،فيأتي بعض الناس و يكفره لأنه لم يطلب العلم؟
و قد لا يعلم بوجود بعض المسائل العلمية أصلا، وهذا ينسحب على طلبة العلم يحاكم الناس بما يعلم، وهو أصلا لا يعلم بعض المسائل، فمن أخبره أنها لا تدخل في تصويب المسائل التي يكفر بها؟
لا يعظمون التوحيد بتبليغه و تعليمه، و الجهاد في رد الشبهات المناقضة،و مكابدة المناظرة و الصبر على الناس على جهلهم و عنتهم و شبهاتهم ،و قيادتهم بالعلم و الحلم إلى الحق، أو إقامة حجة الله البالغة لكي لا يبقى عذرٌ ، إنما يعظمونه بالتكفير به، مهدرين كل الأصول الشرعية ،منزلين آي القرآن على غير محلها،متمسكين بأي شبهة تشبه الدليل،غاية ما عندهم أنهم يكتبون كتابا يضعون فيه معتقدهم لا يقرأه إلا أتباعهم ثم يحكمون أنهم أقاموا الحجة،وهم لم يقيموها على أقرب الناس إليهم فكيف بالبعيد عنهم ،؟وهناك عشرات الاعتراضات عليهم .
كما قال الشوكاني ـ رحمه الله ـ ماذا جنت هذه المذاهب على المقلد المسكين؟
إذا اتبع عالما مبدعا بدَّعوه و فسقوه معه،و إن اتبع عالما يفتي له بجواز بعض الشركيات كفروه معه،و مطلوب منه أن يجتهد ملقيا خلف ظهره بيئته و تاريخه و منشأه و المشهور عنده ليحقق في علم علماء(لم يسمع بهم ولا يعرف وجودهم أصلا) و سلوكهم، ليعرف الضال منهم من المهتدي،ويرجح بينهما ،و يعرف المتبع للرسول منهم من المعرض عن الرسول،فيطلب العلم بالتوحيد كما أنزله الله من العلماء الصادقين العالمين المختلف فيهم بين السلفيين أنفسهم ،وحتى بين التكفيريين أنفسهم ؟
والله المستعان.
غدا بإذن الله تعالى أنزلا مقالا بعنوان:(قواعد مهمة في التبديع و التكفير و التفسيق)

جناية المذاهب(عند بعضهم) على الجاهل المقلد :
بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشوكاني ـ رحمه الله ـ في (السيل الجرار){1.3/1}: ((مسكين مسكين المقلد ماذا جرى عليه من هذه الآراء التي تشعبت طرائقها و خفيت دقائقها و حقائقها اللهم غفرا.))

ماذا جنت هذه المذاهب على المقلد المسكين؟

إذا اتبع عالما مبدعا بدَّعوه و فسقوه معه،و إن اتبع عالما يفتي له بجواز بعض الشركيات كفروه معه،و مطلوب منه أن يجتهد ملقيا خلف ظهره بيئته و تاريخه و منشأه و المشهور عنده ليحقق في علم علماء(لم يسمع بهم ولا يعرف وجودهم أصلا) و سلوكهم، ليعرف الضال منهم من المهتدي،ويرجح بينهما ،و يعرف المتبع للرسول منهم من المعرض عن الرسول،فيطلب العلم بالتوحيد كما أنزله الله من العلماء الصادقين العالمين المختلف فيهم بين السلفيين أنفسهم ،وحتى بين التكفيريين أنفسهم ؟

لماذا نقل المعلمي و غيره كلام ابن تيمية ولم يحل عليه ، لأنه عند بعض الناس كافر ضال يلعن؟

فما حيلة العامي أو شبه العامي الذي غرسوا في عقله هذا الحكم إذ لم يقبل على علم ابن تيمية أو عاد من يدعو إلى علمه؟

و إذا شُوِّهت طائفة لدى الناس بحق و باطل، أعني أخذوا بعض ما عندها من باطل و شوهوا الحق الذي معها فماذا يصنع العامي ؟

وقد جعل بعض العلماء إثبات النقائص على الأنبياء عيبا لهم و طعنا عليهم، و جعل آخرون النهي عن تخصيص قبره بالزيارة تقليلا من محبته صلى الله عليه و سلم، و يتلقى عنهم العوام هذه المذاهب؟

ومعلوم أن الجهل بالحكم الشرعي النوعي غير الجهل بوصف الفعل المعين و أنه مناقض له،فالعامي يعرف أن الله واحد وهو الخالق الرازق لكنه يجهل إن كان التوسل و الاستغاثة بالمقبور حراما منهيا عنه لأنه شرك،لأنهم أخبروه أن المقبور ولي صالح و الأولياء لهم مكانة عند الله و جاه و شفاعة كما اخبر القرآن بذلك،وهم في قبورهم أحياء لأنه يوجد نص صحيح يبين أن الموتى أحياء في قبورهم ،وهكذا.

و الجهل أكثر ما يقع في النفي و ليس في الإثبات، لأن إحاطة الإنسان بما يثبته أيسر من إحاطته بما ينفيه،و العامي أو العالم قد يكون عالما بما مع نفسه من الحق حكما ودليلا جاهلا بما مع الآخر من العلم المبين المفصل لما معه فينفيه.

وعندما يقول بعض العلماء ما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به؟
نقول:لا يجوز الجهل به بعلم الضرورة،فهو مغروس فيهم أم بعلم كسبي يأتي بالتعلم؟ ومن أين للناس أن يعرفوا أنه لا يجوز الجهل به، ويجب عليهم تعلمه إن لم يبلغهم مبلغ؟
وأكثر المسلمين قد تقول له كلاما من صياغتك و تنسبه للقرآن فيصدق.
والذين يكفرون المسلم الذي يقع في شركيات ولا يعذرونه بالجهل نسألهم:كيف تعلموا التوحيد ومتى؟
فمنكم من تعلمه بعد أن صار كهلا و آخر بعد أن تجاوز العشرين، وهل بلغتم سن التكليف فقلتم: يوجد علم لا يجوز الجهل به علينا أن نتعلمه؟
أم التقيتم من غير اختيار منكم بأناس علموكم السلفية و السنة، وبعد ذلك التوحيد، وشرحوا لكم لمَ هذا الفعل شرك،و معنى كلمة التوحيد وشروطها ونواقضها و غير ذلك، وبعد ذلك بدأتم تكفرون جهال المسلمين؟
فلمَ تكلفون الناس ما لا تكلفون به أنفسكم؟
ولو لم يكن الجهل مانعا من العلم لكان كل الجهال علماء.
و المقصود الذي قد لا ينتبه إليه بعض الإخوة عندما يتحدثون عن وجوب طلب العلم في مسائل التوحيد العلمي وهو قول صحيح نظريا مجردا لا يمت لواقع الناس بصلة لأنه يلزم صاحب الفطرة السليمة الذي لم يتقلد مذهبا يصده و يغير فطرته،وأنى للمسلمين بهذا؟
ومعلوم أن القلب إذا كان خالياً من معرفة الحق، واعتقاده والتصديق به، كان معرَّضاً لأن يعتقد نقيضه ويصدق به، لا سيما في الأمور الإلهية كما يقول ابن تيمية و عندما يأتي الخبر بالتوحيد الصحيح من عالم أو داعية يجد القلب مملوء بالمعارض فإن اكتفى بمجرد التبليغ لم يبلغ الحق لأن الحق يبلغ لفظه و معناه،ولا يتم ذلك إلا بدرء المعارض.
وعليه،فإن تكليف المسلم الذي نشأ على مذهب يعتقد صحته أن يطلب علم نفس المسألة كتكليف العالم جهل ما يعلم،وهو من باب تكليف ما لا يقدر عليه،و إذا كان الجاهل قادرا على أن يصير عالما بالشيء أن عرف أنه جاهل به يحتاج إلى العلم به فأمر هذا بتحصيل العلم ممكن،أما من كان متصورا في نفسه أنه عالم بالمسألة وأنها

دين المسلمين فتكليفه بطلب علمها كتكليفه أن يصير جاهلا،كمن رأي الشيء و سمعه لا يمكن أن يقال : لا يعرفه.
وعليه فإن تعليم الحق لهذا ليس آليا بل يجب أن نبين له بالعلم و الدليل أن علمه بالمسألة هو في الحق جهل أو علم باطل وهذا هو إقامة الحجة.
هذا لأن أكثر الطالبين للعلم و الدين ليس لهم قصد من غير الحق المبين،لكن كثرت في هذا الباب الشبه و المقالات،واستولت على القلوب أنواع الضلالات، حتى صار القول الذي لا يشك من أوتي العلم و الإيمان أنه مخالف للقرآن و البرهان، بل لا يشك في أنه كفر بما جاء به الرسول من رب العالمين، قد جهله كثير من أعيان الفضلاء فظنوا أنه من محض العلم و الإيمان ، بل لا يشكون في أنه مقتضى صريح العقل و العيان،ولا يظنون أنه مخالف لقواطع البرهان)) (بيان تلبيس الجهمية)(1/10).
ثم يواصل رحمه الله : ((ولهذا كنت أقول لأكابرهم: لو وافقتكم على ما تقولونه لكنت كافرًا مريدًا -لعلمي بأن هذا كفر مبين- وأنتم لا تكفرون لأنكم من أهل الجهل بحقائق الدين، ولهذا كان السلف والأئمة يكفرون الجهمية في الإطلاق والتعميم، وأما المعين منهم فقد يدعون له ويستغفرون له لكونه غير عالم بالصراط المستقيم، وقد يكون العلم والإيمان ظاهرًا لقوم دون آخرين، وفي بعض الأمكنة والأزمنة دون بعض بحسب ظهور دين المرسلين))
و لنسأل لماذا بقيت الأمة ردحا من الزمن تعتقد أن الأشاعرة هم أهل السنة و انتشر ذلك في الكتب،و لماذا انتشرت فيها مقالات غير صحيحة، أليس بتقصير أهل الحق؟
هذا ما يوضحه لنا ابن تيمية ـ رحمه الله ـ في(الدرء)(5/377): ((فمن لم يكن فيه على طريق أئمة الهدى، كان ثغر قلبه مفتوحاً لأئمة الضلال.
ومصداق هذا أن ما وقع في هذه الأمة من البدع والضلال، كان من أسبابه تقصير من قصر في إظهار السنة والهدى، مثل ما وقع في هذا الباب، فإن الجهل المركب الذي وقع فيه أهل التكذيب والجحود في توحيد الله تعالى وصفاته، كان من أسبابه التقصير في إثبات ما جاء به الرسول عن الله، وفي معرفة معاني أسمائه وآياته، حتى أن كثيراً من المنتسبين إلى الكتاب والسنة يريدون أن طريقة السلف والأئمة إنما هو الإيمان بألفاظ النصوص، والإعراض عن تدبر معانيها وفقهها وعقلها.
ومن هنا قال من قال من النفاة: (إن طريقة الخلف أعلم وأحكم، وطريقة السلف أسلم)

لأنه ظن أن طريقة الخلف فيها معرفة النفي، الذي هو عنده الحق، وفيها طلب التأويل لمعاني نصوص الإثبات، فكان في هذه عندهم علم بمعقول، وتأويل لمنقول، ليس في الطريقة التي ظنها طريقة السلف، وكان فيه أيضاً رد على من يتمسك بمدلول النصوص، وهذا عنده من إحكام تلك الطريق.

ومذهب السلف عنده عدم النظر في فهم النصوص، لتعارض الاحتمالات، وهذا عنده أسلم، لأنه إذا كان اللفظ يحتمل عدة معان، فتفسيره ببعضها دون بعض فيه مخاطرة، وفي الإعراض عن ذلك سلامة من هذه المخاطرة.

فلو كان قد بين وتبين لهذا وأمثاله أن طريقة السلف إنما هي إثبات ما دلت عليه النصوص من الصفات، وفهم ما دلت عليه، وتدبره وعقله، وإبطال طريقة النفاة، وبيان مخالفتها لصريح المعقول وصحيح المنقول- علم أن طريقة السلف أعلم وأحكم وأسلم، وأهدى إلى الطريق الأقوام، وأنها تتضمن تصديق الرسول فيما أخبر به، وفهم ذلك ومعرفته، وأن ذلك هو الذي يدل عليه صريح المعقول، ولا يناقض ذلك إلا ما هو باطل وكذب))

نفس الشيء يقع اليوم، نتحدث فيما بيننا،نعجز عن الدعوة،لا نبلغ الحجة بلاغا صحيحا،ثم نصدر أحكام التبديع و التكفير،و السؤال: ماذا بعد ذلك،قد كفرنا جمهور الأمة إلا فئة من السلفيين، وبدعنا الأمة إلا فئة من السلفيين، فماذا بعد ذلك؟

ألا يلزمنا دعوة الكافرين و المبتدعين على فرض أنهم كافرون أم يجب قتلهم و إبادتهم؟

عندما نناقش مثل هذه المسائل يجب أن نردها إلى أصولها و كلياتها، وبعد ذلك ننظر في الأدلة الجزئية التي يحتج بها الطرفان،وما يحتج به أنصار المذهب الآخر إما تقديرات لعلماء لم يتصوروا المسألة كما ينبغي أو نصوص خاصة من آي القرآن على غير محلها سنعرج عليها في مقالات خاصة نناقش فيها أهم الأدلة و أقواها عندهم.

بعد أن ننتهي من الكلام عن قاعدة"التحريم" ،ومسألة" الشعور بالعلم "،"ونشأة العلم في النفس" ان شاء الله.

القول بأن العذر بالجهل مذهب المرجئة و المعاصرين باطل ملفق وعجز ظاهر عن

العلم:

من الخلل المنهجي في تحقيق المسائل العلميَّة ـ خاصَّة مسألة العذر بالجهل ـ أنَّك تجد بعض طلبة العلم يتكلَّف غاية الجهد لتحقيق مذهب العالم الفلاني إن كان رجع عن قوله أم لا(؟)

وكان الأجدر به أن يحقِّق قوله إن كان يمتُّ للأدلة الشَّرعيَّة بصلة أم لا (؟)

فالعلماء كغيرهم كثير منهم إنَّما ينقل عمَّن سبقه، وقلَّما يُعمِلون قلم التَّحقيق، ولذلك لا تجد عندهم تدقيق المعلومات و تمحيص المنقولات إلاَّ في شهادات الماجستير و الدكتوراه (!)

وبعد ذلك يكتفون بنوع تقليد فيتكرَّر الخطأ و ينتقل من جيل إلى جيل بنفس الشُّبهات.

ولعلَّ كثير من طلبة العلم لم ينتبه ـ بعد ـ إلى أنَّ الفِرق الإسلاميَّة تشرب من بعضها البعض وهناك نقاط التقاء و تماس فيما بينها،فالفِرق التي تحدَّث عنها حديث "الفِرقة الناجية" ليست فرقا جامدة،ولا النَّص أخبرنا بأنَّ عملية التوالد و التشرب و التلاقح توقَّفت عند زمن معين،ممَّا يعني أنَّ ظهور فرق جديدة امتدادا للفرق الأصلية ممكن.

وهنا نطرح السُّؤال التالي:

هل أهل السنة فرقة واحدة من جميع الجهات ليس لهم يمين وشمال،أو إن شئت أجنحة وتيارات فكرية بعضها يقترب من الخوارج و بعضها الآخر يقترب من المرجئة،وبعضها يقترب من المتكلمين في الطريقة وبعضها الآخر يقترب من المتصوفة (؟)

فهل يمكن أن نجد فرقة منهم سلفية في الأسماء و الصِّفات،و القدر، خارجية في الأسماء و الأحكام ولو في بعض المسائل، فقد وجدنا بعضهم يوافق الخوارج في الفَرق بين الإيمان و الإسلام،وبعضهم يوافق المرجئة من بعض الأوجه حيث صار قوله في الإسلام كقول المرجئة في الإيمان،وهكذا.

وفي مسألتنا"العذر بالجهل" لنحرر القول فيها وننظر في حجة السلفيين الذين فرقوا بين أصول الدين و الأحكام من أين تلقوا هذا المذهب هل هو مذهب أهل السنة في سائر المسائل ماعدا في هذه المسألة أم هو مذهب مبني على عقيدة الخوارج"النجدات" و المعتزلة.

فكل من ينتسب إلى السلفية ممن قال بهذا القول يدور استدلاله على التفريق بين

الأصول و الأحكام حيث يمنع العذر بالجهل في الأصول ويجيزه في الأحكام، ويفرق بين مسائل المعلوم من الدين بالضرورة وغيرها، وكل هذا مما لا دليل عليه، ولا أصل شرعي يدل عليه،وهو مما تلقوه عن المعتزلة و الخوارج وغيرهم.

حرر عقلك من ربقة التقليد وحسن الظن بشيوخك وطائفتك وغص معي في هذا البحث لتتعرف على مذهب أهل السنة الحقيقي ومن خلاله تكتشف كيف أخذ بعض من ينتسب إلى السلفية بين مذاهب الخوارج ومذهب أهل السنة، فلما كان قوله في الأسماء و الصفات موافقا لقول أهل السنة وعنده عناية قوية بتحقيق التوحيد العملي تجاوز الحد إلى نوع غلو قاده ضرورة إلى المبالغة حتى كاد ينكر كرامة الأولياء و يعادي التصوف معاداة غالية حتى عاد الحق و أهمل حقيقة التوحيد العملي التي هي علم السلوك ثم اضطر إلى تعليل التكفير ورفض العذر بالجهل إلى استعارة شبهات أجنبية عن منهج أهل السنة تتمثل في التفريق بين أصول الدين و الأحكام في العذر بالجهل وهو نفسه لا يفرق بينهما في الاجتهاد و حصول العلم وتصويب المجتهدين وحتى في التكفير فوجدنا منتسبين لهذا التيار يفرقون بين المعلوم من الدين بالضرورة وبين غيره وليس هذا قول أهل السنة بتاتا فناقض ودخلت عليه مصطلحات كمصطلح "المعلوم بالضرورة" لم يحصل معناها ولم يدرك مخالفتها للشريعة وما جاء به الرسول من الرحمة في إقامة البراهين و المحاجة بها.

وما هذا التعنت و التصلب منهم في هذه المسألة إلا لأنها تهدم أصولهم الدعوية و تصحح ممارستهم عبر التاريخ فلو قالوا بخلافها انهار بنيانهم الدعوي.

إنَّ مسألة العُذر بالجهلِ مسألة كبيرة متشعِّبة،وكما قال الشَّيخ العثيمين ـ رحمه الله ـ فيها:

((مسألة العذر بالجهل مسألة عظيمة شائكة،وهي من أعظم المسائل تحقيقاً وتصويراً.))

فهي ـ بحقٍّ ـ مسألة دقيقة جدًّا عند المحقِّقين من أهل العلم.

ومن غريب الأقوال ما زعمه بعضُهم مِن أنَّها مسألةٌ محدثة عند المعاصرين،وهي قول المرجئة فأخطأ في التوثيق وفي التأويل(؟!)

و هذا تقصير منه في العبارة ،فإنَّ الخلاف فيها من القديم أشهرُ من نار على علم،ولعلَّ اختلاف العلماء في شرحِ حديث "الشَّاك في قدرة الله على البَعث" يدلُّ على

هذا الخلاف الَّذي صرَّح به غيرُ واحد من العلماء، منهم: العثيمين، وخالد المصلح في شرحهما كتاب الشَّيخ محمَّد بن عبد الوهاب:(كشف الشُّبهات).
ولا يكاد يخلو كتاب من كتب أصول الفقه مِن مناقشة الخلاف حولها،فلا أدري عن أيِّ كوكب يتحدَّث هؤلاء (؟!)
في المقالات القادمة سنتكلم فيها تفصيلا و أول شيء نحرص عليه هو تبرئة ابن تيمية بالدليل القطعي من هذا المذهب الضعيفن ثم نذكر مدهب العثيمين و الألباني ونفحص هذه البطاقة الباطلة"الإرجاء" ونردها على صاحبها ونبين كيف يتلاعب بعضهم بعبارات رجراجة هلامية لتقصيره في الأدلة فلا علاقة لهذه المسألة بالارجاء إلا في ذهنه.

العمامة بدون ذؤابة

من يقول: "إن العذر بالجهل مسألة استحدثها المعاصرون وهي من مذاهب المرجئة" فإما يجهل ما عليه المتقدمون، و إما يكذب، و إما هناك حذف في كلامه أسقطه الناقل عنه،و أظن قوله هذا من التَّفصِّي(التخلص من موضع ضيِّق) لأن العلم بها في كتب المتقدمين من الفقهاء و الأصوليين وغيرهم مشهور ،لا يجهله أهل العلم.
وهي ليست من المسائل المبنية على أصول المرجئة و إلا كان كل من قال بها مرجئا كابن تيمية و ابن القيم و الألباني وابن باز و العثيمين و المطلق و بعض أئمة النجدين سواء ممن قال بها أو ممن له قولان و غيرهم، وهذا قول في غاية البطلان .
قال العثيمين (المرجئي عند صاحب هذا القول) في (الشرح الممتع)(2/25): ((قوله: «وَمَنْ جَحَدَ وجُوبها كَفَرَ» ، أي: وجوبَ الصَّلاة المُجمع على وجوبها وهي: الصلوات الخمس والجُمُعة فهو كافر؛ لأنَّه مكذِّبٌ لله ورسوله وإجماع المسلمين القطعيِّ، وحتى لو جَحَدَ وجوبها وصلَّى، وكذا لو جَحَدَ وجوبَ بعضها، وكذا لو جَحَدَ وجوبَ ركعة واحدة، فإنَّه يكفر.
وكذا لو جَحَدَ وجوبَ رُكْنٍ واحد فقط، كفر إذا كان مُجمَعاً عليه. واستثنى العلماءُ من ذلك: ما إذا كان حديثَ عهدٍ بكفر وجَحَدَ وجوبها، فإنَّه لا يكفر، لكن يُبيَّنُ له الحق، فإذا عُرض له الحقُّ على وجهٍ بَيِّنٍ ثُمَّ جَحَدَ كفر. وهذه المسألة التي استثناها العلماء((تُبَيِّنُ أنَّه لا فرق بين الأمور القطعيَّة في الدِّين وبين الأمور الظنِّيَّة في أنَّ الإنسان يُعْذَر

بالجهل فيها))، وهذه المسألة ـ أعني العذر بالجهل ـ مهمَّةٌ تحتاج إلى تثبُّتٍ حتى لا نُكفِّر من لم يَدُلَّ الدَّليل على كفره.))

وقال أيضا ـ في المصدر نفسه ـ ((فمن الناس من أطلق وقال: لا يعذر بالجهل في أصول الدين كالتوحيد، فلو وجدنا مسلماً في بعض القرى أو البوادي النائية يعبد قبراً أو ولياً، ويقول: إنه مسلم، وإنه وجد آباءه على هذا ولم يعلم بأنه شرك فلا يعذر.

والصحيح أنه لا يكفر؛ لأن أول شيء جاءت به الرسل هو التوحيد، ومع ذلك قال تعالى: {وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً} [الإسراء: 15] فلا بد أن يكون الإنسان ظالماً، وإلا فلا يستحق العذاب.)) فهل هذا قول المرجئة ؟

وهذا القرافي ينقل الاختلاف فيها، فيقول في (الفروق): ((قاعدة: ((الفرق بين ما لا يكون الجهل عذراً فيه وما يكون)) أن الجهل في أصول الدين لا يعذر الله صاحبه به، بل هو آثم كافر يخلد في النار على المشهور من المذاهب)).

تصور المسألة قبل أن تحتج بالقرآن:

يحتج القائلون بعدم العذر بالجهل في مسائل التوحيد العملي ببعض الآيات كقوله تعالى: {وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ}و أنهم معترفون ،مقرون على أنفسهم،فقامت الحجة بما أقروا من توحيد الربوبية على شركهم في توحيد العبودية.

و السؤال لهم حتى يتصوروا المسألة جيدا:

هل الإلزام هنا ذاتي في أنفسهم؟،أم أوحي لكل واحد منهم بالإلهام؟،أم هذا الخطاب في يوم القيامة؟ أم هو في القرآن على لسان الرسل؟

مما يستلزم معه أن عدم عذرهم ليس بالإلزام في ذاته، ولكن بالقرآن الذي تضمن إقامة الحجة بهذا الإلزام،جريا على الأصل القرآني العام لكل هذا الباب : {وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا} ، {لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ} ، قال النبي صلى الله عليه و سلم : ((مَا أَحَدٌ أَحَبُّ إِلَيْهِ الْعُذْرُ مِنَ اللَّهِ، مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ أَرْسَلَ الرُّسُلَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ)) في كل ما يدخل في الدين سواء كان من مسائله النظرية أو العملية.

ومن يزعم التفريق فلا دليل معه إلا شبهات، كأنما يقول لنا: بُعث الأنبياء و أنزلت الكتب لإقامة الحجة في التوحيد العلمي الخبري، و في الأحكام العملية فقط، أما التوحيد العملي فلا، هو قائم بنفسه؟

ومع أن توحيد الربوبية من المعارف الفطرية المغروسة في نفوس الناس،فقد أرسل الله موسى عليه السلام به،لأن الصراع مع فرعون كان في توحيد الربوبية حيث ادعاها لنفسه،ومعلوم أن فرعون يعلم أنه لم يخلق نفسه،فهذا ضروري في نفسه ومع ذلك حاجه موسى كما حاج إبراهيم النمرود،وهذه مسائل في توحيد الربوبية.

لنتفق أولا:

على طلبة العلم الذين يرغبون في مناقشة مسألة العذر بالجهل، أن يذكروا لنا ما هي الأصول و الكليات التي تقوم عليها المسألة يعددوها حصرا، وبعد ذلك نخوض في الأدلة الجزئية.

فمثلا من يتحدث عن التبليغ،عليه أولا أن يحدد التبليغ فيخبرنا ما هو ،وما أنواعه،وما علاقته باستقرار خطاب الشريعة أو استقرار الأحكام،و بالتمكن من العلم، و الظهور العلمي،وغيرها كالمحكم و المتشابه، و الظني و القطعي،والأصول و الفروع،و المعلوم بالضرورة من الدين أو من العقل، فكلها متعلقة بمفهوم التبليغ ،وهكذا حتى لا ينتشر الكلام، ونرد المسائل إلى أصولها،ونخرج بنتيجة.

مع ضرورة أن تعرفوا أنني لا أستطيع أن أكون على كل جبهات التعليق،و لن أعيد الكلام على مسألة تضمنها المقال.

صناعة الإلزام بدون قيد:

قال عمر: "قال فلان"،لم يقل: "قال الشيخ فلان"،فهو لا يحترم العلماء،و العلماء ورثة الأنبياء يحملون علمهم،ومن لا يحترمهم لا يحترم علمهم،ومن لا يحترم علمهم لا يحترم علم الأنبياء،ومن لا يحترم علم الأنبياء كافر؟

توضأ زيد ونسي البسملة،لو كان يحب الذكر لما نسي أعظم الذكر البسملة،فالتلازم بين الباطن و الظاهر، بين القلب و الجوارح يلزم أنها ليست في قلبه،مما يعني أنه لا يحب ذكر الله، ومن لا يحب ذكر الله يبغضه إذ ليست هناك مرتبة وسط،فهو إذا كافر.

يحب سعد سيارة تيوتا، سيارة تيوتا من صنع اليابان يعني يحب صناعة اليابانيين،

اليابانيون مجوس يعني سعد يحب المجوس ،ومن يحب المجوس كافر؟
إذا أراد الإنسان الباطل أمكنه الاستلزام كما يشاء فلا قيد عليه إلا التقوى وقواعد الاستلزام.

الشعور بلوازم الأشياء

بسم الله الرحمن الرحيم

لو تصورنا مصريا نشأ في حي من أحياء القاهرة يغلب عليه التصوف وفيه زوايا كان يقصدها من صباه يتعلم فيها القرآن،و يحضر الموالد و المواسم و أدرك والده وجده يعملان العمل نفسه،فكبر أشعريا صوفيا يقول: الله في كل مكان، و الشيخ عبد القادر يتصرف في البر و البحر،و علمه مشايخ المسجد أو الزاوية حب النبي صلى الله عليه و سلم و جواز التوسل إليه و الاستغاثة به و بالصالحين وكل يوم بعد صلاة المغرب يخرجون كتابا من كتبهم و يقرؤون عليه تأصيلات مثل هذه المسائل .

فنشأ لا يعرف إلا هذا الإسلام مجتهدا في عبادة الله بما عرفه،ثم ظهرت السلفية في مصر فتصدى للحديث عنها شيوخه فأخرجوا الكتب التي تطعن في الوهابية و أنهم كفار و يهود يبغضون النبي صلى الله عليه و سلم و آل بيته، و يكفرون المسلمين و يقتلونهم في المساجد أو وهم ساجدون وهتكوا الحرم النبوي وسرقوا خزائنه و ذبحوا الناس و غير ذلك.فانعقد قلبه على هذا الاعتقاد ثم صادف أن رأى شيخا سلفيا في قناة فضائية يتحدث عن التوحيد فهل سيفهم كلامه و سيقبله بدون مقدمات أم سيقفز إلى قناة أخرى.

وقد يصبح أحد أولاده سلفيا يناقشه كل يوم و مع ذلك لا يأخذ بكلامه ليس لأنه كافر أو شيطان أو لا يحب الحق ولكن لأنه بنى عقيدته من قبل أن يولد ولده ولا يوجد في عقله ما يدعوه إلى تصديق ولده و تكذيب شيوخه ووالديه و مجتمعه الديني.

فهذا عندما يبغض السلفيين هو لا يبغض أهل السنة إنما يبغض من يعتقد أنهم ضلال مبطلين وعليه لا يجب أن تربط بين بغضه لك و بغض ما تحمل أنت من علم صحيح؟ كما لا يجب عليك ولا يجوز لك أن تكفره بدون إقامة الحجة عليه و تزعم أن عليه طلب العلم؟

فأي علم يطلب وقد امتلأ قلبه بعلم المسألة التي تنازعه فيها، نعم هو علم فاسد لكنه

فاسد باعتبار الحق في نفسه، و باعتبار علمك أنت ليس باعتبار تعلمه و اجتهاده هو؟ ولتفهم هذا علميا دعني أحدثك عن الشعور ودوره في العذر بالجهل و كذلك تعارض الإرادات و الشبهات.

فأولا: كل فرقة من فرق الإسلام إلا ولها شبهات من الكتاب و السنة إلا الجهمية كما قال بعض السلف، يعني علم هؤلاء ليس كما تتصورهم مجرد ظنون أو يفعلون ذلك تشهيا، ربما يصح على بعضهم لكن المقام مقام تحرير و التحرير يكون بالكلام عن الجملة وليس عن الاستثناء،بل هي كتب و أقوال فيها آيات و أحاديث وأقوال العلماء و حكايات الصالحين وكل ما يلزم الحقيبة، فهم على مذهب متكامل متماسك المتقاطع المسالك يصعب على الانسان بدون مساعدة خارجية معرفة ما هو عليه من باطل.

قال شيخ الإسلام في " بيان تلبيس الجهمية " {592/1 } :" وجميع البدع كبدع الخوارج والشيعة والمرجئة والقدرية لها شبه في نصوص الأنبياء بخلاف بدعة الجهمية النفاة فإنه ليس معهم دليل سمعي أصلا ،ولهذا كانت آخر البدع حدوثا في الإسلام ، ولما أحدثت أطلق السلف والأئمة القول بتكفير أهلها لعلمهم بأن حقيقة قولهم تعطيل الخالق."

ثانيا: إذا كان الرجل بهذه المثابة كيف يطلب علم شيء معدوم في نظره و قلبه، لا يشعر بوجوده، كما لا يشعر أحدنا بوجود مدينة مصنوعة من ياقوت من يدخلها لا يموت؟

من المعلوم لمن دخل هذا المضمار و غاص في هذه المباحث المتعلقة بنوعي العلم: الحسي التجريبي و النظري ونشأة المعرفة أن النفس لا تخلو عن الشعور و الإرادة ، و خلو الإنسان منهما ممتنع،لأن الشعور و الإرادة من لوازم حقيقة النفس البشرية ولا يتصور عاقل أن تكون نفسه خلوا من الشعور، وعن الشعور تنشأ الإرادة بفعل الشيء أو تركه فالإرادة من لوازم ذاتها.

ومعلوم أن تحرك النفس نحو علم معين لتطلبه لازم عن إرادتها و إرادتها لازمة عن شعورها بحاجتها إليه.

فهذا المصري لا يطلب العلم عند السلفيين المصريين إلا إن شعر بأنه حق و أن ما لديه باطل و أنه جاهل،أما إن شعر انه يعرف الحق فلن يطلب ما لديهم،وهذا ضروري.

وهو لا يعرف أن علمهم حق حتى يعرف باطل ما هو عليه،فإن لم تقم عليه الحجة لم يعرف بطلان مذهبه فكيف يطلب ما عند السلفيين؟
ومما ينبغي أن نعرفه كما يقول ابن تيمية وهو ضروري فينا أن علم الإنسان بالشيء وتصوره له شيء،و علمه بأنه عالم به شيء،و علمه بأن علمه حصل له بالطريق المعين شيء ثالث.فقد يشعر بأحدهما ولا يشعر بالآخرين.
وكذلك إرادته وحبه شيء، و علمه بأنه مريد محب له شيء، وكون الإرادة و المحبة حصلت بالطريق المعين شيء ثالث، فالذهول عن العلم وعن طريقه يقع حتى للعلماء يظنون أنهم علموا المسألة من طريق الكتاب وفي الحقيقة علموها سماعا.
فمن عرف أصول العلم عرف أن ما يعرفه هو وقد يكون عنده من البديهيات هو مجهول عند غيره.
و لأن الشعور مراتب فقد يشعر الإنسان بالشيء ولا يشعر بغالب لوازمه،فهو يشعر بأن الله واحد وهو الرزاق و المعز المذل لكنه لا يشعر بلوازم ذلك على التوحيد و العبادة .فلا يشعر بالتضاد بين كونه واحدا وبين الاستغاثة بمقبور ؟.
و هذا المصري و سائر البشر لا يعلمون الشيء على وجهه التام،فمن يعلم الشيء على وجهه التام يعلم جميع لوازمه ولوازم لوازمه وهذا لا يكون إلا لله تعالى،فالقول بأن على هذا الرجل ان يعرف لوازم أفعاله تكليف بما لا يطاق لأن لا عبرة باللزوم الذهني فهو متسلسل ولا ضابط له فقد يخطر لهذا ما لا يخطر لذاك العبرة باللزوم الواقعي ، فاللزوم ثابت في الخارج في علمي أنا ليس في علمه هو وكونه ثابت لا يعني أنه حجة لأن معرفة هذا الرجل باللوازم المتعلقة بالتوحيد موقوفة على شعوره بها و شعوره بالتلازم فإن لم يشعر بها فهي غير لازمة له.
و الشعور بالحاجة الى طلب العلم و بلوازم معرفة الله او توحيده هو الحجة عليه،لا اللوازم نفسها،ولهذا أرسلت الرسل و اشترط إقامة الحجة.
والإنسان تعترض طريقه نوعان من الشبهات:الشبهات العقلية، وهي من جنس العلم النظري، و الشهوات النفسية وهي اخص بالمشاعر و الاعتقادات الباطنة وهذه محلها القلب.
و الناس في معرفة الدين و التوحيد أقسام : منهم من يعرف التوحيد جملة ولم يعرف التفصيل فإن النواقض هي من اللوازم واللوازم من التفصيل، ومنهم من يعرف

التوحيد جملة و تفصيلا،و في هؤلاء من يدوم استحضاره لعلمه ومنهم من يغفل ويذهل عنه كما حال أكثرهم.ومنهم من عرفه بيقين و بصيرة ومنهم من يجزم به لكن قد تعترضه شبهة من حديث ضعيف أو غير صريح أو تقليد جازم لعلمائه.

و القلب قد يغفل عن العلم عند المصائب و يذهب يقينه بسبب الخواطر التي تجعله يلتفت إلى الأسباب او لوجود الارادات المتعارضة. ،فالإنسان يغفل عن علمه ولا يستحضره وقت الحاجة إليه، و الغفلة ضد العلم التام الماثل أمام عينيك، و إن لم تكن ضد أصل العلم أي أن الغافل معه أصل العلم ولكنه لا يستحضره وقت غفلته فعلمه غير ماثل أمامه،ولذلك كان النبي صلى الله عليه و سلم يقول:" سلوا الله اليقين و العافية فما أعطي أحد بعد اليقين شيئا خيرا من العافية فسلوهما الله"[أحمد]

و الأصل في الإنسان أنه لا يعمل إلا ما يرجو نفعه أو دفع مضرته،و لكن قد يكون ذاك الرجاء مبنيا على اعتقاد باطل،إما في نفس المقصود فلا يكون نافعا، و إما في الوسيلة فلا تكون طريقا إليه وهذا جهل.

و قد يعلم الإنسان أن هذا الشيء يضره و يفعله، و يعلم انه يفعله و يتركه لان ذلك العلم عارضه ما في نفسه من طلب لذة أخرى أو دفع الم آخر جاهلا ظالما لنفسه حيث قدم هذا على هذا.

و الجهل الموجود في الانسان تارة يضاف الى عدم السبب كا سبب الطلب ـأو فوات شرط،فتارة يكون السبب ناقصا و تارة يكون المحل ناقصا يعني الجاهل فسبب عدم العلم إما عدم أسبابه من النظر التام و الاستماع لآيات الحق وفهم الخطاب فيها.

و سبب عدم النظر و الاستماع، إما عدم المقتضى فيكون عدما محضا لشغل المحل بالمعارض، و إما وجود مانع من الكبر أو الإعراض أو الشبهات.و الأصل في الإنسان عدم العلم ، فيحتاج دائما الى علم مفصل يزول به جهله لكنه عرضة الاعتقادات المتعارضة و الارادات المتدافعة، فهو بفطرته يحب العلم بالحق و معرفة التفصيل لكن يعارض هذا الشعور المجمل شعور آخر هو اعتقاده بطلان الطريق المعارضة لمذهبه أو خلوها من الحق أو من تفاصيله بسبب عوارض متقدمة كشبهات و غير ذلك.

فقيام الإرادات المتعارضة في قلب المسلم أمر ظاهر ومحسوس يحب فعل شيئ ويفعل غيره ، يفعل أشياء وهو يكرهها ، لأن القلب يمرض ومرضه فساد في تصوره

وإرادته ، فالشبهات تعرض لتصوراته حتى لا يرى الحق كما يجب أو يراه مشوها ، والشهوات تعرض لإرادته فتضعف.

و أكثر العوام عندهم جهل و عدم تزكية نفس، إن فعلوا العبادات الظاهرة كالصلاة والصيام والحج يفعلونها وقلوبهم شاردة ، وقليل منهم من يطمئن في صلاته بله أن يخشع .

من فهم هذا فهم قسما كبيرا من المسألة ومن لم يفهمه يبقى في حلقة دائرة.

قواعد مهمة في التبديع و التكفير و التفسيق

القاعدة الثانية

المعتبر في الحكم على الناس بلوغ الأمر الشرعي ومخالفته عمدا ، و ليس الأمر في حد ذاته.

مخالفة اعتقاد التحريم هو المستلزم للتأثيم و العقوبة

بسم الله الرَّحمن الرَّحيم

الكلام عن التكفير و التبديع و التفسيق يخضع لنفس القاعدة و الأصل،وهي قاعدة" التحريم" التي بحثها العلماء في باب "الأسماء و الأحكام"، ومن هنا تجد الناس أصنافا بحسب فهمهم لهذه القاعدة وطردهم لها، فتجد من يُكفِّر بأصول لا يطردها في التبديع،و آخر يبدع بأصول لا يطردها في التكفير،فمن يحكم بكفر الصف الثاني عليه أن يحكم ببدعية الصف الثاني مثلا، ومن يرى الخطأ الواحد مسقطا في البدعة يجب أن يراه مسقطا في الكفر كذلك،فإذا كان الدين واحدا،و أصوله واحدة، وطريق ثبوته واحدا، و نقلته هم هم،كيف يقع التناقض و التفريق بالنسبية كالقطعية و الظنية ،و المعلوم من الدين بالضرورة مثلا؟

ولو طردنا أصول غلاة التبديع و التكفير لطالت شيوخهم و طالتهم هم أنفسهم، وربما طالت الصحابة أيضا، لأن مسألة التصويب و التخطئة و التأثيم إنما استمدها العلماء من الفتنة الكبرى،فمن أقام مذهبه على عدم مراعاة "عدم العلم" يلزمه هذا في نفسه، وفي كل الناس،فإما يرى الصحابة مجتهدين يصوِّبهم جميعا كما هو رأي بعض الفقهاء و المتكلمين، و إما يراهم جميعا مخطئين كالخوارج، و إما يراهم مجتهدين فيهم المصيب و فيهم المخطئ،وهنا يطرح السؤال: بأي شيء عذرهم بعدم العلم، أم

بمخالفة العلم؟
الحق في نفس الأمر ليس هو الحق بالنسبة للمكلف،فمثلا من عرف النص العام أو المنسوخ المتقدم تاريخا ولم يعرف النص الخاص أو الناسخ المتأخر عنه تاريخا فهو صاحب حق،متمسك بالمحكم،ليس في قلبه زيغ، و الحق بالنسبة إليه هو هذا، وإن كان الحق في نفس الأمر هو ما في النص الخاص أو الناسخ،فالأول هو من دين الله و كذلك الثاني، و لكن الثاني هو مراد الله،ولهذا عندما يقول الله تعالى: {كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا } يعني هذا و هذا، المتشابه و المحكم،فالأول بالنسبة لهذا الشخص هو المحكم لأنه لم يعرف الثاني،و بالنسبة لمن عرف الثاني هو من المتشابه و المحكم في حقه الثاني، فإن اتبع الأول مع علمه بالثاني فقد اتبع المتشابه و ترك المحكم فهذا في قلبه زيغ،ومن هنا قلنا المحكم و المتشابه أمر نسبي بهذا الاعتبار.سيأتي بحث مفصل لهذه المسألة عند تفسير آيات سورة آل عمران.
لكن لنبدأ بأم المسائل " قاعدة التحريم" فأقول:
اختلف أهل الإسلام في المسلم يقع في كبيرة إلى أقوال مشهورة عند الخوارج و المعتزلة و المرجئة و((الوسط الذي هو قول أهل السنة والجماعة أنهم لا يسلبون الاسم على الإطلاق[اسم الإيمان أو التقوى]،ولا يعطونه على الإطلاق . فنقول : هو مؤمن ناقص الإيمان، أو مؤمن عاص، أو مؤمن بإيمانه ،فاسق بكبيرته، ويقال : ليس بمؤمن حقا، أو ليس بصادق الإيمان.
ولنفهم هذه المسألة نطرح السُّؤال التَّالي:
ما الفرق في الإيمان و التَّقوى بين مؤمنٍ امتنعَ عن أكل لحم الخنزير لاعتقاده التَّحريم، وبين مُؤمنٍ أكله لعدم علمه بالتَّحريم، أو لاعتقادِه بأنَّه لحم خروف(؟)
المبتدع الذي لا يعلم بأنه يفعل بدعة بل يعتقد أنها سنة، أو مما أمر الله به ورسوله، أو مما دل عليها القرآن و السنة قد يكون مؤمنا ورعا تقيا لا يمنع ذلك من معاقبته إن تعدى ضرره لغيره بالهجر و العقوبة إذا توفرت الشروط كقيام الحجة أي (بعد إزالة عدم العلم عنه).
ومواضع الاشتباه عند بعض الناس هو عدم التفريق بين حكم البدعة وحكم المبتدع، بين حكم الكفر وحكم من وقع فيه، وحكم التحريم و الإيجاب وحكم من وقع أو أخل به.

فنحن هنا لا نبحث في ذم البدعة أو الكفر أو الحرام أو وجوب محاربتها، ولكننا نبحث في حكم من وقع فيها أو وقع في الكفر أو وقع في الحرام.

فمن العلماء كابن حجر و البيهقي و غيرهم كثير ممن هو مثلهم لماذا لا ينفي عنهم التقوى و الإيمان والورع، وقد وقعوا في بدع محققة، و البدعة كما يقال :حرام وكبيرة ،ومرتكبها تارك لواجب؟!

فإن قيل: هؤلاء يعذرون لعدم العلم أي الاجتهاد الخاطئ مما يعني أنهم لم يكونوا يعلمون أنهم يرتكبون بدعا مع أنهم يذمون الابتداع.

قلت: هذا أصل صحيح يجب طرده في كل مبتدع اجتهد فأخطأ أو أخطا للتقليد كالعوام،ولكن ما موجب التفريق بين مبتدع و آخر ؟

فإن كان بلوغ الحجة و قيامها يعني دفع المعارض، فمن قال: إن غير هؤلاء قد بلغتهم الحجة و أقيمت عليهم،ومن قال :إن غير هؤلاء اتبعوا أهواءهم، ولم يقصدوا الحق؟

و إذا لم تقدح البدع التي وقع فيها هؤلاء العلماء في عدالتهم و إيمانهم و تقواهم، فكيف جُعلت البدعة مفسقة قادحة في العدالة و الإيمان و التقوى؟!

فإن قيل: و إن ارتكبوا بدعا فهم لا يلحقهم حكم المبتدع لأنهم معذورون.

قلت: فيلزم من هذا أن المعتبر في التفسيق و القدح في العدالة و الإيمان و التقوى ليس الابتداع أو الوقوع في البدعة، ولكن القصد أي اتباع الهوى، و بتعبير أدق: مخالفة اعتقاد التحريم.

الإيمان يتنوع بحسب ما بلغ الإنسان من الأوامر فمن لم يبلغه الأمر فقد أدى ما عليه، و الإيمان الكامل في حقه ما علمه من الأوامر،و إن كان بالنسبة لمن بلغه الأمر مجملا أي المعتبر بلوغ الأمر بالفعل أو الترك.

- و إذا عرفنا أنه لا يجب على عوام المسلمين معرفة كل ما أمر الله به و رسوله،وكل ما نهي عنه،وكل ما أخبر به،بل عليه أن يعرف ما يجب ويحرم عليه فقط،فالفقير لا يجب عليه أن يعرف مفصل الزكاة،و كذلك من لا يملك مال الحج ،فصارت القاعدة هنا : ((يجب من الإيمان تصديقاً وعملاً على أشخاص ما لا يجب على آخرين))

فكيف استووا في الحكم؟

- و إذا عرفنا أن الناس مختلفون بحسب مبلغهم في العلم و التكليف،فمن كان في وقت أو فترة لم تنزل فيها كل الأوامر الشرعية وفعل منها ما بلغه أو ما كلف بمعرفته كان

مؤمنا فإن عاش حتى نزلت أوامر أخرى أو تعلم أحكاما جديدة يعني علم بالتحريم و الإيجاب صار مطالبا بما استجد وإن لم يعلم لم يكن مطالبا إلا بما علم،فإن علم و امتثل زاد إيمانه،و إن لم يمتثل نقص إيمانه(بغض النظر عن البحث في سبب عدم الامتثال فهذا مبحث آخر) و المقصود أنه إن لم يعلم بالتحريم أو الإيجاب لم يتغير إيمانه.

فكذلك من وقع في الشرك من المسلمين ولم يعلم بحرمته أو لم يعلم بالإيجاب، ونفس الشيء لمن وقع في حرام أو في بدعة لم يتغير إيمانه.

و إذا قيل: لكنهم خوطبوا بالإيمان قبل الأعمال؟

قلنا: قولكم بأنهم خوطبوا بالإيمان قبل أن تجب تلك الأعمال،قلنا:هذا يعني أنها قبل وجوبها لم تكن من الإيمان،وكانوا مؤمنين الإيمان الواجب عليهم قبل أن يجب عليهم ما خوطبوا به،فلما نزل أو بلغهم علمه ولم يقروا بوجوبه لم يكونوا مؤمنين.

و المقصود: أن من وقع في الشرك من المسلمين أو وقع في بدعة أو وقع في حرام،و إن كان التحريم الشرعي قائما معلوما لغيره وهو لا يعلم أنه شرك أو بدعة أو حرام ،وسبب عدم العلم متعدد إما هو جهل بسيط يعني عدم علم تام،فإن قالوا :يجب عليه أن يعرف ما كلف معرفته؟

قلنا: نعم إن علم أنه يجب عليه معرفة ما كلف به،فإن لم يعلم ذلك لم يكن مكلفا به،فإن هذه القضايا المتعلقة بالشرك ليست من الضروريات و إلا لم تبعث الرسل.

و إما هو جهل مركب،و الجهل المركب ليس هو جهل أرباب المقالات فقط ، بل هو جهل من يظن نفسه عالما وحقيقته الجهل،وفي هذا يدخل العلماء و من يقلدهم من العوام، فالعامي الذي تلقى جواز هذه المسائل عن علمائه و أئمته وكتبهم و مدارسه و معاهده لا يعتقد انه جاهل بها،بل يشعر أنه عارف بها عالم بها لأنها مما أجازه أهل العلم بالنسبة اليه،ومن هنا لم يشعر بجهله وبضرورة التعلم.

وعليه،الإيمان الواجب ليس واحدا في حق جميع الناس،بل يجب على هذا ما علم بوجوبه، ولا يجب في الباطن على من لم يعلم بوجوبه، وكونه مخاطب به صحيح، ولكن يجب عليه بعد بلوغ الإيجاب و التحريم، فليس مجرد نزول الإيجاب و التحريم[يعني وجوده عندنا نحن] يعني أن من لم يعلم به نقص إيمانه لتركه هذا الواجب.

فإذا قلنا: الشريعة خاطبت المسلمين بحرمة الابتداع و الشرك و الفسق ،ووجوب

تركه لا يلزم منه تبديع و تفسيق و تكفير كل من فعل أو قال بدعة أو كفرا أو حراما حتى يعلم أولا بهذا الخطاب، و ثانيا: حتى يعلم أو تقام عليه الحجة بان هذا الفعل أو القول بدعة أو كفر أو حرام و إلا فهو باق على إيمانه و تقواه لم تقدح البدعة و الكفر و الحرام في عدالته أي في تقواه و إيمانه .

فانتهاك التحريم(تحريم الشرك و البدعة و الحرام) الذي يعتقده هو سبب الفسق، لا مجرد وجود التحريم و إن لم يبلغه،فمثلا لم لا نعتبر اعتقادات النصارى من أهل الذمة سبا نعاقبهم عليه؟ لأنها ليست سبا في معتقدهم، و إنما نعاقبهم على ما هو سب عندهم،أو إذا سبوا ديننا أو أظهروه بيننا.

قال شيخ الإسلام في (الصارم المسلول){ص:496}: ((وأيضا فإن مقالات الكفار التي يعتقدونها ليست من السب المذكور فإنهم يعتقدون هذا تعظيما لله ودينا له، وإنما الكلام في السب الذي هو السب عند الساب وغيره من الناس، وفرق بين من يتكلم في حقه بكلام يعتقده تعظيما له، وبين من يتكلم بكلام يعلم أنه استهزاء به واستخفاف به، ولهذا (فرق في القتل والزنى والسرقة والشرب والقذف ونحوهن بين المستحل لذلك المعذور، وبين من يعلم التحريم).

و المقصود أن أهل الذمة لا نقيم عليهم الحد لأجل شرب الخمر ولا نعزرهم لأجل أكل الخنزير و الميتة لكونهم لم يعتقدوا حرمته.

و لأن في اعتقادهم سبا لله تعالى أو لرسوله لا نعاقبهم عليه، و لكنهم يعلمون حرمته عندنا، و لذلك لا نشترط في عقوبتهم عليه اعتقاد حله عندهم بل إظهاره بيننا، فمتى أظهروه ينتقض العهد الذي بيننا و بينهم، ويصيرون بمنزلة المحارب فنقيم عليهم العقوبة و الحد،ومن فهم هذا قاسه على الموجود حاليا عند بعض الطوائف.

فلولا العهد الذي بيننا لآخذناهم باعتقادهم و ألزمناهم اعتقاد الإسلام فإما يؤمن و إما يقتل، ولكن العهد الذي جعله الله بيننا وبينهم هو من أوجد هذه المنزلة أي لا نؤاخذهم به ما لم يظهروه بيننا، فإن أظهروه بيننا فقد سببوا لنا ضررا كالذي يسببه المحارب - بخلاف شربهم الخمر و أكلهم الخنزير فلا يتجاوز ضرره أنفسهم - فنقيم عليهم الحد.)).انتهى

فهذه أوجه لتقريب الفهم، و تصوير اعتقاد التحريم و أهميته في قاعدة التكفير و التفسيق والتبديع.

وبهذا نعلم أن الناس يتفاضلون في الإيمان الواجب عليهم بحسب استطاعتهم مع بلوغ الخطاب إليهم كلهم ،فمن لم يبلغه الخطاب لم يكن مكلفا، فهنا اعتباران في تفاضل الإيمان الواجب بالنسبة للمسلمين:

الاعتبار الأول: بلوغ الخطاب.

و الاعتبار الثاني: الاستطاعة.

و السؤال :هل فوات هذا الإيمان،أو هذا العلم هو من الذنوب؟

كان الحق و العدل أنه إذا لم يبلغ الإنسان الخطاب الموجب،لا يكون تركه من الذنوب،و إذا بلغه و لم يعمل بموجبه كان تركه ذنبا ،لكن هنا إشكال في عوارض العمل،فقد يبلغه الخطاب الموجب كمن نحكي له النص مجردا ،فقد يحول بينه وبين العمل به شبهات موروثة عن علماء ،أو ما يعتقده معارضا من نصوص أخرى قد تكون صحيحة غير صريحة،أو مرجوحة الدلالة أو ضعيفة يعتقد صحتها،فهذا عجز عن العمل بموجبه يدخل في عدم القدرة و لذلك اشترط الله و رسوله و العلماء إقامة الحجة وهي شيء زائد عن تبليغ الحجة بدفع المعارض.

و عليه، فالمعتبر بلوغ الأمر ومخالفته ، و ليس الأمر في حد ذاته،وبعض الناس يحكم بفسق المبتدع أو كفره لمجرد ثبوت أمر تحريم الابتداع و الشرك، وهذا وعيد عام يشترط في التفسيق و التكفير به و نفي التقوى و الورع عنه أن يعلمه، و أن يعلم أن ما فعله هو ابتداع أو شرك.

ولو فسقنا المبتدع لان البدعة حرام،وكفرنا المسلم الواقع في شرك لأن الشرك كفر، و هو يخالفنا في القول أو الفعل الفلاني هل هو بدعة أو شرك، و يعتبره سنة أو حقا جاء به الرسول بسبب شبهات يحسبها أدلة ، فنكون قد فسقناه على عدم علمه ،و لعدم اتباعه لهواه،فإنه متى اتبع ما يعلم فقد ترك ما يهوى،وهو مطالب شرعا أن يتبع ما يعلم لا ما يجهل،ونحن نكفره و نبدعه على ما يجهل، لا على ما يعلم؟ فافهم هذا تستقيم لك الأمور.

من هنا نفسق كل جاهل بحكم شرعي،وكل مجتهد أخطأ في اجتهاده و احدث في الدين قولا مبتدعا، وهذا لا يقوله سني تصور عقيدته كما يجب.

فسبب تفسيق المبتدع و تكفير الواقع في شرك، ليس ثبوت تحريم الابتداع و الشرك،و الوعيد على البدعة و الشرك، وليس علمنا نحن بأن هذا الأمر بدعة وشرك، بل علمه

هو بأن هذا الأمر بدعة وشرك، ومع ذلك يفعله ،يعني ينتهك الحرمة،مما يلوم معه إقامة الحجة و إلا كان ظلما.

فالمبتدع فعل حراما هو الابتداع و الواقع في الشرك قد فعل حراما هو كفر، ولكنه يعتقد أنه يفعل واجبا أو مباحا كشارب النبيذ من الكوفيين، والذي لا يعلم حرمة الخمر، أو قال حقا، فأين نقص إيمانه، أو أخل بواجب يعلم أنه واجب، أو فعل حراما يعتقد انه حرام حتى ينقص إيمانه عن الكمال أو الواجب فيصير فاسقا او كافرا ننفي عنه التقوى و الورع؟!

فالمعتبر في التفسيق ليس ثبوت التحريم، ولا علمي أنا بالتحريم، ولكن علم مرتكب البدعة أو المعصية أو الشرك ،فثبوت التحريم و علمي أنا به يصير معتبرا إن بلغته و أقمت به الحجة، فمن فهم هذا زال عنه الاشتباه في هذا الموضوع.

و القاعدة في هذا الباب هي :مخالفة اعتقاد التحريم هو المستلزم للتأثيم و العقوبة.

و بعض غلاة التكفير لا يفرقون بين العلم بالتحريم و العلم بالعقوبة،فقد يعلم الشخص التحريم ولا يعلم بالعقوبة،فتقام عليه العقوبة ولو لم يعلم بها ،وهذا ذهب إليه أكثر العلماء مستندين على حديث ماعز،وفي النفس من هذا الأمر شيء،جمعت المادة و لم أبحثها بعد،وقد وجدت السبكي يذكر بعض الحالات الاستثنائية و الله اعلم.

وهذا يعني أن الوعيد على الابتداع و الشرك معلق تعليقا مقصودا بشرط العلم بالبدعة أولا ومخالفته ثانيا بالإصرار عليها مع قيام الحجة.

وقد يتردد فرعٌ بين أصلين، فالخطأ في العلم و العمل يتردد بين أصل تحريم الابتداع، و بين أصل إباحة الاجتهاد،وبين أصل العلم بالتحريم و بالبدعة و أصل عدم العلم بالتحريم وبالبدعة، و الذي يرجح اتجاهه من حيث التفسيق و التكفير و التبديع هو القصد و النية أي طلب الحق أو اتباع الهوى.

فالمبتدع مع تعرضه للعقوبة لدفع ضرره عن المسلمين قد يكون في الباطن آثما فاسقا مخالفا لاعتقاد التحريم متبعا لهواه، وقد يكون متبعا لاعتقاده طالبا للحق،و الجزم بما في باطنه متعذر يحسم بإبلاغه الخطاب و إقامة الحجة عليه.

فما لم تقام الحجة عليه لا يمكن الجزم بحاله قد يغلب على الظن انه من هذه الفئة أو من تلك، ولكن لا يمكن الجزم بحال إلا بإقامة الحجة.

قال ابن تيمية في تأصيل هذه المسألة في كتابه "الإيمان"وهو يحكي حجج أهل السنة

و الجماعة:
((ومنهم من قال : المسائل الأصولية هي ما كان عليها دليل قطعي ؛ والفرعية ما ليس عليها دليل قطعي . قال أولئك : وهذا الفرق خطأ أيضا ؛ فإن كثيرا من المسائل العملية عليها أدلة قطعية عند من عرفها وغيرهم لم يعرفها، وفيها ما هو قطعي بالإجماع كتحريم المحرمات ووجوب الواجبات الظاهرة ثم لو أنكرها الرجل بجهل وتأويل لم يكفر حتى تقام عليه الحجة)).
والرجل إذا حلف على شيء يعتقده كما حلف عليه فتبين بخلافه فهو مخطئ قطعا ولا إثم عليه باتفاق وكذلك لا كفارة عليه عند الأكثرين.
وقول الله تعالى في القرآن : { ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا } قال الله تعالى : " قد فعلت " ولم يفرق بين الخطأ القطعي في مسألة قطعية أو ظنية ، والظني ما لا يجزم بأنه خطأ إلا إذا كان أخطأ قطعا قالوا : فمن قال : إن المخطئ في مسألة قطعية أو ظنية يأثم فقد خالف الكتاب والسنة والإجماع القديم ، قالوا : وأيضا فكون المسألة قطعية أو ظنية هو أمر إضافي بحسب حال المعتقدين ليس هو وصفا للقول في نفسه ؛ فإن الإنسان قد يقطع بأشياء علمها بالضرورة ؛ أو بالنقل المعلوم صدقه عنده وغيره لا يعرف ذلك لا قطعا ولا ظنا ، وقد يكون الإنسان ذكيا قوي الذهن سريع الإدراك فيعرف من الحق ويقطع به ما لا يتصوره غيره ولا يعرفه لا علما ولا ظنا ، فالقطع والظن يكون بحسب ما وصل إلى الإنسان من الأدلة وبحسب قدرته على الاستدلال، والناس يختلفون في هذا وهذا فكون المسألة قطعية أو ظنية ليس هو صفة ملازمة للقول المتنازع فيه حتى يقال : كل من خالفه قد خالف القطعي بل هو صفة لحال الناظر المستدل المعتقد، وهذا مما يختلف فيه الناس فعلم أن هذا الفرق لا يطرد ولا ينعكس .
و الخلاصة: الخطأ بالتأويل أصله واحد
معلوم أن هذا الاشتباه الذي حصل لبعض الإخوة في مثل هذه الأصول إنما وقع لأجل تجاذب هذه الأصول المشتركة في بعض الأوجه، المختلفة في أوجه أخرى. والتشابه الخاص:
هو مشابهة الشيء لغيره من جهة، مع مخالفته له من جهة أخرى، بحيث يشتبه على بعض الإخوة إنه هو، أو أنه مثله، ولا يكون الأمر كذلك.

فمثلا مسألة النبيذ للتقريب :السلف لم يختلفوا في شرب عصير البرتقال! مما يعني أن شرب النبيذ مظنة أن يكون مسكرا أو فيه بعض السكر لا يشعر به شاربه بعد اشتداده، وما حرم كثيره حرم قليله، فلأجل المظنة حرمه أئمة السنة، وكونه مختلفا فيه لا يعني انه حلال بل هو حرام بالأدلة الثابتة، ولكنه اشتبه على أهل الكوفة، فإن كان تأويل أهل الكوفة في إباحته سائغا فالقياس عليه في كل تأويل سائغ، فالتأويل المقتضي لإباحة المحرم هنا النبيذ هو التأويل المقتضي لإباحة البدعة عند المبتدع، و العقل البشري لا يعرف فرقا بين التأويل الناشئ فيه، فيقول هذا تأويل سائغ في الأحكام غير سائغ في الابتداع!فالتأويل كعمل فكري عقلي هو شيء واحد، و الاشتباه الواقع للإنسان لا يختار بين الأحكام في الفروع وبين الابتداع في الأصول فيجوز على العقل أن يشتبه عليه الأمر في الفروع، ولا يجوز أن يشتبه عليه في الأصول أو في الابتداع بصورة عامة!

وهذا شبيه بمن فرق في التكفير و التفسيق في المسائل العلمية بين الأصول و الفروع، و بين القطعي و الظني وهو تفريق باطل و ضعيف، و مخالف لما عليه أهل السنة و الجماعة كما ستراه لاحقا.

ومعلوم أن الإحكام في العلم هو الفصل بين هذه الأصول المتشابهة و المشتركة بحيث لا يشتبه أحدهما بالآخر،فسبب الاشتباه هو وجود قدر مشترك بين الشيئين مثل :بين الشرع المنزل و الشرع المؤول ،ولكن في الشرع المنزل اتفق على المراد من النص و في الشرع المؤول اختلف فيه.

وكذلك بين التأويل السائغ و التأويل غير السائغ، بين التخطئة و التأثيم .

وبعض الإخوة لم يهتد للقدر المميز بين هذه الأصول، و الذي يشكل الفصل بينها فيكون مشتبها عليه كما بينت سابقا في الذي لم يفرق بين الوعيد على البدعة و تواتر كلمات التنفير منها الصادرة عن السلف من جهة مع روايتهم عن المبتدعة من جهة أخرى ،فيقول في نفسه: هؤلاء ارتكبوا كبيرة أو ذنب الابتداع، وقد ذم الشرع الابتداع، و ذم السلف المبتدعة وهجروهم و عاقبوهم؟

و أن هذا يلزم منه أنهم فسقة مظنة كذب على الله ورسوله ، أو كذبة تركوا واجب الاتباع، فلا يفرق بين حكم الإطلاق وحكم التقييد أو التعيين، وقد يشتبه عليه باب تصويب المجتهدين فيحصر الاجتهاد في أهل السنة فقط ،وهكذا.

ولذلك تراه ينفي التقوى و الورع عن المبتدعين ولا يلحظ هذا الفرق.
أما من يهديه الله إلى الفصل بين القدر المشترك و القدر المميز، فإنه ينتفي عنه الاشتباه،وكيفما أدار القضية طرد أصوله ولم يتناقض، ولهذا كان التشابه من الأمور النسبية الإضافية بحيث يشتبه على هذا دون ذاك.
ومن أوتي العلم بالفصل بين هذا وهذا لم يشتبه عليه الحق بالباطل، والقياس الفاسد كقياس بعضهم تأثير البدعة في العدالة بتأثير خوارم المروءة فيها، فهذا القياس هو من باب الشبهات، لأنه تشبيه للشيء في بعض الأمور بما لا يشبهه فيه، فالمشترك في هذا المبحث أن البدعة لها تعلق بالعدالة ـ بحثا ـ كما أن خوارم المروءة لها تعلق بالعدالة، ولكن هناك قدر مميز بينهما لم ينتبه إليه وهو أن خوارم المروءة أصلها مباح، و البدعة أصلها محرم بالإجماع.
وعليه من عرف الفصل بين هذه المسائل و الأصول ونقاط تقاطعها و تجاذبها فيما بينها اهتدى للفرق الذي يزول به الاشتباه والقياس الفاسد.
فمسألة البدعة لها طرفان: موقع البدعة من قاعدة التحريم:التكفير و التبديع و التفسيق وما يتعلق بها في تعارض الوعد والوعيد وطردها في مسألة تصويب المجتهدين وما يتعلق بها في التأويل السائغ، و التقليد الجائز،و عدم العلم، وهذا أعظم الطرفين لأننا هنا ندرك الفرق بين المبتدع و الفاسق،وبين التخطئة و التأثيم.
والثاني: العمل على نشر العلم و إقامة الحجة.
وعندما نقول: المبتدع قد ترك واجب الاتباع ،كما ترك الواقع في الشرك واجب التعلم ،كما يكرره كثيرا بعض الإخوة يجب أن نلحظ الفرق بين من ترك واجبا يعلم أنه واجب، ويقدر على الإتيان به، وبين من ترك واجبا لا يعلم أنه واجب، وليس له قدرة على فعله، فهي منتفية بحكم انتفاء علمه به.
وإن سمي الابتداع بـ "ترك واجب الاتباع"، أوسمي "حراما" ، فهذا باعتبار الإطلاق لا باعتبار التعيين، ويقال في مثل هذا: ترك الواجب لعذر، وفعل المحرم لعدم العلم أي الاجتهاد الخطأ أو بسبب التقليد ، و باب التعارض بين الوعد و الوعيد، وبين اتباع الهوى وطلب الحق و الاجتهاد الجائز و الاجتهاد الباطل، و التأويل السائغ و التأويل المذموم و التقليد الجائز والتقليد المذموم باب واسع جدا لا سيما وقد اقترنت أهواء الجهمية و المعتزلة وغيرهم مع الآراء العلمية،ودخل فيها كثير من الصالحين ومن

أهل الفضل بحيث صار صعبا إدراك الحقيقة الشرعية إلا بنوع من العلم الدقيق و الخفي على كثير منا.

وكلما ازداد طرد هذه الآراء المقرونة بالأهواء ازداد الاشتباه، وازدادت المسائل المتفرعة حتى صار الناس يفرعون على مسألة تكلم فيها السلف إلى تفريعات لم يخض فيها السلف، وهذا من أسباب الفتنة بين الأمة حتى بين أهل الحديث أنفسهم كما في مسألة التلاوة و القرآن هل التلاوة هي القرآن المتلو أم لا؟.

المقصود أن مواضع الاشتباه والنزاع يقع فيها الاضطراب بسبب تجاذب الأصول و بسبب الكلمات المشتركة كما في مبحث القرآن و التلاوة، فمن لم يركز على علم الدلائل الدالة بحيث يحترس من الاصطلاح الحادث في معرفة الكلمات و الألفاظ الشرعية فجناية المصطلحات على الشريعة جناية بالغة،وبهذا يثبت الأصول الكلية المتفق عليها عند أهل السنة ،وهي في جلها أصول في العقيدة كالوعد و الوعيد ثم يرجع إليها الجزئيات، فالفرقان عند الاشتباه العودة إلى الأصول و الكليات الشرعية الثابتة و المتفق عليها عند أهل السنة .

ومعلوم أن الابتداع له أسباب كثيرة ذكرها أهل العلم، كما هو أنواع عديدة بحسب نوع البدعة، و يتداخل مع الاجتهاد في مواطن، ويفارقه في مواطن، وهذا أمر لا ينضبط إلا بالرجوع إلى القصد، وهو الفرق بين اتباع الهوى وقصد الحق، و الفرق بين سوء القصد وفساد التصور أي: الفرق بين اتباع الهوى وعدم العلم. ومن فرق بين مبتدع و مبتدع ، أو بين من وقع في بدعة وبين آخر مثله بدون هذا الفاصل، وهذا الفرقان، لم يحكم على هؤلاء بما انزل الله، ولكن بهواه.

فمن يعذر البيهقي و ابن حجر و النووي، وهذا جيد مواقف لأصول أهل السنة رغم أنهم وقعوا في بعض البدع نتيجة اتباع قواعد كلامية باطلة ظنوها صحيحة أي يعذرهم بالخطأ في الشرع المنزل، إذ ما تأولوه من الصفات أجمع على إثباته السلف، ودل عليه القرآن و السنة بجميع أنواع الدلالات .

ثم يبدع و يضلل من ينقل عن سيد قطب،أو يقول: نصحح ولا نجرح، و بجواز الموازنة عند الترجمة العامة، وبعدم قبول الجرح المفسر غير المتفق عليه،وبعدم قبول حكم الثقة أي رأيه لا روايته للحديث النبوي،وبمدح من يعتبرهم هو حزبيين،و بالتفريق بين العقيدة و المنهج مما هو من موارد الاجتهاد أي من الشرع المؤول حيث

تتعارض الحجج، وحيث لا إنكار إلا على من لا يملك حجة صحيحة، فهو أشد الناس تناقضا، وقد اشتبه عليه الحق بالباطل ودخله الهوى.
ومعلوم أن الشارع لا يفصل بين الحلال والحرام، و بين السنة و البدعة، و الحق و الباطل،والإيمان و الكفر،والمخطئ و المتعمد، والمغفرة و التأثيم إلا بفاصل واضح مبين للفرقان لا اشتباه فيه ، كما قال تعالى : { وما كان الله ليضل قوما بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون } ، و الابتداع من المحرمات ، والمحرمات مما يتقون، فلا بد أن يبين لهم بيانا فاصلا بين من يؤاخذه في الآخرة ، وبين من يغفر له ، وقد قال تعالى : { وقد فصل لكم ما حرم عليكم }.
ولست أنكر أن بعض من لم يحط علما بمدارك الأحكام بين المتأول و المتعمد، وبين حكم الدنيا و حكم الآخرة، و بين العقوبة مع عدم التفسيق لأجل دفع الضرر عن المسلمين، ولم يؤت تمييزا في مظان الاشتباه، ربما سحب ذيل المطلقات على المعينات، و الوعيد على الوعد، و المغفور له على الآثم، و متبع الهوى على طالب الحق،فهذا غلط ممكن ومحتمل، لكنه قبيح، لأنه يهتك حرمة المسلمين و يسوي بين المؤمنين و الفاجرين، وبين من قصدوا خدمة الدين، ومن قصدوا محو رسمه، و إبطال أصوله.
و عليه، فإن الاضطراب في هذه الأصول هو سبب كل هذا الهرج العلمي من تسلط الجاهل على العالم، و الذي أنزل الفرقان بين الحق و الباطل للاختلال في ضبط هذه الأصول موجود عند كثير من المنسوبين للسلفية،و الله المستعان.

الإشكالات في مناقشة بعض السلفيين

بسم الله الرحمن الرحيم
أولا :ـ بعض الإخوة لا يناقشون ما في المناشير ـ و أنا أريد أن أبدأ معهم من أسفل يعني من القواعد الكليات و أساسيات المسائل ثم نصعد للفروع عليها ،أي: الأدلة الجزئية لننظر في أدلته هل هي دالة بمفردها أم بمقدمات؟
و لكنهم بدلا من ذلك يستعرضون مذهبهم في المسألة، فيقابلون أصلا كليا بدليل جزئي، لا يفرقون بين الأدلة الكلية العامة وشروط النقاش فيها، وبين الأدلة الجزئية؟
و آخرون يحشرون أنفسهم فيما لا يحسنون أصلا، ينقل لك كلاما للإمام أحمد في

المقلد، فتنقل له كلاما آخر يناقض كلامه الأول، فلا يعير هذا التعارض الظاهر أدنى اهتمام، وقد يظن في نفسه أو يشعر ـ وهذا من المفروض أن يحصل له ـ أن كلام أحمد متناقض، ولا يقدر على توجيهه، ولكنه لا يطالب بتوجهيه، لأنه في خضم جريه وراء مذهبه لا يهمه هذا، لا يهمه أن ننزل كلاما للإمام أحمد يناقض بعضه بعضا؟هذا بغض النظر عن الراجح من المرجوح.

فمثل هذا، الذي لا يفهم ما يُستدل به، يحاكمك إلى عقله و فهمه، و إذا أردت أن تصلح تصوره للمسألة حتى يستقل في التدليل عليها ،و يمكنه الكلام فيها مع أي مذهب يزعم أنك مدلس و تُعقِّد الأمر البسيط؟

والتعقيد هو حكم نسبي استفاده من استدلالات شيوخه الذين لم يروا المسألة من تلك الجوانب، ليس مفتعلا، أعني: المسألة مبنية كذلك، فمن مسائل العلم ما هو خاص بأهل العلم لأن أصوله معقدة أو مقدماته كثيرة ، لا يُعرض إلا بذاك الشكل.

و قد بنى هذا الشخص أدلته على مقدمة وهمية أو أصل وهمي باطل: فهناك عشرات النصوص في العذر بالجهل بعضها في الأحكام و بعضها في التوحيد العلمي، و يريد استبعاد هذه النصوص و تحييدها عن فض محل النزاع، فيستلف أدلة المعتزلة كتفريقهم بين الأصول و الفروع، و اعتبارهم القطعي و الظني أصلا جامدا، فإذا قلتَ له: هذا تقسيم باطل، لا دليل عليه من نقل، ولا من عقل؟ يقول لك: ما دخل هذه المسألة في " العذر بالجهل"؟ وهذا هروب و تعقيد؟

فماذا تفعل لمن حشر نفسه فيما لا يفهم، و ظن الناس مثله في الفهم و الإحاطة.

و قد يقول لك : الآية واضحة الدلالة، فتقول له: بالنسبة لمن، لك أم للمخالف؟

وما معنى الوضوح؟ هل تقصد أنها غير محتملة ، قطعية لا تحتمل إلا وجها واحدا، ولا يدخلها التأويل من أية جهة؟

فتدعوه لمباحثة المحكم و المتشابه، و قصدك تخليصه من تصورات المتكلمين التي دخلت عقيدة بعض أهل السنة، لأنه إذا فهم هذا الأصل فهم معنى وضوح الدليل،و فهم أن الدليل إذا كان في نفسه محكما قطعيا،وكان كذلك بالنسبة لنا، فقد يكون متشابها بالنسبة لغيرنا إذا نظرنا إليهم،و إذا نظروا إلى نفوسهم ظنوه محكما لعدم علمهم بالقرائن العلمية التي جعلته محكما، أو نفت عنه المراد الذي ذهبوا إليه، فيقول لك: ما دخل هذه المسألة في " العذر بالجهل" وهذا هروب و تدليس ؟

و لا يعرف معنى الحق في نفسه، يعني المطابق ،و الحق بحسب علم الناس.
وهكذا، تكلمهم عن أهمية الشعور في حصول الإدراك وبناء التصورات خاصةً المركبة، فيظن انك تتكلم عن المشاعر و الأحاسيس، يعني جعلت الحق فرعا على العاطفة؟
و يجعل من خصائص إقامة الحجة الاعتبار اللغوي للحجة وقد علم أن النزاع في الأمة في دلالات الألفاظ اللغوية شديد، لأنه لم تعد اللغة كما كانت أثناء نزول القرآن، بل تحولت بحكم حدوث العلوم و تدوينها إلى لغة مصطلحات، لكل قوم مصطلحاتهم، فكيف تكون الحجة واضحة بالاعتبار اللغوي دون مناقشة للدلالة اللغوية و الشرعية؟
وعندما تقول له: إقامة الحجة واجب لكل هذه الأسباب و غيرها لأن طرق العلم مختلفة فقبل أن تستدل بالآية يجب عليك أن تبين الطريق الشرعي السني الصحيح للاستدلال بها، و تبين فساد طريق المخالف في الاستدلال بالقرآن يظن أنك تلبس عليه، لأنه إما لا يعرف اختلاف طرق العلم أو لا يهمه معرفة ذلك.
وقد يظن لأن هذا ما نشأ عليه عند مشيخته أنك تنفي الكفر عن كل الناس، أو عن كل من ينتسب للإسلام، فلا يفرق بين كشف الحال و إزالة الشبهة في الأصل العام و بين الحكم على المعين إذا قامت عليه الحجة، ويريدك أن تكفر بالهاتف بناءً على علمه، ومن خلال النقاش معه تدرك النقائص الكثيرة في علمه، فكيف تأخذ بقوله لتكفر الناس؟
ثانيا: تقول له: يا أخي يجب التفريق بين الكافر الأصلي و بين المسلم الواقع في شرك، فهناك فروق شرعية معتبرة منها: الفرق الأصلي العظيم : الإيمان بنبوة محمد صلى الله عليه و سلم فالكافر الأصلي يكفر بنبوته و المسلم مؤمن بها، و لهذا كان كل من عرف اسمه من الكافرين الأصليين ولم يؤمن به كافرا مخلدا في النار.
و المسلم الواقع في الشرك عنده الإيمان الإسلامي و قد يكون ملتزما بأركان الإسلام وربما يفعل المستحبات بخلاف الكافر الأصلي.
و المسلم الواقع في الشرك يشارك في الحجة يعني الكتاب و السنة يعني يعتمدهما لكنه يخالفك في الدلالة بخلاف الكافر الأصلي لا يؤمن بهما .
و المسلم الواقع في الشرك عند شبه من النصوص،و الكافر الأصلي لا يؤمن بالنصوص وهكذا فكيف تقيس هذا على ذاك؟

ثالثا: قد تحتج على أشعري أو صوفي بكلام علمائك وأنت في الحقيقة لم تأخذ إلا نتائجه، و لذلك تستغرب مذهبهم أو أقوالهم، كما يستغرب من يقرأ لابن تيمية بعض أقوال الجويني أو الرازي وغيرهما لأنه نظر في نتيجة ابن تيمية فقط التي صورت له حقيقة هذه الأقوال ولوازمها، أما مقدمات الأشعري أو الصوفي فأنت لا تعرفها، ولو عرفتها عرفت وجه الاشتباه عليه، وهو لا يمكنه أن يأخذ بنتائجك إن لم تبطل مقدماته،فهذا إشكال في النقاش و التصور.

ففي الحقيقة أنت مقلد، نقد المقدمات بعيدٌ عنك، فكلامك عنهم محض تمحل مقلد.

وقد وجدتُ بعض الناس استقر في وعيهم أن الشرك هو عبادة الأصنام فقط، وما سوى ذلك معصية؟

رابعا: ـ أتحدث عن نفسي: تلقيت مجموعة كبيرة من المقالات تتضمن شبها شيعية أو الحادية أو علمانية أو كلامية بقصد الرد عليها ،وفي الحقيقة بعض هذه الشبه لا أملك الآن جوابا عليها، ومع ذلك لم أحفل بها، لأني مشتغل بأمور أخرى ،و قد لا أرد عليها بتاتا،و اللازم أني أعرضت عما قد يكون فيه الحق بالنسبة لصاحب الشبهة ،و اكتفيتُ بأدلة مجملة و كلية أن مذهب أهل السنة هو الحق، ومهما كانت الشبهات فيمكنني تجاهلها فقط، و الاستمرار على مذهبي؟

وهي شبه مركبة ومحيرة، و بناءً على فهم إخواننا الذين لا يعذرون بالجهل لوجوب طلب العلم للمسلم الجاهل أو العالم الذي اشتبه عليه أمر يخص أصول دينه خصوصا يجب علي أن أطلب العلم بالحق؟

و الإشكال:هل يجب على الأشعري و الصوفي أن يطلب العلم إذا حدث له اشتباه بمقالات السلفيين، ولا يجب على السلفي أن يطلب العلم إدا حدث له اشتباه بمقالات غيره؟

فلنفحص القضية بشيء من التفصيل:

1 ـ هل الواجب علي أن أنظر في دين الرافضة أو المتكلمين أو مذهب الإلحاد لأنهم شبهوا عليَّ وقد تكون الشبهة مأخوذة من كتب بعض أهل السنة، أم أبحث في مصادر أهل السنة عن هذه الشبهة؟

2 ـ لمَ يجب على الشيعي و المعتزلي و الخارجي و النصراني أن ينظر في أدلتي إذا شبهتُ عليه أو طعنت عليه في مذهبه ودينه أو أخبرته مجملا أو مفصلا أن مذهبه أو

دينه باطل، ولا يجب علي أن أنظر في دينه و مذهبه إذا شبه ـ هو ـ عليَّ ؟
3 ـ الجواب: لأنه تبين لي بأدلة قطعية أن الإسلام له مصدران أصليان هما الكتاب و السنة،فكل شبهة من الكتاب و السنة فحلها من الكتاب و السنة، وكل شبهة عقلية فالرد عليها بالدليل العقلي وهو موجود في القرآن فيما يتعلق بالإسلام، و صار هذا عندي مقدمة مضمرة في كل مناظراتي، فأنا مقتنع أن الحق في الدين لن يخرج عن الكتاب و السنة لكن بالنسبة لبعض عوام السنة هو يأخذ السنة كمقدمة مسلمة غير مبرهن عليها، ولا بد لنا أن نبدأ مشوارنا العلمي بمقدمات مسلمة لا برهان لنا عليها، إذ لو كان لنا برهان عليها لما احتاجنا إلى طلب العلم ، ولكن السني المقدمات المسلمة التي ينطلق منها هي: المقدمات الإيمانية المبنية على الطاعة والتسليم ،والذكر المستوجب للعلم والمعرفة،فهو يقلد ما جاء في القرآن و السنة يعين يأخذه ولو لم يملك البرهان عليه إلى حين يستكمل العلم ويصبح مبرهنا عليه عنده بخلاف من يقلد شخصا أو قاعدة عقلية أو غير ذلك، فلا يستوون من هذه الجهة وكلهم قد بدأ بمقدمات مسلمة غير مبرهن عليها.
فكذلك الأشعري و الصوفي لأنه يشاركنا في كون مصادرنا هي الكتاب و السنة، فكما أعود أنا إلى كتب أهل السنة بحثا عن جواب تلك الشبهات، يعود الأشعري و الصوفي إلى كتب أئمته بحثا عن جواب تلك الشبهات التي عارضته بها، هي بالنسبة إلي أدلة أو نقض عليه لكنها بالنسبة إليه شبهات.
فبالنسبة للذين يقعون خارج دائرة الكتاب و السنة كالشيعة مثلا،علي أن أعرض عليهم مذهبي قبل نقض مذهبهم حتى إذا استحسنوه و تشوفوا للمزيد دخلت معهم في النقض، لكن بالنسبة للواقع ضمن دائرة الكتاب و السنة في مصادر الاستدلال مع الاختلاف في بعض حيثياتها لا يجد حاجة إلى البحث عن الحق في كلام أئمتي، بل في كلام أئمته، ومن هنا يلزمني معه الوقوف على كل مقدماته و مناقشته فيها.
و عليه، فالقول بإطلاق أن الحجة قامت عليه لأنه اشتبه عليه الحق فوجب عليه البحث و طلب العلم فإن لم يفعل فهو مقصر ومعرض خطأ.
خامسا: من المعلوم لنا أن القرآن معجز بلفظه ونظمه ومعناه، وإعجازه يعلم بطريقين: إجمالي و تفصيلي لكن السؤال: عند من، عند الصحابة و من نزل فيهم أم عندنا نحن؟

فهل هو معجز عندك تفهم إعجازه و خطابه ومراده، و تكتفي به كدليل دال واضح على المطلوب كما كان حال من نزل فيهم، أم عليك الهرع إلى كتب التفسير تنتقي منها الكتب التي على مذهبك لتعرف معناه؟

وحتى من يكفِّر في هذه المسائل بآيات القرآن لا يعرف معناها إلا تقليدا لبعض المفسرين أو العلماء هي بالنسبة لهم دالة، فينقل للناس ألفاظ الآية لكن يعجز عن نقل الدلالة إليهم، لأنهم بالاتفاق لا يفهمون لغة القرآن مع اختلاف مذاهب التفسير، و الأشعري عندما يرجع إلى تفاسير الأشاعرة فهو يقصد الرجوع إلى القرآن الذي تطالبه بالرجوع إليه.

وعليه ،فهل هناك فرق بين قوم بينهم نبي يسألونه، وبين قوم بينهم علماء مختلفون يسألونهم؟

و إذا سألت لمَ لم يكن في زمن النبي صلى الله عليه من يترك الصلاة، ومن يترك الصيام، ومن يرتكب الشرك بخلاف العصور المتأخرة فقد عرفت الجواب.

ففرقٌ بين قوم لمسوا أقوال نبيهم و أحواله ومعجزاته عيانا ، يفهمون القرآن من غير واسطة، و قد يسألون نبيا واحدا إذا اختلف عليهم أمرٌ، نزل فيهم القرآن بناءً على هذا الاعتبار، ومعلوم أن المعجزة موجبة للعقوبة و العذاب ، و قوم لا يفهمون إعجاز القرآن و أدلته إلا بوسائط مختلفة،و مقدمات مفصولة عنه، ثم تُنزل عليهم نفس الآيات بدون قيد ولا شرط؟

وعندما تفهم هذا الإلزام التزم به فيما يخص غيرك،ولهذا افهم لماذا لا أعرج على الآيات الكريمة التي يستدل بها من ينكر العذر بالجهل لأنه ينزلها في غير محلها من غير قيد ولا شرط،و المفروض أن يجعلها من أدلة إقامة الحجة و ليس دليلا على إهدارها،،كما عليه أن يفهم الفرق بين مناقشة التصورات و الاستدلال لها بالأدلة الجزئية.

قال الله تعالى: {وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى} فهذا يبين أنه لم يكن ليعذب الكفار حتى يبعث إليهم رسولا، وبين أنهم قبل الرسول كانوا قد اكتسبوا الأعمال التي توجب المقت والذم وهي سبب للعذاب، لكن شرط العذاب قيام الحجة عليهم بالرسالة.ابن تيمية.

وحتى تفهم لمَ كل شبهات الفرق الإسلامية سوى الجهمية لها أصل في الكتاب و

السنة،و أن الأمر ليس كما تتصوره فانتبه إلى هذا الكلام:
أسباب الاشتباه عند المسلمين:
1 ـ ألفاظ متشابهة مجملة مشكلة منقولة عن الأنبياء،لم يهتدوا أو لم يفهموا الألفاظ الصريحة المحكمة،وهنا تحتاج إلى ضبط المسائل ضبطا لا يوجد عند أهل اللغة بمعنى بتأصيلات أعلى منهم بكثير.
2 ـ بالنسبة للصوفية خوارق ظنوها كرامات، وهي أحوال شيطانية، وكذلك المنامات فقد أضلت خلقا كثيرا،وعليك أن تبين له الفرق بين الكرامات و خوارق الشياطين، ومتى يعتد بالمنام و الإلهام و ما يلقي في الروع ومتى لا يعتد به،وقد تكون كرامات صحيحة ظنوا أنها توجب العصمة لصاحبها فقبلوا منه كل شيء.
3 ـ أخبار منقولة ظنوها صدق وهي أحاديث مكذوبة موضوعة أو ضعيفة و الكتب الإسلامية مملوءة بهذا،أو صحيحة لا تدل على باطلهم والنقاش معهم في الدلالة.
4 ـ مصطلحات علمية متناقلة بينهم متشابهة مجملة تحتاج إلى استفسار و تفريق بين حقها و باطلها،و بيان ما فيها من الاشتباه و التلبيس.
قال ابن تيمية ـ رحمه الله ـ ((فجميع ما نهى الله عنه هو من شعب الكفر وفروعه كما أن كل ما أمر الله به هو من الإيمان والإخلاص لدين الله ولهذا قال تعالى: {وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ}
لكن قد يكون ذلك شركا أكبر وقد يكون شركا أصغر بحسب ما يقترن به من الإيمان فمتي اقترن بما نهي الله عنه الإيمان لتحريمه وبغضه وخوف
لعقاب ورجاء الرحمة لم يكن شركا أكبر وأما إن اتخذ الإنسان ما يهواه إلها من دون الله وأحبه كحب الله فهذا شرك اكبر والدرجات في ذلك متفاوتة
وكثير من الناس يكون معه من الإيمان بالله وتوحيده ما ينجيه من عذاب الله وهو يقع في كثير من هذه الأنواع ولا يعلم أنها شرك بل لا يعلم أن الله حرمها ولم تبلغه في ذلك رسالة من عند الله والله تعالى يقول {وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً} فهؤلاء يكثرون جدا في الأمكنة والأزمنة التي تظهر فيها فترة الرسالة بقلة القائمين بحجة الله فهؤلاء قد يكون معهم من الإيمان ما يرحمون به وقد لا يعذبون بكثير مما يعذب به غيرهم ممن كانت عليه حجة الرسالة
فينبغي أن يعرف أن استحقاق العباد للعذاب بالشرك فما دونه مشروط ببلاغ الرسالة

في أصل الدين وفروعه ولهذا لما كثر الجهل وانتشر زين الشيطان لكثير من الناس نواعا من المحرمات ضاهوا بها حلال وقد لا يعلمون أنها محرمة بغيضة إلى الله بل قد يظنون أن ذلك محبوب لله مأمور به وقد يظنون أن فيها هذا وهذا وهم في ذلك يتبعون الظن وما تهوي الأنفس وقد يعلمون تحريم ذلك ويظهرون عدم الوجه المحرم خداعا ونفاقا فهؤلاء غير المؤمن الذي يحب الله ورسوله ويأتي بالمحرم معتقدا أنه محرم وهو مبغض له خائف راج)) ـ قاعدة في المحبة (1 / 108)

أما من اعتقد أن ما في الكتب تقوم به الحجة فنقول له الآتي:

هل تعرف كل ما في الكتب التي جمعتها؟

قال ابن تيمية : ((ولا يقولن قائل: إن الأحاديث قد دونت وجمعت؛ فخفاؤها والحال هذه بعيد, لأن هذه الدواوين المشهورة في السنن إنما جمعت بعد انقراض الأئمة المتبوعين, ومع هذا فلا يجوز أن يدعي انحصار حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم في دواوين معينة.

ثم لو فرض انحصار حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها, فليس كل ما في الكتب يعلمه العالم, ولا يكاد ذلك يحصل لأحد, بل قد يكون عند الرجل الدواوين الكثيرة وهو لا يحيط بما فيها.

بل الذين كانوا قبل جمع هذه الدواوين كانوا أعلم بالسنة من المتأخرين بكثير؛ لأن كثيرا مما بلغهم وصح عندهم قد لا يبلغنا إلا عن مجهول؛ أو بإسناد منقطع؛ أو لا يبلغنا بالكلية, فكانت دواوينهم صدورهم التي تحوي أضعاف ما في الدواوين, وهذا أمر لا يشك فيه من علم القضية.)).رفع الملام.

و أخيرا أقول: عندما تجد شيخا سلفيا معتدلا قد نبذته طائفة من السلفيين و عدوه أسوأ من الفجار و أضل أهل البدع يثني على المبتدعة و يبغض أئمة السنة، و يهدم أصول السنة ففروا منه كفرارهم من الأسد فليس عليه أن يلومهم و قد صوره شيوخه هكذا للتنفير منه،فإن قامت الحجة على هؤلاء الشباب فيما تركوه من علمه يعني في بغضهم له أبغضوا اعتداله و علمه الصحيح بالشريعة الذي لا يعرفونه فقد قامت عليهم الحجة و إلا فلا، فكذلك من يبغض علماء السلفيين لهذا السبب.

غدا إن شاء الله انزل بقية المقالات دفعة واحدة و انصرف لحالي فإن النقاش مع من يكذب بالموجود فقد أصل وجوده الرسائل مبثوثة منتشرة وهو ينفي وجودها.

تعريف حقيقة الجهل و أسبابه و موانع العلم:

قال الجرجاني: الجهل البسيط: هو عدم العلم عمّا من شأنه أن يكون عالمًا.

الجهل المركب: هو عبارة عن اعتقادٍ جازمٍ غيرِ مطابقٍ للواقعِ.

ومن هنا نقيِّد كلام ابن القيم بأنّ الجهل المركب هو جهل أرباب المقالات،ذلك أنّ جهل العوام يجمع بين النّوعين فحيث لا اعتقاد لهم في المسألة فهو جهل بسيط،وحيث تلقّوا قولاً واعتقدوه اعتقاداً جازماً كما في مسائل الاستغاثة بالمقبور، وهو غيرُ مطابقٍ للحقيقةِ الشّرعيةِ فهذا جهلٌ مركبٌ، لكنّه جهلٌ عن تقليدٍ وليس عن اجتهادٍ ،والجاهلُ عن تقليد أولى بالعذر من الجاهل عن اجتهاد غيرِ سائغٍ.

و يراد بالجهل عدم الشّعور وهو البسيط،وقد يراد به الشّعور بالشّيء على خلاف ما هو به، وهذا المركّب،كما يراد به السّفه،قال الله تعالى:وأعرض عن الجاهلين[الأعراف:199].

وقال عمرو بن كلثوم:ألا لا يجهلنَّ أحدٌ علينا**فنجهلَ فوقَ جَهْلِ الجاهلينا

والجهل ليس عيبا ابتداءً لشموله جميع النّاس،قال الله تعالى:والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا[النّحل: 78]، فالعيب هو التّقصير في إزالة الجهل،وهذه قد فصَّلنا سبب تخلفها في العوام،وبيّنا أنّ أكثر جهلهم في مسائل التّوحيد العمليّ هي من قسم الجهل المركّب الّذي تلقّوه عن دعاة وعلماء الضّلالة.

والجهل الثّاني ،الجهل المركّب وهو العلم بالشّيء على خلاف ما هو عليه في الواقع هو الغلط، وسببه الشّبهات، والتّعجل في الكلام على المسائل العلمية، وعدم استيفاء شروط البحث كالاستقراء التّام والتّحليل الشّامل، ومن هنا كان علاجه التّثبت والتّريث.

أمّا الجهل الثّالث وهو السّفه فسببُه الاستكبارُ والجحود والإنكار والإعراض بعد حصول العلم ووضوح الدّليل كما قال الله تعالى:وجحدوا بها و استيقنتها أنفسهم ظلما وعلوًّا[النّمل: 14].

قال الصّنعاني في (إرشاد النّقاد إلى تيسير الاجتهاد):

((فالجهل قسمان: عدم تصوّر الشّيء أصلاً،وهذا الجهلُ البسيطُ،وتصوّره على خلاف ما هو عليه،وهذا الجهلُ المركبُ،فكون الإنسان يظن أنّ الفقه هو علم الحساب فهذا

جهلٌ مركبٌ؛لأنّه تصوّر هذا العلم على خلاف ما هو عليه،وكونه لا يعرف مدلول الفقه ـأصلاًـ فهذا هو الجهل البسيطُ)).

حجّة من لم يعذر العوام بالجهل:

قالوا: ((هو الجهل الّذي لا يعذر فيه صاحبه كالجهل الّذي يقدر المكلف أن يرفعه عن نفسه لكنه فرَّط في ذلك))؟

فنقول لهم: وهنا يجب أن نسأل عن الفرق بين العاميّ الجاهل الجهل البسيط الّذي إذا سُئل عن مسألة لم يدر جوابهَا،وبين العاميّ الجاهل جهلا مركّبا الّذي إذا سُئل عن مسألة أجاب عنها بأدلّة تلقّاها عن شيوخه أو على الأقل عرف حُكمَها من جوازٍ أو منعٍ ولو مجرّداً عن دليله،فهذا يفارق الثّاني في كونه علم جوازها من منعها لكنّ علمَه في الحقيقة غيرُ مطابق للحقيقة فهو جهلٌ باعتبار عدم مطابقته للحقيقة، وعلمٌ باعتبار أنّه علم منها شيئا،لكنّنا بخلاف المعتزلة نقول:هو علمٌ فاسدٌ أشبهُ بالجهل منه إلى العلم.

ومن هنا نقول عن قولهم بـ "أنّ الجهل هو مثل العلم"، ليس هذا بقول صحيح غير أنّنا نقول: هذا له وجه في الجهل المركب لكنه علم فاسد، أما في الجهل البسيط فليس مثل العلم لأن عدم الشيء لا يكون مثلا لذلك الشّيء.

ومن هنا لزم أن نقول عن العاميّ الّذي يستغيث بالمقبور من أدلّة تلقّاها من إمام مسجده أو شيخ بلدته هو ليس جاهلا جهلاً بسيطا بحيث يلزمه طلب العلم لأنّه مقلّد تلقّى تعليما في المسألة على أنّه هو المشروع فأخذ به فهو في الحقيقة مقلد، والجهل جاءه من شيوخه وليس من نفسه فإنّه طلب العلم لكنّه تلقّاه من علماء مبتدعة، فالتّكليف بطلب العلم في حقّه غير لازم لأنّه طلب العلم،ولو كلّفناه بالتّمييز بين أنواع العلماء كلّفناه شاقّا، وليس هذا مطلبا شرعيا من العوام لأنّه يحتاج إلى أدوات علمية لا يمكن العاميّ بحال أن يتمكّن منها.

و السلفيون المكفرون بعدم اعتبار الجهل ينسون شيئا منهم،وهو أنه قبل ظهوروهم على الساحة كانت الزوايا الطرقية هي التي تدير الشؤون الدينية في العالم الإسلامي لقرون وليس هم.

فهذه هي نكتة المسألة، والفارق الّذي لم يقف عنده من ألزمه بطلب العلم دون أن يفرِّق بين نوعي الجهل، وقال:إذا استقرّت أحكام الشّريعة لا يُعذر بالجهل.

فنقول لهم: ما المقصود باستقرار أحكام الشّريعة(؟)

هل المقصود: انتهاء مدة النّسخ، وتأخير الخطاب بالبيان إلى وقت الحاجة أم حصول العلم بهذه الأحكام؟.
فإن كان الثّاني لأنّه لازم وإلاّ لزم أنّه بعد اكتمال الشّريعة لم يبق في الأمّة جاهلٌ، وهذا مخالفٌ للواقع ففي كلّ الأزمنة والأمكنة يوجدُ جهالٌ.
والثّاني قد قام به هذا العاميّ عندما تلقّى حكم ما يظنّ أنّه من الشّريعة من شيخه،فكيف يطلب ما سبق له وأنْ طَلَبَه، ولم يَقُم في شعوره أنّه غيرُ مشروع، أي: لم يشعر بأنّه جاهلٌ بالمسألة،وبالتّالي لا يشعر بحاجته إلى طلب علمها؟.
فالجهل بالمسألة كالاستغاثة بالمقبور تقع ضمن ما يقدر العاميّ على رفعه عن نفسه،أمّا الجهل بأنّ شيوخه وأهل بلده وأئمة مساجدهم ليسوا من أهل السّنة أو مبتدعة وقولهم مرجوحٌ بالنّظر إلى قول غيرهم فهذا لا يَقدر العاميّ على رفعه عن نفسه بَدَاهَة،و الأول مرتبط بالثاني.
ولهذا قال العثيمين(الشّرح الممتع على زاد المستقنع: (6/390)): (وبناءً على هذا يتبيّن حال كثير من المسلمين في بعض الأقطار الإسلامية الّذين يستغيثون بالأموات،وهم لا يعلمون أنّ هذا حرام،بل قد لُبِّس عليهم أنّ هذا مِمَّا يُقرِّب إلى الله،وأنّ هذا وليٌّ لله وما أشبه ذلك،وهم معتنقون للإسلام،وغيورون عليه،ويعتقدون أنّ ما يفعلونه من الإسلام،ولم يأت أحد ينبّههم،فهؤلاء معذورون،لا يؤاخذون مؤاخذة المعاند الّذي قال له العلماء: هذا شرك،فيقول: هذا ما وجدت عليه آبائي وأجدادي،فإنّ حكمه ذا الأخير حكمُ من قال الله تعالى فيهم: إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ[الزّخرف: 22]
فأحكام الشّريعة وإن استقرّت وانتشرت في ديار الإسلام فإنّه قام ما يعارضها من شبهات محسوبة على الشّريعة بالنّسبة للعاميّ، وعليه نقول جوابا عن كلام بعض المشايخ:
جواب شُبهة ترك طلب العلم:
فإذا فهمنا هذا فهمنا أنّ العامي الّذي تلقّى حكم هذه المسائل الشّركيّة عن شيوخه من قرون طويلة ليس إعراضا منه عن طلب العلم بها،ولكن غفلة وجهلا عن حاجته إلى طلب العلم بها، فنفرِّق بين الإعراض لا لقصد العصيان ولكن لشبهة، وبين الإعراض استكبارا أو عنادا،ذلك أنّ الجهلَ مثلُ الخطأ والنّسيان هو صُورةٌ من صُور العجز،

فكما أنّ المخطئ عاجز عن الصواب، وكذلك النّاسي والمجنون، فالجاهل عاجز عن معرفة الحق بدليله،فيكون إعراضه عن طلب الحقّ بدليله لا عن قصد العصيان، ولكن للعجز عن هذا الطّلب بسبب الشّبهة أو الجهل المركّب الّذي لُقّنَ له.

أنواع الأعذار المسقطة للوجوب بعد البلوغ في الشّريعة:

1- الجُنون والعَتَه،وعِلّتُه:عدم العقل ونقصانه.

2- النّوم والإغماء والنّسيان، والسُّكرُ بسببٍ مباحٍ، وعلّتُه:العجز عن استعمال نور العقل بفترة عارضة مع قيام أصوله.

3-و الخطأ والجهل بأسباب الوجوب،وعلّتُه: عدم العلم في الجهل البسيط ،والشُّبهة في الجهل المركّب.

4- الكره وعلته: فقدان القدرة.

فما موجب التّفريق بين الخطأ والجهل والعلّة واحدة؟

فهذا العاميّ عدم علمه سببه عجزه،وعدم العلم إنّما يؤثر في الأحكام ظاهراً لا باطناً عند عامة النّاس،بخلاف العجز فإنّه يؤثر فيها باطناً وظاهراً،ومن استقرأ أحكام الشّريعة استبان له هذا،وحقيقة الأمر أنّ الجاهل البسيط مُعرّض لمقتضى العقوبة لمخاطرته وعمله بالجهل، والعامي الّذي نتحدث عنه لم ينشئ هذا العمل من تلقاء نفسه بل تلقّاه عن علماء بالنّسبة إليه، فهو في الحقيقة عاجز عن طلب العلم، فالجهل حال الاشتباه غير الجهل المحض مع جسارة على التّعبد به.

فالعامي لم يقصد إهمال طلب الشّريعة بوجوب طلب علم ما يقدم عليه ولكنّه ألقى مقاليده للعلماء (الّذين هم في عرفه علماء) فأوردوه هذه الشّركيات أو البدع،فهو يأثم بالجهل فيما يقدر فيه على العلم ويظهر عليه الدّليل،والدّليل على فساد قول قومه وشيوخه وأئمته غامض بالنّسبة إليه،والشّبهات اللاّحقة بمخالف (السّلفيين) شيوخه متعارضة فلا يمكنه تمييز الشّبهة عن الدّليل.

فهو في الحقيقة اتَّبع مقصد الشّارع واستجاب لطلب العلم، والعامل بمثل هذا الجهل حكمه حكم النّاسي لا يُنسب لمعصية أو هوى فيلزم عذره بالجهل.

لكن إذا افترضنا أنّ هذا العامي قد يفعل فعلا تعبديًّا معرضا عن كونه مشروعا أو غير مشروع هنا يضعف وجه عذره بالجهل لكن هذه الحالة تكاد تكون نظرية لأنّ غالب المسلمين في قضية الاستغاثة بالمقبور وما في ضمنها تلقوه عن شيوخ الصوفية

والطرقية الّذين أحسنوا الظّنّ بهم.
قال العثيمين في المصدر السّابق تقييدا لكلامه: ((ولكن قد لا يعذر الإنسان بالجهل،وذلك إذا كان بإمكانه أن يتعلّم ولم يفعل،مع قيام الشُّبهة عنده،كرجل قيل له: هذا محرم،وكان يعتقد الحل،فسوف تكون عنده شبهة على الأقل،فعندئذٍ يلزمه أن يتعلّم ليصل إلى الحكم بيقين.
فهذا ربّما لا نعذره بجهله؛لأنّه فرط في التّعليم،والتّفريط يُسقط العذر،لكن من كان جاهلاً،ولم يكن عنده أي شبهة،ويعتقد أنّ ما هو عليه حقّ،أو يقول هذا على أنّه الحقّ،فهذا لاشكّ أنّه لا يريد المخالفة ولم يرد المعصية والكفر،فلا يمكن أن نكفره حتّى ولو كان جاهلا ًبأصل من أصول الدّين،فالإيمان بالزّكاة وفرضيتها أصلٌ من أصول الدّين،ومع ذلك لا يكفر الجاهل.))
فالجواب أنّ العثيمين ذكر هذا الكلام على سبيل الاحتمال وصدره بحرف "قد"و"ربّما" وما جاء في سياق الاحتمال لا نجعله مذهبا لقائله لأنّ الاحتمال هو عبارة عن فرض،خاصّة إذا تقدّمه و تأخّر عنه كلام مخالف أو مقيّد له.
وقوله:"فسوف تكون عنده شبهة على الأقل،فعندئذٍ يلزمه أن يتعلّم ليصل إلى الحكم بيقين."يتحدّث فيه عن الجاهل البسيط الذي ليس عنده معارض ككونه على مذهب وطريقة، أمّا الجاهل جهلا مركّباً فمن أين له أن يعرف أنّ لديه شبهة إن لم نبلّغه بلاغا تقوم به حجّة الله عليه؟
فمن لم يكن لديه شُبهة ـ وهو الّذي أقرَّ عذره في هذا الكلام ـ والّذي لديه شُبهة ولا يشعر بأنّه مُشَبَّه عليه سيّان في الحقيقة لأنّ الشُّبهة الّتي تكون شُبهة في اعتقاده وتصوّره ولكنّها كذلك بالنّسبة لنا ليس بالنّسبة إليه فإن لم نخبره بالبيِّنة أنّها شُبهة لم يفطن لها ،ولذلك قال بعض السلف:"البدعة أحب إلى إبليس من المعصية لأنّه يتوب من المعصية ولا يتوب من البدعة" وهو إنّما لا يتوب منها لظنّه أنّه على الصّراط المستقيم أي غير شاعر بما هو عليه من بدعة.
وعليه كان صاحب الشُّبهة قبل تبليغه الحجّة البيّنة الشّبهة في حقه معدومة كعديم الشُّبهة، فتنبه لهذا فإنّه مُهِمٌّ.
وكلّ الأمثلة الّتي ذكرتها عن أخطاء العلماء في أصول الدّين إنّما عَذرهم الأئمة ولم يكفّروهم ويبدّعوهم لعدم شعورهم بالشُّبهة بسبب تأويل أو جهل للحكم،فمعلوم بالقطع

أنّ أقوالهم المخالفة لدليل الكتاب والسّنة إنّما نجمت لديهم عن شُبهة.
فبخلاف ما يقرره الشّيخ العثيمين في تقسيمه الشُّبهة إلى أنّها مؤثرة في عدم العذر بالجهل هي سبب العذر كما في كلام ابن تيمية في (الرّد على البكري) فإنّه عذر شيوخ وأئمة جهمية الصّوفية بسبب الشُّبهة الّتي هي عن جهل.
ثم هذا الشرط:"ولكن قد لا يعذر الإنسان بالجهل،وذلك إذا كان بإمكانه أن يتعلم ولم يفعل" هو كلام مجمل، فإنّ العلمَ أصنافٌ، والجهالَ أصنافٌ، والحالات متعدّدة، فما هو ضابط التّمكن(؟)، وما سبب الإعراض عن التّعلم (؟)
ونكتة المسألة لأن الكلام هنا بحيال الافتراض أن نقول: الجاهل الذي أنكر عليه فقامت لديه شبهة فلزمه طلب العلم،هو الجاهل في بلاد نجد،يقع في شرك فينكر عليه فتشتبه عليه المسألة فيعود إلى علمائه الذين يأخذ عنهم دينه فيرفعوها عنه و إن أصر كفر.
أما الجاهل من بلاد أخرى فإنه يعود في رفعها إلى شيوخه و أئمة مذهبه،فيردون الشبهة بشبهة أخرى،وحتى يلزم هذا طلب رفع الشبهة يعين : العلم علينا أن نحول بينه وبين شيوخه فنبين له خطأهم و جهلهم.
وقد ذكرت طرفا من الجواب على هذا الأمر سابقا فلا أكرّره ولنذكر حُجَجاً أخرى تزيد الأمر وضوحا.
فأوّلا: عندما يقولون: "إذا استقرّت أحكام الشّريعة وانتشرت في الدّيار لم يُعذر بالجهل"؟
نقول لهم: هذا ينطبق على السّعودية، فإنّ حكم الاستغاثة بالمقبور وأنّه شرك مستقر فيها ومنتشر من زمن شيخ الإسلام محمد عبد الوهاب ـ رحمه الله ـ كما جاء في الحديث أنّ عمر بن الخطاب رأى رجلين يرفعان أصواتهما في مسجد النّبي صلَّى الله عليه وسلَّم ورآهما غريبين فقال: ((أَمَّا عَلِمْتُمَا أَنَّ الْأَصْوَاتَ لَا تُرْفَعُ فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ صلَّى الله عليه وسلَّم؟لَوْ أَنَّكُمَا مِنْ أَهْلِ الْبَلَدِ لَأَوْجَعْتُكُمَا ضَرْبًا)).
فعذرهما بالجهل ولم يعاقبهما لعلّة أنّهما من غير أهل البلد،لأنّ أهل البلد قد قام عندهم العلم على تحريم ذلك،فتنبه يرحمك الله.
أمّا في الجزائر ومصر وسوريا والمغرب وغيرها فالمستقر والمنتشر خلافه، فالعامي عندما يجلس في المسجد يسمع بجواز ذلك، وكذلك عندما يفتح قنوات التّلفزيون الدّينية

الوطنيّة فالاستقرار والانتشار منتف في حقّه.
وعليه فإن لزم التكفير بهذه الحجّة فهي تلزم صوفية السّعودية وليس غيرهم إلاّ أن تستقرّ أحكام الشّريعة في هذه المواضيع وتنتشر عندهم.
وحتّى هذه فيها تفصيلات أخرى ذلك أنّنا نقول لهم: أحكام الشّريعة استقرّت عند من،عند العلماء أم عند العوام؟
ولهذا يفرَّق بعض الأصوليين في العذر بالجهل بين العوام وبين العلماء، وبين الاستقرار العلميّ عند العلماء وبين الانتشار عند العوام مفاوز، فكثير من دعاة الجزائر استقرّ عندهم العلم بهذه الأحكام لكنّها غير منتشرة في المجتمع إلاّ عند أتباعهم، والّذي يَحُول بين النّاس وبين أتباعهم شبهاتٌ كثيرةٌ قد تكون منفصلة عن هذه المسائل، فإمّا لهم شيوخ صوفيّة وأشعريّة وإمّا لهم نظرة سلبية عن هؤلاء الدّعاة تلقّوها من إعلام مغرض شوّه هؤلاء الدّعاة حتّى ظنّ بعض العوام أنّهم عملاء أجنبيون وحشوية ومجسمة ،ويبغضون النّبي صلَّى الله عليه وسلَّم ،وهم في الحقيقة جماعة أنشأها اليهود ؟؟؟؟.
فهذه الشّبهات المعقّدة المتعارضة والمتشابكة تمنع وصول التّبليغ إليهم.
ومن هنا يجب أن نفهم أنّ الشُّبهات حول السّلفيين دافعة عند العوام للتّعرض لخطاب السّلفيين،مانعة من بلوغ دليل الشّرع إليهم،فلا يثبت انتشار الأحكام في حقّهم وإن كانت مستقرّة عند بعض العلماء بسبب أنّ الخطاب قاصر عنهم،فاستقرار الخطاب الشّرعي غير انتشاره لأنّ معنى استقراره هو ثبوته وانتفاء النّاسخ والمخصص والمقيّد بعلم،ونحن نعلم أنّ النّبي صلَّى الله عليه وسلَّم لم يكن يمكنه التّبليغ إلى كل واحد من أفراد النّاس وإنمّا وسعه الإشاعة في النّاس،ومن هنا صارت الإشاعة بمنزلة التّبليغ إلى كل واحد من النّاس، والّذي يقوم بالإشاعة أوَّلا هم العلماء والدُّعاة ثم عنهم تنقل العوام إلى بعضهم بعضا، فالعاميّ إمّا يتلقّى عن العالم، وإمّا عن عامي مثله،والتّلقيّ عن الثّاني غير التّلقي عن الأوّل،لأنّ التّلقي عن العالم علم بحجّته أو تقليد لعالم،وعن الثّاني تقليد عن مقلّد.
فإذا قلنا: الخطاب بعد شيوعه لا يعذر الجاهل لبلوغ الخطاب إليه؟.
كان الجواب المعترض به علينا حينئذ أنّ هذا العاميّ في البلد الّذي تكون السّلفية فيه أقليّة مُشوَّهة في مقابل طوائف إسلامية كثيرة وغالبة على مؤسّسات البلد الدّينية

يَحُول بينه وبين الانتشار ذلك أنّه لا يعتقد صدق المبلغ السّلفي إن وجد،ولا يرى كلامه حجّة، ونحن قد علمنا من الشّريعة أنّ كل حكم يثبت بالشّرع فإنّه لا يثبت في حقنا إلاّ بعد العلم بالخطاب، وهذا العاميّ المُتلقي عن الصّوفية و الطّرقية و الأشعريّة لم يعلم بالخطاب أنّه هو الخطاب الشّرعي فكيف يجوز لنا تكفيره وعدم عذره بالجهل في مسألة قد علم حكمها وإن كان غير مطابق للحقيقة ؟!.

وهذا يقودنا في فهم حجة القرآن في التّبليغ وقيام الحجّة على وجهها بعيدا عن الكلام المطلق فأقول:

قوله تعالى:وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولا[الإسراء: 15]، فسّرها الحسن البصري بأنّ الله تعالى لا يعذِّب قوما بالاستئصال حتّى يَحتجَّ عليهم بالرّسول،كقوله الآخر تماما: وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولا[القصص: 59]،وكقوله:وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلا خلا فِيهَا نَذِيرٌ[فاطر: 24].

قلت: فهل المقصود ببعث الرّسل: مجرّد إرسالهم أم وصول حجّتهم للنَّاس بكيفية تقطع عذرهم؟.

قال الطّبري(تفسير الطّبري: (14/526)):((يعني: وما كنَّا مهلكي قوم إلاّ بعد الإعذار إليهم بالرُّسل، وإقامة الحجَّة عليهم بالآيات الّتي تقطع عُذرهم))

وقطع العذر يلزم منه ردّ الحجّة بالحجّة، ودرء الشّبهات المعارضة، وعندما نقول عن العاميّ المستغيث بالمقبور: لا يُعذر بجهله؟ فهذا ليس بحجّة قاطعة لحجّته،أو كاشفة لجهله، فنحن هنا في الحقيقة نلزمه بالوسيلة إلى العلم ونغفل عن الغاية من العلم، إذ إيجاب الطّلب عليه هو إيجاب الوسيلة، وتبليغ الحجّة إليه هو تحقيق غاية العلم الّذي هو أن يحي على بيّنة أو يهلك عن بيّنة، والوسائل قد بيَّنت بكثير من الحُجج أنّها موجودة عند العاميّ لكن اعترضها ما حال بينها وبين الغاية، فالقول بعموم أنّه مقصّرٌ في الوسيلة قولٌ غيرُ صحيح.

والنّبي صلَّى الله عليه وسلَّم لم يؤذن له في الحرب طيلة عشرة أعوام وأُمر بالدّعاء إلى الله والصّبر على الأذى والصّفح عن الجاهل حتّى تقوم حجّة الله عليهم،ولم نجد في كلامه مع المخطئين أنّه وَبّخهم على التّقصير في طلب العلم، ولكنّه كلّما وجد جاهلا أو مخطئا علّمه،فالأولى تعليم الجاهل لا تكفيره.

والمسائل العلمية تختلف حالها بين العالم والعامي،فهي وإن كانت معلومة عند العالم

أو بَدهية عنده قد تكون دقيقة غامضة عند العاميّ، واليوم نجد من المسلمين من يجهل ضروريات الدّين ،فلقد أخذ أحد إخواني والدته إلى العمرة العام الماضي ولمّا كانوا بأُحُد قال لها:هذه قبور الصّحابة الّذين استشهدوا فقالت له: من قتلهم،فرنسا؟.
فنحن لا نتصوّر في الحقيقة مدى جهل العوام، وماذا يخرج منهم و إلى الله المشتكى من دعاة أدخلوا الأمة في جدار.

تأصيل أصل الشعور بالعلم أو بالجهل

أهمية اعتبار شرط عدم المعرفة في العذر بالجهل:
عندما لم يعذر النبي صلَّى الله عليه وسلَّم المسيء في صلاته فأمره بالإعادة حتّى قال : " والّذي بعثك بالحقّ لا أحسن غير هذا " أمره أن يعيدها لأنّ وقتها باق ليس لأنّه لم يعذره بالجهل،فهو مأمور أن يصليها في وقتها ولو خرج وقتها لم يأمره بالإعادة مع أنّه ترك بعض واجباتها لأنّه لم يكن يعرف أنّها واجبة.
وكذلك لم يأمر عمر بقضاء ما تركه من الصّلاة لأجل الجنابة لأنّه لم يكن يعرف أنّه تجوز الصّلاة بالتّيمم.
وكذلك المستحاضة الّتي قالت له :"إني أُستحاض حيضة شديدة منكرة تمنعني الصّوم والصّلاة فأمرها أن تتوضأ لكلّ صلاة ولم يأمرها بقضاء ما تركته.
وكذلك الّذين أكلوا في رمضان حتّى تبيَّن لأحدهم الحبل الأبيض من الحبل الأسود أكلوا بعد طلوع الفجر ولم يأمرهم بالإعادة لأنّهم كانوا جُهَّالاً بالوجوب.
فالكافر لا يؤمر بقضاء ما تركه في حال كفره وجاهليته بخلاف من قد علم الوجوب،فهذا يأمره به كالنّسيان يؤمر بالإعادة أو القضاء عند التّذكّر، و النّائم عند الاستيقاظ.
وعند تفصيل هذا الباب أذكر أسبابا وحالات أخرى، المقصود أنّ الشّرع اعتبر في الحكم على المعيّن عدم معرفته بالوجوب.
فإن قالوا: هذا في الأحكام،ونحن لا ننازع فيه،وننفيه في أصول الدّين؟
قلنا لهم: ما موجب التّفريق؟.
هل يكون الإنسان في الأحكام غير الإنسان في أصول الدّين؟.
وهل الوجوب في الإحكام غير الوجوب في أصول الدّين؟.

وهل أصول الدّين استقرّ حكمها والأحكام لم يستقرّ حكمها؟.
وهل الإنسان يجوز له أن يجهل الأحكام ولا يجوز له أن يجهل أصول الدّين؟.
وكيف ذلك والجهل واحدا لا يتجزأ (؟).
وإذا قلتم: نحن نلزمه في الأحكام كما في أصول الدّين أن يطلب العلم ولا يُقَصّر فيه؟.
قلنا لكم: وإن سلّمنا أنّ كثيرا من مسائل الميراث دقيقة على العوام لا يكلفوا علمها،فإن أتباع بعض المذاهب يتمسّكون بأمور وإن كانت من مذهبهم فهي ضعيفة مخالفة للنّص فلمَ لا نلزمهم بعدم التّقصير في طلب العلم في المسائل الواضحة الّتي ليست من دقيق العلم، لأنّ ذلك يلزم منه تكليف المحال وهو المقارنة بين المذاهب والتخيُّر منها وهذا واضح البطلان،وهذا لازم لكم، لا محيد عنه.
وعندما يكون الإنسان في فترة من العلم مكانية أو زمانية لا تفرّق الفترة بين الأحكام وبين أصول الدّين كما في حديث حذيفة فلم يبق معهم من العلم إلاّ الشّهادتان فجهلوا الفرائض، ومعلوم بداهة أنّ من يجهل وجوب الفرائض لا يكون عالما بشروط لا إله إلاّ الله وبنواقضها ؟! (هذا الحديث خصصت له مقالا)
ثم كيف نفسر عذر النّبي صلَّى الله عليه وسلَّم لعائشة لما أنكرت علم الله كما في (صحيح مسلم)،وهذا إنكار صفة من صفات الله؟.
قال شيخ الإسلام ابن تيمية(مجموع الفتاوى: (11/412)):((فَهَذِهِ عَائِشَةُ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ: سَأَلَتْ النَّبِيَّ صلَّى الله عليه وسلَّم هَلْ يَعْلَمُ اللَّهُ كُلَّ مَا يَكْتُمُ النَّاسُ؟فَقَالَ لَهَا النَّبِيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم نَعَمْ وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ ذَلِكَ وَلَمْ تَكُنْ قَبْلَ مَعْرِفَتِهَا بِأَنَّ اللَّهَ عَالِمٌ بِكُلِّ شَيْءٍ يَكْتُمُهُ النَّاسُ كَافِرَةً وَإِنْ كَانَ الْإِقْرَارُ بِذَلِكَ بَعْدَ قِيَامِ الْحُجَّةِ مِنْ أُصُولِ الْإِيمَانِ وَإِنْكَارِ عِلْمِهِ بِكُلِّ شَيْءٍ كَإِنْكَارِ قُدْرَتِهِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ هَذَا مَعَ أَنَّهَا كَانَتْ مِمَّنْ يَسْتَحِقُّ اللَّوْمَ عَلَى الذَّنْبِ وَ لِهَذَا لَهَزَهَا النَّبِيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم وَقَالَ: أَتَخَافِينَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْك وَرَسُولُهُ وَهَذَا الْأَصْلُ مَبْسُوطٌ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ. فَقَدْ تَبَيَّنَ أَنَّ هَذَا الْقَوْلَ كُفْرٌ وَلَكِنَّ تَكْفِيرَ قَائِلِهِ لَا يُحْكَمُ بِهِ حَتَّى يَكُونَ قَدْبَلَغَهُ مِنْ الْعِلْمِ مَا تَقُومُ بِهِ عَلَيْهِ الْحُجَّةُ الّتي يَكْفُرُ تَارِكُهَا)).
وكيف نفسر عذر الإمام أحمد رحمه الله بقوله بجواز الإقسام بالنّبي صلَّى الله عليه وسلَّم، ولم يصحّ فيها دليل شرعي،وبعضهم أجاز السّؤال به،ونكفّر عوام المسلمين ونبدّعهم، ولا نعذرهم بالجهل؟

يقول شيخ الإسلام عن الشّهرستاني(منهاج السّنة: (6/320)):((والشّهرستاني لا خبرة له بالحديث وآثار الصّحابة والتّابعين. ولهذا نقل في كتابه هذا ما ينقله من اختلاف غير المسلمين واختلاف المسلمين،ولم ينقل مع هذا مذهب الصّحابة والتّابعين وأئمّة المسلمين في الأصول الكبار،لأنّه لم يكن يعرف هذا هو وأمثاله من أهل الكلام،وإنّما ينقلون ما يحدّثونه في كتب المقالات،وتلك فيها أكاذيب كثيرة من جنس ما في التّواريخ)).

فهؤلاء من علماء الكلام لم يعرفوا مذاهب الصّحابة والتّابعين وأئمة المسلمين فكيف نحكم عليهم بما جهلوا قبل أن نقيم عليهم حجّة الله ؟.

فإن عذرناهم في مهمّات أصول الدّين كالأسماء و الصّفات والقدر والحكمة، وهي من أصول الدّين كيف لا نعذر من جهل الحكم في التّوحيد العمليّ؟.

هل لأنّه أهمّ من توحيد الأسماء والصّفات،أو من القدر الّذي هو أحد أركان الإيمان ونظام التّوحيد؟.أليس هذا من التّناقض بين النّظرية و التّطبيق؟.

مسألة الشّعور بالجهل:

يقول العلماء الّذين يمنعون العذر بالجهل في مسائل التّوحيد العمليّ كالاستغاثة بالمقبور والطّواف بالأضرحة والذّبح للمقبورين من الصّالحين: ((إذا استقرّت الأحكام فلا يُعذر بالجهل،وإنّما يُعذر بالجهل في عهد النّبي صلّى الله عليه وسلّم، وحملوا عليه حديث الأعرابي في عمرة الجعرانة،وحديث معاوية بن الحكم في الكلام،فقالوا: إنّ الأحكام لم تستقر،ولذلك يعذر،ويعتبر هذا موجباً لعذره)).

وقالوا: ((إذا انتشر التّبليغ في ديارنا فقد تم التّبليغ فمن جهل هنا يكون لتقصيره كمن لم يطلب الماء في العمرانات فتيّمم وكان الماء موجودا))

قلت: أمّا عن حجتهم الأولى فيدلّ على عدم صلاحها عدّة أدلّة كدليل المرأة الزّانية في عهد عمر الّتي حكم عليها الصّحابة بالرّجم حتّى قال لهم عثمان : أنّها تستهل به استهلال من لا يعرف حرمته، قال ابن تيمية(الجواب الصحيح: (6/489)): ((وَمِنْ هَذَا الْبَابِ أَنَّ عُثْمَانَ قَالَ لِعُمَرَ لَمَّا شَاوَرَهُ فِي الْمَرْأَةِ الّتي أَقَرَّتْ بِالزِّنَا: " إِنِّي أُرَاهَا تَسْتَهِلُّ بِهِ اسْتِهْلَالَ مَنْ لَا يَعْرِفُ أَنَّهُ حَرَامٌ " فَإِنَّهُ لَمَّا رَآهَا تَجْهَرُ بِمَا فَعَلَتْهُ،وَتَحْكِيهِ مِنْ غَيْرِ اكْتِرَاثٍ،تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهَا لم تَعْتَقِدْ تَحْرِيمَهُ،وَأَنَّهُ يُذَمُّ،وَتُعَاقَبُ عَلَيْهِ،وَوَافَقَهُ عُمَرُ وَعَلِيٌّ وَغَيْرُهُمَا عَلَى ذَلِكَ)).

وكقصّة قدامة بن مظعون الّذي شرب الخمر فاستتابه الصّحابة مع أنّ حكم تحريم الخمر كان مستقرّاً،فإن قالوا: تأوّل(؟)

قلنا لهم: ومن قال لكم إن المستغيث بالمقبور لم يتأوّل؟، وهو إنّما أخذ هذا عن علماء علموه أنّه مشروع مما يلزم معه أنّهم متأوِّلون حتما؟.

أمّا عن حجّتهم الثّانية فهي غير صحيحة في الباب لأنّ الإنسان لا يطلب الماء لاحتمال وجوده لأنّه في العمران إذا أخبره من يثق به من العلماء أنّه غير موجود، أو أنّه آسن لا يصلح للوضوء، أو قالت له البلدية (الطّائفة): الماء مقطوع، فهكذا المستغيث بالمقبور من العوام.

والشّيء الّذي لم يَعلم العقلُ ثبوتَه أوَّلا، إذا سلك طريقا يفضي إلى العلم به فلا يَسلكها ابتداء إلاّ بطريق التّقليد والمُصادَرَة، وهكذا حال العوام إنّما يسلكون هذه الطّريق تقليدا للعلماء،واحتمال أنّ شيوخَهم ضالّون أو مخطئون فهذا من رفاهية عقول العلماء لا العوام.

فإن قالوا: هؤلاء ليسوا بعلماء ولكنّهم جهّالٌ في ثوبِ علماء؟.

قلنا لهم: هذا في تصوُّركم أمّا عند العاميّ فهم علماء وليس أدلّ على ذلك من حكم الأصوليين في الّذي يفتي وهو في الحقيقة جاهل،لم يلوموا المستفتي، ولكنّهم لاموا المفتي،وهكذا في الطبيب الجاهل، والقاضي الجاهل، والصّانع الأخرق حكموا عليهم بضمان ما اتلفوا، ولم يلوموا العوام على الرّجوع إليهم لأنّ العاميّ لا يملك وسائل التّمييز بين العالم الحقيقيّ والعالم المُضلِّ أو المُزَيَّف.

فإيجاب الضَّمَان على الطّبيب الجاهل،فإذا تعاطى علما لطّب وعمله،ولم يتقدّم له به معرفة،فقد هجم بجهله على إتلاف الأَنْفُس،وأَقْدَم بالتَّهَور على مالم يعلمه،فيكون قد غَرَّرَ بالعليل،فيلزمه الضّمان لذلك،وهكذا.

وحتّى العلماء إنّما يسلكون طريق العلم أوّلا تقليدا ثم يجتهدون.

لأنّ حصول العلم بالأشياء على وجه الإجمال أو التّفصيل يختلف من شخص إلى آخر، والعلماء الّذين تعلّموا الحديث وتلقّوا عن علماء صحيحيّ العقيدة يحصل لهم من العلم بالتّوحيد الصّحيح ما لا يحصل لغيرهم.

وكلّ من كان بعيدا عن ممارسة صناعة ما قد يُكذِّب ما يعلمه أهلُها بالممارسة والخبرة الطّويلة.

وممّا ينبغي أن يُعرف أنّ علم الإنسان بالشّيء وتصوُّره له شيء،وعلمه بأنّه عالم به شيء، وعلمه بأنّ علمه حصل بالطّريق المعيّن شيءٌ ثالثٌ، وكذلك إرادته وحبّه شيء، وعلمه بأنّه مريد محبّ له شيء،وكون الإرادة والمحبّة حصلت بالطّريق المعيّن شيء ثالث،فَعِلْمُ المعيّن بحكم الاستغاثة وتصوّره لها شيء،وعلمه بأنّه عالم بها أو جاهل بحكمها الصّحيح شيء آخر.

كما أنّ علمَه بأنّ علمَه بها حَصلَ من طريق النّصوص مجموعة متصوّرا مفهومها ومنطوقها،أو منفصلة كصور متقطّعة، أو من تأويلات بعض العلماء لتلك النّصوص حسب فهمهم شيء آخر، والعامي المستغيث بالمقبور لا يخرج عن هذا التّقسيم، وكلّ منّا يعلم في أيّ قسم هو،وشتّان بين الأقسام.

ومثل هذا الّذي لا يعلم إن كان حقيقة عالما بمسائل التّوحيد العمليّ كالاستغاثة بالمقبور من كلّ جوانبها، وبمقاصد الشّرع فيها، وبطرق تحصيل العلم بها، يحصل له علم بمخبر أخبره أو عالم أفتاه في جزئية ثمّ ينظر في دلالة الخبر أو الفتوى فيظنّ أنّ العلم الحاصل له لم يحصل إلاّ بالنّظر في الأدلّة، وأنّه عالم بها، فحضور هذا الشّعور في العلم يجعله يذهل عن حقيقية أمره،وأنّه في الحقيقة جاهلٌ بالمسألة إذا قصدنا التّفاصيل مفارقا للجاهل المحض بتقليد عالم يجيزها، وإن كان عالما بإحدى كُلِّيَّاتها.

فهذه الأمور وهي كيف يحصل العلم في النّفس من تصوّرها حقّ التّصور تبيّن له حقيقة الأمر في أصول العلم.

والأدلة نوعان: أقيسة وآيات، فأمّا الأقيسة فلا تدلّ إلاّ على معنى كليّ لا تدلّ على معنى معيّن،وأكثر من تكلّم في الاستغاثة بالمقبور تكلّم فيها بالأحكام الكليّة.

فإذا علم المتكلِّم عن مسائل العذر بالجهل أنّ فيها قضايا مشتركة الأوصاف مختلفة العلل وجب عليه التّمييز واجتناب إطلاق الأحكام الكلية العامة بحيث يميِّز بينه وبين ما سواه ولهذا كلّ من تطلّب معرفة العذر بالجهل تفصيلا وأحوالها المتوافقة والمختلفة بالدّليل فلا بدّ أن يكون شاعرا بالفرق على وجه العموم حتّى يطلب الدّليل عليها المُفصّل المميّز بين أنواعها وأحوالها ،فإن لم يكن شاعرا بالفرق و بالتّفصيل كالعاميّ لم يطلبها، فقولُنا: يجب عليه طلب العلم قولٌ نظري تعترضه عوائق كثيرة منها ما ذكرته من شبه تقليد العلماء واستحسانهم هذا الفعل وظنه بهم الظنّ الحسن.

وأمّا ما لا تشعر به النّفس (العامي) بوجه كوجود تعدد الأقوال في الاستغاثة فلا يكون

مطلوبا لها، وإذا كان مطلوبا لها فلا يمكن أن يستدل عليه بشيء حتّى يعلم أنّه يلزم من تحقق الدّليل تحققه، وهذه صناعة بعيدة عن العوام وعن بعض أهل العلم.

كيفية التّصديق بأنواع الأمور العلمية:

من خبر الأشياء وجربها كان مُستَنَدَ تصديقه أدلةٌ في نفسه من جنس الشّعور الظّاهر أو الباطن توجب لديه اليقين، وتبين فساد الشّبه العارضة لغيره ،ومثل هذا لا يكون بمنزلة من يكون تصديقه بهذه الأمور دون طرق تصديقه هو، كمن يقتصر في التّجريبيّات والحسيّات على مجرّد الأخبار الصّحيحة، ومثله من كانت في نفسه علوم ضروريّة لا يمكنه دفعها عن نفسه لم يكن في منزلة من تعارضه الشّبه ويريد إزالتها بالنّظر وهي ليست ممّا يُعلم بالنّظر العقليّ مجرّدا عن الحسّ و الرّؤية و التّجربة فهذا يغلب عليه إنكار ما لم يعرفه.

وهذا الدّليل في كثير من مباحث العلم حتّى في حجيّة الآحاد ومعرفة الله وغيرها من مسائل، والعاقل يفرِّق بين من يحصل له علم بأدلّة كثيرة صحيحة يعلم بها فساد الشُّبه المعارضة لذلك العلم، ويبطل بها حججهم، كعلم من تلقى عن السّلفيين، وبين من حصل له العلم بدليل واحد من غير أن يعلم المعارض له كمن تلقى عن الصّوفية والمتكلّمين، فالشيء كلما قويت أسبابه وتعددت وانقطعت موانعه كان أوجب لكمال العلم به وقوة هذا العلم و تمامه.

فمن فهم هذا الفصل يفهم الفصول الآتية بوضوح.

والنّظر في المسائل عموما ومسألة العذر بالجهل خصوصا نوعان:

الأوّل: النّظر في القضية المَطْلوبِ حكمُها إن كانت شرعيّة أو بدعيّة ليطلبَ دليلَها وهذا النّظر لا يجامع العلم بل يضاده لأنّ هذا النّاظر طالب للعلم بحكم الاستغاثة هل هي شرعية أم لا(؟)، ولو كان عالما بها لم يطلب العلم لأن ذلك تحصيل الحاصل، لكنّه يطلب العلم بها إن كان جاهلا شاعرا بجهله ،أو عارفا بخطأ من علمه وأرشده.

الثّاني:النّظر في الدّليل وهو العلم بالدّليل المستلزم للعلم بالمدلول عليه وهو تصوّر العلّة لثبوت الحكم، والمستغيث بالمقبور قد علم جوازه شرعا بما تلقاه عن علمائه وشيوخه،فإنّه لا يفعل هذا ابتداءً من تلقاء نفسه، فكيف نطالبه بترك علمه لعلمنا بدون أن نقيم الحجّة على فساد علمه وعلم مَن يقلده؟

ومن هنا أقول: في مقالي الأوّل كان بعنوان مذهب ابن تيمية في العذر بالجهل فلا

تورد عليَّ مذهب غيره لأنّي بصدد تحقيق مذهب ابن تيمية فالاعتراض يجب أن يكون بكلام ابن تيمية وبعد ذلك نرد كلامه إلى الله ورسوله.
ولا تعترض على كلام ابن تيمية الصّريح الّذي يسمي فيه المسألة باسمها بكلام في غير المسألة، أو تعترض على كلامه في المعين بكلامه المطلق.
كما لا تعترض بكلام ذكره في سياق الإرسال في مبحث فقهيّ بكلامه المحقّق حيث نهض لتحقيق المسألة من جميع جوانبها لأنّ مثل هذه الاعتراضات لا تصون الجدال عن الانتشار، ويذهب بنا النّقاش إلى أطراف الكلام فلا ينضبط، فيجب دفع الدّليل بدليل يساويه،أو تنقضه بالخلف، فإمّا تدفع بالأصل أو تنقض بالخلف،أي ترفض القضية لأنّها تؤدّي إلى نتيجة بيِّنة الكذب،أو مخالفة للفَرْض.
فمن لم يعرف علل مخالفيه لم تقو معرفته بحقيقة قوله،ومتى عرفها عرف ما يفسدها،والّذي يفسدُها مُصحّحٌ لقوله.
والباحث عن الحقّ يقف عند نفسه وقوف الباحث المستبصر المسترشد وليس وقوف المقرّر المتيّقن،ويفصّل بين اليقين وغالب الظّن، والاحتجاج والتّقريب.
الشّعور بالعلم:
وقبل أن نعود إلى مسألة" الاشتباه في مسألة طلب العلم" لابدّ أن نقف عند تأصيل مسألة" الشّعور بالعلم و الشعور بالجهل" لأنّها أساس فهم الفرق بين الجهل البسيط والجهل المركب فأقول:
من المعلوم أنّ المسألة العلميّة قد تكون حقا والإنسان لا يشعر بها فضلا عن أن يظنّها أو يعلمها كحال الجاهل ـ بل وحتّى بعض طلاب العلم-الّذي لا يعرف وجود مئات المسائل العلميّة،ولا يظنّ وجودها لأنّه لم يشعر بها.
فكيف لي أن أشعر بفساد مقالة مؤصّلة بالأحاديث نعم الضّعيفة والموضوعة وحكايات الصّالحين(؟)،ومن أين لي العلم بالتّمييز بين الضّعيف والصّحيح من الأحاديث، فكيف بالعوام الّذين لا يقرؤون ولا يكتبون مما يعني أنّهم لا يملكون أيّة وسيلة لتمييز الباطل من الحق؟!.
فالإرادة أيها النّاس مشروطة بالعلم،لأنّ إرادة ما لا تَشعر به محال، فكيف يريد العاميّ طلب العلم عند سلفيّ وهو لا يشعر بفساد اعتقاده، هذا هو التّأصيل الّذي لم يقف عنده كثير ممن تكلّم في مسألة العذر بالجاهل لأنّ أكثر عمدتهم الكلام

المجمل،ولأنّ هذه المسائل لم يبحثها إلاّ الأصوليون والمتكلّمون.
ومسألة" الشّعور بفساد القول أو الشّعور بالجهل أو بالنّقصان" مسألة ليست هيّنة،وقد اعتبرها الشّارع لكن استخراجها قد لا يقدر عليه كلّ واحد من أهل العلم، أوضح:
قد علمنا أنّ الشّريعة رفعت قلم التّكليف عن النَّائم والمجنون والمغمى عليه، ولم يختلف علماء الإسلام إلاّ فيمن زال عقله بسبب محرَّمٍ لأنّ عقولهم غائبة لا يشعرون بالأمور، وهذا العاميّ معه الإيمان بالله وبالرّسول واليوم الآخر والبعث والنّشور والصّراط والجنّة والنّار وغير ذلك من مسائل العقيدة مسائل أصول الدّين،أي معه الإيمان بحسب علمه، وإن ارتكب فعلا مثل الاستغاثة بالمقبور فلا يمكن تكفيره بالعمل الواحد إلاّ بعد قيام الحجَّة عليه بما جاءت به الأخبار، فلا يكفَّر بجحده إلاّ بعد هذا الشّرط.
قال شيخ الإسلام ابن تيمية(مجموع الفتاوى: (5/254))((هَذَا يُبَيِّنُ أَنَّ كُلَّ مَنْ أَقَرَّ بِاَللَّهِ فَعِنْدَهُ مِنْ الْإِيمَانِ بِحَسَبِ ذَلِكَ ثُمَّ مَنْ لَمْ تَقُمْ عَلَيْهِ الْحُجَّةُ بِمَا جَاءَتْ بِهِ الْأَخْبَارُ: لَمْ يَكْفُرْ بِجَحْدِهِ. وَهَذَا يُبَيِّنُ أَنَّ عَامَّةَ أَهْلِ الصَّلَاةِ مُؤْمِنُونَ بِاَللَّهِ وَرَسُولِهِ؛ وَإِنْ اخْتَلَفَتْ اعْتِقَادَاتُهُمْ فِي مَعْبُودِهِمْ وَصِفَاتِهِ؛ إلَّا مَنْ كَانَ مُنَافِقًا يُظْهِرُ الْإِيمَانَ بِلِسَانِهِ وَيُبْطِنُ الْكُفْرَ بِالرَّسُولِ؛ فَهَذَا لَيْسَ بِمُؤْمِنِ. وَكُلُّ مَنْ أَظْهَرَ الْإِسْلَامَ وَلَمْ يَكُنْ مُنَافِقًا فَهُوَ مُؤْمِنٌ. لَهُ مِنْ الْإِيمَانِ بِحَسَبِ مَا أُوتِيَهُ مِنْ ذَلِكَ وَهُوَ مِمَّنْ يَخْرُجُ مِنْ النَّارِ وَلَوْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ الْإِيمَانِ وَيَدْخُلُ فِي هَذَا جَمِيعُ الْمُتَنَازِعِينَ فِي الصِّفَاتِ وَالْقَدَرِ عَلَى اخْتِلَافِ عَقَائِدِهِمْ؛ وَلَوْ كَانَ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إلَّا مَنْ يَعْرِفُ اللَّهَ كَمَا يَعْرِفُهُ نَبِيُّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ تَدْخُلْ أُمَّتُهُ الْجَنَّةَ؛ فَإِنَّهُمْ أَوْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ هَذِهِ الْمَعْرِفَةَ؛ بَلْ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَتَكُونُ مَنَازِلُهُمْ مُتَفَاضِلَةً بِحَسَبِ إيمَانِهِمْ وَمَعْرِفَتِهِمْ.
وَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ قَدْ حَصَلَ لَهُ إيمَانٌ يَعْبُدُ اللَّهَ بِهِ وَأُتِيَ آخَرُ بِأَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ عَجَزَ عَنْهُ الْأَوَّلُ لَمْ يَحْمِلْ مَا لَا يُطِيقُ وَإِنْ يَحْصُلُ لَهُ بِذَلِكَ فِتْنَةٌ: لَمْ يُحَدِّثْ بِحَدِيثِ يَكُونُ لَهُ فِيهِ فِتْنَةٌ. فَهَذَا " أَصْلٌ عَظِيمٌ " فِي تَعْلِيمِ النَّاسِ وَمُخَاطَبَتِهِمْ وَالْخِطَابُ الْعَامُّ بِالنُّصُوصِ الَّتِي اشْتَرَكُوا فِي سَمَاعِهَا؛ كَالْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ الْمَشْهُورِ وَهُمْ مُخْتَلِفُونَ فِي مَعْنَى ذَلِكَ.)):
ففي هذا النّص أصول عظيمة في تقرير هذه المسائل منها ـ للتّذكير ـ :
1-"عَامَّةَ أَهْلِ الصَّلَاةِ مُؤْمِنُونَ بِاَللَّهِ وَرَسُولِهِ ـوَإِنْ اخْتَلَفَتْ اعْتِقَادَاتُهُمْ فِي مَعْبُودِهِمْ وَصِفَاتِهِ"

2 -" وَيَدْخُلُ فِي هَذَا جَمِيعُ الْمُتَنَازِعِينَ فِي الصِّفَاتِ وَالْقَدَرِ عَلَى اخْتِلَافِ عَقَائِدِهِمْ "
3-"وَلَوْ كَانَ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إلَّا مَنْ يَعْرِفُ اللَّهَ كَمَا يَعْرِفُهُ نَبِيُّهُ صلَّى الله عليه وسلَّم لَمْ تَدْخُلْ أُمَّتُهُ الْجَنَّةَ؛فَإِنَّهُمْ -أَوْ أَكْثَرُهُمْ -لَا يَسْتَطِيعُونَ هَذِهِ الْمَعْرِفَةَ"
4-"فَهَذَا أَصْلٌ عَظِيمٌ فِي تَعْلِيمِ النَّاسِ وَمُخَاطَبَتِهِمْ بِالْخِطَابِ الْعَامِّ بِالنُّصُوصِ الّتي اشْتَرَكُوا فِي سَمَاعِهَا: كَالْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ الْمَشْهُورِ وَهُمْ مُخْتَلِفُونَ فِي مَعْنَى ذَلِكَ"
فكما تلاحظ معي يقرُّ شيخ الإسلام أنّ المسلمين وإن اتّفقوا في النّصوص فإنّهم مختلفون في معانيها،وأنّ سبب العذر بالجهل هو وجود الإيمان وإمكانية الخطأ.
وهذا نصٌّ آخر يؤكد هذا التّأصيل، وأنّه لا فرق عند شيخ الإسلام بين أصول الدّين والأحكام، قال رحمه الله(مجموع الفتاوى: (7/538)): ((وَلِهَذَا كَانَ الصَّوَابُ أَنَّ الْجَهْلَ بِبَعْضِ أَسْمَاءِ اللَّهِ وَصِفَاتِهِ لَا يَكُونُ صَاحِبُهُ كَافِرًا إذَا كَانَ مُقِرًّا بِمَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَمْ يَبْلُغْهُ مَا يُوجِبُ الْعِلْمَ بِمَا جَهِلَهُ عَلَى وَجْهٍ يَقْتَضِي كُفْرُهُ إذَا لَمْ يَعْلَمْهُ كَحَدِيثِ الَّذِي أَمَرَ أَهْلَهُ بِتَحْرِيقِهِ ثُمَّ تَذْرِيَتِهِ؛ بَلْ الْعُلَمَاءُ بِاَللَّهِ يَتَفَاضَلُونَ فِي الْعِلْمِ بِهِ)).
وقوله: ((وَلَمْ يَبْلُغْهُ مَا يُوجِبُ الْعِلْمَ بِمَا جَهِلَهُ عَلَى وَجْهٍ يَقْتَضِي كُفْرُهُ)) ينبّهنا إلى قضيّة في غاية الأهميّة وهي أنّ العلم قد يُبَلَّغ بطريقة تحُدث شكّاً وليس يقينا، بل حيث يكون دليل نقلها ضعيفا أو يوجد ما يقاومها عند الإنسان بحيث لا يبلغه العلم بلاغا يُقيم حجّة ويقتضي تكفيره فإنّ النّاس يسمعون كثيرا من الأشياء محاطة بِشُبَه سابقة ولاحقة فلا يقوم في نفوسهم يقينا بها لضعف المُبلِّغ .
وليس كلّ النّاس يكون قادرا على اليقين - خاصة العوام - حتّى لا نعذره بالجهل ونقول له:اعمل بغالب الظّن لأنّ غالب الظّن مع المقالة الأخرى،فإنّ إمكانية العمل باليقين يمنع العمل بدليل تدخله الشُّبهة،ومن كان عنده يقين بمقالة فاسدة لا يتركها لمقالة حقّ دخلت عليها شبهة، فاليقين لا يُزيله إلاّ يقين مثله.
فالعاميّ أو غيره إذا سمع اسما طلب تصوُّر مسماه،وإذا سمع لفظا طلب معرفة معناه،فإن لم يسمع بالشّيء لم يشعر في نفسه الحاجة إلى تصوُّره وطلب معناه،وهذا واضح.
فإنّ ما يقوم بالقلب من الشّعور والحال يوجب أمورا ظاهرة،وما يقوم بالظّاهر من سائر الأعمال،يوجب للقلب شعورا وأحوالا،فما لم يقم بقلب العاميّ من الشعور

بالجهل أو بفساد القول لم يستلزم أمورا ظاهرة كالتّحرّك إلى العالِم وسؤاله .
فيجب أن نعلم أنَّ الشّعور فارق بين الفاعل بالإرادة والفاعل بالطّبع فيمتنع مع كون العاميّ جاهلا أن يطلب علم ما لا يشعر بالجهل به.
فالإنسان إذا عمل عملًا بإرادته،يجد من نفسه أنّه يكون شاعرًا بما يريد أن يفعله،وأنّه مع الشّعور لا بدّ أن يكون مريدًا،ولابدّ مع هذين أن يكون قادرًا عليه وأقصد بالقدرة هنا "القوة العلمية" اللاّزمة للتّرجيح إن استوى في عقله قول هذا مع قول ذاك، السّلفي مع الصّوفي.
((ويجد من نفسه أن إحساسه وشعوره يقتضي إرادة الفعل ومحبته،وأنّ له شعورًا بما يفعله لأجله،وشعورًا بالحبّ والإرادة الّتي في نفسه لذلك المطلوب،وشعورًا بالفعل الّذي يتوصل به إليه،فهذه أربع حقائق: مراد مطلوب بالفعل؛وإرادة في النفس له،وفعل موصل إليه،وإرادة لذلك الفعل))"القاعدة في المحبّة".
فإذا علمنا أنّ القصد والإرادة لا يكون إلاّ بعد الشّعور بالمقصود فمن لم يشعر أن هناك عرشاً امتنع أن يقصد الرّفع إلى العرش،ومن لم يشعر أنّ الاستغاثة بالمقبور شركا لا يقصد طلب علم ما يضادها.
وحبّ الشّيء يتبع الشّعور به،فإذا شعر الإنسان بالحق مجملاً أحبّه مجملاً،وإذا شعر به مفصّلاً أحبّه مفصّلاً، ومن هنا كانت محبة العاميّ للحقّ مجملة لأنّ شعوره به مجملٌ.
ومن كان مُنصفا، عالما بأحوال العوّام، مخالطا لهم، مطّلعا على شبهاتهم،عارفا بواقع الأمّة أدرك لا محالة أنّ العوام في كثير من أفعالهم التّعبديّة يطلبون الحقّ من حيث هو حقّ،ولا يتّبعون أهواءهم كما يتبعها ضُلّال العلماء ممن استحكمت منهم الشّبهات وبلغ التّعصب منهم مبلغا كبيرا، فالعامي مَقصُودُه في الحقيقة طاعةُ الله وسؤال الله فيبتغي لذلك ما تعلّم أنّه أقرب الوسائل إليه ولو يَجد من يُحسِن تعليمه فإنّه يُقبل على القول الصّحيح.
فهو في الحقيقة قصد الامتثال لما تعلّمه ولم يشعر بأنّه قول أو فعل يدخل به الله تعالى عبده النّار، فيستحيل عليه أن يسأل الله بما علم أنّ الله يُعذِّب به، فهذا لا يفعله عاقل عقلا فطريّاً.
ويدلُّ على هذا قول شيخ الإسلام(الفتاوى الكبرى: (2/480)): ((وقد قال صلَّى الله

عليه وسلَّم في الحديث الصّحيح: «من نذر أن يطيع الله فليطعه،ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه» .
كذلك لا يُؤمر النّاذر أن يفعلها،فمن فعلها على وجه التّعبد بها والتّقرب،واتّخاذ ذلك دينا وطريقا إلى الله تعالى،فهو ضال جاهل،مخالف لأمر الله ورسوله. ومعلوم أن من يفعل ذلك من نذر اعتكاف،ونحو ذلك،إنما يفعله تديّنا،ولا ريب أنّ فعله على وجه التّدين حرام،فإنّه يعتقد ما ليس بقربة قربة،ويتقرّب إلى الله تعالى بما لا يحبّه الله،وهذا حرام،لكن من فعل ذلك قبل بلوغ العلم إليه،فقد يكون معذورا بجهله،إذا لم تقم عليه الحجّة،فإذا بلغه العلم فعليه التّوبة.))

شبهة اعتبار مجرّد قراءة القرآن والحديث حجّة لعذم العذم بالجهل:
عندما يعترض أحدُهم بكلام بعض أهل العلم نفاة العذر بالجهل: ((الحجّة على المستغيث بالقبور القرآن الّذي يقرأه ويكرّره)) (؟!)
نقول لهم:
1-هذه البساطة في التّفكير،وفي فهم قواعد الإسلام في التّكليف وإقامة الحجّة تكاد تعيق العقل عن التّفكير السّليم، وتشلّه عن إدراك المقاصد من بعثة الرّسل للأسباب التّالية:
2- مجرّد طرد كلامهم هذا ينهار كلّ البناء الاستدلالي لهذه الحجّة، فكلّ من خالف شيئا من القرآن والسّنة يمتنع عذره لأنّه يقرأ القرآن ويكرّره،فيلزم من هذا أنّهم متناقضون يعذرون كلّ من خالف الأحاديث المتواترة والآيات المحكمة بل وإجماع السّلف، ويشترطون له إقامة الحجّة ويعذرونه بالتّأويل، ولا يعذرون عاميّا لا يقرأ القرآن بخلاف وهمهم،وإن قرأه لا يفهمه ثم هو مقلّد(؟!)
وبهذا يلزمهم طرد أصلهم هذا وتكفير الجميع، ويدخل في الجميع: أهل السّنة الّذين وقعوا في أخطاء في الأسماء والصّفات والقدر (؟!)
3- ثم إنّ مما يوهن هذه الحجّة ويُضعفها ما ثبت في الصّحيحين عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أنها قالت: ((أَنّ رَسُول الله صلَّى الله عليه وسلَّم مَاتَ وَ أَبُو بكر بالسّنح –يَعْنِي بِالْعَالِيَةِ. فَقَامَ عمر يَقُول: وَالله مَا مَاتَ رَسُول صلَّى الله عليه وسلَّم.قَالَت: وَقَالَ عمر: مَا كَانَ يَقع فِي نَفسِي إِلَّا ذَاك،وليبعثنّه الله،فليقطعن أَيدي

رجال وأرجلهم. فجَاء أَبُو بكر،فكشف عَن رَسُول الله صلَّى الله عليه وسلَّم وَقَبّله،قَالَ: بِأبي أَنْت،طبت حَيّا وَمَيِّتًا،وَالَّذِي نَفسِي بِيَدِهِ لَا يُذيقنّك الله الموتتين أبدا. ثمَّ خرج فَقَالَ: أَيّهَا الْحَالِف،على رسلك. فَلَمَّا تكلّم أَبُو بكر جلس عمر فَحَمدَ الله أَبُوبكر وَأثْنى عَلَيْهِ،وَقَالَ: أَلا من كَانَ يعبد مُحَمَّدًا فَإِنّ مُحَمَّدًا قد مَاتَ،وَمن كَانَ يعبد الله فَإِنّ الله حيٌّ لَا يَمُوت. وَقَالَ: إِنَّك ميت وَإِنَّهُم ميتون[الزمر]وَقَالَ: وَمَا مُحَمَّد إِلَّا رَسُول قد خلت من قبله الرُّسُل أَفَإِن مَاتَ أَو قتل انقلبتم على أعقابكم وَمن يَنْقَلِب على عَقِبَيْهِ فَلَنْ يضر الله شَيْئا وسيجزي الله الشَّاكِرِينَ[آلعمرَان]قَالَ: فنشج النَّاس يَبْكُونَ)) .

فهذه الآيات الّتي تلاها عليهم أبو بكر كانوا يقرؤونها و يكرّرونها ليلا ونهارا فما بالهم ذهلوا عن معناها (؟)، وأوّلهم معدن العلم الّذي تأوّل له النّبي صلَّى الله عليه وسلَّم رؤيا شُربه من فضل اللّبن الّذي شربه رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم، وأنّه العلم: عمر بن الخطاب ، وفي لفظ: "فَكَأَن النَّاس لم يسمعوا هَذِه الْآيَة إِلَّا يَوْمئِذٍ"،وفي لفظ البخاري: "وَالله لكأنّ النَّاس لم يعلمُوا أَنّ الله أنزل هذِه الْآيَة حَتَّى تَلَاهَا أَبُو بكر".(؟)

وقد علمنا أنّ هذه الآية وَمَا مُحَمَّد إِلَّا رَسُول قد خلت من قبله الرُّسُل أَفَإِن مَاتَ أَو قتل انقلبتم على أعقابكم نزلت قبل أحد، ومع ذلك قيل يومها: (إنّ محمدا قد قتل) وفتن الصّحابة إلاّ فئة قليلة،يعني لم تُعصم أفهامُهم من هذا الظّن.

ولو ذهبنا نسترسل في هذا الاستدلال لقلنا: إنّ هذه الآية تخبرنا بوضوح أنّ جنس الأنبياء معروف في النّاس، قد تقدم له نظراء وأمثال،فهو معتاد في الآدميين،وأنّهم يموتون،ولهذا استشهد بها شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في نحو استدلالنا،واستشهد بقصّة عمر معها، فقال(مجموع الفتاوى: (13/109)):((وَكَذَلِكَ اعْتِقَادُ مَنْ اعْتَقَدَ مِنْهُمْ أَنَّهُ جَاءَ بَعْدَ الرَّفْعِ وَكَلَّمَهُمْ هُوَ مِثْلُ اعْتِقَادِ كَثِيرٍ مِنْ مَشَايِخِ الْمُسْلِمِينَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَاءَهُمْ فِي الْيَقَظَةِ فَإِنَّهُمْ لَا يَكْفُرُونَ بِذَلِكَ؛ بَلْ هَذَا كَانَ يَعْتَقِدُهُ مَنْ هُوَ مِنْ أَكْثَرِ النَّاسِ اتِّبَاعًا لِلسُّنَّةِ وَاتِّبَاعًا لَهُ وَكَانَ فِي الزُّهْدِ وَالْعِبَادَةِ أَعْظَمَ مِنْ غَيْرِهِ وَكَانَ يَأْتِيهِ مَنْ يَظُنُّ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ فَهَذَا غَلَطٌ مِنْهُ لَا يُوجِبُ كُفْرَهُ فَكَذَلِكَ ظَنُّ مَنْ ظَنَّ مِنْ الْحَوَارِيِّينَ أَنَّ ذَلِكَ هُوَ الْمَسِيحُ لَا يُوجِبُ خُرُوجَهُمْ عَنْ الْإِيمَانِ بِالْمَسِيحِ وَلَا يَقْدَحُ فِيمَا نَقَلُوهُ عَنْهُ وَعُمَرُ لَمَّا كَانَ يَعْتَقِدُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَمُتْ وَلَكِنْ ذَهَبَ إلَى رَبِّهِ كَمَا ذَهَبَ مُوسَى وَأَنَّهُ لَا يَمُوتُ حَتَّى يَمُوتَ

أَصْحَابُهُ لَمْ يَكُنْ هَذَا قَادِحًا فِي إيمَانِهِ وَإِنَّمَا كَانَ غَلَطًا وَرَجَعَ عَنْهُ.))).
4- خذ حجّتهم هذه وطابقها على كلّ الكلام الذي نقلته عن ابن تيمية وغيره ـ في هذه البحوث ـ تكتشف مدى هشاشتها، وبعدها عن قواعد أهل السّنة في التّكليف.
والخلاصة أنّها حجة وهميّة،أيّ: يفرضها العقل جدلا، ولا أثر لها في واقع المسلمين العلماء فضلا عن العوام.
*قول بعضهم :((فهل يكفر من وقع بالشّرك (الأكبر) كدعاء أصحاب القبور أو السّجود للشّمس والقمر لقيام الحجّة عليه بمجرد سماع القرآن وبلوغه ؟ أم لعلّه يُعذر بالجهل وهو قادر غير عاجز؟))
قلت:
1-لو كان مجرد سماع القرآن تقوم به الحجّة لكفّر أكثر المسلمين كلّ من خالف المعلوم من الدّين بالضّرورة عند السّلف (!)
2- وقد تكلّمت عن فهم الخطاب الشّرعي في فصل شروط التّكليف، والفرق بين العلماء والعوام في هذه الشّروط،فأرجو أن يقرأ الإخوة البحث كاملا،ولا يكرّروا ما سبق بيانه، والجواب عنه جريا وراء تصورّات مسبّقة.
3- الرّسل بلغوا اللفظ والمعنى،وسماع ألفاظ القرآن والسّنة لا يلزم منه معرفة معانيها بالاستلزام، ومن هنا كان اختلاف المسلمين في معاني النّصوص الّتي اتّفقوا على ألفاظها، قال شيخ الإسلام ابن تيمية(مجموع الفتاوى: (5/254)):
((وَهَذَا يُبَيِّنُ أَنَّ كُلَّ مَنْ أَقَرَّ بِاَللَّهِ فَعِنْدَهُ مِنْ الْإِيمَانِ بِحَسَبِ ذَلِكَ ثُمَّ مَنْ لَمْ تَقُمْ عَلَيْهِ الْحُجَّةُ بِمَا جَاءَتْ بِهِ الْأَخْبَارُ لَمْ يَكْفُرْ بِجَحْدِهِ وَهَذَا يُبَيِّنُ أَنَّ عَامَّةَ أَهْلِ الصَّلَاةِ مُؤْمِنُونَ بِاَللَّهِ وَرَسُولِهِ ـ وَإِنْ اخْتَلَفَتْ اعْتِقَادَاتُهُمْ فِي مَعْبُودِهِمْ وَصِفَاتِهِ ـ إلَّا مَنْ كَانَ مُنَافِقًا ـ يُظْهِرُ الْإِيمَانَ بِلِسَانِهِ وَيُبْطِنُ الْكُفْرَ بِالرَّسُولِ ـ فَهَذَا لَيْسَ بِمُؤْمِنِ؛ وَكُلُّ مَنْ أَظْهَرَ الْإِسْلَامَ وَلَمْ يَكُنْ مُنَافِقًا فَهُوَ مُؤْمِنٌ لَهُ مِنْ الْإِيمَانِ بِحَسَبِ مَا أوتيه مِنْ ذَلِكَ وَهُوَ مِمَّنْ يَخْرُجُ مِنْ النَّارِ وَلَوْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ الْإِيمَانِ وَيَدْخُلُ فِي هَذَا جَمِيعُ الْمُتَنَازِعِينَ فِي الصِّفَاتِ وَالْقَدَرِ عَلَى اخْتِلَافِ عَقَائِدِهِمْ. وَلَوْ كَانَ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إلَّا مَنْ يَعْرِفُ اللَّهَ كَمَا يَعْرِفُهُ نَبِيُّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ تَدْخُلْ أُمَّتُهُ الْجَنَّةَ؛ فَإِنَّهُمْ ـ أَوْ أَكْثَرُهُمْ ـ لَا يَسْتَطِيعُونَ هَذِهِ الْمَعْرِفَةَ؛ بَلْ يَدْخُلُونَهَا تَكُونُ مَنَازِلُهُمْ مُتَفَاضِلَةً بِحَسَبِ إيمَانِهِمْ وَمَعْرِفَتِهِمْ وَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ قَدْ حَصَلَ لَهُ إيمَانٌ يَعْرِفُ اللَّهَ بِهِ وَأَتَى آخَرُ بِأَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ عَجَزَ عَنْهُ لَمْ يُحَمَّلْ مَا

لَا يُطِيقُ وَإِنْ كَانَ يَحْصُلُ لَهُ بِذَلِكَ فِتْنَةٌ لَمْ يُحَدِّثْ بِحَدِيثٍ يَكُونُ لَهُ فِيهِ فِتْنَةٌ. فَهَذَا أَصْلٌ عَظِيمٌ فِي تَعْلِيمِ النَّاسِ وَمُخَاطَبَتِهِمْ بِالْخِطَابِ الْعَامِّ بِالنُّصُوصِ الَّتِي اشْتَرَكُوا فِي سَمَاعِهَا: كَالْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ الْمَشْهُورِ وَهُمْ مُخْتَلِفُونَ فِي مَعْنَى ذَلِكَ))

وهذا مجاب عليه بنقول كثيرة في تعليقي الأخير فلا جدوى من التّكرار.

4- يجب التّفريق بين بلوغ الحجّة بمعنى سماع العبارات، وبين إقامة الحجّة، وقد بيَّنته في المقال تفصيلا عندما تكلّمت عن صفة إقامة الحجّة، فبلوغ الحجّة جزء واحد من إقامة الحجّة ،والجزء الثاني: دفع المقاوم.

5- ما معنى"قادر غير عاجز"،فما هي القدرة المقصودة هنا،هل هي الاستعداد بالفطرة أم الاستعداد في الواقع، (؟) وهل هي واحدة لا تتعدد؟ وما معنى العجز(؟)بالنسبة إليّ قد فصّلت المسألة في مسألة "الشعور بالجهل"،و"الفرق بين الجهل البسيط والمركب"،و"أنواع الإعراض"، كما تكلمت عن العجز وأسبابه فلا محلّ لهذا الاعتراض،قال ابن تيمية(مجموع الفتاوى:(10/371و372)):((وإنّما المقصود هنا : أنّ ما ثبت قبحه من البدع وغير البدع من المنهي عنه في الكتاب والسّنة أو المخالف للكتاب والسّنة إذا صدر عن شخص من الأشخاص فقد يكون على وجه يعذر فيه؛ إمّا لاجتهاد أو تقليد يعذر فيه، وإما لعدم قدرته)).

وقال(مجموع الفتاوى:(5/563)):((.. لكن لم يعرف هؤلاء حقيقة ما جاء به الرّسول، وحصل اضطراب في المعقول به؛ فحصل نقص في معرفة السّمع والعقل، وإن كان هذا النّقص هو منتهى قدرة صاحبه لا يقدر على إزالته؛ فالعجز يكون عذرا للإنسان في أنّ الله لا يعذبه إذا اجتهد الاجتهاد التّام، هذا على قول السّلف والأئمة في أنّ من اتقى الله ما استطاع إذا عجز عن معرفة بعض الحقّ لم يعذب به)).

مبحث الإنكار:

إنّنا نجد من العلماء من أنكر نصوصا ثابتة ولم يكفَّر، قال ابن تيمية(المسائل والأجوبة: (1/126)): ((وقد أنكر كثيرٌ من السلف أشياء خالفوا بها السنة، ولم يكفرهم أحدٌ من أئمة الدين، فقد كان غير واحدٍ يكذب بأحاديث ثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم ويغلط رواتها؛ لما ظنه معارضًا لها من ظاهر القرآن (أو أخبر خبرًا) كما أنكرت عائشة عدة أخبارٍ، وأبو بكر وعمر وعلي وزيد وغيرهم بعض الأخبار،

وأنكر غير واحدٍ بعض الآيات التي لم يعلم أنها من القرآن)).
فليس إذًا مجرد الإنكار أو الإنكار ابتداءً يُكفّر لأجله المسلم حتّى ينظر في سبب إنكاره كأن يظنّ مخالفة ظاهر القرآن أو تلقّى علما وشبهة ممّن علّمه كما قال ابن تيمية" أو أُخبر خبرا"، بل الأدهى أنّه ذكر من أنكر بعض آيات القرآن وأظنُّه يقصد ابن مسعود ومعلوم أنّ القرآن نقل إلينا نقلا متواترا(؟)
وهذا النّقل نَفهم منه أن من قيّدَ العذر بالجهل بزمن النّبي صلّى الله عليه وسلَّم لعدم استقرار الأحكام فقولُه ضعيفٌ ذلك أنّ الصّحابة الّذين وقع منهم هذا الإنكار إنّما وقع منهم بعد استقرار أحكام الشّريعة أي بعد وفاة النّبي صلّى الله عليه وسلَّم كما سأبيِّنه بأمثلة عن عمر في موضعه.
وهذا يدل عليه صنيع الصّحابة والخلفاء الرّاشدين في قصّة الصّحابة الّذين استحلُّوا شرب الخمر فإنّهم سُئلوا عن السّبب ولم يكفّروا لمجرّد الاستحلال مع علمهم بتحريم الخمر ذلك أنّ هذه الاعتقادات كالإنكار والاستحلال لها ابتداءٌ ولها انتهاءٌ،فالاستحلال هو اعتقاد أنّ الله لم يحرّمها؛ تارة بعدم اعتقاد أنّ الله حرمها، وهذا يكون لخلل في الإيمان بالرّسالة، ويكون جَحدا محضا غير مبني على مقدّمة، وتارة يعلم أن الله حرّمها ويعلم أنّ الرّسول صلَّى الله عليه وسلَّم إنّما حرّم ما حرّمه الله، ثم يمتنع عن التزام هذا التّحريم ويعاند المحرم، فهذا أشدُّ كُفرا ممّن قبله.
ومسألة الاستحلال فصَّلها فقهاء السّنة في باب "إبطال الحيل"، وكان من أقوى أدلّة البخاري رحمه الله أنّه ذكر حديث:"إنمّا الأعمال بالنّيات"، أيّ أنّ هذا الأمرَ يتوقفُ على النّية و القصد، وهذا دليل في غاية القوة قد فصَّله ابن القيم وابن تيمية في "إبطال الحيل"، فإنّ الإنسان المستحلّ للشّيء إن كان السّبب الّذي دعاه إلى ذلك قصدَ به مقصودا يجامع حقيقته كان تأويلا سائغا، بخلاف إن قصد مقصودا ينافي حقيقة الشّيء وينافي مقصوده الأصليّ، فهذا الاستحلال لا يَحِلُّ بحال.
((والفرق بين المستحلّ والعاصيّ هو أنّ العاصي يعتقد وجوب ذلك الفعل عليه، ويحبّ أن يفعله، لكن الشّهوة والنُّفرة منعته من الموافقة، فقد أتى من الإيمان بالتّصديق والخضوع والانقياد، وذلك قول وقول، لكن لم يكمل العمل))(الصارم: (ص:522)).
قال ابن تيمية(الرّد على البكري: (380/1)): ((ولهذا لما استحلّ طائفة من الصّحابة

والتّابعين كقدامة بن مظعون وأصحابه شرب الخمر، وظنّوا أنّها تُباح لمن عمل صالحا، على ما فهموه من آية المائدة، اتّفق علماء الصّحابة كعمرو وعليّ وغيرهما على أنّهم يُستتابون فإن أصرّوا على الاستحلال كفروا وإن أقرّوا جلدوا، فلم يكفروهم بالاستحلال ابتداء لأجل الشّبهة الّتي عَرضت لهم حتّى يتبيّن لهم الحقّ، فإن أصرّوا على الجحود كَفروا)).

فهذا أصلٌ في تعامل الصّحابة مع الاستحلال، يفرِّقون بين الاستحلال ابتداء والاستحلال انتهاء، فحتيّ الاستحلال قد يكون لشبهة أو لجهل،وكذلك الإنكار والإعراض، والجحود، فهذه المسائل تدور بين الجهل والعناد، والجهل لا يُوجب التّكفير بخلاف العناد،قال شيخ الإسلام في مسألة الصّلاة(شرح العمدة: (1/51)):((فمن جحد وجوبها بجهله عرف ذلك،وأن جحدها عنادا كَفَر.

هذا أصلٌ مضطرد في مباني الإسلام الخمسة وفي الأحكام الظّاهرة المجمع عليها من مكلّف أن كان الجاحد لذلك معذورا مثل أن يكون حديث عهد بالإسلام، أوقد نشأ ببادية هي مظنّة الجهل بذلك لم يكفر حتّى يعرف أنّ هذا دينُ الإسلام لأنّ أحكام الكفر والتّأديب، لا تثبت إلاّ بعد بلوغ الرّسالة لاسيما فيما لا يعلم بمجرّد العقل)).

ومسألة"مظنّة الجهل" و"النّشوء في بادية" سأشرح فيما بعد معناها فإنّ تصوُّرَ كثير من النّاس لها خاطئٌ، لأنّه يسبق إلى تصوّرهم البُعد الجُغرافي وليس البُعدُ العلميّ، والمقصود من كلام ابن تيمية البُعدُ العِلميّ أي: حيث لا يتوفّر علم أو لا يصل النّاس كأن يَعيشوا في بيئاتٍ غيرِ سُنيةٍ، ولو كانوا في مُدُن عامرة.

الاشتباه في مسألة التّقصير في طلب العلم:منجزة

فرَّق بعض العلماء للعذر بالجهل بين من كان في دار الإسلام ومن كان في دار الكفر،وهو تقسيم وإن كان صحيحا في زمن ما فإنه تغيَّر في الأزمان المتأخرة،ذلك أنّ في كثير من ديار الإسلام العلم الصّحيح غير منتشر ولا شائع، وقد يجد المسلم اليوم في أوروبا أو يلتقي بمن يعلمه الصّواب، ولا يكون متوفّرا له في دار الإسلام حيث البدع غالبة .

فإن كان المعتبر في التّفريق بين دار الإسلام ودار الكفر هو انتشار الخطاب الشّرعي الصّحيح فالأولى أن نفرّق بين دار العلم ودار الجهل، بين دار السّنة ودار البدعة، ،

هذا هو التّفريق الصّحيح لأنّه يدور مع علّة التّفريق الأوّل أي:وجود العلم والتَّمكُّن منه.
والجهل قد يكون في بعض الصّور كالضّروريّ للعاميّ الّذي لا يملك وسائل رفعه عن نفسه فيكون عدم عذره بالجهل لأنّه مقصِرٌ في طلب العلم كتكليف مالا يُطاق بحيث أنّنا نكلّفه عَرض أقوال شيوخه أو ما تلقّاه عن والديه على أدلّة الكتاب والسّنة أو المقارنة بينها وبين علماء ليسوا في ظنّه كذلك والتّرجيح بينها، ولا نفرِّق بين النّاشئ في بيئة سنية والنّاشئ في بيئة بدعيّة عما يوجب استقامة التلقّي لا يكون فيها لعلماء السّنة كبير رونق، فنكلّفه فهم ما لا يفهم من الأقوال ؟
فَمَنْ بَعُدت أهليّته بهذه المثابة يكون لومه على التّقصير في طلب الحقّ من قسم تكليف ما لايطاق.ذكر أحمد الحكمي(غمز عيون البصائر في شرح الأشباه والنّظائر:(3/304)) مسألة فقال:
((وَفِي خِزَانَةِ الْأَكْمَلِ رُوِيَ أَنَّ امْرَأَةً فِي زَمَنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ قِيلَ لَهَا: إنَّ اللَّهَ يُعَذِّبُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَالَتْ: لَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِهِمْ ذَلِكَ فَإِنَّهُمْ عِبَادُهُ فَسُئِلَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ:مَا كَفَرَتْ فَإِنَّهَا جَاهِلَةٌ،فَعَلَّمُوهَا حَتَّى عَلِمَتْ)).
ذلك أنّ كلّ عاقل - كما قال العلماء - لا يُقْدِم على فعل أو يحجم عنه إلاّ لاعتقاده نفعا أو دفعا،والاعتقاد لا يكون إلاّ عن علم أو ظن،والعلم لا يكون إلاّ عن دليل،والظّن لا يكون إلاّ عن أَمارة،والعقول - خاصة عقول العوام - مجبولة على أن لا تَقبَل قولاً من الأقوال إلاّ لظنّ صدقه أو العلم به، ولا ترده إلاّ لظن كذبه أو العلم بكذبه،وظنّها صدق القول أو كذبه أو العلم بهما يتوقّف على الدّليل والأمارة، ولهذا كان قول من لم يعذر بالجهل ضعيفا موافقا لكلام السّابقين(المتقدّمين) في اللّفظ مخالفا لهم في المعنى،حيث لم يفرِّق بين الجهل البسيط والجهل المركب،وظنّ أنّ العوام الّذين يستغيثون بالقبور يفعلون هذا من تلقاء أنفسهم وتشهيًّا،وغفل عن كونهم أصحاب جهل مركّب لأنهّم تلقّوا مقالات علميّة باطلة ظنّوها صدقا أو علما، وظنّوا أنّ المخبر بها صادق أو عالم.
فمن فهم هذه المسألة انحلّت عنه شبهات القضية.
وإذا جاز أن يَعلم بعضُ النّاس دليلا يجهله غيرهم لتفاوت النّاس في العلم كان المتَّعلِّقُ بعدم الدّليل متعلقا بالجهل، والجهل لا يكون حجّة على أحد بل يكون عذرا له في الامتناع عن الحكم.

وعندما يقول بعض العلماء: لا يعذر بالجهل إلاّ في زمن النّبي صلَّى الله عليه وسلَّم لأنّ الأحكام لم تكن مستقرّة آنذاك و يؤوّلون الأحاديث الّتي وردت في العذر بالجهل؟ نقول لهم: هذا التّعليل مجمل ذلك أنّنا نجد من جهل الحكم الشّرعي وقد استقرّ حكمه قبل وفاة النبي صلَّى الله عليه وسلَّم وبعد وفاته، ككثير من الأحكام الّتي أنكرها بعض الصّحابة حتّى أُبلِغُوا بها ولم يغيّروا رأيهم،كما هو قول ابن عباس في المُتعة .

ونعرف اختلاف الصّحابة في الجدِّ و الإخوة، ونقول: إذا اختلف الصّحابة لا نخرج عن أقاويلهم، وننظر إلى أقرب القولين إلى الكتاب والسّنة، وكلّ اختلافاتهم كانت بعد أن استقرّت أحكام الشّريعة، ومع ذلك عُذر المخطئ منهم.

وقد ضَرَبَ شيخُ الإسلام على ذلك عدّة أمثلة منها:

1-مَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي(صَحِيحِهِ) عَنْ قتادة،عَنْ عكرمة قَالَ: " ((صَلَّيْتُ خَلْفَ شَيْخٍ بِمَكَّةَ فَكَبَّرَ اثْنَيْنِ وَعِشْرِينَ تَكْبِيرَةً،فَقُلْتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ: إنَّهُ لَأَحْمَقُ،فَقَالَ: ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ،سُنَّةُ أَبِي الْقَاسِمِ صلَّى الله عليه وسلَّم)).

وَفِي رِوَايَةِ أبي بشر عَنْ عكرمة قَالَ: ((رَأَيْتُ رَجُلًا عِنْدَ الْمَقَامِ يُكَبِّرُ فِي كُلِّ خَفْضٍ وَرَفْعٍ،وَإِذَا قَامَ وَإِذَا وَضَعَ،فَأَخْبَرْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ فَقَالَ: أَوَ لَيْس تِلْكَ صَلَاةَ رَسُولِ اللَّهِ صلَّى الله عليه وسلَّم لَا أُمَّ لَكَ؟)).

فهذا عكرمة جهل حكم الجهر بعد التّكبير وأنكره بعد استقرار الأحكام (؟)

2-لَمَّا سُئِلَ أَبُو بَكْرٍ عَنْ مِيرَاثِ الْجَدَّةِ قَالَ: ((مَالَكِ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ،وَمَا عَلِمْت لَكِ فِي سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صلَّى الله عليه وسلَّم مِنْ شَيْءٍ،وَلَكِنْ اسْأَلْ النَّاسَ،فَسَأَلَهُمْ. فَقَامَ الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ وَمُحَمَّدُ بْنُ مسلمة{فَشَهِدَا أَنَّ النَّبِيَّ صلَّى الله عليه وسلَّم أَعْطَاهَا السُّدُسَ))وَقَدْ بَلَّغَ هَذِهِ السُّنَّةَ عِمْرَانُ بْنُ حُصَيْنٍأَيْضًا.

3-وَكَذَلِكَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ سُنَّةَ الِاسْتِئْذَانِ حَتَّى أَخْبَرَهُ بِهَا أَبُو مُوسَى الْأَشْعرِيُّ وَاسْتَشْهَدَ بِالْأَنْصَارِ. وَعُمَرُ أَعْلَمُ مِمَّنْ حَدَّثَهُ بِهَذِهِ السُّنَّةِ.

4-وَلَمْ يَكُنْ عُمَرُ أَيْضًا يَعْلَمُ أَنَّ الْمَرْأَةَ تَرِثُ مِنْ دِيَةِ زَوْجِهَا،بَلْ يَرَى: أَنَّ الدِّيَةَ لِلْعَاقِلَةِ،حَتَّى كَتَبَ إلَيْهِ الضَّحَّاكُ بْنُ سُفْيَانَ –وَهُوَ أَمِيرٌ لِرَسُولِ اللَّهِ صلَّى الله عليه وسلَّم عَلَى بَعْضِ الْبَوَادِي- يُخْبِرُهُ((أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلَّى الله عليه وسلَّم وَرَّثَ امْرَأَةَ أَشْيَمَ الضَّبَابِيِّ مِنْ دِيَةِ زَوْجِهَا))فَتَرَكَ رَأْيَهُ لِذَلِكَ،وَقَالَ: ((لَوْ لَمْ نَسْمَعْ بِهَذَا لَقَضَيْنَا بِخِلَافِهِ)).

5-وَلَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ حُكْمَ الْمَجُوسِ فِي الْجِزْيَةِ،حَتَّى أَخْبَرَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ أَنَّ

رَسُولَ اللَّهِ صلَّى الله عليه وسلَّم قَالَ: ((سَنُّوا بِهِمْ سُنَّةَ أَهْلِ الْكِتَابِ)) .
6-وَلَمَّا قَدِمَ سَرْغ وَبَلَغَهُ أَنَّ الطَّاعُونَ بِالشَّامِ،اسْتَشَارَ الْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ الّذين مَعَهُ،ثُمَّ الْأَنْصَارَ،ثُمَّ مُسْلِمَةَ الْفَتْحِ،فَأَشَارَ كُلٌّ عَلَيْهِ بِمَا رَأَى،وَلَمْ يُخْبِرْهُ أَحَدٌ بِسُنَّةٍ،حَتَّى قَدِمَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ فَأَخْبَرَهُ بِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صلَّى الله عليه وسلَّم فِي الطَّاعُونِ،وَأَنَّهُ قَالَ: ((إِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا،فَلَا تَخْرُجُوا فِرَارًا مِنْهُ،وَإِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بِأَرْضٍ فَلَا تَقْدَمُوا عَلَيْهِ))
7-وَتَذَاكَرَ هُوَ وَ ابْنُ عَبَّاسٍ} أَمْرَ الّذي يَشُكُّ فِي صَلَاتِهِ،فَلَمْ يَكُنْ قَدْ بَلَغَتْهُ السُّنَّةُ فِي ذَلِكَ،حَتَّى قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ عَنْ النَّبِيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم: ((أَنَّهُ يَطْرَحُ الشَّكَّ،وَيَبْنِي عَلَى مَا اسْتَيْقَنَ)).
فإن قالوا: لم تكن النّصوص قد جُمعت بعد إلاّ في طبقة البخاري ؟
قلنا: عدم العلم ببعض المسائل كان قبل جمع النّصوص وبعد جمعها، فكيف بحال العوام، فحجّة استقرار الأحكام عديمة التّأثير في صاحب الجهل المركّب ضرورة.
وقد وجد من العلماء من فاتته بعض الأحكام قرونا بعد استقرار الشريعة،وقد يقاس و يقال: هذه كلها في الأحكام؟
،قلنا: لأنهم فهموا التوحيد أكثر من غيرهم بحكم سليقتهم و معايشتهم للنبي صلى الله عليه و سلم.

التمكن من العلم

مسألة الظُّهور العلميّ، والتَّمكُّن من العلم، وحصول العلم:
الإمكان العلمي:
يجب أن نفرّق بين قول أحدهم: "هذا لم يتواتر عندي فلا تقوم به حجة" فهذا خطأ يردّ عليه، لأنّه يردّ طريقا علميّا صحيحا، ونقول له: اسمع كما سمعنا يحصل لك علم ما حصل لنا، وبين عدم عذره بالجهل بالمسألة المعيّنة فنحن نفرّق هنا بين حصول العلم والشّعور به، وبين قيام الحجة، فقوله :" هذا لم يتواتر عندي فلا تقوم به حجة" إنكار لطريق علمي صحيح لم يشعر به ولم يحصل له علمه لإعراضه عنه بسبب شبهات منطقيّة وعقلية تلقاها ونشأ عليها فنُلزِمُه بصحّة هذا الطّريق كخطوة أولى ضروريّة لإقامة الحجّة عليه بالنّص المنقول بهذا الطّريق.

والخلاصة أنّنا عندما نُعمل قاعدة التّمكن من العلم يجب أن نفهم الآلية المعرفيّة العقليّة في بناء العلم وحصوله في النّفس، فهذه المسائل الشّرعية تكون حجّة أي تصلح لإقامة الحجّة إذا كان الإنسان متمكّنا من العلم بها فإنّه قد يحول بينه وبينها شبهات نشأ عليها كأولئك من أئمة الجهميّة الصّوفية الّذين أنكروا الاستواء على العرش أو استغاثوا بمقبور ولم يكفّرهم ابن تيمية.

نعم العبرة في حجّة الله هو إمكان معرفتها، والإمكان يلزم منه أن تكون في متناول الإنسان الاطّلاع عليها أي في متناول قدرته العلميّة والذّهنيّة ،ومثل العاميّ لا يكلف بها لأنّها ليست في مقدوره، فهو يتلقّى المسائل بالتّقليد، وكذلك العالم قد لا تكون من مقدوره بسبب حوائل من الشّبهات والمذاهب المحدثة كما حصل لكثير من الفضلاء الّذين كانوا أصحاب شريعة، مقبلين على الكتاب والسّنة، لكن حال بينهم وبين إثبات النّص أو معرفة دلالاته شبهات تلقّوها وظنّوها صحيحة، فإن كان متمكّنا منها، وأعرض عنها وتولّى فقد حقّ عليه العذاب لكن يجب أن ننظر في حال هذا التّولي هل سببه شبهةٌ ممكنةٌ محتملةٌ كتولي المتكلّمين عن إثبات كثير من النّصوص بسبب طاغوت التأويل والحقيقة والمجاز والظّاهر والمراد، وبين الإعراض الكلي وهو الإعراض عن الكتاب والسّنة .

فهذا ما لم يفهمه بعض إخواننا من كلام ابن تيمية في مسألة التّمكن العلميّ وراحوا ينكرون العذر بالجهل في الاستغاثة بالمقبور بناءً على الظّهور العلميّ لها في الشّريعة، والتّمكن من العلم بها.

شبهة التّفريق بين المأمورات والمنهيات في العذر بالجهل:منجز

قال الزّركشي(المنثور في القواعد الفقهية: (2/20)):((الجهل والنّسيان يعذر بهما في حقّ الله تعالى المنهيات دون المأمورات والأصل فيه (حديث) «معاوية بن الحكم،لما تكلّم في الصّلاة ولم يُؤمَر بالإعادة لجهله بالنّهي»،وحديث«يعلى بن أميّة حيث أمره النّبي صلّى الله عليه وسلّم بِنَزْع الجُبّة عن المُحرم ولم يأمره بالفدية لجهله»، (واحتج (به) (الإمام) الشّافعي>على أن من وطئ في الإحرام جاهلا أو ناسيا،فلا فدية عليه.)).

قال شيخ الإسلام(منهاج السّنة: (5/204)):((لكن الّذي يعرف أنه إذا لم يكن يعرف

أن هذا واجب أو منهي عنه فإنه يثاب على ما فعله. قال الله تعالى: فمن يعمل مثقال ذرّة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره[سورة الزّلزلة: 7 - 8])).
فالجهل لا يفرق بين الأمر والنّهي، وما النّهي في الحقيقة إلاّ نوع من أنواع الأمر،فالأوّل:أمر بالفعل، والثّاني:أمر بالتّرك،وقد فصَّله شيخ الإسلام تفصيلا وافيا في (مجموع الفتاوى) فما وجه التفريق (؟!)

حل شبهات في شرط التوحيد

قول بعضهم: ((ثم إن قلتُم بأنّ من وقع بالشّرك الأكبر يُعذر بالجهل ولا يُكفّر، فإنّا لنقول: هل كان هذا الرّجل قبل ذلكم على الإسلام أم على الكفر؟، فهنا من البديهي أن تقولوا أنّه كان على الكفر إذ إنّكم تحكمون بإسلامه مع شركه وتعذرونه بالجهل!فيبقى أنّكم تقولون بإسلامه من الأصل!، فهنا نقول: هل حقّق الرجل من الأصل شرط العلم بـ لا إله إلاّ الله - أصل الدّين وعماده- بحيث علم معناها ومقتضاها واعتقد ما تدلّ عليه أم لا؟!؛قال تعالى:َفاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ،وقال تعالى:إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ؟إن قلتُم: نعم!قلنا:فكيف عذرتموه بالجهل وقد سبق علمه بعدم جواز الشّرك من جهة؟))
قلت :
1- " بحيث علم معناها و مقتضاها..." عند من (؟)
2- من أين لكم أنّه قد سبق علمه بعدم جواز الشّرك (؟)
فما هو من الشّرك عندكم ليس هو من الشّرك عنده(؟)،كما ما هو من التّوحيد عندكم كإثبات الأسماء والصّفات، هو عنده من التّجسيم(؟)
وما هو عندكم من التّعطيل،هو عنده من التّنزيه ،فبأيّ علم تحكم عليه،علمُك أم علمُه(؟)
ولكي يجوز لك الحكم عليه بعلمِك يجب أن تقيم به الحجّة عليه .
فهذا سؤال مغلوط مبني على فرض مغلوط، إذ لو كان يعلم بأنّه شرك لما فعله،فهو يتقرّب إلى الله بهذا العمل راجيا حصول الإجابة،ولو علم أنّها شرك يعذب الله عليه فكيف يتوسّل إليه بما حرّمه ويعذب عليه(؟!)
ننسب للناس ما ليس فيهم؟

فأنت تتصوّر شيئا،وتلزمه به،أو تجعل المقدمة ما قام في علمك،والنّتيجة على ما قام في علمه(؟!)، وهذا قياس مركب من مقدمة صحيحة بالنّسبة إليك، باطلة بالنّسبة إليه، وهذا مشكل كثير ممن لا يعذر بالجهل يكفِّرون النّاس بما قام في علمهم هم، وهذا مخالف لأصل أهل السّنة في الأسماء والأحكام.

3- ثمّ هو أتى من الإسلام بما بلغه، وعرف من كلمة التّوحيد ما لُقِّن له، فكيف نطالبه بالمحال،وهو ما لم يشعر بوجوده(؟!)،وعندما تكلّمت عن تعريف التّوحيد عند الأشاعرة والصّوفية أشرتُ إلى هذا.ومن جهة أخرى هو مثل من ذكرهم حديث حذيفة.

4- وهذا العلم بالتّوحيد الكامل الّذي تلزمه به غير موجود عند كلّ طوائف الأمّة إلاّ بعض السّلفيين فالأولى تكفير الكلّ، خاصّة العلماء منهم، قبل تكفير العوام، وإلزامهم بما ليس من عِلمهم.

المقلد (المسكين) والمعلوم من الدّين بالضّرورة:

عندما يقال: ((ما علم بالضّرورة من الإسلام فإنّه لا يعذر فيه بالجهل)) (؟!)

نقول:

1- ما الدّليل على هذا القول من الشّريعة فقد علمنا أنّ المعلوم بالضّرورة الدّينية إنّما حصل عن ظهور كونه من الدّين، ظهور اشترك في معرفة كونه من الدّين الخاصّة والعامّة، فالمعلوم من الدّين بالضّرورة متوقّف على العلم من الدّين، أي لا يحتاج إلى نظر واستدلال بحيث استوى في معرفته العامّ والخاصّ،وقد رأينا عشرات المسائل من هذا الصّنف يعرفها العلماء معرفة يقينية ولا يعرفها العوام.

فأولا علم العامّة يتغيّر لأنّ واجبات الدّين تَنْدَرِسُ، إمّا في الزّمان وإمّا في المكان، فصار المعلوم من الديّن بالضّرورة متغيّرا من طبقة إلى طبقة، ومن مكان إلى مكان.

2-إذا كان واجبا ما معلوما من الدّين بالضّرورة بالنّسبة لرجل، غير معلوم لآخر فتوقيف التّكفير بالنّسبة للأوّل حتّى يعلمه الثّاني باطل في الدّين، إذ هو تعليق الأحكام العينيّة على علم غيره وقدرته.

ونحن نعلم أنّ من الدّين ما عُلِم وجوبه بالضّرورة، وما علم وجوبه بالتّواتر، فما علم بالتّواتر العامّ أي نَقْلُ الكافّة عن الكافّة هو المعلوم من الدّين بالضّرورة، وما علم

بالتّواتر عند أهل العلم هو التّواتر الخاصّ، فهو من المعلوم من الدّين بالضّرورة عند أهل العلم.
قال ابن تيمية(درء تعارض العقل مع النّقل: (27/7)): ((والأمور المعلومة بالضّرورة عند السّلف والأئمّة وعلماء الدّين، قد لا تكون معلومة لبعض النّاس، إمّا لإعراضه عن سماع ما في ذلك من المنقول، فيكون حين انصرافه عن الاستماع والتّدبّر غير مُحَصِّل لشرط العلم، بل يكون ذلك الامتناع مانعا له من حصول العلم بذلك، كمن يعرض عن رؤية الهلال فلا يراه مع أنّ رؤيته ممكنة لكلّ من نظر إليه، وكما يحصل لمن لا يصغي إلى استماع كلام غيره وتدبرّه، لا سيما إذا قام عنده اعتقاد أنّ الرّسول لا يقول مثل ذلك، فيبقى قلبه غير متدبّر ولا متأمّل لما به يحصل له هذا العلم الضّروري)).
3- كيف يكون من المعلوم من الدّين بالضّرورة وهو مخالف لما عليه جمهور عريض من المسلمين من من كل الطوائف كمسائل التّوحيد العمليّ مثل "الاستغاثة"، هذا تناقض شديد (؟!)
4- هذه مجموعة نقول عن شيخ الإسلام ابن تيمية تؤكّد التّفصيلات الّتي بسطتها في مقال"العذر بالجهل" فيما يخصّ عدم مؤاخذة العوام المقلّدين بالبدع العمليّة والعقدية،أي عذرهم بالجهل،وعدم تكفيرهم،الّتي أصَّلها لهم من يحسبونه عالما وشيخا عارفا بما لا يدع مجالا للشّك.
قال(مجموع الفتاوى:(10/371و372)) رحمه الله: ((وإنّما المقصود هنا: أنّ ما ثبت قبحه من البدع وغير البدع من المنهي عنه في الكتاب والسّنة أو المخالف للكتاب والسّنة إذا صدر عن شخص من الأشخاص فقد يكون على وجه يعذر فيه؛ إمّا لاجتهاد أو تقليد يعذر فيه، وإمّا لعدم قدرته)).
فهذا عذر بسبب الاجتهاد بالنّسبة للعلماء، وبالتّقليد بالنّسبة للعوام أوّلا وللعلماء ثانية،فإنّ العالم قد يضطر إلى التّقليد لأسباب كثيرة.
ولعلّ أخطر مسائل الضّلالة عقيدة وحدة الوجود،فإنّ كثيرا من المسلمين يحسنون الظنّ تقليدا لبعض العلماء بمحي الدّين بن عربي ويعتبرونه وليّا صالحا يقول(مجموع الفتاوى: (2/367)):((.. وأمّا الجُهّال الّذين يحسنون الظنّ بقول هؤلاء ولا يفهمونه، ويعتقدون أنّه من جنس كلام المشايخ العارفين، الّذين يتكلّمون بكلام صحيح لا يفهمه

كثير من النّاس؛ فهؤلاء تجد فيهم إسلاما وإيمانا، ومتابعة للكتاب والسّنة ؛ بحسب إيمانهم التّقليدي ..)).

((ولهذا تجد كثيرا من عوام أهل الدّين والخير والعبادة ينشد قصيدة ابن الفارض ، ويتواجد عليها ويعظمها، ظانّا أنّها من كلام أهل التّوحيد والمعرفة، وهو لا يعلم مراد قائلها، وكذلك كلام هؤلاء يسمعه طوائف من المشهورين بالعلم والدّين، فلا يفهمون حقيقته)).

فلا تجد في كلام العلماء المحقّقين هذا القيد " المعلوم من الدّين بالضّرورة" لسبق علمهم أنّه متغيّر وأنّ العوام يقلّدون في دينهم بعض العلماء والشّيوخ فلا تكون المسائل بالنّسبة لهم من هذا القسم.

العجز عن معرفة الحقّ يتناول بعض المؤصلين للبدع الاعتقادية:

قال شيخ الإسلام(مجموع الفتاوى:(5/563)) رحمه الله:((.. لكن لم يعرف هؤلاء حقيقة ما جاء به الرّسول، وحصل اضطراب في المعقول به؛ فحصل نقص في معرفة السّمع والعقل، وإن كان هذا النّقص هو منتهى قدرة صاحبه لا يقدر على إزالته؛ فالعجز يكون عذرا للإنسان في أنّ الله لا يعذبه إذا اجتهد الاجتهاد التّام، هذا على قول السّلف والأئمة في أنّ من اتقى الله ما استطاع إذا عجز عن معرفة بعض الحقّ لم يعذب به)).

وقال: ((وأمّا من قال من الجهمية ونحوهم[القرافي]: إنّه قد يعذب العاجزين، ومن قال من المعتزلة ونحوهم من القدرية: إنّ كلّ مجتهد فإنّه لا بدّ أن يعرف الحقّ، وإنّ من لم يعرفه فلتفريطه، لا لعجزه، فهما قولان ضعيفان، وبسببهما صارت الطّوائف المختلفة من أهل القبلة يُكَفِّر بعضهم بعضا، ويلعن بعضهم بعضا)).

فانظر رحمك الله إلى المذهبين الفاسدين،مذهب من يجيز تعذيب العاجز،ومذهب ايجاب معرفة الحق على كل مجتهد،و أن عدم معرفته بالحق فلتفريطه و ليس لعجزه،وهذا حقيقة قول من لا يعذر بالجهل وهو ما ترى مذهب المعتزلة.

كنت قد ذكرت في مقالي "العذر بالجهل" شرط عدم المعرفة،وهذا ما يؤكده - مرّة أخرى - هذا النقل:

قال ابن تيمية(مجموع الفتاوى: (5/484)): ((وقلّ طائفة من المتأخرين إلاّ وقع في كلامها نوع غلط لكثرة ما وقع من شُبَه أهل البدع، ولهذا يوجد في كثير من

المُصنَّفات في أصول الفقه وأصول الدّين والفقه والزّهد والتّفسير والحديث من يذكر في الأصل العظيم عدّة أقوال ويحكي من مقالات النّاس ألوانا، والقول الّذي بعث الله به رسوله لا يذكره لعدم علمه به لا لكراهته لما عليه الرسول)).
وقال أيضا(المرجع نفسه:(4/15)): ((.. فإنّ مخالفة المسلم الصّحيح الإيمان النّصَ إنمّا يكون لعدم علمه به، أو لاعتقاده صحة ما عارضه..)).
وكذلك قال مبيّنا أنّ بعض الصّالحين قد يتلقّون مقالات باطلة يظنّها حقا بسبب الشّبهات(المرجع السّابق: (3/355)):((الثّالث: أنّهم يُخالفون ما اتّفقت عليه الملل كلّها وأهل الفطر السّليمة كلّها؛ لكن مع هذا قد يَخْفَي كثير من مقالاتهم على كثير من أهل الإيمان حتّى يظنّ أنّ الحقّ معهم؛ لما يوردونه من الشّبهات، ويكون أولئك المؤمنون مؤمنين بالله ورسوله باطنا وظاهرا؛ وإنمّا التبس عليهم واشتبه هذا كما التبس على غيرهم من أصناف المبتدعة ..)).
وقال أيضا(مجموع الفتاوى: (19/191)):((.. وكثير من مجتهدي السّلف والخلف قد قالوا وفعلوا ما هو بدعة، ولم يعلموا أنّه بدعة، إمّا لأحاديث ضعيفة ظنّوها صحيحة، وإمّا لآيات فهموا منها ما لم يرد منها، وإمّا لرأي رأوه، وفي المسألة نصوص لم تبلغهم، وإذا اتّقى الرّجلُ ربَّه ما استطاع دخل في قوله تعالى : ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا، وفي الصّحيح أنّ الله قال: "قد فعلت")) .
وأمّا عن اعتبار الفرق بين الأزمنة والأمكنة وبين البيئة السّنية والبيئة البدعية،واستواء علماء البدعة مع علماء السّنة في نظر كثير من المسلمين في هذه البيئات البدعية فقال(مجموع الفتاوى: (3/239)):((ومع هذا فقد يكثر أهل الأهواء في بعض الأمكنة والأزمنة؛ حتّى يصير بسبب كثرة كلامهم مكافئا ـ عند الجهّال ـ لكلام أهل العلم والسّنة؛ حتّى يَشتبه الأمر على من يتولّى أمر هؤلاء؛ فيحتاج حينئذ إلى من يقوم بإظهار حجّة الله وتبيينها؛ حتّى تكون العقوبة بعد الحجّة .. وإلاّ فالعقوبة قبل الحجّة ليست مشروعة)).
وفي الحقيقة هذا مذهب علماء السّنة خاصّة الإمام أحمد،قال ابن مفلح(الفروع: (6/154)): (.. وقال شيخنا(ابن تيمية) : نصوصه(أحمد) صريحة على عدم كفر الخوارج والقدرية والمرجئة وغيرهم وإنمّا كفَّر الجهمية لا أعيانهم، قال: وطائفة تحكي عنه روايتين في تكفير أهل البدع مطلقا، حتّى المرجئة والشّيعة المفضلّة لعلي

قال: ومذاهب الأئمة أحمد وغيره مبنيّة على التّفصيل بين النّوع والعين)) .
وخلاصة هذا التّحقيق أنّه لا يوجد قيد صحيح، فكلّها يمكن الاعتراض عليها بسهولة إلاّ قيد العلم والجهل،وقيد قصد السّوء لا فساد التّصور.
أنواع الضّرورة العلميّة:
عندما يقول أحدهم: من خالف أو أنكر المعلوم من الدّين بالضّرورة كفر(؟)
نقول له: هذا اعتقاد المتكلمين الذين جعلوا المعلوم من الدين بالضرورة جامدا، لا يتفاوت بين شخص و آخر،وقد سبق وبيَّنت أنّ المعلوم من الدّين بالضّرورة نسبيّ يتفاوت بحسب الأزمنة والأمكنة.
ثم لنسأل: هذا المعلوم من الدين بالضرورة الذي كفَّرنا به هو كذلك عند مَن(؟)، عند العاميّ الجاهل أم عند العالم الّذي كفَّره به(؟!)
فهل الاستغاثة بالمقبور من المعلوم من الدّين بالضّرورة عند العالم (؟) وأيّ عالم (؟) أم عند العاميّ العامل بها(؟)
فهنا قد افترض المُكفِّر له أنه قد علم حرمته (الاستغاثة بالمقبور)بالضرورة ثم خالفه، فمن أين له هذا العلم(؟)ولا يمكن له أن يجزم بهذا إلا أن يقيم عليه الحجة (؟!)
وكيف أُكفِّر الجاهل باعتقادي (أنا) التحريم،لا باعتقاده هو(؟!)
أم هناك المعلوم من الدين بالضرورة عند العلماء، والمعلوم من الدين بالضرورة عند العامة، ويشاركهم فيه العلماء،وهذا الأخير ليس كتلة واحدة جامدة مستوية عند جميع الناس، فلو كانت هذه المسائل من المعلوم من الدّين بالضّرورة لما فعله هذا العاميّ الجاهل .
ونكت المسألة الّتي لم ينتبه إليها بعض الأفاضل:
1-أنّ المعلوم من الدّين بالضّرورة الّذي ينبني على إنكاره التّكفير هو علم المعيّن به،لا علم الحاكم عليه أو علم العلماء.
2-المعلوم من الدّين بالضّرورة قد دخل عليه التّأويل ممّا غيَّر صوّرته كما هو في كثير من المسائل الّتي كانت عند السّلف كذلك ثمّ دخلها التّأويل عند العلماء كأكثر المسائل الّتي خالفوا فيها القرآن والسّنة وحتّى الإجماع.
كذلك يجب التّفريق بين المعلوم من الدّين بالضّرورة الشّرعية، والمعلوم بالضّرورة الفطريّة البديهيّة، والمعلوم بالضّرورة العقليّة، والمعلوم بالضّرورة من اللّغة.

ونحن نعرف أنّ المعلوم بالضّرورة من الدّين متوقّف على العلم بالدّين، فمن له إلمام بالعلم ليس كمن ليس مثله، فأهل الحديث والسّنة أعلم من غيرهم بما جاء به الرّسول، فعلمهم بالمعلوم من الدّين بالضّرورة أعظم وأكبر من علم غيرهم، وهذه إحدى حجج أهل السّنة في مبحث الآحاد وإفادته العلم والعمل إذا احتفت به القرائن، وهنا يغلط بعض النّاس في تحديد القرائن، فإنّ المقصود بالقرائن عدالة الرّواة وثقتهم وتلقّي أهل العلم له، فأهل العلم بالحديث عندهم يقين بأشياء من الدّين، قد تكون وردت بخبر الواحد، بسبب ما يحصل لهم من قرائن تتولّد لهم من معرفتهم بأحواله وكلامه صلَّى الله عليه وسلَّم، فاليقين لا يُكتَسب من مجرّد عدد المخبرين ولكن منه ومن احتفاء القرائن وظهور صدق الخبر وغير ذلك.

ولو كان الحكم على أهل العلم متوقّفا على علم العامة لكان الدّين هو الّذي تعرفه العامّة، وكلّ ما لا تعرفه العامّة ليس من الدّين المُنَزِّل، وقد كنت بيّنت في مناسبات سابقة أنّ الدّين ثلاثة أنواع:

دينٌ مُنَزَّل ودين مُؤَوَّل ودين مُبَدَّل، وما تعلمُه العامّة قد يكون من هذا كما قد يكون من ذاك، والحجّة في الدّين المُنَزَّل فقط.

فهذا احتجاج ضعيفٌ لا تدل عليه أصول الشّريعة ولا واقع النّاس، فإذا ثبت تغيُّر المعلوم من الدّين بالضّرورة كَمًّا ونَوعاً لزم تغيُّر الحكم الموقوف عليه.

والتّكفير في الإسلام موقوف على توفر شروط وانتفاء موانع، فقد كان السّلف مُطبِقين على تكفير من أنكر بعض المسائل، لأنّها كانت عندهم من المعلوم بالاضطرار من الدّين.

قال ابن تيمية(درء تعارض العقل مع النّقل: (27/7)):((والأمور المعلومة بالضّرورة عند السّلف والأئمة وعلماء الدّين، قد لا تكون معلومة لبعض النّاس، إمّا لإعراضه عن سماع ما في ذلك من المنقول، فيكون حين انصرافه عن الاستماع والتّدبّر غير محصل لشرط العلم، بل يكون ذلك الامتناع مانعا له من حصول العلم بذلك، كمن يعرض عن رؤية الهلال فلا يراه مع أنّ رؤيته ممكنة لكل من نظر إليه، وكما يحصل لمن لا يصغي إلى استماع كلام غيره وتدبّره، لا سيما إذا قام عنده اعتقاد أنّ الرّسول لا يقول مثل ذلك، فيبقى قلبُه غيرُ مُتدبّر ولا مُتأمِّل لما به يحصل له هذا العلم الضّروري)).

ونحن إذا نظرنا في مقالات بعض الفرق وجدنا منهم من أنكر وقعة الجمل وصفين ونحوهما من الوقائع المشهورة المتواترة.
بل مِنَ المنسوبين إلى العلم لا يعلمون مغازي الرّسول صلَّى الله عليه وسلَّم وترتيبها، ولا يعلمون كم صام رمضان وكم حج واعتمر، ولا كم صلّى إلى بيت المقدس بعد هجرته، وفي أيّة سنة فُرض رمضان، فقد يجهل الواحد منّا ما هو من الأمور المعلومة بالتّواتر عند أهل العلم.
فأكثر المعتزلة ومن سلك سبيلهم لا يعرفون في الرّؤية إلاّ حديث جرير بن عبد الله البجلي:((إنكم سترون ربكم)).
وأهل العلم بالحديث يعلمون أحاديث الرّؤية المتواترة أعظم من غيرها، وعددها في الصّحيحين أكثر من عدد أحاديث الشّفعة والطلاق والفرائض وسجود السّهو والمسح على الخفّين وتحريم المرأة على عمّتها وخالتها.
بل أكثر علماء الكلام لا يعرفون أقوال السّلف في أصول الدّين، وفي معاني القرآن، فمنهم من يظن أنّ السّلف لم يتكلّموا في هذه الأبواب أو أن مذهبهم تفويض المعنى.
فكيف تجعلها من المعلوم من الدّين بالضّرورة عندهم (؟!) ومن هنا نفهم سبب عدم تكفير أهل السّنة لهم.
فالسّؤال الوجيه في هذه المسألة أن نقول:أي معلوم من الدّين بالضّرورة نوقف على إنكاره التّكفير، المعلوم منه في وقت الصّحابة والتّابعين(؟)، أم في وقت عمر بن عبد العزيز وقد وجدنا في عهده من يجهل حرمة الخمر(؟) أم في المائة الرّابعة والخامسة والسّابعة حيث لم تكن الاستغاثة بالمقبور من المعلوم من الدّين بالضّرورة بالنّسبة لأولئك الّذين لم يكفّرهم ابن تيمية بها (؟)، أم في هذه الأزمان المتأخّرة؟
وقد أخبر الرّسول صلَّى الله عليه وسلَّم في عدة أحاديث عن اندراس الإسلام، كما في حديث الغُربة، وحديث حذيفة بن اليمان، فرجع الأمر حتما إلى شرط العلم وقيام الحجة، وهو شرط يختلف من بلد للآخر ومن شخص للآخر، وقد كان من المعلوم من الدّين بالضّرورة عند الصّحابة أنّ من يُسبُّ الرّسول يُقتل، ثم جاء علماء بعد ذلك وقالوا: لا يقتل، ووضعوا شروطا أخرى بسبب التّأويلات المذهبية،وشبه الإرجاء.
وهذا نص كلام ابن تيمية الفاصل في المسألة(درء تعارض العقل مع النّقل: (28/7)):((وبالجملة فما من صنف من الواجبات المعلومة بالضّرورة من الدّين إلاّ

وتطرّق التّأويل إلى نصوصه، كما تطرّق إلى نصوص العلو والصّفات)).
وربّما أحسن مثال على ذلك ـ وهو مّما ينطبق على من حصر التّكفير في المعلوم من الدّين بالضّرورة ـ أدلة وجود الله أو دليل الرّبوبية، فنحن نعلم أنّ دليل وجود الله فطري بديهي، يشعر به الإنسان قبل أن يشعر بغيره، فهو دليل مغروس في فطرته، ومع ذلك لمّا فسدت فطرة المتكلمين بسبب المباحث الكلامية، وغفلوا عن الأدلة القرآنية راحوا يبحثون عن أدلة عقلية يثبتون بها وجود الله، ولو سألتهم وسألت غيرهم: أيُعقل في ذهنك أن تجد مفعولا لا فاعل له؟لأجابوك بالنّفي كلّهم، ومع ذلك اجتهدوا في تحصيل الحاصل، وتوضيح الواضح مع علمهم بامتناع التّسلسل في الفاعلين إلى ما لا نهاية.
فواجبات الإسلام متى ظهرت لأحد ظهورا بيّنا صارت معلومة له بالضّرورة، وقد لا تظهر للآخر، وإذا ظهرت للكافة بهذه الطريقة بحيث صاروا لا يحتاجون لمعرفة كونها من الدين إلى نظر واستدلال صارت معلومة من الدّين بالضّرورة.
وقد يتوفّر ذلك لطائفة دون طائفة، فالمعلوم من الدّين بالضّرورة عند أهل السّنة والجماعة يختلف عنه عند المعتزلة، ويختلف عنه عند الأشاعرة، بل الشّيعة وغيرهم.
فمن المعلوم من الدّين بالضّرورة عند عوام أهل السّنة وخاصتهم أنّ أصحاب النّبي صلّى الله عليه وسلّم أفضل الأمّة وأبرّها وأصدقها، بينما عند الشّيعة الأمر غير ذلك، فتبيَّن أنّ المعلوم من الدّين بالضّرورة يختلف من طائفة إلى طائفة، ويمكن أن تجد عشرات الأمثلة.
فنحن نعرف معرفة يقينية بعد معرفة ما جاء به الرّسول صلّى الله عليه وسلّم، بحيث نعلم بالضّرورة من دينه أنّه لم يشرع لأمّته أن تدعوا أحدا من الأموات، لا الأنبياء،ولا الصالحين،ولا غيرهم، لا بلفظ الاستغاثة، ولا بلفظ الاستعاذة، ولم يُشَرِّع لأمّته السّجود لميّت، أو لحي، ولا الركوع له، كما نعلم بالضّرورة أنّه نهى عن كلّ هذه الأمور، وأنّ ذلك من الشّرك الّذي حرّمه الله، ولكن لغلبة الجهل، وقلّة العلم بآثار الرّسالة في كثير من المتأخرين، لم يمكن تكفيرهم بذلك حتّى يبيّن لهم ما جاء به الرّسول مما يخالفه)).
والفقهاء الّذين جعلوا من المعلوم من الدّين بالضّرورة الصّلاة والزّكاة والحج وصوم رمضان وتحريم الخمر والزِّنا والرِّبا وغيرها، إذا جاؤوا إلى بعض البلاد وجدوا أنّ

من النّاس من يعلم بالضّرورة من الدّين أنّ الصّلاة من الإسلام، ولكنّه لا يعرف أنـهّا من أركانه وواجباته، وغير ذلك.

فيجب أن نفرق بين المعلوم من الدّين بالضّرورة عند أهل السّنة وهو الموافق للحقيقة الشّرعية والمعلوم من الدّين بالضّرورة عند غيرهم مما دخل عليه التّأويل.

وهؤلاء الّذين يحصرون التّكفير في المعلوم من الدّين بالضّرورة، يقولون في كتبهم: إنّ العلم بإثبات الصّانع وتصديق الرّسول موقوف على نظرية الجواهر والأعراض، وهم بذلك قد خالفوا المعلوم من دين الإسلام بالضّرورة، فإنّه من المعلوم بالاضطرار أن الرّسول صلَّى الله عليه وسلَّم والصّحابة والتّابعين ما دعوا أحدا من النّاس إلى الإقرار بالخالق وبرسله بهذه الطّريق، ولا استدلّوا على أحد بهذه الحجّة، ولا سلكوا هم في معرفتهم هذه الطّريق.

ونحن إذا عدنا إلى القرآن والسّنة وجدنا التّكفير أنواعا منه: معارضة الرّسول استكبارا أو إعراضا أو جحودا، فحصر التّكفير في الجحود وحده، ليس مما دلّ عليه القرآن والسّنة بتاتا، وإنّما هو من أقوال المرجئة الّتي قد يقول بها من ليس مرجئا بسبب شبهة أو تأويل.

و قد كفَّر السّلف الجهمية وهم يقولون بكثير من المقالات الّتي لا تعرف العامّة مغزاها،ولا معناها، فمن بلغه أمر الشّارع أو نهيه المقتضي للتّكفير بطريقة متواترة ظاهرة، وفعل ما يُوجِب تكفيره مع انتفاء الموانع كفر، قال ابن تيمية(المجموع: (54/20)):((قد تقرّر من مذهب أهل السّنة والجماعة ما دل عليه الكتاب والسّنة أنّهم لا يكفرون أحدا من أهل القبلة بذنب، ولا يخرجونه من الإسلام بعمل إذا كان فعلا منهيا عنه مثل: الزّنا والسرقة وشرب الخمر، مالم يتضمّن ترك الإيمان، وأمّا إن تضمن ترك ما أمر الله بالإيمان به مثل: الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت فإنّه يكفر به، وكذلك يكفر بعدم اعتقاد وجوب الواجبات الظّاهرة المتواترة، وعدم تحريم المحرّمات الظّاهرة المتواترة.

فإن قلت: فالذّنوب تنقسم إلى: ترك مأمور وفعل منهى عنه.

قلت: لكنّ المأمور به إذا تركه العبد، فإمّا أن يكون مُؤمِنا بوجوبه أو لا يكون، فإنْ كان مؤمنا بوجوبه تاركا لأدائه فلم يترك الواجب كله، بل أدّى بعضه وهو الإيمان به، وترك بعضه وهو العمل به، وكذلك المحرّم إذا فعله، فإمّا أن يكون مؤمنا بتحريمه،

أولا يكون، فإن كان مؤمنا بتحريمه فاعلا له فقد جمع بين أداء واجب وفعل محرّم، فصار له حسنة وسيئة، والكلام إنّما هو فيما يُعذر بترك الإيمان بوجوبه وتحريمه من الأمور المتواترة، وأمّا من لم يَعتقد ذلك فيما فعله أو تركه بتأويل أو جهل يعذر به، فالكلام في تركه هذا الاعتقاد كالكلام فيما فعله أو تركه بتأويل أو جهل يعذر به)).

الخلاصة:

التّكفير متعلق بالواجبات والمحرّمات الظّاهرة المتواترة، فإن سُمِّيت المعلوم من الدّين بالضّرورة فلا بأس بذلك، ولكن ظهور هذه الواجبات ظهورا متواترا يختلف من شخص للآخر، فالأمر موقوف على شرط العلم وبلوغ الحجّة، فإنّ العلم يختلف من شخص لآخر، ومن زمن لآخر، ولكنّ المهمّ في كلّ هذا هو الكلام في ترك الإيمان بها، لا في تركها أو فعلها، ومع بلوغ الحجّة فقد يُعذر بالتّأويل، فالشّرائع إنمّا تلزم بعد العلم.

وقد ثبت أنّ المعلوم من الدّين بالضّرورة يختلف من حيث الزّمان والمكان، ومن حيث نوعه، والإسلام معرض لاندراس بنص الشّارع، وعند اندراس العلم تَبطُل هذه الحجّة، فعندما يصير المعلوم من الدّين بالضّرورة في زمن من الأزمان هو شهادة لا إله إلا الله فقط، وبطريقة تقليدية يصير التّكفير في إنكار هذا المعلوم من الدّين بالضّرورة، وإن كانت واجبات الإسلام الظّاهرة المتواترة في يوم من الأيام من المعلوم من الدّين بالضّرورة، ولكنّها في هذا الزّمن الّذي أخبر عنه الرّسول في حديث حذيفة لم تصر منه، وهذا دليل قويّ على تغيّر المعلوم من الدّين بالضّرورة فرجع الأمر في النّهاية إلى بلوغ الحجة والسّلامة من التّأويل.

وقد ثبت عن أبي الدّرداء أنّه عاد لبيته غاضبا وهو يقول:((ما أعرف من هذه الأمّة من أمر دينها إلا الصلاة))[مسند الشّاميين (221/2)وفي "الآحاد والمثاني"(237/4)]عن أنس من حديث الزّهري: ((والله ما أنتم على شيء ممّا كانوا عليه إلاّ الصّلاة)).

وثبت عن أنس أنّه قال:((إنّكم لتعملون أعمالا هي أدقّ في أعينكم من الشّعر كنّا لنعدها على عهد النّبي صلَّى الله عليه وسلَّم من الموبقات))["صحيح البخاري"(2381/5 رقم:6127)].

و قال النّبي صلَّى الله عليه وسلَّم إخبارا عن الأمراء والحكام: ((تعرف منهم وتنكر)).

وعليه فإنّ التّكفير منوط بقاعدة التّكفير والتّفسيق والتّبديع والتّحريم المبنيّة أساسا على توفر الشّروط وانتفاء الموانع، فمن توفر فيه شرط التّكفير كبلوغ الحجّة إليه، وانتفت الموانع كشبهة أو تأويل سائغ وجب تكفيره وإلاّ لم يجز، و الله أعلم.

حقيقة النواقض

قول بعضهم:((ومن جهة أخرى نقول بأنّه أتى بما ينقضه على الرّغم من علمه!،فكيف أبقيتم أو أثبتُم إسلامه وقد نقضه!))

قلتُ :

1- من أين لك أنه "ناقضه على الرّغم بعلمه "(؟) هل امتحنتموه،وفتّشتم اعتقاده،أم جادلتموه بعلم ودفعتم ما يدرأ مراد الله ورسوله ويقاومه (؟)

فأين الدّليل على أنّه كان عالما بحكم الفعل عند مباشرته وخالفه(؟)

2- وهل تجد في مقالي كلمة واحدة عن الّذي علم حُرمة الاستغاثة بالمقبور، وأنّها كفر ثم عَذرتُه بالجهل(؟!)

لا تفترض قضايا لم يقل بها أحد ثمّ تُلزم بها !

3- هو ناقض إسلامك أنت،وليس إسلامه هو، ففي إسلامه الاستغاثة بالمقبور ليست شركا،بل من صالح الأعمال لأنّه يعتقد جواز الاستشفاع بموتى الصّالحين.

قول بعضهم:((ونقض الشّيء يعني إفساده كما نقول: نقض البناء ونقض العهد ونقض وضوءه!؛فهل يبقى البناء بناء وقد تم نقضه سواء كان عالما بنقضه له أو جاهلا؟!))

قلتُ:

1-قولك هذا لم يقل به أحد،لأنّك لا تُفرِّق بين الصّورة في ذهنك أو الصّورة كما هي في الواقع أو الحقيقة وبين الصّورة في ذهن النّاس،وهذا خلل عظيم في فهم عقيدة أهل السّنة في الأسماء والأحكام.

2-وممّا يدلّ على وهن كلامك، وشدّة ضعفه وفساده أنّه بمجرّد قلبه يصبح كارثة، فكلّ من قال قولا أو عمل عملا هو كفر في الشّريعة وعند السّلف فقد ناقض الإسلام (البناء) ونقضه سواء علم بذلك (تعمد!!!) أو لم يعلم(اجتهد،قلد) فهل يبقى البناء بناء،وقد تم نقضه (كما قلتم!!)

فمن أين لكن عذر المتكلمين الّذين أنكروا الصّفات، وأنكروا القدر، واعتقدوا أنّ

القرآن مخلوق،والّذين قالوا بالاتّحاد كالهروي لأنّ من لوازم العلم بالشّهادة تمييز القديم عن المحُدَث كما قال الجنيد(؟!).
فعلى قولكم يلزمكم تكفيرهم،فإن قلتم: تأوّلوا،لم يعلموا(؟)
قلنا: البناء انتقص،سواء تأولوا أو لم يعلموا على قاعدتكم،فمن أين لكم أنّ هؤلاء العوام لم يتأوّلوا أو يقلّدوا من تأوَّل،أو لم يعلموا (؟!)
3 ـ فلو كانت هذه القاعدة العجيبة الجديدة " سواء كان عالما بنقضه له أو جاهلا" صحيحة للزم تكفير كلّ من وقع في الكفر قولا أو عملا بدون إقامة حجّة واستتابة، ويصبح قولنا: " انتفاء الموانع وتوفّر الشّروط " لغوا وخلطا من القول (؟!)
ولأصبح شرط العلم في التّكليف المعتبر في كتاب الله وسنّة نبيّه صلَّى الله عليه وسلَّم زائدا لا محلّ له (؟!)
4 ـ وهؤلاء الّذين عذرهم الإمام أحمد من الجهمية، ولم يكفرهم،قال ابن مفلح(الفروع: (6/154)): (.. وقال شيخنا[ابن تيمية]: نصوصه[أحمد] صريحة على عدم كفر الخوارج والقدرية والمرجئة وغيرهم وإنمّا كفَّر الجهمية لا أعيانهم، قال: وطائفة تحكي عنه روايتين في تكفير أهل البدع مطلقا، حتّى المرجئة والشّيعة المفضّلة لعليّ قال: ومذاهب الأئمة أحمد وغيره مبنية على التّفصيل بين النّوع والعين)) كلّهم نقضوا البناء سواء علموا أو جهلوا (؟؟!)
وكذلك هؤلاء. وقال أيضا مبيِّنا أن بعض الصّالحين قد يتلقّون مقالات باطلة يظنها حقا بسبب الشُّبهات(المرجع السّابق: (3/355)):
((الثّالث: أنّهم يُخالفون ما اتّفقت عليه الملل كلّها وأهل الفطر السّليمة كلّها؛ لكن مع هذا قد يخفي كثير من مقالاتهم على كثير من أهل الإيمان حتّى يظنّ أنّ الحقّ معهم؛ لما يوردونه من الشّبهات، ويكون أولئك المؤمنون مؤمنين بالله ورسوله باطنا وظاهرا؛ وإنّما التبس عليهم واشتبه هذا كما التبس على غيرهم من أصناف المبتدعة.)).خالفوا ما اتّفقت عليه الملل (؟)
وقال(المرجع السّابق: (5/563)) رحمه الله: ((..لكن لم يعرف هؤلاء حقيقة ما جاء به الرّسول، وحصل اضطراب في المعقول به؛ فحصل نقص في معرفة السّمع والعقل، وإن كان هذا النّقص هو منتهى قدرة صاحبه لا يقدر على إزالته؛ فالعجز يكون عذرا للإنسان في أنّ الله لا يُعذِّبه إذا اجتهد الاجتهاد التّام، هذا على قول السّلف

والأئمة في أنّ من اتّقى الله ما استطاع إذا عجز عن معرفة بعض الحقّ لم يُعذَّب به))
..
وقال(مجموع الفتاوى: (2/367)) رحمه الله: ((..وأمّا الجهال الّذين يُحسنون الظّنّ بقول هؤلاء ولا يفهمونه، ويعتقدون أنّه من جنس كلام المشايخ العارفين، الّذين يتكلّمون بكلام صحيح لا يفهمه كثير من النّاس؛ فهؤلاء تجد فيهم إسلاما وإيمانا، ومتابعة للكتاب والسّنة؛ بحسب إيمانهم التقليدي..)).
((ولهذا تجد كثيرا من عوام أهل الدين والخير والعبادة ينشد قصيدة ابن الفارض، ويتواجد عليها ويعظمها، ظانّا أنّها من كلام أهل التّوحيد والمعرفة، وهو لا يعلم مراد قائلها، وكذلك كلام هؤلاء يسمعه طوائف من المشهورين بالعلم والدّين، فلا يفهمون حقيقته)) .
وقال ابن القيم(الطرق الحكمية: (1/255)):((..فأمّا أهل البدع الموافقون لأهل الإسلام، ولكنّهم مخالفون في بعض الأصول - كالرّافضة والقدرية والجهمية وغلاة المرجئة ونحوهم . فهؤلاء أقسام: أحدها: الجاهل المقلّد الّذي لا بَصيرة له، فهذا لا يُكفَّر ولا يُفسَّق))
فأقول: كثير من المسلمين لا يعرفون حقيقة أقوال ابن عربي وأصحاب وحدة الوجود، ويظنّونهم من الصّالحين العارفين، وكيف لا وقد اختلف فيه (ابن عربي) العلماء، فكيف نفعل بهذه القاعدة " سواء كان عالما بنقضه له أو جاهلا" فقد نقضوا البناء حتما (!؟)
وقال(الرّد على البكري:(630/2)) رحمه الله:((لكن لغلبة الجهل وقلّة العلم بآثار الرّسالة في كثير من المتأخرين لم يمكن تكفيرهم بذلك [أي: بدعوة الأموات من الأنبياء والصّالحين وغيرهم لا بلفظ الاستغاثة ولابغيرها ، ولا بلفظ الاستعاذة ولابغيرها ولا بالسّجود لميّت أو إلى ميّت ونحو ذلك] حتى يتبيَّن لهم ما جاء به الرّسول عمّا خالفه"، فلاحظ قوله:" حتّى يتبيَّن لهم" لم يقل" السّمع ممكن لهم)).
((ولهذا كنت أقول للجهميّة من الحلوليّةوالنّفاة الّذين نفوا أن يكون الله تعالى فوق العرش كما وقعت محنتهم:أنا لو وافقتكم كنت كافرا لأنّي أعلم أنّ قولكم كفر، وأنتم عندي لا تكفرون لأنّكم جُهَّال ،وكان هذا خطابنا لعلمائهم وقُضَاتهم وشيوخهم وأمرائهم، وأصل جهلهم شبهاتٌ عقليةٌ حصلت لرؤوسهم في قصور في معرفة

المنقول الصّحيح والمعقول الصّريح الموافق له فكان هذا خطابنا))(الرد على البكري: (381/1).).

قد نقضوا البناء سواء علموا أو جهلوا، فما باله لم يكفرهم،وعذرهم بالجهل(؟)

وقال(مجموع الفتاوى: (3/239)) (.. وكثير من مجتهدي السّلف والخلف قد قالوا وفعلوا ما هو بدعة، ولم يعلموا أنّه بدعة، إمّا لأحاديث ضعيفة ظنّوها صحيحة، وإمّا لآيات فهموا منها ما لم يرد منها، وإمّا لرأي رأوه، وفي المسألة نصوص لم تبلغهم، وإذا اتّقى الرّجلُ ربَّه ما استطاع دخل في قوله تعالى : ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا، وفي الصّحيح أنّ الله قال: "قد فعلت")) .

فمن أنكر آيات من كتاب الله فقد نقض البناء، لأنّ القرآن منقول بالتّواتر،وما ينقض البناء ليس البدعة المكفّرة وحدها بل البدعة المُفَسِّقة كذلك تنقض البناء لأنّها ليست من الإسلام،فكلّ من وقع في بدعة من السّلف والعُلماء فقد نقض البناء أو كسر منه جزءاً، سواء علم أم لم يعلم فكيف عذرناهم (؟!)

ومن أخرج العمل من الإيمان كالأشاعرة فقد نقض البناء فهل كفّرهم أحد الأئمّة بناءً على عقيدتهم في الإيمان (؟)

ومن يفرِّق في العذر بالجهل بين أصول الدّين والأحكام،أو البدع المتوسّطة والخفيفة والبدع الغليظة المكفرّة،من أين له هذا التفريق (؟)أم هو قول المتكلمين لم ينتبه إليه (!!!!)

ثم كيف نفعل مع أخطاء الصحابة ألم تنقض البناء سواء علموا أو لم يعلموا؟

هذا زمن الأطفال يتكلمون في العلم، ومنهم أطفال تجاوزوا الأربعين، هم أطفال في عقولهم.

رحم الله من درس علم الكلام من أهل السنة حرروا عقولنا من ثقل العقول.

حل الشُّبهات في مسألة التّكليف:

قد عرفنا أنّ شرط التّكليف هو العلم والقدرة،لكن ما المقصود بالعلم والقدرة، هل المقصود بلوغ الخطاب أم تمكُّن العباد من فهم ما أُرسل به الرَّسول إليهم؟

ثم كيف يتم التّمكُّن من فهم مراد الرّسول، هل يكون بمجرد التّبليغ أم بأنْ يقع الخطاب بلسان النّاس الّذي يفهمونه ويتمكّنون به من فهم مراد الرّسول(؟)

ونحن نعرف مستوى العوام في اللّغة العربية، ونعرف ما حدث فيها من تحريف دلالتها الشّرعية إلى دلالات غريبة أو شاذة، فاللّغة الّتي خاطب بها النّبي صلَّى الله عليه وسلَّم النّاس أَحدث فيها اللّغويون والنّحويون المعتزلة والمتكلّمة ما جعلها مخالفة للغة الرّسول الّتي أصبحت مقتصرة على طائفة المحدثين،فإن فَهْمَ مراد الرّسول يكون بمعرفة ألفاظه وأهمّ من ذلك معرفة عادته في الكلام، وقد عرفنا مئات المسائل العلميّة في جميع الفنون الّتي خالف فيها المتكلّمون أهل الحديث لغويًّا،وخذ مثالا على ذلك: مسألة تعريف الإيمان عند الأشاعرة ومرجئة الفقهاء الّذين حصروه في التّصديق معتمدين على آية واحدة من القرآن هي قوله تعالى:وما أنت بمؤمن لنا.

فإذا قلنا: تعلم لغة الخطاب الشّرعي أي العربيّة الفصحى في مقدور العباد، ومن لم يمكنه فهم كلام الرَّسول إلاّ بتعلُّم اللّغة الّتي أُرسل بها وجب عليه ذلك،فإنّ ما لا يتمُّ الواجب إلاّ به فهو واجبٌ بخلاف ما لا يتمُّ الوجوب إلاٌ به، فإنّه ليس بواجب.

قلت: لا يكلّف الله نفسا إلاّ وسعها،أي باللّغة العلميّة تفصيلا: ما لايتم الواجب إلاّ به (وكان مقدورا)للمكلّف فهو واجب، ذلك أنّ ما ليس مقدورا عليه لا يكلَّف به العباد وقد يكون مقدورا عليه، ولا يكلّفون به.

وهنا تَبْرُز مسألتان: الأولى: هذا الكلام أو القيد هو في حق العلماء فهم من يحتاج إلى فهم مراد الرّسول فيحتاج إلى تعلُّم لغته، أمّا العوام فليس في مقدورهم تعلم اللّغة العربيّة فضلا عن تعلُّم لغة الرّسول كما يعرفها أهل الحديث والتّفسير،ولذلك يتلقّون الدّين عن العلماء وليس في مقدورهم الأخذ مباشرة من كلام الرّسول، وهذا متّفق عليه، فلزم أن شرط التّكليف مختلف بالنّسبة إليهم عن شرط التّكليف بالنّسبة للعلماء.

ثانيا: العوام الّذين تلقّوا عن شيوخ متكلّمين وطرقيين ومتمذهبين أزهريين وزيتونيين وقرويين هذه البدع الشّركية في التّوحيد العمليّ كالقول بأنّ الله في كلّ مكان، والله في القلب،والأولياء الصّالحين يشفعون للعبد، وقبر فلان تُستَجاب عنده الأدعية قد قاموا بما يلزمهم في شرط التّكليف وهو التّلقي عن العلماء فكيف لا يُعذرون بهذا الجهل الّذي هو جهل مركب (؟)فإن التّمييز بين العلماء ليس في متناول قدرتهم العلميّة إذ يعتمد على مستواهم الثقافي، والبيئة الّتي نشئوا فيها، وأوّل الأقوال الّتي تلقوها،وكثرة النّاس على مذهبهم وغير ذلك من عوامل تجعلهم يقبلون على هذا وليس على ذاك من العلماء.

فعدم عذرهم بالجهل يعني أنّنا نلزمهم طلب وسائل التّمييز بين العلماء الصّادقين المتمكّنين وبين العلماء الضّالين، وهذا تكليف بما لايُطاق، إذ إقبال العوام على العلماء مرجعه العاطفة وليس القدرة العلمية، فمن وثقوا فيه، ومن أحبّوه تلقّوا عنه، ولهذا كان أساس الدّعوة كسبُ ثقة النّاس ومحبّتهم.

وهنا يبرز إشكال ثالث: وهو أنّ بعض العلماء ليسوا ضالّين بل من قسم المخطئين أي جمعوا بين الهدى والعلم بالسُّنَّة وبين قبول بعض البدع كالحافظ ابن حجر فإن تلقّى عنه العاميّ في زمانه مسألة التّوسل وشد الرِّحَال كان صعبا عليه التّمييز بين أنواع العلماء لأنّ الخطّ الفاصل بينهم دقيق جدا،فرجع الأمر إلى بلوغ الحجّة التّامة،وليس إلاّ وجوب طلب العلم في حقّهم.

قال شيخ الإسلام(مجموع الفتاوى: (16/6)):

((فَإِنَّ مَنْ جَحَدَ شَيْئًا مِنْ الشَّرَائِعِ الظَّاهِرَةِ وَكَانَ حَدِيثَ الْعَهْدِ بِالْإِسْلَامِ أَوْ نَاشِئًا بِبَلَدِ جَهْلٍ لَا يَكْفُرُ حَتَّى تَبْلُغَهُ الْحُجَّةُ النَّبَوِيَّةُ. وَكَذَلِكَ الْعَكْسُ إذَا رَأَيْت الْمَقَالَةَ الْمُخْطِئَةَ قَدْ صَدَرَتْ مِنْ إمَامٍ قَدِيمٍ فَاغْتُفِرَتْ؛ لِعَدَمِ بُلُوغِ الْحُجَّةِ لَهُ؛ فَلَا يُغْتَفَرُ لِمَنْ بَلَغَتْهُ الْحُجَّةُ مَا اُغْتُفِرَ لِلْأَوَّلِ فَلِهَذَا يُبَدَّعُ مَنْ بَلَغَتْهُ أَحَادِيثُ عَذَابِ الْقَبْرِ وَنَحْوِهَا إذَا أَنْكَرَ ذَلِكَ وَلَا تُبَدَّعُ عَائِشَةُ وَنَحْوُهَا مِمَّنْ لَمْ يَعْرِفْ بِأَنَّ الْمَوْتَى يَسْمَعُونَ فِي قُبُورِهِمْ؛ فَهَذَا أَصْلٌ عَظِيمٌ فَتَدَبَّرْهُ فَإِنَّهُ نَافِعٌ. وَهُوَ أَنْ يَنْظُرَ فِي " شَيْئَيْنِ فِي الْمَقَالَةِ " هَلْ هِيَ حَقٌّ؟ أَمْ بَاطِلٌ؟ أَمْ تَقْبَلُ التَّقْسِيمَ فَتَكُونُ حَقًّا بِاعْتِبَارِ بَاطِلًا بِاعْتِبَارِ؟ وَهُوَ كَثِيرٌ وَغَالِبٌ؟ . ثُمَّ النَّظَرُ الثَّانِي فِي حُكْمِهِ إثْبَاتًا أَوْ نَفْيًا أَوْ تَفْصِيلًا وَاخْتِلَافِ أَحْوَالِ النَّاسِ فِيهِ فَمَنْ سَلَكَ هَذَا الْمَسْلَكَ أَصَابَ الْحَقَّ قَوْلًا وَعَمَلًا وَعَرَفَ إبْطَالَ الْقَوْلِ وَإِحْقَاقَهُ وَحَمْدَهُ فَهَذَا هَذَا وَاَللَّهُ يَهْدِينَا وَيُرْشِدُنَا إنَّهُ وَلِيُّ ذَلِكَ وَالْقَادِرُ عَلَيْهِ.)).

قلت: فهذه قيود مهمّة ذكرها شيخ الإسلام في فهم سبب التّكفير والتّبديع أو شرطه، ذلك أنّ ما يتلقّاه العوام في التّعبد عن علمائهم يقع ضمن هذه القيود،فيه حقّ وباطل،فكونُ الشّيخ عبد القادر الجيلاني من الصّالحين العارفين حقٌّ،وجوازُ الاستغاثة به باطلٌ،وذكرُ الله حقٌّ،وذكرُه بالمُطْلَقِ أو بِضَمِيرِ الغيبة باطلٌ،وزيارةُ قبر النّبي صلَّى الله عليه وسلَّم حقٌّ، وشدُّ الرّحال لزيارة قبره باطلٌ، ومحبتُه حقٌّ،ووصفُه بأوصاف الألوهية باطلٌ،والأخذُ عمّن خلط حقًّا وباطلاً حقٌّ باعتبار، باطلٌ باعتبار،وهكذا.

وقد يقولون: علماء الصّوفية والأشعرية والطّرقية ليسوا بعلماء (؟)
فنقول لهم: عندما تقول "فلان عالم" فقد وصفته بالعلم،وأطلقت عليه هذا الوصف إطلاقا لا يشكّ العاميّ في حصول ذلك الوصف له على سبيل الكمال، ولذلك تجد العوام يسألون طالب العلم عن كلّ شيء لظنّهم أنّه عالم بكلّ شيء.
لكن عندما تقول: "فلان فوقه في العلم" فهذا الكلام يقتضي أنّ الثاني حاز من العلم أكثر من الأوّل ولا يقتضي أنّ الأول متَّصفٌ بالجهل.
ولاشك أنّ علماء الصّوفية والأشعرية علماء بما ما معهم من علم صحيح بالمسائل المشتركة بيننا كعلمهم بالفقه واللغة والحديث أو أصول الفقه أو التّفسير ـ خاصة ـ عند أتباعهم، فإن استحقوا وصف العلم عند العوام لم يمكن أن نلزم عوامّهم بأنّهم جهال إلاّ في القضايا الخلافية وبالحجة البيّنة.
فإن قلنا لهم: هم وإن كانوا علماء ببعض الفنون فإنّهم في العقائد جُهّالٌ ضالُّون فهذا لا يُلْصِقُ بهم وصف الجهل الّذي يُخرِجهم عن حدِّ العُلماء.
ثم إنّ قوله(ابن تيمية): "فَإِنّ منْ جَحَدَ شَيْئًا منْ الشَّرَائِعِ الظَّاهِرَةِ و كَانَ حدِيثَ الْعَهْدِ بِالْإِسْلَامِ أَوْ نَاشِئًا بِبَلَدِ جَهْلٍ لَا يَكْفُرُ حَتَّى تَبْلُغَهُ الحُجَّةُ النَّبَوِيَّةُ " يجب فهمه على وجهه،فحيث لا يتمكّن العاميّ من العلم بسبب خارج قدرته العلميّة أو البدنيّة فهو بلد جهل بالنّسبة إليه وإن كان حيث يوجد كثير من العلماء.
ومن وُجِدَ في بلدٍ أكثر علمائه طرقيّة أو صوفيّة أو فيهم تصوُّف فهو في بلد علم باعتبار الحق الّذي معهم، وفي بلد جهل باعتبار المقالات الباطلة الّتي يلقّنونها له.
فكون البلد بلدَ جهلِ بالنّسبة للعاميّ لا يعني أدغال الأمازون فإنّ الجهل قد يكون في المكان،وقد يكون في الزّمان.
والتّكليف بالمحال بحثه العلماء حتّى فرَّق بعضهم بين التّكليف بالمحال وتكليف المحال، فقالوا(القواعد والفوائد الأصوليّة لابن اللّحام: (1/90)):((الأوّل ضابطه أني كون الخلل راجعا إلى المأمور به،والثّاني ضابطُه رجوع الخلل إلى المأمور نفسه كتكليف الغافل).
فهل كلّ حكم شرعي في أصول الدّين راجع إلى العاميّ (المأمور به) أم كثير منه راجع إلى المأمور(المسألة العلميّة) الّتي عقدتها الخلافات أو سبب التّاقل عن الآمر أي علماء الضّلالة، وبهذا تفهم أنّ تكليف العوام المعتقدين في علماء أزهريين مثلا

بمعرفة خطئهم وشبهاتهم هو من التّكليف بالمحال.
والّذي يتقرر من هذا التّأصيل والتّفصيل أننا إذا قلنا: "لا يعذر في أصول الدّين بالجهل من قصَّر وفرَّط في تعلّم الحكم" فبقيد هذه الأحوال المختلفة تمييزا بين هذا القول النّظري عند العلماء وبين واقع النّاس الّذي يدلّ عليه العلم المتوفّر لهم وطرق تحصيله أي حقيقة المأمور وحقيقة النّاقل عن الآمر في العلم والصّدق.
فرق بين ثبوت التّكليف قبل التّمكن من سماع الخطاب و قيام الحجة للتّكفير:
قد علمنا أنّ بعض النّاس يكون جاهلا بمسائل من الشّريعة جهلا يعذر به، فلا يحكم بكفر أحد حتّى تقوم عليه الحجَّة من جهة بلاغ الرّسالة،كما قال الله تعالى:لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِوَقَالَ تَعَالَى: وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا.
فجاهل حكم الاستغاثة بالمقبور كفَّرناه بعدم طلبه العلم بها لا بها،وطلب العلم بالنّسبة إليه قد فصَّلته وبيَّنت أنّ من ذكر هذا القيد أراد الجهل البسيط لا الجهل المركب،وقد رأيناهم يعذرون أصحاب الجهل المركّب أرباب المقالات بالاجتهاد والتّأويل وقيام الشُّبهات كما هو معروف لكلّ واحد فكيف لا يعذر العاميّ المقلّد لهم (؟)، فالإجمال في الكلام عن الجهل هو سبب هذه الشُّبهة.
وربما سأعود إلى مسألة "وجوب طلب العلم في مسائل أصول الأحكام"بتقريرات أخرى بعد هذا الفصل.
لكن قبل ذلك يجب أن أقول: هذا العامي المستغيث بالمقبور الّذي كفَّرناه لأنّه لم يطلب العلم بها أي: قصَّر وفرَّط في التّعلم كفَّرناه بمسألة لم يثبت حكم الخطاب في حقّه لأنّه لم يسمع حكمها الصّحيح، وهذه المسألة"ثبوت حكم الخطاب في حقّ المكلّف قبل التّمكُّن من سماعه" اختلف فيها الفقهاء وهي مربط من مرابط مسألة " العذر بالجهل"الّتي لم يقف عندها كثيرون على ثلاثة أقوال، فقيل: يثبت مطلقا،وقيل: لا يثبت مطلقا، وقيل: يفرَّق بين الخطاب النَّاسخ والخطاب المبتدأ؟.
قال ابن تيمية(مجموع الفتاوى: (11/406))((وَالصَّحِيحُ الَّذِي تَدُلُّ عَلَيْهِ الْأَدِلَّةُ الشَّرْعِيَّةُ: أَنَّ الْخِطَابَ لَا يَثْبُتُ فِي حَقِّ أَحَدٍ قَبْلَ التَّمَكُّنِ مِنْ سَمَاعِهِ؛ فَإِنَّ الْقَضَاءَ لَا يَجِبُ عَلَيْهِ فِي الصُّوَرِ الْمَذْكُورَةِ وَنَظَائِرِهَا مَعَ اتِّفَاقِهِمْ عَلَى انْتِفَاءِ الْإِثْمِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ عَفَا لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَنْ الْخَطَأِ وَالنِّسْيَانِ فَإِذَا كَانَ هَذَا فِي التَّأْثِيمِ فَكَيْفَ فِي التَّكْفِيرِ وَكَثِيرٌ مِنْ النَّاسِ قَدْ يَنْشَأُ فِي الْأَمْكِنَةِ وَالْأَزْمِنَةِ الَّذِي يَنْدَرِسُ فِيهَا كَثِيرٌ مِنْ عُلُومِ النُّبُوَّاتِ حَتَّى لَا

يَبْقَى مَنْ يُبَلِّغُ مَا بَعَثَ اللَّهُ بِهِ رَسُولَهُ مِنْ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ فَلَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا يَبْعَثُ اللَّهُ بِهِ رَسُولَهُ وَلَا يَكُونُ هُنَاكَ مَنْ يُبَلِّغُهُ ذَلِكَ وَمِثْلُ هَذَا لَا يَكْفُرُ؛ وَلِهَذَا اتَّفَقَ الْأَئِمَّةُ عَلَى أَنَّ مَنْ نَشَأَ بِبَادِيَةٍ بَعِيدَةٍ عَنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ وَكَانَ حَدِيثَ الْعَهْدِ بِالْإِسْلَامِ فَأَنْكَرَ شَيْئًا مِنْ هَذِهِ الْأَحْكَامِ الظَّاهِرَةِ الْمُتَوَاتِرَةِ فَإِنَّهُ لَا يُحْكَمُ بِكُفْرِهِ حَتَّى يَعْرِفَ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ؛
وَلِهَذَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ {يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لَا يَعْرِفُونَ فِيهِ صَلَاةً وَلَا زَكَاةً وَلَا صَوْمًا وَلَا حَجًّا إلَّا الشَّيْخُ الْكَبِيرُ وَالْعَجُوزُ الْكَبِيرَةُ يَقُولُ أَدْرَكْنَا آبَاءَنَا وَهُمْ يَقُولُونَ: لَا إلَهَ إلَّا اللَّهُ وَهُمْ لَا يَدْرُونَ صَلَاةً وَلَا زَكَاةً وَلَا حَجًّا. فَقَالَ: وَلَا صَوْمَ يُنْجِيهِمْ مِنْ النَّارِ))
ثم استدلَّ للمسألة بحديث "الّذي أمر أهله بتحريقه".

والّذي يهمُّني من هذا النّقل قوله:" فَإِذَا كَانَ هَذَا فِي التَّأْثِيمِ فَكَيْفَ فِي التَّكْفِيرِ" فإنّ فيه ردّاً قويّاً على من فرَّق بين أصول الدّين والأحكام،فجعل طرق العلم إلى أصول الدّين غير طرق العلم إلى الأحكام،ففرَّق بين المتماثلين، لأنّ هذا النّقل يُوَضِح بصراحة أنّ الأصول المقرّرة في العذر بالجهل في الأحكام أصول الدّين أولى بها، وهو ما أفاده قوله:"فإذا كان هذا ....".

وقوله: "حَتَّى لَا يَبْقَى مَنْ يُبَلِّغُ مَا بَعَثَ اللَّهُ بِهِ رَسُولَهُ مِنْ الْكِتَابِو َالْحِكْمَةِ فَلَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا يَبْعَثُ اللَّهُ بِهِ رَسُولَهُ وَلَا يَكُونُ هُنَا كَمَنْ يُبَلِّغُهُ ذَلِكَ وَمِثْلُهَ ذَا لَا يَكْفُرُ" يجب أن نفهمه على وجهه ذلك أنّ بعض العلماء يتكلّمون عن مسائل مُحْدَثة لم تكن عند السّلف ويستشهدون بها على نصوص لم تسمها وإن ذكرت مثيلاتها،فالمسلم المستغيث بالمقبور الّذي نشأ في بيئة صوفية طرقية أشعرية مثله مثل من نشأ في البادية لا يعلم كثيرا مما بعث به الله رسوله على القول الحق الصّواب فيه، فهو لم يتلق إلاّ القولَ الباطلَ والآخر (البدوي)لم يسمع قولا أصلا فهما سيّان في عدم التّمكن من سماع الخطاب الشّرعيّ فكيف يثبت في حق هذا،ولا يثبت في حقّ الآخر(؟!)

فإن قيل: بل يوجد من يبلّغه هذه الأحكام؟.

قلنا: قد حال بينه وبينهم ما حال بين المتكلّمين وعلماء الصّوفية من الشّبهات،ولم يكلفه الشّارع معرفة تاريخ التّشريع، ومنازل العلماء، وأصول المذاهب، ورد الشّبهات،والتّرجيح بين الأقوال،فإن لم يصله العلم بالحكم الشّرعي الصّحيح فالتّقصير في العلماء لا فيه،فكان الأولى تكفير من علمه هذه الشّركيات أو أباحها له،وهذا لا يستقيم كما بيّنته سابقا بأدلّة كثيرة.

وقد تأوّل بعضُ العلماء حديثَ مُنكِر قُدرةِ الله فقال شيخ الإسلام رحمه الله:
((وَمَنْ تَأَوَّلَ قَوْلَهُ: لَئِنْ قَدَرَ اللَّهُ عَلَيَّ بِمَعْنَى قَضَى أَوْ بِمَعْنَى ضَيَّقَ فَقَدْ أَبْعَدَ النُّجْعَةَ وَحَرَّفَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ فَإِنَّهُ إنَّمَا أَمَرَ بِتَحْرِيقِهِ وَتَفْرِيقِهِ لِئَلَّا يُجْمَعَ وَيُعَادَ. وَقَالَ: إذَا أَنَا مُتّ فَأَحْرِقُونِي ثُمَّ اسْحَقُونِي ثُمَّ ذرونى فِي الرِّيحِ فِي الْبَحْرِ فَوَاَللَّهِ لَئِنْ قَدَرَ عَلَيَّ رَبِّي لَيُعَذِّبَنِّي عَذَابًا مَا عَذَّبَهُ أَحَدًا. فَذَكَرَ هَذِهِ الْجُمْلَةَ الثَّانِيَةَ بِحَرْفِ الْفَاءِ عَقِيبَ الْأُولَى يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ سَبَبٌ لَهَا وَأَنَّهُ فَعَلَ ذَلِكَ لِئَلَّا يَقْدِرَ اللَّهُ عَلَيْهِ إذَا فَعَلَ ذَلِكَ فَلَوْ كَانَ مُقِرًّا بِقُدْرَةِ اللَّهِ عَلَيْهِ إذَا فَعَلَ ذَلِكَ كَقُدْرَتِهِ عَلَيْهِ إذَا لَمْ يَفْعَلْ لَمْ يَكُنْ فِي ذَلِكَ فَائِدَةٌ لَهُ؛ وَلِأَنَّ التَّقْدِيرَ عَلَيْهِ وَالتَّضْيِيقَ مُوَافِقَانِ لِلتَّعْذِيبِ وَهُوَ قَدْ جَعَلَ تَفْرِيقَهُ مُغَايِرًا لِأَنْ يَقْدِرَ الرَّبُّ. قَالَ: فَوَاَللَّهِ لَئِنْ قَدَرَ اللَّهُ عَلَيَّ لَيُعَذِّبَنِّي عَذَابًا مَا عَذَّبَهُ أَحَدًا مِنْ الْعَالَمِينَ. فَلَا يَكُونُ الشَّرْطُ هُوَ الْجَزَاءُ؛ وَلِأَنَّهُ لَوْ كَانَ مُرَادُهُ ذَلِكَ لَقَالَ: فَوَاَللَّهِ لَئِنْ جَازَانِي رَبِّي أَوْ لَئِنْ عَاقَبَنِي رَبِّي لَيُعَذِّبَنِّي عَذَابًا كَمَا هُوَ الْخِطَابُ الْمَعْرُوفُ فِي مِثْلِ ذَلِكَ)).11/410
والخلاصة أنّ عدم وصول الخطاب،أو وصوله مشوّها مؤوّلا بفعل أخطاء العلماء وشُبهاتهم يكون عذرا في ترك ما ثبت بخطاب الشّرع.

حل شبهات التكفيير حول حديث حذيفة

قال بعضهم: ((حديث حذيفة بن اليمان إنمّا يدلّ على أنّهم جهلوا أركان الإسلام،لا ركن الشّهادة،أي: لم يجهلوا أصل التّوحيد؟)) (؟!).
فنقول: الجواب على هذا الاستشكال يتضمّن مسألتين متفرّعتين إلى مسائل:
الأولى: هل فعلا تفيد عبارات النّص وسياقه واستشهاد أهل السّنة به أنّهم لم يجهلوا أصل التّوحيد أو حقيقة التّوحيد (؟)
الثّاني: ما هو أصل التّوحيد(؟) ،هل نقصد: أصل الإيمان (؟) أم يدخل في أصل التّوحيد أمور أخرى(؟).
الجواب عن المسألة الأولى:
1 ـ عبارة النّص تفيد أنّهم يجهلون حقيقة التّوحيد، وعلى ذلك مجموعة قرائن منها:
أ ـ قالوا: (أدركنا آباءنا يقولون لا إله إلا الله) وهذا يفيد أنّهم تلقّوها بالتّقليد فإنّ إرجاع قولها إلى إدراك ما عليه الآباء لا يدلّ على العلم بحقيقتها،لأنّ العالِم بها يُجِيب جوابا آخر غير هذا، فمن يعلم حقيقتها تصير بديهيّة عنده،وجوابهم هذا يفيد تقليد الآباء،

خاصّة وأنّ سياق النّص يدلّ على ذلك، فإنّهم يجهلون أركان الإسلام، وحتى كلمة التّوحيد انحصرت في الشّيوخ والعجائز.
كما جاء في أثر عن عيسى عليه السلام أخرجه ابن المنذر عن عبد العزيز بن أبي رواد أن عيسى سأل قوما عن جبل فقالوا: "ما لنا به علم كذلك أدركنا آباءنا".
وليس المقصود الاستشهاد بهذا الأثر، ولكن بيان لغته في عبارة "أدركنا آباءنا".
كذلك ما جاء في قصة خروج عمر بن الخطاب إلى الشّام والطّاعون به،فاستشار النّاس فقالوا له: ((أَدْرَكْنَا آبَاءَنَا،يَقُولُونَ: هَذَا الْوَجَعُ،قَالَ عُمَرُ: يُصْبِحُ النَّاسُ عَلَى ظَهْرٍ،وَلا يَدْرُونَ أَيْنَ نَتَوَجَّهُ)).
فعبارة"أدركنا آباءنا" تدل على التّقليد،ولذلك أعقبوها:
ب ـ بقولهم كما في لفظ ابن ماجة الصّحيح (فَنَحْنُ نَقُولُهَا)، ومعلوم أنّ ترتيب الجواب بحرف"الفاء" يدل على التّعليل،أي: نحن نقولها لأنّنا أدركنا آباءنا يقولونها،لا أنّنا نعرف حقيقتها، فرتّبوا قولهم لها على إدراكهم آبائهم يقولونها،وقد قال العلماء: الفاء للعطف، وموجبه التّعقيب بصفة الوصل فيثبت به ترتيب،وقد اختصَّ حرف الفاء بالجزاء لأنّ الجزاء يتصل بالشّرط على أن يعقب نزوله وجود الشّرط بلا فصل.
وكذلك يستعمل حرف الفاء لعطف الحكم على العلّة فيقال: جاءت الحرب فاستعدْ، جاء رمضان فتُبْ.
وعلى هذا الحديث الصّحيح: ((لن يَجْزِي ولد وَالِده إِلَّا أَن يجده مَمْلُوكا فيشتريه فيعتقه[أَي:بذلك الشِّرَاء])).
وحتّى عند إفادته العطف في هذا الحديث، أي: نقولها كما قالها آباؤنا، فإنّ المعطوف غير المعطوف عليه لدلالة حرف الفاء على التّعليل.
ج ـ لفظ الحديث عند ابن ماجة يفيد هذا الفهم(أخرج ابن ماجة (4049)،والحاكم(4/ 473 و 545)،والخطيب في(تاريخه)،والبيهقي كما في(الدر)(4/ 364)صحّحه الحاكم على شرط مسلم،وسكت عنه الذّهبي في الروايةالأولى،ووافقه في الرّواية الثّانية،وقال البوصيري في(الزّوائد): إسناده صحيح،رجاله ثقات؛وهو في(صحيح ابن ماجة)(3273).):((قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلَّى الله عليه وسلَّم: يَدْرُسُ الْإِسْلَامُ كَمَا يَدْرُسُ وَشْيُ الثَّوْبِ،حَتَّى لَا يُدْرَى مَا صِيَامٌ،وَلَاصَلَاةٌ،وَلَانُسُكٌ،وَلَاصَدَقَةٌ،وَلَيُسْرَى عَلَى كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي لَيْلَةٍ،فَلَا يَبْقَى فِي الْأَرْضِ مِنْهُ آيَةٌ،وَتَبْقَى طَوَائِفُ مِنَ النَّاسِ الشَّيْخُ

الْكَبِيرُ و الْعَجُوزُ،يَقُولُونَ: أَدْرَكْنَا آبَاءَنَا عَلَى هَذِهِ الْكَلِمَةِ،لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ،فَنَحْنُ نَقُولُهَا " فَقَالَ لَهُ صِلَةُ: مَا تُغْنِي عَنْهُمْ: لَا إِلَه إِلَّا اللَّهُ،وَهُمْ لَا يَدْرُونَ مَا صَلَاةٌ،وَلَا صِيَامٌ،وَلَا نُسُكٌ،وَلَا صَدَقَةٌ؟فَأَعْرَضَ عَنْهُ حُذَيْفَةُ،ثُمَّ رَدَّهَا عَلَيْهِ ثَلَاثًا،كُلَّ ذَلِكَ يُعْرِضُ عَنْهُ حُذَيْفَةُ،ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِ فِي الثَّالِثَةِ،فَقَالَ: «يَا صِلَةُ،تُنْجِيهِمْ مِنَ النَّارِ»ثَلَاثًا))

فأفاد بهذا اللفظ أنّ الشّيوخ والعجائز هم من يقول"أدركنا آباءنا"،والفرق بين الشّيوخ والعجائز وغيرهم من كهول وشبّان هو الزّمن، أي: العمر، أي: بحكم كبر سنهم تذكرّوا أنّ آباءهم كانوا يقولونها، وهذا مُنَافٍ للعلم بحقيقتها، فكان تعليلهم: إدراك الآباء لا العلم بحقيقتها، فمن يعلم حقيقتها يربطها بدليلها، ومن يقلّد فيها يربطها بمن يقلد، وهذا واضح.

كما أخبر أنّه لا تبقى من القرآن آية، ممَّا يعني زوال العلم، فإذا لم يبق علم بالقرآن كيف يبقى العلم بحقيقتها.

نعم يجب أن نفرق بين العلم بحقيقتها،وبين الصّدق في النّطق بها،فإنّ عامة العوام مقلّدة في الدّين وحتّى في التّوحيد لا يعرفون أدلّته،ولكن يقينهم وجزمهم أكثر من كثير من المتكلّمين كما هو معروف في موضعه.

ولنفهم أنّ المسلمين يتفاضلون في أصل الإيمان أصل التّوحيد في التّصديق، وفي المعرفة، وفي الانقياد إليكم هذا النّقل المهم عن ابن تيمية: ((وَأُمَّةُ مُحَمَّدٍ وَإِنْ وَجَبَ عَلَيْهِمْ جَمِيعِهِمْ الْإِيمَانُ بَعْدَ اسْتِقْرَارِ الشَّرْعِ فَوُجُوبُ الْإِيمَانِ بِالشَّيْءِ الْمُعَيَّنِ مَوْقُوفٌ عَلَى أَنْ يَبْلُغَ الْعَبْدُ إنْ كَانَ خَبَرًا وَعَلَى أَنْ يَحْتَاجَ إلَى الْعَمَلِ بِهِ إنْ كَانَ أَمْرًا وَعَلَى الْعِلْمِ بِهِ إنْ كَانَ عِلْمًا وَإِلَّا فَلَا يَجِبُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ أَنْ يَعْرِفَ كُلَّ خَبَرٍ وَكُلَّ أَمْرٍ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَيَعْرِفُ مَعْنَاهُ وَيَعْلَمُهُ ؛ فَإِنَّ هَذَا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ أَحَدٌ.

فَالْوُجُوبُ يَتَنَوَّعُ بِتَنَوُّعِ النَّاسِ فِيهِ؛ ثُمَّ قَدْرُهُمْ فِي أَدَاءِ الْوَاجِبِ مُتَفَاوِتَةٌ؛ ثُمَّ نَفْسُ الْمَعْرِفَةِ تَخْتَلِفُ بِالْإِجْمَالِ وَالتَّفْصِيلِ وَالْقُوَّةِ وَالضَّعْفِ وَدَوَامِ الْحُضُورِ وَمَعَ الْغَفْلَةِ فَلَيْسَتْ الْمُفَصَّلَةُ الْمُسْتَحْضَرَةُ الثَّابِتَةُ الَّتِي يُثَبِّتُ اللَّهُ صَاحِبَهَا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ كَالْمُجْمَلَةِ الَّتِي غَفَلَ عَنْهَا وَإِذَا حَصَلَ لَهُ مَا يُرِيبُهُ فِيهَا وَذَكَرَهَا فِي قَلْبِهِ ثُمَّ رَغِبَ إلَى اللَّهِ فِي كَشْفِ الرَّيْبِ.

ثُمَّ أَحْوَالُ الْقُلُوبِ وَأَعْمَالُهَا مِثْلُ مَحَبَّةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَخَشْيَةِ اللَّهِ وَالتَّوَكُّلِ عَلَيْهِ وَالصَّبْرِ عَلَى حُكْمِهِ وَالشُّكْرِ لَهُ وَالْإِنَابَةِ إلَيْهِ وَإِخْلَاصِ الْعَمَلِ لَهُ مَا يَتَفَاضَلُ النَّاسُ فِيهَا تَفَاضُلًا

لَا يَعْرِفُ قَدْرَهُ إلَّا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ،وَمَنْ أَنْكَرَ تَفَاضُلَهُمْ فِي هَذَا فَهُوَ إمَّا جَاهِلٌ لَمْ يَتَصَوَّرْهُ وَإِمَّا مُعَانِدٌ.))

ولعل هذا الحديث عن ابن عمر يشرح لنا كل هذا :

((قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ: خَرَجَ النَّبِيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم وَهُوَ مَعْصُوبُ الرَّأْسِ منْ وَجَعٍ فَضَحِكَ،فَصَعِدَ الْمِنْبَرَ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ:" أَيُّهَا النَّاسُ ما هَذِهِ الْكُتُبُ الَّتِي تَكْتُبُونَ أَكِتَابٌ غَيْرَ كِتَابِ اللَّهِ يُوشِكُ أَنْ يَغْضَبَ اللَّهُ لِكِتَابِهِ فَلَا يَدَعُ وَرَقًا وَلَا قَلْبًا إِلَّا أُخِذَ مِنْهُ" قَالُوا: يَا رَسُول اللَّهِ،فَكَيْفَ بِالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَوْمئِذٍ؟قَالَ:" مَنْ أَرَادَ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا أَبْقَى فِي قَلْبِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ))(رواه الطبراني في (الأوسط)،وفيه عيسى بن ميمون الواسطي، وهو متروك،وقد وثّقه حماد بن سلمة.(مجمع الزوائد).)

2- استشهاد العلماء به على الجهل ببعض التّوحيد، قال ابن تيمية(بغية المرتاد: (1/311)): ((وبينا أن المؤمن الذي(لا ريب في إيمانه)قد(يخطئ في بعض الأمور العلمية الاعتقادية فيغفر له كما يغفر له ما يخطئ فيه من الأمور العملية)،وأن حكم الوعيد على الكفر لا يثبت في حق الشخص المعين حتى تقوم عليه حجة الله التي بعث بها رسله كما قال تعالى: وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاًوأن الأمكنة والأزمنة الّتي تفتر فيها النّبوة لا يكون حكم من خفيت عليه آثار النّبوة حتّى أنكر ما جاءت به خطأ كما يكون حكمه في الأمكنة والأزمنة الّتي ظهرت فيها آثار النّبوة وذكرنا حديث حذيفة الّذي فيه "يأتي على النّاس زمان لا يعرفون فيه صلاة ولا زكاة ولا صوما ولا حجّا إلاّ الشّيخ الكبير و العجوز الكبيرة يقولان: أدركنا آباءنا وهم يقولون: (لا إله إلا الله) فقيل لحذيفة: ما يغني عنهم قول لا إله إلاّ الله وهم لا يعرفون صلاة ولا زكاة ولا صوما ولا حجّا؟قال: تنجيهم من النّار تنجيهم من النّار)).

فاستشهد به على الأمور العلمية الاعتقادية،وليست الأركان العملية كالصّلاة والصّوم والحجّ من الأمور العلميّة الاعتقادية.

وقال بعد ذكر الحديث(مجموع الفتاوى: (11/408)):

((وَقَدْ دَلَّ عَلَى هَذَا الْأَصْلِ مَا أَخْرَجَاهُ فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: {قَالَ رَجُلٌ - لَمْ يُعَجِّلْ حَسَنَةً قَطُّ - لِأَهْلِهِ إذَا مَاتَ فَحَرِّقُوهُ ثُمَّ أَذَرُّوا نِصْفَهُ فِي الْبَرِّ وَنِصْفَهُ فِي الْبَحْرِ فَوَاَللَّهِ لَئِنْ قَدَرَ اللَّهُ عَلَيْهِ لَيُعَذِّبَنهُ عَذَابًا لَا يُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنْ الْعَالَمِينَ. فَلَمَّا مَاتَ الرَّجُلُ فَعَلُوا مَا أَمَرَهُمْ فَأَمَرَ اللَّهُ الْبَرَّ فَجَمَعَ مَا فِيهِ وَأَمَرَ

الْبَحْرَ فَجَمَعَ مَا فِيهِ ثُمَّ قَالَ: لِمَ فَعَلْت هَذَا؟ قَالَ: مِنْ خَشْيَتِك يَا رَبِّ وَأَنْتَ أَعْلَمُ؛ فَغَفَرَ اللَّهُ لَهُ} وَفِي لَفْظٍ آخَرَ {أَسْرَفَ رَجُلٌ عَلَى نَفْسِهِ فَلَمَّا حَضَرَهُ الْمَوْتُ أَوْصَى بَنِيهِ فَقَالَ: إذَا أَنَا مُتّ فَأَحْرِقُونِي ثُمَّ اسْحَقُونِي ثُمَّ أَذْرُونِي فِي الْبَحْرِ. فَوَاَللَّهِ لَئِنْ قَدَرَ عَلَيَّ رَبِّي لَيُعَذِّبَنِي عَذَابًا مَا عَذَّبَهُ أَحَدًا. قَالَ: فَفَعَلُوا ذَلِكَ بِهِ. فَقَالَ لِلْأَرْضِ: أَدِّ مَا أَخَذْت فَإِذَا هُوَ قَائِمٌ. فَقَالَ لَهُ: مَا حَمَلَك عَلَى مَا صَنَعْت. قَالَ: خَشْيَتُك يَا رَبِّ. أَوْ قَالَ: مَخَافَتُك فَغُفِرَ لَهُ بِذَلِكَ} وَفِي طَرِيقٍ آخَرَ {قَالَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ أَخَذَ مِنْهُ شَيْئًا: أَدِّ مَا أَخَذْت مِنْهُ} . وَقَدْ أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ هَذِهِ الْقِصَّةَ مِنْ حَدِيثِ حُذَيْفَةَ وَعُقْبَةَ بْنِ عَمْرٍو أَيْضًا عَنْ حُذَيْفَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: {كَانَ رَجُلٌ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانَ يُسِيءُ الظَّنَّ بِعَمَلِهِ. فَقَالَ لِأَهْلِهِ: إذَا أَنَا مُتّ فَخُذُونِي فذروني فِي الْبَحْرِ فِي يَوْمٍ صَائِفٍ فَفَعَلُوا فَجَمَعَهُ اللَّهُ. ثُمَّ قَالَ: مَا حَمَلَك عَلَى الَّذِي فَعَلْت؟ فَقَالَ: مَا حَمَلَنِي إلَّا مَخَافَتُك. فَغُفِرَ لَهُ} . وَفِي طَرِيقٍ آخَرَ: {أَنَّ رَجُلًا حَضَرَهُ الْمَوْتُ فَلَمَّا يَئِسَ مِنْ الْحَيَاةِ أَوْصَى أَهْلَهُ إذَا أَنَا مُتّ فَاجْمَعُوا لِي حَطَبًا كَثِيرًا وَأَوْقِدُوا فِيهِ نَارًا حَتَّى إذَا أَكَلَتْ لَحْمِي وَوَصَلَتْ إلَى عَظْمِي فَامْتَحَشَتْ فَخُذُوهَا فَاطْحَنُوهَا ثُمَّ أُنْظُرُوا يَوْمًا فذروني فِي الْيَمِّ. فَجَمَعَهُ اللَّهُ فَقَالَ: لَهُ لِمَ فَعَلْت ذَلِكَ؟ قَالَ: مِنْ خَشْيَتِك. فَغَفَرَ اللَّهُ لَهُ} قَالَ عُقْبَةُ بْنُ عَمْرٍو أَنَا سَمِعْته - يَعْنِي النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ ذَلِكَ. وَكَانَ نَبَّاشًا. فَهَذَا الرَّجُلُ ظَنَّ أَنَّ اللَّهَ لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إذَا تَفَرَّقَ هَذَا التَّفَرُّقَ فَظَنَّ أَنَّهُ لَا يُعِيدُهُ إذَا صَارَ كَذَلِكَ وَكُلٌّ وَاحِدٍ مِنْ إنْكَارِ قُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَإِنْكَارِ مَعَادِ الْأَبْدَانِ وَإِنْ تَفَرَّقَتْ كَفَرَ. لَكِنَّهُ كَانَ مَعَ إيمَانِهِ بِاَللَّهِ وَإِيمَانِهِ بِأَمْرِهِ وَخَشْيَتِهِ مِنْهُ جَاهِلًا بِذَلِكَ ضَالًّا فِي هَذَا الظَّنِّ مُخْطِئًا. فَغَفَرَ اللَّهُ لَهُ ذَلِكَ. وَالْحَدِيثُ صَرِيحٌ فِي أَنَّ الرَّجُلَ طَمِعَ أَنْ لَا يُعِيدَهُ إذَا فَعَلَ ذَلِكَ وَأَدْنَى هَذَا أَنْ يَكُونَ شَاكًّا فِي الْمَعَادِ وَذَلِكَ كُفْرٌ - إذَا قَامَتْ حُجَّةُ النُّبُوَّةِ عَلَى مُنْكِرِهِ حُكِمَ بِكُفْرِهِ - هُوَ بَيِّنٌ فِي عَدَمِ إيمَانِهِ بِاَللَّهِ تَعَالَى وَمَنْ تَأَوَّلَ قَوْلَهُ: لَئِنْ قَدَرَ اللَّهُ عَلَيَّ بِمَعْنَى قَضَى أَوْ بِمَعْنَى ضَيَّقَ فَقَدْ أَبْعَدَ النُّجْعَةَ وَحَرَّفَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ فَإِنَّهُ إنَّمَا أَمَرَ بِتَحْرِيقِهِ وَتَفْرِيقِهِ لِئَلَّا يُجْمَعَ وَيُعَادَ. وَقَالَ: إذَا أَنَا مُتّ فَأَحْرِقُونِي ثُمَّ اسْحَقُونِي ثُمَّ ذروني فِي الرِّيحِ فِي الْبَحْرِ فَوَاَللَّهِ لَئِنْ قَدَرَ عَلَيَّ رَبِّي لَيُعَذِّبَنِّي عَذَابًا مَا عَذَّبَهُ أَحَدًا. فَذَكَرَ هَذِهِ الْجُمْلَةَ الثَّانِيَةَ بِحَرْفِ الْفَاءِ عَقِيبَ الْأُولَى يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ سَبَبٌ لَهَا وَأَنَّهُ فَعَلَ ذَلِكَ لِئَلَّا يَقْدِرَ اللَّهُ عَلَيْهِ إذَا فَعَلَ ذَلِكَ فَلَوْ كَانَ مُقِرًّا بِقُدْرَةِ اللَّهِ عَلَيْهِ إذَا فَعَلَ ذَلِكَ كَقُدْرَتِهِ عَلَيْهِ إذَا لَمْ يَفْعَلْ لَمْ يَكُنْ فِي ذَلِكَ فَائِدَةٌ لَهُ؛ وَلِأَنَّ التَّقْدِيرَ عَلَيْهِ وَالتَّضْيِيقَ مُوَافِقَانِ لِلتَّعْذِيبِ وَهُوَ قَدْ جَعَلَ تَفْرِيقَهُ مُغَايِرًا لِأَنْ يَقْدِرَ الرَّبُّ. قَالَ: فَوَاَللَّهِ لَئِنْ

قَدَرَ اللَّهُ عَلَيَّ لَيُعَذِّبَنِّي عَذَابًا مَا عَذَّبَهُ أَحَدًا مِنْ الْعَالَمِينَ. فَلَا يَكُونُ الشَّرْطُ هُوَ الْجَزَاءُ؛ وَلِأَنَّهُ لَوْ كَانَ مُرَادُهُ ذَلِكَ لَقَالَ: فَوَاَللَّهِ لَئِنْ جَازَانِي رَبِّي أَوْ لَئِنْ عَاقَبَنِي رَبِّي لَيُعَذِّبَنِّي عَذَابًا كَمَا هُوَ الْخِطَابُ الْمَعْرُوفُ فِي مِثْلِ ذَلِكَ: وَلِأَنَّ لَفْظَ " قَدَرَ " بِمَعْنَى ضَيَّقَ لَا أَصْلَ لَهُ فِي اللُّغَةِ. وَمَنْ اسْتَشْهَدَ عَلَى ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: {وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ} وَقَوْلُهُ: {وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ} فَقَدْ اسْتَشْهَدَ بِمَا لَا يَشْهَدُ لَهُ. فَإِنَّ اللَّفْظَ كَانَ بِقَوْلِهِ: {وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ} أَيْ اجْعَلْ ذَلِكَ بِقَدْرِ وَلَا تَزِدْ وَلَا تَنْقُصْ وَقَوْلُهُ: {وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ} أَيْ جَعَلَ رِزْقَهُ قُدِرَ مَا يُغْنِيه مِنْ غَيْرِ فَضْلٍ إذْ لَوْ يَنْقُصُ الرِّزْقُ عَنْ ذَلِكَ لَمْ يَعِشْ. وَأَمَّا " قَدَرَ " بِمَعْنَى قَدَّرَ. أَيْ أَرَادَ تَقْدِيرَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ فَهُوَ لَمْ يَقُلْ: إنْ قَدَّرَ عَلَيَّ رَبِّي الْعَذَابَ بَلْ قَالَ: لَئِنْ قَدَّرَ عَلَيَّ رَبِّي وَالتَّقْدِيرُ يَتَنَاوَلُ النَّوْعَيْنِ فَلَا يَصِحُّ أَنْ يُقَالَ؛ لَئِنْ قَضَى اللَّهُ عَلَيَّ؛ لِأَنَّهُ قَدْ مَضَى وَتَقَرَّرَ عَلَيْهِ مَا يَنْفَعُهُ وَمَا يَضُرُّهُ؛ وَلِأَنَّهُ لَوْ كَانَ الْمُرَادُ التَّقْدِيرَ أَوْ التَّضْيِيقَ لَمْ يَكُنْ مَا فَعَلَهُ مَانِعًا مِنْ ذَلِكَ فِي ظَنِّهِ. وَدَلَائِلُ فَسَادِ هَذَا التَّحْرِيفِ كَثِيرَةٌ لَيْسَ هَذَا مَوْضِعَ بَسْطِهَا فَغَايَةُ مَا فِي هَذَا أَنَّهُ كَانَ رَجُلًا لَمْ يَكُنْ عَالِمًا بِجَمِيعِ مَا يَسْتَحِقُّهُ اللَّهُ مِنْ الصِّفَاتِ وَبِتَفْصِيلِ أَنَّهُ الْقَادِرُ وَكَثِيرٌ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ يَجْهَلُ مِثْلَ ذَلِكَ فَلَا يَكُونُ كَافِرًا. وَمَنْ تَتَبَّعَ الْأَحَادِيثَ الصَّحِيحَةَ وَجَدَ فِيهَا مِنْ هَذَا الْجِنْسِ مَا يُوَافِقُهُ كَمَا رَوَى مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ: {أَلَا أُحَدِّثُكُمْ عَنِّي وَعَنْ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قُلْنَا: بَلَى قَالَتْ: لَمَّا كَانَتْ لَيْلَتِي الَّتِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهَا عِنْدِي انْقَلَبَ فَوَضَعَ رِدَاءَهُ وَخَلَعَ نَعْلَيْهِ فَوَضَعَهَا عِنْدَ رِجْلَيْهِ وَبَسَطَ طَرَفَ إزَارِهِ عَلَى فِرَاشِهِ وَاضْطَجَعَ فَلَمْ يَثْبُتْ إلَّا رَيْثَمَا ظَنَّ أَنِّي رَقَدْت فَأَخَذَ رِدَاءَهُ رُوَيْدًا وَانْتَقَلَ رُوَيْدًا وَفَتَحَ الْبَابَ رُوَيْدًا فَخَرَجَ ثُمَّ أَجَافَهُ رُوَيْدًا فَجَعَلْت دِرْعِي فِي رَأْسِي وَاخْتَمَرْت وَتَقَنَّعْت إزَارِي ثُمَّ انْطَلَقْت عَلَى إثْرِهِ حَتَّى جَاءَ الْبَقِيعَ. فَقَامَ فَأَطَالَ الْقِيَامَ ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ثُمَّ انْحَرَفَ فَانْحَرَفْت وَأَسْرَعَ فَأَسْرَعْت فَهَرْوَلَ وَهَرْوَلْت وَأَحْضَرَ وَأَحْضَرْت فَسَبَقْته فَدَخَلْت فَلَيْسَ إلَّا أَنْ اضْطَجَعْت فَقَالَ: مَا لَك يَا عَائِشَةُ حشيا رَابِيَةً؟ قَالَتْ: لَا شَيْءَ. قَالَ: لِتُخْبِرِينِي أَوْ لَيُخْبِرَنِّي اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ. قَالَتْ: قُلْت: يَا رَسُولَ اللَّهِ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي فَأَخْبَرْته. قَالَ: فَأَنْتَ السَّوَادُ الَّذِي رَأَيْت أَمَامِي؟ قُلْت: نَعَمْ فَلَهَزَنِي فِي صَدْرِي لَهْزَةً أَوْجَعَتْنِي. ثُمَّ قَالَ: أَظَنَنْت أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْك وَرَسُولُهُ قَالَتْ: قُلْت مَهْمَا يَكْتُمْ النَّاسُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ قَالَ: نَعَمْ قَالَ: فَإِنَّ جِبْرِيلَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - أَتَانِي حِينَ رَأَيْت فَنَادَانِي - فَأَخْفَاهُ مِنْك فَأَجَبْته وَأَخْفَيْته مِنْك وَلَمْ يَكُنْ يَدْخُلُ عَلَيْك وَقَدْ وَضَعْت ثِيَابَك وَظَنَنْت أَنَّك رَقَدْت

وَكَرِهْت أَنْ أُوقِظَك وَخَشِيت أَنْ تَسْتَوْحِشِي - فَقَالَ: إنَّ رَبَّك يَأْمُرُك أَنْ تَأْتِيَ أَهْلَ الْبَقِيعِ فَتَسْتَغْفِرَ لَهُمْ. قُلْت: كَيْفَ أَقُولُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: قُولِي: السَّلَامُ عَلَى أَهْلِ الدِّيَارِ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ وَيَرْحَمُ اللَّهُ الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنَّا وَالْمُسْتَأْخِرِين وَإِنَّا إنْ شَاءَ اللَّهُ لَلَاحِقُونَ} . فَهَذِهِ عَائِشَةُ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ: سَأَلَتْ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - هَلْ يَعْلَمُ اللَّهُ كُلَّ مَا يَكْتُمُ النَّاسُ؟ فَقَالَ لَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَعَمْ وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ ذَلِكَ وَلَمْ تَكُنْ قَبْلَ مَعْرِفَتِهَا بِأَنَّ اللَّهَ عَالِمٌ بِكُلِّ شَيْءٍ يَكْتُمُهُ النَّاسُ كَافِرَةً وَإِنْ كَانَ الْإِقْرَارُ بِذَلِكَ بَعْدَ قِيَامِ الْحُجَّةِ مِنْ أُصُولِ الْإِيمَانِ وَإِنْكَارِ عِلْمِهِ بِكُلِّ شَيْءٍ كَإِنْكَارِ قُدْرَتِهِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ هَذَا مَعَ أَنَّهَا كَانَتْ مِمَّنْ يَسْتَحِقُّ اللَّوْمَ عَلَى الذَّنْبِ وَلِهَذَا لَهَزَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ: أَتَخَافِينَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْك وَرَسُولُهُ وَهَذَا الْأَصْلُ مَبْسُوطٌ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ. فَقَدْ تَبَيَّنَ أَنَّ هَذَا الْقَوْلَ كُفْرٌ وَلَكِنَّ تَكْفِيرَ قَائِلِهِ لَا يُحْكَمُ بِهِ حَتَّى يَكُونَ قَدْ بَلَغَهُ مِنْ الْعِلْمِ مَا تَقُومُ بِهِ عَلَيْهِ الْحُجَّةُ الَّتِي يَكْفُرُ تَارِكُهَا وَدَلَائِلُ فَسَادِ هَذَا الْقَوْلِ كَثِيرَةٌ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَاتِّفَاقِ سَلَفِ الْأُمَّةِ وَأَئِمَّتِهَا وَمَشَايِخِهَا لَا يَحْتَاجُ إلَى بَسْطِهَا.))

والمقصود أنّه جعله أصلا في عدم التّكفير بالجهل بالأمور الاعتقادية، ولذلك قرنه بحديث الّذي شكّ في قدرة الله، وبحديث إنكار علم الله، ممّا يعني أنّه لم يحصر دلالته على ترك الأركان العمليّة كالصّلاة والصّوم والحجّ،و أنّه يحتجّ بجزئه الخاصّ بكلمة التّوحيد،وهذا واضح.

والسّؤال الّذي يفرض نفسه هنا: هل من شكّ في قدرة الله، وجهل أنّ الله بكلّ شيء عليم قد أتى بأصل التّوحيد (؟)

نعرف الجواب عندما نعرف ما المقصود بأصل التّوحيد، فأقول:

يجب أن نعرف أنّ التّوحيد منه علميّ، ومنه عملي، فيلزم أنّ أصل التّوحيد العلميّ غير أصل التّوحيد العمليّ،ومن هنا كان الاستشكال بهذه الجملة"أصل التّوحيد"استشكالا مجملا لا ينبني عليه وضوح تحتاجه قضيّة خطيرة كقضية التّكفير.

قال ابن تيمية(الاقتضاء:(2/365)):((فالله تعالى مستحقّ أن نعبده لا نشرك به شيئا،وهذا هو أصل التّوحيد الّذي بعثت به الرّسل،وأنزلت به الكتب،قال الله تعالى: وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ[الزخرف: 45].

وقال تعالى: وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا

فَاعْبُدُونِ[الأنبياء: 25]وقال تعالى: وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ[النّحل: 36].

ويدخل في ذلك أن لا نخاف إلاّ إيّاه،ولا نتقي إلاّ إيّاه،كما قال تعالى: وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ[النّور: 52] . فجعل الطّاعة لله وللرّسول،وجعل الخشية والتّقوى لله وحده.))

قلتُ:فجعل من أصل التّوحيد عدم الشّرك، لكنّنا رأيناه في نقول كثيرة لا يُكفِّر من يستغيث بالقبور ويطوف بالقباب، ويعذره بالجهل،وهذا دلّلت عليه بما يكفي في النّقولات السّابقة فلا حاجة لتكراره هنا.

ممّا يعني أنّ أولئك الصّوفية الجهميّة الّذين عذرهم بالجهل في الاستغاثة بالمقبور لم يأتوا بأصل التّوحيد على وجهه، ومع ذلك عذرهم بالجهل، ولم يعتبرهم كأهل الفترات المحضة.

ثم قال رحمه الله(جامع الرّسائل: (2/254)):((وَإِذا كَانَ أصل الْإِيمَان العملي هُوَ حب الله تَعَالَى وَرَسُوله وَحب الله أصل التَّوْحِيد العملي وَهُوَ أصل التأليه الَّذِي هُوَ عبَادَة الله وَحده لَا شريك لَهُ فَإِن الْعِبَادَة أَصْلهَا أكمل أَنْوَاع الْمحبَّة مَعَ أكمل أَنْوَاع الخضوع وَهَذَا هُوَ الْإِسْلَام

وَأعظم الذُّنُوب عِنْد الله الشّرك بِهِ وَهُوَ سُبْحَانَهُ لَا يغْفر أَن يُشْرك بِهِ وَيغْفر مَا دون ذَلِك لمن يَشَاء والشرك مِنْهُ جليل ودقيق وخفي وجلي

كَمَا فِي الحَدِيث الشّرك فِي هَذِه الْأمة أُخْفِي من دَبِيب النَّمْل فَقَالَ أَبُو بكر رَضِي الله عَنهُ يَا رَسُول الله إِذا كَانَ أُخْفِي من دَبِيب النَّمْل فَكيف نصْنَع بِهِ أَو كَمَا قَالَ فَقَالَ أَلا أعلمك كلمة إِذا قلتهَا نجوت من قَلِيله وَكَثِيره قل اللَّهُمَّ إِنِّي أعوذ بك أَن أشرك بك وَأَنا أعلم وأستغفرك لما لَا أعلم))

فجعل في هذا النّقل أصل التّوحيد العمليّ هو نفسه أصل الإيمان العمليّ، وهو حبّ الله،فإن كان الأمر كذلك فإنّ أصل الإيمان هو الإيمان بالله وبرسوله، أو ما نسميه الإيمان المجمل،قال ابن تيمية رحمه الله(مجموع الفتاوى:(644/7)):((فأصل الإيمان في القلب وهو قول القلب وعمله وهو (إقرار بالتصديق و الحب و الانقياد)، وما كان في القلب فلابد أن يظهر موجبه و مقتضاه على الجوارح، و إذا لم يعمل بموجبه و

مقتضاه دل على عدمه أو ضعفه.))
ويقول أيضا(مجموع الفتاوى:(126/7)):((وذلك لأنّ أصل الإيمان هو ما في القلب، والأعمال الظّاهرة لازمة لذلك، لا يُتصور وجود إيمان القلب الواجب مع عدم جميع أعمال الجوارح بل متى نقصت الأعمال الظاهرة كان لنقص الإيمان الّذي في القلب)).
ويقول ابن تيمية:((أصل الإيمان هو ما في القلب أو ما في القلب واللّسان)).
ويقول أيضا(مجموع الفتاوى:(166/7)):((أمّا الإيمان" فأصله تصديق وإقرار ومعرفة، فهو من باب قول القلب المتضمّن عمل القلب، والأصل فيه التّصديق، والعمل تابع له، فلهذا فسر النّبي صلَّى الله عليه وسلَّم"الإيمان" بإيمان القلب وبخضوعه، وهو الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله وفسّر "الإسلام" باستسلام مخصوص هو المباني الخمس)).
فنفهم من هذا أنّ أصل التّوحيد الّذي هو أصل الإيمان هو ما في القلب من التّصديق والحبّ والانقياد،وهذا موجود في الجاهل المستغيث بالقبور،فإنّه مُصدِّق بما علمه من الإسلام، محبٌّ لله ولرسوله، منقاد لهم في صلاته وصومه وحجّه وزكاته و غير ذلك، فكيف نكفِّره زاعمين أنّه لم يأت بأصل التّوحيد (؟!).
وقد عرفنا أنّ العوام وجهّال الصّوفية الّذين يستغيثون بالمقبورين فيهم حبّ الله قولا وعملا،والحبّ أمر قلبيّ، وليس بعقليّ، والقلبيّ يتوقف على الإرادة،بخلاف القوليّ فإنّه يتوقف على العقل وهذا يعني أنّ هؤلاء لم يُضيّعوا أصل التّوحيد العمليّ برمته بل معهم أصله العمليّ الّذي هو حبّ الله وحبّ رسول الله،وبعض أصله العلميّ وهو بقدر ما يثبتونه من الصّفات والأسماء.
وقال رحمه الله: ((وأما محبة الله فهي الأصل،فإنه يجب أن يُحَبَّ لذاته،وليس هذا لغيره،وهي أصل التوحيد العملي،كما قال تعالى: {وَمِنَ النَّاسِ م نْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَ الَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ} ،وقال: {فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُم ْوَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ})).
وقال رحمه الله(قاعدة في المحبة: (1/68)):((إذا كان أصل الإيمان العمليّ هو حبّ الله تعالى ورسوله وحبّ الله

أصل التّوحيد العملي،وهو أصل التّأليه الّذي هو عبادة الله وحده لا شريك له فإنّ العبادة أصلها أكمل أنواع المحبّة مع أكمل أنواع الخضوع،وهذا هو الإسلام))

أما عن أصل التّوحيد العلميّ فيقول ابن القيم(إغاثة اللّهفان: (2/233)): ((وأمّا إثبات صفات الكمال فهو أصل التّوحيد))، قال()مدارج السّالكين: (3/414)): ((فَشَيْخُ الْإِسْلَامِ[يقصد الهروي]: إِنْ أَرَادَ مَا أَرَادَ أَبُو الْقَاسِمِ،فَلَا إِشْكَالَ،وَإِنْ أَرَادَ أَنْ يُنَزِّهَ اللَّهَ سُبْحَانَهُ عَنْ قِيَامِ الْأَفْعَالِ الِاخْتِيَارِيَّةِ بِهِ –الَّتِي يُسَمِّيهَا نُفَاةُ أَفْعَالِهِ: حُلُولَ الْحَوَادِثِ – وَيَجْعَلُونَ تَنْزِيهَ الرَّبِّ تَعَالَى عَنْهَا مِنْ كمَال التَّوْحِيدِ،بَلْ هُوَ أَصْلُ التَّوْحِيدِ عِنْدَهُمْ،فَكَأَنَّهُ قَالَ: التَّوْحِيدُ تَنْزِيهُ الرَّبِّ تَعَالَى عَنْ حُلُولِ الْحَوَادِثِ.))

فجعل رحمه الله إثبات صفات الكمال والأفعال الاختيارية من أصل التوحيد،ونحن نعرف أنّها من التّوحيد العلميّ، توحيد الأسماء والصّفات، ولازم تطبيقات هذا القول أنّ المتكلّمين لم يأتوا بأصل التّوحيد العلمي على وجهه، ومع ذلك لم يكفرهم السّلف ؟!

فإذًا عندما نقول: لم يأت بأصل التّوحيد" نقول له: عن أي أصل التوّحيد تتحدث(؟) وهل هو كتلة واحدة (؟) أم أصل التّوحيد يتضمن عدّة أصول وزوال بعضها لا يعني زوال كلّها إذا كان بسبب كالجهل.

ومن هنا أقول: لا يكفَّر المسلم إلاّ بدليل قائم ظاهر سالم عن المعارض المقاوم.

وهنا مسألة: هل الجاهل بحقيقة التوحيد من أهل الفترة (؟)

فإنّ أهل الإسلام المقرّين بأركانه وإن لم يعرفوا حقيقتها كهؤلاء الّذين ذكرناهم في هذا البحث ليسوا من أهل الفترة المحضة الّذين لم تبلغهم الدّعوة في الدّنيا فيمتحنون في الآخرة لأنّ الله تعالى لا يُعذِّبُ أحدًا إلاّ بعدَ أن يبعثَ إليهم رسولا،فمن لم تبلغه دعوةُ الرُّسل إليه كالمجنون والصّغير والميِّت في هذه الفترة المحضة يُمتَحَنُ في الآخرة كما ثبت في الآثار.

أمّا هؤلاء الّذين نتحدث عنهم فليسوا من هذا الصّنف،فقد بلغهم الإسلام، ولكنّهم لا يعرفون حقيقة بعض أركانه،أو أنّ هذه الأركان دخلها التّأويلُ كما بيَّنتُهُ في هذا البحث في فصل "المعلوم من الدّين بالضّرورة" حيث بيّنتُ أنّ هذه المسألة مبنيةٌ على أصلين يغفل كثيرٌ من النّاس اعتبارهما عند الحديث عنها،هما:

1 ـ أنّ المعلوم من الدّين بالضّرورة ليس جامدا بل يتغيّر من شخص لآخر زمانيّا ومكانيّا.

2 ـ المعلوم من الدّين بالضّرورة دخله التّأويل.

فهؤلاء من أهل المغفرة إلاّ ما استثناه الدّليل،وحتّى نفهم هذه المسألة،والفرق بين الفترة المحضة والفترة المقيّدة فهذا كلام لابن تيمية يفصّل هذه المسألة، ويتحدّث عن هذا الصّنف من المسلمين ـهم الأكثرـ بل عن أسوأ منهم.

قال رحمه الله(مجموع الفتاوى: (35/165)):((وَهَؤُلَاءِ الْأَجْنَاسُ وَإِنْ كَانُوا (قَدْ كَثُرُوا فِي هَذَا الزَّمَانِ) فَلِقِلَّةِ دُعَاةِ الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ (وَفُتُورِ آثَارِ الرِّسَالَةِ فِي أَكْثَرِ الْبُلْدَانِ)(وَأَكْثَرُ) هَؤُلَاءِ لَيْسَ عِنْدَهُمْ مِنْ آثَارِ الرِّسَالَةِ وَمِيرَاثِ النُّبُوَّةِ (مَا يَعْرِفُونَ بِهِ الْهُدَى (وَكَثِيرٌ)مِنْهُمْ (لَمْ يَبْلُغْهُمْ) ذَلِكَ. وَفِي (أَوْقَاتِ) الْفَتَرَاتِ وَ(أَمْكِنَةِ) الْفَتَرَاتِ: (يُثَابُ) الرَّجُلُ عَلَى مَا مَعَهُ مِنْ الْإِيمَانِ الْقَلِيلِ (وَيَغْفِرُ) اللَّهُ فِيهِ (لِمَنْ لَمْ تَقُمْ الْحُجَّةُ عَلَيْهِ) مَا لَا يَغْفِرُ بِهِ لِمَنْ قَامَتْ الْحُجَّةُ عَلَيْهِ كَمَا فِي الْحَدِيثِ الْمَعْرُوفِ: " يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لَا يَعْرِفُونَ فِيهِ صَلَاةً وَلَا صِيَامًا وَلَا حَجًّا وَلَا عُمْرَةً إلَّا الشَّيْخَ الْكَبِيرَ؛ وَالْعَجُوزَ الْكَبِيرَةَ. وَيَقُولُونَ: أَدْرَكْنَا آبَاءَنَا وَهُمْ يَقُولُونَ لَا إلَهَ إلَّا اللَّهُ فَقِيلَ لِحُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ: مَا تُغْنِي عَنْهُمْ لَا إلَهَ إلَّا اللَّهُ؟ فَقَالَ: تُنْجِيهِمْ مِنْ النَّارِ")) .

فأخبر رحمه الله أنّ هؤلاء الأجناس المخالفين لحقيقة ما جاء به الرّسول قد كثروا في زمانه [فكيف في زماننا(؟!)] لقلة دعاة العلم [الصّحيح]،وفتور العلم النّبوي الصّحيح في أكثر بلدان المسلمين،وأنّ أكثرهم ليس معه من العلم ما يعرف به ميراث النّبوة،وكثير منهم لم تبلغه السّنة.

وعليه ففي هذه الأوقات (الفترات المقيدة بالزّمان والمكان) يثاب الرّجل على إيمانه القليل، ويغفر له فيه لمن لم تقم عليه الحجّة.

فهؤلاء الّذين نتحدث عنهم في هذا البحث معهم من الإيمان والإسلام والأحكام ما فارقوا به أهل الفترة المحضة.

الأصل الّذي اعتمد عليه ابن تيمية:

قال رحمه الله مجموع الفتاوى: (35/165). (): ((وَأَصْلُ ذَلِكَ أَنَّ (الْمَقَالَةَ) الَّتِي هِيَ (كُفْرٌ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالْإِجْمَاعِ)يُقَالُ هِيَ (كُفْرٌ قَوْلًا يُطْلَقُ) كَمَا دَلَّ عَلَى ذَلِكَ الدَّلَائِلُ الشَّرْعِيَّةُ؛ فَإِنَّ "الْإِيمَانَ" مِنْ الْأَحْكَامِ الْمُتَلَقَّاةِ عَنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ؛ لَيْسَ ذَلِكَ مِمَّا يَحْكُمُ فِيهِ النَّاسُ بِظُنُونِهِمْ وَأَهْوَائِهِمْ، وَلَا يَجِبُ أَنْ يُحْكَمَ فِي كُلِّ شَخْصٍ قَالَ ذَلِكَ بِأَنَّهُ (كَافِرٌ) حَتَّى (يَثْبُتَ) فِي حَقِّهِ (شُرُوطُ التَّكْفِيرِ وَتَنْتَفِي مَوَانِعُهُ) مِثْلُ مَنْ قَالَ: إنَّ الْخَمْرَ أَوْ الرِّبَا

حَلَالٌ؛ لِقُرْبِ عَهْدِهِ بِالْإِسْلَامِ؛ أَوْ لِنُشُوئِهِ فِي بَادِيَةٍ بَعِيدَةٍ أَوْ سَمِعَ كَلَامًا (أَنْكَرَهُ) وَلَمْ يَعْتَقِدْ أَنَّهُ مِنْ الْقُرْآنِ، وَلَا أَنَّهُ مِنْ أَحَادِيثِ رَسُولِ اللَّهِ صلَّى الله عليه وسلَّمكَمَا كَانَ بَعْضُ السَّلَفِ يُنْكِرُ أَشْيَاءَ حَتَّى يَثْبُتَ عِنْدَهُ أَنَّ النَّبِيَّ صلَّى الله عليه وسلَّمقَالَهَا وَكَمَا كَانَ الصَّحَابَةُ يَشُكُّونَ فِي أَشْيَاءَ مِثْلَ رُؤْيَةِ اللَّهِ وَغَيْرِ ذَلِكَحَتَّى يَسْأَلُوا عَنْ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ صلَّى الله عليه وسلَّم وَمِثْلَ الَّذِي قَالَ: إذَا أَنَا مُتّ فَاسْحَقُونِي وذروني فِي الْيَمِّ؛ لَعَلِّي أَضِلُّ عَنْ اللَّهِ وَنَحْوَ ذَلِكَ؛ فَإِنَّ هَؤُلَاءِ (لَا يُكَفَّرُونَ حَتَّى تَقُومَ عَلَيْهِمْ الْحُجَّةُ بِالرِّسَالَةِ) كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ)).

ففي هذا الجزء يقرِّرُ ابن تيمية رحمه الله أصل العذر بالجهل،ويبيِّنُ أنه إذا كان القول كفرا بالكتاب والسّنة والإجماع فالقيد أن يقال: هو كفر مطلق،لكن لا يكفَّر الشّخص حتّى تثبت في حقه شروط التّكفير وتنتفي موانعه،وحتّى الّذي ينكر شيئا معتقدا أنّه ليس من الكتاب والسُّنَّة لا يحكم بكفره إلاّ وفقا لهذه الشّروط،فلا تكفير بدون إقامة الحجّة.

هذا مقالي الأخير،أرجو أن يكون قد انتفع به بعض طلبة العلم ممن لم تقيدهم المذاهب ولم يعطوا ولاءهم كاملا إلا للحقيقة العلمية،ممن يفهم المسائل إذا صورت له تصويرا جيدا محيطا بها.

أما الصنف الآخر،فإن واصل في طلب العلم وخرج إلى رحابه الواسعة فسيدرك هذا أو أكثر منه،وحينئذ يدرك حقيقة الإدراك التصورات الناقصة التي اتسمت به أكثر الرسائل التي بحثت المسألة و أنها لا تعدو نظرة ضيقة لم تفصل بفارق مبين بين الفرض و التنظير وبين واقع المسلمين العلمي وحقائق عقائدهم وتصوراتهم ممن يظن أنه إن حشر كل ما يقدر عليه من آيات قرآنية و أحاديث نبوية بدون قيد و شرط إلا الظاهر المرسل المطلق فقد حسم النزاع .

وهذا زمن ستستبين فيه طرق الطالبين ،وتتميز المقالات و المذاهب ،وتفصل المسالك عن بعضها ليتضح باطن المذاهب و مشاربها ولعله في ذاك اليوم يمدح هذه المقالات و يعلم أنها كانت عليه نعمة من الله عظيمة منعته من الظلم،ومن الكلام بجهل مركب،و أعانته ليكون حاملا لرسالة القرآن وحجته، يعلم الله به من جهل من عباده ،ويرحم به ضعفهم و جهلهم.

كذلك يجب أن يعرف من يقرأ هذه المقالات من غير السلفيين أنها مكتوبة بخطاب

موجه للسلفيين في عمومه، تتداخل فيه المسائل بين عذر العلماء و عذر العوام لا يهدف إلى مناقشة أقوال غير السلفيين.
وقد أكثرتُ فيها من النقل عن ابن تيمية لأنهم بداية كانوا يتمسحون به في التكفير ثم لما بدأت المقالات و الرسائل تظهر تراجعوا قليلا،وبعضهم متى قدر على التلبيس على بعض الجهال به لبس و إلا فتأصيلاتهم أكثرها مستلف عن المعتزلة و المتكلمين من جهة.
من جهة أخرى أكثر المتكلمين في المسألة يتكلمون فيها بطريقة فقهية ضعيفة سطحية لا تتجاوز الاحتجاج بكل ما فيه تكفير بدون قيد ولا شرط إلا ما كان من جنس التقدير و الوهم غير المطابق للحقيقة و الواقع.

أدنى منازل طالب العلم

قال أبو حامد الغزالي - رحمه الله - (أدنى درجة الفقيه أن يعلم أن الآخرة خير من الدنيا) فإن لم يفعل فمن أين له الفقه؟
قلتُ: وأدنى منازل طالب العلم أن يعرف أن من يُقَدِّم كتابا لاتجاه معين و في الوقت نفسه يُقَدِّم لكتاب مناقض لهذا الاتجاه، فإما هو متساهل يقدم لشيء لم يقرأه جيدا، و إما هو متناقض، و المتناقض أحد قوليه باطل لا محالة لأن الجمع بين المتناقضات لا يصدر من متصور للمسألتين.
فإن لم يلاحظ طالب العلم هذا، فالطريق أمامه طويل جدا حتى يصل إلى التمييز بين المقالات ومعرفة الصحيح منها و المقابلة بين المذاهب عن إدراك مطابق.

الدعوة و الصداقة الفيسبوكية :

الفيسبوك مساحة للتواصل الاجتماعي كما أراد له أصحابه،وعلى هذا الأساس يشارك فيه العالم،وقد حولَّه الإسلاميون وهم قلة فيه - هذا مما يجب أن يعلموه - إلى مساحة للدعوة التي لا يمكنها أن تكون إلا بالتواصل مع غير طائفتهم، فليس على رأس أحدنا ريشة يعلم الناس بها أنه مؤيد من الله بالتوفيق و الإصابة.
لكن بعضهم جعله لغسيل الثياب و التناحر، فلم يفرق بين التدافع العلمي الواقع بين المسلمين من فجر تاريخ الإسلام وبين الدعوة إلى الله المفروض عليه أن يمارسها

مادام يشعر في نفسه أنه أحق المسلمين بالصواب.
وعندما يستعمل أحدنا وسيلة لا يدري لأي شيء تصلح، و لا كيف يمكنه الاستفادة منها إلى أقصى حد؛ يدخلها بعقليته التي كوَّنها خارجها ،بينما تحتاج هذه الوسيلة إلى عقلية أخرى ،فإذا كان يريد الدعوة إلى الله و تصحيح الدين و تقويم المذاهب كما يظن فإنه بامتناعه عن التواصل مع غير طائفته لا يمكنه أنه يؤدي هذه الوظيفة و الوصول إلى هذا الهدف ، فالناس لا يشعرون به أصلا، ولا يبكون ندما على تفويت فرصة الكلام و التواصل معه.
و عليه أن يفطن و يعلم أن مخاطبة طائفته ليست من الدعوة، الدعوة هي أن يتسع مجال طائفتك و يكثر عددها،الدعوة هي أن توصل خطابك لأكبر عدد ممكن، وهذا لا يكون إلا بالتواصل معهم تماما كما يفعل خطيب المسجد لو اشترط أن لا يحضر خطبته إلا من يشاكله و يجانسه فكريا فدعوته ماتت في المهد؟
و عندما تشارك منشورا فيه مضمون صحيح لشخص من غير طائفتك فأنت تدعوه لمشاركة منشوراتك،وللنظر فيها.
وعندما تبدي إعجابك بمنشوره إذا كان منشوره حقا، فهذا حق، لأن الشهادة للحق بالحق حق.
وعندما تبدي إعجابك بصفحته ولم يضع فيها ما تخالفه فيه، فهذا من التواصل بين المسلمين الذي يحبه الله لأنه من التعاون على البر،وهو من الملاطفة لأصحابه لينظروا في خطابك ،وإذا كنت تعرضه بطريقة جميلة صحيحة فقد يتأثر به أحدهم.
ولو كان أحدنا متمكنا من العلم كما ينبغي قادرا على تبليغه لوجب عليه أن يصادق في هذا العالم الأزرق كل الناس لأن هذه المساحة أشبه بالسوق، سوق الأفكار و الآراء و المسلم الفطن يجد فيها بغيته: فجارا و ضالين وكفارا يحتاجون و ينتظرون من يسمعهم كلمة الحق و يهديهم إلى سبيل ربهم،أو يكف شرهم.
أما من يرى أن ذلك يؤثر عليه سلبا فله أن يمشي على حسب جهده لكن لا يطالب غيره أن يكون مثله،ولا تلزموا الدعاة بتصوراتكم فإنهم ينظرون إلى أبعد من نظركم، و يحتاجون إلى ما لا تحتاجون إليه.
و إذا كنت تقول للناس اتباعا للألباني و ابن باز رحمهما الله : هذا زمن تأليف ليس بزمن هجران فمارسه على أرض الواقع ولا تتبع طائفة غلقت على نفسها أولا في

عقلها ثم في طائفتها .

استدراك ما فات.

بينما كنتُ أتصفح أوراقي التي سجلتُ عليها ملاحظاتي العلمية التي جمعتها من سنوات عديدة وجدتُ فيها أسئلة موجهة للشيخ ربيع أو بالأحرى لمنهجه قررتُ طبعها في الشهور القادمة.

تدور هذا الأسئلة على الموضوعات التالية:

1 ـ لماذا يحرص الشيخ ربيع على أن يكون النزاع داخل المساجد بدلا من أن يكون بين المسجد وبين من ضل عنه.

2 ـ بدعة تسمية الإرشاد بالنصوص وعظا و التكلم بالمتون علما

3 ـ بدعة الإعراض عما أكثر الله من النهي عنه بقولهم: أمر جلي

4 ـ هل ما تنازع فيه الشيخ ربيع و العلماء فيه نص ـ ما ليس من الكتاب و السنة ليس من الدين.

5 ـ هل يأمر الشيخ ربيع بإتباع النبي صلى الله عليه و سلم أم بالتحاكم للرجال.

6 ـ من تكلم فيهم الشيخ ربيع.

7 ـ ما سبب نهي الشيخ ربيع عن كتب ابن تيمية و الذهبي؟

8 ـ لماذا يحيل الشيخ ربيع على صغار طلبة العلم،ويتحاكم إلى العوام،و هل يأمر الشيخ باتباع الأعلم أم من يواليه؟؟

9 ـ شاهد على عصر الشيخ ربيع.

10 ـ هل يحقق المناط عندما ينقل كلام السلف و ينزله على المعاصرين؟

11 ـ لماذا لا يرد بنفسه و يستعمل الوكلاء؟

12 ـ شرح قول ابن جبرين في الشيخ ربيع

13 ـ من هو المبتدع وما هي البدعة حوار علمي مع الدكتور ربيع

14 ـ كيف نتعامل مع الأقوال الجديدة

15 ـ هل يجوز تبديع الناس بما لم يبدع به السلف؟

16 ـ الأسباب الحقيقية وراء طعنه في مدرسة الألباني

17 ـ مناقشة الشيخ ربيع في ألفاظه التي يبدع بها

18 ـ هل الشيخ ربيع محدث مثل الألباني أم دكتور في الاصطلاح
19 ـ مواقف الشيخ ربيع من العلوم الشرعية .

معايير التقييم و المفاضلة:

عندما يقول لك أحدهم: أجمل شيء، و أفضل شيء، وزينة المرأة، أو الرجل، أو التدين، أو اللسان أو الأولاد، أو الدولة،أو العلم،أو أي شيء كذا.
فقل له دائما: عند من؟
عند الله ورسوله أم عند الناس؟
فإنك متى طرحت هذا السؤال أدركت كل التزييف و التضليل المنتشر بين الناس على أنه حقيقة منتهية الانجاز، قطعت جسر البراهين بسلامة.
و هنا فقط تدرك كم التلاعب الواقع على عقول الناس لابعادهم عن كل وسائل تحرير الحق و إدراكه وعدم الاشتباه بينه و بين الباطل، وتجريدهم من حضور قصد الله في الاختيارات.

أين الخلل وما سبب هذا الوضع ؟

بسم الله الرحمن الرحيم

قد نتفق كلنا ـ من أية طائفة كنا ـ على معاينة الوضع العلمي المعرفي و السياسي و الاجتماعي الذي تعيشه الأمة،هذا إن كُنَّا على قدر من التجرد للخروج إلى الدائرة الأولى و النظر من محيطها لكل الدوائر الصغرى التي تقع بداخلها، أي: أن نقف على عتبة الإسلام معنى وتاريخا مع انبساط النظر على اختلاف ظلاله على أبناء هذه الأمة كيف كانوا و كيف صاروا، لأننا و إن اتفقنا على المعاينة فقد نختلف كثيرا في تحديد الأسباب ،و استخلاص النتائج من غير أسبابها يُسمَّى فساد الوضع.
1 ـ العلم البرهاني و العلم القانوني:
عندما تنقل نتائج علم مبني على البراهين العقلية كعلم العقيدة أو الحديث أو أصول الفقه مأخوذة من نص الشريعة مجردة عن مقدماتها ينتقل هذا العلم من البرهانية إلى

المتنية(يصبح متنا) فيصبح علما قانونيا مع تسليمنا بصحة أحكامه و صلاح أهله إلا أنه لا يمكن المناظرة به مهما كانت درجة صدقه و صوابيته.
و إذا صيغ بمصطلح خاص تحوَّل من كونه علما عاما إلى علم خاص لا يفهمه إلا أهله، ومن هنا يحتار بعضهم في جهل الناس به لأنهم يظنون أنه باق على عموميته بينما قد تحول مع الوقت و الصياغة إلى علم خاص مثل تقسيم التوحيد إلى ثلاثة أقسام ، هل هو تقسيم عقلي بالحصر و الاستقراء أم نقلي؟
و إذا كان توحيد الإلوهية لازم عن توحيد الربوبية المغروس في الفطر ،كان المطلوب الإقرار بتوحيد الربوبية و التكليف الشرعي بتوحيد الإلهية، و التكليف منوط بالعلم و القدرة،ومن هنا جاءت مسألة"أول الواجبات" هل هو النظر كما يقول المتكلمون،أم الإيمان، أم التوحيد،أم الشهادتان،أم معرفة الله كما يقوله بعض العباد ؟ أم الشهادتان وما يقع في ضمنها: الإيمان، التوحيد، تجب وجوب الغايات، والنظر يجب وجوب الوسائل،وسوء قلنا هذا أو ذاك ، هل يمكن بدون معرفة سابقة؟
وهكذا مع بعض مسائل العقيدة التي دخلتها المصطلحات المتجددة كلامية كانت أو غير كلامية؟
أقول هذا، لأنه متى خرج النقاش عن النظر في المقدمات إلى النتائج "الأحكام" أصبح عقيما و سببا لكل الشرور الدعوية التي نراها اليوم.
2 ـ هل تعاني علومنا الشرعية من خلل ما؟:
ما رأيكم في الساحة العلمية، يعني ما سبب اختلاف المسلمين،هل علومهم الشرعية جزء من مشكلتهم يعني أن المشكل بنوي في علومهم بحيث أن طبيعتها أو نظمها أو توقفها عن الاجتهاد تولد بالضرورة الخلاف، فهي مبنية على النزاعات اللفظية ،و تحليل الألفاظ بدون العناية بقرينة السياق،و مقام الخطاب، و القرائن اللفظية و الحالية، و الاتجاه العام للمقال يعني الموضوع أم في شيء آخر،وقد تأثرت ببيئتها وهي عاجزة عن إنتاج معرفة تواجه المعرفة المعاصرة و أن انتشار الإسلام في هذا العصر يعود إلى جانبه الإيماني و ليس إلى علومه الشرعية؟
وهل يمكنك دراستها أو تدريسها أو المناظرة بها كعلم العقيدة و الحديث و التفسير و أصول الفقه بدون دراسة منهج الاستنباط ؟
و يمكن أن أصوغ السؤال بشكل آخر فأقول: ما هو المنهج العلمي الكلي الذي تتبني

عليه نظرية المعرفة عند المسلمين و الذي تتفرع عنه المناهج الجزئية الفرعية أو ما هو العلم الذي نحتاجه لتحصيل أساليب التفكير العلمي الصحيح؟

و يمكن أن أصوغه بطريقة ثالثة فأقول: قال الإمام أحمد: "إنما يخطئ الناس من جهة القياس و المجمل" فماذا يعني ذلك، وكيف نعالجه؟

مثال: ما رأيكم في علم المقاصد و تقعيداته عند الطاهر بن عاشور، هل المعاينة التي استشرف بها نظريته صحيحة يعني أن علم أصول الفقه عاجز عن الوفاء بحاجات المسلمين و تقريب وجهات نظرهم لأنه علم يقوم على الظنيات و على الجزئيات، وليس على الكليات القطعية اليقينية، وأن الاختلاف في قضاياه دليل ظنيته ؟

أو ما الفرق بين معاينته لوضع العلوم الشرعية وبين المنهج المقترح؟

قد لا أكون معكم لمناقشة الموضوع إلا بعد عيد الأضحى لكن هي أسئلة تضعكم على الطريق،وتدعوكم للبحث في بعض المواضيع من زوايا أخرى ربما غير معهودة لكم.

.

على رف الوعي

يحرص بعض الناس من غير وعي ـ بلا شك ـ على أن تكون صورة المتدين ـ في ذهن الناس ـ مبتذلة بالنمطية (في الشكل، و الخطاب، و السلوك) توحي بالوظيفة(لا إبداع فيها،ولا تجاوب مع الموجود كفكرة لخلاصهم من هموم الدنيا و الآخرة و بالتالي لا أمل فيها ومنها)، محتقرة لأنها خارج حيز الحياة المشتركة بينهم، علامة على كل أنواع الإخفاقات.

إن كان للتجرد منفعة ففي فهم الإسلام بعيدا عن ممارسة كثير من أبنائه اليوم.

الأزمة الفكرية محكية للحمقى

لماذا ينفق على الثورات أشخاص أو دول ليست لهم أية مصلحة في نتائج الثورات الحقيقية أعني : الحرية و الديمقراطية، و العدالة،و الشفافية.... الخ بل هي مضرة بهم أكثر من غيرهم؟

بقاء المصطلحات مستعملة و التشجيع على استعمالها و تداولها مع زوال مضامينها الأصلية خطة من يستعمل كل من يخالفه في ايديولجيته لمزيد من السيطرة عليه،

هكذا قضت الرأسمالية المتوحشة على الاشتراكية، وهكذا تعمل العلمانية مع الفكر الإسلامي، لما قسمت اليسارية الطبقة العاملة إلى عمال (طبقة كادحة) و أرباب عمل(رأسماليون وبرجوازيون) و انتشر هذا التقسيم و الاصطلاح مع حدوث تغيير في النظام الاقتصادي العالمي وتحول الهيمنة فيه من الصناعيين إلى المصرفيين لم يغير التقسيم وبقي المصطلح دالا على التقسيم مع زوال مضامينه الأصلية، بحيث تحول العمال في الحقيقة إلى مستأجَرين أشبه بالعبيد المعاصرين و تحول أرباب العمل إلى عمال في خدمة المصرفيين و تحت رحمتهم، في حين صار أرباب العمل الحقيقيون المصرفيون و المضاربون بأموالهم بالفائدة الربوية نتيجة اعتماد المؤسسات المنتجة على القروض البنكية.

وفي صراعها مع الإسلام تنتهج العلمانية نفس المخطط فتشجع عبر وسائل إعلامها و مفكريها على انتشار المصطلحات التقسيمية للمسلمين كسلفي و إخواني لأنها تخدم التصنيف و التنميط،فالمسلم العامل لدينه(كمنهج حياة وطريق آخرة) إما سلفي و إما إخواني يعني هو في وعي عوام المسلمين يتردد بين هذا وذاك، و الترديد سببه الاحتمال ،فلم يعد واحد منهما ممثلا للإسلام الأصيل بل هما صورتان مختلفتان في الشكل متفقتان في المضمون تشوه إحداها الأخرى، أقصد تشويه الأصالة الفكرية التي تمثلها العقيدة و المنهج العلمي السلفي، وتشويه التجاوب مع العصر و الواقع و القدرة على تجاوز إشكالات المذهبية عند المسلمين التي يمثلها الإخوان.

ومعلوم أن مضامين هذين المصطلحين لأنهما أصبحا مصطلحين قد تغيرت كثيرا، فالسلفية أغرقت في النزاع اللفظي حول الاسمية، و أزيلت الحدود بينها و بين مذاهب قريبة منها تتسمى بنفس الاسم لها غرض سياسي يتقدم الديني و يوظفه، واغتيل عمدا اسم(أهل الحديث و السنة) لأنه ينفي بالضرورة اللغوية و التاريخية المذهبية و الطائفية، و استبدل باسم السلفية ليكون قبة تعم الكل ولو كانوا مختلفين في طرفي نقيض مادام الاشتراك في بعض مسائل العقيدة كالأسماء و الصفات، و التوحيد العملي قائما بغض النظر عما يشكل الحقيقة العملية لكل جماعة و الذي من خلاله وحده تنسج علاقتها بالأمة وهو الأسماء و الأحكام،و الإمامة.

و دُفع الإخوان إلى التنصل عن منهجهم الدعوي و سلطت الأضواء على شخصيات سياسية و فكرية منهم بغرض رفعها إلى القيادة، صدامية الطبع، لها طموحات

شخصية، فقدت روح الإخوان الأولى.

و لأن الترديد بين النفي و الإثبات (السلفية و الإخوان) يصبح بالضرورة حاصرا فيتحول إلى تحديد للحلول يعني من يريد حلا فغير عند هذين الصنفين.

إنهم لا يتعاملون معهما بالمعنى، أو الصورة المعبر عنها باللفظ، بل بالمفهوم الذي يدخل فيه كل ما يتصوره العقل من صفات يمكن أن يحمل عليها اللفظ ففي مرتبة من مراتب الصور و اللوازم التي يدل عليها لفظ " مسلم" و " سني" و" سلفي" يدخل الاخواني و العكس صحيح.

فالمفهوم قد يكون إجماليا رفيعا و ضمنيا يطلق على الصفات المشتركة جميعها فالمسلم سلفي، و المسلم إخواني، و المسلم تبليغي، و المسلم صوفي... الخ، لكن هنا لا يهم إلا من يريد من الدين أن يغطي كل المجالات و بالأخص السياسة و الدولة.، وقد يكون لا يطلق إلا على الخصائص المميزة وهذا ما تسعى مؤسسات العلمانية إلى اجتنابه.

أظن أنه زمن يجب أن نتخلى فيه عن هذه الأسماء و لا نقف عندها طويلا بقدر الوقوف مع المضامين و تسميتها بمصادرها الأصيلة: القرآن و السنة ،كما يجب أن نحارب بشدة رد الحقيقة و حجرها ومحاصرتها في خانة التأويلات و المناهج المدرسية الإسلامية المختلفة لأن مراد الله ورسوله في القرآن و السنة واحد، ووجود قراءات مختلفة لا يبرر صوابيتها، ولا يجعل المراد متعددا متناقضا.

خلو الساحة من الإخوان لن يعني بالضرورة توسع السلفية بل انتشار أكبر لمن هم أبعد عن السلفية من الإخوان، كما أن خلوها من الأشاعرة لن يكون وفقا للظروف الحالية ووعي الأمة الحالي سببا لتوسع السلفية بل لتوسع الرافضة و المعتزلة الجدد.

ارحل

إلى حيث لا يموتُ فيك الضَّمير.

لا يتبلَّد.

ولا تخشى أن تقف أمامه عُرياناً.

حيث لا بشاعة في العقل، ولا في اللِّسان.

حيث لا تسلخ الألفاظُ لا و النوايا القبيحة إنسانيتك.

حيث تبقى إنساناً لا يُدجّنه الأُلفُ.
إنساناً لا يُطيق النَّظرَ إلى البؤس.. إلى الفظاعة.... إلى الظُّلم.
إلى حيث لا تقتل العادةُ فيك القلبَ المتدفِّق بشفقةٍ لا ضفاف لها مُصطنعة.
إلى حيث يُجلِّل العلمَ الرَّحمةُ، و تُزيِّن قوةَ العقل محبَّةُ الخير للغير.
إلى حيث لا تعوي نفسُك في كلِّ لحظة صدقٍ - تفرضُها عزلةٌ - تُحذِّرك من مغبَّة طريقك.
إلى حيث تستعيد جزءًا من جوهر ذاتك كان قد انطوى في مناهج إذا لمحت ظلَّها شهرت سيفها لتبارزه.

عوالم الصراع

قطرة الماء عالم فسيح لكثير من المخلوقات المجهرية، وعلى جناح إحداها عالم آخر ، وهي نفسها عالم من القدرة و العلم و الحكمة الإلهية،و علمك بوجود هذا العالم أو ذاك متوقف على شعورك بوجوده ومعرفة موجوداته.
دائما ما أصطدم في دروس المنطق بطلبة عندهم إطلاع أولي على هذا العلم يستغربون تلميحا موقف ابن تيمية منه عندما قرَّر أنه يتضمن الزندقة (السفسطة في العقليات و القرمطة في السمعيات) أو عجزوا عن فهمه مع حسن ظنهم بشيخ الإسلام خاصة و أن بعض الشخصيات العلمية المعتبرة عندهم قد تمكنت(في وعيهم) من تجريده من خليفته الميتافيزيقية و قطع الاتصال بينهما كالأخضري و الشنقيطي .
و لأن فهم العلم متعدد وعلى مستويات، و المعركة العقلية الحقيقية هي في الإلهيات، و المنطق كما سماه صاحبه (أرسطو) هو أداة أو آلة،لـ(ما بعد الطبيعة) يتعذر بالضرورة على كل من قلَّ نصيبه من فهم الفلسفة في الإلهيات أن يفهم فهما علميا موقف ابن تيمية رحمه الله منه.
و لذلك أقول :هناك عالَمٌ لا يَعرِفُ كثيرٌ من الناسِ وجودَهُ،عالَمٌ خارجُ الأرضِ بعيدًا في الفضاءِ الخارجي الزماني عند نُقطةِ بدايةِ الكونِ وقبلَها عالَمُ المعقولات الثالثةِ، عالَمُ الوجودِ المطلقِ قبلَ أن يكونَ الإنسانُ وغرورُه بعقلِه، في هذا العالَمِ جرت معاركُ طاحنِةٌ خاضتها عقول الفلاسفة و أهل العرفانِ و أصحاب وحدةِ الوجودِ، ولا يزالون إلى يومِنا هذا، خاضها عقل شيخ الإسلام ممثلاً لأهلِ القرآن و السنةِ، نزلَ

فيها إلى قعرِ العقلِ البشريِ إلا حيثُ يقفُ العقلُ مشدوهًا، إلى حيثُ يشهدُ على نفسه بالعجزِ و الحيرةِ، إلى حيثُ يصرخُ طالبًا النجاةَ، حيثُ تتوقفُ كلُّ أنواعِ الاستلزامِ، وتتلاشى في غياهِب اللازمان ، عندِ الحافةِ التي يقِفُ فيها العَقلُ بين الوجودِ مميزًا ذاتَهُ في آخرِ قطرةِ وعيٍ بقيت لهُ من عصره لنفسه وبين الاضمحلالِ في العدمِ هناكَ بلغَ العقلُ البشريُّ أقصى قوتَهُ، في تلك المعركةِ برزت الملوكُ لبعضِها، ماتت جيوشُها مع موتِ الحواسِ، لم يبق إلا وهم التجريدِ الفلسفيِّ العرفاني في مقابلِ سفن القرآنِ، في هذا العالَمِ عالمِ الكليات المقارنة و المفارقة بعيدًا عن المادة بكل تجلياتِها وُلِد عِلمُ المنطقَ .

أقول هذا و ليس غرضي الكلام عن هذه المسألة بالذات بل كشف النقاب عن مستويات الصراع القائم بين البشر من فجر التاريخ ،فقد يكون الصراع بين توحيد الربوبية العام وبين الشرك فيه فيتحالف فيه المسلمون مع النصارى ليقاتلوا الصين كما صح بذلك الخبر.

وقد يكون الصراع بين ملة الإسلام أي مثبتي النبوة المحمدية وبين ملل الكفر فيتحالف فيه السنة و الشيعة و الخوارج و جميع مذاهب وطوائف المسلمين ممن يرى الإسلام واجبا لا يقبل عند الله سواه ضد هذه الملل الكفرية.

وقد يكون الصراع بين متولي الصحابة جميعهم وبين المفرقين بينهم بدعوى الكفر و النفاق و الفجور من الرافضة و أصنافهم فيتحالف فيه أهل الحديث و السنة و الأشاعرة و المتصوفة و المعتزلة الأصلية ضد هذه الطوائف الشيعية.

وقد يكون الصراع بين أهل الدين و أهل الدنيا، بين الإيمان الشرعي و النفاق العلماني، وهكذا.

وفي كل هذه الأنواع الخاصة من الصراع لا تحمل راية السنة و البدعة، ولا محل لها إلا عند سفيه، هنا لا تحمل إلا راية الملة: الإسلام، وفي بعضها كما في الصراع مع الرافضة راية الإسلام السني العام.

وعندما يكون الصراع بين أهل الحديث و السنة ـ و الأولى أن نسميه بالتدافع الفكري العلمي ـ وغيرهم من مذاهب المسلمين هنا فقط تحمل راية السنة في مقابل البدعة.

فالحق دوائر لأن الإسلام دوائر كما في حديث جبريل عليه السلام، الأعم لا يستلزم الأخص ولكن الأخص يستلزم الأعم.

عوالم الصراع متعددة، متداخلة تحتاج إلى إدراك الحق كما هو باعتبار ذاته أولا، ثم إدراك أسباب تشوهه عند بعضنا: التاريخية،و الاجتماعية و السياسية و الحضارية و بعضها موضوعي و بعضها الآخر نفساني ومنها المفتعل،و ثالثا: الوسائل الفكرية و العملية لرد الناس إليه إلى أي حد؟،و بأي نسبة ممكنة مقدور عليها بالفعل و ليس بالتمني ؟

و باختصار: أين ومتى وكيف نرفع لواء التميُّز (الخصوصية)بصورة لا تقتلع لواء التوافق المركب من لونين:لون المشترك المتفق عليه، ولون المختلف الذي نعجز عن تغييره و الذي يجب أن نتجاوزه إذ ما أردنا لتميزنا أن يكون مقبولا تحتضنه الأمة في وقت لاحق، و إذا ما أرادنا أن نتجاوز ما لا نقدر عليه إلى ما نقدر عليه.

الكلام في هذا المقال وفي سابقه كلام في عالم لا يلغي الميزان بين السنة و البدعة لأنه عالم آخر غير عالم من حصر الصراع بين السنة وبين البدعة (و أحيانا على مفهومه) لا وجود لهذا الميزان فيه وما ينبغي تكلف إدخاله فيه لأنه لا يحتمله ميزان الإيمان و الكفر، وهو كبير الموازين ورئيسهم، لسانه : الشهادة.

أسئلة عن نهضة تونس

دخلت أم خرجت لا يثقون بها؛ يشككون في كل مواقفها، تلك وضعية حزب النهضة في تونس؟

ـ هل كان متوقعا أن يعاقبها الشعب(انتخابيا) على توليها السلطة في فترة عصيبة من تاريخ تونس يتطلع فيها الناس إلى تغيير جذري لحياتهم عما كانت عليه في أيام بن علي؟

نعم.

ـ هل دفعت النهضة ثمن التجربة الاخوانية المصرية و الليبية؟

بدون شك.

هل كان من حسن السياسة و الفهم العميق للحالة العربية و التجربة الاخوانية أن يبتعدوا عن دوائر الحكم و مقاليده حتى لا يخسروا الشعب بسبب السخط الاجتماعي ؟

لا أظن ذلك.

وفي تقديري و الله اعلم : لو حصل هذا الأمر لكان أمر الإسلاميين في غاية السوء

وكانوا سيلحقون بالضرورة بنظام بن علي وتتم ملاحقتهم على هذا الأساس ،فما قامت به النهضة حمى الإسلاميين و عبر بهم جسر الأمان.
كذلك يمكن أن نقول بأن الفهم السياسي و بعده العمل السياسي الذي قامت به النهضة حفظ على صورة الإسلاميين المضطربة في مصر و غيرها،و أنقذ الصورة من القتامة التامة و أعطى نموذجا عمليا على صدق الإسلاميين(المتسيسين) في قبولهم اللعبة الديمقراطية(اختيار الشعب) رغم حملات التشكيك فإن التصرف على أرض الواقع هو الحكم.
وعليه،فإن أخطر مرحلة مرت بها تونس إلى اليوم هي المرحلة الانتقالية وتولي النهضة فيها زمام الأمور ضمن نوعا ما التواجد السياسي الإسلامي المقبول ،و تبقى الأيام القادمة في حال تغير هرم السلطة مع البرلمان فيصلا في معرفة نية العلمانيين، هل سيغامرون باستقرار البلد و ينقلبون على الإسلاميين بالقمع خوفا من عودتهم لاحقا أم سيجدون منطقة حرة للتواصل و التفاهم معهم؟
ومن أضعف النقد الموجه للنهضة قول بعضهم: ماذا حققت للإسلام؟
و نعيد السؤال على أنفسنا: ماذا حققنا نحن للإسلام (في هذا المجال)؟
ربما حفظ البلاد من الانجرار إلى العنف هو أكبر إنجاز للنهضة.

أنت رجلٌ من صنفٍ آخر؟
أرجو ذلك.
ليكن قلبُك خفَّاقاً يعشقُ الحقَّ أكثر من عشقِه الحياة.
ليكن عقلُك متوقِّدًا دفاَّقاً.
عن قناعةٍ كُن.
لن يسأم شيطانُ الهوى من نهش قناعتك.
ماذا أنت فاعلٌ؟
لم تبق لك إلاَّ الثمالة من الحسرةِ ،أو المضي قدما
إن كنت رجلا حرًّا، تعدَّدت أبعادُه، فمخالب القلقِ، و أنياب الأفكار تنتظرُك.
ارحل
حرِّيتك أثمنُ ما تملك.

لا تتخلَّى عنها وكأنَّها شيءٌ لا قيمة له.
كُن مسلماً مستسلما له فحسب.
كُن مؤمناً وطنه القرآن.
الحقُّ استحقاقٌ وليس إرثاً.
هل أنت صخرةٌ لا تشعر ؟
هل أنت صورةٌ مسطَّحة باهتةٌ لا عُمق فيها تُثير مشاعر الشَّفقة؟
أرى لك طموحاً يتجاوز هدفَه، قد تنحني له الهِمَمُ احتراماً.
هل حجزُه عزمٌ خائنٌ ؟
ارحل
لا أجدُ مبرِّرا لك للبقاء
فتِّش عن النُّبل في طيَّاتك.
هل شقَّ كلامي طريقَه إلى عقلِك؟
أنت هائمٌ بلا تدبير ،فسدت إرادتُك وساءَ اختيارُك.
تطهَّر من خنوعِك.
غُص في نفسِك، استكشف مشرقَها ومغربها، طالما طُفتَ حولها فماذا جنيت؟
الأصيلُ يُخلِّص نفسَه من الوضاعَة بشرفٍ .
أريدُ أن أحقنَك بالحكمةِ.
لا تُدرك،أم أنَّك لا تريدُ أن تدرك؟
شغلتَ بالَك بتلك الأحزاب لن تحصد إلاَّ الحزن .
هنا الحرِّية التي حدَّثتُك عنها.
أن تكون بلا حزبٍ.
تكفيك أحزابُ القرآن ردد لأيِّها شئت.
نم الآن.
قالوا: النَّوم يرتق فينا ما تفتقُه الهمومُ، يضمِّدُ جراح الأذهان، ويمدُّنا بالقوَّة على الاستمرار.
وأنت في ضيقِ نفسك تذكَّره.
حاصرك الحزنُ ،أو غلبك الشَّكُ تذكَّره.

حيث تبكي على نصيبِك تذكَّره.
حيث تخلَّى عنك منطقُ العقل، اختفى وراء ستارِ الأسى إياك أن تنساه.
الآن وهنا: لا منطق، ولا قوَّة.
هنا مملكةُ الضَّعف، تغشاك جنودُها، تحتلُّ كلَّ شيءٍ فيك.
هنا تقضمُ رغماً عنك من هشاشةِ ابن آدم.
تذوقُ طعمَ الاضمحلالِ و التلاشي.
تستسلِم،لم يبق مجالٌ للمقاومةِ.
هنا انهارت كلُّ القصور التي بنيتَها، ذابت تلك الحدودُ التي اصطنعتها
أنت،روحك ورقةٌ في مهبِّ الريح يتبعُها بصرُك....
يترنَّح .
تتبعثر منك الحروفُ، يتوقَّف تدفُّق الجملِ.
هنا فقط تأتيك نغماتُ القرآنِ من بعيد.
من أقاصي أكوانِ نفسِك تزيحُ عنك غبارَ الهموم.
تمسحُ عن وجهك الأسى.
تسكِّن خوالج قلبِك.
يتدفَّق الدَّمُ منه ؛
سفينةٌ من رخام تنزلقُ على صفحةِ ماء الحياة،كأنَّهُ.
تخشى أن تتوقَّف فتغرق لثقلِ ما تحمل.
يا لها من نغمةٍ تتواصلُ حيث ينتهي زمان الإنسان على الأرض.
حيث يتوقَّف، ونستمرُ بدون زمانٍ، ولا عدادَ أيام.
موجٌ ينفجر منك، تذوبُ حواشيه على شواطئ همومِك.
جمال الكون الفسيح يغمرُك.
بدأتَ تغرق.
لا يخيفك ما تجهلُه من غيبِه.
آيات القرآن تتردَّد في داخلك، تمتص موجاتُها منك آخر قطرة توجُّسٍ.
تنزلُ بك إلى أعماقِ باردةٍ من غير أذى.
لا تحتاج هنا أن تستنشقَ الهواء.

هنا في هذا المكانِ لا يتنفسُ الإنسانُ.
لا يحتاجُ إلى الهواء.
هنا يَستمدُّ طاقته ، حياتَه من بهاء المكان.
ضياء أزرقٌ يميلُ إلى نسمةِ البنفسج بحنان.
هنا أنت تفهم من غيرِ كلام.
هنا الحقُّ بلا حيلة، بلا هوى، بلا شهوَة، بلا خديعة.
هنا الحقُّ يفيضُ بالنَّقاء و الصَّفاء .
هنا العذوبةُ ،نغمُ التَّسابيح.
هنا تصافحُ الإدراك.
هنا تسجدُ رُوحك سجدتها الأبدية .
أنت الآن إنسان آخر.
إنسان رحل إلى ربه.

معرض الجزائر للكتاب :إصدارات البيان(مركز البحوث و الدراسات)

توفرت في معرض الجزائر للكتاب (الأخير) عدة إصدارات لمركز البحوث و الدراسات (البيان) بحسب العناوين التي قرأها على مسامعي بعض الإخوة الفضلاء ممن زاره عدة مرات،و أكثرها تدور حول الفكر المعاصر، معركة النص،و الصراع الفكري مع الحداثة،و التأثير الفلسفي، وهنا أريد أن أعرف هل هذه الدراسات تعبر عن توجه المركز أم أن دوره لا يتعدى الطبع و النشر و الرأي يتحمله كاتب الدراسة؟ وقد طلبتُ من أحدهم أن يجلب معه رسالة هي عبارة عن مجموع مقالات لا ترتقي إلى مستوى الدراسة العلمية تحت العنوان الرنان: فقه الوفاق.

فهذا موضوع الساعة بل ضرورة العصر وفعلا ما إن وصلني حتى أقبلت على قراءته جامعا كل تركيزي على مضامينه فوجدت المقالات متفاوتة ـ أحيانا ـ في حصر مجالات الوفاق و إن اتفقت كلها ـ تقريبا ـ على أسبابه وثمرته،و أدلة تأصيله ، وكان بودي لو أعطي البحث كل الاهتمام اللازم حتى يكون مستوفيا لأنه في تقديري ينقصه ركائز تحليلية مهمة أو جوهرية ، فالرسالة تقوم كلها تقريبا على تبيان الحاجة للوفاق و التقريب بين الدعاة و نبذ أسباب الفرقة ففي بعضها إشارة إلى التعاون بين

المشتركين في العقيدة،أو فيما يعرف بالصحوة الإسلامية ، وبعضها ـ وهي أهم ما في الرسالة ـ اعتنت بالتأصيل السريع العقلي الواقعي للتعاون بين أهل القبلة.
ومع إعجابي الشديد بالموضوع و بالمقاربة العلمية و بالجهود المبذولة في هذه الدراسة الأولية إلا أني خلصتُ إلى بعض النقائص أذكر منها على وجه الإيجاز: 1 - أكثر المقالات تدور على الأسباب النفسية و السلوكية للشقاق و التنافر بل و أحيانا التناحر الموجود بين العاملين للدين.
2 ـ وهذا ما غيَّب أهم محور يرتكز عليه موضوع الوفاق وهو الأسباب البنوية المعرفية، و أقصد هنا أن أصحاب هذه الرسالة أو المشاركون في إعدادها انطلقوا من مقدمة نفسية مضمرة مسلمة لديهم وهي أنهم أهل صواب في عقيدتهم ومنهجهم العلمي ، يعني ليس لديهم ما يراجعونه و يتنازلون عنه، فالوفاق في تصورهم هو التقارب للتعاون على المشترك المتفق عليه مع بقاء كل الأطراف على ما هي عليه،وهنا نسأل: هل التشرذم الحالي ناجم عن خلل سلوكي أدبي نفسي أم عن تصورات دينية خاطئة(حتى عند السلفيين أنفسهم) لا يمكنها إلا أن تنتج هذا التشرذم و إلا صدرت عن تضحية بمبدأ الولاء و البراء ،و قد يدفع هذا بعض الناس إلى أن يشعر في نفسه أنه ينافق و يجامل المجاملة الزائفة؟
3 ـ لم أجد في هذه الدراسة الأولية إلا التركيز على مساحتين للوفاق: المساحة الأولى هي مساحة موارد الاجتهاد وهذا يخص في القسم الأكبر منه السلفيين فيما بينهم ويدخل معهم الإخوان في قضايا السياسة،و المساحة الثانية: هي الوفاق في المسائل المشتركة على أساس مبدأ الجهاد و الصلاة خلف البر و الفاجر،و السؤال هنا : ما الموقف من المسائل المختلف فيها و التي لا تقع ضمن موارد الاجتهاد وفقا للتأصيل السلفي، هل هي طبقة واحدة أم طبقات مختلفة لها نفس الحكم، وهل يجب أن تبقى مصدر قلق ومبعث توتر و تناحر؟
وهل المطلوب أن يجلب معه كل طرف خصوصياته إلى حقل التوافق و التعاون على أساس "ستاند باي" أو الهدنة المؤقتة أم يجب أن نفصل فصلا واضحا بين التدافع الفكري المعرفي وبين التعاون الاجتماعي السياسي، هذا مربط الفرس؟
هذا يتوقف على التصورات المختلفة عند من يشعر أنه أقرب الطوائف إلى الحق إن لم يكن مطابقا للحق من كل وجه لموضوع القضايا التي يجب أن يعالجها لدى

المخالف، ما هي أدوات المعالجة،ومدتها،فهل يتصور أنه يقدر على تجاوز كل القرون الماضية بكل فعالياتها العلمية و السياسية وفي روعه أنه قادر على إزالتها وتصحيحها أم هي مسائل تبقى أبواب الحوار العلمي فيها مفتوحة لكن لا يجب أن نقف عندها موقفا محسوما فلا نضع لها إطارا زمنيا ولا نوقف عليها مصير الأمة السياسي و الاجتماعي بل و الديني فالدين ليس مجرد هذه المسائل لأنه عندما يقول أحد كتبة الرسالة : إن كل شقاق و تدابر في الأمة سببه البعد عن الكتاب و السنة فهذا صحيح ،لكن الإشكال البنوي(البنيوي) هنا هو الاختلاف المعرفي في كيفية كون الكتاب و السنة مصدرا للتلقي،و بالتالي ينتقل النقاش حول صوابية هذه الجملة البسيطة إلى مجال عقلي معقد يتجاوز الحوار الجامعي الأكاديمي الحالي الذي لا يرتقي إلى مستواها المعرفي، و بطبيعة الحال لا يمكن لمسألة كهذه أن تكون حجر عثرة أمام الوفاق لأن فض النزاع حولها و تقريب وجهات النظر أو حتى إقامة الحجة يستنفد طاقات كبيرة و يستهلك وقتا ثمينا يقتطع من مسيرة نهضة الأمة السياسية و الاجتماعية التي لا يمكن بحال تأخيرها بل هي نفسها لا تقبل هذا التأخير إلا بتوليد أزمات أخرى أعمق في وجودنا العملي كمسلمين.

تلك هي ملاحظاتي على هذه الرسالة المهمة المفيدة التي لابد أن أشيد بقيمتها العلمية والدعوية و بجهود من كتبها.

أخطاء تكتيكية في صدام الاستراتيجيات الدعوية

الدعوة بين الحاجة إلى قوة الصورة وبين حاجز الضغط النفسي

بسم الله الرحمن الرحيم

يعاني الإنسان المعاصر من ضغط الحياة، مع كبر طموحاته وزيادة استهلاكه و اعتماده على الآلة في معاشه ورفاهيته زدت الضريبة التي عليه أن يدفعها من وقته وجهده ومن صحته النفسية، لا يكاد يخرج من بطن أمه حتى يجهده والداه بتلقين التربية فيجهد عقله لإرضائهما ثم تأتي المدرسة ومعها الحزم و النظام الصارم فتضيق مساحة اللعب، و يقتطع التعليم من مشاعره و عاطفته وحريته قطعة لا تعوض في الحياة؛ يبتعد عن حضن أمه و يجبر على الأكل في ساعات محدودة و النوم في ساعة معينة.

وكلما زاد سنه زادت إكراهات التعليم و الأعراف، و النفس مجبولة على الدعة مفطورة على الكسل، لا يتقدم في الحياة خطوة إلا بمجاهدة وعزيمة عليه أن يبحث عنها في مكان ما.

وهكذا هو مطلوب من كل جهة، من والديه و أقاربه و أصدقائه وزملائه و أساتذته ومعهده و مدينته و مجتمعه ودولته و أمته و ربما من ناديه إن كان يمارس الرياضة أن يلبي لهم طلباتهم، و أن لا يخيب ظنهم فيه.

ثم يتخرج فيضغطه مطلب الزواج و إيجاد العروس المناسبة و تحقيق التوافق في اختياره لها بين مطلب نفسه ودينه ومعايير والديه، و بعد ذلك يأتي الأولاد وتأتي معهم المنافسة و ازدياد الطموح المهني، وهنا يتغوَّل عليه ضغط الأجرة في آخر الشهر ، و تصبح مؤسسة العمل في نظره غابة يكابد فيها كل الأهوال حتى يتقدم ،يراقب تصرفاته و أقواله وكل شيء يصدر منه ،فإذا ما عاد إلى البيت منهكا قد خارت قواه الجسمية و العقلية و النفسية في معارك الخبز و الندية و الاستمرار وجد الكوارث والحروب والثورات في بلده أو في أمته فتضغط عليه هي الأخرى، و تشفط ما بقي لديه من قوة، ومعها تحدث الصدمات النفسية و الاضطرابات السلوكية و الانفعالية .

مسكين هذا الكائن الحي؛ كما قال ابن حزم: مطلب كل البشر: "طرد الهم"، هل يملك القدرة على مواجهة هذه الضغوط؟

ولولا الدين لسقطت كل خطوط دفاعه، هذا إن كان متدينا يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، ويعلم أنه منذ خرج من بطن أمه و أدرك المطلوب منه من الإحسان إلى والديه ورحمه ،و احترام معلمه، وتحقيق النجاح في دراسته، و الاهتمام بأحوال أمته وهو في عبادة طواعية لله لأن هذا شأن الحياة بدون تضحية و إيثار تفسد سنن الحياة و تختل موازين البشر.

يولد بني آدم في ألم و يعيش في ألم و يموت في ألم ، كل حياته هو عرضة للهجوم عليه، بعضهم تُمزق الضغوط حياته إربا،وبعضهم الآخر يفلت مع كل الكدمات و ما تخفيه تحتها في أعماق نفسه من أمراض كالتوجس و العجز و التردد و الشك.

هذا الإنسان الذي يبحث عن ساعة ترفيه وتخفيف من أعباء الحياة كيف نخاطبه؟

كيف نعرِّفه بخالقه؟ كيف نخبره عن سر وجوده وسر آلامه؟ ، كيف نعينه ونزيح عنه

تلك الضغوط ولا نزيده ضغطا آخر ؟
تلك هي أسئلة الدعوة؛ فهل نحوِّل التلفزيون(القناة الدينية) إلى مسجد في شاشة !، فنضع له شيخا يعقبه شيخ جعل الدين علما خاصا، له اصطلاحاته و لغته الخاصة حتى يغلبه النوم، فإن لم ينفر من المضمون لكونه مكررا فر من شكل الحصة، أو من حكمه السابق على نمط معين من أنماط التدين.
ومن المؤكد أنه لن يعجز عن تغيير القناة وقد مكنته التكنولوجيا (آلة التحكم) من السباحة في عالم الفضائيات من غير جهد أم هناك طرق أخرى نقدم له من خلالها مطالبه الدينية من غير أن يشعر أنه في طابور الصباح ينتظر تفتيش قائد اللواء.
ألا يمكن أن نقدم له الدين في دنياه، فيكون الحديث عن الدنيا هو الطريق الأقصر إلى قلبه و طبقه المفضل نضع عليه مطالبه الإيمانية.
و إذا تميز عصرنا بهيمنة الصورة على الحياة حتى هيمنت على المعرفة و الثقافة و الاقتصاد و السياسة، والصورة لها تقنيات خاصة بها لا يمكنها أن تكون رسالة دعوية أو توعوية بدونها، و بالطريقة التي تستعمل فيها في الخطاب الديني الفضائي(أكثره وليس كله) أصبحت أشبه باستعمال دبابة لجر محراث، أو طائرة نفاثة مقاتلة لرش السماد .
وتأتي قوة الصورة من قوة حاسة البصر ومركزيتها في عملية "التصديق و التكذيب" التي يعيش بها العقل البشري، و عليها يقوم كيانه كله ،ومع أن السمع أصلح منها لأهل العلم و الفكر إلا أن الإعلام الآن يخاطب عموم الناس ولهؤلاء البصر أقوم من السمع في التصديق و التكذيب لأنها تخاطب كل الناس: المثقف و الجاهل و تخترق حاجز اللغات، و تضع الجميع على قدم مساواة، فمهما كان الخطاب قويا لن يقدر على منافسة الصورة و أثرها التعليمي في النفس البشرية، و لأن ابن هذا العصر مضغوط من كل جهة، لا يملك الوقت لفك رموز الخطاب و تحليل العبارات، ولا القدرة على إحضار ذهنه الشارد مع همومه، تختصر عليه الصورة كل ذلك، و لا تطلب منه أية كلفة، فما عليه إلا أن يسترخي و يطلق العنان لبصره يجول معها في أنحاء العالم .
وهي من يحكم على هذا و على ذلك بحكمين مختلفين باختلاف زاوية التصوير و درجات الإضاءة و الخلفية و التعليق المطابق، و السياق الذي تعرض فيه.
و لعله من المفيد التدقيق في شأن الصورة فإن هذا اللفظ لم يصبح مطابقا لها كما في

العهود القديمة حينما كانت بريشة رسام أو انطباع على صفحة الماء ، الصورة اليوم تتحرك في كل اتجاه، دبت فيها الحياة فأصبحت في وعي الناس هي الشيء نفسه و ذاته، وليست إسقاطا لظله على لوح ، فهو لا يشعر أنه ينظر إلى صورة الرئيس الفلاني بل إلى الرئيس الفلاني، وهكذا سيطرت الصورة على كل المجالات، و انتقلت إلى مستويات أعلى في صناعة الوعي، بينما اقتصرت بعض وسائلنا على إبقائها في عهدها القديم: صورة جامدة كأنها مرآة : شيخ يجلس إلى منضدة وراءه مكتبة أو صورة المسجد الأقصى يحدث الناس عن دينهم ، يعني لا يستغل قوة الصورة في اختراق الحواجز القلبية التي تبنيها الأحكام المسبقة، لا يزال يعتمد على الصوت، و الصوت لا يجذب الإنسان إلا حينما يكون في نغمة تلك حقيقة يعرفها الناس من أنفسهم حينما يتتبعون جميل الصوت من القرآن،مع أن القرآن إعجاز في النظم و المعاني، بينما الصورة تثير لديه كل الاهتمام و تشده إليها .

في عصر تحوَّل فيه الهاتف إلى شاشة، و أصبح البشر يتحكمون في مجريات المعارك الحربية بالصورة،و يوجهون الصواريخ و الطائرات بدون طيار بالصورة ألا يستحق الدين أن تحمله الصورة إلى مختلف الأصقاع في أبهى حلله و أجمل مظاهره.

و إذا كانت الصورة رسالة إلى مستقبِل قد تكون سطحية الغرض منها إثارة الغرائز لأجل الاستهلاك، وقد تكون مشفرة موجهة إلى أصحابها ،و قد تكون ملغومة تستقر في وعي الناس من غير شعور، و تسيطر على أفكارهم من حيث لا يدرون، و تغرس فيهم مشاعر الحب لهذا الشيء أو مشاعر الكراهية من ذاك الشيء ،أو تزيف لديهم الحقائق صارت أحكام الناس مرتبطة بالصورة ، منها يبنون أحكامهم، ليست لديهم وسائل أخرى كالمفكرين يلجئون إليها هربا من تأثير منتج الصورة و ناشرها.

فالصورة تكذب على خلاف القول الشائع، مثلها مثل الكلمة لا تدل بمفردها على شيء،لا تدل على معنى إلا في إطار التركيب، فكذلك الصورة تأتي في سياق معين، و بتعليق معين، و باختيار معين لأبعاد معينة و خلفية معينة، فتكون كاذبة غير معبرة عن الحقيقة .

و ما الذي يكبل القنوات الدينية و يمنعها من تقديم خدمات إعلامية متنوعة تستهدف الجمهور أو فئات معينة ؟

إن كان نوع المنتوج و فساده فيجب العودة إلى الأصل وهو الاهتمام بالإنتاج البصري، تحقيقات صحفية ذات طابع ثقافي،سياحي، تعليمي ، سياسي ، اجتماعي بمنظور الدين انتقاءً للمشاهد و تعليقا و تحليلا،تحقيقات وحوارات، تلفزيون الواقع اليومي، التُلك شو،البرامج الرياضية ، وقد نحتقر في وعينا الحديث عن الرياضة بينما هو مطلب كثير من الناس، و الرياضة توفر مادة دسمة لإدخال الدين في شكل قيم و سلوك، و لنسأل لماذا يلجأ الناس إلى الرياضة ، و الصحف الرياضية تباع بأعداد أكبر من الصحف السياسية؟

وفي مقدورهم ذلك.

فالمطلوب الآن تحديد مطالب الساحة(المخاطَب) و تهيئة المخاطِب،إخراج الدين من التخصص العلمي إلى الخطاب البسيط، تحبيب الله و رسوله إلى الناس من خلال انتقاء المشاهد القرآنية و الوقائع النبوية التي فيها تسلية لنفوس الناس تبعث فيهم الأمل ،تجديد مفهوم الدين و أنماط التدين ،و أن الدين ليس له شكل ومظهر رسمي ،وليس من الضروري أن يلبس المسلم لباس العلماء و الأئمة،إشاعة الدين الذي يؤسس لتناغم المجتمع و يحث على صناعة الحياة الإسلامية المتزنة، و يساهم في بناء الدولة العصرية على مبادئه، استثمار التنوع في المجتمع الواحد لتحويله إلى قوة مساهمة في عودة أساسيات الدين بعيدا عن المثالية من خلال ثقافة الحوار و آداب التواصل و إبراز المشترك لتبديد المخاوف و الاحتياطات المفرطة بين مكونات المجتمع الديني، التركيز أولا على دعوة الناس إلى التفكير في سر وجودهم وهدف حياتهم، إظهار العدالة الربانية كما الرحمة الإلهية بالصورة من حياة الناس،إشاعة السلم الاجتماعي الضرورة للخطاب الدعوي و ثقافة التعايش بدون ذوبان ،تنمية الخطاب الديني ليكون احتوائيا للمخالف يبحث عن التواصل معه لا على إقصائه.

كذلك من الطرق الحديث الفعالة في مجال الدعوة تشجيع الأدباء الملتزمين على الكتابة في الرواية الأدبية التي تعالج القضايا العقدية و التشريعية و التاريخية بأسلوب روائي يبعد الضجر الموجود في اللغة القانونية بالنسبة لعموم الناس مستغلا القدرة التي يتمتع بها الأسلوب الروائي على إحداث الصور الذهنية الجاذبة فيمكن أن نوسع مساحة القراء للموضوع الديني من خلال هذا الأسلوب المحبب للناس.

وهذا أسلوب انتهجه منذ قرون شكسبير فكتب مسرحيات في غاية القوة عالج فيها

المكر و الخديعة ،وويلات الطموح بدون حدود أخلاقية، و شخصية اليهودي و غير ذلك، وفي قصة الأمير مسالك أبواب الحديد لواسيني لعرج ـ بالنسبة لتاريخ الأمير عبد القادر الشخصي و الثوري و الثقافي ـ شيء من هذا.
المقصود أن لا يحصر الشباب الدعوة في تعلم العلوم الشرعية بالتفصيل، بل هناك مجالات كثيرة للدعوة تناسب العصر وهي أكثر تأثيرا من الأساليب المعتادة، منها على وجه الخصوص مقاطع الفيديو القصيرة التي لا تتجاوز عشر دقائق على النيتوب، يمكن أن يستعملها الشباب و غيرهم من خلال التعبير عن أفكارهم و عرض نماذج صالحة من حياتهم الروحية و الاجتماعية،بلغة طبيعية غير متكلفة ، لا يجب أن ينتظروا حتى يحصلوا كل العلوم ليبادروا إلى الدعوة ، الدعوة : معلومات بسيطة،وعاطفة صادقة، و انطلاق من دراية عملية بواقع الناس.
تلك هي المرحلة القادمة التي يجب أن ندخلها بقوة.

معرفة الله

قال أبو محمد بن عبد البصري ـ رحمه الله ـ كما نقله عنه شيخُ الإسلام كلمةً جامعة مانعة تُبيِّنُ سُبُلَ معرفةِ اللهِ و التقدمَ فيها:
كلما استعملَ العبدُ عقلَهُ و عمِلَ بعلمِهِ و أخلصَ في عملِهِ و صفا ضميرُهُ و جالَ بفهمِهِ في بصيرةِ العقلِ و ذكاءِ النفسِ و فِطنةِ الروحِ وذهنِ القلبِ، وقَوى يقينُهُ و نفَى شكَّهُ و ضبطَ حواسَهُ بالآدابِ النبويةِ، وقامَ على خواطرِهِ بالمراقبَةِ، وتحرَى تركِ الكذبِ في الأقوالِ و الأفعالِ، و صارَ الصدقُ موطِنَهُ و ذهبَ عنهُ الرياءُ و العُجبُ، و أظهرَ الفقرَ إلى اللهِ، وتبرأً من حولِهِ و قُوتِهِ و ذكائِهِ وفهمِهِ، ولزِمَ الخدمةَ، و قامَ بحُرمَةِ الأدبِ، وحفِظَ الحدودَ والإتباعَ، وهربَ من الابتداعِ زادَ اللهُ في معرفَتِهِ وقَويت بصيرتُهُ.
ينظر من زجاج السيارة إلى جبل ارتفع في السماء تفوّق على الجبال التي رآها من قبل لكنه لم يبلغها ، لم يلامس النجوم ،أي شيء يكبر في الدنيا ومهما كبر يبقى صغيرا ليلامس النجوم أو يغطي جزءا من السماء يحجبه عن نظر الناس إليها.
لا شيء يحجب الله عن القلوب التي تقصده، تتوجه إليه بخاطرة أو بدعوة، هو معنا أينما كنا،تمر بين عينه كلمة قالها أبو حامد الغزالي رحمه الله:" الله من شدة ظهوره

اختفى" فهم قصده الآن ،قال الله سبحانه:{ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ }الحج

فهل تسجد هذه المخلوقات و تسبح لمجهول؟

،يقصد أن كل شيء يدل عليه، و لشدة ظهور الدليل يشك عقل بعض الناس طبعوا على التدقيق، يحبون تكثير المقدمات، يظنون أنفسهم أذكياء ، و ليس من الذكاء أن يشاركوا الناس أبسط الأدلة و البراهين، يريدون من الأدلة أن تكون معقدة ، مركبة يكتنفها الغموض، تحتاج إلى تفكيك و تحليل و استقراء و سبر و تقسيم ،يخافون أن تنقرض وظيفتهم: البحث في المجهول و التفكير في اللامعقول، فلو كان الوجود يدل على الخالق بهذه البساطة لما أصبح لوجودهم ضرورة أو فائدة، ومن ثم عقَّدوا البسيط ففرقوا بين المتماثلات وجمعوا بين المختلفات، لا يكادون يتفقون على مسألة واحدة.

التطاوع ومنهج بناء خطاب التواصل الإسلامي

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

عندما بدأ النبي صلى الله عليه و سلم الدعوة إلى الإسلام ،وكان الإسلام في طور الانتشار في أطراف الجزيرة العربية وضع إستراتيجية دعوية لدعاته الذين كان يرسلهم، وعندما نقول"دعوية" فهذا يعني أنها تواصلية حيث يتواصل الداعية مع المدعو عن طريق فعل الكلام، إما بين الداعية كفرد و فرد آخر، أو بين الداعية و جماعة من الناس.

و إستراتيجية التواصل (الدعوة) الغرض منها توفير وسائل وصول الرسالة الإيمانية التي يحملها الخطاب وفهمه ودرء شوائب بيئة المخاطَب ورد الفعل العكسي ،و لعل قوله صلى الله عليه و سلم كما رواه البخاري عن سعيد بن أبي بردة عن أبيه عن جده ((أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَعَثَ مُعَاذًا وَأَبَا مُوسَى إِلَى اليَمَنِ قَالَ: «يَسِّرَا وَلاَ تُعَسِّرَا، وَبَشِّرَا وَلاَ تُنَفِّرَا، وَتَطَاوَعَا وَلاَ تَخْتَلِفَا)) متفق عليه.

و معنى "يسرا" خذا بما فيه اليسر المضاد لـ(ولا تعسرا) يعني التشديد،و (بشرا) من

التبشير وهو إدخال السرور، يعني ليكن خطابكما مفرحا مبشرا بالخير للمخاطَب، جاذبا له ،مثيرا لديه الفضول وحب الاستزادة منه، متشوقا إلى معرفة الأكثر ، يشعر أنه باستماعه سيكون في زيادة، و اجتنبا ما يُنفِّره عن السماع (ولا تنفرا) فلا تذكرا أمامه شيئا يهرب منه ؛وفي الأخير (تطاوعا) وهذا يخص الداعية نفسه مع نظيره،فإن تناقض الخطاب و تعارض المخاطبين من أسباب نفور الناس و دخول الشك إلى مضمون الخطاب، فيجب أن يكون الدعاة متحابين يطيع كل واحد منهما صاحبه، فإن تطاوعا كـ تآخيا من التفاعل و هو تبادل التأثير و افتعال الطاعة أي طلبها و تكلفها بالتناوب، وهذا يلزم قدرا من التنازل بينهما، مرة هذا يتنازل وفي مرة أخرى الآخر.
فعلى الدعاة أن يفهموا الدعوة في هذا العصر إضافة إلى المبادئ العامة التي استفدناها من النصوص أصبحت جزءًا من علم التواصل تحتاج إلى تنوع وسائلها و فهم أركان التواصل وشروطه، و أن الدعوة بدون إستراتيجية التواصل سيكون مردودها ضعيفا.
تحديد إستراتيجية الخطاب الدعوي الإسلامي:
إستراتيجية الخطاب الدعوي أو التواصل الإسلامي هي علم أو فن توجيه و تنسيق الأفعال الضرورية لتحقيق أهداف الخطاب الإسلامي، ويتضمن :
1 ـ تحديد الأفراد و الطبقات التي سيخاطبها الدعاة.
2 ـ تحديد الرسالة التي ستنقل إليهم.
3 ـ تحديد أهداف الداعية (وعظية إيمانية ـ مبادئ الإيمان ـ الوعي ـ تعليم الأحكام ـ حماية من الغزو الثقافي..الخ)
4 ـ اختيار و سائل دعم الرسالة (الخطاب) و قنوات التواصل المتكيفة(منبر ـ تجمع ـ مجلة ـ انترنت ـ قناة فضائية، .. الخ) .
5 ـ انجاز مخطط التواصل يجيب عن سؤال التالي : كيف نصل الهدف المحدد (الناس) على اختلاف ثقافاتهم و مستوياتهم التعليمية وطبقاتهم الاجتماعية، يعني كل خطاب يستهدف جمهورا محددا، ولكل جمهور داعيته(شباب ـ عوام ـ نساء ـ أطفال ـ بسطاء ـ طبقة راقية ..الخ)،أو لون خطابه ووسائله (كتابية ـ و سائل إعلام ـ نشاط اجتماعي (مخيمات ـ مؤتمرات ـ تنظيم مسابقات ثقافية ـ رياضية ..الخ)
6 ـ وضع ميزانية التواصل
ملاحظة: الرسالة الدعوية حاليا تتخذ في الغالب شكل موعظة تعتمد الكلمة سواء في

مسجد أو قناة فضائية أو وثيقة مكتوبة (مطوية ـ مقال ـ رسالة ـ كتاب)
أهمية التخطيط الدعوي:
تتجلى أهمية تحديد إستراتيجية دعوية في: ـ توفيرها نظرة كلية للأعمال المطلوب تنفيذها من صحافة،إشهار،مواقع انترنت،حملات توعية ـ بريد الكتروني ـ أحداث دينية اجتماعية سياسية ..الخ) على مدار السنة ووفقا للفصول وتحول اهتمامات الناس بحسبها للتحكم في الفصل ، فصل دخول مدرسي ، عطلة ..الخ والجهد المطلوب توفيره (مادي ـ تطوع الدعاة ..الخ) باختصار يعني لتكن الدعوة حسب موضوع الساعة.
تعريف فعل التواصل:
التواصل هو فعل التخاطب لإيصال:" رسالة، مطلبا، حاجة"، إلى الغير لإنشاء علاقة مع هذا الغير، لننقل إليه شيئا(معلومات، مطالب، تحذيرات، توعية) عن طريق تقنية ووسائل معينة مختارة بعناية ودقة تناسب الشخص أو الجماعة المقصودة، مع استهداف أوسع انتشار وأكبر مساحة من أناس متجانسين، فإن خطاب أناس غير متجانسين ثقافيا أو اجتماعيا أو سيكولوجيا (نفسيا) قلما ينجح، لأن المتطلب اللغوي و العقلي يختلف بينهم.
فالتواصل قد يراد منه إيصال معلومات دينية،تكاليف شرعية، لكن ليس هذا دوره فقط بل قد يحتاج أحيانا المتواصل مع الناس من الدعاة أن يُعرِّفهم بنفسه أو بدعوته، أن يروِّج لها، أن يعرضها لدفع الشبهات و الأحكام السابقة ، إن يزيل المخاوف و الشكوك التي تلحق الجهة التي يمثِّلها في مجتمعه ،أن يظهر مشاركته للمخاطبين في هويتهم،أو وطنيتهم،أو اهتماماتهم.(أنا منكم،أنا ابن فلان ،أنا مالكي، أنا على خطى الشخصية الصحيحة المقبولة عندهم) ما يسمى بـ "رعاية الصورة" يعني عليه أن يرعى صورته في وعيهم، و يدفع عنها الشوائب التي يُلحقها بها الخصوم، أو التصرفات الخاطئة ممن يمثِّلهم أو ينتمي إليهم، فهو بين فعلين: إيصال المعلومة و تزيين صورة مرسِل المعلومة.
وكما قلتُ سابقا: قد يكون المقصود الفرد أو الجماعة، وقد يكون المدخل إليهما: مطالبه الاجتماعية أو السياسية، أو الثقافية، أو الترفيهية أو الرياضية، أو التكنولوجيا، و على القدرة على إدخال رأي الإسلام في هذه المجالات تتوقف قدرة الدعوة على

الوصول إليهم، فمفهوم "التواصل، الدعوة، المخاطبة" متفاوت مرن قابل لكل جديد يساهم في نجاحه، لا يجب أن نحصره في صورة واحدة لا من حيث المضمون ولا من حيث الشكل(الوسائل) لأنه عندما يدخل الأفراد في التواصل فيما بينهم يجب أن نأخذ في الحسبان تفاعل العمليات المعرفية و العاطفية و اللاوعي بينهم، فكل معلومة عن طريق لفظ،أو كتابة،أو صورة تقدِّمها لهم سيتعامل معها الشخص أو الجماعة المستقبلة لها على أساس معرفتهم المتقدمة وعاطفتهم، وما انغرس في لا وعيهم، لذلك تحتاج أن تدرج معرفتهم(علمهم) كونهم ـ مثلا ـ متفرنسين، صوفية،أشاعرة، مالكية، معظمين للعقل،أو للنقل... الخ في المعلومات التي تقدِّمها لهم بتسلسل يذيب احتمال التعارض التناقضي(اختلاف التناقض) و الصدام، يعني لا تبدأ بمعارضتها بل بتزيين مذهبك وفهمك من خلال طريقة عرضه حتى يحدث لديهم الشوق ، و التفطن في لاوعيهم إلى نقائص ما عندهم من غير أن تشير إليه صراحة،آخذا في الحسبان الأحكام المسبقة و سوء الظن الكامن في اللاوعي.

وهنا يجب أن نفهم أن نقل المعلومة إليهم هو جزء واحد فقط من التواصل معهم، ليس هو كل عملية التواصل التي تتضمن انتقال ـ في نفس الوقت ـ مستويات مختلفة أو متعددة لمعان الكلمة لا تتضمنها الكلمة لفظيا، إنما تضمنها بالصورة المرفقة، بالإشارة المقارنة، بطريقة العرض،بالخلفية، بالجو المرافق.

وممارسة التواصل بين البشر أمر غير قابل للفصل عن حياتهم الاجتماعية، فهو أمر فطري طبيعي فيهم بحكم حاجتهم إلى التفاهم و التبادل وارتباط معيشتهم ببعضهم بعضا في كل مجالات الحياة، فكل واحد منا هو في الحقيقة مرسل ومستقبل في آن واحد،يستقبل، الكلمات، الحركات،الإشارات الجسدية، التعبير المادي(الهدية) وغير ذلك، وفي نفس الوقت يرسلها لغيره ،وهذا يعني أن رد الفعل مرتبط بالرسالة الموجهة ارتباط علة بمعلول.

و التواصل فعل كلي لأنه يتضمن كل الإنسان، ليس لسانه وكلامه فقط،يعني أي حركة منه أو فعل ولو لم يقصد منه أية رسالة، هو رسالة، فقيام الرجل بحرث أرضه نفهم منه إعدادها للغرس، ووقوف رجل ملتفتا إلى كل جهة قد يدل على أنه تائه يبحث عن شيء فإن علت وجهه تقاسيم التوجس علمنا أنه خائف،ومن وضعية وقوف الإنسان نعلم أن ينتظر شيئا،ومن طريقة مشيه نعلم أنه يتجول،يتنزه،أو في عجلة من

أمره، أو يبحث عن شيء...الخ.
كل فعل يقوم به الإنسان له معنى عند غيره، فهو رسالة غير مقصودة.، فالتواصل بين البشر بل بين البشر و الحيوان كلامي وغير كلامي،وقد يتواصل الإنسان مع غيره بالأصوات ذات الدلالة الطبيعية كالنحنحة و الصفير و التصفيق كما بحثها الفقهاء في باب الصلاة،وقد يتواصل الإنسان مع الحيوان بأصوات معينة وحتى بالكلام مع علمه أن الحيوان يفهمه ولا يتجاوب إلا بالفعل، كمخاطبة الكلاب بأوامر الهجوم أو الجلوس أو البحث.
إذًا لا تحتاج دائما إلى الكلمة؛فسواء تكلنا أم صمتنا فإننا نتواصل مع غيرنا ،ومن هنا قال العلماء: السكوت علامة الرضا، فسكوت الإنسان حينما يجب عليه الكلام يفيد أنه لا مخالفة ولا تعقيب لديه،وهكذا،لا يمكن الإنسان أن ينقطع عن التواصل مع غيره إلا بالموت ،وفي كثير من الأحيان يرسل لهم رسائل سيئة ، رسائل تكون صامتة غير مقصودة و لظنه أو حصره التواصل في الكلمة لا ينتبه إلى أن أفعاله مع نفسه مع عائلته مع جماعته في قضاياهم الداخلية هي رسالة إلى غيرهم، فالشقاق، و التناحر و الراشق وسوء الخلق وكثرة الاختلاف داخل الجماعة الواحدة هو رسالة لغيرنا أننا لا نقبل الاختلاف ولا نحفظ قدر المخالف وغير ذلك، ولهذا قال لهما النبي صلى الله عليه و سلم (تطاوعا ولا تختلفا).
باختصار فإن إيماءاتنا، مواقفنا الجسدية، الكلامية، أسلوبنا في الحياة، طريقتنا في الوجود، أسلوبنا في الكلام،في اللباس، في الحلاقة، في اعتمار قبعة، في المشي،في الصمت و السكوت، في الفرح ، في الغضب، في تعابير الوجه،في اللعب .....الخ، كلها رسائل منا لغيرنا يستقبلها و يفك شفرتها ويُقيِّمنا على أساسها، وليس على أساس كلامنا، ولهذا أكد الإسلام على مبدأ القدوة، وعلى مطابقة المظهر للمخبر.
فالتواصل طريقة من طرق التحكم في الغير، سواء أردتَ به خيرا أو شرا، لأننا نتواصل مع غيرنا بنية التأثير في عقليته، أو عقيدته، أو لتغيير سلوكه الاجتماعي أو التجاري الاستهلاكي وحتى الحربي، يعني تغيير بيئته و تصرفاته.
كفاءة التواصل في تعدد مرسلي الرسائل الدعوية:
التواصل مع الجماعة لا بد أن ينطلق من مرسلين متعددين يخاطبون أفرادا داخل هذه الجماعة محددين، آخذا بالاعتبار قدرتهم على الفهم و ثقافتهم الخاصة ،و المقصود

هنا الثقافة الجماعية ثقافة الكتلة المنتشرة بينهم تماما كما يفعل الإشهار التجاري يستهدف فئة معينة بخطاب خاص لها يؤخذ بعين الاعتبار في صياغته ثقافتها و عاداتها و أذواقها وآليتها النفسية في القبول و التأثر.

و حساسية خطاب الجماعة أنه يتموقع بين خطاب الفرد الواحد وخطاب المجموعة في الوقت نفسه لهذا هو خطاب معقد متعدد لأنه مرتبط بحجم الجماعة ،ودور الجماعة (يد عاملة ـ طبقة قيادية متوسطة ـ طلبة علم ـ طبقة برجوازية ...الخ) و شخصية أفراد المجموعة(مشككة ـ متوقفة ـ تحمل معتقدا مخالفا، جهل بسيط أم مركب،مستوى التعليم و نوع اللغة ...الخ)

فكل خطاب موجه إلى هوية معيَّنة قد تكون عبارة عن طبقات لها نفس المعتقد و الثقافة العامة، وقد تكون مختلفة فيما بينها من حيث نوعية الثقافة مع الاشتراك في جنسها، وقد يركِّز الخطاب على الجزء الفاعل و القيادي للجماعة بمعنى الأفراد المؤثرين فيها المنتمين إليها.

خطاب الجماعة:

أفضل خطاب للجماعات هي أن يتم استهدافها بمجموعة رسائل مختلفة المصادر والنوع، تأتي من مصادر متعددة مرتبطة فيما بينها بالخطة الدعوية (التواصلية) بحيث تركِّز على موضوع واحد بلغات و أشكال مختلفة وهنا يكون المعتبر بالدرجة الموضوع : القدرة على تقدميه على أطباق إعلامية و اجتماعية مختلفة.(فهذا يقدِّمه في قصة، و الآخر في تحليل اجتماعي اقتصادي سياسي، و ذاك في نقاش فكري، و هذا في ثوبه الشرعي الديني، أو في صورة مادة إعلامية ترفيهية...الخ) مع الحرص على اجتناب التأثير العكسي الذي يحدثه الضجر من الموضوع، وذلك بتنويع الأطباق و الألوان مع تقديم نفس المحتوى.

وهنا يأتي دور الصورة الحية من واقع الناس في عملية " الإقناع المبطن أو غير المشعور به"، اليهود يستعملون هنا دور الضحية، وغيرهم يسلط الضوء على الآلام الإنسانية التي تعرَّض لها من تمثِّلهم الرسالة الإعلامية وهو نفس الشيء تقريبا، فالتواصل الدعوي و الفكري الغرض منه كما قلنا سابقا: التأثير و التحكم و التوجيه،فليس مطلوبا الإقناع البرهاني لكل فئات المجتمع، على قاعدة" أسلم ولو كنت كارها"، وعلى طريقة القرآن في الدعوة، فمن الناس من يحتاج إلى حوار فكري

عميق كحال النخب،ومنهم من يحتاج إلى خطاب عاطفي(ترغيب وترهيب، صور من الواقع، مادة إعلامية عن سيرة الصالحين أو الأنبياء) ومنهم من يحتاج إلى نقاش يقوم على المسلمات لا يرتقي إلى درجة المطالبة بالقطع و اليقين.
ملاحظة: يجب أن نشتغل على الانترنت بصورة أكثر لأنها تقريبا لا تحتاج لنفس الإمكانيات المادية التي تحتاجها القنوات الفضائية و المجلات.
تصور فعل التواصل:
يعتمد التواصل على المصداقية،فالصورة التي نقدِّمها يجب أن تعكس حقيقتنا أو يؤكِّدها غيرنا ،فدور ومنزلة ومكان كل عنصر مشارك في التواصل يجب أن تكون معرَّفة محددة ، لا تتداخل فيها الأدوار، المشكل الذي نعاني منه في العالم الإسلامي عندما يتدخل الوعاظ أو الفقهاء في النقاش الفكري السياسي أو المعرفي لأنه يجب على المخاطبين(المستقبلين) للرسالة الإعلامية أن يتعرَّفوا على من يخاطبهم، على وضعيته وموقفه الاجتماعي لاجتناب سوء الفهم و الخصومة،و لتأمين المصداقية التي يوفِّرها الاختصاص،فالهوية الظرفية للمتكلم يمكن التعرُّف عليها بسهولة من خلال قوله.
فكل إصابة خادشة تتعرض لها صورتنا عند الناس هو ضرر محتمل لسمعتنا ،تشكِّل خطرا على خطابنا و مصداقيتنا و رصيد الثقة التي اكتسبناها من العمل الدعوي، فالإخفاق هنا يأتي من تداخل الأدوار وعدم تنظيم الدعوة بحيث أصبحت عبارة عن مشاريع فردية وطموحات شخصية في مجتمع عصري منظم ومؤطر في كل شيء، فنحن نرى الدول تستعمل الدبلوماسية بشكل مكثف للحفاظ على سيادتها وسمعتها، ومعلوم أن الدبلوماسية ما هي إلا التواصل السياسي لتأكيد سلطة الدولة أو نفوذها ،ولذلك يتكلم الممثلون لها بلغتهم لأن مدى انتشارها يدل على مدى انتشار ثقافتهم و تأثيرهم في غيرهم، ولهذا أيضا يدافعون بشراسة عن مجالهم المادي و النفسي ويمنعون و يقاومون اختراقه بصورة خفية.
فالتواصل هو الممر الوحيد للدخول في علاقة مع الغير، وأكثر ما نشاهده اليوم في الخطاب الدعوي هو مخالف مضاد للتواصل مع غيرنا،و لذلك فإن أكثر القادمين إلينا لا يأتون نتيجة لقدرتنا الدعوية التواصلية بل لحوارات داخلية مع أنفسهم أو لأسباب أخرى.

أهداف التواصل:

في خضم انتشار علوم الاتصال المعاصرة يظن كثير من الناس أنه كلما ملكت وسائل اتصال أكبر و أكثر تقدما تقنيا تكون قوة تأثيرك على غيرك،وهذا صحيح إلى حد ما لكنه لا يعبر عن الحقيقة بكل تفاصيلها ،و للإجابة عن هذا السؤال نحدِّد أهداف التواصل ومراحله:

1 ـ تمرير "معلومة، معرفة، عاطفة".

2 ـ إيجاد معايير مشتركة للتفاهم.

3 ـ إيجاد علاقة للحوار المتواصل،أو لإعادة بعثه.

4 ـ الحصول على قوة التأثير لدفع الغير للسلوك وفقا لإرادتنا.

5 ـ التعريف بهويتنا وشخصيتنا لغيرنا للتعرف علينا.

فهذه كلها أهداف لنا من خلال الدعوة بوسائلها المختلفة، فنحتاج إلى إيصال الخطاب الشرعي المحاصر بمؤسسات دينية بدعية أو ذات مصالح في خدمة أنظمة الحكم يزعجها انتشار الوعي الديني السديد ، يعني الخروج من تحت القبضة الإعلامية للمخالفين لنا، وخرق حصارهم لخطابنا من خلال منعنا عن المساجد وعقد المؤتمرات و غير ذلك، ثم التعريف بأنفسنا لإزالة التشويه المتعمد الذي نتعرض له، و الذي يحول بيننا و بينا الناس،وذلك بالتركيز على شيئين:

الأول : التعريف بحقيقتنا و أننا سنة نحتضن كل أهل سنة ،و نميز تمييزا واضحا بين خطوط الانتماء إلى السنة ودرجاته،و أننا من هذه الأمة نريد خدمتها و نحرص على ازدهارها،و لا نقصد الإيذاء و الهيمنة و السيطرة على الناس و إكراههم.

ثانيا: إبراز المشترك و تقديمه في خطابنا على حساب القدر المميز لنا حتى يعرف الناس أننا منهم وبهم، لا نختلف عنهم، ونحرص عليهم،و بهذا نبني جسرا للحوار مع المخالف لنا من خلال لغة خالية من العداوة و الاعتداء، أو نعيد بعث الحوار الذي كان بين مختلف المنتمين للسنة و انقطع بسبب فهم و تصور خاطئ حوَّل التدافع الفكري مع شرائح كبيرة من المجتمع الإسلامي كالصوفية و الأشعرية وغيرهما إلى حرب ضروس و عداوة تامة،و كل هذا الغرض منه تصحيح الأوضاع و تجديد الدين و جمع المسلمين.

ليس شرطا أن ترد على خطاب علمي تهجمي بهجوم مثله يهدر مقام المخاطب و

قيادته، فمناقشة الفكرة في حد ذاتها باعتبارها معطى علميا مجردا كفيل بوصول رسالتك و تقليل رد الفعل السلبي للمخالف ورده إلى عقله، فليس المقصود من المناظرة و النقاش المغالبة العلمية و لكن التغلب عليه سلوكيا و أخلاقيا في وعي الناظر و المستمع ثم الهيمنة العلمية المعرفية،وهذا ما لا أجده في كثير من المناقشات بين السلفيين و الأشعريين أو السلفيين و الصوفيين... الخ، التي أقف عليها في الفيسبوك مثلا.

فعلينا أن نتذكر دائما أن رهانات الدعوة(التواصل) مرتبطة بالوظائف المختلفة للرسالة الدعوية،فالتركيز على الوسائل المادية وحدها، أو على الصدق المادي(الصوابية) قد يؤثر سلبا على مضمون الرسالة الدعوية ، و الاقتصار على هدف وحيد في الرسالة هو: الإقناع بوجهة النظر بالكلمة يقلِّل فوائد الوسائل المستعملة أو يعدمها.

لقد بلغت علوم التواصل مستوى كبيرا يتجاوز حدود تصوراتنا الحالية،إنها تستعين بكل التخصصات الاجتماعية و النفسية و الإعلامية لفهم حوائج الإنتاج الإعلامي، و كيفية التعامل مع آثار الشعارات الدينية و الوطنية ، و التجارية ، و منظومات الإشارة الجسدية وتأثيرها على الشخص المستقبل للرسالة الإعلامية بنظريات تحليلية عميقة تفرق بين الإعلام(توصيل المعلومة) و التواصل (فعل كامل، الإعلام جزء واحد منه فقط) وهذا بحكم عدم تجانس المستقبلين للرسائل في المستوى العلمي و الثقافي و الخلفية الاجتماعية و الأذواق و التطلعات،فأدركوا أن المعلومة وحدها(المسألة العلمية) لا تصنع التواصل ،كتبادل الحديث بين شخصين، ولذلك نجد عدم التفاهم بينهما لأن التواصل يجب أن يحقق الثقة أولا، ثم معايير مشتركة للفهم(قانون التفاهم ـ منهج التقييم)،وعلاقة وطيدة بين الطرفين(موادعة،ملاطفة،محبة، صداقة الخ)، وبدون هذا لن يقدر التواصل(الدعوة) على تقريب وجهات النظر بل قد يعمق من الخلاف ويزيد من حدة التصادم.

و عليه يجب التحكم في كم المعلومات المتدفقة على المستقبل(المدعو) نغربلها و نرتبها بحسب حاجته والمرحلة التي يمر بها ،بعد إعادة صياغتها وفقا للغة التي يفهمها،و تقطيعها كما يقطِّع الفقهاء النص الحديثي بحسب السؤال و الحاجة .

صناعة الخطاب الدعوي:

قد يكون التواصل بواسطة الكلمة، وقد يكون بوسائل أخرى،و التواصل بالكلمة يتم عبر علامات لغوية هي اللغة أو اللسان،فالكتابة،لغة الإشارة،الصوت هم وسائل إعلامية للتواصل، يعتمد فن صناعة الرسالة الدعوية في صياغتها على صناعة البلاغة لتقليل أضرار تداخل المعاني حتى لا يقع سوء الفهم .

إطار التواصل:

أما التواصل غير الكلامي فهو ما يرافق الكلمة من إشارات،كالصوت (موسيقى طبيعية أو مصطنعة) ، الحركية(للمتكلم) ، و الألوان، اللباس، الرائحة(العطر) عند الاتصال المباشر ،فمثلا هناك علامات تدل على الذكاء و أخرى تدل على الضعف مثل: النظارات تدل على الذكاء لأنها توحي بكثرة القراءة كما تدل على الضعف لأن من يقرأ لا يكون مشاغبا متشاجرا يصرع الناس فقلما يضع الأقوياء و المجرمون نظارات،و هكذا.

فجمع هذه الإشارات و تركيبها معا و هي أشياء مرتبطة بالثقافة ، بالقيمة المضافة للكلمة تغيِّر معطياتها و سياقها و هدفها.

و هذه الإشارات عندما تكون مجردة ضبابية المعنى،يفسِّر ها كل إنسان بحسب فهمه، لكنها متى وضعت في السياق المذكور مصاحبة لكلمة اتحد المعنى حولها، فقد تشر الحركة و الإشارة إلى التشكر أو عدم الثقة،أو الممانعة،أو التحفظ...الخ.

ومن هنا كان الاهتمام بالجسد و لغته، ووضعيته(طريقة الوقوف و الجلوس و التحرك في الاستديو) الإشارة و تعابير الوجه مهما جدا، ليس لعبا كما قد نظن،وفي الحقيقة هذا نجده في السنة النبوية: الاهتمام بالمظهر ،بالشعر و اللحية، التطيب،طريقة المشي كالالتفات بكليته و ليس بوجهه فقط (صلى الله عليه و سلم)، عدم التثاقل في المشي الذي يدل على الكبر و الكسل و الفراغ،اجتناب الغمز ،إظهار الفرح مع الأخبار المفرحة، و الغضب مع المغضبة،التحلي بالصبر على الاستماع للغير،تكرار الكلمة(المفيدة) ثلاث مرات، الأخذ بيد من نخاطب، أو ضعها على كتفه لإشاعة الأنس و الثقة ،الابتسام في وجه الناس،التحكم في نبرة الصوت بحسب الموقف، استقبال المجالس لإظهار الاهتمام بكلامه،المبالغة في إكرامه ،....الخ.

فالتواصل إذا ليست الكلمة وحدها بل مجموعة أشياء تساهم كلها في وصول الكلمة مبعدةً الحواجز التي تقف أمامها: الثقافية و النفسية، فكل ما يرافق الكلمة و يساهم في

وصولها حتى نبرة الصوت نسميه "إطار التواصل" أو "بيئة التواصل."
بناء لغة التواصل مع الغير:
من المفيد لنا أن نعرف أنه لا يجب أن نعتقد أو نتصور أن لغتنا مفهومة للغير لأنها لغة القرآن، وقد جربناها في الواقع،بل يجب أن نجهِّز اللغة بحسب الشريحة المقصودة،فعموم الناس وسوادهم الأعظم يجب مخاطبتهم بلغتهم العامية لكن المجردة من اللهجات المحلية، يعني: تكون لغة عامية معتدلة يفهمها غالبيتهم، وهي التي يسميها العلماء "اللغة المهلهلة"،يعني نستعمل العامية (و العامية هي عبارة عن ألفاظ عربية مبتذلة)من غير تأثير سلبي على الفصحى ، كالتشجيع على أن تكون اللهجة العامية لغة الآداب و العلوم و المعاملات الإدارية وغير ذلك، فالخطورة هي أن تصبح العامية لغة الكتابة و التدوين،و التعليم المتخصص، فهذا يسلخ الأمة من لغة القرآن و الحديث ،لا أن تكون لغة الوعظ و التعليم الموجه للعامة، لأن رطانة الفهم أخطر على الأمم من رطانة اللسان.
فلا يجب أن نخاطب كل الناس من فوق المآذن بلغة لا يفقهونها ،نعم يجب حث المتعلمين على الاهتمام بها و تحبيب الناشئة فيها،و غرس شعور الاعتزاز بها في أنفسهم مع ضرورة أن نفرق بين هذا، وبين الحاجة إلى النزول إلى مستوى العامة لتفهيمهم لأنهم بالضرورة عاجزون عن الارتفاع إلى مستوى الفصحى، فالاستعمال بحسب الحاجة، وهذا منهج سلكه كثير من العلماء في رسائلهم حتى اهتم العلامة الألوسي بالأمثال العامية في بغداد فجمعها في كتاب.
فينبغي على الدعاة معرفة مصطلحات العصر، و الألفاظ الدارجة على ألسنة العوام ومخاطبة الناس بما يفهمون، فالتفاصح في العامة أقبح من اللحن في مخاطبة الفصحاء.
لا بد للدعاة من معرفة اللهجات ،فمعرفتها ضرورية لهم حتى يفهم الناس ما يقولون، فالتحدث إليهم باللغة التي يفهون أمر ضروري لا اختيار فيه ،إذ المقصود إيصال المعنى بأسهل طريق دون تعقيد و تنطع و تشدق في الكلام.
وهنا يجب أن نفرِّق بين العامية أو الدارجة و السوقية وهي اللغة المتضمنة للعبارات الساقطة، فالعامية موجودة في لغة الفصحاء، وفي لغة الشعر، وفي كتب أهل العلم قديما بينما السوقية هي لغة منحطة تحمل القيم الفاسدة، مثال على العامية استعمال

الشاعر لفظ " تفرعن" الدال على الجبروت، و لفظ"الزاج"،و"الشاطر" فأصلها في اللغة غير معناها عند العامة،وحتى في لغة الفقهاء تجد كلمة" توضيت" وهي لفظة عامية و إن كان أصلها في لغة هذيل.

و الموشحات والزجل و النبطي فنون شعبية منتشرة تعامل معها العلماء و الأدباء بقوانينها وهي بالعامية، وحتى لا نخطئ على الناس يجب أن نعرف أن أصل العامية ومادتها هو اللحن الذي اقتصر على تسكين الكلمات،و اللحن بدأ قديما و العامية معه فليست هي من إفراز العصور المتأخرة ،فبدأ بأمثال خالد بن عبد الله القسري وخالد بن صفوان وعيسى المدور و الحجاج بن يوسف وبعض المحدثين، بل في النوحيين من كان يلحن حتى كتب عمر بن شبة النحوي الراوية المتوفى سنة 262هـ كتابًا فيمن كان يلحن من النحويين إلى عهده.

ونقل صاحب (نفح الطيب) أن الخاص منهم إذا تكلم بالإعراب وأخذ يجري على قوانين النحو استثقله الناس واستبردوه!.

وابن جني توفي سنة 292هـ وكلامه في "الخصائص" يشعر أن ألسنة البدو يومئذ بدأت تضطرب، فلا يجب أن نحمل هذا العصر أوزار عصور سابقة.

وعليه فإن مراعاة لغة التفاهم التي تجري بين الناس باختيار الألفاظ المبتذلة المألوفة عندهم خير من تطويل الخطاب بقصد التفهيم بالفصحى، فهنا يجب أن نفرِّق بين مخاطبة النخبة ومخاطبة العامة، فليس العامة هم من يحفظ الفصحى ولكن الخاصة و الآداب والتدوين و تعليم العلوم الشرعية.

والداعية الناجح يغير على العامية متى شاء، فيقتبس من أمثالها وفكاهاتها ما يوصل به الخطاب ومكنته من العلم لتبسيطه للعوام، وكثير ممن يأنف عن ألفاظ العامية يعجم المعاني في الفصحى؟

فمن قال الحق الذي دل عليه الكتاب و السنة فهو من أهل العلم ولو قاله بالعامية على مبدأ مخاطبة كل صاحب اصطلاح باصطلاحه ولغته ،فالمعتبر عند هذه الحاجة:

صحة المعاني لا جمال الألفاظ و غرابتها، فالمكروه الكلام بها إلى غير أهلها يعني في غير حاجة، و ليست الضرورة إلى اللغات أجنبية بألح من الضرورة إلى العامية ، فهذا النبي صلى الله عليه و سلم يقول لأم خالد بنت خالد بن سعيد بن العاص وكانت صغيرة ولدت بأرض الحبشة : ((يَا أُمَّ خَالِدٍ هَذَا سَنَا)) و السنا بلغة الحبشة هو الحسن

لأنها كانت من أهل هذه اللغة ، فمتى احتاج أداء الواجب إلى تعلم شيء أو استعمال العامية لأن معرفة الناس بالله أو بأمره متوقفة على فهم الخطاب جاز و استحب استعمالها، فالمعتبر مخاطبة الناس بلسانهم كما قال تعالى:{وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ} [إبراهيم: 4] و لسان الناس العامية ، و الفصحى لسان الخاصة من قرون طويلة، فما احتاج إليه الهدى من البيان أخذ به الداعية .

و في الحديث عند أبي داود ((إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُبْغِضُ الْبَلِيغَ مِنَ الرِّجَالِ الَّذِي يَتَخَلَّلُ بِلِسَانِهِ تَخَلُّلَ الْبَاقِرَةِ بِلِسَانِهَا))

والمعاني تحي في ذكر الناس لها و استعمالهم إياها ،و الألفاظ لها حقائق موضوعية ذات وجود اجتماعي مستقل عن رغبتنا، فاستعمال غير المشهور عندهم يلقي على المعاني حجابا من الغموض و الالتباس، و الغموض لا يدل على عمق التفكير، و قد يكون الأسلوب مرصعا بجواهر البلاغة ومع ذلك في غاية الغموض ، بل التعبير بالمشهور المعروف للناس يدل على وضوح الأفكار .

و الطمع في فهم العوام للفصحى طمع في محال.

تقنيات العمل على الرسالة:

ـ ولهذا يجب علينا ضمن إستراتيجية التواصل أن نعمل على توحيد لغة الخطاب و تبسيطها و اختيار من العامية العبارات التي أصلها فصيح، و التي يفهمها جميع أبناء العالم الإسلامي على اختلاف لهجاتهم العربية كما هي لغة الإشارة موحدة،وهذا يدخل ضمن العمل الاحترافي على الرسالة نفسها يعني على العوامل المؤثرة فيها: 1 ـ الاشتغال على الجانب التعبيري للرسالة.

2 ـ الجانب الشاعري و العاطفي.

3 ـ الجانب السمعي(نبرة الصوت،و الصوت المرافق).

4 ـ الإطار وهو الشروط الاقتصادية و الاجتماعية المحيطة التي تؤثر على فهمها ضمن سياق معين(المناخ السائد في البلد أثناء ارسال الرسالة).

5 ـ الجانب الرمزي المتعلق بالعلاقة المادية أو النفسية أو الاجتماعية بين المتحدث و السامع.(الشعارات).

قواعد مهمة في صياغة الرسالة:

إن الرسالة الموجهة للغير مرتبطة بالإطار الذي توضع فيه،وهناك النموذج الثلاثي

لتيودور نيو كومب،الذي أدخل دور التواصل في العلاقة الاجتماعية التي يحكمها عاملان:

1 ـ التصرف(السلوك) الذي يعبِّر عن قيمة وجودة الرابطة العاطفية.

2 ـ الاتحاد بين المرسل و المستقبل الذي هو خصيصة العلاقة.

ومن هذا المنطلق اهتم بالتوازن في العلاقة الاجتماعية ،فتوصف بأنها متوازنة عندما يكون التصرف(السلوك) في توجه واحد، مما يعني أننا في عملية التواصل نبحث عن التوازن في وقائع التواصل يعني أننا نبحث عن المجانسة و المشاكلة و التشابه بيننا وبين من نتصل به، أن يصبح مثلنا هذا المقصود.

و هنا يجب أن ندرك أن التواصل يتم حول موضوع واحد مشترك،إما حديث،أو شخصية أو هواية مشتركة هذا منطلق الرسالة الدعوية(الإعلامية) تدخل على قلوب المستقبلين لها من باب المشترك، إما حديث يهمهم، أو شخصية معتبرة عندهم، أو هواية يحبونها، مما يبعث الاهتمام عندهم، و هذا نسميه مخطط العلاقة المتوازنة بين المرسل والمستقبل،وبهذا تكون عملية التواصل ظاهرة ديناmكية معقدة غير ميكانيكية.

و أدخلت ماتيلدة وايت ريبلي" الإطار و الانتماء إلى جماعة" الأخذ بالاعتبار: التأثير العكسي الدوراني بين المرسل و المستقبل، مما يدل على وجود تأثير متبادل يعني: استجابة المرسل لمتطلبات المستقبل.

إن عملية التواصل العصرية تقوم على المعلوماتية،و إدارة الأفراد،و العلاقات العامة التي تقوم على تحسس الرأي العام،وعلى إدارة المعرفة إدارة علمية في صياغتها و ترتيبها و تقديمها للناس لتجنب الفوضى الحاصلة بحيث الرسالة صارت مرتهنة بثقافة الداعية و كمية حفظه فيضطر أن يدخل في كلامه معلومات لا يحتاجها المستمع ،وعلى البيداغوجية ،و القواعد التعليمية،وعلم التدريب و الترويد و التربية،و التثقيف،و التوجيه و نفسية الجماهير،و الإشهار.

لقد طوَّر الغرب علم التواصل بكيفية قوية، يمكن أن نستفيد منها لتطوير خطابنا الدعوي إضافة إلى ما يتمتع به الدين من سلطان و جاذبية على النفوس إذا ما كان على لسان رجل فقه هذه الأمور و أخلص النية.

هذا زمان آخر،له أسلحته و تقنياته يحتاج إلى مجاراته للتأثير فيه.

مختار الأخضر طيباوي

أرزيو، الجزائر ، في 16/11/2014

الذاكرة....و الخلود.

ذاكرةُ الإنسان أغلى ما عنده فهي هويَّتُه، وهي جوهر ماهيَّة شخصيته، هي ما كان وما هو عليه الآن .

كيف نزنُ الذِّكريات، أو كيف تكون بعضُ الذِّكريات أثقلَ على كاحلِنا من الجبال الرَّواسي وهي لا وزنَ لها في عالم المادَّة، سبحان من يزنُ ميزانُه كلَّ شيءٍ، يزنُ الأعمالَ و الأقوال.

نعتقد ـ أحياناً ـ أنَّ بعضَ الذِّكريات ماتَتْ فينا، تلاشت مع الزَّمن، خرجت من تلك المرآة الَّتي نَنْظُر فيها إلى أحبَّتنا الغائبين عنَّا كما يقول كامو ألبرت(camus)

نسترجع لحظات السَّعادة الَّتي عِشناها حتَّى نمُرَّ على مشهدٍ، أو نسمعَ صوتاً، أو نَشُمَّ رائحةً شهدت تلك اللَّحظات المفعمة بالسَّعادة، فإذا بها تعودُ، تخرجُ من قبرِها، تُبعَثُ فِينا من جديد.

لا يوجد شيءٌ من المكلفين يموتُ في الحقيقة، ينتقلُ إلى بُعْدٍ آخر، يلبسُ هيئةً أُخرى ، يتحوَّلُ إلى جهةٍ أُخرى، ينزلُ عميقاً في حُفرتِهِ، أمَّا أن يموتَ فلا شيءَ يموتُ في الحقيقةِ حتَّى يقفَ أمام الله ، الموتُ بَعْدَ لقاءِ الله، تموتُ فينا الدُّنيا ببهرجها الكاذِب، يموتُ الألمُ، وتموتُ اللِّذةُ المحرَّمة، ثمَّ تُخْقَنُ فينا الحياةُ من جديدٍ، حياةُ الأحياء في الجنان، أو حياةُ الموتى في السَّعير .

لم يَخلق اللهُ الإنسانَ ليموت ، لم يزوِّده بكلِّ تلك الفضائل ليموت، لم يُذقه كلَّ تلك الملذات و العذبات ليموتَ، ويعودَ إلى العدمِ، خلقَه لِيشهدَ الأبديةَ، ليعرف معنى كمال الوجود في المستقبل، سبحان الله، كاملٌ يَهِبُ الكمالَ، ومِن كمال الحياة وكمالِ الوجود أن يستمرَ الإنسان إلى الأبدِ ،لأنَّ أيَّة نعمة مهما طالت إن قطعتَها النِّهايةُ صارت نقصًا، لا شيءَ يكونُ لذةً وهو ينتهي وينْعدم، إنَّما اللِّذة في اللِّذة أن تستمر، أن تتواصل، أن لا يعقبُها ضدُّها، أن لا تفنى فتصبح خبرًا بعد عين كأن لم تكن،أن تكونَ هو أن تكون بلا نهايةٍ، أن تكون هو أن تكون لك في القرآن حياةٌ.

هذا هو عطاءُ الرَّحمن الَّذي لم يفهمه البشرُ عندما نزلوا إلى عالم الفناء، عالم التَّلاشي و الموتِ، عندما سمحوا لأنفسهم أن تتمرَّد على نفسها (فطرتها) قبل أن تتمرد على

فاطرها.

تغلق القضية بالقتل

الأمر كما قال ذاك الكاتب الفرنسي المتفلسف الوجودي "سارتر": ذهب الضحية بمفتاح القضية إلى القبر... ما قتلتَ القتيل لأجله بقي عالقا عندك إلى الأبد !
أكثر الناس: قدرية(نفاة القدر) في الدنيا يرجعون كل شيء فيها إلى أيديهم و قوتهم وحيلهم، جبرية(ينفون مسؤولية الإنسان) في الدين يرجعون كل شيء فيه إلى الله، عقلاء أذكياء في الدنيا، حمقى غافلون في الدين !

بين الابتداء و الانتهاء مفاوز يختفي فيها الصواب ويتيه.

قد يحسن بعض المتكلمين في المواضيع ذات الحساسية،أو العويصة (كفكرة)، ابتداء الكلام و الدخول فيه، لأن المقدمات سهلة الانجاز، تعبر عن التصور الإجمالي، ولكنهم يعجزون عن الانتهاء، و الخروج منها بتوليفة علمية صحيحة تمسك بكل أبعاد القضية (العلمية ـ الاجتماعية ـ السياسية) لأنهم ربما لم ينتبهوا إلى أنه لكل مسألة علمية أثر على العلاقات الاجتماعية ومنها على الامتداد السياسي لها ،فالكلمة العلمية الصحيحة قد تمزق نسيج المجتمع،وتثير العداوات ،و تسمم المجال العام،مجال الالتقاء،وكله يرتد على الفعل السياسي الذي يؤثر عليك بوجه من الوجوه، فالحق قد يكون منفرا إن كان في غير سياقه(يراد به الباطل، فالنفور من القصد الباطل وليس منه) ،أو عند غير أهله(من يفهمه على غير وجهه).
ليست الصحة المادية(الصوابية) هي وحدها التي تصنع القبول و الاستجابة، فالحق كالسلاح يحدد مشروعية استعماله: الغرض و القصد(الهدف)،شرعية الوسيلة وشرعية القصد.

فكرة أخرى عن وسائل الدعوة المختلف فيها

وسائل الدعوة بين التوقيف والاجتهاد
بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله وحده و الصلاة و السلام على من لا نبي بعده.
مقالي السابق(مفهوم التطاوع في بناء الخطاب الدعوي الإسلامي) كان عن استعمال

تقنيات علم الاتصال المعاصر في صياغة الرسالة الدعوية ،لم يبحث تأرجح وسائل الدعوة بين التوقيف و الاجتهاد لأنه من المفروض أن يكون موقفنا من علم الاتصال الحديث مفروغا منه لشدة وضوح أمره،فالعلوم ثلاثة أقسام: عقلية وملية وشرعية،وقد يجمع العلم بين الأقسام الثلاثة،و علم الاتصال علم عقلي يستعمله المسلم و الملي و الملحد على حد سواء و إنما يختلفون في مضمون الرسالة الموجهة بتقنياته، وحتى لا نتيه في فوضى التخمين و التقدير تجاوبا مع تساؤل الإخوة عن حكم وسائل الدعوة هل هي توقيفية أو اجتهادية لينصب الحديث و التمثيل على صناعة الفيلم الدعوي سواء كان تسجيليا أو دراميا،ثم في الأخير نبحث أدلة الشيخ عبد السلام البرجس رحمه الله.

لقد فرضت علينا الأحداث السياسية و الاجتماعية الجارية وما حمله العصر الحديث من تقنيات استولت على عقل الإنسان و أصبحت تشكل وعيه، بل ساهمت بشكل مباشر في تنامي ظواهر الفجور و الإلحاد، وتحويل الإنسان إلى "بضاعة مستهلكة لبضاعة"، و إفراغ هذا الإنسان من كل ما يُشكِّل لديه جدار حماية أو ممانعة أمام هجمات الحياة العصرية المكلفة و سلطان الشهوات المعروضة و المروج لها بكل أساليب المكر بالنفس و التلاعب بالبصر فأصبح مخلوقا هشا، سجينا لأحلام التكاثر، مُدمِنا على عوالم الصورة المصطنعة المفبركة بإحكام.

لقد حاصرته التقنية حتى أصبح من الصعب عليه العيش بدونها ،وتحت وابل القصف الإعلامي الذي تتعرض له فطرته ومسلماته انهار في حياة الشهوة، و أصبح عبدا لها، مع أنه في كثير من الأحيان عاجز عن الوصول إليها ،شهوة مدمرة لمنظومة القيم عنده، بعيدة المنال عنه، كالذي باع دينه بدنيا غيره.

هنا فرضت علينا هذه الحالة الإجابة عن سؤال الصورة الرقمية،عن الصناعة السينائية و التلفزيونية،سؤال "نجاعة وسائل الدعوة التقليدية" في مواجهة وسائل الشهوة العصرية؟

لأضع أمامك الإشكال في صورته المركبة ثم ننظر هل أجوبتنا عن صورته المركبة أم عن بعض جزئياته،ذلك أنني حينما ينطلق النقد العلمي عندي من جزئيات معزولة مجردة عن الصورة الكاملة المركبة فأنظر إلى الفيلم الديني من جهة حكم التصوير،و تمثيل الشخصيات التاريخية كالصحابة ...الخ إنما أنظر إلى جزئيات قد تتبين لي

بعض المفاسد فيها، هذا لأني خاضع لما ينتجه الغرب، لا أملك وسائل الإنتاج السمعي البصري الخاصة بي، و عاجز عن الابتكار بما يخدم الرسالة الدعوية ويحافظ على الخصوصية الإسلامية، ومع ذلك فإنه في الحروب ـ ونحن في حرب لم يعرفها المسلمون من قبل ـ يجب أن تختلف الأحكام، و هي في شريعتنا مختلفة،وهذا من المسلمات المتفق عليها.

و أهم من ذلك يجب أن أرى الفرق بين المحرَّم تحريم الوسائل و أحكامه و المحرَّم تحريم المقاصد و أحكامه.

ينظر واضع الخطط التبشيرية ـ على اختلاف مللهم ـ إلى الخريطة الديموغرافية السنية فيجد أن الشريحة الكبرى لا يصلها الخطاب الفكري و الديني وحتى السياسي لأنها تستعمل الشاشة كوسيلة ترفيه فقط، فأدرك أنه لا يمكنه الوصول إليها إلا من خلال الدراما و الفكاهة و الرياضة و اهتمامات الحياة اليومية،فبدأ يُقنبلها بوابل من الأفلام التي تستهويها و تجذبها بحكم فطرتها أو عاداتها أو شهوتها،فمنهم من بدأها بالأفلام عن الرُّسل وضع فيها سمومه و جذبها إلى قنواته الخاصة، ومنهم من بدأها بأفلام الدراما حتى إذا عرَّف بنفسه و حصَّل جمهوره انتقل إلى أفلام دراما تحمل رسائل خاصة بثقافته و سياسته.

ونظر بعض أهل السنة إلى الحالة عاجزين عن تحرير أبناء طائفتهم من هذا الأسر الجديد لأنهم يعلمون أن هذه الشرائح لا تستقطبها القنوات الدينية ولا الخطاب الديني بكل وسائله، فرأى بعضهم أنه لا يفل الحديد إلا الحديد خاصة في انعدام أي وسيلة أخرى مكافئة، و أن وسائل الدعوة المادية اجتهادية.

في حين رأى غيره أنه لا يجب علينا الخوض في هذه الوسائل و لنبق في التقليدية ،و التي هي في الحقيقة عديمة التأثير على هذه الشرائح، و احتج لنفسه بأن وسائل الدعوة توقيفية؟

و عليه، كان الفريق الأول ينظر إلى مقاصد الرسالة الدعوية، وهي بلا شك حسنة و مطلوبة مع ضرورة توفير أقصى حد ممكن من الانضباط الشرعي في انجازها،و نظر الفريق الثاني إلى جزئيات الموضوع و إلى الوسائل بغض النظر عن المقاصد مع أن الوسائل تتبع المقاصد و تأخذ حكمها،فأنزل وسائل العمل الدعوي السينمائي مثلا منزلة وسائل العبادات كالدعاء و الإيمان و العلم الشرعي؟

وسبب هذا التضارب :القدرة على التساؤل بصرامة وعقلانية عن حقيقة،أو احتمالية المصالح و المفاسد ومقدارها ،ثم عن تأويلاتها، فدور الفقيه الحكم على الأعمال الجزئية ، لكن الربط بين كون بعضها أسبابا و الأخرى نتائج عنها، لها آثار نفسية و اجتماعية و سياسية خطيرة، أو تهدد بشكل ملموس العقيدة و العلاقة بالدين يعود إلى عملية فكرية أعقد ليست من اختصاصه تحتاج إلى الإحصاء و التعرف على مجال التأثر.

وهنا يجب أن نتساءل إن كان لنتيجة حكمه معنى محصل مؤثر على الواقع، يعني أن الركب ماض بدونه مهما كان موقفه؟

نعم من حقه أن يتحفظ و يحتج و يستدرك ويُبين العيوب و النقائص حرصا على الأحكام الشرعية، فهذا دوره لكن الشريعة قد أعطته حلولا لنوع من القضايا تحتاج إلى الاستثناء، وهي القضايا التي تغلب حسناتها سيئاتها،أو التي لم يتوفر ظرف و إمكان النهي عنها، وهو موقف السكوت، لأن ترك النهي عن الشيء لا يعني الأمر به إذا كانت حسناته أعظم من سيئاته ،أو لم يكن هناك طريق إلى صد سيئات أعظم من سيئاته إلا تلك الطريق.

في هذا المقال أريد تسليط الضوء على أخطاء الاستنتاج المبنية على المقدمات المظنونة من خلال تناول الأدلة المعقِدة للموضوع عمدا، المرتكزة أساسا على ميولات نفسية وعرفية و اختيارات لعقولنا الباطنة التي يتحكم فيها المعتقد المبني داخلها من قبل، ذلك أن العلاقة بينها و بين الموقف العملي متناقضة: يفتحون المجال للمعادين بالسكوت،ويغلقونه أمام المصلحين بالنقد؟

من خلال مساءلة قيمة العرضي في أدلتهم، وصحة الصورة الاستدلالية كالتقديم بمثال السماع الصوفي و حكم القُصاص، نقف على الأسباب الحقيقية الممانعة، المقاومة لقوة الواقع، وتقدير أثر هذا الموقف السلبي على الأمة تقييما مطابقا للحقيقة كما هي موضوعة أمامنا و أمام من يعاني من ويلاتها، الحاضر في قلبها؛ مع ضرورة الابتعاد عن مضادات النقد العلمي الصحيح في حدود الإمكان : عدم الموضوعية، الارتباك في القراءة ،فوضى الأفكار،التناقض و التضارب،الانقطاع بين المقدمات و المحصلة،ترجيح الاعتقاد،العصبية و التكتل المذهبي أو المصلحي،عدم التجانس بين أقسام الفكرة ،و أخيرا خرافية الطرح (الاعتباطية).

لنفحص بدقة موضوع "الوسائل أو الذرائع" كما يسميها المالكية لأن الذريعة هي السبب،وما يتوصل به إلى الشيء ونحاول مقاربة فهم حدودها و أنواعها، و مصداقية جعلها توقيفية في الدعوة أمام المقاصد الشرعية أولا ثم أمام الحقيقة في الواقع العيني.

الموضوع:

أولا: أشكر أخانا الفاضل أبا رقية الدمشقي على مداخلته و استشكاله لأنه وضع يده على موضوع في غاية الأهمية في تقديري هو سبب العقم الدعوي الذي تعاني منه الجماعات الإسلامية لأنه بصورة ما يفتح الباب على مصراعيه على سؤال الخطاب الدعوي وعلاقته بواقعه وبمتطلبات الناس،وعلى سؤال "الحداثة الإسلامية" إذا صح التعبير أعني: موضع المسلمين في ما جلبه العصر، هل هو الثبات و الجمود أم التجاوب بحذر أم الانجرار معه و الذوبان فيه؟

1 ـ مجرد كون الوسائل شرعية لا يعني شرعية المقصود، ولا كونها محرَّمة يعني عدم جواز تحقيق المقصود بها في كل الحالات، فالمقصود لا يكون شرعيا إلا إن استجمع شروطه الشرعية باطنا وظاهرا، و الشروط قد لا تكون ممكنة إلا بمحرَّم أجازته الشريعة إما لأنه محرَّم لغير ذاته، ومثل هذه الوسائل قد تُسد لأسباب و تفتح لأسباب أخرى،و إما لضرورة؛فمن الوسائل ما يكون طريقا مؤكدا للحرام يحثُّ عليه،ومنها ما هو طريق إليه لكنه لا يحثُّ عليه،الأولى تُسد و الثانية تباح للحاجة، هذا ما سنوضحه هنا.

لكن قبل ذلك لنحدد أنواع الوسائل :الوسائل الحقيقية،و الوسائل الإضافية وهي ما كان وسيلة من جهة مقصدا من جهة أخرى، مع ذكر الفروق بين الوسائل في الأمر و الوسائل في النهي، الوسائل في العبادات و الوسائل في المعاملات، الوسائل في الدين و الوسائل في الدنيا، المحرَّم تحريم الوسائل و المحرَّم تحريم المقاصد.

2 ـ فمن حيث الإجمال أقول:إن الذين لم يفرقوا بين نوع الوسائل و اكتفوا بالدلالة اللفظية الحرفية لهذه الكلمة" وسيلة" و التي تعني لغة و اصطلاحا: (ما يتقرب به إلى الغير، ما يتوصل إلى التحصيل.) مع أنه تتضمن معنى كل ما يتخذ وسيطة لتحقيق غاية ما أو مطلبا ما كالدعاء فهو وسيلة، وكذلك العلم منه وسيلة ومنه مقصد،وبين الوسيلة بمعنى الإطار و الآلة ، فهناك فرق ضروري بين الوسيلة التي نتقرب بها إلى الله، و بين الوسيلة التي ليس لها هذا حكم، إنما هي غلاف و إطار و ناقل للرسالة قد

يكون مباحا بغض النظر عن الغاية،وقد يتوقف حكمه عليها فيأخذ حكم الغاية.
وهذا الخلط يشبه الخلط بين كون الفرس أو السيف أو الرمح،أو العدة أو الميرة من وسائل الجهاد، و الشعر و الكتاب و الشريط و التلفزيون الخ من وسائل الدعوة،وبين الدعاء و العلم و العبادة كوسائل إلى مرضاة الله أو إلى دخول الجنة، فالخلط بين النوعين خلط فاحش .
إن وسائل الدعوة المادية وما يقع في ضمنها وهو ما أسميه إطار الرسالة الدعوية كاعتبار المناسبة، و اهتمام الناس و الصورة و الحركية من أين لهم أنها توقيفية؟
نعم قد تكون خاضعة لضوابط أو شروط كلية لكن هذا لا يجعلها خاضعة للنص تعيينا وحصرا.
الوسائل في النهي:
من المعلوم أن الانتهاء هو الكف،وفي النهي يجب الانتهاء بأية وسيلة تماما كما في الجرح يجوز حسمه بأية وسيلة ولو كانت محرَّمة،لأننا في موضع لا يحتمل الاختيار،فكذلك الخروج من الحرام إلى الحلال أمر واجب شرعا،و التحيُّل له باتخاذ الوسائل و الذرائع المؤدية إليه أمر مطلوب شرعا.
وقد تكون الوسيلة محرَّمة ومع ذلك تجيز الشريعة استخدامها في حالات،كالكذب لإحراز النفس و المال و العرض جائز ،وقد يكون واجبا،و المكر بالعدو و مخادعته،و تعذيب المتهم جائز،وقتل المحارب بالخمر و الحرق، الزنا بالعادة على اختلاف في التفصيل كلها جائزة.
وكلها أصلها محرَّم ومع ذلك هي وسائل شرعية في مثل هذه الحالات، فكون الوسيلة محرَّمة عند الإطلاق لا يعني بحال أن الشريعة حرَّمتها في كل حال.
وقد تكون الوسيلة متأرجحة بين كونها وسيلة وقصدا، فالشيء قد يكون وسيلة من جهة غاية من جهة أخرى كالوضوء و النية و المال،نستعملها كوسائط لتحصيل أمور أخرى وأحيانا نقصدها لذاتها.
فلا يمكن أن نتكلم على وسائل الدعوة ـ بما عهد في أيام السلف ـ من طرق بسيطة لا تتجاوز المشافهة و بعد ذلك المكاتبة و استعمال الشعر و النثر ،فليست مبنية على نصوص شرعية واجبة الإتباع، حاصرة لوسائل الدعوة، كل ما في الأمر أنها كانت اجتهادية تماما كوسائل المقاضاة من: تبليغ الأطراف و استدعاء الشهود،و إثبات

الحالة، و إعلام المدعى عليه بأوراق رسمية يوقِّع عليها المعني، مما لم يكن معهودا عند السلف، فإن لم يحضر بدون عذر مقبول ولم يطلب التأجيل اعتبر كأنه حضر ، فالإجراءات التي يراعي فيه تغيُّر العرف ومتطلبات الزمن، وأنه يمكن استخدام الوسائل الحديثة التي تحفظ بها الحقوق بمثل ما تحفظ في الصكوك و الأصول المصرفية؛ ومما ينبغي مراعاته الدور الذي أصبح للصورة الآن وكيف غزت المجتمعات و تغلغلت في أعماقها.

فهناك مجالات حدَّدت الشريعة فيها الوسائل كمسائل المعاملات بحيث حدَّدت وسائل تنمية المال وصرَّحت بمنع أخرى ووضعت القواعد لتحديد الوسائل المباحة و الوسائل الممنوعة ، تماما كما حدَّدت وسائل التقرُّب إلى الله من دعاء و ذكر و صلاة وصوم وحج و غيرها ، فهذه المجالات وسائلها توقيفية بالنص و الإجماع.

أما وسائل مقاتلة العدو ودفعه، و إحراز دم المسلم وعرضه، و التحصن من هجماته، فلم تحدِّدها بل أوقفتها على القدرة يعني اعتبرتها اجتهادية

وهنا يجب أن نسأل عن هجماته الاقتصادية و الثقافية و الدبلوماسية و الإعلامية مما لم يعهده السلف هل هي توقيفية أم اجتهادية، وهل تدخل مسائل الدعوة في جنس الجهاد و التحصن من العدو أو في جنس العبادة؟

و إذا أجازت الشريعة إطفاء النار بالبول وبكل نجس، وإضاعة المال لإطفائها، و إطعام الكلب بالميتة، وتخدير الإنسان لإجراء عملية جراحية، و تطهير الجرح بالكحول الخالص، فهمنا أن الحرام قد يكون وسيلة لواجب أو مستحب أو مباح.

و الفرق بين الوسائل في العبادة و الطاعات أن الله يثيب عليها كما يثيب على المقاصد بينما الوسائل المادية كالسيف في الجهاد أو الشريط أو الفيديو فلم يقل أحد انه يثيب عليها لذاتها، نعم يثيب على المال المنفق لاقتنائها و استعمالها في الدعوة أو الجهاد لكن ليس على ذاتها كما على الدعاء و الذكر و الصلاة .

و الوسائل كما تكون إلى المفاسد المحرَّمة تكون إلى المصالح المباحة و الواجبة، فالحج وسيلة إلى مرضاة الله ،و السفر و المال وسيلة إليه،فهو وسيلة ومقصد.

و من الوسائل ما هو محرَّم تحريم المقاصد كتحريم الشرك و الزنا و الخمر و القتل و السرقة، ومنها ما هو محرَّم تحريم الوسائل،فالأول لا يفتح و يسد في جميع الأحوال إلا حالات الضرورة مع تفصيل ليس هذا موضعه، بينما المحرَّم تحريم الوسائل قد

يفتح في كثير من المواضع.
فإذا كان الزنا وسيلة(لنيل الشهوة) محرَّمة تحريم المقاصد فإن النظر إلى المرأة و الخلوة بها،وترك الاستئذان عند دخول البيوت، و إظهار الزينة الخفية، و السفر فوق المسافة المأذون بها شرعا محرَّم تحريم الوسائل ،لكن هذه الوسائل المحرَّمة تحريم الوسائل ليست جنسا واحدا، فبعضها يحثُّ على الحرام كالخلوة، و النظر إلى الزينة الخفية، و بعضها قد لا يحثُّ عليه كالنظر فإنه مباح في حالات كالخطبة، و البيع و الشراء، و الاستفسار، و الشهادة عليها،والاستطباب وغيرها خاصة و أن للمرأة كشف الوجه و اليدين،و كذلك سفرها فيما دون المسافة الممنوعة لا يعني بحال وقوعها في الحرام،وكذلك عرض المال و تزيينه للبيع وسيلة لسرقته لكنها لا تحثُّ على سرقته كتركه من غير حرز.
فلا يجب أن نقيس النظر إلى المرأة و قد أجازته في حالات على قطرة الخمر لان الشريعة أبطلت هذا القياس ومنعته بسبب الاختلاف بين النظر الذي قد يكون لسبب مباح بينما قطرة الخمر و إن لم تكن مسكرة فإنها لا تكون لأي سبب مباح فاقتضى الأمر سد الذريعة في الخمر و فتحها في النظر.
و إذا كان الزواج أغضُّ للبصر و أحصن للفرج، فهذا يعني أنه عند عدم القدرة عليه يكون العكس يعني يضعف غض البصر ،فينتقل إلى وسيلة أخرى هي الصيام ،فإن عجز عنه،أو كانت نفسه أقوى نقل الفقهاء الكلام عن حكم العادة السرية عند الشبق ووسائل كسر الشهوة إلى الجماع بالأدوية،ولم يجمدوا على حالة واحدة بل نظروا إلى الواقع العملي للناس و أنواعهم و أجابوا عن كل حالة.
و إذا كانت الوسائل إلى الحرام مختلفة المراتب باختلاف حثها عليه و أدائها إلى المفاسد ،و قد علمنا أن الشهوة تشتد بالعناق و اللمس بحيث لا تطاق بخلاف النظر علمنا علة تفريق الشريعة بينها، وفتحها النظر، و إجازتها للمرأة كشف الوجه و اليدين و السفر ،و مكالمة الرجال في البيع و الشراء..الخ
قال الله تعالى: {قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ}
قال ابن القيم: فلما كان غض البصر أصلا لحفظ الفرج بدأ بذكره ولما كان تحريمه تحريم الوسائل فيباح للمصلحة الراجحة، ويحرم إذا خيف منه الفساد ولم يعارضه

مصلحة أرجح من تلك المفسدة، لم يأمر سبحانه بغضه مطلقا بل أمر بالغض منه، وأما حفظ الفرج فواجب بكل حال لا يباح إلا بحقه فلذلك عم الأمر بحفظه.
وليس هذا خاصا بالنظر فقط بل بكل ما هو محرَّم تحريم الوسائل، قال رحمه الله :
ولما كان النظر من أقرب الوسائل إلى المحرَّم اقتضت الشريعة تحريمه وأباحته في موضع الحاجة، وهذا شأن كل ما حُرِّم تحريم الوسائل فإنه يباح للمصلحة الراجحة كما حرِّمت الصلاة في أوقات النهي لئلا تكون وسيلة إلى التشبُّه بالكفار في سجودهم للشمس أبيحت للمصلحة الراجحة كقضاء الفوائت وصلاة الجنازة وفعل ذوات الأسباب على الصحيح.
وعليه، يجب أن ننتبه أن مسألة الوسائل مضطربة اضطرابا شديدا فقد تكون حراما في جميع الحالات كالشرك،وقد تكون محرَّمة في حالات، جائزة في حالات كالقتل،و قد تكون مكروهة،أو واجبة أو مستحبة، ولهذا لم تكن كافية في الاعتبار ،و أقصد هنا سد الذرائع ،و لهذا اختلفت مواقف العلماء منها كالشافعي، فلم يوافق كثير من العلماء على سد الذرائع إلا ما كانت عن نص، وفي مسألة الدعوة لا نجد نصا واحدا يحدِّد و سائلها، لان الدعوة هي الإبلاغ و الإقناع المتوقف على اللغة ووسائل المخاطبة و إيصال الرسائل فكيف تكون توقيفية؟
وغلق الذرائع بناءً على افتراض سوء نية غير صحيح، فمن اشترى سيفا ليقتل به كان بيعه حلالا و نيته محرَّمة إلا إن علمنا بقطع أنه يريد ارتكاب جريمة، أما منع البيع لمجرد التقدير لأن السيف يقتل فغير صحيح.
ولهذا فصَّل الفقهاء الفرق بين الذرائع التي تقود إلى فساد قطعي متحقق، و التي تقود إلى فساد قليل أو نادر فهذه تفتح ولا تسد و إلا منعنا كل الوسائل المباحة فإن المبالغة فيها قد يقتل كالطعام و الجماع وشرب العصير وترك النوم لطلب العلم و غيرها بمعنى يؤدي إلى المرض و تدهور الصحة.
فها هنا ثلاثة أنواع : وسائل تقود إلى مفاسد متحققة وكثيرة، وسائل تقود إلى مفاسد قليلة و نادرة، ووسائل تقود إلى مفاسد كثيرة لكن نادرة. فالقسم الأول ينهى عنه و الثاني و الثالث يفتح.
وقد ضرب الفقهاء أمثلة عن الوسائل المحرَّمة التي تفتح كدفع المال للكفار لفداء المسلمين،ودفع المال للفاجر يشرب به الخمر لصرفه عن الزنا بامرأة،وهكذا.

فمن الذرائع (في النهي) المجمع عليها حفر الآبار في طريق المسلمين،و قضاء الحاجة على طريقهم،وهناك أخرى مجمع على فتحها كعدم المنع من زراعة العنب خشية الخمر، والمنع من مجاورة البيوت خشية الزنا،وسفر المرأة فيما دون المسافة المحددة شرعا و غير ها.

الإشكال فيما يخص صناعة الأفلام الدينية:

و إذا جئنا إلى موضوع الساعة وهو استعمال الصورة الحية أو الصناعة السينمائية يعني الأفلام مثلا في الدعوة للوصول إلى شريحة لا يصل إليها الخطاب العادي أو لا تفهمه فهذه المسألة يجب أن نبحثها من جهتين:

1 ـ مقدار المصالح و المفاسد فيها ،و ما الموقف الصحيح فيها.

2 ـ كيفية فتحها يعني: القيود و الشرط.

فكَّر أعداء الدين و خصومه كيف يصلون إلى أهل السنة الذي لا يهتمون بالخطاب الديني ووجدوا أن هذه الشريحة الكبيرة تستعمل التلفزيون للترفيه بدرجة كبيرة جدا، ومنها من قد يستعمله بصورة قليلة جدا للاستعلام و المطالعة على الأخبار لكن المشترك الأكبر هو جعله للترفيه، ففهموا أنه لا يمكنهم الدخول عليهم إلا من خلال الدراما الاجتماعية و الدينية فبدؤوا بأفلام الرُّسل ،و انتقلوا إلى أفلام الدراما الاجتماعية التي يضعون فيها سمومهم، و نفس الأسلوب يستعمله الأتراك جذبوا إليهم المشاهد العربي بدراما اجتماعية انتقوا لها الممثلين بدقة لمعرفتهم بطبائع البشر ثم انتقلوا بهم إلى دراما هادفة ترِّوج لتاريخهم و ثقافتهم ومشروعهم.

في الحقيقة العملية المبنية على ملاحظة علمية دقيقة للمجتمع المسلم نجد أن عوام المسلمين و المثقفين منهم الثقافة الغربية وربما حتى المعربين مسجونون عند الغرب يعني في نموذجه الحضاري أو في منتوجه الإعلامي،الواجب علينا تحريرهم من قبضة وسائله هذه لكن المشكل أننا لا نملك حلا لذلك غير استعمال نفس السلاح مع تكييفه و الابتكار فيه بما يناسب ديننا، ولو تركنا هذا الأمر ليس لنا وسيلة أخرى نصدُّ بها المد (الإلحادي و الرافضي و التنصيري و الفجوري) على هذه الشرائح لأنها لا تأتي المنابر الدينية، أو لا تفهم الخطاب الديني ،ولم نوفر لها البديل الإسلامي.

يجب أن نكون مدركين لحجم الخطر و أسباب العقم الدعوي أو الفشل أو التأثير الضعيف، ولا يمكننا ذلك إلا من خلال التعمُّق في أحوال واقعنا الإعلامي و الثقافي،

والتمكن من العلوم العصرية المستعملة لغزونا ، هنا فقط يمكننا أن ندرك أن فضل الوسائل الدعوية مرتب على فضل المقاصد،و أنه رب وسيلة أفضل من مقصودها كفضل المعارف و الأحوال و بعض الطاعات على ثوابها، وفضل الإعانة على المباح على المباح نفسه،لأن الإعانة عليه موجبة لثواب الآخرة وهو خير من منافع المباح نفسه،و إطعام الجائز و دفع الظلم عن الضعيف و إنقاذ الغريق و إن كانت أخروية بالنسبة لفاعلها فهي دنيوية بالنسبة للمفعول.

ومعلوم لنا جميعا أن الدعوة الإسلامية في العالم المعاصر هي أشبه بالحرب بل هي جزء من حروب الجيل الرابع كما يسمى، حروب تخريب البيت بيد صاحبه،الأخذ بأسباب القوة فيها فريضة سواء كانت أسبابا مادية أو معنوية كالاتفاق و التصافي و نبذ الشقاق،وقد أدركنا أنه بدون الفيلم الدعوي لا يمكن مواجهة أعداءنا داخل بيوتنا فضلا عن بيوتهم ،و إن تضمن بعض الأشياء التي يحق للعلماء التحفظ عليها، لكن ليس بتلك الحجج الواهية كخصوصية حياة عمر - رضي الله عنه - وهم يعرفون أنه من الخلفاء الراشدين يعني ممن يصح أن يتخذ سلوكه قاعدة للاقتداء كما هو حال جميع نصوص الخصوصية في حياة النبي صلى الله عليه و سلم .

فمما لا شك فيه أننا هنا بإزاء حسنات عظيمة هي صيانة دين المسلمين،أو تصحيح تدينهم أو إعادته أصلا،وبين سيئات جزئية،أو مفاسد قليلة لا تحثُّ مباشرة على منكر بالنظر إلى المصالح المتحصلة، هذا من جهة .

ومن جهة أخرى بين التسليم للعدو و الرضا باقتطاعه جزء كبيرا من أمتنا يلحقه بقيمه و حضارته لأننا مقيدين ببعض التحفظات وبين الضرورة الملحة لبدء المواجهة في هذا المجال لأننا وضِعنا في هذا المأزق من غير قصد منَّا ؟

وقد علمنا أن الجهل و الظلم الموجود في بعض المسلمين ،و عدم إمكان التعليم و الأمر و النهي من غير هذه الوسيلة ضعيف للغاية، مما يلزمنا معه على الأقل موقف السكوت، فتكون هذه المسألة من المسائل التي لا جواب لها إلا السكوت، في انتظار أن نجد البديل الصحيح و التمكن من الإعلام الإسلامي.

ينبغي على العلماء تدبر هذه المواضع التي تختلط فيها الحسنات بالسيئات، فقد يكون الواجب فيها: العفو عند الأمر و النهي لا التحليل و الإسقاط، فقد يكون في النهي عنها بسبب منكر أو منكرين تركا لمعروف أعظم منفعة من ترك تلك المنكرات.

في مثل هذه الحالات يجب السكوت خوفا أن يستلزم ترك ما أمر الله به و رسوله مما هو أعظم من مجرد ترك ذلك المنكر، فالعالم تارة يأمر و تارة ينهي و تارة يبيح ،و تارة يسكت عن الأمر أو النهي أو الإباحة كما سكتت الشريعة عن كل المنكرات التي حرَّمتها فيما بعد فإنها كانت موجودة ولم يتعرض لها الشارع حتى ظهر الإسلام و تحققت مصالحه الكبرى.

وقد لا يتقيد الإنسان الذي ننهاه عن هذا الأمر بالممكن(الخطاب العادي) إما لجهله و إما لظلمه ،ولا يمكن إزالة جهله و ظلمه إلا بهذه الوسيلة فيكون الأصلح الكف و الإمساك عن نهيه في هذا الباب حتى يأتي أمر الله.

مناقشة أدلة الشيخ البرجس:

أما عن أدلة الشيخ عبد السلام البرجس ـ رحمه الله ـ في كون وسائل الدعوة توقيفية فأقول:

لقد أخطأ الشيخ في أدلته، وقاس قياسا بعيدا، بل لم يتحر التحقيق بين الأنواع المتشابهة من بعض الأوجه المختلفة من أخرى، و انساق خلف المشهور عند عوام طلبة العلم وفي كتب التراجم دون ما يصمد أمام التحقيق العلمي ويرجع إلى مصادر الشريعة ،فنكير السلف على شيء لا يعني نكيرهم على كل أنواعه إذا كانت مختلفة؟ وموقفه من مسألة القصاص موقف غير صحيح بالمرة،لم ينتبه إلى الفرق بين الموضوع في حد ذاته وبين كلمات التنفير من بعض أنواعه، فالقصة أسلوب قرآني نبوي سلفي بل و بشري مارسته البشرية و الكتب السماوية كوسيلة لنقل الرسائل التربوية و التوعية ،وكون السلف نهوا عن بعض القصاص أو عن القصة تمييزا لها عن التحديث لما انتشر الكذب لا يعني النهي عن القصة، فهذا خطأ مركب في تقرير الشيخ البرجس و ستأتيك الأدلة.

1 ـ القصة و السماع ليسوا من الوسائل المحدثة بعد النبي صلى الله عليه و سلم بل هم أقدم من الإسلام، عرفتهما الديانات السابقة و العرب قبل الإسلام ،ولم ينكرهما الإسلام كما سأوضحه، وموقف ابن تيمية من السماع فيه غلو نتفهمه إذا عرفنا السبب.

نعم نفهم أن مبالغة الصوفية فيه و اتخاذه وسيلة للتعبد بدعة لا شك في ذلك، فوسائل التعبد توقيفية، وكونه بدعة لهذا السبب لا يعني أنه بدعة إن كان للترفيه الدنيوي عن

النفس أو لحمل رسائل دعوية ،و أحسن ما يمكن أن نحمل عليه كلام شيخ الإسلام أنه اعتبر السماع ثلاثة أنواع: عقلي وملي و شرعي،و الشرعي القرآن وهذا صحيح إذا قصد التعبد به،لكن أين دليل تحليل السماع العقلي ؟

و لهذا انتهى ـ رحمه الله ـ إلى قول الجنيد فيه بأنه لا يتكلفه ولا يتطلبه فإن وجده لم يمنع نفسه منه،يعني كالطيب للمحرِم لا يجوز له التطيب فإن وصل إلى أنفه و شمه لم يكن عليه منع نفسه من شمه، فهذا أقصى ما عند شيخ الإسلام ،ولو كان محرَّما لذاته لكان كأكل الخنزير و شرب الخمر لا يمكن أن نقول فيهما: طلبهما حرام و إذا وقعا لك من غير سبب منك يجوز تناولهما؟

فلنفهم الفرق ثم لنحدد ما هو السماع الذي يتحدَّث عنه شيخ الإسلام:هل هو الإنشاد الموزون بصوت جميل فقد صح كما في حديث" رفقا بالقوارير" وغيره،أم المقصود عند ابن تيمية: التعبُّد به؟

هل هو السماع عند متأخري المتصوفة: فهم ما كوشف به من البيان، وتعريف بإشارة وتوقيف بإمارة،وهو عندهم علم لا يصح إلا للأصفياء، يتضمن حلال وحرام وشبهة، من سمعه بنفس بمشاهدة هوى وشهوة فهو حرام، وَمنْ سمعه بمعقوله على صفة مباح من جارية وزوجة كان شبهة لدخول اللهو فيه، ومن سمعه بقلب بمشاهدة معان تدله على الدليل وتشهده طرقات الجليل فهذا مباح؟

فأين الحرام في الاستماع إلى نشيد بصوت جميل فيه مقام حزن على التفريط، أو شوق إلى الله، أو يذكر بخوف شرعي أو محبة شرعية مفقودة، يحرِّك النفس للخير و الاستقامة، ويشحذها بالهمة الصالحة ،أو يخفف عنها آلاما أو معاناة أو تعبا نفسيا وغير ذلك؟

وقد نقلوا عن الجنيد قوله: ((تنزل الرحمة على هذه الطائفة في ثلاثة مواطن، عند الطعام لأنهم لا يأكلون إلاّ عن فاقة، وعند المذاكرة لأنهم يتذاكرون أحوال النبيين، ومقامات الصدِيقين، وعند السماع لأنهم يسمعون بوجد ويشهدون حقّاً))

و شيخ الإسلام يتكلم هنا عن التصفيق،و الاجتماع عليه بقصد صلاح القلوب مجردا، فلم يكن هذا من طريقة السابقين،وهنا إما نحمل كلامه على قصد التعبُّد به كما ذكرتُ في تعريفه، و إما يقصد كل أنواع الإنشاد، وهذا غير صحيح فقد أنشد النبي صلى الله عليه و سلم كما في حفر الخندق ،و إذا كان الخلاف في آلات الطرب فكيف في

الإنشاد بدونها؟ فكيف نقيسه بالغناء؟
يجب أن نفهم كلام ابن تيمية ولا ننسب إليه مذهبا ليس له لعدم التدقيق في العبارة ، قال رحمه الله في كتابه (أمراض القلوب و شفائها)(1/73): ((وَالَّذِي عَلَيْهِ محققو الْمَشَايِخ أَنه كَمَا قَالَ الْجُنَيْد رَحمَه الله: من تكلّف السماع فتن بِهِ وَمن صادفه استراح بِهِ، وَمعنى ذَلِك أَنه لَا يشرع الِاجْتِمَاع لهَذَا السماع الْمُحدث وَلَا يُؤمر بِهِ وَلَا يتَّخذ دينا وقربة وَأَن الْقرب والعبادات إِنَّمَا تُؤْخَذ عَن الرُّسُل صلوَات الله وَسَلَامه عَلَيْهِم فَكَمَا أَنه لَا حرَام إِلَّا مَا حرمه الله فَإِنَّهُ لَا دين إِلَّا مَا شَرعه الله))
لنلخص كلام ابن تيمية حتى نفهمه:
1 ـ مذهب المحققين من المشايخ أنه مباح بل راحة للنفس عند المصادفة و فتنة عند التكلف؟، فالعبارة صريحة بأنه مباح، و إن كان غير معقول أن يكون عند المصادفة مباحا و عند التكلف حراما إلا إن قصد من الفتنة اهتماما لا يصل درجة التحريم.
2 ـ وجه مخالفته الشريعة هو الاجتماع عليه، وهو محدث، وهنا يجب أن نسأل عن المقصود هل هو محدث اجتماعي لم يكن السابقون يجتمعون له أم محدث بمعنى بدعة فالمعهود في الجهاد و الأعراس و غيرها أن الناس يستمعون للأناشيد جماعات وفرادى ؟
3 ـ اتخاذه قربة ودينا ، مما يعني أن النقطة الأولى "التكلف و المصادفة" و الثانية" الاجتماع" تحملان على اتخاذه دينا وقربة،وهنا فقط يستقيم التعليل،و تنتج المقدمات الحكم ببدعيته.
وعليه، لم يكن استدلال الشيخ البرجس موفقا،وقف عند كلمات للشافعي و أحمد و غيرهما القصد منها التنفير لا غير، ولا تفيد تحريما بدليل شرعي معتبر، فليس كلما كره إمام شيئا نحرِّمه، كما كره ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ دخول الحمام و دخله غيره .
لم يفرق الشيخ البرجس بين السماع ضمن العادات وبين اتخاذه عبادة و علما وطريقة خاصة،وليس هذا مما له علاقة بوسائل الدعوة وكونها توقيفية من أية جهة.
لقد أباحت الشريعة الأُنْس بالغناء في الأفراح وفي الأعياد اعتماداً على قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأبي بكر الصديق الذي رأى جاريتين تغنيان في بيت رسول الله فنهرهما، وقال: أمزمار الشيطان في بيت رسول الله، فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ((

دعهما، فإننا في يوم عيد)) ففهمنا أن لفظ مزمار الشيطان و اللهو لا يوجبان التحريم لمجردهما.

وكذلك أباحت الأناشيد التي تلهب حماس الجنود في الحرب، أو التي ينشدها العمال ليطربوا بها أنفسهم وينشغلوا بها عن متاعب العمل، أو المرأة التي تهدهد ولدها لينام.

ومن ذلك حداء الإبل لتسرع في سيرها، وقد قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأنجشة: (رفقا بالقوارير) فـ أنجشة كان يغني والنساء كن يسمعن صوته، وكانت الإبل تسرع، فخشي النبي على النساء من السقوط، فيستأنس بهذا على الجواز مع نصوص أخرى كقوله: (ماذا كان معكم من اللهو؟ فإن الأنصار يعجبهم اللهو) .

وبهذا نعرف أن المشكل في السماع الصوفي الذي ذكره ابن تيمية هو اتخاذه عبادة لا غير.

وبقية كلامه (البرجس) في اتخاذه عبادة يتقرب بها إلى الله و ليس هذا محل النزاع، فالدين كمل، و لم يترك النبي صلى الله عليه و سلم شيئا يقربنا إلى الجنة و يبعدنا عن النار إلا أخبرنا به إذا قصدنا به تكميل الدين و التقرب إلى الله للفوز بالجنة، وليس هذا مقصود السماع في هذا العصر، ولا في الشريعة.

2 ـ الموقف الشرعي من القصة:

لقد أخطا الشيخ البرجس تحقيقا و استنتاجا عندما اعتبر نهي بعض السلف عن القصاص نهيا عن وسيلة دعوية مفيدة، و أنه دليل على توقيفية وسائل الدعوة؟

التفصيل:

القاص في عرف السلف هو كل من يقص على الناس الأخبار أو يذكرهم أو يعظهم، قال النووي في(شرح مسلم){100/1}:((هو الذي يقرأ القصص على الناس، قال أهل اللغة: القصة الأمر و الخبر)). ومن السلف من كان يسميه" المذكر"، فقد روى ابن أبي حاتم من طريق الأعمش عن أبي سعيد عن أبي الكنود أنه قال:

((مر عبد الله يعني ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ على قاص، وهو يذكر الناس فقال:((يا مذكر لم تقنط الناس من رحمة الله، ثم قرأ:{ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ }..)) (تفسير ابن كثير){60/4}.

وفي (مصنف ابن أبي شيبة) حديث رقم:26183 عن مغيرة انه قال:((كان إبراهيم التيمي يذكر أبي وائل فجعل أبو وائل يتنفض كما ينتفض الطير)). ومنهم من كان

يسميه " الواعظ ".
وهو باختصار كل من لا يخوض في دقائق العلم ،كالفقه وغيره جاء في(السنن الكبرى) للبيهقي{335/7} تحت رقم:14744 عن عطاء بن يسار أنه قال:
((جاء رجل يستفتي عبد الله بن عمرو بن العاص عن رجل طلق امرأته ثلاثا قبل أن يمسها، فقال عطاء إنما طلاق البكر واحدة، فقال لي عبد الله بن عمرو:((إنما أنت قاص، الواحدة تبينها و الثلاث تحرمها حتى تنكح زوجا غيره))..))
ورد في كتب الحديث عدة أخبار عن القصاصين بعضها يذمهم، وبعضها يمدحهم، وبعضها يشترط عليهم، إلا أن أجمع ما قيل فيهم أو ما صُنف فيهم ما ذكره ابن أبي شيبة في (مصنفه)، فإنه خص لهم بابا سماه:" باب إتيان القصاص و مجالستهم ومن فعله"
فممن كره القصص عبد الله بن عمر، فإنه قال:((لم يقص زمان أبي بكر ولا عمر إنما كان القصص زمن الفتنة)) حديث (رقم:26190).وعن علي أنه قال لقاص: ((علمت محمود و المنسوخ قال لا، قال: هلكت و أهلكت)) (رقم:26192). وعن عبد الله بن خباب، قال:((رآني أبي و أنا مع قاص فلما رجع أخذ الهراوة قال:قرن قد طالع العمالقة)) (رقم:26193).
كما صح عن ابن عمر أنه أمر قاصا بترك مجلسه فلما أبى طلب من الشرطي أن يخرجه.
وقيل لعلقمة ألا تقص علينا، قال:((إني أكره أن آمركم بما لا أفعل)) (رقم:26196).
وعن أم الدر داء أنها بعثت جبير بن نفير الحضرمي إلى نوفل بن فلان وقاص معه يقصان في المسجد فقالت لهما: ((ليتقيا الله وتكون موعظتهما للناس لأنفسهما)).(رقم:26103)
وقال ابن مسعود لقاص:((انشر سلعتك على من يريدها)) (رقم:26204).
ومن خلال هذه النقول يتبين أن من السلف من كره عمل القاص لأجل ما فيه من التكليف، أو لأجل مخالفة القاص لما يقول، أو لأن بعضهم يزيد في الحديث، وغير ذلك من أسباب.
توجيه هذه الكراهة:
صح عن ابن عمر الجلوس إلى القاص، ففي (مصنف عبد الرزاق){220/3} حديث

رقم:5404 عن نافع أن:
((ابن عمر لم يكن يجلس مع القصاص إلا قاص الجماعة))، فلعله لم يكن يجلس إلا مع من يثق بعلمه و تقواه، حتى لا يحدث عنه الناس بما لم يقل، وقد وقع مثل هذا لشعبة، ففي(حلية الأولياء){153/7}:
((قال يحي بن سعيد القطان:كنت مع شعبة و رجل يسأله عن حديث فامتنع، فقلت:لم لا تحدثه؟قا

الموت بدون تسلل......؟

مات ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ مهجورا؟
مات أبو الدرداء ـ رضي الله عنه ـ منفيا؟
مات عمر ـ رضي الله عنه ـ مقتولا؟
مات عثمان ـ رضي الله عنه ـ مقتولا؟
مات الشافعي ـ رحمه الله ـ وقصته مع مالكية مصر معروفة،ومات سفيان الثوري ـ رحمه الله ـ فارا؟
مات الطبري ـ رحمه الله ـ محاصرا؟
مات النسائي ـ رحمه الله ـ مقتولا؟
مات أبو شامة ـ رحمه الله ـ مقتولا؟
مات البخاري ـ رحمه الله ـ مهجورا على مرمى حجر من قريته؟
مات محمد بن يحي المروزي ـ رحمه الله ـ مهجورا؟
مات ابن حزم ـ رحمه الله ـ محاصرا، مطاردا؟
قيل : مات القاضي عياض ـ رحمه الله ـ مسموما في الحمام، لأنه انتقد "إحياء الغزالي" زعموا أنه يهودي لا يظهر للناس يوم السبت؟
و الحقيقة أنه خص هذا اليوم لكتابة أعظم كتاب في شمائل أعظم الرجال "الشفا"؟
مات ابن تيمية ـ رحمه الله ـ مسجونا،أشد القضاة عليه كان قاضي المالكية و الحنابلة،و أرحمهم به قاضي الأحناف؟
كان أكثر أصحابه عواما عرفوه في السجن، أو صوفية؟

مات تلامذته محاصرين مطاردين حتى اضطر ابن كثير ـ رحمه الله ـ أن يقول للمطاردين:أنا أشعري؟
ومات ابن القيم ـ رحمه الله ـ كأنه درويش وذاق طعم السجن و النبذ؟
اضطروا أن يحفظوا كتبه في كتبهم؟
.... الخ
تلك هي لوعة الأنباء بمحنة العلماء......... منهم من دخل الدنيا وخرج منها لم يأخذ منها إلا سطرا في كتاب، ومنهم من بقي علمه حيا و سيظل ؟
كل من ذكرتهم أنصفهم التاريخ فأعلى ذكراهم وهجر مخالفهم وقاتلهم ؟
.... في مدينة العلم لا ينفع التسلل إلى حوض الحقيقة تحت جناح غفلة العقول و بلباس الإجمال ولثام الضبابية...
في مدينة العلم لا تصلح حيل الصيادين.... و لا أخلاق الشعراء .... ولا تراتيب الساسة ، ولا تطلع النساء من ثقب الطاقة.
في مدينة العلم صراع بين الحقيقة و الوهم، بين الحق والباطل،بين الماضي و المستقبل برجال الحاضر.
في مدينة العلم يمشي الناس بأقدام الصراحة على جمر المديونيات .

علامات الانحراف في منهج التزكية في العلم: المطالبة بدليل العدالة

بسم الله الرحمن الرحيم
التزكية في العلم والمناهج المحدثة فيها
مبدأ التزكية أو التعديل في العلم و المأخوذ قياسا على التعديل في رواية الحديث يشاركه في الاسم و يخالفه في الحقيقة،فتزكية الرواة القصد منها معرفة درجة ضبطهم حفظ الحديث حتى يؤدونه كما سمعوه دون تغيير في أسماء رجال السند ولا في عبارات المتن و يسمى الضبط.
وكذلك معرفة احترازهم عن الكذب و يسمى العدالة، و أما معرفة مذاهبهم فأمر جانبي في علوم الحديث كان له تواجد في بداية الأمر و بعد أن أجمع أهل الحديث على الرواية عن المبتدع مع شروط وضعوها اختلفوا فيها من حيث نوع البدعة ودرجتها،بين مكفرة وغير مكفرة، وكون الراوي داعية إليها أم لا؟

انتهى المذهب عند المحققين منهم إلى أن المعتبر الوحيد الصحيح هو الكذب، فالراوي إما كاذب و إما صادق، لا يحتمل احتمالا آخر (انظر في هذا شرح علل الترمذي،و النكت للحافظ وبحوث الصنعاني الممتازة كثمرات النظر،وكذا التنكيل للمعلمي) و أن الباقي شروط نظرية غير قابلة الانجاز .

بينما التعديل في غير رواية الحديث فهو لمعرفة أهلية الرجل للتعليم و التدريس فإن بدا منه مذهب غير معتد به أو لم يتابعه عليه أهل السنة ، وكان مذهبه جزئيا انتقلوا من التعديل الكلي إلى التعديل النسبي لأن العدالة تتفاضل في الشخص الواحد فحذروا من مذهبه،وبينوا مخالفته للصواب أو لقول الأغلبية ، أو سلموا له حاله و بقي في غير ذلك على عدالته.

بينما أخذت التزكية و التعديل عند فئة من المعاصرين طريقا آخر محدثا ، وتحولت عن مقاصد هذا المبدأ العلمي المقصود منه إعلان الأهلية العلمية لمزاولة التعليم و التدريس إلى وسيلة بوليسية أو مخبارتية لإقصاء المخالف و الحجر على عقول الأتباع ليبقوا تحت الوصاية عاجزين عن استعمال عقولهم وعلمهم لمعرفة الصواب و الترجيح بين الأقوال لأسباب منها:

1 ـ عدم الوثوق في العلم على أنه الفيصل بين الحق و الباطل، بين الدليل و الشبهة، و أن الأتباع يحفظهم التشدد في تدابير الوقائية لا الإقناع بالعلم و التربية على الأدلة،ولهذا يصورون لهم أنهم يخافون عليهم الشبهة،يعني: لا يطمئنون إلى العلم، فالشبهة تؤثر عليهم و الحق لا يؤثر على غيرهم؟

2 ـ العجز العلمي عن مسايرة الاتجاهات المخالفة و مقارعة الآراء و المذاهب بالعلم،فيحفظ منزلته وبقاء الأتباع حواليه بالحجر على مطالعتهم ودروسهم وبالطعن في كل من يخالفه ، فهذا المنهج: "تدابير الهجر و الوقاية بدون أدلة العلم" يحفظ به الأتباع من أن ينفضوا من حوله، وليس ليحفظهم من البدعة.

ما هو التعديل؟

إذا عرفنا ما هي التزكية و التعديل عرفنا بدعية هذا المنهج الذي تقوم عليه السلفية التجريحية ،فإذا كان أصل التزكية هو نفي ما يستقبح قولا أو فعلا فلا تحتاج إلى سبب معين لأنها تعرف بالاستفاضة إنما يحتاج إلى سبب معين التجريح،وما لم يبدو من الشخص ما يوجب تجريحه فإن المطالبة بدليل عدالته منهج باطل مبتدع لا أصل له

عند أهل العلم ربما في الرواية و أما في الشهادة و الكلام في مذاهب الناس هو من باب الشهادة و ليس من باب الرواية .

ذلك أن التعديل من باب الإخبار و الحكم خاصة في الرواية و لذلك يكتفي فيه بالواحد،ولا يزيد على نصاب الرواية ،وعند بعض المحدثين مجرد الرواية عن رجل تعديل له مع اختلاف في القيود فإن صرح بتعديله فقد خرج عن الجهالة، بينما هو في الشهادة من باب الإخبار و الحكم مع الشهادة، فليس مجرد نقل الخبر عن رجل هو تعديل لشهادته، فالعدالة في الرواية تعلم بالاستفاضة لا بسبب مخصوص،بينما في الشهادة يحتاج التعديل إلى إثبات ما يوجب العمل بقول الشاهد .

ولهذا قال العلماء: ((إن التعديل لا يحتاج إلى بيان السبب فإن كون الشخص عدلا صادقا لا يكذب لا يتبين بذكر شيء معين بخلاف الجرح فإنه لا يقبل إلا مفسرا عند جمهور العلماء لوجهين:

أحدهما: أن سبب الجرح ينضبط

الثاني: أنه قد يظن ما ليس بجرح جرحا.

وأما كونه صادقا متحريا للصدق لا يكذب فهذا لا يعرف بشيء واحد حتى يخبر به ،وإنما يعرف ذلك من خلقه وعادته بطول المباشرة له والخبرة له ثم إذا استفاض ذلك عند عامة من يعرفه كان ذلك طريقا للعلم لمن لم يباشره كما يعرف الإنسان عدل عمر بن الخطاب وعمر بن عبد العزيز وظلم الحجاج.))ابن تيمية.

إن صدق الإنسان في العادة مستلزم لخصال البر كما أن كذبه مستلزم لخصال الفجور، كما ثبت في الحديث الصحيح، و الرجل يعرف بالعلم من خلال درسه وكتابه وخطبه ،وما استفاض عند الناس من إمامته و مشيخته و اشتغاله بالعلوم الشرعية وتوليه الخطابة و التدريس و الفتوى و غير ذلك ، فعلم الرجل يعرف بالاستفاضة وليس ببطاقة ،وكذلك نعرف سنيته من مراجعه التي يحتج بها و ليس من قول فلان أو علان.

فيمتنع في العادة أن يخفى عن الناس كون الرجل صاحب علم ومن أهل السنة أو من طائفة أخرى إلا عند من حولوا العلم الشرعي إلى علم مخابرات، تحتاج لتعلمه إلى الدراسة في مدارس المخابرات؟

فلا يوجد أحد يظهر السنة وهو على خلاف ذلك، لأنه لا بد أن يتبين حاله من كلامه

ومراجعه وغير ذلك.
نسبية التعديل و تفاضله:
من المعلوم أن أسباب الفسق كثيرة، فقد يكون الرجل فاسقا بغير الكذب، يعني من وجه آخر كشرب خمر أو غيره،وهذا لا وجه لرد شهادته،فإنه لا مانع من أن يكون صادق اللهجة،و مدار المسألة على غلبة الظن بصدقه أو عدمه لان العدالة تتبعض فيكون الرجل عدلا في شيء فاسقا في آخر، و الدليل على ذلك أن النبي صلى الله عليه و سلم استأجر هاديا يدله على طريق المدينة وهو مشرك على دين قومه قد علم بالمكافأة الضخمة لأنه وثق بقوله و أمَّنه على نفسه رغم كفره و شركه .
وهذا ما أخذ به العلماء و عملوا به فإن الواحد منهم قد يبتع قولا شاذا أو يخالف إجماعا أو ما عليه أهل السنة فيتركون قوله في المسألة ولكنهم لا يسقطونه، تماما كما يفعلون في الرواية يفعلون في تعديل العلماء لأنه منهج واحد ، فهذا نصر بن باب قال بعضهم: ليس بشيء،و قال آخر: كذاب، فقال الإمام أحمد: إنما أنكر الناس عليه حديثا عن إبراهيم الصائغ وما كان به بأس.
وقالوا عن أبي قابوس مولى عبد الله بن عمرو بن العاص مقبول في المتابعات ،فوازنوا بين كونه غير مقبول في غيرها وبين كونه مقبولا فيها، وقالوا عن أحمد بن محمد بن هارون أبي بكر الرازي الحربي : غير مقبول في القراءة.
وقالوا عن نجيح بن عبد الرحمن السندي مشهور بعلم المغازي،فقيه واسع العلم ضعيف في الحديث،فكانوا يحددون وجه التضعيف إن لم يكن كذبا فإنه تهمة مسقطة للدين ،أما غير ذلك فكانوا يستفصلون و يحددون موضع الجرح لأن العدالة عندهم تتبعض وكذلك الضبط،و لهذا قالوا عن جعفر بن برقان : ضعيف في الزهري،ويعلى ضعيف في سفيان ثقة في غيره، و إسماعيل بن عياش غير مقبول في غير أهل بلده،ومطر بن سليمان الوراق ضعيف في حديث عطاء بن أبي رباح.
ووجدناهم يقولون عن مثل حفص الغاضري : ضعيف في الحديث إلى الغاية حجة في القراءة،وهكذا.
ووجدنا ابن تيمية يقول عن الرازي مثلا: كان ضعيفا في التصوف كما كان ضعيفا في الفقه.
وهذا الإمام مالك كان ينهي عن قراءة أحاديث الصفات الخبرية،وقد خالفه أئمة السنة

وفرقوا بين السكوت عن النفي و السكوت عن الإثبات، وكذلك الإمام أحمد تأول المجيء في رواية و أجاز الإقسام بالنبي صلى الله عليه و سلم وخالفه أئمة السنة،و كذلك ابن خزيمة مع حديث الصورة، و الترمذي و غيره مع مسألة الإقعاد،و ابن عبد البر و ابن الجوزي مع مسألة تحر الدعاء عند قبور الصالحين، لما كان الغالب عليهم الإمامة في العلم و استفاضت سنيتهم لم يتابعوا على قولهم لكن لم يطعن في إمامتهم أو سنيتهم لأن العدالة تتبعض فلا يعني الخطأ القليل سقوطها ، ليس كما يفعل بعض المعاصرين يعلمون بالاستفاضة أن الرجل من أهل السنة عقيدة و منهجا يخالفونه في موارد الاجتهاد في بعض القضايا الاجتهادية فيسقطونه كله،و الأولى أن نحدد في مثل هؤلاء بناءً على قناعتنا المسألة المنتقدة عليه ولا ننهي الناس عن الأخذ عنه إلا فيها مادام الرجل صالحا معروفا بالعلم و السنة عقيدا و طريقة في العلم و الاستنباط.

ولهذا نجد أمثال عبد الله بن عون يقول: "لا تأخذ هذا العلم ـ يعني الرواية ـ إلا عمن شهد له عندنا بالطلب"

فحدد العلم المقصود وهو رواية الحديث وله قيود خاصة به إذ الحديث فيه عن الرسول صلى الله عليه و سلم، وليس علما عقليا أو عقليا سمعيا،ثم ذكر الشهادة بالطلب عند المحدثين، وكون الرجل من أهل الحديث يعرف بالاستفاضة لكن كونه أخذ عن فلان وفلان تعيينا يعلم بشهادتهم أو شهادة الأقران(الاتصال)، وهذا مما لا علاقة له بموضوع العصر فخلط الناس بين الشهادة على الأهلية التي تثبت من جهة الشيوخ،أو الشهادات ،أو شهادة الواقع، وبين التعديل الذي لا يحتاج إلى سبب معين.

من له فرقان بين الحق و الباطل لا تأثر السياسة في مواقفه الدينية

يعاني بعض الشباب من عجز كبير في المنهج العلمي، أو لا منهج له أصلا،فالمنهج عنده مجموعة إجراءات تحفظية و تدابير وقائية يغلق بها على نفسه خوفا من الذوبان في الحجج ، و لذلك يظن أن الثبات (وهو في الحقيقة جمود) على الموقف من شخص ما أو جماعة ما هو عنوان الثبات الإيماني و وضوح المنهج العلمي تماما كما يظن من أغلق عينيه عند شعور بالخطر زواله، و كما يظن كل جاهل في الدنيا أنه على شيء،فلأنه لا يستطيع التعامل مع الحالات المتشابهة و التمييز بين العرضي و

الجوهري في كل فرقة وفي مذهب كل شخص يتخذ موقفا واحدا منهم مهما كان موقفه مبينا على أمور عرضية .

ومن هنا تجده يتهم غيره بالاضطراب ولو فحصنا عقيدته ومنهجه بشيء من التفكيك فقط دون الحاجة إلى البحث في الأدلة المستقلة عن مفاهيم شيوخه التي ينظر من خلالها إلى الشريعة لوجدناه و شيوخه يعانون أشد الاضطراب في اختلافاتهم الشخصية فمعايير التقييم عندهم هلامية مطاطية و أحيانا اعتباطية مبنية على مبدأ الموالاة و يغلب عليها البعد السياسي على حساب البعد العقدي فأشد الأعداء في تصوراته و في حملاته الدعائية هم على الغالب أبعد الناس عن تصوراته السياسية و إن كانوا أقربهم إليه في العقيدة و المنهجية العلمية و أعني ها: منزلة النص و طرق إثباته وفهمه ،فأصبحت الأحكام الفرعية و حتى ما يجمع بين العادة و الشريعة مقدما في تقييم الجماعات و الأفراد على حساب العقيدة ووحدة المنهج العلمي.

وهنا نجده متناقضا أشد التناقض في موقفه من الأشاعرة مع أنهم يوافقونه على الإمامة ينابذهم العداء بالإطلاق، فمع الأبعد يقيم بالعلوم النظرية و مع الأقرب بالإمامة و السياسة،مع أن هذا الأقرب لا يخالفه في أركان الإمامة إنما يخالفه في فهمه للسياسة ومنزلتها في الشريعة.

ثم هو في نزاعه مع الأقرب إليه حول قلعة الانتساب إلى السلفية لا يملك منهجا واضحا، فتجد بعضهم يرمون الشيخ ربيع بأنه إخواني و تصرفاته إخوانية ومنهجه مأخوذ من مناهج الإخوان وفي الوقت نفسه يشاركه الموقف من الإخوان، أمر محير؟ أما في مسائل الأسماء و الأحكام ، ومسائل الحاكمية بل وحتى في مسائل الجرح و النقد فهم مذاهب شتى متناقضة فأين معاير التقييم العلمي الراسخة و أين الثبات و الاستقرار على المنهج ؟

كيف لمن هو عاجز عن توضيح قواعد و ضوابط واضحة لتعيين السني من البدعي، و المخطئ المؤاخذ من المجتهد داخل جماعته نفسها أن يقيم من هو خارج عنها؟

أليس الأجدر به أن يصلح بيته قبل أن يهتم ببيت غيره؟

و العجيب أن كل العالم يشاهد مواقفهم تختلف في الحدة و الشدة، وتتغير يمينا و شمالا بناء على تغير المواقف السياسية لبعض الدول، فعندما تطلق حملتها ينطلقون ؟

ولهذا السبب و مثله يزعم بعض الباحثين أن أسباب ظهور الفرق الإسلامية الكبرى

سياسي وليس بعقدي لأنهم نظروا في مسألة الإمامة عندما انفجرت في العهود الأولى للإسلام فانبثقت عنها ثلاث فرق : الخوارج ، و الشيعة ،و السنة و إن كنتُ لا اعتبرها فرقة إلا أن هؤلاء السلفيين يعتبرونها فرقة بناء على حديث الفرق بينما هي في الحقيقة بقاء على الأصل فهي فرقة باعتبار المقابلة وليس باعتبار النشوء لأنه لم تفارق الأمة بل هي البقاء على الأصل.

وعندما ننظر في المعتزلة لنا أن سبب ظهورهم هو النزاع حول القدر و ليس السياسة، و كذلك المرجئة سبب ظهورهم هو ما تفرع عن النقاش حول الفاسق الملي، وسبب ظهور التجهم هو الاختلاف بسبب الفلسفة حول مسائل التوحيد العلمي، أما الخوارج و إن كان المنعرج في تاريخهم هو التحاكم إلا أنهم كانوا موجودين قبل ذلك من زمن النبوة ،و سبب انحرافه هو التفريق بين القرآن و السنة ما أنتج مسألة الحاكمية و التكفير ، وكذلك الشيعة سببهم الأصلي الغلو في آل البيت و ليس أحقيتهم في الحكم الذي صار فيما بعد رمزا لهم.

وهذا لا يمنع أن يكون للسياسة دور كبير في توسع النظريات العقدية و المذهبية لهذه الفرق، وعندما نعود إلى الفقه السياسي لأهل السنة العامة و ليس الخاصة وهون المنتشر في كتب السياسة الشرعية نجده يقوم على فكرة الجبر التي تحضر بقوة في ثنايا نظرياته لأنه في الحقيقة فقه الأشاعرة ولما كانوا من أهل السنة في مسائل الإمامة ظن هؤلاء الباحثون أن فقه السنة السياسي يقوم على عقيدة الجبر وهذا غير صحيح.

ولهذا انصح بمراجعة "منهاج السنة النبوية" و" الخلافة و الملك" و كذلك " الفرقان بين الحق و الباطل".

يعد كتاب ابن تيمية " الفرقان بين الحق و الباطل" من أفضل كتبه على الإطلاق من بعض الزوايا ، فهو من آخر ما كتب،وقد ضمنه تجربته ومحصلة علمه بالمقالات و الفرق ،كما أشار فيه إلى أنواع الفرقان ، بين الحق و البطل، بين الدليل و الشبهة، بين العقل و السفسطة، بين التجرد الحقيقي والشعوذة.... الخ

بيَّن فيه أن أعظم فرقان هو القرآن لأنه تضمن التفريق بين توحيد الأنبياء و توحيد المتكلمين، ثم رد مقالة كل فرقة إلى القرآن فذكر لنا أسباب انحراف كل فرقة، الأسباب العلمية و النفسية التي كانت سبب نشوء المذهب ومن خلال معرفة هذا

الأسباب يمكن لنا أن نضع معايير صحيحة ثابتة ومستقرة لمن هو سني و غير سني.
وعندما يقول أحدهم: الإخوان قطعوا صلتهم بالرسول وربطوها بالبنا، فهذا يعني أنهم كانوا صلة علمية بالرسول قبل أن يقطعوها ويربطوها بالبنا،بينما في الحقيقة لا يوجد إخوان قبل البنا.
ثم كيف نتعامل مع هذا القول وله ما يضده من المصدر نفسه ، وما قيمته العلمية ، هل جاء في سياق معين أم هم حكم مطلق لأننا نجد الإخوان يعبدون الله كسائر أهل السنة بما ثبت في القرآن و السنة ، ولم نجدهم أحدثوا عبادة جاء بها البنا، ولا لهم ورد جاء به البنا وهكذا .
و إن كان يقصد الأسلوب الدعوي أو تغليب السياسة على الدعوة فهم لهم أسبابهم و حججهم يمكن أن نناقشهم فيها بالدليل ،وكل واحد يغلب عليه اهتمام على حساب اهتمامات أخرى، فهناك من غلب الفروع على العقيدة، وهناك من غلب الحديث على القرآن، وهناك من غلب الدعوة على العلم وهكذا.
المقصود ترك التعميم و الدخول في التفصيل كما جاء في فتاوى اللجنة الدائمة ، كل الجماعات الإسلامية لها و عليها شئنا أم أبينا يكفي للعاقل أن ينظر في واقعه وواقع جماعته و حقيقته ،وكله لا يدل على الصوابية و الأحقية بل يدل على وجود انحراف .
كتبته على وجه السرعة مباشرة و ربما ألحق به لاحقا بعض التفاصيل العلمية.

فائدة:

قال الذهبي في السير "6/ 564":
قَالَ أَحْمَدُ بنُ حَنْبَلٍ: بَلَغَ ابْنَ أَبِي ذِئْبٍ أَنَّ مَالِكاً لَمْ يَأْخُذْ بِحَدِيْثِ: "البَيِّعَانِ بِالخِيَارِ".
فَقَالَ: يُسْتَتَابُ، فَإِنْ تَابَ، وَإِلاَّ ضُرِبَتْ عُنُقُهُ. ثُمَّ قَالَ أَحْمَدُ: هُوَ أَوْرَعُ وَأَقْوَلُ بالحق من مالك.
فتعقبه الذهبي بقوله:
قُلْتُ: لَوْ كَانَ وَرِعاً كَمَا يَنْبَغِي، لَمَا قَالَ هَذَا الكَلاَمَ القَبِيْحَ فِي حَقِّ إِمَامٍ عَظِيْمٍ، فَمَالِكٌ إِنَّمَا لَمْ يَعْمَلْ بِظَاهِرِ الحَدِيْثِ لأَنَّهُ رَآهُ مَنْسُوْخاً وَقِيْلَ: عَمِلَ بِهِ، وَحَمَلَ قَوْلَه: "حَتَّى يَتَفَرَّقَا" عَلَى التَّلَفُّظِ بِالإِيجَابِ وَالقَبُولِ، فَمَالِكٌ فِي هَذَا الحَدِيْثِ، وَفِي كُلِّ حَدِيْثٍ لَهُ أَجْرٌ وَلاَ بُدَّ، فَإِنْ أَصَابَ، ازْدَادَ أجراً آخَرَ، (وَإِنَّمَا يَرَى السَّيْفَ عَلَى مَنْ أخطأ في اجتهاده

الحرورية -أي الخوارج-)
وَبِكُلِّ حَالٍ: فَكَلاَمُ الأَقْرَانِ بَعْضِهِم فِي بَعْضٍ لاَ يُعَوَّلُ عَلَى كَثِيْرٍ مِنْهُ، فَلاَ نَقَصَتْ جَلاَلَةُ مَالِكٍ بِقَوْلِ ابْنِ أَبِي ذِئْبٍ فِيْهِ، وَلاَ ضَعَّفَ العُلَمَاءُ ابْنَ أَبِي ذِئْبٍ بِمَقَالَتِهِ هَذِهِ، بَلْ هُمَا عَالِمَا المَدِيْنَةِ فِي زَمَانِهِمَا -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- وَلَمْ يُسنِدْهَا الإِمَامُ أَحْمَدُ، فلعلها لم تصح.
فوائد:
1 ـ أعجب الإمام أحمد بموقف ابن أبي ذئب.
2 ـ لم يرهب الذهبي من جلالة الإمام أحمد و انتقده ولا عد ذلك خروجا من السنة؟
3 ـ لم ينتقده تعصبا، بل بين مأخذه و برر موقف الإمام مالك.
4 ـ فرق بين أهل السنة و الخوارج في مسألة معاقبة المجتهد،مع أن الإمام مالك رد حديثا؟
5ـ هذا درس للمتساهلين في تكفير العلماء و الدعاة و تضليلهم في اجتهاداتهم.

الفرق بين الإنكار على المسلم المخالف وبين معاقبته وتكفيره

بسم الله الرحمن الرحيم
وقع لبعض أهل العلم قديما و لغيرهم من المعاصرين إشكالات مع بعض النصوص الصحيحة ظنوها مخالفة لظاهر القرآن، خاصة عند أولئك الذين جعلوا همهم في الدعوة الإسلامية أن يعرضوا الإسلام في لغة وصورة منطقية مع مفاهيم أهل العصر.
ولاشك أن لظروف هذا العصر ضغوطات و إكراهات على المحتكين به من أهل العلم ممن يتابعون إنتاجه الفكري و نظامه الحضاري قد تدفعهم إلى التشكيك في صحة بعض النصوص و الوقوف على أدنى علة لها ولو لم تكن قادحة في صحة السند ،أو محاولة توجيه متونها لتتوافق وما يرونه من ظاهر القرآن.
وهؤلاء أصناف منهم أهل دين و إيمان لا عن شبهة في عقيدتهم أو نفاق ينطلقون في تحقيق مثل هذه القضايا الخطيرة و إنما لا يستطيعون مخالفة علمهم و التنكر له إرضاءً للمستقر عند جمهور المسلمين أو عمومهم،فيجهرون بالإشكال العلمي كما يتصورنه و بطبيعة الحال تكون ردود الأفعال عليهم في غالب الأحيان التهجين و التضليل و التكفير،وهنا ينتصر لهم من يحسن الظن بهم من إخوانهم فينكرون الإنكار

عليهم أو تكفيرهم؟
ومعلوم أن التوقف في النصوص الحديثية التي يخالف ظاهرها القرآن،أو تخالف ظاهر القرآن أمر عرفه الصحابة كعائشة ـ رضي الله عنها ـ ومن جاء بعدهم فلا يكفي وحده لإيقاع التكفير على المسلم، ومما لا شك فيه أنه كثير ما يقع التكفير بالتأويل،و المعتبر ليس في وقوعه ولكن في التعامل معه،أقصد كونه يقع بالتأويل هذا لا يعني الاستسهال فيه فقد يرى بعضهم أن القول كفر ومنكر في الدين فيكفر صاحبه ومن يحسن الظن به كما يفعل غلاة التكفير يكفِّرون المعين ومن يحسن الظن به،وقد يرى غيرهم ما في قول الرجل من الاحتمال وما فيه من الصلاح و العبادة فيعرضون عن تكفيره، وقد يغلو فينكر كفر قوله كما غال الأول فكفَّره وكفَّر من يحسن الظن به .
و الموفق من حذَّر من القول و بين مخالفته للشريعة بالأدلة المعتبرة وناقش صاحبه ودرء شبهه ولم يكفِّر قائله خاصة إن كان من الصالحين أو من علماء المسلمين سبقت شهادة حاله و تعلقه بالدين ما وقع فيه، ولهذا قال ابن تيمية : ((بَلْ دَفْعَ التَّكْفِيرِ عَنْ عُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ وَإِنْ أَخْطَئُوا: هُوَ مِنْ أَحَقِّ الْأَغْرَاضِ الشَّرْعِيَّةِ؛ حَتَّى لَوْ فُرِضَ أَنَّ دَفْعَ التَّكْفِيرِ عَنْ الْقَائِلِ يَعْتَقِدُ أَنَّهُ لَيْسَ بِكَافِرِ حِمَايَةً لَهُ، وَنَصْرًا لِأَخِيهِ الْمُسْلِمِ، لَكَانَ هَذَا غَرَضًا شَرْعِيًّا حَسَنًا، وَهُوَ إذَا اجْتَهَدَ فِي ذَلِكَ فَأَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ، وَإِنْ اجْتَهَدَ فِيهِ فَأَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ وَاحِدٌ.))
ومذهب السلف في التفريق بين إطلاق الكفر و تكفير المعين معروف،وما اشتراط تحقق الشروط و انتفاء الموانع إلا صورة علمية عن دفع الظن و الاستسهال في التكفير، ومتى وقف المكفِّر عند الشروط تحقيقا والتزم عدم الموانع من الاجتهاد السائغ و القصد الحسن و الجهل فقد انتقل من الظن إلى القطع.
و المقصود هنا أن القطع ليس في المسألة المختلف فيها في حد ذاتها،فهي تختلف من شخص لآخر حتى لو كانت من المعلوم من الدين بالضرورة فقد تكون ظاهرة لقوم غير ظاهرة لغيرهم و لكن في تحقق كفر الشخص بها، ومما لا شك فيه لمن تتبع قواعد الشريعة و تصرفات الأئمة أن التكفير حكم شرعي ينبني عليه أحكام في الدنيا من سفك الدم و استباحة المال و في الآخرة التخليد في النار، ومتى كان حكما شرعيا فيجب أن يكون مأخذه كسائر الأحكام الشرعية التي تدرك تارة بيقين و تارة بغلبة ظن ،لكن المشكل عندما يحصل التردد كما في أكثر هذه الحالات فهنا يكون التوقف عن

التكفير أولى و المبادرة إليه مع تعارض القرائن طبع من يغلب عليه الجهل لأن التكفير يختلف بحسب اختلاف حال الشخص من إيمان و اتباع و تصديق و تعظيم للشريعة ووجود أدلة ذات اشتباه أو قرائن شرعية تعضد قوله يحتاج إلى دفعها إلى علم لا يملكه، فمثل هذا لا يكفَّر ولا يفسق ولا يبدع ولا يضلل .

وقد أخطأ الناس فيما هو أخطر المسائل" القرآن" ولم يكفِّرهم أهل السنة لأنهم كانوا أهل علم ودين قصدوا وجها من الحق ،و عزب عنهم وجه آخر، فقد يقول من الأعيان ما هو كفر ولا نكفِّره مع علمنا بكفر قوله لما قام به من الإيمان ما يمنع أن يكون مثله كافرا.

نقل الذهبي رحمه الله في (السير) : عن زاهر بن أحمد السرخسي: لَمَّا قَرُبَ حُضُوْرُ أَجل أَبِي الحَسَنِ الأَشْعَرِيِّ فِي دَارِي بِبَغْدَادَ، دعَانِي فَأَتَيْتُه، فَقَالَ: اشهدْ عليَّ أَنِّي لاَ أَكفِّر أَحَداً مِنْ أَهْلِ القِبْلَة، لأَنَّ الكلَّ يُشيَرَوْنَ إِلَى معبودٍ وَاحِد، وإنما هذا كله اختلاف العبادات.

فعقب الذهبي بقوله: قُلْتُ: وَبنحو هَذَا أَدين، وَكَذَا كَانَ شَيْخُنَا ابْنُ تيمِيَّة فِي أَوَاخِرِ أَيَّامه يَقُوْلُ: أَنَا لاَ أَكفر أَحَداً مِنَ الأُمَّة، وَيَقُوْلُ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لاَ يُحَافِظُ عَلَى الْوضُوء إِلاَّ مُؤْمِنٌ" ، فَمَنْ لاَزَمَ الصَّلَوَاتِ بوضوء فهو مسلم.

فما ينبغي لك أخي المهتم بنفسه ومصيره أن تبادر إلى تكفير المسلم إلا ببرهان قطعي لا اشتراطا للقطع ولكن احتياطا لدينك ومصيرك عند الله.

وعندما جاءت النصوص إلى كفر الحاكم اشترطت أن يكون بواحا، وهذا يقع ضمن القطعية لا الظنية - ولهذا كان أئمة السنة لا يحكمون بالكفر على أحد، حتى يثبت حكمه بالحجة والبرهان الواضح، فمتى رأوا منه كفراً بواحاً، فإنهم يحكمون عليه بالكفر مع الاحتياط والتحرز في اللفظ، لا يتعدون الإطلاق الذي أطلقه الكتاب والسنة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: (((والكفر) هو من الأحكام الشرعية، وليس كل من خالف شيئاً علم بنظر العقل يكون كافراً، ولو قدر أنه جحد بعض صرائح العقول، لم يحكم بكفره حتى يكون قوله كفراً في الشريعة))(مجموع الفتاوى، 12/225).

فمتى أظهر العبد قولاً أو فعلاً مكفراً، سموا قوله أو فعله كفراً، وقد يطلقون القول بتكفير صاحب هذا العمل غير المعين، فيقولون: من قال أو فعل أو ترك كذا، فهو

كافر.
قال شيخ الإسلام -رحمه الله-: في (المجموع 35/165-)166: ((وأصل ذلك أن المقالة التي هي كفر قولاً، يطلق كما دل على ذلك الدلائل الشرعية؛ فإن (الإيمان) من الأحكام المتلقاة عن الله ورسوله، وليس ذلك مما يحكم فيه الناس بظنونهم وأهوائهم.
ولا يجب أن يحكم في كل شخص قال ذلك، بأنه كافر حتى يثبت في حقه شروط التكفير، وتنتفي موانعه ... وتقوم عليه الحجة بالرسالة، كما قال الله تعالى: {لِئَلا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ} [النساء:165].
وعليه القطع عند تكفير المسلم هو مفهوم النصوص الشرعية حينما حذرت من تكفير المسلم وهي نصوص صحيحة معروفة مشهورة ،وأكثر ما يقع من تكفير للمسلمين هو سبب اختلاف الاعتقاد ،و قد تكون هذه الاعتقادات نظرية يخوض فيها الإنسان عند المناظرة و الجدل ،وبعد ذلك يغفل عنها و يرجع إلى الأصل وهو مضمون الشهادتين.
فمما لا شك فيه أنه يجب الاحتياط عند تكفير المسلم فلا يقف عند الألفاظ مجردة و ينظر في كل الوجوه فإن وجد واحدا يمنعه مال إليه و انصرف عن التكفير.
ومن المعلوم ـ أيضا ـ أن من أسباب العدل و الإنصاف ودواعي إقامة الأعذار معرفة حقائق مذاهب الناس و أسبابها العلمية وغيرها التي دعتهم إليها، فهذا منشأ الرحمة بهم و سبب السماحة و العذر لهم،قال شيخ الإسلام في (الأصفهانية) : ((فإن من عرف حقائق أقوال الناس وطرقهم التي دعتهم إلى تلك الأقوال حصل له العلم والرحمة فعلم الحق ورحم الخلق وكان مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وهذه خاصة أهل السنة المتبعين للرسول صلى الله عليه وسلم فإنهم يتبعون الحق ويرحمون من خالفهم باجتهاده حيث عذره الله ورسوله وأهل البدع يبتدعون بدعة باطلة ويكفرون من خالفهم فيها)).
لقد وجدنا من العلماء من أنكر نصوصا ثابتة ولم يكفَّر، قال ابن تيمية(المسائل والأجوبة: (1/126)): ((وقد أنكر كثيرٌ من السلف أشياء خالفوا بها السنة، ولم يكفرهم أحدٌ من أئمة الدين، فقد كان غير واحدٍ يكذب بأحاديث ثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم ويغلط رواتها؛ لما ظنه معارضًا لها من ظاهر القرآن (أو أخبر خبرًا) كما أنكرت عائشة عدة أخبارٍ، وأبو بكر وعمر وعلي وزيد وغيرهم بعض الأخبار،

وأنكر غير واحدٍ بعض الآيات التي لم يعلم أنها من القرآن)).
فليس إذًا مجرد الإنكار أو الإنكار ابتداءً يُكفّر لأجله المسلم حتّى ينظر في سبب إنكاره كأن يظنّ مخالفة ظاهر القرآن أو تلقّى علما وشبهة ممّن علّمه كما قال ابن تيمية" أو أُخبر خبرا"، بل الأدهى أنّه ذكر من أنكر بعض آيات القرآن ومعلوم أنّ القرآن نقل إلينا نقلا متواترا(؟)
المهم قد ذكر أمثلة كثيرة على هذه المسألة تجدونها في المجموع ،كإنكار بعض السلف أن يكون الميت يسمع نداء الحي،و أن يكون المعراج يقظة،ورؤية النبي صلى الله عليه و سلم لربه،وكذلك في الخلافة و التفضيل يوجد المخالف منهم،وكما أنكر شريح القاضي قراءة ثابتة ،و أنكر بعضهم قوله تعالى: أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا} و قال إنما هي (أو لَمْ يَتَبَيَّنْ الَّذِينَ آمَنُوا) و إنكار قراءة قوله تعالى : {وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ} وقال: إنما هي:(وَوَصَّى رَبُّك)، وحذف بعضهم المعوذتين ،و كتب آخر سورة القنوت،وهذا خطأ معلوم بالإجماع و النقل المتواتر، و قد استحل بعض السلف بعض أنواع الربا،و استحل آخرون بعض أنواع الخمر و استحل بعضهم القتال في الفتنة،
فقد تبلغ الرجل جملة ويفوته التفصيل، وقد يفهم أصلا ويغيب عنه الاستثناء،فقد يتخلف سماع الحجة،وقد يسمعها من وجه لا يوجب التصديق بها،وقد يعتقد معنى آخر بسبب تأويل يعذر فيه كأن يلتفت إلى ظاهر القرآن عن تفاصيل السنة،يحتاج إلى مناقشة و إقامة حجة علمية صحيحة قبل تكفيره و تضليله، فإن التأويل الذي له أسباب موضوعية و إن لم تكن صحيحة لكنها محتملة أو قد يكون بسبب الاشتباه في فهم بعض النصوص يمنع من التفسيق و التكفير.
فتبليغ الحجة و إقامتها بدرء ما يعارضها هو السبيل الوحيد الصحيح الذي يحكم بعده بكفر المخالف للرسول صلى الله عليه و سلم،أما قبل ذلك فالاحتمالات كثيرة جدا وقد يعارضها حال الرجل و إيمانه و علمه و تعلقه بالرسول صلى الله عليه و سلم.
قال ابن تيمية : ((هَذَا مَعَ أَنِّي دَائِمًا وَمَنْ جَالَسَنِي يَعْلَمُ ذَلِكَ مِنِّي: أَنِّي مِنْ أَعْظَمِ النَّاسِ نَهْيًا عَنْ أَنْ يُنْسَبَ مُعَيَّنٌ إلَى تَكْفِيرٍ وَتَفْسِيقٍ وَمَعْصِيَةٍ، إلَّا إذَا عُلِمَ أَنَّهُ قَدْ قَامَتْ عَلَيْهِ الْحُجَّةُ الرسالية الَّتِي مَنْ خَالَفَهَا كَانَ كَافِرًا تَارَةً وَفَاسِقًا أُخْرَى وَعَاصِيًا أُخْرَى وَ(إِنِّي أُقَرِّرُ أَنَّ اللَّهَ قَدْ غَفَرَ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ خَطَأَهَا: وَذَلِكَ يَعُمُّ الْخَطَأَ فِي الْمَسَائِلِ الْخَبَرِيَّةِ الْقَوْلِيَّةِ

وَالْمَسَائِلِ الْعَمَلِيَّةِ). وَمَا زَالَ السَّلَفُ يَتَنَازَعُونَ فِي كَثِيرٍ مِنْ هَذِهِ الْمَسَائِلِ وَلَمْ يَشْهَدْ أَحَدٌ مِنْهُمْ عَلَى أَحَدٍ لَا بِكُفْرٍ وَلَا بِفِسْقٍ وَلَا مَعْصِيَةٍ)). (مجموع الفتاوى)(3/229)

ثانيا: الاحتياط في التكفير و الابتعاد عنه قدر الإمكان العلمي عندما يتعلق الأمر بالعلماء و الدعاة و الصالحين لا ينفي الإنكار عليهم خاصة في المسائل القطعية مع ضرورة التفريق بين كون المسألة اجتهادية أو قطعية، فقد تكون قطعية من جهة اجتهادية في بعض تعلقاتها كأن يراها مؤقتة أو منسوخة وغير ذلك ،وكل ما خالف السنة أو الإجماع القديم وجب إنكاره فإن كان كفرا وجب بيان ذلك وليس كل خلاف بين الأئمة يدخل في موارد الاجتهاد و بالتالي تدخل مسائل الخلاف في مسائل الاجتهاد،فهذا غير دقيق لأن مسائل الاجتهاد هي التي لم يكن فيها دليل يجب العمل به وجوبا ظاهرا ، كما ليس كون المسألة قطعية يوجب الطعن على من خالفها اجتهادا إلا بعض النظر في أدلته و الرد عليها مما يقطع قوله،لأن المسائل التي اختلف فيها السلف كتحريم ربا الفضل و النبيذ مثلا علمناها من وجه قطعي ومع ذلك نعذر المخالف فيها،وهكذا.

قال ابن تيمية في (ابطال الحيل): ((وليس في ذكر كون المسألة قطعية طعن على من خالفها من المجتهدين كسائر المسائل التي اختلف فيها السلف . وقد تيقنا صحة أحد القولين فيها . مثل كون الحامل المتوفى عنها تعتد بوضع الحمل . وأن الجماع المجرد عن إنزال يوجب الغسل. وأن ربا الفضل والمتعة حرام , وأن النبيذ حرام , وأن السنة في الركوع الأخذ بالركب , وأن دية الأصابع سواء , وأن يد السارق تقطع في ثلاثة دراهم ربع دينار , وأن البائع أحق بسلعته إذا أفلس المشتري . وأن المسلم لا يقتل بالكافر . وأن الحاج يلبي حتى يرمي جمرة العقبة , وأن التيمم يكفي فيه ضربة واحدة إلى الكوعين . وأن المسح على الخفين جائز حضرا وسفرا إلى غير ذلك مما لا يكاد يحصى . وبالجملة من بلغه ما في هذا الباب من الأحاديث والآثار التي لا معارض لها فليس له عند الله عذر بتقليد من ينهاه عن تقليده.))

المهم أن يكون توجهنا أولا إلى مناقشة أدلة من يخالف المسائل الثابتة لا المسارعة إلى التكفير ، فإن لزم أن يكون قوله كفرا بيان وجه كونه كفرا ومتى علم الناس بالأدلة الصحيحة أن قوله كفر فقد تم المقصود الأصلي أما تكفيره هو فيرجع إلى أصول و ضوابط تتوفر للقضاة بالمعاينة و المشافهة المباشرة .

ولقد كان البيان دأب أهل العلم ولا يزال ، فضلا عن الأخذ والرد بينهم فيما يختلفون فيه . وقد يخطئ بعضهم بعضا ، وخاصة من خالف نصا صحيحا سالما من المعارضة . وهذا واضح على قول أكثر الأصوليين ، وهم القائلون بجواز تخطئة المجتهد في المسائل الاجتهادية . إلا أن هذا البيان يكون مع تمهيد العذر للمخالف من أهل العلم ، وحفظ رتبته وإقامة هيبته .

الاختلاف يوجب الدعوة إلى الحق ورحمة الخلق:

من عرف كيف يختلف الناس و لأجل أي شيء يختلفون ، ومن عرف أن موافقة الحق محض فضل الله يصيب به من يشاء ، لا علاقة له بالذكاء و الجهد و العلم وغير ذلك ،نظر لمن أخطأ الحق أو لم يصبه كله بعين الرحمة ،و سأل الله له و لغيره الهداية و التوفيق ، ولكن عندما يعتقد الناس أنهم عرفوا الحق بفضل ذكائهم و ثقافتهم وجهدهم يضيقون على من خالفهم فإذا لم يعرفوا مذاهب الناس و أدلتهم وحججهم غلو في الإنكار حتى يقودهم ذلك إلى التفرق فيما هم فيه مشتركون من أصول يقر بها كل واحد منهم .

وقد أظهر التاريخ أن كل من عاقب على الاجتهاد الصادق الصحيح عوقب بوجه من الوجوه.

و الحمد لله على كل حال.

كمال داود مزيج انتحار : جرأة الفهم القاصر للدين و العبودية لفرنسا

بسم الله الرحمن الرحيم

الملاحظ على الجوائز الأدبية التي تقدمها الأكاديمية الفرنسية و غيرها من مؤسسات فرنسية أنها مشروطة بخدمة الثقافة الفرنسية و مصالح فرنسا في العالم،فلا يمكننا أن نجد اسما واحدا - خاصة من الدول العربية و الإسلامية - نال بعض هذه الجوائز لأنه دافع عن الإسلام أو عن حقوق وطنه،لا نجد إلا من باع دينه و هوية وطنه على مذبح الشهرة في دوائر الفن و الأدب و السياسة في فرنسا ،هذه حقيقة لا يجب أن نغفل عنها.

لكن من جهة أخرى يجب أن نسأل أنفسنا لمَ كل هذا الضجيج و الرجل يكتب في " يومية وهران" أسبوعيا منذ أكثر من أربع سنوات وله روايات سابقة ضمنها استهتاره بالإسلام و القرآن و العروبة و بالشخصية الجزائرية ، هل لأننا لا نقرأ صحفنا،و نتعلق بما يصدر عن القنوات الفرنسية أكثر من تعلقنا بمؤسساتنا الصحفية و الإعلامية؟

هل ما زلنا خاضعين سنة 2014 للانبهار بفرنسا، وهي أعلم بما عندنا و ما يجري في بلدنا منا؟

وهل كمال داود الوحيد من هذا الجنس الجاهل بدينه ، المتودد إلى فرنسا لتتصدق عليه بقيمة في محافلها الأدبية يستجديها ببيع نفسه أم هناك آخرون كثر مثله؟

أحسن ما قرأت بخصوصه ما كتبه رشيد بوجدرة في جريدة الخبر(رواية كمال داود ”ميرسو.. تحقيق مضاد“، عبارة عن رواية ضعيفة أسلوبا وبنية، وكل ما فيها أن كاتبها استجاب لمطالب ”الكيان الفرنسي“، وأظهر كرها شديدا لذاته حتى ترضى عنه وسائل الإعلام الفرنسية".

هذه حقيقة كمال داود مهما قدم من الأعذار،وما اختياره camus الأديب المسرحي الفرنسي الاستعماري المضطرب نفسيا و فكريا إلا لأنه معيار الثقافة التي تقبلها فرنسا ،وقد استمعتُ له على قناة الشروق فقدم عذرا أقبح من ذنب محتجا بأن الرواية خيالية لا تعبر عن أفكاره لكننا نجده في الحقيقة خرج عن تقنية السرد القصصي إلى كتابة رأيه فشخصية هارون في روايته شخصية وهمية ضمنها أفكاره و نطق على لسانها،ليس لهذه الشخصية حقيقة وجودية حتى نقول أنه يحكي آراء غيره، هو لا يسرد التاريخ إنما يختفي وراءها ليطعن في القرآن و العروبة، لو عرض الأمر على شكل حوار داخلي في عقل شخصية الرواية أو مع شخصية أخرى لكان الأمر كذلك.

لكن الرجل جاهل بدينه زعم انه لا عالم للدين إلا جلال الدين الرومي ومحي الدين بن عربي يعني أكد الكفر الوارد على لسان شخصيته الوهمية لأن هذين الشخصيتين المتفلسفتين تقولان بـ: سقوط التكاليف و الانحلال من الشريعة، و النبوة طور معرفي مكتسب،و جميع الديانات و الأفكار البشرية حتى أفكار إبليس وفرعون ليست إلا مظهرا من مظاهر الله .

الرجل في الحقيقة يعاني من انفصام في الشخصية ، كاره لذاته كمسلم وعربي

وجزائري،ربما كان يتمنى لو كان نورمانديا ،جاهل بدينه لا يعلم أن الذات الإلهية، و النبوة، و القرآن لا تقبل الاستهتار أو الاستهزاء بها بأي صورة من الصور لا في مزاح، ولا في رواية خيالية .

فهذا فكر حقير وضيع يعبر بوضوح عن مرض نفساني نسميه في الشريعة " النفاق" لا يعلم به الجزائريون،ولا غيرهم، ولا يهتمون به،ولا يقرأه إلا أمثاله من بني التغريب،ممن يعاني من عقدة نقص اتجاه الغرب و انحلاله الأخلاقي الذي يعتبره إبداعا،الواجب أن لا يستحق منا إلا الإهمال والاحتقار فإن كان ولابد فليكن الرد عليه بالكتابة كما فعل غير واحد ،مثل مقال عثمان سعدي على موقع الشروق فإنه يفي بالحاجة من كل وجه،وقد ختمه بالتالي: (وفي 5 نوفمبر 2014 وهو يعبر عن غمّه بعدم حصوله على جائزة غونكور يصرح كمال داود لوكالة الأنباء الفرنسية بما يلي: "إن مجلس التحكيم لغونكور ضيّع فرصة تاريخية في الانفتاح على بقية العالم، لأنه في المغرب هذه الجائزة كانت منتظرة جدا، وعبر عن ذلك كرسالة ثقيلة في معناها". ومعنى ذلك أن الجائزة غير موجهة لنوعية الرواية كعمل أدبي، لكن (توجيه رسالة للمغرب) أين الفن الأدبي في كل هذا؟) و نجتنب غير ذلك لأنه في غير مصلحة الدعوة.

في الأخير : الرجل انتحر عند كل مسلم يحترم دينه، وكل عربي أو أمازيغي يحترم هويته و شخصيته،أما عند بني جنسه فإننا لا نغار منهم، ونفرح عندما ينكشف جنودهم في الخفاء المتخفين تحت عباءة التصوف الكشفي،أو الأدب و الإبداع،و نتحداه هو وكل أديب عربي أن يكتب شيئا يدافع فيه عن الإسلام و العروبة و حقوق الدول العربية إن كان سينال من الغرب شيئا غير الاحتقار.

"ميرسو ـ تحقيق مضاد" رواية كمال داود عندما يحن العبد إلى سيده.

قد استمعتُ ببالغ العناية إلى تصريحات كمال داود على القناة الثانية الفرنسية(منذ حوالي أسبوعين) حيث ذكر أنه chroniqueur)كاتب عمود أو كاتب يوميات(، يحتاج إلى استفزاز القارئ،مما يعني في عرفه أن لا نحاسبه على ما صدر منه في رواية إذ هي خيالية ،وليست كتاب مقالة (essai) أو مجموعة مقالات (recueil) لكن في نهاية المطاف قال له الصحفي الفرنسي: أنت تكره بلدك !

ولم أجد أحسن من هذه الخلاصة: أنت تكره بلدك،و أضيف: وتكره دينك و لغتك و عرقك !

وعندما سئل هل للاستعمار أوجه ايجابية وبعض الفوائد رد ـ وهذا مما يجب أن نشهد له به ـ أن الاستعمار كان عنيفا و أن اللغة الفرنسية بالنسبة للجزائريين هي غنيمة حرب وليست هدية.

و إن كان رشيد بوجدرة نبهنا إلى أمور مهمة تتعلق بهذا الكاتب و من يشابهه، حصرها في كره الجزائر ومعاداة العروبة إلا أنه مثله لا يهتم للطعن في الدين، ومع ذلك لنستفيد منه هذه المقدمة.

لماذا ألبير كامي؟

قال رشيد بوجدرة : " إن كثيرا من الكتاب الجزائريين حاليا أصبحوا يقفزون على موضوع ’’ألبير كامي’’، لكي يحققوا الشهرة ويسترضوا أطرافا فرنسية معادية للجزائر، ومن بين هؤلاء أخص بالذكر الكاتب "عبد القادر جمعي" الذي كتب كتابا بعنوان ’’كامي في وهران’’، وتحدث فيه عن علاقة صاحب ’’الغريب ’’بوهران، رغم أنه لم يمكث فيها سوى بضعة أيام، لقد أبدى هذا الكاتب تملقا كبيرا تجاه كامي وتجاه الأوساط الفرنسية التي تحن للجزائر الفرنسية.

وبمناسبة مئوية كامي، كتب "سليم باشي" بدوره رواية عن كامي بعنوان ’’أيام الشاب الأخيرة" يتملق نفس الأوساط الأدبية الفرنسية، أعتقد أن كلا من "عبد القادر جمعي"، و"كمال داود"، و"بوعلام صنصال" مصابون جميعا بكره الذات وكره الجزائر، وهم من الذين ينتظرون الاعتراف من فرنسا حتى يشعروا بالسعادة.

بينما نجد كتبا فرنسيين، وأخص بالذكر "جيروم فيراري"، و"موفينيي"، و"ألكسيس جيني"، كتبوا عن الجزائر وثورتها، لكنهم لم يظهروا أي حقد تجاهها، بل انتقدوا الثقافة الفرنسية في العمق.

و الجواب:

من يريد من الجزائريين أن يحصل على اعتراف فرنسا به كأديب وروائي فعليه بقنطرة كامي،لأن كامي كان معاديا للجزائر وللثورة الجزائرية، ففي نوفمبر 1955 بعث له "روني شار" برسالة يخبره فيها بأنه يرفض الإمضاء على بيان "جان بول سارتر" حول استنكار الحرب في الجزائر، فرد عليه كامي بتاريخ 5 نوفمبر 1955

برسالة مماثلة، وقال له بصريح العبارة: ''أنت محق في موقفك''، وقد رفض كامي بدوره الإمضاء على بيان سارتر، وأكثر من هذا نجده قد استقال من مجلة ''ليكسبريس ''التي كان يكتب بها، بمجرد أن كتب ''جان جاك سيرفن شريبر '' مقالات مساندة للثورة الجزائرية، هذا هو ألبير كامي الذي ظل استعماريا، واليوم للأسف نجد من يلهث وراء الكتابة عنه بطريقه متماهية.

من هو ألبير كامي؟

نبذة عن رواية كمال داود: "ميرسو .. تحقيق مضاد".

كتب ألبير كامى روايته العالمية التي نال بها جائزة نوبل سنة 1957م " الغريب" التي تعبر عن الخلود الوثني،والعبثية سنة 1942،وهي نفس السنة التي كتب فيها مسرحيته"أسطورة سيزيف"،وهو كاتب بدأ بالوعظ الديني في كتاباته ثم أصبح شيوعيا منضويا في جمعية جان بول سارتر كتب حينها في الفلسفة و الايدولوجيا " ملاحظات حيوية" ومسرحية" الطاعون"،و انتقد الدين في" حالة حصار"،و انتقد البرجوازية في مسرحيته عن الثوار الروس" التقاة".

وفي سنة م1951 صدر له كتاب " المتمرد" الذي أحدث ضجة في أوروبا،ونقاشا ومعركة بينه وبين سارتر،وفي هذا الكتاب انتقل إلى مرحلة أخرى حيث برَّر الجريمة المنطقية أو واقع الحال بأنه روح العصر،كما تعد مسرحيته" كاليجولا" الأشهر و الأكثر إثارة للجدل ، حيث ضمنها المعصية الشيطانية للقدر كمعالجة لمشكلة الحرية فاختار حاكما مطلقا فاسدا سفاكا للدماء تزوج بأخته رغما عن مجتمعه وشعبه و أعرافه.

في رواية كامي" الغريب" يقوم الباطل"ميرسو" بقتل عربي على شاطئ البحر لا هوية له ولا اسم،يأخذ كمال داود هذا المشهد و يبني عليه روايته فيضع على جثة القتيل اسما هو موسى ،ولهذا القتيل أخ يسمى هارون تكلفه والدته بأخذ الثأر من قاتل أخيه،ولما كانت للأسماء في الرواية رمزية يسأل عديد النقاد عن سبب اختيار كمال داود لاسمين عبريين بدلا عن الأسماء العربية الجزائرية كمحمد ومقران و غيرهما؟ لا تستريح أم موسى إلا ليلة الاستقلال عندما يثأر هارون لأخيه و يقتل القاتل،لكنها تهرم بسرعة وهو هنا يقصد الجزائر،يسخر كمال داود في روايته من واقع الجزائريين،ومن وضعهم السياسي ومن تناقضاتهم وهوسهم الشديد بالهوية ، فتعلقهم

بالإسلام و باللغة العربية هو رد فعل سلبي على الاستعمار،فكل شيء في الجزائر ـ بالنسبة إليه ـ شمولي حيث يتواطأ المجتمع مع الحكام على إهدار الحريات الفردية (أنت تعيش خارج البلد، و لا يمكنك فهم ما يكابده شيخٌ لا يؤمن بالله هنا، لا يذهب إلى المسجد ولا ينتظر الجنّة، ليس له زوجة ولا ابنًا، ولا ينظرون إلى حرّيته إلا بوصفها استفزازا) هكذا يقول !

ميرسو القاتل في رواية كامي لا يبالي بمصيره بعد القتل،هو الخلود الوثني لأنه تخلص من الشعور بالذنب،و لان الخطيئة انتقلت إلى مكان آخر يجهله كامي هو كمال داود (الحكاية كلّها غريبة، بطلك هو من قتل، أنا من يشعر بالذّنب، وأنا المحكوم عليه بالتّيه) يرى كمال داود أنه داخل اللاوطن،فالجزائر الموجودة ليست وطنا له،إنه يناضل لأن الجزائر أمه التي لم تلده، فهو ولدته الثقافة الغربية، الحرية بالمفهوم الغربي لذا هو في اللاوطن، في سجن كبير !

لولا أنه تعرض للدين لكانت روايته تحمل أسئلة جديرة بالاهتمام عن جزائر الحاضر، التي تمثلها أم القتيل التي دخلت في حزن وجودي على مقتل ابنها موسى أكسبها تعاطفا من الناس كالجزائر الآن التي تعيش على إيديولوجيا الشهداء الذين حولهم السياسي إلى أسطورة يحكم بها و يستمد منها شرعية حكمه الجزائر؟

في نهاية المطاف لا يتعلق الأمر بقتيل مجهول الهوية قتله كامي مرتين، الأولى برصاصات بطله و الثاني بطمس اسمه وهويته،بل بالجزائر وما آلت إليه بعد الاستقلال ، هي أطروحة ضخمة حول الهضم، هضم الدكتاتورية وغصب الحكم عندما تمزج نكهة الحكم بملعقة الألوهية(الدين)، الشعب بالبطن،النيء بالمطبوخ، هكذا يقول.

لكني أسأل هل هو تمرد على دين نشأ عليه في "مستغانم" دين الطرقية الحاضرة في كل استحقاق انتخابي أم على الإسلام لأنه إسلام، لأنه دين العرب، لأنه دين الجزائريين؟ !

مرة يشهد أنه ملحد، مرة يشهد أنه متدين، يمدح بن عربي و الجلال الرومي؟

عودة الإسلام بالنسبة إليه، وعودة اللغة العربية ،الهويات القديمة كما يسميها هي عودة الموتى ممسكين بتلابيب الأحياء فما موضع فلاسفة وحدة الوجود و الأديان في عالم الموتى وعالم الأحياء؟

يظهر أنه لا يقبل من الدين إلا ما لا حدود فيه للحرية، فالأمر لا يتعلق بابن عربي و ابن الرومي كشيوخ الصوفية الكشفية ولكن بالفكرة الفلسفية التي تضمنتها عقيدتهم وهي الإيمان العقلي المتجسد في مختلف المظاهر الوجودية .

نقل الأستاذ عثمان سعيد رئيس جمعية الدفاع عن اللغة العربية مقالا معرفا بكمال داود أنقله لكم لينساب مع مقالي في التعريف بالرجل و خلفيته:

((عُرف كمال داود بأنه عدوّ مناهض للغة العربية، وعدو لكل ما هو عربي، يمقت كلمة عربي ويضعها دائما في كتاباته بين مزدوجتين، نشر كمال داود في (لوكوتيديان دورون) يوم 17 / 12 / 2009 مقالا بعنوان (المحو الحتمي للاستعمار الأفقي) يعلن فيه: "إننا نحن الجزائريين لسنا عرباً وأن اللغة العربية المقدسة جدا لغة ميتة جدا... إن الاستعمار الأفقي العربي خلق منا مستعمَرين للعروبة... إنني جزائريٌ ولغتي هي اللغة الجزائرية وليست العربية". وكتب في الصحيفة الفرنسية (الفيغارو ليتيرير عدد 16/10/2014) فيقول: "أنا أكتب بالفرنسية ولا أكتب بالعربية، لأن هذه لغة مفخّخة بالمقدّس".عثمان سعدي

- ي أكتوبر 2013 نشر روايته التي مرّت بدون اهتمام، رواية (ميرسو.. تحقيق مضادّ)، هذه الرواية ليست سوى محاكمة ضد الجزائريين وثقافتهم، وضد الإسلام، التي تعتبر عنده عناصر حصرية، وهكذا يكتب عن القرآن فيقول: "أحيانا أتصفح كتابهم، الكتاب الذي أجد فيه لغوا غريبا، ونحيبا، وتهديدات، وهذياناً، تجعلني أشعر بأنني أستمع إلى حارس ليلي عجوز وهو يهذي..." (صفحة 8). والعياذ بالله، وعن جيرانه الجزائريين يقول: "أطفالهم تعجّ كالدود على جسدي" (صفحة 79). ويتكلم عن مدينة الجزائر فيقول عنها "إنها عاصمة بشعة".

✓ في 25 يونيو – حزيران 2014 نشر كمال داود في موقع Algerie focus مقالا عنوانه (جبهة التحرير الوطني أكرهك) قال فيه: "قتْلُ جبهة التحرير الوطني كقتْل فرنسا المستعمَرة، هذا ما كانت تتمناه فرنسا. أمنيتي أن أرى جبهة التحرير تُعدم على حائط وأن أبصق على جثتها، أن أراها مدمّرة تدميرا لم تتمكن فرنسا من تحقيقه". المقصود هنا ليست جبهة تحرير الآن وإنما جبهة التحرير 1954– 1962.

✓ في 19 نوفمبر 2012، أثناء القَنْبلة الأولى على غزة، نشر كمال داود مقالاً في موقع Algerie Focus قال فيه "إسرائيل تقنبل غزة هذا تقريبا تفاصيل في حوادث

الشعبين المُزمنة... إن فلسطين هي البلد الذي يُستعمل في القول بأن الإسرائيليين هم سيّئون بطبعهم بحيث يُنسى بأن العرب أكثر سوءاً". هذا المقال لم يلفت الانتباه في ذلك الوقت بالرغم من أن (جمعية أوروبا - إسرائيل) نشرته.

ولكن هذه المرة مقاله عن جبهة التحرير يلفت الانتباه في هذه الأوساط، وهكذا بعد أيام من صدوره أي في 6 يوليو - تموز 2014 يكتب بيير أسولين عضو مجلس التحكيم لجائزة غونكور مقالا طويلا في موقع (جمهورية الكتب) بعنوان (الغريب الآخر) يشيد فيه -بحماسٍ- برواية كمال داود بحيث سيصبح من أكبر المتحمسين لكمال داود.

إن بيير أسولين مناضلٌ صهيوني، ينشط بقوّة في نشاط (مجلس تمثيل المؤسسات اليهودية بفرنسا). إنه مشاركٌ في تحرير أسبوعية (الوقائع اليهودية). زوجته أنجيلا يغداروف عضو نشط في (المنظمة العالمية للنساء الصهيونيات). بيير أسولين كان قد فاز بالجائزة الأوروبية لهذه المنظمة.

في يونيو- حزيران 2012 هاجم بيير أسولين بعنف سفيرَ فلسطين في منظمة اليونيسكو السيّد إلياس صنبر بسبب انتقاده لزيارة الكاتب الجزائري بوعلام صنصال لإسرائيل. هل كمال داود على خط سير صنصال؟

وغداة انعقاد مجالس الجوائز الأدبية الفرنسية، عاد كمال داود هكذا في صميم أيام قَنْبلة غزة، فكتب في صحيفة "يومية وهران Le Quotidien d'Oran"، مقالا يوم 12/7/2014 بعنوان (لماذا أنا غير نصير لفلسطين؟) قال فيه: "إن العالم الذي يُقال عنه عربي يعتبر وزنا معطِّلا في بقية الإنسانية.. ويقارن الوضع في غزة بالوضع في وادي ميزاب بجنوب الجزائر". ومنذ الآن صارت الصحافة الفرنسية ـ الصهيونية تصف كمال داود بـ(المتمرد المقاوم). وفي 25/07/2014 يعيد موقع (عِشْ في تل أبيب) نشرَ مقال محمد قاسيمي: (هل لا بدّ من حرق كمال داود؟) الذي يدافع فيه عن كمال داود.

أسبوعية لوبوان التي تعتبر المجال الذي يمرح فيه الصهيوني برنار هنري ليفي تدلي بدلوها وتنشر لكمال داود مقالا يوم 24 / 7 / 2014 يستنكر فيه المسيرات التي ساندت فلسطين في حي باربيس في باريس المشهور بإقامة الجزائريين فيه، علماً بأن هذه الأسبوعية تؤيد باستمرار إسرائيل.

وهكذا تصاعد بفرنسا الاهتمام برواية كمال داود (ميرسو.. تحقيق مضاد) ففي 21 / 7 / 2014 أياما قليلة بعد مقاله الجديد عن غزة تنشر في (باري ماتش) إشادة كبيرة برواية كمال داود رفيقةُ فرانسوا هولاند السابقة فاليري تريرويير. وتلحق صحفٌ أخرى بالإشادة، فتوضع الرواية في قائمة الجوائز الأدبية: غونكور، جائزة رونودو. وتحصل الرواية على جائزة فرونسوا موررياك، ثم على جائزة القارات الخمس للفرانكفونية.

وفي 5 نوفمبر 2014 وهو يعبر عن غمّه بعدم حصوله على جائزة غونكور يصرح كمال داود لوكالة الأنباء الفرنسية بما يلي: "إن مجلس التحكيم لغونكور ضيّع فرصة تاريخية في الانفتاح على بقية العالم، لأنه في المغرب هذه الجائزة كانت منتظرة جدا، وعبر عن ذلك كرسالة ثقيلة في معناها". ومعنى ذلك أن الجائزة غير موجهة لنوعية الرواية كعمل أدبي، لكن (توجيه رسالة للمغرب) أين الفن الأدبي في كل هذا؟))

إذا كان كمال داود قد حقق نجاحا ما بروايته هذه فوصلت نهائيات غنغور،وترجمت إلى لغات عديدة ،فهو نجاح تحت إبط وولاية كامي و فلسفته الاستعمارية.

و إذا كان سلم الصعود إلى المحافل الغربية هو كراهية الذات و التنكر للتاريخ و الطعن في الهوية فأي وضيع يمكنه أن يصنع ذلك، ومعيار الناجح هو ما تقدمه لأمتك ودينك ووطنك و ليس ما تتنازل عنه لترضية الغرب المتصهين.

و إذا كان كمال داود شخصية مغمورة في الجزائر، لا يعرفها الشعب الجزائري،ولا أهل الدين ،ولولا أن فرنسا قدمته لنا لما سمعنا به و برواياته الهابطة ،فليس من مصلحتنا أن نحوله إلى باطل مفكر مظلوم واجهنا فكره بفتوى القتل لتصطف خلفه جمعيات المساندة في العالم.

و إذا كان الخوض فيه ساهم في رفع قيمته عند أسياده الذين يتودد إليهم، وجعل كل حاقد على الإسلام وعلى اللغة العربية يصطف خلفه،كما جعل السلطة تصب الزيت على النار لما تحقق هذه المعركة من مصالح عاجلة من تشويه لخصومها من المعارضين من أي تيار، فيجب أن نعلم أن معركته في المجتمع الجزائري معركة خاسرة فأطروحاته لا يمكن أن يقبلها الشعب الجزائري ،ولا يهمنا أن يقبلها أمثاله فهي فيهم من قبله و ستظل بعده لكننا قد نخسرها إذا حصرناها في التكفير و القتل، ولم نتعد بها إلى مجال الأدب و الفكر و الشخصية الوطنية التي يمثل الإسلام فيها

جزؤها الجوهري، هنا فقط سيعيش من بيننا منبوذا

أين موقع الدين في حياتك وقبل ذلك في عقلك وقلبك؟

دائما ما يكون الإشكال في المواقف السياسية أو الفكرية و العقدية التي اتخذت طابعا سياسيا عند بني آدم في العجز في ترتيب الأولويات و تقديم الأصول على الفروع،و لهذا يعاني بعض الناس انفصاما في الشخصية،وقد تسيطر فكرة على وجدانهم وكيانهم العقلي حتى تصبح مقدسة مقدمة على كل شيء موجود.

وقد يكون في هؤلاء بعض الدين أو أثار منه باقية لم تمحيها الطموحات الشخصية و الانغماس كلية في مشروعهم سياسي،وقد تغرق عقولهم في العمومات حتى ينسون قيمة وفضيلة التدقيق،و مزايا التفريق بين المتشابهات من وجه عرضي المختلفات في أصولها.

ومن هؤلاء من يدافع عن كمال داود المعارض السياسي للنظام و ينسى كمال داود المهدر لكل قيم المسلم و العربي، فقد يلتحق به المتدين الذي أصبحت معارضة النظام عنده قضية لهوتية عقدية خطيرة تتقدم في الأهمية قداسة الإله نفسه،وقد يلتحق به كل شعوبي حاقد على العرب أو على اللغة العربية ،كما التحق به كل ماجن يعد الإبداع الأدبي حكايات السرير ،وكل منافق عجز عن تربية نفسه،و لجام فجوره فحول الخسة و الوضاعة إلى نظرية فلسفية وتيار فكري يسميه بأسماء مختلفة " الإنسية، الوجودية، المادية، الواقعية، الحداثة" وكل هذه الألفاظ لا علاقة لها لغويا وفكريا بالكفر و الفجور ،فأكثر الناس إنسانية في أرض الواقع هو المسلم،و أكثرهم اهتماما بالإجابة عن حقيقة الوجود و القصد منه،و بإصلاح الواقع و تسخير المادة لإصلاحه في نظرة إنسانية سماوية تعادي استعباد الناس بالشهوات كاستعبادهم بالملك المطلق و بالتسخير و الاستغلال ،هو كذلك المسلم الذي عرف دينه جيدا ، لا المسلم بالتاريخ، ولا المسلم بالجغرافيا ولكن المسلم بالقرآن، بنوره للعقل البشري وبهدايته للقلب الحائر المضطرب.

لاشك أن في العلمانيين و اليساريين و الليبراليين معارضين للنظام في قمع الحريات الصحيحة و إهدار المال العام،و ظلم الضعيف ... الخ نشهد لهم بذلك كما نشهد للشيطان إذا ما قال كلمة حق لكن هذه قضية ، و الطعن في الدين و في الذات الإلهية

بأن خطابها في القرآن كهذرمة شيخ يعمل كحارس ليلي تعالى الله عن قول الظالمين علوا كبيرا، و الطعن في الثورة في حد ذاتها حنينا إلى ثقافة المستعمر، و الطعن في العربية لأنها لغة لا تسمح بحرية التعبير الجنسي قضية أخرى و المتعلق بها ،قد فقد جوهر دينه أن يكون الله و رسوله أحب إليه مما سواهما ،وأن يكون تعظيم الله و خشيته و محبته و الاستسلام له طوعا كما هو في الواقع رغما عنه هو الفيصل الفارق بين المسلم و غير المسلم.

ليس فرعون بأسوأ من إبليس لأنك ترى الفرعون،ولا تشعر بوجود إبليس يوم أسكرك وصرعك بفكرك الجديد لأن أصل الفرعنة من إبليس ،ومواجهة تلبيس ابليس أعظم ومقدمة لمواجهة فرعون.

عندما يشهدون للغة العربية

يقول علاء الأسواني ـ على لسان أشكاله ـ بأن الأدباء باللغة العربية سجنهم المقدس عن الإبداع لأن الإبداع في تصوره هو خرق حدود الله ؟

و يقول الأمين الزاوي و كمال داود أن اللغة العربية ميتة لا تتيح للكاتب التعبير بحرية عن الحكايات الجنسية؟

فهل صحيح أن اللغة العربية لا تملك مرونة في المعاني و ثراءً في الألفاظ يسمح بوصف العلاقات الحميمية أم أنهم لم يفطنوا إلى حقيقة الأمر وهو ما يقوم عليه الاهتمام باللغة العربية ليس لأننا عرب فقط،بل لعلاقة وطيدة اكتسبتها هذه اللغة يوم أصبحت لغة القرآن.

فمن الناحية التقنية نجد أن اللغة العربية لا تضاهيها لغة أخرى في دقة الوصف و كتابات العرب الجنسية نثرا و شعرا كثيرة جدا ،ولهذا فإن اللغة العربية من حيث هي لغة كسائر اللغات تسمح بالتعبير عن أي شيء،فإذا سمحت بوصف دقيق مفصل في مشاهد متعاقبة لأتفه الأشياء التي تغنى بها الشعراء،و ارتفعت لتصف الإله، و الخلق، و بداية الكون، و أهم الحوارات التي دارت في الدنيا و التي ستدور في الآخرة، كيف تعجز عن وصف شيء حيواني في الإنسان؟

السر هو أن العربي حينما يكتب بالعربية عن أشياء مخلة بالحياء يشعر بالحرج لأنه يعرف معانيها فهي مربوطة ربطا خالدة بمبادئ القرآن من العفة و طهارة اللسان

وشرف النطق الإنساني،كما هي لغة أمه التي مهما بلغ في الطيش يظهر أمامها كأطهر التقاة،بينما استعمال اللغة الأجنبية يشعره بالخلوة ، و بالتسلل إلى العقول من غير أن تشعر به تماما كما هو الحال للبيئة و العرف،فالرجل يمتنع عن خوارم المروءة لما يكون في بلده بين قومه فإذا تغرب أطلق لنفسه العنان.

هكذا هي النفوس غرس الله فيها فطرة الحياء و الحرج حتى في الفجور تريد أن تكون خالية بعيدة عن أعين الناس أو حيث لا يعرفها الناس.

هذه حقيقة اللغة العربية هي بيئة المسلم و مجتمعه وموطنه الذي يعيش فيه ، هي بشكل ما جزء من دينه يحرس قيمه و أخلاقه ، هذا كل ما في الأمر يا من جعلوا قبلتهم فروجهم و معابدهم أسرة بيوت الدعارة.

رد الفعل الإسلامي و الغربة السلبية.

الفجوة بيننا وبين المجتمع الذي نعيش فيه ليست تلك العلاقة المتشنجة مع مختلف مكوناته وطبيعتها الصراعية العدائية لغة وردا للفعل،ولكن هو أن نكون فيه بأجسامنا و عقولنا في عالم افتراضي صنعناه في عقولنا،أو في مكان آخر من المعمورة نتابع معاركه أو نشارك فيها ،هذه الغربة السلبية غربة أن لا تعرف ما يجري في بلدك مما يخصك مباشرة،ليست غربة التميز بالفضيلة فإنها عامل قوة .

أقول هذا لأنه قد جمعني حديثٌ مع بعض الإخوة المتابعين للصحافة الجزائرية و لبعض الكتبة المتغربين ممن سلطوا أقلامهم في إطار المعارضة المطلقة لكل ما هو فاسد في تصورهم بلغة الاستفزاز و التمرد حول الضجة الأخيرة و عن مستوى الرد و قيمته المعرفية حتى عن نوع الأسئلة التي وجهها بعضُ الإعلاميين الذين حاولوا أن يكونوا مهنيين وفقا لمعايير العمل الإعلامي فوجدتُ أنها لم ترق للمستوى المطلوب،و أنه كان يكفي أحدنا أن يرجع لمقالات كمال داود التي كتبها في "يومية وهران" لينسف كل حججه الكاذبة ،فالرجل استغل جهلنا بالثقافة التغريبية في الجزائر و بما يدور في الصحافة الفرانكفونية وراح يخترع حججا واهية أضعفت الرد نوعا ما وحولته إلى مجرد موقف فقهي معزول ليس له أثر إلا عند الملتزمين.

ولقد أشار ابن حزم ـ رحمه الله ـ إلى هذا المشكل المنهجي في التدافع العلمي الفكري عندما قال في (التقريب إلى حد المنطق)(597): ((كذلك ليس علينا قسر الألسنة إلى

الإقرار بالحق لكن علينا قسر النفوس إلى الإقرار به ،وقطع الألسنة عن المعارضة الصحيحة لعدم وجودها، إذ لا يتعارض البرهان وإذا أقمناه فقد أمِنَّا أن يقيمه خصمنا))

فإلى متى نعيش في فقاعة نؤصل لها بشبهات و كلمات منتزعة بوحشية من سياقها التاريخي و المعرفي تحت عنوان الهجر و معاقبة المخالف جعلتنا كالغرباء داخل أنفسنا ،مهمشين داخل مجتمعنا؟

فوائد فقهية مع العلامة ابن حزم الظاهري ـ رحمه الله ـ

هذا نقاش فقهي لجزئية واحدة فقط ليس الغرض منه تحرير المسألة برمتها، يركز عليها كل التحليل من باب تعلم طرق الاستنتاج الفقهي ومن ثم طرق الاستدلال بالأقوال على المذاهب، فإني وجدتُ بعض الناس يستدل بما هو ضده لمجرد ظاهر عبارة.

و معلوم أن المقصود من النقد العلمي القدرة على استشفاف قيمة الأشياء،و القدرة على فحص فكري لصحة وحدود نظرية علمية،أو استدلال فقهي،من خلال النظر في درجة مطابقة الدليل للمدلول، فالبحث في تركيب الجملة وعلاقة الألفاظ بكونهم المقدمة أم أحد أوصافها وفهم حدود اللفظ المعنوية، وبالتحقيق المنهجي لشروط الدليل ومصداقية العلاقة بينه وبين المدلول أمام الحقيقة في الواقع بعيدا عن الاعتقادات أو الأحكام المسبقة،و الاتفاق،و العاطفة،و شهادات هذا لذاك من خلال تكرار نفس الحجة و المغالبة بالكثرة المتكررة.

هو فقه الفحص الدقيق للعبارات ومساءلة قيمة العرضي و الثانوي و ألاستئناسي و حظ البلاغة على حساب الجوهري يعني الدليل المجرد .

النقد العلمي هو القدرة على التساؤل بصرامة وعقلانية عن حقيقة، أوعن العلاقة المزعومة بين المقدمات و النتائج،ثم عن تأويلاتها، فهل لكلام ابن حزم معنى محصل عند من يستشهد بكلامه ؟

لنعالج كلمة ابن حزم ونستخرج عيوب الاستشهاد بها.

مناقشة دعوى الإجماع:

زعم بعضهم أنه لا يجوز حلق اللِّحية و لا الأخذ منها مستشهدين بما ادعاه ابن حزم ـ

رحمه الله ـ من إجماع؟
وفي الحقيقة سنرى أنه لا دليل على دعوى الإجماع كما زعم ابن حزم، و أنه حتى لو فرضنا صحة هذه الدعوى لكانت دليلا ضد المحتجين به وليس لهم.
فأولا : سئل العلامة محمد بن صالح العثيمين عن دعوى الإجماع على تحريم حلق اللحية فقال في (فتاويه):
((لا، ما صار إجماع لا في حلق اللحى ولا في سماع الأغاني))
ثانيا: قال ابن حزم في (مراتب الإجماع)(1/157): ((اتَّفَقُوا أَن حلق جَمِيع اللِّحْيَة مثلَة لَا تجوز وَكَذَلِكَ الْخَلِيفَة والفاضل والعالم)).
قلتُ:1 ـ هل كل ما ذكره ابن حزم من إجماعات له طريق صحيح،فقد وجدناه خالف هذه الدعوى في بعض المواضع من كتبه بحيث ناقض ما ادعاه من إجماع، ولذلك قال ابن تيمية في (نقد مراتب الإجماع)(1/302): ((وقد ذكر ـ رحمه الله تعالى ـ إجماعاتٍ من هذا الجنس في هذا الكتاب، ولم يكن قصدنا تتبع ما ذكره من الإجماعات التي عُرف انتقاضها، فإن هذا يزيد على ما ذكرناه، مع أن أكثر ما ذكره من الإجماع هو كما حكاه، لا نعلم فيه نزاعا، وإنما المقصود أنه مع كثرة اطلاعه على أقوال العلماء وتبرزه في ذلك على غيره، واشتراطه ما اشترطه في الإجماع الذي يحكيه، يظهر فيما ذكره في الإجماع نزاعات مشهورة، وقد يكون الراجح في بعضها خلاف ما يذكره في الإجماع.،وسبب ذلك: دعوى الإحاطة بما لا يمكن الإحاطة به، ودعوى أنَّ الإجماع الإحاطي هو الحجة لا غير. فهاتان قضيتان لا بد لمن ادعاهما من التناقض إذا احتج بالإجماع.،فمن ادَّعى الإجماع في الأمور الخفية بمعنى أنه يعلم عدم المنازع، فقد قفا ما ليس له به علم، وهؤلاء الذين أنكر عليهم الإمام أحمد.،وأما من احتج بالإجماع بمعنى عدم العلم بالمنازع، فقد اتبع سبيل الأئمة، وهذا هو الإجماع الذي كانوا يحتجون به في مثل هذه المسائل)).
2 ـ قوله "اتفق" بدلا من "أجمع" غير صريح في دعوى الإجماع، لأنه وفقا لقواعده في الإجماع يعني أنه قد أحصى أقوال المسلمين في حلق اللحى وهو ليس عنده إلا أقوال بعضهم، فلم يتكلم فيها كل الفقهاء، أو لم ترد إلينا أقوالهم كلهم، كما أن قضية اللحية متعددة ما بين حلقها كلها،أو حلق بعضها.
فهنا إشكالية كبيرة ذكرها ابن حزم نفسه، حيث فرق في آخر (مراتب الإجماع) و هو

صاحب الدعوى بين قوله "اتفقوا"، وبين قوله"أجمعوا"،و أن ثمة فرقا بين اللفظين ، قال: ((وليعلم القارئ لكلامنا أن بين قولنا "لم يجمعوا" وبين قولنا "لم يتفقوا" فرقا عظيما))(ص:178)

مما يعني أن لفظ" اتفقوا" يعني عنده الاستنباط ، بينما يعني لفظ"أجمعوا" التصريح،و بالتالي وحسب قوله لم يكون قوله"اتفقوا" صريحا ولا صحيحا على دعوى الإجماع.

3 ـ لو كان هناك إجماع لما خالفه القاضي عياض و غيره،ولم يذكر العلماء الذين تكلموا في حلق اللحية دعوى الإجماع هذه.

4 ـ قوله "جميع اللحية" فيه إشكال، ففرَّق بين حلق جميع اللحية وبين حلق بعضها كما يفعله أهل الخليج، ومعلوم أن الحرام لا يتجزأ؟

فبالنسبة لابن حزم حلق بعضها ـ ولا نعرف مقدار هذا البعض لأن الناس يختلفون فيه فقد يتركون الذقن فقط ـ يجوز وهذا مخالف لقول من يستشهد بدعوى ابن حزم على الإجماع؟

5 ـ لو تتبعنا عبارة ابن حزم بتمامها لفهمنا أنه يقصد الحكم على المثلة و ليس على الحلق،لأنه قال : ((اتَّفَقُوا أَن حلق جَمِيع اللِّحْيَة مثلَة لَا تجوز))، يعني المثلة لا تجوز، فبالنسبة إليه حلق جميع اللحية هو مثلة، والمثلة لا تجوز باتفاقهم؟

((ومَثَلَ به يَمْثُلُ مَثْلاً، أي نَكَّلَ به. والاسم المُثْلَةُ بالضم. ومَثَّلَ بالقتيل: جدعه. والمثلة بفتح الميم وضم الثاء: العقوبة، والجمع المثلات. وأَمْثَلَهُ: جعله مُثْلَةً. يقال: أَمْثَلَ السلطانُ فُلاناً، إذا قتله قوَداً. ويقال للحاكم: أَمْثِلْني، وأَقِصَّني، وأَقِدْني.)) (الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية) الجوهري الفارابي5/1816.

ومعلوم أنه كون حلق جميع اللحية مثلة أمر لا يرجع إلى الشرع يعني ليس الشرع من اعتبر ذلك مثلة ولكنه العرف في ذاك الزمان و لذلك وجدنا مالكا يعتبر حف الشارب مثلة(صح عنه أنه قال: (إن حلق الشارب مثلة) كما في (البيان و التحصيل) (9/379)لابن رشد وغيره.

) بينما غيره من العلماء يرون أن ذلك من السنة ويفهمون عبارة النصوص" حفوا الشوارب" بأنه حلق الشارب.

فإذا اختلف أهل تلك الطبقة(طبقة مالك) في المثلة علمنا أنها ترجع لأعراف الناس و لم يكن بالتالي حلقها ـ على حسب هذا التقرير ـ عند المعاصرين مثلة بل يعدونه زينة.

فهم اتفقوا ـ حسب ابن حزم ـ أن حلقها كلها مثلة، و المثلة لا تجوز، يعني لا يجوز للشخص أن يمثل بنفسه أو بغيره وهذا صحيح،لكننا وجدنا المثلة تختلف من قوم لآخرين ومن شخص للآخر، ومن عصر للآخر وليس لها حد مضبوط.

6 ـ قوله:" وكذلك الخليفة و الفاضل و العالم" فيه إشكال إن كان يقصد بالنسبة لهؤلاء، يعني هي مثلة بالنسبة لهذا الصنف من الناس ،نعم يختلف الناس بحسب مراتبهم الاجتماعية في أحوال المروءة فما يجوز لآحادهم قد يكون خارما للمروءة بالنسبة لبعضهم الآخر،لكن أمر التحريم غير معتبر للفوارق الاجتماعية ومناصب الناس فغايته أن يكون مكروها لا غير.

7 ـ العلماء الذين يحتجون بالإجماع تكلموا عن حال تغيرت، فتعليل الحسن البصري و الطبري و من اتبعهما بأن علة النهي عن حلقها هو مخالفة المشركين يعني يرتفع النهي بارتفاع العلة، وهذا يعني أنه لا إجماع على ما ادعاه ابن حزم إنما هو فهم النصوص.

وقد خالف عمليا دعوى الإجماع بعضُ العلماء،فهذا ابن قدامة يقول عن حفِّ الوجه في (المغني) (1/68): ((وَأَمَّا حَفُّ الْوَجْهِ، فَقَالَ مُهَنَّا: سَأَلْت أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَنْ الْحَفِّ؟ فَقَالَ: لَيْسَ بِهِ بَأْسٌ لِلنِّسَاءِ، وَأَكْرَهُهُ لِلرِّجَالِ.)) ومعلوم أن حف الوجه هو أخذ الشعر الذي عليه،وما كان على أنف أو جبهة وغيرها لا يسمى بالوجه.

ونقل النووي في (شرح صحيح مسلم)(3/151) عن القاضي عياض قوله: ((قَالَ الْقَاضِي عِيَاضٌ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى يُكْرَهُ حَلْقُهَا وَقَصُّهَا وَتَحْرِيقُهَا وَأَمَّا الْأَخْذُ مِنْ طُولِهَا وَعَرْضِهَا فَحَسَنٌ)) وهو من كتابه (إكمال المعلم).

وقد ذكر الشوكاني في (نيل الأوطار)(1/143) قول القاضي عياض هذا ولم يتعقبه بشيء مما يعني الموافقة كما هو معروف.

و إلى هذا ذهب الغزالي قبله فقال في (الإحياء)(1/143): ((فِي اللِّحْيَةِ عَشْرُ خِصَالٍ مَكْرُوهَةٍ)) وذكر منها : نتفها أو نتف بعضها.

وقال النووي في (شرح مسلم)(3/149): ((فِي اللِّحْيَةِ عَشْرَ خِصَالٍ مَكْرُوهَةٍ)) ونسبه للعلماء.

وقد عرفنا أن الأصح عند الشافعية أن حلق اللحية مكروه كما ذكره القليوبي(4/205) .

أما بقية الأدلة فشأن آخر.

الهدم و البناء

هل تحتاج السلفية المعاصرة (ممارسات السلفيين المعاصرين العلمية و العملية) إلى ترميم أم إلى هدم لكل البناء السطحي و إعادة البناء من جديد لأن القواعد ناقصة لا يحتمل البناء الترميم و التزويق؟

منهج الهدم لإعادة البناء في المعرفة ليس كما في المعمار : هدم ثم بناءٌ، بل هي عملية واحدة في آن واحد، تهدم القاعدة الفاسدة أو الفهم الخاطئ و تستبدله بالصحيح، عن طريق تحليل الاستدلالات المستعملة لحد الآن في التأصيل العلمي لرفع اختلال التنزيل على الوقائع أي من خلال فحص "طرد الدليل" و بالتالي إبطاله بنفسه ،والتفريق بين الظن و اليقين.

لنسأل هل اختلاف المعنى الذي نفهمه من نصوص كلام العلماء هو نتيجة الاختلاف بين العبارات المستعملة من طرفهم أم إلى مرجعية القارئ التي يرد إليها الكلمات،فنحتاج هنا إلى الحفر في عمق هذه الكلمات و تتبعها عند صاحبها و تفكيك نظامه اللغوي الذي حرر به المقال.

فمثلا الشيخ ربيع ـ سدده الله ـ وحسب ما استخلصته من عقليته العلمية لا يعير الألفاظ اهتماما، والحروف عنده زائدة ليس لها معنى دقيق وأنها قد تضفي الجزم على الجملة أو تحملها على التعليق أو الظن فعندما يستعمل العلماء كشيخ الإسلام حرف "قد" لاحتمال يزيله الشيخ ربيع من تعبيره لأن نفسية الشيخ ربيع نفسية متشددة تظن أن اعتبار الاحتمال نوع من الشك ،أو أنه يميع الموضوع فلا يفرق بين الكلام في ثوب الحصر و القصر و الكلام مع ترك خانة الاستثناء مفتوحة كما ستراه عندما نقابل بين كلامه وكلام شيخ الإسلام رحمه الله.

فلم يفهم أن العلماء يحتاطون لأنفسهم عندما يعجزون عن حصر الحالات، أو عندما يغلب على ظنهم وجود حالات مغايرة فيستعملون حرف "قد" وما يشبهه ليسجلوا أن كلامهم لا يجب أن يؤخذ على العموم التام.

المهم و الخلاصة أن الكلام مع الشيخ ربيع يتطلب منك دقة متناهية ولو قدرت على الاستغناء عن الضمائر وتبديل الحروف بكلمات أو جمل تامة ذلك انه يقرأ كلام

العلماء بطريقة غريبة تقطع الكلام عن سياقه ولا تهتم بعود الضمير يعني يلزم العلماء عندما يتكلمون عن كلية معينة أن يحصوا جميع أجزائها وإلا لم يفهم،وإن تكلموا عن جزئية فيجب أن يذكروه باستمرار بالكليات التي ترجع إليها ولو استجبنا لعقليته لكان الكلام معه عن حكم البدعة مثلا يحتاج إلى مجلدات كثيرة (!)
كما عندنا إشكالات معقدة في الاستشهاد خاصة النقل عن الوسطاء،ولا نتحاكم إلى قواعد القياس عند طرد العلل كما في التكفير و التبديع بل وحتى في الأحكام.

نموذج عن الحوار السابق:تحقيق المذاهب المحكية :
بعض الأقوال المحكية في الكتب و المنسوبة إلى الأئمة الكبار عند التحقُّق منها نجدها غير صحيحة !
وبعض المذاهب المحكية عن بعض الأئمة صُيِّرت مذاهب، وهي في الحقيقة تدل على رأي أو على عدم دقَّة من ذاك الإمام !
فحكاية الخلاف و المذاهب النظرية شيء، و الوقوف عند المذاهب الصحيحة تحقيقا علميا عمليا يرتكز على القرآن و السنة شيء آخر.
ولنأخذ على ذلك مثلا يشكل العمود الفقري وهي مسألة "اعتقاد التحريم" ومحلها في التكفير و التبديع و التفسيق ،فهل ـ مثلا ـ يصح موافقةً للقرآن و السنة تقسيم الفسق إلى فسق معصية وفسق تأويل (؟)

تمتع بهذه الترجمة وحدث نفسك بها ،وقسها عليها،وليحبسك العذر عن أخطاء أهل الإيمان .
حسنات الأبرار سيئات المقربين، وعيوب عامة الناس فضائل خاصتهم (أحيانا)
قال الذهبي في ابن تيمية (صفاته النفسية) :
الشجاعة : وأطلق عبارات أحجم عنها الأولون والآخرون وهابوا، وجَسَرَ هو عليها .... وبدَّعوه وناظروه وكابروه، وهو ثابت لا يُداهن ولا يُحابي، بل يقول الحقَّ المُرَّ الذي أَدَّاه إليه اجتهاده، وحدة ذهنه، وسعة دائرته في السنن والأقوال، مع ما اشتهر عنه من الورع، وكمال الفكر، وسرعة الإدراك، والخوف من الله والتعظيم لحرمات الله.....

وكم من نوبةٍ قد رموه عن قوسٍ واحدةٍ فينجيه الله؛ فإنه دائم الابتهال، كثير الاستغاثة، قوي التوكل، ثابت الجأش، له أورادٌ وأذكارٌ يُدمنها بكيفية وجمعية.
وسائر العامة تحبه؛ لأنه منتصب لنفعهم ليلاً ونهارًا بلسانه وقلمه.
أما شجاعته فبها يُضرب الأمثال، وببعضها يتشبه أكابر الأبطال، فلقد أقامه الله في نوبة غازان، والتقى أعباء الأمر بنفسه، وقام وقعد، وطلع وخرج، واجتمع بالملك مرتين، وبخطلو شاه / وببولاي، وكان قفجق يتعجب من إقدامه وجراءته على المغول.
- وله حدة قوية تعتريه في البحث حتى كأنه ليثُ حرب.
- وفيه قلة مداراة وعدم تؤدة غالبًا، والله يغفر له.
- والكل عنده سواء؛ فإنه فارغ من هذه الرسوم، ولم ينحن لأحدٍ قط، وإنما يُسَلِّم ويُصافح ويبتسم، وقد يُعظِّم جليسه مرة، ويهينه في المحاورة مرات.
- وهو فقير لا مال له، وملبوسه كأحد الفقهاء - فرجية، ودلق، وعمامة - يكون قيمة ثلاثين درهمًا، ومداس ضعيف الثمن، وشعره مقصوص، وعليه مهابةٌ، وشيبه يسير، ولحيته مستديرة، ولونه أبيض حنطي اللون، وهو ربع القامة، بعيد ما بين المنكبين، كأن عينيه لسانان ناطقان.
- وربما قام لمن يجيء من سفرٍ أو غاب عنه.
ودخل في مسالك كبار لا تحتملها عقول أبناء زمانه ولا علومهم، كمسألة التكفير في الحلف في الطلاق، ومسألة أن الطلاق الثلاث لا يقع إلا واحدة، وأن الطلاق في الحيض لا يقع.....
- وساس نفسه سياسة عجيبة، واستبد برأيه، وعسى أن يكون ذلك كفار له، فالله يؤيده بروحٍ منه ويوفقه لمراضيه.
- ويقول: لا يسعني أن أكتم العلم.
- وله شهامة وقوة نفسٍ توقعه في أمورٍ صعبةٍ، ويدفع الله عنه، وله نظمٌ قليلٌ وسطٌ، ولم يتزوج ولا تسرى، ولا له من المعلوم إلا شيء قليل، وإخوة تقوم بمصالحه، ولا يطلب منهم غداءً ولا عشاءً في غالب الوقت.
- وغالب حطه على الفضلاء أو المتزهدة فبحقٍّ، وفي (بعضه هو مجتهد)
- مذهبه توسعة العذر للخلق، ولا يُكفِّر أحدًا إلا بعد قيام الدليل والحجة عليه، ويقول:

هذه المقالة كفرٌ وضلالٌ، وصاحبها مجتهدٌ جاهلٌ لم تقم عليه حجة الله، ولعله رجع عنها أو تاب إلى الله.

ـ ويقول: إيمانه ثبت له فلا نخرجه منه إلا بيقين، أما من عرف الحق [وعانده] وحاد عنه فكافرٌ ملعونٌ كإبليس، وإلا من الذي يسلم من الخطأ في الأصول والفروع؟

ـ وآل الأمر إلى أن مُنع من الكتابة والمطالعة، وما تركوا عنده كراسًا ولا دواة، وبقي أشهرًا على ذلك؛ فأقبل على التلاوة، وبقي يختم في ثلاثٍ وأكثر، ويتهجد ويعبد ربه حتى أتاه اليقين.

وفَرِحتُ له بهذه الخاتمة(عجيب هذا الاعجاب)؛ فإنه كان لا لذة عنده توازي كتابة العلم وتأليفه فمنع أطيب (...) ـ رحمه الله –

ـ كان أسود الرأس قليل شيب اللحية، وربعة من الرجال، جهوري الصوت، أبيض، أعين، مقتصدًا في لباسه وعمامته، يقص شعره دائمًا، وكان لم يتغير عليه شيء من حواسه إلا أن عينه الواحدة نقص نورها قليلاً.

وما رأيت في العالم أكرم منه ولا أفرغ منه عن الدنيا والدرهم، بل لا يذكره، ولا أظنه يدور في ذهنه، وفيه مروءةٌ وقيامٌ مع أصحابه وسعيٌ في مصالحهم، وهو لونٌ عجيبٌ، ونبأٌ غريبٌ.

رأي وفكرة

من تجربتي أقول...!

الخميس 17 جمادى الأولى 1424الموافق 17 يوليو 2003

من تجربتي أقول...!

د. سفر بن عبد الرحمن الحوالي

سئلت مرّة عن الإرجاء والغلو، وأيهما أخطر على الإسلام؟ وقلت:
كلاهما خطره عظيم؛ لكن الأخطر على شباب الصحوة المعاصرة
هو الغلو؛ فالنبي -صلى الله عليه وسلم-
حذر من الخوارج بتعيين صفاتهم وإيجاب قتالهم، وفضل من قام

به في عشر روايات صحيحة، ولم يصح في الإرجاء حديث مرفوع، والسبب في ذلك أن الغلو تبديل للدين، أما الإرجاء فهو تفريط في الدين أو تسويغ للتقصير فيه؛ وهذا خطر على العامة، لكن كثيراً من المسلمين لا يقبل أن يجعله هو الدين، وبعضهم لا يعتبر من ظهر عليهم التساهل والتفريط ممثلين لحقيقة الدين، وإن زعموا هم ذلك بناءً على تأويلات المرجئة، وذلك لاختلاط حالهم بحال الفساق والمتهاونين. أما المتشدد الغالي فإنه يكتسب عندهم منزلة التقديس، كما حدث لغلاة الزهاد والعباد؛ لأنهم يرون فيه تمسكاً أكثر وأخذاً للنفس بالعزيمة، والعامة عادة لا يميزون بين شدة التمسك بالحق وبين الغلو، فيقع الاشتباه، وينشأ عنه تبديل مفهوم حقيقة الدين، ومما يدل على ذلك أن النصوص جاءت ببيان أن أصل الانحراف البشري هو الغلو، سواء الغلو في الصالحين كما حدث لقوم نوح، أو الغلو في الزهد حتى يجعل الحلال حراماً كما في الحديث القدسي: "وإني خلقت عبادي حنفاء، فاجتالتهم الشياطين عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم"، وهذا يصح أيضاً في مقام الجهاد والإنفاق وغيرهما من مقامات الدين؛ فإن الناس يظنون أن التهور شجاعة، وأن التبذير سخاء، وأن الرهبانية تبتُّل، كما أن مما يجعل الغلو هو الأخطر أنه يفضي إلى العنف واستحلال دماء المسلمين، ويعرقل الأمة عن الجهاد؛ بل يمزق صفوف المجاهدين منذ خروج الخوارج حتى اليوم.

إن الزخم الدعوي في هذه البلاد كبير وشامل، وظهور بعض الشذوذ أو الانحراف سببه قلة المربين والموجهين بالنسبة لكثرة المهتدين. لكن يظل التيار العريض على الجادة والتوسط بين الجفاء والغلو؛ فهو في الجملة على منهج الدليل لا على منهج التقليد.

من تجربتي أقول: إن كثيراً من المشكلات لدى الشباب ليست مستعصية الحل؛ بل بعضها يمكن حله بالتعامل معها بأناة وهدوء والصبر عليها حتى تهدأ تلقائياً، لديهم حماس عاطفي لا ينبغي مواجهته؛ بل ضبطه وتهذيبه. مجتمعنا في بعض جوانبه لم يتعود اختلاف الرأي؛ بل عاش أجيالاً تحت سلطة مركزية أحادية سياسياً وعلمياً.

ومعلوم أنه كلما قلَّ حظ الإنسان من العلم والتجربة ضاق أُفُقُه، واشتد حرصه على الإنكار والاختلاف، سواء في المسائل العلمية أو المواقف العملية؛ ولذلك يجب على المربين الصبر على تربية الشباب على العلم، والتعقل مقتدين في ذلك بما كان عليه السلف الصالح من سعة الأفق وحرية الاجتهاد داخل المنهج المعصوم - منهج الوحي والدليل- فقد اختلفوا في مسائل كثيرة من غير تعصب ولا تباغض؛ وإذا كان في العالم الإسلامي أربعة أئمة متبوعون؛ فإن المدينة النبوية وحدها كان فيها في زمن التابعين سبعة فقهاء متبوعون، لم يكن أحد منهم مقلداً لغيره، وإلا كانوا ستة. ومن ناحية أخرى يجب التحذير من الغلو فيما يسمى «الرمز» باسم احترام المشايخ أو تقدير ذوي السابقة فلا غلو ولا جفاء.

ما رأيكم في كلمة محمد المستيري في كتابه (جدل التأصيل و المعاصرة في الفكر الإسلامي)

ملاحظة: نشر مركز نماء دراسة تحليلية(تقييم وصفي) عن هذا الكتاب .

قال : (لقد تكلست فكرة الإصلاح الإسلامي وتصدأت آلياتها وأدواتها المنتهجة ولم تعد قادرة على تمثل النموذجية الحضارية الإسلامية الشاملة المنتجة للمعاصرة والمتصدرة لها، فالمرجعية المذهبية والمنهج التجزيئي وفكرة القيادة الأسطورية أحالت الإصلاح إلى كوميديا باكية ورقصة لولبية وترنيمة صامتة، ذلك أن الوعي بمسلمة الموضوع الواقعي في عملية الإصلاح- وإن كان يبدو بديهيا من الوهلة

الأولى- يتطلب مجهودا خاصا في التخلص من عقدة تفوق الماضي والانشداد إلى نماذج التراث، تضاف إلى ذلك مفارقة عقدة النقص تجاه حضارة الغرب المعاصرة، وهو ما يمثل تحدي التجديد لتصور الإصلاح المعاصر.)

لكن يجب أن نفهم أنه يريد أن يقول لنا: ماذا بقي من سؤال النهضة الإسلامية؟

يعني: قد تجاوزنا مرحلة الكلام عن النهضة و اقتراح الحلول إلى مرحلة لمَ لم ننهض،كما سأل شكيب أرسلان : "لماذا تخلف المسلمون وتقدم غيرهم"؟

هل الأسباب الفكرية الإسلامية هي: "جدلية الديني والسياسي في التفكير الإسلامي"، "الأدبيات السياسية الإسلامية المتحفظة في القيادة الفردية اجتهادا وعملا"،"اختلال مفاهيم "المجتمع المدني" و"المعارضة" في التصور الإسلامي" ، "اختلال محددات الهوية الإسلامية ومرجعية الأمة"، " الاضطراب في معادلة العقل والنقل" "مشكلة الاجتهاد المعاصر ممثلة في "تطبيق الشريعة" كونها كفكرة جاهزة عائقة، دون استحضار مقاصدها ومصالح العباد والرؤية الشمولية، "عقدة الفساد السياسي"؟

يسأل المستيري عن الشروط المنهجية للنهوض الحضاري، وتحليل علاقة المعاصرة بالحداثة وجدليات الخصوصية والكونية،وقد نخالفه في الحل المقترح ولكن السؤال عن إثبات الحالة و المعاينة؟

هل هذا زمان القيادة العلمية أو الإصلاحية الراشدة الفردية الواحدة؟

ما الذي تحتاجه الأمة (؟)

أقول هذا لأن الحوار الإسلامي الإسلامي الآن أشبه بحوار الطرشان تحت رايات الفردانية و الشيخاوية فنصب بعضهم شيوخا حيث لا نقد ولا تصحيح بينما في الحقيقة أخطاؤهم كثيرة و أحيانا قاتلة ولو قال أحدهم هم في الحقيقة الغالبة عليهم مقلدة لكتب نشئوا عليها وحيث وفقهم الله لبعض التحقيق و التوقف تفطنوا و تبقى بقية فكرهم مجردة عن التوقف و التفكر و النظر بعين فاحصة لعلوم غيرهم من المذاهب و الآراء و لأنهم سلفيون فقد فرضنا مسبقا أن كل ما يخرج منهم مبحوث محقق استنفد المقابلة و الموازنة و الحقيقة غير ذلك .

ومن هنا بدأ النقد لهم يظهر ومع كل يزداد لكن شبابنا لا يقرأ و ضعيف الاطلاع لا يعرف حتى ما يجري في بلده أو بالقرب منه و بدأ العلم يفجر المسلمات و يقذف بها

في رذاذ التحقيق و الاستفسار من فهم فلأنه يستحق هذا الخطاب ومن لم يفهم فليجتهد.
المشكل أيها الناس في أساسات البناء .

بين الوجود العيني و الثبوت العلمي تستشرف الأمة مستقبلها وغير ذلك سوء فهم للدين أو خطأ في قراءة الواقع بسبب الهوى فعين المحب للشيء كليلة عن العيوب كما عين الساخط كليلة عن الفضائل.
في وعي كثير من طلبة العلم أن سبب تعثر الأمة ،وتقلبها في هذه الاضطرابات "المتكررة باستمرار" و التكرار كالتعاقب يدل في عقول البشر أن العلة هي نفسها،فتكرار الأحداث في المكان وتكرارها في الزمان يدل على أننا ندور على علة اضطراب واحدة لم نقدر ـ لحد الآن ـ إما على التفطن لها كأننا بدون دين ونصوص،تركنا الشارع هملا لنجتهد بمحض آرائنا للخروج من التخلف و الضعف و التفرق ...الخ
وإما أننا ركبنا الهوى المحض أو المحلل بالتأويل فصرنا أغبياء ــ و الهوى بنوعيه يجعل الذكي غبيا كما جعل ـ قديما ــ أذكى العلماء و النظار أغبياء كاد اللهُ عقولهم ، نعتقد أن تكرار نفس الأسباب قد يفضي إلى نتائج مغايرة (؟!)
فهل تحتاج الأمة إلى عالم تلتف حوله غالبية الأمة ،أو مصلح يحرك الصفوف و الأعراف و الذهنيات السلبية ،وهل سبق للأمة أن عرفت مثل هذا المصلح أو العالم فأعقب دعوته دولة إسلامية قوية أو انتقلت من الضعف إلى القوة، ومن التخلف إلى الازدهار،ومن الظلم الاجتماعي إلى العدل أم العكس هو الصحيح ،أو بمجرد موت الجيل الأول تعود ريمة لعادتها القديمة ،وتعود الدولة إلى التقهقر في عقيدتها ودينها ،أما في دنياها فهي أصلا لم تتحرك إلا كمستهلك بشراهة لما يصنع أعداؤها (؟)
هل يسمح هذا العصر بسرعته في كل شيء ،وبانفتاحه إعلاميا واختراقه الحدود الجغرافية و الإدارية ،وبتطور الدجل فيه إلى حد صار علما يشكل وعي الجماهير ويتحكم فيه فصارت الصورة و الخطاب خاضعين لصناعة دجلية توظف علوم النفس و الاجتماع وتحصي على الإنسان دراسة وبحثا حركاته وشهواته وأمنياته فقدمت له الخير المادي و العلمي على طبق مسموم فإما يعتزل الحضارة أو يقبل عليها بحذر ومع ذلك يضيع شيئا من دينه وقيمه وسيادته على نفسه وأرضه وفكره .

هل يسمح بظهور مثل هذا المصلح و العالم ،وهل يقدر هذا المصلح و العالم على إقناع جمهور الأمة بفكره وإصلاحه في ضوء هذه المعطيات،أم أن هذه أمنية مغلوطة فلسنا بحاجة إلى مثل هذا العالم أو المصلح بقدر ما نحن بحاجة إلى من يبين لنا رأسنا من رجلنا أي يحقق لنا التراث و يجيب على إشكاليات التاريخ و العصر وينشر الوعي بمشروع إسلامي صحيح في تأصيلاته وصحيح في تنزيلاته ،وأهم من ذلك واضح في خطواته بدقة متناهية يتحول في الشباب إلى منهج حياة متكاملة عملية تقذف بالشباب ــ وقود الإصلاح وقادته الحقيقيين ـ في عمق المجتمع، وفي جميع طبقاته، قد عرف من أين جاء ،وإلى أين يتجه، ومتطلبات كل مرحلة، فيصلح الأجزاء جزءا جزءا لينصلح الكل،يغرس المشروع في عقول وقلوب السواد الأعظم الذي يرفع وعيه، ودرجة رشده، ولا يسوِّق له الأوهام يزينها بالنصوص،فكم من مشروع إصلاحي أخفق، فيفوز بحبه وثقته قبل أن يفوز بأصواته في صناديق الاقتراع.

أكمل المثقفين هم المؤرخون ـ الدراسات التاريخية المعاصرة خاصة ـ فلندرس التاريخ لننظر فيه هل سبق ونجحت دعوات وحركات إسلامية كالموجودة حاليا،وإذا نجحت هل استمرت أم بأسرع ما اعتلت العرش بأسرع ما سقطت عنه (؟)

الإرث غير السلفي المندس في سلفيتهم

مخاطر الفردانية :

الإشكال عندنا هو كالتالي:

1 ـ إشكال معرفي ظاهر و خفي يتمثل في اعتقادنا أن الصورة الذهنية التي نتمثلها عن السلفية و الإسلام صورة منتهية البناء مكتملة الأركان و أن قيادتنا الفكرية و العلمية قد قامت بما يجب لا في حدود الإمكان ولكن زيادة على المطلوب ،وفي الحقيقة باستثناء بعض البحوث الجزئية نحن نسبح في الإنتاج العلمي لقرون عصر الضعف ولم نبدأ بعد مرحلة تحقيق التراث و إعادة صياغة المعرفة الإسلامية وفق متطلبات العصر و المسلم المعاصر.

فالمشكل هنا معرفي، رسخ في وجدان الشباب أي اليد العاملة الإسلامية في حقل الدعوة و تغيير المجتمع المسلم أن الإسلام و السلفية هي أن يكونوا صورة مكررة

عن الشيوخ الذين يعظمونهم بل وصار التنافس على الانتساب إليهم علامة صلابة الانتماء إلى السنة و السلفية ،وإن كنا لا نحمل الشيوخ فوق طاقتهم المعرفية بحكم نوع التكوين الذي تلقوه و قصور الثقافة المطلوبة اللازمة لتحقيق التراث و شق الطريق في هذا العصر و أنهم تجاوبوا مع زمنهم حسب مؤهلاتهم كرواد نهضة دينية ليس من المفروض أن نبقى في نظرتهم وقد تغيرت كل المعطيات بحيث أصبحت نظرتهم معوقا إذ تجاوزتها الأحداث و التحديات و أقصد هنا تصورهم للمسلم المعاصر و الدولة الإسلامية المعاصرة ، فلنقل أنهم أدوا ما عليهم في حدود الإمكان لكن الاعتقاد أنهم قادرون على مجابهة المستجدات من خلال تكرار ما انتهوا إليه وقد ظهرت تساؤلات على القضايا العلمية لم تدر بخلدهم هو سبب المراوحة في المكان بل الرجوع للخلف.

فيجب أن نفرق بين المتكلم في القضايا العلمية الدينية كجزئيات ينقل إلينا ما درسه في الكتب و في أكثر الأحيان من غير تحقيق و بين الناظر بفكر أشمل لكل البناء المعرفي و الحضاري للأمة يعني الدين و العلم مع المجتمع و الاقتصاد و السياسة و تأثيرها على الاجتهاد و التحقيق .

ومن هنا إن لم تولد القيادة العلمية فكرا سياسيا و اجتماعيا و حضاريا شاملا لزم العجز عن النهضة في كل المجالات ، أظن أن العقدة كامنة في منهج نقل الدين إلى الأجيال و في الاعتقاد الخاطئ أن قضاياه العلمية منقولة إلينا بأمانة كما كانت عند السلف ومع العجز عن نزع القشور الدخيلة المتمثلة في الاجتهاد المرتبط بزمانه و بيئته و ثقافته الذي صبغها سنبقى نتقلب من انفجار إلى آخر.

لقد انقضى زمن و بدأ زمن آخر هناك بوادر انبثاق جديد تتمثل في قيادات فكرية علمية جديدة أدركت أنه بدون مجهود في تحقيق التراث و إعادة ترتيب القضايا و التخلص من سلبيات الماضي كالمذهبية بألوان التعصب و الانغلاق و المبالغة في الدفاع عن الصورة النظرية المطلقة للحق بعيدا عن الأصل النبوي: تحقيق المصالح و تكميلها ودرء المفاسد و تقليلها ،ولعل أبرز علامة على خلل تصور المسلم و الدولة في هذا العصر هو غياب الاهتمام العلمي و الفكري بالجانب المادي للنهضة ومدى تأثيره على الجانب الديني.

الجماعات الإسلامية في هذا العصر هي في الحقيقة مجموعة جماعات ، كل جماعة

تتبع شيخا،وتقوم هذه الجماعات في غالبيتها على الفردانية الفكرية، وهي مذهب أو حال نفساني لمن ينيط الحقيقة بالفرد على وجه الأولوية، فتجعل الشيخ مركزا لذاتها بإطلاق،حتى يكبر هذا الشيخ على جماعته و يبلعها ، فتصبح الجماعة برمتها زائدة في جسمه كأصبع سادس في يده أو قمرا يدور في فلكه، بحيث يشعر الفرد المنتمي إلى هذه الجماعة أنه إذا أخطا الشيخ فقد أخطأت الجماعة برمتها، و إذا أصاب فقد أصاب الكل!

وأفسد ما في هذه الفردانية التي يكون محورها الفرد القائد، والذي يملك الحق في إدخال فلان الجماعة و إخراج علان منها،ويقول : ما هو الإسلام الصحيح و الإسلام الفاسد؟

وعندما ننظر في بعض الأصول الداخلية التي تعمل بها هذه الفردانية، و إن لم تكن مدونة كقانون أساسي أو كقانون داخلي أو كأصول علمية منهجية، فإن تقييم أحوالها و علاقة أفرادها المتعاملين بها مع بعضهم بعضا يمكن أن نستخلص منها هذا القانون، نجدها لا تبحث عن ترشيد الجماعة ، وذلك بتشجيع الكفاءات العلمية و البحوث العلمية و الاجتهاد و تطوير العمل الجماعي الخيري المتجرد من الحزبية الضيقة (التعصب للجماعة)، ومواكبة تقلبات المجتمعات التي نعيش فيها و تغير الأجيال،فتجد الجماعة ثابتة على خطاب واحد سواء انتشر التشيع في المجتمع أو التنصير أو أية بدعة أو كبيرة من الكبائر، لا نتجاوب مع هذا الحال، ونظل على خطابنا القديم: الجرح و التجريح، و المبالغة في التكفير بمعزل عن السياق الحضاري الذي مرت به الأمة ،لا يهمنا إلا تتبع كل من يقول للناس: اتقوا الله،أو يريد أن يتجاوز عقبات الطريق التي توظف الغلو بجناحيه!

بل الجماعة التي تقوم على الفردانية تذم النقد الذاتي العلمي ذما كبيرا، فتحرص على إبقاء الجماعة تحت الوصاية، وصاية الشيخ المسيطر، ومنع أي تطور و ارتقاء يسير نحو إعطاء الجماعة القدرة على حسن التصرف، والاستقلالية في الفهم و التفكير، واتخاذ القرار الدعوي المناسب لحال المجتمع التي تعيش فيه،على أساس "كلكم راع وكل راع مسئول عن رعيته" بل تنتظر قرار الشيخ الحاكم (القيادة المركزية) الذي يعيش في بيئة أخرى لها أولويات أخرى حيث يعاني من الانسحاب من المساحات لصالح التغريبيين.

وعندما تقوم جماعة ما على مركزية الشيخ القائد و تسلطه، وعلى التعلق بالألقاب التي تحتكرها لنفسها فلا شيخ إلا هو، و لا فاهم إلا هو، و تصنيف الناس بناء على انتمائهم وولائهم لهذا الشيخ،وهذا الفكر المعين ، وليس بناء على كفاءتهم العلمية في الدين، وعلى التعلق بالإشاعات، والرد على المخالف بالإشاعات، وعلى التسليم للشيخ القائد من غير تحقيق، ولا فحص ولا تمحيص، تكون هذه الجماعة في خدمة الشيخ أولا، لا في خدمة الدعوة إلى الله ،"أنا وحدي أضيء البلد".

أي أنها تقوم على الشيء الموروث لا على الشيء المحقق و المبحوث، وهذا في حد ذاته ينسج بين أفرادها روح العقد المتبادل: لا تطعن في مشيختي وفكري و منهجي ولك بديل ذلك بعض الامتيازات كأن لا أطعن عليك، ولا أنتقدك!.

وعليه، فإن طال هذا الحال فلا شك أن الله تعالى لن يذر المسلمين على هذه الحال و سيستبدلنا بقوم همهم الدعوة إلى الله يبدؤون بنقد شيوخهم (مع حفظ المقام ومراعاة المجهود) أولا و يتفطنون إلى التناقضات ،والإرث غير السلفي المندس في سلفيتهم عقيدة ومنهجا وسلوكا، تحترق قلوبهم على ما أصاب الإسلام و المسلمين في اليوم ألف مرة، ينكرون ذاتهم في سبيل الإسلام .

ربما سنخصص صفحة لنقد مسلمات السلفيين خصوصا و الإسلاميين عموما بعيدا عن: استمع إلى الشيخ فلان يقول، و اقرأ إلى الشيخ فلان يقول، الدليل فقط وفقط.

إشكال فقهي:

عورة الأَمَة:

اختلف الفقهاء في عورة الأمة بالنسبة للرجل الأجنبي فذهب المالكية وهو الأرجح عند الشافعية إلى أن عورتها ما بين سرَّتها وركبتها، في حين ذهب الحنفية إلى أن عورتها مثل عورة الحرة بالنسبة لمحارمها، و اختار الحنابلة أن عورتها كعورة الحرة لا يجوز أن ينظر منها إلا ما يجوز النظر إليه من الحرة.

وقد عرفنا أن سبب نزول آية الحجاب هو التفريق بين الحرة و الأمة، فألزمت الإماء بكشف شعورهن إضافة إلى كشف الوجه، وذهب بعضهم إلى النحر.

و الإشكال في هذا هو: هل تغطية الحرة لشعرها للتمييز بينها و بين الأمة مع العلم أنها امرأة مثلها مثل الحرة، و فتنتها مثل فتنتها بالنسبة للرجال أم لكونه عورة؟

ومعلوم أن الأمة تكون تحت يد المسلم و قد تكون فاتنة الجمال وقد تكون كافرة و قد تسلم، و قد يعتقها فتصبح حرة،فهل في حال كونها أمة شعرها ليس بعورة وعندما تصبح حرة يصير عورة؟

فإن قلنا: هو عورة لكن نهينا عن النظر إليه يعني أمرنا بغض البصر فلمَ لا يكون الحق في الحرة فيما يخص وجهها هو غض البصر فقط؟

مع العلم أن العورة لا تتبعض فهي واحدة عند جميع النساء فلا يزعم أحدهم أن شعر الحرة يفتن و شعر الأمة لا يفتن،، فإن فرضنا أنهن من ديانات أخرى فإنه لا يجوز لهن إظهاره في المجتمع المسلم حتى لا يفتن الرجال و قد وجدنا عمر رضي الله عنه يضربهن ليكشفن شعورهن؟

فما هو التوجيه السليم لهذه القضية خاصة عند أنصار وجوب تغطية وجه المرأة سدا للذريعة؟

قضية شارلي هيبدو

بسم الله الرحمن الرحيم

يتفاعل المسلمون مع الأحداث الجارية خاصة تلك التي تهمهم،وقد سمح لهم هذا المجال "الفيسبوك" بإبداء رأيهم الممنوع في أماكن أخرى و استنكار ما يخالف شريعتهم من مواقف حكومات و شخصيات مخزية، وهذا جيد لكن تبقى القضية واضحة لا تحتاج إلى تكييف فقهي و اجتهاد حتى يلزم أن يهتم بها كتابةً سائر الناس.

أولا: طرح بعضهم تساؤلات مفادها التشكيك في بواعث الحدث و المخططين له، فكما هي طبيعة هذه القضايا يدخلها التشكيك و التشكيك المضاد،و العاقل لا يجزم إلا بما يعلم ، قالوا:

1 ـ كيف علم المنفذون للعملية باجتماع كل أعضاء هيئة التحرير في تلك الساعة،في ذاك اليوم، وهذا نادرا ما يقع؟

2 ـ من صوَّر الحادث من فوق السطح كان يرتدي واقيا من الرصاص؟

3 ـ لم يرفع المنفذون رؤوسهم إلى الفوق أبدا؟

4 ـ من ينفذ مثل هذه العملية لا تقع منه بطاقة التعريف في سيارة؟

5 ـ المقصود من العملية التعمية على الأزمة الاقتصادية وتحصيل الدعم الجماهيري

لتبرير التدخل على الأرض في العراق؟
و لأننا لسنا من أهل الاختصاص في مثل هذه القضايا ، لا نعرف المنفذين و إلى أية جماعة ينتمون ،وهل يمكن دفعهم من غير شعور منهم إلى شيء كهذا لا يمكن أن نجزم بهذا الطرح.
و الذي يهمُّنا أنها وقعت ومات فيها كفَّار مسيئون للإسلام و نبيه لا يتحسر عليهم، و يتألم لهم إلا موافق لهم أو مدار لدولهم، أو من يخالفهم على الإساءة ولا يرى جواز قتلهم.
ثانيا: كون هذه الصحيفة عنصرية تتذرع بحرية التعبير للعدوان على المسلمين و الإساءة إلى دينهم أمر مفروغ منه، ومن يتعاطف معها بدون إشارة إلى هذا فينقص دينه شيء جوهري"تعظيم النبي و حبه و بغض من يسيء إليه و احتقاره" كأنما يجيز المساس بمقام النبوة و يقبل عذرها بأنها تدين المتطرفين بتلك الرسوم، وهو يعلم يقينا أن النبي صلى الله عليه و سلم ليس نبيا للمتطرفين وحدهم مع فرض صحة هذا العذر.
مما يعني أنه يجب التفريق بين عدم موافقة المنفذين للعملية بسبب اختلاف النظر إلى الظرف و المصلحة و العاقبة و بين التعاطف مع هذه الصحيفة المسيئة البربرية، فلا يلزم من عدم موافقتهم التعاطف مع الكفرة المسيئين للإسلام و نبيه لأنه كما هي عادتنا سيتكلم بعضنا عن حكم قتلهم حاليا لا عن حكم فعلهم ،فيعتبره بعضنا الآخر تكلما في حكم فعلهم يعني موافقتهم،أو عدم الشعور بجنايتهم ومدى إساءتهم للإسلام و نبيه صلى الله عليه و سلم؟
وقد يتكلم فيها آخرون من وجه آخر،وهو أن الفاعلين غسلوا العار عن الأمة، و انتقموا لنبيهم صلى الله عليه و سلم ، وقدموا أنفسهم في أشرف قضايا الأمة،وماتوا برصاص الكفار، ولا يهم بعد ذلك التداعيات و العواقب ؟
نفس التدافع كما في كل القضايا السابقة، وهكذا لأن الإيمان واحد و النظرة العلمية مختلفة و المراوحة في المكان مستمرة .
المهم إذا ظهر لك أن تتكلم كأن كلامك سيغير شيئا فلم يمنعك أحدٌ،و إن ظهر لك غير ذلك فأنت حر،و ليس من شرط الإيمان أن تردد جهرا الضروري من الدين: من أساء إلى الإسلام أو إلى نبيه صلى الله عليه و سلم فهو كافر،وحكمه في شريعتنا القتل ،لكن عليك أن تفكر هل ينفذ الحكم ـ في شريعتنا ـ في جميع الحالات؟ وما هي الضوابط؟

وما حال العواقب؟ وما وزن قتل واحد أو عشرة في مقابل الآلاف؟
ولا الكلام في هذه، ولا في تلك صار من المستجدات، فالأمور معروفة و قد أصبحنا مادة لصنع الحدث لا غير حتى تعتبر الكلام فيها على الفيسبوك من فرائض الإيمان.
نعم،قد يحتاج بعض الصالحين من طلبة العلم إلى توجيه إذا ما شعر بنوع اضطراب و إن كنتُ متيقنا أنه يعرف الموقف الشرعي في مثل هذه القضايا جيدا،كما يعرف الفرق بين الاعتراض على تنفيذ العقوبة وبين التحسر على موت كافر مسيء للإسلام،و المشاركة في مسيرة تبيح التهجم على المقدسات.
وكون بعض المسلمين شاركوا في مسيرة باريس أو رددوا عبارة "أنا شارلي"
فهؤلاء لم يسبق لهم أن رددوا "أنا مسلم متبع لمحمد" عندما أسيء إلى نبيهم صلى الله عليه و سلم حتى نقابل بين الموقفين، ربما الأتراك فعلوها فتحمل مشاركتهم ـ مع أني لا أرى لها إلا سببا وجيها ـ على المداراة فقط ، والله اعلم.

سلب عقول التمييز لا عقول التكليف:
قال ابن تيمية ـ رحمه الله ـ ((وَفِي الْأَثَرِ {إذَا أَرَادَ اللَّهُ نَفَاذَ قَضَائِهِ وَقَدَرِهِ سَلَبَ ذَوِي الْعُقُولِ عُقُولَهُمْ فَإِذَا أَنْفَذَ قَضَاءَهُ. وَقَدَرَهُ رَدَّ عَلَيْهِمْ عُقُولَهُمْ لِيَعْتَبِرُوا} فَالْعَقْلُ الَّذِي بِهِ يَكُونُ التَّكْلِيفُ لَمْ يُسْلَبْ وَإِنَّمَا سُلِبَ الْعَقْلُ الَّذِي بِهِ يَكُونُ صَلَاحُ الْأُمُورِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.))
المقصود بالارادة هنا إرادة المشيئة لا المحبة و الأمر.
ربما بهذا نفهم كل تلك السخافات التي تصدر عن ذوي العقول.

رحلة داخل العقل المنكوس أو فتح خزانة الضلالة
بسم الله الرحمن الرحيم
يزعم بعضهم إعطاء العقل حقه من التبصر و التمييز في أمور الدين،فيخضون به في القرآن و السنة و التاريخ و غير ذلك،و ليس الإشكال في ذلك إذا كان عن حق وداخل حدود أصول الدين وقواعده.
وهذا ربما رد فعل منهم على موقف بعض المنتسبين للعلوم الشرعية ممن عزل العقل عن محل الولاية و جعله عبدا للسطحية و إهمال التعليل الممكن وربط الأشياء

بأسبابها ممن يعتقد أن العقل عدو للنقل،خصما للأثر ،أو انطلق في موقفه منه من عقدة نقص ، أو ممن لم يميز بين المنهج الأدبي و المنهج العلمي في التعامل مع بعض القضايا التاريخية المتعلقة بالإمامة، فأجاب عن كل واقعة و حادثة حقيقية بما يلزم من الأدب مع سلفنا و أهدر الحقيقة الموجودة،بينما تعلق الأول بمنهج النقد مجردا عن منهج الأدب،فتصويب المجتهدين حلال على من يحب حرام على من يبغض ؟

أطلق لعقله العنان يسرح و يمرح وهو في الحقيقة شيعي من نوع جديد أخذ نوعا من تشيع قدماء الزيدية من تولي الشيخين بالترضي مجملا و أضاف إليه إسقاطهما بالتفصيل،هو التشيع في قشرة السنة،أو قل : التشيع في ثوب نقد السياسة و التاريخ، و وحدة الأديان والوجود تحت اسم الرحمانية، و التكفير داخل اللاتكفير، و الطعن في ثوب الاستغفار؟

يتعرض للصحابة ، لعثمان و عائشة و معاوية ـ رضي الله عنهم ـ لبعضهم بالتخطئة و التجهيل و الطعن وهو المخطئ في أكثر ما أتى به، و يعتبر ذلك نقدا علميا مشروعا و يتهم من تناول الحقائق العلمية و التاريخية كما هي بمنهج المقابلة و الموازنة بالنصب و غمز و النفاق ،وهو لا يملك إلا كلمة مرسله نقلها حاقد عن سفيه مخرف بلا ساس ولا راس ، و أمامه الكتب فلينطحها إن قدر.

يشهد على رجل أنه رجع عن عقيدته ووقع على محضر التوبة و الرجوع وهو لا يجد أثرا لذلك في كل كتبه و هي كثيرة ، ولا عند واحد من أصحابه و أتباعه ، ويعلم أنه مات في السجن و في آخر ما كتب وهو سجين عقيدته كما كتبها أول مرة .

إذا جاء إلى من يقف في طريقه بعلمه الصحيح استروح إلى الإجمال و نسي شيئا يسمى " التوثيق" أو اثبت العرش ثم انقش.

يستشهد بما في كتب النصارى و اليهود مما يطيب له تصديقا لكلامه و يتهم أبا هريرة ـ رضي الله عنه ـ برواية حكايات اليهود و نسبتها إلى النبي صلى الله عليه و سلم، فما توافقت فيه الكتب السماوية شيء مذموم يجب أن تختلف في كل شيء لطيب له الحديث، فيجعل دليل التأكيد نفيا والنفي تأكيدا !

الرحمة عنده أن لا نشهد على احد بكفر إلا من شهد عليه النص فانقطع حكم التكفير بانقطاع الوحي،فعزل الشريعة و الأدلة و جعل الحقائق تتبع العقائد على مذهب

الزنادقة و السفسطائية و يعجبه قول الغزالي أنه من تمام الرحمة أن لا يعذب إنسان.
الأمة ضالة غير راشدة من يوم تولى معاوية الحكم إلى أن قتل القذافي؟
يعني اجتمعت على ضلالة فهي أمة ضالة غوية .
هذا هو منهجه العلمي منهج فيزياء الكم و ميكانيكيا السماء؟
قد عرفتم الرجل،سيأتيكم خبره بعد حين .

افهم:
لقد سبوا النبي صلى الله عليه و سلم و هو حي بين أظهرهم ليس عن سوء فهم للإسلام، أو لأن بعض الصحابة شوهوا سماحة الإسلام و رحمته و عدله و حقيقته،أو لأنهم لم يتبعوا سنته و لم ينصروه باتباع سنته كما يتصوره بعضنا، فعالج القضية كما تعلمون مرة بالعقوبة الرادعة عندما كان قادرا ،و مرة بالاهمال عندما لم يكن قادرا، لأنها ليست قضية نزاع فكري و سوء تصور و تشويه لدين.
و سيسبونه ليس لأن بعض الأمة غير ملتزم بسنته، بل لأنها قضية كراهية وبغض للحق فقط، و البغض و الكراهية لا علاج له إلا أن يهابك عدوك، وكيف يكون وهو يطعمك و يكسيك و يداويك و يسلحك و يرفهك؟
عندما تكون لديك أساطيل في البحر و السماء، و يعلمون أن ضربك موجع وليس طنين ذباب لن يسبوك ولن يسبوا دينك أو نبيك.
نعم القدوة الحسنة و إظهار سماحة الإسلام و عدله و رحمته و حقائقه ينفع الأبرياء منهم أما الرؤوس فلا تحجزها إلا القوة،فإن القوة المعلومة في صمتها أفصح اللغات.
وعليه فإن مللت من هذا الوضع: أن تكون مسخرة للأمم،و تريد أن تحمي شرفك و كرامتك فما عليك إلا أن تطلب أسباب القوة و ذلك بان تتخلى أولا عن أوهامك، وعن العقلية السخيفة،و المناهج التالفة، و تهتم بعلوم الدنيا أكثر من اهتمامك بعلوم الدين فأنت حاليا رغم جميع سلبياتك متقدم عليهم في الدين متخلف في الدنيا، ولو ترك الشباب ما لا يحتاجه من علوم الشريعة ممن ليست من اختصاصه و اهتم بعلوم الدنيا لكان الحال أحسن .
سلاح الأفكار يواجهه سلاح الأفكار، و سلاح السياسة يواجهه سلاح السياسة، و سلاح العداوة و الكراهية يواجهه سلاح الردع ، فلا نجلد أنفسنا أكثر من اللازم

فتقصيرنا ليس في الدين و إن كان موجودا و إنما في الدنيا أمرنا ديننا بان نعد جميع أسباب القوة فعصينا ، و عجزنا عن إصلاح أوطاننا و عقليتنا و سياستنا و مجتمعنا و بعضنا يريد أن يفتش المذابح عن معايير ذبح الحيوان فيها و نسي أن يفتش قبل ذلك عقله و قد عششت فيه السخافة و الخفة.

مشكور الشباب على غيرتهم و مبادراتهم، ومشكور الشباب و الشيوخ الذين لا يرون في المسيرات و اللافتات نصرة حقيقية لنبينا صلى الله عليه و سلم، والشكر هنا على النية فقط، لأن المعركة ليست في النفير إذا لم يكن لنا بالأساس عير.

لوثة العقل

يتلوث العقل عندما يعيش في عصر متخيلا عصرا آخر؟

كما يتلوث عندما يجعل الدين مجانسا للدنيا يعني كأنه عالم آخر مقابل لعالم الدنيا و عالم الآخرة؟ !

ثم يتساءل في حيرته عن العلمانية و فصل الدين عن الدين، هل الفصل في كونهما تحت جنس واحد، القوة في أحدهما تستلزم القوة في الآخر، أم لعدم قيادة الدين للدنيا؟

لوثة العقل أن تكذب بالواقع الموجود المختل الفاسد و الذي أنت جزء من أسباب فساده بعقلك الملوث بالسخافة و السطحية، بعدم صفاء الفكرة و كدر الصورة، و بظلمة المأخذ وخفة المنهج .

تلويث العقول أن تقول للمريض: أنت سليم، و للضعيف أنت قوي.

لوثة العقل أن تعتقد أن هم الأمة و مشاكلها في الجرح و التجريح أو في التطبيل للحكام بدون شرط ولا قيد،أو أن تجعل الفجور مبررا.

لوثة العقل التي لا يغسلها ماء البحر أن تعتقد أن العلوم المادية و إصلاح الدنيا بها نافلة أو مكروه كراهة تنزيه؟

لوثة العقل أن لا يكون له رأي ولا تقدير كعقول الصبية تحسب أحلامها يقظة.

لوثة العقل أن يخلط بين حقائق الدين و حقائق الكون.

الحدث الفرنسي و جمعية المخرفين

عندما أقول:(متقدم في الدين على الكفار) يعني: دينك أصح من دينهم ،فدين

الرافضي، و دين المعتزلي، ودين جميع الطوائف الإسلامية فضلا عن دين السني، خير من دين اليهود و النصارى حقيقة و عاقبة، إن لم تقتنع بهذا راجع عقيدتك.
عندما أقول:(متخلف عنهم في الدنيا) يعني: دنياهم أصلح من دنياك في العدل و الحقوق و الازدهار و القوة بجميع أنواعها، فالمسلم يجد عندهم من الأمان و الحق و التكفل به و بأولاده اجتماعيا أكثر مما يجده في جميع البلدان الإسلامية إلا نادرا (أقولها من باب عدم الجزم بالعموم نظريا)، إن لم تعلم هذا ،فاعلم أن كل مكسورة تجبر إلا مكسورة العقل،وللأسف العقول لا تباع.

التجريحية المنقَّحة أو النسخة الثانية من التخريفية ؟

من أعجب العجب اهتمام تجريحي (طبعة منقحة) بقضية سب النبي صلى الله عليه و سلم في الغرب لا عن حكمها ،و أفضل وسائل معالجتها و لكن برد فعل المسلمين الإيماني الذي يسميه تلبيسا "حماسا" لأن كل ما لا يوافق هواه هو حماس؟ لا بالمناقشة الهادئة و بالحجة و الإرشاد و لكن يتخذها فرصة ومناسبة للاستمرار على منهجه: تجريح الناس تصريحا أو تلميحا بأي شاء أصابوا أم اخطئوا، إن أصابوا جعله خطأً بمنهج "توليد البغلة" و إن أخطئوا فذاك عيد عنده جمع كل الشروط الشرعية ليكون عيدا ثالثا، لأنه مندرج تحت أصل التجريحيين العام: من خالفنا مخطئ بالضرورة في كل شيء، و إن لم يدل عليه دليل خاص لأنه في عقله يقول: متى احتجنا إلى خاص و مقيد و مفصل و مفسر و مبين ، هذا منهج بدعي في الحقيقة و إن زعمنا ردا على أحدهم أنه حق !
هو لا يهمه الاعتداء على الإسلام مهما كان فظيعا، لا يهمه إلا نقد رد فعل المسلمين، سلم منه أهل الأوثان و ضجر منه أهل الإيمان؟
مصيبته في منهج زائف لا حقيقة له تاريخيا ولا واقعيا، هو من بنات عقل مريض أخطأ في قراءة نصوص الأئمة ومواقفهم فأخل بترتيب الأشياء.
جميع مصائب الأمة كالفقر و الظلم و التخلف و الهوان و الفساد و النهب و التناحر و التقاتل سببها عنده:عدم اتباع فهمه القاصر الذي يسميه تجوزا بالمنهج السلفي و الذي يرتكز جوهريا على فكرة باطلة مفادها أن من خالف فهمه فهو مبتدع.
و يعلم الناس إلا هو أن هذه الأمور لا علاقة لها بالبدعة، و الأولى شرعا و عقلا

إلحاقها بالفجور، فهي متعلقة به أكثر من تعلقها بالبدع تماما كتعلق بعضها بالجهل بالعلوم المادية و إهمالها و ضعف التعليم، فلقد انتصرت الأمة على أعدائها في معارك عديدة ووضعها الطائفي أفسد مما هو عليه اليوم،لكن التخريفي لا يقرأ، و قادها ملوك مبتدعة ـ عند هذا التجريحي ـ أشاعرة وصوفية .

و يعلم الناس إلا هو أن الأمة تفرَّقت و تقاتلت من فجر تاريخها، بعد ثلاثين سنة من النبوة، و لم يسلم عصر من عصورها من التقاتل و الفتن، ومن فجر تاريخها ظهرت فيها النحل و استمرت إلى اليوم رغم كل أسباب القوة التي كانت لأهل السنة.

و بعقله الخرافي يتوهم أنه سيردها جميعا إلى منهجه الخاضع المستسلم واقعا و حالا لكل الأفكار المعارضة له، العاجز عن مقارعتها ، منهج طائفة همَّشت نفسها لتعيش على أطراف المجتمع، و في حواشي واقع المسلمين اليوم.

هو منهج يربط كل شيء يحدث في الدنيا بمبتدعة المسلمين و تأخُّر الأمة في الالتحاق بمنهجه التجريحي التخريفي فمتى صرنا مثله اخضرت أراضينا و تفجرت فيها الأنهار و عم الخصب و الخير و الازدهار و تقدمنا الأمم علما و أخلاقا و صناعة و قدنا البشرية إلى العدل و الحق ومن ثم إلى الجنة.

وكلها أوصاف إذا سمعت بهذا التخريفي التجريحي ماتت فرقا، يدعي منهجا لا يملك عليه نصا واحدا، ولا شبهة إجماع،ولا رائحة منطق عقلي سليم، لا يملك إلا مجملات يتأولها كلها قابلة للنقض بأدلة الشرع.

لا يفرق بين معايير وجود الأمة ككيان سياسي واحد،أو متفق أو منسجم سياسيا و اجتماعيا ،ومعايير وجودها كأمة على نفس الفهم و المقاربة و القراءة يعني على نفس المذهب لأنه في تصور مقومات وجود الأمة يهدر الاتفاق على الغيبيات،و بعض العقيدة كالتوحيد العملي، و الإمامة، و الأحكام و الدين العملي و مصادر التلقي الكتاب و السنة و الإجماع التي تشكل الثلثين و يقف عند الثلث الأخير، عليه وحده يبني علاقته بها لا في التدافع الفكري العلمي من باب النصيحة و الحرص على الخير و طلب التوافق على الحق و لكن في شروط وجودها، عقل ملوث بخرافية التصور و الفهم.

كم عدد الشيوخ الموجودين على صفحات الفيسبوك الذين يناقشون طلبة العلم و المتشبه بهم هنا أو على منتديات أخرى ، لذا وجب التأكيد على الكلمات الوثقى.

تصحيح تشوهات التصور الدعوي

فهم كلمة الإمام مالك

بسم الله الرحمن الرحيم

لقد رسخ في روع بعض شبابنا طلب العلم حتى جعلوا كل شيء من العلم الشرعي،أو جعلوا الحل لمعضلات الدنيا العلم الشرعي،فأوجبوا بلسان الحال على أنفسهم وعلى غيرهم طلب هذا العلم بأدلة عامة قيدتها نصوص خاصة حتى أهملوا علوم الدنيا التي هي قوام الدنيا.

ومن هنا كان صعبا عليهم التفريق بين القدر (الحقائق الكونية) أسرارها وشروط اكتشافها و الاستفادة منها وبين الحقائق الشرعية، كما لم ينتبهوا إلى الفرق بين الأمة الجامعة بين الكتاب و السيف و الأمة بالسيف وحده.

ولم يسألوا أنفسهم عن الدين الذي ينصلح به حال الأمة ، هل هو الدين في المساجد و الدنيا في القصور؟

العلم في الحلقات و المدارس و الجامعات و الظلم و الغصب و الاستعباد و الجهل في أروقة الحكم؟

أم الدين الذي يجمع بين الكتاب و السيف، بين العلم الشرعي و العلم المادي، بين العلم و العدل؟

وهل هذا الدين يقوم بالجرح بالمفهوم المعاصر و التشقيقات في علم الكلام، و التعصب على الاختيارات الفقهية أم بما تضمنه حديث جبريل؟

وهل الدين الذي تقوم بها الأمة لتعتلي عرش الأمم دين النخبة و الأطروحات الأكاديمية الغارق في الصراع حول حق الانتساب إلى السنة ، أم دين العامة كما خاطبتهم الرسل؟

وهل سبب الوضع المختل الذي تعيشه الأمة من فساد أنماط التدين أو قلتها سببه الجهل بالحكم الشرعي أم سببه أزمة إيمان بالله و اليوم الآخر تولِّد الفسق و الفجور يعني الإيمان موجود لكنه ميكانيكي آلي فقد حيويته و أصبح نوعا من التقليد و التوريث،كما قال تعالى: {وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ} فنشاهد الرجل يصلي و يحكم بالأحكام الوضعية،

و يصلي و يصوم و يحج و يأكل الربا و الرشوة و يظلم و يستبد بحرية غيره ، يحضر الجنائز و يسمع المواعظ و ينهب الأموال .
و هل فساد الدنيا سببه الوحيد فساد الدين أم فساد الدين أحد أسبابه و من أسبابه الأخرى فساد العقل و ضعف الاهتمام بالعلوم المادية ؟
وما حقيقة هذا الفساد ، فإذا قدرنا أن ماليزيا و تركيا أحسن بلاد المسلمين من حيث الدنيا و العدل فهل لأنهما أفضل تدينا من بقية البلاد الإسلامية أم لأنهم أخذوا بأسباب القوة المادية ، وفي الدين لا يختلفون عن بقية الدول الإسلامية ، أم الأخذ بأسباب القوة المادية سببه وجود حاكم عادل على الأقل أكثر من نظرائه في البلاد الإسلامية الأخرى، فهمه للدين أحسن من فهمهم، و لذلك اهتم بالعلوم المادية و الأسباب الكونية ؟
فيلزم عن هذا أن الدين الصحيح الذي إذا رجعت إليه الأمة أنصلح حالها هو الدين الذي يقترب من تصور هؤلاء ؟
و بالنسبة لمن يرى أن المملكة السعودية أحسن الدول الإسلامية تدينا صحيحا فهل استلزم ذلك تفوُّقها في العدل و إعطاء الحقوق الاجتماعية و غير الاجتماعية و تقدُّمها في المجال المادي على غيرها من الدول الإسلامية التي ينتشر فيها التصوف و الأشعرية و أشياء أخرى؟
لنسأل عن الدول الإسلامية الغابرة و الحالية ما كان نوع تديُّنها ؟
الدولة الأموية عاشت في صراع مع الخوارج ومع آل البيت ومع أهل السنة المعارضين لها و في عهدها الأخير تسلط عليها المبتدعة فكان الجعد بن درهم معلم آخر ملوكهم : مروان الحمار.
ثم خرجوا إلى الأندلس وغرقوا في الملاهي و ازدهر سوق زرياب عندهم و كثرت فيهم النحل حتى سقطوا.
الدول العباسية بدأت في الشرق بدعوة آل البيت و أبعدت العرب و قربت العجم وكثر فيها الحجاب الفرس و فيها بدأت ترجمة الفلسفة و علوم المتقدمين ثم تسلط عليها المعتزلة حتى زوالها على اختلاف في الفترات فيتناوب الديالمة الشيعة و السلاجقة الأتراك على النفوذ فيها.
ثم كانت دويلات مثل دولة سبكتكين الأشعري رجل صالح زاهد و حاكم عادل لكنه

يبقى أشعريا ؟
وكذلك دولة الأيوبيين الأشعرية جاءت بعد دولة العبيديين القرامطة .
وبعدها دولة المماليك وهم نحل مختلفة أكثرهم يميلون للأشعرية أو للتصوف الكشفي.
أما في المغرب فكان الرستميون الخوارج ثم جاء المرابطون الصوفية و الموحدون الأشعرية و البقية كبني عبد الواد وبني حماد وبن يفرن فأسوأ حال منهم.
ثم بلغت الأمة أوجها في فترة العثمانيين وهم في الغالب ماتريدية دراويش حنفية ؟
هذا تاريخ الأمة باختصار شديد، فأي فترة بلغت مجدها الحضاري وبأيد من، ومن ساهم فيه ؟
إن قلنا طائفتها الكبيرة أهل السنة و الجماعة وظَّفت الكفاءات من كل طائفة حتى من الفلاسفة كمعماريين و أطباء و صناع سلاح و كيميائيين وفلكيين وخبراء زراعة و غير ذلك لزم إدخال الأشعرية فيهم بالضرورة كما لزم أن مفهومهم للدين و الأمة و المجد و القوة غير مفهوم كثير من السلفيين المعاصرين؟
وعلى هذا يجب أن نفهم قول مالك: (لَا يُصْلِحُ آخِرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ إِلَّا مَا أَصْلَحَ أَوَّلَهَا) هل يقصد صلاح الدين أم صلاح الدنيا أم صلاح الاثنين؟
و المعروف أنه قال هذه الكلمة في سياق كلامه عن دعاء المسلم لنفسه عند قبر النبي صلى الله عليه و سلم و انه لم يكن من فعل الصحابة و التابعين.
وما هو الدين الذي قصده الإمام مالك ـ رحمه الله ـ الموجود الحالي أم الدين الذي جاء به النبي صلى الله عليه و سلم ؟
وفي حدود علمي قد كان من شيوخ مالك قدرية ولم ير ذلك مخالفا للدين الذي أشار إليه بخلاف بعض السلفية المعاصرين، و السؤال: لمَ لم ير التحديث عنهم من أسباب الويلات التي وقعت في الأمة؟
مشكلتنا مثل هذه الأقوال نعزلها عن سياقها التاريخي يعني عن حياة قائلها و تصرفاته و فهمه و نحملها على معان أخرى من قسم الشرع المؤول.
وهنا لا يجب تجريد هذه الكلمة عن حكمها فنسأل: متى قال الإمام مالك هذه الكلمة؟،وكم مضى عليها من الزمن؟ وماذا صنعت بها الأمة؟
الجواب كلكم يعرفه: قالها منذ قرون طويلة يعني منذ أن أدرك التابعين بدأ الفساد أو

الانحراف في الأمة وهو مستمر إلى اليوم مما يلزم أن الفساد لم يبدأ في هذا العصر أو قريبا منه كما يتصوره من يحتج بهذه الكلمة على كل شيء.
وكلمة لم تستجب لها الأمة طيلة هذه القرون مع توفر كل الأسباب العلمية و السياسية و العقلية يجب أن لا نخرجها عن حيزها المقاصدي و نجعلها عائقا أمام واجب تجاوز عقبات الطائفية و المذهبية (السلبية) لتحقيق مصالح الأمة بدون إهدار للقيمة العلمية لهذه الكلمة،فهذه الكلمة لا تعني التقوقع على الذات،و لا تعني التنافر و المفاصلة الاجتماعية ،ولا تعني استنفاذ طاقات الأمة في المعارك الداخلية التي بدأت منذ أن قيلت هذه الكلمة وهي مستمرة إلى اليوم بدون أي نتيجة مرجوة ، أفلا نعقل؟
يجب أن نعرف أن مضمون كلمة الإمام مالك يجب أن يكون هدفك الذي تصبو إليه لا منهجك الذي تمارس به الدعوة ، فالمنهج كمضمون علمي معرفي قد يحتاج إلى تجديد لغته العلمية أو التواصلية،و قد يحتاج إلى وسائل عصرية متنوعة، و كعمل ميداني يحتاج إلى الاتصال بالناس و الاحتكاك بهم و التعاون معهم على المشترك، و الهدف أن تعود بهم مقتنعين إلى ما أشارت إليه كلمة الإمام مالك أو تقترب منه بقدر المستطاع على قاعدة" تحقيق المصالح و تكميلها ودرء المفاسد و تقليلها"
مضمون هذه الكلمة يجب أن يكون ضمن اهتمام العلماء و الدعاة لا عموم الأمة التي عليها أن تطيع العلماء في توجيهاتهم ثم الانشغال بإصلاح دنياها، فمهمة إصلاح الدين من وظيفة العلماء و المفكرين، يراعونها في صياغة خطابهم العلمي الدعوي، هذا إن توفروا على القدرة الفكرية التي يتطلبها الفكر المعاند لإقناع المعاصرين بها فان الصراع على التأويل و تحديد المراد مع بقية الطوائف مشكلة عويصة للغاية .
المقصود: ما هو المجهود الفكري العلمي بلغة العصر العلمية المطلوب للبرهنة و الاستدلال على صحة قول مالك ـ رحمه الله ـ لأن الصراع حولها في الدلالة وفي تحديد ماهية الدين المنزل، فاختلاف المسلمين من القديم هو حول مراد الشارع و ليس على عباراته إلا نادرا، و إلى اليوم لم يصلوا إلى التوافق، فمن السذاجة بمكان الاعتقاد انه بمجرد ترديد هذه الكلمة ستعود الأمة إلى الدين المنزل، و قد غرقت في المؤول من زمن التابعين.
و بتعبير أدق: ما هي الأدوات العلمية و الفكرية التي يحتاجها من يردد هذه الكلمة لإقناع البقية بمنهج علمي واحد في التوثيق و استنباط الدلالة، و إلى أي حد يسمح هذا

المنهج بتقريب المذاهب و المفاهيم وبعض مسائل الدين ستظل مهما فعلنا ظنية لا تقبل القطع ،وحينئذ ما موقع هذه الكلمة على الواقع العملي للعلم و الدعوة؟

وبهذا تعلم أن فهم بعض من يحتج بهذه الكلمة للدين هو جزء من المشكل الذي أشار إليه الإمام مالك، يعني لو رجعوا للدين الصحيح لفهموا أهمية التعاون بين المسلمين، و ضرورة الاهتمام بالعلوم المادية و أن وجودها عند تصادم الأمم يشترط له قدر معين على الوجوب،ونحن في قلب صراع الأمم، مثال ذلك:

قال الله تعالى: (إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِئَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا) إلى قوله: (الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ).

فاشترط حد أدنى و إن كان في باب قتال المصابرة شروط أخرى، المقصود أن عوامل الانتصار لها أسباب مادية ، هنا خصت العدد لتجانس السلاح و المركب، ولو كان الإيمان وحده سبب النصر لجاز دون هذا العدد،ولا غلب الواحد الآلاف مما لا يقول به عاقل .

فوجود القوة المادية الناجمة عن اكتشاف أسرار الكون ضروري قد يعوض الإيمان جزءا منها لكنه لا يعوضها كلها، فلا يتصور أن يرد السيف بخشبة.

وهذا ما فهمه المسلمون لما انتقلوا من القتال بالقسي العربية إلى القسي الفارسية لأنها أقوى في اختراق الدروع،وقد كره قوم القتال بها حتى قال السرخسي في (شرح السير الكبير)(1/1484) : ((وَلَا بَأْسَ بِالْقَوْسِ الْفَارِسِيَّةِ أَنْ يَتَعَلَّمَ بِهَا الرَّجُلُ الرَّمْيَ.

لِأَنَّ فِي ذَلِكَ كَسْرُ شَوْكَةِ الْعَدُوِّ وَإِدْخَالُ الْوَهَنِ عَلَيْهِمْ، وَالْمُسْلِمُ مَنْدُوبٌ إلَى كُلِّ مَا يَكُونُ فِيهِ نِكَايَةٌ فِي الْعَدُوِّ

وَإِنَّمَا أَوْرَدَ هَذَا؛ لِأَنَّ كَثِيرًا مِنْ النَّاسِ مَنْ كَرِهَ الرَّمْيَ بِالْقَوْسِ الْفَارِسِيَّةِ، وَرَوَوْا فِي ذَلِكَ حَدِيثًا، وَلَكِنَّهُ شَاذٌّ فِيمَا تَعُمُّهُ الْبَلْوَى وَهُوَ مُخَالِفٌ لِلْكِتَابِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ} [الأنفال] . وَمِنْ الْقُوَّةِ الرَّمْيُ بِالْقَوْسِ الْفَارِسِيَّةِ. فَإِنْ قَالَ: إنَّمَا يُكْرَهُ ذَلِكَ لِأَنَّهَا مِنْ أَمْرِ الْعَجَمِ، يَنْبَغِي لِلْغَازِي أَنْ يَسْتَعْمِلَ فِي الْقِتَالِ مَا هُوَ مِنْ أَمْرِ الْعَرَبِ.

قُلْنَا: فَالْمَنْجَنِيقُ مِنْ أَمْرِ الْعَجَمِ، وَقَدْ نَصَبَهُ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - عَلَى الطَّائِفِ حِينَ أَشَارَ عَلَيْهِ بِهِ سَلْمَانُ - رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ - وَاتِّخَاذُ الْخَنْدَقِ مِنْ أَمْرِ الْعَجَمِ، وَقَدْ فَعَلَهُ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - بِإِشَارَةِ سَلْمَانَ - رَضِيَ

اللَّهُ عَنْهُ - فَتَبَيَّنَ أَنَّ مَا يَكُونُ مِنْ مُكَايَدَةِ الْحَرْبِ فَلَا بَأْسَ بِهِ، سَوَاءٌ كَانَ مِنْ أَمْرِ الْعَجَمِ مِمَّا لَا يَعْرِفُهُ أَوْ كَانُوا يَعْرِفُونَهُ.))

وقوله تعالى : {وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ} يشتمل على كل ما هو داخل في مقدور البشر من العدة و الآلة و الحيلة يعني علم الحروب، لكن الحروب العصرية لم تعد متوقفة على الرماية بالرصاص فقط بل أصبحت تحتاج إلى علوم مركبة فطغى العلم على صناعة السلاح وعلى توظيفه وعلى تشغيله.

و ليس هذا خاصا بالحروب بل بكل المجالات ،فكذلك إطعام المسلمين و مداواتهم و حفظهم من مخاطر الطبيعة واجب يدخل في الضروريات، وهو لا يتم إلا بالعلم المادي، فالصناعة اليوم بجميع أنواعها لم تعد حرفا، بل علوما و اختصاصات ،و لم يعد الاقتصاد تجارة فقط، حتى الفلاحة و الري و النقل و البناء تحوَّلت إلى علوم معقدة بسبب ضعفها أو عدمها يعيش المسلمون اليوم عالة على الغرب حتى في طعامهم و دوائهم.

ففرق بين الوسائل التقليدية التي لم تعد قادرة على إطعام الشعوب و بين متطلبات الدولة و الأمة في هذا العصر.

لا أدري لماذا يجب أن يكون الاهتمام بتحقيق العدالة و إصلاح نظم الحكم و الحياة الاجتماعية و تعمير البلاد و الاعتناء بالعلوم المادية معارضا مناقضا للدعوة إلى الدين الصحيح بحيث ينافي وجود أحدهما وجود الآخر و يتزاحمان في العقول؟

لماذا يجب أن تكون الدعوة عمودية و حياة المسلمين تفرض الاتجاه الأفقي للواجبات الدينية، ونحن في عصر غير مسبوق من الخطأ أن نقيسه على عصر الصحابة من كل وجه، فمهمة الصحابة كانت البناء و الإنشاء من العدم(الجاهلية المحضة) و نحن نحتاج إلى التجديد لا إلى التأسيس من الصفر.

و الصحابة كان بينهم من يحسم اجتهادهم و يفض نزاعهم و الأمة اليوم تحتاج إلى وسائل علمية معقدة متمثلة في علوم الترجيح للتقارب و ليس للحسم ، كما أن الصحابة عايشوا الدين بالمرحلية الفعلية بحسب نزول القرآن و نحن تلقينا الدين كاملا و يلزمنا بخلافهم القيام بجميع الواجبات المقدور عليها.

ومن هنا تعددت واجبات الدين بجميع أنواعها و التي من ضمنها التأليف ورص الصف و طلب القوى و إصلاح الحياة بجميع متطلباتها فاستحال إهدار الواجبات

الوقتية من تعليم الفروع و الآداب الإسلامية و إصلاح السياسة و نظم التعليم المادي و الديني ... الخ حتى تعود الأمة إلى الدين المنزل، وهي عملية معقدة عجزنا منذ عصر مالك عن تحقيقها؟
هذا لا أصل له شرعيا، ولا مستند له من الواقع و التاريخ، هذا الفكر المندس في وعينا، المتسلل إلينا من زوايا مظلمة، هو أخطر فكرة تواجهنا اليوم فكرة تصحيح الدين أولا لا بمعنى الأهمية و بذل الجهد ولكن بمعنى أن بعض أمور الدنيا ليست من الدين أو تمنع إصلاحه ، و تأخير كل الواجبات إلا واجب الكلام في التوحيد، على معنى الوجود في الواقع الذي يبطل وجود كل اهتمام آخر.
لقد أجمع العلماء على أن تعلم ما يسع جهله فرض على المسلم وما سوى ذلك فضل لا فرض،و الناس في العلم على قسمين: عالم و عامي، فالعامي يقلد العلماء و يأخذ بقولهم كما في قوله تعالى : (فسئلوا أهل الذّكر إِن كُنْتُم لَا تعلمُونَ) و قد سهلوا عليه المر حتى اختاروا عدم إلزامه بالاجتهاد في عين المفتي.
و لأنه يستحيل عليه الطلب لو أوجبنا على كل واحد تعلم العلم الشرعي لانقطعت المكاسب و المعاش، ولو كلفنا جميع الشباب طلب العلم الشرعي لاستطال علينا المبتدعة و غيرهم فتحكموا في رقابنا و مصالحنا فمن باب الحاجة إلى الخبرة دخل النفاق قديما و حديثا كواليس الحكم وتحكم في مؤسسات الدولة السياسية و الاقتصادية و العلمية.
فالمفروض أن تتفرغ طائفة للعلم الشرعي و البقية إلى اعمار الدنيا ، كما قال تعالى: {لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلْيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ} [التوبة: 122]
فهؤلاء هم من يلزمهم طلب العلم كفرض عين،حتى لا يندرس العلم،وحتى يجد المسلمين من يعلمهم ما يحتاجون إليه من أمور دينهم ، و قديما أوصى الشافعي المسلمين بتعلم الطب ،كما أوصاهم الغزالي بعدم تركه للنصارى وقال: في طرسوس أو طوس عشرات الفقهاء و طبيب واحد نصراني ؟
نفس العقلية التي تريد من الجميع تعلم العلوم الشرعية، و تجعل الحل لكل المشاكل حتى مشاكل العادات أو القدر الكوني في العلوم الشرعية ، هي التي تجعل كل شيء كأنه عبادة محضة، وهذا لم يأت به الإسلام، و قد بحث العلماء أفعال الرسول صلى الله عليه و سلم ، و بحثوا الترك إن كان منتجا لحكم،و بحثوا الفرق بين العبادة

المحضة و العبادة المطلقة، و بين العبادة و العادة ،ربما سيكون هذا موضوع مقالنا القادم بإذن الله تعالى.
العلم رحمة،كل علم ينفع البشر في آخرتهم و دنياهم فهو من رحمة الله ، لكن قد يكون العلم بما يوجب الرخصة منه رحمة، وقد يكون خفاء ما يوجب الرخصة عقوبة .
و الحمد لله وحده، و الصلاة و السلام على من لا نبي بعده.
أرزيو/ الجزائر،في 18/01/2015 م الموافق لـ 28 ربيع الأول 1436 هـ

الذي يحزُّ في نفسي

ليس الاختلاف في وجهات النظر في حد ذاته ، فمن اتسع اطلاعُه و تعمق وسع صدرُه للمخالف ولكن التعصب عند بعض الشباب بسبب غياب منهج علمي حقيقي، و جسارة على رد قول المخالف بالهوى، مما يعني غياب مراقبة الباطن، و أحيانا مع قلة الأدب، فتراهم يستعملون عبارات لو حذفت لسلم لهم الكلام ،و صح منهم التساؤل، و قلَّ اللغط بينهم .
يخوض بعضهم تعليقا و تعقيبا وهو لا يميز بين أنواع العلل وطرق استخراجها،ولا يعرف لا شروط القياس ولا أركانه ،ولا يعطي العبارات حقها،ليس له شغف إلى الحقيقة المجردة المحضة، لا يتشوف إلى الأفضل و تفصيل الجملة،و المكاشفات العلمية الدقيقة،و الأحوال الربانية العالية.
يتوجع من الأدلة التي تخرم مذهبه في المسألة كأنها سنام تغرز في صدره لأنه أخذ اختيارات شيوخه بالعاطفة الممزوجة بالنظر السطحي فتملكته .
يشعر أنه لو فارق مذهبه في مسألة كأنما فارق والديه، وهذا ظن فاسد و اعتقاد سيء، تلقاه شبهةً حتى رسخ فيه أن ترك مذهبه كأنه خروج عن الإسلام ،علموه عبارات جاهزة يطأ بها الأدلة،و يلتف بها على الحق إذا خالف هواه ،يزعجه العلم و التدقيق، يهاب مراجعة القناعات ،يريد أن ينتهي من المذاهب ليشرع في الدعوة إلى مذهبه الذي استقر عليه، و غاب عنه أن العاقل يراجع مذهبه باستمرار قد ينقحه و قد يتخلى عنه إلى ما هو أحسن منه مادام داخل دائرة الإسلام و بين معالم السنة.
هو ابن أول مذهب وقع فيه أو عليه، ليس هو رجل اختيار بعد فكر،لا يملك حرية اختيار ما يراه صوابا، لم يبلغه شيء يسمى اتباع الدليل بجزم العلم لا جزم الهوى،

وعدم المبالاة بالمخالف لأن غايته الله، الحقيقة، الدقة، التحقيق؟
لكن من يعلمهم و يؤدبهم ؟
سيضيِّع كثيرٌ منهم أعمارهم في شيء يشبه العلم و ليس هو بالعلم، هو خيال لا يغني عند الله، ولا تنتفع به الأمة.
الحمد لله في شباب أمة ما ينوب عن هؤلاء.
لا تيأس من الوضع ، فهذا كمخاض المرأة بمن سيصير رجلا فاضلا يصحبه الألم الشديد و تتمنى لو لم تخلق أو لم تتزوج فإذا خرج من أحشائها إلى النور نزلت معه رحمة الله، و إذا شب تمكن حبه من شغاف قلبها وقد يرحمها الله بمعالجتها آلام حمله ووضعه أو بتربيته أو بصلاحه، و قد يشفع فيها فيغنيها عن آلام الدنيا .
كل ما يقع في الأمة ـ الآن ـ من اضطراب هو علامة على حيويتها و أنها أمة تصارع نفسها، تصارع ما علق بها من مخلفات القرون لكنها أمة موعودة في الدنيا مرحومة في الآخرة ، لا تحتاج اليوم إلا إلى تحرير عقلها و إصلاحه فهو الحاضن للعلوم و الأفكار،وفساده هو سبب ما نجده من فساد الدين بالتبديل أو بالتأويل و فساد الأخلاق و الفهم و السياسة وغير ذلك .
سألني أحد الإخوة الأفاضل من طلبة العلم المهمومين بالعلم هذا السؤال: ((وجهوني بارك الله فيكم شيخنا لمن أكثر، ممن أستفيد، من أين آخذ، أريد، لا أريد أن أغرق في الأقوال، كيف أطبق الأصول و القواعد بشكل صحيح، كيف تكون نظرتي شاملة واسعة غير ضيقة، وجهني وجهكم الله إلى الجنة من غير حساب و لا سابقة عذاب؟))
أدام الله عليكم عافيته و سدد جوابكم.

القدرة على التغير و الذكاء

يملك بعض الناس مقدرة فائقة على التغير ، لا يعتبرونه عملا سلبيا أو خسارة لشيء ثمين، لأن الثمين عندهم هو تحسين أنفسهم باستمرار، الاستجابة للمتطلبات المستجدة، التعامل ايجابيا مع الخير ، عرفوا أن الحكم فرع عن التصور، و التصور فرع عن كم المعلومات و قيمتها الموضوعية، كل العلوم في الحقيقة بخلاف علم المنطق الصوري العلم فيها حاصل جمع ، جمع المعلومات، توثيقها، تصنيفها ،ثم التوليف فيما بينها .
لذا لا يرون أن تغيرهم و انتقالهم من فكرة مجملة إلى فكرة مفصلة، ومن نظرية

مجملة إلى محكمة من خلال تطوير أنفسهم و شخصيتهم تأديبا و إلزاما لها على مفارقة الفكرة عندما تكون ساذجة، أو خاطئة،و التشوف إلى الأفضل دائما، ليسوا في وضعية انتظار أن يوضع العلف أمامهم، بل هم في حركة دائمة و انتقال مستمر داخل عقولهم يلاحظون الخلل و يبحثون عن الجواب المطابق إما في قاعدة معلوماتهم أو عند غيرهم .

هكذا فطروا، هؤلاء من صنف "من كان له قلب".

من علامة الذكاء الانتقال الكلي عن المقال أو الجزئي من خلال تطويره و تحسينه، وحتى بعض صور التناقض تدل على الذكاء فإن الذكي يلاحظ بصورة الضعف في موقفه فينتقل عنه ،و ليس من شرط الذكاء أن يكون فطريا بل يمكن أن تصنع ذكاءك لكن ذلك يحتاج منك أولا إلى تربية نفسك ،فتلزمها بالاستماع و القراءة إلى غيرك، و تقبل أن يكون الخير عنده،كما تقبل أن تأخذ منه، هنا فقط تستفيد من عقول غيرك و تستمد منها ما ينقصك و تصيرا ذكيا بزكاة نفسك لا باستعداد فطرتك أنه ذكاء الطلب.

الذكاء كقوة البدن وقوة الإرادة لا يمدح لنفسه، كما قال ابن تيمية ، من أوتي الذكاء و الفضائل العلمية و الإرادية بدون إيمان كمن أوتي قوة في جسمه بدون إيمان ، فلا ينفع شيء إلا أن يعبد الله وحده لا شريك له،ويؤمن برسله و باليوم الآخر.

وفرق بين أذكياء أهل الإيمان و أذكياء أهل النفاق و الكفر، فإنه و إن جمعتهم القدرة على معرفة الأمور الدقيقة سواء كانت حقا أو باطلا، إيمانا أو كفرا،التي لا تعلم إلا بذكاء و فطنة بحس بموضوع بحث كل فئة منهم، إلا أنهم يفترقون في القصد و الإيمان، أهل الإيمان لا يستجهلون من لم يشركهم في علمهم فقد يكون عند الرجل قصور في الذكاء و البيان و لكن عنده إيمان أحسن من إيمان الذكي.

و المقصود أن الأمة لن تتحرك من وضعها بمن يهاب التطور و الارتقاء و إن سماه تغيرا، كما لم تتحرك قديما إلا بأئمة لم يهابوا تغيير مذاهبهم و آرائهم باستمرار، فكان أبو حنيفة يفتي بالقول و يتركه، وكذلك الإمام مالك حتى قال الناس: علم الناس يزداد و علم مالك ينقص، و انتقل الشافعي من مذهب إلى مذهب، و كذلك داود الظاهري من الشافعية إلى الظاهرية، و الطحاوي من الشافعية إلى الحنفية،و الخطيب من الحنبلية إلى الشافعية و هكذا كان الغزالي، و ابن حزم و ابن تيمية يطورون أنفسهم باستمرار طالبا للأفضل.

إذا كان الوضع الأمة سيئا فيلزم أن ما يتشكل منه هذا الوضع سيء، و إذا كان وضع الدعوة ما يعلمه الجميع فلن يتغير بمن يريد البقاء كما هو ،لن يتغير حتى نتغير ، ربما تعلق المشكل على غيرك، فهكذا التعصب المذهبي يرى صاحب المذهب أنه يجب إصلاح الدين و إصلاح الأمة مستثنيا نفسه ،يعني: على الجميع إصلاح أنفسهم إلا هو ، فهو المصلح؟

لو كان ابن تيمية ـ كمثال ـ على مثل عقليتنا ، هاب التطوير و التغيير و البحث عن الراجح و قلب المشهورات المسلمات لما تغير شيء و لما وجدتَ اليوم مادة تستعين بها على الاجتهاد في هذا العصر المعقد فكريا.

قوله تعالى : {إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ} لا ينطبق على الطرقيين و المتعصبين للمذاهب فقط، بل ينطبق على كل من يظن نفسه أنه ملك الحقيقة و ليس عنده برهان، على كل من يأبى تجديد العلم و الفكر تحقيقا، مهما كان الاسم الذي تسمى به، و أنصحه بجولة داخل جماعته يجمع كتبهم و مقالاتهم ليرى مدى الاختلاف بينهم و التناقض الذي بسط جناحيه على أقوالهم.

دعوكم ممن جمد على اجتهاد شيخه فهؤلاء جزء من مشكل الأمة ، وما لم تفهمه اليوم ستفهمه غدا، فإن أقوى مرجح بين المذاهب الواقع ، انظر مذهب بعض العلماء في أجرة التعليم و أجرة الإمام أين صار اليوم؟

خطة العلمانيين:

من خلال دراستهم لأدبيات الإسلاميين و سلوكهم العلمي انتهى العلمانيون ـ استخلاصا من واقع حالهم وليس تصريحا منهم ـ إلى أن أحسن خطة لتشويه الإسلام هي تشويهه بالإسلاميين فتسلط طائفة على طائفة أخرى بنقد يتجاوز التقييم و التصحيح إلى المحو و الاستئصال فيقضي بعضهم على بعض من غير عناء لأن من ملاحظة العلمانيين أننا جماعات غير راشدة خطابيا، يعني : خطابها يغلب عليه التسفيه و التضخيم و التهويل و الإسقاط المتبادل.

وربما تجد هذا في المصطلحات المستعملة بكثرة داخل الخطاب الإسلامي كمصطلح " الشرع" و " الكتاب و السنة" لأنه من المفروض حينما يتكلم من يهمهم الدين

ويريدون عودته صحيحا شاملا لحياة الناس أن تكون هذه المعاني مقدمات مضمرة ،لكن بعضنا يستعملها شعارا لرأيه ليفهم الناس أن رأي مخالفه من الإسلاميين ليس من الشر ع أو هو مخالف للكتاب و السنة في قضايا هي الشرع المؤول ليست من القطعيات دلالة، و لا من قسم الإجماع ومن ثم يستشري الخلاف بينهم.
بعض الشخصيات العلمية أو الدعوية التي وقع عليها هجوم شرس مركز مكرر ، لا يشكل فكرها خطرا إلا على العلمانيين لكن يواجهها بعض الإسلاميين و ليس العلمانيون.
وقد تقول لبعض إخوانك: نريد أن نستجيب للواقع، فيقول لك: نحن لا نحلل الحرام ولا نحرم الحلال؟
فتراه هدم كل المقدمات المضمرة و هي لشدة ظهورها تضمر لكنه إما لا يعرف طريقة أهل العلم في الكلام و إما يتعمد، لأن قولك:"نريد أن نستجيب للواقع" المقصود منها لحاجات الناس في الواقع، فكيف نجذبهم إلينا من خلال ما يهتمون له، لا من خلال ما يشتهون.
و آخر لا يفرق بين كلام المتكلم منشئا لاقتراح و رأي مما لا يعنيه و إن كان يخالفه و بين الكلام الموجه إليه،فيفتح نقاشا طويلا عريضا لا فائدة منه، و كان الأجدر به أن يذكر رأيه هو ويدلل عليه و لا يشتغل برد أدلة غيره.
وقد يبدؤون الحديث متعدين على الأدب و ينتهون إلى المطالبة بالأدب، فيهاجمون بدون أدب فإن قمعوا بالرد لاذوا بالأدب و جعلوه كالمصاحف على الرماح.

منزلة السياسة في الإصلاح

بسم الله الرحمن الرحيم
لأهل العلم لغة تميزهم عن غيرهم تعتمد على إضمار ما كان شديد الظهور، و الإنسان يظهر مستواه من لغته العلمية، وعندما يفتقد إلى منهجية علمية في التعقيب تجد كلامه لا يتوارد على كلام المخالف و يكثر من المجملات.
فمن المفروض أن يكون النقاش بين المنتسبين إلى السنة خاليا من الشعارات و المجملات، فكلهم يتكلم داخل إطار الشرع أو يحسب نفسه كذلك، وكلهم يتقيَّد بالكتاب و السنة بحسب فهمه، فمن التلبيس بمكان أن يرد أحدهم على استشكالات آخر بقوله " كل خير في اتباع من سلف" و هكذا شعارات ، فمن قال لك بأن رأيك موافق لرأي

السلف؟
ومن قال لك : إن رأي آحاد السلف حجة شرعية ؟
مصادر التلقي عند المسلمين: الكتاب و له شروط في الاحتجاج به ، و السنة و لها شروط في إثباتها وفي فهم المراد منها، و الإجماع و له شروط في نقله و الاحتجاج به ،إلا قول الصحابي ربما يمكن تخصيص العموم به على اختلاف بين الأصوليين.
بعض التعليقات اتركها على صفحتي و إن كان صاحبها غريبا عن مستوى المشاركين عليها من باب تصديق مقرر المنشور، أو عسى أن ينفعه الله بكلمة أو ليعرف الناس عقله.
منزلة السياسة في الدعوة
1 ـ يجب أن نفهم جيدا أن العلمانية ليست نظرية سياسية نلخصها في تلك الجملة المشهورة " فصل الدين عن الدولة" بل هي نظام فكري و أخلاقي و ايدولوجيا كاملة الأركان،ولو وصفها أحدهم بأنها دين جديد لما ابتعد عن الحقيقة كثيرا،لأنها لا تهدف إلى إدارة الدولة بعيدا عن قوانين الشريعة التي يُسمونها "القوانين الطائفية" فقط،بل تقصد إلى تغيير أنماط الحياة و المعيشة، وسلوكيات الفرد والجماعة(العقائد و القيم و السلوك)
أقول هذا لأن من لخصها في " فصل الشريعة عن الحكم" قد يزهد في مقاومتها ظناً منه أنه لن يجد أثارها في أعماق المجتمع،وحتى عند رواد المساجد، و بالتالي لن ينتبه إلى أن أم معاركها هي أن تتمكن من تفريغ الإسلام من السلفية (و أقصد هنا العمل لعودة حياة المسلمين على أحكام الشريعة) بواسطة نشر وتدعيم البديل له،ودمقرطة السلفيين دمقرطة مشوَّهة .
يزداد عجبي عندما أسمع بعض المنتسبين للسلفية يتكلم عن العلمانية ،وقد عرف أدنى الناس ثقافة أن العلمانية لا تشتغل على العقيدة و لا على ما يسمى بالمنهج السلفي، هذا الأخير قد تستثمره عندما يصبح آلة هدم لا وسيلة إصلاح، و إنما ورشة عملها : السياسة ، منظومة التشريع ـ و صناعة الوعي في المجال العالم (الإعلام) فكيف يكون عمل هؤلاء السلفيين مواجها لها في الحقيقة ،وهي على كوكب وهو على كوكب آخر؟
ثم يهاجمون الفئة الواحدة التي تخشاها العلمانية ،وهي الطائفة من الإسلاميين (

للتمييز و ليس لمرتبة إيمانية) الواعية بمتطلبات المواجهة ، وكونها أخطأت في بعض الممارسات فهذا خطا التجربة لا خطأ الفكرة، و ليس هذا الخطأ بأعظم من أخطاء بقية الجماعات، فكلها لها زلات.

لكن دعونا نفحص موقف التجريحيين من السياسة بناءً على المقارنة بين عصرنا و عصر السلف (الصحابة) و عرضا على النصوص ، هل مصدر منهجهم السياسي النصوص أم ممارسات في التاريخ كان لها أسبابها لكن ليست هي وصايا النصوص.

من أين يبدأ الإصلاح؟

يرى كثير من الناس أن الإصلاح يجب أن يبدأ من القاعدة، يعني : من قاعدة المجتمع و ليس من إيجاد الدولة العادلة، و أن السياسة هي من نافلة القول ، تنصلح بالضرورة إذا صلح الناس قياسا منهم على خطوات الدعوة النبوية في بدايتها ، يعني إذا انتشر فهمهم للسلفية في المسلمين ـ وهم لحد الآن عاجزون عن نشره داخل السلفية نفسها و التجاذب بينهم أشد من تجاذبهم مع غير السلفيين ـ ستنبثق فجأةً دولة إسلامية كدولة أحد العمرين ـ رضي الله عنهما ـ ؟

فهل هذا القياس صحيح و إلى أي حد ؟

الاهتمام بما اهتم به النبي صلى الله عليه و سلم كموضوع الدعوة لاشك في ذلك ،لكننا بخلاف ذاك الزمن قد استقرت عندنا الأحكام الشرعية و انتهى زمن مرحلية العمل بها، و أصبح المسلم مطالبا بها في حدود القدرة و بالتالي صار ملزما بالتعامل مع كل الواجبات الحالية.

و إذا اختلف أصناف المدعوين (المكلفين) لزم أن نقول: بعض المسلمين ممكن في حقهم تأخير الخطاب ببعض الواجبات لعجزهم عن فهمه أو القيام به، فيقدم الأهم كإصلاح العقيدة و الأخلاق، و بالنسبة لبعضهم الآخر يخاطبون بحسب الواجبات القائمة في حقهم .

هذا من حيث ترتيب مواضيع الدعوة، أما من حيث حقيقة الميدان فلا شك أنه يستحيل الاعتماد على الدعوة العلمية وحدها، أو الاقتصار عليها و الواجبات متعددة، و الحاجات و الضروريات مختلفة وقد تحكَّم في مؤسسات الدين، وصناعة الوعي و التعليم و الثقافة أهل السياسة،وعندما نسأل عن سبب التعثر لا على مستوى الدعوة فقط، ولكن على مستوى الدولة منذ نشوئها ،و نقول: لماذا نعجز الإصلاح ، الفساد عم

كل المجالات بدون استثناء، مع أن القائمين على الأمة منذ استقلال الشعوب الإسلامية لا عناية لهم بالتوجه الإسلامي؟

يفهم العاقل أنه لا يمكننا أن ننجح في الإصلاح الشامل بدون إصلاح السياسة أولا و القياس على الدعوة النبوية فيه بعض الفوارق لأن الناس في زمنه صلى الله عليه وسلم لم يكن دينهم وثقافتهم خاضع لسلطة مركزية ،نعم تؤثر عليهم مجموعة الضغط: قيادة القبيلة و أرباب المال لكن ليس خضوعا كليا .

و لهذا لما سألت المرأة الحمسية أبا بكر ـ رضي الله عنه ـ كما في صحيح البخاري: (مَا بَقَاؤُنَا عَلَى هَذَا الْأَمْرِ الصَّالِحِ "؟ قَالَ: " مَا اسْتَقَامَتْ لَكُمْ أَئِمَّتُكُمْ)

فحيث استقام من يحكم في النفوس و الأموال استقام عامة الناس، وفي الأثر: (صِنْفَانِ إذَا صَلَحُوا صَلَحَ النَّاسُ: الْعُلَمَاءُ وَالْأُمَرَاءُ) أهل الكتاب و أهل الحديد.

ونفهم من قول أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ أن الأمة تكون صالحة بصلاح هذين الصنفين، و العكس صحيح، لكن هذا يفرض سؤالا آخر: من له الحصة الأكبر في الصلاح و الفساد؟ ومن تتوقف ولايته على ولاية الآخر؟

وعلى هذا يجب أن نجتنب أخطاء الخبرة فنحكم على قيمة العمل السياسي و الإصلاح السياسي من خلال الأخطاء الماضية و التجارب السلبية فإن هذا ينسحب على الدعوة، و قيمة الشيء الشرعية لا علاقة لها بسوء التجربة أو أخطاء التطبيق.

قد عجز أنصار هذه النظرية و بأيديهم كثير من النفوذ وفي مساحة محدودة مسيطر عليها في تنفيذها بل وفي البقاء عليها فدخلت العلمانية مجتمعات كانت منغلقة عليها وزحزحت المستقر ومع ذلك سيبقى بعض الناس على فهمه للسياسة حتى يصير جنديا عند العلمانية التغريبية وهو لا يشعر .

فالواجب أن لا يتوقف القطار عنده فإن المسؤولية فردية و جماعية و لنمض إلى ما ينفع أمتنا و ديننا فإن أصحاب فساد التصور لم يخل منهم زمان ولا مكان.

اجعلوه حوارا... فبعضنا ليس في مستوى النقاش و المناظرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحوار عند بعضنا هو: رحلة صيد التناقض في كلام المخالف، هو في الحقيقة شجار

و ليس حوارا.
يستعمل بعضنا كلمة" حوار" في نفس معنى كلمة" نقاش"،" محادثة"، " جدال"، " مناظرة"، "شجار" لعدم الاعتياد على الدقة في اختيار العبارات، و بطبيعة الحال يدل سوء استعمال اللفظ المطابق على فساد تصور المعنى الفكري للكلمة،وهذا خلل في المنهجية العلمية يجعل المتماثلين من كل وجه مختلفين ،و لهذا نرى ملل الكفر متقاربة متواطئة متفاهمة لحد ما، ونجد أفراد الجماعة الواحدة، و المذهب الواحد فرقا متصارعة !
كلمة "حوار" لها مدلولات مختلفة، فهناك "الحوار الأدبي" وهو عبارة عن نوع من الكتابة الأدبية ،وهناك الحوار في السينما،و" الحوار السياسي" ... الخ
و الذي يعنينا هنا مدلول كلمة "حوار" الفلسفي الثقافي.
المقصود من كلمة" حوار" عند الإغريق : كلمة منطقية مؤثرة على المستقبِل ،تخترق، تقطع كلية وبدقة، تعني غايةً: نوع من أنواع الاتصال بين عدة أشخاص ،فالحوار متميز عن النقاش وعن المحادثة ، يرجع إلى طريقة في المحادثة تتضمن بالضرورة : المنطق،و وتسلسل الاستدلال، والصحة ،و الحكمة، و تأويل الحجج الموافقة و المخالفة كلما اتسع الحوار بين المشاركين فيه.
ككل أنواع الاتصال و التواصل يتكون الحوار على الأقل من مرسل و مستقبل، إلا أن الحوار يتميز في التفاعل الايجابي الذي يجمع المتحاورين فإذا كانت المعطيات المقدَمة هي الرسالة، فإن هدف الرسالة هو موضوع التواصل.
في الحوار الحقيقي لا يكون الهدف الموضوع المعلن ، لا يتعلق الأمر بالإصابة، بالتفوق على المستمع المستقبِل في المحاججة،ولا بفرض وجهة نظر جدلية معارضة أو منظور ما أو مرجعية ما .
يدعو الحوار الأطراف إلى التحوُّل في ذواتهم بكل حرية إلى الاستماع الايجابي (إبعاد سوء الظن) التواضع الصادق ،و الاحترام المتبادل، فهذه ضروريات الحوار.
ممكن أن نقول: الحوار هو متابعة فكرة، أو هو وسيلة للتواصل أكثر منه محاولة البحث عن نتيجة للنقاش في حد ذاته، وعند الفلاسفة التحاور هو: التفكير لصالح اثنين.
تنمية ثقافة الحوار المقصود منها التقارب بحثا عن المشترك، أو السعي لإبرازه و

تقديمه على المختلف فيه، الحوار يفترض أن نعرف معنى الأخوة، ومكانتها في النقاش (الجدال العلمي)، فهدف الحوار العام هو إعادة تذكير المختلفين بالمشترك، بقيمته و كميته.
كثير منا يعتقد أن الحوار هو نصب الحجة ضد الحجة، يعتقدون أنهم يتحاورون و في الحقيقة لم يأخذوا الوقت الكافي لفحص الموضوع الذي يتحدثون فيه، فيتشتتون في كل واد لأن قصد بعضهم المغالبة، فيعترض بأي شيء ليتجاوز الحجة التي يعجز عنها ،بدون تمييز لمختلف الحجج و جنس الاستدلال الذي ترجع إليه هذه الحجج، الحوار عندنا هو رحلة صيد التناقض في كلام المخالف هو في الحقيقة شجار و ليس حوارا.
الحوار ليس خطابا أو خطبة، أو مقالا، فالمقال العلمي هو الإعلان عن استدلال ما، أو لرأي حول موضوع ما، و لا هو محادثة، التي هي عبارة عن تسلسل مقالات متقطعة غير متواصلة فيما بينها لإنتاج استدلال معهود بين المتحدثين.
يتمثل الحوار في فحص متقاطع لكلمات مختلفة التي لا تلزم إلا قائلها، و يكون ناجحا عندما ينتهي بتشخيص كل حجج المشاركين و بخلاصة تأخذ بعين الاعتبار كل هذه الحجج.
لماذا لا يهتم بعض العلماء و طلبة العلم بأزمة الوعي، و أزمة التواصل بين المسلمين عموما، و(الإسلاميين) خصوصا؟
لأنهم تعبوا من الجهال على اختلاف رتبهم، خارت قواهم في التشخيص،تسلط السفهاء على النبهاء بتزييف ما يعجزون عن فهمه.
لأنهم لم يجدوا استجابة، فالعقول حجزها شيوخ الغلو لخدمة مصالحهم، و أطلقوا النفوس المتأزمة و الألسنة المنفلتة تحصد في المسلمين قطرات الوعي.
لماذا يجتنبون النقاش فيما بينهم؟
لأنه إما جلسة مملوءة بالشجار، و إما متخمة بالمجاملات الزائفة.
و لهذا اكتفى كل واحد بجماعته و أتباعه يقول فيطاع، إن خولف فبأدب و احترام، فما الذي يدفعه إلى صداع الرأس؟
المسلمون اليوم جزر عائمة بدون رؤية واضحة محددة، على كل جزيرة نخلة يستظل بها الأتباع، لا يهمهم ما يقع على الجزيرة الأخرى، لا يهمهم إلا تشويهها ليصرفوا

جموع الغرقى عن التعلق بها.
إذا وجدتً مخالفك لا يستجيب للحجة، و يكثر التنقل في فرعيات الموضوع ،محجما عن كلياته فلا تضيع وقتك معه ،فإن الناس في العلم و الفهم طبقات،وليس المشكل في الخلاف فإنه يندر أن تجد اثنين متوافقين في كل شيء حتى من أوفى الأصحاب، فهذه سنة الله في خلقه تفاضل الناس و اختلفوا في كل شيء.
و الأولى بالعاقل أن يبحث عمن يقاربه في الفهم سواء رآنا أعلى منه أو دونه، فإن كنا أعلى منه فسيتضرر أكثر مما سينتفع، و إن كنا دونه فلن نفهمه، و نحن تحت رحمة الله إلى أن يقيد لنا واحدا على مستوى عقولنا؟

أنواع الشيوخ

إذا رأيت العالم تستعرض أقواله و أدلته جمهور المذاهب، و يأخذ بفتواه السواد الأعظم من الناس، وقد يعتني بالرد عليها علماء طائفة بدعية فاعلم بأنه رجل ملة، عالم ملة.
وهكذا كان الأئمة الأربعة، و ابن حزم، و النووي، وابن تيمية و الحافظ و غيرهم ينتفع بهم الموافق و المخالف.
و إن رأيت كلامه لا يتجاوز فئة ضيقة من الناس، وحتى داخل الجماعة أو المذهب الذي ينتمي إليه قسم كبير منه لا يعتد بأقواله أو يراه جاهلا، أو غير ذلك فكيف بجمهور الأمة فاعلم انه شيخ جماعة في مرتبة شيخ زاوية.
و الواجب فيما لا نعرف دليل إثباته و انتفائه أن نتوقف فيه، و لا نعلق الحقائق على عقول شيوخنا إن كانوا تكلموا فيها أم لا، لأنهم ليسوا معصومين، و لا يفترض منهم أن يتكلموا في كل شيء، و يبحثوا في كل شيء.
العلم ما قام عليه الدليل، و النافع منه ما جاء به الرسول ،وما جاء به الرسول قد نعلمه بالمنطوق و المفهوم و باللزوم و بالقياس الخ، وغير ذلك خزف مزوق أو باطل ملفق و إن لف رأسه بعمامة.
اجتهاد شيخ زاوية يكون داخل الزاوية و حسب متطلبات أتباع الزاوية.

نوع علماء الدين الذين تحتاجهم الأمة

ودور المسلم الملتزم المثقف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، و الصلاة و السلام على رسول الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله.
عندما نتصدى للحديث عن مهام العلماء والمثقفين المسلمين(الملتزمين) اليوم لا يجب أن نقف عند الإشارات و الدلالات التي يمكن أن نستنبطها من كتاب الله و سنة نبيه و أقوال علماء الأمة فيما يخص العلوم الشرعية فحسب، بل يجدر بنا أن لا نغفل حاجيات الأمة إلى الإجابة القاطعة عن العلوم "الإنسانية "المتجددة و المتنامية، و اتساع رقعة تدخل العلماء المسلمين في حياة المسلمين في جميع جوانبها الفكرية صيانةً لهم من الفكر الدخيل المعارض للدين .
نحن نعلم أن العلماء و النظار و الفقهاء و المحدثين و المفسرين وعلماء اللغة و النحو اكتسبوا في التراث الإسلامي تصنيفات عديدة و تقسيمات بديعة تدل على غنى الساحة الفكرية عند المسلمين و تشبعها بالاختصاصات، مما يدل أنه في فترات من التاريخ الإسلامي كانت العقلية الإسلامية قابلة للإخصاب و للجديد، ولهذا ظهرت اختصاصات أو تصنيفات الواحدة تلو الأخرى.
وكون ثقافة ما تتقبل الاختصاصات الجديدة يعني حتما قبول تلك العقلية للتجديد بناء على الاستكشاف العلمي و التدقيق في البحث والاستقصاء.
فإذا كانت التحديات الجديدة التي تواجه الأمة باتت أمرا واقعا مشاهدا يعلمه كل أفراد الأمة، ولم تعد حكرا على فئة المثقفين، بحيث صار الحديث عن صعوبة العصر و مشاكله حديث الخاص و العام.
فهل لقيت هذه التحديات من المثقف المسلم جوابا مناسبا ،أو إنه تجاهلها وجمد على مواقف طائفته و جماعته التي ينتمي إليها، أو أنه فهمها بشكل سيء فراح يطلب لها حلولا خاطئة، و أحيانا مميتة لأمته؟.
نوع العلماء الذين تحتاجهم الأمة ودورهم:
يكثر بعض المعاندين معرفيا من القول :إن الكلام عن فقه الواقع و الإحاطة بالثقافة العصرية تلبيس يمارسه دعاة الضلالة لتضليل الأمة و الطعن في أهل العلم وغير ذلك ،وحتى نبين لهم أن فقه الواقع و الإحاطة بالثقافة المعاصرة مطلب شرعي دل

عليه الشرع و مارسه أكبر علماء الملة ،و أن مهاجمة من يحث على ذلك تقع في غالب الأحيان من أناس هم أقرب إلى التصوف السلبي و الدروشة منهم إلى العلم و الفكر الصحيح.

ـ ذكر الله سبحانه و تعالى في القرآن أنه يرفع درجات من يشاء،ذكره في مناظرة إبراهيم عليه السلام فقال:{وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء إن ربك حكيم عليم}"الأنعام"،وهي مناظرة جرت بين إبراهيم و قومه، ظهر عليهم إبراهيم عليه السلام بالحجة أو أسلوب النقض و قياس الأولى .

وفي قصة احتيال يوسف عليه السلام قال:{كذلك كدنا ليوسف ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك إلا أن يشاء الله نرفع درجات من نشاء وفوق كل ذي علم عليم}"يوسف".

قال العلماء:يرفعهم بالعلم، ونحن إذا نظرنا في قصة إبراهيم لوجدناها في العلم بالحجة و المناظرة لدفع ضرر الخصم المشبه في الدين، أما قصة يوسف فهي في العلم بالسياسة و التدبير لتحصيل المنفعة.

فالعلم الأول:هو العلم الذي يدفع المضرة عن الدين، أو علم الأقوال النافعة عند الحاجة إليها، ويدخل في هذا معرفة حجج أعداء الدين و علومهم و ثقافتهم التي يهاجمون بها الدين، وهذا من فقه الواقع الثقافي.

و العلم الثاني: هو علم الأفعال النافعة عند الحاجة إليها، فالحاجة جلب المنفعة و دفع المضرة، وهذا عين الواقع.

قال ابن تيمية في هذا الشأن في(المجموع){276/14}: ((و لهذا كان المقصرون عن علم الحجج و الدلالات، وعلم السياسة و الأمارات مقهورين مع هذين الصنفين، تارة بالاحتياج إليهم إذا هجم عدو يفسد الدين بالجدل أو الدنيا بالظلم، وتارة بالاحتياج إليهم إذا هاجم على أنفسهم من أنفسهم ذلك، و تارة بالاحتياج إليهم لتخليص بعضهم من شر بعض في الدين و الدنيا، وتارة يعيشون في ظلهم في مكان ليس فيه مبتدع يستطيل عليهم، ولا وال يظلمهم، وما ذاك إلا لوجود علماء الحجج الدامغة لأهل البدع و السياسة الدافعة للظلم)).

فإذا العلماء الذين يستطيعون دفع صيال من يريد إفساد الدين من مختلف أعدائه، ويوجهون مختلف الفاعلين في المجتمع وينصحونهم بصدق ، هم العلماء الذين يحيطون بثقافة عصرهم و ثقافة عدوهم وثقافة المخالف لهم، و يحسنون تسييس الناس

كل الناس ، وكل هذا يحتاج إلى نوع فقه للواقع السياسي و الاقتصادي و الاجتماعي، و الإحاطة بثقافة العصر، وذلك بتوجيه إشارات معينة للفاعلين في المجتمع ، واقتراح الإصلاحات في مختلف القطاعات و المجالات.

فهؤلاء العلماء يملكون زمام المبادرة إلى اقتراح إصلاح كل ما يرونه فاسدا أو قابلا للتحسين، ففرق بين من يبادر وبين من ينتظر أن يستشار.

لقد علمنا من خلال آيات القرآن الكريم ،و الأحاديث الشريفة، وممارسات علماء الأمة في العصور الذهبية للإسلام أن دور العلماء أولا: تكريس الجهود لتفسير النصوص الشرعية وتحديد معانيها الدقيقة، و استنباط الأحكام انطلاقا من هذه المعاني، صرنا اليوم نرى فئة منهم لا تهمهم مسألة المعنى بقدر ما يهمهم الوقوف عند ظاهر ألفاظها دون تجاوزها إلى باطن معانيها، وعندما نقول: باطنها لا نقصد أن للنصوص باطنا، و إنما نقصد البحث عن العلل و المقاصد و المناط أو مراعاة تكامل منظومة النصوص، فالنصوص الشرعية متشابكة فيما بينها، و هي بمجموعها تشكل منظومة تشع روحا وجوهرا، وقد عبر عن هذا الأمر علماء الأصول في مسألة" جمع النصوص و أخذ الحكم الزائد".

إن التحديدات العملية التي أغلق بواسطتها بعض المسلمين على النصوص الشرعية الصحيحة تبين كيفية توظيفهم للنصوص الشرعية حيث أدى بهم ذلك إلى جعل الاستثنائي عاما.

ففي تصورهم ـ عموما ـ التفكر في معاني هذه النصوص غير خاضع لحرية البحث و النظر، ولا يتاح للعقل النظر البتة للجمع بين المتماثلات و التفريق بين المختلفات، و إنما هو التلقي من فيض الشيوخ و التقليد بدون فهم و بحث، ولذلك لا يوجد في قاموسهم كلمة اجتهاد وفكر، ولا فكر إسلامي له نطاق معين،بل ويعظمون التوله و الحيرة في المسائل العصرية و يذمون العقل.

فمن خلال هذا يتبين لك أن المعرفة عند بعض المسلمين هي مجرد استنباط لغوي من النصوص لا تعتمد مبدأ كيف فهمها من نزل فيهم القرآن،أو هي ما ورثته عن الشيخ و الزاوية، و ليست عبارة عن استنباط للمعاني حر من قيود المذهبية و الطائفية و الأفكار المسبقة، داخل نطاق الفكر الإسلامي و ثوابته المتفق عليها وهي : الكتاب و السنة، و الإجماع، فلا المعاني مستنبطة، ولاهي تتجدد بتجدد الفكر و دواعيه ليشمل

الإسلام كل جديد.
لقد رسخ هذا المنظور عند بعض المسلمين المعاصرين من مختلف المشارب، و بنوا عليه كل البناء التشريعي الفقهي و الأخلاقي، فلم نلاحظ عندهم أية ممارسة فكرية لتراث الأمة الإسلامية بمنظور تطلب المعاني المتجددة.

الاحتفال بموت المسلم

مات الملك عبد الله بن عبد العزيز عفا الله عنه وغفر له ورحمه، كما يموت سائر الناس، و أفضى إلى ما قدم، و قد يرفض بعضهم الترحم عليه ممن يرى كفر الدولة السعودية؟ !
وعلى هذا أن يتذكر شيئا واحدا فقط: الدولة الوحيدة التي مهما اختلف معها علماء السنة ـ في كثير من القضايا ـ لا تعادي التوحيد ولا يشكل عندها أي مشكل بل حمته و صانته بغض النظر عن بعض نقاط الاختلاف هي السعودية .
و ربما من أسباب انتشار التغريب مؤخرا غلاة التكفير فإنهم يوفِّرون كل الأسباب البيئية و الاجتماعية و الثقافية لنموه و انتشاره.
و إلى من كان يبحث عن الرد الأمريكي (الغربي) عن الأحداث المصرية و رغبة المسلمين في دولة إسلامية فلينظر إلى الشام و العراق، إلى الصورة التي يروج لها الغرب أولا عند الشعوب الإسلامية و ثانيا بين أبنائه يفهم أن الأحداث و الطائرات ليست إلا مقابلة مزورة في كرة قدم ـ إلى حين ـ تكون الشعوب فيها هي الكرة؟

معنى الفكر الإسلامي

الفكر في مفهوم الحداثي:

يعرف الفلاسفة المعاصرون عملية التفكير بأنها إعمال الفكر في قضية ما بتحليلها لمعرفة أسبابها أو لتقدير عواقبها قبل الحكم عليها أو القيام بفعلها،ويفرقون بين الفكر العلمي و الفكر الطبيعي،فالفكر العلمي هو النظر في الظواهر نظرا موضوعيا منهجيا لضبط شروط وجودها وتوقع حدوثها حسب شروطها التي يكشف عنها البرهان أو التجريب و بعيدا عن التعسف و الميل و المصلحة الشخصية.
ولحد الآن لا إشكال في تعريف التفكير و لا في تحديد عملية الفكر، فالخلاف معهم

ليس في تحديد عملية الفكر ولكن في موضوع التفكير وقانون التفكير.
فإذا كان الفكر هو حركة الإدراك العقلي المقابل للإدراك الحسي و للحدس، فهو بالتالي جملة المدركات و التصورات العقلية، و الفكرة هي الصورة الذهنية من حيث هي موضوع مدرك بالفكر و حاصل فيه تسمى معنى من حيث إنها تقصد باللفظ، ومفهوما من حيث إنها تحصل من اللفظ، وماهية من حيث إنها تبين ما هو الشيء، وحقيقة من حيث إشارتها إلى ثبوته في الخارج، وهوية من حيث إنها تميزه عما سواه.
فالمفكر إذا هو الذي يتمكن بإمعان النظر في الأمور من تعميق المعرفة بها و تحسين هذه المعرفة وهذا تعريف صحيح يغاير به المفكر تفكير غيره ،إذ غرضه من التفكير هو توسيع المعلومة و البحث لها عن لوازم وتعلقات و أبعاد و بذلك يحسن المعرفة بهذا الأمر .
وقد جعل الفلاسفة للتفكير قوانين وقالوا:إنها الأحكام البديهية الأساسية التي تقتضي صحة التفكير توفرها وهي: مبدأ الهوية، و مبدأ عدم التناقض، ومبدأ الثالث المرفوع، ومبدأ السبب الكافي.
الفكر في الشرع:
لقد مدح الله في كتابه الفكر الذي يقود إلى الإيمان أو يقود إلى التقوى أو يقود إلى درء الشر و الفتنة، وقد ندب سبحانه إلى صرف الفكر ليتدبر في آياته المتلوة و آياته المجلوة، و آيات الله في كل شيء موجودة.
الفكر عمل يقوم به العقل عند الجاهل و العالم، عند السني و المبتدع، عند المسلم و الكافر، وما يقوم به عقل البشر هو فطري طبيعي فيهم، فالعالم يفكر و الجاهل يفكر، فما الفرق بين تفكيرهما؟
فلا يذم ما هو ضروري للإنسان خاصة في العلم إلا من لم يعرف انه من الضرورة، فلاشك أن العالم يلاحظ و يتأمل و يفكر، و بالتفكير يقيس و يستقرى و يستنبط، ولا شك أن غيره يقوم بهذه العملية، فما الفرق بينه و بين من هم دونه؟
هل يوجد فرق بين العلم و الفكر:
مما يدلك على أن الفكر من العلم، و المعرفة من العلم، و الفقه من العلم، فإذا جاز أن نقول: عارف و فقيه و عالم جاز أن نقول: مفكر، يقول ابن القيم في "بدائع

الفوائد"{323/2}:"أما العلم فلم يجيء إلا مكسورا مصدرا كان أو مفعولا لأنه لا يكون أبدا إلا معلوما بنفسه.
و القول بخلاف ذلك قد يتناول نفسه في بعض الكلام و قد لا يتناول إلا المفعول وهو الأغلب.
و أما الفكر فليس باسم عند سيبويه ولذلك منع من جمعه فقال:لا يجمع الفكر على أفكار، حمله على المصادر التي لا تجمع.
وقد استهوى الخطباء و القصاص خلاف هذا، وهو كالعلم لقربه منه في معناه و مشاركته له في محله"(ولذلك جعلت مرتبته دون العلم، فهناك علماء مفكرون كما بينت، وهناك علماء غير مفكرين، وهناك مفكرون غير علماء، لأنهم يعرفون بعض الكليات الشرعية و يتكلمون فيها ولم يحيطوا بالجزئيات الشرعية، و إذا شئت بتعبير أصولي:هناك علماء الأنظار وهناك علماء الوقائع، فالأصولي يطرح نظرة كلية بخلاف الفقيه فإنه يعرف الوقائع، ومن كان اعلم بالوقائع أي الجزئيات كان اعلم بالكليات وبجنس النظر، وهذا بحث له مجال آخر ننزله في يوم من الأيام ـ إن شاء الله -).
بماذا تحصل المعرفة؟:
هنا يبدو وجه الفرق بين التفكير الإسلامي و التفكير الفلسفي الحداثي، أي مصدر التفكير يحدد نوعية التفكير، فإذا كان العالم يفكر و طالب العلم يفكر و الصحفي يفكر و السياسي يفكر فلاشك أن تفكيرهم يتفاوت فقد يكون الفكر فاسدا، و قد يكون صحيحا، فلابد من وجود قانون يعصم الذهن من الزلل في الفكر، وهذا القانون قد نظر إليه الفلاسفة في جانبه الذهني، بينما نظر إليه المسلمون في جانبه العملي، ففي التفكير الفلسفي لا يهمه في ماذا يفكر بينما في التفكير الإسلامي يجب أن يكون التفكر في نقل صحيح و بعبارة أخرى في دليل هاد.
فالفكر الصحيح يدور بين النقل و الاعتبار، أي النظر في الدليل الهادي وهو الكتاب و السنة والاعتبار بينه وبين الواقع و الإشكال ينتج المعرفة التي يتميز بها تفكير العالم عن تفكير غيره، و التفكير الشرعي عن التفكير الفلسفي.
فإذا كانت المعرفة تنال بالنقل و الاعتبار، فإن كان النقل صحيحا أو الدليل هاديا قاد الفكر إلى الفكر الصحيح المحمود، فالعالم المفكر بخلاف غيره من المفكرين ينظر في

القرآن و السنة، و يتفكر فيها ثم يديم النظر فيها، ويواصل التفكر حتى يخلص إلى الحكمة و النتيجة المرغوبة.
فالفرق بين التفكير الإسلامي الشرعي و غيره هو أن المفكر الإسلامي سواء كان عالما بالشرع أو لم يكن على هذه الدرجة هو الذي يجعل معاني القرآن و السنة تسنح في خاطره، فيغوص بها في حياة الناس وواقعهم ومشاكلهم يبتغي الحل والتوجيه الصحيح.
فالعالم يفكر و يقدر، وهذا حال الإنسان عموما، و لذلك قال الله تعالى عن الوليد بن مغيرة: {إنه فكر و قدر}، إلا أن العالم ينظر في الأدلة الصحيحة الشرعية، فيفكر أولا في استخراج المادة و الجواب على الإشكال من القرآن و السنة و العلم الذي يحتاجه كالتاريخ وغيره، ثم يقدرها و يفصلها على حسب الواقعة.
فبالفكر يكشف لك الله مكنونات كثير من الأشياء تظل غامضة حتى على بعض أهل العلم..
وعليه، فالفكر من جنس العلم بل وطريق إليه.
الفرق بين فكر العالم و فكر المفكرين:
العالم يعرف الشرع كقضايا كلية و مقاصد و كجزئيات يردها إلى هذه الكليات، فبالكليات الشرعية يحفظ الجزئيات، بينما ما اصطلح على تسميته بالمفكر لا يقدر على ذلك بحكم الاختصاص أو التعليم أو الاهتمام، فيأخذ كلية شرعية واحدة إما عقدية أو اجتماعية أو نفسية أو سياسية و ينظر بها في واقع مجتمعه و يقارنها بمثيلتها في الثقافة المعاصرة، فهو يبحث لها عن امتداد يدفع به هجوم الثقافة المضادة أو يستخلص منها الحل الكلي للإشكال معين، فإن كان للعالم معرفة بثقافة عصره و ثقافة أعداء أمته أو بالثقافة البدعية المنتشرة في مجتمعه و يستغله في ردها أو تصحيحها فهو عالم مفكر، و إن لم يكن له ذلك فليس بمفكر و إن كان عالما.
فالمفكر سواء كان عالما أو غير عالم هو الذي يأخذ قضية شرعية كلية ينزلها على واقع الناس أو يدخلها مقارنة أو نقدا في ثقافة غيره البدعية التي يريد نقدها، فيتفكر في مصادرها ومواردها ويردها بالقضية الشرعية الكلية، التي يبحث لها عن ما يعضدها من ثقافة الغير سواء كان تاريخا أم فلسفة أم علم اجتماع أم كانت أحداثا جارية.

ولذلك تجد قديما أن من العلماء من كان من النظار، بحيث كانت له قدرة على الرد على الفلاسفة و المتكلمين باصطلاحهم ولغتهم، فهذا عالم نظار، ومنهم من لم تكن له هذه القدرة، فهو من العلماء فقط(قال ابن تيمية في "الدرء"{60/8} عن ابن عقيل:"كان من أذكياء العالم كثير الفكر و النظر في كلام الناس").
وتجد ما يدل على ذلك في كثير من الكتب خاصة عند الشيخين ابن تيمية و ابن القيم، فتجد عندهم عبارات مثل:الذي عليه محققو النظار، الذي تسميه النظار و الفقهاء، أفاضل النظار، فحول النظار، النظار المحققين، جهال النظار و اتباعهم، مشهور عند العلماء النظار، و غير ذلك "الدرء"{271/3}، "بيان تلبيس الجهمية"{471/2} " الصواعق"{672/2} و مئات الأمثلة.

الفرق بين العلماء المفكرين والعلماء غير المفكرين:

إن طباع أكثر الناس تستغني بظاهر من القول عن الفكر و التنبيه و الغوص في بواطن المعاني و الإشكالات، فخفاء التعليل و الاقتصار على الظاهر يقود حتما إلى نقصان الفكر و الاعتبار، ولذلك كان أهل العلم منهم أرباب الألفاظ ومنهم أرباب المعاني، وكان في الفقهاء غلاة في القياس، و غلاة في الظاهر، ومعتدلون في الأمرين.
و أهل العصر هم كذلك، ولا يمكن أن يصيبوا الحق كلهم، وعليه لا يمكننا أن نجمعهم جميعهم في سلة واحدة ثم نعتذر لهم جميعا، وفيهم مقصرون ومفرطون و غافلون عن مصادر البدعة و حملتها و مراجعها، و مقصرون في الرد عليها و مقاومتها.

الفكر هو النظر في اصطلاح القدماء:

ومن المعلوم بداهة أن من استكثر من الحفظ قويت حافظته ومن استكثر من الفكر قويت مفكرته، وهناك فرق بين أن يعود الإنسان إلى الحافظة ينتزع منها جوابا على إشكال يواجهه، وبين أن يعود إلى مفكرته فيطرح فيها الإشكال، ثم يستدعي الحافظة يستخلص منها المعلومة اللازمة للتحليل، ثم يعمل فكره و يقيس و يستقرأ و يحلل و يقارن.
وكما يعرف الناس مبدأ الفكر و النظر في الدماغ و مبدأ الإرادة في القلب و العقل و الفكر يراد به العلم، قال ابن تيمية في "المجموع"{308/9}:" و إذ قد خلق القلب لأن يعلم به فتوجهه نحو الأشياء و ابتغاء العلم بها هو الفكر و النظر".

وقال:"في الصحيحين حديث ابن عباس أنه كان إذا قام من الليل يصلي ينظر إلى السماء و يقرأ الآيات العشر من أواخر سورة آل عمران فيجمع بين الذكر و النظر و الفكر.

ولما كان النظر مبدأ و الذكر منتهى، لأن النظر يتقدم الإدراك و العلم، و الذكر يتأخر عن الإدراك و العلم، ولهذا كان المتكلمة في النظر المقتضي للعلم، وكان المتصوفة في الذكر المقرر للعلم قدم آلة النظر على آلة الذكر، و ختم بهداية الملك الجامع الذي هو الناظر الذاكر".

فإذا كان الفكر هو النظر، وهو نظر القلب و تأمله، وكان طريق العلم الفكر و النظر فإذا فسد الفكر فسد العقل، ولذلك كان من الفكر المعاصر فكر فاسد، فالإشكال ليس في أن نقول عن فلان إنه مفكر، ولكن الإشكال في ماذا يفكر، و إلى أي غرض يقصد؟

أنواع الفكر:

قال ابن القيم في "الفوائد"{199/1}:" أصل الخير و الشر من قبل التفكر، فإن الفكر مبدأ الإرادة و الطلب في الزهد و الترك و الحب و البغض، و أنفع الفكر الفكر في مصالح المعاد وفي طرق اجتلابها، وفي دفع مفاسد المعاد وفي طرق اجتنابها، فهذه أربعة أفكار هي أجل الأفكار و يليها أربعة: فكر في مصالح الدنيا و طرق تحصيلها، و فكر في مفاسد الدنيا و طرق الاحتراز منها فعلى هذه الأقسام دارت أفكار العقلاء".

و الفكر الفاسد موجود حتى في العقائد و الفقه و التفسير و الحديث مثله مثل وجود الأحاديث الموضوعة و الضعيفة.

دعاةٌ إلى جمهورية الخراب، و مملكة السراب ، والخلافة على الحجارة و التراب!

أبغض بعض الناصبة كأبي إسحاق الجوزجاني ومن قبله حريز بن عثمان ـ رحمهما الله ـ عليًّا ـ رضي الله عنه ـ بقتل الذوي و لعصبة و قالوا: ذبح منَّا في غدة أربعين ألفا.

ولا يزال هذا السبب يتكرر في الأمة من وقعة الجمل و صفين إلى يومنا هذا: السياسة و العصبة

و قد يُسبِّب (يعلل) بعض الناس مواقفهم اليوم بأسباب لا تختلف كثيراً عن أسباب من قتل عثمان ـ رضي الله عنه ـ و قد يظهر تسامحاً أكثر منهم، فيوافقهم على الأسباب و يخالفهم في قتله.

وصدق رسول الله صلى الله عليه و سلم القائل: ((إِذَا وُضِعَ السَّيْفُ فِيهِمْ لَمْ يُرْفَعْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ)) (السنن الكبرى) للبيهقي.

يقضي الله بأمره الكوني كثيرا من الحكمة مما يعجز العقل البشري عن الإحاطة بنوعه أو بتمام حكمته، فيقضي بالحرائق التي تندلع فتلتهم الغابات و يقضي بالفيضانات و الزلازل و غيرها كثيرا من الأمور مما قد يكون فيه مضرة لقوم و رحمة ونعمة لغيرهم، و لا يعني ذلك أنهم يفرحون بهذه الأمور الكونية تماما كما في قوله تعالى في المشيئة العامة الكونية : (وَلَا يزالون مُخْتَلفين إِلَّا من رحم رَبك وَلذَلِك خلقهمْ)[هود] فهذا الاختلاف يقضي به الله من الحكمة و ينتج عنه من التدافع بين البشر ما ينتج عنه من المعارف و الأحداث الاجتماعية و المعيشية ما لا يقف عليه البشر، ولا يعني ذلك أن يبحث المسلم و يسعى من أجل الاختلاف بل عليه أن يجتنب ذلك و يدفعه بقدر المستطاع بالالتزام بالأمر و النهي و بالوصايا الدينية.

كما يقضي من الشر على هذه الأمة ما أخبر به النبي صلى الله عليه و سلم و الواجب أن يحرص المسلم أن لا يقع بيديه.

لقد كان عثمان ـ رضي الله عنه ـ الباب بيننا وبين عذاب الله الذي هو عقوبة شديدة على ذنب عظيم.

هناك دعاةٌ يجب شرعاً ،و يُلزم به الوعي بالواقع فرضاً أن لا يُطاع، ولا يستجاب له ،ولا يستمع إليه إنسانٌ فضلا عن حاكمٍ مهما كان هذا الحاكم ،لأنه باختصار ليس عنده إلا تفجير البلاد،و تقاتل المسلمون و ذهاب ريحهم؛ و تأصيلاته كلها أوهام و خيالات، بعض النصوص صحيحة و كثير من التنزيل موغل في الباطل.

دعاةٌ يُطبِّقون في السياسة هذا الفهم: أخرج زكاة الفطر طعاماً ولو لم يأكله إنسانٌ ومات من البرد أو السرطان !

دعاةٌ يريدون من الشعوب الانتحار بسيف الواجب المعجوز عنه .

بجهلهم و تطرُّف فهمهم للدين جعلوا النتيجة واحدةً مع اختلاف نوع الحكام؟

يعتقدون أنه يجب المطالبة بكل ما كان حقاً بدون شرط ولا قيد.

قال عالمٌ عظيم و صالح كبيرٌ مواجهاً الحجاج بحجتِه بعد أن خرج عليه: (ولَمْ نَكُنْ مَعَ ذَلِكَ بَرَرَةً أَتْقِيَاءَ وَلاَ فَجَرَةً أَقْوِيَاءَ).

الأخبار من باب التاريخ

بسم الله الرحمن الرحيم

عندما نقول: هذا الشيء من باب هذا الشيء، فالمقصود أنه من جنسه، فكل خبر يتحول إلى تاريخ، و كل خبر يحتاج إلى إخبار، و الخبر و التاريخ من جنس الأقوال، و الأقوال يعتريها الصدق و الكذب.

يعاني الناس اليوم من آفة الأخبار، فقد كثرت الأخبار و تسارعت و احتار النبهاء في كيفية التعامل معها، فإن إغراق مواقع التواصل الاجتماعي و القنوات الفضائية بكم هائل من الأخبار حتى يعجز العقل عن التوقف عندها برهة للتفكير فيها و غربلتها، قد يقصد من ذلك تزييف الوعي و صناعة حقائق جديدة فكيف يتعامل المسلم مع الأخبار؟

الأخبار من الإخبار، و التاريخ مجموعة أخبار، و سواء كان الخبر حديثا أو قديما فهو من الأقوال يعتريه الصدق و الكذب،قد يكون صادقا و قد يكون كاذبا ، و كما احتاج التاريخ إلى النقد الداخلي و النقد الخارجي يحتاج الخبر إلى هذين النوعين من النقد ، التحقق من المصادر و التحقيق فيها بعرضها على عللها و مثيلاتها ،ونقدها فكريا على احتمال صحتها وعلى احتمال عدم صحتها.

و بتعبير آخر: العلم بالوجود العيني أي العلم بما عليه الناس و قياس الأخبار على ما تعلمه من حالهم،ثم العلم بالثبوت العلمي ،أي العلم بما بعثت به الرسل، و عرض الأخبار على قصص الأنبياء ثم الشريعة،بهذا وحده يمكن أن نعرف صدق الأخبار من كذبها، كما قال تعالى:{ سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم}.

فالشطر الأول أو الخطوة الأولى في هذا المنهج العلمي هو معرفة أخبار الأمم المتبعين للرسل و المخالفين لهم و عاقبة هؤلاء وهؤلاء، من فعل ذلك كان له في ذلك عبرة و حجة توافق القرآن.

هنا أقصد إدراك حركية وديناميكية الحياة الاجتماعية و السياسية و التاريخ، ومعرفة السنن و القوانين التي تدير هذه الجوانب على مبدأ:{ وتلك الأيام نداولها بين الناس}.

وهذه دعوى للاهتمام بثقافة الغير، و معرفة أخباره التفصيلة الاجتماعية و السياسية و الثقافية وبطبيعة الحال التاريخ سواء القديم أو المعاصر هو الإناء الذي يحفظ لنا كل هذا.

و يدخل في هذا اعتبار سنن التاريخ و معرفة مذاهب الناس و مقالاتهم و دياناتهم و مللهم و نحلهم و آرائهم، لا يخلو صاحبها من معرفة أن يكون فيها تابعا للرسل و مللهم أو لا يكون.

أي حتى لا يتأثر الاعتبار و القياس، و بالتالي تضبط حقيقة الأخبار لان الشأن في تمييز الصدق من الكذب و الاعتبار بالصدق فيها كما قال تعالى: { لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ما كان حديثا يفترى} فدل على أن فيما يقصه الناس في تواريخهم و مقالاتهم و مذاهبهم ما هو مفترى لا حقيقة له.

الاعتبار بالتاريخ أو بالماضي أو بالخلفية لنقيس عليها الخبر الجديد يجب أن يخضع لعملية تمييز بين الحقائق الثابتة، و بين الأساطير و الخرافات و الحكايات المنسوجة إما لخدمة أغراض سياسية أو طائفية دينية، فالخبر السياسي أو الاقتصادي أو الاجتماعي هو من الأقوال يخضع للصدق و الكذب، و الاعتبار يكون بالصدق فقط.

وقد أثبتت لنا الدراسات المعاصرة كثيرا من الكذب في الأخبار، و تأثر المتلقي باعتقادها وعدم ضبطه الأمور علميا.

وعليه يجب أن نرد الخبر إلى علمنا السابق بما عليه الناس ثم ننظر فيه إن كان محتملا كان الجواب عليه احتماليا و إن تحققنا وقوعه أجبنا جازمين لكن لا يمكننا بحال اجتناب الخبر أو عدم الاعتداد به.

تجديد قواعد التعامل بين المسلمين و الآداب العامة

بسم الله الرحمن الرحيم

قد يلعن أو يشتم أحدُنا رجلا أو ملكاً أو رئيسا أو عالما قدَّر أنه ظلمه أو ظلم أهلَه أو جماعتَه أو قومه؛ و قد يجد في أقوال بعض السلف ما يسند فعله و إن كان الوجوب و الاستحباب لا يستفاد إلا من أحكام الشارع،ولو تركها أحدنا للاعتبارات التي سأذكرها لما كان مخطئا.

وهذا الملعون أو المشتوم وراءه قوم أو شعب أو طائفة أو مذهب يرون عكس ذلك، أو يعذرونه أو غير ذلك، وبهذا تتوارث العداوة و تتناقل بين الأجيال بل و تستفحل و تستمر فتنخر أخطاء الحاضر أمل المستقبل.

و الذي يجب أن نعرفه جيداً هو أننا سواء ترحمنا عليه أو لعناه فإن ربك ليس بظلام

للعبيد، وميزانه يزن الأعمال و المقاصد، ولن يغادر العبد موضع الحساب حتى يفرغ من حقوق العباد .
وكل حادثة وقعت بين المسلمين فسيفصل فيها الله تعالى يوم القيامة بحكمه حتى ما وقع بين الصحابة ، و الموتى قد أفضوا إلى ما قدَّموا، و عند ربك تتقابل الخصوم، و لكن ما بال الأحياء ،ما الذي عليهم أن يلتزموا به حتى لا يفسدوا حياتهم ؟
و الحقيقة ترك الشماتة بالمخالف من المسلمين من جنس عدم الإجهاز على الجريح، و ترك المدبر، مما هو من أخلاق الإسلام ، فمثل هذه الأخلاق : الترفع عن الإساءة إلى الموتى، و ترك سب رؤوس الناس ممن لهم من ينتصر لهم ،و التسامح في العبارة لا يعني التخلي عن القناعات،و السكوت عن الحق في موضعه ،لكن هذا مما تستقيم به حياة المسلمين ،ومما يدخل في الآداب العامة أكثر منه رعاية للميت نفسه.
و عليه فإن الترحم لا يعني الترضي ،ولا هو في معناه، ولا يعني تزكية أفعاله في الحياة ، وذمها و نقده و الاختلاف معه و بين أخطائه لا يمنع الترحم عليه للاعتبارات التي ذكرتها .
و بدون هذا سنعيش كالعسكر من غلب أو وجد غفلة أو فرصة أجهز على صاحبه، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ومتى ساءت أخلاق المسلمين و كثر بينهم التلاعن و السب فلا تطمع في شيء آخر.
و لعل في هذا التأصيل ما ينفعنا ، قال ابن تيمية ـ رحمه الله ـ في (منهاج السنة)(4/572) : ((وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ أَكْثَرَ الْمُسْلِمِينَ لَا بُدَّ لَهُمْ مِنْ ظُلْمٍ، فَإِنْ فُتِحَ هَذَا الْبَابُ سَاغَ أَنْ يُلْعَنَ أَكْثَرُ مَوْتَى الْمُسْلِمِينَ. وَاللَّهُ تَعَالَى أَمَرَ بِالصَّلَاةِ عَلَى مَوْتَى الْمُسْلِمِينَ، لَمْ يَأْمُرْ بِلَعْنَتِهِمْ .
ثُمَّ الْكَلَامُ فِي لَعْنَةِ الْأَمْوَاتِ أَعْظَمُ مِنْ لَعْنَةِ الْحَيِّ ; فَإِنَّهُ قَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنَّهُ قَالَ: " «لَا تَسُبُّوا الْأَمْوَاتَ فَإِنَّهُمْ قَدْ أَفْضَوْا إِلَى مَا قَدَّمُوا» " (البخاري) . حَتَّى أَنَّهُ قَالَ: " «لَا تَسُبُّوا أَمْوَاتَنَا فَتُؤْذُوا أَحْيَاءَنَا» " (سنن الترمذي) لَمَّا كَانَ قَوْمٌ يَسُبُّونَ أَبَا جَهْلٍ وَنَحْوَهُ مِنَ الْكُفَّارِ الَّذِينَ أَسْلَمَ أَقَارِبُهُمْ، فَإِذَا سَبُّوا ذَلِكَ آذَوْا قَرَابَتَهُ.
وَأَمَّا مَا نَقَلَهُ عَنْ أَحْمَدَ، فَالْمَنْصُوصُ الثَّابِتُ عَنْهُ مِنْ رِوَايَةِ صَالِحٍ أَنَّهُ قَالَ: " وَمَتَى رَأَيْتَ أَبَاكَ يَلْعَنُ أَحَدًا؟ [لَمَّا قِيلَ لَهُ: أَلَا تَلْعَنُ يَزِيدَ؟ فَقَالَ: وَمَتَى رَأَيْتَ أَبَاكَ يَلْعَنُ أَحَدًا؟]

(3) وَثَبَتَ عَنْهُ أَنَّ الرَّجُلَ إِذَا ذَكَرَ الْحَجَّاجَ وَنَحْوَهُ مِنَ الظَّلَمَةِ وَأَرَادَ أَنَ يَلْعَنَ يَقُولُ (4) : {أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ} ، وَكَرِهَ أَنْ يُلْعَنَ الْمُعَيَّنُ بِاسْمِهِ.)

أين يختفي التعصب

يعجز كثير من البشر عن الفصل بين القيمة العلمية لموضوع و بين العاطفة المصاحبة لصاحبه،لأنه يرى نفسه من خلاله ،فيعجبه كلامه مرة ومرتين كأنه لقاءات مودة تتكرر حتى يستحكم منه حبه فيتعصب له و يبغض مخالفه.

وهنا تموت الموضوعية ويموت معها أولوية حب الحق و السعي خلفه، و يفقد العقل السيطرة على نفسه، ويصبح خادما للمشاعر عبداً ذليلا عندها، وقد يتحوَّل إلى عقل يقاتل عن النفس في كل معاركها، مرتزقا بدون أجرة..

إذا ما غالبته الحجج و سطعت في وجهه أنوار الحق و حاصرته البراهين أعطاها الإقرار مقبلا، و الإنكار مدبرا

عندما ينتقل إلى موضوع آخر...

يعطِّل الحب الأعمى كالبغض المنفلت العقل عن وظيفته، و ينهي دوره، نقل ابن حجر ـ رحمه الله ـ في (الدرر الكامنة)(1/215) عن سليمان صدر الدين الشافعي أنه قال: ((كنت إذا سمعت شخصاً يقول أخطأ النووي أعتقد أنه كفر)).

ونقل فيه ـ أيضا ـ أن أبا بكر القالوسي كان متعصّبا لسيبويه، وذكر قصته فقال : ((قال: ورد أبو بكر القالوسي على القاضي أبي عمرو، وكان شديد المهابة فتكلم في مسألة في العربية نقلها عن سيبويه فقال له القاضي: أخطأ سيبويه، فكاد يجن، ولم يقدر على جوابه، لمكان منصبه، فجعل يدور في المسجد ودموعه تنحدر، وهو يقول: أخطأ من خطّأه، ولا يزيد عليها)).

مما يعاب في النقاش وهو من علامات التعصب : تكرار الحجج التي أجيب عنها،الكلام بغير تأصيل واضح ، إيراد ما لا يلزم المخالف.

لماذا الخلل بنيوي ينخرُ أعمدة غلاة التكفير و التجريح؟

قراءة تحليلية في سر تصلب مواقفهم و رفضهم إعادة التفكير في الذات و مبالغتهم في صراع التأويلات

بسم الله الرحمن الرحيم

لو تفحصنا تقنيات التدليل على المذهب الخاص بكل جماعة و أخص بالذكر غلاة التكفير وغلاة التجريح فمصدرهما واحد و خلفيتهما واحدة و إن اختلفوا عمليا لأسباب سياسية بحسب التوظيف و ليس علمية أو عقدية لوجدناها تقنية عصر الضعف التي تولَّدت لدينا في فترات من التاريخ الإسلامي اشتد فيها الصراع بين المذاهب الإسلامية، فمات أي تفاعل أو تلاقح علمي بينهم،في الفترة التي بدأ المسلمون يفقدون فيها أصالة تفكيرهم وواجهتهم مشكلان معرفية ضخمة التبعات معقدة المقدمات ، كمشكلة الكليات ،و علاقة العقل بالنقل،و العقل بالغيب فتأثرت مصادر التلقي و أفرغت من مضمونها بقصد أو عن غير قصد بالنسبة لأهل الشريعة فصيغت هذه المذاهب كرد فعل على ذلك ممن عجز معرفيا عن الجواب الإسلامي القاطع .
كما أن الفترة الممتدة ما بين أواخر القرن الثالث إلى غاية السادس الهجري كانت الكتابات فيها كتابات صراعية مع الآخرين، و هي كتابات مملوءة بروح التعصب و النعرة المذهبية والردود،ففي هذه الفترة شهدت الأمة الإسلامية صراعات فكرية حادة بين مختلف المذاهب الإسلامية تدخلت فيها المصالح السياسية و السلطوية لحفظ التوازن و استمرار النظام السياسي.
ونفس الشيء كان في بداية القرن الماضي شهد الصراع بين الأصالة و العصرنة،بين الإسلام الخاضع للحكم و بين الإسلام غير الرسمي .
فهؤلاء يستمدون فكرهم من فترتين احتدم فيهما الصراع الطائفي و المذهبي: الفترة التي أشرنا إليها، و فترة تكوُّنهم كجماعة في بداية القرن الماضي أو الذي قبله كان فيها المسلمون يعانون من خلفيات الماضي ومن التخلف واندثار العلم ، و ما أعقب ذلك من حملات علمية ضد المخالفين ، ولذلك فهذا المنهج المعاصر منهج صراعات ومواجهات عجز لحد الآن أن يفكر في ذاته و يعيد صياغة منهج أصيل في ركائزه و مرن في تعامله، يتماشى مع متطلبات المرحلة.
وهذا لا يعني ـ خاصة عندما أتحدث عن الفترة العباسية وما بعدها ـ أن الحق كان غائبا ، بل كان موجودا متعاملا مع واقعه متفاعلا معه ومع مشكلاته لكن المشكل في المعاصرين الذين لا يقفون عنده إلا كمواقف فقهية بدون رده إلى كلياته الشرعية

،غير متجردين من زمانه ومكانه، هذا هو سبب تصلب المواقف.
أما سبب رفض مراجعة الذات و إعادة التفكير في مستقبل الدعوة فهو الوثوقية الزائفة و الدوغماطية ،والاغترار بتعدُّد القراءات المذهبية للنصوص، للعجز الواضح عن التحرُّر المعرفي المنهجي من الغرق في الأقوال الكثيرة المتعارضة وردها كقول واحد إلى الكتاب و السنة،فمذاهبنا المعاصرة قائمة على الحشد و السرد السريع و القراءة المبتسرة في غياب العلاقة بالكليات و النظام المعرفي الإسلامي الذي نبعت منه .
مع نوع نفاق اجتماعي كما يسميه الألباني ـ رحمه الله ـ فترى بعض العلماء يفرقون بين المتماثلات فيحكمون على جماعة بالبدعية و بالمروق ولا يحكمون على مصدر تأصيلاتها، و يتعصبون لموقف عقدي/فقهي كالعذر بالجهل مع قيام كل الأدلة المعارضة الباهرة خوفا من محاكمة التاريخ، فقد يكون من قتلته كافرا مستحقا للقتل أو مسلما غير مستحق للقتل بناءً على موقفك من العذر بالجهل ،فأصبح دم المسلم أصلا المختلف في حكمه تبعا وفرعا، لأنه ليس بمشرك أصلي ولو وقع في بعض الشركيات رهناً لمزاج بعض العلماء ،أو لكفاءتهم العلمية على القراءة الصحيحة للنصوص وعدم التأثُّر بأصول المذاهب البدعية، أو لاتستراتيجية الحاكم،أو نوع نظام الحكم ، و هكذا تركوا القضية في الضباب فخرجت منه جميع الوحوش الآدمية المتلبسة بالإسلام و السنة زورا و جهلا.
عجباً لمذهب الموجودات عنده تابعة لإدراكه (تبعية الوجود للمعرفة) ثم يزعم لنفسه أنه سلفي يقول بالكتاب و السنة، نظريا يبدأ بالله موجدا و معلما و عمليا يبدأ بنفسه؟ عجبا لمذهب يخالف الفطرة البشرية السوية كما يخالف الوحي، يخالف الحس الفطري اليقيني، و العقل البديهي اليقيني يزعم أن الإنسان يعلم ويريد ما لا يشعر به؟ فيحكم على المسلم بغض النظر عن شعوره بالشيء و إرادته له ، مذهب مركب من جهليات يعتقد أن ابن تيمية كتب "قاعدة في اللذة و الألم" ردا على أقسام اللذات للرازي ،و"قاعدة في المحبة"، و"قاعدة في الإرادة" تلهياً و إضاعةً الوقت، وربما يقول أحد نبهائهم: هذه فلسفة !
فنقول: صحيح فرضاً و جدلا لولا الأنبياء لكان الفلاسفة أعقل من غيرهم، فأجهل المسلمين بكل فنون العلم خير من أحذق الفلاسفة بفضل إيمانه بالنبوة، فكيف تجعلون

المؤمن بها المعظِّم لها كالكافر بها المحتقر لها؟
و إذا كان ابن تيمية قد كذَّب ما نقله أهل المقالات من وجود طائفة تُسمى" السُمنية" تُكذِّب بالمحسوسات لأنه من الممتنع وجودا أن يُفكِّر الإنسان بله أن يعتقد بعدم وجود المحسوسات لكن مذاهب هؤلاء تؤكِّد وجودهم على الأقل في هذه العصور المتأخرة يُسمَّون أنفسهم سلفية ، خلطوا السنة بالبدعة، عقيدة السنة بعقيدة الخوارج، كما خلط غيرهم عقيدة السنة بعقيدة اليونان و كانوا حفاظ حديث وفقهاء لا يشق لهم غبار،أخذوا قوالب الألفاظ الشرعية ووضعوا فيها المعاني الإغريقية قصدا أو عن غير قصد كما فعل هؤلاء أخذوا قوالب الألفاظ السنية و وضعوا فيها المعاني الخارجية، معاني الشراة الصفرية؟
إذا عجزت عن فهم هذا، فتذكر كل محدث أو فقيه أو مفسر جهمي في الأسماء و الصفات سلفي في غيرها، وتذكر أن قدماء الشيعة كانوا سلفية في الأسماء و الصفات تفهم الخلط و التلاقح ، وكيف يكون الرجل فاقدا للانسجام العلمي شارباً من أصول مختلفة عند عدم إحاطته بالجذور المعرفية و مسالك الأصول و تقاطعها بين مختلف المقالات، تدرك حينئذ حقيقةً كيف يمكن للرجل أن يكون سلفيا في الأسماء و الصفات و التوحيد العملي خارجيا في الأسماء و الأحكام.
لا يمكن الكلام عن داعش بدون الكلام عن مراجعهم و الكتب التي يستشهدون بها نصًّا، هذه هي الموضوعية وهذا هو العلم، كما لا يمكن أن نتكلم عنهم بدون مراجعة التراث و الشرع المؤول مراجعة صارمة فإن الانتقائية وخداع النفس و الغير بها ليس موجودا في داعش فقط و إن فاتوا غيرهم في الجهل و الضلالة.
براءة ابن تيمية من كثير ممن يستشهد به كبراءة الذئب من دم يوسف عليه السلام، يستشهدون بكلام رجل بلاغ الحجة عنده مشروط بفهمها، و إقامتها بدفع معارضها، لا يُفرِّقون بين كلامه في مقام نقد المناهج و التفكير حيث تعتريه الحدة و الشدة، وبين مقام الحكم على الأشخاص ،لا يفرِّقون بين الوصف و الحكم على العين.
يقرؤونه قراءة الجهَّال يقتطعون عباراته من سياقها بدون جذورها المعرفية و أصولها الكلية،حقيقة لا يعرفون الرجل ، هو غريب عنهم كغربة المسيح عليه السلام الذي عند الله عن المسيح الذي عند النصارى.
لم تولد داعش ولادة طبيعية،بل فكرة تلقيح البويضة كان في واشنطن ،و المشفا

مكاتب المخابرات الخليجية ،بعضهم حل بها الأزمة الاقتصادية في الغرب،و آخر يريد تشويه الدين لم يجد أفضل منها، وآخر له حسابات مع إيران الصفوية يحرق فيها الأخضر و اليابس السني قبل الشيعي، يستخف بعقول السفهاء يصنع الجماعات أو يوفِّر لها السبل و المأوى،و يجمعها بأبواقه: شيوخ الدجل أفراخ الجهل، و يدخلها إلى سوريا كمعارضة للنظام النصيري فإذا تغيَّرت المعادلة في مصر انقلب عليها فأصبح يُهدِّد كل من يشيد بها أو يجمع المال لها بالسجن و الطرد و سحب الجنسية و فجأة أصبحت من صناعة النظام السوري !

لسياسة الأنظمة مهما كانت طبيعتها عادلة أو فاجرة ظالمة منطق بحسبها هو الغاية تبرر الوسيلة، قتلوا إخوانهم في الدين و النسب فكيف بإخوانهم في الدين فقط،لكن ما منطق شيوخ الفتنة ، أبواق الجهل،سفهاء العقول ؟

كتابٌ جدير بالدراسة

من أحسن ما قرأت ـ مؤخَّراً ـ كتاب الدكتور عبد الله بن نافع الدعجاني: (منهج ابن تيمية المعرفي).

أنصح كل محبٍّ للعلم،مُهتم بجذوره المعرفية و أصوله الكلية أن يقرأه قراءة معمَّقة ، لأنه ـ فعلاً ـ يُشكِّل الخريطة الإدراكية لمشروع ابن تيمية الفكري،وبه تتضح لك صورته الكلية خاصة للسلفيين الذين يقرؤونه قراءة سردية سطحية مبتسرة، أو لمن يقرؤونه قراءة عدائية موروثة، ستعرف أين موقع الرجل من الجميع.

مع هواجس كاهن النوايا مجنون التبديع

بسم الله الرحمن الرحيم

من سنوات كتبتُ ردا على الشيخ ربيع ـ سدده الله ـ وختم لنا وله بالصالحات مقالا أنزعج له ـ كعاداتهم ـ أتباعه و طالبوا قيادة الصف الثاني بضرورة الرد عليه، و قد كنتُ أنزلته قبل المغرب بساعة فإذا بأحد الإخوة يخبرني أنهم قد انزلوا ردا عليه قبل صلاة العشاء ،فتعجبتُ وقلتُ له: هذا المقال يحتاج منهم على الأقل شهرا ليردوا عليه و استغربتُ الأمر ، وبعد صلاة العشاء ذهبتُ معه إلى مقهى النت ودخلتُ على موقع سباب فوجدت مقالا ذكر في عنوانه اسمي ثم فتحته و شرعتُ أقرأ فيه فلم أجد فيه

كلمة واحدة تتعلق بما جاء في مقالي حتى إذا بقي منه سطران وكما هي عادة القوم يختمون كلامهم بالحشد و الركام قال صاحب المقال: فهذا المبتدع و سمى شيخا ـ كان المقصود بهذا المقال ـ ومن يسانده كالطيباوي .... وختم مقاله.
فقلتُ لصاحبي: لم أفهم: موضوع المقال على شخص وعنوانه على شخص آخر !؟
ففهمت أنهم تحت ضغط الأتباع لم يجدوا بدا من أخذ أي مقال قديم و إعادة تنزيله تحت عنوان جديد من باب الإثبات لأتباعهم أنهم قد ردوا على مقالي؟
هذه هي حقيقة مجانين التبديع مثلهم مثل الكسول الذي لم يحفظ دروسه،و استعد للامتحان ـ ليضق الوقت ـ بحفظ درس النملة فقط،ولكن ـ للأسف ـ وقع سؤال الامتحان عن الفيل،و لأنه آية في الذكاء الذي بلغ غايته فارتد غباء ربط بينهما فقال: الفيل أكبر من النملة ،و النملة هي ...؟
فمع أن مقال جريدة الشروق الذي أزعج مجنون التبديع لم يذكرني ولا علاقة لي به،وحتى كلام الأخ محمود كان متزنا موضوعيا دافع عن السلفية الحقة و خلَّصها من انحرافات مجانين التبديع، وكان فيه نوع دفاع عنهم بالنظر إلى بقية المقالات، وقد أحسن جزاه الله خيرا في نفي مصائبهم عن السنة حتى لا يظن الناس أنهم يمثلونها لم يجد مجنون التبديع حيلة إلا أن يقول: هو من المقربين من الطيباوي، و الطيباوي هو...؟ !
ولو اجتهد هذا المسكين قليلا ورد على المقال و ناقش أدلته أو قام بتوجيهها لكان خيرا له مما صنع فإنه أكَّد ما جاء فيهم في المقال من أنهم سبابة موظفة ..
لقد علم الصغير قبل الكبير أنه لا يوجد ـ في السلفية ـ شيء زائد على ما شرَّع الإسلام، فمتى وجدتم شيئا زائدا فاعلموا أنه بدعة، وكل مقال لا يرد الحكم على الناس إلى الكتاب و السنة فهو كل شيء ألا الدين أو العلم .
فالرد عندهم ـ غالبا ما يكون ـ متموجا متذبذبا ليس القصد منه إدراك الحقيقة و تعظيم العلم و المعرفة ،ومن هنا كان الكلام عندهم كما عند أصحاب السفسطة أداة إقناع تحمل على الاعتقاد و الظن دون أن يعير اهتماما للحق و الباطل،فعندما يغيرون اتجاه الكلام مع أتباعهم عن خصومهم فهذا تحويل للعلم و قصد الحق إلى موضوع كلام لا يوجد فيه مكان لتمييز الدليل الصحيح من الفاسد و للدليل من المدلول بل تضمحل الحقيقة العلمية في التشقيقات الكلامية و المواضيع الفرعية الأجنبية عن محل النزاع

كالسب و الاستشهاد بالفحَّاش.
وهكذا يمارسون سلطة على عقول أتباعهم من خلال شحنهم بأكاذيب تغمر جانبهم العاطفي ببغض خصمهم و الحنق عليه فيؤثر ذلك على حكمهم و تمييزهم بين الأقوال ، فالإقصاء ليس سببه العلم و الحجة ولكن العاطفة البغض و الكراهية لذلك يظهر في صورة السب.
ومن حيلهم التي ملت نفسها : أنهم يصوِّرون خصمهم مبغضا للسنة عدوا لها محبا للمبتدعة و البدعة و لذلك يركزون في أي قضية علمية ولو كانت رياضيات وفيزياء على أنه يثني على المبتدعة ويقع في أهل السنة لأن المبتدعة عندهم هم خصومهم ولو كانوا أعظم في السنة منهم ،و أهل السنة جماعتهم وحلفهم ولو كان فيهم من البدع ما كان.
وعليه، فالردود عندهم :تشتيت المسائل بتسليط جهالهم في المنتديات، مجرد تقنية لا يمكن أن تنتج إلا الجهل و الفحش؛ لا يهمهم ذلك، المهم الرد على الخصم أما الكيفية فلا عبرة بها فمن يقدر على الرد و تسطير أسود على أبيض ولو كان كذبا ويكثر الكلام الفارغ هو من يمتلك السلطة على الأتباع لأنه يمتلك لغة التضليل و بلاغة التمويه و الكذب وصنع الحقائق الزائفة من خلال الترديد و التكرار،إنها سفسطة محضة وقرمطة في الأدلة قحة.
فالمنتهض منهم للرد على المخالف صاحب الحجة ليس مطالبا في عرفهم بتقديم المعنى و العلة و الدليل بل بالطواف و المراوغة حولهم، هو فن تلبيس الأغلوطات شكل دليل يجعل أسوأ الكلام و أقبحه يبدو لأنه زُين في البداية بكلام مشترك عن ذم البدعة ووجوب الرد على المبتدعة وبعض الآيات و الأحاديث والنقول عن العلماء كأنه أحسن الكلام و أعظم الأدلة.
هذه حقيقة القوم لا يحسنون حتى السب؛ فما باله يتجنّن ويتصارع ويزبد، لا دواء له، لشدّة ما ينزل بنفسه، وحتى يتعجب من بقاء مثله على مثل علّته.

الحرية:
أن تتحرر من الأحكام المسبقة فغياب الحكم المسبق يسمح بتقدير الشيء على حقيقته.

ما بعد السلفية ؟

سؤال "المابعد " سؤال يتناول فلسفياً الظواهر المحدودة، الأفكار المنتهية الصلاحية؛ هو سؤال يفرض نفسه عندما تبلغ فكرة أو حركة علمية أو سياسية نهايتها.

هو سؤال عن فشل فكرة في الاستمرار، عن فشل المحاولة، و بالتالي هو سؤال عن فساد هذه الفكرة ـ على الأقل في منهجها العملي ـ بالتضمن.

لا يمكن أن نقول: "ماذا بعد السلفية" إلا أن كنا نقصد الانتقال من مركز صناعة الفكر و الحدث السياسي في حياة الناس إلى حواشي و زوايا صناعة الثقافة و الحضارة.

أقول هذا لأني لم أجد في القراءة التي استفدتها من أحد نقاد كتاب" ما بعد السلفية" ـ الذي لم يحصل شرف الحصول عليه ـ التفريق بين اشتهار الفكرة وبين انتشارها وقبولها، بين الانتشار في حدود أن لكل جديد قوة انطلاقة وبين الانتشار الفعلي عدديا.

السؤال عن ما بعد السلفية فيه نوع ضبابية،وهو كثير الاهتزاز إذ يجتزئ السلفية من الحركة الإسلامية ككل، وربما السلفية بحكم تنوع صورها ستكون أقل المتضررين من سؤال المابعد، فكان الأولى أن يسال عن ما بعد الجماعات الإسلامية ،فان الانحسار و الانكماش إلى الحواشي أصاب كل الجماعات إذا قصدنا المد الفكري ووتيرة الانتشار ووقع الإخفاق السياسي على الرصيد.

ما بعد السلفية هو ما بعد معرفة الطريق الصحيح، على الأقل معرفة بدايته و اتجاه الغرض،لا يجب أن نخلط بين صلاحية أصل الفكرة و أخطاء التجربة،فإن الفكرة السلفية في عمومها صالحة ولزالت تملك مقومات الإغراء و الجذب.

وكون بعض صور السلفية ستنحسر لا شك في ذلك، بل الانحسار بدأ من مدة، و المقصود بالانحسار في مقابل قابلية الفكرة للرواج، لأننا لا يجب أن نخدع أنفسنا فالسلفية في كل البلاد الإسلامية باستثناء السعودية لم تستهو السواد الأعظم من الناس، و ظلت في طبقة معيَّنة من الناس، وفي حدود ضيقة فالقوة كانت في اشتهار الفكرة و تعرُّف الناس على توجُّه ديني يُسمَّى السلفية، و ليس في مدى الانتشار.

لا شك أن بعض صور السلفية ستنتقل إعلاميا إلى الزوايا و الحواشي، أما السلفية الإصلاحية التي بدأت تمتص الصور الأخرى فهي في بدايتها ،وكل الظروف مهيئة لها إذا ما نجحت في معالجة مشكلة الاشتباه بينها وبين الصور الأخرى.

و الإشكال في الكتاب و في النقد الموجَّه له سويا هو الخلط بين السلفية الحديثية و

السلفية النجدية ، وضعف الانتباه إلى عملية الفصل العضوي بينهما التي تجري الآن،و التي بدأت يوم تدخلت المؤسسة الدينية السعودية الرسمية في الصراع حول الأسماء و الأحكام بخلفية مذهبية قطرية بعيدة عن الموضوعية و فاقدة لنضج التعامل في معالجة مثل هذه القضايا العلمية ففقدت من منزلتها عند المتصارعين ،وهذا الفصل هو الآن أشد قوة من ذي قبل، و سيبلغ أوجه عند ما تضعف ظاهرة داعش عسكريا.

الكتاب في الحقيقة بحسب ما نقل عنه ناقده عالج الموضوع بطريقة جيدة، لا نتفق معه في غياب معايير واضحة تفصل بين سرد الحدث وبين تفسيره،وكثير من جزئياته قابلة لتوجيه مخالف لما ذهب إليه المؤلف، أما النقد فإنه و إن حاول الظهور بالحياد المنهجي إلا أنه بقي عالقا في خلفيته، متذرعا بالتأويل، مبررا الأخطاء بالتصور النجدي التقليدي الأول، وهذه المشكلة التي أثارها الكتاب، أعني: هل تتحمل السلفية تعدُّد التأويل؟

فقد كان السبب المباشر للتشظي سجن القيادة العلمية في صراعات داخلية.

ما بعد السلفية (2)

ينظر لهذا الكتاب بنظرتين: 1 ـ نظرة إلى مختلف الجزئيات و الأحداث و الواقع و المؤثرات و الخلفيات التي يخضع لها الكاتب نفسه قبل القارئ،وهذه ستختلف القراءة حولها،فمثلا اختلف المؤلف مع بعض النقاد حول مصدر الإشعاع السلفي (التأثير و النشر) ففي حين يرى المؤلف أن مصر كان لها تأثير في انتشار السلفية يرى غيره غير ذلك؟

و الحقيقة أن هناك مؤثرات ومشارب مختلفة أغفلها المؤلف و بعض نقاده، فلمصر تأثير في السلفية في البدايات الأولى حيث كان لمحمد رشيد رضا تأثير في شخصيات أمثال الألباني وهو نفسه كان متأثرا بمحمد عبده، وكذلك كان ابن باديس متأثرا بالطاهر بن عاشور و الشيخ النخلي التنوسيين وبمحمد رشيد رضا ،و خاصة بمحمد عبده،فهذا التأثير المصري الأول ، ثم جاء تأثير سيد قطب في السلفية النجدية بالضبط، للتوافق العقدي في مسائل التكفير و الحاكمية ،فهذا هو التأثير المصري.

ولعل المصدر الأساس للتأثير السلفي في غير السعوديين خاصة في المصريين و

المغاربة كان شاميا بداية من الثمانينات يعني من عند الألباني، وهذه سلفية حديثية تقاطعت مع السلفية النجدية في قضايا كثيرة يمكن أن نقول أن العامل الجامع بينهما كان ابن تيمية.
فمن حيث التاريخ هناك مؤثرات في السلفية غير سعودية كثيرة، كما هو الحال مع أهل الحديث في الهند، وكذلك السلفية الباديسية في الجزائر، فإن مشاربها جزائرية بامتياز إذا كان المقصود: التوحيد العملي ومعارضة التصوف الكشفي، وهذه سلفية أشعرية تحوَّلت بعد انتقال ابن باديس ـ رحمه الله ـ إلى الحجاز إلى سلفية مستقلة عن المذهب الأشعري.
كذلك الاختلاف حول تمويل المد السلفي،فقد اتجه المؤلف نحو عفوية الانتشار السلفي و أنه لم يكن بفعل المال السعودي ،وهذا صحيح إلى درجة كبيرة، لكنه لا يمنع أن القنصليات السعودية كانت توزع المناشير و الكتيبات و تدعم بعض الجمعيات، ولا عيب في هذا لأنه لا توجد دعوة انتشرت من غير مال حتى الدعوة النبوية احتاجت إليه و استعانت به حتى دخل في واجباتها المالية في حصة المؤلفة قلوبهم.
يبقى أن نبحث عن دور الأنظمة هل كان تسهيلا وتمويلا بطريقة ما لتيار سلفي لمواجهة موجة الاضطراب التي شهدتها البلاد العربية، أم مجرد تقاطع مصالح ؟
2 ـ نظرة كلية للمسار السلفي بغض النظر عن مشاربه و خلفياته ، وهنا لا تهم الجزئيات و الاختلاف حول قراءة التاريخ لأنها معاينة مستقلة عن النظرية ،وفي ظني لا يجب أن نتهم المؤلف بأنه أراد من كتابه هذا إقصاء بعض صور السلفية على حساب سلفية/إخوانية ،تتخلى عن التكفير و التجريح لصالح الحوار العلمي و العمل السياسي،بل هو ما خلص إليه من النظر إلى واقع الحال .
وعليه كان يجب على المعترض عليه دفاعا عن هذا التيار أو ذاك أن ينظر في المعاينة في حد ذاتها وهل يمكنه مخالفة الكاتب في أن السلفية في طور الانتقال من المركز إلى الحواشي عمليا؟
و أنها تعاني شرخا داخليا خطيرا، فهل هي عملية توالد جديدة و تغيير الجلد لتخلف نفسها، أم هو غلبة التيار الإصلاحي الذي بدأ يجر إليه بقية التيارات بشكل ملفت؟
الأمر الأول في غاية الصعوبة و الأمر الثاني في بدايته، ولا أظن أنه يوجد فكرة أو تيار لا يستمد من السلفية الأصلية قادر على تعويض السلفية إلا أن يكون نابعا منها،

يأخذ ببعض ما انتهى إليه المؤلف .
و لهذا من المفيد أن نلحظ أن السلفية النجدية تعاني من انكماش ملحوظ داخل معقلها، و قد حكمت على نفسها أن تعود إلى المساحة الضيقة يوم فقدت عند الناس صورتها الوسطية المتمثلة في السلفية الحديثية.

ما بعد السلفية (3)

أولا يجب أن نقول ـ وهذه من المفروض بديهة ـ أن الإنسان يتكلم في الأمور بحسب وعيه بها وعقله لمسالكها و حدودها، المبني بدوره على إدراك المعلومات القائم على شعوره بها ، فما لم نشعر به لا يمكن أن نلاحظه فضلا عن أن نخوض فيه بآرائنا، فالأحياء الصغيرة كالمكروب تعيش في قطرة ماء تشكل عالمها بينما هناك عوالم أخرى أكبر.
ومن هنا أقول أن المؤلفين لكتاب " ما بعد السلفية" قد تكلما بحسب وعيهما بواقع حال السلفية ضمن محيطها وبيئتها و تابعا مختلف تحولاتها،فجاء كتابهما تعبيرا عن شعور و إدراك ووعي بموضوعها قد نختلف معهم في جزئيات المقدمات لكن لا يجب بحال أن نتلقف هذا الكتاب بوعينا و إدراكنا الخاص إن كان أقل من وعيهما و إدراكهما ،فإما نجاريهما في هذا وحينئذ يطيب الكلام معها بعلم و إنصاف وواقعية علمية، و إما نلزم الصمت فهو ليس من شأننا، فالحكم فرع عن التصور.
ثانيا: انتقال النخبة السلفية المهمومة بواقع الأمة و مستقبلها المعرفي و السياسي إلى الاهتمام الفعلي بالفكر المعاصر، من المنابذة و رد الفعل العاطفي و التعرُّف المجمل إلى الغوص في أعماقه و الاسترسال مع قضاياه لا شك سنترك فيها ريشنا ،و أقصد هنا تجريف المحتوى السلفي من مضمونه كما هو شكله الحالي أمر لا مفر منه وهو ثمن مقبول فهذا أعظم الجهاد الذي ستقبل عليه الرموز السلفية الواعية و المجاهد حينما يخرج للقتال لا يضمن العودة سالما فهكذا سيكون الأمر سيقتنع بعضنا بالعلمانية ، و سيتأثر بها بعضنا بطريق مباشر أو غير مباشر ،وهذه تضحيات لا يمكن اجتنابها، كما لا يجب أن نقيم أعمالهم بمنظار الإدانة ، فهذا هو حال من يقاتل عدوا أقوى منهم بسلاحه .
فهاهنا إشكالية المكنة ونحن أمام صنفين من السلفيين : صنف بدأ مفكرا متفلسفا متمكنا من الثقافة الغربية تحول في مستوى معين إلى السلفية ، فهو متمكن من الفكر

المعاصر ضعيف في العلوم الشرعية ،و صنف هو العكس تماما، نشأ سلفيا و بحكم الاهتمام و درجة الوعي العالية أقبل على الفكر المعاصر ولم يتمرس فيه جيدا .
وهذه مرحلة و تضحيات لا بد منها، يحترق مائة من الصنفين لنصل إلى الصنف الثالث وهو المتمكن بقوة من المنهجين و المصدرين،هنا فقط تبدأ صياغة النظريات الإسلامية الحقيقية المتعلقة بالسياسة و النهضة و الحضارة الإسلامية الجامعة بين الديني و الكوني أما الآن فتصورنا السياسي للدولة المعاصرة و مختلف الإشكالات المتولدة عنها أشبه بقبو وضع فيه أجدادنا و آباؤنا متاعهم فهو إما قديم رث لا يقوم بالحاجة، و إما يحتاج إلى ترقيع و تجديد ، و إما نحتاج إلى صناعة أثاث جديد يتماشى مع حاجيتنا .
فيما يخص أدوات المعركة فإننا لا نملك رفاهية الاختيار، هي معركتنا مع العصر هي معركتنا مع أنفسنا قبل كل شيء،هي معركة مفروضة علينا ،و السلاح متوفر يحتاج فقط أن نلتقطه و أن نرفع عن كاهلنا الطائفية المقيتة التي تسجننا، و القرآن هو رصيدنا ، في تراثنا مادة غنية جدا تحتاج إلى استكشاف و تحقيق و إعادة صياغة لغوية،لأن أدواتنا يجب أن تكون اللغة العلمية الفكرية المعاصرة، أما الإستراتيجية فتصنعها الهزائم و الإخفاقات .
وفي ظني الوعي بهذه القضية موجود عند بعض النخبة السلفية و غير السلفية ،فمن يتتبع ما تنتجه مراكز الدراسات يلمس هذا التوجه، الإشكال هو أن تقتنع النخبة المكتفية بالعلوم الشرعية في الصورة التي وصلت إلها أن عمل هذه الطائفة بالغ الأهمية ، و ليس من المفروض أن يوضع في مجابهة مع التراث و مع المدارس التقليدية بل هو تعدد واجبات، و حينئذ سيسيل الماء في اتجاه واحد ، علينا أن نراجع نظرية التكامل في أبسط صورها.
أنا شخصيا عندما أتعرَّف على مثل هذه المواضيع التي طرحها كتاب " ما بعد السلفية" وغيرها من البحوث الأخرى من هذا الجنس أستبشر خيرا و أيقن أن القادم أفضل، أتمنى فقط أن ينتشر هذا الوعي بين شبابنا.
يبقى أن أقول: السلفية الإصلاحية لا أقصد بها السلفية العلمية ،و إذا كانت السياسة أم القضايا العصرية فالتقسيم بحسبها يكون إلى سلفية سلطوية أو لا سياسية ، و سلفية ثورية ، و السلفية الإصلاحية هي المقتنعة بجدوى الإصلاح ، و الذي لا يفرض

مسبقا أن العمل السياسي شيء ضار بامتياز،و أننا بغض النظر عن الشعارات لا نملك حاليا تصورا كاملا ، قوتنا في الدعوة لكننا نحتاج أن ننتقل إلى كل المساحات .

الآراء بين منهجين: التوفيق و التلفيق.

أكثر المذاهب انتشارا و استمرارا هي المذاهب التوفيقية و المذاهب التلفيقية ،لأن أكثر الناس لا يميلون للتدقيق العلمي،و تحب أنفسهم التقريب كما تنفر من الاختلاف، يختارون ما يحسبون أنه وسطية ،وهكذا تنتشر الآراء التوفيقية، وهي آراء تجمع ما بين مذهبين مختلفين،تأخذ من كل مذهب قطعة و تصنع مذهبا جديدا،وقد يكون التوفيق بينهما حقيقيا ،و قد يكون تلفيقيا على قاعدة:" لا تجوع الذئب ولا تغضب الراعي".

هذه حقيقة بعض الآراء المنتشرة على النت وفي الكتب ، يهمُّها عدد المتابعين أكثر من اهتمامها بإحقاق الحق ،و لهذا تغيب عنها لغة النقد المدين للفكرة الباطلة، فيزهو الباطل تحت عباءة "الرأي الآخر"، و يحجز مقعده إلى جوار الحق صديقين حميمين لأن أحدهم لا يفرِّق بين إدانة الفكرة الباطلة و تنفير الناس منها ببسط حقيقتها و بين إدانة صاحبها.

دع حياتك الشخصية في بيتك.

العبارات الرنانة المجتزئة الجاذبة على مواقع التواصل في شكل توقيعات لا تصحِّح الفهوم، ولا تقوِّم النظريات، يستعملها الغرب للتواصل السياسي و الاجتماعي في ظل قيمه الأخلاقية ، ولإظهار المواقف الشخصية المختلفة، لا لبناء النظريات العلمية ، و نقد المذاهب.

وليس من الأدب الإسلامي أن نتحدث في هذه المواقع عن أمورنا الشخصية داخل بيوتنا، عن اختياراتنا الحياتية كما يفعل الغربيون ، فأية رغبة أو شهوة للقارئ نلبي حينئذ؟

لو كنا مصدر تشريع و قدوة شرعية لفهمنا الأمر ؟

يجب أن نفرق بين عملنا و حياتنا، فلا ننقل العمل إلى البيت، و لا البيت إلى العمل ، لنتواصل بالمشترك العام الذي دخلنا من أجله هذه المواقع،وهو التعرف

الإيماني،تبادل العلم و المعرفة، و لنترك الخصوصيات في مجالها فلسنا غربيين، لنا قيمنا و أدبنا؛ هنا نظهر القدرة على تكييف المنتج الغربي حسب خصوصياتنا و حاجتنا.

لا تقل [قبل الامتثال]: لمَ أمر الله و لكن قُل: بمَ أمر الله ؟

ليس في الإلحاد تجد الجواب

بسم الله الرحمن الرحيم

بحسب تجربتي تبدأ المصائب في الأحباب تنهال على الإنسان في الغالب عندما يتجوز الثلاثين قبل ذلك يغلب على حياته العافية و الفرح و البهجة ولو في فقر، تعكِّرها تجارب عاطفية في الصداقة و الزخات الأولى لخواطر الحب مع إخفاقات دراسية أو مهنية ، لكن البلاء الحقيقي الذي يكون بعد الثلاثين ، هنا يزداد تعلق الإنسان بالبحث عن أسبابه ومحاولة فهمها، فيبدأ يفتش في حقيقة الحظ و الصدفة، و يصير حاله كخشبة تافهة تسوقها أمواج بحر عاتية إلى حيث لا يدري ،وهي ترفعه تارة و تخفضه أخرى يمحق نفسه و يفقد كبرياءه.

يبحث في أعماقه عن علة تصلح للحكم الذي نزل به، يفتِّش طيات ماضيه، يقيس نفسه بغيره، ثم يدخل مرحلة تبرير أفعاله، يتأوَّل لها ليجعل الأمر خارجا عن طاقته، يرسم بدقة العبقري المخارج حتى ينتشي بالنتيجة لأنها في الغالب يرافقها قدر جديد، مدد من الله فيه مسرات، رحمةً منه عندما يبلغ عقل الإنسان أقصاه ، وتوشك النفس على القفز في بئر اللامبالاة أو الإلحاد، فيظن حينئذ أن الأمر قد انتهى، هذه بداية حياة جديدة، مكتوب جديد؟

ثم تبدأ دورة جديدة من الصراع مع نفسه، تنتقل فيه المعركة من زوايا نفسه المظلمة التي لم يسبق له زيارتها ،إلى أغوار الفضاء، إلى فعل الله،حيث تتشابك الخيوط ويسحق حكم الله كل علة و سبب، ولا يبقى من صور الكون ماثلا بين عين المسكين إلا إرادة الجبار القهار فيعجز بدون معونة الشرع عن فهم المجمل منها، يراوده الإلحاد حتى يخشى على نفسه منه إن كان مؤمنا،يحاول أن ينتشلها من اللوم، كالغطَّاس يقطع النفس و يصمد في أعماق الشكوك، يتشبث بإيمانه قدر المستطاع ، لكن الخيط رفيع ،و اليقين تآكل مع البلاء، وممرات تفسير الكون لا نهاية لعددها، أُيها

يسلك؟ ، تتهاطل عليه الأسئلة التي لا إجابة عليها، يأبى باطن عقله الاسترسال معها لأنه مربوط بالبديهة و الضرورة،و البديهة أقوى من أي سؤال لا جواب عليه، فهذه الدقة المتناهية الدقة التي اكتشفها من نفسه ،و من هذا الكون:عظمة الخلق ودقة تفاصيله يذوب معها العقل في تتبع مسالكها ، فلا يبقى منه إلا الضرورة: لكل فعل فاعل، ويجب أن تتوقف سلسلة الفاعلين و إلا كان الجنون و استحال الوجود.

وهنا يغتنم الشيطان فرصته و يلقيه في الحزن على الماضي و التأنيب على الاختيارات و الشك في الفعل الإلهي في جدواه وعدالته ، و سلاح الشيطان الوحيد هو محاكمة فعل الله إلى رغبتك الجامحة في السعادة وطرد الهم وفي السلامة من الآفات و المحن، يريد أن يبعدك عن ركائز الإيمان بالتضليل في التفاصيل، ولن يكون خلاصك في إيجاد الجواب التفصيلي لجزئيات حياتك لأنك لن تجده في هذا العالم،هو في عالم آخر يحتاج إلى عقل آخر، إلى معاينة اليقين في عالم الملكوت حيث تقف ذليلة كل الأسباب المادية عند عتبة الحسن و البهاء و الجمال في فعل الله فلا تجهد نفسك ،الحل هو في إدراك عظمة الفاعل و صفاته .

أن تعرف أنه يحب خلقه لأنه يحب صفاته، و أنه لا يريد إلا ما يحبه محبة عامة، ولا يريد إلا لحكمة محبوبة لديه فلا يفعل عبثا، ولا يظلم مثقال ذرة، لا يريد بك ومنك إلا خيرا.

الشيء الوحيد الذي تفهمه في هذا العالم السفلي هو فيزياء نفسك: شهواتها و حبها وغضبها و أحوالها، و أنها خاضعة لمدار رسمه الخالق الحكيم كما يخضع كل جرم سماوي لكتلته و لجاذبية أكبر منه، لا يدور في مدار يختاره هو، كذلك أنت حياتك في أمر الله: حكمه الشرعي و ليس في حكمه الكوني.

على قدر معرفتك بالله يكون تعظيمك للرب تعالى في القلب، وأعرف الناس بالله: أشدهم له تعظيما وإجلالا.

وقد ذم الله تعالى من لم يعظمه حق عظمته، ولا عرفه حق معرفته، ولا وصفه حق صفته: { مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا }[نوح: 13]

معناه: لا ترجون لله عظمة، ما لكم لا تعظمون الله حق عظمته، لا تخافون لله عظمة؟ ابن القيم؛مدارج السالكين.

يعرف المخلوق الضعيف الفاني الله من طريقين: من طريق آياته في الكون، و ما

يكشفه لنا من الغيب في النفس و الآفاق، ومن طريق الخبر الشرعي.
{أوَلم ينظروا في ملكوتِ السَّماوات و الأرضِ وما خلقَ الله من شيءٍ} [الأعراف]
{قلِ انظروا ماذا في السَّماوات و الأرضِ،وما تُغني الآياتُ و النُّذُرُ عن قومٍ لا يؤمنونَ} [يونس].
مجرتنا:مجرة درب اللبان(La Voie lactée)، قطرها أكثر من 100 ألف سنة ضوئية ، تحتوي ما بين 200 و 400 مليار نجمة أو 234 /مر نجمة ، فيها 4 /مر شمس ، على الأقل 100/ من تشبه شمسنا.
تنتمي مجرة اللبان إلى مجموعة مجرات تسمى" المجموعة المحلية"(Groupe local) يحتوي مجرتين كبيرتين: مجرة اللبان و مجرة أندروميدا، وحوالي 25 مجرة صغيرة قزمة (galaxies naines).
المجرات القزمة التابعة للمجموعة المحلية،الأقرب من مجرتنا هي مجرة الكلب الكبير(Grand Chien) تبعد عنا حوالي25 ألف سنة ضوئية، و42 ألف سنة ضوئية عن مركز مجرتنا،تتبعها مجرة (galaxie du Sagittaire) بحوالي80 ألف سنة ضوئية ثم غيمة مجالان الكبرى(Grand Nuage de Magellan) و الغيمة الصغرى(le Petit Nuage de Magellan) بحوالي 179 ألف و 210 ألف سنة ضوئية.
وهذه المجموعة المحلية هي نفسها تابعة إلى تنظيم نجمي أوسع " ركام مجرات" يسمى "ركام العذراء"(amas de la Vierge) هو نفسه في وسط تنظيم نجمي أوسع "فوق ركام" (superamas) يسمى " فوق ركام العذراء"(superamas de la Vierge).
وهناك مجموعات مجرات أخرى تابعة لركام العذراء مجاورة للمجموعة المحلية،من ضمنها "مجموعة مافي(Maffei) ومجموعة(M81) ومجموعة النحات (groupe du Sculpteur.) .
تبعد الشمس حوالي 26 ألف سنة ضوئية عن مركز المجرة،وعن الأرض مسافة (149 597 870 km1) وهي وحدة قياس فضائية (ua) يستغرق الضوء للوصول إلينا 8 دقائق و19 ثانية .
تبلغ الطاقة المنبعثة منها في كل ثانية ما مقداره انفجار 400 /من قنبلة نووية.

ـ الثقب الأسود (trou noir) أنواع، ينشأ بعد انهيار جاذبي لنجم ضخم، يسمى حينئذ (trou noir stellaire) ، الثقب السوداء الموجودة في قلب المجرات تبلغ كتلتهم بعض ملايير المرات كتلة الشمس،(trou noir supermassif) أو (trou noir galactique)،وهناك:(trous noirs intermédiaires)،و(trous noirs primordiaux).

بعض هذه الثقوب السوداء يختزن طاقة قدرها 20 /من شمس،ولا ندري ما وراء ذلك،(وَما قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ وَالسَّماواتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحانَهُ وَتَعالى عَمَّا يُشْرِكُونَ) [الزُّمَر: 67]

هذا خلق الله ،ومع ذلك تبقى عظمة الله بعيدة عن تصورنا، عجزنا عن تصور عظمة خلقه فكيف به؛ جاء في الحديث " أُذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ مَلَكٍ مِنْ مَلَائِكَةِ اللَّهِ مِنْ حَمَلَةِ الْعَرْشِ، إِنَّ مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ إِلَى عَاتِقِهِ مَسِيرَةُ سَبْعِ مِائَةِ عَامٍ " وما قدر السماوات إلى عرشه إلا كحلقة ملقاة في فلاة كما في الأثر" مَا السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ فِي الْكُرْسِيِّ إِلَّا كَحَلْقَةٍ فِي أَرْضٍ فَلَاةٍ، وَفَضْلُ الْعَرْشِ عَلَى الْكُرْسِيِّ كَفَضْلِ تِلْكَ الْفَلَاةِ عَلَى تِلْكَ الْحَلْقَةِ " ، فكيف به هو سبحانه، لا نحصي ثناء عليه هو كما أثنى على نفسه.

فعن أي تعليل لأمره أخي تبحث؟

و أي قدر و قضاء قدَّره و قضاه تريد أن تفهم أسبابه و لوازمه وعواقبه؟!

استسلم أنت لا شيء في عظمته؛من الممتنع لذاته أن يحيط علمك بشيء من علمه إلا بما شاء فكيف بعلمه كله .

يكفيك أن تعلم أن من هذه عظمته رحمان رحيم، عادل، لا يظلم مثقال ذرة، حليم يعفو عن الإساءة، و يجازي عن الحسنة.

لا يمكن أن يفهم من عرفَ بعض اللوازم فِعلَ من عرف كل اللوازم إلى نهايتها، هذه حقيقة فلا تدع الشيطان يخدعك.

كبت التساؤلات ؟

في منشوري الأخير ،ولم أتمه يمكن متابعة تسلسله عند ابن القيم في (مدارج السالكين) في منزلة" تعظيم الله " ففيه بقية صور التعظيم ـ تعظيم الخالق الآمر، تعظيم الأمر و النهي ، وتعظيم الحكم الكوني قدمتُ الله بتعظيم الخالق بعظمة

خالقيته،ويبقى أن نذكر تعظيمه كخالق بتعظيم هذه الصفة بالحديث عن حقيقة التفريق بين الخالق بالقوة و الخالق بالفعل بالسؤال عن معلوماته و إرادته هل هي فيما مضى بالفعل أم بالقوة، لكن هذا له موضع آخر.

و المقصود أني خلال مناقشتي مع بعض الناس ممن يعاني موجة إلحاد اكتشفتُ أن بعضهم يأتيه ذلك بعد أزمة نفسية و أنهم أنواع و بعضكم لم يجرب ما جربوه و قد يتحرج من التساؤلات الباطنة التي ترد عليه و يستمر في الحياة بإنكارها.

كبت التساؤلات الباطنية لا يعني أن إيماني صخر صلد، وفي الناس من يفكر و تطلب نفسه الإيمان بدليله لم يعطل وظائف نفسه المعرفية ، فالعلم إدراك ذاتي يعني نفسي و النفس في وظائفها المعرفية بين الحالات الانفعالية (الإحساس الباطني) وبين الحالات الفاعلية (الإرادة) و الحالات العقلية (التفكير)،و غاية المعرفة : اليقين، فتبدأ بالشك أو التساؤل ثم الظن ثم العلم ثم اليقين وهذه مراتب المعرفة الاستدلالية،و أول درجات العلم و العقل : الشعور النفسي يعني الحالات التي تنتاب الإنسان، و أهم ما يعتني به الإنسان هو حالات وجوده الفقر و الغنى، السعادة و الشقاء، البهجة و الحزن، ومصيره الدنيوي و الأخروي.

و هذا الإدراك الذاتي في أنفسنا يتفاعل مع الواقع و يصطدم بمشكلاته فيلتقط العلامات و القرائن التي بثها الله في الحق الموجود،و الحق المقصود ، فالعقل يبدأ باكتساب المعرفة عن نفسه وعن محيطه وعن خالقه ثم يسعى لإنضاجها،فكلنا يبدأ بالمعرفة التلقائية ولكن منا من يقف عندها ومنا من ينتقل منها إلى التأملية الاستدلالية.

وكلامي هنا يفرق بين عقل تلقائي النزعة في سعيه للحقيقة يكتفي بالرصد السريع و بالتقليد حتى في المشاعر و المكنونات،يكبت تساؤلاته، وبين عقل لا ينكر ذاته ووظيفته، تأملي يهتم بفلسفة السؤال، ويقف عند مفاصل المشكلات العلمية و النفسية و الاجتماعية و غيرها بمنطق التحليل و التركيب ، الحقيقة عنده ليست مجرد سيل من الحقائق متدفق من خارجه، بل هي نظام معرفي داخلي حدود المعارف الشرعية، منسجما مع الحقائق الكونية كما هي في واقعها عليه أن لا يتعدى طوره و يضيع وقته و نفسه في البحث عما هو خارج مجال إدراكه.

تردد الصواب

بسم الله الرحمن الرحيم

في أحيان كثيرة يتردَّد الصواب بين الطرفين المختلفين،هذا ينظر لجهة و الآخر ينظر للجهة الأخرى مثل مسألة القدرة عند المعتزلة و الأشاعرة،و لأن ثقافة النظر إلى الضفة الأخرى تدخل عندنا في الممنوع الممتنع لذاته لأن الحق حطَّ ركابه عندنا، وفي الممتنع لغيره لأن المخالف جمع تلابيب الباطل ومحض الخطأ.

أحيانا يكون أحدنا مصيبا في الوقوف عند الكلية، و يصيب المخالف في الوقوف عن الاستثناء، ولأن خلافنا في الغالب مطبوع بقصد المغالبة لا تنفع الكلية و يضيع الاستثناء، مثل وقوف بعضنا عند شرور السياسة العملية، ووقوف غيره عند الحاجة إليها، فالأول ينظر إلى أخطاء التجربة و يحكم بها على المبدأ، فيحاكم النهاية بأحكام البداية ، و الثاني ينظر إلى صوابية المبدأ و شعوره بضرورته مهملا سلبيات التجربة لأنه في الغالب لا يراجعها و يكرر نفس الأخطاء السابقة.

لا الأول يساهم في تقويم الثاني و يساعدها على تطوير أداءه، ولا الثاني يستمع بعقلانية للأول، الكل جامد على موقفه.

هكذا هي أكثر المسائل عندنا الصواب فيها موزع على الطرفين، هذا معه جزء والآخر معه جزء و لأن عقلية الاستماع عندنا ينقصها القصد البريء تشتعل المسائل البسيطة و تصير معقدة و ينكر كل طرف ما مع الآخر و يتحاربان .

ومن التجربة إذا تجرَّد العبد من عاطفته و نظر في كلام مخالفه استفاد في تقوية موقفه وفهم مخالفه ووجد مساحة يقترب فيها إليه.

لأنه دائما ما يكشف النقاش من الجوانب و الأوجه ما يعجز عنه العقل عند تصور المسألة بمفرده،و لذلك قالوا: من النقاش تنفجر الحقيقة، و النقاش يقرب المختلفين، و النقاش يزيد في ذكاء المرء... الخ.

اليمن

إذا فرح أهل السنة في اليمن وكل مظلوم فيه ـ وهم أعلم بحقائق الأمور في بلدهم ـ فإنا نفرح لفرحهم، و ندعو الله أن يمكنهم ليحيوا في بلدهم تحت سقف العدل.

و ينصر الله من يشاء بمن يشاء ، و يسعى الناس لمصالحهم فيقضوا مصالح غيرهم، ونرجو من الله أن تكون المقاصد منصوبة إليه خادمة لأمة نبيه صلى الله عليه و سلم

،و أن يعم الاستنصار بين أهل السنة سائر بقاع الأرض.
للعامل نقول: إنما الأعمال بالنيات، و للمستفيد نقول: اشكر ربك فكل ما في هذا الوجود تحت سلطته يسخر لك منه ما يشاء، له الحمد و له الشكر.

التكامل و التعاون بين المسلمين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده و الصلاة و السلام على من لا نبيّ بعده.
إذا تمكن الدعاة و المشايخ من تجاوز شرور خلافتهم ـ على الأقل ـ التخلُّص من اختلافاتهم بمفهومها المذموم، أي: التي تقود إلى التدابر و تقتل التعاون بينهم، فلا شك أنهم سيكونون النخبة الرائدة للسواد الأعظم لجماعة المسلمين.
مع العلم أنهم لا يمكنهم التخلُّص من هذه الخلافات أو من نتائجها السلبية المترتبة عليها، و التي شتتت المسلمين و أضاعت جهود الدعاة إلا بتحقيق جانب أخلاقي سلوكي هو التواضع للمسلمين وخفض الجناح للمؤمنين، و إقامة العذر للإخوان و تثمين صوابهم ، و التلهف و احتراق القلب على عدم الألفة، وعدم التعاون و التكامل، ثم الاقتناع التام أنه لا يوجد فيهم كأفراد من هو حام الديار، ولا تضيء البلاد بدونه ، بل الدين و الناس في غنى عنه، وجوده وعدمه سيان ،يستبدل الله منا من يشاء، فإن هذا مما يدفع إلى الحرص على الائتلاف و التعاون.
ثم علينا أن نتبنى منهجا علميا واقعيا بعيدا عن المثالية يعي حتمية الخلاف و التنوع، ومجال المشترك وموارد الاجتهاد والخلاف ، فعندئذ سيقوم هؤلاء الدعاة من تلقاء أنفسهم على التوفيق فيما بينهم، لا على التلفيق بالمجاملة الزائفة و التكتل المصلحي الشخصي.
و التوفيق المحمود هو الجمع بين الآراء و الأفكار المتناسبة و المنسجمة في مستوى معين، ولو كانت واردة ممن يخالفني في بعض الأمور، الشرط الوحيد أن تكون متوافقة لا تخرج عن نطاق أصول الإسلام و مقاصده العظمى.
فالتواصل بين الدعاة و العلماء و المفكرين الذي يدخلون ضمن مفهوم أهل السنة و الجماعة مهم للغاية، ويؤدي إلى التكامل العلمي و الدعوي العملي من خلال القيام

على جبهات و مجالات مختلفة، ومن خلال تبادل الكفاءات و صد الثغرات.

إن التكامل العلمي و الدعوي بسبب اتحاد المشارب و المقاصد، والاشتراك في المصلحة أمر يفرضه الواقع و طبيعة الأشياء، لا يحتاج إلى فكر و علم لاستكشافه، فكل الجماعات البشرية الواعية تمارسه ، فغيابه يدل على غياب الوعي وهو شيء زائد على العلم نظيره التعقل.

فالاختلاف لا يمنع التضامن بين هذه القيادات إذا كان الهدف واحدا باعتبار حقيقة الانتماء و باعتبار اتحاد المقاصد الكبرى الرئيسة، وبالتالي يكون التكامل واجبا ضروريا، لا يجب أن ننظر حينها إلى الفوارق سواء كانت صورية ترجع في حقيقتها إلى الاصطلاح و التسمية، لأن الحقيقة العامة المستفادة من الاسمية المختلفة لهم إذا عرضناها على الاسم الشرعي أهل السنة و الجماعة تبين لنا أن الحقيقة التي تخرج من هذا الاسم قد استهلكت غالب أحوال هؤلاء، فيتعيَّن ثبوت هذا الاسم للحقيقة الغالبة، و بالتالي يتعيَّن ثبوت أحكامه، لأن القاعدة الشرعية الأصولية أن الأحكام تتبع الحقائق لا الأسماء.

نعم هناك اختلافات، ولكن الحقيقة العامة تقع أحيانا في رتب غير متساوية فتستلزم الأخص عينا ولابد وهم أهل الحديث و السنة في تصوري و اعتقادي، لأنهم أكثر الناس اتباعا للنبي صلى الله عليه و سلم و أقلهم تأويلا و اختلافا ـ ليس الآن ـ و أحيانا تقع في رتب متساوية ، فإنها حينئذ لا تستلزم الأخص أو أحدهما ، و لهذا قال ابن تيمية السنة نوعان: عامة و خاصة.

من المعلوم أن اللفظ قد يكون مشتركا أو مجملا أو مترددا، فحمله على معنى معين من غير دليل ممتنع، وهنا يتوجه الخطاب لغلاة المنتمين للسلفية الذين ينفون السلفية عن غيرهم، فإذا كان لفظ السنة لفظا عاما مشتركا لم يجز نفيه عن غيرهم، ولا نفيه عن كل أحوالهم و أعمالهم .

نعم الحقيقة العرفية (أقصد هنا العملية) تقلب الاسم من الخصوص إلى العموم، و لكنها تبقى حقيقة عرفية لا حقيقة شرعية بالنقل أو بالعقل.

و المنتمون لأهل السنة بالمعنى العام يشتركون في الأمر العام، و هذا لا يوجب تساويهم في الحقيقة الذاتية التي تخصهم و تميزهم عن غيرهم، لأن المختلفات قد تشترك في أمر عام مع اختلافها في بعض صفاتها الذاتية أي بعض مميزاتها فهذه

الجماعات تشترك في اعتماد المرجعية السنية، وهي الكتاب و السنة و الإجماع، و تتميز بأمور أخرى و لذلك قال ابن تيمية مع اختلافهم في بعض المسائل:" هذا إذا كانوا متوافقين في أصول الدين أو في غالبيتها".

وعليه، فيجب تجاوز الفوارق الاصطلاحية الخاضعة للتمييز، فمصطلح "السياسة"، و" التحزب" و "الفكرّ و "العصرنة" ليست لها معان ثابتة عندهم، و الألفاظ متى لم تكن لها معان ثابتة لا تكون هي و معانيها قسما من الحقيقة الثابتة.

و المصطلح متى دل على معان متعددة لا يجوز حمله على رأي الطائفة أو الجماعة المعيَّنة،لأن بعضهم يحمله على المعنى المذموم ،والآخرون يحملونه على معناه المحمود ،ولكن يجب حمله على الحقيقة الشرعية ما أمكن، فإن تعددت أوصافه الشرعية لم يجز تقديم أحدها على الأخر إلا بدليل، فالحمل على أحد مفاهيمه دون غيره بغير موجب شرعي ممتنع.

كما يستحيل حمله على جميع معانيه إن كانت متضادة، لأن ذلك يعد جمعا بين المتناقضات،و هذا المصطلحات المختلفة لم يتم تحديدها بدقة بعد، و يغلب عليها الإجمال و الاشتراك اللغوي بين معناها في الشريعة أو عند السلف و معناها في هذا العصر كمصطلح" السياسة".

وهذا الاضطراب في تتبع معاني المصطلحات عبر العصور الإسلامية هو الذي يقودنا حاليا في مسائل الحمد و الذم بالأسمية، إلى الشمول في الحكم مع وجود عامل التخصيص، وهذا باطل قطعا يهضم حقوق الناس، و يذم من ليس مذموما، و يمدح من ليس ممدوحا، إذ يكتسب هذا الذم بمجرد التسمية، و يكتسب الآخر الحمد بمجرد التسمية، وهذا مخالف للكتاب و السنة، مخالف لقوله تعالى:{إن أكرمكم عند الله أتقاكم}.

فاسم أهل السنة و الجماعة اسم مشترك بين عدة فئات، وكما يتفاضل أهل السنة و الجماعة في العلم والإيمان و السلوك و العمل يتفاضلون في كل شيء، وهذه حقيقة لا مفر منها، طمسها فهم وهمي وقراءة مبتسرة سطحية لتاريخ أهل السنة.

المقصود أن الهدف في الكتاب و السنة من إيجاد المجتمع المسلم، أو إن شئت من اجتماع الناس و تعاشرهم هو التعاون على البر و التقوى، فيعين كل واحد صاحبه على ذلك علما و عملا، أي بالترشيد و التربية و التعليم، و بالتعاون و التكافل و

المساعدة، فالمسلم بمفرده لا يستقل بعلم جميع أنواع البر و جميع أنواع الشر، ولا قدرة له عليه، فاقتضت حكمة الله سبحانه و تعالى أن جعل بني البشر قائمين ببعضهم بعضا، معينين بعضهم بعضا.

فالإنسان مدني بالطبع، ولابد له أن يعيش مع الناس و يتعاون معهم، وهو لا يمكنه أن يستقل وحده بعملية الإصلاح في المكان الذي يعيش معه فيه غيره، فإذا ما أمكنه التعاون معهم فيما هو نافع له ولهم فما المانع في ذلك،فكيف إذا كان التعاون للذود عن الإسلام و المسلمين؟

فلا مناص للمسلم من هذا التعاون، ومعاشرتهم بالمعروف، و العمل لإصلاحهم حتى تصلح نفسه، فإن هذه الأمة كالجسد إذا تضرر بعضه تضرر كله، ومن ظن أنه قد يقوى ويتقدم ويزدهر ويرد بأس الكائدين له وللإسلام بدون بقية المسلمين على الأقل غالبيتهم فهو في حلم وسبات عميق.

و بهذا تعرف حتمية التعاون و التكامل الإسلامي ، و ضرورة أن يجد المسلم مساحة مشتركة بين المسلمين للتعاون و العمل في إطارها للإصلاح جماعة المسلمين الكبرى التي لا يمكن بناء أمة الإسلام حضارة و علما وقوة و رسالة بدونها، وهذا مفهوم لزوم السواد الأعظم.

أما من لا اهتمام عنده بحال الأمة، ولا يحمل أي مشروع لها، ولم يتصور مهمتها و هدفها في الحياة،ولا وعي عنده بالمخاطر المختلفة التي تتهدد وجودها، فإنه سيركن إلى بعض المقولات المأثورة عن السلف، كقول بعضهم:"الجماعة هي أن تكون على الحق ولو كنت لوحدك"، وهذه مقولة صحيحة ولكن يجب أن يضعها المسلم المعاصر في موقعها، فهي ليست دعوة للانزواء و تهميش النفس و التنافر بين المسلمين فإن الذي قالها قال كذلك:"الخلاف شر"، بل هي دعوة للزوم الحق و الثبات عليه، وهذا لا ينفي التعاون، كما أنها لا تنفي أبدا ضرورة الدعوة إلى هذا الحق و حب إيصاله للغير.

فدستور المسلم الذي لا يتأثر بزمن أو بظروف اجتماعية و تاريخية معينة هو قوله تعالى:{ وتعاونوا على البر و التقوى ولا تعاونوا على الإثم و العدوان و اتقوا الله}، ومن أعطى هذه الآية حقها من الفهم و التدبر أغنته عن سواها كما قال العلماء.

إن على المسلمين أن يبتغوا و يتطلبوا الوسائل و الطرق التي تتضمن نفع الأمة

الإسلامية وحمايتها، و الذب عن دينها و أخلاقها ومصالحها الاقتصادية و السياسية ونصر المظلومين من أفرادها و إغاثة الملهوفين منهم.
وأينما ستجد تفرقا وتشتتا فاعلم أن العلم غائب ،لأن العلم الحقيقي يدعو إلى التوحد و التجمع و تجاوز الخلاف، بخلاف الجهل الذي يدعو إلى التفرق والاختلاف بالبغي، و تسيطر فيه النفس على العقل،و أينما عدمت التكافل و التعاون واتسع الشرخ بين طبقات المجتمع فاعلم أن لا عدل هناك.
إذا تجاوز المنطوون تحت اسم أهل السنة و الجماعة قلة وعيهم أمكن الحديث عن الدائرة الأوسع.

جمعية العلماء.. والناس

الكاتب:

عبد الرزاق قسوم - عن جريدة الشروق.

يا أيها السائلون عن فلسفة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وعن موقعها، وموقفها من الحراك السياسي، والاقتصادي، والثقافي، والاجتماعي في بلادنا، ماذا تريدون منها، وما نريد نحن لها؟

ويا أيها الباحثون عن الخط الجامع الأعظم للجمعية، إزاء ما يحدث في وطننا من التاء إلى التاء، أي من تمنراست إلى تلمسان، وفي وطننا العربي الأكبر من الماء إلى الماء (من الخليج إلى المحيط)، ما هو مقصدكم، وما هو مطلبكم؟

إننا نريد لجمعية العلماء -باسم الوفاء- أن تربط الخلف بالسلف، فتكون جمعيتنا نابضة بالتطلعات الشعبية العميقة لشعبنا، وناطقة باللغة العربية الفصيحة لآلامنا وآمالنا، ومجسدة للعقيدة الإسلامية الصحيحة في سلوكنا وأعمالنا.

وهم -أي بعض الناس- يريدون للجمعية أن تكون حزبا في غير محراب، ومبتورة من كل سورة، أو آية أو كتاب، يظنها الإنسان غذاء، ويحسبها الضمآن ماء، حتى إذا جاءها لم يجده شيئا، ووجدها أشبه بالسراب.

نحن نريدها، مرجعية إسلامية شاملة نابضة بالفكر الصريح، والفقه الفصيح، والاتجاه الصحيح، لا سيد يعلو عليها -بعد الله- إلا الشعب، منه تستلهم أحكامه، وتردد آماله وآلامه، وتعكس بكل الوفاء طموحه وإلهامه.

والبعض يريد لها، أن تقطع الصلة بالسلف، مقابل الحصول على العَلَف، مهما كان في ذلك من التلف، والقرَف، فتكون بذلك، خاذلة للسلف، ومولية وجهها عن الهدف، فأفٍّ لهم وألف أف.

يكفي جمعية العلماء -شرفا- أنها لم تخضع للجبابرة الظالمين، وأنها لم تحن الجباه للمحتلين الغاصبين، فما لهؤلاء القوم يحاولون السباحة ضد التيار، ويكلفون الجمعية ثمن الهزيمة في عيد الانتصار، ويدفعون بها إلى عار الانهزامية والاندثار.

عهد أخذته الجمعية على رجالها في الماضي والحاضر، وهي أن تكون الذائدة عن حمى العرين، والناطقة باسم الوطنيين المخلصين، والمترجمة لما يبعث به المعذبون من آهات وأنين. وخير للجمعية أن تنقرض فتسجل اسمها في التاريخ بمداد من ذهب، من أن تخون مبادئ وأحكام من حضر من العلماء ومن ذهب.

ويلهم، إذا أرادت الجمعية أن تقوم بدور الناصح الأمين للحكام والمحكومين، تعالت من حولها، الصرخات، وانهالت عليها الضربات، ورفعت في وجهها الإنذارات والتهديدات.

تعالوا نسائلكم جميعا، عن واقع الأزمات التي تتخبط فيها بلادنا، ماذا يجب أن يكون موقعنا منها؟

هل إذا قلنا بأن المنظومة التربوية، وهي رمز مستقبل أجيالنا، يجب أن تخضع للمعالجة والتشريح، كي نجنب سقوط أبنائنا الشماريخ في مستنقع التاريخ، قيل لنا، ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة، إن هذا إلا اختلاق؟

وإذا صرخنا باسم العدل والديمقراطية أن قانون العقوبات، قانون جائر في مبناه ومعناه، قيل لنا، بأن هذه لغة قاسية في حق أسرة المدينة والبادية، فهل يعقل أن يبنى البيت -بدل قواعد الحب والوئام- على العقوبات والخصام؟

وإذا دعونا إلى الاحتكام إلى العلم المحايد والعميق لإعطائنا فتوى علمية، لا رائحة للسياسة، ولا للمصلحة فيها، بمدى ملاءمة هذا الغاز الصخري لصحة المواطن، ونظافة بيئة الوطن، اتهمنا بأننا نحرض المحكومين، ونقف ضد الحاكمين.

ويمينا برة لا حنث فيها، أن الجماهير المعتصمة في عين صالح وغيرها ضد الغاز الصخري، ليست ضد الحكام، ولا يخطر ببالها ذلك، وإنما هي خائفة على مستقبلها، ومستقبل بيئتها، ومن حقها على الحاكم أن يستمع لنبضها.

فيا قومنا! إن جمعية العلماء هي المؤذن الشريف، في الوطن، تنبه بالإشارة والعبارة، بأن حذار فإن الأعداء متربصون، وأنهم لنا لغائضون، وأنهم لشرذمة ماكرون، فلا تمكنوهم من تحقيق مآربهم، ولا تجعلوا من غضب الجماهير مادة للتسلل إلى عقولهم وقلوبهم، ولنا في ما يحدث من حولنا، في تونس، وليبيا، ومصر، واليمن، أسوأ المثل إن كنا معتبرين.

إننا -ما فتئنا نصيح نصحا- حتى غصت أصواتنا، وذابت حشاشتنا، ونوشك أن نتوقف عن إسداء النصيحة إذا أوشكت النصيحة أن تتحول إلى فضيحة، ويومها يكون رائدنا قول أبي الطيب المتنبي:

إذا ترحلت عن قوم وقد قدروا
ألا تفارقهم فالراحلون هم

وقول أبي حامد الغزالي:

غزلت لهم غزلا رفيقا فلم أجد
لغزلي نساجا، فكسرت مغزلي

إن جمعية العلماء هي الجزائر العميقة، وإن الجزائر ملك الجميع، فلا يجوز السكوت عما يمكن أن يلحقها من أذى ومن ضرر، وسيسألنا التاريخ يوما عما نحن فاعلون بوطننا. إنها أمانة الله، وأمانة محمد صلى الله عليه وسلم، وأمانة ابن باديس والعلماء، فلنتق الله في هذه الأمانة، ولنذكر أن جمعية العلماء هي حارسة الحمى، وسادنة المعبد، فإن نامت عن الحراسة، والسدانة، فسيأت الله بقوم غيرنا، ثم لا يكونوا أمثالنا.

ولنأنس في هذا المقام بقول مصطفى صادق الرافعي:

إن الظلام الذي يجلوك يا قمر
له صباح، متى تدركه أخفاكا

الجمعية المسكينة لم تسلم لا من هؤلاء ولا من هؤلاء.

لا أدري من أهنيء بهذه الحال (؟ !)

إذا اعتبر (بعضُ)طلبة العلم تطعيم العقل بصواب الغير ، و تطوير الفهوم بالملاحظة و التأمُّل، و تعديل المواقف و المذاهب، استرسالاً مع العلم المحقَّق و المبحوث وليس

المتلقي بالتقليد، و تجديد العلم و المعرفة تخليطاً ،و الجمود على المذاهب المتحزِّبة المتشاركة في الأكثر المتضادَّة في الأقل ثباتاً فهنيئاً لا أدري لمن ؟ !

لقد فهمتُ سبب المراوحة في المكان، وتكرار الأخطاء من قرون طويلة، و الملكة العجيبة التي نتمتع بها في صناعة المعارك التافهة، و القدرة الهائلة على سد النهر العظيم بقشة.

أحياناً يقود المعنى الذي صهره استعمال طائفة معيَّنة من العلماء النقاش في تأويل خاطئ،فيدخل الطلبة في الضبابية المنهجية فيقتل فيهم روح البحث و الاجتهاد و تطلُّب المعاني المتجدِّدة، و يسجنهم تحت عباءة الشيخ بأسماء مغرية ليس تحتها معنى محصل كـ"الاستقرار المنهجي "،و" الثبات على الحق"، و المشكل قبل كل شيء في تعيين المنهج و تحديد الحق،فهناك يرقد الجميع.

عند مطابقة هذا المعنى الخاص بهم على المعنى الدارج عند عموم الناس أو العلماء، يتحوَّل الفرق الصغير الحقيقي بين الجمود و الثبات إلى فرق شاسع وهمي.

إن العلاقة بين المختلفين حول الجمود على المذاهب و المناهج كما تلقوها عن شيوخهم مشبعةً بالتأويل و بين المطالبين بالتفريق بين الثابت الشرعي و الثابت الفقهي الاجتهادي ترجع إلى تضمين الطائفة الأولى المعنى الخاص بها في المعنى الأصلي المعهود و المشهور.

هذا الانحراف في المعنى يؤدِّي إلى عدَّة انحرافات في السلوك العلمي المنهجي،وفي العلاقة و التواصل بين طلبة العلم، فصار من المستحيل الكلام عن الاختلاف الناتج عن الاجتهاد في القضايا الجزئية و تجلية الكليات بدون أن تعلق أحكامٌ تقديرية (أحكام قيمة) بالموضوع، و تطوَّر الأمر حتى أصبح نوعاً من النفي بدون محاكمة مسَّ المبادئ الأساسية لوظيفة طلبة العلم و للتعاون الدعوي.

هذا الانحراف في استعمال كلمة " ثبات"، و " استقرار"، و" اجتهاد"، و" تجديد" نعاينه عند الحكم على الأشخاص و القضايا الفرعية بحيث أصبح المسلم التابع لهم خاضعا لـ"سُلم تصنيفي" يرجع إليه في تقييم المواضيع العلمية و القضايا الفكرية، حتى صار مانعا للاستفادة من تنوُّع المصادر و الرؤى كقيمة في حدِّ ذاته.

أصبح لمعنى كلمة "اختلاف"، و "مخالف" بالتبعية لمعاني الكلمات التي أشرتُ إليها معنى تحقيري و ربما عنصري عند بعضهم، كأنه يشير إلى أنه مسلم من درجة ثانية،

بينما أصل هذه الكلمات محايد لا ينتمي لطائفة دون طائفة أو شخص دون شخص ،يعني بشكل واضح: التمايز حول موضوع ما،بسبب تجديد التفكير و النظر العلمي فيه.
و بالتالي صرنا عندما نستعمله نقصد وضع المخالف في الهامش، خارج مجال اهتمامنا و تعاطفنا،ووجوب النظر فيما عنده ، هذا هو الإقصاء ضمن البنية الفكرية.

ابحث عن نفسك في هذه الصفات

بسم الله الرحمن الرحيم

هذه صفات ذكرها أحد العلماء ناصحا طالب العلم بتخليص نفسه منها لأنها تمنع زكاة العلم.
تحسين الهيئة و الثياب الفاخرة [إذا كان مفتوناً بها] ، فإذا خبرت باطن أحدهم وجدت خوف الرزق على قلبه كالخيال يكاد يموت من همه، وخوف الخلق أن يسلطوا عليه بألسنتهم،وخوف سقوط المنزلة من قلوبهم، فتراه يتعهدها كما يتعهد شعره ومنظره.
يفرح بمدحهم و الثناء عليه ،و يحب الرئاسة، و يطلب العلو، و التبصبص للظلمة و الأغنياء و المنافقين، و [عنده] احتقار الفقراء ،و الأنفة من الفقر، و الاستكبار في موضع الحق و التواضع ،و الحقد على أخيه المسلم من أجل حطام الدنيا، و العداوة و البغضاء التي تنسيه رد الشكر لمن أحسن إليه من قبل، وترك الصدع بالحق بين الأخوان و الأصحاب و الطائفة مخافة الذل وزوال محبتهم له،و القول بالهوى و الحمية، و الرغبة في الدنيا و الحرص عليها مالا كانت أو ثيابا أو نساء و غير ذلك[بغير حل]، يجري وراء شهوته، لا وفاء له لصاحب ولا لزوجة ،لا يبذل شهواته و لذاته لله فيترك المباح له تحقيقا للواجب أو لمباح آخر أهم و أفضل، و الشح و البخل، يمسك الفضل ولا يبدله لله عز وجل، و قد قال النبي صلى الله عليه و سلم: (يا ابن آدم أن تبدل الفضل خير لك و إن تمسك الفضل شر لك و لا تلام على كفاف)
وطول الأمل وهو يضعف العمل، والأشر و البطر، و الغل عند الخصومة ، و الغش، و المباهاة، و الرياء، و السمعة ،والاشتغال بعيوب الخلق، ولا يشتغل بعيوب غيره إلا من غفل عن عيوبه ورضي عن نفسه، و المداهنة، والإعجاب بالنفس ،و التزين

للمخلوق، و الطعن في الناس، و التجبر على الضعيف، وعز النفس على المؤمنين، و القسوة في الكلام، وسوء الخلق، و ضيق الصدر، والفرح بالدنيا و الحزن على فوات حظ منها[عند الاقتران]، وترك القناعة، و المراء ،و الجدال، و الجفاء، و الطيش، و العجلة[صفة جبلة]، و الحدة[صفة جبلة]، وقلة الرحمة، والاتكال على الطاعة، و أمن سلب ما أعطي، و فضول الكلام، و الشهوة الخفية، وطلب العز والجاه، و اتخاذ الإخوان في العلانية و العداوة لهم في السر، لا يترك لهم عيبا إلا أذاعه، و الغضب إذا رد عليه قوله، و التماس المغالبة لغير الله، و الانتصار للنفس، و الأنس بالخلق و الوحشة من الحق، و الغيبة، و الحسد، و النميمة، و الجور، و العدوان.

فهذه كلها مزابل النفس انضمت إليها صوم وصلاة وزهد ،و أعمال البر، و طلب العلم ،و كيف للعلم الرباني أن يزكو في هذه المزبلة؟

فإذا أتى يوم القيامة و انكشف الغطاء بين يدي الله عن هذه الأمور فهذا عالم مرائي مداهن يتصنع عند شهوته، لم يقدر أن يخلص عمله، نفسه مقيدة بنار الشهوة، و قلبه مشحون بهوى نفسه.

ومن عرف ربه حق معرفته ماتت منه شهوة الدنيا[المحرمة]، و الشبح بها، وحب الرئاسة و الثناء و الحمد من الناس، و زالت الحجب عن قلبه فأبصر ربه بعين قلبه ولبه، ولم يخدعه غرور ولا خيال فزالت لدعائه الجبال.

عندما تكون سُنِّيًّا في الحرب والسياسة فقط !

لا شك أن التحالف الذي تقوده المملكة السعودية طابعه سنِّي،وهكذا يؤصِّل له بعضُ أهل الدين،مع أن غالب الدول المشاركة فيه باستثناء السعودية دول أقل شيء يقال عن خلفيتها: غير سلفية: أشعرية،صوفية... الخ ، ونظم حكمها علمانية أو شبه ، فهل هم سُنَّة في الحروب و السياسة و مبتدعة في غيرها ؟

فمن ينسبها للسُّنَّة اليوم، هو من يبدِّع خلفيتها الدينية، و ينفي عنها الانتساب حتى للسُّنَّة العامة، فهل هناك فرق بين لغة الحرب ولغة السلم؟

دليل آخر على عجز هذا السلفي ـ الذي تفوَّق عقله وفهمه للدين على كل العقول حتى بالغ في الاجتهاد للبحث عن تأصيل شرعي لقضية فطرية شرعية هي التعاون مع المخالف،و الذي جعل السنة فصلا واحدا من فصول الدين و أهمل البقية ـ عن تحقيق

شيء من المصالح بدون بقية طوائف أهل السُّنَّة.

بعض التفكير الايجابي

يقول أصحاب التفكير الايجابي و صدقوا: "الناس كالزهر لكل منهم جماله الخاص يتفتح و يزهر بطريقته و بوتيرته الخاصة..

تعلَّم أن تحمد المسلمين على انجازاتهم الصغيرة فهي الطريق إلى الكبيرة، وكل تجربة إسلامية فاشلة هي بداية لانطلاقة جديدة ،ولا إشكال في أن تبدِّعه فالحقائق لا تتبع اختياراتك،ولا هو مكترث لتبديعك، لكن فكِّر في الصالح العام فإنك بدونه لن تنجز شيئا.

مبدأ التكافؤ

التكافؤ بين المشتركين في الشيء جزء من العدل و سبب من أسباب نجاح و تحقُّق الغرض من ذاك الشيء،كالتكافؤ بين الزوجين، وبين الشريكين، وكذلك بين المتحاورين أو المتناقشين فإن غاب التكافؤ دهست الظنون البديهيات، و قطَّع العقل ثيابه، و صاروا يغرفون من الحضيض.

الحقيقة بالاعتبار:

قد يكون الرجل عالما أو طبيا أو أديبا حقيقةً باعتبار ذاته، أي هذا الوصف حق مطابق للشيء كما هو في الواقع، في العالم الخارجي، وقد يكون حقا أو حقيقة في ذهني فقط، لم يثبت موافقته لما يطابقه في الواقع العيني.

و الشيء إما تنظر إليه في نفسه فتدرك قيمته الذاتية، و إما تنظر إليه في الموجودات فتدرك قيمته النسبية،و المعتبر في التواصل بين الناس هو الحقيقة في الواقع العيني و ليس كما هي في ذهنك ، وقيمته النسبية لا الذاتية،لأن النسبية هي التي تضعه في جهة ، وفي مرتبة من مراتب السلم.

جدِّد علمك و منهجك و عواطفك

بسم الله الرحمن الرحيم

إذا كانت أسوأ علاقاتي مع الناس هي علاقتي مع أقربهم إلي ديناً مرجعية ومنهجا،

فهذا يعني أن سوءها ليس من الدين ولكن من نفسي ، يعني: من فكرة فاسدة عن الدين .

فليست المشاعر و العواطف التي تتحكَّم فينا إلا الأفكار الفعَّالة في دواخلنا،فالحب سببه فكرة ايجابية عن المحبوب ، وكذلك البغض و الكراهية ما هو إلا فكرة سلبية عن المكروه استحكمت من النفس، فنحن ـ في الحقيقة ـ تحت سيطرة أفكارنا التي تبدأ كخواطر ثم تتحوَّل إلى عاطفة.

و الأفكار قد تكون منجزة مستوفية لشرائط التفكير السليم، أخذت كل الوقت في النضوج،ناتجة عن استقراء لموادها و استيفاء النظر في الأمور: كلياتها و جزئياتها،يعالجها العقل بترتيبها بحسب أهميتها و رتبتها في الشريعة ،وقد تكون ساذجة مبنية على انطباع أولي أو على عقلية الحشد و السرد، لا تكترث لـ"مبدأ عدم التناقض" فتقف عند كلمة و تهمل مئة أخرى.

يمكن أن نغيِّر هذه العواطف بإعادة فحص الفكرة من جديد،فبتغيرها تتغير العاطفة ، فالعواطف و المشاعر ليست دائمة إلا بدوام الفكرة، و لهذا نجد كثيراً من الناس كان يبغض أقواما حتى إذا فتح الله عليه و راجع منهجه أو توسَّعت معارفه تغيَّرت فكرته عنهم فتتغيَّر عاطفته نحوهم.

ولهذا أقول دائماً: سبب كل الكراهية التي نجدها عند الغلاة منهج انتقائي يخدع نفسه ،يحشد الحالات الموافقة و يهمل عن قصد الحالات المخالفة، يحتج بفعل عمر، و يهمل فعل غيره من الصحابة،يرى مواقف الشدة بدون فهم سببها، و يتعامى عن موقف اللين،لا يعرف أيهما الأصل و أيهما الاستثناء، لأنه منهج عاجز معرفياً عن الجمع بين الأشياء، عن التوليف بين الكليات وجزئيتها ،عن وضع الاستثناء و التعليق في السياق الكلي.

يجد من الصعوبة بمكان أن ينوِّع مواقفه بحسب المصلحة، أن يفصل بفاصل واضح بين كلمات التنفير و فلتات الغضب التي ملأت كتب التراث، والتي هي في الحقيقة رد فعل وموقف أدبي ردعي له أسباب موضوعية في وقتها، علمية و اجتماعية و سياسية، و بين الموقف العلمي المبني على فحص أسباب المخالفة كـ"نوع الاجتهاد،و أسباب الاشتباه،و القدرة على التمييز بين المتشابهات،و رد القول إلى الحال الغالب على القائل،مع فهم قويم لتاريخ التشريع،و الأسباب المختلفة لظهور المقالات و

تطوُّرها و تفاعلها فيما بينها" ،فإنه من العجيب أن يقيم العلمُ الشرعي العذر المعتبر فنهمله و نقف عند الموقف الأدبي في زمن زالت كل أسبابه الواقعية و الممكنة.
يمكن لإخواننا الغلاة أن يطوِّروا أنفسهم في اتجاه خدمة المقاصد الكبرى للدين، فبالأمس كنا ننكر قول بعضهم: " لنعمل فيما اتفقنا عليه و ليعذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه"، و اليوم أصبحنا نقر بصحة الشق الأول، ولا نزال ننكر الشق الثاني لكن الاعتراف به لن يتأخَّر مع هذه الأحداث المتسارعة المتصارعة بشرط أن نفهم معنى" العذر" و معنى " الإنكار" ، فالعذر هو تفهم أسباب الوجود الكونية التاريخية و العلمية لا تصحيح ما نعتقد أنه خطأ، و ترك الإنكار لا يعني ترك الرد و النقد فهذا غير موجود في أية أمة لكن تجريده من العداوة و البغي ليبقى إنكارا علميا فكريا لا يؤثر على القسم المتفق عليه إذ منطقيا لا يمكن أن نتعاون على المتفق عليه و نتعادى في المختلف فيه ، العقل الذي يؤصِّل لهذا عقل يعاني من انفصام في أولياته أو ضرورياته.
فقط وسِّع آفاقك بفحص كل الأقوال، ودعك من الحجر على عقلك فإن العدل و العلم و الإنصاف أن تنظر في كل الأقوال، لا تستروح إلى قول شيوخك و تُعادي الأخرى بالتقليد عن جهل،أزل الحدود التي وضعوها على عقلك أو وضعتها لنفسك من تلقاء نفسك إن كنت شخصا يثق في عقله، و يتشوَّف لمعرفة الحق، مهتم بالحقيقة لا غير،فيمكنك دائما أن تتجاوز قدراتك العقلية الحالية إذا قبلت التعلُّم الاستقرائي، و صرت لا تعترف إلا بالبرهان ثانيا، و إذا قبلت أولا هذه الفكرة: لست الحق المطلق و لن تكونه ،ولا عندك يقين علمي بما أنت عليه، ليس معك إلا جزم الهوى، فسدد و قارب .
القضية هي الاختلاف بين رجلين: أحدهما مستعد لتطوير فكرته، لتحسينها ، لتلقي الجديد،فحتى في الشريعة يوجد الناسخ و المنسوخ ،و العام و الخاص، و المطلق و المقيد، وآخر رضي بما هو عليه، لا عن علم، ولكن عن موقف نفسي، معظمه عواطف و مشاعر و لَّدتها فيه فكرة ناقصة فاسدة.
في الأخير : كما يمكنك توسيع دائرة معلومات بأن تزيد فيها في كل يوم جديد ،يمكنك أن تربي نفسك على عادات جديدة في التعامل مع الناس تكون نبوية خالدة لا تأويلية استثنائية.

نفسيَّة التحزُّب

بسم الله الرحمن الرحيم

من المقاييس التي نقرأ منها درجة وعي جماعة أو شخص: قوَّة الشخصية العلميَّة، ومقدرتها على التحرُّر من التَّبعيَّة لشخص آخر، أو المديونية لجهة ما.

فعندما أرى بعض الشباب و أحياناً يكونون "طلبة علم" أو أصحاب شهادات في العلوم الشرعية ينتقلون من التَّبعيَّة إلى شيخ (أ) إلى تبعيَّة شيخ آخر(ب) أدرك أنهم عاجزون نفسيًّا و علميًّا عن أن يكونوا مسلمين سُنِّيين بدون التَّبعيَّة لشيخ، أو الانضواء تحت عمامته، أو الدوران في فلكه.

وقد يشعلون حروباً فاشية مع أتباع شيخهم الأول ـ مع أنه لا فرق في الحقيقة إلا مناكفات ـ بينه وبين شيخهم الثاني فأيقن أن المقاصد الكبرى التي يقوم عليها منهج أهل السُّنَّة غائبة عنهم ،فلا يمكنهم إلا العيش بعقلية القطيع: بدون الراعي يتيهون في الغابة، فهم كغيرهم مقلِّدة في ثوب متَّبعين ،حقيقتهم التَّيه ، علاقتهم يحدِّدها شيخهم، و العجيب أنهم لا يستفيدون منه ما يحتاجون إليه من الدِّين بل من غيرهِ؟!

أن تكون طالب علم هو أن تكون طالب حقيقة،لا طالب مشيخة.

بين منهجين: المراجعة و النَّفي

بسم الله الرحمن الرحيم

عندما تسمع للمرَّة الأولى فإنك لم تسمع، وكذلك عندما ترى للمرَّة الأولى؛ تحتاج إلى أن تسمع و ترى من جديد، مرَّة ومرَّتين وثلاث حتى تكون قد سمعت ورأيت.

بهذه العبارات لخَّص المؤرخ الفرنسي روبرت فوريسون منهج " المراجعين" في دراسة التاريخ عندما تحدَّث عن كذبة "غرف الغاز" التي اشتهرت في الآفاق.

يعني على المرء في مجال الفكر و المعرفة أن يكرِّر النظر في المصدر سواء كان سمعياً أو بصريا لأنه مع كل تكرار تنجلي له حقائق جديدة تؤكِّد الانطباع الأول و ما استخلصه للوهلة الأولى أو تنفيه،و في أكثر الأحيان نزداد فهماً للموضوع و إحاطة به كلما كرَّرنا النظر فيه، و لهذا ننصح بتكرار قراءة الكتب و سماع الأشرطة .

لقد أخبر الله تعالى في مواضع من كتابه أنه خلق آدم، و أنه أمر الملائكة بالسُّجود له،

و كرَّر في مواضع من كتابه ذكر كلامه لأنبيائه،كما كرَّر حمد نفسه في عدَّة مواضع فقال : {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ}، و {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ} الْآيَةَ. و {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ} وكرَّر كثيراً قوله: {فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ} وهكذا لأن منهج القرآن يقوم على " التذكير" لأن الحقائق التي يذكرها إمَّا معلومة بفطرة العقل أو بفطرة النفس،أو لأنه أقام عليها الآيات بكلامه، أو بمعجزات رسله ، فمنهج القرآن المعرفي يقوم على "مبدأ التذكير" في مقابل "مبدأ الشك الفلسفي".

يفرِّق القرآن بين التذكير العام المشترك، الذي هو التَّبليغ العامُّ الذي تقام به الحجَّة و الذي يستدعي من الناس الإقبال على خبر رسله و النَّظر في أقوالهم، وبناءً عليه يكون منهم الإقبال أو الإعراض، و بين التذكير التَّامِّ النَّافع الذي يخصُّ به المؤمنين به ، فيذكِّرهم بما أنزل ، بمعانيه، كما قال: {فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ} {وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ} ، بخلاف التَّذكير الأوَّل الذي قال فيه : {فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ} {كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ} {فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ} فهؤلاء لا يذكِّرهم كما يذكِّر المؤمنين إذا كانوا معرضين عن التَّذكرة لا يسمعون، ولهذا قال : {عَبَسَ وَتَوَلَّى} {أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى} {وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى} {أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى} {أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى} {فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى} {وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى} {وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى} {وَهُوَ يَخْشَى} {فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى} فأمره أن يقبل على من جاءه يطلب أن يتزكَّى وأن يتذكَّر دون من أعرض عنه لأن الأوَّل ينتفع بالذكرى دون الثاني.

فهناك إذاً نوعان من التذكير، التذكير العام و التذكير الخاص، و الأول مشترك بين الناس تقوم به الحجة المطالبة بسماع الخطاب.ابن تيمية بتصرف

لكن قد عرفنا أن المعرفة الاستدلالية تبدأ بالشك، فكيف نجمع بين المنهجين، فنقول: ما تعلَّق بالمعارف الإلهية و الشرعية فيقوم على منهج التذكير، فالمعتبر فيها صحَّة السند و فهم السلف لها ، و إن كانت من المعارف البشرية المتعلِّقة بفهومهم و آرائهم فتقوم على مبدأ الشك، فما كان من الشرع المنزل فالتذكير طريقه، وما كان من الشرع المؤول فطريقه الشك فيه و إعادة النظر فيه و فحصه باستمرار .

و قد أخذ منهج التذكير من معنى التكرار قسطا كبيراً من المعنى المشترك بينهما، فمع التكرار يكتمل التذكير أو يحصل، و لهذا ربما نجد سنَّة التَّثليث.

فقد صحَّ عن نبيِّنا صلى الله عليه و سلم تكرار كلامه ثلاث مرَّات؛و ذكر الفقهاء "التَّثليث" كمصطلح يدل على تكرار الأمر ثلاث مرَّات، ذلك أنه ورد كثيرا في القرآن و السُّنَّة ، كـ"التثليث في الوضوء، وفي الغسل، و في غسل الميت، و في الاستجمار و الاستبراء و إن كان الواجب الانقاء،وفي الاستئذان، و الاستتابة وغيرها كثير.

و يُسمِّيه الشافعية"سنَّة التَّثليث" و بناء عليها يستحبُّون إمرار السِّواك على الأسنان ثلاث مرَّات .

و في الحديث المتَّفق عليه:(أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلٌ مُتَضَمِّخٌ بِطِيبٍ وَعَلَيْهِ جُبَّةٌ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: كَيْفَ تَرَى فِي رَجُلٍ أَحْرَمَ بِعُمْرَةٍ فِي جُبَّةٍ بَعْدَمَا تَضَمَّخَ بِطِيبٍ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَمَّا الطِّيبُ الَّذِي بِكَ فَاغْسِلْهُ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ، وَأَمَّا الْجُبَّةُ فَانْزِعْهَا، ثُمَّ اصْنَعْ فِي عُمْرَتِكَ مَا تَصْنَعُ فِي حَجِّكَ).

وقال صلى الله عليه و سلم: (مَنِ اسْتَغْفَرَ اللَّهَ تَعَالَى فِي دُبُرِ كُل صَلاَةٍ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ فَقَال: أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ غَفَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَل ذُنُوبَهُ وَإِنْ كَانَ قَدْ فَرَّ مِنْ الزَّحْفِ) ابن السني بسند جيد.

وقال أيضا : (مَنْ قَال حِينَ يَأْوِي إِلَى فِرَاشِهِ أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ ذُنُوبَهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْل زَبَدِ الْبَحْرِ) الترمذي.

و استحب الفقهاء بناء على هذه السُّنَّة في التَّثليث أن يكرِّر الرجل على ضيفه ما لم يتحقَّق أنه اكتفى من الطعام قوله: "كل" ثلاث مرَّات.

وعن سعد بن أبي وقَّاص : (حَلَفْتُ بِاللاَّتِ وَالْعُزَّى، فَقَال لِي أَصْحَابُ رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: بِئْسَمَا قُلْتَ، ائْتِ رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبِرْهُ، فَإِنَّا لاَ نَرَاكَ إِلاَّ قَدْ كَفَرْتَ، فَلَقِيتُهُ فَأَخْبَرْتُهُ فَقَال لِي: قُل لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ، وَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ، وَانْفُثْ عَنْ شِمَالِكَ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ، وَلاَ تَعُدْ لَهُ)

كما روى ابن أبي شيبة عن عمر بن الخطَّاب أنه قال: (مَنِ اتَّجَرَ فِي شَيْءٍ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ، فَلَمْ يُصِبْ فِيهِ فَلْيَتَحَوَّل إِلَى غَيْرِهِ)

وهذا باب كبير جداً نكتفي بهذا القدر.

و المقصود أنه إما تحتاج القضايا العلمية منَّا إلى منهج التَّذكير، و إما إلى منهج الشكِّ

بحسب التفصيل السابق،و أما بدون هذا ولا هذا فيلزمنا منهج بناء النظريات و ووضع المذاهب بناء على الانطباع الأولي، و الذي يولِّد ضرورة منهج النَّفي لكل مخالف.
وعندما نراجع منهجنا فإننا لا نراجع الكتاب و السُّنَّة و الإجماع ولكننا نراجع مقاربتنا وفهمنا، وهي بلا شك محتاجة للمنهجين : منهج الشك فيها ، ومنهج التذكير بمصادر التلقي، يعني: تكرار مراجعتها بالأسئلة الجديدة.
فعلينا باستمرار مراجعة مقاصد الإسلام، مقاصد الدَّعوة، مقاصد العلم،مقاصد الأمة.

قاعدة فهم السلف ؟

سلسلة شرح شعارات السلفية

بسم الله الرحمن الرحيم

من المعلوم أن اللغة العربية لها وجهان من التبعية: التبعية النحوية، و التبعية المعجمية.
و معلوم ـ أيضاً ـ أن الدلالة المعجمية جامدة لأن الألفاظ تكسب أثناء حركتها ضمن السياق معان متغايرة أو جديدة غير التي تكون لها في حالة الهمود، لأن التكلُّم باللفظ المطلق من كل قيد لا وجود له أبداً ، فلا يتكلَّم العاقل إلا بكلام مؤلف مقيد مرتبط بعضه ببعض، وإلا صار كلامه لغوا لا قصد من ورائه ، فالألفاظ عند بني البشر لا تستعمل إلا مقيدة بقيود لفظية وحالية تتعلَّق بالمتكلم ، يدل عليها السياق، و المسار العام للمقال أو عادته في الكلام.
و بالتالي تكون الدلالة المعجمية عاجزة بمفردها عن تحديد مراد المتكلم أو المعنى فتحتاج إلى معونة العقل، و يكون ذلك بالجمع بين دلالة السياق واستعمال المتكلمين بها لأن أهل اللغة صنفان: المتكلمون بها، و نقلتها.
ولا شك أن الاعتبار للمتكلمين بها لأنهم يشكِّلون الدليل العملي لعادتهم في الكلام، فالمعاني تتحدَّد بكثرة الاستعمال الذي يحدِّد عاداتهم في التكلُّم،و لغات الناس تعرف بعاداتهم في الكلام، لأن دلالة اللفظ على المعنى دلالة قصدية إرادية اختيارية ، فمّا اعتادوا أن يعبروا به عن تلك الأشياء بتلك الأسماء هو لغتهم .

واللغة الشرعية لها استعمالها الخاص، ولهذا يفهم أهل كل فن مصطلحات لغتهم دون سواهم،حتى يعجز أكثر الناس عن فهم كلام ابن سينا إلا أصحاب فنه.
ولهذا السبب يعرف أهل الحديث والفقهاء لغة الرسول أكثر من غيرهم، لكونهم لهم عناية بألفاظ الرسول ومراده ،فيعرفون عادته في الكلام وفي خطاباته ، فيتبين لهم مراده بقدر لا يتبين لغيرهم.
و من يريد أن يعرف معاني الألفاظ التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتكلَّم بها يجمع نظائرها في كلامه، حتى يعرف عادته في استعمال تلك الألفاظ، وبه يتبين له مقصوده ،وبهذا الطريق يعرف لغة القرآن والسنة ،قال ابن فارس: (لغةُ العرب يُحْتَجَّ بها فيما اختُلِف فيه، إذا كان التنازع في اسم أو صفة أو شيء مما تستعملُه العرب من سُنَنها في حقيقةٍ أو مجاز، أو ما أشبه ذلك، فأما الذي سبيلُه سبيلُ الاستنباط، وما فيه لِدلائل العقل مَجال، أو من التوحيد وأصول الفقه وفروعه، فلا يحتجُّ فيه بشيءٍ من اللغة، لأن موضوع ذلك على غير اللغات، فأما الذي يختلف فيه الفقهاء من قوله تعالى: " أَوْ لاَمَسْتُمُ النِّسَاءَ " وقوله: " وَالمُطَلَّقَات يَتَرَبَّصْنَ بأَنْفُسِهِنَّ ثَلاَثَةَ قُرُوء " ، وقوله تعالى: " فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النعَمِ " ، وقوله تعالى: " ثمَّ يَعُودُونَ لمَا قَالُوا " ، فمنه ما يصلُح الاحتجاجُ فيه بلغة العرب، ومنه ما يُوكَل إلى غير ذلك.)
"المزهر"{81/1} و لابن القيم في (بدائع الفوائد) تفصيل أحسن من هذا بكثير.
ثم ينظر بعد ذلك في كلام الناس، وكلام أهل اللغة فإن وجدهم يستعملون تلك الألفاظ في نفس المعاني التي استعملت فيها في القرآن والسنة، علم أن هذا الكلام أو هذه اللغة مشتركة بين الرسول وغيره، وهي لغة قومه ؛و لهذا نقول : تحتاج الألفاظ الشرعية إلى ضمان استقرار المعنى ووضوحه،ولا يمكن ذلك إلا من خلال حل مشكلة " فهم النص" أو "البحث عن مراد المتكلم"،و أقوم السبل لذلك مراعاة دلالة السياق وفهم السلف لتلك العبارات لأنه إذا كان الإنسان يدل غيره على ما يعرفه بالأدلة اللفظية، و يعرف مراد غيره بالأدلة اللفظية، ولا يفهم الناس و يفهمهم بالكليات العقلية، التي لا يحسنها إلا قلائل، عرفنا أن ما يعرفه كل الناس أظهر و أكثر يقينا مما لا يعرفه إلا القليل منهم، قال الرازي في "المحصول"{201/1}: (البحث الرابع في أن اللفظ المشهور المتداول بين الخاصة والعامة لا يجوز أن يكون موضوعا لمعنى خفي لا يعرفه إلا الخواص)

والقرآن لم ينزل على من قرأ الفلسفة و المنطق، ولكن نزل على الناس، و اهتدى به الذكي و الأقل ذكاء، و العارف و غير العارف.
وهنا تظهر بجلاء الحاجة إلى تقييد دلالة النصوص بفهم السلف الصالح لأنه هم نقلة اللغة خاصة اللغة الشرعية من خلال نقلهم للقرآن و السنة، وهم المتكلمون بها إذ هم العرب الذين نزل عليهم القرآن.
فالسلف هم المتكلمون باللغة الشرعية وهم نقلتها، وهم أهل اللغة العربية قبل أن تجمع المعاجم، بخلاف نقلتها الذين هم أهل دلالتها المعجمية فيمتنع عقلا أن يرجع إليها ابتداء قبل معرفة فهم السلف.
هذا هو معنى قولنا: "فهم السلف"، لا يتعلَّق بشيء آخر غير المنهج المعرفي في التعاطي مع الألفاظ لتحديد مراد المتكلِّم بها حتى لا نحشره في قضايا أخرى.
و عليه،فهذه القاعدة خاصة بتحديد معاني الألفاظ الشرعية ، وقد تكون في مسائل أصول الدين ـ وهي الأكثر ـ كما تكون في الفروع ،فإذا وجدنا ـ مثلا ـ السلف يكرهون التشبُّه بأفعال المجوس مما لم تعيِّنه النصوص، عرفنا أنهم فهموا أن الأمر بمخالفتهم ـ فيما هو من خصائصهم ـ مقصود للشرع.
فإذا اختلف المتأخِّرون مع السلف في معنى عبارة في أي مجال من مجالات الشريعة رجَّحنا تفسير السلف على تفسير غيرهم.
هذا باختصار المقصود من قاعدة " فهم السلف" و قد غال فيها بعض السلفيين فصاروا يذكرونها في كل شيء حتى في القضايا المختلف فيها بين السلف !
في الحلقة المقبلة نشرح معنى قولنا:" الكتاب و السنة" ما المقصود بها لأنها عبارة مجملة يزين بها بعض الناس كلامهم بدون أن يكون عندهم معنى محصل تحتها يعني صارت شعارا فارغاً، وفي أي سياق نذكرها لأنهم صاروا ينكرون بها الحق .

نقض المنطق الصوري في المدارس الغربية

بسم الله الرحمن الرحيم

ـ يستحيل التعريف المنطقي أن يعرفنا بماهيات الأشياء فإن دوره لا يتجاوز تمييز بعضها عن بعض ذلك أن المعرفة لها أصل واحد هو التجربة الحسية سواء كانت ظاهرية أو باطنية التي تبرز لنا الأشياء متمايزة بصفاتها الحسية،وهم مقرون بذلك إذ لا يقوم البرهان عندهم إلا على أوليات العلم وهي كلها مأخوذة من الحس.

ولنفهم هذه القضية و أن بقايا قواعد الفلاسفة الطبيعيين الدهريين التي لم يستطع أرسطو التخلص منها نهائيا أثرت سلبا على الفلسفة برمتها وعلى الفلاسفة الإسلاميين و أتباعهم من المتكلمين .

نقد عام للمنطق الصوري:

نقد المنطق الصوري من خلال نقد أئمة الإسلام له مهم للغاية لكن لا يجب أن نغفل عن الشوط الذي قطعه النقد الغربي له،و إن كنت أعتقد أن النقد كما تشكل عند ابن تيمية له اعتبارات مستمدة من نظرية في المعرفة قرآنية تلتزم حدود العقل الطبيعي ومداركه الفطرية.

فمن النقد المشترك الإسلامي الغربي:

1 ـ أن مرد الاستدلال القياسي إلى الاستدلال الاستقرائي الذي إذا ما كون القضية الكلية أغنى عن طلب جزئيات هذه القضية المتمثل في النتيجة.

2 ـ حصر القياس في وجود القضية الكلية ليس هو الطريق الوحيد ولا الأفضل إلى المعرفة بل يمكن الاستدلال بالجزئي على الجزئي.

3 ـ الطريق الطبيعي و الفطري لتحصيل المعارف هو الاستدلال المبني على الترابط بين العلة و المعلول، و الاستدلال القياسي هو استدلال طبيعي فطريته تغني عن اكتسابه بالتعلم، فالمنطق الصوري الصناعي ليس سوى تعقيد لمنطق طبيعي هو أوضح منه و أدل على مسالك التفكير.

4 ـ أن المنطق الصوري ليس مفاهيم ثابتة وصائبة نهائيا بل هو قابل للنقد في كل جزئياته فلو كان المنطق ذاك العلم الذي يسير العمل العقلي بشكل منظم وبدون خطأ لما اختلف من يستعمله فيما بينهم وفي كل شيء و بذلك يتبين انه لا يعصم من الخطأ و التناقض.

و إذا عرفنا أن المنطق كان عند واضعه الأول هو دراسة قوانين الفكر المجرد من كل

مضمون بحيث يعالج القياس من حيث هو قياس ولذلك يسمى بالمنطق الصوري بينما علم المناهج هو علم مطابقة الفكر لموضوعاته وهو يشمل مجموع المناهج و الطرق التي يمكن تطبيقها على العلوم الخاصة سواء أكانت عقلية أو تجريبية لم يعد الناس بحاجة إلى المنطق الصوري بشكله المعهود إلا ما استبطن من منطق فطري.

فالمنطق الصوري هو علم مطابقة الفكر لذاته لا علم استنباط العلم أو هو علم اللزوم أو علم الصدق الصوري أو علم الممكن و اللزوم الضروري فهو منتج بمقتضى الصورة بقطع النظر عن المضمون حيث أنه ينطلق من تصورات خالية من التناقض بتجريد الأشياء و تمثلها في الذهن وهذا ما يسميه الماهية و العام.

فإذا لم يكن الممكن مطابقا للواقع ولم يكن التصور مطابقا للحقيقة كما في المباحث الدينية فهذا المنطق علم يجري استنتاجاته وفقا لقوانين العقل الذي يعمل به وهو عقل وثني عميق في الميتافيزيقا اليونانية بل أي عقل آخر كيف له أن يضع قوانين توجب للغيب هذا و تمنع عنه ذاك؟

ومن جهة كونه علم اللزوم الضروري أي علم تمييز الأحكام التحليلية التي يستبطن محمولها مفهوم الموضوع كقولك: المثلث مضلع ذو ثلاثة أضلاع،ومن هنا يفارق الأحكام التركيبية التي يحتوي موضوعها على المحمول بالمفهوم مثل: الجبال عالية،فالمنطق الصوري لا يعالج إلا الأحكام التحليلية التي تعبر عن العلاقة بين المحمول و الموضوع إذ المحمول محتوى في الموضوع، وبهذا يظهر أنه في ذاته عقيم أي لا يكفي نفسه بنفسه لأنه بشروطه هو علم الشروط العليا للصدق الذهني زعموا، وكيف يفي بهذا الشرط إذا كان العقل الإنساني مختلفا متأثرا بعوامل متغيرة و إذا كانت الموضوعات نسبية لا يعلم كنهها ولا كيفيتها، و بسبب عقمه هذا و حاجته إلى أن ينطبق على شيء كانت نظرية أرسطو في القياس عمل تحضيري لنظرية العلم و البرهان.

و إذا كان المنطق بهذه الصورة بحيث صار لا يعالج التصور و الحكم و الاستدلال بل التصورات و الأحكام و الاستدلالات وجب الفصل بين الضرورة المنطقية و الضرورة العلية بين الحقيقة المنطقية الخاصة بالإمكان الذهني التي تجري في عالم مثالي بحيث تثبت لنا الإنسانية و بين الحقيقة الطبيعية الخاصة بالموجود خارج الذهن والتي لا توجد فيها الإنسانية بل الإنسان بكل مميزاته و خصائصه.

إن الحقيقة المنطقية عديمة التأثير على العمليات الفكرية الواقعية ولذلك استغنت العلوم عن المنطق ولم تعمل بأي مبادئه ومع ذلك أنتجت علما و أدركت حقائق لأنها علوم لا تكترث بالصواب و الخطأ المثالي أو التجريدي بل بالصواب و الخطأ في الواقع.
في المنطق الأرسطي : العلم موضوعه التصور و المعنى العام و الكلي فموضوع العلم هو العام و الواقعي هو الفرد فقط فلا يوجد العام إلا في الجزئي و لذلك ينبغي تفسير المثال تفسيرا مفهوميا فيجب على العلم أن يطلب الماهية أي مجموع الصفات الضرورية للفرد ولا تعود كلية المعنى إلا نتيجة لضرورته و دليلا عليها و يحل تعريف الشيء القائم على الماهية محل التصنيف الذي يتوصل إليه المنطق الجدلي منطق أفلاطون الذي يعمل بالتفسير الماصدقي.
فإذا كان المنطق يرتكز ارتكازا كليا على نظرية الماهية و التصور فكيف يمكن أن تخضع صفات الله و أفعاله لهذا المنطق وهو خارج و مباين لكل إدراك لماهيته ؟
و إذا علمنا أن القياس هو الأداة الضرورية للعلم المشائي الذي يستبطن المنطق الصوري وهو أداته و آلته بحيث يمكن أن نقول إن المنطق هو علم القياس ذي المقدمتين الضروريتين و النتيجة الضرورية كيف يصح أن يكون الله موضوع قياس شمول أو تمثيل؟
تقسيم المنطق الصوري:
ينقسم المنطق إلا ثلاثة أقسام: نظرية التصور والحد و نظرية الحكم و القضية و نظرية الاستدلال الذي يعبر عنه في الغالب بالقياس.
أنواع المنطق التي تناقض المنطق المشائي:
لقد هاجم العلم المعاصر منطق الصوري هجوما كاسحا بداية برا موسRamus الذي هاجم في كتابه" الأخطاء الأرسطوطاليسية" الأورغانون فأبطل نظرية القياس من أصولها، ووضع بيكن bacon في"أورغانونه الجديد" قواعد المنهج التجريبي و تصور منطقا استقرائيا بعيدا عن المنطق الصوري.
كما أن كتاب" المنطق أو فن التفكير" بورروايال الذي ألفاه آرنو و نيكول Arnauld et Nicole بين فساد المنطق الصوري اعتمادا على كتاب" القواعد" لديكارت.
منطق ليبنيتسLEIBNIZ :

يؤول لبينيتس التصور تأويلا ماصدقيا يؤسس به منطقا هو عنده العلم بعينه فهو لا يقتصر على مراقبة العلم و الإعداد له بل إنه يولده بتوليد جميع التركيبات المعقولة التي تحصل للتصورات وهي تركيبات لا متناهية العدد يمكن الحصول عليها سريعا و بدون خطأ بوسائل آلية مجموعها يكوّن"فن التركيب" فيصبح بهذا العلم " لغة عالمية" وهذا المنطق هو رائد المنطق الرياضي المعاصر.

منطق كنطKANT:

يعتبر كنط المنطق علما صوريا صرفا لا يبالي بمضمون التصورات، فالفكرة الصادقة هي التي لا تتضمن تناقضا، وقد وضع كنط إلى جانب المنطق الصوري منطقا آخر يسميه" منطق متعال" كما في كتابه" نقد العقل الخالص" وفي هذا المنطق يثبت وجود تصورات أو مقولات للفهم بإمكانها أن ترتبط قبليا و أن تتعلق قبليّا بموضوعات،فهو يعمل على تحديد أصل للمعرفة الخالصة بهذه الطريقة وعلى تحديد مداها و قيمتها،فالمنطق المتعالي صوري نوعا ما من حيث هو يدرس المقولات القبلية و لكنه يدرسها في مقابل مادة المعرفة المتكونة من العناصر التجريبية.

ويقابل كنط التحليلات الصورية بالجدل الذي هو منطق الظاهر بحيث يعالج المعرفة التي نعتقد أننا نحصل عليها عندما نطبق على عالم " النومينات" "أفكار العقل الخالص" التي هي: الروح و العالم و الإله.

فهذه المعرفة في نظر كنط معرفة وهمية،وذلك لأن أفكار العقل الخالص ليست سوى القواعد التي تقود التفكير الذاتي و التي تبين قدرته على التركيب و قد تولدت من هذا الاستعمال غير المشروع"نقائض العقل الخالص" التي تثير أيضا قضاياه و نقائضها صعوبات لا حل لها.

بمعنى أن امتداد المنطق الميتافيزيائي لا يمكن التخلص منه أولا فمنبعه تأملات ميتافيزيائية ونهايته ميتافيزيائية بدون حل.

منطق هيجلHEGEL :

يرتبط منطق هيجل بالمنطق المتعالي عند كنط فهو منهج جدلي جديد يبقى في مجال علم الكيف مناقضة لعلم الكم أي العلم التجريبي و لكن لا يمكن اعتباره امتدادا للمنطق الصوري بحال فكنط زعزع أركان الواقعية التقليدية وجاء من بعده فيختFICHTE و شيلنغSCHELLING وهيجل ودفعوا بمذهبه إلى أقصى حدوده ،فصرح بوحدة

الفكر و الوجود بمعنى أن الوجود يندرج في الفكر، فالأشياء تتولد من المعاني فيكون المنطق هو علم الفكر الضروري المتحد بالوجود،فالمعرفة وموضوع المعرفة متدامجان، و الموضوع ليس سوى مرحلة من مراحل الحركة الأبدية التي تتحركها الفكرة،فالمنطق في نظر هيجل هو العلم الأمثل و تكمله فلسفة الطبيعة التي تعبر عن نفس السيرورة في صورة العالم الخارجي.

إن منطق هيجل محاولة لرفض التصور الآلي للطبيعة كما في العلم التجريبي العلم الكمي،وهذا المنهج الجدلي لدى هيجل هو عبارة عن مسيرة الفكر بالتدرج للانتقال من تصور إلى تصور آخر بمجرد التركيب و التولد المثالي وهي ثلاث مراحل جدلية:

1 ـ القضية التي تكوّن الوجه العقلي من التصور، فالتصور من حيث ذاته يطرح نفسه ويؤكد نفسه مثال ذلك: الوجود،2 ـ نقيض القضية الذي هو " المرحلة الجدلية" أو " العاقلة سلبا" إنه التصور من حيث هو نفي لذاته و انتقال إلى نقيضه، مثال ذلك: اللاوجود كنفي للوجود، إلا أن نقيض القضية ليس مجرد نفي للقضية، إذ التصور الذي تضعه القضية يحتوي على نفي لأنه كان محددا، وكل تحديد هو نفي، و بما أن نقيض القضية نفي لنفي فهو يعادل الإثبات،3 ـ التركيب الذي هو جمع بين القضية و نقيضها في وحدة عليا تتجاوزهما إنه " المرحلة النظرية" أو"العاقلة إيجابا" التي تكون أغنى من المرحلتين الأوليين وتعبر عن تقدم حقيقي للفكر مثال ذلك: النقض المنطقي المرحلي لصيرورة التي هي تركيب للوجود و اللاوجود ثم توضع هي بدورها كقضية و تقابل بنقيضها و يواصل التركيب المسيرة إلى الأمام فيتدرج الجدل من المجرد إلى العيني ومن المتناهي إلى اللامتناهي ومن الشخصي إلى الكلي للوصول إلى الموجود الواقعي الأمثل الذي هو الإله و يكون تدرج الفكر هذا بمقتضى وحدة الفكر و الوجود هو نفس تطور العالم.

إن هيجل صاحب المنطقية الكلية يرى أن المنطق الصوري منطقا تحليليا خالصا يكون الفكر فيه متقيدا بمبدأ الهوية و بالتالي محكوم عليه بأن لا يحرز أي تقدم حقيقي و في هذا الصدد يكون تكرارا واسعا لأنه يجب كسر دائرة الهوهو و على الفكر أن يتجاوز نفسه ليصبح خصبا باستعمال جدل تركيبي يمكنه من الوصول إلى "الغير".

لقد اعترف بعض الفلاسفة كـ ميرسونMEYERSON أن مشروع هيجل مشروع

جريء ولكنه فوق طاقة البشر وقد عبر عن ذلك هيجل عندما قال:" وتبدأ الشكوك تظهر حول ما إذا كان يمكن أن يكون هناك جسر بين المتناهي واللا متناهي" أي بين العبد و بين الله ولا يكون هذا الجسر إلا الأنبياء.
ومن خلال منطق هيجل رغم محاولته إحياء المفهوم الصوري الكيفي لم ينجح لأن المفهوم الصوري المشائي للطبيعة أصبح باليا متلاشيا بلا جدوى فالعلم الحديث علم كمي آلي له تأثير على المعرفة و أنتج معرفة و علما بينما المنطق الصوري لم يمارس أي تأثير على عالم العلم المنتج للمعرفة المادية.
كذلك يقال:إن مبدأ الجدل الهيجلي فاسد ذلك أن وضع التركيب على انه نفي لنفي هو عودة إلى إثبات القضية وعلى هذا فإن الفكر يدور حول نفسه ذلك أن الوجود موجود واللاوجود غير موجود وهي فكرة عدم التناقض.
منطق هاملتنHAMILTON :
يقوم منطق "هاملتن" أو تحليلاته الجديدة على ثلاث فكر جوهرية:
1 ـ يعتبر هاملتن المنطق علما صوريا بحثا فهو علم تطابق الفكر مع نفسه بقطع النظر عن التجربة و الواقع فقط الاستناد إلى مبدأ التناقض لا غير،بحيث أن التصورات و الاستدلالات و القضايا تثبت نفسها بمجرد فعل قوانين العقل الذي قررها و بدون اهتمام بشيء آخر عدا اجتناب التناقض، وهو بذلك يجتنب كل ما يتعلق بمادة المعرفة ولا يأخذ بعين الاعتبار إلا الصورة المشتركة الكلية فهو لا يهتم بالوجود الواقعي بل فقط بالوجود الذهني و بالعلاقات التي تظهر تحت شروط الفكر و يتحكم فيها الفكر أي ليست خارجة عن سيطرته أو تصوره، ففي المنطق كل ما ليس متناقضا هو صادق.
و يمكن أن نقول: إن علم المنطق هو علم الممكن من حيث هو ممكن أو هو العلم الذي يأخذ بعين الاعتبار صورة الفكر دون مادته.
و المنطق الصوري منطق يدور بين المنطق الخالص و المنطق التطبيقي، يفسر هاملتن التصور تفسيرا ماصدقيا فقط مما أعانه على إزالة الفرق بين الكيف و الكم لصالح الكم مخالفا بذلك المنطق الصوري الذي كان متمسكا بضرورة التمييز التام بين الأمور الكيفية و الأمور الكمية على أساس أن الأولى مكونة من عناصر متجانسة مجمعة بعضها محتوى و مندرج في بعضها الآخر و أن الكم مؤلف من أجزاء

متجانسة مجمعة ومصفوفة بعضها إلى جانب بعضها الآخر و هذا التمييز بين المفاهيم الكيفية و الكمية أزاله هاملتن مما أخذه بعده جورج بولGeorge boule و المنطقيون الرياضيون لتحويل القضية التقليدية إلى معادلة رياضية و بالتالي إنشاء المنطق الرياضي.

منطق ستوارت ملStuart Mil المنطق الواقعي الاسمي:

ينحدر منطق ستوارت مل من فلسفة بيكن Bacon ،وهيومhume وجيمس ملJames mill وهي فلسفة تجريبية ظاهرية، فالجوهر هو جملة الظواهر منظورا إليها في مجموعها و الأنا هو مجموع تصوراتنا الفعلية أو الممكنة فقط، و العالم الخارجي يتكون من دوام هذا الإمكان الحسي، و الظواهر تتعاقب في العقل دون تدخل منه و حسب القوانين الآلية الصارمة التي يكون بها ترابط المعاني والتي تؤول في النهاية إلى قانون الاقتران وحده،وبهذا لا يكون للفكر أي نشاط مستقل.

ويلزم من هذا أن التصور الذي هو وعي العقل للوحدة ضمن التمثلات الحسية والذي هو في المنطق الصوري محور الحكم و الاستدلال لا وجود له، فالصور الجزئية التي هي تعبير مباشر وفوري عن الواقع الشخصي هي التي يمكن أن تتكون و أن تترابط ، وعلى هذا يكون المنطق اسميا مثل منطق الرواقيين، فكل قضية وكل استدلال سواء أكان استنتاجيا أو استقرائيا يؤولان إلى مجرد استنباطات من الجزئي إلى الجزئي، تؤل بدورها إلى ترابط بين تمثلات، و إذا كان هذا المنطق اسميا فيكون كذلك واقعيا ليس بمعنى أرسطو يبحث عن إدراك الماهية بل لأن موضوعه الأشياء و الظواهر الشخصية التي هي وحدها الظواهر الواقعية من الناحية الذاتية ولذلك يسمي ستوارت مل منطقه بمنطق الصدق في مقابل المنطق الصوري الذي هو منطق اللزوم.

و إذا كان كل استدلال يرتد إلى استنباط ينصب على الجزئي يصبح المنطق الصوري في صورته القياسية بلا موضوع ما دامت القضايا الكلية غير موجودة،وهنا يفارق ستوارت مل المنطق الاستقرائي الذي ينطق من الوقائع لكي يرتفع بتجمع الاستنباطات الجزئية إلى قوانين عمومها عموم تجريبي و ضامنها مبدأ العلية الكلية متكون هو في ذاته من التجربة.فالمنطق التجريبي نوعان : المنطق الاسمي الواقعي، و المنطق الاستقرائي.

إن منطق ستوارت مل منطق ماصدقي يثير اعتراضات قوية على المنطق الصوري

منها:

إشكالية التصور الفلسفي:

إن المنهج المعرفي في الفلسفة يعتمد على مبدأ تعليق المعارف والأفكار الموجودة ولو كانت حقا قام عليه الوجود شاهدا،فالفيلسوف لا يسلم بما هو موجود حتى يثبت هو بعقله أنه موجود ، ولو جاز لنا التعبير عن هذا الموضوع لقلنا : إن الموجود بالنسبة للفلسفة لا يكون موجودا حتى تثبت الفلسفة انه موجود ،ومع ذلك نقول:إذا لم تستطع الفلسفة إثبات وجوده وهو مع ذلك موجود وعرفنا وجوده بما رفضت الفلسفة استعماله من طرق المعرفة النبوية والفطرية الضرورية ،أفيكون الخلل في الموجود أم في منهجها في المعرفة؟

فإذا كان الذهن المفكر لا يرتفع إلى المعرفة إلا بتكوين أفكار شاملة هي تمثلات ذهنية ، كان هذا افتراض للوجود الذهني ، ومعلوم بالاتفاق وببداهة العقول أن وجود الأشياء لا يفتقر إلى وجودها في الأذهان.

وعليه كان وجود الموجودات في الفلسفة وجودا ذهنيا لا حقيقة له في الواقع ، فثبت إذن الشك في قدرة الذهن على إثبات الحق الموجود بكل صفات وجوده كما يثبته الأنبياء إلها موصوفا بصفات الكمال .

وبهذا تعرف أن التصور لم يكن ولن يكون مناط لمعرفة الحق الموجود فلم تبق إلا الضروريات وأخبار الصادقين و هي عند الأنبياء و أتباعهم.

الفلسفة ـ كما عند هيجل ـ فكر ثان أو لاحق أو تال ، وهو يقصد أن هناك فكرا أولا، هو الذي يكون في حياة الناس اليومية ، والفلسفة تدرس هذا الفكر وتستخلص منه فكرا ثان ، فالفلسفة تأتي متأخرة بعد أن تكون الحياة قد دبت بين الناس بالفعل ، فلا تظهر الفلسفة حتى يكتمل بناء الواقع ، وهكذا كان في التاريخ البشري لم تظهر حتى عرف الناس كل الحقائق المتعلقة بوجودهم ومصيرهم فظهرت متأخرة بعد عصر موسى عليه السلام .

و إذا كانت الفلسفة فكرا ثان فتصورها للأشياء تصور ثان،ولذلك لم تستطع التخلص من إشكالية الدور في التعريف فإذا كان الحاد للشيء لا يحده إلا بمعرفة سابقة للحد قد تكون مجملة تعقبها بواسطة الحد معرفة أكثر تفصيلا منها،علمنا أن عملية التحديد التي يجريها الفيلسوف هي عملية استثمار للمعرفة المجملة يبقى الإشكال هو أن

المعرفة المجملة هي الفكر الأول و المعرفة التي تعقب التحديد المنطقي فكر ثان،ولم تبرهن الفلسفة أن الفكر الثاني أحسن و أصدق من الفكر الأول في كل ما ادعته،فهاهنا قضيتان:

1 ـ ليس التحديد وحده من طرق التعريف و التمييز،مادام مسبوقا بمعرفة وهذه المعرفة أنتجت معارفا منها المنطق، بينما بقي المنطق عقيما لا ينتج معرفة ملموسة بحيث أننا وجدنا المعارف المنطقية عند ممارسة المعرفة تصطدم دائما بالمعارف الحسية و التجريبية وتصير مجرد نظرية لها نوعا من القوة و الوجود ما دامت في إطار التجريد الذهني.

2 ـ التحديد هو وصف اصطلاحي لعملية فكرية فطرية،فمن المتفق عليه بين العقلاء أن الإنسان يمكنه أن يفكر بدون المنطق ، تماما كما يمكنه أن يبصر دون أن يدرس البصريات ، فإذا كان تفكيره بعد دراسة المنطق لا يعدو القدرة على التصنيف والمقابلة لم يكن في هذا أي مدح للمنطق ، فلأن قدرة الإنسان على الإبصار دون أن يدرس البصريات لا تتغير بعد أن يدرسها .

ملخصات نقد المنطق الصوري منقولة عن كتاب جول تريكو (المنطق الأرسطي) ضمن رسالتي" تاريخ نقض المنطق الأرسطي ".

مشكلة المسلمين ـ ما بعد ابن تيمية ـ أنهم توقفوا في هذا المجال عند القرون الوسطى بسبب وطأة الطائفية و النعرات المذهبية على عقولهم لم يستثمروا نقد ابن تيمية كما استثمر هو نقد المعتزلة و الشيعة و الأشعرية للمنطق الصوري فكان خيرا منهم موضوعية و تجردا و عاطفة إسلامية صادقة و علما و قصدا ، و إلى الله المشتكى من حال هذه الأمة.

أين يُعمل بقاعدة" فهم السلف"

بسم الله الرحمن الرحيم

تفصيل ضروري:

عندما نستشكل بقولنا: إذا اختلف السلف كيف نعمل مع قاعدة " فهم السلف" فهذا يعني أننا لم نحرِّر معنى هذه القاعدة ولم نعرف موضع إعمالها، و عممناها على كل فصول الدين.

أوَّلا: يجب أن ننتبه أنني عندما تحدَّثتُ عن "فهم السلف" فليس عن اختلاف فهمهم العلة الشرعية كاختلافهم في معنى بيعة في بيعتين، يعني: اختلفوا في صورته، فليس هذا الذي نعتبره قاعدة سلفية عندما نقول: "النظر في فهم السلف"، فهذا مجاله واسع، وهو كثير عندهم، و أكثره في الأحكام، و طريقة التصرُّف فيه الطبيعية و الشرعية هي تصرُّف الفقهاء لا جديد فيها،فالخلاف فيه واسع ومحتمل و يعود الترجيح فيه إلى كل أنواع الأدلة الشرعية ،والتضييق على المسلمين فيه تحت حجة "فهم السلف" خطا فادح، فهنا لا مجال لهذه القاعدة إنما هو العلم بكل ضروبه، وما وسع السلف يسع المتأخرين.

لكني أقصد العبارات الشرعية التي اختلف فيها المتأخرون إما بمعرفة مخالفتهم للسلف، وإما لعدم بحث السلف فيها تفصيلا كبعض العبارات في أصول الدين ،ومعلوم أن السلف لم يختلفوا في أصول الدين فافتراض اختلافهم غير صحيح، أو بالأحرى يجب أن نفهم أن قولنا : "فهم السلف" هو قاعدة في أصول الدين ، و قد يستعان بها في التفسير أو بعض الأحكام إن كان الاختلاف بين السلف و المتأخِّرين، أما ما اختلف فيه السلف فغير خاضع لهذه القضية، و من الممتنع عقلا أن نحسم اختلاف فهمهم بفهمهم فيجب أن يكون الدليل منفصلا عن قولهم.

وعليه يجب أن ندرك أن هذه القاعدة تعمل في الاختلاف بين السلف و من جاء بعدهم فقط،وليس في الاختلاف بين السلف، ولما كان اختلاف السلف في الأحكام وما يتعلق بها و بعض التفسير كان العمل بها لهذه الحال أو الواقع في أصول الدين فقط ،وعلة ذلك أن السلف و المقصود منهم بالدرجة الأولى الصحابة لهم إدراك يشاركوننا فيه و إدراك اختصوا به وهو سماعهم من النبي صلى الله عليه و سلم و من أصحابه، ومعلوم أن بعض من صحب النبي صلى الله عليه و لم يغب عن جميع مشاهده أو أكثرها لم يرو إلا القليل كأبي بكر و عمر - رضي الله عنهما ،وكذلك للتابعين اختصاص بالصحابة .

ثانيا: يجب أن نعلم أن أسباب اختلاف السلف فيما بينهم غير أسباب اختلاف المتأخرين، ففي زمن السلف لم يكن العلم مجموعا مدوَّنا، فكان اختلافهم بسبب عدم علم طرف منهم بالقضية العلمية،أو لأن المسألة محتملة للوجهين نقلا أو عقلا، ولذلك كان اختلافهم محدودا بالنظر إلى اختلاف المتأخرين الذي توسَّع في كل القضايا لبغي

بعضهم على بعض .
اختلاف السلف في غير أصول الدين:
من المعلوم من صنيع السلف أنه إذا اختلف الأئمة فيما بينهم لم يجز أن نحكم على قول من أقوالهم بأنه صواب إلا بحجة ، و الحجة كلمة مجملة تنطوي تحتها أنواع من الحجج،منها ما هو صحيح متفق عليه، ومنها ما هو مختلف في حجيته، فبدون تحديد ماهية الدليل و نوعه و مرتبته سيستمر الخلاف الزائف (الشبهة في مقابل الدليل) وحتى لا يتشعب الموضوع لنبق في موضوع فهم السلف، وهذا هو الحاصل حاليا مثل من قال: يجب أن يكون الرد على المتكلمين بالكتاب و السنة .
ثالثا: إذا اختلف السلف في مسألة ما على قولين لم يجز أن نحدث قولا ثالثا ،لأنه متى كان في صدر الأمة قولان فقد تعين أن الحق في أحدهما إلا إن جوزنا اجتماعهم على ضلالة، و يبقى الإشكال في تحديد أيهما ، فبعض السلفيين يتمسك بأحدهما و يجعله هو الصواب بدون حجة و ينفي سلفية القول الآخر .
رابعا: الذي انتهى إليه أئمة السنة معالجة لهذه المعضلة أنه إذا اختلف السلف ينظر في أشبه أقوالهم و أقربها إلى الكتاب و السنة، يعني نرجع إلى موافقة الدليل ولا نتحجج بوجود الخلاف بينهم،بل و ذهب بعضهم إلى عدم اعتبار إجماع التابعين على أحد أقوال الصحابة ، و ذهب بعض الأصوليين إلى التفصيل بين نوع القولين : فإن كان احدهما مثبتا و الآخر نافيا جاز لمن بعدهم القول بالتفرقة وهو أن يقول في كل مسألة بقول طائفة منهم و القول الراجح و الأشبه بأدلة الشريعة أنه متى صرحوا بالتسوية لم يجز التفرقة،و إلا فجاز، و الأولى الترجيح بالأقرب و الأشبه بالكتاب و السنة .
وقد ذهب بعضهم كالإمام احمد إلى انه إذا اختلف السلف (الصحابة) على قولين تخيَّر من أقوالهم أقربها إلى الكتاب و السنة ولم يخرج عن أقوالهم،فإن لم يتبين له موافقة أحد الأقوال حكى الخلاف ولم يجزم بقول ،وهذا ربما يكون في مسائل الاجتهاد التي لا يبقى فيها للظن رجحان بيِّن.
فبعض المسائل ليس فيها حجة لائحة، و أحسن أمورها أن نقلد فيها إن وجدنا قول بعض السلف، ولا ضير في ترك قول بعضهم الآخر إن كانت من مسائل اجتهادهم و غلب على العلماء التوقف فيها.
فهذا الاختلاف في طرق معالجة اختلاف السلف يدل على وجود سعة في الأمر لكنه

لا ينفي أن الدعوة إلى الترجيح تبقى الأفضل بحثا عن استقرار المعاني و الأحكام.
وهنا يجب أن نعلم أن الشيء قد يختلف في نفسه فتكون له في الشريعة حالات فينظر قوم منهم في حالة و ينظر آخرون في أخرى فهذا في الحقيقة ليس اختلاف فهم و لكنه تفرُّق فهم يعالج بالجمع بين الحالتين و تحديد الفوارق بينهما كما حصل كثيرا فيما يسمى باختلاف التنوُّع.
وقد يختلف باختلاف علم من ينظر فيه ، فهذا هو القسم الذي يحتاج إلى الترجيح لكن كما سبق و قلتُ بعد حسم ماهية الدليل ونوعه و مرتبته فإن كثيرا من الاختلاف الحاصل سببه مقابلة شبهة بدليل، أو دليل ضعيف في مقابلة دليل قوي وهكذا.
في الأخير: قاعدة" فهم السلف" وهي قاعدة صحيحة ومتينة هي ألحق بمسائل اللغة بين السلف و من جاء بعدهم لذا سأنزل مزيدا من التفصيل في هذا الأمر إن شاء الله.
اختلاف الاهتمام
يحب كثير من طلبة العلم السلفيين الذين لهم عناية خاصة بكتب ابن تيمية ـ رحمه الله ـ و بالنزاع في قضايا الأصول النظرية الخوض تفصيلا في قضايا المنطق النظرية، و العملية في مباحث الإلهيات كـ" كالكليات " وغيرها، و قضايا المنهج المعرفي كـ "مسألة المراد و فهم السلف "و غيرها، ولا إشكال في ذلك بحكم سنهم و تجربتهم، و المراحل التي يمرُّون بها، و إن كنتُ شخصيا لا أحب الخوض فيها الآن مع أني قضيتُ فيها غالبية عمري التعليمي فإن وقفتُ عندها أحيانا فلأن طريقتي في كتابة المناشير ـ في الغالب ـ هي متابعة ما ينزل الناس و التعليق عليه بطريقتي من غير أن أشعرهم بالاستهداف.
أما في غير ذلك فأعتقد أن الأمة الآن بحاجة أكثر من ذي قبل إلى العناية تفصيلا بمراجعة قضايا التكفير و ما يتفرع عنها كالعذر بالجهل، و معضلة الطائفية، و تأصيل القضايا السياسية الملحة كالموقف من الديمقراطية، و العمل السياسي برؤية جديدة ، و التفريق بين الموقف السياسي من العلمانية وبين الموقف الديني المحض منها ، و العمل الجماعي و التعاون ، ومراجعة مناهج الاستنباط و التحقيق، و التفاعل مع الفكر الغربي استفادة و نقداً.
وقد يهتم آخرون بقضايا الجرح و التعديل ، وهذه قضايا مهمة لكني كتبتُ فيها حتى مللتها و اقتنعتُ أن الخوض فيها أصبح مجرد اجترار لمسائل قُتلت بحثا ، لكن مع

ذلك يحتاج إليه الشباب الجدد وفيما يقوم بها بعض طلبة العلم كفاية.
ولا بأس أن يهتم غيري بما يريد أو بما يراه ملحا ، فالواجبات الإسلامية و الدعوية تتعدَّد و ليس في مقدور الفرد القيام بها كلها، لأني في مرحلة و أمام تحديات لم تكن أمام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ ففي زمانه لم تكن هناك علمانية، ودولة قطرية معاصرة، و ديمقراطية،... الخ
و الواجب علي الاهتمام بقضايا وقتي .

الكتاب و السُّنَّة ولغة الردِّ

بسم الله الرحمن الرحيم
بحث قديماً بعض الفقهاء: "هل الظاهرية بدعة" ... وحتى الذين قرَّروا أنها بدعة لم يكونوا موقنين كثيراً بهذا الحكم ، فلا يوجد عالم عاقل يعرف ماهية العلم لا ينظر في كتب ابن حزم ـ رحمه الله ـ ليستفيد منها، ذلك أن ظاهرية ابن حزم في الفروع و الأحكام لم تمنعه من الكلام فيما تكلَّم فيه غيره من العلماء، ولا أعجزته مسائلٌ من العلم لأنه ظاهري، بل تفوَّق عليهم ـ أحيانا ـ في قوَّة الاستدلال و براعة التحليل، لأن أكثر النزاع حول القياس لفظي إذ المعتبر الإيجاب سواءً سمينا الموجب للحكم "علة"، أو "معرفا" أو "باعثا"، أو "سببا" فتعلقه بالفروق بين المشتركات أو المتواطئات لم يحسم المسألة عنده، فهو يعترف بالعلل المنصوصة ويمنع تعديتها كما يعترف بالغرض، فيقول: و لكن الله تعالى أراد الإحسان إلى من آمن من المنذرين بالرسل فهذا غرض الله عز وجل فيهم ومراده وليس هذا علة. (الإحكام).
وقد فسر الغرض بأنه الأمر الذي يجري إليه الفاعل ويقصده بفعله، وهو بعد الفعل ضرورة، وقد بنى مذهبه على الفروق بين الألفاظ كقوله: الفرق بين العلة وبين السبب وبين العلامة وبين الغرض فروق ظاهرة لائحة واضحة وكلها صحيحة في بابها ،وكلها لا يوجب تعليلا في الشريعة ولا حكما بالقياس أصلا فهو يعترف بالغرض و يفسره بالقصد، ولكن لا يسميه "علة" لان العلة عنده اسم لكل صفة توجب أمرا ما إيجابا ضروريا، و العلة لا تفارق المعلول البتة ككون النار محرقة و الثلج علة التبريد الذي لا يوجد أحدهما دون الثاني أصلا وليس أحدهما قبل الثاني أصلا ولا بعده(8/85) .

وهنا لم يتعرض إلى أنواع السبب وأن منها ما يطلق على العلة خاصة عند الإطلاق ،و لم يفرق بين السبب المهيء الذي هو سبب حقيقي ،وبين سبب هو علة أو في معنى العلة،و العلة التي ذكرها هنا هي العلة الفاعلة و ليست العلة الغائية.
ومن أدلته على عدم تعليل أفعال الله قوله تعالى : (لا يسأل عما يفعل وهم يسألون) وفي الحقيقة هو لا يفرق بين سؤال الاعتراض و الإنكار و سؤال المحاسبة وبين سؤال التعلم و التفهم وهذا معناه من الآية لكمال علمه وحكمته لا لعدم ذلك لا يسال سؤال محاسبة واعتراض و سياق الآية في إبطال إلهية من سواه وعليه فمذهب ابن حزم لا ينتج المطلوب وهو مغالطة.
ولأن أصل النزاع حول القياس ميتافيزيقي، وهناك في هذا العالم فقدَ ابن حزم بعض رونقه، فكان الأولى بهم أن يتباحثوا بدعيَّته ـ إن كان عليهم أن يبحثوها ـ في أصول الدين حيث أطلق العنان للمنطق الصوري و أقيسته، و ليس في ظاهريته؟
ومع ذلك فقد كان له من العقل و الفهم و الثقافة و سعة الاطلاع ما يستحي معه أحدنا أن يصف بعض المنتسبين المعاصرين للسلفية بالظاهرية رغم تأثُّرهم بفقهه لأنهم انتهوا إلى منهج لو سمع به ابن حزم لا ضحك منه كثيراً، فلعل الوصف الدقيق لهذا المنهج هو " ظاهرية الجهل".
و قد يقدَّر لأحدنا مجالسة طلبة علم مجتهدين في علم ما فيؤرقونه بمسائله ،و يعترضون على أجوبته المجملة بقوَّة ، أو قد تغيب عنه تفاصيلها، أو لا يسمح له المقام أو الحضور ، أو لا يكون في يومه، أو قد يعاني إرهاقا من سفر أو من طول نقاش فان الإرهاق يُقلِّل نسبة الذكاء، و يُنسي العلم، فيحسن به أن يتمسك بالإثبات و يثق في أئمة السُّنَّة الكبار في مسائل أصول الدين،دون تعرُّض للوازم الإثبات، و إياه أن يعلِّق مشكلته في الفهم أو المراجعة أو الإحاطة على غيره فيتفاقم داؤه .
أقول هذا لأنه بلغني أن بعضهم يقول : "ما كان على ابن تيمية أن يرد على المتكلمين بلغتهم بل بالكتاب و السنة "، وهذا في الحقيقة يقوله بعض السلفيين بشتى الأساليب، و يدخل في حربهم غير المعلنة على ابن تيمية لأسباب سأذكرها في آخر المقال !
لنحلل اعتراض هؤلاء و بعد ذلك نجيبهم بما يليق:
1 ـ المطالبة بالرد على المتكلمين بالكتاب و السنة لم تجبنا على صوابية الرد من عدمه، فهل أصاب في رده لكن بشيء آخر غير الكتاب و السنة، فيكون هناك حق في

الإلهيات غير الكتاب و السنة كما يقوله الفلاسفة و المعتزلة و الرافضة ومن تأثَّر بهم ،أم أنه أخطأ ، وسبب خطئه أنه لم يرد بالكتاب و السنة؟ !

2 ـ الظاهر من جوابه أنه لم يخطئ فيكون قصده حتما متعلقا بلغة الرد،مما يعني أن الكتاب و السنة لغة اصطلاحية خاصة لا يجب الخروج عليها و ليس مصدرين للعلم ، و معلوم أن الدلالة على الحق لا ترجع إلى اللغة المعبر بها عنه ولكن إلى مادة الدليل إلى المعاني و ليس إلى الألفاظ المتجددة باستمرار،و الكتاب و السنة كمصدرين يدلان على الحق من طرق عديدة ، فمن قال إن الحق هو التكلم بلغة السلف التي جعلها مخطئا هي الكتاب و السنة فقد أبعد النجعة فالحق في الكتاب و السنة و ليس في التقيد بألفاظ السلف ، فإن لغة البشر تختلف و المصطلحات تتجدد و قد يكونون على حق مع اختلاف لغاتهم و مصطلحاتهم لأن المعتبر المعاني و ليس قوالبها اللفظية.

3 ـ لنسأل هل مصطلحات علم الحديث و أصول الفقه و العقيدة مصطلحات نقلية أم عقلية، يعني: منقولة بالسند عن صاحب الشريعة أو عن الصحابة أم هي مستنبطة من معاني عقلية و لغوية كثير منها لم يتكلم بها النبي صلى الله عليه و سلم ولا صحابته؟ هذا خطأ جسيم في فهم الدين وفهم كيفية تبليغه و الدعوة إليه، لأن صاحب هذا القول ـ في الحقيقة ـ يمنع وجود ألفاظ بلغات غير العربية مقابلة لمثيلاتها باللغة العربية، يعني لا وجود لمعاني اللغة العربية في اللغات الأخرى فيمتنع على الصيني و الفرنسي و الألماني مثلا أن يتحدثوا بلغتهم عن الله و صفاته وعن القضايا المعرفية عن العموم و الاستقراء و الطاعة و الإيمان و الكفر ...الخ.

4 ـ هل قول السلف : " الاستواء معلوم و الكيف مجهول" هو من الكتاب والسنة أم شيء استنبطوه من اللغة و النصوص و الفهم العقلي السليم،فأين الكتاب و السنة وليس هذا مما جاء في القرآن أو السنة، فأين ذكر الكتاب و النصوص "الكيفية"؟

5 ـ لماذا نحتاج إلى مخاطبة الناس بلغتهم ؟

لندع ابن تيمية يجيبه و قد اختصرت أجوبته ، كان يكفيه أن يقرأ فقط ـ يقول في كتابه"الدرء"{15/1}: (ولما كان بيان الرسول صلى الله عليه و سلم هذه الأبواب لا يتم إلا بدفع المعارض العقلي{...} إذا كان أي دليل أقيم على بيان مراد الرسول لا ينفع إذا قدر أن المعارض العقلي القاطع ناقضه، بل يصير ذلك قدحا في الرسول، وقدحا فيمن استدل بكلامه، وصار هذا بمنزلة المريض الذي به أخلاط فاسدة تمنع

انتفاعه بالغذاء، فإن الغذاء لا ينفعه مع وجود الأخلاط الفاسدة التي تفسد الغذاء، فكذلك القلب الذي اعتقد قيام الدليل العقلي القاطع على نفي الصفات أو بعضها أو نفي عموم خلقه لكل شيء أو نفي أمره و نهيه أو امتناع المعاد أو غير ذلك، لا ينفعه الاستدلال عليه في ذلك بالكتاب و السنة إلا مع بيان فساد ذلك المعارض، وفساد ذلك المعارض قد يعلم جملة و تفصيلا.)

ولنسأل كيف نصنع مع الألفاظ المستعملة في الكتاب و السنة و التي تحمل عليها بعض الطوائف معان محدثة مخالفة لمعانيها الشرعية؟

ماذا نصنع عندما يحصل للناس اشتباه و إجمال، كيف نفصلها بغير لغتهم التي يفهمونها، وبدليل منفصل عن هذه الألفاظ فإن اللفظ المشتبه لا يفصِّل نفسه بنفسه؟

كيف نصنع مثلا مع طاغوت" العقل" فإنه عند المسلمين يدل على عرض إما مسمى مصدر عقل يعقل عقلا ، و إما قوة يكون بها العقل و هي الغريزة كما فسَّره بذلك الإمام أحمد ، أما المتكلمون فيقصدون به جوهرا مجردا قائما بنفسه ، و كذلك لفظ" المادة "و " الصورة " و " الجوهر " و العرض " و " الجسم " و " الحيز " و " الجهة " و" التركيب " و"الجزء" و" الإفتقار " و" العلة "و " المعلول " و " الواحد " و " الحدوث " و " القدم " و " الواجب " و " الممكن " و " الوجود " و " الذات " ، فكل هذه الألفاظ لها مدلولات عندهم غير تلك التي تقرها اللغة ، و ليس المحذور في اتخاذهم مصطلحات ، فإن لكل أهل فن مصطلحهم الذي لا تدل عليه اللغة ، و لكن المحذور قصدهم بها معان باطلة تخالف القرآن و السنة ، و لهذا يلزم توضيح هذا الوجه بحجج أخرى ليكشف القناع عن هذه الألفاظ فيحصل للذين اهتدوا زيادة هدى ، فنقول : إن المتكلمين إذا لم يخاطبوا باصطلاحهم فقد يقولون : إنا لا نفهم ما يقال لنا ، أو أن المخاطب لنا و المعترض علينا لم يفهم قولنا ، و يلبسون على الناس بأن مصطلحاتهم موافقة للشرع ، و حينئذ فمخاطبتهم باصطلاحهم قد تفضي إلى مخالفة ألفاظ القرآن في الظاهر؛ فإنهم عبروا عن المعاني التي أثبتها القرآن بعبارات أخرى ليست في القرآن ، بل قد يكون معناها في القرآن و لغة العرب منتفيا باطلا ، نفاه الشرع ، و قد يطلقون عبارات لا تدل في لغة العرب على باطل و إنما في اصطلالحهم الخاص بهم تدل على الباطل كلفظ "التأويل" المقصود به التفسير ، يقصد به المتكلمون صرف اللفظ عن ظاهره ، و هذا من جهة كون تلك الألفاظ مجملة

مشتبهة ، يظهرون بها معاني الحق ، و يقصدون بها الباطل كالألفاظ المتقدمة ، فيقصدون بلفظ " التوحيد " ما لا صفة له و لا يعلم منه شيء دون شيء و لا يرى ، مخالفين بذلك التوحيد الذي جاء به الرسول صلى الله عليه و آله وسلم ، و الذي لم يتضمن شيئا من هذا النفي ، و إنما تضمن إثبات الإلهية لله وحده ، بأن يشهد أن لا إله إلا الله ، و لا يعبد إلا إياه ، و لا يتوكل إلا عليه ، و لا يوالي إلا له ، و لا يعادي إلا فيه ، و هذا يضمن إثبات ما أثبته لنفسه من الأسماء و الصفات ، لا مجرد توحيد الربوبية الذي تطوف حوله المتكلمة و المتصوفة.)

وكيف نصنع مع الجواهر العقلية و بأية لغة (ألفاظ) نرد بها؟

قال أبو بكر بن العربي و هو يرد على الجويني في مسألة " استرسال علم الله" (العواصم جزء الكلاميات) :" إن هذه الألفاظ من "الجملة" و "التفصيل" و "الحصر" ألفاظ مولدة ركبت عليها المبتدعة علومها ، و خاض فيها علماؤنا معهم ، و لكل واحد فيها اصطلاح تركيب معناه على ما اصطلح عليه فيها ، و يختلف الاثنان في الوجه المصطلح عليه فيتباريان و يتعارضان ، و نحن إذا تكلمنا على ذلك قلنا : دعونا من العبارات المحدثة الفاسدة " (ص: 142) فهذه المصطلحات ، من الألفاظ المحدثة ، من حمل عليها معاني الكتاب و السنة كان من الذين يحرفون الكلم عن مواضعه ، و الذين لا يعلمون الكتاب إلا أماني

قال شيخ الإسلام في " بيان تلبيس الجهمية "{445/1 }:

(ولم يقل أحد من أئمة السنة:إن السني هو الذي لا يتكلم إلا بالألفاظ الواردة التي لا يفهم معناها، بل من فهم معاني النصوص فهو أحق بالسنة ممن لم يفهمها، ومن دفع ما يقوله المبطلون مما يعارض تلك المعاني، وبين أن معاني النصوص تستلزم نفي تلك الأمور المعارضة لها فهو أحق بالسنة من غيره.)

فليس من السنة الجمود على ألفاظ لا ترد بدع المبتدعة، بل بأي مصطلح لا يعارض مدلوله الكتاب و السنة يتم دفع المعارض للسنة فذاك هو السنة، السنة تقرير الحق ورد ما يخالفه، ليست السنة ترك الباطل يصول على كتاب الله و سنة نبيه.

الأحسن لهذا الأخ أن يقال له العقيدة السلفية بدون جهود ابن تيمية التي جددتها بلغة عصره كانت عقيدة ميتة منزوية على نفسها عند بعض الأفراد، مطاردة في كل مكان ، عاجزة عن مواجهة تغيُّر العصور ،وربما يجدر به قراءة رسالة الأشعري (

استحسان الخوض في علم الكلام) فإنها رسالة عظيمة النفع تفرِّق بين علم الكلام المذموم و علم الكلام المحمود .
الرد بالكتاب و السنة هو الرد أولا بمعانيهما بألفاظهما إن فهمها المخالف أو بأية لغة يحتاج إليها المخالف، و قد أصبحت اللغة المنطقية هي اللغة العلمية في مسائل أصول الدين و الفكر من قرون طويلة فاستيقظوا..
و أخيراً أقول: الحملة من بعض السلفيين على ابن تيمية لها سبب واحد ووحيد هو رفضهم إنصاف المخالف و عذره ،وعجزهم عن فهم مقاصد الإسلام ومنهجه المعرفي، فكل ما لا يفهمونه يعادونه ،وهذا إشكال نفسي وليس بعلمي.
وقد رددتُ قديما على الشيخ ربيع ـ سدده الله ـ قوله في شريط له بعنوان:" فضل العلم و أهله" من تسجيلات منار السبيل: « أننا في رحلتنا إلى كتب ابن تيمية يجب أن نبدأ بكتب السلف، حتى نتعلم معاداة أهل البدع » وذكر بعض العناوين، مما يعني أن كتب ابن تيمية لا تعلم معاداة أهل البدع، لأنه لا يفرق بين معاداة المقالة و عذر القائل، و لا بين استبطان المعاداة وإظهار التأليف لمصلحة الدعوة ،ولا التفريق بين أصناف المبتدعين .
وهذا خطا جسيم، لا يصدر من مثل الشيخ ربيع إلاَّ إذا أراد أن يبرر عجزه عن رد أدلة من يحتج عليه بابن تيمية في مسألة الموازنة؛ بمثل هذه الشبه الباطلة من كل وجه يوجه هؤلاء الشباب نحو حتفهم إذ لا يوجد بين كتب ابن تيمية و كتب من سبقه من أهل السنة خلاف، بل هي صادرة من مشكاة واحدة، إلاَّ أن كتب ابن تيمية تجمع بين الدليل النقلي والدليل العقلي، استجابة لشبهات عصره، كما تتسم بالتحقيق والاستقراء بحيث تقطع الشبه حتى عن أهل السنة أنفسهم.
وفي الحقيقة ماذا يصنع ابن تيمية مع من سمى كتاب ابن خزيمة " التوحيد": كتاب الشرك ، فهل يرد عليه بمادة ابن خزيمة ؟
المهم مثل هذه الشبه يتغذى بها الحدادية فيتولَّد فيهم الغلو و الانحراف عن الاعتدال و الوسطية ،وهي (الحدادية) في بعض السلفيين كالطبع يأبى إلا مغالبتهم .

اتصال المنطق بالميتافيزيقا

بسم الله الرحمن الرحيم

سألني أحد الإخوة عن وجود الأصول الميتايفيزقية في مختصرات العلماء المسلمين كالأخضري ـ رحمه الله ـ وقد كنتُ أجبتُ عن هذا السؤال قديما في رسالة مطولة عن جهود الشنقيطي ـ رحمه الله ـ في المنطق الأرسطي و اختصارا للجهد أضيف لها بعض الأشياء و أعيد نشرها للفائدة.

الخروج من التعتيم العلمي و الضبابية المنهجية:

يلاحظ من يتتبع العلوم المنطقية و الفلسفية، وله عناية بالتّعرف على المذاهب الفكرية المعاصرة أو الحديثة، أنه يوجد فرق معرفي شاسع بين الجامعات الإسلامية و جامعات العلوم الإنسانية ـ في هذا المجال ـ.

فالجامعات الإسلامية تدرِّس المنطق الصوري كما وقف عنده المتأخرون من شراحه، كأنما كُتب عليهم الجمود على تلك الفترة؟!

بينما الجامعات التي تدرِّس العلوم الإنسانية تدرِّس المنطق الصوري عبر جميع مراحله، من تاريخ نشوئه الأرسطي إلى مرحلته الإسلامية، ثم مرحلة القرون الوسطى، ثم صورته في العصر الحديث.

و تدرِّس إلى جانبه أنواع أخرى من المنطق طلقت المنطق الصوري وزيّفت بنيته الفكرية نهائيا.

مثل: المنطق الرواقي و الاسمي و الاستقرائي و الرياضي، و مختلف التفاعلات بينها، إضافة إلى تدريس علم مناهج البحث، و الابستيمولوجيا بنوعيها العامة و التكوينية.

و النتيجة أن المتخرج من هذه الجامعة يعيش معرفيا في هذا العصر، قد تحكّم في ثقافته، يدعو إلى مذهبه الحداثي العلماني أو الماركسي الإلحادي .

بينما المتخرج من الجامعة الإسلامية قد توقف عقله عند منطق الأخضري، فعندما ينزل الساحة العلمية يمكن له أن يناقش أشعريا أو رافضيا لاشتراكهم في هذا المنطق، ولكن لا يمكنه مناقشة الآخر للفارق المعرفي المنطقي بينهما.

حتى في مجال الاصطلاح هو مغيّب، لأن المصطلحات تطورت، فيعيش معزولا عن مواجهة العلماني الحداثي و الماركسي، وحملات الإنسية في العالم الإسلامي، يراد له أن يبقى في حوار دائم ومغلق مع الأشعري، أما الحداثي فليس له أن يواجهه!

ويمكنك تحسّس هذا الأمر بزيارة المكتبات التي تبيع الكتب الفلسفية و المنطقية و كتب الفكر المعاصر، و التّعرف على بعض روادها، وفتح باب النقاش معهم فستعرف فكرهم، ومجال نشاطهم، و حقيقة قوتهم في مختلف زوايا المجتمع، وكيف ينظرون إلى أهل الدين.

إن التعتيم العلمي على علماء الشريعة المقصود منه تغييبهم عن التجاوب مع الواقع الذي يتعامل بثقافة أخرى، ولغة أخرى" مصطلحات أخرى"، و فكر آخر.

وعليه، فإنكم عندما لا تغلقوا على أنفسكم في منطق الشنقيطي و الأخضري فتغرقوا في فكر و عقلية إسلامية ـ في هذا المجال ـ توقفت عن النظر و التفكير في القرون الغابرة ، و تقطعوا الصلة المعرفية بينكم و بين هذا العصر الحديث المصطبغ بمذاهب فكرية تحارب جوهر الإسلام ، من خلال الخروج إلى آفاق أوسع لتعرفوا تاريخ المنطق، و كيفية دخوله العالم الإسلامي، ومراحله عند المسلمين و غيرهم ،وموقف المسلمين منه ،بأن تطالعوا مثلا (مناهج البحث) لسامي النشار، الفصل الخاص بنقد المسلمين للمنطق الصوري.

وكذلك كتاب الدكتور محمود اليعقوبي (ابن تيمية و المنطق الأرسطي).

ورغم أنهما أشعريان فقد دفعتهم الحاجة الملحة إلى تكذيب دعوى المستشرقين بأن المسلمين لم يقدموا للبشرية في مجال البحث العلمي أي جديد، و أنهم ليسوا إلا مرددين لعمل اليونان، وذلك بالانبهار بنقد ابن تيمية للمنطق ، و تثمينه ، و إعطائه قيمته العلمية الحقيقية، و أنه أهم و أقوى عمل إسلامي يدل على أصالة التفكير الإسلامي ، لأن الدفاع عن هذه الأصالة يشترك فيها كل أهل السنة.

وبذلك تسعون لبسط المنهج العلمي السلفي الأعلى (في نظرية المعرفة) على ثقافة العصر،وكذلك الانسجام بين مصدر التلقي وطرق التلقي، فمعارفنا سمعية بالدرجة الأولى ـ و إن دل على بعضها العقل (يعني الصورة و ليس المادة) ـ و دور العقل تأكيدها لا التشكيك فيها لأنه ـ أصلا ـ منح للإنسان ليؤكدها، و ليست عقلية بمفهوم الفلاسفة للعقل يؤكدها السمع.

إن أصالة التفكير الإسلامي تعني عدم التسول الفكري على الأمم، خاصة الوثنية منها، فالمنطق الصوري بكل أشكاله الملخَّصة و المختزلة يتعارض مع المنهج المعرفي الإسلامي.

و الأصالة الفكرية تعني الامتناع عن التقليد الذي يؤدي إلى زوال الشخصية، و الاندماج في ثقافة الغير مباشرة أو من خلال الوسائط.

إن خلو المناهج التعليمية لعلم المنطق من منهج علمي رصين يقوم على قواعد شرعية ثابتة، تشكل بديلا لطرقه و مبادئه، هو أعظم ما سبب الانتحاء الفكري و العقائدي لبعض المسلمين، ممن كانوا أبرع منا في هذا المجال.

فبعض المسلمين تحت وطأة و تأثير عوامل دعوية وعلمية معيّنة توجه فكره نحو المنطق الصوري فذاب فيه أو كاد، أو نحو ناحية واحدة من حاجياته العلمية، و أغفل معها بقية الحاجات الأخرى.

وهذا الانتحاء الفكري للبعض بالتوجه نحو الفكر الفلسفي و التّسول عليه، قد يكون بسبب عدم تعرفه على بديل مقابل عند المسلمين بسبب غياب الفحص و التمحيص، والعزلة الفكرية عن أحوال هذا العالم، وهذا العصر.

فلم يوجدوا بديلا علميا قويا يجبر النقص في مواجهة المخالف ، ويزيل عنهم الغربة العلمية إلا هذا الانتحاء نحو الفكر المنطقي.

إن انضباط المسلمين في فهم القرآن و السنة ـ خاصة في مجال العلم الإلهي ـ و تفسيره بالدلالات الأصلية، و السياق الأول عند السلف، إنما اقتضاه إيمانهم بأن هذا القرآن هو وحي من الله ، لا يحتاج إلى غير العلوم النبوية ، فلا مجال لمعرفة الله، و ما يتعلق بهذه المعرفة من مصادر تلقيها، و طرق تلقيها و فهمها،غير علم النبوة.

و أن المسلمين باستنباطهم علم الحديث، و بنائه بناء كاملا أكدوا أن لا يقين حقيقي في العلم الإلهي، في مواده وصورته إلا في الخبر النبوي الصحيح.

ومن هنا أنكر فقهاء الحديث، و الفقهاء المتيقظون تطبيق آليات علم المنطق على النص الشرعي، سواء في أصول الدين، أو في أصول الأحكام و الأحكام.

إننا لا يجب أن نساير الخطأ الشائع عن إمكانية تخليص المنطق من أصوله الميتافيزيقية، و الخطأ الشائع بأنه قد ينفعنا في فهم الشريعة، أو الدفاع عنها دفاعا متكاملا من دون عثرة لا يكون لها صدى على إيماننا و تمسّكنا بشريعتنا.

إني إذ أقول هذا فأقصد تنبيه وعيكم بالمنهج العلمي السلفي، و أنه يستلزم أن يكون لدينا نموذجا فكريا معرفيا واحدا، كما كان عند السلف الصالح.

ألم يواجه الصحابة في الفتوحات الفرس و الهنود و الرومان الفلاسفة، و أدخلوا إليهم

الإيمان الإسلامي، و كذلك منهج المعرفة الإسلامي.
إننا عندما نعتقد صلاحية المنطق الصوري لعلومنا الشرعية لفهمها، أو الدفاع عنها، دون أن يستتبع ذلك وعيا و طلبا لطرق نقضه، يستلزم ذلك استخفافا فكريا بمنهجنا العلمي المعرفي، و تلفيقا في هذا المنهج، لأن التلفيق هو ضم فكر إلى آخر وربطه به لعدم إدراك التنافر بينهما.
أصالة التفكير الإسلامي في مجال البحث و الاستدلال:
ولإدراك العمل السلفي العميق في المعرفة ، خصوصا في المنطق،و أن السلفيين ليسوا ظاهرية وحرفية كما يزعم البعض، بل هم من يمثِّل أصالة التفكير الإسلامي ـ على الرغم أن الفلاسفة أدركوا هذا، في حين أن كثيرا من السلفيين لم يدركوه ! ـ فهذه نبذة عن أصالة التفكير الإسلامي، و أسباب رفض المنطق الصوري إن كان تعرّفا عليه من غير نقد له.
يقول الدكتور محمود اليعقوبي في (ابن تيمية و المنطق الأرسطي:ص:260):
((إننا نوافق الدكتور إبراهيم مدكور عندما يقول:" إن المنطق العربي في ترتيبه وفي مسائله نسخة مطابقة للأصل من منطق أرسطو"[أرقانون أرسطو ص:268] كما نوافق الأستاذ فان دن برغ عندما يرى في تقديمه لكتاب إبراهيم مدكور أن أنصار أرسطو من المسلمين:" قد جعلهم تعلقهم بأرسطو يعتبرون آراءه المنهج لوحيد الذي يمكن للفكر أن ينتهجه و يهملون كل ما خالف ذلك"، إن كان الأول يريد المنطق الذي كتبه المشاؤون العرب، و إن كان الثاني لا يجعل من جميع النظار المسلمين أنصارا لهذا المنطق، و إلا فإن البحث الذي قمنا به يثبت غير ما يذهبان إليه.
فإذا كان لا يمكننا أن ننكر أن جميع من كتب من المسلمين باللغة العربية في المنطق لم يخرجوا عن الحدود التي رسمها أرسطو، و أن المتأخرين منهم قد اكتفوا بتجريد منطق المشائين من الميتافيزياء التي تبطنه، فإنه لا جدال في أن هؤلاء لا يمثلون جميع أصناف الطالبين المسلمين، ولا جميع الذين تحدثوا في المنطق، بل كان إلى جانب هؤلاء المعجبين بالفلسفة اليونانية عامة، و المنطق المشائي خاصة، طائفة من النظار الإسلاميين لم يقبلوا هذه الفلسفة، لأن أصولها مخالفة لأصول العقيدة الإسلامية، ولم يستسيغوا هذا المنطق، لأنه من جهة أداة لهذه الفلسفة، ولأنه من جهة أخرى مبني على بعض أصول هذه الفلسفة، فكأنه جزء منها، هذه الطائفة هم طائفة

الفقهاء الذين يؤهلهم عملهم و علمهم لاستنباط الأحكام الشرعية غير المنصوص عليها، فهم بمقتضى وظيفتهم مدعوون للنظر و التفكير و ملزمون بتحري الإصابة فيهما، مما جعلهم منذ فجر الإسلام يسلكون طريقهم إلى مطالبهم بما كانوا يجدونه في أنفسهم من قدرة فطرية على الجمع بين المتماثلين و التفريق بين المختلفين في الحكم، وقد كان هذا المبدأ الفطري كافيا لإجراء الاستنباطات الفقهية، لكن عندما انتشر المنطق المشائي بين المسلمين لسبب أو لآخر منذ بداية القرن الثاني الهجري، و أخذ بعضهم يستعملون اصطلاحاته و بنيات أحكامه، وصور استدلالاته الصناعية، وجد الفقهاء أن هذه البنيات مؤسسة على خصائص اللغة اليونانية، و أن هذه الاستدلالات مستمدة من أصول الميتافيزياء اليونانية، ووجدوا أن استعمال القياس الحملي القائم على الوجود الذهني و الذي يعده أصحابه سبيلا وحيدا إلى العلم، لا يصلح لأن تعالج به نصوص الشريعة الإسلامية التي تتحدث عن أشياء عينية، و التي تستدل على الشيء بملازمه، ولم يكن هذا التعارض مدعاة للنفور من المنطق المشائي فحسب، بل كان موجبا للتنفير منه عند ما راح أنصاره يدعون له الكلية و الانفراد بتحصيل العلوم، ولا سيما عندما اتخذوه وسيلة للطعن في المعارف النقلية، وجعلوا المعارف العقلية معيارا للعلم عامة، و قد كانت بداية ظهور هذا التعارض بداية لظهور النفور و التنفير من الفلسفة اليونانية، ومما كان مدخلا إليها وهو منطقها، وهذا ابتداء من القرن الثاني الهجري، على لسان الأئمة المجتهدين ثم على لسان الفقهاء الذين اقتفوا آثارهم حتى العصور المتأخرة.

إذ ـ بعد نشر كتاب"صون المنطق و الكلام " للسيوطي، ونشر كتابي ابن تيمية" نقض المنطق"و"الرد على المنطقيين" و نشر كتاب " مناهج البحث عند مفكري الإسلام" للدكتور علي سامي النشار ـ لم يعد بإمكان أحد أن يوافق الدكتور إبراهيم مدكور عندما يقول:" لم يعش هؤلاء الفقهاء في عزلة مما حولهم بل قد تأثروا بالفلسفة اليونانية ولاسيما "الأرغانون" الذي وجدوا فيه طرقا صالحة لأبحاثهم الفقهية ":70] إن كان يريد جميع الفقهاء من دون استثناء.

إذ لا حجة له ولمن يرى رأيه في موقف الإمام ابن حزم الأندلسي الذي كان من السابقين إلى نعت المنطق ومدحه إلى حد التوكيد بأن:" من جهله خفي عليه بناء كلام الله عز وجل مع كلام نبيه صلى الله عليه وسلم وجاز عليه من الشغب جوازا لا يفرق

بينه و بين الحق ولم يعلم دينه إلا تقليدا و التقليد مذموم" [التقريب لحد المنطق ص:3] باستثناء السلف الصالح الذين متعهم الله بذكاء الذهن و سعة الفهم ومكنهم من فوائد علم المنطق".

و إذا كان الإمام ابن حزم لم يعدم من يعزز رأيه من كبار الفقهاء و أئمة الإسلام من أمثال الإمام الغزالي الذي يجعل هو الآخر من المنطق مقدمة لكل علم["المستصفى"{10/1}] بما في ذلك علم أصول الفقه، فإن ذلك لا يسوغ للدكتور إبراهيم مدكور أن يقول:"إن علماء الكلام و الفقهاء الذين جاؤوا من بعده[الغزالي] قد اقتصروا على اقتفاء أثره ومواصلة عمله" لأن تاريخ كل من علم الكلام و علم الفقه مرصع بمواقف النقد التي عبر بها بعض المتكلمين و بعض الفقهاء عما لا يقبلونه من مسائل فلسفة اليونان و منطقهم المخالفة لأصول عقيدة الإسلام و شريعته.

فلقد تبين لنا في غضون هذا البحث أن كثيرا من الفقهاء ما فتئوا يعيبون الفلسفة اليونانية و ينفرون الناس منها منذ أن عرفوا مخالفتها للشريعة الإسلامية، وهذا من عهد الإمامين مالك و الشافعي إلى العصور المتأخرة، كما أنهم نفروا من المنطق الذي نشأ في أحضان هذه الفلسفة ونفروا الناس منه على أساس أنه مدخل إليها، وليس نقد ابن تيمية للمنطق المشائي سوى صورة من صور مناهضة هذا المنطق التي بدأت قبل ابن تيمية و لم تتوقف بعده.

إلا أن نقد ابن تيمية ليس مثل الانتقادات التي سبقته ولا التي تلته، لأنه جاء نقدا مذهبيا، له أصوله و تصوراته، فكان شاملا مفصلا، بينما كانت الانتقادات الأخرى جزئية أو مقتضبة، و لأنه لم يكن نقدا سلبيا فقط، بل كان نقدا إيجابيا أيضا.

فهو يرى أنه ليس صحيحا أن التصورات غير البديهية لا تنال إلا بالتعريف، لأن التعريف يعتمد على معرفة الصفات الموجودة في الشيء المراد تعريفه، وهي لا تعرف إلا بالحواس الظاهرة أو الباطنة، فلا تكون بالتالي مفتقرة إلى الصياغة اللفظية التي يستمد منها التعريف كيانه، ويرى انه ليس صحيحا أيضا أن يكون الغرض من التعريف هو تصور ماهيات الأشياء، لأن الأشياء لا تعرف بما تتشارك فيه بل بما يختص به كل واحد منها و بما ينفرد به دون سائرها.

ولهذا يرى أن الغرض من التعريف إنما هو تمييز الأشياء بعضها من بعض لأن العبرة في ذلك تكون بما عليه الأشياء في الوجود الخارجي كما يحصل في التجربة

الحسية و ليس بما هي عليه في الوجود الذهني المتمثل في حصول المعنى الكلي الذي تزول منه خصائص الأشياء، ومادام هذا التمييز يمكن أن يحصل بصفة واحدة خاصة بالشيء أيا كانت، فإنه لم يعد ضروريا اشتراط وقوع التعريف بالجنس القريب و الفصل النوعي كما يزعم المشاؤون.

كما يرى انه ليس صحيحا أن التصديقات لا تكون إلا بالقياس الشمولي المعتمد على القضية الكلية، لان القضية الكلية لا تحصل في الذهن إلا بواسطة الاستقراء الذي يؤول في حقيقة أمره إلى قياس التمثيل الذي يحكم فيه على الشيء بحكم مثله، فتكون القضايا الجزئية كما تحصل في التجربة الحسية أصلا للمعارف الجزئية التي نظرا لتماثلها يمكن جمعها في صيغة واحدة هي القضية الكلية فتكون القضية الكلية نهاية للاستنتاج و ليست بداية له.

و ليس صحيحا أيضا أن القياس الشمولي هو السبيل الوحيد إلى تحصيل اليقين لأن اليقين سببه مادة القياس، وبما أن النفس أسرع إلى التصديق بالقضايا الجزئية العينية منها إلى التصديق بالقضايا الكلية، فقد باتت القضايا الجزئية كما تحصل في التجربة الحسية أصلا لكل يقين و مصدرا لكل معرفة، وعندئذ لا يعود قياس التمثيل دون قياس الشمول مرتبة و قدرة على إفادة العلم عند اتحاد المادة بينهما.

ووجدنا أن ابن تيمية يلاحظ أن القياس الشمولي لا يصلح للعلم بالموجودات الجزئية الفيزيائية أو الميتافيزيائية كواجب الوجود، لان مبناه على المعاني الكلية التي لا وجود لها إلا في الذهن، والوجود في الأعيان أصح من الوجود في الأذهان و أفضل منه.

اتصال المنطق بالميتافيزيقا

2

بسم الله الرحمن الرحيم

و يرى أن جميع أنواع الاستدلالات من قياس و استقراء و تمثيل إن هي إلا صور مختلفة لاستعمال مبدأ أساسي في كل استدلال هو مبدأ اللزوم الملاحظ بين طرفين احدهما اللازم و الآخر الملزوم، فيكون إدراك التلازم بين الشيئين أو الواقعتين كافيا لإحداث العلم بأحدهما عند العلم بالآخر، وللإيحاء بأن احدهما علة في الآخر، و يكون الاستدلال قائما على العلم بالعلة الذي هو علم فطري.

فلا يكون من الضروري إيراد الدليل في صورة القياس الشمولي بل يمكن الاستدلال بالعلة على المعلول، و بالمعلول على العلة استدلالا مباشرا بدون استعمال القضية الكلية و علاقة التداخل، مادامت علاقة التلازم مغنية عن كل ذلك.

وهذا ما جعل ابن تيمية يجد في إثبات ما أنكره المشاؤون دائما وهو أن تكون سلامة الفطرة مغنية عن تعلم صناعة المنطق، إذ مبادئ العقل لا يكتسبها الإنسان بموافقة المشائين، لأنها أساس كل اكتساب وكل حركة يقوم بها العقل، وهي في نفس الوقت أساس المنطق الصناعي، فسلامة الفطرة هي التي تجنب المستدل الوقوع في الخطأ و إن كان غير عارف بقواعد صناعة المنطق، وفساد هذه الفطرة هو الذي يوقع المستدل في الخطأ، و إن كان عارفا بقواعد المنطق، إذن فالعبرة في سلامة الاستدلال إنما هي بسلامة الفطرة لا غير، و هذا أمر يؤكده السلوك العفوي لدى جميع الناس حتى العارفين بالمنطق منهم، فهم لا يستعملون تقنيات القياس في التفكير، بل في تحليل هذا التفكير بعد وقوعه مما يتبين معه أن فائدة المنطق الصناعي فائدة نظرية لا غير.

و قد تبين لنا أيضا أن شيخ الإسلام قد ألح على وجود قدرة فطرية لدى الإنسان بما هو إنسان، يستطيع بها الجمع بين المتفقين و التفريق بين المختلفين و بالتالي إثبات أمر لأمر أو نفيه عنه بحسب ما يجد ذلك في تجربته الحسية الظاهرة أو الباطنة، وليس في كل استدلال إلا الجمع بين المتفقين و التفريق بين المختلفين فيكون الإنسان مزودا بمنطق فطري ليس المنطق الصناعي سوى صورة نظرية له ينحل إليها التفكير ولا يتولد منها.

ووجدنا ابن تيمية يدافع دفاعا واعيا عن المنطق الطبيعي الذي يعمل بمقتضى أصوله العقل السليم، والذي لم يعمل المشاؤون ومن قبلهم المعلم الأول إلا على تعقيده و إلباسه لباسا غير طبيعي من المصطلحات و الصور التقنية، متى عمل المستدل على الالتزام بها اضطرب تفكيره و تعثر تعبيره فيكون المنطق الصناعي أداة لتقييد الفكر، لأن الغرض منه هو النظر في مفرداته لمعرفة الصلات الموجودة بينها، ولمعرفة أسباب لزوم بعضها من بعض أو عدم لزومه، في حين أن المنطق الطبيعي أداة لإحداث التفكير و إجرائه، بل لانبثاقه بصورة عفوية.

فلم يعد المنطق الصناعي في نظر شيخ الإسلام سوى تشويه للمنطق الطبيعي، و

إخراج لقوانين الفكر الطبيعية من مجراها السهل إلى مساقها الوعر.
وعندئذ استقر رأي ابن تيمية على أن ما ظنه المشاؤون انه الصورة الوحيدة التي يمكن أن يتصور بها الفكر البشري ليس هو في الحقيقة سوى صورة ضيقة من صور المنطق الطبيعي الكثيرة العدد و الواسعة المجال، فهي تختلف باختلاف المطلوب و باختلاف حاجة المستدل إلى ما يصل به إليه، فقد يكون الدليل على المطلوب قضية واحدة، أو قضيتين أو ثلاثا أو أكثر من ذلك، فأوضاع المستدل هي التي تحدد نوعية الدليل و عناصره و لا تكون الشروط التي وضعها المشاؤون للقياس إلا شروطا أملتها عليهم طبيعة التصورات الميتافيزيائية التي تولدت لديهم من اعتقاداتهم نوع المشاكل التي تولدت من هذه التصورات.
ومن هذه العلاقة الثابتة بين المنطق و الميتافيزياء التي تبيناها من مختلف المنعطفات في تاريخ المنطق و التي ربط شيخ الإسلام بمقتضاها نقده للمنطق المشائي بالميتافيزياء المشائية، وجدنا أن دفاعه عن المنطق الطبيعي إنما اقتضاه منه هو الآخر دفاعه عن تصوراته الميتافيزيائية و الاعتقادية.
و إلى جانب كل هذا و جدنا شيخ الإسلام في نقده للمنطق المشائي قد اعتمد أصولا اعتمدها فيما بعد فلاسفة انضووا تحت لواء مذهب شامل تسمى بالمذهب التجريبيEMPIRISME الذي يجعل من التجربة الحسية مصدرا لكل ما في ذهن الإنسان من صور ومعان،[في الحقيقة يجمع بينEMPIRISMEو sensualisme، التجريبي: في المعنى العام مذهب من ينكر استقلال المبادئ الأولية عن التجربة يقيم الصواب على التجربة لكن قد يقصد مذهب من يجعل الحواس شرطا ضروريا وكافيا لحصول المعارف لدى الإنسان وهو إحدى صور التجربانية] فهو يرد التعريف إلى معرفة الصفات الحسية كما يرد الاستدلال إلى اللزوم الذي يكون بين شيء و آخر، وظاهرة و أخرى، مما يوحي بان يكون أحدهما علة للآخر، وهو في كل ذلك يجعل المعرفة الضرورية أصلا للمعرفة النظرية، ويرى أن المعرفة الحسية أسرع إلى القبول من المعرفة النظرية، وهو في كل هذا يعمد إلى أصل يشكك به في آراء الخصم بما لا يمكن الشك فيه وهو بداهة التجربة الحسية المتوفرة لدى جميع الناس بمقتضى فطرتهم.
ومهما كانت النزعة التجريبية الحسية شائعة بين النظار الإسلاميين عامة، فإن ابن

تيمية يبقى هو الوحيد الذي اعتمدها مذهبا معرفيا و فلسفيا في نقده للمنطق المشائي وهو الوحيد الذي جعل من التجربة الحسية مظهرا لفطرية الدين الإسلامي و معيارا لرد جميع الآراء التي لا تقبلها الفطرة السليمة.
وفي الأخير وجدنا ابن تيمية منفردا في طبيعة عمله و في جلالة هذا العمل، لأنه تفرد بالجمع بين المعرفة بالشريعة الإسلامية و منطقها و بالفلسفة المشائية و منطقها، وبالروح النقدية ولم يبد لنا أن هذه الخصال الثلاث قد اجتمعت لأحد ممن سبقه أو تبعه من الذين عابوا المنطق المشائي، فبعضهم حرمه و بعضهم أوجبه دون أن ينتبه فريق منهم إلى أن المنطق الصناعي لا يمكن تحريمه لأنه يتبطن منطقا طبيعيا فطر الله الناس عليه، ودون أن ينتبه الفريق الآخر إلى أن ما أوجبوه هو تحصيل لحاصل، لأن الله غرز أصول هذا المنطق في فطرة الإنسان، ولذلك بقي نقد ابن تيمية للمنطق المشائي مفتقرا إلى عالم بالشريعة عارف بأساليب التفكير الفطري و صوره الصناعية، متشبع بالروح النقدية حتى يستطيع مواصلة عمل قام به الفقهاء و علماء الكلام الذين جدوا في حماية عقيدة عرفوا بساطتها فنفوا عنها التعقيد و أدركوا صحتها فابعدوا عنها عناصر الفساد، وشعروا بالخطر يتهدد أصالتها، و بالسموم تدب في أوصالها مما كانت تتجرعه من مناهل المعرفة التي كان الصراع من أجل البقاء يوجب عليها ورودها، والتي فتحتها سماحتها على آفاقها جميعا، فهبوا يذودون عنها بسلاح يفل كل سلاح ولا يفله سلاح، هو سلاح الفطرة التي لا يستطيع الإنسان ولو حاول الانسلاخ عنها، بذلك نقدوا الفلسفة المشائية وردوا منطقها و بذلك نقد ابن تيمية منطق المشائين نقدا لم يبلغ أحد من الفقهاء أو من علماء الكلام شأوه فيه، لأنه نقد مذهبي قصد به صاحبه على حماية أساليب التفكير الإسلامية و بيان أهميتها و مكانتها بين أساليب التفكير الأخرى فيكون بذلك قد دافع عن الفطرة بمنطق الفطرة".
هذه كانت شهادة اليعقوبي وهو أستاذ في الفلسفة، وهناك شهادة علي سامي النشار،وغيرهما.
و المقصود من هذا أن مناهج الجامعات الإسلامية فيما يخص المنطق الصوري متخلفة كثيرا عن مناهج جامعات العلوم الإنسانية، و لذلك نرى مثل هذه البحوث من أساتذتها، بينما لم نر من علماء الشريعة فيما يخص المنطق إلا جمودا على منطق تخلصت منه البشرية ، وصار عندها نوعا من الفكر البدائي، لولا تحررها منه لبقيت

متخلفة في مجال العلوم التقنية وغيرها.
نعم لا تزال هناك قلاع للمنطق الصوري في العالم الإسلامي، لكن عند من؟ عند الرافضة ،لأن منهجهم العقلي العقائدي بعد صدر المتألهين الشيرازي،ومنذ فترة نصير الدين الطوسي يعتمد كلية على ابن سينا، فهم بحاجة إلى استدامة المنطق المشائي الذي يتماشى مع عقيدتهم و باطنيتهم.
كما لا يزال المنطق الصوري عند بعض الأشاعرة لنفس العلة و السبب.
أمثلة على فساد مواد المنطق:
قال الشنقيطي: ((وجئنا بتلك الأصول المنطقية خالصة من شوائب الشبه الفلسفية فيها النفع الذي لا يخالطه ضرر البتة لأنها من الذي خلصه علماء الإسلام من شوائب الفلسفة......
ومن المعلوم أن فن المنطق منذ ترجم من اللغة اليونانية إلى اللغة العربية في أيام المأمون كانت جميع المؤلفات توجد فيها عبارات واصطلاحات منطقية لا يفهمها إلا من له إلمام به ، ولا يفهم الرد على المنطقيين في ما جاؤوا به من الباطل إلا من له إلمام بفن المنطق .
وقد يعين على رد الشبه التي جاء بها المتكلمون في أقيسة منطقية فزعموا أن العقل يمنع بسببها كثيرا من صفات الله الثابتة في الكتاب والسنة ، لأن أكبر سبب لإفحام المبطل أن تكون الحجة عليه من جنس ما يحتج به وأن تكون مركبة من مقدمات على الهيأة التي يعترف الخصم المبطل بصحة إنتاجها .)).
قلت: هذا صحيح إلى حد ما، ويستغله في هذا القدر من أحكمه و أحكم نقده، و إلا وقع له ما وقع للمتكلمين أخذوا به للرد على الفلاسفة فانتهى بهم الأمر إلى القول ببعض قولهم، وقد كانوا نظارا بارعين، ومع ذلك لم يسلموا منه، لأن الإقرار بصحة مقدمة ـ لمن كان يعي ما يقول ـ تستلزم طردها، فإن لم يكن له منهج علمي يوازي المنطق في مستوى الإدراك العقلي تأثر به لا محالة، إلاّ أن يكون مقلدا لا يعلم مدلولات الأشياء على حقيقتها، فيجمع بين المتناقضات.
فلو أخذنا مثلا مسألة المجربات و المتواترات فإن المناطقة يرون أنها لا تصلح للاحتجاج بها على الغير لأنها غير يقينية ، ولا تفيد العلم إلا عند أصحابها!
فهي ـ عندهم ـ مختصة بمن حصلت له،لا تصلح أن يحتج بها على الغير، وهذا غير

صحيح، لأن الحسيات يحصل فيها الاختصاص و الاشتراك،ذلك أن الاشتراك قد يكون في عين المعلوم المدرك، وقد يكون في نوعه، فالناس تشترك في رؤية الشمس و القمر، وهذا اشتراك في عين المعلوم المدرك.

إن إشكالية المنطق ليس في نظم أقيسته أو شكلها فهي منتجة يقينا لما وضع فيها، ولكن الإشكال في مواده، ومواد المنطق لم يبحثها الفلاسفة في علم المنطق، لأنه علم تنظيم الفكر لا البحث في مادته.

فالمنطق عند واضعه الأول هو دراسة قوانين الفكر المجرد من كل مضمون بحيث يعالج القياس من حيث هو قياس، ولذلك يسمى بالمنطق الصوري.

فالمنطق الصوري هو علم مطابقة الفكر لذاته لا علم استنباط المعرفة، فهو منتج بمقتضى الصورة بقطع النظر عن المضمون " المواد".

فمواد المنطق بحثوها في علم الوجود "الميتافيزيقا العامة"، و لهذا استحال تخليص المنطق من الميتافيزيقا، وتبيّن مرة أخرى خطأ الشيخ الشنقيطي.

ومواد المنطق فاسدة، بل تقود للزندقة، ومن هنا لم يكن ممكنا استعماله للاستدلال على صحة الشريعة ، لأن صحة الاستدلال المنطقي، وهو التنقل بين المقدمات لا يستلزم صدق نتائجه، لأن مواده فاسدة.

فالنتيجة في القياس المنطقي يقينية، ولكنها ليست صادقة، لأن المقصود باليقين هنا يقينية التلازم بين المقدمات و النتيجة، لا كون النتيجة يقينا في الحق أي صادقة، فإنها حتى تكون يقينية في الحق أي اليقين المطلق يلزم أن تكون موادها يقينية، ومواد المنطق هي نظريات لم تثبت صحتها ،ووهم وخيال، و مصادرة على المطلوب كما في اختراعهم قسما ثالثا من الموجودات ـ زيادة على الجوهر و العرض ـ هو المعقول!.

فعندما يزعم المناطقة أن نتائج المنطق يقينية فإنهم لا يكذبون، ولكن عن أي يقين يتحدثون، يقين التلازم من الطرفين ـ التلازم المكافئ ـ أي أن ما وضعوه في المقدمات يقود يقينا إلى تلك النتيجة أم اليقين المطلق يقين مواد المعرفة؟!

فيجب التفريق بين يقينية النظم و يقينية المواد، بمعنى آخر: التفريق بين يقينية النتيجة بالنسبة لنظم الدليل، ويقينية النتيجة بالنسبة لمواد الدليل.

وللتمثيل أقول: لو كان المطلوب اللون الأحمر فقمت بمزج الأسود و الأبيض فالنتيجة

اللون الرمادي، وهذه نتيجة يقينية لاشك فيها، وكونها يقينية لا يعني أنها طابقت المطلوب، لأنها غير صادقة بالنسبة للمطلوب الذي هو اللون الأحمر، فالنتيجة صحيحة بالنسبة لمواد المقدمات، ليست صحيحة بالنسبة للمطلوب.

ولما كانت مواد المنطق ميتافيزيقية غير مطابقة للواقع الموجود، ولا للحقائق الشرعية كانت نتائجها خاطئة كاذبة.

المقصود: التفريق بين الصدق الصوري و الصدق المادي(الواقعي).

وعليه، عندما يقول بعض العلماء: إن القياس المنطقي قياس صحيح مضمون النتيجة فاعتبار النظم لا باعتبار المواد.

فالصحة المنطقية أي صحة الاستدلال لا تستلزم صدق النتيجة.

وعندما يقول ابن تيمية ومن قبله النظار و من بعده أصحاب المنطق الاسمي و التجريبي والاستقرائي: إن القياس المنطقي لا يفيد معرفة صحيحة فباعتبار مواده وتكرارية بعض نظمه.

فالمحذور في القياس المنطقي شيئان:1 ـ مواده الفاسدة.

2 ـ حصره طرق العلم في القياس المنطقي.

وعندما قال الفقهاء: " من تمنطق تزندق" لم تكن كلمة صادرة عن فراغ، بل لها كل مدلولاتها، ولكن بعض الناس يأتي المنطق في فترة وجيزة، و لا يستوعب جميع نظرياته، فلا يؤثر فيه، أو لا يشعر بتأثيره فيه، ولكن مواد المنطق تقود إلى الزندقة و السفسطة في المعرفة ،لأنها تجعل الحقيقة و الوجود و الأولوية و التعريف و المعرفة لما يجول في الأذهان، وليس لما يكون في الأعيان.

ولقد كان الشيخ الشنقيطي مخطئا مقلدا لمن استشهد بهم كالأخضري عندما زعموا أن المسلمين خلصوا المنطق من مباحثه الفلسفية ذلك أن مبدأ المنطق الفلسفي يقتضي استحالة فصله عن الميتافيزيقا، لأن مبدأ الشيء هو علته على أساس أن العلة أصل المعلول، ووجوده لا يبدأ إلا بوجودها.

ثم إن بنيوية المنطق المتكون من نظرية كلية هي القياس،والمؤلفة من أجزاء مترابطة ترابطا وظيفيا، بحيث يستمد كل جزء من قواعده وظيفته من علاقته بسائر الأجزاء الأخرى، فنظرية التصور و الحد تخدم نظرية القضية و الحكم المعمولة لتخدم نظرية البرهان أو القياس،المعمول لتبرير علم الوجود "الميتافيزيقا".

بمعنى أن امتداد المنطق الميتافيزيائي لا يمكن التخلص منه، فمنبعه تأملات ميتافيزيائية، ونهايته ميتافيزيائية بدون حل.

ومن المعلوم أن إمكان التصور هو صلاحيته الميتافيزيائية للوجود،فالموجودات المنطقية إنما ينظر إليها من حيث هي ممكنات، سيان وجودها بالفعل و عدمها،بل يمكن أن تكون موجودات ذهنية، أو تعبيرا عن مجرد نفي"العدم".

و المنطقي يحتاج في عملية التصور إلى التجريد، و التجريد هو عزل الذهن لصفة أو لعدة صفات لا تنفصل عن موصوفاتها في الواقع، وتوجيه الانتباه إليها دون غيرها من الصفات التي تتصف بها الأشياء، مثل تصور الكرة بقطع النظر عن مادتها ولونها و مقدارها.

فعلوم الطبيعة ـ مثلا ـ تجرد موضوعاتها من جميع الصفات الفردية، و الرياضيات تجرد موضوعاتها من جميع الصفات عدا صفة الكم.

و ما بعد الطبيعة أو علم الوجود المعمول المنطق كله لخدمته يجرد موضوعاته من جميع الصفات بما فيها صفة الكم ما عدا صفة الوجود الكيفي.

فالمنطق لا يهتم إلا بصفة الوجود بقطع النظر عن الصور الجزئية التي يتجلى فيها الشيء ، ولذلك يسمى علم الوجود بالميتافيزياء العامة.

وحتى الصدق في المنطق هو قول أن ما هو موجود موجود، و أن ما ليس موجودا ليس موجودا، فهذه خاصية الحكم، لأن التصور ليس صادقا ولا كاذبا،ولكن المقصود بأحقية الوجود ماهية الشيء الذهنية، لا حقيقته في الوقوع، لذلك ينصّب التعريف المنطقي عليه، وهذه سفسطة لأن الوجود في الأعيان و ليس في الأذهان.

فالتعريف في نظر المناطقة هو طلب الماهية،إنه هدف علم التصور،والتصور و التعريف فكرتان متماثلتان، ،إنهما ماهية الشيء في الذهن و ليس في الخارج،ومعلوم أن تعريف المتصور في الذهن ليست تعريفا للموجود في خارج الذهن، الفرق بينهما الوجود الثبوتي الحقيقي.

ولذلك لا يمكننا أن نعتبر التحديد المنطقي تعريفا للشيء الحقيقي، بل هو صورة ذهنية له، لا وجود لها في عالم الحقيقة، و لا تعبر عن الحقيقي الواقعي، ولذلك لا يمكننا أن نستمد منها معرفة مطابقة للشيء المراد التعرف عليه.

فإذا زعم المناطقة أن التعريف هو القول المبيّن لطبيعة الشيء أو لمعنى الحد،و

التعريف هو التصور، ووظيفته إحلال تصور واضح محل تصور غامض،فمقصودهم إحلال تصور الكلي محل تصور الفردي، ولذلك كان الفرد عندهم غير قابل للتعريف، بل لا يقبل إلا الرسم الذي يكون بالجنس و الفصل ، والرسم يلجأ إلى العناصر الحسية، و التعريف إلى الخصائص المعقولة، ومعلوم أن الخصائص الحسية معقولة، و المعقولة من الحس أخذت بالاستقراء، وهذا وجه تفريقهم الباطل بين حكم العقل وحكم الوهم.

فهم هنا ـ في تفريقهم بين الكلي و الفردي ـ فرضوا مانعا عقليا ليس برهانا يقنيا وضعوا له قانونا مصادرة على المطلوب ثم طالبونا بالتسليم له تقليدا لهم.

اتصال المنطق بالميتافيزيقا

3

ومن هنا يتبيّن أن التعريف الحقيقي و العلمي الصحيح هو معرفة جملة خصائص الفرد، و أن التفريق بين الذاتي و العرضي في التعريف مجرد خيال ووهم، لأن الإنسان المعين فلان ابن فلان لا يمكن تعريفه بغير صفاته العرضية،وتجريده منها هوتعريف لإنسان آخر لا وجود له إلا في أذهانهم

إن التعريف المنطقي الصوري يقوم أساسا على مبدأ الهوية " الهو هو " وهو مبدأ تكراري، فكل معنى مكافئ لذاته بسيطا كان أو مركبا أي الوحدة في الذات بإزاء التعدد في الإشارة إلى هذه الذات وبإزاء تعدد أحوالها .

وكما يقول هيجل :الفكر في المنطق الصوري متقيد بمبدأ الهوية، و بالتالي محكوم عليه بأن لا يحرز أي تقدم حقيقي، و في هذا الصدد يكون تكرارا واسعا لأنه يجب كسر دائرة الهوهو، و على الفكر أن يتجاوز نفسه ليصبح خصبا.

فكيف يكون الشيء واحدا و متعددا في آن واحد؟! نعم الماهية العامة موجودة لكن في الذهن المتصور المتجرد لا في الواقع، في الواقع لا يوجد إلا واحد.

إن الوجود عند عقلاء البشر هو استمرار الكون في الأعيان، وهو يقابل الماهية التي هي كون في الأذهان، كما يقابل العدم الذي هو انتفاء.

ووجود الإنسان في الخارج هو عين كونه حيوانا ناطقا، وليس معنى ذلك أن الوجود

عرض يحل بماهيته، فالماهية يمكن تصورها مع الذهول عن الوجود، لكنه لا يمكن تصور الوجود مع الذهول عن الماهية.
ومن هنا يقول المحققون بأصالة الوجود، بخلاف المناطقة الذي يقولون بالماهية،أي سبق الماهية للوجود.
إن المنطق والميتافيزيقا شيء واحد كما يقول ذلك الرواقيون، فهو لا يدرس الإدراكات الحسية كما تفعل الهندسة في تمثلات مجردة مستمدة من الحواس ، وإنما هو يبحث في تجريدات خالصة.
ولما لم يجدوا في الوجود الحسي شيئا لا يكون متصفا بمجموع صفات حتى البسيطة منها لها شكل ولون أو رائحة أو غير ذلك اخترعوا لنا البسيط الحقيقي وهو ما ليس له أجزاء مختلفة لا بالكيف ولا بالكم، و لما طالبناهم بمثال عليه قالوا لنا: هو الله؟
فهل رأوا الله تعالى أو أخبرهم في كتبه و على لسان أنبيائه بأنه بسيط لا يتصف بأية صفة ثبوتية ؟!
ولما كان حد التشابه في المنطق هو الاتحاد في الكيف ،والصفات تستلزم عندهم الجسمية المخالفة للبساطة الحقيقة زعموا أنها تقتضي التشبيه فنفوها.
وقد حاول بعض المناطقة النصارى حل هذا الإشكال فقال:
حد المتشابه هو حد يعبر عن أمر مشترك حقيقة إلا أن معناه لا يتحدد إلا في أنواعه، وهو ليس بالنسبة إليها إلا كالأمر الجامع،أي أنه معنى متوسط بين الحد المتواطئ و الحد المشكك.
والنتيجة لا يمكن تخليص المنطق الصوري من أصوله الميتافيزيقية و أساسه الكليات الخمسة.
وحتى التأويل عند المناطقة لا يخدم غرضا معرفيا أسمى، وليس منهجا ثابتا، فهو يدور مع الغرض منه ، ولذلك قالوا : هو ترك المعنى الظاهر من اللفظ إلى معنى آخر يحتمله على سبيل الترجيح للتوصل إلى أمر مرغوب فيه أو مرغوب عنه،فهو متحرك حسب رغبة المتأول، ولذلك أكثر من يحتج بالمنطق و ينتفع به الشيعة الباطنية .
و الحقيقة تقال لقد أخطا الشيخ الشنقيطي ـ رحمه الله ـ عندما اعتبر أن قياسات المنطقة صحيحة ولكن الإشكال في المواد لان الإشكال ليس في صحة نظم قياساته، و أنها

يمكن أن تكون صحيحة، ولكن في كونها هل تنتج معرفة ملموسة بمعنى هل يتقدم الفكر بها؟

وقد لاحظ النظار و الفلاسفة و المفكرون أن النتيجة الكلية في القياس المنطقي عديمة الفائدة، و تكرارية، لأنها مجرد جمع، ولا يحصل بها تحول حقيقي في المعرفة، فإذا كانت النتيجة مطابقة للكبرى فما الفائدة في التكرار، وإذا كانت جزءا فقط من الكبرى فما الفائدة من التضييق، فالتفكير لا يتقدم لا في هذه الحالة ولا في الحالة الأخرى، بل التجربة وحدها هي التي تتيح التقدم للعقل.

فالمنطق في أحسن أحواله يعين على الكلام لأن أصحابه لا يستطيعون وضع قياس صحيح يؤدي إلى نتيجة صادقة إن لم يحصلوا مادته من قبل، أي إن لم يعرفوا قبل ذلك صدق ما يستنتجون في قياسهم.

فمن المجمع عليه أن القياس يكون فاسدا إن كان في النتيجة أكثر مما في المقدمتين، وهذا معناه في الحقيقة إنه لم يثبت بواسطة القياس أي شيء لم يكن معروفا أو مفروضا فيه أنه معروف من قبل، إن إدراج قضية عامة لا يضيف شيئا للدليل، فهو دور فاسد.

شروط تعلم المنطق الأرسطي:

على من يريد تعلم المنطق الصوري أن يحدد مجال تطبيقه ، وما هي حدود الاستفادة منه، فنظرية الحكم و القضية لا يأتي منها شيء، و كذلك نظرية البرهان لأنه لا يمكن الاستفادة من الكليات إلا في الرياضيات،و الكليات الشرعية قائمة بنفسها لأنها مبنية على السمع، وتسبقها مقدمات مضمرة.

أما الحدود فليس فيها إلا التطويل و التعقيد، و تفصيل ما أجمله الاسم في التعريف خير من التحديد المنطقي.

وفي الأخير لا أريد هنا أن أناقش الشنقيطي في ما اعتقد صحته من قضايا المنطق فهذا أمر متروك للأخ بدر الدين، ولكن أريد أن أشير إلى مسألتين اثنتين:

الأولى: أن ملخص الشنقيطي للمنطق تلخيص ناقص، دفعته خلفيته الشرعية وتوجسه من قضاياه الفلسفية إلى إهدار السياق العلمي لبناء علم المنطق مرحليا، فدخل مباشرة في فصوله الوسطى .

فأقام ملخصه على منهج الانتقاء الموضوعي و الاقتباس الموضعي،وهذا لا يساعد

في تعليم المبتدئ إلا أن يقوم بذلك شيخ متمكن من المنطق، متمرس في تعليمه.
ثانيا: الطريقة التي عرض بها المنطق لا تعلم المنطق، ولكن تعلم مصطلحات مفصولة عن تكوينها المعرفي، فكتابه يحتاج إلى كتاب آخر يسبقه، يعرف طلبة العلم بالمنطق اللفظي، و يتدرج معهم ،فالحد أنواع ، و التصور أنواع ومراتب، و التصديقات أنواع ومراتب،وماهية التصور علم بحد ذاتها ،و غير ذلك كثير.
فلم يتعرض الشيخ ـ رحمه الله ـ للنظرية العامة للحد و التصور من حيث تعريف التصور و الحد و طبيعتهما، و تصنيف التصورات و الحدود، و نظرية الفحوى و المحمولات و المقولات،ومفهوم التصور و ماصدقه، والفرق بين التعريف و التصنيف، و إشكالات تسوير المحمول، و القضايا التحليلية و القضايا التركيبية ونظرية الاستنباط العامة، و أنواع الاستنتاج و الاستقراء وطرقهما، وكثير من المسائل.
ولو أجد متسعا من الوقت فسأنزل هذا العمل أي كيف تفهم المنطق بسهولة و يسر، و تتصوره كما هو عند أصحابه بدون نقد، و أترك النقد لأخينا الشيخ بدر الدين لإتمام الفائدة، وحصول المطلب السلفي من دراسة المنطق.
وعليه ، فإن دور الشيخ بدر الدين شرح مقاصد أهله أولا ثم نقضها ،وهذا يستلزم مناقشته بدون جرأة عليه، وعدم الاعتراض عليه بالتقليد.
فمن أراد أن يكون سلفيا في مصدر التلقي و طرق التلقي فلينتبه إلى مقالاته و تعليقاته ، و يحاول الاستفادة منها ، لأن ما يقوم به الأخ بدر الدين ليس ترفا عقليا لإظهار القدرات و المكنات، ولا ترديدا لشيء قاله ابن تيمية ففقهه الإخوة ،و أدركوا مجانبته للصواب.
فالأخ بدر الدين من أقدر من أعرف على نقد المنطق و الفلسفة دون الانحراف عن عقيدة السلف، أو التناقض في المنهج العلمي.
وقد سبق له تدريس المقدمة المنطقية لكتاب الغزالي(المستصفى)، و (شرح الأصفهانية) ،وهو الآن يدرس (معيار العلم في فن المنطق)، فمتى استشكل على الإخوة موضوع من موضوعات المنطق فله أن يستفسر و يطالب بالتوضيح و الإثبات، لكن ليس بنقل قول الشنقيطي أو الأخضري أو الغزالي أو الرازي و الخونجي أو ابن عرفة لأنهم ليسوا إلا مرددين لمنطق أرسطو بواسطة ابن سينا

القرمطي معرفة ومذهبا.
ومن أراد أن يكون سلفيا متناقضا، عبثيا في المعرفة، يأخذ في أصول الدين بمنهج ،وفي أصول الأحكام و الجدال بمنهج آخر مناقض و معارض له، من جهة يقبل المنطق و يقر بصحته، ومن جهة أخرى يقول بعقيدة لا يقبلها المنطق في أي صورة، فليدرس منطق الشنقيطي و الأخضري بدون نقد .
فإن لم يصلح علم المنطق في الإلهيات و استغني عنه في أصول الفقه بمناهج علمية صحيحة خاصة بهذا العلم ففي أي علم يحتاجه المسلم؟!
و لو كان المنطق الصوري ينفع في معرفة الحق في أي حقل من حقول المعرفة لعرف الحق من اشتغل به، فما بال المجوسي و اليهودي و المسيحي و الملحد كلهم يتشدق بهذا المنطق، وكلهم كفار و ضلال؟!
والمحصلة:
هل يجوز تعلم المنطق الصوري ؟
الجواب نعم.
هل نكتفي بتعلمه فقط؟
الجواب: لا ،يجب تعلم نقده بطرق القرآن،وتعلم بقية أنواع المنطق.
وفي الأخير أقول: ما قام به الشيخ الشنقيطي ـ رحمه الله ـ عمل كبير،كان نافعا لكثير من السلفيين بحكم الظروف و الحاجة التي كانت قائمة آنذاك، فقد سد ثغرة كبيرة، ولكن بسدادة مؤقتة ،حان الوقت لتغييرها.
والمسلم مطالب بالتحسن و التجاوب مع التحديات، و العلم لن يقف عند شخص معين ، ولذلك فإننا نقدر مجهوده و نثمنه، ولكن لا نقف عنده،كما لا نخلط بين القضايا .
كما إني من خلال هذا المقال أردت تنبيه الأفاضل الذين يقومون بتدريس المنطق الأرسطي أن عملهم هذا يدل على وعي كبير بالتحديات العلمية ، و لكن يلزمهم تطعيمه بنقد فصوله الباطلة، و توسيع معارفهم في هذا المجال، فقد عاينت في مذكرة الشيخ الشنقيطي أنه كلما تفطن إلى تعارض المنطق مع أصول الفقه كان ينبه ويبيّن الجواب الصحيح، كما فعل في مسألة الأمر، و تعارض الكبرى الموجبة مع الصغرى السالبة وغيرها.
وفي الأخير أقول : لم أكتب هذا المقال نقدا للمنطق، ولكن لوضعه في الصورة

الشاملة لنعرف ما نحتاجه منه، وما لا نحتاجه، و لنضعه في مكانه الصحيح، فحاولت أن أصور لكم ـ بإيجاز ـ نظرية المنطق من الخارج، و يبقى نقده من الداخل دور الشيخ بدر الدين إن شاء الله تعالى.
و لأبين لكم ـ بحكم خبرتي ـ منزلة الشيخ بدر الدين في هذا العلم لأنه كما يقال: من لا يعرف الصقر يشويه.
لقد حاولَ بعضُ فضلاء المتكلمين و الفقهاء عَزْلَ المنطق عن خلفيتِه الميتافيزيقية ظنًّا منهم أنَّ هذا المنطق لا يتعارض مع العقيدةِ الإسلامية و أساليب التفكيرِ عند المسلمين، وأنهُ متى خلَّصناه من أصولِه الميتافيزيقية أمكن الاستفادةَ منه في العلومِ الإسلامية لنضمَنا مطابقة الفكرِ لقواعدِها،وقد نجمَ عندهم هذا الظنُّ لقلة ِإحاطةٍ بمقاصد أصحابِه وحقائق قواعدِه فلقد اتَّصلت حقائقُ المنطق بحقائقِ الميتافيزيقا اتصالا كاملا تامًّا فمبحث التعريفِ أُقيمَ على أصل ميتافيزيقي هدفُهُ الوصول إلى الماهية أو الحقيقة العقلية الكاملةِ(يقول أرسطو:لا أنازعُ في أنَّ المحسوساتِ الطبيعيات ليست من الوجودِ بشيءٍ، فلا يمكن اتخاذُها أساسًا للمعرفةِ[يشير هنا إلى ضرورةِ الظفرِ بالماهية]).ولهذا صارت الصورةُ عندَه تَشبه المثُلَ عند أفلاطون.
وكذلك مبحث التصورات ففكرة المفهومِ تنتهي في النهاية إلى تجريدٍ، وكذلك فكرة البرهان باعتبارِ أن ما هو إلا قياس مقدماتُهُ يقينية، و الذي يمثل بحثَ الحق المطلقِ.
ــ يقول أرسطو :" المنطق هو علم الفكرِ الضَروريِّ من حيث تَطابُقُه مع الوجود"حصرَ الوجودَ في الصورةِ وهي عبارةٌ عن العقلِ لانَّ الوجودَ الماديَّ هو أخس أنواعِ الوجودِ عنده(ولذلك كان الاستدلالُ عندهم استخراجُ النتائجِ من المقدماتِ اضطرارًا وليس بالتلازمِ و المقصود بالاضطرارِ أن لا تكونَ عن تجربة)،وهذا التطابق الضروريُّ بين الأفكار هو موضوع المعرفةِ ذاتِها،فالمنطق هو فكرة المعرفةِ،وهو يقومُ على مجموعة من القوانين البديهية : قانون الهويةِ ـ قانون عدمِ التناقضِ ـ قانون العليةِ، وهي في الأصلِ أصول ميتافيزيقية لأنها مبادئ مجردةٌ تستند عليها المعرفة المجردة،وهي مُلزمَةٌ للفكر من حيث هو فكر.
العلمُ عند الفلاسفةِ ثلاثةُ أنواعٍ : 1 ـ علمٌ لا يتجرد عن المادةِ في الذهن ولا في الخارجِ، وهو الطبيعيُّ، وموضُوعُه: الجسم.
2 ـ علمٌ مجردٌ عن المادةِ في الذهنِ لا في الخارجِ، وهو الرياضيُّ كالكلامِ في العددِ و

المقدارِ، مقاديرُها موجودةٌ في الخارجِ،وهذه المعقولاتُ الثانيةُ ،وهي موضوع المنطق الصوريّ لكنه عندما يفرضُ وجود كلياتٍ مفارقةٍ مستقلةٍ ينتقل إلى المعقولات الثالثةِ، وهي القسمُ الثالثُ من العلم عندهم،وهو:

3 ـ علمٌ مجرد عن المادة في الذهن و في الخارجِ وهو الميتافيزيقا، أو الإلهيُّ، أو ما وراءَ الطبيعةِ، وموضُوعُه: الوجود المطلَق بلواحقِه التي تلحَقُه من حيثُ هو موجود كانقسامِهِ إلى واجبٍ وممكنٍ، وجوهر وعرَض.

ـــ ولعل أسوأ ما في المنطق،و الذي حذرَ منه علماءُ الإسلام قولهم بوجود الكليات المفارقة المستقلة أو حتى المقارِنَة في الخارج الناجمِ عن قولِهم بالجواهر المجردةِ، أي: بإمكانيةِ تجرُدِ الصُورة عن المادةِ، وتقسيمِهم العالَم إلى عالَم المُثَل أو المعاني أو اليقين وعالمِ المحسُوسات كما عند أفلاطون،أو إلى ما هو بالفعلِ وما هو بالقوةِ و المادةِ و الصورةِ كما عند أرسطو.

بسبب أغلوطات المنطق اشتهر بين المسلمين أنَّ المنطق يَجُرُّ إلى الزندقَة، وقد يخالف في هذا مَن لم يفهَم حقيقة المنطق وحقيقةَ لوازمِه كبعض الفقهاء، ويظنُ انهُ في نفسِه لا يستلزمُ صحةَ الإسلام، ولا فسادِه، ولا ثبوتَ حقٍّ، ولا انتفاءه، وإنَّهُ ليس آلة تعصِم مراعاتها عن الخطأ في النظر.

وليس الأمر كذلك بل كثير مما ذكروه في المنطقِ يستلزم السفسطَة في العقلياتِ والقرمطة في السمعياتِ، ويكون من قال بلوازمِه ممن قال اللهُ تعالى فيه : { وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحابِ السعيرِ } [الملك : 10]

ومن هنا يظهر استغناء جميع العلوم بنفسها عن علم المنطق الذي لا يكفي نفسه بنفسه.

وحينئذ فيمتنع أن يكون علم المنطق طريقة مميزة للحق من الباطل، والصدق من الكذب، باعتبار ما هو الأمر عليه في نفسه.

ويمتنع أن تكون منفعته مشتركة بين الآدميين ـ وفي هذا رد قوي على دعوى الشيخ الشنقيطي احتياج الشريعة إليه في تبريرها أو الجدال عنها ـ

بخلاف طريقة الأنبياء فإنهم أخبروا بالقضايا الصادقة التي تفرق بين الحق والباطل، والصدق والكذب، فكل ما ناقض الصدق فهو كذب، وكل ما ناقض الحق فهو باطل.

فلهذا جعل الله ما أنزله من الكتاب حاكما بين الناس فيما اختلفوا فيه، وأنزل أيضا

الميزان، وهو ما يوزن به، ويعرف به الحق من الباطل، ولكل حق ميزان يوزن به. بخلاف ما فعله الفلاسفة المنطقيون، فانه لا يمكن أن يكون هاديا للحق، ولا مفرقا بين الحق والباطل، ولا هو ميزان يعرف بها الحق من الباطل.

Somatostatine

نحتاج إلى هذا الدواء (هرمونات) وهو غير موجود بالجزائر في المدة الأخيرة(كان يقدم في المستشفيات)، فمن يستطيع توفيره بثمنه من أهل أوروبا نكون له من الشاكرين.

ـ أنزلتُ كل ما عندي لأني سأنشغل ببعض الأمور ، فقد فرغت الجعبة.

ثقف عقلك

ثقف عقلك بمختلف المعارف، لا تضع للمطالعة حدا،فهي لا تقبله لأن الرغبة في العلم لا تتجزأ إلا ما نهى عنه الشرع ،بهذا وحده تستطيع الغوص في أعماق الأمور الخفية،و كما قال الشافعي ـ رحمه الله ـ: العالم من تعلَّم العلم ثم نظر فيما ينقصه فطلبه، و يصدق هذا على المثقف في هذا العصر.

اجتهد قدر الإمكان، وراقب قصدك باستمرار سيوجد دائماً من يعتقد أن معرفتك جديرة بالاهتمام فما نحن إلا تلك الجداول الصغيرة ، تصبُّ كلها في نهر عظيم، من أية جهة نبعنا نسير كلنا في اتجاه النهر العظيم ؛ وان اختلفت مياهنا صفاءً و عذوبة فكل الناس يشرب بحسب ما رزقه الله.

لماذا تفكير سلفيَّة (التَّجريح و التَّعطيل) سلبيٌّ تشاؤمي، سوداويٌّ قاتم؟

بأي عقلٍ يفكِّرون ؟

بسم الله الرحمن الرحيم

نكون في غاية السعادة عندما يعمُّ نفوسنا التفاؤل،عندما تسيطر علينا رؤية ايجابية لمن حوالينا،نعذر النقص ونرحم الضعف ،و نؤدي واجب النصح؛ هنا نأمل في المستقبل، و تتجدَّد لدينا الطاقة على المحاولة من جديد رغم الفشل السَّابق، بخلاف من استولت على عقله نظرة تشاؤمية للمسلمين، فهم عنده بين فاجر و كافر و فاسق ، وقلَّة قليلة من أصحابه هم أهل السعادة في الدارين !

هل هذا الشؤم عند بعض إخواننا الذين لا يعجبهم إلا ما يفعلونه هم، هذه الكراهية لإخوانهم حتى في صوابهم، هذه اللامبالاة بجهودهم ناشئة عندهم من خارج أنفسهم، أم هي وليدة تلك النفوس، فيها تفرخ و تنمو و تتضخم،هل في الإمكان تحريرهم من هذه العواطف السوداوية و النظرة التشاؤمية، ربما يصعب عليهم ذلك لأنهم قضوا سنين طويلة وعقولهم تعمل بهذا الشكل حتى ترك التفكير السلبي و الظن السيئ و الشك في الغير بصمته عليها.

عندما قرَّر بعض الأفاضل أن يجاهدوا بكل ما يملكون من جهد بذلوه، و نفس أرهقوها، و أهل أهملوهم لانجاز مشروع دعوي من خلال إنشاء قناة فضائية، ووافق الشيوخ الأفاضل الذين يظهرون فيها ،و رحَّبوا، و بذلوا الوقت و الجهد للمساهمة فيها ظنَّ بعضُنا أنَّ أوَّل سؤال سيطرحه "السلفيون التجريحيون"، أو "السلفيون بدون وعي"،أو "السلفيون بلا ضمير" سميهم كما تشاء فالحقيقة لا تزال بعيدة ، أنه سيكون عن هوية القناة الذي يسمُّونه في عرفهم " المنهج" .

و بطبيعة الحال السؤال عن هوية المرسل سؤال طبيعي عادي لا استغراب فيه، ودور القناة أن تكشف عن هويتها، ولا تترك المتابع لها يفك الشفرات ،و يقامر في خياله، فربما يتيه عن الصواب،فلم تترك بمعية الشيوخ الأمر للصدفة فكان اختيارها للشيوخ و الأفاضل الذين يظهرون عليها ضمن هذه الرسالة وهي : جزائريون يخاطبون الجزائريين وغيرهم بلغة متفاوتة بحسب الموضوع و الموجَّه إليه،من خلال شخصهم الكريم، و لباسهم، ولغتهم ، ومواضيعهم و بنائها الشرعي، مما يفهم منه الناس أنهم جزائريون مسلمون سنَّة وكفى، لأن الهوية الحقيقية هنا تقف ،وما بعدها لا يصلح للدعوة، وهو اصطناعي مفبرك، القصد منه تدمير جماعة المسلمين و تفكيكها، إذ بقية الفوارق مكانها الجامعات و كتب التخصص ،و ليس المجال العام الذي تعتني به القناة.

هذه النظرة السلبية للغير المخالف لهم لا تقوم على قاعدة صحيحة، بله أن تكون نابعة عن دين أو شريعة ، أنها صورة لتمثلات رجل لم يفهم دينه، ولا فهم كلام العلماء، جعل السنة مخالفة البديهة و الضرورة، و مقاومة الفطرة البشرية.

هذه المواقف و العواطف السلبية تأتيهم من نظرة خاطئة مفادها أن سبب عدم انتشار فكرتهم و رفضها من قبل جمهور الناس هو هؤلاء السلفيون الذين يخالفونهم .

ليتحرروا من هذه الكآبة، ومن هذا الفكر التشاؤمي السلبي؛ يحتاجون إلى مجهود في بناء وعي جديد،و متواصل لإعادة النظر من جميع الزوايا حتى يدركوا أن الاختلاف معهم لا يجلب نهاية العالم،و أن المسلمين بدونهم سيكونون في أحسن حالٍ.

تبرئة الأئمَّة

عندما تلصق التُّهمة و تسافر عبر القرون

بسم الله الرحمن الرحيم

في الزَّمن الذي تنتشر فيه بدعة معيَّنة يُصبح الحديث في المواضيع المتعلِّقة بها خطراً ،إذ يكثر الذين لا يميِّزون محل الاشتباه أو القدر المشترك عن القدر المميز ، وهناك دائماً المستعدٌّ لنقل التُّهمة وترويجها ،وهكذا نجد كثيراً من الأئمَّة من اتُّهموا بتهم متنوِّعة، فمنهم من اتُّهم بالقدر كقتادة و الحسن البصري و الأزهري، ومنهم من اتُّهم بشرب الخمر كالخطيب البغدادي، ومنهم من اتُّهم باللُّوطيَّة ،ومنهم من اتُّهم بالتَّشيُّع ... الخ.

و اليوم نقف مع علمٍ من أعلام التَّفسير و الحديث، رمي بالقدر ،و تناقلت الكتب التُّهمة وعبرت بها القرون حتى وصلتنا ،و صار طرفٌ يُمثِّل بها على التَّحذير و الصَّدع بالنَّصحية،وطرفٌ آخر يُمثِّل بها على حسن الاعتذار، و إمكانية الخطأ على جميع النَّاس بما في ذلك أئمَّة السَّلف،هو قتادة بن دِعَامَةَ السَّدُوسِيِّ.

ترجمته عند المحدِّثين:

قال الصفدي في(الوافي بالوافيات){225/7}: (قال الشيخ شمس الدين: وقد تفوَّه بشيء من القدر، قال: كل شيء بقدر إلا المعاصي.

وكان رأساً في الغريب والعربية والأنساب، وقد وثَّقه غير واحد...قال مَعْمَر: سالت أبا عمرو بن العلاء عن قوله تعالى { وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ } فلم يجبني، فقلت: إي سمعت قتادة يقول: مطيقين، فسكت فقلت له: ما تقول يا أبا عمرو؟ قال: حسبك، فلولا كلامه في القدر، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إذا ذكر القدر فأمسكوا) ، لما عدلت به أحداً من أهل دهره.)

قال الذهبي في (سير أعلام النبلاء){269/5}: (وهو حجَّة بالإجماع إذا بيَّن السَّماع، فإنه مدلس معروف بذلك، وكان يرى القدر، نسأل الله العفو،ومع هذا فما توقَّف أحدٌ

في صدقه، وعدالته، وحفظه، ولعل الله يعذر أمثاله ممَّن تلبس ببدعة يريد بها تعظيم الباري وتنزيهه، وبذل وسعه، والله حكم عدل لطيف بعباده، ولا يسأل عمَّا يفعل.
ثم إن الكبير من أئمَّة العلم إذا كثر صوابه، وعلم تحرِّيه للحقِّ، واتَّسع علمه، وظهر ذكاؤه، وعرف صلاحه وورعه واتِّباعه، يغفر له زلله، ولا نضلِّله ونطرحه، وننسى محاسنه، نعم، ولا نقتدي به في بدعته وخطئه، ونرجو له التوبة من ذلك.
وقال عفَّان: قال لنا قيس بن الربيع: قدم علينا قتادة الكوفة، فأردنا أن نأتيه فقيل لنا: إنه يبغض عليًّا رضي الله عنه فلم نأته، ثمَّ قيل لنا بعد: إنَّه أبعد النَّاس من هذا، فأخذنا عن رجل عنه.
قال حنظلة بن أبي سفيان: كنت أرى طاووساً إذا أتاه قتادة، يفرُّ، قال: وكان قتادة يتَّهم بالقدر،قال وكيع: كان سعيد بن أبي عروبة وهشام الدستوائي وغيرهما يقولون: قال قتادة: كل شيء بقدر إلا المعاصي.
وروى ضمرة، عن ابن شوذب، قال: ما كان قتادة لا يرضى حتى يصيح به صياحاً يعني: القدر.
قلتُ: قد اعتذرنا عنه وعن أمثاله، فإنَّ الله عذرهم، فيا حبذا، وإن هو عذبهم، فإن الله لا يظلم النَّاس شيئا، ألا له الخلق والأمر.) انتهى كلام الذهبي.
شرح و تعليل:
قال المحققون لكتاب (سير أعلام النبلاء) بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط: (يغلب على الظن أن القدر الذي نفاه قتادة رحمه الله إنما هو القدر الذي حكاه الله تعالى عن المشركين في قوله : {سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ} وقد رد الله مقالتهم تلك، ووصفهم بالكذب والجهل، واتِّباع الظنون والأوهام، فقال: {كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ} ، وقد اتفق الأئمة الذين يعتد بهم في هذا الشأن: أن قدرة العبد مؤثرة في عمله كتأثير سائر الأسباب في المسببات بمشيئة الله الذي ربط بعضها ببعض كما هو ثابت بالحس والوجدان والقرآن.
والله سبحانه يكره من عباده أن يعملوا الشرَّ، وإن وقع بإرادته، إذ لا يقع في ملكه إلاَّ ما يشاء، وليس معنى المشيئة أنه يحبُّ ذلك الشرَّ بل معناها: أنَّ الشرَّ لا يقع على الرغم منه، وحاشا له.

وإرادة الله لا ترغم العبد على فعل الشرِّ، فلو أنَّ العبد فعل الخير بدل الشرِّ، لكان فعل الخير بإرادته سبحانه أيضا، فالطاعات والمعاصي تقع من العبد بإرادة الله سبحانه ومشيئته، أي: بغير أن يكون مكرها على وقوعها، كما أن مشيئته تعالى لم تكره العبد على المعصية التي تقع منه.)

قال ابن تيمية في (المجموع)(16/140):

(رَوَاهُ عَبْدُ بْنُ حميد فِي (تَفْسِيرِهِ) قَالَ : " هَدَى الْإِنْسَانَ لِلسَّعَادَةِ وَالشَّقَاوَةِ وَهَدَى الْأَنْعَامَ لِمَرَاتِعِهَا" . وَقَالَ: حَدَّثَنَا يُونُسُ عَنْ شيبان عَنْ قتادة : { قَدَّرَ فَهَدَى } قَالَ : " لَا وَاَللَّهِ مَا أَكْرَهَ اللَّهُ عَبْدًا عَلَى مَعْصِيَةٍ قَطُّ وَلَا عَلَى ضَلَالَةٍ وَلَا رَضِيَهَا لَهُ وَلَا أَمَرَهُ وَلَكِنْ رَضِيَ لَكُمْ الطَّاعَةَ فَأَمَرَكُمْ بِهَا وَنَهَاكُمْ عَنْ مَعْصِيَتِهِ " .

قُلْت : قتادة ذَكَرَ هَذَا عِنْدَ هَذِهِ الْآيَةِ لِيُبَيِّنَ أَنَّ اللَّهَ قَدَّرَ مَا قَدَّرَهُ مِنْ السَّعَادَةِ وَالشَّقَاوَةِ كَمَا قَالَ الْحَسَنُ وقتادة وَغَيْرُهُمَا مِنْ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ فَإِنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا مُتَنَازِعِينَ ، فَمَا سَبَقَ مِنْ سَبْقِ تَقْدِيرِ اللَّهِ وَإِنَّمَا كَانَ نِزَاعُ بَعْضِهِمْ فِي الْإِرَادَةِ وَخَلْقِ الْأَفْعَالِ ، وَإِنَّمَا نَازَعَ فِي التَّقْدِيرِ السَّابِقِ وَالْكِتَابِ أُولَئِكَ الَّذِينَ تَبَرَّأَ مِنْهُمْ الصَّحَابَةُ كَابْنِ عُمَرَ وَابْنِ عَبَّاسٍ وَغَيْرِهِمَا ، وَذَكَرَ قتادة أَنَّ اللَّهَ لَمْ يُكْرِهْ أَحَدًا عَلَى مَعْصِيَةٍ ، وَهَذَا صَحِيحٌ فَإِنَّ أَهْلَ السُّنَّةِ الْمُثْبِتِينَ لِلْقَدَرِ مُتَّفِقُونَ عَلَى أَنَّ اللَّهَ لَا يُكْرِهُ أَحَدًا عَلَى مَعْصِيَةٍ كَمَا يُكْرِهُ الْوَالِي وَالْقَاضِي وَغَيْرُهُمَا لِلْمَخْلُوقِ عَلَى خِلَافِ مُرَادِهِ يُكْرِهُونَهُ بِالْعُقُوبَةِ وَالْوَعِيدِ ، بَلْ هُوَ سُبْحَانَهُ يَخْلُقُ إرَادَةَ الْعَبْدِ لِلْعَمَلِ وَقُدْرَتَهُ وَعَمَلَهُ وَهُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ، وَهَذَا الَّذِي قَالَهُ قتادة قَدْ يُظَنُّ فِيهِ أَنَّهُ مِنْ قَوْلِ الْقَدَرِيَّةِ وَأَنَّهُ لِسَبَبِ مِثْلِ هَذَا أُتُّهِمَ قتادة بِالْقَدَرِ حَتَّى قِيلَ : إنَّ مَالِكًا كَرِهَ لِمَعْمَرِ أَنْ يَرْوِيَ عَنْهُ التَّفْسِيرَ لِكَوْنِهِ أُتُّهِمَ بِالْقَدَرِ ، وَهَذَا الْقَوْلُ حَقٌّ وَلَمْ يُعْرَفْ أَحَدٌ مِنْ السَّلَفِ قَالَ " إنَّ اللَّهَ أَكْرَهَ أَحَدًا عَلَى مَعْصِيَةٍ ".)

من هنا نفهم أن الجرح يكون بالرِّواية و يكون بالاجتهاد، و من يجرح بالرِّواية دوره في الحقيقة كدور الشاهد ينقل الرِّواية فقط، أمَّا الذي يجرح بالاجتهاد في الرِّوايات الثابتة في الشَّخص فدوره كالقاضي قد يقبل الشهادة و قد يردُّها بتكذيب الشاهد،وأحياناً بدون تكذيبه إذ يتبيَّن له مخرجها الصَّحيح ،وهذا أقل شروطه أن يكون مشاركاً في العلوم، إماماً في العقائد التي جاء أكثر الجرح في العدالة بها.

نقد الدكتور بندر بن عبد الله الشويقي

تقرِيرٌ عن الشكل بلا مضمون !

بسم الله الرحمن الرحيم
من المعروف أن أهل العلم و الفكر ينظرون في القضايا من جهتين:
الأولى: من جهة المضامين الفكرية في حدِّ ذاتها، من حيث صدق مقدِّماتها و تلازم نتائجها معها.
الثانية: من جهة توثيق النقل، و درجة صحَّة الاستشهاد به، وهنا تعترك القرائح.
أما الأسلوب، و الصياغة، و العجلة ،و التهم المعلبة الطاعنة في شخصية المؤلف و علمه و غرضه و قصده و غير ذلك فهي شأن بعض الأدباء و نقَّاد السينما ، لا أهل العلم و الفكر.
وعندما يبدأ ناقد ما نقده باتِّهام المؤلِّف بالسرقة مع ما يتطلَّبه ذلك من المقابلة بين النصوص، وهو أمر مكلف جهداً ووقتاً فلعجزه عن لمس الخلل في المضامين بوضوحٍ، فلو أنه وجدها لما كان يعدل عنها إلى صناعة البطالين : "التهمة بالسرقة"، فإن هذا يعود إليه الناقد الجاد في ختام بحثه بعد أن يدحض الحجج، و بأدلَّةٍ أكيدة إن كان فارغ شغلٍ.
لقد أقام الدكتور تهمته على الخلط بين الاقتباس و السرقة، و جعل في أحد أمثلته ـ سنتعرَّض له فيما ـ كلام المقتبس عنه نصًّا شرعيًّا، لا يجوز الخروج عنه ،لا التصرُّف فيه توجيهاً، بينما في الحقيقة كلام صاحب النص الأصلي تقديري، وفي غالب ظنِّي قد أخطأ فيه ـ كما سأبيِّنه ـ فكان مستمسك الدكتور الفاضل التشدد الوصفي لا التدقيق العلمي .
ثالثا: يعلم المعتادون على الكتابة أن المقالات تتبع مقاصد أصحابها،وأن الكلام يتداخل مع بعضه بعضاً؛وقد يحتوي الفصل الواحد موضوعات متعدِّدة، قد ينجح المقتبس في فصلها عن بعضها بعضاً ،وقد لا ينجح.
ومن هنا يختلف تقديره لاقتطاع الكلام من حيث يبدأ وإلى حيث ينتهي، كل ذلك تتبُّعا للموضوع الذي يريد إبرازه، و الاستشهاد بكلام صاحب المتن عليه.
فيأتي من ليست له خبرة، أو صاحب غرض عدواني ويزعم عليه بتر الكلام، و التصرُّف فيه بغير حقٍّ؟

ومعلوم أنه إذا اختلفت الأغراض و المقاصد اختلفت الرؤى، و بالتالي اختلفت الحاجة إلى كلام صاحب المتن، فهذا يأخذ هذا، ويراه هو المناسب، وهو الحامل للوصف المؤثِّر عنده، بينما يرى الآخر أن ما تركه الناقل حاسم و فارق في بيان المعنى و توضيحه، و أنه خرج عن قصده.
ولتوضيح هذه القضية بصورة أكثر دقَّة دعونا نحلِّل مثالا للدكتور بندر الشويقي ـ و سيكون مثالي الوحيد لأنه في تقديري لا يستحق مقاله الرد، سأكتفي به، وهو أقوى أمثلته لأنه بدأ به نقده، و لأن البقية ليست أحسن حالا منه، لنر إن كان ما تركه الكاتبان مؤثِّرا في المعنى بحيث يُغيِّر طبيعة النص المقتبس ،أو يحتم عليهما التقيُّد بكل ما جاء فيه ، و ليس لهما الحق في تملُّك فكرة من أفكاره و مخالفته في سياقها.
رابعا: قال الدكتور بندر الشويقي (ص:9) عن اقتباس مؤلفي " ما بعد السلفية" من كتاب السيِّد ولد أباه" الدين و الهوية" بأنهما سرقا منه كلامه الذي انتقد فيه مبالغة الأستاذ محمد قطب في تصوير مدى تأثير الماسونية و اليهود في الحضارة و الفكر الغربيين .
و أنه في فصل الحديث عن الحداثة في الخطاب الإسلامي مثَّل لها ولد أباه بـ " محمد قطب،وسفر الحوالي،وعوض القرني،وعبد الوهاب المسيري" و أن محمد قطب يُمثِّل الرؤية الإخوانية لكن المؤلفين جعلا المبحث المسروق في سياق الحديث عن إشكالات الفكر السلفي؟
فأقول أولا: لو فرضنا أن أحدهم أخذ قطعة خشب صغيرة من هذا، وحديدة من ذاك حتى جمع من الناس ما صنع به تحفةً رائعة، أو بيتا جميلا، لا يقول عاقل: هذه التحفة صنعها صاحب القطعة الخشبية،أو الحديدة؟
فإن قال: موادها من عند فلان وفلان...الخ ، فلا ضير في ذلك لأن العبرة بالتركيب، و الإشارة إلى الاقتباس ليست إشارة حرف بحرف، هذا منهج أهل حشد ركام الأقوال !
ذلك لأن التأليف في عالم الأفكار تحليلاً وتفكيكا وتركيباً يعتمد بالخصوص على التوليف بينها، فهو مزرعة الأفكار، تأخذ الشتلة الفنيَّة لفلان أو علان و تغرسها في مزرعة أفكارك، فتضعها حيث لم يضعها صاحبها الأول.
التأليف في مجال المعرفة هو أن تجول في أفكار غيرك ،ممن سبقك ، تأخذ منها ما

يعجبك، و تنقص منها ما لا يوافقك؛ تضيف هذا إلى هذا تقديما و تأخيرا بين المعاني، وترتِّب الحقائق تفسيراً، وتُعيد صياغة المعطيات حتى تنتهي إلى بناء فكرتك الخاصة بك ،فالفكر العلمي ليس إبداعا من غير سبق،ولكنه الجمع و الترتيب و التنظيم و التركيب بين العناصر حتى تستوي المعاني، و تكتمل النظرية.

ثانيا: و إن لم يعط المؤلفان التأثير الماسوني اليهودي ـ كما أتصوره أنا و قد كتبتُ عنه في " تغريب المسلمين" ـ حقه من البحث و قلَّل من شأنه في نهاية المطاف إلا أن مبالغة بعض الإسلاميين في نظرية المؤامرة ،و الخلط الفاحش بين الحداثة و التخطيط الماسوني ظاهر في كتاباتهم.

ثالثا: وهو الأهم بالنسبة و إن كان الأستاذ محمد قطب نشأ إخوانيا إلى أنه انتهى سلفيا على الأقل تأثيراً في السلفية يوضِّحه:

إنَّ أكثر المسائل اضطرابا، و الَّتي أُثيرت في هذا العصر بشكل مُلفت، مسألةُ "الأسماء و الأحكام"، أو جزء منها، وهو ما عُرف بـ «قضيَّة الإرجاء".

وكان الغرض من إقحام هذه المسألة ،وهي بلا شكٍّ ليست وليدة هذا العصر ـ بخلاف ما زعمه الشَّيخُ سفر الحوالي في عنوان كتابه ـ أقصد: النِّزاعَ حولها ،هو : بداية صياغة منهج أو رؤية دعوية جديدة يمكن أن نصفها : " سلفية/إخوانية "،وهو ما يساوي: " قطبية".

وقد تولى التأصيل لهذه المسألة ،وعمل على ربطها بدعوة سيِّد قطب، و تأصيلها شرعيًّا الشَّيخُ سفر الحوالي في كتابِه" ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلاميِّ المعاصر" الَّذي أشرف عليه الدكتور محمَّد قطب .

و الحقيقة تقال: لا يخلو كتابه من تفاصيل دقيقة، و مباحث جيِّدةٍ، و تصوُّر شامل للمسألة، ولكن الإشكال هو في الإسقاطات الَّتي أخلَّ فيها بالضَّوابط و القيود الشَّرعيَّة. كما أن ما ذكره من حقائق شرعية وعقلية وواقعية تتعلَّق بالموضوع أغلق عليه في خانة الخصوص و الشذوذ و الاستثناء و المتشابه، ليبرز ما يعتقده أو ما يوافق منهجه الدعوي على أنه الخط العام و المقصود الشرعي، وهذا غير صحيح بالمرة.

المهم بعد دراسة كتابه و تفحصه و محاولة استخلاص النتائج عن طريق ربط المقالات و تفكيك السياق تبيَّن لي أنه تحقيق لمشروع محمد قطب في كتابه "واقعنا المعاصر"، أو محاولة تأصيل الأفكار العامة لهذا الكتاب ،وربطها بالمنهج السلفي

عن طريق اختزالات و تصرُّفات في سياق كلام الأئمة ووجهته.
فالفكرة العامة التي يدور حولها كتاب" الظاهرة" هي نفسها في " واقعنا المعاصر"، وهي تعليق جميع مصائب الأمة، و خيبة الحركة الإسلامية ممثلة في تيار الإخوان المسلمين في عهد سيد قطب ـ رحمه الله ـ على شماعة الإرجاء، و أن الدعوة الإسلامية تدور على ركيزتين:
الأولى : تحقيق الحاكمية تحت الغطاء الشرعي بأنها أخص خصائص التوحيد.
الثانية: تخلُّف الجماهير عن الالتحاق بالدعوة سببه فكرها الإرجائي و عدم تكفيرها للحكام.
وهذه الركائز يُسميها محمد قطب في كتابه" واقعنا المعاصر" : التخلُّف العقيدى ، يقول{ص:165}:" و الفكر الإرجائي قد وجد، و لكنه كان ما يزال أفكارا في الأبراج العاجية أكثر منه واقعا ملموسا في حياة الأمة".
يقصد أن الإرجاء عند الفرق التي حملته كان فكرا نظريا بعيدا عن الواقع بحيث لم تكن هذه الفرق أو أصحابها ينادون بترك العمل بخلاف العصر الحديث.
ويقول في موضع آخر{ص:175}:" كما أن الفكر الإرجائي موجود دائما في الساحة يُغطي كل نقص أو تقصير".
وفي فقرة أخرى يتهم الفكر الإرجائي بإسقاط القيم، مما يعني الإباحية و الانحلالية إن صحَّ التعبير يقول{ص:177}:" أما الجانب المعنوي ـ جانب الأخلاق و القيم ـ فقد أسقطه الفكر الإرجائي حين قدم للناس إسلاما بلا أخلاق! ذلك أن الأخلاق ـ و إن كانت قيما معنوية ـ فإنها من جانب آخر سلوك، و إلا فهي شعارات معلقة في الفضاء، لا واقع لها في عالم الحقيقة".
وحسب ما فهمته من هذا الكتاب فإن الرجل يلحق جميع ما حل بالأمة من تخلُّف و تخبُّط و انغماس في الشرك بالفكر الإرجائي و ليس بالجهل،كأنما كل عاص في هذا الوجود فسبب معصيته عقيدة الإرجاء، فلا يوجد من الشبهات عند الفرق الإسلامية و غيرها، ولا يوجد من الشهوات عند الإنسان إلا الإرجاء!
يقول{ص:179}:"من نقطة التخلف العقيدي المتمثل في فساد مفهوم العبادة و الفكر الإرجائي الذي يعطي ذلك الفساد شرعية".
و مما يدلك على أن أوَّل من ربط الحاكمية بكلمة التوحيد من ذوي الخلفية الاخوانية

بالشكل الذي يدعو إليه الشيخ سفر الحوالي هو محمد قطب،يقول{ص:422}:" لو كان الناس يعلمون حقيقة لا إله إلا الله، و ارتباطها الوثيق بتحكيم شريعة الله .. أكانوا يقفون هذا الموقف المنكر الغريب!".

يقصد رحمه الله أن ما حدث من مجازر للإخوان في مصر لم يثوروا له (الجماهير) لجهلها بأهمية الحاكمية، ودورها المفصلي في لا إله إلا الله.

فالجماهير الإسلامية هي أكبر عقبة في سبيل إقامة الحكم الإسلامي، وهي أخطر بكثير مما قد يبدو لأول وهلة{ص:423} لأن الحكم الإسلامي لا يكفي لتحقيقه وجود الجماعة المؤمنة بل يجب وجود سند يسند هذه الجماعة هو الجماهير الإسلامية على الأقل جزء منها يكون له من التأثير ما يكفي لمساندة الدعوة إلى تحكيم الشريعة.

يقول{ص:426}:" نتصور أن الجماهير أدركت جيدا أن المسلم لا يكون مسلما إلا إذا حكم بما أنزل الله، و تحاكم إلى شريعة الله ،أو بعبارة الإمام الشهيد:" أقر بالشهادتين و عمل بمقتضاهما و أدى الفرائض"

قال في الهامش:" العمل بمقتضاهما هو الحكم بما أنزل الله في كل أمور الحياة وهو شرط الإيمان الذي لا يقوم الإيمان بغيره".

قلت: و إن كان كلام البنا ـ رحمه الله ـ واضحا لا غبار عليه،فإن كلام محمد قطب يحتاج إلى دليل حاول الشيخ الحوالي التأصيل لها (مقتضى الشهادتين الحكم بما أنزل الله، و أن الحاكمية شرط في صحة الإيمان) بخلط مسائل الأسماء و الأحكام فكان ما كان؟

هذه بعض الإشارات المقتضبة تبيّن كيف صار كتاب محمد قطب " واقعنا المعاصر" أساس و هدف كتاب"الظاهر" غير انه لابد من الإشارة إلى أن خلاصة محمد قطب في كتابه لم يأخذ بها كثير من أتباعه من بعده،قال{ص:439}:" إن قضيتنا الأولى و الكبرى ليست هي قضية الحكم على الناس، إنما هي قضية تعليمهم حقيقة الإسلام،فلا ينبغي أن تشغلنا تلك القضية أصلا، ولا أن نجعلها محور ارتكازنا في الدعوة، ولا نقطة الشد التي نحاول أن نشد الناس إليها من هذا الطرف أو ذاك،إنما الأولى و الأجدى و الأكثر ثمرة أن ننصرف إلى تعليم الناس ما جهلوه من حقيقة الإسلام، و إن تعليمهم هذه الحقيقة، وتربيتهم على مقتضياتها،هو العمل الحقيقي المثمر الذي يغير واقع الناس في النهاية،ويردهم إلى الجادة التي شردوا عنها خلال الأجيال...

إن الجهالة التي تعيش فيها الأمة بالنسبة لحقيقة الإسلام هي ـ كما بينا من قبل ـ العدو الأول للحركة الإسلامية، و المعوق الأكبر للدعوة،وهي التي يستخدمها الأعداء أداة من اكبر أدواتهم لحرب الدعوة و تعويقها".

فالرجل و إن جار على الأمة و على العلماء و أنزل بها كل بلاء بسبب الإرجاء و التصوف، و أغفل البعد التاريخي في تحليلاته، بحيث يظن من يتتبع أفكاره أن الأمة هكذا انقلب حالها من غير مقدمات ،و أن المرض الذي أصابها لم يصبها إلا في القرن الأخير كما يظن، بل هي تحمله منذ قرون طويلة كانت السلفية فيها فعالة لكن بمنهج محمد قطب و سفر الحوالي و النتيجة معروفة.

إلا انه في الأخير أدرك أن الحل هو في تعليم الناس حقيقة الدين ،فهذا أول واجبات الدعوة قبل التفكير في الحكم على الناس بأنهم كفار أو ضلال أو غير ذلك ،و قبل المناداة بالحكم بما أنزل الله.

الأمر الذي لا نجده عند أتباعه ،فكلما سنحت لهم فرصة في شرق أو غرب، هنا أو هناك ولاحت بوادر حركة سياسية إسلامية قاموا في صعيد واحد وهتفوا لها بكل عبارات التأييد و النصر، حتى إذ ا ما خمدت و تقهقرت انكمشوا و عادوا إلى ما كانوا عليه في انتظار بريقة أخرى.

وهكذا فإنهم لم يستطيعوا رغم كل المحاولات أن يؤخِّروا ولو قليلا قضية الحاكمية لكونها جوهر دعوتهم، وفيها تلتقي كل المسائل الأخرى، ومنها تتشعب.

إن حكم الشيء حكم نظيره ، وشبه الشيء منجذب إليه ، وكثير من الناس يحبون من يوافقهم على ما هم فيه، ويبغضون من لا يوافقهم، وهذا ظاهر في الأقوال الفاسدة والمذاهب الفاسدة من موالاة كل قوم لموافقيهم ومعاداتهم لمخالفيهم ، فالاشتراك في الاعتقاد يوجب الاشتراك في حقيقة هذا الافتراق ولوازمه ، فيدعون إليه ويعارضون معارضه.

وعليه ، ما الذي يجمع مؤلف "ظاهرة الإرجاء" الشيخ سفر الحوالي بسيد قطب وأخيه محمد قطب؟

قد أجبتُ باختصار عن هذا السؤال، وفيه رد على الدكتور الشويقي فإنه قد تكلف في رده و بالغ ولو ناقش الأفكار بغض النظر عن مصدرها و المتصرف فيها لكنا استفدنا منه شيئا .

وحتى ما ذكره ولد أباه عن الحداثة في الخطاب الإسلامي فإنه لم ينتق أجود الخطاب عن الحداثة فكلام بعض الشخصيات العلمية الإسلامية عن الحداثة يشبه كلام ابن الصلاح في المنطق.

وعليه،يشبه نقد الدكتور: بندر بن عبد الله الشويقي تقريراً عن اختفاء شخص ما، كتبه شرطي كسول دون مغادرة مكتبه، انتهى سدًّا لجميع الاحتمالات ،كسفر أو مرض ... الخ إلى أن المفقود قُتل ورميت جثته في بحرٍ من بحور الدنيا !

الانتحال بين التعريف القانوني و الحقيقة الفكرية

بسم الله الرحمن الرحيم

1 ـ الذي يجب أن يهم طلبة العلم ـ دائما و أبداً ـ هي المضامين حتى نخرج من أغراض الشعراء و أخلاقهم، لأن الذي يهتم له الطاعنون هي التهم، و كطلبة علم يهمُّنا نقاش المضامين، فالحق ما قام عليه الدليل قاله زيد أو عمر، و الباطل ما افتقد إلى الدليل سواء كان من بنيات فكرك أم ربيبة عندك.

وتبقى دعوى الانتحال حق شرعي لمن يهمه الأمر أي: صاحب المؤلف أو النص.

ثانيا: الانتحال إشكال معرفي كبير يخلط فيه الناس بين التعريف القانوني الفضفاض فعسر عليهم تحديد مجاله و مساحته،فبعض المسائل تقع على حدوده عند قوم، وفي داخله عند غيرهم للاختلاف في تحديده بدقَّة و بين الحقيقة الفكرية.

فأول من أشاروا إليه الأدباء ثم الفنانون.وهناك فرق بين الانتحال و التقليد غير الشرعي هذا الثاني يسرق المنتج و اسم صاحبه، وبين الانتحال و الاقتباس الفاحش، و العزو الناقص أو غير كاف

التعريف:

ارتكاب جنحة الانتحال هي " نهب أعمال الآخرين العلمية سواء كانت في الأدب أو حتى في العلوم الدقيقة و إعادة نسخها تحت اسمك"

هذا الانتحال الأصلي الحقيقي يعني: هو سرقة الكتب و المؤلفات و المخطوطات و نسبتها للشخص.

و يدخل فيه الانتحال الجزئي كاستلاف نص كامل دون العزو إلى صاحبه،هو خطأ في الضمير فكرياً، و جنحة في القانون و التجارة لأنه اعتداء على حقوق المؤلف.

و كذلك يدخل فيه بعضُهم الاستلهام القوي من شخص آخر نتعمَّد أو نهمل الإشارة إليه، هو سرقة معنوية .
هو تملُّك بغير وجه حق لعمل آخر كليا أو جزئيا، فهو عبارة عن تزوير للحقيقة إذا يدعي المؤلف شيئا ليس له، لكن اختلفوا فيما يدخل فيه وما لا يدخل فيه لأن الكتاب عبارة عن (وقائع و أحداث يسردها ـ و أفكار جزئية و عامة ، خاصة و مشتركة ـ و إعمال لقواعد علمية مشتركة ـ ثم الأسلوب) فهل كل هذا يدخل تحت اسم الانتحال و حكمه؟
وعليه نجد عندنا حالات من الانتحال لا تدخل تحت التعريف القانوني يُسمِّيها الغربيون" تقليد غير مرخص أو غير شرعي" كتقليد الثياب و الماركات المسجلة.
بعض كبار المفكرين يميزون بين الانتحال و الاستلاف الفاضح أو الفاحش،أو "إزالة التسجيل" حيث يخضع النص لتعديلات مختلفة ،و يقترب عند بعضهم العزو الناقص أو غير الكافي من الانتحال.
وهنا يجب أن نحذر من أن الطابع التجاري أَثَّر بشكل ملحوظ على تعريف الانتحال فأدخل فيه ما ليس منه بسبب الصراع حول الفوائد المادية ، مما يعني أننا يجب أن نعود إلى حقيقة العلم و كيف يتفاعل بين البشر، و طبيعة الإبداع الفكري و العلمي لنحدِّد الانتحال الحقيقي من الانتحال في التعريف التجاري/القانوني، فقد جاء الاهتمام بالانتحال أولا مع الرغبة في المجد ثم مع حقوق التأليف.
فهل نعتبر رواية بعض الصحابة لبعض الإسرائيليات دون عزو إلى المصدر انتحالا؟
و كذلك رواية صغار الصحابة عن كبارهم دون عزو انتحالا؟
و كذلك الحديث المرسل هل يدخل في الانتحال كالسيرة و التفسير مثلا؟
وهنا لسنا في مجال العدالة فعدالة الصحابة و كبار التابعين ثابتة فما هي أسباب ترك العزو لأننا في مجال التفاعل العلمي، هل يحتاج إلى العزو في كل شيء؟
و أقصد ضرورة الانتباه إلى الانتحال اللاإرادي أو اللاواعي ،فهذا يصعب تمييزه عن الانتحال الحقيقي، و التهمة فيها مجرد ادعاء و تخمين.

ومن أسئلة الانتحال: 1 ـ هل يدخل في الانتحال الكتب التي يكتبها مؤلفون لشخصيات معينة يحكون فيها حياتهم و ذكرياتهم، و الخطب للشخصيات الرئاسية التي يكتبها

مستشارون خاصون.
2 ـ وما حكم انتحال المنتحل أو "الانتحال الشلالي" من الشلالات، كما يسميه الغربيون؟
3 ـ كذلك العمل الجماعي الذي لا يذكر فيه كل المشتركين، و ينسب لجهة واحدة معينة؟
4 ـ تسجيل بضاعة أو منتوج صناعي أو زراعي باسم شخص و المنتوج له قرون من الوجود؟.
ونسأل كذلك هل الانتحال كتابي فقط؟ فما بال الانتحال الشفهي عند البشر، فالناس يستعملون في حديثهم عبارات غيرهم كثيراً حتى الخطباء يفعلون هذا لأن اللغة فعل مشترك، و لو اضطر كل متكلم أن لا يتكلم إلا بتعبيره الخاص لضاقت اللغة و تعذر التفاعل.
هل فعلا هناك إمكانية لإيجاد فكر علمي مكتمل بدأ من لا شيء، و انتهى إلى معرفة منتهية أو نظرية مكتملة؟
وماذا نصنع مع القواعد العلمية فقد أشار إليها في بدايتها أحدهم، أو هي فكرة لشخص معين ثم تحوَّلت إلى مشترك فكري علمي لا تنسب إلى صاحبها الأول؟
و هل هناك فرق بين فكرة هي عبارة عن مقدمة دليل، و بين فكرة هي نتيجة مجموعة أفكار استوحى صاحبها بعض الأفكار الجزئية من غيره ، هل تدخل تحت مسمى الانتحال؟
أكثر دعاوى الانتحال بدأت في المجال الأدبي سواء عند المسلمين أو عند الغربيين، و بهذا تأثر بعضهم في مجالات أخرى، بينما في الفكر تكون الأفكار حرة الانتقال يمكن للجميع استئنافها بدون أي مشكل، فهذا هو طبع المعرفة الفكرية لا الأدبية.
ونحن نسأل هل يمكن للمعرفة و الفكر أن يتقدمان بدون هضم فكر السابق لأن الفكر لا يتحمل الشكل الفيفسائي طبيعته الانصهار و الامتزاج.
يمس الانتحال الأصالة و الملكية، أعني: يجب أن نحذر الفرق بين الأصالة و الملكية فالخلط بينهما يوقع في التهم الباطلة المتبادلة، فالفكرة الأصيلة ليست حقا أدبيا لصاحبها دائما إلا إن كانت غير مشهورة ، غير متداولة .
و في الأخير : ما حكم الانتحال بالتحسب و الاستباق، فأحيانا نكتشف أن بعض

النصوص المنسوبة الى مؤلف معيَّن قديمة جدا جاءت من ماض بعيد، ككثير من المذاهب الفلسفية و الفكرية و العرفانية عند المتكلمين و غيرهم، بعد ظهور المخطوطات القديمة تبين أنها يونانية أو هندية ... الخ تملَّكها المتكلمون، و لم ينسبوها إلى أصحابها أصلا كالذرية و الكمون و غيرها؟

نصيحة :

عندما لا يتعلق الأمر بمجرد النسخ، و لكن بالاستعمال الإبداعي لمعلومة أو فكرة جزئية ذكرها شخص ما، ينتقل بها المقتبسُ إلى عالم و ملاحظات و فكر أوسع و أشمل، لم يكن صاحب الفكرة الأصلية ليتخيلها ،أو يعلم بوجودها، أو يملك القدرة الفكرية للوصول إليها، لا يسمى هذا انتحالا إلا تمحلا،فهكذا نشأت جميع المذاهب العلمية والفكرية و الفلسفية و غيرها .

هل يحتاج الباحث فيما يُسمَّى بـ"دقَّة العزو" إلى عزو كل كلمة إلى صاحبها، وهو متعذر، أم يكفيه العزو في البداية ، و بعد ذلك يعيد صياغة المادة، فالفكرة الجزئية صورة ذهنية من حيث هي موضوع مدرك بالفكر، بينها و بين الفكرة العامة الجامعة للخصائص المشتركة بين عدة أشياء فوارق ، فالمفكر في عملية جمع مادة البحث يأخذ فكرةً لشخص ما ، هذه يجب العزو فيها، و عن طريق إمعان النظر فيها يُعمِّق المعرفة، ففكره هو استثماره الفكرة ليصل بها إلى خلاصة هي نتاج قريحته هو، فعلينا أن نفرِّق بين الأفكار التي هي مقدمات، و الأفكار التي هي نتائج، أما الأفكار الجزئية فالإشارة إليها كالإشارة إلى نص حديثٍ، لكن ما يستتبع ذلك من تعميق للمعرفة و تحسينها أو توسيعها لا يحتاج إلى عزو، هذا الفيصل بين الاقتباس الفكري و بين الانتحال.

فإن هذه المسألة شائكة اضطرب فيها المفكرون خاصة الغربيين ولم ينتهوا إلى ضابط ثابت.

وعليه لندع هذا الأمر للقانونيين و نبحث في المضامين العلمية فمن طالع كتب أهل العلم وخبر ماهية الفكر و المعرفة يعرف بيقين أن الأفكار حرة لا يقيدها شيء يمكن استئنافها و الاتجاه بها في مسار غير مسارها الأصلي وحينئذ يكفي العزو و الإشارة بداية .

سؤال الدليل و الحرِّيَّة في المواقع الإسلامية......

بسم الله الرحمن الرحيم

لا تجد موقعا إسلامياً على الشبكة لا يهتف بكل الأصوات الرنانة بـ " الدليل" كأنه العروس في ليلة زفافه، كل شيء مقبول منه حتى الصفع ...

أما عمليًّا فعندهم كلهم قوانين خاصة أو داخلية هي " لا يؤذن بنشر ما يخالف عقيدة ومنهج أهل السُّنَّة " و إذا ما قابلتَ بينهم، بين مقالاتهم وردودهم صعقك الاختلاف، و قد يصمُّ أذنيك قوَّة صوت الانفجار عندما يلتقي البارد جدًّا مع الساخن جدّاً.

ولا إشكال، فكل واحد و تصوُّره و مفهومه للسُّنَّة و لمنهج أهلها، هذه حقيقة واقعية، و إن كانوا نظريًّا ينفونها على أصل أن السَّلف كانوا متَّفقين في العقيدة و المنهج؟

المهم،و الذي يشغلنا هو تصرُّف المؤمن بفائدة الدليل، الواثق في العلم، بأنهما دواء الجهل،و صَبْغَةُ و إدام المختلفين، يقرِّبا بينهما، كيف انتهى في الحقيقة إلى الثقة في الرَّدع و الاحتياط، يعني: في التدابير الأمنية و الإجراءات الاحترازية؟

أقول هذا لأن بعض المواقع المشهورة لا تتحمَّل الاختلاف حتى في القضايا الفقهية، فقد أرسلتُ لأحدها ـ من مدَّة ـ ردًّا على مقالٍ (الشيخ الدكتور منصور بن حمد العيدي(أقوالُ الفقهاءِ في تغطيةِ وجهِ المرأةِ بين الفَهم والوَهم)) رفضوا إنزاله؟ !

فقلتُ: كيف يرفض المؤمنون بالدليل و العلمِ حقَّ الرَّدِّ ولا يكفلونه؛ ربما هذا أشبه بالديمقراطية التي تدعيها أحزابُنا: يبقى الرئيس رئيساً مدى الحياة؟

إلى متى هذا الضيق، المجتمع يفلت و يتفلت، وهم حريصون كل الحرص على عصبيتهم و نعرتهم؟ !

هل سنشاهد عصر انتشار المذاهب بقوة المال لا الإقناع، فمن عندهم المال يفتحون المواقع الضخمة ثم أتي أسراب طائرتهم تباعا تقصف المساكين في أكواخهم؟

و العجيب أنهم ـ بعضهم ـ يتَّهمون غيرهم بالاستعجال في كتاباتهم، وهم أكثر عجلة منهم،إن كانت هناك عجلة ؛ من شدَّة تضايقهم من بعض الكتب لا ينتظرون اكتمال مقالاتهم و إنزالها ككتاب كما يصنعون عادة، بل عجَّلوا بكل ما لديهم بما فيه الغث و السمين.

ولن يرتاح لهم بال حتى يشبعوا الموضوع بمقالات لا حصر لها على عادة بعض المواقع : قتل القول المخالف بالتمييع بالتكثير، كما نفعل في تطهير البول على الأرض، يصبُّون عليه مقالات كثيرة حتى يستحيل الكتاب فيها، ولا يبقى له أثرٌ !

و الأدب شرط عندهم حيث يعجبهم الحال، وحيث لا يعجبهم فيأذنون بنشر كل شيء إلا الأدب.
عظَّم الله أجر إخواننا في السودان
بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الأول الذي ليس قبله شيء، و الآخر الذي ليس بعده شيء، الغالب على أمره، الكافي بالإسلام فقد ما سواه، له الحكم و إليه المصير، وصلى الله على سيدنا محمد رسوله المبعوث إلى الوارث والموروث.
أما بعد، فما الدنيا بباقية لحي،قد بلغني وفاة الشيخ الفاضل أبي زيد محمد حمزة ، رئيس جماعة "أنصار السنة المحمدية" بالسودان ، فإنا لله و إنا إليه راجعون، رحمه الله، ونضر وجه، وشكر له صالح سعيه، فقد كان بحسب ما بلغنا عنه من صالح إخواننا في السودان، وطلبة العلم في غيره أنه كان طالبا للعلم، صادعا بالحق صبورا على الأذى من أهل التوحيد و السنة.
و ليس بمنكر أن يشهد له اليوم أهل الفضل و الصلاح و الإنصاف من أبناء السودان وغيره بكل خلق جميل، و بالفضل و الصلاح، نحسبه من أهله والله حسيبه، فغفر الله ذنبه، و جازاه بأحسن عمله، وتجاوز عن سيئاته.
عظم الله أجر أهل السودان و العلماء و طلبة العلم في كل مكان.
رضينا بقضاء الله، و سلمنا لأمره، فالحمد لله رب العالمين.

الاقتداء بالسَّلف بتحقيق مقاصدهم وليس في محاكاة وسائلهم الظرفية
الشِّدَّة نموذجاً
بسم الله الرحمن الرحيم

من المعلوم أن الأمة الإسلامية أمة فَتيَّة، هي آخر الأمم؛ معدنها الأوَّل العرب لم يعرفوا ـ قبل الإسلام ـ البحث الفلسفي و النقاش الفكري، ولا تعدُّد التيارات الفكرية. وجاءهم الإسلام بدين يخاطب العقل و الوجدان، متكامل من جميع النواحي، سدَّ كل حاجات البشر، فلم يقرع من قبل بال البشرية مثله، لغته بسيطة مباشرة ، يفهمها ـ آنذاك ـ الجاهل و المتعلِّم على حدٍّ سواء، أحدث تغيِّيرا جذريا في حياة العرب الفكرية

و الاجتماعية و الاقتصادية، جعل الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ يدركون أنهم أمام شيء عظيم غير مسبوق، فنشأ لديهم اهتمام لا نظير له بضرورة نقله و تبلغيه إلى الناس بكل السبل الممكنة، لأنه رحمة لا يجب أن تحرم منها البشرية، مع ضرورة الحفاظ على نقائه و صفائه.

أخذ التابعون عنهم هذا الشعور و الاعتقاد، و بسبب البراءة من الخلفية الفلسفية، و عدم الإرث الثقافي الفكري المعتاد على النقاش و الاختلاف ،وربما لأنهم لم يقفوا عند السنن الكونية و الحقيقة القدرية التي أخبرت بها النصوص من ظهور الفرق و إتباع سنن السابقين، و التي بدت بوادرها في الواقع كاحتكاك العرب بالأمم السابقة، و احتياجهم إلى معارفهم المادية ، و انتقال الإسلام من وحي منزل لغته عامة إلى وحي مؤول لغته اصطلاحية خاصة بالعلماء بسبب ظهور العلوم الاصطلاحية و العجمة ، فنشأ عن ذلك الاختلاف حول معنى النص و تحديد المراد.

و هناكانت الصدمة لكل أولئك الذين كانوا مهمومين بالحفاظ على نقائه ، ذاهلين عن هذه السنن الكونية و المتغيرات فواجهوها بالشدَّة لأنها الأسهل وهم في موقع قوة و لأن الردع أوَّل طرق الرد، طمعاً في وقف زحف الأفكار البدعية الجديدة، فنهوا أوَّلا عن كتابة أي شيء غير الحديث النبوي، ثم نهوا عن مناظرة المخالف من الفرق و الرد عليه و الكتابة في ذلك، و أمروا بالهجران المحض في المجالسة، و أخذ العلم، و الصلاة خلفهم، و تشييع جنائزهم، ومناكحتهم...الخ.

لكنهم تحت ضغط الواقع و توسُّع نطاق المخالفين، و تسرُّب أفكارهم إلى صفوفهم حتى دخل فضلاءٌ من أهل العلم و الإيمان في القدر و الإرجاء و الاعتزال و التشيُّع السياسي مما اضطرهم إلى فتح مجال الرد و المناظرة، و التفريق بين أنواع البدع و أسبابها، و ما يترتب عليها في حق المبتدع، ففرقوا بين الداعية إلى بدعته وبين غيره، و بين المخاصم عليها و غير المخاصم إلى أن جاء ابن تيمية فأغلق الموضوع علميا حينما فصل بحدود واضحة بين ضرورة الاستمرار في الحفاظ على نقاء الإسلام كما نزل و تلقاه السَّلف ، و بين إدانة المؤمنين المخالفين، و الموازنة بين صلاحهم و إيمانهم و الأسباب الموضوعية لقبولهم تلك المقالات أو بعضها أو لقواعدها البدعية وعذرهم و بين حقيقة مخالفتها للوحي المنزل و كيف تلقاه السَّلف.

يعني: لم يعد كافيا التحذير بعبارات السَّلف التي وردت في الجهمية و غيرهم،فقد

تسرَّبت الأفكار إلى المؤمنين الصالحين من أهل الديانة و العلم .
هذه أسباب شدَّة السَّلف فهمها بعضهم حتى في زمانهم كعطاء، قال طَلْحَةُ بْنُ عُمَرَ: (قُلْتُ لِعَطَاءٍ: إِنَّكَ رَجُلٌ يَجْتَمِعُ عِنْدَكَ نَاسٌ ذَوُو أَهْوَاءٍ مُخْتَلِفَةٍ، وَأَنَا رَجُلٌ فِيَّ حِدَّةٌ فَأَقُولُ لَهُمْ بَعْضَ الْقَوْلِ الْغَلِيظِ؟
فَقَالَ: لَا تَفْعَلْ! يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى:" وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً". فَدَخَلَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى فَكَيْفَ بِالْحَنِيفِيِّ !)" تفسير القرطبي؛2/16.
و كذلك ابن أبي ذئب الذي كان يأوي إليه القدرية المطاردون من السلطان فتركوها آنذاك ،و لم يجاروا أنصار الشدَّة.
وعليه، فلا حجَّة لنا في التمسُّك بها و قد عرفنا مبرِّرتها ، كما أننا لا نحتاج لتركها إلى تخطئتهم، فلم يكونوا كما قد يظنه بعضهم،بل تصرَّفوا بحسب الحاجة و المصلحة، ولن نكون خارج منهجهم إذا تركناها لأن منهجهم في المضامين و القصد وهو الحفاظ على نقاء الإسلام أو أصالته، فما انتهجوا الشدَّة إلا لهذا السَّبب، وليس في وسائلهم في الردع غير المفيدة في الغالب، التي لم تمنع من انتشار هذه الأفكار و توسُّع هذه الفرق، و بالتالي لا حاجة إلى الشدَّة، و قد تعقَّدت المسائل و امتزجت ببعضها ،و تداخلت مسالكها ، و انطلت البدع الدقيقة التي يصعب كشفها على كثير من أهل العلم و الإيمان.
بهذا وحده نحافظ على قصدهم و هو نقاوة الإسلام و أصالته، أو الوحي المنزل، ونعوذ إلى التعاليم النبوية من النُّصح في إطار الإخوة الإسلامية، وحفظ جماعة المسلمين من العداوة المدمِّرة لهم.
فإذا سألنا: ما الفرق بين السلفيين المتأخرين و أقصد من كان منهم على دراية بعلم الكلام و الفلسفة و الفكر كابن تيمية و كذلك الرازي وغيرهما وبين المتقدمين،بحيث وجدنا الشدة، و الوقوف عند الهجر المطلق، وعدم معالجة القضايا علميا تفصيليا قد اختلف عند المتأخرين و أصبحوا أكثر مرونة و تعاطيا مع النقاش الفكري ؟
الجواب:هو الإرث الفكري الذي وجده المتأخر،فاضطر أن ينظر في التراث برمته ،و يفحص أقوال المختلفين و أنواعهم ومراتبهم في العلوم الشرعية و أحوالهم الإيمانية فشكَّل لديه هذا الإرث نوعا من التفهم و الوعي لطَّف من مواقفه ،وكلما تقدَّمنا في الزمن نقصت العصبية و الحدة و التكفير المتبادل من دون انتهاء النقاش في تلك

القضايا إلا عند بعض من نقل عن المتقدمين كل شيء، المسائل العلمية و ما تلبست به من شدة و أمور خارجة عنها، وهذا لا نقصده.
و المقصود أن السعي للحفاظ على نقاء الإسلام ،على أصالة عقيدته يكون بالعلم و الحوار، أما غير ذلك فهي وسائل ردعية يعمل بها بعضهم عندما يكونون في حال قوة، و يتركونها عندما يكونون في حال ضعف،وتلك أخلاق العسكر كما قال ابن عقيل الحنبلي ـ رحمه الله.
في السلف الصالح من جمع بين العلم وقول الحق و الورع و المهابة مع الوداعة و الكرم و اللين و السماحة مثل ابن أبي ذئب ـ رحمه الله فلمَ لا يعرفه جمهور السلفيين؟ لأن شيوخ الشدة لا يستشهدون بمواقفه في كتبهم، مع أنها الأوفق مع الكتاب و السنة؟

في منهج العزة بالإثم :الحشد لحصون القش

بسم الله الرحمن الرحيم

منهج العزة بالإثم هو منهج يظن أصحابه أن الإقرار بالخطأ أو التقصير أو المرجوحية يسقط المذهب كليةً، لا يفرقون بين نقد الأصل و نقد تمثُّلات مختلفة للأصل.
في تبريرهم الخطأ بما هب ودب من الكلام إنما يرفضون أن يكونوا مخطئين، يبحثون عن طمأنة أنفسهم بالاستئناس بالموافق الذي يريدونه أن يكون كثرة، ليحتموا به من الإقرار و الإذعان للصواب،فلا تصل إليهم التخطئة حتى تمر على ذاك العدد من الموافقين،لا يهمهم إن كانت لهذا الموافق أسباب موضوعية، أو لم تتوفر لديه ما توفر لديهم من مراجع ووسائل ظهرت بعده، لا يهمهم إلا حشد عدد الموافقين لهم على القول، أما تتبع المسألة في حد ذاتها،ومراجعة كلام المحققين فشيء لا قيمة له.
و إذا علمنا أن القضايا العلمية ليست انتخابا يتحدَّد فيه الفائز بعدد الأصوات المفروزة لصالحه فالعلم يقوم على الحقيقة المطابقة للأمر في نفسه، وليس على مجرد إثبات نسبة الكلام إلى القائل الموافق لهم، فقد يصح السند إليه ،و يكون قوله خطئا في الشريعة .
أتعجب ماذا يدرسون في بعض الجامعات الإسلامية، عندما ترى دكتوراً كالشويقي

غارقاً في منهج الحشد و التراكم، مكتفيا بالرَّصد السريع لأسماء الموافقين، وبالسرد السطحي لحيثيات الموضوع، كما فعل في مسألة" الكرابيسي"، فلم يطرح الأسئلة العلمية اللازمة، ولم يقف عند إشكالات القضية و اختلاط الردع فيها بالاهتمام بحد كل مسألة و تعريفها إذ هي مركبة من عدة قضايا تمييزاً لفصولها وتفريقاً بين متشابهاتها.

و إذا علمنا أن المقلدين في العلماء ،و المتحفظين منهم لأسباب نفسية أو مذهبية، و المحايدين، و ضعيفي التحقيق في المسائل الكبرى كثر، و إلا لم يكن عدد المبرزين منهم و المؤثرين في الأمة قليلا في مقابل عددهم الإجمالي الكبير علمنا ـ حينئذ ـ أنه لا يحتفل بالعدد في مقام البرهنة و الاستدلال إلا المتعصب و الإمعة ،و إلا بماذا نُفسِّر انقسام أهل السنة في مسألة "اللفظية " بعد الإمام أحمد إلى فرقتين : فرقة أولى ترمي الثانية بالتجهم، و الثانية ترميها بالبدعة، وكلهم يدعي وصلا بليلى، حتى وقع ما وقع لعلماء أمثال : ابن منده، و أبي حاتم، و أبي زرعة،و الذهلي،ومحمد بن داود المصيصي،و أبي بكر الأعين،و أبي عبد الله بن حامد،و أبي إسماعيل الأنصاري، و أبي يعقوب الفرات الهروي،و الكرابيسي، و أبي ثور، و داود الأصبهاني، و المروزي، و أبي نعيم الأصفهاني، و ابن قتيبة، و أبي ذر الهروي، و البخاري و غيرهم؟

و ما يؤكد سطوة التقليد على كثير من العلماء أن الإمام البخاري فصَّل المسألة تفصيلا ليس بعده تفصيل، و أظهر فيها من البيان والعلم ما لم يظهره أحدٌ ممن سبقه، ومع ذلك لم يسمعوا له إلا قلة كمسلم ، وانتظر المسلمون طويلا حتى جاء ابن تيمية و ابن القيم و الذهبي و غيرهم،وقبلهم ابن عبد البر ليفهموا المسألة جيدا، و يُبيِّنوا حقيقة الأمر؛ فهل نعتد بعدد العلماء، و نعتمد الحشد و الحشر منهجاً بدون اعتبار للحقيقة العلمية ،والحال هذه؟ !

إشكالية بعض السلفيين أنهم يفرضون في أنفسهم إمكانية معارضة العقل الصحيح للنقل الصحيح، ولذا يقفون عند قضايا الاعتقاد عاجزين عن التدليل عليها بالأدلة العقلية ، بدون منهجية واضحة إلا مجرد أقوال مجملة تحتاج إلى الاستدلال عليها بالنصوص و ليس بأقوال العلماء، ومن ثم التدليل عليها بالدليل العقلي في المعركة مع المذاهب و المدارس الفكرية القديمة و الحديثة.

ترى الناس مختلفة في تفاصيل التفاصيل وهو يجيب بالقول المجمل مهملا تفسيره بمجموع أقوال العلماء و مواقفهم العملية في القضايا التي تفرعت عنه ثم يبني علي ذلك أحكام الإدانة ؟ !

التحدي الذي تواجهه جامعاتنا الإسلامية هو أن تنجح في تخليص طلبتها من النعرات و منهج عصر الضعف و المذهبية، منهج حشد الأقوال لتطييب نفسه بأن الصواب فيها.

'نصنع من الكلمة الدقيقة الشهادة الأكثر توثيقاً للفكرة الصحيحة

Isocrate /à-propos de l'échange

قالوا (في)العدالة:

- تختزن العدالة في نفسها كل القيم... Theonis de Mégare/élégies
- تنهار الأمة عندما تنسحب منها روح العدالة و الحقيقة... Jean Paulhan/ réponse a martin chauffier
- العدالة هي حق الضعيف ... Joseph Joubert
- عندما يكون الظلم هو النظام عندئذ الفوضى هي بداية العدالة... Romain Rolland/ Le quatorze juillet (حقيقة موجودة)
- مدانٌ معاقب هو مثال لكل الحثالة، بريءٌ محكوم عليه هي قضية كل شرفاء الناس... Jean de la bruyère/ les caractères
- مفهوم العدالة لا يقاوم، قطرة منها تكفي... Jules romains / les hommes de bonne volonté
- حرية أن تكونَ أنت هي أعلى أشكال العدالة اتجاه الآخرين.. Malcolm de chazal/sens plastique
- عندما تكلَّمت العدالة، الإنسانية يجب أن يأتي دورها... Vergniaud/discours 'dans la déclaration

'هذا أنا ...من الحبَّة إلى التبن

... أهديك كلمات في الحقيقة (مقتبسة في جلِّها) عسى أن تجد فيها طريقاً وسط قلق هذا العصر، يقودك إلى سعادة النفس و سكينة الضمير... ينجيك من أمراض الإنسان.

إن عاد بنا قارب المشيئة احتضناك، و إن لم يعد فهذا سلامي... أخي..
وراء تصوراتنا التي نحسبها تامة تقف الحقيقة كاملةً بكل أجزائها التي التهمها غرورنا وجهلنا؛ تحت مظلة النبوة أحب الحقيقة لكن أعذر الخطأ، خارجها خارجٌ عن مجال إدراكي،إلا أني أعرف أن الله لا يعذب حتى يبعث رسولا..
لا يوجد في المخلوقات شيء فيضي (Emanent) يفسِّر نفسه بنفسه بمقتضى طبيعته، كلها فقيرة إلى خالقها، في كل شيء.
ـ النظام متعة العقل لكن الفوضى لذة الخيال ... بول كلودان.
ـ في غياب العفو أترك النسيان يأتي ... ألفرد موسي.
ـ عندما تجد اللين كن حذرا، لا تفرط، احترس من تعرية العنف.. ريفردي
ـ عادة العنف أن يجلب العنف.
ـ في كل مكان ينتج العنف المكر و الحيلة.
ـ الحق يفرض بالقوة، الحقيقة لا يمكن فرضها بالقوة.
ـ الحقيقة يجب أن تفرض نفسها بدون قوة... تولستوي/ حرب و سلام.
ـ لا نقول الحقيقة عندما نقول ما نفكر فيه..
ـ خارجة من بعض الأفواه الحقيقة نفسها لها رائحة كريهة ... جون روستاند/ قلق بيولوجي
ـ لا يكفي أبدا أن نظهر الحقيقة يجب أن نرسمها محببة... سلينياك/ مغامرات تليماك
ـ كل الحقائق الكبرى بدأت باعتبارها كفراً .... برنارد شو / أناجنسكا
ـ الإنسان من ثلج مع الحقائق، وهو من نار للأكاذيب ... لافونتين
ـ الحقيقة الحرة كانت دراستي الوحيدة ... فولتير/ خطب حول الإنسان
ـ أحب الحقيقة لكن أعفو عن الخطأ ..
ـ الجمال هو الحقيقة، الحقيقة جمال، هذا كل ما يجب معرفته... جون كيتس
ـ ليس للحقيقة إلا عدوان: الزيادة و النقصان.. صمويل بوتلار/ أروهون
ـ كل جهود العنف لا تستطيع إيقاف الحقيقة، لا تصلح إلا لرفعها أكثر؛ كل أنوار الحقيقة لا تستطيع أن توقف العنف، لا تفعل سوى استفزازه أكثر... باسكال/ الإقليميات
ـ الخطأ ما هو إلا الحقيقة مقطعة كالحشيش... جول رومان

ـ عندما تبدأ الحقيقة في الزحف لا شيء يوقفها... زولا
ـ القناعات هي أعداء الحقيقة الأكثر خطورة من الأكاذيب.. نيتشه / الإنسان فوق الإنسان (الممتاز).
ـ الحقيقة موجودة نحن من يخترع الكذب... جورج براك/ النهار و الليل.
ـ كل إنسان له الحق في أن يقول ما يعتقد أنه الحقيقة، و للآخر الحق في أن يصرعه لهذا السبب الجيد.... صمويل جونسون .
ـ إذا سلَّطتَ على الحقيقة ضوءا غير محتمل تصبح كذبا... أرنو/ محصلة مؤقتة
ـ عندما تضع الحقيقة خنجرها على حلقِنا يجب أن نُقَبِّل يدها البيضاء الملطخة بدمائنا... أكريبا / قصص عالمية.
ـ عندما تكون الحقيقة و الخطأ حرين ليس الخطأ من ينتصر... مرتان دو كارد
ـ في كل عصر يريد العلم أن يلتهم الحقيقة التي تزعجه... جوزاف أرتور/ محاولة حول عدم تساوي الجنس البشري.
ـ بأكاذيب الصباح تصنع النساء حقائق المساء... جيرودو جون.
ـ إنسان أبيض، إنسان أسود، إنسان أصفر، كل الدموع مالحة... إفلين/ مع نفسك
ـ قلة من الرجال أعجبت بهم رعيتُهم..
ـ أينما أراد الإنسان أن يبيع نفسه وجد من يشتريه... لاكوردير
ـ عندما يسكت الرجل يمتنع، وعندما تسكت المرأة توافق... ماسنيون
ـ البديهة تشل الاستدلال... بيار رفاردي
ـ من طبيعة البديهة أن تمر غير مرئية.... جون بولهان

أنصحك بابن تيمية اقرأه بلغة(فكر) هذا العصر سيبهرك الرجل ، ليس هو من يعرفه أكثر الناس..

بحثتُ طويلا لم أجد رجلا لم يضع على الحقيقة حدودا،وطنه ومذهبه الحقيقة، يغوصُ معك في بحرك ليخرجك إلى جزيرة القرآن ،لا يُقطِّع الحقيقة، ولا يتلعثم فيها، لا يتأرجح بين حقيقتين، بدون أن ينقص إيمانه و ثقته بالقرآن قدر أنملة... بل يزداد و يزداد ...

معه، بعد أن تتجول في عقل الإنسان، و تتبع أنهار خياله من مصبها إلى منبعها، و تنزل إلى أعماق أفكاره تدرك بالبرهان روعة علوم القرآن.

لأني معه أفهم الإنسان بكل لغاته، بكل آلامه و أحلامه، أرحم حيرتهِ، لا أقف عند غروره، أستطيع أن أرمي إليه طوق نجاة نسجته من كلماته..
من فهم كلماتي فهو وهي، و من لم يفهمها فإن عند غيري ما قد يفهمه.......'
بن سماية
درس بالجزائر على مجموعة شيوخ، وبتونس على الشَّيخ الجزائريِّ: محمَّد بن عيسى، وأقرأ بعد أن تخرَّج كتاب (دلائل الإعجاز و أسرار البلاغة) للجرجاني، و (الاقتصاد في الاعتقاد) للغزاليِّ، و (تلخيص المفتاح) للقزويني، و (البصائر النصيريَّة في المنطق) لابن سهلان، و (المفصَّل في النَّحو) للزمخشري،و(الورقات لإمام الحرمين، و(تنقيح القرافيِّ) ،و(رسالة العضد في علم الوضع)، و(شرح السجاعي على المقولات العشر)، و (الجوهر المكنون في البلاغة) للأخضري بشرح مؤلِّفه، و(نظم الخزرجية في العروض)، و(قطر الندى في النَّحو)، و(تفسير الجواهر الحسان) للثعالبي.
وكان حنفيا يُدرِّس كتب (الشرنبلالي)، و (القدوري)، و (الطحطاوي)، و(ابن عابدين)، و (النَّسفي)، ويدرِّس العامَّة (رسالة) ابن أبي زيد القيرواني المالكي.
أعطى إجازات بخطِّه في رواية صحيح البخاريِّ متَّصلة السَّند،ورواية البخاريِّ عند الجزائريِّين هي رواية الفربري، وكان مُلِمًّا بالفرنسيَّة و العبريَّة، عارفًا بكتب اليهود و النَّصارى، كثير المناظرة لهم يأتيه الطلبة المسلمون بشبهات من الجامعات الفرنسيَّة فيردُّها، شديد الغيرة على الدِّين، صادعا بالحقِّ بشجاعة نادرة ،يتعمَّم بالعمامة الهنديَّة على الطَّريقة الجزائريَّة كما هو شان أهل الجزائر (طربانطي)، ويلبس القميص (البداعي)، وفوقهما (الجباضولي)، أو (الدامي)، وفوق ذلك: العباءة، وتارة البرنس،وهذه ألبسة سكان الجزائر العاصمة ،[أما سكان الغرب و الشرق فيلبسون السروال العربي العريض مع الجِليا ثم العباءة وفقها البرنس أو الجلابة"القندورة" ويضعون على رؤسهم العمامات الهندية الصفراء الفاتحة و الحمراء بالنسبة لأهل تلمسان و البنية و الصفراء القاتمة بالنسبة لسكان الهضاب أو الكنبوش وعليه الرزة السوداء.]
قوي الترسُّل خاصَّة الموشَّحات، لم يكتب إلاَّ رسالة في الرِّبا (اهتزاز الأطواد و الربى من مسألة تحليل الرِّبا).

قيل بأنَّه كان تيجانيًّا في طريقة التَّصوُّف ،و الظَّاهر أنَّ هذا لم يثبت لأنَّ التِّيجانيِّين كانوا يهاجمونه، فلعل ذلك بسبب رسالته (الكنز المدفون و السرُّ المكنون) فجمع التِّيجانيُّون نسخها وأحرقوها.
تغيَّر في الطَّور الثَّاني من حياته بحيث صار كالمجذوبين الدراويش أهمل ملبسه ومظهره، وأصبح شديد الانفعال، و يبدو أنَّه تأثَّر من أحوال قومه السيئة، وتخلُّفهم الكبير لكنَّه بقي يدرِّس و يعلِّم في العاصمة وضواحيها خاصَّة بضاحية الحامة ،بجامع زاوية الشَّيخ محمَّد بن عبد الرَّحمن الأزهري، وفي ليلة الخميس الخامس من رمضان الموافق 2/1/1933 ما بين العشائين، وهو يدرِّس متن (رسالة ابن أبي زيد القيراوني) أخذته بداية الموت فنقل إلى داره القريبة حيث لقي ربَّه رحمه الله.(تاريخ الجزائر العام) لتلميذه الشَّيخ عبد الرَّحمن الجيلالي رحمه الله.

نصنع من الكلمة الدقيقة الشهادة الأكثر توثيقاً للفكرة الصحيحة

Isocrate /à-propos de l'échange

قالوا (في)العدالة:

- تختزن العدالة في نفسها كل القيم... Theonis de Mégare/élégies
- تنهار الأمة عندما تنسحب منها روح العدالة و الحقيقة... Jean Paulhan/ réponse a martin chauffier
- العدالة هي حق الضعيف ... Joseph Joubert
- عندما يكون الظلم هو النظام عندئذ الفوضى هي بداية العدالة... Romain Rolland/ Le quatorze juillet (حقيقة موجودة)
- مدانٌ معاقب هو مثال لكل الحثالة، بريءٌ محكوم عليه هي قضية كل شرفاء الناس... Jean de la bruyère/ les caractères
- مفهوم العدالة لا يقاوم، قطرة منها تكفي... Jules romains / les hommes de bonne volonté
- حرية أن تكونَ أنت هي أعلى أشكال العدالة اتجاه الآخرين.. Malcolm de chazal/sens plastique
- عندما تكلَّمت العدالة، الإنسانية يجب أن يأتي دورها... Vergniaud/discours

dans la déclaration

نُبْذَةٌ سَرِيْعَةٌ عَن دَوْرِ عُلَمَاء الجَزَائِر فِي إِثْرَاءِ مُخْتَلَفِ العُلُوْمِ

في سفينة الزركلي

بسم الله الرَّحمن الرَّحيم

هذا المقال في الأصل كان رسالة لأخذ الإخوة طلبة العلم الفضلاء.

نحمدُ الله على استيقاظ مؤسَّساتنا العلميَّة ـ بعض الجامعات ـ الَّتي بدأت تشعُر بالمخاطر الَّتي تُهدِّد هويَّتنا الثَّقافيَّة بحيث عزلت اللامبالاة أجيالا من شبابنا عن تُراثِه المعرفي وجذوره الثَّقافيَّة،هذا التَّعرِّي الثَّقافيِّ الَّذي له ارتدادات جسيمة على تناسُق النَّسيج الاجتماعيِّ و انسجامه ،فإنَّ التَّقطُّع بين الأجيال و التَّصادم بينها الَّذي سببُه هذا الانفصام بين طالب العلم الجزائريِّ وبين تاريخه الدِّينيِّ و العلميِّ.

ونظرًا لفقر المؤسَّسة الدِّينيَّة في الجزائر (وزارة الشُّؤون الدِّينيَّة) من مخطَّط شامل ودقيق للنُّهوض بالمذهب المالكي نهوضا يوازي شروط العصر و شروط السَّاحة العلميَّة الأقوى من الصُّورة الموجود عليها حاليا هذا المذهب، لم نر منها إلاَّ ترميمات لفكر طُرقي بلباسٍ مالكيٍّ مذهبي،مع أنَّه لا علاقة للطَّريقة بالمذهب المالكيّ؛وأظنُّ أنَّ لثقافة الحاكم دورًا في الرُّؤية الثَّقافيَّة الدِّينيَّة أو العامَّة،فعندما يكون طُرقيًّا ـ من أبناء الزَّوايا ـ يخدم الزَّوايا لا المساجد(!)

وكذلك فقر القائمين على هذه المؤسَّسات ثقافيًّا، وعجزهم عن تجاوز عقليَّة فترة "عصر الضَّعف و الانحطاط" و إعادة استكشاف التُّراث العلميِّ الجزائريِّ ودوره في العالم الإسلاميّ، في المشرق و المغرب، وفي جنوب الصَّحراء.

وقد غطَّت السَّنوسيَّات الرَّمضانيات (!) على شخصيَّات علميَّة جزائريَّة كبيرة، وأهمَّ بكثير من الدَّور الدِّينيِّ للسَّنوسيِّين،أو حتَّى للثعالبة الَّذين لم يدرس ـ لحدِّ الآن ـ دورهم الثَّقافيَّ و السِّياسيَّ في العالم الإسلاميِّ ،ذلك أنَّ دور الجزائريِّ بدأ مع الفتح الإسلاميِّ ، فمثلا لا نعرف جيِّدا تاريخ المحدِّثين الجزائريِّين ،وهو النَّوع الأوَّل من العلماء في التَّاريخ الإسلاميِّ ، فليست هناك دراسات تخصُّ المحدِّث و الشَّاعر شيخ ابن حزم وابن عبد البرِّ: حمَّاد التهرتي،و الطَّبقة الَّتي سبقته.

وكذلك الحافظ الوهرانيَّ شيخ الحافظ السُّلفي، وكذا ابن قُرْقُول إبراهيم بن يوسف بن

أدهم الوهرانيِّ الحمزي(البويرة)، أبو إسحاق، الحافظ العالم بالحديث، من أدباء الأندلس ، شرح كتاب (مطالع الأنوار على صحاح الآثار) للقاضي عياض.

أمَّا عن موضوع تسليط الضَّوء على مساهمات علماء الجزائر في المذهب المالكيّ، في تقعيد مسائله، و تأصيل فروعه ، فهذا موضوع واضح وسهل، يمكن أن نكتب فيه عشرات المجلَّدات، فإنَّ علماء الجزائر الَّذين تزعَّموا مشيخة المالكيَّة في الأقطار الإسلاميَّة المختلفة كثر، فهذا عبد الرَّحمن الإدريسي الحسني التِّلمسانيِّ ثمَّ الفاسي المالكيِّ (1699 - 1765م) المعروف بـــ(المنجرة) شيخ المغرب الأقصى في عصره من كتبه : (حاشية على الجعبريّ) ،و (حاشية على فتح المنَّان) و (حاشية على المرادي) و (فهرسة) ترجم بها شيوخه سمَّاها (الإسناد للشفيع يوم التناد وبما حضر من الذخائر عند الانتقال من دار الأكابر)، توفي بفاس .

وكذلك الشَّرِيف التِّلِمْسَاني (710 - 771هـ) الذي انتهت إليه إمامة المالكية في المغرب من قرية علوين (تلمسان) ولد ونشأ بها ،من كتبه (مفتاح الوصول إلى بناء الفروع والأصول) في أصول الفقه، كتب عليه عبد الحميد ابن باديس شرحا مختصرا، حاد تدريسه له، ولم يطبعه، و (شرح جمل الخونجي) وكان لسان الدين ابن الخطيب كلما ألف كتابا بعثه إليه وعرضه عليه.

وللنوشريسي التلمساني صاحب الموسوعة الفقهية المالكية (المعيار المعرب) جزء في ترجمته سماه (القول المنيف في ترجمة الإمام أبي عبد الله الشريف) .

وفي تونس برز ابن الرَّصَّاع الذي شغل منصب قاضي الجماعة بها ثم إمامة جامع الزيتونة و الخطابة فيه ،له كتب، منها (التسهيل والتقريب والتصحيح لرواية الجامع الصحيح -) و (تذكرة المحبين في شرح أسماء سيد المرسلين)،و (شرح حدود ابن عرفة) [شيخه].

وبرز ابن كُحَيْل البجائي صاحب (المقدمات) في فقه المالكية و (الوثائق العصرية)،و(عون السائرين إلى الحق)

وفي الشام برز أبو محمد الزَّوَاوي المالكي (589 - 681ه) أول من ولي قضاء المالكية بدمشق لما صار القضاة أربعة،و انتهت إليه رياسة الإقراء فيها ، من كتبه (عدد الآي) و (التنبيهات على معرفة ما يخفى من الوقوفات) في القراآت.

وقد كانت كتب بعض الجزائريين في الفقه المالكي مدخلا ومفتاحا لشروحات مشهورة

اعتمدت عليها فهذا الحَفِيد ابن مَرْزُوق العجيسي التلمساني الفقيه الأصولي المحدث و الأديب (766 هـ 842ه)
له كتب وشروح كثيرة، منها (المفاتيح المرزوقية لحل الأقفال واستخراج خبايا الخزرجية - خ) و (أنواع الذراري في مكررات البخاري)، و (نور اليقين في شرح أولياء الله المتقين)، و (المتجر الربيح " في شرح صحيح البخاري لم يكمل، كان شرحه لمختصر خليل معتمد كثير من شراح خليل منهم الحطاب.
كذلك شرح مختصر خليل إبراهيم بن فائد القسنطيني(796 - 857) من أهل جرجرة في كتابه (تسهيل السبيل في شرح مختصر خليل) ثماني مجلدات، و (فيض النيل في شرح مختصر خليل) مجلدان.
ولم يقتصر دور العلماء الجزائريين على خدمة المذهب المالكي فقط بل خدموا كذلك المذهب الحنفي فاشتهر منهم:
ابن أَبي حَجَلَة التلمساني (725 -776ه) في دمشق و القاهرة وكان عالما بالأدب شاعرا تولى مشيخة الصوفية بصهريج منجك بظاهر القاهرة كان حنفيا يميل إلى مذهب الحنابلة في الاعتقاد شديد الحط على أهل وحدة الوجود وخصوصا على ابن الفارض وامتحن بسببه،مات بالطاعون . له اكثر من ثمانين مصنفا منها (مقامات)، وكتاب (ديوان الصبابة - ط)، و (منطق الطير) ،و (السجع الجليل فيما جرى في النيل)، و (سكردان السلطان - ط) ،و (الطارئ على السكردان - خ) ،و (ديوان شعر - خ)، و (الأدب الغض) ،و (حاطب ليل) عدة مجلدات، و (غرائب العجائب وعجائب الغرائب)، و (جوار الأخيار في دار القرار - خ) في مناقب عقبة بن عامر.
وكذلك أبو العباس الشُّمُنِّي القسنطيني الإسكندري (801 - 872 ه) المحدث المفسر النحوي من كتبه (شرح المغني لابن هشام - ط) ،و (مزيل الخفا عن ألفاظ الشفا - ط) ،و (كمال الدراية في شرح النقاية - خ) في فقه الحنفية .
وابن العنابي الجزائري من علماء الحديث من أهل مدينة عنابة (1868م) ولي الإفتاء في الإسكندرية ومات بها له (سند) مخطوط في أوائل الكتب الستة،أجاز به إبراهيم السقا، و (السعي المحمود في ترتيب العساكر والجنود - خ) كلاهما في الأزهرية، و (الجوهر الفريد في علم التجويد) .
كذلك خدم بعض الجزائريين المذهب الشافعي منهم : ابن التِّلِمْسَاني شرف الدين

الفهري (567 ـ 644ه) كان فقيها أصوليا شافعيا ، من
أهل تلمسان اشتهر بمصر و تصدر لإقراء بها من كتبه (شرح المعالم في أصول الدين ـ خ) و (شرح التنبيه) في فروع الفقه، سماه (المغني) ولم يكمله، و (شرح خطب ابن نباتة) .
ومنهم أيضا عبد الله بن محمد الصالح الزَّوَاوي (1924م) مفتي الشافعية بمكة ،كان من مدرسي المسجد الحرام من كتبه (بغية الراغبين وقرة عين أهل البلد الأمين ـ ط) رسالة في أحوال عين زبيدة.
أما من حيث الفنون فقد خدموا علوم الحديث وقد اشتهرت في المغرب منظومة ابن زكري التلمساني التي شرحها الحريشي.
و اشتهر منهم البُوني (العنابي) (1726م) ولد ومات بها احد علماء الحديث من كتبه (نظم الخصائص النبويّة)، و (نظم الشمائل)، و (فتح الباري في شرح غريب البخاري)، و (الرحلة الحجازية) ،و (الدرّة المصونة في علماء وصلحاء بونة) وغير ذلك مما عدّده في مؤلف له سماه (التعريف بما للفقير من التأليف) .
و ابو عبد الله النَّدْرُومي الكومي من أهل ندرومة (تلمسان) (775ه) له ثبت مخطوط بشيوخه من علماء الحديث في القدس و دمشق و مكة و القاهرة ،منهم العلائي ومحمد بن محمد التونسي،وابن سالم الغزي والحافظ ابن كثير صاحب التفسير المشهور.
و ابن مَرْزني الفزاري البسكري (781 ـ 823ه) المؤرخ لازم الحافظ ابن حجر وجمع كتابا كبيرا في (تاريخ الرواة) ما ت قبل تبييضه قال ابن حجر : لو قدر أن يبيضه لكان مئة مجلد،توفى بالقاهرة.
وخدموا علم أصول الفقه فنظموا في النظم و المتون الراقية فصنف ابن الشريف التلمساني (748 ـ 792ه) (شرح معالم أصول الدين للفخر الرازي) مخطوط في الزيتونة بتونس ، و(شرح لمع الأدلة للجويني) مخطوط في دار الكتب.
و عيسى بن منصور الزواوي (664 ـ 743) درَّ س في الأزهر،وناب في الحكم في دمشق والقاهرة، من كتبه (إكمال الإكمال) في الحديث ، و (شرح جامع الأمهات ـ مخطوط ـ) في فقه المالكية،و(مناقب الإمام مالك)،وتاريخ كبير حوالي عشرة مجلدات.
وكذلك خدموا اللغة العربية فاشتهر منهم أبو بكر الوهراني المفسر الشاعر خطيب

داريا (دمشق) (615ه) له كتب منها : (شرح أبيات الجمل) للزجاجي، في النحو، و (شرح السبع المعلقات و إعرابها)مخطوط في برلين.
و يحي الشاوي الملياني العالم المفسر الأصولي العظيم صاحب رسالة (أصول النحو)، و (شرح التسهيل لابن مالك)، و (المحاكمات بين أبي حيان والزمخشريّ) مخطوط في الأزهرية .
ومنهم أيضا : المؤرخ المؤدب الحافظ المقري صاحب (نفح الطيب) و الشاعر البارع ابن خميس.
وعالم العربية و الأدب يحي ابن مُعْطي الزواوي الجزائري (564 - 628ه) من أهل بجاية ،سكن دمشق زمنا ثم انتقل إلى مصر صاحب (الدرة الألفية في علم العربية) في النحو مطبوع،و (المثلث) في اللغة، و(العقود و القوانين) في النحو،و(الفصول الخمسون) في النحو،و(ديوان خطب)،و(ديوان شعر) ،و(أرجوزة في القراءات السبع)،و(نظم ألفاظ الجمهرة)،و(البديع في صناعة الشعر) مخطوط.
وكذلك النحوي البارع الكبير الذي قل نظيره بشهادة كبار النحاة و علماء اللغة في عصره في المشرق حافي رأسه.
كما وجد منهم من خدم علوم الفلك لأغراض دينية مثل ابن قُنْفُذ أبو العباس القسنطيني (740 -810ه) عالم بالتراجم و الحديث و الفرائض و الفلك اشتهر بابن الخطيب ،من كتبه(شرح الطالب في أسنى المطالب - خ) تراجم، و (تيسير المطالب في تعديل الكواكب) قال في وصفه: لم يهتد أحد إلى مثله من المتقدمين، و (شرح منظومة ابن أبي الرجال - خ) في الفلك، و (بغية الفارض من الحساب والفرائض) و (سراج الثقات في علم الأوقات و (الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية - خ) في تاريخ بني حفص ألفه للأمير أبي فارس عبد العزيز المريني، ونسبه إليه، و (الوفيات - خ) أخذت عنه، وقيل لي أنه طبع في الجزائر، وهو مختصر ذكر فيه بعض علماء المغرب، و (أنس الحبيب عن عجز الطبيب) و (القنفذية في إبطال الدلالة الفلكية - خ) في دمشق، و (أنس الفقير وعز الحقير - ط) في ترجمة الشيخ أبي مدين وأصحابه، قال صاحب جواهر الكمال: هو شبه رحلة تقصى فيها تنقلاته بالمغرب الأقصى ومن لقي من أهل العلم والصلاح، و (تحفة الوارد في اختصاص الشرف من قبل الوالد) قال في وصفه: وهو غريب الاعلام للزركلي. .

وفي علم الأعشاب اشتهر منهم : ابن حَمَدوش عبد الرزاق بن محمد (1780م) رحالة و عشاب من كتبه : (كشف الرموز في بيان الأعشاب - ط) نفيس، و (رحلة سماها (لسان المقال، في النبأ عن النسب والحسب ولآل - خ) الجزء الثاني منه في الرباط (463 ك) في آخره نقص، وفي الجزائر نسخة تامة من هذا الجزء تهيأ للنشر. وله (تعديل المزاج بسبب قوانين العلاج) .

المهم لا يمكن من خلال هذه العجالة ان نستقصي كل علماء الجزائريين الذين انتشروا في الآفاق أو الذين بقوا في الجزائر فهذا بحث يحتاج لسنوات طويلة لإنجازه أردت فقط الإشارة إلى بعضهم ممن نسيهم الناس ولا تعرفهم الأجيال الحالية.

ـ و من المعاصرين :

محمد بن مصطفى الخُوجة (توفى سنة 1922م) شاعر، متشرع. تعلم في مدينة الجزائر واتصل بالشيخ محمد عبده، وأخذ عنه. ونشر الفكرة الإصلاحية ومحاربة البدع في الجزائر. وعمل في تحرير جريدة (المبشر) قبل الحرب العالمية الأولى، ثم أبعد عنها. وصنف كتبا منها (الاكتراث بحقوق الإناث) و (إقامة البراهين العظام في نفي التعصب عن دين الإسلام) و (ديوان شعر) من نظمه، ورسالة في (سيرة بعض علماء الجزائر) و (نفائس في مآثر علماء الوطن) و (اللباب في أحكام الزينة واللباس والاحتجاب - ط) في الجزائر .

ومحمد الهادي الزاهِري السنوسي (توفى بعد سنة 1927م) أديب له كتاب (شعراء الجزائر في العصر الحاضر) طبع بتونس سنة 1346 في حياته. مجلدان .

و مولود ابن مَوْهُوب (توفى بعد سنة 1930م) أديب له نظم من رجال الإصلاح الاجتماعي في الجزائر. ولد بقسنطينة. وولي بها إفتاء المالكية والتدريس في الجامع الكبير (1895) له كتب، منها (مختصر الكافي) في العروض، و (نظم الأجرومية) و (شرح منظومة التوحيد) للمجاوري .

و رَمَضَان حَمُّود (1906 -1929م) مولده ووفاته في غرداية (من أرض ميزاب) تعلم بتونس. له (بذور الحياة - ط) و (كتاب الفتى - ط) في التربية والأخلاق .

حَمِيدة الجَزائرلي (1871 - 1943م)من أهل الجزائر، واليها نسبته (بزيادة اللام على الطريقة التركية) ولد في بلدة عين بسام التابعة لقسنطينة، وتعلم في زاوية (الهامل) وآذاه الاستعمار الفرنسي، واستقر في المدينة المنورة وتوفي بها. كان غزير الحفظ

قويّ الذاكرة.
له نظم وتآليف، منها (الآثار في بلدة المختار - خ) في الأماكن الأثرية بالمدينة، و (آراء، في أحوال أهالي طيبة ودمشق الفيحاء - خ) رحلة إلى دمشق في خلال الحرب العالمية الأولى، و (الثمر الداني - خ) في العقيدة السلفية. وكان مالكيا، وفيه ميل إلى مذهب أهل الحديث. وجمع مكتبة آلت مع مؤلفاته إلى ولده محمد حميدة في المدينة.
يوسف فهمي بن محمد الجَزائرلي (1891 - 1973م) أديب مؤرخ من الشعراء. جزائري الأصل.
مولده ووفاته بالإسكندرية. عمل موظفا في بلديتها، وسافر إلى باريس فتلقى الحقوق (1918) وعاد إلى بلدية الإسكندرية مترجما، فمدرسا للفرنسية (1928 - 38) وأحيل إلى التقاعد (أبريل 51) وصنف كتبا، منها (الأمة العربية وإمكانياتها الاقتصادية - ط)، و (البطولة أو أرض الجزائر -ط)، (صفحات من الأدب العربيّ - ط)، و (الإسكندرية في فجر القرن العشرين - ط)، وقصائد نشر بعضها في ديوان أصدره بعض أدباء الإسكندرية باسم (ثوار)، وقصائد أخرى نشرت في كتاب (ديوان الإسكندرية)، وما زالت مجموعة من محاضراته ومقالاته مهيأة للنشر في مجلدات (
و أبو مدين الشَّافِعي (1921 - 1958م) دكتور في علم النفس. جزائري. ولد بمدينة تلمسان، وسافر الى مصر فحصل على (الدكتوراه) بجامعة القاهرة. وقام بتدريس علم النفس فيها مدة سنتين. وشارك في الحركة الوطنية بالجزائر. وفتح عيادة للعلاج النفسي بمصر. وصنف كتبا ورسائل مطبوعة، منها (التنويم المغناطيسي) و (الراحة النفسية) و (الصراع النفسي) و (النوم والأرق) و (الوهم) و (العقل الإداري) .
عَبْد القَادِر المُبَارَك الجزائري الدمشقي (1887 - 1945م) أديب، غزير العلم بمفردات اللغة، جزائري الأصل. مولده ووفاته في دمشق. اشتغل بالتعليم. وكان من أعضاء المجمع العلمي العربيّ.
له كتب،نها (شرح المقصورة الدريدية - خ) و (فرائد الأدبيات العربية - ط) وترجم عن التركية " المعلومات المدنية - ط " مدرسي. وله نظم فيه جودة .
محمد بن الأَعْرَج السليماني المعسكري التلمساني الأصل (1863 - 1925م) مؤرخ، له اشتغال بالأدب وله نظم. . تعلم بالقرويين وتوفى بفاس. صنف (اللسان المعرب عن تهافت الإسبان وفرنسا على المغرب - خ) المجلد الأول منه، في خزانة إدريس بن

الماحي الإدريسي الحسني بفاس، وزاد فيه مصنفه زيادات كثيرة وسماه (زبدة التاريخ وزهرة الشماريخ - خ) يقع في أربع مجلدات قال ابن سودة: تكلم فيه على دول شمالي إفريقية، لو طبع لأفاد. وقال: من أفيد ما ألف في المدة الأخيرة حسبما بلغني وفق الله من يقوم بنشره. و (محاضرات في فلسفة التاريخ وعلم الاجتماع) و (مجموعة مقالات في التاريخ العام) و (ديوان شعر - ط) الأعلام للزركلي .

هذه كانت نبذة عن بعض علماء الجزائر ومختلف مساهماتهم العلمية الزمنية و الجغرافية نرجو أن تسرع الدولة الجزائرية إلى خطة علمية ثقافية لتجديد التراث الجزائري دراسة و طباعة من خلال تنظيم الملتقيات العلمية حول بعض الشخصيات العلمية الجزائرية وكذلك بعض المؤلفات تجديدا للمذهب المالكي و التصوف السني الصحيح،فإن الشخصية الجزائرية العلمية المهترئة حاليا بسبب جهل القائمين على وزارة الثقافة ووزارة الشؤون الدينية وجهل بعض الدعاة الذين سلخوا الشباب الجزائري عن امتداده الثقافي العلمي دون تمييز بين الجيد الصحيح و الرديء أو الغريب الضعيف.

نسترجع أنفاسنا ما بين التلال...

نضرم النار تحت المطر

قدر الرجال أن يحاولوا..

عمالِقةٌ تخشى الدغدغة !

الإنسان المسلمُ ذكرياتٌ وراء مركز الاهتمام

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الحسن البصري: (... مَنْ قَالَ حَسَنًا وَعَمِلَ غَيْرَ صَالِحٍ رَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِ قَوْلَهُ ،وَمَنْ قَالَ حَسَنًا وَعَمِلَ صَالِحًا رَفَعَهُ الْعَمَلُ، ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يَقُولُ: {إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ} ابْنُ بَطَّةَ، الإبانَة الكُبرَى .

لا يمكن أن نقول : "في الإسلام أعظم حقوق الإنسان" ونحن نتحدَّث عن إنسان

مجرَّد، يعيش بين أوراق الكتب و في ثنايا الكلمات، بدون أن نتحدَّث عن الشروط الواقعية لحياة الإنسان المسلم الموجود الآن، لأنه عندما يجد الإنسانُ ما يعيش به بكرامة، قليلا كان أو كثيراً، المهم أن يكون حقه، سيكون كله آذاناً صاغية ، أما الآخر فأذنه تتبع عقله، وهو دائما عند همومه، هذه حقيقة، لننطلق منها إذاً.
هذا الإنسان المسلم نتآمر عليه بأسوأ الطرق عندما نُبقي موضوعه خارج مركز اهتمامنا بشتى التأويلات ، تلك حقيقة أخرى..
عن أي إنسان نتحدَّث هنا، عن الإنسان في القرآن أم عن الإنسان القرآني؟
العدالة شيء لا يكون في الكتب، و لا في الضمير فقط، العدل فعلٌ فقط، لا يجب أن نجد بعد كشط جلد العالم الجلادَ تحته، فدور العلم هو تسهيل الطريق، و إضاءة مسيرة المسلم، إذاً مسيرة الأمة نحو الواجبات و الحقوق على حدٍّ سواء كما هي في الدين: أمر ونهي، حلال وحرام، واجب وحق، لا يقوم شقٌّ بدون الآخر،كما قال ابن القيم ـ رحمه الله في (الإعلام) : " شَرِيعَةٌ مُؤْتَلِفَةُ النِّظَامِ، مُتَعَادِلَةُ الْأَقْسَامِ... مُؤَسَّسَةٌ عَلَى الْعَدْلِ وَالْحِكْمَةِ، وَالْمَصْلَحَةِ وَالرَّحْمَةِ، قَوَاعِدُهَا وَمَبَانِيهَا " فأين التناغم بين الواجب و الحق في الخطاب العلمي الحالي؟
إن دين المسلم ـ كسلوك ما مدى مطابقته لتعاليم الشريعة ـ يتغذى من واقعه، فإن كان فاسداً أفسد عليه دينه، و أدخله فيما يشبه الفصام، يحرص أشدَّ الحرص على صلاة الفجر في جماعة و يأكل الربا، ينهب بالرشوة و يتصدَّق، يسرق و يحج، يأكل أجر العامل !؟
هناك فرقٌ بين التجريد و الواقع، كلام الله ورسوله تكفي منه كلمة واحدة نستضيء بها ، المهم ما مقدار المعرفة و المبادئ التي نستنبطها منه؟
كيف يصبح سلوكاً نصلح به الواقع المعاش، فالأمر بالعدل هو أمر ضمن منظومة شرعية، يعني: ضمن أوامر كثيرة، السؤال: ما أهمية العدل و ما مرتبته في الإصلاح؟، ففي أكثر عصور المسلمين ظلما وجد أعظم المفسرين للقرآن، لكنهم لم يتجاوزوا حدود الجانب الديني و اللغوي الفردي، أما موقع المسالة من آليات الإصلاح و النظام الاجتماعي فلم تسمح ثقافة عصرهم بالتوسُّع فيها، و تطوير القيمة الاجتماعية و الإنسانية للعدل.
كيف نجعل كلام الله و رسوله مجموعة مفاهيم مجموعةً في إطار معرفي واحد،

نسلِّطها على مجال عملي معيَّن ، يجب أن تكون النصوص المتعلقة بالإنسان و بالعدالة نظاماً لتصوُّر شامل و دقيق، نحاول من خلاله تفسير واقعنا ،وسبب غياب العدل و الحق، لأنه عندما تفشل الخطب على جدار الواقع فلأنها أصبحت عادةً شكلية،و المشكل هو نظرية رائعة فقدت شقَّها العملي من أيام عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ إلا فترات قصيرة .

هو إذاً الربط بين الوضع الخاص لهذا الإنسان بالأصل العام، بعد تفصيل هذا الخاص و تحديد مجاله العملي.

و ليكون الإنسان المسلم مركز الاهتمام و الانشغال يجب أن نجدِّد كلام الكتب بِلُغة الحياة العصرية، لأن الكلام قد يصبح مبتذلا عندما يكون مجرَّد كلام نكرِّره في الخطب وقد دمَّرته الأفعال، فلا يكون له وقع على نفوس الناس.

نحتاج هنا منطلقين من كلام الله و رسوله في العدل و حقِّ الإنسان المسلم، و الإنسان كإنسان في الإسلام أن نوسِّعه، أن نستثمره و نعمِّقه لتخرج منه المسائل العملية أو النظرية العملية مؤكَّدة بنماذج الرُّسل و الصحابة و الحكَّام الصالحين.

وهنا نحتاج بعيدًا عن أي عقدة أن نستفيد من كل الإسهامات البشرية الممكنة، نحتاج أن نشرح النص بكلام يفهمه الناس وتؤكده الأفعال ، فعندما يقول ابن القيم : "حيث يكون العدل فثمة الشريعة" لان مقاصد الشريعة العدل ، كيف نحقِّقه عمليًّا في حياة الناس، لا يكفي أبداً أن نقول: " في ديننا عشرات النصوص و القصص الرائعة في العدل"، ونحن عقول و نفوس هشَّمها الظلم و دجَّنها سلب الحقوق ، لنسأل أو للنظر لكل إنسان استطاع أن يعدل كيف استطاع .

إن علينا أن نبتغي الوسائل و الطرق التي تتضمن العدالة الحية ،و ليس الكلام الذي يرغِّب فيها ويحثُّ عليها،فهو موجود معروف، لو كان هو مركز الاهتمام لأدركنا ذلك، ولكنه ـ في الحقيقة ـ جزء مؤخَّر كأية قضية فرعية أو كمالية.

و حتى الاهتمام بتجديد الدين غير ممكن بدون أن يكون مركز الحديث و الاهتمام: الإنسان المسلم وأهم ما يكون به مسلماً إنسانا، و ليس بضاعة أو متاعاً أو عبدا مهضوم الحقوق، هي العدالة.

فإذا كان الإنسان هو مركز اهتمام الوجودية و المادية على أساس أنه مادة، و لا شيء في الكون إلا المادة فنحن سنضع الإنسان المسلم و ليس الإنسان المجرَّد من علاقته

بالله في مركز الاهتمام لأن هذا الدين لم يأت هذا الإنسان ليهديه إلى سبيل الآخرة فقط، بل كذلك ليصلح دنياه فيخرجه من كل الظلمات، و يحرِّره من كل الطواغيت، و من جميع أنواع الجور.

كيف يكون الإنسان في الإسلام أشدَّ حرمة من البيت العتيق الذي هو قبلة المسلمين، الذي لا ندخلها إلا محرمين، وهو آمان لكل مطارد ، و يكون عمليًّا أقل حرمة من متاعٍ،مبخوسا حقَّه ضائعا في البحث عن قوته المنهوب؟ !

العدالة الإسلامية أن لا يكون لأية جهة مهما كانت ـ على مبدأ "وَ ايْمُ اللَّهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا" ـ حصانةٌ أمام حقِّ أضعف المسلمين،فلا كسراوية في الإسلام ولا بابوية.

لا قيمة لإنسانٍ مسلم كسره الظلمُ، و أذله الإفقار المتعمد، لا يحتاج الشفقة من أحدٍ، فليس الموضوع موضوع شفقة، ولكنه قضية حقٍّ بكرامةٍ قرَّره القرآن.

من المستحيل أن يقوم الإنسان بدينه كما نزل كاملاً بدون عدالة، فالمسلم لا يشرك بالله لأنه لا حقَّ لأحد عليه حتى يوجَّه إليه عبادته إلا الله ؛ فعلى قدر اهتمامنا بالمسلم يكون اهتمامنا بالإسلام، لأننا نتحدَّث عن الإنسان المسلم، و المسلم هو من يحمل الإسلام، تماماً كما تتوقف سلامة البضاعة المحمولة على سلامة حاملها.

ليس في الإسلام حقٌّ للخادم أن ينقلب سيداً غصبا وقهراً، ومع ذلك يجب أن نحترس من دفع هذا الإنسان للنار، لنعلِّمه أوَّلا كيف يكون إنساناً كما نعلِّمه كيف يكون مسلماً.

حق الإنسان الذي كرَّمه الله مرتين، مرة عندما خلقه، و مرة عندما أوحى إليه القرآن، يحتاج أن يعيش بكل كلمة خرجت من الله، ليس بالخبز وحده يعيش، كما جاء في أحد الأناجيل.

وفي كلمة الله : الأمر بالعدل و الإحسان، و أداء الأمانات إلى أهلها، و إقامة الحكم على الناس على حدٍّ سواء... الخ.

كلامنا عن العدالة و الإنسان في الإسلام في مقابل أفعالنا كمفتاح لا نعرف ماذا يفتح ! لأننا لسبب ما تصوَّرنا إمكانية خدمة الدين بدون عدل، نهتم بجزء من الدين، نشعل لأجله أعظم الخطب ولا يهمُّنا حامله، كأنه جماد بدون حواس؛ دين صحيح و إنسان أفسده الاستضعاف، إنه الجمع بين المتناقضات؟

لم ندرك ونحن نرتل آيات القرآن أن الإنسان هو مركز الاهتمام ، لأجله خلقت

السماوات و الأرض، وإليه بُعثت الرسل، ولأجله نزلت الكتب، ليكون عبدا لله نعم، لكن ليكون عبداً لله وحده، وكيف يمكنه أن يكون عبداً لله طوعا و اختياراً ،وقلبه استعبدته همومه التي تجري خلف حقوقه؟

لم نفهم أن الدول بدون عدل كالقوة بدون عقل تنهار تحت ثقلها، فتجرف الكل معها إلى وديان الفوضى، مهما دافعنا عنها، ونهينا الناس بحقٍ و صدق، نقول لهم ما أمرت به الشريعة لكن بدون أن نُهين أنفسنا بالكذب لأجلها، فإن الظلم يدخل الإنسان في أكثر كهوف نفسه عتمة.

ليس للظلم حقٌّ في قوانين الكون، ولا في قوانين القرآن إلا حق أن يفسد؛ هو القانون الإلهي يوم حرَّم الله على نفسه الظلم، وجعله بيننا محرَّماً: فلا قوَّة مستمرة بدون عدل ، ولا عدل يقوم بدون قوَّة ، دور الدول أن تخدم، لا أن تُهيمن فقط .

و إذا حكم الله سبحانه أن هذا الإنسان مسئول عن أفعاله، فلا يجب أن يكون مسلوب الإرادة في الاهتمام بالإدلاء برأيه فيما يدمِّر حياته ودينه، ومهما كان الجانح عن القانون فهو أقل شراً من قاض أو حاكم فاسدٍ ، فلا تمتلئ السجون في أيام العدل.

إن قوة المجتمع في قوة الفرد، كما قوة الفرد في الجماعة، لكن مع العلم بأن مجموع المعطوبين المنكسرين ليسوا إلا مستشفى بدون جدران.

ليس غرضي هنا جمع النصوص المرغبة في العدل، الآمرة به، المحذرة من عواقب الظلم، إنما غرضي كيف نستخلص منها النظرية العلمية و العملية الكاملة،ليس وصفا خطابيا،ولكن بخطوات دقيقة ، تجعلها واقعاً يدبُّ، وكما قال عمر ـ رضي الله عنه ـ :" لَا يَنْفَعُ تَكَلُّمٌ بِحَقٍّ لَا نَفَاذَ لَهُ "، فالحق معلوم لنا،ثابت في كتبنا و مذاهبنا في أدق تفاصيله،الذي هو ضائع عندنا و نحتاج أن نبحث أدقَّ تفاصيله ،هو كيف يكون نفاذه ، يعني: تطبيقه،تلك هي ولاية الحقِّ، و إلا فهو مجرَّد شعار.

غرضي هنا هو أن يكون العدل مركز اهتمامنا العلمي و الدعوي و نشاطنا الاجتماعي ، لا نفصل بينه وبين الاهتمام بالعبادة و الطاعة، على أساس أنه و الإحسان " أقوم الدين" كما قال عمر بن عبد العزيز في رسالته إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن أولا.

ثانيا: أن نشتغل على جانبه العملي، على مؤسسية العدل و أحوال تطبيقاته المختلفة و مجالاته وهنا نحتاج إلى التجربة البشرية نأخذ منها ما لا يتعارض مع أصولنا.

قال النبي صلى الله عليه و سلم وهو يتحدثُ عن ردِّ المظالم: (لَقَدْ شَهِدْتُ فِي دَارِ عَبْدِ اللهِ بْنِ جُدْعَانَ حِلْفًا مَا أُحِبُّ أَنَّ لِيَ بِهِ حُمْرَ النَّعَمِ، وَلَوْ أُدْعَى بِهِ فِي الْإِسْلَامِ لَأَجَبْتُ) ، فيجب أن يعود الاهتمامُ إلى الإنسان المسلم كما كان في سيرته صلى الله عليه وسلم: "إنسان وتوحيد، إنسان و عدل"، فلا قيمة للإنسان بدون توحيد،ولا قيمة له بدون عدل، بدون توحيد هو أكبر الظلم، وبدون عدل هو أكبر المظلومين.

للظلم أشكال كثيرة، يكون بالضرب، و التعذيب، و القتل، و السجن، و التسخير بالعمل مقابل أجرة لا تمثل قيمة العمل المؤدى، و بالغصب، و الزنا، و اللواط، و تدنيس الكرامة ،و قلة الاحترام... الخ

و الظلم على العقل يكون بالحجر عليه، و منعه من حرية الرأي الصحيح، و حرية التفكير و إبداء وجهة نظره بشرطه، ومنعه من الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر، و إخفاء الحقائق عليه، و مخاطبته بلغة الخشب وغير ذلك مما هو استهتار بعقول المسلمين، وحقهم في المعرفة.

كما يكون على المال بمنع الناس من حقوقهم، وعدم تقسيم الثروات قسمة عادلة، وتبديد المال العام، أو صرفه في مجالات يذمُّها الشرع أو يحرِّمها، وتعطيل جمع الزكاة، وفرض ضرائب على الناس فوق طاقتهم... الخ

في الإسلام المسئولية دقيقة جداً ،جاء في الحديث عند مسلم ـ رحمه الله ـ: (مَنِ اسْتَعْمَلْنَاهُ مِنْكُمْ عَلَى عَمَلٍ، فَكَتَمَنَا مِخْيَطًا، فَمَا فَوْقَهُ كَانَ غُلُولًا يَأْتِي بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ).

تنهض الأمم نحو العدل و الإحسان عندما يصيرا موضوع أدبها و شعرها و فلسفتها، وفكرها و قبل ذلك دينها؛ عندما يكون الاهتمام بأصغر القيم التي يتركَّب منها العدل و بها ينفذ، يصبح حقيقةً في آخر أطوار الإنجاز.

و إذا حذَّر رسول الله صلى الله عليه و سلم من الظلمِ في جميع صوره، بحيث منع ظلم الأرض، و هي لا تظلم إلا عندما تنزع من غير حقٍّ، فقال: (مَنْ ظَلَمَ شِبْرًا مِنْ أَرْضٍ طُوِّقَهُ مِنْ سَبْعِ أَرَضِينَ) فكيف بظلم المسلمين؟

إن الظلم في الإسلام نوعان: 1 ـ منع ما يجب للمسلمين من حقوق و هو التفريط، و يعلم الله ما للمسلمين من حقوق مهضومة في بلدانهم.

2 ـ فعل ما يضرُّ بهم، وهو العدوان عليهم.

فدور العلم و الثقافة و الفكر، ومن ثم الدولة أن يحموا المسلمين مما يضرهم، و أن

يحقِّقوا لهم ما ينفعهم وهي حقوقهم.
ذكر بعض الصالحين شروط المجتمع الإسلامي الفاضل فقالوا:" كل بلدة يكون فيها أربعة، فأهلها معصومون من البلاء: إمام عادل لا يظلم،و عالم على سبيل الهدى، ومشايخ يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر،و يحرضون على طلب العلم و القرآن،و نساؤهم مستورات لا يتبرجن تبرج الجاهلية الأولى".تفسير القرطبي.
وذكر شيخ الإسلام مثل هذا في تفسيره لقوله تعالى: (نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ)، فقال ما مفاده أن المجتمع الذي يوجد فيه صنفان من العلماء وهم: 1 ـ علماء الحجاج و الدفاع عن الدين لرد صيال الكفرة و المبتدعين عليه.
2 ـ العلماء العارفون بما ينفع و ما يضر، أو علماء حسن السياسة.
فالصنف الأول يحمي للمجتمع دينه، و الصنف الثاني يدفع عنه الظلم و يسعى لحقوقه، و ذلك بحسن سياستهم، فيجلب لهم مصلحتهم، ومثَّل لذلك بعلمي إبراهيم و يوسف عليهما و على نبينا الصلاة و السلام.
لنا أن نسأل: كيف يمكن للإنسان المسلم أن ينبثق داخل منظومة فكرية و دعوية غير مهتمة به ؟
ما هو مفهوم الإنسان المسلم المعاصر؟
هل هو ذاك الشخص الذي جعل الحياة وتحدياتها وراء ظهره، أو هذا الآخر الذي يرتدي بذلة وربطة عنق، و يستهلك تكنولوجيا العصر بشراهة ونهم، و شديد اللهفان عليها، و ليس لديه أي بعد تاريخي أو مستقبلي ،ولا مثال أعلى يقتدي به؟
إن موضوع الإنسان موجود بقوة في التراث الإسلامي تحت مسميات كثيرة، العدل، التعاون، الناس... الخ، و لكن موضوع الإنسان في العصر الحديث طرح شروطا جديدة علينا قبولها أو رفضها، بناء على روح الدين الإسلامي كما هو في القرآن و السنة، وخارج اعتبارات التاريخ و سنن تطوره، و بعيداً عن الأعراف و الممارسات الآنية، و خلفيات الماضي السلبية.
إن هذه الشروط الجديدة للإنسان المسلم المعاصر هي نتيجة مؤثرات عوامل قوية جديدة في المجتمع الإسلامي ،كارتفاع الضغط الديموغرافي، و دخول الاقتصاد الصناعي، ووجود الدولة المنفصلة عن المجتمع ، و أحيانا المضادة له، المتصارعة معه، والتبعية المتزايدة للغرب ،و الدخول في المنظمات الدولية، ونمو الرصيد

الثقافي للعامي، و الانفتاح الثقافي المفروض بقوة التكنولوجيا.
فالإنسان المسلم في القديم كان أفقه الثقافي محدودا ومحصورا بمجتمعه فقط، وفرص تعرضه لتأثيرات خارجية و انجذابه نحو ثقافة أخرى تكاد تكون منعدمة، و البنية العصبية و القبلية التي يعيش ضمنها تجعل من انبثاقه و ظهوره أمراً غير مطلوب، إذ انبثاق عصبيته و قبيلته و مكانتها هو المطلوب.
كذلك اعتماده على اقتصاد بدائي يتحكم فيه من كل وجه قد تغير، وصار الاقتصاد المعاصر مرتبط برهانات و قوانين لا يتحكم فيها المسلم، و ليس هو من وضعها......الخ.
فكل هذه العوامل تداخلت لتغيير شروط انبثاق الإنسان المسلم في هذا العصر، فالحديث عنه هو جوهر القضية، يبقى أن نشجِّعه على اختيار الإنسان المسلم و ليس الإنسان فقط كما تقترحه العلمانية، لكن بعد أن نعرِّفه من هو الإنسان المسلم.
إن الإنسان المسلم كما في القرآن و السنة هو الإنسان المستسلم كلية لله، الخاضع له طواعية و حبًّا ،و هذا يقتضي أنه يذعن بحرية ومسؤولية لقيم دينه، و أنه غير خاضع لأي مخلوق خضوع الذل،إذ المحبة الكاملة و الذل التام لله سبحانه وحده، فخضوعه للحاكم أو لشيخه أو لأقاربه خضوع لله و لقيم دينه لأنه خضوع لمبادئ شرعية و ليس لشخص، فإن تعارض خضوعه لهم مع خضوعه لقيم دينه وجب عليه تقديم خضوعه لقيم دينه على خضوعه لأي شيء آخر.
و هذه ميزة الإنسان عندما يكون ضميره حراً، و متى أخل بذلك لم يكن حرًّا، ومتى لم يكن حرًّا فلا تنتظر منه شيء إلا التمرد و الاحتيال.
كيف لروح الإنسان المسلم الذي يدعوه الخطاب القرآني إلى التعالي بسلوكه وفكره، بالارتفاع عن الدناسة الفكرية و الأخلاقية، إلى التفكر في صنع الله و قدرته، و إلى طبع سلوكه بالرحمة للعالمين، وقد غرق في كابوس البحث عن حقوقه أن يبقى له مجال للارتفاع و التعالي؟
نريد أن يصبح حديثنا عن الإنسان المسلم كما وصفه القرآن، وحدَّد شروط وجوده، ولا يكون ذلك بدون رد النظريات العصرية حول الإنسان المضادة للقرآن.
في الأخير: لستُ من أنصار الثورات، ولا الفوضى، وذاك شيء له أسبابه و آلياته الكونية التي تتحكم في كل عقل و نفس لم تعرف الأسباب و الآليات الشرعية، لا أقتنع

إلا بما توقّع عليه النصوص فهي ديني، منطلقي ومنتهاي.
ولا أنصح الناس إلا بالصبر فإنه أقوى من الظلم، لأنه سيشاهده يوم يسقط.
لكن لا يجب على العقول الواعية بحال من الأحوال أن تغطي الظلم لتتركه عاريا أمام نفسه و أمام الناس.
وكلامي هنا لأنه كذلك للبحث العلمي أسبابه و آلياته، و وظيفته ـ الآن ـ أن يقول:
خريطة الدعوى و العمل الدعوي و الفكري المعرفي تحتاج إلى تحديث (mise a jour)، وهو أن يكون الإنسان المسلم و العدل مركز كل اهتمامنا .
و لأن هذا آخر مقال لي هذه السنة فاتني أن أقول في موضوع " الانتحال في كتاب ما بعد السلفية" هذه الكلمة:
"مع كثيرٍ من المسلمين لا ينفع إلا الانتحال، تخسر من نفسك شيئاً وتزيد فيهم ما ينفعهم، فإن لم تتحايل على جمودهم لم تكن مخلصاً لهم.".
قال صلى الله عليه و سلم:
(أحب الناس إلى الله تعالى أنفعهم للناس، و أحب الإعمال إلى الله عز وجل: سرور يدخله على مسلم، أو يكشف عنه كربة، أو يقضي عنه دينا، أو تطرد عنه جوعا،ولأن أمشي مع أخ في حاجة أحب إلي من أن أعتكف في هذا المسجد{يعني مسجد المدينة} شهرا،ومن كف غضبه ستر الله عورته ، ومن كظم غيضه ولو شاء أن يمضيه أمضاه ملأ الله قلبه رجاء يوم القيامة، ومن مشى مع أخيه في حاجة حتى تتهيأ له أثبت الله قدمه يوم تزول الأقدام،وإن سوء الخلق يفسد العمل كما يفسد الخل العسل)صحيح.
جمع هذا الحديث كل ما يتعلق بالحياة الاجتماعية الإسلامية الصحيحة،على مثل هذه النصوص يجب أن نبدأ المنظومة الفكرية الدعوية لتكون ثقافة المسلم ،و المبادئ العامة للسياسة الإسلامية الحديثة.
أما كلامنا نحن أهل هذا العصر فتحكم عليه أفعالنا...
"مادُمنا لا نعرف النَّاس إلا من كلماتِهم فيجب أن نُصدِّقهم حتى تُدمِّرهم الأفعال"
Marquise de sévigné ...
و الحمد لله وحده، و الصلاة و السلام على من لا نبيَّ بعده.

الكتابة على ورق السُّكَّر

هي كتابة مرتجلة عفوية كالكتابة على ورق التعليب، تسيل الأفكار من القلم طازجة، لم تطبخها المراقبة التي تفرضها النفس على العقل؛ هي أكثر من الخواطر، وأقل من التفكير بالمراجعة ، أقرب إلى الانطباعات الحدسية، صافية، خالية من القيود التي يفرضها العقل الواعي، ليست وليدة التحفظ الذي ينقص فضيلة الصدق، ويُضيعها في المصلحة كما تضيع الأنهار في البحر، يتخللها انقطاع مفاجئ كانقطاع تيار الكهرباء ثم تعود بتدفق أقل من الأول.

يحتاج هذا النوع من الكتابة إلى قدرة فطرية على تفجير الكلمات؛ في هذه الكتابة لا يقف التفكير كلية، إنما يرفع رأسه فقط.

هي كتابة تكون قوية عند البهجة، لكنها سطحية؛ تغوص في عمق القضية عندما يفجرها الحزن وهو كذلك، منه تنبع الحكمة كما بالفرح تتزين المتعة.

الكتابة على ورق السكر هي لحظة الإنسان الأكثر صفاء و نقاء، يكون فيها العقل متدفقا متحرراً من قيود القناعات السابقة، من ليل الحقيقة الذي يقطع الكلمة، في حالته الطبيعية كما عند الإنسان بدون ثقافة؛ عقل خالص، يطلق نبضات في سيل متقطع.

أظنه العقل الباطن مل من التصنع....

التقييم بين الموضوعية و الذاتية

بسم الله الرحمن الرحيم

المقصود بـ " التقييم" هنا: الحكم على الكتب ومن ثم على الكاتب.

1 ـ يجب أن يكون الإنسان الواعي مسئولا عن حكمه الذي يطلقه في حق كتاب أو شخص مسئولية الضمير و مسئولية أخلاقيات العلم، قادرا على الملاحظة، و على استدعاء المناهج المناسبة لجمع المعلومات عن الكتاب، وعلى بناء و تحرير أدوات الحكم شخصية، مجتنباً الأدوات و الوسائل "جاهزة للارتداء" (à porter Prêts) التي شكلَّها مذهبه و انتماؤه،ونفسيته،فكل كتاب يحتاج إلى أن نطوِّر له أدوات التقييم الخاصة به،فإن من الكتب ما لا يقاس على سابقه،قد يحمل نظرية جديدة، أو مفهوماً اندرس من قرون،لأن سلم التقييم العلمي يختلف باختلاف الاختصاص و الفن، فالحكم

على التاريخ ـ مثلا ـ بالمعطيات المذهبية يقود دائماً إلى الأحكام الجائرة، إلى المعرفة العامية المسجونة داخل الأحكام المسبقة.
في مقاربة التخصص يضع الحكم التحليلي تحديات معتبرة،فلا يوجد في فقهنا السياسي مثلا قاعدة يمكن الاعتماد عليها إذ كل بنائنا السياسي يقوم على دراسة نتائج الخلاف الأول وليس لأسبابه، فلم نبحث جذور الخلاف السياسي علميا بعد.
والتدليل في قضايا خلافية ممتدة في غياب الموقف الواضح من أصلها معقد يحتاج إلى النظر من زوايا متعددة الأبعاد ،وهو منهج متطور قلة منا يمتلكه حاليا، وهو سبب المواقف المتباينة من قضايا واضحة،وما لم نقف عند عيوب البناء المذهبي التي أدخلتنا في الوضع الحالي لن نخرج منه.
2 ـ تتأثر أحكامنا بعدة عوامل أولها ـ وهو مشترك بين الناس ـ بطريقتنا في الكلام أو التعبير، بين مهتم بالتدقيق و اختيار العبارات بعناية، متقيدا بالمصطلحات العلمية المحررة، و بين متكلم بالعبارات الشائعة الجاهزة،وهؤلاء في الغالب أحكامهم تقديرية يستبدلون الدقة أو الحكم التحليلي بحكم مجمل يختلف باختلاف درجات الاختلاف .
الثاني: قد يمتلك الإنسان أدوات الحكم لكنه لا يمتلك حرية التعبير عن الحكم، فلا يقدر على التعبير بحرية تامة غير خاضعة للمديونية اتجاه الأصحاب و المذهب و الجماعة.
وقد يبحث عن التوازن في الموقف فيفرض الحكم التوفيقي (syncrétique) نفسه.
3 ـ أقل ما قد يفعله الأمين في علمه، العاجز عن وضع سلم للتقييم النهائي مبني على مرجعية معيارية أو تفسير معياري هو أن يقيمه بإحصاء عدد المواضيع الصحيحة، و ليس بتعميم حكمه على جزئية على كل الكتاب، فهذا جهد الضعيف.
فكما لا يجب أن نترك الحكم لنزوات الدلالة، ولا للوجهة الخاصة لكل شخص فهذه الذاتية بعينها، في كثير من الأحيان يقترح المذهب و القناعات على الحكم رؤية من غير شعور لعدم الاعتياد على التجرد و التفريق بين الوقائع و المشاعر، كذلك لا يجب أن نبحث عن إجابة جيدة لصالح الكتاب أو ضده،ولا على تعميم الأحكام على كل مخالف للمعهود فهذه فكرة ليس لها أصل علمي بل هي نعرة مذهبية.
قد لا يخلو الحكم التقريري من الحكم التقديري لصعوبة حبس الانطباع، فهما في الحقيقة ثنائية متفرعة ينشطر أحدهما من الآخر، لكن هذا لا يمنع من المحاولة لأن

نكون موضوعيين بقدر المستطاع.
قد يتساءل أحدهم معايناً أن المسلمين قد بالغوا ربما في التأصيل و التقعيد، ومع ذلك لم يتحرك فيهم ساكن؟ لأنه لم يستطع التقاط التغييرات العلمية و الاجتماعية التي طرأت على الأمة، يحتاج أن يرى الموجة و الطوفان من بعيد؟
وما هكذا تقدر الحركة العلمية و تقيم،بل بنوعية المسائل التي تم التطرق إليها،وكمية التفريعات التي أعقبتها،وعلى هذا الأساس فالأمة لا تزال بعيدة عن التأصيل الذي يقلب الموازين، ويرجح كفة المستقبل على كفة الماضي ،ولحد الآن نحن نقبع تحت ثقل مواريث الطائفية و المذهبية بنعرتها وكثافة معاييرها الترجيحية.
فمن الوسائل لمعرفة مسار أمة و اتجاهها فكريا و حضاريا هو ملاحظة المناهج المعتمدة عند نخبتها فبها وحدها نعرف قيمة التأصيل، و بحسب هذا المعطى فإن الكتب الجادة التي قد تحدث فرقا و ترجيحا في عقل الأمة قليلة جداً.
فليس من دور المؤرخ إطلاق أحكام تقديرية على الأشخاص الذين يشكل سلوكهم موضوع بحثه،لأن التاريخ كفرع من المعرفة لا يقدم إلا قضايا وجودية (تقريرية)،لكن دور الفهم الاستنباطي الخاص بعلوم التاريخ هو تحديد مضامين الحكم التقديري للأشخاص الذين يدرسهم،لأن الغالب على تصرفات الناس أحكامهم التقديرية فهو يهتم بالتجربة و الطبيعة البشريتين، لا يخلط بين الوقائع و الرأي،ولا بين المبدأ و المثال(التجربة)، ولا بين الدين و التدين.///

الصيف موسم القراءة

بسم الله الرحمن الرحيم
ما قد يقال عن القراءة :
الكلمة كما يمكنها إشعال الحماس يمكنها تجفيف الآمال، و الكلمة العلمية المنحوتة فكرياً هي في تجارة الأفكار كالدراهم في تجارة البضائع...
قد تكون القراءة مجرد هواية،أو تسلية، أو هروبا من الواقع،أو صحوة لضمير، تمنح المتعة كـ"عرض مسرحي، أو ألعاب أو رياضة" فتتيح لنا الابتعاد عن الواقع المعاش، ونسيان الهموم اليومية و إزالة التوتر.
وقد تكون معينا ثميناً على التعلم و التفكير و التعبير، فالكتب تكوِّن العقل الناقد

بالمقابلة بين الأفكار و المذاهب،و تعمق الثقافة، و تفجِّر فينا إلهاما، أو تفسيراً جديدا للعالم، للتاريخ، للقضايا العلمية الاجتماعية السياسية، وحتى الكتب الرديئة تزيد في الثقافة ،وتوقظ الانتباه ، بها ينمو الفكر و يتطوَّر من كتاب إلى كتاب حتى تكتمل النظرية و تتضح الرؤية.

القراءة هي انفتاح على العالم، تفتح أمامنا كل أبواب المشاريع الشخصية و الجماعية، و تدعونا إلى فهم محيطنا و التحكم فيه، بدلا من الهروب منه، خاصة تملُّك التاريخ و استكشاف خباياه،و التعرُّف على سلفنا ،و اجتناب أخطاءه.

القراءة تسمح لنا بالالتحاق بالكاتب في تصوُّره للمشهد، في لغته وثقافته، ورؤيته، و إن تضمنت بعض المخاطر لأنها ليست فعلا محايداً، فهي تطلب منك الحكم على ما قرأت لكن بها يكبر الأنا يفتش نفسه ، و يخرج من سجون الذهن، يفتح قفل نظرتنا للعالم لنبصر الضفة الأخرى.

في فعل القراءة نفعِّل الذاكرة و الخيال، نراجع اللغة بدون جهد، نجمع المعارف، نتزود بموضوع المحادثة مع الغير، لنجعلها مفيدة ممتعة للسامع.

أن تقرأ هي أن تكون حراً ، تفتح الكتاب متى شئت و تغلقه متى شئت، و تأخذه معك حيث تريد ، فالكتاب كسفينة نقطع الحبال التي تربطها بالبر ، وبعض الكتب كنز ثمين يجب إخراجه من حفرته، تغرف منه معلومات قيمة .

القراءة أنواعٌ، الذي يجب أن تعتني به الأمم أكثر من غيره: القراءة العلمية و القراءة الأدبية، الأولى تشكل الشخصية الثقافية و تغير الإنسان وتجعله يتقدم نحو الأفضل، و الثانية ترقق طباعه و تبرز آدميته و تجعله يلتقي بأحاسيس غيره، ويختبر بعض المشاعر لم يعرفها من قبل.

و أحسن طرق القراءة ما جمع بين متضادين: سرعة القراءة وسرعة الفهم.

عندما تملك الأمة حس القراءة العلمية (القراءة التي تتطلب التعليل) تنفعها الكتب و أوَّلها القرآن؛ أما ـ الآن ـ فإن وعيها يتشكَّل في المقاهي، و من الشاشات، و مواقع التواصل و المعرفة فيها تشبه الوجبات السريعة تشبع سمنة و تسد عروقك.

مكانة علم التاريخ في تحديد وجهات الأمم

قيمة علم التاريخ و الاهتمام به صورة عن إدراك دواليب الحضارة

بسم الله الرحمن الرحيم

ملاحظة: المصطلحات العلمية المستعملة في هذا المقال مشروحة في آخره.

..... في ثقافتنا المعاصرة نعتبر "علم التاريخ" مادة أقل شأنا من كل المواد التي تُدرس، هو علمٌ يُقبِل عليه محدودو الأفق، مَن لم يخصهم الله إلا بموهبة الحفظ ! المؤرخ عندنا أقل الشخصيات العلمية بريقاً، لا نجد لها مكانة في البناء الحضاري، فهو لا ينتج مادة ملموسة نتصل بها مباشرة كـ"الاقتصاد، و التجارة، و السياسة"...الخ.

يُغرقنا في أحاديث الماضي، مادته عبارة عن حكايات قديمة تدور على فعل ماض ناقص ، فما هو إلا حكواتي مثقف، يحكي لنا عن حياة انقضت، لا تثير لدينا الاهتمام لأننا مهمومون بحياتنا الآن؟

وربما قد ساهمت في صنع هذه الصورة المشوهة المغلوطة كتبنا التاريخية السيئة و السطحية ـ أكثرها ـ التي لا تقبل القراءة لكثرة الغموض و التكرار فيها، لم تبحث شروط المعرفة في التاريخ و خصائصها وحدودها، ولا في طبيعة الوقائع التاريخية، فجاءت الأحداث فيها مختلطة أو مرتبة بحسب تاريخ السنين ،هي ـ تقريبا ـ سردية ؛النقد فيها جزئي وليس نظرية كاملة ،تختلط فيها الأوجه و الاختصاصات، فلا تساعد على تشييد المستقبل على التاريخي، تُبقى الماضي كله بايجابياته و سلبياته ممتدا على المستقبل، مهيمنا عليه .

بينما علم التاريخ عند الأمم المتقدمة ـ في هذا العصر فقط ـ أكمل العلوم،و المؤرخ المعاصر أكمل المثقفين ؛كيف لا يكون، و هو الوحيد الذي يحكم على الماضي بالحاضر، الحالة الوحيدة التي يحكم فيها الماضي على الحاضر هو عندما نحكِّم المبدأ و المثل،أما في محاكمة التجارب البشرية فدائما الحاضر هو الذي يحكم على الماضي.

هو الوحيد الذي يحقِّق في أحداث الماضي، و الوحيد الذي يفتِّش الفعل الإنساني الماضي و يبحث عن نواياه و خباياه.

يحتاج إلى كل العلوم، فالمؤرخ بالدرجة الأولى فيلسوف الأفكار ،خبير باللغة و

ووجهها النفسي الذي يخفي النوايا و الأغراض و الخطط و المقاصد،يُحقِّق في الديانات، و المذاهب، و الفنون، و أحوال الدول و الناس، يطبِّق قواعد علم الاجتماع، و تقنيات التحقق من الوثائق ، علمه وصفي دقيق يخبرنا عن المسافة بين المبدأ و التجربة البشرية ... الخ

و لأن علم التاريخ هو علم الوقائع التي تتصل بالأحياء من الناس في " مجتمع" خلال توالي الأزمنة" الماضي" ، فهو وصفي بامتياز، يسعى لمعرفة الوقائع الجزئية وتوزُّعها في المكان و تواليها في الزمان، وحده من ضمن جميع العلوم لا يعمل على ظاهرة وحيدة فقط ، بل يدرس في آن واحد نوعين من الوقائع المختلفة جذرياً : 1 - الوقائع المادية التي تعرف بالحواس و أفعال الإنسان.

2 ـ الوقائع من طبيعة نفسية كـ"عواطف، و أفكار، و دوافع، لا يدركها إلا الشعور؛ ولا يمكن بحال الإضراب عنها لأنها توحي بسلوك الناس و تقتاد أفعالهم الحقيقية، كما يقول شارل لانجلوا في " المدخل إلى الدراسات التاريخية".

و لأنه : العلم الوحيد الذي تكمن قوته في نقائصه، فهو يتعامل مع معطيات غير مباشرة، يصعب رصدها، عارياً من كل أداة للملاحظة، مقتصراً على قوى العقل، و الوقائع بطبعها مضطربة غامضة، يحتاج المؤرخ إلى العمل في اتجاه معاكس للطبيعة بدقة وحذر، مادته الوحيدة هي الوثيقة فهي الأثر الملموس الوحيد عن الماضي، تتطلَّب الارتفاع في سلسلة عمليات نفسية : " الكتابة، اللغة، التفريق بين المعنى المجازي و الحقيقي، ثم يتمثَّل الشيء في نفسه حتى يصل إلى الواقعة ، فهو ما بين تحليل الوثائق و الوقائع، يعني: فصلها عن بعضها، و النقد الذي قوامه تقدير(تقييم) المعلومات الواردة ، ثم معرفة ما إذا كان بينهما و بين الحقيقة (الواقعية) ذاك الاتفاق الذي نُسميه "الحقيقة".

المؤرخ وهو الوحيد الذي بعمله التحقيقي يقول لنا من أين جئنا ،و بعمله القضائي يخبرنا إلى أين نحن متوجهون.

لهذا كان المؤرخ المعاصر مثقفا،و أوسع المثقفين معرفة.

علم التاريخ هو استكشاف الماضي، يكشف لنا روعة ماضينا، وثراء ثقافتنا، وجمال ديننا، كما يكشف لنا ممارسة سلفنا و تجربتهم البشرية مع المبدأ، يعرِّفنا بأجيالهم التي سبقتنا، الذين حاولوا تحسين ظروفهم، فأي شيء جميل فينا فبفضلهم علينا، لكن كذلك

ورثنا بعض السلبيات منهم.
التاريخ يسمح لنا أن ننقع أنفسنا بمبادئ سلفنا، و نستفيد من دروسهم، و نجتنب أخطاءهم لمواصلة جهدهم في اتجاه المبدأ، و ليس في اتجاه تجربتهم ولكن عبرها.
أهمية علم التاريخ أنه يتعلَّق بمركز الماضي في تحديد وجهة الإنسان، فقيمته عند الشعوب بحسب وعيها بهذه المركزية.
... معرفيا (نظرية المعرفة) يجب أن يكون عمل المؤرخ هو موضوعية المعرفة التي يُعطيها للماضي وهذا يقتضي منه حياد السرد التاريخي و تطابقه مع الأحداث نفسها،لكن التاريخ هو قضية الإنسان مما يعني : تصرفات تحمل معان مختلفة ،و مقاصد في الغالب غامضة وخفية، تتطلَّب فك رموزها. ومن هنا يظهر أن ذاتية المؤرخ جزء من منهج مقاربة موضوعه، لكن لا يعني ذلك أي ذاتية، بل هي ذاتية مسيطر عليها بمنهج صارم.
وانطلاقا من السؤال عن ذاتية المؤرخ التي تطرح السؤال عن دوره المعرفي، و التي تستلزم بطريق الأولى علاقته الخاصة بهذا العلم، هل تكون وظيفة المؤرخ: ترتيب الأحداث بالنظر إلى قيمتها الأخلاقية ؟
في قعر هذا السؤال يبرز توقف هذا السؤال عن حقيقة ما نُسميه " حس التاريخ" حيث نضع طبيعة هذا العلم التاريخي و اهتماماته من خلال الجواب عن دور المؤرخ..
الإشكالية الفلسفية: هل يجب على المؤرخ وهو يعمل على أحداث الماضي أن يحكم(يقضي) بتقدير على بعض الوقائع(الحقائق) ومقارنتها بأخرى، فإذا كانت هذه وظيفته الحقيقية، في هذه الحالة ماذا ننتظر من صناعته؟
السؤال عن ذاتية وموضوعية المؤرخ في قلب السؤال الجوهري: هل نستطيع أن نؤرخ، وهل يجب بدون أن نصدر أي حكم ؟
من هذا المنظور ما المتوقع أن نتعلَّمه من التاريخ؟
فلزم ـ ضرورة ـ وجود الحكم، فما عِبر التاريخ إلا تلك الأحكام التي نطلقها على الماضي بثناء أو بإدانة.
في الحقيقة: المؤرخ موجود لإعادة تركيب حقائق الماضي، و ليعطينا عناصر إدانة ما جرى أو الثناء عليه ، ومن هنا كان دور القاضي الذي يتقمصه المؤرخ ـ في مرحلة ما ـ ضمانا يجعلنا قادرين على تعلُّم شيء من التاريخ ،فهو في هذا المستوى

الضامن على نوع أخلاقيات الماضي، يميل إلى إدانة المخالف للمبدأ ، و بطريق أولى إلى اجتنابه في المستقبل.

إن علم التاريخ كحكم على الماضي يحتم الموضوعية و اتخاذ مسافة مقبولة من القضايا التي تجمعنا بها عاطفة ، بهذه الرؤية إذا كان المؤرخ هو القاضي(الحاكم) على الماضي فهذا يفرض عدم إمكانية أية موضوعية ممكنة ، فكل ما يستلزم نقص الموضوعية يستلزم عدم حيادية.

في حين أن خاصة القاضي أن يبقى محايدا ، أن لا يفصل بدون جمع كل العناصر ، و أن لا يكون جمعه لهذه العناصر يشبه جمع جهة الادعاء يعني: البحث عن الإدانة، في هذه الحالة يكون دور المؤرخ دور المحقق أكثر منه دور القاضي، فهو يحقِّق و يقدِّم المعطيات و العناصر كما هي، ومن يستلم عنه التقرير ،وهم العلماء ، و القانونيون ، و السياسيون ... الخ هو من يزاول في الحقيقة دور القاضي.

... المؤرخ الحقيقي يبذل مجهودا حقيقيا لإبراز مبدأ الوضوح، كثير الاهتمام بالدقة و التوثيق العميق، يهدف الوصول إلى التاريخ الحقيقي يعني: إلى(القصة الأصلية) بعيداً عن كل الظواهر و الكلمات و السياقات المصاحبة لها،و التي وجدت لتضليل الناس عن السبب و الهدف الحقيقي وراءها فالإنسان بطبعه يُعلن الشعار ويخفي الهدف.

.... يتبنى المؤرخ مقاربة نقدية اتجاه الأشياء الظاهرة حتى يكون أكثر موضوعية بحسب ما يمكن للإنسان أن يبلغه في ميدان العلوم الإنسانية.

فدور المؤرخ إذاً ليس تقمص دور القاضي، بل تقديم ملف مفصَّل حتى يمكننا انطلاقاً منه الحكم بقيمة الحدث التاريخي الفلاني بأنفسنا.

وعليه، يتحدَّد دور المؤرخ بالنظر إلى أهمية علمه نفسه، و يتحدَّد مسار أمة بأهميتهما (التاريخ و المؤرخ) في تصوَّر المستقبل من خلال الحسم بين المبادئ و بين التجارب البشرية.

كلمة" يحكم"(يقضي) لهالا عدة معان: من رؤية منطقية: هو فعل يتمثل في ربط علاقة بين حدين ،وعند كانط أن تحكم هو أن ترجع إلى التفكير في الخاص تحت الكلي ،بينما نفسيا الحكم هو فعل ذهني من خلاله نضع تأكيداً كأنه حقيقي؛ من رؤية أخلاقية و قانونية الحكم يرجع إلى التقدير لترجيح الثناء أو الإدانة.

عندما تقرأ التاريخ قراءة علمية تستطيع تفسير كثير من السلوكيات و العادات

المعاصرة، فتعرف لماذا توجد سجون بدون أبواب سجنت بعض الجماعات أو المذاهب نفسها داخلها؟
لمَ عليها أن تحطِّم الجدار، كيف لا و التاريخ هو إعادة فتح ملف المجزومات(جزم الهوى) و مسلمات الماضي، و طرح الأسئلة الجديدة عليها.
عندما تقرأ كتاب " الخلافات السياسية بين الصحابة" للدكتور الشنقيطي، وهو كتاب يضع قواعد دراسة التاريخ وليس كتاب تاريخ بمعنى الكلمة، وترى تلك القواعد التي جمعها المؤلف من كلام ابن تيمية تذهل للقيمة المعرفية التي تجسدها في إعادة صياغة تصوُّرك للماضي، مما يعيد فتح تصورك للمستقبل آليا، يعني: يتغير شيء في نظرتك للماضي فيتغير مقابله في الحاضر و المستقبل.
ربما أستطيع أن أقول: دراسة الماضي دراسة تاريخية علمية باستعمال كل أدوات المؤرخ المعاصر تكاد تغني عن التخطيط للمستقبل أو التفكير فيه، وبهذا تدرك أن إشكالات المفاهيم و التصورات التي نعاني منها في هذا العصر، و تخلُّف المبدأ عن إدارة الحياة اجتماعيا و اقتصاديا وسياسيا سببها عيوب في فهم التاريخ .
المصطلحات:
1 ـ الموضوعي: هو ما له علاقة بموضوع المعرفة، فيكون الحكم موضوعيا إن كان مطابقاً لموضوعه هو تطابق الفكر مع الواقع؛ فالموضوعي هو ما لا يتعلَّق: بي، بذاتي، بقناعاتي ، بمذهبي،بمشاعري؛ هو الصالح للجميع، يكون الحكم موضوعيا إن كان كليا تتفق عليه العقول العلمية العاملة بنفس المنهج.
2 ـ الذاتي: هو ما يتعلق بذات العارف ، فيكون الحكم ذاتيا إن كان تابعاً للضمير أو الوعي، فالذاتي هو ما يتعلَّق: بي،برؤية خاصة بي؛يكون الحكم ذاتيا إذا عكس المشاعر ،و الأحكام المسبقة والاختيارات الشخصية .
إذا عرفنا الفرق بين الموضوع و الذات، بين الوقائع و المشاعر، لنتعرَّف على الفرق بين الحكم التقريري و الحكم التقديري:
1 ـ الحكم التقديري: حكم طوعي، يعبِّر عن المشاعر و الأذواق و الاختيارات الفردية التي يطلقها،فيما يخصه لا يتعلق الأمر بالحقيقة أو بالخطأ ،هو حكم نهائي غير خاضع لأي دليل، نرجع إليه في نفسه و ليس إلى التراكيب اللغوية التي يتواصل بها مع الغير.

وعليه، فجميع الأحكام التقديرية(jugements de valeur) شخصية و ذاتية كـ "أفضل، أحب أكثر، أتمنى.... الخ"

إن الحكم التقديري يعتبر الأشياء من رؤية الإنسان الذي يُطلقه، لا يثبت شيئا على الأشياء كما هي، يُظهر فقط الجواب العاطفي للإنسان على شروط كونية معيَّنة في مقابل شروط أخرى، فهو توجيهي ذاتي (غير موضوعي)(prescriptifs et subjectifs)

2 ـ الحكم التقريري(jugements de faits) فإنه يتضمن ملاحظة حيادية و موضوعية، هو وصفي وموضوعي(descriptifs et objectifs).

قد يتحوَّل التقديري إلى تقريري كقولنا: "هذا الشاعر غير موهوب" إن كان الحكم على الشاعر راجعا إلى خبرة بفنون الشعر و أنواعه و قوانينه،و معايير التقييم الفني، فإن اقتصر على الذوق و الانطباع فهو تقديري.

الذي يهمنا هنا أن الحكم لا يكون علميا تقريرياً مطابقا للواقع حتى يكون حياديا ، و المقصود بالحياد هنا أن يكون منطقيا محايداً بعيداً قدر الإمكان عن النسبية الكاملة، موضوعيا يتعلَّق بالوقائع فقط، غير ناظر لمكانة الأشخاص فيحاول تطويعها و تفسيرها لصالحهم ، بل دائما يجب أن يكون التفسير لصالح المبدأ و الاعتذار لصالح الأشخاص .

فإذا جئنا للتاريخ الإسلامي وهو في الحقيقة حركة أشخاص في محيط مبدأ هو الوحي المنزل، يُشكل مسارهم في الارتفاع إليه أو الابتعاد عنه بسبب الطبيعة البشرية التجربة الإسلامية، يجب أن نفرق حينئذ بين المبدأ و المثال، وبين العذر و الواقع، و بين الوصف و الحكم.

التشيع عند العلماء هو تفضيل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب على الشيخين، و الرفض هو القول بالنص عليه و بعصمة الأئمة.

و عليه، فإن ما جاء في كتاب " الاختلافات السياسية بين الصحابة" لا علاقة له بالتشيُّع، يبقى أن نفهم ـ لدفع مفهوم المخالفة ـ أنه إذا كان بعضهم (بنو أمية) قد أوقف الحركة السياسية الإسلامية الراشدة عندما تخلى عن مبدأ الشورى و الخلافة لصالح الملك و التوريث فإن المنازعين لهم مباشرة فيما بعد عهد الصحابة ، و أقصد هنا آل البيت و بني العباس لم ينازعوا لرد الشورى و الخلافة ،فالصراع بينهم لم يكن حول

الشورى و الخلافة، ولكن حول استحقاق الملك، وهذا ما أكده التاريخ ،أما غيرهم فلم يستقر لهم الحكم حتى نعرف المسار الذي كان سيتخذه بعد موتهم .
أرجو أني تمكنت من تحسين صورة علم التاريخ، و التدليل على أهميته في بناء نهضة الأمم و حضارتها كما وصل إليها في هذا العصر، ورد بعض الحق لكتاب أراه بحق ـ مع بعض التعديلات الخفيفة ـ أهم مدخل معاصر لفترة مركزية جوهرية في تاريخ الأمة و مستقبلها.

شامة بعض المتسلفين:

(...) للأسف الشديد لم يُعلَّموا أن الإنسان يولد بعيوبه ثم يكتسب الفضائل التي تنقصه ،و أن من أعظم الفضائل تجريد القلب بالتوحيد الحقيقي، عندما لا يلتفت هذا الإنسان إلى القدح و اللوم،فإن التوحيد الحقيقي يجعل النفس كبيرةً فوق السب و الظلم و الألم و الاستهزاء، و ربما فوق المواساة(...)

هذا التوحيد لا يعرفونه، لأنه لا يُوجد في الكتب التي يوصون بقراءتها، بل تصل إليه النفس بفضل الله.

في هذا الزمن أصعب على الإنسان أن يكون صادقاً شهراً واحداً من أن يكون شيخاً معلباً لسنين طويلة.

هؤلاء يتغذون على الكذب و يتعشون على الفضيحة، تقلقهم الفضائل لذا يجدون راحتهم في الرذائل، يُشعل جهلهم وسوء خلقهم كل التشوُّهات، و يطفئها عنهم العلم و العدل و الفضل دفعاً لأثرهم السيئ على الدين وعلى الأمة.

الأتباع لا يخرجون من عدم، ولا يتعلَّمون بالفيض !

كل جماعة ـ بحسب الوصف الغالب عليها هي ـ بـــ " نوع علمها و حقيقته، وطيب سلوكها أو خبثه" إما ثمرة مراجعها، و إما ثمرة تربية شيوخها.

فإن سلمت المراجع وهو الظاهر و إن كانت بعضها ناقصة لا تهتم بتربية المسلم و ترقية أخلاقه و تزويده بآداب العلم و الدعوة لم يبق إلا شيوخهم.

'حقوق التأليف و دور العلماء و المثقفين

بسم الله الرحمن الرحيم

1 ـ كل التعليقات مفيدة جداً بحيث كشفت زوايا مختلفة يجب أن تأخذ بالحسبان ،و لو جمعناها كلها بتعريف توليفي لخلصنا إلى أن المقصود من حقوق المؤلف و التأليف الذي يمكن أن يصمد أمام النقد هو الطبع التجاري غير المرخص فقط، أما غير ذلك فمتعذر جداً.

2 ـ أظن أن المغزى من المنشور لم يتم التنبه إليه كما كنتُ أتوقع، و هو شيئان: ما قيمة المعرفة في حياة الأمم؟ وما دور المثقف المنتج للمعرفة؟

فنَقلي لكلمة "فيكتور هيغو" كان القصد منها أنها تضمَّنت إشارة إلى دور كل شخصٍ يرتكز نشاطه على إعمال الفكر ، سواء كان في علوم الشريعة أو غيرها ، ينخرط في دائرة المجال العام، يقدِّم تحليلاته، ويقترح رؤية علمية لمختلف المواضيع، و يدافع عن القيم التي يؤمن بها، في الغالب لا يتحمَّل مسؤولية مباشرة في القضايا العملية،و يملك نوعاً من النفوذ و السلطة بحكم شخصيته و علمه وفكره و تأثيره ؛ وهذا تقريباً تعريف " المثقف" في دوائر المعرفة.

في الثقافة الإسلامية يوجد العلماء و طلبة العلم، و ربما ـ إن قبل بعضهم ـ عارفون، و شعراء، و أدباء، و فلاسفة مرفوضون ولكنه يؤثرون ، وهي اختصاصات منفصلة عن بعضها بعضاً، فرض أو أنتج الوضع الجديد الذي جاء به العصر دخولهم كلهم ـ إن حقَّقوا الأوصاف التي ذكرتها ـ تحت اسم "المثقف".

و المثقف صاحب قضية، لا يعيش في عالم ذهني و واقع اجتماعي محايداً، بل يعمل على تغيير واقع مجتمعه و تحسين ظروفه؛ منه: علماء الدين يعملون ـ في الغالب الموجود حالياً ـ على عودة قيم الدين الصحيحة كما يفهمها كل واحد منهم، والحرص على التزام المسلمين بها، و بعضهم يرد ذلك ـ أيضاً ـ إلى الإصلاح الشامل فيجمعون مع هذه الوظيفة أو المهمة : المطالبة بالإصلاح السياسي.

بينما المثقف المعاصر لا يستثني شيئا من التحليل و الإخضاع للنقد، فيتدخل في كل شؤون الحياة.

هذا النوع من المثقفين يبحث عن نشر الإصلاح و تغيير العقول، و بالتالي عن نشر فكره بكل الوسائل الممكنة، ولو ينفق من جيبه.

مثل هذا المثقف قد لا يتوقف طويلاً عند حقوق المؤلف ، ممكن بسبب الآلية التي تعمل بها مؤسسات الكتاب قد يبيع كتابه، لكن غالبيتهم في الغرب يبحثون عن

متبرعين يتحمَّلون كلفة الطبع، و يسمحون بإعادة طبع كتبهم، ولا يهتمون أبداً بقضية حق المؤلف.

أظن أن قضية الإصلاح لا تتماشى جيداً مع التصلب في قضية حقِّ المؤلف، لأن الإصلاح لا يمكن أن يكون أبداً تجارة و استكثاراً.

المقصود أن هذا المثقف العام الذي يشمل جميع التخصصات هو أنواع، نحتاج إلى تحديد دوره في المعرفة: هل هو فقط استنباط العلم من النصوص، أم له دور اجتماعي؟

و عليه ما قيمة المثقف مهما كان اختصاصه إن لم يحدِّد بوضوح موقفه من الإعلام المهيمن، يعني: من الفكرة المسيطرة، وموقفه من السياسة المنتهجة، ومن وضع المسلمين في دولهم، و غير ذلك، مما نحتاج إلى بحثه في مقال مستقل بالرجوع إلى السلوك العملي للعلماء المسلمين الذين غيروا واقعهم،و أصلحوا مجتمعهم.

الكلمة التي ألقاها "فيكتور هيغو" في مؤتمر الأدب العالمي يجب أن نعطيها قيمتها الحقيقية بالنظر إلى منزلته في المجتمع الفرنسي و الأوروبي، فرجل كان يجتمع تحت شرفته ستمائة ألف من الناس، و نُقشت صورته ـ في حياته ـ على النقود الرمزية ، و أقيمت له تماثيل، وكانت الدولة تستمليه و تخشى مواقفه، عفا عنه الملك وهو في المنفى فقال: " لا أقبل عفو المزور للانتخابات" ،ثم جاءت دولة أخرى وأصدرت مرسوماً بالعفو عن بعض الشخصيات المعارضة و بحقهم في العودة إلى بلدهم،فقال: " لن أعود حتى يعود آخرهم " عاش فترة طويلة من حياته في المنفى، بلغ إنتاجه الفكري و الأدبي حوالي 50 مؤلفا، كتب في كل شيء، يتخلى عما يمثِّله هذا كمردود مالي ضخم لأجل فكرته التي عاش من أجلها، وهي النضال من أجل الديمقراطية و العدل و حق الإنسان حسب تصوُّره العلماني،الواجب أن يدعو ورثة الأنبياء إلى تفكير أعمق حول قيمة العلم الشرعي خصوصا و المعرفة الكونية المفيدة عموماً، و خاصة حول دورهم في حياة الأمم.

و القاعدة التي تعجبني في هذا الباب و التي طبَّقها ابن تيمية ـ رحمه الله ـ على المهن الحقيرة أو التي لا تليق بذوي المروءة،و الأكل من الشبهات عند تعذر الحلال ، و أخذ الأجرة على قراءة القرآن وغير ذلك، هو قوله تعالى :{وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ }(النساء)

ربما مما قد يساهم في تحرير إشكالية حقوق المؤلف هو أن نتكلَّم عن دور العالم و المفكر الملتزم -(الباحث عن تحسين ظروف أمته في دينها وقيمها و ازدهارها بالإيمان و العدل و العلم) - في مجتمعه وأمته:هل يجب عليه أن يكون ملتزما منخرطاً في قضايا الأمة، أم متحفظاً مهتماً بشؤونه ودائرته الصغيرة؟
هل يعيش في هامش المجتمع و الدولة أم عليه الوقوف عند خط التماس؟
ما الذي يجب أن يحرص عليه، وهو يكتب ؟
وما هي الصفات الجبلية و الفضائل المكتسبة التي يجب أن يتميَّز بها ليؤدي مهمته ككاتب ينفع أمته ،و يوقِّع على عصره؟
ربما قد لاحظتم أن بعضاً من فضلاء أهل العلم الذي أثَّروا في أممهم، ووقَّعوا على زمنهم ، تميَّزوا عن غيرهم بصفات قد يعدُّها جمهور الناس من النقائص أو الرذائل ، أو العيوب مثل: الحدة، و الاعتزاز بالنفس في العلم حتى رماهم غيرهم بالكبر، و بالجرأة التي لا حدَّ لها، وبالتقلُّب بين الآراء وسرعة الانتقال عنها ، و بالتعرُّض إلى النفي و السجن، و المطاردة لمؤلفاتهم حتى بعد موتهم.... الخ.
أول شيء - في نظري - يجب أن يحقِّقه الكاتب المثقف هو أن يسمح لأجيال مختلفة من تطوير تفكيرها حول الالتزام بقضايا الأمة، وذلك بانخراطه في الحياة السياسية و الاجتماعية من خلال مواقفه المتعدِّدة،و اختياراته الأخلاقية و السياسية.
و ليحقِّق هذا يجب أن تكون كتاباته مثيرة للإعجاب، جاذبة ككل الكتب الناجحة، ومن جهة أخرى تدعو إلى التفكير في قضايا مهمة في حياة أمته.
يجب على الخطاب العلمي و الفكري كتابا كان أو شيئا آخر أن يعجب و يثقف، حتى الأدب يجب أن يكون في خدمة نقاش الأفكار الصحيحة.
الشيء الذي لا رجعة فيه بالنسبة للمثقف المسلم الملتزم هو الإيمان بالله و برسوله وشريعته ،وهو الشيء الذي لا يمكن إصلاحه لأنه معدن إصلاح كل شيء، و الشيء الذي لا يقبل القسمة ،جمع الله بينهما هو الشريعة و العدل، و بعد ذلك كل شيء قابل للمراجعة و للإصلاح.
وهنا قد تختلف طريقة كل عالم ومفكر في تحقيق ذلك فمنهم من يقترب من النظام السياسي و يحاول اكتسابه ليكون له التأثير الذي يسمح بتحقيق أفكاره،مع حفاظه على مبادئه، وقد تكون هذه طريقة في مرحلة معيَّنة من حياته فقط بعدها قد يخرج

للمعارضة الخارجية لكنها معارضة العلم و المعرفة و اقتراح البدائل لا الهمجية و الفوضى .
المهم هو أن الموضوع طويل و معقد، أردتُ فقط أن أضع بين أيديكم مادة للتفكير مبتعداً قدر الإمكان عن اللغة المعهودة بيننا و التأصيل بلغة الواقع و الحياة المعاصرة لكن من كليات شرعية نعرفها كلنا و إن قتلها بعضهم بشتى التأويلات.
إن وفقنا الله نعود لهذا الموضوع بتفصيلات دقيقة و برسم واضح ومحدد.'
'الوصول إلى العلم و المعرفة... بين حقِّ المؤلف وحقِّ الفقير
حقوق المؤلف
يشكو مختلف المؤلفين من ضياع حقوقهم المالية الخاصة بأعمالهم العلمية و الأدبية و الفنية، بسبب القرصنة، و النسخ (لا شرعية) كما يشكو القطاع العريض من الناس من الحجر الذي يفرضه المال على الحق في المعلومة.
و احتار آخرون هل يجوز لنا أن نمنع العلم عمن لا يملك المال ليشتري كتابا أو قُرصا مدمجاً فيه كتب أو برامج لتشغيل الحاسوب ومثل هذه الأجهزة ،وهكذا أمور.
ولا يزال الإشكال مطروحا و يزداد قوة يوما بعد يوم ، و أكثر الناس يضربون صفحاً عن الموضوع و إن كانت أجهزتهم و كثير من كتبهم الالكترونية و غير ذلك مقرصنة؟
وقد وجدتُ كلمة لكاتب ومفكر كبير تعرَّض للموضوع في أواخر القرن التاسع عشر توضح الإشكال و تقترح الحل، وهو ما يعمل به الناس اليوم و إن لم يصرحوا به، قال:
" الكتاب ككتاب ملك المؤلف، لكن كفكرة هو ملك ـ الكلمة غير واسعة ـ للنوع الإنساني، لكل العقول الحق فيه، إذا أحد الحقين: حق المؤلف و حق العقل الإنساني وجب التضحية به، يكون بكل تأكيد حق المؤلف ، لأن المصلحة العامة هي همُّنا الوحيد،و كل الناس، أصرخُ: يجب أن يمرُّوا قبلنا"....... فيكتور هيغو " خطاب الافتتاح لمؤتمر الأدب العالمي"'.

حقوق التأليف و دور العلماء و المثقفين

بسم الله الرحمن الرحيم

1 ـ كل التعليقات مفيدة جداً بحيث كشفت زوايا مختلفة يجب أن تأخذ بالحسبان ،و لو جمعناها كلها بتعريف توليفي لخلصنا إلى أن المقصود من حقوق المؤلف و التأليف الذي يمكن أن يصمد أمام النقد هو الطبع التجاري غير المرخص فقط، أما غير ذلك فمتعذر جداً.

2 ـ أظن أن المغزى من المنشور لم يتم التنبه إليه كما كنتُ أتوقع، و هو شيئان: ما قيمة المعرفة في حياة الأمم؟ وما دور المثقف المنتج للمعرفة؟

فنَقلي لكلمة "فيكتور هيغو" كان القصد منها أنها تضمَّنت إشارة إلى دور كل شخصٍ يرتكز نشاطه على إعمال الفكر ، سواء كان في علوم الشريعة أو غيرها ، ينخرط في دائرة المجال العام، يقدِّم تحليلاته، ويقترح رؤية علمية لمختلف المواضيع، و يدافع عن القيم التي يؤمن بها، في الغالب لا يتحمَّل مسؤولية مباشرة في القضايا العملية،و يملك نوعاً من النفوذ و السلطة بحكم شخصيته و علمه وفكره و تأثيره ؛ وهذا تقريباً تعريف " المثقف" في دوائر المعرفة.

في الثقافة الإسلامية يوجد العلماء و طلبة العلم، و ربما ـ إن قبل بعضهم ـ عارفون، و شعراء، و أدباء، و فلاسفة مرفوضون ولكنه يؤثرون ، وهي اختصاصات منفصلة عن بعضها بعضاً، فرض أو أنتج الوضع الجديد الذي جاء به العصر دخولهم كلهم ـ إن حقَّقوا الأوصاف التي ذكرتها ـ تحت اسم "المثقف".

و المثقف صاحب قضية، لا يعيش في عالم ذهني و واقع اجتماعي محايداً، بل يعمل على تغيير واقع مجتمعه و تحسين ظروفه؛ منه: علماء الدين يعملون ـ في الغالب الموجود حالياً ـ على عودة قيم الدين الصحيحة كما يفهمها كل واحد منهم، والحرص على التزام المسلمين بها، و بعضهم يرد ذلك ـ أيضاً ـ إلى الإصلاح الشامل فيجمعون مع هذه الوظيفة أو المهمة : المطالبة بالإصلاح السياسي.

بينما المثقف المعاصر لا يستثني شيئا من التحليل و الإخضاع للنقد، فيتدخل في كل شؤون الحياة.

هذا النوع من المثقفين يبحث عن نشر الإصلاح و تغيير العقول، و بالتالي عن نشر فكره بكل الوسائل الممكنة، ولو ينفق من جيبه.

مثل هذا المثقف قد لا يتوقف طويلاً عند حقوق المؤلف ، ممكن بسبب الآلية التي تعمل بها مؤسسات الكتاب قد يبيع كتابه، لكن غالبيتهم في الغرب يبحثون عن

متبرعين يتحمَّلون كلفة الطبع، و يسمحون بإعادة طبع كتبهم، ولا يهتمون أبداً بقضية حق المؤلف.
أظن أن قضية الإصلاح لا تتماشى جيداً مع التصلب في قضية حقِّ المؤلف، لأن الإصلاح لا يمكن أن يكون أبداً تجارة و استكثاراً.
المقصود أن هذا المثقف العام الذي يشمل جميع التخصصات هو أنواع، نحتاج إلى تحديد دوره في المعرفة: هل هو فقط استنباط العلم من النصوص، أم له دور اجتماعي؟
و عليه ما قيمة المثقف مهما كان اختصاصه إن لم يحدِّد بوضوح موقفه من الإعلام المهيمن، يعني: من الفكرة المسيطرة، وموقفه من السياسة المنتهجة، ومن وضع المسلمين في دولهم، و غير ذلك، مما نحتاج إلى بحثه في مقال مستقل بالرجوع إلى السلوك العملي للعلماء المسلمين الذين غيروا واقعهم،و أصلحوا مجتمعهم.
الكلمة التي ألقاها "فيكتور هيغو" في مؤتمر الأدب العالمي يجب أن نعطيها قيمتها الحقيقية بالنظر إلى منزلته في المجتمع الفرنسي و الأوروبي، فرجل كان يجتمع تحت شرفته ستمائة ألف من الناس، و نُقشت صورته ـ في حياته ـ على النقود الرمزية ، و أقيمت له تماثيل، وكانت الدولة تستمليه و تخشى مواقفه، عفا عنه الملك وهو في المنفى فقال: " لا أقبل عفو المزور للانتخابات" ،ثم جاءت دولة أخرى وأصدرت مرسوماً بالعفو عن بعض الشخصيات المعارضة و بحقهم في العودة إلى بلدهم،فقال: " لن أعود حتى يعود آخرهم " عاش فترة طويلة من حياته في المنفى، بلغ إنتاجه الفكري و الأدبي حوالي 50 مؤلفا، كتب في كل شيء، يتخلى عما يمثِّله هذا كمردود مالي ضخم لأجل فكرته التي عاش من أجلها، وهي النضال من أجل الديمقراطية و العدل و حق الإنسان حسب تصوُّره العلماني،الواجب أن يدعو ورثة الأنبياء إلى تفكير أعمق حول قيمة العلم الشرعي خصوصا و المعرفة الكونية المفيدة عموماً، و خاصة حول دورهم في حياة الأمم.
و القاعدة التي تعجبني في هذا الباب و التي طبَّقها ابن تيمية ـ رحمه الله ـ على المهن الحقيرة أو التي لا تليق بذوي المروءة،و الأكل من الشبهات عند تعذر الحلال ، و أخذ الأجرة على قراءة القرآن وغير ذلك، هو قوله تعالى :{وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ }(النساء)

ربما مما قد يساهم في تحرير إشكالية حقوق المؤلف هو أن نتكلَّم عن دور العالم و المفكر الملتزم -(الباحث عن تحسين ظروف أمته في دينها وقيمها و ازدهارها بالإيمان و العدل و العلم) - في مجتمعه وأمته:هل يجب عليه أن يكون ملتزما منخرطاً في قضايا الأمة، أم متحفظاً مهتماً بشؤونه ودائرته الصغيرة؟

هل يعيش في هامش المجتمع و الدولة أم عليه الوقوف عند خط التماس؟

ما الذي يجب أن يحرص عليه، وهو يكتب ؟

وما هي الصفات الجبلية و الفضائل المكتسبة التي يجب أن يتميَّز بها ليؤدي مهمته ككاتب ينفع أمته ،و يوقِّع على عصره؟

ربما قد لاحظتم أن بعضاً من فضلاء أهل العلم الذي أثَّروا في أممهم، ووقَّعوا على زمنهم ، تميَّزوا عن غيرهم بصفات قد يعدُّها جمهور الناس من النقائص أو الرذائل ، أو العيوب مثل: الحدة، و الاعتزاز بالنفس في العلم حتى رماهم غيرهم بالكبر، و بالجرأة التي لا حدَّ لها، وبالتقلُّب بين الآراء وسرعة الانتقال عنها ، و بالتعرُّض إلى النفي و السجن، و المطاردة لمؤلفاتهم حتى بعد موتهم.... الخ.

أول شيء - في نظري - يجب أن يحقِّقه الكاتب المثقف هو أن يسمح لأجيال مختلفة من تطوير تفكيرها حول الالتزام بقضايا الأمة، وذلك بانخراطه في الحياة السياسية و الاجتماعية من خلال مواقفه المتعدِّدة،و اختياراته الأخلاقية و السياسية.

و ليحقِّق هذا يجب أن تكون كتاباته مثيرة للإعجاب، جاذبة ككل الكتب الناجحة، ومن جهة أخرى تدعو إلى التفكير في قضايا مهمة في حياة أمته.

يجب على الخطاب العلمي و الفكري كتابا كان أو شيئا آخر أن يعجب و يثقف، حتى الأدب يجب أن يكون في خدمة نقاش الأفكار الصحيحة.

الشيء الذي لا رجعة فيه بالنسبة للمثقف المسلم الملتزم هو الإيمان بالله و برسوله وشريعته ،وهو الشيء الذي لا يمكن إصلاحه لأنه معدن إصلاح كل شيء، و الشيء الذي لا يقبل القسمة ،جمع الله بينهما هو الشريعة و العدل، و بعد ذلك كل شيء قابل للمراجعة و للإصلاح.

وهنا قد تختلف طريقة كل عالم ومفكر في تحقيق ذلك فمنهم من يقترب من النظام السياسي و يحاول اكتسابه ليكون له التأثير الذي يسمح بتحقيق أفكاره،مع حفاظه على مبادئه، وقد تكون هذه طريقة في مرحلة معيَّنة من حياته فقط بعدها قد يخرج

للمعارضة الخارجية لكنها معارضة العلم و المعرفة و اقتراح البدائل لا الهمجية و الفوضى .
المهم هو أن الموضوع طويل و معقد، أردتُ فقط أن أضع بين أيديكم مادة للتفكير مبتعداً قدر الإمكان عن اللغة المعهودة بيننا و التأصيل بلغة الواقع و الحياة المعاصرة لكن من كليات شرعية نعرفها كلنا و إن قتلها بعضهم بشتى التأويلات.
إن وفقنا الله نعود لهذا الموضوع بتفصيلات دقيقة و برسم واضح ومحدد.

'مغالطات علميَّة في طريق الدَّعوة الإسلاميَّة
من أيِّ أنواع أهل السُّنَّة أنت (؟!)

بسم الله الرَّحمن الرَّحيم
مقال قديم ليوم جديد
الحمد لله وحده، و الصَّلاة و السَّلام على من لا نبي بعده.
أمَّا بعد:
فإنَّ عوامل التَّغيير المعتبرة الَّتي طرأت على الأمَّة يجب أخذها بالحسبان، فأهل السُّنَّة ـــ اليوم ـــــ فئات متناحرة، تتصارع على حقِّ الانتساب لهذا الاسم كأنَّه قلعةٌ جامدة في صحراء باردة (!)
بينما السُّنَّة أصول ثابتة في العقائد، تتضمَّن أصولا علميَّة منهجيَّة في نظريَّة المعرفة، و ما يتعلَّق بها من قطعية النَّصِّ ودلالاته، و مرتبته في الاستدلال، وقواعد علميَّة مرنة في غير ذلك.
فاليوم إذا كتبتَ، أو تكلَّمتَ أوَّل ما يبحث عنه القارئ، أو المستمعُ هو: مِن أيِّ أصناف أهل السُّنَّة أنت (؟!)
يريدُ أن يصنِّفك أوَّلا حتَّى يهيمن هذا التَّصنيف على كلِّ وجدانه، ويُشعل في عقله أضواء التَّحذير، و التَّوجُّس، و التَّوقُّف: الحمراء ،و الصَّفراء، و البرتقاليَّة (!)
فيقرأ لك، أو يستمع إليك بحكم مسبق يقطع الطَّريق لأيِّ تواصل معه مثمر.
لا يهمُّ ما تقول، إن كان نصًّا قاطعًا،أو إجماعا صحيحًا،أو فهمًا ثاقبًا،المهمُّ عنده:إلى

أيِّ صنف منهم تنتمي(!)
إنَّنا نلاحظُ في المحصِّلة العلميَّة الفكريَّة لدى فئة مِن أهل السُّنَّة تمجيدا مفرطًا للتَّقليد الجديد(تأصيل أخطاء المشايخ)، قد يصل إلى حدِّ التَّبجيل و التَّبرير العقيم لأخطاء المشايخ العلميَّة، أصبح يسيء إلى الإسلام أكثر ممَّا يفيده.
فلم تقم هذه الفئةُ، على دراسة هذا التُّراث السُّنِّيِّ دراسةً علميَّة نقديَّة موضوعيَّة مستبصرة، تُفرِّق بين محلِّ الاتِّفاق وموارد الاجتهاد.
و بين الأصول الثَّابتة المستدامة، و بين القواعد الاستثنائيَّة الاحتياطيَّة، بحيث تكشف جوانب منهج أهل السُّنَّة ، و تُبيِّن قيمتَه الحقيقيَّة كمنهج علميٍّ رصين و صارم يُشكِّل لسان الميزان في الأمَّة.
يحافظ عليها من خلال حفاظه على جوهر الدِّين الإسلاميِّ، وروحه الحقَّة ، ومقاصدِه في كلِّ باب.
هذا الدَّورُ الَّذي يمكن له أن يُمارسَه بكفاءةٍ عالية إذا أتيح له مَن يُزيل عنه وصمة الغلوِّ و التَّشدُّد و الانغلاق داخل الألفاظ المجرَّدة عن معانيها عند بعض الدُّعاة إليه.
بحيث يفتح مثل هذا الاستيعاب لطريقة السَّلف في العلم الطَّريق أمام بقية المسلمين لتجاوز سلبيَّات التَّقليد الفاسد و العصبيَّة المذهبيَّة الَّتي لا تزال تعيق نهضة الأمَّة الإسلاميَّة نهضة علميَّة حقيقيَّة ،وتغرقها في روح بعيدة عن روح الإسلام الحقَّة.
إنَّ الأسلوب العنيف و الملتهب لهذه الفئة من المسلمين، وهي موجودة في بعض طوائف أهل السُّنَّة، وبحكم غياب منهج علميٍّ متكامل يقوم على الاتِّباع بعلم ،والَّذي يقوم في جوهره على روح النَّقد العلميِّ البنَّاء ، لا يزال ينخرُ الجماعة خصوصا و الأمَّة الإسلاميَّة عموما ،من خلال تلك المعارك المذهبيَّة الوهميَّة الَّتي يحييها في وسط أهل السُّنَّة، في زمن زالت موجباتُها وظروفُها.
هذا المنهجُ لدى هذه الفئة يولِّدُ لديها سياجًا يزيد مِن حبسِها داخل دائرة التَّقليد الفاسد بكلِّ سلبيَّاتِه.
يخلع بعضُ أهل العلم على بعض اختياراتهم العلميَّة الَّتي يتبعون فيها شيخا يعظِّمونه رداء اليقين الشَّرعيَّ، فتصبح مذهب سنِّيًّا قطعيًّا، مَن يخرجُ عنه يُعتَبر خارجًا عن السُّنَّة (!)
فإذا ما دقَّقنا النَّظر في هذه الأشياء، وعرفنا منشأها تبيَّن لنا أنَّها مذهبٌ لأحدهم، أو

مِن قبيل المشهورات الَّتي لا ترتكز على أساس علميٍّ شرعيٍّ يدلُّ على أنَّها مذهب السَّلف قاطبةً.
و لكنَّها بالنِّسبة للشَّاب الَّذي لا يستطيع التَّفريقَ بين ما هو متَّفق عليه، و بين ما هو مختلف فيه ، يصبح التَّعظيم لها عامًّا شاملا ،و تُغطَّى بلباس السُّنَّة ثمَّ يستتبع ذلك بالدِّفاع و الحماية، و ما ينتج عنه من مصادمات و طعونات.
فبعض مواقف طلبة العلم قد تكون نفسيَّة أو شخصيَّةً، ولكن صدورها منهم، وقد اعتاد النَّاس منهم التَّعميم يجعلها سنِّيَّةً في عرف هؤلاء النَّاس.
إنَّ طلبة العلم الَّذين يرفضون الانخراط في عمليِّة الإصلاح العلميِّ للسَّواد الأعظم من هذه الأمَّة بحجَّة هجر المبتدع، أو خوفًا من الشبه (!) لا يميِّزون تمييزا واضحا بين هجر الرُّؤوس ودعوة الأتباع ، ولذلك يعجزون عن تربية المقلِّد(العوام) على آداب التَّقليد و شروطه و ضوابطه.
و عليه، فالتَّنديد بهذه العيِّنة المتغافلة عن متطلبات الإصلاح العلميِّ للسَّواد الأعظم، و التَّنديد بموقفها السَّلبيِّ من عمليَّة الإصلاح هذه، صار من المتطلبات الشَّرعيَّة، لأنَّ تخلُّف قسم كبير من أهل السُّنَّة ـ في المدَّة الأخيرة ـ خلف الخطوط الخلفيَّة للدَّعوة الإسلاميَّة خطر على المسلمين عموما.
إنَّ مشاكل أهل السُّنَّة قد تعقَّدت و تكاثرت كلَّما ألحقت هذه الفئة المشاكل ذات البعد النَّفسي الشَّخصي من الصِّراع حول الرِّئاسة و المشيخة و التَّحكُّم في الجماعة بالأصول العلميَّة السُّنِّيَّة،فيستتبعه التراشق بالتَّبديع و التَّضليل.
فهذا الخلط الخطير بين الأصول العلميَّة و الزَّعامة الدِّينيَّة أدَّى إلى تشكيل تصوُّر لدى الشَّباب الصاعد ألغى كلَّ دور للعلم في تعيين المصيب من المخطئ ، بل و راح ينتقد المخالفة المبنيَّة على العلم، و يعتبرها من وسائل التَّشبيه، وشقِّ الصُّفوف!
فصار الحثُّ على الاتِّباع بعلم شبهةً و شقًّا للصُّفوف!
و صار التَّقليد الفاسد يقينا و جمعًا للصُّفوف!
فسيطرت ظاهرة التَّزكيات على ضمير ووعي هذا الشَّباب حتَّى إنَّهم ليرجِّحون قول شيخ تجاوز الثمانين بالتَّزكيات ، كأنَّه مبتدئ؟
و بذلك صار التَّقليد بغير حجَّة وسيلة للسطو على الأحقيَّة العلميَّة .
إنَّ هذه الفئة من أهل السُّنَّة الَّتي راحت تطالب كافَّة أهل السُّنَّة بالخضوع

لتصوُّراتها الخاطئة و بتفهُّم مواقفها المتخاذلة في الصِّراع القائم بين الإيمان و الكفر، بين السُّنَّة و البدع الظَّاهرة ،ووضعيَّتها الضَّعيفة في الدِّفاع عن الأمَّة ،بل و تخاذلها أحيانا في الدِّفاع عن القضايا الإسلاميَّة لم تثقِّف الفرد المنتمي إليها، وتزوِّده بالمعارف الدِّينيَّة اللَّازمة، و الأدوات الثَّقافيَّة المعاصرة، و الكشف الإعلامي ليتفهَّم موقفها السِّلبي أو الضَّعيف المنحاز على حساب مصالح الأمَّة الإسلاميَّة.

بل كانت دائما تتبع معه سياسة أو إستراتيجيَّة التَّعتيم و التَّجهيل و التَّكذيب و إخفاء الحقائق، وهي اليوم تقطف ثمار هذه السِّياسة بالإنفجارات الدَّاخليَّة الشَّديدة ،و بحراك علميٍّ داخلها معارض و قويّ ينمو ويقوى كلَّ يوم.

إنَّ هذه الفئة الَّتي راحت تضخُّ منهج الهجر و التَّجريح في وعي أفرادها إرضاءً لمطالب نفسيَّته، أو لجهات ما، دون أن تفرِّق بين حال القوَّة و حال الضَّعف،ودون أن تحاول التَّأليف أوَّلا، تقفُ أو وقفت حاجزا أمام الدَّعوة الإسلاميَّة، أضاعت عليها سنين مهمَّة.

إنَّ تعليم الأصول الثَّابتة و المتَّفق عليها لا يتعارض و تعليم فقه الأولويَّات و فقه الموازنة و الضَّرورات.

عدم جدِّية الحلِّ الَّذي تقترحه هذه الفئة:

إنَّه من خلال تفحص منهج هذه الفئة من المسلمين نجده يطرح حلولا لبعض المشاكل الَّتي تعاني منها الأمَّة معرفيا و اجتماعيًّا، و لكنَّها حلول تبقى غير عمليَّة، ونظريَّة بحته، ثبت عدم نجاعها في الماضي أيام كانت الوسائل و الشُّروط متوفِّرة لها لتنفيذها.

و عليه، و جب تجاوز هذه الحلول الَّتي تبقى في جوهرها معتمدة على السَّيطرة بالقوَّة، و تحييد الأفكار المخالفة و المعارضة عن طريق بسط سلطة مادِّيَّة أو معنويَّة تقهر كلَّ مخالف، و تحدُّ من فعاليَّته و نشاطه المعارض لها.

فهذا حلٌّ بغضِّ النَّظر عن شرعيَّته يبقى حلا نظريًّا لا يتَّسم بالعمليَّة، و لا بالإيجابيَّة، ولم يظهر إلاَّ مزيدا من التَّشتُّت و التَّفرُّق و الضَّعف داخل أهل السُّنَّة.

الخاتمة:

كذلك يجب أن نقول: إذا كان تصوُّر هذه الفئة للأمَّة الإسلاميَّة القرآنيَّة العصريَّة تمثِّله الأوضاع الرَّاهنة فعليهم مراجعة أصولهم خاصَّة ما يتعلَّق بالعودة إلى ما كان عليه

النَّبيِّ صلَّى الله عليه و سلَّم و أصحابه.
لأنَّه حينئذ ستكون هذه الأمَّة ومقوِّمات وجودها و أهدافها محطَّ سخط كبير ومحاربة شديدة من أهل العلم الصَّحيح، فهي لن تقارب حتَّى من بعيد أي مرحلة تمثِّلها الدَّولة الأمويَّة أو العبَّاسيَّة، بل ستكون أشبه بأمَّة عصر المماليك في أحلك عصورهم و أسوئها.
وعليه، فعليهم العمل بجدٍّ ليعودوا بهذه الأمَّة إلى ما كان عليه النَّبيُّ صلَّى الله عليه و سلَّم و أصحابه تنظيمًا لعملهم ووجودا كأفراد و ككيان.
وبالعودة معرفيا إلى ما كان عليه النَّبيُّ صلَّى الله عليه و سلَّم و أصحابه نعلم أنَّ القيادة العلميَّة الرَّاشدة هي الَّتي أوجدت تلك الأمَّة الَّتي لا مثيل لها، وتلك الأمَّة صارت فيما بعد تنجب القيادات الرَّاشدة في كلِّ المجالات.
ففساد النَّاس بسبب وجود من يُغطِّي على هذا الفساد بتأويل ما، أو رخصة ما، أو بالسُّكوت السِّلبي عنه،أو يؤصِّل له،و الله المستعان.
إنَّه بالأهمِّيَّة بمكان أن نقول لإخواننا السَّلفيِّين أنَّه لم يعد ممكننًا في هذا العصر أن تتجلَّى علاقتا بالله عزَّ وجلَّ استنادا على الرُّموز و الشِّعارات الدِّينيَّة و الافتتان و التَّعجُّب من الماضي، فهذه الأشياء قد حُطِّمت من قبل ممارسات خاطئة استغلَّتها أفكار كثيرة لتحلَّ في مجتمعاتنا، ونحن من بذَّر رأسماله الدَّعوي، و كرَّس الخيبة العامَّة، و الانهيار الذَّريع لقيمة الأخوة الإسلاميَّة الحقيقيَّة.
إنَّ علاقتنا بالله لها أن تتجلَّى في أعمالنا الَّتي سنحققِّها لأمَّتنا في كلِّ ميدان يؤكِّد تلاحم هذه الأمَّة و تواجدها بقوَّة ،و يعيد كلَّ مقوِّمات الأمَّة القرآنيَّة، وهذه الأعمال أعمالنا نحن لا أعمال سلفنا، وهي الشَّهيد الوحيد الَّذي تقبل شهادته على تعلُّقنا بالإسلام، و إخلاصنا لله عزَّ وجلَّ، و هي السَّبيل الوحيد الَّذي يمكِّننا من التَّفوُّق على الإشكالات الَّتي ورثناها إرثا ثقيلا على أكتافنا { تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ }.
وعلى هذا الأساس نحذِّر من الذَّوبان كلِّيَّة في خُطَى السَّابق، لأنِّ لكلِّ ظروفه و خصائصه، و الجامع بيننا هو الكتاب و السُّنَّة ، وعلى كلِّ جيل أن يوقِّع على عصره.

أرزيو/ الجزائر في 10/04/2010م

مختار الأخضر الطيـباوي'

'في بطن العصر
"العلم الشرعي، الفكر الملتزم، الثقافة الكونية " و المجتمع و الدولة؟
بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى : {وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ} [آل عمران: 187].
وقال: {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ} [البقرة: 140].
قال النبي صلى الله عليه و سلم: (مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ يَعْلَمُهُ فَكَتَمَهُ أَلْجَمَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ) ابن ماجة" السنن"؛ صحيح "الألباني".
لا يجوز بحال أن نكتم شيئاً مما أخبر به الله تعالى ورسوله أو أمرا به،فهذه مهمة العلماء ووظيفتهم ،وهي وظيفة عظيمة ورثوها عن الأنبياء تتمثل في إصلاح ما أفسد الناس، وتوجيههم إلى الخير ، تتطلب منهم الاجتهاد بكل ممكن ، وقد لا يجدون المجتمع الذي ينصفهم و يضعهم في مكانتهم التي وضعهم الله فيها، ومع ذلك تبقى وظيفتهم قائمة.
لكنها وظيفة توجب بالتضمن شيئاً زائداً عن مجرد بيان الأحكام الشرعية، و تعليم العلوم الشرعية، فإن الإسلام له جانب نظري وجانب عملي تُديره مجموعة قيم، بعضها خاص بالمسلمين يماثل أحاكمهم الشرعية، و بعضها مشتركة مع غيرهم،وهنا تبرز إشكالية الكلام عن حقوق الناس التي كفلتها لهم الشريعة، و الاهتمام بشؤون حياتهم ـ خاصةً ـ في هذا العصر الذي أفرز صنفاً جديداً من الفاعلين المؤثرين، نتحدَّث عنهم، وعن وظيفتهم ووظيفة العلماء بعد الوقوف عند هذه المعاينة:
"الانحراف الفكري والسلوكي الذي ابتلي به أبناء المسلمين هو الثمرة المرة لضعف التربية الإسلامية، وغياب دور العلماء في المجتمع، وضعف تأثير المسجد، فضلاً عن كيد أعداء الإسلام...
... وإذا تأملنا حالة العالم الإسلامي اليوم لا نكاد نسمع للعلماء إلا أصواتا خافته، وقد تختلف درجة الإمكانيات لدى العلماء علما وثقافة وقدرة على القول، وعجزا عنه

إتاحة فرصة أو حرمانا منها (...) وعلى كل تقدير كان المرء لا يسعه إلا أن يشعر بأنه كان ينبغي أن يكون للعلماء دور أكبر وصوت أعلى ومكانة أسمى.

وأحسب أن من أسباب النكبات التي يعاني منها العالم الإسلامي اليوم وقبل اليوم إبعاد العلماء عن مجالاتهم وابتعادهم هم, وأن التصور الخاطئ الذي يحصر مسؤوليتهم في نواح محددة لا يجوز لهم أن يتخطوها كان من عوامل الضعف والتدهور في كيان العالم الإسلامي....." زيد بن فياض "صحيفة الدعوة السعودية"

ما لم نفهمه من إفرازات العصر

الدعوة إلى الدين ـ في هذا العصر ـ لم تصبح مقتصرةً على العلماء و طلبة العلم فقط، فقد دخل على الخط أصناف أخرى، يُمثِّلها شباب متعلم في تخصُّصات علمية مادية مختلفة، يملك و سائل التفكير السليم،وأدوات فهم الخطاب الشرعي بسهولة بدون المرور على الدروب القديمة ، يحمل همَّ الدعوة ،و يمارسها يومياً ؛هو ـ تقريبا ـ بحكم اتصاله بكل مكوِّنات المجتمع، و بحكم ثقافته العصرية و الكونية خطُّ المواجهة الأول، أو المدافع العملي في عالم الثقافة و الأفكار في المجتمع الحقيقي: مجتمع كل الطبقات، وكل الناس، مجتمع الواقع لا الأكاديمي؛ يستثمر أعمال العلماء و كتاباتهم في عمله الدعوي.

هذا الصنف هو المثقف المسلم الملتزم الذي يملك ثقافة شرعية، ليس من الضرورة أن تكون مفصَّلة أو تخصصية، و ثقافة عصرية بحكم تخصُّصه العلمي في العلوم المادية أو الإنسانية، هو إفراز لشيوع العلم و المعرفة، و سيطرة التعليم الجامعي على وسائل التعليم في هذا العصر .

دخول هذا الصنف على خطِّ الدعوة قسم الثقافة و العلم إلى قسمين:

الأول: قسم يتعلَّق بالتفكير في القضايا الشرعية و استنباط الأحكام من النصوص، أصبح دوره تقريبا عقليا أو أكاديمياً.

الثاني: قسم متعلِّق بالحياة العلمية و الثقافية في عروق المجتمع و شُعَبه، لا يحتاج إلى التخصُّص في العلوم الشرعية، يعيش للدين، و ينشط اجتماعيا و سياسيا لقضاياه.

هذا المثقف سواء الملتزم أو غيره (التغريبي) هو وجه معاصر ،مغاير للصورة القديمة التي كان يمثِّلها علماء الدين في الإسلام، و الفلاسفة في الغرب ؛ هو في هذا العصر رجل ثقافة ـ بالنسبة للمسلمين ـ شرعية وكونية، في وضعية رجل سياسة

بحكم أنه وسيط بين المجتمع الفعلي و السلطة،منهم من ينتج الفكر الملتزم، ومنهم من يستهلكه.

وعلى هذا يجب علينا أن نميِّز بين وظيفة العالم و طلبة العلم ووظيفة المثقف المسلم الملتزم:

1 ـ أكثر عمل المثقفين الملتزمين ـ المنتجين للفكر الإسلامي ـ هو في الكتابة، ففيها وحدها يتحررون من كل القيود التي تعدم شخصيتهم و تخنقهم، في الكتابة يبذرون أفكارهم، و في المجتمع تزهر تلك البذور، و يقطفها الناس ليصنعوا منها أكاليل سعادتهم الأخروية و الدنيوية، كما عبَّر أحدهم و استلفنا منه هذا التعبير.

2 ـ إذا كان المثقف التغريبي يعمل ـ في الغالب ـ مقترباً من المؤسسات السياسية التي تدفعه إلى خنق كل نقد حقيقي وفعَّال لخطابها المهيمن بشقه الديني و الدنيوي، بحيث تتخذ كل الوسائل المادية لبقاء هيمنته بحجة حفظ مرجعية البلد الدينية و السياسية ؛وهذه حجة وهمية لإبقاء المؤسسات الدينية التقليدية و الأحزاب السياسية التي تقتات على فترات تاريخية معيَّنة في الصفِّ خلفها، و إلا فعمليًّا هي تسمح للجمعيات و مختلف المذاهب الدينية و الفكرية الخارجية المعادية لمرجعيتها بالنشاط في بلدها ، فحجة "مرجعية البلد" لا تستعمل إلا ضد من تراه قادراً على منافستها و تغيير المعطيات.

وهنا يجب أن نفرِّق بين المرجعية الصحيحة كالمالكية مثلا ، و بين الخرافات كالبدع، وبين الوطني الحقيقي، و الوطني المستفيد من الامتيازات الخاصة.

لقد أصبح هذا المثقف التغريبي الذي سماه بعد المفكرين اليساريين "كلب الحراسة " ضد جمهور الناس، يقف دائما في جهة متاريس مصلحته الشخصية أو مصلحة أيديولوجيته المتهافتة، يقول نفس الكلام، وينشر نفس الكتب مآله أن يبغضه الناس بعد أن يضحكوا منه.

دائما ما تصنع الدول مفكرين خبراء (زعماً) و علماء يتحدثون كسادة الحقيقة و العدل، ممثلين للدين و العقل و الفهم و العلم، تريدهم أن يكونوا ضمير الجميع.

3 ـ هذا المثقف التغريبي لا يمكن أن يواجهه فكرياً و عملياً إلا المثقف الملتزم بدينه ، بنفس الأدوات الفكرية ، وعلى نفس الساحة، لذا لا يجب أن نخلط بين هذا المثقف و بين أدعياء العلم، كما لا يجب أن نخلط بين وظيفته الاجتماعية و السياسية و الثقافية

ووظيفة العالم.
فالعالم يفكر في العام و المثالي و العادل و الحقيقي ، و المثقف يعمل ضمن مساحة محدَّدة، وعلى نقاط معيَّنة هو أكثر التصاقا بالواقع منه بالنظرية و المثال ، يمكن أن نقول: وظيفته هي جعل النظرية الإسلامية حياة ، حيث يتمكن من استخدامها، و يجعلها تشتغل على أرض الواقع، يشبه من وجه العلماء كالعز بن عبد السلام و ابن تيمية عندما يبدأ المنظِّر نفسُه العمل بنظريته.
دور العلماء:
للعلماء دوران أو وظيفتان: حراسة القيم، و تحسين ظروف المجتمع بالدفاع عن حقوقه.
القيم التي يحرسونها هي القيم الإسلامية المتمثلة في " الإيمان، التوحيد، الشريعة الإسلامية، و الأخلاق الإسلامية" يبقى أن ندرك أن القيم التي يتشاركها البشر :" الحقيقة، العدل، و العقل" هي جزء من قيم الإسلام، فالدعوة إليها بالخطاب القرآني هي دعوة إلى القيم الإسلامية.
وهنا تتجلى أهمية المثقف المسلم فإنه في هذه الساحة يعمل ، ساحة المشترك الذي يهيأ المكان و العقول للمميز.
يجب أن نعرف أنه يوجد مثقف تغريبي همُّه العدل ، يعي مسؤوليته الفردية، ويرفض التواطؤ مع الظلم بجميع أشكاله بالصمت، يستأنس فكره بكل قضية تخصُّ الإنسان ، هو ملتزم بقضية العدالة ، و بمفهوم التناسق: هو مقاطع لكل مؤسسة ظالمة (بحسب تعريف سارتر).
ونحن نعرف أن الأحزاب الغربية التي ساعدت الثورة الجزائرية ومنهم من قاتل معها ، والتي رفض مفكروها تعذيب الأسرى الجزائريين هي شيوعية .
وعليه ،فكل من تخلى عن الحديث و الدعوة و التفكير في هذه القيم فلأجل الواقعية السياسية ، مع كل ما تحمله هذه العبارة الغرارة من تنازلات و اتفاقات ضمنية وربما التواطؤ ،لأن الإنسان و إن كان عمله في حدود الممكن فإن الهدف يكون بدايةً كالأمل، هو غير ممكن، لكن وسائل الوصول إليه ممكنة، فالواقعية السياسية و إن حجبت الهدف لا يجب بحال أن تحجب وسائل الوصول إليه.
في مجال القيم وظيفة العالم الأولى هي أن يكون ضمير النقد، و ليس الانخراط ـ

بالمعنى الدقيق للكلمة ـ في العمل الميداني، فهذا دور المثقف الملتزم الذي يستلهم منه الحماس، و يغرف من علمه التدليل الشرعي،هذه نقطة جوهرية، بحيث سمعنا بعض الناس يطالب العالم بالنزول و العمل الميداني، في حين يطالب آخرون المثقفين الملتزمين بالتماثل و المطابقة مع العلماء.

ليس للعالم دور علمي فقط، هو استنباط الأحكام و المعرفة من النص، بل هذا شطر وظيفته، و الشطر الثاني أن يكون فاعلا اجتماعيا ـ من خلال المثقف الملتزم ـ لا مجرد متفرج على المشهد الاجتماعي و السياسي.

همُّ عالم الدين، الدين برمته، أوَّلا عقيدته و أحكامه، ثم الإنسان المسلم الذي يحمل هذا الدين، فهو يحمله بأداء الواجبات، و يحمله على الوجه الصحيح باستيفاء حقوقه.

عالم الدين يملك ولاية الشريعة، فيملك الكلمة باسم الله و باسم الرسول صلى الله عليه و سلم، لذا كان دوره أن يتكلَّم ـ في حدود المستطاع ـ من أجل الذين لا يستطيعون الكلام لأنهم لا يملكون هذا الحق.

و حتى يتمكن العالم المسلم المعاصر من مجاراة العصر، و استشراف المستقبل، وحتى يبتعد عن دور خبراء الفضائيات الزائفين يجب أن يجسِّد بعلمه و فكره و فتاويه القطيعة مع منهجية و عقلية التفاعل مع الحدث و التأثُّر العاطفي، يجب أن يكون الجهة التي تقترح الأجوبة على النقاش المجتمعي، كما في قضية الغاز الصخري ، لا أن يكون الغائب الكبير، كما يجب أن يملك فكريا القدرة على المبادرة في النقاش.

لا نريد أن يقول المسلمون: ماذا يصنع العلماء و الدعاة في وسط كل هذه الانهيارات، انهيار القيم الإسلامية الخاصة و المشتركة مع غيرنا ؟

لا نريد أن تكبر الفجوة بين فكرهم ومنزلتهم و بين الأمة الواقعة فريسة لكل أنواع الكوارث التي يحدثها ساسة الأهواء، و النخب الفاسدة.

إذا كان دور العلماء هو الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر و النصيحة، فهذا يعني أن وظيفتهم ممارسة النقد لكل ما يخالف القيم، بالشكل الذي يليق بمنزلتهم ومكانتهم يعني: بعلم وعدل و أدب، وفي الوقت نفسه إنتاج أو صياغة و سائل الدفاع ضد كل فكر غاز متسلح بسلطة العلم المادي بضرب مصطلحاته، ومهاجمة قواعده ،وهو تقريبا ـ في هذا العصر ـ كامن في الصحافة التغريبية .

دور العلماء هو توفير النقد العلمي الحقيقي ليتسلح به المثقف الملتزم ضد السلطة

العلمية المكذوبة التي زُوِد بها الخبراء في علم النفس، و الاقتصاد، و السياسة، و علم الاجتماع ... الخ لتشويه الخطاب الديني.
ثم المساهمة في إنضاج السياسة، فإن السياسة في البلاد الإسلامية خصوصاً تحتاج إلى نقد مستمر مما يعني إلى إعادة بناء.
وفي الأخير على العلماء و طلبة العلم ترك اللجوء في النقد إلى العالم الصغير ـ كما يقول أحدهم ـ العالم الأكاديمي حيث يُطربون أنفسهم بأنفسهم، من دون أن يكون نقدهم و نصائحهم قادرة على إزعاج أياً كان !
الدعوة ليست اتصالا بين الكتب، بل هي الاتصال بين الإنسان و الإنسان في الميدان، حيث لا مجمل، ولا منسوخ، ولا مشكل...
و الحمد لله، و الصلاة و السلام على رسول الله.
إلى اللقاء ...'

مغالطات علميَّة في طريق الدَّعوة الإسلاميَّة

من أيِّ أنواع أهل السُّنَّة أنت (؟!)

بسم الله الرَّحمن الرَّحيم
مقال قديم ليوم جديد
الحمد لله وحده، و الصَّلاة و السَّلام على من لا نبي بعده.
أمَّا بعد:
فإنَّ عوامل التَّغيير المعتبرة الَّتي طرأت على الأمَّة يجب أخذها بالحسبان، فأهل السُّنَّة ـــ اليوم ـــ فئات متناحرة، تتصارع على حقِّ الانتساب لهذا الاسم كأنَّه قلعةٌ جامدة في صحراء باردة (!)
بينما السُّنَّة أصول ثابتة في العقائد، تتضمَّن أصولا علميَّة منهجيَّة في نظريَّة المعرفة، و ما يتعلَّق بها من قطعية النَّصِّ ودلالاته، و مرتبته في الاستدلال، وقواعد علميَّة مرنة في غير ذلك.
فاليوم إذا كتبتَ، أو تكلَّمتَ أوَّل ما يبحث عنه القارئ، أو المستمعُ هو: مِن أيِّ أصناف أهل السُّنَّة أنت (؟!)
يريدُ أن يصنِّفك أوَّلا حتَّى يهيمن هذا التَّصنيف على كلِّ وجدانه، ويُشعل في عقله

أضواء التَّحذير، و التَّوجُّس، و التَّوقُّف: الحمراء ،و الصَّفراء، و البرتقاليَّة (!)
فيقرأ لك، أو يستمع إليك بحكم مسبق يقطع الطَّريق لأيِّ تواصل معه مثمر.
لا يهمُّ ما تقول، إن كان نصًّا قاطعًا،أو إجماعا صحيحًا،أو فهمًا ثاقبًا،المهمُّ عنده:إلى أيِّ صنف منهم تنتمي(!)
إنَّنا نلاحظُ في المحصِّلة العلميَّة الفكريَّة لدى فئة مِن أهل السُّنَّة تمجيدا مفرطًا للتَّقليد الجديد(تأصيل أخطاء المشايخ)، قد يصل إلى حدِّ التَّبجيل و التَّبرير العقيم لأخطاء المشايخ العلميَّة، أصبح يسيء إلى الإسلام أكثر ممَّا يفيده.
فلم تقم هذه الفئةُ، على دراسة هذا التُّراث السُّنِّيِّ دراسةً علميَّة نقديَّة موضوعيَّة مستبصرة، تُفرِّق بين محلِّ الاتِّفاق وموارد الاجتهاد.
و بين الأصول الثَّابتة المستدامة، و بين القواعد الاستثنائيَّة الاحتياطيَّة، بحيث تكشف جوانب منهج أهل السُّنَّة ، و تُبيِّن قيمتَه الحقيقيَّة كمنهج علميٍّ رصين و صارم يُشكِّل لسان الميزان في الأمَّة.
يحافظ عليها من خلال حفاظه على جوهر الدِّين الإسلاميِّ، وروحه الحقَّة ، ومقاصدِه في كلِّ باب.
هذا الدَّورُ الَّذي يمكن له أن يُمارسَه بكفاءةٍ عالية إذا أتيح له مَن يُزيل عنه وصمة الغلوِّ و التَّشدُّد و الانغلاق داخل الألفاظ المجرَّدة عن معانيها عند بعض الدُّعاة إليه.
بحيث يفتح مثل هذا الاستيعاب لطريقة السَّلف في العلم الطَّريق أمام بقية المسلمين لتجاوز سلبيَّات التَّقليد الفاسد و العصبيَّة المذهبيَّة الَّتي لا تزال تعيق نهضة الأمَّة الإسلاميَّة نهضة علميَّة حقيقيَّة ،وتغرقها في روح بعيدة عن روح الإسلام الحقَّة.
إنَّ الأسلوب العنيف و الملتهب لهذه الفئة من المسلمين، وهي موجودة في بعض طوائف أهل السُّنَّة، وبحكم غياب منهج علميٍّ متكامل يقوم على الاتِّباع بعلم ،والَّذي يقوم في جوهره على روح النَّقد العلميِّ البنَّاء ، لا يزال ينخرُ الجماعة خصوصا و الأمَّة الإسلاميَّة عموما ،من خلال تلك المعارك المذهبيَّة الوهميَّة الَّتي يحييها في وسط أهل السُّنَّة، في زمن زالت موجباتُها وظروفُها.
هذا المنهجُ لدى هذه الفئة يولِّدُ لديها سياجًا يزيد مِن حبسِها داخل دائرة التَّقليد الفاسد بكلِّ سلبيَّاتِه.
يخلع بعضُ أهل العلم على بعض اختياراتهم العلميَّة الَّتي يتبعون فيها شيخا يعظِّمونه

رداء اليقين الشَّرعيَّ، فتصبح مذهب سنِّيًّا قطعيًّا، مَن يخرجُ عنه يُعتَبر خارجًا عن السُّنَّة (!)
فإذا ما دقَّقنا النَّظر في هذه الأشياء، وعرفنا منشأها تبيَّن لنا أنَّها مذهبٌ لأحدهم، أو مِن قبيل المشهورات الَّتي لا ترتكز على أساس علميّ شرعيٍّ يدلُّ على أنَّها مذهب السَّلف قاطبةً.
و لكنَّها بالنِّسبة للشَّاب الَّذي لا يستطيع التَّفريقَ بين ما هو متَّفق عليه، و بين ما هو مختلف فيه ، يصبح التَّعظيم لها عامًّا شاملا ،و تُغطَّى بلباس السُّنَّة ثمَّ يستتبع ذلك بالدِّفاع و الحماية، و ما ينتج عنه من مصادمات و طعونات.
فبعض مواقف طلبة العلم قد تكون نفسيَّة أو شخصيَّةً، ولكن صدورها منهم، وقد اعتاد النَّاس منهم التَّعميم يجعلها سنِّيَّةً في عرف هؤلاء النَّاس.
إنَّ طلبة العلم الَّذين يرفضون الانخراط في عمليِّة الإصلاح العلميِّ للسَّواد الأعظم من هذه الأمَّة بحجَّة هجر المبتدع، أو خوفًا من الشبه (!) لا يميِّزون تمييزا واضحا بين هجر الرُّؤوس ودعوة الأتباع ، ولذلك يعجزون عن تربية المقلِّد(العوام) على آداب التَّقليد و شروطه و ضوابطه.
و عليه، فالتَّنديد بهذه العيِّنة المتغافلة عن متطلبات الإصلاح العلميِّ للسَّواد الأعظم، و التَّنديد بموقفها السَّلبيِّ من عمليَّة الإصلاح هذه، صار من المتطلبات الشَّرعيَّة، لأنَّ تخلُّف قسم كبير من أهل السُّنَّة ـ في المدَّة الأخيرة ـ خلف الخطوط الخلفيَّة للدَّعوة الإسلاميَّة خطر على المسلمين عموما.
إنَّ مشاكل أهل السُّنَّة قد تعقَّدت و تكاثرت كلَّما ألحقت هذه الفئة المشاكل ذات البعد النَّفسي الشَّخصي من الصِّراع حول الرِّئاسة و المشيخة و التَّحكُّم في الجماعة بالأصول العلميَّة السُّنِّيَّة،فيستتبعه التراشق بالتَّبديع و التَّضليل.
فهذا الخلط الخطير بين الأصول العلميَّة و الزَّعامة الدِّينيَّة أدَّى إلى تشكيل تصوُّر لدى الشَّباب الصاعد ألغى كلَّ دور للعلم في تعيين المصيب من المخطئ ، بل و راح ينتقد المخالفة المبنيَّة على العلم، و يعتبرها من وسائل التَّشبيه، وشقِّ الصُّفوف!
فصار الحثُّ على الاتِّباع بعلم شبهةً و شقًّا للصُّفوف!
و صار التَّقليد الفاسد يقينا و جمعًا للصُّفوف!
فسيطرت ظاهرة التَّزكيات على ضمير ووعي هذا الشَّباب حتَّى إنَّهم ليرجِّحون قول

شيخ تجاوز الثمانين بالتَّزكيات ، كأنَّه مبتدئ؟
و بذلك صار التَّقليد بغير حجَّة وسيلة للسطو على الأحقيَّة العلميَّة .
إنَّ هذه الفئة من أهل السُّنَّة الَّتي راحت تطالب كافَّة أهل السُّنَّة بالخضوع لتصوُّراتها الخاطئة و بتفهُّم مواقفها المتخاذلة في الصِّراع القائم بين الإيمان و الكفر، بين السُّنَّة و البدع الظَّاهرة ،ووضعيَّتها الضَّعيفة في الدِّفاع عن الأمَّة ،بل و تخاذلها أحيانا في الدِّفاع عن القضايا الإسلاميَّة لم تثقِّف الفرد المنتمي إليها، وتزوِّده بالمعارف الدِّينيَّة اللَّازمة، و الأدوات الثَّقافيَّة المعاصرة، و الكشف الإعلامي ليتفهَّم موقفها السِّلبي أو الضَّعيف المنحاز على حساب مصالح الأمَّة الإسلاميَّة.
بل كانت دائما تتبع معه سياسة أو إستراتيجيَّة التَّعتيم و التَّجهيل و التَّكذيب و إخفاء الحقائق، وهي اليوم تقطف ثمار هذه السِّياسة بالإنفجارات الدَّاخليَّة الشَّديدة ،و بحراك علميٍّ داخلها معارض و قويّ ينمو ويقوى كلَّ يوم.
إنَّ هذه الفئة الَّتي راحت تضخُّ منهج الهجر و التَّجريح في وعي أفرادها إرضاءً لمطالب نفسيَّته، أو لجهات ما، دون أن تفرِّق بين حال القوَّة و حال الضَّعف،ودون أن تحاول التَّأليف أوَّلا، تقفُ أو وقفت حاجزا أمام الدَّعوة الإسلاميَّة، أضاعت عليها سنين مهمَّة.
إنَّ تعليم الأصول الثَّابتة و المتَّفق عليها لا يتعارض و تعليم فقه الأولويَّات و فقه الموازنة و الضَّرورات.
عدم جدِّية الحلِّ الَّذي تقترحه هذه الفئة:
إنَّه من خلال تفحص منهج هذه الفئة من المسلمين نجده يطرح حلولا لبعض المشاكل الَّتي تعاني منها الأمَّة معرفيا و اجتماعيًّا، و لكنَّها حلول تبقى غير عمليَّة، ونظريَّة بحته، ثبت عدم نجاعها في الماضي أيام كانت الوسائل و الشُّروط متوفِّرة لها لتنفيذها.
و عليه، و جب تجاوز هذه الحلول الَّتي تبقى في جوهرها معتمدة على السَّيطرة بالقوَّة، و تحييد الأفكار المخالفة و المعارضة عن طريق بسط سلطة مادِّيَّة أو معنويَّة تقهر كلَّ مخالف، و تحدُّ من فعاليَّته و نشاطه المعارض لها.
فهذا حلٌّ بغضِّ النَّظر عن شرعيَّته يبقى حلا نظريًّا لا يتَّسم بالعمليَّة، و لا بالإيجابيَّة، ولم يظهر إلاَّ مزيدا من التَّشتُّت و التَّفرُّق و الضَّعف داخل أهل السُّنَّة.
الخاتمة:

كذلك يجب أن نقول: إذا كان تصوُّر هذه الفئة للأمَّة الإسلاميَّة القرآنيَّة العصريَّة تمثِّله الأوضاع الرَّاهنة فعليهم مراجعة أصولهم خاصَّة ما يتعلَّق بالعودة إلى ما كان عليه النَّبيِّ صلَّى الله عليه و سلَّم و أصحابه.
لأنَّه حينئذ ستكون هذه الأمَّة ومقوِّمات وجودها و أهدافها محطَّ سخط كبير ومحاربة شديدة من أهل العلم الصَّحيح، فهي لن تقارب حتَّى من بعيد أي مرحلة تمثِّلها الدَّولة الأمويَّة أو العبَّاسيَّة، بل ستكون أشبه بأمَّة عصر المماليك في أحلك عصورهم و أسوئها.
وعليه، فعليهم العمل بجدٍّ ليعودوا بهذه الأمَّة إلى ما كان عليه النَّبيُّ صلَّى الله عليه و سلَّم و أصحابه تنظيمًا لعملهم ووجودا كأفراد و ككيان.
وبالعودة معرفيا إلى ما كان عليه النَّبيُّ صلَّى الله عليه و سلَّم و أصحابه نعلم أنَّ القيادة العلميَّة الرَّاشدة هي الَّتي أوجدت تلك الأمَّة الَّتي لا مثيل لها، وتلك الأمَّة صارت فيما بعد تنجب القيادات الرَّاشدة في كلِّ المجالات.
ففساد النَّاس بسبب وجود من يُغطِّي على هذا الفساد بتأويل ما، أو رخصة ما، أو بالسُّكوت السِّلبي عنه،أو يؤصِّل له،و الله المستعان.
إنَّه بالأهمِّيَّة بمكان أن نقول لإخواننا السَّلفيِّين أنَّه لم يعد ممكننًا في هذا العصر أن تتجلَّى علاقتنا بالله عزَّ وجلَّ استنادا على الرُّموز و الشِّعارات الدِّينيَّة و الافتتان و التَّعجُّب من الماضي، فهذه الأشياء قد حُطِّمت من قبل ممارسات خاطئة استغلَّتها أفكار كثيرة لتحلَّ في مجتمعاتنا، ونحن من بذَّر رأسماله الدَّعوي، و كرَّس الخيبة العامَّة، و الانهيار الذَّريع لقيمة الأخوة الإسلاميَّة الحقيقيَّة.
إنَّ علاقتنا بالله لها أن تتجلَّى في أعمالنا الَّتي سنحققِّها لأمَّتنا في كلِّ ميدان يؤكِّد تلاحم هذه الأمَّة و تواجدها بقوَّة ،و يعيد كلَّ مقوِّمات الأمَّة القرآنيَّة، وهذه الأعمال أعمالنا نحن لا أعمال سلفنا، وهي الشَّهيد الوحيد الَّذي تقبل شهادته على تعلُّقنا بالإسلام، و إخلاصنا لله عزَّ وجلَّ، و هي السَّبيل الوحيد الَّذي يمكِّننا من التَّفوُّق على الإشكالات الَّتي ورثناها إرثا ثقيلا على أكتافنا { تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ }.
وعلى هذا الأساس نحذِّر من الذَّوبان كلِّيَّة في خُطَى السَّابق، لأنِّ لكلٍّ ظروفه و خصائصه، و الجامع بيننا هو الكتاب و السُّنَّة ، وعلى كلِّ جيل أن يوقِّع على عصره.

أرزيو/ الجزائر في 10/04/2010م
في فوضى منهج الهذيان و الظربان
هذه أسباب انهيار السَّلفيَّة التَّجريحيَّة التخريبية بكلِّ رموزها و أذنابها

مقال قديم ليوم جديد
بسم الله الرَّحمن الرَّحيم

الذَّكيُّ يقرأ بعقله ،وينظر بأذنيه و عينيه، ويسمع بعينيه و أذنيه.

الحمد لله وحده، و الصَّلاة و السَّلام على من لا نبيَّ بعده.
إذ أكتب هذا المقال الَّذي انتقد فيه سلفيَّة يحسبها كثير من الشَّباب أنَّها تمثِّل السَّلف الصَّالح، و تحرس الشَّريعة الإسلاميَّة، فإنِّي أقصد بالذَّات أولئك الشَّباب الجامعيِّين و طلبة العلم الشَّرعيّ، ممَّن ركَّب الله فيهم عقولا صحيحة، و لهم ذهن سيَّال، قد دجَّنت هذه السَّلفيَّة عقولهم بخطاب مغلوط ، و شعارات دينيَّة محتلَّة، لا تمتُّ لها بصلة وثيقة، أو توضع في غير موضعها، مِن وصف أهل الحقِّ بالضَّلال و الزَّيغ و الفتنة ، و تغليف تأصيلاتها بشعارات كـ:" السُّنَّة، و الحقِّ، و الطَّائفة المنصورة، و الفرقة النَّاجية، و السَّلف، و أهل السُّنَّة"، فينغلق عقل هذا الشَّباب، أو يحجز عليه فلا يستطيع التَّمييز، أو لا يتلقَّى من العلم ما يستطيع التَّمييز به بين منهج السُّنَّة الحقيقيِّ، و بين منهج هؤلاء المركَّب من قواعد سنِّيَّة ممزوجة بقواعد خارجيَّة و تصرُّفات شخصيَّة، وسوء فهم وترتيب للأدلَّة الشَّرعيَّة، و بُعد عن الواقع، و عجز عن فصل علميٍّ واضح بين اجتهادات أئمَّة السُّنَّة والأصول الشَّرعيَّة .
هذا المنهج الَّذي أدخل هؤلاء الشَّباب فيما يشبه العلمانيَّة الدِّينيَّة، و فصلهم عن الحياة الإسلاميَّة العاملة، و قتل فيهم روح العمل للإسلام، و الدَّعوة إليه لا إلى الأشخاص ، فصاروا عقولا ساكنة عن الأمر بالمعروف و النَّهي عن المنكر، لا تتحرَّك إلاَّ لإيذاء العلماء و الدُّعاة، و قطع طريق الدَّعوة إلى الله أمامهم .
لأنَّه إذا انفردت الحياة عن الدِّين فسدت أحوال النَّاس، وقد صار هؤلاء الشَّباب بمعزل

عن حقيقة الإيمان و كمال الدِّين، و صار الدِّين عندهم في محلِّ رحمة و شفقة، لا في محلِّ علوٍّ وعزٍّ ،فلما غلب عليهم العجز عن تكميل الدِّين، و الجزع لما قد يصيبهم في إقامته من البلاء ضعفت طريقتهم في الدَّعوة إلا الله ـ كما وصف ابن تيمية بعضهم ـ ـ و اقتصرت على تتبُّع أخطاء العلماء، أو افتعالها إن لم توجد ،لأنَّه لا شيء لهم يعملونه غير ذلك.

و إن غلب على بعضهم الحماس للدِّين، لكنَّهم أعرضوا عمَّا لا يتمُّ الدِّين إلاَّ به من الجماعة الواعية العاملة لبسط الدِّين على حياة المسلمين برمَّتها.

فإلى هؤلاء الشَّباب ممَّن يملكون عقولا صحيحة، و نفوسا أبيَة، و فطرة سليمة أقول: ألا ترون مآسي هذه الجماعة، و كيف أصبحت الأمَّة تئنُّ من خذلانها و شقِّها لصفوف أهل السُّنَّة ؟!

يلاحظ المتتبِّعون لأحوال السَّلفيَّة التَّجريحيَّة المتقلِّبة أنَّها في المدَّة الأخيرة دخلت في طور الاحتضار و التَّلاشي، فأصبح الحوار العلميُّ الصَّادر عنها حوارا داخليًّا في الصَّميم، وعندما أقول الحوار العلميَّ فإنِّي أقصد حملات السَّبِّ و الشَّتم و التَّجريح المتبادلة، و إن شابها شيءٌ من العلم.

وقد بدأ هذا الانهيار يوم جعلت هذه السَّلفيَّة مهمَّتها في الدِّين التَّطبيق الحرفيَّ لمسألة "هجر المبتدع و التَّحذير منه"،و لا أقصد هنا المبتدع حسب معايير هذه السَّلفيَّة، فهذا شأنٌ آخر ، ولكن المبتدع وفق المعايير الشَّرعيَّة، فبدلا من التَّضييق عليه بشغل المساحات الفكريَّة و الاجتماعيَّة، و ما يتفرَّع عنها، الَّتي ينشط فيها وحجزها لنفسه نظرًا لاهتمامه بحياة النَّاس الواقعية، و اقتراحه البدائل لهم انسحبت السَّلفيَّة التَّجريحيَّة إلى مجال مطاردته فيما أصاب فيه، و أجاد في استعماله، كخطابه للمعاندين للدِّين، و مزاحمته العلمانية في مراكز نفوذها و نشاطها .

فالأفكار المعادية للدِّين أصبحت اليوم تجتاح المجتمعات الإسلاميَّة، و تكتسح المجالات الحيويَّة للأمَّة، كالجامعات، مستعملة خطابا ملغَّما بشبهات المعتزلة و العقلانيِّين من المتكلِّمين، تزعزع به مكانة القرآن و السُّنَّة في نفوس المسلمين و عقولهم.

و إذا كنَّا نتفهَّم سبب إغفال هذه السَّلفيَّة لهذا الخطر، و أنَّ تكوينها العلميِّ، و أفقها المعرفي، وربَّما أحيانا بيئتها الضَّيِّقة، المتكوِّنة من العناصر المشابهة لها، و المنقطعة

عن العالم الخارجيِّ عنها، و العاجزة كلِّيَّة عن توجيه أي خطاب إسلاميِّ موضوعي وصحيح لأيِّ طبقة من طبقات المجتمع الثَّقافيَّة أو الاجتماعيَّة خارج جماعتها.

فمن يخاطب هؤلاء النَّاس الَّذين ليسوا علمانيِّين، ولا شيوعيِّين، ولا رافضة، و لكن فيهم الاستعداد لأن يصيروا من عناصر هذه الدَّعوات الباطلة؟!

ولكنَّنا لا نتفهَّم هجومها على العلماء و الدَّعاة و المفكِّرين المسلمين الَّذين تنبَّهوا باكرًا لهذا الوباء ، وكيف جعلتهم إمَّا يرضون بتهميش أنفسهم، أو تضييع وقتهم في الرَّدِّ على تفاهاتها ، و استفراغ الجهد في كشف حقيقتها.

فلم تفهم هذه السَّلفيَّة، ولم تدرك وجه الاختلاف بين المبتدع في زمن السَّلف، وفي تصوُّرهم، أي: المبتدع الَّذي لا يملك أي مسوِّغ شرعيٍّ على بدعته، ففي أقلِّ أحواله هو أكبر سِنًّا من بدعته في الأصول، وبين مبتدع هو ضحية و نتاج سنين وقرون من التَّأصيل لهذه البدع ،و تزيينها بالأدلَّة البدعيَّة ذات الاشتباه الشَّرعيِّ، أو هي من البدع العمليَّة الَّتي أفرزتها الأحاديث الضَّعيفة و الموضوعة، و الَّتي لم يكن أصحابها أبدا محلَّ هجر عند السَّلف.

فبدلا من إظهار السُّنَّة بالدَّعوة الجميلة الَّتي تُبرز محاسنها، و تفوُّقها في التَّأصيل و الأسلوب المعتمد على الملاطفة و الإقناع، و الَّذي يظهر باللُّزوم مساوئ البدعة و ضعف تأصيلها.

فبدلاً من إثبات محاسن الشَّريعة، وما فيها من الأمر بمصالح العباد، وما ينفعهم من النَّهي عن مفاسدهم ،وما يضرُّهم، وأنَّ الرَّسول الَّذي بُعث بها بعث رحمةً كما قال الله تعالى : { وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ }.

ووصف نبيَّه بالرَّحمة فقال :{ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ } { الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ }،راحت هذه السَّلفيَّة تحاول إظهار مساوئ البدعة، و هذا خلط كبير إذ مساوئ البدعة لا تكشف محاسن السُّنَّة و لكنَّ العكس صحيح.

ولما نفذ مخزون المعرَّضين للتَّجريح و الذَّمِّ، أو قُل: لم يتضرَّر من هذا المنهج التَّجريحي المبتدعون الحقيقيُّون، لأنَّهم ينشطون في مساحات لا تنشط فيها هذه

السَّلفيَّة، و لا جمهورهم هو جمهورها.
قامت السَّلفيَّة التَّجريحية بتعويض النَّقص بالتَّسلُّط على أبناء دعوتهم، و لذلك لم يتأثَّر سلبًا بهذا المنهج إلاَّ أهل السُّنَّة الَّذين شوَّهت صورتهم عند الموافق و المخالف.
ومن أبرز العلامات الَّتي تدلُّك على بدعيَّة هذا المنهج التَّجريحي التَّخريبي و أنَّه صورة مشوَّهة، و اختزال فاحش مخلٌّ لمنهج السَّلف، ما تعانيه هذه الجماعة من تآكل داخليٍّ، فلم تعد تستهوي إلاَّ الأحداث، ممَّن لا يعرف رأسه من قدميه في الدِّين، أو أصحاب المصالح من الفاشلين في العلم ، الَّذين يغطُّون عجزهم و تقصيرهم في حمل رسالة الإسلام إلى كلِّ الآفاق الثَّقافيَّة و الفكريَّة بابتغاء العنت لدعاة و علماء السُّنَّة العاملين بصدق.
فمنهج هؤلاء هو إفرازات لصفات نفسيَّة تعتري شعورهم فتؤثِّر على فكرهم ،و تجعلهم يميلون دائما لناحية التَّعنت و التَّصلُّب،و لذلك لا يستهويهم من صنوف العلم إلاَّ مقالات الطَّعن في فلان، و كشف ضلالات علَّان؟
و لعل عدَّاد المواقع الالكترونية يكشف لك عدد القرَّاء لمثل هذه المقالات، و عدد قرَّاء المقالات العلميَّة.
وهذا الأمر عُرف قديما في الخوارج، و حتَّى تتحقَّق منه في القوم فإليك بعض أوجه التَّشابه، تفهم من خلالها أنَّ القواعد المعمول بها في منهج هؤلاء أقصد قواعد الجرح و التَّعديل، هي قواعد الخوارج، و ليست قواعد أهل الحديث و السُّنَّة.
ومعلوم أنَّ للخوارج عقيدة معروفة كما لهم منهج معروف في التَّعامل مع الأخطاء الَّتي هي في نظرهم أخطاء، و يتَّسم هذا المنهج بالتَّسرُّع في الحكم بموجب الخطأ، و عدم اعتباره للاجتهاد، و التَّأويل، وعدم العلم، وغيرها من أعذار شرعيَّة صحيحة.
كما أنَّ علاقتهم ببعضهم بعضا يُنظِّمها التَّوجُّس من الإخوان، و الحذر منهم، و الكمين لبعضهم بعضا، كأنَّهم لا همَّ لهم إلاَّ تصيُّد الأخطاء، فهم دائما في استعداد لتلقُّفها ، و يتوقَّعونها في كلِّ حين، لذلك عرفوا في التَّاريخ بسرعة الانشقاق و الانشطار، فكلَّما حدث فيهم موضوع علميٌّ انقسموا إلى فرقتين أو ثلاث.
و اليوم نجد بعض من ينتسب للسَّلف قد أخذ بمنهجهم في إهدار حسنات المؤمنين و التَّركيز على أخطاء أهل العلم، أو بالأحرى تخطئتهم ولو كانوا مصيبين حتَّى يذعنوا لهم، و يستسلموا لهم، و لا يصدروا إلاَّ عن رأيهم و أمرهم.

ولبيان أنَّ منهج هذه السَّلفيَّة الشاذة و المنحرفة عن منهج السَّلف الصَّالح أذكر بعض أوجه التَّشابه و المقاربة بينهم و بين الخوارج، نلمس من خلالها منهج هؤلاء الحقيقيّ، ومن أين استمدُّوه.

-يتعامل هؤلاء في العلم ومع النَّاس بكثير من القواعد الضَّعيفة يخرجونها في قالب السُّنَّة، وذلك بالتَّعبير عنها بألفاظ أهل السُّنَّة و الجماعة ومصطلحاتهم، وحتَّى تعرف ضررهم على الدَّعوة الإسلاميَّة ، وتعرف أنَّ الألفاظ إذا خالفت مدلولاتها لا تكون عنوانا للحقِّ، ولا للسُّنَّة مهما كان الحال،فهذه بعض قواعدهم:

تابعها على صفحتي الرَّسميَّة تحت عنوان: "فيصل التَّفرقة العلميَّة بين السَّلفيَّة الشَّرعيَّة و السَّلفيَّة البدعيَّة"

ورشات عن متطلبات العمل الإعلامي الإسلامي (القنوات الفضائية)

بسم الله الرحمن الرحيم

من أجل تثمين عمل القنوات الدينية الفضائية و تشجيعها على مزيد من العطاء و السعي نحو تطوير نفسها حتى تكون أكثر كفاءة و تحقيقا لمصالح المسلمين ،وهي مصالح كثيرة قد يكون بينها بعض التعارض لعدم تجانسهم معرفيا وعقليا و مذهبيا، تقدم لهم خدمة إعلامية متميزة و في الوقت نفسه تكون قادرة على منافسة القنوات الدنيوية، و شغل المجال العام على الأقل بنسبة مقبولة، أريد أن أفتح على صفحتي هنا ورشات تفكيرية حول الموضوع و أدعو جميع الإخوة الذين يهمهم الأمر أن يشاركوا بأفكارهم فكثيراً ما تعلمنا منكم أموراً مفيدة للغاية و ليكن الموضوع الأول:

1 ـ ما هي النقائص التي سجلتموها على هذه القنوات، كل القنوات.

2 ـ ما هو الهدف ـ في رأيكم ـ من إطلاق قناة فضائية دينية سنية؟

سيبقى هذا الموضوع مفتوحاً حتى نشبعه بحثاً ،وبعد ذلك ننتقل إلى مواضيع أخرى، فأرجو أن لا يكون الكلام متشعبا يخرج عن النقطتين المشار إليهما ، و أن يكون بعلم وعدل يتناول أصول العمل الإعلامي (علم الاتصال) و أولويات الخطاب الإسلامي ومهعنى الاعلام البديل.

بسم الله الرَّحمن الرَّحيم

الحمد لله وحده،و الصَّلاة و السَّلام على من لا نبيَّ بعده.

أمَّا بعد؛فإنَّ من أكثر المسائل إشكالا عند المسلمين في هذا العصر مسألة التَّوافق على حدٍّ أدنى من التَّعاون و المسالمة الاجتماعيَّة لرأب الخلاف، أو التَّقليل من حدَّته؛ فقد كاد التَّنافر يقضي على هذه الأمَّة ،على تطلُّعها للنُّهوض من كبوتها.

لقد زهد فريقٌ كبير من هذه الأمَّة في أهمِّيَّة التَّوافق لظنِّه أنَّه يوجب التَّعادل و التَّشابه بين المتوافقين،وهذا خطأ في المفاهيم سببهُ تصوُّرٌ خاطئ لما يجب أن تكون عليه الأمَّة ،يصدر ممَّن لا يُفرِّق بين مقوِّمات أو شروط تحقيق وجود الأمَّة المادِّي و السِّياسيِّ و الاقتصاديِّ و الحضاريِّ فكان العداء الدِّينيُّ سببًا مباشرا للعداء في هذه المجالات المهمَّة لأنَّ عقليَّتنا الجامدة في عصر الضَّعف لم تستطع التَّفريق بين الصِّدام و الصِّراع أو التَّدافع الفكريِّ من جهة، ومن جهة أخرى بين هذا النَّوع من الصِّراع وبين العداء في المجالات الأخرى.

عقليَّة جامدةٌ ناقصة تعتقد أنَّ التَّوافق في المصالح السِّياسيَّة و الاقتصاديَّة و الحضاريَّة المشتركة تعني حتمًا التَّوافق في الفكر و الدِّين، أو التَّنازل عن الخصائص و القدر المشترك.

هذه العقليَّة الضَّاربة في عمق خيال من المثالية الزَّائفة بحيث يعتقد كلُّ فريق أنَّه بالاجتهاد في الدَّعوة إلى فكره وعقيدته سيقضي على المخالفين، ومن ثمَّ يجمع الأمَّة على فكرة واحدة؛ الأمر الَّذي يكذِّبه التَّاريخ و الواقع وحال النَّاس في أفضل الأزمنة ،كما يكذِّبه العقلُ و يستحيل تحقُّقه.

و العجيب أنَّ هذه العقليَّة تشهد في كلِّ يوم جديدٍ انشطارًا و تشتُّتا جديدين لا يزال حملتها يعتقدون بصلاحها، وأنَّها أمثل الحلول لتجديد الدِّين ورفع هذه الأمَّة إلى مصاف الدُّول المتقدِّمة القوِّيَّة.

إنَّ التَّوافق في مجتمعاتنا منعدمٌ بين الفرد و المجتمع الَّذي يعيش فيه، وبين الجماعات و الجهات لأنَّ العقل البائد المغروس فينا لا يستطيع مقاومة مشاعر الانتماء و العصبيَّة و الأنانيَّة، فننظر لكلِّ شيء بمنظار شخيَّصتنا و مصالحنا الحالمة بالسَّيطرة على المخالف، فهو بين حلَّين: إمَّا يقتنع بفكرتنا ،و إمَّا السَّيطرة و السَّحق.

حتَّى صارت أمَّتُنا مجموعة جزر متنافرة طابعها الغالبُ الفوضى، وحار كلُّ عاقل في سلوكنا الحضاريِّ، وربَّما فقد الثِّقة في استيقاظ هذه الأمَّة من مرضها القاتل :"بين

يقين هذا بفكره المضادِّ ليقين ذاك بفكره" دخلنا بيتًا بدون باب ولا نوافذ ، وكلٌّ منَّا يعتقد أنَّه صاحب عقيدةٍ و مباديء مبنيَّة على أدلَّة و براهين قاطعة، و أنَّه الصَّادق، و المخالف على عكس من ذلك؛ و نفس الشَّيء يعتقده المخالف؛ فإلى متى هذا الدَّور المعيُّ القاتل لكلِّ حقوق هذه الأمَّة في ريادة الانسانيَّة؟

فإذا لم نملك منهجًا علميًّا موضوعيًّا سليمًا من النَّعرات و العصبيَّة و التَّقليد الأعمى، وسلوكا نفسيًّا سليمًا من أمراض الباطن، يمكِّننا من تجاوز هذه الحلقة الفارغة بحيث نملك القدرة و الشَّجاعة على التَّراجع ،و تغيِّير المواقف، و إعادة بنائها، و التَّقارب مع بعضنا بدون أن يذوب أحدُنا في الآخر، مقرِّين بحقِّ المخالف في مخالفتنا طالما يملك دليل قوله،أو لم نقم عليه حجَّة، فلا مناص من التَّوافق ـ من دون التَّواطؤ على حساب الحقيقة العلميَّة ـ على المجالات الأخرى بعيدًا عن التَّدافع الفكريِّ الدِّينيِّ، في انتظار أن نرتفع إلى هذا المستوى، و تصير الحقيقة العلميَّة غايتنا .

إنَّ الجماعات الإسلاميَّة الموجودة حاليا جماعات مغلقةٌ و منتهية البناء، لا تقبل أيَّة زيادة أو نقصان، ولا تتحرَّك إلاَّ داخل هذا البناء الَّذي أحاطته بنفسها ،فنحن كجيوش متخندقةٍ لا تؤمن بالهدنة، و لا بالحوار، و لا بالمصالحة، يتربَّص أحدها بالآخر ليقضي عليه؛ نهايتها السُّقوط جميعا في أتون الحرب.

لم يفهم كثير منَّا بعدُ أنَّ هذه الأمَّة قد كُتِبَ عليها منذ فجر وجودها قدرٌ لا مرد له ، فإمَّا نتعامل معه بما يقلِّل شرَّه ، ولا يعطِّل رسالتنا و مصلحتنا، و إمَّا نبقى مسجونين بداخله إلى قيام السَّاعة.

فمتى نجلس إلى بعضِنا كعاقلين، ويتحدَّث بعضُنا لبعض، ويستمع بعضُنا من بعض بنبل ثمَّ بعلم.

متى يتَّحد القصدُ على مستقبل هذه الأمَّة و خطوات الوصول إليه، بعيدًا عن الخيالِ الزَّائف و السَّذاجة في فهم التَّاريخ حتَّى لا يزول التَّوافق.

ومتى تتناسب أخلاقنا ليكون مصدرها الوحيد هو أخلاق النَّبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم ثمَّ تتشاكل محبَّتُنا للخير و لتجاوز مطبَّات و معوِّقات النُّهوض بالأمَّة.

أليس تجاوز نقاط الاختلاف الجامدة من صفة العقلاء؟

مع هذه العقليَّة الصراعيَّة الجامدة الَّتي يؤصَّل لها بأدلَّة يحسبها صاحبُها شرعيَّة، و الَّتي تدلُّ ـ في الحقيقة ـ أنَّ أصحابها لم يفهموا مقاصد الإسلام، ولا اعتبروا بالتَّاريخ

ستذهب أجيالٌ و أجيال، وتزول دولٌ ودول، وربَّما تتغَّير تضاريس جغرافية، ولن يتغيَّر حال الأمَّة إلاَّ نحو مزيد من التَّفرق و التَّقاتل حتَّى ينزل المسيح عليه السَّلام.
يعني أمَّة بغير وجود الأنبياء بين صفوفها أحياء لا تملك إلاَّ أن تكون في مؤخِّرة الأمم تتخبَّط في كلِّ أمراض الدُّنيا مع أنَّها قادت العالم ـ قديما ـ في ظلِّ وجود كلِّ هذه الفرق و النِّحل و الجماعات؟
بين من يريدُ جمع الأمَّة على مصلحةِ وجودها و ازدهارها مع الحفاظِ على خصائص أهل الحقِّ و الدَّعوة إليها بعلمٍ و لطف و نُبل ،وبين من يريدُ تفريقها، ولا يبالي بها في أيِّ وادٍ هلكت يقفُ كثيرٌ من الشَّباب حيارى.
ما معنى: التَّواصل: الفعل الهادف نحو التَّفاهم (؟)
يشكو الحوارُ بين المسلمين إلى وجود إرادة السَّيطرة مُندرجةً بصورةٍ خفيَّة في البناء التَّواصلي سواء كان حوارًا أو مُناظرةً،أو ردًّا كتابيًا؛ و الَّتي تمنعُ التَّحكُّمَ الواعي في الصِّراعات، وتمنعُ التَّسويةَ التَّوافُقيَّة لهذه النِّزاعات بوضعِ عراقيلَ أمامها على المستوى "الضِّمن نفساني" ،فالمحاورُ يحملُ أحقادًا مكتومة ،و أحكامًا مُسبقةً، وإرادةَ السَّيطرة، ممَّا يمنع ظهور أيَّة ثمرة للحوارِ أو فُرصةٍ للتَّقارب أو إمكانيَّة للتَّفاهمِ.
ولذلك كان الحوارُ عند أكثر الأمم وسيلةً للتَّقارب إلاَّ عند المسلمين ،فإنَّ مئات الآلاف من الرُّدود و المناظرات و المجالس العلميَّة، و اللِّقاءات الفكريَّة لم تزدهم إلاَّ تفرُّقًا في بُعد.
الحوار و النِّقاش إمَّا يهدف إلى السِّيطرة الفكريَّة على المخالف (النِّيَّة المضمرة)، و إمَّا إلى التَّفاهم معه وتقريب وجهات النَّظر، و عودة قيمةِ المشترك بحيثُ يصير مُهيمنا بارزًا.
إنَّ الاعتماد على نقاشٍ شفاف بدون أيَّة خلفيَّة هو السَّبيل الوحيد للخروجِ من مخلَّفات الطَّائفيَّة المذمومة أي التَّداعيات السلبيَّة للطَّائفيَّة ، لاتاحة الفُرصة لانبثاق اتِّفاق مُعيَّن على قواعد جوهرية تُنظِّم الحياة الإسلاميَّة السِّياسيَّة و الثِّقافيَّة و الاجتماعيَّة، يحتكمُ إليها الجميعُ عندما ينشأ نزاعٌ ،فهذا هو الفعلُ الهادف إلى التَّواصل، لكن هل نملك الوعي الثَّقافيَّ الحضاري لإدراك أهمِّيَّته؟
خلافًا للفعلِ الهادف إلى السَّيطرة الَّذي يُجرِّد المخالفَ من كلِّ حقٍّ، ويفترضُ أنَّه مبطلٌ في كلِّ شيء، و بالتَّالي نُصدِرُ عليه حكمًا أيديولوجيا (حكمًا سببهُ الاعتقاد

المجرَّد أو الظَّنُّ أو جزمُ الهوى) بدون فحصٍ علميٍّ موضوعي لأقوالهِ يفترضُ إمكانيَّة صوابها أو صواب بعضِها وثِقةً فيما سيكشفه الحوارُ؛ فالتَّواصل يعتمدُ على امكانيَّة أن يكون مع المخالف بعضُ الحقِّ و القدرةِ على التَّعبير عنهُ بصدقٍ.

إنَّ الفعل التَّواصلي يهدف إلى حلِّ الأزمات الاجتماعيَّة و السِّياسيَّة و الاقتصاديَّة ،وكلِّ ما يتعلَّق بمصالح الأمَّة المشتركة؛ ليس هدفه السَّيطرة و الهيمنة.

وينكشفُ عن هذا التَّفاهم نظامٌ أخلاقي ـ كان موجودًا في الأمَّة ـ نظام قيَّم يديرُ الصِّراع الفكريِّ و التَّدافع الايديولوجي عن طريق الاقناع العقليِّ و الادراك الموضوعيِّ.

وإذا أدرك وعيُنا حجمَ الإشكالات الَّتي تعترض الأمَّة ، وأنَّ أخطرها انتشار الصِّراع الطَّائفيُّ أو الفكريُّ على كلِّ مجالات الحياة بحيث صار المجتمع الإسلاميُّ مجتمعًا تديره الصِّراعات و التَّصادمُ و الكراهيَّة و ربَّما العُنصريَّة ، و اختفى أيُّ تعاون إيجابي على المشترك لزم أن نُدرك أنَّه حان الوقتُ لنزع قناع الذَّاتيَّة الَّذي نختفي خلفه، و نتجاوز فتنتَنا بذواتنا عبر النَّقد الموضوعيِّ لا العاطفيِّ أو الايديولوجي(جزم الهوى) إلى مصالح الأمَّة الكبرى، ومقوّمات الدِّين الأساسيَّة؛ فالحاجة إلى التَّواصل لايجاد قواعد تنظيم الصِّراع الفكريِّ أصبحت ماسة .

وهذا من خلالِ الاعتراف بوجود المخالف، و بحقِّهِ في التَّفكير و النقاشِ، و بحقوقهِ الاجتماعيَّة و السِّياسيَّة و غيرها لأنَّ اخفاقَ كلِّ أنواعِ التَّواصل بين المسلمين دليلٌ على افتقارنا الشَّديد إلى العقلانيَّة (العقلاني هو الذي يرد أصل المعرفة للعقل ليس للحواس و التجربة أو للنص في العلم الديني) و التَّوازن و المقاربة الموضوعيَّة للخلافات الدِّينيَّة و الفكريَّة.

إنَّنا يجب أن نُفرِّق بين الفعل الفكريِّ و العلميِّ الملتفت باستمرار نحو الماضي ، و بين هذا الفعل عندما يرجعُ للماضي و لكن في اتِّجاه المستقبل،أي ليبني به المستقبلَ ، لا ليعيشَ بهِ الحاضر، ويقتُلَ بهِ المستقبل،هذا هو الادراك الموضوعي.

إذا لم تثبت كثيرٌ من التَّدابير الَّتي عالجنا بها موضوعَ الطَّوائف و الفِرق نجاعتها في الماضي مع توفُّر أسباب نجاحها فإنَّ الاعتقاد بأنَّ تكرارها في هذا العصرِ سيوِّلد نتيجةً مغايرة هو ضربٌ من الجنون .

باختصار شديدٍ : التَّواصل بمعنى الفعل الهادف نحو التَّفاهم ،هو الاتِّفاقُ على قواعد

إدارةِ الصِّراع و العداء و التَّنافُر بدون أن تجرَّ سلبياتَها على مقوِّمات وجود الأمَّة وجود الماهيَّة لا كمال الماهيَّة ،فإنَّها لا تزال بعيدةَ المنال في ظلِّ ضحالة الفكرِ و عقلٍ مريض.

حي الهضاب/ أرزيو/الجزائر صبيحة يوم الاثنين 16/12/2013م

مختار الأخضر طيباوي

ورشات عن متطلبات العمل الإعلامي الإسلامي (القنوات الفضائية)

بسم الله الرحمن الرحيم

من أجل تثمين عمل القنوات الدينية الفضائية و تشجيعها على مزيد من العطاء و السعي نحو تطوير نفسها حتى تكون أكثر كفاءة و تحقيقا لمصالح المسلمين ،وهي مصالح كثيرة قد يكون بينها بعض التعارض لعدم تجانسهم معرفيا وعقليا و مذهبيا، تقدم لهم خدمة إعلامية متميزة و في الوقت نفسه تكون قادرة على منافسة القنوات الدنيوية، و شغل المجال العام على الأقل بنسبة مقبولة، أريد أن أفتح على صفحتي هنا ورشات تفكيرية حول الموضوع و أدعو جميع الإخوة الذين يهمهم الأمر أن يشاركوا بأفكارهم فكثيراً ما تعلمنا منكم أموراً مفيدة للغاية و ليكن الموضوع الأول:

1 ـ ما هي النقائص التي سجلتموها على هذه القنوات، كل القنوات.

2 ـ ما هو الهدف ـ في رأيكم ـ من إطلاق قناة فضائية دينية سنية؟

سيبقى هذا الموضوع مفتوحاً حتى نشبعه بحثاً ،وبعد ذلك ننتقل إلى مواضيع أخرى، فأرجو أن لا يكون الكلام متشعبا يخرج عن النقطتين المشار إليهما ، و أن يكون بعلم وعدل يتناول أصول العمل الإعلامي (علم الاتصال) و أولويات الخطاب الإسلامي ومهعنى الاعلام البديل.

مرحبا بكم..

الدَّعوة الإسلاميَّة

بين فائض روحانية الصُّوفيَّة و السَّلفيَّة وعدم الواقعية الدَّعويَّة

تجدون هذا المقال كاملا بهوامشه و تعليقاته وشروحه في افتتاحية موقعي الجديد إن شاء الله

بسم الله الرحمن الرحيم

يسأل كثيرٌ منَّا نفسه عن سبب البطء الذي تعاني منه الدعوة، إن لم نقل: التوقف و الالتفاف على الذات؛ لماذا توقف الانتشار العددي و تأخَّر كثيرا التطوُّر الكيفي؟
هل دخلنا هذا العالم المعاصر بمبادئ بدون وسائل تُظهرها و تشرحها، و الأهم: تربطها بواقعه؟
هل صار الدين جزءا واحداً من حياة الناس، لا تخضع له الأجزاء الأخرى؟
هل الدين الذي ندعو إليه ـ بحسب فهمنا ـ روحاني في عالم ـ حتى الجزء الإسلامي منه ـ صاغت ذهنيته الماديةو الحسانية؟
ما السبيل إلى معالجة الأمر و التحوُّل من النظري ـ إذا فرضنا أننا نملك نظرية إصلاحية ملائمة ـ إلى العملي، و من ثمَّ تغيير الواقع ؟
أسئلة كثيرة؛ من المناسب أن نبدأ الجواب عن أهمِّها على الإطلاق، وهو: ما سبب هذا الواقع، و ما وسائل تغييره؟
السبب ـ في نظري ـ هو أن الدين ـ عند المعاصرين ـ لم يصبح منتجاً لإصلاح حقيقي شامل بجوانبه المادية، يوجِّه الحياة و يقودها؛ لأنه لم يجدِّد لغته ووسائله، أو عجز عن جعل الجانب العملي منه في نفس قوة التعبُّدي، في عالم علماني مادي "أبيقوري"، يسعى خلف السعادة المادية المجرَّدة بكل الوسائل، وقد لخصَّها في المادة و المتعة التي تتحقَّق بتمكين الحواس من التلذُّذ بمحسوساتها بغض النظر عن كل قيم ، يعني: الظفر بالشهوات؛ همُّه الوحيد: كيف يعيش جيدًا بحسب معايير العصر متمتعاً بكل ما يمكنه تحصيله .
فلا يمكن بحال أن نُغيِّر هذا العالم إن لم نفهمه كما هو، بعيداً عن كل مثالية، بحيث نتعامل معه بدايةً على ما هو، و ليس على ما نرغب، فإن المفهوم الأول يقذفنا في قلبه، و الثاني يعزلنا و يهمِّشنا، و يجعلنا فكرة مستحيلة الانجاز، أو جسما باليا في متحف فنون قديمة.

بدأ العالم المسيحي يلفظ أنفاسه تحت وطأة النظريات الدينية المحرَّفة الخاطئة تزامناً مع ظهور البوادر الأولى للعلوم الفيزيائية و البيولوجيا و الرأسمالية التي جلبت الوفرة وغدت التصوُّر المادي مما أدى إلى بعث الفلسفات المادية اليونانية القديمة كـ"مذهب الشكاك، و المادية،و الحسية" خاصة بنظامها الفكري عند "أبيقور"، القائم أساساً على: رد المعرفة إلى الحواس ،التي كانت محتقرةً من قبل المذاهب الفلسفية الأخرى على أساس أنها مادة، والمادة مظلمة وباردة ، لا ترتقي إلى شرف العقل، فبخلاف أبيقور كان رأي غالبية الفلاسفة أن السعادة في القيم و الفضيلة؟
وهكذا أكدَّت العلوم المعاصرة أن العقل لا يستقل بنفسه بالمعرفة، و أنه و إن كان الحاكم فإن مرد معرفته إلى ما تلتقطه الحواس، و أنه بدونها عاجز حتى عن أبعد شيء عن مجال الحواس، وهو الخيال، غير قادر في صناعة الخيال و نسجه عن تجاوز ما أدركه بالحواس،فإن كانت الحواس لا تميز فإن العقل لا يحس.
فلما عضدت العلوم المادية مكانة الحواس في المنهج العلمي، إذ هي أصل التجربة و المنهج التجريبي، وفي غياب دين صحيح يتعامل مع واقعه كما هو، لا كما يرغب أهل الدين بسطت فلسفة أبيقور " الحسية" جانبها الأخلاقي السلوكي المتمثل في أن السعادة في المتعة،و تطوَّرت فيما بعد إلى المادية و الوجودية الملحدة .
وهكذا وجدت المادية الطريق ممهداً لتغلو بمذهب أبيقور مستعينةً في طريقها بمذهب "كنط" و"كونت" اللاأدرية و الوضعية(لا يمكن للعقل الإنساني أن يتوصل إلى معرفة المطلق) و بـ"التفكيكية" و " البنيوية" المتولدة عنه،حتى وصلت به إلى تشكيل الحياة المعاصرة ، فحتى الفلسفات الإغريقية الوثنية كان محور اهتمامها الله بطريقٍ أم بآخر حيث كانت الفلسفة تدور على اتجاهين: الاتجاه الذي يقترح تفسيرا للعالم لنشأته و أصله،مهموم بالبحث عن ما وراء الطبيعة (الغيب) .
والاتجاه المهتم بوجود الإنسان و معالجة مشاكله الملموسة.
فحوَّلت الأبيقورية الجديدة العالم المعاصر إلى الاهتمام بالإنسان كجسم فقط، ومن مادية المنهج العلمي إلى مادية التصوُّر العام، فكان عصر الإلحاد و الدين المعلب للمناسبات.
لقد تضافرت المذاهب الفلسفية الغربية من "مادية قديمة"، و "شكوكية" ،ولدت "اللاأدرية"، و "الوضعية" و "الحسانية المفرطة"، ثم "التفكيكية"، و "البنيوية"، و

"الوجودية" مع الدين المسيحي المحرَّف على إيجاد المناخ المناسب لتزدهر فيه فلسفة "أبيقور" و نظريته للحياة و للناس و الفكر، فوجد فيها الغربيون المتململون من المسيحية و النخب البرجوازية المتواطئة فكراً يحافظ على نغمة يومية تربطه بالمجتمع تفتقده بقية الفلسفات، فكراً لا يقف موقف الحياد، عندما يحاصر المجتمعَ الإقطاعُ، أو الاستعباد، أو الاستغلال.... الخ يقف إلى جانب الناس.
فكر نافع لأضعف الناس منهم،يسهل الوصول إليه لبساطة لغته و قضاياه ؛ بخلاف غيره من الفلاسفة كان أبيقور يستقبل في مدرسته الرجال و النساء، العبيد و الأطفال ، يُبغض النخبة و يصفهم بأنهم إما علماء البرجوازية أو علماء السلطة، لا يحترم الأساتذة، محتقرا لقواعد اللعبة (السياسية)، يُسمي نوزيفان التيوسي(Nausiphane de Téos) "الرخوية، الجاهل، الغشاش" ، ويصف الأفلاطونيين بأنهم مداهنون، فكرهم ثقافة بلا جدوى،فمن أراد علما حقيقيا فيجب عليه أن يفتخر بالتحرُّر من علمهم المغلوط لأن الحياة لا تتطلُّب الأيديولوجيات الفارغة بل الحياة فحسب.
والحكمة عنده تمرُّ عبر الجسد، والمعرفة تمرُّ عبر الحواس، والعلم يفنِّد الخرافات، والفكر هو أن تفكِّر كيف لا تموت فاقداً للأمل.
لا تشتغل بالسياسة الكبرى لأنها تفقدك التوازن ، لا زواج، ولا تكاليف ، عش من أجل ذاتك بإزاحة الاضطرابات، فقد ولِد الإنسان للبهجة، الجماعة تجعلها ممكنة، السعادة بسيطة: لا تمرُّ لا بالمال، ولا بالتشريفات، ولا بالسلطة، و لكن بالتحكُّم في الذات، مما يفرض الاستعمال الجيد للجسم، وحسابات علمية للشهوات و الرغبات(قياس وتحكم في المتعة)،فلا استجابة إلا للرغبات الطبيعية و الضرورية.
ليكن همُّك الفلسفي الوحيد هو اجتناب الخوف من الموت، فليس هو إلا تفكك الذرات، فالآلهة مادية، ولا تتدخل في حياة الإنسان؛ ليست مشكلتك أن تبحث في وجود الله من عدمه، مشكلتك أن تكون سعيداً.
هذه المبادئ العامة لفلسفة أبيقور التي أضحت الفكر الغربي المعاصر تعود في نهاية المطاف إلى قوله تعالى: { إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ} {وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ} [الجاثية24]
لم يكن أبيقور متميزاً في مجتمعه ومع ذلك عادت فلسفته للحياة الغربية باستمرار

فأخذ هذا الموقف التنويريون مثل " فولتير" و هلفتيوس، و طوَّره اجتماعيا و سياسيا روسو.
ولدت الحسية "الفرويدية" فكان التحرُّر الجنسي ، و أعلنت "البنيوية" أنه لا يوجد الإنسان صانع العقل(كما عند الحداثة) لا يوجد إلا الإنسان ثمرة التاريخ واللغة و النظام اقتصادي؛ بنية الاقتصاد وبنية اللغة، وبنية اللاوعي، وبنية العائلة؛ فعلى ماذا الالتزام؟، لا نحتاج لإيديولوجية، لا نريد إلا التمتع كما في "فديو كليب"، الحياة حركة و الباقي لا شيء،فنشطت صناعة الترفيه و الاستهلاك،وعمَّت ثقافة الإشهار، وصارت البضاعة الأكثر طلباً :البحث عن طرب الشهوة، وهزة الجماع ؟
هذا هو الفكر المهيمن الآن على العالم الغربي، و الذي صاغ الحياة السياسية و الاجتماعية و الاقتصادية و الإعلامية و الثقافية للغربيين، و التي فُرضت علينا بسبب أو بآخر، و أثَّرت علينا تأثيراً بليغاً ،و التي في ظلها يجب أن نجد طريقنا لنرد القيم إلى موضعها أو بالأحرى لنفهم الناس أن الإسلام ليس ضد المتعة و البهجة و السعادة لكنه يضع معها القيم التي يفارق بها الإنسان الحيوان.
هذا هو وضع العالم المعاصر، وهذا هو حال المسلمين في الغالب، ولد لديهم السعي خلف المتعة المادية، و التنافس عليها: تفشي الفجور، و الفساد، و السرقة، و الربا، و الرشوة... و الشخصية السطحية، و الاهتمامات التافهة(الخ) و سياسة تجد كل راحتها في هذه الثقافة الضحلة حتى أصبحت بتواطؤ السياسي ظواهر عامة، يعني: ذهنية غالبة قطَّعت الدين إلى عبادات و اعتقادات لا إشكال فيها، و معاملات و أخلاق يصعب الالتزام بها، تحكمها المصلحة لا المبدأ.
في ظل هذه الذهنية الأبيقورية تحوَّل الدين إلى ممارسات روحية فردية وجماعية لا علاقة لها بالحياة.
و إذا لم يختلف اثنان أنه يجب تغيير هذا الواقع بتغيير هذه الذهنية فالإشكال أولا هو في تغيير عقلية الداعية ليفهم هذا الوضع، و يدرك ضعف وقع خطابه على الحياة المعاصرة، ثم في الخطوات العملية لتغيير ذهنية المسلمين ، و إلا لن تكون التجارب إلا سطحية.
إذا عرفنا الصورة التي صار عليها الفكر الغربي المنتج للثقافة العالمية ، المتحكم في التقنية، و في اقتصاد العالم و تجارته و إعلامه و تعليمه، الصانع لمعايير التفوق

الاجتماعي و النجاح المهني و الدنيوي،يجب أن ندرك حينئذ أننا مأمورون شرعا بدراسته و فهمه لمواجهته ، لأن السنن التي تحكمه هي نفسها التي تحكمنا ، و أن التأثر بها انبهاراً و تقليداً لا يقف عند الثياب و الطعام بل هو أعمق بكثير يتغلغل داخل التصورات الثقافية و يصنع الذهنيات التي تشكل جدار ممانعة أمام الخصوصية الإسلامية.

نحتاج بقوة أن نعرف ما حصل لليهودية و المسيحية لنضع خطط المواجهة وحتى لا ننزلق حيث انزلقوا، و ليس هذا بمستغرب فقد قال النبي صلى الله عليه و سلم : (لَتَركِبُنَّ سنَنَ مَن قبلَكم حَذوَ القُذَّةِ بالقُذَّةِ، حتى لو دَخَلُوا جُحْرَ ضبٍّ لدخلتُموه"، قالوا: يا رسول الله! اليهود والنصارى؟ قال: "فَمَنْ"؟)

وقد تكرَّر هذا التحذير فجاء قوله الآخر صلى الله عليه و سلم : (الله أكبر قلتم كما قال قوم موسى لموسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة أنها السنن لتتبعن سنن من قبلكم وسيعود الدين غريبا كما بدأ).

وقد ذهب أبو عبيدة ـ رحمه الله ـ في تفسير قوله تعالى : {لتركبن طبقًا عَن طبق} [الانشقاق: 19] إلى معنى: لتركبن سنة من كان قبلكم في التكذيب والاختلاف على الرسل.

فوجبَ بمقتضى هذه الأخبار البيِّنة أن يكون في أمتنا ما كان في أهل الكتابين قبلنا، فلا يمكن أن ندافع هذه السنن إلا بمنهجين أو سبيلين:

المنهج الأول: أن نعرف ثقافتهم جيدا، من بدايتها الأولى إلى ما صارت عليه اليوم، وكيف تحولت و انتقلت من حال إلى حال، و كيف كان الصراع بينها و بين المسيحية، و لماذا خسرت المسيحية المعركة ؟

المنهج الثاني: أن نعرف أن قوة الثقافة الغربية في تصورها الحياتي المادي و أن الغواية التي تمارسها على المسلمين مصدرها البهرج المادي مما يقتضي منا أن نكشف عن فلسفة الإسلام في المادة و الدنيا و أنه ليس دين التكاليف فقط بل هو دين الحقوق أيضاً، و أنه و إن غلَّب التطلع إلى الآخرة الباقية فإنه لم يهمل الدنيا الفانية، ولا حرَّم حبها و السعي للتمتع بها، و أعمارها، قال الله تعالى:{وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ } [النحل: 41] ،و قال:{وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ

بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ - وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ} [يوسف: 56 - 57]، و أيضاً: {وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ} [العنكبوت: 27]
وَقَالَ {فآتاهم الله ثَوَاب الدُّنْيَا وَحسن ثَوَاب الْآخِرَة} [سُورَة آل عمرَان 148]
فلم يذم القرآن الدنيا بإطلاق، و لا أهمل متاعها و ثوابها و جمالها إنما بيَّن فضل الآخرة عليها،وهذا فرق شاسع بين خطاب جعل الدين هي العبادة و الأوامر و النواهي فظن الناس أن المتعة خارج مجاله أو أنه ضيَّقها حتى أفقدها لذتها كما في العلاقات الخاصة، و قضايا العواطف، و خطاب القرآن الذي تحدَّث كثيراً عن المباح و المسكوت عنه و المعفو عنه وعن رفع الحرج و الإثم و الرخصة وعلَّم المسلم الاعتدال في علاقته بالدنيا و الآخرة حينما سوى بين حسنة الدنيا و حسنة الآخرة في الدعاء، فقال: {رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ} [البقرة: 201]
ولعل موقف النبي صلى الله عليه و سلم مع الأنصار لما عاد أبو عبيدة من البحرين بشيء من المال يدلنا على علاقة المسلمين الطبيعية مع المال و المتاع ،و كيف تعامل النبي صلى الله عليه و سلم مع هذا الأمر مما يمكن أن نستنبط منه مضامين الخطاب الإسلامي مع المادية :
(قَدِمَ أَبُو عُبَيْدَةَ بِمَالٍ مِنَ الْبَحْرَيْنِ، فَسَمِعَتِ الْأَنْصَارُ بِقُدُومِ أَبِي عُبَيْدَةَ، فَوَافَوْا صَلَاةَ الصُّبْحِ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا صَلَّى بِهِمُ الْفَجْرَ انْصَرَفَ، فَتَعَرَّضُوا لَهُ فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ رَآهُمْ، وَقَالَ: أَظُنُّكُمْ قَدْ سَمِعْتُمْ أَنَّ أَبَا عُبَيْدَةَ قَدْ جَاءَ بِشَيْءٍ قَالُوا: أَجَلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: أَبْشِرُوا وَأَمِّلُوا مَا يَسُرُّكُمْ، فَوَاللَّهِ لَا الْفَقْرُ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلَكِنْ أَخْشَى أَنْ تُبْسَطَ الدُّنْيَا عَلَيْكُمْ كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ فَتَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا، فَتُهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ) . أَخْرَجَاهُ فِي الصَّحِيحَيْنِ.
قابل حرصهم على المال بالتبسم، وبشرهم ووعدهم المسرة، و أخبرهم أنه لا يخشى عليهم من الفقر،و أن الشر ليس في متاع الدنيا ذاته ولكن في التنافس عليه ، فهذا ما يجب أن يبرزه الخطاب الإسلامي أن يجعل الدنيا و السعي لها و تعميرها و التمتع بحلالها من أهم موضوعاته.
إذا اتضح هذا الأمر وجب أن نفهم أن معركتنا مع ذهنية شكَّلها الغرب من مدة،

بذورها مشتتة بين عصر الضعف و الجهل و فترة الاستعمار وتراجع الفكر الإسلامي الكلامي و الفلسفي أمام الفكر الغربي فبدلا من إصلاح الفاسد منه هجرناه و نبذناه ضعيفه وصحيحه، وهو سلاحنا في مواجهة الفكر الغربي القديم و المعاصر.

سنتحدَّث عن ذهنية المسلمين المعاصرين و سبل ووسائل تغييرها لكن قبل ذلك لنتحدَّث عن تغيير ذهنية العلماء و الدعاة.

يعاني الخطاب الديني اليوم من علم سوقي تتبناه بعض الجماعات الإسلامية، غارق في المثالية لا يتجاوز حدود الروحانية، منفصل عن الواقع الذي يعيش فيه، يفتقد إلى واقعية في التصوُّر، و في العمل الميداني، حتى صار العالم فيه "مؤرخ الدين وليسوا عالم الدين" مع أنهم يعملون ما في وسعهم و لكن قناعتهم بما هم عليه دون الشعور بالحاجة إلى تطوير علمهم بتفكير زائد هو سبب صلتهم بالدين كصلة مؤرخ و ليس كصلة عالم، إذ لا تخرج أجوبتهم عن صياغة الماضي، فعندما تواجهنا "ما بعد الحداثة" بإشكالية " هل الحقيقة المطلقة موجودة" ، و" إذا كانت موجودة هل يمكن الوصول إليها"؟

و بطبيعة الحال هي غير موجودة بالنسبة لها،و إذا كانت موجودة فيمكن الاقتراب منها لا الوصول إليها حتى تكون منسجمة مع دعواها تجدُّد المعاني باستمرار، ثم تمثل بواقعنا لأننا كجماعات وكمذاهب فقهية متعادية متضادة متصارعة ، لا نقبل بالتعدُّد السياسي حتى داخل الصف الإسلامي فلأننا نعتقد أننا نمسك بالحقيقة المطلقة مما يعني خطأ الآخر ، ولو قبلنا بنسبية الحقيقة لقبلنا بعضنا بعضا، و أمكننا التعاون فيما بيننا؟

و الغريب أنها تطرح هذا الإشكال كأنها أول من تنبه إليه بينما في الحقيقة قد بحثه المسلمون قديما عندما بحثوا " تصويب المجتهدين"، " وعلاقة الحقيقة بالاعتقاد"، و" المحكم و المتشابه" التي نمر عليها كل يوم دون أن نعي قيمتها في بناء الحياة الإسلامية العصرية لأن علماءنا لم يفهموا بعد أن الأسئلة يصوغها العصر لا الماضي، و الجواب عنها في التراث لا في العصر، فالمعاصرة أن تجيب عن إشكالات العصر، و أن تعالج انحرافات العصر، و الأصالة أن تكون الحلول من تراثك .

وهكذا بدلا من الاهتمام بالقضايا الصغرى الجزئية المرتبطة بحياة الناس وواقعهم

ومعالجتها لنصنع بها واقعا جديدا كما قال النبي صلى الله عليه و سلم في الذنوب حينما بيَّن الطبيعة التراكمية لها ركَّزنا كل جهودنا على القضايا الكبرى التي تحتاج إلى بيئة مهيَّئة و ظروف مواتية لم نوجدها، لأن الحياة العملية للمسلمين ظلت متمردة علينا، بعيدة عن اهتمامنا، فوقع لنا خلط بين "دين الدولة " كمرحلة ووسيلة و"دولة الدين" ، إسلام الدولة، و دولة الإسلام، حتى لم نلحظ الفرق بين ما يعتقد أنه إسلامي وهو علماني، وما يعتقد أنه علماني وهو إسلامي.

وعندما أقول: "الحياة العملية للمسلمين" فإني أقصد أن حقيقة أية فكرة ليس في الفكرة ذاتها فتلك حقيقة ذاتية ذهنية، و لكن فيما يجعلها ممكنة خارج نفسها، و يعطيها معنى يعيش به الناس.

ثم ابتلينا بجماعة سلفية متناقضة في الميدان و الأسلوب متحدة في الأصول و الغلو ،هذه في التكفير و الأخرى في التبديع فجَّرت العمل الدعوي الملموس بتأصيل استدلالي خالص من جهة نوعه يعني: أثري،لكنه انتقائي، منهجا جعل الدين الذي نريده أن يحيط بحياة المسلم شيئا مجردا، نقل التساؤل عن الدين إلى التساؤل عن فكرة الدين .

بتعبير آخر جعلوا المسلمين يبلعون الحقائق(أدلة شرعية، نصوص،أثر) نظريا ثم يتقيؤنها عمليا.

و بالغت هذه السلفية في إقفال شروط الوصول إلى العلم الشرعي الحقيقي بتسطيح التعليم الديني وفصله عن الثقافة الكونية ، و تحديد بعض المراجع القليلة السطحية، و استبعاد أخرى حتى السلفية منها التي تفتح العقول، فتَحْتَ حجة" الاهتمام بكتب الآثار" قفزوا على التطوُّر الطبيعي الذي وصل إليه أهل السنة عند ابن تيمية إلى ما قبله، حيث لا تبويب،ولا ترتيب، ولا تحقيق، للبقاء على الوضع كما هو .

و بالقفز على فكر ابن تيمية أرادوا تكثيف المتاهات العلمية لإضاعة الوقت في التحقيق و الصياغة الجديدة لتطابق العصور اللاحقة.

وحتى يُطبِقوا على الشباب نهائيا نقلوا قاعدة سلفية من إطارها المعرفي الخاص وجعلوها منهجا عاما،وهي قاعدة" فهم السلف" فمن إشكالية " تحديد المعنى و معرفة المراد" إلى السياسة و الاجتماع و الوسائل الدعوية، وهي أمور متجددة بحسب تجدُّد الأعراف و المجتمعات.

بينما الشريعة فرضت علينا الالتزام بالمبدأ المنزل، و لم تفرض علينا أن نبحث عن المطابقة مع مواقف السلف الخاضعة لظرفهم، في الدعوة، و الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر، و السياسة و الإصلاح لأنها وسائل متجدِّدة، لا يجب أن تُخلط بالعقيدة و الأحكام و القيم ،وهكذا حكمنا على مواقفنا بأن تكون في هذا العالم كلمات ميتة، فحتى انتشار الإسلام في الغرب صار بالهجرة و ليس بالدعوة.

وبهذا المنهج السلفي المعاصر انحصرت وظيفة عالم الدين في التكفُّل بتأطير المجتمع وتوجيهه نحو مصالحه الأخروية فقط، و تحديد آماله الدنيوية بجبرية مبطَّنة، مقتصراً على التفكير في الدين الأخروي مفصولا عن الدين الدنيوي ، غير مهتم بصنع واقع جديد للمسلم المعاصر.

وهكذا تحوَّل العالم و الداعية من حارس القيم إلى حارس عتبة القصر، لا يحرسه من كل فكر فوضوي عدمي يؤسِّس لمنهج الصفر، ولكن من الإصلاح ، للحفاظ على الواقع كما هو، لأنه إذا كان التغيير ممكنا نحو الأفضل فهو ممكن ـ أيضاً ـ نحو الأسوأ، فالأولى الإبقاء على الأمور كما هي !

أصبح علماء هذه السلفية ـ بحثا عن استقرار هذا الواقع المتوهم،لأنه في الحقيقة متحرِّك ـ ينتجون معايير غير سلفية إما شيعية أو صوفية لفرض مفهومهم للإصلاح و للسياسة ، في نهاية المطاف تعمل هذه المعايير ـ شاءوا أم أبوا ـ لصالح الواقع كما هو، وليس كما يجب أن يكون.

فمن جهة يفاصلون هذا الواقع لأنه فاسد، و يدفعون أتباعهم لتهميش أنفسهم،فالسياسة في البرلمان شرك،و الاختلاط في الجامعات حرام، وكذا العمل في أسلاك الدولة ، و ينتظرون أن يتغيَّر هذا الواقع إلى مثاليتهم ـ من تلقاء نفسه ! ـ ليتعاملوا معه و ينخرطوا فيه، و من جهة أخرى يتبنون فقها سياسيا مضادا، يعمل كل ما في وسعه من إنتاج النظريات الدينية ليبق هذا الواقع كما هو ؟ !

وعليه بدون مواجهة هذا التناقض لن يقدر الدين على التعامل مع هذا الواقع المادي بامتياز، هذا التناقض الذي يعبِّر عن خضوع المجتمع لطبقة من الناس فاقدة حتى لشروط المستبد المهتم بنهضة بلده، في نهاية المطاف هم جزء منها نظرا للامتيازات مادية أو معنوية المستحقة أو غير المستحقة.

لهذا يحتاج الدين إلى أن يعود عامًّا كما كان في زمن نزول الوحي لا خاصًّا، ولن

يكون ذلك إلا بتدمير اللغة الاصطلاحية التي عقَّدته و حوَّلته إلى علما خاصًّا بنخبة معيَّنة؛ يجب أن يعود إلى بساطته كما هو في النصوص، و ينفض عن نفسه العادات التي لحقت به .
لهذا عندما أتكلم عن تغيير الذهنية فإنها تبدأ في مرحلتها الأولى بتغيير اللغة لتصبح بسيطة سهلة معاصرة، وحينئذ يكفي قول الكلمات ليلتقطها الواقع و يتبناها.
و إذ يجب أن نتخلى عن المثالية في التصور و العمل إلى الواقعية الدعوية فأقصد واقعية موضوعية ملموسة تُقيِّم المجتمع الإسلامي تقييما صحيحا، متحرِّرة من قيودها الخاصَّة كفقه سياسي غير مجدَّد ،و نظرية نقدية احتياطية مبنية على سدِّ الذريعة بدون ذريعة، تقف جدارا أمام التفكير العلمي الذي يتجاوز العصور إلى الشرع المنزل.
لقد ظن بعض إخواننا في تصوُّر ساذج أن هجر الناس ومناصبتهم العداء،و الاعتصام بخطابهم و لغتهم كما هي من دون أي تفاعُل مع الغير وفتح قنوات الاتصال مع المخالف سيقود المسلمين إلى سلفيتهم؟
وهذه رؤية بعيدة عن حقيقة الناس، بعيدة عن الواقع، فالحقائق الموضوعية التي لا يغلط فيها أحد يعني: علاقتهم مع واقعهم، ومع الناس مدمَّرة، لا ترجع إلى تخيلاتهم و تجريدهم.
و المثالية لا تتحوَّل إلى حقيقة واقعية بمنهج و خطاب ضبابي يتعامل مع المسلمين بالأقنعة و الواجهات، و التدقيقات الأكاديمية الفارغة.
أن تكون واقعيا هو أن تبحث عن تغيير الواقع، وعن تحرير الدين من قبضة السياسة المهيمنة عليه.
أن تكون واقعيا هو أن تكون صاحب موقف، فلا يوجد دين محايد، إذ كل موقف وافتراض هو اختيار وميل لموقف، كان بوعي أم لا، فحتى اختيار عدم الاختيار هو اختيار.
و الدين الذي يريد إصلاح الواقع، بالضرورة يجب عليه أن يلتحق بالواقع.
وإذا كان من الضروري الاعتراف بأن دور العلماء هو التبرير العلمي الصحيح لكل الحقائق الدينية لكن المنزلة وليس المؤولة المطابقة لنوع من الوجود الإسلامي المرتبط بزمانه، فإنها حينئذ تدعو ذاك الزمان إلى الامتداد في الحاضر، فيصبح المبدأ

عاجزا عن معايشة الواقع ومقارعة فساده .
إن الدين يعيش واقعيا في جانبه العملي و ليس في جانبه العلمي، ومهما كانت المسائل النظرية العلمية مهمَّة فإنها من جنس الهوية، ليس بها يظهر الدين، بل بواجباته العملية التي يحي الناس بها فالدين الحي في الفعل و الحركة، و ليس في العقل و السكون ، يعني:في التطبيق النافع المرتبط بالعالم الواقعي ،بالإنسان ، و ليس في دينٍ داخل الذهن ؟
هي إذاً الواقعية الدعوية ضد المثالية التنظيرية، و الروحانية المجرَّدة، وخطاب التشظي و الانشقاق.
يبدأ عملنا الدعوي ورد فعلنا على الواقع السيئ بإعادة التفكير في القناعات الدعوية أوَّلا ثم بالتوقف عن التفكير في المشاريع و القضايا الكبرى:" الدولة الإسلامية، الشريعة،رسالة الإسلام إلى العالم... الخ" و الاهتمام بالصغرى،فإنشاء الجمعيات في الأحياء، و القرى و المدن، ودعوة الناس لانخراط فيها ،وإنشاء المدارس الوضعية التي تحفظ القرآن بدلا من مدارس تحفيظ القرآن إن لزم الاختيار بينهما، وإطلاق وسائل الإعلام حتى المحلية ،و الاهتمام بعلوم الاتصال... الخ ، هي خطوات صغيرة مقدمة لمشاريع كبيرة.
لكن قبل ذلك من حيث التفكير لا الانجاز : التفكير في أهم وسائل نشر الوعي و تغيير الذهنيات التي تجعل المسلم فاعلا متحرِّكا ايجابيا متفائلا، وهو نشر نوادي الكتاب و القراءة في كل مكان، ولا بأس من الاستفادة من تجارب الأمم الأخرى في هذا الباب حتى تكون قراءة مفيدة نافعة محققة للأهداف المنشودة.
و إذا عرفنا أن عزلة المصلحين و النخبة الصادقة عن المجتمع تعود بالدرجة الأولى إلى صعوبة التواصل بينهما لضعف قيمة القراءة و الكتاب في أمتنا المعاصرة، وقلة المنابر الإعلامية الهادفة فنحتاج إلى نشر الوعي عن طريق نشر ثقافة القراءة حتى تصير عادة من خلال تأسيس نوادي ودوائر و جمعيات القراءة و الكتاب في الجامعات، و الثانويات، و في كل مدينة وقرية.
تغيير الذهنية:
تغيير الذهنية يبدأ أولا بطرح السؤال عن السلبيات التي تمسُّنا كلنا.
لماذا صار السعي خلف الدنيا بكل وسيلة ممكنة ، و التنافس عليها يتحكَّم في أفعالنا و

ليس قيم الإسلام؟
هل يستحيل أن تتغلب القيم ـ كما فعلت عند أجدادنا ـ على الجشع، و على الاهتمام بالمصلحة الفردية و الأنانية على حساب المصلحة العامة.
لماذا نخاف من التصرُّف بمسؤولية، و المشاركة في إدارة الحي و المدينة ،ونتهرب من الانخراط في حياة الجمعيات و المشاركة فيها ؟
يمكن لعملية تغيير الذهنية أن تكون محركا أساسيا لتحقيق التغييرات المستقبلية، فآلاف اللافَتات الصغيرة يمكن أن تغيِّر الواقع السيئ المتجذر، و تتغير الذهنية جوهريا عن طريق رد فعل الفرد فبتغيير الذهنيات تتغيَّر الأفعال و التصرُّفات و السلوكيات،فالذهنية هي التي تتحكم في طبيعتها و في الأهداف التي توجِّهها.
ولا يجب أن نخاف من كلمة " تغيير" ،لأن التغيير هو الانتقال من شيء، من حالة، من وضع إلى آخر، لا يعني بحال تغيير الجوهر، تماماً كما ينتقل الماء من حالة الثلج إلى حالة السيولة،فلم يتغيَّر الماء، إنما انتقل من حالة إلى أخرى، فتغيير ذهنية المسلمين لا يعني تغيير دينهم و أخلاقهم ،و إنما انتقال طريقة تفكيرهم المؤثرة على سلوكهم إلى حالة تناسب دينهم الصحيح وحاجيتهم في هذا العصر .
يمكن أن نقول تطور الذهنية بدلا من تغيير الذهنية، المهم و المعتبر أننا لا نريد أن يكون التغيير تكرارا لا يجلب شيئا، أو أن يكون تدهورا.
نستعمل مصطلح " ذهنية" بدلا من مصطلح " عقلية" ليس لتأثيث النقاش ولكن لأن الذهنية هي القدرة على التفكير لكن من منظور نفسي لا منطقي، بمعنى أن سبب ذهنية المسلمين اليوم هو ميول نفسية سلوكية، فالذهن هو التفكير الذي يحكم حياتنا العادية ،و هو دوامة الأفكار التي نحركها في دواخلنا ،هو العقل المفكر يستخدم التصورات،و ينتج السلوكيات،فالإنسان كائن يسيطر عليه الذهن بخلاف الحيوان الذي يسيطر عليه الحيوي.
و المقصود هنا بـ" الذهنية" التفكير الجماعي الذي يصبغ أمة أو مجتمعاً، يعني: لكل أمة، أو مجتمع تفكير جماعي له خصائص مشتركة محدَّدة، فمتى رأينا انتشار سلوك معين، وظاهرة معينة، علمنا أنها راجعة لذهنية مشتركة.
ولنفهم أن الإشكال الذي يعاني منه المسلمون في نهضتهم، سواء الدينية أو الدنيوية سببه ذهنية فاسدة ممانعة رافضة لبذل الجهد و تحمل أعباء ذلك على الرفاهية

الشخصية، يجب أن ندرك أن الذهنية تتغير فتختلف ذهنية جيل عن ذهنية أجداده ، و أن الذهنية هي الحاضنة للعلوم و الآداب و الثقافة، المشكلة للعادات ،و عندما يتغيَّر العصر تتغير معه الذهنية فمثلا:

نعرف جميعاً أن مادة التاريخ لم تكن سوى سرد قصصي لأحوال الملوك و المماليك و دراسة المعارك و المعاهدات، فكان أبطال التاريخ القادة العسكريون و الساسة ونوعا ما العلماء و الشعراء، أما الشعوب فلم يعتبرها المؤرخون صانعة للتاريخ ،فلم تكن الحياة العادية للناس مادة للقصص في السرد التاريخي حتى جاء هذا العصر بثقافة أخرى أصبحت مهتمة بجوانب حياة الإنسان القديم فظهر "تاريخ الفن، تاريخ الجنس، تاريخ الطعام،تاريخ الشعوب، تاريخ الكلمات و اللغة، تاريخ العادات و الاعتقادات،تاريخ الحياة الخاصة، تاريخ الاعتناء بالجسم، تاريخ اللباس،تاريخ المجاملات، تاريخ التنظيم المنزلي، تاريخ البستنة" ... الخ.

فتغيَّر اهتمام الإنسان المعاصر عن اهتمام الإنسان القديم، وصار المعاصر يبحث في التاريخ عما له قيمة عصرية، عما يمكن استئنافه في الحياة المعاصرة من عادات يواجه بها اضطرابات هذا العصر.

ومن هنا سمح لنا هذا المنظور الجديد للتاريخ باكتشاف كيف كان أجدادنا يتصورون العالم، و كيف كانت علاقتهم بظواهره نسبية، تختلف عن علاقتنا به، فبينما كان اهتمامهم مُنصبًّا على قيمة القبيلة و الأنساب و الشعر، وعلاقتهم بالطعام ومتاع البيت بسيطة وجدنا المعاصر متعلقا بالطعام و اللباس حتى حوَّل الطبخ و الخياطة إلى علم أو فنٍ، مهتما بخلاف الإنسان القديم بالعطلة، و السياحة، لا يخاف الغابة و الجبل و البحر كما كان القديم يخاف ركوب البحر، ويعتبر الجبل حاجزاً، يستحي من المشي حاسر الرأس، و لا يستحي من إظهار صدره و بطنه، وهكذا.

كما اكتشفنا أن بعض الأشياء لم تختلف كالتعلُّق بالعائلة لكن أخرى جديدة لم يعرفها الإنسان القديم كمفهوم حقوق الطفولة مثلا.

وهنا نسأل :ما الذي يجعل الشيء ـ في مجتمع ما ـ مقبولا،فما الذي جعل ـ في مجتمعاتنا ـ الرشوة ، و المحسوبية، و الجهوية ، و الفساد و النهب غالبا، مقبولا ؟

ما الذي يُشكِّل المقبول اجتماعيا، هل هي الثقافة العامة الذهنية المشتركة؟

في الحقيقة أكثر ما يعتبره الناس خاصة عوامهم طبيعيا هو ثقافي،و إن كان تاريخ

الذهنيات قد ذهب بعيداً في تدمير مفهوم "طبيعة الإنسان الثابتة غير المتغيرة" فيجب أن نفرِّق بين الغرائز الثابتة، وبين الطباع التي هي بمعنى التطبُّع ، فحتى الفطرة قابلة للمسخ و التغيير فكيف بأخلاق الإنسان .

تعريف الذهنية:

معرفة الذهنية لشعب ما هي اكتشاف السلوك الجماعي لهذا الشعب، فما يربط بين أفراده في هذا المجال هو الذهنية المشتركة و الثقافة المشتركة،فالذهنية نوع من الهوية المشتركة،تعطي لشعب ما لاوعي جماعي، لأن تأثير الذهنية على السلوك هو تأثير بلا وعي.

وقد رأينا أن الناس يأتون و يذهبون،و بيئة الوعي تبقى مستقرة إلى حدٍّ ما، مما يعني أنها متوارثة،و أنها بطيئة الزوال.

وعندما نتحدَّث عن الذهنية فنقصد الذهنية الجماعية المسيطرة المهيمنة التي تخترق الكتلة الغالبة للمجتمع،و تملي التصرُّفات و توجُّه الاختيارات، و تغرس فيه الأحكام المسبقة، و ترجح ميول وحركة المجتمع.

قد تكون ميراث قرون سابقة من القلق غير الواعي،أو ثمرة عدوى عامة، بذورها ضائعة في تاريخ سابق، وفي الحياة المعاصرة بمختلف تأثيراتها، يعتبرها بعض المفكرين رد فعل المجتمع على أحداث الساعة، و الضغوط التي يواجهها، وعلى التأثيرات الخارجية، لا تخضع للمنطق و لكن للرغبة.

هي لاوعي جماعي، النظام النفسي للمجتمع الذي شكَّله الخوف و القلق من الدنيا،من المستقبل، تحت الجهل والقهر و الاستبداد و الظلم.

لاحظ العلماء أنها غير حساسة للزمن، تتغيَّر ببطء، و لا تتحوَّل إلا بعد تفريخ طويل الأمد غير واع هو الآخر، ومن هنا أهمية اللفتات و الأفعال الصغيرة الجديدة المتكاثرة و المستمرة في إعادة المجتمع إلى مسار قيمه.

إذاً الذهنية العامة تخضع لتمثلات و خصائص الشعوب، فذهنية الأمريكي تختلف عن ذهنية الأوروبي حتى في مفهوم الديمقراطية و الحرية و المسئولية ،وعن الهندي و الصيني و هكذا.

باختصار: هي نظام التمثيل الجماعي للقيم، فمن عدم الانتماء إلى نفس القيم يأتي اختلاف الذهنية.

نحتاج لعزل الظواهر الاجتماعية المعيَّنة المشكلة لذهنية سلبية أن نلاحظ الثوابت،و الخيط الواصل بينها، واتباع الميولات المشكلة لتصورات جامعة،وربطها بأمثلة ملموسة،فلو تأملنا حال المسلمين في العهد الاستعماري مثلا كانوا يهتمون بتحويل التقنية ، يعظمون الوطن و الانتظام ،و العمل المرهق الذي رفعوا قيمته إلى مستوى العبادة، مع تعظيم النعمة و الحفاظ عليها من التبذير.

كذلك لم يكن مرغوبا أن يظهر الرجل في صورة المراهق، يحبون أن يصيروا رجالا بسرعة، و يستعجلون صفات الرجولة كظهور الشارب ،فلم يكن في مجتمعهم وذهنيتهم مجالٌ للمطالبة بقيم المراهقة،مع شدَّة ارتباطهم بالسياسة ،و الاهتمام بنشرة الأخبار الأمر المفقود لدى الأجيال الحالية التي حوَّلت أجهزة الراديو و التلفزيون إلى وسائل ترفيه .

إن تغيير الذهنية هو السبيل لتوجيه وتكييف الناس ليتصرَّفوا وفقا للقيم،فنحن الدعاة المسلمون من كل اختصاص وخلفية من يمد المسلمين بمفاتيح تحقيق استيقاظ الوعي الجماعي الحقيقي ، من خلال خطاب قصير موضوعي واقعي، و أفعال صغيرة ملموسة تكشف لهم تصرُّفاتهم اللاعقلانية بمفاهيم الإسلام الشرعية و مفاهيم الفطرة.

الكلام بعلم؟

هل كل من تكلَّم بآيةٍ أو حديث صحيح فضلاً عن قول عالمٍ قد تكلَّم بعلم؟

هل يجب أن نتبعَ كل ما دخل تحت اسم الدليل،أم أن الدليل الذي يجب علينا اتباعه له شروط؟

التكلُّم بعلم له شروط،ما هي؟

هذا موضوعنا القادم تحت عنوان "المنهج العلمي في القرآن" مع تطبيقه على قضايا منهج النقد السلفي المعاصر.

الاستفادة من الصفحات العلمية على الفيسبوك:

بعض الصفحات على الفيسبوك صفحات مفيدة إذ يعتني أصاحبها بقضايا العلم ،فيطرحون باستمرار المواضيع المفيدة التي تساهم في تحقيق بعض المسائل المهمة ، وبالتالي في تجديد المعرفة والارتقاء بطلبة العلم إلى مستويات وآفاق أوسع وأدق .

لكن الإشكال هو في اختلاف مستويات المشاركين أو المعلقين ،وأنا على يقين أن كثيرا من طلبة العلم ممن عندهم ما يقولونه في هذه القضايا يترددون ويفكرون كثيرا قبل التعليق ،وذلك لثقل العلم وخطورة الكلمة ، في حين هناك غيرهم ممن لا يشعر بأية مسئولية عن كلامه يعلق على قضايا لا يتصور وجودها أساسا فيفسد الموضوع ويشوش على الصفحة .
والعاقل يتكلم بما عقل معناه وإلا فليس من شرط الاستفادة التعليق،وكم منع الحياء من نسف بعض التعليقات.

بسم الله الرحمن الرحيم

قال أبو يزيد البسطامي ـ رحمه الله ـ :(عَمِلْتُ فِي الْمُجَاهَدَةِ ثَلَاثِينَ سَنَةً، فَمَا وَجَدْتُ شَيْئًا أَشَدَّ عَلَيَّ مِنَ الْعِلْمِ وَمُتَابَعَتِهِ، وَلَوْلَا اخْتِلَافُ الْعُلَمَاءِ لَبَقِيتُ، وَاخْتِلَافُ الْعُلَمَاءِ رَحْمَةٌ، إِلَّا فِي تَجْرِيدِ التَّوْحِيدِ).
ذهب أكثر العلماء العارفين تحقيقا لمسائل علم السلوك إلى أن خطوات مجاهدة النفس هي: " الوفاء بالعزم، توفية الأعمال، تصفية الأحوال، و الاسترسال مع العلم ".
من الفوائد في قول البسطامي أنه من السهل مجاهدة هوى النفس فأكثر البشر يقدر عليه، ويفعله الهندوس والبوذيون و المشركون والفلاسفة والرهبان، فلهم من رياضة النفس ما لا يفعله المسلمون لكنه باطل كما جاء في " الاستقامة" لأنه بدون علم مشروع، و لا ينتج له من النتائج إلا ما يليق به.
لكن الاسترسال مع العلم صعب على النفوس، فهو إن قصدنا به متابعته بالعمل يحتاج إلى مفارقة العادة والمألوف،و التمكن من العمل الذي يدعو إليه.
أما من جهة اتباع تسلسله فهو أصعب من أية رياضة ومجاهدة بمراحل، يتطلب قوة نفسية وعقلية تصمد أمام الإجهاد و الأرق، لا تكسرها الخيبة عند أبواب المسائل الموصدة، وعناد شديد على اقتحام المسائل الوعرة، فإن العلم طبيعته تراكمية، ووراء كل بحر منه بحار، و الرغبة فيه أشد الرغبات سطوة على النفوس ،وبعض الناس لا يمكنه إذا اشتعلت في رأسه لمبة السؤال أن يتركها مشتعلة .
فإذا انتقلنا بهذا الكلام الثمين (كلام البسطامي) إلى العلم و التعلُّم نجد أن كل كتاب جدي الطرح يقودك إلى كتب أخرى، إما يشير إلى قيمتها العلمية، أو يظهر اعتماده عليها ، وهكذا تتعرَّف على كتب جديدة، وهي بدورها تنقلك إلى أخرى، وهكذا حتى

تحيط بمراجع الموضوع كمًا ونوعاً .
ونفس الشيء يقع لك مع المواضيع العلمية تأخذها أوَّلا على عهدة المؤلف، وبعد ذلك تبحث عن استقلالية العزو بالرجوع إلى المصدر مباشرة.
وهكذا يكون همُّ الباحث في الأخير هو الوصول إلى مادة العلم يعني: صورته الأولية، إلى الأفكار الأولية قبل أن تتطوَّر وتلقَّح وتوسَّع، وتأخذ مسارات مختلفة ، لهذا لا يمكن طالب العلم إلا التطور والانتقال باستمرار من تصوُّر إلى أوسع منه، ومن إجمال إلى تفصيل ..
ملاحظة: قد يقصد بعض الناس بـ"الاسترسال مع العلم " الاسترسال مع القدر،وهذا خطأ يقود إلى الجبر والاتحاد ،بل الاسترسال مطلوب مع الشرع منهي عنه مع القدر إن كان مطلقا لأنه مادام العبد مفطور على حبِّ أشياء وبُغض أخرى فهو ممتنع لذاته، يعني: نسترسل مع القدر مع الحرص على المأمور به شرعاً كما جاء في حديث " احرص على ما ينفعك".
و الذي أقصده أنا هو متابعة العلم، والاستسلام لما يقود إليه البرهان، و الثقة فيه، فإن الله تعالى جعل العلم الصحيح هاديا إليه، وما كان هاديا إلى الله كان هاديا لكل خير.

ما الذي يقربك إلى الله؟

نتقرب إلى الله بالعبادات المحبوبة إليه الظاهرة و الباطنة.
ونتقرب إلى الله رغبةً ورهبةً بالوعظ.
ونتقرب إلى الله محبةً بالتفكُّر في آلائه ونعمه وإحسانه إلينا، وبتلاوة كلامه تدبراً.
ونتقرب إليه علماً ومعرفةً، بالعلم بحقائق أسمائه وصفاته، وبالتأمل في آياته في الناس في نفوسهم وعقولهم وأحوالهم، وفي آفاق الكون.
لذا يتقرب العبد إلى الله في العلم و المعرفة بحسب إدراكه لما يقرأ ويسمع إن كانا يعظِّم كلامه ويبسط هيمنته على ما سواه ،والدخول في عقول الخلق والنزول إلى أعماقها بشعاع القرآن لا يصلح لبعض الناس، لا يقدرونه، ولا يعرفون موقعه، فالأحسن لهم أن يكتفوا بدروس الوعظ،فإن القلب لا يتقرب بشيء يجهل حقيقته.

مأسسة الفتوى

بسم الله الرحمن الرحيم
ترى بعض المؤسسات العلمية في العالم الإسلامي التي لها دور سياسي و ارتباطات

بالدول أن مشكلة التطرف ترجع بالدرجة الأولى إلى فوضى الفتوى التي يجب أن تعود إلى المؤسسات الرسمية.

ونحن نعرف أن اختيار المفتي في البلاد الإسلامية يرجع إلى اعتبارات سياسية وطائفية وليس للكفاءة، فالمفتي في الغالب تجمعه علاقة مجاملة مع الدولة، وينتمي إلى أكبر طائفة في البلد ، والدول لا تختاره لكفاءته أو ليخدم الدين ،ولكن لتهيمن الدولة على الخطاب الديني.

ولما يعجز عن فرض خطابه بالدليل يستعين بقوة الدولة، فالمشكل في الحقيقة مشكل مصداقية عند الناس، وفي بعض البلاد إذا أرادت الدولة أن تقضي على مصداقية عالم قربته منها وغرضها تشويه صورته.

فالمشكل مع التطرف والغلو لم يكن في يوم من الأيام مشكل فتوى فإن المتطرف لا ينقاد للفتاوى ولكن للتأصيل الذي يقنعه ولا يجد تأصيلا يضاده ، خاصة وأن الذين يشكون من فوضى الفتاوى يعانون من ضعف التأصيل العلمي وينتمون إلى طوائف معينة تجد صعوبة بالغة في منافسة قوة الخطاب الأثري الذين ينتهجه الغلاة.

وعليه يجب أن نفرق بين حاجتنا إلى الاجتهاد الجماعي في مؤسسات علمية لها مصداقية عند الناس خاصة طلبة العلم تقنع المسلمين بالفتوى لا أن تفرضها عليهم بالاحتكار ،وبين احتكار الفتوى وحصرها في مؤسسات تنتمي بصورة أو أخرى إلى الدول فمتى خضعت الفتوى لطائفة معينة أو مؤسسة معينة اختنقت الحقيقة كما وقع للنصارى وغيرهم، فإن مدار الفتوى على قوة الدليل وصراحة الطرح،وليس على المؤسسية أو الصلة بالدول.

فمن يريد من الشباب أن يتبعه فعليه أن يراجع مواقفه السياسية و الاجتماعية، وقبل ذلك أن يراجع مناهج الاستدلال عنده ليكون موضوعيا متجردا .

أين يُعمل بقاعدة" فهم السلف"

بسم الله الرحمن الرحيم

تفصيل ضروري:

عندما نستشكل بقولنا: إذا اختلف السلف كيف نعمل مع قاعدة " فهم السلف" فهذا يعني أننا لم نحرِّر معنى هذه القاعدة ولم نعرف موضع إعمالها، و عممناها على كل فصول الدين.

أوّلا: يجب أن ننتبه أنني عندما تحدَّثتُ عن "فهم السلف" فليس عن اختلاف فهمهم العلة الشرعية كاختلافهم في معنى بيعة في بيعتين، يعني: اختلفوا في صورته، فليس هذا الذي نعتبره قاعدة سلفية عندما نقول: "النظر في فهم السلف"، فهذا مجاله واسع، وهو كثير عندهم، و أكثره في الأحكام، و طريقة التصرُّف فيه الطبيعية و الشرعية هي تصرُّف الفقهاء لا جديد فيها،فالخلاف فيه واسع ومحتمل و يعود الترجيح فيه إلى كل أنواع الأدلة الشرعية ،والتضييق على المسلمين فيه تحت حجة "فهم السلف" خطا فادح، فهنا لا مجال لهذه القاعدة إنما هو العلم بكل ضروبه، وما وسع السلف يسع المتأخرين.

لكني أقصد العبارات الشرعية التي اختلف فيها المتأخرون إما بمعرفة مخالفتهم للسلف، وإما لعدم بحث السلف فيها تفصيلا كبعض العبارات في أصول الدين ،ومعلوم أن السلف لم يختلفوا في أصول الدين فافتراض اختلافهم غير صحيح، أو بالأحرى يجب أن نفهم أن قولنا : "فهم السلف" هو قاعدة في أصول الدين ، و قد يستعان بها في التفسير أو بعض الأحكام إن كان الاختلاف بين السلف و المتأخِّرين، أما ما اختلف فيه السلف فغير خاضع لهذه القضية، و من الممتنع عقلا أن نحسم اختلاف فهمهم بفهمهم فيجب أن يكون الدليل منفصلا عن قولهم.

وعليه يجب أن ندرك أن هذه القاعدة تعمل في الاختلاف بين السلف و من جاء بعدهم فقط،وليس في الاختلاف بين السلف، ولما كان اختلاف السلف في الأحكام وما يتعلق بها و بعض التفسير كان العمل بها لهذه الحال أو الواقع في أصول الدين فقط ،وعلة ذلك أن السلف و المقصود منهم بالدرجة الأولى الصحابة لهم إدراك يشاركوننا فيه و إدراك اختصوا به وهو سماعهم من النبي صلى الله عليه و سلم و من أصحابه، ومعلوم أن بعض من صحب النبي صلى الله عليه و لم يغب عن جميع مشاهده أو أكثرها لم يرو إلا القليل كأبي بكر و عمر ـ رضي الله عنهما ،وكذلك للتابعين اختصاص بالصحابة .

ثانيا: يجب أن نعلم أن أسباب اختلاف السلف فيما بينهم غير أسباب اختلاف المتأخرين، ففي زمن السلف لم يكن العلم مجموعا مدوَّنا، فكان اختلافهم بسبب عدم علم طرف منهم بالقضية العلمية،أو لأن المسألة محتملة للوجهين نقلا أو عقلا، ولذلك كان اختلافهم محدودا بالنظر إلى اختلاف المتأخرين الذي توسَّع في كل القضايا لبغي

بعضهم على بعض .
اختلاف السلف في غير أصول الدين:
من المعلوم من صنيع السلف أنه إذا اختلف الأئمة فيما بينهم لم يجز أن نحكم على قول من أقوالهم بأنه صواب إلا بحجة ، و الحجة كلمة مجملة تنطوي تحتها أنواع من الحجج،منها ما هو صحيح متفق عليه، ومنها ما هو مختلف في حجيته، فبدون تحديد ماهية الدليل و نوعه و مرتبته سيستمر الخلاف الزائف (الشبهة في مقابل الدليل) وحتى لا يتشعب الموضوع لنبق في موضوع فهم السلف، وهذا هو الحاصل حاليا مثل من قال: يجب أن يكون الرد على المتكلمين بالكتاب و السنة .
ثالثا: إذا اختلف السلف في مسألة ما على قولين لم يجز أن نحدث قولا ثالثا ،لأنه متى كان في صدر الأمة قولان فقد تعين أن الحق في أحدهما إلا إن جوزنا اجتماعهم على ضلالة، و يبقى الإشكال في تحديد أيهما ، فبعض السلفيين يتمسك بأحدهما و يجعله هو الصواب بدون حجة و ينفي سلفية القول الآخر .
رابعا: الذي انتهى إليه أئمة السنة معالجة لهذه المعضلة أنه إذا اختلف السلف ينظر في أشبه أقوالهم و أقربها إلى الكتاب و السنة، يعني نرجع إلى موافقة الدليل ولا نتحجج بوجود الخلاف بينهم،بل و ذهب بعضهم إلى عدم اعتبار إجماع التابعين على أحد أقوال الصحابة ، و ذهب بعض الأصوليين إلى التفصيل بين نوع القولين : فإن كان احدهما مثبتا و الآخر نافيا جاز لمن بعدهم القول بالتفرقة وهو أن يقول في كل مسألة بقول طائفة منهم و القول الراجح و الأشبه بأدلة الشريعة أنه متى صرحوا بالتسوية لم يجز التفرقة،و إلا فجاز، و الأولى الترجيح بالأقرب و الأشبه بالكتاب و السنة .
وقد ذهب بعضهم كالإمام احمد إلى انه إذا اختلف السلف (الصحابة) على قولين تخيَّر من أقوالهم أقربها إلى الكتاب و السنة ولم يخرج عن أقوالهم،فإن لم يتبين له موافقة أحد الأقوال حكى الخلاف ولم يجزم بقول ،وهذا ربما يكون في مسائل الاجتهاد التي لا يبقى فيها للظن رجحان بيِّن.
فبعض المسائل ليس فيها حجة لائحة، و أحسن أمورها أن نقلد فيها إن وجدنا قول بعض السلف، ولا ضير في ترك قول بعضهم الآخر إن كانت من مسائل اجتهادهم و غلب على العلماء التوقف فيها.
فهذا الاختلاف في طرق معالجة اختلاف السلف يدل على وجود سعة في الأمر لكنه

لا ينفي أن الدعوة إلى الترجيح تبقى الأفضل بحثا عن استقرار المعاني و الأحكام.
و هنا يجب أن نعلم أن الشيء قد يختلف في نفسه فتكون له في الشريعة حالات فينظر قوم منهم في حالة و ينظر آخرون في أخرى فهذا في الحقيقة ليس اختلاف فهم و لكنه تفرُّق فهم يعالج بالجمع بين الحالتين و تحديد الفوارق بينهما كما حصل كثيرا فيما يسمى باختلاف التنوُّع.
وقد يختلف باختلاف علم من ينظر فيه ، فهذا هو القسم الذي يحتاج إلى الترجيح لكن كما سبق و قلتُ بعد حسم ماهية الدليل ونوعه و مرتبته فإن كثيرا من الاختلاف الحاصل سببه مقابلة شبهة بدليل، أو دليل ضعيف في مقابلة دليل قوي وهكذا.
في الأخير: قاعدة" فهم السلف" وهي قاعدة صحيحة ومتينة هي ألحق بمسائل اللغة بين السلف و من جاء بعدهم لذا سأنزل مزيدا من التفصيل في هذا الأمر إن شاء الله.
قاعدة فهم السلف ؟
من المعلوم أن اللغة العربية لها وجهان من التبعية: التبعية النحوية، و التبعية المعجمية.
و معلوم ـ أيضاً ـ أن الدلالة المعجمية جامدة لأن الألفاظ تكسب أثناء حركتها ضمن السياق معان متغايرة أو جديدة غير التي تكون لها في حالة الهمود، لأن التكلُّم باللفظ المطلق من كل قيد لا وجود له أبداً ، فلا يتكلَّم العاقل إلا بكلام مؤلف مقيد مرتبط بعضه ببعض، وإلا صار كلامه لغوا لا قصد من ورائه ، فالألفاظ عند بني البشر لا تستعمل إلا مقيدة بقيود لفظية وحالية تتعلَّق بالمتكلم ، يدل عليها السياق، و المسار العام للمقال أو عادته في الكلام.
و بالتالي تكون الدلالة المعجمية عاجزة بمفردها عن تحديد مراد المتكلم أو المعنى فتحتاج إلى معونة العقل، و يكون ذلك بالجمع بين دلالة السياق واستعمال المتكلمين بها لأن أهل اللغة صنفان: المتكلمون بها، و نقلتها.
ولا شك أن الاعتبار للمتكلمين بها لأنهم يشكِّلون الدليل العملي لعادتهم في الكلام، فالمعاني تتحدَّد بكثرة الاستعمال الذي يحدِّد عاداتهم في التكلُّم،و لغات الناس تعرف بعاداتهم في الكلام، لأن دلالة اللفظ على المعنى دلالة قصدية إرادية اختيارية ، فمّا اعتادوا أن يعبروا به عن تلك الأشياء بتلك الأسماء هو لغتهم .
واللغة الشرعية لها استعمالها الخاص، ولهذا يفهم أهل كل فن مصطلحات لغتهم دون

سواهم،حتى يعجز أكثر الناس عن فهم كلام ابن سينا إلا أصحاب فنه.
ولهذا السبب يعرف أهل الحديث والفقهاء لغة الرسول أكثر من غيرهم، لكونهم لهم عناية بألفاظ الرسول ومراده ،فيعرفون عادته في الكلام وفي خطاباته ، فيتبين لهم مراده بقدر لا يتبين لغيرهم.
و من يريد أن يعرف معاني الألفاظ التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتكلَّم بها يجمع نظائرها في كلامه، حتى يعرف عادته في استعمال تلك الألفاظ، وبه يتبين له مقصوده ،وبهذا الطريق يعرف لغة القرآن والسنة ،قال ابن فارس: (لغةُ العرب يُحْتَجَّ بها فيما اختُلِف فيه، إذا كان التنازع في اسم أو صفة أو شيء مما تستعملُه العرب من سُنَنها في حقيقةٍ أو مجاز، أو ما أشبه ذلك، فأما الذي سبيلُه سبيلُ الاستنباط، وما فيه لِدلائل العقل مَجال، أو من التوحيد وأصول الفقه وفروعه، فلا يحتجُّ فيه بشيءٍ من اللغة، لأن موضوع ذلك على غير اللغات، فأما الذي يختلف فيه الفقهاء من قوله تعالى: " أَوْ لاَمَسْتُمُ النِّسَاءَ " وقوله: " وَالمُطَلَّقَات يَتَرَبَّصْنَ بأنْفُسِهِنَّ ثَلاَثَةَ قُرُوء " ، وقوله تعالى: " فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النعَمِ " ، وقوله تعالى: " ثمَّ يَعُودُونَ لمَا قَالُوا " ، فمنه ما يصلُح الاحتجاجُ فيه بلغة العرب، ومنه ما يُوكَل إلى غير ذلك.)
"المزهر"{81/1} و لابن القيم في (بدائع الفوائد) تفصيل أحسن من هذا بكثير.
ثم ينظر بعد ذلك في كلام الناس، وكلام أهل اللغة فإن وجدهم يستعملون تلك الألفاظ في نفس المعاني التي استعملت فيها في القرآن والسنة، علم أن هذا الكلام أو هذه اللغة مشتركة بين الرسول وغيره، وهي لغة قومه ؛و لهذا نقول : تحتاج الألفاظ الشرعية إلى ضمان استقرار المعنى ووضوحه،ولا يمكن ذلك إلا من خلال حل مشكلة " فهم النص" أو "البحث عن مراد المتكلم"،و أقوم السبل لذلك مراعاة دلالة السياق وفهم السلف لتلك العبارات لأنه إذا كان الإنسان يدل غيره على ما يعرفه بالأدلة اللفظية، و يعرف مراد غيره بالأدلة اللفظية، ولا يفهم الناس و يفهمهم بالكليات العقلية، التي لا يحسنها إلا قلائل، عرفنا أن ما يعرفه كل الناس أظهر و أكثر يقينا مما لا يعرفه إلا القليل منهم، قال الرازي في "المحصول"{201/1}: (البحث الرابع في أن اللفظ المشهور المتداول بين الخاصة والعامة لا يجوز أن يكون موضوعا لمعنى خفي لا يعرفه إلا الخواص)
والقرآن لم ينزل على من قرأ الفلسفة و المنطق، ولكن نزل على الناس، و اهتدى به

الذكي و الأقل ذكاء، و العارف و غير العارف.
وهنا تظهر بجلاء الحاجة إلى تقييد دلالة النصوص بفهم السلف الصالح لأنه هم نقلة اللغة خاصة اللغة الشرعية من خلال نقلهم للقرآن و السنة، وهم المتكلمون بها إذ هم العرب الذين نزل عليهم القرآن.
فالسلف هم المتكلمون باللغة الشرعية وهم نقلتها، وهم أهل اللغة العربية قبل أن تجمع المعاجم، بخلاف نقلتها الذين هم أهل دلالتها المعجمية فيمتنع عقلا أن يرجع إليها ابتداء قبل معرفة فهم السلف.
هذا هو معنى قولنا: "فهم السلف"، لا يتعلَّق بشيء آخر غير المنهج المعرفي في التعاطي مع الألفاظ لتحديد مراد المتكلِّم بها حتى لا نحشره في قضايا أخرى.
و عليه،فهذه القاعدة خاصة بتحديد معاني الألفاظ الشرعية ، وقد تكون في مسائل أصول الدين ـ وهي الأكثر ـ كما تكون في الفروع ،فإذا وجدنا ـ مثلا ـ السلف يكرهون التشبُّه بأفعال المجوس مما لم تعيِّنه النصوص، عرفنا أنهم فهموا أن الأمر بمخالفتهم ـ فيما هو من خصائصهم ـ مقصود للشرع.
فإذا اختلف المتأخِّرون مع السلف في معنى عبارة في أي مجال من مجالات الشريعة رجَّحنا تفسير السلف على تفسير غيرهم.
هذا باختصار المقصود من قاعدة " فهم السلف" و قد غال فيها بعض السلفيين فصاروا يذكرونها في كل شيء حتى في القضايا المختلف فيها بين السلف !
في الحلقة المقبلة نشرح معنى قولنا:" الكتاب و السنة" ما المقصود بها لأنها عبارة مجملة يزين بها بعض الناس كلامهم بدون أن يكون عندهم معنى محصل تحتها يعني صارت شعارا فارغاً، وفي أي سياق نذكرها لأنهم صاروا ينكرون بها الحق .
أولا: نحن لا نتحدث على أهل هذا الزمان لأن الاختلاف حول بعض العبارات الشرعية خاصة في مسائل أصول الدين حدث في عهد السلف و عليه فالترجيح بفهم السلف لها ليس هو الترجيح بين فهم عوام الناس وفهم الخواص، بل هو ترجيح خواص الناس علما بالشريعة و بلغتها على من اعتمد ابتداء على الدلالة المعجمية مهملا فهم السلف لها.
و الذي يحدد معنى كلمة في زمن التكلم بها على أصالتها هو استعمال المتكلمين بها و ليس المعاجم .

المسألة الثانية التي أثارها الأخ عبد الكريم تحتاج إلى وقت لرصد الأمثلة لكني أقول هنا باختصار:
و سائل الترجيح كثيرة جداً، و قاعدة " فهم السلف" قاعدة محدودة بقيد اتفاقهم، أما إذا اختلفوا حول مدلول عبارة فيكون الترجيح بتحقيق المسألة فقد يغلط بعض السلف في معنى الكلمة لكنهم لا يجتمعون على هذا الخطأ ، و دائما في إشكالات المعنى نبدأ بالبحث عن الاستعمال الشرعي لها من خلال تتبعها عبر النصوص فهو من يحدد القول الراجح من أقوالهم، فإن تعذر ذلك استعنا بالمعاجم وما صح من لغة العرب، فالمنشور لم ينف دورها و أهميتها ولكنه جعلها في المرتبة الثانية بعد فهم السلف ، كما أن اللغة لا تستقل بمفردها بالمعنى فللعقل دور كبير في تحديد المعنى من خلال الرد إلى الأصول الثابتة فالقول الذي يستقيم مع الأصول الثابتة و تستقر معه المعاني العقدية هو الذي نرجحه ، و إذا كان فهم السلف للألفاظ فطريا فيمكن البحث في لغة العرب عن طريق المعاجم عن الشواهد المرجحة .
المشكل هنا في الذي يرجح معنى لا ينسجم أو لا يتوافق مع بقية المعاني فتصير عقيدته مبنية على أصول مختلفة و في ظني الشيخ الذي ناقشته لا يملك جوابا قاطعا فإن الدعوة إلى الترجيح بين المختلفين من السلف حول عبارة نصية بالعودة إلى النص إن لم يقصد منه تتبع استعمال العبارة في منظومة النصوص فهو كالأمر بالممتنع لذاته و كما قلتُ سابقا : الترجيح له طرق كثيرة، أهمها المعاجم و الدلالات العقلية و الوحدة المعرفية اي الانسجام بين مختلف فصول العقيدة.
في مقال آخر نتكلم عن علاقة الباحث و المستدل باللغة.

ماذا تصنع الشمسُ لأعمى؟

هل يضل بعض الناس بالقرآن أو السنة؟
بسم الله الرحمن الرحيم
عندما يخاطبنا القرآن فباعتبارنا أصحاب عقول رُزِقنا حكمة وقوة على التفكير السديد،{ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ }،{ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ }،{ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ }،{ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ }.
فما هي القوة العقلية التي قصدها القرآن، وهل هي في القرآن، أم هي مغروسة في

الفطرة ،إما يذكِّر القرآن بها ، وإما يزيل عنها الغشاوة التي لحقتها؟
لقد أنزل الله الكتاب وأنزل معه الميزان،{لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ } فأخبرَ أنَّ الغايةَ من إنزالِ ذلك أنْ يقومَ النَّاسُ بالقِسط، فدلَّ هذا أنَّهُ غرسَ في قلوبِ عبادِه الميزانَ الذي يعلمونَ بهِ القِسْطَ، وهو: الاعتِبار، أي: اعتبار الشيءِ بنظيرِهِ، كما قال ابنُ عباس رضي الله عنه في ديةِ الأصابع: هلاَّ اعتبرتموها بديةِ الأسنَان؟ يعني: إذا كانت ديتُها واحِدةً مع اختلافِ منافِعها، فكذلك الأصابِع ديتُها واحدَة مع اختلافِ منافِعِها، كما أنَّ النفوسَ مختلفةُ الفضائِل مع أنَّ ديتَها واحدةٌ.
والاعتبار يكون بإدراك المعنى الكلي المشترك، فيكون بقياس العكس: حيث لم توجد العلة لم يوجد الحكم، وبقياس الطرد: حيث وجدت العلة وجد الحكم، الأول تلازم في الانتفاء و الثاني تلازم في الثبوت.
ولا يتم الاعتبار بدون معرفة التماثل والاختلاف، ولا يمكن معرفة التماثل و الاختلاف بدون التعميم، ولا يكون التعميم إلا بعد المقابلة و التمييز و التجريد، وكل هذا من القوى التي غرسها الله في عقول عباده فهي فطرية فيهم كأكثر مبادئ التفكير الأساسية مثل مبدأ السببية الذي يقوم عليه توحيد الربوبية.
ومن ذلك أن الإرادة مشروطة بالعلم، فمن الممتنع من كل جهة أن يريد الإنسان ما لا علم له به، فيمتنع بالضرورة أن يعلم بما لا يشعر بوجوده، وإذا لم يعلم به، لم يكن مكلفا به سواء كان كبيرا أوصغيرا.
وحتى البديهيات القبليات تفسد في الناس ،ولهذا يبعث الأنبياء بضرب الأمثال وهي أقيسة تكمل الفِطرة البشرية بِما تنبه إليه ممَّا كانت مُعرِضَةً عنه، أو كانت قد فَسدَت بما حصَلَ لها مِن الآراءِ الفاسِدَةِ فتزيل الرُّسلُ ذلك الفسادَ الذي لحِقَ الميزانَ الذي غرسَهُ اللهُ في فِطرَةِ عِبادِهِ.
وبتعبير آخر نقول: الدلِيلُ الهادِي عموما هو النصُّ وخصوصا هو الرسول، وقوةُ النَّظرِ هي الميزانُ، فلا الشمس تنفَعُ بدونِ قُدرةٍ على الإبصارِ، فالأعمى لا يرى شيئًا رغمَ وجُود الشمسِ، ولا قوة الإبصارِ تنفَعُ بدونِ الشمسِ، ففي غيابِ الضوءِ لا يُبصِرُ المبصِرُ الناظِرُ شيئًا، فمجرَّدُ النَّظرِ لا يُفيد.
فتحتاج مع الظفر بالدليل الهادي إلا قوة عقلية تنظر بها في هذا الدليل، يمكن أن تتبعه

بدون معرفة أسبابه فيقودك إلى الأمان لأنك تتبع دليلا هاديا، لكن لا يمكنك أن تكشف للناس ما جاء به الرسول، وتهيمن على كل ما يعارضه بدون معرفة أسبابه، و لا يكون ذلك إلا بقوة العقل الفطرية التي تنظر بها.

وعليه، من فهم قولي عن الإرادة و العلم و الشعور فهم قصدي عن ضرورة الميزان للانتفاع بالكتاب، وأن الناس قد تضل بالقرآن و بالسنة: {وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا} {قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى} وَقَالَ: {هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ} فَالنَّاظِر فِي الدَّلِيل بِمَنْزِلَةِ الْمُتَرَائِي لِلْهِلَالِ قَدْ يَرَاهُ وَقَدْ لَا يَرَاهُ لعَشَى فِي بَصَرِهِ ،وعليه قد يضِلُّ بعضُ النَّاسِ بأقوالِ السَّلفِ والعُلمَاءِ وبِبَعضِ النُّصوصِ ينزلونها على غير المراد منها.

هذا سيكون موضوع درسنا القادم في سلسلة "ماهية الدليل المتبوع وشروطه": ماذا نحتاج مع النص ليكون الاستدلال به صحيحاً.

صفحات مفيدة بحق

الصفحات المفيدة " في الفيسبوك" كثيرة ـ سأذكرها قريبا ـأعرج عليها بقدر المستطاع،أستفيد،و أتذكر،واستلهم منها أفكارا لمقالات جديدة.

ومن هذه الصفحات المفيدة التي لا يندم القارئ على دخولها لأنها تنشر كلاما خرج عن تأمل وملاحظة، يضع بلسم المعرفة الشرعية على أمراض الواقع الثقافي، والعلمي الشرعي، والسلوكي والاجتماعي....الخ،بطريقة تجمع بين أصالة المعالجة وحسن الصياغة مع الاستعانة بالصورة الجميلة المعبرة ،وهي لصديقين عزيزين صفحة الأخ:

أين تجد الإسلام؟

بسم الله الرحمن الرحيم

ـ حيث وجدتَ الانتظام تجد الإسلام

ـ وحيث وجدت الحكمة تجد الإسلام

ـ وحيث وجدت العدل تجد الإسلام

ـ وحيث وجدت المصلحة المعتبرة تجد الإسلام

ـ وحيث وجدت الرحمة تجد الإسلام

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ (...فإنه إنما أَمر بالعدل لا بالظلم، وبالمصلحة لا بالمفسدة، وبالحكمة لا بالعبث والسفه؛ وإنما بعث رسوله بالحنيفية السمحة لا بالغلظة والشدة، وبعثه بالرحمة لا بالقسوة، فإنه أَرحم الراحمين، ورسوله رحمة مهداة إِلى العالمين، ودينه كله رحمة، وهو نبي الرحمة، وأُمته الأُمة المرحومة....)

عندما تصح الفطرة العقلية يبحث المرء عن الغالب، عن الأكثر، عن الطابع العام لمسيرة23 عاما قضاها النبي صلى الله عليه وسلم في الدعوة إلى الله تخللها مواقف عديدة وأحوال مختلفة، وعليه يفهم النصوص الخاصة، ويردها إلى كلياتها، فينتهي إلى ما انتهى إليه ابن القيم ـ رحمه الله ـ.

وعندما تفسد ،وتتعطل فيها قواها يقف عند وقائع الأعيان، والأحوال الخاصة، وأحداث الضرورة،وعبارات لا يفهمها،فيصبح الإسلام عنده [دين] سب الناس، و[دين] التفريق بين المسلمين،و[دين] الذبح للمعروف وللمجهول، للمحارب وللمسالم،للمعادي وللمعاهد...... الخ.

إذا كان الدين موجودا، و القرآن موجودا، و السنة الصحيحة موجودة،والكل يلهج بهما، فماذا نفتقد؟

لا تُعيد إنتاج نفسك:

بعض الشيوخ ممن يرون أن العلم الذي يحتاجونه كميته محدودة تتمثل في دراسة بعض الكتب، ثم إعادة الدورة من جديد،إن وجدتَ عندهم شيئا جديدا ففي الشكل أما المواد الأولية فهي هي، لا يطرأ عليها تغيير ،فالعلم في تصورهم غير قابل للتطوير على الأقل في صياغته اللغوية وإعادة ترتيب قضاياه بما يتماشى وحاجة المسلم في هذا العصر ،فهو إن قبِل التوسع فعموديا فقط ،أما أفقيا فالأمور محسومة ومربوطة كحزمة حطب.

لهذا يعجبني بعض الشباب الذين يفتحون قنوات حوار مع شباب مثلهم من طوائف أخرى كالأشاعرة بحلم وأدب، فالتدافع الفكري جيد ومفيد للأمة ، ودليل على نقلة في الفهم والوعي العلمي عند هؤلاء الشباب؛ يبقى أن يقتربوا من هذا العصر للتأثير في فكره ، فكسلفيين أدركوا منهج ابن تيمية وجوهر مشروعه لكن لا يزال هذا الإدراك محدودا، يجدون صعوبة في التكيف مع المصطلح المعاصر العالمي، وفي الربط بين

تصوراتنا وتصوراتهم، فلم نخرج عن حوارات القرن الثامن الهجري بعد.
أقول هذا حرصا على هذه النبتة اللينة المزهرة من أن تذبل في حر الاستنساخ الذي نشهده اليوم،من خلال عجز ذاك الصنف من الشيوخ عن إنتاج طلبة علم أوسع آفاقا منهم وأكثر طلبا للفهم والتفسير وتعاملا مع فكر عصرهم .

العفو أسهل من الحقد

في الحياة الدنيا وطن نفسك على ألم الخيانة، والغدر، وسوء الظن بك، وفراق الأحبة....... وكل أنواع الألم، فالألم مدرسة الحياة، وهو سبب الغضب، والغضب في قلوب الشرفاء الطيبين ليس إلا حاجة عاجلة للعفو، فمن أحب بصدق عفا بسهولة لأن الألم لا يكون أبداً أقوى من الحب.
فإن كنتَ؟ فلا تسمح لنفسك أن تنزل عن علياء الأدب إلى حضيض الألفاظ السافلة، فالنفس الكبيرة فوق السب و الظلم و الألم و الاستهزاء، و ربما فوق المواساة،وفوق أن يعتذر لها،كما قال الشيخ العارف لتلميذه المخطئ في حقه لما جاء ليعتذر إليه :أنا يا بني الذي يجب عليه أن يعتذر لك.
{خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ} "فَفِي أَخْذِهِ الْعَفْوَ مِنْ أَخْلَاقِهِمْ احْتِمَالُ أَذَاهُمْ وَهُوَ نَوْعَانِ: تَرْكُ مَا لَك مِنْ الْحَقِّ عَلَيْهِمْ فَأَخْذُ الْعَفْوِ أَنْ لَا تُطْلَبَ مَا تَرَكُوهُ مِنْ حَقِّك، وَأَنْ لَا تَنْهَاهُمْ فِيمَا تَعَدَّوْا فِيهِ الْحَدَّ فِيك"ابن تيمية.
هذه المنازل أطلب لا شفاء الغليل بشيء من الشراسة؛ومن يعفو عفا الله عنه

أكلُوا الكلِّيَّات فتاهت المعيَّنات

لقد غال الفلاسفة المناطقة وتأثَّر بهم المتكلمون في الكليات حتى أثبتوا لها وجودا خارجيا منفصلاً ومتصلا لأنهم قالوا:" لا عِلمَ إلاَّ من العامِّ" فقابلهم الاستقرائيون والتجريبيون: بقولهم:"لا علمَ إلاَّ مِن الفَرد".
وبطبيعة الحال كان ما كان ، وتصدى متكلمو أهل السنة و الجماعة للموضوع، وبيَّنوا أن من العلوم عامة كلية ومنها عينية،أو يوجد العلم بالكليات والعلم بالمعينات،فالعِلم يكون بالمعيَّن أو الفرد، وبالعامِّ الكلي ،الأوَّلُ هو العِلمُ، والثاني هو الميزانُ، أو أداةُ الاعتبارِ والقياس، وإن كان العلم بالمعينات لا يحتاج إلى توسط قضية كلية يعني إلى قياس شمول لكن لابد له من خبرة بالمعين،وإذا كان له نظير كانت معرفة نوعه

بمعرفة نظيره.
فلا قياس خاص على عام، أو معين بمعين بدون المعنى العام المطابق للأعيان، فمقياس الأعيان هو بالمثال القائم في عقولنا، وهو عام كلي باعتبار شموله لكل واحد من المعينين.
المقصود من هذا الكلام: أنه جاء من ينتسب إلى أهل السنة ولم يفهم وجه الاختلاف على الكليات ونوع العلم، وأن العلم العام الكلي مِن لوازم الإنسانِ يعني:من فطرةِ عقلِه العلمية، وأنه يستحيل الحكم على فرد له نظير بدون رده إلى نوعه.
يعني بالمختصر:بدون هذا العلم لا يمكن أن نضع القواعد العلمية، لأنها بكل بساطة ممتنعة بدون إدراك التماثل والاختلاف فهدفُ العالِمِ في القياس والاعتبار هو تحصيلُ هذا العلم الكليِّ العام.
فجاء هؤلاء الذين ينسخون بعضهما بعضا و أهدروا ما هو لازم لبني آدم ولذلك تراهم يتكلمون بدون قواعد ومبادئ، وقد ملء التناقض جوانبهم، بل صار بعضهم يذم كلمة" تأصيل"فلا تستغرب أن يعجزوا عن الجمع بين النصوص،ولا تستغرب أن يقيسوا الصالح على الطالح، والسني على هشام بن الحكم،فقد تخلوا عن الميزان.
عندما نحذر من استنساخ أكثر القيادات العلمية الموجودة فهذا لأننا نعاين تراجع خطير في المستوى مقارنة بما كان عليه الأمر قبل سنوات قليلة،وكان من المفروض أن نعيد انتاج أمثال الشيخ العثيمين والألباني وابن باز رحمهم الله إذا عجزنا عن أمثلة أعلى منهم.
وحتى الذين خرجوا عن القاعدة وأدركوا طبيعة التحدي المعاصر وأننا بدون تطوير عاجل في الاهتمام العلمي سنبقى فيما يشبه محميات الهنود الحمر فاهتموا بقضايا علمية وفكرية حقيقية،وبذلوا جهداً ضخماً في ذلك لم يجدوا سوقاً لبضاعتهم لأن أكثر الشباب الموجود هو نسخة طبق الأصل عن شيخه عنده توقفت مسيرة العلم والمسلمين.

الكلي عند بعض السلفيين

بسم الله الرحمن الرحيم
قال شكسبير: الأفضل أن نموت غير مفهومين من أن نقضي حياتنا في الشرح.
قلتُ: الأفضل أن نفني حياتنا في الشرح وإن لم نفهم فما على الرسول إلا البلاغ.

هل الكلي منطق والعام شريعة؟
لا علم إلا من العام:
يقول المناطقة الصوريون: إن موضوعات الفكر هي المعاني لا الأشياء، وأنه لا علم إلا من العام،و لذلك يحتقرون الاستقراء والمنطق التجريبي وقياس التمثيل الذي هو تشبيه أمر معين يعني فرد بأمر معين آخر ويعظمون قياس الشمول الذي يكون بتوسط قضية عامة أي كلية.
ومعلوم لنا و لهم أن العام والكلي موضعه الذهن لا الواقع، فإننا إذا عرفنا الصفات المشتركة بين المعينات، والمعين هو الشيء الموجود في الواقع مستقلا في وجوده عن غيره ،فنقول المطلق هو لفظ دال على واحد غير معين ، والشخص المعين هو الفرد، فالعلم هو العلم بالمعينات،أما العلم بالعام الكلي فهو الميزان أو الوسيلة التي نعتبر بها،فإن للحكم على معين له نظير نقيسه على نظيره بالمثال المرتسم في عقولنا عن المعين الذي عرفناه بحواسنا فنعرف المعين الآخر من خلال ما يحصل لنا من مماثلته له لأجل القدر المشترك بينهما فبدون المعينات لا يوجد العلم العام الكلي،وبدونها لا يوجد ما نقيس عليه وبالتالي ينتفي العلم.
فإن قال هؤلاء المناطقة: لا علم إلا من العام، فإنهم يسلمون بأنه لا واقع إلا من المعين الموجود في الواقع،فتناقضوا بين واقعية عينية وواقعية عامة إذ الكلي لا وجود له خارج الذهن فلا وجود لواقعية عامة، فلما أدركوا أنه لم يبق في منطقهم للواقع إلا بقايا مندثرة في الحد الأوسط والواقع هوما يضفي صفة الثبوت على الموجود زعموا أن منطقهم يقوم على فلسفة واقعية عامة.
وعندما جاؤوا إلى حدود التعريف قالوا :ليس كل شيء قابلا للتعريف ، فقسموا اللامعرفات إلى ثلاث فئات :المعطيات المباشرة التجريبية، مثل الإحساسات" الصوت و الضوء" و العواطف" المحبة" لا يمكن الإشارة إليها إلا إشارة خارجية" فالعلامة المميزة هي دائما علامة خارجية بالنسبة إلى الظاهرة" ثم الأجناس العليا أو المقولات،فالتعريف يتركب من الجنس، وهذه الأجناس ليس لها جنس بالفرض نظرا إلى أن مفهومها يقتصر على الحد الأدنى،ثم الأفراد لأن الفرد عندهم لا يحيط به الوصف " و لأن الأفراد لا يختلفون فيما بينهم إلا بالعدد و ليس بالصورة ،"وهذا خطأ إذ وصفه هو ذكر مجموع خصائصه،والاختلاف بينهم في كل شيء"،فلا يكون

لهم ـ عندهم ـ بالتالي فروق جوهرية يمكن التعبير عنها.
في حين يرى التجريبيون و الاسميون أن التعريف العام أمر وهمي، و أنه لا علم إلا بالفرد فيكون التعريف هو ذكر الصفات الخاصة بكل موجود، و يعبر بالتفصيل وبواسطة ذكر الفروق عما يعبر عنه الاسم بالإجمال.
المهم أننا أهل السنة "الفاهمين" كما نثبت العلم العام الكلي و أهميته وأنه لازم لبني آدم نثبت أهمية العلم بالمعين، وأنه أصل العلم لأن العلم بالكلي العام من غير معرفة المعين تحصل به على الميزان أي أداة الاعتبار والقياس فقط بينما المقصود بالميزان هو ان نزن به الأمور الموجودة في الخارج فالميزان بدون موزونات لا ينفع في شيء، فالكليات لولا جزئياتها المعينات لم يكن بها اعتبار ولا قيمة لها،كما أنه لولا الموزونات لم يكن إلى الميزان من حاجة.
فإذا لم نوافقهم على أنه لا علم إلا من العام أو الكلي،ولا نوافقهم على استقلالها بالوجود الخارجي،فإننا نوافقهم على أهمية هذا العلم ولزومه لعلم الإنسان،ونحدد مجاله وفائدته، وقد أشار إليه الله تعالى في القرآن كثيرا أبينه في مناسبة أخرى.
وموقفنا هذا مجهول عند بعض السلفيين يعني: عطلوا هذا العلم العام الكلي لأنه عقلي وهو في الحقيقة شرعي لأنه لابد للمعلوم من نظائر إذا عرفنا واحد منها ارتسم في ذهننا مثال منها به نزن سائرها فإذا قال أحدهم: الشيخ فلان سني، قلنا له: ما هو المثال المرتسم في ذهنك أي: النظير الذي قسته عليه ،هل هو مالك أو الشافعي أو أحمد أو ابن خزيمة أو البربهاري أو ابن تيمية؟
وإذا قال:فلان مبتدع ضال، قلنا له: ما هو المثال المرتسم في ذهنك أي النظير الذي قسته عليه،هل هو الحلاج،أم النظام، أم هشام بن الحكم،وهكذا.
والجمع بين هذا الشيخ و النظير الذي قست عليه إنما وقع لك بالعلم العام الكلي يعني: بإدراك القدر المشترك بينهما المعتبر في الحكم بالسنة أو بالبدعة؟
فما الذي يجمع بين هذا الشيخ وهؤلاء المبتدعة ،ويشترك معهم في ماذا؟
فإن قال : قد أخطأ أو ابتدع، قلنا له: هل خطؤه من نوع خطأ علماء السنة أم من نوع خطأ المعتزلة و الرافضة والحلولية؟
فمن تعتبرهم مثالا عن السنة وقعوا في أخطاء كما وقع فيها هذا الشيخ وربما أسوأ من خطئه،فلم لم تخرجه من السنة و أخرجته هو؟

الجواب:لان فطرة عقولهم ممسوخة فحتى العلم اللازم لهم والذي يشتغل في عقولهم من غير شعورهم عطلوه بالعناد والتعصب،فلو فهموا الحاجة إلى العلم الكلي العام وأهميته في القياس والحكم والتقعيد والتأصيل العلمي لما وقعوا في هذه المصائب .
و الموضوع يقبل زيادات كثيرة تركتها لمواضعها.

لا أحد منا شرط في نجاة الآخر

بسم الله الرحمن الرحيم

بعض المواقف هي مباحة شرعاً ومفهومة واقعاً لكنها تنافي المراتب العالية، فقد انتشرت العداوة بين المسلمين وفاقت كل حد؛و الفرق بين عداوة العاقل و عداوة الجاهل، أن العاقل يترك مسافة للعودة، ويحرص على أن لا تهلك العداوة مع عدوه مصلحتهما جميعاً، بينما عداوة الجاهل تأتي على كل الشيء ،على المصلحة المشتركة و المستقبل المشترك، فهو حريص على هلاك عدوه ولو في هلاكه هو.

فالذي نحتاج إليه اليوم لمن يشعر في نفسه أنه أعلى المسلمين قدراً في الحق و الصواب، و أنه صاحب علم وفهم ووعي و مبادئ،أو أنه قادر على نفعهم في شيء ما أن يفتح مجال الدعوة على مصراعيه، لا يستثني أحداً، لأنه لا يجوز لنا أن نقرر أن الهدى و الخير ممنوع عن صنف من الناس فليهلكوا، كما إنك لا تدري من قد ينتفع بكلامك فقد اهتدى ملاحدة و فلاسفة ومجوس و يهود و نصارى ،و من المسلمين رافضة وخوارج و اتحادية و غيرهم، فباب الهدى مفتوح لكل خلق الله، و نحن لا نعلم مصيرهم عند الله، إنما واجبنا أن لا نضع لأنفسنا قيودا وحدودا نمنع بها صنفا من الفكر أو من الطوائف أو من الناس، إلا إن كان طلبا لسلامة أنفسنا من شبهات نُقدِّر أننا نعجز عن ردها ،لأن الداعية يخاطب الجميع ويرجو الخير و الهدى لكل الناس.

فلا يجب أن يدفعنا الحرص على سكينة عواطفنا مما يثيرها إلى إبعاد بعض المسلمين التائهين أو المخطئين لأن المنع هنا أسبابه عاطفية و ليس علمية.

نعم النبيه يحرص كما قال ابن القيم أن لا يخالط الناس إلا على حذر كالطائر الذي يلتقط الحَبَّ بينهم،...... والأفضل في وقت نزول النوازل وأذاة الناس لك أداء واجب الصبر مع خلطتك بهم، دون الهرب منهم، فإن المؤمن الذي يخالط الناس ليصبر على أذاهم أفضل من الذي لا يخالطهم ولا يؤذونه.

وكما في صحيح مسلم ،قال النبي صلى الله عليه و سلم : " وَمَنْ يَصْبِرْ يُصَبِّرْهُ اللهُ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ مِنْ عَطَاءٍ خَيْرٌ وَأَوْسَعُ مِنَ الصَّبْرِ "
فأظن أن القيد الوحيد النافع لنا ولهم في الحوار و النقاش هو الأدب، و أحق الناس بالحذف في هذا العالم : سيء الخلق،و الجاهل الذي يتجاوز قدره و يتمادى في جهله بعد أن نمنحه فرصته ،و الله اعلم.

السُّكر في الأعماق بشراب النفوس

بسم الله الرحمن الرحيم
حدُّ السكران عند أكثر العلماء هو" أن يعلم ما يقول"، فمتى كان لا يعلم ما يقول فهو في السكر، قال الله تعالى : {يَا أَيهَا الَّذين آمنُوا لَا تقربُوا الصَّلَاة وَأَنْتُم سكارى حَتَّى تعلمُوا مَا تَقولُونَ} [النساء] فجعل سبحانه الغاية التي يزول بها حكم السكر" أن يعلم ما يقول".
قال الشافعي: إذا اختلط كلامه المنظوم و أفشى سره المكتوم ،و قال أحمد نقلا عن سعيد بن جبير:
إذا لم يعلم بثيابه من ثياب غيره، ولا نعله من نعال غيره.
فالأمر يدور على التمييز متى فقده الإنسان فقد سكر سواء كان بخمر إلا أن سكر الخمر فيه لذة لأن السكر يجمع بين معنيين: وجود لذة، وعدم تمييز،و الذي يقصد السكر قد يقصد اللذة التي تخامر العقل وهي نوع من الطرب، و قد يقصد ما يحصل له من نسيان الهموم و الأحزان تلك الساعة.
وقد يسكر الإنسان من تأثير الخوف وهذا السكر من الألم، كما قال تعالى: {وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ}[الحج] فالسكر يكون بشراب الأجسام،وهو السكر الجسماني الذي حرمه الله، وقد يكون بشراب النفوس كالسكر بالخوف،و الفرحة الشديدة، و السكر بحب صور النساء أي سكر الحب المستحكم، و أكثر الناس ينقص تمييزه عند هزة الجماع،و السكر بحب الرياسة و المال وشفاء الغيظ من العدو، و من الناس من يسكر بالكلمات.
فهذه الأشياء توجب السكر عندما تصبح لذة غامرة للعقل، و السكر بشراب الأرواح يكون بالإفراط في الأصوات اللذيذة بذكر المحبوب أو بحالات من الوجدان كما يقع

لبعض العباد.
وهناك سكر لم يعرفه المتقدمون وهو سكر الأعماق الذي يقع للغواصين بسبب غاز النيتروجين .
فالسكر قد يكون من ضعف النفس و لذلك يسكر المبتدئون في الخمر وحب الرياسة و المال و العشق أكثر ممن اعتاد الأمر، وقد يكون لقوة الوارد.
المقصود أن السكر لا يكون بالخمر فقط، و أن حقيقته فقدان التمييز و غلبة اللذة أو الألم على العقل،و لذلك كان أشد أسباب السكر فتكا بالعقل : عندما يعتقد الإنسان أنه على الحق المطلق في كل شيء، وقد يزيد من سكره إن كان جاهلا بأن نعمة موافقة الحق توجب الرحمة فتغمر نفسه الكراهية لغيره لما هم عليه من باطل في نظره حتى تصبح نفسه معملا لسوء الظن بالمسلمين وكراهيتهم،أو قد يسيطر على عقله فكرة ولو كانت شرعية لكنها تزيح كل المطالب الشرعية الأخرى فلا يرى إلا تلك الفكرة حتى يفقد التمييز ،ولا يعرف أين يجب عليه أن يتوقف.
وهذا حاصل لأقوام فالسكر بالجهل و الاسترسال مع الأفكار المركزية المهيمنة على العقل كما قال ابن القيم : لو كشف الحجاب لوجدتَ أكثر الخلق صرعى.
كم رافعا لشعار الدين سكران سكر هوى أو جهل أو تعصب قد شربت نفسه وروحه ما يوجب المقتضى التام لشر أنواع السكر: فقدان التمييز بين المصالح و المفاسد، خاصة عندما تتحول المصالح إلى مفاسد حينما لا نقف عند مقاديرها الشرعية و الواقعية.
الغلاة بكل أنواعهم إذا تأملتَ أحوالهم وعقولهم سكارى ولذلك تتهادى الأمة من حائط لآخر.
مبحث السكر تجده في " الاستقامة" لابن تيمية.

مراتب العلماء

ترتيب العلماء(بعد الصحابة) ليس قضية شرعية سمعية، ولا عقلية؛ بل هو اعتبار تاريخي فقط له أسباب عدة، فلا مانع من أن يكون بعض المتأخرين أعلم من بعض المتقدمين ،أوسع علماً، و أدق نظراً، و أمتن تحقيقا و أكثر إحاطة بمقاصد الإسلام، فإن ما يعلمه أحدهم من الباطل إذا اعتبره بالكتاب و السنة زاد في معرفته بالحق ما لا يحصل لغيره.

فالبدعة إن كانت هناك بدعة أن تجعل مرتبة العالم بين العلماء قضية شرعية.

منهج ابن تيمية

لم أخاطب سلفيا من طلبة العلم حتى من المعتنين بكتب ابن تيمية إلا وجدتُ عنده عجزا في فهم منهج الرجل أو بالأحرى مشروعه، و أحسنهم حالا من يقول :

"مشروعه حماية عصمة النص و إحاطته من كل جهة بما يبقيه المصدر الموثوق الوحيد في العلوم الإلهية".

وهذا فهم صحيح لكنه غير دقيق، لذا في الأسبوع القادم ـ بحول الله ـ ستجدون تسجيلا أحدثكم فيه عن المناهج السلفية، وهي و إن كانت منهجا واحداً لكنها في التفاصيل متعددة ،أكشف لكم من خلاله و بمعونة الله بطريقة مختصرة في جملة واحدة مفيدة ما لم يفهمه كثير من السلفيين من مشروع ابن تيمية، ثم أدلِّل على هذا المشروع بأدلة القرآن و السنة و الفطرة كما بسطها المعني.

وهو من أحسن المواضيع العلمية به تعرف طبيعة الصراع الخفي الوهمي بين اتجاهين داخل السلفية سببه الرئيس الجهل بمشروع ابن تيمية ـ رحمه الله ـ لتفرُّق الفهم،حتى عند كثير ممن يلهج باسمه، ويكثر النقل عنه مع ذكر الأسباب التاريخية و المعرفية وغير ذلك.

على قناتي على النيوتوب....

شجاعة الحقيقة: الصراحة

بسم الله الرحمن الرحيم

أعجبني ما نشره أحد المحبوبين المحترمين في نفسي كثيراً،ورأيتُ في منشوره سبباً لكتابة هذه السطور...

نِضال الجماعات الإسلامية الثقافي أو الفكري الذي نُسميه في اصطلاحنا الإسلامي " الدعوة" لا يزال غالبيته يدور في مضمار مُغلق بحيث يقوم على الدعاية فيما بينها للفوز بمزيد أتباع.

هي دعاية وليست دعوة لأنه خطاب مكوَّن أساساً من النقض وليس من النقد، أداته الأساسية: "تشويه المخالف و شيطنته بكل وسيلة ممكنة"، يجعل الاختلاف حول جزئية سبباً لإدانة عامة مستغرقة لكل أقوال و أفكار المخالف، افترض وحدة الفهم فلم

يُفرِّق بين مجال تعدُّده وحقيقة تفرُّقه.
غرق في ميكانيزمات تعبيرية قديمة صاغتها لغة السِّجال المملوءة بفلتات الغضب و كلمات التنفير و النعرات، بينما اللغة بطبيعتها سلسلة تسمح بسهولة نقل القضايا العلمية بدون مؤثراتها الجانبية الشرسة.
و لأنه خطاب فارغ من معايير شرعية تعمل على دقة المفهومية، وتضع معايير التعايش بين هذه الجماعات و الطوائف أصبحت أكبر نقطة التناقض عندها ـ فيما يبدو ـ تحوُّل الجهد الدعوي إلى شيء واحد هو: فرض نفسه على غيره على أنه الشكل الوحيد اللائق بالمسلمين ثم دخلوا في لعبة الخصومة التي تحوَّلت في نهاية المطاف إلى إرادة احتكار الصوابية في كل شيء فتولَّد عن هذا ما نعرفه جميعاً :العداوة بلا عقل ولا خُلق: عداوة الوحش.
نحن في هذا العصر ـ في الحقيقة ـ محاولات لتصورات فردية ذاتية أو لشخصية علمية أو دعوية ما تتمثل السلف على أنهم النموذج دون أن تحسم قضايا منهجية كبيرة كـ:شروط الاعتداد العلمي بالسلف هل يكتسب القول الصوابية لأنه مِن زمن السلف أم لأنهم أجمعوا عليه؟
وما معنى أن يكون موافقاً للكتاب و السنة هل كما تظهره الأدلة لنا، أم يجب أن يكفله رجلٌ من السلف؟
كيف نتفاهم و نحن نعاني مِن أزمة اصطلاحية شديدة كما ـ مثلا ـ في مسائل " الأسماء و الأحكام " أكلوا بعضهم بعضاً في معركة" شرط"، " كمال"، " ماهية"، "مركب"، " تلازم"، " جنس"، «مطلق"، "واجب"... الخ.
نتكلَّم بعبارات مختلف في مدلولاتها، متعدِّدة الاستعمال كمن أخذ لفظ مِن القرآن و تتبعه ثم قال: هذا اصطلاح القرآن، فإنه في هذه الآية بهذا المعنى، وفي تلك بالمعنى الآخر؟
وهذه لغة القرآن و ليست اصطلاح القرآن، إلا إذا قصدنا المعنى العام لكلمة "اصطلاح"، إذا الاصطلاح لغة خاصة تواطأ عليها أهل فن، و إلا فإنَّه لكلِّ شيء، لكل مفهوم، لكل حقيقة كلمة، واللغة ليست كائنا جامداً فباستمرار تختفي كلمات وتموت مقبورة في بطون المعاجم، و تظهر أخرى جديدة، فالعالم يتغيَّر و اللغة تتطوَّر،ونحن بحاجة في علومنا الشرعية إلى توحيد الاصطلاحات الشرعية حتى

نحدِّد المفهوم بدقة متناهية، فنختار الأكثر مطابقة للحقيقة الشرعية، الأكثر استعمالا عند المسلمين ،و الأوضح لهم.

فإن لم نفصل في هذا القسم فكيف بالمصطلحات الفكرية المتولدة و الجديدة؟

نحن أمام أزمة حقيقة ، هل معايير الحقيقة أخلاقية أم علمية ، أقصد أن أداة التدخُّل في الحقيقة علمية لكن تركيبها أخلاقي نفسي، فنحن نعرف أن للحقيقة شروطا علمية وشروطا أخلاقية،فالشروط الأخلاقية للوصول للحقيقة هي: الفضول ـ القرار و الإصرار ـ الإرادة ـ الشجاعة اللازمة للوصول للحقيقة.

و نحن نعاني العجز في القسمين، ففي الشروط العلمية لا نُفرِّق بين الشروط الصورية و بين الشروط المادية الواقعية [مفصلة في مقالي " العيش في الحقيقة" القادم في افتتاحية الموقع الجديد].

لاشك أن بعضنا يعرف الحقيقة في كثير من المسائل، وعنده الشجاعة ليبحث عنها لكن هل عنده الشجاعة ليصرِّح بها ؟

هذا ما يجب أن نبدأ به: الصراحة، الكلام بالحقيقة كما هي، كما ندركها، فالصدق أن تجمع بين الصراحة و الأخلاق، وبين الصراحة و الحياة، يجب أن ننقل فعل "الكلام بالحقيقة" من حلبة الحسابات و التكتلات والحزبيات إلى حلبة الحقائق العلمية المحايدة.

المسلم العالم أو طالب العلم الذي أدرك أنه يمكن أن يصادق شخصاً و يخالفه، أن يحب شخصاً و يخالفه، هو الكشَّاف الذي يتقدَّم الجيش، يرى بعيون أخرى ما بعد منظور عامة الناس الذين حبستهم الطائفية بمعناها المذموم عن الارتقاء إلى مستوى المشاكل العويصة التي غرقت فيها عقولنا، قال ابن حزم في " رسائله"2/113 :

طلحة بن مصرف وزبيد اليامي صديقان متصافيان، وكان طلحة يقدم عثمان، وكان زبيد يقدم علياً، ولم يتحارجا قط.

داود بن أبي هند إمام السنة وموسى بن سيار من أئمة القدرية: كانا صديقين متصافيين خمسين سنة لم يتحارجا قط.

سليمان التَّيمي إمام أهل السنة والفضل الرقاشي إمام المعتزلة : كانا صديقين إلى أن ماتا متصافيين، وتزوج سليمان بنت الفضل وهي أم المعتمر بن سليمان .

فكيف بمصادقة سني لِسُنِّي ؟

لا يمنع حدوث التغيير المنشود ـ في جميع المجالات ـ إلا مثالية خيالية جامدة، لا وجود لها إلا في عقول من يعتقدها، مانعة لكل سلاسة فكرية اجتماعية أو سياسية،فالأمم تعاني ما نعانيه عندما تجمد سلطتها السياسية ، و يجمد مجتمعها،لجمود فكرها.
المشكل عميق ... و أوضح مظاهره السطحية: فساد الطباع و شراسة الأخلاق وذهنية عامية..

السَّلفِيَّة المعاصِرة ربانٌ بِلا وِجهَة

الإشكالات المعرفية و الإجرائية للرُّجوع إلى ما كان عليه السَّلف الصَّالح؟

بسم الله الرحمن الرحيم
قد نستشف من بين خيوط الدخان المتصاعد من الصِرّاع و الصدام الطائفي بين المسلمين، الذي وصل إلى مرحلة التشبُّع ملامح مرحلة جديدة، فالناس في نهاية المطاف سيملون، و لأنَّهم يطمعون في الحياة الآمنة، وفي الاستقرار و العدالة الاجتماعية ، فإما يهجرون الأرض المحروقة، و إما يتدفَّقون نحو كل فكرة تُقزِّم الطائفية .
وفي هذا الهرج و المرج الذي مسَّ جميع مستويات الحياة يرى جمهور السلفيين أنَّ الأوضاع "طبيعيةٌ !" ، و أنَّ الحل و الخلاص هو الرُّجوع بالأمَّة إلى ما كان عليه السَّلف الصالح كأنَّ عصر السَّلف لم يشهد قتالاً وتناحراً على الحكم؟
ومِن حقِّ المسلمين أنْ يسألوهم عن أي عصرٍ يتحدَّثون،فإذا كان السَّلف أنفسهم و أقصد بدايةً مِن التابعين ـ ألصق النَّاس بالصَّحابة وأعلمهم بهم ـ عجزوا عن الحفاظ على المنهج النَّبويِّ الراشدي في الحكم و السِّياسة؟
ويكذب على نفسهِ وعلى النَّاس من لا يقرُّ إقراراً علميًّا معرفيا أو مِن شاهد التجربة البشرية التاريخية أنَّه بفساد السِّياسة تفسد الحياة الجماعية و الدِّين الجماعي كما قال أبو بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ فيما رواه البخاري في صحيحه للمرأة الحمسية لما سألته: (ما بقاؤنا على هذا الأمر الصالح؟ قال: ما استقامت لكم أئمتكم) {3834}.
فكيف نعود جماعياً ـ كمجتمع و كأمَّة ـ إلى ما كان عليه الصَّحابة مِن الدِّين عقيدةً و أحكاماً و سلوكاً ـ عِلما و حالا ـ بدون أنْ نعود إلى ما كانوا عليه في العهد الراشدي

سياسيًّا مِن العدل و إقامة الحقّ و الشورى؟
هذا خللٌ رهيب في التصوُّر إذ يفصل بين العلَّة و المعلول، بين السَّبب و النتيجة،فإنَّنا عندما نقول: "جماعة أو مجتمع أو أمَّة" فإنَّنا نتحدَّث عن كيان سياسي، عن صفةِ التجمُّع التي تقتضي إمَّا الفوضى، و إمَّا الوحدة تحت الحكم المركزي ،وهذا الحكم إمَّا يكون راشداً و إمَّا يكون غاويا،ليس هناك وسط.
فالدِّين الجماعي الصَّحيح يستلزم جماعة تحت سياسة صحيحة، فعلَّة الصَّلاح الجماعي في كلِّ شيء السِّياسة الجماعية الصالحة، فمتى فسدت السِّياسة التي تنطوي تحتها الجماعة فسد المفهوم الجماعي.
ولهذا كان المشروع السَّلفي المعاصر ـ في حقيقَتِه ـ مشروعاً لفرد بمعزل عن الجماعة، وهذا ينسجم جداً مع نظريتهم في الهجر و التحذير و مفاصلة المخالف، وكذا مع نظرتهم للعمل الجماعي، وموقفهم مِن السِّياسة، مما يقود في نهاية المطاف إلى العيش في هامش المجتمع.
لذا يصحُّ أنْ نقول: لا يملك جمهور السَّلفيين للأمَّة مشروعاً دينيا أو اجتماعياً أو حضاريا.
و إذا جئنا إلى الإجراءات العمليَّة التي يؤمنون بها للتحوُّل بالأمَّة إلى ما يُسمونه " ما كان عليه السَّلف الصالح" نجدها عند شطرٍ منهم هي: قتال المخالف فإمَّا يدين بالقوة، و إمَّا يُباد ،وعند الشطر الثاني ـ وهم أخف وطأةً على الأمَّة مِن السَّابق ـ هي: فرض "رؤيتهم" على المخالف بالعقوبة كـ الهجر و القتل الأدبي و التَّشويه و المفاصلة من كلِّ وجه.
وهكذا يُبالغون في تصوير المخالف ـ الذي وفقاً لِلقسمة الكبرى " السياسية" يقع ضمن مجال السُّنَّة أو في حواشيها ـ على أنَّه العدو الأساسي فيأخذونه باللوازم التي تصبُّ مباشرةً في التَّكفير أو التَّضليل حتى يسلخون عن عقولِ أتباعهم أية صورة ايجابية لهذا المخالف،فيُخيل إليه استحالة التعايش و التعامُل مع هذا المخالف !
وهكذا يعيش المسلمون في بلدٍ واحد ومدينة واحدةٍ في جُزر مُتنافرةٍ كأنَّهم دولٌ متعادية متحاربة لا يجمع بينها شيءٌ مشترك:مِن عقيدة، وشريعة، وقيم، ولغة، و تاريخ، و جغرافيا، ومستقبل؟
لنفحص الرؤية العامَّة لِلسَّلفيين المتمثلة في أنَّ خلاص الأمَّة يكون ضرورةً بالرُّجوع

إلى ما كان عليه السَّلف الصَّالح لنتعرَّف على قيمتها المعرفية و الواقعية، و لنبدأ بالإجراء المعرفي، أمَّا السِّياسي و الاجتماعي فقد ناقشتُه في مقالي: "العيشُ في الحقيقةِ في عصر الأوهام الجماعية".

عندما يتكلَّم السَّلفي المعاصر عن السَّلف الصَّالح ـ و بالضبط عن الصَّحابة ـ فإنَّه يُفضِّلهم على كلِّ طبقات المسلمين، وفي كلِّ شيء، وليس في هذا أي إشكال، لكنَّه عندما يريدُ الاستدلال على ذلك ، على أنَّ علمهم أكمل و أتمُّ و أفضل يقول: الفرقُ بينهم و بين غيرهم أنَّهم أدركوا علومَ الغاية بدون الحاجة إلى علومِ الوسيلة ، فالصحابي لا يحتاج إلى كتب "التَّفسير و اللُّغة و النَّحو و البلاغة" ليفهم القرآن؛ ولا يحتاج إلى "أصولِ الفقه و مُصطلح الحديث" ليعرف الأحكام الشَّرعية و أحكام الأفعال،فهي علومٌ و إنْ لم يتكلَّم فيها أو لم يدوِّنها كانت عنده.

وهذا مفهوم معقولٌ إذ القرآن نزل بلغتِه، و النَّبيُّ صلى الله عليه و سلم كان يتكلَّم بلغتِه، و يعيش معه إنْ لم يسمع منه كلمةً رأى منه فعلا ومشهدًا.

فالصَّحابي لم يعرف اللُّغة الخاصَّة "اللُّغة الاصطلاحية" ولا احتاج إليها، فالكلام كان باللُّغة التي يعرفها ونشأ عليها، يفقهُها بدونِ جهد و استحضار قواعد، فكانت لغة الدِّين لغة عامَّةً، وهو ما نُسميه في هذا العصر" وحدة اللُّغة ،أو وحدة المصطلح".

لكن هذه اللُّغة تحوَّلت ـ فيما بعد ـ بفعل حاجةِ المسلمين إلى علوم الوسيلة إلى لُغة خاصَّةٍ يتكلَّم بها أناسٌ خاصُّون هم العلماء.

ومِن هنا كلما ابتعدنا عن عصر الصَّحابة ازداد الخلاف حول المدلولِ و المراد، و توسَّع التَّفرُّق بتعدُّد المصطلحات، و لم تنعكس العملية أبداً حتى في أزهى عصُور الحضارة الإسلامية: في زمنِ كبار الأئمة و العُلماء ، فهذه العمليَّة العكسية ليست موجودة إلاَّ في ذهن السَّلفي، على ما يُعانيه مِن تضاد التَّصورات داخل جماعته، و السُّؤال حينئذ هو:

تريدُ أنْ ترجع بالأمَّة إلى ما كان عليه السَّلف الصالح في أيِّ شيء: في السِّياسة، في العقيدة، في القيم و الأخلاق، في الأحكام الشَّرعية، في المنهج المعرفي؟

وكيف يمكن أنْ يكون المتأخِّرون كالسَّلف الصَّالح وبينهم كلُّ الفروق التي ذكرتها خاصَّة المعرفية و الإيمانية ،فضلاً عن الطبيعية التي كانت لدى العربي القديم كـ قوة الحافظة ، وصفاء الذهن،و اللُّغة السليقية واختلاف البيئة،و الزمن،و المؤثرات

الخارجية،وضرورات الدولة،و غير ذلك، فأنت أمام حاجزٍ طبيعي ليس بمصطنع؟ كيف يمكن أنْ تعود إلى لُغةٍ لا يتكلَّم بها المسلمون المعاصرون، وهم مشتتُون بين الدلالة المعجمية و الدلالة السياقية، و أنت تُعاني مِن اختلاف الاصطلاح و تعدُّده، فإنْ لم تحسم معركة المصطلح لا يمكن أنْ تعود بالأمَّة إلى العقيدة التي كان عليها السَّلف الصَّالح.

و لتحسم إشكالية المصطلح التي هي أصل إشكالية "الظاهر، و المراد، و التَّأويل، و التَّفويض" عليك أنْ تعود بمعركة المصطلحات إلى منبعِها وهو:التأثير الخارجي، وطبيعة العلم التراكمية على الثقافة الإسلاميَّة، فإذا تطوَّر العلم الإسلاميُّ الشَّرعي طبيعياً إلى مصطلح الحديث، و أصول الفقه،و الفقه بمذاهبه و غير ذلك كيف لا يتطوَّر في الاتجاهات الأخرى ايجابياً مِن خلال تنظيم مسائله و تبويبها، و شرح قضاياه ، وكل ما يحتاجه المسلمون بعد عصر الصحابة مما يتولَّد عنه: التعقيب و الاستشكال و النقد لاختلاف المدارك و ظنية بعض المسائل، و سلبياً بالاحتكاك بالثقافات الأخرى؟

فهذا السَّلفي المعاصر لا يزال يحلم تحت تأثير اقتباسات مشوَّهة مِن تاريخ أهل السُّنَّة، أو عدم تحقيق لمذاهب كبار أئمتهم بسببِ خللٍ فادح في الموقف مِن العلوم الدقيقة، بحيث لم يُميز كثيرٌ منهم بين حُكم هذه العلوم الدقيقة في القرآن و السُّنَّة الذي يُفرِّق بين جنسها ونوعها،و بين مَن يعتبِرُها بالقرآنِ و مَن يأخُذها مجرَّدة عن هذا الاعتبار فيُسلم معارضة الدَّليل العقلي الصَّحيح و الإلهام الصادق للدَّليل النقلي،وحاجة بعض النَّاس إليها ـ كما سأفصِّله لاحقاً في مقالٍ مستقل ـ أنَّ معركة المصطلحات المتجدِّدة يفضُّها ذمُّها و النَّهي عنها؟ !

وهو أصلاً غارق فيها، إذ يُسلِّم لهم بتقسيمات اصطلاحية،هي في حقيقتِها مخالفة للحقيقة الوجودية و الشَّرعية كـ التَّفريق بين الدَّليل الشَّرعي و العقلي، وما تفرَّع عنه مِن تقسيم الدِّين إلى أصولٍ و فروع أثرَّت سلباً على قضايا علميَّةٍ بالغة الخطورة كـ "تصويب المجتهدين، و التشابه و الإحكام، و العذر بالجهل، و شروط الحقيقة "و غيرها.

فهذا السَّلفي اتَّخذ موقفاً سلبيا مُمانعاً مِن هذه المصطلحات لكن دون أنْ يعي حقيقَتها، فهو إنْ لم يتأثَّر بها تأثيراً مباشرا فقد تأثَّر بها تأثيرا غير مباشر، بحيث أقرَّ

الاستعمال، بل هو يُعاني في أكثر العلوم شرعيةً "الفقه" مِن تعدُّد الاصطلاح و اختلافه بين المذاهب السُّنِّيَّة نفسها.
المهمُّ، هو مُدركٌ بأنَّه لا يمكن لِلمسلم المتأخِّر أنْ يكون كالصَّحابي في العلمِ و المعرفة، و أنَّه حتى في المجال السِّياسي تمَّ التخلي عن النموذج النَّبويِّ في عصرِ صغار الصَّحابة، حينما غلبهم التَّابعون الذين يعدُّهم السَّلفي سلفاً؟
إذاً نحن أمام تصوُّرٍ ضد طبيعة الأشياء، أي: قوانينها الكونية، لم يُحدِّد ماهية هذا الرُّجوع إلى ما كان عليه السَّلف ،و لا الإجراءات المعرفية السابقة لكلِّ مجال آخر مهما كانت قيمته،لأنَّنا أمام وضع معرفي و سياسيٍّ مُمتد مِن عصر الخليفة الراشد علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ إلى يومنا هذا يسيرُ في اتِّجاه واحدٍ يريدُ السَّلفي المعاصر أنْ يعكِسه دون أنْ يُميز بين المصطنع الذي يمكن معالجته و كيفية معالجته، و بين الطبيعي الذي يدخل في تطوُّر الأمم و انتقالها لاختلاف الأزمنة .
إذاً نحن أمام فكرٍ في أزمة المحافظة على الهوية الصَّحيحة" الأصالة" و التعامُل مع واقعٍ جاءه من الأيام الأولى للإسلام عندما ظهر القول بالقدر و الخروج و التشيُّع و الإرجاء و التَّخلي عن خلافة النُّبوة.
نحن أمام رؤيةٍ سطحية جزئية لا تملك نظرةً شاملة تستجمع كلَّ الأبعاد الداخلة في تكوينِ الإنسان و صناعة المجتمعات وبلورة المذاهب ، لا يريد أنْ يتعاملَ مع واقعٍ موجود في الأمَّة مِن زمن صغار الصَّحابة إنَّما مع الوقت ازداد شدَّةً كالماء كلَّما ابتعد عن المصدر قلَّ صفاؤه، و كالموجة كلَّما ابتعدت عن المركز ازدادت اتساعاً، يعني: نحن أمام فكرٍ يعيش في حلمٍ لا يستمد ملامحه مِن حقائق تاريخية ،بل مِن تصوُّرات ذاتية سببُها عدم منهج علمي لدراسة التَّاريخ السِّياسي و المعرفي دراسة شاملة ،ومعلومات فسيفسائية مختلفة الأشكال تُعطي بِجمعها صورةً مغلوطة .
فأمام مُشكلة العقيدة:معركة المصطلح ، و أمام مشكلة السِّياسة:الطائفية العرقية و المذهبية إضافةً إلى تحديات العصر ،وهذه كلها تعود بالضَّرورة إلى الإشكال المعرفي،فلم يبق إلاَّ مجال القيم الأخلاقية و الأحكام الشَّرعية بما فيها العبادة، فخطبها أهون و طريقها أسهل بالمقارنة بمشكلة العقيدة و المنهج المعرفي لأنَّها فردية، ولم يطرأ عليها تبديلٌ شامل.
و إنَّ العاقل ليعجب مِن الفكر السَّلفي المعاصر: في كلِّ يوم يمرُّ عليه يزداد الحبل

الذي يُمسك به الأمَّة طولا، وهو مستمر في طريقة إمساكِه و الحبل يكادُ ينفلت مِن يده، ومع ذلك يُظهر لامبالاة عجيبة، ربَّما تلمسها في مؤسَّساته الإعلامية وطريقة عملِها ، بحيث يُعاند الحقائق،و يُديرها بفهم سطحي ساذج بسبب اختلافات فقهية مذهبية زائفة ،يعني: يريدُ أنْ يتوجَّه إلى المجموع بتصوُّرات شاذة عند هذا المجموع،يقول: لا يهمُني إنْ اقتنع النَّاسُ أو لم يقتنعوا، أنا باقٍ على طريقتي؟ !

و السُّؤال حينئذ: ما الحاجة إلى العمل الإعلامي إن كان إقناع النَّاس لا يهمُك، فعندما تهشِّمُ رأسك على صخرةٍ فالمشكل في عقلِك وليس في الصخرة؟

دائماً يشكُّ في النَّاس، و يتهمهم ولا يتِّهم عقليته وفكره ، الصواب بكامل الأوصاف عنده في جيبه.

مشكلته في الاتِّصال و التواصل مع النَّاس مُصيبة كبيرة حلت بالمسلمين ،ربما أشبه مثال له هو العطشان الذي يشربُ الماءَ المالح، فهو ـ بلسانِ حاله و طبيعة الأشياء ـ يبحثُ عن الانتشار و التوسُّع لكن بالنَّظر إلى فهمه و تصرفاتِهِ كأنَّه يريدُ الانتشارَ في فراغٍ يشبه الفراغ الفضائي بين الكواكب بينما هو يعيش في مجتمعات مملوءة مزدحمة متخنة بأفكارٍ معارضة لفكرِهِ أو معادية له، و المساحات مشغولة بالمخالفين فكان مِن المفروض عليه ـ هو حامل الحقِّ وطبيب الأمَّة المبدلة المبتدعة ـ أنْ يُطوِّر علاقته بهم ايجابياً جعلها سلبية في كلِّ شيء: في نوع الخطاب، في مادَّتِهِ، وفي شكله، فبدلاً مِن أنْ يعملَ على تقوية العلاقة بـ "التقارب و التعايش مِن خلال التدافع الفكري الهادئ، و تثمين الصواب، و إبراز المشترك، و بناء جسور الثقة ثمَّ الاشتغال على المنهج المعرفي بعيداً عن مخلفات الطائفية و المذهبية السلبية لأنَّه متى حصر المسلمون نقاشهم في المنهج المعرفي اضطروا إلى تدقيق الاصطلاح، و بالتالي تجاوزوا سلبيات الطائفية، راح يُشنِّع و يتهجَّم و يذمُّ وحوَّل المخالفين إلى أعداءٍ، لا همَّ لهم إلاَّ القضاء عليه، و تحجيمه، و إخراجه مِن مركز الصورة .

المهمُّ إن كان هناك مَن يسيرُ نحو الجدار بسعادة عارمةٍ فهو السَّلفي المعاصر، و المصيبة أنَّ مَن هم أقل منه انضباطاً بالشَّريعة، و أقل تمسُّكاً بعصمة النصِّ و أحوال الصَّحابة أوعى منه بمتطلبات الدَّعوة ومعايير وجود الأمَّة لا معايير كمالها، بل مِن الجماعات مَن لا تكاد تظفر لها بوجودٍ حقيقي في المجتمع لها تأثيرٌ على هذا المجتمع أكثر من تأثير السَّلفي.

لم يُدرك بعد أنَّ المجتمعات تحيى و تنمو عندما تتفاعل فيها مختلفُ مكوِّناتها ،فالحياة حركة، و أهم أنواعِ الحركات التي تَبني الأمم حركة الأفكار ، و الأفكار لا تتحرَّك وتكتسب المساحات إلاَّ بوجود صفتين في أفرادِ هذه المجتمعات خاصَّة في المهمومين بمصيرها و حالِها، أو الذين يعتقدون أنَّهم مسئولون على إصلاحها هي: "التبادل و المشاركة".

يجب أنْ تبادل مَن يعيش معك و ينتمي إلى أمَّتك ودولتك أخلاقاً مشتركة، و اهتمامات مشتركة وعملا مشتركا، كما يجب أنْ تشاركه العلمَ و المعرفة الصَّحيحة التي تحملها، و بناء الدَّولة و الأمَّة بما سبق وبيَّنته، وليس بالسبِّ و الذمِّ و الشيطنة.

على كلٍّ نفصِّل "التبادل و المشاركة" في مقالٍ مستقل ـ إن شاء الله ـ يأتي بعد مقالٍ عن حكم العلوم الدقيقة في القرآن و السُّنَّة بعيداً عن اضطراب السَّلفيين فيه...

أفكار ميتة و أفكار مميتة

بسم الله الرحمن الرحيم

كما كان مالك بن نبي ـ رحمه الله ـ يقول..

عندما تقع حوادث مثل التي وقعت في فرنسا لا يجب ـ من باب الكياسة ـ أن نشرع في تذكير الناس بجرائم فرنسا و عدائها للمسلمين و تلاعبها ببعض الجماعات المغالية في العالم الإسلامي فإن هذا من قبيل تبرير الفعل الذي لا نجد له في الشريعة أي مبرر حتى على أساس أشد المذاهب غلوا و تطرفا فهو محدث من كل وجه،فالقتل غدراً لمن لم يقاتلك و خارج أرض المعركة حيث لا حرب بيننا و بينهم و بدون تعيين المقتول بحيث يرمون بالرصاص و يفجرون أناساً مجهولين لهم فقد يكون هذا المقتول مسلماً و قد يكون رافضا لتدخل بلده في الشام لا رائحة له في الشريعة.

وكما في الحديث"لَا تمثلوا وَلَا تغدروا وَلَا تقتلُوا وليدا" و قوله:{لَا تَقْتُلُوا شَيْخًا فَانِيًا وَلَا طِفْلًا صَغِيرًا وَلَا امْرَأَةً} إلى غير ذَلِك مِمَّا أمر بِهِ من َترك الْعدوان ، هذا في أرض المعركة فكيف في غيرها؟

فهذا دم بريء يسأل عنه يوم القيامة.

و ما تفعله الدول الغربية في عالمنا الإسلامي من الظلم و التعدي لا يبرر قتل شعوبها غير المحاربة في وطنهم فمن العدل الواجب- كما قال العلماء- أن الظالم لا يجوز أن يُظلَم، بل لا يُعتدَى عليه إلا بقدر ظلمه، كما قال تعالى: (وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ

وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ، وقال: (فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ) ، وقال تعالى: (وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ وقال: (وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى) ، وقال: (وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا) .

وعلى هذا التعليل الفاسد المحدث يتحمل المسلمون جريرة ما تفعله دولهم المشاركة في التحالف الذي يقصف في الشام و العراق، فيجوز قتل السعوديين و القطريين و الأردنيين و الأتراك لأجل ذلك.

كما يجوز قتل الجزائريين و التونسيين و المصريين و السوريين و العراقيين و الامارتيين وغيرهم لان دولهم تقاتل هذه الجماعة على أراضيها و تتعاون ضدهم مع الغرب استخبارايا ؟

لستم في حاجة لبحث هذه المسائل فقهيا فهي واضحة البطلان و الفساد وهي جرائم شنيعة تنسب زورا للإسلام و بحثها بهذا الشكل يعطيها قيمة لا تستحقها ، فمثل هذه الأعمال ـ بدون بحث تأثيراتها على المسلمين المقيمين في الغرب وغيرهم ـ لا تستحق إلا الإدانة.

فهذا المسلم الذي لجأ إلى فرنسا ويقيم فيها و استفاد منها أمنا و حقوقاً لا توجد في أفضل بلاد المسلمين غادر لو نزلنا إلى فهمه لكان عليه أن يذهب حيث يقاتل جيشها و يقاتله هناك لا أن يقتل آمن لم يقاتله ولا يعرفه{وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ} [البقرة: 190] ، وكما قال السعدي رحمه في (الفتاوى السعدية)(94): ((بلاد الكفر نوعان: بلاد حرب و اضطهاد و بلاد عهد وهدنة و أمن)).

ولو سايرنا هؤلاء لقلنا لهم: حتى على فكركم لا يجوز مثل هذا العمل في شريعة الإسلام، فإن كنتم تقاتلون فرنسا في الشام في العراق فإنه يوجد مستضعفون في بلادها لا يجوز لكم بأي حال أن تتسببوا لهم في الأذى قال ابن تيمية في (الصارم المسلول)(1/226): ((فمن كان من المؤمنين بأرض هو فيها مستضعف ،أو في وقت هو فيه مستضعف ، فليعمل بأية الصبر و الصفح و العفو عمن يؤذي الله ورسوله من الذين أوتوا الكتاب و المشركين ،وأما أهل القوة فإنما يعملون بأية قتال أئمة الكفر

الذين يطعنون في الدين و بآية قتال الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون)) هذا في السب فكيف في غيره؟
وأنا هنا أتحدَّث عن الأمة و الدولة الإسلامية لا عن الجماعات المقاتلة من تلقاء نفسها في غير جماعة المسلمين وإن سمت نفسها "دولة"، فهذه فاقدة لشرعية وجودها فضلا عن شرعية قتالها للناس
من جهة أخرى :الأولى أن ننبه المسلمين إلى أشكال الإدانة الشرعية التي لا تخل بعقيدتهم كإظهار محبة فرنسا و نمط حياتها ،ورفع أعلامها في غير قنصلياتها في بلادنا وغير ذلك و الله اعلم.
هذه الأعمال و إن تشبثت بشبهات هي في الحقيقة فكرة ميتة قالها بعضهم و صرف النظر عنها المسلمون منذ قديم الزمان هي أن الكافر مالٌ للمسلم و يقتل لمجرد كفره ،وهي في الوقت نفسه مميتة أسرع نتائجها وويلاتها أنها قدمت خدمة لنظام الأسد و تحالف الشيعة لا مثيل له فإن الغرب أدرك أن اللعب بالنار خطير، و أنه لابد من حرب حقيقية على هذه الجماعات وفي الأظهر لن يرسل أبناؤه لذلك بل سيدعم الجيوش التي تقاتلهم..

شجرة الموضوع الإسلامي؟

بسم الله الرحمن الرحيم
<u>للتفكير :</u>
لا يمكن أن نُصلح أخطاءَ اليوم بدون الرُّجوعِ إلى الوراء لنتناول الموضوع الأكثر عمومية بالنِّسبة لقضايا الأمَّة بعيداً عن قضايا جماعة مِن الجماعات،هو: الاهتمام بشجرةِ الموضوعات و ليس بِالغصن المتفرعِ عنها، فما هي شجرة الموضوع الإسلاميِّ التي أثمرت الحركة الإسلاميَّة المعاصرة، وقبل ذلك المذاهب و الطوائِف الإسلاميَّة؟
: سبب ظهور الفرق و الطوائف كان في غالبيته سياسيًّا كما عند الخوارج و الشيعة، و معرفياً فكريا إسلاميًّا خالِصاً، يعني: مِن غير تأثير خارجي كـ القول بالقدر و الإرجاء...الخ.
فنحن هنا بين أسباب سياسيَّة و أخرى فكرية، بينما سبب ظهور الجماعات الإسلاميَّة

المعاصرة كان سياسيًّا بالنِّسبة للإخوان، هو: "ضَعف الأمَّة وخروجها مِن الواجهة".
و بالنِّسبة لِلسَّلفية كان معرفياً هو: " الانحراف عن الفكرةِ الأصيلة أو الأصلية" لكن الانحراف بدأ مبكراً فالفكرة السَّلفية إذاً قديمة بقدم الانحراف لكنَّها غير مرتبطةٍ بالعصر إلاَّ في حدود إدراجها العلمانية في الانحرافِ الفكري، فهي مرتبطة بالسِّياسي لكن عقائدياً، يعني: بنظرة عقدية للحكم ، لذلك لا يهمُّها الحديث عن وظيفة الدَّولة التي هي رعايةُ مصالح المسلمين بالعدل و إقامة الحقَّ ،و كيفية تشكيل الحكم بِالشورى و الاختيار.
و الخلاصة أنَّ الأفكار الإسلاميَّة المعاصرة المهيمنة هي: "فكرة السِّياسية أو الحكم" عند الإخوان وهو تصوُّر للإصلاح الجماعي للفرد، وفكرة "المعنى أو أصالة الفكرة" عند السَّلفية، وهي تصوُّر للإصلاحِ الفردي للجماعة؛ يجمع بينهما التعلُّق بالشَّريعة لكن الإخوان ومعهم التيَّار الجهادي يجعلها أولوية،بينما السَّلفي يعتبرها نتيجةً يمكن تأخيرها لتحقيق أسبابِها العلميَّة و الثقافية.
و التيَّاران يفرضان لـ"فكرة الحكم و الدَّولة" و "فكرة المعنى" حدوداً مُنغلقة على تفسير خاصٍّ بهما نحاول نتجاوزها بتحليل شجرة الموضوع الإسلاميِّ بدراسة مركَّبات الموضوع مِن خلال التاريخ الذي أوصلنا إلى التصوُّر الإسلامي المعاصر.
هذا المشروع يستدعي بدايةً نفس أدوات المؤرِّخ عندما يسأل عن تاريخية الموضوعِ إلى اليوم انطلاقاً مِن المعرفة التطبيقية التي تشكَّلت في هذه الجماعات المعاصرة فاكتشاف حقيقة رؤيتهم ، "الإخوانية و السَّلفية "يكون بتحليل المشاكل التَّاريخية الملموسة التي كانت سبباً لها .
... نحن نقول: بدون أن يكون متموضعا في مركز اهتمامات المعاصر المادِّيَّة كما تريد الحداثة الغربية يظل السُّؤال الدِّيني حاضراً بقوةٍ في حياة المسلم المعاصرِ إلى جنب سؤالِ النهضة و العدالةِ و الدَّولة المعاصرة،وهذا مكسبٌ يجب عدم إهداره.
إنَّ الاهتمام بسؤال "السِّياسة و المعنى" المهيمن على فكر الجماعات الإسلاميَّة المعاصرةِ مرتبطٌ بالبيئة التي انبثق منها لا شكَّ في ذلك ،فهذا السُّؤال يُشكِّل في الحقيقة الجزء الظاهر على مساحةِ الفِكر الإسلاميِّ المعاصر لجبلِ الجليد الضخم الذي هو:الأفول الحضاري والصِّراع السِّياسي/الفكري المتولدِ عن البدايات الأولى لضعف الدَّولة الإسلاميَّة و احتكاك المسلمين مع الثقافات الأخرى.

... نحن نهدف إلى استكشاف الأسباب المنسية في باطنِ اهتمام الإسلاميّين في مشروعٍ فكري يحاول أن يُعيد إلى كلمتي: "إسلامي"، "سلفي" معنى جديد تخلَّص مِن سلبيات الممارسةِ و التجربة ؟

مشروع يسأل: هل نحتاج إلى إبقاء اسم "السَّلفية"؟

هل هو ضروري للدَّعوة أو للاستدلال مع ما يُعانيه مِن صراعٍ حوله، وما لحقه مِن تشوُّهات على جميع مستويات الدلالة الناضحة منه، إذ نلاحظ أنَّ بروز كلمات كـ "سلفي"، و "إسلامي" لم يكن إلاَّ بعد ملاحظة انحراف واضح في الفكر الإسلاميِّ،عندما دخلت الفكرة الأصيلة طورَ الأفول أو الانسحاب إلى الحواشي،أمَّا قبل ذلك فلم يكن المسلمون بحاجةٍ إلى التفكير بواسطة هذه المصطلحات،يعني: أنَّنا لما شعرنا أنَّ هذين الاسمين :"مسلمين" أو " أهل السُّنَّة" لم يعد دالاً على أصالة الفكرةِ، أو محافظاً على طابِعها الأصلي مما يعني أنَّ فكر جمهور المسلمين ابتعد عن عُنصره ـ لأسباب سبق و بحثناها ـ، و عنصر الفكرةِ هو المادَّة التي نبعت منها الفكرةُ الأصلية.

لكن المشكل ـ بعد التجاذب وتحويل جماعات عاملة على عودة الدِّين وفقاً لفكرته الأصيلة و بالحكم السَّياسي نفسها إلى طوائف نتيجةَ خطابها الخاصِّ و مفاصلتها للمجتمع المسلم خاصَّةً عند السَّلفيين ـ أنَّ هذين اللَّفظين "إسلامي" و "سلفي" لم يعد بالإمكان التَّفكير بهما إلاَّ في مواجهة مع اللَّفظين الأصليين "المسلمين" و"أهل السُّنَّة" يعني: في المقابل لأنَّ كلمة " سلفي" تُقصي المنتسب إلى السُّنَّة بأبعاد عديدةٍ لصالح بعدٍ واحدٍ خاصَّةً التوحيد العلمي.

وكلمة" إسلامي" تُقصي المسلم الذي لم يجعل الحكم بالشَّريعة الإسلاميَّة في كلِّ شيء مِن اهتماماته الأولى.

وهكذا وانطلاقاً مِن تأويل مُعيَّن عندما تنحرفُ الفكرة عن عنصرِها و في أفولها نحو الهامش تُعوِّض فقدانها

السُّلطة ولو الأدبية بضمانِ قيمةٍ كأداة لتشكيل وجود خاصٍّ مُتميز، و تتحوَّل في النهاية إلى ما يشبه مؤسَّسة ثقافية أو طريقة دينيَّة كطرق الصوفية لها خطاب خاصٌّ بها، يقبل البقيةُ وجودَها إلى حدٍّ ما دون أن يسمحوا لها بالتمدُّد المهدِّد لوجودهم.

وهنا يقومون و بتهيئة مِن السُّلطة بإظهارها إلى العوامِّ في قالب مصدر صناعي

"إسلامية"، "إسلاموية" الذي يبقى بينه و بين الاسم أصلي مفاوز وفروق تعمل في لاوعي النَّاس على تخريب الأسباب الحاسمة في وجودها الفعَّال.
فما يحدث مِن التَّشويه لها ـ إضافةً إلى ما تمارسه على نفسها بالأخطاء ـ ليس ثمرة لِلصدفة بل يقبع خاصَّة في الزمن المعاصرِ على سُلطة السِّياسي الذي يُقرِّر مُسبقًا ما هو مفهوم وما هو غير مفهوم يجب نبذه.
هذا الحال المشعور بهِ أكثر مِن كونه معروفاً يدلُّ على أنَّ الأفكار ينقصها الصفاء، و الأدلَّة تعاني مِن الضبابية، و أنَّ المشروع في حقيقته ردُّ فعلي آلي لم يأخذ الوقت لِلنضوج، و غلبت فيه العاطفة الحذر المعرفي،و الحقيقة النصيَّة على شروطها المادِّيَّة ،فلا يمكنها إلاَّ بصعوبة الإمساك بتنوُّع أبعادها لأنَّ جزءاً منها و هو السَّلفي يعتقد أنَّ الصرامةَ الفكرية تتمثل في شدَّةِ التركيز على النقاطِ الخلافية وفي الدقَّة المصطنعةِ الذهنية، وهي الصوابية النَّظرية المحضة التي لا تأخذُ في الحسبان الأسباب الموضوعية لِلاختلاف، ولم تقدر على فصلِ جوهر الحقيقة الشَّرعية عن تأثيرات التَّاريخ وما جلبه من تصادُم و تفاعل بين المسلمين .
إنَّ مِن أبسطِ الأخطاء أن نترك ـ بسبب بُعدٍ واحد يتمسَّك به هذا الطرف ـ الأبعادَ الأخرى المختلفة بدون أن نحاولَ دمجها كلها في بُعدٍ واحد شاملٍ.
عن مقالي في الموقع الجديد " من نحن" ....

نزاهة الرأي و الشعور في الإسلام:

الحمد لله و الصَّلاة و السَّلام على رسول الله.
قال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ}
لقد أوجب الله تعالى على المسلمين تحري العدالة مع كل محقٍّ ومُبطل في كل الأمور، وبيَّن أنَّه لا يخفى عليه خافية.
كما قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ)
وهذا يقتضي الشهادة لحقوق الناس و فيه إيجاب العدل ولو على أعز الأشياء عليه

وهي نفسه ووالديه، ومثله قوله تعالى: (وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا)
لأن النهي عن الاعتداء هو بمثابة الأمر بالعدل.
إذاً المسلم مقيَّد في جميع أحواله و علاقاته بأوليائه و أعدائه بأن يشهد بالعدل فلا يجور في أحكامه و أفعاله فمن تجاوز في حق أعدائه ما حدَّده الله له فهو ظالم جائر عاص لله تعالى متعد لحدوده فلا مجال للعاطفة هنا لأن الحق أوجب بالاتباع ولو في خلاف ما يجده في نفسه من الغيظ.
فالعداوة ليست سبباً يجيز الجور مما يعني أن عداوة المسلم للكافر ليست عداوة نفسية شهوانية حيوانية متطرفة بل عداوة مضبوطة عاقلة، وهذا أصل إسلامي عظيم به يتقرَّر ميل الإسلام إلى التعايش و السلام، فالإسلام هو الدين الوحيد الذي ينسجم مع اتجاه التاريخ برؤيته الشمولية و ميله إلى العدل في أدقِّ الأمور لقد حان الوقت أن نكون على مستواه فنضعه في إطاره الحضاري الذي جاء به.
قال القرطبي ـ رحمه الله ـ : " وَدَلَّتِ الْآيَةُ ـ أَيْضًا ـ عَلَى أَنَّ كُفْرَ الْكَافِرِ لَا يَمْنَعُ مِنَ الْعَدْلِ عَلَيْهِ، وَأَنْ يُقْتَصَرَ بِهِمْ عَلَى الْمُسْتَحَقِّ مِنَ الْقِتَالِ وَالِاسْتِرْقَاقِ، وَأَنَّ الْمُثْلَةَ بِهِمْ غَيْرُ جَائِزَةٍ وَإِنْ قَتَلُوا نِسَاءَنَا وَأَطْفَالَنَا وَغَمُّونَا بِذَلِكَ، فَلَيْسَ لَنَا أَنْ نَقْتُلَهُمْ بِمُثْلَةٍ قَصْدًا لِإِيصَالِ الْغَمِّ وَالْحُزْنِ إِلَيْهِمْ، وَإِلَيْهِ أَشَارَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ بِقَوْلِهِ فِي الْقِصَّةِ الْمَشْهُورَةِ "

قلتُ : يقصد لَمَّا بَعَثَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْرُصُ عَلَى أَهْلِ خَيْبَرَ ثمارهم وزروعهم، فَأَرَادُوا أَنْ يَرْشُوهُ لِيَرْفُقَ بِهِمْ، فَقَالَ: "وَاللَّهِ لَقَدْ جِئْتُكُمْ مِنْ عِنْدِ أَحَبِّ الْخَلْقِ إِلَيَّ، وَلَأَنْتُمْ أَبْغَضُ إِلَيَّ مِنْ أَعْدَادِكُمْ مِنَ الْقِرَدَةِ وَالْخَنَازِيرِ وَمَا يَحْمِلُنِي حُبِّي إِيَّاهُ، وَبُغْضِي لَكُمْ على أن لا أعدل فيكم، فقالوا: بهذا قامت السموات وَالْأَرْضُ".
قال ابن أبي حاتم عن زيد بن أسلم : " كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْحُدَيْبِيَةِ وَأَصْحَابُهُ حِينَ صَدَّهُمُ الْمُشْرِكُونَ عَنِ الْبَيْتِ وَقَدِ اشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ فَمَرَّ بِهِمْ أُنَاسٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ مِنْ أَهْلِ الْمَشْرِقِ يُرِيدُونَ الْعُمْرَةَ فَقَالَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: نَصُدُّ هَؤُلَاءِ كَمَا صَدَّنَا أَصْحَابُهُمْ فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ"
وَالشَّنَآنُ هُوَ الْبُغْضُ قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ وَغَيْرُهُ.
فإذا كان العدوان هو مجاوزة ما حد الله لنا في أنفسنا و في غيرنا لم يكن لنا أن نعتدي

على غير المسلمين بسبب كفرهم أو ظلم بعضهم لنا، يوضحه:
العدوان علينا قد يكون في محرمٍ لحق الإنسان فيجوز الاقتصاص عليه بالمثل كالدعاء عليه بالمثل و قد يكون في محرَّمٍ لحق الله تعالى كالكذب فلا يجوز بحالٍ،فإن قتلوا منَّا الصبيان ـ وهذا في حرب معهم واضحة المعالم تحت راية واحدة شرعية وليس في جماعات باغية على المسلمين قبل أن تقاتل الغربيين ـ أو اعتدوا على المحارم لم يجز لنا أن نقتل صبيانهم و نعتدي على محارمهم كالاعتداء بتجريع الخمر و باللواط لا يجوز القصاص فيه بالمثل .
وقد فات بعض الإخوة أن التَّشفِّي الصحيح أو المقبول لا يكون ناجماً عن فعل غير مقبول كالعدوان لأن العدوان موجب للبغض ولا يجتمع في الفعل الواحد بغض و تشف أي فرح،فلا يجوز التشفي من الكفار في كل شيء،نعم قد يكون التشفي من الكفار مطلوبا شرعاً في بعض الحالات،وهو تشف خاص لأنه يحصِّل مصلحة للمسلمين كما أخبر الله به في القرآن بقوله تعالى: {قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ}
فهنا طلب الشارع شفاء صدور المؤمنين وذهاب غيظ قلوبهم بقتال الناكثين الطاعنين في الدين وضمن للمسلمين إن فعلوا ذلك أن يعذبهم بأيديهم ويخزيهم وينصرهم عليهم ويشفي صدور المؤمنين الذين تأذوا من نقضهم وطعنهم وأن يذهب غيظ قلوبهم.
وحقيقة التشفي هي تسكين الدواعي الناشئة من القوة الغضبية يسببه نيل الثأر و إزالة الغيظ، وفي هذه الآية بعض الخصوصية للعرب ـ كما قال بعض العلماء ـ فإنهم قوم جبلوا على الحميَّة و الأنفة فلم يذكر لهم وجدان الأموال و المطاعم و المشارب فرغبهم في القتال بهذه المعاني التي جبلوا عليها و هي طلب التَّشفِّي.
و كما هو ملاحظ من الحالة هذا تشف خاص بظروف حربية معيَّنة ،وهو في الحقيقة من باب الحثِّ على الحرب ، يعني: الاستنهاض وليس مجرَّد تشف نفسي بدون مصلحة كالتشفي الحاصل الآن ،فهذا التشفي في الآية له ضوابطه، لا يدخل في الحالة الإنسانية العامة المبنية على الحقد المجرَّد، فلا يوجد مجال لقياس الحالة الفرنسية عليه، لأنَّ الفعل هنا مخالف للشريعة ،وهو تعد وعدوان على معصوم الدم الذي لم يقصدنا بأذى و إن كان مخالفا لنا، فنحن لسنا بصدد الحثِّ على الرد ليكون من جنس

التشفي لمصلحة الحرب.
و ليس هو من النوع الآخر مثل لو وقعت مصيبة على عدو يقصد المسلمين بالشر فهذا التشفي فيه مصلحة أو من ورائه مصلحة لأنَّه بالشر الذي أصابهم صُرف عنا الشر الذي قصدونا به، وهذا غير موجود في الحالة الفرنسية ، بل العكس هو المتوقع.
فإما يكون التشفي من باب طلب العدل على قاعدة" العين بالعين، و السن بالسن،و البادئ أظلم" وهذا يكون عندما تبيح لنا الشريعة الرد بالمثل لا لمجرد الحقد لأنَّ الحقد لا يجيز الظلم كما بيَّنته في نوعي المحرَّم، كما لا يجوز أن نأخذ قوماً بجريرة غيرهم.
وهذا أمر ينسجم مع بقية أحكام الشريعة كما في جواز أفعال حين قتالهم لا تجوز في غيره.
كما أنه يجب أن ننتبه إلى أنَّ التشفي قد يكون من الكفار في المسلمين، وهنا يطلب المسلمون منعه وعدم حصوله كما قال تعالى: {وَإِذا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ} فمنعهم من التشفي منَّا هو كذلك من الشعور الذي يطلبه المسلم فنمنع عنهم أسبابه و سبله فلا نهيجهم علينا أو على بعض إخواننا، ولا نمكنهم من الإسراف في قتل المسلمين بإعطائهم الذريعة .
ونحن في هذا أحد ثلاثة رجال : واقع في اللعبة لا يشك أنَّ للغرب يداً في صناعة الأحداث الإرهابية بالفعل أو برد الفعل لكن بالعجينة إسلامية؛ و مشغول بالتشفي وقف عند أحوال نفسه، و ثالث مشغول بشعور التوجس من التداعيات على إخوانه ودينه، يرى الضربة قادمة مع مزيد من تأهيل للشيعة على حساب السُّنَّة، و دخول في مرحلة سياسية /فكرية حساسة، هي مرحلة "الإسلام بدون الإسلاموية" يعني : "الإسلام بالمسلمين لا بالإسلاميين" التي صارت آفاقها تقترب من العقول.
هذا الثالث لا يملك رفاهية الوقوف للتشفي هو مشغول بالغم من سوء فعل أخيه بالتفكير في القادم.
و إن كان لكثير من الناس ـ في السياسة ـ تصفية حسابات مع فرنسا، فهي فرصة ليتكلموا عن الإسلامفوبيا ـ و العنصرية ،و الاستعمار ممن يتخذ هذه المناسبات فرصة للمساومة و الضغط، وقد يغطي به تضييعه لواجبات كثيرة في حقِّ أمته ووطنه ممن تعلَّم تعليق خيبته على عدوه كأنه ينتظر من هذا العدو الإنصاف، و أن يحرص على مصالحه أكثر من حرصه هو عليها ، فالمسلم ملزم أولا بالنظر في

شرعية الفعل و الحكم عليه و أن لا يبني على الباطل المواقف الصحيحة فالصحيح يبنى على الصحيح فقط.
الدين موجود في المسلمين لكن تفعيله فيهم ليكون قوة حية هو المشكل الذي عجزنا عنه في أنفسنا ، فلم نصل درجة التجرَّد للشريعة حتى نتحكم في ردود أفعالنا، و نكون لله كلية لكن بالأمر و النهي و ليس بالعاطفة و الشبهة.
وقلوب الناس في هذا الأمر مختلفة بين من يقف عند المظلمة التي تعرَّض لها و يبحث عن ذهاب غيظ قلبه وبين من سلم قلبه من إرادة التشفي و الانتقام و شهد قلبه القدر و أنه و إن كان الظالم له ظالما بالأذى الذي أوصله إليه فإن الذي قدَّر عليه هذا الأذى و أجراه على يد هذا الظالم ليس ظالما بل هو الحق العدل كما قال ابن القيم : أذى الناس مثل الحر و البرد لا حيلة في دفعه فالساخط من أذى الحر والبرد غير حازم، والكل جار بالقدر وان اختلفت طرقه وأسبابه.
فشهود القدر غير الاستجابة له، و أداء الواجب الشرعي لا يتوقف على تشفي القلب بقدر ما يتوقف على حزمه و انضباطه بالشريعة إرادة و فعلا وحالا..
يلوم بعضنا فرنسا على كثير من الأشياء و طائرات الرفال و الميراج2000 تنطلق من بلده كأنه يزكيها بالفعل و يذمُّها بالقول أو يريدها أن تكون في خدمته تقصف الجماعة التي يعاديها، لا في خدمة نفسها !
ثم يجرِّد الإسلام من إنسانيته بتصرفه كما جرَّده المغموم لأجل نمط حياة فرنسا من عقيدته ومبادئه ؟
من حسن النقاش أن يكون الكلام متوارداً على بعضه ، يتركب فيما بينه ..

تجدون عليه آخر مقالين : "العيش في الحقيقة "ـ و "مراجعة سياسة الإسلاميين".
الموقع في بدايته و سيتم نقل جميع مواد الموقع القديم قريبا إن شاء الله.
و تقريبا سيكون هذا الموقع مخصصا للفقه السياسي .

أنواع النَّظر و التَّفكير

الحمد لله و الصلاة و السلام على رسول الله.
يسبق الشكُّ و التردُّد أو الجهل المعرفة، و متى لم تُبرز المعرفة أسئلةً جديدة لِلقضايا

الجديدة كانت معرفةً جامِدة طابِعها الوثوق النَّفسيّ .
فعالِم الدِّين يَستخلِص موضُوعَ البَحث الذي يُرِيد العمَل عليه إمَّا مِن الإلهَام الذي يُشبِه إلى حدٍّ ما الحدْس، وهذا في قضَايا النَّظر الطَّلبي، وهو النَّظر الذي يبحَث عن الدَّلِيل، و منهَجه التَّحقِيق ،أو مِن المُعطيات المتوفِّرة لديهِ بِالتَّفكِير المتواصِل في علاقاتِها بِقضايا أُخرى كما في قضَايا النَّظر الاستِدلالي، وهو النَّظر الذي يبحَث عن دلالةِ الدَّليل، ومنهجُه التَّحلِيل.
فكل عمَلٍ عِلميّ مُنجَز يَبقى لا مَعنى لهُ إلاَّ إن بَعث أسئِلةً جدِيدَة تتطلَّب أنْ يتجاوزُها.
و بِدون توحيدِ العنَاصِر المتنافِرة لِبَلورة مَفهُومٍ أوسَع يقِفُ عند الظُّروف التي حفَّزت ظهُور هذه الجماعة ، أو ظاهِرة الهَيمنة العامَّة لِمقولة تجريحيَّة أو تكفيريَّة أو سياسيَّة على كلِّ الأفراد المنتمين لجماعة ما ،وعلى كلِّ منهجهم و إنتاجهم العلميِّ ، ممَّا يترُك لَدينا شُعوراً قويًّا بأنَّهم ربَطوا تصوُّرهم لِلإسلام بتلك المقولة فقط.
هذا الصِّنف يأبى أنْ يتحرَّك، أنْ يُعيد طرح السُّؤال بِالشكل المناسِب لِخَيبته، هو مسجون داخِل تلك المقالة التي هيمنت على عقلِه ووجدانه ، لا يُريد أن نُوقظه بنقدٍ حقِيقيّ لمقولته أو لمكانِها داخِل الإسلام كمنظُومَة شاملةٍ.
هؤلاء الذين يريدون لمواقِعهم و جماعِتهم أنْ تكون متطابِقةً على فكرةٍ واحدة، يستنسخون بعضهم بعضاً بالموالاة الزَّائفة " الحزبية"، يقتلون طبيعَتهم في اختلافِ المدارك و الفَهم بتواطُؤ مُصطنع، ومجاملات كاذِبةٍ.
يظنُّون لخفَّة عقولهم و قلَّة درايتهم أنَّ الغمز و اللَّمز و النُّزول في حفرهم عميقاً حيث تغلي حقائِقُ البواطِن سيحمِيهم من صَفعة الحقِيقة.......لو كان ينفعهم ضرب الهواء بالعصا؟
وقد يحتاج بعضُهم إلى تعلُّم خلق قول الحقيقة لأنَّهم لم ينضجوا بعد ليقبلوا الحقيقة فيكبروا معها.

علاقة الجدال السيئ بالتعايش

الحمد لله وحده، و الصلاة و السلام على من لا نبي بعده.
في الطوائف المنسوبة لِلسُّنَّة : التَّكفيريَّة/ التَّجريحيَّة ~ مصدرهما واحدٌ ~ هي المحرِّك الفِكريُّ الإسلاميُّ الذي يعتمدُ عليه الغَربُ في تَكوِين التَّطرُّف الإسلاميّ، و بعثِ حركةٍ ارتجاعِية عَنِيفة ضد التَّعايش بين المسلِمين، فكرٌيقَع خارِج مَنطِق الواقِع

و التَّاريخ ،يأكلُهم إذا لم يجِد ما يأكُلهُ.
التعايش هو أن تقبل المذاهب المكوِّنة لمجتمع ما أنْ يبقى التَّدافع بينها فكريًّا علميًّا، لا يتخطى إلى مرحلة الاقتتال أو مقدِّماته كـ"العداوة المطلقة و الشَّيطنة و التَّشنيع و التَّحريض".
و إذا حثَّ الإسلام على حسن الخلق، و المخاطبة بالحكمة و الموعظة الحسنة و الجدال بالتي هي أحسن، و نهى المسلم أنْ يرفع السِّلاح على مُسلم آخر، و أنْ يسُبَّه فقد أكَّد على التَّعايش، لأنَّ هذه مقوِّماته { ادْعُ إِلى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ }
(المُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالمُؤْمِنُ مَنْ أَمِنَهُ النَّاسُ عَلَى دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ)،(لَا يُشِيرَنَّ أَحَدُكُمْ عَلَى أَخِيهِ بِسِلَاحٍ , فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي , لَعَلَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ فِي يَدِهِ , فَيَضَعُهُ فِي حُفْرَةٍ مِنْ نَارٍ)،(مَنْ رَفَعَ عَلَيْنَا السِّلَاحَ، فَلَيْسَ مِنَّا)،(سِبَابُ المُسْلِمِ فُسُوقٌ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ).
و كل خرق لِهذه الوصايا الشَّرعيَّة سببه المغالاة في التَّأويل الذي بِسببه انحسرت بعض المذاهب حتى كادت تندثر، فكونها تحمل في فكرها بذور عدم التَّعايش الذي اشتهرت به طوائف الخوارج قديماً مرجعه المغالاة في التَّأويل، في تكفير المسلم بالتَّأويل، و رفض أسباب العذر الموضوعية لدوافع نفسيَّة و طبيعة خَلقية مُتشدِّدة سطحية.
بالنَّظر إلى نوع التَّخاطب الإسلاميِّ، و نماذج الخطاب الموجود على النت نحتاج إلى إعادة التَّفكير في علاقة الجدال بِالتَّدليل البلاغي ،يعني: أنَّ الخطاب الجدلي جزء من التَّدليل البلاغي ،وليس من التَّدليل العلميِّ الذي يقوم على منطقيَّة الاستدلال، الذي يُعبِّر عنه التَّلازم بين الدَّليل و المدلول في الوجود و العدم و السِّلب و الإيجاب، أي امتناع الانفكاك بين الطَّرفين بحيث يمتنع وجود الملزوم بدون وجود اللازم .
فالعقل ينتقل من الدَّليل إلى المدلول عبر جسر التَّلازم ، وحركة الفِكر هي انتقاله من فكرةٍ إلى أخرى بينما الخِطاب الجدلي أو الفِكر الجدلي العلمي ينتقل من فِكرة إلى أخرى بمقتضى ما بينهما من تشابُه أو تعارض أو تلازم ، فإنْ كان بمقتضى الهجوم بِعُنف على آراء شخص أو مذهب فهذا الجدال السيئ،و هو المقصود بهذا المقال إذ

هو الغالب على الخطاب الإسلاميِّ.
و الخطاب الجدلي الذي يغلب على مناقشات المسلمين يعتمد كثيراً على النِّزاع اللَّفظي، وعلى انتقاء الفصل الأضعف من كلام المخالف، و لذلك هو تدليل بلاغي لا علاقة له بالأهداف المعترف بها للإقناع و التَّفاهم العلميِّ.
الإدارة الجدلية لِلنِّزاع العلمِّي تجعل المنهج العلميَّ للاستدلال مشكلة، ولا يمكن التَّعايش في هذا النَّوع من المعارضة التي ليست ~ في الحقيقة ~ إلاَّ ألسنة لهب العداوة المحضة.
وإذا كان الهدف من النِّقاش أو التَّخاطب هو تشارك الكلمة الصادقة الدالة لِلوصول إلى التَّفاهم أو الاتِّفاق أو تحديد الحدود و أوجه الاتِّفاق من أوجه الاختلاف فإنَّ هدف الجدال هو إسقاط المخالف،الدعاية لِلفكرة أو المذهب، التأثير غير الصادق" السِّلبي" على عقول الناس، شيطنة المخالف أو احتقاره ، لذلك لم يكن هذا النَّوع من الجدال من أسباب التَّعايش .
فمرض الأمَّة:" عدم التَّعايش" وسببه: المغالاة في التَّأويل، و عدم العذر الموضوعي ~ الذي أقام عليه القرآن شرط رسالة الأنبياء، و مارسه النَّبيُّ صلى الله عليه و سلم عملياًّ~ و مظهره: الجدال السيئ ومرض الكلام الذي أُصِبنا به حتى أصبحنا نمضغ الخلاف و نجتر الشقاق في أتفه الأشياء.
إنَّ الفكر أو المنهج الذي يخنق التَّعايش بين المسلمين حينما دبَّ النِّزاع بين الأمَّة بل بين الطائفة الواحدة لهو أخطر عليهم من خطر آخر، كان و سيظل كذلك.....

الإعلام العربيُّ: لا موضُوعِيَّة في الكذِب !

الحمد لله وحده،و الصَّلاة و السَّلام على من لا نبيَّ بعده.
قد نجد في سماع الكذبة اللَّذَّة ~ ممزوجةً بالغضب ~ عندما نسمعها و نحن نعرِف الحقِيقة !
في الغالب القنوات الفضَائِيَّة العربيَّة مُجرَّد صَدى " بوق" لِمعلُومات يُروِّجها الإعلام الغربيُّ، أو لِلأنظمة التي تقِف خلفها بالتَّمويل، و لِذلك لا يكون الاسم الحقِيقيُّ لِهذه القنوات حتى التي يُزعم أنَّها عموميَّة:" التلفزيون العمومي" بل هي "القنوات أو

التلفزيون الحكومي" لأنَّ التلفزيون العمومي يدفع ثمنَه المواطنون، فالواجب أنْ يُعبِّر عن آرائهم، و ليس عن آراء الأنظمة السِّياسيَّة أو الحكومات دون غيرها.
لذا كان الواجب على أهل العلم الواعين~ بدايةً ~ التَّصدِّي لهذه المعلومات المغلوطة بِمعلومات بديلةٍ مُستقِلَّة صحِيحة وصادِقة.
لقد ذكرت منذ أيَّام بعض وسائل الإعلام أنَّ بعض الدُّول ~ السعودية و قبلها مصر و الجزائر مع اختلاف أسماء المحظورين~ وجَّهت تعميماً لمؤسَّساتها الإداريَّة و التَّعليميَّة تحظر فيه كتباً لِعدد من العلماء و المفكِّرين، ويأمر بِسَحبها، منهم: سيد قطب، حسن البنا،يوسف القرضاوي،أبو الأعلى المودودي،عبد القادر عودة،مصطفى السباعي،أنور الجندي،حسن الترابي،ومالك بن نبي؟ !
وكل هؤلاء ~ إلاَّ بن نبي ~ ينتمون لِمدرسة الإخوان، فهل المقصود الفكر السِّياسيُّ و تطلُّعهم إلى إصلاح الدَّولة، فهذا ما يُميِّزهم،أم التَّطرُّف و الغلو المتسبِب في الحالة الرَّاهنة؟
ربَّما لِهذه الكُتب بَعض المسئوليَّة في الوجه السِّياسيِّ أو الحراك السِّياسيِّ الذي تشهده الدُّول العربيَّة خصوصاً،لكن ليس من خصائصهم التشوُّف إلى الحكم،فكذلك هناك تيَّارات فكريَّة أخرى غير إسلاميَّة تتشوَّف للحكم كاليسارية و الليبرالية و تنتقد هذه الأنظمة أشدَّ النقد؟
فنحن نعلم يقينًا أنَّ لا يد للإخوان فيما يُسمى " الرَّبيع العربي" إنَّما ركبوه كما ركبه غيرهم، ومن حقِّ كلِّ النَّاس أن يستهدفوا الحكم إن كان غاويا أو إصلاحه إن كان منحرفا ، بل لو جزم أحدهم أنَّ الدَّولة التي أصدرت هذه التعليمات تقف خلف "الخراب العربي" ~ في بعض البلاد ~ لم يكن بعيداً عن الصواب.
و إذا كان علينا أن نتوجس خيفةً من فكر إسلاميٍّ ما، فإنَّ الفكر الدِّيني الذي تُصدِّره هذه الدَّولة أو تتلاعب به هنا و هناك أشدُّ فتكاً بِالمسلمين من فكر الإخوان ، وفي حدود علمي لا يرجع فكر داعش و القاعدة وهذا التَّيَّار إلى الإخوان؟
حتى فكر سيد قطب يتمُّ توظيفه لتغيير اتِّجاه الأنظار، و قد مدحه سماحة المفتي العامُّ للمملكة و غير واحد من المؤسَّسة الدِّينيَّة الرَّسمية لمناسبته من بعض الأوجه لفكرهم فكيف أصبح ممنوعاً ؟ !
و مَن يتتبَّع مصادِر الجماعات المتطرِّفة يجِدُ مَراجِعَها الكُتب المُعتمَدة في هذِه البِلاد،

فلا أظنُّ أنَّه يوجَد في كُتب "البنا و القرضَاوي أو بن نبي" تأصِيلات لِفِقه الاغتِيال، و التَّفجير، و المُعاهِد، و دار الحَرب ودار السِّلم و الموالاة و المظاهرة ،و تقسيم المسلمين ،و تكفير طوائفهم، وغيرها مِن قضَايا.
نفس هذه القنوات تحاوِل باللَّعب الإعلاميِّ بِخطاب جافٍ ومُمل و كاذب إعادَة تأهِيل بعض الغُلاة تحت عباءَة الاعتِدال كأنَّ الإنسان يمكنه أنْ يفكَّ الارتِباط مع عقِيدته !
مما يعني بالضَّرورة ~ مادمت قد فرَّقت بين الكتب التي فيها نوع وعي و بين كتب التَّكفير ~ أنَّها تخاف من كتب الإخوان أكثر من خوفها من كتب التَّكفير التي تصدُر عنها، وهذا يفرض إشكالاً في الصَّميم، ألخصهم لكم كالتَّالي: لا إشكال في الفكر التَّكفيري المحض فقد نحتاج إليه لنضرب هنا أو هناك لكن الفكر في وظيفة الدَّولة والمطالبة بالإصلاح هو كل المشكل.
لا أقول أنَّه لا يوجد ما يرفض في هذه الكُتب لكن أن نُحمِّلها الظَّاهرة كلَّها فهذا كذب، إذ معدن التَّكفير و حمل السِّلاح على المسلمين موجود في الكُتب الرَّسمية لهذه الدَّولة أكثر مِن غيرهم، ولو منَعُوا ~ مثلا ~ كُتب شيخ الإسلام ~ مع براءتِه من الغُلاة جملةً و تفصيلاً ~ لكان أقرب إلى القبول نظراً لسُوء فهم الغلاة لكلامِه و كثرة استعمالهم لاسمه.
أمَّا بُعْد الإخوان و الحركات الإسلاميَّة ككل عن فكر بن نبي فظاهر لكلِّ من قرأه ، و إن كانت هناك نقاط تقاطع و التقاء لكونه كان إسلاميًّا بمعنى: الانطلاق في التَّحليل من المعطيات الإسلاميَّة و الانشغال بمصير المسلمين و مستقبلهم كحضارة و ليس كجماعة أو طائفة مُعيَّنة لكنَّها غير كافية ليسترجعه الإسلاميُّون الحاليُّون، فحتى الترجيحية تذمُّه فكيف بالتَّكفيرية؟
ومالك بن نبي انتقد الإخوان في الخمسينيات، و انتقد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، و انتقد التَّصوُّف،و أعظم كتبه التي نستشف منها مقوِّمات فكره هي كتابه " وظيفة الإسلام" و يأتي بعده " مشكلة الأفكار" ، و " شروط النهضة" ثم " الديمقراطية في الإسلام" وفكره درس المجتمع الجزائري و الحضارة الإسلامية من منظور الثقافة ،و الايدولوجيا ،و الشلل الأخلاقي ، و الديمقراطية، عالمية الإسلام و أوجه كماله، الحوار بين الثقافات،
ففكر بن نبي يدور عن الشُّعور بالإنسان بمعناه الأخلاقي و الاجتماعي، عن المدنيَّة و

التَّاريخ، عن الفكرة القاتلة و الميتة، عن فاعلية الفكرة، عن الإنسانيَّة في الإسلام، عن إشكالية التَّغيير بين النُّخبة الإصلاحية الدِّينيَّة و النُّخبة السِّياسيَّة.
إنَّ بن نبي من بين كِّل المفكِّرين المسلمين الوحيد الذي اقترح رؤية لِلإسلام الأكثر انسجامًا مع اتِّجاه التَّاريخ برؤية شامِلة لِمستقبل العالم بتناقضاته، استخرج من التَّاريخ و القرآن ميل الإسلام إلى العالميَّة ،و أنَّه لا يكون عالميًّا إلاَّ إن كان ميالا لِلتَّعايش ،فهو الأوَّل الذي وضع الإسلام في إطاره الحضاري، وليس كما يقول "حواس سويقر": صالح بين الإسلام و العالم،بل بين العالم و الإسلام، لأنَّ الإسلام هو الذي يدعو إلى التَّعايش مع الآخر و ليس العكس.
لم يقترح مالك بن نبي ~ رحمه الله ~ على المسلمين مخطَّطا لِلنهضة، و لا الرَّجل القائد النَّموذج ~ من المعاصرين ~ للاحتذاء به، بل وضَّح الطَّريق و رسالة الإسلام، فأثرى العلوم الاجتماعيَّة بمعرفة سوسيولوجية و بسيكولوجية المسلم، لا نضِير لها .
نعم، يجب على الأنظمة العربيَّة أن تخاف من كتبه و فكره و أن تمنعها ليس لأنَّه متطرِّف أو يتشوَّف للحكم و لكن لأنَّ في فكره فهم أسباب التَّخلف والانهيار الإسلاميِّ ودور النِّظام السِّياسيِّ فيه.
و بدلاً من هذا التَّهريج و الأسلوب التَّافه الهمجي موضوعا و نتيجةً الأولى أن تقوم هذه الدَّولة و مؤسَّساتها بعقد ندوات علميَّة كبيرة يُدعى إليها أهل الاختصاص من كِّل مكان تدرس أفكار الكتب النَّجدية ،وكتب ابن تيمية و كتب هذه الشخصيات العلميَّة بموضوعيَّة ومنهجية علميَّة فتراجع فيها ما يحتاج المراجعة، و تُثمِّن الايجابي و الصَّحيح و تعلنه، وتعرف به .
بهذا وحده ندفع الشُّبهة، و نفصل بين التراث العلمي الثري و القوي عند عقول كابن تيميَّة و مالك بن نبي وغيرهما و بين التَّوظيف السِّياسي/الإيديولوجي ، فنؤسِّس للحقيقة العلميَّة و نصون الفكر الإسلاميَّ الصَّحيح من سوء فهم الجهَّال .
وعليه، لا يجِبُ أنْ نَبحثَ عن الموضُوعيَّة في الكَذبة، فهذه الدُّول غير موضوعيَّة لا في حقيقة، ولا في كذب.

أسباب العدائية :

الحمد لله و الصلاة و السلام على رسوله.
عندما قلتُ: إن شجرة الموضوع الإسلامي جذرها "السياسة "، و السلفية هي "السؤال عن المعنى الأصيل" لذلك لم نجدها معنية بالسؤال عن وجود الدولة ووظيفتها يتأكَّد ذلك بالعدائية التي تتصف بها اتجاه المخالف، و التي على أساسها تنتقد الإخوان لأنهم يضمُّون في صفوفهم من كل الطوائف المكوِّنة للمجتمع، فلأنها لم تفهم أنهم بخلافها يسألون عن وجود الدولة ووظيفتها و ما تحتاج إليه من الاستقرار و التعاون السياسي و التناغم الاجتماعي .
فمن كان همه وجود الدولة و تحديد وظيفتها الشرعية لا يمكن أن يعادي من هم جزء من المجتمع، ولا ينتظم المجال السياسي بدونهم، بينما من كان همه المعنى الأصيل يجمد عنده و لا يبالي بعداوتهم.
وعلى هذا فعدائية جمهور السلفيين لغيرهم هي تعبير عن جزئية دعوتهم وعدم شمولها حياة المسلم كجماعة متعايشة، فهي خلو من أي اعتبار اجتماعي أو سياسي ،يعني: صراع أكاديمي بعيد عن حقائق حياة الأمم و متطلباتها، فمعهم لا تقوم للمسلمين دولة، و لا مجتمع متعاون، ولا سياسة مشتركة؟
متى فهموا هذا أدركوا أنه لا حاجة للاهتمام بالمعنى الأصيل إلى أن يكون عدائيا، فتلك العداوة جزء خارج عن الموضوع وعن جوهر القضية .
الحياة الإسلامية ليست هوية نظرية و مذهبية فقط بل هي حياة اجتماعية في مجتمع متنوع، و دولة ترعى المصالح و المصير مشترك لمكوناتها.
متى اهتموا بوجود المسلمين و مصيرهم ومستقبلهم تركوا العدائية آلياً.

التناقض السلفي

إخراج الجهاديين تحت اسم "التكفيريين"، وكذا جماعة تنظيم الدولة من السلفية لا معنى له عند بعض المتسلفين و قد أقرُّوا بسلفية تأصيلاتهم لما أقرُّوا لأسباب كثيرة غير دينية بسلفية النجديين مع أنهم يسمونهم خارج المملكة السعودية بالتكفيريين و في داخلها بالسلفيين ولا فرق بينهم إلا في المال و النفوذ؟
فإن كان النجديون سلفيين فهؤلاء كذلك، فعلى سلفية الرسوم وسلفية المأكل"الأرزاق"

أن تختار فقد ضج الناس من تناقضاتكم ،فلو تطردون أصولكم لأن جعل الإرجاء سلفية و التكفير سلفية هو منتهى سلفيتكم فإن تعجب فأعجب ممن يجمع بين كتاب اتفق النجديون المعاصرون أنهم مرجئة ولو في تأصيلاتهم، و كتاب اتفق من رموا بالإرجاء أنهم تكفيريون ؟

في قابل الأيام تفصيلات مخزيات

خطاب التموضع و التخندق

الحمد لله وحده،و الصلاة و السلام على من لا نبي بعده.

الخطاب نوعان: خطاب بيان الحجج "خطاب محاججة" نذكر فيه الأشياء المعلومة بدون زيادة في الوصف،هو خطاب مباشر لا يتلاعب بالبلاغة، يهتم بمنطقية الاستدلال قبل كل شيء، نبسط فيه أدلتنا،ونظهر أسلحتنا، و الغاية منه بيان صحة موقفنا، و دعوة الغير إلى الالتحاق به.

الثاني: خطاب تموضع القصد منه الدفاع عن الإقليم الذي يمثله المذهب لكن بأيديولوجية والإيديولوجية هنا هي بمعنى: "عدم قابلية الخطاب للنقاش".

هذا الخطاب يسرف في البلاغة ليغلق النقاش، ومع كل ما يبدو لنا من كتابات و مناقشات وردود فإن النقاش بين المسلمين ~ في الحقيقة ~مغلق بخطاب التموضع ،وهذا التموضع له علامات هي بمثابة السياج الذي تضعه كل طائفة حولها كأنه حقل ألغام.

يُغلق النقاش إما في شكل حوار الطرشان " بغض النظر عما تقول أنت أقول أنا،فقولي لا علاقة له بقولك،هو جواب معد مسبقا" أو في شكل انحراف موضوع النقاش،أو الاعتماد على حجة المثلية... الخ.

يعني تدابير الإقصاء الإيديولوجي أو الإقصاء من الحق لكن بدون تصريح، من خلال مفاتيح و فواصل خفية يتضمنها الخطاب تتضمن الإقصاء من الحق و بالتالي من الاستحقاق، من استحقاق أن يكون معك شيء من الحق، يمنع الناس من انتحال السنة أو الاعتدال بدلا من أن يحتج عليهم بمخالفة السنة أو الاعتدال.

هذا الخطاب يتلاعب بحكم الإنسان بواسطة شعارات تبعده عن بحثه عن الصحيح، وتجعل الأشياء ضبابية في نظره، أو مشكوكة، و الحقيقة العلمية صعبة المنال، يعني: يغلق إمكانية الوصول إليها إلا على القيادة.

هذا الخطاب أسلوبه استعراضي يكيل المدائح لنفسه و النقائص لغيره، له تقنية الخاصة وحيدة هي: التضخيم و النفخ، تضخيم الأنا بالمدح، و تضخيم الآخر بالشيطنة و الذبح الأدبي.
عندما نتعمق في لغة الطوائف و الجماعات نكتشف أن هذا الخطاب مشرب بشكل ملحوظ بإقليم طائفي أو منطقة مذهبية تقع ضمن حدودها القيم و الأفكار و الاعتقادات الخاصة به، تنتقل في شكل مجموعة مسلمات وأحكام مسبقة يغلق النقاش دونها بالتهويل بعبارات كـ " أجمعوا، اتفقوا، هذا قول السلف،قال أهل الحق، المجتهدون، المحققون ،المرجعية الوطنية، الخ" فنلمس من خلال هذه الصيغ الثابتة أنها مجهود لجعل النقاش غير مشروع،وهنا يضمحل الاستدلال في عدم جدوى النقاش الفعلي .
يعني: هذا النقاش لا يأتي بمعرفة جديدة، نغلق الحاضر باستدعاء الماضي الغير قابل للمعالجة العلمية عن حقيقة هذه العبارات ومدى صدقها المادي، هو إغلاق النقاش في الحاضر بإغلاق مناقشة الماضي.
عندما نرصع خطابنا بهذه العبارات تهويلا بها وبدون شروطها تصبح مجرد تعابير تتغذى من أضوائها الخاصة، كمن يجعل الفكرة سديدة صحيحة بالنظر إلى عدد المعتنقين لها،أو عدد العلماء المتكلمين بها،إذا كان أقلية جاء بما يثبت أن الحق مع الأقلية و إذا كان أكثرية جاء بما يثبت صواب الأكثرية و أن الجماعة هي السواد الأعظم ؟
عندما تنتقد وجه العملة القبلي يرد عليك بوجهها الخلفي، فإذا انتقدت بعضهم في الأسماء و الأحكام أخرجوا لك مسألة التوحيد ودورهم فيه، وهنا نسأل: ما موقع الخوارج و المرجئة و كثير من المتكلمين وغيرهم من التوحيد" العملي" ؟
كيف تفرضون وجود خارجي موحد و مرجئي موحد، ومتكلم موحد و تمنعون وجود تكفيري موحد؟
فإن لم ينفع الخوارج القدماء ما كان معهم من توحيد و عبادة من الوعيد الذي جاء فيهم، ولم يمنع التوحيد من ذم المرجئة و المتكلمين و غيرهم ممن عرفوا بمناهضة القبورية و بدع بعض مدارس التصوف كيف لا يذم التكفيري و إن كان موحدا داعيا للتوحيد؟
هذه هي المسائل المسكوت عنها في خطاب التموضع و التخندق إضافة إلى أخرى

مثل: ما سبب ظهور متكلمي أهل السنة؟
فالصراع بين الجماعات و المذاهب ليس بين الحجج ولكن بين مسلمات من المفروض أن تكون مشتركة ولكنها ليست كذلك،إذ كيف يكون هناك نقاش بدون مسلمات مشتركة؟
في خطاب التموضع الحق ذو طبيعة جماعية بخلاف الشعار المستهلك" الجماعة أن تكون على الحق ولو كنت وحدك"، فأن تكون محقا هو أن تصطف مع الجماعة ،أن توافق أكبر عدد منها، و بالتالي هو احترام شعور الولاء للجماعة، فالأشعري لا يجوز له نقد الأشعرية، و الإخواني و السلفي كذلك.
هذه هي العقلية الإسلامية المعاصرة، وهذا يقود الإنسان إلى أن يصبح لا عقلاني، لا منطقي، ولا واقعي، لا يستطيع مناقشة أي قضية في جماعته أو مذهبه.
خطاب التموضع لا يسرف في بلاغة الغزو ولكن في بلاغة الدفاع المميت عن المنطقة، في هذا الخطاب لا نقدم الأدلة و لا التبرير العلمي، أننا نُعيد جمع الجماعة حول قيمها و إقليمها ،هو حركة لإغلاق المجال الجوي أمام النقد،نرفض النقاش، نعضد الفواصل الجدلية بين الجماعات و المذاهب بالمواقف الأدبية و العاطفية.
الأخطر في هذا الخطاب هو رفض دراسة الجزء غير المناقش لبعض أسس الجماعة مما يفرض علينا أولا تحديد حدود و إطار هذه الجماعة لأن سؤال الحدود ضروري حاسم فكيف يكون الشخص مبتدعاً ~ مثلاً~ في وجودنا، سنيا في غيابنا؟
ما هي حدود السنة ،وهل لها حدود واحدة، وما هي معايير التقييم ،وهل هي شرعية أم تأويلية؟
خطاب التموضع ليس لإقناع الغير، فهذا الغير لا ننتظر منه أي خير،هو معادي للسنة،لا يحب السنة، و لكن لإشباع حقيقتنا الخاصة في آذان طائفتنا، و ردع أي تلميح لنقدٍ قد يخامر أفراد قبيلتنا المذهبية الذين قد يحالون التفكير بأنفسهم.
خطاب التموضع هو خطاب الناطق الرسمي حيث لا يتكلم بالقرآن و السنة ولكن باسم أهل السنة و الجماعة، باسم السلف حتى في القضايا التي لم يعرفها السلف،أو لم يخوضوا فيها.
في هذا الخطاب تباح الأشياء بحجة المثلية أو التبادلية " نرد عليهم بالمثل، أو نتصرف معهم بالمثل"،وهي حجة بالنتائج لا بالعلل و الأسباب العلمية ،تبرير

خارجي عن النقاش،خارج السبب أو العلة ، تستهدف تطبيق نفس الممارسات على وضعيتين متعلقتين يبعضهما بعضا لأنهم قالوا أو فعلوا كذا مما يمثل في الحقيقة نوعا من عنف الكلام؟

خطاب التموضع هو خطاب يلجأ إليه الناس عندما تشعر الهوية أنها مهددة بالنقاش، مهددة بتغيير موقفها أو تعديله ،لأننا تحت وطأة الطائفية و المذاهب التي تحمل بذور عدم التعايش الثقافي و الاجتماعي و السياسي وقعت مغالاة في الهويات الجماعية،حتى تحوَّلت إلى قاعدة لليقين النفسي ، ونصبت كمطلقات .

خطاب التموضع خطاب أيديولوجي و ليس خطابا علميا ،لا يحتاج للإقناع لأنه يجذب إليه من يتعرفون على نفوسهم فيه، ويترك الباقية على قارعة الطريق كغرباء في دينهم، في وطنهم، في ثقافتهم، هذا هو الإقصاء بحذافيره .

هذا مختصرٌ من مقال "علامات الإقصاء الكامِنة في الخطاب الإسلاميِّ"

هذا أنت مِن الحبَّة إلى التِّبن [2]

الحمد لله و الصلاة و السلام على رسول الله

عندما تذبحُك الحقِيقة قبِّل يدها المُضَرَّجة بدمِك

في العلم حياة العقول والقلوب، كلما أنجزت شيئا بان آخر ولوَّح بأسئلته، تسعى خلفه قد تدركه و قد تموت دون ذلك، تلك حياة العلم الحقيقي لا تحسب فيها الفوائد و الخسارة،ولا يحتفل فيها بعدد المتواطئين، و المتحالفين لمصلحة؛ تمضي قدماً مع كل المخاطر ستجد عقولا ممسوخة كادها باريها، و نفوسا وحشية بأخلاق كلاب الزقاق ، رغم ذلك لا يليقُ بك أن تنتقم، فالطُّعون و الشُّكوك لا تُغيِّر من طبيعةِ النَّقي.

الضامن الوحيد هو الله، و سلاحك نية صهرتها في كور المصائب صامدة أمام كل ألوان الدنيا.

لا تكن مهموماً إلا بالحقيقة العلمية التي يقرها البحث العلمي الحيادي و الموضوعي والشمولي، لا تعط أي شيء آخر أدنى اهتمام، فإنك بذلك لن تبالي بموافق أو مخالف فليس قصدك جمع الموافقين في حزب يطوف حولك.

لا يجب أن يظن صديق عزيز عليك أو أخ وفيٌّ لك أنك محتاج إليه لدرجة الموافقة بلا قناعة، فليعلم من مصاحبتك أن ذاك منك صعبٌ،لكن ليكن في حسن خلقك ما يواسيه عن المخالفة ، لا يكفي أن نظهر الحقيقة يجب أن نرسمها محببة، فإنها من

بعض الأفواه تخرج بشعة.
ما الناس إلا عتبات جامدة في مكانها حيث وضعها الله في طريقنا، نمر عليها من حال إلى حال ،نشكرها شكرا لله، و الغني الكافي الذي لا يكفي منه شيء الله، فمن أحسن فلنفسه ومن أساء فعليها.
إذا كنتُ ستموت بدون حاشية فتستطيع أن تعيش بدونها، من لم يأنس بالله وحده فلا أنيس له ، ليكن همك الوحيد مراقبة قصدك بمراقبة الخواطر، هذا هو الاستسلام التام للحق ممثلا في الحقيقة، بدون تردد ولا مواربة، الاستسلام للحق و الاسترسال معه أعظم طرق توحيد الله بالتوحيد الكامل الشامل فلا يمكن بحال أن نعزل الأخلاق الربانية و السلوك النبوي عن التوحيد تلك مغالطة الجفاة و توحيد الغلاة، يوحدون بلا رحمة ولا حكمة، و الله واحد لكنه كذلك ربٌّ حكيم رحيم ،جمع فعله ~ سبحانه ~ بين الرحمة و الحكمة ، وهو فوقنا قريب منا، رقيب علينا لو شاء ما ترك عليها من دابة.
لنحقق الحق ثم بعد ذلك لنتمسك به.
ما هو العلم؟
لمفهوم العلم أربعة أبعاد لا يمكن بدون أن نعرفها أن نخوض في حديث له قيمة علمية:
البعد الأول: هو أن نميز العلم كمعرفة بدون اعتبار مسألة السبق و التعلق بالمفردات و المركبات، هنا نقول: المعرفة العلمية لا العامية هي التي تسمح لنا بتعريف ووصف موضوعا بطريقة منتظمة داخل تخصص علمي معترف به، مثل هذا التعبير: " ما هو تعريف الصواب ، أو البغض عند الفقهاء " ، فهذا الجانب الوصفي في العلم.
البعد الثاني: هو أن نميز العلم كموضوع دراسة، في هذه الحالة الموضوع نفسه يعني: طريقة عزله عن بقية الموضوعات و المتغيرات و طريقة تعريفه، وهل يقبل تحقيقا بطبيعة علمية مثل هذا التعبير: " هنا مشكل علمي"، أو " هذا مشكل يخص العلم"،ليكون موضوعٌ موضوعَ دراسة يجب أن نقسمه إلى تفريعاته و أجزائه ،نعزل عناصره الأولية ، و نقدر على استخراج أبعاده يعني: أن يكون قابلا للمقايسة ،مثل السكر ليس موضوعا علميا في العلوم الدقيقة و لكن نسبة الكحول في الدم، لكنه موضوعا علميا في الفقه و القانون و الإجرام و علم الاجتماع.
البعد الثالث: هو أن نعتبر العلم منهجا ، طريقة ، وهذا يعني أن الاستدلال يجب أن

يعتمد على مجموعة إجراءات ثابتة،معروفة ومعترف بها مطابقة ومناسبة لموضوع الدراسة عند أهل العلم مثل هذا التعبير: " الإجراء العلمي تم احترامه بالحرف".
على هذا البعد تكون في الغالب قاعدة العلوم الشرعية لتوثيق بحوثها، فتوثيق الحديث يجب أن نحترم فيه أصول وقواعد علم الحديث، و استنباط الدلالة يجب أن نحترم فيه قواعد و مبادئ أصول الفقه و إجراءات الاستدلال.وهذا جانب تفسيري في العلم.
البعد الرابع : هو أن نعتبر العلم حالة ذهنية ،هي قيمة و صفة الذي يتخذ تصرفات تهيئه لإنتاج معرفة علمية، كما في هذا التعبير " حلل بانصاف" بطريقة مختصرة هو حالة ذهنية و نفسية تتعلق بقيم كـ الحيادية، الموضوعية ، العقلانية الصحيحة ، التجرد من العاطفة ، فكل من يريد ارتداء معطف العلم يجب أن يتحلى بهذه الأوصاف و إلا لم تنفعه كل الأبعاد الأخرى .
وهنا نسأل: كيف لمن لم يدرك خريطة المقاصد الشرعية ، وخريطة المعرفة الشرعية و الكونية ، لا موقع له فيها ،ولا يدري خطوات دراسة موضوع ، لا يفرق بين الطبيعة الكمية و الكيفية ، ولا كيف يقارن سبب بنموذجه، لا يفرق بين وجودي و فرضي، ولا بين نسبي و حقيقي مادي،ليس له منطق محايد انفصالي عن ذاته،و منطقية الاستدلال عنده "أخال و أحسب"، المواضيع تتبع ذاته،فما يدعيه يكفي لاستنتاج الحكم،غارق في المشاريعية بعيد عن المقاصدية،لا يعرف كيف يدرس موضوعا ضمن تعقيداته التاريخية و المذهبية، كيف يقبض على هذا الموضوع في تاريخيته و تطوراته و آلياته و مسالكه و حقائقه المادية لا النظرية البحتة؟
لا يهدف إلى تحديد الفكرة المستقرة و مستويات تجلياتها، منهجه الوحيد تعقيد مكونات البسيط البديهي، و تكثير العناصر الأجنبية عن الموضوع بغرض الضبابية و الغموض؟
ما هي درجة إحاطته بمفاهيم مذهبه، بأي نظام علمي أو منهجية يحكم بصحة هذا المذهب أو ذاك،أو درجة الانسجام المعرفي بين مذهبين بينهما نقاط مشتركة و مفهوم إطاري مختلف تماماً؟
يعيش بين التصويب المطلق و التخطئة المطلقة، من أين لهذا المسكين أن يعرف مشروع هذا أو ذاك.
إذا لم توجد أسئلة لم توجد معرفة علمية؟

طالب العلم ~ اليوم ~ لا يزعجه أن يسمع حديثا لا يفهمه،لا يستطيع أن يموضعه في خريطة الإسلام،لا يهتم أن يعرف ما لدى غيره من معارف و علوم ،و هل يحتاج إليها ليعيد الناس إلى حقيقة الإنسان التي هي عبودية الخالق؟

وهل يحتاج إليها لبناء حضارة المؤمنين، أو لفهم نفسه و مجتمعه، أو لتهذيب فكره، لا يهمه إن كان يدعى بالعلم إلى الإلحاد و إنما أنزله الله ليدعى به إلى الإيمان.

موقفه النكران، الجحود ، يلجأ إلى إيمانه يتحصن به، ولا يهمه ما يفعل العدو خارج حصونه،وما هذا بالإيمان، الإيمان ليس أن تعتقد أن القرآن حق فقط بل أن تبرهن أنه حق و أن تهدي به البشر ،خلل في مفهوم الإيمان يقود حتما إلى خلل في العمل بالإيمان.

ليس للحقيقة إلا عدوان: الزيادة و النقصان، في كل عصر يريد الجهل و الكذب على الناس أن يلتهمها لكنها عندما تبدأ في الزحف لا شيء سيوقفها.

انتهى وقتكم : و إني إذا هرّ كلب الحي قلت له ......أسلم وربّك مخنوق على الجرر

كيف تقرأ الكتب و تستخدمها في البحث

الحمد لله و الصلاة و السلام على رسول الله.

من المسائل التي فكر فيها المعاصرون الكيفية التي تقرأ بها الكتب بحيث تجمع بين السرعة و الاستفادة، فانتهوا إلى أنه توجد أربعة أنواع للقراءة أو أربع طرق لتناول مؤلف تتعلق بالعلوم الإنسانية و ما يقترب منها هي:

1 ـ القراءة الإرشادية ومدتها ما بين 5 إلى 10 دقائق : تتمثل في الإحاطة بسرعة بمحتوى نص،هي في غاية الأهمية لأنه من خلالها يتأسس أول اتصال مع المؤلف، نستعملها لانتقاء الكتب التي نحتاج لقراءتها أو لبحوثنا نقرأ فيها الأسطر الأولى من المقدمة ، و ما كتب على ظهر الكتاب و العنوانين الرئيسية في الفهرس.

2 ـ القراءة المائلة ومدتها ما بين 15 و30 دقيقة: في هذا النوع من القراءة يتعلق الأمر بالطيران أو التزحلق فوق كل صفحات المؤلف بالنظر في كل مجموعات الكلمات المهمة،بدون تركيز حقيقي للنظر على نقطة مخصوصة، هذه القراءة تسمح بتصفح كتلة مهمة من المعلومات في وقت قصير ،و بانتقاء الفصول التي تحتاج إلى قراءتها بتمعن،و استبعاد الفصول و المقاطع التي لا تستحق الاهتمام باعتبار بحث معين أو اهتمام خاص بموضوع معين.

هذا النوع من القراءة يمكن تطويره بتقنيات القراءة السريعة التي ترجع إلى: تركيز قوي و خبرة طويلة، باختصار تتمثل في تقنية الإبحار في القراءة في خط مائل أو قطر دائرة حيث نقرأ بداية الفصل و آخره فقط مع التقاط أسماء الأعلام و التعبيرات المفتاحية "الرئيسية" كالخلاصات، و القواعد العلمية .

3 ـ القراءة القاعدية: ليست إلا ما تعارف الناس على تسميته بالمطالعة، هي قراءة طويلة و شاقة، لا تليق جيداً بالعمل المدرسي كالقراءة المائلة، لكنها أكثر فعالية، أكثر ما تستعمل في قراءة القصص و كتب الخيال الأدبي و العلمي، وكتب التاريخ السردية وغيرها.

4 ـ القراءة التحليلية: تتمثل في تقشير ممنهج منظم لمؤلف ما من خلال أخذ ملاحظات صارمة عن كل فصل،تستعمل بالخصوص عندما يكون كتاب ما موضوع دراسة، هي باختصار أن تقطع بانتظام كل مراحل الكتاب.

بطاقة الملاحظات:

1 ـ العنوان .... نستخلص منه:وصف المحتوى، درجة الصرامة، قصد الكاتب.

2 ـ ما على ظهر الكتاب............ نستخلص منه: تقديم المؤلف، و الجمهور الذي يستهدفه [أكاديمي ـ عوام ـ سياسيون... الخ]

3 ـ الناشر و السنة.................. دار النشر، فليس كل الناشرين أكفاء و تاريخ نشر الكتاب يخبرنا إن كان في محله موفَّقا إن كان مرتبطا بالأحداث.

4 ـ بداية التمهيد " التوطئة" .... تعطي المستوى، الجمهور المستهدف، و غاية الكتاب يعني: الهدف الذي رسمه الكاتب لنفسه، و بالضبط من خلال غاية الكاتب نُقيم المؤلَف.

5 ـ جدول المواضيع " الفهرس.......... إذا قضيت فيها وقتا طويلا فستعطيك: قصد الكاتب، درجة التوفيق، و هيكل الكتاب.

6 ـ الجداول و الأشكال .... فيها معلومات كثيرة نأخذها بسرعة عن المحتوى و ماذا يريد الكاتب أن يبرهن ،[القصد و الفرضية].

7 ـ قائمة المراجع .... تعطينا مدى بحثه" الاتساع و العمق"، النجاح في المسعى و سبل متابعة بحثنا من خلال متابعة المراجع، وتموضع

الكاتب ضمن التيارات الفكرية.
8 ـ آخر ربع في المدخل و بداية الخاتمة .... تعطينا أطروحة الكاتب وفي بعض الأحيان المذهب الذي ينصره.
9 ـ المقطع الأول و الأخير لكل باب .... يختصر الباب السابق و يصرح بالمحتوى و يختم الباب.
10 ـ الجملة الأولى و الأخيرة لكل مقطع .... تعطي الفكرة الرئيسية للمقطع ، تختصر قبل الانتقال للاحق.
ففهم الخطاب هو أن تكون قادرا على التعرف على القصد الكلي للكاتب عبر معرفة قصده ونواياه الجزئية المرتبطة بالجمل، ثم بالمقاطع، ثم بالباب أو الفصل، فالمقصد الكلي لا يوجد في الجمل ولكن في مجموع النص..
هذه كانت بعض النصائح عن القراءة العلمية الجيدة و الفعالة، وكيفية الاستفادة من الكتب بحسب المطلب خاصة في البحوث العلمية.

من أين تستخلص موضوع البحث؟

الحمد لله وحده، و الصلاة و السلام على من لا نبيَّ بعده.
تحتاج المعرفة إلى القبض عليها ثم التملك ـ التكوين ثم التوليد" التفريع" ـ الاعتناء ويأتي منه التثمين ـ المشاركة و المساهمة في بنائها "توسيع مجالها بالتشارك".
و يمكن أن نقول: الدائرة الفاضلة للمعرفة: هي: اعثر عليها و حددها ـ تحديثها ـ تطويرها وزيادة قيمتها ـ الحفاظ عليها ـ مشاركة غيرك بها.
يحتاج طالب العلم إذا أراد البحث و مقارعة المخالفين أن يتموقع أولا معرفيا ،أي: يحدد موقعه في نظرية المعرفة، ومنها يكون استخلاص موضوع بحثه، و نظرية المعرفة عند المسلمين ليست واضحة " كتابةً و ليس وجودا" ، اللهم إلا بعض البحوث و أحسنها الذي تكلم عن نظرية المعرفة عند ابن تيمية بإسهاب.
فعلى المسلم الباحث أن يكون له موقف من قضايا معرفية منهجية كثيرة تحدد لديه الهدف العام و تساعده في إدراك الهدف الخاص.
فنظرية المعرفة تشكل الخريطة المعرفية التي نحدد من خلالها المبادئ التي يقوم عليها البحث ثم اختياراتنا المعرفية القاعدية.
لدى الغربيين رؤيتان : الرؤية الوضعية و تراعي المبدأ الوجودي [الفرضية

الواقعية]، ومبدأ الكون المربوط [فرضية الحتمية] و مبدأ الموضوعية [استقلال الموضوع عن الذات]، ومبدأ حيادية المنطق [الانفصال العقلاني]، ومبدأ الفعل الأقل [ضبط المتغيرات] .

الرؤية البنائية و تراعي : مبدأ التمثيل أو تجربة الواقع [فرضية النسبية] ، مبدأ الكون المبني أو غائية صور العالم[فرضية المقاصدية] مبدأ التفاعل بين الذات و الموضوع [تبعية الموضوع للذات]، و مبدأ التدليل العام [البلاغة الحديثة] و مبدأ الفعل الذكي .

وهناك رؤية مساهمة هي التحليل الشامل أو الرؤية النظامية.

وكل هذه المسائل التي أشرتُ إليها في الرؤية الغربية لنظرية المعرفة للمسلمين موقف منها يحتاج فقط إلى فصله وعزله عن قضايا علمية أخرى.

المقصود أن الباحث المسلم يحتاج إلى تحديد نظرية المعرفة الإسلامية الأصيلة يعني المستمدة من القرآن و السنة على الأقل نظرية المعرفة لمذهبه و طائفته و بعد ذلك الشروع في تحديد موضوع البحث و خطوات الوصول إلى الهدف منه ، و لهذا أنصح على وجه الخصوص بقراءة كتاب الدكتور الدعجاني " المنهج المعرفي عند ابن تيمية" كمنطلق و بعد ذلك الكتب الخاصة بنظرية المعرفة.

فمتى فعل ذلك كان بحثه علميا ممنهجا مفيداً بعيداً عن العصبية و السطحية .

ـ لتفعيل البحث:

1 ـ استعراض الوثائق و المستندات الموجودة، كل المصادر الأولية لتحليل الموضوع.

2 ـ تحديد سؤال للبحث يسمح بتحسين معرفتنا بهذا الموضوع.

3 ـ اقتراح الفرضية" الأطروحة" الجديدة التي تسمح بالإجابة بطريقة لها مصداقية عن هذا التساؤل.

4 ـ توضيح مفاهيم الفرضية ،و عزل المتغيرات التي تشارك في تفسيرك.

5 ـ استخلاص الأبعاد و المؤشرات لهذه المتغيرات لصياغة مخطط مؤقت يسمح لك بجمع المعلومات.

لكنك ستلاحظ أنك اضطررت إلى اتخاذ بعض الاختيارات الذاتية، دفعتك ـ مثلا ـ إلى تفضيل ظاهرة أو تفسير ما أو مذهب أو قول لعالم ، هذه الاختيارات عادية فمن المستحيل التخلص كلية من الذاتية " الحب و الميل و الاعتقاد " لكن من المهم الوعي

بها و تحملها و التكفل بها،وحتى ولو كان بالإمكان إجراء بحث بدون الرجوع إلى تيار فكري معترف به تأثرنا به أو نشأنا عليه ، فمن المهم أن تعلن ذلك ولا تخفيه فالمعتبر صدق المقدمات و منطقية الربط بينها و احترام الاتجاه الذي تقود إليه .
في حلقات قادمة سنتكلم عن خطوات البحث أو مخطط البحث حتى باب التحرير والكتابة و نقترح بعض المواضيع المهمة للبحث لرسائل الماجستير و الدكتوراه" مما يتعلق بقضايا الفكر و المعتقد و التشريع و السياسة".

الانخداع بالصواب في الموضوع ثمرته التقصير في الوسيلة

" احذر ممَّن يريد أن يكون ~ دائماً ~ مُصيبا ،يتوهم أنَّه يوجد بين الحقيقة و شخصه علاقة ضيقة على وجه الخصوص، ثم يتَّخذ الحقَّ زوجةً يغارُ عليها "....... حكمة مشهورة

الحمد لله وحده و الصلاة و السلام على من لا نبيَّ بعده.
بالنسبة لطالب العلم أو لكل إنسان يبحث عن الحقيقة: " يريد أن يكون على حقٍّ، أن يكون مصيبا" يبدو له هذا المطلب أو الشعور مشروعا، فمَن مِنَّا يريد أن يكون مخطئا ؟
لكن من خلال استعمالات هذا التعبير و سائر الشعارات ~ في الكلام المعهود ~ بين الناس يتجلى لنا ~ في كثير من الأحيان ~ نوعٌ من الانحراف في هذه الإرادة، يتمثل في رغبة تسلطية استبدادية لفرض~ مهما كان الأمر ~ رؤيته على غيره "أتباعه و المخالفين له" ،أو لإقناع النفس بها ؟
لهذا يجب أن نحذر من هذه الرغبة " أريد أنْ أكون محقًّا مُصيبا" فإنَّها لا تدل ~ في جميع الأحوال ~ على أنَّك محقٌّ أو تريد الحقَّ، فقد تخدعك فتشعر أنَّك رجل حريص على إصابة الحقِّ وموافقته، و يتحوَّل هذا الشعور إلى اعتقاد أنَّك ~ فعلا ~ على الحقِّ مصيب في آرائك.
و عليه ،فإنَّ تعيين الفعل الإرادي لا يكون تلقائيا من نفسه، فالواقع أنَّ الأسباب التي

تُبرِّر الإرادة تذوب ~أحياناً ~ مختفيةً في الدوافع الخفية ~ الأقل عقلانية وموضوعية ~ للرغبة التي تغلب الحقيقة الواقعية ، و لهذا نسأل: بأي شروط إذاً يُمكننا أنْ نقبل هذه الإرادة " أريد أنْ أكون محقًّا" ؟

و هل هي فعَّالة في تجنيبنا الخطأ، هل تكفي لوحدها لقيادة الباحث و توجيهه و التزامه بنتائج المقدمات أم الأمر يرجع إلى آليات علمية و صفات نفسية ؟

أليس من المفيد لنا ~ و الحال هذه ~ أنْ نتحفظ بحذر نقدي ذاتي من هذا الجهد المتعدِّد الأشكال، ونتعلم الفصل بين الرغبة و ما هو عليه الأمر حقيقةً ؟

ربما من الأحسن لنا بدايةً أنْ نعرف: هل هذه الإرادة " أنْ نكون مصيبين محقِّين" من الطرف إلى الطرف الآخر ، من النوايا و المقاصد إلى النتائج و الأحكام تخضع لمتطلبات و شروط العقل الواعي، أم أنَّها ليست سوى نقاب شفاف أو قناع لدوافع عميقة فينا قليلة العناية بالحقيقة، ترفض النفس أنْ تعترف بها، نلمسها في عدم اكتراثها بالمنهجية العلمية الصارمة بترقيع المقدمات واستسهال النتائج.

ومع ذلك فلا شك أنَّ كل واحد من طلبة العلم يعتقد بصوابية مذهبه و خطأ مذهب غيره،بغض النظر عن مصدر هذا الاعتقاد أو الظن إن كان بالتلقي عن شيوخه، أو بالاطلاع على كتب مذهبه،أو ببحث علمي.

وعندما أقول "علمي" فأقصد بالدرجة الأولى الحالة الذهنية و النفسية متمثلة في: التجرد و الحيادية و الموضوعية و الابتعاد قدر الإمكان عن الذاتية، ثم في منهج توثيق المعطيات وتحليلها و استخراج معاني الدلالات، و أخيراً النتيجة بالتوليف أو بالترجيح.

فبدون شك ~ و هذا يعرفه المطلعون ~ نعاني من إشكالية " اختلاف المصطلح " فمثلا لو قام أحدكم بتتبع موقف الشيخ ابن باز ~ رحمه الله ~ في مجموع كتبه و أشرطته من معنى كلمة" أهل الفترة" وقارنها بمعناها و أنواعها عند ابن تيمية سيجد فرقا شاسعاً بين الرجلين ، فابن باز "الفترة" عنده واحدة هي التي كانت قبل البعثة النبوية، أو الذي لم يبلغه القرآن ولم يسمع بالنبي صلى الله عليه و سلم [1]، بينما شيخ الإسلام ~ رحمه الله ~ "الفترة" عنده فترة زمنية قبل البعثة و بعدها و فترة مكانية، ولا تتعلق بمجرد السماع بل بفهم المعنى.

وعليه يحتاج الباحث في هذه المسألة إلى:

1 ـ تحديد مفهوم الفترة عند ابن باز.
2 ـ هل هو مخالف لمفهوم الفترة عند ابن تيمية و شراح الحديث؟
3 ـ هل هو مفهوم خاص بابن باز أو بمذهب معين؟
4 ـ بيان مفهوم التبليغ عند ابن باز و هل هو مفهوم التبليغ المقصود عند ابن تيمية وغيره؟
8 ـ ما هي ماهية الحجة و أنواعها عند ابن باز ؟
بهذه الطريقة يمكن أن نحدد مذهب شخص في مسألة ودرجة توافقه مع مذهب آخر ، وبتحديد درجة الصحة مع النصوص نحدد النموذج و هو الموقف الشرعي ثم نرد مذاهب العلماء إليه، فإذا أتى أحدهم و جمع بين الموقفين بدون هذا الاعتبار فلعدم دقته المنهجية ،وهناك عشرات الأمثلة على إلحاق الآراء العلمية السطحية بأخرى أعمق منها، و التساهل في نسبة المذاهب إلى أصحابها.
كذلك البحث من طرفين" شخصين" في موضوع واحد يحتاج إلى " وحدة اللغة" المصطلح" ـ "وحدة الزمن" يعني: أن نبحث عن الشيء في نفس الفترة فلا يتحدث أحدنا ~ مثلا ~ عن الأشعرية في زمن الباقلاني و الآخر عنها في زمن السنوسي؟ أو عن السلفية قبل ابن تيمية والآخر عن السلفية بعده ، فهناك نقاط مشتركة بين ابن تيمية و بين من سبقه و آتى من بعده في عدة أمور، كما هناك نقاط اختلاف منهجية حادة، بسبب المستجدات أو الرؤية العلمية، مثل " الموقف من التدليل العقلي" و الموقف من علم الكلام ".
فنحن نعرف ~ مثلا ~ أن موقف الغالبية العظمى من أهل الحديث معارضة الاستدلال العقلي، بينما منهج ابن تيمية ~ الذي صرح به ~ هو: ما ثَبت بالكتاب و السُّنَّة و الإجماع حتمًا و يقيناً تُؤيِّدُه فطرة الله التي فَطَرَ عليها عبادَه وضرورة العَقل و نظره و استدلاله، فلا فرق عنده بين اليقين في الأوليات و اليقين في النص،ومهمتنا ~ بالنسبة إليه ~ هي كشف ذلك.
وعلى هذا كانت عنايتُه بالدراسات اللغوية و المنطقية و العقلية و الوجدانية .
هذا ما يُفَرِّقُه منهجيا عن جمهور المحدثين الذين يتوقفون عند الكتَابِ و السُّنَّةِ و الإجمَاعِ استدلالا سمعياً وخطاباً، هم يستدِلُّونَ بهذه الأصول و هو يستدل لها بالفطرة و الضرورة و الاستدلال العقلي.

و السؤال المنهجي هنا : لماذا اختار ابنُ تيمية هذا المنهجَ ؟
الجواب: لأنَّه وجدَ الله في القرآن يستدعي في عباده: العَقْل، و التَّفَكُر، و الفطرة، ويحتج عليهم بذلك.
كما قال: {أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلا كَالأنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلا} [الفرقان]، و قال:{ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ }[الأعراف]، و قال:{ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ }[الملك].
فوجد القرآن قد مدح: التفكر، التدبر، التذكر، النظر [الفكر] الاعتبار، الفهم، العلم، العقل، السمع، البصر، النطق، يعني: مدح العلم و أسباب العلم الحسية، و أسبابه المعنوية.
ومن هنا عرف أنَّ جنس عدم العقل و الفهم لا يحمد في القرآن بحال ،بل يؤمر به أمر إيجاب أو أمر استحباب لكن ليس على العموم بل يفرق بين الأشخاص نوعاً و عينا، فبعضهم لا منفعة له في العلوم الدقيقة كالعوام و غيرهم، و بعضهم يمنعه من العلم النافع كناشئة طلبة العلم ، و بعضهم لأنه قد يضره بسبب عدم استعداد عقلي أو غيره.
و إذا كانت العلوم منها ما جنسها مباح كالعلوم العقلية لكن بعض أنواعها أو أعيانها كالفلسفة و علم الكلام الفاسد و التقليد الفاسد فاسدة، تمامًا كما أنَّ من العلوم ما جنسها و أعيانها محمود لكن تضر النفوس المريضة التي قد تخادع بها من أجل الرياسة على الناس و الجدال بالباطل، و مثل هذه الأسباب؛ فمن الضروري ملاحظة الفرق و اعتباره عند تفصيل الموقف من العلوم الدقيقة العقلية و الوجدانية و الاستدلال بها .
و عليه ،يجب أنْ نعرف أنَّ جمهور أهل الحديث و بالدقة غالبيتهم العظمى الذين لم يحققوا هذه المسألة لم يُفرق بين أهل المعرفة و التمكين بهذه العلوم فحكَّم حالة نفسه على حالة غيره ، يعني اعتقد عجز الجميع عن الإحاطة و التمكن منها،ثم لم يفرِّق بين أهل الحاجة من أهلها وهم الغالبية من المسلمين وبين من لا يحتاج إليها من أتباعهم.
وعلى هذا أوجب الإعراض عنها !
وهنا يجب أن يكون التقسيم باعتبار الزمن أي: حين استفحل أمر العقليات و الوجديات، أما في زمن التابعين فقد كانت اللغة العلمية واحدة ، فقد استعمل الأئمة

كأحمد و الشافعي والدارمي الأدلةَ العقلية لكن الضرورية الفطرية فقط، و أضافَ ابن تيمية، و بعض السلفيون المعاصرون إلى ذلك الاستدلالَ العقلي المنهجي.

ما هي شبهات" اشتباه الأدلة" هذا الاتجاه ؟

1 ـ وجدوا أنَّ ما بعث به الله رسولَه صلى الله عليه و سلم فيه كل ما يحتاج إليه الناس من أمر دينهم، و هذا صحيح.

لكن الشيء لا ينظر إليه باعتبار ذاته فقط، بل كذلك باعتبار غيره، يعني: ما نُسميه في اللغة العلمية" الإطلاق و النسبية " فقد حدثت في الأمة مقالات كثيرة، و ليس كل واحد من المسلمين قد بلغته النصوص كلها، ولا كل واحد منهم يفهم ما دلت عليه بما يرد الخطأ في تلك المقالات.

وعليه، كان الصحيح الواجب أنه من اشتبه عليه الأمر في هذه العقليات فتوقف حتى لا يتكلَّم بلا علم أو حتى لا يتكلَّم بكلام يضر ولا ينفع أن يسكت، و قد أحسن غاية الإحسان، لكن ليس عليه أن ينهي من علم الحق فبيَّنه لمن يحتاج إليه ، فهذا الثاني أحسن منه و أطوع لله ولرسوله ، و في كلٍّ خير بشرط أن لا ينهي عمَّا لا يعلم حقيقته.

ولهذا لما روى يحيى بن آدم لابنِ المبارك عن ابن عبَّاس، قوله: " لا يزال أمرُ هذه الأمةِ مواتياً أو مقارباً، شكَّ الراوي، حتى يتكلموا في الولدانِ والقدَرِ".

قال له ابنُ المبارك: أفيَسكُتُ الإنسان على الجهلِ؟

وقد صدقَ ابنُ المبارك لأنه إذا وقعت الشبهةُ لم يكن الهُدى في السُّكوت، فالسكوت فيه السلامة قبل وقوع الشبهة و ليس بعدها، فمن التزم السكوت بعد وقوع الكلام فإما لعجزه عن الجواب و إما لعدم فهمه لكلام ابن عباس ~ رضي الله عنهما ~

فقال له يحيى بنُ آدم: أفتأمرُ بالكلامِ؟

وهذه حيدة منه ~ رحمه الله ~ لأنه أجاب عن استفهام باستفهام، وهذا نصنعه عندما يكون الاستفهام ملزماً لنا، ولا نستحضر جوابه فنهمل الجواب عن السؤال و ننتقل إلى الاعتراض باستفهام آخر، إذ المفروض أن يجيبه بأحد جوابين : لا يسكت الإنسان على الجهل، أو يسكت الإنسان على الجهل،أو يُفصِّل، ولم يفعل أية واحدة من هذه لأنه لم يكن يعرف إلا الكلام المذموم .

فسكتَ ابنُ المبارك، لأنَّ الكلام الذي سأل عنه يحي بن آدم كان مذموما فيه مغالطات

كثيرة، فلو أمر بالكلام مطلقاً لتضمن إذنه الكلام بما فيه من أخطاء.
وربما نفهم جيداً إذا عرفنا أن مسألة " الولدان" لما وقعت تكلَّم فيها قتادة و ربيعة الرأي و لم يسكتوا لأنَّ الفتنة بها حدثت، و الواجب توفير الصواب للناس لكن الآلة الإعلامية في كل زمان تنشر مذهباً و تطمس آخر ، فأهل التحقيق هم دائما القلة.
ثانيا: هؤلاء نصبوا العلومَ العقلية و الوجدية الصحيحة عدواً للخبرِ، فُقصَّر دلالةَ الكتابِ على الخبرِ، لأنهُ لا يُفرِّقُ بين طريقِ وصولِ الدليلِ إلينا و بين مادتِهِ، فاخطأ في هذه القضية صنفان : صنف خاضوا فيها بدون اعتبارها بالكتاب و السنة و صنف أعرضوا عنها، و الحق عند غيرهما جملة وتفصيلا.
و بهذا المثال تفهم أنَّ مذهب كثير من السلفيين المعاصرين ما هو إلا عبارة عن سوء فهم لكلام الأئمة مع أنهم يريدون أن يكونوا على الحقِّ، بل هم مقتنعون أنهم على الحقِّ ؟ !
فمثلا عندما جاء ابن تيمية إلى قوله تعالى: {وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ} [الحج].
وفسَّره بالتالي: فالحيُّ قوامه بطبيعته المستلزمة لحركته الإرادية ، وقوامها بالمراد لذاته، فإذا لم تكن حركتها لإرادة المعبود لذاته، لم يكن لنفسه قوام، بل تبقى ساقطة ، ولهذا يهوي في الهاوية ،وهي ذنب لا يغفر ، لأنه فسد الأصل كالمريض الذي فسد قلبه ، لا ينفع مع ذلك إصلاح أعضائه.
فمثل هذا الكلام عن "الإرادة و الحركة الإرادية" نعلم أنَّه ليس من بضاعة أهل الحديث، فلا نجد له أثراً عند من سبقه منهم، فلابد أنَّ شيخ الإسلام لما اطلع على كتاب الرازي ~ رحمهما الله ~ " أقسام اللذات" أدرك أنَّه موضوع ~ و إن كان مهماً ~ لا ينتمي للثقافة الإسلامية فتتبع مرجعيته،وهذا ما يصنعه العلماء الحقيقيون يتتبعون أصول الكلام و يعتبرونها بالمصدرين و بالعقل الضروري، و لذلك تكلَّم عن النفس و قوامها و طبيعتها و غير ذلك لما ناقش ابن سينا و نقل مذاهب الفلاسفة في ذلك، ومن ثم حتماً قرَّر أنْ يكتب قاعدته في ": المحبة" و قاعدته في " الإرادة" التي هي العمدة في بناء منهجه المعرفي في قضايا المعرفة كواقعية المعرفة و الوجود، و في علم السلوك، وعلم النفس المعرفي عند الكلام عن الفطرة و الشعور و اليقين، و الشك ، و مادة الأدلة و غيرها.

وهذا نموذج حي عن فائدة العلوم الدقيقة في تفسير كلام الله و تقريبه للناس، و كشف الهدى الذي يحمله،ومثال حي عن توسيع المعرفة بالحقِ و تعميقها بحسب حاجة الناس في كل عصر، وهناك أمثلة كثيرة جداً.

فموقف ابن تيمية من موقف جمهور المحدثين من علم الكلام لخصه بما نقله في " الدرء" من قول الخطَّابيّ في (شعار الدِّين): "الكلامُ المكروهُ الَّذي زجرَ عنهُ العلماءُ وعابُوهُ، هو التَّجرُّدُ في مذهبِ الكلامِ، والتَّعمُّقُ فيهِ على الوجهِ الَّذي يذهَبُ المتكلِّمون.))

و ملخص منهج ابن تيمية هو : يُكره العلم إذا كان كلاماً بغير علم، أو حيث يضر، فإذا كان كلاماً بعلم، ولا مضرة فيه فلا بأس به ، و إن كان نافعاً فهو مستحب، فلا إطلاق القول بالوجوب صحيح، ولا إطلاق القول بالتحريم صحيح ، مثله مثل التقليد و الاجتهاد ، فالاجتهاد جائز للقادر على الاجتهاد ، و التقليد جائز للعاجز عن الاجتهاد.

و بهذا نعرف أنَّ ذم الكلام مطلقا كما هو عند جمهور السلفيين المعاصرين ليس مذهبا لابن تيمية.

و بتحرير هذه المسألة نستخلص أربعة أمور:

1 ـ ليس كل أئمة الحديث أكفاء في التحقيق العلمي، فالمنهج العلمي الصحيح ليس الاستشهاد بأقوال بعضهم على صوابية القول إن لم تسعفه الأدلة و تؤكده، فمن ظن أن المنهج السلفي هو إقامة الشاهد من قول بعض المحدثين دون أنْ يكون مصدر الاستدلال الدليل المعتبر شرعاً فقد أخطأ المذهب.

2 ـ موقف غالبية السلفيين المعاصرين هو موقف جمهور المحدثين و لا علاقة له بمنهج ابن تيمية جملة و تفصيلا، تجمع بينهما النتائج فقط، لا المقدمات، و لا منطقية الاستدلال و ضروبه.

3 ـ هل هناك مسائل شبيهة ؟ نعم، في قضايا التصوف ـ و السياسة، و الأسماء و الأحكام، و معاملة المخالف و غيرها، سيأتي الحديث عنها مستقبلا بتفصيل و إسهاب.

4 ـ هل السني السلفي هو الذي لا يتكلَّم إلاَّ بالألفاظ الوارِدَة التي لا يُفهَمُ معنَاها أو يعجز عن إفهامِ الناس بمعانيها بِلُغتِهم،أم من فَهِمَ معانِي النُّصوص، و دفع الخطأ المعارض لها بأي لغة أو مصطلح يفهمه الناس لا يعارض مدلوله الكتاب و السنة هو

أحق بالسنة من غيره ؟
وكذلك نحن نعرف ~ مثلا ~ أنه قد أشار في عدة من كتبه [2] إلا مسألة التقصير في الدليل العقلي و اعتقاد أنَّ الشرع يدل بالخبر المجرد فقط، وهذه مشكلة جوهرية في تحليل اختلاف لغة الخطاب و آليات الاستنتاج ثم بالنتيجة في وضع العلاقة بين المذاهب الإسلامية في علم الكلام و قضايا الاعتقاد عموماً.
فإذا تغيرت لغة العلم في فترة ما، أو هيمنت لغة أو اصطلاح ما على فترة بحيث صارت لغة السلطة أو لغة تكفلها السلطة و صار أهلها القضاة و رؤساء المدارس العلمية كان التخلف عن اتخاذ موقف علمي منها يعني: اعتبارها و تقييمها بالكتاب و السنة ،ومن ثم التخاطب بها ~ على الأقل مع أهلها ~ تقصيراً علميا في حقِ الكتاب و السنة، و في حقِ الأمة ،وفي حقِّ المخالف الذي لا يفهم غيرها إذ الناس إما صاحب حقٍّ عليه مسئولية بيانه لغيره، أو مخطئ يحتاج إلى من يرشده.
فلا يكفي أن تكون مصيبا ~ بغض النظر ~ عن حقيقة هذه الصوابية يجب أن تأخذ بالوسائل الكفيلة ببيان هذا الصواب لغيرك من المسلمين وغيرهم،فالحق يحتاج إلى لغة مفهومة للناس، و ليس على الناس أن يأتوا إلى لغتك فقد تكون لديهم شبهات عنها ~ ساهمت فيها ~ تمنعهم من اعتمادها.
وحامل الحق هو المسئول عن تبليغ الحقِّ و بيانه، و الحقُّ يحتاج إلى أن نقدِّمه بجرعات غير قاتلة كالدواء إن لم نحترم الجرعات فقد يكون قاتلا.
و الحق يحتاج أنْ نسلط عليه ضوءا مناسبا و إلا صار كذبا، و لأنَّه الحقّ فيجب أنْ يكون مظهرُه و لباسه و عطره جميلا طيبا.
عندما نُقصِّر في وسائل نشر الحق أو بيانه فإنَّنا نساهم في ابتعاد الناس عنه، و نساهم في مزيد توغلهم في الباطل.
إذاً الإحاطة الملموسة بالمفاهيم الخاصة بكل فئة هي سبب الرؤية الشاملة و انتظام المنهج العلمي بحيث يسعى إلى الصوابية العلمية لكن بدون أن يؤثر على التناغم و الانسجام العلمي في القضايا العلمية المشتركة ، وفي النسيج الاجتماعي و السياسي للمسلمين.
لا شك أنَّ كثيرا منَّا قد لاحظ أنَّنا نعاني من عدم استقرار في منهج البحث فلا تحكمنا معايير موحدة أو قواعد مشتركة، و كتب التراث فيها تقلبات كثيرة ،وفي بعضها

فوضى في نسقها الفني و ترتيب مواضيعها و عدم فصل حقيقي بين المواضيع المتشابهة، إضافةً إلى غموض الأطروحات و المفارقات و التناقض و الضبابية و الاضطراب في بعضها .

وكل هذا يحتاج طالب العلم إلى أنْ يحترز منه، و إلى أنْ يفصل بين العنف اللغوي الموجود فيها بسبب النعرات و المذهبية، أو الأذى الذي تعرَّض له بعض العلماء و بين المضمون العلمي الصرف.

وعلى هذا نقول: لقد تكوَّنت الصورة الذهنية ~ عن المخالف ~ المرتسمة في عقول الشباب من كل هذه العوامل: من عنف كلامي، شيوخ يفتقدون إلى النظرة الشاملة، لا يفرقون بين مقام الوصف و مقام الحكم، لا يقفون عند الأسباب الموضوعية لظهور المقالات،لا يفرقون بين المقالة و الشخص،حتى يخيل للشاب إذا ما نظرت إلى الصورة الذهنية ~عن المخالف ~ في عقله تجدها صورة آدمي بقرون شيطان ، مبغض للرسول، يعمل كل ما في وسعه لمعارضة السنة ؟

وهذه صورة بعيدة عن الحقيقة، جاءت نتيجة النفخ و تضخيم القضايا و المسائل و شيطنة المخالف بلغة التشنيع و الإثارة و المغالبة حتى أصبح خطابنا خطاب المتكالبين على بعضهم بعضا.

من المفروض أن يكون خطابنا علميا إيمانيا أبعد ما يكون عن الأيديولوجية فيقبل النقاش و الحوار ، حتى ولو كنا مقتنعين بصوابيتنا يمكن أن نعتبر النقاش مع غيرنا بيانا و شرحا ، و إن اعتبره هذا الغير نقاشا تأسيسيا.

لا مانع من أن تحتفظ برأيك، و أن تفتخر به بأدب ومودة للمسلم، فليس شرطا في قول الحق الإسراف في التشنيع.

نحتاج إلى إعادة ترتيب القضايا المعيارية، و أنْ نُفرق بين النظرية منها و العملية، و أيها تدخل في مقومات وجود الأمة و فعاليتها، و الأخرى التي هي من كمال الوجود و التحقق.

لا يجب أن نقع في فخ تداعيات حصد النجاح في مجال أو مجالين و نهمل الشعور بالشبع من الإخفاقات التي باتت تلاحقنا في مجالات كثيرة ، و ليس على من يشعر أنه أقلية أن يقاوم مقاومة المنهزم: دوامة الصمت، بل يجب أن نمضي إلى معركة النقد و التحقيق، فما لم نفعله نحن سيفعله أعداء الدين وحينها النتيجة ستكون وخيمة ، و

دعوكم من حجج المتعصبة فالنقد لا يخدم إلا الحق، والحق لا يخدم أعداءه.
وكما قال الكاتب الفرنسي هنري بيرو (Henri Béraud) : " الكاتب المكافح (المناضل) يجب أن يخضع للنُّكران، الضَّربات الموجَّهة للذين يعتقد الدِّفاع عنهم، و الذين يدافع عنهم بالفعل مهما كان زمانه، حزبه(....).مصيره محكوم،أكثر أو أقل مأسوية (.....) يوجد دائماً رجال يزدرون سهولة الحياة، يكرِّسون أنفسهم مع المعرفة التامة بضخامة أهمِّ المهام البشرية، و التي هي الصُّراخ(لتحذير) المعاصرين من المصيبة،ذلك أنَّ "عالَم الأدب"(عالم الكتابة) ليس كله مكوَّنا من الأدباء،يوجد ـ دائماً ـ رجال لا يلجئون(يختبئون) في مؤلفاتهم؛هؤلاء الرِّجال يقاتلون، ويقاتلون لأنَّهم إن لم يقاتلوا لا أحد سيقاتل مكانهم، و لماذا يقاتلون؟
من أجل الواجب المدني[للمسلم في سبيل الله من أجل الأمة]، بدون شكٍّ، لكن و خاصَّة من أجل شرف مهنتهم(مهمَّتهم)؛ لوحدهم يمضون إلى قلب المعركة لأنَّهم يستجيبون لمهمَّتهم؛ يكذبون على أنفسهم إن تخلوا (تولوا)عن المعركة’’

رسالة قصيرة إلى عقول قاصرة:

إن كان الأمر يتعلَّق بالوصف السطحي ~ على عادة المقصودين ~ لا بنقاش في مسألة جزئية فليس أحق بالوصف بالغث من السلفية التجريحية و التكفيرية بطبعتهما المطابقة و المعدَّلة و المنقَّحة ، فما هما إلا وجهان لعملة واحدة: غلو في التضليل ،و غلو في التكفير، و مصدرهما واحدٌ إلا أن التجريحية ~ بسبب التوظيف السياسي ~ لم تطرد أصولها و ناقضتها عندما وصلت مسائل الحكم غلَّبت عمومات طريقة أهل السنة في التعامل مع الحكَّام ليس قناعة منها ولكن بسبب التوظيف، و لو طردت أصولها لكانت أكثر غلوا في التكفير من التكفيرية.
المهم : لا تحدد علاقتك بشخص بموقفه من شخصيات تحبها، لأن الواجب الفصل فصلا تاما بين النقد و المودة، اليوم تثمن جزئية و غداً تنتقد أخرى، لكن في جميع الحالات اشهد بالفضل لأصحابه، و ليكن عندك متسع لمجالسة و مودة كل المسلمين ،مع احتفاظ كل واحد بقناعته،و النقد لا يعني الإقصاء لأن فساد التصور في المسلمين أكثر بكثير من سوء القصد.
وتنبه لهذه:" كما يوجع قولك الحق المخطئَ فيه سيوجعك قوله الحق لك"، فإن تصبر عليه فإنما تصبر على حقك في قول الحق لغيرك، و الأصلح للمرء أن يظفر بذي علم

ولو كان مخالفا فإنه خير من جهل الموافق.
و لو نبدأ باستبدال كلمة " عدو" بـ" خصم " أو " مخالف" نكون قد وضعنا الرجل على أول درجات سلم الرشد.
و الولد للفراش..... ومن أراد أن لا ينتهي عجبه فليعجب من نفسه.

ما الذي ينقص الإصلاح الإسلامي؟

الحمد لله، و الصلاة و السلام على رسول الله.
أولا: يجب أن نحرر مصطلح "الإسلاميين" فلستُ أقصد هنا إلا التيارات الدعوية و السياسية لأن هذا المصطلح صار يطلقه الإعلام على "الإصلاحيين الشيعة ضمن التشيع"، وعلى كل "جماعات الغلو و التطرف"
فالمقصود به هنا "الإصلاح السني" الذي ينطلق من تصور المشروع الإصلاحي كحملة دعوية دينية بحتة ، أو يزاوج بين الدعوة و العمل السياسي الحزبي و الجمعوي، وهو ما يسميه بعضهم بـ"الحركة القانونية" يعني: ضمن قانون الدولة .
هذه مجموعة أسئلة سأحاول من خلالها إنزال المشروع الإصلاحي الإسلامي إلى أرض الواقع لننظر إليه من خلال حقائق هذا الواقع و إكراهاته لعلنا نبصر نقاط القصور أو التقصير التي تشلُّه،فإن الإصلاحيين قد قدَّموا نظريات و أجوبة علمية في غاية الأهمية و أحيانا في غاية الدقة، ومهما تحدثنا عنها بعيداً عن مواجهة الحقيقة ستبقى حديثا نظريا في الفضاء، لا يرتبط بالواقع إلا في حدود تحرك الأفراد المقتنعين به.
أريد أن أقول : لا يمكن أن نفهم هذه النظريات أو المناهج الإصلاحية ما لم نسأل عن سبب رفضها أو إهمالها من قبل قطاع عريض من المسلمين وحتى من الإسلاميين أنفسهم ، و أين يكمن الإشكال بالضبط هل هو في المنظِّر الذي غفل عن استتباعها بخطوات الانتقال العملي بها من حيز النظرية إلى الحياة العملية، أم في النظرية في حد ذاتها التي من جهة التأصيل الشرعي كانت وفية لمتطلباته لكن من حيث الإنزال صدرت بالنظر إلى واقع آخر لم يعد موجودا ، من دولة لا أقول دينية لكن خاضعة له، لا تصدر إلا عنه إلى دولة قطرية لا تستطيع أن تضع سياستها بمعزل عن واقع العالم و صراع المحاور المختلفة، من مجتمع أحادي النسيج المذهبي إلى مجتمع

متعدد الأعراق و المذاهب مما فرض وضعا جديدا على إشكالية حرية الرأي وحرية التعبير عنه ... الخ

لماذا بعد أزيد من قرن لم يصل الإصلاحيون الإسلاميون إلى إنجاز مشروعهم؟

هل المشروع الإصلاحي الإسلامي كما بلوره رواده القدماء أمثال : ابن تيمية ثم محمد بن عبد الوهاب، وبعد ذلك: جمال الدين الأفغاني،محمد عبده، ابن باديس، حسن البنا ، أبو الأعلى المودودي وغيرهم قادر على إعادة بعث الأمة أو الدولة الإسلامية أم أنه ناقص من عدة جوانب يحتاج إلى تدعيم بفكر إسلامي علمي تبلور في العصر الحديث، استعان بعلومه في سؤال التراث، و رسم مخططه وفقا لمعطيات و أحوال العالم المعاصر ؟

هل الدين الذي دعوا إلى إصلاحه يطابق الدين المنزل الذي شمل الإطار الاجتماعي و الإطار السياسي و الحضاري أم أن هذه الجوانب لأسباب سياسية و علمية بحتة أدت إلى الاختصاص و انفصال الحكم عن العلم، فلم يعد الدين مَعنيا إلا بالجانب الروحي ـ السلوكي، و الكلامي، و التعبدي ـ الأخلاقي، و بالتالي لم يكن في إصلاحه صلاح الحياة في جميع مجالاتها؟

هل يجب علينا أن نخرج من المعادلة الخاطئة " الإسلام كامل فيلزم أن المسلمين كاملون" التي صاغت منهجنا العلمي في مقاربة المشاكل و الإشكالات برؤية دفاعية محضة،فلا يلزم من كمال الإسلام كمال اجتهادات المسلمين الفردية؟

ما الذي يجب أن يسعى إليه الفرد و المجتمع المسلم أولا : الحاكمية أم أن يملكوا أخلاقيات الإله بالاتصاف بأوصافه التي خلقهم ليتخلقوا بها كما يقول أهل التصوف ومحمد إقبال ومالك بن نبي، و صبغ أفعالهم بصفات أفعاله : الحكمة و الرحمة، وما الذي من هذين الأمرين هو أساس بناء الأمة، و ما الذي منهما يُعيِّن نوع الأمة فهو القمة؟

هل مشكلة الأمة مشكلة دولة أم مشكلة فرد حيثما وضعته:في دولة، أو مستشفى، أو جامعة، أو معمل أو على قارعة الطريق له نفس الأخلاقيات و نفس السلوك المرضي، و بالتالي نفس المردود؟

هل سياسة الإسلاميين سياسة صحيحة أم أنها السياسة من أجل السياسة دافعها تصور طائفي أو حزبي نشأ من اعتقاد خاطئ بأن مشكل الأمة الأساسي سياسي الطابع أم تقع

ضمن تصور شامل يبحث عن إيجاد الشروط و الظروف المهيئة ليتفتق فيها مسلم بدين صحيح ونفس سوية وعقل متزن يسعد بالحقيقة ولا يستمتع بالشر؟

هل النظر إلى المستقبل و التعامل مع الحاضر المختل بفقه التمكين أو بفكر معاصر يهتم بتكوين الدولة و إرساء القواعد و ترشيد المؤسسات يمكن أن يساعد في نهضة إسلامية حقيقية أم أنه موبوء بالفشل تماما كالفكر الإصلاحي الذي يعتمد فقط على الانفصال عن رواسب الماضي و سلبياته، فهذا يرى في تصفية الدين أو الفكر من رواسب الماضي السلبية الحل، و الآخر يرى أنه في انتزاع الحكم يكمن الحل و الخلاص ، وهو لا يملك مشروعا ينتقل به بالمسلم من حال الوهن إلى حال الحياة، من نفس خاملة تعاني من أمراض مختلفة إلى نفس سوية ، ومن عقل فاسد إلى عقلانية قرآنية حقيقية، من مجتمع يتوارث من قرون ذهنيات فاسدة إلى مجتمع رباني يؤسسان لدولة أصيلة ـ عصرية تكرم الإنسان و تحقق العدالة الاجتماعية و تحمل رسالة الإسلام.

لا اعتقد أن الحركات العلمانية بأسمائها المختلفة المزينة زورا بعبارات تدل على التيه كالحركة اليسارية، و الليبرالية، و اللائيكية الخ تملك مشروعا بديلا إلا بعض الأفكار الممسوخة المنبهرة بالغرب ليس فيما يشكل قوته الحقيقية و لكن في أفكاره المنحرفة عن حقيقة الإنسان استرسلت مع الجانب الجمالي على حساب الأخلاقي و العقلاني لذا فإن التموضع العلمي من الحركات الإصلاحية الإسلامية من خلال نقد تصوراتها ليس لحساب حركة التغريب و لكن نحن أمام حركتين: حركة أصيلة تريد النهضة بالأمة لكن تعاني رؤيتها من شلل بنيوي تتأمل أحوال الأمة لكن بين الخراب، لم تنفصل عن سلبيات الماضي، و لا أصلا تشعر بالحاجة إلى معالجتها، وحركة أجنبية لقيطة لا الدين تحفظ و لا إلى حياة هادفة تسعى.

وعليه فإن عاطفتنا الصادقة اتجاه المصلحين الإسلاميين تتجلى في كوننا عندما ننفصل عن فكرة لأحدهم لا نراها صائبة فبدون أن نكسر منزلتهم ونلعن أفكارهم، هو الانفصال عن المقاربة و ليس الانفصال عن العلاقة العضوية و لا عن العاطفة اتجاههم، تماما كما يطلق البرهان عنف الحكم على المقال ،فعندما يقول البرهان: هذا بدعة، وهذا مخالف للقرآن و السنة فلا علاقة لهذا العنف الذي يفرزه البرهان بالمودة و الإنصاف في الحكم على صاحب المقال فتلك قضية أخرى لها شروط معرفية

أخرى مغايرة للأولى .
أظن أنه قد حان الأوان لنقول ما يجب أن نقوله، لنتكلم عن المسكوت عنه ، عن أسباب الإخفاق وعن آفاق المشروع الإسلامي، و ما الذي نحتاج إلى التخلص منه، و الذي نحتاج إلى أن نطعم به رؤيتنا ومشروعنا مما هو بين أيدينا و أهملناه بسبب الحزبية الذهنية و الجزمية الزائفة وخاصة بسبب الفارق في المستوى المعرفي للمقاربة بينه و بين الرواد الإصلاحيين، وفي كل خير، فلا يقوم المشروع بدون أحدهما.
كما قال أحدهم : "غن أخي الزارع [زارع الأفكار] لترشد بصوتك الخطوات التي تأتي في ظلمات الفجر، نحو ثلم الحرث الذي يأتي من بعيد...."
هذا ما سأحدثكم عنه ~ إن شاء الله ~ في الأيام القادمة تفصيلا

المد و الجزر المعرفي و أورام التثبيت
الحمد لله وحده و الصلاة و السلام على من لا نبي بعده.
أولا: إذا كتب إنسانٌ مشيداً بأحدهم أو مدافعا عنه أو عن جماعة ما في قضية مخصوصة اصطف معه كل محب لهذا الشخص وهذه الجماعة ظنًّا منهم أنه منهم، أو أنه متعاطف معهم حتى إذا كتب منتقدا لنفس الشخص أو الجماعة تحوَّلت قبلة المصطفين عنه ، وهكذا مع كل شخصية و جماعة إسلامية !
تنتقد الشيخ ربيع فيصطف معك كل مخالف له، وهم كثر ومن طوائف مختلفة، فإذا انتقدت شخصية منهم أو جزئية في منهجهم أو تصورهم انفضوا عنك إلا من رحم الله، و لهذا كنتُ قد كتبتُ من سنين طويلة مقالا بعنوان" أي أهل السنة أنت؟" قلتُ فيه :
((فاليوم إذا كتبتَ، أو تكلَّمتَ أوَّل ما يبحث عنه القارئ، أو المستمعُ هو: مِن أيِّ أصناف أهل السُّنَّة أنت (؟!)
يريدُ أن يصنِّفك أوَّلا حتَّى يهيمن هذا التَّصنيف على كلِّ وجدانه، ويُشعل في عقله أضواء التَّحذير، و التَّوجُّس، و التَّوقُّف: الحمراء، و الصَّفراء، و البرتقاليَّة (!)
فيقرأ لك، أو يستمع إليك بحكم مسبق يقطع الطَّريق لأيِّ تواصل معه مثمر.
لا يهمُّ ما تقول، إن كان نصًّا قاطعًا، أو إجماعا صحيحًا، أو فهمًا ثاقبًا، المهمُّ عنده:إلى

أيِّ صنف منهم تنتمي(!)))
المقصود أن هذا المد و الجزر سببه الانتماء و الحزبية الفعلية أو الذهنية التي تربي الجماعات أفرادها عليها، فالسلفي من هذا الصنف المذهب عنده محسوم ،وهم على الحق المفروغ منه غير القابل لأي مناقشة أو مساءلة علمية ، فالبحث عندهم يقتصر عن المؤيد و المتعاطف لا غير.
فهذا يريدك أن تنتقد هذا المنهج لكن لا تخرج عن منهجه هو، و الآخر يريدك أن تنتقد الشخصية الفلانية لكن دون أن تنتقد الشخصية التي يتبعها هو ؟
وهكذا بالنسبة للسلفي من صنف آخر، و للإخواني و غير الإخواني ،الصوفي و الأشعري، فهذا مرض عام و شلل شامل في الأمة إلا من رحم الله ،لذلك فإن النقاش بين المسلمين مغلق فما بينهم إلا المناكفات بالمغالبة و المناهبة؟ !
ثانيا: ورم التثبيت [abcès de fixation] مصطلح استعمله الأستاذ مالك بن نبي ~ رحمه الله ~ للتعبير عن مشاكل الفكر الإسلامي عندما يحوِّل نظره عن المشاكل العضوية و مشاكل الاتجاه الأساسية ليكرِّس نفسه لمسائل ذات إستراتيجية سياسية فورية ليست في الحقيقة إلا أعراضا للمشاكل الأساسية، بالنسبة إليه هذا التوقف عند المسائل الفورية ما هو إلا طريقة كبح "فرملة" استعملتها القوى الامبريالية هادفةً إلى خلق "ورم تثبيت" لإيقاف تطور العالم الإسلامي في حل مشاكله الخاصة ، مثل الصهيونية هي أحد أورام التثبيت التي خلقها الغرب الامبريالي لوقف زحف الأمة الإسلامية نحو النهضة.
وهذه الأورام قد تكون "دولة أو جماعة أو منهجا أو حزبا أو فكرة أو حدثا أو حربا " وقد نصنعها بأنفسنا فتكون على شكل مسلمات لا نفكر في مراجعتها تحبسنا في وضعية معينة، فإيران ورم تثبيت للدول السنية ستحول نظرها عن إسرائيل ،و بعض الدول الغارقة في الحلف الغربي التي لا تستطيع التنفس خارج حلف النيتو ورم تثبيت لأخرى، و بعض السلفية ورم تثبيت لبقية السلفيين و المسلمين فمثلا من يرى جواز نقد مرسى حاكما في حين يحرم ذلك على السيسي ورم تثبيت ،و الهرطقة العقلية المسماة زورا جرح وتعديلا عند هذا الورم السياسي هي نفسها ورم تثبيت فكري.
فكل جماعة عندها فكرة ترفض التخلي عنها وقد ثبت استحالة انجازها،أو أنها بلورت في ظروف لم تعد موجودة الآن فهي ورم تثبيت.

وعلى هذا فأورام التثبيت عندنا كثيرة ، بعضها زرعها الغرب فينا، وبعضها أنتجها فينا دعاة غير أكفاء لم يقصدوا شرا لكنها تبقى ضمن أورام التثبيت.
إن كنت ستبدأ بالبحث عن الحل فابدأ بمراجعة فكرك ومنهجك و الشخصيات العلمية التي تتبع فلعل في بعض أفكارها ~ و إن لم تقصد أو تغيَّرت الظروف ~ ما يلعب دور ورم التثبيت، أو لعلك لم تفهمها جيداً فصنعت من الحق ورم تثبيت، الاحتمالات كثيرة و الفاحص هو المراجعة الحيادية الموضوعية .....

الارتقاء الفكري في مركز نمـــــاء
منذ أن تعرَّف المسلمون على العلوم الإنسانية بدأ الاتصال بينهم وبين هذه العلوم دون أن يحددوا طبيعة هذه العلاقة الناشئة ووظيفتها المعرفية ،وقد لاحظ المثقفون من العلماء المسلمين أن كتابات بعض المفكرين المسلمين و قبلهم كتابات الغربيين يظهر عليها منهجاً يضبط نسقها الموضوعي و الفني ، و أنها مكتوبة وفقا لخطوات منهجية محددة مسبقا مما يكسبها قوة و تأثيرا ملحوظين، إضافة إلى الآفاق البحثية التي فتحتها أمامهم ،كما أنها صارت معولا في يد آخرين لمهاجمة علوم الوحي، وعليه صار التعامل معها ضرورة حتمية لا مفر منها، لكن أولا بالجواب عن السؤال التالي:
هل هي مخالفة لعلوم الوحي، أو موافقة بينهما تكامل معرفي ،أو تحتاج إلى الأسلمة يعني: اعتبارها بعلوم الوحي و تهذيبها بما يوافقها؟
وهو ما تنبه إليه القائمون على مركز نماء حينما تحدثوا عن مناقشة الأطروحات التي خلصت إلى الرفض، أو إلى التكامل المعرفي، أو إلى أسلمة هذه العلوم .
فنحن إذاً أمام اتصال وقع لا مفر منه، و تأثيره علينا سلبا و إيجابا لا يمكن دفعه بموقف الرفض المحض قبل أن نجيب عن السؤال التالي:
أين تخالف هذه العلوم الشريعة، بعيداً عن التوظيف بل في مناقشة النظريات و المنهجية فإن توظيف الحقائق العلمية وتوجيهها في الإلحاد و التهجم على النص لا يعني أن النظرية تقبل ذلك ولا هو خاص بهذه العلوم؟
المقصود أن مركز نماء كان قد فتح إلى غاية شهر ديسمبر1915م مسابقة حول عدة مواضيع تتصل بهذه القضية تناولت دراسة الدواعي العلمية و الموضوعية التي أدت إلى الوصل بين علوم الوحي و العلوم الإنسانية ،وحاجة كل علم إلى الآخر.

وفي ظني قصدوا حاجة العلوم الإنسانية إلى الميزان الرباني الموجود في علوم الوحي، و حاجة أصحاب علوم الوحي إلى أدوات علمية دقيقة تساعدهم في تطوير اجتهاداتهم كما نفهمه من استعمالهم عبارة" الترشيد" للوصول إلى التراكم المعرفي و النجاعة و الفاعلية، متنبهين إلى التحديات المعرفية و المنهجية التي تعيق تأسيس مثل هذه العلاقة، و قد مثلوا بالعلاقة بين الفقيه و عالم الاجتماع و النفساني في تحقيق المناط بحيث أن هذه العلوم تقدم لعلماء الشريعة معطيات مهمة ودقيقة تساعدهم في فهم الواقع لتحقيق مناط النازلة .

و أسئلة أخرى تتعلق بفلسفة العلم، و العلاقة بين أصول الفقه و علم التأويل الهرمونوطيقا و غيرها مما يجدر الإشادة به ، فإنه يدل على نقلة نوعية في مواضيع ومجال البحث الإسلامي، وعلى فهم مشكلة الفكر الإسلامي في العصر الحديث كيف يتخطى دور هذه العلوم الإنسانية الخطير في صياغة الحضارة المعاصرة .

وكيف ستعين مثل هذه البحوث طلبة العلم و المثقفين على اجتناب السقوط في الرؤية الغربية أو العقلية الدفاعية الجزمية بدون مستند واضح.

أعجبني الموضوع فأحببت الإشادة باختياره، و أظن أن المتابع للبحوث التي ستصدر عن المركز بهذا الخصوص سيستفيد كثيرا ،و يقفز معرفيا عاليا إن شاء الله.

أنواع العلوم وغيرها

الحمد لله و الصلاة و السلام على رسول الله.

حتى لا يختلط علينا الأمر، فأهل التسطيح الفكري كثر،و كذا أهل سوء الفهم ، فهذا تقسيم للعلوم من حيث أصولها كما انتهى إليه شيخ الإسلام ابن تيمية ، و به يمكن أن تضع قدماً في فهم الإشكال العلمي الذي جاء في المنشور عن مقترح مركز نماء.

((قَدْ كَتَبْت فِي كُرَّاسٍ قَبْلَ هَذَا: أَنَّ الْحَسَنَاتِ وَالْعِبَادَاتِ ثَلَاثَةُ أَقْسَامٍ:

1 ـ عَقْلِيَّةٌ: وَهُوَ مَا يَشْتَرِكُ فِيهِ الْعُقَلَاءُ؛ مُؤْمِنُهُمْ وَكَافِرُهُمْ.

2 ـ وملي: وَهُوَ مَا يَخْتَصُّ بِهِ أَهْلُ الْمِلَلِ كَعِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ.

3 ـ وَشَرْعِيٌّ: وَهُوَ مَا اخْتَصَّ بِهِ شَرْعُ الْإِسْلَامِ مَثَلًا.

وَأَنَّ الثَّلَاثَةَ وَاجِبَةٌ؛ فَالشَّرْعِيُّ بِاعْتِبَارِ الثَّلَاثَةِ الْمَشْرُوعَةِ وَبِاعْتِبَارِ يَخْتَصُّ بِالْقَدْرِ

الْمُمَيِّزِ.
وَهَكَذَا الْعُلُومُ وَالْأَقْوَالُ عَقْلِيٌّ وملي وَشَرْعِيٌّ:
1 ـ فَالْعَقْلُ الْمَحْضُ: مِثْلَ مَا يَنْظُرُ فِيهِ الْفَلَاسِفَةُ مِنْ عُمُومِ الْمَنْطِقِ وَالطَّبِيعِيِّ وَالْإِلَهِيِّ؛ وَلِهَذَا كَانَ فِيهِمْ الْمُشْرِكُ وَالْمُؤْمِنُ.
2 ـ والْمِلِّي: مِثْلَ مَا يَنْظُرُ فِيهِ الْمُتَكَلِّمُ مِنْ إثْبَاتِ الصَّانِعِ وَإِثْبَاتِ النُّبُوَّاتِ وَالشَّرَائِعِ، فَإِنَّ الْمُتَكَلِّمِينَ مُتَّفِقُونَ عَلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إلَهَ إلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ وَلَكِنَّهُمْ فِي رَسَائِلِهِمْ وَمَسَائِلِهِمْ لَا يَلْتَزِمُونَ حُكْمَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ فَفِيهِمْ السُّنِّيُّ وَالْبِدْعِيُّ، وَيَجْتَمِعُونَ هُمْ وَالْفَلَاسِفَةُ فِي النَّظَرِ فِي الْأُمُورِ الْكُلِّيَّةِ مِنْ الْعِلْمِ وَالدَّلِيلِ وَالنَّظَرِ وَالْوُجُودِ وَالْعَدَمِ وَالْمَعْلُومَاتِ لَكِنَّهُمْ أَخَصُّ بِالنَّظَرِ فِي الْعِلْمِ الْإِلَهِيِّ مِنْ الْفَلَاسِفَةِ وَأَبْسَطُ عِلْمًا وَلِسَانًا فِيهِ؛ وَإِنْ شَرَكَهُمْ الْفَلَاسِفَةُ فِي بَعْضِهِ كَمَا أَنَّ الْفَلَاسِفَةَ أَخَصُّ بِالنَّظَرِ فِي الْأُمُورِ الطَّبِيعِيَّةِ؛ وَإِنْ شَرَكَهُمْ الْمُتَكَلِّمُونَ فِي بَعْضِهِ.
3 ـ وَالشَّرْعِيُّ: مَا يَنْظُرُ فِيهِ أَهْلُ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، ثُمَّ هُمْ إمَّا قَائِمُونَ بِظَاهِرِ أَسْرَعَ فَقَطْ كَعُمُومِ أَهْلِ الْحَدِيثِ وَالْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ فِي الْعِلْمِ بِمَنْزِلَةِ الْعِبَادِ الظَّاهِرِينَ فِي الْعِبَادَةِ. وَإِمَّا عَالِمُونَ بِمَعَانِي ذَلِكَ وَعَارِفُونَ بِهِ فَهُمْ فِي الْعُلُومِ كَالْعَارِفِينَ مِنْ الصُّوفِيَّةِ الشَّرْعِيَّةِ.
فَهَؤُلَاءِ هُمْ عُلَمَاءُ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ الْمَحْضَةِ وَهُمْ أَفْضَلُ الْخَلْقِ وَأَكْمَلُهُمْ وَأَقْوَمُهُمْ طَرِيقَةً وَاَللَّهُ أَعْلَمُ.
وَيَدْخُلُ فِي الْعِبَادَاتِ السَّمَاعُ فَإِنَّهُ ثَلَاثَةُ أَقْسَامٍ: سَمَاعٌ عَقْلِيٌّ وملي،وَشَرْعِيٌّ. فَالْأَوَّلُ مَا فِيهِ تَحْرِيكُ مَحَبَّةٍ أَوْ مَخَافَةٍ أَوْ حُزْنٍ أَوْ رَجَاءٍ مُطْلَقًا.
وَالثَّانِي مَا فِي غَيْرِهِمْ كَمَحَبَّةِ اللَّهِ وَمَخَافَتِهِ وَرَجَائِهِ وَخَشْيَتِهِ وَالتَّوَكُّلِ عَلَيْهِ وَنَحْوِ ذَلِكَ.
وَالثَّالِثُ السَّمَاعُ الشَّرْعِيُّ وَهُوَ سَمَاعُ الْقُرْآنِ كَمَا أَنَّ الصَّلَاةَ أَيْضًا ثَلَاثَةُ أَقْسَامٍ. وَهَذِهِ الْأَقْسَامُ الثَّلَاثَةُ أُصُولُهَا صَحِيحَةٌ دَلَّ عَلَيْهَا قَوْلُهُ: {إنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا} الْآيَةَ. فَالَّذِينَ آمَنُوا هُمْ أَهْلُ شَرِيعَةِ الْقُرْآنِ؟ وَهُوَ[[الدِّينُ الشَّرْعِيُّ بِمَا فِيهِ مِنْ الْمِلِّي وَالْعَقْلِيِّ.]]
وَاَلَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى أَهْلُ دِينٍ ملي بِشَرِيعَةِ التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ بِمَا فِيهِ مِنْ ملي وَعَقْلِيٍّ وَالصَّابِئُونَ أَهْلُ الدِّينِ الْعَقْلِيِّ بِمَا فِيهِ مِنْ ملي أَوْ ملي وَشَرْعِيَّاتٍ)). مجموع الفتاوى 20/62.

أسباب التعثر أو التوقف برهةً

الحمد لله ،و الصلاة و السلام على رسول الله.

هذا في الحقيقة جواب على التعليقات على المنشور السابق لكنه استرسل في القضايا.

1 ـ الحديث هنا عن تقسيم العلوم و الذي جاء كمقدمة عما يجب أن تكون عليه طبيعة العلاقة بين علوم الوحي والعلوم الإنسانية ، ولا أحد تحدث عن العقيدة السلفية و اللغة التي يجب أن تستعمل في الدعوة إليها، فمن البديهي عند الناس أن تعليم العقيدة أو أي علم من العلوم الشرعية يكون بلغته عند المسلمين، وهذا مفروغ منه، لكن من البديهي كذلك عند العقلاء أن مخاطبة المخالف لها مسلما كان أو غير مسلم بلغة لا يفهمها هو من قلة العقل.

و العقيدة السلفية يمكن التعبير عنها بالعبارات الواردة لكن هذا يخص المسائل أو الجلي منها، أما الدلائل أو الدق من مسائلها فأكثره مستحدث، فعلم الكلام إمَّا مسائل اعتقاديَّة دينيَّة كإثبات وجود الله وصفاته و أفعاله،و النُّبوة و المعاد وإثبات حدوث العالم، ويُسمَّى هذا القسم بـ"المقاصد" أو"جليل الكلام"،أو "المسائل".

وإمَّا أن تكون قضايا تتوقَّف عليها تلك المسائل، كالجسم الطَّبيعي وما يتركَّب منه ولواحقه ويُسمَّى هذا القسم بـ"اللَّواحق"، أو "دقيق الكلام" أو " الدلائل".

و قد استعملت الأدلة العقلية تدريجياً بداية من الإمام أحمد و طبقته الذين استعملوا الأدلة الضرورية حتى بلغت التدليل العقلي في زمن ابن تيمية وما بعده،و ابن تيمية ليس نهاية الحلقة بل كلما تطور الفكر و استحدث علوما و مصطلحات وجب على السلفيين التجاوب معها بالاعتبار بالدلالة الشرعية ،و بالتخاطب بها لمن لا يحسن غيرها، و لأن خطاب جمهور السلفيين داخلي يخاطبون بعضهم بعضا فلا يشعرون بهذه الحاجة.

2 ـ أما مسألة التكوين الثقافي للعلماء حتى لا ينتهوا إلى الفتاوى الشاذة، فهذا يرجع إلى موسوعيتهم قال الصوري: " لم أر ببغداد أكمل من النعيمي قد جمع معرفة الحديث والكلام والأدب والفقه على مذهب الشافعي، قال الخطيب: وكان البرقاني يقول: هو كامل في كل شيء لولا باؤٌ فيه، قال: وكان شديد العصبية في السنة وكان يعرف من كل علم شيئاً" سير الأعلام 13/150.

وقد يرجع إلى صفات نفسية، كما قال الشافعي:" ما أخرجت مصر أفقه بن أشهب

لولا طيش فيه."العبر في خبر من غبر {44/1}.
وقد تكلم بعضهم في مسائل فأحسنوا وخرجوا إلى ما لم يفهموا فجاءوا بطامات لذلك قال الشافعي في " الرسالة"{ص:41}:" وقد تكلم في العلم من لو أمسك عن بعض ما تكلم فيه منه لكان الإمساك أولى به أقرب من السلامة له إن شاء الله "
المهم يرجع هذا الأمر إلى السؤال عن قيمة التكوين العلمي للعلماء المطروح من قرون، و قد أشار إليها الشافعي ~ رحمه الله ~ عندما قال : "العالم من تعلَّم العلم ثم نظر فيما ينقصه فطلبه" فبعضهم اكتفى بما حصله عند شيوخه، وقد يكون جاء في فترة ركود علمي ،و بعضهم تفضل الله عليه فطلب بنفسه ما ينقصه وكمل تكوينه وهذه صفة نجدها عند شخصيات لها نفس تواقة و شغف بالعلم كبير وعندها شك منهجي فلا تسلم بسهولة وترفض بقاء الأسئلة معلقة كما تبحث عن الحقيقة و العلو بها لا تقبل النقص في الفهم و التصور ولا تقنع بما تتلقاه عن الشيوخ لان تصورها للعلم شامل بل تعيش طالبة العلم مستزيدة منه قدر المستطاع .
وضعف التكوين أمر يعاني منه المسلمون في العصور المتأخرة لذلك وجدنا ضعفا في ثقافة المصلحين المادية و المعاصرة أثر على مشروعهم الإصلاحي فقام على جانب وحيد فقط هو إصلاح العقيدة و بعضهم كابن باديس حقنه بشيء من إصلاح الأخلاق وهذا غير كاف، وحتى مشروع ابن تيمية على قوته و صلابته و شموليته بما في ذلك جانب التربية السلوكية وفق التصوف الشرعي و النظرية السياسية غير كاف لنهضة المسلمين الشاملة، و ليس المشكل فيه فإنه من الناحية الدينية كان معنيا بالحقيقة الشرعية لكن استدعاؤه و تكليفه بالناحية الاجتماعية و السياسية المعاصرة هو المشكل، فالصحيح أننا نحتاج إلى مشروع حضاري يقوم أساسه على تفعيل العقيدة[سنتكلم عليه في مقال مستقل] و الإصلاح الديني كما فعل ابن تيمية و ابن باديس للانفصال عن سلبيات الماضي لكن شطره الثاني أو قاعدته الثانية التوجه نحو العصر بمشروع سياسي و اجتماعي يعالج الذهنيات الجماعية و الطائفية و قضايا البناء السياسي ووظيفة الدولة. إذا انطلقت الحركة الإصلاحية من العلماء و الدعاة وحازت مساحة في المجتمع و لم تلتحق بها الدولة لتقوم بجوانبها المختصة بها بحيث تولد الحركة الإصلاحية الدولة سيقع لها ما وقع للحركات الإصلاحية الماضية: تأثير محدود و التحول إلى طائفة.

فمما لا شك فيه أن تعدد الدراسات المعرفية عجز ~ لحد الآن ~عن إيجاد الدواء الصالح لمعالجة مشاكل المجتمع المسلم، وقد كانت محاولات الإصلاح التي قادها التيار الإسلامي كثيرة لكنها اعتمدت كلها على وسائل المعرفة الإسلامية مشغولة بمدى مطابقة مشروعها الإصلاحي للنص في ظروف وواقع جديد تعين العلوم المعاصرة على فهمه فمنذ العهد الاستعماري و نحن عرضة لحقن مادي غربي مستمر تغلغل داخل العقول و النفوس و صنع الذهنيات .

ثم إن هذه الحركة الإصلاحية كانت إصلاحا للدين و ليس للمجتمع و الاقتصاد و الدولة و الفكر الحضاري عموما لأن في حرصها على موافقة النص وهذا أمر مطلوب لكن مع اعتبار أن الدين فُصل عن الدولة و السياسة و الحياة من قرون طويلة فحتى الدولة في العهد المملوكي كانت تأخذ جباية عن الخمر و الزنا كما ذكر المؤرخون.

إننا نعتقد أن بإصلاح الدين يصلح كل شيء لكن هذا لا يصح إلا إذا كان الدين يقود كل شيء؟

لقد ورث العلماء الإصلاحيون وضعية سياسية مزرية ومتدهورة تقوم على طبقة نخبوية ثورية،أو برجوازية،أو حزبية ،أو عسكرية و اقتصاد إقطاعي ريعي ضعيف خاضع للغرب ومذاهب دينية متعارضة متحاربة لا فكريا أكاديميا ولكن اجتماعيا و سياسيا بغض النظر عن مخالفة بعضها لروح القرآن ومجتمع مفرغ من الوعي حاكمه ومحكومه سيان في ذلك،إن اهتم بالنمو و التطور أهمل أصالة التراث فكان رد الفعل الطبيعي عند الإصلاحيين التركيز على أصالة المشروع لكن لم يملك سلاسة الفكر المعاصر في قبول النقد البناء لينزل في التاريخ بحثا على العناصر التي أثرت على المفاهيم الموجودة التي تشل الأمة من أصغرها كالفرد إلى الأكبر وهو المجتمع.

عندما أقول :" مشروع حضاري" فلا أقصد التفنن في الترف و التكلف بضائع الحضارة الغربية ، فالحضارة المنطلقة من التوحيد ليست في مقابل البداوة وليست مرادفة للمدنية و لكنها في مقابل البدائية و الهمجية و الغطرسة و الاحتقار و غير ذلك.

فالمشروع الإصلاحي الحضاري يجب أن يتضمن الشروط المعنوية تتمثل في إرادة تحرك المجتمع، و الشروط المادية لكن الأساس الذي ينطلق منه هو تجديد علاقته

بالإسلام و تفعيل عقيدته على معنى قوله تعالى: { وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ }[القصص].

وهنا يأتي دور الإصلاحيين الدينيين في تخليص المسلمين من مجموع الصفات النفسية و الثقافية و الاجتماعية التي تشكل الشلل، يغيرون الأنفس لتغير التاريخ: {إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم }[الرعد]

المسلم اليوم مملوء بكل الجراثيم ~ الغربية و الناشئة من نفسه ~ النفسية و الاجتماعية و الثقافية تشله معنويا بتفعيل العقيدة و تصحيح مفهوم التدين نخلصه من الأمراض النفسية كالتواكل و الدروشة المفرطة و الخرافة و كل الصفات الحقيرة من الضعة و الخسة و النذالة و الغش و الخيانة و الإهمال و التفسخ الأخلاقي و الاجتماعي.

و بالتمكن من الفكر الغربي الصحيح المعتبر بشريعتنا نخلصه من عقد النقص و الانبهار بمظاهر الحياة المادية عند الغربيين فعمل العلماء و الدعاة إعادة اللحمة بين المسلم و عقيدته و سلوكه النبوي، أما دور المفكرين و السياسيين و غير ذلك الذين يقاسمونهم العقيدة و الرؤية فهو في المجال الاجتماعي و السياسي يوقظون الضمائر و يحيون الوعي الحضاري بأن الاستقلال عن الاستعمار، و بناء دولة ليس هو الظاهرة الأصلية بل الإسلام هو الأصل و الانشغال ببناء حضارة على تعاليمه هو الهدف وهو الشغل الشاغل فالأمم تشهد حروبا كثيرة و دولا تذهب و أخرى تأتي و يبقى الإسلام العامل الصامد المشترك أو هذا ما يجب أن يكون.

باختصار نحتاج إلى الوعي بالماضي و تحقيق التراث و الالتزام بالصحيح منه و الوعي بخطورة السلبي على الأمة،و أنه العامل في تفسخها و انحطاطها فيجب إزالة أثره في واقعنا الثقافي كما نحتاج إلى التوجه نحو المستقبل بمعرفة الحاضر و الأخذ بأسباب القوة فيه مع الالتزام بديننا من أجل تحقيق الرسالة وهي صناعة حضارة إسلامية تنقذ الإنسان من جميع أنواع الانحطاط.

3 ـ كل هذه المنشورات الأخيرة تخدم فكرة واحدة وهي " ما الذي ينقص الإصلاح الإسلامي ليحقق نتيجة ملموسة" ، هل ضعفه و عدم فعاليته المأمولة لأنه أهمل الإطار السياسي و الاجتماعي أم لشيء آخر ؟

في المقال القادم نخصص الحديث عن تفعيل العقيدة بالكلام عن انحراف علم الكلام و

كيف انحرف معه جمهور السلفيين في الدعوة أو في صياغة الخطاب الدعوي.
يبقى أن أقول: نسعى إلى وضوح الرؤية و صفاء الهدف و هذا ما يحدد شرف المهمة.

بذور الإصلاح في مواجهة الحاجة إلى السياسية و مكر الغرب

الحمد لله وحده، و الصلاة و السلام على من لا نبي بعده.

أول من تنبَّه إلى الوضع الخطير التي تعاني منه الأمة، وحالة الانحطاط العام التي صار عليها المسلمون هم العلماء الإصلاحيون: محمد عبده،و الطاهر بن عاشور، ورشيد رضا،وابن باديس ومن جاء بعدهم.

وهم أول من بادر إلى العمل على تصحيح ذلك من خلال إنشاء الجمعيات و المعاهد و المدارس و المجلات و الصحف و غير ذلك حيث شعروا بضرورات تغيير مناهج التعليم التي صيغت في عصر الضعف،و إعادة تكوين ذهنية و أخلاق المسلم، في وقت لم يكن في هذه الأمة علمانيون و ليبراليون و يساريون على الأقل بالشكل الموجود حاليا، حيث لم يكن فيها إلا الإنسان المغيب عن شعوره الفطري و حقيقته كمسلم، ومؤسسات دينية تعاني من كل جهة .

لكن رغم ذلك استطاع ~ بعد ذلك ~ أنصار التغريب تجاوزهم و التقدم نحو الواجهة،ولم يكن ~ آنذاك ~ بخطابهم الحداثي، فمن مِن الأمة كان ليفقهه، ولكن بالشعارات السياسية في زمن كانت فيه الأمة تئن تحت الاحتلال فإذا رأينا أن كثيرا من الشخصيات و الرموز السياسية نشأت في أحضان هؤلاء العلماء ثم انتقلت بعد ذلك إلى الأحزاب اليسارية كما حصل في الجزائر ، انتقلوا من أحضان جمعية العلماء إلى حزب الشعب الجزائري ثم فجروا الثورة.

و قد وقع مثل هذا في فلسطين فانتقل عرفات و أبو خليل الوزير من الإخوان إلى إنشاء حركة فتح، ووقع مثله في عدة بلدان إسلامية فلأن العلماء لم يوفروا للشباب التأطير السياسي، و أحيانا لم تكن لهم ~ في تلك الفترة ~ رؤية واضحة ، و بطبيعة الحال ~ في زمن كذاك الزمان ~ كان الشباب بسبب ثقافتهم الغربية على اطلاع بأحوال العالم المعاصر مع تمدد الفكر اليساري بحيث صار فكر النخبة حتى في البلاد الرأسمالية ،وكان همهم الوحيد الحقوق السياسية و الاجتماعية لشعوبهم، مما يعني

أنهم كانوا يؤمنون بالفعل الميداني وبالحركة، الشيء الذي لم توفره لهم ~ ربما ~ الثقافة الإصلاحية ؟
و قد نلمس فكرة الثورة على الاستعمار عند ابن باديس في الحوار الذي دار بينه و بين أحمد توفيق المدني ، عندما قال له هذا الأخير ~ وقد رأى عليه علامات الفاقة و الإعياء ~ : (يا أخي أما آمنت بأنَّ لنفسك عليك حقًّا ؟
أما قرأت تفسير قوله تعالى: {وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْك} ؟
فأجاب الشيخ في هدوء غريب : كلا يا أحمد ما عملت طول حياتي إلاَّ بهذه الآية الكريمة أنَّ نصيبي من الدُّنيا هو بثُّ العلم، و إعداد النَّاشئة ليوم رهيب، وتجهيز الشَّعب بما يقوِّي روحه ويرجع له الأمل، وحفر الأسُس العميقة الَّتي يقيم عليها الشَّعب جدار حياته الحرَّة المقبلة، و بذلك في نفس الوقت أحسن كما أحسن الله إليَّ)).
يمكن أن نفهم من هذه الكلمة أنه كان يرى ضرورة الاستعداد للثورة على الاستعمار وإعداد الشعب ليعيش الاستقلال على أسس عقيدته؟
و إن كان بعض المفكرين البارزين قد انتقد الإصلاحيين في خضوعهم للسياسي الذي كان يستعملهم في جمع الناس حوله، وهو انتقاد صحيح موضوعيا لكن يجب أن نفهم أسبابه، ولا نطالبهم بأكثر مما قدموا لأن أصعب شيء على العالم هو أن يتحوَّل من وظيفة العلم و الإرشاد و الإصلاح الديني إلى خبايا السياسة ، فقلما ينجح في ذلك.
يبقى الاستدراك الوحيد عليهم هو في عدم تعاونهم مع النخبة الفكرية التي كانت تقاسمهم العقيدة و الرؤية.
و إذا أخذنا بعين الاعتبار طبيعة الأفكار و الإصلاح و أنه يبدأ مجملا ثم يتطور بحسب البيئة و المستجدات و زيادة الوعي ينتقل التقصير إلى من جاء بعدهم وعمل أقل منهم ، و أهمل مشروعهم.
المهم أن الاستعمار رتَّب أوراقه قبل الخروج بانتقاء المفاوض بعيداً عن قادة الميدان،ودائما بسبب الحاجة إلى الخبرة التي يستغلها خصوم الإصلاح الإسلامي كان المفاوض ممن درس في مدارسه و يحمل ثقافته، وقد ذكر بعض المؤرخين أنه تمَّ الاتفاق على إبعاد الإصلاحيين الإسلاميين عن مقاليد الدولة الفتية [سنعود إليه تفصيلا في الأيام المقبلة] .

و اليوم نشاهد الأحزاب الإسلامية ~ في بعض البلاد ~ لا تمارس السياسية بل تملا الفراغ في الملعب السياسي،أي : تكمل عدد اللاعبين، أو تؤدي دور مزكي الديمقراطية، ولا يمكن أن نلومها كليةً إذا كان الشعب لا يملك وعيا وهدفا غير الرفاهية المادية،و تركنا العمل الإصلاحي الذي بدأه الرواد ،وغرقنا في السياسة السياسية ،بدلا من تكميل مشروعهم بما كان ينقصه، فلا يكفي أن يتحالف الإصلاحيون مع كل راغب في الحكم فقد سبق وفعلوا و لم ينتج عنه إلا دولة ضعيفة تتغير باستمرار نحو الأسوأ، عليهم أن ينتجوا سياسة خاصة بهم

تغيير الرأي بين طبيعة الأشياء و مقاومة الأهواء

الحمد لله، والصلاة و السلام على رسول الله.

قال الله عز وجل : { فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ }[الزمر]

القدرة على تطويع النفس للانتقال إلى القول الأرجح أو الأقوى أو الأصح هو ما يدل على قوة العقل،إذ العقل القوي هو الذي يعمل على نفسه قبل أن يعمل على غيره،فتخضع له النفس و تذعن طائعة أو كارهةً للانتقال من موقف إلى موقف ، ومن رأي إلى آخر أفضل منه، و بهذا يحصل لها الهدى.

و إذا أمر الله تعالى باتِّباع الأحسن و الأخذ به فيما أنزل ، كما قال : {وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ}[الزمر]، {فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا} [الأعراف] فكيف بموارد الاجتهاد ،ومظان التخمين ؟

لكن هذا يحتاج ~ كما قلتُ ~ إلى قوة عقلية و قوة نفسية، وهو أمر صعب لعدة أسباب سنبحثها في هذا المقال.

لذلك فإن بعض الناس لن يُغير رأيه مهما كان، ليس لأنه صاحب برهان استعرض كل الآراء،و استوفى النظر، و اقتنع بوعي و إدراك أن رأيه صواب أو أقرب ، و لكن لأن عقله راكد لا يتحرَّك، فالإنسان الذي لا يُغذي فكره، ولا يُغيِّر آراءه كالماء الراكد يفسد فيه الصحيح، ولا يعيش فيه إلا ما يطيقه.

هذا الشخص الراكد يقرأ نفس الكتب، و يدور فيها، و يفحص نفس المعلومات، لا

يُجدِّد علمه، لا يُوسِّع معرفته، لا يبحث عن مؤكدات رأيه خارج قناعته، وقوة الرأي لا تثبت بأدوات نفسه و لكن بمقدار صموده و احتوائه للآراء الأخرى.
تغيير الرأي أو الرؤية ~ بخلاف الشائع عند الناس ~ هو تطور تطبيعي للإدراك، لأنه جزء من التعلُّم الدائم و المطالعة المستمرة و الاسترسال مع العلم، و التغيير قد يكون جزئيا بمعنى: هو تطوير للرأي و تقوية له، وقد يكون كلياً بالتخلي عنه و الانتقال إلى آخر، لهذا يتوقف تحسين الرأي أو الانتقال إلى غيره عندما يتوقف التعلُّم و البحث.
لذلك لن يُغير رأيه من توقف عن التعلُّم و المطالعة أو عنده مشكل سلوكي نفسي للاسترسال مع العلم، أو يدور في نفس المراجع.
عددٌ من الناس لا حصر له ليس لهم رأي إلا رأي جماعتهم ومذهبهم، لأن غالب الناس يعجز عن تكوين رأيه الشخصي، فتوفِّر له الجماعة رأيا جاهزاً؛ لهذا نجد أن أكثر الناس تنتقل إليهم الآراء كالعدوى.
و المطلوب من طالب العلم أن يفحص الظروف التي تمنعه من أن يكون موضوعياً وحياديا كالانتماء إلى جماعة أو مذهب، أو حالة الصراع بينه وبين غيره، فإن الانتماء، و الآراء الهجومية أو الدفاعية كرد فعل تمنع الموضوعية،ولا يمكن للإنسان الذي يشعر بمديونية ما اتجاه غيره أن يكون موضوعيا،لذلك لا يمارس النقد على جماعته ومذهبه إلا قلة من الناس.
و متى فحص الإنسان ظروف تكوين رأيه اكتشف أن كثيراً مما يقطع به مجرد ظن تلقاه ممن يحسن الظن به،أو كوَّنه في خضم أزمة نزاع مع غيره،لم يعطيه حقَّه من النظر الفاحص.
هل يُفرِّق طالب العلم بين اعتقاد الرجحان و رجحان الاعتقاد، بمعنى : هل رأيه و اختياراته بعيدة عن تأثير ميولاته الباطنة ؟
عليك أن تنظر في الأفكار التي قبلتها، والمعرفة و القناعات و الآراء التي تشبَّعت بها، وتسأل نفسك إذا كانت منسجمة مع مبادئك كالاجتهاد،وعدم التعصب، وموالاة الحق وحده...الخ ؟
هل كوَّنت آراءك بناءً على معرفة علمية أم على ظنون و تخمينات؟
لذلك نقول: يجب على طالب العلم تنويع الآفاق و الآراء، و أن لا يترك آراءه تتحوَّل

إلى حقائق مطلقة ، فإن الوهم أو العاطفة دائما ما يُقدِّم الرأي على أنه حقيقةٌ مطلقة من الثوابت.

و احرص على اكتساب و سائل منهجية المعرفة و التحليل، فأنت تحتاج إلى أن تعمل على عقلك قبل أن تعمل على عقل غيرك، فكم من رأي فاسد يحمله طيب، فإنه ~ كما قيل ~: الآراء الفاسدة كالنقود المزوَّرة يضربها الأشرار و يستعملها الطيبون بعد ذلك ،فيطول أمد الجريمة بدون أن يعرفوا، و إلا كيف تُفسر أن الفكرة يبدؤها زنادقة ثم نجدها بعد قرون عند قوم مؤمنين صالحين؟

و بعض الناس عندهم مبادئ تدور على القياس النوعي " الكيفي" للرأي لكنهم عمليا يعتمدون القياس الكمي، فتراه يقول: لا يحتفل في الحق بالعدد، و أكثر الناس غير مؤمن، و الحق مع فئة قليلة، لكنه لا يعمل بهذه المبادئ داخل مذهبه و جماعته !

وقد يكون رأي ما منتشراً في جماعة ما، منغرساً فيها إلى درجة عميقة، يصل إلى حدِّ التعصب، ومع ذلك لا يدل على قيمته إلا بمعرفة درجة تجانسه مع المبادئ الأصلية.

وإذا كان الرأي الواحد كشعاع الطيف إذا حللته وجدت فيه عدة ألوان،فإننا نجد في الرأي المتعصبين له،و الطائفيين، و المتحمسين القابلين للتعبئة ، ولتعميم التفكير، و للتحزُّب عليه، وكل ما يقود إلى الشعور بتفوُّق الجماعة، و يقود إلى تسطيح الأسئلة المطروحة و إخضاعها لمنطق مانوي، أو كما كان علماؤنا المتقدِّمون يسمونه " مثنوي " ، وهو منطق الذي يُقدِّر الأشياء بحسب المبادئ المطلقة للخير و الشر ، بدون أي فرق أو ظلال، أو درجات ،أو حالة متوسطة ؟

كما تفعل بعض الجماعات المعاصرة خاصة السلفية منها، الأشياء عندها بيضاء أو سوداء، لا يوجد وسط بينهما، فترفض الاستثناء و التقييد و التخصيص في كل شيء.

أسباب مقاومة التغيير:

مقاومة التغيير ترجع بالأساس إلى رفض تخطئة النفس،و إلى قوة العادات التي ينشأ عليها الناس، وكذلك الخوف من التغيير الذي يرتكز على معطيات موضوعية هو الخوف من فقدان الحقوق و مراجعة المصالح المكتسبة، كزوال مشيخة ،أو ذهاب الأتباع، وقد يرجع إلى درجة التعبئة الممنهجة عليه..

إن مقاومة التغيير عندما تقوم أسبابه العلمية الموضوعية هو آلية دفاع طبيعية للنفس لـ "الأنا" لكن متى فهم الإنسان أن تغيير الرأي عند العقلاء سببه أولا هو البحث عن

توازن جديد بين الرأي و الواقع عند الاصطدام، بين الهدف و الوسيلة العاجزة ، بين الأصالة و المعاصرة ...الخ

هو إذاً السعي للوصول إلى الاستقرار بعد فترة لا استقرار و أزمات داخلية، هو البحث عن انسجام و تناغم بين منظومة الأفكار بتقليل التناقض بينها، وطرد الأصول، و ليس التغيير من أجل التغيير.

ثم إن آراء الناس تخضع يوميا للتغيير الإجباري ، فهناك من أحاطوا بتقنيات التحكم و التلاعب بالوعي،وبميكانيزمات مقاومة الأنا، و بالدوافع و الاعتقادات يوظفونها في الاقتصاد و الإشهار و الإعلام لتوجيه الآراء نحو مصالحهم ،كما تستعمل في معالجة الأمراض الذهنية ، و إعادة إدماج المدمنين في المجتمع ، ومقاومة الحركات السرية ، ومؤسسات التلاعب بالوعي.

إن الآراء الضعيفة الخارجة باجتهاد خاطئ من آراء قوية هي مثل الجزئيات الضعيفة في الكليات الصحيحة، تكون لها قوة انطلاقة و بريق لكن في نهاية المطاف يستهلكها الزمن و يردمها الواقع، و ليس المشكل في الكليات
ولكنه في الجزئيات .

بهذا نعرف لماذا لن يغير بعض الشيوخ و طلبة العلم آراءهم مهما كانت ضعيفة متناقضة مع الأصول ، منافرة للأهداف لأنهم سجنوا أنفسهم في قراءات معينة، و اكتفوا بما حصَّلوا ، أو انشغلوا بالدفاع عن المكتسبات و المصالح ، لهذا أقول كما قال أحدهم:

إنك تحتاج إلى شجاعة أكبر لتغيير رأيك، من أن تثبت عليه.

أخلاق أبي حنيفة و الوعي بالذات.

قال عبد الرزَّاق : شهدت أبا حنيفة في مسجد الخيف، فسأله رجل عن شيء، فأجابه، فقال رجل: إن الحسن يقول: كذا، وكذا، قال أَبُو حنيفة: أخطأ الحسن، قال: فجاء رجل مغطًّى الوجه قد عصب على وجهه، فقال: أنت تقول: أخطأ الحسن يابن الزانية، ثم مضى، فما تغيَّر وجهه، ولا تلوَّن، ثم قال: إي والله، أخطأ الحسن وأصاب بن مسعود. وكان يقول: اللهم من ضاق بنا صدره فإنَّ قلوبنا قد اتسعت له.

هذه الأخلاق لا تأتي من فراغ ؛ تكون عندما يعي المسلم بذاته، ولن يكون إلا إذا عرف معنى " الإدراك" و كيف يحصل.

ومتى كان واعيا بذاته، كان واعيا بوجوده، يقظا منتبها،واعيا بالوحدة : وحدة العقيدة و السلوك و الفكر،قادرا على تفتيش ذاته، حاضرا في الغيبة ، مهما كانت الظروف لا يفقد حسه السليم، و أخلاقه ،و ثبات عقله ، مميزا بين أخلاق الالتزام و أخلاق الخواء، و بالتالي عالما بالفرق بين أن يعيش و أن يكون.

يحتاج الناس أكثر من أي شيء آخر إلى الحديث عن بناء الفرد، بناء عقله و نفسه ووجدانه، قبل الحديث عن بناء المجتمع و الدولة.

الموقف الإسلامي من الوعي

أو الوعي عند السلفية السبابة النائمة

الحمد لله وحده، و الصلاة و السلام على من لا نبي بعده.

هذا تعليق على منشور " أخلاق أبي حنيفة.."

ما قاله الأخ الوهراني صحيح ،لكن......

1 ـ الكوجيتو الديكارتي "cogito"عبارة لاتينية تعني " أنا أفكر"، وهي نظرية تفرض أن الإنسان يجب أن يكون موجودا مادام هو قادر على طرح هذا السؤال.

و المقصود أن الوعي بالذات أو كما يسمى في علم النفس " بالنفس"، كالوعي بالعالم الخارجي، هو فعل محلي في فكر شامل، أو "أنا" و علاقتها بـ" الكل" فعندما يقول ديكارت: " أنا أفكر إذن أنا موجود" هو في الحقيقة يسأل عن درجة الوعي بالذات التي يمكن أن يبلغها الإنسان،و الواجب علينا كمسلمين لا يفصلون العلم عن العمل، و العمل عن العلم، أو كعمليين أن نهتم هنا بالتفاصيل العملية لهذه الجملة كما تفعل علوم النفس المعرفية فنقول:

الكوجيتو الديكارتي " أنا أفكر إذن أنا موجود" يميل إلى التعبير عن حالة وعي الشخص المعبر ،يعني أن الذات القائلة" أنا" تعبر عن وعي بنفسها"الأنا" ، وقوله" أنا أفكر" هو تفاعلي بين شيئين ، يتطلب للتعبير عنه الوعي بالنفس، فهو في الحقيقة يعبر عن حالة علاقة إحساسية " حس وشعور" و بالتالي يمكن أن نصوغه كالتالي:

أنا أعلم أني أحس إذن أنا موجود.

لأننا نعلم أن الإدراك درجات يبدأ بالإدراك بالحواس، فعلاقة النفس بالعالم الخارجي تبدأ بما يدركه بحواسه كالسمع و البصر و اللمس...الخ من هذا العالم الخارجي

المحيط به، فقوله تعالى : { إِنَّا لما طَغى المَاء حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَة لنجعلها لكم تذكرة وَتَعيهَا أذن وَاعِيَة } ومعلوم أن الأذن لا تعي بل العقل، فوعيها هنا حفظها لما تسمع و إيصاله للعقل كما هو ، فوعي الحواس هو الحفظ و الوفاء في النقل إلى العقل، ووعي العقل هو درجة أعلى من درجات الإدراك، فللإدراك مراتب أولها الشعور ثم الفهم ثم المعرفة ثم العلم ثم العقل، وهو و الوعي شيء واحد.

فعقل الإنسان يتصل بالعالم الخارجي بواسطة حواسه ،لذلك نقول عن المصروع : لقد فقد وعيه، ونقول عن حالة الهذيان: عنده اختلاط أحوال الوعي.

و هذا الكوجيتو عند ديكارت هو أن الوعي هو واقع أو حقيقة كما بيَّن في "التأملات الميتافيزيقية" يفهم منه أن النفس لها علاقة بنفسها، و فحص الوعي عند ديكارت يستلزم الشك المنهجي كأول طريقة يلج بها الإنسان العلاقة مع ذاته، حتى لا تكون هذه العلاقة مغلوطة، ويقصد أن الإنسان الذي لا يسأل بنفسه نفسَه هو إنسان غافل، و بالتالي وعيه غائب، فان تعرف نفسك يعني بالضرورة أن تعرف نفسك ضمن علاقتك بالعالم الخارجي، فلا يمكن فصل المعرفة عن النفس، و الإدراك وسط بين اللذة و المحبة لأن الحي مفطور على حب ما يلائمه و ينفعه، و بغض ما يكرهه و يضره ،ومتى تصور الشيء الملائم أحبه و أراده، و إذا تصور الشيء الضار أبغضه و نفر عنه ، و مبدأ الإرادة الحب و مبدأ الحب إدراك الملائم و يكون بعد الحس و الشعور فالإرادة مسبوقة بالشعور بالمراد، فلا يتصور العاقل ~ إلا عند بعض السلفيين ~ إرادة وحب و اختيار و طلب بدون شعور.

وعليه نقول: إذا كانت معرفة الإنسان بنفسه ، وهو لا يعرفها حتى يكون واعيا بها، و الوعي يتركب من الحس و الشعور و الإدراك و الفهم و العقل و التجارب و غيرها،فلا يكون واعيا إن كان بين عقيدته و أخلاقه ، أو بين أخلاقه " منظومة الأخلاق الإسلامية" و فكره تنافر أو تضاد أو عدم انسجام وتوارد،فإذا كانت معرفته بنفسه سيئة قادت حتما إلى معرفة مغلوطة عن العالم.

و لهذا نقول: تدخل الثقافة في الوعي بالعالم إذ ليست الثقافة إلا نظام تمثيل .

ولو استعرضنا معنى كلمة" الوعي" في المعاجم و النصوص نجده يتعلق في الغالب بعملية الحفظ القلبي يعني الحفظ الواعي الذي هو الإحاطة و بالتالي بـ" الإدراك" لكن ابن القيم في " مفتاح دار السعادة" وصل إلى التعريف النفسي له كما عند المعاصرين

، سنخصص له مقالا.

ومعلوم أن الإدراك يبدأ بالشعور ، و الشعور من مجال النفس، وكل هذا يتعلق بالذات أي مما يقوم في ذات الإنسان، بإدراك الشيء في النفس، أما عندما نقول: فلان يعاني من فقدان الوعي، وفلان عنده اختلاط أحوال الوعي الذي نسميه " الهذيان" فإننا نتحدث هنا عن فقدان التمييز يعني بتعبير آخر : نحن نتحدث عن الوعي بما هو خارج النفس خارج الذات أي بالمحيط الخارجي للذات، فهذا يدخل في الوعي بالوجود أو العالم الخارجي كما يدخل الأول في الوعي بالذات.

و المقصود هل يملك قاصر الثقافة وعيا حقيقيا بالعالم الخارجي، فإن لم يكن فكيف يكون وعيه بنفسه صحيحا أو موجودا، فوعيك بنفسك مرتبط بوعيك بالعالم الخارجي، لأننا نجد بعض المسلمين من السلفية السبابة يزعم أن منهجه يقوم على الدعوة إلى التوحيد و السنة و يقتصر على الدعوة نافيا كل طريق آخر، لكننا نجد في منهجه مفاصلة المدعوين و الحكم عليهم بالشدة، ومنافرتهم وكل ما ينافي الدعوة و يضادها؟

فنجد في سلوكه الكذب و السب و البهتان و شراسة الأخلاق و زيفها، فالخلق الناتج عن التوحيد لا يمكن أن يعتبر النقد العلمي من سوء الخلق، ولا المجاملة و التواطؤ و الحمية العصبية من حسن الخلق، فهذا تضاد بين التوحيد و بين منظومة الأخلاق المرتبطة به إذا التوحيد هو التحرر من الأغيار و الولاء التام لله الذي يستلزم الولاء للدليل و للحق.

وعليه يتحلى هذا النوع من السلفيين بأخلاق الخواء و ليس بأخلاق الالتزام، فأخلاقهم لا تدفعهم إلى الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر و الصدع بالحق، بل إلى المجاملات الزائفة و الشراسة مع الصالحين و الدعة مع الظالمين و المفسدين.

ثم نجده يزعم التوحيد والسنة و يجعلهما غطاء أو تبريرا للظلم، للجهل، للفساد، فيزعم أن نظريته في السياسة سنية، فيجعل السنة مداهنة للفساد و الظلم، لا يفرق بين المداهنة وبين السلمية.

و المقصود أنه لا يعي الوحدة بين العقيدة و السلوك و الفكر ، فيعتقد شيء و يسلك و يفكر في شيء منافر لعقيدته أو غير منسجم معها، وهذا سببه أنه غير واع بنفسه، غير واع بالعالم الذي يعيش فيه.

على كل المقال الذي كتبته في الموضوع طويل لذا سأنزله ~ إن شاء الله ~ على موقعي
فيما يخص منهج الشك عند ديكارت يقال أنه أخذه من الغزالي ،وهنا يجب أن نفرق بين الشك المنهجي وهو عدم التسليم قبل الفحص، فإن المعرفة تبدأ بالسؤال ، و بين الشك القلبي الذي هو حالة مرضية كالشك في أخبار الأنبياء مع الإيمان بنبوتهم، فإن الإيمان بهم يوجب تصديقهم.
كما يجب أن ننبه السلفية السبابة النائمة التي إذا نبهها العاقل أنها تساهم في تشويه المنهج القرآني عندما تستعمل المعاني العامية في المسائل العلمية، فتسمي كل ما يدعو إلى البرهان بالعقلاني فتجعل دلالة القرآن و السنة دلالة خبرية وما عند الناس دلالة عقلية ،وهذا جهل عظيم يقع فيه من لا يفرق بين تلقي الأحكام الشرعية وهي سمعية، يعني نستمدها من النقل، و بين ما تحويه النصوص من العلم ، فجعلوا العلوم الشرعية خاصة العقيدة كالنحو ، فنحن نعرف أن العلوم العقلية تعلم بالفطرة التي ركبها الله في عباده و التي يجب أن يعي بها المسلم ضمن وعيه بنفسه،فالله فطرنا على أسباب الإدراك التي لا تقف على ميزان وضعي وضعه شخص معين، فلا نقلد في العقليات بخلاف علوم العربية فهي في الحقيقة عادة قوم لا نعرفها إلا بالسماع ،ولا نعرف قوانينها و قواعدها إلا بالاستقراء، فالأحكام الشرعية لا نعرفها إلا بالخبر لأن مصدر التلقي عندنا النص لكن هذا شيء وكونها مملوءة بالأدلة العقلية بأصحها و أفضلها شيء آخر .
لكن كيف لمن جعل الوساوس في مخارج الحروف العلم الأعلى أن يفهم هذا، فكأنه يريد أن يعرف مقادير الأشياء لا ما تُقدر به بالسمع و العادة؟

النضج و النقد في السلفيات المعاصرة

الحمد لله و الصلاة و السلام على رسول الله.
أولا: يعرف الشيء باعتبار تعلقه بذاته،أي بشروطه في نفسه، و باعتبار تعلقه بغيره، فالسلفية بمعنى "منهج السلف العلمي المتفق عليه بينهم لا ما اختلفوا فيه" هي واحدة لا تتعدد ، لكن باعتبار تعلق الناس بها و تمثلاتها عندهم هي عدة سلفيات ، فإما يجعل

الإنسان نفسه معيارا لها فيرى نفسه السلفي الوحيد و ينفيها عن المخالفين له، و إما يعود إلى كلياتها فيعرف أن كل من ينتحلها هو ~ في الحقيقة ~ سلفي لكن بينه وبين غيره من السلفيين اختلافات، إما تعود إلى أن السلفية عند المعاصرين فكرة لم تنضج بعد، فهم يبحثون عن أنفسهم،وهذا يصدق على كثيرين ، و إما تعود إلى أن مستجدات العصر فرضت عليهم اختلاف الرؤى فتكون السلفية فكرة ناضجة لكن لم يتمكنوا من تنزيلها على إشكالات العصر ، وقد يجتمع السببان في بعضهم.

ومن شرط إدراك الحق المقصود " الشرعي" الصدق في الإخبار عن الحق الموجود " الكوني" ، فالسلفي الذي ينفي السلفية عن غيره من السلفيين المخالفين له هو ~ في الحقيقة ~ غير صادق في الإخبار عن هذا الواقع، إذ واقعهم أنهم يشاركونه العقيدة و مصادر التلقي و المرجعيات.

و إذا كان لابد من تصنيف فالأولى طريقة ابن حزم في " الفصل في الأهواء" في تصنيف الفرق الإسلامية، وهي النظر في الأقوال الخاصة بالسلفية فمن قال بها فهو سلفي و إن كانت له أقوال تقول بها مذاهب أخرى، ومن لم يشركها في هذه الخصائص فليس منها ولو شاركها أقولا أخرى، يعني: ما هو المميز للسلفية عن بقية المذاهب و ما هو المشترك. .

لذا يستلزم المنهج العلمي لا العاطفي و الأدبي أولا:التمييز بينهم و إن كانوا مشتركين في الانتساب للسلفية.

ثانيا: نقد السلفيين أو نوع منهم لا يستلزم نقد السلفية في ذاتها إذ لا واحد منهم هو الممثل الرسمي لها ، فالسلفية ~ أو أي شيء آخر من المذاهب و الجماعات ~ لا تُعرف إلا بمن ينتحلها، ولا تنتقد إلا عبرهم ، فحكم الناس على السلفية المطلقة لا يكون إلا عبر الأفراد الذين يمثلونها إلا عند فئة قليلة بشرط الإحاطة بها بمعزل عمن يمثلها، وترك نقدهم ظنا منا أن نقدهم يؤثر أو يشوِّه السلفية هو التشويه بعينه للفكرة و المبدأ ، فيجب أن نفصل بين المبدأ و الفكرة، و بين تمثلاته عند الأشخاص، فإن كان المبدأ ~ أي مبدأ ~خالداً أو مقدسا أو مسلما به فهذا لا يعني أن الأشخاص الذين يجتهدون في فهمه و تطبيقه هم كذلك.

فمن السلفيين من جعل ديدنه قضايا التكفير و القتال و يخالفه بقية السلفيين، ومنهم من جعل ديدنه السب و الشتم يسميه زورا الجرح و التعديل، و الدفاع عن الأنظمة القائمة

يسميه المنهج السلفي، و يخالفه بقية السلفيين،وهكذا؟
ولا شك أن بعض هذه الأفكار غير صحيح كلية أو جزئيا، لكن هل يملكون الشجاعة للتصريح بذلك والوقوف عندها بالنقد ؟
فهل انطلق من قناعتي الخاصة أنني وجماعتي سلفية،و من يُسمون بـ "التكفيريين"،" الجهاديين"،و "المداخلة" ... الخ ، ليسوا من السلفية، أم يجب إخضاع الجميع لعملية النقد الموضوعي مع الأخذ بعين الاعتبار تفاوت المسائل المنتقدة بينهم، ولا يهمني إن كانوا سلفيين أو يتسمون بالسلفية ، المهم الحق فقط.
ولا يمكن أن تلزم الناس بما في الكتب إذا وجدوا في الواقع المعاش الملموس تفاوتا بينك وبين الكتب التي تحيل عليها في النظرية، فأنت من يدل على ما في كتبك على العموم.
وإذا أحصى الناس على بعض السلفيين تناقضات و انحرافات لا يمكننا تجاوزها بوصفهم بـ"الشذوذ" لأن هذا الوصف متبادل بين السلفيين، كل فئة تصف الأخرى بالشذوذ أو الانحراف ، بالغلو أو التمييع، و الشذوذ يقال على القلة فكيف نفعل بما يتصف به الجمهور،وكلامنا المجرد ليس صكا على بياض.
و العجيب أن بعض السلفيين وهم عموما من السبابة يبدعون من يسمون بـ "الجهاديين و التكفيريين" إذا كانوا في موقع ضعف، و يدافعون عن سلفيتهم إذا كانوا في موقع قوة و سلطة؟
كما لا يجب أن نغفل الاعتبار التالي: هل السلفية الحالية ـ في عين كل واحد منا(سلفيته هو) ـ سلفية مكتملة الأركان فكريا ومنهجيا ، و بالتالي لا ينقصها الآن إلا الزيادة في كمية العمل أي أن مشكلها في الكم وليس في الكيف، أم أنها قاصرة مقصرة بحكم طبيعة التجديد وكثرت القضايا المستجدة ؛ قاصرة في بلوغ ذاك المستوى العلمي الثقافي، مقصرة في بعض الواجبات حتى العلمية منها؟
و إذا كان الأمر كذلك فإنه من المغالطة اعتبار نقد السلفيين نقدا للسلفية " بغض النظر عن البحث في تفاصيل ماهية السلفية، وهذا يقودنا إلى السؤال التالي: هل يوجد في المنتسبين للسلفية من في الحقيقة علاقتهم بها سطحية أو متطفلة؟
قال ابن تيمية في "مجموع الفتاوى"{184/3}:" ما من إمام إلا و قد انتسب إليه أقوام هو منهم بريء قد انتسب إلى مالك أناس مالك بريء منهم، و انتسب إلى الشافعي

أناس هو بريء منهم، وانتسب إلى أبي حنيفة أناس هو بريء منهم، وقد انتسب إلى موسى عليه السلام أناس هو منهم بريء، و انتسب إلى عيسى عليه السلام أناس هو منهم بريء، و قد انتسب إلى علي بن أبي طالب أناس هو بريء منهم، ونبينا قد انتسب إليه من القرامطة و الباطنية و غيرهم من أصناف الملاحدة و المنافقين من هو بريء منهم".

وعليه، لا يتبين المنحرف عن الطريقة و المتطفل عليها، و المشوّه لها إلا بالإشارة إليهم ،و المميز لحقيقة الأقوال لا تغره النسبة، ولا يحتفل بها، ولا يُدخل المسلمين في صراع الأسماء، و عندما تنتقد آراء العلماء يردها بنقد يوازيها علما وموضوعية،ولا ينصبهم كالأنبياء لا يخطئون ولا ينتقدون.

السلفية السَّبَّابة:

ثانيا: يعتقد بعض الطيبين أن كل من " يخالف"، "يعادي"،" يعارض"، " ينتقد".... "الخ" الشيخ ربيع ~ سدده الله ~ هو سلفي "جيد"، "معتدل"، "صحيح"... «الخ»، وهذا غير صحيح بالمرة.

إذ يجب علينا أن نفرق بين من طردته سلفية الشيخ ربيع فانقلب عليها وهم صنفان: صنف كانت له فرصة لمراجعة أصوله و منهجه، أو إبراز ما كان يضمره منها خوفا منهم، وهؤلاء عندهم مشكل مع منهج الشيخ ربيع و ليس مع شخصه، ومنهم من كانت له آراؤه الخاصة لكنه كان يظن أن هذه الفئة من السلفيين ناضجة لتتعامل بايجابية مع قناعات الآخرين فاكتشف أنهم لا يرضون إلا بالخضوع الكلي لآراء زعيمهم.

الصنف الثاني: خلافهم مع الشيخ ربيع خلاف انتقام منه، فهم يرفضون الشخص لا المنهج، وهؤلاء تجدهم على نفس منهجه الاقصائي السبابي الافترائي ،وهم أسوأ من أتباع الشيخ إذ هم أقل صدقا منهم و أفسد للشباب ، لأنهم غير صادقين في نقده ، ولا يسمون الأشياء بمسمياتها،ويضيعون الحق في المتاهات،يغرقونه في المجملات حتى لا يعرف الناس على من ينزل، و إنما يبهم النقد عندما يكون مضرا بالصالح، أما من كثر فساده حتى ضر القريب و البعيد ، وشوه الحق فالواجب الإشارة إليه حتى يطابق الناس بين النقد وبين أقواله، فمناقشة المناهج الطويلة العريضة غير النصيحة في قضية جزئية وقعت من صالح.

كذلك تجدهم يصنعون الأكاذيب للطعن في مخالفهم،و يضعون المعاني الفاسدة تحت القوالب الصحيحة تخريبا للغة و تزييفا للحقائق فيرفضون نقد أو مناقشة آراء شيوخهم التي يرفعونها إلى مصف النص، و يسمون نقدها بـ " الطعن في العلماء"، و "سوء الخلق" و "التعالم" و ليس في المسلمين أسوأ خلقا منهم؟

كما يسمون الشهادة للمخالف بالحق و الإنصاف بـ "الثناء على المبتدعة"، و يسمون كل ما لا يفمهونه، وقد دلت عليه الشريعة بقياس أو بدلالة عقلية بـ "العقلانية" مع أنهم يقولون عن بكرة أبيهم بالمعارف السابقة في النفس، و ما العقلانية عند العقلاء إلا إرجاع المعرفة التجريبية لمبادئ العقل التي يعتبرها فطرية أو قبلية، فيخلطون بين هذا و بين من يرفض أية معرفة لا يقرها العقل في مقابل الوجدانية و النقلية؟

ووصف الدليل عندهم بـ"العقلي" وصف للمستدل به بـ"العقلانية"، وهذا غاية الجهل و الضعة العقلية إذ الوصف بالعقلي وصف لأفعال العقل التي هي الإدراك و التصور، و عندما نقول: "الدليل العقلي" فان الدليل لا عقل له، بل العقل للمستدل، وسواء نظر الإنسان في دليل أصله السمع أو الضرورة أو الفطرة، فجميع الأدلة بهذا المعنى عقلية، لأن كل ما تصوره العقل و علم انه يدل فهو دليل عقلي، فلا نسمي الشيء دليلا إلا إذا كان مفضيا إلى العلم بالمدلول عليه،و لا يكون هذا إلا لمن عقل دلالة الدليل، فالدليل يدل بصفة في نفسه ، لا بصفة في المستدل،لكن كونه عقليا يرجع إلى أن المستدل يعلمه بعقله ،وهذه صفة في المستدل و ليس في الدليل.

فمصيبة هؤلاء المنتسبين للسلفية أنهم غير واعين بالمنهج السلفي الحقيقي فيسلمون للمخالف بالتقسيم و التصنيف و بمعنى الاصطلاح في التأصيل و يخالفونه في اللفظ فقط، ثم يذمون سلفيتهم من حيث لا يعلمون؟

وهذه مصيبة ابتليت بها السفلية المعاصرة حتى إنهم لا يفرقون بين النظر الطلبي، وهو البحث عما يدل على الحق، كما يفعل الحائر في الديانات، وهذا لا يفعله السلفي الحقيقي فالحق عنده ~ في الدين ~ في النص، و بين النظر الاستدلالي وهو فحص الدليل الذي يوصله للحق.

المهم أنهم يتاجرون بالمعاني السوقية في الألفاظ العلمية.

و بطبيعة الحال هناك المخالف للشيخ ربيع أصالةً، ليس لأنه طُرد فارتد عليه؛ وما بين هذه الأصناف تفاوت في نوع النقد و قيمته، و في النظرة الإجمالية لهذه الفئة من

السلفيين، و الواجب على الصادق أن يتميز عنهم علما وحالا، و أن يكشفهم للناس و يحذر من انحرافهم ،لأنهم السبب المباشر في تشويه السلفية ، وحينئذ الدفاع الوحيد و الممكن أن نقول: لسنا مثلهم ...

ملاحظة: بعض الناس جعل السلفية مرادفة للإسلام، ومع أن نقد بعض المسلمين ليس نقداً للإسلام، فإن الإسلام اسمه " الإسلام" و ليس "السلفية " مهما كانت محبوبة إلينا، وكنا مقتنعين بها.

ثم لماذا ندافع عن السلفية، ونربط القضايا بها لا بالإسلام، أليس في إثباتنا أن الأمر الفلاني مخالف للشريعة أو موافق لها نكون سلفيين على الحقيقة بدون الحاجة إلى التسمي بهذا الاسم، فالمعتبر الحقائق و المعاني لا الأسماء؟

ألسنا حينما نربط ما يمكن التدليل عليه بالأدلة الشرعية بالسلفية أو بشيوخها نجعله ظنيا من موارد الاجتهاد، فيظن المخالف أنه يخالف اجتهاد أفراد لا الشريعة ؟

"التخلُّق بأخلاق الله" أو "التشبُّه بالإله" بين العلم و الجهل

متاهات الشيخ فركوس

الحمد لله وحده،و الصلاة و السلام على من لا نبي بعده.

بعض الدعاة السلفيين ~ هادنا الله و إياهم ~ يعانون من سوء طوية مرضية تدفعهم لاستعمال حرفية متحجرة مع الألفاظ ، فالواحد منهم لا يبحث عن قصد المتكلم، ولا هو مهتم به أصلاً ،الذي يهمه هو أن يُظهر العبارة على أنها خطأ جسيم يجيز كل أنواع التجاوزات في حق القائل !

وهذا في الحقيقة سلوك مرضي ~ عند بعض السلفيين ~ يُسمى عندهم " المنهج السلفي"

وبهذا يفسدون العلم و العمل ......

من ضمن النقاشات حول آفاق الحضارة الإسلامية و مبادئها كنتُ قد نقلتُ في مقال سابق تحت عنوان " ما الذي ينقص الإصلاح الإسلامي" عبارة رددها محمد إقبال، و نقلها مالك بن نبي هي أنه على المسلم أن يتخلّق بأخلاق الله ،وكنتُ أشرتُ في المقال إلى أنها عبارة يقولها الصوفية وشرحتُ معناها و أنه التشبه بصفات الله التي يجوز للبشر التشبه بها.

فالذي كان يلزمني هو شيئان: بيان أصل العبارة فحصل ببيان أنها للصوفية ،ومعناها

وحصل ببيان أنهم يقصدون ما يحب الله لبعاده أن يتصفوا به كالحلم و الرحمة و الحكمة وغيرها فأديت مع عليَّ دون أن أتعدى عليهم.
وقد ذهب الشيخ فركوس على موقعه ~ على طريقتهم المعهودة ~ بأنها عبارة للفلاسفة، وأنها باطلة ومذمومة و تشبت بكلمة لابن القيم لم يعطها حقها؟
و بطبيعة الحال لنا أن نستخلص الباقي ففي المنهج السلفي الغالي على هذا النوع من السلفيين: من يردد عبارة للفلاسفة لا يكون إلا متفلسفا، و الفلسفة كفر ،بالمثال العامي : وجد الدشيشة فظن أنها المعيشة.
وعليه سأناقش الشيخ الفركوس ~ سدد الله ~ في أصل العبارة وفي معناها و موقف النصوص الشرعية منها فأقول:

1 ـ يجب أولا الفصل بين المواضيع ، فمهما كانت لي من ملاحظات على محمد إقبال فهذا شيء ، و المقولة شيء آخر ،فإنه حينما قال : " يكمل المسلم عندما يملك أخلاق الله" فإما أنه قصد أن الله تعالى يتصف بأخلاق لم تكن له ، يعني اكتسب صفاته ، و إما أنه أراد من المسلمين أن يصيروا آلهة.
و لما كان المعنيان باطلين لا يقول بهما مسلم كان الأولى حمل عباراته على المعهود المشهور عند الصوفية و غيرهم ~ لأننا سنجد هذه العبارة عند بعض المفسرين كما سنراه~ هو التخلق بصفات الله التي يجوز لهم الاتصاف بها.
2 ـ معنى "الخلُق" لغةً هو الطبيعة و السجية، ومعنى التخلُّق: التكلف، و لذاك قال الشاعر:إنَّ التَخَلُّقَ يأتي دونَه الخُلُقْ.
جاء في كتاب " العين" 2/23: والطّبيعة الاسم بمنزلة السّجيّة والخليقة ونحوه، وفي " الصحاح تاج اللغة ": والخُلّقُ والخُلُقُ: السجِيّةُ.
وفي " مختار الصحاح "1/95: (الْخُلْقُ) بِسُكُونِ اللَّامِ وَضَمِّهَا السَّجِيَّةُ، وَفُلَانٌ (يَتَخَلَّقُ) بِغَيْرِ خُلُقِهِ أَيْ يَتَكَلَّفُهُ.
ونحن نعلم أن صفات الله قديمة أزلية فوصفها بالخلق لا ضير فيه بهذا المعنى، ولم يقف عنده العلماء لأنه صحيح و إن كان تعبيرا عرضيا ليس هو المشهور ، فمن وقف عنده من العلماء كالمازري ~ مثلا ~ فلاعتقاده أنه قول الفلاسفة ،وهذا خطأ وقع فيه من قال بهذا ، لأن الفلاسفة يقولون " التشبُّه بالإله" لا " التخلُّق بأخلاق الله" و بين

العبارتين فرق لم ينتبه إليه هؤلاء سأبينه بكلام ابن تيمية بعد قليل.
وقريب من هذا استعمال لفظ" طبيعة الله "، و " عادة الله" ،قال ابن تيمية في الجواب الصحيح4/354 : " فِي هَذَيْنِ الْوَجْهَيْنِ وَقَعَ " نُسْطُورَسُ " وَأَشْيَاعُهُ فَلَزِمُوا خُلْطَةَ الِاخْتِيَالِ وَالْفَسَادِ، فَزَعَمُوا أَنَّ الطَّبِيعَةَ الْإِلَهِيَّةَ وَالطَّبِيعَةَ النَّاسِيَّةَ اخْتَلَطَا فِي الْمَسِيحِ الْوَاحِدِ، فَهُوَ ذُو قِوَامٍ وَاحِدٍ بِطَبِيعَةٍ وَاحِدَةٍ مُخْتَلِطَةٍ مِنْ طَبِيعَتَيْنِ مُخْتَلِفَتَيْنِ إِلَهِيَّةٍ وَنَاسِيَّةٍ، فَأَقَرُّوا أَنَّهُمَا قَدِ احْتَالَا، وَالِاحْتِيَالُ فَسَادٌ.
وَأَلْزَمُوا عَلَى هَذَا الْقَوْلِ الْكَافِرِ طَبِيعَةَ اللَّهِ الْمَصَائِبَ وَالْمَوْتَ، وَصَيَّرُوا الْمَسِيحَ لَا إِلَهًا صَحِيحًا وَلَا إِنْسَانًا، مِثْلَ الذَّهَبِ وَالنُّحَاسِ.". و المقصود من كلمة" الطبيعة" هنا ما عليه ذات .
كما قال في المصدر نفسه 1/410: " فَإِنَّ سُنَّةَ اللَّهِ أَنْ يَنْصُرَ رُسُلَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ، وَهَذَا هُوَ الْوَاقِعُ، فَمَنْ كَانَ لَا يَعْلَمُ مَا يَفْعَلُهُ اللَّهُ إِلَّا بِالْعَادَةِ فَهَذِهِ عَادَةُ اللَّهِ وَسُنَّتُهُ يُعْرَفُ بِهَا مَا يَصْنَعُ، وَمَنْ كَانَ يَعْلَمُ ذَلِكَ بِمُقْتَضَى حِكْمَتِهِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا يُؤَيِّدُ مَنِ ادَّعَى النُّبُوَّةَ وَكَذَبَ عَلَيْهِ"
6/421: " {سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا} [الأحزاب: 62] وَالسُّنَّةُ هِيَ الْعَادَةُ، فَهَذِهِ عَادَةُ اللَّهِ الْمَعْلُومَةُ".
ولفظ العادة يقصد به ما تعود عليه، فيقال: "وتَعَوَّدَ الشيءَ وعادَه وعاوَدَه مُعاوَدَةً وعِواداً واعتادَه وَاسْتَعَادَهُ وأَعادَه أَي صارَ عادَةً لَهُ {....} وعاوَدَ فلانٌ مَا كَانَ فِيهِ، فَهُوَ مُعاوِدٌ. وعاوَدَتْه الحُمَّى وعاوَدَهُ بالمسأَلة أَي سأَله مَرَّةً بَعْدَ أُخرى، وعَوَّدَ كَلْبَهُ الصيْدَ فَتَعَوّده؛ وَعَوَّدَهُ الشيءَ: جَعَلَهُ يَعْتَادُهُ. والمُعاوِدُ: المُواظِبُ" لسان العرب3/317.
فهل يعني أن الله يتعود كعادة الناس، أم المعنى هو حكمه الذي يتكرر مع علته فيصير سنة في خلقه كسنته مع المكذبين.
وهذا يشبه من بعض الأوجه استعمال عبارة" موجود"، « صانع"، « مريد"، «واجب الوجود"...الخ.
3 ـ المنهج العلمي و المنهج السلفي يقتضي أنها حتى لو كانت مقولة فلسفية،يجب الوقوف على معناها و اعتباره بالمعاني الشرعية ، فإن حكمت ببطلانه ذمت وتركت، و إن حكمت بصحته جاز استعمالها، فالضار أن تكون باطلة و ليس أن تكون فلسفية،

ففي كلام الفلاسفة ما هو حق، ومنه ما هو باطل وكفر.
وعلى هذا يلزم الشيخ فركوس أنه إذا قال الفلاسفة :" الله موجود" أن يقول هو : الله غير موجود، حتى يخالفهم ؟

4 ـ صح عن عائشة ~ رضي الله عنها ~ أنها سئلت عن خُلق رسول الله صلى الله عليه و سلم فقالت: (كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ).

ومعلوم لدى السلفيين و غيرهم أن القرآن كلام الله، وكلام الله غير مخلوق، فهل لكلام الله خُلق ؟

و النبي صلى الله عليه و سلم مخلوق، و صفاته مخلوقة، فهل يتصف المخلوق بشيء غير مخلوق؟

وعلى فهم هؤلاء يكون هذا دليلا للمعتزلة بأن القرآن مخلوق ،إذا لا يتصف الخالق بما هو محدث، كما لا يتصف المخلوق بما هو قديم أم يجب أن نحلل قولها ~ رضي الله عنها ~ و نفهم أن المقصود أنه صلى الله عليه و سلم كان متمسكاً بالقرآن و بآدابه و أوامره و نواهيه و على كل ما اشتمله من المحاسن .

و النبي صلى الله عليه و سلم كان يمشي في الأسواق و يقاتل و يتزوج فلو قال قائل:" كان قرآنا يمشي" فهل يعني أن كلام الله يمشي في الأسواق؟

وقد قال الله تعالى للنبي صلى الله عليه و سلم: {وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ}، قال ابن عباس ومن وافقه من العلماء: على دين عظيم، فسمى جميع الدين بالخلق، وفي الدين الإيمان بالأسماء و الصفات.

كذلك استعمل العلماء استنباطا من النصوص لفظا قريبا من هذا، وهو " آداب الله " و" أدَّب الله"، جاء في " لسان العرب"1/206 التالي:

" الأَدَبُ: الَّذِي يَتَأَدَّبُ بِهِ الأَديبُ مِنَ النَّاسِ؛ سُمِّيَ أَدَباً لأَنه يَأْدِبُ الناسَ إِلَى المَحامِد، ويَنْهاهم عَنِ المقَابِح، وأَصل الأَدْبِ الدُّعاءُ، وَمِنْهُ قِيلَ للصَّنِيع يُدْعَى إِلَيْهِ الناسُ: مَدْعاةٌ ومَأْدُبَةٌ{...} الأَدَبُ: أَدَبُ النَّفْسِ والدَّرْسِ، والأَدَبُ: الظَّرْفُ وحُسْنُ التَّناوُلِ. وأَدُبَ، بِالضَّمِّ، فَهُوَ أَدِيبٌ، مِنْ قَوْمٍ أُدَباءَ. وأَدَّبه فَتَأَدَّب: عَلَّمه، وَاسْتَعْمَلَهُ الزَّجَّاجُ فِي اللَّهِ، عَزَّ وَجَلَّ، فَقَالَ: وَهَذَا مَا أَدَّبَ اللهُ تَعَالَى بِهِ نَبِيَّه، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ."

وَرُوِيَ أَنَّ ابْنَ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ نَزَلَ مِنْ فَوْقٍ وَمَعَهُ حَمَامٌ قَدْ غَطَّاهُ، قَالَ: فَعَلِمَ مَالِكٌ أَنَّهُ قَدْ فَهِمَهُ النَّاسُ، فَقَالَ مَالِكٌ: الْأَدَبُ أَدَبُ اللَّهِ لَا أَدَبَ الْآبَاءِ وَالْأُمَّهَاتِ، وَالْخَيْرِ خَيْرُ اللَّهِ لَا

خَيْرَ الْآبَاءِ وَالْأُمَّهَاتِ".
قال التستري في تفسيره 1/161: " ما يَنْزِلُ مِنَ السَّماءِ عليها من آداب الله تعالى إياه. وَما يَعْرُجُ فِيها إلى الله من الروائح الطيبة والذكر"
وفي الحديث: " أَدَّبَنِي رَبِّي فَأَحْسَنَ تَأْدِيبِي " قال السخاوي في " المقاصد الحسنة"1/73 : "وسنده ضعيف جدا، وإن اقتصر شيخنا على الحكم عليه بالغرابة في بعض فتاويه، ولكن معناه صحيح".
وقال عبد الله بن مسعود: " كل مؤدب يحب أن يؤتى أدبه وإن أدب الله القرآن".أحمد موقوفاً.
قال ابن كثير رحمه الله في "تفسيره" 4/ 242: "هذه آداب أدّب الله بها عباده المؤمنين فيما يعاملون به الرسول صلّى الله عليه وسلّم من التوقير والاحترام والتبجيل والإعظام، فقال: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا الآية، أي لا تسرعوا في الأشياء بين يديه أي قبله، بل كونوا تبعا له في جميع الأمور".
فإذا كان لله مأدبة ، و آداب ، فهل هي مثل آداب الملوك و الشعراء و الفلاسفة و غيرهم أم المقصود أن الله يعلم عباده محامد الأخلاق و محاسن الأفعال.
5 ـ لنبحث في أصل العبارة هل هي صوفية أم فلسفية، وبعد ذلك نقف عند معناها.
قال أبو طالب المكي في " قوت القلوب" 1/331: " وذلك أن من أخلاق الله تعالى أنه إذا أحبّ عبداً ورضي عمله مدحه ووصفه".
و قال الغزالي في "إحياء علوم الدين"1/236 : "فأما علماء الآخرة فيعنون بالصحة القبول وبالقبول الوصول إلى المقصود ويفهمون أن المقصود من الصوم التخلق بخلق من أخلاق الله عز وجل وهو الصمدية والاقتداء بالملائكة في الكف عن الشهوات بحسب الإمكان فإنهم منزهون عن الشهوات".
قال البقاعي في "نظم الدرر" 21/403: " وكان متخلقاً بما ذكر من أخلاق الله في أول السورة من التخلي عن النقائص بالتزكية، والتحلي بالكمالات بالذكر والصلاة".
قال القاسمي في "موعظة المؤمنين" 1/225: " فَالسَّخَاءُ خُلُقٌ مِنْ أَخْلَاقِ اللَّهِ تَعَالَى، وَالْإِيثَارُ أَعْلَى دَرَجَاتِ السَّخَاءِ، وَكَانَ ذَلِكَ مِنْ دَأْبِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى سَمَّاهُ اللَّهُ تَعَالَى عَظِيمًا فَقَالَ تَعَالَى: (وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ)".
قال الشعراوي في تفسيره 2/836: " فقول الله: {إِنَّ الله يُحِبُّ المحسنين} تشجيع لكل

من يلي عملاً أن يحسنه ليكون على أخلاق الله"
وفي " عمدة القاري "1/125": " وَمن حَدِيث عبد الْوَاحِد بن زيد، عَن عبد الله بن رَاشد، عَن مَوْلَاهُ عُثْمَان رَضِي الله تَعَالَى عَنهُ، قَالَ: قَالَ رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم: (إِن لله تَعَالَى مائَة خلق، من أَتَى بِخلق مِنْهَا دخل الْجنَّة). قَالَ لنا أَحْمد: سُئِلَ إِسْحَاق: مَا معنى الْأَخْلَاق؟ قَالَ: يكون فِي الْإِنْسَان حَيَاء، يكون فِيهِ رَحْمَة، يكون فِيهِ سخاء، يكون فِيهِ تسَامح، هَذَا من أَخْلَاق الله عز وَجل".
وهذا الحديث ضعيف أو ضعيف جداً ، لكن المقصود نقل كيف شرحوا المعنى.
قال المناوي في الاتحافات السنية 1/131 منسوبا إلى عثمان : ألا وليس في أخلاق الله شيء أحب إليه من الجود، والكرم، فإذا أراد الله بعبد خيرًا وفقه لأخلاقه، فتخلق بها".
وقال أيضا: " السخاء الْمَحْمُود شرعا لَان السخاء من أَخْلَاق الله تَعَالَى وَهُوَ يحب من تخلق بشئ من أخلاقه ".
وروى الخطيب و ابن النجار عن أنس بلفظ: "أفضل الأعمال الصلاة لوقتها، وخير ما أعطي الإنسان حسن الخلق، ألا وإن حسن الخلق من أخلاق الله عز وجل"
جاء في "جامع الأحاديث"5/188: أخرجه الخطيب (2/401). وأورده الذهبى فى الميزان (2/276 ترجمة 1956 الحسن بن مقداد) وقال: فأحسب هذا وضعه - الحسن بن مقداد - وإلا فالجسار - أحد رجال الإسناد -. وخالفه الحافظ في اللسان (2/257 ترجمة 1071 الحسن بن مقداد) فقال: هذا الرجل - الحسن بن مقداد - لم أجد من ضعفه فضلا عن أن يتهمه بالوضع، ولم ينفرد به الجسار. وقال العجلونى (1/171) : رواه الخطيب، وابن النجار عن أنس.
إذن كما ترى استعمل هذه العبارة صوفية و مفسرون ومحدثون، ولو بحث أحدهم ربما سيجد غيرهم، بل وردت في نص حديث اختلفوا في صحته كما مر عليك.
فهذا من حيث التوثيق، ويبقى العمل على المعنى تحليلا هو الفيصل في بيان حكم هذه العبارة، وعليه ننتقل إلى النقطة التالية:
6 - تفصيل المعنى، و بيان الفرق بين قول الصوفية وقول الفلاسفة:
يقول الفلاسفة: " إن الفلسفة التشبُّه بالإله على قدر الطاقة" فماذا يقصدون ؟
وهل تشبه عباراتهم عبارة الصوفية أم بينهما بعض الفروق ؟
نحن نعلم أن الفلاسفة من نفاة الصفات ، فلا يوصف الله عندهم إلا بالواحد البسيط

المطلق، ولا يثبتون وجودا إلا بشرط نفي كل ثبوت ،فإذن لا يثبتون لله صفات ، و عند كثير منهم و نقصد هنا القدماء لأن العبارة منسوبة إليهم: الله تعالى لا يفعل بإرادته بل يفيض منه الخير ، ومن هنا كان كمال النفس عندهم هو التشبه بالإله على قدر الطاقة ،ولهذا لا يجعلون العبد عابداً لربه بل تفيض عنه الأمور كما تفيض عن الرب ، فمقصود الفلاسفة إذن هو حصول الفيض لهم ، لا مجاهدة النفس على الاتصاف بصفات الإله التي يجوز للعبد أن يتصف بها كالحلم و الرحمة و الكرم و الصبر و غيرها.

وهنا يجب أن نميز مسألة قياس أفعال الرب على أفعال العباد و أفعال العباد على أفعال الرب، فهذا من أصول المعتزلة و لهذه سموا مشبِّهة الأفعال.

وهذه مسألة أخرى و هي أنهم يجعلون الحسن من العبد و القبيح منه حسنا من الرب وقبيحا منه،و ليس الأمر كذلك فإن الله تعالى ليس كمثله شيء لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله.

فالله تعالى له الإذن الكوني و له الإذن الشرعي، خلق الخير و خلق الشر لحكمة كما خلق إبليس و القتل و السرقة و الخبائث و ليس للعبد أن يفعل الشر بل قد نهاه الله عن ذلك ، لكن الحكمة و الرحمة و هي من صفات الله التي يجوز أن يتصف بها العبد فيتصرف بحكمة و ليس بطيش و عبث ، و يقصد الرحمة بالناس حتى في حال العقوبة كما عندما يعاقب ابنه و يؤدبه فيقصد مصلحته وهو بالتالي يفعل هذا رحمة به.

ثم إننا وجدنا كما في النصوص أن الله تعالى يحب من عباده أمورا اتصف هو بها ، كما في قول النبي صلى الله عليه و سلم : " إن الله وَتْرٌ يُحبُّ الوَتْر"، وقال" إنهُ جميلٌ يُحِبُّ الجَمَالَ" وأنه "نظيفٌ يحبُّ النظافة" وأنه "طيبٌ لا يَقبل إلاَّ طيبًا"، ونحو ذلك . و كذلك قوله: " الراحِمُون يرحمُهُم الرحمن".

فإذن يحب الله اتصاف العبد بهذه الصفات، و يحب تعَبّده بهذه المعاني المحبوبة.

لكن قد يخطئ بعض الناس هنا ممن لا يميزون ما اختص به الله وما اختص به العبد ، فالله تعالى اختص بصفاته من جهتين : الجهة الأولى صفات خاصة به كالألوهية .

الجهة الثانية: صفات و إن جاز للعبد أن يتصف أو يتعبد بها، كالعلم و الحلم و العفو و غيرها فإنها في الله كاملة لا مثيل لها، و في العبد بحسبه لأنه مخلوق .

و إذا فهمنا هذا فهمنا خطأ بعضهم في القسم الأول من الصفات، وفي نفس الوقت خطأ الذي قال: ليس للرب خلق يتخلَّق به العبد ، لكن دعونا نتابع المسألة كما بسطها ابن تيمية في " الرد على الشاذلي"1/69 :
" وهذا قد طَرَده بعضُ الناس كأبي حامد الغزالي وغيره، وجعلوا العبدَ يتصف بالجبار والمتكبر على وجهٍ فسروه، وجعلوا ذلك تَخَلُّقًا بأخلاق الله، ورووا حديثًا " تَخَلَّقوا بأخلاق الله"، وأنكر ذلك عليهم آخرون كأبي عبد الله المازَرِي وغيره وقالوا: "ليس للرب خلق يتخلَّقُ به العبد"، وقالوا : "هذه فلسفة كُسِيَت عباءة الإسلام"، وهو معنى قول الفلاسفة: الفلسفة التشبه بالإله على قدر الطاقة.
وبالجملة فالاتصاف والتخلُّق والتعبُّد بما أحبَّ الله من العباد الاتصاف به ،وهو من صفاته كالعلم والرحمة والإحسان والجمال الشرعي ونحو ذلك هو حق كما دلَّ عليه الكتاب والسنة، بخلاف الكبرياء ونحوه فإنه قد ثبت في الصحيح أن الله يقول: "العَظَمَةُ إزاري والكِبْرِياءُ رِدَائي فمنْ نازعني واحدةً مِنْها عَذَّبْتُه".
وصفات الله نوعان: نوعٌ يختص به كالإلهية فليس لأحدٍ أن يتصف بذلك فإنه لا إله إلا الله.
ونوعٌ يتصف عباده منه بما وهبه لهم كالعلم والرحمة والحكمة، فهذا وإن اتصف به العبد فالله تعالى لا كفوًا له سبحانه فهو منزَّهٌ عن النقائص مطلقًا ،ومنزَّه عن أن يكون له مِثْلٌ في شيء من صفات كماله، بل هو موصوف بصفات الكمال على وجه التفصيل ،وهو منزَّه فيها عن التمثيل.
وأما صفات النقص فهي منتفية عنه مطلقًا، وهو موصوف بالكمال الذي لا غايةَ فوقَه، منزَّه فيه عن التمثيل، إثباتٌ بلا تمثيل، وتنزيهٌ بلا تعطيل، نُثبت له الأسماءَ الحسنى والصفات العُلى، وننفي عنه مماثلة المخلوقات في شيء منها.
وأما الصفات والأفعال التي تختصُّ العبدَ كالذل والخوف والرجاء والتضرع والافتقار والسؤال ونحو ذلك فهذه وإن أمر الله بها العبدَ فهو سبحانه منزَّه عنها لا تُطلب منه وإذا كان ما أمر فإنه قد يَحْسُن منه وقد لا يحسن لم يجُز أن يقال: أنت قد أمرتنا بذلك فأنت أحقُّ به منا، هذا إذا كان المطلوب مما يسوغ طلبه منه كالإحسان والعفو والمغفرة."
الخلاصة: التخلُّق بما أحب الله عباده الاتصاف به من صفاته حق دلَّ عليه الكتاب و

السنة ، يبقى أن استعمال عبارة أخلاق الله و هي بمعنى صفاته ليس هو المشهور عند بعض الناس لا غير.

و الخطأ ~ هنا~ أن نعتقد أن كل ما أحب الله أن نتصف به هو من صفاته، فالله تعالى يحب منا التواضع وهو ليس من صفات الله ، أو أن نعتقد أنه يجوز أن نتصف بما هو من خصائص الألوهية كالكبرياء و الجبروت و إن حاول بعضهم تفسيرها بمعاني أخرى كما فعل الغزالي فهو خطأ .

و الله تعالى أمرنا أن نكون عادلين وهو عادل، و أمرنا بالرحمة وهو رحمن رحيم، و أمر بالعفو، وهو عفو، و أمر بالكرم و الجود و الإحسان و العلم و الصبر و الحلم وهكذا.. فهذا مقصود الصوفية إلا من صار منهم متفلسفا.

ولا متمسك للشيخ فركوس في كلام ابن القيم إلا بسوء الفهم و بلادة العقل ،قال ابن القيم في " فائدة جليلة في قواعد الأسماء الحسنى"1/32 : وهو يتحدث عن الثناء على الله :

" فلا يثنى عليه إلا بأسمائه الحسنى وصفاته العلى، وكذلك لا يُسأل إلا بها، فلا يقال: يا موجود أو يا شيء أو يا ذات اغفر لي وارحمني، بل يُسأل في كل مطلوب باسم يكون مقتضيًا لذلك المطلوب، فيكون السائل متوسلاً إليه بذلك الاسم.

ومن تأمل أدعية الرسل، ولاسيما خاتمهم وإمامهم "- صلوات الله وسلامه عليهم- وجدها مطابقةً لهذا. وهذه العبارة أولى من عبارة من قال: يتخلق بأسماء اللَّه، فإنَّها ليست بعبارةٍ سديدةٍ، وهي منتزعةٌ من قول الفلاسفة: الفلسفة التشبه بالإله على قدر الطاقة، وأحسن منها عبارة أبي الحكم بن بَرَّجان وهي التعبد، وأحسن منها العبارة المطابقة للقرآن وهي الدعاء المتضمن للتعبد والسؤال.

فمراتبها أربعة: أشدها إنكارًا عبارة الفلاسفة وهي التشبه، وأحسن منها عبارة من قال: التخلق، وأحسن منها عبارة من قال: التعبد، وأحسن من الجميع: الدعاء وهي لفظ القرآن".

قلتُ : هو يتحدث عن الثناء و الدعاء لا عن الإخبار، ولا شك أن عبارات الأنبياء أحسن العبارات و أكثرها مطابقة للحق لكن مقام المخاطبة شيء و مقام الإخبار شيء آخر، فكما نقول عن الله : موجود و قديم و صانع و مريد من باب الإخبار لا يعني أننا ندعوه بهذه الأسماء ، لأن الدعاء عبادة ولا يكون إلا بالأسماء الحسنى.

ثم إن جواب ابن القيم ~ رحمه الله ~ فيه رد قوي على المازري و فركوس إذا ذكر العبارة و بيَّن درجتها ما بين العبارات لكنه لم ينكر ألفاظها، فلم يقل ليس لله أخلاق يتخلق بها العبد كما فعل المازري، وهي عبارة متنازعة عنده لما بينته سابقا من أقسام الصفات ومذهب أصحاب الوحدة فيها.

و مما يدل على تفريقه بين قول الصوفية و قول الفلاسفة أنه جعل قولهم: التخلق بأخلاق الله" أحسن من قول الفلاسفة " التشبه بالإله"، فافقه هذا.

ومع ذلك أقول: وإن كان كلام ابن القيم حقا بحسب ما أورده يبقى كلام ابن تيمية أحسن منه بكثير لأنه وقف عند المعنى و ووزنه بالنصوص لأن كلام ابن القيم مفهوم معروف.

وقوله في " المدارج" : " الملحد يقول: كساه نفس صفاته، وخلع عليه خلعة من صفات ذاته، حتى صار شبيها به، بل هو هو، ويقولون: الوصول هو التشبه بالإله على قدر الطاقة، وبعضهم يلطف هذا المعنى، ويقول: بل يتخلق بأخلاق الرب، ورووا في ذلك أثرا باطلا " تخلقوا بأخلاق الله ".

وليس هاهنا غير التعبد بالصفات الجميلة، والأخلاق الفاضلة التي يحبها الله، ويخلقها لمن يشاء من عباده، فالعبد مخلوق، وخلعته مخلوقة، وصفاته مخلوقة، والله سبحانه وتعالى بائن بذاته وصفاته عن خلقه، لا يمازجهم ولا يمازجونه، ولا يحل فيهم ولا يحلون فيه، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا."

قلتُ: فكلامه ~ رحمه الله ~ واضح بأنه يقصد أصحاب وحدة الوجود الذين يقصدون الفيض، و لذلك سماه " الملحد".

وعلى هذا يكون الإخبار بهذه العبارة مشروطا بذكر القيد وهو التفصيل فيما يجوز الاتصاف به .

و عليه يوجد فرق شاسع بين عبارة الصوفية وقصدهم و بين عبارة الفلاسفة و قصدهم، فابن تيمية ~ رحمه الله ~ صحَّح الجزء الخطأ، وأكد الجزء الصحيح ، نظر في المعنى في ميزان الشرع ولم يرفضه لمجرد انه لا يستعمل هذا التعبير، لأنه لا يقصد بالنقد الإيذاء، ولا يعترض على الألفاظ بسبب الإجمال.

لكن مع هذا النوع من السلفيين تحتاج إلى إثبات النهار و الشمس طالعة.

النقد لا يجب أن تكون له علاقة بالانتماء، بل بالموضوع، و على هذا أنتقد ما يبدو لي

خطأ بغض النظر عن انتماء صاحبه، و إن كان بعض السلفيين كغلاة التجريح يستحقون النقد على كل كبيرة و صغيرة للردع.
وعلى منهجهم يجب أن نهتم بنقدهم أكثر من نقد غيرهم فهم الذين يقولون : العدو الداخلي أخطر من العدو الخارجي ، و العدو الخارجي مفروغ منه، فكذلك نقول على قياسهم: نقد أخطائكم أهم من نقد أخطاء غيركم.

العقيدة بين التفعيل الايجابي و سلبيات مسائل الهوية

الحمد لله وحده، و الصلاة و السلام على من لا نبيَّ بعده.
لقد طبع علم الكلام ~ طيلة قرون طويلة ~ العقيدة الإسلامية بمباحثه وجدله فعقَّد البسيط وطوَّل القصير؛ و اختلف الناس في سبب ظهوره، فبعضهم ~ كان ولا يزال ~ يرى أنه لا سبب لوجوده إلا قطع الطريق على النص و التحايل في الالتفاف عليه ؟ وهذا و إن انطبق على بعض المتكلمين،أو في حالات مخصوصة لا ينطبق على كل المتكلمين، وفي جميع القضايا العلمية ،و أظن أن سبب ظهوره طبيعي، يعني: هو نتيجة اتصال العرب بأعراق و حضارات أخرى ،فالأفكار تسافر مع الناس، لكن تمدده عند فئة من المعتزلة وبعد ذلك عند الأشاعرة هو لملء فراغ و شرخ سببه احتكاك العرب مع الوافدين الجدد، فمن طبيعة المجتمعات في طور النشوء الحضاري أن تظهر فيها العلوم و تتفاعل بينها الأفكار.
وكما هو حاصل اليوم ~ وفي كل وقت ~ تستقر الأفكار الجديدة أولا عند نخبة تكون في العادة ذات خبرة تحتاجها الدولة فتمكنهم من مؤسساتها، ومنها ينشرون فكرهم، إضافةً إلى عامل الطوائف المخالفة التي في حاجتها إلى القوة و الدفاع عن مصالحها تقوم ببلورة المذاهب كما فعل الشيعة لم يكن لهم علم كلام ولا فقه خاص بهم فاضطروا لتقوية مذهبهم إلى استلاف مذهب المعتزلة و التحوُّل من التجسيم إلى التأويل في زمن ابن أبي الحديد ،و بعد ذلك و تحت هيمنة ابن سينا و تلامذته كالطوسي تحوَّلوا إلى الفلسفة المحضة ممزوجة بإشراق السهروردي.
وهكذا بدأت اللغة العلمية في التغير، ولم يشعر بها أهل الحديث كما يجب فكان تجاوبهم مع الوضع الجديد فيه تدرج [قد فصَّلنا الأسباب المعرفية في مقال " حكم

العلوم الدقيقة"] فأولا استعملوا إستراتجية الإهمال: " رفض الرد و المناظرة و المقاطعة التامة " .

ومنهم ~ كالإمام أحمد و غيره ~ من رفض كتابة العلم إلا الحديث؛ جاء في " مسائل ابن هانئ"{164/2}:" .. لا يعجبني شيء من وضع الكتب و من وضع شيئا من الكتب فهو مبتدع"، و ".... كتاب مالك و الشافعي أحب إليك؟ أو كتب أبي حنيفة و أبي يوسف؟ فقال: الشافعي أعجب إلي، هذا و إن كان وضع كتابا، فهؤلاء يفتون بالحديث، وهذا يفتي بالرأي، فكم بين هذين ؟"

فقوله :"هذا و إن كان و ضع كتابا" يفيد كراهته لوضع الكتب و لكن يعجبه منها ما كان من تأليف أهل الحديث، أو ما كان في فقه الحديث و علومه.

و قال:" سألت أبا عبد الله عن كتب أبي ثور ؟ فقال: كل كتاب ابتدع فهو بدعة "

قال الميموني:" ذاكرت أبا عبد الله خطأ الناس في العلم، فقال:" و أي الناس لا يخطئ؟ ولا سيما من وضع الكتب، فهو أكثر خطأ"{الطرق الحكمية:ص:267}.

توجيه هذه النقول ، وهذا الموقف مع موقف الأئمة الذين كتبوها فصلته في بحث قديم بعنوان" كيف نعامل المخالف".

ثم لما لم تنفع هذه الخطة و كان مردودها ضعيفا، لم يمنع العقائد الجديدة من الانتشار انتقلوا إلى الرد بالكتابة و المناظرة، وكانوا أولا لا يرون المناظرة إلا أمام السلطان لاجتناب التشغيب و تثبيت العقوبة على المتعمد،فأدوا ما عليهم، و حافظوا على أصالة العقيدة بلغتها الأولى ، وكانوا رمانة الميزان التي تشير إلى مدى الابتعاد أو الاقتراب من النص.

وفي ظني شدة تمسكهم بالعبارات الواردة، و ميل جمهورهم إلى رفض الكلام في العلوم الدقيقة دون التفريق بين القادر عليها و الضعيف فيها، وبين من يحتاج أن يخاطب بها ومن لا يحتاج من المسلمين هو السبب الرئيس في ظهور الكلام السني.

و أَثَّر عليهم علم الكلام فأحدث فيهم بعض الشروخ و النزاعات، فإنه دفعهم إلى الخوض في مسائل لم تتناولها النصوص، و اضطروا إلى الاستنباط و الاستخراج و البحث في اللوازم فحدثت فيهم فتنة " اللفظ" لعدة قرون ، و اختلفوا حول بعض المصطلحات كـ " الحد" ، و " الحركة"؛ و قد أشار ابن تيمية بلغته المتزنة إلى هذا في كتبه كـ " بيان تلبيس الجهمية" عندما وقف عند مشكلة المصطلحات المتجددة و

حكمها، وما عناه هو شخصيا عندما قال : (ولم يقل أحد من أئمة السنة:إن السني هو الذي لا يتكلم إلا بالألفاظ الواردة التي لا يفهم معناها، بل من فهم معاني النصوص فهو أحق بالسنة ممن لم يفهمها، ومن دفع ما يقوله المبطلون مما يعارض تلك المعاني، وبين أن معاني النصوص تستلزم نفي تلك الأمور المعارضة لها فهو أحق بالسنة من غيره.) بيان تلبيس الجهمية {445/1 }.

وواضح من نفسه أن هذا الكلام موجه لأهل الحديث فهم من اتخذ موقف المقاطعة مع المصطلحات المتجددة.

المهم اصطدم ابن تيمية بمشكلة المصطلحات مع المتكلمين ومع المحدثين على حد سواء، مع المتكلمين رفض القول المشهور " لا مشاحة في الاصطلاح" فلم يسلم لهم بها إلا بعد اعتبار مدلولاتها بالكتاب و السنة.

ومع المحدثين حاول أن يفهمهم أنه قد تجددت الألفاظ بعد عهد السلف بحكم تجدد المسائل، و أنها بمنزلة تنوع اللغات و تركيب الألفاظ المفردات، و أن رفضها لأجل أنها جديدة لا معنى له ،ولا أصل شرعي له، بل يجب أن ترفض إذا خالفت مدلولات الكتاب و السنة و ليس لأنها مستحدثة ، و أنه لا يحرم رد الباطل بعبارة مطابقة له ، و أن الكتاب و السنة يدل بالإخبار تارة، ويدل بالتنبيه تارة، و الإرشاد و البيان للأدلة العقلية تارة. المنهاج 2/110.

ومع ذلك لا يزال السلفيون ~ الذين لم يفهموا أن ابن تيمية هو التطور الطبيعي أو التجاوب الفعلي لأهل الحديث مع الأوضاع المعرفية المستجدة من غير أن يلزم عن هذا تقليده حرفيا ~ يعانون من هذه العُقدة و يُشغِّبون على العلماء و طلبة العلم؟

و لعله من المفيد في هذا الباب الاطلاع على رسالة الأشعري ~ رحمه الله ~ " استحسان الخوض في علم الكلام "، وقد سبق و فصَّلتُ موقف ابن تيمية من المسألة في مقالي المطول " مسارح النظر و مطارح الفكر"، و كذلك في" حكم المصطلحات المتجددة"، " حكم العلوم الدقيقة".

فمن المشاكل المعرفية العويصة التي يعاني منها المسلمون المعاصرون مشكلة اختلاف المصطلح العلمي أو المصطلحية، خاصة و أن صياغة هذا العلم لا يشارك فيها أهل علوم الوحي .

المهم، ومع ذلك فقد كان لعلم الكلام بعض الايجابيات، إما في جهد المتكلمين في

مواجهة الإلحاد الفلسفي و الديانات الأخرى، و إما ~ و هذا أثر ارتدادي غير مقصود ~ في مساهمته في تكوين المتكلمين السنة على شاكلة ابن كلاب ،و الأشعري و الباقلاني و ابن تيمية، فإن تكوين هذا الأخير الحديثي أولا ثم الكلامي ثانيا هما السبب المعرفي المباشر في قوة نقده للفلسفة، فليس من المنطق الصحيح أن نقول: إنه طفرة، أو خرج من لا شيء، بل استعان كثيرا بما كتبه المتكلمون في تصور القضايا الفسلفية و الانطلاق بعد ذلك في النقد المنهجي، فمن الصعب جدا على الباحث أن ينطلق في نقد النظريات و بناء أخرى مناقضة لها من لا شيء بدون أن تكون لديه قاعدة يشرف منها على الأقوال المختلفة، و بعد ذلك يشق طريقه الخاص به، و يعود على القاعدة بالنقد و التصحيح.

و أنا أذكر أنه بدأ مسألة خطيرة مثل نقد "نظرية الصدور" بنقد ابن ملكا لها، فهو من أقوى الردود على ابن سينا، ولم يكن ابن تيمية يُعاني من عقدة نقص مثل كثير منَّا يخشى الاستشهاد بمتكلم أو فيلسوف فيما هو حق ، حتى إنك تجد التسطيح عند بعض طلبة العلم ~ في مواقع الكترونية سلفية مشهورة ~ ينتقدون كتابا لأنه أورد فيه أسماء بعض المفكرين الغربيين، ويحكمون لأجل هذا أنه متأثر بمدارس الفكر الغربية !

وكان ميزانه دائما يميل لصالح المتكلمين عند مقارنتهم بالفلاسفة، ولم يجعلهم في كفة واحدة كما يصنع جمهور السلفيين المعاصرين، بل كان يفضل بعضهم على بعض الحنابلة ، و يفاضل بينهم، و يعلم أنهم ليسوا سواء لا في القصد ولا في العلم ، و يجعلهم طبقات فيجعل بعضهم مباشرة بعد طبقة أئمة السنة كمالك و الشافعي و أحمد، قال: (ومعلوم أن طريقة أئمة الصوفية وأئمة الفقهاء أكمل من طريقة أبي القاسم القشيري ،ومن طريقة أبي طالب والحارث، ومن طريقة أبي المعالي وأمثاله، وأولئك الأئمة كانوا أعلم بطريقة الصحابة وأتبع لها من أتباعهم فالقاضي أبو بكر الباقلاني وأمثاله أعلم بالأصول والسُّنَّة وأتبع لها من أبي المعالي وأمثاله، والأشعري والقلانسي ونحوهما أعلى طبقة في ذلك من القاضي أبي بكر ،وعبد الله بن سعيد بن كلاب، والحارث المحاسبي أعلى طبقة في ذلك من هؤلاء ،ومالك، والأوزاعي، وحماد بن زيد، والليث بن سعد وأمثالهم أعلى طبقة من هؤلاء، والتابعون أعلى من هؤلاء، والصحابة أعلى من التابعين.) الأصفهانية،1/129.

المهم، الاستعانة بالغزالي و ابن حزم و متكلمة أهل السنة واضح في كتبه، وقد

يستعين بفيلسوف كابن رشد في الرد على ابن سينا في مسائل النفس وغيرها، و لعل أبلغ أعماله " نقض المنطق" استأنف فيها موقف النظار المسلمين و طوَّره ليصبح نقدا كاملا ، و هذا واضح فإن الخروج المعرفي من فراغ ممتنع ،لمن أراد أن يفهم .
وقد يُفضِّل آخر أن يقول: لقد اعتمد على الصحيح من علم الكلام، و لأني أقصد الوصول إلى قضية أخرى فلن أناقش هنا هذا الجواب، فلعلي أعود إليه في مناسبة أخرى، وهي أهمية علم الكلام السني في مواجهة ظاهرة الإلحاد المادي المعاصر.
و الذي يعنينا ~ هنا ~ بالدرجة الأولى أن علم الكلام انحرف عن القصد الأول، وهو: "الجدال عن العقيدة النصية بالأدلة العقلية" إلى استحداث عقيدة سلبية تقوم على النفي أو التوقف المسمى اصطلاحا " التفويض"، وهو ~ كما طوَّره المتكلمون للتفريق بين التفويض لعدم العلم و التفويض المنهجي ~ نفي مقنع أو غير مباشر ، فبدلا من الاهتمام بما وصف الله به نفسه ووصفه به رسوله صلى الله عليه و سلم، يعني: الحديث عن الله عز وجل بالحديث عن أوصافه ، و التعريف به بالنص انحرف إلى الحديث عن كل ما ليس هو الله، أو ما ليس عليه الله، بما يمكن أن نسميه "علم الكلام السلبي" المبني على النفي و السلب، لا على الإثبات ، وهو ما يُسمى بـ السلوبية " L'apophatisme "
هذه السلوبية عبارة عن مقاربة فلسفية مبنية على النفي،وهي عقيدة مناقضة للقرآن الذي جاء بالإثبات الوصفي، ولم يستعمل النفي " السلب" إلا لخدمة الإثبات فلقد بيَّن القرآن أنه يجوز الإخبار عن الله تعالى بالسلوب التي تتضمن ثبوتا كما في قوله تعالى:{ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ } ،فإنه يتضمن إثبات كمال حياة الله و قيوميته.
وكذلك قوله تعالى:{ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ } يتضمن إثبات كمال قدرته،لأن نفي مس اللغوب الذي هو التعب والإعياء يدل على كمال القدرة ونهاية القوة، بخلاف المخلوق الذي يلحقه من التعب والكلال ما يلحقه.
وقوله تعالى:{ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ } يتضمن إثبات كمال علمه و إحاطته بأقل الأشياء وهي الذرة .
وقوله تعالى:{ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ} يتضمن إثبات كمال صمديته،وغناه عن خلقه.
وكذلك قوله :{ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ} يتضمن إثبات تفرده بكماله، و أنه لا نظير

له،وهذا مطرد في كل سلب ورد في حقه في القرآن أو السنة،لا ينفي شيئا عنه إلا ليثبت ما يحمد به، و يثنى به عليه، و يمجد به من الصفات.
ومن المعلوم لدى كافة المسلمين أن النبي صلى الله عليه و سلم و الصحابة و التابعين و أئمة السلف لم يكونوا يعظمون الله تعالى بشيء من هذه السلوب،بل لم يثبت عنهم إلا طريقة الإثبات المفصل و السلب المجمل.
المهم، أنه لا يوصف بصفة سلب إن لم تتضمن معنى ثبوتيا،فكل صفة سلبية لا تتضمن ثبوتا فلا يوصف بها إلا المعدوم.
وكل صفة تصلح للمعدوم المحض فإنها لا تصلح أن يوصف بها الله تعالى، لأنها حينئذ صفة لا مدح فيها بحال،إذ المعدوم المحض لا يمدحه عاقل،وما لا يكون فيه مدح، فإن الله لا يوصف به،فله الأسماء الحسنى و المثل الأعلى.
ومعلوم ~ أيضا ~ أن السلوب لا نهاية لها ،ومهما كثرت لم يزداد الموصوف بها تميّزا،فعندما يقولون : " إن الله واحد ليس كمثله شيء، و ليس بجسم، ولا شبح، ولا جثة، ولا صورة، ولا شخص، ولا جوهر، ولا عرض، ولا بذي لون، ولا طعم ولا رائحة، ولا مجسة،ولا بذي حرارة، ولا برودة، ولا رطوبة ،ولا يبوسة ، ولا طول، ولا عرض، ولا عمق، ولا اجتماع، ولا افتراق، ولا يتحرك، ولا يسكن، ولا يتبعض، و ليس بذي أبعاض و أجزاء، و ليس بذي جهات، لا يمين، ولا شمال، و أمام، و خلف، و فوق، و تحت، ولا يحيط به مكان، ولا يجري عليه زمان، ولا تجوز عليه المماسة، ولا العزلة، ولا الحلول في الأماكن، ولا يوصف بأنه متناه، ولا يوصف بمساحة، ولا ذهاب في الجهات، و ليس بمحدود، ولا تحيط به الأقدار، ولا تحجبه الأستار، ولا تدركه الحواس، وكل ما يخطر بالبال و تصور بالوهم فغير مشبه له،لا تراه العيون، ولا تدركه الأبصار، ولا تحيط به الأوهام، ولا يسمع بالأسماع، شيء لا كالأشياء"
يلزمهم أنه معدوم، إذ هذه صفات العدم المحض؟
ومعلوم أننا لو زدنا على هذه السلوب آلاف السلوب الأخرى لما ازداد إلا غموضا، و ازددنا جهلا به، فكل هذه السلوب و آلاف أخرى لا يعرف بها المؤمن ربه، لأنه لم يعرف صفاته التي يحمد بها و يمجد، وهي الصفات الثبوتية التي تعيّن و تميّز وجوده عن غيره.

[تجد هذه المسألة مفصلة في مقالي " الموقف الشرعي من طريقة السلوب و أحكام الوهم و الخيال"

كذلك وجدناه سبحانه في القرآن يُعرف نفسه ، يتكلَّم عنها بـ " أنا"و،"هو"،كما في قوله تعالى: { إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي} [طه]، و قوله:{ يَا مُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [النمل]، و قوله:{ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ} [القصص].

{هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلهَ إِلَّا هُوَ عالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهادَةِ هُوَ الرَّحْمنُ الرَّحِيمُ. هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ. هُوَ اللَّهُ الْخالِقُ الْبارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْماءُ الْحُسْنى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [الحشر]. فأجرى كل الأسماء صفات لاسم الجلالة.

{ لَوْ أَرادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَداً لَاصْطَفى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشاءُ سُبْحانَهُ هُوَ اللَّهُ الْواحِدُ الْقَهَّارُ [الزمر]}،{ قُلْ أَرُونِيَ الَّذِينَ أَلْحَقْتُمْ بِهِ شُرَكَاءَ كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ }، { لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَاصْطَفَى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ}،{ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (1) اللَّهُ الصَّمَدُ (2) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (3) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ }.

فالقرآن يخبر من هو الله من خلال صفات ثبوتية ،وفي السلوبية لا نتحدث إلا عما ليس هو .

تعمل هذه الطريقة الفلسفية بطريقين :

الأول: بالنفي وهما ما نُسميه "السلوب".

الثاني: بالحذف، حذف الصفات الثبوتية الذي جاء نتيجة لعملية الطرح و التقليص في التعريف المنطقي.

لقد بدأت السلوبية كعقيدة دينية عند المسيحيين في القرن الثاني، عند المدعو كليمان الاسكندراني [Clément d'Alexandrie] لكن جذورها تعود إلى الفلسفة القديمة إلى دينوسيوس المسيحي الذي استلفها من [Damascios] وهو فيلسوف من الأفلاطونية المحدثة كان معاديا للمسيحية، وهذا يذكرنا بـ"الذرية" التي نشأت عند الإغريق كفلسفة مادية إلحادية وتحوَّلت عند بعض المسلمين إلى أدلة إثبات وجود الله. كما نجدها في فلسفات الشرق الأقصى في البوذية و الطاوية و الهندوسية، انتقلت إلى الإسلام عن طريق المعتزلة ،نقل الأشعري في(المقالات){43/1} هذا القول عن

ضرار بن عمرو، قال:
((قال ضرار بن عمرو:معنى أن الله عالم أنه ليس بجاهل، ومعنى أنه قادر أنه ليس بعاجز، ومعنى أنه حي أنه ليس بميت.
وقال النظام: معنى قولي "عالم" إثبات ذاته ونفي الجهل عنه، ومعنى قولي "قادر" إثبات ذاته ونفي العجز عنه، ومعنى قولي "حي" إثبات ذاته ونفي الموت عنه، وكذلك قوله في سائر صفات الذات على هذا الترتيب)).
نقل ابن حجر في (الفتح){13/164} كتاب الإيمان عن بعض المحققين، ولم يسمه، مقرا له أنه قال: ((الحقائق الإلهية لا تعرف إلا بطريق السلب كما في العلم لا يدرك منه إلا أنه ليس بجاهل))؟
وفي الحقيقة لم يفهم بعض الأفاضل طريقة السلوب على حقيقتها وبعدها الفلسفي و استهوتهم العبارات الجميلة فحقيقة السلوبية أن كل فكرة نكوّنِها عن الإله تجد نفسها مشلولة في عدم كفاءتها في تحديد ما لا حد له، يعني: أن العجز عن الإحاطة بالكل يوجب حتما إنكار وجود الجزء،أو بتعبير أدق: عدم إدراك الكيفية يوجب نفي العلم بأجزائها، فإذا لم نعرف كيفية الله فالواجب أننا لا نعرف صفاته؟
فمثلا إذا جئنا إلى الإثبات التالي " الله موجود" فلا يمكن في السلوبية تصور معناه تماماً كما لو قلنا : "الله عليم" لأن التعبير عن التعالي يمكن فقط بقضايا سلبية، و باللجوء إلى الحذف، وفي نهاية المطاف بالصمت " التوقف الذي يسميه المسلمون " التفويض"
يعني أن السلوبية مرحلة تأتي ما بعد التأويلية تنتهي عند أقطاب الفلسفة وعلم الكلام و التصوف بالتوقف " الواقفية أو التفويض"، لأنه بالنسبة إليهم حتى القضية ذات المظهر السلبي هي ثبوتية بالنسبة للمطلق " الخالي من الوصف ، أو اللا موصوف" الذي لا يمكن أن نثبت له شيئا، فقولنا: " الله غير جاهل" هو في النهاية إثبات ايجابي تماماً كقولنا: " الله عليم" ما دام الله ليس بعليم ولا لا عليم؟
لماذا ينتهون إلى إنكار السلب هو الآخر كما أنكروا الإثبات ؟
لأن السلب عند المناطقة المتفلسفة المتكلمة هو نفي معنى زائد على نفسه،أو نفي المادة عنه، أو نفي الغيبة عنه،وكل سلب خاص لا يتضمن سلبا عاما،و السلب إنما يتضمن غيره إذا كان أعم منه.

قال ابن سينا في(منطق الإشارات):
((السلوب لوازم للأشياء بالقياس إلى اعتبار معان ليست لها،فإن غير الناطق أمر يعقل باعتبار الناطق))
أي:لا يعقل السلب إلا بعد أن يعقل الإثبات،فهو فرع على الإثبات،أو هو درجة ثانية من الإثبات كما سأبينه لاحقا،فمن لم يعقل العلم و القدرة لا يعقل الجهل و العجز.
و السلوب عند ابن سينا لا تصح إلا عن المعدومات،وذلك لأن إيجاب المعاني الموجودة لها يكذب عليها إلا بشرط وحال،فقولنا: "الحجر صحيح، و الحجر ليس بصحيح"، الصدق هو السالب منهما،فإثبات الصحة المضادة للمرض للحجر كاذب، بينما نفيها عنه صادق،وهذا ما يبين بوضوح أن السلوب من صفات المعدوم لا الموجود.
يقع الاشتراك في السلوب عند بعض المتكلمين،وهي عندهم مغايرة للأحوال إذ هي أعدام محضة، بينما الحال لا يوصف عندهم بالعدم،كما لا يوصف بالوجود،إذ هو أمر نسبي و إضافي،و عليه فالسلوب التي يوصف بها الموجود فإنها معدومة لا أحوال،والفلاسفة يعتقدون أن الله تعالى واحد من جميع جهاته لا تعدد فيه أصلا،بل جميع صفاته راجعة إلى السلوب و الإضافات.
وقد علم العقلاء أن الاختلاف بين معاني الصفات و الأسماء يستدعي مميزا بينها و إلا كانت شيئا واحدا،وقولهم يجوز أن يسند ذلك إلى السلوب و الإضافات فمندفع، وذلك أن السلب عمن لا تقع بينهما المشاركة من الصفات المختلفة كالجبار و الرحيم و العليم و القدير يعني إثبات صفة زائدة أو معنى زائد،فقولنا ليس بعاجز غير قولنا ليس بجاهل.
المهم ، تهدف السلوبية إلى الوصول المباشر للمطلق بإلغاء كل انضمام عقلي للمفاهيم، بتعبير آخر: تهدف هذه الطريقة إلى نفي ذاتها ، يعني: نفي الثبوت في المرحلة الأولى ثم نفي السلوب في المرحلة الثانية لتتحد بالمطلق.
قال دينوسيوس في كتابه " اللاهوت الصوفي "[De la théologie mystique] :
" هنا، في اللاهوت الإثباتي ينزل خطابنا من أعلى إلى أسفل مادام أنه يتسع تدريجيا مع نزوله لكن الآن لأننا نصعد من الأسفل إلى المتعالي يتقلص خطابنا [بالحذف و الطرح] بحسب صعودنا، و إذا وصلنا إلى النهاية نكون صامتين تماما و موحدين مع

اللا موصوف".
ومثل هذه المعاني موجودة بكثرة عند الفلاسفة الإسلاميين وعند أصحاب وحدة الوجود، وحتى في تعريف الفلسفة حاصرتهم هذه الطريقة ، فعرف الفارابي الفلسفة بأنها العلم بالموجودات بما هي موجودة، و يعرفها ابن سينا في"الشفا" حيث يقول: موضوع العلم الإلهي الوجود المطلق،و منه أخذه الجرجاني في" التعريفات" عندما قال: هي العلم بحقائق الأشياء على ما هي عليه،وكذلك قال ابن خلدون في "المقدمة":علم الإلهيات علم ينظر في الوجود المطلق".
وهذه العبارات كما ترى أخذت من كتاب أرسطو "ما بعد الطبيعة" من المقالة الأولى، و اختصارا انتهى المعاصرون منهم إلا في الفلسفة الوضعية التي لا تعترف بوجود المطلق إلى أن الفلسفة هي علم المطلق.
و المطلق عندهم ~ في الميتافيزيقا ~هو الشيء الذي هو بنفسه أو الموجود كما هو موجود وراء ما يبدو لنا من صفاته ،أي: الشيء في ذاته،و هذا المعنى المتفق عليه بينهم في وصف الله، أو الذي لا يتوقف على أي شيء، الذي هو بدون أية علاقة يعني: الخالي من الاستثناء و الشرط و الصفة و القيد.
إذا عرفنا هذا فهمنا أن كل تعريفات الفلسفة تجعل موضوعها المطلق،و في الواقع العلة الأولى هي الكائن أو الكينونة، منهم يأتي كل الواقع، أو هم كل الواقع ،فالبحث عن العلة الأولى هو المبدأ الأول، هو البحث عن البدائي المطلق،سواء في عالم المعرفة أو عالم الوجود، ومع ذلك فما هو المطلق في الأول (المعرفة) انه عقل الإنسان، في الثاني (الوجود) إنه الله ، من هنا تلتقي كل التعريفات في هذا : " الفلسفة هي علم المطلق".
..... يتبع في التعليق...
ومعلوم أن مثل هذه المعاني " الكليات" ليست صالحة لأن تفيد وجود الأشياء، ولا حركتها ولا حياتها فما الحاجة إليها؟
المهم، أثَّرت الأفلاطونية المحدثة وهي مذهب تلفيقي يقوم على اختيار عناصر من فلسفات مختلفة لصياغة نظام فلسفي مستقل على الفلاسفة الإسلاميين بسبب نظرية التزاوج بين الفلسفة و التصوف، فوضعت لهم القاعدة التي انطلقوا منها جميعا إلى أنه واحد فوق الوحدة، لا ينطبق عليه شيء مما نتخيله بأوهامنا، ولا مما نتصوره

بأفكارنا،وهو فوق الوجود،وفوق العقل، وفوق الحياة، وفوق كل نسبة و تعيين، لا تدركه العقول،و تبلغ إليه الأفكار، نتحقق وجوده دون أن نتبين كنهه، لا يسوغ لنا التعبير عنه إلا باسم الواحد المحض، والأول المطلق.

ومن هذا جاءت وحدة الوجود، و جاء كلامهم في النفس و الروح و غير ذلك.

بدأ أول بحث عند الإغريق بعد عهد الشعراء الذي سبق العهد الفلسفي حول المادة يلتمسون ماهية هذا الوجود المحسوس فانتهوا إلى ثلاثة أقوال هي: الوجود هو هذا المحسوس ـ هو المعقول لا المحسوس ـ هو المعقول و المحسوس معاً، يعني إلى المذاهب الفلسفية الكبرى:

1 ـ الدهرية، وهم قدماء الماديين أمثال ديموقريطس و أبيقور قالوا بوحدة الطبيعة ولا إله.

2 ـ قول أفلاطون و أرسطو و قبلهما سقراط بوجود عالمين"عالم الإله وعالم الطبيعة" إلا أنهم عجزوا في إثبات الاتصال بينهما فبدون نبوة الطريق مقطوع.

3 ـ الرواقيون " وحدة الوجود" أمثال شيشرون و زينون ومارك أورال ، قالوا بوحدة الطبيعة و الإله، وهو آخر المذاهب نشوءا عند الإغريق، وقد نشأ من قول سقراط في الفرق بين الروح و المادة، ولذلك نفس مثالهم يضربه أصحاب الكليات ،و هو أن وجود العقل في المادة ووجود الكلي في الأشياء كوجود ماء الورد في الورد و الدم في الجسم، و الشجرة في البذرة.

وحقيقة مذهب الرواقيين ليس إلا الرجوع إلى مذهب الدهريين" الماديين" إذ لا فرق بين من يقول: ليس هناك إلا المادة، ومن يقول: إن المادة و العقل شيء واحد، وكيف يتصور اقتران المادة بالعقل مع عدم النسبة بينهما، و استحالة جواز صفات أحدهما على الآخر، لذلك كل ما يتوجه على الدهرية يتوجه عليهم من دون تفاوت.

ولهذا يعتبر أهل الكتاب عقيدة وحدة الوجود من المذاهب الإلحادية ، و إذا فهمنا قول الطبيب ابن النفيس ~ كما نقله عنه ابن تيمية ~ بأنه لا يوجد في الحقيقة إلا قول أهل الحديث و قول الفلاسفة أمكننا أن ندققه فنقول : لا يوجد في الحقيقة إلا قول الأنبياء وقول الملاحدة، أو : قول الله و قول إبليس.

لكن هذا بالصعود مع الآراء إلى مراجعها الأصلية لا يجب أن نسقط فيه أو نستعمله في الحكم فإن الثنائية هي أبعد ما يكون عن الإنصاف لأن ما بين القولين مئات

الأقوال ومئات الأنواع من الناس،فيهم أهل صدق و أهل إيمان .
و لهذا نقول: تنتهي كل الفلسفات إلى المادية أو إلى وحدة الوجود وهي نوع من المادية ، ولما كان هذا حال الفلسفة إما الشك في الحقائق، و إما الرجوع إلى المادة صراحة أو تحت مظلة الوحدة مع الله جمع بين كل المتأثرين بالفلسفة من أهل الديانات مذهب الأفلاطونية المحدثة إذ سمح لهم بالتفلسف لكن مع البقاء ضمن حظيرة الدين كما يتصورنه، وهذا الذي نفق عند اليهود و النصارى و المسلمين على حد سواء.
يمكن الرجوع بخصوص هذه القضية إلى كتاب دافيد سانتيلانا .
المهم،بالنسبة لموضوعنا انتقل مفهوم الحذف من الفلسفة القديمة، من فلسفة مدرسة "الأكاديمية" و الفلسفة المشائية كعملية عقلية تزعم الفصل في الشكل بين ما هو جوهر، و ما ليس بجوهر.
و هذا النوع من الحذف و الطرح طُبق أولا في الرياضيات، ثم في المنطق المشائي كعملية ذهنية تجريدية للفصل بين ما يعدونه من الماهية وما هو خارج عنها ،وما هو إلا نوع من النفي للحقائق الخارجة عن الذهن، لأن الحد و التصور الذي هو أساس علم المنطق لإدراك ماهية الأشياء هو باقي طرح، في حين أن الفكر في سائر العلوم هو حاصل جمع،أي أن المنطقي يطرح كل صفة يرى أنها ليست ضرورية فتصوره عبارة عن باقي طرح لكل ما يتعلق بالمتصور من صفات لازمة وغير لازمة، في حين أن غيره لا يُعتبر قد أحاط معرفةً بالشيء حتى يتصوره بكل خصائصه و مميزاته ، فكلما صعد في التصور ازداد الفكر غنى و خصوبة ومعرفة، بينما المنطقي كلما صعد بتدقيق الحد افتقر الفكر عنده.
فالماهية في المنطق: ليست الفكرة العامة ،حاصل جمع، بل باقي طرح، أي كلما ارتفعنا على سلم الكائنات بواسطة التعميم كلما افتقر مضمون التصورات، فالفكرة العامة تتكون لا بجمع جميع صفات الأنواع الدنيا التي تحتوي عليها، بل بحذف جميع الصفات التي تختلف من نوع إلى آخر.
....
يعتبر المناطقة " الصوريين" أن الصفات اللازمة للحقيقة تنقسم إلى ذاتي وعرضي ، ذاتي داخل في الحقيقة، وعرضي خارج عنها ،وهذا التقسيم لا يقوم عليه دليل صحيح

معتبر، بل الدليل يقوم على نقيضه، ولهذا لما لم يكن في نفس الأمر بينهما فرق معتبر لم يحدد المفرقون بينهما حدا يفصل بينهما بوضوح، بل ما ذكروه من الضوابط منتقض بالاعتبار التالي:

إذا كانت الصفتان متلازمتين في الوجود والعدم والثبوت والانتفاء، لا توجد هذه إلا مع هذه، وإذا انتفت هذه انتفت هذه كان التفريق بجعل إحداهما مقومة والأخرى عرضية تحكما وتخرصا.

ثم وجدت هذه الطريقة السلوبية دعما في المثالية، في حدود أن المعرفة ليست كما في الإسلام نازلة مصدرها الإله و المخاطب بها الإنسان بل تصاعدية بالطرح و النفي ، الانتقال من الحقيقة الملموسة إلى الحقيقة الغيبية ، من الفيضي إلى المتعال.

بالنسبة إليهم لها في نفس الوقت مظهر سلبي يتمثل في عملية التقليص ، تقليص الصفات ، و مظهر ايجابي هو الإدراك الحدسي للحقائق العليا، فيقدمون الحذف على أنه خطوات وجودية تسمح بالوصول إلى الأشكال العليا للمعرفة التي هي في الحقيقة المعقولات ما بعد الثانية المجردة من المادة و الصورة، فكلما صعدنا في هذه الطريقة تزداد المعرفة بالحذف فقرا لأن المعرفة عندهم هي باق طرح بينما هي في جميع العلوم حاصل جمع.

المهم، التقى علم الكلام الذي تشبَّع بالفلسفة مع وحدة الوجود و التصوف الكشفي على هذه الطريقة،و أدخلوا العالم الإسلامي في عصر الظلمات، وتحولت النظرية الفلسفية المعقدة إلى ثوب بالي تمزق إلى قطع وهي الطرق الصوفية التي انحرف جمهورها عن مقصود التصوف الصحيح فأصبح المسلم نصف إنسان كما يصفه أحدهم جمع كل الصفات السيئة وركبه الجهل وترك العمل إلا من رحم الله ، وصار يتصور الدين كاملا أو فاعلا بدون عمل حتى دخلت عليه الحضارة الغربية فشيعته إلى قبره كميت الأحياء، و هو ما سماه النبي صلى الله عليه و سلم " الوهن".

المهم،نحن هنا لا يهمنا الفيلسوف و المتكلم و العالم فهؤلاء قد يخوضون في مسائل أدق من خيط العنكبوت لكن ما علاقة المسلم الذي يشكل غالبية الأمة بهذا النوع من العقيدة، هل في مقدوره هضمها، هل يمكنها أن تُفعِّل فيه العمل؟

كيف يميز هذا المسلم الله المعبود الذي يجب أن يعبد بحق عن سائر الآلهة ،و المعبودات المزعومة ،إن كان أقصى ما سنصل إليه في عقيدة السلوب أنه أشبه

بالعدم، لهذا أصبحت عقيدة المسلم ~ في المرحلة النهائية التي امتزج فيها علم الكلام بالفلسفة و التصوف الكشفي الفلسفي ـ ميتة عاجزة عن تفعيل حركيته ، جعلته في مرتبة بين الموت و الحياة هي الوهن ومعه يأتي الهوان.
إذن لدى المسلم عقيدة مجملة صريحة في القرآن و السنة لكنها ميتة لا تصنع إلا الأشباح قتلها علم الكلام و التصوف البدعي تحركت لدى بعض الشباب برد فعل مضاد لعقيدة انحرفت عن المصدرين فولدت فيهم الغلو و قتلت فيهم الفهم و الاعتدال ؟
والعقيدة وحدها لا تصنع أمة أو تبني دولة بدون فكر نابع عنها،فأي انقطاع بينها وبين المقاصد منها و منظومة الأخلاق يفقدها حيويتها ،فعندنا عقيدة الوهابية أصح عقائد المسلمين في التوحيد العملي عجزت عن بناء دولة حقيقية لأن الإطار السياسي لم يكن نابعا منها ، بل مستعينا بها ،فقد كان لها دور التحريك الروحي لكن لم يكن لها في يوم من الأيام الدور السياسي، ولا صناعة الرؤية السياسية.
وعليه لنسأل ما الذي يحتاجه المسلم في باب العقيدة أو بالأحرى ما هو الشيء الذي يجعله فاعلا متحركا بايجابية قابلا للتحدي، قائما على واجباته؟
بطبيعة الحال أصل التوحيد هو أن يعبد الله وحده لا شريك له، فهذا جوهر رسالة الأنبياء، وهذا يرجع إلى الأحكام الشرعية يعني إلى قسم المنهيات في التوحيد، و لهذا نقول: الإيمان بالقرآن و بالرسول هو من تمام الإيمان بالله وتوحيده،و يبقى أصل الإيمان هو الإيمان بالله و اليوم الآخر، ولهذا أجملت النصوص موضوع الإيمان فيه، فمتى آمن الإنسان بالله ربا قصده، ومتى آمن باليوم آخر راقب أفعاله ، وقد لخص الشيخ العارف عبد القادر الجيلاني في كتابه " الغنية" هذا الأمر، فكأنه يخبرنا أن جميع الإيمان ينتهي إلى صفتين من صفات الرب وهي : أنه قريب رقيب.

فالقرب يقتضي المعية و المعونة و التأييد، كما ينفي الوسطاء، فمن كان قريبا منك لا تحتاج إلى وسطاء لتصل إليه ،كما يستلزم العلم و السمع و البصر و الإحاطة،قال الله تعالى: {فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ - وَأَنْتُمْ حِينَئِذٍ تَنْظُرُونَ - وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ - فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ - تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} [الواقعة].
و قيل بأن قوله تعالى: {وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ} [ق] المراد به الملائكة.

و الرقيب يستلزم المسئولية ،وهي لا تتحقق إلا بمراقبة الأفكار و الأعمال و الأقوال، فمن عرف أن الله رقيب عليه صحَّح عمله وراقبه، جاء مؤكدا عاما في قوله: {وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا} [] ، وخاصا في قوله: {إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} [] ، و في قوله: {كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ} [] ، وكذلك في قوله تعالى: {مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ} [المائدة].

فليكون المسلم فاعلا متحركا بمسئولية شرعية يجب أن يكون مشاهدا للصفتين: القرب و الرقابة.

فالعمل الصالح ثمرة الإيمان بالله و اليوم الآخر، قال الله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} [المائدة]

وقال تعالى: {وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ}.

وقال تعالى: {آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ}.

فيجب مجملا أن يجمع المسلم بين الإيمان بالله و اليوم الآخر ،وهو مصدر العمل الصالح الذي شرطه متابعة الرسول، فكيف نفسر حال رجل يصلي الصبح و يأكل الربا أو الرشوة، يقرأ القرآن و يكذب أو ينمم، كيف نفسر من ظاهره الإيمان يستلذ بما هو شر كالغيبة و النميمة و بمصائب الناس ؟

وهذا ما تضمنه حديث جبريل عليه السلام : (الْإِسْلَامُ: أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ وَتَصُومَ رَمَضَانَ وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا. وَقَالَ: الْإِيمَانُ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ) .

المقصود أن المسلم لا يحتاج إلى علم الكلام لا السلبي و لا الايجابي، وهذا لا يمنع أن يتكلم فيه طالب العلم و يبحث عن الصحيح الموافق للقرآن و السنة لكن لا يجعله موضوع الدعوة، فلا دخل له في بناء المجتمع الإيماني ، والعقيدة كما جاءت في النصوص عباراتها مفهومة، و يتلقاها الناس على الفطرة، و أهم ما فيها هو أن يكونوا مؤمنين بالله موقنين باليوم الآخر، فهذا ما يدفعهم للعمل و الحركة، و أن يكونوا

شرطةً على أنفسهم، و يجعل عقيدتهم حية.
ومهما بلغ المسلمون في علم الكلام ولو صححوه كله فإنه لن يحرك فيهم شيئا لأنه نظري يدخل في الهوية، و قليل منهم من يملك القدرة على ربطه بالعمل القلبي، و يشهده في أعماله.
فالعقيدة التي نحتاجها في بناء الأفراد قادرين على المساهمة في بناء الدولة و النهضة بالأمة هي هذه العقيدة النصية المجملة، و إخراج غير ذلك عن مجاله الأكاديمي و إنزاله إلى عموم المسلمين أثره سلبي، هو أحد المثبطات في النزاعات التي لا طائل منها اجتماعيا و سياسيا، و استهلاك الطاقة في المراوحة في المكان، و إن كانت الحقيقة العلمية في أي مسألة مهما دقَّت تقتضي التقييم العلمي لكل شيء، لكن ليس في الدعوة، ولا في التوعية، ولا في الترشيد، و لكن فيما بين نوع من العلماء.
إن الطريقة العفوية التي يتبعها الوعاظ في إلقاء النصوص الصحيحة على الناس دون التوقف عند اللوازم الكلامية و الجدلية ليتلقوها بفطرتهم هي الطريقة الصحيحة و الشرعية الوحيدة، و لهذا نقول: لقد انحرف جمهور السلفيين مع المتكلمين فبالغوا في شحن خطابهم الدعوي بمسائل الكلام ، و بالنزاع المنصوب مع الأشاعرة، وحتى مسائل الأسماء و الأحكام خاضوا فيها بلغة كلامية محضة، ودخلوا في الافتراض و التوقع و لم يقفوا عند النصوص في المجال الدعوي، و استعملوها في إقصاء بعضهم بعضا ، و الفتنة التي وقعت بين المنتسبين للسلفية في هذا الباب سببها سياسي امتطى الكلام .
فعندما تدعو إنسانا لإقامة الصلاة بالنصوص الترغيبية و تحذره من تركها بالنصوص الترهيبية تفعل فيه الموعظة ما لا يفعله فيه قولك " تارك الصلاة كافر" إذ الرجل أساسا يشكو من خلل في الإيمان بالله و باليوم الآخر؟
....
ثم وقع لهم خلط بين تجريد التوحيد العملي وبين التصوف الشرعي فأنكروا بطريقة أو أخرى الأحوال و الإلهام و الوجد الصحيح، و ذموا حتى دعاتهم الذين اشتغلوا على علم السلوك، و أطلقوا عليهم أسماء " القصاص، الحكواتي] و سموا الكلام بالقرآن و السنة " موعظة " و الكلام في الناس "علما" ؟
و بحجة تجريد التوحيد أنكروا الحقائق فقيدوا الرقية بعدم الدليل السمعي، وهي من

العادات لأنها من الاستطباب و ليست من العبادات التي يشترط فيها التوقف قبل الدليل، فهي عرفية لها قيود شرعية، لقوله صلى الله عليه و سلم " لا بأس بالرقى ما لم يكن فيها شرك" فمنعوا الرقية ببعض المواد، بل منهم من منع القراءة على الماء أو الزيت؟

وهكذا ومع أن عقيدتهم هي أصح عقائد المسلمين لم تسلم من تأثير غير مباشر أو بالارتداد من علم الكلام و التصوف الكشفي، و أقصد هنا في شدة الموقف وفي صياغة خطابهم الدعوي.

لهذا نجد أن دعوة ابن باديس أنجح و أنفع من دعوة غيره من السلفيين ، فهو و إن ركز على تصحيح التوحيد إلا انه جرده من مسائل التكفير ~ بخلاف السلفيين المعاصرين الذين قدموا قضايا التكفير في خطابهم الدعوي وحتى السياسي ~ مما جعل خطابه مقبولا في المجتمع الجزائري، فإن اصطدم مع الرؤوس لم يصدم مع العوام، كما لم ينحرف فقهيا فيجعل من المذاهب عدوا له يهاجمها و تهاجمه، و يملأ المساجد بالنزاعات الفقهية، فهذا ما أقصده بتفعيل العقيدة بعيدا عن مسائل الهوية .

لقد تركَّزت فكرة التَّجديد و الإصلاح الدِّينيِّ عند ابن باديس على نشر اللُّغة العربيَّة ،و حمايتها باعتبارها لغة القرآن، وحاملة هويَّة الشُّعوب الإسلاميَّة الدِّينيَّة، و أنَّها أداة التَّجديد، ووعاء الإصلاح الدِّينيِّ ، يقول في خطبة ختم تفسير القرآن سنة 1938 م: ((إنَّني أعاهدكم على أنَّني أقضي بياضي على العربيَّة و الإسلام كما قضيت سوادي عليها، و إنَّها لواجبات .. وإنِّي سأقصر حياتي على الإسلام و القرآن، و لغة الإسلام و القرآن، هذا عهدي لكم ،و أطلب منكم شيئًا واحدا، وهو أن تموتوا على الإسلام و القرآن، و لغة الإسلام و القرآن)).

فكان المقصود عنده من إصلاح عقليَّة الجزائريِّين :العمل على تثبيت الوسائل العقليَّة الصَّحيحة لبناء عقليَّة الدُّعاة و المصلحين من خلال انضباط منهجي يقوم على الاعتماد القويِّ على النُّصوص بعقليَّة متجرِّدة عن التَّعصُّب، تُفكِّر في معالجة أسباب التَّخلُّف، مع تبصُّر في الأحداث، و التفات مستمر إلى الواقع الاجتماعيِّ، متشبِّعة بالقرآن، عفيفة اللِّسان،بعيدة عن أساليب الجدل و التَّهريج، و الإسراف في القول.

وكان عماده في إصلاح العقيدة: القرآن، يعتمد عليه في إعداد الشَّباب تأسِّيًا بالنَّبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم ،يقول في (الشِّهاب) عدد جوان 1938 : ((فإنَّنا نربِّي و الحمد لله

تلامذتنا على القرآن، ونوجِّه نفوسهم إلى القرآن من أوَّل يوم، وفي كلِّ يوم، و غايتنا الَّتي ستتحقَّق أن يُكوِّن القرآن منهم رجالا كرجال سلفهم، وعلى هؤلاء الرِّجال القرآنيِّين تُعلِّق الأمَّة آمالها ،وفي سبيل تكوينهم تلتقي جهودنا وجهودها)).
فجاء اليوم سلفي لا يتحدث عن العقيدة بالقرآن ولكن بقال فلان و فلان، وهذا المشكل لا يكشفون القرآن بإنزال الآية على الحادثة بل يفسرونه فتضيع القوة في "قال فلان و قال فلان..."
ثم تناحر مشايخ السَّلفية على ما ليس جوهريًّا في السَّلفيَّة، كلٌّ واحد منهما يغرس في نفوس الشَّباب النَّاشئ اتِّجاهات متضادَّة لا يقدر على هضمها، مثقلة بالاصطلاحات كالطَّلاسم بالنِّسبة للعوامِّ، فيقحمهم هذا الصِّراع في أزمة ضمير، وهم لا يملكون وسائل الفحص و المقارنة، فإمَّا يكفرون بالجميع للتَّناقض و التَّضارب كما حصل للكثير فيصبحون أشباحا لا حياة فيها، و إمَّا ينساقون وراء الرَّأي البسيط و يستسهلون السَّطحيَّة عند الغلاة.
في حين وقد وفَّر لهم أمثال ابن باديس منهجية صحيحة كان عليهم أن يطوِّرها ، وأن لا يكتفوا بما تيسر من أسباب الحياة الفكريَّة و العلميَّة عند الرواد ، فلا يَفصِلون أنفسهم عن الثَّقافة الحديثة، فيُفصلون عن المعارك الفكريَّة الحديثة، و يُغيَّبون عنها إلاَّ كبيادق فيها،لأنَّ دعاة اليوم يجب أن يتسلَّحوا بوسائل اليوم.
لكن مع السَّيطرة الكاملة على المواضيع، و الضَّبط الدَّقيق لها بسبب تعدُّد المعارف وتوسُّعها الثَّقافيِّ في مختلف العلوم، و إتقان الحدود الموجودة بينها، والتَّمسُّك بالنَّقد و النِّقاش الاستدلاليِّ الهادئ مع المخالف، و تتبُّع العبارات و الأفكار بأمانة، ولا نتعرَّض للأشخاص، و لا نشنِّع عليهم ،ولا نعرِّض بأهل العلم،مجتنبين الجدل لأنَّنا نقصد الحقيقة بذاتها ،ولا نقصد الانتصار لمذهب بالتَّعصُّب وتبريراته.

إعادة اكتشاف مالك بن نبي

الحمد لله و الصلاة و السلام على رسول الله.
يشهد الخطاب الإسلامي المعاصر غيابا ملحوظا لبعض الموضوعات العلمية و الاجتماعية و السياسية وغيرها، يصعب على المسلم من دونها أن يقيم نفسه و يقدرها كنفس مسلمة حرة ومكرمة وبالتالي تقدير الآخرين و التفاعل معهم، لأن الشعور بالآخرين فرع على الشعور بالذات " لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب

لنفسه".

ومن المفكرين النادرين الذين تكلموا في هذه القضايا المهمة التي تخرج المسلم من سلبيته و تخلصه من عوائقه النفسية وتجعله فاعلا متحركا في الاتجاه الصحيح محافظا على أصالته مالك بن نبي ~ رحمه الله ~ هذا المفكر الذي يعاني من إهمال شديد لأسباب سطحية هي مثال حي على الشلل المعنوي و السلوك المرضي ستكون لنا وقفات كثيرة و طويلة معها في المستقبل إن شاء الله .

اخترتُ لكم اليوم موضوعا في غاية الأهمية ، قد لخصه أحد الإخوة من كتابيه " القضايا الكبرى" و " التأملات" يتعرض فيه للتعارض "المزعوم" بين الإسلام و الديمقراطية، و لمشكلة اختزال المفاهيم عند بعض العلمانيين و بعض الإسلاميين.

هل هي موضوعاتٌ محظورة أم هي الغيبوبة ؟ !

الحمد لله وحده، و الصلاة و السلام على من لا نبي بعده.

هناك موضوعات غائبة عن أحاديثنا و اهتمامنا، فهل هي "بدعية !" تجعل المسلم درويشاً مخرفاً أو فاجراً مُفسدا، أو متخلفاً همجيا؛ يجب الابتعاد عن الخوض فيها لأنها تُفسد دين المسلم ودنياه أم هي أسباب أخرى ،مثل :

وعي المسلم بنقائصه و عيوبه ـ وعي المسلم بالعراقيل و التحديات ـ وعي المسلم بصورته عند غيره من المسلمين ـ وعي المسلم بمستلزمات عقيدته سياسيا واجتماعيا ـ الوعي بكينونة المسلم في العالم المادي المتاح و الحدود.

ـ معنى التربية: التدرج للتطور أم التدجين ـ دور الثقافة الفرعية في تقوية الثقافة الأساسية ـ التفاعل الثقافي مع المخالف ـ الثنائية بين اللغة و الكلام وأثرها على الخطاب الإعلامي المعاصر ـ قوة التجريد و الفكرة ـ الاستبصار الفكري السؤال ـ منزلة المنطق المهذب في تنظيم الفكر ـ المنطق و التناقضات.

ـ الإعلام و التلاعب بالوعي ـ وظيفة الكلام في التواصل ـ تخريب اللغة التي يتكلم بها الناس بالعبارات الجديدة ـ علاقة اللغة بالواقع ـ علاقة اللغة بالفكرة " بأي لغة تفكر؟" ـ و سائل الإعلام و الحقيقة.

البحث عن السعادة و أنواعها ـ تنظيم العواطف و التحكم فيها ـ أهواء الأنا ـ التحكم في تلبية رغبات النفس ـ التجربة العاطفية عند المسلم ـ الفن بين الوهم و الحقيقة ـ جوهر الجمال في الثقافة الإسلامية.

ـ حق الإنسان وحق المواطن ما الحقيقة ـ علاقة القانون بالقوة ـ معنى العدالة و مقاصدها ـ العيش بمسؤولية ـ تأثير العادات و الأمراض الاجتماعية على تطبيق القانون.
ـ التنمية بين النمو و الركود ـ المال كأداة للسلطة ـ الفكرة الاقتصادية ـ عالم المال ـ معنى العمل و قيمته ـ الدخل الأساسي في الدول الإسلامية ـ متى يصير العمل متعة ـ قيمة العمل اليدوي و العمل العقلي ـ خطر الاقتصادوية على الأسس الثقافية للنهضة .
فهم الآخر ـ من المجتمع إلى الدولة تكميل العلاقة ـ مسألة الغيرية سياسيا ـ السلطة و الرأي العام ـ القوة و السلطة ـ السلطة و السلطات ـ السلطة السياسية وقوى المال أشكال العلاقة ـ السلطة بين الخيال و الفكرة المستحيلة الانجاز ـ الحكومة التمثيلية ـ لماذا الديمقراطية وما شكلها؟ ـ التفكير في الثورة و العنف أمل أم يأس؟
تكامل الأدوار بين المؤرخ و الصحفي في مراقبة السياسة ـ الموقف الإسلامي من حق التعبير ـ جوهر الحرية : حرية الضمير والحرية السياسية الإشكالية ـ العقل و الملموس و إشكالية المادية ـ أسئلة الواقع و أسئلة التنظير العقلي ـ أسباب الفعل الصحيح ـ من الضمير إلى الأخلاق ـ مبادئ الفضيلة ـ أولوية القيم ـ الخير و الشر في القرآن ـ الأنانية و القصد السيئ ـ أساسات الواجب الشرعية و العقلية العامة ـ الحكم الأخلاقي ـ سلطة الدين و سلطة السياسي ـ التنوع الطائفي والوحدة السياسية أمل أم ضلالة ـ العنف الاجتماعي ـ الدولة الاجتماعية فكرة انقرضت بعد مالك بن نبي و سيد قطب؟ ـ أسباب الجوع في العالم ـ مدنية الإنسان و التآلف الإسلامي ـ مجتمع الاستهلاك ـ المجتمع و الوعي الجماعي بالوضع و الهدف ـ العالم في أزمة ماذا يقدم المسلمون؟
ـ احترام الطبيعة في الإسلام حقيقة أم مجاراة ـ حق الحيوان في النصوص الشرعية.
ـ طاقة الفكر في إحداث التغيير ـ حدود التفكير ـ تغيير الذهنيات ـ العقل و الحس السليم ـ التفكير في الحماقة .
التفكير التقني ـ النووي متعة تكنولوجية أم ضرورة ـ التقدم الحقيقي و التقدم الافتراضي ـ سلاح الشاشة ـ التقنية و الرغبة في القوة ـ إهدار الوقت و الوفاء للمبدأ.
ـ عيون المعرفة ـ الفرق بين النقاش و الجدل ـ معايير الحقيقة في القرآن ـ عالم الآراء الاجتهادية عند المسلمين الحقيقة و التطور ـ المشاكل الأخلاقية في العلوم...... الخ.

الأسئلة:

1 ـ ما حكم القرآن و السنة في مفاهيم هذه الموضوعات وليس في التعبيرات ؟

2 ـ هل هي ما ينقص المسلم لولوج العصر الحديث و التأثير فيه؟

3 ـ هل هذه الموضوعات هي ما يصنع المسلم العملي الايجابي اجتماعيا وسياسيا؟

4 ـ لماذا لا نتحدث في هذه الموضوعات بالكثافة و الشدة التي تستحقها أهي كفر أم بدعة ؟

5 ـ أليس ببيان موقف الإسلام في مثل هذه الموضوعات و التركيز عليها يصبح دينا ودنيا، عقيدة وحياة؟

أرجو أن يعتني أصحاب الرسائل العلمية بمثل هذه الموضوعات.

مسطح كاذب

تزييف التاريخ لإعادة التوظيف

منهج جمال الدين القاسمي في كتابه ((تاريخ الجهمية و المعتزلة))

الحمد لله وحده، و الصلاة و السلام على من لا نبي بعده.

عُرف الشيخ جمال الدين القاسمي ـ رحمه الله ـ بجرأته في طرح الأفكار التي تراوده، ومحاولته تجديد الفكر الإسلامي و إصلاح أحوال المسلمين، خاصة و انه كان في فترة تمثل بداية تلاقي العالم الإسلامي و العالم الغربي وما نتج عنه من تلاقح المعرفة و تلاحق الإشكالات و المفاهيم، و اضطراب في اتخاذ موقف صريح وواضح من هذا العالم الجديد بمدنيته و فكره و عقلانيته.

لقد وجدتُ بعض المنسوبين للعلم يرددون كلام الشيخ القاسمي ~ عن الجهمية و المعتزلة ~ و أقروه على مجموعة أخطاء علمية بتوكيد بلا دليل،و التفكير الذي يجب أن يتميز به طالب العلم ليس الاستشهاد بكلام هذا أو ذاك لأنه يجب دائما وزن حقيقة ما نقول، لا يمكن الاكتفاء بالاستشهاد بمقولات العلماء " بحسب فلان، وفلان"على أنها تفكير ، على هذا يصبح التعليم في خطر أمراض العصر كـ"النسبوية" ، و "التعليقية" و "التاريخ الجديد"...الخ حيث يجد كسول الذهن نفسه مرتاحاً في عدم

التمييز.
بهذا يصبح العلم بضاعة جاهزة، نأخذ فكرة من هنا وهناك ونكتب كتاباً نعوِّم به الناس في المجرى المتحرك و المتلون لدعوى النقد و التجديد، لأن العقل المحتار أكثر قابلية للتلاعب و أسهل في الإغواء، فبعض هذه الكتابات ليست حقائق علمية و لكنها اختيارات مضللة و متلاعبة!
فالعلاقة مع الحقيقة ليست قائمة على ما يعجبني من أفكار ولكن على ما يؤيده الدليل ، هو تمييز الوقائع كما هي، كما يمكن إثباتها قبل كل شيء بدون السعي لإخفائها و التملص منها، ثم يمكن أن نقدم بعد ذلك تأويلات تفسيرية حول الموضوع لكن الواقعة هي الواقعة، لا يمكن أن نقرر بحسب أهوائنا الشخصية إن كانت حقيقة أم لا؟
في مجال العلم الوضوح هو الأهم، و الحقيقة لا يمكن في صفتها الذاتية إلا أن تكون واحدة ولا شخصية، منفصلة عنَّا، و لأن حقيقة الشيء في صفته الذاتية لا الإضافية المرتبطة بفهم هذا و إدراك ذاك، لا يمكنها أن تكون ناتجة عن جلجل خطابي حيث يصبح "أي شيء يعني أي شيء" كما يروِّج له كثير من المعاصرين من كل الملل حيث لا حد في حرية التفكير خاصة حد الحقيقة،حيث لا نهتم بفهم ما هو الشيء، نتعلم فقط فن التلاعب بجعجعة " علمية" لمحو العقول و التحميق الشامل، و يصبح "التجديد و النقد" بالمضاربة و التنظير في فراغ آلة لتشويش الذهون.
و على هذا أقول : كتاب الشيخ القاسمي " تاريخ الجهمية و المعتزلة" تخريب للعلم، لا يكفي كعمل علمي لأن نرصه بلصق ملون إلى جنب الشائع المتفق عليه عند أئمة الإسلام بدون أن نتساءل إن كان صحيحا أو خاطئا.
فمهما تلاعبنا بالكلمات تبقى الحقيقة مصونة، و حتى الكذب لا يمكن أن يصيبها،عندما يجزم أئمة الإسلام أن سبب مقتل الجهم بن صفوان هو الكفر فيأتي القاسمي و يقول لنا : " لا، سبب مقتله خروجه ضد الظلم"؟
نقول له: يكون الشيء موضوعيا عندما يظل هو طبقاً لنفسه مهما تغيَّر الملاحظ، هذا شرط مهمل في واقعنا المعاصر، فكأنه يردد شبهة المستشرقين و الشيعة التي مفادها أن عقيدة أهل السنة شكَّلها حكّام بنو أمية ، فعندما يقتلون رجلا لرفضه لظلمهم ~ كما يزعم ~ و يجتمع أئمة الإسلام على أنه قُتل لكفره فهذا يعني أنهم غطوا جرائمهم السياسية بالشريعة و العقيدة مما يُسمى في الحالتين: رمي الطفل مع ماء الحمام !

يعني بتعبير دقيق أن العقيدة السنية ليست إلا نتيجة اتفاق و تواطؤ بين الحكام و الأئمة ، فهي حقيقة داخل البراديجم "النموذج الأصلي" فقط، أما في خارجه فليست إلا صناعة الحكام و أئمة متواطئين معهم.

وليس التحدي النظر في إذا ما كان نسيج الحماقات المحشو في مثل هذه الكتب صحيحاً، فهذا سهل، ولكن في كون أشخاص عندهم نوع من الجد و الخلفية السنية ~ بسبب طغيان الاهتمام السياسي على الاهتمام بعقيدتهم ~ قبلوا قولاً سخيفا، فإلى أي مدى يمكن الدفاع عنه بدون تناقض ؟

العاقل يميز بوضوح أن كل الأقوال مهما نسبت لفضلاء لا تتساوى في القيمة، هناك آراء خاطئة ، و أخرى خطيرة أو مسمومة ،و الدليل أن هذا الكتاب أصبح ملجأ لكثير ممن يبحث عن التشكيك في ذاكرة الأمة، و معتمد من أعوزته الأدلة لتقرير مذاهب الجهمية في الاعتقاد، و ما يستتبع ذلك من تبني النظرية الشيعية عن ظروف تكوين عقيدة أهل السنة و الجماعة، و هي نظرية متزندقة مبنية على مجموعة أكاذيب و خلط فاحش في تحقيق التاريخ .

وقد نبَّه بعض الفضلاء على الخطأ الفادح الذي ارتكبه القاسمي في كتابه (تاريخ الجهمية و المعتزلة) و المغالطات الكبيرة التي حواها ،وذكر بعض من أصبح يعتمد على هذا الكتاب لتمرير المنهج التشكيكي، و أراد إعادة بناء تاريخ الجهمية لتصحيح عقائد الجهمية، و أجاب القاسمي على كل شبهه إلا انه تحاشى المسائل الكلامية لأنها لم تكن صلب الموضوع.

المهم، الخلل العلمي في كتاب القاسمي كثير، و فوضوية منهجه في دراسة التاريخ واضحة،لكن يجب أن أشير إلى الجانب النفسي في كل ذلك ، فهذا الكتاب إنما كتبه القاسمي ليخدم نظرية كوَّنها خارج هذا الكتاب وقبله بمدة، أي في كتابه "محاسن التأويل"، وعلى هذا سأذكر بعض الملاحظات المنهجية ثم نناقش بسرعة واقعة مقتل الجهم بن صفوان بشيء من التساؤلات .

1 ـ لم أجد القاسمي متأملا فيما قدَّم فكثر تناقضه بحيث يمكن أن نجيبه بأجوبته، ذلك أن سيطرة فكرة ثابتة مركزية (مشروعية الثورة)على ذهنه سببت له هذا الانتحاء فكل أفكاره في هذا البحث ترد إلى فكرة مركزية هي مشروعية الثورة على حكام بني أمية ،وهي المشروعية التي لا يمكنه أن يقررها إلا من خلال فكر الخوارج و ما تولَّد

عنهم كالمعتزلة وقد دفعه هذا إلى التضحية بالتوثيق التاريخي فيكفي أن نعرف أن قائد الثورة التي خرج فيها الجهم بن صفوان قاتل المسلمين إلى جانب الترك الكفار آنذاك ، فأين الكتاب و السنة شعار تلك الثورة المزعومة ؟

و الثورة في فكر القاسمي فكرة حافزة جعلته يظهر إعجابه بالثورات! وليس هذا محل نقدنا هنا و لكن كيف أثرت عليه في تكذيب سبب مقتل الجهم، و المشكل مع كثير من الناس ممن يريد التأصيل للفكر الثوري أنه يعجز عن ذلك إلا بهدم المشهور أو المتفق عليه عند الأئمة؟

إن كل بحث الشيخ القاسمي في تاريخ الجهمية و إلحاق المعتزلة بهم،و التناقض مع الغرض الذي ذكره وهو "قلة المعلومات عن الجهمية" هو حاجته إلى تبرير نظريته السياسية التي لم يجد ما يبررها عند كافة طوائف أهل السنة لأنهم في نظره ~ نفهمه من كلامه ~ جبرية "عقيدة الاستبداد الأموي"، وهذه مغالطة تاريخية و علمية لأن الجهمية هم الجبرية الحقيقية، فنظرية جهم في "القدر" و "أفعال الرب" تتعارض مع دعوى "خروجه السياسي" على بني أمية، وهذا يدل على ضعف ثقافته الفلسفية، وقلة يقظته الفكرية، مما كان وراء سهولة انسياقه في هذا الاتجاه، فسبب هذه المزالق العقدية والمنهجية أنه لم يكن مستعدا ولا متوفرا على قدرة القيام بهذا العمل ،فحاول رد الاعتبار للجهمية لإضفاء الشرعية على نظريته السياسية لكن مضحياً بالعقيدة؟

لا يمكن اعتبار كتاب الشيخ القاسمي إلا تعاطفا مع نظريته السياسية بواسطة الجهمية و المعتزلة،ولكنه تعاطَف مع الجهمية ونافر أهل السنة.

2 ـ لقد رد الشيخ القاسمي على الإشكالات العلمية التي لاحظها و المتعلقة عموماً بالطائفية الإسلامية ولم يجد لها جوابا إلا بكتابيه: "تاريخ الجهمية و المعتزلة"، و" الجرح و التعديل"،و هما جوابان سيئان عن هذا الاستشكال.

ـ نتفهم قلق الشيخ القاسمي من كونه تأثر ببعض أقوال الجهمية المعتزلة وهو يعلم أنهما فرقتان منبوذتان عند أهل السنة قاطبة ،ولكن لم يكن عليه تزييف اتفاق الأئمة بهذه الرخاوة التي درس بها تاريخ الجهمية و المعتزلة فقد أوَّل بعض العلماء بعض الصفات ولم يكن ذلك كافيا ليمدحوا الجهمية و المعتزلة،فحاول أن يقاوم هذا القلق و يدافعه فلم يجد إلا هذا النهج؟

فكلمة "الاجتهاد" و " راموا التنزيه" التي استعملها لتبرير كفر أقوال الجهمية ، هي

هفوة ناجمة عن قلق نفسي وشعور بالتعاطف لتشابه المذهب.
منهج دراسة التاريخ:
1 ـ لم يذكر تاريخ الجهم بن صفوان قبل التحاقه بالحارث..
2 ـ افتقد في كتابه إلى منهجية علمية في دراسة تاريخ الجهمية ،فقام بعملية سرد للوقائع في اتجاه واحد فلم يقف عند الروايات المضادة و انساق في سرده مع ما يخدم نظريته التي كونها خارج كتابه" تاريخ الجهمية".
فتاريخ الجهمية هو جملة ما عرف من أحوال هذه الفرقة عن طريق الأخبار و الوثائق الكتابية، وهنا نجد القاسمي أهمل المعيار التاريخي، فكل معلوماته عن هذه الفرقة استمدها من كتب أئمة الحديث و التاريخ و الكلام، ولكن العجيب أنه سفَّهها كلها ،و افترض نظريات شيعية، فخالف مشهور أهل السنة التاريخي و العلمي.
و الملاحظ على دراسته لتاريخ الجهمية أنه أعطى كل الأولوية في تفسير الوقائع إلى الجانب السياسي، وهذا عنصر من عناصر نظرية الشيعة العامة ،و التي مفادها أن مذهب أهل السنة هو إيديولوجيا أموية يعني:إفرازات لواقع سياسي أموي موجه، وليد وقائع سياسية و نشاط سياسي أموي يقابله نشاط جهمي مضاد، فمذهب أهل السنة عندهم هو مجموعة أفكار تبدو لهم [لأهل السنة] أنها مستمدة من القرآن و السنة ولكنها في الواقع مجرد تعبير عن واقع سياسي و اجتماعي أموي لا يعرفون انه هو الذي ولَّد لديهم مذهبهم، إنه باختصار إيديولوجيا أموية!
فهذا أساس الفكرة عند القاسمي و المبدأ الذي يفسر به تاريخ الجهمية.
3 ـ لقد وجدنا القاسمي مرددا لنظرية شيعية بوعي أو بدون وعي دون أن يتصور عواقبها وما تهدمه من أصول دينية ثابتة، تفسر مذهب أهل السنة بنظرية العقد الاجتماعي القائم على أساس أن أهل السنة يتنازلون عن الشورى في مقابل الاحتفاظ بالأحقية الدينية و الزعامة المذهبية و السحق لمخالفيهم!
و الخلاصة التي انتهت إليها هذه النظرية أن معرفتنا بالسنة معرفة يقينية أمر متعذر، و أنها ليست سوى معرفة راجحة صنعها بنو أمية، و أن قصتي الجعد بن درهم و الجهم بن صفوان لا أصل لهما، وضعها أهل السنة لتفسير بدعتهم وجمودهم، أي هي أسطورة : قول مختلق يقصد به الإيهام و التهويل،فلم يهضم الشيعة أن الفتوحات الإسلامية قام بها الأمويون، و المؤسف أن بعض المنتسبين للسنة يجاريهم على

نظريتهم.
4 ـ يفتقد القاسمي إلى قواعد دراسة التاريخ و إلى قواعد دراسة السند، ولعل أهم إشارة بارزة في هذا الصدد أنه لم يفصل فصلا معرفيا بين منهج أهل الحديث في الحديث النبوي وشروطهم في الرواية وبين منهجهم في التاريخ و السير فأراد منهم القاسمي أن يدرسوا واقعة تاريخية عامة مشهورة ومتواترة كما درسوا الوقائع النبوية الخاصة.
لقد أخل القاسمي بمنهج البحث فلم يسع في تاريخه للجهمية إلى اكتشاف مجهول ذلك أنه لم ولن يجد مصدراً مستقلا عن مصادر أهل السنة، فحال الجهمية حال معلوم لكل الأمة حتى الخوارج ذكروهم في كتبهم، فبحثه لم يكشف لنا أي جديد،بل لاحظنا عليه تغييب مقصود لكل ما يضاد نظريته , وعمله دليل بالتراجع التاريخي، المصادر مصادر أهل السنة و النتيجة نتيجة الرافضة، أو قياس بالخلف: إثبات صحة نظرية الرافضة بإثبات بطلان نقيضها "مذهب أهل السنة و الجماعة" يأخذ واقعة المقتل من المصادر السنية لكن الدافع إليها يستعيره من الرافضة ؟
5 ـ تاريخ الجهمية حادثة تاريخية حصلت في زمان ومكان معينين و الترابط فيها بين العقائدي و السياسي ممكن لكن ليس مجرد الإمكان الذهني سببا لنسف أقوال الأئمة الصادقين، كأنه اكتشف ما أخفاه أهل السنة لجهلهم أو لعدم أمانتهم العلمية؟
فإما أن أئمة الإسلام صادقون و إما كاذبون؟ أو تواطئوا على الكذب أو على الجهل، وهنا فصل مانع يلزم صدق هؤلاء كذب الآخرين، و العكس صحيح.
لو عرض نظريته عن الجهمية في ظل المعطيات الملموسة المتوفرة في شكل احتمال لامكن نفهمه ولكنه يجزم بافتراض ذهني تكذبه مصادر التاريخ و أمارات الوقائع عند سائر العلماء،فلقد تداخلت أغراضه المذهبية مع الروايات التاريخية مثل نظرية " المجرَّحون" التي لم يُسبق إليها؟
في الحقيقة لا يوجد ترابط بين الرواية و الدعوى ثم عرض القضية في ترتيب معاكس لترتيبها الزمني و المكاني و اضطر إلى إسقاط عبارات فسلب التاريخ دلالته.
6 ـ من طرق التأكد من الأحداث و الوقائع التاريخية استعمال المنهج المقارن، وفي موضوعنا هو أن نقارن بين حادثة الجهم بن صفوان ومن يشبهه ممن آتوا بعقائد معادية للإسلام فنفسر قصة الجهم بن صفوان بمقارنتها بمثيلاتها على أساس أن

الوقائع المتشابهة لها علل متشابهة ، فنفهم سبب مقتله، فقصته مشابهة لقصة الجعد بن درهم،و غيلان القدري ومعبد الجهني، و الحلاج، و السهروردي، ولكل من قتلوا لأجل عقيدتهم و ليس لرأيهم السياسي........

..........مقدمة " تزييف التاريخ لإعادة التوظيف" منهج جمال الدين القاسمي في كتابه ((تاريخ الجهمية و المعتزلة))

مشكلة الارتداد إلى ما نهاية !

المعالجة الشرعية و المعالجة الفلسفية

الحمد لله وحده، و الصلاة و السلام على من لا نبيَّ بعده.

بعض الأفكار السامة تختفي برهة ثم تعاود الظهور، و المتتبع لها يجدها دائما مصاحبة لفترات تكون فيها المادية و الشهوانية المادية "مذهب المتعة الأبيقوري" قويين، أي في حال انتشار و تمدد،مثل فكرة " الارتداد إلى ما نهاية" وهي فكرة نجدها الآن تشكل القاعدة الأساسية لمذهب النسبويين " الذين ينفون وجود حقيقة مطلقة،أي حقيقة عالمية أو كونية"، و معلوم أن النسبوية[relativisme] صفة أساسية لـ" ما بعد الحداثة" بحيث أننا لم نجد في التاريخ البشري أنها بلغت ما بلغته في هذا العصر ~ سنتحدث عنها في فرصة أخرى~ وحتى و إن كان هناك تشابه مع مذهب الشكاك " بيرون و بروتغوراس" فهناك فرق،إذ حقيقة مذهب بروتغوراس هو استحالة الوصول إلى حقيقة مطلقة بينما رأي ~ لأن النسبوية ليست مذهباً ~ هو عدم وجود حقيقة مطلقة.

وعندما أقول " النسبوية" فلا يجب أن نغفل عن الباطنية المسماة بالتصوف الكشفي أو الفلسفي وهي كل فكرة تزعم وجود تعارض بين ظاهر النص و باطنه ،و أن المعرفة شيء يلقى على النفس أو يفجر منها نتيجة التجرد ،و لهذا يعتبر ابن عربي و أصحاب وحدة الوجود أن أرض الحقيقة الخيال، ليس النص ولا العقل،وهو ما يذهب إليه المعاصرون منهم كالدكتور طه عبد الرحمن و الفرنسي الغنوصي إدغار موران عندما ينتقدون المذهب العقلاني في مسألة "الفصل بين الذات و الموضوع" أو ما يسمى بـ" المقاربة الموضوعية للعلم" و يزعمون تحت شعار " اللغة البكر" أن لغة العبارات لغة العقل ،و العقل محدود، بينما الإشارة لغة الباطن وهي الوحيدة الكفيلة بمجارات الحقائق فيستعملون المنطق التداولي ليقولوا لنا : " الإطار أهم من العبارات

نفسها".
المهم ~ حتى لا أطيل عليكم ~ نجد الارتداد إلى ما لا نهاية في الرياضيات،و النسبوية، و ما بعد الحداثة، و الظواهرية عند موريس مرلو، و علم النفس في مرض الشيزوفرنيا، وفي علم الكلام أو الإلهيات حيث اندلع نقاش حاد بين أهل الدين و أصحاب وحدة الوجود ثم بعد ذلك بين شوبنهاور و سبينوزا و ديكارت حول مسألة العلة الذاتية [يعني أن يكون الشيء علةً لذاته] "causa-sui"، فإن بعض الفلاسفة و خاصة أصحاب وحدة الوجود جاءوا بهذا القول " العلة الذاتية" و الذي معناه أن الله خلق نفسه كعلاج لقطع الارتداد إلى ما لا نهاية، و اليوم تعود هذه المسألة في الإدراك المعرفي و في العلم و الثقافة و الأخلاق تحت عنوان النسبية المعرفية و العلمية و الثقافية و الأخلاقية و الزمنية سيكون لنا فرصة لنقدها إن شاء الله.
و الذي يعنيني هنا شيئان : المعالجة الشرعية لهذه المسألة و التي نُسميها في ثقافتنا الإسلامية " تسلسل الفاعلين" و ثانيا : كيف أنها أصل النسبوية المعاصرة.
فنحن نعلم أن النبي ﷺ ذكر~ كما في الصحيحين ~ "التسلسل في الفاعل" و أنه يقع في النفوس: " لا يزال الناس يتساءلون "، " إن أمتك لا يزالون يقولون "، " لن يبرح الناس يتساءلون: هذا الله خالق كل شيء فمن خلق الله"
وبيَّن ﷺ أنه معلوم الفساد بالضرورة، فأمر عند وروده بالاستعاذة بالله منه والانتهاء عنه، كما في الصحيحين واللفظ لمسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يزال الناس يتساءلون حتى يقال: ((هذا الله خلق فمن خلق الله؟ فمن وجد من ذلك شيئاً فليقل: آمنت بالله)) ، وفي رواية" فإذا بلغ ذلك فليستعذ بالله ولينته " وهذا لفظ البخاري.
و أخبر أنه من وسواس الشيطان، لكن قد نفهم من النصوص أنه يقع للنفوس فممكن أنه بدايةً من الشيطان لكن عندما نفحص المعالجة الشرعية له بما توصل إليه العلم الحديث سنجد أنه نتاج "فرط الانعكاسية"،فعقل الإنسان يعود باستمرار لمسائل سبق له و أن عرفها .
إذاً العلاج النبوي لقطع هذا الارتداد هو الاستعاذة و الانتهاء يعني: الكف، وقد يبدو هذا الجواب للفلاسفة غير مقنع على عادتهم في السفسطة و التشكيك في كل شيء، ومع ذلك سنثبت أنه الجواب الشافي الكافي.

المهم أول من نظم هذا القول الشكاكي فلسفياً هو الفيلسوف أكريبا "agrippa" في شكل ثلاثية، أي قاعدة من ثلاث فروع، سميت باسمه،ثم أخذه رائد نظرية المعرفة الفيلسوف بوبر " Popper " و سماها " ثلاثية فرياس" في كتابه " منطق الاكتشاف العلمي" و إن لم يكن نسبويا بل معاديا لهم،ثم تلميذه هانس ألبرت و سماها " ثلاثية مانش هاوسن" على بارون ألماني أو نمساوي سقط بطائرته في مستنقع و حاول إخراج نفسه منه بسحب نفسه من شعره كنايةً عن عدم قدرة الشيء على إثبات نفسه ، و أن كل دليل يحتاج إلى دليل يسبقه، يعني يجب أن يكون الدليل الصحيح مكتفيا بنفسه أو يكفي نفسه لا يحتاج إلى دليل آخر ، و بهذا استخلصوا الصفة الافتراضية لكل استدلال، يعني: أية قضية استنتاجيه لا يمكن أن تكون نهائية التأسيس.

فروع الثلاثية:

1 ـ التراجع أو ارتداد إلى ما لا نهاية الذي يدفع ~دائما ~ مبدأ السبب الكافي إلى أبعد نقطة ، هي تسلسل لا نهائي لقضايا س1 وس2س3 ، نحو مجموع طبيعي الحقيقة "أ" "تعتمد على الحقيقة "ب"..... هي مبنية على قضايا مبنية على قضايا أخرى يجب أن تكون مبنية هي الأخرى على أخرى بحسب مبدأ ارتداد لا نهائي.

كذلك تستعمل في تسلسل الأسباب الذي قاد أرسطو إلى مبدأ العلة الأولى.

2 ـ الدور المنطقي حيث يحاول الاستدلال إثبات نفسه بطريقة حشوية، مبنية بطريقة الدور على قضايا هي نفسها تنتمي لمجموع نتائجها الخاصة.

3 ـ الانقطاع : عندما نرغب في تفسير أخير بسبب إرادة اليقين ، نبحث عن مبدأ تبرير نهائي مثل : التجربة، الحدس، البداهة ، هذا عند هانس ألبرت قيمته دوغماتية، مبنية على قضايا أولية غير مؤسسة !

المناقشة:

1 ـ بالنسبة للشكاك و الصوفية الباطنية و النسبوية و ما بعد الحداثة، يتعلق الأمر بكل لا نهائي،يعني: أن العالم غير معقول، بينما بالنسبة لغيرهم فإنهم يثبتون معقولية الكون من خلال:" فرض حد للفضاء، و بداية للزمن،و جزء غير قابل للقسمة، ومحرك أول.

2 ـ من المعلوم أن عملية الشرح هي العودة من الحاضر إلى الذي سبقه، من المركب إلى البسيط،وعلى هذا يكون الارتداد إلى ما لا نهاية عملية منطقية تحاول إيجاد نهاية

أو حد أولي لا يعتمد على أي شرط، يبقى الفرق أن العقل يكون في مجاله عندما يتعلق الأمر بأي شيء الأمر المختلف عندما يتعلق الأمر بالله،ذلك أن تسلسل الفاعلين معلوم الفساد بالضرورة فيجب على كل العلل أن تنتهي إلى علة لا علة لها، و فاعل لا فاعل له،ومقصود لذاته و هكذا.

يحدث الارتداد إلى ما لا نهاية عندما يفتعل حل مشكلة ظهور هذا المشكل نفسه، مثل عندما تجيب طفل عن سؤاله الأول يعود دائما بسؤال آخر " لماذا" و يتسلسل هذا السؤال،لكن الارتداد إلى ما نهاية مختلف عن الدور في فراغ فشكله ليس دائري و لكن لولبي أو حلزوني ،هو عبارة عن العودة المتكررة لسؤال "ولكن بتجاوز مستويات منطقية أعلى، فكلما وجدنا جوابا جديدا عادت " لكن".

3 ـ يجب أن نعلم أنَّ البحث عن جواب نهائي خاصية إنسانية لها أربعة أسباب:

الشيطان ووسوسته بقصد تخريب إيمان العبد لكنه يستعمل خصائص نفسية موجودة في الإنسان:

أ ـ فرط الانعكاسية: يعني عودة الفكر أو الوعي على نفسه ، فالإنسان عنده حكمان: حكم أصلي يدرك به ما يجهل، و حكم انعكاسي ينظر به فيما يعرف،وهو ما يشبه النظر الطلبي و النظر الاستدلالي، فعندما يرتد إلى السؤال عن أصل الإله إنما يرتد إلى شيء سبق و عرف أنه فاسد و أن طريقه مقطوع ، ومهما عاد إليه لن يجد جوابا جديداً غير فساد تسلسل الفاعلين.

ب ـ التجاوز و التعالي: كلمة التعالي في الفلسفة و إن اختلفت معانيها بحسب الاستعمال إلا أنها كلها تتضمن معنى " التجاوز و الخارجية و التسامي فالمقصود تجاوز حدود التجربة الممكنة، فعندما نقول عن الكرامة كالمشي على الماء بأنه تجربة متعالية فنقصد تجاوزها لحدود الفيزياء ، و الإنسان مفطور على السؤال عن الموت و أصل الكون و نهايته و شديد الرغبة في معرفة كل ما يتعلق بالإله .

ج ـ ازدواجية المشاعر: و نقصد هنا مجموع الميكانيزم النفسي المؤثر على السلوك ،و بالضبط العقل في بعده العاطفي المقابل للبعد المنطقي و الذي يحدد التصرف و رؤية العالم و السلوك، وهو ما نسميه بسبق الاعتقاد، فالارتداد إلى ما لا نهاية نتاج اللغة و النفس و ليس فجوة في المنطق.

العلاج:

لإيقاف الارتداد إلى ما نهاية و قطعه يقترح الفلاسفة العقلانيون و الربوبيون تقطيع المصطلح الإشكالي بآخر من مجال سيميائي آخر، فمثلا : الارتداد إلى ما نهاية في قضية " الخوف" هو أننا نخاف من الخوف، و نخاف من ان نخاف من الخوف و هكذا دواليك بالتتابع بدون حد، و كل خوف يغذي الذي سبقه فنقطع هذا التسلسل عندما نسمي كل خوف يسبق الخوف بأنه قلق.

ذلك أن الارتداد و التسلسل نتاج اللغة و ليس فجوة في المنطق، فمن حيث المنطق يمتنع التسلسل الكوني فمصدر السؤال إذاً هو اللغة و ليس المنطق، و بطبيعة الحال يكون الجواب عن الإشكال اللغوي لغويا و ليس منطقيا، فعبارة " هلم جراً" لا حل لها إلا بعبارة " هذا يكفي" كما أمر النبي صلى الله عليه و سلم أي الانتهاء،فقطع الارتداد بالانتهاء " هذا يكفي" هو الفعل اللغوي المطابق الذي نتحكم به بداية بعدم التطابق الذي ما تفتيء اللغة تنتجه.

و هذا يشبه الاستلزام أو معرفة اللوازم ، فلما كان علم الإنسان عاجزا عن إدراك كل لوازم الشيء كان ناقصا مع أن البشر يختلفون في عدد اللوازم التي قد يدركها كل فرد منهم بخلاف الله تعالى فإنه يعلم جميع لوازم الشيء ولهذا كان علمه كاملا، فحتى فيما يتعلق بالأشياء البسيطة يعجز البشر عن إدراك كل لوازمها فكيف بالخالق سبحانه و تعالى.

المقصود أن الجواب النبوي هو الجواب الصحيح من كل وجه بخلاف الجواب الكلامي كما بسطه الرازي ~ رحمه الله ~ و إن كان جواب ابن تيمية هو الاعتماد على البديهة يعني هذا السؤال هو فساد في البديهة و الضرورة فلا يمكن أن نعالجه بالبرهان، فهذه طريقة أخرى أو جواب آخر أقدمها لطلبة العلم المهتمين بقضايا الإلحاد و ما بعد الحداثة.

في المقال القادم أشرح لكم كيف أن النسبوية العلمية و المعرفية و الصوفية و الباطنية و ما بعد الحداثية جاءت من هذه الثلاثية الشكاكية التي أصلها شيطاني كما أخبر النبي صلى الله عليه و سلم .

ايجابيات المدخلية

إذا كان لابد من الانحراف و السقوط و الافتتان بما يتجاوز عقولنا فقط لنشبع نظرية

سياسية بائسة فلئن يكون المرء مدخليا مجرحا، مرجئا مع الحكام، سابا للصالحين خير له من أن يكون معجبا بباطنية طه عبد الرحمن و طامات القاسمي، فمهما يكن ، ومن كل وجه: المدخلية أحسن من الجهمية، ومن الخوارج الحقيقيين، ومن الرافضة، ومن الباطنية، ومن مصائب العلوم الإنسانية ~ على تفصيل يأتي لاحقاً ~ بمسافات فضائية.على القاعدة القرآنية التي لا يعمل بها المداخلة : " من كان الأقرب إلى الرسول كان الأفضل".

فبعض الشر أهون.... وعلى هذا لا يصح نقد و نقض المدخلية إلا بالصحيح و بالحق ،وهو كاف لمن طلب الحق من مصادره.

لماذا يركز أتباع الشيخ ربيع على التزكية؟

الحمد لله وحده،و الصلاة و السلام على من لا نبيَّ بعده.

لا يُفرِّق الشيخُ الربيع و سائر أتباعه بين منصَب الفتوى و الرواية ومنصب التَّبليغ لأنَّ التبليغ يشمل كلَّ مناصب الدعوة، فكلَّما قام شابٌ طالب للعلم بنشر مقالة، أو إذاعة شريط فديو فيه موعظة قصيرة أو وصية أو معاينة لخطأ أو صواب، أو يريد مشاركة الناس تجربته لينتفعوا بها انتصب له التجريحيون من كلِّ حدب و صوب للصدِّ عنه قائلين: من زكَّاك؟

و في الحديث عن النَّبيِّ صلى الله عليه و سلم : " ليبلغ الشَّاهِد مِنْكُم الْغَائِب "،وقال: " بلغُوا عني وَلَو آيَة " وقال: "نضر الله امرأ سمع منا حديثا فبلغه إلى من لم يسمعه فرب حامل فقه غير فقيه ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه" فأمر صلى الله عليه و سلم المسلمين بالتَّبليغ، كل واحد بحسب طاقته،فمنهم من يُبلغ الألفاظ فقط وهو حال العامَّة ومنهم من يُبلغ المعاني وهذا حال العلماء و طلبة العلم، فالهدى يحصل بالتَّبليغ، ولو اشترط الناس أنْ لا يُبلِّغ الدِّين إلاَّ العلماء لقلَّ عدد المهتدين فإنَّ أكثر الناس يتعلَّم ~في بدايته ~ و يحصل له الهدى مما يتلقاه من أصحابه و أهله و جيرانه و رفقائه في الدراسة أو العمل، ولو لم يكن في التَّبليغ عن النَّبيِّ صلى الله عليه و سلم إلا حصول الشرف لترديد عباراته لكفى به فضلا و شرفا.

و التَّبليغ ~كما قال ابن القيم ~ هو الإيصال، ودور جميع المسلمين بدون استثناء ~ لأنَّه مقدور لهم ~ أنْ يوصلوا لغيرهم ما تعلَّموه من دينهم،أنْ يُبلِّغوا بحسب علمهم فكيف بطلبة العلم الشباب؟

وعلى هذا فإنَّ التزكية كما يفهمها التجريحيون،وكما يوظفونها مجرَّد طاغوت يصدُّون به عن سبيل الله و يبغونها عوجاً، لنقف عنده برهة ننظر في حقيقته.

السؤال الأول: ـ لماذا يُركزُ أتباعُ الشيخِ ربيعٍ على التزكية ؟

أوَّلا:التزكية عند الشيخِ ربيعٍ و أتباعِه تُشْبِه في الحقيقة بِطاقة الانخراط في الأحزاب السِّياسية ،فلا علاقة لها بِمَفهوم التزكيَّة و التوصية الذي كان عند العُلماء قديماً، فالتزكيَّة عند هؤلاء لا تَدُلُّ على كفاءة المُزَكَّى للتَدريس و التَّعليم، و لكنَّها تدلُ على أنَّهُ عُضْوٌ في جماعتِهم، لا يجوزُ التَّعرُّض له مِن قِبَلِ بقيَّة الأعضاء، و أنَّهُ يَخْضَع لرئيس الجماعَة أو الأمير خُضُوعًا كلِّياً ،فلا حقَّ، ولا باطِلَ إلاَّ من خِلال حُكمِ الشَّيخِ الرئيس ؛كما تدُلُّ على جواز الأخْذِ عنه بِغَضِّ النَّظرِ إنْ كان كلامُه صواباً أو خطئًا، حقًّا أو باطلاً، فدلِيلُ الصَّوابيَّةِ عِندهم تزكيَّة الشَّيخ ِالرئيس لا الدَّليل الشَّرعي.

ثانيا:و إنِّي أَحْسِبُ أنَّه لو ذهبَ أحدُهم عِند الشَّيخ ربيعٍ وقال لَهُ : " المأربي مجرَّح، و الحويني مجرَّح... وهلم جراً ، وليسوا بسلفيِّين" أنَّه سيقول له: أنت ثِقة، ويقولُ لأتباعِهِ في بلدِه: هذا سلفيٌّ نجيبٌ،لازِمُوه،والتَفُّواحَولَه؟ فقد باتَ معرُوفًا عن الشَّيخِ ربيعٍ ~ ومن يواليه من الشيوخ ~ أنَّهُ يُزَكِّي لِلْحَمِيَّةِ، أي: لِمَن يُعِيْنُه على خُصُومِهِ.

ثالثا:إنَّ أتباع الشَّيخ ربيعٍ يَخْلِطُون خَلْطاً فاحِشًا بينَ قَبُول التَّزكيَّةِ ووَضْعِها في إطارِها الشَّرعيِّ، الذي هو التَّعرِيف بِالرَّجُل مُجمَلاً، وبينَ اعتبارِها دليلاً مُرَجِّحًا في القضايَا العلميَّة المختلف فِيها،فلم تكُن التزكيَّة في يومٍ مِن أيام الإسلامِ دليلاً ،و إذا قُدِّرَ أنَّها علامَة الاحتياط في الدِّين فإنَّها عند أتباع الشَّيخِ ربيعٍ أصبحَت دليلاً و مَصدرًا من مَصادِر التلقِّي، وهذا عَيْن التَّقليد المذمُوم المحرَّم.

فإذا كان التقليد المذمُوم هو أخذ قَول الغيرِ بِغَيْرِ حُجَةٍ ؛فقَبُول قَوْل العالم لأجل الحبِّ له أو لِكَونِي اعتقدُه أعلم أهلِ عَصره، أو لأنَّ له تزكيَّات كثِيرَة ،فهذا بِلا شكٍّ مِن التَّقليد المذمُوم الفاسِد الذي يَنْبَغِي على طَلَبَة العِلم الابتِعاد عنْه، فإنَّه من الأصُول الباطِلَة إلاَّ أنْ يكونُوا من العوامِّ فيجوزُ لهم تَقلِيد مَن اعتقدُوا إمامَتَه، كمَنْ تَرَجَّحَ عِنْدَه فَضْل إمَامٍ عَلَى إمَام، أَوْ شَيْخ عَلَى شَيْخٍ، بِحَسَبِ اجْتِهَادِه، لكن لا يجوزُ لهُم الإنكار على مَن خَالَفَه و الكلام في العُلمَاء.

رابعا:وعليهِ، فإنَّ أتباع الشَّيخ ربِيع يُركِّزُون على التزكيَّة لِلحَجْرِ على عُقُول أتبَاعِهم حتَّى لا يَسمعُوا لِغيرِهم ، فإنَّهم لو كانوا يَعْمَلُونَ بِمَبدَأ التزكيَّة على فَهْم عُلمَاء السُّنَّة

لَقَبِلُوا تَزْكِيَّات العُلماء في كلِّ مَن جرحَهُ شَيْخُهُم،فإنَّ الذين زكُّوا المجرَّحِينَ ظُلماً أعلى مَرْتَبَة من شَيْخِهم، فإِنْ ردُّوا تزكِّيَّاتِهم لِلذين جرَحَهُم الشَّيخ ربِيع وَجَب أن يردُّوا كذلكَ تَزْكِّيَّاتِهم للشَّيخِ ربيع نفسِه، فكيفَ نَقْبَلْ قَولَ كِبَارِ الشُّيوخِ في ربِيعٍ، ولا نَقْبَلَهُ في غَيرِهِ؟هذا تَناقُض كبِيرٌ، وليس بمنهج سلفيٍّ ربانيٍّ كما يَزْعُمونَ.

خامساً: هذِه التزكيَّة المعمُول بِها عِند الشَّيخِ ربِيعٍ و أتباعِه لا علاقَةَ لها بالتَّزكِيَّةِ عند السَّلَف، وهي طاغوتٌ لِلصدِّ عن الحقِّ، يقطَع الطَرِيقَ أمام الشَباب لِلوصُول إلى العِلْم، لم يأمُر بِها اللهُ تعالى ولا رسُولُه، بل قد أمرَ اللهُ تعالى و رسُولُه بإتباعِ الكتابِ و السُّنَّةِ، {فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} و لا يُمْكِنُنا أنْ نَتَّبِع الكِتابَ و السُّنَّةَ إلاَّ بِالدَلِيْل، فكلُّ مَن تَرَكَ اتِّباع الدَلِيل،و الاستِماع إلى البُرهَان، و النَّظَر في الحجَّةِ فهُو مُبْطِل،خَصْمٌ لِلحَقِّ،يُرِيدُ أنْ يَنشُر في المسلمينَ التَّعصُّب و النَّعَرَات الجاهِلِيَّة،و الحزبيَّةَ الطائفيَّة المقِيتَة.

فَعَلَيْنَا أَنْ نَتَّبِع الْقرآن، وَعَلَيْنَا أَنْ نَتَّبِع النبيَّ صلى اللهُ عليه و سلمَ، وَاتِّبَاع أَحَدهِمَا هُوَ اتِّبَاع الْآخَر؛ فَإِنَّ الرَّسُول بَلَّغَ الْكِتَاب، وَالْكِتَاب أَمر بِطَاعَة الرَّسُولِ. وَلَا يَخْتَلِفُ الْكِتَاب وَالرَّسُول أَلْبَتَّةَ ،كَمَا لَا يُخَالِف الْكِتَابُ بَعْضهُ بَعْضًا، قَالَ تَعَالَى: {وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا} .

و قد بَلغَنِي عن الشَّيخ ربِيعٍ أنَّهُ قال عن طَالِب العِلْم: يُزَكِه عِلْمُهُ، وهذا هُو الحقُّ لكنَّهم لا يعمَلون بِه.

السُّؤال الثاني:هل العِبْرَة في تزكيَّةِ الرَّجُل بما أجاب المُرسَلِين أم بِتَزْكِيَّةِ رَجُلٍ آخَر غَير مَعْصُومٍ لَهُ؟

1 ـ كلُّ إِنْسَان سَيُحَاسَب ـ يومَ القيامَة ـ على عملِه، و ستُوزَن حسناتهُ و سيئاته، فإِنْ لم تَنْفَعْه كلُّ تَزكِيَّات العلمَاء إنْ كان عِند الله مُسِيئًا فكيف تَنْفَعُهُ تَزْكِيَّة غير المعصُومِ،فحتَّى تزكِيَّة النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ و سلَّم لِبعض الصَّحابَةِ لم تَنْفِ عنهُم الوقوع في أخطاءٍ، و هذا أَشهَرُ مِن أنْ يُذْكَر، فقد صحَّ في عُمَرَ ـ رضي الله عنه ـ فِي الصَحِيحِين ،وهذا طرِيق مُسْلِمٍ عَنْ عَائِشَةَ عَنِ النَّبِيِّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: (قَدْ كَانَ فِي الْأُمَمِ قَبْلَكُمْ مُحَدَّثُونَ، فَإِنْ يَكُنْ فِي أُمَّتِي أَحَدٌ فَعُمَرُ) يعني: مُلْهَمُونَ، و ثَبَتَ مِنْ عِلْمِه وَفَضْلِهِ مَا لَمْ يَثْبُت لِأَحَد غَيْر أَبِي بَكْرٍ ،ومع ذلِكَ أَخْطَأَ في أشياء

خالفَهُ فِيها غَيْرُهُ مِن الصحابَة، ولم يعلَم بِبَعضِ النُّصوصِ حتَّى نَبَّهُوهُ إليها ، فكيفَ بمَن زكّاهُ غَيرُ مَعصُوم ؟
ولَمَّا مَات رَسُولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قالَ: (مَا مَاتَ مُحَمَّدٌ وَلَا يَمُوتُ حَتَّى يَقْطَعَ أَيْدِيَ رِجَالٍ وَأَرْجُلَهُمْ) حتَّى نَهَاهُ أَبُو بَكْرٍ ـ رضي الله عنه ـ وَتَلَا عَلَيْهِ: {إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ} [سُورَةُ الزُّمَرِ] وَقَوْله: {أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ} [سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ] قَال ـ رضي الله عنه ـ: (كَأَنِّي مَا سَمِعْتُ هَذِهِ الْآيَةَ).
فلا حولَ ولا قُوَّةَ إلاَّ بالله مِن هذه الفِئَة من السَّلفيين تَعرِفُ تَزْكِيَّة النَّبيّ صلَّى اللهُ عليهِ و سلَّم لـ عُمَرَ ـ رضي اللهعنه ـ ومع ذلِكَ تَقْبَل تَخْطِئَتَه، ولا يَقْبَلُون تَخْطِئَة الشَّيخِ ربيعٍ أو غيرِهِ، ولَم يُزَكِهِ قرآنٌ أو نبيٌّ ؟
وقد زكَى القرآنُ الصحابَة في عِدَّةِ آياتٍ كقولِه تعالى:{مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا }، {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ} اتَّفَقَ الْمُفَسِّرُون عَلَى أَنَّ الأْيَة وَارِدَةٌ فِي أَصْحَاب رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،ومع ذلِك لم يَنْفِ عنهُم الوقُوع في الأخطاءِ و الذنوبِ فكيْفَ بِغَيْرِهِم من أهلِ هذا الزَّمان، ممَّن تعارضَت فيهِم الأقوالُ ، و اختلفَت أحوالُهم عن أحوالِ مَن زكاهُم، بل خالفُوهُم بعدَ موتِهم كما خالفَ الشَّيخُ ربيعُ العثيمين، و الألباني، و ابنَ باز ـ رحمهم الله ـ ومَن هو أعلَى من هؤلاءِ كالذهبيّ و ابن تيميَّةَ، و البخاريَّ و غيرهم.
قال ابنُ القيم ـ رحمه الله ـ في (الصواعق): لو نطقَ عمرُ برأيِهِ ما نَطَقَ، ولم يُصَدِّقُهُ الوحيُ لم يُلتَفَتُ إلى واقعاتِهِ، وما يُحَدَثُ بِهِ، ولا يبنِي الشَّرعُ والأحكامُ على فِراسَتِهِ، ألا ترى إلى قولِ من هو خَيرٌ مِنهُ (يقصِدُ أبا بكرٍ): (أَيُّ سَمَاءٍ تُظِلُّنِي؟ وَأَيُّ أَرْضٍ تُقِلُّنِي إِنْ قُلْت فِي كِتَابِ اللَّهِ بِرَأْيِي)
هذه هي السَّلَفِيَّةُ الحقيقيَّةُ :التزكيَّةُ لِمَعرِفةِ فَضْلِ الرِّجال ومَرتَبَتِهم، والدَليلُ الشَّرعيُّ لِمَعْرِفَة الحقّ.
2 ـ ما هي صِفَة اليهودِ التي ذمَّها القرآنُ و حذَّرنا مِنها؟
هي أنَّهم كانوا يعرِفون الحقَّ قَبْلَ ظُهورِ المتكَّلِم الداعي بهِ فلما كان مِن غيرِ طائِفَتِهم لم ينقادوا لهُ، فهم لا يقبَلون الحقَّ إلا مِن طائفَتِهم ،ولا يتَّبِعون ما يَلزمهم في منهجِهم الذي يدَّعُونَه،وفي أتباع الشَّيخِ ربيع شبَهٌ بِهِم ،فإنَّ الأصول التي يزعُمُونَ الصدور

عَنها وهي الكتابُ و السُّنَّةُ و المنهجُ الذي يدَّعونَ اتِّباعَهُ، وهو منهجُ السَّلف تُلزِمُهم بَقبُولِ الحقِّ ولو صدرَ من شيطانٍ، أو عَدُوٍ مبغُوضٍ لكنَّهم لا يفعلون، لا يقبَلونَ إلا ما جاء مِن طائِفَتِهم، و يردُّونَ ما جاء عَن غيرِهم ولو كان قرآنًا، لذا يقول جاهِلُهم ما لا يفهم حقيقته: " لا أسمَعُ مِنك ولا كلِمَةَ مِن القرآن" .

و الدَلِيلُ على ما أقول: أنَّ جُلَّ أصحابِهم الذين أسقَطُوهُم تِباعًا واحدًا تِلوَ الآخَر، و الذين كانوا من شيُوخِهم قد انتقدَهُم غيرُ واحدٍ ~ قبل أن يرتد عليهم الشيخ ربيع ~ فلم يقبَلوا مِنهُ، ولما وقَع الشِقاقُ بينَهم صاروا يتكلَّمونَ فِيهم بما ذكرَهُ قَبلَهُم غيرُهم، فهل هذه إلاَّ من صفاتِ اليهودِ التي ذمَّها القرآنُ؟

وهذا ـ كما قال ابنُ تيميَّة في (الاقتضاء)- يُبتَلى بهِ كثيرٌ مِن المنتَسبِين إلى طائِفَةٍ مُعيَّنَةٍ في العِلم، أو الدينِ، يَقصِد أنَّهم لا يقبَلونَ من الدِينِ رأيًا وروايةً إلاَّ ما جاءَتْ بهِ طائِفَتُهم مع أنَّ دينَ الإسلامِ يُوجِبُ إتبَاع الحقِّ مُطلَقًا: روايةً ورأيًا مِن غيرِ تَعيِين شَخْصٍ أو طائِفَةٍ ـ غيرِ الرَّسولِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ .

وعليهِ فإنَّ أصحاب هذا المنهجِ السَّلفيِّ المحرَّفِ لَا يَقْصِدُون اتِّبَاعَ الْحَقِّ الْمُطْلَق، بَلْ تَهْوَى أنفسُهُم أَنْ يُرَجِّحَوا شيخَهم بِظَنٍّ يَظُنُّهونه وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مَعَهُم بُرْهَانٌ عَلَى ذَلِكَ، وَقَدْ أفضَى ذَلِك إِلَى تناحُرِهم وَتَفَرُّقِهِمْ. وَهَذَا مِمَّا حَرَّمَه اللَّهُ وَرَسُولُهُ كَما قَال اللَّهُ تَعَالَى: {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ } [آل عمران] {وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ} [آل عمران]فمنهجُ الشَّيخِ ربيع و أتبَاعِهِ هو مِمَّا نَهَى اللَّهُ عَنْه وَرَسُولُهُ، لأنهُ منهجُ التَّعصُّب وَالتَّفَرُّق وَالِاخْتِلَافِ والتَّكَلُّم بِغَيْرِ عِلْمٍ.

السؤال الثالث: هل التَّزكيَة حُكْمٌ نِهائِي؟ هل يتحمَّل المُزكِّي في حقِّ مَن زكَّاه أبدَ الدهر فيما علِمَهُ مِنهُ و ما لم يَعْلَمْهُ؟

عندما يقول أتباع الشَّيخِ ربيع : مَن زكاهُم الشيوخُ كالألباني و ابن بازٍ و العثيمين قد أحدثوا بعدَهم ما يوجِبُ تجريحَهم نقول لهم: ومَن قال لكم بأنَّ الشيخَ ربيعا لم يُحدِث شيئًا بعد موتِ كبارِ الشيوخ؟

بل هو من يَنْطبِقُ عليهِ هذا الكلامُ، فلو حاكمنَا القضايا التي اختلفَ فيها مع المأربي و المغراوي و غيرِهم لوَجَدْنَا قول هؤلاءِ أقرب إلى قولِ كبارِ الشيوخِ مِن قولِه، فهو

أحرى أن لا يُعتَدَ بتزكيةِ الشيوخِ لَهُ؟
ثم إنَّ تزكيةَ الشيوخ لا تُعبِّر إلاَّ عن اجتهادِهم ليست نصًّا قرآنيا لا يجوز الخروج عنهُ خاصَّةً وقد خالفَهم بعضُ أهلِ عصرِهم فيه، وهو اجتهادٌ بحسَبِ عِلمِهم بهِ عند تزكيتِهِ، لا أحدَ مِنهم كان حافظاً لِلغيبِ عِند إطلاقِهِ التزكيَّة، كما أنَّها تزكيةٌ مخصوصةٌ ثبتَ بالدليلِ الشرعيِّ أنَّها مُنتَهِيةُ المفعولِ والصلاحيةِ بما أحدثَهُ الشَّيخ ربيع بعدَهم .
وعندما يتعارضُ الدليلُ الشرعيُّ مع التَّزكيةِ فإننا نُقدِّمُ الدليل الشرعيَّ بينما الرافضةُ و الصوفيةُ و أتباعُ الشيخِ ربيعٍ يُقدِّمونَ التَّزكيةَ، هذا هو الفارقُ بين السلفيةِ الحقيقيةِ و سلفيةٍ مُنْحَرِفَةٍ.
كذلك نقول: تزكيَة الشَّيخِ لأحدِهم لا تعني إثبات العصمةِ لهُ وأنَّهُ سيمُوتُ على ما زكَّوهُ بهِ، فمن يظنُّ هذا فهو في غايةِ الجَهلِ و صاحِبُ عَقِيدةٍ فاسدَةٍ.
عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: { كَتَبَ أَبِي رَحِمَهُ اللَّهُ وَصِيَّتَهُ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ , هَذَا مَا أَوْصَى بِهِ أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي قُحَافَةَ عِنْدَ خُرُوجِهِ مِنَ الدُّنْيَا حِينَ يُؤْمِنُ الْكَافِرُ , وَيَنْتَهِي الْفَاجِرُ , وَيَصْدُقُ الْكَاذِبُ , إِنِّي اسْتَخْلَفْتُ عَلَيْكُمْ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ , فَإِنْ يَعْدِلْ فَذَلِكَ ظَنِّي بِهِ , وَرَجَائِي فِيهِ , وَإِنْ يَجُرْ وَيُبَدِّلْ فَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ: {وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ} [الشعراء]}
ـ عَنِ الشَّعْبِيِّ قَال: لَمَّا طُعِنَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جَاءَ ابْنُ عَبَّاسٍ فَقَالَ: {يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَسْلَمْتَ حِينَ كَفَرَ النَّاسُ , وَجَاهَدْتَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ خَذَلَهُ النَّاسُ , وَقُتِلْتَ شَهِيدًا , وَلَمْ يَخْتَلِفْ عَلَيْكَ اثْنَانِ , وَتُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ عَنْكَ رَاضٍ. فَقَالَ لَهُ: أَعِدْ عَلَيَّ مَقَالَتَكَ , فَأَعَادَ عَلَيْهِ , فَقَالَ: «الْمَغْرُورُ مَنْ غَرَرْتُمُوهُ , وَاللَّهِ لَوْ أَنَّ لِيَ مَا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ أَوْ غَرُبَتْ لَافْتَدَيْتُ بِهِ مِنْ هَوْلِ الْمَطْلَعِ »}
مَن أعرضَ عَن اتِّبَاع الْحقِّ الَّذِي يُعلمهُ تبعًا لهوَاه فَإِنَّ ذَلِك يُورِثُهُ الْجَهْلَ والضَّلالَ حَتَّى يعمَى قَلْبُهُ عَن الْحقِّ الْوَاضِح كَمَا قَالَ تَعَالَى: {فَلَمَّا زَاغُوا أزاغَ اللهُ قُلُوبَهُم} [الصَّفّ]
لا تغتر بتزكية مهما كانت، ولا تنزعج من تجريح مهما كان فإنما الحكم للميزان.

نسف شبهة العدو الداخلي أخطر

اختِلافُ الشَّيخِ1 رَبِيع
الشّيخ ربيع يقول بالموازنة!

الحمد لله وحده، و الصّلاة و السّلام على من لا نبيّ بعده، وبعدُ....
إذا كانت القواعد العلميّة المنهجيّة الّتي نأخذ بها استثنائيّة، أو مضبوطة بشروط دقيقة، وقُمنا بتعميمِها على حساب القواعد الأصليّة، فلابدَّ و أن يظهر في كلامنا ـ مهما طال الحال ـ بعضُ التَّناقضِ ، وهذا ما حصل مع الشّيخ ربيع في كثير من القضايا، أذكُرُ منها على سبيل المثال : الموازنة .
فعندما يقول الشَّيخ ربيع ـ أحسن الله إليه ـ في كتابه (المحجّة البيضاء)(ص:55) :
((أهل البدع أولى بالنَّقدِ و التَّحذير من الرُّواة، لأنّ خطرهم وضررهم أشدُّ من أيِّ ضررٍ و خطرٍ،ولذا أجمعَ العلماء على مشروعية نقدهم،بل وجوبه)).
نقول: نعم ، لكن بين المسألتين خصوص وعموم،فمن جهة الخطر الأصليِّ فإنّ الكذب على رسول الله صلّى الله عليه و سلّم لا يَبلُغ خطره شيء، لأنّه يُبطل الدِّين في التَّوثيق، ويُضعف مصادر التَّلَقِّي، و لذلك قال النّبيّ صلّى الله عليه و سلّم في الحديث الصّحيح المتواتر : ((إِنَّ كَذِبًا عَلَيَّ لَيْسَ كَكَذِبٍ عَلَى أَحَدٍ ، مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ))
فالمقصود من نقد الرُّواة دفعُ الكذب و الغلط عن حديث رسول الله صلّى الله عليه و سلّم.
ومن جهة الشُّبهَة و التّأويل يكون نقد أهل البدع مطلوبا ، لكن أن يكون أولى بالنّقد ممَّن يَكذب على رسول الله صلّى الله عليه و سلّم،أو يَنسب إليه ـ خطئا ـ ما لم يقُله فهذا خطا جسيم ، فكيف يكون الكذب على رسول الله ، أو الخطأ عليه، أي في مصدر الدّين أقلَّ خطورة من الخطأ في التّأويل، الّذي هو فرع على الإثبات.
فهل من السَّهل علينا إقرار الحقّ بردِّ التّأويل الباطل إذا سَلِمت النُّصوص من المطاعن في إثباتها، أم ردّ نصوص نعتقدُها صحيحةً، وهي باطلة ؟!
ثانيا: ليس الإشكال في نقد أهل البدع، فهذا لا يختلف فيه أهل السُّنّة و إن حاول الشّيخ ربيع تضخيم ذلك،لأنّ الحقيقة أنّ من يُخالِف الشّيخ ربيعا لا يخالفه في وجوب أو

جواز نقد أهل البدع، و لكن يخالفه في تعيِينِهم، لأنّ الشّيخ ربيعا لا يَنتَقِد أهلَ البدع، ولكنّه يَنتَقِد أهلَ السّنّة و يُبدِّعهم!
كما يخالفه في الطَّريقة، وعدم التّفريق بين الاختلاف السّائغ ـ من زمن السّلف ـ و الاختلاف الباطل.
ثالثا: مباشرة بعد كلامه الّذي نقلته في أوَّل المقال استشهد الشّيخ ربيع بنقل عن ابن الجَوْزِيِّ ـ رحمه الله ـ من كتابه (الموضوعات)، و العجيب أنّ كلام ابن الجوزيِّ على نقيض كلام الشّيخ ربيع .
قال ابن الجوزيّ: ((قال أبُو الوَفاءِ عليٌّ بنُ عَقِيلٍ الفقيه : قال شيخنا أبُو الفَضلِ الهَمَذَانِيّ : مبتدعة الإسلام و الوَضَّاعون للأحاديث أشدُّ من الملحدين، لأنّ الملحدين قصدوا إفساد الدّين من الخارج، وهؤلاء قصدوا إفساده من الداخل..))
فأقول: المقارنة بين مبتدعة الإسلام و الوضّاعين للأحاديث يعني أنّهم في نفس المرتبة من الخُطُورة في هذا النّقل،و هذا لا يَدُلُّ على كلام الشّيخ ربيع لأنّه إن كان مبتدعة الإسلام و الوضّاعون أخطرَ من الملاحدة، فهذه مقابلة بين أهل البدع و الوضّاعين من جهة ، و الكفرة من جهة أخرى، خاصّة أنّه قال ـ ابن الجوزي ـ : ((فهم شرٌّ على الإسلام من غير الملابسين له)) بينما الشّيخ ربيع يقابل بين أهل البدع و الرُّواة كالوضّاعين؟!
ومعلوم أنّ ابن الجوزيّ لم يقصد بقوله " مبتدعة الإسلام" من يقصدهم الشّيخ ربيع،فابن الجوزيّ يقصد: الجهميّة ،و الرّافضة أصحاب البدع الكبرى، بينما الشّيخ ربيع يقصد مجموعة من علماء ودعاة السّنّة المعاصرين له،فلو أنّه ألَّفَ هذه الكتب للرَّدِّ على الحَبَشِيِّ،و السّقّافِ، والغُمَارِيِّ الطُّرُقِيِّ، و الكَوثَرِيّ،... الخ ومن يدعو إلى القبوريّة، و ما إلى ذلك لكان كلامه مفهوما، ولكنَّه ألَّفها ليؤَصِّل لتبديع أهل السّنّة بأقوال أئمَّة السّنّة الّتي أطلقوها في أصحاب البدع الغليظة، و ليس في أخطاء أهل السّنّة!
هذا هو الفارق بين تأصيلات الشّيخ ربيع، و بين منهج أئمّة السُّنَّة.
ثم يقال له: أساس الشَّريعَة النَّصُّ، و الخطأ في إثباته هو إفساد من الدّاخل، و الخطأ في تأويله هو إفساد من الخارج ، ولن يكون ضرر الخطأ في فهم النّصّ كضرر الخطأ في إثبات نصّ موضوع، أو نفي نصّ صحيح، على الأقلِّ لن يكون الخطأ في

الدّلالة أخطرَ من الخطأ في الثُّبوتِ.
ومهما يكن، فإنّ هذه الكلمة لا يجب أن تُعَمَّم و تُطلق أكثر ممّا يلزم، فإنّه أحيانا يكون أعداء الخارج أكثر ضراوة و خطورة من أعداء الدّاخل، عندما يستهدفون استئصال الحقّ، أو عندما يكونون مصدرا مُلهِما لأعداء الدّاخل.
فهل خطر أخطاء بعض أهل السّنّة في المسائل العلميّة أو العمليّة أكبر من خطر الفلاسفة و المعتزلة و الجهميّة و الرّافضة و الخوارج، لأنّه يمكن اعتبار هؤلاء من الأعداء الخارجين بالنَّظر إلى قرب الأوائل من أهل السّنّة؟!
فهذه مسألة نسبيّة، فالمتكلِّم السّنّيّ المخالف في بعض المسائل للسّلف من جهة أئمّة السّنّة هو خطر خارجيّ، ومن جهة المعتزلة هو خطر داخليّ ، و كذلك المعتزليّ بالنِّسبة للسُّنِّيِّ المخطئ هو خطر خارجيّ، ومن جهة الفلاسفة هو خطر داخليّ.
فهذا التّأصيل بالأمور النِّسبيّة و المُتغيِّرة بحسب المصالح و المفاسد، الغرض منه تأصيل تركيز النّقد على علماء و دعاة السّنّة،ودفع التّشنيع بترك المبتدعة الحقيقيّين سالمين من لسان الشّيخ ربيع و أصحابه.
رابعا: هل نسيَ الشّيخ ربيع منهجه و طريقته في النّقد عندما استشهدَ بابن الجَوزيّ، وهو أبعدُ عن منهج السّلف الصّالح من الشّيخ عرعور، و المَغراويّ، و المأربِي،و الحوينيّ، ، و غيرهم كثير، فإنّه مُعطِّل للصِّفات، وهم مثبِتة لها، كتَب في ذلك كتابه المشؤوم (دفع شبه التّشبيه بأكفّ التّنزيه) .
وهو كثير الانتقاد للحنابلة، على خلاف من يَطعن فيهم الشّيخ ربيع ـ أصلحه الله ـ، فإنّهم يتولَّونَهم.
وفيه بعض القبوريّة، فقد قال في (صفة الصفوة)(324/2): ((قال أحمد بن الفتح: رأيت بِشْرَ بن الحارث في منامي ......فقلت له: فما فعل مَعروف الكرخِيّ؟ فحرَّك رأسه، ثمّ قال لي: هيهات حالت بيننا وبينه الحُجُب، إنّ معروفا لم يعبد الله شوقا إلى جنَّته، ولا خوفا من ناره، وإنّما عبده شوقا إليه، فرفعه الله إلى الرفيق الأعلى، ورفع الحُجب بينه وبينه، ذاك التِّرياق المقدَّس المُجرَّب، فمن كانت له إلى الله حاجة فليأت قبره، وليدع فإنّه يستجاب له إن شاء الله تعالى .))
وقال ـ أيضا ـ : ((وتوفي سنة مائتين، وقبره ظاهر ببغداد يتبرك به، وكان إبراهيم الحربيّ يقول: قبر معروف التّرياقي المجرّب)).

وذكر في (صيد الخاطر)(ص:24) مثل ذلك فقال : ((وكثُر ضجيجي من مرضي، وعجزت عن طبّ نفسي، فلجأت إلى قبور الصّالحين، وتوسَّلت في صلاحي)).
ومن طعنَ فيهم الشّيخ ربيع لا أعلم عنهم ذلك.
فهل صار التّعطيلُ و التّجهُّم في الصّفات، و الطّعنُ في الحنابلة لأجل اعتقادهم، و اللُّجوء إلى القبور أقلَّ بدعيّة و خطورة من الجَرْحِ المُفسَّرِ، وجَرح الثِّقة لا خبر الواحد الثِّقة، ونُصحِّح ولا نجرَح، و الموازنة، و.......؟!
أم أنّ الشّيخ ربيعا يَعمَل بالموازنة في الباطن ـ ربَّما من غير شعور ـ، فوَازن بين هذه الأخطاء عند ابن الجَوزيّ و فضائله و حسناته، فرأى أنّ الاستشهاد به من الاستشهاد بأهل السّنّة؟!
عندما أنظُر في قول عبد الله ابن الإمام أحمد في زُبَيدٍ الياميّ أو الأيَّاميّ: ((تعجبني أخلاقه وقد جرحته)) يتهاوى عندي كل منهج الشّيخ ربيع في الموازنة.
وعندما أتذكَّر صُحبةَ طَلْحَةَ بنِ مُصَرّفٍ العُثمانِيِّ لزُبيدٍ اليَامِيِّ العَلَوِيِّ، تلك الصُّحبة النَّادرة في التّاريخ ،ونحن نَعرِف درجة العداوة بين العُثمانيَّة و العَلَويَّة أتعجَّبُ من منهج الشّيخ ربيع كيف يُفرِّق بين السّلفيين، ويَنهَي عن مجالسة بعضهم لبعض بسبب مسألة مِجهَريَّة في أصول الفقه أو مصطلح الحديث؟!
قال محمَّد بن طلحةَ بن مُصَرِّف : ((ما كان بالكوفة ابن أبٍ وأخ أشدَّ مُجانَبَةٍ من طلحة بن مُصَرِّف وزُبيدٍ الياميِّ ،كان طلحة عثمانيًّا ،وكان زُبيد علويًّا.))(تهذيب التّهذيب)(2/268).
إنّ المنهج السّلفيّ ليس نقولات مختزلة و منتقاة، و لكن نظرة شاملة كلِّيَّة جامعة لكل عناصر المسألة.
السّلام عليكم، ورحمة الله وبركاته.
أرزيو/ الجزائر في،21 من ذي الحجة 1431 هـ
مختار الأخضر طيباوي

---

1 ـ الاختلاف هنا بمعنى التّناقض.

2 ـ قال ابن تيمية في (مجموع الفتاوى)(10/366): ((إنّ الدِّينَ تحصيلُ الحسنات والمصالح، وتعطيل السِّيِّئات والمفاسد ، وإنّه كثيرا ما يجتمع في الفعل الواحد، أو في الشّخص الواحد الأمران، فالذَّمُّ والنّهي والعقاب قد يتوجَّهُ إلى ما تضمَّنه أحدهما، فلا يغفل عمّا فيه من النّوع الآخر، كما يتوجّه المدح والأمر والثّواب إلى ما تضمَّنه أحدهما، فلا يغفل عمّا فيه من النّوع الآخر، وقد يُمدح الرَّجل بترك بعض السّيّئات البدعيّة والفجوريّة، لكن قد يُسلب مع ذلك ما حمد به غيره على فعل بعض الحسنات السُّنِّيَّة البرِّيَّة ، فهذا طريق الموازنة والمعادلة، ومن سلكه كان قائما بالقسط الّذي أنزل الله له الكتاب والميزان.))

3 ـ (مسند أحمد) (ج4/ص245).

4 ـ وكيف له أن لا يقول ذلك في رجل قال فيه سعيد بن جُبير : ((لو خُيِّرت من ألقى الله تعالى في مسلاخه، لاخترت زبيدا الياميَّ.)).
وقال عنه شعبة : ((ما رأيت رجلا خيرا من زبيد.))
وقال إسماعيل بن حماد: ((كنت إذا رأيت زبيد بن الحارث مقبلا من السوق، رجف قلبي.))
قال نعيم بن ميسرة: قال سعيد بن جبير: وروى عبد الله بن إدريس، عن عقبة بن إسحاق، قال: ((كان منصور بن المعتمر يأتي زبيد بن الحارث، فكان يذكر له أهل البيت، ويعصر عينيه يريده على الخروج أيام زيد بن علي.
فقال زبيد: ما أنا بخارج إلا مع نبي، وما أنا بواجده.))
قال يونس بن محمد المؤدب: ((أخبرني زياد، قال: كان زبيد مؤذن مسجده، فكان يقول للصبيان: تعالوا فصلوا، أهب لكم جوزا، فكانوا يصلون ثم يحيطون به، فقلت له في ذلك، فقال: وما علي أن أشتري لهم جوزا بخمسة دراهم، ويتعودون الصلاة.))

مستوى الشيخ ربيع في تحرير المصطلحات العلمية
إفحام الشّيخ ربيع في معنى الإلزام
الحلقة الثانية من "جديد الشيخ ربيع:الإصرار و التكرار"

الحمد لله وحده،و الصلاة و السلام على من لا نبيّ بعده.

هذه الحلقة الثانية من الرد على مقال فضيلة الشيخ ربيع المدخلي المسمّى"مكيدة خطيرة ومكر كبّار" !

ولحد هذا المستوى لم يخرج مقال الشيخ ربيع عن الإصرار على تكرار أخطائه العلمية الواضحة، وغير المسبوقة عند أهل العلم ،فالإصرار على التّمسُّك بهذه الأخطاء الواضحة ،وتمحّل الشبهة في نصرتها،و المغالطة عن الإجابة عن الإلزامات العلمية الموجهة إليه ،و اطّراح كلام العلماء المنقول عنهم نقلا موثقا،و تجاهل نصائح العلماء ،لا يفسَّر إلاّ على أنه إصرار على الإضرار!

و الشيخ ربيع له من الفضل في الدفاع عن بعض أهل السنة "مجملا" ، ومن المكانة عند بعضهم ما يستوجب عليه إبراز أسباب الألفة ووسائلها الفعلية، و صلاح ذات البين ، و التأكيد عليها،و عدم الوقوف طويلا عند الخلافات التي إنما ظهرت بسبب عناد المناظرة ، و تشتت القلوب بعد الفتنة.

قال الله تعالى: {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا} [آل عمران: 103]

قال ابن القيم في (مختصر الصواعق المرسلة)(1/601):

((فَكُلُّ مَسْأَلَةٍ حَدَثَتْ فِي الْإِسْلَامِ فَخَاضَ فِيهَا النَّاسُ وَاخْتَلَفُوا، وَلَمْ يُورِثْ هَذَا الِاخْتِلَافُ بَيْنَهُمْ عَدَاوَةً وَلَا نَقْصًا وَلَا تَفَرُّقًا، بَلْ بَقِيَتْ بَيْنَهُمُ الْأُلْفَةُ وَالنَّصِيحَةُ وَالْمَوَدَّةُ، وَالرَّحْمَةُ وَالشَّفَقَةُ، عَلِمْنَا أَنَّ ذَلِكَ مِنْ مَسَائِلِ الْإِسْلَامِ يَجُوزُ النَّظَرُ فِيهَا، وَالْآخَرُ يَقُولُ مِنْ تِلْكَ الْأَقْوَالِ مَا لَا يُوجِبُ تَبْدِيعًا وَلَا تَكْفِيرًا كَمَا ظَهَرَ مِثْلُ هَذَا الِاخْتِلَافِ بَيْنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ مَعَ بَقَاءِ الْأُلْفَةِ وَالْمَوَدَّةِ.

وَكُلُّ مَسْأَلَةٍ حَدَثَتْ فَاخْتَلَفُوا فِيهَا فَأَوْرَثَ اخْتِلَافُهُمْ فِي ذَلِكَ التَّوَلِّيَ وَالْإِعْرَاضَ وَالتَّدَابُرَ وَالتَّقَاطُعَ، وَرُبَّمَا ارْتَقَى إِلَى التَّكْفِيرِ، عَلِمْتَ أَنَّ ذَلِكَ لَيْسَ مِنْ أَمْرِ الدِّينِ فِي شَيْءٍ، بَلْ يَجِبُ عَلَى كُلِّ ذِي عَقْلٍ أَنْ يَجْتَنِبَهَا وَيُعْرِضَ عَنِ الْخَوْضِ فِيهَا.

إِنَّ لِلَّهِ تَعَالَى شَرْطًا فِي تَمَسُّكِنَا بِالْإِسْلَامِ أَنْ نُصْبِحَ فِي ذَلِكَ إِخْوَانًا، فَقَالَ تَعَالَى:

{وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا} [آل عمران: 103] .))

و أذكّره بما استشهد به في كتبه،وجعله أصلا في التبديع، من كلام شيخ الإسلام ابن

تيمية،وهو قوله: ((وَرُبَّمَا اخْتَلَفَ قَوْلُهُمْ فِي الْمَسْأَلَةِ الْعِلْمِيَّةِ وَالْعَمَلِيَّةِ مَعَ بَقَاءِ الْأُلْفَةِ وَالْعِصْمَةِ وَأُخُوَّةِ الدِّينِ.

نَعَمْ مَنْ خَالَفَ الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ، وَالسُّنَّةَ الْمُسْتَفِيضَةَ، أَوْ مَا أَجْمَعَ عَلَيْهِ سَلَفُ الْأُمَّةِ خِلَافًا لَا يُعْذَرُ فِيهِ فَهَذَا يُعَامَلُ بِمَا يُعَامَلُ بِهِ أَهْلُ الْبِدَعِ)).

و أرجو أن نعود إلى منهج علماء السنة ،ونفرق بين تصرف العالم و خلقه، و تصرف الجاهل و خلقه،وهذا موجه للشباب من الطائفتين.

قال ابن القيم في (أعلام الموقعين)(3/307): ((فَإِذَا ظَفِرْت بِرَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْ أُولِي الْعِلْمِ:

1 ـ طَالِبٍ لِلدَّلِيلِ.

2 ـ مُحَكِّمٍ لَهُ.

3 ـ مُتَّبِعٍ لِلْحَقِّ حَيْثُ كَانَ، وَأَيْنَ كَانَ، وَمَعَ مَنْ كَانَ.

4 ـ زَالَتْ الْوَحْشَةُ وَحَصَلَتْ الْأُلْفَةُ.

5 ـ وَلَوْ خَالَفَك فَإِنَّهُ يُخَالِفُك وَيَعْذِرُك.

6 ـ وَالْجَاهِلُ الظَّالِمُ يُخَالِفُك بِلَا حُجَّةٍ، وَيُكَفِّرُك ،أَوْ يُبَدِّعُك بِلَا حُجَّةٍ.

7 ـ وَذَنْبُك رَغْبَتُك عَنْ طَرِيقَتِهِ الْوَخِيمَةِ، وَسِيرَتِهِ الذَّمِيمَةِ.

8 ـ فَلَا تَغْتَرَّ بِكَثْرَةِ هَذَا الضَّرْبِ، فَإِنَّ الْآلَافَ الْمُؤَلَّفَةَ مِنْهُمْ لَا يُعْدَلُونَ بِشَخْصٍ وَاحِدٍ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ، وَالْوَاحِدُ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ يُعْدَلُ بِمِلْءِ الْأَرْضِ مِنْهُمْ.))

وحتى لا نقع مثل الشيخ ربيع ـ بصره الله بالحق ـ في التكرار الممل، الذي ينمُّ عن عناد و مكابرة ـ لا نحب للشيخ أن يتصف بها ـ،نجيبه من أوجه أخرى لم يسبق و ذكرناها، تعميما للفائدة ،ومخالفة لهذا المنهج الجديد في هذا النزاع،و الذي هو في الحقيقة :منهج نفسيّ، لا منهج علميّ!

قال فضيلة الشيخ ربيع ـ أحسن الله إليه ـ :

((ومثل أصل "لا يلزمني"، و "لا يقنعني" لرد الحق، وهو من أخبث أصولهم.))

قلت:

1 ـ استدلال الشيخ ربيع بهذا الكلام الإنشائي المطلق لا زلت أراه معلولا ،فارغا من أيّة حجة علمية صحيحة أو ضعيفة.

وتكراره المستمر عوضا عن بسط أدلة علمية معتبرة يدل على العناد، ومما يسبب

لبعض الأتباع الابتعاد عن أسباب الرشاد في العلم.
2 ـ ما المعنى الذي يقصده الشيخ ربيع بقوله: " لا يلزمني "، هل معناه العام، أم معناه الاصطلاحي عند الفقهاء، و أهل الأصول؟
فقبل الدخول معه في بيان وجه الحجة في قول بعض المشايخ : " هذا لا يلزمني" لابد من توضيح معنى "الإلزام "، و "اللزوم" عند العلماء، فأقول:
1 ـ استعمال العلماء في مناظرتهم و كتبهم لهذه الكلمة تفيض به الكتب،وقد بلغ مبلغا لا يحتاج معه إلى نقل ، فمن أراد التثبت فليفتح كتب أصول الفقه،وكتب الجدال،وكتب الخلاف، وكتب الحديث فسيجد مئات الأمثلة.
و عليه،إن كان استعمال هذه الكلمة في المناظرة أصلا خبيثا ، فقد خبث معظم علماء الإسلام؟!
2 ـ من المعلوم أن الإلزام يكون بمعنى الإكراه بناء على موافقة سابقة ،مثل الإلزام في العقود الذي هو بمعنى الإيجاب بشروط العقد بناء على موافقة سابقة،قال العسكري في (الفروق اللغوية)(1/225): ((الْفرق بَين الْإِيجَاب والإلزام: أَن الْإِلْزَام يكون فِي الْحق وَالْبَاطِل، يُقَال :ألزمته الْحق، وألزمته الْبَاطِل.
والإيجاب لَا يسْتَعْمل إِلَّا فِي مَا هُوَ حق، فان اسْتعْمل فِي غَيره فَهُوَ مجَاز، وَالْمرَاد بِهِ الْإِلْزَام.))
ثم قال مبيّنا الْفرق بَين الْإِلْزَام واللزوم: ((أَن اللُّزُوم لَا يكون إِلَّا فِي الْحق، يُقَال: لزم الْحق، وَلَا يُقَال: لزم الْبَاطِل، والإلزام يكون فِي الْحق وَالْبَاطِل، يُقَال: ألزمهُ الْبَاطِل مَا ذكرنَا.))
3ـ أما في معنى "الملزم"، فقال ابن مالك في (إكمال الأعلام)(2/675): ((الملزم : مفعل من لزم الشَّيْء الشَّيْء.))
4ـ والمقصود أن "الالتزام" هو أن يوجب المرء على نفسه بناء على إقرار مسبق، فعل أمر من الأمور أو تركه بطلب من الغير.
فإذا قعَّدت قاعدة فأنا ملزم بها،و إذا تبنَّيت أصلا فأنا ملزم بطرده .
5ـ و"اللزوم" هو امتناع انفكاك أمر عن أمر آخر، و يسمى الأول: "لازما"، و الآخر: "ملزوما".
6 ـ وعليه، فما الذي يجعل كلام الشيخ ربيع في بعض العلماء و المشايخ ملزما لغيره؟

و إن شئت قلت: ما الذي يجعل أحكام الشيخ ربيع على غيره من أهل العلم موصوفة بأنها ملزمة وموجبة لغيره؟

فما يقوله الشيخ ربيع إما ليس بحق يجب اعتقاده، و إما هو حق، فيجب بيان دلالته، فأين دلالته؟

فإذا كان ما يقوله الشيخ ربيع ليس مما أظهره الرسول صلى الله عليه و سلم، و بيّنه حتى يحرم مخالفته!

ولا هو مما أقام عليه الشيخ ربيع الحجة التي لم يخالف فيها بدليل، فكيف يكون ملزما؟!

فعلى الشيخ ربيع أن يقيم الأدلة على أن حكمه على المشايخ ملزم لأنه بدليل شرعي صحيح، لا ينازع فيه بحق، فثبوت الملزوم بدون إلزام محال،ولا يمكننا القول بالمحال ترضية للشيخ ربيع!

و قولهم للشيخ ربيع:" لا يلزمني كلامك، أو حكمك،أو دليلك" يكون من العناد عندما يكون مجردا عن تعليله بالأدلة المناقضة لدليل الملزم.

وهذا لحد الآن عجز عنه الشيخ ربيع ،فأمامه عشرات المقالات الطوال ،المثخنة بمختلف أنواع الأدلة التي تنقض منهجه في نقد الرجال، وتبرهن بمختلف طرق الاستدلال أنه مذهب شاذ ، لا يمثل قول جمهور أهل السنة .

والسؤال المحرج:

7 ـ كيف للشيخ ربيع أن يسمح لنفسه، وهو العالم، السّلفيّ، المحدث، المفروض منه التفريق بين أخبار النبوة و أخبار الناس أن يجعل أحكامه على غيره من أهل العلم مقنعة ملزمة، من يردها كمن يرد الكتاب و السنة؟!

و إلا كيف نفسر قوله : ((فأعداء الرسل ما كانوا يلتزمون الحق الذي يأتي به الرسل، ولا يقتنعون به))

فهل غفل عن الفرق بينه و بين الرسل،فالرسل معصومون عن الخطأ، و أقوالهم واجبة الاتباع، ليست مما يجوز مخالفتهم عليها، بل الاجتهاد مع وجودهم فيه تفصيل ليس هذا موضعه.

كما لا تحتمل أقوالهم الخطأ، أو عدم العلم، أو سوء الفهم.

بينما أقوال غيرهم يتطرق إليها الاحتمال، و ليست من المطالب الشرعية بحال.

فهذا قياس باطل ،إذ الإعراض عن أقوال الرسل، وجحودها، و التكبر عليها ، ليس كرد أخبار آحاد العلماء لاعتقاد خطئهم.
إن مثل هذه الأقيسة الباطلة التي يجريها الشيخ ربيع ، هي من الباطل المحض ،الذي يهدم المنهج السلفي في ركائزه ،وهي من أسباب الانحراف في العلم.
وكذلك قوله :((وأهل الضلال من الروافض والصوفية والخوارج والأحزاب الضالة لا يلتزمون الحق الذي التزمه السلف وعلى رأسهم الصحابة واقتنعوا به))
هو من هذا القبيل ،فإن مخالفة هذه الطوائف لما أجمع عليه أهل السنة، غير مخالفة السني للسني فيما نشأ فيه الخلاف المعتبر.
وماذا يفعل الشيخ ربيع مع اختلاف الصحابة فيما بينهم في كثير من المسائل الفقهية، و السياسية، بل وفي بعض ما يتعلق بالعقيدة، كالرؤيا، وعذاب القبر، و غيرها.
وكيف يفعل مع اختلاف التابعين فيما بينهم، هل نلحقهم بالرافضة، و الخوارج، و الأحزاب الضالة؟!
وكيف نفعل مع اختلاف أئمة السنة فيما بينهم، في كثير من القضايا؟!
الحقيقة تقال: الشيخ ربيع ضعيف جدا في القياس، ولا يلتزم بقواعد القياس و شروطه، و يخلط بين الأمور خلطا فاحشا.
وبهذا يتبيّن أن قوله:((فكم أفسد هذا الحزب من الشباب السلفي، أفسدوهم عقائدياً ومنهجياً وأخلاقياً.)) يعود عليه بصريح العبارة.
وعندما تنتهي أخي السلفي من قراءة هذا المقال ستعلم على وجه اليقين من أفسد الشباب السلفي عقائديا و منهجيا و أخلاقيا، وجرأهم على أهل العلم.
8 ـ والحقيقة: ما يعتبره الشيخ ربيع أدلة مقنعة ملزمة! هي شبه مطلسَمة مبهمة، لا تزداد بالنظر فيها إلا غموضا و ضبابية، وبعدا عن محجة العلماء، ومنهج السلف في الاستدلال.
و إليك الإشكالات التالية: قولهم:"لا يلزمني، لا يقنعني "، هل قالوه للشيخ ربيع، وقد عرض عليهم آية محكمة تفصّل محل النزاع؟ أو هل عرض عليهم حديثا صحيحا يجلي إشكالات النزاع؟ أو هل عرض عليهم إجماعا صحيحا في المسائل المختلف فيها؟
ومن باب التنازل: هل عرض عليهم قول الجمهور حتى الذي يعلم له مخالف؟ فأجابوه

بهذا الجواب: "لا يلزمني،لا يقنعني"
فإن لم يكن المعروض عليهم لا من كتاب الله، ولا من سنة نبيه صلى الله عليه وسلم، ولا من إجماع الأمة، ولا من قول الجمهور، كيف يلزمهم به؟ فهذا دليل بإقرار الشيخ ربيع نفسه أن كلامه لا يلزم أحدا.
9 ـ و في الحقيقة الشرعية: كلام الشيخ ربيع ككلام كآحاد العلماء لا فرق، ينظر فيه، فإن وافق الحق ـ والحق أنواع ـ، و كان متفقا عليه أخذنا به، لا لأنه كلام الشيخ ربيع، ولكن لأنه متفق عليه.
وإن كان من مسائل موارد النزاع والاختلاف اتّبع كل قناعته فيما بينه وبين الله، ولم يلزم هذا باجتهاد الآخر.
وحتى لو كان الشيخ ربيع مصيبا في اجتهاده، فالمجتهد المخالف له معذور إما لعجزه عن سماع الخطاب، أو عن فهمه.
ومع فرض أنه قاصر في العلم، مقصر في الاجتهاد يبقى غير ملزم باجتهاد الشيخ ربيع طالما يخالف ما انتهى إليه علمه.
و الناس مكلفون بالعمل بموجب علمهم، لا بموجب علم الشيخ ربيع أو غيره.
فالإلزام في موارد الاجتهاد و قضايا الاختلاف مشروط بالموافقة أولا. او ما يسمى بالتسليم
وعندما نوافق الشيخ ربيعا على الأصل المعمول به، و القاعدة المطبقة يكون قوله ملزما لنا.
أما إن خلفناه في الأصل أو القاعدة المعمول بها، وبيّنا له وجه المخالفة و سببها العلمي الشرعي لم نكن ملزمين بأقواله.
10 ـ و أنت ترى مذهب الأئمة الأربعة في الطلاق بالثلاث قد أطبقوا عليه، وهم من هم، ومع ذلك لم يكن شيخ الإسلام ملزما به، لأنه انتهى باجتهاده أنه لا يوجد في الشريعة ما يوجب الإلزام به.
وهذا عبد الرحمان بن مهدي يخالف يحي بن سعيد القطان فيوثق رجلا هو الربيع بن عبد الله بن خطاف، طعن فيه يحي، و حط عليه لمجالسته لبعض القدرية ، حتى قال : ((أنا أعلم به،ويتعجب من عبد الرحمان بن مهدي كيف لا يطعن فيه))
ولما قيل لعبد الرحمان بن مهدي: كان يرى القدر؟! قال: هو عندي ثقة،كان يجالس

عمرو بن فايد يوم الجمعة)).(الضعفاء للعقيلي)(2/49).
و الدرس المستفاد من هذا المثال : لم يقل يحي القطان: لمَ ترد خبر الثقة، وترد الجرح المفسر، وقولي ملزم لك.
مع أن كلام عبد الرحمان بن مهدي هو في نفس معنى قولهم: لا يلزمني، لا يقنعني،فهل نتعلم من عبد الرحمان بن مهدي و يحي بن سعيد القطان، أم نتعلم من الشيخ ربيع؟! و إذا صرنا إلى التقليد، فمن الأولى بالتقليد؟!
ففي موارد الاجتهاد يختلف العلماء فيما بينهم ،ولا يكون قول أحدهم ملزما للآخر إلا أن يكون مما يقول به،فقد اختلف الأئمة في معاني بعض الآيات،وفي تصحيح بعض الأحاديث، و العمل بها،واختلفوا في الرجال،واختلفوا في قواعد أصول الفقه ،و الكتب مملوءة بذلك، ولم نسمع بهذا المنهج الجديد الذي يدعو إليه الشيخ ربيع.
كما اختلفوا في نسخ القرآن بالسنة، وفي القراءات، وتفسير الآيات، وفي أسباب النزول، وفي المنسوخ، واختلفوا في مرتبة النص ،وفي الإجماع،وفي القياس،والاستصحاب، وسد الذرائع، و الاستحسان،و العمل بالمرسل،و الحديث الضعيف،وفي قواعد التعارض،واختلف السلف في تفسير آية الأعراب ، و الأمثلة كثيرة جدا.
11 ـ بل الأدهى و الأمر فتوى الصحابة غير ملزمة عند كثير من أئمة السنة حتى قال العلماء: فعل الصحابة غير ملزم لمن لا يعتقده حجة.
وبحثوا مذهب العامي على أقوال عديدة، فمنهم من كان يرى أن العامي غير ملزوم بالتزام مذهب إمام معين، مع أنه عامي، فكيف بمجتهد يخالف اجتهاد الشيخ ربيع؟!
ومعلوم أنه لا يجب على المسلم إلا ما أوجبه الله ورسوله ،ولم يوجب الله ورسوله على أحد من الناس أن يتمذهب بمذهب رجل من الأمة فيقلده في دينه،في كل ما يأتي، ويذر دون غيره.
و السؤال: هل المسلم ملزم بشيء غير الكتاب والسنة و الإجماع؟
12 ـ ومما يدلك على أن حجة الإلزام مشروطة بموافقة الخصم،و أن مثل هذا الاستدلال لا يفيد اليقين الذي يحتاجه العالم التقي لتضليل العلماء و تبديعهم،إذ حجة الإلزام معناها: أنك تلزمني بهذه الصورة لموافقتي لك على الأخرى لملازمة بينهما.
وهذا النوع من الاستدلال لا يفيد اليقين لأن احتمال الغلط فيه كبير، فقد ترى المطابقة

بين الصورتين، في حين أرى أنا اختلافا طفيفا بينهما، لكنه مؤثر في تخلف الحكم.
قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ت في (بيان تلبيس الجهمية) (4/45): ((
وذكرتَ [يقصد الرازي] منها الإلزام، وهو الاستدلال بموافقة الخصم في صورة على وجوب موافقته على الأخرى لملازمة بينهما يذكرها المستدل.
وقلتَ: هذا النوع من الحجة لا يصلح لإفادة اليقين، وهذا ظاهر، ولا لإفحام الخصم أيضاً.
وبيانه هو أن للخصم أن يقول: إني إنما اعترفت بالحكم في محل الوفاق لعلة غير موجودة في محل النزاع، فإن صحت تلك العلة بطل القياس لظهور الفارق.
وإن بطلت تلك العلة منعت الحكم في محل الوفاق، فهذه الحجة دائرة بين منع الحكم في الأصل، وبين ظهور الفارق بينه وبين الفرع، وهذا بعينه وارد فيما ذكرتَه هنا))
13 ـ كذلك يجب أن نعرف أن ما يقوله العالم لخصمه على سبيل الإلزام لا يلزم أن يكون موافقًا لهم عليه،فإن طرد المناظرة، و أدلة الاعتراض و النقض، غير أدلة الإنشاء.
قال ابن تيمية عن مناظرة أحمد للجهمية :
((إذَا كَانَ أَخْبَرَ عَنْ نَفْسِهِ بِالْمَجِيءِ وَالْإِتْيَانِ، وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ دَلِيلًا عَلَى أَنَّهُ مَخْلُوقٌ؛ بَلْ تَأَوَّلْتُمْ ذَلِكَ عَلَى أَنَّهُ جَاءَ أَمْرُهُ فَكَذَلِكَ قُولُوا: جَاءَ ثَوَابُ الْقُرْآنِ لَا أَنَّهُ نَفْسُهُ هُوَ الْجَائِي، فَإِنَّ التَّأْوِيلَ هُنَا أَلْزَمُ، فَإِنَّ الْمُرَادَ هُنَا الْإِخْبَارُ بِثَوَابِ قَارِئِ الْقُرْآنِ، وَثَوَابُهُ عَمَلٌ لَهُ لَمْ يَقْصِدْ بِهِ الْإِخْبَارَ عَنْ نَفْسِ الْقُرْآنِ.
فَإِذَا كَانَ الرَّبُّ قَدْ أَخْبَرَ بِمَجِيءِ نَفْسِهِ ثُمَّ تَأَوَّلْتُمْ ذَلِكَ بِأَمْرِهِ ،فَإِذَا أَخْبَرَ بِمَجِيءِ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ فَلَأَنْ تَتَأَوَّلُوا ذَلِكَ بِمَجِيءِ ثَوَابِهِ بِطَرِيقِ الْأَوْلَى وَالْأَحْرَى.
وَإِذَا قَالَهُ لَهُمْ عَلَى سَبِيلِ الْإِلْزَامِ لَمْ يَلْزَمْ أَنْ يَكُونَ مُوَافِقًا لَهُمْ عَلَيْهِ ،وَهُوَ لَا يَحْتَاجُ إلَى أَنْ يَلْتَزِمَ هَذَا))(مجموع الفتاوى)(5/400)
وعليه، فما نقوله للشيخ ربيع على سبيل إلزامه بقواعده لا نعني أننا نقول به،وعلى هذا قس مسألة "تاريخه الإخواني" ، و "تبديعه بالتربية الإخوانية "،وغير ذلك.
14 ـ و أسباب الغلط عند الشيخ ربيع أنه يقيس موضع النزاع على مورد النزاع ،فما يسميه "خبر الثقة "، وهو حكمه على بعض العلماء و المشايخ، قد يكون من قسم الأخبار إذا كان نقلا عن غيره ،ولكن من الأخبار العامة، كحديث المجالس، لا من

الأخبار الشرعية،ومع ذلك فلا علاقة له بالأخبار من أية جهة كانت.
يوضحه: إن كان موضوع النزاع بين الشيخ ربيع وبعض المشايخ الذين يطعن فيهم قضايا علمية، مثل:"حمل المجمل"، و "الموازنة"، و"وحدة الأديان"،و "الجرح المفسر"،و" الثناء على بعض المختلف فيهم ". فهذه قضايا علمية معروفة، ليست من قبيل الأخبار، فضلا عن خبر الثقة.
والمسائل إما أخبار، ويعتورها الصدق والكذب، و إما قضايا علمية إنشائية يعتورها الصواب والخطأ، لا الصدق و الكذب،فأخبروني: أي المسلمين جعل "الموازنة"،و"حمل المجمل"،من باب الأخبار؟!
وحتى المخبر لا يكون خبره ملزما وحكما في الآن الواحد،بمعنى أن ثبوت الخبر و صدقه شيء، وما يتضمنه من علم وحكم شيء آخر،فقبولنا للخبر لا يعني موافقتنا للحكم المستنبط منه، و إلا ففسر لي اختلاف السلف في معنى وحكم الحديث الواحد؟
و يجب التفريق بين الإخبار عن صاحب الشرع، و بين الإخبار عن رأيه، الأول ملزم مع شرط العلم،و الثاني: غير ملزم.
ومن هذا القبيل من بعض الأوجه:الفرق بين الحاكم و المفتي أن الأول ملزم و الثاني مخبر، الأول ملزم للحكم، والثاني مخبر بالحكم، لأن الفتوى إخبار بالحكم الشرعي على غير وجه الإلزام،كما في تعريفها عند المالكية.
و أنت تذهب للمفتي برجليك، و تسأله بلسانك،ومع ذلك فتواه غير ملزمة لك على تفصيل ليس هذا موضعه،بخلاف حكم القاضي و الحاكم هو ملزم .
وعليه،لا نسلِّم أن أدلة الشيخ ربيع سواء اعتبرها أخبارا أو قضايا علمية إنشائية ملزمة لنا ،غاية ما في الأمر أنها تلزم من يعتقد عصمته، أو يقلده التقليد الأعمى ، وهذا بحث آخر.
و أصل المشكلة مع الشيخ ربيع أن القضايا معه تبدأ ـ دائما ـ بقوله:ما قولك في فلان؟ إن لم تسقطه أسقطتك؟
ثم تشتغل ماكنة البحث (غوغل السلفيين) عن الأخطاء ، أوما يمكن تحويله إلى خطا بالتأويل المتعسف، فتصير الحبة قبة على قاعدة :"أوقدوا له"!
وعندما ننظر في مذهب الشيخ ربيع في المسائل المختلف فيها: الموازنة بدعة! ـ وجوب قبول الجرح المفسر! ـ وجوب قبول رأي الثقة! ـ وجوب هجر المبتدع! ـ

البدعة والمبتدع شيء واحد! ـ حوار الأديان يجعله وحدة الأديان! ـ التبديع بالمجالسة! ـ الامتحان بالأشخاص! هل يلزم أن نقتنع بقوله فيها، وهو لازم لنا، لأننا نقر بالأصل الكلي لبعض هذه المسائل ؟

أم لا يجب علينا مادمنا قد بيّنا بالأدلة المعتبرة أن الهجر له شروط و أسباب إذا تخلفت لم يجب، بل قد ينهى عنه، وضربنا على ذلك أمثلة من تاريخ السلف الصالح،وكذلك في الموازنة بيّنا الصور الصحيحة منها و المعتبرة شرعا، و أمثلة شرعية و تاريخية على ذلك،ومثلها: المجالسة، و الامتحان بالأشخاص.

فخلافنا مع الشيخ ربيع في بعض صور المسائل، وفروعها، وكوننا نوافقه على الأصل لا يلزم منه أننا نوافقه على تطبيقه، و تفريعه العملي.

و أحكام الشيخ ربيع في العلماء المختلف فيهم بيننا و بينه، لا تلزمنا، لأنها على غير أصل أئمة السنة، ولو سلمنا له الإصابة في قاعدة أو أصل، لم نسلّم له في كل القواعد و الأصول، بل لا نسلّم له طردها.

وقد فندنا مذهبه في "نصحح ولا نجرح" ،و ذكرنا عشرات الأخطاء العلمية في العقيدة و الأصول و المنهج وقع فيها بعض أئمة السنة ، ولم يبدعوا لأجلها ، لأننا نفرّق بين المخطئ و المبتدع،و الشيخ ربيع لا يخالفنا على هذا الأصل ،ولكنه يطبقه بالتحكّم و المزاج.

وضربنا لكم الأمثلة على ذلك، بابن حجر، و ابن الجوزي، و البيهقي، و الخطابي، و الذهبي، و المروزي، ومالك، و سفيان بن عينة،وابن خزيمة،و الهروي،و الحربي، و غيرهم كثير.

فإذا لم يطرد الشيخ ربيع قواعد أهل السنة في نقد الرجال، و التي يزعم أنه يعمل بها، فلسنا ملزمين بإتباعه، بل يجب علينا شرعا مخالفته، وطرد قواعدنا مادامت صحيحة.

و ما الفرق بين أخطاء أولئك، و أخطاء هؤلاء؟وهل الاجتهاد مقصور على أولئك وحدهم، أم جائز لجميع أهل العلم؟

وفي مسألة "الجرح المفسر" لسنا ملزمين بتفسير الشيخ ربيع، وقد خالفه على هذا التفسير أقرانه من المشايخ، فضلا عن عدم موافقته لمراد أهل الحديث بالجرح المفسر.

فعند أهل الحديث يجب أن يكون مفسرا تفسيرا قادحا ،و يكون ملزما إذا اتفق عليه

الأئمة،وهذه مسألة قتلنا البحث فيها بعشرات الأمثلة، و النقول الصحيحة الصريحة.
فمثل هذه الشبهات عندنا،التي يعتبرها الشيخ ربيع و أتباعه أدلة ،وحججا صحيحة مع فرض أنها كذلك عندهم، تبقى قاصرة أي محبوسة الأثر على من يراها كذلك ممن يقلد الشيخ ربيعا،ولكنها لا تتعدى إلى غيرهم بحال،إلا بطريق الإلزام الباطل.
فهذه الالزامات من الشيخ ربيع هي مما لا يلزم في الشريعة و العقل، ونحن غير ملزمين بها .
و أخيرا أقول: إذا كان قولهم: " لا يلزمني " أصلا خبيثا! ،أفسد عقيدة ومنهج و أخلاق الشباب السلفي فلمَ يقول به الشيخ ربيع؟!
قال الشيخ ربيع في جوابه على صاحب (المعيار) :
((ثانياً : إن هذا الحديث مما لا يلزمني البحث عنه وتخريجه عند من يعرف أصول البحث والتخريج؛ لأنه لم يكن في الأحاديث التي ذكرها الحافظ في النكت وإنما ذكره في كتابه فتح الباري ،وإنما البحث عنه وتخريجه من نوع الزيادات المستحسنة في نظري ونظر غيري ممن يعرف أصول التخريج.))
وقال ـ كذلك ـ في (دفع بغي عدنان): ((أنا لـمّا يأتيني سؤال :يقول : ما رأيكم في قول القائل : "نصحح ولا نجرح " أجيب بأن هذه قاعدة باطلة تخالف نصوص الكتاب والسنة ومنهج السلف الصالح ، وقد ألف العلماء كتباً في الجرح فقط وكتباً في الجرح والتعديل معاً وفي النوعين تجريح الألوف بالكذب والبدع والأخطاء دون تعرض لما يسميه عدنان بالتصحيح جاءتني هذه القاعدة بكلام عربي لايختلف فيه كلام مشرقي أوكلام مغربي ، فلا يلزمني أن أقول يمكن قصد كذا يمكن زلة لسان كلام مشرقي أو كلام مغربي.
قاعدة تضعها تقول:زلة لسان ما هذا الكلام !.))
وهنا نقول للشيخ ربيع: لمَ لم يصر قولك هنا: "لا يلزمني " أصلا خبيثا،يفسد عقيدة و منهج و أخلاق الشباب السلفي؟!
و أقول كذلك: حكم الفلتات خلاف حكم الإصرار عند جميع البشر إلا عند الشيخ ربيع ؟!
و إلى الحلقة القادمة إن شاء الله تعالى، و السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.
أرزيو/ الجزائر ، في 10 رجب1432هـ

مختار الأخضر طيباوي

تهدى الْأُمُور بِأَهْل الرَّأْي مَا صلحت فَإِن تولّت فبالأشرار تنقاد

الحمد لله وحده، و الصلاة و السلام على من لا نبيَّ بعده.

عندما تعجز ثقافة الناس عن صناعة الرأي السليم يقودهم الغلاة.

قال عبد الله بن المبارك: " لِيَكُنْ الَّذِي تَعْتَمِدُ عَلَيْهِ الْأَثَرُ، وَخُذْ مِنْ الرَّأْيِ مَا يُفَسِّرُ لَك الْحَدِيثَ، وَهَذَا هُوَ الْفَهْمُ الَّذِي يَخْتَصُّ اللَّهُ سُبْحَانَهُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ.

يجب أن أوضح أننا لا نستعمل كلمة" رأي" على المصطلح القديم عند السلف و الذي يعني " القياس المخالف للنص"،ولا على مصطلح الفكر المعاصر الذي يجعله في مقابل الحقيقة العلمية،سواء الرأي الشخصي أو الرأي الجماعي الذي يسمونه بـ " الحس المشترك" أو " Doxa " و يقصدون الرأي و الاعتقاد المتاح للجميع بالفهم الطبيعي المشترك بين الناس، وهو نوع من المعرفة يجمع المعرفة المنقولة اجتماعيا وواسعة الانتشار في ثقافة معينة، معايير، قيم، رموز، تشكل تفسيرا معينا للواقع .

فهذا باطل ملفق في شكل تصنيف علمي،لأن الأقوال التي يتوارثها المجتمع لا يجب أن ننظر إليها كنهاية فطبيعة العلم تجعل الحقائق العلمية عند عامة الناس آراء بدون أسانيدها البرهانية ولكن يجب النظر في مصدرها و منشئها ،وهذا ما يتفاده الفلاسفة لأن هذه الأقوال و العقائد المنتشرة في المجتمع نشرها فيه العلماء مسندة إلى أدلتها وليس كما هي الآن عند عامة الناس، فالسؤال حول ما يسمونه بـ " الحقيقة العلمية" هو: هل هي استمرار و تأكيد لهذا الرأي أم أنها تشكل قطيعة معه؟

ولا يحتاج الناس إلى اليقين العلمي في كل شيء بل في غيابه يجب العمل بالظن و الاكتفاء به لكنه الظن المؤسس على علم وليس على مجرد الاعتقاد الشخصي، و آراء العوام المأخوذة من دينهم تتضمن من الصواب أكثر بكثير من المذاهب الفلسفية القديمة و الحديثة فما يجعله هؤلاء من الآراء أكثر موافقة للبديهة و مقاومة للشك من جميع الأنساق الفلسفية كما أقر به توماس ريد .

فالمقصود "وجهة النظر" المبنية على نوع مقارنة وموضوعية علمية و التي تقف خلفها ثقافة من جنسها تسمح بتكوين الآراء الرصينة و تدعيمها بالحجج الكلية و إن لم تكن بحثا أكاديميا، و هو ما كان السلف يسميه بـ" الرأي السديد" في مقابل " الرأي

الفاسد"، و سماه بعضهم ~ ابن القيم ~ " الرأي المحمود" و جعله على أربعة أنوا، و قسم الرأي مطلقا إلى نوعين: " أَحَدُهُمَا: رَأْيٌ مُجَرَّدٌ لَا دَلِيلَ عَلَيْهِ، بَلْ هُوَ خَرْصٌ وَتَخْمِينٌ، فَهَذَا الَّذِي أَعَاذَ اللَّهُ الصِّدِّيقَ وَالصَّحَابَةَ مِنْهُ.
وَالثَّانِي: رَأْيٌ مُسْتَنِدٌ إلَى اسْتِدْلَالٍ وَاسْتِنْبَاطٍ مِنْ النَّصِّ وَحْدَهُ أَوْ مِنْ نَصٍّ آخَرَ مَعَهُ" إعلام الموقعين؛ 1/63

يحرص الناس على إبداء آرائهم لأسباب مختلفة، فبعضهم يحب المشاركة، و آخر لا يريد أن يكون خارج دائرة اهتمام الناس، ويريد برأيه الاندماج مع الجماعة؛ و قد يمتنع بعض الناس عن إبداء آرائهم إما تواضعاً أو لعدم ثقة في أنفسهم،وقد يبالغ آخرون فيجعلون جميع الكلام حكراً على العلماء ، و لا يجوز لغيرهم أن يدلي بدلوه في أي موضوع !

و لما كان هذا الموقف الأخير مخالفا لطبيعة الناس و طبيعة الحياة تجدهم أكثر الناس إرسالا للآراء المختلفة لكن إذا أعجزهم رأي مخالف لم يقدروا على دحضه لجئوا إلى "الحجة السلطوية": " لم يقل العلماء هذا" بدون استقراء لفظي أو معنوي ، أو إلى النسبية : " هذا مجرد رأي كأي رأي آخر، لم يقله شيخنا"" حتى لا يضطروا إلى مراجعة أنفسهم.

و قد يستعملون ثقل "الأنا" كـــ: " هذا رأيي الخاص" ، الرأي عند هؤلاء هو صوت "نحن"،عبارة عن اتصال الأتباع بالوعي الجماعي أو بمصفوفة الشيخ.

المهم، قد يدل الرأي على نشاط صاحبه و اجتهاده، وقدرته على إعمال فكره، و قد يدل على أنه ملجأ الكسل العقلي عندما يواجه به الحقيقة الواقعية أو العلمية المؤسسة.

وبعض الجماعات ~ الغالية عموما ~ من أية طائفة كانت تقدم لأتباعها الآراء الجاهزة التي تسمح بالإجابة بدون جهد التفكير ،في الغالب تكون عبارة عن جمل إدانة مختصرة.

و إذا كان من المهم أن نتذكر أن للرأي ~ مهما كان ~ قيمة تتمثل في السماح لنا بالتعبير و إجراء المحادثة يبقى السؤال المنهجي: هل تتساوى كل الآراء؟

فنحن نعرف أنه لا قيمة للرأي في المسائل المتخصصة ـ و أقصد هنا الرأي بمعنى وجهة النظر المجردة ـ فيكون غير كاف، لأنه في المسائل المتخصصة لا نكتفي بالفكرة المجملة، وحتى القناعة لا تفي بالغرض،و إن كانت القناعة رأيا ناضجا و

مفكرا فيه، يعتقد صاحبه أنه يملك أسبابا صحيحة لاعتقاد صحته.
و بالنسبة لنا الفرق بين الرأي و القناعة هو أن القناعة رأي مؤسس على أسباب تبدو لنا أن لها وجهة من الحق و إن لم نوافق على التوليفة، و الرأي يرتبط بالعاطفة بينما ترتبط القناعة بنوع من المنطق الشرعي أو العقلي بحسب الموضوع،أي عندما نخالف القناعة لا ننكر أن فيها نوع اشتباه.
وقد تكون المسائل التي نخوض فيها تخضع للعلوم الشرعية و قد تكون إخبارا عن واقع معين، فالأولى تحتاج إلى التأسيس العلمي الشرعي لكن لا مانع من الكلام المجمل فيها إن كان نقاشا أخويا ،أو وفقا لآداب النقاش مجردا عن العواطف ، و أما إن كانت من القسم الثاني فالحجة فيها المعاينة، و التجربة المعاشة.
وعلى هذا نشجع الشباب على تكوين القناعات والخروج من قبضة الآراء الفضفاضة لأن الآراء محدودة تفتقد إلى الأساس العلمي الموثوق للتمسك بها، فهي إثبات مؤقت لا تتجاوز مصداقيتها كونها وعي ذاتي محدود. لا يمكن استبعاده عموماً ولا رميه كليةً لأنه ليس خطئاً مطلقاً فقد يحتوي فكرة صحيحة، كما يمكن أن يحتوي أحكاما سابقة مغالطة، أو إثباتات خاوية سطحية.
فصاحب الرأي ~في مقابل صاحب القناعة المبنية على البحث و الاستقراء و المقارنة ~ غير واع برأيه، يعيش حياة فكرية بدون معالم لأن الرأي عائم لا يرشد لأنه لا يملك الدليل الصحيح، فليس الجاهل الذي يقول: إنه لا يعرف شيئا ،و لكنه الذي يظن أنه يعلم، و ليس معه إلا آراء التقطها من أصحابه و سمعها من شيوخه دون أن يعي أسبابها.
ولا يزال الناس يذمون عديم الرأي و يسمونه " الإمعة" ،ومن الرأي ما يشفي من الجرب .....

فحص الشبهات المتسلفة

شرح مقولة ابن سيرين " إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذونه"

الحمد لله وحده، و الصلاة و السلام على من لا نبيّ بعده، وبعد...
بعض الناس يركِّز نظره على كلمة بحيث لا يغادر حدودها الحرفية، فلا ينظر في

سياقها الزمني ولا الواقعي إي: ظروف إطلاقها، فيختزل بها أسبابا كثيرة ومتنوعة تضمحل و تذوب في هذه الكلمة الواحدة فتختفي الأنواع و يبقى الجنس وحده يعمم على المختلفين أصلا و قصداً، فتنشأ المذاهب الفاسدة و الصور المشوهة لمذهب السلف حاملة بين طياتها التناقضات الواضحة و الكيل بميزانين، ذلك أن الكلمة يجب أن ننظر إليها كبوصلة أو لوحة إرشاد و ليس كنتيجة نهائية قطعية حاسمة.

و أحسن طريقة نفهم بها مقاصد المتكلمين بالقواعد العلمية هي الأمثلة التطبيقية فهي ما يحدد النوع و يزيل الإجمال:

من المعلوم أنه قلّما تعدم القرائن في الكلام،و الاختلاف في المبدأ العام أو القواعد الكلية عندما يزعم كل طرف أنها تشهد لمذهبه تحسمه القرائن و دلالتها،و أفضل من ذلك الأمثلة التطبيقية .

فعندما ننقل كلاما عن الأئمة كأحمد في تكفير الجهمية مثلا، ثم نجده عمليا يخاطب بعضهم بخطاب يثبت له الإسلام، نفهم من هذا المثال التطبيقي القاعدة الكلية التي أطلقها، و التي بدون هذا المثال كنا نحملها محمل العموم.

فهذا ما وقع بالضبط في منهج الشيخ ربيع، كما سأدلل عليه بمثال ابن بطة رحمه الله.

فالقواعد العامة (الكليات) بدون استخراج مسالك التطبيق لا يمكن رد الفروع إليها،فلا يمكن فهم الكلام المطلق إلا بالتطبيق.

فالواقعة الواحدة قد تتجاذبها الأصول و القواعد المختلفة فلا نهتدي لاستخلاص الحكم، و إعمال القاعدة الموافقة إلا بالنظر في الأمثلة التطبيقية، فهي المرجح للقواعد الكلية،فقد يكون الأصل من أقوى منابع الظهور في الغالب،وقد تكون دلائل الحال من عرف و تصرفات عملية و قرائن هي المرجح للمراد المخصص للعموم و المقيد للمطلق.

وبهذا تعرف أن الشيخ ربيعا ما يعتقده معارضا للكليات الشرعية أو المنقولات عن الأئمة في أمثلتي ليس هو كذلك، بل هو من التقييدات، و التطبيقات،لأن التعارض في الأدلة يكون بالتقابل بينها على سبيل الممانعة بأن يثبت أحدهما ما ينفيه الآخر،إذ الأمثلة الكثيرة التي سقتها لا تعارض الكليات باعتبارها في أنفسها، و إنما التعارض معها باعتبار التطبيق و تحقيق المناط في محل الحكم.

فالتشابه و الاختلاف الراجع للمناط و ليس للأدلة، بمعنى أن المشكل مع الشيخ ربيع

ليس في توثيق المنقول، ولكن في فهمه، مثل كون أكل الميتة منهيا عنه،و أكل المذكية مباحا،و لكن الاشتباه عند اختلاطهما، فهو اشتباه في المناط و ليس في الدليل ، وهذا يرجع إلى تحقيق المناط و التطبيق.

فعندما ينقل الشيخ ربيع عن ابن بطة عدم السفر مع المبتدع، وعدم مجالسته، و مشاورته ، وغير ذلك ليس الإشكال في كلام ابن بطة و لكن في فهم الشيخ ربيع،لأن كلام ابن بطة صحيح موافق لغيره من الأئمة، ولكن هل يفهم منه العموم في جميع الحالات؟ومن هو المبتدع الذي قصده ابن بطة؟وهل توجد أمثلة مضادّة؟

فالضيق ليس في كلام ابن بطة، ولكن في اجتهاد الشيخ ربيع في تطبيقه على الوقائع بظروفها وملابساتها، فهنا الخطأ الجسيم.[سيأتي مفصلا في مقال " مثال على عدم فهم الشيخ ربيع كلام الأئمة"]

وعليه، فما نجد صعوبة في حسمه من جهة النظر يمكن تبديد الخلاف فيه أو تقريب وجهات المختلفين على مستوى التطبيق والأمثلة العملية من سلوك صاحب الشريعة، و الصحابة، و الأئمة المتبوعين.

و لذلك تجد حرص العلماء على معرفة أسباب النزول لهذا الغرض، وهو معرفة التطبيق للخروج من احتمالات الإطلاق، فبالتطبيق نتدارك النقص الناجم عن الإطلاق أو التعميم، ثم إن هذه الأمثلة التطبيقية منقولة عن صاحب القواعد الكلية و الأصول العامة.

وعليه، فطالب العلم يبدأ بشرح القاعدة، ثم التطبيق، ثم الاستثناءات، و غير هذا فهو مبتدئ أمامه أشواط كثيرة.

قال ابن عقيل في (الواضح)(ص:1):

((وأميز المسائل النظريات بدلائل مستوفاة وأسئلة مستقصاة ، وليخرج بهذا الإيضاح عن طريقة أهل الكلام وذوي الإعجام إلى الطريقة الفقهية والأساليب الفروعية)).

لقد لخص ابن تيمية ـ رحمه الله ـ وهو لسان المحدثين الحقيقيين الذي لا يفتر منهجهم، ونقده للمتكلمين والقياسيين بكلمة جامعة دامغة في كتابه (الاقتضاء)(ص:281) فقال:

((وما كان من الحجج صحيحا، ومن الرأي سديدا، فذلك له أصل في كتاب الله وسنة رسوله، فهمه من فهمه، وحرمه من حرمه فالغرض أن يعرف الدليل الصحيح، وإن كان التارك له معذورا لاجتهاده.))

وخير مثال على هذه الضوابط العلمية في هذه القضية:ـ كلمة الإمام أحمد المطلقة في اللفظية، فلولا التطبيق العملي، والاستثناء ما أنصف البخاري رحمه الله.

و المشكل في مثل هذه الكلمة" كلمة ابن سيرين" أنها محدودة التطبيق حيث إن الأئمة لم يعملوا بها بإطلاق فأخذوا عن " المبتدعة" وبقيت محصورة فيما يسمى " الهجر الوقائي" وهو ~ في الغالب ~ خاص بالعوام،و للتدليل على هذا الأمر المهم سأشرح كلمتين مشهورتين يرتكز عليهما التجريحيون:كلمة ابن سيرين وبعدها كلمة سفيان الثوري" البدعة أحب إلى إبليس من المعصية".

1 ـ وصف الشيء بكونه شرعيا يعني أنه ممّا دلّ عليه الشرع بإحدى الطرق المعتبرة، إما مباشرة أو من طريق التضمن و اللزوم، و العلوم منها ما هو شرعي شرعية الغاية، ومنها ما هو شرعي شرعية الوسائل، و الأصل الجامع أن نقول: كل علم تنبني عليه معرفة الله ، و معرفة أمره و نهيه فهو علم شرعي، فهذا العلم غاية، وكل علم يتوصل به إلى هذين العلمين فهو علم وسيلة،إذ القصد من الإسلام معرفة الله سبحانه و تعالى، و معرفة أمره و نهيه.

و على هذا الأساس يجب أن نفهم كلمة محمد بن سيرين ـ رحمه الله ـ و إن كانت المناسبة التي لأجلها أطلق هذه القاعدة العزيزة هي: تصحيح أسانيد الحديث، و الاحتراز عن الكذابين، ومن ضمنها أخذ العلم عن المبتدعة.

اختلاف عبارات المقالة:

لقد ثبتت هذه المقولة العظيمة التي تشكل أوّل قواعد الجرح و التعديل ـ لفظا ومعنى ـ من عدة طرق، و بعدة ألفاظ متقاربة، ولكن بجمعها تزداد معرفتنا بمقصد ابن سيرين ـ رحمه الله ، فقد جاء عن ابن عون أن ابن سرين قال:" كان يقال العلم دين فانظروا عمن تأخذونه".

فهو هنا أطلق العلم، ولم يحدد نوعه، ومعلوم أن العلم المعروف في عهده علم القرآن و الحديث،ممّا يعني أنه قصد العلوم الشرعية،وجاء عن الأوزاعي أنه قال : كان ابن سيرين يقول: إن هذا دينكم فانظروا عمن تأخذونه".

وفي رواية:فقال:" اتقوا الله يا معشر الشباب وانظروا عمن تأخذون هذه الأحاديث فإنها دينكم".

وروى أبو عبيدة بن عقبة بن نافع عن أبيه انه كان يوصي بنيه بثلاث يقول:" يا بني

إياكم والقول عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وانظروا عمن تأخذون منه فانه دين، وإياكم والدَّين وإن لبستم العباء، والثالثة أنسيها نافع".
وعن ابن أبي أويس قال: سمعت مالك بن أنس يقول:: إن هذا العلم هو لحمك ودمك، وعنه تسأل يوم القيامة فانظر عمن تأخذه".
وفي"إسعاف المبطأ"{ص:10}:"قال إسماعيل بن أبي أويس: سمعت خالي مالكا يقول: إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم لقد أدركت سبعين ممن يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند هذه الأساطين فما أخذت عنهم شيئا، وان احدهم لم ائتمن على بيت مال لكان به أمينا لأنهم لم يكونوا من أهل هذا الشأن فقدم علينا ابن شهاب فكنا نزدحم على بابه."
وعن زائدة قال:" إن هذا العلم دين فانظروا من تودعونه" فزاد شرطا آخر،هو أين تضع علمك أي لا تحدث به من هب و دب،وربما ينبني هذا على نوع من العلم خاص كعلم الحديث، فإن المسلم مطالب بتبليغ الرسالة لكل أحد، وربما هو على أصل الشافعي: من وضع علما في غير أهله فقد أضاعه.
قال مجالد:" لا يؤخذ الدين إلا عن أهل الدين".
وقد جاءت رواية عن ابن سيرين مفصّلة واضحة بها نعرف أن الأئمة لم يعملوا بكلمته أو حملوها على العقوبة ،أي: الهجر و ليس الجرح ،قال :"إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذونه، ذهب العلم، وبقي منه غبرات في أوعية سوء، ويجتنب الرواية عن الضعفاء، والمخالفين من أهل البدع والأهواء".
شرح المناوي في "فيض القدير"{2/691} هذه المقولة فقال: (إن هذا العلم) الشرعي الصادق بالتفسير والحديث والفقه وأصول الدين وأصول الفقه ويلحق بها آلاتها (دين فانظروا) أي تأملوا (عمن تأخذون دينكم) أي فلا تأخذوا الدين إلا عمن تحققتم كونه من أهله، وفي "الإنجيل": هل يستطيع أعمى أن يقود أعمى أليس يقعان كلاهما في بئر انتهى.
فعلى الطالب أن يتحرى الآخذ عمن اشتهرت ديانته وكملت أهليته وتحققت شفقته وظهرت مروءته وعرفت عفته وكان أحسن تعليما وأجود تفهيما ،ولا يرغب الطالب في زيادة العلم مع نقص في ورع أو دين أو عدم خلق حسن وليحذر من التقيد بالمشهورين وترك الآخذ عن الخاملين فقد عدوا مثل ذلك من الكبر وجعلوه عين

الحمق لأن الحكمة ضالة المؤمن يلتقطها حيث وجدها ويغتنمها حيث ظفر بها فإن كان الخامل مرجو البركة فالنفع به أعم والتحصيل من جهته أهم وإذا سبرت أحوال السلف والخلف لم تجد النفع يحصل غالبا والفلاح يدرك طالبا إلا إذا كان للشيخ من التقوى نصيب وافر وعلى نصحه للطلبة دليل ظاهر، وفي "الموطأ" ما يدل على أن على المستفتي سؤال الأعلم فالأعلم لأنه أقرب إصابة ممن دونه، قال ابن القيم: وعليه فطر الله عباده وقال الماوردي: ليأخذ الطالب حظه ممن وجد طلبته عنده من نبيه وخامل ولا يطلب الصيت وحسن الذكر باتباع أهل المنازل من العلماء وبعد الذكر إذا كان النفع بغيرهم أعم إلا أن يستوي النفعان فيكون الآخذ عمن اشتهر ذكره وارتفع قدره أولى لأن الانتساب إليه أجمل والآخذ عنه أشهر وإذا قرب منك العلم فلا تطلب ما بعد وإذا سهل لك من وجه فلا تطلب ما صعب وإذا حمدت من خبرته فلا تطلب من لم تخبره فإن العدول عن القريب إلى البعيد عناء وترك الأسهل بالأصعب بلاء والانتقام عن المخبور إلى غيره خطر قال علي : عقبى الأخرق مضرة والمتعسف لا تدوم له مسرة ،وقال الحكماء : القصد أسهل من التعسف والكفاف أورع من التكلف".

قلت: فهذه قاعدة ـ مقولة ابن سيرين ـ سنّية صلبة، لازمة لكل سنّي مقلد أن يعمل بها في شتى العلوم الشرعية،إنما الإشكال ليس فيها ، ولكن في الاستثناء فيها بالنسبة لطلبة العلم ،فلنوضح هذا الأمر.

الاستثناء في القاعدة:

قال الوليد بن أبان الكرابيسي: قلت ليزيد بن هارون:" يا أبا خالد هذه المشيخة الضعفاء الذين تحدث عنهم؟ قال: أدركت الناس يكتبون عن كل، فإذا وقعت المناظرة حصلوا".

وعن المعتمر بن سليمان عن أبي عمرو بن العلاء قال:" كان قتادة لا يغث عليه شيء يروي عن كل أحد".

قال رواد بن الجراح : قال سفيان الثوري:" خذ الحلال والحرام من المشهورين في العلم وما سوى ذلك من المشيخة".

فهذا يبين أن قاعدة ابن سيرين أخص برواية الحديث، فإن له شروطا غير شروط الفقه،وما يشترط لرواة الحديث من الضبط لا يشترط في الفقهاء،وقد عرف الفقهاء برواية الحديث بالمعنى، كما أنهم يحتاجون إلى قواعد فقهية و أصولية لا علاقة لها

بالضبط و الإتقان.
قال أبو حفص: قال لي يحيى:" لا تكتب عن معمر عن رجل لا يعرف فانه لا يبالي عمن روى".
قال هشام بن عمار : قال لي سويد بن عبد العزيز: قال لي شعبة: تأخذ عن أبي الزبير وهو لا يحسن يصلي؟! وتأخذ عن أبان بن أبي عياش، وإنما كان قتادة يروي عن أنس مائتي حديث وهو يروي ألفين؟ قال: ثم ذهب هو فأخذ عنهما".
قال بقية بن الوليد: سمعت الأوزاعي يقول:" تعلم ما لا يؤخذ به كما تتعلم ما يؤخذ به."
قلت: يعني كتابة حديث الضعفاء لمعرفته، و الله أعلم.
وعن عكرمة عن ابن عباس قال:" خذ الحكمة ممن سمعته، فقد يتكلم الرجل بالحكمة وليس بحكيم، فتكون بمنزلة الرمية من غير رام."
قلتُ هذا يشبه قول الشاعر: لَا تحقرنَّ الرأيَ وَهُوَ مُوَافق... حكم الصَّواب إِذا أَتَى من نَاقص
و بهذا يتبين أن قاعدة ابن سرين ليست على إطلاقها، بل أحيانا يؤخذ عن الضعيف، وعن أهل البدع و الأهواء فيما يشاركون فيه من علوم شرعية لأسباب معروفة قد ذكرها أهل العلم في باب الرواية عن المبتدع، ولكن يبقى هذا دائما محصورا في طلبة العلم ،و معلوم أن طلب العلم درجات، فيستثنى من كلامي طالب العلم المبتدئ فإنه متى قدِر على اخذ العلم عن الموثوقين من أهل السنة لا يعدل إلى غيرهم.
أين العلم؟
العلم الحقيقي ليس في معرفة القواعد ،بل معرفة الاستثناء فيها،وليس في معرفة العام بل في معرفة الحالات الخاصة ،و ليس في معرفة المشترك بل في معرفة القدر المميز ،فإن الذي يفرق بين النظر العلمي لقضية ما و النظر العامي أو العلمي السطحي ـ ولو صدر ممن صدرـ هو أن الأول يأخذ بعين الاعتبار جميع معطيات القضية، و القضايا تختلف منها ما يكفي فيها الجانب النظري وحده، ومنها ما تلبست بالواقع و تجارب الناس لا يكفي التنظير وحده،ومنها ما دخله الاشتراك مع غيره ، وفصل القدر المشترك عن القدر المميز هو العلم الحقيقي أو الأكمل.
فالتحليل العلمي على خلاف التحليل العامي أو العلمي السطحي لا يكتفي بالنظر في

الحالات الموافقة فحسب أي القضايا الظاهرة الموافقة للدليل ، بل أيضا الحالات المخالفة أو القضايا السالبة ،وهذا هو الفرق المؤثر بين النظر العامي و النظر العلمي، بين العقل العلمي و العقل العامي.
وهذا فرق مهم يفرق بين تصور ساذج يتخذ من الاطراد قاعدة عامة يقضي بها الأحكام، و بين تصور تام يتحقق من الاطراد، بمعنى أن الطرد عنده هو ما يوجب الحكم لوجود العلة ،وهو التلازم في الثبوت، ونوع التلازم بين الدليل و المدلول، لكنه لا يخرج عن كونه ربطا بين أمر و أمر آخر بحثا عن مناط الحكم، و قدر التشابه بين المسائل، وهل هو مؤثر أم غير مؤثر؟.
وبهذا تعرف متى لا يعمل بقاعدة ابن سيرين ومتى يعمل بها.
سبب ورود مقولة ابن سيرين:
وروى الإمام أحمد عن جابر بن نوح عن الأعمش عن إبراهيم قال: "إنما سئل عن الإسناد أيام المختار «.
وسبب هذا أنه كثر الكذب على عليّ في تلك الأيام ، كما روى شريك عن أبي إٍسحاق سمعت خزيمة بن نصر العبسي أيام المختار وهم يقولون ما يقولون من الكذب ،وكان من أصحاب علي قال : ما لهم قاتلهم الله ، أي عصابة شانوا وأي حديث أفسدوا ! " .
وروى يونس عن أبي إسحاق عن صلة بن زفر العبسي قال : قاتل الله المختار أي شيعة أفسد وأي حديث شان ".
خرجه الجوزجاني وقال : كان المختار يعطي الرجال الألف دينار والألفين على أن يروي له في تقوية أمره حديثاً ."شرح علل الترمذي"لابن رجب.
كيف نفهم قاعدة ابن سيرين:
الإنسان إن كان طالبا للعلم قد حصّل على قدر منه يسمح له بالتمييز بين الحق و الباطل، وقد عرف طريقة أهل السنة و أصولهم لا تنطبق عليه هذه القاعدة إذ هو مطالب بإتباع الدليل و البرهان،وقد علمنا أن المبتدع المبطل أنواع، فمنهم من يترك كلية، ومنهم من قد عرفت بدعته و حددت بدقة، بحيث باستثنائها يبقى كل كلامه وكتبه جيدة نافعة للمسلمين، تصب مباشرة في طريقة أهل السنة و الجماعة، فهذا يؤخذ عنه حتى المقلد إذ عرف هذا الاستثناء.
بينما من لا يقدر على تمييز الأقوال فقاعدة ابن سيرين لازمة له، فلا يأخذ الدين إلا

عن الموثوقين في دينهم و علمهم،فإنك متى لم تقدر على التحقق من مقدمات الكتاب العلمية إن كانت صحيحة أو خاطئة بمجرد النظر فيها، فقد يوجهها الكاتب إلى باطل و أنت لا تشعر،و التحقق من مقدمات الكَتَبَة صعب على كثير من الناس فمن باب طلب السلامة يجب أن لا يؤخذ الدين إلا عن الموثوقين.
فحتى أصول الفقه و اللغة يمكن أن يوجَه فيها الدارس إلا القواعد البدعية التي تنتهي به إلى اعتقاد الباطل.
وعليه فمن كان مؤهلا فلا تنطبق عليه بالقيد السابق، ومن لم يكن فيجب أن يتقيد بها كلية.
ثم إن العلم يختلف من علم لآخر فبعض العلوم مقدماتها معقدة تحمل حقا وباطلا يصعب التحقق منها، ولكن هذا يرجع لغلبة الظن، فإنك قد تأخذ عمن هو موثوق في دينه و علمه لكنه لم يحقق علم الكلام أو أصول الفقه جيدا فينقل إليك قواعد فاسدة، فالاحتراس عن هذا صعب، ولذلك قلت: الأمر راجع لغلبة الظن،و المحفوظ من حفظه الله .
لماذا يجب على طالب العلم المبتدئ الالتزام التام بقاعدة ابن سيرين:
من المعلوم ـ ضرورة ـ أن كل العلوم لا بد لطالبها ابتداء من مصادرات يأخذها مسلمة إلى أن تتبرهن عنده فيما بعد ، كلما تقدم في العلم حققه، فنفى عن نفسه بعضه و أخذ جديده ، إذ لو كان طالب العلم حين يطلبه قد نال ذلك العلم : لم يكن طالبا له، فلزم أن كل طالب علم في الدنيا يبدأ بمقدمات يسلم بصحتها، يعني يكون مقلدا صرفا.
ولكن بالنسبة لطالب العلم المبتدئ الأهم له هو هل الطريق التي سيطلب بها العلم تفضي إلى المعلوم؟ هل ثبت بطريق ما أنها تفضي إلى المطلوب، فهذا لم يصح عقلا ونقلا إلا في طريق أهل السنة و الجماعة.
فإن طالب العلم لو كان حين ينظر في مقدمات علم ما، يعلم أنه دليل مفض، لم يمكن ذلك حتى يعلم ارتباطه بالمدلول، فإن الدليل إن لم يستلزم المدلول لم يكن دليلا، والعلم بالاستلزام موقوف على العلم بالملزوم واللازم، فلا يعلم طالب العلم أن الدليل الفلاني يدل على المدلول المعين حتى يعلم ثبوت المدلول المعين ـ إما يعلم بوجوده بخبر الصادق أو يشعر بوجوده كما في دليل الفطرة ـ ويعلم أنه ملزوم له، وإذا علم ذلك : استغنى عن الاستدلال به على ثبوته ؛ وإنما يفيده التذكير به ،لا ابتداء العلم به، وإنما

يقع الاشتباه هنا ؛ لأنه كثيرا ما يعرف الإنسان ثبوت شيء ثم يطلب الطريق إلى معرفة صفاته ومشاهدة ذاته ؛ إما بالحس ؛ وإما بالقلب فيسلك طريقا يعلم أنها موصلة إلى ذلك المطلوب ؛ لأنه قد علم أن تلك الطريق مستلزم لذلك المطلوب الذي علم ثبوته قبل ذلك ، كمن طلب أن يحج إلى الكعبة التي قد علم وجودها فيسلك الطريق التي يعلم أنها تفضي إلى الكعبة ؛ لإخبار الناس له بذلك، أو يستدل بمن يعلم أنه عارف بتلك الطريق فسلوكه للطريق بنفسه بعد علمه أنها طريق - المقصود - بإخبار الواصلين أو سلوكه بدليل خريت - يهديه في كل منزلة - لا يكون إلا بعد العلم بثبوت المطلوب ـ مكة مثلا ـ، وثبوت أن هذا طريق ودليل ـ أي تقع مكة في هذا الاتجاه .
وهكذا حال الطالبين لمعرفة الله والمريدين له والسائرين إليه قد عرفوا وجوده أولا، وهم يطلبون معرفة صفاته أو مشاهدة قلوبهم له في الدنيا ، فيسلكون الطريق الموصلة إلى ذلك بالإيمان والقرآن.
فالإيمان : نظير سلوك الرجل الطريق التي وصفها له السالكون من قبله، فإنهم متفقون على ذلك، و أن هذا الطريق يقود إلى مكة ،ومن تبعه و صل إليها، والقرآن : تصديق الرسل فيما تخبر به، لأنه ثبت صدقهم بدليل النبوة من معجزات و إخبار بالغيب تحقق، و كثير من الأدلة العقلية و الوضعية، وهو نظير اتباع الدليل منزلة منزلة، ولا بد في طريق الله منهما ."عن كتاب الربوبية لابن تيمية"
فهاهنا مقدمتان تشرحان مقولة ابن سيرين:
الأولى: طريقة أهل السنة في العلم الاتباع طبقة عن طبقة وجيل عن جيل ورجل عن رجل حتى تصل النبي صلى الله عليه و سلم فهذه مقدمة الإيمان.
الثانية: أخذ العلم من القرآن و السنة فقط مقدمة الحق الذي ثبت انه حق،فهو بداية السني منتهى المتكلم و المتزهد.
وأما الشيء الذي لم يعلم العقل ثبوته أولا كعلم الكلام و الفلسفة و التجرد إذا سلك طريقا يفضي إلى العلم به - فلا يسلكها ابتداء إلا بطريق التقليد والمصادرة - كسائر مبادئ العلوم، بينما طريق أهل السنة السابق ثبت عقلا و نقلا أنه مفض إلى المطلوب فسالكه متبع وغيره مقلد.
أي إن السني كالمتكلم و المتفلسف و المتصوف وكل طالب علم في هذه الدنيا يبدأ بمقدمات مسلمة أي بالتقليد و المصادرة ومع ذلك السني يطلب العلم على شيء و

بطريق ثبت وجودها، فيكون بذلك متبعا، بخلاف غيره ، فإن الطريق التي يسلكها لم يثبت أنها مفضية إلى العلم .
و لما كان العلم الشرعي إما علم بالله أو علم بأمره،وهذا لا يتحقق إلا بخبر الرسول لا بعقل ولا بوجد، بل العقل يحتاج إلى السمع و النقل، و كذلك الوجد، علمنا أن طريق العقل و الوجد تحتاج إلى طريق السمع و النقل، وطريق السمع و النقل لا تحتاج إليهما .
فالسني لا يحتاج في مقدمات سلوكه طريق العلم إلى مقدمات عقلية أو وجدية بينما غيره يحتاجون إلى المقدمات السمعية النقلية مع مقدماتهم.
قال ابن القيم في " الصواعق المرسلة":"وأعلى أنواع العلوم وأعظمها إفادة لليقين العلوم التي ألقاها الله سبحانه إلى أنبيائه بواسطة السمع، وأن نسبة العلوم العقلية المشتركة بين الناس إليها أقل وأصغر من نسبة علوم العجائز والأطفال إلى تلك العلوم فبين العلوم الحاصلة من الأدلة السمعية للرسل وأتباعهم وبين العلوم الصحيحة الحاصلة بأفكار العقلاء من التفاوت أضعاف ما بين الخردلة إلى الجبل"
فإذا عرفت هذا عرفت أن طالب العلم المبتدئ عليه أن يتمسك بقاعدة ابن سرين ما وسعه الجهد ~ مع المبتدعين الحقيقيين و ليس مع المبدعين بغيا وزورا كما يفعل التجريحيون ~ ،ولكن الناس تختلف أحوالهم من بلد لآخر، وقد ييسر الله لهذا من الأسباب الباطنة و الظاهرة المعينة على طلب العلم ما لا ييسره لذاك،و الأمر عند الله، فيجب الثقة فيه، و الاعتماد عليه، و طلبه منه .
هذا للمبتدئ،أما غيره من طلبة العلم فيلزمهم أن يجتهدوا في طلب العلم من طرقه.
ويذم طالب العلم الذي ملك أسبابه، و اشتاقت نفسه إلى معرفة الأدلة، والخروج عن التقليد إذا سلك طريقة التقليد ،ولكن عليه أولا أن يفتح أبواب الأدلة التي ذكرها الله في القرآن ـ كما بيناه سابقا ـ التي تبين أن ما جاء به الرسول حق، ويخرج الذكي بمعرفتها ـ قبل أن يخرج عن التقليد ـ عن الضلال والبدعة والجهل، فهذا هو الأهم الابتعاد عن الضلال و الجهل، ثم بعد ذلك الابتعاد عن التقليد.
أما ما يقع بين الشباب على الشبكة من مناقشات، لو اشترطنا لها هذا الشرط لما بقي أحد على الشبكة ، فيجب التفريق بين المقالات التي هي من قبيل تبادل المعلومات و الفوائد العلمية ،و بين المقالات التي يكتبها أهل العلم أو طلبة العلم والتي فيها إحقاق

الحق و إبطال الباطل ،على حسب غلبة ظنهم.
وعلى هذا الأساس يجب تشجيع الشباب على البحث و الكتابة و إفادة الإخوان فلم يحصر الله الحق و الاستفادة في طائفة معينة، وكما يقال: يوجد في النهر ما لا يوجد في البحر،و المسائل التي تحتاج إلا التثبت بالنسبة للمقلد و طالب العلم المبتدئ هي العقيدة و الفتوى ،فعلى المستفتي أن لا يأخذ دينه إلا ممن يوثق بعلمه وأمانته واتباعه للحق، وكذلك بعض القضايا المنهجية ، فليس كل ما نقراه نأخذ به.
ثم يقال للمعترض على هذا: لا يستلزم من قراءة مقال غيرك تصديقه فيما نقل فما أعجبك منه خذه، و إن كان في مواضع متنازع حولها، وفيها خلاف، فتحرى منه من أهل العلم الموثوقين عندك، و الناس بغض النظر عن الشبكة يتكلمون في كل شيء ،وفي كل مكان، ولو عملنا بمقولة محمد بن سرين لما تكلم اثنان في العلم إلا بحضور عالم موثوق، وهذا متعذر في كل زمان،وفيه حرج شديد ليس من الدين،فيجب التفريق بين ما لا يتم الدين إلا به وما ليس كذلك،وما كان من الدين وجب بيانه، فإن لم يجب بيانه لم يكن من الدين، ،فما لم يكن من أحكام الدين، ولا من دلائله فليس من الدين، و إن تعلق به باعتبار، فلا يحتاط له كما يحتاط للعقيدة و الفتوى، وهذا بحمد الله واضح.
و لكن القيد الوحيد الرجوع إلى أهل العلم الموثوقين في حال الاختلاف و النزاع بالنسبة للمقلد و طالب العلم المبتدئ، وما عدا ذلك فاجتهدوا، و قولوا فيما بينكم، و تناظروا بعلم وحلم و حب ومودة، ثم انتشروا و انشروا، فما حمل العلم و الخير و الحق إلى الناس حيث يكونون أهل العلم، بل أمثالكم .
و المنتديات على الشبكة مثل حلقة المذاكرة، ومعلوم انه يتساهل في المذاكرة لتثبيت الحفظ ما لا يتساهل حال التحديث.
كيف تعرف الكاتب:
يمكن لطالب العلم إذا كان له نوع خبرة أن يعرف كفاءة الكاتب، و منهجه، و تدينه من خلال مقاله، وكما قال ابن القيم :
"وكل من له خبرة بنوع من أنواع العلوم إذا رأى حاذقا قد صنف فيه كتابا جليلا عرف أنه من أهل ذلك العلم بنظره في كتابه".
وهكذا كل من له عقل وفطرة سليمة وخبرة بأقوال أهل السنة وطريقتهم إذا نظر فيما كتب الكاتب قطع قطعا نظير القطع بالمحسوسات أن الذي كتب هذا المقال من أهل

السنة علما وحالا.
ملاحظة:
من المعلوم أن الاحتجاج بالشيوخ يصلح عندما يكونون مشتركين عند المتنازعين،أما إذا كان هذا يرجع إلى الشيخ الفلاني،و يرجع الآخر إلى شيخ آخر فقد لا يتفقان،ولتعرف ما هو العلم الحقيقي تصور نفسك جالسا مع رافضي و معتزلي و خارجي فهل تحتج عندهم بشيوخك؟ وهل يقبلون قولك؟
فإن كان الجواب بالنفي فاعلم أن الأجوبة التي تصلح لإقناع هؤلاء و مناظرتهم هي العلم الأصلي الذي يجب أن يحيط به السني الداعية و إلا لم يستطيع تبليغ السنة، ولا إقامة الحجة على المعرضين عنها.
الخلاصة : لم يطبق أئمة السنة قاعدة ابن سيرين إلا على العوام أما في العلم و الرواية فأخذوا بما يشبه مذهب قتادة.
و الحمد لله رب العالمين و الصلاة و السلام على أشرف المرسلين.
أرزيو/ الجزائر في 2009/05/30
مختار الأخضر طيباوي

فحص الشبهات المتسلفة

شرح مقولة" البدعة أحب لإبليس من المعصية"
الحمد لله وحده، و الصلاة و السلام على من لا نبيَّ بعده.
يستشهد غلاة التجريح كثيراً بالقول المشهور عن السلف : " البدعة أحب لإبليس من المعصية" وعلى أساس فهم سيء له يوازنون ~ و الموازنة عندهم بدعة ~ بين المبتدع و العاصي فيجعلون الأول أخطر من الثاني من كل وجه بدون تفصيل المجمل إذ البدعة أنواع مختلفة الحكم، فيفضلون الفسقة و الفجار على من يصفونه بالمبتدع ولو كان في غاية الصلاح و الموافقة للحقيقة الشرعية؟
و ما وصلوا إلى هذه النتيجة إلا أنهم أخذوا بمفهوم المقولة " لقب" و الذي مفاده "أن المعصية أحب إلى الله من البدعة" و بالتالي يكون العاصي أقرب إلينا من المبتدع، وهذا فهم فاسد، فالله تعالى لا يحب المعصية ولا البدعة، وقد يكون المبتدع مجتهداً غير مخالف لاعتقاد التحريم بل يعتقد الطاعة و الاستسلام لله تعالى بينما العاصي مواجه بالفسق لأنه مخالف لاعتقاد التحريم، يعني يعلم أن الله حرم الفعل ومع ذلك

يفعله

فلم يفهم هؤلاء مقصد السلف من العبارة و أنها تدور على موضوع التوبة فقط، و إلا فإن بينهما عموما وخصوصا، فالمعصية أخطر من البدعة لكونها فسقا مخالفا لاعتقاد التحريم أي متعمد المخالفة و المعصية جنس بعض أنواعها كفر صريح فكيف نجعل من يتعمد مخالفة أمر الله مثل الذي يطلب رضاه و طاعته ، فالمبتدع متؤول،وقد يكون مجتهداً وقد يعذر بينما العاصي مجاهر مواجه متعمد ؟ فإن كانت البدعة أحب إلى الشيطان من جهة عدم شعور المبتدع بالحاجة إلى التوبة لكنها مشروطة بعدم الاجتهاد السائغ و انتفاء العذر ، ومن هنا تكون المعصية أحب إلى الشيطان من البدعة لأن التأهيل بها إلى سخط الله مباشر و غير مشروط بالعذر، و ما يبحث الشيطان إلا عن سخط الله.

لنتابع التفصيل:

منهج الشّيخ ربيع: يقول الشّيخ ربيع في كتابه (المحجّة البيضاء)(ص:73) :

((أنّ أهل البدع أشدّ ضررا على المسلمين في دينهم من أعداء الله الكفّار الصرحاء،ومن الملاحدة،و أشدّ ضررا من إبليس،و أنّهم من شياطين الإنس،كما يقول الشّاطبيّ ـ رحمه الله ـ)

التّحليل:

ـ المحجّة البيضاء كتاب الله و سنّة نبيه صلّى الله عليه و سلّم لا غير،فهذا من مبالغة الشّيخ ربيع أن يوصف كتابه بمثل هذا الوصف،وهذا يشبه مسألة الاقتباس (بمعنى تضمين المتكلّم كلامه ـ شعرا كان أو نثرا ـ شيئا من القرآن الكريم ، أو الحديث النبوي الشريف ، على وجه لا يكون فيه إشعار بأنه من القرآن أو الحديث) التي اختلف فيها الفقهاء،فأجازها بعضهم إذا كان حقّا، و معلوم أنّ الشّيخ ربيعا ليس معصوما، و في كتابه هذا أخطاء، بينما النّبيّ صلّى الله عليه و سلّم معصوم ،و المحجّة البيضاء الّتي تركنا عليها لا خطأ فيها.

أوّلا: ذكر هذه المسألة على هذا الوجه القبيح بحيث يَخلِط بين الحقّ و الباطل وبين أنواع البدع،بالخلط بين مقاصد الأئمة من كلامهم و مقصده هو،فيه تنفير للمنازع، و تقويّة لخصومته و عداوته، و تضييع لبعض الحقّ بإنكاره أو إهماله، وهذا ليس من العلم و العدل .

ثانيا: من المعلوم أنّ البدع أنواع، فمنها ما هو خطر على المسلمين كخطر الكفر، و هي البدع الغليظة المُكَفِّرَة، ولكن الخطر لا يأتي من الكفر فقط بل يأتي كذلك من شدة العداوة.

ومنها بدع أخف مع انتفاء العذر يلحق بها حكم الفسق و ليس الكفر، و لاشكّ أنّ الكفّار أخطر على المسلمين من أصحاب هذه البدع.

ثالثا: المبتدع قد يكون من وجه أخطر على المسلمين من الكفّار الصرحاء، من جهة سهولة التّسلّل إليهم، و عدم اليقظة منهم، وقد لا تكون بينهما مقارنة كما لا مقارنة بين الإسلام و الكفر.

وهنا أخطأ الشّيخ ربيع على العلاَّمَة الشَّوكانيّ، الّذي نقل عنه هذا الكلام في هذا الفصل ، فإنّ الشّوكاني يقول : ((وقد تكون مفسدة اتّباع أهويّة المبتدعة أشدّ على هذه الملّة من مفسدة اتّباع أهويّة أهل المِلل.))

فهو هنا بقوله" وقد تكون" يفيد الاحتمال القليل، لا الجَزْم و التّعميم.

فـ (قد) تكون مع الماضي حرف تحقيق،ومع المضارع حرف تقليل،وقد تدلّ مع المضارع على التّحقيق إذا دلّ على ذلك السِّياق و القرائن، وربّما هذا في القرآن، كقوله تعالى :{ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا} (النور).

رابعا: ما هي البدعة الّتي يقصدها الشّوكانيّ ،هل هي المسائل الخلافيّة في مصطلح الحديث، و أصول الفقه، كجرح الثّقة و ليس خبر الثّقة ،ونصحح ولا نجرح، أو بعض البدع العمليّة، أم يقصد البدع المُكَفِّرة؟!

لا شكّ أنّه يقصد البدع المُكفِّرة، لأنّ بقية كلام الشّوكانيّ يدلّ على ذلك، قال: ((فلا يزالون ينقلون من يميل إلى أهويّتهم من بدعة إلى بدعة ، و يدفعونه من شنعة إلى شنعة حتّى يسلخوه من الدّين، ويخرجوه منه، وهو يظنُّ أنّه في الصّميم ، و أنّ الصّراط الّذي عليه هو الصّراط المستقيم)).

فيلزم أنّ الشّوكانيّ في واد، و الشّيخ ربيع في واد آخر.

و النتيجة أنّ الأئمّة يقصدون البدع المُكفِّرة، بدع أولئك الّذين ـ حقيقتهم ـ يُكذِّبون بالرّسول،و يُحرِّفون الكتاب، و الشّيخ ربيع يحمل كلامهم على البدع المتوسِّطة و الخفيفة، بل على مسائل ليست من البدع في شيء، ككلِّ المسائل الّتي أشرت إليها سابقا.

وخلاصة هذا الباب أن نقول:
نعم، المبتدعة أخطر على المسلمين من الكفّار الصرحاء ، من جهة أنّ الحذر منهم، و التَّيَقُّظ من شبهاتهم يكون ضعيفا عند أكثر النّاس، و بالتّالي تأثيرهم على المسلمين أبلغ من تأثير الكفّار الصرحاء عليهم لكن هذا الأمر فيه نسبية شديدة و لسنا في الزمن الأول حيث كانت البدع جديدة ذات اشتباه بل اليوم كل واحد في منطقته يعرف مذهبه ومذهب المخالفين له،و في هذا العصر أصبح الكفر يهدد جميع المسلمين على اختلاف أهويتهم .
كذلك لا يجب أن نفهم من هذا أنّ الكفّار الصرحاء خير منهم، بل اليهود و النّصارى خير من كفرة الفلاسفة، فما بالك بالمنسوبين للإسلام؟!
و الأهمّ من ذلك أنّ المقصودين من المبتدعة بهذا الكلام أصحاب البدع الغليظة، و ليس المسائل العلميّة الخلافيّة، فإنزال هذا الكلام على علماء السّنّة هو أخطر من هذا كلّه.
خامسا : قوله : ((و أشدّ ضررا من إبليس)) فهذه طامَّة، و كلمة باطلة مخالفة للقرآن و السّنّة و العقل و الضّرورة، فلا يوجد في الكون من هو أخطر على المسلمين، بل وعلى البشريّة جمعاء من إبليس،كما لا يوجد مِن المسلمين مَن لا يعلم ذلك.
فإن كان خطر المبتدعة ناجما عن عدم التَّيقُّظ منهم لكونهم من المسلمين فإنّ إبليس أشدّ تلبيسا و خفاءً وتسلُّلا إلى العقول و القلوب و النّفوس والنّيّات ،فهل يصحّ في عقل ما أن نقول: الجوينيّ أو الرّازيّ أو القاضي عبد الجبار أضرّ على المسلمين من إبليس ، فضلا عن أن نقول: الماربيّ و عرعور و ..... الخ أضرّ على الأمّة من إبليس؟!
ولم نجد في القرآن و الكتب المُنَزَّلَة التّحذير من المبتدعة في كل ملّة قد بلغ عشر التّحذير من إبليس، فكيف نجعل مَن خطره على جميع البشر ،و على العلماء و الصّالحين فضلا عن عوامِّ النّاس كخطر أصحاب البدع، خاصّة المسلمين منهم؟!
وكيف نجعل أولياء الشّيطان كالمنافقين و الكفّار أخطر من الشّيطان نفسه، وهو الّذي أضلَّهم فصاروا أولياءه؟!!!!!
وكيف نجعل عدوَّ الله، وعدوَّ البشر، و أصل بلائهم، و سبب إخراج أبيهم من الجنَّة، وحامل لواء أهل النَّار، ورئيسهم، و خطيبهم،ومصدر الشِّرك و الكفر و النِّفاق ومعصية الله أقلّ ضررا على المسلمين من الشّيوخ الذين يبدعهم التجريحيون؟

وعندما يقول الشيخ ربيع : فلان هو أحطُّ أهل البدع،هل يقصد الشّيخ ربيع أنّ في إبليس بعض الخير، بسببه رجح على الشيوخ الذين بدَّعهم ؟!!!
هل صار الآن ~ مثلا ~ التَّعوُّذ من القرضاوي بدل التَّعوُّذ من الشّيطان؟!
جاء في الصّحيحين عن أبي ذرٍّ أنّ النّبي صلّى الله عليه و سلّم قال: ((لَيْسَ مِنْ رَجُلٍ ادَّعَى إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ - وَهُوَ يَعْلَمُهُ - إِلَّا كَفَرَ وَمَنْ ادَّعَى مَا لَيْسَ لَهُ فَلَيْسَ مِنَّا وَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنْ النَّارِ وَمَنْ رَمَى رَجُلًا بِالْكُفْرِ أَوْ قَالَ يَا عَدُوَّ اللَّهِ وَلَيْسَ كَذَلِكَ إِلَّا رَجَعَ عَلَيْهِ))
هذا منهج الشّيخ ربيع، ولكم الحكم،و أظنُّ أنّه يجب علينا أن نمضي ولا نلتفت.
فهذا كلام من الشّيخ أحسن الله إليه باطل رأسا، ويدلّ على خلط فاحش بين قول بعض السّلف: البدعة أحبُّ إلى إبليس من المعصية، وبين هذا الكلام.
ومع ذلك، فإنّ هذا القول يحتاج إلى شرح و ضبط حتّى لا يقع لنا ما وقع للشّيخ ربيع نسأل الله تعالى أن يجمع له الخير.
جاء في (شرح السُّنّة للبَغَويّ)(0216/1): ((قال سفيان الثَّوْرِيُّ : الْبِدْعَةُ أَحَبُّ إِلَى إِبْلِيسَ مِنْ الْمَعْصِيَةِ ؛الْمَعْصِيَةُ يُتَابُ مِنْهَا وَالْبِدْعَةُ لَا يُتَابُ مِنْهَا))
هنا يلزمنا الجواب عن سؤالين :
الأوّل: ما هي البدعة التي قصدها سفيان الثّوريّ، و الأئمّة الّذين استشهدوا بكلامه، هل هي البدعة في عُرف الشّيخ ربيع، وهي مسائل يَنقمها على بعض الشيوخ المنسوبين للسنة، ،أم البدعة في عُرف السّلف الصّالح؟!
الجواب نأخذه أوّلا ممَّن استشهد بهذا الكلام وهو البَغَوِيُّ، فإنّه قال بعد هذه الكلمة مباشرة، ودون فاصل: ((واتَّفق علماء السّلف من أهل السّنّة على النّهي عن الجدال والخصومات في الصّفات ، وعلى الزَّجر عن الخوض في علم الكلام وتعلُّمه.))
إذاً، البدعة المقصودة عند أئمّة السّنّة في مثل هذا النّقل: هي البدعة في أصول الدّين.
و هذا الجواب عن هذا السؤال الأوّل يَمُدُّنا بالجواب عن السؤال الثّاني.
قال ابن القَيِّم ـ مؤكدا قول البغويّ ـ : ((وقال إبليس ـ لعنه الله ـ أهلكت بني آدم بالذّنوب، وأهلكوني بلا إله إلاّ الله، والاستغفار، فلمّا رأيت ذلك بثثت فيهم الأهواء، فهم يذنبون ولا يتوبون، لأنّهم يحسبون أنّهم يحسنون صنعا .
ومعلوم أنّ المذنب إنّما ضرره على نفسه، وأمّا المبتدع فضرره على النّوع. وفتنة المبتدع في أصل الدّين، وفتنة المذنب في الشّهوة [لكن من المذنبين خاصة إذا كانوا

حكاما و مسئولين و متبوعين ضررهم على الجنس و النوع و الشخص و الفصل و الخاصة و العرض.]
والمبتدع قد قعَد للنّاس على صراط الله المستقيم يَصُدُّهم عنه، والمذنب ليس كذلك [بشرط أن يكون غير متبوع وجرمه غير معلن، فإن المجاهر يضر النوع]
والمبتدع قادح في أوصاف الرّب وكماله، والمذنب ليس كذلك، [هذا يعني أن ابن القيم حصر المبتدع في مسائل الأسماء و الصفات]والمبتدع مناقض لما جاء به الرّسول، والعاصي ليس كذلك.[إن كان العاصي صاحب عقيدة سليمة و بعض التدين]والمبتدع يَقطَع على النّاس طريق الآخرة، والعاصي بطيء السّير بسبب ذنوبه[إن كانت بدعته كفراً]]). (الجواب الكافي)(1/100)
السؤال الثّاني: ما هو تعليل سفيان الثّوريّ و أئمّة السُّنّة، هل السّبب استحالة التّوبة من هذا النّوع من البدع، كما قال سفيان الثّوريّ: "المعصية يتاب منها و البدعة لا يتاب منها"، أم تعليل الشّيخ ربيع، وهو أنّ كل بدعة(على سبيل العموم الاستغراقيّ) فهي أحبّ إلى إبليس من المعصية ،ولو كانت بدعة ذات اشتباه أو بدعة عمليّة يكون صاحبها معذورا، أو مغفورا له لاجتهاد سائغ؟!
وهل جميع المعاصي هي دون جميع البدع، أم هناك معاصي أعظم من بعض البدع، كقتل المؤمنين و العلماء، و غيرها ؟
وهل يوجد ذنوب لا يتاب منها بسبب عدم الشُّعور بها، أو لصعوبة ذلك كالإدمان و عشق الصور الجميلة المحرمة؟
وكم من مسلم عاش على ذنب و مات عليه؟
وهل فعلا لا يوجد مبتدع قد تاب، أم يوجد من المبتدعة من تاب و صار سُنِّيًّا؟
وعليه، فإن كانت العلّة عدم الشّعور بالحاجة إلى التّوبة، أو عدم التّوبة، فقد بيّنت لك الحالات المضادّة، فلزم أن يدور هذا الحكم أو القول مع علّته عدما ووجودا، وهذا لازم إلاّ أن يذكروا تعليلا آخر.فقد مات كثير من الناس على ذنوبهم وتاب كثير من المبتدعة، إذ متعلق المعصية الشهوة و النفس و متعلق البدعة العلم،و أحيانا و ليس دائماً تغيير الموقف العلمي أسهل من التخلص من عادة النفس، فكم كافراً صاحب مقالة و عقيدة ، وكم شيعيا أو متفلسفا أو طرقيا تاب فإن أكثر من تراهم من السنة اليوم أو بعد عصور استفحال المذاهب الفاسدة كانوا على مذاهب بدعية ومنهم أعلام؟

قال ابن تيميّة : ((ولهذا قال أئمّة المسلمين كسفيان الثّوريّ أنّ البدعة أحبّ إلى إبليس من المعصية، لأنّ البدعة لا يتاب منها، والمعصية يتاب منها، ومعنى قولهم: "أنّ البدعة لا يتاب منها " أنّ المبتدع الّذي يتّخذ دينا لم يشرعه الله ورسوله قد زين له سوء عمله فرآه حسنا، فهو لا يتوب ما دام يراه حسنا، لأنّ أوّل التّوبة العلم بأنّ فعله سيء ليتوب منه، أو أنّه ترك حسنا مأمورا به أمر إيجاب أو أمر استحباب ليتوب ويفعله، فما دام يرى فعله حسنا وهو سيء في نفس الأمر، فإنّه لا يتوب.

ولكن التّوبة ممكنة ،وواقعه بأن يهديه الله ويرشده حتّى يتبيّن له الحقّ، كما هدى سبحانه وتعالى من هدى من الكفّار، والمنافقين، وطوائف أهل البدع والضلال، وهذا يكون بأن يتّبع من الحقّ ما علمه ،فمن عمل بما علم أورثه الله علم ما لم يعلم، كما قال تعالى:{ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ } ،وقال :{ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا وَإِذًا لَآتَيْنَاهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا} ،وقال تعالى :{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ } ،وقال تعالى :{ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ } ،وقال تعالى :{ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ }.

وشواهد هذا كثيرة في الكتاب والسّنّة، وكذلك من أعرض عن اتّباع الحقّ الّذي يعلمه تبعا لهواه ،فإن ذلك يورثه الجهل والضّلال، حتّى يعمى قلبه عن الحقّ الواضح ،كما قال تعالى:{ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ} ،وقال تعالى : {فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا }

وَقَالَ تَعالَى : { وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ } ،وقال: { وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ}

وهذا استفهام نفي وإنكار أي: وما يدريكم أنها إذا جاءت لا يؤمنون، وإنّا نقلّب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أوّل مرّة، على قراءة من قرأ إنّها بالكسر تكون جزما بأنّها إذا جاءت لا يؤمنون ونقلّب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أوّل مرّة.

ولهذا قال من قال من السّلف كسعيد بن جبير: "إنّ من ثواب الحسنة الحسنة بعدها وإنّ من عقوبة السّيّئة السّيّئة بعدها".

وقد ثبت في الصّحيحين عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ عن النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم أنّه قال : ((عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ وَلَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدِّيقًا . وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ ؛ فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ وَلَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا)).

فأخبر النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم أنّ الصّدق يستلزم البرّ، وأنّ الكذب يستلزم الفجور، وقد قال تعالى: { إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ } { وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ }.)) (مجموع الفتاوى)(10/10)

و النّتيجة أنّه من جهة العموم فالمبتدعة شرّ من أهل المعاصي، لا من جهة عدم التّوبة حصرا،بل لأسباب شرعيّة أخرى،ككون بعض البدع أخطر على دين المسلمين من المعاصي،وككون البدع ـ في كثير من الأحيان و ليس دائما ـ شرّها عامّ، و المعصية شرّها خاصّ.

قال شيخ الإسلام ابن تيميّة : ((إنّ أهل البدع شرّ من أهل المعاصي الشهوانيّة بالسُّنّة والإجماع)) .

ولهذا أمر النّبيّ صلّى الله عليه و سلّم بقتال الخوارج المبتدعين مع كثرة صلاتهم وصيامهم وقراءتهم، ونهى عن قتال أئمّة الظُّلْم، وأمر بالصَّبر عليهم.

فالسّلف ذمّوا أهل الكلام الّذين هم أهل الشُّبهات والأهواء، لم يذمّوا أهل الكلام الّذين هم أهل كلام صادق يتضمَّن الدَّليل على معرفة الله تعالى، وبيان ما يستحقُّه، وما يمتنع عليه، ولكن قد يورِث شبهة وهوى.

روى البخاريّ في صحيحه عن عمر بن الخطّاب أنّ رجلا كان يُدعى حمارا وكان يشرب الخمر، وكان يضحك النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم، وكان كلّما أتي به النّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم جلده الحدَّ، فلعنه رجل مرَّة ، وقال :

" لَعَنَهُ اللَّهُ مَا أَكْثَرَ مَا يُؤْتَى بِهِ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "، فقال النّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم: ((لَا تَلْعَنْهُ فَإِنَّهُ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ)).

فهذا رجل كثير الشرب للخمر، ومع هذا فلمّا كان صحيح الاعتقاد يحبُّ الله ورسوله شهد له النّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم بذلك، ونهى عن لعنه .

وأمّا المبتدع ،فمثل ما أخرجا في الصّحيحين عن عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، وعن أَبِي سَعِيدٍ

الخدري وغيرهما - دخل حديث بعضهم في بعض –((أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُقَسِّمُ فَجَاءَهُ رَجُلٌ نَاتِئَ الْجَبِينِ كَثُّ اللِّحْيَةِ مَحْلُوقَ الرَّأْسِ بَيْنَ عَيْنَيْهِ أَثَرُ السُّجُودِ وَقَالَ مَا قَالَ، فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم: ((يَخْرُجُ مِنْ ضِئْضِئِ هَذَا قَوْمٌ يَحْقِرُ أَحَدَكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِمْ وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ وَقِرَاءَتَهُ مَعَ قِرَاءَتِهِمْ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ يَمْرُقُونَ مِنْ الْإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنْ الرَّمِيَّةِ ؛ لَئِنْ أَدْرَكْتهمْ لَأَقْتُلَنهُمْ قَتْلَ عَادٍ }.
وفي رواية ؛ ((لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَهُمْ مَاذَا لَهُمْ عَلَى لِسَانِ مُحَمَّدٍ لَنَكَلُوا عَنْ الْعَمَلِ)).
وفي رواية : ((شَرُّ قَتْلَى تَحْتَ أَدِيمِ السَّمَاءِ خَيْرُ قَتْلَى مَنْ قَتَلُوهُ)) .
فهؤلاء مع كثرة صلاتهم وصيامهم وقراءتهم، وما هم عليه من العبادة والزَّهادة أمر النّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم بقتلهم، وقتلهم عليّ بن أبي طالب ،ومن معه من أصحاب النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم.)).(مجموع الفتاوى)(11/473).
قلت: فيجب التّفريق إذن بين البدع الّتي هذا حالها، و هي البدع الغليظة أو المُكفِّرة، و بين البدع المتوسّطة و الخفيفة، والأخطاء السّائغة،فليس من يصلّي ركعتين غير مشروعتين، أو يذكر الله بسبحة عند من يُبدِّع بذلك،أو يدعو الله مجتهدا في جوف اللّيل فيبتدع في الصّيغة أو الكيفيّة، كمن ينشر اللِّوَاط و الزِّنا، و يقطع الطّريق على المسلمين قتلا و نهبا !
الخلاصة:
نستخلص من هذا التّحليل أنّ البدعة أخطر من المعصية من جهة أنّ التّوبة منها أصعب من التّوبة من المعصية، بسبب أنّ المبتدع يعتقد نفسه على الحقّ فلا يطلب توبة، إن لم يهده الله، و العاصي يعرف ذنبه، فيرجوا التّوبة إن هداه الله تعالى.
2 - السّلف الصّالح يُفرِّقون بين البدع الغليظة المُكفِّرة، وبين البدع الخفيفة وذات الاشتباه في كل شيء، في الرّواية، و في الحكم،وفي العقوبة،وفي الاعتبار في الخلاف و الإجماع ،إلاّ الشّيخ ربيعا فيجمع الكلّ في سلّة واحدة، و الأدهى أنّه يُدخِل في البدع ما ليس منها.
فمن يباشر العلم من الكتاب و السّنّة و أقوال السّلف فيقع في بدعة" إن وقع"، ليس كالمُعرض عن علم الكتاب و السّنّة و أقوال السّلف، ولا يُسَوِّي بينهما إلاّ ظالم.
3- المبتدع قد يكون مخلصا، قاصدا وجه الله، مجتهدا، غير مقصِّر في أسباب

الاجتهاد كأصحاب البدع المخفَّفة، بدع الاشتباه، بينما العاصي مجاهرا بمعصية الله، وليسوا سواء، وكيف يستوِي من لا يخالف اعتقاد التّحريم مع من يعلم الحرمة و يخالفها؟!

4ـ المنحرف في الدّين إمّا المبتدع في دينه، وإمّا الفاجر في دنياه، كما قال الحسن البصريّ، وسفيان الثّوريّ، وجماعات من السّلف: ((إنّ من سلم من فتنة البدعة وفتنة الدّنيا فقد سلم.)).

وإن كانت البدعة أحبّ إلى إبليس من المعصية، ففتنة البدعة في أهل العلم والدّين،وفتنة الدّنيا في ذوي السّلطان والمال؛ ولهذا قال بعض النّاس: صنفان إذا صلحوا صلح النّاس: العلماء والأمراء.

البدعة تكون في أهل العلم و العبادة، و المعصية تكون في أهل السّلطان، ومن هذه الجهة هما في نفس المرتبة، لانّ فجور السّلطان قد يكون سببا لشيوع البدع.

وفي الأثر: ((صِنْفَانِ إذَا صَلَحُوا صَلَحَ النَّاسُ: الْعُلَمَاءُ وَالْأُمَرَاءُ)).

و بسبب هذا الفهم القاصر لهذه المقولة نجد أن الفجور في ازدياد لأنه لا يجد مواجهة علمية و اجتماعية، وكذلك البدع الجديدة لأن من يريد إفساد الدين يعمل على نشر الفجور و البدع المعاصرة أكثر من عنايته بالبدع القديمة،وهذا عصر المادة و المتعة و الكفر الفلسفي دواؤه في الموعظة و التذكرة و العلم المطابق و ليس في منهج التجريحيين وفهمهم فإنه يزيد الطين بلة، و يخلي الساحة من دعاة الإيمان لصالح دعاة الفجور،وفي الحرب لا تقام الحدود " إن قدرنا وقوع ما يوجبها" ....

مثال على عدم فهم الشيخ ربيع لكلام الأئمة

الحمد لله وحده، و الصلاة و السلام على من لا نبيَّ بعده.

في رسالة قديمة بعنوان" إنهاء المداولة على الجرح للعداوة" كنتُ قد بينتُ أن الشرط قد يكون ضروريا لكنه غير كافٍ فكون المجرِّح عالما سنيا متقيا شرط في التجريح لكنه غير كاف حتى يكون مشاركاً للمجروح في علمه وفنه و اختصاصه، فكيف لمن كانت معلوماته في فن كالعقيدة و ما يتبعها من علم كلام و فلسفة ومنطق متواضعة أن يجرح في هذا المجال؟ !

وكل مسائل عدم الفهم التي تحصل لطلبة العلم فهي بسبب عدم امتلاكهم منهجا علميا يتضمن كيفية جمع المعلومات و تصنيفها و استقرائها و تحليلها بالسبر و التقسيم،

ولهذا نجد هذا الإشكال عند الشيخ ربيع و مجموع طلبة العلم الذين يتبعونه جليا ومتكرراً.
يحتج الشيخ ربيع و أتباعه بقول ابن بطة : ((قال الإمام ابن بطة -رحمه الله- :
"ولا تشاور أحداً من أهل البدع في دينك، ولا ترافقه في سفرك، وإن أمكنك أن لا تقاربه في جوارك، ومن السنة مجانبة كل من اعتقد شيئاً مما ذكرناه وهجرانه والمقت له، وهجران من والاه ونصره وذبّ عنه وصاحبه، وإن كان الفاعل لذلك يظهر السنة))
قلت: 1 ـ المشكل عند الشيخ ربيع مركب من مجموعة أخطاء:
أ ـ الأصل العام و القاعدة الكلية لا يخالفه فيها غيره من أهل السنة،وليس لهم أية مشكل مع أمثال هذه النقول.
ب ـ الشيخ ربيع ينقل كلاما مطلقا، ولا ينقل ما يقيده و يخصصه، إما من مقالات أهل السنة آخرين، أو من أمثلة تطبيقية توضحه، حتى لا يتوهم أتباعه الإطلاق.
ج ـ النقل عن أحد أهل السنة ليس مصدرا من مصادر الشريعة التي نبني عليها الأصول فقد يخطئ أحدهم، و الخطأ جائز عليهم إلا في حالة الإجماع.
ح ـ عندما تتعدد أقوال أهل السنة يكون الترجيح بينها بردها إلى الكتاب و السنة ونأخذ منها المواقف للشريعة.
خ ـ الشيخ ربيع لا ينقل ضوابط الهجر و التحذير أو ضوابط الإنكار، وهذا في حد ذاته يوقع أتباعه في لبس من أمرهم عندما يجدون أمثلة تطبيقية عن بعض السلف تخالف هذه الاطلاقات.
2 ـ إذا ثبت عمن هو أجلّ من ابن بطة ما يخالف بعض قوله فماذا نصنع؟!
فهل الجلوس لسنوات أو شهور أو أسابيع في حلق بعض أهل البدع للرواية عنهم كما فعل من فعل من أهل السنة، من كبار أئمتهم هو الواجب أن نقيّد به كلمة ابن بطة، أم نرجحها و نضرب عرض الحائط بسائر أهل السنة؟!
فهذا أوّل قيد، وهو الرواية عن المبتدع غير موجود في كلام ابن بطة،فيجب رده لهذا الأصل المتفق عليه بين أهل السنة و الجماعة.
و أظن أني لا أحتاج لنقل كلامهم في هذا الموضوع، قال العلامة المعلمي اليمني ـ رحمه الله ـ في(التنكيل){ص:43}: ((والمشهور الذي نقل ابن حبان و الحاكم إجماع

أئمة السنة عليه أن المبتدع الداعية لا تقبل روايته و أما غير الداعية فكالسني)).
وقد ناقض بعض الأئمة دعوى الإجماع هنا ،فقال ابن حجر في(نزهة النظر){ص:50}: ((و أغرب ابن حبان فادعى الاتفاق على قبول غير الداعية من غير تفصيل)).
يريد أن بعضهم اشترط أن لا تكون موافقة لبدعته، وهذا الشرط قد ناقضه غيره منهم المعلمي، فقال: ((و المقصود هنا أن من لا يؤمن منه تعمد التحريف و الزيادة و النقص على أي وجه كان فلم تثبت عدالته، فإن كان كل من اعتقد أمرا و رأى انه الحق، و إن القربة إلى الله تعالى في تثبيته لا يؤمن منه ذلك فليس في الدنيا ثقة، وهذا باطل قطعا، فالحكم به على المبتدع إن قامت الحجة على خلافه بثبوت عدالته و صدقه و أمانته فباطل، و إلا وجب إن لا يحتج بخبره البتة، سواء أوافق بدعته أم خالفها....))
وقال العراقي في(التقييد و الإيضاح){ص:105}: ((اعترض عليه بأن الشيخين أيضا احتجا بالدعاة فاحتج البخاري بعمران بن حطان وهو من الدعاة و احتجا بعبد الحميد بن عبد الرحمن الحماني وكان داعية إلى الإرجاء)).
قال ابن تيمية في(المسودة){ص:264}: ((كلام أحمد يفرق بين أنواع البدع و يفرق بين الحاجة إلى الرواية عنهم وعدمها، كما يفرق بين الداعي و الساكت مع أن نهيه لا يقتضي كون روايتهم ليست بحجة، لما ذكرته من أن العلة الهجران)).
وهنا يجب أن أبيّن أن مذهب المحققين من العلماء كعبد الرحمان بن مهدي،و البخاري، و ابن تيمية،والذهبي،وابن دقيق العيد، وابن حجر، و الصنعاني،و الألباني وغيرهم كثير عدم الجرح بالبدعة.
قال ابن دقيق العيد في (الاقتراح)(1/32): ((المخالفة في العقائد ، فإنَّها أوجبت تكفير الناس بعضها لبعض، أو تبديعهم، وأوجبت عصبية (اعتقدوها) ديناً يتديَّنون به ويتقربون إلى الله تعالى ، ونشأ من ذلك الطعن بالتكفير أو التبديع .
وهذا موجود كثيراً في الطبقة المتوسطة من المتقدمين .
والذي تقرر عندنا: أنه لا تُعتبر المذاهب في الرواية.
إذ لا نُكفِّرُ أحداً من أهل القبلة، إلاَّ بإنكار متواتر من الشريعة، فإذا اعتقدنا ذلك وانضم إليه التقوى والورع والضبط والخوف من الله تعالى، فقد حصل معتمد الرواية.

وهذا مذهب الشافعي - رضي الله عنه - فيما حكي عنه حيث يقول قبل شهادة أهل الأهواءِ إلاَّ الخَطَّابية من الرَّوافض .
وعِلَّة ذلك أنهم يَرَونَ جواز الكَذِبِ لنُصرة مذهبهم.)).
ومثله يقوله الذهبي في (الموقظة)،و غيره كما بينته في موضعه.
3 - إليك من أهل السنة من لم يجانب بعض أهل البدعة فجالسهم،وشاورهم في العلم،ودخل بيوتهم أو دخلوا بيوته، منهم عطاء، و الحسن البصري، و ابن أبي ذئب،وسفيان الثوري، وشعبة، والصابوني،وغيرهم.
1- قال الإمام احمد في مسائل (ابن هانيء){163/2}: ((كان عمرو بن عبيد رأس المعتزلة و أولهم في الاعتزال وروى عنه الثوري، وكان الربيع بن صبيح معتزليا و كان خيرا من عمرو بن عبيد)).
- قال الإمام أحمد، كما في (مسائل ابن هانئ){157/2}: ((و قد سئل عن الواقفي أيجالس؟ فقال:" إذا كان يخاصم لا يكلم ولا يجالس))، أي إذا كان داعية ، مع حكايته مجالسة سفيان الثوري لعمرو بن عبيد،فلزم فهم قصد الإمام وتوجيهه مع بقية النقول عنه كقوله في مسائل (ابن هانئ){153/2}: ((سألت أبا عبد الله عن رجل مبتدع، داعية يدعو إلى بدعة أيجالس؟ قال: لا يجالس ولا يكلم لعله أن يرجع))، أي المصلحة هنا هي رجوعه.
فإذا صح عن الإمام النهي عن مجالسة المبتدعة و صح عنه هذا، علمنا أن الأمر يدور على علة و حكمة يجب اعتبارها، لا النهي بإطلاق و بدون تفصيل.
مع العلم أن هذا التفصيل من الإمام أحمد في زمن عز السنة و خمود البدعة وعدم حاجة أهل السنة إلى المبتدعة، فكيف لو رأى الحال اليوم؟!
وهذا الكلام يقيّد كلام ابن بطة .
2- لقد كان سفيان بن عيينة يجالس محمد بن منادر الشاعر و يسأله عن معاني الحديث، مع العلم أن ابن المنادر قال فيه يحي بن معين: ((لا يروي عنه من فيه خير)).
روى عباس الدوري عن ابن معين أنه ذكر له شيخا كان يلزم ابن عيينة يقال له: بن منادر، فقال: ((أعرفه كان يرسل العقارب في المسجد الحرام حتى تلسع الناس، وكان يصب المداد بالليل في أماكن الوضوء حتى يسود وجوههم)).

وفي (علوم الحديث) للحاكم:قال يحي بن معين:" كان زنديقا ".
وذكر الساجي أنه روى عن السفيانين، و عبد الوهاب، و الحسن بن دينار، و شعبة، و مالك، ويحي بن عبد الله وغيرهم، وروى عنه:أبو محمد الثوري، و حامد بن يحي البلخي، و سليمان الشاذ كوني مع تقدمه، و إسحاق بن محمد النخعي، ومحمد بن عمرو و محمد بن يمون الخياط، و الصلت بن مسعود الجحدري و آخرون{(لسان الميزان){391/5}.
3ـ كذلك كان معبد خالد الجهني يجالس الحسن البصري، وهو أول من تكلم بالبصرة، و لعله من أدخل القدر على من دخل فيه من المحدثين، قال الإمام العالم العابد أبو سعيد بن الأعرابي(سير أعلام النبلاء){245/16}: ((كان يجلس إلى الحسن طائفة من هؤلاء فيتكلم في الخصوص حتى نسبته القدرية إلى الجبر، و تكلم في الاكتساب حتى نسبته السنة إلى القدر، كل ذلك لافتتانه ،و تفاوت الناس عنده، و تفاوتهم في الأخذ عنه، وهو بريء من القدر ومن كل بدعة)).
4ـ و كان محمد بن يحي بن كثير الحراني من كبار العلماء المحدثين يجالس المأمون[كان المأمون على مذهب المعتزلة الجهمية وهو أول من امتحنهم على مسألة القرآن]، وله معه أخبار، وقد روى عنه جمع من الأئمة منهم البخاري: (تهذيب التهذيب){325/6}.
5ـ و كان داود بن أبي هند يجلس إلى فضل الرقاشي، و هو فضل بن عيسى، وهو قدري المذهب (تاريخ ابن معين برواية الدوري){217/4}.
6ـ وكان سفيان الثوري يجالس سالم بن أبي حفصة الشيعي المفرط الذي كان ينتقص أبي بكر و عمر(تهذيب الكمال){441/8}، وكان سفيان يحذر منه في مجلسه.
7ـ وكان داود الطائي يجالس أبا حنيفة[و قصة ابن المبارك مع أبي حنيفة معروفة] و كان بينه وبين شريك النخعي كلام حول هذا الموضوع.
8ـ وقال طلحة بن عمر قلت لعطاء: ((إنك رجل يجتمع عندك ناس ذوو أهواء مختلفة، و أنا رجل في حدة فأقول لهم بعض القول الغليظ؟
فقال: لا تفعل، يقول الله تعالى:{ وقولوا للناس حسنا}فدخل في هذه الآية اليهود و النصارى فكيف بالحنيفي؟)) القرطبي في(تفسيره){16/2}
9 ـ الربيع بن عبد الله بن خطاف كان يحي بن سعيد يحط عليه و يقول:" أنا أعلم به"،

و يتعجب من عبد الرحمن بن مهدي كيف لا يطعن عليه.
وكان عبد الرحمان بن مهدي يقول:" هو عندي ثقة في حديثه".
قيل له: كان يرى القدر؟، قال: كان يجالس عمرو بن فايد يوم الجمعة (الضعفاء للعقيلي){49/2}
وقد وثقه: الإمام أحمد.

10- فإذا صح عن بعض الأئمة مجالسة المبتدعة لأسباب مختلفة، مع ما عُرف عنهم من شدة منافرة المبتدعة، و النهي عن مجالستهم، مما يعني أن الأمر يدور مع المصلحة، و اختلاف الظروف، وكل عالم إمام يقدر المصلحة بحسب ظرفه هو، لا بحسب ظرف غيره.
أما القول بعدم مجالستهم إطلاقا، فهذا تعمية للحقائق، و تزوير للتاريخ، لا يمارسه من كان على منهج أهل السنة و الجماعة، و أخيرا أضرب لك هذا المثال، فإنه يجمع بين طياته كل هذا.
جاء في ترجمة شيخ الإسلام و إمام المحدثين ابن أبي ذئب هشام بن شعبة في(السير){141/7}ما يلي: ((كان من أوعية العلم ثقة فاضلا قوالا بالحق مهيبا)).
قال الواقدي: كان من أورع الناس و أودعهم، رمي بالقدر، و ما كان قدريا، لقد كان يتقي قولهم و يعيبه، ولكنه كان رجلا كريما يجلس إليه كل أحد يغشاه فلا يطرده، ولا يقول له شيئا، و إن مرض عاده، فكانوا يتهمون بالقدر لهذا وشبهه.
قال أحمد بن علي الأبار: سألت مصعبا عن ابن أبي ذئب فقال:معاذ الله أن يكون قدريا، إنما كان في زمن المهدي قد أخذوا أهل القدر و ضربوهم و نفوهم، فجاء منهم قوم إلى ابن أبي ذئب فجلسوا إليه و اعتصموا به من الضرب فقبل، هو قدري لأجل ذلك، لقد حدثني من أثق به ما تكلم فيه قط.
قال الذهبي: وهو من الأشداء على المبتدعة بخلاف ما يشاع عنه:كان عليه أن يكفهر في وجوههم ولعله كان حسن الظن بالناس".
قلت:العلة التي دعت الذهبي يترك السبكي الأشعري يجلس إليه ويغرف من علمه، وهو يعرفه و يعرف أباه، قد تكون هي التي دعت ابن أبي ذئب إلى أن يجالس أولئك.
وحتى تعرف قيمة هذا الإمام، و كيف كان يجمع بين مجالسة هؤلاء و القيام بالحق نذكر بعض ما جاء في ترجمته:

قال الإمام احمد: كان أفضل من مالك إلا إن مالكا ـ رحمه الله ـ أشد تنقية للرجال منه، وقال عنه في قصة البيعان مع الخيار:هو أورع و أقول بالحق من مالك.

هذا هو حال الأئمة من الإنصاف و العدل، لا يجورون على أحد، و لا يتهمون الناس بالبدعة لأنهم جالسوا مبتدعا؟!

لأن المجالسة التي يقصدها السلف هي المصاحبة الخاصة، لا رأيته يجلس بجنبه في حفل زفاف؟!

4ـ من هم أهل البدعة عند ابن بطة؟

هل هم أهل السنة الذين وقعوا في خطأ مع فرض الصحة كما يقول الشيخ ربيع، أم أهل الكلام؟!

ومن يقصد ابن بطة بكلمته هذه: الصنف الأول أم الثاني؟!

يأخذ الشيخ ربيع ومن هو على شاكلته مثل كلام ابن بطة و يضربون به كل من يخالفهم في مسائل يعدونها بغيا من البدع؟!

و أنا أبيّن لك نموذجا من ذلك مما لم ينقله الشيخ ربيع لأنه يناقضه ، لأن طريقته الانتقاء لا الاستيفاء، قال البغوي في(شرح السنة) (188/1): ((و اتفق علماء السلف من أهل السنة على النهي عن الجدال و الخصومات في الصفات، وعلى الزجر عن الخوض في علم الكلام و تعلمه)).

وقال: ((قال مالك بن انس:إياكم و البدع، قيل يا أبا عبد الله و ما البدع؟ قال: أهل البدع الذين يتكلمون في أسماء الله و صفاته و كلامه و علمه و قدرته، ولا يسكتون عما سكت عنه الصحابة و التابعون لهم بإحسان)).

وقال البغوي ـ أيضا ـ: ((وهذا الهجران و التبري و المعاداة في أهل البدع و المخالفين في الأصول، أما الاختلاف في الفروع بين العلماء، فاختلاف رحمة أراد الله أن لا يكون على المؤمنين حرج في الدين، فذلك لا يوجب الهجران و القطيعة...)).

وعليه،فكلام ابن بطة موافق لسائر أهل السنة، فهو يتكلم هنا عن أهل الكلام، قال: ((ونحن الآن ذاكرون شرح السنة، ووصفها، وما هي في نفسها، وما الذي إذا تمسك به العبد ودان الله به سُمِّيَ بها[الرجل هنا يتكلم عن اعتقاد السلف]، واستحق الدخول في جملة أهلها، وما إن خالفه أو شيئاً منه دخل في جملة من عبناه وذكرناه وحُذّر منه، من أهل البدع والزيغ، مما أجمع على شرحنا له أهل الإسلام وسائر الأمة مذ

بعث الله نبيه -صلى الله عليه وسلم - إلى وقتنا هذا ...))
5 - معلوم أن الهجر و التحذير عند أهل السنة يتوقف على شروط أذكر منها على سبيل المثال:
اعتبار حال القوة و حال الضعف، فهذا أصل عند أهل السنة، لا نجد له رائحة عن الشيخ ربيع وحزبه، فالإمام أحمد لما قيل له: ((من قال القرآن مخلوق؟
قال: ألحق به كل بلية، قال إسحاق: فيظهر العداوة لهم أم يداريهم؟
قال: أهل خراسان لا يقوون بهم)) نقله ابن تيمية عن الخلال في (كتاب السنة) .
جاء في كتاب(الورع)للإمام أحمد(155): ((سألت أبا عبد الله قلت: أمر في السوق فأرى الطبول؟قال:ما أراك تقوى، إن قويت يا أبا بكر، قلت: ادعى أغسل الميت الطبل، قال:إن قدرت على كره و إلا فاخرج)).
قال ابن تيمية في(منهاج السنة)(63/1): ((تنازع الفقهاء في الصلاة خلف أهل الأهواء و الفجور فمنهم من أطلق الإذن، ومنهم من أطلق المنع، و التحقيق أن الصلاة خلفهم لا ينهى عنها لبطلان صلاتهم في نفسها،لكن لأنهم إذا أظهروا المنكر استحقوا أن يهجروا، و أن لا يقدموا في الصلاة على المسلمين، ومن هذا الباب ترك عيادتهم، و تشييع جنائزهم،كل هذا من باب الهجر المشروع في إنكار المنكر للنهي عنه.
و إذا عرف أن هذا هو من باب العقوبات الشرعية علم أنه يختلف باختلاف الأحوال من قلة البدعة و كثرتها، وظهور السنة و خفائها، و أن المشروع قد يكون هو التأليف تارة و الهجران أخرى.))
و بهذا النص تعرف أن من اعتبر المشروع فقط هو الهجر ،ولم يجعل التأليف عند عدم القدرة على الهجر، كأن لا يحصل بالهجر الحكمة الشرعية المرجوة هو من المشروع أيضا،فقد أخذ من السنة شطرا، و ترك شطرا،وفعل أمرا، و عطل آخر،ونصر الدين مرة، و خذله أخرى!
والموفق المتبع لشرع ربه من وضع الهجر في موضعه، و التأليف في موضعه.
أما أن يدعو إلى الهجر، وهو محاط بالبدعة من كل صوب، لم يفقه بعض أصولها وموادها و أسبابها، فلا شك هذا مخطئ على السلف، يدّعي عليهم ما ليس فيهم.
((ولهذا كان يفرق بين الأماكن التي كثرت فيها البدع كما كثر القدر في البصرة و التنجيم بخراسان و التشيع بالكوفة و بين ما ليس كذلك، و يفرق بين الأئمة المطاعين

و غيرهم و إذا عرف مقصود الشريعة سلك في حصوله أوصل الطرق إليه، ولذلك ذكر الخلال في (كتاب السنة) عن إسحاق انه سأل الإمام احمد:" من قال : القرآن مخلوق؟ قال : ألحق به كل بلية ، قلت : فيظهر العداوة لهم أم يداريهم ؟ قال : أهل خراسان لا يقوون بهم))

قال شيخ الإسلام في (المجموع)(119/28): ((وهذا الجواب منه مع قوله في القدرية لو تركنا الرواية عن القدرية لتركناها عن أكثر أهل البصرة ، ومع ما كان يعاملهم به في المحنة من الدفع بالتي هي أحسن ومخاطبتهم بالحجج يفسر ما في كلامه و أفعاله من هجرهم و النهي عن مجالستهم و مكالمتهم))

أي: هذه الأمثلة تشرح و تفسر أقواله في الهجر و العقوبة،هذا ما لم يفهمه الشيخ ربيع وحزبه،ويشغبون على علماء المسلمين!

قلت: فهذا كله تقييد لكلمة ابن بطة، تغافل عنه الشيخ ربيع، مما يعني أن استدلال الشيخ ربيع في غير محله، ولم يفهم مراد الأئمة.

وكذلك يقال للشيخ ربيع أو؟!:

جاء في كتب التاريخ عن ابن بطة : ((كان في أصحابه أبو القاسم عبد الواحد بن علي العكبري المعروف بابن برهان، قال في(سير أعلام النبلاء){123/18}: ((سمع الكثير من أبي عبد الله بن بطة و لم يرو عنه)).

قال في(الإكمال){246/1}: ((كان من أصحاب أبي عبد الله بن بطة، و سمع منه حديثا كثيرا ثم طلب الأدب و دخل بغداد وقرأ على جماعة من المشائخ آخر هم ابن رضوان و ابن النزلي، وقرأ الفقه على مذهب أبي حنيفة و الكلام على أبي الحسين البصري و غيره و تقدم فيه، وفي النحو و معاني القرآن، وصار صاحب اختيار في الكلام، وكان آخر من يعرف الأنساب ولم أر مثله ووجدت سماعاته و كان يمتنع عن التحديث)).

قال الذهبي: وكان يميل إلى مذهب مرجئة المعتزلة، و يعتقد أن الكفار لا يخلدون في النار.

ومن أحسن ما قيل في ابن بطة ـ رحمه الله ـ قاله معتزلي وهو ابن برهان،و أشعري وهو أبو ذر الهروي؟!

6 ـ ومما يبيّن لك أن الإشكال ليس في كلام ابن بطة، فإنه قاعدة عامة صحيحة،ولكن

في فهم الشيخ ربيع و حزبه ،في تركهم القيود و الاستثناء، فإليك هذا المثال :
قال ابن بطة : ((فما جنى على المسلمين جناية أعظم من مناظرة المبتدعة ، ولم يكن لهم قهر ولا ذل أعظم مما تركهم السلف على تلك الجملة يموتون من الغيظ كمدا و دردا، ولا يجدون إلى إظهار بدعتهم سبيلا))
قال شيخ الإسلام في (الدرء){357/1}: ((فكل من لم يناظر أهل الإلحاد و البدع مناظرة تقطع دابرهم لم يكن أعطى الإسلام حقه، ولا وفى بموجب العلم و الإيمان ولا حصل بكلامه شفاء الصدور و طمأنينة النفوس، و لا أفاد كلامه العلم و اليقين)).
قلت: فهذا تناقض بيّن إذا لم نوجه النقول، ونصرف كلا منها إلى منزلته و ضوابطه، فإذا أخذنا قول ابن بطة على عمومه دون توجيه، فنقول:من من السلف ناظر المبتدعة، ولم يقمعهم و يقطعهم، وفتح لهم باب الانتشار، أحمد أم الشافعي أم الدارمي أم البر بهاري و غيرهم؟!
فلعل ابن بطة يقصد بعض أئمة الحديث المائلين إلى مذاهب المتكلمين، وهؤلاء ليسوا بحجة، لأنهم هم أنفسهم يحملون بعض عقائد المتكلمين، وهؤلاء من الأشاعرة الذين ناظروا المعتزلة و الفلاسفة بحجج ضعيفة لم تكسرهم فزادوا الطين بلة، قال شيخ الإسلام في (الصفدية){268/2}: ((و بسبب مناظرة هؤلاء للمتفلسفة حصل شر كثير في الإسلام، فإنهم يناظرون بجهل كثير بالعقليات و السمعيات.))
و إلا فإن السلف لم يكونوا كلهم مناظرين للمبتدعة، ولا كلهم تكلم في الاعتقاد كما نقلنا عن شيخ الإسلام، بل منهم من كان دوره حفظ السنة و تدوينها و غير ذلك، ومنهم من كان دوره رد البدعة و قهرها.
فالسلف الصالح ناظروا و جادلوا، و دافعوا عن الدين، فناظر ابن عباس الخوارج، و عمر بن عبد العزيز، و الشافعي، و أحمد، و عبد العزيز الكتاني، الدار مي، وغيرهم، بل أول من سن المناظرة للدفاع عن الحق الأنبياء، وأوّلهم إبراهيم، قال ابن القيم في (جلاء الأفهام){275/1}: ((وهو الذب فتح باب المناظرة المشركين و أهل الباطل و كسر حججهم، قد ذكر الله سبحانه مناظراته في القرآن مع إمام المعطلين، ومناظرته مع قومه المشركين، وكسر حجج الطائفتين بأحسن مناظرة و أقربها إلى الفهم و حصول العلم.))
فعبد الله بن أبي حسان اليحصبي، كما قال عنه ابن فرحون كان: ((جواد مفوها قويا

على المناظرة ذابا عن السنة)).

و الدارمي ((أظهر السنة ببلده، و دعا إليها، و ذب عن حريمها، و قمع مخالفها[بالحجة و البرهان])) كما قال عنه ابن حبان.

و: ((لهجا بالسنة بصيرا بالمناظرة جذعا في أعين المبتدعة)) كما قال عنه الذهبي.

وكذلك كان ابن خزيمة،وابن تيمية، وابن القيم.

قال شيخ الإسلام في(الدرء){172/7}: ((و المقصود هنا أن السلف كانوا أكمل الناس في معرفة الحق و أدلته، والجواب عما يعارضه و إن كانوا في ذلك درجات، وليس كل منهم يقوم بجميع ذلك، بل هذا يقوم بالبعض، وهذا يقوم بالبعض، كما في نقل الحديث عن النبي و غير ذلك من أمور الدين)).

فهذا ما لم يفهمه الشيخ ربيع وهو أن السلف لم يكونوا في درجة واحدة، و الحجة في قولهم عندما يختلفون هو ما وافق الكتاب و السنة.

لا تكن ممن ينطبق عليه قول الله تعالى: {ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّن بَعْدِ مَا رَأَوُاْ الآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ} (يوسف).

حي الهضاب/أرزيو/ الجزائر، في07 ربيع الأول1432هـ

مختار الأخضر طــيباوي

فحص الشبهات المتسلفة

قولهم : "لحوم العلماء مسمومة"

الحمد لله وحده، و الصلاة و السلام على من لا نبيَّ بعده.

يكثر الناس من مختلف الطوائف استعمال هذه الكلمة المشهورة " لحوم العلماء مسمومة" وهي كلمة حق لكن في كثير من الأحيان يراد بها الباطل وما هو أخطر على المسلمين من ثلب العلماء ككتم الحق و الانتصار للمذاهب الباطلة بل قد يظلم بهذه الكلمة الصالحون المجاهدون بأقلامهم و بيانهم لتكون كلمة الله هي العليا، و ليكون الحق ظاهراً للناس تقوم به حجة الله على العباد.

فقد نقول هذه الكلمة للدفاع عن أعراض العلماء ومنزلتهم ولحفظ مقامهم في الأمة في زمن يحاول فيه الفجار المثقفون طمس منزلتهم في المجتمع و التقليل من شأنهم، و قد نقولها لخنق الحق و الصد عن سبيل الله و تسفيه النقد العلمي فندفع بها في نحر الحقائق مغالطة للناس و تجاهلا للمطلوب المعلوم.

وحتى لا نجعل هذه الكلمة وسيلة لمنع المسلمين من التناصح فيما بينهم ومن نقد بعضهم بعضا فحياة الأمم في النقد و الاعتراض لأنهما معدن النصيحة ، و النصيحة عند المسلمين جزء من دينهم ،كما قال النبي صلى الله عليه و سلم في الحديث الذي رواه البخاري في صحيحه : " الدِّينُ النَّصِيحَةُ: لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ" يجب أن نفهم المقصود منها وعلى من تنطبق و بأي شرط، فنسأل مثلا:

1 ـ هل هي خاصة بالعلماء الذين يحبهم الشخص فإذا انتقدوا أو طعن فيهم بذكر المثالب و النقائص جاز استخدام هذه العبارة،أم تتناول علماء السنة ، وكون العالم من أهل السنة أم لا إلى أي معيار علمي يرجع، ومن يملك حق تصنيف الناس سنة ومبتدعة؟

2 ـ هل يدخل علماء الطوائف الأخرى تحت هذه الكلمة؟ يعني: هل يوصف أئمة الطوائف بأنهم علماء أم هذا مقصور على علماء السنة؟

3 ـ هل يدخل علماء السوء تحتها، وكيف لنا أن نعلم أن هذا العالم من علماء السوء؟

4 ـ و إذا كان للعالم فضيلة ثابتة، فما نوع هذا الفضل: هل هو فضل جملة، أم مظنة،أم سبب، أم تعيين و تحقيق؟

لنفصل الموضوع بالترتيب:

1 ـ هذه المقولة من الكلام السائر ، يعني: الشائع عند العلماء و الناس ~ كما قال ابن تيمية ~ وفي حدود علمي لا سند لها، و أكثر من اشتهر بها القاسم بن عساكر ~ رحمه الله ~ و بعض علماء التصوف كالسهروردي صاحب" عوارف المعارف" ،و نظَّمها احدهم في بيتين من الشعر:

وتجنب الْعلمَاء وَإِن هم خلطوا فالعلم يغْفر زلَّة الْعلمَاء
فلحومهم مَسْمُومَة وبأكلها يخْشَى هَلَاك الشّعْر وَالشعرَاء

قال أبو القاسم بن عساكر ~ رحمه الله ~ : " اعلم يا أخي وفقنا الله وإياك لمرضاته وجعلنا ممن يغشاه ويتقيه حق تقاته أن لحوم العلماء مسمومة، وعادة الله في هتك أستار منتقصيهم معلومة ،وأن من أطلق لسانه في العلماء بالثلب ابتلاه الله تعالى قبل موته بموت القلب { فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [النور]

و استدل لها بعض العلماء بأمور تدل على منزلتهم في الشريعة الإسلامية لكنها لا

تدل بحال على أن لحومهم مسمومة بإطلاق إذ كيف يكون لحم العالم الزنديق، و العالم الفاجر، و العالم المضل الذي يهدي إلى النار مسموماً؟

وكيف نفسر موقف السلف و أئمة السنة من كثير من العلماء فقد ذموهم أشد الذم، و حذروا منهم كجابر الجعفي وغيلان القدري و عمرو بن عبيد ومن هو أحسن من هؤلاء، مما يعني أن المقصودين العلماء الربانيون الذين هم بالفعل واسطة صحيحة بين الله تعالى و عباده، فمن ثلبهم و حذر الناس منهم و ابتغى لهم العنت فقد قطع الواسطة بين الخلق وبين الله تعالى .

وكما قال ابن العربي فقد سماهم الله حكاماً في قوله تعالى: { يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتابِ اللَّهِ وَكانُوا عَلَيْهِ شُهَداءَ }[المائدة] و كيف لا، و كل الخلق حكاماً و محكومين مفتقد إليهم لمعرفة خالقه و شريعته التي ارتضاها لعباده؟

فتعظيمهم بحق دون زيادة أو نقصان من تعظيم الله ومن تعظيم رسوله، كما جاء عن أبي موسى الأشعري ~ رضي الله عنه ~أن النبي صلى الله عليه و سلم قال : " أَن من إجلال الله تَعَالَى إكرام ذِي الشيبه الْمُسلم وحامل الْقُرْآن غير المغالي فِيهِ والجافي فِيهِ وإكرام ذِي السُّلْطَان " رواه أبود داود.

كما ذهب بعض العلماء إلى أن إذايتهم ناشئة عن الإخلال بما يجب لهم من التعظيم، وهي في الوقت نفسه إعلام بمحاربة الله تعالى، و احتج بما رواه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة ~ رضي الله عنه ~ عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه قال: " أَن الله عز وَجل يَقُول من آذَى لي وليا فقد آذنني بِالْحَرْبِ "

ونقل ما حكاه النووي عن أبي حنيفة و الشافعي قولهما: " إِن لم يكن الْعلمَاء أَوْلِيَاء الله فَلَيْسَ لَهُ ولي حَكَاهُ " كتاب العلم للنووي ص78.

قلتُ: حتماً يقصدان العلماء العاملين المهتدين، علماء الإيمان و التقوى و إلا فإن ولي الله هو المتقي، و كل عالم لم يتق الله لا يمكن أن يكون وليا لله تعالى، وهذا واضح.

ومع صحة هذا القول فإن أعراض العلماء ليست كأعراض غيرهم و إن كانت كلها محرمة،فإن ثلب العالم بغير حق و إسقاط منزلته عند الناس لخطأ محتمل أو معذور في مثله أشد ضررا على الناس من الطعن في عامتهم،فتشويه سمعته يضر المسلمين عموما لأن العلماء يحملون لواء الدين،وهم حراس الشريعة، وهم الطريق التي يسلكها

الناس للوصول إلى مرضاة ربهم .
لكن قد بالغ بعض العلماء في ذلك حتى نسجوا حكايات لا تصح كما في " مجالس الرومي" أن عقربا لدغ أبا حنيفة و سقط على الأرض فذهب تلامذته لقتله فمنعهم لتجربة هل هو من مصداق قوله صلى الله عليه و سلم " لحوم العلماء مسمومة" فضعف العقرب ساعة فساعة حتى مات" ولا يصح هذا الخبر، كما لا يصح نسبة القول إلى النبي صلى الله عليه و سلم.
ومنهم من حكى في ذلك الرؤى كما ذكر صاحب" الشقائق النعمانية"1/39 أن يعقوب الكراماني رأى النبي صلى الله عليه و سلم فقال له: يا رسول الله نقل عنك أنك قلت: لحوم العلماء مسمومة،فمن شمها مرض ومن أكلها مات ،أهكذا قلتَ يا رسول الله ؟ قال: يا يعقوب قل: لحوم العلماء سموم".
وذكر ابن حجر الهيثمي في " الزواجر"1/187 أن في "فتاوى البديعي" من الحنفية : " مَنْ اسْتَخَفَّ بِالْعَالِمِ طَلُقَتْ امْرَأَتُهُ" قال: و كأنه جعله ردَّةً، وهذا من المبالغة.
و الواجب على المسلم حسن الأدب مع جميع العلماء حتى علماء الخلف و الطوائف ، فأما علماء السنة فيأخذ خير ما عندهم ، و يترك ما سوى ذلك مما تبين له مرجوحيته، ولا يجوز له بحال أن ينال منهم، و إن سلَّطه شيخه عليهم فهو شيخ سوء طالب للعلو ،و أما غيرهم فإن في الأدب معهم أدبا مع أتباعهم و تلطفا بهم و دعوتهم للحق من أسهل طرقه ذلك أن الأدب مع شيوخهم و علمائهم يفتح قلوبهم لسماع الحق و التأمل فيه كما سنبحثه لاحقاً.
و لم أجد أشد و أقوى على النفوس من حكم البرهان على أقوالهم فإنه أحسن إدانة و أقوم بالحجة و أدعى للقبول من السب و اللعن و التنقيص ، و العاقل ينصب على القول بالنقد العلمي بدون الخروج عن صناعة الدليل الصحيح و بدون الوقوع في القائل و إلا كان مثله مثل من يترك المكتوب بدون رد و يسب الكتاب؟
و الواجب التحلي بالأناقة اللغوية و الرقي العقلي وترك التعصب، وحمية الجاهلية، و الوقوع في أعراض العلماء و لو كانوا مخالفين فقد قال الله تعالى:{ وقولوا للناس حسنا}
وكما شهد تاريخ العلماء و يعلم أهل التراجم ~ كما قال الذهبي في " الموقظة" ~ فإن العلماء منهم المتشدد ومنهم المتساهل ومنهم المعتدل، وقد كان البخاري ~ رحمه الله

~ جبلا في أخلاقه كما في علمه أدى مهمة حفظ السنة بأقل العبارات في المجروحين دون أن يتجاوز حد الأدب أو يبالغ في الإنكار ،وقدوتنا رسول الله صلى الله عليه و سلم بلَّغ الدين ، وحذَّر من الشرِّ بكل أشكاله كفرا و شركا و نفاقا و بدعة، و نصح القريب و البعيد، و حافظ على عفة لسانه و كان مثلا للبشرية في حسن الخلق و ضبط اللسان ،فالواجب أن نقتدي به، مع فهم سبب شدة بعض العلماء أو أسبابها الموضوعية دون أن نقلدهم فإنما حفظ الدين دفاعا ودعوة العلماء الذين طاروا به في كل الآفاق رحمةً بالمخطئ و الحائر و الضال ، فجالسوه و ناظروه و رفقوا به، و راعوه بالاهتمام، فإن فلتت منهم كلمة من هنا أو من هناك~ أحيانا ~ فذاك طبع الآدمي و نقصه، و الحكم للغالب.

و لو كانت لحوم العلماء مسمومة بالمعنى الذي يذهب إليه التجريحيون لما بقي محدث ،ولكان الشيخ ربيع و أشباهه و أتباعه أول المسمومين فإنه لا يوجد في هذا العصر من طعن في دين طلبة العلم ورماهم بالنفاق و الكفر ،و سلط عليهم أتباعه بالبهتان و الاختلاق مثله، بل لم يسلم منه لا ابن باز و لا الألباني و لا العثيمين،و لا الذهبي ، ولا ابن تيمية رحمهم الله أجمعين.

وهنا نكتة عكسية، وهي أنه كما يجب حفظ مقام العالم ورعاية حقه علينا يجب عليه أن يرعى حق بسطاء المؤمنين فإن أفضل من كل علماء المسلمين قاطبة حذره النبي صلى الله عليه و سلم من إغضاب فقراء المؤمنين كما ورد في الحديث الصحيح :

«إِنَّ أَبَا سُفْيَانَ أَتَى عَلَى سَلْمَانَ وَصُهَيْبٍ وَبِلَالٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - فِي نَفَرٍ فَقَالُوا: مَا أَخَذَتْ سُيُوفُ اللَّهِ مِنْ عَدُوِّ اللَّهِ مَأْخَذَهَا - أَيْ لَمْ تَسْتَوْفِ حَقَّهَا مِنْهُ لِأَنَّهُ إِذْ ذَاكَ كَانَ عَلَى كُفْرِهِ - فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: أَتَقُولُونَ هَذَا لِشَيْخِ قُرَيْشٍ وَسَيِّدِهِمْ؟ فَأَتَى النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَأَخْبَرَهُ فَقَالَ يَا أَبَا بَكْرٍ لَعَلَّك أَغْضَبْتَهُمْ لَئِنْ كُنْتَ أَغْضَبْتَهُمْ لَقَدْ أَغْضَبْتَ رَبَّك، فَأَتَاهُمْ أَبُو بَكْرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وَقَالَ يَا إخْوَتَاهْ أَغْضَبْتُكُمْ؟ قَالُوا: لَا، يَغْفِرُ اللَّهُ لَك يَا أَخِي» .

و إن كان هذا في حق فقراء الصحابة فإنه يصلح للقياس بقوة،فإن بعض كبار طلبة العلم لا يصاحبون إلا علية القوم وليس في مجالسهم الخاصة مكان للبسطاء الذين لا يلقونهم إلا في المجالس العامة تحت إكراهات البرتوكول، وفهموا خطئا معنى الهيبة عند السلف ،و قد علموا أن النبي صلى الله عليه و سلم كان ينبسط للناس، و يجالس

الجميع ، و الناس عنده سواسية لا فضل لأحدهم على الآخر إلا بالتقوى.
الفضل و الفضيلة:" ملخص عن رسالتي" آداب مخاطبة المخالف"
و أعظم ضروب الملاطفة ما جاء في القرآن، فإن الله تعالى يلاطف عباده، قال لنوح عليه السلام :{ إني أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الجاهلين }أي: أعظك كراهة أن تكون من الجاهلين ، وليس في ذلك وصف له بالجهل ، بل فيه ملاطفة وإكرام.
فنحن نتعلم من القرآن أساليب الدعوة، وطرق مخاطبة المخالف، وهذا منهج قرآني نبوي كما في قوله تعالى: { وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لعلى هُدًى أَوْ فِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ } فهذه ملاطفة، وتنزل في المجادلة إلى غاية الإنصاف كقولك : الله يعلم أن أحدنا على حق وأن الآخر على باطل ، ولا تُعين بالتصريح أحدهما ، ولكن تنبه الخصم على النظر حتى يعلم من هو على الحق ومن هو على الباطل ، والمقصود من الآية أن المؤمنين على هدى ، وأن الكفار على ضلال مبين .(التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي).
وهذه الطريقة ـ طريقة اللزوم ـ تقوم على بيان الحق في أبهى حلله ، وتزيينه حتى يظهر فساد الباطل من غير تعرض لذكره، ومثله أن تذكر مقالتك و توضحها، ولا تتعرض إلى من يعارضها.
2ـ قال ابن دريد في (الاشتقاق):" واشتقاق الفَضْل من الفَضْل : ضدّ النقص . فَضَل يفَضُل فضْلاً ، وتفاضَلَ الرجُلان ففضَل أحدهُما صاحبَه ، إذا كان أظهر منه فضْلاً . ورجلٌ كثير الفواضل ، إذا كان يُفضِل على الناس ، وفضَّلت فلاناً على فلان تفضيلاً ، إذا خيَّرتَه عليه .انتهى
3ـ الفضل أمر نسبي ولا يكون دائما مطلقا، ففي كل طائفة فضلائها بمعنى المفضلين فيها، فإن لم يكونوا فضلاء في أهل السنة فهم فضلاء في طوائفهم، فعندما نقول: فضلاء فإننا نعني أنه مفضل في طائفته أو صنعته ،لأن هذه الكلمة تطلق باعتبار الجملة ،و باعتبار المظنة،وباعتبار السبب، و باعتبار التعيين و التحقيق، كما سأبينه بعد قليل.
ولذلك تجد أمثال ابن تيمية يقول: فضلاء المعتزلة ، فضلاء الشيعة، فضلاء الفلاسفة،وهذا أمر منتشر بكثرة عند أهل العلم خاصة في كتب التاريخ و التراجم،مثل قولهم: فضلاء الأطباء، فضلاء اليمن، فضلاء دمشق وغير ذلك.
قال ابن تيمية في(إبطال التحليل):" ولهذا يوجد فضلاء القرامطة في الباطن متفلسفة :

كسنان الذي كان بالشام , والطوسي الذي كان وزيرا لهم بالألموت".
وقال في (الصفدية): "فإن هذا قول أبي الهذيل وأبي علي وأبي هاشم والأشعري في أظهر قوليه وقول القاضي أبي بكر وأبي حامد الغزالي وغيرهم ، وهو وإن كان قولا ضعيفا مخالفا للكتاب والسنة وإجماع السلف باطل شرعا وعقلا فالقائلون به قوم فضلاء قصدهم الحق لم يكن غرضهم أن يقولوا ما يعلمون أنه باطل"
وقال في(بيان تلبيس الجهمية):" وذكر اعتراف فضلاء المعتزلة بأن النبيين كانوا يعتقدون ذلك".
وقال:"قلت: فهذا الذي ذكره عن أبي الحسين وأتباعه وهم فضلاء المعتزلة."
قلت: فنفهم من هذا أن الفضيلة هنا ليست فضيلة مطلقة، ولا فضيلة تعيين و تحقيق ولكن بمعنى المفضلين في مذهبهم أو طائفتهم أو مقالتهم.
ولفهم النفي و الإثبات في هذا الباب ،فهذا مثال للتقريب لا للمماثلة ،قولنا : فضيلة الصلاة ، و فضيلة الوضوء، وفضيلة الصوم وفضيلة الزواج و فضيلة العلم و غيرها، نقصد بيان فضلها في العبادات و أهميتها و إن كان يوجد ما هو أفضل منها في الدين كالإيمان، و التوحيد،فعندما نقول فضيلة الشيخ فلان لا يعني انه أفضل المشايخ ،ولا نعني أنه أفضل المسلمين.
وعندما نقول: لا فضيلة للصلاة في المقبرة فهذا لا يعني عدم فضيلة الصلاة، وكذلك عندما ننفي فضل أحدهم في السنة و التوحيد،لا يعني انه خال من السنة و التوحيد،ولا يعني كذلك انه ليس بفاضل عند طائفته أو في أمور أخرى.
وعندما نقول: وليس في القراءة بعد المغرب فضيلة مستحبة يقدم بها على القراءة في جوف الليل، أو بعد الفجر، ونحو ذلك من الأوقات، فلا قربة في تخصيص مثل ذلك بالوقت،فهنا الغرض نفي التخصيص و إلا فإن قراءة القرآن بعد المغرب من غير تخصيص بهذا الوقت فيه فضيلة .
وكذلك إذا نفينا عن أحدهم الفضيلة قاصدين نفي التخصيص، لا يعني أنه لا فضيلة له.
قال ابن تيمية عن ابن الجني لما قال: قول القائل: خرج زيد مجاز:" وابن جني له فضيلة وذكاء وغوص على المعاني الدقيقة في سر الصناعة والخصائص وإعراب القران وغير ذلك، فهذا الكلام إن كان لم يقله فهو أشبه بفضيلته، وإذا قاله فالفاضل قد يقول مالا يقوله إلا من هو من أجهل الناس".

قلت: ومعلوم أنه ليس لابن الجني فضل إلا في العربية، و إلا فهو معتزلي جهمي،فعندما أطلق عليه شيخ الإسلام لفظ الفضيلة هنا فهو يقصد فضيلة العربية وفضله بين أهلها و أئمتها، وهذا من الإنصاف العالي جدا.
ومن لبس الصوف معتقدا فيه فضيلة، وجعله زيه و شعاره قلنا له: لا فضيلة في لبس الصوف بهذا الاعتبار مع أن في الصوف فضيلة ومزية على بعض الأقمشة خاصة في تدفئة الجسم، فالنفي له وجه، والإثبات له وجه آخر، فافهم تستريح.
وفي الصحيحين عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " إن لله ملائكة سيارة فضلاء يتبعون مجالس الذكر . فإذا وجدوا مجلسا فيه ذكر قعدوا معهم وحف بعضهم بعضا بأجنحتهم حتى يملئوا ما بينهم وبين السماء الدنيا فإذا تفرقوا عرجوا وصعدوا إلى السماء فيسألهم الله - وهو أعلم - من أين جئتم ؟ فيقولون : جئنا من عند عباد لك في الأرض يسبحونك ويكبرونك ويهللونك ويحمدونك ويسألونك . قال : وما يسألوني ؟ قالوا : يسألونك جنتك . قال : وهل رأوا جنتي ؟ قالوا : لا أي رب قال : فكيف لو رأوا جنتي ؟ قالوا : ويستجيرونك . قال : ومم يستجيرونني ؟ قالوا : من نارك . قال : وهل رأوا ناري ؟ قالوا : يا رب لا . قال : فكيف لو رأوا ناري ؟ قالوا : ويستغفرونك . قال فيقول : قد غفرت لهم وأعطيتهم ما سألوا وأجرتهم مما استجاروا قال : يقولون : رب فيهم فلان عبد خطاء إنما مر فجلس معهم . قال . فيقول : وله قد غفرت هم القوم لا يشقى بهم جليسهم }
قلت: ولا يفهم من هذا أن غيرهم من الملائكة ليسوا فضلاء.
فعندما نخاطب المخالف لنا بهذه العبارة: فضيلة الشيخ و ما شابهها،فإننا نقصد أنه مفضل في طائفته أو من فضلاء طائفته ، فكل الناس فيهم فضيلة حتى العوام منهم، وقلّما يخلو الرجل من فضيلة، فإنه إذا عدم الإنسان كل فضيلة صار كالشوك وكالحطب الذي لا يصلح إلا للوقود.
و أهل العلم من الطوائف الأخرى فيهم فضيلة علمية و عملية معتبرة شرعا، فعدم التماثل في الدين مع أهل السنة من وجه لا يعني عدم التماثل من وجه آخر، فإن كان التماثل في الدين من كل وجه تماثل حكمهما في الفضيلة، و إن لم يتماثل، ففضيلة أهل السنة فضيلة تعيين و تحقيق، و فضيلة المخالف لهم فضيلة سبب.
- ومعلوم أن فضيلة العلم ومعرفة الصواب أكمل الفضائل وأشرفها، وبهذا يفضل أهل

السنة على من سواهم،فإنك قد تجد في الطوائف الأخرى من هو أكثر عبادة أو زهدا أو جهادا أو صدقة من بعض أهل السنة فهو فاضل من هذه الجهة، و فضل أهل السنة أكمل و أشرف و أرفع قدرا لأنه فضل العلم ومعرفة الحق.

فلو قدر وجود رجلين موسرين أحدهما سنيّ و الآخر معتزلي أو طرقي وكان السني أقلّ صدقة ونفقة من الآخر فمع أن السني خير منه في كل شيء إلا في الصدقة، فالآخر أنفع منه للناس في هذا الباب.

ومن هذا الباب ـ من بعض الأوجه ـ فضل سورة الإخلاص التي تعدل ثلث القرآن، ومع هذا فلا تقوم مقام آيات المواريث والطلاق ونحوها بل هذه الآيات في وقتها وعند الحاجة إليها أنفع من تلاوة سورة الإخلاص، فهكذا الأمر، بعض المخالفين قد يكون في بعض الأمور الشرعية أنفع للناس من بعض السنيين، و إن كان أهل السنة من حيث الجملة أنفع و أفضل للناس من غيرهم.

وقد جاء في الحديث ـ حديث الصعقة يوم القيامة ـ أن أول من يفيق نبينا صلى الله عليه وسلم ويجد موسى متعلقا بقائم العرش فيحصل تردد هل أفاق قبله أم لم تغشيه صعقة النفخ لأنه جزي بصعقة الطور، قال ابن القيم: وهذه فضيلة عظيمة لموسى، ولا يلزم من فضيلة واحدة أفضليته على نبينا مطلقا لأن الشيء الجزئي لا يوجب أمرا كليا.

قلت:هذا الأمر يحتاج إلى فقه نفس وفرقان قرآني نعلم به الفرق بين فضيلة الشيء في نفسه وبين فضيلته العارضة،وبين من تعينت فضيلته و تحققت،وبين من فضيلته فضيلة جملة كانتساب لأهل سنة،وبين من فضيلته فضيلة سبب أو مظنة فيعطي كل ذي حق حقه، ويوضع كل إنسان في موضعه، وهذا من تمام العدل، فمعرفة مراتب الناس، و أحوال الناس وحفظ مراتبهم هو من تمام العدل و الإنصاف .

فالسني الجامع للدين على أتم وجه أفضل من كل مخالف آتى ببعض الدين على وجهه و قصر في بعضه الآخر،وهنا نحتاج إلى معرفة مراتب الناس من حيث الجملة ومراتبهم من حيث التخصيص، و تفاوتهم من حيث الجملة ومن حيث التعيين.

فليس بمستنكر عند أهل العلم و العدل أن يخاطب المفضول جملة بالفضيلة الجزئية منضما إلى اعتبار الأدب و الملاطفة و المداراة، فالسني الحقيقي المتقي اختص بفضل لم يحصل لغيره،فهذا فضل تحقيق و تعيين بينما المخالف له فضل من بعض

الوجوه يخاطب به عند من لا يغتال الأدب و العدل و الإنصاف بالغلظة و الاحتقار، ويفرق بين نفع و ضر، و يرق لمرحوم، و يبقي على فضيلة كل ذي فضل مهم صغرت.

فرق قرأني رباني بين من يلاطف الخلق ويصدع بالحق، وبين من يظلم الخلق، ولا يصدع بالحق.

تظهر فضيلة الإنسان و الشيء تارة من عموم منفعته، وتارة من شدة الحاجة إليه وعدم الاستغناء عنه، وتارة من ظهور النقص والشر بفقده لأن منفعته و إن كانت جزئية فالناس محتاجون إليها، إما عموم الناس و إما أهل طائفته.

وقد يكون في الإنسان في نفسه شرف و كمال بغض النظر عن متعلقاته وهذا حال بعض المخالفين كما شهد بذلك القاضي أبو بكر بن العربي لبعض الشيعة الإمامية الذين ناظرهم في عكا ـ هو أبو الفتح العكي ـ بأنهم أهل إنصاف،قال:"وفيهم لعمر الله و إن كانوا على مذهب باطل انطباع و إنصاف وإقرار للرجل بفضله إذا ظهر واعتراف" (آراء ابن العربي الكلامية)(ص:62 /2).

وهذا لا يعني أن الإمامية فضلاء لأن هذه شهادة لفرد واحد، وفي نوع واحد من الفضائل أي هذا فضل لسبب ، فيجب حينئذ تمييز الكلام.

بينما الفاضل من أهل السنة ـ علما وعملا ـ حصّل الكمال و الفضل من جميع الجهات، فهو نافع للناس من جهة العموم ومن جهة الخصوص، و الحاجة إليه فوق الحاجة إلى الفاضل من الطوائف المخالفة.

فعندما نحكم بفضل شخص قد ننظر جزئيا ونحكم كليا، وقد ننظر كليا و نحكم جزئيا،بحسب المقتضى و المقام.

فإن كان في الإنسان بدعة و نبل ففيه فضيلة من جهة النبل، لا من جهة البدعة.

وبعض المبتدعة فاضل في تفسير القرآن، أو في أصول الفقه، أو في الفقه، أو في السلوك، فهذه فضيلة سبب،و كذلك المخالف عدم فضله من جهة العلم الكامل ومن جهة معرفة الحق على تمامه لا يعني أنه عديم من الفضيلة.

و إنما يغلط الناس في هذا الباب لأنه ليس كل فضيلة تبدو مع البديهة، ولكن منها ما نعرفه بعد تكرار النظر و التفكير،فالصقر يفضل جنس الجوارح، و الحمام يفضل جنس البغاث، و الأسد يفضل جنس السباع ، وهكذا الفضل في الجنس فالسني يفضل

جنس المسلمين، و الواحد من المخالفين يفضل جنس طائفته،وقد يفضل المسلمين بخلق أو عمل شرعي أو علم محدد، و إن كان مفضولا من حيث الجملة .
فالفضيلة بنوع لا تستلزم الفضيلة مطلقا.
والمخالف لأهل السنة له حق و عليه حق، له حق الإسلام وحق الإيمان،وحق ما معه من الحق كالقرآن و السنة وحب الله و حب نبيه صلى الله عليه و سلم وحب صاحبته وغير ذلك، وعليه حق اتباع الحق ،وهو لم يتبع الحق في بعض المسائل إما لعدم التصور و إما لسوء القصد ،ونحن نريد له أن يتبع الحق فندعوه إليه بلطف و لين و نية حسنة، و نبلغه الحق بحجته، وندرأ له ما يعارضه من شبهات حتى تقوم الحجة عليه .
و السني أفضل من المخالف لأجل السنة، لا لأجل انتسابه للسنة،وبعض المنتسبين للسنة حالهم أسوأ من بعض المخالفين الذين هم أكثر طاعة لله تعالى منهم أو لأنهم و إن لم يفعلوا بدعة فإنهم لا يفعلون سنة،فإن شاركهم غيرهم في سنة العبادات كانوا مثلهم، ولم ينفعهم مجرد الانتساب للسنة إذا عطلوا السنة في السلوك، و السنة في التوحيد، و السنة في الجهاد، و السنة في الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر،و السنة في التعاون على البر و الخير و غير ذلك.
ففضل أهل السنة على غيرهم بسبب السنة و متابعة النبي صلى الله عليه و سلم وهذا لا يوجب أن كل سني أفضل من غيره لمجرد أن أهل السنة أفضل من غيرهم فالفضل تابع للسنة تحقيقا، و ليس انتسابا.
والانتساب للسنة سبب ومظنة للفضيلة المطلقة فمن آتى بها على وجهها فقد آتى بحقيقة هذه الفضيلة، وهو أفضل ممن لم يأت بحقيقتها، فالسني عموما خير من المبتدع، و بعض المبتدعة خير من بعض و أفضل، كما أن العالم خير من الجاهل و الجاهل المتقي خير من العالم الفاجر ،و إن كان علم الفاجر خير من جهل المتقي فإن التقوى أعظم فضيلة من العلم العري منها. مبحث التفاضل تجده مشتتا في كتب الفقه.
في الأخير: لنستطيع الجمع بين واجب النصح و النقد و الاعتراض وواجب حفظ مقام العالم تأمل كلام ابن تيمية التالي:
"وليس المقصود أيضًا العدوان على أحد -لا المعترض ولا غيره- ولا بخس حقه ولا تخصيصه بما لا يختص به مما يشركه فيه غيره - بل المقصود الكلام بموجب العلم

والعدل والدين، كما قال تعالى: {يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى} [سورة المائدة:] .
وليس أيضًا المقصود ذم شخص معين بل المقصود بيان ما يذم وينهى عنه ويحذر عنه من الخطأ والضلال في هذا الباب، كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (ما بال رجال يقولون أو يفعلون كذا) فيذم ذلك الفعل ويحذر عن ذلك النوع وليس مقصوده إيذاء شخص معين.
ولكن لما كان هذا صنف مصنفًا وأظهره وشهره لم يكن بد من حكاية ألفاظه والرد عليه وعلى من هو مثله ممن ينتسب إلى علم ودين ويتكلم في هذه المسألة بما يناقض دين المسلمين حيث يجعل ما بعث الله به رسوله كفرًا، وهذا رأس هؤلاء المبدلين، فالرد عليه رد عليهم."الإخنائية.
هل يوجد فضل في الديانات الفاسدة؟
عندما ننظر في المذاهب الكفرية اللادينية ~ التي تنقل الناس إلى الكفر الصريح الذي لا تأويل فيه كالمذاهب المعاصرة من المادية و الوجودية و شكاكية النسبوية وغيرها التي تشكك في كل شيء و تدع الناس بلا إيمان بل و تطالبهم بالحقائق العلمية المعقدة و تستغل كل فجوة في العلم المادي لتضعف إيمان الناس بدينهم، و تنقلهم حينما تسوي بين كل الثقافات وكل الأشياء إلى العدمية التي بحسبها لا شيء له قيمة حتى الحياة نفسها ،و الأنانة حيث الإيمان بالأنا فقط، والتي بحسبها العالم مختصر في ذاتيات فردانية ~ نجد أنه حتى الديانات الفاسدة أنفع للبشر منها، فالناس يحتاجون إلى العيش وفقا لمبادئ و معايير أخلاقية محددة يأخذونها من دينهم ولو زالت الديانات زال معها وجود البشر، فالناس يحتاجون إلى مذاهب تفسر لهم الغاية من هذا العالم تفسيرا ختاميا يزيل عنهم القلق أمام الموت و يبشرهم بعناية ورعاية بعده لذلك يحتاجون إلى حقائق بسيطة واضحة الشكل تشرح لهم أصل هذا الكون و نهايته و تعطيهم شيئا من الاطمئنان يتجاوزون به قلق الموت ،ولهذا تبقى الديانات الوسيلة العملية لبناء نظام أخلاقي ضروري لوظيفة هذه المجتمعات.
ففي هذا المستوى تكون الديانات الفاسدة خير من لا دين، لأنها تسهل عليهم العيش، و تزودهم بالنظام ، و إن كانت في الآخرة وبالا عليهم ، و المقارنة هنا ليست بين الإسلام و الديانات الفاسدة و لكن بين اللادين و هذه الديانات من جهة الأثر على

المجتمعات استقرارا و نظاماً حتى لا يقوّلنا الغلاة ما لا نقصده.
و المقصود أن الأنبياء ~ كاا قال ابن تيمية ~ بعثوا لتحقيق المصالح و تكميلها، ودرء المفاسد و تقليلها بحسب الممكن من العلم و القدرة،و المنهج العلمي في القرآن يقوم على الجمع بين المتماثلين و التفريق بين المختلفين، و لهذا لا يسوي بين المختلفين إلا الجاهل، فالأفكار و المذاهب حتى الكفرية تتفاضل، و الملل تتفاضل، و المذاهب داخل الإسلام تتفاضل، و العلماء داخل الجماعة الواحدة يتفاضلون علما و حالا ، و بعض الشر أهون من بعضه الآخر، و بعض الخير أحسن من بعضه الآخر.
في المقال القادم نتكلم ~ إن شاء الله ~ عن الفرق بين العالم و المتعالم ومتى يكون الإنسان متعالماً.

الأَقْوَالُ نَوْعَانِ

النَّوْعُ الأَوَّلُ: أقوالٌ ثابِتةٌ عن النَّبِيّ، فهي مَعْصُومَةٌ، يجِبُ أَنْ يكُونَ معنَاها حَقًّا، عَرَفَهُ مَن عَرَفَهُ وجَهِلَهُ مَن جَهِلَهُ، والبَحْثُ في ذلِكَ إنَّما هو عَن مَعْرِفَةِ ما أَرَادَهُ النَّبِيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ بِأقوَالِهِم.
ومَن طَلَبَ تَفْسِيرَ كلامِهِ وتأوِيلَهُ، ومَقْصُودُهُ مَعرِفَةُ مُرادِهِ مِن الوَجْهِ الذي بِهِ يُعرَفُ مُرَادُهُ فقَد سَلِكَ طَرِيقَ الهُدَى؟
ومَن كان مَقْصُودُهُ أن يَجعَلَ أقوَالَهُ تَبَعًا لَهُ، فإن وافَقَهُ قَبِلَهُ وإلاَّ ردَّهُ، وتكلَّفَ لهُ مِنَ التَّحرِيفِ ما يُسمِّيه تَأوِيلاً، مع أنَّهُ يَعْلَمُ بِالضَّرُورَةِ أنَّ كَثِيرًا مِن ذلِكَ أو أكثرَهُ لم يُرِدْهُ النَّبِيُّ صلَّى اللهُ عَليهِ و سَلَّمَ فَهَذَا مُحرَّفٌ لِلْكَمِيق عَن مواضِعِهِ، لا طَالِبٌ لِمَعْرِفَةِ التَّأوِيلِ الذي يَعْرِفُهُ الرَّاسِخُونَ في العِلْمِ.
النَّوعُ الثَّانِي: ما لَيسَ مَنْقُولاً عَن النَّبِيِّ صَلَّى اللهَ عَليهِ وسَلَّمَ، فَقَد عُلِمَ أنَّ مَنْ سِوَاهُم ليسَ بِمَعْصُومٍ، وحِينَئذٍ فلا يُقبَلُ كَلامُهُ، ولا يُرَدُّ إلاَّ بعدَ تَصَوُّرِ مُرَادِهِ، ومَعْرِفَةِ صَلاحِهِ مِن فَسَادِهِ. ابن تيمية؛ مجموع الفتاوى؛4/191.
هذا تفصيل يشمل المخالفين للنصوص بكل الطرق الممكنة، بالدلالة اللغوية المعجمية أو بسفسطة المنطق، لكنه يشمل كذلك بعض السلفيين، في قسمه الأول تطبيقا على العمليات حيث رضوخهم لأقوال شيوخهم و مذاهبهم أعظم من رضوخهم لقوة النص أو رجحان الدليل، و أما في قسمه الثاني فتلك مصيبة عند جمهور المسلمين.
أنواع الأقوال كثيرة أهمها الأقوال في الدين ..

النهي عن قراءة الكتب ؟

الحمد لله وحده، و الصلاة و السلام على من لا نبيَّ بعده.

بعض الدعاة الذين لم يتخصصوا بدايةً بالعلوم الشرعية لا يجدون ترحيباً ممن قضوا عمرهم فيها، و قد يبالغون في الوقوف على أخطائهم كأنهم الصنف الوحيد الذي قد يقع في أخطاء بينما الخطأ لم يسلم منه كبار الأئمة ، و كل خطأ وقع فيه متأخر إلا وجدنا مثله عند المتقدم و أحيانا أسوأ من الجهتين : من جهة المضمون،ومن جهة أن المتقدم أقعد بالعلم من المتأخر." أنظر مقالي "حسم السجال حول الرجال"

وعلى هذا من ظن أنه يوجد كتب سالمة من الخطأ غير ما أجمع عليه المسلمون فهو واهم، و الأخطاء تتفاوت من جهة الكيف ومن جهة الكم بسبب الفرق في الاجتهاد فمن أجتهد أخطأ كما يلزم النقص الآدمي، ومن لم يجتهد عد أخطاء المجتهد، و إنما تحي الأمة و تثرى العلوم بالاجتهاد لا غير.

و بعض طلبة العلم الذين يدافعون عن هؤلاء الدعاة لا ينكرون أخطاءهم ~ المفروض ~ و لكن يقيمون العذر لهم لما علموه من صدق توجههم و جهادهم و اجتهادهم لانتشال الأمة من حال الضعف و الهوان ،وهذا حسن.

أما قضية كتبهم فمن قدَّر أن الأخطاء في كتبهم تجاوزت الحد المحتمل أو أنها كبيرة مؤثرة يمكنه أن ينهي عنها صغار طلبة العلم أو الناشئة منهم، لكن من عرف عقيدته و دينه لا يجب أن ينهى أو يذم بقراءة كتبهم لما حوته من فوائد و تقريرات حسنة .

ومن يتأول حال بعض الأقوال و المناهج يكاد يجزم بأنها دبرت بليل ، المادة إسلامية سنية لا شك في ذلك، و لكن التركيب بينها غريب، مملوء بالفجوات، و الوجهة صادمة لكل مؤمن مهموم بحال أمته.

بعض التجريح و التعديل عند السلف ظنون سيئة أو حسنة لا تلزم إلا صاحبها

الحمد لله وحده، و الصلاة و السلام على من لا نبيَّ

لم ينتبه التجريحيون إلى مسألة تناقض مواقف أهل العلم مع بعضهم بعضاً، و أقصد بالتناقض هنا: اختلاف أحكامهم في الرجال ومواقفهم منهم.

ولذلك تجد التجريحيين نظرا لهذا المنهج لم يفهموا تعدد مواقف أهل العلم في الرجال، فيعتبرونها تناقضا ،فإذا خالف أحدهم موقف الشيخ الألباني ~ مثلا ~ في رجل

اعتبروا ذلك تناقضا منه، إذ في عقولهم يلزمه إن كان على منهج الألباني أن يوافقه في كل مواقفه من أهل العلم و الدعاة ، وهذا خلط فاحش لا تجده إلا عند هؤلاء القوم،ومنتدياتهم مملوءة به؛ و عندما يظفرون بمثال منه تجدهم قد أقاموا الأفراح كأنهم اكتشفوا حديثا نسيه البخاري ـ رحمه الله ـ في مسودة يذم ذاك الرجل!

فهم يعتبرون مواقف شيخهم أو غيره من بعض العلماء من ثوابت الشريعة ،ومن المسلمات عند أهل العلم !

نعم، مواقف أهل العلم من بعضهم البعض محترمة، ومفهومة الأسباب و العلل ولكنها قابلة للنقاش، و أكثر من ذلك لا تلزمهم إلا هم و من يقلدهم.

و أهل العلم يبنون مواقفهم بناءً على علمهم، وليس على علم غيرهم.

وعليه، فإن الاجتهاد يكون في الأدلة و القواعد الشرعية ليس في مواقف أهل العلم، وليس شرطا أن يصيب العالم في كل شيء ليكون سنيا، فلا نقابل موقف ابن جبرين بموقف الألباني أو باز ـ رحمهم الله ـ ثم نزعم أننا أقمنا دليلا أو أبطلنا قول المخالف، بل نقابل بين أدلتهم الشرعية، و إلا كنا مستحسنين الاستحسان الباطل.

و إذا فهمت هذه المسألة: اختلاف أحكام العلماء في الرجال انهار أمامك منهج التجريحيين في: الموازنة، و الجرح المفسر، و الامتحان بالأشخاص.

وعندما تدرس كتب الجرح و التعديل بحثا عن هذا المشكل: اختلاف مواقف العلماء من الرجال، و كيف عالجه أهل العلم؟ و هل أشعلوها حربا بينهم بسبب اختلافهم في رجل؟ وهل كانوا ملزمين بقبول جرح بعضهم لبعض الرجال كما هو مذهب المحدث في الجرح المفسر؟

فستجد أن أهل السنة في واد وهؤلاء في واد، فتجدهم ـ مثلا ـ يقولون عن إمام خالف جمهور العلماء في رجل إما تعديلا، فيقولون: كان يحسن الظن أو حسن الرأي بفلان،أو تجريحا، فيقولون: كان يسيء الظن أو سيء الرأي بفلان.

هذا هو منهج أهل السنة عندما يختلفون في الحكم على رجل، ولا يعتبرون تناقض مواقفهم بالنسبة لرجل محنة يجرحون بعضهم بعضا بسببها،و إليك الأدلة على هذه القاعدة:

1 ـ قال ابن حبان في (الثقات)(4/239): ((رفيع البصري أبو العالية الرياحي مولى امرأة من بني يربوع من بني رياح اسلم لسنتين خلتا من خلافة أبى بكر يروى عن

على وابن عباس روى عنه قتادة وأهل البصرة مات يوم الاثنين في شهر شوال سنة ثلاث وتسعين ،وكان الشافعي سيء الرأي فيه)).
قلت: فهذا أبو العالية الرياحي الذي ترجمه الذهبي و غيره ترجمة وافية من سادات التابعين، الإمام المقرئ الحافظ المفسر أحد أعلام المسلمين، أدرك زمان النبي صلى الله عليه وسلم وهو شاب، وأسلم في خلافة أبي بكر الصديق، ودخل عليه،وسمع من عمر، وعلي، وأبي، وأبي ذر، وابن مسعود، وعائشة، وأبي موسى، وأبي أيوب، وابن عباس، وزيد بن ثابت، وعدة،وحفظ القرآن، وقرأه على أبي بن كعب، وتصدر لإفادة العلم، وبعد صيته.
قرأ عليه أبو عمرو بن العلاء فيما قيل، وما ذاك ببعيد فإنه تميمي،وكان معه ببلده،وأدرك من حياة أبي العالية نيفا وعشرين سنة،قال أبو عمرو الداني: أخذ أبو العالية القراءة عرضا عن أبي، وزيد، وابن عباس،ويقال: قرأ على عمر.
روى عنه القراءة عرضا شعيب بن الحبحاب، وآخرون،قال قتادة: قال أبو العالية: قرأت القرآن بعد وفاة نبيكم صلى الله عليه وسلم بعشر سنين .
وروى معتمر بن سليمان، وغيره عن هشام بن حسان، عن حفصة بنت سيرين، قالت: قال لي أبو العالية: قرأت القرآن على عمر- رضي الله عنه - ثلاث مرارا .
وعن أبي خلدة، عن أبي العالية، قال: كان ابن عباس يرفعني على السرير وقريش أسفل من السرير، فتغامزت بي قريش، فقال ابن عباس: هكذا العلم يزيد الشريف شرفا، ويجلس المملوك على الآسرة.
قلت: هذا كان سرير دار الإمرة لما كان ابن عباس متوليها لعلي رضي الله عنهما.
قال أبو بكر بن أبي داود: وليس أحد بعد الصحابة أعلم بالقرآن من أبي العالية، وبعده سعيد بن جبير.
وقد وثق أبا العالية الحافظان أبو زرعة وأبو حاتم.
قال أبو خلدة: ذكر الحسن البصري لأبي العالية، فقال: رجل مسلم يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وأدركنا الخير وتعلمنا قبل أن يولد.انظر ترجمته في (سير أعلام النبلاء)(4/207).
قال العجلي في(الثقات)(2/412): ((تابعي ثقة من كبار التابعين)).
كان الشافعي سيء الرأي فيه، فهل وقع الشافعي في الذين زكوه و أثنوا عليه؟!

وهل وقع من زكاه و أثنى عليه في الشافعي، و أنه يطعن في أهل العلم و أهل السنة ،و يثني على المبتدعة ؟!

2 ـ عبد الله بن شقيق، قال ابن عدي: كان التميمي سيء الرأي فيه، وما بأحاديثه إن شاء الله تعالى بأس، عبد الله بن شقيق عثمانيا ،وكان ثقة في الحديث.

قال صالح بن أحمد عن علي: سمعت يحيى بن سعيد يقول: كان سليمان التيمي سيء الرأي في عبد الله بن شقيق.

قال أحمد بن حنبل: ثقة، وكان يحمل على علي.

قال أبو بكر بن أبي خيثمة عن يحيى بن معين: ثقة من خيار المسلمين لا يطعن في حديثه.

وقال أبو حاتم: ثقة.

قال ابن خراش: كان ثقة، وكان عثمانيا يبغض عليا.

روى له البخاري في الأدب والباقون.

قلت: فهذا محدث ثقة، تقريبا أجمع أهل الحديث على توثيقه كان سليمان التيمي سيء الرأي فيه، لم يزد أهل العلم أن قالوا ذلك، لا امتحان، و لا معارك، و لا إسقاط، ولا مجموع ردود؟!

3 ـ الحسن بن حي، قال محمد بن عبد الله بن عمار الموصلي عن يحيى بن سعيد القطان: كان سفيان الثوري سيء الرأي في الحسن بن حي (تهذيب الكمال)(180/6).

فهذا يحي القطان معروف بتشدده في الرجال، و أحيانا بتعنته يعترف أن سفيان الثوري على جلالة قدره و إمامته كان سيء الرأي في الحسن بن حي، فلا أهل العلم طعنوا في سفيان، ولا سفيان أشعلها حربا عليهم، كيف يخالفوه، و لا يقبلوا خبر الثقة ،و ما إلى ذلك؟!

4 ـ أبو ياسر عمار بن نصر، قال أبو أحمد علي بن محمد الحنيني: وسألته يعني صالح بن محمد جزرة الحافظ عن أبي ياسر عمار بن نصر؟ فقال: كتبت عنه، لا بأس به عندي، وكان يحيى بن معين سيء الرأي فيه.

فهنا يوضح لنا الحافظ صالح جزرة مسألة مهمة في الجرح و التعديل وهي أن الرجل عنده لا بأس به، و أنه يعمل فيه بعلمه، و ليس بعلم يحي بن معين،فالقضية قضية

اجتهاد لا قضية خبر ثقة، ومناهج مبتدعة وغير ذلك؟!
5 ـ منصور بن محمد بن محمد بن الطيب، أبو القاسم الناظمي، الفقيه الهروي، كان فقيها مشهورا، ذا مروءة ،سمع من جده لامه أبي العلاء صاعد بن منصور الأزدي، ومحمد بن إسماعيل، وأبي القاسم القشيري، روى عنه:ابن ناصر، والسلفي، ويحيى بن اسعد بن يونس وآخرون.
قال السمعاني: كان شيخنا أبو الحسن الأزدي سيء الرأي فيه قال: لا أروي عنه حرفا.
6 ـ عبد الغفار بن القاسم بن قيس الأنصاري أبو مريم الكوفي روى عن عدي بن ثابت، ونافع، وعطاء، والمنهال بن عمرو وغيرهم، وعنه شعبة أحد شيوخه ويحيى الأنصاري، ويحيى بن أبي كثير وغيرهم.
قال أحمد بن حنبل: ليس بثقة ،كان يحدث ببلايا في عثمان، وعامة حديثه أباطيل وقال ابن عدي عن ابن معين: ليس بشيء، وقال أبو حاتم: متروك الحديث كان من رؤساء الشيعة ،وكان شعبة حسن الرأي فيه لا يكتب حديثه.
وقال بن حبان: كان فيمن يروي المثالب في عثمان، ويشرب الخمر حتى يسكر ومع ذلك يقلب الأخبار، لا يجوز الاحتجاج به، تركه أحمد بن حنبل ويحيى بن معين.
قلت: القضية بسيطة، تبيّن لهم ما لم يتبيّن لشعبة ـ رحمه الله ـ،مع أن الرجل كذاب،ومن رؤوس الشيعة ،فحكموا بعلمهم و أعذروا شعبة بتلك الكلمة الجميلة و القاعدة الرائعة : كان حسن الرأي فيه.
لم يقولوا: يا لجهل شعبة، يا لغفلته،يا لمصيبتنا فيه؟!
7ـ الإمام أبو حنيفة النعمان ـ رحمه الله ـ قال شبابة بن سوار: كان شعبة حسن الرأي في أبى حنيفة، وكان يستنشدنى أبيات مساور الوراق.
قال: وحدثنا إسحاق بن أحمد الحلبي قال: نا سليمان بن سيف قال: نا عبد الصمد بن عبد الوارث قال: كنا عند شعبة بن الحجاج فقيل له: مات أبو حنيفة، فقال شعبة: لقد ذهب معه فقه الكوفة، تفضل الله علينا وعليه(الانتقاء)(1/126)ابن عبد البر.
قلت: و هذا لعله أقوى مثال، فإن أبا حنيفة أخباره مشهورة عند أئمة تلك الفترة، مما يعني أن موقف شعبة منه يشبه موقف آخرين يعبر عن وجهة نظره ،و ليس عن عدم علم، فقد وصفه بفقه الكوفة ،كما أن شعبة لا يخفى عليه مكانة أبي حنيفة في الحديث،

ومع ذلك لم نسمع أحمد أو ابن حبان أو الخطيب يتكلمون في شعبة و يطعنون عليه لأنه خالفهم في أبي حنيفة ، لم يتجاوز موقفهم كلمة: كان حسن الرأي في أبي حنيفة.
وشعبة هو القائل في أبان بن أبي عياش : لأن أشرب من بول حمار حتى أروى أحب إلي من أن أقول ثنا أبان بن أبي عياش ، وقال مرة : لأن أزني سبعين مرة أحب إلي من أن أحدث عن أبان ، وقال مرة : لأن يفعل الرجل بالزنا خير له من أن يروي عن أبان، وقال: إزاري وحماري في المساكين أن أبان يكذب.
رحم الله شعبة ،لم يكن له إلا ذاك الإزار و الحمار،وأبان صدوق يخطئ ،ولم يتهم بشيء من التجهم،وقد وثق شعبة من هو أسوا منه ، ومن ينظر في مثل هذه الأقوال يعلم درجة دقة شعبة و تحريه في الحديث النبوي، ومع ذلك فقد خالفه الأئمة كثيرا من غير أن يطعنوا فيه أو في منهجه و سنيته و غير ذلك.
نعم، أكثرهم ترك حديث أبان، و لكن ليس للكذب ولكن للخطأ، ومنهم من وثقه كأيوب، ومالك بن دينار،وحدث عنه: الثوري، و معمر، وابن جريج، و إسرائيل وحماد بن سلمة، وروى له أبو داود حديثا واحدا.
8 ـ أحمد بن محمد بن الأزهر بن حريث أبو العباس الأزهري السجستاني، قال ابن عدي: يحدث بمناكير، وقال الدارقطني: منكر الحديث قال: وبلغني أن محمد بن إسحاق بن خزيمة حسن الرأي فيه، وذكر ابن حبان أنه جرب عليه الكذب.
قلت: ابن خزيمة إمام الأئمة فاته حال هذا الرجل، فهو بين التحديث بالمناكير و الكذب ،وهو أسوأ جرح يتهم به الرجل، ومع ذلك فات ابن خزيمة أمره،ولم يحدث شيء بين أهل السنة؟!
9 ـ المسيب بن واضح، قال أبو حاتم: صدوق يخطئ كثيرا، فإذا قيل له: لم يقبل،وكان النسائي حسن الرأي فيه، ويقول: الناس يؤذوننا فيه.
وذكره ابن عدي، فأورد له عدة أحاديث مناكير، ثم قال: أرجو أن باقي حديثه مستقيم، وهو ممن يكتب حديثه.
قلت: الرجل متعنت يذكر بخطئه فلا يقبل ،وهو كثير الخطأ، وقد قبله النسائي وقال أنه يؤذى بسببه، فهل ألزموه بتركه؟!وهل تخلى عن قناعته و اتبعهم على قناعتهم لأن جرحهم مفسر؟!
10 ـ معلى بن منصور الرازي الحنفي، قال أحمد : ما كتبت عنه شيئا.

وقال أيضا: كان يحدث بما وافق الرأي، وكان كل يوم يخطئ في حديثين وثلاثة، فكنت أجوزه إلى عبيد بن أبي قرة في قطيعة الربيع .
وقال محمد بن يوسف بن الطباع: سألت أحمد بن حنبل عن معلى الرازي، فسكت
قال أبو حاتم: قيل لأحمد بن حنبل: كيف لم تكتب عن المعلى ابن منصور ؟ قال: كان يكتب الشروط، ومن كتبها لم يخل من أن يكذب.
قال أبو زرعة: رحم الله أحمد بن حنبل، بلغني أنه كان في قلبه غصص من أحاديث ظهرت عن المعلى بن منصور كان يحتاج إليها، وكان المعلى أشبه القوم - يعني أصحاب الرأي - بأهل العلم، وذلك أنه كان طلابة للعلم، رحل وعني، فتصبر أحمد عن تلك الأحاديث، ولم يسمع منها حرفا، وأما علي بن المديني، وأبو خيثمة، وعامة أصحابنا، فسمعوا منه، المعلى صدوق.
وروى عثمان بن سعيد، عن ابن معين: ثقة.
وقال يحيى أيضا: إذا اختلف معلى وإسحاق بن الطباع في حديث عن مالك، فالقول قول معلى،معلى أثبت منه وخير منه .
قال العجلي: ثقة صاحب سنة، وكان نبيلا، طلبوه للقضاء غير مرة، فأبى.
وقال يعقوب بن شيبة: ثقة فيما تفرد به وشورك فيه، متقن صدوق فقيه مأمون.
وقال ابن سعد: نزل بغداد، وطلب الحديث، وكان صدوقا، صاحب حديث ورأي وفقه، فمن أصحاب الحديث من روى عنه، ومنهم من لا يروي عنه، وكان ينزل الكرخ .
وقال أبو حاتم: كان صدوقا في الحديث، وكان صاحب رأي.
وقال أحمد بن كامل القاضي: كان معلى من كبار أصحاب أبي يوسف، ومحمد، ومن ثقاتهم في النقل والرواية .
قلت (الذهبي): كان معلى صاحب سنة واتّباع، وكان بريئا من التجهم.
قلت(الذهبي): روى له الجماعة.
قال أبو داود في (سننه): كان أحمد بن حنبل لا يروي عن معلى، لأنه كان ينظر في الرأي، ويحيى بن معين وغيره يوثقه.
وأما عبد الرحمن بن أبي حاتم، فغلط بلا ريب، فنقل عن أبيه أنه قال: قيل لأحمد: كيف لم تكتب عن معلى ؟ فقال: كان يكذب، وإنما الصواب ما قدمناه(سير أعلام النبلاء)(365/10).

قلت: فهذا أحمد بن حنبل ـ رحمه الله ـ لا يضاهيه في مذهبه في الرجال أحد اعتدالا وورعا و تحريا وفهما ، قال عنه يعقوب بن سفيان الفارسي : ((أبو عبد الله متحر في مذهبه، مذهبه أحمد من مذهب غيره))(تهذيب الكمال).
هذا موقفه من معلى بن منصور، ذكر سببه، و ما يخشاه في رواياته، خالفه الأئمة ولم يجدوا أنفسهم ملزمين باتباعه، وقبول قوله لأنه ثقة و غير ذلك؟!
11 ـ وهذا جابر الجعفي من أشهر الكذابين، اتهمه الأئمة بجميع أنواع البلايا، قال ابن حجر في (تهذيب التهذيب){2/42}: ((قال ابن عبد الحكم: سمعت الشافعي يقول: قال سفيان الثوري لشعبة: لان تكلمت في جابر الجعفي لأتكلمن فيك)).
قلت: فلماذا لم يقل شعبة لسفيان: أنت تدافع عن المبتدعة، والكذابين ، ومن يقول بالرجعة، ومن يتهمه علماء زماننا، وقد قال الأوزاعي، وقال أيوب، وقال مالك ...... لايدافع عنهم إلا مبتدع مثلهم، ولا يدافع عنهم إلا من هو مثلهم، واحذروه ولا تجالسوه ،كما يقوله الشيخ ربيع و حاشيته فيمن يدافع عن الشيوخ و الطلبة العلم ، مع أن الفرق بين هؤلاء الأفاضل وجابر الجعفي لا تسده الشمس؟!
قال ابن معين: لا تكتبوا حديث جابر الجعفي ولا كرامة.
وقال زايدة: كان جابر الجعفي، والله كذاباً يؤمن بالرجعة.
قال أبو حنيفة: ما رأيت أكذب من جابر، ما أتيته بشيء من رأي إلا أتاني فيه بأثر وزعم أن عنده ثلاثين ألف حديث.(الوافي بالوفيات).
قال ابن حبان في (المجروحين){1/82}: ((سمعت ابن المسيب يقول: سمعت ابن عبد الحكم يقول: سمعت الشافعي يقول: سمعت ابن عيينة يقول: كنا يوما عند جابر الجعفي في بيت فتكلم بكلام نظرنا إلى السقف فقلنا: الساعة يسقط علينا.)).
فهذا حال جابر الذي دافع عنه سفيان الثوري،فهل بدع أحدهم سفيان الثوري ، أو هل بدعه الشافعي لأنه دافع عن رافضي كذاب لم يظهر له حاله ؟!
فأن أعذر أئمة السنة، وعلى رأسهم الشافعي، و أحمد بن حنبل سفيان الثوري و شعبة على ظنهم الحسن بجابر الجعفي، فلابد أن هناك سببا وعلة ،يجب اعتبارها عندما نتكلم عن أئمة السنة، ومن عرفوا بها،هذه العلة يتغافل محبو التجريح عن الإشارة إليها وهي أن الاجتهاد و الاختلاف في الاجتهاد و العذر بسبب الاختلاف في الاجتهاد لم يقل أحد إنه يخص الأحكام وحدها، بل أكثر العلوم خضوعا للاختلاف في الاجتهاد

علم الجرح و التعديل، فإن أكثر الرواة المترجمين فيه من المائة الأولى و الثانية ممن لم يدركهم حتى أمثال الإمام احمد و البخاري فالكلام فيهم بالنقل عن طبقتهم، فإن نقل فيهم جرح وتعديل وجب سبر المنقولات و الاجتهاد فيها ردا و توجيها،فإن كان مذهب أهل السنة أن المجتهد المصيب له أجران و المجتهد المخطئ له أجر واحد ،و خطأه مغفور له، فمن منهم استثنى الاجتهاد في الجرح و التعديل؟!

قال شعبة في جابر الجعفي: هو صدوق.

قلت:فمع أن أكثر أهل الحديث تبرؤوا من عهدة جابر الجعفي فهذا شعبه يقول عنه:صدوق، وسفيان الثوري يدافع عنه،ومعلوم أن شعبة ممن أدركه و أخذ عنه، فكيف خفي عليهما حاله؟!

و اختلفا حوله مع أقرانهما، وهما من هما ، و ما أدراك ما هما شعبة بن الحجاج و سفيان الثوري يخفى عليهما حال رافضي كذاب جالساه و سمعا حديثه؟!

فإن جاز الاختلاف حول رجل ظاهر البدعة معروف بالكذب، ودافع عنه سفيان الثوري، ولم يمتحن بعضهم بعضا به، أفلا يجوز أن يختلف المتأخرون حول رجل من أهل السنة لم يعرف بكذب ولا برفض، وكلٌ يحكم بعلمه ،فكيف نمتحن الناس ببغض علماء أهل السنة ؟!

وقد حدث عن مثل جابر الجعفي سفيان الثوري و ابن عيينة و إسرائيل بن يونس و حسان بن إبراهيم الكرماني و سلام بن أبي مطيع، نقل أئمة الجرح و التعديل عن معلى بن منصور الرازي أنه قال:قال لي أبو معاوية:كان سفيان الثوري و شعبة ينهياني عن جابر الجعفي، و كنت أدخل عليه فأقول: من كان عندك؟ فيقول: شعبة و سفيان!

مع أن الجعفي قال عنه يحي بن معين: ((لم يدع جابرا ممن رآه إلا زائدة ،وكان جابر كذابا)).

وقال محمد بن رافع: رأيت احمد بن حنبل في مجلس يزيد بن هارون ومعه كتاب زهير عن جابر الجعفي، فقلت له: يا أبا عبد الله تنهونا عن جابر و تكتبونه ؟ قال لنعرفه)).

12 ـ الربيع بن عبد الله بن خطاف كان يحي بن سعيد يحط عليه، و يقول: ((أنا أعلم به، و يتعجب من عبد الرحمن بن مهدي كيف لا يطعن عليه)).

وكان عبد الرحمان بن مهدي يقول: ((هو عندي ثقة في حديثه))، قيل له: ((كان يرى القدر؟))قال:((كان يجالس عمرو بن فايد يوم الجمعة)). (الضعفاء للعقيلي){49/2}.

وقد وثقه: الإمام أحمد.

فهذا الرجل اختلف فيه هذان العالمان الكبيران، وكل منهم كان يرى فيه رأيا، ومجال الاختلاف ممكن في كثير من الحالات، ولكنهم لم يمتحنوا بعضهم بعضا بمثل هذا الاختلاف، حتى وضع الذهبي قاعدة فيمن اختلف فيهم يحي بن سعيد و عبد الرحمن بن مهدي.

واختلافهما هنا منشأه مذهبهما في الحديث، فأحدهما وهو يحي بن سعيد القطان يطعن بالمذهب و الاعتقاد ،و الآخر لا يطعن بالمذهب و الاعتقاد إذا كان الراوي صادقا، وهو الذي استقر عليه رأي أهل الحديث بعد ذلك كما في (الموقظة) للذهبي ونص عليه الحافظ وغيره .

المقصود لم يزد القطان عن التعجب، ولم يزد ابن مهدي عن ذكر حجته، لا تبديع ولا امتحان، مع أن الجرح مفسر، ومن أخطر أنواع الجرح، فبدعة القدر و مجالسة القدرية أمر ليس بالهين، ولكن ليس كما في مذهب التجريحيين المحدث .

قال الإمام أحمد في (مسائل ابن هانئ){163/2}: ((كان عمرو بن عبيد رأس المعتزلة و أولهم في الاعتزال ،وروى عنه الثوري، وكان الربيع بن صبيح معتزليا، وكان خيرا من عمرو بن عبيد)).هذه موازنة بين مبتدعين !

قلت: هذا مذهب أهل السنة في الرجال ، و أقول أهل السنة، و لا أقول أهل الحديث لأفرق كما فعل عبد الرحمان بن مهدي بين الإمامة في السنة و الإمامة في الحديث و لأبيّن أن أئمة السنة أئمة في العلم الشرعي، و ليس في الحديث فقط، في القرآن و اللغة، و الحديث، و أصول الفقه، و الفقه و غير ذلك، يبنون مذاهبهم في أصول الدين، و يطردونها في غيرها من العلوم، فقواعدهم كلية مطردة في جميع الأبواب ، ويفرقون بين الأصول وبين الفروع، وما هو في مجراها .

فمن أين للأخوة في مواقع الفتنة هذا المنهج الذي يوجب على العلماء الانسجام و المطابقة التامة في أحكامهم على العلماء والدعاة،وقد يكون التكييف مختلفا ،إنه منهج لا أصل له.

أقول هذا مع تحفظ شديد بين مذهب الأئمة و مذهب غلاة التجريح، فلا وجه للمقارنة، مذهب الأئمة تؤيده الشريعة و طبيعة الإدراك البشري وواقع الناس و مذهب غلاة التجريح مجرد مسخرة.

في المقال القادم نتحدث عن مسألة تسليم الحال إن شاء الله .

البغي ليس رأيا إنه جريمة.....

ملاحظة:

بعد هذه الأيام التي قضيناها في قضايا " التجريح و إسقاط الدعاة" [بقي مقالان: التعالم، وتسليم الحال]، سننتقل بإذن الله إلى قضايا السياسة و الدولة و الإصلاح السياسي و الاجتماعي.

أما قضايا نقد الفكر المعاصر: النسبية: " نقد جميع أشكال النسبية في الموضوع"،"أشكال النسبية الصحيحة في الذات" ،و الباطنية: " الباطنية الجديدة عالمية وملحدة" ،و الظواهرية: " نقد الوعي الظواهري"، و الوجودية:"نقد الوجودية الجديدة"، "عن أي إيمان تتحدث مؤسسة مؤمنون بلا حدود العقلي أم الشرعي؟ الخ و الدارسات الفقهية و الأصولية كـ "اختلاط العقول في حكم الاختلاط العام "،و" مشكلة ابن حزم مع القياس"،" الاختلاف بين المتقدمين و المتأخرين في الحديث الحقيقة و التهويل"،" أسباب الشعور بالحاجة إلى علم المقاصد"...الخ فسأنزلها على موقعي فقط لحساسية المواضيع و خصوصياتها و ذلك أثناء أو بعد شهر رمضان.

المناطقية جاهلية خفية عند بعض الشيوخ

الحمد لله وحده، و الصلاة و السلام على من لا نبيَّ بعده.

أذكر أنه جرى بيني و بين أحد أعوان الشيخ ربيع وهو من خاصته و القائم على شؤونه مراسلة عن رسالة كتبها الشيخ ربيع لنقد الشيخ سفر الحوالي و قد استغربتُ الأسلوب ؛ المشكل أني لاحظت مراراً أن نقد الشيخ ربيع و جمهور أتباعه للسعوديين يكون مهذبا بالنظر إلى نقد غيرهم ، بل في بعض لقاءات الشيخ نفى قطعيا أنه بدَّع الشيخين العودة و الحوالي مع أن مجرد الاستشهاد بقول أحدهما يُبدع به أتباعُه؟

المهم لو قمنا بإحصاء كتابات القوم سنجد أن غالبيتها العظمى موجهة لغير السعوديين لكن في مجالسهم الخاصة ينتقدون العلماء السعوديين، و لعلك لن تتعجب لو علمتَ أنهم وصفوا من يُوزِّع رسالة العباد " رفقا أهل السنة" بأنه مبتدع، و أما كاتبها فعالم

نحرير !
فتخيل معي: الكاتب المنشئ للمقالة عالم سني، و الجاهل الذي يوزِّعها مبتدع، فإذا ما اعترضتَ عليهم قالوا لك: الشيخ العباد مخدوع فيهم، لا يعرف حالهم ؟
فتقول لهم بنية صادقة: الجاهل و العامي لم ينخدع فيهم، و يعرف حالهم أحسن من العلماء و لذلك استبحتم تبديعه و تفسيقه !
المهم كل الرسالة الموجهة للشيخ الحوالي تدور على أمر واحد هو : لمَ تستشهد بسيد قطب؟ مع أن الشيخ ربيع يعلم أنه يوجد تجانس بين عقيدة سيد قطب و عقيدة الحوالي في المسائل التي يُسميها الشيخ ربيع " التكفير" لكنه يرفض مناقشتها موضوعيا لأنه يعلم أنها عقيدة المؤسسة الدينية في المملكة، فعلى السعوديين نعامة و على غيرهم أسد، كما قال عمران بن حطان للحجاج: أسد عليّ وفي الحروب نعامة... ؟
و كذلك تجدهم يذمون كتابا و كاتبه فإذا قلتَ لهم: لقد قدَّم له الشيخ الفوزان أو المفتي.. الخ لم يعروك اهتماماً، فيفصلون بكل راحة نفسية بين المتشاكلين و المتماثلين ، ولو كان المقدِّم له آفاقيا " غير سعودي" لوقعوا فيه شر وقعة.
و يذمون كل من يمدح سيد قطب أو يقول فيه كلمة طيبة إلا علماء السعودية كبكر أبو زيد و المفتي و ابن الجبرين وغيرهم فهذا ليس سببا لإسقاطهم و تجييش الأتباع للنيل منهم، أما العرعور و المغراوي و المأربي... فهذا سبب كاف لتبديعهم؟
وكذلك قد يتعجب المتتبع لمَ الاعتراضات و الانتقادات على الشيخ ربيع عند بعض علماء المملكة تخلو بشكل مثير للتساؤل عن تسميته و الإشارة إليه بوضوح و علنية؟
و ينتقل هذا إلى المستوى السياسي فيجتنبون انتقاد أنظمة الخليج و ينهون عنه، و يسترسلون في ذم الأنظمة الأخرى،بل إن احد المرموقين منهم ذكر في مقدمة شرحه على رسالة أن الحنابلة أقل المذاهب ابتداعاً و فاته أن فيهم ما في غيرهم من الاتحادية، و أصحاب وحدة الوجود، و المعطلة و المفوضة و القبورية و المتعصبة و الغلاة، فربما يخلط بين قدماء الحنابلة أصحاب الإمام أحمد وبين المتأخرين منهم.
المهم أن القومية الضيقة ضاربة بأعطانها في بعض المنسوبين إلى العلم،بل يوجد في البلد الواحد من طلبة العلم من يشكو من المناطقية كما فرَّق أحدهم في المملكة بين أبناء الجنوب و أبناء منطقة الرياض أو نجد، أما التمييز بين أبناء المذاهب المختلفة ولا أقصد هنا الشيعة و القرامطة و لكن المذاهب السنية فهم أعلم به.

وقد يكون هذا هدف استراتيجي للنظام " خطف السلفية" لتحويل السلفية خارج المملكة إلى قوة ناعمة ينفذ بها إلى خارج حدوده؟
ومشكلة القومية و العصبية لها ليس جديداً في المسلمين فقد ذكر ابن تيمية ~ رحمه الله ~ مثل هذه الجاهلية في كتابه "المنهاج"1/112 عندما قال: إن كل من عارض خلافة أبي بكر من العرب ~ على رأسهم قريش و أهل المدينة ~ أو طالب تولية غيره لم يذكر حجة دينية شرعية و إنما نشأ كلامه عن حبٍّ لقومه و قبيلته.
و هذا بلا شك شعبة جاهلية ونوع عصبية مما يعني أن هذا الأمر مغروس في العرب و لم يختف كلية منهم، و سريعا ما عاود الأخذ بزمام الأمور عندما اندلع الصراع بين العدنانية و اليمنية أيام الأمويين .
وكما جاء في السنن عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه قال : (إن الله قد أذهب عنكم عبيَّة الجاهلية و فخرها بالآباء الناس رجلان: مؤمن تقيٌّ و فاجر شقيٌّ) سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ 4/450
وإذا جئنا إلى المفاضلة في العلم بين العلماء وقلما يسلم هذا الباب من الهوى، وهو مدخل للشيطان للنفخ في برميل الجاهلية النتنة نقول: كيف لجاهل بالفرق بين العلم و الجهل، ومراتب الأدلة وجنسها وشروطها، ومراتب العلماء و قوتهم في محل النزاع أن يجزم بأنه لا يوجد علماء في الجزائر؟ !
و إني أجزم أن أحد الشيوخ المداخلة في الجزائر أعلم بالفقه و أصوله و الخلاف الفقهي من الشيخ ربيع وكثير من أمثاله هنا وهناك، كما يوجد من هو أفضل منه ، وهكذا في الحديث و علومه، و العقائد و فروعها ... الخ.
فهذه النزعة الجاهلية التي تستبطن المفاضلة بين العلماء هي من حروبهم الجديدة، و قصدهم إدخال الشباب الغافل في المفاضلة بين الشيوخ في الجزائر، وفي العالم الإسلامي، وهذه القنطرة إلى العصبية و الجاهلية، فكل متكلم فيها إنما يتكلم بهواه وهو الغالب، أو بحسب مبلغه من العلم وهو قاصر مقصر،و الأكثر يُفضِّل الشيخ في منطقته، أو الشيخ الذي تجمعه به مصلحة ، و هذا تحميقٌ شامل للشباب إذ الواجب أن نربط الشباب بالعلم، و بطلب الدليل بعد معرفته و التمييز بينه و بين الشبهة، و بقبول الحق من حيث جاء، فالعلماء أكفاء لبعضهم بعضا في الاجتهاد و إن تفاضلوا علما وحالا ولكن من يملك العلم و الإنصاف اللازمين للموازنة؟

والأولى من المفاضلة بين الشيوخ بيان أفضل العلوم و أحقها بالاهتمام و إن كانت غيرها نافعة، خاصة العلوم التي بها قوام الأمة و نهضتها و قوتها، وتحقيق رسالتها،كالأمور الإلهية التي هي غاية مطالب البرية،وهي أفضل العلوم و أعلاها، و أشرفها و أسماها،و الناس الأكابر لهم إليه غاية التشوف و الاشتياق،و إلى جهته تمتد الأعناق، فالمهتدون فيه أئمة الهدى، و من لم يكن فيه على طريق أئمة الهدى ، كان ثغر قلبه مفتوحاً لأئمة الضلال، وما وقع في هذه الأمة من البدع و الضلال كان من أسبابه تقصير من قصَّر في إظهار السنة و الهدى... الدرء 5/378

و اليوم نجد بعض الشيوخ يوجهون طلبة العلم إلى الفقه المذهبي و إلى علوم اللغة و أحكام القرآن، وعلى فضل هذه العلوم لكنها ليست سبب الضلال و الانحراف الذي وقع في الأمة، فلما أعجزتهم ~ بعضهم ~ العلوم الأصلية استغنوا عنها بهذه الفروع، و بالمطويات و ما يقوم مقامها ،وهذا من تسطيح الفكر ، فحوَّلوا السلفية إلى آلة لمحو العقل حيث يتعلم الشباب فن التلاعب بعبارات جاهزة لأجل إنتاج التشويش على عوام المسلمين، كمن أعجزته معالجة أخلاقه و تصفية أحواله فاستغنى عنها بالحكايات و الأخبار عن الصالحين.

ثم أتعجب في الانحراف السلفي المعاصر متى كان عند أهل السنة أئمة الناس الضعفاء في علوم العقيدة و فروعها، فتجد الأتباع يمدحون شيخهم و هو ضعيف جدا في العقائد أو حده انه مشارك في المشهور المتعالم، لا يبلغ مبلغ الإحاطة بالمقالات و المسالك القديمة فما بالك بالمعاصرة ؟

أما في الجزائر فإن المناطقية تسري في العروق تحت الجلد، قد لا ينطقون بها و لكن تصرفاتهم كلها تدل عليها، وقد أعانهم عليها بعض الحمقى الذين شُيخوا لهذا الغرض، إذا سألهم الناس وجَّهوهم لشيوخ العاصمة، كأن العاصمة تلد العلم بطبعها و طبيعتها، و إذا سألوا شيوخ العاصمة في أتفه المسائل وجَّوهوهم إلى شيوخ المملكة المعتمدين عندهم، حتى إن كبار جمعية الإصلاح لما وقع لهم خلاف مع أحد الشيوخ عن حكم الانتماء إلى الجمعيات ،و هي مسألة بسيطة لا تستحق الرحلة إلى عتبة بيتكم، فكيف بالحجاز؟ انتقلوا إلى السعودية لسؤال أحد الشيوخ وهو العباد عنها، و كان قصدهم الحصول على تبديعه لهذا الشيخ.

فالغرض من هذه الجهوية الإسلامية الجديدة ،هو أن التحكم في الأتباع يجب أن يكون

في المملكة " مركز التحكم" في مقابل حصول هؤلاء الشيوخ المبعثرين في سائر البلاد الإسلامية على التزكية التي بها يكونون متبوعين، فيحصِّلوا الرئاسة في الدين و ربما أشياء أخرى تابعة؟

فما تقوم به "جميعة الإصلاح" من استهداف كل طالب علم يظهر في مختلف مناطق البلاد لا يدين لهم بالولاء ولا يبايع معنويا أو بالشكل المعاصر الشيخ ربيعا و ممثله في الجزائر هو من العصبية، و لنكون منصفين فقد تكلموا في بعض الشيوخ في العاصمة لكن لم ينالهم ما نال الشيوخ في المناطق الأخرى، وقد يكلفون بعض أتباعهم خارج العاصمة باستهداف بعض الشيوخ فيها ، لكن كما قلتُ سابقا الأكثر هو تمرير تعليمات في المجالس الخاصة باجتنابهم، و قد بلغ بهم السفه أنهم يستدعون من يخرج عنهم أول مرة إلى مركز القيادة في العاصمة للاستجواب و ليس للنقاش ، و لذلك بدأنا نلاحظ نوعا من التكتلات الطبيعية التي تنشأ كرد فعل موضوعي، وما ينبغي هذا فإن هوية المسلم في الدين الشهادتان و إن كان الجار و القريب أحق بالإحسان لكن في أمور الدنيا و حقوقها و ليس في الموالاة على الدين و في طلب العلم.

و إذا كانت الجزائر قد مرت في فترة النظام الاشتراكي و الحزب الواحد بمركزية سياسية و إدارية غذت نوعا ما الجهوية و المناطقية خاصة في التعامل السيئ مع مشكلة الهويات لم يسبق للدعاة و الشيوخ أن انخرطوا في مثل هذه المسائل إذ تكوينهم الديني و ثقافتهم الإسلامية وموروثهم عن علماء الجزائر كان حصنا منيعا لهم من التأثر بمثل هذه الجاهليات، فحتى عندما نلمسها عند بعض الأفراد في الإعلام أو السياسة أو الإدارة تبقى الغالبية الكبرى من الشعب واعية بمخاطرها و خاصة بتفاهتها، و أنها أحقر من كل حقير، و لا تستحق إلا الإدانة بأغلظ الألفاظ، و أنها لا تتجاوز كونها من نفخ الشيطان نجد اليوم هذه الطائفة تروج لها بشكل أو بآخر ،و إذا ضمت إليها أحدهم من غير العاصمة فلذر الرماد في العيون ،و لكونه مغفلا لا يبحث إلا عن مصلحته، و إلا كيف تفسر أن القيادة و اتخاذ القرار بيد زمرة معينة؟

لا يجب أن نغفل عن العمل الباطني لهذا الداء في تشكيل العقول و بناء الو لاءات بحيث يهيكل موضوع الدعوة أي يؤثر في تشكيل الرؤية العامة للجماعات و الدعاة داخل حزمة التيار المتواصل للانطباعات الحسية التي يتركها على الشباب توجيه النظر و المدح لكل ما هو سعودي أولا، ولكل ما هو مدخلي عاصمي ثانيا.

المناطقية و القبلية و القومية شعور قد يتسلل إلى النفس في غفلة منها لأنه آلة للشيطان ينفخ بها للفتنة بين المسلمين فيجب على المسلم أن يحاربه في جميع أشكاله الثقافية و السياسية و الاجتماعية وحتى الرياضية فلا مكان له بين المسلمين لأنه من الجاهلية، ولا يجب أن نغفل عنه لأن النبي صلى الله عليه و سلم أخبر أنها ستبقى في المسلمين، كما في الحديث الصحيح: (أَرْبَعٌ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ فِي أُمَّتِي لَنْ يَدَعُوهُنَّ: الْفَخْرُ بِالْأَحْسَابِ، وَالطَّعْنُ فِي الْأَنْسَابِ، وَالنِّيَاحَةُ عَلَى الْمَيِّتِ، وَالِاسْتِقَاءُ بِالنُّجُومِ)

كيف تتعامل مع أقوال المخالف

الحمد لله وحده، و الصلاة و السلام على من لا نبيَّ بعده.

(..... فأهل الصراط المستقيم بريئون من الطائفتين، إلا من حق تتضمنه مقالاتهم، فإنهم يوافقونهم عليه، ويجمعون حق كل منهما إلى حق الأخرى، ولا يبطلون ما معهم من الحق لما قالوه من الباطل، فهم شهداء الله على الطوائف، وأمناؤه عليهم، حكام بينهم، حاكمون عليهم، ولا يحكم عليهم أحد منهم.) ابن القيم؛مدارج السالكين؛ 1/418.

يجب أن توافق المخالف على الحق الذي معه،و حينما ترد على الباطل الذي معه لا تنكر الحق الذي معه ،و اجعل الحق الذي مع المخالف مقدمة لكلامك، وطريقك إليه ، فثمنه و امدحه و اذكر محاسنه ثم انتقل بسلاسة متسائلا مستفهما عن لوازمه على الجزء الباطل.

هذه هي الطريقة القرآنية النبوية الرشيدة و غيرها أخلاق العسكر و أهل السوق.

ملاحظة: قول ابن القيم ~ رحمه الله ~: (ولا يحكم عليهم أحد منهم) لا يصح إلا على المعصوم، فإنهم كأفراد يقع منهم الخطأ، فيحمل على الإجماع.

و الأفضل للمرء أن يرجو أن يكون من أهل الصراط المستقيم ~ في هذا الباب ~ من أن يظن نفسه منهم لأنه حينئذ سيستولي عليه القطع حتى في الظنيات.

الصبر تحت الأمر و النهي: "متابعة العلم"

الحمد لله وحده، و الصلاة و السلام على من لا نبي بعده.

دائما ما يلهم المجتهدون في العبادة " يقع في خاطرهم" أفكاراً تعبدية كمية أو نوعية؛ و النفس تنزع للذوق و تجزع من متابعة العلم " الشريعة: الأمر و النهي"، و لهذا قال سهل التستري: " كل فعل تفعله بلا اقتداء هو عيش النفس،وكل تفعله بالاقتداء هو

عذاب النفس".
يقصد أن الإنسان يجد سهولة وعونا من نفسه و رغبة منها في القيام بأشق الأعمال التعبدية إذا كانت محدثة أو مما ألهمه ولا دليل عليه في الأثر، في حين تتكاسل و تجزع إذا تعلق الأمر بعبادة مشروعة، ولهذا كان البسطامي يقول : "عملت في الاجتهاد ثلاثين سنة ولم أجد أشد على نفسي من متابعة العلم " يقصد العبَّاد العارفون بالعلم الشريعة" ولو اختلاف العلماء لبقيت إلا في تجريد التوحيد".
ومرجع ذلك ~ و الله اعلم~ إلى الشيطان الذي يقذف فيها ويزين لها الأعمال التعبدية التي لا دليل عليها من الشريعة ،و لهذا ورد في القرآن التعوذ من شره، ولم يرد التعوذ من شرور النفس إلا في حديثين صحيحين، حديث خطبة النكاح " نعوذ بك من شرور أنفسنا" ، وحديث ذكر الصباح و المساء " أعوذ بك من شر نفسي ومن شر الشيطان وشركه" كما قاله ابن القيم في " إغاثة اللهفان" فيبدو أن شر الشيطان هو الأصل، وشر النفس تبع له لأن كل ما يلهمه الإنسان من التعبد القولي أو الفعلي، ولا دليل عليه من الشريعة لا يمكن إلا أن يكون من الشيطان.
و ربما من جنس هذا ما نراه من اجتهاد الهندوس و البوذيين و النصارى و اليهود في العبادات العظيمة و الشاقة ما لا نجده عند المسلمين بحيث يزحف أحدهم عبادة لمعبده من مسافة آلاف الأميال،أو يبقى واقفا على قدم واحدة لسنة، لأنها عبادات فاسدة في أديان فاسدة يرغبهم الشيطان فيها و يعينهم عليها فالتجرد ينتج من النتائج بحسبه.
و على هذا احذر مما ترغب فيه نفسك و تجد سهولة في فعله سواء كان علما أو عملا، فحتى المشروع يلبس فيه الشيطان عندما يجعلك تفوت به ما هو أوجب و أوكد، وفي هذا يقع كثير ممن يدعي اتباع الأثر.

أنواع الغش والتدليس في الديانات

فأما الغش والتدليس في الديانات فمثل: البدع المخالفة للكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة من الأقوال والأفعال، مثل إظهار المكاء، والتصدية، في مساجد المسلمين.
ومثل: سب جمهور الصحابة وجمهور المسلمين، أو سب أئمة المسلمين، ومشايخهم، وولاة أمورهم، المشهورين عند عموم الأمة بالخير.
ومثل: التكذيب بأحاديث النبي -صلى الله عليه وسلم- التي تلقاها أهل العلم بالقبول.
ومثل: رواية الأحاديث الموضوعة المفتراة على رسول الله -صلى الله عليه وسلم.

ومثل: الغلو في الدين بأن ينزل البشر منزلة الإله.
ومثل: تجويز الخروج عن شريعة النبي -صلى الله عليه وسلم.
ومثل: الإلحاد في أسماء الله وآياته، وتحريف الكلم عن مواضعه، والتكذيب بقدر الله، ومعارضة أمره ونهيه بقضائه وقدره.
ومثل: إظهار الخزعبلات السحرية والشعبذة الطبيعية وغيرها التي يضاهى بها ما للأنبياء والأولياء من المعجزات والكرامات، ليصد بها عن سبيل الله، أو يظن بها الخير فيمن ليس من أهله، وهذا باب واسع يطول وصفه.
فمن ظهر منه شيء من هذه المنكرات وجب منعه من ذلك، وعقوبته عليها، إذ لم يتب حتى قدر عليه، بحسب ما جاءت به الشريعة من قتل، أو جلد أو غير ذلك.ابن تيمية؛الحسبة 1/43
في المقال كلمات تنسف مناهج الغلو ،وتفصل بين التأويل و التدليس.

ألا يحمل من يعتقد أنه حاز الحق كله جزءا من المسئولية فيما آلت إليه الأمة؟

الحمد لله و الصلاة و السلام على رسول الله.
وهذا مثال في العقائد، و ربما نجد في مجالات أخرى كالسياسة :(ومصداق هذا أن ما وقع في هذه الأمة من البدع والضلال، كان من أسبابه تقصير من قصر في إظهار السنة والهدى، مثل ما وقع في هذا الباب، فإن الجهل المركب الذي وقع فيه أهل التكذيب والجحود في توحيد الله تعالى وصفاته، كان من أسبابه التقصير في إثبات ما جاء به الرسول عن الله، وفي معرفة معاني أسمائه وآياته، حتى [أن كثيراً من المنتسبين إلى الكتاب والسنة يريدون أن طريقة السلف والأئمة إنما هو الإيمان بألفاظ النصوص، والإعراض عن تدبر معانيها وفقهها وعقلها].[حط تحتها كل الخطوط الممكنة]
ومن هنا قال من قال من النفاة: (إن طريقة الخلف أعلم وأحكم، وطريقة السلف أسلم) لأنه ظن أن طريقة الخلف فيها معرفة النفي، الذي هو عنده الحق، وفيها طلب التأويل لمعاني نصوص الإثبات، فكان في هذه عندهم علم بمعقول، وتأويل لمنقول، ليس في الطريقة التي ظنها طريقة السلف، وكان فيه أيضاً رد على من يتمسك بمدلول النصوص، وهذا عنده من إحكام تلك الطريق). الدرء 5/378
هذا الكلام دعوة إلى ضرورة معرفة مراتب العلماء، و التفريق بين المحقق و

المشارك، فليس كل من استحق وصف العالم و نسب إلى السنة قد فأحاط بالموضوعات العلمية جيداً، أو حقق مسالكها وحرر موارد النزاع فيها فضلا عن حسن تصويرها و التعبير عنها.
كذلك هو جواب عن السؤال الذي نطرحه ~ طرحه مؤخرا الأخ محمد جلال ~ باستمرار عن مدى أهلية بعض الشيوخ في التعليم و التكوين العلمي في ضوء العقائد و المذاهب الفكرية الجديدة، فإن كثيرا من طلبة العلم يشكو من كثرة المجملات و ضعف التفصيل.

بسم الله الرحمن الرحيم

المذاهب الإلحادية أولا الإلحاد المشفر

الحمد لله وحده، و الصلاة و السلام على من لا نبيَّ بعده.
الإلحاد لغةً مأخوذ من " اللَّحد" ،ومنه : لحد القبر، و إلحادُ الحفرة جعل الشقِّ في جانبها لا في وسطها الذي هو التضريح، فالمعنى المشترك هو الميل عن الشيء،ومن هنا أطلق في الاصطلاح على " الإلحاد في الدين،وهو الطعن فيه أو الخروج عنه، ومن أحسن التعاريف التي وقفتُ عليها تعريف ابن عابدين : " هو الميل عن الشرع القويم إلى جهة من جهات الكفر كالباطنية الذين يدَّعون أن للقرآن ظاهراً،و أنهم يعلمون الباطن."
وفي هذا التمثيل نقل الكفوي في " الكليات"1/261 عن "عقائد النسفي" : " النصوص على ظواهرها والعدول عنها إلى معان يدعيها أهل الباطن إلحاد".
و يستعمل كثيرا في الطعن في الدين سواء مع ادعاء الإسلام أو مع الكفر الصريح، وفي تأويل ضرورات الدين، انظر ابن عابدين، و المصباح المنير مادة " لحد".
وقد ورد هذا اللفظ في القرآن في الإخلال بما يستحقُّه المسجد الحرام بفعل المحرَّمات و الصدِّ عنه كما في قوله تعالى:{ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ }[الحج] وفي الموضوع حديث أبي داود عن يعلى بن أميَّةَ أن النبي صلى الله عليه و سلم قال : ": احْتِكَارُ الطَّعَامِ فِي الْحَرَمِ إِلْحَادٌ فِيهِ".ضعيف، وفي المسألة اختلاف.
ففي القرآن: الإلحاد في البيت كما سبق، و الإلحاد في أسماء الله و صفاته كما قال تعالى: {وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ} [الأعراف] ، و الإلحاد في آيات الله كما في قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا

لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا} [فصلت]، أي الميل عن الأدلة و المعجزات بالتكذيب و العناد.
كما جاء قوله الآخر: { لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ }[النحل]

و المعنى هنا أي هذا الذي يضيفون إليه تعليم النبي صلى الله عليه و سلم لسانه أعجمي، و هذا العجمي لا يمكنه أن يتكلم بهذا الكلام العربي المبين، وعبَّر عنه بلفظ " الإلحاد" لما فيه من الميل عن الحق و الإخبار بخلاف الحقائق الواقعية.

ـ أما في العصر الحديث فالمقصود بالإلحاد الطعن في الدين مباشرة أو بتبني المذاهب الكفرية المناقضة للدين، فلا يقتصر الوصف بالإلحاد من ينكر وجود الله كما هو شائع عند العامة و لكن يتناول بعض المقرين بالربوبية و هو الموافق لماء جاء في القرآن و المشهور عند العلماء المسلمين، يوضحه:

1 ـ الإلحاد في الحقيقة مذهب أو موقف يتمثل في إنكار كل تمثيل لإله "شخصي"، يعني: متميز عن خلقه بمجموع صفات ثبوتية،و بهذا المعنى فإن مذهب الربوبية التي ترفض كل تعريف للإله ووحي منه للأنبياء هي إلحاد ،و كذلك وحدة الوجود التي تعرف الإله بالطبيعة، فهذا معنى الإلحاد في اللغة المشهورة.

ـ وعلى هذا الإلحاد مصطلح توحيدي يقصد منه من ينكر وجود الإله في العقيدة التوحيدية فملحد يعني ~ في الغالب ~ الرافض لإله وحيد " الله أحد"، متعال، خالق للعالم،متميز عن خلقه.

ـ كما ارتبط الإلحاد بالأحادية المادية (monisme matérialiste) فإنكار الإله يعني إثبات أن المادة هي الجوهر الوحيد، فالعالم كله مادي فلا مكان لإله متعال لا مادي، لكن بعض الماديين مثل هوبس (Hobbes) صرحوا بأن الإله مادي ـ ذو طبيعة فيزيائية.

1 ـ التوحيد (Théisme): عند الفلاسفة الديانات التوحيدية هي التي تؤمن بإله واحد فردي(شخصي) وحي، له مجموعة صفات (طيب، قوي، خالق العالم...) ؛ يعارض الإلحاد وغالبا ضد وحدة الوجود.

2 ـ وحدة الوجود (Panthéisme): المذهب القائل بأن كل شيء في الله ، وأن الله هو و الإلهية قوة لا شخصية فردية (impersonnelle) حاضرة في كل مكان من العالم وفينا، و هذا مذهب الرواقية ، سبينوزا ، هيجل، و الرومانسية الفلسفية التي ظهرت

نهاية القرن 18 و بداية القرن 19م في ألمانيا أمثال: (Novalis, Schlegel, Jacobi, Schelling)،فكل الفلسفة الطبيعية تأثرت عميقا بمذهب وحدة الوجود، وعند المسلمين هو مستويات أخفها مذهب ابن عربي الطائي و أخبثها مذهب ابن الرومي و العفيف التلمساني.
وتعتبر النصرانية وحدة الوجود إلحادا لأنه يرفض فكرة الإله الفرد الشخصي، و الإله فيه عبارة عن الطبيعة الطابعة و الطبيعة المطبوعة، الطبيعة الطابعة هي الإله من حيث إنها خالقة،و الطبيعة المطبوعة هي الخليقة من حيث إنها تجليات للإله.
وكذلك يعتبر المسلمون مذهب وحدة الوجود إلحاداً لأنه يجمع بين نفي الصفات إذ لو أثبتوا لله الصفات لتميز عن خلقه، و بين ترك متابعة الأمر سقوط التكاليف، جعلوا وجود الخالق هو وجود كل شيء من الموجودات، و يقولون بالفناء عن وُجُودِ السِّوَى ، يعني: الوجود واحد بالعين، وجود المخلوق هو عين وجود الخالق.
و الذي يلبس على الناس في حقيقة هذه الفلسفة الملحدة أن الإله كثير الحضور في كلامهم، فيظن الناس أنهم مؤمنون الإيمان الشرعي، و لذا يسميه بعض الفلاسفة: ملحدين مشفرين (crypto-athées) الحاد تشفيري، لأننا بعد تفكيك النظرية لا نجد الإله.فإما الله هو الوجود الحق يعني كل الوجود، و ما سواه مجرد مظاهر له متبدلة، و إما هو مجرد فكرة تعبر عن قوى الطبيعة.
وكما أشار إليه سانتيلانا في " مذاهب فلسفية" بدأ أول بحث عند الإغريق ~ بعد عهد الشعراء الذي سبق العهد الفلسفي ~ حول المادة يلتمسون ماهية هذا الوجود المحسوس فانتهوا إلى ثلاثة أقوال هي: الوجود هو هذا المحسوس ـ هو المعقول لا المحسوس ـ هو المعقول و المحسوس معاً، يعني: انتهوا إلى المذاهب الفلسفية الكبرى:
1 ـ الدهرية، وهم قدماء الماديين أمثال ديموقريطس و أبيقور قالوا بوحدة الطبيعة ولا إله.
2 ـ قول أفلاطون و أرسطو و قبلهما سقراط بوجود عالمين"عالم الإله وعالم الطبيعة" إلا أنهم عجزوا في إثبات الاتصال بينهما فبدون نبوة الطريق مقطوع.
3 ـ الرواقيون " وحدة الوجود" أمثال شيشرون و زينون ومارك أورال ، قالوا بوحدة الطبيعة و الإله، وهو آخر المذاهب نشوءا عند الإغريق، وقد نشأ من قول سقراط في

الفرق بين الروح و المادة، ولذلك نفس مثالهم يضربه أصحاب الكليات ،و هو أن وجود العقل في المادة ووجود الكلي في الأشياء كوجود ماء الورد في الورد و الدم في الجسم، و الشجرة في البذرة.
وحقيقة مذهب الرواقيين ليس إلا الرجوع إلى مذهب الدهريين" الماديين" إذ لا فرق بين من يقول: ليس هناك إلا المادة، ومن يقول: إن المادة و العقل شيء واحد، وكيف يتصور اقتران المادة بالعقل مع عدم النسبة بينهما، و استحالة جواز صفات أحدهما على الآخر، لذلك كل ما يتوجه على الدهرية يتوجه عليهم من دون تفاوت.
و لهذا نقول: تنتهي كل الفلسفات إلى المادية أو إلى وحدة الوجود وهي نوع من المادية ، ولما كان هذا حال الفلسفة إما الشك في الحقائق، و إما الرجوع إلى المادة صراحة أو تحت مظلة الوحدة مع الله جمع بين كل المتأثرين بالفلسفة من أهل الديانات مذهب الأفلاطونية المحدثة إذ سمح لهم بالتفلسف لكن مع البقاء ضمن حظيرة الدين كما يتصورنه، وهذا الذي نفق عند اليهود و النصارى و المسلمين على حد سواء. المهم، أثَّرت الأفلاطونية المحدثة وهي مذهب تلفيقي ملحد يقوم على اختيار عناصر من فلسفات مختلفة لصياغة نظام فلسفي مستقل.
ويشبه هذا ما وصلت إليه الفلسفة المعاصرة فإما المادية في تصورها الوجودي العام فإن لم يكن ثمة إله فأصل الكون المادة و إن كان موجوداً فهو فيزيائي الطبيعة، فالمادة أصله و تتجاوزه، فتبقى المادة أصل الكون و الإله، وهنا تلتقي المادية مع الباطنية في اعتبار الأصل هو المادة، لكن كل واحدة متخندقة في المنهج و ليس في النتيجة.
اختلفوا في المنهج ولكنهم وصلوا لنفس النتيجة تقريبا، العقلانيون الماديون بمقاربتهم الموضوعية للمعرفة اضطروا إلى الفصل بين الذات و الموضوع ومن ثم إلى النزعة التجزيئية و نسبية الحقيقة،و الباطنيون " التصوف البدعي الكشفي" بدعوة الاتحاد بين الذات و الموضوع انتهوا إلى النزعة التجريبية الباطنية، و نسبية الحقيقة بحسب اختصاص التجربة بالوعي المجرب .

يتبع.......

مشكلة الجمال في الإسلام

جاء في الحديث الصحيح_بمناسبة الحديث عن جمال الثوب_أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (إن الله جميل يحب الجمال) فأوله بعض العلماء ممن ينفي الاعتبار

بالجمال، في حين جعله بعض الفلاسفة والصوفية أصلا لتعبد الله بالجمال، وأن الله أحسن خلق كل شيء، وبالتالي فكل شيء جميل و مراد لله؟
والحديث أصل في مسائل فقهية حياتية وقضائية كاختيار الزوجة، وإبطال الزواج بالغرر في شرط الجمال، وفي معايير الذوق والرد على النسبية الجمالية، وفي الأسماء والصفات، وفي السلوك وقضايا الاتحاد، والقدر "الارادة العامة".
وهو كذلك من أدلة الأصل الذي تبنى عليه مسألة "الاسماء والأحكام "كالحب والبغض، والمدح والذم ،والثواب والعقوبة، والبراءة والموالاة ،والأمر والنهي، والموازنة، وكلها مسائل عظيمة.
فانظروا هذه الجملة القصيرة كيف هي عظيمة الفائدة، جامعة لابواب عظيمة من الدين، لو نفهمها كما ينبغي ندرك أكثر جمال الإسلام و عدله، وتخف كثير من مسائل الاختلاف لأن القاعدة:الجميل لا يفعل القبيح، ولايقبح الجميل ولا يجمل القبيح...
ومثل هذا اللفظ الحسن، الزينة... وردت في النصوص لكن الشأن في معرفة مراد الرسول منها...

المحبة بين الجمال و الجلال

- 1 -

الحمد لله وحده، و الصلاة و السلام على من لا نبيَّ بعده.
تجد في هذا المقال: مناقشة نسبية الجمال، و يليه علاقة النسبية بنفي التحسين و التقبيح العقليين و تماثل الأجسام "، وشرح معنى محبة الله للجمال، و الفرق بين الجمال المجرد و الجمال في الشريعة، كما الفرق بين الحسن و القبح من جهة العبد و الحسن و القبح من جهة الرب.
ملاحظة: سيرد في هذا المقال بعض المصطلحات بالفرنسية لأنها تعين بعض الفضلاء المتابعين لنا على الفهم، فإنها بالأصل مصطلحات غربية لها وقع مناسب لما صار إليه العالم الغربي، و ترجمتها بالعربية قد لا تحدث أي أثر معرفي فينا، لأنها في وعينا مجرد مصطلح وليست تعبيرا عن معاش اجتماعي.
بدايةً: في الحقيقة لم أقصد بهذا المنشور الكلام عن النسبية الجمالية في " الجمال المجرَّد" وما جرته على البشر من مسخ للضمير و انهيار للأخلاق، ولكن قصدتُ فهم المدح و الذم، و الأمر و النهي بتعدد الحب و البغض و الحسنة و السيئة في الفعل و

الشخص الواحد مما يترتب عليه فهم أصل الولاء و البراء، و الهجر و التأليف.
وكذلك قصدتُ الحديث عن الجمال الذي يحبه الله "مفهومه ومواطنه "، لا الذي يحبه الناس، يعني: محاب الله لا محاب الناس،لكن أحد الإخوة مال بنا إلى هذا الموضوع،ومهما يكن هو لفتة جميلة مفيدة إذ قد أصبح حب الجمال المجرَّد فلسفة و ثقافة و عبادة عند كثير من البشر في هذا العصر، و تحت اسمه غُيرت الفطر و مُسخت الأخلاق و حوربت القيم، و نسفت القوانين و الشرائع، و أصبح معيار الحسن الجميل ما حصَّل الذوق و المتعة بالنظر إليه أو بفعله، فأطلقت الشهوات و أصبح الفجور ثقافةً، فلا بأس من الوقوف عند هذه الشبهة على مستويات عدة، فأقول :
1 ـ النسبية هي موقف ينكر القيمة المطلقة لموضوع ما، يعتبر أن أفكارنا لا تحمل في ذاتها قيمة، هي فقط بالنسبة إلى شيء آخر، مثل: مرحلة تاريخية،ثقافة معينة،أذواق، أمزجة شخصية..... الخ.
وعلى هذا تقول النسبية بأن "المعرفة، الحقيقة و الأخلاق" موجودة في مادة الثقافة و المجتمع لكنها ليست مطلقات، بخلاف الأخلاقية [المذهب المخالف لها لا يقال له الإطلاقية] التي تسلم بأن الواقع واحد غير قابل للتغيير [بحسب اعتقاد الإنسان]، و تدعم وجود قيم مطلقة فالحقيقة، والأخلاق و الجمال مطلقة وعالمية .
في الحقيقة ترتكز النسبية بكل أنواعها [نسبية معرفية : لغوية ، علمية، تأويلية ـ نسبية ثقافية: أخلاقية وجمالية،نسبية تاريخية: زمنية] حتى الجمالية على حجج ذاتية [subjectivisme] فالاختلاف ~ مثلا ~ حول حب أكل طعام ما يرجع إلى حكم الذات المجربة [التي جرَّبت أكله] ليس في المطلق.
وفي مثل هذه الأمور، وهي المجال الذي لا يرهن إلا اختيارات شخصية يجب أن أقبل التنوُّع فلا معارض شرعي أو عقلي محض عليه، هنا تكون الآراء متساوية، ومن العبث الاستدلال على جمال ذوقي على ذوقك،لكن هذا لا يعني عدم وجود تفاضل موضوعي لأن التماثل في الموجودات من كل وجه يفقدها تميزها و خصائصها، فالتماثل هنا في كونها مباحة لي لا في قيمتها، فإن اختلف الناس في حب أنواع السمك و اللحوم و الفواكه، فإن بعض السمك أفضل من بعض، وبعضا اللحم أفضل من بعض،و بعض الفاكهة أفضل من بعض، ومن الناس من يحب الشتاء ومنهم من يحب الصيف، ومنهم من يحب الليل و الآخر يحب النهار ،وهكذا؛ كما قال

الله تعالى مما نستدل به على نفي تماثل الأجسام : {وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ - وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ - وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ - وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ} [فاطر] ، { وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ}[محمد].

وهناك لغة أجمل من لغة وهكذا الاختلاف بين الموجودات في خصائصها و قيمتها، و المشكل أن النسبية لم تتوقف عند التساوي في قيمة الجمال بل تجاوزت إلى المساواة بين الطيبات و الخبائث وهو كمن يسوي بين الدقيق و العذرة.

ففي الحقيقة يوجد تفاضل في القيمة بين الأذواق لأنه يمكننا رد مجال النزوات إلى الحس السليم،فحتى المجالات الأكثر ذاتية كالأذواق لها بُعد موضوعي، ويكون موضوعيا ما يظل هو طبقا لنفسه مهما تغيَّر الملاحظ.

كما يجب أن نستحضر أن العادات السيئة تشوّه الحس الذوقي لكن إذا استمع أحدنا إلى إشارات التمتع التي يرسلها الجسم في هذه الأمور وجد ذوقا أفضل من ذوق.

ومما يجب الاحتراز عنه هنا أن النسبية الجمالية مدخل إلى النسبية الثقافية التي هي بدورها مدخل إلى النسبية الأخلاقية ، فمن النسبية الجمالية استخلصوا حجة التسامح ، فيجب أن نتسامح مع من يأكل أي شيء لأنه يعجبه، و يلبس أي شيء، و يفعل في بدنه أي شيء لأنه يعجبه .

و إذا قلنا : " الكل متساوي" ،كل الأذواق متساوية تصبح كل الآراء متساوية، فما أسهل الانزلاق من " الكل متساوي " إلى " الكل مباح" مما أغرق الغربيين في " الأنانة" [solipsisme] حيث الإيمان بالأنا فقط، و يصير العالم مختصرا في ذاتيات فردانية [subjectivités individuelles].

يبقى أكبر عائق أمام المسلم، و العقلاني الأخلاقي هو السؤال التالي: من أين تأتي الحقائق الجمالية و الأخلاقية؟

بالنسبة للمتدين تأتي من الله، من شريعته فقد وردت النصوص في تدبير البدن، وما يجوز وما لا يجوز مما يخص الأسنان، و الشعر، و الحاجب، و اللباس شكله، ولونه، و الحلية، و الطعام و الشراب و غير ذلك، فهنا المسلم إضافةً إلى أنه يشارك العقلاني الأخلاقي الوعي الإنساني المستمد من [الفطرة] يستطيع لأنه يملك الحقيقة الشرعية أن يحكم على ما هو خير و ما هو شر، على ما هو جميل، وما هو ذميم، لكن ليس في الجمال المجرَّد، إذ بدخول الشريعة أصبح الجمال معقلنا داخلا تحت حكم التقييم

الشرعي ؛ارتفع إلى مستوى أعلى من نظر البشر السطحي حيث يصبح الجميل ما يراه الله جميلا، و القبيح ما يراه الله قبيحا، و الله لا ينظر إلى الجمال المجرّد لأنه هو الذي خلقه ووهبه،فليس للإنسان فيه أدنى عمل، بخلاف جمال العمل و الخلق فإنه بعمل الإنسان، وعلى هذا قال النبي صلى الله عليه و سلم : (إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَلَا إِلَى أَمْوَالِكُمْ وَإِنَّمَا يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ) حديث صحيح.

خطر النسبية أننا إن لم نعرف حقيقة الشيء لم يمكننا تشريعه و تطبيقه كالوشم مثلا الذي أصبح جمالا عند المعاصرين، فبالنسبة لـ كنط[Kant] ~ في مسألة الأخلاق وهي تتضمن الجماليات ~ الأصل هو الضرورة الحتمية [impératif catégorique] ، كما يمكن أن يكون مصدرها سلامة مبادئ السلوك المأخوذة من العقل بطريقة دائرية من خلال صفاتها المقنعة من نتائجها، لكن بعض الناس شبَّه دليله هذا برجل نجح في إخراج نفسه من مستنقع وقع فيه بحمل نفسه من شعره !

لكن في الحقيقة لكلام كنط وجه صحة،فما قاله ليس من الدور الممتنع لأنه يمكننا أن نستدعي نوعا من البديهيات الأخلاقية و الحس السليم الموجود في الفطرة، و بعقولنا نبحث عن إيجاد اتفاق على مسائل الأخلاقيات فمثلا: الألم لأول وهلة [prima facie] شرٌّ، و العناية بالآخرين هي للوهلة الأولى خيرٌ، كما نعلم بالحس السليم أن إزالة شعر العانة و الإبط و تقليم الأظافر وغسل البراجم و استعمال السواك من الجمال، و أن الوشم، و تعليق الحلق الحديدية في الأنف و اللسان و الجفن، وكشف العورات الخ قبح وشر.

فمن عطس و غطا وجهه و خفض صوته كما كان النبي صلى الله عليه و سلم يفعل هو أجمل ممن لا يفعل، و نحن في زمن يعتبر بعض الناس ترك شعرهم من غير تسريح جمالا !

فالبديهة تمدنا بمقاربة أولية في المجال الجمالي و الأخلاقي، ونحن نملك القدرة على التفكير في هذا المجال فيمكننا امتحان [tester] التماسك[cohérence] الشامل لأحكامنا، و البحث عن أكبر تماسك ممكن، هذا بالنسبة للاستدلال الفطري من غير النصوص الدينية.

عندما نجعل الجمال شيئا نسبيا موضوعيا لا ذاتيا، مع العلم انه يمكن أن يكون هذا الشيء أجمل من هذا الوجه و ذاك أجمل من وجه آخر، فالله خلق الأشياء متنوعة

فالجمال متنوع، لكن المقصود هنا التفاضل الكلي، حيث في النسبية كأننا ننظر للعالم بما فيه كلاً من خلال ذوقه ورأيه، بينما المفروض أن ننظر إليه بالطريقة التي هو عليها .

نعم،يمكن أن يكون لكل واحد ذوقه، وهذا الحاصل في الطعام و الشراب و اللباس و ما في ضمنها لكنه ذوق متكرر فلا يوجد في الدنيا أذواق بعدد البشر بل هي محصورة ، فقسم منهم يحب الحلو وقسم المالح وهكذا ،و قد يكون الحلو أكمل في بعض المطاعم و المشارب ، و المالح أكمل في أخرى، لكن عند التفاضل الكلي الحلو أكمل بالنظر إلى موافقته لطباع الأكثرية وعمومه ووظيفته و سهولة تذوقه لذلك تُحلى الأدوية و لا تملح ،وهكذا.

و عليه فإما أن الحقيقة تكمن في الواقع [réalité] و أن الواقع موضوعي غير قائم على اعتقادات شخصية

وهذا ما يسمونه الكفاية الذاتية للواقع ~بالنسبة لنا نحن البشر ~
[l'autosuffisance de la réalité] يعني أن الواقع موجود بغض النظر عن اعتقادنا، مثل الإنسان الذي في غيبوبة لا يدرك ما حوله و مع ذلك لا يتوقف الواقع عن الوجود على وعيه به، فلو توقف عليه لم يجد من يعالجه، وهذا يدل على أن الحقيقة في الأشياء موجودة اعتبارا من وقائع موضوعية[faits objectifs] وهو ما نُسميه الوجود الحسي، كما سنراه في حجة تماثل الأجسام، و هذه هي الواقعية الوجودية.

وعلى هذا نقول: إدراك الحقيقة المفيد للإنسان يكمُن في الاعتراف بها { وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا }[النمل] وهذا جزء من المظهر الموضوعي للوجود، فالوجود ليس خيالات ، و لا الخيال أرض الحقيقة كما يقول ابن عربي بل هو محسوس لنا ، ولهذا كان الموقف الإسلامي من الجمال و الأخلاق متماسكا مؤسسا على الموضوعية لا على الذاتية كما عند النسبويين الماديين و بعض المتكلمين و الصوفيين الذين زعموا عبادة الله بالنظر إلى الصور الجميلة لكنهم كما في الحقيقة القدرية نظروا للجمال المجرد فنظروا للحسن و القبح من جهة العبد ولم ينظروا إليه من جهة الرب كما نظروا في القدر للإرادة العامة الكونية ، و غفلوا عن الجمال في الشريعة كما غفلوا عن الإرادة الشرعية و قس على ذلك المحبة و الولاء و البراء ،

وهم متناقضون في ذلك إذ من الصور الجميلة ما يقتلهم ويسرقهم و يفجر بمحارمهم فلو طردوا أصولهم لوجب عليهم أن يحبوها !

وهذا التماسك في النظرة الإسلامية له أسباب عديدة فنحن نعرف أن العمل الذهني للمعرفة على مستوى الإدراك المعرفي [cognition] يتطلب الإطلاقية و أقصد أن تكون الحقيقة مطلقة لا نسبية، فلكسب المعارف نحتاج للتفكير بطريقة منطقية نفهم الوقائع الموضوعية، فلو اعتقد أحدهم أنه حينما يرمي حجارة في الماء ستطفو لن يجد أية واقعة موضوعية تؤكد اعتقاده، و مثله مثل من يعتقد أن التراب كالذهب و الخبز كالحجارة في تماثل الجسمية و القيمة.

كما نعلم أن كل التحسينات[améliorations] العلمية و التكنولوجية مبنية على وقائع مطلقة، فبدون المطلقات التي يقدمها العلم لكنا لا نزال نعيش في العصر الحجري،لأننا لا نستطيع بناء أي شيء على الاعتقادات الظنية،فإدانة النسبوية هو الحث على بذل الجهد للتعرف على الواقع كما هو لا كما يكون في نزوات الناس و فهمه حتى الذاتي [subjective] و الاستثنائي للمشاعر الفردية.

وعندما أدين النسبية الجمالية و كل أنواعها فإني لا أنفي وجودها في الذات المجربة أو الناظرة المفكرة لاختلاف التربية و العادات و الثقافة و الإدراك ، و لكني أريد أن ننتقل من الفتنة بالجمال المجرد إلى حب الجمال الشرعي إن صح التعبير أو الجمال الذي يحبه الله، فهو سبحانه الجميل الذي يحب الجمال، ولا شك أن ما يحبه الله لجماله هو الأجمل حقيقة ،وحينئذ يشملنا الجمال الرباني، فالجمال في الواقع و الجمال الموضوعي هو الجمال الذي يحبه الله لا الجمال المجرد.

و إذا كانت ثقافة شخص ما ضحلة لم يسبق له أن قرأ شعرا أو تلقى تربية وجدانية يعرف بها معايير الجمال الظاهر و الباطن ، و التناسب و التناسق و التناغم فيمكن أن يسوي أو يُفضل خربشة ما على لوحة لعمر راسم أو ماتيس، وكلمات تافهة مبتذلة على رباعيات عمر الخيام مثلا، فكلما كمل عقل الإنسان استلذ بما لا يستلذ به غيره.

والجمال في علم الجمال ~ الذي ينظر في قيمة الشيء بمقتضى معيار معين ~ هو ما كان موافقا لمقاييس التوازن و الانسجام، لكن أكثر الناس لا يعرف هذه المقاييس ومع ذلك يعرف الجمال لأنه شيء يبعث الإعجاب و الارتياح، و يحدث في النفس ~ كأثر خارجي ~ انطباعا بالاستمتاع أي شعورا باللذة .

و قد تكون بعض الأشياء خاصة في اللذة الحسية بخلاف اللذة المعنوية صعبة المفاضلة بينها لكن كما في أخلاق المنفعة هناك معايير نقارن بها بين الفعل و الفعل، و الشيء و الشيء، مثل امتداد اللذات للمفاضلة بالانتشار، و شدة اللذة للمفاضلة بالقوة ، و صفاء اللذات للمفاضلة بالخلو من الألم أو النقص وقرب اللذات للمفاضلة بالقرب و السهولة .

على كل لا يمكن فصل الجمال عن إدراك اللذة سواء الحسية أو المعنوية و لذلك كان العلم بالحسن و القبح من اليقينيات خاصة في الأفعال و المعاني كما سنراه في المقال الثاني.

في الحقيقة يعود الاختلاف في الجماليات و الثقافة و الأخلاق في أحيان كثيرة إلى الاستهلاكية [consumérisme] التي سيطرت على العالم، و التي يهمها أن تبيع و تجني المال فتزيف الوعي و تصنع الحقائق الجديدة بمحو الشخصية الإنسانية و انحطاط العقل من خلال التدجين [conditionning] و إدخال كل شيء في ثقافة المرح [fun] و تحت عذر حماية حرية الفرد، فسوَّقت الزبالة و الخردة ومجسمات الأعضاء التناسلية على أنها تحف فنية ،وهكذا.

و كما قال أحد الغربيين : " لقد أصبحت النسبوية كلمة فاحشة فالذي يفسد الثقافة أنها لا توجد إلا بالمعنى الذي تعطيه لها العلوم الإنسانية : لا قيمة ولكن ظواهر ثقافية ، تستحق كلها نفس الاهتمام،لا يوجد العالمي، و لكن العوالم متجانسة ومتفرقة : أساليب وطنية ، عرقية، و جيلية، لا يمكن المفاضلة بينها، أبدلوا الجمال و الحقيقة كقيم عليا بمبدأ متسامح في الظاهر وفي الحقيقة مميت " الكل متساوي"،الحدود أصبحت ضبابية ، لا نعم ولا لا، يجب أن نناسب[relativiser].".

لا يمكن لعاقل أن يبقى في النسبية، في جميع أشكالها، فإضافة إلى أنها فساد، يفقد فيها الإنسان روح النقد و معها الحس السليم، ولو كانت صحيحة لما نهت الشرائع عن كثير مما تعتبره شعوب من الجماليات، كتقطيع بعض الأعضاء ، و لو كانت الحقائق نسبية لما وجد أنبياء و مصلحون عبر التاريخ البشري غيروا واقع أممهم و ثقافاتهم و خالفوا جماليات ~ كما خالف النبي المشركين و المجوس و الكتابيين ~ و اعتقادات عصرهم.

المهم أن النسبوية في الموضوع تقتل العقل و تسبب الركود العقلي لأنها تزعم أن

البشر لا يستطيعون أن يعرفوا شيئا بيقين، لكن مع ذلك فإن بعض الناس يتبنى النسبوية لتلطيف و تخفيف غلو بعض الإطلاقيين،وهو في الحقيقة لا يحتاج إلى ذلك فالإطلاقية و إن كانت تدعم أن القيم مطلقة فإنها لا تنفي أنها نسبية على مستوى الذات العارفة ، فالناس يختلفون في كل شيء: في الفهم و الذكاء و التصور و البديهة فكيف لا يختلفون في الحكم على الشيء؟

وكوننا نختلف لتكافؤ نظرنا و تفكيرنا لا يعني تكافؤ الأدلة في نفسها ، فيمكن أن ندفع الغلو و التطرف في الإطلاقية الذاتية لا الموضوعية بقياس المصالح و المفاسد ، و ترتيب الأشياء، و التمييز بين المختلفات ، و النظر في المآل.

و قد يصل النقاش بين المختلفين إلى نقطة يصبح فيها كل شيء باعتبار زاوية النظر، لكن الاعتدال، و احترام آراء الغير ليس باعتبارها حقا ولكن بالاستماع إليها،و الحوار فيها بدون التأثر بالاضطراب العبثي للنسبية أو بتطرف الإطلاقية الذاتية " هي الشخص الذي يظن أن ما يعرفه في نفسه يعرفه الناس،وما هو بديهي عنده هو بديهي عند الجميع".

يتبع غداً إن شاء الله بموضوع نفي التحسين و التقبيح العقليين والقول بتماثل الأجسام وعلاقتهما بالنسبية.

المحبة بين الجمال و الجلال

النسبية والتحسين و التقبيح العقليين ـ تماثل الأجسام

معنى محبة الله للجمال ـ الجمال المجرد و الجمال في الشريعة

الحمد لله وحده، و الصلاة و السلام على من لا نبيَّ بعده.

إذا نظرنا في الحسن و القبح من أفعال العباد وجدناه يرجع إلى كون هذه الأفعال نافعة لهم و ضارة، ولا شك حينئذ أن هذا يعرفه البشر بعقولهم، بل معرفتهم بهذا أعظم من معرفتهم بكثير من الأمور لأن التصديق مسبوق بالتصور ،و الإدراك باللذة التي يعقبها ، فهم يعرفون إن الإحسان إلى الغير حسن،و الإساءة إليهم قبح، لأنه يحصل لفطرهم بوجود الإحسان لذة وفرح و سرور فتنعم النفس بهذه اللذة،و العكس صحيح مع الإساءة التي تجلب لهم الألم و الغم و عذاب النفس المسمى عذاب الضمير.

وهكذا مع العدل و الصدق في الحسن، والكذب و الظلم في القبح، فتجد المحسن محبوبا في كل الملل و المجتمعات و المسيء مبغضا فيها، فقد فطروا على محبة ذلك

و التلذذ به، تماما كما فطروا على وجود اللذة بالأكل و الشرب، و الألم بالجوع و العطش، فالحسن و القبح المعنوي و الحسي من مدركات الفطرة البشرية، وكذلك معرفة ما يترتب على الفعل و الاعتبار به عقلا.
و إذا جئنا إلى الجماليات المحسوسة وجدنا كل البشر يحبون و يتلذذون بالمناظر الطبيعية، و لا يختلفون في حسن الشمس و القمر و السماء نهارا وليلا، و البحر، لأن الجمال شيء يبعث الإعجاب و الارتياح، و يحدث في النفس ~ كأثر خارجي ~ انطباعا بالاستمتاع أي شعورا باللذة.
وكون جماعة معينة قد تتفق على استحسان شيء لا تستحسنه جماعة أخرى تحت تأثير العقل الجمعي فهذا ممكن و سأذكر أسبابه، لكنه ليس بغريب فكما تتواطأ الجماعة العظيمة على الكفر و الكذب لا مانع من أن تُمسخ فطرة الجماعة العظيمة.
فما تتواطأ عليه جماعات معاصرة من استحسان القبيح، و استقباح الحسن صحيح لأنَّ المعاصر أصبح يُكوِّن رأيه في الفضائيات،ومن الأفلام و المجلات، ومواد الاستهلاك اليومي، و قَتل فيه الإدمان للصورة الأحاسيس الفطرية و أصاب عقله بالركود، أصبح عقله الممحو منسقا في مصفوفة إعلامية/ استهلاكية أوصلته إلى درجة الصفر في التفكير، حتى في تقييم مشاعره و تذوُّق انطباعاته الوجدانية.
لقد عوَّمت الحداثة و ما بعدها هذا الإنسان في تيار " نحن"، في المجرى المتحرك و المتلون للرأي الإعلامي، و القبضة قوية على عقله إلى درجة أنَّ التعليم لم يعد قادرا على انتشاله منها.
هذا عصر الطعام المعلَّب الجاهز المعد مُسبقا، و المطبوع عليه: " صنع في البيت"، أو " حسب وصفة منزلية" ، عصر الأفكار الجاهزة، تُشغِّل شاشةً فتتسوق منها فكرة ، ثم من أخرى وهكذا،أصبحت رؤية جماعة تبني بيتا في أتفه حوار يكون، و آخر يصيد سمكة أو يحلل نفسية كلب مادة إعلامية دسمة مطلوبة ومرغوبة، كما قال أحدهم: مذاهب التنوريين لم تخترع سوى ظلمات معتمة !
الإنسان كما خلقه الله بعقل وقَّاد، وفطرة سليمة أصبح مُعطَّلا مرميا إلى جانب ورشة "صنع الحقائق الجديدة،و الاستئثار بالحكم و المغنم"، في انتظار مرور داعية إلى الله يعرف حقيقة ما جاء به الأنبياء، و مدرك لما يخرج من عقله، سلَّمه الله من الأوهام، و الهرطقة، و الجمود و التحجر الفكري، و الأنانية باسم السنة أو السلف، يبحث عن

قطع غيار لعقول بشرية عطَّلها إبليس وجنوده الإنس بأفكار مسمومة ملوَّنة بكل الألوان،ونفسٍ فقدت القناعة في بريق المعروضات المزيَّنة، تعبد الشهوة و المتعة، يشتريه بالرحمة و الاهتمام بأخيه الإنسان، يصلحه و يُعيده لحركة الحياة تحت ظل معرفة الله و شريعته..

وكما قالوا: الرذيلة تشعل الحرب و الفضيلة تقاتل عن الضحايا..

عالم اليوم عالم الاستهلاك المفرط ، الهم الأول فيه للنخبة السياسية و الثقافية/ الإعلامية هو الفائدة و المنفعة،لقد شكلوا الحياة المعاصرة بشكل يجعل الإنسان يجد نفسه مرتاحا في عدم التمييز، فهذا جزء من حرب الفائدة على الذكاء لأنَّ العقل المحتار أكثر قابلية للتلاعب و أسهل في الإغواء ليستهلك ما ينتجون.

و بهذا الخصوص يجب أن نعلم أن أكثر الأحكام الجمالية و الأخلاقية و الفنية التي تسمى" تقدمية" [progressiste] ترجع لاختيار اللحظة كمعلم [point de repère] ينطلقون منه، فمعايير التقييم عند "الحداثة وما بعد الحداثة" هي اعتبار الرأي "الأحدث/المقبول من الأكثرية" على أنه الأفضل ، وهذه قاعدة لمغالطة الاستدلال لأن معيار الحقيقة لا يحتفل بذلك ، و آيات القرآن، ووقائع التاريخ البشري شاهدة على ذلك.

كذلك احتجاجهم بتغيُّر بعض المعطيات ككون الشيء كان مستقبحا في القديم و أصبح مستحسنا، كإظهار المرأة مفاتنها، وترشحها و انتخابها حجة على أن الأمر يرجع إلى تغيُّر الذهنيات مستقبلا، هو حجة حشوية [tautologique] لأن الاحتجاج بالمستقبل احتجاج بمعدوم ،فالفعل المشين ككشف مفاتن المرأة للعموم ليس فعلا حديثا معاصرا و كذلك اللوطية، بل هو موجود من قديم ومع ذلك لم يقبل في المجتمعات المتحضرة، فالحكم الأخلاقي في حقه لم يتغيَّر و لكن تغيَّرت الممارسات الأخلاقية[pratiques morales] مما يعني أنَّ المعايير الأخلاقية عالمية موحدة [standards moraux universels] لا تتغير.

فالفعل يدل على انحطاط المجتمع وليس على تطور ذهنيات و تغيُّر القواعد الأخلاقية، فكون المبدأ الأخلاقي لا يحترم أحياناً مرتبط بضعف نفسي، و ليس بتغيُّر حكم أخلاقي، لكن يجب أن نفرِّق بين أخلاق ذات بُعد عالمي كأخلاق الإسلام لأنها موافقة للفطرة مثل الإحسان للضعيف كالأطفال و الشيوخ ، و أخلاق و استحسان و

استقباح محلية، راجعة لثقافة جاهلية و نقص عقلي كالامتناع عن مؤاكلة الحائض ووأد البنات عند العرب، و كبعض ممارسات القبائل البدائية ، ففي المجتمع الجزائري مثلا يستقبحون أكل السمك مع الحليب لاعتقادهم أنه يسبب البرص، بينما هو منتشر في المجتمعات الغربية و الأسيوية، و إن كان ابن القيم ذكر هذا في الزاد لكني أظنه مما تلقاه من الأطباء الإغريق.
و لفهم هذا أضرب مثالين خارج مجال البحث قليلا لكنهما يقربان الفهم: عندما يعتقد الهنود الحمر في الأمريكيتين أنهم خرجوا من الأرض، و يقول الأنتربولوجيون: إنهم ينتمون للعرق الياباني لتطابق الجينات و انتقلوا إلى الأمريكيتين عندما كان مضيق برينغ مكسوا بالجليد لا يمكن أن نضع المقالتين في نفس المستوى.
عندما نعاين الوقائع الثابتة [fait prouvé] مثل:" الخشب لا ينقل الكهرباء" نجدها لا تقبل التأويل،لكن مع ذلك نلاحظ أن أناس القرون الوسطى في الغرب بالنسبة إليهم كانت " الأرض مسطحة"، وهذه كانت حقيقة من نوع الأولى، وهنا تبدو حجة "التقدميين الحداثيين" جلية غير قابلة للشك [indubitable] لذا أقول دائما: لا تسلم لهم بالمصطلح، ولا بالمثال، لأنه حتى لو اعتقد الناس في الماضي أن الأرض مسطحة كانوا مخطئين، لأن موضوعيا الأرض كروية أو بيضاوية الشكل ، لم تصبح الأرض مكورة مع جليلي.
إذن توجد وقائع و حقائق غير خاضعة لنسبية التأويل، في الدين أو في العلوم المادية، في الأخلاق أو في الجماليات، مما يعني أن بعض الناس يعرفون الحقيقة، و آخرين على خطأ، فجعل الحقائق المتنوعة شيئا واحداً يشبه جعل الأماكن المتعددة مكانا واحداً.
و إذا أكد أحدهم بالمطلق أن الطماطم غير طيبة، لا يمكن أن نوافقه لأنها غير طيبة بالنسبة للشخص الذي لا يحبها، ليست سيئة في المطلق، طيب وسيء بالنسبة للذات المجربة.
لاشك أن الوقائع مادة للتأويل، لأن الواقعة واقعة داخل نظام تأويل يتبع هذا المذهب أو ذاك، لكن هذا لا يعني أنها في ذاتها غير مستقلة عن أنظمة التأويل، و الأنبياء بخلاف غيرهم يخبرون بالأشياء المطابقة لما هي عليه في الواقع و ليس تبعا لنظام تأويل مخترع.

كل هذه المشاكل جاءت من مصدرين: غياب الإيمان بالله و بشريعته، و سطوة العلوم الاجتماعية لأنها أقل علمية من العلوم الدقيقة، و درجة الدليل فيها أحط من الظن.
فمثلا مشكلة الاستنساخ، و القتل الرحيم[euthanasie] مشكلة علمية لا أخلاقية،متى تيقنا حكم الشرع فيها لم تعد مشكلة،فأحيانا المشكلة فيما ننسبه للشرع و ليس منه، ففي القتل الرحيم، الاختلاف في تعيين الرحمة، هل هي في اليأس من حياته،و توفير الأجهزة لمريض يرجى شفاؤه ،أو لقطع الألم عنه؟
وكما قال [Gödel] في نظريته التي يستشهد بها الدكتور طه عبد الرحمان على عدم وجود حقيقة مطلقة : " لا يوجد منطق يمكن أن يفرض نفسه كمرجع [référence]"، فأقول : هذا صحيح، عندما يغيب الإيمان بالله يصبح الألم شيئا عبثيا غير مجد فلم نترك الناس يتألمون ، لا دور للألم في الثقافة الغربية المادية إلا العذاب العبثي،لا تكفير خطايا،ولا رفع درجات، تماما كالربا في غياب الإيمان بالله و الثواب على القرض ما الفائدة من قرض المال بدون فائدة؟
كذلك في غياب الإيمان بالله إلى أي منطق نرجع ، كلها قابلة للنقاش و النقض حتى الرياضيات لا تسيطر على كل الأنساق.
و عليه فالحسن و القبح العقليين عند العباد مبني على إدراكهم بالفطرة و العقل للجمال المجرد، و أما في حق الله تعالى فهو مبني على محبته ورضاه، وغضبه و سخطه وليست هي الإرادة كما سيبسط في هذا المقال، و المسلم و إن كان كغيره من البشر يستحسن و يستقبح بفطرته وله غريزة تطلب اللذة و المتعة يحتاج أن يجعلها في حلال ،لذا هو بخلافهم يستحسن ما يستحسنه الله، و يستقبح ما يستقبحه الله، فينظر فيما يحب فيحبه و يطلبه و فيما يبغضه فيبغضه و يجتنبه ، وهذا حقيقة رجوعه إلى الحقيقة الشرعية، الأمر و النهي،لا كما يفعل المادي و الصوفي الفلسفي و الكشفي يستحسن ما وجد بالإرادة العامة، فيكتسب الشيء المحبة و الجمال لمجرد أنه موجود بغض النظر إن كان مبغضا عند الله أوجده لحكمة يحبها لا للحبه له.
كذلك مما يجب أن يعلمه المسلم أن الحسن و القبح ليسا صفة لازمة للموصوف، بل قد يكون الشيء حسنا في حال معينة، قبيحا في حال أخرى، نافعا في حال، مضرا في أخرى،باعتبار تغيُّر الصفات، فهذا معنى أن الحسن و القبح صفة ذاتية فيه، و سأوضحه.

والقول بالتحسين و التقبيح العقليين يعني أن إدراك الأفعال الحسنة و القبيحة بالعقل موحد، أي يمكن معرفة حسن الفعل أو قبحه بالعقل، و إذا كان ذلك فهذا يعني أن للحسن و القبح معايير واحدة مشتركة بين البشر، فالنسبية هنا عند نفاة التحسين و التقبيح العقليين الذين جعلوا الأفعال كلها متساوية في نفس الأمر، وهذا عين قول النسبية الجمالية، أي أن الشيء جميل بالنسبة إلى ذوق و ثقافة المجرب لا للشيء في ذاته، فما أراه أنا قبيحا يراه هو جميلا ، فالأشياء غير منقسمة بذاتها إلى حسن و قبيح، فكما لا فرق عند النفاة بين صدق و كذب، مصلحة ومفسدة إلا أن الشريعة حرمت هذا و أباحت هذا، لا فرق عند النسبية الجمالية بين سفاح و نكاح ، بين متجمل بثوب ومتجمل بعري إلا أن المجتمعات تفرق، لا حقيقة الشيء في نفسه، فإذا تغيَّرت الذهنيات تغيَّر حكمه.

فمعنى الحسن عند النفاة أنه مأمور به لا أنه أصل مصلحة، وفيه حكمة محمودة، و معنى قبحه أنه منهي عنه، لا أنه مفسدة ومضرة ، فليس في الفعل صفة ذاتية تقتضي قبحه و حسنه.

وهكذا عند النسبية هذا جميل لأن بعض الناس يراه جميلا، وهذا قبيح لأن بعض الناس يراه قبيحا،لا أن للجمال صفة و للقبح صفة ، فالجميل و القبيح سيان في نفس الأمر .

و إن كان في الشريعة الجميل من الناس كالقبيح، فليس من جهة الذات، أي ليس من جهة الجمال الظاهر ، فهما فيه مختلفان ، والجمال الظاهر لا تعتد به الشريعة بل النفوس و الغريزة ، و إن جبلت النفوس على حبه، فإنها كذلك جبلت على حب الجمال الباطن،وهو الذي تعتد به الشريعة ، فمقصود الحديث أن الله يحب أن نتجمل له بالثياب الحسنة و نتزين كما في قوله تعالى : { خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ }[الأعراف] سواء كان الواحد منا جميلا أو قبيحا ، فقوله صلى الله عليه و سلم : "إن الله جميل يحب الجمال" جاء جوابا للسائل في بيان ما يحبه الله من الأفعال وما يكرهه، فالسياق كان في الكبر ، و السائل خاف أن يكون حبه التجمل بالثوب الحسن و النعل الحسن من الكبر.

و الله سبحانه يكره أن يصلي العبد له عريانا، و أن تصلي المرأة مكشوفة الرأس، فالتجمل الذي يحبه الله هو تحسين الثوب و النعل و المظهر لعبادته ، ولو تزين أحدهم

بأجمل اللباس للزنا لم يحبه الله كما يحب الذميم المؤمن و يبغض الجميل الفاجر.
أما الجمال المجرد كالصورة الحسناء لوجه الرجل أو المرأة فالحكم عليه قول النبي صلى الله عليه و سلم كما في صحيح مسلم: "إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا أموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم و أعمالكم "
و قال الله تعالى: {وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا - وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثًا وَرِئْيًا} [مريم] و الأثاث: اللباس و المال، و الرِّئيُ: المنظر و الصورة.
و الجميل من الناس إذا كان كافرا أو فاجراً أبغضه الله ولا يحبه لجماله لأن الله لا ينظر إلى جماله و لكن إلى قلبه و عمله.
و تحسين الثياب و المظهر هو فعل اختياري في الإنسان، بينما حسن صورته لا كسب له فيه، فقد خلق جميلا أو غير جميل، فجاء جواب النبي صلى الله عليه و سلم مفرقا بين الكبر الذي يمقته الله و بين الجمال الذي يحبه الله.
و الله تعالى خلق الناس متفاوتين في الجسم و الجمال و الذكاء، وهذه الأمور ليست باختيارهم بخلاف تكبرهم فلا توجب خلقتهم حمدا أو ذما أو حبا أو بغضا من الله و رسوله على ما لا كسب لهم فيه، و لهذا جاء في الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه و سلم : (لا فضل لعربي على عجمي ، ولا لعجمي على عربي، ولا لأبيض على أسود، و لا لأسود على أبيض إلا بالتقوى)
وقد يكون الجمال المجرد عونا على الإيمان و العمل الصالح كما يكون الذكاء أو المال أو القوة البدنية متى استعان بها الإنسان على طاعة الله يكون فيه الجمال الذي يحبه الله ولو كان قبيح المنظر.انظر مبحث الجمال مفصلا عند ابن تيمية في " الاستقامة" فمنه لخصت بعض الأجوبة.
و الله سبحانه فطر عباده على قول الصدق وتصديق الغير، ولولا ذلك لاستحال التعامل بين البشر و زالوا عن الدنيا، فتخيل قوما لا يصدق بعضهم بعضا فلو سألت أحدهم عن طريق إلى مدينة أو جهة ما و أخبرك لا تصدقه، و إذا سألت عن طعام في مطعم فأخبروك بأنه طازج لا تصدقهم وهكذا ،و لذلك نجد الناس على اختلاف مللهم و ثقافاتهم يستحسنون العدل و الصدق و الإحسان و الشكر و يستقبحون أضدادها ، وكما قال ابن القيم في " المدارج": " نسبة هذا إلى فطرهم و عقولهم كنسبة الحلو و

الحامض إلى أذواقهم، و كنسبة رائحة المسك و رائحة النتن إلى مشامهم، و كنسبة الصوت اللذيذ و ضده إلى أسماعهم ، و كذلك ما يدركونه بمشاعرهم الظاهرة و الباطنة فيفرقون بين طيبه و خبيثه، نافعه و ضاره."
و نحن نعلم أن الفاحشة بين الأقارب محرم عالمي،و كل البشر يحبون الماء البارد في الحر، و يخشون من مس النار إلا بعض أصحاب وحدة الوجود جعلوا بخيالهم العذاب من العذوبة.
وعلى هذا أقول: بالنسبة للنسبية الجمالية و غيرها من نسبيات: لا يجوز لنا أن نحكم على رؤية الناس للجمال فنقول : نعم لا نحكم إن تعلق الأمر بالذوق في الطعام و الشراب و كل مسألة لا تؤثر على الأخلاق و القيم لكن الاختلاف في الجماليات قد تعدى إلى كشف العورات، و العبث بالأجسام بالوشم و التقطيع،و تعليق الحلق، و تحويل الذكر لأنثى و الأنثى لذكر، و ووطأ الأطفال و الحيوان، و الإجهاض، ولماذا نتوقف عند هذا الحد فلنستبح كل شيء؟
و الفعل إن كان مشتملا على صفة تقتضي حسنه و قبحه، فالحسن و القبح ثابت بالعقل قبل القانون و بعده، و كذلك مدحه و ذمه تابع لذلك، لا يمكن بحال أن نقبل بعض الأعمال و التصرفات لأن بعض الناس أو المجتمعات تراها جميلة ، فإن الجمال حينما يتجاوز حد الاختلاف حول تفضيل لحم الماعز أو لحم الغنم لا يمكن أن نقبل به لأن هؤلاء يفعلونه أو لا يفعلونه، لأننا تجاوزنا حد الاختلاف في الذوق المحتمل إلى ما هو خير و شر، وهنا لا يكون استدعاء الاختلاف أو فعل الأكثرية حجة صحيحة بل سفسطة.
وقد يستحسن بعضهم أكل البشر فالأمر هنا لا يعود إلى الذوق بل إلى الحقيقة الذاتية للشيء، و بالنسبة لغير المسلم يمكنه أن يحكم على هذه الأشياء في إطار آخر كالفطرة و العقل و البحث عن أسباب تحريم بعض الديانات لهذه الأشياء.
و المشكل في الجماليات أنها تجاوزت الذوق إلى الأخلاق، و إلى الخير و الشر، ولا يمكن أن نرجع تحديد الخير و الشر إلى الذوق و العادة لأننا حينئذ نختزل الخير و الشر في اختيارات الأفراد، ولا يمكن للناس أن يعيشوا ضمن هذه الظروف فهم بحاجة إلى تحديد ما هو خير وما هو شر حتى يمكنهم قيادة حياتهم في المجتمع بتوافق
.

إننا إذا قبلنا بنسبوية الجمال خارج مجال الذات المجربة لن تبق لنا وسيلة للاعتراض على ممارسات بشعة لا أخلاقية أصبحت تنتشر في المجتمعات تحت حجة "الجمال نسبي".

يمكن ~ كما قلتُ سابقا ~ أن نتسامح بل يجب في موضوع الأذواق و الاختلاف فيها ،أي عندما يكون الاختلاف طفيفا ، فهون كالعفو عن اليسير ، لكن لا عندما ينخرط مجتمع برمته في استحسان اللواط و السحاق ، و التجمل بالعري و تغيير الخلقة ،و استباحة الأطفال و الحيوان.

وعليه أقول: و إن كانت مسألة التحسين و التقبيح العقليين متعلقة بالأفعال، فإن إثباتها يعني وحدة مقاييس الجمال و القبح، فالفطرة العقلية واحدة في جميع البشر، و عندما نثبت الحسن و القبح العقليين فإننا لا نثبته على طريقة من نفى به القدر و الصفات، كما نقول: نفي التحسين و التقبيح كالقول بمماثلة الأجسام لتماثل الجواهر وهذا اعتقاد يكابر الحس و العقل و الشريعة فكيف يتماثل الماء مع النار، و الحليب مع الصديد ، فهذا لا يستقيم مع تعليل أحكام الله و إثبات حكمته في خلقه و أمره .

و الآن لنشرح مسألة الجمال و الحسن من جهة أخرى تتعلق بفطرة الناس و ما ينجذبون إليه، فقوله صلى الله عليه و سلم : { إن الله جميل يحب الجمال} تضمن فوائد كثيرة منها:

1 ـ الحديث عن معنى جمال الله وله موعد آخر، كما تضمن بطريق العموم و الفحوى أنه يحب الجمال من كل شيء،و إذ بيَّنا أن الله خالق الصورة الجميلة و الصورة القبيحة، كما خلق الذكي و البليد،و القوي و الضعيف، و انه أحسن خلق كل شيء،فقد بينا أنه يحب الجمال الباطن، و يحب أن يرى على عبده ~ جميلا كان أو ذميما ~ الجمال الظاهر بالنعمة ، فجمال الظاهر أن تظهر نعمته عليك، و جمال الباطن أن تشكره عليها، و لمحبته لهذا الجمال أنزل على عباده لباسا وزينة تجمل ظواهرهم و تقوى تجمل بواطنهم فقال سبحانه : { يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاساً يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشاً وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خيرا } و فاضل بينهما فجعل لباس الباطن أحسن من لباس الظاهر.

فالله سبحانه و تعالى يحب الجمال في الأقوال و الأفعال و اللباس و الهيئة و يبغض عكسها، وكما قال ابن القيم : حسن الباطن يعلو قبح الظاهر ويستره، وقبح الباطن

يعلو جمال الظاهر ويستره.
قال ابن القيم : كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو الناس إلى جمال الباطن بجمال الظاهر كما قال جرير بن عبد الله وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يسميه "يوسف هذه الأمة" قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أنت امرؤ قد حسَّن الله خلقك فأحسن خلقك ".
و قد يفهم بعض الناس من هذا أنه لا يجوز طلب الزوجة الحسناء و محبة الجمال في الأشياء كالمركب و اللباس و المسكن و غير ذلك، وهذا غير صحيح فإن النفوس جُبلت على حب الجمال، و للجمال أثر في كثير من الأشياء كما في نقل الأخبار و الدعوة و التسويق، لهذا كان صلى الله عليه و سلم يستحب أن يرسل إليه برسول يكون حسن الوجه حسن الاسم ويقول: "إذا أبردتم إلي بريدا فليكن حسن الوجه حسن الاسم" و ربما لهذا السبب قال علي رضي الله عنه : لم يبعث الله نبيا إلا جميل الصورة حسن الوجه كريم الحسب حسن الصوت".
و ذلك لتأثير الجمال في النفوس فكأنه مفتاح للقلوب أو يوجب نوعا من السكينة و الاطمئنان و الله اعلم.
و قد قال الله تعالى: { لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا }[الأحزاب] مما يدل على أن النبي صلى الله عليه و سلم كان يعجبه حسن الزوجة، و بخصوص هذه الآية روى ابن أبي شيبة عن الزهري في الرجل يتزوج المرأة أنه قال: لا بأس أن ينظر إليها قبل أن يتزوجها لأن الله عز وجل يقول : {وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ}).
و في مسند أحمد عن يزيد بن كعب بن عجرة : (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَزَوَّجَ امْرَأَةً مَنْ بَنِي غِفَارٍ فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهَا، وَوَضَعَ ثَوْبَهُ وَقَعَدَ عَلَى الْفِرَاشِ أَبْصَرَ بِكَشْحِهَا بَيَاضًا فَامَّازَ عَنِ الْفِرَاشِ، ثُمَّ قَالَ: خُذِي عَلَيْكِ ثِيَابَكِ " وَلَمْ يَأْخُذْ مِمَّا آتَاهَا شَيْئًا) .
فوجود هذه الألفاظ " الجمال، الحسن، الزينة" في النصوص كثير ، فثبت عنه أنه غيَّر اسم جارية " عاصية" و قال: أنت جميلة، و قال الصحابي راوي حديث الخثعمية : "عَرَضَتْ لَهُ امْرَأَةٌ مِنْ خَثْعَمَ جَمِيلَةٌ، فَسَأَلَتْهُ عَنِ الْحَجِّ عَنْ أَبِيهَا"،ولما دخل رجع أبو خيثمة من غزوة تبوك دخل حديقته و قام على باب العريش فنظر إلى

امرأتيه و قال: (رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الضِّحِّ وَالرِّيحِ وَالْحَرِّ وأبو خيثمة فِي ظِلٍّ بَارِدٍ وَطَعَامٍ مُهَيَّأٍ وَامْرَأَةٍ حَسْنَاءَ فِي مَالِهِ مُقِيمٌ، مَا هَذَا بِالنَّصَفِ).

فالجمال حاضر في لغتهم، مما يعني أنه حاضر في نفوسهم، محبوب لها،و قد نقل ابن القيم في " الروضة" عن أحد السلف رواية لا أعلم صحتها جعل المرأة الحسناء في البيت هي الدنيا كلها.

الفارق الوحيد هو أنهم كانوا لا يطلبون ذلك في المرأة مجردا عن الدين،و منهم من يفضل الدين ولا يبالي بالجمال ، و في قوله صلى الله عليه و سلم " إذا نظر إليها سرته" كأنه قياس للجمال الذي يمكن أن يراعى في اختيار الزوجة، فإن أكثر النساء إذا نظر إليها الزوج سرته خاصة مع المودة ، و الجمال مراتب فمنها :جميلة حسناء، فاتنة، عذبة، ساحرة، حبوب،بهية، ولا تخلو النساء في الغالب من صفة من هذه الصفات إلا في النادر.

لذلك يحب الواحد منا المؤمن التقي و إن كان غير جميل ولا ينتبه إلى صورته، فالإيمان بهاء ومسرة في الوجه، ودواعي المحبة: الجمال و الجلال، فيمكن أن تحب الشخص لجماله و تلك محبة غريزية، و يمكن أن تحبه لجلاله و تلك محبة واعية.

و هذا يشبه الفرق بين الحب العقلاني بالنظر إلى جوهر الشيء و الحب الشهواني بالنظر إلى ظاهر الشيء.

و قد أغرق ابن القيم في " روضة المحبين " في ذكر ما ورد في الجمال و الحسن المجردين، و ما قاله السلف فيه ،فمن شاء عاد إليه، و انصح الشباب العالق في البحث عن زوجة جميلة أن يتجاوز أوهامه و يشطب ما كتبه في عقله من شروط فقد علقت العقول عند الحسن الذي أذهب بلبها؛وإن في المرأة الودود جمالا لا يضاهيه جمال، وكما كمال الإيمان يزول و ينقص و يضعف " إن الإيمان يبلى" فكذلك الجمال يبلى و يقبحه الهم، فانظر إلى الصفات الجبلية التي تزيد في الإيمان و تحافظ عليه ، وهي من عوامل السعادة الزوجية كالطيبة و العفة و الحياء و الكرم وخاصة في الجانب الأنثوي المستوجب لطاعة الزوج و رضاه أن تكون ودودةً، و ستجد حاجتك بإذن الله.

في المقال القادم نتكلم عن أصل الولاء و البراء و أصل المحبة و البغض.

النظر من قمع

أظن أن بعضنا إن لم يكن غالبيتنا ينظر للعالم من حوله من قمع، الصورة مسلطة

على رجله، أو رجل أخيه.
فمرة التباكي على الأطلال ومرة التباهي بماض ولى .
بعضنا مسكين في شعوره أبصر الفجوة بيننا وبين هذا العصر فهاله سعة الفراغ وعمقه فزاد ألمه.
وبعضنا على منوال ألف ليلة وليلة طلع الصباح فسكتت...
مثلنا مثل من دخل فيما يشبه قرن مثلجات كلما تقدمنا ضاق، ثقافة بائسة في محميات الهنود، لا ندري ما حولنا ونأمل في غد أفضل!

خروج السلفية من حسابات الأنظمة ؟

هل نتيجته:واقعان: متسرع: لا سيِّد ولا دولة ، و شفاف: لا معروف ولا منكر.
الحمد لله رب العالمين، و الصلاة و السلام على أشرف المرسلين.
من حيث العموم : لا يوجد نظام في الدنيا يُقصي جهة تقدِّم له فروض الطاعة مجاناً بل تقبل مع ذلك أن يُضايقها في نشر خطابها الأصلي لا الذي حوَّلها إليه ،لا تملك أية حرية سياسية أو فكرية، حريتها الوحيدة المؤذون لها بها بدون شرط ولا قيد هي أن تواجه كل الاتجاهات الدينية التي تخالف الاتجاه الديني الذي يرتكز عليه " المرجعية الوطنية" و في المناسبات: خصومه الفعَّالين.
وقد نجح في بعض الدول إلى تحويل خطابها عن الشركيات و البدع، ~ كما هو خطابها التقليدي الناقص من معالجة المذاهب الفكرية الهدامة القديمة و المعاصرة و الفجور و انهيار الأخلاق ~ إلى التخصُّص في نقد " كلمة كبيرة على حقيقته لأنه في الحقيقة هدم وتعبير" الاتجاهات الإسلامية المختلفة حتى الأقرب إليها، ليس في الكليات، و لكن في جزئيات أشبه بمسائل فضلى في أصول الفقه و بالاختيارات الفقهية " في الغالب" .
من حيث الخصوص: القول بأن الاعتقالات الأخيرة في السعودية مؤشر على تخلي النظام السعودي عن السلفية تحت ضغط التوجهات الدولية ضد ما يُسمى بالأصولية الدينية أراه غير دقيق، لأن الاعتقالات ليست جديدة.
و الذي يبدو لي أن النظام السعودي قد تخلى عن الرؤية السلفية من مدة طويلة لكنه يحاول أن يجري عملية انتقال و تحوُّل هادئة، يستغل فيها بعض العوامل المساعدة ~

كتغيُّر الأجيال و انتشار خطاب ديني يجد صعوبة في نقل القيم لهم، و ازدياد حجم التأثير الغربي على المجتمع السعودي بفتح كل الأبواب أمام الإعلام المتغرب ~ لتقليل الاعتراض عليه؛ و الاعتقالات الأخيرة ربما مست طيفاً من السلفيين تفطن من مدة إلى العمل الثقافي الباطني الممنهج على ذهنية المجتمع .

أما خروج السلفية التي تدافع عن النظام بدون شرط ولا قيد من حساباته فهو أمر لا يرجع إليه، و يتجاوز قدرته، يرجع لنفاذ مخزونها من الملصقات الاقصائية، و تنامي الوعي داخل صفوفها حتى أصبحت تتكوَّن في الغالب من حدثاء السن ، و تضعضع مصداقيتها عند عوام المسلمين، و لنكن واقعيين تحتاج لتبرير أو دعم سياسة نظام معين في توجُّه واضح نحو العلمنة ، كما تحتاج في مقاومة هذا الاتجاه و الاعتراض عليه فكريا أو سياسيا إلى أخلاقيات شخصية واضحة و صارمة حتى لا تسقط في التواطؤ معه تحت ذريعة سياسية أو دينية.

وعليه فإن تخليه عن الرؤية السلفية لا يعني تخليه عن مساندة بعض روافدها في محاصرة المصلحين، أو في معاركه خارج حدوده، و ضمن دوره في السياسة الإقليمية، والحقيقة الصادمة أنها لم تعد تحظى عنده بنفس الاهتمام السابق لأنه أدخل خدمتها له في جميع أحواله ~ حتى لو اتجه اتجاهين متناقضين ~ في بنية عقيدتها.

وكون جماعة إسلامية ترى ضرورة الحفاظ على الدولة و الاستقرار، وعدم تمزيق الشعب ـ بمميزات صراعية سياسية و ففقهية ـ في معارك مصالح شخصية أو فئوية، و ترجح الإصلاح على الفوضى، المفروض أن يكون الرأي الأقوى موافقةً لمقاصد الشريعة، على الأقل عندها من الأدلة ما تدعم به بقوة هذا الاتجاه,

لكن هذا شيء ~ إن فرضنا وجود هذا الفهم ~ و قتل الإصلاح بمنع جميع سبله السلمية، و استبداله بالتعرُّض لأهل الدين، مع خلط فاحش بين الصواب و الخطأ، فيذمون الشخص في قوله الصائب في مسألة بقوله الخاطئ أو الذي يحسبونه خاطئا في مسألة أخرى، مع الركون إلى واقع فاسد، و الدفاع عن ديمومته و بقائه، و التخلي كليةً عن الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر حتى في أدنى مستويات و طبقات المجتمع انحراف واضح عن مقاصد الدين.

فلو كانت فعلا لا تعتقد في جدوى السياسة كوسيلة إصلاحية لوجب أن تعتقد في شيء آخر مقابل، هو بلا شك العمل على الفرد و المجتمع عقيدة و تربية و تثقيفا وتوعية،

مع العمل على شغل المجال العام و مزاحمة التغريبيين في كل المجالات،لكننا نجدها تعمق الطائفية، و تعمل جاهدة لمنع الناس من التعاون على الخير ودفع الشر بحرب ضروس على اسم ليس إلا لافتة .

...... في السياسة: عندما يحاول الناس تحقيق أهدافهم، و يجرِّبوا المحاولة تلو الأخرى ثم لا يجدوا استجابةً يصابوا بالملل و اليأس فمنهم من يشك في نفسه، في أدواته و خططه، وفيها يحاول إيجاد الخلل، و يستعد لمحاولة أخرى.

ومنهم من يعتقد أن المشكل في غيره فينحرف من تلقاء نفسه أو بإيعاز من جهات خفية إلى ما يشبه الأناركية " الفوضوية" فيقول بلسان حاله: إن لم أصل إلى هدفي، أو على الأقل يستجاب لي في بعضه، فالأفضل أن يزول من يتحكم في الأمر ، أو نقتسم النفوذ، كل واحد في جهته.

و قد يدعم ظنه هذا أن علماء الاجتماع يقولون: "لا تكون دولة بدون مجتمع ولكن يوجد مجتمع بدون دولة"،وهذه أغلوطة اجتماعية، إذ لا يوجد مجتمع متقدم قوي متماسك بدون دولة، يوجد مجتمعات بدائية بدون دولة ؟

وهل يمكن أن تملك سيادتك على مجتمع بدون دولة، أو على جهة واحدة بدون دولة مركزية أم ستنتقل إلى سيادة متعددة، سيادة تقف خلف سيادة حتى نصل إلى السيد " بالمعنى السياسي" الحقيقي الذي يدبر كل شيء،و إن كان في الحقيقة الكل ناقص السيادة لسبب أو لآخر، لكن هناك فرق بين خلل في السيادة وبين تعدُّد السيادة؟

لقد يئس بعض الساعين للدولة الإسلامية من تماطل الدول في الاستجابة للإصلاحات، وجرب آخرون القوة و لم تجد نفعاً، ففي نهاية المطاف يستفيد غيرهم، و الحفر من أجل الحفر ليس غايةً في نفسه؟

وذهب بعضهم إلى أن الدولة المعاصرة يستحيل أن تكون إسلامية يعني: الدولة القطرية حيث يغلب مبدأ المواطنة، ولا يعتد بتقسيم المواطنين إلى مسلم وذمي،وحيث إن السلطة جماعية ومتعددة لا ينفع حتى الوصول إلى سدة الحكم في أعلى هرمه في تغيير توجه الدولة.

و تحوَّل آخرون إلى العلمانية السياسية ،و صاروا يدافعون عنها بضراوة مقتنعين بحجج انفعالية :" لم يجلب الإسلاميون إلا القتل و الخراب"، وهي حجة صحيحة بالنسبة للذي ينظر إلى ظاهر الأشياء، و لا يميز بين المشاريع المشتركة في بعض

الشعارات، أما أهل الوعي فيعلمون أن خطأ بعضهم لا يلزم منه خطأ آخرين، و أخطاء التجربة لا تعني عدم صلاحية الإسلام للدولة المعاصرة مهما كانت الصعاب و التحديات ، المشكل في تصورها فهو الذي يفرز الوسيلة المناسبة له.

ولا أقصد هنا الأناركية ببعدها السياسي/الفلسفي فتلك حركة بمبادئ تحررية ،وهي حركة ضد نظامية اشتراكية معادية لكل سُلم نظامي و سلطة، تنتقد بصورة جذرية كل المؤسسات القسرية المتحدة،كالجيش، الشرطة، العائلة الأبوية، "الدين" خاصة الدولة التي تسعى لإزالتها ،و ترفض كل أشكال الهيمنة الأخلاقية و السياسية و الاجتماعية، كما يقول [Proudhon]: " إذا كان الإنسان يبحث عن العدالة في المساواة فإن المجتمع يبحث عن النظام في الفوضى" و هذا يذكرني بعنوان كتاب الدكتور حاكم المطيري" الحرية أو الطوفان".

الأناركية ليست نظام تفكير ثابت، هي بالأحرى ردة فعل على يأس طال أمده مع قلة الحلول، ليست نظرية لمفكر واحد، هي فكرة لردة فعل عن عجز مستمرة في التضخم و التقلص بحسب الظروف ،منطلقها في الأساس أنه لا يوجد سلطة بدون الحاجة إلى التبرير يعني أن الأيديولوجية ليست سوى الشكل البارد و المنفصل للتبرير،لذا لا يوجد نظام صالح؛نتجت عن الصراع بين ماركس و بوكانين.

هي رد فعل بين نموذج يعتقد أن على الطليعة النخبوية قيادة الجماهير نحو الدولة المنشودة ،ودور الجماهير "العوام" يختزل في نقل هذه النخبة إلى السلطة فقط، سواء بالانتخاب أو بالثورة المسلحة، و نموذج يعتقد أنه يجب رفض كل سلطة سياسية، الفعل المباشر للجماهير، الحر و المنظم بدون سلم مسئولية، هو الوسيلة لتحقيق الدولة المنشودة بدون مراحل انتقال، وهذه الدرجة الثانية منها.

الأناركية رد فعل العدميين " أنا أو الهلاك" كمنهج حركي تبرر العنف، و تتبنى تفجير النفس لقتل الحاكم و حاشيته والاستيلاء على الأملاك و شل الحركة الاقتصادية و اختراق الجيوش النظامية و إشعال الفتن حتى تسقط السلطة المركزية.

و المشكل أنه لا يمكن لأي فكرة أناركية أن تقاوم السياسة الاجتماعية ، لأنها سياسة جذابة لا تحتاج لمعالجة الأسباب الفعلية للتفاوت الاجتماعي غير المبرر لأن بعض الرفاهية المادية و الحقوق الاجتماعية تقذف في نفوس الناس الخوف من تضييع هذه الحقوق و المكاسب الاجتماعية، خاصة أن التجارب بغض النظر عن أسباب فشلها لم

تقدِّم الأفضل.
و السؤال: لماذا في بعض الدول الإسلامية يتبادل الشعب المفرَّق على أساس هوية مذهبية أو عرقية الذبح و التفجير،فعند مستوى معين تصله الأزمات يصبح كل شيء مبررا ومؤصلا ، و في بعض الدول الغربية يكتفي الشعب المنقسم على الهوية المذهبية أو العرقية بالسب المتبادل؟
لأنه في المثال الثاني يخاف الشعب من ضياع مصالحه الكثيرة كما في بلجيكا.
..... الأناركية عندنا فكرة رد فعل لشخص لا يملك تصورا واضحا لمشروعه، أو غير قادر على تكييفه مع الواقع بدون تضييع جوهره، أو يستعجل الله فلا يؤمن بالانتقال و المرحلية، ولا يستعجل الله لعجلة أحد : { ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير لقضي إليهم أجلهم فنذر الذين لا يرجون لقاءنا في طغيانهم يعمهون } ،فإنه إذا أراد سبحانه شيئاً كان ولم يتخلف أصلاً ، فالأولى البحث عن الأسباب الصحيحة، و التمسك بها بدون رزنامة، و الله اعلم.

العلماء....
الدعوة إلى الله بالعلم الصحيح كالنهر العظيم، و العلماء كالجداول تصب فيه، و كل جدول وقوة مائه و صفائه وحتى لونه، ليس فيهم من يشكل وحده ذاك النهر.
والمشكل ليس في العلماء فإنهم في الغالب يؤدون ما عليهم بحسب اجتهادهم، إنما المشكل في الذين يأتون من بعدهم ويحولونهم إلى رمز يختلفون فيه، وشعار يمتحنون الناس به، ويجمدون على رؤيته و لو كانت تقديرية بحسب ظروفه و تكوينه، ويرفضون تطوير رؤيته و انضاجها و تطعيمها بما تحتاجه كأنما الدنيا و مشاكلها توقفت عنده.
و العلماء و انتموا إلى مذهب واحد فإن بينهم اختلاف درجة في الإحاطة و التحقيق و الاجتهاد، وفي المزاج والميل إلى العلوم العقلية أو القلبية، ومنهم من تغلب عليه صناعة دون غيرها فنستفيد منه فيها ولا يلزم أن نأخذ باقواله في فن لا يكون فيه إماما، وهكذا..
فالمشكل في الذىن أوقفوا الزمن عندهم ولم يحسنوا الاستفادة منهم كلهم.
اقول هذا حتى لا نحصر اي تعثر أو مشكل فينا في توجهاتهم وما كانوا عليه هذا إن

كان من يريد ربط الناس بهم عالما أو طالب علم كبير فالمصيبة كبيرة.
العلماء ليسوا سجلا تجاريا نبيع به ونشتري ولكن واسطة بيننا وبين الشريعة ناخذ منهم ما تبينا صحته ونترك ما ظهرت مرجوحيته مع حفظ المقام والدعوة لهم بالرحمة وحسن ابتغاء العذر لهم...

الجواب الجميل!

الجواب الجميل لا يعني أنه حق، فعلى طالب العلم أن ينتبه للانحراف عن المقصود "تجاهل المطلوب" فإنما أفسد العقول الإجمال في موضع الاستفصال، ومن الجواب الجميل :الحيدة بتعليق العلة على السائل بدلا من المسئول عنه.
فلو نذكر الحكم الصحيح على المسئول عنه ثم نعاتب السائل يكون جوابنا حقا جميلا بدلا من أن يكون كلاما جميلا؟

سر الطبخة..

ما لم يتعايش)(الإسلاميون) خاصة السلفيين منهم مع مختلف مكونات مجتمعاتهم و بالأخص الكبيرة فسيحكم الجميع دائما من يتعايش مع الجميع (العلماني ومن معه) ،فالصراع حول استقطاب السواد الأعظم، هذا هو سر السياسة في العصر الحديث بأي طريق مورست.
وهذا يتطلب مراجعة الخطاب والبحث عن صيغة تحفظ بها القناعات و الدعوة إليها من دون إفساد لمتطلب التعايش.
عليكم بالسواد الأعظم... بماذا و كيف ذلك؟

إشكالات في التعاطي مع العلوم الشرعية في العصر الحديث

الحمد لله و الصلاة و السلام على رسول الله.
لقد نشأت العلوم الشرعية من مشكاة واحدة وفي نفس الفترة تقريباً لتخدم قضية واحدة هي توثيق النصوص و الاستنباط منها و الذود عنها .
فهي كتلة واحدة لا تقبل التجزئة، تتصل فيما بينها بقواعد مشتركة ومسالك إجرائية، و تخدم بعضها بعضا ، فمن أخذها كلها اتسق كلامه ، و تناغم فهمه، و اطردت أصوله، و من أخل بمجموعها وقع في العكس، فاضطرب فهمه، و كثر تناقضه، و ربما أحدث في المسلمين شراً.
والفرق بين المتقدمين و كثير من المتأخرين هو في هذا الاعتبار، فما الفرق في قوة

الاستنباط و دقته، و قلة التناقض إلا من هذه المسألة.
و لما بدأ بعض الناس يهتمون بعلم واحد و ينظرون به إلى الدين كله أصبحت هذه العلوم تنتج ~ لهذا السبب ~ المشاكل و ليس الحلول، ومن هنا أمكن القول بأن الخطأ في البُنية.
فبعض الناس عندما ذم علم الكلام لم يميز بين الصحيح و الفاسد، و إخلاله بالصحيح منه كان له أثر سيء على علمه بالمقالات و الفرق، و على منهج معاملة المخالف فأصبحت النقول السلفية التي يستشهد بها مضرة لأنها زحزحت عن موضعها و أبعدت عن مقاصدها .
و لما عادوا علم الكلام عادوا لأجله أصول الفقه لأنهما علمان عقليان و لأن أغلب الأصوليين متكلمة أشاعرة و معتزلة حتى الفقهاء منهم ، فغرقوا لأجل هذا في نظر سطحي و حرفية جامدة عزلت السنة عن الحكمة منها، و جعلت الشريعة لمحض قهر التعبد .
و لما عادوا التصوف البدعي نفوا معه التصوف الشرعي فأهملوا التربية و علم السلوك فساءت أخلاقهم، و اشتد النزاع بينهم لحسد و كبر و حب رئاسة و فحُشت ألفاظهم .
فقصر بعضهم الصحة و الشرعية حالا و عملا على علم الحديث وحده ~ كما قصر غيرهم على علم الكلام، أو أصول الفقه مع ضعف شديد في علم الحديث ~ ونبذوا سواه إهمالا، و أحيانا طعنا فيه كما طعنوا في أحد شيوخهم باشتغاله بأصول الفقه ، ولم يميزوا بين السنة و علم الحديث ووظيفته، فسحبوه على كل شيء، حتى نفوا فقه الأئمة و شككوا في علمهم، و أهملوا تراثا فقهيا ضخما لا قبل لهم في التعامل معه و الاستفادة منه، و حملوا العوام على منهج المجتهدين لأنه لم يكن المحدثون في يوم من الأيام أئمة الناس يقلدهم العوام، بل فقهاء الحديث و أئمة الاعتقاد، ولم يفرقوا بين عقيدة أهل الحديث و منهج أهل الحديث الفقهي ، فكل هذا الذي تراه في شق من السلفيين سببه هذا .
فلما ضيعوا العلوم الشرعية ضيعوا علم الحديث لأنه لا يقوم بدونها، كما ضيع الفقهاء الذين زهدوا في علم الحديث فقههم بالضعيف، وكذلك أهل التفسير، و أصول الفقه الذين غرقوا في الأنظار و ضيعوا الوقائع، وهكذا مع المشتغلين بالقراءات و غيرها

من العلوم.
ومن ثم وقع ما وقع فوجدنا شيوخا سلفيين اختزلوا العلوم الشرعية في نقل كلمات السلف في التنفير، و ذم المخالفين ينسبون التفحش و البذاءة للسنة، و شيوخا يناطحون البديهيات، و شيوخا أحرقوا الشباب المسلم في أتون الفتن ، وجدنا حربا داخلية بينهم على الألقاب و الأسماء، و المعارك الطاحنة على الشعارات، و تبديعا بالاختيارات الفقهية، و اهتماما بالطاقية أكثر من الاهتمام بحرمة المسلم ، و تعطيلا للنصوص بكلام الرجال ، ... الخ.
لقد كان الحديث يوم كان الشافعي المحدث الفقيه آية في الفهم و القياس، رائدا في مختلف العلوم، جعلوه اليوم آية في السطحية، و ضعف الفهم، و الله المستعان.
و المؤسف أن الحديث الذي كانوا عليه من سنوات قليلة أضاعوه بمتون مستغلقة محددة للعلم مضيقة للفهم و سعة الاطلاع حتى صاروا اليوم عرضة للتهجم عليهم في أخص خصائصهم علم الحديث و العقيدة.

قبلة الصائم

الحمد لله وحده، و الصلاة و السلام على من لا نبي بعده.
كلام ابن حزم في المسالة قوي لكن في بعض استدلاله ما يحتاج إلى تفكر، فعندما يرد على قول المخالفين بأن علة النهي "عدم التحكم في الأرب أو الإرب و فيه ثلاث لغات كما قال أبو عبيد"، كما في حديث عائشة رضي الله عنها الصحيح : [يُقَبِّلُ وَهُوَ صَائِمٌ وَيُبَاشِرُ وَهُوَ صَائِمٌ، وَلَكِنَّهُ كَانَ أَمْلَكَ لِإِرْبِهِ] قائلا بان عائشة ~ رضي الله عنها ~ كانت شابة حينما توفى عنها النبي صلى الله عليه و سلم ،و اللازم حينئذ أنه تعليل غير معتبر،إضافة إلى كونه مخالفا للقياس.
فهل يمكن أن نقول : إن الأرب هنا ~ كما هو صريح عباراتها ~ ليس المقصود منه أربها هي، ولكن أرب الرسول الذي لا يطاوعها بخلاف غيره الذي إن لم يملك إربه صعُب على الزوجة الامتناع، فما بالك إن لم تملك هي الأخرى أربها؟
فهذا الاستشكال الذي بان لي في استدلاله مع العلم أن النص لم يذكر الإنزال، لكن فطنة الفقهاء هي البحث في اللوازم و الاحتمالات، و السؤال: هل تكون مباشرة في العادة بغير شهوة، و هل تتم الشهوة بدون إنزال؟
فإذا قال النووي : القبلة في الصوم ليست محرمة ما لم تحرك شهوة، فكأنه فرق بين

قبلة الشهوة و قبلة المودة، و ذكر أنه لا خلاف في أنها لا تبطل الصوم إن لم ينزل ، فعاد التعليل ببطلان الصوم إلى الإنزال، و يبقى الإشكال: هل هناك قبلة و مباشرة بدون شهوة ، و شهوة بدون إنزال؟

و في ظني لم يجعل الفقهاء هذا من خصوصيات النبي صلى الله عليه و سلم و إن كان لفظ عائشة ~ رضي الله عنه ~ يشير إليه، وقد ذكر ابن القيم أنه جاء في القبلة أنها مثل المضمضة بالماء، و المتمضمض قد يمر في جوفه بعض الماء ، فاللازم إما القول بالخصوصية إذا وجد القرائن الكافية أو يكون قول ابن حزم الأقرب و الأصح خاصة و أنه أورد أدلة مثل ما رواه عن مسروق أنه قال: "سَأَلْت عَائِشَةَ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ: مَا يَحِلُّ لِلرَّجُلِ مِنْ امْرَأَتِهِ صَائِمًا؟ فَقَالَتْ كُلُّ شَيْءٍ إلَّا الْجِمَاعَ" ، و الله اعلم.

لم أحسم هذه القضية إنما طرحتها للنقاش لعلنا نجد عند بعضكم إضافات مهمة.

المتغيرات في حساب التعايش

يقرر بعض الناس عند الحديث عن مسألة التعايش مع المخالفين بأن كراهيتهم له تمنع من التعايش، و أن الحل هو أن ينقادوا للحق، و أظنه يقصد الانقياد بالقوة و ليس بالحجة، و السؤال: هل يحبهم هو، ففي ظني الكراهية و البغضاء متبادلة بين المسلمين؟

و هل يمكن أن تعود المحبة و تدخل على الكراهية كما دخلت عليها الكراهية من قبل؟ و إذا تعذر ذلك فعلى الأقل الاحترام المتبادل، وليس من شرط البراءة أن تكون ظاهرة، فالجزء الواجب منها القلبي.

و إذا فرضنا أنهم انقادوا لك دينيا فلا يلزم منه الانقياد لك سياسيا، لأنه أمر يرجع لتقدير المصالح والمفاسد الدنيوية و الأخروية، يختلف من متشدد إلى متساهل، و عارف بالمآل و غير مقدر له.

و إذا نظرنا في اختياراتنا الممكنة فلا يوجد إلا التعايش بضوابطه السابقة، أو كما يقال عندنا: "طاق على من طاق"، في الأول الحفاظ على الأمة و المكتساب الخاصة ، والسعي لإقناع الجمهور و تقوية المشترك، و في الثاني الانهيار و انتظار نزول المسيح عليه السلام ليفصل بيننا لأننا أمة غير راشدة لا تقدر على تجاوز خلافتها لمصالحها العظمى؟

و بدون الحديث عن أسباب الكراهية المتبادلة بين المسلمين، اقتراح هذا الفاضل ~ في

تقديري ~ فكرة هشة جداً، فإن أخطر ما في البحث عن الحل لمشكلة الطائفية عند المسلمين هو الوقوف عند الخصائص و أدلتها من النصوص بدون حساب المتغيرات لأننا ~ أولا ~ حينما نتحدث عن التعايش لا نتحدث عن المتوافقين بل عن المتباغضين المتكارهين المتخالفين المتعارضين بمذاهب علمية، وربما المتقاتلين في فترة ما؟

و أنا هنا أسأل بعيداً عن التنظير، و مركزا على الواقع العملي فقط: هل يستطيع الإسلاميون التعايش عندما ينتقلون من المعارضة إلى السلطة؟

و لنضيق الدائرة: هل يستطيع السلفيون أن يتعايشوا إذا صار الحكم إليهم أم ينتقلوا لأخلاق العسكر: فوقي: إما أعبدك " الخضوع الظاهري بدون قيد" و إما أرهقك بالاعتراض و النقد و ربما الثورة عليك، تحتي: أسحقك؟

و لنضيقها أكثر: هل يستطيع الفصيل أو التيار الواحد من السلفيين إذا صار إليه الحكم أن يتعايش مع بعضه بعضا؟

الواقع يخبرنا بالعكس كما في أفغانستان و مصر و الجزائر وسوريا و غيرها حيث تطاحنوا و اقتتلوا، و لعل وضعيتهم في حال السلم و المعارضة علامة على ما ستكون إليه في حال الحرب أو الحكم.

ثانيا: هذه الحال لم تكن زمن النبي صلى الله عليه و سلم، أقصد وجود طوائف إسلامية، فالقياس على المشركين و اليهود و النصارى خطأ في التقدير فإن ممانعة المسلم للمسلم أعظم و أقوى من ممانعة المشرك للمسلم فانقياد الثاني أسهل من انقياد الأول لأنه يملك مذهبا و منهجا و مرجعية كتابية و حية،و تأصيلا ،و يعرف النصوص التي تعتمد عليها وعنده أجوبة عليها.

فالحديث عن الانقياد هو تعبير آخر عن الإكراه، وهو تعبير آخر عن حمل السلاح يعني: فكرة داعش لذا نجد بعض الدول التي عندها إرث ديني معين بدأت تبتعد عن مذهبها الديني لأن جمهور المجتمع يسير في اتجاه و بعض أهل الدين يعمقون هذا الاتجاه بمواقف انفعالية، و ليست كل مطالبهم معقولة أو من الواجب المقدور عليه .

و اضرب لكم مثالا للتقريب: عندما يأتي بعضهم ليعظ الناس عن أهمية صلاة الجماعة خاصة الصبح و العشاء يذكر لهم بعض الأحاديث الصحيحة الواردة في ذلك، و في بعضها وصف المتخلف لغير عذر كما في تصور القائلين بالوجوب

بالنفاق ، وعلى هذا كان علينا أن نصف كل إمام وهم الجمهور كمالك و الشافعي و أبي حنيفة وغيرهم لم يوجب الجماعة بأنه منافق، ولو حدث هذا فإنه يحدث من أحمق ، و لماذا لا نفعل ذلك مع أن هذا الوصف ثابت في النصوص؟

لأن هذه النصوص قابلة للتأويل، و يمكن معارضتها بنصوص أخرى صحيحة أو أقوى منها، فنحن هنا في مجال الاجتهاد، ولا يوجد من يحسمه و يقطعه نهائيا كما كان الحال في زمن النبوة.

وعلى هذا ليس كل معنى تجده في نص تأخذ به بدون حساب المتغيرات، فتغير الواقع الذي نزل عليه الحكم يوجب تغير الحكم، و قد أخبر النبي صلى الله عله و سلم بتغير الناس كما في قوله : (يأتي على أمتي زمان القابض فيه على دينه كالقابض على الجمر)، بل أخبر رسول الله صلى الله عليه و سلم بتغير السنن الكونية كما في مدة اليوم عند خروج الدجال وأمره لنا بتقدير قدره كما نفعل الآن بالنسبة لقاطني الدوائر القطبية صلاة و صياما، و اقتراب الزمن، و غيرذلك.

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ في " إغاثة اللهفان"{233/1}:" ذكر البخاري في الصحيح عن أم الدرداء ـ رضي الله عنها ـ قالت:" دخل علي أبو الدرداء مغضبا، فقلت له: مالك؟ فقال: والله ما اعرف فيهم شيئا من أمر محمد صلى الله عليه و سلم إلا أنهم يصلون جميعا".

وروى مالك في " الموطأ" عن عمه أبي سهيل بن مالك عن أبيه أنه قال:" ما اعرف شيئا مما أدركت عليه الناس إلا النداء بالصلاة".

و قال الزهري:" دخلت على انس بن مالك بدمشق وهو يبكي فقلت له: ما يبكيك؟ فقال: ما اعرف شيئا مما أدركت إلا هذه الصلاة، وهذه الصلاة قد ضيعت" ذكره البخاري.

و في لفظ آخر:"ما كنت أعرف شيئا على عهد رسول الله صلى الله تعالى عليه و آله و سلم إلا قد أنكرته اليوم".

و قال الحسن البصري:" سأل رجل أبا الدرداء ـ رضي الله عنه ـ فقال: رحمك الله لو أن رسول الله صلى الله تعالى عليه و سلم بين أظهرنا، هل كان ينكر شيئا مما نحن فيه؟ فغضب و اشتد غضبه و قال: وهل كان يعرف شيئا مما انتم عليه؟".

وقال المبارك بن فضالة:" صلى الحسن الجمعة و جلس فبكى فقيل له: ما يبكيك يا أبا

سعيد؟ فقال: تلومونني على البكاء ولو أن رجلا من المهاجرين اطلع من باب مسجدكم ما عرف شيئا مما كان عليه على عهد رسول الله صلى الله تعالى عليه و سلم أنتم اليوم عليه إلا قبلتكم هذه".

فهذا الكلام من الصحابة و التابعين لهم بإحسان ليس مبالغات مجازية فإنهم رضوان الله عليهم بكوا مما رأوا من حال الأمة المتغير، ونحن لا يسعنا إلا أن نقول كما قال ابن القيم ~ وهي قاعدة التعايش أو ضابطه ~:" وهذا مما يدل على أن العمل إذا جرى على خلاف السنة فلا عبرة به، ولا التفات إليه، فإن العمل قد جرى على خلاف السنة منذ زمن أبي الدرداء و انس كما تقدم"

ولكن في الوقت نفسه لا يسعنا إلا ما وسع الصحابة البكاء و التضرع إلى الله أن يرحم هذه الأمة و يعيد لها دينها كما كان أول مرة غضا طريا، و بذل الوسع في نشر السنة و رد البدعة، لا قرع سن الندم، و لا التكفير و القتل كما يريد البعض،فالتغير قد شمل مجالات عديدة حتى المصطلحات في مسمى الألفاظ و مقاصدها.

و قد يخالف المعاصر ما قرره السلف ليس من قبيل اختلاف الدليل و لكن لاختلاف العرف و الزمن و تقدير الحاجة.

فقد جدد العصر النظر في كثير من المسائل، و لعل أحقها بالنظر الآن مسألة الطائفية فإن أولى المسائل بالاجتهاد و مسألة "تغير الفتوى واختلافها بحسب تغير الأزمنة والأمكنة والأحوال والنيات والعوائد" لكون الشريعة مبنية على مصالح العباد في المعاش و المعاد كما يقال ، و أنها كما قال ابن القيم :" عدل كلها،و رحمة كلها، و مصالح كلها"،وهذا ما نسميه الفقه في أحكام الحوادث الكلية و الفقه في الواقع و أحوال الناس وما يقدرون عليه و ما لا يقدرون عليه، ومع تغير الواقع قد تتغير المصالح، كما أوقف عمر رضي الله عنه عام المجاعة حد السرقة، و غير الفتوى في الطلاق لمصلحة الناس، ومنع بيع أمهات الأولاد، وكذلك فتوى ابن تيمية في عدم نهي بعض الناس عن شرب الخمر دفعا لشرهم كالاعتداء و السرقة على المسلمين في ذاك البلد.... الخ

أعتقد أن المسلمين أمام معضلة عظيمة كانت سببا في زوال دولتهم هي الطائفية المذهبية، و أن المعاصرين يريدون معالجتها بنفس الطرق و الوسائل التي كانت سببا في تفاقمها، و التي أثبتت عدم صلاحيتها، وهذا التحدي الكبير أمامهم أن يجدوا حلا

آخر، فالعجز هنا علمي أو نفسي، أريد أن يكون كل شيء جميلا و أبقى أنا كما أنا، و في الحقيقة أنا جزء من عدم جماله.
وهنا وجد العلمانيون و حتى بعض الإسلاميين الحل جاهزا في الدولة العلمانية التي يعيش فيها الجميع، و الجميع يمارس دينه لكن بعيدا عن الحكم و أساسات الدولة، فهل يمكن للمسلمين بجميع طوائفهم أن يقيموا دولة إسلامية بالمشترك فقط، و تحتفظ كل طائفة بخصائصها لنفسها، هذه الفكرة باتت أقرب أو أدنى إلى بعض الناس ملوا من فكرة فرض الهيمنة و الانقياد لعدم صلاحيتها، فلا يوجد نظام فرض رؤيته الدينية بالقوة ،و بث العلماء و الدعاة، و أنفق على الدين الملايير، و أنشأ الجامعات و المعاهد، و فعل كل ما في وسعه مثل السعودية، و مع ذلك انظر إلى النتيجة، و قارن بين شعبه في السبعينيات و الآن، و حتى هو بدأ يتغير، و يبتعد عن قناعته القديمة.
و عليه نحن بين إقناع المخالف، أو التفاهم معه، و بين إكراهه بالقوة نعجز عن ايجاد الحل الأمثل..

الدكتور عدنان إبراهيم و أخواتها..

لن يجد طلبة العلم صعوبة في رد إشكالات هذا الاتجاه النقدي التشكيكي الجديد، فباستثناء بعض معايناتهم الصحيحة فإن جل تحليلاتهم سطحية تنم عن عدم إدراك لمنهج الأئمة و طريقتهم و مقاعدهم التاصيلية، فغالب نقدهم للنصوص مبني على عدم ضبط لمسألة القطعي و الظني التي ادرجوا تحتها :المساواة بين الرأي المجرد المحبوس في هاجس عدم التناقض العقلي و ظنية ثبوت النص أو دلالته. لكن مشكل طلبة العلم ان هذا الاتجاه مصيب في بعض القضايا السياسية و قضايا التعايش و مواجهة الغلو_وإن كان هو نفسه مغاليا في التعامل مع الحديث النبوى، و لا يملك مؤهلات نقده سندا و متنا، و ما يفعلونه محض تطفل_و بعض الشيوخ يغطون على تلك الأخطاء أو يتساهلون في التعامل معها فكأن خطوط المواجهة غير واضحة!
إضافة إلى كون الرد على مثل هؤلاء لا يكون بفتوى و لكن بطريقة منظمة و علمية، فالحد من تاثيرهم يكون بمعالجة فعلية للقضايا التي يطرحونها، و ليس ببعض الكلمات على شكل فتوى؟
في الحقيقة يعاني طلبة العلم من الداخل المنهجي أكثر من هذا الاتجاه واقصد هنا

ضرورة تجديد المنهج العلمي و تحديث خطابه، وإلا فإن هذا الاتجاه في طريقه للتوسع و الانتشار خاصة و أنه أصبح يجد المال و الدعم السياسي، فلننظف البيت و بعد ذلك نخرج للفناء..

فتح خزانة عدنان إبراهيم

1 ـ حقائق المنهج العلمي في التوثيق و في فهم النصوص عند عدنان إبراهيم:

~ رمي ابن تيمية بالنفاق و الكفر مثالا ؟ ~

الحمد لله وحده، و الصلاة و السلام على من لا نبيَّ بعده.

أعتقد أن الدكتور عدنان إبراهيم يستخف أحيانا بعقول من يستمع إليه، يدغدغ عاطفتهم، و يظهر لهم أنهم أهل رحمة "على عقيدة رحمانية أصحاب وحدة الوجود" ، فلا شك أن من يجعل كل البشر مظهرا من مظاهر الإله،وكل ديانة إنما غرضها عبادة الله ،و البحث عن الحقيقة، فكلها مصيبة على الأقل غير مؤاخذة يوم القيامة، هو من الرحمة !

و السؤال: هل إدخال الكافر النار يوم القيامة ليس من الرحمة ، وهو من العذاب و الغلظة مادام إنسانا يخطئ، و تغلبه نفسه،وبيئته هي التي تجعله مؤمنا أو كافرا ،تقيا أو منافقا ؟

وكيف لنا أن نعرف أنه لم يتمكن من العلم و لم يقم الله في نفسه أسباب البحث و مقدمات الاهتداء، وكيف نفسر خروج بعض الناس من الإسلام ودخول بعض الكافرين فيه ؟

قد تكون عند الدكتور فكرة مستبطنة" من الباطن" لكنه يخرجها لهم في قالب عكسي، يعني لا يؤسس لمذهبه بالإثبات ولكن بنقض الذي يقف أمام ذلك، فإذا أخذنا حديثه برمته وجدناه ~في نهاية المطاف ~ يرسخها كمن ريد أن يقول للناس: إن عليا أفضل من جميع الصحابة، و أن كل من أبغضه أو اتهم ببغضه هو منافق و كافر دون تفريق بين نوعي البغض إن وجد ، إن كان بغض اعتقاد أم بغض هوى؟ فيدخل في ذلك ما وقع بينه وبين بعض الصحابة ممن ذمه أو سبه أو شتمه دون أن يميز إن كانت أحكاما أم مجرد كلمات تنفير؟

ولهذا يصول و يجول في كل اتجاه متخذا شخصية علمية جدلية، متهمة بضد ما يريد أن يقرره هو مطية لتأصيل معتقده في الصحابة بمجموعة شبهات سنقف عندها بحول

الله.
فهذا حال يشبه حال من يريد أن يطعن في الشخص فيقول لك: مسكين ،الله يغفر له، زل زلة عظيمة، لا تذكروه بسوء، سامحوه، الغيبة حرام ،فهو في الحقيقة أكبر المغتابين، وربما ملك أهل البهتان، و لكن يخرج الطعن في قالب النصيحة و الشفقة، وهو في الحقيقة متلذذ به، هذا إذا استطاع اثباته.

قال الدكتور عدنان إبراهيم ~ في إحدى خطبه ~ : ((أنا أعلم أنه نافق،النص واضح أنه لا يبغضه إلا منافق، أنا أعلم أنه زل في العقيدة،أنا لا أنكر عليكم هذا، هذه حقيقة ، لكن أين الرحمة، أين المسامحة))
((الثانية ، إخواني وأخواتي ، الرسولُ عليه الصلاة و أفضل السلام ، ماذا قال ؟ قال إن بُغض علي بلا شك علامة مؤكدة على النفاق ، شيخ الإسلام الإمام أبو الثناء الشهابي الألوسي رحمةُ الله تعالى عليه صاحب التفسير المشهور [روح المعاني] قال على ما اذكر في تفسير سورة القتال " محمد " صلى الله على محمد وعلى آله ومسلم تسليماً كثيرا ، قال بُغض علي وبُغض أهل البيت من أظهر علامات النفاق ، الألوسي يقول من أظهر ، من أقوى علامات النفاق ، بُغضُ أهل البيت والإمام علي عليهم السلام أجمعين ، والعياذُ بالله ، هذا ثابت بالنصوص ، كيف ننفصلُ عن هذه الشُبهة أيها الأخوة ؟)).
بداية النقاش:
ملاحظة: في المنشور أسجل الإشكال، و الأسئلة التي يستجلبها،و يكون النقاش تفصيليا في التعليقات فأقول:
1 ـ جعل ابن تيمية مغفلا وقع في النصب من غير أن يشعر بسبب بيئته، وهو في الحقيقة يحب ابن تيمية فكريا لكنه عاطفيا سجين بيئته ؟
فبيئة ابن تيمية لم تمنعه من مخالفة المذهب الذي نشأ عليه في قضايا كبيرة ، ومخالفة أئمة يعظمهم و يجلهم، و لم ينتبه وهو العقل الجبار كما وصفه أحد كبار الفلاسفة المعاصرين، صاحب العقل الوقاد الذي يقف عند الدقائق أن ما عليه بيئته هو النصب، كأن النصب مذهب فلسفي دقيق، لا يعرفه إلا أمثال الدكتور عدنان إبراهيم؟
أما الألوسي فلم يقل : ابن تيمية منافق لأنه يبغض عليا، و أن النص ورد بإثبات نفاق

من يبغضه ، فشتان بين المقدمة و النتيجة، فاثبت العرش ثم انقش؟
2 ـ من يزعم أنه حر ~ و سأبيِّن أنه لم يفهم معنى التخيير في القرآن ~ باحث عن الحقيقة لا يكون عبدا لمرسلات بدون سند ، لا يكون عبدا لابن حجر الذي من المفروض عليه و قد جعل نفسه حافظا يصحح و يضعف الأخبار أن لا يجاري إخباري جاهل و يناقض نفسه ، فالباحث عن الحق الحقيقي يتجاوز النعرات و عبارات الانتقام المذهبي و ليس عند أمثال الحافظ رحمه الله يقف،بل عليه أن يغوص في عمق الكلام،و يتتبع الأقوال إلى مصدرها ليعرف قيمة من خرجت من عنده ، وكيف يثق الناس في نقولك وهي بمثل هذه السذاجة.
3 ـ فعليك أولا إثبات صحة ما جاء في " الدرر الكامنة" و ذكر سنده و بيان حقيقته وموقف الحافظ منه في كتبه الأخرى ، ثانيا : التحقق من صحته من مؤلفات ابن تيمية وهي عندك و أقواله مشهورة ؟
4 ـ بيِّن لنا كيف نافق ابن تيمية، فأين وجدت أنه يبغض عليا أو آل البيت، أنقل العبارات لنناقشها و ننظر من فهم النص فهما علميا ومن تلقاه بعقلية عامية ؟ فإن لم تصح المقدمة بطل الاستدلال.
5 ـ أين كفر ابن تيمية، وما دليل كفره ؟ ، و أين زل في العقيدة ؟
6 ـ إذا كفر ونافق؟ فالأمر لا يعود إلى رحمتك ومسامحتك، ولكن إلى رحمة الشريعة و سماحتها، فإن عذرته نعذره، وإن لم تعذره لا نعذر، حتى لا نصير إلى حرج المعاملة بالمثل فنسوي بينه وبين زنادقة وجدوا في الإسلام يريد بعض الناس أن يرحمهم و يسامحهم على زندقتهم تحت شعار أنسنة الدين ؟

ابن تيمية و منهجية دراسة إشكالات الفتنة الكبرى

يتميز ابن تيمية ~ رحمه الله ~ بصفتين أعجزت أعداءه و محبيه على حد سواء عن إدراك مراميه، و الارتقاء إلى مستوى تعامله مع النصوص :
الأولى: دقَّة النظر و التعبير، قلَّما يفوته وجه تحتمله المسألة، و كأنَّ كل لغته مصطلح، لا وجود لكلمة أو حرف زائد لم يقصد أن يكتبه، لا يتشدق في العبارات، و ليست لديه نوازع شعرية تكثِّر النعوت، و تطوِّل القصير.
الثانية: عدم إهدار النصوص، فلا يرجِّح بعضها و يهدر بعضها الآخر، مادامت صحيحة كلها،و سلمت من النسخ، فهو إمام التوليف بين النصوص بلا منازع، وهذه

طريقة لا يصبر عليها كثير من العلماء خاصة في باب التاريخ ، الغالبية يميل إلى هذه الجهة أو تلك ، و في الغالب إذا مالوا مع المنتصر أهدروا حق المنهزم، و إذا مالوا مع المنهزم أهدروا حق المنتصر .
و قد تتبعتُ غير واحد من المبغضين له دخلوا كلامه بعداوة مسبقة باحثين عن عثرة أو خطأ فخذلوا لأنَّ الواجب على المسلم أن ينظر في كلام العلماء بتجرّدٍ باحثاً عن معرفة مذهبهم ومن بعد ذلك نقده ،لا عن سقطة أو خطأ.
أقول هذا و أنا أول من يشهد بأنه غير معصوم، مثله مثل طبقته من العلماء يُصيب و يخطئ، لكن بشرط أن نقيم الأدلة السالمة من المعارضة على خطئه.
بقيت ثلاثة موضوعات و ننتهي من مناقشة الدكتور عدنان إبراهيم: شبهة " تكفير المبتدعة و قتلهم"، و " تبريره قتل الحسن بن علي غدرا"، و أنه "أموي الهوى"، مع أنه لي ملاحظات عديدة على كثير من أقوال الدكتور لكن لا يهمُّني هنا إلا ما تعلَّق بابن تيمية لأسباب أذكرها في موضعها ، و البقية لها أهلها.
و بعدها سأنتقل إلى موضوع الساعة "الفتنة الكبرى" ، و نناقش بعض فضلاء من خطَّأه فيها، كالدكتور عدنان إبراهيم ، و الدكتور مختار الشنقيطي ، و غيرهما ....
فحص شبهة عدنان إبراهيم عن تبرير ابن تيمية تسميم الحسن بن علي
الحمد لله، و الصلاة و السلام على رسول الله.
أرجو أني قد بيَّنتُ بصورة واضحة لا لبس فيها أنَّ ما نسبه الدكتور عدنان إبراهيم إلى ابن تيمية من البغض و الطعن في أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ~ رضي الله عنه ~ لا تدل عليه أية قرينة فضلاً عن دليل، فهو محض فبركة و استعانة بكذاب جاهل حقود كالأقشهري، ما كان ينبغي لمن يعتبر نفسه تنويرياً أن يتدنَّس به، إذ هكذا استدلال هو ظلامية معتمة .
وما كان من الأخبار غير صحيح فهو كذب، فأرجو أن لا يكون هذا السقوط من الدكتور فجوراً في الخصومة !
و في ظني الرجل يخدم خطَّة مسبقة، و يتلاعب بالعبارات مظهراً نفسه منصفاً، وهي عبارات جوفاء لا حقيقة تحتها، يلوكها اللسان و يُكذِّبها العمل، و أنَّه واقع في عين ما يصف به خصومه من سرعة اتِّهام الرادين عليه بالنصب ~ كما فعل مع الشيخ الخميس ~ على عادة الشيعة عندما يرفعون لواء الاعتدال يُميزون بين أهل السنة و

الناصبة، و عندما يكونون في تأصيل مذهبهم يصفون كل مخالف لهم بأنَّه ناصبي ، وهو صالح على بعض أهل السنة إذا خالفهم أحد في قضية تتعلق بالصحابة رموه بالتشيع، و العدل أحق أن يأخذ به !

وهو كثير التلاعب بالكلمات، أقدر أنَّه لا يريد في هذه المرحلة استعداء الأشاعرة، وهذه خطة تسير عليها الشيعة من مدة ، و هي الفصل بين السلفيين و الأشاعرة بدايةً، و قد ساعدهم بعضُ المغفلين من السلفيين لم يميزوا مجال الاختلاف مع الأشاعرة من مجال الاتفاق، ولم يشهدوا لعلماء الأشعرية بالفضل في الدفاع عن أهل السنة ضد التهجم الشيعي و الإلحاد و المذاهب الهدامة و الملل الكفرية.

أقول هذا لأنه يوجد في كلام جمهور الأئمة الأشاعرة من التأصيلات فيما يخص الفتنة الكبرى أضعاف أضعاف ما يوجد عند ابن تيمية ،و كذلك في خروج الحسين لكنهم يركزون على ابن تيمية، مما يدعوني إلى توسيع دائرة الرد عليه بمزيد أمثلة، خاصةً و أنَ جل شبهاته قد استلفها من عند الشيعة كجعفر السبحاني و السقاف مثل كلامه الضعيف عن " تقسيم التوحيد"، و مسائل الإمامة، و الفتنة الكبرى و غيرها.

قال أحد الإخوة : ((فيما سمعت من خطابات عدنان إبراهيم فهو يمدح و يقدر ابن تيمية في كثير من الأمور و ينتقده في أخرى، ومما انتقده عليه: قوله في خبر تسميم معاوية للحسن ابن علي انه قال"أي ابن تيمية": "إن صح ذلك فهو من باب ما كان بينهما من التنافس"، وهذا القول لا يقبله عاقل ولا منصف من شيخ الإسلام فان الغدر لا يبرر تحت أي ظرف فكيف وقد كان بينهما العهد و انتقده كذلك: في قتل المخالف كقتل من يجهر بالبسملة في الصلاة، و اذكر أني قرأت ذلك في الفتاوى الكبرى من سنين عديدة فهالني الأمر، و لكننا كنا نأخذ أقوال ابن تيمية كأنها نصوص لا تجادل فمثل هذه الأمثلة تعطي الحق لعدنان في انتقاد شيخ الإسلام)).

قلتُ : هنا عدة مسائل منها:

1 ـ قد يمدح عدنان إبراهيم ابن تيمية أو غيره من العلماء لأنه وجد عنده ما يوافق شيئا يذهب إليه، ومثل هذا المدح لا يعتَدُّ به ، لأنه مدح حاجة ، مدح تعضيد للنفس، فهو كشهادة الصديق لصديقه، و الابن لأبيه، و العدو لعدو عدوه ، يكفي أن نقابل بين هذا المدح و الذم الذي صدر منه لنفهم أن المدح جزئي و الذم عام ، فقد رأينا ما اتهمه به زوراً في قضية علي بن أبي طالب ~ رضي الله عنه ~ ووجدناه يقول في ابن

تيمية ~ مما هو من الذم العام ، الذي ليس وصفا لصفة في شخص و لكن لمجمل المنهج و الشخصية ~ : ((إن فكر ابن تيمية خطير على الأمة ؛لأنه على طريقة ابن تيمية يجب علينا أن نقتل علماء المسلمين من الفقهاء والمفسرين والمحدثين ؛ لأنهم كلهم واقعون في البدعة , ويجب علينا قتل علماء الأزهر الشريف وغيرهم من المعاصرين ؛ لأنهم مبتدعة واقعون فيما يوجب استباحة الدم)).

وسأناقشه مطولا على هذا الكلام .

و الرجل في الحقيقة ليس له ثبات منهجي، يسترسل مع العبارات التي تسحبه بسهولة بعيداً عن تثبُّت العلماء كأنَّه في حمى الكلام ~ و الناس يحبون الكلام ~ ينسى نفسه و يطلق العبارات التي لا يُقدِّر معانيها و حقيقتها ، هو في الحقيقة رجل خدعته اطلاقات العلماء فانتهى إلى نسبة المذاهب القبيحة لهم، و لستُ أدري أ هذا ما يقذفه باطنه أم هو مخاطر الكلام المباشر و المرتجل؟

و الذي لا يفوتني أن أذكِّر به طلبة العلم الذين يسمعون لمن يخوض في قضايا شائكة أن يتذكروا دائما أن العقل ينتقل من الدليل إلى المدلول عبر جسر التلازم ،و النقد الجدلي هو انتقال الفكر من فكرة إلى فكرة بمقتضى ما بينهما من تشابه أو تعارض أو تلازم ، و كل كلام لا يوجد فيه تلازم بين الدليل و المدلول فقد عدم منطقية الاستدلال، ولا يصلح إلا لضربه عرض الحائط، فقيمة الدليل دائما و أبدا في ثبوت التلازم بين الدليل و مدلوله، و هذا الذي أسعى لبيانه لكم بنقض كلام عدنان إبراهيم فإنه يفتقد بشدة لهذه الشروط.

ومن ينظر في كلامه يجد استعمالا عبطيا للمصطلحات فمثلا : لم يدر أن القواعد العلمية ما هي ألا كليات عقلية، فكل أصل أو مبدأ أو قانونٍ أو قاعدة إنما هو قضيَّةٌ كليةٌ، وحكمٌ عامٌ، يصلُحُ لبقيةِ أفراد النوع، ووجود الاستثناء لا يبطل القاعدة، كما أن الاختلاف في الجزئيات لا يعني عدم الاتفاق على أصل القاعدة.

لكن بدون الكليات لا ينفع الإنسان علمه بالجزئيات ، فتنظيم الجزئيات و ردها إلى أصلها يحتاج إلى معرفة الكليات ، والمعين هو الشيء الموجود في الواقع مستقلا في وجوده عن غيره ،فنقول :المطلق هو لفظ دال على واحد غير معين ، والشخص المعين هو الفرد، فالعلم لا بد أن يكون بالمعينات و لكن ميزانه الكليات ، و الدكتور عدنان إبراهيم لضعفه الشديد في علوم الحديث و إعماله طريقة الصحفيين في منهج

الأصوليين لم يميز بين كليتين متميزتين عن بعضهما بعضا ، قال في خطبة " المخالف بين العذر و القتل بتاريخ 30/12/2011 : ((للأسف الشديد الرجل حين ينظر لمسائل التخطئة والتفسيق ينظر تنظير جميل لكن حين يأتي لمسألة عملية و هذا مايهمنا بنفس المقدار ربما مالم يكن أزيد , ماذا يترتب على هذا ؟ للاسف الشديد يختلف تماما فيدعي أن المبتدع لاتقبل روايته وقد سمعتم الاختلاف الواسع في رواية في المبتدع , هكذا اطلاق شيخ الاسلام المبتدع لاتقبل روايته كلام غير محرر وغير دقيق وغير صحيح , ولاتقبل شهادته نفس الشي خلو من التحرير والإنصاف واتفق المسلمين على عقابه)).

قلتُ: ما أجهل هذا الكلام، و ما أكثر ما يستغل الدكتور عقول من يستمعون إليه، يستعمل في خطابه الحجج الإقناعية التي تزول بأدنى تشكيك لكن الشباب متعطش لمعرفة الحقيقة، و قد ملَّ من غلو بعض الشيوخ، ومن أساليبهم الإنشائية فلا ينتبه إلى مثل هذه السقطات؛ عندما نقابل بين التنظير كما قال : " ينظر تنظير جميل " و ما سماه المسألة العملية " حين يأتي لمسألة عملية " ، نقابل بين كلام كلي و بين الكلام على المعين، على الفرد في الواقع،إذ كما قلنا سابقا : القاعدة قضية كلية عقلية ، و الفرد أو المعين هو الجزء المادي التجريبي منها ، فالمطلَق غير مُتعيَّن، يعني: واحد من المجموعةِ لا نعرفُه بعينه، و العالِم المتمكن يحرِص على معرفة المعيَّنِ،لأنَّ المعيَّن هو ما يدل على الواقعِ الوجودي ليعرِف التماثُل والاختلاف حتى يحصُل له علم بالنوع، ويسهُل عليه الاعتبار والقياس، فمن هو المعين الذي منع ابن تيمية الرواية عنه ؟

وهل يوجد في كلام عدنان إبراهيم الذي نسبه لابن تيمية ذكر لمعين؟ !

و كأن عدنان إبراهيم يفهم بالخُلف فقوله عن ابن تيمية : " المبتدع لا تقبل روايته" كلام نظري لا يوجد فيه شيء عملي البتة، وهو كلام سلفي مشهور عند أهل العلم، نظري لأنه مطلق،أطلق لفظ المبتدع، و المطلق كلي ، فليس هو من كلام ابن تيمية العملي، بل هذه قاعدة سلفية قديمة، وهي ترجمة لقول السلف: " إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم " و قد شرحتها شرحا مفصلا على صفحتي في الفيسبوك، وهي باقية إلى يومنا هذا لكن الغرباء عن السنة لا يفهمون كلام أهل السنة ، و أنهم قصدوا عدم تشييخه وإعانته على نشر بدعته لا أنه كاذب كما فهمها بعض

الناس، و لا أنهم رووا عن كل مبتدع كما فهم عدنان إبراهيم/ فهذا لا يقوله عالم يعتدُّ بقوله ، و في حلقة قادمة عن الموضوع سأكشف ~ بحول الله ~ بُعد الدكتور عن علم الحديث و أصول الفقه .

وعلى هذا أقول: قلب الدكتور عدنان العبارة فما اعتبره تنظيرا جميلا هو التفصيل و التأصيل، و ما اعتبره مسألة علمية هو المطلق المجمل.

ولو ترك منهج الصحفيين هذا لفهم أن القول بعدم قبول رواية المبتدع هو قول كل العلماء لكنه مجمل، و عند التفصيل يفرقون بين الداعية و غير الداعية، و منهم كالمعلمي و ابن تيمية رجَّحا عدم التفريق، كما فرقوا بين نوع البدع، ومتى يجوز الرواية عنه و متى لا تجوز ، و عمليا قد رووا عن المبتدعة.

وكلام ابن تيمية في المسالة في غاية الوضوح، وهو تحقيق عزيز كما سأبيِّنه في المقال الخاص بالموضوع مما يدعوني إلى الشك في قصد هذا الدكتور و دوافعه الحقيقية، و أنه يبطن مذهبا ما؟

خاصةً أنه خفَّض نفسه إلى مستوى المتعصبين الذين يفترون على خصومهم، ووضع نفسه في محل التهمة ،فمثل هذا الصنيع و قوله " العقل السني أخطر من العقل الشيعي " ، ورميه الراد عليه بالنصب يُعطي الناس أسباباً موضوعية للاعتقاد بأنه شيعي يريد التخريب من الداخل ؟

و أنا ~ لحد الآن ~ لم أتابع كل مادته حول الفتنة الكبرى، و معاوية، و الحسين ، أسأل هل ذكر مذهب الأشاعرة و الماتريدية ومعتزلة بغداد فيها ؟

أتوجُّه بهذا السؤال للمتابعين له، لأني أخمن أنه لم يفعل ، و إن فعل فعابراً ، فهو لا يهمه هنا إلا مذهب ابن تيمية لأسباب سبق و بيَّنتها ، و لأن الفصل الآتي يغذي تأكيدي.

فما نسبه في مقطع فديو لابن تيمية في قضية تسميم الحسن بن علي ~ رضي الله عنه ~ إن لم يفهم كلام ابن تيمية فهو جاهل ، و إن فهمه فهي من جنس سابقاتها تُضاف إليهن ، فأقول:

1 ـ خبر موت الحسن بن علي بالسم لا دليل عليه مقبول، فهو من الكلام الذي يكثر حول الشخصيات العامة، ولا يمكن الجزم به ، كما يتحدث الناس عن موت بومدين و عرفات و غيرهما ، يقولون: ماتوا بالسم، ولا أحد يملك دليلا على ذلك ، وكما تزعم

الشيعة في موت علي بن موسى الرضا بالسم، فكل كلام عليه بالتالي سيكون من قبيل الافتراض، فهل هو ممكن ؟
نعم هو ممكن جداً، و لكنه إمكان ذهني، و المنهج الشرعي أن ما لا أعلم ثبوته أو انتفاءه يجب علي التوقف فيه ، لا أصدق ولا أكذب ، لكن عندما تعتمده الشيعة و خلفهم الشيعة المتسللون على أنه ثابت كثبوت وجود الشمس لابد أن نردهم إلى عقولهم .
ولو تأملنا كلام ابن تيمية الذي جعله الدكتور عدنان إبراهيم تبريرا للغدر بالحسن بن علي لا نجد تفسير الدكتور ، ولا في حرف من حروفه، لأنه يجب التفريق بين الإخبار بواقع الحال و بين التبرير الذي يعني القبول و الموافقة ،فالدكتور يريد أن ينسب لابن تيمية ما تشتهيه نفسه ليس إلا.
انتبه معي أخي المتابع : عندما أقول مثلا عن خبر مفاده أنَّ بومدين مات مسموما ~ و هو ينسب إما إلى إسرائيل أو إلى منافسيه في الجزائر، و بعضهم ينسبه لأمريكا و إسرائيل، بغض النظر عن حقيقة وقوع الفعل ~ : "هذا داخل في الصراع على السلطة، أو في الصراع العربي الإسرائيلي" لا يعني أني أوافق على تسميمه أو حتى على دغدغته ، فإن فهم هذا أحدهم فهو من سوء فهمه أو سوء قصده، لا من عباراتي .
فما الذي قاله ابن تيمية ؟
قال رحمه الله : ((الله أعلم بحقيقة الحال ، وهو يحكم بين عباده فيما كانوا فيه يختلفون، فإن كان قد وقع شيء من ذلك فهو من باب قتال بعضهم بعضا كما تقدم، و قتال المسلمين بعضهم بعضا بتأويل، وسب بعضهم بعضا بتأويل، و تكفير بعضهم بعضا بتأويل : باب عظيم ، ومن لم يعلم حقيقة الواجب فيه و إلا ضل)) .
لم يفعل سوى ما فعلته أنا في مثال بومدين، بل كان كلامه أكثر إيمانا و اعتصاما بالله و طلبا للحقيقة و إنصافا رد علم حقيقة ما حصل في غياب دليل صحيح إلى عالم الغيب و الشهادة، و بيَّن أن الدماء لن تذهب هدرا، لأن الله سيفصل بين عباده فيما كانوا فيه يختلفون ، ثم نزل تدرجا و جدلا مع الشيعة ~ التي يُكفِّر شطرها الحسن، و شطرها الآخر يُفسِّقه و يقول : سوَّد وجوه المؤمنين "~ من باب الاحتمال أنه إن وقع بالفعل،فهو من باب قتال بعضهم بعضا، و تكفير بعضهم بعضا، و سب بعضهم بعضا

، فهو هنا يخبر عن واقع كان موجودا بين الأمويين و شيعتهم من العثمانية و الناصبة و بين العلويين و شيعتهم واقع نعرفه كلنا مشحون بالتهم، و الأحقاد ، و المكائد، و الخداع، و التحالفات ، و التوجس من الانقلابات و الثورات لا يمكن إلى أن يفرز هذه الأعمال، وهل أخطأ ابن تيمية بإخباره عن حالة ذاك الزمان ؟ فهذا حقيقة، قد كانت تلك الفترة فترة حروب و تصارع و دسائس ، و العدو متعدد: ناصبة، و شيعة، و خوارج، و مترقبون، فترة حروب تسودها روح الحروب على الملك و السلطة: الخيانة، الوشاية، الخداع، الانقلاب، التحالف،التصالح مع العدو، و التعادي مع الحليف السابق ،و غير ذلك.

و ابن تيمية لم يتجاوز أن وصفهم كلهم بالإسلام رغم تكفير بعضهم بعضا و سب بعضهم بعضا و قتل بعضهم بعضا ، و أن الحكم بينهم الله، فمن يرى أن معاوية المتهم بتسميم الحسن كافراً فليعلنها.

و لتتأكد أنه لا يوجد في كلامه سوى الإخبار بالواقع، و أنَّه لا أثر لتبرير الغدر إلا في ذهن عدنان إبراهيم فها هو يقول عن هذا الخبر المشكوك : ((وَهَذَا شَهَادَةٌ لَهُ وَكَرَامَةٌ فِي حَقِّهِ)). منهاج السنة؛ 4/42.

ومن يبرر الغدر لا يمدح نتيجته، فإن قال بأنه لو حصل لكان موت الحسن بن علي شهادة له و كرامة في حقه، فهذا يعني أنه قتل مظلوما قائما بالواجب، و إلا فليس كل من يموت مسموما هو شهيد، فالشهادة لا تكتب للظالم المستحق للغدر به ، ولا يستحق الغدر ~ بغض النظر عن العهود و المواثيق إن كانت موجودة ~ إلا من كان مستحقا في الشريعة للقتل، و تبرير تسميمه يعني الإقرار و الموافقة على دوافعه و أسبابه، وهذه لا يجمع بينها عاقل يدري ما يخرج من رأسه.

وهذا كلام ابن تيمية بتمامه فتأمله بنفسك : ((أَعْلَمُ * بِحَقِيقَةِ الْحَالِ، وَهُوَ يَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِهِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ. فَإِنْ كَانَ قَدْ وَقَعَ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ فَهُوَ مِنْ بَابِ قِتَالِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا [كَمَا تَقَدَّمَ، وَقِتَالُ الْمُسْلِمِينَ بَعْضِهِمْ بَعْضًا] بِتَأْوِيلٍ، وَسَبُّ بَعْضِهِمْ بَعْضًا بِتَأْوِيلٍ، وَتَكْفِيرُ بَعْضِهِمْ بَعْضًا بِتَأْوِيلٍ: بَابٌ عَظِيمٌ، وَمَنْ لَمْ يَعْلَمْ حَقِيقَةَ الْوَاجِبِ فِيهِ وَإِلَّا ضَلَّ فَهَذَا مِمَّا ذَكَرَهُ بَعْضُ النَّاسِ، وَلَمْ يَثْبُتْ ذَلِكَ بِبَيِّنَةٍ شَرْعِيَّةٍ، أَوْ إِقْرَارٍ مُعْتَبَرٍ، وَلَا نَقْلٍ يُجْزَمُ بِهِ. وَهَذَا مِمَّا لَا يُمْكِنُ الْعِلْمُ بِهِ، فَالْقَوْلُ بِهِ قَوْلٌ بِلَا عِلْمٍ. وَقَدْ رَأَيْنَا فِي زَمَانِنَا مَنْ يُقَالُ عَنْهُ: إِنَّهُ سُمَّ وَمَاتَ مَسْمُومًا مِنَ الْمُلُوكِ وَغَيْرِهِمْ ، وَيَخْتَلِفُ النَّاسُ فِي ذَلِكَ، حَتَّى

فِي نَفْسِ الْمَوْضِعِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ ذَلِكَ الْمَلِكُ، وَالْقَلْعَةِ الَّتِي مَاتَ فِيهَا، فَتَجِدُ كُلًّا مِنْهُمْ يُحَدِّثُ بِالشَّيْءِ بِخِلَافِ مَا يُحَدِّثُ بِهِ الْآخَرُ، وَيَقُولُ: هَذَا سَمَّهُ فُلَانٌ، وَهَذَا يَقُولُ: بَلْ سَمَّهُ غَيْرُهُ لِأَنَّهُ جَرَى كَذَا، وَهِيَ وَاقِعَةٌ فِي زَمَانِكَ، وَالَّذِينَ كَانُوا فِي قَلْعَتِهِ هُمُ الَّذِينَ يُحَدِّثُونَكَ.

وَالْحَسَنُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَدْ نُقِلَ عَنْهُ أَنَّهُ مَاتَ مَسْمُومًا. وَهَذَا مِمَّا يُمْكِنُ أَنْ يُعْلَمَ، فَإِنَّ مَوْتَ الْمَسْمُومِ لَا يَخْفَى، لَكِنْ يُقَالُ: إِنَّ امْرَأَتَهُ سَمَّتْهُ. وَلَا رَيْبَ أَنَّهُ مَاتَ بِالْمَدِينَةِ وَمُعَاوِيَةُ بِالشَّامِ، فَغَايَةُ مَا يَظُنُّ الظَّانُّ [أَنْ يُقَالَ] : إِنَّ مُعَاوِيَةَ أَرْسَلَ إِلَيْهَا وَأَمَرَهَا بِذَلِكَ.

وَقَدْ يُقَالُ: بَلْ سَمَّتْهُ امْرَأَتُهُ لِغَرَضٍ آخَرَ مِمَّا تَفْعَلُهُ النِّسَاءُ ; فَإِنَّهُ كَانَ مِطْلَاقًا لَا يَدُومُ مَعَ امْرَأَةٍ.

وَقَدْ قِيلَ : إِنَّ أَبَاهَا الْأَشْعَثَ بْنَ قَيْسٍ أَمَرَهَا بِذَلِكَ ; فَإِنَّهُ كَانَ يُتَّهَمُ بِالِانْحِرَافِ فِي الْبَاطِنِ عَنْ عَلِيٍّ وَابْنِهِ الْحَسَنِ.

وَإِذَا قِيلَ: إِنَّ مُعَاوِيَةَ أَمَرَ أَبَاهَا، كَانَ هَذَا ظَنًّا مَحْضًا. وَالنَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: " «إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ» " .

وَبِالْجُمْلَةِ فَمِثْلُ هَذَا لَا يُحْكَمُ بِهِ فِي الشَّرْعِ بِاتِّفَاقِ الْمُسْلِمِينَ، فَلَا يَتَرَتَّبُ عَلَيْهِ أَمْرٌ ظَاهِرٌ: لَا مَدْحٌ وَلَا ذَمٌّ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. * ثُمَّ إِنَّ الْأَشْعَثَ بْنَ قَيْسٍ مَاتَ سَنَةَ أَرْبَعِينَ، وَقِيلَ: سَنَةَ إِحْدَى وَأَرْبَعِينَ، وَلِهَذَا لَمْ يُذْكَرْ فِي الصُّلْحِ الَّذِي كَانَ بَيْنَ مُعَاوِيَةَ وَالْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ، فِي الْعَامِ الَّذِي كَانَ يُسَمَّى عَامَ الْجَمَاعَةِ، وَهُوَ عَامُ أَحَدٍ وَأَرْبَعِينَ ، وَكَانَ الْأَشْعَثُ حَمَا الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ، فَلَوْ كَانَ شَاهِدًا لَكَانَ يَكُونُ لَهُ ذِكْرٌ فِي ذَلِكَ، وَإِذَا كَانَ قَدْ مَاتَ قَبْلَ الْحَسَنِ بِنَحْوِ عَشْرِ سِنِينَ، فَكَيْفَ يَكُونُ هُوَ الَّذِي أَمَرَ ابْنَتَهُ أَنْ تَسُمَّ الْحَسَنَ؟

وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ * بِحَقِيقَةِ الْحَالِ، وَهُوَ يَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِهِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ. فَإِنْ كَانَ قَدْ وَقَعَ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ فَهُوَ مِنْ بَابِ قِتَالِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا [كَمَا تَقَدَّمَ، وَقِتَالُ الْمُسْلِمِينَ بَعْضِهِمْ بَعْضًا] بِتَأْوِيلٍ، وَسَبُّ بَعْضِهِمْ بَعْضًا بِتَأْوِيلٍ، وَتَكْفِيرُ بَعْضِهِمْ بَعْضًا بِتَأْوِيلٍ: بَابٌ عَظِيمٌ، وَمَنْ لَمْ يَعْلَمْ حَقِيقَةَ الْوَاجِبِ فِيهِ وَإِلَّا ضَلَّ.) منهاج السنة؛4/469 .

أما قضية قتل من يرى الجهر بالبسملة فبهذا السياق هي فرية عظيمة على ابن تيمية ، فالجهر بالبسملة مذهب الشافعي ، و ابن تيمية لا يكفر الشافعي ، بل هو من أئمته و قدوته، و يرى استحباب الجهر بها للتأليف ، و ذكر في جامع الرسائل5/278 أن من

الصحابة من كان يجهر بها، قال رحمه الله : ((وَكَذَلِكَ الْجَهْرُ بِالْبَسْمَلَةِ وَالْمُخَافَتَةِ كِلَاهُمَا جَائِزٌ لَا يُبْطِلُ الصَّلَاةَ وَإِنْ كَانَ مِنْ الْعُلَمَاءِ مَنْ يَسْتَحِبُّ أَحَدَهُمَا أَوْ يَكْرَهُ الْآخَرَ أَوْ يَخْتَارُ أَنْ لَا يَقْرَأَ بِهَا. فَالْمُنَازَعَةُ بَيْنَهُمْ فِي الْمُسْتَحَبِّ وَإِلَّا فَالصَّلَاةُ بِأَحَدِهِمَا جَائِزَةٌ عِنْدَ عَوَامِّ الْعُلَمَاءِ فَإِنَّهُمْ وَإِنْ تَنَازَعُوا بِالْجَهْرِ وَالْمُخَافَتَةِ فِي مَوْضِعِهِمَا هَلْ هُمَا وَاجِبَانِ أَمْ لَا؟ وَفِيهِ نِزَاعٌ مَعْرُوفٌ فِي مَذْهَبِ مَالِكٍ وَأَحْمَد وَغَيْرِهِمَا فَهَذَا فِي الْجَوِّ الطَّوِيلِ بِالْقَدْرِ الْكَثِيرِ مِثْلَ الْمُخَافَتَةِ بِقُرْآنِ الْفَجْرِ وَالْجَهْرُ بِقِرَاءَةِ صَلَاةِ الظُّهْرِ. فَأَمَّا الْجَهْرُ بِالشَّيْءِ الْيَسِيرِ أَوْ الْمُخَافَتَةُ بِهِ فَمِمَّا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدِ أَنْ يُبْطِلَ الصَّلَاةَ بِذَلِكَ وَمَا أَعْلَمُ أَحَدًا قَالَ بِهِ.))المجموع؛ 22/369.

ومن أراد أن يعرف مذهب ابن تيمية في القضايا الخلافية وموارد الاجتهاد ، فهذا قوله : ((

ومن أجودِ ما احتجَّ به من يَرى الجهرَ بالبسملة حديثُ معاوية (1) ، لما قَدِمَ المدينةَ فتَرك قراءةَ البسملة في الركعة الأولى في أولِ الفاتحة وأولِ السورة، حتى هَتَفَ به الصحابةُ فقرأها في الركعة الثانية. وقد اعتمد الشافعي على هذا الأثر في "الأم"، وفيه إجماع أولئك الصحابة على الصَّلاةِ خلفَه وإن كان قد تركَ ذلك، وإن كانوا قد أنكروا تركَه.

ومن قال من المتفقهة أتباعِ المذاهب: إنه لا يَصِحُّ اقتداؤه بمن يخالفُه إذا فَعَلَ أو ترك شيئًا يقدح في الصلاة عند المأموم؛ فقَوْدُ مقالتِه يُوقِعُه في مذاهب أهل الفرقة والبدعة، من الروافض والمعتزلة والخوارج، الذين فارقوا السنة، ودخلوا في الفرقة والبدعة.

ولهذا آل الأمرُ ببعض الضالّين إلى أنه لا يُصلِّي خلفَ من يَرفَعُ يديه في المواطن الثلاثة، والآخر لا يرى الصلاة خلفَ من ترك الرفعَ أول مرة، وآخر لا يصلي خلف من يتوضأ من المياه القليلة، وآخر لا يصلي خلف من لا يتحرز من يسير النجاسة المعفو عنها عنده، إلى أمثال هذه الضلالات التي توجب أيضًا أن لا يُصلِّي أهلُ المذهب الواحد بعضُهم خلف بعض، ولا يُصلِّي التلميذ خلف أستاذه، ولا يصلي أبو بكر خلف عمر، ولا عليٌّ خلف عثمان، ولا يصلِّي المهاجرون والأنصار بعضُهم خلف بعض.

ولا يخفى على مسلمٍ أن هذه من مذاهب أهل الضلال، وإن غَلِطَ فيها بعضُ الناس)).

فربما وهم الدكتور عدنان ،و اختلط عليه قوله في الجهر بالنية مع قوله بالجهر

بالبسملة ، لكن في قوله لا يوجد القتل ، قال : ((الْجَهْرُ بِالنِّيَّةِ فِي الصَّلَاةِ مِنْ الْبِدَعِ السَّيِّئَةِ، لَيْسَ مِنْ الْبِدَعِ الْحَسَنَةِ، وَهَذَا مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، لَمْ يَقُلْ أَحَدٌ مِنْهُمْ: إنَّ الْجَهْرَ بِالنِّيَّةِ مُسْتَحَبٌّ، وَلَا هُوَ بِدْعَةٌ حَسَنَةٌ، فَمَنْ قَالَ ذَلِكَ فَقَدْ خَالَفَ سُنَّةَ الرَّسُولِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَإِجْمَاعَ الْأَئِمَّةِ الْأَرْبَعَةِ، وَغَيْرِهِمْ. وَقَائِلُ هَذَا يُسْتَتَابُ، فَإِنْ تَابَ وَإِلَّا عُوقِبَ بِمَا يَسْتَحِقُّهُ.) الفتاوى الكبرى؛2/97.

وهذا الكلام صحيح، فليس للناس أن يعملوا في دينهم ما يشتهون، فما كان خلافا بين الأئمة فهو معتبر، وما لا أصل له عندهم فهو من البدع التي تستحق في درجة من الدرجات الردع .

و لتفصيل هذه الشبهة " قتل المبتدع" يأتي بإذن الله الرد القادم .

تركيا..

مستوى الوعي السياسي لدى الأتراك يبدو أنه أعلى مما عندنا فقد رفض جميعهم حتى المخالفين لأردوغان الاحتكام إلى البندقية..

هذا تقدم كبير أحرزته تركيا اليوم مهما حصل، أن يرفض المخالف التنازل عن المبدأ المتفق عليه هو القوة الفعلية في دولة ما..

سلم الله تركيا من الفتن و من شر الشقاق.

بين التأويل و الشرح..

1_هل حزب العدالة والتنمية التركي حزب لجماعة، أم حزب سياسي فقط؟

2_التأويل هو التقاط كل قرينة، علامة، إشارة يفسر بها الوعي أحداث تركيا الأخيرة بحسب الرغبة المكبوتة في النفس، فمن يأول سلبا، و من يؤل إيجابا!

بينما الشرح هو العودة إلى عناصر الحدث قبل الحدث، ثم تكمن الإجابة، أما الحدث نفسه فهو عنصر لشرح ما سيأتي بعده.

لا يعود الأمر إلى خروج الشعب فقد خرج في بلدان أخرى و ذبح؟

الأمر يعود إلى ذهنية عند النخبة السياسية تغلغلت داخل المؤسسة العسكرية؟

إلى ذهنية المسؤول السياسي الذي له أفعال في الاقتصاد و المجتمع لم تدمر أقواله.

إلى حزب لم يحول الإسلام إلى مذهب متميز، في الغالب يتكلم عن إسلام عام مشترك.

بدأ من القاعدة السياسية في البلديات، كسب رصيده بالأفعال الصغيرة قبل الكبيرة و

ليس بالوعظ الديني.
باختصار مارس السياسة كساسة عندهم مشروع، عرفوا أن الغاية المقصودة لا يمكن أن تكون مطلبا من البداية.
تلك هي المفارقة أن يعلم الجميع أن الحاكم و إن كان قائدا فأصله أنه خادم.
لأردوغان و حزبه أخطاء، لا شك في ذلك، و ربما سيدفع ثمنها لكن الشرح كل الشرح من أين استمد صوابه؟

تجربة أردوغان أو حزب العدالة و التنمية ..... ؟

الحمد لله و الصلاة و السلام على رسول الله.
قد يقول بعض الإخوة عن تجربة حزب العدالة و التنمية بأنَّها تجربة إقليمية خاصَّة بواقع تركيا ،ليس من المنطقي أن ندعو جميع التجارب الإسلاميَّة أن تستلهم منها ، و الدليل أنَّ حزب العدالة و التنمية في المغرب أو أي حزب إسلامي آخر لم يحقِّق ما حقَّقه، ولو مع اختلاف عدد سنين الممارسة في الحكم.
و لأنَّ عناصر العلمانية فيها واضحة، وهذا مشكل آخر ندخل فيه وهو: هل يوجد في العلمانية ما هو صحيح صالح للمسلمين ؟
وهل ما كان من العلمانية صحيحا يؤيِّده الدينُ يصحُّ نسبته للعلمانية لأنَّها جعلته من إجراءاتها و فصَّلته على مقاسها؟
وهنا يبرز سؤال أشار إليه مالك بن نبي ~ رحمه الله ~ بناء على تقديره بأنَّ إسلام رجل البحر الأبيض المتوسط قد انتهى دوره تاريخيًّا، يعني: كقائد ساحب للبقية ، و أنَّ الإسلام القادم سيكون من قارة آسيا ،و أنَّه يكفي المقارنة بين الخصائص النَّفسية و الاجتماعية للمسلم الأسيوي مع المسلم العربي لنشعر بحتمية هذا التساؤل على الأقلِّ في أيامنا هذه؟
و على هذا، و إن اختلف الواقع في بعض مواصفاته فإنَّ المشكل الإسلامي واحدٌ من طنجة إلى جاكرتا، مشكل سياق حضاري [وهنا تكمل فكرة أردوغان التَّحول و الانتقال الحضاري الإسلاميّ قبل كل شيء]، و أنَّه يمكن لواحد من هؤلاء المسلمين الأعاجم و أقصد الشخص و البلد أن يجرَّ و يسحب بقية المسلمين معه.
تحديد مميزات كلِّ بلد ضروري لكنه ليس كافياً ، و إن لم أكن معجباً بـ أردوغان إلى حدٍّ كبير مع دعائي له بالتَّوفيق و بتسديد سياسته حيث إنه ~حسب تقديري ~ في

بعض البلاد يدقُّ مسماراً في ثقب أكبر منه " المسمار" إلاَّ أنَّ التجربة التركية يمكن أن نستلهم منها العناصر التي توافق واقع كلِّ بلد مسلم.
في الأخير: كتبتُ هذه المناشير لاعتقادي أنَّ كثيرا من أبناء الجماعات الإسلاميَّة الذين يهتفون بـ أردوغان وحزب العدالة و التنمية و يحقُّ لهم ذلك، فكرهم في جهةٍ وفكره في جهة أخرى بعيدة استطاع أن يستملهم إليه بمواقف و انجازات تعدُّ له، أنستهم تأصيلاتهم السِّياسيَّة.

الجمل القصيرة :التغريد و الفسبكة.....؟

الحمد لله وحده و الصلاة و السلام على من لا نبيَّ بعده.
الجمل القصيرة التي ننشرها على شكل توقيعات أو ما أصبح يُسمَّى " تغريدات" هي أنواع، فمنها ما هو خبر سياسي أو شخصي أو غير ذلك، ومنها ما هو تعبير شاعري،ومنها ما هو تكديس و تركيز لعدد من المعاني في عبارات قليلة.
في العالم المعاصر، وفي أكبر مظاهره : "مواقع التواصل الاجتماعي"، أصبح الناس يهتمُّون بالرأي و الموقف المجمل للشخصية المشهورة أهم من الاهتمام بالفكرة التي تقف خلفه ،و لهذا تعلَّم المشاهير صناعة الجمل القصيرة الجميلة التي في الغالب يستطيعون إنكارها أو التخلي عنها كليةً ببعض التأويل، فغالبيتهم من ذوات الدم البارد لا يشعرون بشيء، ووجوههم لا تحمَّر من الخجل.
و الجمل القصيرة ~ و أقصد هنا ما لها صلة بالعلم ~ لها أثر في النفوس و العقول يشبه قصرها، سريع التبخُّر، تعجب من يعرف المعاني المحتواة فيها، فهي أشبه بترديد ما في نفس الغير، أو من سبق لهم معرفته، كمن يُعطيك الوقت من ساعتك،أما من لم يفهمها فإنه يمرُّ عليها مرَّ الكرام.
لابد أن ننتبه إلى أن الغربيين يستغلون هذه المواقع لما ابتدعت له، يعني التواصل الاجتماعي: عقد الصداقات،و إبداء المواقف الشعورية من القضايا و الأحداث، لإظهار المواساة، الاحترام،الاهتمام ... الخ.
أما صناعة الفكر و العلم فعندهم المراكز المتخصصة و المواقع المهتمَّة بهذا العمل، و كثير من المجالات خُصِّصت لصناعة الفكر.
أما نحن فالمنابر عندنا لذلك قليلة، و مساحات التفاعل العلمي الجاد الذي يجمع أكبر

عدد ممكن نادرة، و لهذا نستغلها إضافة إلى طابعها الاجتماعي في التواصل العلمي و الفكري، نحاول أن نتجاوز الفوارق و المسافات الثقافية بيننا، وهنا يجب أن ندرك التالي:

لن تتغيَّر العقول و تنجلي الشبهات، و يتغيَّر السلوك الفردي و الجماعي بالجمل القصيرة، نحتاج إلى مناقشة الأفكار و القناعات، وفي هذا النقاش نحتاج إلى أن ننزل إلى جذورها و أعماقها نخلخل أربطتها، ونقطع أو نهشِّم الحبال التي تمسكها، نحلِّل أسبابها، و نقدِّم الفكر البديل، مستغلين طبيعة الإنسان الذي لم يفقد كل فطرته العقلية و النفسية التي هي التساؤل و الاستفهام لنُنبِّهه و نوقظه، لِنُفجِّر في نفسه التساؤل الصحيح ، نُفكِّك أمام عينيه الإشكال المركب.

أكثر الجمل القصيرة تعالج وجها واحداً يكسب منها المتشبع بها عينا واحدة ينظر بها لجهة واحدة.

بدلا من التغريد أو "الفسبكة" خذ وقتك، و اشتغل على فكرتك،على جوانبها المختلفة: جانب الصياغة باختيار الكلمات المناسبة، جانب المعنى باختيار المعاني الواضحة المباشرة، جانب العاطفة برعاية مشاعر الناس،جانب المنطق بمراعاة قوة التلازم ، في حدود الإمكان، و انشرها سائلا الله أن ينفع بها؛ أظن أن الفائدة ستكون أعمق و أسرع ،و نرجو أن يستتبعها تغيُّر العقول و السلوك.

و الغالب على القادر على صناعة جمل قصيرة جميلة و خواطر بديعة أنه يقدر على إنتاج فكرة قوية تشعل الأضواء أو تفتح نفاذة في العقول.

في ضباب الاجتهاد و التقليد....؟

الحمد لله وحده، و الصلاة و السلام على من لا نبيَّ بعده.

هذا المقال ليس لنقد التمذهُب، فأنا موقن أنه لا يمكن بحال تجاوز هذا الحل إلاَّ بالدخول في فوضى لا قِبل لنا بها، سلبياتها أكثر من إيجابياتها إلا أن يصير كل أفراد الأمة مجتهدين ، تعلَّموا قواعد الترجيح بين الأدلة و إن عجزوا عن استنباط الأحكام من الشريعة، و التعليق على هذا أشبه بالإيمان بعنقاء مغرب !

لكن هذا شيء و القول بأنه يستحيل الترجيح بين أقوال الأئمة بالرجوع إلى مصادر التلقي شيء آخر، و بأنه لا يمكن الاجتهاد في معرفة الأقوى و الأصوب إلا أن تجتمع طائفة و تُسميك "مجتهدا مطلقا أو مستقلا"، فقائل هذا القول ما عرف ماهية العلم، ولا

عرف أحوال الجهل.

ولا شك أن الفقه المذهبي ثروة علمية ضخمة لمن ملك زمام الترجيح، و عرف كيف يستفيد منه لكن فيه من السلبيات و البلاء العظيم ما يجب أن يُعرف، وهو ليس طبقة واحدة، ولا نوعا واحدا ، بل يتفاضل غاية التفاضل، منه الأقرب إلى أدلة الاستنباط، ومنه ما هو مجرد مناصرة فاقدة للقصد و المطابقة لقول رجل.

والتَّفَرُّقَ الفقهي يُعبِّر عن الاختلاف في وجهات النظر الفقهية، وهو ظاهرة صحية، تدل على العقلية الخصبة و الواسعة التي يتمتع بها المسلمون، و قد اختلف السلف الصالح في الفقه، ولكنهم كانوا على حب، ووئام ،ومودة صادقة،وما حلت المصيبة بالمسلمين إلا بالتفرق في العقيدة الذي صاحب العصبية المذهبية.

من أعجب ما رأيت أنَّ بعض طلبة العلم ~ و التعبير الدقيق أن أقول طلبة علم التقليد !فقد أصبح التقليد علما، وربما عنده علم أصول التقليد ! ~ يُناقش و يناظر في العلم، و يناظر واصفاً نفسه و غيره بالجاهل [هذه مضمرة] المقلِّد [تغطي على المضمرة]،يعني أنَّ كل ما يقوله للناس هو صورة فوتوغرافية، لا يعلم شيئاً من معاني ما احتوته من كلام،و تراه يسعى جاهداً لإلزامك، و كيف يقدر على إلزام غيره إن لم يعرف الدلالة، و اللازم و الملزوم ، ووجه الربط بين المقدمات، و إنتاج المقدمات إلا بالببغاوية ؟ !

ويدخل في مناقضة أقوال المخالفين، و لا مناقضة بدون إبطال أحد القولين بالآخر،وشرط في المناقضة عند مراجعهم المذهبية أن لا تكون من تجريبيات أو حدسيات ولا حتى من متواترات لأنها عندهم ليست حجة على الغير و أكثر ما يمكن أن نصنف التقليد إذ هو ترجيح عاطفي أنه تجربة في الباطن فبأي شيء ينقضون أقوال غيرهم؟

فإن كان يريد إلزام الناس بجهله فما على جاهل حيف لكن لا يصف غيره بالجهل و التقلِّيد.

وقد نخوض في فرعية لم يتكلَّم فيها أئمته ومع ذلك يخوض معنا، فبأيِ شيء يخوض فيها ؟

لقد افترض هؤلاء وجود إنسان عاقل سليم متزن يتكلَّم غير متصوِّر لما يتكلَّم فيه، كما افترضوا وجود فاعل غير مريد، ومريد غير شاعر بما يريد، ومريد لما يجهل؟

وعلى هذا أقول: من يريد أن يناقش في العلم ~ ولا يوجد عند بعض إخواننا من أنصار التمذهب في العلم إلا العالم و الجاهل المقلِّد ~ فلا يناقشنا بالتخريج و تكثير النقول عن فلان و علان، بل بتصوُّره هو للمسألة، لأن أكثر من سننقل عنهم من " العلماء" ليسوا مجتهدين مستقلين يعني : مقلدة، و أحسنهم مجتهد في المذهب إذا أقرُّوا بوجود هذا الصنف، ونحن جهَّال مقلَّدة، فبالضرورة لا نفقه كلامهم حتى نرجِّح، إذ لو فقهناه خرجنا من حيز الجهال المقلِّدة إلى حيز جديد يقع ما بين الخلاء و الملاء؟

فإما نتناقش بالتصور الموضوعي و التصور من الصورة، يعني تكوِّن صورتك عن الموضوع، وهو ما نسميه " المفاهيم"، و إما نتناقش بالفكرة الحدسية، فيقول هذا: هذا حدسي،و يقول الآخر: هذا حدسي؟

و بالنسبة لهؤلاء الأفاضل: لا وجود ~ في هذا الزمن ~لمن فقه الأدلة الشرعية، فكلهم ~ و قد يستعمل كلمة "غالبية، أكثر" من باب الاحتياط الجدلي لا العلمي ~ لم يفهمها،وهذا فهمناه عنه، لكن ما لم نفهمه: كيف عرف ذلك؟

فهذا نفي، و النفي هو عدم علم، يعني:جهل، وهو يقرُّ على نفسه بأنه لم يفهم الأدلة يعني: جاهل، فكيف عرف أن غيره لم يفهم الأدلة، اجتمع عليه الجهل من جهتين؟

و إن ساق دليل نفيه، يعني: إثبات النفي فكيف يسوق دليلا لم يفهمه،إذ للدليل شروط للاستدلال به ؟

و اللازم الذي لا مفرَّ منه أنه يعتقد في نفسهِ أنه فهم أنَّ الناس لم يفهموا الأدلة لكن لو قال لهم: أنا فهمت أنكم لم تفهموا لكان متناقضا راداً على نفسه، فقال لنا: أنا اعلم بالتقليد ~ الذي هو جهل ~، يعني: أجهل بالجهل أنكم لم تفهموا الأدلة، فكلنا في الجهل سواء !

الأصل في النفي و الإثبات أيها الناس هو شعور النفس بالوجود و العدم، ما علمت وجوده أثبتته، وما علمت انتفاؤه نفته،لكن نفوس العوام [المقلد] قد تعتقد الانتفاء إذا لم تشعر بالثبوت، و بين الشعور بالعدم و عدم الشعور بالوجود فرق بيِّنٌ، وهذه منزلة الجهل التي يؤتى منها أكثر الناس الذين يكذبون بما لم يحيطوا بعلمه، ولهذا قيل: ومن جهل شيئا عاداه.

و أصعب شيء على هؤلاء، وهو مما تلقوه عن فقهاء مذاهبهم، مما تلقوه عن أصوليي مذهبهم وقد عبث فيهم المنطق الأرسطي أنهم جعلوا الصفات العارضة

للقضية صفات ذاتية فيها، ملازمة لها في كل الأحوال وكون القضية برهانية أو جدلية أو مسلمة أو مشهورة أو مقبولة أو مظنونة ما هو إلا نسب و إضافات عارضة للقضية ليست ملازمة لها فضلا عن أن تكون ذاتية لها،ولهذا ينفون الشيء النسبي و ينفون الاجتهاد النسبي لأنهم لم يدركوا لقبولهم الأصول الأرسطية للقضية أن هذه صفات اعتبارية نسبية تتعلق بشعور الشاعر بها، فهي صفة ذاتية و ليست صفة موضوعية، يعني في الذات العارفة و ليس في موضوع المعرفة.

ومعلوم أن القضية العلمية قد تكون حقًّا، و لا يشعر بها الإنسان، تماما كما توجد أدلة لا أشعر بوجودها، فشعوري بعدمها شيء، ووجودها الفعلي شيء آخر،و قد يصف الواحد من هؤلاء القضية بأنها خطابية أو جدلية وهي حق في نفسها و قد تكون برهبانية.

لا يمكن النقاش في هذه الأصول كالاجتهاد و التقليد، و تصويب المجتهدين، و المحكم و المتشابه،و معايير الحقيقة الشرعية و العقلية المحضة، و المطلق و النسبي فيها بدون تحرير أصول الفقه من تأثير المنطق الأرسطي.

في الحقيقة يُخرِّب هؤلاء الأفاضل الفقه الإسلامي ومعه العلم كله لأنه من العبث عندهم البحث عن الحقيقة، لأن طلب الأقوى و الأرجح و الأصوب و الأقرب لمراد الشارع هو الحقيقة ،فالحقيقة ليست إلا مجرد ظنون و اعتقادات متعددة ، فمن جهة يجعلون الاجتهاد و التقليد مطلقات فإما مجتهد و إما مقلد، ومن جهة أخرى يجعلون الحقيقة العلمية نسبية متعددة، يعني: تصويب كل الأقوال، فيخلطون بين العذر و بين الصوابية ، و بين الصواب الفقهي و التصويب الأصولي، و الحقيقة تتبعض لا تتنوع، فيكون عند هذا جزء و يفوته أوجه منه، و عند الآخر جزء ،إلا ما كان جنس الأذكار و الأدعية مما لا يتعارض.

هناك أسئلة وجيهة يجب أن نطرحها لنقترب من الموضوع بسلاسة:

هل سلمت المذاهب من آثار القرون السلبية، و قفزت على عصر الضعف إلى عصرنا،أم أنها كالمذاهب العقدية أصابها ما أصابها ،و دخل فيها ما لم يكن عند مؤصليها الأوائل فعبثت السياسة بها، و اتخذت أحيانا متجرا حوَّلت الفقيه من عالم بالقرآن و السنة إلا متخصص في آراء الرجال،زهد في الحديث، و أقبل على الخلاف حتى ذم أبو حامد الغزالي في " إحياء العلوم الدين" الفقه و الفقهاء، على تفصيل

أورده لاحقا؟
قال ابن قدامة مُعرِّفا الفقه والفقيه في "روضة الناظر"{ص:13}:
((وفي عُرف الفقهاء: العلم بأحكام الأفعال الشرعية كالحل والحرمة والصحة والفساد ونحوها، فلا يطلق اسم الفقيه على متكلم ولا محدث ولا مفسر ولا نحوي)).
قلت: إقصاء المتكلم والنحوي وربما المفسر من عرف الفقه والفقهاء له أوجه، أما إقصاء المحدث و تحت هذا الاسم أنواع ، فهذا إقصاء للفقه من أن يكون فاعلا نافعا أكثر منه إقصاء للمحدث، فما كان الأئمة كمالك والشافعي و أحمد و إسحاق وغيرهم إلا فقهاء حديث .
فإن قالوا :الفقه في عهد ابن قدامة كان على هذا الرسم والواقع.
قلت : في عهد ابن قدامة الذين برزوا في الفقه كانوا من المحدثين كابن عمه الحافظ المقدسي ،و النووي وغيرهم ،ولكن فقه المحدثين يخفى على كثير من الناس، وهذا من لوثة القياسيين وغيرهم حتى الطبري في كتابه " اختلاف الفقهاء" لم يذكر الإمام أحمد لأنه كان محدثا عنده ، ولو قلت لأحدهم : البخاري من سادة الفقهاء ،لاستغرب منك أشد الاستغراب وظنك جاهلا برسم الفقه وحده.
طبائع الرجال و أخلاقهم ونفوسهم تختلف من شخص لآخر ،فالإمام أحمد ـ رحمه الله ـ كان رجلا تعلوه السكينة ، وفي طبعه الهدوء،وهذا النوع من الرجال يكون في غالب الأحيان ممن يحبذ السكوت ، وينفر من المناظرات والمجادلات ، بخلاف من يكون في طبعه حدة تراها في عينيه اللتين لا تهدءان من الحركة والنظر وتفحص الأشياء كما كان شيخ الإسلام ابن تيمية ، ولكنك إذا نظرت في أقوال الإمام احمد خاصة في أصوله لعلمت أن الرجل قد أعطي نصيب من العلم قلما يعطى مثله لغيره ، ولكونه يجيب بالحديث والأثر فذاك من تمام علمه وبُعد نظره، وليس من شرط الفقيه أن يذكر الألفاظ التي لا يعرف عامة الناس معناها ،أو أن يتندر عليهم بالأحاجي والحكايات ، ويحتقر أقوال غيره و يعظم أقواله وأقوال أصحابه ، ولكن الفقه إصابة الحق وموافقته ، وإذا كان العلم ما قام عليه الدليل والنافع منه ما جاء به الرسول ،فإن المحدثين كأحمد والشافعي ومالك والبخاري وأبي داود هم الفقهاء على الحقيقة،و هذا لا ينفي فقه الرأي و خصائصه، لكن هناك فرق بين رأي أبي حنيفة مستمدا من النصوص و الأصول ورأي في رأي الإمام،و إن شئت مزيدا فارجع إلى "حجة الله البالغة"

للدهلوي ففيه ما يثبت هذا.

لما ظن الفقهاء المذهبيون أن طريقهم محيطة بعلم الأحكام الشرعية كلية من قول الإمام فقط زهدوا في الحديث فرأينا في كتب بعضهم مصائب في هذا الباب ، الحديث الضعيف و الرأي فوق الرأي و تحت الرأي،ووجدنا فقهاء الحديث و هم أعلم بالأخبار الصادقة عندهم فقه أقوى حصَّلوه من غير طريق هؤلاء.

لقد نصب فقهاء المذاهب الخلاف الفقهي مع المذاهب الأخرى،وكان أشهرها الخلاف بين الشافعية و الحنفية،و قد انتقل هذا الخلاف من كتب الخلاف إلى كتب أصول الفقه و الجدل ، و المفروض ~ بحسب أنصار التمذهب ~ أن المذاهب في حرصها على الإحاطة و استقراء الأدلة و ترجيح الأدلة الأقوى و عدم تضييع الحقيقة العلمية تُعلِّم أتباعها [المقلِّدين بالتقليد الأساسي: ترجيح إمام المذهب على غيره من الأئمة، و بالتقليد الفرعي: تقليد المذهب في كل اختياراته] الخلاف الفقهي، و الأَولى أن نقول: تُلقِّنهم ضعف المذاهب الأخرى إذ هم مقلِّدة بالأساس !

ومتى نفينا الاجتهاد النسبي يُصبح من التناقض الشديد الحديث عن أي ترجيح ، ولو بين عنواني كتاب، أو معرفة جهة القبلة، ومن ينفي هذا لا يصح له إلا أن يكون جبريا إذ ولابد للناس من اختيار في كل شيء، إما بعلم مجمل،أو بعلم فيه تفصيل في مسألة، لكن لابد أن يرجحوا ،و القول بأنهم يرجحون بالتقليد للتقليد، لا يوجد تحته معنى محصل يقبله العقل، وهو مجرد تعنت و كلمة من رجل لا يتصور ما يقول.

وهنا يفرض سؤال نفسه بالضرورة: هل يوجد في أحد هذه الكتب " الخلاف" إنصاف للمذهب الآخر، و ترجيح قول له على حساب المذهب؟

وكم نسبة هذه الأقوال المرجحة، أم أنها كتب لمدح المذهب و نفخه و بيان قوته و رجحانه على غيره من المذاهب بأقوال ما أنزل الله بها من سلطان، غالبيتها جاهلية في صورة علم ؟

وهل يستوعبون أدلة المذهب المخالف موضوعيا وكما يجب، أم الإنصاف و الموضوعية بضاعة نادرة؟

قال ابن عقيل ~ وهو رأس الحقبة في الخلاف والجدل وأصول الفقه ~ وهذا كلام في الجذر قبل أن يخرج إلى سطح التربة :

((واعلم أنه لا يجب نصرة أصول الفقه على مذهب فقيه ، بل الواجب النظر في

الأدلة ، فما أداه الدليل إليه كان مذهبه بحسبه وبناء على ذلك الأصل ، ونعوذ بالله من اعتقاد مذهب ثم طلب تصحيح أصله ، أو طلب دليله ، وذاك إلا بمثابة من مضى في طريق مظلم بغير ضياء ثم طلب لذلك الطريق ضياء ينظر أكان فيه بئر أو سبع أو ما شاكل ذلك ، أو كان سليما ؛ والذي يجب أن يكون الدليل هو المرشد إلى المذهب)){ الواضح :144}.

إذا اختلف الأئمة المتبعون لأسباب كثيرة لا تعود كلها إلى اختلاف طرق الاستنباط فهذا تعمية للحق، بل يختلفون أحيانا لتفاضلهم بالعلم بالمسألة المعينة، و لأن أصولهم ليست مطردة في الترتيب، فمن اختار أصول مالك مثلا هل يوافقه على تنزيلها في جميع القضايا، وعلى ترتيبها في الاستدلال مثل سد الذرائع أو الاستصحاب مثلا، أقول هذا لأنك إن وافقته على أصوله هل يلزم أن توافقه على تطبيقاتها ؟

تصوُّر بعض فضلاء إخواننا المناصرين للتمذهب للمجتهدين و المقلدين يشبه تصوّرِ الشيعة لأئمتهم و لحمار جُحر سُرَّ من رأى،فلا يوجد في تصورهم إلا المجتهد المحيط أو المقلد البليد ، قسموا عباد الله في العلم إلى عالم و جاهل، مما يجعلني أظن أن المناصرين للتمذهب أخطئوا حجتهم و قفزوا خلفها بعيداً، فإنه يمكن جداً التأصيل لهذا الموضوع لكن ليس بهذا التقسيم الذي لا أساس له من واقع الطبيعة البشرية، ولا من واقع التاريخ المذهبي.

لهذا سأقسم هذا الموضوع إلى مباحث الأول سيكون عن صور من التعصُّب المذهبي المذموم عند بعض كبار علماء المذاهب و أنهم سبب البلاء في هذا الباب ،و الثاني عن فساد بعض الفقه و الفقهاء،و الثالث عن الاختلاف عن مالك كنموذج ،و الرابع عن ماهية العلم كيف ينشأ في الإنسان،و تصوُّر القائلين بمنع الاجتهاد للعلم فإنه تصوُّر أرسطي فاسد، هؤلاء الذين زعموا أن باب الاجتهاد أغلق إذا رجعنا إلى فقههم و أصوله و جدناهم يقولون بالمظنونات و لذلك جعلوا الفقه من باب الظنون لأنهم يفرقون بين العلم و الظن على أصل من جعل الوحي من المقبولات.

لكن قبل ذلك نضع مجموعة ملاحظات :

1 ـ هل كان الأئمة المتبعون يحيطون علماً بالسنة، فنحن نعلم أن أحفظهم للحديث و الآثار الإمام أحمد، وكما قال الذهبي : لم يحط بالسنة [كاد] إلا ابن حزم ومحمد بن نصر المروزي.

و قد كان من حجة الإمام الشافعي على محمد بن الحسن الشيباني دفاعا عن الإمام مالك و أهل الحجاز أن من كان أعلم بالسنة كان أعلم بالقياس، و إنما روح الاجتهاد و قلبه و جوهره القياس و الاعتبار سواء سميناه قياسا أو ظهور عموم،أو غير ذلك حتى لا ندخل في الخلاف مع نفاة القياس فهذا موضوع لا شك أنه سيأتي الكلام فيه؟

2 ـ إذا كان الأمر كذلك، وهذا معلوم بالضرورة العقلية أن الأئمة الأربعة لم يكونوا محيطين بعلم السنة على الأقل غالبيتهم، فنحن نعرف تقريبا محفوظات كل إمام، و أكثر من ذلك عدد الأحاديث الصحيحة عنده، و قد قسمتم الناس إلى عالم و جاهل، يعني نفيتم الاجتهاد النسبي، و الناس في العلم و الجهل درجات لا يحصيها إلا الله، فعلم الإنسان بقدر المسائل التي يعلمها ، إذا زادت زاد علمه ، و إذا قلت قلَّ علمه، و العلم إما حاصل جمع كما هو عند أكثر الخلق، و إما هو باق طرح كما عند الأرسطيين سواء في أصول الفقه أو الفقه أو الكلام.

مما يعني أنكم جعلتم الإحاطة شرطا في الخروج من حيز الجهل و التقليد، فمن أين وصفتم هؤلاء الأئمة بالاجتهاد المطلق و قد ثبت عدم إحاطتهم بالسنة، فضلا عن التفسير و السير، و ثبوت عدم علمهم ببعض المسائل لا يكابر فيه إلا من لا يعرف مسائلهم و قضاياهم و أحوالهم ؟

3 ـ فلا شك أنهم كانوا يعوِّضون عدم الإحاطة بالسنة كلها ~ و لا اجتهاد مع وجود النص ~ بما تلقوه من علوم شيوخهم، و فتاوى قضاة و علماء الأمصار و بالقياس و الاستصحاب و المعقول و غير ذلك.

و قد وجدنا بعض الأئمة يقول في فتاويه: "أحسب، و أخال، لا يعجبني، أكرهه" التي يجعلها أتباعه من صيغ التحريم ؟ !

ووجدناه يتوقف،ووجدنا فتاوى متعارضة مع بعضها، ووجدناهم يعودون عن فتاويهم، و تختلف عنهم الرواية الصحيحة، مما يعني أنهم في أنفسهم كانوا مقتنعين أن مذهبهم الأول خطأ أو مرجوح و غير ذلك.

و منهم من لم يعرف في المسألة النص أصلا ،يعني: لم يبلغه أو بلغه الضعيف، فمهما كان قد ثبت عنهم بعض عدم العلم و إن شئنا سميناه جهلا ، وهذا جهل نسبي، يعني: عدم العلم بالمسألة المعينة فكيف صح لكم التقسيم؟

فإن قالوا: المجتهد من فهم الأدلة ولو لم تبلغه كلها، يعني: ليس المحيط بها؟

قلنا: الاجتهاد هو بذل الجهد لاستنباط الحكم الشرعي الصحيح، فمتى فاته النص لم ينفع الاجتهاد لأنه سيكون في غير نص مع وجود النص، فالقصد إصابة الحكم الشرعي لا الذكاء و الفطنة و القدرة على الاستنباط بالقوة، بل المطلوب أن تكون بالفعل.
و بعض العلماء كاد أن يبلغ درجة المجتهد المطلق لو لا اشتغاله بعلم الكلام لم يكن يحفظ من الحديث إلا سنن الدارقطني، وهي إنما جمعت الغريب، ولا يعرف ما في موطأ مالك ، و عنده جهل بالسير و التاريخ و الطبقات، وهو عندهم عالم نحرير، ولو وصفوه بغير ذلك طعنت فيهم الأمة بالموافق و المخالف ؟
لقد أدَّى تكاثر الأقوال المتعارضة إلى بقاء الخلاف الشاذ، إذ يجد كل واحد حاجته في تلك الكتلة الهائلة من الأقوال المختلفة،و أصبح الاختلاف لمجرد حكاية الأقوال يُسمى باطلا سائغا و يعتبر عذراً لترك الراجح، فلم يعد همُّ الفقيه الحقيقة،نعم يوجد ظنيات كثيرة لكن هذا ليس حجة لنكتفي برص وجهات النظر الواحدة بجانب الأخرى على أنها كلها صحيحة،بدون أن نسأل إن كان بالإمكان أن نعرف الأرجح من خلال القرائن الثبوتية أو من خلال أقل الأقوال قبولا لاعتراض.
فما قاله الرسول صلى الله عليه و سلم ~ مما لا يقبل التعارض أو التناقض، يعني: ليس من السنة المتنوعة، هو حق في نفسه، يختلف في صورته الاعتبارية النسبية الإضافية من جهة العلماء لا من جهة نفسه، فمن جهة ذاته لا يختلف باختلاف أحوال العلماء و اجتهادهم ، لذا كان الحق الذي لا يقبل النقيض ، و لأنه الحق الذي بلغه النبي صلى الله عليه و سلم فلابد أن يكون إدراكه ممكنا فما جاء به الرسول خاصة في الأحكام ليس من الطلاسم و الألغاز حتى يعجز المسلمون منذ قرون طويلة عن فهمه ؟
ومن هنا كان الذي أسَّس علمه على مقدمات قطعية أو ظنية من كلام الإمام فقد أسَّسها على أمور تقبل التغيُّر بخلاف إمامه إذا بلغه العلم أسَّسه على ما جاء به الرسول، ولابد أن من العلم ما فاته بلوغا أو استدلالا، فكيف يحصر العالم الحق و الحقيقة في قول غير المعصوم ؟
في بعض الفقه المذهبي ~ حتى لا أعمم ~ التناظر بأقوال الفقهاء و ليس على البحث عن تناقض القول مع النصوص، فبدلا من تحرير المعاني الشرعية بعد تحقيق

النصوص ،لا يهتمون بتحديد الحكمة الشرعية، و بناءً على ذلك الحكم على الأقوال الفقهية المختلفة لا الاستشهاد بها لتقوية الرأي يميل كثير منهم على تأصيل مذهبه الفقهي باستغلال عدد الأقوال الموافقة له يعني: بالتكاثر.
وقد يبالغون في عموم الآية على حساب النصوص الصريحة التي تُبيِّن أنَّ العموم فيها غير مراد، فآية الحجاب ~ مثلا ~ خص عمومها النص الحديثي الصحيح الصريح، فيدعون العموم في السياق الخاص بدون قرينة،أو يدعون التخصيص في السياق العام بدون قرينة، و إنما نعرف بقاء الآية على العموم أو كونها خاصة بالنصوص النبوية .
كذلك بعضهم يسوي بين النص الصحيح القطعي الدلالة مع ظني الدلالة أو الأضعف لمجرد الإمكان، و تأويل النُّصوص بمحض الإمكان العقلي ـ كما يكثر في الفقه قولهم: يمكن أنَّه كذا، يمكن أنَّه فعله مرَّتين.... الخ ـ لا معنى له لأنَّه لابدَّ مِن تشخيص الإمكان وتحديده بقرائن مادّية أو واقعية، و إلاَّ فإنَّه لا ضابط له.
فقد نجد في المسألة نصوصاً صريحة غير قابلة لأي تأويل ومع ذلك يعارضونها بنصوص ضعيفة الدلالة محتملة للأوجه تحت الأصل المضطرب " جمع النصوص".
والنزاع اللفظي الموروث عن المنطق الأرسطي كثير جداً يتعلقون بطلب الماهيات و يعتمدون بكثرة على المعاجم في تحديدِ معاني الألفاظِ الشَّرعيَّة فيقرِّرون التَّحريمَ من ألفاظٍ لا تُفِيدُه أو هي مجملَةٌ مُشترَكةٌ بين الحرامِ و الحلالِ ،و النقاش الفقهي يدور كلية على تضارب أقوال المفسرين، و يحاول بعضهم أن يعتمد على كثرة الاختلاف في تفسير العبارات ،والفقه في دين الله ليس في مثل هذا ولكن في ترجيح الأدلة القوية و ترتيبها بحسب قوتها و صراحتها.
كذلك نجد الحشو بأقوال متضاربة كثير جدا، وهذا استغلال سيء لوضع كتب التراث الفقهي التي تكثر فيها الأقوال المتعارضة من بعض الأوجه.
كما يجتنبون الوقوف عند أقوال الفقهاء المحققة التي تمثل اختيارهم النهائي كما سأضرب عليه مثالا، فينقلون عن الإمام الواحد أقوالا مختلفة متناقضة و الحجة عندهم ليس في تحقيق مذهب الإمام و لكن في مجرد نسبة القول إليه، ليس القصد تحديد الحكمة الشرعية و رد الأقوال إليها.
بعضهم يحتال بالرجوع للمفسرين وقد علموا أنهم لم يتفقوا على لفظ واحد في كثير

من المسائل، و المسائل الفقهية يحسمها الفقهاء لا أهل التفسير.
أقول هذا لأن بعض الناس أصبح يلجأ إلى كتب التفسير لعلمه بكثرة الأقوال فيها و تضاربها و تنوعها فيختار منها ما يوافق مذهبه و ينسبه لكل العلماء أو جمهورهم.
الإكثار من سد الذريعة فأكثر ما يأتي الغلو منه، و لهذا ذكر ابن القيم الفرق بين سد الذريعة و الغلو، وهو طريق من طرق الالتفاف على النصوص عند بعض الناس، يقول الشافعي: ((الأحكام على الظاهر و الله ولي المغيب ومن حكم على الناس بالإزكان (طرف من الظن) جعل لنفسه ما حظر الله تعالى عليه ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم لأن الله عز وجل إنما يولي الثواب و العقاب على المغيب لأنه لا يعلمه إلا هو جل ثناؤه وكلف العباد أن يأخذوا من العباد بالظاهر ولو كان لأحد أن يأخذ بباطن عليه دلالة كان ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم)) (الأم)(4/114).
قال أبو زهرة ـ رحمه الله ـ : ((وهذه الظاهرية هي التي يتمسك بها (الشافعي) أشد الاستمساك وينهي فيها عن تظنن غايات للأمور لم تكن قائمة ولا ثابتة وقت الفعل أو التصرف لأن الأخذ بذلك أخذ بالإزكان و الظن و الشريعة عنده ظاهرية تنظر إلى صور الأفعال ومادتها لا إلى مآلاتها أو بواعثها إذا لم يكن هناك دليل ظاهر من المآلات أو البواعث))(ابن حنبل)(ص: 376)
قال ابن القيم : ((مما يجب التنبيه له في التفقه والاجتهاد : التفرقة بين الغلو في الدين وسد الذريعة وهي تفرقة دقيقة فسد الذريعة موقعه وجود المفسدة و الغلو موقعه المبالغة و الإغراق في إلحاق مباح بمأمور أو منهي شرعي أو إتيان عملي شرعي بأشد مما أراده الشارع بدعوى خشية التقصير عن مراد الشارع وهو المسمى في السنة بالتعمق و التنطع وفيه مراتب منها ما يدخل في الورع في خاصة النفس الذي بعضه إحراج لها ،أو الورع في حمل الناس على الحرج ،ومنا ما يدخل في معنى الوسوسة المذمومة)) (إغاثة اللهفان)(1/309).
كذلك التهويل بدعوى الإجماع، ففقهاء المذهبية كالمتكلمين يتساهلون كثيرا في دعوى الإجماع و الخلاف قديم ثابت. و بعضهم يجوز انعقاده تخمينا، و بعضهم يحكي الإجماع و يدعيه على هذا الإمكان، و يدعون الإجماع في مسائل ليست من الجليات التي لا يعذر المخالف فيها، فإن أرادوا دفع النزاع ادعوا الإجماع.
هذا جانب من السلبيات لا يجب أن نقف عندها كلية فهناك الايجابيات أضعاف

أضعاف السلبيات، فتنظيم المسائل و تصنيفها و تبوبيها وحده يكفي في إبراز مميزات الفقه المذهبي فضلا عن الكشف عن أصول الأئمة و شرحها و تسبيبها، وبيان لكثير من المقاصد الشرعية، لكن كما نعلم جميعا حبة فاسدة واحدة تفسد كل الصحيحة إن لم تعالج.

و الموضوع هو الاجتهاد و التقليد لا هذه القضايا لكن لا يمكن أن نتصوره بدون هذه المقدمات.

المقال القادم : التعصب المذهبي أسبابه الحقيقية نشأت معه، و يليه صور من فساد الفقه المذهبي.

في غياهِب طاعون العقول: التَّعصُّب المذهبيِّ

الحمد لله ربِّ العالمين و الصَّلاة و السَّلام على أشرف المرسلين.

لقد غذَّى التعصُّب المذهبي في الأحكام التعصَّب المذهبي في العقائد و العكس صحيح ، فكتب الفقه المذهبي مملوءة بالتعصُّب، ونقلت تعصُّبَها لكتُب أصول الفقه ، و ما جرى لابن حزم مع المالكية، و للشافعي قبله مع مالكية مصر، و لابن تيمية مع الفقهاء خير دليل على أن الفقه المذهبي مع ما فيه من ثروة فقهية كان معدن التعصُّب، ليس من الأتباع بل من كبار علمائِه،لأن فكرة التمذهب نفسها هي فكرة متعصبة كما سأبينه في المقال القادم.

وقد وقع من بعض فقهاء المذاهب الأربعة على حدِّ سواء،فهل سببه نفسي أم منهجي؟

قال بعض الشافعية أظنه ابن النَّقَّاش: ((الناس اليوم رافعية لا شافعية، ونووية لا نبوية)).

قال الرازي في (المحصول)((114/5)):((وأيضا فإن الرجل العظيم إذا أختار مذهبا فلو أن غيره أبطل ذلك المذهب عليه فإنه يشق عليه غاية المشقة، ويصير ذلك سببا للعداوة الشديدة)).

وقد أوضح الشيخ صالح الفلاني هذا الأمر بصورة واضحة و جلية في كتابه (إيقاظ همم أولي الأبصار للإقتداء بسيد المهاجرين والأنصار)(1/28) حيث قال:

((مما قاله أبو السمح: فلقد طفت من أقصى المغرب، ومن أقصى السودان إلى الحرمين الشريفين فلم ألق أحدا يسأل عن نازلة فيرجع إلى كتاب رب العالمين وسنة سيد المرسلين، وآثار الصحابة والتابعين إلا ثلاثة رجال، وكل واحد منهم مقموع

محسود يبغضه جميع من في بلده من المتفقهين، وغالب من فيه من العوام والمتسمين بسيم الصالحين، وموجب العداوة والحسد: تمسكهم بالكتاب، وسنة إمام المتقين صلى الله عليه وسلم، ورفضهم كلام الطائفة العصبية والمقلدين.)).

ثم ضرب أمثلة، و قال: ((فترى كل واحد منهم يعظم إمامه المجتهد تعظيما لا يبلغ به أحدا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، وإذا وجد حديثا يوافق مذهبه فرح به وانقاد له وسلم ،وإن وجد حديثا صحيحا سالما من النسخ والمعارض مؤيدا لمذهب غير إمامه فتح له باب الاحتمالات البعيدة، وضرب عنه الصفح والعارض ويلتمس لمذهب إمامه أوجها من الترجيح مع مخالفته للصحابة والتابعين والنص الصريح، وأن شرح كتابا من كتب الحديث حرف كل حديث خالف رأيه الحديث وإن عجز عن ذلك كله ادعى النسخ بلا دليل، أو الخصوصية، أو عدم العمل به أو غير ذلك مما يحضر ذهنه العليل، وإن عجز عن ذلك كله ادعى أن إمامه اطلع على كل مروي أو جله فما ترك هذا الحديث الشريف إلا وقد اطلع على طعن فيه برأيه المنيف، فيتخذ علماء مذهبه أربابا، ويفتح لمناقبهم وكراماتهم أبوابا، ويعتقد أن كل من خالف ذلك لم يوافق صوابا، وإن نصحه أحد من علماء السنة اتخذه عدوا، ولو كانوا قبل ذلك أحبابا.

وإن وجد كتابا من كتب مذهب إمامه المشهورة قد تضمن نصحه، وذم الرأي والتقليد، وحرض على اتّباع الأحاديث المشهورة نبذه وراء ظهره، وأعرض عن نهيه وأمره، واعتقده حجرا محجورا، وجعل مختصرات المتأخرين سعيا مشكورا لتركهم الدليل، وتعصبهم للتقليد، واعتقادهم أنه الرأي السديد.

وشاهد ذلك كله أن تتأمل مذهب مالك فترى كتب علمائهم المتقدمين قد ملئت بالأدلة ،وحشيت بذم المقلدين، كـ (المبسوط) للقاضي إسماعيل، و(المجموعة) لابن عبدوس، و(التمهيد) لابن عبد البر، و(الطراز) لسند بن عنان.

وقد نبذها المتأخرون وراء ظهورهم، وأقبلوا كل الإقبال على ما ابتدعه المتأخرون من حذف الدليل في مختصراتهم، وأولعوا بالتقليد بلا دليل لاعتقادهم أن الاشتغال به عناء وتطويل، إنا لله وإنا إليه راجعون)).

و لتأكيد هذا ننظر في بعض حجج المتمذهبين لترجيح مذهبهم على غيره:

قال أبو المظفر السمعاني في"قواطع الأدلة" {368/2}:

((وعلى الجملة نقول:إن الانتساب إلى الشافعي استنان ! فإن النبي صلى الله عليه و

سلم قال:"الْأَئِمَّة مِنْ قُرَيْش"
وقال في موضع آخر:" النَّاسُ تَبَعٌ لِقُرَيْشٍ فِي هَذَا الشَّأْنِ مُسْلِمُهُمْ تَبَعٌ لِمُسْلِمِهِمْ وَكَافِرُهُمْ تَبَعٌ لِكَافِرِهِمْ وَالنَّاسُ مَعَادِنُ خِيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ إِذَا فَقِهُوا تَجِدُونَ مِنْ خَيْرِ النَّاسِ أَشَدَّ النَّاسِ كَرَاهِيَةً لِهَذَا الشَّأْنِ حَتَّى يَقَعَ فِيهِ "
فذكر أنهم الأصل، و أن باقي الناس تبع لهم،ولابد للمتبع من مقتدى به في الجملة، و التقليد و إن لم نجوِّزه للعالم، ولكن لأجل حرمة ما ذكره الرسول صلى الله عليه و سلم لم يكن بد من إمام ينتسب إليه لنكون ممتثلين لقول صاحب الشرع صلوات الله و سلامه عليه: "الناس تبع لقريش" فاخترنا الإمام المطلبي محمد بن إدريس الشافعي ـ رحمه الله ـ ورضوان الله عليه، لأن لم نجد في الأئمة الذين مهدوا الأصول وفرعوا التفريعات و تكلموا في المسائل على ما توجب الأصول و الاجتهاد الصحيح المبتنى على القواعد الصحيحة أحدا من قريش سوى الشافعي رحمه الله، و الباقون لا مطعن عليهم و قد تحروا الحق و طلبوه بجهدهم لكن العالم الذي لا يجوز له التقليد و إنما يطلب الانتساب المحض بوجه الاستنان بقول الرسول صلى الله عليه و سلم فيتعين الانتساب إلى الشافعي رحمه الله."
قلتُ : أولا: رجل في منزلة السمعاني ~ رحمه الله ~ يصدر منه هذا الكلام الضعيف؟ !
من جهة يجعل التقليد للعالم غير جائز،مما يعني أنه يجب عليه اتباع الدليل، و الأئمة سوى الشافعي تحروا الحق، ومن جهة أخرى من السنة اتباع الشافعي لأنه قرشي، يعني بتعبير آخر: من جهة اتبع الدليل، ومن جهة اتبع الشافعي تبركاً؟
كلام غير محصل ولا قابل للتطبيق فهو عين التناقض؟
ثانيا: هذا الحديث " الأئمة من قريش" اختلفوا فيه، فقال أبو داود السجستاني سمعت أبا عبد الله يعني أحمد بن حنبل سئل عن حديث إبراهيم بن سعد عن أبيه عن انس عن النبي صلى الله عليه و سلم وذكره، قال: ليس هذا في كتب إبراهيم لا ينبغي أن يكون له أصل"الأحاديث المختارة{143/6} للمقدسي
وقال ابن حجر في" تلخيص الحبير": قال الدار قطني هو موقوف، ثم ذكر له ابن حجر الطرق و الشواهد مما يعني صحته.
وقال ابن تيمية في" المنهاج" :هو صحيح متواتر.

قلت: هذا الحديث استشهد به أكثر الأئمة إلا الخوارج و المعتزلة، ولبعض أهل السنة عليه استدراكات بنصوص أخرى،ونقل القاضي عياض الإجماع عليه.
المهم لم يستشهد به على الإمامة في العلم إلا متعصبة الشافعية، وخالفهم بقية المسلمين، ومن هنا يجب أن نفهم أين بدأ التعصب ومن من؟
وقد تحامل ابن حجر في "الفتح" على القرطبي و القاضي عياض لأنهم صرحوا انه إنما يتناول الخلفاء،قال :" قال عياض : استدل الشافعية بهذا الحديث على إمامة الشافعي وتقديمه على غيره ، ولا حجة فيه لأن المراد به هنا الخلفاء .
وقال القرطبي : صحبت المستدل بهذا غفلة مقارنة لصميم التقليد . وتُعقب بأن مراد المستدل أن القرشية من أسباب الفضل والتقدم كما أن من أسباب التقدم الورع مثلا ، فالمستويان في خصال الفضل إذا تميز أحدهما بالورع مثلا كان مقدما على رفيقه ، فكذلك القرشية ، فثبت الاستدلال بها على تقدم الشافعي ومزيته على من ساواه في العلم والدين لمشاركته له في الصفتين وتميز عليه بالقرشية ، وهذا واضح ، ولعل الغفلة والعصبية صحبت القرطبي فلله الأمر".
قلتُ: انظر: القرطبي يرجع ذلك إلى التعصب والحافظ يرجع قوله إلى التعصب !
وقد تعصب الحافظ ~ رحمه الله ~ لمذهبه و تكلَّف تأويل هذه الأباطيل حتى ناقض نفسه غاية التناقض حيث جعل القرشية كالورع من أسباب الفضل و التقدم، ومعلوم أن الورع دين، وهو مشترك بين المسلمين ، من تركه تركه اختياراً، و القرشية نسب لا يملك الإنسان أن يكون قرشيا أو هنديا،فلا اختيار فيها، و النسب ليس دينا، فكيف نرجح في الدين بما ليس من الدين في شيء؟
و كيف نجعل ما لا اختيار للإنسان فيه سببا للتفضيل؟
وذكر ابن حجر التقدُّم بالنسب عند التساوي في العلم، فماذا يصنع عندما يتفوَّق غير القرشي على القرشي؟
الترجيح بالقرشية في السياسة في ذاك الزمن مفهوم، إذ العصبية القبلية في تلك الأزمنة كانت لقريش بمعنى أن القبائل تدين لها بالزعامة ما لا تدينه لبعضها بعضا ، فمن باب سد باب الفتنة لا غير،أما في العلم فهو مخالف للقرآن كما خالف الليل النهار، وهذا من بقايا القبلية في العلوم.
قال ابن حزم رحمه الله ~ كم نجانا من خرافات بعض الفقهاء ~ في "

الإحكام7/1269": " فليست الإمامة و الخلافة من باب الصلاة في ورد ولا صدر" وعليه فالاحتجاج به على الإمامة في العلم ظاهر البطلان، لا يحتاج إلا تكلف.
رحم الله السمعاني وغفر له، فإن مثل هذا الكلام الذي فرَّق الأمة و شتتها وقد تركها النبي صلى الله عليه وسلم واحدة متحدة، فهذا الكلام ينفيه الشافعي عن نفسه أشد النفي، و لكن بلغ التعصب في عصر السمعاني ذروته فكان هذا الذي ترى، قال الربيع سمعت الشافعي يقول:"إذا وجدتم في كتابي خلاف سنة رسول الله صلى الله عليه و سلم فقولوا بها و دعوا ما قلته"
وروى ابن أبي حاتم أنه قال:" إذا صح الحديث فاضربوا بقولي الحائط"
و قال الربيع:سمعته يقول:" إذا رويت حديثا صحيحا فلم آخذ به فأشهدكم أن عقلي قد ذهب"{سير أعلام النبلاء}{57/8}.
أما حديث " النَّاسُ تَبَعٌ لِقُرَيْشٍ فِي هَذَا الشَّأْنِ مُسْلِمُهُمْ تَبَعٌ لِمُسْلِمِهِمْ وَكَافِرُهُمْ تَبَعٌ لِكَافِرِهِمْ وَالنَّاسُ مَعَادِنُ خِيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ إِذَا فَقِهُوا تَجِدُونَ مِنْ خَيْرِ النَّاسِ أَشَدَّ النَّاسِ كَرَاهِيَةً لِهَذَا الشَّأْنِ حَتَّى يَقَعَ فِيهِ"
فهو حديث جرى عليه كلام كثير ،قال عنه بعض العلماء إنه على وجه الإخبار،و السمعاني لم يذكره بتمامه.
أمة تتناظر بأسماء الرجال وعروقهم و قد قال عمر ـ رضي الله عنه ـ فيما حدث عنه الإمام مسلم: ((أَنَّ نَافِعَ بْنَ عَبْدِ الْحَارِثِ لَقِيَ عُمَرَ بِعُسْفَانَ وَكَانَ عُمَرُ يَسْتَعْمِلُهُ عَلَى مَكَّةَ فَقَالَ: مَنْ اسْتَعْمَلْتَ عَلَى أَهْلِ الْوَادِي؟ فَقَالَ: ابْنَ أَبْزَى، قَالَ: وَمَنْ ابْنُ أَبْزَى؟ قَالَ: مَوْلًى مِنْ مَوَالِينَا، قَالَ: فَاسْتَخْلَفْتَ عَلَيْهِمْ مَوْلًى؟ قَالَ: إِنَّهُ قَارِئٌ لِكِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَإِنَّهُ عَالِمٌ بِالْفَرَائِضِ،قَالَ عُمَرُ: أَمَا إِنَّ نَبِيَّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ".))صحيح مسلم رقم1353"،"مسند أحمدرقم226" وغيرهما.
و الشافعي ـ رحمه الله ـ في نفوس المؤمنين أعلى مما قال عنه السمعاني، قال الذهبي في"تذكرة الحفاظ"{361/1}:" قال أحمد: ما أحد مس محبرة و لا قلما إلا و الشافعي في عنقه منة"
وقال أبو عبيد:" ولو كان أكثر سماعا للحديث لاستغنت أمة محمد صلى الله عليه و سلم به عن غيره من الفقهاء"

قلت:و إن كان أبو عبيد ممن تكلم في الشافعي، فلم يمنعه ذلك من الشهادة له بهذه الشهادة العظيمة، ومع ذلك نقول: و إن كان الشافعي أقل سماعا للحديث من كثير من المحدثين، فقد أتاه الله علما وفهما فاقهم به، ولعل قوله التالي يوضح المسالة، قال الربيع سمعت الشافعي قال لبعض أصحاب الحديث:" أنتم الصيادلة ونحن الأطباء"، أي انتم بحفظكم سنة رسول الله صلى الله عليه و سلم تصنعون الدواء، و نحن بفقهها نصفه للمرضى.

كما انه لا يجب أن نقف طويلا عند كلمات المدح التي تقال في العلماء،إذ الخلاف حول اتباع الدليل لا عن فضائل العلماء.

و العجب لمن يدعي اتباع الشافعي كيف يرى أهل الحديث عاجزين لا عقل عندهم، كما كان يراهم الجو يني و الرازي و حسين هيتو في مقدمة المنخول ، و كان الشافعي إذا رآهم قال:" كأني أرى أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم.."

لقد كان الشافعي أبلغ في علمه وزهده و عقله من أن نتعصب إليه على حساب الحق و الدليل و العقل، أو نتبرك بالانتساب إليه، فما أعوج قول السمعاني: يُحرِم على العالِم التقليد، و ينتسب إلى الشافعي استنانا،أكان بعيدا عنه أن يقول، وقد حرم التقليد على أهل العلم : السنة الانتساب إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم ـ مادام انه قد حرم تقليد الشافعي من طرف العالم، و لم يحرم أحد تقليد " اتباع" رسول الله صلى الله عليه و سلم ، قال الشافعي كما روى عنه حرملة:" كل ما قلته فكان من رسول الله صلى الله عليه و سلم خلاف قولي مما صح فهو أولى ولا تقلدوني".

رحمه الله أوسع رحمة، وإنه لكما قال إمام أهل السنة احمد بن حنبل:" كان الشافعي كالشمس للدنيا و كالعافية للناس فهل لهذين من خلف أو منهما عوض"{سير أعلام النبلاء} {33/10}

وقد كان الشافعي ـ رضي الله عنه ـ بعيدا عن التعصب و عداء الناس قال يونس الصدفي:" ما رأيت أعقل من الشافعي ناظرته يوما في مسألة ثم افترقنا ولقيني فأخذ بيدي ثم قال:" يا أبا موسى ألا يستقيم أن نكون إخوانا و إن لم نتفق في مسألة"{سير أعلام النبلاء} {16/1.}

قال الذهبي: هذا يدل على كمال عقل هذا الإمام وفقه نفسه فما زال النظراء يختلفون".

وبعد، فمحبته في القلب أعظم، و الدعاء له عمل صالح نتقرب به إلى الله، ولكن لا

نقول على الله إلا الحق، ولا نتعصب بمعنى النصرة و الثبات على سنته لأحد سوى رسول الله صلى الله عليه و سلم.

و لا حجة في ديننا إلا للبرهان، أما أن يجعل الانتساب إلى الرجال سنة، فهذه هفوة عظيمة تجاوز الله عنا و عنه.

و قد بلغ التعصب به أن قال:" فيكون أبو حنيفة و مالك و غيرهما على النصف من الشافعي في إجابة الحق، فيتعين لهذا أيضا الانتساب إلى مثل هذا الإمام و احتج بقوله صلى الله عليه و سلم:"رأي رجل من قريش مثل رأي رجلين."

قلتُ: الحديث ورد بلفظ: "قوة رجل من قريش"، قال الهيثمي في" مجمع الزوائد"{195/5}:رواه الطبراني في الكبير عن عبد الله بن حنطب، و فيه من لم أعرفه"

هناك عشرات النصوص تخالف هذا الحديث، خاصة إذا قصدوا بالقوة قوة الرأي، و الحديث فيه "لا تعلموا قريش"، ولا يزال الأنصار يعلمون قريشا، فعلَّم أبي بن كعب و زيد بن ثابت عمر و ابن عباس و معاوية كما هو ثابت، وغير ذلك .

فالاحتجاج به أن علم مالك و أبي حنيفة، على النصف من علم الشافعي يكذبه الواقع و العقل، بل هو سفاهة لا تحتاج إلى الخوض فيها.

قلت: ألم يعلم السمعاني أن النبي صلى الله عليه و سلم أمر باتباع الكتاب و السنة و الخفاء الراشدين فقط للمقارنة ؟

و الشافعي لم يقل هذا الكلام، بل كان يقول عكسه، و يأمر باتباع الدليل و الأثر، ولا يأمر باتباع قريش أو غطفان:

قال الشافعي:"إذا جاء الأثر كان مالك النجم"{حلية الأولياء}{318/6}.

وقال:"لولا مالك و سفيان لذهب علم الحجاز".

وقال:"إذا جاء الحديث عن مالك فأشدد يديك به"

وقال للإمام احمد:" أنتم أعلم بالأخبار الصحاح منا"،ومالك أصبحي من اليمن أصلا ومديني مولدا ،والإمام أحمد من بني شيبان من بكر.

فإن قال بعض الشافعية : يقصد أحاديث العراق.

قلنا: هو اعلم منه بأحاديث الكرة الأرضية، فقابل بين المسندين تفهم.

ملاحظة: لا يفهم بعضهم أني ضد هذا الإمام أو مع ذاك، كلهم ساداتنا في العلم و

العمل، فأنا لستُ من أنصار التمذهب،لا على أصولهم مفردة، ولا على فروعهم مفردة ، و أحسن المذاهب عندي مجملا[حكم تقديري] تنظيما للمسائل الفقهية و بحثاً مذهب الحنفية لو كنتُ سأتمذهبُ.

لقد أفسد السمعاني بعض كتابه " قواطع الأدلة " بمثل هذه الأقوال الضعيفة ،وهو بهذا القول يدخل في كتاب البيهقي" بيان من أخطأ على الشافعي" و إن كان البيهقي متعصبا[للشافعي] بطريقة أخرى .

و قد عرف الناس أن أعلم الناس في المدينة المنورة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم و الخلفاء: زيد بن ثابت، وفي التابعين: سعيد بن المسيب، و في تابعيهم: الإمام مالك.

و قد صح عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه قال:" أَرْحَمُ أُمَّتِي بِأُمَّتِي أَبُو بَكْرٍ وَأَشَدُّهُمْ فِي أَمْرِ اللَّهِ عُمَرُ وَأَصْدَقُهُمْ حَيَاءً عُثْمَانُ وَأَعْلَمُهُمْ بِالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ وَأَفْرَضُهُمْ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ وَأَقْرَؤُهُمْ أُبَيٌّ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينٌ وَأَمِينُ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ " صحيح رواه الترمذي في" المناقب"{3791}، و النسائي في"الكبرى"{8242} و ابن ماجة في" المقدمة"{154}.

و جاء في معاذ الحديث بأنه:" مُعَاذُ بن جَبَلٍ أَمَامَ الْعُلَمَاءِ بِرَتْوَةٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ" أي:خطوة أو منزلة،قال الهيثمي في" مجمع الزوائد":"رواه الطبراني مرسلا، وفيه محمد بن عبد الله بن أزهر الأنصاري، ولم أعرفه، وبقية رجاله رجال الصحيح"

قال الألباني ~ رحمه الله ~ في"الصحيحة"{3/82}:"و بالجملة فالحديث بمجموع هذه الطرق صحيح بلا شك و لا يرتاب في ذلك من له معرفة بهذا العلم الشريف و يؤيده اشتهاره عند السلف".

و معاذ بن جبل أنصاري،بل لقد قال في عمر ~ رضي الله عنه ~ ما لم يقله في احد من الأمة، و اخبر انه محدث، و أن السكينة تنطق على لسانه، ومع ذلك رد الصحابة على عمر ولم يقلدوه، وهو بدون أدنى شك أعلم من الشافعي بكثير و كثير .

ذم التعصب ورداءة عقل المتعصب:

لقد تكلم الأئمة الأعلام من كل المذاهب السنية في التعصب و حذروا الأمة منه و بينوا خطورته، فهذه بعض نقولهم تقود الأمة نحو التقدم العلمي و الائتلاف و الاجتماع وتجديد دينها، على المنصف النظر فيها و العمل بموجبها.

قال القنوجي في"أبجد العلوم"{362/1}:"واهم ما يحصل لك أن يكون متعصب في شيء من هذه الشريعة فلا تمحق بركتها بالتعصب لعالم من علماء الإسلام بأن تجعل رأيه و اجتهاده حجة عليك وعلى سائر العباد، فإنه و إن فضلك بنوع من العلم و فاق عليك بمدرك من الفهم، فهو لم يخرج بذلك عن كونه محكوما عليه متعبدا بما أنت متعبد به، بل الواجب عليك أن تعترف له بالسبق وعلو الدرجة اللائقة به في العلم معتقدا أن ذلك هو الذي لا يجب عليه غيره ولا يلزمه سواه و ليس لك أن تعتقد أن صوابه صواب لك أو خطأه خطأ عليك".

فالعامة بين متعصب للتقليد لا يميز القريب عن البعيد و مذبذب حائر في الحق السديد.

قال ولي الله الدهلوي في" الإنصاف"{68/1}:" اعلم أن الناس كانوا في المائة الأولى غير مجمعين على التقليد لمذهب واحد بعينه، قال أبو طالب المكي في"قوت القلوب":" إن الكتب و المجموعات محدثة و القول بمقالات الناس و الفتيا بمذهب الواحد من الناس و اتخاذ قوله و الحكاية له في كل شيء و التفقه على مذهبه لم يكن الناس قديما على ذلك في القرنين الأول و الثاني".

قال الصنعاني في"إرشاد النقاد"{55/1}:" لا يصير أحد القولين أرجح من الآخر عقلا وشرعا فإن الديار و الانتساب و الاعتزاء إلى أي عالم من علماء الأمة لا يصير به أحد القائلين محقا و الآخر مبطلا ضرورة عقلية و شرعية أن الأوطان لا أثر لها في ترجيح الأديان و أن الانتساب و الاعتزاء إلى أي عالم من علماء الأمة لا يصير كلام من انتسب إليه حقا وكلام من لم ينسب إليه باطلا."

قال ابن القيم في" إعلام الموقعين"{262/4}:" ولم يوجب الله ورسوله على احد من الناس أن يتمذهب بمذهب رجل من الأمة فيقلده دينه دون غيره، وقد انطوت القرون الفاضلة مبرأة أهلها من هذه النسبة، بل لا يصح للعامي مذهب، ولو تمذهب به، فالعامي لا مذهب له لأن المذهب إنما يكون لمن له نوع نظر و استدلال، و يكون بصيرا بالمذاهب على الأقل، وقرا كتابا في فروع ذلك المذهب وعرف فتاوي إمامه و أقواله، و أما من لم يتأهل لذلك البتة، بل قال: أنا شافعي أو حنبلي أو غير ذلك، لم يصر كذلك بمجرد القول، كما لو قال: أنا فقيه أو نحوي أو كاتب لم يصر كذلك بمجرد قوله.

يوضحه أن القائل: إنه شافعي أو مالكي أو حنفي يزعم أنه متبع لذلك الإمام سالك

طريقه، و هذا إنما يصح له إذا سلك سبيله في العلم و المعرفة و الاستدلال، فأما مع جهله و بعده حدا عن سيرة الإمام و علمه و طريقه فكيف يصح له الانتساب إليه، إلا بالدعوى المجردة و القول الفارغ من كل معنى، و العامي لا يتصور أن يصح له مذهب، ولو تصور ذلك لم يلزمه و لا غيره، ولا يلزم أحدا قط أن يتمذهب بمذهب رجل من الأمة بحيث يأخذ أقواله كلها و يدع أقوال غيره، وهذه بدعة قبيحة حدثت في الأمة لم يقل بها أحد من أئمة الإسلام، وهم أعلى رتبة و أجل قدرا و أعلم بالله و رسوله من أن يلزموا الناس بذلك، و أبعد منه قول من قال: يلزمه أن يتمذهب بمذهب عالم من العلماء، و أبعد منه قول من قال يلزمه أن يتمذهب بأحد أئمة الأربعة.

فيا للعجب ماتت مذاهب أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم و مذاهب التابعين و تابعيهم و سائر أئمة الإسلام و بطلت جملة إلا مذاهب أربعة أنفس فقط من بين سائر الأمة و الفقهاء و هل قال ذلك أحد من الأئمة أو دعا إليه أو دلت عليه لفظة واحدة من كلامه عليه؟.

و الذي أوجبه الله تعالى و رسوله على الصحابة و التابعين و تابعيهم هو الذي أوجبه على من بعدهم إلى يوم القيامة".

قلت: معنى العبارة الأخيرة أن ما لم يكن دينا عند الصحابة و التابعين لا يصير اليوم دينا.

و كلام ابن القيم لا يعني عدم المذاهب الإسلامية، فإن العامي لا يمكنه إلا التقليد،ولكن كلامه هذا موجه إلى من جعل نفسه من أهل العلم ، وقد تمكن من آلة العلم و يمكنه الاختيار و الترجيح، ولكنه يلزم نفسه عدم الخروج عن مذهبه، كما يلزم المسلم نفسه عدم الخروج على الإسلام، هذا هو البدعة المذمومة التي لا يصح عليها دليل.

فليس الإشكال في تقليد إمام من الأئمة من طرف بعض الفقهاء، فإن غالبية من لم يشتغل بالحديث رواية ودراية عاجز عن تلقي جميع الأحكام الشرعية من جهة الرسول،فلا يعرف ما جاء به الرسول إثباتا و فهما، فيجعل نصوص إمامه بمنزلة نص الرسول و يقلده، ولكن الإشكال في جعله ما عجز عنه هو الطريقة المثلى و التحقيق العلمي،فإذا رأى أئمة الحديث لا يلتزمون بقول معين، وعمدتهم في الأدلة النصوص عابهم و ذمهم و شتمهم و ادعى أنهم جهال و أنهم يعادون العقليات و النظريات،وغير ذلك.

فهؤلاء لما أعيتهم الأخبار ردوها و أهملوها و ألزموا الأمة بتقليد إمام معين يواليه و ينصره و يعادي من يخالفه، فهم من الذين قال فيهم الله تعالى:{ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ}"الأنعام"

فإذا تفقهنا أو تأدبنا بطريقة رجل من المؤمنين مثل الأئمة و المشايخ فليس لنا أن نجعل قدوتنا و أصحابنا هم المعيار و الميزان، فنوالي من وافقهم و نعادي من خالفهم، فينبغي للمسلم العاقل أن يعود نفسه التفقه الباطني في قلبه و العمل به، فللقلوب فقه كما للجوارح فقه، وفقه القلوب:التوكل على الله و سلامة السر للمؤمنين، وترك البغي و الظلم و غيرها، فإن طهارة القلب و إقباله على ما ينفعه باطنا و ظاهرا زاجرا له على مجاوزة الحد، فعلى المسلم أن يتكلم بعلم وعدل، و إلا فلا يلزم إلا نفسه، فليس له أن يدعو إلى مقالة أو يعتقدها لكونها قول أصحابه إلا إذا علم أنها مما أمر الله به و رسوله، ولأجل أنها مما أمر الله به و رسوله، فهذه هي الطاعة، وهذا هو تجريد الاتباع من الأهواء و الشهوات، فعلى الكيس أن يفرق بين اعتقاد الرجحان و رجحان الاعتقاد، وذلك بصلاح قلبه و فقه علوم السلف في مداواة القلوب، فإن للاعتقادات سطوة على القلوب قد لا يتفطن لها أكثر الناس، فيعتقدون رجحان مسألة فيرجحونها من غير علم ولا هدى و لا كتاب منير.ابن تيمية بتصرف.

قال الشوكاني في" السيل الجرار"{14/1}:" و ما أحسن ما قاله الزركشي في"البحر" عن المزني فإنه قال:" يقال لمن حكم بالتقليد هل لك حجة؟ فإن قال : نعم ، أبطل التقليد لأن الحجة أوجبت ذلك عنده لا التقليد.

و إن قال بغير علم، قيل له: فلم أرقت الدماء و أبحت الفروج و الأموال و قد حرم الله ذلك إلا بحجة؟

فإن قال: أنا أعلم أني أصبت و إن لم أعرف الحجة لأن معلمي من كبار العلماء.

قيل له: رحمة معلم معلمك أولى من رحمة معلمك، لأنه لا يقول إلا بحجة خفيت عن معلمك، كما لم يقل معلمك إلا بحجة خفيت عليك؟

فإن قال: نعم ترك رحمة معلمه إلى رحمة معلم معلمه و كذلك حتى ينتهي إلى العالم من الصحابة.

فإن أبى ذلك نقض قوله وقيل له: كيف يجوز رحمة من هو أصغر و أقل علما ولا

يجوز رحمة من هو أكبر و أكثر علما؟"
قلتُ: ما الفائدة من التعليم الشرعي ؟ فهم الشريعة أم فهم كلام إمام المذهب؟
كلمة عن البيهقي و الطحاوي:
قال ابن تيمية في " المجموع"24/154 : ((وَإِنْ كَانَ البيهقي رَوَى هَذَا فَهَذَا مِمَّا أُنْكِرَ عَلَيْهِ وَرَآهُ أَهْلُ الْعِلْمِ لَا يَسْتَوْفِي الْآثَارَ الَّتِي لِمُخَالِفِيهِ كَمَا يَسْتَوْفِي الْآثَارَ الَّتِي لَهُ وَأَنَّهُ يَحْتَجُّ بِآثَارٍ لَوْ احْتَجَّ بِهَا مُخَالِفُوهُ لَأَظْهَرَ ضَعْفَهَا وَقَدَحَ فِيهَا وَإِنَّمَا أَوْقَعَهُ فِي هَذَا - مَعَ عِلْمِهِ وَدِينِهِ - مَا أَوْقَعَ أَمْثَالَهُ مِمَّنْ يُرِيدُ أَنْ يَجْعَلَ آثَارَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُوَافِقَةً لِقَوْلِ وَاحِدٍ مِنْ الْعُلَمَاءِ دُونَ آخَرَ. فَمَنْ سَلَكَ هَذِهِ السَّبِيلَ دُحِضَتْ حُجَجُهُ وَظَهَرَ عَلَيْهِ نَوْعٌ مِنْ التَّعَصُّبِ بِغَيْرِ الْحَقِّ كَمَا يَفْعَلُ ذَلِكَ مَنْ يَجْمَعُ الْآثَارَ وَيَتَأَوَّلُهَا فِي كَثِيرٍ مِنْ الْمَوَاضِعِ بِتَأْوِيلَاتٍ يُبَيِّنُ فَسَادَهَا لِتُوَافِقَ الْقَوْلَ الَّذِي يَنْصُرُهُ كَمَا يَفْعَلُهُ صَاحِبُ شَرْحِ الْآثَارِ أَبُو جَعْفَرٍ مَعَ أَنَّهُ يَرْوِي مِنْ الْآثَارِ أَكْثَرَ مِمَّا يَرْوِي البيهقي؛ لَكِنَّ البيهقي يُنَقِّي الْآثَارَ وَيُمَيِّزُ بَيْنَ صَحِيحِهَا وَسَقِيمِهَا أَكْثَرَ مِنْ الطَّحَاوِي.))
قال إمام الحرمين: ما من شافعي المذهب إلى وللشافعي عليه منة إلا أحمد البيهقي فإنه له على الشافعي منة" الوافي بالوفيات"{340/2}.
فقد عرف البيهقي ـ رحمه الله ـ بشدة انتصاره للشافعي حتى ضرب به المثل ، قال الصفدي في رسالته إلى أحد أصدقائه، في"الوافي بالوفيات"{219/1}:" أما أن تجتهد في نصرة مذهب الشافعي رضي الله عنه حتى كأنك البيهقي"
وقد حكي البيهقي عن عبد الله بن أحمد قال:" قال لي الشافعي أنتم أعلم بالأخبار منا فإذا كان خبر صحيح فأخبرني به حتى أذهب إليه قال البيهقي: إنما أراد أحاديث العراق أما أحاديث الحجاز فالشافعي أعلم بها من غيره"
ومعلوم عند أئمة الحديث أن الشافعي وهو إمام الدنيا الذي لا نظير له في العلم لم يكن هو الأعلم بأحاديث الحجاز من غيره،بل قد عرف أهل الشأن أن الإمام احمد أحفظ منه للحديث عراقيا كان أو حجازيا أو شاميا أو يمنيا،بل الإمام مالك و سفيان بن عيينة وغيرهم كانوا أعلم منه بأحاديث أهل الحجاز، ولا يضره ذلك فليست إمامته في الحديث و الفقه و أصوله بل في الدين كله تحتاج إلى إثبات لكن المقصود بيان تعصب البيهقي للشافعي.
ومعلوم أن الطحاوي كان شافعيا ثم انتقل إلى مذهب أبي حنيفة فكان كثير الجمع

للآثار، ولكنه يتعسف أحيانا في تأويلها ليوافق بها قول أبي حنيفة و أصحابه ـ قال مسلمة بن قاسم الأندلسي في "كتاب الصلة": " كان ثقة جليل القدر فقيه البدن عالماً باختلاف العلماء بصيراً بالتصنيف وكان يذهب مذهب أبي حنيفة وكان شديد العصبية فيه، قال: وقال لي أبو بكر محمد بن معاوية بن الأحمر القرشي: دخلت مصر قبل الثلاثمائة وأهل مصر يرمون الطحاوي بأمر عظيم فظيع، يعني: من جهة أمور القضاء، أو من جهة ما قيل: أنه أفتى به أبا الجيش من أمر الخصيان، قال: وكان يذهب مذهب أبي حنيفة لا يرى حقاً في خلافه.

وقال ابن عبد البر في "كتاب العلم": كان الطحاوي من أعلم الناس بسير الكوفيين وأخبارهم وفقههم مع مشاركته في جميع مذاهب الفقهاء قال: وسمع أبو جعفر الطحاوي منشداً ينشد:

إن كنت كاذبة الذي حدثتني ... فعليك إثم أبي حنيفة أو زفر

فقال أبو جعفر: وددت لو أن علي إثمهما وأن لي أجرهما.

وقال الشيخ أبو إسحاق الشيرازي في" طبقات الفقهاء": انتهت إليه رياسة أصحاب أبي حنيفة بمصر.{لسان الميزان :116/1}

ومعلوم الخلاف المنصوب بين الشافعية و الحنفية في عصريهما،فلم يسلم منه الأئمة حتى البيهقي و الطحاوي على جلالة قدرهما في العلم ، و إن كان الطحاوي أكثر جمعا للآثار، لأن البيهقي لم يكن عنده " النسائي" و"الترمذي" و "ابن ماجة"، لكن البيهقي ينقي الآثار، ويميز بين صحيحها وسقيمها أكثر من الطحاوي.

ولذلك قال ـ كما جاء في "لسان الميزان"{116/1}:"قال البيهقي في المعرفة بعد أن ذكر كلاماً للطحاوي في حديث مس الذكر فتعقبه قال: أردت أن أبين خطأه في هذا وسكت عن كثير من أمثال ذلك فبين في كلامه أن علم الحديث لم يكن من صناعته، وإنما أخذ الكلمة بعد الكلمة من أهله ثم لم يحكمها وبالله التوفيق.".

فمن سلك هذه السبيل من العلماء بحيث يوجه الآثار لتعضيد قول إمامه فيتساهل في تصحيح الضعيف لينتصر به، و يتشدد في تضعيف الصحيح ليرد على مخالفه، دحضت حججه وظهر عليه نوع من التعصب بغير الحق.

قال الغزالي في " المنخول " 1/600 : ((المسلك الأول من المسالك الموعودة في تقديم مذهب الشافعي رضي الله عنه على مذهب سائر الناحلين محمد من الأئمة كأبي

حنيفة ومالك ومن عداهم أن الشافعي رضي الله عنه تأخر عنهم وتصرف في مذاهبهم بعد أن .... وصرف الشافعي رضي الله عنه ذهنه إلى انتخاب المذاهب وتقديم الأظهر فالأظهر وأقدم عليه بقريحة وقادة وفطنة منقادة وعقل ثابت ورأي صائب بعد الاستظهار بعلم الأصول والاستمداد من جملة أركان النظر في المعقول والمنقول فيستبان على القطع انه ابعد عن الزلل والخطأ ممن اشتغل بالتمهيد وتشوش الأمر عليه في روم التأسيس التقعيد أبو[أبو حنيفة]، وعلى الجملة إذا قدم مذهب أبي حنيفة على مذهب أبي بكر رضي الله عنه لتأخره وشدة اعتنائه بالنخل فاعتبار التأخير في نسبة الشافعي رضي الله عنه إلى أبي حنيفة رحمه الله ومن قبله أبين وأوضح فان قيل فلو تبين بعده ناحل فعينوا اتباعه إذ جعلتم للتأخير أثرا ظاهرا قلنا هذا ما نعتقده ولا مداجاة في علم الأصول عند استثمار مسالك العقول إلا انه بعد لم يتفق من يساويه في منصب الاجتهاد أو يقرب منه فان قيل فما قولكم في ابن سريج ومن بعده كالقفال وغيره من الأئمة قلنا هؤلاء كثرة تصرفاتهم في مذهب الشافعي رضي الله عنه استنباطا وتخريجا وقلت اختياراتهم ثم لم يستمدوا من علم الأصول وكان الشافعي رضي الله عنه أعرف الخليقة به فلا يقدم مذهبهم على مذهبه)).

قلتُ : التعصب في كلامه ظاهر كظهور ضعف كلامه، يترضى على الشافعي و يترحم أحيانا على غيره !

ضعف هذا الكلام لا يخفى على عاقل، جعل الصحة العلمية صفة ذاتية في التأخر، يعني كل متأخر يجب أن يكون أعلم من المتقدم، لكنه أوقفها من تلقاء نفسه عند الشافعي؟

والشافعي ~ رحمه الله ~ لم يخترع أصول الفقه فقد كانت معروفة من قبله، فتكلم الأئمة كمالك و أبي حنيفة فيها من قبله لكن له فضل تدوينها، لكن مَن من المسلمين توقف عنده؟

إذا كان العلم الشرعي يعتمد على صفتين : الإحاطة بالنصوص ، وقوة الفهم، فقد جاء بعد الأئمة من هو أحفظ للنصوص منهم، ومن عنده قوة فهم لا تقل على فهمهم كمن مثل بهم الغزالي و غيرهم، فلمَ لا يقلدون خاصة في المسائل التي خالفوا فيها أئمة المذاهب؟

فهذا الجمود على أن الحق بكل تلابيبه عند أربع أئمة من أين استمدوه، وقد كانوا في

عصورهم مخالَفين من أئمة لا يقلون عنهم في شيء ؟
و هذا الشافعي نفسه يقول: الليث أعلم من مالك لكن ضيعه أصحابه؟
وكيف نأخذ بقول الغزالي و نطمئن إليه وهو لم يحرر علمه ، وكان ضعيفا في النصوص، شحن كتبه بالضعيف، و أسس نظريات على أحاديث موضوعة؟
لقد نسب الغزالي إلى الشافعي كتاب الرحلة وهو كتاب موضوع لا تصح نسبته للشافعي ، قال الذهبي في "السير"{79/10}:"سمعنا جزءا في رحلة الشافعي، فلم أسق منه شيئا لأنه باطل لمن تأمله وكذلك عزي إليه أقوال وأصول لم تثبت عنه، ورواية ابن عبد الحكم عنه في محاش النساء منكرة، ونصوصه في تواليفه بخلاف ذلك."
قال المعلق على " السير":"وهذا الجزء مروي من طريق عبدالله بن محمد البلوي الكذاب الوضاع، وسامح الله الإمام البيهقي فإنه أورد خبر هذه الرحلة عن طريق البلوي هذا في " مناقب الشافعي " 1 / 130 وما بعدها، ولم ينبه على وضعها، مع أنه لا يخفى عليه بطلانها، فانخدع بصنيعه هذا غير واحد ممن ألف في مناقب الشافعي ممن لا شأن له في تمحيص الروايات وغربلتها من أمثال الجويني والرازي وأبي حامد الطوسي، واعتمدوها بصدد ترجيحهم لمذهب الشافعي.
ولا ينقضي عجبي كيف راجت هذه الفرية على الإمام النووي، وهو من نقدة الأخبار وجهابذة المحدثين، فقال في " المجموع " 1 / 81: وفي رحلته مصنف مشهور مسموع، ونقل منها في " تهذيب الاسماء " 1 / 59 قوله: وبعث أبو يوسف القاضي إلى الشافعي حين خرج من عند هارون الرشيد يقرئه السلام، ويقول: صنف الكتب فإنك أولى من يصنف في هذا الزمان.
أما الحافظ ابن حجر، فقد قال في " توالي التأسيس " ص 71: وأما الرحلة المنسوبة إلى الشافعي المروية من طريق عبدالله بن محمد البلوي فقد أخرجها الآبري والبيهقي، وغيرهما، مطولة ومختصرة، وساقها الفخر الرازي في " مناقب الشافعي " - ص 23 - بغير إسناد معتمدا عليها، وهي مكذوبة، وغالب ما فيها موضوع، وبعضها ملفق من روايات ملفقة، وأوضح ما فيها من الكذب قوله فيها: إن أبا يوسف ومحمد بن الحسن حرضا الرشيد على قتل الشافعي، وهذا باطل من وجهين: أحدهما: أن أبا يوسف لما دخل الشافعي بغداد كان مات ولم يجتمع به الشافعي.

والثاني: أنهما كانا أتقى لله من أن يسعيا في قتل رجل مسلم، لا سيما وقد اشتهر بالعلم وليس له إليهما ذنب إلا الحسد له على ما آتاه الله من العلم.
هذا ما لا يظن بهما، وإن منصبهما وجلالتهما وما اشتهر من دينهما ليصد عن ذلك والذي تحرر لنا بالطرق الصحيحة أن قدوم الشافعي بغداد أول ما قدم كان سنة أربع وثمانين، وكان أبو يوسف قد مات قبل ذلك بسنتين، وأنه لقي محمد ابن الحسن في تلك القدمة، وكان يعرفه قبل ذلك من الحجاز وأخذ عنه ولازمه."
قلت: فهذا أمر انطلى على الآبري و البيهقي و الجويني و الغزالي و الرازي و النووي مع مكانة بعضهم في باب الحديث و الأخبار؟
و المقصود أن الاجتهاد يقوم على صفتين ، لا على واحدة: قوة الاستنباط و الإحاطة ، فمن فاته النص،أو لم يوثق الخبر لم تنفعه قوة الاستنباط .
بالنسبة للغزالي ~ رحمه الله ~ مذهب الشافعي أفضل من المذهب الذي فضَّلته الحنفية على مذهب أبي بكر ـ رضي الله عنه ،لأن الشافعي نخل علم من سبقه كما نخل أبو حنيفة علم من سبقه ؟!
يريد الغزالي أن يقول: إن الحنفية يفضلون مذهب أبي حنيفة على مذهب أبي بكر الصديق لان أبا حنيفة نخل علم أبي بكر الصديق ،و أن الشافعية يفضلون مذهب الشافعي على مذهب أبي حنيفة، لأن الشافعي نخل مذهب أبي حنيفة ولو تتبعنا هذا الاستدلال إلى نهايته لأمكن القول : آخر المسلمين على الأرض قبل قيام الساعة بدقيقة مذهبه أفضل المذاهب لأنه نخل علم من سبقه ، ويعود العلم على نفسه أصلا واحدا هو النخل؟!
ولو توقفنا عند دليل الغزالي للزم عنه وجوب اتباع مذهب الإمام أحمد فقد نخل مذهب من سبقه، و تفوق عليهم في الحفظ و معرفة الآثار؟
ونحن ليس يهمنا التفضيل بين المذاهب فإن المقارنين يستضعفون بغير حجة ، ويتجاوزن القصد ، والذي ينصف من المتمذهبين غير موجود في الدنيا الآن أو هو أعز من الكبريت الأحمر ، ولكن ألم يكن الأجدر به أن يتعصب لأبي بكر، ويبين للأمة جنوح هذا الكلام عن الصراط السوي ، وأنه هراء و خطل في العقل يعمي صاحبه ويفسد دينه وعقيدته.[الكلام هنا لحسن هيتو]
فكيف يجسر مسلم أن يفضل أحد المسلمين على صغار الصحابة في العلم، أو العبادة

بله أن يقدح في علم وفهم من اتفقت الأمة على أنه أفضل المسلمين بعد النبي صلى الله عليه و سلم ؟

إن المقدمة التي بنوا عليها هذا الخطل فاسدة لأنه لا يصح أن نقول : إن لأبي بكر مذهبا في الإسلام ، لان مذهبه ومذهب الصحابة سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم يدورون معها أين دارت، وهكذا يجب أن نكون نفهم السنة بمعرفة أقوال الصحابة .

لما سأل معاوية عبد الله بن العباس أهو على ملة عثمان أم على ملة علي، أجابه:أنا على ملة رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما حكي.

في الأخير: أمثلة التعصب موجودة في كل المذاهب، وعند الحنابلة قدر لا يُستهان به ذكرته في رسالتي " تشدد الحنابلة" [حتى لا يقال قد استثناهم]

وهذا التعصب كما ترى من كبارهم، فماذا نقول عن صغارهم وعن عوامهم؟

لابد من إعادة النظر في شروط التقليد وصفات المقلد فإنه في زمن الصحابة وزمن التابعين و تابعيهم لم يكن كل الناس على قدر من العلم يسمح لهم بالاجتهاد، فهذا محال، فكان غالبيتهم عواما ومع ذلك لم يحتاجوا للتمذهب؛ و الذين التقوا بالإمام مالك و صحبوه كثر،ومع ذلك لم ير كلهم أن يقلده ~ وهذا سنعرفه في مقال" الاختلاف عن مالك" ~ فما هي الأسباب إذاً؟

بدون تجديد النظر في هذه القضية لن نخرج من هذه الحفرة، فبمجرد قبول تمذهب العلماء فقد أسَّسنا للتعصب ،و الله اعلم.

و الحمد لله و الصلاة و السلام على رسول الله.

في أحشاء التمذهب..؟

الحمد لله وحده، و الصلاة و السلام على من لا نبيَّ بعده.

مسألة التمذهب مسألة مركَّبة من عدَّة مسائل،بعض الأفاضل يتكلَّم عنها كواقع تاريخي أفرزته ظروف معيَّنة، مع الوقت سمح للمجتمعات الإسلامية بالاستقرار، و يدخل في ذلك ما قد يحدث ~ وهو ليس بلازم ~ من فوضى و جرأة على الفتوى في حال زلزلت أركانه[هذه فكرة كنت أعتقدها و تخليثُ عنها]؟

و بعضهم ينظر للتمذهب الأصولي كإجراء يتبعه العالم لتنظيم نظره،لكن يغطي به على التمذهب الفروعي، كأنه يوجد مانع شرعي أو عقلي يمنع التشكيل من أصول

الأئمة ترتيباً الذي يسمونه "التلفيق" كان أصول الأئمة آيات قرآنية لا يجوز تشكيلها " المزج"مع بعضها بعضاً،وهذا من الحدود الوهمية التي أنشأها الخلاف و التعصب المذهبي، وما إلى ذلك؟

وبعضهم يرى في الدرس الفقهي المذهبي طريقة مثلى في تخريج الفقهاء ، خاصة و أن المبتدئ يحتاج إلى أخذ المقدمات مسلمة يعني: تقليداً؟

و بعضهم يرى أن في التمذهب مصلحة توحيد الفتوى في البلد ذي المرجعية المذهبية الواحدة؟

وأنا لا أنكر هذه الاعتبارات فهي آراء قابلة للنقاش ، لا شك لها وجه عند أصحابها، لكنها لم تكن من موضوعات مقالاتي،فموضوع مقالاتي حقيقة واحدة هي:" فكرة التمذهب في ذاتها، و صيرورتها" كما سيأتي إعادة توضيح لها، و إذا أثيرت هذه اللواحق فلنناقشها بسرعة:

1 ـ قد يرى شيخ سلفي أو غير سلفي، غير متعصب لمذهبه في اعتماد تدريس الفقه المذهبي فائدة ما كالتدرج و الإحاطة؟ أو أن ذلك مفيد لدعوته؟

فيما يخصني لم أجد في هذا الفقه ~ دراسة و مطالعة ~ مع أني التقيت بمتمكنين منه ما يستهويني، فقد كان يعيش في بلدتنا شيخ مالكي في فترة لو قلتُ: كان عدد الشباب الملتزم فيها لا يتجاوز عشرين فردا، المتعلم منهم النصف لم أخطئ ؛ المهم كان هذا الشيخ مهملا، فلم يكن هناك إقبال على العلم حتى من أئمة المساجد في تلك الفترة، كانت الثقافة فرنسية/إسبانية سائدة بقوة، و فكر الشباب ملخصه النشوى و الهوى، أذكر أن طاعنا في السن رآني أخرج من المسجد فقال لي: ماذا تصنع، لا تعد حتى تبلغ الأربعين؟ !

على كل لم يكن يدخل المساجد آنذاك إلا الشيوخ.

و لأنه كان ضعيفا اجتماعيا كلفوه تحفيظ القرآن للصبية، فكان يدرس الفقه المالكي في إحدى الزوايا، و لأن ابنه كان صديقي كنتُ أدخل بيته كثيرا و أحيانا أبيتُ عندهم، و اليوم عندما أتذكره أعرف انه كان نابغة في استظهار فقه مالك المتأخر،لأنهم لم يكونوا على دراية بالأئمة الأقدم من الشيخ خليل؟

على كل جالسته كثيرا، و اتفق أنه في تلك الفترة بدأت أقرأ في الفتاوى المصرية لشيخ الإسلام ابن تيمية فهجرته تماماً ~ رحمه الله ~ و بان لي فرق شاسع بين

الفقهين، فالقضية ليست قضية فقه وحده، بل قضية دين شامل، ومنهج شامل يُطرد في كل العلوم،و كذلك قضية فهم يتشوف إليه بعض الناس دون بعضهم الآخر ، قد تكون متمذهبا لكنك متى عرفت مصلحة نفسك، و صدقت معها تدرك لأول وهلة أنك لن تجد الفهم الدقيق في أي كتاب.

المهم لم أجد ما يستهويني في الفقه المذهبي لا كمنظومة فقهية، ولا كإجراء تعليمي مؤقت، فبدلا من الاشتغال على فقه السنة الذي شأنه أعظم، ينشغل الطالب بتتبع كلام رجل لم نؤمر باتباعه غاية ما في الأمر انه يجوز تقليده، فلا يقوم لك فقه يمكن أن تناظر به مخالفا إلا أن تتثبَّت من أقواله المكتوبة، ومن التي أملاها على تلاميذه، و من التي نقلت عنه بشتى الطرق،ثم عليك بالبحث عن دلالة قوله من تفسير النقلة له، و استخراج مفهوم قوله ،سواء الذي للموافقة أو الذي للمخالفة ، و تتبع أفعاله ،و سكتاته ، و قياس القول، ولا زم القول ، و أين توقف، و أين عاد ... الخ

و الأولى أن تفعل هذا مع صاحب الرسالة؛ و إن قالوا: قد كفاك الأئمة هذا الباب؟

قلتُ: لم تثبت العصمة لإمام المذهب فكيف لمن جاء بعده، و مجرد الاطلاع على هذه القضية مضيعة للعمر فيما نفعه قليل، فقد عقَّدوا الفقه بما لا طائل تحته.

و لحد الآن لم أر من متخرجي التعليم الفقهي المذهبي فهماً يُبهر، أو ملكة ما في عقيدة أو أصول فقه ،و الفقه في الحقيقة هو ملكة الفهم لا الإحاطة و الإحصاء، و هذا يشبه من بعض الأوجه من اعتنى بعلوم القرآن و أحكام قراءاته، و في العقيدة جعله خلف ظهره.

لذا لا أظن أنه سيحل مشكلا، أو يخرج فقيهاً عنده فهم متميز، فالمشكل بالنسبة لي في مناهج التعليم و طرق التحصيل أعمق بكثير من أن يحلها الدرس المذهبي، الخلل في البينة المعرفية المعاصرة.

أظن أن الفقه المذهبي استنفذ نفسه،لا يمكن إنعاشه ، تبقى الوسيلة الوحيدة العملية لإصلاحه هي التمذهب الأصولي .

عندما تقرأ لابن تيمية و ابن حزم و الشوكاني و غيرهم، ممن هو من هذه الطينة، تتعلم الفهم و تحصل ملكة النظر و الترجيح، لا تحتاج أن تحيط بكل المسائل و تفريعاتها النظرية المتكلفة في الفقه المذهبي، فعند هؤلاء أهم ما تحتاج إليه، هو أن تتعلم منهجية دراسة الموضوع الفقهي، لا الإحاطة بمسائل الأحكام.

لو فرضنا صحة هذه المصلحة في الدرس الفقهي المذهبي فان معها مفاسد كثيرة تذوب فيها هذه المصلحة.
فقهاء الفقه المذهبي في هذا العصر إذا جاز تسميتهم بالفقهاء لا يعرفون إلا قول مذهبهم، و أحيانا كثيرة قول المتأخرين فيه، وما عرفوه من أقوال غيرهم يعرفونه مجملا و بالاحتكاك بهم، فليس في الفقه المذهبي إلا التكرار لدفاع مستميت عن نفس ترى في أفوله أفولها، و عن الانتساب لا غير.
لا يمكن لطالب نشأ على الفقه المذهبي أن يسلخ نفسه فيما بعد إلا بشق الأنفس، اللهم إلا إذا كان الشيخ الذي يعلمه يأخذ الاحتياط عند التلقين ، وهذا ممكن ليس ممتنعا ، و إلا بقي متمذهبا مدى حياته.
كون بعض السلفيين لم يفهموا مشاكل التمذهب ،و نظروا إليه نظرة سطحية نقلتهم من تقليد إمام متبوع إلى تقليد شيخ فقيه محدث يجوز تقليده شرعاً، بخلاف ما يُشيعه بعض الناس إلا على رأي لم يقل به إمام من السلف شيء، وكون فقهم أقل من فقهاء المذهبية شيء آخر.
فنحن نعرف أن الشيوخ السلفيين ~ الغالبية~ ليس لهم عناية بالفقه بسبب طغيان الاهتمام بالعقيدة و قضايا أخرى، وقع لهم ما ذكره البزار عن ابن تيمية، لكن عندما يتكلمون فيه يكون كلامهم أفضل من كلام المتمذهبة و أجود،و ليس شرطا في قوة الفهم و جودة الرأي أن يكون في كل المسائل الفقهية.
و أما حاجة طالب العلم الناشئ إلى التنظيم و تلقي المقدمات مسلمة فصحيح لكنه لا يتوقف على المذهب ، ولا على المراجع ، بل على نوع الشيخ الذي يأخذ عنه، فقد يكون متمذهبا متعصبا ، و المقدمات المسلمة تصبح مسلمة إلى يوم أن يموت طالب العلم.
و قد يكون الشيخ متمذهبا منفتحا نوعا ما فلابد أن يذكر شيئا عن المذاهب الأخرى و لو في معرض بيان قوة المذهب، و قد يكون متحررا، فالتسليم هنا ليس تسليماً للمذهب بل التسليم للشيخ فالأمر يدور مع نوع الشيخ.
أنا أفهم أن المذاهب قامت بهيكلة الفقه، ويرى بعض الناس أن هذه الهيكلة تُعين على التحصيل بالتدرج، و الذي يبدو لي من تجربتي المحدودة أن تعلُّم الفقه لا يحتاج لهذا الهيكل، فهو متكلف جدا حتى تحوَّل إلى أحاجي و ألغاز ، يُضيع وقتك في مسالة

واحدة ؟
الذي نحتاج إليه هو قوة التفكير العلمي ما يُسمى بملكة الفهم، و لتحصيلها تحتاج إلى القراءة لمن عنده اطلاع و اسع على النصوص و الآثار، و عنده براعة في تنزيل الأصول مع تسبِيبها.

و لقد جرَّبت المذاهب بنسختها المتأخرة الفروعية هذا الدرس بهيكلها الفقهي و النتيجة ما تراه اليوم، و إذا قيل : إن العلماء المتحررين كابن حزم وابن تيمية و غيرهما استفادوا من هذا الهيكل؟ فأقول: المذاهب في زمنهم كانت أفضل في القوة العلمية ،وهذا أمر لا يملكونه فهو أشبه بأحجية:" من كان الأول: الدجاجة أم البيضة "، ونحن لا نعرف متى بدأت عندهم نزعة الاستقلال، و الذي يدرس عقليتهم يفهم أن الأمر يرجع إليها لا إلى الهيكل المذهبي .

وعلى كلٍ إذا قدَّر الأفاضل تجربة هذا المنهج فلا إشكال ننتظر النتيجة.

لربما يرجع هذا الاختلاف في الاختيار المنهجي الأمثل لدراسة الفقه إلى الاختلاف في منهج النظر بين من يحبذ شرح المتون و النظم العلمي، و من يحبذ كسب مهارة التفكير المنطقي و التحليل الصحيح ، فهذا إشكال يرجع إلى خلفية الشيخ، ما بين إخباري و فروعي و أصولي.

2 ـ سلبيات التحرر ليست منه، بل من أناس لهم أغراض أخرى، و إلا فإن المتحرر الحقيقي لا يزهد في دراسة المذاهب، كما لا يزهد في تتبع أقوال السلف، لكنه يفرق بين دراسة المذاهب و بين التمذهب.

أما مشكلة الانفلات فليست موجودة من اليوم، فالفتوى من الجاهل، و الأخذ بالشاذ كانت من قرون، و قد تكلم عنها الأصوليون، و كذلك الفتوى بالهوى، و إن كنا نفرق بين طبقات المتمذهبين فما آل إليه التمذهب في العصور المتأخرة،وفي هذا العصر من فساد ، و التصاق بخدمة الحكام ، و انفصال تام عن النصوص و أقوال السلف حتى أصبح تديُّناً هو نتيجة حتمية للفكرة نفسها ، فما نشاهده من جرأة على الفتوى، و تخطئة الأئمة ليس مرده التحرر من المذاهب لأن الذين يدعون إلى التحرر من المذاهب لا يدعون إليه بدون ضوابط و قيود مستقرة من قرون.

دعوة التحرر موجهة إلى من يقدر على الترجيح و أهلية المقابلة على شروط فصلها الأئمة من قرون أذكرها لاحقاً، تعرف للأئمة قيمتهم، و استحالة تجاوزهم في الغالب،

لكن أن يكون الاهتمام بأقوال السلف أولا ثم الأئمة فيما بعد؛ و مسألة الظهور و الجمهور غير مسلمة ، نعم هي ممكنة لكن غير لازمة، وخير مثال قضية الطلاق المشهورة.

وعلى هذا يجب أن نفرق بين التمذهب و دراسة المذاهب،فلا اجتهاد حقيقي بدون دراسة المذاهب و ما وصلت إليه، و المقابلة بين جميع الأقوال المعتبرة فيها، فحتى و إن جاز في نظري الخروج عن أقوال الأئمة الأربعة فهو خروج بشروط لا تتوفر في المتجرئين ، لكن كما لا يشترط في المجتهد المطلق الإحاطة بالفروع، لا يشترط في التنقيح و التجديد الإحاطة ، فهناك شروط ذاتية شخصية و شروط خارجية تتعلق بالقول نفسه ، نستعرضها في مكانها.

و قد عاشت الأمة بدون تمذهب،و تستطيع أن تعيش بدونه بل عمليا منذ بداية الصحوة و انتشارها تعيش أجزاء من الأمة بدون تمذهب،التمذهب حاليا يعيش في الكتب و القاعات فقط،أما الناس فيستفتون من شاءوا لان الفتوى عند الناس مبنية على الثقة و المصداقية و ليس كما يظن بعضهم يستطيع الناس تمييز العلم المؤصل من العلم المرسل.

و التمذهب هو الذي أفرز أهل الجرأة و ليس التحرر، وهو الذي أفرز نظرا لضعفه و غياب الإصلاح المذهبي القيادات العلمية الموازية ، فقد بات معلوما لكل مطلع أن الفقه المذهبي مجرد من الآثار، و إن كانت لأصوله آثار معروفة عند العلماء، لكن الناس لا يعلمون هذا .

و صراحة يعجز أكثر طلبة العلم اليوم من الخروج بنتيجة مرضية من الفقه المذهبي، الاختلاف شاسع و القضايا مولدة، و تفريعات متكلفة ينقضي العمر ولا يحتاج إليها.

نعم إذا كان الأمر هو استفتاء مذهب آخر فالأولى الحفاظ على مذهب البلد،وهذا خطا وقعت فيه السلفية، بدلا من معالجة مشاكل التمذهب الأصولية نقلت الناس من تمذهب إلى تمذهب و لذلك ارتفعت أصوات الحفاظ على مرجعية البلد.

و قد كُتبت دراسات كثيرة عن التمذهب، بعضها سطحي و إن كان موسعا، و أغلبها يقترح حلولا لإصلاح المذاهب في نظري حلول نظرية لا يمكن أن تصمد طويلا ،فالقضية قضية منهج علمي شامل، لا يشمل الأحكام فقط، و قد ارتبطت المذاهب الفقهية في الغالب ارتباطا كليا بالمذاهب الكلامية عن طريق عقيدة الفقهاء ، و ما دخل

عليهم في أصول الفقه .
3 ـ ما يقوله المتمذهبون و المترددون في الحل شيء، وما هو عليه واقع المذهبية شيء آخر، و قد يدفع بعضهم بأن الحق لا يعدو هذه المذاهب في الغالب، و أن نصوص الأحكام محصورة العدد ، لا تفي بالحوادث و المستجدات حتى ندعو إلى العودة المباشرة إلى النصوص، و قد كفتنا المذاهب مئونة ذلك ؟
فأقول: هذا الكلام غير صحيح بالمرة، لأن المذاهب ليست مذهبا واحداً، وهي ليست مختلفة في التعامل مع أصول الاستنباط ترتيبا فقط، بل مختلفة في ترجيح الأحكام، فهذا يحكم بالحل و الآخر بالحرمة، و هكذا، مما يعني أن الحق ليس واحداً فيها ، و إذا كانت مختلفة فإما نقول ~ مع افتراض أن الحق لا يخرج عنها ~ : الحق في واحد منها غير معين، وهو كأن لم يكن، و إما نقول: كلها صحيحة و نصوب الجميع لا بمعنى الاجتهاد و لكن الحكم ،وهذا ما انتهت اليه ، وهذا سفسطة تشبه قول الزنادقة : الحقائق تتبع العقائد.
و المشكل لم يكن في عدد نصوص الأحكام ولن يكون، هذا يقوله من يعتبر النصوص لا تفي بالمستجدات،و سواء قلنا : النصوص تستوفي الحوادث بالعموم أو بالقياس ليس هذا المشكل، المشكل أن الإشكال في التمذهب أنه يتجاوز النصوص مع وجودها، و بدلا من العناية بصاحب الشريعة يعتنون بصاحب المذهب فيأخذون أقواله مسلمة.
4 ـ وكل هذا ليس غرضي، غرضي حصر الكلام في الفكرة في حد ذاتها ،و صيرورتها الحتمية، فالتمذهب كفكرة نشأ عن عجز شخصي من بعض العلماء، إما هو عجز علمي أو عجز نفسي سببه الافتتان بالشخصية، فإن كثيرا من الذين صحبوا الإمام مالكا ~ مثلا ~ و أخذوا عنه لم يتمذهبوا بمذهبه، و تمذهب به آخرون، فلابد من وجود أسباب موضوعية.
الذي أسعى إليه في هذه المقالات عن التمذهب ~ بدون إهمال هذه الجوانب مع الحرص قدر الإمكان على الابتعاد عن التقدير النظري للسلبيات و الايجابيات ~ هو الكلام عن فكرة التمذهب نفسها، بمعزل عن كل اللواحق، الفكرة في النفس وفي العقل.
لذا أقول: فكرة التمذهب تحمل في نفسها التقليد و التعصب كما تحمل البذرة في

جيناتها الشجرة، لا يمكنها بأي حال من الأحوال إلا أن تلد التقليد و التعصب.
فالتقليد و التعصب ليسا من لواحق التمذهب السلبية ،بل هما جزء لا يتجزأ منه،أعني: ليس التعصب و التقليد فهم سيء للتمذهب، أو مشكلة سلوكية أخلاقية بل هما التمذهب نفسه، لأن التمذهب في أعلى درجاته الذي هو التمذهب الأصولي لا وجود له في المذاهب بعد طبقاتها الأولى، عجزت المذاهب حتى عن إفراز مجتهد في المذهب، و أصبح الغالبية من علماء المذهبية فروعيين يقلدون بدون معرفة أصول الإمام.
قد يختلف الناس في تقدير الأمور التراثية التي تحتاج إلى تنقيح بحسب وقوفهم على الإشكالات، فالأمر يتوقَّف على سعة الاطلاع وعلى قيمته و عمقه.
وقد يختلفون في نفس الموجب لذلك بحسب موقفهم من التمذهب و الاجتهاد ،
فالمذهبي لا يرى حاجة لذلك فقد سبق و أغلق على نفسه دخل مذهبٍ، من خلاله يرى الإسلام برمته،وقد اقتنع بصوابية مذهبه و كماله، ولو كان قد لمس حاجة إلى التنقيح أو التحقيق لكان لمسها في مذهبه؟
فالراضي عن مذهبه من أين له أن يبصر إشكالات في فقهه ؟
فعليه أولا أن يتخلَّص من عصبيته لمذهبه، وكل متمذهب متعصب لمذهبه شاء أم أبى إلا من تلقوا أصولا سلفية في ذم التقليد الأعمى و التعصب و غير ذلك يتخذون التمذهب وسيلة لدراسة الفقه، أو لتنظيم الحياة العلمية و غير ذلك من أسباب.
فكرة التمذهب نفسها فكرة تعصب، قد تختلف درجات التعصب لكنها موجودة في عمق نظرته العلمية و ستأتي أمثله، وهي التي تُغذي التعصب النفسي، لأنه لا يتمذهب إلا إن اعتقد الحق في مذهبه وحده، فإن ظن أن الحقيقة تتعدَّد في نفسها فالتعصب لمذهبه سيكون أشد إذ احتمال أن يكون على خطأ استبعد نهائياً.
لذلك نجد كبار أئمة المذاهب كالمزني و ابن سريج ~مثلا ~ في الشافعية،و أبي يوسف و محمد بن الحسن في الحنفية، و أصحاب مالك المدنيين و بعض المصريين و ابن عبد البر في المالكية و غيرهم يخالفون صاحب المذهب في كثير من المسائل، يعجبون بقوة استنباطه و فهمه لكنهم لا يقلدونه في كل آرائه.
ومهما كان لا يمكن للمتمذهب أن يعي اختياراته إذ الدافع إليها الانتساب فقط و ليس طرائق الاستنباط كما يريدون ايهام الناس،إذ طرائق الاستنباط مشتركة بين الأئمة،قد يختلفون في ترتيب بعض القواعد الفرعية أما الأصول فمشتركة بينهم تقريبا ،لا يبلغ

الاختلاف حولها درجة كبيرة، فأن تكون واعيا باختياراتك هو أن تستعرض جميع الأقوال بعاطفة متساوية، وإلا خضعتَ لسطوة اعتقاد الرجحان شئت أم أبيت.
ألا ترى كيف يجر الأصولي قواعد الأصول إلى مذهبه، وكذلك اللغوي ،إذاً التمذهب ليس مجرد انتساب بل هو عقيدة في النفس تستبطن الصوابية و التفوق، فتأثير المشاكلة و المجانسة عميق في النفس البشرية لذلك نجد الأعمى يتعصب للأعمى، و صاحب الحرفة لصاحب حرفته،و الغريب للغريب، و المرأة للمرأة، فكيف بالديانات و الملل و المذاهب؟
و المذاهب تلقن فقهها للأتباع لا تعلمهم الفقه، لذا تحمل التعصب كبذرة فيها.
ثم عليه أن يكتسب منهجا بحثيا يتيح له نظرة كلية شاملة تزوِّده بآلية المقارنة و المقابلة، و أول مقدمة في هذا المنهج أن يعرف تاريخ نشوئه و أسباب النشوء.
وهل الحقيقة العلمية قابلة للإدراك، في متناول عقولنا، ليست مستحيلة، و أن الأخطاء العلمية قابلة للملاحظة، يمكن الوقوف عليها، أم يجب أن ننتهي إلى تصحيح جميع الأقوال، وهذا لا يكون إلا إذا زعمنا تكافؤ الأدلة، فيصير التقليد مقدماً على الاجتهاد و يصبح هو التدين؟

هل يمكننا التمييز بين الشرع المنزل و الشرع المؤول و الشرع المبدل، من خلال القبض على الموضوع في مجموع نصوصه، الذي يظهر عند جمع أجزائه ،فأمام المتأخر كل وسائل المقارنة و استخراج المقاصد و العلل ؟
مجرد أن يتعنت المتذهب فيجعل الاختلاف في موارد الاجتهاد سائغا للمجتهد و للمقلد معاً مع اختلاف شروط المجتهد و ظروفه، وشروط المقلد و ظروفه فقد غرق في التعصب ،إذ أعذار الإمام قائمة معروفة يمكن إحصاؤها بخلاف المقلد ، و لهذا تجدهم ينكرون الإنكار و التخطئة في موارد الاجتهاد، هذا إذا صح أن المسألة من موارد الاجتهاد،كمن جعل باب الحيل من موارد الاجتهاد و تحريمها قطعي؟
لقد خطأ النبي صلى الله عليه و سلم أبا السنابل في فتوى فقال: " كذب أبو السنابل" و الأرجح أنها بمعنى أخطأ،وهي بدون شك من موارد الاجتهاد فقد كان يفتي بها علي بن أبي طالب و ابن عباس ~ رضي الله عنهم ~ ، فإن قيل : لا اجتهاد في حضور النبي صلى الله عليه و سلم؟

قلنا: نعم، في حضوره الفعلي، فمعنى الحضور قد يعني الحياة و قد يعني الحضور الجسدي،و قد كان الصحابة يفتون في غيبة النبي صلى الله عليه و سلم كما فعل عمار، وفعل عمرو بن العاص و عمر بن الخطاب و غيرهم يجتهدون رأيهم في غيابه عنهم و إذا لقوه سألوه .

فإما التعصب ،و إما كما صاروا إليه في هذا العصر: التعايش التلفيقي على أساس أن التمذهب جائز، و أكثر المسائل ظنية من موراد الاجتهاد فالخلاف حولها سائغ، كل واحد يفعل بحسب مذهبه؟

يعني: تصبح الحقيقة العلمية متعددة، نسبية، و الكل مصيب، ومعلوم أن هذا من السفسطة التي تقوم عليها الزندقة الفلسفية التي تعتبر الحقائق تتبع العقائد.

فالإشكال في الفكرة نفسها إذ من شرط أي نوع من أنواع التمذهب الالتزام، فما معنى تمذهب إلا التزم قول إمام معين، ولا التزام بدون ملتزم ،و ليس هذا إلا صورة أخرى من التقليد وحكم التقليد معلوم و نتيجته معلومة.

كذلك هذه الفكرة الجديدة/ القديمة عند المتمذهبين، المتمثلة في "عدم الإنكار في الخلاف السائغ" مشكلة عويصة فكوني لا أنكر الإفتاء الذي أراه خاطئا لا يعني عدم إنكار التعليل و الاستدلال، فقد كان الصحابة يفتون في عهده صلى الله عليه و سلم ولا ينكر عليهم الإفتاء لكنه يصوبه كما سيأتي.

فمصير التمذهب كفكرة هو إلى نتيجتين : إما مضاعفة التعصب نتيجة نصب الخلاف و طبيعة البشر في السعي للتفوق و الصوابية و الاحتكاك وغير ذلك، و هذا كان في القرون الماضية،وعندنا عليه مئات الأمثلة، فإما يردنا أنصار التمذهب الجديد إلى نقطة الصفر، خاصة و أنه يستعمل ذريعة سياسية في مواجهة الإصلاح فمجال الاختيار فيه كبير جداً، و كل الأقوال متوفرة، ومن أول نقطة في التمذهب ينشأ التعصب :

فإنه لا يقوم تمذهب بدون تفضيل مذهب على مذهب و تعليل الاختيار، وهذه لا تكون إلا بايجا باتباعه و التزام أحكامه و تحريم الخروج عليه ، ولا تتم إلا بالحط من المذاهب الأخرى ، و إذا لم يكن الصواب المحض حليف أي مذهب وحده كانت هذه المفاضلة أس التعصب و التقليد المذموم.

و إذا سألنا: كيف يتم اختيار المذهب؟

نجد بعض المذاهب فُرضت سياسيا، و بعضها الآخر بسبب تولي القضاء للحكام، و كل المذاهب تزعم أنها أقرب للسنة و أكثر صوابا، و إذا كان هذا متعذر على غالبية الناس معرفته فهو كذلك أس التعصب و التقليد المذموم.

النتيجة : لا يوجد تمذهب بدون تفضيل ، ولا يوجد تفضيل بدون تعصب ، فمآل فكرة التمذهب التعصب و إذا ملوا منه تصحيح جميع الأقوال، لأن الفكرة طبيعتها متعصبة .

لكن عندما تأتي إلى متحرر مثل ابن تيمية يطرد أصوله في العقيدة في بيان حقيقة المذاهب مجملا، فحينما يقول : فلان جهمي في القدر و الإيمان، سني في الصفات و الإمامة، يقول في المذاهب : أصول فلان أصح في البيوع و المعاملات، و مذهب فلان أفضل في الأشربة و الأطعمة ، وهكذا.

وهذا يشبه التفضيل بالمسائل المعينة، فنقول: فلان أفضل في الطلاق و أحكامه، فلان أقوى في الحج، و هكذا، فلا يمكنك أن تفاضل بين المذاهب بموضوعية إلا أن تكون متحررا منها.

و قد اتفق الكل أن المتمذهب القادر على تمييز الأقوال إذا خالف المذهب وخرج عنه فقد أحسن، و إذا عرف مذهبه بدون دليل، أو أعرض عن النظر في الأدلة فلم يحسن .

و إذا قال بعض العلماء التمذهب جائز فليس على الشكل الذي آلت إليه المذاهب: أنت لا على مذهبك و أنا على مذهبي، لا إنكار، فالتمذهب و الخلاف المذهبي سائغان،و الحقيقة نبحث عنها بالنرد أو الأزلام.

لا يمكن أن تكون الأقوال في المسألة الواحدة صحيحة كلها، لأنها لو كانت حقا لكانت من المحال الممتنع كما يقول ابن حزم ، لأننا نجد فيها إثبات الشيء و إبطاله معاً ، و لو كان جميعها باطلا لكان كذلك ، وهو محال ممتنع لأن فيه أيضا إثبات الشيء و إبطاله، فمتى ثبت الإثبات بطل الإبطال، و إذا بطل الإثبات ثبت الإبطال فوجب الترجيح.

وعلى هذا نسأل : هل يوجد في المذاهب نقد داخلي، أم كل من انتقدها خرج منها و إن بقي متمذهباً بالانتساب فقط ؟

المهم يملك المتحرر من قيد المذهبية نظره أوسع، و مجرد التحرر من التقليد المذهبي هو منهج علمي يسمح له برؤية شاملة للتراث.

إلى المقال القادم بحول الله.

تمذهب لا ادرية..!!

قرأت قبل قليل بعض مقالات أنصار التمذهب الذين قسموا الناس إلى مجتهد و مقلد؟
و الذي يمكنني أن أقوله هو التالي :إذا كان هناك مثال على خراب العقول فهو هذه المقالات التي قرأتها.
نناقشها بحول الله في الأيام القادمة كدرس نموذجي على فساد الفطرة العلمية و العملية لعقول بعض الناس.
بطبيعة الحال لن أذكر الأسماء احتراما للأشخاص لكن نناقش ادلتهم إن صح عليها هذا الوصف.

أهلية أمثال عدنان إبراهيم لتنقيح التراث عند المتمذهبين ؟

الحمد لله و الصلاة و السلام على رسول الله
قرأت لبعض الكتبة ~ خاصة من المتمذهبين اللادرية ~ في موضوع التمذهب فتأكدت أن الناس تتكلم في موضوع أصولي بتلفيق تعبيري، كلمات رنانة ليس تحتها معنى محصل،مثل " فاقد الأهلية"؟ .
إذا ذكروا من أثار قضية خالف فيها المعهود و المشهور كما يفعل بعض المعاصرين ن، و لعل عدنان إبراهيم أشهرهم قالوا: لا يملكون الأهلية.
ربما قصد هؤلاء الأفاضل نوعاً خاصا من مدعي الاجتهاد في بعض القضايا لكن تأصيلاتهم تعم جميع الأصناف .
على كل الدفاع عن التمذهب ليس ظاهرة جديدة، و لأصحابه من قديم الزمن حجج نتفق نختلف فيها هي حجج تفصل فيها المقارعة العلمية بدون تجاوز الحدود،أما حجج الذين أقصد و سيأتي الكلام معهم مفصلا فهي حجج مخترعة في هذا العصر و إن قصدوا خيراً ،وهي سفسطة محضة، و سأذكر أدلتهم و أدلة اللاأدرية بالمقابلة،وننظر في أوجه التشابه .
ومن باب الإنصاف في عصر التلفيق و البصبصة نسال:
كيف عرفتم أنهم لا يملكون الأهلية فانتم تصفون أنفسكم بالتقليد، و تفرضون وجود مقلد يرجح بالتقليد يعني: بالأزلام ،فكيف لعاقل أن يتصور الترجيح بالتقليد [لا نتحدث

هنا عن ترجيح الشخصية على شخصية]،أليس هذا هو الجمع بين المتناقضات، فكونه مقلدا يعني أنه لا يفهم الدليل، وكونه يرجح يعني أنه يقابل بين دليلين، و يذهب للمفاضلة بينهما،ولا يستطيع المقابلة بدون نوع قياس، ولا يستطيع القياس بدون تجريد و تعميم؟

فإن جعلتم هذا لتقليد العامي فهو مفهوم، لكن جعلتم كل من هو دون المجتهد المطلق مقلدا، ومنهم من يقترب منه أهلية، ومنهم من يعرف مخرج الأدلة و أسبابها و إن لم يستقل بمذهب وهناك درجات كثيرة فكيف جعلتم الترجيح بالتقليد؟

وهل يستطيع جاهل [المقلد] فاقد للأهلية أن يعرف عدم الأهلية في غيره؟

هل يمكنه أن يعرف إن كان جاهلا ~ في مجال الطب و الهندسة ~ عدم أهلية طبيب أو مهندس؟

بحسب كلامكم انتم لا تعرفون دليل إمامكم أي: لا تفهمونه ، و لا تفهمون دليل المخالف لإمامكم يعني: كل واحد يتبع مذهبه الذي ورثه، فالمفروض عليكم ضرورة التوقف، فمن أين لكم انه أهل أو غير أهل من غير دليل على النفي؟

وكيف عرفتم أهلية إمامكم بحجة و برهان، أم بتقليد منقول عن مقلد عن مقلد إلى أن يصل إلى إمام المذهب، كلهم لا يفهم الدليل الذي جاء به الإمام؟

لقد أصبح هذا التأصيل سفسطة، الرجل قد يفجر قول مذهبكم إلى أشلاء بأقوال أئمة مخالفين لإمامكم واضحة القوة، و لا تجدون إلا وصفه بفاقد الأهلية، سحب صفة عن موصوف فرع عن معرفة الصفة و الموصوف، يوضحه:

يزعم بعض المتمذهبين أنَّ الذين يرفعون شعار " تنقيح التراث" لا يملكون الأهلية لفعل ذلك، و أنهم مجرد أصوات !

و لستُ بحاجة إلى أن أنقل سخرياتهم، فلو كانت السخرية تقوم بها حجة لكان أحد سبَّابة الأسواق إمام الأئمة بدون منازع !

المهم، أن في كلامهم بعض الحق، إذ لا يتوقف تنقيح التراث على مجرد الدعوى بل يجب أن نُعين ما يحتاج منه إلى تحقيق و بأي أدوات؟ وما الآليات المعتمدة ؟

هل هذه المراجعة بأدوات العلوم الإسلامية، أم بأدوات غربية، أم بأدوات إسلامية منقَّحة بأخرى غربية؟

وهل معنى المراجعة إبراز قول موجود في التراث و من ثم اعتماده، أم اختراع أقوال

جديدة لم يسبق إليها المتقدمون ؟
لكن السؤال : من أين للمتمذهبين أنهم لا يملكون الأهلية ، فهذا النفي مما لا يمكن الإحاطة به إلا بطريقين لا ثالث لهما؟
الأول: أن يعرف الأهلية أي: القدرة و الاستعداد العلمي للقيام بذلك كما قد يقرأها في كتاب، يعني: يعرف تعريفها، أو حدَّها، لكن كيف يعرف أن هذا المسمى هو حقيقة المعرَّف المحدود؟
المعتبر هو أن تحكم بأنه هو، فأي واحد من الناس يمكن أن يعرف معنى الأهلية اصطلاحا أو لغةً كأن تقول له: رأيتُ رجلا،فهل يعرف ذات هذا الرجل؟
فهل يملك النافي لأهلية المخالف الأهلية، لأنه لا يصح النفي إلا ممن يملكها ؟
فهؤلاء لم يظهروا لنا ما هذه الأهلية حتى نعرف إن كانت موجودة عند دعاة التحقيق أم معدومة؟
ثانيا: أن ترد تحقيقاتهم بكلام علمي صحيح، فتُبين أن القول المستبعد منهم هو الصحيح، أما أن تبقى من بعيد تقول: هؤلاء لا يملكون الأهلية، وهم مجرد ظاهرة صوتية فأنت أشد تصويتاً منهم ؟
المقصود : من ينفي شيئا عليه أن يسوق دليل نفيه، فإما أنه لا يعرف معنى الأهلية ولا يملكها، و إما انه يملكها فحينئذ يجب عليه المسارعة في تنقيح التراث ورد التنقيحات المتعسفة و الباطلة عنه بحسب قدرته.
المشكل في التمذهب أنه يصير إلى نتيجة لا مفر منها إذ لا حل عند جميع المتمذهبين لاختلاف المذاهب إلا اعتبارها كلها حقا صوابا، و الطريق لفرض قبولها هو أن نجعل الجميع مقلدة؟
نفي الأهلية يحتاج إلى أن نحدد شروط الأهلية المتعلقة بالمجتهد و شروط الاجتهاد في القضايا؟
فالمجتهد المطلق هو عالم مستقل بأصول و فروع ، و له أتباع يسيرون عليها يتفاضلون في معرفة أصوله و أدلته،ومنهم من يقترب علميا منه فيختار أصوله كإجراء علمي ولا يقلده في الفروع أو في أكثرها ،ومنهم من يخالفه في بعض الفروع، ومنهم من لا يعرف أصوله،فيقلده في الفروع مجردة عن أصولها، فهذه صفته كصاحب مذهب.

وصفة علمه: معرفة كتاب الله و السنة النبوية، و الناسخ و المنسوخ، و أسباب نزول الآيات، و أسباب ورود الأحاديث، و معرفة المسائل المجمع عليها، وعنده علم أصول الفقه، و يعرف اللغة العربية، ولم يشترطوا له معرفة العلوم الدخيلة و لا الفروع الفقهية.

وهذا التعريف كما ترى تعريف مجمل،إذ الأئمة الأربعة ليسوا أئمة تفسير ويوجد من يعرف كتاب الله خيراً منهم، سواء قبلهم أو في طبقتهم أو جاء من بعدهم، فلا اعلم أن المفسرين ينقلون أقوال الأئمة الأربعة في التفسير، فالواجب أن نقول: يعرفون آيات الأحكام و التي حددها الأصوليون بحوالي 500 آية.

2 ـ في معرفة السنة النبوية لم يثبت لهم أحد من أهل العلم الإحاطة بها،أو عدم الخطأ في تصحيح الضعيف أو تضعيف الصحيح، و أقوالهم تبين أن وقوع مخالفتهم للحديث الصحيح ممكنة جداً فضلا عن تركهم ظاهر الدليل.

3 ـ و في المحصلة علمهم بالسنة، و بالناسخ و المنسوخ، و أسباب النزول وورود الأحاديث و معرفة المسائل المجمع عليها كله يتوقف على الإحاطة ،و بالضرورة علمهم بها نسبي ، فكما ترى النسبية لصيقة بهم في كل صفة فمن أين جاء مصطلح مجتهد مطلق؟

وعندما نقول: مجتهد مطلق، هو مطلق في ماذا، إذ الإطلاق تعميم على البدلية أو بالاستغراق؟

هو مطلق عام في القدرة على الاجتهاد أم في وقوع الاجتهاد منه؟

إذا كان الإطلاق هنا في قدرته على الاجتهاد، فلم يتحقق في كل شيء، فقد توقف في مسائل، و رجع عن بعضها، و قلد في أخرى، وتعدد قوله في أخرى و الحق لا يتعدد، و لم يعلم ببعضها، و هكذا.

و إذا كان بمعنى العموم يعني: اجتهد في كل أبواب الدين، فهذا لم يحصل إذا لم يحط بكل النصوص، ولا تكلم في كل المسائل، ولا كان له دليل على كل مسائله، فأحيانا يذهب إلى الاستحسان المحض، و هكذا.

المهم أن النسبية غير منتفية لا في صفة علمه،ولا في صفة الموضوعات التي تكلم فيها.

على هذا نسأل: هل يشترط للاجتهاد في مسألة معينة الاجتهاد في جميع المسائل و قد

أجزتم تمذهب مجتهد، فضلا عن الاجتهاد في الترجيح، لان تعليق الاجتهاد بشرط اختراع أدلة غير مسبوقة كما اخترعه متمذهبو اللاأدرية تعليق على ممتنع حتى في حق الأئمة الأربعة،إذ الأدلة منصوبة من قبل ولادتهم، و الأصول عمل بها الصحابة و أئمة التابعين و تابعيهم؟

ثم نسأل هل يوجد في أقوال هؤلاء الأئمة قول مخالف لحديث صحيح، أو للإجماع ؟

و إذا كان التمذهب في عرف العلماء قد يكون بمعرفة الدليل و قد يكون بدون معرفته، و قد يكون في جميع المسائل أو في كثير منها أو في بعضها من أين اشترطتم في الأهلية الاستقلال بأصول كان أصول الأئمة مخترعة لم تكن عند من سبقهم، وهم لم يصنعوا إلا التكلم بها أو تدوينها ،وقد كان من قبلهم مجتهدا فبأي شيء كانوا يجتهدون بالنرد أم بأصول؟

ومن أين اشترطتم الاجتهاد في كل مسائل الدين؟

و على هذا لا يمكنكم إثبات الأهلية أو نفيها عن غيركم إلا بدليل و إلا كان كلامكم مجرد تصويت.

الشرط الثاني: وهذا الذي نتمسك به في نفي الأهلية لا تمحلات اللاأدرية أن لا يكون بترجيح قول غير محفوظ أو شاذ أو مهجور عند السلف و الأئمة،بل لا بد من سبق إمام إليه، وهناك شروط مختلف فيها كظهور الدليل القول فيها قول المحدثين على تفصيل ليس هذا موضعه فإن في المصنفات أقوال لأئمة غير موجودة عند الأئمة الأربعة.

فاختراع قول لم يقل به أحد يفقد الأهلية في هذا القول، و اختراع أصول جديدة ليصح التنقيح و الترجيح يفقد الأهلية في إثباتها أو نفيها عن الغير.

أفسد ما في تأصيلات هؤلاء أنهم ضحايا مقولات تصب في الزندقة مباشرة ،و النصيحة لي و لهم أن نبحث معايير الحقيقبة الشرعية و العقلية، لأن نفي الاجتهاد النسبي قول السفسطائية وحدهم او من لا يعرف أقوال النحل.

أهلية أمثال عدنان إبراهيم لتنقيح التراث عند المتمذهبين ؟

الحمد لله و الصلاة و السلام على رسول الله

قرأت لبعض الكتبة ~ خاصة من المتمذهبين اللادرية ~ في موضوع التمذهب فتأكدت أن الناس تتكلم في موضوع أصولي بتلفيق تعبيري، كلمات رنانة ليس تحتها

معنى محصل،مثل " فاقد الأهلية"؟ .
إذا ذكروا من أثار قضية خالف فيها المعهود و المشهور كما يفعل بعض المعاصرين ن، و لعل عدنان إبراهيم أشهرهم قالوا: لا يملكون الأهلية.
ربما قصد هؤلاء الأفاضل نوعاً خاصا من مدعي الاجتهاد في بعض القضايا لكن تأصيلاتهم تعم جميع الأصناف .
على كل الدفاع عن التمذهب ليس ظاهرة جديدة، و لأصحابه من قديم الزمن حجج نتفق نختلف فيها هي حجج تفصل فيها المقارعة العلمية بدون تجاوز الحدود،أما حجج الذين أقصد و سيأتي الكلام معهم مفصلا فهي حجج مخترعة في هذا العصر و إن قصدوا خيراً ،وهي سفسطة محضة، و سأذكر أدلتهم و أدلة اللاأدرية بالمقابلة،وننظر في أوجه التشابه .
ومن باب الإنصاف في عصر التلفيق و البصبصة نسال:
كيف عرفتم أنهم لا يملكون الأهلية فانتم تصفون أنفسكم بالتقليد، و تفرضون وجود مقلد يرجح بالتقليد يعني: بالأزلام ،فكيف لعاقل أن يتصور الترجيح بالتقليد [لا نتحدث هنا عن ترجيح الشخصية على شخصية]،أليس هذا هو الجمع بين المتناقضات، فكونه مقلدا يعني أنه لا يفهم الدليل، وكونه يرجح يعني أنه يقابل بين دليلين، و يذهب للمفاضلة بينهما،ولا يستطيع المقابلة بدون نوع قياس، ولا يستطيع القياس بدون تجريد و تعميم؟
فإن جعلتم هذا لتقليد العامي فهو مفهوم، لكن جعلتم كل من هو دون المجتهد المطلق مقلدا، ومنهم من يقترب منه أهلية، ومنهم من يعرف مخرج الأدلة و أسبابها و إن لم يستقل بمذهب وهناك درجات كثيرة فكيف جعلتم الترجيح بالتقليد؟
وهل يستطيع جاهل [المقلد] فاقد للأهلية أن يعرف عدم الأهلية في غيره؟
هل يمكنه أن يعرف إن كان جاهلا ~ في مجال الطب و الهندسة ~ عدم أهلية طبيب أو مهندس؟
بحسب كلامكم انتم لا تعرفون دليل إمامكم أي: لا تفهمونه ، و لا تفهمون دليل المخالف لإمامكم يعني: كل واحد يتبع مذهبه الذي ورثه، فالمفروض عليكم ضرورة التوقف، فمن أين لكم انه أهل أو غير أهل من غير دليل على النفي؟
وكيف عرفتم أهلية إمامكم بحجة و برهان، أم بتقليد منقول عن مقلد عن مقلد إلى أن

يصل إلى إمام المذهب، كلهم لا يفهم الدليل الذي جاء به الإمام؟
لقد أصبح هذا التأصيل سفسطة، الرجل قد يفجر قول مذهبكم إلى أشلاء بأقوال أئمة مخالفين لإمامكم واضحة القوة، و لا تجدون إلا وصفه بفاقد الأهلية، سحب صفة عن موصوف فرع عن معرفة الصفة و الموصوف، يوضحه:
يزعم بعض المتمذهبين أنَّ الذين يرفعون شعار " تنقيح التراث" لا يملكون الأهلية لفعل ذلك، و أنهم مجرد أصوات !
و لستُ بحاجة إلى أن أنقل سخرياتهم، فلو كانت السخرية تقوم بها حجة لكان أحد سبَّابة الأسواق إمام الأئمة بدون منازع !
المهم، أن في كلامهم بعض الحق، إذ لا يتوقف تنقيح التراث على مجرد الدعوى بل يجب أن نُعين ما يحتاج منه إلى تحقيق و بأي أدوات؟ وما الآليات المعتمدة ؟
هل هذه المراجعة بأدوات العلوم الإسلامية، أم بأدوات غربية، أم بأدوات إسلامية منقَّحة بأخرى غربية؟
وهل معنى المراجعة إبراز قول موجود في التراث و من ثم اعتماده، أم اختراع أقوال جديدة لم يسبق إليها المتقدمون ؟
لكن السؤال : من أين للمتمذهبين أنهم لا يملكون الأهلية ، فهذا النفي مما لا يمكن الإحاطة به إلا بطريقين لا ثالث لهما؟
الأول: أن يعرف الأهلية أي: القدرة و الاستعداد العلمي للقيام بذلك كما قد يقرأها في كتاب، يعني: يعرف تعريفها، أو حدَّها، لكن كيف يعرف أن هذا المسمى هو حقيقة المعرَّف المحدود؟
المعتبر هو أن تحكم بأنه هو، فأي واحد من الناس يمكن أن يعرف معنى الأهلية اصطلاحا أو لغةً كأن تقول له: رأيتُ رجلا،فهل يعرف ذات هذا الرجل؟
فهل يملك النافي لأهلية المخالف الأهلية، لأنه لا يصح النفي إلا ممن يملكها ؟
فهؤلاء لم يظهروا لنا ما هذه الأهلية حتى نعرف إن كانت موجودة عند دعاة التحقيق أم معدومة؟
ثانيا: أن ترد تحقيقاتهم بكلام علمي صحيح، فتُبين أن القول المستبعد منهم هو الصحيح، أما أن تبقى من بعيد تقول: هؤلاء لا يملكون الأهلية، وهم مجرد ظاهرة صوتية فأنت أشد تصويتاً منهم ؟

المقصود : من ينفي شيئا عليه أن يسوق دليل نفيه، فإما أنه لا يعرف معنى الأهلية ولا يملكها، و إما انه يملكها فحينئذ يجب عليه المسارعة في تنقيح التراث ورد التنقيحات المتعسفة و الباطلة عنه بحسب قدرته.

المشكل في التمذهب أنه يصير إلى نتيجة لا مفر منها إذ لا حل عند جميع المتمذهبين لاختلاف المذاهب إلا اعتبارها كلها حقا صوابا، و الطريق لفرض قبولها هو أن نجعل الجميع مقلدة؟

نفي الأهلية يحتاج إلى أن نحدد شروط الأهلية المتعلقة بالمجتهد و شروط الاجتهاد في القضايا؟

فالمجتهد المطلق هو عالم مستقل بأصول و فروع ، و له أتباع يسيرون عليها يتفاضلون في معرفة أصوله و أدلته،ومنهم من يقترب علميا منه فيختار أصوله كإجراء علمي ولا يقلده في الفروع أو في أكثرها ،ومنهم من يخالفه في بعض الفروع، ومنهم من لا يعرف أصوله،فيقلده في الفروع مجردة عن أصولها، فهذه صفته كصاحب مذهب.

وصفة علمه: معرفة كتاب الله و السنة النبوية، و الناسخ و المنسوخ، و أسباب نزول الآيات، و أسباب ورود الأحاديث، و معرفة المسائل المجمع عليها، وعنده علم أصول الفقه، و يعرف اللغة العربية، ولم يشترطوا له معرفة العلوم الدخيلة و لا الفروع الفقهية.

وهذا التعريف كما ترى تعريف مجمل،إذ الأئمة الأربعة ليسوا أئمة تفسير ويوجد من يعرف كتاب الله خيراً منهم، سواء قبلهم أو في طبقتهم أو جاء من بعدهم، فلا اعلم أن المفسرين ينقلون أقوال الأئمة الأربعة في التفسير، فالواجب أن نقول: يعرفون آيات الأحكام و التي حددها الأصوليون بحوالي 500 آية.

2 ـ في معرفة السنة النبوية لم يثبت لهم أحد من أهل العلم الإحاطة بها،أو عدم الخطأ في تصحيح الضعيف أو تضعيف الصحيح، و أقوالهم تبين أن وقوع مخالفتهم للحديث الصحيح ممكنة جداً فضلا عن تركهم ظاهر الدليل.

3 ـ و في المحصلة علمهم بالسنة، و بالناسخ و المنسوخ، و أسباب النزول وورود الأحاديث و معرفة المسائل المجمع عليها كله يتوقف على الإحاطة ،و بالضرورة علمهم بها نسبي ، فكما ترى النسبية لصيقة بهم في كل صفة فمن أين جاء مصطلح

مجتهد مطلق؟
وعندما نقول: مجتهد مطلق، هو مطلق في ماذا، إذ الإطلاق تعميم على البدلية أو بالاستغراق؟
هو مطلق عام في القدرة على الاجتهاد أم في وقوع الاجتهاد منه؟
إذا كان الإطلاق هنا في قدرته على الاجتهاد، فلم يتحقق في كل شيء، فقد توقف في مسائل، و رجع عن بعضها، و قلد في أخرى، وتعدد قوله في أخرى و الحق لا يتعدد، و لم يعلم ببعضها، و هكذا.
و إذا كان بمعنى العموم يعني: اجتهد في كل أبواب الدين، فهذا لم يحصل إذا لم يحط بكل النصوص، ولا تكلم في كل المسائل، ولا كان له دليل على كل مسائله، فأحيانا يذهب إلى الاستحسان المحض، و هكذا.
المهم أن النسبية غير منتفية لا في صفة علمه،ولا في صفة الموضوعات التي تكلم فيها.
على هذا نسأل: هل يشترط للاجتهاد في مسألة معينة الاجتهاد في جميع المسائل و قد أجزتم تمذهب مجتهد، فضلا عن الاجتهاد في الترجيح، لان تعليق الاجتهاد بشرط اختراع أدلة غير مسبوقة كما اخترعه متمذهبو اللاأدرية تعليق على ممتنع حتى في حق الأئمة الأربعة،إذ الأدلة منصوبة من قبل ولادتهم، و الأصول عمل بها الصحابة و أئمة التابعين و تابعيهم؟
ثم نسأل هل يوجد في أقوال هؤلاء الأئمة قول مخالف لحديث صحيح، أو للإجماع ؟
و إذا كان التمذهب في عرف العلماء قد يكون بمعرفة الدليل و قد يكون بدون معرفته، و قد يكون في جميع المسائل أو في كثير منها أو في بعضها من أين اشترطتم في الأهلية الاستقلال بأصول كان أصول الأئمة مخترعة لم تكن عند من سبقهم، وهم لم يصنعوا إلا التكلم بها أو تدوينها ،وقد كان من قبلهم مجتهدا فبأي شيء كانوا يجتهدون بالنرد أم بأصول؟
ومن أين اشترطتم الاجتهاد في كل مسائل الدين؟
و على هذا لا يمكنكم إثبات الأهلية أو نفيها عن غيركم إلا بدليل و إلا كان كلامكم مجرد تصويت.
الشرط الثاني: وهذا الذي نتمسك به في نفي الأهلية لا تمحلات اللاأدرية أن لا يكون

بترجيح قول غير محفوظ أو شاذ أو مهجور عند السلف و الأئمة،بل لا بد من سبق إمام إليه، وهناك شروط مختلف فيها كظهور الدليل القول فيها قول المحدثين على تفصيل ليس هذا موضعه فإن في المصنفات أقوال لأئمة غير موجودة عند الأئمة الأربعة.

فاختراع قول لم يقل به أحد يفقد الأهلية في هذا القول، و اختراع أصول جديدة ليصح التنقيح و الترجيح يفقد الأهلية في إثباتها أو نفيها عن الغير.

أفسد ما في تأصيلات هؤلاء أنهم ضحايا مقولات تصب في الزندقة مباشرة ،و النصيحة لي و لهم أن نبحث معايير الحقيقبة الشرعية و العقلية، لأن نفي الاجتهاد النسبي قول السفسطائية وحدهم او من لا يعرف أقوال النحل.

فضل السلفيين(أهل الحديث) على المتمذهبين.

مع اني ربما من أكثر الناس نقدا للسلفيين لكن قد بان لي من خلال المقالات الأخيرة أن بعض السلفيين و غيرهم لا يعرفون أصول أهل الحديث و طريقتهم في الأحكام وفي تعليمها ، وما قدموه للأمة من خدمات، فكما ننتقدهم يجب أن ننصفهم.

لذا ساشرع موازاة مع مقالات التمذهب في نشر دراسة عن المناهج الأصولية للمتكلمين و القيايسيين و ما تهجن منهما في مقابل أصول المحدثين.

متمنياً أن تكون فرصة لبيان فضل هذه المدرسة في احياء السنة في كل المجالات و تخليص العبادات من البدع التي الحقها المتمذهبون المخالفون لائمة مذاهبهم ؟

حيث نسأل اذا ما خرجوا عنهم تقليدا ام فهما لأدلة أئمة مخفيين!؟

الدرس الفقهي السلفي

الحمد لله وحده، و الصلاة و السلام على من لا نبيَّ بعده.

بدايةً أنا لا أميل ~ في الفقه ~ إلى طريقة المحدثين، ولا إلى طريقة الفروعيين، تعجبني طريقة ابن تيمية و الشوكاني و ابن حزم، و أمثال هؤلاء: الحديث ممزوجا مع الأصول مع الفقه المقارن، بدون تقيد بمذهب معين إلا الدليل المستوفي لشروطه.

وأرى أن هذه الطريقة هي مستقبل الفقه الإسلامي لا العودة إلى الفقه المذهبي خاصة على الصورة التي انتهى إليها، لقد تطورت عقلية المسلمين، ولا يمكن أن تجد نفسها

في التضييق و التزمت المذهبي.
و الناس ~ اليوم ~ يسالون الشيخ عن دينهم، لا يقولون له: افتنا بمذهب فلان؟ يريدون حكم الله، و يثقون في هذا الشيخ أنه يعرف حكم الله وحدوده، ومن وثقوا فيه قبلوا مخالفته لأي إمام ؛ هذه حقيقة يريد أن يُغطي عليها بعض أصحاب مصالح سياسية في التمذهب .
و لأنه ظهر تمذهب جديد لا أصل له عند قدماء المتمذهبين ، يؤصل بتأصيلات سفسطائية، ولا يدري من أي عين يشرب، سنناقشه في تأصيلاته المخترعة؛ لم يدرك أن الفقه الفروعي المتأخر انفصل عن فقه أئمته الأثريين من قرون، فحينما نحتج جدلا بابن عبد البر عند المالكية ~ مثلا ~ بأثريته و طريقته في الفقه لا يجب أن ننسى أنه يخالف مذهبه كثيرا، و أن كتبه مجرد تحفة فنية في المذهب، بل حتى كتب مثل " الذخيرة" للقرافي لم تجد نفعاً معهم، فقد انقرضت المدرسة المالكية الأثرية المدنية،و انقرضت العراقية، و حتى المصرية أصبحت خاضعة لحواشي المغاربة على خليل .
لهذا أقول: أصبح الفقه الفروعي فقه رأي بامتياز، هذه المرة ليس بتأثير المدرسة الكوفية بأمثال أسد بن الفرات و ما صنعه في المالكية ~ مثلاً ~ حيث أسَّس لهم المذهب، فمعلوم أن مدونة ابن القاسم أصلها مسائل أسد بن الفرات التي فرَّعها أهل العراق ثم سأل عنها ابن القاسم فأجابه تارة بالرواية عن مالك و تارة بالقياس، مما هو ليس من أصول أهل المدينة ،و سيأتي الكلام عنها في مقال الاختلاف عن مالك .
و أنا لست هنا لذم أحد لكن لوصف الأشياء كما هي، فعندما تعتبر بعض المذاهب نفسها أثرية في مقابل مدرسة الرأي ~ و حتى في فقه الرأي فوائد كثيرة و قوة ~ أقول: كنتم، أما الآن فالفرق بينكم ضئيل فحتى ما كان ينكر على تلك المدرسة من: الاستحسان، و المبالغة في القياس ، وبعض المصطلحات، و الجسارة على توليد المسائل التي لم تقع، و الاعتقاد في أئمتهم الدرجة العليا من التحقيق و العلم، و الاهتمام فوق الحاجة بتخريج جواب المسائل على أقوال أئمتهم حتى نظروا في عموم كلامهم كعموم النصوص ،و صارت قواعدهم الأصولية مشكلة على ضوء اختيارات أئمتهم؟
و بعد ذلك تلوثوا بالمنطق الصوري فأخذوا يتكلفون في تحصيل ذاتيات القواعد و ترتيب حد جامع لها.

ومعلوم أن هذه الطريقة فيها عجز كبير عن تلقي جميع الأحكام الشرعية من جهة الرسول، و لهذا يجعلون أقوال الإمام بمنزلة نص الرسول صلى الله عليه و سلم فيتصرفون مع أقوال أئمتهم كما يتصرف أهل الحديث مع نصوص النبي صلى الله عليه و سلم، فيقيسون عليها المسائل و يفرعون عليها، مع أن تلقي الفقه من جهة الرسول أسهل من تلقيه من جهة غيره من الأئمة.

ولذلك تجد أمثلهم علما وأحسنهم فقها محدثوهم كالطحاوي ،ومحمد بن الحسن أقرب للسنة من أبي يوسف بسبب لقائه بالإمام مالك وأخذه عنه "الموطأ" ولقائه بالشافعي ، وكذلك أبو يوسف أفضل وأقرب للسنة من زفر بن الهذيل الذي كان أبو حنيفة يقول عنه : "لا تأخذوا مقاييس زفر بن الهذيل".

هذا ما أصبحت عليه المذاهب التي تزعم الأثرية أثرت فيها الطريقة العراقية الكوفية بطرق كثيرة.

وكذلك فقهاء الرأي الخراسانيين و ما صنعوه في الشافعية رغم نفور قدماء الشافعية وعدم اعتدادهم بهم إلا أنهم ~ في الأخير ~ أثروا بأصولهم، وهي التي استقروا عليها.

فما كانت تذمه المذاهب الأثرية من الكوفيين صارت عليه بدون أن تقرَّ لهذه المدرسة بالفضل عليها في هذه الطريقة.

و المشكل الكبير أن الرأي عند المتأخرين سيدخل ~ هذه المرة ~ من باب آخر وهو باب المتكلمين بخلفيتهم المنطقية.

فمن الوهلة الأولى التي تحوَّل الفقه فيها إلى اختصاص مجرد عن الحديث ، حيث أصبح الفقيه يقول: "قال الفقهاء، قال المحدثون" وقع الانفصال عن الطريقة الأثرية.

وعندما ننظر في علماء أثَّروا في أصول الفقه التي جاءت بعدهم كـ الجويني و الرازي و الغزالي و الباقلاني ... الخ نجد مادة أصولهم مادة أبي الحسين البصري المعتزلي ! و الجويني يزعم أن حاجة الشريعة إلى القياس أكثر من حاجتها إلى النصوص ! و الغزالي و شيخ شيخه الباقلاني واقفة في أصول الفقه (لم يجعلوا لله في الأحكام حكما معينا، حتى ينقسم المجتهد إلى مصيب ومخطئ، بل الحكم في حق كل شخص ما أدى إليه اجتهاده، وقد بينا في غير هذا الموضع ، ما في هذا من السفسطة والزندقة ، فلم يجعلوا لله حكما في موارد الاجتهاد أصلا ،ولا جعلوا له على

ذلك دليلا أصلا ، بل ابن الباقلاني وغيره يقول:" وما ثم أمارة في الباطن، بحيث يكون ظن أصح من ظن ، وإنما هو أمور اتفاقية") الاستقامة"{49/1}.
ثم أضاف شيخ الإسلام : (ثم إنه وطائفة {الباقلاني} مع هذا قد أبطلوا أصول الفقه ومنعوا دلالتها حتى سموا واقفة، والكلام نوعان: أمر وخبر، فمنعوا دلالة صيغ الأمر عليه، ومنعوا دلالة صيغ الخبر العام عليه).
وعن الغزالي أخذ ابن قدامة الحنبلي، وفي كتب ابن عقيل أصول كلامية، و ابن العربي المالكي أخذ عن الغزالي، و كذلك الباجي أخذ عن متكلمة الشافعية ، و سيأتي مقال خاص عن أصول الفقه عند المالكية بشهادة أئمة المالكية.
خذ أي كتاب فقهي أصولي تجدهم ~ كما قال ابن تيمية ~ يجعلون أصول الفقه هو لبيان الأدلة الشرعية :"الكتاب والسنة والإجماع" ، فيجعلون الأدلة الشرعية ما دلت على الأحكام العملية فقط، وهذا أول أخطائهم وهو ناتج عن مفهومهم للدليل العقلي .
فإذا كانت النصوص قد خرجت من مشكاة واحدة هي مشكاة النبوة ،وحملها نفس النقلة ، وخوطب بها نفس الأشخاص ، لا يجوز أن نفرق بينها بالأصول فنجعل لهذه أصول تخصها ولتلك أصول تخصها ، فهذا تفريق لم يفرقه الشرع ولم يفرقه من نقلها ، وكون الكلام في باب التوحيد والصفات هو من باب الخبر الدائر بين النفي والإثبات، والكلام في الشرع من باب الطلب والإرادة الدائرة بين الأمر والنهي لا يوجب اختلاف في أصول كل منهما ، إنما هو فرق بين نوعي الكلام فقط ، ولذلك لم يفرق أهل الحديث بينهما ،فجعلوا للخبر في العقائد أصولا تخصه، وللخبر في الأحكام أصولا أخرى تخصه بل نفس العلم ونفس القواعد نقلوا بها العقائد والأحكام، ولذلك لم يتناقضوا كما تناقض غيرهم .
إن الدين نوعان : أمور خبرية اعتقادية ،وأمور طلبية عملية .
فالأول: كالعلم بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ويدخل في ذلك أخبار الأنبياء ومراتبهم ، وأحوال الملائكة، والجنة والنار، والثواب و العقاب في الأعمال .
الثاني : الأمور العملية الطلبية من أعمال الجوارح والقلب كالواجبات والمحرمات والمستحبات والمكروهات والمباحات ، فإن الأمر والنهي قد يكون بالعلم والاعتقاد فهو من جهة كونه علما واعتقادا، أو خبرا صادقا أو كاذبا، يدخل في القسم الأول ،أي في الأمور الخبرية ، ومن جهة كونه مأمورا به، أو منهيا عنه يدخل في القسم الثاني:

، مثل شهادة أن لا إله إلا الله و أن محمدا رسول الله ، فهي من جهة كونها صادقة مطابقة لمخبرها فهي من الأمور الخبرية الاعتقادية ، ومن جهة أنها فرض واجب، و أن صاحبها بها يصير مؤمنا يستحق الثواب ،وبعدمها يصير كافرا يحل دمه وماله فهي من الأمور الطلبية .{ انظر " الاستقامة"{199/2}وغيره.

بسبب علم الكلام الذي سيطر على أصول الفقه ومن خلالها على علم الفقه حتى فقهاء المدرسة العراقية اضطروا إلى مزج طريقتهم بطريقته، فما كان منفرا للطريقتين وحَّده علم الكلام بينهما لأنهم أصبحوا كلهم تقريبا متكلمة، ولا يمكن الفصل في المنهج المعرفي لأن أصول المعرفة بكل ملة أو مذهب واحدة ، وهي الأصول التي يجب طردها .

وعلى هذا فقد المتمذهبون الفروعيون ميزة قدماء أصحابهم التي لم تكن سوى الحديث والأثر ، وأغلقوا على أنفسهم داخل النعرة المذهبية ، وانقطع ذالك التواصل والتفاعل الذي كان بين الأوائل بحكم طريقة أهل الحديث التي وحَّدت بين المناهج والمعتقدات.

إن فقهاء هذه الطريقة الفروعية يمثلون الشرخ الذي حدث بين المحدثين والفقهاء ، أي بداية انعزال الفقه عن الحديث والأثر، أقصد بالشكل المباشر، فما عندهم من أثر فهو من إمامهم فقط، و قد قال الشافعي ، في " الرسالة"{1/34 }:" لا نعلم رجلا جمع السنن فلم يذهب منها عليه شيء "

وقال:" فإذا جمع علم عامة أهل العلم بها أتى على السنة، وإذا فرق علم كل واحد منهم ذهب عليه الشيء منها، ثم كان ما ذهب عليه منها موجودا عند غيره."

وعلى هذا اقتصرت طريقة الفروعيين على تخريج أقوال صاحب المذهب، ومناقضة الخصم وهو ما يسمونه الخلاف و الجدل، وقد كان فيما مضى لا يعرف الفقيه إلا بالحديث.

قال الشوكاني في مقدمة " إرشاد الفحول":

" فإن علم أصول الفقه لما كان هو العلم الذي يأوي إليه الأعلام ، والملجأ الذي يلجأ إليه عند تحرير المسائل وتقرير الدلائل في غالب الأحكام ، وكانت مسائله المقررة ، وقواعده المحررة تؤخذ مسلمة عند كثير من الناظرين كما تراه في مباحث المباحثين ، وتصانيف المصنفين ، فإن أحدهم إذا استشهد لما قاله بكلمة من كلام أهل الأصول أذعن له المنازعون وإن كانوا من الفحول لاعتقادهم أن مسائل هذا الفن قواعد

مؤسسة على الحق الحقيق بالقبول ، وإن تبالغت في الطول ،[وبهذا الوسيلة صار كثير من أهل العلم واقعا في الرأي رافعا له أعظم راية ، وهو يظن أن لم يعمل بغير علم الرواية] ."

قال الشافعي في "جماع العلم"{ص:57}: "أفقه الناس عندنا وعند أكثرهم أتبعهم للحديث"

و قد يقول الفروعيون: يوجد في الفقه المذهبي محدثون ؟

فنقول: نعم بلا شك؛ لكن إما تأثروا بلوثة التعصب المذهبي كما بيناه في مقال سابق بأمثلة عن البيهقي و الطحاوي ~ رحمهما الله ~ و إما كان عندهم بعض الميل إلى مذهب من المذاهب،و الاحتراز عن هذا لبعض الناس ليس سهلا، لكن السؤال:

1 ـ هل شرحوا الكتب الفروعية أم الكتب الحديثية؟

2 ـ هل شرحوا على طريقة أهل الحديث أم بطريقة الفروعيين ؟

3 ـ هل شروحهم عمدة في مذاهبهم أم عمدة عند السلفيين؟

لقد بدأ هذا التمذهب الجديد ينتقص من طريقة السلفيين في الفقه ، و السلفيون كغيرهم من الناس عليهم انتقادات و اعتراضات وجيهة تحدثنا عليها مراراً، وهم ليسوا فئة واحدة لكن التهجم على فقههم ووصفهم تعنتا و عنادا بالتقليد، و أقصد هنا: التهجم على كبار أئمتهم خاصة أهل الحديث منهم فإنه إما يقع ممن لا يعرف ما هو التقليد و ما هو الاجتهاد، وهذا الحاصل و سنناقشهم فيه مليا بعيدا عن الفقه، نناقشهم من النقطة التي بدأ فيها هذا الداء يدب في العقول الغافلة ، و إما من جدلي بالعناد.

لذا سنتكلم ~في سلسلة مقالات صغيرة ~ عن الفقه السلفي و أثره المحمود في الأمة، وعن فضائل طريقتهم في تدريسه مقارنين بين المناهج، فأقول:

1 ـ من قال: إن الطريقة السلفية غير منظمة في تعليم الفقه؟

هل تقصدون بالتنظيم: الأحكام الفقهية مجردة عن أدلتها الأثرية أم استيفاء الدراسة لكل المسائل الفقهية؟

فمعلوم أنه ليس المهم أن تتعلَّم المسالة في ترتيب معين، المهم أن تعلمها بدليلها، و السلفيون ~ لا أقصد هنا جهلة السلفية و إن كانوا شيوخاً ~ يقرؤون الفقه على طريقة أهل الحديث: يحبون النص المشروح بالنصوص و بأقوال السلف من الصحابة و التابعين ثم الأئمة، لا يحبون فقه القاعدة المجردة لأنه كما قال شيخ الإسلام : معرفة

كلام الصحابة في العلم والدين وسيرهم خير وأنفع من معرفة أقوال المتأخرين و أعمالهم ، في جميع أبواب الدين من اعتقاد وتفسير وزهد وعبادة وأخلاق ومعاملات وجهاد وغيرها ، فإنهم أفضل ممن بعدهم فالاقتداء بهم خير من الاقتداء بمن بعدهم كما دل على ذلك الكتاب والسنة فقال تعالى:{ واخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم } [الجمعة]

فليس فضلهم لمجرد الصحبة كما يظنه بعض الجاهلين ، ولكن لأنهم أفضل علما وأعمق فهما وأقل تكلفا ،وأغزر حكمة ، وأحرص على الخير وأبعد عن الشر ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح :" خير الناس قرني الذين بعثت فيهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم"متفق عليه.

فيمكن للمسلم أن يطلب الحق المتنازع حوله في أقوالهم إذا اختلفوا، وإنما يرد اختلافهم بالنص، وأي اختلاف وقع بعد إجماعهم فهو خطأ قطعا ويقينا. انتهى ملخصا بتصرف.

و لهذا يميل أهل الحديث إلى اعتبار فتوى الصحابة أصلا، فأهل الحديث لا يتركون قول النبي صلى الله عليه وسلم لقول كائن من كان ،و لو كان أحب الناس إليهم وأكبر الأئمة وأفقههم وأعلمهم وأتقاهم، لأنهم يسعون لتجريد الاتِّباع، وأعطوا مقام لنبوة حقه .

إن المعرفة عند أهل الحديث أساسها النظر في ما قاله الله ورسوله ، فمنه يتعلمون ، وبه يتكلمون ، وفيه ينظرون ويتفكرون، لأن الأدلة المنتجة عندهم الأدلة الهادية، فالنظر في الدليل الهادي هو الذي ينتج العلم والمعرفة ،وليس النظر في أي دليل ، فالأدلة في الأرض كثيرة قد نصبت على كل طريق لا ينتج منها إلا الدليل الهادي، وهو الدليل في الكتاب والسنة ، فإن بلغ النص الأئمة و اختلفوا في المراد ، لم يقولوا: نحن على أصول فلان ! بل نظروا عند الصحابة و جمعوا النصوص و رجحوا، وهذه طريقة أسهل و أقرب في العقل من أن يقولوا: "نحن نفهم النص على أصل فلان"، لأن الحقائق العلمية أصولا كانت أو قواعد يجب أن تكون مشتركة يُسلم بها الجميع، لا تكون صحيحة عند شخص واحد فقط، هذا تبرير بعض الفضلاء لسبب رد بعض الأئمة لبعض الأحاديث الصحيحة برأيهم.

فإن المسائل لا تنتظم إلا بالإحاطة بأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وآثار

صحابته ، و فتاوي السلف الصالح ، فالحق لا يخرج عنها ، وبتكاثرها يعتضد بعضها ببعض ، وينتظم منها مفهوم واحد ويتضح ، فتصير بمجموعها أدلة قطعية، فهذا أعظم مسلك للأدلة عند المحدثين يكاد لا يخطئون به الحق، و به ألقوا عن أنفسهم التفريق بين المتواتر و الآحاد المحتف بالقرائن.

و ليس المهم أن تقرأ كل المسائل الفقهية، فالفضل في العلم في السداد و الصواب لا في كثرة ما تعلم إن لم تكن تحتاج إليه، فالمهم ولا شك في ذلك أن السلفيين على طريقة أهل الحديث يعرفون ~ بالمنهج الصحيح ~ ففقههم الذي يحتاجون إليه، ليس عليهم أن يُدرِّسوا الطالب الموسوعة الفقهية.

و أهم شيء في الفقه هو أن تتعلم ملكة الفهم و منهج طلب مراد الشارع، لا الإحاطة بالأحكام الفقهية ،التي متى احتجت إلى تفصيل مسألة نفعك منهجك العلمي لا إحاطتك أو حفظك.

ثم ماذا صنع الذين تعلَّموا الفقه بالطريقة المذهبية إلا كثرة الانفلات عن النصوص عند بعضهم حتى خرج منهم من يؤصل لهذا الفقه الفروعي بأصول اخترعها من رأسه !

ماذا يصنع السلفي بتعلم مسألة فقهية إذا رجع إلى مخرجها وجدها فهم رجل لا ندري أحاط بنصوص الباب أم لا؟

و إذا أراد أن ينصرها بأثر احتاج إلى أن يعود إلى طريقة إمام المذهب نفسه يعني: طريقة أهل الحديث؟

انظر مثلاً في صيام السلفي أو صلاته أو حجه من أين يستمده ،و لهذا هو أكثر تسننا في هذه العبادات من المتمذهب ، و به عرفت السنة و من عنده انتشرت في الأمة ، و قد تكون موجودة في الفقه المذهبي، هذا لا ننفيه لكنها كانت معطلة حتى اهتم بها السلفيون .

انظر إلى كتاب الألباني ~رحمه الله ~ عن صلاة النبي صلى الله عليه و سلم لا يوجد ما يضاهيه في أي كتاب مذهبي تحريرا للنصوص و توثيقا، و قد يُخالف في بعض الاختيارات، فمثلاً مسألة الاهواء إلى السجود على الركب التي يقول بها المالكية استدلالهم عليها أضعف بكثير من استدلاله هو، بل لم يستوفوا المنقولات فيها،وهكذا.

و قد ساهم أهل الحديث المعاصرون في تجلية كثير من المسائل الفقهية المهمة،و

القضايا الاجتماعية، فكتبوا بحوثا في كثير من المسائل الفقهية كحجاب المرأة، و الزواج، و أحكام المساجد .... الخ، و كشفوا البدع في العبادات، و ليس لازما أن يوفقوا في كل شيء تنطبق عليهم وعلى غيرهم، و إن انتسبت إليهم طائفة تافهة في الفهم، تالفة في الرأي، فكل الأئمة انتسب إليهم من ليس منهم.

ليست كل المسائل الفقهية تحتاج إلى استنباط دقيق، هذا يكون في موارد الاجتهاد، أما أكثر المسائل فتحتاج إلى جمع النصوص فيها، و التحقق من صحتها، ومعرفة فهم أئمة السلف لها؛ و جعل كل المسائل محتاجة متوقفة على فهم أدق من الشعرة تستدعى له جبال من أصول الفقه و المعاجم اللغوية يدل عن قصور في فهم موارد الشريعة، فالشريعة لم تعلِّق الأحكام على قوة الأذهان و تقسيمات العقل،لذا لم ينتج أي نظر مجرد عن معرفة الحديث فقها و فهما و جمعا وعن معرفة أقوال السلف و آثارهم إلا الرأي المحض.

طريقة أهل الحديث حتى إذا لم يسموها هي الاستقراء التام للنصوص و جمع المتماثلات من الوقائع وعدم التزام حد معين في التعريف، فلا يوقفون علمهم على ضبط الحدود و الاتفاق عليها، بقدر ما يوقفونها على مقصود الشارع و حكمته.

مع العلم أن طريقة التحديد قد تنفع في بعض الفنون إذا تركنا التكلف بإيجاد القول الدال على الماهية، فأن تعرف الأشياء بحد معين يميزها عن غيرها لا يكاد يوجد لتواطؤ الألفاظ واشتراكها غالبا في بعض الدلالة، فالعام يفارق المطلق في صور، ويشاركه في أخرى، مع الإشارة أن كتب الحديث عند المتأخرين دخلها هي الأخرى هذا الداء .

إن أهل الحديث يتتبعون مسالك التقسيم حسب الوقائع لا الأنظار ، فيجمعون النصوص في الباب الواحد ،وإذا اختلف شيئان جعلوا لكل واحد حكمه الذي يخصه ، فالمعتمد عندهم جمع النصوص ، فيجدون مثلا أن واجب الصلاة ليس كواجب الغسل يوم الجمعة فلا يحاولون وضع حد جامع بينهما .

لا يحتاج المسلم في كثير من أحكام الصلاة إلى فقه دقيق فإذا قرأ قوله صلى الله عليه و سلم ~مثلا ~ لعثمان بن أبي العاص لما قال له : (إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ حَالَ بَيْنَ صَلَاتِي وَبَيْنَ قِرَاءَتِي يُلَبِّسُهَا عَلَيَّ) فقال له: ((ذَاكَ شَيْطَانٌ يُقَالُ لَهُ خَنْزَبٌ، فَإِذَا أَحْسَسْتَهُ فَتَعَوَّذْ بِاَللَّهِ وَاتْفِلْ عَلَى يَسَارِكَ ثَلَاثًا قَالَ: فَفَعَلْتُ ذَلِكَ فَأَذْهَبَهُ اللَّهُ)) رواه مسلم.

لا يحتاج إلا أن يعرف معنى " التفل" إن لم يكن يعرفه، لقد حول التكلف في الفقه الفروعي اللغة النبوية العامة إلى لغة خاصة من غير حاجة كـ بعض المسائل الدقيقة التي يخوض فيها خاصة أهل العلم؟

ولما بدأ السلفيون يفعلونه في المساجد " التفل" كان عوام الناس و أئمة المساجد يستغربون، وما استغربوا إلا لأن العمل به كان مهجورا ، و إن تكلَّم عليه المتقدمون و ذلك بتأثير الفقه الفروعي المجرد من أصوله الأثرية.

فلو كان الحق في المعهود و الأتباع لضاعت سنن كثيرة مهجورة، يعود الفضل في عودتها في حياة المسلمين المعاصرين إلى السلفيين بالدرجة الأولى.

وخذ صيام يوم شوال، و محرم وذي الحجة و الأيام البيض ، و الأذكار النبوية ما اشتهرت في الأمة إلا بهم ،فيأتي اليوم متذهبٌ ~ ليس كلهم ~ كان غارقا في الشعوذة، و القبورية، يختم ذكره دبر الصلاة بصلاة الفاتحين، و يقول لك: شهادة السلفي الذي يرد بها أقوال الأئمة " حصن مسلم" و "نحن رجال وهم رجال"؟

و السؤال: هل عندكم مثله، فحتى "أذكار النووي" ما شهَّرها في الناس إلا السلفيون فما علَّم الناس في هذا العصر الذكر النبوي الصحيح إلا السلفية، وخذ من شئت من عوام الناس مع عام سلفي و انظر أيهما أكثر حفظا للأذكار المأثورة و التزاما بها، و الذكر و الدعاء جوهر العبادة.

أما "نحن رجال وهم رجال"، فهذه مما لم يقبلها بعض الناس من أبي حنيفة ~ رحمه الله ~ لما قالها في حق التابعين أو تابع التابعين،ومع ذلك لا أرى فيها أي مشكل، وهذا من المبالغة في ذمه ، و لا أظن أن عالما سلفيا يقولها في حق أحد كبار الأئمة قاصدا المماثلة من كل وجه ،و إن جاز شرعا و عقلا أن يصيب هذا العالم و يخطئ ذاك الإمام، وهذا فارق في المعنى شاسع على العقول الضيقة.

فالسلفي لا يقول بوجود أنبياء أربعة بعد النبي محمد صلى الله عليه و سلم يجب تقليدهم و يحرم مخالفتهم، ولا يقول: أنا مثل الأئمة الأربعة علما وفهما، لكن بخلاف المتمذهب لا يوقف الإصابة و التخطئة في مسالة عند إمام على تقدمه أو سعة علمه ،ولكن على الدليل الشرعي المعتبر.

و المتمذهب يجوِّز لإمامه تخطئة الصحابي و التابعي ولا يجوِّز للناس تخطئة إمامه، هذا دين الجنرالات لا دين الفقهاء.

عندما أقول: إن الرأي الذي طرد من المدارس الأثرية من النافذة عاد من الباب الكلامي فإني أعي ما أقول، و إذا كان لأهل الرأي قوة في البحث و النظر و استنباط المعاني لا تنكر فعندهم كذلك قلة عناية بالحديث.

وهكذا دعاة التمذهب الجدد من السلفيين مثلي ليس عندهم عناية كبيرة بعلوم الحديث لكني أخشى أنهم في لهيب التأصيل و الجدل سيستلفون الحجج القديمة الطاعنة على أهل الحديث مع نوع تأويل كأن يقولوا : هؤلاء لا علاقة لهم بأهل الحديث ،وهذا فيه بعض الحق لكنه قاصر عن الصورة الكاملة، ففي أهل العصر من أهل الحديث من يقترب من المتقدمين، و منهم من يختلف عنهم لضعفه أو لعدم معرفته بأصولهم جيداً، ومنهم المتشبث بهم حبا فقط.

و اليوم كما البارحة تجد في كتب المتمذهبين الطعن في أهل الحديث ووصفهم بأنهم كسالى خاملون ، عاجزون عن الجدل والنظر مع كثرة روايتهم وحفظهم للحديث متنه وسنده ودرايتهم برجاله حتى جاء الشافعي { انظر مقدمة "المنخول" لحسن هيتو}.

قلت: نفس الكلام يتكرر مع حذف "الحفظ"، و الذي يظهر من كلام هذا الدكتور أن سبب خمول وكسل أهل الحديث كثرة روايتهم وحفظهم لأحاديثه صلى الله عليه وسلم، والسؤال الذي يفرض نفسه هو:

إذا كانت مميزات المتكلمين والقياسيين و المدارس الهجينة المتولدة عنهما: الرأي، وقلة الدراية بالحديث، مع الفهم والذكاء، و التنظيم ، وكانت مميزات أهل الحديث: حفظ الحديث النبوي مع الكسل والخمول، و الفوضى ، فهذا يعني: أن الرأي يورث الذكاء والفهم ،والحديث النبوي يورث الجهل والعجز والكسل والخمول ؟!

ولا أريد الاسترسال في هذا فقد فعلت في موضع آخر.

إن هؤلاء يريدون أن يقولوا كما يقول حسن المالكي: إن الإكثار من الحديث مظنة لقلة الفهم والتدبر؟

لقد ذهب بعضهم بعيدا عن محجة العلماء عندما وصف المحدثين في هذا العصر خاصة شيخهم بأنه " مجرد وراق ، غاية علمه فهرست كتب الحديث مع جهل مطبق باللغة و أصول الفقه" !

وما ذلك إلا أنه يدعو إلى نبذ التقليد الأعمى، والتعصب المذموم والاعتصام بالسنة { أنظر هامش الصفحة600 من المنخول}.

ولقد أو سع جهده جهدا حتى أرهق نفسه ليبين للناس أن الغزالي قد رجع في أخريات عمره عن الطعن في أبي حنيفة على خلاف صنيعه في المنخول!

قلتُ: الرجوع عن الطعن على أبي حنيفة و هو عين الصواب لكن كذلك رجع عن فقهكم وكتب في ذمه صفحات طوال.

أهل الحديث أحق بالأئمة من الفروعيين، يعرفون قدرهم، ولا يقدمون إلا بعد النظر في كلامهم، في مرتبته من النظر، و لهذا كان عندهم كفاية في أصول الفقه التي ورثوها عن فقهاء الحديث كمالك والشافعي واحمد، ورأوا أن ما زاد عليها لا ينفع فأدى ذلك بالقياسيين من كل فج إلى اعتبار ذلك تراجعا ، وتقصيرا في الحرص على الفهم ، فقال الجويني في " البرهان"{ فقرة:592} وهو يناقش مسالة تحمل الرواية وجهة تلقيها:

" ولو عرضنا ما ذكرناه على جملة المحدثين لأبوه ، فإن فيه سقوط منصب الرواية عند ظهور الثقة وصحة الرواية ، وهم عصبة لا مبالاة بهم في حقائق الأصول."

والمحدثون كذلك لا يعتدون بأقوال الأصوليين في الحديث، و إن ذكروها فعلى سبيل السرد فقط.

إن التنافر بين المنهجين بلغ درجة جعلت الرازي يقول في " مناقب الشافعي"}ًً21}مقدمة المنخول لحسن هيتو:

" أما أصحاب الحديث فكانوا حافظين لأخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أنهم كانوا عاجزين عن الجدال والنظر وكلما أورد عليهم أحد من أصحاب الرأي سؤالا أو إشكالا أسقطوا في أيديهم عاجزين متحيرين."

قلتُ : لا أريد تجديد الحرب فاطعن على الرازي و الجويني بما هو ثابت عنهما.

فكيف يليق بمثل الرازي أن ينسب أهل الحديث إلى الحشو والعجز والكسل وقلة الدراية ، وهم أعظم منه علما و يقينا وطمأنينة؟ !

لقد عاب المتكلمون على المحدثين عجزهم عن رد الإشكالات كما قال الرازي ،وذلك لعدم تفريقه بين المحدثين الذين اعتنوا بجمع الأسانيد فقط ؛ أو تدوين أخبار رجاله ~ لا لقلة الفهم أو لعجز كما يحلو للبعض تسميته ،ولكن من خاض في هذا العلم الشريف علم أنه لا ينقاد له إلا باستنفاذ العمر فيه ، فهؤلاء هم الذين حفظوا للأمة دينها ،ولولاهم لضاع الدين بين صاحب هوى وجاهل ~ و بين فقهائه.

على كل حال شتان بين من استفرغ عمره يجمع أقوال رسول الله صلى اله عليه وسلم، ناظرا فيها، مصليا عليه، وبين من استفرغه في تتبع كلام الناس.

ولو سألنا: بداية من القرن الرابع من كان من فقهاء المذهبية على عقيدة سلفية، وكم نسبتهم في المجموع؟

وهل هذا لاختلاف أصول النص العقدي عن النص الفقهي، أم لضعف في الأصول العامة أثر هنا كما أثر هناك ؟

من أين دخلت البدع الفقه المذهبي الفروعي، أليس من الحديث الضعيف و الرأي المحض كالجهر بالنية و غيرها كثير جداً ، حتى إنك تجد الرجل البسيط ~في بعض المذاهب ~ إذا أراد أن يتيمم دخل في حركة أشبه برياضة اليوقا تكلفا ألزموه به، لا شيء من النصوص يدل عليه ؟

ومما لا ينبغي أن لا نغفل عنه أن الفقه الفروعي المحض و صلنا في هذا العصر مُكفَّنا في علم الكلام و التصوف الكشفي، ملتصقا بالرداءة التي أصابت الأمة، مغذيا لمظاهر الانحلال عن الشريعة بالغفلة أو بالتأصيل أو باللامبالاة.

وجد السلفيون ومعهم الإخوان المساجد فارغة من الشباب المتدين، فعمروها بفقه السنة، و أزاحوا عن الفقه الإسلامي طبقات من مخلفات القرون، و إن كان لبعضهم سلبيات لا تنكر، فإن وجد اليوم من يريد إصلاحه ورده إلى أصوله الأولى الأثرية فبفضلهم لا بفضل أهله.

ومن وجد فيه طريقاً للاستفادة منه فعليه أن لا يغفل هذا ،و أن يجمع مع هذه الحاجة الدعوة إلى إصلاحه، أما من رضي به كما هو ثم صار يُنظِّر له بان كل الناس مقلدة لأنه قرَّر في رأسه أنهم مقلدة، بحجة تشبه لُعبة قَرَّد ، و أنه يمكن لنا الانحراف عن ظاهر الدليل لمعنى قرع عقله حوَّل النصَّ إلى تُحفة في متحف نزورها في المناسبات، و لأن الخلاف سائغ، فهذا شيء آخر .

وعليه إذا قدَّر بعض الناس أن الدرس الفقهي المذهبي أنفع بدون أن يؤصلوا له بالقسمة الذهنية الحاصرة المخترعة " مجتهد مقلد" ،فهذا تقديرهم، و لم يحجر عليهم أحد في تدارس الفقه بأي طريقة يريدون، المأمول أن ينفعوا الأمة فقط، فأصلا طرق التعليم مختلفة لا يجب حصرها في طريق واحد.

وعلى كل واحد أن يتعلَّم بحسب ما تيسر له من أسباب في نفسه، وفي بيئته، إنما هي

الهمم تختلف كاختلاف المنازل عند الله، بين من يريد الفقه ، ومن يريد الفقه الذي سماه الله و رسوله فقهاً، وكما قال ابن تيمية في الوصية الصغرى: " قد يتلطخ الإنسان الذي ينشأ بين أهل علم ودين من أمور الجاهلية بعدة أشياء فكيف بغيره؟ !"، فلا عاصم إلا الله.

وحتى لا نعود إلى معارك طاحونات الهواء القديمة مع خراب العقول الذي نعيشه فوصيتي للشباب هي وصية ابن تيمية للمغربيين :)) وَأما مَا تعتمد عَلَيْهِ من الْكتب فِي الْعُلُوم فَهَذَا بَاب وَاسع، وَهُوَ ~ أَيْضا ~ يخْتَلف باخْتلَاف نشء الإنسان فِي الْبِلَاد ،فقد يَتَيَسَّر لَهُ فِي بعض الْبِلَاد من الْعلم أَو من طَرِيقَة ومذهبه فِيهِ مَا لَا يَتَيَسَّر لَهُ فِي بلد آخر.

لَكِن جماع الْخَيْر أَن يَسْتَعِين بِاللَّه سُبْحَانَهُ فِي تلقي الْعلم الْمَوْرُوث عَن النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم فَإِنَّهُ هُوَ الَّذِي يسْتَحق أَن يُسمى علما وَمَا سواهُ إما أَن يكون علما فَلَا يكون نَافِعًا، وَإِمَّا أَن لَا يكون علما وإن سمي بِهِ، وَلَئِن كَانَ علما نَافِعًا فَلَا بُد أَن يكون فِي مِيرَاث مُحَمَّد صلى الله عَلَيْهِ وَسلم مَا يُغني عَنهُ مِمَّا هُوَ مثله وَخير مِنْهُ.

ولتكن همته فهم مَقَاصِد الرَّسُول فِي أمره وَنَهْيه وَسَائِر كَلَامه، فإِذا اطْمَأَن قلبه أَن هَذَا هُوَ مُرَاد الرَّسُول فَلَا يعدل عَنهُ فِيمَا بَينه وَبَين الله تَعَالَى، وَلَا مَعَ النَّاس إذا أمكنه ذَلِك. وليجتهد أَن يعتصم فِي كل بَاب من أَبْوَاب الْعلم بِأَصْل مأثور عَن النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم وإِذا اشْتبهَ عَلَيْهِ مِمَّا قد اخْتلف فِيهِ النَّاس فَليدع بِمَا رَوَاهُ مُسلم فِي صَحِيحه عَن عَائِشَة ~ رَضِي الله عَنْهَا ~ أَن رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم كَانَ يَقُول إذا قَامَ يُصَلِّي من اللَّيْل : " اللَّهُمَّ رب جِبْرِيل وَ مِيكَائِيل و إسرافيل فاطر السَّمَوَات وَالْأَرْض عَالم الْغَيْب وَالشَّهَادَة أَنْت تحكم بَين عِبَادك فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ اهدني لما اخْتلف فِيهِ من الْحق بإذنك إنك تهدي من تشَاء إلى صِرَاط مُسْتَقِيم فَإِن الله تَعَالَى قد قَالَ فِيمَا رَوَاهُ عَنهُ رَسُوله : "يَا عبَادي كلكُمْ ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم ".

وَأما وصف الْكتب والمصنفين فقد سمع منا فِي أثْنَاء المذاكرة مَا يسره الله سُبْحَانَهُ وَمَا فِي الْكتب المصنفة المبوبة كتاب أَنْفَع من صَحِيح مُحَمَّد بن إسماعيل البُخَارِيّ لَكِن هُوَ وَحده لَا يقوم بأصول الْعلم وَلَا يَقُول بِتَمَام الْمَقْصُود للمتبحر فِي أَبْوَاب الْعلم إذ لَا بُد من معرفَة أَحَادِيث أخر وَكَلَام أهل الْفِقْه وَأهل الْعلم فِي الْأُمُور الَّتِي يخْتَص بعلمها بعض الْعلمَاء وَقد أوعيت الْأمة فِي كل فن من فنون الْعلم ايعابا، فَمن نور الله قلبه

هداه بِمَا يبلغهُ من ذَلِك، وَمن أعماه لم تزِدْه كَثْرَة الْكتب إلا حيرة وضلالا، كَمَا قَالَ النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم لأبي لبيد الْأنْصَارِيّ: "أَو لَيست التَّوْرَاة والإنجيل عِنْد الْيَهُود وَالنَّصَارَى فَمَاذَا تغني عَنْهُم؟")).

وملخصها: طالع بقدر ما تستطيع لجميع المدارس و المذاهب، لكن قلبك النابض كتب أهل الحديث، وكتب من ثبت فهمه الدقيق منهم، و إذا اشتد عودك وعرفت عقيدتك و منهجك فليس لنهم القراءة حد، وليكن همك: عند مَن أجد مراد الله و رسوله؟ مع الاستعانة بالله في كل ذلك، و احترس من بعض مؤرخي الجماعات الإسلامية فكلام بعضهم في الباب تلفيق تعبيري ليس إلا.

الصورة يمكن أن تأول عدة تأويلات،كـ هذا أول الرمي ـ السلفية يحتاجون إلى قوات حفظ السلام بينهم ـ يمكن أن نختلف و نبقى يدا واحدة فمن سقطت منه كلمة التقطها و عفا الله عما سلف .... الخ .

السلفيون فئات كثيرة فيجب التمييز بينهم.

الحمد لله وحده، و الصلاة و السلام على من لا نبيَّ بعده.

بعض الصَّراحة لا يقتل.

أين يكمن الإشكال السَّلفيُّ ؟

مادام عقلاء الأمَّة يعتبرون السَّلَفيَّة اللَّقيطة ،سلفيَّة القُمامة جماعة سلفيَّة فلن تتوقَّف هذه المهازل.

هؤلاء فرقة لقيطة من سِفاحٍ بين فهمٍ للدِّين قاصر و

اعداءٍ يوظِّفونها، تقتات على القُمامة،و ينفخ فيها أعداء الدِّين.

بهذا وحده يسلم لك التَّحليل حينما تكلُّ في البحث عن أسبابٍ موضوعية لهذا الوباء الكارثي في العلم و السُّلوك.

هل يوجد في المنتسبين للسلفية من في الحقيقة علاقتهم بها سطحية أو متطفلة؟

قال ابن تيمية في "مجموع الفتاوى"{184/3}:" ما من إمام إلا و قد انتسب إليه أقوام هو منهم بريء قد انتسب إلى مالك أناس مالك بريء منهم، و انتسب إلى الشافعي أناس هو بريء منهم، وانتسب إلى أبي حنيفة أناس هو بريء منهم، وقد انتسب إلى موسى عليه السلام أناس هو منهم بريء، و انتسب إلى عيسى عليه السلام أناس هو منهم بريء، و قد انتسب إلى علي بن أبي طالب أناس هو بريء منهم، ونبينا قد

انتسب إليه من القرامطة و الباطنية و غيرهم من أصناف الملاحدة و المنافقين من هو بريء منهم".

وعليه، لا يتبين المنحرف عن الطريقة و المتطفل عليها، و المشوِّه لها إلا بالإشارة إليهم ،و المميز لحقيقة الأقوال لا تغره النسبة، ولا يحتفل بها، ولا يُدخل المسلمين في صراع الأسماء، و عندما تنتقد آراء العلماء يردها بنقد يوازيها علما وموضوعية،ولا ينصبهم كالأنبياء لا يخطئون ولا ينتقدون.

السلفية السَّبَّابة:

ثانيا: يعتقد بعض الطيبين أن كل من " يخالف"، "يعادي"،" يعارض"، " ينتقد".... "الخ" الشيخ ربيع ~ سدده الله ~ هو سلفي "جيد"، "معتدل"، "صحيح"... «الخ"، وهذا غير صحيح بالمرة.

إذ يجب علينا أن نفرق بين من طردته سلفية الشيخ ربيع فانقلب عليها وهم صنفان: صنف كانت له فرصة لمراجعة أصوله و منهجه، أو إبراز ما كان يضمره منها خوفا منهم، وهؤلاء عندهم مشكل مع منهج الشيخ ربيع و ليس مع شخصه، ومنهم من كانت له آراؤه الخاصة لكنه كان يظن أن هذه الفئة من السلفيين ناضجة لتتعامل بايجابية مع قناعات الآخرين فاكتشف أنهم لا يرضون إلا بالخضوع الكلي لآراء زعيمهم و أنهم تجمع جهال.

الصنف الثاني: خلافهم مع الشيخ ربيع خلاف انتقام منه، فهم يرفضون الشخص لا المنهج، وهؤلاء تجدهم على نفس منهجه الاقصائي السبابي الافترائي ،وهم أسوأ من أتباع الشيخ إذ هم أقل صدقا منهم و أفسد للشباب ، لأنهم غير صادقين في نقده ، ولا يسمون الأشياء بمسمياتها،ويضيعون الحق في المتاهات،يغرقونه في المجملات حتى لا يعرف الناس على من ينزل، و إنما يبهم النقد عندما يكون مضرا بالصالح، أما من كثر فساده حتى ضر القريب و البعيد ، وشوه الحق فالواجب الإشارة إليه حتى يطابق الناس بين النقد وبين أقواله، فمناقشة المناهج الطويلة العريضة غير النصيحة في قضية جزئية وقعت من صالح.

كذلك تجدهم يصنعون الأكاذيب للطعن في مخالفهم،و يضعون المعاني الفاسدة تحت القوالب الصحيحة تخريبا للغة و تزييفا للحقائق فيرفضون نقد أو مناقشة آراء شيوخهم التي يرفعونها إلى مصف النص، و يسمون نقدها بـ " الطعن في العلماء"، و "سوء

الخلق" و "التعالم" و ليس في المسلمين أسوأ خلقا منهم؟
كما يسمون الشهادة للمخالف بالحق و الإنصاف بـ "الثناء على المبتدعة"، و يسمون كل ما لا يفمهونه، وقد دلت عليه الشريعة بقياس أو بدلالة عقلية بـ "العقلانية" مع أنهم يقولون عن بكرة أبيهم بالمعارف السابقة في النفس، و ما العقلانية عند العقلاء إلا إرجاع المعرفة التجريبية لمبادئ العقل التي يعتبرها فطرية أو قبلية، فيخلطون بين هذا و بين من يرفض أية معرفة لا يقرها العقل في مقابل الوجدانية و النقلية؟
ووصف الدليل عندهم بـ"العقلي" وصف للمستدل به بـ"العقلانية"، وهذا غاية الجهل و الضعة العقلية إذ الوصف بالعقلي وصف لأفعال العقل التي هي الإدراك و التصور، و عندما نقول: "الدليل العقلي" فان الدليل لا عقل له، بل العقل للمستدل، وسواء نظر الإنسان في دليل أصله السمع أو الضرورة أو الفطرة، فجميع الأدلة بهذا المعنى عقلية، لأن كل ما تصوره العقل و علم انه يدل فهو دليل عقلي، فلا نسمي الشيء دليلا إلا إذا كان مفضيا إلى العلم بالمدلول عليه،و لا يكون هذا إلا لمن عقل دلالة الدليل، فالدليل يدل بصفة في نفسه ، لا بصفة في المستدل،لكن كونه عقليا يرجع إلى أن المستدل يعلمه بعقله ،وهذه صفة في المستدل و ليس في الدليل.
فمصيبة هؤلاء المنتسبين للسلفية أنهم غير واعين بالمنهج السلفي الحقيقي فيسلمون للمخالف بالتقسيم و التصنيف و بمعنى الاصطلاح في التأصيل و يخالفونه في اللفظ فقط، ثم يذمون سلفيتهم من حيث لا يعلمون؟
وهذه مصيبة ابتليت بها السفلية المعاصرة حتى إنهم لا يفرقون بين النظر الطلبي، وهو البحث عما يدل على الحق، كما يفعل الحائر في الديانات، وهذا لا يفعله السلفي الحقيقي فالحق عنده ~ في الدين ~ في النص، و بين النظر الاستدلالي وهو فحص الدليل الذي يوصله للحق.
المهم أنهم يتاجرون بالمعاني السوقية في الألفاظ العلمية.
و بطبيعة الحال هناك المخالف للشيخ ربيع أصالةً، ليس لأنه طُرد فارتد عليه؛ وما بين هذه الأصناف تفاوت في نوع النقد و قيمته، و في النظرة الإجمالية لهذه الفئة من السلفيين، و الواجب على الصادق أن يتميز عنهم علما وحالا، و أن يكشفهم للناس و يحذر من انحرافهم ،لأنهم السبب المباشر في تشويه الإسلام قبل السلفية ، وحينئذ الدفاع الوحيد و الممكن أن نقول: لسنا مثلهم ...

ملاحظة: بعض الناس جعل السلفية مرادفة للإسلام، ومع أن نقد بعض المسلمين ليس نقداً للإسلام، فإن الإسلام اسمه " الإسلام" و ليس "السلفية " مهما كانت محبوبة إلينا، وكنا مقتنعين بها.
ثم لماذا ندافع عن السلفية، ونربط القضايا بها لا بالإسلام، أليس في إثباتنا أن الأمر الفلاني مخالف للشريعة أو موافق لها نكون سلفيين على الحقيقة بدون الحاجة إلى التسمي بهذا الاسم، فالمعتبر الحقائق و المعاني لا الأسماء؟
ألسنا حينما نربط ما يمكن التدليل عليه بالأدلة الشرعية بالسلفية أو بشيوخها نجعله ظنيا من موارد الاجتهاد، فيظن المخالف أنه يخالف اجتهاد أفراد لا الشريعة ؟

أنواع التابعين للشيخ ربيع

الحمد لله وحده، و الصلاة و السلام على من لا نبيَّ بعده.
عندما تُناقش من يدافع عن الشيخ ربيع و المشيخة التابعة له ~ سددهم الله ~ يجب أن تأخذ بعين الاعتبار التالي:
أكثر من لم يغادر المدخلية إما شاب صغير التحق مؤخراً ، لم يحضر بداية سنوات 2000م ، فلم يعش سنوات الردود عندما بلغ الصراع ذروته، و لذلك تجده يناقش في قضايا قتلت بحثاً ، وربما لم يقرأ أصلا الردود المختلفة على الشيخ ربيع و على المشيخة التابعة له؟
و إما رجل لا يكترث بعلم ولا دليل، أو لا يقدر على التمييز بين الأدلة،فيفاضل بالتزكيات المجملة و يتبع التيار الذي نشأ فيه ، و قد حشروا في رأسه عشرات الشعارات الفارغة في تمجيد منهجهم و أخرى في ذم المخالفين لهم.
و إما صاحب مصلحة لو تركهم بقي خاملا و ذهبت الامتيازات، و هذا حال الذين يخالفون الشيخ ربيعاً في تأصيلاته و يوافقونه في أحكامه؟ !
و الصنف الأول و الثاني قد يكونون ضحايا دعاة السعودة ممن كثر تناقضهم، فتراه يذم منهجا و تفهم من كلامه أنه محدث لكنه يجتنب ذم المنظِّرين له، و لا مانع له إلا السعودة المذهبية أو السياسية، وهؤلاء كفانا الشيخ ابن جبرين ~ رحمه الله ~ تناقضهم عندما أطلق الوصف المطابق للشيخ ربيع.
فمن يعرفون الصواب كثر، ومن يملكون الشجاعة للصدع به قلة، و أكثر من ضاع من الشباب في هذا المنهج المنحرف المحدث الذي لا تجد من أين تمسكه سببه

الساكتون عن الحق لمختلف الأسباب.
وبدون التقليل من احترام بعض الشباب أقول: من لا يزال يحسن الظن بالشيخ ربيع ومنهجه ينقصه الكثير ليتداركه،فليحرص على التعلُّم و ليدع جانباً التزكيات النافخة في الهواء والتعلق بموقف بعض الشيوخ فإن الدليل وحده هو المميز بين الصواب و الخطأ،كيف تدافع عن رجل يبدع بالسبحة؟
فيما يخص الاسم " المداخلة" فهو الاسم المطابق لهم، و إن كانوا يتسمون بـ " السلفية" و يعتقدون جازمين في أنفسهم أنهم سلفية، إنما المعتبر في استحقاق اسم طائفة ما أن تثبت أن أصولك هي أصول تلك الطائفة، وهذا ما عجز عنه المداخلة في مئات المقالات و الرسائل و التسجيلات.

الجواب المختصر

إذا أردت أن تعرف حكم الشيخ ربيع على منهجه بعباراته فاقرأ له رده على شيخه محمود الحداد، و كذلك رده على عبد اللطيف باشميل؟!
ستذهل من قوة التطابق و التماثل بينهم، المشكل الوحيد انه بخلافهما لا يطرد أصوله :يهاب التعرض للأسماء الكبيرة فلا يبدع من هم وفقا لأصوله مبتدعة !

الإخوانية في عفن بعض العقول المتسلفة

الحمد لله وحده، و الصلاة و السلام على من لا نبي بعده.
بعض المتسلِفة ~ من النسخة الرديئة عن المدخلية/الحدادية الأصلية ~ الذين اعتادوا الاحتيال على بسطاء أتباعهم أو من يحسنون الظن بهم، بالانحراف عن محل النزاع إلى سخافة وسم الناس بأسماء زوَّروها ما أنزل الله بها من سلطان، يصوِّرون للناس أنها أسماء مذمومة كـ "مميع ،و إخواني وحزبي....." الخ.
وقد كان الأولى من هذه السخافة المزرية بعقولهم أن يناقشوا القضايا المختلف فيها بعلم دون أن يلجئوا إلى هذه السفسطة.
ومن عجيب هذا التيه الذي يسمونه " المنهج السلفي" أنهم يسبون بعضهم بعضاً بهذه الأسماء، فيسعى كل طرف إلى إثباتها في الطرف الاخر كأنها الطاعون أو الكفر ،وما هي إلا من بنات خيالهم المضطرب و نفوسهم الحقودة التي فاضت بالكراهية و البغضاء ،فيجتهد بعضهم في كتابة مقالات مطوَّلة في اتِّهام الشيخ ربيع بأنه إخواني أو فيه بقايا إخوانية ، و معلوم أن هذا القول لا يستقيم عقلا ولا عادة،وهو مجرد

تهويل بمنهج توليد البغلة .
و الشيء نفسه يفعله الشيخ ربيع و أتباعه مع المخالفين لهم، فصار هذا الاسم " الإخوان المسلمون" في عرف ووجدان أتباعهم كأنه اسم " الجهمية، أو الرافضة، أو الكفار"،وهذا لا يستقيم إلا في منهج الحلول و الاتحاد حيث يكون الأبعد عن الرسول أفضل من الأقرب إليه، وحيث موسى عليه السلام كفرعون ؟
وهذا يدل على سطحية عقولهم، و قلة بضاعتهم ،أصابهم ما أصاب بعض أهل الحديث قديماً إذا لم يفهموا الكلام وسموه بالفلسفة،كما طعن يحي بن معين في أحمد بن صالح الطبري بالفلسفة فقال الذهبي في" الرواة الثقات المتكلم فيهم"{46/1}:" احمد بن صالح الطبري حافظ الديار المصرية و عالمها ثقة جبل، لم يلتفت إلى قول يحي بن معين فيه: كذاب يتفلسف، ولا قول النسائي:ليس بثقة، قد احتج به البخاري، و لكنه فيه تيبس و جفاء عفا الله عنه، و كان شيخا في العلم متفننا".
نقل السَّخاويُّ في (فتح المغيث4/361) عن ابن دقيق العيد أنَّه قال: ((عَلَى أَنَّ ابْنَ يُونُسَ قَدْ رَدَّ قَوْلَ ابْنِ مَعِينٍ أَنْ لَوْ كَانَ فِي أَبِي جَعْفَرٍ بِقَوْلِهِ: لَعَلَّ ابْنَ مَعِينٍ لَا يَدْرِي مَا الْفَلْسَفَةُ ; فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِهَا .
وَلِذَا كَانَ أَحَدَ الْأَوْجُهِ الْخَمْسَةِ الَّتِي تَدْخُلُ الْآفَةُ مِنْهَا فِي ذَلِكَ، كَمَا ذَكَرَهُ ابْنُ دَقِيقِ الْعِيدِ، وَقَالَ: إِنَّهُ مُحْتَاجٌ إِلَيْهِ فِي الْمُتَأَخِّرِينَ أَكْثَرَ ; لِأَنَّ النَّاسَ انْتَشَرَتْ بَيْنَهُمْ أَنْوَاعٌ مِنَ الْعُلُومِ الْمُتَقَدِّمَةِ وَالْمُتَأَخِّرَةِ حَتَّى عُلُومِ الْأَوَائِلِ، وَقَدْ عُلِمَ أَنَّ عُلُومَ الْأَوَائِلِ قَدِ انْقَسَمَتْ إِلَى حَقٍّ وَبَاطِلٍ، فَمِنَ الْحَقِّ عِلْمُ الْحِسَابِ وَالْهَنْدَسَةِ وَالطِّبِّ، وَمِنَ الْبَاطِلِ مَا يَقُولُونَهُ فِي الطَّبِيعِيَّاتِ وَكَثِيرٍ مِنَ الْإِلَهِيَّاتِ وَأَحْكَامِ النُّجُومِ، وَقَدْ تَحَدَّثَ فِي هَذِهِ الْأُمُورِ أَقْوَامٌ، فَيَحْتَاجُ الْقَادِحُ بِسَبَبِ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ مُمَيِّزًا بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ ; لِئَلَّا يُكَفِّرَ مَنْ لَيْسَ بِكَافِرٍ أَوْ يَقْبَلُ رِوَايَةَ الْكَافِرِ، وَالْمُتَقَدِّمُونَ قَدِ اسْتَرَاحُوا مِنْ هَذَا ; لِعَدَمِ شُيُوعِ هَذِهِ الْأُمُورِ فِي زَمَانِهِمْ، وَنَحْوُهُ قَوْلُ غَيْرِهِ: إِنَّهُ مِمَّا يَنْبَغِي اعْتِمَادُهُ فِي الْجَارِحِ وَالْمُعَدِّلِ أَنْ يَكُونَ عَالِمًا بِاخْتِلَافِ الْمَذَاهِبِ.))
قلتُ: رحم الله العلماء فإنَّهم كفونا مؤنة الجهَّال الَّذين لا يميِّزون بين حقٍّ وباطل،ولا زمان و آخر.
فآفة هؤلاء القوم أنَّهم لا يعرفون الفلسفة ، لا يعرفون لغتها ،ومصطلحاتها ،ومذاهبها، و مسالكها، ولا يعرفون كيف يردُّون عليها بأدلَّة الكتاب و السُّنَّة ، ولا يعرفون معنى

الحزبية فهم أشد تحزبا من غيرهم، والاخوانية عندهم هي الحديث في إصلاح السياسة علما أو عملا، و السعي للمِّ شمل الأمة فهذه الأشياء مذمومة عندهم حتى تصبح كل الأمة على تلفيتهم ؟

و لو سألتهم عن خصائص الإخوان التي يكون بها الشخص إخوانيا لما حاروا جوابا واضحاً فمرة الإخوان مرجئة ومرة مكفرة خوارج؟ !

وتجد الواحد منهم يملك شجاعة عنترة إذا تعلق الأمر بسيد قطب ~ رحمه الله ~ فهو أس التكفير بالحاكمية ومعدن كل المصائب عنده، لا يذكرون له حسنة واحدة، و إذا جاء الحديث عن علماء السعودية الذين يقولون مثله في الحاكمية أصابهم البكم، و دخلوا في المداهنة التي اعتادوها مع أنظمة الحكم، و جعلوا قول الفضلاء من باب المرجوح؟

و طعنوا في غير واحد كالمأربي و عدنان عرعور بالثناء على سيد قطب، و قد أثنى عليه بكر أبو زيد و مفتي المملكة و غيرهما لكنهم يجبنون عن الطعن فيهم .

وعلى هذا أقول لبعض مخرفيهم: متى رأيتني شديد الإعجاب بتلفيتكم أو أبالي بكلامكم، و أنا أذمكم في كل حين ؟

ومتى رأيتني أعتد بهذه الأسماء و أذم الشخص بالطائفة التي ينتمي إليها، أنا أناقش قضايا علمية أو فكرية أو سياسية بحسب مبلغي من العلم لا أشعل حروبا على الأسماء المحمودة أو المذمومة، و اسم " الإخوة الإسلامية" محمود شرعاً ،وكما أشار ابن حزم ـ رحمه الله ـ إلى هذا المشكل المنهجي في التدافع العلمي الفكري عندما قال في (التقريب إلى حد المنطق)(597): ((كذلك ليس علينا قسر الألسنة إلى الإقرار بالحق لكن علينا قسر النفوس إلى الإقرار به ،وقطع الألسنة عن المعارضة الصحيحة لعدم وجودها، إذ لا يتعارض البرهان وإذا أقمناه فقد أمِنَّا أن يقيمه خصمنا))

ومع ذلك يعلم الناس أني كتبتُ مقالات نقدية فيهم قبلها بعضهم و رفضها بعضهم، لم أقف فيها عند الأسماء مثل: " مراجعة سياسة الإسلاميين"، «نظرية التمكين عند الإخوان"، « العيش في الحقيقة"... الخ.

و ربما كنتُ الوحيد الذي أنصفهم بعد محنتهم في مصر عندما وظَّف النظام السعودي و المصري الآلة المدخلية لتشويه الإخوان في مقالات كبيرة مثل" العجز عن التوليف بين الدعوة و السياسة" ، " حقيقة التحامل على الإخوان" ،" الفرق بين الإخوان و

الخوارج".
كما كتبتُ في نقد الفقه السياسي السلفي المعاصر في مثل: " تعرية وسائل تحنيط الحقائق في فكر السلفية النظامية"... الخ.
أنا لا أشتغل بوابا على الجنة؛ ولا حاجبا على السنة أدخل فيها من يواليني و أخرج منها من يخالفني بمثل هذه الحجج السخيفة.
كما اعتز بما أنا عليه، و لو كنتُ على مذهب جماعة معينة فإني أدعو إليه بكل فخر، و لكني لستُ كذلك، انأ سلفي العقيدة و المنهج المعرفي على طريقة ابن تيمية [وهنا نقطة نفجر منها بحراً من الفروق] غير متحزب لجماعة بعينها إذ كل الموجود ليسوا السلف ولكن تمثلات مختلفة بحسب اجتهادهم لما كان عليه السلف ، بعضهم ينتسب إليها و لم يتصورها جيداً ، و لو كانت هي السلفية بالمطابقة لما اختلفوا فيها هذا الاختلاف الشنيع؟
كما لا اعتد بالأسماء إلى باسم مسلم، و عند الضرورة حينما ترفع الألوية فانا سني ، لا غير، لا إضافة، لا قيد، لا شرط إلا الدليل، ومن وجد شيئا زائداً في السلفية على الإسلام،أو وجد فائدة زائدة في التسمي بالسلفية على التسمي بالسنة فليتحفنا لكن لينتبه من حجة الدور الفاسد؟
وسواء قلتَ: إخواني، تبليغي، صوفي، شيعي، تنويري، داعشي، سلفي، خلفي، علماني،شيوعي، ليبرالي، جني، مريخي... الخ فكلامكم عندي و البعر سواء، فلا مدحكم ، ولا ذمكم له أساس معقول .
عندما يقول لك بعض هؤلاء: لقد أشفقت على ذبح أهل رابعة فاعلم انه كذاب إذ هم عنده خوارج مكفرة مارقة ضلال، وقد يكفرهم، و يدعو عليهم بكل سوء، و يتمنى زوالهم من الأرض فمن أين جاءته الشفقة عليهم، وليس هو من البشر الذين يفرقون بين الاختلاف الفكري و الإنسانية الإسلامية أو العلمانية.
و إذا قال لك : نحن لم نؤيد السيسي إلا بعد أن أصبح متغلبا فهو كذلك كذاب إذ بدؤوا الطعن على مرسي قبل الانقلاب كما تشهد عليه مواقعهم و قنواتهم الفضائية ، و قبل الانقلاب كانت لميس الحديدي و وائل الأبراشي ينقلون بعض المقاطع من كلام شيوخهم في ذم الإخوان و حزب النور؟
وقد ساندوا السيسي قبل أن يستتب له الأمر و يصبح متغلبا، و الأمر لم يستتب له إلا

بعد الانتخابات إذا جاز هذا القول، ولعل موقفهم من أحداث تركيا يبين لك نظرية المتغلب عندهم،كما يبين لك موقفهم من الانتخابات الأولى في تونس حيث نادوا بانتخاب العلمانيين على حساب حزب النهضة موقفهم الحقيقي العملي، لا حجج المجادلة بعد انقضاء الأحداث.

الفجوة بينكم وبين المجتمع الذي تعيشون فيه ليست فقط في تلك العلاقة المتشنجة مع مختلف مكوناته وطبيعتها الصراعية العدائية لغة وردا للفعل،ولكن هو أن تكونوا فيه بأجسامكم و عقولكم في عالم افتراضي صنعتموه بمخيال زائف في عقولكم.
فإلى متى تعيشون في فقاعة تؤصلون لها بشبهات و كلمات منتزعة بوحشية من سياقها التاريخي و المعرفي تحت عنوان الهجر و التحذير جعلتكم كالغرباء داخل أنفسكم ،مهمشين داخل مجتمعاتكم؟
كل ما تطعنون به على غيركم من أهل السنة فيكم مثله أو أسوأ منه فارتاحوا.
سلفية مريضة، الناس أكلهم الإلحاد الداخلي و الخارجي، وهم يلهوننا بالكلام في هذه السخافات.

النَّصيحة السِّياسيَّة و معضلة السِّرِّ و العلن

الحمد لله وحده، و الصلاة و السلام على من لا نبيَّ بعده.
مشكلة المداخلة في شيئين: الأول: أقوال في جهةٍ، ومواقف في جهةٍ مناقضة تدمِّر أقوالهم.
الثاني: اطلاقات وعمومات شرعيَّة أو أقوال سلفيَّة يتسترون تحتها على وقائع مغايرة.
المشكل معهم دائماً في عدم تمييز القدر الفارق لذلك جل أقوالهم ذات اشتباه،و فقههم السِّياسي جامد على أقوال سلفية و إن تغيَّر الواقع الذي أُطلقت فيه،فلا تجدهم يفرِّقون بين أنواع النَّصيحة و لا بين أنواع أساليب النُّصح ،فلا يفرِّقون بين النَّصيحة المباشرة و النَّصيحة غير المباشرة، أو النَّصيحة الخاصَّة الشَّخصيَّة للحاكم و النَّقد العامِّ للموضوع و ليس للشخص ، و يلزمون الأحزاب السِّياسيَّة و الشخصيَّات العامَّة بما يلزم العلماء، ولا يفرِّقون بين عالم متبوع و عالم مفكر و مثقف ناشط سياسيًّا ، ولا بين الدَّولة القديمة عديمة المؤسَّسات السِّياسيَّة و الدَّولة المعاصرة و هيكلها السِّياسي و

ثقافتها السِّياسية ، لا في حل ضعف ولا في حال قوَّة، و يتكلَّمون عن سرِّيَّة النَّصيحة كأنَّ علَّتها غيبية لازمة ، ولا يذكرون شروط النَّصيحة في النَّاصح و المنصوح، و هل المصلحة توقيفية أم تقديرية ؟

لذا وجب تفصيل هذه القضايا ، بداية بكلمة عن انتقادات المداخلة للإخوان، و ثانيا عن شبهة اتِّهام كل من قال كلمة خير في غير مدخلي بأنَّه إخواني، و ثالثا: تفصيل قضية النَّصيحة السِّياسيَّة، لكن قبل ذلك نقول: الحائر المتردِّد بين فرقتين هو من يُعامل أخطاء العلماء ~ أو ما يتوهم أنه خطأ ~ بأصول الوعيدية، و أخطاء الحكَّام بأصول المرجئة السِّياسيَّة.

و باختصار شديد لا يكون المرء حائرا في قضية العلاقة مع الحكَّام إذا ميَّز بين التالي:

1 ـ من نظر إلى ما ارتكبه الحكَّام من الأمور المنهي عنها؛ فذمهم و أبغضهم، وقد يعدُّ حسناتهم سيئات.

2 ـ من نظر إلى ما فعلوه من الأمور المأمور بها فأحبَّهم وقد يجعل سيئاتهم حسنات.

3 ـ المتوسطون الذين ينظرون إلى مقدار المنفعة و المضرة،و يتبيَّنون الأغلب.

4 ـ من نصح سرًّا أو علناً بما يوقع الفتنة و يجلب الشَّرَّ.

5 ـ من نصح سرًّا أو علناً بعلمٍ و أدب و لم يشخصن النَّقد.

6 ـ من ترك النُّصح سرًّا وعلناً و إن زعم أنَّه يفعله في السِّرِّ فإنَّ مواقفه تُكذِّبه، إذ من يُناصر على الظُّلم و يتغافل عن السِّيئات الكبيرة يمتنع عادةً و عقلا أن ينصح في السِّرِّ.

وكذلك من علَّق تقدير المصلحة على شخص الحاكم.

1 ـ القول بأنَّ الإخوان يخرجون على الحكَّام أراه غير دقيق ومحض تهويل، فأين خرج الإخوان على الحكَّام بالسِّيف المعاصر؟

الذين خرجوا على الحكَّام فيما بات يُعرف بـ[الربيع العربي] هي الشعوب و ليس الإخوان، فمن يتكلَّم على الإخوان بدون تحاملٍ لصالح الحكاَّم عليه أن لا يركز على الحالة المصريَّة فإنَّها استثناء نعود إليه لاحقاً.

و إذا فرضنا جدلاً أنَّهم خرجوا في ليبيا و سوريا فبمباركة الأنظمة الخليجية و بعض شيوخها ، هذه الأنظمة التي يدافع عليها المداخلة، ومن عنده الشجاعة فليرنا شيخاً

مدخليا ذمَّ السعودية على تورُّطها في سوريا و ليبيا ، بل المداخلة يدورون مع النظام السعودي حيث دار، كان ثوريا على القذافي فكانوا معه أو التزموا الصمت ثم صار مع حفتر فصاروا معه، وحيثما وجدتَ صراعاً بين إسلامي و غير إسلامي كانوا مع غير الإسلاميّ؟

وكان النظام السعودي مع مبارك فكانوا معه، ولما أبرز العداوة لرئيس الإخوان في مصر أبرزوا له العداوة ،و لما دعَّم الانقلاب و نصر السيسي ناصر المداخلة السيسي، و أحياناً تضطرب عليهم الأمور فيلزمون السكوت.

ومن يتحدَّث عن الإخوان فليتحدث عن الإخوان في بلدِهِ هو لأنه يتبع حاكم بلده و ليس لملك السعودية، ولقد خرج بعض النَّاس في الجزائر بالسَّلاح و لم يخرج الإخوان ، قد يُقال : كانوا في الحكم أو غير ذلك المهم، أن المداخلة لا يتهمونهم بالخروج إلا في البلاد التي شهدت مظاهرات شعبية.

2 ـ أما عن المظاهرات فأنا لا أرى من ورائها طائلا و أنَّ نهاية الأمر الدوران في فراغ، لكن هذا لا يمنع من الإنصاف فالإخوان خرجوا في مظاهرات للدفاع عن الرئيس الشَّرعي فكيف يكون خروجا، و يكون مناصرة الخارجي من قبل تغلُّبه سنَّة و شريعةً ؟

فإن كان الانقلاب عليه ظلماً و إن زُيّن بتزييف وعي بعض الجماهير و كل المؤامرة التي صُنعت فنحن نعرف من الفتنة الأولى إلى ماذا يجرُّ الظُّلم و إن كنَّا نوصي بالصبر؟

و باختصار شديد : كون المداخلة يخالفون الإخوان في الفقه السِّياسيِّ هذا معروف ، و ليس على المداخلة موافقة الإخوان أو غيرهم لكن عليهم أن يتكلَّموا بعلم و إنصافٍ مع الإخوان ومع أعدائِهم، و أن يجتنبوا التناقض لأنهم يحبُّون من تحبُّه السعودية و يبغضون من تبغضه، فهذا ليس دين السَّلف، هذا دين البيت الأبيض.

ولكلِّ الطوائف الإسلاميَّة حقٌّ انتقاد الإخوان أو غيرهم، لكن لحساب قناعتهم الدِّينيَّة و ليس لحساب الحكَّام هذا فارق يكشف حقيقة كلِّ الأقوال السَّلفيَّة التي يتحجج بها المداخلة.

و أنا لا أقول بالخروج، و لا بالمظاهرات، ولا بالسِّياسة التي يمارسها الإسلاميون بشكلها الحالي، ولا أوافق الإخوان على بعض أدبياتهم و لكني أفرِّق بين النَّقد بقصد

صحيح، و بين النقد لمناصرة الأنظمة، هذا هو الفارق بيني و بين المداخلة.
3 ـ و لنوسع دائرة النقاش قليلا: لقد صحَّ عن بعض الصَّحابة التأليب على عثمان وندموا، فهل هم إخوان؟
و صحَّ عن بعض الصَّحابة الخروج على الخليفة عليٍّ بن أبي طالب فهل هم إخوان؟
وصح عن بعض الصحابة الخروج على معاوية فهل هم إخوان؟
و صحَّ خروج كثير من فضلاء التابعين و تابعيهم على حكَّام زمانهم فهل كانوا إخوانا؟
و عُذِّب الإمام مالك لأسباب سياسيَّة معروفة فهل كان إخوانيا؟
وكان سفيان الثَّوري ينكر على الملوك و يزجرهم، ولا يرى الخروج عليهم فهل كان إخوانيا؟
و نصح ابن أبي ذئب السَّفاح و انتقد ولاته أمام حاشيته فهل كان إخوانيا؟
و انتقد النووي قطز حتى هدَّده بالقتل و قطع رزقه أمام الملا فهل كان إخوانيا؟
و كذلك فعل العزُّ بن عبد السلام و قصته مشهورة، وغيره فهل كانوا إخوانيين؟
و لقد كتب الشَّيخ ربيع نصيحة علنية لحسني مبارك لما كان في الحكم فهل هو إخواني بهذا؟
أن تقول ~ وهذا ما أقوله ~ عن أمثلة الصَّحابة و التابعين: هذه قضايا مرجوحة بالدَّليل فهذا شيء، و أن تجعل أيَّ شيء فيه علاقة مضطربة أو متشنجة مع الحاكم خروجاً، ومن منهج الخوارج فهذا شيء آخر؟
يمكن أن تقول : في بعض النَّاس شبه من الخوارج ، شبه من الرَّافضة، شبه من كذا، لكن أن تجعلهم من الخوارج فهذا لا يؤيِّده دليل صحيحٌ معتبر، ورأيك ستقابله آراء أخرى في نفس المستوى.
فإثبات الكلِّيات لا يعني بحال الانحراف في الجزئيات،لأنَّ مدار التطبيق هو الجزئيات أمَّا الكلِّيَّات فعقليَّة ذهنية، فهذا ما يقع فيه المداخلة يرفعون شعار " لا طاعة إلاَّ في معروف" و هم أشدُّ النَّاس طاعةً للحكَّام في المعصية،بالدفاع المستميت عن نظرة الحكام و السكوت عن سيئاتهم .
وخذ كمثال قضية تشريع تعميم بيع الخمر في الجزائر تحدَّثت فيها الدَّولة، و البرلمان، و الصُّحف، و الفضائيات، و العوامُّ، و الزوايا، حتى الفجَّار أبدوا رأيهم إلاَّ

المداخلة، ثمَّ يأتي ويقول لك: النَّصيحة سرِّيَّة ،أية سرِّيَّة و الأنظمة تتعامل مع المداخلة في العالم بأصغر ضُباط الشرطة و المخابرات؟

و قس على ذلك قضايا التعليم و المساجد و تزييف الهوية الإسلامية، و الأحوال الشخصية... الخ ؟

تبيت القنوات الفضائية و تظلُّ على بثِّ الفجور و تزييف الوعي و تخريب الأخلاق و الضمير، فلا يجرؤ واحدٌ منهم على انتقادها بكلمةٍ لأنَّ كلَّ همِّهم منصوب على انتقاد القنوات الدينيَّة و السعي لوقف بثها .

مناصحة الحاكم مستحبة لمن يجالسه و يواكله إذا رجا أن يسمع منه، هكذا قال الأئمة، و إلاَّ فليس عليه ذلك ، فمن مِن المداخلة اليوم هو من خاصَّة الحكَّام يدخل عليهم و يجالسهم و يصاحبهم و يواكلهم؟

يجب التفريق بين حاكم يغلب عليه الصَّلاح يناصحه عالمٌ يصاحبه، وله عنده منزلة، في قضايا معيَّنة، و بين نظام يفعل كلَّ ما يسلخ النَّاس من دينهم أو لا يهمه دينهم، بكل الوسائل، فيُنتقد نقدا علميًّا عميقا، لا يقف عند الحاكم كشخص بل يناقش السِّياسات، كالإعلام، و التعليم، و الإسكان، و التوظيف و البيروقراطية و غيرها فهذا يدخل في الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر.

وعندما تكون السِّياسات مؤثرة على دين النَّاس على عقائدهم و أخلاقهم فيجب حمايتهم من ذلك ببيان الصواب لهم،فلما وقف أئمة السُّنَّة في وجه الحكَّام العبَّاسيين في محنة القرآن فلأنَّ القضيَّة خطيرة على عقيدة النَّاس، فكذلك حذف مقرَّرات التربية الإسلاميَّة الهشة أساسا، و تشريع المثلية الجنسية،و السماح بالدعوات الهدامة و غير ذلك، فعلى الأقل ننتقد بعلم و أدب ما يُفسد دين النَّاس إذا عجزنا عن الكلام عن دنياهم و حقوقهم .

و المداخلة لا يدافعون لا عن دين النَّاس، ولا عن دنياهم، وهذا إرجاء مع الحكَّام ليس له اسم آخر.

و عليه، فإنَّ إدخالهم كل كلام صحيح بشروطه يقترح الحلول الصحيحة، و لا يوصي بالواجبات المعجوز عنها تحت خانة النَّصيحة السِّرِّية دون اعتبار المصلحة و موقف الحكَّام منها هو تلبيس للقضايا المتشابهة لا غير ،فحتى الشَّيخ العباد كتب مقالات نشرت في الصحف.

و أتذكر موقف الشَّيخ ربيع من القرامطة و الإمامية في السعودية حيث أمرت الدَّولة بالحوار معهم فأمر بالحوار و بارك الخطوة لكنه لا يحث على الحوار مع الشيعة في العراق و اليمن و سوريا و لبنان ؟

و إذا عجز مدخلي عن نقد السِّياسات نقدا علميًّا عميقا يتجاوز التهريش و التهييج إلى لبِّ المشكل، و فرَّ من الحكَّام فقد فعل ما تأذن له الشَّريعة به، ولا لوم عليه، لكن أن يدافع عن فسادهم و يصدِّقهم في كذبهم فهذا قد ورد النَّصُّ بذمِّه.

و عندما نقول : طاعة الحكَّام في معروف فهذه ليست ميزة لكم فكلُّ البشر يُطيعون حكامهم في المعروف أي عندما يحسنون معهم، المشكل في المعصية، هنا تختلف مناهج أهل السُّنَّة عن مناهج المداخلة، فأهل السُّنَّة لا يداهنون الحكَّام، و ينصحونهم سرًّا بالفعل ، و إلاَّ كيف عرفنا أنَّهم نصحوهم ووصل إلينا الخبر ؟

و إذا اقتضى الأمر الإعلان كما في الأمثلة السابقة فعلوا لكن نصائحهم لا تقود إلى الفوضى و الفتن، فكما ينصحون الحكَّام ينصحون الشعوب.

قال ابن مسعود: ((إنَّ على أبواب السُّلطان فتنًا كمبارك الإبل و الَّذي نفسي بيده لا تصيبون من دنياهم شيئًا إلاَّ أصابوا من دينكم مثله))(التَّمهيد){53/13}.

قال الفضيل بن عياض: ((ربَّما دخل العالم على السُّلطان ومعه دينه فيخرج وما معه منه شيء، قالوا:كيف ذلك؟،قال: بمدحه في وجهه و يصدِّقه في كذبه)).

و الإسرار بالنصيحة لابدَّ أنَّ له علَّة أو حكمة ، الذي يظهر من النُّصوص هو حفظ مقام السُّلطان ومهابته بما يوافق أعراف ذاك الزمان حيث كان الملوك لا يخالطون النَّاس، ولا يظهرون لهم إلاَّ في المناسبات، بخلاف اليوم خاصة في الغرب الذي تنظر إليه الشعوب الإسلامية، حيث يسكن الحاكم في عمارة، و يحمل أغراضه بنفسه،و يدفع ثمن طعامه من جيبه ... فيما يشبه ما كان عليه الحكَّام المسلمون الصالحون كالخلفاء الراشدين، وعمر بن عبد العزيز الخ. و لذلك ورد النهي عن سبِّهم.

و العلة الثانية : عدم التعرُّض للأذى الشخصي، ومن عرف هذا عرف كيف يعلن نصيحته،و لا زالت النصائح من بعض أهل العلم معلنة ولم يقع شيء لأنَّها لم تكن سبًّا أو ذما مطلقا، ولكن خطابا علميًّا متزنا حافظا لمقام المنصوح .

و إذا كان الغالب على السَّلف النهي عن الاقتراب من السُّلطان كما ذكر أحمد عن عبد

الله بن المبارك أنَّه قال: ((لا تأتيهم، فإن أتيتهم فأصدقهم قال: و أنا أخاف ألاَّ أصدقهم)).
و في(شعب الإيمان) للبيهقيِّ{52/7} أنَّ محمَّد بن واسع قال: ((لقم العصب و سفُّ التُّراب خير من الدُّنوِّ من السُّلطان))، فأين ستكون النَّصيحة السِّرِّية؟
وهل الخوف على النَّفس من بعضهم سبباً لغيرهم لترك النُّصح ؟
فواجب النُّصح مقيَّد عند أئمَّة السَّلف ـ كما مرَّ عليك ـ بقيدين: ترجُّح احتمال حصول السَّماع أي الاستجابة، وعدم الخوف على النَّفس.
جاء عن أبي سعيد الخدريِّ أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه و سلَّم قام خطيبا فكان فيما قال: ((ألا ليمنعن رجلاً هيبةُ النَّاس أن يقول الحقَّ إذا علمه))قال فبكى أبو سعيد ،و قال: ((قد والله رأينا أشياء فهبنا)).رواه ابن ماجة.
نقول : فهم هذا الحديث مرتبط بفهم أحاديث أخر،لأنَّ النَّبيَّ صلَّى الله عليه و سلَّم قد بيَّن ضوابط كلمة الحقِّ فقال : (("لا ينبغي لمسلم أن يُذِل نفسه"، فقيل: وكيف يذل نفسه؟، قال:" يتعرَّض من البلاء مالا يطيق"))
رواه التِّرمذيُّ و قال:حسن غريب، و ابن ماجة، (الأحاديث المختارة){110/8}و إسناده صحيح، و ابن كثير في (تفسيره){85/2} واحتجَّ به.
قال ابن حجر في(الفتح){53/13}: ((وقال الطَّبريُّ:اختلف السَّلف في الأمر بالمعروف، فقالت طائفة:يجب مطلقًا، واحتجوا بحديث طارق بن شهاب رفعه: ((أفضل الجهاد كلمة حقٍّ عند سلطان جائر))، وبعموم قوله: ((من رأى منكم منكرا فليغيِّره بيده..))الحديث.
و قال بعضهم: يجب إنكار المنكر لكن شرطه ألا يلحق المنكر بلاء لا قبل له من قتل ونحوه.
وقال آخرون: ينكر بقلبه لحديث أمِّ سلمة مرفوعًا: ((يستعمل عليكم أمراء بعدي فمن كره فقد بريء ومن أنكر فقد سلم ولكن من رضي وتابع))الحديث.
قال و الصَّواب:اعتبار الشَّرط المذكور و يدلُّ عليه حديث: ((لا ينبغي لمسلم لمؤمن أن يُذِل نفسه)) ثمَّ فسَّره بأن يتعرَّض من البلاء ما لا يطيق.))
قلتُ : فالمترجِّح من النُّصوص و كلام السَّلف وعملهم أنَّه يجب الأمر بالمعروف لمن قدر عليه، ولم يخف على نفسه منه ضررًا ، فهذا هو الاختلاف الموجود في

الإصلاح.
فإذا عرفنا أن نصح الحكَّام هو من باب "الأمر بالمعروف و النَّهي عن المنكر" وهو واجب على من قدر عليه وذكرنا القيدين اللَّذين ذكرهما غير واحد من السَّلف كعمر ومالك وغيرهما، وعرفنا أنَّه لا اختلاف بين السَّلف الصَّالح في مشروعيَّة الإصلاح سواء سمَّيناه "أمرا بالمعروف ونهيا عن المنكر أو نصيحة" لزم أن نعرف ـ ضرورةً ـ أنَّ الحكَّام ليسوا كغيرهم من النَّاس لذا خُصُّوا بالنَّصيحة السِّرِّيَّة ـ تأكيدًا ـ أو بالجهر بها في حدود ضيِّقة مثل وسط الحاشية و البطانة عندما تكون المصلحة في الجهر ،قال ابن العربيِّ : ((لكن ما يجب للأئمَّة أعظم،ويزيدون عليه مِمَّا لا يجب له لا لحرمة زائدة بل لعِلَّة حادثة بالصَّبر على أذاهم إذا لم يعدلوا ،وينبههم إِذا غفلوا، وترك الثَّنَاء عليهم بما ليس فيهم ، وَالدُّعَاء لهم بصلاحهم عند فسادهم ، والَّتِي لعامَّة المسلمين أمَّا الدَّاخلون منهم في جملة الْحُكَّام وهم العلمَاء بتصديقهم وتقليدهم ،والدُّعَاء لهم وتعظيمهم، وأمَّا من عداهم فغايتها تعليمهم إِذا جهلوا وتقويمهم إِذا اعوجُّوا وتقويَّتهم إِذا احتاجوا)) انتهى مُلَخَّصًا من كلام ابن العربيِّ نقلا عن ابن الأزرق الغرناطي (طبائع الملك)(321/1)
فقد اتَّفق الأئمَّة على مشروعيَّة الأمر بالمعروف و النَّهي عن المنكر،وبعضهم حكى الإجماع على وجوبه ،لكنَّهم اختلفوا في حكمه على مذاهب فذهب جمهور أهل السُّنَّة إلى أنَّه فرض كفاية، و ذهب آخرون إلى أنَّه فرض عين في حالات كحالة ولي الحسبة و الأب مع زوجته و أبنائه، وقال فريق أنَّه نافلة، وفصَّل فريق آخر وجعلوه واجبا في الواجب فعله أو في الواجب تركه ،ومندوبا في المندوب و المكروه.
وفرَّق فريق بين الأمر فجعله يتبع الفعل، و بين المنكر الَّذي جعلوا النَّهي عنه واجبا في جميعه، ورجَّح ابن تيميَّة و ابن القيِّم وقبلهما العزُّ بن عبد السَّلام أنَّ منه المشروع، وما محلّه الاجتهاد، ومنه المحرَّم.
فمحلُّ الوجوب ـ إذًا ـ إذا ظنَّ الفائدة، ولم يخف على نفسه أو ماله أو غيره ،وقد بسط الفقهاء كالقرطبيِّ وابن مفلح ،وابن عابدين هذه المسألة فتُطلب في مظانها.
فإذا قلنا هذا فيجب أن نعتبر المتغيرات، كتغير ثقافة الناس، فقد يكون الشيء محبوبا في وقت مذموما في وقت آخر كما ذكر الذهبي في صبغ اللحى بالأصفر عند معاوية، فأول المتغيرات أن أكثر أهل الدين الصادقين أبعد ما يكون عن الحكَّام، و نصيحتهم

سرًّا متعذرة أو ممتنعة لسبب من أنفسهم أو لسبب من الحكَّام.
ثانيا: الدولة المعاصرة قائمة أساساً على المعارضة السِّياسية فدور البرلمان، و الأحزاب، و الصحافة، و الجمعيات هو نقد السِّياسة ،وبقاء أهل العلم في الخلف ينصحون سرًّا عندما يكون المشكل علنيا شائعاً، و عندما ينتقد كل النَّاس علنا يدل على تخلف العقول عن إدراك الحكمة من الإعلان أو الإسرار.
فأن تنصح في السِّرِّ شيء، و أن تُساند في العلن و تتذرع بكون النَّصيحة سرِّيَّة شيء آخر.
يجب أن نتذَّكر أوَّلا أنَّ أئمَّة السُّنَّة سواء كانوا في حاشية السُّلطان أو هاربين منه لم يكن من دينهم مداهنة الحكَّام لا من قريب ،ولا من بعيد؛ قال ابن تيميَّة في(المنهاج){130/4}:((من المعلوم أنَّ علماء السُّنَّة كمالك و أحمد و غيرهما من أبعد النَّاس عن مداهنة الملوك أو مقاربته)).
فهل ما يفعله الرضواني و الرسلان و المداخلة من المداهنة أو من المداراة؟
و النصيحة السرِّية مشروطة بالاقتراب من الحاكم، و الاقتراب من الحاكم مشروط بشروط أخرى،مثل أن لا يخاف منه، ولا يخاف على دينه ، فإذا قصد هذا كبار العلماء بمقاربتهم السُّلطان إقامة الدِّين و نصرة الحقِّ و الأمر بالمعروف و النَّهي عن المنكر في حدود الممكن من العلم و القدرة فهو أحسن بكثير و أجلُّ من الهروب من الحكَّام ، قال ابن عبد البرِّ في (التَّمهيد){368/8}: ((وفيه دليل على إباحة العمل و الولاية و أن لا بأس للصَّالحين و العلماء إذا كان الخليفة فاضلا عالما يأمر بالحقِّ و يعدل)).
قلتُ: الَّذي يتَّجه مع روح الإصلاح ومقاصد الشَّريعة هو أن العمل لدى الحكَّام إذا لم يكونوا فضلاء عالمين لا يأمرون بالحقِّ و لا يعدلون أو عندهم نقص وقصور في ذلك تكون دوافعه أقوى و المطالبة به أكثر إلحاحا فإنَّ الصِّنف الَّذي ذكره ابن عبد البرِّ حاجته إلى أهل العلم تكاد تكون معدومة ـ لأنَّ الحاكم الفاضل العالم الَّذي يأمر بالحقِّ و يعدل بين النَّاس ماذا سيضيف إليه عالم آخر؟ ـ بخلاف الصِّنف الثاني الَّذي ذكرته فهؤلاء أولى بالنُّصح و التَّوجيه، وهذا يوافق قوله صلَّى الله عليه وسلَّم : ((الْمُؤْمِنُ الَّذِي يُخَالِطُ النَّاسَ وَيَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ أَعْظَمُ أَجْرًا مِنَ الَّذِي لاَ يُخَالِطُهُمْ وَلاَ يَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ)) أحمد من طريق أبي هريرة بسند صحيح.

وقد أخبر النّبيُّ صلَّى الله عليه و سلَّم أنَّ لكلِّ نبيٍّ وخليفة بطانتين،فقال: ((مَا بَعَثَ اللَّهُ مِنْ نَبِيٍّ وَلاَ اسْتَخْلَفَ مِنْ خَلِيفَةٍ إِلاَّ كَانَتْ لَهُ بِطَانَتَانِ بِطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالْخَيْرِ وَتَحُضُّهُ عَلَيْهِ وَبِطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالشَّرِّ وَتَحُضُّهُ عَلَيْهِ فَالْمَعْصُومُ مَنْ عَصَمَهُ اللَّهُ)) رواه البخاريُّ النَّسَائيُّ و البيهقيُّ وغيرهم.

وهذا يوسف النَّبيُّ عليه السَّلام كان بين قوم كفّار فساهم في استصلاحهم و دعوتهم إلى الله بالسَّعي في تولي مسؤوليَّة في الدَّولة، وهي مسؤوليَّة اقتصاديَّة لأنَّ المتولّي لأرزاق العباد تذلُّ له رقاب النَّاس، ولا يستغني عنه أحد،فلهذا طلب هذه المسؤوليَّة، ولم يطلب الإمارة و الوزارة، قال الله تعالى:{ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ }[يوسف:55].

و الفائدة العلميَّة أنَّه سأل الولاية و المسؤوليَّة للمصلحة الدِّينيَّة في قوم كفَّار (؟).

فما كان مُتضمِّنًا لمصلحة الدِّين كمزاحمة الباطل، ونفع الأمَّة بالسِّياسة العادلة فهو مشروع وحسن، و يجب السَّعي إليه،فكان الأحرى بالصَّالحين أن يسعوا ليكونوا من بطانةِ الحاكم و المسئول الَّتي تأمره بالخير، و تكفُّ عنه، أو تقلِّل عنه تأثير بطانة الشَّرِّ، و قد يتوفر هذا في الشخصيات السِّياسية .

فمن كان عارفًا عالما وجب عليه مُناصحة الأمَّة و الأئمَّة بما يوجب جمع قلوب المسلمين على ما ينفعهم في الدُّنيا و الآخرة،إمَّا بالطَّريق العامِّ كسائر النَّقد العلميِّ المنهجيّ بالتَّأليف كما كان السَّلف يؤلِّفون الكتب في القضايا المعيَّنة كأحكام البيعة، و السِّياسة الشَّرعيَّة، و الحسبة، و الظُّلم، وغير ذلك، ويهدونها للحُكَّام وينشرونها في النَّاس،فمن أراد ـ مثلا ـ أن يُحارب الفساد في كلِّ المستويات فما يمنعه من التَّأليف فيه و التَّحذير من جميع أنواع عواقبه.

وإذ أقول هذا فإنِّي على يقين أنَّ مخالطة كثير من الحكَّام في هذا الزمان كتوسُّد النَّار وافتراش الحيَّات ،ولهذا ارتفع قدر أمثال ابن تيميَّة ،وابن باز في هذا العصر، وهذا يشبه ـ إلى حدٍّ بعيد ـ ضبط اللِّسان ،فمِن النَّاس مَن لا يقدر عليه إلاَّ بنوع عزلة وتكلُّف شديد، ومنهم كمحمَّد بن واسع من يخوض في حديث النَّاس على امتداد اليوم ويقدر على ضبط لسانه.

و من يُمعن النَّظر في دلالات النُّصوص لا يجدها تحثُّ على الفرار من السَّلاطين بل تضع ضوابط للاحتكاك بهم ،وهي عدم تصديقهم في كذبهم، أي: تزكية سيئاتهم، و

عدم مدحهم في وجوههم ،والحذر من فتنتهم بالمال و النُّفوذ ، فالأمر مرتهن بهذه القيود ،و ليس على إطلاقه.
قال ابن حجر في(الفتح){53/13} عن قصَّة أسامة بن زيد مع عثمان بن عفَّان ـ رضي الله عنهما ـ لما طلب منه بعض النَّاس أن يدخل عليه و قالوا له: (("ألا تكلِّم هذا"، فأخبر أنه قد فعل ذلك)).
قال القاضي عياض: ((مراد أسامة أنَّه لا يفتح باب المجاهرة بالنَّكير على الإمام لما يخشى من عاقبة ذلك، بل يتلطَّف به و ينصحه سرًّا فذلك أجدر بالقبول)).
وقال:" وقوله: "لا أقول لأحد يكون عليَّ أميرًا أنَّه خير النَّاس" فيه ذم مداهنة الأمراء في الحقِّ، و إظهار ما يبطن خلافه كالمتملق بالباطل، فأشار أسامة على المداراة المحمودة و المداهنة المذمومة، وضابط المداراة: أن لا يكون فيها قدح في الدِّين، و المداهنة المذمومة أن يكون فيها تزيين القبيح و تصويب الباطل ونحو ذلك."
قلتُ: و قد تختلف الأحوال فينصحه جهارا أمام حاشيته، إذا كان في السُّكوت لحوق ظلم كبير على الرعية، و لم يخش على نفسه، كما وقع للنَّوويِّ ـ رحمه الله ـ مع الملك الظاهر: قال النووي ـ رحمه الله ـ لما هدده الملك الظاهر بسبب نصيحته له:"و أما تهديد الرعية بسبب نصيحتنا، و تهديد طائفة العلماء، فليس هو المرجو من عدل السلطان و حلمه، و نصف حيلة لضعفاء المسلمين الناصحين نصيحة للسلطان ولهم، ولا علم لهم به، وكيف يؤاخذون به لو كان فيه ما يلام عليه؟.
و أما أنا في نفسي فلا يضرني التهديد ولا أكثر منه، ولا يمنعني ذلك من نصيحة السلطان فإني اعتقد أن هذا واجب علي وعلى غيري، وما ترتب على الواجب فهو خير و زيادة عند الله تعالى، إنما هذه الحياة الدنيا متاع و إن الآخرة هي دار القرار.
ونحن نحب للسلطان أكمل الأحوال، و ما ينفعه في آخرته و دنياه، و يكون سببا لدوام الخيرات له، ويبقى ذكره على ممر الأيام، و يخلد به في الجنة، و يجد نفعه يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا... ولا حجة لنا عند الله إذا تركنا هذه النصيحة الواجبة علينا و السلام الله وبركاته"نقلا عن ابن العطار من "تهذيب الأسماء"{23/1}.
فانظر كيف جمع هذا العالم الفذ بين النصيحة و حسن الأداء و اللطف في الخطاب.
وكما كان شيخ الإسلام أبو إسماعيل لا يراقب سلطانا ولا وزيرا في نصرة الدِّين و

السُّنَّة، وكذلك ابن أبي ذئب و غيرهم، بمعنى يصدعون في وجوههم بالنَّصيحة و بالشِّدَّة ولكن ليس أمام النَّاس.
قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة في(المجموع){35/15}: ((قد استفاض و تقرَّر في غير هذا الموضع ما قد أمر به صلى الله عليه و سلم من طاعة الأمراء في غير معصية الله، ومناصحتهم و الصَّبر عليهم في حكمهم، وقسمهم و الغزو معهم، و الصَّلاة خلفهم، ونحو ذلك، من متابعتهم في الحسنات الَّتي لا يقوم بها إلاَّ هم، فإنَّه من باب "التَّعاون على البِرِّ و التَّقوى"، وما نهى عنه من تصديقهم بكذبهم، و إعانتهم على ظلمهم و طاعتهم في معصية الله ونجو ذلك، مما هو من باب:" التَّعاون على الإثم و العدوان".
و ما أمر به ـ أيضا ـ من الأمر بالمعروف و النَّهي عن المنكر، لهم و لغيرهم على الوجه المشروع[كما بيَّناه في الضَّوابط]، و ما يدخل في ذلك من تبليغ رسالات الله إليهم، بحيث لا يترك ذلك جبنا، ولا بخلا، ولا خشية لهم، ولا اشتراء للثَّمن القليل بآيات الله، ولا يفعل أيضا للرِّئاسة عليهم، ولا على العامَّة، ولا للحسد، ولا للكبر، ولا للرِّياء لهم، و لا للعامَّة، ولا يزال المنكر بما هو أنكر منه، بحيث يخرج عليهم بالسِّلاح، وتقام الفتن، كما هو معروف من أصول أهل السُّنَّة و الجماعة، كما دلَّت عليه النُّصوص النَّبويَّة، لما في ذلك من الفساد الَّذي يربي على فساد ما يكون من ظلمهم، بل يطاع الله فيهم و في غيرهم، و يفعل ما أمر به، و يترك ما نهي عنه.))
لكن لا يجب أن نغفل عن شيئين: أنَّنا نتحدَّث ~ في حديث أسامة ~ عن أمثال عثمان، و أنَّنا لا نطلب شدَّة و غلظة بل نقدا علميا عميقاً، و في أقلِّ الأحوال: عدم التغطية على السِّيئات أو تبريرها.
قال سفيان الثوري لأبي جعفر المنصور: ((إنِّي لأعلم رجلاً إن صلح صلحت الأمَّة وإن فسد فسدت الأمَّة، قال: ومن هو؟ قال: أنت!)).(سراج الملوك) للطرطوشي.
وهو الذي روى من طريقه الحديث الحسن الَّذي أخرجه أبو داود و التِّرمذيُّ و النَّسائيُّ أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه و سلَّم قال: ((من سكن البادية جفا، ومن اتَّبع الصيد غفل، ومن أتى السُّلطان افتتن)) .
وعنه أنَّه قال لمن طلب منه الوصيَّة : " إيَّاك و الأهواء، إيَّاك و السُّلطان"، وروي العلماء عنه أنَّه دعي للقضاء فهرب إلى البصرة حتَّى مات وهو متوار.

ودخل عليه ـ في مرضه ـ عبد الصَّمد عمُّ المنصور و سأله حاجته، فقال له : ((ثلاث حوائج : لا تعود إليَّ ثانيَّة،ولا تشهد جنازتي،ولا تترحَّم عليَّ (؟) فخجل عبد الصَّمد، ولما خرج قال: و الله لقد هممت أن لا أخرج إلاَّ ورأسه معي)).

و التقى بالمهدي في الحجِّ عند رمي جمرة العقبة فوبَّخه على الحرس و إحراج الحجيج، ولم يخاطبه بالإمارة فلما تفطَّن له المهدي و طلبه لم يجده.

فمثل هذه المواقف معروفة عنه وبعضها يرويها هو بنفسه أو خاصَّته من أصحابه أو بعض حاشية السَّلاطين ممَّا يعني أنَّها كانت علنية لكن ضمن الحدود الشَّرعيَّة، أقصد: لم يقف خطيبا في الجموع .

وقد ذكر الذَّهبيُّ في (السِّير)(7/245) ما يفيد أن سفيان الثَّوريَّ تراجع قبل موته عن الهروب من السَّلاطين بعد أن أخبره حمَّاد بن زيد أنَّ ذلك من فعل أهل البدع ، قال الذَّهبيُّ: ((فَكلَّمَهُ حَمَّادُ بنُ زَيْدٍ فِي تَنَحِّيهِ عَنِ السُّلْطَانِ، وَقَالَ: هَذَا فَعْلُ أَهْلِ البِدَعِ، وَمَا يُخَافُ مِنْهُم.

فَأَجْمَعَ سُفْيَانُ وَحَمَّادٌ عَلَى أَنْ يَقْدَمَا بَغْدَادَ، وَكَتَبَ سُفْيَانُ إِلَى المَهْدِيِّ، وَإِلَى يَعْقُوْبَ بنِ دَاوُدَ الوَزِيْرِ، فَبَدَأَ بِنَفْسِهِ. فَقِيْلَ: إِنَّهُم يَغضَبُوْنَ مِنْ هَذَا. فَبَدَأَ بِهِم، وَأَتَاهُ جَوَابُ كِتَابِهِ بِمَا يُحبُّ مِنَ التَّقْرِيْبِ وَالكَرَامَةِ، وَالسَّمْعِ مِنْهُ وَالطَّاعَةِ، فَكَانَ عَلَى الخُرُوْجِ إِلَيْهِ، فَحُمَّ وَمَرِضَ، وَحَضَرَ المَوْتُ))

و إذا كان الحاكم ممن يرجى خيره، فالتَّعامل معه فيه خير كثير للنَّاس و للدِّين ،وهذا وقع لسفيان الثَّوريِّ نفسه فأظهر ما يشبه النَّدم عن موقفه منهم فقد ذكر الذَّهبيُّ من طريق أبي هشام الرِّفاعيِّ أنَّ وكيع بن الجرَّاح قال:

((دَخَلَ عُمَرُ بنُ حَوْشَبٍ الوَالِي عَلَى سُفْيَانَ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ، فَأَعْرضَ عَنْهُ، فَقَالَ: يَا سُفْيَانُ! نَحْنُ -وَاللهِ- أَنفعُ لِلنَّاسِ مِنْكَ، نَحْنُ أَصْحَابُ الدِّيَاتِ، وَأَصْحَابُ الحمَالاَتِ، وَأَصْحَابُ حَوَائِجِ النَّاسِ، وَالإِصْلاَحِ بَيْنَهُم، وَأَنْتَ رَجُلُ نَفْسِكَ. فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ سُفْيَانُ، فَجَعَلَ يُحَادِثُه، ثُمَّ قَامَ. فَقَالَ سُفْيَانُ: لَقَدْ ثَقُلَ عَلَيَّ حِيْنَ دَخَلَ، وَلَقَدْ غَمَّنِي قِيَامُهُ مِنْ عِنْدِي حِيْنَ قَامَ.))

فهذا الموقف (الهروب من السَّلاطين) فيه حقٌّ لبعض النَّاس لكن المغالاة فيه كانت عواقبها وخيمة على الأمَّة فحيث أخلى أهلُ الخير القصور و ساحات الحكم من تواجدهم شغلها الفلاسفة و المتكلِّمون و الأدباء فنشروا البدع و أسَّسوا مدارس

الأهواء، ولعلَّ سبب تراجع سفيان الثَّوريِّ هو إدراكه لهذا الأمر.
ولو فحصنا أمثال هذا الموقف بقليل من التَّركيز لوجدنا فيه بعض التَّناقض، فمثلا نقل غير واحد عن سفيان الثَّوريِّ أنَّه قال: ((أفضل السَّلاطين أُولَئِكَ الَّذين يجالسون أهل الْعلم ويخالطونهم، وأسوأ الْعلمَاء أُولَئِكَ الَّذين يجالسون السُّلْطَان ويعاشرونه)) (سير الملوك) قوام الدِّين نظام الملك، و الغزاليُّ في (التبر المسبوك في نصيحة الملوك) وغيرهما.
فاللازم الضَّروريُّ أنَّ أفضل السَّلاطين من يجالس أسوأ العلماء، وكيف يكون الفضل بمجالسة الأسوأ ؟
و يبقى السؤال الجوهري هو: هل يتوافق إسرار النَّصيحة مع طبيعة الدَّول في هذا العصر و النُّظم الاجتماعيَّة الحديثة لأنَّ من يُطالب العلماء بإخفاء النَّصيحة عن العوامِّ نسي أنَّ الدَّولة أصبحت تتكوَّن ـ في هذا العصر ـ من مؤسَّسات سياسيَّة دورها نقد الحكومة، ومن إعلامٍ مهمَّته الأساسيَّة الوقوف على الأخطاء و النقائص؛ إضافةً إلى قبول النُّظم لوجود جمعيَّات أهليَّة وغير ذلك، فكأنَّ ما نُطالب به العلماء خلاف الوقت و العصر فكلُّ النَّاس تنتقد سياسات نظم الحكم علنًا ،وفي كلِّ الوسائل إلاَّ العلماء نطالبهم بإخفاء النَّقد عن العامَّة ،وهذا يجعل وجوده كعدمه لانتفاء حكمة الإسرار؟
ولعلَّ من أبرز أسباب إخفاق الفقه السِّياسي المدخلي هو أنَّه يخلط بين منزلة العلماء ودورهم كحلقة ربط بين المجتمع و قيادتِه السِّياسيَّة وبين المثقَّفين الناشطين سياسيًّا ،فإنَّه و إن كان هناك نقاط التقاء فهناك أيضًا اختلاف جوهريٌّ في الوظيفة، فالعالم مهمَّته ممارسة العلم و المعرفة ،والإصلاح بالعلم و البيان ، ومركزه في المجتمع يقتضي منهُ ـ كثيرا ـ موقفَ التَّحفُّظ ،و السُّكوت التَّحفُّظي، و الانضباط بِالبُعد الأخلاقي، ورعاية الصَّالح العامِّ على حساب الصَّالح الحزبيِّ أو الفِئويِّ.
بينما المثقَّف (السِّياسيُّ،و القانونيُّ،والإعلاميُّ) له أن ينخرط (يسمح لنفسِه) في الإصلاح العمليِّ بغضِّ النَّظر عن الشُّبهات و الخلفيَّات،أقصد أنَّه يمارس الإصلاح في جميع المجالات، لا يُنظِّر له فقط، ودرجة الاعتراض عنده قد تكون أقوى من درجة الاعتراض عند عالم الدِّين،لأنَّه يُلبسها ألبسة مختلفة تستهوي النَّاس ككونه محللا سياسيًّا ، أو شخصيَّة سياسية مستقلة،أو عضوا في حزب سياسي ، بل يمكن أن نقول: أنَّ هناك مجالات قد لا يلجها العالمُ بحسب موقعه بالنِّسبة للحاكم ، و بحسب

التَّكوين العلميِّ له.
مع الأخذ بعينِ الاعتبار الفرقَ بين الدَّولة الإسلاميَّة القديمةِ وثقافة حُكامِها الدِّينيَّة ،و الدَّولة الإسلاميَّة المعاصرةِ ، ومن هنا أظن أن المقارنة بين مواقف الأحزاب السياسية وبين العلماء مقارنة مغلوطة من كل وجه، لذلك لا يستقيم بعض النقد المدخلي للإخوان إلاَّ بكونهم جماعة إسلاميَّة، و ينسى أنَّهم ينشطون سياسيًّا كأحزاب سياسيَّة.
يمكن أن نقول :لقد أصبح ـ ربَّما ـــ من الضَّروريِّ أن يُبرِز العلماء دورَهم في هذا الباب دفعًا للشُّبهات الَّتي تلاحقهم ممَّن يُسيء الظَّن بهم،فلا بأس بأن يترك ـ بعضُهم ـ سرِّيَّة النُّصح جانبًا في بعض الأحيان، أو بالأحرى لا يُشترط منهم جميعًا ،باستعمال الأساليب غير المباشرة كالمقالات الصُّحفيَّة و الدِّراسات العلميَّة التي تتَّخذ شكل النَّقد الفكريِّ العلميِّ اجتماعيًّا كان أو سياسيًّا أو اقتصاديًّا، و الَّذي هو ظاهرة صحِّيَّة، تقعُ مُهِمَّة ممارستِه على كاهلِ علماء دينٍ،ولكن ليس خطاب الإدانة المطلقة لولاة الأمور، فهذا فرق جوهريٌّ.
و إذا كنَّا نتَطلَّع إلى تجديد وسائل الحكم، وتنظيم السُّلطات ،والعمل على بناء مجتمع خالٍ من العصبيَّة، و الجهويَّة ، أو المصالح الشَّخصيَّة في إطار قِيَم الإسلام ومبادئه ،لكن بدون أن نغفل أنَّ الطَّبقات الشَّعبيَّة لم تُحضَّر علميًّا و معرفيًّا ـ أو لا تملك المؤهِّلات ـ لاستقبال صحيحٍ لخطاب النَّصيحة و النَّقد العلنيِّ ـ الَّذي تعتبره لبساطة التَّفكير عندها إدانةً و إطاحةً بمصداقيَّة الحاكم ومنزلته عندها ـ فتجعلهم(الحُكَّام) هذه النَّصائح العلنيَّة ـ والَّتي هي في الحقيقة تجريمٌ لأفعالهم وتصرُّفاتهم ـ عرضة للاتِّهامات الخطيرة؛فيجب مراعاة التجارب السابقة و الحرص على استقلالية علماء الدين.
إنَّ حلقة الرَّبط بين دفتي المجتمع: "الشَّعب و السُّلطة" هم علماءُ الدِّين المستقلِّين عن الانتماء و الحزبيَّة، الَّذين اكتسبوا سُلطةً معنوية، و امتيازًا اجتماعيًّا بصفتهم محلَّ القِيَم الدِّينيَّة، أو المعرفة العلميَّة،و الثِّقة، و المصداقيَّة، المحايدين في الصِّراع على السُّلطة الحياد الإيجابي.
فهم وإن نصحوا بكلِّ ما يخدم الدِّين و يُقوِّيه، ونهوا عن كلِّ ما يعارضه ويُقوِّض أركانه فإنَّ منزلتهم كعلماء ملَّة يخاطبون جميع الطَّوائف و الجهات يلزمهم بموقف التَّحفُّظ الايجابيِّ في الصِّراع حول السُّلطة ، فهم النَّاصحون الأوفياء للجميع.

فهذا النَّوع من العلماء يجب أن يكون موجودا محافظا على استقلاله حتَّى إذا انهارت الحزبيَّات، وسقطت التَّجارب لم تسقط معها الدَّعوة الإسلاميَّة(شرطٌ حيويٌّ).

نعم؛ إنَّ مهمَّة العالم لا يجب أن تندرجَ في العلميِّ الوظائفيِّ الرَّسميِّ فيعزل نفسَهُ ضِمنَ اختِصاصِ هيئته، ويفقد روح المبادرةِ، فلا ينخرط في إنجازِ المهمَّة الكبيرةِ، وهي إصلاح وضع الأمَّة الإسلاميَّة وواقعها المعقَّد، و المملوء بأخطاء الممارسة للدِّين و الحكم.

نعم؛ نريد ردَّ العلماء إلى ولايةِ العلم، وممارسة دورهم الَّذي هو ضمان استمرار الأمَّة في التَّقدُّم دون خروج عن المعالم الشَّرعيَّة، أو دون دخول في المعارك الدَّاخليَّة الجانبية الَّتي لا ضرورة لها.

أقول هذا لأنَّ أكثر حكَّام المسلمين لقلَّة ثقافتِه أو لغلبة هوى السُّلطة على علمِه و ثقافتِه يظنُّ أنَّ دور العلماء هو التَّأصيل لفكره هو، ودعمه أمام الشَّعب، و ينسى أنَّه بهذا ينحر ولايةَ العلم، و منزلة العلماء في قلوب النَّاس، فإنَّهم لن يمنعوا عنه عارضًا إلاَّ إذا حفظوا على مصداقيَّتهم.

والمقصود أن نخرج من إشكالية " نُصح الحكَّام" و التَّضارب حولها ،فقد تجاوزتها ـ فعلاً ـ الأحداث عندما أخذ المسلمون بأنظمة الحكم الغربيَّة في شكل الدَّولة ومؤسَّساتها فأصبح البرلمان أو مجلس الشُّورى يملك حقَّ مساءلة الحكومة.

وكذلك الصَّحافة و الإعلام، ولم يبق يتحدَّث عن النَّصيحة السِّرِّيَّة في زمن أنهت فيه الصَّحافةُ و الأعلام و نظم الحكم و الإدارة المعاصرة فعَّاليتها إلاَّ علماء الدِّين ؛ لكن ليس بالكيفيَّة الَّتي يقترحها الشَّيخ إبراهيم لأنَّنا لم نتَّفق معه بعدُ على ماهيَّة النَّصيحة،فإذا قلنا: أنَّنا الآن بحاجةٍ إلى أكثر من النَّصيحة ، إلى النَّقد العلميِّ المنهجي كما كان عند العلماء،فعندما كتب الفقهاءُ في أحكام البيعة و الولاية لم يكن ذلك خروجًا عن النَّصيحة الشَّرعيَّة؛ فكذلك الكتابة عن الفساد ،و المحسوبية ،وترشيد النَّفقات ،و المناهج التَّعليميَّة ،وانحرافات الأعلام، هو من النَّصيحة ولكنَّها نصيحة لا تُجرِّم ولاة الأمور و تجعلهم في موقف إدانةٍ من الشَّعب ،ولا يمكن تأصيل هذه المسائل و بحثها بعلمٍ في السِّرِّ.

وإذا قلنا : الأليق بالعلماء الذين لهم وجاهة عند الحكَّام و بشرط أن يكونوا متبوعين من الناس أن تكون نصائحهم خاصة غير معلنة أو في حدود ضيقة تثير اهتمام ولاة

الأمور بالنَّقد العلميِّ الهادئ غير الموظَّف سياسيًّا أو اجتماعيًّا دون تعريضهم لخطر الإدانة، أو الرَّفض الاجتماعيِّ، وهذا ممكنٌ من خلال انتقادات علميَّة نزيهة لا تنطوي على أيَّة خلفيَّة شخصيَّة ،أو سوء طويَّة (حُسن النِّيَّة) ومؤدَّبة.

و الحقيقة تقال لقد قام بهذا الدَّور بعضُ الشُّيوخ خير قيام، فعندما نطالع المقالات الَّتي يكتبها فضيلةُ الشَّيخ سعد الحصين، و الَّتي يتناول فيها ـ مثلاً ـ تجربة الرأسماليَّة في السُّعودية، وخطوات الإصلاح، وشروط الحوار يسعد الإنسان بهذه الكتابات، ويأمل خيرًا في مستقبل دور العلماء في قيادة عمليَّة الإصلاح، إذا كان القصدُ الصَّالح العامَّ،وسلمَت النِّيَّة من المآرب الشَّخصيَّة.

لكن لا يجب أن نخلط هذا المقام مع دور الشخصيَّات السِّياسيَّة المستقلة و الأحزاب السِّياسية، فهذه دورها غير دور العلماء، ومهمتها السِّياسية أدقُّ و أخص.

المطلوب هو ترك التنظير في فراغٍ بعيد عن الوقائع، الذي لا يقترح حلولا عمليَّة ممكنة الانجاز .

وهذا العجز عن التوليف بين الحالات و الوظائف جعل المداخلة بمجرَّد أن يقول أحدُهم كلمة نقديَّة موزونةً، يتَّهمونه بكلِّ التُّهم، فهؤلاء يريدون من المجتمع الإسلاميِّ أن يكون خاليا من أيِّ نوع من أنواع الاعتراض و النَّقد بدون أن يوفِّروا موجبات إنهاء الاعتراض و اجتثاث أسبابه إنَّما يقطعون عن هذا المجتمع آمال التَّطوُّر والارتقاء، سواء في الدِّين (تجديد الدِّين)، أو في الدُّنيا(الإصلاح بالدِّين)، فإذا منعنا النَّقد العلميَّ ـ عن أهل العلمِ (بمسؤوليَّة) نكون قد زعمنا لجهةٍ ما أنَّها وحدها القادرة على الإصلاح، و إنتاجِ المعرفة العلميَّة اللاَّزمة لهذا الإصلاح(!)إنَّنا لا يجب أن ننظر لكلِّ احتجاج و اعتراض يبديه العلماء ـ بِشروطه ـ بنوع من الشَّكِّ والارتياب، وبالتَّالي نرفض كلَّ دعوة لتجديد الدِّين و إصلاح المجتمع، و لو كانت نابعةً من داخله.

وهذا ما يولِّد العكس تمامًا، لأنَّهم سيدفعون بغيرِ العلماء (التَّغريبيُّون و أشباههم) إلى احتلال هذه المساحة في ضمير الشَّعب.

وهنا يجب أن ننتبه إلى أنَّ العلماء أصنافٌ ،والأمَّة تحتاج إلى نوعين من العلماء لا يشترط توفُّر مؤهِّلتهما في جميع الأصناف ،قال ابن تيميَّة ـ رحمه الله ـ في هذا الشَّأن في(المجموع){276/14}: ((و لهذا كان المقصِّرون عن علمِ (الحجج و الدَّلالات)،

وعلمِ (السِّياسة و الأمارات) مقهورين مع هذين الصِّنفين، تارة بالاحتياج إليهم إذا هجم عدوٌّ يُفسد الدِّين بالجدل، أو الدُّنيا بالظُّلم، وتارة بالاحتياج إليهم إذا هاجم على أنفسهم من أنفسهم ذلك، و تارة بالاحتياج إليهم لتخليص بعضهم من شرِّ بعضٍ في الدِّين و الدُّنيا، وتارة يعيشون في ظلِّهم في مكان ليس فيه مبتدعٌ يستطيل عليهم، ولا والٍ يظلمهم، وما ذاك إلاَّ لوجود علماء الحُجج الدَّامغة لأهل البدع، و السِّياسة الدَّافعة للظُّلم)).

ومثَّل للصِّنفِ الأوَّل بإبراهيم عليه السَّلام، و للصِّنف الثَّاني بيوسف عليه السَّلام، وهذا الصِّنف لا يمارس السِّياسة الدَّافعة للظُّلم إلاَّ بمداخلة دوائر الحكم و صُنع القرار و بالمداراة، يعيني في زماننا ممارسة السياسة.

فهؤلاء العلماء يملكون زمام المبادرة إلى اقتراح إصلاح كلِّ ما يرونه فاسدا أو قابلا للتَّحسين، وفرقٌ بين من يملك كلمةً مسموعة وآخر لا يؤبه له.

وحينئذٍ فلا حاجة لأن يتكلَّم غيرُهم إلاَّ في حدود النَّقد العلميِّ غير المسيَّس، ولكنَّهم متى أخلُّوا بهذا الواجب قام ضرورةً مَن ينوبُ عنهم، وقد لا يكون بمثلِ حكمتِهم و حنكتهم.

إنَّ تعديل الصُّورة فيما يخصُّ العلاقة بين أهل العلم وبين الحاكم بحيث تصبح الصُّورة واضحةً للكُلِّ بأنَّهم علماء ملَّة مهمَّتهم الحرص على المّلَّة، وعلى البلاد و العباد (الدَّولة)، لا يحملون أيَّة أطماع تخرج عن وظيفة العلم،أو تتناقض مع انخراطهم في همُوم الأمَّة، في كلِّ جوانبها، حتَّى يكون لهم دورٌ أكثر عدالة، يتماشى ومنصبهم في المجتمع، و أن لا يُهمَّشوا لحساب مُثقَّفين معاندين للدِّين، أو يعملوا لغير الصَّالح العامِّ للمجتمع الإسلاميِّ ، فهذا الصِّنف من العلماء هم وحدهم القادرون على تقديم الإيضاحات و التَّشخيصات المتعلِّقة بالآليات، و الأسباب الخفية الَّتي تؤدِّي إلى توليد مثل هذه الظَّواهر العنيفة الَّتي تنفجر فجأةً في المجتمع،فهم و إن أزعجوا أحيانا بنصائحهم و نقدهم يفيدون في أحيان أخرى كثيرة.

إنَّنا لا يجب أن ندفع هؤلاء العلماء و الشخصيات السياسية ـ بالوقيعةِ فيهم و انتقاصِ قصدهم وقدرهم ـ إلى الدُّخول في مرحلة الصَّمت المطبق، فإنَّ وتيرة المطالبة بالتَّجديد في العالم الإسلاميِّ ـ في الآونة الأخيرة ـ في ارتفاع وتزايد ينذر بالانفجار، وهُم وحدهم من يقدر على تجنُّب ذلك، و يُشكِّل الضَّمان لمختلف العناصر المكوِّنة

للمجتمع،فهم وحدهم صمَّام الآمان.
إنَّه لمن المُهمِّ لنا أن نُفرِّق بين خطاب الإدانة و التَّقريع و التَّجريم لِولاة الأمور، وبين خطاب التَّنبيه و الاقتراح بالَّتي هي أحسن.
وقد أذى عبد الله بن أبيٍّ بن سلول النَّبيَّ صلَّى الله عليه و سلَّم، وقال له: ((أيُّها المرء إنَّه لا أحسن ممَّا تقول إن كان حقًّا فلا تؤذنا به في مجالسنا وارجع إلى رحلك فمن جاءك فاقصص عليه ،فاخبر النَّبيُّ بذلك سعد بن عبادة، وقال:" أي سعد ألم تسمع إلى ما قال أبو حباب - يريد عبد الله بن أبي"))، فكنَّاه رسول الله صلَّى الله عليه و سلَّم لأنَّه سيِّد قومه مع أنَّه رأس الكفر، و لأنَّ سعدا من قومه .
فعلينا اعتبار هذه الحكمة، و الإحسان إلى الرُّؤوس في الخطاب و تليينه معهم رجاء استجابتهم و التَّعاون مع من يحبُّهم أو يوافقهم على الخير.
الفرق بين الإنكار و الملاطفة:
لا يتعارض الإنكار (النَّقد أو النَّصيحة) مع الملاطفة في شيء، و الملاطفة في النَّصيحة للحُكَّام أن تكون سرًّا، فليس من شرط الإنكار أن يكون فظًّا أو علنًا ،بل ملاطفة فإنَّ ذلك أقرب له إلى الرُّجوع إلى الحقِّ، وأسلم لنفسه من الغضب الَّذي يحدثه الاحتقارُ و الاستهجان في نفسه، و الَّذي يوجب عنده العناد، فمن أمر بمعروفٍ أو نهى عن منكر في العلمِ أو العمل عليه أن يرفق ، قال تعالى:{ فَقُولاَ لَهُ قَوْلاً لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى}.
والملاطفة الهدف منها إيقاظ الشُّعور لقبول الكلام ،فعن ابن مسعود - رضي الله عنه - أنَّه قال: ((علَّمني رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم التَّشهُّد وكفِّي في كفِّه))، أخذ كفَّ ابن مسعود وجعلها في كفِّه وهو يُعلِّمه.
وجاء أيضًا عن ابن عبَّاس:((أخذ النَّبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم بكفي بين كفيه، وقال: يا عبد الله ! كن في الدُّنيا كأنَّك غريب، أو عابر سبيل)).
ومنها معاملة جبريل عليه السَّلام للنَّبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم كما في حديث عمر بن الخطَّاب : ((بينما نحن جلوس عند النَّبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثِّياب، شديد سواد الشَّعر ، لا يرى عليه أثر السَّفر، ولا يعرفه منَّا أحد، فجلس إلى النَّبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم، وأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع يديه على فخذيه)).

وقول النَّبيِّ صلَّى الله عليه و سلَّم في رسالته إلى هرقل ملك الرُّوم: ((إلى عظيم الرُّوم)) فيه ملاطفة المكتوب إليه وتعظيمه مع أنَّه كافر.
فلم يقل: إلى هرقل فقط، ليكون فيه نوع من الملاطفة فقال: عظيم الرُّوم، أي: الَّذي تُعظِّمه الرُّوم، وقد أمر الله تعالى بتليين القول لمن يُدعى إلى الإسلام، فقال:{ أُدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ}.
ففرق بين أن نتوسَّل و نستعطف لِأنفسِنا، وبين أن نفعل ذلك لأجل الدِّين ولأجل النَّاس.
فلا يلزم بحالٍ أن يكون الإنكار غليظا، ولا علنًا، ولا الملاطفة تتنافى و الإنكار (النَّقد و النَّصيحة).
قال ابن القيِّم في (المدارج)(2/472): ((مُلَاطَفَةُ الْخَلْقِ. وَهِيَ مُعَامَلَتُهُمْ بِمَا يُحِبُّ أَنْ يُعَامِلُوهُ بِهِ مِنَ اللُّطْفِ. وَلَا يُعَامِلُهُمْ بِالْعُنْفِ وَالشِّدَّةِ وَالْغِلْظَةِ، فَإِنَّ ذَلِكَ يُنَفِّرُهُمْ عَنْهُ، وَيُغْرِيهِمْ بِهِ، وَيُفْسِدُ عَلَيْهِ قَلْبَهُ وَحَالَهُ مَعَ اللَّهِ وَوَقْتَهُ، فَلَيْسَ لِلْقَلْبِ أَنْفَعُ مِنْ مُعَامَلَةِ النَّاسِ بِاللُّطْفِ؛ فَإِنَّ مُعَامَلَةَ النَّاسِ بِذَلِكَ: إِمَّا أَجْنَبِيٌّ. فَتَكْسِبُ مَوَدَّتَهُ وَمَحَبَّتَهُ، وَإِمَّا صَاحِبٌ وَحَبِيبٌ فَتَسْتَدِيمُ صُحْبَتَهُ وَمَوَدَّتَهُ، وَإِمَّا عَدُوٌّ وَمُبْغِضٌ، فَتُطْفِئُ بِلُطْفِكَ جَمْرَتَهُ، وَتَسْتَكْفِي شَرَّهُ، وَيَكُونُ احْتِمَالُكَ لِمَضَضِ لُطْفِكَ بِهِ دُونَ احْتِمَالِكَ لِضَرَرِ مَا يَنَالُكَ مِنَ الْغِلْظَةِ عَلَيْهِ وَالْعُنْفِ بِهِ.)).
فالدَّاعية إلى الحقِّ لا يُخاطب النَّاس خطبة مُتحكِّمٍ، ولا خطبة مُتهكِّم، ولكن خطبة مشفقٍ رحيم،و الملاطفة الغرض منها استمالة القلوب، وهي كذلك علامة على التَّواضع، و الثِّقة بالنَّفس، وحسن سياسة العلم.
كذلك لا يجب أن تبتلعنا كلِّيَّة فكرة نصيحة الحاكم على حساب نصيحة المحكوم لأنَّ الحُكَّام نتاج و إفراز طبيعيٌّ لمادَّة هي المحكوم؛ كما لا يجب أن تتجاوزنا الأحداثُ عندما نعجز عن تلبية بعض حاجات الحكَّام ـ بالشَّرع ـ وفقًا لما يتعرَّضون إليه من ضرورات داخليَّة وخارجيَّة فنُعوِّض ذلك بكلمات جافَّة كالفحم لا تصلح إلاَّ لإيقاد النَّار قد كانت في تُربتها غضَّةً طريَّة.
باختصار أقول: لم نجد ـ لحدِّ الآن ـ أثرا سياسيا ايجابيا لا لمنهج الإصلاح بالتهييج ولا لمنهج المداخلة بالاستكانة اللحكام ، لم نجد غير مزيد من التَّهميش لأهل الدِّين في دوائر الحكم وتقريب لأعدائهم.

قد يقول بعض إخواننا : إن أَذِن الحاكم في النَّصيحة المعلنة جاز نصحُه في العلنية، وكذلك إذا كانت المصلحة في إعلان النَّصيحة ولو لم يأذن فيها ،فإنَّ الأمر يتوقَّف على المصلحة، وهي تقديريَّة وليست توقيفيَّة.

قلتُ: أتحدث هنا عن العلماء المتبوعين من الناس، و ليس عن الساسة و المثقف الناشط سياسيا :وإن ظهر هذا الاستشكال ـ للوهلة الأولى ـ صحيحا فإنَّه يتضمَّن بعض المحاذير ، فإنَّ باب المصالح كباب المقاصد دخل منه على الأمَّة كثير من الشَّرِّ فاعتبر ما ليس بمصلحة مصلحةً،وقُدِّمت المصالح الخاصَّة الفئويَّة أو الحزبيَّة على الصَّالح العامِّ، وقُدِّمت المصالح الدُّنيويَّة على الأخرويَّة؛ لكن دعونا نبدأ في تفكيك هذا الاستشكال لنرى مكمن الخلل فيه.

أوَّلا: ما هي المصلحة في النَّصيحة المعلنة: هل هي علم الشَّعب بها(؟)أم استجابة الحاكم لها(؟)

مع العلم أنَّ المضرَّة المحتملة هي: تحرُّج الحاكم منها و إبطانه العداوة للنَّاصح، أو اضطراب الشَّعب على الحاكم بسبب هذه النَّصيحة، فكم من نصيحة أصبحت إرجافًا فتحوَّلت إلى خبر سيء يخوض فيه النَّاس فما بين النَّصيحة الخالصة و التماس الفتنة للاغتنام بها شعرة دقيقة.

لاشكَّ أنَّ المصلحة هي زوال المنكر وحصول المعروف أي: استجابة الحاكم، فما الَّذي يجعل الحاكم يستجيب للنَّصيحة المعلنة ولا يستجيب للَّتي في السِّرِّ(؟)

هذا سؤال تجيب عليه القرائن و المواقف فإن كانت النصائح السرية المتكررة في اتجاه و الحاكم يبتعد عنها في اتجاه معاكس فهذا يعني أنها أصبحت غير مجدية و بالتالي تقتضي المصلحة الإعلان أو توعية الناس .

ولا شكَّ ـ أيضًا ـ أنَّه الخوف و الخشية من غضب الشَّعب و اضطراب البلاد عليه، فعُدنا إلى علَّة إخفاء النَّصيحة الَّذي هو خوف الفتنة، لأنَّ حصول الاضطراب قد يقود إلى انفلات الأمور، وقد تستتبُّ بعد ذلك ، ولا يوجد مخلوق يجزم بما سيحصل ،و بالتَّالي صارت المصلحة المحضة الَّتي تجمع بين المصلحة الدِّينيَّة و الدُّنيويَّة في إخفاء النَّصيحة، و ليس في إعلانها ،ثمَّ من له حقُّ المخاطرة و المقامرة بما سيحصل؟

ثانيا: من هو النَّاصح الَّذي يتبع الشَّعب نصيحته، و بالتَّالي يخشى الحاكم من خروج نصيحته للعلن، لا شكَّ أنَّه العالم من مسلاخ أحمد و العزِّ بن عبد السَّلام و النَّوويِّ و

ابن تيميَّة، و لم نشهد في هذا العصر أمثال هؤلاء العلماء ،و أمَّا غيرهم فيتبعهم بعض الشَّعب و يخالفهم جمهوره، فلم يظهر وجه المصلحة في إعلان النَّصيحة لهذا الاعتبار، أو هي منتفية قطعًا.
أمَّا أن يُراد من العلماء أن يشتغلوا شغل الصُّحفيّين "التَّعليق على الأحداث لمجرَّد التَّعليق" فليس هذا ما يوافق منصب العلماء ووظيفتهم في الشَّريعة.
و انتبه إلى أني أتحدث عن علماء الملة الذين يخاطبون كل الأمة، لا علماء الدولة فهم أساسا قد تحيزوا لها.
ثالثا: العالم الذي تطيعه الأمة أو جمهورها الَّذي رأى أنَّ المصلحة في إعلان النَّصيحة، عليه أن يُبيِّن لنا وجه المصلحة و الحكمة، ولا يجوز في مثل هذه الأمور ـ الَّتي قد تقود البلاد إلى الخراب ـ تقدير المصلحة بمنزلة المجمل ،فإنَّه إن جعل المصلحة في النَّصيحة متناوبة بين العلن و الإسرار لزم أنَّ المصلحة تارة في الإسرار و تارة في العلن ــ وليس هذا بصحيح بل غالب المصلحة بالنسبة إليه في السِّرِّ، ، وهذا الغالب على عمل السَّلف ــ فصارت قضيَّة اجتهادية، و اجتهاد العلماء يختلف من شخص لآخر، فقد يعلم هذا ما في الجهر من المصلحة و يحكم بمقتضى علمه، في حين يجتهد الآخر فيظهر له فوات المصلحة أو حصول المفسدة، لأنَّ تقدير المصلحة يرجع إلى العلم، وهو متفاوت بينهم جملة و تفصيلا .
و إذا اختلف العلماء في تقدير المصلحة هنا صارت المصلحة في الجهر ـ في الغالب ـ منتفية لأنَّه مع اختلاف العلماء يمتنع أو يصعب على الحاكم الاستجابة خشية من عواقب هذه النَّصيحة، و سيجد عذرا في عدم العمل بموجبها.
ومعلوم أنَّه لابدَّ أن تكون المصلحة راجحة على المفسدة ،و ليس مجرَّد تقدير المصلحة أو الشُّعور بوجودها فإنَّ هذه المصلحة (الجهر بالنَّصيحة) ليست محضة، إذ احتمال الضَّرر قائم وبشكل قوي، والمفسدة بجنبِها لذا وجب أن تكون راجحةً عليها وليس مجرَّد وجود فقط .
و العلم بجهة المصلحة قد يؤخذ من الوحي و قد يُستنبط بالاجتهاد ، ومثل هذه المصلحة(نصيحة الحكَّام علنا) ليست مرسلة بحيث لم يشهد لها الشَّرع بالاعتبار،فإذا كان الأصل الشَّرعيُّ الخاصُّ هو الإخفاء لزم أنَّ العلن عارضٌ ،ملحق به بالاجتهاد في الرَّأي العلميِّ، و الرَّأي يصيبُ ويخطئ بخلاف المصلحة المنصوصة.

و الضَّابط أنَّ هذه النَّصيحة هي إمَّا ممَّا يجب بيانه للحاكم لأنَّه هو المعني بها، ويحرم بيانه للشَّعب حذرا من حصول شرٍّ عظيم، أو هي ممَّا يجب بيانه للشَّعب تحذيرا له من أمور دينه فهذا لا يُسمَّى نصيحة ـ بالمفهوم المعهود ـ بل هو عمل العلماء الرئيس، أمَّا أمورهم الدُّنيويَّة فهي من القسم الأوَّل ممَّا يجب بيانه للحاكم أي لمن يُدبِّرها ،وهو مسئول عنها، فإذا كان في إعلان بعض النَّصائح مصلحة ظرفية فإنَّ في الحفاظ على نظام المجتمع ووجود الدولة مصلحة أكبر مستديمة لا ننتقل عنها بشيء محتمل ، فعلينا أن نتيقَّن زوال المصلحة من النَّهي عن إعلان النَّصائح للحُكَّام ،وهذه أمور دقيقة لأنَّه إذا جعلت الشَّريعة الأصل هو الإخفاء ،و الإعلان عارضا لزم أنَّ المصلحة الحاصلة في الإسرار أفضل من مصلحة الإعلان .

و المقصود أنَّ فتح هذا الباب سيدخله أناس لا يقدِّرون المصلحة بل لمجرَّد شمِّهم رائحة المصلحة يبادرون إلى النُّصح العلني،و الَّذي سيكون ـ في الحقِّ ـ تشهيرا ، و سيرون أن مصلحة الإعلان لازمة لكلِّ النَّصائح.

وهنا يلزمنا السُّؤال التَّالي:هل تحصل مصلحة إعلان النَّصيحة من عالم واحد أم من مجموع العلماء؟

ومع اضطراب السَّاحة العلميَّة و الدَّعوية و تشتُّت الجماعات الإسلاميَّة، وتحزُّب كثير من العلماء لن يكون لهذا العمل ـ في نظري ـ أي جدوى؛ ثمَّ علينا أن نسأل أنفسنا :هل هذا الطَّريق الأفضل و الوحيد للإصلاح السِّياسيِّ؟

ولنتذكر هنا أني أتحدَّثُ عن العلماء بالمواصفات السابقة ~ لأن غير هؤلاء ينصح أو يترك لا يوجد من يأخذ بكلامه ـ وليس عن طلبة العلم أو المثقَّفين أو المهتمِّين بالسِّياسة ممَّن (قد) يضطرُّهم عدم وجود عمل سياسيٍّ حزبيٍّ مشروع إلى محاولة تعويضه بالنَّصيحة المعلنة.

قال ابن عبد البر في" التمهيد"{277/23}:" عن عبادة بن الصامت قال:" بايعت رسول الله صلى الله عليه و سلم على العسر و اليسر و المكره و المنشط و أن لا ننازع الأمر أهله و أن نقوم أو نقول بالحق حيثما كنا لا نخاف في الله لومة لائم".

قال ابن عبد البر: ولا يلزم من طاعة الخليفة المبايع إلا ما كان في المعروف لأن رسول الله لم يكن يأمر إلا بالمعروف و قد قال:" إنما الطاعة في المعروف"، و أجمع العلماء على أن من أمر بمنكر لا أفطر طاعته، قال الله عز وجل:" و تعاونوا على

البر و التقوى".
وقال{277/23}:" ربيعة بن يزيد قال: قعدت إلى الشعبي بدمشق في خلافة عبد الملك فحدث رجل من التابعين عن رسول الله أنه قال: اعبدوا ربكم و لا تشركوا به شيئا و أقيموا الصلاة و آتوا الزكاة و أطيعوا الأمراء فإن كان خيرا فلكم و إن كان شرا فعليهم و أنتم منه براء، قال الشعبي:" كذبت لا طاعة في معصية إنما الطاعة في المعروف".
يجب أن نفرق بين دور العالم ودور الحزب السياسي فلا نلزم الإخوان وهم حزب سياسي بما يجب على العلماء أو يليق بهم.
قال علي بن أبي طالب:" لا تتركوا الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر فيولى أمركم شراركم ثم تدعون ولا يستجاب لكم"{مجمع الزوائد:143/9}.
و الخلاصة: أظن أن إلزام العلماء بأن يكونوا ساسة أو أن يناصروا طائفة دون طائفة أخرى في المجتمعات الإسلامية الطائفية يدفع بالطوائف إلى مناصرة خصمهم إضافة إلى كونه يخالف وظيفتهم أو دورهم،و إن كان الغالب على العلماء المتبوعين، المداخلين للحكام بمصاحبتهم و مجالستهم أن يحفظوا الأصل العام وهو مناصحتهم سرا إلا إذا اقتضت الضرورة فلو توقف المداخلة هنا منذ مساندتهم لغيرهم فهذا الراجح .
لكن لبقية العلماء و المفكرين حق النقد العام للسياسات كما أوضحته سابقا فما كتب ابن تيمية رسالة الحسبة حتى اشتكى الناس إليه من غلاء المعيشة، وما انتقد النووي سلطان المماليك حتى اشتكى العلماء من انقطاع رواتبهم والناس من ثقل الضرائب عليهم مع أنها كانت لتجهيز الجيش لمواجهة المغول، فلا ينطبق عليهم قيد الصنف الأول.
وكذلك إلزام الإخوان وهم أصحاب أحزاب سياسيَّة، و المثقفين الناشطين سياسياً بمواقف العلماء قياس مع الفارق المعتبر، و مغالطة لإسكات من يحق له الكلام .
أظن أن المداخلة يعيشون في وهم، فأحزاب الإخوان و غيرهم في البلاد المستقرة تمارس نقد النظام تحت قبته، وفي صحافتها ولم يقع إلا الخير: استجابة الحكومات لبعض المطالب.
لك أن تنتقد الإخوان و السلفيين من غير اتجاهك وغير هؤلاء ولهم أن ينتقدوك،

اجتنب فقط التحامل على الناس و اعلم أن أكثر الخلاف في هذه القضايا بسبب الاختلاف في تحقيق المناط.

تمهيد مقدِّمات التَّأصيل المعرفي لإثبات فساد القول بالتَّقليد

نقض حجج المذهبيَّة اللا أدرية

" لست ذكياً... عالماً...مجتهداً... بالقدر الكافي لتفهم الدليل، يجب أن تعتقد بدون أن تسعى للفهم"

1 ـ تعريف مذهب اللاأدرية

الحمد لله وحده، و الصلاة و السلام على من لا نبيَّ بعده.

أولا: هذه المسالة " الاجتهاد و التقليد" مسألة هينة بالنظر إلى أحوال الأمة، وهي محض تنظير إذ الناس ماضون وفقا لحاجة شعورهم مهما تفلسف بعضهم حول " أدوات الاجتهاد" التي يهولون بها لأن أكثرهم ليس معنيا باستخراج أحكام شرعية غير مسبوقة و لكن بالنظر في أرجح أقوال الأئمة وهو مما يسره الله على عباده بخلاف وهم القائلين بالتقليد،و بالتالي لن يرجعوا للتقليد المذهبي مهما فعلنا لأنه غير مناسب من كل وجه لعقلية العصر و ثقافته، فهذا عصر الباحث وليس عصر المجتهد ،عصر العمل الجماعي،و عصر الاستعانة بالخبراء.

المجال الوحيد الذي سيبقى فيه التقليد هو مجال تعصب القائلين به و الذين يجدون راحتهم في الكسل.

وفي ظل الرداءة العقلية و الأخلاقية الموجودة بين المسلمين، قد يصبح النقاش في هذه المسألة تافها كأكثر النقاش الموجود، و لذلك أذكِّر بعضهم أنه لا إشكال أن يعترض بعضنا على بعض، فكلامنا ليس قرآنا، و البحث في هذه القضايا حيث يعصر الرجل ذهنه من أسباب توثيق المحبة الواعية لا المحبة الغريزية الناشئة عن الموافقة و الميل الطبيعي.

و طالب العلم عندما يرتقي بفكره ليتكلَّم في مثل هذه القضية المفروض أنه ارتقى إلى درجة وعي لا يليق بها الغمز و اللمز، فان أصغر طلبة العلم قادر على الركل على القفا، فما بالك بمن ضرَّسته الخصومات لكن عهد المناهبة قد ولى ،فلنبق إذاً الأجوبة

في حدود تدافع الأفكار المجردة من شراسة الطباع و فتنة الطواف على النفس.
السطحية في موضوع "الاجتهاد و التقليد" هو أن نتكلم عنه بالعقل الفقهي المجرد لأننا في الحقيقة أمام موقف معرفي ~ إذا كان من يقول هذا يعي محل هذا الكلام في منهج المعرفة ~ و أضعف مستويات تجلي هذا الموقف المعرفي هو في " التمذهب الفقهي".
لذا يستدعي ذلك منَّا أن ننظر في حجج هذا الموقف على مستوى الوعي العلمي بالحقيقة وطرق الوصول إليها عند الإنسان،قبل أن ننتقل إلى حجج القوم ، إذ يبدو أنها حجج لاأدرية.
فيجب فهم هذا، و معرفة إن كان هذا الموقف المعرفي المنكر لوجود الاجتهاد النسبي حاليا يطرد أصوله فينكر وجود الحقيقة المطلقة أم أنه موقف لا أدري متناقض، استلف حججا لمذهب سلوبي [كل المذاهب الإلحادية و اللاأدرية تنطلق من موقف شكوكي يعني: سلوبي] ليدلل بها في مذهب ايجابي، كما فعل قديما بعض المتكلمة أخذوا حجج مدرسة فلسفية مادية منكرة لوجد الإله،و أسسوا عليها مذهبهم في إثبات وجوده ؟
و إذا كثر في استدلال القائلين ~ كما ستراه ~ قولهم " وما يدريك"، و" كل عالم يقول بدليل"،" لكل مذهب دليله" فنحن في مذهب اللاأدرية المذهبية ، وعليه يجب أن نتعرف على اللاأدرية كموقف فلسفي و بعد ذلك على أقسامها، ثم مختلف حججها، و بهذا نستطيع أن نقارن بين حجج المذهبيين وحجج اللا أدريين حتى نستبصر نقاط التلاقي، و قيمة أصالة حجة التقليد عند بعض المعاصرين.
و لتكون سلسلة هذه المقالات نافعة، تبقى راسخة في الذهن، إذ كل مقال سيعتمد على الذي قبله سأجعلها قصيرة ، و أبدأ بمقدمة مختصرة عما وصلت إليه اللاأدرية في هذا العصر، ثم أعود إلى اللاأدرية في ثوبها الإسلامي المذهبي، إلى أن نصل إلى كوخ الحمق و ننظر من يسكنه،فيبدو أن الذكاء عند بعضهم هو في عقد التحالفات و الدفاع عنها ! فأقول:

1 ـ تعريف اللاأدرية [Agnosticisme]:

يُسمِّي العلماء و الفلاسفة من يقول بتكافؤ الأدلة بـ " اللا أدرية" ، ومعنى "تكافؤ الأدلة" :أنه لا يمكن تفضيل دين على دين،أو مذهب على مذهب، و لا قول على قول

بدليل معتبر، فأدلة كل مقالة هي أدلةٌ لسائر المقالات، و كل ما ثبت بالجدل، فإنه بالجدل ينقض.

و اللاأدريون لا ينكرون وجود الحق في أحد الأقوال، إلا أنه غير بيِّن إلى أحد، ولا ظاهر، ولا متميز أصلاً، هنا يلتقي مذهب الواقفة كـ الباقلاني و الغزالي ~ رحمهما الله ~ مع هذا المذهب لكن في قسم موارد الاجتهاد، التي بالنسبة إليهما ليس لها عند الله حكم، ولم ينصب عليها علامات.

في العصر الحديث اقتصر هذا المذهب المتعدد إلى مقولة واحدة هي : أنه لا يمكن أن نعرف الحقيقة على وجود الله ، وهذا القسم العام من اللاأدرية، وقديما كان يدخل فيه من ينكر القدرة على معرفة صحة الأديان، أو صحة المذاهب.

فبالنسبة للمعاصرين التشكيك في وجود الله يقطع الطريق أمام التشكيك في صحة دين أو مذهب إذ هما فرع على وجود الله، وهذا غير لازم، إذ هذا موقف فلسفي شكوكي في المعرفة ، و المعرفة تتبعض لذا وجدنا الربوبيين و الروحانيين يعترفون بوجود الله و ينكرون أي تمثيل ديني له كما ينكرون النبوة، ووجدنا أصحاب الوحدة الوجود تعريفهم الإله بالطبيعة لم يدفعهم لإنكار الأديان.

و على هذا كانت التقسيم القديم هو الصحيح، و سيأتي تفصيل لاحقاً.

الخلاصة: هي أن اللأدري يرفض أن يصدر حكما قطعيا، و لكنه يدفع بشكوكٍ حول الوجود الإلهي، ومن هنا يخالف الملحد الذي لا يؤمن بشيء و ينكر الكل جملةً.

باختصار هي موقف فلسفي يزعم أن المطلق ليس في متناول العقل البشري، و بهذا الاعتبار يدخل فيها المذهب الذي يجعل كل ما يتجاوز ما هو مدرك بالتجربة غير قابل للمعرفة [Thomas Huxley, 1869].

و يمكن أن يلحق به العقل الوضعي [positif] في مجال التجربة، الشكوكي في مجال الدين و الغيب [Kant, Auguste Comte].

بالنسبة للأدريين وجود الله ليس يقينيا، ولا مستحيلا ،يتميز عن التوحيد الذي يثبت وجود الله و عن الإلحاد الذي ينكر وجوده.

اللأدرية المعاصرة أسَّسها الفيلسوف الاسكتلندي [David Hume1711/1776] في مراجعه " حوارات في الدين الطبيعي1750 " ، مقالات فلسفية عن التفاهم البشري 1748".

و الفيلسوف الألماني [Emmanuel Kant] في " القاعدة الوحيدة الممكنة لإثبات وجود الله 1763"، " نقد العقل الخالص1781"،" الدين في حدود العقل البسيط1794".

نجد اللأدرية في عدة مذاهب فلسفية ، فهي موجودة في الإلحاد إذ عدم الجزم بوجود الله كالجزم بنفيه، وبهذا المعنى تكون الربوبية درجة ثانية من اللا أدرية إذ تثبت وجود الله و تنفي النبوة. يقول [Nietzsche]: هناك أشخاص لا يفكروا أبدا إن كان الله موجودا أو غير موجود، فهذا كذلك موقف لا أدري.

أقسام مقالات اللأدرية:

تنقسم اللا أدرية إلى ثلاث مقالات :

1 ـ من يقول بتكافؤ الأدلة في كل ما اختلف فيه الناس حتى في وجود الله و النبوة.

2 ـ من يقول بتكافؤ الأدلة فيما دون الله تعالى، فأثبتوا أن الله خالق كل شيء لكن لم يحققوا أمر النبوات،أو دين من الأديان، بالنسبة إليهم يوجد ضمن هذه الأقوال قول صحيح غير أنه غير ظاهر لأحد، و لا بيّن ، ولا كلف الله تعالى أحدا .وهؤلاء هم الربوبيون كما يسمون في هذا العصر.

قال ابن حزم عن طبيب يهودي اسمه: إسماعيل بن القراد أنه لما دعاه للإسلام وحسم شكوكه، قال له هذا الطبيب: الانتقال في الملل تلاعب.

وذكر ابن حزم انه وصله مثل هذا القول عن قوم من أهل النظر و الرياسة في العلم إلا انه لم يثبت عنده.

3 ـ ومنهم من قال بتكافؤ الأدلة فيما دون الله عز وجل ودون النبوة، فقطعوا أن الله عز وجل حق و انه خالق الخلق، و أن النبوة حق، و أن محمد رسول الله صلى الله عليه و سلم حقا لكن لا يغلب قول من أقوال أهل الإسلام على قول، بل قالوا: أن فيها قولا هو الحق بلا شك إلا أنه غير بيّن إلى أحد، ولا ظاهر .

فاللأدرية ثلاث درجات ترفض المفاضلة و الانتقال بين الكفر و الإيمان بوجود الله ، أو بين الديانات، أو بين المذاهب، فالانتقال بالنسبة إليها تلاعب لأنها متكافئة، و الذي يهمنا و سنقف عنده هو اللأدرية المذهبية.

نتائج القول باللأدرية:

1 ـ لزوم الحيرة، و مدحها،فقالوا : لا ندري ما نعتقد، ولا يمكننا أخذ مقالة لم تصح

عندنا دون غيرها مغالطين لأنفسنا ،مكابرين لعقولنا، لكنَّا لا ننكر شيئا من ذلك ولا نثبته ، مالوا إلى اللذات و أمراح النفوس في الشهوات ، وهذه لا أدرية مادية عدمية لا تكترث بالسؤال إن كان الله موجوداً أو غير موجود نجدها في عدة فلسفات كـ أبيقور و نيتشه.

2 ـ منهم من قال : على الإنسان فرض لموجب العقل ألا يكون سدى بل يلزمه ولا بد أن يكون له دين يرد جربه عن الظلم و القبائح فمن لا دين له..

3 ـ يجب على الإنسان لزوم الدين الذي نشا عليه أو ولد عليه، لأنه الدين الذي تخيَّره الله له في مبدأ خلقه و نشأته بيقين ،وهو الذي أثبته الله عليه، فلا يحل له الخروج عما رتَّبه الله تعالى فيه وقالوا: من خرج من دين إلى دين فهو وقح، متلاعب بالأديان، عاص لله المتعبد له بذلك الدين، و يقول بالدين الكلي .

4 ـ قال بعضهم: لا عذر للمرء في لزوم دين أبيه و جده أو سيده، ولا حجة فيه، لكن الواجب على كل احد أن يلزم ما اجتمعت الديانات بأسرها و العقول بكليتها على صحته و فضله كـ:عدم القتل و الزنا، و اللواط ،و البغي، و السعي في الإفساد، و السرقة، و الغصب، و الغش، و الغيبة، و الضرب؛ ودعوا إلى الرحمة، و الصدقة، و أداء الأمانة، و إعانة المظلوم، فهذا هو الحق ~ عندهم ~ لأنه متفق عليه من جميع الديانات، وما اختلفت فيه الديانات يتوقفون فيه لأنه لم يظهر لهم الحق في شيء منه دون غيره. انظر " الفصل في الملل و الأهواء و النحل" لابن حزم:5/78.

يعني اتفقوا على مذهب تلفيقي بين الديانات ، وهذا المذهب اليوم موجود عند الباطنية المعاصرة، و الغنوصيين ، و الروحانيين دين سبينوزا.

الجامع بين كل مستويات اللاأدرية هو أنه لا يمكن إثبات الحق ولا نفيه لكنه موجود؟ وهذه حجة القائلين بالتقليد و إن شبهوا بعبارات موهمة.

في المقال القادم ننظر في حججهم الذي دفعتهم إلى هذه الأقوال ثم ندخل في مناقشة أقوال بعض الداعين إلى التقليد المذهبي.

الوجه الآخر لنقد النصوص الشرعية بالعلوم التجريبية

- 3 -

الحمدُ للَّه المحمودِ على كل حال، ولا يحمد على كل حال إلا الموصوف بصفاتِ الجلالِ والكمال، له الأسماء الحسنى وهو الكبير المتعال، و الصلاة و السلام على محمد بن عبد الله المبعوث بالجمال و الجلال و الكمال.
على عادتي في الكتابة:نكسر موضوع " الاجتهاد و التقليد " بهذا الموضوع عن منهج نقد الوحي بالعلوم التجريبية،حيث اختصرت من بحث طويل أعددته فيه أربع مقالات للنشر على الفيسبوك ، هذا أولها ؛ وبعد ذلك نعود لاستكمال موضوع " الاجتهاد و التقليد" عند فصل "أحكام القسمة و الحصر" .

[....]

تأثير البراديجم " النموذج العلمي:
ذهب [Kuhn] وهو فيزيائي تحوَّل إلى مؤرخ علوم إلى أن التجارب العلمية تخضع لنموذج علمي سماه "البراديجم "يؤثر على نتائجها حيث يمثل النموذج المعيار العلمي الحالي، و يتضمن هذا النموذج الألغاز التي يغذي حلها النشاط العلمي العادي.
يزعم بهذه الحجة أنه لا توجد نظرية استنتاجيه يمكن اعتبارها مؤسسة نهائيا، الاستثناء الوحيد هو النظريات التي مقدماتها تجريبية محضة ،لكن قد شك [Hübner] في وجودها،فحتى النظريات البسيطة تحتاج إلى توظيف قضايا غير مؤسسة بطريقة مطلقة ، فكل نظرية تستعمل طريقة : إذا كانت س ، ص.
أصل نظرية النموذج: هذه النظرية مبنية على ثلاثية منش هاوسن التي شرحها هانس ألبرت و طورها [Kuhn]،[Feyerabend]،[Bloor] و بطريقة مختلفة [Barnes]، وبطريقة نظامية واضحة [Hübner] و خلاصتها: كل نظرية علمية تتضمن اعتقادات غير مؤسسة ، كل نظرية علمية تفترض تسخير قضايا نثق فيها ليس لأنها مبرهنة بطريقة لا تقبل الجدل و لكن على أساس إيماني [acte de foi].
النموذج [paradigme]:
- يقترح [Kuhn] تصورا يتمثل في أن النظرية العلمية تندرج ضمن هيكل يسميه " النموذج" هو عبارة عن إجماع معتمد من مجتمع العلماء المسيطر الذي يحدد النظرية و العمل العلمي المنفذ، لكنه لم يحدد معايير دقيقة تسمح بتحديد النموذج إلا أن هناك ثلاثة عناصر جوهرية:
1 - القوانين و المفاهيم الأساسية للنظرية العلمية محل التنفيذ.

2 ـ مجموع عمل الأدوات التي تربط النظرية بالتطبيق التجريبي.
3 ـ نوع "رؤية للعالم" ربما ميتافيزيقية ترتكز عليها النظرية [sous-tendue par la théorie.].
ـ بحسب [Kuhn] الطريقة التي ينظر بها العلماء إلى العالم لإدراك الظواهر هي بالماصدق [par extension] يعني: ترجع للنموذج الذي يوجدون فيه،مثال: بحسب النموذج الأرسطي العالم مقسوم إلى:
1 ـ مجال قمري فرعي [sphère sublunaire] مركبة من أربعة 4 مجالات فرعية [sous-sphères] مرتبطة بعناصر:" التراب، الماء، الهواء، النار".
2 ـ مجال فوق قمري [supralunaire] مكون من الأثير[éther] الذي تتحرك فيه الأجرام السماوية [corps célestes].
3 ـ الجاذبية ظاهرة عاملة في المجال تحت القمري ،و تنتج عن الميل الطبيعي " الذاتي" للأجسام التي تتحرك بحسب المجال المهيمن الموجودة فيه لبلوغ الراحة [الاستقرار]، فتميل الحجرة إلى السقوط لأنها تتحرك طبيعيا نحو الأرض التي هي في مركز العالم،في المجال فوق القمري الأشياء مختلفة حيث تميل الأجرام السماوية طبيعيا للحركة الدائرية الموحدة.[uniforme]
النقد:
لقد انتقد غير واحد هذه النظرية لأن الفكرة القائلة: تأويل ظاهرة يرتبط كليةً بالنموذج [paradigme] جذرية أكثر من اللازم ليتم قبولها، فمثلا نحن نعلم أن التجربة تكون دائما في إطار نظرية موجودة، لكنها لا تحدد كليةً نتيجة التجربة، بتعبير آخر: النظرية ضرورية ولكنها ليست كافية للتجربة، يوجد تجارب نتائجها جزئيا خارجة عن النماذج.
أما من حيث حجة " التفنيد الذاتي" فإننا نجد العالم الباحث يدرس الطبيعة بحسب الطاقة بينما المؤرخ و وعالم الاجتماع يدرسان العلم، ومنهج المؤرخ بالأساس عقلي مستوحى من المناهج العلمية مثل: البحث عن الوثائق ـ التحليل ـ المقارنة ـ الفرضية ... الخ، فإذا كانت النظريات العلمية ليست حقيقة إلا داخل النموذج محل التنفيذ ~ وهذا موقف نسبوي ~ فلماذا تكون نظرية المؤرخ حقيقة مطلقة؟ !
وعليه،متى اعتمدنا نظرة نسبوية للعلم يجب بالضرورة أن نعتمدها لتاريخ العلوم ،

مما يفند مباشرة صحة و كفاية الرؤية النسبوية المطلقة.
عند [Popper] الذي ينتمي إلى العقلانية الناقدة في كتابه [منطق الاكتشاف العلمي]، فالمقصود من ثلاثية [مونش هاوسن]: الصفة الافتراضية لكل استدلال فأية قضية استنتاجيه لا يمكن أن تكون نهائية التأسيس.
المهم بالنسبة لنا أنه في الغالب ما تكون الحقيقة وسطا بين طرفين، فالتجارب العلمية ليست كلها حقيقة مطلقة ولا كلها حقيقة نسبية، و مثال أرسطو غير صالح لأن نظرية أرسطو هي في الحقيقة فرضية عن عالم لم يدركه عن تجربة.
نعم توجد أخطاء علمية بلا شك، ومنها ما استمر قرونا، ففي تاريخ العلوم غلطات و عدم دقة، لكن في المقابل يوجد وقائع علمية كثيرة لا علاقة لها برأي كائن من كان.
و المهم في مجال المعرفة هو الوضوح و الاهتمام بالوقائع العلمية الجدية، و اعتبارها بدون السعي لإخفائها و التملص منها بشرط أن تكون يقينية لا تحتمل الخطأ.
و ربما الأهم في الموضوع ليس النموذج العلمي في العلوم التجريبية كما بينتُ بل يجب النزول إلى النموذج العلمي الأصلي في الإبستومولوجيا [épistémologie] حيث أثر[Thomas Kuhn] بفكرة النماذج [paradigmes] التي ليست إلا نتيجة اتفاق اجتماعي لجمعية علماء تذهب إلى تبرير اختيار نسبي للنظريات العلمية.
فبنفس الحركة انتهى [Paul Feyerabend] إلى نسبوية معرفية[relativisme épistémologique] تنكر قيمة المنهجية العلمية[méthodologie]، و تنتهي بهضم الحد الفاصل بين العقل و العقلانية.
و الموقف المعتدل أن نقول: انحراف العلموية [scientisme] ليس سببا كافيا لرمي العلوم كمن يريد رمي ماء الحمام فيرمي معه الطفل.
لا شك أن الوضعانية التي هي الدرجة الثانية من العلموية غلت في العلم و انحرفت به عن مساره الصحيح الذي هو وصف الأشياء كما هي دون القفز إلى تفسيراتها الميتافيزيقية، مما كان له رد فعل قوي من الظواهرية و الباطنية المعاصرة و التيارات الروحية أدى إلى إنكار مبدأ السببية الفطري، و مبدأ ثنائية القيمة، حتى رأينا عودة اتجاه العلاقة الشاعرية بالطبيعة فعلَّق هيدغر في كتابه " الثقة في النفس"[ص:106] على بيت شعري لـ [Angelus Silesius] في" صلاة التبشير الملائكي، وهو شعر باطني يلامس وحدة الوجود:

" الوردة بدون لماذا، تزهر لأنها تزهر، لا تقلق على نفسها، ولا ترغب أن ترى"
a ’elle fleurit, N’La rose est sans pourquoi, fleurit parce qu]
[elle-même, ne désire être vue’souci d
يقول : الإنسان لم يعد مستقيما، لا يجرؤ على قول: "أنا أفكر"،"أنا كائن" لكنه يذكر فلان و فلان من القديسين أو الحكماء [...] الورود تحت نافذتي لا تذكر أية مرجعية لورود سابقة أو لورود أجمل؛هي كما هي، هي موجود مع الله اليوم، بالنسبة لها الزمن لا شيء، لا يوجد إلا الوردة.
هي كاملة في كل لحظة من وجودها، قبل أن يتفتح برعم ورقة، كل حياتها في عمل، في الزهرة المتفتحة لا يوجد أكثر ،في الجذر بدون ورقة لا يوجد أقل، طبيعتها راضية و ترضي الطبيعة في كل لحظة بنفس الطريقة، لكن الإنسان يرُدُّ إلى فيما بعد أو يتذكر، لا يعيش في الحاضر، نظره متجه إلى الوراء، يتحسر على الماضي بدون الانتباه إلى الثروات المحيطة به، يقف على مقدم قدميه لرؤية المستقبل ، لا يقدر أن يكون سعيدا و قويا مادام هو كذلك لا يعيش متفقا مع الطبيعة في الحاضر، و فوق الزمن "الوقت".
قلتُ : كما قال غير واحد العلاقة مع الطبيعة هنا علاقة شاعرية ليست علاقة علمية أو منطقية، فالوردة تكتفي بأن تكون،وفي هذا اللا تبرير يتموقع الحضور"الوجود"، كما يقول [Krisnamurti] في محاضرة حول الحب: الوردة تعطي من جمالها و من عبقها سواء نظرت إليها أو لم تنظر،هي في طبيعتها أن تكون هبة لا تنتظر ردا،وبهذا تتجاوز كل سبب.
صورة الوردة هي استعارة للحب حيث يجد الحب فرحه في هبة لا تنتظر الرد، ومعفية من كل سبب، " الوردة هي بدون لماذا" ينص "المعطى" أنه خلافا لكل التوقعات لمبدأ السبب، يوجد في الكائن: شكر، هبة.
أيضا البستاني الذي يحيط الوردة بالعناية، يغذيها، يرد في حبه الشكر الذي يجده في حضور الوردة، ليست جائزة الوردة التي تهمه، لأن الثمن ليس شيئا إلى تعبير مقيد بمبدأ السبب.
هذا الكلام ليس سليما من كل وجه، فالمقصود منه دين الحب بالمفهوم الباطني حيث يرفضون مبدأ السبب ، و الثالث المرفوع ، لأن تصرف البستاني الذي ذكروه ليس

هو الوعي الإنساني المعتاد، فالإنسان مختلف عن الوردة من حيث أنه يشعر بنفسه، وبوجوده، و يتحرك بإرادة ،و في الغالب يتابع بطمع من زاوية عينه نتائج فعله في هذا العالم و ما ستكون عليه في العالم الآخر،وحتى هيدغر نفسه يتابع أثر كتاباته ، يراقب ماذا يقول هذا العالم عنه، و ينتظر منه،المكافأة و الاعتراف .
في اللحظة التي لا نرسل فيها نظرة خاطفة ومهتمة، لا نستطيع نحن البشر أن نبقى كائنات كما نحن، بدون الاهتمام بالعالم الذي تشكلنا و تعلمنا فيه و الذي يخدمنا لا يمكن أن نراقب أنفسنا أيضا.
بهذا الاهتمام بالوردة المجرد من كل اهتمام ذاتي الوردة نفسها لا تحتاج لهذا البستاني، لنقل إذا كما قال [Leibniz]: " الوردة لا تحتاج للإزهار أن نعطيها أسباب الأزهار، الوردة هي وردة بدون أن يكون تقديم سبب ضرورة لكينونتها كوردة" لأنها وردة وليست نفسا، لكن رغم ذلك لها سبب جعلها وردة ،و الاهتمام بها دون طمع هو نفسه سبب، إذ لا يوجد " لا اهتمام" بدون سبب.
يريد هيدغر ردا على العلموية أن يقول لنا: لماذا لا يكون الإنسان للعالم المحيط به كما هي الوردة له، أليس في أعمق أعماق كينونته ما الإنسان في الحقيقة إلا ما هو [ما يجب أن يكون عليه] على طريقته مثل الوردة بدون "لماذا".
بالنسبة إليه المطالبة بالسبب التي تغلو فيها العلموية ليست سوى محاولة للإخضاع و السيطرة،ليست سوى نظرة تجارية تريد أن تختزل أسرار العالم و غموضه في شبكات تفسيرات ضيقة؟
و إن كنا لا نذهب مذهب هيدغر في نقد العلموية فإننا نقتبس منه أصل الفكرة بأن مطالبة كل وجود حتى وجود الله المتعالي الذي ليس كمثله شيء أن يعطي سببه، هو دعوى مفترسة، سببها غرور الإنسان عندما يتيه في نفسه و يفقد الارتباط بالغايات الكبرى ، عندما يضع علمه في مصف علم الله ، هنا سيظن انه يوجد وراء الله مرمى.
لكن في الوقت نفسه على مبدأ " تفكروا في خلق الله و لا تفكروا في الله" نسأل:
هل من الصدفة إذا كان العلم من طبيعته اشتراط التفسير و الشرح لأنه يعمل بمبدأ السبب، إذا كانت التقنية التي نتمتع بها هي الامتداد المسلح للعلم الموضوعي، هل يجب أن نستغرب إذا حاول العلم اقتحام نظام الطبيعة وهي بين يديه و قد جعلها الله في متناوله إلى حد لا يعلمه إلا هو؟

لا ننكر حاجة النفس إلى العلاقة الشاعرية مع الطبيعة فأصلا علاقة المسلم بها ابتداءً قبل العلم أي التي تنتج السؤال علاقة انبهار بصانعها يتولد عنه التسبيح بحمده لكن هذه الطبيعة التي تحتضن الإنسان و تنفتح له بقدرة الخالق الذي سخرها له لا يجب أن ننكر العلاقة التقنية معها حيث يسعى هذا الإنسان قدر جهده إلى وضعها تحت يده و السيطرة عليها لاستخدامها، هذا غير محاولة السيطرة على موضوع وجود الله و صفاته و شريعته و نصوص أنبيائه بعلم تجريبي .

الذي يستغربه هيدغر أن المبدأ العظيم للسبب الذي نطبقه كلية و يمر على أنه دليل هو نفسه ليس له سبب و يبقى غير مؤسس، ونحن لا نسأل : لماذا يجب أن يكون بالضرورة لكل شيء سبب، لأننا نوقف الأسباب على ما هو ظاهر لنا منها، لا نسأل عن سبب الله إذ عند هذه النقطة يرتد العقل راجعا إلى مهده الذي هو الفطرة،و مبدأ السببية في المخلوقات مؤسس على الفطرة ،و سببه التعليل و معرفة الغاية، فالقول بأنه يفتقد إلى سبب مجازفة لأننا نجد الذهن يعمل حرفيا في خط مستقيم مع مبدأ السبب،ومبدأ السبب هو الذي يجعل الذهن عمليا بشكل رهيب، فلا منطقية في الاستدلال بدونه.

وإذا قُدر أن العقل في قلب الحضور وقوة الوارد حيث يغلبه المشهد فتختفي الصفة الذهنية للعقل لحساب الصفة النفسية يوجه إلى الإعجاب بالكينونة فهذه لعبة يلعبها الصوفي الباطني،و يلعبها[zen] مع التناقضات حيث يوقفون الذهن عن العمل للالتحام بحركة الاندهاش للتمتع الجمالي " الفناء عن شهود السوى"

إن صمت العقل كذهن لحساب ما وراءه وهو ما يسميه جلال الدين الرومي "صوت السكوت" لتقول النفس: لا لـ " لماذا"، إني في الحضور حيث أنا الكائن نفسه [intellect’Satori de l] نهايته أن نفقد التمييز بين الأشياء و تصبح جميعها شيئا واحداً ، و تختفي الأسباب و تضمحل الحدود و الفوارق و الفواصل، و يصبح لجميع الأشياء قيمة واحدة،تصبح متساوية متماثلة لوحدة الطبيعة الطابعة و المطبوعة ، لهو أخطر بكثير من إطلاقية العلم التجريبي.

وعليه فمن الضروري أن نقول: لا العلم التجريبي أو الفلسفي يمكن أن يقف على حدود الوجود فضلا عن أن يحيط بوجود الله، لذا علينا الاقتصار على وصفه وذاك ما جاء به الأنبياء {تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ} .

العلوم التجريبية كما يقول [Popper] منهجها الحذف، حذف الاحتمالات، أي التخمين و التفنيد، فالخطوات المنهجية هي حذف و إقصاء و ليس إثبات الاحتمالات؛ إذا كانت النظرية صحيحة فيجب أن نلاحظ الظاهرة التالية "تجريب الفرضية النظرية".
في مثاله: إذا أمطرت يكون التراب مبللا ـ التراب مبلل ـ إذن لقد أمطرت، غير صحيحة لأنه يمكن أن يكون مبللا بشيء آخر.
قلتُ: هذا إذا وافقناه على أن بلل غير المطر و مساحته كبلل غيره.
أما إذا كانت التجربة عبارة عن مراقبة الملاحظات المتوقعة إذا تحققت فيمكن أن نستخلص خطأ النظرية مثال: إذا أمطرت ـ التراب يكون مبللا، التراب غير مبلل ـ إذن لم تمطر.
قلتُ: هذا إذا راقبنا كل المساحة الممكنة فإن من أنواع المطر ما ينزل مفرقا، وهذا عيب التجربة عندما تأخذ الظاهرة الجزئية و تفصلها عن مجموع النظام الكوني و تجربها في المخبر.
الفكرة الجميلة عند هذا الفيلسوف هو أن التجربة العلمية كشبكة الصيد تخرج من السمك بقدر كبرها و ضيق فتحاتها و حجم السمك، ونحن نعلم مسبقا أنه لا توجد شبكة تستوعب البحر كله، كما لا توجد تجربة علمية تستوعب الكون أو الظواهر كلها فضلا على أن تستوعب العلوم الإلهية [....]

الوجه الآخر لنقد النصوص الشرعية بالعلوم التجريبية

- 2 -

الحمدُ لله المحمودِ على كل حال، ولا يحمد على كل حال إلا الموصوف بصفاتِ الجلالِ والكمال، له الأسماء الحسنى وهو الكبير المتعال، و الصلاة و السلام على محمد بن عبد الله المبعوث بالجمال و الجلال و الكمال.

[....]

يجب تمييز الأشكال التي يتخذها الإيمان كعلاقة مع الحقيقة بين كونه إيمانا وبين كونه ظنا ،و من المفضل أن نميز بينهما بالإضافة، فنقول: " اعتقاد الإيمان ـ اعتقاد الظن". يوجد في الإيمان كاعتقاد موافقة للنص الشرعي و قناعة شخصية به، هي في الحقيقة مرحلة تأتي بعد مرحلة التصديق التي تنتج عن تجربة شخصية سواء عقلانية أو

نفسية أو اجتماعية يتأكد بها الإنسان من صحة هذا الدين، وهذا خلاف قول العقل لنفسه :" أنا مقتنع بهذا" بحيث ينخرط فيه ،فهنا الاعتقاد بمعنى الظن، هو رأي احتمالي لأنه ظن ناشئ من النفس يتولد عنه جزم الهوى بخلاف الاعتقاد بمعنى الإيمان فإنه يتلقى النص و يعتقد صحته لأنه مسبوق بمقدمات توجب صدق صاحب النص،و تلك المقدمات برهانية، فانتقل إلى اللازم وهو قبول قول الصادق فيتولد [التولد ليس بالمعنى الاعتزالي] عنه جزم العلم.

الاعتقاد بمعنى الظن قد يكون صحيحا و قد يكون خاطئا، بخلاف الاعتقاد بمعنى الإيمان فمصدره ليس الذات بل مصدره خارجي عنها ،و الوقوف عنده كأنه ظن مغالطة إذ البحث هنا ليس في صدق النص فقد يتجاوز علمه الظاهر من هذا الكون و لكن صحة مصدره.

و الظن المتأرجح تقابله القناعة الراسخة الموجودة في الاعتقاد بمعنى الإيمان الذي يرتكز على تبريرات متينة بينما الاعتقاد بمعنى الظن يقوم على معطيات و افتراضات تحمل على أنها صحيحة، هنا مجال الرأي.

بالمعنى الثاني نقصد بالاعتقاد الإيماني نظام الانخراط في الحقائق الموحاة للأنبياء فالبحث هنا في شيئين اثنين: في كون النبي صادقا، وفي كون الخبر ثابتا إليه، فمن الخطأ بمكان اعتبار الاعتقاد الإيماني كاعتقاد الظن و بالتالي أنه مثله من الرأي الشائع.

و إذا وجدنا في التدين حجة السلطة [autorité’argument d] ممثلة في علماء يملكون حق شرح و تفسير النص فلأن الإيمان يقوم على احترام النص الموحى عندما تجاوز مرحلة النظر الطلبي [يقابله النظر الاستدلالي] و إذا ثبت لديه صدق النبي في كونه نبياً،و لأن أدوات فهمه ليست متوفرة لمن لا يعرف العلوم الشرعية.

لهذا فإن المشكل في بعض تلاميذ الإلحاد أننا لو أعطيناه نصا لابن سينا، أو لفيكتور هيغو مثل "نابليون الصغير" سيعجز عن فهمه لأنه مكتوب بلغة علمية خاصة أو فرنسية قديمة، ومع ذلك تجده يتجرأ على تفسير القرآن بثقافته هو؟

لذلك فإن النظر في النص كمقولة فلسفية بشرية و محاكمته إلى علوم تجريبية وهو من مجال مختلف عن مجال العلوم التجريبية فهو وحي من الإله يتجاوز قوانين الكون الظاهرة،و لا يخضع لقواعد العلوم التجريبية لأنه في مستوى مخاطبة العقول بما

تحار فيه لا بما تعجز عن إدراكه، فالإيمان ليس مجرد تسليم عاطفي، بل فيه صفة عقلانية إذ لا يوجد في النصوص الشرعية شيء لا يتصوره العقل؛ نعم، قد يوجد فيه ما يقع خارج مجال العلم البشري ولا يحتكم إلى قوانينه .

كما يجب علينا التفريق بين المعنى المنطقي و المعنى النفسي للإيمان،بالمنظور المنطقي يملك الاعتقاد معنى يمكن التدليل على صحته،و هنا يمكن أن يكون موافقا لعلم البشر المادي، و يمكن أن يكون متجاوزا له خبرا عن عالم الملكوت، عن عالم يمكن أن تعيش فيه كائنات في النار،و أن تُنبت الأشجار الألبسة.

فهل علينا أن ننتظر أن يكتشف العلم قضايا مثل تموج الفضاء و المادة السوداء و الفيزياء الكمية،وهل هي كل ما بقي لاكتشافه؟ لنؤمن بصدق النصوص أم نحن نشاهد يوميا عجز العلم عن كثير من القضايا وهي بين يديه ككثير من غرائب هذا العالم ؟

بالمعنى النفسي يرتبط الاعتقاد بحالة ذهنية فالأعمى بالولادة لا يمكن أن يدرك زرقة السماء بنفس الكيفية التي يدركها المبصر، هنا عين اليقين في مقابل خبر اليقين، فالبصير و الأعمى ليسوا في نفس الحالة،و ليس لهم نفس التجربة.

ولهذا نسأل: هل يشترط أن يجرب الناس كل ما جرَّبه الأنبياء، أم يكفي أن يجرب واحدٌ و تقوم أدلة صدقه ليؤمن البقية، فإيمان البقية مبني على إيمان الرسل ليس تظننا، بل هو حقيقة أدركها النبي عيانا و ندركها نحن خبرا ،و إلا لم يبق للتكليف مصلحة.

وهذا الفارق النفسي لا يمنع التفاهم المنطقي بين الأعمى و البصير رغم اختلاف تجربتهما مع زرقة السماء، ولهذا كان الفرق بين الظن و الإيمان كالفرق بين الظن و الحقيقة، فالإيمان ليس مجرد رأي بل هو حقيقة واقعة نفسية و اجتماعية و كونية، إذن هو حقيقة.

كل الإشكال يكمن في القدرة على تبرير الإيمان و تفسيره، ومتى يجوز للعقل التشكيك في صحة النص.

نتحدث عن اليقين عندما نكون في مواجهة الحقيقي كما يقول [Husserl]، عندما نتحدث عن الإيمان بالله و برسله فإننا لا نتحدث عن ممكنات محتملات بل نتحدث عن حقائق نواجهها في كل يوم [...]

المشكل ليس في حقيقية ما نؤمن به، الإشكال أنه شيء غيبي ، وبعض الناس يريد أن

يرى كما رأى الأنبياء حتى ولو ثبت صدقهم {وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَاباً مِن السَّمَاءِ فَظَلُّوا فيهِ يَعرجُون لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَت أَبْصَارُنَا بَل نَحْنُ قَومٌ مَسْحُورُون} لذلك يتجاوز الحديث عنهم إلى الحديث عن نصوص قد تتحدث عن غيب لم يطلع عليه البشر، و قد تتحدث عن أمور لم يدركها البشر بعد ،و المفروض في العقل بالضرورة أن يتحدث عن النبوة هل هي ممكنة ، واقعة،صادقة أم ممتنعة.

يريد هذا الإنسان علاقة مباشرة مع الغيب، يريد للغيب أن يصبح عالم شهادة، و إذن ما نفع التكليف و ما نفع الفطرة المغروسة فيك، ما نفع الآيات المبثوثة، ما نفع نزولك الأرض وقد عصيت في السماء،{ وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِنْ فَضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ () وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ () وَزُخْرُفًا وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآَخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ} ؟

و معلوم أن الفلسفة المعاصرة تنكر في غالبيتها مبدأ الشهادة و تعامله كما تعامل مبدأ التواتر ،ومع ذلك ننقدها بقول الفيلسوف الاسكتلندي توماس ريد الذي عرف بموقفه المعارض للاختزاليين [anti-réductionniste] حول مسألة " الشهادة كمصدر للعلم و المعرفة" مخالفا [Hume]،فهو يناصر أن الشهادة ليست مختزلة لبقية أشكال المعرفة: " لأن الكائن الأسمى [الله] غرس في الإنسان مبدأين ، مبدأ الصدق[principe de véracité] يحثه على قول الحقيقة، ومبدأ التصديق [principe de crédulité] يحثه على الاعتقاد فيما يقال لنا،وقد أخذ عنه هذا الموقف الفلاسفة المعاصرون في إبستومولوجيا الشهادة خاصة [Anthony Coady][Tyler Burge].

وهذا كلام صحيح إذ تستحيل الحياة البشرية لو عدم الصدق و التصديق بين الناس، فيجب عليك إذا سألت رجلا عن الطريق و أخبرك أن لا تصدقه و تطالبه بالبرهان، وهو لا يجد غضاضة في الكذب عليك، فكلنا يكذب أو لا يتحرج من الكذب و يكذِّب، و كلنا مطالب بالبرهان على أي قول يقوله؟

مع شهادة الأنبياء، و البراهين الدالة على صدقهم لا نحتاج إلى العلوم التجريبية، ولا إلى انتظار ما ستكون عليه هذه العلوم التجريبية بعد قرون.

الشهادة و التصديق[...]

هل العلم التجريبي حقيقة مطلقة في كل شيء أم اليقين العلمي بحسب نظرة الملاحظ لأن التجربة المخبرية مهما كانت لا يمكنها إعادة الشيء كما هو في عالمه ، و الموضوعية في العلوم الوضعية ليست إلا نظرة موضوعية مغلفة باحتمال حقيقة، وحتى لو كانت طرق المقاربة الموضوعية للمعرفة موثوقا فيها فليست معصومة،لأن النظريات العلمية لا تجيب عن كل شيء، فهي ليست علمية إلا بالقدر التي هي قابلة للتزوير وللمراجعة، مرتبطة بالاتفاق بين العلماء في إطار ثقافي معيَّن.
وبعض النظريات العلمية ليست إلا احتيالا أو نسيج حماقات محشو بالأرقام و المعادلات.
الدين ليس نظرية في كتاب، النصوص ليست قواعد فلسفية صاغها منطق صوري مجرد ، الدين كله تجربة إنسانية نفسية و عقلية و اجتماعية و كونية، و النصوص هي فصول هذه التجربة تجربة الإنسان في الحياة، في الواقع و ليس في المخبر حيث يكتشف بعد مدة أن بعض المواد المستعملة في التعقيم أو في فصل المواد تفسد النتيجة أو تغيرها، أو انه لا يستطيع فصل حادثة عن بقية حوادث الكون.
يمكن أن نرد حديثا بحقيقة علمية لكنها حقيقة ثابتة في الدين نفسه بمعنى يسمح لنا الدين من خلال علومه بذلك، حقيقة من واقع حياة الناس وليست وليدة قارورة زجاج، يعني إذا نفت حقيقة علمية تجريبية معنى نص فهو ضعيف حتما وفقا للعلوم الشرعية يستحيل أن يستجمع شروط الصحة و يخالف حقيقة علمية ثابتة.
لقد أفرط أنصار العلموية في بعض مظاهر النظريات الفيزيائية فقط ليستخلصوا أن الأحاديث ليست كلها صحيحة، و أن علم الحديث أصبح بدون جدوى لتمييز الصحيح من الضعيف.
و ما صح لهم في حديث واحد يعممونه على كل الأحاديث فدافعهم ليس العلم التجريبي و لكن اعتقادات مسبقة تخنقها تلك النصوص.
كل النقاش بين الإيمان و الكفر خارج نقطة النبوة هو نقاش في فراغ و ثمرته يابسة، فالمشكل ليس في وجود الله فكل دليل يسوقه الملحد على عدم وجوده هو في الحقيقة دليل وجوده، وكل استدراك على الإيمان به هو استدراك على الكفر به بطريقة أولى من كل وجه، فإذا كان الكون في منطق الإلحاد لا يحتاج لأن يكون له أصل فلماذا يحتاج الإله أن يكون له أصل و بداية؟

المشكل في أمره و نهيه، و المشكل في أمره و نهيه ليس في كونه حقا ولكن في كونه فعلا أمر به و نهى عنه فيرجع كل حديث عن قيمة النصوص المعرفية إلى الكلام عن النبوة في سؤال وحيد: هل فعلا هذا الشخص نبيٌّ؟

ليس الإلحاد في النصوص الصحيحة إلا لعبا مع اللغة، أو منطقا متكلفا يرفض أن يكون للحقيقة حدٌّ ندركه بعقولنا؛ و ليس شرطا أن نعرف كيفيتها، إنه غرور البشر لما يصيبهم داء العظمة أن يشترطوا معرفة كيفية الشيء ليؤمنوا بوجوده إذ أدلة الوجود غير أدلة الكيف، فالشعور بوجود الشيء و العلم بوجوده غير العلم بكيفيته.

لذا فإن التحرر من النص أو من الدين ليس تحررا من قيود ولكنه تحرر من الحقيقة البشرية، و السباحة في الضياع.

تقييم النصوص و الحكم عليها بغير العلم الذي أفرزته الشريعة خصيصا لها،وهو علم الحديث و الحقائق الثابتة بضوابط صارمة انتحار بالمجهول، فليس هذا إلا جعجعة بحثية علمية و آلة لإنتاج تشويش الذهن.

يريد العلم أن يعرف كيف هي الأشياء في ذاتها،عندما يخوض في ما هو في متناوله يوجد قطعيات،رؤى ثاقبة لكن كذلك توجد أخطاء و إدراك مغلوط ، و نظريات فقيرة،ومع ذلك ليس هذا حجة لنسقط في باطنية قاتمة و ننفي دور العلم لكن عندما نأتي إلى أخبار الأنبياء فيجب أن نكون حذرين غاية الحذر أننا في مجال يتجاوز كل علم يعرفه البشر .

كما لا يجب أن نسقط في عقلانية غربية مادية تزعم أنها تقوم على العقول، و هي عاجزة عن تحديد ماهية العقل و مرتبته ودوره الفعلي في سعيها الدءوب للفصل بين الذات و الموضوع جعلته جوهرا قائما بنفسه، وما هو إلا فعل للنفس، له خصائص نفسية و خصائص ذهنية لكنه لا ينفصل بحال عن النفس.

عقلانية جعلت عمدتها معارضة الوحي و الشعور، كأن من لوازم العقل معارضة كل ما لا ينبع و يصدر عنه أصالة، بين التجربانية التي تحرف أفكارنا عن التجربة، و عقلانية تجعلها نتاج العادة و التكرار الأشياء، وفي كون تغلب عليه صفة النظام و الترابط لا يجب أن نثق في التجربة المخبرية بإطلاق.

المشكل في التجربانية عند العرب أن التجربانية تعتبر الدين شيئا لا معنى له ، ولا تخوض فيه، و أن مصدر المعرفة الوحيد هو التجربة، ولم تجزم يوما أن الغيبيات أو

الأخلاق حقائق من مجال التجربة العلمية و إن كانت تنكر الأفكار الفطرية .
و كما يقول ديكارت: ما ينتج عن التجربانية هو استحالة كل علم، التجربة لا تعرف إلا بالظواهر : الإيمان بكل حقيقة جوهرية ملموسة يختفي بالضرورة، الأنا نفسه يصبح مجرد سلسلة انطباعات أو تجمع مشاعر و مفاهيم، تُخرج التجربانية من الحسي و تقود للشكوكية [....]

استعصاء الفهم

الحمد لله و الصلاة و السلام على رسول الله.

بعض الناس يستعصى عليك فهمهم و إيجاد الفئة التي ينتمون إليها و إن كانوا جماعة فحتى النمذجة في حقهم مستعصية،فإن بحثت عن نقطة الانفصال بينهم و بين غيرهم فهي نقاط كثيرة متكوثرة في مناطق تقاطع مختلف الفئات السنية.

وحتى الاعتماد على فاصل القيم كما في المنطقيات الحرة و البديلة و المجموعات الضبابية المعمول لحساب العناصر " المتمردة" لا يفلح معهم.

لكن إن وقفت على أحوالهم من داخل،و تمعنت في منطقهم وحوارهم مع غيرهم، و تجاوزت ما ستكتشفه فيهم من زيادة في الرداءة و اضطراد في الفشل الفردي و الجماعي إلى طريقة التفكير و إعمال العقل فستجد أن وظائفهم العقلية قد أُصيبت بشكل عجيب حتى اختل عندهم التوازن الفكري فغلبوا ما يظنون أنه جرح و تعديل على كل أبواب الدين.

و اضطربت ملكة الحكم و تقدير الأمور و ترتيب الأولويات حتى اختزلوا الدين في الهجر و التحذير، و تحوَّلوا من خدمة الأمة إلى خدمة شيخ و فئة،ومن خدمة الدين إلى خدمة دوام شكل الأنظمة و استمراره ،غلب عليهم شكل الثبات على موضوعه، يعني: بلغ عندهم حبُّ الثبات حتى صار عقيدة على موضوع الثبات" على ماذا يثبتون" ؟

و فقدوا القدرة على التكيُّف مع الأوضاع الجديدة و الأحوال المتعاقبة عليهم فالخطاب نفسه مهما كان، تجرُّ فيه الحقيقة الذاهبة إلى المشرق كل الحقائق الذاهبة إلى المغرب؛ و الصواب الواحد منهم ينفخ الروح في كل أخطائهم.

يردون البديهيات و الضروريات، و يكذِّبون المتواترات المعلومة عند غالبية الناس، يمنعون الأدلة من الطرد،يستعملونها في اتجاه واحد فقط هو اتجاههم.

يدخلون في النقاش بالتقليد و الدعاوى الفارغة و يخرجون منه بالسب و اتهام النوايا؛ يعشقون النفي المزدوج "لا، ولا لا" و بـ"ن" قيمة !

يكاد يتفق الناس على أن مخاطبة وحش أرجى من مخاطبة بعضهم، و أنه أسهل في ترويض عقله من فتح عقولهم.

انتقلوا من عصمة الشيخ إلى ما يشبه تأهيله بالثقة المفرطة في كفايته و الاعتقاد الفاسد فيه حتى أضحى مذهبهم لا خيار فيه، مذهب المفاهيم العويصة على العقول السوية ؛ فلا يمكن فهمه ولا فهمهم إلا من خلال فهم ما معنى التأخُّر العقلي débilité mentale عندهم كأفراد، و التدجين بالقوالب الشرعية الحاملة للمعاني البدعية كجماعة.

تقويم العبارات و تصحيح المفاهيم

الحمد لله رب العالمين و الصلاة و السلام على أشرف المرسلين.

" السير مع الجميع" هذه عبارة يستعملها بعضُ الناس كمرادف جديد لعبارة" مميع" يقصدون بها: أن المسلم الصادق و [السلفي] الثابت يسير مع جماعته يرحل حينما ترحل، ويحط أينما تحط؟

وقد غُذيت عقولهم بعبارات صورية مثل: "الثبات العلمي ـ و الاستقرار المنهجي" نجم عنها هذا الفهم السيئ؛ فمعلوم أن أي شيء توقف عن الحركة فهو ميت،فإما تتقدم و تتطور نحو الأحسن و إما ترجع إلى الخلف وهو الطريق إلى الموت، ومتى توقفت المذاهب و الأفكار و العلوم عن تجديد نفسها ماتت و انفصلت عن واقعها وفقدت القدرة على التعامل معه.

فأي علم توقف عن التجديد و الاجتهاد و أي شخص توقف عن تقويم علمه و تطويره و تدقيقه و مراجعته فهو ميت لا يمكنه مجاراة الواقع و معالجة إشكالاته الجديدة.

فالفرق بين الثبات و الجمود، و بين التجديد و التضييع دقيق جدا على العقول التي لم تعتد التفكير النقدي.

ومعلوم أن تفسيرنا لما نعايشه وندركه من واقعنا يخضع لوطأة مخطط تصوري ذهني تصنعه العادات و الألف، وترتيبات نتواطأ عليها، فمفاهيمنا التصورية تتشكل في لغتنا كشبكة مشتركة بـ التشابه بحيث يرتبط كل تعريف لشيء بما يشبهه، وهذا ما يسميه المعاصرون " كُلِّيَّانية المعنى" فمثلا : إذا كان تعريف التفاحة بأنها ثمرة يحتاج

إلى تعريف الثمرة، و تعريف الثمرة بأنها عضو النبتة يحتاج إلى تعريف العضو فإن أي تغيير لتعريف النبتة أو العضو يؤثر بالضرورة على تمثُّلِنا للتفاحة.
ومع ظاهرة تعدُّد السلفيات نحتاج إلى تعريف محدد مقيد للسلفية يكون تعريفا جنسيا أوَّلا ~ وهنا بلا شك سيتأثر تمثُّلنا للسلفية المعاصرة ~ لأن التعدد و التضارب الحالي سببه الاضطراب في تعريف "سلفية السلف".
ثم بعد ذلك نحتاج إلى رسملة معارف السلف العلمية و المنهجية، و هيكلة مفاهيمهم، و نظمنة تعبيراتهم تمييزا بين كلمات التنفير و فلتات الغضب الكثيرة و بين أحكامهم العلمية بإخراجها من مجال المشترك مع الدلالات العامة إلى الدلالة الخاصة.
كما نحتاج إلى سؤال العلاقة مع السلف، إلى نظرة سلفية فوقية تدرس خصائص المنهج السلفي العلمية و السلوكية بعيدا عن الاجتهاد الظرفي و المؤول و الحالات الاستثنائية و عبارات التهويل و التنفير... الخ
هل العلاقة بين العلم كحقيقة شرعية أو كونية و بين العلاقات بين المسلمين على اختلاف مذاهبهم علاقة ترابط يؤثر فيها وتؤثر فيه ؟ يعني: هل العلم بناء مستقل كما في النظرية العلموية أم انه نشاط اجتماعي له عواقب على المجتمع اجتماعيا و سياسيا.
لذا كانت المقاربة الداخلية للسلفيين مهمة، و قد قام بها السلفيون أنفسهم حتى لم يبق إلا العناد و الاجترار لكن أهم من ذلك الآن هو المقاربة الخارجية: الاجتماعية و السياسية، و كفانا تهذيباً لمغامرات السلفيين بمنهج السلف، و تورية انسداد الطرق في مقترحاتهم.
يعني: يجب أن نسأل عن هدف العلم الشرعي إن كان صوريا بحثا لا يهتم إلا بالصدق النظري أو إن كان له أهداف عملية اجتماعية/سياسية ؟
هل تتماشى نظرتنا للعلم الشرعي و لتوظيفه في الدعوة في خط مواز مع الإصلاح الاجتماعي /السياسي أم أنها مناقضة له تقود إلى النفرة و الشقاق و التدابر؟
بمعنى آخر: لا شك أن السلفيين أثروا في الأمة ايجابيا في عدة قضايا كانتشار التوحيد العملي و تحبيب السُّنَّة إلى الناس، و نشر ثقافة التمييز بين صحيحها وسقيمها لكن في الوقت نفسه قد أثروا سلبا بحيث أفسدوا العلاقات الاجتماعية و غرسوا الشقاق و التدابر و أقصى درجات العداوة بين المسلمين و عطلوا الإصلاح السياسي وما

يستتبعه و غير ذلك.
" السير مع الجميع" أخلاقيا /سياسيا/اجتماعيا لا يسحب أبداً "السير مع الجميع" علميًّا إلا في عقول توقفت عن التفكير ، فالعلاقة بين التعامل مع المحيط و بين العلم ليست علاقة تبادلية إما هذه و إما هذه،لأن مفاصلة الناس اجتماعيا و أخلاقيا لا تشكل الوظيفة و لا الهدف من الدعوة و التصحيح العلمي أو التدافع العلمي بين المذاهب و الطوائف لذا نحتاج إلى إعطاء العبارات في المجال العلمي وصفا خاصا مميزا لها عن حالات الاشتراك بحيث تصير مفاهيم مقنعة.
عندما يعدُّ بعض السلفيين محبة العيش مع جماعة المسلمين و الميل إلى معاشرة الآخرين بالحسنى "سيرا مع الجميع"، و" تمييعا "فهذا يعني أن بعضهم قد نجح في سلخهم من إنسانيتهم إذ هذا ميل فطري في البشر أكده الإسلام و فصل بينه و بين التناصح.
عندما يتربى الإنسان المسلم في فكر كهذا يفقد صفة تقديم المصلحة العامة على الشخصية، مصلحة المجتمع و الأمة على فئة، وواجب احترام المسلم بغض النظر عن مذهبه ووضعيته الاجتماعية و بالتالي يصبح عطف المسلم على المسلم ولو بالكلام بغض النظر عن الاختلاف العلمي "سيرا مع الجميع" و "تمييعا للحقيقة العلمية" كأنَّ الحقيقة و النصيحة بها مرتبطة بالغلظة و المفاصلة و التعادي؟
و على هذا أقول : ليس للسلوكيات السلفية المعاصرة أية مرجعية مع الواقع المعاش للمسلمين لأنهم فئة اختارت اعتزال المجتمع و التقوقع على نفسها بعبارات و شعارات مزيفة مثل هذه.
يغلب على السلفيين ما يسمى بحجة " الاستقراء المتشائم" في حقِّ الغير و " المتفائل" في حقِّ أنفسهم فما كان من المخالف في الماضي صحيحا سيتبين خطؤه في المستقبل ، وما كان من السلفيين من تجارب لم تثبتت نجاعتها في الماضي فستنجح في المستقبل.
أعتقد أنه ربما على السلفيين استعارة طريقة الفيزيائيين المتمثلة في الاعتماد على أحسن الشروحات و أكثرها عقلانية في تفسير الواقع، فصحة ما قام به بعض السلف لا يلزم صحته الآن، و صحة بعض فصول عقيدتهم لا يلزم منه صحة توظيفها في الدعوة ،و صحة الشيء لا تستلزم صحة فروعه في جميع الحالات ، فكون السلف

أهل حق لا يلزم منه بالضرورة أن تكون أقوال بعض أفرادهم حقًّا،و كذلك لا تستوجب بالضرورة أن تكون أقوال المنتسب إليهم حقًّا لمجرد الانتساب فهذه كُلِّيَّانية التأكيد.

معضلة " المختلف فيه و المتفق عليه" : السلفية/المؤسسة الدينية الرسمية في الجزائر نموذجاً

الحمد لله وحده، و الصلاة و السلام على من لا نبيَّ بعده.

الهوية التي تجعل كل ما وصلنا من الماضي قيِّما ثمِينًا يجب الدفاع عنه بغض النظر عن صحته هوية جاهلية، وهوية عامية لا تصنع حضارة ولا تدع أمةً تنهض و تتقدم، لذا لا يمكن قبولها بحال.

و ليس من شرط الاستقرار الاجتماعي و التعاون على بناء الدولة و ازدهارها أن نقتل الاختلاف تحت قبة الهوية و المرجعية الوطنية فهنا خطأ في التقدير و ضعف في التفكير إذ ليس الاختلاف المذهبي هو المشكل، ولا في الإمكان إزالته ولكن في وضعه في إطاره و ترتيب أولويته و خطابه، فالمشكل مشكل علاقة بين المختلفين كيف نجعلها ايجابية لا تتجاوز حد التدافع العلمي/الفكري بعيدا عن متطلبات المجتمع المتناسق المتعاون و المصلحة المشتركة كالاشتراك في الوطن، و اللغة ، و الدين مما تنظمه السياسة.

فيجب و يكفي أن نعلِّم الناس أن الاختلاف العلمي و الفكري لا يستلزم بالضرورة العداوة و البغضاء و التطاحن الاجتماعي و الافتراق السياسي.

الذي يجب أن نعيه بقوة هو أنَّنا لسنا بحاجة إلى دعاة سلفيين سبَّابة لغيرهم، يهوِّلون من القضايا النظرية و الدقيقة و يضخِّمون ما لا يجب تضخيمه على حساب الأهم كتغليب قضايا الهوية المذهبية على قضايا وجود الأمة وقوتها و مستقبلها، و يهدرون حسنات الناس و صوابهم ، و يرسمون حدودا وفواصل عازلة بين المسلمين، كما لا نحتاج إلى سبابة من الجهة الأخرى يشغِّبون على الناس بشبهات ميتة كذاك الذي عقد مجلسا في معرض الكتاب حيث زعم أن عقيدة السلفيين عقيدة اليهود و أمثال هذه الخرافات ، فهذا الصنف من أولئك أو من هؤلاء حجر عثرة في مسيرة الأمة ومن مخلفات المرض الذي أصاب الأمة في مقتل غذى النزعة الطائفية و أشعل النعرات

المذهبية الجاهلية.

منذ حوالي أسبوعين استمعت على إحدى قنواتنا الفضائية " الجزائرية" إلى الدكتور: محمد عيسى وزير الأوقاف و الشؤون الدينية يتحدَّث عن الغزو الثقافي و الفكري الذي تتعرَّض له الجزائر، و بالضبط عن طائفتي " الأحمدية القديانية و الشيعة".

و قد تناول في حديثه " السلفية" و قضية الولاء للخارج ، وعن " المدخلية" كما سماها، و خطورة الفتوى التي تلقتها في ليبيا المتعلقة بمقاتلة " الإخوان" فحذَّرها من الانزلاق في هذا التوظيف الخارجي مُلمحاً إلى خطورة هذا الأمر على الدولة و الشعب.

كما كان في حديثه بعض الاعتدال بخلاف بعض السبَّابة فلم يقرن بين السلفية المدخلية وبين طوائف الشيعة و القديانية، و ذكر أن أحبَّ السلفيات إليه السلفية المالكية ! و أن السلفية جزء من المجتمع الجزائري مثلها مثل الإخوان و بقية الطوائف لكن بشرط أن تنضوي تحت المرجعية الوطنية التي هي المالكية، وهنا نقطة لابد أن نوضحها هي:

1 ـ المؤسسة الدينية في الجزائر ضعيفة جداً " لا أقصد فردا بعينه و لكن المؤسسة كمؤسسة" لضعف ثقافة المسئول السياسي الدينية و الفكرية، فهو من يُعين المسئولين عليها، ولما كان فكر هذا السياسي نوعاً من الرأي المشترك الساذج ، يعني: رؤية عامية للمذهب المالكي و الأشعري و الصوفي وجدناه يدافع عنها دفاعا ساذجا لا يتجاوز حجة "الهوية" أي: اعتبار هذه المذاهب مرجعية وطنية، و بالتالي جزءا من الهوية الوطنية، وهذه حجة حشوية ~في تعبيرنا العلمي ~ ليست إلا تعصبا يُناقض الرؤية الواقعية المحورية للعلم التي تجعل هدفه الوصول إلى الحقيقة الأكثر قرباً من النصوص و مطابقةً للواقع".

2 ـ نعم؛ فيما يخص المذهب المالكي الفقهي ليست المذاهب الأخرى أفضل منه فلا نحتاج إلى استبداله لكنه يقبل الإصلاح بدايةً بإعادة كتابة تاريخه، و الاعتراف بأنه على المستوى الأصولي عانى من تأثيرات معارضة لتوجُهات مؤسِّسه"الإمام مالك" ، ثم قابليته للتجديد بوسائله.

وقد كان موقف الوزير بخصوص الاجتهاد فيه و الترجيح ضمن حدوده لمن يحبون التأصيل الأثري سديداً للغاية وهذه خطوة نحو الأمام، لكن اعتباره مرجعية وطنية

حاضنة لكل الطوائف أمر لا يُتصوَّر، فالمذهب المالكي مذهب فقهي، و بعض الطوائف يغلب عليها الطابع العقدي، و نزاعها الجوهري مع الأشعرية و الطرقية وليس مع المذهب المالكي، و إن وقع بعضُ أفرادها فيه.

3 ـ أما المذهب الأشعري ~ بدون أن نُلزم الناس بحكمنا عليه إلا من اقتنع به ~ لابد من الاعتراف بالحقيقة العلمية المخالفة لبعض فصوله و اختيار منه ~ بالنسبة لأصحابه ~ الموافق لمذهب الأشاعرة المحدثين المعظمين للنصوص و لطريقة السلف ، المنسجم مع حجج الدفاع عنه، فإنهم يعرفونه" علم الكلام" بالدفاع عن النصوص بالجدل العقلي، فلا يعقل أن ندافع عن النص بتأويلات يذوب فيها النص كليةً ؟

مع ضرورة العمل على تقليل الحدة الكلامية من العقيدة، و الاكتفاء بالنصية المجملة، و إبقاء التدافع في المسائل الدقيقة على مستوى الخاصة فقط.

يجب التفريق بين ما دعت الحاجة العلمية إليه لظروف خاصة ما كان بالإمكان اجتنابها، و بين المماحكات و الطبيعة جدلية لعلم الكلام، و الاعتناء بدراسة كتب الأشاعرة التي اهتمت برد البدع سواء الغليظة كبدع الرافضة و الخوارج أو بدع العبادة و التصوف بالأحاديث الضعيفة و الموضوعة كما كان حال الأخضري ~ رحمه الله ~ ، و بالحكايات الباطلة، مع العمل على إعادة التصوف إلى حظيرته الحقيقية ، وهي السنة بالتعريف بأئمته السُّنَّة و نشر أعمالهم العلمية الصحيحة.

فنحن بين واجب تحقيق هذا الموروث، و التدافع حوله بالحجج مع آداب النقاش، و قد ملكنا الوسائل لفعل ذلك، وبين واجب الإخوة الإسلامية وضرورة التعاون الاجتماعي و السياسي لبناء الأمة و النهوض بها في شتى المجالات.

في عقل المتسلف المسالك مقطوعة ...

الحمد لله وحده، و الصلاة و السلام على من لا نبيَّ بعده.

يقول السلفيون في مسائل الأسماء و الصفات بـ "القدر المشترك"، وعلى هذا يرون أن نفي التشبيه مُطلقا هو أصل التجهم، فإنه بدون إثبات القدر المشترك ~ وهنا ندخل في الاشتراك و التواطؤ ~ وهو قدر عام عقلي يستحيل على البشر أن يفهموا بدونه أي كلام بينهم ؛ وهذا كلام بديهي تقرُّه الضرورة العقلية.

وقد أكَّدت المذاهب اللغوية المعاصرة ~خاصة~ العلوم الإدراكية/المعرفية هذا الأمر بحيث أثبتت أنَّ مفاهيمنا" التصورية" تأخذ شكلها في اللغة التي تعمل كشبكة على صورة القاموس أو الموسوعة، وبواسطة التشابه ~ في القدر المشترك ~ تتشارك تمثُّلاتنا فترتبط التعريفات تبادليا فيما بينها.

وبدون القدر المشترك و مبدأ التشابه ~ الذي هو أحد قوانين تداعي الأفكار و المعاني في النظرية الترابطية ~ لا يمكننا تعريف الأشياء.

وعلى هذا نعلم أنَّ كل تمثُّل لنا لشيء في الحاضر هو مرتبط عضوياً بما يسبقه الذي بُنِي عليه،فمثلا ~ كما جاء في مقال" تقويم العبارات..." ~ لا يمكن تصحيح مفهوم السلفية الحالي، و الذي هو مفهوم مستشكل يُعاني من تجاذبات سلفية قوية إلاَّ بالرجوع إلى ما بني عليه وهو تصوُّر: مَن هم السلف؟ ، وما هو منهجهم ؟ و إن كان فيه خصوصية خارجة عن العلوم الشرعية المشتركة؟ ،وفي أي شيء؟ ثم ما محل اجتهاد أئمة السُّنَّة الذين صاروا جزءاً منه، فبلا شكٍّ قد ساهموا في توضيحه و توسيعه بالاستنباط و الاستخراج؟

وقد علمنا مُسبقا اضطراب أهل الحديث في الكلام بالأدلة العقلية و الاعتماد عليها[فصَّلناه سابقا في مقال مستقل]،و إن كان مذهب محققيهم معروفا؛ وكذلك في تجدُّد المصطلحات ،و الموقف من الحكَّام أو بالأحرى كيف تكون العلاقة معهم؟

وهذا يعني بالضرورة أنَّ الخلل في التصورات القاعدية، يعني: في بنية المفهوم العام، و المفاهيم المتفرعة عنه، لذا بدون ضبط تعريف جنسي للسلفية سيظل هذا التضارب و التناقض موجودا في السلفيين.

و ليس هذا ما أقصد و إن احتجتُ إلى هذه المقدِّمة، المقصود من أين لهذا السلفي القول بـ"القدر المشترك، و التواطؤ و الاشتراك "؟ هل قول سلفي مشهور عند السلف ؟ أم هو نص آية أو حديث؟ أم أنه شيء ضروري بديهي ؟

فإن كان أمراً ضروريا بديهيا فلماذا يستعصي عليه أن يفهم أنَّ أصل الإشكال السلفي المعاصر موجود في تصوُّر السلفيين للمنهج السلفي، فهناك اضطراب في تحقيقه وضبط مفاهيمه و استخراج مبادئه، و اضطراب في إضافات أئمة السُّنَّة ؟

وعندما نُحلِّل الأمر بشيء يقول به هذا المتسلف في عقيدته و إن كان عاجزاً عن طرده في مباحث اللغة و الإدراك المعرفي لماذا يعتبره فلسفة و علمَ كلام، و يُشغِّب

على الناس بهرطقته المعهودة: " هل تكلم علماؤنا الحاليون بمثل هذا الكلام ، وهو يقصد شيوخه، ولم يدر بعدُ محدوديتهم، و أنهم وراء المصيبة التي عليها عقله !
هذه المصيبة ،عندما نجعل الميزان الذي أنزله الله لفهم كلامه فلسفةً ،فما عرفوا ما جاء به الرسول من العلم، وما عرفوا الفلسفة، فتداخلت التصورات الفاسدة في عقولهم فظلموا الدِّين من جهتين: بجعله فلسفة،وبإنكار أصل دعوة الأنبياء الذي هو إما إزاحة ما لحق الفطرة من تشويه، وإما بتذكيرها بما غرسه الله فيها من الميزان الذي بدونه لا ينفع تفسير قرآن ولا حديث، كما هو واقع لكثير من المسلمين فسَّروا القرآن وشرحوا الحديث ولم يهتدوا بهما.
كما وقع للنصارى في فترات من تاريخهم نهوا عن البحث و المناظرة لعلمهم بأنَّ العقل الصريح متى تصوَّر دينهم علم بطلانه، فهكذا متى تصوَّر العقل الصريح منهج كثير من السلفيين علم بطلانه.
وتفسير القرآن و الحديث هو البحث في معانيه العقلية و ليس الوقوف عند ألفاظه،و البحث في المعاني العقلية لا يكون بحاسة الشم أو اللمس !
لذا يكون من الضروري أن نقول: العلماء المعتنون بالفلسفة الحقيقية و بعلم الكلام نقدا و توضيحا للصحيح من الفاسد هم أعلى أصناف العلماء، إذ التحدي الأكبر في المعرفة و الفكر هو في هذا المجال، والمذموم في العناية بالفلسفة أو بغيرها كالعرفان و الوجد هو الإعراض عن اعتبارها بالكتاب و السنة ،وليس في معرفتها و تمييز صحيحها من سقيمها، و نقدها.
فمن جعل الكلام عن الكلي و المعين،و عن قسمة الكل و الكلي من الفلسفة فجهله بالقرآن و السُّنَّة عظيم للغاية ،إذ جعل القياس شيئا غير تقدير الشيء بنظيره، فبماذا يفهم أمثال القرآن و السُّنَّة ، وبماذا يعتبر إن لم يعرف الفرق بين الكلي و الطريق إليه و المعين و الطريق إليه.
عندما تريد الكلام عن الإسلام ككلٍّ يشد بعضه بعضا، بحيث تُطرد أصوله من غير تناقض، و تنسجم فصوله، و تتسق مقاصده، و تنتظم محاوره، بأي أداة تحلله و تصنفه؟ و بأي علم تدرس علومه وتحدد أصولها و قيمتها المعرفية؟
هل يملك الشيوخ المشار إليهم بتكوينهم التقليدي آليات النظرة الجمعية الكلية، ومنهج التحليل الموضوعي لتوضيح المبادئ الكبرى ،و كشف المسالك العلمية،لمواجهة

التحديات المعرفية التي تفرضها المذاهب المعاصرة، وهم بمثل هذا الثقافة المعرفية السطحية و الفهم الساذج؟
من عنده شيخ قد جعله معيارا لتقييم كلام الناس أو مقياسا لعلومهم وفكرهم فليتأبطه و ينصرف به إلى زاويتهم.

الكلام...
يتكلم السياسي في السياسة، وكل صاحب مصلحة ليكسب الناس، ليكون الصدقات، فيراعي المشاعر، ويهذب الأخطاء لكن في العلم، في كل العلوم تكلم لتكسب نفسك فذرة من حق لله خير من آلاف من الناس يحبونك لأنفسهم.
ألموضوعية و التجرد ليست رفاهية عند الباحث عن الحقيقة هي رفاهية عند المفتونين بالأتباع.
اختبار الآلة العلمية السلفية....
الحمد لله وحده، و الصلاة و السلام على من لا نبيَّ بعده.
إنَّ التفاعل الشديد الذي يشهده العالم الإسلامي على المستوى السياسي مترابط بشكل وثيق مع المستوى العلمي و الفكري فأحدهما يجرُّ الآخر،فلا يمكن بحال أن تشتغل السياسة بدون مذاهب دينية وفكرية خلفها.
و العالم الإسلامي مقبل على ما يبدو على رد فعل قوي من الطوائف المخالفة للسلفيين، فهناك بلا شك حركة أشعرية و باطنية غير معهودة إضافةً إلى النشاط الشيعي ثم العلماني بنظرياته السياسية الجديدة.
و الملاحظ أن هذه الحركة غير تقليدية في خطابها بل تسعى لتجديده، ولا أقصد هنا مَن يكرِّر منهم الحجج القديمة كـ"شبهة الأخميمي" بل أولئك الذين شرعوا في تجديد خطاب مذهبهم مُستعينين بالمذاهب الفكرية و العلمية المعاصرة، فمثلا: من ضمن الأطروحات التي ستنال إقبالا و مصداقية عند عقلاء هذه الطوائف أنَّ منهج ابن تيمية العقلي في العلم النظري المتعلق بالأسماء و الصفات صحيح لكن ضمن منظومة فكرية معيَّنة،يعني: سيسعون إلى تصويره على أنه نظام عقلي لكن مأزقي [aporétique] ، فهو لا يمثل منظومة عقلية مطلقة .
أمَّا عند الباطنية فقد شاهدنا استعانة كبيرة بالمنطق ثلاثي القيمة كـ"المنطق الحدسي،

و المنطق شبه القويم"، وهي منطقيات تطوِّر أنظمة بديهيات غير متطابقة مع المنطق التقليدي و الكلاسيكي تنتقد وظيفة الرابطات، و نظام ثنائية القيمة، و قانون النفي المزدوج، و الثالث المرفوع، وترفض البرهنة بالخلف في الرياضيات، يعني: تتبنى نظرة بنائية، و تستعين بجزء من نظرية كورت غودل حول الأنساق و التأويل المزدوج [non non interprétation] في عدم الاعتراف بمبدأ التناقض أو مبدأ الانفجار، وكذلك نظرية "المجموعة الخالية".

وحتى في اللغة توظف التفكيكية و نظرية سوسير ،مع كليانية فلسفية و باطنية يصبح فيها الكل هدفا ~ الذي هو عندهم اسم من أسماء الله حينما يقولون: أحد بالذات كلٌّ بالأسماء ~

و انتقدوا حتى الدليل الانطولوجي لديكارت يعني: " الوجود في الأعيان أكمل من الوجود في الأذهان"؟

وهذا دون أن ندخل في مسالك التأويل المعاصر ؛ و بعضهم صار يحاول بالمنطق الكمي أن يجعل مبدأ اللا يقين لـ هيزنبارغ مُبررًا لكل مفهوم باطني عويص جدا [intricat] كوحدة الوجود ؟

وكل هذا يعني أنَّنا مقبولون على اختبار حقيقي للآلة العلمية السلفية المعاصرة بحيث إن هذا الخطاب الجديد يحاول استدراج السلفيين بعيداً عن "خزانة الأجوبة" التي يُمثِّلها ابن تيمية ~ رحمه الله ~ .

و أظنُّ أنَّ بذور الجواب عن هذه الإشكالات موجودة في فكر ابن تيمية لكنها غير معروفة إلاَّ لقلَّةٍ محدودة جدًّا من السلفيين يعتنون بالفلسفة المعاصرة،و كذلك هي خفية عن جمهور خصومه.

المهم أنَّ السلفيين يسيرون إلى الانفجار و الانكماش، أو المقاومة و الثبات، لكن بدون شكٍّ و حتماً بخطاب آخر و نموذج علمي آخر.

الكثرة قبل المؤتمرات و الكثرة بعدها؟

في زمن الكوارث،زمن تفتُّت الدول الإسلامية وانهيارها،زمن الصراعات الطائفية يجب مقاومة الجهل و منع التفكير في فراغ للاستفادة من 15 قرنا مضت بدون حل جديد لمشكل قديم.

أزمة العلمانية في عيون الغربيين: هل ستقتل العلمانية في نهاية المطاف الدولة المدنية ؟

الحمد لله،و الصلاة و السلام على رسول الله.

ملاحظة:

هذا النقد للعلمانية في الغرب لن تصلنا موجته إلاَّ بعد سنين طويلة؛ و إلى أن نصل هذه النقطة يبقى أن نعترف أنَّ المجتمعات الغربية حقَّقت انجازات ضخمة في مجال الحقوق الأساسية كـ العدالة و الحرية المسئولة وكرامة الإنسان وغيرها، فلا نجعل نقد العلمانية سبباً لاستمرار الرداءة و أشكال الظلم المختلفة عندنا .

ومن العبث نقد شيء لم نصل مستوى الايجابيات الذي حقَّقه،فمن المفروض توازيا مع الإصلاح الديني أن نهتم بغرس القيم الاجتماعية و السِّياسية الأساسية في نفوس النَّاس ،ولا مانع من النظر في أيِّ نقد هو بالنِّسبة لنا معرفي خالص.

في الغرب؛ خاصَّةً في الأوساط الدينية يتحدَّثون عن نهاية الدولة العلمانية، وربَّما لا يجب أن نأخذ حديثهم بجدية كبيرة لأنَّه ليس إلا صورة متكرِّرة تُعبِّر عن نقمةٍ قديمة و شعور بالإحباط،ذلك أنَّ الغرب لا يشهد اليوم صحوة دينية/نصرانية بل نلاحظ تناميا للقومية الوطنية .

ولكن مع ذلك يبقى صحيحاً ما قاله المؤرخ هارولد جيمس عندما قال : " عملية العلمنة لم تجلب فقط تآكل الدين و لكنها دمَّرت أُسسها الخاصَّة " أي: قتلت الدَّولة و مؤسَّساتها.

تتمثل الفكرة العلمانية الأساسية في حوار التَّأصيل للدولة العلمانية و الإقناع بها ،وهذا ما تسعى إلى تجسيده في المجتمعات الدينية كالمجتمعات الإسلامية ~ وقد أعانها بعضُهم على ذلك ~هي:" الدِّين مصدرُ الصِّراعات أكثر من كونه سبباً لِلسَّلام"

و يبدو أنَّ مفهوم العلمانية في أزمة إذ أنَّ الحروب التي يشهدها العالم خاصَّة الإسلامي كلها ~ تقريباً ~بتوظيف أو إعانة من دول الغرب العلمانية و لمصلحتها.

أمَّا الفكرة المطلقة فهي : العلمانية هي المبدأ الذي بحسبهِ يجب أن نفصل المسائل الدِّينيَّة عن مسائل الدولة ، مع ضمان حرية العبادة لكن لا يجوز للمؤسَّسة الدينية ا التدخُّل في السياسة.

وهناك العلمانية الفرنسية المسماة "اللائيكية" وهي حالة خاصة غير مقبولة عند كثير من العلمانيين مثل ولاش سكوت الذي انتقدها في كتابه " سياسة الخمار" The] Politics of the Veil]2007م،و الذي أشار بعض الباحثين أنه لأسباب خفية لم يطبع في فرنسا؟

و كذلك قارن آخر بين الإسلام و [le républicanisme français] كـ بسيكولوجية الاعتراف" بالاختلاف الجنسي رجل/امرأة" في مقابل بسيكولوجية الإنكار له، حيث ختم الكتاب بالتالي: " هناك تناقض مستمر في النظرية السياسية الفرنسية بين المساواة السياسية والاختلاف الجنسي."

كذلك قدَّم طلال أسد نقداً جذريا لِلعلمانية على الطريقة الفرنسية في كتابه " محاولة فهم العلمانية الفرنسية ".

المهم أنَّ العهد العلماني الحالي الذي لا يعني غياب الدين و لكن تعدُّد الممكنات و الديانات يحتوي بحسب عالم الاجتماع جوزي كازنوفا خصائص أساسية : حرِّيَّة الدين كحق شخصي مع العلم أنَّ المتدين كفرد يحوز حقَّ التديُّن و أبداً الاعتقاد، يعني: أنَّ الدولة العلمانية تحترم الحرية الدينية لكلِّ واحد كفردٍ من دون أن يكون له حق الحكم على دين آخر ،و تعترف بالتعدُّد الديني و الثقافي.

في القرن 20 م فرض المجتمع المتعدِّد الثقافة نفسه، و تمَّ تشجيع الاختلاف الثقافي و التسامح، ممَّا فتح آفاقا أمام الدين الحيوي كالإسلام لتخصيب المعارف و تقديم بديل للإنسان الغربي المأزوم، لكن في الوقت نفسه تمَّ كبح عملية التقرير يعني: الحكم على الديانات و الثقافات، فلم يعد مسموحاً للنَّاس الحكم على السلوكيات و الأخلاق؛ هنا يتحدَّث هارولد جيمس عن قرارات اتخِذت من خلال "ديكتاتورية/إطلاقية بدون محتوى " مادام أنَّ العلمانية قد علَّقت/أوقفت صفة جوهرية في الإنسان وهي حكمه على الأشياء.

و شيئا فشيئاً حذف الخطاب السِّياسي كلَّ مرجعية إلى الله و إلى الدِّين، بالنسبة لـ فكلاف هافل لا يعود السبب إلى دافعٍ علماني بقدرِ ما هو مُتعلِّق بتضاعف ذي دلالة لتوقُّعات الشعوب من مؤسَّسات الدولة و القطاع العامّ، ومن الحكومة .

هذه المؤسِّسات يرتبط نجاحُها بقدرتِها على التخطيط لِلاستجابة لتوقُّعات الشعوب لذا تُضاعف باستمرار سيطرتها على الحياة الإنسانية من خلال إضافة قواعد جديدة، و

صياغة ممنوعات ومحرَّمات و حوافز ضريبية، لكن مع ذلك أخطأ الطاغوت هدفه ، فتبخرت آمال السعادة المخطَّط لها، فأصبحت الثقة في الدولة غير مُبرَّرة،ولم يبق لدى الشعوب إلاَّ خيبة أمل واسعة في النخبة السِّياسية كما لاحظ هارولد جيمس.

وهذا يؤكده ما فعله الشعب الأمريكي قريباً عندما اختار "ترامب" على حساب مرشحة الأرستقراطية /السياسية و الإطارات المكوَّنة سياسيًّا لِتحكم، مما يعني أنَّه أصبح ينظر لِلنُخب السياسية باختلاف توجهاتها على أنَّها شيء واحد، و أنَّها لا تعدو أن تكون أرستقراطية جديدة.

يقول نفس الكاتب المؤرخ : خلال الأزمة الأوروبية كان الأوربيون راضين جداً، و مقتنعين بأنَّ لديهم أحسن المؤسَّسات، فلم يفقدوا فقط حس التواضع و الشعور بهشاشة براعة الإنسان لكن كذلك معنى السُّلطة و الإبداع الأصيل لكلِّ فرد.

يصبحُ النِّظام السِّياسي في أزمةٍ في الوقت الذي يفقدُ فيه هالة التعظيم و التقديس،لذا وجدنا الفيلسوف [Jürgen Habermas] المادِّي و المابعد حداثي في الأصل غيَّر رأيه و أصبح يُنادي بأُسس دينية بديلةٍ.

بالنسبة لـ هارولد جيمس يكمن الحلُ في كلِّ فرد وهو بالعودة إلى أسباب الإبداع في مجتمعٍ مُتفتح و ديناميكي، و التي هي: مفهوم الرحمة أو " التعاطف" يعني: القدرة على أن تضع نفسَك في عقل الآخر ، و مبدأ التنافس كمصدر لِلتقدُّم و الازدهار.

حيث تُوضع الديانات في تنافس [وهذا ما يفتح المجالات أمام حرية الدعوة و النقد]، و يشجع الأفراد على تطوير قدراتهم فإنَّ التنافس يُساهم في تلبية حاجات الإنسان، في حين أنَّ طرق التخطيط التي اعتمدتها العلمانية فشلت لأنَّها مقاربة خارجية،لا تهتم إلاَّ بما هو خارج نفس الإنسان، فمن الضروري الاعتراف بحدود هذه المقاربة الخارجية التي تُريد إسعاد النَّاس بدون عقيدةٍ، ممَّا يجب معه التأكيد على أهمِّيَّة القناعات الداخلية.

يواصل قائلا: إنَّ ديناميكية التفاعل بين البشر ~ بخلاف الإكراه السُّلطوي العلماني ~ لا يفرض علينا أن نكون الأفضل ولكن يدفعنا و يسمح لنا بالتكيُّف مع المتغيرات، فما هو مصدر الإلهام هذا إن لم يكن هو الله؛ يجيب هذا المؤرخ.

إنَّ تنامي عدم المساواة [نأخذ من الفرد بحسب قدرته و نعطيه بحسب حاجته]لا يُسهل التفاعل بين النَّاس بل يبني الحدود الفاصلة إضافةً إلى أسباب متعدِّدة أُخرى تذهب من

السِّياسة النقدية و المالية إلى تفكُّك العائلة التقليدية، و تآكل مؤسَّسة الزواج التي حطَّمها الطلاق بسبب العلاقات خارج الزواج، إلى نسبيَّة متطرفة تريد أن تجعل جميع القيم متكافئة.
إنَّ تجربة العلمانية الغربية تدعونا إلى الشكِّ في قدرة "الدولة الأخطبوط" في حلِّ كلِّ المشاكل الاقتصادية و الاجتماعية، فبريق العلمانية سببهُ الازدهار الاقتصادي، ومع تنامي الفقر أُصيبت كرامة المواطن،وحينئذ تقترح العلمانية الإكراه على الضريبة بينما يقترح الدِّين أوَّلا الصدقة و الزكاة المبنية على المحبَّة و التعاطف بين النَّاس ثمَّ الضريبة بقدر الحاجة .
لماذا تكون فكرة المجال العامِّ العلماني أو المتحرِّر من قبضة الدِّين واضحة عند بعض النَّاس ~ عندما نبرز التناقضات بين المذاهب الدينية في بلد واحدٍ ~ تُصبح ضبابية، غير قابلة لِلتطبيق عندما ننقل مفهومنا للسِّياسي إلى المستوى الملِّي يعني: الديني المشترك بين المذاهب، وحتى لِلمستوى الإنساني.
هنا يجب أن نسأل عن شروط المهام السِّياسية و الإجراءات المؤسَّسية التي تُدير مجتمعاً متعدِّد العرقيات أو المذاهب و الديانات، عن حقِّ الأقلية ومشروعية هيمنة الأغلبية،يعني: إذا كان حقُّ الأقلية مكفولاً فلمَ تكون هيمنة دين أو طائفة تُشكِّل الأغلبية مُشكلةً، ولا تكون الأغلبية الديمقراطية مشكلة؟
وقد يرتفع اعتراض آخر هو أن نتحدَّث عن أسباب الوجود الدائم للدِّين، أو رجوع الدِّين حتى في المجتمعات المغالية في العلمانية، فالنقد العلماني لِلدِّين و العقيدة غير دقيق و مغالط، يمنع فهم الدِّين على حقيقته، لأنَّه يحمل في نفسه تشويهاً دوغمائياً يتمثل في انتقاء فئةٍ دينية أو تمثلا دينياً متطرفا و تعميم الحكم على الدين كلِّهِ.
مع العلمانية يدور البشر في حلقةٍ مُفرغة، و يتولَّد ليدهم في نهاية المطاف شكٌّ عقيم لأنَّ التدين فيهم شعور دائم ،لذا تحاول العلمانية الخلط بين إشكالية الثقافة و إشكالية الدين، فالطوائف الإسلامية المخالفة في بلد شيعي مثلاً هي جزء من ثقافة البلد و إدارته، و ليست جزءاً من مذهبه،فالمسيحي في البلاد الإسلامية جزء من ثقافتها الحضارية ، وجزء من جغرافيتها و إدارتها السِّياسية ، و إن لم يكن جزءاً من دينها فهو جزء من كلِّ تلك الهويات الكفيلة بضمان حقِّهِ و مشاركتهِ في نهضتها و سلامها.
فهذا النِّظام أحسن من نظام علماني يقتل فطرة الإنسان وجوهره،و الدين هو العائد

الأبدي لأنَّ الروح كما يقول أشي ناندي[Ashis Nandy] في كتابه " عودة المقدَّس":" تقاوم العولمة الإطلاقية و الأحادية الشكل"؛ التي تريد أن تجعل من البشر سردين في عُلبة.
التعدُّد الديني مُشكلة نظرية غير قابلة للحلِّ العلماني لذا نجد قلقاً علمانيا من لغة الدِّين، وما نظرية " صدام الحضارات" إلا صورة عن ثقافة الخوف من التقاء الصَّحيح بالفاسد، الدِّين الحقِّ بالدين الباطل، هي الإسلاموفوبية الواعية التي تعرف قيمة و ديناميكية كلِّ دين بعيداً عن اعتقاد الرجحان .
من أخطاء العلمانية أنَّها تستعمل نقداً واحدً لثنائية الدين/الثقافة، ولا تبحث عن التعرُّف على الفروق المهمة و الجوهرية بين ماهية الدين و ماهية الثقافة، فالدين مصدره إلهي و الثقافة مصدرها عادات النَّاس ،ثم تقوم بتحليل الصراعات التي ترجع إلى مثاليات أو مصالح ذات صلة بالدين ، لتحكم على الدِّين.
و تحديد الفرق بين الدِّين و الثقافة يردُّنا إلى مبادئ و تصورات متميزة تتعلَّق بموضوع واحدٍ حينما نجعل الدِّين جزءا من الثقافة هو سلوك و عادات و اعتقادات الفرد،وهذا لشدَّة عمومية الثقافة في الفكر الغربي و الدين الواحد و إن كان يعيش ضمن بيئة ثقافية خاصَّةٍ به إلاَّ أنه يوجد تمثلات له غير متجانسة، وربَّما غير متطابقة داخل هذه الثقافة، فالثقافة التي يعيش الدين ضمنها هي نظام اختلاف لِلتمثلات من جهة ومن جهة أخرى هي توليف تحت معيار وحيد يقدِّمه المشترك الديني بينهم أو السِّياسي، لأنَّه يوجد بين هذه التمثلات المختلفة لِلدين داخل ثقافة واحدة منافع و مخاطر مشتركة.
لذا أقول: لا يمكن بحالٍ وضع تصوُّر علماني للسِّياسة و مأسسة توجُّهات علمانية لتسيير الصِّراعات الاجتماعية و الدِّينية بدون إدراج بُعد دينيٍّ أخلاقي يُحدِّد السِّياسة نفسها، بحيث إنَّ أية سياسة ديمقراطية عادلة اجتماعياً لا يمكنها أن تقف فوق الدين العام أو المشترك للمسلمين مثلا، بمعنى آخر ليس التعدُّد الديني في بلد ما أو التعدُّد المذهبي سببا لفصله عن الدولة، فهذا رجوع إلى صفة عرضية و أثر تاريخي مرَّ بها المتدين، و ليس إلى صفة ذاتية في الدين نفسه ،لا تسمح لنا أن نقول: الدين عاجز عن إدارة شئون المختلفين عرقيا أو دينياً، إذ صفة الطائفية المتناحرة بشكلها الحالي هي وليدة الجهل و التخلف الفكري و ليست وليدة الدين، فالمشكل في معالجة وعي الناس

و أخلاقهم، و ليس في استبعاد الدين على الأقل المشترك بين المذاهب الإسلامية التي تعيش في بلد واحدٍ.
لكن يجب أن نعترف أن المشكل عند بعض المسلمين بالنظر إلى تصوراتهم الطوباوية لإشكالية الطائفة أعقد بكثير من إشكالية نقد العلمانية،و سنحاول تفصيل ذلك في التعليق على مؤتمر الكويت الذي بحث مفهوم "أهل السنة و الجماعة" الصحيح على حسب تقديرهم.

إِشبَاع النَّرجِسِيَّة الفَرديَّة و الجماعِيَّة 1

رؤيةٌ أُخرى لِلطائفية ضِمن إشكالية العلاقة بِالغير

الحمد لله وحده، و الصلاة و السلام على من لا نبيَّ بعده.
و لم أر هذا إلاَّ في أمَّتنا: تجتمع فئةٌ من النَّاس لتتكلَّم باسم فئات أخرى، و تحكم عليها بالضلال و الزيغ و غير ذلك من غير حضور تلك الفئات لأنَّ الكلام عن الغير في غيبتِه أسهل ، ثمَّ يعتقد الجميع أنَّه حل المعضلة و أنهى المشكلة ؟ !
و الأحرى بهذه المؤتمرات أن تبتعد قدر الإمكان عن الرغبة في إشباع نرجسية الذات و الرد بالمثل، و طمأنة الأتباع الذين ينزعجون كثيراً عندما يُخرجهم أحدهم من "أهل السُّنَّة و الجماعة"، كأنَّ حقيقة الاسم تتوقف على تقديرات غيرهم ونزواتهم؟
.... لِلتفكير في هذه القضية كطريق ثالث تناولتُ الموضوع بمنهجين،أو بمقدِّمتين:
مقدِّمة معاصرة تزاوج بين " بسيكولوجية العلاقة" في فهم الآخر ،و العلاقة مع هذا الآخر بين الواقع و لغة الكلمات المتوارثة، تكون أرضية للجزء الثاني الذي نتناول فيه بعض مخرجات هذه المؤتمرات بشيءٍ من التحليل المستعين بالنُّصوص و بحقائق التَّاريخ و بِكلمات نيرة لبعض العقول الإسلاميَّة الكبيرة في مجال المقالات و الفِرق؛
أعرض عليكم اليوم المقدِّمتين:
فخذ أخي الكريم وقتك في القراءة و التفكير في هذه المادة لعلك تجد بعض العناصر المفيدة لك، أو قد تساعدك في فهم المقال القادم بعد هذا...
في كلِّ يوم نلتقي بالنَّاس و نتعامل معهم، قد يكونون: أقرباء، جيراننا، زملاء، أصدقاء نعرفهم... الخ، لكن هذا لا يعني أنَّنا نفهمهم؛ معرفة الشخص شيء و فهمه

شيء آخر،وهذه مصيبةٌ نُعاني منها في التشوُّهات العقلية التي باتت تُسمَّى "الجرح و التعديل" عند بعض السَّلفيين، فما نعتقده متشابهاً في النَّاس عند الانطباع الأوَّل يتبيَّن في الغالب أنَّه مختلف، و الحكم المعتمد فقط على معرفتك بالشخصِ هو حكم سطحي أو نصف حكم،لأنَّه بدون معرفة المقاصد و الدوافع يكون الحكم ظالماً، بعيداً عن الحقيقة ، مُهدراً ~ ربَّما~ لأسباب علميَّة موضوعية، و لإيمان الشخص و تقواه،فحتى الشَّريعة لم تحكم على صوابية العمل من خلال موافقته الشَّريعة فقط،إذ القصد الصَّالح هو كذلك من الشَّريعة، بل هو أهم الجزأين.

و معلوم لنا أنَّ النية الباطنة مؤثرة في مقتضيات الأسباب الظاهرة سلبا و إيجاباً، فالذي يقول كلمة الإسلام ثم ينوي ما يخالفها أثر ذلك في إبطال مقتضاها في الباطن ،فكذلك من كانت نيته طاعة الله و الرسول فأخطأ لاعتقاده صحة القول تؤثر هذه النية في مقتضيات الظاهر، لأنه لم يقصد مخالفة الرسول صلى الله عليه وسلم وإنما خفيت عليه سنته واشتبه عليه الحق.

التجربة مع الغير شيء عهدناه لكنها تُغرقنا في التنوُّع، تسمح لنا بالالتقاء بخصائص كلِّ إنسان بعيداً عن استخدام التَّقسيم الجاهز مسبقاً لفئات النَّاس؛ نقول عن فلان: سلفي، و عن الآخر: إخواني، أو صوفي، فلان عصبي تعتريه حدَّةٌ.... الخ ممَّا هو أوصاف لِكثير من النَّاس لا تصفُ ~ في الحقيقة ~ ما هو فلان، خصائصه التي يكسِبها، ما الذي يجعله مختلفاً عن غيرهِ،فما بين هذا الرُّجل المنتمي لمذهبٍ وبين آخر من نفسِ مذهبه فروق كثيرة، لأنَّنا ~ في الحقيقة ~ كأرسطو نقول بطريقة أو بأخرى: لا معرفة إلاَّ من العامِّ و لا وجود إلى من الخاصِّ لكننا نعتقد أنَّه بالتَّعميم نفهم النَّاس، فما الذي يسمح لنا بفهمِ شخص آخر؟

وضعية ترابط الذوات

الإنسان معتادٌ على مخطَّط فهم: يعتقد أنَّ الفهم هو الظفر بفكرةٍ، بمفهوم، ضمن نظام العلم، فهمُ ظاهرةٍ ~ بالنِّسبة لنا ~ هو أن نكون قادرين على شرحها، لكن هل الفهم هو الشرح ؟

بالنَّظر إلى غيرك ماذا تعني كلمة " فهم"؟

نقول: " نفهم شخصاً و نشرح شيئاً" ، لا يمكن أن نقول : " نشرح شخصاً" لأنَّ كلمة " نشرح" تستدعي إجابة نهائية، بينما نعلم أنَّ الشخص هو دائماً معقَّدٌ، ولا يمكننا

رؤيته من كلِّ جهاته في شرحٍ كامل، في الشَّرح توجد فكرة التَّفكيك و التَّحليل الذي لا يتماشى مع فكرة الاستيعاب الشامِل الذي يتضمَّنه الفهم.
الشَّرح العلمي هو نظام تمثلات تسمح بتقرير عن ظاهرةٍ موضوعية ،و ما إن نحصل على شرح صحيحٍ نُقدِّر أنَّنا أحطنا بالظاهرة، و رتَّبناها في منظومة العلم، بهذا المعنى "الشرح" هو براديجم الموضوعية، البراديجم العام لعلوم الطبيعة.
فهم الآخر هو شيء آخر، الفهم هو الظفر بالمقاصد، بالدوافع التي تجعل زيداً أو عمر على هذه الطريقة أو تلك، يمكن أن أفهم الأسباب التي كانت لدى زيد لرفض تحية عمر ؛ أفهم دائماً من الداخل ما يتعلَّق بالعقل لكن لا يمكنني أن أقول: إنَّ العلوم الفيزيائية تُساعدني في فهم الغير.
من الواضح حسب [Dilthey] أنَّ المقاربة الموضوعية لِلمعرفة لا تسمح لنا بالإحاطة بإشكالية الغير، وجود الغير هو دائماً فضيحة في الفكر الموضوعي [المقاربة الموضوعية]، لأنَّه يستدعي عاملاً يتعجل لإقصائه هو " الذاتية"، بينما المقاربة الذاتية تسمح لنا بمشاركة دوافع الغير ،أي: وعي آخر.
نعتبر أنفسَنا " مفهومين من قبل الغير" في الوقت الذي نقدِّر فيه أنَّ مقاصدنا الحقيقية اعترِف بها، و نُظهر أنَّنا قادرون على فهم الآخرين عندما نتوصل إلى فهم وإمساك ~ في أنفسنا ~ مقاصد " نوايا" الغير.
عندما نصلُ إلى درجة الشعور بالتعاطُف ولو نسبياً، هنا لا يكون الغير مجرَّد نسخة لفئةٍ ما، و لكنه يصبح إنسانا واعيا مثلي، كائناً يمكن أن أحمِله في نفسي، في عاطفتي.
لهذا عندما تدرس مذهبا ما كالأشعرية~ مثلا ~ عليك بالمقاربة الموضوعية، لكن عندما تدرس الأشاعرة كأشخاص فعليك بالمقاربة الذاتية .
فهم الغير هو عمليَّة أكثر حساسية من شرح ظاهرة فيزيائية أو مقالة، لأنَّ الوعي لا يمكن اختزاله في شيء، لِلنفس مخابئ و مراجع لا متناهية كما يقول [Leibniz] فالعقل مصدر حيٌّ من الدلالات، و إذا كانت عمليَّة الشرح تسمح بموضوعية العلم، فإنَّ الموضوعية في الغير تختزله في وضعية شيءٍ،ماك يعني إنكاره كذاتٍ.
وهذا ما نجده ~مثلاً~ عندما نتغاضى عن بُعد الوعي، و ننظر في السلوك من زاوية حافز/إجابة، لن نرى حينها وعياً مبدعاً في بيئته و لكن شيئا يستجيب لِتفاعلات.
معرفة الغير هي اكتشاف كل العمق الموجود في عقل شخص ، هي اكتشاف معنى

فعل أو تصرُّف، لذا فإن فهمي للغير هو عكس التشييئ المستخدم في الشرح الموضوعي.

الفهم هو شيء داخلي يتمثل في المشاركة في وعي الآخر ،بينما الشرح يكون من الخارج بترتيب العلل و الأسباب.

المعرفة بالتخمين:

كيف تتمُّ عمليَّة فهم الآخر في الحياة اليومية ؟

في الغالب نُقدِّر أنَّنا فهمنا الغير عندما نتوصل إلى وضع أنفسِنا في مكانه لذلك تجد النَّاس يقولون: "في مكانِه كنتُ سأفعل كذا، كنت سأفكِّر في كذا" ما الذي يجري إذن؟ إنَّنا نحكم على الغير، نُعيد بناء أفكاره، يعني: نخمِّن ما الذي يوجد في عقله أو في نفسه لِلتوصل لفهمه، نُسمِّي هذا "معرفة بـالتَّخمين" وهي طريقةٌ لِفهم الآخر تمرُّ بتوسُّط استدلال على ما نفترضه من فكره ؛ نعتقد بهذه الطَّريقة في البناء الذِّهني لِلغير ، لذلك عندما نُقدِّر أنَّنا غير مفهومين نقول: " ضع نفسَك مكاني" نظنُّ أنَّه من المفروض أن يسمح لنا التَّخمين بالانتقال إلى فكر الغير بمقابلة مقاصدِه و أسبابِه لذا فهي طريقة معرفة غير مباشرة.

المشكل في هذه الطريقة أنَّنا نُبالغ في استخدامها خاصَّةً في غياب الآخر، نتخيَّل ماذا يمكن أن يكون في رأسه،لو كان الأمر يتعلَّق بالتَّعرُّف على أنفسِنا كنَّا سنلجأ إلى نوع من السبر الذاتي/الداخلي، لكن الآخر يجب أن نعرفه بطريقة مختلفةٍ، فمن الطَّبيعي أن نعتبر " المعرفة بـالتَّخمين" كفائض السبر الذاتي في جدول معرفة الغير.

هذه العمليَّة المتمثلة في إعادة البناء تصطدم من بدايتها بصعوبة : هي أنَّني لا يمكنني أن أضع نفسِي في مكان فلان لِلشُّعور بما يشعر به ، ربَّما هو من الوهم أن نُفكِّر أنَّنا نقدِر على أن نَسكُن عقل الغير، و بالتالي يكون التَّعبير : "ضع نفسك في مكان الغير" على هذا المستوى نوعاً من الحماقة.

و هذا خلاف البحث عن اكتشاف مشاعر و أفكار الغير التي تتطلَّب منَّا جهداً ولذلك نلجأ إلى التَّخمين انطلاقاً من مرجعية ثمَّ نُجري مُقارنةً بين عالَمين: عالمي و عالم الآخر؛ أنا أعلم بالتجربة أنَّ الدموع تعبيرٌ عن الحزن لذلك أستنتجُ عندما أرى زيداً من النَّاس يبكي أنَّه حزين ،هنا أقوم باستدلال يذهب من حالة خاصَّةٍ هي "أنا" ، "حزني أنا" إلى حالة أخرى هي حزن زيد، أفترض أنَّ ما هو سببٌ لدموعي أنا هو

سبب دموع زيد ، أفترض أنَّ كلَّ النَّاس مكوَّنون بنفس الطَّريقة، و افترض خصوصاً أنَّ الآخر مثلي.
لكن التجربة العميقة تُثبت خطئي في الغالب، يقول [Malebranche] : " المعرفة التي لدينا عن الغير موضوع خطأ إذا كنَّا لا نحكم إلاَّ بواسطة المشاعر التي لدينا عن أنفسنا".
ربَّما يكون من السذاجة أن أعتقد أنِّي نموذج، نسخةٌ لغيري،ففي الحقيقة أنا و غيري مختلفان؛نظنُّ أنَّ ما نشعُر به في أنفسِنا يشعر به غيرنا؛وهنا سبب الاشتباه :أن تكون الطبيعة البشرية مشتركةً بين النَّاس شيءٌ، و الظن بأنَّ " أنايَ" الشخصي بـ أهوائه ، رغباته،أذواقه، مكروهاته، ثقافته، تركيبة نفسه،قدرات عقله، خلفيته الاجتماعية/الثقافية ،نموذج للطَّبيعة البشرية شيء آخر؟
في الحقيقة الذي أستعمله في المقارنة بيني و بين غيري هو " أناي" الخاصِّ، ولهذا نخطئ في الواقع ،فكرة المقارنة نفسها بيني و بين غيري هي خاطئة لأنَّي إذا سلكتُ هذا المنهج لن أقوم سوى بالبحث في غيري عن رغباتي، أو ما أخاف أن أجده عنده، وهو في الغالب المكروه أو الشرُّ الذي نجده في غيرِنا هو الذي كنَّا بحث عنه.
يفترض التَّخمين تأويلاً أحادي القيمة لعلامةٍ أراها في الغير، لكن العدل يوجب أن يكون التَّأويل مُتعدِّد القيمة لاحترام تعقيدات الآخر، فأنظر ~مثلا~ في قولهِ لكن دون أن أغفل مآخذ هذا القول و أسبابه وظروف نشأته،و مختلف العوامل المؤدية لوجوده ، و لاعتقاد النَّاس بصحته، ثمَّ انظر في القائل، في خلفيته، تكوينه،التلقين الذي تلقاه، الشبهات التي صادفته.... الخ فالإنسان كائن معقَّد؛ وهل صحيح ~مثلا~ أنَّ الدموع هي دائما علامةٌ على الحزن؟ و الضحك هو دائماً علامةٌ على البهجة؟
الجواب: "لا" لأنَّ ضغطا كبيراً داخليا يتعرَّض له إنسانٌ يمكن أن ينتهي في تشنج مؤلمٍ يتَّخذ شكل ضحك؛وهناك الضحك العصبي،وهذه أنواع لا تأتي من البهجة ،و لا تُعبِّر عن السعادة، و بالعكس هناك دموع السعادة و الفرح.
وعليه، فمن الاعتباطي أن نختار تأويلاً مُسبقا مبنياً على ما هو رد فعلي أنا الأسوأ، لأنَّ الكائن البشري قادرٌ على إخفاء مشاعره الحقيقية، فالمنطوي على نفسه ~ مثلاً~ لا يكشف نفسَه بسهولة ، لا يبدو عليه أحيانا إلاَّ حمرة مشاكل خافتة فكيف نستنبط بدون خطأ في مثل هذه الظروف؟ كما يمكن أن نجد أمامنا شخصا يُمثِّل؟

في هذه الحالة: مِن الأفضل الاحتياط و اتِّخاذ موقف جذري بالقول أنَّ الآخر لا يكون أبداً كما أتخيَّله،هو ~ دائماً أو في الغالب~ مختلف عمَّا يمكنني بناؤه ذهنياً ، بناءاتي الذِّهنية اتِّجاهه جزافية، تصيبُ أحياناً فراستي و لكنها في الغالب تخطيء؛ تخمينُ ما هو الآخر ليس رؤية له، ولا هو فهم له ، ما هو إلاَّ تخيُّل للغير؛ بطبيعة الحال التخمين ليس شكلاً من تشيئية الغير ،و إن كان يتفتح في وسط الذاتية الحميمة لكنه ليس فهماً لِلغير.

المعرفة الآنية:

نقضي أكثر أوقاتنا في التخمين اتِّجاه الغير، لكن حضور هذا الغير يمنعنا ~في الغالب~ من الاسترسال في التخمين لأنَّه ينطبع فينا ، و لا يترك لنا رفاهية التَّخييل ،لذا لا نخمِّن الغير كما نشاء إلاَّ في غيابِه لأنَّه في غيابه لا يوجد ما يُعيق مكيانيزم الإسقاط " الصُّورة".

نجد في تجربة حضور الآخر أنَّها أكثر حملا من تجربة الأشياء، فأنا لا أشعر بحرجٍ في حضور الزهرية أو الزجاجة على الطاولة، ولا من الرسومات على الجدار،يمكنُني بسهولة إهمالها ؛ كذلك القط الذي ينظر إليَّ لا يزعجني، لكن نظرة الغير التي يحطُّها عليَّ لا تتركني بدون شعورٍ، تزعجني و تُقلقني ،يجذبني الغير الحاضر أو يُقصيني ، عندما يكون الآخر حاضراً لا يمكنني أن أفعل أو أقول ما يحلو لي ، حضور الغير هو استفزاز ما، لا يمكنني عقلنَته بسهولة.

يوجد لدى البالغين في إدراكهم للغير شكل من التعرُّف لا يعتمد على الاستنباط ، و هو حال كلِّ التعرُّفات الآنية المكتشفة بالعادات، يمكن أن نُميِّز هنا بين العلامات الثقافية و علامة الفعل.

فهمُنا لِلغير هو مُسبقا محدَّد بمنارات هي " العلامات الثقافية" التي تزوِّدنا بتأويلات جاهزة؛ فمثلاً : هناك قانون مجاملة يفرض أن نحي بعضنا بعضاً بطريقة معيَّنة،و الشعائرية في بعض الديانات أو المؤسسات السِّياسية موجودة لتصِف مُسبقاً معنى الحركة؛ رفع اليد لِلتحية في البلاد الإسلامية له معنى دقيق لا يستدعي تأويلاً بالاستنباط لكن في بلادٍ أخرى هو حركة غير مقبولة، لذلك عندما ننتقل إلى ثقافة أخرى نفقد معالمنا و نضطر إلى التكيُّف مع معالم ثقافية أخرى، هنا نعي أهمِّيَّة التَّوجيه الأخلاقي الذي تلقيناه في مجتمعنا و ثقافتنا؛ هنا نفقد عنصراً مُهمًّا في عمليَّة

المعرفة المباشرة للغير التي اعتدنا استعمالها في ثقافتنا ؛فجأةً يُصبح الغير بالنِّسبة لنا لُغزاً، و يبقى كذلك ما دُمنا لم ننغمس في عادات المنطقة و ثقافتها ،لذلك يقال في المثل السائر : " من عاشر قوما أربعين يوما أصبح منهم".

عندما نرى حركات فناني التقليد بالإيماء و نفهمهم نعلم أنَّه يوجد لغة جسد و تعبير عالمية ؛ يستخدم هؤلاء الإشارات التي يمكن لكلِّ واحد فهمها مباشرةً، يمكن لواحد من هؤلاء أن يقدِّم عرضاً في أي مكان في العالم و يفهمه النَّاس بدون حاجة إلى مترجم لأنَّه يفعل حركات لها صلة بالطبيعة البشرية، لا ترتبط بثقافة معيَّنة.

يستلف هذا المقلِّد بالإيماء فنَّه من ظاهرة أكثر عموماً، وهي الانتقال العفوي من الداخلية" الباطن" إلى الخارجية" تعابير الوجه و الحركة"، لأنَّه فهم أنَّ كلَّ شعور فِينا يطبع في جسمِنا ثنيةً ما، رسماً ما ، فالحزن يُشكل تقاسيم على الوجه، و كذلك الخوف و التفاجؤ و الإعجاب و البهجة، يستعمل المقلد بالإيماء هذه العلاقة باقتدار بحيث أنَّ المتفرج عليه بدون استنباط أي شيء يلتقط الشعور في الحال .

لقد تكوَّنا في عاداتنا لتمييز و مقابلة الدواخل /الخوارج الإنسانية، و الحس المشترك يعمل في حدود ثنائية النفس و الجسم : نقول: " لا تطمئن إلا الظاهر" بالعامية الجزائرية: " المزوق من بَرَا"خارج" واش حالك من داخل".

يعني: نُلمح أنَّ مظهر الغير هو في مقابلة حقيقته، بتعبير آخر: أمام هذا الغير يجب أن أتخلى عن هِبة حضوره،أُقصي مظهره من التَّحليل، و اعتبره كائنا مختلفاً عمَّا يظهر عليه،إلاَّ أنَّ محاولة عزل شعورٍ عن علامته هو سذاجة،لأنَّ وجه الإنسان هو صورة عن حالة نفسه، هو مرآة الدواخل، بشكلٍ ما وعيه غير مفصول عن جسمه ، هو حاضر على وجه الإنسان،وقد يُخبر عن قصده.

بطبيعة الحال يجب الاحتراس من التمثيل و الإخفاء، لكن جوهرياً يبقى مبدأ الانتقال من الداخل إلى الخارج صحيحاً،ففي العفوية يكون الظاهر ~دائما~ تعبيراً عن الكائن نفسِه، فما نحن عليه ينعكس في تعبيراتنا، لذا لا يوجد ثنائية صادمة بين النَّفس و الجسم، لأنَّ الجسم ليس مجرَّد شيء بل هو حيوي متحرِّك بالوعي ،فالداخل يظهر على الخارج، و الخارج يؤثر على الداخل "الباطن".

يمكن أن نقول بعد هذا: إنَّ علم الفراسة له كلُّ معناه، يكفينا أن نلاحظ الغير في حضوره، و هذا ما يجعل إمكانية معرفة الغير بالحدس ممكنة.

إذا رجعنا إلى التجربة مع الغير نفسها نجد أنَّ هذا الغير يفرض نفسَه علينا أثناء حضوره، و هذا ما يُشكِّل اللقاء معه،فيقدِّم نفسّه لنا بقوته، و ضعفه، بعُنفه أو قلقله، بحذره و بطيبته، بذكائه الضيق أو المتقد ؛ الإنسان يَقدِّم نفسه في كليته،بهذا الاعتبار هو مجموع غير قابل للقسمة؛ لا يمكن لجزء منه أن يحدِّده ، فلا يمكن التعرُّف على خصائص الإنسان إلا عندما نقاربه في مجموعه، هنا لِلكُليَّانِية معنى، لذلك لا نوافق المناطقة عندما يحدِّدون ماهية الإنسان بما يعتبرونه ذاتيا فقط و يهملون اللازم و العرضي، إذ الإنسان في الواقع كلٌّ لا يتجزأ.
هذا الغير يقدِّمُ نفسه في ظهوره كشخصٍ، فالإنسان هو ما يظهر عليه، وهو~ أيضا~ أكثر ممَّا يظهر عليه، يعني: ما هو قادرٌ عليه، ما يحمله في نفسه من فضائل ؛ إذن المقولة:" لا تطمئن إلى ظاهر الغير" هي سطحية جداً ليست~ في الحقيقة ~ إلاَّ نوع احتياط ضدَّ الغش لكن نظرة متبصرة ثاقبة يمكن أن تكشف التَّمثيل و ما يُخفيه الشخص، فلا يوجد أكثر انكشافاً من وضعيةٍ مصطنعة يتَّخذها الإنسان، لأنَّه في التحفُّظ يوجد قناع لا يخدع النَّاس دائما، فارتجاف الأصابع يُخبرنا أكثر ممَّا تُخبرنا به الأقوال التي تريد أن تُطمئِننا ؛و قانون الطبيعة يذهب ~ في العموم ~ في اتِّجاه التعبير.
الأهم في هذا: هل نعرف مقاسمة الغير مشاعرنا، توقعاتنا، شعورنا نحوه؟
نحتاج لهذا أن نعرف أنفسنا أوَّلا لاجتناب التداخل بين نظامين ، و التباسهما، ففي غالب الأحيان ما أعتقد أنَّه فهم ليس إلاَّ تأويلي أنا ،لا يأتي إلاَّ منِّي، ليس رؤية حقيقية لِلغير، لذا أحتاج كلَّ حدَّة الذكاء و صفاء القصد حتى يجد الحدس قيمته الحقيقية،ولولا ذلك لما كان أهل الإنصاف قلةً ..
و لهذا كانت أركان علم السلوك الإسلاميِّ محدودة في أربعة معارف: معرفة الله ـ معرفة النفس ـ معرفة العدو" الشيطان" ـ معرفة الدنيا؛ ولهذا ~ أيضاً ~ يصعب على من لم يُعالج باطنه بقواعد السُّلوك أن يحكُم على غيره بإنصاف.
تعلُّم الإصغاء و تعلُّم التحدُّث:
من هبة الحضور" حضور الآخر" نحتاج إلى الانتقال إلى القول لمحاولة فهم الغير، هنا نجد صعوبات كثيرة:
1 ـ صحيح أنَّ القدرة على التكلُّم مع الغير يجب أن تُمكنني من فهمه بطريقةٍ أفضل،

لكن ماذا يعني " التكلُّم"؟ لأنَّه لا يكفي أن تتكلَّم لحل عقدة الحوار؛ فأهل الاختلاف في المسلمين يتكلَّمون في كلِّ يوم ولم يتقدَّموا خطوة واحدة؟ !
يوجد حوارٌ عندما يكون القول حيًّا، وتتوفر ظروف عديدة منها: حضور شخصين - تفهم متبادل - أرضية مشتركة - أصالة المعنى و الدليل المتبادل، فالحوار لا يكون مكاناً للتفاهم مع الغير إلاَّ عندما تكون الكلمات صادقة أصيلة غير مصطنعة، تذهب للحقيقة العلمية بدون إدانة أو توظيف.
2 - التكلُّم مع شخص ليس هو البحث على أن يفهمك فقط، لأنَّه يمكن أن يخرج الحوار عن طريق التفاهم مع الغير كأن يكون انزلاقاً في عدم تبادل المعلومة، أو عندما لا نُعطي نفس المعنى لِنفس الكلمات.
وقد تبدو الثرثرة كحوارٍ لكنها ليست كذلك، لأنَّه في الثرثرة يكون الشخصان ~ في الحقيقة ~ غائبين، و إن كانا حاضرين بأجسامهما، و ما يقولانه لا معنى له، يكون في الغالب مكرَّراً كما تراه على شبكات التواصل، وكما هو حال مخرجات المؤتمرين في غروزني وفي الكويت.
إنَّ الأقوال بدايةً لا تهدف إلى فهم الغير، هي موجودة فقط لاجتناب الصمت، و الحوار لا يخدم التفاهم إلاَّ إذا جعل تقاسمك الحميم مع الغير ممكنناً ، كما يمكن أن يتحوَّل الحوار إلى جدالٍ عندما يتخندق كلُّ واحد على موقفه حينها نرفض بذل الجهد اللازم لِفهم الغير.
لا يحتاج الحوار إلى من يتقدَّم فيه كقنَّاصٍ لينتقد ثمَّ يتراجع إلى مخبأ الصمت،لا يُعطي أهمِّيَّة لِما يُقال، ينتظر فقط دوره في الكلام،وقد يغلب في كلامه الإدانة، و التضليل و عبارات الانتقاص .
لقد نهى الله سبحانه عن سبِّ مقدَّسات المشركين فكيف بأهل الكتاب،فكيف بالمذاهب الإسلامية؟ !
قال عز وجل : { وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } [الأنعام]
وهذه من خصائص الإسلام جمع بين صحَّة القول و استقامة الحال، بين الحقيقة العلميَّة و حسن العلاقة بالغير فنهى عن سبِّ مقدساته، و بيَّن سبب ذلك عندما قال : { كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ } يعني: لكل دين أو مذهب عقيدة و أصول يعتقدون

صحتها و يقدِّسونها و إن كانت باطلة؛وكل صاحب مذهب هو حسن الظنّ بمذهبه قد بناه على مقدِّمات يعتقد صحتها، لهذا قال ابن تيمية : " فَإِذَا أَخَذَ الْإِنْسَانُ مَعَهُ فِي تَقْرِيرِ نَقِيضِ تِلْكَ الْمُقَدِّمَاتِ لَمْ يَقْبَلْ وَلَا يَبِينُ الْحَقُّ ، وَيَطُولُ الْخِصَامُ كَمَا طَالَ بَيْنَ أَهْلِ الْكَلَامِ."

وعندما تحدَّث القرآن عن أساليب الحوار و النقاش حثَّ على الجدال بالتي هي أحسن : { وَلا تُجادِلُوا أَهْلَ الْكِتابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ } فمتى شتمت علماء المذاهب الأخرى شتموا علماءك، ومتى اتهمتهم و ضللتهم فعلوا الشيء نفسه،فلكلِّ فعل ردُّ فعل من جنسه وقوَّته، فتعطي الحسنة تردُّ لك الحسنة إلاَّ عند قوم هم أشبه بالحيوان يردون الإحسان بالإساءة .

و إذا كان بعض الناس خاصَّة من السَّلفيين يظنون أنَّ الناس يقبلون القول لأنَّه صحيح في نظرهم فلم يختبروا النفس البشرية،ولم يجدوا بعدُ سبب استمرار النقاش بين المختلفين من دون جدوى ، فكما قال شيخ الإسلام : " المناظرة العادلة التي يتكلَّم فيها الإنسان بعلم وعدل ،لا بجهل و ظلم ".

و الظلم هو أن لا تأخذ بكلِّ أسباب قبول الحقِّ، ولا تنظر في أقوال المخالف بإنصاف، و لا تعتبر بأسباب قوله و مقاصده.

فأحسن منهج في المناظرة هو ما أشار إليه ابن تيمية : " فَالْوَجْهُ فِي ذَلِكَ أَنْ يُبَيِّنَ لِذَلِكَ رُجْحَانَ مَذْهَبِ غَيْرِهِ عَلَيْهِ أَوْ فَسَادَ مَذْهَبِهِ بِتِلْكَ الْمُقَدِّمَاتِ وَغَيْرِهَا، فَإِذَا رَأَى تَنَاقُضَ قَوْلِهِ أَوْ رُجْحَانَ قَوْلِ [غَيْرِهِ] عَلَى قَوْلِهِ اشْتَاقَ حِينَئِذٍ إِلَى مَعْرِفَةِ الصَّوَابِ وَبَيَانِ جِهَةِ الْخَطَأِ، فَيَبِينُ لَهُ فَسَادُ تِلْكَ الْمُقَدِّمَاتِ الَّتِي بَنَى عَلَيْهَا وَصِحَّةُ نَقِيضِهَا، وَمِنْ أَيِّ وَجْهٍ وَقَعَ الْغَلَطُ.

وَهَكَذَا فِي مُنَاظَرَةِ الدَّهْرِيِّ وَالْيَهُودِيِّ وَالنَّصْرَانِيِّ وَالرَّافِضِيِّ وَغَيْرِهِمْ ، إِذَا سُلِكَ مَعَهُمْ هَذَا الطَّرِيقُ نَفَعَ فِي مَوَارِدِ النِّزَاعِ فَتَبَيَّنَ لَهُمْ ، وَمَا مِنْ طَائِفَةٍ إِلَّا وَمَعَهَا حَقٌّ وَبَاطِلٌ، فَإِذَا خُوطِبَتْ بُيِّنَ لَهَا أَنَّ الْحَقَّ الَّذِي نَدْعُوكُمْ إِلَيْهِ هُوَ أَوْلَى بِالْقَبُولِ مِنَ الَّذِي وَافَقْنَاكُمْ عَلَيْهِ".

كذلك يتدمَّر الحوار في الأكاذيب ،ما إن يتسلل الكذب إلى الحوار حتى تفقد الأقوال موضوعَها الحقيقي ، فلا يمكن أن يكون هناك تفاهمٌ بدون صدقٍ، و بدون نيَّةٍ حقيقية لِلحوار.

إذا كان الصِّدق متبادلا سمح للحوار بالفعل بالانفتاح على الآخر، و سماعِ ما في قلبه،فيجب أن نعلم أنَّ الاستماع إلى ما يقوله الآخر هو كذلك مساعدةٌ له ليخطو خطواته على طريق اللُّغة، لِيجد كلماته، ليقول ما يجب أن يُقال حتى يُفهم ، ففهم شخصٍ هو سماع صوت الحضور الواعي .

3 ـ و إذا كانت النوايا تنمو في الأقوال، فإنَّها كذلك تخترق ما بين الكلمات ؛وإذا كان للخطاب معناه فكذلك لِلسكتات بين الكلمات فصاحة و بلاغة.

فهمُ الغير ليس فقط فهم ما يقول لكن كذلك فهم ما لا يقوله ولكنه يظهر عليه،فهذا الغير يُقدِّم نفسَه لنا فيما يقول و فيما لا يقول؛ هو في هذه الكلِّيَّة غير قابلة لِلقسمة، فحركاتنا تخبر عنَّا ككلماتنا ،و بحسب بسيكولوجيو العلاقة: [7%] من التواصل يمرُّ عبر الكلمات، و [38%] يمرُّ عبر نبرة الصوت،و [55%] ترجع للُغة الجسد.

و قد يحدَثُ و أن يكون الخطاب الواعي لِلغير في تفاوتٍ مع خطابه اللاوعي الذي يُعبِّر عنه وجهه أو تصرُّفه، تكون هنا قطيعة اتِّساق و انسجام بينهما، كأن يتكلَّم بنبرةٍ رسمية بينما جسمه يُعبِّر عن الحرج و الدفاع و الكذب و إخفاء ما لا يُصرِّح به.

لفهم الآخر فهما صحيحاً يجب أن نملِك القدرة على أن نجعله مرتاحاً ليكون كما هو بعيداً عن حكمِنا السابق عليه حتى نسمع كلماته في حضورِه الحقيقي لا المصطنع.

لفهم الآخر يجب أن نمنحه كامِل استعدادنا في الحضور، فنعرف كيف نستمع إليه، لا ندخل بدايةً لا إدانته و لا تفتيشه لأنَّ الفهم ليس هو الحكم، ومن السهل الحكم على شخصٍ مُسبقا من محاولة فهمه.

أن نتعلَّم الإصغاء إلى الغير هو فرعٌ عن تعلُّم التحدُّث إليه؛ يفترضُ فن التكلُّم احترام توقعات الغير، و أن تجعل نفسك في متناوله لإعطائه الإجابات التي يطلبها و تقدر عليها، لأنَّ الاستماع إلى الغير هو الذي يكشف لنا اختلافات الغير معنا، و لعل الاستعداد لفهم الآخر هو مسح الصُّورة التي نكوِّنها عنه مسبقاً...

و تقنياً :من أراد أن يعرف مراد المتكلم عليه أن يرجع إلى لغته وعادته التي يخاطب بها، لا نفسر مراده بما اعتاده هو من الخطاب فما أكثر ما دخل من الغلط في ذلك على من لا يكون خبيرا بمقصود المتكلم ولغته،فإن اللغة الواحدة تشتمل على لغة أصلية وعلى أنواع من الاصطلاحات الطارئة الخاصة والعامة فمن اعتاد المخاطبة ببعض تلك الاصطلاحات يعتقد أن ذلك الاصطلاح هو اصطلاح أهل اللغة نفسها

فيحمل عليه كلام أهلها فيقع في هذا غلط عظيم وقد قيل أكثر اختلاف العقلاء من جهة اشتراك الأسماء.

مشكلة العلاقة مع الغير بتوسُّط اللُّغة لا الواقع:

تفترض اللُّغويات المعاصرة أنَّ اللُّغة نظام علامات مؤقتة بدون رابط طبيعي مع الواقع، و الدَّليل هو وجود كلمات مختلفة لتعيين نفس الشيء، ووجود لُغات مختلفة، يعني: ~ بالنِّسبة لهذه اللُّغويات ~ أنَّ اللُّغة تُشكِّل عالَماً مُغايرا مرجعيته للواقع ثانوية لأنَّ ما هو وظيفي هو التَّمييز ما بين العلامات حيث تُشكِّل اللُّغة نظاماً الدلالةُ فيه مرتبطة بالمدلول في شبكة شديدةِ الغلق هي اللُّغة.

و إن كانت هذه النَّظرية تتركُنا ندور في فراغٍ، و نراوح في مكانِنا،لأنَّنا في كلِّ يوم نصطدم فعلاً بوقائع حقيقية في وضعيات تجريبية مختلفة ، لا تبدو أنَّها من صُنع الذِّهن، فإنَّها تصدق على كثيرٍ من النَّاس لا يتجاوز تفكيرُهم في إشكال مُعيَّن كـ " الاختلاف حول مفهوم السُّنَّة و الجماعة" حدود كتلة الكلمات و المصطلحات التي أُطلقت في المختلفين عبر التَّاريخ، فعلاقته بهذا الإشكال هي علاقته بتلك الكلمات المكرَّرة التي في كِّل قرن مضى حملت معها طبقة جديدة من الرَّواسب العقليَّة و العاطفية .

عندما تتعرَّف على جماعة أو مذهبٍ من خلال كلمات قديمة قِيلت فيه كوصف الأشعرية ~ مثلا ~ بأنهم " معطلة" ،" جهمية"، "عارضوا السُّنَّة" ، " خالفوا السَّلف" هل تكتفي بمدلولات هذه الكلمات المطلقة أم تنزلها على شخص بجوارك يتبع مذهب الأشعري، قد تعرفه جيداً، قد يكون والدك، أو خالك، أو أستاذك، أو صديقك،أو إمام مسجدكم بحيث تجد صعوبة حينئذ في فهم معناها على حقيقته لأنَّك تعرف الشخص الذي بجوارك جيداً، تعرف دينه، تقواه، إيمانه،محبته لِلنَّبيِّ صلى الله عليه و سلم ، محبته للصحابة رضوان الله عليهم، تعظيمه للقرآن، عبادته، بره بوالديه، عطفه على المسلمين .... الخ ؟

العلاقة مع الكلمات مجرَّدة من سياقها التاريخي و العلمي/المعرفي علاقة مخادعة لأنَّ حقيقة المخالف ليس ما ترسمه في ذهنك عنه، ولأنَّ تلك الكلمات هي وصف لموضوع و ليس لذاتٍ و إن أخطأ بعضهم في إنزالها على الذوات، و عندما تدرس الأشعرية فجرِّد الموضوع، فلا مكان هنا للذواتية، و عندما تدرس الأشاعرة فجرِّد

الذاتية ،فلا مكان هنا لِلموضوع.
الكلمات الخاصة بالعلاقة بالغير أو بالمخالف التي تُشكل قاموس مصطلحات الإدانة عند الطوائف الإسلاميَّة السُّنِّيَّة هي كلمات ليس لها ~ الآن~ ارتباط بالواقع، ككلمة "مبتدع" لا تخبرك ~ في الحقيقة ~عن حال هذا المبتدع المزعوم، ما حقيقة فكره، و ما سبب مذهبه، ما دوافعه، ما موانع استجابته لك؟
إذا أنزلت هذه الكلمة على حقيقة هذا الرجل أخذت لونا آخر و بُعدا آخر جديداً، هل حقيقة هذه الكلمة الشَّرعية هي حقيقة هذا الرَّجل ضمن كل الظروف التي مرَّ بها تشكُّل مذهبِهِ ؟
المذاهب المفصولة عن سياقها الحضاري /التاريخي، عن منصتها الفكرية، عن السؤال عنها في طورها الأول: كيف ظهرت ولمَ ظهرت ؟عن كلِّ رداء لبسته في التاريخ، عن اليوم التي كانت فيه هي الصواب عند النَّاس، وعن اليوم الذي أصبحت فيه أغلوطة عند بعضهم، إلى أية درجة هذه الكلمات التي نُدين بها الغير هي مرتبطة بواقعهم الفعلي بمعزلٍ عن موضوعية المذهب.
يحتاج الذين يبحثون في هذه القضايا إلى أن يعرفوا قوَّة الكلمة و أثرها في سرطنة المجتمع الإسلاميِّ أو في فك عقده.
بحسب فطرة النَّاس بعيداً عن هذه النَّظريات اللُّغوية المعاصرة هناك علاقة وطيدة بالواقع،فمن الطبيعي الاعتقاد بأنَّ الكلمة تتحكَّم في الأشياء، و أنَّ عناصر اللُّغة ترجع بالضَّرورة إلى عناصِر الواقع، لأنَّ تجربتنا تقول لنا: إنَّه بواسطة الكلمات يمكننا التحكُّم في الواقع ؛السُّؤال هو: ما الرَّابط الذي يجمع اللُّغة البشرية بالواقع ، هل تقرُّبنا اللُّغة من الواقع أم تُبعدنا عنه؟
لِلكلمات قوَّة رهيبة فلا يشك أحدٌ في كون اللُّغة آلة رهيبة للهيمنة و السُّلطة، فلا يمكن أن نعتقد في حيادية الكلمات، يمكننا دائماً أن نُلقي كلمات في الهواء لكن يبقى أنَّ مجرَّد النُّطق بها يترك أثراً، كما في " صحيح البخاري" عن أبي هريرة ~ رضي الله عنه ~ أنَّ النَّبيَّ صلى الله عليه و سلم قال: ((إِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ، لاَ يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَرْفَعُهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَاتٍ، وَإِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ، لاَ يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ))
هناك كلمات تقول الكراهة و القطيعة، و كلمات تقول التصالح و التسامح، أحياناً

نعتبر أنَّ الكلمات ليست لها أهمِّيَّة، كأنَّه يمكننا أن نقول أيَّ شيء و أنَّ الخطاب سينزلق على الواقع بدون التأثير فيه ، هذا معنى تفاهة الكلمة .
الاعتقاد بأنَّ الكلمات بدون تابعات هو تافه، الاعتقاد بانَّ اللُّغة ليست إلاَّ لُعبة كلمات تافه، لأنَّ الكلمات المنطوقة ليست لعبة، و لكنها مقاصد فاعلة، الكلمة تُعبر عن قصدِ الذي ينطق بها، لذلك تلمس القلب و العقل الذي يستمع لها.
الوعي بقوَّة الكلمات هو الوعي بأنَّ الكلمات يمكنها أن تفكَّ ما هو معقود في الباطن، كما يمكنها أن تربط و تعقد و تسجن.
السُّلطة الفاعلة للكلمة تستمدُّ من معناها، ما إن تُوجَّه لشخص مُعين، فالكلمة لا تجرح إلاَّ إذا كانت مفهومة من الشَّخص المجروح بها، و الذي يمسُّ الإنسانَ من الكلمة هو الدلالة، و كذلك القصد الذي تحمله.
تحتوي الكلمات في الفعل الذي يدفعها سُلطة التَّحكُّم في الواقع؟
يتوقف كلُّ شيء على المستوى الذي نضع فيه سُلطة الكلمة، التُّحكُّم في الواقع بالكلمات يستلزم: 1 ـ سُلطة على المستوى الاجتماعي، هي التُّحكُّم في واقع النَّاس.
2 ـ سُلطة على المستوى البسيكولوجي هي الهيمنة و السَّيطرة، و لكن كذلِك تحرير عقلٍ من سُلطة آخر.
و لأنَّ الواقع السِّياسي هو جزء من الواقع يجب الإقرار بأنَّه يمكننا التَّدخل باللُّغة على الواقع بأمر النَّاس، وكذلك في الواقع الثقافي و الدِّيني يمكن تغييره بِالكلمات المناسبة، ويكمن فنُ البلاغة هنا في استغلال كلِّ مقدرات اللُّغة لإغراء و إقناع و جذب الغير المستمع إليك و المستعد لتكسِبه الكلمة إلى ذاتك.
المهارة في التَّكلُّم و المخاطبة لا تكفي وحدها، لأنَّ كلَّ ديماغوجية تفترض استعمالا ماهراً لِلغة، لكن كذلك كل بيداغوجية.
مساحة السُّلطة الاجتماعية لِلكلمة واسعة جداً لأنَّه حيثما يوجد وعي جماعي يوجد إمكانية للتحكُّم، ما إن نتحدَّث عن فئة، جماعة ، قبيلة، طائفة، مجتمع ،جماعة، شعب، نفترض وجود قادة لهم كاريزما قادرين على قيادة وتوجيه الرِّجال ،و لذلك نقول عن الذي يملِك سُلطة سياسيَّة أعلى: " ليس له إلاَّ أن يقول كلمةً واحدة فيُحرق منزلك، يُقطع رأسك، تُطرد...." و هذا لا يعني فقط أنَّه رجل قوي لأنَّ أوامره تُطبَّق و لكن خاصَّةً أنَّ قوَّته بلغت درجةً بحيث أصبحت كلماتُه أفعالا.

وعلى هذا لا يجب أن يبقى كلام العلماء و المفكرين مجرَّد تعويذة ماهرة موجَّهة لإغواء الأتباع و تحفيزهم على الكراهية لغيرهم.
هناك كلمات لشحن الرِّجال للحرب، كلمات لِلدعوة لِلانتقام، كلمات لِلدعوة إلى الثورة ، وكلمات للدَّعوة إلى الإصلاح فكذلك الدِّين له دعاته و علماؤه،وهي شخصيات لها سُلطة على المؤمنين لا يجب أن يخرج خطابها عن حدِّي وصف الحقيقة العلميَّة و الإصلاح بين المسلمين، الحقيقة التي تذهب بريح المسلمين تحتاج إلى إعادة صياغة.
كما قال فيغتور هيغو : " اربط كلمة ثأر إلى جانب العالَم، و كلٌّ العالم يأتي بحجارةٍ و سيوف؛ قوانينه، و عاداته، و آلهته تهوي تحت الكلمة، هذه القوَّة الضَّخمة تخرج من الأفواه"، يقصد " هيغو" أنَّ السُّلطة تتجذَّر في اللُّغة كسلطة اجتماعية.
وحتى الحركة محتواة في سُلطة الكلمات، فما الذي ستكون عليه القوَّة بدون الكلمات التي تقودها؟
في العادة نعي سُلطة الكلمات في حالتي النَّصب و الغش الذي يزوِّر الواقع كما يقول [Laplane] هنا نُميز سُلطة اللُّغة في ثوبها السِّلبي المتمثل في جعل الصَّحيح خطأً، فقط بقوَّة الكلمات،كما في قوله صلى الله عليه و سلم في " صحيح البخاري" : ((إِنَّ مِنَ البَيَانِ لَسِحْرًا)).
نجد هذا الأمر في المدح و المغالطة كالبهتان، فالمدح ~ غير الحقيقي ~ هو وضع صورةٍ على واقع شخصٍ إلى درجة إيهامه أو جعله يؤمن بهذه الصُّورة؛ الرَّجل الذي يخضع لِلمدح مأخوذ بصورة تُريه حياته مزيَّنة حيث الواقع باهت، فيرى تحت تأثير كلمات المدح الجميل فيه.
نفس الشيء بالنِّسبة للبهتان و الافتراء هو وضع صورة سلبيَّة عن شخص إلى درجة تشويه واقعه، وهكذا يكون البهتان ممكنا فقط لأنَّ الكلمات أكَّالة للحقيقة، تخريبية لها .
ومهما نقول يبقى دائماً شيء،و حياة المسلمين يمكن أن تتعفن إذا كانت الكلمة خاوية خاطئة،أو ظالمة ؛ وسواء في المدح أو القدح يكون الشخص الذي هو موضوعه خاضِعاً إلى نوع من السِّحر تصنعه الكلمة بالتعرُّف إلى التمثيل الذي تنسجه اللُّغة .
اللُّغة و التَّفكير:
لِلاحتماء من هجمات العالَم " الآخرين" نبني في أفكارنا ملجأً لأنَّ الانكماش على الذات يُعطينا شعورا بـ"أنَّنا نفهم أنفسنا" " أنا أعرف نفسي"،لأنَّني لا زلت أَملِك

نفسي، لأن فِكري هو مُلكي، هذه الخصوصية لِـ " الأنا" هل هي ~ فعلاً~ عاقلة وواعية بنفسها؟
هل يمكن أن تكون هناك فكرةٌ واضحة حيث لا يوجد تعبير عنها واضح؟
الانكماش على الذات يمكن أن يكون مرجعه الخرس،أو الالتباس، و من السَّهل أن ندَّعي أنَّ الإنسان يمكنه التَّعبير لأنَّه يفكر، لكن هل هذه الفكرة واعية بنفسها،وهل يمكن أن تكون واعية بدون التَّعبير عنها باللُّغة الصحيحة؟
يعني أنَّه لا يكفي أن تعرف الصَّحيح يجب كذلك ~ في إطار العلاقة مع الغير~أن تُعبِّر عنه بعبارات صحيحة قبل أن تنطق بها فتشتغل على جوانبها المختلفة، كجانب الصحة العلمية، و جانب نوع الحامل لها أي الصيغة الأدبية بحيث لا تكون جارحة منفرة، فالحقيقة من بعض الأفواه تخرج ولها رائحة كريهة لأنها تخرج في عبارات بشعة أو مكروهة للنفوس.
و أحسن العبارات ما كانت مفرقة بين المتشابهات، بعيدة عن الإجمال، تفصل مقصود المتكلم وتبيِّن المراد الشرعي بعبارة لا يشتبه فيها الحق بالباطل، فالعلم هو في تفصيل المقصود الشرعي و في التعبير عنه بما يميِّز بين الحق و الباطل.
قال ابن تيمية في (مجموع الفتاوى) (3/322) : " وَأَمَّا إذَا فَصَلَ مَقْصُودَ الْقَائِلِ وَبَيَّنَ بِالْعِبَارَةِ الَّتِي لَا يَشْتَبِهُ فِيهَا الْحَقُّ بِالْبَاطِلِ: مَا هُوَ الْحَقُّ وَمَيَّزَ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ: كَانَ هَذَا مِنْ الْفُرْقَانِ"
فالمقصود من الكلام هو حصول البيان للمستمع حتى يتبين الشيء و يستبين ، كما قال تعالى : {هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ} و قال : {وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ}، {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ}، {وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ}، {يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا}، ، {وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ}،{يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} .
و الغريب أنَّ الوضعية المعاكسة تضع نفس الإشكالية ،فاللُّغويات المعاصرة محمولة بموضة البنائية حاولت ردَّ كلِّ الأفكار إلى اللُّغة، يعني تريد أن تقول: الإنسان لا يفكِّر إلاَّ لأنَّه يتكلَّم ، و لأنَّه متكلِّم باللُّغة، لكن هناك عقول مملوءة بالكلمات تُعاني الالتباس و تتحدَّث كثيراً من غير فائدة؟ !
في الحقيقة اللُّغة التي نتكلَّم بها هي إخبارا عمَّا في النَّفس من المعاني التي بها يصير

اللَّفظ قولاً ثمَّ إنَّها إنَّما تتمُّ قولاً وكلاماً اللَّفظ المقترن بذلك المعنى؛ انظر ابن تيمية، إبطال التحليل 1/360

إلى أيِّ مدى تساهم اللُّغة في تشكيل الأفكار؟

في أغلب الأوقات هناك حدَّان أو مصطلحان يأخذهما النَّاس كمتماثلين متساويين : الكلمة المفكَّر فيها التي تعني البناءات الذهنية، وتارة أشكال الوعي: فإدراكي لزخات المطر على زجاج النافذة ، الصُّورة الذهنية في رأسي، الذكرى هي أفكاري، الخواطر،كلها يُسمِّيها النَّاس "أفكاراً" ، إلاَّ أنَّ الكلمة المفكَّر فيها، الفكرة التي تخصُّ التفكير تتسع للمفاهيم .

ومن الواضح أنَّني لا أتوقف عن التفكير طيلة اليوم، مما لا يستلزم بالضرورة التحدُّث كثيراً، إلا أني لا أفكِّر إلاَّ عندما أخمن فعلاً، بقية الوقت لا أفكر حقيقة هي حزمة الوعي التي يمكن أن تكون فكرة، لكن الفكرة التي هي موضوع التفكير، هي باختصار: الشَّكل الذي تتخذه تحت نظر العقل.

أقول هذا حتى لا نظن أنَّ كل متكلم بمصطلح، أو بكلمات موروثة قد فكَّر فيها، و فكَّر في الإشكال الذي يواجهه، وعلى هذا لا أعتقد أنَّ المؤتمرين فكَّروا في الموضوع تفكيرا علميا إنما كانت هذه المؤتمرات إشباعا للنرجسية لا غير.

هذه بعض العناصر النفسية و اللغوية المتعلقة بالوعي بالغير وبفهمه، لأنه لا يمكنك أن تحاور شخصاً لا تفهمه، قدَّمتها بين يدي الجزء الثاني الذي سيُناقش بعض مخرجات هذه المؤتمرات، و ينظر إلى إمكانية حل ثالث يحفظ الحقيقة العلمية في نظر كلِّ طرف ،و يخرجنا من حالة الراكدة حالة" كلبي الزليج"، فمن الخطأ بمكان أن يعتقد بعض الناس أنه برسم حدود الجماعة التي يتغني بالانتماء إليها بمقاييس ذاتية و معايير غير قابلة للطرد حتى داخل الجماعة الواحدة أنه سيتجاوز قنطرة الصراعات بسلام،فإن الأحداث الأخيرة تنذر بانفجار المجموعات الضيقة ،فهناك قواعد نصف صحيحة يعمل بها بعضهم سيأتي عليها اليوم و تكسر القيد المصطنع الذي يمسكها و تنفجر في وجهه....

أرزيو/ الجزائر ؛ في 22/11/2016م

مختار الخضر طيباوي

تنبيه:

مرجعيات هذا المقال: "إبطال الحيل" ـ "منهاج السنة" ـ "الرد على المنطقيين" ـ "الجواب الشافي" ـ لابن تيمية ـ " التحليل النفسي للعلاقة" لـ برنارد بروسات ـ " الغير هو أوَّلا أنا" لـ سارتر جون بول ـ " أفكار لنفسي" لـ مارك أورال ـ "البلاغة" لـ أرسطو ـ " ظواهرية الإدراك " لـ مرلو بونتي ـ " العلاقة مع الغير" لـ كارفترون ـ " أصل عدم المساواة" لـ روسو ـ "عن مصير العلماء" لـ فيخت ـ " الطبيعة وأشكال التعاطف" لـ ماكس شيلر ـ " الشخصانية" لـ إمانويل مونيين ـ " شغف الروح " لـ ديكارت.

إشبَاع النَّرجِسِيَّة الفَرديَّة و الجماعِيَّة 2

إشكالات مؤتمر الكويت حول المفهوم الصحيح لـ أهل السُنَّة و الجماعة

الحمد لله، و الصلاة و السلام على رسول الله.

الإشكال الذي تطرحه هذه المؤتمرات على عموم الأمَّة هو أنَّه من جهة تبحث جميع الطوائف عن بناء مجتمع إسلاميٍّ عادل و أخوي، تديره مؤسَّسات عمومية منصفة، ضامنة لكرامة المسلم و لحقوقه، و يتساوى فيه الجميع أمام القانون لكن من جهة أخرى بالشكل الذي نُدير به معضلة الطائفية حيث نغلِّب الإقصاء بالتضليل و التكفير، ونزرع العداوات نعمل من غير شعور أو وعي إلى تحويل الدِّين الذي تُشكِّله في الواقع مجموعة طوائف تعيش في مجتمع واحدٍ إلى المجال الخاصِّ للأشخاص كما تسعى إليه العلمانية تماماً.

فمن جهة لا نريد دولة تحرِّر الإنسان من أية تربية دينيَّة أو توجيه أخلاقي إلاَّ الوطنية، دولة تقوم بالأساس على إقصاء أيَّة مرجعية للدين ، و الدين عبارة عن طوائف تريد كلُّ واحدة منها أن تكون المرجعية لها، يعني: نحن نساعد على برنامج سياسي إلحادي أو شبه إلحادي، معارضٍ بعداء واحتقار و كراهية للمذاهب الدينية، حيث لا يكون مواطناً بصفة كاملة إلاَّ الملحد أو المسلم الشفاف الذي يُصحِّح جميع العقائد .

الطائفية واقع في الأمَّة الإسلاميَّة كما في غيرها من الأمم كما أخبر بذلك النصُّ، وتاريخ الطائفية في الإسلام ودورها في نقض أركان الدولة الإسلاميَّة معلوم،لكن

المشكل هو الخطر الذي تُشكِّله على مستقبل الأمَّة إذا ما ظلت على حالها الراهن،وكونها واقعا لا يعني بالضرورة أن تكون خطيرة مدمرة إلاَّ إن كانت سلبيَّة عبارة عن الانتماء إلى تسمية دينية مخصوصة تكون في صراع دائم مع غيرها ،تنخر بساطة الدين الإسلاميّ و سهولته، و تقضي على طابعه العقلاني/ الفطري و الإنساني/الأخلاقي.

لا يمكن أن نطالب النَّاس بالتخلي عن هويتهم الطائفية فهذا دين و قناعة لكن يمكن أن نناقشهم و نعتمد على الصَّحيح عندهم لنناقش المختلف فيه، يمكن أن نحصر التدافع على المستوى الفكري/العلمي، فأمام كل واحد منَّا واجب الانتصار لما يراه صحيحاً و الدَّعوة إليه لكنه لا يحتاج إلى أن يشتغل بواباً على طائفة أهل السُّنَّة و الجماعة بل يحتاج إلى شحذ أدلته و إلى كل الرفق وحسن الخلق الممكنين مع وعي سياسي/اجتماعي صحيح.

بهذا وحده تحفظ الحقيقة العلمية المؤيدة بالبراهين، ويحفظ التعايش الاجتماعي/السياسي، و تقطع الطريق على اللادينية السياسية بجميع أصنافها ،و التي نزحف حاليا نحوها زحفاً...

سيأتي في هذا المقالِ مقترحاتٌ لِشيخ الإسلام في أعظمِ كتُبه العلميَّة، وكلام ابن تيميَّة كثيرٌ غزِير، بعضه تعتريه الحدَّةُ و الطبعُ البشريُّ فيدخل في كلامِ الحرب لكن الغالب عليه النَّظر الشامل بتجرُّد.

وهذا مفهوم فالرَّجل لم يكن في أكاديمية تحت مُكيف هواء، وما جمعته الكتبُ من كلامهِ بين دفتين من كرطون هو حياة طويلة من الصِّراع و التدافع مع مخالفين كان بعضُهم يسعى لسجنِهِ و آخرٌ لِقتله،و أرحمهم به اكتفى بتشويهه ، لا يوجد مانعٌ إذا ما اتَّسعت العقول من تنميتِها و تطويرها، لأنَّها ~فعلاً ~مُقرِّبةٌ بين المختلفين، مُقلِّلة لشرِّ الاختلاف، حافظةٌ للحقيقةِ العلميَّة و لكلِّ مشترك علمي ومنهجي، و للأخوة الإسلاميَّة؛ لا يملك المسلمون حالياً حلاً أفضل منها إن كانوا حقيقةً يرغبون في الإصلاح عوضاً من أن نبقى يراقب بعضُنا بعضاً دون أية فائدة كما في المثل الغربي: " كلكلبي زليج" ذلك أنَّ مقترح ابن تيميَّة ~ رحمه الله ~ لا يميل إلى اختزالِ المفاهيم في منتجات ثانوية تنكر ايجابيات المخالف و قصده، و الأسباب الموضوعية لخلافه؛ يمكن أن نجعل منها ~ إذا ما تخلَّصت الأطراف من جهالتها ~ منصةً لرؤية

أكثر غنى للأفكار، تُهيكل بطريقة الإطار حلاً واقعياً معقولا.
في المقال السابق تحدَّثنا عن حقيقة العلاقة بالغير، من جانبها النَّفسي؛ وعن علاقة الكلمات المطلقة بالواقع العيني لكلِّ شخص، و لهذا وجدنا في التاريخ أمثلة عن علاقات خرجت عن السياق العامِّ، فهذا ابن أبي ذئب كان يجالس القدرية وكذلك الحسن البصري و عطاء و غير هم كثير.
و بعض أئمَّة السُّنَّة كان من أخصِّ أصحابه أئمَّة المخالفين ؛ذكر ابن حزم في (رسائله)(2/113) مجموعة منهم؛قال: ((محارب بن دثار أحد أئمة أهل السنة، وعمران بن حطان أحد أئمة الصفرية من الخوارج : كانا صديقين مخلصين زميلين إلى الحج لم يتحارجا قطّ.
عبد الرحمن بن أبي ليلى كان يقدِّم علياً على عثمان، وعبد الله بن عكيم كان يقدِّم عثمان على علي، وكانا صديقين لم يتحارجا قط، وماتت أم عبد الرحمن فقدم [للصلاة] عليها ابن عكيم.
طلحة بن مصرف وزبيد اليامي صديقان متصافيان، وكان طلحة يقدِّم عثمان، وكان زبيد يقدِّم علياً، ولم يتحارجا قط.
داود بن أبي هند إمام السُّنَّة وموسى بن سيار من أئمة القدرية: كانا صديقين متصافيين خمسين سنة لم يتحارجا قط.
سليمان التَّيمي إمام أهل السُّنَّة والفضل الرقاشي إمام المعتزلة : كانا صديقين إلى أن ماتا متصافيين، وتزوج سليمان بنت الفضل وهي أم المعتمر بن سليمان .))
وهناك أمثلة أخرى ممَّا يعني أنه لم يكن كلُّ أئمة السُّنَّة على خطٍّ واحد، بل كان منهم من يرجع للحقيقة الواقعية للمخالف، إلى المعرفة العينية، كما هناك حالات تسليم الحال..
أما في هذا المقال فسنفحص بعض المقرَّرات على ضوء ما تقدَّم من مقدِّمات، فأقول:
1 ـ هذه المؤتمرات التي صارت تُعقد هنا وهناك لتعيين مَن هم أهل السُّنَّة و الجماعة تفرض سؤالا إجرائيا قبل النَّظر في مقرراتها: ماذا يُمثِّل المؤتمرون، ومن خوَّلهم؟
أن يعقد أهل العلم و الفكر مؤتمرات لحل إشكالات المسلمين كان الأجدر من مؤتمرات توزِّع بطاقات النَّجاة؛ و المشكل أنَّ الجميع لا يريد التفكير في الحلِّ للمعضلة بالقدر ما يريد الانتقام من المخالف له بالتصنيف ، يتجلى ذلك في مقرراتهم

التي لا يمكن إلاَّ أن نعتبرها إقصائية، و الفكر الاقصائي هو بالضرورة فكر ينتجه عقل مثالي/ طوباوي،أو نفس موتورة؟

2 ـ مؤتمرات تعتمد التعميمات المتسرعة ، التجاذبات اللفظية ، التلميحات ، تقود المسلمين مباشرة للتيه و الحيرة، وتكرار المواقف مع جمود الحال، يعني: أنَّ بعض المقررات التي خرجوا بها ليست إلا مضاربة في فراغ ،عنوانها الرئيس: عدم اكتراث تامٍ بما آل إليه حال المسلمين السِّياسي و الاجتماعي؛ تُشبِع نرجسية كلِّ طائفة ، هي عبارة عن رفض طوعي لرؤية الواقع الإسلامي، ومواجهة حقيقة مخاطر الطائفية في ثوبها الحالي على حاضر و مستقبل المسلمين لأنَّه عندما يؤذن للنَّاس في تصوُّرات و أفكارٍ بدون تحمُّل مسئولية عواقبها يزدهر الإقصاء المولِّد لردِّ الفعل و لِلتطرف المذهبي، و الإقصاء العنيف ~كما نعلم ~ يقتل وحدة الأمم و تماسكها .

ـ بعض هذه المقررات غير مفكَّر فيها ملياً، هي آراء و اختيارات و ليست حقائق، أو هي حقائق مضادة واضحة: أبو حنيفة ~ رحمه الله ~ سنِّي و مرجئة الفقهاء مبتدعة، الأشعري سنِّي و أتباعه مبتدعة، السلف جزء من أهل السُّنَّة و الجماعة؟ !

أحكامٌ بدون تعليل واضحٍ، عندما تنظر إليها طرداً لها لا تظل هي نفسها، بمجرَّد أن تنحرف قليلاً عن زاوية نظرهم تتبخر تلك الأحكام كسحابة خلَّب .

لذلك ~ أعتقد ~ أنَّ هذه المؤتمرات لن تساهم إلاَّ في نزع الثقة عن أهل العلم و الفكر، و تُسهل على بعضهم اللَّعب على رؤوس الجميع.

و إذا كان معلوماً لكثير منَّا أنَّ الفكر الإسلامي المعاصر لم يبلغ المستوى اللائق بدينه و حضارته فلا مانع أن نتطلب حلاً، ولو كانت فيه بعض العيوب و النقائص، المهم أن يُخرجنا من الحالة الراهنة، و نتقدَّم به شيئاً نحو الأمام، و عندما يخرج الله فينا عقولا جبارة تستطيع اقتراح حلٍّ أحسن فلن يكون هناك مانع أمام الأمَّة للانتقال إليه مادام أنَّ المقترح السابق عليه قد قدَّمها نوعاً ما، و أخرجها من هذا المأزق الحالي.

1 ـ أظنُّ أنَّ هذا المؤتمر هو رد فعل على مؤتمر الشيشان و لن أتحدَّث عن هذا الأخير لأنَّه كان مجرَّد مناورة، و الأشاعرة و الصوفية كذلك يعانون من غلو و تطرُّفٍ نظير ما في بعض السَّلفيين.

لكن من مقررات مؤتمر الكويت يبدو أنَّ أعضاءه من تيار سلفي واحد، و إن استنكروا تقسيم السلفية إلى تيارات و اعتبروا ذلك جهلاً !

ولا أدري هل قصدوا الواقع أم الأماني، إذ هم أوَّل من يعترف بوجود تيارات فيها، تعرف ذلك من مقرراتهم كما سيوضَّح لاحقاً؟

و ما فعلوه يمكن أن يفعله غيرهم،يجمع رجلٌ مَن يجانسه في فكره ، من كلِّ بلد رجل، و يُقطِّعون ثوب السلفية على مقاسهم، مع التأكيد على عدم وجود تعدُّدية أو تيارات في السلفية، ثمَّ يدعون غيرهم إلى العودة إلى الحقِّ الذي خاطوه على أذواقهم؟

فإذا كان المقصود أنَّ السلفية واحدة في الكليات و ليس في كلِّ جزئية ودقيقة فهذا صحيح، فالاختلاف بين السلفيين اختلاف درجات وليس اختلاف أصول، وهو موجود من القديم.

وهنا يجب أن نسأل إن كان من العدل أن نجعل من يرى معارضة الحاكم المعاصر سياسياً مُعارضةً سلمية، ويرى الجهر بنقده أو بنصيحته كما هو مضمون في أكثر البلاد الإسلامية إلاَّ في دول الخليج كمن يرى جواز الخروج عليه بالسِّلاح؟

و إن كانت مسألة الخروج بالقوَّة مسألة أخرى تبحث في مظانها .

لذلك قد يبدو أنَّ من جعل من هؤلاء الأفاضل كلِّ موقف سلبي من الحاكم خروجاً من السُّنَّة، ينتمي فعلاً إلى تيار سلفي عليه استدراكات، و إن أنكر وجود تيارات، فعندما تختار موقفاً تظنُّ انَّه شرعي، وهو مجرَّد اجتهاد ظنِّي منك يختار غيرك موقفاً مختلفاً فهذه تيارات ،أو حساسيات،أو توجُّهات؟

و يظهر أنَّ القائمين عليه بذلوا جهداً مشكورا لِلدفاع عن أهل الحديث و السُّنَّة و إظهار فضلهم، و قد أصابوا ~ في نظري ~ عندما أنكروا أن يكون السَّلف أحد مكوِّنات أهل السُّنَّة و الجماعة، و صرحوا أنَّهم هم أهل السُّنَّة و الجماعة ، وهذا صحيح إذ كيف يكون المتقدِّم جزءاً من شيءٍ جاء بعده؟

لكن بشرط أن نفهم معنى أن يكون السَّلف هم أهل السُّنَّة و الجماعة، أي: أنَّهم النموذج و المثال الأعلى و البقية تمثُّلات لهم، تجتهد ~ مع اختلاف في درجة الاجتهاد و الأخذ بالأسباب ~ أن تقترب منهم في حال إجماعهم، فألحق النَّاس بهم و أقربهم إليهم علماً و حالا هم أهل الحديث و السُّنَّة.

و على هذا يمكن أن يكون أهل السُّنَّة و الجماعة عدَّة طوائف تجمعها أصول كـ:مصدر التلقي، و الإمامة، وهكذا مسائل، مع تفاوت في طرد الأصول، كما سأشرحه لاحقاً.

لكن يبقى أن نقف عند هذه النقطة من بُعدٍ آخر ، خاصة و أنَّ مقررات المؤتمر جعلت الانتماء إلى أهل السُّنَّة مكوَّناً من عنصرين: متابعة النبي صلى الله عليه و سلم، يعني: مفهوم "أهل السنة"، و عقد البيعة الشرعية للإمام و الالتفاف حوله، يعني : مفهوم "أهل الجماعة" عندهم.

ومعلوم أنَّ هذا المبدأ الثاني اختل بعد مقتل عثمان و اختلاف الصحابة و تقاتلهم ~ رضي الله عنهم ~ ثمَّ اختل بعد التخلي عن الخلافة الواحدة و قيام دولة أخرى في الأندلس، ومع الثورات العديدة التي قام بها بعض السَّلف.

ومن هنا نعلم أنَّ الاختلال فيه ليس بالضرورة شرطاً للإخراج من أهل السُّنَّة و الجماعة إن كانت له مقدِّمات و أسباب موضوعية كتأويل سائغٍ و اجتهاد محتمل.

وعلى هذا: هل نعتبر ما وقع بين السَّلف الصَّالح تجربةً ~ و إن لم يخل منهم من اتَّخذ موقفا أقرب للمبدأ الشَّرعي من غيره~ يمكن أن نتجاوزها إلى المبدأ نفسه~، فتبقى تجربتهم تجربةً مفتوحة على كلِّ الإضافات الملائمة لِلمبدأ الشرعيِّ وهذا يحتم علينا نوعاً من التدقيق في اعتبارهم النموذج الأسمى بإطلاق، يعني: أنَّهم في حالة الاختلاف يلزم الارتقاء بالترجيح إلى المبدأ الشَّرعي، أمَّا في حالة الوفاق فهم كذلك؛ وكلُّ هذا يجعل من السِّياسة مسألة مفتوحة على الموازنة بين المصالح و المفاسد ،غير جامدة على نموذج مُعيَّن.

كذلك يجب أن نُقرَّ أنَّ السلف الصَّالح ~ إذا قصدنا الصَّحابة ~ لم يقتربوا من المسائل الكلامية و لم يستفصلوا فيها في الغالب، فيجب أن نحذر إذا رجع الأمر إلى لوازم عقليَّة دقيقة .

وعليه ، ومع اجتهاد هؤلاء الأفاضل فقد وقعوا في عدَّة إشكالات كبيرة و ربَّما تناقضات ، وفي ظنِّي أنَّ المقاييس التي اعتمدوها ذاتية التدمير ، يعني: تُدمِّر نفسها بِنفسها، لذا وجب بيان التالي:

1 ـ حصر مفهوم "الجماعة" في مفهومه السِّياسي فقط، بحيث جعلوا كلَّ ناقد أو معارضٍ لحاكمٍ من الخوارج، وهذا غير صحيح، فمصطلح "الجماعة" مصطلح معناه بحسب السياق الذي ورد فيه ، ورد بمعنى الاجتماع على إمام كما في قوله صلى الله عليه و سلم : ((من رأى من أميره شيئا يكرهه فليصبر عليه فإنه من فارق الجماعة شيئا فمات مات ميتة جاهلية))

و هذا المصطلح" الجماعة" أو " جماعة المسلمين" وجدنا العلماء يستعملونه في عدة مفاهيم مختلفة، فهذا ابن القيم مثلا يقول: ((وَلِلشِّيعَةِ طَرِيقَةٌ مَعْرُوفَةٌ، يَقُولُونَ لِكُلِّ مَا تَفَرَّدُوا بِهِ عَنْ جَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ: هَذَا إِجْمَاعُ أَهْلِ الْبَيْتِ)).أحكام أهل الذمة؛1/506.

فجعل كل من خالف الشيعة هو من جماعة المسلمين، يقصد: جمهور المسلمين، وهو ربَّما موافق لقوله صلى الله عليه و سلم: ((إِنَّ أُمَّتِي لَا تَجْتَمِعُ عَلَى الضَّلَالَةِ, فَإِذَا رَأَيْتُمُ الِاخْتِلَافَ فَعَلَيْكُمْ بِالسَّوَادِ الْأَعْظَمِ)).

ووجدناه يقول أيضاً : ((مَنْ قَالَ بِقَوْلِ جَهْمٍ فَقَدْ فَارَقَ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ)) اجتماع الجيوش الإسلامية2/251.

يعني: القول الذي عليه غالبية المسلمين، و كذلك قول النبي صلى الله عليه و سلم : ((عَلَيْك بِالْجَمَاعَة فَإِنَّمَا يَأْكُل الذِّئْب من الْغنم القاصية)) يقصد الالتزام بالجماعة في مقابل التفرد و العزلة .

و الإشكال أنَّ هناك أحاديث صحيحة تحثُّ على الاعتزال و الانفراد، مثل قوله صلى الله عليه و سلم: ((يهْلك أمتِي هَذَا الْحَيّ من قُرَيْش قَالُوا فَمَا تَأْمُرنَا بِهِ يَا رَسُول الله قَالَ لَو أَن النَّاس اعتزلوهم)) و أخرى تحثُّ على الجماعة كمثل قوله : ((اسمعوا وَأَطِيعُوا))، و قد ألَّف بينها ابن القيم ~ رحمه الله ~ حينما ذكر قول من جمع بينها، قال:

((هَذَا فِي أَوْقَات الْفِتَن والقتال على الْملك، وَلُزُوم الْجَمَاعَة فِي وَقت الِاتِّفَاق والتئام الْكَلِمَة، وَبِهَذَا تَجْتَمِع أَحَادِيث النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم الَّتِي رغب فِيهَا فِي الْعُزْلَة وَالْقعُود عَن الْقِتَال، ومدح فِيهَا من لم يكن مَعَ أحد الطَّائِفَتَيْنِ، وَأَحَادِيثه الَّتِي رغب فِيهَا الْجَمَاعَة وَالدُّخُول مَعَ النَّاس، فَإِن هَذَا حَال اجْتِمَاع الْكَلِمَة، وَذَاكَ حَال الْفِتْنَة والقتال وَالله أعلم)) الفروسية 1/269

فعلى هذا يجب أن نفهم أحاديث الباب ، كقوله صلى الله عليه و سلم :((ثلاث لا يغل عليهن قلب مسلم إخلاص العمل لله ومناصحة ولاة الأمور ولزوم جماعة المسلمين)) لكن هذا الحديث مرتبط بأحاديث أخر فإن الاجتماع و الائتلاف ~ كما قال ابن تيمية ~ لا يتم إلاَّ بما وصى به في حديث ابن عمر : ((وليأت إلى النَّاس الذي يجب أن يؤتى إليه))، و أحاديث الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر ،و عدم الطاعة في المعصية و غيرها،فطاعة الإمام في سياق ما ينجي من النَّار و يوجب الجنَّة.

و "السواد الأعظم" هم الصحابة في حياتهم، لكن الصحابة قد يختلفون كما في الفتنة ~ لكن كما قال ابن سيرين: لم يشارك فيها غالبيتهم ~ وهم الجماعة، وهم أهل العلم، وهم أهل الدين.

وقد يقصد بالجماعة "الحق" كما في قول منسوب لـعبد الله بن مسعود :((الجماعة أن تكون على الحق ولو كنت وحدك)) وقد علمنا أنَّ أبا ذر~ رضي الله عنه ~ مات منفيا في الربدة بعد طعنه على معاوية ~ رضي الله عنه ~ فنفاه عثمان ~رضي الله عنه ~ ، وقد أخبر النبي صلى الله عليه و سلم عن إيمانه وصدق لهجته،وكذلك رفض ابن مسعود ~ رضي الله عنه~ تسليم مصحفه ،وقيل: مات مهجورا.

وهذا المصطلح " الجماعة" مأخوذ من أحاديث الفرقة الناجية التي وردت بعدَّة ألفاظ، فلما سألوه صلى الله عليه و سلم و قالوا: ((" ومن هم ؟"، أو " من هي يا رسول الله " قال: «أهل السنة والْجماعة» فَقيل: ومن أهل السنة والْجماعة؟ قَال: «ما أَنا عليه وأصحابي»))

ولأبي داود من حدِيث معاوِية وابن ماجه من حديث أنس وعوف بن مالك : ((وهي الْجماعة)) وأسانيدها جياد كما قال العراقي في (تخريج أحاديث الأحياء)(3/199).

و سمُّوا "أهل الجماعة" لأنَّ الجماعة هي الاجتماع و ضدها الفرقة، ثم صار اسماً لنفس القوم المجتمعين، فيجب أن نعرف ما المقصود بالفرقة بناءً على هذا الحديث، فهل هو اجتماع على طاعة أم يدخل فيه الاجتماع على معصية؟ وهل المقصود بالفرقة المضادة للجماعة الفرقة في الدِّين أم في السلطان، خاصَّة و أنَّ الصَّحابة لم يتفرقوا في الدِّين، و لكن تفرَّقوا في السلطان، وحتى في حال تفرُّقهم في السُّلطان لم يتفرَّقوا في الدِّين؟

فلو كان الناس نوعين، أو فرقتين ، فرقة تطيع الله و فرقة تعصيه كان الواجب أن يكون المسلم مع المطيعين و إن كان في ذلك فُرقة ،و لذلك قال الله تعالى :

{واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا} [سورة آل عمران: 103] أي: لا تفرقوا في الدِّين ، وهذا نهي عن الفرقة كما وجد نهي عن المعصية، ونهي عن البدعة،ونهي عن الاختلاف في الولدان... الخ؟

لكن ماذا يصنع المسلم حال وجد المنهي عنه، هل يبقى يُكرِّر النهي وهو يتفاقم أم هناك علاج شرعي عند وقوع المنهي عنه؟

فإنَّ الفرقة وقعت بين المسلمين، والنَّص نفسه أخبر بوقوعها، وهو حديث الفرقة الناجية، فماذا يصنع المسلم وقد تحقَّق المنهي عنه ؟

الواجب عليه ثلاث أشياء:

الأوَّل: أن لا تحصل الفُرقة بيديه.

الثاني: أن لا يدعها تتفاقم حتى ينتقل اختلاف الرأي إلى الاقتتال و استئصال بيضة المسلمين ،و لهذا لم يُعيِّن النبي صلى الله عليه و سلم من الفرق إلاَّ الخوارج ،مع أنَّ كل الفرق فيها تكفير بنصٍّ أو بتأويل إلاَّ الخوارج يكفِّرون بالتأويل ثمَّ يلحقون التكفير بالقتل.

الثالث: أن يدعو إلى الحقِّ و الهدى الذي يعتقدهُ بالحكمة و الرحمة، ولا يعتدي على غيره.

قال ابن تيمية في (منهاج السنة)(3/458) : ((فإذا كان وصف الفرقة الناجية أتباع الصحابة على عهد رسول الله صلى الله عليه و سلم وذلك شعار السنة و الجماعة كانت الفرقة الناجية هم أهل السنة و الجماعة ،فالسُّنَّة ((ما كان صلى الله عليه وسلم هو و أصحابه عليه في عهده،مما أمرهم به أو أقرهم عليه أو فعله هو))) و الجماعة ((هم المجتمعون الذين ما فرقوا دينهم وكانوا شيعا،فالذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا خارجون عن الجماعة قد برأ الله نبيه منهم،))

إذن بالنِّسبة لابن تيمية " السُّنَّة" هي متابعة النَّبي صلى الله عليه و سلم و أصحابه ، و" الجماعة" هي عدم التفرُّق في الدِّين، أي: عن هذه المتابعة .

ومعلوم أنَّ كثيراً من المسائل المختلف فيها في الأصول النَّظرية لم يفصل فيها النَّبيُّ صلى الله عليه و سلم و الصَّحابة،إنَّما حدث الاستفصال بعدهم.

وعليه فيكون حصر أهل المؤتمر مفهوم الجماعة في معناه السِّياسي فقط بهذا الشكل، إمَّا خطا في تصوُّرهم، و إما أنَّهم فعلاً من أحدِ التيَّارات السَّلفية؟ !

ـ ومن أين لهم أنَّ كلَّ ناقد معارضٍ لحاكم هو خارج عن الجماعة، من دون معرفة أسباب موقفه و درجة تأويله، ودون أن يذكروا للنَّاس مُميزات الخوارج، أي: الصِّفات و الأقوال الخاصَّة بهم، و الأقوال التي يشتركون فيها مع غيرهم ، فلا يمكن اعتبار رجل من الخوارج دون تحديد مَن هم الخوارج.

2 ـ العجيب في طرح الشيوخ الأفاضل في مؤتمر الكويت أنَّهم لم يحسموا الخلاف

السَّلفي/السَّلفي في الأسماء و الأحكام، و هم يعرفون موقف النجدية و بعض أهل العلم في السعودية و في غيرها.
ومعلوم أنَّ الأسماء و الأحكام هي أصل الموقف السِّياسي في بعض القضايا ذات التعلُّق بالحاكم ، فمِن أهل العلم من النجديين من يرى كفر الحاكم الذي لا يحكم بالشريعة ،وهو مشهور عنهم،ومنهم من يشترط الاستحلال ، لكن يختلفون في مناطه و درجاته و حقيقته ، فكان يلزمهم حسم هذه المسألة الخطيرة قبل الانتقال إلى المعارضة السِّياسية السلمية.
وهؤلاء الشيوخ ~أهل مؤتمر الكويت ~ في مسائل الإيمان و التكفير إمَّا على عقيدة النجديين، و إمَّا على عقيدة الألباني ~ رحمه الله ~ فيلزمهم حسم المسألة بالجرِّ على أحد المختلفين علميًّا أقصد، لا حلَّ لهم ثالثا إلاَّ التناقض، وهذا اعتراف ضمني منهم بوجود تيارات في السلفية وتعدُّد في أهل السُّنَّة و الجماعة ، اللهم إلاَّ إذا اعتبروا الخلاف لفظياً؟
3 ـ عندما يقولون: لا تعدُّد في أهل السُّنَّة و الجماعة فهذا غير صحيح، فهناك تعدُّد في مفهوم الإيمان و الإسلام، و تعدُّد في التكفير بترك الفرائض من زمن الزُّهري ~ رحمه الله ~ و تعدُّد يسير في الموقف من بعض الصِّفات الخبرية، و تعدُّد سياسي بين مُداخل للحكَّام، وفار منهم، وناصح لهم ، وصادع بالحقِّ في وجوههم، و تعدُّد في الموقف من التصوُّف، و تعدُّد في عزل الإمام من غير فتنة بعضهم يُنظِّر له، و بعضهم لا يذكره أساساً، وفي كثير من المسائل نجد العلماء يقولون : هذا قول جمهور أهل السُّنَّة، ممَّا يعني أنَّه يوجد منهم من يخالف فيه و إن كنت لا أقصد الترجيح.
فمثلاً في مسألة الكلام الذي تطابقه العبارة هل هو من جنس العلوم و الإرادات ذكر ابن تيمية أنَّه يوجد فيها نزاع بين الطوائف المنتسبة للسُّنَّة و التي ليست منتسبة إليها، ففي هؤلاء وهؤلاء من يقول بهذا، وفي هؤلاء و هؤلاء من يقول بهذا ،انظر" الاستقامة"1/211 .
و يقول في المصدر نفسه 1/91 : ((فَإِن كَلَام أَئِمَّة الْمَشَايِخ الَّذين لَهُم فِي الْأمة لِسَان صدق كَانُوا على مَا كَانَ عَلَيْهِ السّلف وَأهل السّنة من تَوْحِيد لَيْسَ فِيهِ تَمْثِيل وَلَا تَعْطِيل، وَهَذِه الْجُمْلَة يتَّفق على إِطْلَاقهَا عَامَّة الطوائف المنتسبين إِلَى السّنة وَإِن تنازعوا فِي مَوَاضِع هَل هِيَ تَمْثِيل أَو تَعْطِيل)).

فالأمر في غاية الدقة و التعقيد ليس كما يتصوَّره بعضُ طلبة العلم، ليس بالسهولة التي حرَّر بها المؤتمرون في الكويت بيانهم، لقد اختلطت على العلماء الأمور و تشعَّبت المسائل و امتزجت الدلائل، وتلاقحت الأفكار و تداخلت المقالات وطُمست الحدود بينها فصار من الصعب على غالبية العلماء تحقيق المسائل بما كان عليه الأوائل .

وخلافاً لما ذهبوا إليه يوجد في أهل السُّنَّة و الجماعة تعدُّد و تفاضل ، قال شيخ الإسلام الخبير بمقالات الناس: ((لَيْسَ الْمَقْصُود هُنَا ذكر الْبدع الظَّاهِرَة الَّتِي تظهر للعامة أَنَّهَا بِدعَة كبدعة الْخَوَارِج وَ الرَّوَافِض وَنَحْو ذَلِك لَكِن الْمَقْصُود التَّنْبِيه على مَا وَقع من ذَلِك[فِي أخص الطوائف بِالسنةِ وأعظمهم انتحالا لَهَا] كالمنتسبين إِلَى الحَدِيث مثل مَالك وَالشَّافِعِيّ وَأحمد فَإِنَّهُ لَا ريب[أَن هَؤُلَاءِ أعظم اتبَاعا للسّنة وذما للبدعة] من غَيرهم وَالْأَئِمَّة كمالك وَأحمد وَابْن الْمُبَارك وَحَمَّاد بن زيد وَالْأَوْزَاعِيّ وَغَيرهم يذكرُونَ من ذمّ المبتدعة وهجرانهم وعقوبتهم مَا شَاءَ الله تَعَالَى.

وَهَذِه الْأَقْوَال سَمعهَا طوائف مِمَّن اتبعهم وقلدهم ثمَّ إِنَّهُم يخلطون فِي مَوَاضِع كَثِيرَة السّنة والبدعة حَتَّى قد يبدلون الْأَمر فيجعلون الْبِدْعَة الَّتِي ذمها أُولَئِكَ هِيَ السّنة وَالسّنة الَّتِي حمدها أولئك هِيَ الْبِدْعَة ويحكمون بِمُوجب ذَلِك حَتَّى يقعوا فِي الْبدع والمعاداة لطريق أئمتهم السّنيَّة وَفِي الْحبّ والموالاة لطريق المبتدعة الَّتِي أَمر أئمتهم بعقوبتهم ويلزمهم تَكْفِير أئمتهم ولعنهم والبراءة مِنْهُم وَقد يلعنون المبتدعة وَتَكون اللَّعْنَة وَاقعَة عَلَيْهِم أنفسهم ضد مَا يَقع على الْمُؤمن كَمَا قَالَ النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم أَلا ترَوْنَ كَيفَ يصرف الله عني سبّ قُرَيْش يسبون مذمما وأنا مُحَمَّد)) الاستقامة؛ 1/13

لذا أقول: إقصاء المنتسبين للسُّنَّة إن كان في مجال كلمات التنفير و فلتات الغضب و قدح الساخط فالكتب مملوءة به أما إن كان موضوعيا علميًّا فهو خطأ في التفكير و ركون إلى الركود الفكري.

4 ـ كون هذه المقررات ذاتية التدمير أنَّ أصول أهل السُّنَّة مُتعدِّدة ~ بخلاف ما قرَّره أهل المؤتمر ~ فيها ما هو من أركان الدين، وفيها ما هو منهجي،وفيها ما هو شعار، و اختلال أصل واحد خاصَّة إن كان سياسياً لا يجعل الرَّجل خارجاً عن مفهوم أهل السُّنَّة و الجماعة.

فقد ترك سعد بن عبادة مبايعة أبي بكر ~ رضي الله عنهما ~ و عذره المسلمون، و

كذلك تأخَّر علي ~ رضي الله عنه ~ عن بيعة أبي بكر ~ رضي الله عنهما ~ فغضب بعضهم و عذره بعضهم، و قد ذكر في بعض الروايات سبب تخلفه.
و لهذا لما سئل الإمام أحمد ~ كما في كتاب "السنة للخلال" ~: " ما تقول فيمن لم يثبت خلافة عليٍّ؟ قال: بئس القولُ هذا وزاد أحمد بن الحسن عن بكر عن أبيه: قلتُ: يكون من أهل السنة؟ قال: ما اجترئ أن أخرجه من السُّنَّة ، تأوَّل فأخطأ".
أصول أهل السُّنَّة ليست أصلا واحدا، و أقصد هنا أصول المنهج و الطريقة، ولذلك قال غير واحد من علماء السُّنَّة منهم: أبو محمَّد عبد الرَّحمن بن أبي حاتم الرازي:
((سألت أبي وأبا زرعة عن مذهب أهل السنة في أصول الدين وما أدركا عليه العلماء في جميع الأمصار وما يعتقدان من ذلك؟
فقالا: أدركنا العلماء في جميع الأمصار حجازاً وعراقاً وشاماً ويمناً فكان من مذهبهم ... فذكرا أموراً منها: ... ونقيم الجهاد والحج مع أئمة المسلمين في كل دهر وزمان، ولا نرى الخروج على الأئمة ولا القتال في الفتنة، ونسمع ونطيع لمن ولاه الله عز وجل أمرنا، ولا ننزع يداً من طاعة، ونتبع السنة والجماعة، ونجتنب الشذوذ والخلاف والفرقة، فإن الجهاد ماض مذ بعث الله عز وجل نبيه عليه الصلاة والسلام إلى قيام الساعة مع ولي الأمر من أئمة المسلمين لا يبطله شيء، والحج كذلك، ودفع الصدقات من السوائم إلى أولي الأمر من أئمة المسلمين)).
فهذا أصل واحد ذكره ابن أبي حاتم عنهم تفصيلاً ضمن أصول أخرى مثل: ترك سبِّ واحد من الصَّحابة،والإيمان بالقدر، وعدم الشكِّ في الإيمان،وعدم المماراة في الدِّين، وعدم ترك الصَّلاة على موتى أهل القبلة بالذنب،و الجماعة خلف البرِّ و الفاجر،و المسح على الخفين وغير ذلك.
وأنت كما ترى هي أصول مختلفة فبعضها من أصول الدِّين، وبعضها أمور فقهية صارت شعارا للتميُّز عن الرَّافضة كالمسح على الخفين .
ومن هنا أقول: من جعل الاعتراض على الحاكم أو نقده أو إعلان نصيحته بمجرَّده غير مقرون بالتَّكفير بالذنب،أو مقاتلته [على تفاصيل] مخرجًا من السُّنَّة كلِّيَّةً فقد جعله شرط صحَّة أو ركناً فيها، وهذا غير صحيح، لا من جهة العلم، ولا من جهة عمل السَّلف، فقد وجد من أئمَّة السُّنَّة من لا يستثني في الإيمان.
وعليه، فإنَّه عند التحقيق لا يصحُّ وصف جماعة ما بوصف أحادي وقد تعدَّدت مسائل

الدِّين و اختلط الصواب بالخطأ، ووجب التدقيق عند التصنيف.

فنقول ـ مثلا ـ الأشعرية مرجئة في "الأسماء و الأحكام"،جبرية في "القدر"،فيهم نوع تجهم في "الأسماء و الصِّفات" وليسوا بجهمية محضة،سنِّيَّة في "الإمامة" و الأحكام، و بعض العقائد،ولا يرون السيف كأهل الحديث.

و المعتزلة وعيدية في باب "الأسماء و الأحكام"، قدرية في "القدر"، جهمية محضة في " الأسماء و الصِّفات".

وهكذا بعضهم سلفيَّة في "الأسماء و الصِّفات"، فيهم نوع وعيدية أو إرجاء في "الأسماء و الأحكام"،سلفية في "الإمامة".

وبعضهم فيه نوع وعيدية في "الإمامة" يرى السيف.

وبعضهم سنِّيٌّ في كلِّ شيء إلاَّ مع الحكَّام خرج من أصل أهل السُّنَّة بعدم الخروج عليهم، و الصبر عليهم بدون مداهنة إلى الإرجاء معهم الإرجاء السِّياسي [أي تحويل سيئاتهم إلى حسنات بشكل من الأشكال،وقد يأمرهم أحيانا ولكنه لا ينهاهم أبدا]

ومعلوم أنَّ العدل و الإنصاف في التفصيل و ليس في الإجمال.

5 ـ تبنيهم لموقف ابن تيمية من الإمام أبي حنيفة مخالف لكثير من أهل الحديث بمن فيهم ابن باز و النجدين كلهم الذين لا يعتبرون الخلاف مع مرجئة الفقهاء خلافا لفظياً ، وهو اعتراف ضمني من مؤتمر الكويت بكون الإرجاء الفقهي من مقالات أهل السُّنَّة والجماعة؟

وهو و إن كان يقترب من موقف ابن تيمية و القاسم بن سلام و الذهبي(1) إلاَّ أنه يورِّطهم، خاصَّة مع ما نسبه بعضهم لأبي حنيفة من القول بالسيف وغير ذلك ، كما يفند قولهم بعدم تعدُّد السلفية و أهل السُّنَّة و الجماعة.

وقد كان موقف جمهور أئمَّة الحديث منه شديداً، بما في ذلك الإمام أحمد فكيف يكون الإمام أبو حنيفة من أئمة أهل السُّنَّة و الجماعة، وقد نسبوا إليه هذه الأقوال التي يعتبرونها ~ في غير هذا السِّياق ~ بدعةً؟ !

ولأنَّهم لم يذكروا أبا حنيفة مقرونا بالإرجاء الفقهي فكأنَّهم يوهمون النَّاس أنَّه من أهل السُّنَّة و الجماعة في الفقه فقط؟ !

وعليه أقول: عندما ننصف بعض المسلمين ونجعل بدعتهم أو خطاهم في حيِّزه الشَّرعي الحقيقي فلا نبغي عليهم ونهدر حسناتهم الغالبة عليهم لا يعني هذا بحال عدم

بيان أخطائهم ووصفها بالوصف المطابق لها، وهذا موافق للشَّريعة بأدلة لا تحصى، فكيف تكون عقيدتنا مبنية على المقابلة و الموازنة بين الأعمال و الأقوال،ونعتقد أنَّ النَّاس يتفاضلون في كلِّ شيء في التصديق و الإيمان و التعظيم و الإسلام و الخشية و التقوى و الفهم و العلم و الحفظ وغير ذلك، ولا يتفاضلون في السُّنَّة؟

6 ـ إذا كان الأشعري من أهل السُّنَّة و الجماعة ، كما قال بعضهم، و قد طبعت الرئاسة العامة في السعودية كتابه " الإبانة" ، و أهل مؤتمر الكويت أنفسهم ذكروا رجوع الأشعري إلى السُّنَّة كما في كتابيه "الإبانة و مقالات الإسلاميين".

و بعضهم يلحق قدماء أصحابه به ~ مع العلم أنَّ بعض مقالات هذين الكتابين ليست من مقالات أهل الحديث؟

ومع العلم ~ أيضا ~ أنَّ الأشعري صرَّح أنَّه إنَّما يدافع عن عقيدة أئمة الحديث ،و عند التفصيل نجده دافع عنها بحسب الممكن من علمه، فما علمه من أقوالهم صرَّح به، و ما لم يعلمه أو يُحققه دافع عنه اجتهاداً بحسب مبلغه من العلم.

وعند تتبُّع أقواله نجده ~ بالنِّسبة لأهل الحديث ~ من نفاة الحكمة و التعليل، و في القدر جبري، و في الإيمان مرجئي ، و له أقوال كثيرة خالف بها أهل الحديث، فإن اعتبروه مع ذلك من أهل السُّنَّة و الجماعة فإنَّهم بدون شكٍّ نظروا إلى قصده، و دفاعه عن أئمة الحديث، و اعتبروا اجتهاده، فكيف لا نطرد هذا الأصل مع أتباعه؟

ـ و إذا كان في غياب أهل الحديث عن بلدة ~ كما صرَّح ابن تيمية ~ يكون الأشاعرة فيها هم أهل السُّنَّة و الجماعة، و هذا لا يصلح لأية طائفة أخرى، فيلزم أنَّهم كذلك في وجود أهل الحديث، ولا يعني إلاَّ أنَّ أهل الحديث أخصُّ بها منهم، فلا يمكن للرَّجل أن يكون وهو نفسه لم يتغير فيه شيء مرةً من أهل السُّنَّة و الجماعة، ومرَّة خارجا عنها؟ !

و اللازم أنَّ هذا تفاضل بين أهل الحديث و الأشاعرة، وهو موجود بين أهل الحديث أنفسهم علماً و حالا، فلمَ لا يكون هناك تفاضُل بين طوائف أهل السُّنَّة و الجماعة ،فأقرب الأقوال للعدل أن نقول: أهل السُّنَّة و الجماعة طوائف أخصُّها بالنِّسبة لنا هم أهل الحديث.

يعتقد أهل مؤتمر الكويت أنَّ أهل السُّنَّة طبقة واحدة يتشابهون كقطرتي ماء، و أنَّ البدعة بغض النظر عن نوعها و سببها مساوية للخروج عن السُّنَّة، وهذا لعمري

منهج طائفة أخرى وليس بمنهج أهل السُّنَّة، وقد تسأل أحدهم عندما يقول العلماء خاصَّة أهل التحقيق منهم : ما معنى قولهم: هذا قول جمهور أهل السُّنَّة(؟)
هل خرج المستثنون من السُّنَّة (؟)
وما معنى قولهم: هذا قول بعض أهل السُّنَّة (؟)
فهذا ابن تيميَّة يقول في (المنهاج)(2/279): ((ثُمَّ قَدْ تَبَيَّنَ مَعَ ذَلِكَ أَنَّ مَا انْفَرَدُوا بِهِ عَنْ جُمْهُورِ أَهْلِ السُّنَّةِ كُلُّهُ خَطَأٌ))،((وَمَا كَانَ مَعَهُمْ (الشيعة) مِنْ صَوَابٍ فَهُوَ قَوْلُ جُمْهُورِ أَهْلِ السُّنَّةِ أَوْ بَعْضِهِمْ))، ((وَنَحْنُ لَسْنَا نَقُولُ : إِنَّ جَمِيعَ طَوَائِفِ أَهْلِ السُّنَّةِ مُصِيبُونَ، بَلْ فِيهِمُ الْمُصِيبُ وَالْمُخْطِئُ)).
لذا فإنَّ الذي لا يجب أن نغفل عنه تماشيا مع عقيدتنا في الأسماء و الأحكام هو مبدأ التفاضل، و الذي نجده عمليًّا عند ابن تيمية ~ رحمه الله ~ كما في قوله : (ومعلوم أن طريقة أئمة الصوفية وأئمة الفقهاء أكمل من طريقة أبي القاسم القشيري ،ومن طريقة أبي طالب والحارث، ومن طريقة أبي المعالي وأمثاله، وأولئك الأئمة كانوا أعلم بطريقة الصحابة وأتبع لها من أتباعهم فالقاضي أبو بكر الباقلاني وأمثاله أعلم بالأصول والسُّنَّة وأتبع لها من أبي المعالي وأمثاله، والأشعري والقلانسي ونحوهما أعلى طبقة في ذلك من القاضي أبي بكر ،وعبد الله بن سعيد بن كلاب، والحارث المحاسبي أعلى طبقة في ذلك من هؤلاء ،ومالك، والأوزاعي، وحماد بن زيد، والليث بن سعد وأمثالهم أعلى طبقة من هؤلاء، والتابعون أعلى من هؤلاء، والصحابة أعلى من التابعين.) الأصفهانية،1/129.
ـ وكون الإنسان من أهل السُّنَّة و الجماعة فلا يعني أنَّ قوله صحيح لأنَّ الصحيح ما دلَّ عليه القران و السُّنَّة و الإجماع ، و ليس الانتساب، و سبب اختلاف الأشاعرة المتأخِّرين عن الأشعري له أسباب موضوعية مفهومة لا تخصُّهم وحدهم، بل وقعت لغيرهم، فقد اعتقد كثيرٌ من الصَّالحين من أهل الإيمان صحَّة بعض القواعد العقلية التي دخلت على الأمَّة ، و لذلك يُفرِّق المحقِّقون من العلماء بين طبقات الطوائف.
و إذا كان في الأشاعرة مائلون إلى أهل الحديث فمن التناقض أن نعتبرهم من أهل السُّنَّة و نفصل بينهم و بين إخوانهم، كونهم قدَّموا العقل على النصِّ فهذا لا ينكر، لكنَّه نتيجة لأسباب علميَّة نتفهم أنَّه من الصَّعب أن يمحِّص النَّاس الحقائق في المسائل الدقيقة ، فعلى الأقل يجبُ التمييز هنا .

ـ و الأصل في المسالة ~ بالنِّسبة لي ~ هو أنَّه لا يجب منع النَّاس من الانتساب للسُّنَّة و لكن منعهم عن مخالفتها ببيان ذلك لهم بالدليل و البرهان، فلا يوجد في المبتدعة من ينتحل اتِّباع السَّلف بل شعارهم ذم السَّلف و القدح فيهم، فكلُّ من ينتحل السَّلف ففيه قدر من السُّنَّة وإن لم يحقِّقها كلها ،أو قصَّر في بعضها ،فعلمنا أنَّ أهل البدع العامَّة لا ينتحلون اتِّباع السَّلف بحال.

ـ و الصَّحيح في هذه المسالة أن نُفرِّق بين مصادر التلقي و المعرفة وبين المقولات ،و بين الدِّين العملي و المسائل النظرية التي أخذت أكثر مما يلزم، و أهمِّيَّة هذا التفريق في تحديد طائفة الشخص، وكما صرَّح ابن تيمية ~ رحمه الله ~ و غيره ، كل من قال بالكتاب و السُّنَّة و الإجماع هو من أهل السُّنَّة و الجماعة ،و الأشاعرة يقولون بهذا لكنهم إذا جاؤوا لمسألة "الأسماء و الصفات" قدَّموا العقل الفلسفي على النصِّ بسبب قواعد عقلية اعتقدوها صحيحة ، فهم يقرُّون بأنَّ القرآن و السُّنَّة و الإجماع هي مصادر التلقي عند المسلم، و يُطبِّقونها في الأحكام غاية التطبيق لكن لأسباب كثيرة استوجبت لديهم التفريق بين النصِّ في العقيدة و النصِّ في الأحكام كـ: الاختلاف في المتواتر و الآحاد، و الحقيقة و المجاز، وقصدهم تنزيه الله عن النقائص وغير ذلك، فهذه شبه اشتباه أو شبه في الفاعل ، لذلك لم يطعنوا في النص الصَّحيح ولكنهم أوَّلوه، أو فوَّضوا معناه، و علقوا التعامل معه بالطريقة التي يتعاملون معه بها في الأحكام.

وهذا يشبه موقفهم من التعليل كيف تجاوزوا إنكاره في أصول الفقه بحلول لغوية، فالمشكل عندهم هو كون غالبيتهم عقلاء تلقوا أصولا إمَّا من شيوخهم أو ظنُّوها صحيحة ، أو التبس عليهم أصل من الأصول، ولزمهم طرده و التزام لوازمه، وهكذا ابتعدوا تدريجيا عن حال الأشعريِّ أو خالفوه كما في إثبات الصِّفات الخبرية..

وإذا علمنا أنَّه لم يكن كل أئمة السُّنَّة على درجة واحدة من العلم، إمَّا فهما و إمَّا تعبيرا، و أنَّ في بعض تعبيراتهم ما قد يفهم منها التفويض، و إن كان المنهج العلمي الموضوعي يقتضي جمع كل أقوالهم و ليس انتقاء ما يخدم المنتقي لأنَّه لا يمكن بحال لمن جعل شعاره قول الإمام مالك ~ رحمه الله ~ المشهور في الاستواء أن يكون مُفوِّضاً ، و بالتالي وجب رد الأقوال المجملة إلى المفصلة، فلا يخفى حينئذ أنَّ اضطراب بعض العبارات كان له بعض أثر على توجُّه الأشاعرة لكن هنا يجب أن نُفرِّق بين التفويض السَّاذج، بمعنى :عدم العلم ،و التفويض الفلسفي بمعنى: نفي

الإثبات و النَّفي" النفي المزدوج" كما وضَّحته في مقالي عن التفويض القديم و المعاصر.

وهذا ربَّما ما جعل شيخ الإسلام يُعلِّل بمثل هذا مقولة المتكلمين المشهورة : " عقيدة السلف أسلم و عقيدة الخلف أحكم" حيث قال في (الدرء)(5/378): ((ومصداق هذا أنَّ ما وقع في هذه الأمة من البدع والضلال، كان من أسبابه [تقصير من قصر في إظهار السُّنَّة والهدى]، مثل ما وقع في هذا الباب، فإنَّ الجهل المركب الذي وقع فيه أهل التكذيب والجحود في توحيد الله تعالى وصفاته، كان من أسبابه [التقصير في إثبات ما جاء به الرسول عن الله، وفي معرفة معاني أسمائه وآياته، حتى أنَّ كثيراً من المنتسبين إلى الكتاب والسُّنَّة يريدون أن طريقة السَّلف والأئمة إنَّما هو الإيمان بألفاظ النصوص، والإعراض عن تدبُّر معانيها وفقهها وعقلها].

ومن هنا قال من قال من النفاة: (إن طريقة الخلف أعلم وأحكم، وطريقة السلف أسلم) لأنَّه ظنَّ أنَّ طريقة الخلف فيها معرفة النَّفي، الذي هو عنده الحق، وفيها طلب التأويل لمعاني نصوص الإثبات، فكان في هذه عندهم علم بمعقول، وتأويل لمنقول، ليس في الطريقة التي ظنها طريقة السلف، وكان فيه أيضاً رد على من يتمسك بمدلول النصوص، وهذا عنده من إحكام تلك الطريق.

ومذهب السلف عنده عدم النظر في فهم النصوص، لتعارض الاحتمالات، وهذا عنده أسلم، لأنه إذا كان اللفظ يحتمل عدة معان، فتفسيره ببعضها دون بعض فيه مخاطرة، وفي الإعراض عن ذلك سلامة من هذه المخاطرة.

فلو كان قد بين وتبين لهذا وأمثاله أنَّ طريقة السَّلف إنما هي إثبات ما دلت عليه النصوص من الصفات، وفهم ما دلت عليه، وتدبُّره وعقله، وإبطال طريقة النفاة، وبيان مخالفتها لصريح المعقول وصحيح المنقول- علم أن طريقة السلف أعلم وأحكم وأسلم، وأهدى إلى الطريق الأقوام، وأنها تتضمن تصديق الرسول فيما أخبر به، وفهم ذلك ومعرفته، وأن ذلك هو الذي يدل عليه صريح المعقول، ولا يناقض ذلك إلا ما هو باطل وكذب، وأن طريقة النفاة المنافية لما أخبر به الرسول طريقة باطلة شرعاً وعقلاً، وأن من جعل طريقة السلف عدم العلم بمعاني الآيات، وعدم إثبات ما تضمنته من الصفات، فقد قال غير الحق: إما عمداً وإما خطأً، كما أن من قال على الرسول: إنه لم يبعث بإثبات الصفات، بل بعث بقول النفاة، كان مفترياً عليه.

وهؤلاء النفاة هم كذابون: إما عمداً وإما خطأً: على الله وعلى رسوله، وعلى سلف الأمة وأئمتها، كما أنهم كذابون: إما عمداً وإما خطأً: على عقول الناس، وعلى ما نصبه الله تعالى من الأدلة العقلية، والبراهين اليقينية.))

قلتُ: فهذا الظنُّ المتمثل في أن طريقة السلف الإيمان بألفاظ النصوص دون معانيها موجود في عبارات بعض المنتسبين للسُّنَّة ،وهذا كان أحد الأسباب الدافعة لبعض المتكلمين للإيغال في الفلسفة و الابتعاد عن النصوص .

كما أنَّ حديثه في آخر هذا الكلام عن مخالفة الحقِّ و الكذب و الترديد بين العمد و الخطأ لا يجب أن نختار منه العمد فإنَّ موقف ابن تيمية من كبار أئمة الأشعرية هو الاحترام و التقدير و الاعتراف لهم بالصَّلاح و الديانة و الصدق كما سأذكره في آخر المقال، وهذا لا يمنع أنه يوجد في المتكلمين من كذب في مقدِّماته وحرَّف النقل عن النَّاس.

قال ابن تيمية ~ رحمه الله ~ بعد أن تكلَّم عن بعض أئمة الأشعرية كأبي ذر الهروي،و أبي بكر بن العربي، و الباجي و غيرهم التالي: ((ثم إنه ما من هؤلاء[يقصد الأشاعرة] إلا من له في الإسلام مساع مشكورة، وحسنات مبرورة، وله في الرد على كثير من أهل الإلحاد والبدع، والانتصار لكثير من أهل السنة والدين ما لا يخفى على من عرف أحوالهم، وتكلَّم فيهم بعلم وصدق وعدل وإنصاف، لكن لما التبس عليهم هذا لأصل المأخوذ ابتداء عن المعتزلة، وهم فضلاء عقلاء احتاجوا إلى طرده والتزام لوازمه، فلزمهم بسبب ذلك من الأقوال ما أنكره المسلمون من أهل العلم والدين، وصار الناس بسبب ذلك: منهم من يعظمهم، لما لهم من المحاسن والفضائل، ومنهم من يذمهم، لما وقع في كلامهم من البدع والباطل، وخيار الأمور أوساطها.

وهذا لي مخصوصاً بهؤلاء، بل مثل هذا وقع لطوائف من أهل العلم والدين، والله تعالى يتقبل من جميع عباده المؤمنين الحسنات، ويتجاوز لهم عن السيئات، {ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا الإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم} (الحشر: 10) .

ولا ريب أن من اجتهد في طلب الحق والدين من جهة الرسول صلى الله عليه وسلم، وأخطأ في بعض ذلك فالله يغفر له خطأه، تحقيقاً للدعاء الذي استجابه الله لنبيه وللمؤمنين حيث قالوا: {ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا} (البقرة: 286) .

[ومن اتبع ظنَّه وهواه فأخذ يُشنِّع على من خالفه بما وقع فيه من خطأ ظنَّه صواباً بعد اجتهاده، وهو من البدع المخالفة للسنة]فإنه يلزمه نظير ذلك أو وأعظم أو أصغر فيمن يُعظِّمهُ هو من أصحابه، فقلَّ من يسلم من مثل ذلك في المتأخِّرين، لكثرة الاشتباه والاضطراب، وبُعد الناس عن نور النبوة وشمس الرسالة الذي به يحصل الهدى والصواب، ويزول به عن القلوب الشك والارتياب، ولهذا تجد كثيراً من المتأخرين من علماء الطوائف يتناقضون في مثل هذه الأصول ولوازمها، فيقولون القول الموافق للسنة، وينفون ما هو من لوازمه، غير ظانين أنه من لوازمه، ويقولون ما ينافيه، غير ظانين أنه ينافيه، ويقولون بملزومات القول المنافي ما أثبتوه من السنة، وربما كفروا من خالفهم في القول المنافي وملزوماته...))

في الأخير أقول: و إن كانت هذه مسألة في غاية الأهمِّيَّة لأنَّ معرفة الجماعة و حدودها، وحكم الفرقة و التقاتل و التكفير و التباغض من المحافظة على قاعدة الاعتصام بالجماعة، و صلاح ذات البين، وما يشرع من وسائل الألفة ،وينهى عنه من أسباب الفرقة العلميَّة و السِّياسيَّة قولية وفعلية، فإنه من العجز أن لا نتعلَّم من 15 قرنا من التفاعل و التدافع و المصائب التي خارت منها قوى الأمة، لذا أعتقد أنه يجب علينا التفكير الجدي في كيفية التعامل مع الاختلاف بدون الاعتماد على التصنيف، و التجاذب حوله.

و قد يصل النقاش ~ غير موجود حاليا~إلى نقطة يضعف فيها الموضوع وتقوى الذات فيصبح كلُّ شيء باعتبار زاوية النَّظر و حينئذ نقول: احترام آراء المخالف ليس باعتبارها حقًّا ولكن بالاستماع و الحوار بعيداً عن صراع القلعة الممنوعة.

ـ العقيدة في الإسلام ~ في حدِّ ذاتها كحقيقة ~ لا تحتاج إلى سندٍ من سلطة كما في الكهنوت النصراني، ومع ذلك كثيراً ما استعانت الفرق الإسلامية بالسُّلطة لنشر عقيدتها و قمع المخالفين ثمَّ إذا تغيَّر الحكم عادت عليها الدائرة، ومع ذلك لا يتعلَّم المعاصرون من التاريخ عندما يستعدون السُّلطة على بعضهم بعضاً؟

العقائد بين المتداخلين في بعض الأصول،المتَّفقين على أنَّ دعوة الأنبياء هي الدعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك له كما كان النبيُّ صلى الله عليه و سلم و صحابته يعبدونه لا تصنع الاختلاف العدواني بينهم الذي يكسر شوكتهم، و لكن الظروف هي التي تصنع الاختلاف فتتبع بعض الحقائق الظروف ، فالرجل الموجود في بيتك

يختلف حكمه بحسب ما إذا كان صهرك أم رجلا غريبا؟
و أقصد هنا أنَّه من المستحيل أن تفهم فكرة أو مذهبا بدون النَّظر في ظروف نشأته، و أسباب وجوده.
في المقال القادم نُناقش ~ بحول الله ~ كيف يُفسد عليك الظلم السِّياسي و العلمي توحيدك وتسنُّنك و سلفيتك...؟
أرزيو/ الجزائر ،في 16/11/2016م
مختار الأخضر طيباوي

الهامش:
1 ـ من المعلوم أن إرجاء الفقهاء بدعة قولية ذات اشتباه عند بعض أهل السنة، قال ابن رجب : ((و البدع المخفَّفة ذات الشُّبْهَة كالإرجاء)).
قال ابن تيميَّة في (المجموع)(12/485): ((وأما المرجئة فلا تختلف نصوصه أنه لا يكفرهم ، فإن بدعتهم من جنس اختلاف الفقهاء ، وفي الفروع وكثير من كلامهم يعود النزاع فيه إلى نزاع في الألفاظ والأسماء ، ولهذا يسمى الكلام في مسائلهم باب الأسماء ، وهذا نوع من نزاع الفقهاء لكن يتعلق بأصل الدين فكان المنازع فيه مبتدعا.
قال ابن عبد البر في (الاستذكار)(1/89) عن طلق بن حبيب وهو من رؤوس المرجئة:((وكان مالك يثني عليه لعبادته ولا يرضى مذهبه)). و أهل السنة لا يثنون على المبتدعة الحقيقيين.
كذلك قال ابن تيمية في(المجموع)(7/507) : ((فلهذا كانت المرجئة في الجملة خير من القدرية ، حتى إن الإرجاء دخل فيه الفقهاء من أهل الكوفة وغيرهم ، بخلاف الاعتزال فإنه ليس فيه أحد من فقهاء السلف وأئمتهم)).
قال الذهبي في (ميزان الاعتدال)(4/99): ((الإرجاء مذهب لعدة من جلة العلماء ولا ينبغي التحامل على قائله)).
قال أبو عبيد القاسم بن سلام في (كتاب الإيمان){ص:9}:
((اعلم رحمك الله أن أهل العلم و العناية بالدين افترقوا في هذا الأمر فرقتين:فقالت إحداهما:الإيمان بالإخلاص لله بالقلوب و شهادة الألسنة وعمل الجوارح، وقالت

الفرقة الأخرى:بل الإيمان بالقلوب و الألسنة، فأما الأعمال فإنما هي تقوى وبر و ليست من الإيمان)).

فجعل رحمه الله مرجئة الفقهاء من أهل العلم و العناية بالدين، لم يجعلهم من أهل التلاعب بالدين كما يزعم بعضهم .

قال شيخ الإسلام في(المجموع)(394/7): ((فهذه الشبهة التي أوقعتهم مع علم كثير منهم و عبادته و حسن إسلامه و إيمانه، ولهذا دخل في إرجاء الفقهاء جماعة هم عند الأمة أهل علم و دين، ولهذا لم يكفر أحد من السلف أحدا من مرجئة الفقهاء بل جعلوا هذا من بدع الأقوال لا من بدع العقائد، فإن كثيرا من النزاع فيها لفظي لكن اللفظ المطابق للكتاب و السنة هو الصواب)).

تاريخ الانحراف الفكريّ و السِّياسي في المسلمين أسبابه ووجه التعامل معه

الحمد لله وحده، و الصَّلاة و السَّلام على من لا نبيَّ بعده.

من يدرس كتابات المسلمين التي تعنَى بالبحث في إشكاليات واقع المسلمين السِّياسي و الاجتماعيِّ و الفكري يجد اضطراباً شديداً يتمثل في أفكارٍ لم يذهب صاحبُها إلى نهايتها،تُوقفها نزعته المذهبيَّة،أو إكراهات بيئته !

كما يجد عدم اكتراث بالتوليف بين الوقائع و أسبابها،و استشهاداً بالتَّاريخ من كتب تاريخية تحتاج إلى "علم كتابة التَّاريخ" [histographie'l]، مع غياب منهجية إبستمية ترسم البراديجم العامَّ،و البراديجمات الخاصَّة بكلِّ طائفة، تقف عند المبادئ المعرفية/الإدراكية ، و لا تغفل عن المقاربةِ الخارجية المتمثلة في التأثير الاجتماعيِّ و السِّياسي على العلوم و أصحابِها ،ووسائل انتشارها .

كذلك يغيبُ الاعتناء بالشام المفاهيمي المتأثر بالعادات و البيئة ودوره في تشكيل العقل المسلم في العصور المتأخِّرة.

لا يمكنك أبداً أن تفهم واقع المسلمين اليوم،و تجد الحلَّ النافع له بدون أن تعرف تاريخهم المذهبيِّ و السِّياسي،و أسباب الانحراف أو التوسُّع و التفريع العلميَّة التي دفعتهم إلى ذلك، و كيف أنَّ الإسلام الذي كان دينا بسيطا علماً و عملا و لغةً أصبح مقالات معقَّدة و علوم دقيقة وواسعة اصطلاحية و آلية، نظريَّة و عمليَّة.

و لم أجد في كلِّ ما كتبه المسلمون قديماً وحديثا ممَّا وقع تحت يدي ما يجمع كلَّ هذه

العناصر و الأبعاد مثل كلمة لشيخ الإسلام ابن تيميَّة ~ رحمه الله ~ هي من أروع الخلاصات العلميَّة المعتنية بهذا الموضوع بكفاءة عقليَّة عالية الطراز، تكفي وحدها كلَّ ما حدث و سببه.
و أهم من ذلك كيفية التعامل مع آثاره و توابعه، مع قدرة فائقة على تحديد المعالم بالنُّصوص، و التعامل مع الواقع الموجود بموضوعية وواقعية قلَّ نظيرها عند غيره، بحيث لا تضيِّع مصالح الأمَّة في الائتلاف و الوحدة و العمل المفيد في الجري المثالي خلف الواقع المقصود.
يمكن أن نقول: هو منهج الجمع بين الحقِّ و العذر على الخطأ فيه بعد معرفة أسبابه، التزام الحقيقة العلميَّة بدون تضخيم مشاكل الحقيقة الواقعية أو عرقلة إصلاحها.
ربَّما قد مرَّ عليك هذا الكلام من قبل ،ومع ذلك فإنَّه عند غالب المهتمين بالتدقيقات الكلامية يعدُّونه نوعاً من الخطابة،فلا يقفون عنده طويلاً، وهو في الحقيقة زبدة النَّظر في المقالات الكلامية،في المسائل والدلائل ذلك أنَّ منهج تلخيص الكلِّ في توليفة لا يزال بعيداً عن العقلية الإسلاميَّة المعاصرة.
ومن أهمِّ ما جاء في توليفة ابن تيمية أنَّ المقالات المنحرفة عمَّا كان عليه الصَّحابة في "الكلام" و "التصوف" و "الرأي" مقالات قالها معذور مأجور ،و غير معذور، متمكن قادر، وعاجز؛لا توجد أيَّة مصلحة لتضييع الوقت و الجهد في البحث عن غير المعذور مادام قد قالها المعذور كذلك،فالتفاعل العلمي حولها لا يجب أن يغفل هذه الملاحظة.
يبدأ شيخ الإسلام باستعراض تاريخ ظهور الأفكار العقدية و المذهبيَّة و النُّظم السِّياسية وما صارت إليه، ومع أهمِّيَّة هذا العرض إلاَّ أنَّ الخاتمة و بعض الفصول في ثنايا الكلام هي المبتغى لكلِّ باحث عن حل شرعيٍّ عملي لمشاكل المسلمين الطائفية و المذهبيَّة ، لا أظنُّ عاقلا منصفاً صادقا في حبِّه لدينه و أمَّته لن يوافق عليها.
إنَّه منهج علمي يكشف لك بصورة جلية بعيداً عن كلِّ التباس قد يقع لمن يقرأ ابن تيميَّة لكثرةِ كلامه و استطراداته، و تداخل أغراضه و أحواله حجم الهوَّة بينه و بين كثير من السَّلفيين ،و أنَّه فعلاً قد انتسب إليه غلاةٌ و جهَّال بمشروعه حتى من الذين يردِّدون أدلَّته الكلامية و الفلسفية، هو بريء منهم جملةً و تفصيلا لأنَّ فهم ابن تيميَّة

أو اتّباعه ليس في ترديد أدلته التفصيلية و لكن في نظرته الكلّيّة، و خاصّة في التمييز بين الحقيقة الموضوعية المجرّدة، و الحقيقة الواقعية للمسلمين كعلماء و مذاهب و أفراد..

ما تجده بين معقوفتين هو تعليقي..

قال: ((وَاعْلَمْ أَنَّ عَامَّةَ الْبِدَعِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِالْعُلُومِ وَالْعِبَادَاتِ فِي هَذَا الْقَدَرِ وَغَيْرِهِ إنَّمَا وَقَعَ فِي الْأُمَّةِ فِي أَوَاخِرِ خِلَافَةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ كَمَا أَخْبَرَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَيْثُ قَالَ: {مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي} .

وَمَعْلُومٌ أَنَّهُ إذَا اسْتَقَامَ " وُلَاةُ الْأُمُورِ " الَّذِينَ يَحْكُمُونَ فِي النُّفُوسِ وَالْأَمْوَالِ اسْتَقَامَ عَامَّةُ النَّاسِ كَمَا قَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ فِيمَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ لِلْمَرْأَةِ الأحمسية لَمَّا سَأَلَتْهُ فَقَالَتْ: " مَا بَقَاؤُنَا عَلَى هَذَا الْأَمْرِ الصَّالِحِ "؟ قَالَ: " مَا اسْتَقَامَتْ لَكُمْ أَئِمَّتُكُمْ "

وَفِي الْأَثَرِ :{صِنْفَانِ إذَا صَلَحُوا صَلَحَ النَّاسُ: الْعُلَمَاءُ وَالْأُمَرَاءُ} أَهْلُ الْكِتَابِ وَأَهْلُ الْحَدِيدِ كَمَا دَلَّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ: {لَقَدْ أَرْسَلْنَا} الْآيَةَ. وَهُمْ " أُولُو الْأَمْرِ " فِي قَوْلِهِ: {أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ} .

وَكَذَلِكَ مِنْ جِهَتِهِمْ يَقَعُ الْفَسَادُ كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ مَرْفُوعًا وَعَنْ جَمَاعَةٍ مِنْ الصَّحَابَةِ: {إنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ زَلَّةُ عَالِمٍ وَجِدَالُ مُنَافِقٍ بِالْقُرْآنِ وَأَئِمَّةٌ مُضِلُّونَ} فَالْأَئِمَّةُ الْمُضِلُّونَ هُمْ الْأُمَرَاءُ، وَالْعَالِمُ وَالْمُجَادِلُ هُمْ الْعُلَمَاءُ لَكِنَّ (أَحَدَهُمَا) صَحِيحُ الِاعْتِقَادِ يَزِلُّ وَهُوَ الْعَالِمُ كَمَا يَقَعُ مِنْ أَئِمَّةِ الْفُقَهَاءِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ.

[عند تفسد عقلية الشُّعوب و أخلاقهم ووعيهم لا يمكنها أن تنتج من القيادات إلاَّ ما هو من جنسها، وحينئذ يكون الإصلاح مهمَّة العلماء المفكِّرون أوّلا ثمّ الحكّام، و بخلاف ما يعتقده كثيرٌ من المشتغلين بالدَّعوة في مثل هذه الحال تحتاج الشُّعوب إلى الوعي السِّياسي الذي يُصبح بالضَّرورة موضوع الساعة.

و ولو اعتنوا بما شاءوا و أغفلوا التوعية السِّياسية لن يتقدَّموا خطوةً واحدة بل سيظل الوضع كما هو، بل قد تُصبح الشعوب متواطئة مع الفاسدين بطريقةٍ أو بأخرى ، فلكلِّ شيء وعيه الخاصّ، و الوعي بمتطلبات الدَّولة العادلة الصَّالحة هو وعي سياسيٌّ، و السِّياسة هي شجرة الموضوع الإسلاميّ، و لهذا يجب علينا الاهتمام بهذا الموضوع

الذي لا يُعوِّضه عصيان مدني، ولا ثورة، ولا انتخابات..]
و (الثَّانِي) كَالْمُتَفَلْسِفَةِ وَالْمُتَكَلِّمِينَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ بِشُبُهَاتِ الْقُرْآنِ مَعَ أَنَّهُمْ فِي الْحَقِيقَةِ منسلخون مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَإِنَّمَا احْتِجَاجُهُمْ بِهِ دَفْعًا لِلْخَصْمِ لَا اهْتِدَاءً بِهِ وَاعْتِمَادًا عَلَيْهِ؛ وَلِهَذَا قَالَ: {جِدَالُ مُنَافِقٍ بِالْقُرْآنِ} فَإِنَّ السُّنَّةَ وَالْإِجْمَاعَ تَدْفَعُ شُبْهَتَهُ.
وَالدِّينُ الْقَائِمُ بِالْقَلْبِ مِنْ الْإِيمَانِ عِلْمًا وَحَالًا هُوَ " الْأَصْلُ " وَالْأَعْمَالُ الظَّاهِرَةُ هِيَ " الْفُرُوعُ " وَهِيَ كَمَالُ الْإِيمَانِ.[رحم الله الألباني ظلمه المتنطعون الغلاة على هذه الكلمة]
فَالدِّينُ أَوَّلُ مَا يُبْنَى مِنْ أُصُولِهِ وَيَكْمُلُ بِفُرُوعِهِ كَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِمَكَّةَ أُصُولَهُ مِنْ التَّوْحِيدِ وَالْأَمْثَالِ الَّتِي هِيَ الْمَقَايِيسُ الْعَقْلِيَّةُ وَالْقِصَصُ وَالْوَعْدُ وَالْوَعِيدُ ثُمَّ أَنْزَلَ بِالْمَدِينَةِ - لَمَّا صَارَ لَهُ قُوَّةٌ - فُرُوعَهُ الظَّاهِرَةَ مِنْ الْجُمُعَةِ وَالْجَمَاعَةِ وَالْأَذَانِ وَالْإِقَامَةِ وَالْجِهَادِ وَالصِّيَامِ وَتَحْرِيمِ الْخَمْرِ وَالزِّنَا وَالْمَيْسِرِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ وَاجِبَاتِهِ وَمُحَرَّمَاتِهِ.
فَأُصُولُهُ تَمُدُّ فُرُوعَهُ وَتُثَبِّتُهَا، وَفُرُوعُهُ تُكْمِلُ أُصُولَهُ وَتَحْفَظُهَا فَإِذَا وَقَعَ فِيهِ نَقْصٌ ظَاهِرٌ فَإِنَّمَا يَقَعُ ابْتِدَاءً مِنْ جِهَةِ فُرُوعِهِ، وَلِهَذَا قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ {أَوَّلُ مَا تَفْقِدُونَ مِنْ دِينِكُمْ الْأَمَانَةُ وَآخِرُ مَا تَفْقِدُونَ مِنْ دِينِكُمْ الصَّلَاةُ} وَرُوِيَ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: {أَوَّلُ مَا يُرْفَعُ الْحُكْمُ بِالْأَمَانَةِ} و " الْحُكْمُ " هُوَ عَمَلُ الْأُمَرَاءِ وَوُلَاةِ الْأُمُورِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: {إنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ} .
وَأَمَّا " الصَّلَاةُ " فَهِيَ أَوَّلُ فَرْضٍ وَهِيَ مِنْ أُصُولِ الدِّينِ وَالْإِيمَانِ مَقْرُونَةً بِالشَّهَادَتَيْنِ فَلَا تَذْهَبُ إلَّا فِي الْآخِرِ كَمَا قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ {بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ} فَأَخْبَرَ أَنَّ عَوْدَهُ كَبَدْئِهِ.
فَلَمَّا ذَهَبَتْ دَوْلَةُ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ وَصَارَ مُلْكًا ظَهَرَ النَّقْصُ فِي الْأُمَرَاءِ فَلَا بُدَّ أَنْ يَظْهَرَ أَيْضًا فِي أَهْلِ الْعِلْمِ وَالدِّينِ فَحَدَثَ فِي آخِرِ خِلَافَةِ عَلِيٍّ بِدْعَتَا الْخَوَارِجِ وَالرَّافِضَةِ إذْ هِيَ مُتَعَلِّقَةٌ بِالْإِمَامَةِ وَالْخِلَافَةِ وَتَوَابِعِ ذَلِكَ مِنْ الْأَعْمَالِ وَالْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ.
[رحم الله ابن تيميَّة علم أنَّ النَّقص في السِّياسة يقود حتماً إلى النَّقص في العلم ممَّا لم يعلمه بعدُ المعاصرون رغم كلِّ الوسائل العلميَّة المتوفِّرة لديهم ..
وهنا يجب أن نلاحظ أنَّ هذا الاختلاف في مجال السِّياسة و العلم عمَّا كان عليه الصَّحابة أثناء الخلافة الراشدة لم يذكر ابن تيميَّة أسبابه،وهي طبيعية مع اختلافِ الأجيال في القيم،فإذا تعذَّر على أمَّة التَّابعين أن تكون كالصَّحابة فكيف بمن جاء

بعدهم؟]
وَكَانَ مُلْكُ " مُعَاوِيَةَ " مُلْكًا وَرَحْمَةً فَلَمَّا ذَهَبَ مُعَاوِيَةُ - رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ - وَجَاءَتْ إمَارَةُ " يَزِيدَ " وَجَرَتْ فِيهَا فِتْنَةُ قَتْلِ الْحُسَيْنِ " بِالْعِرَاقِ وَفِتْنَةُ أَهْلِ " الْحَرَّةِ " بِالْمَدِينَةِ وَحَصَرُوا مَكَّةَ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ.
ثُمَّ مَاتَ يَزِيدُ وَتَفَرَّقَتْ الْأُمَّةُ: ابْنُ الزُّبَيْرِ بِالْحِجَازِ وَبَنُو الْحَكَمِ بِالشَّامِ وَوَثَبَ الْمُخْتَارُ بْنُ أَبِي عُبَيْدٍ وَغَيْرُهُ بِالْعِرَاقِ. وَذَلِكَ فِي أَوَاخِرِ عَصْرِ الصَّحَابَةِ ،وَقَدْ بَقِيَ فِيهِمْ مِثْلُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ وَجَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ وَأَبِي سَعِيدٍ الخدري وَغَيْرِهِمْ حَدَثَتْ " بِدْعَةُ الْقَدَرِيَّةِ وَالْمُرْجِئَةِ " فَرَدَّهَا بَقَايَا الصَّحَابَةِ كَابْنِ عَبَّاسٍ وَابْنِ عُمَرَ وَجَابِرٍ وَوَاثِلَةَ بْنِ الْأَسْقَعِ وَغَيْرِهِمْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ مَعَ مَا كَانُوا يَرُدُّونَهُ هُمْ وَغَيْرُهُمْ مِنْ بِدْعَةِ الْخَوَارِجِ وَالرَّوَافِضِ.
وَعَامَّةُ مَا كَانَتْ الْقَدَرِيَّةُ إذْ ذَاكَ يَتَكَلَّمُونَ فِيهِ: أَعْمَالُ الْعِبَادِ كَمَا يَتَكَلَّمُ فِيهَا الْمُرْجِئَةُ فَصَارَ كَلَامُهُمْ فِي الطَّاعَةِ وَالْمَعْصِيَةِ وَالْمُؤْمِنِ وَالْفَاسِقِ وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنْ مَسَائِلِ " الْأَسْمَاءِ وَالْأَحْكَامِ " و " الْوَعْدِ و " الْوَعِيدِ " وَلَمْ يَتَكَلَّمُوا بَعْدُ فِي رَبِّهِمْ وَلَا فِي صِفَاتِهِ إلَّا فِي أَوَاخِرِ عَصْرِ صِغَارِ التَّابِعِينَ مِنْ حِينِ أَوَاخِرِ " الدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ " حِينَ شَرَعَ " الْقَرْنُ الثَّالِثُ " - تَابِعُو التَّابِعِينَ - يَنْقَرِضُ أَكْثَرُهُمْ - فَإِنَّ الِاعْتِبَارَ فِي الْقُرُونِ الثَّلَاثَةِ بِجُمْهُورِ أَهْلِ الْقَرْنِ وَهُمْ وَسَطُهُ وَجُمْهُورُ الصَّحَابَةِ انْقَرَضُوا بِانْقِرَاضِ خِلَافَةِ الْخُلَفَاءِ الْأَرْبَعَةِ حَتَّى أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ بَقِيَ مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ إلَّا نَفَرٌ قَلِيلٌ وَجُمْهُورُ التَّابِعِينَ بِإِحْسَانِ انْقَرَضُوا فِي أَوَاخِرِ عَصْرِ أَصَاغِرِ الصَّحَابَةِ فِي إمَارَةِ ابْنِ الزُّبَيْرِ وَعَبْدِ الْمَلِكِ، وَجُمْهُورُ تَابِعِي التَّابِعِينَ انْقَرَضُوا فِي أَوَاخِرِ الدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ؛ وَأَوَائِلِ الدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ –
[انتقال الأمم من طور إلى طورٍ أمرٌ طبيعي نظرا للتوسع المؤدي الى الاحتكاك بحضارات أخرى، و الانتقال من الشفهي إلى التدوين و الترجمة،و الصّراعات السّياسية التي تحتاج إلى حوامل دينية مذهبيَّة ، ولا توجد أمَّة حافظت بمجموعها على ما كان عليه أوائلُها،وهذا ما يؤكّده حديث "الفرقة الناجية"، وكون بعضهم يحرص على أن يكون من الطائفة الأكثر قرباً من الصَّحابة لا يعني أن يغفل هذه الحقيقة ..]
وَصَارَ فِي وُلَاةِ الْأُمُورِ كَثِيرٌ مِنْ الْأَعَاجِمِ وَخَرَجَ كَثِيرٌ مِنْ الْأَمْرِ عَنْ وِلَايَةِ الْعَرَبِ وَعُرِّبَتْ بَعْضُ الْكُتُبِ الْعَجَمِيَّةِ مِنْ كُتُبِ الْفُرْسِ وَالْهِنْدِ وَالرُّومِ وَظَهَرَ مَا قَالَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ {ثُمَّ يَفْشُو الْكَذِبُ حَتَّى يَشْهَدَ الرَّجُلُ وَلَا يُسْتَشْهَدُ وَيَحْلِفَ وَلَا

يُسْتَخْلَفُ} - حَدَثَ ثَلَاثَةُ أَشْيَاءَ: " الرَّأْيُ " و " الْكَلَامُ " و " التَّصَوُّفُ "، وَحَدَثَ " التَّجَهُّمُ " وَهُوَ نَفْيُ الصِّفَاتِ، وَبِإِزَائِهِ " التَّمْثِيلُ ".

فَكَانَ جُمْهُورُ الرَّأْيِ مِنْ الْكُوفَةِ؛ إذْ هُوَ غَالِبٌ عَلَى أَهْلِهَا مَعَ مَا كَانَ فِيهِمْ مِنْ التَّشَيُّعِ الْفَاحِشِ وَكَثْرَةِ الْكَذِبِ فِي الرِّوَايَةِ مَعَ أَنَّ فِي خِيَارِ أَهْلِهَا مِنْ الْعِلْمِ وَالصِّدْقِ وَالسُّنَّةِ وَالْفِقْهِ وَالْعِبَادَةِ أَمْرٌ عَظِيمٌ؛ لَكِنَّ الْغَرَضَ أَنَّ فِيهَا نَشَأَ كَثْرَةُ الْكَذِبِ فِي الرِّوَايَةِ، وَكَثْرَةُ الْآرَاءِ فِي الْفِقْهِ، وَالتَّشَيُّعُ فِي الْأُصُولِ.

وَكَانَ جُمْهُورُ الْكَلَامِ وَالتَّصَوُّفِ فِي الْبَصْرَةِ فَإِنَّهُ بَعْدَ مَوْتِ الْحَسَنِ وَابْنِ سِيرِين بِقَلِيلِ ظَهَرَ عَمْرُو بْنُ عُبَيْدٍ وَوَاصِلُ بْنُ عَطَاءٍ؛ وَمَنْ اتَّبَعَهُمَا مِنْ أَهْلِ الْكَلَامِ وَالِاعْتِزَالِ، وَظَهَرَ أَحْمَدُ بْنُ عَطَاءٍ (1) الهجيمي الَّذِي صَحِبَ عَبْدَ الْوَاحِدِ بْنَ زَيْدٍ، وَعَبْدُ الْوَاحِدِ صَحِبَ الْحَسَنَ الْبَصْرِيَّ وَمَنْ اتَّبَعَهُ مِنْ الْمُتَصَوِّفَةِ وَبَنَى دويرة لِلصُّوفِيَّةِ؛ هِيَ أَوَّلُ مَا بُنِيَ فِي الْإِسْلَامِ.

وَكَانَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ وَغَيْرُهُ يُسَمُّونَهُمْ " الفقرية " وَكَانُوا يَجْتَمِعُونَ فِي دويرة لَهُمْ، وَصَارَ لِهَؤُلَاءِ مِنْ الْكَلَامِ الْمُحْدَثِ طَرِيقٌ يَتَدَيَّنُونَ بِهِ مَعَ تَمَسُّكِهِمْ بِغَالِبِ الدِّينِ، وَلِهَؤُلَاءِ مِنْ التَّعَبُّدِ الْمُحْدَثِ طَرِيقٌ يَتَمَسَّكُونَ بِهِ مَعَ تَمَسُّكِهِمْ بِغَالِبِ التَّعَبُّدِ الْمَشْرُوعِ، وَصَارَ لِهَؤُلَاءِ حَالٌ مِنْ السَّمَاعِ وَالصَّوْتِ حَتَّى إنَّ أَحَدَهُمْ يَمُوتُ أَوْ يُغْشَى عَلَيْهِ.

وَلِهَؤُلَاءِ حَالٌ فِي الْكَلَامِ وَالْحُرُوفِ حَتَّى خَرَجُوا بِهِ إلَى تَفْكِيرٍ أَوْقَعَهُمْ فِي تَحَيُّرٍ، وَهَؤُلَاءِ أَصْلُ أَمْرِهِمْ " الْكَلَامُ ". وَهَؤُلَاءِ أَصْلُ أَمْرِهِمْ " الْإِرَادَةُ "، وَهَؤُلَاءِ يَقْصِدُونَ " بِالْكَلَامِ " التَّوْحِيدَ؛ وَيُسَمُّونَ نُفُوسَهُمْ الْمُوَحِّدِينَ. وَهَؤُلَاءِ يَقْصِدُونَ " بِالْإِرَادَةِ " التَّوْحِيدَ وَيُسَمُّونَ نُفُوسَهُمْ أَهْلَ التَّوْحِيدِ وَالتَّجْرِيدِ.

وَقَدْ كَتَبْت قَبْلَ هَذَا فِي " الْقَوَاعِدِ " مَا فِي طَرِيقَيْ أَهْلِ الْكَلَامِ وَالنَّظَرِ وَأَهْلِ الْإِرَادَةِ وَالْعَمَلِ مِنْ الِانْحِرَافِ إذَا لَمْ يَقْتَرِنْ بِمُتَابَعَةِ الرَّسُولِ، كَمَا بَيَّنْت فِي " قَاعِدَةٍ كَبِيرَةٍ " أَنَّ أَصْلَ الْعِلْمِ وَالْهُدَى وَالدِّينِ هُوَ الْإِيمَانُ بِاَللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاسْتِصْحَابُ ذَلِكَ فِي جَمِيعِ الْأَقْوَالِ وَالْأَحْوَالِ.

وَكَانَ " أَهْلُ الْمَدِينَةِ " أَقْرَبَ مِنْ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ فِي الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ إذْ لَمْ يَنْحَرِفُوا انْحِرَافَ الطَّائِفَتَيْنِ مِنْ الْكُوفِيِّينَ وَالْبَصْرِيِّينَ: هَوًى وَرِوَايَةً وَرَأْيًا وَكَلَامًا وَسَمَاعًا، وَإِنْ كَانَ فِي بَعْضِهِمْ نَوْعُ انْحِرَافٍ لَكِنْ هُمْ أَقْرَبُ.

وَأَمَّا " الشَّامِيُّونَ " فَكَانَ غَالِبُهُمْ مُجَاهِدِينَ وَأَهْلَ أَعْمَالٍ قَلْبِيَّةٍ أَقْرَبَ إلَى الْحَالِ الْمَشْرُوعِ

مِنْ صُوفِيَّةِ الْبَصْرِيِّينَ إذْ ذَاكَ، وَلِهَذَا تَجِدُ كُتُبَ " الْكَلَامِ؛ وَالتَّصَوُّفِ " إنَّمَا خَرَجَتْ فِي الْأَصْلِ مِنْ الْبَصْرَةِ. فَمُتَكَلِّمَةُ الْمُعْتَزِلَةِ أَئِمَّتُهُمْ بَصْرِيُّونَ: مِثْلُ أَبِي الهذيل الْعَلَّافِ، وَأَبِي عَلِيٍّ الجبائي، وَابْنِهِ أَبِي هَاشِمٍ، وَأَبِي عَبْدِ اللَّهِ. . . (1) وَأَبِي الْحُسَيْنِ، الْبَصْرِيِّ.
وَكَذَلِكَ مُتَكَلِّمَةُ الْكُلَّابِيَةِ وَالْأَشْعَرِيَّةِ: كَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ كُلَّابٍ؛ وَأَبِي الْحَسَنِ الْأَشْعَرِيِّ وَصَاحِبِهِ أَبِي الْحَسَنِ الْبَاهِلِيِّ، وَالْقَاضِي أَبِي بَكْرِ بْنِ الْبَاقِلَانِي وَغَيْرِهِمْ.
وَكَذَلِكَ كُتُبُ " الْمُتَصَوِّفَةِ وَمَنْ خَلَطَ التَّصَوُّفَ بِالْحَدِيثِ وَالْكَلَامِ " كَكُتُبِ الْحَارِثِ بْنِ أَسَدٍ المحاسبي، وَأَبِي الْحَسَنِ بْنِ سَالِمٍ، وَأَبِي سَعِيدٍ الْأَعْرَابِيِّ، وَأَبِي طَالِبٍ الْمَكِّيِّ، وَقَدْ شَرَكَ هَؤُلَاءِ مِنْ الْبَغْدَادِيِّينَ والْخُراسانِيِّينَ وَالشَّامِيِّينَ خَلْقٌ، لَكِنَّ الْغَرَضَ أَنَّ الْأُصُولَ مِنْ ثَمَّ، كَمَا أَنَّ " عِلْمَ النُّبُوَّةِ " مِنْ الْإِيمَانِ وَالْقُرْآنِ؛ وَمَا يَتْبَعُ ذَلِكَ مِنْ الْفِقْهِ وَالْحَدِيثِ وَأَعْمَالِ الْقُلُوبِ إنَّمَا خَرَجَتْ مِنْ الْأَمْصَارِ الَّتِي يَسْكُنُهَا جُمْهُورُ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهِيَ الْحَرَمَانِ وَالْعِرَاقَانِ وَالشَّامُ: الْمَدِينَةُ وَمَكَّةُ وَالْكُوفَةُ وَالْبَصْرَةُ وَالشَّامُ وَسَائِرُ الْأَمْصَارِ تَبَعٌ.
فَالْقُرَّاءُ السَّبْعَةُ مِنْ هَذِهِ الْأَمْصَارِ؛ وَكَذَلِكَ أَئِمَّةُ أَهْلِ الْحَدِيثِ وَأَثْبَتُهُمْ أَهْلُ الْمَدِينَةِ وَأَهْلُ الْبَصْرَةِ كَالزُّهْرِيِّ وَمَالِكٍ وكقتادة وَشُعْبَةَ وَيَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مَهْدِيٍّ.
وَأَهْلُ الْكُوفَةِ فِيهِمْ الصَّادِقُ وَالْكَاذِبُ.
وَأَهْلُ الشَّامِ لَمْ يَكُنْ فِيهِمْ كَثِيرٌ كَاذِبٌ وَلَا أَئِمَّةٌ كِبَارٌ فِي الْقِرَاءَةِ وَالْحَدِيثِ ،وَكَذَلِكَ أَئِمَّةُ الْفُقَهَاءِ فَمَالِكٌ عَالِمُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ، وَالثَّوْرِيُّ وَأَبُو حَنِيفَةَ وَغَيْرُهُمَا مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ، وَابْنُ جريج وَغَيْرُهُ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ؛ وَحَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ وَحَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ، وَالْأَوْزَاعِي وَطَبَقَتُهُ بِالشَّامِ.
وَقَدْ قِيلَ: إنَّ مَالِكًا إنَّمَا احْتَذَى مُوَطَّأَهُ عَلَى كِتَابِ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ ،وَقِيلَ: إنَّ كِتَابَ ابْنِ جريج قَبْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ الشَّافِعِيُّ وَإِنْ كَانَ أَصْلُهُ مَكِّيًّا فَإِنَّهُ تَفَقَّهَ عَلَى طَرِيقَةِ أَهْلِ الْحَدِيثِ غَيْرَ مُتَقَيِّدٍ بِمِصْرِهِ، وَكَذَلِكَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: وَإِنْ كَانَ أَجْدَادُهُ بَصْرِيِّينَ فَإِنَّهُ تَفَقَّهَ عَلَى طَرِيقَةِ أَهْلِ الْحَدِيثِ غَيْرَ مُتَقَيِّدٍ بِالْبَصْرِيِّينَ وَلَا غَيْرِهِمْ.
كَمَا أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الْمُبَارَكِ وَإِسْحَاقَ بْنَ إبْرَاهِيمَ وَمُحَمَّدَ بْنَ إسْمَاعِيلَ الْبُخَارِيَّ وَغَيْرَهُمْ مِنْ الْخُراسانِيِّينَ، وَكَذَلِكَ أَئِمَّةُ الزُّهَّادِ وَالْعُبَّادِ مِنْ هَذِهِ الْأَمْصَارِ كَمَا ذَكَرَهُ أَبُو الْفَرَجِ بْنُ الْجَوْزِيِّ فِي " صَفْوَةِ الصَّفْوَةِ ".
فَالْعِلْمُ الْمَشْرُوعُ وَالنُّسُكُ الْمَشْرُوعُ مَأْخُوذٌ عَنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

،وَأَمَّا مَا جَاءَ عَمَّنْ بَعْدَهُمْ فَلَا يَنْبَغِي أَنْ يُجْعَلَ أَصْلًا وَإِنْ كَانَ صَاحِبُهُ مَعْذُورًا بَلْ مَأْجُورًا لِاجْتِهَادٍ أَوْ تَقْلِيدٍ، فَمَنْ بَنَى الْكَلَامَ فِي الْعِلْمِ: الْأُصُولِ وَالْفُرُوعِ عَلَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالْآثَارِ الْمَأْثُورَةِ عَنْ السَّابِقِينَ فَقَدْ أَصَابَ طَرِيقَ النُّبُوَّةِ.

وَكَذَلِكَ مَنْ بَنَى الْإِرَادَةَ وَالْعِبَادَةَ وَالْعَمَلَ وَالسَّمَاعَ الْمُتَعَلِّقَ بِأُصُولِ الْأَعْمَالِ وَفُرُوعِهَا مِنْ الْأَحْوَالِ الْقَلْبِيَّةِ وَالْأَعْمَالِ الْبَدَنِيَّةِ عَلَى الْإِيمَانِ وَالسُّنَّةِ وَالْهَدْيِ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابُهُ فَقَدْ أَصَابَ طَرِيقَ النُّبُوَّةِ.

[نفهم من هذا الكلام أنَّ الأصل في العلم و العبادة يؤخذ من الكتاب و السُّنَّة و المأثور عن الصَّحابة ،ولا ينبغي أن نجعل اجتهادات العلماء أصلاً ننطلق منه، و الأخطاء التي وقعت قد يكون أصحابها معذورين و مأجورين لاجتهادٍ أو لتقليد ، وهذا مهمٌّ جداً لأنَّ الذي نلاحظه الآن أنَّ بعض طلبة العلم صار يعامل العوامَّ المقلِّدة كالعلماء، فيجري عليهم أحكامهم، و آخر اعتبر كلَّ المسلمين مقلَّدة في الفقه واللازم أنَّه في الأصول النظريَّة و العمليَّة كذلك إذ هي أعقد من الأحكام، بل قد ذهب المداخلة إلى أبعد من هذا حينما قالوا: العلماء معذورون لاجتهادهم و العوام مؤاخذون !

هذه هي العقول التي تقود الجماعات و المذاهب الإسلاميَّة حاليا، ستوصلنا إلى بعيد ؟]

وَهَذِهِ طَرِيقُ أَئِمَّةِ الْهُدَى تَجِدُ " الْإِمَامَ أَحْمَدَ " إذَا ذَكَرَ أُصُولَ السُّنَّةِ قَالَ: هِيَ التَّمَسُّكُ بِمَا كَانَ عَلَيْهِ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكَتَبَ كُتُبَ التَّفْسِيرِ الْمَأْثُورِ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ، وَكَتَبَ الْحَدِيثَ وَالْآثَارَ الْمَأْثُورَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ، وَعَلَى ذَلِكَ يَعْتَمِدُ فِي أُصُولِهِ الْعِلْمِيَّةِ وَفُرُوعِهِ حَتَّى قَالَ فِي رِسَالَتِهِ إلَى خَلِيفَةِ وَقْتِهِ " الْمُتَوَكِّلِ ": لَا أُحِبُّ الْكَلَامَ فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ إلَّا مَا كَانَ فِي كِتَابِ اللَّهِ أَوْ فِي حَدِيثٍ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَوْ الصَّحَابَةِ أَوْ التَّابِعِينَ فَأَمَّا غَيْرُ ذَلِكَ فَالْكَلَامُ فِيهِ غَيْرُ مَحْمُودٍ.

كَذَلِكَ فِي " الزُّهْدِ " و " الرِّقَاقِ " و " الْأَحْوَالِ " فَإِنَّهُ اعْتَمَدَ فِي " كِتَابِ الزُّهْدِ " عَلَى الْمَأْثُورِ عَنْ الْأَنْبِيَاءِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ مِنْ آدَمَ إلَى مُحَمَّدٍ ثُمَّ عَلَى طَرِيقِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَلَمْ يَذْكُرْ مَنْ بَعْدَهُمْ، وَكَذَلِكَ وَصْفُهُ لِآخِذِ الْعِلْمِ أَنْ يَكْتُبَ مَا جَاءَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ عَنْ الصَّحَابَةِ ثُمَّ عَنْ التَّابِعِينَ. - وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى - ثُمَّ أَنْتَ فِي التَّابِعِينَ مُخَيَّرٌ.

وَلَهُ كَلَامٌ فِي " الْكَلَامِ الْكَلَامِيّ ". و " الرَّأْيِ الْفِقْهِيّ " وَفِي " الْكُتُبِ الصُّوفِيَّةِ " و " السَّمَاعِ الصُّوفِيّ " لَيْسَ هَذَا مَوْضِعَهُ،يَحْتَاجُ تَحْرِيرُهُ إلَى تَفْصِيلٍ وَتَبْيِينِ كَيْفِيَّةِ اسْتِعْمَالِهِ فِي حَالٍ دُونَ حَالٍ، فَإِنَّهُ يَنْبَنِي عَلَى الْأَصْلِ الَّذِي قَدَّمْنَاهُ مِنْ أَنَّهُ قَدْ يَقْتَرِنُ بِالْحَسَنَاتِ سَيِّئَاتٌ إمَّا مَغْفُورَةٌ أَوْ غَيْرُ مَغْفُورَةٍ ،وَقَدْ يَتَعَذَّرُ أَوْ يَتَعَسَّرُ عَلَى السَّالِكِ سُلُوكُ الطَّرِيقِ الْمَشْرُوعَةِ الْمَحْضَةِ إلَّا بِنَوْعِ مِنْ الْمُحْدَثِ لِعَدَمِ الْقَائِمِ بِالطَّرِيقِ الْمَشْرُوعَةِ عِلْمًا وَعَمَلًا، فَإِذَا لَمْ يَحْصُلْ النُّورُ الصَّافِي بِأَنْ لَمْ يُوجَدْ إلَّا النُّورُ الَّذِي لَيْسَ بِصَافٍ، وَإِلَّا بَقِيَ الْإِنْسَانُ فِي الظُّلْمَةِ فَلَا يَنْبَغِي أَنْ يَعِيبَ الرَّجُلُ وَيَنْهَى عَنْ نُورٍ فِيهِ ظُلْمَةٌ إلَّا إذَا حَصَلَ نُورٌ لَا ظُلْمَةَ فِيهِ، وَإِلَّا فَكَمْ مِمَّنْ عَدَلَ عَنْ ذَلِكَ يَخْرُجُ عَنْ النُّورِ بِالْكُلِّيَّةِ إذَا خَرَجَ غَيْرُهُ عَنْ ذَلِكَ؛ لِمَا رَآهُ فِي طُرُقِ النَّاسِ مِنْ الظُّلْمَةِ.

[لا تحتاج إلى تعليق فقط كرّرها وكرّرها ثمَّ انظر بها إلى أحوال المسلمين]

وَإِنَّمَا قَرَّرْت هَذِهِ " الْقَاعِدَةَ " لِيُحْمَلَ ذَمُّ السَّلَفِ وَالْعُلَمَاءِ لِلشَّيْءِ عَلَى مَوْضِعِهِ، وَيُعْرَفَ أَنَّ الْعُدُولَ عَنْ كَمَالِ خِلَافَةِ النُّبُوَّةِ الْمَأْمُورِ بِهِ شَرْعًا: تَارَةً يَكُونُ لِتَقْصِيرِ بِتَرْكِ الْحَسَنَاتِ عِلْمًا وَعَمَلًا ،وَتَارَةً بِعُدْوَانِ بِفِعْلِ السَّيِّئَاتِ عِلْمًا وَعَمَلًا، وَكُلٌّ مِنْ الْأَمْرَيْنِ قَدْ يَكُونُ عَنْ غَلَبَةٍ ،وَقَدْ يَكُونُ مَعَ قُدْرَةٍ.

" فَالْأَوَّلُ " قَدْ يَكُونُ لِعَجْزِ وَقُصُورٍ وَقَدْ يَكُونُ مَعَ قُدْرَةٍ وَإِمْكَانٍ.

و " الثَّانِي ": قَدْ يَكُونُ مَعَ حَاجَةٍ وَضَرُورَةٍ وَقَدْ يَكُونُ مَعَ غِنًى وَسَعَةٍ، وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْ الْعَاجِزِ عَنْ كَمَالِ الْحَسَنَاتِ وَالْمُضْطَرِّ إلَى بَعْضِ السَّيِّئَاتِ مَعْذُورٌ فَإِنَّ اللَّهَ يَقُولُ: {فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ} وَقَالَ: {لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إلَّا وُسْعَهَا} - فِي الْبَقَرَةِ وَالطَّلَاقِ (1) - وَقَالَ: {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إلَّا وُسْعَهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ {إذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرِ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ} وَقَالَ سُبْحَانَهُ: {وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ} وَقَالَ: {مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ} وَقَالَ: {يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ} وَقَالَ: {فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إثْمَ عَلَيْهِ} وَقَالَ: وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ.

هَذَا أَصْلٌ عَظِيمٌ: وَهُوَ: أَنْ تَعْرِفَ الْحَسَنَةَ فِي نَفْسِهَا عِلْمًا وَعَمَلًا سَوَاءٌ كَانَتْ وَاجِبَةً أَوْ مُسْتَحَبَّةً، وَتَعْرِفَ السَّيِّئَةَ فِي نَفْسِهَا عِلْمًا وَقَوْلًا وَعَمَلًا مَحْظُورَةً كَانَتْ أَوْ غَيْرَ مَحْظُورَةٍ - إنْ سُمِّيَتْ غَيْرُ الْمَحْظُورَةِ سَيِّئَةً - وَإِنَّ الدِّينَ تَحْصِيلُ الْحَسَنَاتِ وَالْمَصَالِحِ

وَتَعْطِيلُ السَّيِّئَاتِ وَالْمَفَاسِدِ.،وَإِنَّهُ كَثِيرًا مَا يَجْتَمِعُ فِي الْفِعْلِ الْوَاحِدِ أَوْ فِي الشَّخْصِ الْوَاحِدِ الْأَمْرَانِ فَالذَّمُّ وَالنَّهْيُ وَالْعِقَابُ قَدْ يَتَوَجَّهُ إلَى مَا تَضَمَّنَهُ أَحَدُهُمَا فَلَا يَغْفُلُ عَمَّا فِيهِ مِنْ النَّوْعِ الْآخَرِ كَمَا يَتَوَجَّهُ الْمَدْحُ وَالْأَمْرُ وَالثَّوَابُ إلَى مَا تَضَمَّنَهُ أَحَدُهُمَا فَلَا يَغْفُلُ عَمَّا فِيهِ مِنْ النَّوْعِ الْآخَرِ، وَقَدْ يُمْدَحُ الرَّجُلُ بِتَرْكِ بَعْضِ السَّيِّئَاتِ الْبِدْعِيَّةِ والفجورية لَكِنْ قَدْ يُسْلَبُ مَعَ ذَلِكَ مَا حُمِدَ بِهِ غَيْرُهُ عَلَى فِعْلِ بَعْضِ الْحَسَنَاتِ السُّنِّيَّةِ الْبَرِّيَّةِ. فَهَذَا طَرِيقُ الْمُوَازَنَةِ وَالْمُعَادَلَةِ، وَمَنْ سَلَكَهُ كَانَ قَائِمًا بِالْقِسْطِ الَّذِي أَنْزَلَ اللَّهُ لَهُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ.))ابن تيمية؛ مجموع الفتاوى:10/366

وحتى تزداد فهماً لهذه الخلاصة، و تعرف ببساطةٍ كيف تعمل بموجبها فهذه كلمة أخرى مستخلصة من كتابه " اقتضاء الصراط المستقيم":

1 ـ حقيقة الدِّين التفطن لما اشتملت عليه أفعال النَّاس من المصالح الشَّرعيَّة و المفاسد، يعني: معرفة مراتب المعروف، ومراتب المنكر حتى نقدِّم أهمها عند المزاحمة.

2 ـ حقيقة العمل الذي جاءت به الرُّسل هو التمييز عند التزاحم بين أعرف المعروفين فتدعوا إليه،و تنكر أنكر المنكرين .

3 ـ خصائص العلماء ترجيح أقوى الدليلين، و التمييز بين مراتب المعروف والمنكر.

وعلى هذا فمراتب الأعمال الشَّرعية ثلاث:

أحدهما:العمل الصَّالح المشروع، و الذي لا كراهة فيه، أي: المشروع أصلاً ووصفا، وهو سنَّة رسول الله صلى الله عليه وسلم باطنها و ظاهرها، قولها و عملها في الأمور العلميَّة و العمليَّة مطلقا، فهذا الذي يجب تعلُّمه و تعليمه و الأمر به، و فعله على حسب مقتضى الشَّريعة من إيجاب و استحباب، و الغالب على هذا الضرب: هو أعمال السابقين الأولين من المهاجرين و الأنصار و الذين تبعوهم بإحسان.

يعني: تلتزم به متى عرفته و تأمر به من يُطيعك، و تدعو إليه غيرهم بعلم وحلم، لكنه لا يعني تعلُّم غيره، فبدونه لا يمكنك أن تعتبر المحدث به، وبدون المحدث لا يمكنك أن تعالج المحتاج إليه.

الثانية:العمل الصَّالح من بعض وجوهه أو أكثرها إمَّا لحسن القصد، أو لاشتماله مع ذلك على أنواع من المشروع، أي: المشروع أصلاً المبتدع وصفاً، فهي كثيرة جدا في طرق المتأخرين المنتسبين إلى علم أو عبادة، ومن العامة أيضا، وهؤلاء خير ممن لا

يعمل عملا صالحا مشروعا ولا غير مشروع، أو من يكون عمله من جنس المحرم، كالكفر و الكذب و الخيانة والجهل، و يندرج في هذه أنواع كثيرة.
وهذا الأكثر في النَّاس، وهو يحتاج إلى حذر شديد لأنَّ التفاعل فيه قد يقود النَّاس للثالث.
الثالثة:ما ليس فيه صلاح أصلاً، إما لكونه تركاً للعمل مطلقا، أو لكونه عملا فاسدا محضا،أي: المبتدع أصلا ووصفاً.
و المطلوب منَّا بناءً على هذا التقسيم نقل النَّاس من المرتبة الثالثة إلى الأولى إذا قدروا على ذلك أو تركهم في الثانية لم يقدروا ، فليس كل ما كان صحيحا ينتقل إليه النَّاس بسبب وجود موانع علمية و بيئية، أي إن لم يسمح لهم علمهم و أحوالهم بسبب الشبهات المنتشرة و التي دخلت على الدِّين و قبلها كثير من الفضلاء لظنهم بصحتها لكن لا يجب أبداً أن ندع النَّاس على المرتبة الثالثة أو أن ندفعهم من خلال عدم فهم جيد لمسألة الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر ،و طرق الإنكار في العلم من المرتبة الثانية إلى الثالثة.
و إليك هذا المثال لتقريب الفهم : من المعلوم أنَّ مذهب الإمام أحمد في زخرفة المصاحف أنَّه مكروه ومع ذلك لما جاءه أحد الأمراء و استشاره "استفتاه" في إنفاق ألف دينار على زركشة المصحف بالذهب أجازه له ، لأنَّه لو لم يجيزه له لأنفقها على كتاب شعر، فإنفاقها على كتاب الله و إن كان مكروها خيراً له من إنفاقها على كتاب شعر ، على الأقل يجزى على نيَّتهِ. الاقتباس بتصرُّف
أخيراً: كلُّ من جاء من المسلمين بعد العصور المفضَّلة عجز عن معرفة الصواب في المسائل الدقيقة الكلاميَّة و النسكية إلاَّ بنوع من العلوم التي كان السَّلف ينهون عنها، و لذلك ختم ابن تيميَّة كلامه السابق بقاعدة المقابلة بين الحسنات و السيِّئات و فهم نهي السَّلف ووضعه في مكانه الصَّحيح.
وحقيقة ما صار إليه بعض السَّلفيين من رفع عبارات السَّلف الناهية عن بعض العلوم و الأمور في غير محله، وضرره لا يقلُّ عن ضررها.

تاريخ الانحراف الفكريِّ و السِّياسي في المسلمين أسبابه ووجه التعامل معه

الحمد لله وحده، و الصَّلاة و السَّلام على من لا نبيَّ بعده.
من يدرس كتابات المسلمين التي تعنَى بالبحث في إشكاليات واقع المسلمين السِّياسي و

الاجتماعيِّ و الفكري يجد اضطراباً شديداً يتمثل في أفكارٍ لم يذهب صاحبُها إلى نهايتها،تُوقفها نزعته المذهبيَّة،أو إكراهات بيئته !

كما يجد عدم اكتراث بالتوليف بين الوقائع و أسبابها،و استشهاداً بالتَّاريخ من كتب تاريخية تحتاج إلى "علم كتابة التَّاريخ" [histographie'l]، مع غياب منهجية إبستمية ترسم البراديجم العامَّ،و البراديجمات الخاصَّة بكلِّ طائفة، تقف عند المبادئ المعرفية/الإدراكية ، و لا تغفل عن المقاربةِ الخارجية المتمثلة في التأثير الاجتماعيِّ و السِّياسي على العلوم و أصحابِها ،ووسائل انتشارها .

كذلك يغيبُ الاعتناء بالشام المفاهيمي المتأثر بالعادات و البيئة ودوره في تشكيل العقل المسلم في العصور المتأخِّرة.

لا يمكنك أبداً أن تفهم واقع المسلمين اليوم،و تجد الحلَّ النافع له بدون أن تعرف تاريخهم المذهبيِّ و السِّياسي،و أسباب الانحراف أو التوسُّع و التفريع العلميَّة التي دفعتهم إلى ذلك، و كيف أنَّ الإسلام الذي كان دينا بسيطا علماً و عملا و لغةً أصبح مقالات معقَّدة و علوم دقيقة وواسعة اصطلاحية و آلية، نظريَّة و عمليَّة.

و لم أجد في كلِّ ما كتبه المسلمون قديماً وحديثا ممَّا وقع تحت يدي ما يجمع كلَّ هذه العناصر و الأبعاد مثل كلمة لشيخ الإسلام ابن تيميَّة ~ رحمه الله ~ هي من أروع الخلاصات العلميَّة المعتنية بهذا الموضوع بكفاءة عقليَّة عالية الطراز، تكفي وحدها كلَّ ما حدث و سببه.

و أهم من ذلك كيفية التعامل مع آثاره و توابعه، مع قدرة فائقة على تحديد المعالم بالنُّصوص، و التعامل مع الواقع الموجود بموضوعية وواقعية قلَّ نظيرها عند غيره، بحيث لا تضيِّع مصالح الأمَّة في الائتلاف و الوحدة و العمل المفيد في الجري المثالي خلف الواقع المقصود.

يمكن أن نقول: هو منهج الجمع بين الحقِّ و العذر على الخطأ فيه بعد معرفة أسبابه، التزام الحقيقة العلميَّة بدون تضخيم مشاكل الحقيقة الواقعية أو عرقلة إصلاحها.

ربَّما قد مرَّ عليك هذا الكلام من قبل ،ومع ذلك فإنَّه عند غالب المهتمين بالتدقيقات الكلامية يعدُّونه نوعاً من الخطابة،فلا يقفون عنده طويلاً، وهو في الحقيقة زبدة النَّظر في المقالات الكلامية،في المسائل والدلائل ذلك أنَّ منهج تلخيص الكلِّ في توليفة لا يزال بعيداً عن العقلية الإسلاميَّة المعاصرة.

ومن أهمّ ما جاء في توليفة ابن تيمية أنَّ المقالات المنحرفة عمَّا كان عليه الصَّحابة في "الكلام" و "التصوف" و "الرأي" مقالات قالها معذور مأجور ،و غير معذور، متمكن قادر، وعاجز؛لا توجد أيَّة مصلحة لتضييع الوقت و الجهد في البحث عن غير المعذور مادام قد قالها المعذور كذلك،فالتفاعل العلمي حولها لا يجب أن يغفل هذه الملاحظة.

يبدأ شيخ الإسلام باستعراض تاريخ ظهور الأفكار العقدية و المذهبيَّة و النُّظم السِّياسية وما صارت إليه، ومع أهمِّيَّة هذا العرض إلاَّ أنَّ الخاتمة و بعض الفصول في ثنايا الكلام هي المبتغى لكلِّ باحث عن حل شرعيٍّ عملي لمشاكل المسلمين الطائفية و المذهبيَّة ، لا أظنُّ عاقلا منصفاً صادقا في حبِّه لدينه و أمَّته لن يوافق عليها.

إنَّه منهج علمي يكشف لك بصورة جلية بعيداً عن كلِّ التباس قد يقع لمن يقرأ ابن تيميَّة لكثرةِ كلامه و استطراداته، و تداخل أغراضه و أحواله حجم الهوَّة بينه و بين كثير من السَّلفيين ،و أنَّه فعلاً قد انتسب إليه غلاةٌ و جهَّال بمشروعه حتى من الذين يردِّدون أدلَّته الكلامية و الفلسفية، هو بريء منهم جملةً و تفصيلا لأنَّ فهم ابن تيميَّة أو اتِّباعه ليس في ترديد أدلته التفصيلية و لكن في نظرته الكلِّيَّة، و خاصَّة في التمييز بين الحقيقة الموضوعية المجرَّدة، و الحقيقة الواقعية للمسلمين كعلماء و مذاهب و أفراد..

ما تجده بين معقوفتين هو تعليقي..

قال: ((وَاعْلَمْ أَنَّ عَامَّةَ الْبِدَعِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِالْعُلُومِ وَالْعِبَادَاتِ فِي هَذَا الْقَدَرِ وَغَيْرِهِ إنَّمَا وَقَعَ فِي الْأُمَّةِ فِي أَوَاخِرِ خِلَافَةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ كَمَا أَخْبَرَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَيْثُ قَالَ: {مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي} .

وَمَعْلُومٌ أَنَّهُ إذَا اسْتَقَامَ " وُلَاةُ الْأُمُورِ " الَّذِينَ يَحْكُمُونَ فِي النُّفُوسِ وَالْأَمْوَالِ اسْتَقَامَ عَامَّةُ النَّاسِ كَمَا قَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ فِيمَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ لِلْمَرْأَةِ الأحمسية لَمَّا سَأَلَتْهُ فَقَالَتْ: " مَا بَقَاؤُنَا عَلَى هَذَا الْأَمْرِ الصَّالِحِ "؟ قَالَ: " مَا اسْتَقَامَتْ لَكُمْ أَئِمَّتُكُمْ "

وَفِي الْأَثَرِ :{صِنْفَانِ إذَا صَلَحُوا صَلَحَ النَّاسُ: الْعُلَمَاءُ وَالْأُمَرَاءُ} أَهْلُ الْكِتَابِ وَأَهْلُ

الْحَدِيدِ كَمَا دَلَّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ: {لَقَدْ أَرْسَلْنَا} الْآيَةَ. وَهُمْ " أُولُو الْأَمْرِ " فِي قَوْلِهِ: {أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ} .
وَكَذَلِكَ مِنْ جِهَتِهِمْ يَقَعُ الْفَسَادُ كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ مَرْفُوعًا وَعَنْ جَمَاعَةٍ مِنْ الصَّحَابَةِ: {إنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ زَلَّةُ عَالِمٍ وَجِدَالُ مُنَافِقٍ بِالْقُرْآنِ وَأَئِمَّةٌ مُضِلُّونَ} فَالْأَئِمَّةُ الْمُضِلُّونَ هُمْ الْأُمَرَاءُ، وَالْعَالِمُ وَالْمُجَادِلُ هُمْ الْعُلَمَاءُ لَكِنَّ (أَحَدَهُمَا) صَحِيحُ الِاعْتِقَادِ يَزِلُّ وَهُوَ الْعَالِمُ كَمَا يَقَعُ مِنْ أَئِمَّةِ الْفُقَهَاءِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ.
[عند تفسد عقلية الشُّعوب و أخلاقهم ووعيهم لا يمكنها أن تنتج من القيادات إلاَّ ما هو من جنسها، وحينئذ يكون الإصلاح مهمَّة العلماء المفكِّرون أوَّلا ثمَّ الحكَّام، و بخلاف ما يعتقده كثيرٌ من المشتغلين بالدَّعوة في مثل هذه الحال تحتاج الشُّعوب إلى الوعي السِّياسي الذي يُصبح بالضَّرورة موضوع الساعة.
و ولو اعتنوا بما شاءوا و أغفلوا التوعية السِّياسية لن يتقدَّموا خطوةً واحدة بل سيظل الوضع كما هو، بل قد تُصبح الشعوب متواطئة مع الفاسدين بطريقةٍ أو بأخرى ، فلكلِّ شيء وعيه الخاصّ، و الوعي بمتطلبات الدَّولة العادلة الصَّالحة هو وعي سياسيٌّ، و السِّياسة هي شجرة الموضوع الإسلاميِّ، و لهذا يجب علينا الاهتمام بهذا الموضوع الذي لا يُعوِّضه عصيان مدني، ولا ثورة، ولا انتخابات..]
و (الثَّانِي) كَالْمُتَفَلْسِفَةِ وَالْمُتَكَلِّمِينَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ بِشُبُهَاتِ الْقُرْآنِ مَعَ أَنَّهُمْ فِي الْحَقِيقَةِ منسلخون مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَإِنَّمَا احْتِجَاجُهُمْ بِهِ دَفْعًا لِلْخَصْمِ لَا اهْتِدَاءً بِهِ وَاعْتِمَادًا عَلَيْهِ؛ وَلِهَذَا قَالَ: {جِدَالُ مُنَافِقٍ بِالْقُرْآنِ} فَإِنَّ السُّنَّةَ وَالْإِجْمَاعَ تَدْفَعُ شُبْهَتَهُ.
وَالدِّينُ الْقَائِمُ بِالْقَلْبِ مِنْ الْإِيمَانِ عِلْمًا وَحَالًا هُوَ " الْأَصْلُ " وَالْأَعْمَالُ الظَّاهِرَةُ هِيَ " الْفُرُوعُ " وَهِيَ كَمَالُ الْإِيمَانِ.[رحم الله الألباني ظلمه المتنطعون الغلاة على هذه الكلمة]
فَالدِّينُ أَوَّلُ مَا يُبْنَى مِنْ أُصُولِهِ وَيَكْمُلُ بِفُرُوعِهِ كَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِمَكَّةَ أُصُولَهُ مِنْ التَّوْحِيدِ وَالْأَمْثَالِ الَّتِي هِيَ الْمَقَايِيسُ الْعَقْلِيَّةُ وَالْقِصَصُ وَالْوَعْدُ وَالْوَعِيدُ ثُمَّ أَنْزَلَ بِالْمَدِينَةِ - لَمَّا صَارَ لَهُ قُوَّةٌ - فُرُوعَهُ الظَّاهِرَةَ مِنْ الْجُمُعَةِ وَالْجَمَاعَةِ وَالْأَذَانِ وَالْإِقَامَةِ وَالْجِهَادِ وَالصِّيَامِ وَتَحْرِيمِ الْخَمْرِ وَالزِّنَا وَالْمَيْسِرِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ وَاجِبَاتِهِ وَمُحَرَّمَاتِهِ.
فَأُصُولُهُ تَمُدُّ فُرُوعَهُ وَتُثَبِّتُهَا، وَفُرُوعُهُ تُكْمِلُ أُصُولَهُ وَتَحْفَظُهَا فَإِذَا وَقَعَ فِيهِ نَقْصٌ ظَاهِرٌ فَإِنَّمَا يَقَعُ ابْتِدَاءً مِنْ جِهَةِ فُرُوعِهِ، وَلِهَذَا قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ {أَوَّلُ مَا تَفْقِدُونَ مِنْ

دِينِكُمْ الْأَمَانَةُ وَآخِرُ مَا تَفْقِدُونَ مِنْ دِينِكُمْ الصَّلَاةُ} وَرُوِيَ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: {أَوَّلُ مَا يُرْفَعُ الْحُكْمُ بِالْأَمَانَةِ} و " الْحُكْمُ " هُوَ عَمَلُ الْأُمَرَاءِ وَوُلَاةِ الْأُمُورِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: {إنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ} .
وَأَمَّا " الصَّلَاةُ " فَهِيَ أَوَّلُ فَرْضٍ وَهِيَ مِنْ أُصُولِ الدِّينِ وَالْإِيمَانِ مَقْرُونَةً بِالشَّهَادَتَيْنِ فَلَا تَذْهَبُ إلَّا فِي الْآخِرِ كَمَا قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ {بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ} فَأَخْبَرَ أَنَّ عَوْدَهُ كَبَدْئِهِ.
فَلَمَّا ذَهَبَتْ دَوْلَةُ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ وَصَارَ مُلْكًا ظَهَرَ النَّقْصُ فِي الْأُمَرَاءِ فَلَا بُدَّ أَنْ يَظْهَرَ أَيْضًا فِي أَهْلِ الْعِلْمِ وَالدِّينِ فَحَدَثَ فِي آخِرِ خِلَافَةِ عَلِيٍّ بِدْعَتَا الْخَوَارِجِ وَالرَّافِضَةِ إذْ هِيَ مُتَعَلِّقَةٌ بِالْإِمَامَةِ وَالْخِلَافَةِ وَتَوَابِعِ ذَلِكَ مِنْ الْأَعْمَالِ وَالْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ.
[رحم الله ابن تيميَّة علم أنَّ النَّقص في السِّياسة يقود حتماً إلى النَّقص في العلم ممَّا لم يعلمه بعدُ المعاصرون رغم كلِّ الوسائل العلميَّة المتوفِّرة لديهم ..
وهنا يجب أن نلاحظ أنَّ هذا الاختلاف في مجال السِّياسة و العلم عمَّا كان عليه الصَّحابة أثناء الخلافة الراشدة لم يذكر ابن تيميَّة أسبابه،وهي طبيعية مع اختلافِ الأجيال في القيم،فإذا تعذَّر على أمَّة التَّابعين أن تكون كالصَّحابة فكيف بمن جاء بعدهم؟]
وَكَانَ مُلْكُ " مُعَاوِيَةَ " مُلْكًا وَرَحْمَةً فَلَمَّا ذَهَبَ مُعَاوِيَةُ - رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ - وَجَاءَتْ إمَارَةُ " يَزِيدَ " وَجَرَتْ فِيهَا فِتْنَةُ قَتْلِ الْحُسَيْنِ " بِالْعِرَاقِ وَفِتْنَةُ أَهْلِ " الْحَرَّةِ " بِالْمَدِينَةِ وَحَصَرُوا مَكَّةَ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ.
ثُمَّ مَاتَ يَزِيدُ وَتَفَرَّقَتْ الْأُمَّةُ: ابْنُ الزُّبَيْرِ بِالْحِجَازِ وَبَنُو الْحَكَمِ بِالشَّامِ وَوَثَبَ الْمُخْتَارُ بْنُ أَبِي عُبَيْدٍ وَغَيْرُهُ بِالْعِرَاقِ. وَذَلِكَ فِي أَوَاخِرِ عَصْرِ الصَّحَابَةِ ،وَقَدْ بَقِيَ فِيهِمْ مِثْلُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ وَجَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ وَأَبِي سَعِيدٍ الخدري وَغَيْرِهِمْ حَدَثَتْ " بِدْعَةُ الْقَدَرِيَّةِ وَالْمُرْجِئَةِ " فَرَدَّهَا بَقَايَا الصَّحَابَةِ كَابْنِ عَبَّاسٍ وَابْنِ عُمَرَ وَجَابِرٍ وَوَاثِلَةَ بْنِ الْأَسْقَعِ وَغَيْرِهِمْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ مَعَ مَا كَانُوا يَرُدُّونَهُ هُمْ وَغَيْرُهُمْ مِنْ بِدْعَةِ الْخَوَارِجِ وَالرَّوَافِضِ.
وَعَامَّةُ مَا كَانَتْ الْقَدَرِيَّةُ إذْ ذَاكَ يَتَكَلَّمُونَ فِيهِ: أَعْمَالُ الْعِبَادِ كَمَا يَتَكَلَّمُ فِيهَا الْمُرْجِئَةُ فَصَارَ كَلَامُهُمْ فِي الطَّاعَةِ وَالْمَعْصِيَةِ وَالْمُؤْمِنِ وَالْفَاسِقِ وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنْ مَسَائِلِ " الْأَسْمَاءِ وَالْأَحْكَامِ " و " الْوَعْدِ و " الْوَعِيدِ " وَلَمْ يَتَكَلَّمُوا بَعْدُ فِي رَبِّهِمْ وَلَا فِي صِفَاتِهِ

إِلَّا فِي أَوَاخِرِ عَصْرِ صِغَارِ التَّابِعِينَ مِنْ حِينِ أَوَاخِرِ " الدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ " حِينَ شَرَعَ " الْقَرْنُ الثَّالِثُ " - تَابِعُو التَّابِعِينَ - يَنْقَرِضُ أَكْثَرُهُمْ - فَإِنَّ الِاعْتِبَارَ فِي الْقُرُونِ الثَّلَاثَةِ بِجُمْهُورِ أَهْلِ الْقَرْنِ وَهُمْ وَسَطُهُ وَجُمْهُورُ الصَّحَابَةِ انْقَرَضُوا بِانْقِرَاضِ خِلَافَةِ الْخُلَفَاءِ الْأَرْبَعَةِ حَتَّى أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ بَقِيَ مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ إلَّا نَفَرٌ قَلِيلٌ وَجُمْهُورُ التَّابِعِينَ بِإِحْسَانِ انْقَرَضُوا فِي أَوَاخِرِ عَصْرِ أَصَاغِرِ الصَّحَابَةِ فِي إمَارَةِ ابْنِ الزُّبَيْرِ وَعَبْدِ الْمَلِكِ،
وَجُمْهُورُ تَابِعِي التَّابِعِينَ انْقَرَضُوا فِي أَوَاخِرِ الدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ؛ وَأَوَائِلِ الدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ – [انتقال الأمم من طور إلى طورٍ أمرٌ طبيعي نظرا للتوسع المؤدي الى الاحتكاك بحضارات أخرى، و الانتقال من الشفهي إلى التدوين و الترجمة،و الصِّراعات السِّياسية التي تحتاج إلى حوامل دينية مذهبيَّة ، ولا توجد أمَّة حافظت بمجموعها على ما كان عليه أوائلُها،وهذا ما يؤكّده حديث "الفرقة الناجية"، وكون بعضهم يحرص على أن يكون من الطائفة الأكثر قرباً من الصَّحابة لا يعني أن يغفل هذه الحقيقة ..]
وَصَارَ فِي وُلَاةِ الْأُمُورِ كَثِيرٌ مِنْ الْأَعَاجِمِ وَخَرَجَ كَثِيرٌ مِنْ الْأَمْرِ عَنْ وِلَايَةِ الْعَرَبِ وَعُرِّبَتْ بَعْضُ الْكُتُبِ الْعَجَمِيَّةِ مِنْ كُتُبِ الْفُرْسِ وَالْهِنْدِ وَالرُّومِ وَظَهَرَ مَا قَالَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ {ثُمَّ يَفْشُو الْكَذِبُ حَتَّى يَشْهَدَ الرَّجُلُ وَلَا يُسْتَشْهَدُ وَيَحْلِفَ وَلَا يُسْتَحْلَفُ} - حَدَثَ ثَلَاثَةُ أَشْيَاءَ: " الرَّأْيُ " و " الْكَلَامُ " و " التَّصَوُّفُ "، وَحَدَثَ " التَّجَهُّمُ " وَهُوَ نَفْيُ الصِّفَاتِ، وَبِإِزَائِهِ " التَّمْثِيلُ ".
فَكَانَ جُمْهُورُ الرَّأْيِ مِنْ الْكُوفَةِ؛ إذْ هُوَ غَالِبٌ عَلَى أَهْلِهَا مَعَ مَا كَانَ فِيهِمْ مِنْ التَّشَيُّعِ الْفَاحِشِ وَكَثْرَةِ الْكَذِبِ فِي الرِّوَايَةِ مَعَ أَنَّ فِي خِيَارِ أَهْلِهَا مِنْ الْعِلْمِ وَالصِّدْقِ وَالسُّنَّةِ وَالْفِقْهِ وَالْعِبَادَةِ أَمْرٌ عَظِيمٌ؛ لَكِنَّ الْغَرَضَ أَنَّ فِيهَا نَشَأَ كَثْرَةُ الْكَذِبِ فِي الرِّوَايَةِ، وَكَثْرَةُ الْآرَاءِ فِي الْفِقْهِ، وَالتَّشَيُّعُ فِي الْأُصُولِ.
وَكَانَ جُمْهُورُ الْكَلَامِ وَالتَّصَوُّفِ فِي الْبَصْرَةِ فَإِنَّهُ بَعْدَ مَوْتِ الْحَسَنِ وَابْنِ سِيرِين بِقَلِيلِ ظَهَرَ عَمْرُو بْنُ عُبَيْدٍ وَوَاصِلُ بْنُ عَطَاءٍ؛ وَمَنْ اتَّبَعَهُمَا مِنْ أَهْلِ الْكَلَامِ وَالِاعْتِزَالِ، وَظَهَرَ أَحْمَدُ بْنُ عَطَاءٍ (1) الهجيمي الَّذِي صَحِبَ عَبْدَ الْوَاحِدِ بْنَ زَيْدٍ، وَعَبْدُ الْوَاحِدِ صَحِبَ الْحَسَنَ الْبَصْرِيَّ وَمَنْ اتَّبَعَهُ مِنْ الْمُتَصَوِّفَةِ وَبَنَى دويرة لِلصُّوفِيَّةِ؛ هِيَ أَوَّلُ مَا بُنِيَ فِي الْإِسْلَامِ.
وَكَانَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ وَغَيْرُهُ يُسَمُّونَهُمْ " الفقرية " وَكَانُوا يَجْتَمِعُونَ فِي دويرة لَهُمْ، وَصَارَ لِهَؤُلَاءِ مِنْ الْكَلَامِ الْمُحْدَثِ طَرِيقٌ يَتَدَيَّنُونَ بِهِ مَعَ تَمَسُّكِهِمْ بِغَالِبِ الدِّينِ،

وَلِهَؤُلَاءِ مِنْ التَّعَبُّدِ الْمُحْدَثِ طَرِيقٌ يَتَمَسَّكُونَ بِهِ مَعَ تَمَسُّكِهِمْ بِغَالِبِ التَّعَبُّدِ الْمَشْرُوعِ، وَصَارَ لِهَؤُلَاءِ حَالٌ مِنْ السَّمَاعِ وَالصَّوْتِ حَتَّى إنَّ أَحَدَهُمْ يَمُوتُ أَوْ يُغْشَى عَلَيْهِ.
وَلِهَؤُلَاءِ حَالٌ فِي الْكَلَامِ وَالْحُرُوفِ حَتَّى خَرَجُوا بِهِ إلَى تَفْكِيرٍ أَوْقَعَهُمْ فِي تَحَيُّرٍ، وَهَؤُلَاءِ أَصْلُ أَمْرِهِمْ " الْكَلَامُ ". وَهَؤُلَاءِ أَصْلُ أَمْرِهِمْ " الْإِرَادَةُ "، وَهَؤُلَاءِ يَقْصِدُونَ " بِالْكَلَامِ " التَّوْحِيدَ؛ وَيُسَمُّونَ نُفُوسَهُمْ الْمُوَحِّدِينَ. وَهَؤُلَاءِ يَقْصِدُونَ " بِالْإِرَادَةِ " التَّوْحِيدَ وَيُسَمُّونَ نُفُوسَهُمْ أَهْلَ التَّوْحِيدِ وَالتَّجْرِيدِ.
وَقَدْ كَتَبْت قَبْلَ هَذَا فِي " الْقَوَاعِدِ " مَا فِي طَرِيقَيْ أَهْلِ الْكَلَامِ وَالنَّظَرِ وَأَهْلِ الْإِرَادَةِ وَالْعَمَلِ مِنْ الِانْحِرَافِ إذَا لَمْ يَقْتَرِنْ بِمُتَابَعَةِ الرَّسُولِ، كَمَا بَيَّنْت فِي " قَاعِدَةٍ كَبِيرَةٍ " أَنَّ أَصْلَ الْعِلْمِ وَالْهُدَى وَالدِّينِ هُوَ الْإِيمَانُ بِاَللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاسْتِصْحَابُ ذَلِكَ فِي جَمِيعِ الْأَقْوَالِ وَالْأَحْوَالِ.
وَكَانَ " أَهْلُ الْمَدِينَةِ " أَقْرَبَ مِنْ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ فِي الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ إذْ لَمْ يَنْحَرِفُوا انْحِرَافَ الطَّائِفَتَيْنِ مِنْ الْكُوفِيِّينَ وَالْبَصْرِيِّينَ: هَوًى وَرِوَايَةً وَرَأْيًا وَكَلَامًا وَسَمَاعًا، وَإِنْ كَانَ فِي بَعْضِهِمْ نَوْعُ انْحِرَافٍ لَكِنْ هُمْ أَقْرَبُ.
وَأَمَّا " الشَّامِيُّونَ " فَكَانَ غَالِبُهُمْ مُجَاهِدِينَ وَأَهْلَ أَعْمَالٍ قَلْبِيَّةٍ أَقْرَبَ إلَى الْحَالِ الْمَشْرُوعِ مِنْ صُوفِيَّةِ الْبَصْرِيِّينَ إذْ ذَاكَ، وَلِهَذَا تَجِدُ كُتُبَ " الْكَلَامِ؛ وَالتَّصَوُّفِ " إنَّمَا خَرَجَتْ فِي الْأَصْلِ مِنْ الْبَصْرَةِ. فَمُتَكَلِّمَةُ الْمُعْتَزِلَةِ أَئِمَّتُهُمْ بَصْرِيُّونَ: مِثْلُ أَبِي الهذيل الْعَلَّافِ، وَأَبِي عَلِيٍّ الجبائي، وَابْنِهِ أَبِي هَاشِمٍ، وَأَبِي عَبْدِ اللَّهِ. . . (1) وَأَبِي الْحُسَيْنِ، الْبَصْرِيِّ.
وَكَذَلِكَ مُتَكَلِّمَةُ الْكُلَّابِيَة وَالْأَشْعَرِيَّةِ: كَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ كُلَّابٍ؛ وَأَبِي الْحَسَنِ الْأَشْعَرِيِّ وَصَاحِبِهِ أَبِي الْحَسَنِ الْبَاهِلِيِّ، وَالْقَاضِي أَبِي بَكْرِ بْنِ الْبَاقِلَانِي وَغَيْرِهِمْ.
وَكَذَلِكَ كُتُبُ " الْمُتَصَوِّفَةِ وَمَنْ خَلَطَ التَّصَوُّفَ بِالْحَدِيثِ وَالْكَلَامِ " كَكُتُبِ الْحَارِثِ بْنِ أَسَدٍ المحاسبي، وَأَبِي الْحَسَنِ بْنِ سَالِمٍ، وَأَبِي سَعِيدٍ الْأَعْرَابِيِّ، وَأَبِي طَالِبٍ الْمَكِّيِّ، وَقَدْ شَرَكَ هَؤُلَاءِ مِنْ الْبَغْدَادِيِّينَ والْخُراسانِيِّينَ وَالشَّامِيِّينَ خَلْقٌ، لَكِنَّ الْغَرَضَ أَنَّ الْأُصُولَ مِنْ ثَمَّ، كَمَا أَنَّ " عِلْمَ النُّبُوَّةِ " مِنْ الْإِيمَانِ وَالْقُرْآنِ؛ وَمَا يَتْبَعُ ذَلِكَ مِنْ الْفِقْهِ وَالْحَدِيثِ وَأَعْمَالِ الْقُلُوبِ إنَّمَا خَرَجَتْ مِنْ الْأَمْصَارِ الَّتِي يَسْكُنُهَا جُمْهُورُ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهِيَ الْحَرَمَانِ وَالْعِرَاقَانِ وَالشَّامُ: الْمَدِينَةُ وَمَكَّةُ وَالْكُوفَةُ وَالْبَصْرَةُ وَالشَّامُ وَسَائِرُ الْأَمْصَارِ تَبَعٌ.
فَالْقُرَّاءُ السَّبْعَةُ مِنْ هَذِهِ الْأَمْصَارِ؛ وَكَذَلِكَ أَئِمَّةُ أَهْلِ الْحَدِيثِ وَأَثْبَتُهُمْ أَهْلُ الْمَدِينَةِ وَأَهْلُ

الْبَصْرَةِ كَالزُّهْرِيِّ وَمَالِكٍ وكقتادة وَشُعْبَةَ وَيَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مَهْدِيٍّ.
وَأَهْلُ الْكُوفَةِ فِيهِمْ الصَّادِقُ وَالْكَاذِبُ.
وَأَهْلُ الشَّامِ لَمْ يَكُنْ فِيهِمْ كَثِيرٌ كَاذِبٌ وَلَا أَئِمَّةٌ كِبَارٌ فِي الْقِرَاءَةِ وَالْحَدِيثِ ،وَكَذَلِكَ أَئِمَّةُ الْفُقَهَاءِ فَمَالِكٌ عَالِمُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ، وَالثَّوْرِيُّ وَأَبُو حَنِيفَةَ وَغَيْرُهُمَا مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ، وَابْنُ جريج وَغَيْرُهُ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ؛ وَحَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ وَحَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ، وَالْأَوْزَاعِي وَطَبَقَتُهُ بِالشَّامِ.
وَقَدْ قِيلَ: إنَّ مَالِكًا إنَّمَا احْتَذَى مُوَطَّأَهُ عَلَى كِتَابِ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ ،وَقِيلَ: إنَّ كِتَابَ ابْنِ جريج قَبْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ الشَّافِعِيُّ وَإِنْ كَانَ أَصْلُهُ مَكِّيًّا فَإِنَّهُ تَفَقَّهَ عَلَى طَرِيقَةِ أَهْلِ الْحَدِيثِ غَيْرَ مُتَقَيِّدٍ بِمِصْرِهِ، وَكَذَلِكَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: وَإِنْ كَانَ أَجْدَادُهُ بَصْرِيِّينَ فَإِنَّهُ تَفَقَّهَ عَلَى طَرِيقَةِ أَهْلِ الْحَدِيثِ غَيْرَ مُتَقَيِّدٍ بِالْبَصْرِيِّينَ وَلَا غَيْرِهِمْ.
كَمَا أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الْمُبَارَكِ وَإِسْحَاقَ بْنَ إبْرَاهِيمَ وَمُحَمَّدَ بْنَ إسْمَاعِيلَ الْبُخَارِيَّ وَغَيْرَهُمْ مِنْ الخُراسانِيِّينَ، وَكَذَلِكَ أَئِمَّةُ الزُّهَّادِ وَالْعُبَّادِ مِنْ هَذِهِ الْأَمْصَارِ كَمَا ذَكَرَهُ أَبُو الْفَرَجِ بْنُ الْجَوْزِيِّ فِي " صَفْوَةِ الصَّفْوَةِ ".
فَالْعِلْمُ الْمَشْرُوعُ وَالنُّسُكُ الْمَشْرُوعُ مَأْخُوذٌ عَنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،وَأَمَّا مَا جَاءَ عَمَّنْ بَعْدَهُمْ فَلَا يَنْبَغِي أَنْ يُجْعَلَ أَصْلًا وَإِنْ كَانَ صَاحِبُهُ مَعْذُورًا بَلْ مَأْجُورًا لِاجْتِهَادٍ أَوْ تَقْلِيدٍ، فَمَنْ بَنَى الْكَلَامَ فِي الْعِلْمِ: الْأُصُولِ وَالْفُرُوعِ عَلَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالْآثَارِ الْمَأْثُورَةِ عَنْ السَّابِقِينَ فَقَدْ أَصَابَ طَرِيقَ النُّبُوَّةِ.
وَكَذَلِكَ مَنْ بَنَى الْإِرَادَةَ وَالْعِبَادَةَ وَالْعَمَلَ وَالسَّمَاعَ الْمُتَعَلِّقَ بِأُصُولِ الْأَعْمَالِ وَفُرُوعِهَا مِنْ الْأَحْوَالِ الْقَلْبِيَّةِ وَالْأَعْمَالِ الْبَدَنِيَّةِ عَلَى الْإِيمَانِ وَالسُّنَّةِ وَالْهَدْيِ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابُهُ فَقَدْ أَصَابَ طَرِيقَ النُّبُوَّةِ.
[نفهم من هذا الكلام أنَّ الأصل في العلم و العبادة يؤخذ من الكتاب و السُّنَّة و المأثور عن الصَّحابة ،ولا ينبغي أن نجعل اجتهادات العلماء أصلاً ننطلق منه، و الأخطاء التي وقعت قد يكون أصحابها معذورين و مأجورين لاجتهادٍ أو لتقليد ، وهذا مهمٌّ جداً لأنَّ الذي نلاحظه الآن أنَّ بعض طلبة العلم صار يعامل العوامَّ المقلِّدة كالعلماء، فيجري عليهم أحكامهم، و آخر اعتبر كلَّ المسلمين مقلَّدة في الفقه واللازم أنَّه في الأصول النظريَّة و العمليَّة كذلك إذ هي أعقد من الأحكام، بل قد ذهب المداخلة إلى أبعد من هذا حينما قالوا: العلماء معذورون لاجتهادهم و العوام مؤاخذون !

هذه هي العقول التي تقود الجماعات و المذاهب الإسلاميَّة حاليا، ستوصلنا إلى بعيد ؟]

وَهَذِهِ طَرِيقُ أَئِمَّةِ الْهُدَى تَجِدُ " الْإِمَامَ أَحْمَدَ " إذَا ذَكَرَ أُصُولَ السُّنَّةِ قَالَ: هِيَ التَّمَسُّكُ بِمَا كَانَ عَلَيْهِ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكَتَبَ كُتُبَ التَّفْسِيرِ الْمَأْثُورِ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ، وَكَتَبَ الْحَدِيثَ وَالْآثَارَ الْمَأْثُورَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ، وَعَلَى ذَلِكَ يَعْتَمِدُ فِي أُصُولِهِ الْعِلْمِيَّةِ وَفُرُوعِهِ حَتَّى قَالَ فِي رِسَالَتِهِ إلَى خَلِيفَةِ وَقْتِهِ " الْمُتَوَكِّلِ ": لَا أُحِبُّ الْكَلَامَ فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ إلَّا مَا كَانَ فِي كِتَابِ اللَّهِ أَوْ فِي حَدِيثٍ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَوْ الصَّحَابَةِ أَوْ التَّابِعِينَ فَأَمَّا غَيْرُ ذَلِكَ فَالْكَلَامُ فِيهِ غَيْرُ مَحْمُودٍ.

كَذَلِكَ فِي " الزُّهْدِ " و " الرِّقَاقِ " و " الْأَحْوَالِ " فَإِنَّهُ اعْتَمَدَ فِي " كِتَابِ الزُّهْدِ " عَلَى الْمَأْثُورِ عَنْ الْأَنْبِيَاءِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ مِنْ آدَمَ إلَى مُحَمَّدٍ ثُمَّ عَلَى طَرِيقِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَلَمْ يَذْكُرْ مَنْ بَعْدَهُمْ، وَكَذَلِكَ وَصْفُهُ لِآخِذِ الْعِلْمِ أَنْ يَكْتُبَ مَا جَاءَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ عَنْ الصَّحَابَةِ ثُمَّ عَنْ التَّابِعِينَ. - وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى - ثُمَّ أَنْتَ فِي التَّابِعِينَ مُخَيَّرٌ.

وَلَهُ كَلَامٌ فِي " الْكَلَامِ الْكَلَامِيِّ ". و " الرَّأْيِ الْفِقْهِيِّ " وَفِي " الْكُتُبِ الصُّوفِيَّةِ " و " السَّمَاعِ الصُّوفِيِّ " لَيْسَ هَذَا مَوْضِعَهُ،يَحْتَاجُ تَحْرِيرُهُ إلَى تَفْصِيلٍ وَتَبْيِينِ كَيْفِيَّةِ اسْتِعْمَالِهِ فِي حَالٍ دُونَ حَالٍ، فَإِنَّهُ يَنْبَنِي عَلَى الْأَصْلِ الَّذِي قَدَّمْنَاهُ مِنْ أَنَّهُ قَدْ يَقْتَرِنُ بِالْحَسَنَاتِ سَيِّئَاتٌ إمَّا مَغْفُورَةٌ أَوْ غَيْرُ مَغْفُورَةٍ ،وَقَدْ يَتَعَذَّرُ أَوْ يَتَعَسَّرُ عَلَى السَّالِكِ سُلُوكُ الطَّرِيقِ الْمَشْرُوعَةِ الْمَحْضَةِ إلَّا بِنَوْعِ مِنْ الْمُحْدَثِ لِعَدَمِ الْقَائِمِ بِالطَّرِيقِ الْمَشْرُوعَةِ عِلْمًا وَعَمَلًا، فَإِذَا لَمْ يَحْصُلْ النُّورُ الصَّافِي بِأَنْ لَمْ يُوجَدْ إلَّا النُّورُ الَّذِي لَيْسَ بِصَافٍ، وَإِلَّا بَقِيَ الْإِنْسَانُ فِي الظُّلْمَةِ فَلَا يَنْبَغِي أَنْ يَعِيبَ الرَّجُلُ وَيَنْهَى عَنْ نُورٍ فِيهِ ظُلْمَةٌ إلَّا إذَا حَصَلَ نُورٌ لَا ظُلْمَةَ فِيهِ، وَإِلَّا فَكَمْ مِمَّنْ عدَلَ عَنْ ذَلِكَ يَخْرُجُ عَنْ النُّورِ بِالْكُلِّيَّةِ إذَا خَرَجَ غَيْرُهُ عَنْ ذَلِكَ؛ لِمَا رَآهُ فِي طُرُقِ النَّاسِ مِنْ الظُّلْمَةِ.

[لا تحتاج إلى تعليق فقط كرّرها وكرّرها ثمَّ انظر بها إلى أحوال المسلمين]

وَإِنَّمَا قَرَّرْت هَذِهِ " الْقَاعِدَةَ " لِيُحْمَلَ ذَمُّ السَّلَفِ وَالْعُلَمَاءِ لِلشَّيْءِ عَلَى مَوْضِعِهِ، وَيُعْرَفَ أَنَّ الْعُدُولَ عَنْ كَمَالِ خِلَافَةِ النُّبُوَّةِ الْمَأْمُورِ بِهِ شَرْعًا: تَارَةً يَكُونُ لِتَقْصِيرِ بِتَرْكِ الْحَسَنَاتِ عِلْمًا وَعَمَلًا ،وَتَارَةً بِعُدْوَانِ بِفِعْلِ السَّيِّئَاتِ عِلْمًا وَعَمَلًا، وَكُلٌّ مِنْ الْأَمْرَيْنِ قَدْ

يَكُونُ عَنْ غَلَبَةٍ ،وَقَدْ يَكُونُ مَعَ قُدْرَةٍ.
" فَالْأَوَّلُ " قَدْ يَكُونُ لِعَجْزِ وَقُصُورٍ وَقَدْ يَكُونُ مَعَ قُدْرَةٍ وَإِمْكَانٍ.
و " الثَّانِي ": قَدْ يَكُونُ مَعَ حَاجَةٍ وَضَرُورَةٍ وَقَدْ يَكُونُ مَعَ غِنًى وَسَعَةٍ، وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْ الْعَاجِزِ عَنْ كَمَالِ الْحَسَنَاتِ وَالْمُضْطَرِّ إلَى بَعْضِ السَّيِّئَاتِ مَعْذُورٌ فَإِنَّ اللَّهَ يَقُولُ: {فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ} وَقَالَ: {لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إلَّا وُسْعَهَا} - فِي الْبَقَرَةِ وَالطَّلَاقِ (1) - وَقَالَ: {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إلَّا وُسْعَهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ {إذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرِ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ} وَقَالَ سُبْحَانَهُ: {وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ} وَقَالَ: {مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ} وَقَالَ: {يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ} وَقَالَ: {فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إثْمَ عَلَيْهِ} وَقَالَ: وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ.
هَذَا أَصْلٌ عَظِيمٌ: وَهُوَ: أَنْ تَعْرِفَ الْحَسَنَةَ فِي نَفْسِهَا عِلْمًا وَعَمَلًا سَوَاءٌ كَانَتْ وَاجِبَةً أَوْ مُسْتَحَبَّةً، وَتَعْرِفَ السَّيِّئَةَ فِي نَفْسِهَا عِلْمًا وَقَوْلًا وَعَمَلًا مَحْظُورَةً كَانَتْ أَوْ غَيْرَ مَحْظُورَةٍ - إنْ سُمِّيَتْ غَيْرُ الْمَحْظُورَةِ سَيِّئَةً - وَإِنَّ الدِّينَ تَحْصِيلُ الْحَسَنَاتِ وَالْمَصَالِحِ وَتَعْطِيلُ السَّيِّئَاتِ وَالْمَفَاسِدِ.،وَإِنَّهُ كَثِيرًا مَا يَجْتَمِعُ فِي الْفِعْلِ الْوَاحِدِ أَوْ فِي الشَّخْصِ الْوَاحِدِ الْأَمْرَانِ فَالذَّمُّ وَالنَّهْيُ وَالْعِقَابُ قَدْ يَتَوَجَّهُ إلَى مَا تَضَمَّنَهُ أَحَدُهُمَا فَلَا يَغْفُلُ عَمَّا فِيهِ مِنْ النَّوْعِ الْآخَرِ كَمَا يَتَوَجَّهُ الْمَدْحُ وَالْأَمْرُ وَالثَّوَابُ إلَى مَا تَضَمَّنَهُ أَحَدُهُمَا فَلَا يَغْفُلُ عَمَّا فِيهِ مِنْ النَّوْعِ الْآخَرِ، وَقَدْ يُمْدَحُ الرَّجُلُ بِتَرْكِ بَعْضِ السَّيِّئَاتِ الْبِدْعِيَّةِ والفجورية لَكِنْ قَدْ يُسْلَبُ مَعَ ذَلِكَ مَا حُمِدَ بِهِ غَيْرُهُ عَلَى فِعْلِ بَعْضِ الْحَسَنَاتِ السُّنِّيَّةِ الْبَرِّيَّةِ. فَهَذَا طَرِيقُ الْمُوَازَنَةِ وَالْمُعَادَلَةِ، وَمَنْ سَلَكَهُ كَانَ قَائِمًا بِالْقِسْطِ الَّذِي أَنْزَلَ اللَّهُ لَهُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ.))ابن تيمية؛ مجموع الفتاوى:10/366

وحتى تزداد فهماً لهذه الخلاصة، و تعرف ببساطةٍ كيف تعمل بموجبها فهذه كلمة أخرى مستخلصة من كتابه " اقتضاء الصراط المستقيم":

1 ـ حقيقة الدِّين التفطن لما اشتملت عليه أفعال النَّاس من المصالح الشَّرعيَّة و المفاسد، يعني: معرفة مراتب المعروف، ومراتب المنكر حتى نقدِّم أهمها عند المزاحمة.

2 ـ حقيقة العمل الذي جاءت به الرُّسل هو التمييز عند التزاحم بين أعرف المعروفين

فتدعوا إليه،و تنكر أنكر المنكرين .
3 ـ خصائص العلماء ترجيح أقوى الدليلين، و التمييز بين مراتب المعروف والمنكر.
وعلى هذا فمراتب الأعمال الشَّرعية ثلاث:
أحدهما:العمل الصَّالح المشروع، و الذي لا كراهة فيه، أي: المشروع أصلاً ووصفا، وهو سنَّة رسول الله صلى الله عليه وسلم باطنها و ظاهرها، قولها و عملها في الأمور العلميَّة و العمليَّة مطلقا، فهذا الذي يجب تعلُّمه و تعليمه و الأمر به، و فعله على حسب مقتضى الشَّريعة من إيجاب و استحباب، و الغالب على هذا الضرب: هو أعمال السابقين الأولين من المهاجرين و الأنصار و الذين تبعوهم بإحسان.
يعني: تلتزم به متى عرفته و تأمر به من يُطيعك، و تدعو إليه غيرهم بعلم وحلم، لكنه لا يعني تعلُّم غيره، فبدونه لا يمكنك أن تعتبر المحدث به، وبدون المحدث لا يمكنك أن تعالج المحتاج إليه.
الثانية:العمل الصَّالح من بعض وجوهه أو أكثرها إمَّا لحسن القصد، أو لاشتماله مع ذلك على أنواع من المشروع، أي: المشروع أصلاً المبتدع وصفاً، فهي كثيرة جدا في طرق المتأخرين المنتسبين إلى علم أو عبادة، ومن العامة أيضا، وهؤلاء خير ممن لا يعمل عملا صالحا مشروعا ولا غير مشروع، أو من يكون عمله من جنس المحرم، كالكفر و الكذب و الخيانة والجهل، و يندرج في هذه أنواع كثيرة.
وهذا الأكثر في النَّاس، وهو يحتاج إلى حذر شديد لأنَّ التفاعل فيه قد يقود النَّاس للثالث.
الثالثة:ما ليس فيه صلاح أصلاً، إما لكونه تركاً للعمل مطلقا، أو لكونه عملا فاسدا محضا،أي: المبتدع أصلا ووصفاً.
و المطلوب منَّا بناءً على هذا التقسيم نقل النَّاس من المرتبة الثالثة إلى الأولى إذا قدروا على ذلك أو تركهم في الثانية لم يقدروا ، فليس كل ما كان صحيحا ينتقل إليه النَّاس بسبب وجود موانع علمية و بيئية، أي إن لم يسمح لهم علمهم و أحوالهم بسبب الشبهات المنتشرة و التي دخلت على الدِّين و قبلها كثير من الفضلاء لظنهم بصحتها لكن لا يجب أبداً أن ندع النَّاس على المرتبة الثالثة أو أن ندفعهم من خلال عدم فهم جيد لمسألة الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر ،و طرق الإنكار في العلم من المرتبة الثانية إلى الثالثة.

و إليك هذا المثال لتقريب الفهم : من المعلوم أنَّ مذهب الإمام أحمد في زخرفة المصاحف أنَّه مكروه ومع ذلك لما جاءه أحد الأمراء و استشاره "استفتاه" في إنفاق ألف دينار على زركشة المصحف بالذهب أجازه له ، لأنَّه لو لم يجيزه له لأنفقها على كتاب شعر، فإنفاقها على كتاب الله و إن كان مكروها خيراً له من إنفاقها على كتاب شعر ، على الأقل يجزى على نيَّتِهِ. الاقتباس بتصرُّف

أخيراً: كلُّ من جاء من المسلمين بعد العصور المفضَّلة عجز عن معرفة الصواب في المسائل الدقيقة الكلاميَّة و النسكية إلاَّ بنوع من العلوم التي كان السَّلف ينهون عنها، و لذلك ختم ابن تيميَّة كلامه السابق بقاعدة المقابلة بين الحسنات و السيِّئات و فهم نهي السَّلف ووضعه في مكانه الصَّحيح.

وحقيقة ما صار إليه بعض السَّلفيين من رفع عبارات السَّلف الناهية عن بعض العلوم و الأمور في غير محله، وضرره لا يقلُّ عن ضررها.

ومشكلة بعضهم أنَّه كلَّما لم يفهم شيئا رفع شعار " الكتاب و السُّنَّة" ولو يريح المسلمين فيجيب عن مشاكلهم بالسُّنَّة إذا كان يظن أنَّ استنباط الأجوبة منها سهلا على فهمه...

عندما لا يجدون شيئًا قويماً يعارضون أو يقيمون به يثرثرون !

الحمد لله،و الصَّلاة و السَّلام على رسول الله.

بعضُ النَّاس عندما لا يفهمون قضيَّة معيَّنة ضمن موقفين متقابلين، و يعجزون عن إدراك أبعادها لِضعف الآلة، أو لِغلبة و سطوة أحد المواقف على نفوسِهم مع ضعف أدلَّته ~ و قد يكون القصور منهم لأنَّهم جمدوا على ما لديهم، أو عجزوا عن الانتقال إلى مستوى أعلى ~ يواسون أنفسهم، و يُخفِّفون الوطأة عليهم بتصوير المواقف المتقابلة المتعارضة على أنَّها سواء ، يعني : إذا سقط مذهبُه لعدم كفاية أدلَّته أسقط معه المذهب الحقَّ.

وهذا ~ و إن كان من طبع الآدميِّ عندما لا يُعالج باطنه ~ إخفاق على مستوى الشُّعور يُلبَّس زوراً لباس المقارنة، فالتَّسوية بين الصَّحيح و الفاسد ظُلم، و طلب الحقِّ في الخطأ جهل.

الميلاد أم الوفاة...؟

أمرت وزارة الأوقاف أئمة المساجد أن تكون خطبة الجمعة عن المولد النبوي فاحتال السلفيون منهم_بعضهم_على الأمر الوزاري وخطبوا عن وفاته صلى الله عليه وسلم..؟

لو تكلم هؤلاء وهؤلاء عن أشكال حبه صلى عليه وسلم المقبولة شرعا ؛ وعن الأيام التي تحفظ التاريخ في ذاكرة الأمم لاقتربوا خطوتين...

موضوع التخصيص محتاج إلى تحقيق ومراجعة و تمييز بين أنواعه..

كما أن معظم الكلام لا يتوجه إلى ذاك الصنف من الناس الذين يحبون النبي صلى الله عليه وسلم ويذكرونه و يتبعون هديه ويفرحون بيوم مولده.

و الجميل هذه السنة أن منشورات الفرقتين بدت لي هادئة موجهة برفق وسلاسة وكثر فيها الشعر والرد بالنقض.

الغربان لا تدخل النار..!

و البشر لا ينعقون..!

لو تأدب المسلم بأسلوب القرآن لجنب نفسه كثيرا من السقط.

لكن ماذا نفعل فهذا زمان هجر فيه الناس فهم القرآن والحديث وكلام الأئمة بحق؛ و اتبعوا الجهال وتمسكوا بذيل أقوال لا سند لها إلا الألف والعادة ومجاراة الشائع.

يستدل بعدم الدليل السمعي في المسائل التي تتوفر الدواعي والهمم على نقلها.

و يستدل بعدم فعل السلف في الأمور التي عرفوها واجتنبوها..

وإذا كان الاستدلال بعدم فعل النبي صلى الله عليه وسلم من أضعف الأدلة لوجود أدلة أخرى كما في مسألة دخول الحمامات فكيف بعدم فعل الصحابي؟

فعلا نحن نعاني أزمة عقول أحادية لا تتفاعل مع غيرها.

بدون تعميم..

ومع ضرورة الاتفاق على أن التهدئة والنهي عن هذه الأساليب واجب الوقت..

التجديد في الفقه؟

تحت تأثير الثقافة المعاصرة (الغربية) سيضع بعض المسلمين التراث الإسلامي على

طاولة التشريح تصحيحا في نظرهم لأحكام فقهية تبدو لهم مخالفة لروح الإسلام أو لمقاصده، مناقضة للعقل أو للمنطق، أو لحقيقة الإنسانية؟

وقد يجدون ثغرة ما: في ضعف سند، أو تعارض نصوص ظاهرا، أو تضارب لغوي.. الخ.

وقد يبدو استدلالهم لبعض الناس صحيحا لا غبار عليه لكن يبقى أمامهم إشكال عويص خاصة إذا ما كان بحثهم ينتهي بقول غير مسبوق.

فقد يقال لهم :من سبقكم إلى هذا، من امامكم في هذا القول، كيف تقولون بقول لم يقل به أحد قبلكم؟

هل تزعمون أن الأمة كانت قبلكم على ضلالة؟

و بالنص لا تجتمع الأمة على ضلالة!

وقد يجد هؤلاء أن بعض الفرق كالخوارج أو الشيعة على قولهم فيستندون عليهم.

وعند هذا يتحول البحث إلى أصله، يعني إلى أصول الفقه فيقال :هل تدخل هذه الفرق في الأمة المذكورة في الحديث، وهل هم من أهل الإجماع؟

وبهذا ننتقل إلى العقيدة ونسأل :هل هذه الفرق في هذا الحديث كما هي في حديث الفرقة الناجية من أمة الاستجابة؟

وهل يجوز احداث قول ثالث إذا اختلف الصحابة على قولين؟

وهل يمكن أن يقود الاستدلال الصحيح إلى قول غير مسبوق، يعني :فات القدماء هذا الاستدلال ونفس الأدلة كانت بين أيديهم؟

الا يلزم من هذا :ضرورة حسم هذه القضايا الأصولية قبل الخوض في الأحكام الفرعية إذ القفز على هذه القضايا الأصولية مشكل في تأصيل هذه الفرعيات، ولا يمكن تصحيح الفرع والأصل فاسد؟

التفاهة ..

الحمد لله، و الصلاة و السلام على من لا نبي بعده.

التفاهة موجودة في كل الأمم، ففي كل أمة يوجد أناس لا عقل لهم أو لا خلق عندهم.

و إنما الفرق بين الأمم الحية و غيرها من أمم هو في التعامل مع التفاهة القولية و السلوكية ،لا تجد عند النوع الأول من الأمم احتفالا بالتفاهة و إعارتها أدنى اهتمام،

فما كان رديئا عندهم أهملوه و نزهوا أسماعهم و أعينهم منه، و إن اهتموا به فكدراسة اجتماعية أو نفسية لمعالجته.
بينما في الأمم الأخرى تجد التفاعل مع التفاهة و النذالة سلبا و ايجابا ، عقلاء يتكلمون مع مجهول الهوية، أو فاقد الأهلية العقلية و النفسية !
و قد يدرس الواحد منهم ~ وهذا في أمتنا ~ " الجهالة، ومجهول العين ومجهول الوصف" لكن في حياته العملية هناك انفصام بين ما درسه و بين سلوكه اليومي ؟
وما يدريك من يقف خلفه من دوائر السر و الخفاء ، تريد أن تنزلكم إلى حضيض تشويها لكل مشروع إسلامي مضاد للمشروع التخريبي للدين الذي تؤزه بالمال و الدعاة.
وقد نجد في أمتنا من يستطيب الخبث ، و قد رفع عقيرته بذلك، و يحب سماع الخنا فمن أين لها هذه الأمة المسكينة أن تخرج من تحت براثن الذئاب؟
قال الله تعالى: {لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ - لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ} [التوبة]
ومعنى الآية : مستجيبون مطيعون لهم .
فيكون الكلام مبدؤه من المنافقين و الفاجرين ثم يتلطخ به بعض المؤمنين فبقدر نقص الإيمان و نقص العقل يتلوث بعض المؤمنين بقيح الفجار و المنافقين .
و قد كان في القديم بعض أهل الأهواء يصنفون الكتب لأهل السيف و المال فيما يحبونه و يهوونه كما صنف الكرخي لأحد الملوك تحليل النبيذ، و صنف غيره لا نحتاج لذكر أسمائهم و صار اليوم من لا خلاق له من عوام الفجار يصنف لبعض المنتسبين للسنة و أتباعهم في النذالة و الرداءة.
يحي الأمم عندما تلقي عن كاهلها كل أنواع الرداءة و تدوس بالإهمال و الاحتقار كل ما يزرع فيها الشقاق و سوء الأخلاق و مقدمات النفاق.
لا تدع الوقح يصب في أذنيك قيحه و إلا كنت أولى بالرحمة منه .

تجديد علم الكلام الإسلاميّ...؟

الحمد لله،و الصّلاة و السّلام على رسول الله.

هناك دعوة إلى تجديد علم الكلام الإسلاميِّ، و بعضُهم يرى أنَّه يجب علينا تعويض الفلسفة الغربية بعلم الكلام الإسلاميِّ ؟
وتقنياً : لا أدري كيف سيتمُّ ذلك، و كثير من أساسيات علم الكلام فلسفية إغريقية ؟
و المهمُّ قبل أن نجد حلاً لهذه المعضلة، سواء من حيث التَّمييز بين نوعي علم الكلام الصَّحيح و الفاسد ، أو من حيث قدرته على استبدال الفلسفة الغربية يلزمنا تجديد الاهتمام فلم تعد ~ في هذا العصر ~ كثيرٌ من قضايا علم الكلام موجودة أو تثير اهتمام النَّاس .
و الذي انتشر في النَّاس، و هو الآن يتمدَّد فيهم هو مذهب " الربوبيين، و الأدريين، و الروحانيين، و الإلحاد"، وهي مذاهب تشكُّ في وجود الله أو تشكُّ في النُّبوة .

غابة ابن تيمية...!
بعض موجبي التمذهب - من ناشئة العصر - يحطبون في غابة ابن تيمية ليلا..!
وإذا كان التمذهب هو التمسك بآراء الأئمة المحضة وفعل آحاد التابعين مع وجود عشرات النصوص ودون الإشارة إليها، ودون التفريق بين المستحب والجائز، أو حتى الفاضل والمفضول لهو أسوأ من الفوضى في الفقه التي يزعمون أن المسئول عنها التحرر من المذهبية؟
نقد السلفيين في منهجهم الفقهي مقبول ولكن بما هو أفضل منه وليس بما هو دونه نقلا عن عقلا..

اللادرية المذهبية... ؟
في كتاب ابن حزم - رحمه الله - "الفصل في الملل و الأهواء والنحل" فصل قوي عن أنواع اللاأدرية، وهي ثلاث :لاأدرية في وجود الله "ربوبية" و لاأدرية في المفاضلة بين الديانات "ملية" و لاأدرية في الترجيح بين المذاهب "مذهبية".
انصح كل طالب علم مهتم بموضوع التمذهب بقراءة هذا الفصل فقد أورد كل الشبهات والحجج المذهبية ورد عليها بقوة حجة وبيان يغنيك عن كل ما كتبه المعاصرون ومن هم دونه في التحقيق من المتقدمين.
فلا تحرم نفسك هذه الفائدة لأنك ستعرف أين تقف وإلى ما يدعوك بعض الناس في

الحقيقة عندما يوجبون التمذهب وعلى جميع الناس فمعلوم أن هذا القول هو حجة سلطة لا حجة علم يلجأ إليه بعضهم إذا عجز عن رد بعض أقوال الذين يدعون الاجتهاد يعني من تأليه الشيخ وتاليه العقل انتقلنا إلى تأليه المذهب.

في هذا الفصل ستفهم مقولة الشافعي في الإحاطة بالسنة وأنه غير ممكن بالانغلاق داخل مذهب واحد فالمذهب ليس نبوة لا تحتاج إلى شيء خارج عنها.. افهم هذا

التعلم أو التعليم بالاستفهام.. ؟

بعض الإخوة ينزل منشورات في قالب أسئلة يستفهم بها..؟

وهذا أسلوب جيد بشرط أن يكون محيطا بالموضوع، ويوجه النقاش في التعليق، ويذكر في الأخير الجواب الصحيح مقرونا بأدلته.

فإن لم يحقق هذه الشروط أخشى أن يتحول منشوره إلى إذاعة الشبهات و التشويش على الناس فقط، فتنبهوا بارك الله فيكم.

وأحسن طريقة ما جمعت بين النقض والقلب والاثبات، فالنقض مجرد هدم يبطل الباطل لكنه لا يبني الحق بخلاف الإثبات..

ومن حسن الصنيع، وهو دليل على المسؤولية والأمانة العلمية وعدم الوقوع في فخ التساهل والإهمال الذي تنصبه لنا تقنية مواقع التواصل أن يبحث قليلا عن موضوعه بمراجعة المصادر، وتتبع تفسيرات العلماء في القضايا المستشكلة، ولا يكتفي بتوثيق المصدر فأكثر المشاكل في السياق والتوجيه.

فإن قلد بعض طلبة العلم الذين ينتهجون هذا الأسلوب فليدقق في تعليقاتهم يجد الشروط التي ذكرتها.

والإنصاف والاعتدال والشهادة بالحق مطلوبة لكن في وقتها المناسب مع إحاطتها بما يحفظها من التلاعب وبدون الزهد في الصرامة المنهجية.

نفع الله بالجميع..

التراث التيمي...!

الحمد لله و الصلاة و السلام على رسول الله.

مما يقصر فيه المهتمون بتراث ابن تيمية العلمي الجانب العرفاني الفلسفي والسلوكي، والذي برع فيه ابن تيمية، وكان أعلى ما وصل إليه لأن نهاية جل الفلاسفة هي العرفان والاشراق.
فلا يتم نقض الفلسفة نقضا كاملا دون البحث معها في هذا المجال..
وعليه ربما أثر الاقتصار على الجانب الكلامي في بعض صغار المهتمين بفكر ابن تيمية على سلوكهم وعبادتهم لأن علم الكلام لا يزكي النفس.
ولم يتنبهوا إلى أن ابن تيمية كان مهتما بكل ضروب المعرفة، صوفيا على طريقة عباد أهل السنة.
وربما يقضي الطالب مدة حتى ينتبه لذلك.
وتلمس هذا من اهتماماته، لا تكاد تجد عنده حديثا في غير علم الكلام..؟
كذلك وقفوا في علم المنطق عند عمل ابن تيمية ولم يتزحزحوا عنه مع ان المنطق الصوري أصبح اليوم منطقا تقليديا يسمى "المضاربات" لا ينفق إلا عند الأشاعرة ومدرسة علم الكلام الجديد في إيران.
مع أن هذه الأخيرة أصبحت تميل للمنطق البراجماتي حيث يستدلون بالدليل لأنه يصلح للتوظيف في عملية التدليل وليس لأنه دال... ؟!
وهو ما صار يظهر في بعض الكتابات المعاصرة في صورة دعوة إلى ترقية "الدليل الإنشائي" ، و أنه كاف في تجديد هذا المجال، بطبيعة الحال على منصة عرفانية..
في ظني انه مالم يتحرك الأشاعرة نحو الاتجاهات المنطقية المعاصرة - وهي كثيرة جدا ومتداخلة في علوم معاصرة وتستدعي كفاءات علمية - لن يتحرك نحوها السلفيون، والعكس صحيح.!
لا أتحدث هنا عن محاولات فردية.
ربما يجب أن ننتبه إلى أن الصعود الآن في العالم ليس للالحاد بل للعرفان المعاصر، وهو مذاهب كثيرة، و قد تسلح بالمذاهب المنطقية الحدسية واللسانيات المعاصرة،وتملك صناعة الإعلام والصورة.
وفي نهاية المطاف على طالب العلم ان يخرج رأسه - بين الفينة والأخرى - من الكتاب، وعلم الكلام، واي شيء استهلك كل طاقته وينظر حواليه..

جرَب العقول... !

بعض النَّاس أصاب عقولهم داء الجرَب حتى أجهد تفكيرهم، و لم يجدوا حيلة لحكِّها إلاَّ أن يأتي الواحد منهم إلى منشورات بعيدةٍ عن متناوله فيعلِّق بما يشبه: " يا جماعة: السُّمُّ مضرٌّ و قد يقتل !".

يا أخي: النَّاس لا يبحثون في هذه الضَّروريات التي لولا الجرَب الذي أتلف عقلك لفهمت أنَّهم يبحثون في كيفيَّات استخراج الموادِّ المفيدة منها لمداواة بعض الأمراض المستعصية، مثل: داء الجهل الخبيث، وجرب العقل، وكلب النَّفس.... الخ

يكفيك أن تُبقى كلامك في دائرة أشباهك حيث معركة العميان، خبطاً في عشواء، و اكفينا شرَّ التَّعليق عليك، و الاضطرار إلى حذفك ...

أزمة الشيوخ...؟!

نعيش هذه الأيام فوضى مركبة يكاد يشارك فيها الجميع..!

وقد وقع الشباب في حيرة شديدة ما بين تضارب الرؤى مع عجز المدرسة التقليدية عن استيعاب الأزمة الفكرية. كل هذا ولد وضعا بات يسمى "الدعاة الجدد"؟

وعندما تتابع ما يكتبون بعناية، وتقلب فكرك فيه لا تجد أي جديد، فلا جديد في فكر ولا جديد في فهم، لا تجد إلا القديم الضعيف أعيد تسخينه وإضافة بعض المواد التزيينية عليه!

الجديد الذي قد يبهر بعضهم هو جرأة على نقد السلفية بأي شيء يقع تحت اليد..!

ومعلوم - لأسباب كثيرة منها المصائب البشرية المنتسبة للسلفية، وأخطاء في بعض المفاهيم وكذلك صحة معتقد ورفع المقام النبوة فوق العقل والتجرد والرأي - صار نقد السلفية يجذب الشباب من كل الطوائف كما يجذب الطعن في الإسلام الناس من كل الملل المخالفة، فنفخ هذا في وضع الدعاة الجدد، وصور الظاهرة على أنها التجديد المرتقب والحل المفقود لأزمة الفكر الإسلامي المعاصر.؟

شباب بدلاً من استكمال تحصيلهم حتى يتمكنوا من وسائل التمييز العلمي استغنوا بظاهر من قول هؤلاء لأنه يلبي حاجة نفسية أو تطلعا لغد إسلامي أفضل أو يعوض ثقل المدرسة التقليدية وانفصالها عن الواقع..

وهذا لا يعني ابدا أنهم مخطئون في كل انتقاد يوجهونه للسلفية، فيعلم الله الأخطاء التي فيها لكن عندما لا نجد في كلامهم مكانا لكلمة حق فيما تميزت به السلفية من إيجابيات، وما قدمته للأمة ولا تزال، نعلم أنهم ظاهرة مؤقتة تشكو من أخطاء الاستدلال بشكل رهيب ليست حلا للفوضى - كما يظن المعجب بها - بل تنتهي بانتهائها.

فإذا انضاف إلى ذلك تمسح بابن تيمية بنظر سطحي، ومحاولة مقارنته بالنسخ المكررة لأسباب المشاكل العلمية والمنهجية القديمة فنحن في قلب الفوضى..

الدعاة الجدد ليسوا أملا بل انتكاسة في العلم، ومصيبة كمصيبة غلاة السلفيين...

فقه الصحابة وعلمهم بالأصول..!

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله..

لقد كان إدراك الصحابة_رضوان الله عليهم_للأحكام الفقهية أكمل من إدراك من جاء بعدهم، فإدراكهم كان من غير حاجة إلى وسيلة كأنه حدسي وبعضهم يسميه ب- "السليقي "اي جعل أصول الفقه فيهم سليقة من غير تكلف وصنعة، فهل كلام ابن عباس_رضي الله عنهما_في القياس من هذا القبيل؟

وهذا مما يستوجب السؤال عن أصل هذه الأصول الأصلية والفرعية :هل هي سمعية ام عقلية أو تجمع بينهما؟ وخذ كمثال :الاستصحاب بأنواعه والاستحسان و المصالح المرسلة وغيرها، هل يمكن أن يعمل بها الإنسان بفطرته العقلية دون أن يسميها؟

وما حال التابعين وتابع التابعين، قبل ظهور الأئمة المدونين؟

وهل ظهور المذاهب باصولها الفقهية حسم الخلاف بين الصحابة بحيث انها اعملت هذه الأصول واختارت الأرجح ام بقيت المسألة على حالها، وأخذ كل مذهب بقول من أقوال الصحابة وأسنده بأصوله الخاصة ؟

ألا يردنا هذا إلى مذهب ابن القيم في أقوال الصحابة ويثبت صحته ؟

وإذا أخذنا كتاب "صفة الصلاة" للألباني_رحمه الله_ماذا يمكن أن تضيف عليه أصول الفقه؟

وهل علم أصول الفقه علم يقيني ام ظني؟

وهل تستمد المسائل حجيتها و قوتها من الأصول المختلف فيها أم من النصوص؟
ثانيا :هل انتشار المذاهب الأربعة وانقراض أخرى من حيث التابع، ونسبة عدد اتباعها هو أمر كوني ام شرعي؟
محاربة التمذهب أمر لا معنى له من كل وجه.
وايجاب التمذهب أمر أفسد منه، هنا حجر الزاوية..
الاستفهام في هذا المنشور تعليمي وقد تضمن اجوبته في سياقه وصياغته ولأن حسم هذه المسائل ليس بالهين إنما هو دعوة للتفكير وتعديل المواقف..

العقيدة مرآة وعي طلبة العلم... ؟

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله..
تفاعل طلبة العلم مع المقالات التي تعالج قضايا "الفكر والعقيدة" أقل بكثير من تفاعلهم مع المنشورات التي تتناول "الفقه والدعوة والجرح والتعديل" .. ؟
فهل مرجع ذلك إلى صعوبة العلوم العقلية، والعقيدة..؟
أو هي طريقة الشيوخ في عرض هذه العلوم بحيث تكون اللغة جافة مفصولة عن واقع الطالب وقدرته على التصور وبناء المفاهيم..؟
يعني: حتى الشرح كأنه يكرر كلام المتقدمين بعباراتهم..؟
فهل هذا سببه عدم الإحاطة التامة بالموضوع بحيث لا يقدر على التعبير عنه إلا بألفاظ المتقدمين فيصعب عليه ترجمتها بلغة معاصرة أو الحديث فيها باللغة المهلهلة المبتذلة لتقريب الفهم وضرب أمثلة معاصرة..؟
إضافة إلى ثقل طريقة الإلقاء ام ان الشباب غلبهم الكسل، وقد يفضلون عدم الدخول في الخلاف الكلامي؟
لكننا نجد العزوف عن التفاعل حتى في الرد على الفلسفة والفكر الغربي المعاصر؟
فهل الاهتمام بهذا لا يدخل في لزوم السنة والاهتمام بالدين في معالجة المشاكل الفكرية المعاصرة؟
أفهم أن بعضهم مشغول...
وبعضهم الاخر يترفع عن الدخول في نقاشات عقيمة بحسب تقديره، أو عنده خطة معينة يتبعها على مواقع التواصل!

لكن ألا يخبرنا هذا الأمر عن الفجوة بيننا وبين هذا العصر..
وعن عجز بعضنا عن أحياء عقيدته لتتفاعل مع المذاهب الفكرية المعاندة والمعارضة لعقيدته.. بحيث لا يقدر توجيهها إلا إلى الخصوم التقليديين ويعجز عن طردها مع خصوم العصر. ؟
كما يخبرنا عن خلل في التحصيل والتكوين...!
أو زهد في الاهتمام بالعقيدة في صورتها الحجاجية الفكرية؟
السؤال :هل يعرف كل طلبة العلم عقيدتهم في الله وفي النبوة والشريعة بأدلة يناقشون بها من لا يؤمن بالكتاب والسنة..؟

هل مقولة "على قول أصحابنا" دليل شرعي..؟

من المعلوم أن الاستدلال هو تفكير علمي خاص لأنه يتبع إجراءات علمية مسبقة لذا فهو فعل عقلي واع.... إلى حد الساعة..!
فهل يجوز مس تراب الغير بغيراذنه بحيث لا ينقص منه شيء، ولا تتغير صفة من صفاته، لا كما ولا نوعا؟
وهل يحرم الاستماع إلى قراءة الغير ، وشم عبق أزهاره والنظر إليها بغير إذنه.. ؟
وهل يحرم الاستناد على جدار الغير بغير إذنه؟
وهل استند يوما ما النبي صلى الله عليه وسلم أو أحد الصحابة على جدار غيره؟
فهل يكفي أن يكون "قول الأصحاب" مستندا لتحريم شرعي؟
خاصة إن كان مبنيا على مسألة نظرية جدلية كمسالة "الصلاة في الأرض المغصوبة" بل هي قياس على قياس.....؟!
وهل الجدار الذي مسح عليه النبي صلى الله عليه وسلم تيمما كان ملكه..؟
وهل يشترك الناس في بعض الأشياء؟
هل هذا هو الفقه المذهبي الذي نوجب على الناس أن يتمذهبوا به..؟
عندما يكون الأصل فاسدا يكون الفرع المقاس عليه فاسدا مثله..
مصادر التشريع :"الكتاب والسنة "وليس "بناء على قول الأصحاب"..
وإذا قيل :قول الأصحاب مبني على دليل شرعي.

قلنا :يكفي الإشارة إلى الدليل الشرعي، أما القياس على قول الأصحاب وهو نفسه قياس لم يستوف شروط الصحة فهذا الرأي المذموم.

التعليم الديني عن بعد..؟

الحمد لله، و الصلاة والسلام على رسول الله.

لقد كثرت مراكز الدراسات والبحوث الإسلامية.

وكذا المجموعات المغلقة والمفتوحة المتخصصة في نقد الفكر الغربي دفاعا عن الفكر الإسلامي أو في غير ذلك كاسلمة العلوم الغربية كالعلوم الإنسانية أو الاجتماعية.

وهي ظاهرة إيجابية جاءت كرد فعل على الشروط الثقافية المعادية الجديدة التي صار المسلم يعيش فيها والتي اقتضت من بعض المسلمين يملكون وعيا علميا حضاريا وعندهم غيرة على الهوية الإسلامية أن يتحركوا في هذا الاتجاه.

ولا نملك إلا شكرهم والدعاء لهم بالتوفيق.

مع علمنا من خلال ما اطلعت عليه من انتاجهم العلمي أنهم يبذلون وسعهم.

كما نتمنى أن يخرجنا نشاطهم العلمي من "موقف الاعتذار" الذي أشار إليه مالك بن نبي_رحمه الله_فيكون تفاعلنا مع الفكر المعاصر دراسة ابستمية بخصائص إسلامية وليس كرد فعل.

كذلك تجدر الإشارة إلى أن التسجيل في هذه المراكز عن بعد يحتاج إلى متابعة خاصة لأن أي تعليم غير مباشر وبدون نقاش مكثف و مستمر يكون له أثر سلبي على جودة التحصيل.

وهو ما نلمسه في بعض الطلبة من ضعف في التحليل والتفكير، وتقديم الأفكار فقط لأنها تحتمل وجها وليس كفكرة منجزة.

لا شك أن هذا الوضع الجديد هو خير من وضعنا السابق، وربما قد تتحول هذه المراكز مع الوقت إلى معاهد حقيقية.

المقصود أن الشباب يشكو من ضعف ملكة القراءة، وعدم الإحاطة بتقنيات القراءة وفك رموز المكتوب، وإدراك محصلته في اسرع وقت ممكن.

وهذا مما تزيد مضاعفاته طريقة التلقين التقليدية لذا يقتضي المزاوجة مع فتح ورشات النقاش الموجه،وارهاق عقل الطالب باسئلة ذات محتوى، والتكليف بإنجاز بحوث

حقيقية.
واعلم انه لا بديل عن عقلك فليست قضية معلومات تجمع ولكنها قضية عقل يعرف كيف يفكر بطريقة فعالة وصارمة.
وفق الله طالبي العلم لخدمة الإسلام والمسلمين..

آكلو الآثام...!

فئة من الناس بوجوه آدمية وعقول شيطانية "وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين "يأكلون ذنوب الحكام.!
يردون بحجج شيطانية الأدلة الواضحة، ويشغبون على كل مقالة نافعة هادية !
و لو قدروا على دفن العالمين الصالحين في المقبرة وهم أحياء لفعلوا .؟
ولكن "الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر والرجل لا خلاق له ".
فنحمد الله على هذا الأزرق الذي أتاح لكثير من الفضلاء قول كلمة حق أو هدى.
ومهما نطق السفيه يبقى الخير..

العيش في جنة "الغفلة"...

يعيش بعضنا غافلا عن عيوب تفكيره وعيوب نفسه.؟
لم يدرك ما ينقصه لفهم ما يعجز عن فهمه..
والعيش بلا وعي بخلل التفكير ونقائص النفس عيش الأطفال، الذي يرفع عنهم عدميا هم المسؤلية؟!
فتراهم يخربشون على الجدران خطوطا غير مفهومة لهم هم أولاً .
بعض الكتب الصادرة مؤخرا مما يتعلق بالعالم الحديث بدولته وفكره تريح النفس من هم المسؤلية، وتزيد في كسل العقول، وتخدر الضمير برضا مزيف عن الذات على قول أحدهم :كل ما هو جيد في الغرب سرقوه من المسلمين..؟!
ياسيدي :لعن الله الغربيين "الكفار منهم" لكن ألا يجدر بك أن تسأل عقلك لم سرقوه ولم طبقوه ولم هجرناه ولم نطبقه؟
غطوا في نومكم هكذا تبرر المشاريع المهزومة.

كتب في سلة المهملات..

الشقشقة ..

قولنا :"قال كبار الشيوخ، رأي كبار الأساتذة " هو قول تعريفي ليس حجة نقدية..!
لا تخل بالأدب، ولا تخالف الشريعة إن استطعت، واكتب ما شئت لعل أحدهم ينتفع به..؟
وتواضع لخلق الله :اسمع منهم وناقشهم إلا أن يخرجوا عن الموضوع أو عن الأدب فتجاهل أو احذف.
لسنا هنا لنملي على الناس ما يكتبون وما يناقشون...
إننا هنا لنعرض أجود ما عندنا بكل صدق وإخلاص.
وفي حالنا_ونحن كالضفادع في حفرة بلا ماء_ لو جعلنا ليلنا ونهارنا علما، وحولنا هذا الأزرق إلى مدرسة لم نف ديننا حقه..
فكفى مضيعة للوقت والجهود فانشر علما، أو وعيا، أو أدبا، أو خبرا صحيحا مفيدا، أو أي شيء له معنى محصل وفائدة مرجوة ولو مظنونة.
ما الرداءة والتفاهة إلا بضاعة نخبة مشوهة مغشوشة باعتها لعوام الناس مزوقة ملفقة بشقشقة لسان كذوب و تصوير عقل كاده باريه.
يخطيء الصديق بنفس عبارة الزنديق وما بين نواياهما كما بين الأرض والسماء.
لذا نعذر الفضلاء والطيبين و الصالحين، ونصبر على الجاهلين، ونسأل الله التوفيق للجميع..

لغة الشباب..!

إذا كنت غادي تسوطي فاحرز تسوطي في(بوطي) ولا تتعثر ب_(قوطي) ؟
لابد للعمل من ثمرة فإن كان لعملك ثمرة مرجوة بغلبة ظن فاعمل..
لكن لتصدق مع الله ومع نفسك ومع الضرورات الحسية فإن الكذب في الإخبار عن الواقع الموجود لا يقود ابدا إلى الواقع المقصود..
افهم...
والاستشراف للمستقبل كالامكان الذهني لابد له من تشخيص وقرائن مادية.

وأحيانا يكون الشفاء من المرض بالحمية وإن أعظم الغلط تزكية المظاهر الخداعة فإنه متى كان الأصل فاسدا كانت الفروع فاسدة.
وعليه فإن الترك جزء من الأحكام كالفعل، خاصة أن كان الفعل من غير طائل.

فضل شهر شعبان..

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.
روى أبو داود والنسائي وابن خزيمة من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال:
قلت: يا رسول الله لم أرك تصوم من شهر من الشهور ما تصوم في شعبان؟ قال:"
ذلك شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان، وهو شهر ترفع فيه الأعمال إلى رب العالمين، فأحب أن يرفع عملي وأنا صائم."
حسنه الألباني.
وعلة الحديث بحسب ما اذكر راو صدوق يهم، كما قال الحافظ، فهل مثله يتحمل منه التفرد..؟
ولست ادري إن كان له متابع.
وحمله جمهور العلماء على أعمال السنة، والمفهوم أن العمل يرفع مجزءا ومجموعا، فيرفع كل يوم وليلة، ويوم الاثنين والخميس يعني أسبوعيا، وفي شهر شعبان يرفع عمل السنة.
والاشكال أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يصوم شهر شعبان كاملا وقوله صلى الله عليه وسلم :" فأحب ان يرفع عملي وأنا صائم" يستلزم صيام الشهر كله خاصة وأنه لم يحدد اليوم الذي ترفع فيه الأعمال..؟
ويلزم منه أن نصوم الشهر كله..؟

الكتاب الساخر (le pamphlet)..؟

الحمد لله، و الصلاة و السلام على رسول الله.
هو كتاب يعالج قضايا علمية أو سياسية أو اجتماعية بطريقة ساخرة.
بحيث يعري القول الفاسد المزين بقشرة بلاغية متمثلة في لفظ هائل المبنى فارغ المعنى أو اصطلاحي يحوي معنى تافها.

فينزع عن الألفاظ المضللة قداسة المصطلح ونبل اللفظ اللغوي الفصيح بمرادف مبتذل عند الناس ثم يكشف التناقضات بزيادة سماكة خطوطها حتى تكون أول ما يقرع العقل لإثارة الانتباه إلى سخافة المثال المضروب والمعنى المقصود.

وهذه الطريقة في الكتابة مقتبسة من مناهج العوام في التعامل مع الوقائع و مصطلحات النخبة عندما تكون اسما بلا رسم، وقشرة بلا لب فبدلا_مثلا_من استعمال لفظ السياسة أو "politique" الذي يظهر عليه الجد والحزم يسخر العامي منه فيقول :"بولتيك" فبالتحوير ينقل الكلمة من الجد إلى المعنى الساخر، قاصدا الفرق بين المعنى الأصلي الجاد والصورة الزائفة منه عندما تتحول السياسة إلى مجرد أكاذيب.. فبمجرد تغيير حرف من اللفظ الأصلي يتغير المعنى الجاد إلى معنى ساخر.

ولهذا استعمل هذا الأسلوب المفكرون المعارضون لأنه أسرع في كشف الخدعة، و تسفيه التحليل الأكاديمي الذي تستخدمه النخب الزاهية في قصور المال والسلطة، المعزولة عن يوميات الناس، والتي تخدعهم بفكرنة الأمور البسيطة والواضحة، وبالأكاذيب المكشوفة للهيمنة بمجرد التعالي اللغوي. فعندما تكلم الجزائري العامي عن اللذة والإدراك كمبحث فلسفي عميق وتدخله في قضايا الوهم والخيال يظن انك تتحدث عن جنس من المخلوقات يقع ما بين الإنسان والملائكة..!

لكن إن أنزلت اللفظ من علياء الأدلة الكوزمولوجية إلى العالم السفلي عالم الطين فتقول له: ماذا تفضل: النشوى العقلية أو لذة الشبعة البطنية..؟

لقال لك ناقضا أفلاطون وارسطو والرازي ومن نحوهم :"الكرش كي تشبع تقول للراس غن "...

فيحسم لك الإشكالية الفلسفية في لحظة، لأنه قريب من فطرته، بعيد عن الفكرنة والتمعقل،أي :بعيد عن القرمطة في السمعيات والسفسطة في العقليات..

الكتابة بهذه الطريقة في القضايا العلمية التي حقيقتها اغلوطات وفي السياسة منهج عصري، لا نجد له مثالا عند المتقدمين الا في الأدب كاخبار الحمقى والمغفلين لابن الجوزي والبخلاء للجاحظ.. الخ

وهي طريقة نافعة جدا لفضح تفاهة الفهم عند بعض غلاة السلفيين الذين أخذوا لب الباطل، و الصد عن سبيل الله و معاونة كل مبطل، معلن لحربه على حقائق الدين وغطوه بلحاء الشريعة باستعمال اللفظ ومناقضة المعنى.

فإن سخافة منهجهم لا تضاهيها الا سخافة عقولهم، ولا تستحق بذل الجهد العقلي في فضحهم.
فامثال هؤلاء من سلفية الأرزاق ولصوص الدين لا ينفع معهم الا هذا الأسلوب الذي يكشف شناعة لوازم أقوالهم.
مثلهم مثل صوفية الرسوم وساسة خطاب الكلينكس.
فإذا صار إنسان بعرفان ابن سينا يهوديا فقد فاز فوزا عظيما..!
وإذا نتج عن الانتخاب في البلاد العربية إصلاح فقد مات حمار في مكان ما ..!
وإذا صار مسلم بمنهج غلاة التجريح والتكفير صالحا مصلحا فبشرى لنا بإسلام الهند والسند..!
تزييف الحقائق الذي يمارسه السياسي في السياسة، وغلاة التجريح لصوص الدين يشبه الباس القرد جلد الأسد..! والسخرية منه هي أن تساير الكذاب إلى باب الدار فتلقي الموز لهذا الأسد المزور فإنه حينئذ إما يبرز القرد من تحت فروة الأسد أو يموت جوعا.
السخرية هنا ليست من الأشخاص ولكن من الأفكار الخربانة، ومن الورع الفاسد الموظف لصالح الفجار.
إن بعض المناهج والأفكار المنحطة والوضيعة لا تستحق الجد فإنه يضيع معها، قيمتها هي السخرية منها فقط.
وهذا يذكرني بنكتة كان عوام الناس يرددونها في بداية الثمانينات عن التزوير قالوا:" أجريت انتخابات في تونس ففاز بها الشاذلي في الجزائر"!
باختصار: هذا الأسلوب يرفض المعنى الحقير في اللفظ الشريف بإبراز خواء المحتوى ومكر الصياغة وسوء القصد.
لكن ليس كل واحد يطيقه فإن لم تتمكن من المادة تمكنا قويا لا يمكنك استعمال هذا الأسلوب، فمن عجز عن فهم القضايا كيف يمكنه التعبير عنها بعامية أو سخرية..؟!

فهم المقاطعة

الحمد لله وحده و الصلاة و السلام على من لا نبي بعده.
في الأنظمة الديمقراطية ~ مضموناً أو شكلاً ~ تكون مقاطعة الانتخابات من قبل

الناخبين إدانة للمنظومة السياسية برمتها، بما في ذلك أحزاب المعارضة المشاركة في العملية السياسية، وليس للنظام السياسي وحده،كما هو حاصل في أمريكا و أوروبا .
أما حينما يريد المجتمع الضغط على النظام السياسي لإجراء إصلاحات حقيقية ، فهنا يجب الفصل بينه و بين المعارضة السياسية، و يكون ذلك بمقاطعة الأحزاب المعارضة للانتخابات، فهذا يعني أزمة في النظام السياسي وحده.
وعلى هذا إذا لم تقاطع الأحزاب التي تسمي نفسها "معارضة" الانتخابات التي يجريها نظام تتهمه بالتزوير القبلي و الآني و البعدي فلا فائدة من مقاطعة الناس ، ولا فائدة من المعارضة ،وفي مثل هذه الصورة النظام خير منها لأنها بمعارضتها الشكلية تبيع الوهم للناس.
و إلى الذين لا يزالون في تأصيلات الإسلاميين الباهتة المنتهية الصلاحية المتمثلة في قاعدة " المدافعة و شغل الساحة للدفاع عن الهوية في البرلمان" أقول: متى كان للبرلمان قيمة وتأثير ملموس على السياسة ، ومتى جلب حضوركم فيه مصلحة أو دفع مضرة ، و انتم تعلمون أن نسبتكم فيه محددة مسبقة لتزيين الحمام بفسيفساء فارسية ... !
و استرسالا مع هذا الفهم يكون الانخراط في أحزاب النظام أنفع في تحقيق هذه المصلحة من أحزابكم.
في الحقيقة أتعجب من وجود إسلاميين ~ في أيامنا هذه ~ يعتقدون بأن الإقبال الكثيف على انتخاب التيار الإسلامي سيحقق مصلحة كبرى ووجودا إسلاميا يعطي للمنظومة السياسية و الحياة السياسية ميزان الاعتدال...؟ !
في المحصل: المعارضة جزء من المشكل لا يمكن أن يأتي الحل منها ،ولا يمكن لعاقل ينتقد النظام السياسي في الليل و النهار و يزكي مثل هذه المعارضة المدجنة المريضة التي يعرف النظام كل الجثث التي تخفيها في خزائنها .. !
و لذلك تقول لنا هذه المعارضة في الصباح:" سنقاطع الانتخابات "، وفي المساء: تشارك..؟
ومع مثل هذه المعارضة الأفضل للناس ~ وهو حاصل بالضرورة ~ أن يبقى النظام فعلى الأقل هو معروف مجرب، و كما يقول المثال: " سل مجرب ولا تسل طبيب" و" المعروفة خير من التالفة"، فلا تكرهوا ولاية الحجاج إذا كان البديل سبط ابن

الجوزي... !
و لنكن واضحين: المشكل أعمق بكثير من مسحه في النظام السياسي وحده.
و الحمد لله جاتني الحبة في الركبة مشي في العين ..
على الشباب أن ينصرف إلى التعليم و الدعوة و تثقيف نفسه، و العمل الاجتماعي للارتقاء بالناس و خدمتهم حتى ينقرض العجزة و الكهول، و يرتفع الناس عن عقلية المنجوار ، و الزردة الموعودة.

حكاية كتاب..
ستكون حكاية كتاب القادمة عن كتاب "كلاب الحراسة" لكاتب فرنسي شيوعي وجه انتقادات شديدة للنخب المثقفة خاصة الفلاسفة التي تحرص بفلسفتها "المال والنفوذ" له عدة كتب سياسية منها "عدن جزيرة العرب".
وبحث سوسيولوجيا العمل السياسي الحزبي، ومؤسسات السياسة والحكم ضمن الثنائية المتعارضة :الأخلاقية /الواقعية المادية بلون لينيني.
بطبيعة الحال سنناقش رؤيته الشيوعية،وقضايا كثيرة متصلة بما يجري في عالم السياسة الآن.
و بدوري ساتكلم عن "حراس العتبة" الواعين والجاهلين. .الإسلاميين والعلمانيين.. السلفيين والخلفيين..

كوِّن نفسك ..طالب العلم الأحفورة ... !
لو تأخذ بنصائح ~ في طلب العلم ~ كثير من الشيوخ ~ الذي يعيشون في فقاعة صنعوها لأنفسهم لصعوبة مواجهة حقائق الواقع ليس السياسية و الدعوية فحسب و لكن كذلك العلمية و الفكرية ~ فإن غاية ما ستصير إليه هو " كائن أسطوري" ، " أحفورة " للتفرج في آثار الماضي السحيق ، تعجز عن مخاطبة الناس و الاتصال بالعالم الذي تعيش فيه..
تعلم العلوم الشرعية، و ثقف نفسك ثقافة واسعة، انظر ما الذي ينقصك لفهم واقعك = أهل زمانك = أمتك و أعدائها= عقولهم ، ثقافتهم ،طبائعهم ، نفسياتهم ... الخ.
إن لم تفعل هذا فأنت ~ حتما~ جزء من المشكلة و إن كنت تظن نفسك أمل هذه الأمة

.

لا تزال بعض الأقوال تدروش..!

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله...

قد يمدحُ العلم لِتبرير انسداد الأفق..!

كثيرٌ ما نوصي_عندما نفشل في مشروعٍ (ما) خاصَّة السِّياسي_بالاقبال على العلم والاشتغال به كأنَّه مضاد للسِّياسة، منافر لها، مفسدٌ لها، أو هي مفسدةٌ له...؟!

بينما في الحقيقة هو نورٌ لها، وهي من بين أهدافهِ..

كما أنّنا لا نطلب العلم لأنَّه ملجأ من الفشل والخيبةِ، بل نطلبه للنجاح في الدنيا والآخرة سواء نجحنا في سياسةٍ أو فشلنا..فالعلم طريق إصلاح الدين والدنيا، والسياسة أداته..

العلم نور يشمل أمور الدين وأمور الدنيا،والسياسة جزء منه.

وفي هذا الصدد علينا أن نُميّز من خلال السياق التاريخي للأحداث بين كلام العلماء الذي لا يتقيد بمكان ولا بزمان، وبين كلامهم المرتبط بحادث سياسي معين، بحالة نفسيَّة، بخيبة أمل.

أقول هذا لأن جعل طلب العلم في المقابل المضاد لفهم السياسة والاشتغال بها_لمن هو أهل لذلك وليس لكل طلبة العلم خاصة الناشئة_لهو احد اسباب سذاجتنا السياسية، ووقوعنا ضحية التلاعب فيها كأننا بيادق شطرنج..!

بعض الكلام الجميل المسجوع لا معنى شرعي محصل تحته وإن نطق به عالم فاضل.. بل هو في خارج سياقه أغلوطة.

العلم ليس رملا تدس فيه رأسك كأنما لا شيء حدث..

.... الانبهار بالمعنى الصحيح لا باللفظ الفصيح..

الخطأ على ابن تيمية..!

يوجد في علماء الإسلام شخصيات تتميز بثراء المعرفة وقوة التحقيق مع دقة النظر

والجمع بين العلم والعمل، بين المعرفة المحققة والإصلاح..
ومثل هذه الشخصيات لها جوانب متعددة لا يمكن لأي أحد أن يتكلم عنها بعلم واحاطة منهجية إن لم يتناولها في إطار مشروع فكري شامل.
ولهذا نجد بعض الناس يظن أن ابن تيمية مر بمراحل مختلفة لأنه يعد كلامه المفصل أو المحقق تراجعا عن كلامه المجمل.
أو قد لا يفرق بين كلامه الحربي عندما يكون منفعلا أو تعتريه حدته الآدمية وبين كلامه عندما ينشط للتحقيق.
وتراث ابن تيمية كبير ينقصه بسبب طبيعة التأليف في عصره التنسيق الفني والترتيب، مع ما اشتهر به من كثرة وطول الاستطراد.
ومع ذلك يدرك من له عناية ابستمولوجية بكتبه أن مادته واحدة في كل كتبه حتى المسائل التي يظهر انه تراجع عنها هي في الحقيقة من قبيل توسع النظر إذ الاختلاف فيها لا يبلغ درجة التراجع مثل مسألة أنواع القياس القرآني في مقابلة القياس المنطقي كما ذكره الغزالي في القسطاس.
وتكفير الخوارج، وموقفه من الإشاعرة وغيرها..
المهم لدراسة فكر الرجل تحتاج اولا إلى استخراج نظامه المعرفي وهل هو مطرد في كل مجالات المعرفة..؟
ثانيا :مادة ابن تيمية متوفرة، فلا تحتاج للبحث عنها عند غيره.،ولا يحسن إظهار الاعتدال السطحي بأنه أصاب في قضايا واخطا في أخرى، فهذا أصل نظري يصلح على جميع العلماء، ولكن يجب بيان الخطأ وان يصمد أمام الرد المضاد فالتخطئة بالتقدير ليست من المنهج العلمي الصارم..
ثالثا :لا يمكن الاعتماد على كلام او موقف بعض العلماء لانهم ليسوا من طينته، وهؤلاء لا يستشهد بهم متمكن من المقاربة الداخلية، فمثل ابن حجر مضطرب في موقفه، خاضع لطائفته، بعيدة عن متناول إدراكه المسائل التي نوزع فيها ابن تيمية.
يكفي أن تنظر في مصادره في الفتح في مسائل الأصول والنظر لتعرف مرتبته، وأنه مقلد فيها بدون تحقيق. (ربما سانزل تفصيلا في الموضوع) ..
اما عن توظيف ابن تيمية فهذا ليس خاصا به، بل الدين برمته موظف في الصراعات السياسية، وكذلك كبار الأئمة..

ثم ليس كل استشهاد خاطيء هو توظيف إذا سوء فهم كلام الأئمة كمالك والشافعي وأحمد يساوي أو أكثر من توظيف كلام ابن تيمية بطريقة مشوهة، فإن كثيرا ممن يستشهد به لا يعرفه.

وبعض السلفيين لا يجمعهم به إلا اسم السلفية، اما الحقيقة فهم في واد وهو في واد.

فبعضهم استعانوا به في قضايا التوحيد العملي مع اختلاف واسع بينه وبينهم في العذر بالجهل.

وبعضهم استعان به في الأسماء والأحكام متاولين كلامه وبينه وبينهم فروق.

وابعد النجعة من مسح التكفير فيه وهؤلاء يرجعون إلى الصنف الأول الذين يقتبسون عنه مادة التوحيد العملي.

وأما من ينسبون إلى الأرجاء السياسي فلا يعتمدون عليه بل على عمومات سلفية..

فإن فقهه السياسي واضح جدا..

تبقى مسألة التقول عليه، وسوء فهم كلامه، وعدم رد الجزئيات إلى كلياتها وربطها بمنظومته المعرفية وانتقاء بعض المجملات على حساب المفصلات مشكلة منهجية عند جميع الطوائف الموافق والمخالف وهذا حال الرداءة الإسلامية المعاصرة..

اما اختفاء علمه لفترة هي من فترات الضعف الإسلامي بسبب الكراهية والتعصب فدليل على فساد بعض علماء الطوائف وغرق نفوسهم في الحقد إذ كيف نفسر أن عالما مثل السيوطي يضطر إلى اختصار كتابه في المنطق دون ذكر اسمه..! ويمتنع آخر عن تنفيذ حكم قضائي لأنه مبني على فتوى ابن تيمية..!

مثل هذه الشخصيات لا يمكن الكلام عنها بعلم وانصاف في منشور..

وقد يكون المشكل من فهم الكاتب لا من ابن تيمية..

والسؤال: هل يمكن أن توظف اي عالم في المجالات التي وظف فيها ابن تيمية، وما السبب..؟

هل يخطيء ابن تيمية..؟

الجواب :نعم.. هات دليلك فقط وليس شبهتك..

من يحب الجهاد يستدل بالنبي صلى الله عليه وسلم،...؟ومن يحب المهادنة، أو الذكر، ومن يحب الزهد، ومن يحب متع الحياة المباحة، ومن يحب العلم، ومن يحب العقل، ومن يحب الوجد، ومن يحب... يستدل كذلك بالنبي صلى الله عليه وسلم..

لانه جمع صلى الله عليه وسلم بين كل أنواع الخير، وأخذت منه كل طائفة بنصيب..
كذلك العلماء الذين أثروا العلوم وكان لهم عمل وصلاح يكثر المستدلون بهم وإن اختلفوا إذا فرضنا صحة الاستدلال..
من أراد أن ينتقد طائفة ما فله ذلك لكن من المغالطات نقد الأشعري بالاشاعرة، أو مالك ببعض المنتسبين إليه، وهكذا.
للكلام عن ابن تيمية موافقا أو مخالفا شروط علمية يجب أن تكون على الأقل في مستوى عمق وسعة تراثه العلمي، مع منهج موضوعي قادر على تجاوز الانطباع الشخصي والنعرات الظاهرة والخفية..

آية الليلة..

(ومن النّاس مَن يشرِى نفسَه ابتغاءَ مرضاتِ الله واللَّه رءوفٌ بالعباد)

(إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ)
إن الله بجميع عباده ذو رأفه. والرأفة أعلى معاني الرحمة،وأبلغ الرحمة وارقها.
فقد تكون الرحمة بعد بلاء، وقد تكون في عقوبة وألم، اما الرأفة فهي في لذة، ولهذا هي رحمة خاصة..
انظر ((تفسير الطبري)) (2/12). .
من طلب مرضات الله وجد رأفة الله العامة في الدنيا و الخاصة يوم القيامة..
ومن رأفة الله بالمسلمين أنه رفع عنهم الاغلال والآصار، وخفف عنهم، وتجاوز عن الخطأ... الخ.
واحسن العبادة هي عبادة النبي صلى الله عليه وسلم.
وقد شرع لعموم المسلمين عبادة تلائم قدراتهم وتزكو بها أنفسهم.
وعليه فإن حركة الظواهر يجب أن تثمر بركة السرائر إذا جد القلب في طلب مرضات الله.
فعالج قلبك بتفقد الخطرات..

توثيق الإخباري...

عندما يعمي التعصب المقيت الغارق في الكراهية العمياء نجد بعض من يدعي التحقيق في الحديث أو في العلم خاصة من المعاصرين يعتمد في توثيق الأخبار على إخباري تالف يسوق القصص الممتنعة عقلا من سماء عقله مثل الاقشهري..؟!

العجيب انهم يبنون جبالا من الاتهامات على اخبار كاذبة مفضوحة ويكررون نفس الشبهات.

يا هذا اذا بال عدنان ابراهيم في عقلك فإن عقولنا مصونة عن سفسطته وضلالته عندما يتحدث عن ابن تيمية، وايسر شيء عندنا نسفها...

فتعلموا اولا توثيق الأخبار ، وبعد ذلك تفلسفوا فنتفلسف معكم، أو ردوا للشريعة فنرد بها عليكم..

منهج التعليق كمنهج دخول بلد..؟

عندما ندخل بلدا نبدأ بشيوخه فهم أعلم به، واذنهم حماية.

وعندما نريد التعليق في صفحة أحدهم نمنح أنفسنا بعض الوقت نجول فيها :نتعرف على فكر وعقل صاحبها وموضوعاته حتى لا نعلق عليه بشيء قتله بحثا وسبرا..

هذه النصيحة لاجتناب الازعاج وحتى لا تشبع من "الدشيشة".

سلفية جديدة :انسلخ من جلدك..!

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله '

إذا قلنا :ابن تيمية، ومحمد بن عبد الوهاب و...الخ ليسوا امتدادا للسَّلف لأنَّه عندهم أخطاء..؟

فهل من تعدهم امتدادا للسلف أو السلف أنفسهم عندهم عصمة من الأخطاء..؟

وإذا لم تكن السلفية أقوال ابن تيمية ومحمد بن عبد الوهاب، وهي الكتاب والسنة فهي ليست كذلك قول إمام من الأئمة، إذ الدليل لازم لجميع العلماء بدون استثناء.

فرجعنا إلى أنَّها_حسب هذا المفهوم_ الكتاب والسُّنَّة، وما الإسلام إلاَّ الكتاب والسنة...!

فإذا سايرنا هذا المفهوم لم تكن هناك حاجة لا للسلفية، ولا لأهل السُّنَّة والجماعة ولا للسلف اصلا الا اذا أجمعوا على قول ..!

كون الإنسان سلفيا أو غير ذلك لا يعني أنَّ أئمة مذهبه أو كبار شراحه معصومون عن الخطأ، فمتى أخطأ أحدهم أو قال قولا لا أفهمه لاني سطحي أو حرفي أو أظن أنَّه يجب على الشَّريعة أن تنص على كلِّ شيء بدلالة ظاهرة مباشرة فليس امتدادا لمذهبي أو للسلفية...!؟

هذا منهج ولده العجز العلمي مع شدة وقع العصر.

وإذا استدل علي أحدهم مليون مرة بقول ابن حزم فليس المشكل فيه ولا في ابن حزم، بل في انا، الذي بدلا من رد الدليل بدليل أقوى اضجر من كثرة استشهاده بابن حزم..!

وعلى هذا يجب على العاقل أن يتحمل أخطاء ائمته بالاعتراف بها ونقدها دون أن يقذفهم خارج مذهبهم ويخترع سلفية جديدة. .!

فهذا التشظي المتسلسل دليل على سوء فهم للدين، وعجز عن فهم العلماء، أو عن تجاوز أخطائهم نشأ من نظرة وتصور خرافي مثالي لا حقيقة له في خارج الذهن..

لست من أنصار التسمَّي بالسَّلفيَّة لا التي فيها ابن تيمية ولا التي فيها غيره_إذا قدَّرنا انها موجودة_ومع ذلك أرفض هذا التلاعب بالحقائق الذي افرزه عجز عن فهم مذاهب العلماء، وعقلية ساذجة تتصوَّر وجود إمام لا يخطيء، أو إذا أخطأ في باب فقد خرج من المذهب..!

والذي أجزم به أن المدرسة المعادية للعقل، والتي تجعله خصما طبيعيا للنقل، والتي تتخذ هذا الموقف لعجز عن تصور دور العقل ومرتبته في العلم، وتبرر ذلك بالتمسك بالاثر والتي كانت سببا مباشرا في ظهور علم الكلام والحاجة إليه بدأت تعود مع موجات الفتن التي يشهدها العالم الإسلامي حيث صارت الحيرة صفة لكثيرين..

اختصارا تصحيح الأخطاء لا يكون بسلخ الجلد، كما لا يكون بإلقاء الصبي مع ماء الحمام..!

ولكن بتمييز الصواب من الخطأ كان نقول :نوافق فلان في المسألة الفلانية ولا نوافقه على المسألة العلانية وانتهى الموضوع دون حاجة إلى سلخ الجلد..

ولا نحتاج للكلام في العلم ابتداء إلى هذه المسميات فحتى عندما تقول :"هذا القول السلف "تحتاج إلى توثيقه وإثبات دلالته، ولا يمكنك ربط الدليل بالدلالة الا بالعقل.

يا له من قول... !

وإذا رامي المقادير رمى **** فدروع المرء أعوان النِّصال
الشَّرِيف الرَّضِيُّ

فضحنا الفيسبوك..!

كان كثير منَّا يظنُّ أنَّ هذه التقنيات المعاصرة أداة بحسب الاستعمال فإذا بنا نكتشف أنّها عرَّتنا على ملأ، فضحت كلَّ ما كان مدفوناَ في المسلمين من جهلٍ ونفاقٍ و ضياعٍ في المعرفة والتربيَّة..؟

لقد خرج للعلن ما أخفاه التَّخلف وغياب وسائل الاتِّصال المعاصرة فصرنا نسمع ونقرأ طعناَ في الدّين ما كان أحدنا ليسمعه طيلة حياته ولو عمَّر قرناَ..!

تصلني في كلَّ يوم رسائل من سائر بلاد المسلمين، وحتى من غيرها يشكو فيها شبابٌ ملتزم من نوبات شكّ تجتاحهم، أتت على الأخضر واليابس، قد تتركهم قاعا صفصفا إن لم يغثهم اللَّه برحمته.

ومن المناسب أن أقول هنا :قد تكون بعض المقالات الناقدة للتراث بوابةَ للإلحاد بالنِّسبة لبعض ضعاف التَّكوين الشَّرعيّ، ومن لا تربطهم بالله سبحانه علاقة باطن متوجِّه إليه بالثقة والاعتماد في كلِّ شيء، تمدُّ النفس ببرد اليقين الإلهي..

لكن يجب الاعتراف بأنّ بعض المقالات تقطع الطَّريق على تخريب الإيمان عندما تصونه من أقوال فاسدةٍ مناقضة لروح الإسلام، وللضرورة العقليَّة منسوبة زوراَ للإسلام،ومن أفعالٍ وحشية لا تقبلها شريعة ولا فطرة.

إنَّ كلَّ من جعل القرآن كتاب ألغاز، وإشارات غامضة وعلامات مشفَّرة. ومن عزل السُّنَّة عن حكمتها.

ومن جعل العقل الصَّريح عدواَ للنقل.

ومن لم يرد النُّصوص الجزئية إلى النصوص الكلِّيَّة.

ومن حذّر من العلماء وخاصَّة من الدعاة الوعَّاظ..

فقد ساهم في تضعضع العقل الإسلاميَّ وتخريب إيمان المسلمين..

بعض الدُّعاة وطلبة العلم والمفكرين ممّن لا نرضى طريقتهم هم جبهة الصدِّ الأولى، ولا يقوم مقامهم عالم نحرير، ولا شيخ شيوخ الإسلام شئنا ام أبينا فإن في النّاس طبقات، وشبهات لا يصلها إلاَّ هؤلاء.

فإن كان ولابدَّ أن تكرههم ككرهك الكلاب فإنَّ الله قد أباح لنا صيد الكلب..!
وأجازت لنا الشريعة إطفاء النار بالبول..!
و حاشا أن يكون مسلم كلباَ ولكن الأمَّة ابتليت بجرثومة خبيثة انشطرت إلى فلقتين لا تفهم إلاَّ بصدم عقلها..
من بركة بعض الإخوة :
إن من جعل الدين من متطلبات الآخرة فقط وأهمل عمارة الدنيا.
إن من جعل الدين ولاء لشخص مع البراءة ممن خالفه.
إن من لم يفرق بين الشرع المنزل والمؤول، وما كان عليه مجموع السلف وما كان عليه آحادهم.
إن من جعل الدين في خدمة أجندة سياسية لأنظمة فاسدة.
إن من جعل الدين مكسبا يقتات منه.
إن من لم يوظف السنن الكونية في عملية التغيير.
فقد ساهم في تضعضع العقل الإسلامي وتخريب إيمان المسلمين..

إلى ماذا يحتاج المسلم في عصر "ممنوع المنع"..؟
مجنون من يبحث عن الحقيقة عند من لا يعرف مصلحة نفسه..!
كما قيل :الكلمات التي لا ترقص على حواف الشفاه تذهب إلى أعماق النفس لتصرخ..
فلا تكتم الشك، اطلب رجلا صالحا يمشي نوره بين ايديه وفاتحه.
يقول ذاك الرجل القرآني الحال والقول_الذي تكالبت عليه فرق المسلمين وطوائفهم الاَّ من رحم اللَّه_:
يحتاج العبد_للاهتداء_ إلى أن يدفع عن نفسه :
1_الآراء الفاسدة.
2_الاهواء الفاسدة.
قال اللَّه تعالى : (و جعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا و كانوا باياتنا يوقنون).
يقول_ رحمه الله_: " تنال الإمامة في الدِّين بالصَّبر و اليقين.
الصبر تجاه الأهواء الفاسدة"، و اليقين تجاه الآراء الفاسدة".
فإذا كان دفع أهواء النُّفوس يكون بالصبر عنها، ليس الصبر العادي ولكن الصبر

الشَّرعي الخاص الذي من مقتضياته كل مقامات السُّلوك الواجبة، ما يمكن أن نسمِّيه "العبادة الصَّحيحة" الجامعة بين حركات الجوارح والوقوف عند رسوم الشَّريعة بقلب مخبت.
وإن شئت قلتَ: توفية الأعمال بالوفاء بالعزم والاسترسال مع العلم لتصفية الأحوال.
هل سمعتم عن صوفي سنِّي صحيح العقيدة متبع للسُّنَّة شكَّ في ربِّه أو فقد يقينه..؟
وكيف وقد سُئل مثله بماذا عرفت ربَّك..؟
فقال :بانفساخ العزائم في بعض الهِمم.
غص مع نفسك، راجع شريط حياتك، وانظر هل شيء غير عناية الله بك بلغك ما انت فيه ونجاك من صروف الدهر...؟
في نفسك، ذاك العالم الذي هو أوسع من بحار الدنيا، و الذي تسبح فيه الخواطر من كلِّ نوع، وتنعقد فيه المشاعر بكلِّ لون، والحرب فيه على قدم وساق :إقبال وادبار، وأفكار تتلاطم ، لم تحس فيه وجود الله، وجود رعايته وإحسانه وهدايته..؟
في نفسك، فيما تخفيه عن النَّاس، فيما تأملها، وفيما تخشى منه، في أحلام نومك التي تحقَّقت، كل الآيات الدالة على عناية الله بك.
وفي كلِّ النُّصوص التي أخبرتك عن أحوال نفسك كيف تكون آمارةَ بالسوء ثمَّ يوبِّخها واعظ الله في قلبك "الضمير" فتصبح لوامة'
ثمَّ إذا أقبلت على الطاعات زاد إيمانها حتى تصير مطمئنة..
مالذي يُبكيك عند سماع القرآن إن لم يكن شعور روحك بالتَّفريط في جناب الله..
ألم تجد ما أخبرك به القرآن عن فرح النُّفوس وحزنها مطابقا لما في نفسك..؟
ألم تحزن فتذهب كلمات القرآن إلى أعماق روحك تبحث عن الحزن الذي يلتهمك..؟
(سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق)
في نفسك التي أهملت النَّظر في باطنها سرُّ تحوُّل عنايتك بالعلم والفكر إلى وساوس وشكوك أفسدت عليك يقين العوامِّ البسطاء..
ليس العقل مجرد ذهن شغَّال في الاستدلال وطلب علل الأشياء كما يصوِّر لك تجَّار الإلحاد، العقل إدراك بتجربة باطنة وببديهة وحدس، وبنور يقذفه الله في قلب عبده.
ليس الهدى في نتاج العقل الصَّحيح وحده إذ ليس الإنسان مجرَّد عقل فقط، بل هذا شطر المسألة، و شطرها الثَّاني نفس تموت بدون الذكر، تضمر بدون عبادة، تجفُّ

ينابيعها بدون خضوع واستسلام وتعظيم للباري سبحانه.
أدم الطهارة وذكر الله وواصل الصِّيام الشهور، وتعالى حدِّثني عن الشكِّ.
هل وجدتَ الشَّريعة تأمر بمنكرٍ، ظلم، فاحشة، شرٍّ، قطيعة... الخ
لن تشكَّ في نبوة محمَّد صلى الله عليه وسلم حتى تشكَّ في القرآن، ولن تشكَّ في القرآن حتى تشكَّ في فاطر السماوات والأرض.
ابن آدم جثة هامدة مرمية بين الله وبين الشيطان، وخلاصه أن يجذبه الله إليه (ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرا لهم و أشد تثبيتا و اذاً لأتيناهم من لدينا أجرا عظيما ولهديناهم صراطا مستقيما).
(فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم في رحمة منه وفضل ويهديهم إليه صراطا مستقيما).
كيف تكتسب اليقين، وأين مصادره..؟
إن لم تعرف ما تضمَّنه القرآن من الهدى، ولم تعرف الآراء الفاسدة في معصرتها لن تستطيع دفعها عن نفسك ولا عن غيرك.
وهنا مصدر اليقين العلميِّ، كما كان هناك مصدر اليقين النَّفسي.
لقد جاءت بعض السلفية المعاصرة بدينٍ جافٍّ كالفحم قست منه القلوب، فمن وجد في نفسه شكًّا فعليه بتصوف أهل السُّنَّة فإنه المقصد الأعظم من الشريعة، توحيد وسنة وصلاح باطن، وهذا العلم الذي يذيب الجبال، ولا يقترب منه الشكِّ.
والذي فلق الحبة وبرا النسمة لعند الحراني تجده مجموعا..

صناعة محاور..
ألتقي بكثير من الشباب الذين سجلوا في برنامج "صناعة محاور" ، وقد رأيت في الذين تجاوزوا منهم المستوى الثالث_ كما قالوا_ تحسنا طيبا في المستوى الثقافي، وتوسعا في آفاقهم العلمية، واهتمامات معاصرة اتمنى لهم المواصلة على هذا المنوال..
ولكن يبدو لي انه اذا أراد القائمون على هذا البرنامج تكوين محاور حقيقي يجمع بين عقيدة سنية ومنهج قرآني إضافة إلى الثقافة المعاصرة التي يتلقاها عندهم أن يهتموا بتدريسه في مرحلة ما أهم مراجع ابن تيمية، أو ملخصات منها، خاصة في القضايا

المعرفية الكبرى وبالضبط التي تتعلق بمصادر المعرفة ك: " قوانين الاستدلال، ومرتبة الدليل الحسي،وعلاقته برد الإمكان الذهني والتجريد إلى الواقع الخارجي الأكمل ، وإدراك المعينات،ودوره في حكم العقل، وتفعيل مباديء العقل القبلية المحضة، والديناميكية العقلية في إنتاج مباديء عقلية ومعايير عقلية وعلمية وأخلاقية وحالات العقل، وأنواع العلم، والعقل العملي، والقياس العقلي، وأنواع وكمال النفس، ودور التجربة الباطنية في العمليات الذهنية، والكليات، والاشتراك والتواطؤ، والعمليات الاستدلالية الادراكية المعرفية، والقياس العقلي وخصائص التجريد الانعكاسي والتجريبي، وتحليل لغة الاستدلال، وخصائص اليقين وأنواعه، وأسباب الجهل وأنواعه، وأقسام الشك، والظن والاحتمال، والاشتباه، ومصداقية الشهادة والتواتر، وملخص في إثبات النبوة، وخصائص الدليل النبوي، والموقف من المثالية والواقعية و غيرها كثير..

أظن أن قاعدة في هذه المواد وغيرها تؤسس لدى هذا الشباب منصة قوية للتعامل مع الثقافة المعاصرة وسائر قضايا المعتقد...

وفقهم الله واعانهم...

لا تُتعب نفسك ولا تخدعها..

لا يقين في الالهيات الاَّ من الله وحيا، أو واردات ضرورية تعجز النَّفس عن ردِّها.

فلا تضيع وقتك ومصيرك في البحث عن اليقين في غير الوحي وعبادة الله، فإنَّه لا يوجد فيلسوف أو فيزيائي يجزم أنَّه موقن بشيء يتعلق بالإلهيات، مجرَّد مضاربات و ظنون وأقيسة..

العبد مفتقر إلى الله في أن يحبِّب إليه الإيمان، ويبغض إليه الكفر، والاَّ لن ينفعه أن يعلم الحق، أو أن يشكَّ في بعضه ، (وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا).

فمن اتكل على نظره وعقله خذله عقله، فحتى لو اقتضى النَّظر الصَّحيح العلم فإنَّه لا يعني اقضاء الهداية، فكم من جاهل أهدى من أذكى علماء الكويت، وكم اختلف الأذكياء...؟!

جلُّ كلام بعض من يزرعون شكا جزئيا يقبل التحوُّل إلى كلي نقد وتشكيك حتى إذا مدحوا شيئا من الدِّين ففيما يوافق الرؤية الغربية.

لا تجد عندهم لا موعظة في عقيدة إيمانية، ولا تذكيرا بالآخرة.
نظريتهم أنَّ هذا التراث فيه حقائق مخفية عنا، حفظها ونقلها إلينا أئمة كاذبون أو جاهلون، تواطؤوا لا أدري مع من..؟!
اي غباء هذا...؟!!!
اعبدوا الله الذي يتوفاكم...

العمل الإعلاميُّ الدِّينيُّ..؟
الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.
لقد تخصَّص الإسلاميُّون في القنوات التلفزيونية الدِّينيَّة،وهم القائلون: " الإسلام دين حياة ودولة"..؟
فكانَّهم كذَّبوا أنفسهم حيث جعلوا الحياة كلَّها _ بواسطة هذه القنوات_ دروساَ دينيَّة: شيخ يخلف شيخاَ ، ودرس بعد درس حتى أصبحت الموضوعات متكرِّرة، وأحياناَ مملَّة بسبب رداءة الأسلوب وتكراره..!
فحتى عندما يُغيِّرون الوجوه يبقى الموضوع نفسه، والطَّريقة هي هي، في الغالب ...؟
ولو نظر المسؤول عن هذه القنوات في نفسه لوجدها سرعان ما تملُّ قراءة شيخ معيَّن ، فتراه يتتبع القراء الجدد، يبحث عن تلذُّذ نفسه بسماع القرآن بتجديد صوت القاريء..
فكيف بالنَّاس الذين يُعانون من ضحالة الثقافة والوعي، وضغط الحياة المعاصرة مما يجعلهم يستعملون التلفاز كوسيلة ترفيه لا تثقيف.
وهذا ما فهمه الغربيون ومقلِّدتهم فكانت قنواتهم عامَّة متنوِّعة،تهتم بجميع مجالات الحياة، تُرسل الرسائل المسمومة والمؤثرة أكثر من مئات الدُّروس والمقالات، في برامج فكاهية، وأخرى ساخرة وأفلام وغير ذلك، حتى سيطروا على المجال العامِّ عندما جذبوا العوامَّ إلى شاشاتهم.
ان نُراعي الشَّريحة التي نتوجَّه إليها إعلاميَّا حتى يكون خطابنا لفئة متديِّنة على منهج هذه الجماعة أو تلك جميل في بعض جوانبه لكنه لن يسمح لنا بالتَّأثير في السواد الأعظم الذي يُشكِّل حلبة الصِّراع بين الأفكار.
كما سيزيد في الحقيقة من تهميشنا في المجتمع.

الإنسان لفطرته عنده استعداد للفهم بواسطة آلصُّورة، وتتشوَّق نفسه للسَّرد القصصي المصوَّر أكثر من الخطاب.

فالدِّين والتوعية به بواسطة العمل التلفزيوني أقوى سلاح بل هو الطَّريق الفعَّال والشَّامل للوصول إلى عموم النَّاس وإعادة تحديث عقائدهم وأخلاقهم و وعيهم.

وكما قال أحد الإخوة : فبدلاًَ من أن تسرد عليه الأدلة وترهب وترغِّب يمكنك أن تسوغ ما تريده في شكلٍِ عادي، بعيد عن الدِّين، أي: ((عن الصورة النمطية المشوهة)).

فعرض الدِّين في قالب غير دينيّ_ إن صحَّ هذا_أجدى لدى العامَّة من عرضه في قالبه بسببِ الصورة المشوهة.

إنَّ الأمور الدنيوية مرتبطة بحال العوامِّ لأنَّهم المجال الذي يشتغل عليه من يريد تشكيل مجتمع على الصُّورة التي يريدها. اه

لذا يبدو أن التَّنويع في وسائل الدَّعوة أضحى ضرورياًَ، وأنَّ هذه الوسائل مثل: الدرس الدِّيني، حتى بعض البرامج الحوارية النَّاجحة قد بلغت نهاية صلاحيتها في مخاطبة العوامِّ.

كما تعينت الحاجة إلى أن يرفع الشُّيوخ من الطِّراز الموجود أيديهم عن مجالات لا يدركون أهميتها وأبعادها حتى تتحرَّر طاقات شبابية كبيرة معطَّلة بإرهابهم.

فإنَّهم إن داموا على هذه المواقف ستكبر الفجوة بينهم وبين الشَّباب وعموم النَّاس بحيث لا يمكن استدراكها، وفي نهاية المطاف سيتجاوزهم الشَّباب الصاعد وبدون مرافقتهم قد يزور به الأمر.

وإنَّ في اشتغالهم بالتَّعليم في المساجد، والحضور في القنوات التلفزيونية في حصصٍِ مخصَّصة دواماًَ لمنهجهم ورؤيتهم دون أن يساهموا بشكلٍِ ما في تدهور الخطاب الدِّينيِّ أو تراجعه الشَّديد..

لقد أظهرت الأحداث الأخيرة أنّنا لا في العير ولا في النَّفير، مجرَّد بضاعة يتبادلها تجَّار السياسة..؟

لا نميِّز بين مستويات التَّحليل حيث قد يكون صواباًَ في مستوى، خاطئا في مستوى أدنى أو أعلى .

وحيث أنَّنا نوزِّع المدح عامًَّا أو نذمُّ تعميما في زمن تبعَّض فيه الصَّواب، و قلَّما نجد

في السِّياسة من غلب صوابه أخطاءه، فإن وجدناه ألحقناه قياساَ فاسدا بمن غلب خطؤه صوابه، ممن يستغبينا ويستخفُّ بنا بتُهمِ يكيلها وهو أحقُّ بها بشهادة الواقع والتَّاريخ، يشارك المتهمَ بعض الأخطاء في حقّ الشُّعوب الإسلاميَّة، وبلا شكِّ قد فعل أكثر منه، ولا يزال يفعل...!

إلى ماذا ننظر، إلى عدم أهلية المسؤول، إلى كونه موظفا للقوى العالمية لا يتصرف خارج حدوده الا باذنها، إلى العداء والكراهية بين الأنظمة العربية التي تدفعها إلى السياسة المزدوجة، إلى اختلاف الولا ء والمصالح الضيقة، إلى الفجوة بينها وبين شعوبها، إلى الصراعات على الحكم، إلى عدم السند الشعبي، إلى حاجتها إلى الغطاء الغربي للاستمرار في الحكم، إلى ضيق أفق السياسي وعدم مبالاته بمستقبل الأمة، إلى حكم الصبيان وغلبة العاطفة على المصلحة العامة، إلى قلة رجال دولة في الدول الإسلامية.. الخ.

مهما كانت الأسباب صحيحة أو مفتعلة فإن وضع أمتنا لا يسمح لها بمثل هذا التمزق الذي لن يصلح من أمرها شيئا.. خاصة وأن المدعي هو نفسه متهم بنفس التهم..

عند زاوية ما نقول :من كان أفضل لأكثر المسلمين هو أولى ممن هو أفضل لبعضهم فقط، وان احتاج الى تقويم ونقد فلا مانع من ذلك بدون هذه الأساليب التي عفا عليها الزمن والتي تهدف إلى نصرة مشروعات تغريبية أو على الأقل منحلة.

موت التَّقوى..

تموت التَّقوى الباطنة عند المسلم في غارات التَّأويل وكمائن التَّرخُّص (لا الرُّخص الشرعية)..

القرآن الكريم...

في هذه الليالي التي شعشع فيها نور القرآن الاستماع إلى سورة (ق) بقراءة المنشاوي في الكويت سنة 1966م له وقع آخر...!

كأنَّه ينفضُك من كلِّ عوالق الدنيا لتبق روحاَ تحضر ذاك الحوار الذي تعرف حقيقته لأنَّه يتحدَّث عنك، أو عن بعض أحوالك وفترات حياتك..

زكاة الفطر...؟

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله.
لقد قتل الفقهاء المسألة بحثاًَ، وغسّلوها وكفّنوها وقبروها في كلِّ دليل كلِّيِّ أو جزئي،و في كلِّ احتمال أو قرينةٍ ممكنة، فاعمل بما ترجَّح عندك، أو بمذهب إمامك ، ولا تمضغ الكلام من غير طائل.
لكن تذكَّر الزَّكاة ليست ضريبةًَ تُثقل كاهلك، ولكنَّها عاطفة وروح اتِّجاه أخيك.
فإذا وجدت من يأخذ منك حفنات السَّميد بطيبة نفسٍ، وهو راض فرحان بما أخذه منك فاخرجها سميداًَ أو طحينا.
يفرح المسكين في يوم العيد إذا كسا أبناءه ثياب العيد..
يفرح المسكين يوم العيد إذا وفَّر لأهله صحن حلوى يشربون بها قهوتهم..
يفرح المسكين يوم العيد إذا كان عنده الغذاء والعشاء..
لقد تغيرت الأعراف إذا لاحظت.
لا تتصرَّف تصرُّف من يريد التَّخلُّص من واجب، ولكن تصرَّف تصرُّف من يريد أن يفرح معه الضَّعيف في حدود المستطاع.
أظنُّ أنَّ المسكين الذي يأخذ منك السَّميد موجود، أمّا الذي يفرح به فنادر..
"اغنوهم عن السؤال في هذا اليوم".
فانظر ماذا يسألون في هذا اليوم إن كانوا يسألون..؟
رد النصوص الجزئية إلى النصوص الكلية، ولا تفعل فعلا _ لسبب ما _ عدم جدواه..

تابع... زكاة الفطر

الحمد لله وحده، و الصلاة و السلام على من لا نبي بعده .
وبعد؛ فقد كتبتُ المنشور عن زكاة الفطر محاولا الابتعاد قدر الامكان عن الخلاف الفقهي لأنه واضح معلوم ولن أضيف فيه شيئا جديدا، و ليس الإشكال فيه سواء، أخذت بهذا الرأي أو بذاك، وما وسع من سبقنا يسعنا، و إنما الهم و المصيبة تأتي ممن يريد فرض رأيه و تزييف رأي غيره، وقد يقول لك " هذه عبادة" ، فنقول له: نعم هي عبادة ، لكن إخراج الزكاة هو العبادة و ليس جنس المزكى ، فزكاة الحول أعظم خطرا عند الله من زكاة الفطر ومع ذلك قبلها النبي صلى الله عليه و سلم من غير جنس ما يجب فأخذها ثيابا لأن أصحابه كانوا أحوج الى الثياب منهم إلى التمر

،وهذا دليل البخاري في إخراج القيمة.
ثم إن من يوجب زكاة الفطر طعاما لأنها عبادة نراهم في شهر رمضان يقومون بعدد ركعات لا نص عليه، و يقنتون جماعة في كل ليلة، ولا دليل عليه لا من نص ولا من فعل الصحابة، وقيام رمضان عبادة..؟
ومعلوم أن التكفير عن الجماع في شهر رمضان عبادة فانظر إلى ما رواه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه لتعرف روح الإسلام و مقاصده العظمى وهو تحقيق المصالح و تكميلها بحسب الممكن من العلم و القدرة ودرأ المفاسد و تقليلها بحسب الممكن من العلم و القدرة ليكون الناس في أحسن ما يمكن أن يكونوا عليه رحمة بهم في الدنيا قبل الآخرة، قال أبو هريرة : ((بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلَكْتُ.
قَالَ: «مَا لَكَ؟».
قَالَ: وَقَعْتُ عَلَى امْرَأَتِي وَأَنَا صَائِمٌ.
فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هَلْ تَجِدُ رَقَبَةً تُعْتِقُهَا ؟»
قَالَ: لاَ.
قَالَ: «فَهَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَصُومَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ»؟
قَالَ: لاَ.
فَقَالَ: «فَهَلْ تَجِدُ إِطْعَامَ سِتِّينَ مِسْكِينًا»؟
قَالَ: لاَ، قَالَ.
فَمَكَثَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَبَيْنَا نَحْنُ عَلَى ذَلِكَ أُتِيَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِعَرَقٍ فِيهَا تَمْرٌ - وَالعَرَقُ المِكْتَلُ - قَالَ: «أَيْنَ السَّائِلُ؟» ؟
فَقَالَ: أَنَا.
قَالَ: «خُذْهَا، فَتَصَدَّقْ بِهِ».
فَقَالَ الرَّجُلُ: أَعَلَى أَفْقَرَ مِنِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَوَاللَّهِ مَا بَيْنَ لاَبَتَيْهَا - يُرِيدُ الحَرَّتَيْنِ - أَهْلُ بَيْتٍ أَفْقَرُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي..؟
فَضَحِكَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى بَدَتْ أَنْيَابُهُ، ثُمَّ قَالَ: «أَطْعِمْهُ أَهْلَكَ»))
عصى الله ثم أباح له أكل كفَّارته لأنه أحوج إليها من غيره... !
فلهذه الأسباب سلكت مقاربة اجتماعية ونفسية من واقعنا المعاش إذ هي في الحقيقة

المرجِّح في الباب و إن كان واقعنا فيه الغالب وفيه النادر، وهذا حوار كان بيني وبين أخي أبي عبد الله العيسي البصري.
قال أخونا أبو عبد الله العيسي :
" شيخنا ألا تلحظون حفظكم الله أن القائلين بقوت البلد من الفقهاء قائلين بالنقد معنا، وأنهم لم يجمدوا على ظاهر الأصناف؟ ! حيث قد يكون القوت غير منصوص عليه فيكون من باب القياس! فإذا جاز القياس على القوت جاز جعل النقد قوتا بل هو أقوى من القوت لأن النقد يستطيع المسكين أن يشتري به جميع القوت؟
قلتُ : كلام صحيح ودقيق.. لابد أن نعرف شيئين : أن وضعية الطعام في زمن النبوة غير وضعيته في زماننا فقد كان الواحد منهم يتعشى على بصلة أو حبات تمر، وقد لا توقد النار في بيوتهم لشهور والنصوص التي تخبرنا عن ندرة الطعام عندهم كثيرة، فمن الطبيعي جدا أن يكون للطعام أهمية كبرى، و أن يكون مطلوب المحتاج في أيام العيد .
أما اليوم ~ و اتحدَّث عن بلدي و ما رأيت بعيني ~ فالخبز يباع علفا للأغنام.، تجد في سوق الأغنام شاحنات ضخمة مملوءة بالخبز اليابس فأتذكر ما حكاه ابن الجوزي في " صفة الصفوة" عن داود الطائي وورد عن غير واحد من السلف كإبراهيم بن الأدهم و غيره كيف كانوا يبلون الخبز اليابس في طست الوضوء، أو يلقونه في النهر يبتل و يطرى كما فعل ابن الأدهم ثم يأكلوه .
كذلك تغيَّر أسلوب الحياة في كثير من الأماكن، فالناس لم تعد في الغالب تعجن الخبز في بيوتها بل تشتريه من المخابز ، و لا الخبز هو قوت أهل البلد كما يزعمون بل الكسكس أو مرق البطاطا ، و الكسكس لا يُعمل بالدقيق وحده .
لذا فإن ما ذكرته من كون النقد أعم من القوت المخصوص لأنه يتناول كل أنواع القوت ، فيسد حاجة الفقير إلى القوت والي غيره، وهذا الذي جاءت به الشريعة، وهو سد الحاجة والاستغناء عن السؤال، لا مراعاة جنس المزكى به ولو لم يسد حاجة، فهذا يجعل الشريعة تقصد ما لا نفع فيه ...؟
قال أبو عبد الله العيسي : " نعم شيخ، نعم واضح ذلك هو ذا ما تحتاجه الأمة فقه له علاقة بواقعها التي تعيشه لا بواقع الصحابة رضي الله عنهم،فالعرف هو الحاكم في مثل هذه الحالات،نحتاج لروح الشريعة.

مرة أحد الإخوة اجتمع عنده ست أكياس من الطحين وليس عنده دينار ليركب ابنته في دولاب العاب! قال أخي: انا ماذا أفعل بالطحين ؟!

وليس عندي فلس في جيبي.

في عرفنا الناس تأكل اللحم أو الدجاج في أيام العيد،ولا يتم الفرح والسرور في البيوت إلا بذلك،والمطلوب شرعاً أن لا يبقى بيت مسلم فيه حزن في هذه الأيام."

قلتُ: و أنا أعرف من باعه لبقَّال.

نعم، في عرفنا الناس لا يأكلون الخبز وحده، ولا يسفُّون السميد، هذا استهتار بهم، عندنا يأكلون الكسكس باللحم أو الدجاج .. ومنهم ميسور الحال قد يأكل الرقاق " الشخشوخة" .

إذا أردت أن تعرف شعور الإنسان فضع نفسك في مكانه، و انظر هل تقبل يوم العيد أن تضع أمام أولادك كيسا من الدقيق أو الطحين و تفرح..؟

قد يفعل هذا أمثال فتح بن سعيد الموصلي، قال إبراهيم بن موسى: رأيت فتحاً الموصلي في يوم عيد أضحى وقد شم ريح القتار، فدخل إلى زقاق فسمعته يقول: تقرب المتقربون بقربانهم وأنا أتقرب إليك بطول حزني يا محبوب، كم تتركني في أزقة الدنيا محبوساً؟ ثم غشي عليه وحمل فدفناه بعد ثلاث.

حسنات الأبرار سيئات المقربين، وليست أعمال الخاصة قدوة لعوام الناس.

إنما الإيمان أن تحبَّ لأخيك ما تحبُّه لنفسك، و أن تفعله في حدود قدرتك، و إن أصعب الأيام على الفقراء أيام العيدين تكاد قلوبهم تتفطر فإن أثقل شيء عليهم عندما لا يجدون شيئا يغيرون به نفسية أولادهم في يوم مخصوص.

في يوم مخصوص شرعا وعرفا كيوم العيد يجب أن يكون عمل المسلم مع أولاده و جيرانه و الناس أجمعين مخصوصا يخرج عن العادة.

إذا وجد الفقهاء في زمن أبي حنيفة الحاجة إلى إخراج زكاة الفطر بقيمتها النقدية فكيف بهذا الزمان المتأخر الذي أصبحنا فيه ننفق المال على المراحيض...ولا تفعل فعلا ، ولا تتحرك حركة إلا بثمن ..؟

من مقاصد الزكاة في الإسلام..

الحمد لله، والصلاة السلام على رسول الله..

قال الفقهاء: " لا يعتبر في زكاة الفطر ملك النصاب بل تجب على كل من ملك صاعا فضلا عن قوته يوم العيد".

1_ يدخل في هذا كثير من الفقراء ممن يملكون أكثر من قوت يوم العيد.

ويستفاد من هذا أنها مهمة للصائم،ولذلك وجبت بهذا المقدار كما يظهر هذا القدر في الوقت نفسه أهمية المواساة والتكافل في العيد.

2_ غالبيتنا في هذا العصر لا يملك في بيته القوت الذي يخرجه بل قيمته، لأننا صرنا لا نتخذ عولة العام بل نشتري طعامنا في كل يوم أو مرة في الأسبوع كالخضروات وبعضنا يشتري الزيت والسكر والقهوة ومثلها مرة في الشهر.

لهذا نشتري السميد ونتصدق به،لا ناخذه من قوتنا اليومي.

3_ أجاز جمهور الفقهاء إخراج الأصناف غير المنصوص عليها لأن الصدقات تجب على وجه المساواة للفقراء، يعني: نطعمهم (من أوسط ما تطعمون أهليكم) فصدقة الفطر يجب أن تكون من قوتنا لنسويهم بأنفسنا.

وهذا خروج عن منطوق النص ومع ذلك هو بديهي إذ لا يعقل أن يتصدق جزائري بتمر لأن ثمنه مرتفع وليس من قوت بلده.

كذلك نستفيد من مسألة تسوية الفقراء بأنفسنا أن ياكلوا من جنس ما ناكل يوم العيد لأن الصدقة تكون من فضل قوتنا يوم العيد، ونحن لا ناكل يوم العيد لا السميد ولا الطحين ولكن طبخة مركبة منه ومن غيره فالسميد ليس طعاما بمعنى أكلة ولكنه مادة طعام، يعني يحتاج إلى التحويل و مواد أخرى.

4_ صدقة الفطر من جنس الكفارات يعني تجري مجرى صدقات الأبدان وليس صدقة الأموال لأنه جاء في الحديث:(فرض صدقة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث).

فهي كالكفارات يستحقها من يستحق الكفارة.

5_ وهو الأهم : الواجب في زكاة الحول_ ابن تيمية_ في أصناف الحيوان: الإناث دون الذكور الا في التبيع وابن لبون لأن المقصود: "الدر والنسل" وإنما هو للإناث، إذ المقصود النفع بالاستنماء والاستنفاع المستدام من الحليب والنسل.

بينما في الضحايا والهدايا يكون الانتفاع الآني وهو الأكل، وهنا الذكر أفضل من الأنثى فقدم.

وصدقة الفطر وجبت في الأصل طعاما لأن المقصود الانتفاع بها الحالي يوم العيد اكلا، ولذلك كانت من جنس الكفارات.
وعلى هذا لم يتحقق المقصد منها وهو الانتفاع الحالي "الأكل" بما يخرجه المسلمون اليوم من السميد والطحين.
كما انه لا يحقق المساواة، ولا ينتفع به الفقير يوم العيد فيشبه أن يكون عملا بدون فائدة حالية للمسكين.
5_ قول ابن تيمية في "المجموع) 25/68:... وأما إخراج القيمة للحاجة أو المصلحة أو العدل فلا بأس به... إلى قوله :مثل ان يكون المستحقون للزكاة قد ذاب طلبوا منه إعطاء القيمة لكونها أنفع فيعطيهم اياها".
وهو يشمل زكاة الحول وزكاة الفطر.
وعلى هذا فإن المنفعة ،وتحقيق المساواة ،والمصلحة ،وطلب من يستحقها هي في إخراج القيمة النقدية وليس في القوت.
وليس هذا بدعا من القول فاضافة إلى ما تم بيانه من مقاصد تلتقي وتعالج حقائق اجتماعية فهذا قول جلة من أئمة السلف والفقهاء، ولا قيمة لقول من جعل النقد غير مجزئ في هذه الحال.

الخروج بالفعل الواعي من تعقيدات الخلاف الفقهي إلى مصالح المجتمع الإسلامي المعاصر .؟

الحمد لله، و الصلاة و السلام على رسول الله.
الغرق في الخلاف الفقهي لن يحل أية مشكلة تواجه المسلمين، وهو أشبه بالدوران في فراغ إن لم نجدد مقاربتنا له بالترجيح خارج دائرة الجدل الفقهي..
فمن الخلاف ما لا يتحرر محل النزاع فيه بسرد أقوال الموافقين والمخالفين من الفقهاء،فهذا أسهل شيء، لا يعجز عنه طالب علم صغير فهو أشبه بعمل مكتبي.
إنما الفقه الحي أن نعرف ما الذي نحتاج إلى تحقيقه ليكون فعلنا واعيا، يدل على قدرتنا على التكيف مع الوقائع المتغيرة ضمن تحقيق مقاصد ديننا وداخل معالم تراثنا الفقهي.
لماذا يجب أن نفعل هذه الصورة وليس تلك..؟

ما الأسهل على الذي يخرج الزكاة وما الأنفع للذي ياخذها..؟
ما الذي يحقق المصلحة العامة والخاصة، ويجمع أكبر قدر من المصالح فيحل بفعل واحد عدة مشاكل، ويسد عدة أبواب...؟

تجدِيدُ روح العيد وبناءُ وعيٍ مجتمعيِّ جديد :

لقد عرفنا من الشَّرع أنَّ الزَّكاة شُرِّعت للمواساة، ولا تكون المواساة بما لا يجبر خاطر المسكين.

فما حقَّق المواساة وتسوية الفقير بأنفسنا يوم العيد كان هو المطلوب شرعاًَ.

وقد كان الطَّعام في زمن النُّبوة وربَّما في بعض الأماكن الآن هو ما يُحقِّق المواساة والمساواة.

امَّا الآن فلا يقول عاقلٌ صادق في الإخبار عن الواقع الموجود بأنَّ المواساة تقع بغير المال.

قال الله تعالى: (ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون) فاخرج من جنس ما ستاكل يوم العيد، لا تُخرج أدنى منه، ولا يتأدَّي هذا إلَّا بالنقد الذي يسد حاجة جميع أنواع الفقراء إذ ليسوا في نفس درجة الفقر، ولا يحتاج كلهم إلى طعام يوم.

بخلاف الأمم الأخرى نحن أمة تدور رحاها على الضعفاء، قال عليه الصلاة والسلام : (إنَّما ينصر اللَّه هذه الأمَّة بضعيفها بدعوتهم وصلاتهم وباخلاصهم).

لقد رأيت الغربيين في عيدهم_ ونحن أولى منهم بكلِّ رحمة إنسانية ممكنة إذ ليسوا قدوةًَ لنا وقد ضيَّعوا المهمَّات لكن قد نعرف بالنَّظر إليهم ما فرَّطنا فيه من مقاصد ديننا_ لا يتركون في ليلة عيدهم مسكيناًَ تعرفه جمعياتهم ولا مشرداًَ في الطُّرقات، أو مريضاًَ في مستشفى إلَّا تذكَّروه وشاركوه بهجة العيد،

يطوفون عليهم بأجود الطَّعام ممَّا يأكلون، وبالهدايا، بل رأيتهم يتذكَّرون الكلاب والقطط الشاردة..!

واتذكَّر في طفولتي بعد الاستقلال ببعض سنوات مدرسةًَ للأخوات النصرانيات مقابلة لبيتِنا كانت تقدِّم خدمات طبيَّة، وتعلِّم النِّساء بعض الحرف، وبها قسم يشبه التحضيري.

كانوا في ليلة عيدهم يفتحون النوافذ ويلقون لأطفال مدينتِنا الصَّغيرة بمختلف الهدايا :ألعاب وثياب، وحلويات، وساذكر... الخ وسواء فعلوا هذا لتزيين دينهم أو لمحض

إنسانيَّة، المهم كان الأطفال يفرحون بتلك اللَّيلة..
وكلُّنا يعلم أنَّه يوجد في تُراثنا الإسلاميَّ أمثلة على أعمال برٍّ وايثار وإحسان عظيمة لكننا نريد أمثلةً من واقِعنا المُعاش.
ونُريدُ أن نعرف لمَ سُرِّعت الزَّكاة والصدقة..؟
ما المغزى من هذا الفعل..؟
ماذا أرادت الشَّريعة أن توجده فينا، فإنَّ تشريع العبادات المالية وما في ضِمنها كصدقة الطَّعام ليس المقصود منه قهر التَّعبُّد، بل أشياء أخرى..؟
لقد غرس اللَّه في الإنسان الميل الطَّوعي للحياة الجماعيَّة والتَّأثُّر النَّفسي بما يظهر من مشاعر الآخرين، فإن رأى إنساناً يضحك ضحك، و إن رأه حزيناً حزن لِحزنه وهكذا تؤثِّر في الإنسان المشكالة والمجانسة.
تنقصُ فرحتُنا إن كان بحوارنا حزينٌ أو بائس لأنَّنا بفطرتنا لا يطيقُ القلبُ الفرحان النَّظر إلى الحزين.
ولذلك يواسِي الإنسان ألمه بألمِ عدوه، ويفرح لِفرح أحبابه،تلك طبيعته.
فكما لا يُمكنك أن تكون حرًّا وغيرك من بني جنسك أو ديانتك يُعاني الاستعباد.
وأن تعيش كريماً والنَّاس حواليك يُذلون.
لا يمكنك أن تفرح فرحاً كاملا وتحت ناظرك حزينٌ مكسور.
هذا المعنى المستفاد من هذه العبادات، أنَّ حقيقتك في حقيقة مجتمعك، إن لم تعمل على حرِّيته لن تكون حرًّا حرِّيَّة حقيقية.
وإن لم تعمل على كرامته لن تعيش كريماً.
عيدك الحقيقي عندنا تُساهم في فرح النَّاس، وهنا يحقُّ لك أن تفرح معهم.
قيل :أجمل ما قال الإنسان :الثناء على اللَّه، وأجمل ما فعل :جبر الخاطر المكسور.
بهذا تفوَّقت علينا المجتمعات الغربية، وهو كما ترى موجود في ديننا، مؤصَّل، مضبوط المقادير بلا ضرر ولا ضرار.
وإن كانت هذه العبادات فردية فإنَّ القصد منها: الجماعة.
ولا تنس أنَّ جمهور الفقهاء_وهو الأصح_أجازوا الزِّيادة على القدر ألمشروع في باب زكاة الفطر.
لِنجبر القلوب المنكسرة، ونعمِّم فرحة العيد حوالينا.،فانَّ هذا مقدِّمة لأمور أخرى أهمُّ

بكثيرٍ حيث يجعل للفردانية في خدمة المجتمع، و المسلم الفرد مسؤولاً عن حال الجماعة، كما الجماعة مسؤولة عن حالِ الفرد.
و(الصدقة برهان) فلتكن برهانا على فهمك وبعد نظرك وشعورك بإخوانك كما هي برهان على إيمانك.
وفي المذهبين خير إنما الشأن في أنفعهما للفرد والجماعة رعاية للمقاصد والحكمة الشرعية لا مجرد موافقة منطوق نص لا يقول به حرفيا الطرفان..

أزمة الخليج..!؟!

الإصلاح بين الناس صدقة يحبها الله تعالى، و محاصرة المسلمين_مهما كانت الأسباب_ لا ترضاه الشريعة، وهو من أساليب الغربيين الظالمة لأن الحصار لا يضر إلا الشعوب..؟
ثم إن الشعب القطري قليل جدا عدديا ليؤثر فيه الحصار فيؤثر على حكومته ، ودخل الفرد فيه مرتفع لا يحتاج معونة من أحد..!!!
وإذا كنا سنحلل موضوعيا فلنقل : كل من تسبب في قتل المسلمين وتشريدهم، وتدمير ممتلكاتهم، وابدلهم خوفا بعد أمن ، جوعا بعد شبع، ومزقهم إلى مليشيات متناحرة يشحن طرفا ضد طرف_ كائنا من كان_ ولابد أن ترتد عليه أفعاله هذه يوما. .؟
و إن بعض الشر أهون من بعض، وبعض الظلمة أفضل من بعضهم الآخر، فقد تكون له حسنات راجحة كأن يهتم وينصر حقوق الإنسان الصحيحة، ويدافع عن المستضعفين، ويندد بالمستبدين وإن كان هو نفسه يمارس في بلده بعض الاستبداد، و إن كانت له أهداف خاصة به...؟
وقد يخدم الجميع إمبراطورية العالم، لكن يدخلون فيها بعض الخير أو بعض مشروعاتهم الخاصة بهم.
إن العالم الإسلامي ممزق كل ممزق ولا يحتمل مزيدا من التمزيق، وفي السياسة وحروب المخابرات والصراع الاقتصادي والمواقف الدبلوماسية ما هو كفيل بالدفاع عن مصالح بلد ما_ إذا فرضنا حاجته إلى ذلك وشدة تضرره_ بدون حصار وقطع علاقات كما تفعل الدول العاقلة.
يمكننا أن نوجه لوما لكل أطراف الأزمة فهي تقريبا سواء في الأخطاء السياسية مع

بعض التفاضل ومع ذلك يبقى الحصار و المقاطعة والفجور في الخصومة الذي تمارسه الأطراف إعلاميا وسياسيا مع المسلمين ضارا غير نافع لأحد.
أتعجب من إدخال حماس في النزاع كأنها تقوم بأعمال تخريبية في بلدانهم فحتى لو كانوا في خلاف منهجي أو سياسي معها فإن الأمر لا يبلغ هذا المبلغ من الخصومة.
وكذلك أن يصل الحد إلى معاقبة من يلبس قميص نادي رياضي عليه اسم قطر مبالغة في الخصومة لا تجدها إلا عند العرب.؟
الناس في أمريكا كانوا في عز الأزمة مع كوبا يرتدون الاقمصة عليها صورة تشكيفارا.
فتعلموا من الدول الغربية إدارة مشاكلكم، و انظروا إلى الخلاف الشديد بين قسمي بلجيكا، وبين بريطانيا وإسبانيا حول جبل طارق... الخ.
والجزائر والمغرب في صراع سياسي معلوم ومعلن وصل في بعض المرات إلى الاشتباك المحدود لكنهم اتفقوا كما أورده مسؤول سام في الجزائر على أن تقوم كل قيادة بلد بلغها اصطدام ما على إيقافه فورا.
ومن كان مشفقا على المسلمين بصدق من فقهاء السياسة فليشفق على شعب اليمن الذي انتشر فيه الفقر بشكل غير مسبوق وكذلك المرض، وسوريا وليبيا والعراق. وغيرهم.
بدلا من الاصطفاف التام مع طرف دون طرف لندعو إلى كلمة سواء أو لنحلل كل الوقائع الثابتة بعيدا عن الأسباب المعلنة فإنها زائفة.
وفي ظل بطلان الأصل السياسي لهذه البلدان لنقتصر على لم الشمل وتضييق أسباب الفتنة.
هذا كلام موجه لمن لا جمل له في الموضوع ولا ناقة فإما الحكام فواعظهم ترامب..!

الانحرافُ في الفقه السِّياسيِّ

لقد أصبحت الشَّريعةَّ تُكيِّف لصالح سياسية دولة معيَّنة هي أصلاَ مكيَّفة على مصالح الدُّول العظمى، أو على مصالح خاصَّة بدواليب الحكم في داخلها حيث صارت السِّياسة الخارجيَّة لبعض الدُّول مصلحة ثابتة فوق الزمن، تُطوَّع لها النصوص، و تُمطَّط لأجلها الشَّريعة..؟!

لقد أصبح الفقه السَّياسيُّ يُقطَّع على حسب إلتواءات كواليس الصَّراع على الحكم، والتَّقرُّب للدُّول الكبرى.
لم يعد لِلبُعد الملي، للمصلحة العامَّة للمسلمين اعتبار في فهم السِّياسة واتِّخاذ المواقف.
لقد حوَّلوا الشَّريعة إلى طلاء يُزيِّن الفعل ونقيضه، ندعم الجماعات المسلَّحة في ليبيا وسوريا فتُقذف النُّصوص لسحق اي اعتبار شرعيٍّ آخر...!
نُغيِّر الكتف الذي نحمل عليه البندقية فنذر نفس النُّصوص على الحليف الجديد،نفس النُّصوص والتَّعليلات على موضوعين متناقضين..؟!
وهكذا تُميَّع الشَّريعة على قاعدة ما أنزل الله بها من سلطان، كلمة فيها حقٌّ وألف باطل : (ولي الأمر أعلم بالمصلحة)!
بمصلحة من..؟ مصلحته الشَّخصية، أو مصلحة القوَّة الحاكمة، أو مصلحة تحالفاته..؟
فهل صارت المصلحة الشَّرعيَّة في مصلحة ولي الأمر المناقضة لمصلحة الأمَّة والدِّين...؟!
أم أصبحت مصلحة الدُّول والأمَّة في مصلحة ولي أمر السعودية..؟!
إذا فاتت المصلحة خلفاء راشدين ، فكم أشار الصَّحابة على أبي بكر وعمر، وعثمان، وعلي_ رضي الله عنهم_وكثير من السَّلاطين.
متى صار ولي الأمر معصوماًَ، وهو أقلُّ علماًَ بما لا مجال للمقارنة من الخلفاء الرَّاشدين..؟
جنِّبوا الدِّين ألعاب الحكَّام، فهذه سياسة بدعية ، تجوز فيها الأفعال وتُحرم بحسب رغبة الباب العالي في واشنطن...!
يقول بعض النَّاس :لا ينتقد السعودية إلَّا جاهل أو مبتدع ضال لأنَّها بلاد التوحيد..!!!
على هذا يكون من انتقد إمرة أسامة على الجيش، ومن انتقد الوصية على عمر، ومن انتقد معاوية.... الخ جاهلا أو ضالا..؟!
و كذلك من انتقد داعش يكون جاهلا أو ضالا لأنَّ مشكلة الدواعش ليست في التَّوحيد..
وهل التَّوحيد مانع من الخطأ في السِّياسة والفجور أو البدعة في العمل...؟
ماذا نصنع عندما ينتقد موحِّد موحِّداًَ، هل نرجِّح بينهما بالرُّجوع إلى ترامب..؟!
ولاة أمور يتنافسون رضا أمريكا ومتخاصمون يقتتلون على تصريحات المسؤولين

في البيت الأبيض، أحدهم يشدُّ حبل العرب والآخر يرخيه..

فتنة الفتنة

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.
ليس كلُّ ما يقع وفيه شرٌّ هو فتنة إذ كثير من الحوادث لا تخلو من شرٍّ.
إنَّما الفتنة أن يشتبه الحقُّ على النَّاس.
امَّا والأمور واضحة جلية فالفتنة تكون لمن يخالف واضحات دينه ومن يُتابعه على ذلك.
كما أنَّه لا يوجد نص ينهي عن الكلام في الفتنة، إن كان بعلم وحقٍّ.
المنهي عنه هو الزِّيادة فيها بتأجيجها وعدم الإشارة بالنُّصح والإصلاح .
وإذا كانت السِّياسة المعاصرة قائمة على الكذب والخداع فإنَّ الحاجة إلى تحليلها وتقويمها والكلام فيهاكواقع فاسدٍ بما هو مطلوب أمر شرعيٌّ مشروع، والتخلي عنه إقرار على الفساد وفتح للمجال له.
لم يدرك بعض السَّلفية المعاصرة الفرق بين فرار بعض السَّلف من دوائر الحكم وبين هجر السِّياسة، فهجر السِّياسة هجر لمصالح المسلمين، وعدم اكتراث بأحوالهم وهذا لا يفعله السَّلف الذين كانوا يفرون من الحكام خوفا على أنفسهم من فتنتهم، لا الفرار من الكلام في السياسة الذي هو الفتنة بعينها إذ لا صلاح للحكام وللناس الا بما يقوم به العلماء من نصحهم ونهيهم.
ثمَّ كيف تكون الأمَّة في أفضل عهدها (القرون المفضلة) ويهجر السَّلف السِّياسة ،ثم وتكون في أسوأ عهدها ويكون منهجهم كذلك هجر السِّياسة...؟!
هذا موقف متناقض عدمي، لا يقول به عاقل لأنَّه جمع بين متناقضات، ونسبته للدِّين وللسَّلف مفسدة.
لم يكن عند السِّلف :مواقع تواصل اجتماعي، وهواتف ذكية، وصحون مقعرة، وفضائيات، ومجلات و صحف، لم يكن عندهم الَّا المساجد يجتمعون فيها.
ولا يوجد إمام من السَّلف لم يتكلَّم في السِّياسة، فقد تكلَّم الصَّحابة في عثمان ومعاوية_ رضي الله عنهم_ وتكلَّم صغارهم والتَّابعون في الحجاج.
وتكلَّم مالك في الدولتين، وكانت له مواقف معروفة.

وتكلَّم أحمد في المعتصم، ورفض عطاء الملوك وذكر علته.
وتكلَّم ابن أبي ذيب في السفَّاح.
وهناك أمثلة عن النووي، والعز، وابن تيمية... الخ بل لم يكن تأليفهم في السياسة الشرعية وذكرهم في كتب الفقه أحكام البيعة وشروط الإمارة وغير ذلك إلا خوضا في السياسة.
نعم كانوا لا يتكلَّمون لإثارة الفتن لكن كانوا يخبرون بالحقِّ وبنصحون الخلق،وينهون عن الفساد بأنواعه فساد الراعي وفساد الرعية.
وعليه فإنَّ هذه المواقف السَّلبية التي توصي بعدم الخوض في الفتن هي في الحقيقة مساندة للباطل لأنَّه عندما يصطدم الحقُّ والباطل يجب الاصطفاف مع الحقِّ لكن بانصاف وعدل، فلا نغفل عن الحقِّ الموجود مع أحد الطَّرفين ولو كان ضئيلا.
نقول الحقَّ ونحكم بالعدل، ولا نأمر هذا أو ذاك بشرٍّ، لا تأمر الا بالمعروف مما فيه جمع الكلمة وتقليل الشرِّ إذ الغالب العجز عن إزالته كلية.
يمكن أن تدافع عن طرفٍ ببيان أخطاء الطِّرف الآخر_ إن كنت قادرا على إثباتها أو كانت جلية معلومة_ لكن لا تجعل أخطاء من تدافع عنه حسنات، أو تغض الطَّرف عنها، فهذا هو عين الفتنة وسكوتك حينئذ أفضل لك.
يمكن أن تدافع عن موقف شيوخك ليس بإنكار الحقِّ الموجود ولكن بالاعتذار لهم وبيان سابقتهم، فمفهوم جدا أن الإنسان لا يمكنه بطبعه أن ينقلب على شيوخه بين عشية وضحاها.
وأنصح الشَّباب الذي لا يستبين هذه الأمور أن يلتزم بشيوخ بلده فإنَّ الخطب سيكون أهون.
والظاهر انَّ هناك سعيا لتقسيم الدول الخليجية وربنا غيرها إلى دول ترعى السَّلفية المدخلية،وما في ضمنها و العلمانية، ودول ترعى الإخوان والسَّلفية الجهادية أو الحركية..؟ والغرض نقل المرض من السَّاحة الدَّعوية إلى السَّاحة السِّياسية، فحاول أن لا تؤجج هذا التَّصنيف.
في الاخير أقول :بدأ داء الأمَّة سياسيًّا، وسيكون أول حلِّه سياسيًّا إن لم تفهم هذا فالطَّريق لا يزال أمامك طويلا.
قال بعض العلماء_ بحسب ما بلغني_ عن ولي العهد الجديد في السعودية ما مفاده انه

رجل صالح..؟
ولا شك أن الناس يرجون ذلك ويسألون الله أن يعينه على الخير لكن هل لو علم فيه صفة مذمومة أو نصبوا واحدا فيه نقائص كثيرة كان سيذكرها أم المصلحة في ذكر الخير فقط وستر العيوب.،لا تكون ابدا في كشفها أو في السكوت على أقل الأحوال..؟
السفينة تغرق..

التعليق على صفحتي..؟
يمكن لمن يقرأ منشوراتي أن يعلق عليها موافقا مخالفا لا يهم، فليس منا من على راسه هالة الصواب..
لكن بشرط واحد : علق على الموضوع فقط.
وأما الانحراف إلى شيء اخر غير ألموضوع فإني أحذفه مع احترامي للمعلق كشخص.
لا وقت عندي لشرح البديهيات، أو الكلام في أمور خارجة عن الموضوعات المطروحة.

بسم الله الرَّحمن الرَّحيم
بسم الله الذي تعالى عن الأضداد، بسم الله الذي تنزَّه عن الأنداد، بسم الله الذي تقدَّس عن اتِّخاذ الأولاد.
بسم الله الواحدِ بلا عدد، بسم الله الباقي بلا أمد، بسم الله القائم بلا عمد.
بسم الله الذي نوَّر الأنوار، بسم الله الذي أكرم الأبرار، بسم الله الذي قدَّر الأقدار ونوَّر القلوب و الأبصار.
بسم الله الذي تجلَّى لقلوب الأبرار في أوقات الأسحار ، بسم الله الذي أزاح عن أحبابه الأخطار، وحفظهم من رقِّ الأغيار، وحطَّ عنهم الأثقال و الأغلال و الآصار و الأوزار ،بسم الله الذي أجرى الأنهار و أنبت الأشجار .
بسم الله افتتاح سور القرآن،بسم الله الذي طابت به الخلوات، بسم الله الذي تمَّت به الصلوات،بسم الله الذي حسُنَت به الظنون، باسم الله الذي سهرت له العيون، بسم الله الذي قال للشيء كن فيكون.

بسم الله تاجُ الواثقين،بسم الله سراجُ الواصلين،بسم الله مغني المتقين.
بسم الله الذي جعل النارَ لأعدائه مرصادا، و جعل رؤيته لأحبائه ميعادا.
بسم الله للذاكرين ذخرٌ و للأقوياء عزٌّ،و للضعفاء حِرزٌ،و للمحبِّين نورٌ،و للأتقياء سُرورٌ، بسم الله نورُ الصدور، بسم الله نظامُ الأمور.
... استفتاحٌ للشيخ العارف عبد القادر الجيلاني من كتابه " الغنية"~ بتصرُّف يسير ~

غزَّة السُّؤال...؟

نسأل اللَّه أن يحفظ أهلنا في غزَّة و أن يكف َعنهم شرَّ الصهاينة .
ولأنَّ كلَّ المسلمين يتحدَّثون عن غزَّة أتمنَّى أن أعرف رأي سكَّانها الذين يعيشون فيها ممَّن لا حزب له، حول صراعهم مع ورم إسرائيل كيف يتصوَّرونه...؟
وكيف ينظرون للصِّراع الفلسطيني /الفلسطيني..؟
وهل وجدوا في مختلف المواقف العربيَّة والإسلاميَّة من قضيتهم ملموسا واقعيا لأنَّ غزَّة أصبحت فعلا رأس مال السَّاسة.
و لأنَّ ذلك يُبيِّن الفرق بين غزَّة لفائدة غزّة، وغزَّة كسجل تجاري سياسيَّ ...؟
كيف يشعرون..؟
وماذا يأملون بعيداَ عمَّا تبثُّه وسائل الإعلام...؟
هل توجد دولة مسلمة قادرة أن توقف العدوان عليهم..؟
هل بيعت غزة في الاستراتيجية الصهيونية الجديدة : " لا حل للفلسطينيين إلاَّ بعد السَّلام(التَّطبيع الكامل) الشامل مع العرب" ...؟
بطبيعة الحال هذا إذا كانت الصَّراحة ممكنة لأنَّها عند العرب والمسلمين في هذا الزَّمن صعبة..!

الحقائق مرة فاستعيروا لها خفة العقول..!

الكل (إلّا..) يكذب على نفسه وعلى الكل..!
إذا تبعض المرض لن يوجد حل أفضل من حل (الحائط)

جماعات انتهت صلاحيتها..!
التَّمييز المفاهيمي دقيقٌ وأساسي للتَّفكير متى طبَّقته على أصول الجماعات عرفتَ مسبقاَ ما سيخرج منها، و إلى ما ستتحوَّل مع الوقت..
الأصول الظنية التي تفتقد لمرونة التعامل مع الواقع المتغير تجعلك عرضة للتوظيف في نقض الأصول القطعية و أنت في أتم السعادة...!
عقلية متصلة بالماضي بوصلة الربط النصي الإلكتروني. .؟!

اكتشاف الفرقة (73) ..!
ينقسم البشر بناءَ على عمل عقولهم بـــ(قياس الأولى) إلى : عاقل ، وسفسطائي، و سلفغائي (نصف آدمي) .
في الصِّنف الأوَّل : نجد_مثلَا_ المسيحين يُفضِّلون جميع أنواع المسيحين على المسلم.
والبوذيين يفضِّلون البوذي مهما كان على غيره.
وكذلك المسلمين يفضِّلون ضُلالهم على غير المسلم، بل قد يحكمون على قتل المسلم في حالات منصوصة شرعاَ لكنَّه يظلُّ أفضل من غير المسلم، لأنَّ المعتبر عند هذا الصِّنف البشري : الاشتراك في الأصول لا في الفروع.
الصِّنف الثَّاني : أصحاب وحدة الوجود، يعتبرون الكلَّ سواءَعندهم، الكافر والمؤمن، البرَّ والفاجر مُجلَّى إلهي.
الصِّنف الثالث : فرقةٌ من المسلمين_ لا أعلم بوجودها في غيرهم_ ربَّما هي الفرقة (73) التي فقنا بها فرق اليهود والنَّصارى تعدادا، يقولون : المخالف لنا أضرٌّ على المسلمين من اليهود والنَّصارى، ومن إبليس...!
فهمت القصة ..؟!

هل كتب المعاصرين (مرجعية) في التَّعلُّم..؟
الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.
هذا المصطلح العصري (كتب مرجعية) هو حدٌّ نوعيٌّ يخصُّ كلَّ كتاب مهما كان حجمه يكون هدفه تعليميَّا أو إعلاميا.

أحياناَ يقصد به " القواميس المختصَّة، وكتب التَّصنيف والتقسيم للمواد العلميَّة.. الخ" .

يُنبِّه هذا المصطلح إلى الفرق بين الكتب التي تحتمل القراءة المتقطعة، والأخرى التي تتطلَّب قراءة مستمرة من الأوَّل إلى الآخر.

المقصود هنا هو الكتاب الذي يُقدِّم معلومات متَّفقا عليها، في داخل ملّة (ما) أو مذهب، أو جمعية علميَّة، مثل : الصَّحيحين في الحديث عند المسلمين، و"الكتاب" لسيبويه، وتفسير الطَّبري، و مختصر خليل وشروحه عند المالكية، و "الأصول الخمسة" عند المعتزلة، و "الكتاب الأحمر" للتركيبات الكيميائية اللاعضوية ، وهكذا..

يصلح الكتاب ليكون مرجعا ومصدراَ في التَّعليم عندما يمرُّ بمرحلة النَّقد العلميِّ الدَّقيق، ويصمد فيها ليصبح معتمداَ عند أئمَّة الفن أو المذهب.

وعلى هذا فإنَّ الكتب التي يؤلِّفها المعاصرون لا يصلح أن تعتمد كمراجع في التَّعليم والتَّكوين، إن لم تمر عبر مرحلة النَّقد فهذا خطأ يقع فيه المعاصرون، يُخرج لنا عقولا غير متناسقة الفهم، وبحاجة مستمرَّةٍ إلى مراجعة مفاهيمها.

وهذا لا يمنع من قراءتها والاستفادة منها، فلا شكَّ في تضمُّنها الفوائد، لكن لا تصلح بحالٍ إلى أن تكون مرجعية معتمدةَ في التَّعليم إلَّا بعد النَّقد الدَّاخلي من أبناء المذهب، والخارجي من غيرهم.

وهذا عمل دأب عليه العلماء في جميع العلوم إلاَّ في التَّاريخ يفرِّقون بين كتاب مرجعي وكتاب علميّ.

وحتى النَّظريات في العلوم التّجريبية لا تُقبل تحتى تتجاوز قنطرة التَّجربة وتصمد أمام النَّقد.

هذا اذا أردنا أن نخرج من الفوضى العلميَّة التي نتخبَّط فيها،ونُقلِّل من نسبة العقول المتورمة.

غادي نولي نكتب بالشينوية بلاك (وين تدري) تولي مفهومة ما تولدش حاجة خاطيتها..!

الكتب المرجعية (توضيح الواضحات)

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله.

عندما تنقل حاسة من حواسك إشارة فهذا حس، وبعد أن يفهمها العقل تكون إدراكا حسيا، مثل :أن تتحسس شيئا داخل كيس بواسطة اللمس، مادمت تتحسسه فهذا حس و عندما تعرف شكله فهذا إدراك حسي.

كذلك بعض الناس عندما يقرأ المقالات يجعل مرحلة التحسس إدراكا قبل أن يعرف مضمون المقال وحدوده.

يعني عنده حواس تلتقط وترسل إشارات لكن لا يوجد عقل يتعرف عليها..!

فعندما ننظر في المذاهب الإسلامية نجدها في عملية التعليم تعتمد على مجموعة كتب خاصة بكل مستوى مع انه يوجد فيها عشرات أو المئات من الكتب في الباب.

وقد يكون فيها علماء كبار لكن غير معتمدين، وليس كل كتاب كتبه عالم كبير هو معتمد المذهب أو ممثلا له.

وهذا شيء معروف في كل مذهب وفرقة واختصاص.

وكذلك في كتب الفرق نجد نفس الشيء، وهذا نسميه "استقرار المذهب".

ولا يعني أن المحققين من أهل الفن أو المذهب لا ينظرون في تلك الكتب غير المعتمدة، ولا ينقلون منها،وألقيت مع المهملات.

وهذا نجده في العلوم التجريبية وعلوم الطبيعة تعتمد المعاهد وبرامج التعليم على كتب مرجعية.

ففي كل اختصاص ومذهب يوجد جسم معرفي متفق عليه ثبتت صحته بالنسبة إلى أهله، و خضع للنقد والمراجعة والشرح لسنين حتى استقر عليه الرأي.

فهذا استقراء تجريبي حيثما وليت وجهك وجدته.

وهو بديهي حسي إذ كيف تستعمل كتابا أو بحثا في التعليم عليه خلاف داخل المذهب، أو لم يصمد أمام النقد، أو حتى لم يتعرض للنقد..؟!

،كيف تجعله وسيلة لنقل العلم من جيل إلى جيل باسم ذاك المذهب..؟!

وهذا ما تعمل به المناهج المعاصرة في إطار رسملة المعارف وهيكلتها.

ثم يأتي أحدهم ويريد إنزال هذا الكلام على شخصيات علمية معينة، وهذا أمر حساس جدا لأن الاختلاف حول العلماء قلما يكون موضوعيا وقد لا يكون بعضهم حقق هذا

الشرط.. .
وهذا لا يهمني لأني أتكلم عن شرط منهجي لضمان تعليم صحيح ومنضبط.
تجد بعض طلبة العلم يقولون :"صححه الألباني" فتظن انه صار معتمدا (عندهم) لكن عندما تفحص كتبهم تجدهم يستعملون هذه العبارة حيث وافق تصحيحه أو تضعيفه مذهبهم في المسألة، أما إذا خالفه فينسون ذلك.
و نحن بإحياء هذا الشرط نريد معرفة منضبطة ومطردة تستحق النقل إلى الأجيال القادمة.
وهكذا نجد في كل فن أئمة يعتد بأقوالهم، ويعتبر خلافهم ليس اعتباطا ولكنها الخبرة الطويلة والممارسة، وتجاوز قنطرة النقد ومعرفة قيمة معارفهم.
وعلى هذا اذا استغرب أحدهم هذا الشرط فليعاود التعليم كمعاودة المسيء لصلاته.
وليست هذه المسألة من قبيل معضلة المتقدمين /المتأخرين، ولا من بابها، فهذا شرط منهجي وليس زمنيا، نحتاج إليه لأن بعضهم كتب كتابا البارحة تجده اليوم معتمدا في التدريس..!
في الغرب الكلب الحيواني الملعون... الخ تنشر الكتب في الغالب مع الدخول الاجتماعي وقبل ذلك تعقد لها الندوات العلمية ويتناولها الخبراء والمواقع المختصة والهيئات العلمية بالنقد وعندنا من المقلاة للفم.
الصورة عن عدم فهم الذات..

التشويش الفكري الذي ينخر الأمة في جميع المجالات مصدره النخبة العلمية و العقل [الأصولي] في أسوأ حالاته.

معضلة الرَّسائل العلميَّة..؟
هل يمكن التَّدقيق في 500 صفحة تدقيقاَ صارما يستند إلى مراجع في بضع ساعات ؟..
الكاتب والقارئ قبل الرَّسائل وبعدها سواء، تزيد المعلومات ولا تتغيَّر المفاهيم...!
تظل الآراء وعللها كما هي..؟
الرَّسائل العلميَّة المطبوعة بالمئات كم واحدة معتمدة عند طلبة العلم يرجعون إليها

على الدوام ..؟
قوّة الكتابة العلميَّة ليست في استقصاء الجزئيات، ولكن في قوَّة التَّحقيق والتَّرجيح.
عندما لا تفهم شرح الأستاذ للدَّرس، وتفهم شرح زميلك له فلأن لغة الأستاذ ليست من لغة جيلك.
مئات الكتب المعاصرة في فنٍّ لم تستطع تعويض كتاب قديم لأنَّ المراحل الحضارية لم تتم بعد : النَّقل ثم الشَّرح ثم التَّحقيق وإعادة الصياغة بالمنهج واللُّغة المعاصرين...

تقبل اليوم ما رفضَتْه البارحة... تسير للخلف..!

كنَّا في 1947 ثم صرنا إلى 1967 وها نحن في 2017 الاستيطان مستمر و نخضع للتَّطويع لقبول التَّطبيع قبل الحديث عن الحل النَّهائي.
وسنقبل، وبدون الحل..!
لا نُحسن سياسة ولا مقاومة.
لا ينتصر لنا أحد بالقول إلَّا إذا باع شيئًا منَّا بالفعل..!
النَّاصرون بالكلام والمخذلون بالأفعال.
تكون شخصًا واعيًا بالموضوع عندما تكون واعيًا بذاتك : بحالاتها وأفعالها وقيمها.
وواعيًا بالعالم الذي ترتبط به بعلاقة ضمن إطار سياسيٍّ /اقتصاديٍّ. عندما تعرفه كما هو فإنَّ المعلومات المغلوطة عن العالم تُفسد وعيك به ووعيك بذاتك.
وستكون واعيًا عندما تُدرك حجم شبكة وأذرع إمبراطورية المصالح. وحينئذ ستكف عن مواقفك العاطفية اللاعقلانية، وعن لوم العجزة.
ستصبح واعيًا عندما تُدرك أنَّ الواقع السِّياسيَّ بدايةً من مشروع الدَّولة الحديثة إلى تشعُّب القضيَّة المركزية أكبر من أدبياتنا الفكرية بكثير، لدرجة أنَّنا لا نظهر لهم في الصُّورة.
بدون نظرةٍ حضارية شاملة نحن خارج الإطار..
الصورة تعني :لماذا نحب اذواقا غريبة..؟

يكثر في أسلوب السلف " كلمات التنفير" التي يقوم عليها دين صنفين من الناس :غلاة التكفير وغلاة التجريح، ينزلونها منزلة الأحكام

فلا تهدِ السِّباب إلى خُفافِِ*** فإنَّ السَّبَّ تُحسِنه الإماءُ
لا تكن ممن إذا حمي في الجدل دفعته نفسه الغضبية إلى السفاسف.

معنى الفطرة ومبادئ المعرفة القبلية

الحمد لله و الصلاة و السلام على رسول الله.
قبلية مباديء المعرفة من عدمها مسألة موجودة من قديم لكنَّها أخذت أبعادها الحالية من عصر "ديكارت" ثم معارضة "لوك" له، فيما صار يعرف بالتَّقابل بين العقلانية والتجريبية.
لكن هناك اختلاف بين العقلانية الدوغمائية "عقلانية كنط" والعقلانية المعاصرة في الموقف من دور الحس في تشكيل معرفة الإنسان.
كما هناك اختلاف بين التجريبية المادية التي تنكر وجود معرفة فطرية قبلية، وكذلك تنكر قدرات عقلية فطرية، وبين مذهب هجين يقرُّ بفطرية القدرات الذهنية لكنه ينكر المعرفة الفطرية..!
لهذا لو بحثت في الفكر الغربي المعاصر لا تجد إلا قول العقلانية التي تثبت فطرية مباديء المعرفة الضرورية والقدرات العقلية، يقابله قول التجريبية المادية التي تنكرهما ولا تعترف الا بالتجربة، وتنكر التصورات الفطرية.
والحديث حاليا عند العقلانيين في الإدراك النفسي للمعرفة، وفطرية المنطق الأصلي الطبيعي، وفطرية اللغة، وقد دخل معها على الخط علم النفس الخاص بالنمو.
ويكاد يُجمع الفلاسفة، وعلماء النفس، وخبراء فلسفة العلوم على أن الفرق بينهما خط دقيق، وأنهما غير قابلين للحسم لأنهما موقفان ميتافيزيقيان..؟!
وكل هذا سنبحثه في مقال مطول لكن اليوم نتكلَّم عن موقف القرآن من هذه المسألة.
المعلوم لنا أنَّ المعرفة الفطرية هي أساس توحيد الربوبية، ولكنها ليست هذا التوحيد بتمامه، ولهذا لم يقع بها إيمان، لأنَّها إقرار للضرورة، ليس للكافر فيها اختيار إذ لو كانت كذلك لجحدها.

ولو كانت مكتسبة بنظر أو تجربة لوقع بها إيمان..!
ولو كانت مجرد استعداد و قابلية كما تقوله التجريبية الهجينة لكان الله يحتج على خلقه في توحيد الربوبية بالاستعداد الذي هو القابلية المجردة بدون اية معرفة لا بما علموه بفطرتهم، ولا يخفى على أحد فساد هذا الظن.
قال الله تعالى : { ثمَّ إذا مسَّكم الضرُّ فإليه تجأرون) [النحل].
فهذه الضَّرورة ألزِم بها الخلق أجمعين.
وكذلك قوله تعالى : {وله أسلم من في السماوات والأرض طوعا وكرها وإليه يرجعون} [ال عمران].
ونفهم من هذا أنَّ الله سبحانه هو المعروف الذي لا ينكره شيء، والمعلوم الذي لا يجهله شيء.
ولهذا كان توحيد الإلهية مكتسبا تقع العقوبة به، فهو مكتسب يجب بالرسل.
ولهذا نقول : تقود التجريبية الهجينة إلى الشكِّ أو تجعله مبررا إذ لا توجد بحسبها معرفة فطرية تقرُّ بوجود الله، فالملحد منكر لدليل نظري كسبي وليس لضرورة فطرية..!
ومن هنا نعرف أنَّ رد كلِّ معرفة بشرية إلى تجربة الواقع، وإنكار قبلية مباديء المعرفة يقوى الشك في كل شيء بما في ذلك معطيات الحواس.
ومن المعارف الضرورية الأولية " قبلية وليس بعدية" أنَّ المخلوق يفتقر إلى علةِ يُعرف بها، و كذلك احتياج الإنسان إلى مدبِّر من أظهر هذه المبادئ.
لذا ليست الفطرة مجرَّد أصل خلقة و استعداد، بل هي معرفة ضرورية وبديهية أيضاَ.
فالفكرة عن الصانع الحكيم، وكل ما تنتهي إليه مقدِّمات الاستدلال من القضايا الضرورية هي دون ما تشهد به الفطرة الإنسانية من الافتقار إلى مدبِّر، لذلك فإنَّ الله لا يستشهد على المشركين {ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن ألله } بالاستعداد لأنه ليس إلا ورقة فارغة فكيف تكون حجة على العباد؟! ولكن بالفطرة كشاهد، ولا شهادة بدون معرفة.
فبالفطرة نعرف أنَّنا نفتقر إلى صانع وليس بالتجربة، لكن لا نعرف من هو إلا بالسمع، ولهذا نجد جميع الشعوب تثبت الإله مجملا.

وقد ظهرت على الأرض وكل شيء موجود، سابق عليها فهي لم تشهد أوله حتى تعود إلى تجربة.

فمعرفة الله الأولية المجملة فطرية ضرورية، ومعرفته الشرعية بعدية كاملة، فما استوى في معرفته العقلاء كان ضروريا بالضرورة.

قوله تعالى :{فطرة الله التي فطر عليها الناس} ليس مجرد الاستعداد لأن الإنسان مخلوق وعنده استعداد للخير واستعداد للشر، فالورقة الفارغة ليست استعدادا للخير إلا أن كانت لا تقبل كتابة الشر عليها. ونفس الإنسان ليست ورقة فارغة كلية، بل فيها معرفة الإقرار بالربوبية ومعرفة الوحدانية،يعني أنَّ الإنسان يخلق مقرا عارفا، لا موحد، ولا جاحد.

و نسأل : هل معرفة الإنسان بوجود نفسه معرفة ضرورية فطرية أولية ام اكتسبها من تجارب الواقع..؟

"فلم يعرف بأنه موجود حتى سلك تجارب الواقع..؟

وماذا نصنع بما يقذفه الله في قلوب عباده من الأدلة والمعرفة الضرورية التي ليست أولية فقط فإنها تأتي في شكل واردات ضرورية يعجز الإنسان عن دفعها عن نفسه..؟

الذي ينتج من التجريبية المادية هو امتناع العلم بالله الضروري فالتجربة لا نعرف بها إلا الظواهر وحتى الأنا يصبح سلسلة انطباعات، أو مجموعة أحاسيس ومفاهيم..!

تخرج التجريبية من الحسانية وتقود إلى الشكوكية (rousselot).

العقل عند التجريبيين ورقة أو لوح فارغ، وهو نتاج نشاط عقلي شُكل أوليا كلوح فارغ تنطبع فيه معطيات الحس، مع ان الصحيح عند كثير من علماء الإسلام انه غريزة.

كما أننا نلاحظ في العقل اظافة إلى التصورات الفطرية قوة أمر وتوجيه وتحكم.

كما لاحظ علماء النفس وجود النماذج المثالية الجماعية وأنها فطرية.

و سألوا :ماالذي يقود العقل في عملية الاستدلال إلى الطريقة الصحيحة، و الفعل الحاسم، والكلمة بدون ارتداد..؟

ثم أليس أصل المنطق الصوري منطق فطري موجود في جميع الناس، فكيف يتعلم الناس هذه الأمور من التجربة، ونحن نجد عند العوام أجوبة مدهشة مع عجزهم عن تعلم أشياء صغيرة بسيطة في الاستدلال..؟

وكيف لهم جميعا هذه المقدرة على الاستدلال..؟
ومعلوم أن القياس ليس مجرد عملية عقلية آلية بل هو مباديء،وإعمال للفكر ومع ذلك تجد جميع الناس يقيسون، لو لم يكن هذا فطريا فيهم.
من يعتبر الفطرة مجرد استعداد هو كمن يعتبر ورقة فارغة تمييزا بين معرفة فطرية و أخرى كسبية، يعني التمييز بدون وعي...!
وكيف يميز الحس نفسه...؟
بتعبير آخر يظن التجريبي الهجين والمادي أن العقل يقبل على التجربة برأس فارغ من كل شيء، فالحس هو المعطى وهو الحاكم على هذا المعطى..!
،فالحس يشكل مباديء العقل الضرورية من ورقة فارغة ليدرس بها الحس ويشكل الكليات والمعايير مما يعني أن المعرفة تتولد من نفسها، أو يخرج المعلوم من مجهول..!
اما الكلام الزائد عن المعقولات الثانية فإلى المقال المفصل بإذن الله.

مشكلة الاستدلال بكلامِ ابن تيميَّة..!
في المسألة التي تناولتها في المنشور الأخير، والمتعلقة بـ: " المعرفة الفطرية وأنَّها قبلية وليست بعدية" ثار نقاشُُ حول مذهب ابن تيميَّة فيها.
ومعلوم أنَّ ابن تيميَّة له كلام كثير جداََ في المسائل المتعلقة بالمعرفة، فيتكلَّم في القضيَّة الواحدة من كلِّ زاوية ممكنة له، ثمَّ يأتي المختلفان ويقتطع كلٌّ واحد منهما من كلامه ما يعتقد أنَّه يؤيِّد موقفه.
وهذا مشكل منهجي يُعقِّد الواضحات ،فمثلاََ لا يُفرِّق بعضُهم أو لا يُميِّز مذهب ابن تيميَّة جيداََ بحيث يُدرك أنَّه يسلك في القضيَّة الواحدة عدَّة مسالك مختلفة، ويُجيب عن المسألة من طرفيها. فأحياناََ مثلا يقول : " المذاهب في أوَّل الواجبات، وكون المعرفة الفطرية قبل الولادة أو بعدها" كلُّها تحقِّق المقصود ،وهو أنَّ الإقرار بالصَّانع علم ضروري لازمُُ لكلِّ البشر، وإن قُدِّر أنَّ بعضهم ينساه. فيفرِّق بين ما هو ضروري بعد تصوُّره، وهذا قد لا يعرفه كثيرُُ من النَّاس مثل علم الحساب والعدد فهم غافلون عنه، وبين العلم الضَّروري اللازم للبشر، والذي عرفوه كلُّهم لكن قد يغفل عنه بعضُهم بعد معرفته مثل العلم بالصَّانع ولزوم عبادته.

لكن هذا لا يعني أنَّه بدون مذهب خاصٍ به يرجِّحه فإنَّ الرَّجل قد فصَّل المسألة في " الدرء" تفصيلاَ لو تُرك النَّاس يُطالعونه بعيداَ عن المختلفين في المسألة لفهموه بِيُسر، ودون عناء، فإنَّه حشر جميع الأدلة الشَّرعيَّة وتكلَّم فيها بإسهاب وتحقيق دقيق.

وعلى هذا عندما يترك بعضُهم هذا وينتقل للحديث عن " المعقولات الثانية" وينقل كلام ابن تيميَّة في نقض كلام المناطقة في الأوليات فإنّه يبتعد عن المسألة، ويُضبِّبها أكثر، فنقد ابن تيميَّة لحصر المناطقة الضَّروريات في الأوليات العقليّة ببيان أنواع الضَّروريات كالحسيّة التَّجريبية لا يعني عنده أنَّ الفطرة هي مجرَّد استعداد محايد، وأنَّه ينكر المعارف القبلية فهذا انتقال بدون وسائط ضرورية ..!

وكون ابن تيميَّة يُعطي الحس أهمِّيَّة بالغة فلأنَّ الإنسان بدونه يشبه الطفل الأحمق المتخلف ذهنيًّا لكنه دائماً ما يقرنه بالحسِّ الباطن كالمحبَّة والإرادة، مما تتلقاه نفس الإنسان بعيداً عن التَّجربة الحسِّيَّة.

وما يُقرِّره لإثبات أنَّ الموجود لا يكون موجوداً بالفعل الاَّ اذا كان مُعيَّناً في الواقع مدركاً بالحواس، وكل النَّظرية الحسية التي طوّرها بهذا الخصوص شيءٌ، وإنكار المعرفة القبلية شيئٌ آخر بعيد جداً.

وعلى هذا فإنَّ نقل كلامه هنا لتفسير كلامه هناك سبب للإضطراب المعرفي.

المهم أنَّ مذهب التَّجريبية الميتافزيقية عليه اعتراضات شديدة فإنَّه يرتدُّ في مسائل أخرى بالسلب كما في إيمان العامَّة إضافةً إلى أنَّه يغلق
على نفسه في الدَّور أو التسلسل اللا متناهي، وهو كذلك مملوء بمسلمات لا حسِّيَّة...!

و الفرق المعتبر بين الضَّروريات في هذه المسألة هو الفرق بين ما عرفوه كلُّهم، وقد يغفل عنه بعضُهم وهو لازمٌ للإنسان، وبين أن يغفل عما لم يعرفه، وإن كان إذا عرفه يصير ضرورياً عنده.

كذلك نجد اضطراباً في معنى بعض الألفاظ يطوِّعها بعضُهم لصالح نظريتهم مثل : معنى " موجب الفطرة ومقتضاها" يحملونه على معنى " الاستعداد المحايد،كنوع قوَّة مغروسة في الإنسان قبليا، أو القابلية المطلقة".?

وهذا غير دقيق ،فالإرادة والمحبَّة قوَّة في الإنسان قبلية ومع ذلك هي معنى وميلٌ وتوجُّه.

فكذلك الفطرة ليست قوَّة بمعنى الاستعداد .

فبحسب التَّجريبيين المعتبر ين الفطرة مجرَّد استعداد لا بدَّ من مرجِّح يحصل من خارج النَّفس. ومعلوم أنَّ هذا المرجِّح لا يوجب حصول العلم والإرادة الاَّ بقوَّةٍ في النَّفس تقبل ذلك.

ولو توقفت تلك القوَّة على أخرى للزم التَّسلسل الذي لا يتناهي بين طرفين متناهي..!؟ وهذا ممتنع بالضرورة.

وعليه دلَّ هذا انَّه يوجد في النَّفس قوَّة ترجِّح الدِّين الحقَّ على غيره. وحينئذٍ فالمخاطب إنَّما عنده تنبيهاً على ما لا تعلَّمه ليتعلَّمه، أو تذكرها بما كانت ناسية لتذكيره، أو حثها على ما لا تريد لتريده.

وكلُّ هذا قد يحصل بخاطرة في النَّفس، وليس بالتَّجربة.

يوضِّحه : إذا كانت الفطرة مجرَّد مكنات وقدرات عقلية في الإنسان فإنَّها إمَّا تكون مرجِّحة موجِّهة وإمَّا حيادية.

فإن كانت الأولى فلابدَّ أنَّ ذلك بعلم أولى فيها.

وإن كانت الثانية لم يكن لها أي دور في الإقرار بالصَّانع وعبادته وإرادته وقصده،وبالتالي صار الاحتجاج بالفطرة على أيِّ معنى لا محل له، فإنَّ أي قدرة وقوَّة حيادية ولابدَّ لها من قاعدة علم يُشغِّلها و يُفعِّلها لأنَّها لا تُشغِّل نفسها بنفسها، فهذا كجهاز الحاسوب يُسلم لك فارغاَ من علمك المكتسب، لكن فيه برمجيات تسمح لك باستغلال قدراته.

فكون الإنسان فيه قدرة فطرية على التَّجريد والتَّعميم وتداعي الأفكار فلابد لهذه القوّة والقدرات من مباديء عقلية أولية تشغلها وتُفعِّلها، وليس فقط بل توجِّهها للبناء عليها، والَّا لم تكن مقتضيةَ موجبةَ للإقرار بالصَّانع ومعرفته وعبادته.

ولهذا نقول : إنَّهم بهذا لا يصحُّ لهم إثبات إيمان العوامِّ فإنَّه قائم على المعرفة الفطرية، وعلى ما يمكن أن يخطر في القلب.

و الخلاصة هنا أن نقول : إن كان المقتضي قائماَ في النَّفس، وقدِّر عدم المعارض، فالمقتضى السَّالم عن المعارض المقاوم يوجب مقتضاه.

وبهذا نعلم أنَّ الفطرة السَّليمة إذا لم يصلها ما يُفسدها كانت مقرَّة بالصانع، عابدةَ له، وليس هذا مجرَّد استعداد أو قوَّة محضة.

فالفطرة ليست مجرَّد قوَّة مجرَّدة مغروسة في كلِّ البشر تقتضي العلم بالصَّانع

والإقرار به وبعبادته بعلمٍ حسيٍّ تجريبي خارجي فلو كان كذلك لما كان هذا العلم والاقرار مشتركاً لازما لكلِّ البشر لأنَّ ما كان عن تجربة شخصيَّة فإنَّه قد ينفك في بعضهم، إذ ليس أصله في نفوسهم، بل مصدره خارجي.

ومعلوم أنَّ تجارب النَّاس مختلفة لاختلاف وسائلها في القوَّة ولاختلاف مداركهم وذكائهم، بخلاف أن تكون هذه المعرفة أولية في نفوسهم بمعزل عن أيِّ مؤثر خارجي، فإنَّ شعورهم بها يكون مصدره أنفسُهم وليس الواقع الخارجي، وحينئذ تكون لازمة لجميعهم.

وعلى هذا ليس الفطرة شيء بالقوَّة أو بالفعل بل هي وسط بينهما، موجودة في النَّفس بالقوَّة مفعَّلة بالفعل الخفيف (شبيه) بالاقتضاء والايجاب الموجِّه المرجِّح.

فالطِّفل يولد مقرًّا بالرُّبوبية وليس قابلا للإقرار بها.

ومعلوم أنَّ المعرفة التَّجريبية معرفة قياسية لا فطرية فليست الفطرة شيئا موضوعاً خارج النَّفس ولا هي من يُشكِّل الفطرة في النَّفس، ولهذا يقول ابن تيميَّة في "الاستقامة" عن بعضهم :

عطَّلوا ما في القلوب من المعرفة الفطرية والقياسية فصاروا معطِّلين للحقيقة الخارجية، والعلوم الثَّابتة بالنُّبوات المعروفة بالقلوب".

وعلى هذا نقول :الإقرار لله بالرُّبوبية، وعلى النَّفس بالعبودية هو من العلوم الضَّرورية اللازمة للبشر، فلا يخلو منها واحد منهم عكس كثير من العلوم الضَّرورية التي لا يعرف النَّاس وجودها. يقول ابن تيميَّة في" الدرء ":" وأمَّا الاعتراف بالخالق فهو علم ضروري لازم للإنسان، الغفلة عنه ليست بمعنى عدم معرفته بل لابدَّ أن يكون عرفه، وان قُدِّر أنَّه نسيه بسبب مانع.

ولهذا يُسمَّى التَّعريف بذلك تذكيرا اي :تذكير بعلوم فطرية ضرورية قد ينساها العبد..."

وقوله تعالى :{أن تقولوا يوم القيامة إنَّا كنا عن هذا غافلين} فبيَّن أنَّ هذا علم فطري ضروري وليس مجرَّد استعداد لابدَّ لكلِّ البشر من معرفته.

فاثبات الصَّانع علم فطري ضروري يأتي السَّمع أو الحسُّ للتذكير به وليس لإنشائه..

وكون النَّفس مريدة هو من لوازم حقيقتها، ومعلوم أنَّه يمتنع إرادة بدون علم يسبقها.

فالنَّفس البشرية لا تخلو من الشُّعور والإرادة اللازمين لحقيقتها ولذلك لها مطلوبٌ

مراد بضرورة فطرتها، ولا يتصوَّر أن تكون بدون إرادة.
ومعلوم أيضا أنَّ كلَّ إرادة بشرية لمنفعتهم الحسِّيَّة هي مرادة لغيرها فلابدَّ إذاَ أن تنتهي إلى مرادٍ لذاته هو الله.
وبهذا علمنا أنَّ العبد مفطور على محبَّة الله وإرادته، وهذا يعني بالضَّرورة معرفة قبلية أوجبت هذه المحبَّة و هذه الإرادة.
فلو لم يغفل أنصار التجريبية الميتافيزيقية أهم فصل في الموضوع وهو الشعور الباطني وحقيقة النفس البشرية لتصوروا المسألة بسهولة لكنهم عزلوا الكلام في التَّجربة الحسِّيّة عن الشُّعور الباطني فاضطربوا للأسف.
وعلى هذا نقول : مقاربة ابن تيميَّة كاملة، وتنطلق من الحقيقة الشعورية الباطنيَّة للنفس، ومقاربة "ديكارت" تشبهها تقريبا لأنّه ركَّز على الرُّوح كيف تدرك وجودها بمعزل عن معطيات التَّجربة، سنقف عندها في المقال المطوَّل.
ومما يجدر معرفته أنَّ الذين اعترضوا على ديكارت كانوا بريطانيين، ولذلك سمي مذهبهم بمذهب أهل الجزيرة في مقابل مذهب القارة.
والملاحظ انَّهم كلهم تقريباَ ملاحدة أو شكَّاك، أو قالوا في فترة ما بوحدة الوجود، مثل: لوك، و هيوم، ومل.. الخ.
و لم يقل بمذهب المعرفة الفطرية القبلية الاَّ المؤمنون بالله.
الموضوع مفصل بشكل ممتاز في "الدرء".
منذ حوالي شهر وانا مضطر للكتابة بواسطة الهاتف المحمول، لذا قلت الجودة، ووقع تكرار في العبارات لصعوبة ذلك علي.
ولهذا أيضا لا أستطيع حاليا الاسهاب في الموضوع كما أريد..

لنغطس رؤوسنا في الماء البارد..!
لا يوجد في المتأخِّرين(المعاصرين) من أتقن مسائل العقيدة في مجالها الواسع كلاماَ وفلسفة ومنطقاَ بحيث ضبط التَّصورات، وارتسمت في ذهنه خريطة المذاهب، وما تحت المذاهب،والتيارات، وعرف نقاط تقاطع المسالك بصورةٍ تسمح له بالكلام منشأ، وليس ناقلا فقط، أو مردِّدا.
لذا إن خولف أحدُنا فأمر طبيعيٌ جداَ، لا يستدعي القلق أو الغضب والانتفاض

،والانتفاخ بمدح الذَّات أو التَّقليل من النَّاقد، وإن لم يخل أحدنا من هذا، وإنَّما نطلب الغالب.
وكلُّنا في يومٍ ناقد، وفي آخر منتقَد.
ولنضع رؤوسنا في ماءٍ بارد فما نحن إلاَّ عالة ثقيلة على السَّابقين ولنعمل على إيجاد جيلٍ يقدر مثلهم على الكلام في هذه القضايا منشأً فاهماً محيطا بموضوعه.
بالمختصر لسنا في هذه الأمور بشيء، نحاول أن نكون..!
عرفتَ هذا ارتحت، إن لم تعرفه تعذَّبت..
معنى الصورة : تكبر الجهل..!

نحو تربية مزدهرة.

التَّربية التَّعليمية عند بعض الشُّيوخ تربية ترويضية كأنَّهم يربُّون الخيول لا البشر...!
نحتاج إلى مسلم يعرف دينه نعم،و بضرورة، ولكن كذلك يملك قدرة على التَّفاعل الإيجابي مع محيطه. نحتاج إلى كائن اجتماعي لا إلى متشنج يعيش في جزيرة .
حالة الاستقبال المعرفي عند الأجيال الحالية تُعاني من انقطاع التَّواصل مع معارف الأجيال السَّابقة بسبب ظهور معارف جديدة موافقة لحياتهم المادية والتكنولوجية.
المعلومات المعروضة اليوم أكثر من الحاجة بشكلٍ مربك، زد على ذلك الاستيعاب السيئ، وأكثر الكتب تحكمها دكتاتورية الفائدة.
يطلب النَّاس اليوم معلومات ليست موجودة لا في المدرسة، ولا في الكتب.
يبحث الواحد منهم في الشبكة فيقوده بحثه بعيداً عن موضوعه فيعود وراسه في لا مكان.
لقد أصبح النَّقل رقميا، والعرض أكبر من عقل الشَّباب ، يُكدِّس الواحد منهم في أجهزته الحديثة معلومات لا يقدر على قراءتها في قرون.
كيف تُخاطب شباباً يسمع، وآخر لا يسمع..؟
نقل العلم يحتاج إلى وقت، والوقت مشكلة الإنسان المعاصر فافتح عينك أيها المربِّي على الضِّفة الأخرى، ووسِّع النظر، فإنَّ نقل العلم حاليا تحدٍ كبير.
الصورة :عند الشباب (المتلقي) بضاعة يحتاج إليها الشيوخ..

العلم لا يصلح له بعض الناس ..؟
سرعة الانتقال إلى الفكرة السديدة والتَّخلِّي عن الخاطئة التي اعتقدنا لمدَّة قصيرة أو طويلة صوابيتها ينمُّ عن نفس سالمةٍ من أمراض الأنا، و عن حبٍّ للحقِّ، و أخيرا عن عقل يثبتُ عند نوازع الأهواء والشُّبهات.
العلمُ إن لم يكسرك فالأفضل لك أن تأخذ منه الواجب عليك وتنصرف إلى غيره.
إن رأيته يزيد في تواضعك ورحمتك بالنَّاس، وفي رقَّة قلبك وسرعة مراقبتك لخواطرك،وقبولك للحق فقد كسرك.
معنى الصورة عن الركود الاقتصادي وهي صالحة الركود العلمي.

السَّلفيون والفلسفة..؟
صحيح أنَّ الجيل الحالي من السَّلفيين الشَّباب أكثر اهتماما بالفلسفة من غيرهم، لكنهم لا ينظرون فيها طلباَ للحقِّ والهدى، هذه مغالطة، وهي حال طوائف أخرى غيرهم، تستعين بها في فهم الدِّين..!!
لا يزال هذا الشباب السَّلفيُّ يعتقد كسلفه أن من طلب الحقّ _ فيما جاءت به الشَّريعة _ في الفلسفة أصالةَ وأعتقد الهدى فيها فقد ضلَّ عن سواء السبيل.
فليس في الفلسفة حقٌّ كامل، ولا فيها من الحقِّ ما ليس في الشَّريعة بل ما في الشَّريعة أتمُّ وأكمل بما لا مجال للمقارنة، فليس في الفلسفة الا الشَّك والتَّشكيك في الحقائق.
من لم يعرف انَ الفلسفة كمنظومات فكرية لا يمكنها بحال أن تقترح علينا حقيقة جاهزة، ولم يعرف انَّ منهج الفلسفة يقوم كليَّة على الاهتمام بالسؤال الصَّحيح _ في نظرها _ ولا تكترث للجواب الصَّحيح بخلاف الشَّريعة والعلوم التَّجريبية فلم يعرف الفلسفة في المعصرة، وهو متطفل فيها.
ومن طلب الهدى فيها فلم يعرفها ولا عرف دينه، وسنفصِّل هذا الأمر بأقوال الفلاسفة والدليل.
فليس لأنَّ السَّلفيين تكلَّموا في المعارف القبلية، وذكروا " كنط وديكارت ولوك" يعني أنَّهم صاروا يترضون على الفلسفة فأولا المسألة شرعيَّة بأدلةٍ من القرآن والسُّنَّة،

وهي سبب انحراف المعتزلة في إنكار القدر.
وثانيا :هذا من شمولية نظرتهم ومحاولة تجديد علمهم ليتناول علوم عصرهم.
وهم يحكمون عليها بما تضمَّنته النُّصوص الشَّرعية من معارف، ولا يفعلون العكس.
وكذلك لأنّ الدَّليل العقلي الصَّحيح ليس حكراَ على الفلاسفة أو غيرهم مع اعتقادهم الجازم أنَّ الدَّليل العقلي الصَّحيح بعيدُ عن الفلسفة واقصد هنا الدَّليل الذي يخصُّ القضايا الكبرى ومنها الالهيات، فما من حقِّ في الفلسفة فهو في جزئيات، وفي قضايا لا يتبيَّن فيها الحقُّ مفصَّلا.
وعليه فاحرص مرماك..

الشروحات العلمية الكاملةوالجزئية..؟
على طالب العلم أن ينتبه إلى أنَّ كبار العلماء قد مزَّقهم الباحثون من بعدهم كلَّ ممزَّق، كل واحد بحسب مذهبه وفهمه، فإنَّه لم يزل النَّاس يدَّعون إلى أنفسهم هذا العالم أو ذاك.
وفي مستوى معيَّن من طلب العلم تكون قراءتهم بالواسطة سبباَ لسوء فهمهم، وطريقاَ إلى متاهة شخصيةَ إضافة إلى كونه خطأ منهجياَ في التَّعامل مع المصادر وتوثيق المذاهب، ونسبتها إلى أهلها بحقِّ.
تبدأ بالشُّروح لكن لا تموت فيها، وبعد ذلك الأصول.

أخي وعدوي..!
بهذا العنوان كتب مالك بن نبي_رحمه الله_في رسالة هذه الجملة (بصياغتي) : كما نجد من نيويورك إلى موسكو نفس الفكر الحضاري نجد من طنجة إلى جاكرتا نفس المرض .
لا يوجد مشكل جزائري ومشكل يمني، المشكل واحد لإنسان واحد يعاني من نفس الأمراض.
والأدهى أن كل الألوان والأطياف بدون استثناء قط (هر) تعاني من نفس الأدواء (في الأس).
اختلاف عقولنا وأنفسنا كاختلاف أقمصتنا فقط..!

...

الفرق بين الصَّلاح و القوَّة.. ؟

قد يكون الفرد صالحاً، وفي نفس الوقت ضعيفاً في جسم أو مال أو عدد أو عقل، وفي الحديث (المؤمن القوي خير واحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير)

وكذلك الأمَّة صلاحها في الكتاب والسُّنَّة ولكن قوتها في العلم الطَّبيعي والدَّولة المؤسَّستية والمجتمع المتحضر.

لقد تقاتل المؤمنون العاملون العالمون.. ؟

وأهل القرآن والسُّنَّة اليوم أشدُّ اختلافاً من غيرهم...؟!

والبدع في الأمَّة بدأت من زمن الخليفة الراشد على بن أبى طالب رضي الله_رضي الله عنه_(الخوارج والشيعة) ثم في زمن ابن عمر_ رضي الله عنهما_ ظهر القدرية ثمَّ انتشرت مختلف الأفكار في زمن التابعين وتابعيهم..؟

وقد ساهم في صناعة حضارة الأمَّة وقوتها المادية مثقفون لا نرضى فكرهم ولا عقيدتهم..؟

والمقصود أنَّك تحتاج لتطوير الزراعة والري والصناعة والاقتصاد وبناء الجيوش، وإدارة الدولة، وحفظ المجتمع وفهمه وتوجيهه... الخ إلى علوم خاصَّة.

كما يجدر بنا أن ننتبه إلى كون الإنسان إذا فسدت فطرته العقلية و النَّفسية لا يؤثِّر فيه القرآن التَّأثير الذي أحدثه في السَّلف إضافة إلى تحول اللغة العربية من عادية إلى علمية صورية.

والعقل الفطري هو الحاضن للعلوم، والعلم القرآني الذي يصلح ما فسد من الفطرة العقلية علم منبوذ عند المسلمين تحت عباءة علم الكلام والمنطق...!

وعليه فمن ظنَّ أنَّ صلاح الأمَّة في زمن التَّأويل وصعوبة معرفة الصَّواب الَّا بعلوم دقيقة يكون بالعلوم الشَّرعيَّة وحدها فهو واهمٌ.

هذا فضلاً عن أسباب القوَّة المادِّيَّة.

وإذا كان لنا أن ننزل إلى أعمق من هذا فأوَّل الواجبات الجماعية الاجتماعية هي سياسيَّة بامتياز تتلخص في بناء الدَّولة التي تحمل مسؤولية بناء الأفراد والنهضة بالأمَّة.

سؤال :بأي علم تحلل مشكل المسلمين كعقائد وفرق وطوائف ومذاهب وتاريخ سياسي

وعلمي واجتماعي في نظرة تشمل كل الجوانب، وتقف عند مختلف المؤثرات، وتحصي التطورات..؟

بالنوى و الحُمَّص...!

أخذ رجلٌ مائة حبَّة من حمص ورسم بها على الأرض مربَّعا، وقال للنَّاس : هذا المربَّع صفة عرضية في كلَّ حبَّة حمص فباجتماعها شكَّلت المربَّع، أمَّا هي فكلُّ حبَّة منها كروية الشكل.

قال له بعضهم ممَّن يعدُّ عالما كاملا ويحكم على أعلم منه إن كان متقنا للمعقولات ام لا : لا، كلُّ حبَّات الحمص أصبحت مربَّعة...!

وما جهَّل الجاهلين الاَّ بعض جهَّال العلماء في فنون بعيدة عن إدراك عقولهم، واللَّه المستعان.

تبسيط المعرفة...؟

يقوم عقلاء الأمم بتبيسط المعرفة وتقصير طرق الاستدلال والبيان لتكون في متناول أكبر شريحة من الناس ممكنة.

وينتهجون لذلك عدة أساليب منها العلمية كاعادة الصياغة بحسب اللغة العصرية مع تجديدها واختزال المفاهيم وتمثليها بصور من واقع الناس فتراهم يكتبون :"شرح نظرية غودل في ثلاث نقاط"، "فهم المنطق الحدسي للكسالى" ،فيزياء الكم للحمقى (les nuls).. الخ يمضغون المسألة جيدا حتى تهضم ثم يكتبون فيها لغير المتخصصين.

بينما تجد بعض الفضلاء عندنا يكتب إرشادات لقراءة كتب ابن تيمية نظرية بحتة فإن ما توقف على الفهم لا يحله التكرار ولا قراءة سبعين كتابا التي يقترح ها، فلا عمر المعاصر العلمي يسمح بذلك، ولا هي فعلا الحل الأمثل إذ جلها تكرار لما قاله ابن تيمية.

ببساطة إن لم تدرس المنطق مع نقضه في آن واحد لن تفهم المادة الكلامية والفلسفية لابن تيمية، ولن ينفعك اي مخطط إرشادي.

كذلك من هذا الجنس ما يفعله إخوننا الدعاة إلى التمذهب من الالتفاف عن مناقشة

قضايا بعينها إلى التهويل بمقدمات عشر واجبة على من يريد معرفة مذهب واحد ،جعلوها شرطا لمعرفة الشريعة..!

ومع اني أعددت من مدة عدة مقالات لنسف دعوة ايجاب التمذهب على جميع الناس الا اني رأيت أن هذا النقاش من مخلفات عصور الضعف العقلي عند المسلمين حيث ماتت العلوم بالتقليد الأعمى وان زين بالشيء من التأصيل وأنه ليس مما يقدم الأمة بل هو مثال عن التكرار والاجترار الذي تعاني منه العقلية الإسلامية.

فالموضوع قديم ولن يزيده النقاش فائدة إذ مقومات حسم مثل هذه القضايا مفقودة لأن البحث فيه لم يصل المستوى الأكاديمي المتقن، ولا يزال عبارة عن قناعات مذهبية كما هو حالنا في المعرفة عموما.

وعليه فإن مثل هذه المقالات تنفع المتواطئين على القول به، لكنها لا تحرك شيئا في السلفي الترجيحي، فهي بدون شك_ بدون الدخول في المضمون_ بضاعة تخص المتمذهبين، إذ اصلا لا يعرفها إمام المذهب وقدماء الأصحاب لأنها تطورت مع الوقت، ولأنه يوجد فرق بين السعي لمعرفة اختيار المذهب، وبين السعي لمعرفة مراد الله ومراد رسوله من طريق أقصر وأعمق من الطريق الأول، وإن كان الكل يقصد ذلك.

والمقصود أن السلفي الترجيحي بخلاف حملات التشويه والتشنيع التي تخلط عمدا بين طلبة العلم وناشئة لا نريد أن نقابله بتهويل وتشويه مماثلين لا يصدم من أحكام المذهب فهو مطلع على الخلاف، معتبر لأقوال العلماء، محيط بالنصوص وطرق إثباتها، ومنهج السلف في فهمها، وعارف بأقوالهم، ولكن يصدم من الدعوة إلى قبولها لأنها اختيار المذهب.

وعلى هذا لا يبالي بهذه التهويلات.

و اختصارا اقول :النقاش في القضايا الفقهية الأعيان أنفع للأمة من النقاش في هذه الأنظار.

وأما السبيل الثانية لتبسيط المعرفة فهو أن تتناولها الآداب والفنون بحسب أخلاقيات الأمم.

إن الاستمرار في تكثير المقدمات وتطويلها بين المسلم والسلف حتى في المسائل التي لا تحتاج إلى استنباط دقيق، و تعقيد اللغة العلمية من غير حاجة في العلوم التي تتصل

بعامة الناس سيجعل السلف الصالح كالملوك في أوروبا يملكون رمزيا ولا يحكمون.
مع احترامي لكل القناعات في هذا الباب لأنها تنطلق من رؤية مصلحة إنما المقصود أن نعرف أين الناس وحاجاتهم وبحث المشاكل الحقيقة كفساد بعض أنماط التدين، وقلة التدين، وظاهرة الفجور والتكفير، وفساد الوعي الجماعي، وعدم النضج المعرفي عند نخبة دينية، ومشاكل الدولة، و معوقات الحل السياسي، وأزمة الفكر الإسلامي المعاصر، ومشاكل الإنسان المسلم وسلبيته وعدم تفاعله مع مسؤولياته المختلفة... الخ.

فقهاء تاخر الزمان..!

قال أبو حامد الغزالي_رحمه الله_في "الاحياء" :أدنى درجة الفقيه أن يعلم أن الآخرة خير من الدنيا.
يعيش الدعاة بعقيدتهم في كل شيء، لا يصاحبون من سماهم محمد بن واسع "موتى القلوب" ويتورعون عن بعض ما يجوز للعوام لأنه لا يليق بمنصب التبليغ عن الله ورسوله.
وحتى فيما يشاركون عوام الناس لهم فيه ميزان وتحفظ، فيعتدلون في ملبسهم ومركبهم، ويراعون حال الضعيف.
لقد كان الإمام أحمد يجتمع بأصحابه كيحي بن معين وينبسطون حتى إذا دخل عليهم رجل من الناس أمسكوا رعاية لمنصب العلم.
وكان شعبة بن الحجاج إذا جاءه من ابن أخيه خير دخل السوق فاشترى لنفسه بنصفه نعلا و بنصفه الاخر نعلا للفقير.
لقد كان الفقه باب العلم لكثرة اشتغال الفقيه بكلام الله وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم فصيره اليوم بعض الناس بابا للجهل ومصيدة لذباب الأهواء...!
وإن شهوة سلطان العلم أعظم من شهوة سلطان الحكم، وهي في النفس أخفى من شيطان.
قد يعلم الرجل بمسألة علما تاما ومع ذلك يبقى جاهلا لأنه يجهل وضعها وترتيبها في المسائل فيهد بلدا أو يطلق فتنة لأنه يجعل المؤخر عند الله مقدما، وإنما العلم الكامل معرفة مراتب المسائل وتقديم ما قدمه الله وتأخير ما اخره وخشية في سر وعلن

وسلوك على هدي السلف.

مجرد رأي

أنصح من يريد أن يقرأ العقيدة الاشعرية أن ينظر في كتب المتقدمين منهم إلى زمن الفخر الرازي قبل أن تبتلى الأمة بعدم الدقة وضعف التحرير والخلط في المسالك والنقد بالأمور الشخصية صحيحة أو مكذوبة.

النقد و مقام العلماء..؟

الحمد لله و الصلاة و السلام على رسول الله.

ندافع_ أحياناً_ عن العلماء، وعن وجوب احترامهم وحفظ مقامهم ليس صيانةً لهذا المنصب الخطير ولكن دفاعا عن أنفسنا، عن أفكار ورؤى كانت في فترة براقة ثم توسَّع الإدراك ،وازدادت المعلومات_ وما العلم كإحاطة جزئية أو كلية بمعلوم إلَّا حاصل جمع لمعلومات جزئيات، وقدرة على بناء الكليات منها_ فقدت رونقها، و ظهرت انَّها قاصرة لا مقصَّرة، تفتقد الدَّقة أو هي خطأ بالأصل.

فلم يطبع اللَّه على علماء فترة زمنية الَّا فترة السَّلف الصَّلاح، وفي حال الاتِّفاق بأنَّ آحادهم معصوم من الخطأ، أو الإجمال في موضع التفصيل، أو القصور في أبواب معرفية معيَّنة.

ومع ذلك فإنَّ الناظر إلى العلماء في بيئتهم الثقافية وفترتهم يعلم انَّهم أدوا الممكن المقدور، وإنَّما المشكل في الرافض لنقدهم نقداً علميًّا نزيها، مع حفظ مقامهم، والشهادة لهم بالعلم والعمل، فإنَّهم وإن أوقف الموت أو الشيخوخة تزوُّدهم، أو تجاوزت الأحداث إدراك بعضهم فما الذي أوقفك أنت عن الاستزادة ، ومسايرة الحركة العلميَّة والبحوث الجديدة..؟!

وخذ على ذلك هذا المثال :لقد كانت الشبهات من سنين قصيرة ماضية إسلامية داخلية، فقهية وحديثية وعملية ف الغالب، ثم جاء الإلحاد وروافده الداخلية والخارجية بشبهات خارجة عن إدراك الشيوخ وعيا بها ومعرفة بأجوبتها من الشريعة، فتكيَّف له طلبة العلم فحرصوا على فهمها، ثم اجتهدوا في البحث عن أجوبتها.

وهكذا مع تطور شبهات الطوائف الإسلامية والمذاهب الهدامة... الخ.
بعض الإخوة ملء جعبته من العلم في فترة ما، لكنه توقَّف عن الطلب الحقيقي، واقتصر على التَّعليق على الأحداث والتفاعل مع النَّاس بما في جعبته.
ومثله مثل من ملء دلوه من ماء البحر، وظنَّ أنَّه سيكفيه في مسيرة الحياة، أو انَّه حاز البحر..!
فلما فرغت الجعبة، وصارت معلوماته متقادمة تحتاج إلى تحديث، وإعادة ترتيب، وتوسيع رفع عقيرته مدافعاً عن ثلَّة من العلماء لحقهم النقد، كما انتقدوا هم من سبقهم...؟
وعليه فإنَّ مخاطبة العلماء بعبارات الاحترام واجب حتى لعلماء الطوائف المخالفة لأنَّهم علماء في طوائفهم ومذاهبهم ولأنَّ غير ذلك سيطال علماء مذهبك أيضاً.
لكن هذا ليس سبباً لعدم نقدهم، أو الاعتراض على من ينتقدهم إذا حفظ المقام، وعيَّن الموضوع، وساق الدَّليل، سواء كان كبيراً أو صغيرا.
وإذا قال بعضهم مثلا :الشيخ الفلاني ليس فقيها..!
أمكن الجواب دون النزول إلى حواشي الموضوع بأن هذا الحكم منك على هذا الشيخ جاء وفقا لتصوُّرك أنت للفقه وليس لتصوُّر أئمَّة السَّلف ،ولا لمعنى الفقه في النَّصوص الشَّرعية.
وبدلا من هذا الأسلوب عيَّن المسألة الفقهية ولنفتح فيها نقاشا فقيها وسنقابل بين طريقته وطريقتكم فإنه لا يخلو مذهب من قول هو بدعة ، وآراء مجردة، واستدلال بأحاديث موضوعة وضعيفة، واقوال شاذة وغير ذلك.
والواجب مقابلة الجملة بالجملة لا انتقاء أقوال الصغار.
وهذا الشَّيخ يخالفه أهل منهجه الفقهي في قضايا أصولية وفرعية ولم ينتظروكم لينتقد فيها.
وإذا قدَّر بعضهم أنَّه ضعيف في أصول الفقه فليس هذا خاصًّا به فإنَّ الفقهاء قناطير لا تميّز الحديث الضعيف من الصَّحيح..!
ثم ماذا يصنع بأصول فقه سيطر عليها المتكلمون، وأفسدوا بمنطقهم الأرسطي الفقه و أصوله..!
وقد ناقش كثيرا بعض المتمذهبين فما نفعتهم مقدماتهم العشر الا في الالتفاف

والدوران.
ولا نحتاج أن نقول لهذا القائل :أنت صغير، وأولئك خدموا الدِّين أو نطعن عليه مهما لم نرتض قوله أو سلوكه.
وكذلك انقشعت غمامة الافتنان ببعض الأقوال والكتب التي تبيَّن بما فرضته الأحداث من بحثٍ أنَّها لا تحقَّق الصَّواب في قضايا الأسماء والأحكام، وانَّ فيها أقوالا وعيدية، وقراءة غير دقيقة لموقف ابن تيميَّة مثلا، أو عدم تحرير لمذهب السَّلف، او تقريرا مصطنعا بأنَّ مذهبهم فيها واحد، لا تنوُّع أو تعدُّد فيه ولو اختلاف درجات.
وهكذا في كثير من الأبواب.
والمقصود أن نتجاوز هذا الموقف النَّفسي إلى موقف علمي، ونعتني بالموضوعات لا بالأشخاص،ونقلَّل من الفيسبوك للقراءة والبحث.
ومتى خرجت عن الموضوع العلمي خرج مخالفك.
القياس العقلي..؟
انزع خاصية القياس من عقلك (إن كنت تقدر على ذلك) واخبرنا ماذا بقي من علمك بوجود أي شيء...؟
أو اعطنا معلومة فهمتها بدون قياس..؟
من القدرات الفطرية التي منحها الله تعالى لعباده: قوة التجريد والتعميم بالمقابلة والتمييز بين المشترك والفارق،فبها يتم التعقل والفهم.
ومن ظن أنه يمكنه معرفة شيئ بدونها كمن يظن و أخطر أنه يمكن العيش بلا دماغ.
لا تغرق في النظريات، وردها إلى ما تعلمه من نفسك.
وعلى هذا يصح بعض قول الظواهرية :لا تقل قال فلان في شيئ يمكنك تجربته بنفسك، وبالتالي معرفته معرفة حية مباشرة.

الإرجاء السِّياسي.. ؟
ممَّا يدلُّ على أنَّ بعض النَّاس لم يفهم الإرجاء_خاصَّة الفقهي_ضمن واقع أحوال القائلين به بعيداً عن لوازم الأقوال كما فهمه القاسم بن سلام، وابن تيميَّة، و الذَّهبي أنَّهم لم يتصوَّروا أنَّ الضَّرر من " الإرجاء السِّياسي" أكبر منه.
فقد كان بعض مرجئة الفقهاء يرون السَّيف (!) و يكفِّرون في بعض المسائل ، و

يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر.
كذلك وجدنا أنَّ أكثر العبَّاد والقائمين على جهاد التتر خاصَّة بعد انتشار مذهب الأشاعرة في الصوفية والعبَّاد كانوا مرجئة.
وهذا الإرجاء السِّياسيُّ ليس خاصًّا بفرقة معيَّنة فإنَّه موجود بشكل ما في وعيدية الخوارج ك_" القعيدية "وفرق فرعية أخرى، وموجود في طوائف منتسبة لأهل السُّنَّة، وموجود في الصُّوفية، ولا تكاد تخلو منه طائفة.
وممَّا يدلُّك على أنَّ الصِّراع الكلامي اوغل في التَّنظير باللوازم في بعض الحالات ، أنَّه لو سُرق جبري أو اعتدي على شرفه لناقض مقالته وطلب بالقصاص والتَّقوى..!
وكذلك من يقول بوحدة الوجود لا يرى أنَّ الله تعالى علوا كبيرا هو من ضربه أو شتمه أو أخذ ماله إذا فعل به هذا أحدُهم.
وهكذا مع كثير من المقالات في التنظير شيئ وفي واقع أصحابها شيئ اخر.
في الحقيقة الإرجاء السِّياسي ليس مذهبا علميًّا_ وإن كان قولا لطوائف_بقدر ما هو حالة نفسيَّة من الحكم والسلطان تتمسح بمذهبية.
لقد كان للبدع السياسية اثر سلبي على مسار الأمة كبير جدا، وما الخوارج والشيعة في بداية أمرهم الا حركة سياسية تذرعت بقضايا عقدية أو شرعية، ومع الوقت كونت لنفسها عقيدة ومقالات كلامية وفقها.
أظن أن البحث في هذا الاتجاه سيفتح آفاقا معرفية خصبة،ويعيد ترتيب المشروع.

بداية الأمَّة..

في بدايتها الأولى تقدَّمت أمَّتُنا إلى الحياة و في يمينها مبادؤها وفي يدها الأخرى تجارب الأمم السَّابقة أخذتها و أضافت عليها وصبغتها بتلك المبادئ حتى في الجماليات.
أمَّا اليوم فالمبدأ مهجور، أو محاصر ،أو محل جذب ونقاش بين أبنائها..!
وليس لنا من تجارب الغير الَّا الصُّورة.
لا يمكنك أن تفهم جزئيةً فهما صحيحاً الَّا ضمن كلِّيَّتها.
لا يمكن فهم فروع الدَّين إلَّا مع أصوله، ولا حياة عامَّة للدِّين إلَّا ضمن إطاره الحضاري.

وكما لا يمكن أن يعيش جسم الإنسان بوظيفة واحدة تشتغل ،وبقية الوظائف معطَّلة، كذلك لا يمكن النهوض بالأمَّة والمبادئ مفصولة عن الواقع الاجتماعيِ والسِّياسيِّ، على الأقل لدى النِّسبة اللازمة لتحريكها.

فقه الفقه..

جاء في " عيون الأخبار" لابن قتيبة الدينوري: (قال المغيرة : كان يجالس إبراهيم صيرفيٌّ، ورجل متَّهم برأي الخوارج، فكان يقول لنا : لا تذكروا الرِّبا إذا حضر هذا ،ولا الأهواء إذا حضر هذا)... ؟

مخالفة اعتقاد التَّحريم .. ؟

الأصل الذي أقام عليه أهل السُّنَّة مذهبهم في "التَّكفير والتَّبديع والتَّفسيق" هو قاعدة "مخالفة اعتقاد التَّحريم".

فلو وضع أمامك كأس على أنَّه مشروب غازي "الموناد" فارتشفت منه معتقداً أنَّه كذلك فتبيَّن أنَّه خمر لم تكن عاصياً لله تعالى، ومن ثمَّ لم تُفسَّق لانَّك لم تخالف اعتقاد التَّحريم، أي أنَّك لم تشرب منه رغم علمك بأنَّه حرام، ولكن لعدم علمك بأنَّه خمر، لا كما يفعل العصاة.

ولهذا لم يُفسَّق السَّلف من يشرب النبيذ من فقهاء الكوفة لأنَّ مذهبهم اعتقاد حله، فلم يخالفوا اعتقاد التَّحريم في أنفسهم.

ومن هنا قال يزيد بن هارون :"إذا شربه البصريُّ يحد وإذا شربه الكوفي لا يحدُّ" لأنَّ البصريَّ يعتقد حرمته والكوفي لا يعتقد ذلك.

وعلى هذا لم يُفسَّق الأئمَّة من يبيح المعازف من أهل المدينة وغيرهم كابن حزم، وسائر المسائل الموجودة في المذاهب فإنَّ في كلِّ مذهب مسألة مباحة تعتقد بقية المذاهب أنَّها حرام أو بدعة ذلك أنَّهم ينطلقون من أدلَّة، وقد يكون اشتباه في نصوص وبالتالي لم يخالفوا اعتقاد التَّحريم فلا يجوز تفسيقهم لذلك إذ التكليف في الإسلام مبني على العلم والقدرة، و في علم هؤلاء هو مباح وليس محرَّما.

فمثلا في صلاة الجماعة كما قال ابن تيميَّة هناك نصوص فيها وصف بالنفاق (قد أجاب عنها الأئمَّة بأدلَّة أقوى من أدلته) لا يجوز أن نقول عن أبي حنيفة ومالك و

الشَّافعي أنَّهم منافقون لأنَّهم قالوا بأنَّها سنَّة أو فرض كفاية، لأنَّهم مجتهدون معهم نصوص صحيحة، ولا يوجد في عصرهم النَّبيُّ صلَّى اللَّه عليه وسلَّم الذي يحسم الخلاف.

وهذا الأصل "مخالفة اعتقاد التَّحريم" هو منطلق أهل السُّنَّة في التَّفريق في التَّكفير والتَّبديع بين القول والقائل، والعمل والعامل فقيدوا بتوفر الشروط وانتفاء الموانع.

لكن هذا الأصل المهم لا يمنع الردَّ عليهم، فهنا خلط عند بعض النَّاس بين الردَّ العلميِّ، وبين إهدار هذا الأصل وبالتَّالي الإنكار لا العلميِّ الذي هو النقد، ولكن كإنكار الفواحش.

و الخلاصة انَّه يجوز لك مخالفة القول لكن بدون ذمِّ صاحبه أو اعتباره فاسقا بدون اعتبار هذا الأصل الشَّرعيِّ العظيم.

فلا إنكار في الاختيارات العلمية إنما الترجيح فقط.

امَّا مسألة مقام الخطاب فهي شيء آخر لكنه فرع عن هذه وليس أصلا لها إذ لا عبرة الاَّ بالوقوف عند حدود اللَّه، وهذا الأصل هو حدُّه في هذه المسألة.

ومن شاء التَّفصيل الطَّويل ففي كتاب الإيمان لابن تيميَّة ما يُشبع ويسدُّ سوء الفهم.

واجبك مع المخالف..؟

الأوَّل :لا تقصِّر في تقرير ما تراه صواباً بالأدلَّة، مع درء ما يُعارضه من شبه،من دون كلام زائد وتهويل باللوازم وتشنيع بالصور المصطنعة.

الثَّاني :لا تعتدي عليه فيما معه من حقِّ فتصير فتنةً له تُبعده عن الصَّواب فطَبع الإنسان إن أنكرت صوابَه أنكر صوابك.

وقد يكون صوابه في المسألة انها قول للفقهاء ولو ضعيفا أو على خلاف المشهور الشائع... الخ.

ويبقى المعتبر الدليل الشرعي لا غير.

اما المقاربات الأخرى كمقام الخطاب وحال المخاطب ورعاية مصالح جانبية وهكذا اعتبارات فهو صحيح لكنه لا يوجب إنكار الصواب ولو كان جزئيا أو نسبيا.

خداع النَّفس للعقل.. ؟

لا يفكِّر العقل وهو متجرِّد عن النَّفس وميولاتها، ولذلك يقول المناطقة المعاصرون : (التَّصوُّر تعتريه أحوال النَّفس، فمن جهةٍ قد يكون مجرَّد وعي بقضيَّة [التَّكوين النَّفسي للتَّصور] °

وقد يكون هو فعل العقل، حتى إنَّك تجد أذكى النَّاس وأعقلهم على مذهب باطل لأنَّ الأمر لا يرجع إلى عقله بل إلى نفسه التي استحكم فيها حبُّ مذهبه وأهله..!

ويصعب على كثير من النَّاس التَّفريق بين حكم عقولهم وحكم نفوسهم كعجزهم عن الفرق بين وساوس النَّفس و وساوس الشيطان، فالنَّفس قد تكون هي الشَّاهد وهي الحاكم.

لذلك لا تستغرب وجود عقلاء على مذاهب باطلة أو مقولات لا يقبلها جاهل فإن خالق العقول يكيدها عندما تجعل كلامه وكلام نبيه خلف كلام من جعل الوحيين خلفه ظهريا وأعتقد أنه يوجد في كلامهم من الهدى ما لا يوجد في القرآن والسنة.

ولا شر أعظم من أن يستطيب المسلم أحوالا وأقوالا لا أصل لها في الدين.

من دروس الأقصى..

جميل جدًّا أن يصدق الله ظنَّك فتخرج مصيباً في رأيك.

لكن الجميل فيك أن تُعلن موقفك وتُبرِّر رأيك دون لوم مبالغ وعتاب شنيع لغيرك، فإنَّ الشيئ إذا زاد عن حدِّه انقلب إلى ضدِّه.

وإنَّ أهون الأطراف و أذلها في هذا العصر: العلماء والدُّعاة ، لا قوَّة لهم، والأمر بعيد عنهم، والاشتباه عليهم معقَّد، وفي كلَّ جهة ،و القبضة عليهم قوية، والموفق من وفَّقه الله.

والدُّنيا دول، تُصيب اليوم وتخطئ غداً.

و المبتغى لنا جميعاً حصول المصلحة، لا الانتقام من المخطئ فكن على يقين أنَّك ستخطئ لا محالة.

و إنَّ أخطر الجرائم إسقاط منصب الدُّعاة والعلماء حتى عندما يغلطون، فإنَّ ضرب الجنس يشمل أفراده مع الإقرار بأنَّ بعضهم خارج الخدمة، وبعضهم الاخر يحتاج إلى مراجعة نفسه، أو تطوير مواقفه.

وإنَّ في إقامة البرهان على صدق القضيَّة كفايةً لظهور الحقِّ فنرجو لمن قصَّر اليوم

أن يؤدِّي غداً.

وما بقى أعظم ممَّا كان فألِّفوا لبناء التَّطاوع، ولا تجعلوا الغريق في دلو يغرق في المحيط.

وماذا ستقول يوم يخيب ظنُّك..؟

لكلِّ رأي حدٌّ، ولكلِّ وسيلة ظروف.

و النبل في العلم كحسن الثَّوب على الجميل.

نُعاني دائماً من سوء استثمار النَّصر كما فعل الأفغان هزموا الروس ثمَّ أحرقوا بعضهم بعضا..!

إن كنت فاعلا فعين الأفراد المقصودين ، ولا تذم الجنس.

النَّظر إلى الضفَّة الأخرى..؟

قال الخليل بن أحمد: " لا يعرف الرَّجل خطأ معلِّمه حتى يجالس غيره".

لأنَّه لا يوجد من جمع الصَّواب كلَّه أولم يهم، أو لم يغلط .

وهذا قول يُطرد على الأفكار والمذاهب،فضلا عن الرِّجال، فما لم تنظر عند الآخرين لن تعرف ما فاتك. وكذلك لن تعرف حقيقة ما أنت عليه من صواب، فأحياناً تزيدك أقوال غيرك يقيناً بقولك.

والواجب على المسلم أن يعمل بقوله تعالى : { الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ} [الزمر]

فما دمت ضمن الكلِّيَّات فإنَّك إن غيَّرت قولك، أو اختياراتك، أو عدَّلت مفهومك فلن تخرج من الإسلام لتقع في الكفر...!

ودعك ممن جعل الحقَّ موزَّعا على أصول مختلفة، فهو بحسب المنظومات الأصولية، وليس مكتفيا بذاته، فإن أخذت من كلَّ قول أحسنه جمعت بين ما هو حقٌّ عند طائفة مع ما هو باطل في طائفة أخرى..!

فهذا تصوُّر سفسطائي يجعل المراد والصَّواب متعلَّقا بفهوم النَّاس المتعارضة لا بالنَّصِّ، فإنَّ الصَّواب في نفسه واحد، وإنَّما يتعدَّد باعتبار الذَّات العارفة، لا الموضوع الواحد .

فإذا تفاضل كلام الله فكان منه الحسن والأحسن كالتخيير بين القصاص والعفو، فكيف

يكون كلام آحاد النَّاس دائماً وأبدا حسنا فاضلا، لا ضعف فيه، ولا يترجَّح عليه غيره..؟!
انظر إلى الضفَّة الأخرى، واربط بين الضِفتين بجسرٍ متين، ولا تعش بين ضفتين..

إذا سألتَ عن عدم جدوى العلم..؟
من أكثر ما يُفسد الودَ بين النَّاس ويزيد في الشقاق والعداوة، وفساد النِّيَّات والمقاصد، ويثقل العمل الدَّعوي بالوساوس المختلفة: العلم..!
لأنَّ العلم علمان :علم بالمسألة في حدِّ ذاتها، وعلم بمرتبتها في المسائل.
لأنَّ العلم بدون رحمة جهل بغاية العلم، فغاية العلم رحمة النَّاس في الدُّنيا والآخرة.
لأنَّ علومنا مكتوبة في الغالب بلغة مذهبية حربية مملوءة بالنَّعرة الظَّاهرة أو الخفية.
لأنَّ العلم لبناء الدار غير العلم لتأثيثها.
لأنَّ العلم مادَّة للحوار أو للمغالبة ونحن نستعمله للثَّانية.
لأنَّ العلم ليس مسألة معلومات فقط، بل هو كذلك منهج موضوعي، وحالة نفسيَّة وذهنية للذَّات العارفة.
فالكأس بحسب مستخدمه.
لأنَّ العلم قد يكون رحمةً، وقد يكون عقوبة، ومع مرض الباطن تُمحق بركته.
لأنَّ العلم في الأمم لا يمكن فصله عن مسارها الحضاري، ولا رفعه فوق حقيقتها الاجتماعيَّة.
لأنَّ العلم الذي يصلح التعبُّد والمعاملات، أو يعتني بمدى مطابقة الأقوال والأعمال لما كان عليه السَّلف غير العلم الذي يصلح العقول، والعلم الذي يصحِّح الباطن.
لو فصَّل العلماء المسائل تفصيلا لوجدت كثيراً من النَّاس يبحث في مجملاتهم..!
لا يوجد في السُّوق المعرفي آلة تفصل العسل عن السُّمِّ لذا اصنع واحدةً لنفسك، أو استلف واحدة من ثقة ،فإنَّ أكثر كلام المعاصرين مخلوط بالسُّموم المعجِّزة المشلَّة أو المعرقلة للحركة نحو الأمام ،او المفسدة لإدام الأخوة بين أبناء الملَّة الواحدة، أو المذهب الواحد، فلم تمنع المرجعية الواحدة، ولا الأصول والكلِّيَّات، ولا المصادر الواحدة من العداوة والشِّقاق.
حتى لو كان العلم صحيحاً فإنَّه لا ينفع الأنفس المريضة بل يضرُّها، وقد تنتفع الأنفس

السَّليمة من علم فاسد.
الحقيقة الواقعية أن أكثر الجماعات اشتغالا بالعلم أقلها دعوة وحركة إصلاحية، و فهما وأكثرها تشغيبا وفتنة وشقا للصفوف.
بهذا تعرف فتنة العلم بدون تزكية النَّفس، ونوع العلم الذي تحتاجه الأمَّة الآن.

عصارة مطالعتي ونظري في واقع الناس..؟
كلُّ الشعارات التي نرفعها بما في ذلك الشعارات المنهجية كالسَّلفية ليست إلَّا كلمات.
فحقيقة كلِّ شخص إخلاصه، ومدى عمله بمبلغه من العلم،وسعيه لمعرفة الحقيقة. {إن أكرمكم عند الله أتقاكم}.
أحياناً أقول في نفسي :انزل المنشور ولا تتفاعل مع التَّعليقات لكن هذا من قلَّة الاحترام للمعلقين وإن كانت بعض التَّعليقات لا تستحقُّ ردًّا.

جواهر الجهل..!
قال بعضهم :السلفية منهج الرسول صلى الله عليه وسلم..!!
يعني أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يفسر أقواله بفهم السلف..!!
لماذا لا تكف عن نفسك وعن الناس هذا الشر..

حدود السَّلفيَّة..؟
لا سلفيَّة في الأحكام، وما يقوم به بعضُهم من التَّضليل والنَّقد بالاختيار ات الفقهية بدعة..!
ولا سلفيَّة في العلوم الشَّرعيَّة،فمن يبدِّع بمسائل من أصول الفقه كحمل المجمل على المفصَّل، أو في علوم الحديث كالتَّبديع برفض الجرح المفسَّر فقوله بدعة..!
ولا سلفيَّة في الفقه السِّياسيِّ، فمن جعل العمل السِّياسي وإنشاء النَّقابات والجمعيات بدعةً فقوله هو البدعة..!
ولا سلفيَّة في الإمامة.
ولا سلفيَّة في النَّقد.
ولا سلفيَّة في علم السُّلوك.

السَّلفية في أصول الدِّين مع منهج في إثباتها، مع اختلاف في الأسماء والأحكام في التَّكفير والعذر بالجهل.
فمن مدَّدها على غير هذا فإنَّما يقتصُّ من الإسلام ويزيد فيها. فكلُّ ما تُشارك فيه غيرها ليس من خصائصها.
لفلك بين النَّظريِّ والواقعي..!
يقول المسلمون جميعاً باستثناء الشِّيعة : (المعصوم الوحيد الذي يجب تصديقه في كلِّ ما أخبر به، وطاعته في كلِّ ما أمر به هو النَّبيُّ محمَّد صلَّى الله عليه وسلَّم) .
أمَّا في الواقع فيوجد معصومون في: الفقه، والتَّصوُّف ،والعقيدة والسِّياسة ،ومنهج النَّقد ،وربَّما حتَّى في الطبخ..!
كلُّهم ينفي العصمة عن متبوعهِ ولكن يثبت له اتِّباع الدَّليل..!
فهذا المتبوع لا يهمُّ، ولا ينسى، ولا يخطئ، ولا يتناقض،... الخ!!

اثر السِّياسة على السَّلفيين..!

يقول السَّلفيون :عقيدتنا واحدة مع اختلاف طفيف..
وهذا صحيح إذا قصدوا عقيدة أئمَّة السُّنَّة، أو قصدوا نسبتهم إليها.
لكن بالنَّظر إلى ما صار بينهم من التَّطاحن والشقاق والعداوة يشكُّ المرء بالضَّرورة انَّهم فهموا دلائل هذه العقيدة ..!
ذلك أنَّ الأصول المعتمدة في إثباتها كـ"منزلة النَّصِّ وطرق إثباته وقواعد استخراج دلالته، من مراد وظاهر، ومراعاة سياق، وقاعدة إعمال اللُّغة والتعامل معها، و اشتراك وتواطؤ، وحقيقة ومجاز،وقياس أولى ،وقاعدة كمال، ودور الحسِّ في التعيين، وموقف من الكلِّيَّات في الذِّهن والخارج... الخ يمتنع معه أن يقع ما يقع بينكم فإنَّ هذه أصول سمعية وعقلية عظيمة في فتح العقل واتِّزان النَّظر، وإدراك المقاصد ،يستحيل أن ينزل فاهمها إلى الحضيض الذي انتم فيه، وأن تخرج لنا أمثال ربيع ورسلان في هذا الاتِّجاه أو ذاك.
أخذ تم مبدأ "الولاء والبراء" فاعملتموه على بعضكم بعضاً ممَّا يعني الفهم السيئ له، والتَّطبيق الأسوأ.
جمعتكم العقيدة وفرَّقكم العلم الذي زهدتم فيه واعتبرتموه بدعةً فلولا مواقف بعضكم

من الدُّول بدون قيد ولا شرط، وغلو بعضكم الآخر في الاتِّجاه المعاكس لما صار كلُّ هذا فيكم.
انَّها السِّياسة التي منها نبتت الفرق وبها توسَّعت أو انقرضت، وعليها اقتتلت...!
حقيقة اي شيئ وجوده في الواقع لا في بطون الكتب.
لنعترف بوجود فوضى وتضارب ونقد السلفية المعاصرة ليس نقدا للسلف

انظر في نفسك.

قال الله تعالى :{وفي أنفسكم أفلا تبصرون}.
إذا نشأت على شيئ تعتقده حقًّا أحببته ،و أحببت من أصَّله لك حتى إذا بيَّن لك بعضُ النَّاس أنَّ فيه باطلا أو نقصا تجمَّدت نفسك ، وعجز عقلك عن الفكر ،ولم تقبل ذلك في الغالب.
حتى أحسن النَّاس عريكة وأوسعهم عقلا يقبل النَّقد لشيوخه لكن يعتذر لهم كثيرا فيشبعك ب_(لكن، ولعله، وربَّما) ويتمنَّى ويسعى ليكون قول شيخه وجهاً في الشَّريعة، أو رأيا عند الأئمة لاستحكام الحبِّ والألف بنفسه فكيف بغيره من النَّاس...؟!
لذا أرفق بعباد الله وخذهم باللين، واعطهم الوقت.
تكون على رأي لمدَّة فيظهر لك خلافه فتتركه.
لكن إن جاءك من مخالفٍ تقاوم وقد تُعاند بعدَّة طرق مثل ان تتغافل عنه، أو تؤوِّل لنفسك عدم الأخذ به.
وهكذا الإنسان يُطالب غيره بما لا يفعله هو، أو يستعجله حيث يتثاقل هو ...!

المقاربة الزَّمنية للعلوم..؟

مما ينتفع به طالب العلم في الفقه دراسة تاريخ التَّشريع .
وأمْ َا في المقالات فكتب مثل: " الفرقان بين الحقِّ والباطل" فإنَّ فيه زبدة علم ابن تيميَّة :
خلاصةٌ مركَّزة عن الفِرق الإسلاميَّة، والأهم من ذلك نظرة علميَّة موضوعيَّة عن أسباب ظهور مقالاتها واشكالاتها المعرفية.

كتابٌ يغنيك عن كثيرٍ من الكتب الكلامية وكتب المقالات، ويسمح لك بتجاوز شرور الخلاف بعلمٍ دون أن تفقد قناعاتك.
في النِّهاية كأنَّك قرأت علم الكلام لعدَة سنين.

لماذا خطاب الإسلاميِّين حزبي يُفرِّقهم... ؟
جميل أن يكون خطابُك ملِّياً متحرِّراً من المذهبية، لكن هذا الخطاب لا ينفع ولا يجذب الَّا من كان بدون مذهبٍ أو جماعة، لذلك هو خطاب فاشلٌ في جمع الإسلاميِّين، وتقريبهم من بعضهم بعضاً على مساحة مشتركة.
لذا عليك التَّنويع في الخطاب بين هذا النَّوع الأوَّل، و نوع آخر خاصٍّ بكلِّ متمذهب بمذهب ما، أو تابع لجماعة دعوية أو غير ذلك، وهو أن تخاطبه انطلاقاً من مذهبه، وتقوده إلى المشترك.
فمن يريد إصلاح السَّلفيين_مثلا_لا يمكنه بدون الانطلاق من أصولهم. وكذلك لا يمكن إصلاح الإخوان أو غيرهم الَّا انطلاقاً من أصولهم.
ولهذا عندما تخاطب فئةً متمذهبة فمن زاوية نظرهم والَّا كان خطابك فاشلا.
وبسبب هذا عجزت الخطابات البينية بين الجماعات من التَّقريب بينها تقريباً حقيقيًا، لا جمع حشود انتخابية.
كلُّ جماعة من الإسلاميِّين فيها أصول أو مقاصد صحيحة إلى جوار مفاهيم مغلوطة فمنها فانطلق في نقدها.
امَّا النَّظر إليها من زاوية مذهبك فلن يحتفلوا بها،سيعدونه تهجما عليهم وبالتالي يوصدون أبواب عقولهم.
وعلى هذا فإنَّ من يبهرج للخطاب الملِّي في محاولة إصلاح الإسلاميِّين فإنَّما لم يفهم مشاكل الإسلاميِّين المعرفية، و لا أهمِّيَّة مقام الخطاب وزاوية النَّظر.
تقود الناس من الجزء الحق الذي معهم إلى نفي جزئهم الباطل.
الداء موزع على كل المسلمين بنسب متفاوتة.
_ لم أجد مثل هذه الصورة باللغة العربية فاضفت هذه للحاجة.

علمُ الكلام عند المعاصرين..؟

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.
مما أراه من بعض الشَّباب (من هنا ومن هناك) من سوء فهم لوضعيته وسلبيات سلوكية أنصحهم بالإقبال على العلوم الشَّرعيَّة، وما ينفع أمَّتنا في هذا العصر، والابتعاد عن " علم الكلام" قدر الإمكان. فيكفيك ما صحَّ عن النَّبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم تتلقَّاه بفطرتك، فإنَّه كافٍ في حصول الهداية والامتثال.
وإذا كان لابدَّ منه لولعٍ أو شغف فلا يناقش فيه، فإنَّ الإحاطة به صعبةٌ والاحاطة، والفصل بين موضوعاته وأحكام القيمة التي غلبت عليه أصعب.
فمن لم يفصل بين الموضوعات والحربِ الزائدة التي دخلت عليه حتَّى كثر فيه التَّشنيع باللوازم الذَّاتية لا الموضوعية، وترك بصمة فساد في العلوم الشَّرعيَّة كمصطلح الحديث، وأصول الفقه بل حتى كتب(التراجم) تضرَّرت به وذمَّ قوم عدول بسببِ مذهبهم العقدي..!
فلا يشتغلُ به لسلامةِ عاقبته.
وقد صحَّ عن الأئمَّة الأربعة النَّهي عنه، فإن رضيتَ بعلمِهم وتقواهم فتلك طريق الهداية، والَّا فليس به ستتحسَّن أحوال الأمَّة.
العلم ليس مجرَّد موضوع خارجي تُذوِّتُه، بل هو كذلك معرفة الأسباب الانطولوجية، والادراكية، والعوامل الخارجية، بيئية /حضارية كانت، أو سياسيَّة /اجتماعيَّة تسمح بالإنصاف، و تجعل العلم يزيد في فضل الأمَّة، لا يرجعها القهقري ويُضخِّم أمراضها، فمثل هذه العلوم تُحتَمل عندما تكون الأمَّة صحيحة.
وما أفسد العلوم ووظيفتها الاجتماعيَّة الَّا الذين يدخلونها بسطحية، ونفسٍ مُشبعة بكراهية المخالف ،وربَّما مع هشاشةٍ في الأخلاق وآداب النِّقاش.
لندع الأمور لأهلها فما برز في الطوائف الا فضلاء سادتها.

الفرق بين التأويل السائغ والجهل =هل عرف المتأول الحكم الصحيح..؟ و ماذا نسمي عدم معرفته..؟الفرق بين التأويل السائغ والجهل =هل عرف المتأول الحكم الصحيح..؟ و ماذا نسمي عدم معرفته..؟

الحمد لله يعلق على صفحتي عقلاء نبلاء وإلا كان الواحد سيمرض من القنطة.

الشوارد نتحملها تذكرني بالزمن الجميل زمن الجهل والغرور الحمد لله يعلق على صفحتي عقلاء نبلاء وإلا كان الواحد سيمرض من القنطة.
الشوارد نتحملها تذكرني بالزمن الجميل زمن الجهل والغرور

النُّضج... ؟
لا يمكنك أن تكتسب الفكرة النَّاضجة الكاملة من أول وهلة لأنَّ اللَّه تعالى جعل كلَّ جزئية قابلة لتفاصيل لا حدَّ لها.
ذلك أنَّ الأفكار الجزئية مترابطة مع أشياء كثيرة، وقد تفصِّل مسألة في رسالة يفصِّلها غيرك في مجلدات.
لذلك لا يجب أن تعتقد أنَّك من اول وهلة تحيط بالموضوع.
فعن نفسي لقد تكبَّدت معاناة السفر، والحياة الاجتماعية لاقتناء الكتب، وقرأت طويلا وكثيراً، ولم أفهم بعض المسائل على حقيقتها الَّا مؤخَّرا فكيف بحال النَّاس التي لا تقرأ، أو تقضي حياتها في المطويات وما شابه..؟!
فعدم التَّدقيق سببه امَّا التوقُّف عن الطَّلب والاكتفاء بالمجملات وإمَّا نفس عنيدة لا تكترث كثيراً لتصحيح الفكر.
لذا حاول أن لا تتوقف عن الطلب وجاهد نفسك حتى لا تتملكك الأفكار الناقصة وتهيمن عليك.

في العلمِ والدَّعوة.. ؟
ما رجوتَ إنصاف مُبطِل اعتاد البغي ، أو وادعته إلَّا خذلك ونال منك مرتين، فلا تطمع بالجمع بين المختلفات.في العلمِ والدَّعوة.. ؟

فتنة الأتباع..!
قال ابن تيميَّة (في معنى كلامه) : إذا أطاع العالِمُ أتباعَه أفسدوا آخرته ،وإذا عصاهم أفسدوا دنياه.
لا يقصِّر كبار طلبة العلم في الصَّدع بالنَّقد الواجب عليهم الَّا لاعتبارات تتعلَّق بالأتباع ،والَّا ماذا في يد المخالف. .؟

لذا إذا كنت قد بدأتَ تُعلِّم النَّاس فحثَّهم على الاستفادة من غيرك ، يخفُّ وقعهم على مواقفك، ويوسِّعوا آفاقهم.

فضل تعليم عامَّة النَّاس.

لولا أنَّ من أهل العلم الذين اختصُّوا في علم الوعظ ،وتعليم عامَّة النَّاس أحكام دينهم لما استطاع، ولا جاز لغيرهم التَّفرُّغ للبحث في الدَّقائق فتحية لهم وعرفان بدورهم العظيم في حفظ جذوة الدِّين في النَّاس.

سرعان ما تتغيَّر الأحوال..؟

علماء الدِّين كالجند يتقاضون رواتبهم لمدَّة طويلة على أمرٍ قد يحدث وقد لا يحدث وهم أحياء فإذا جاءت الحرب التي عدُّوا لها دفعوا المقدَّم والمؤخِّر.

وهكذا طلبة العلم يقبلون على العلم الشَّرعيِّ لأسباب مختلفة فيرفعهم النَّاس، ويصير لهم جاه ونفوذ، وربَّما مكاسب مادِّيَّة أو معنوية حتى إذا استجدَّت المستجدات، وعصفت المدلهمات أصبح كلُّ ذلك رهن مواقفهم.. ؟

لهذا يصدق قول سهل بن عبد الله التستري (في معنى كلامه) :لا يُعرف الإيمان الصَّادق بالطاعات فإنَّه يفعلها البرُّ والفاجر ، ولكن بالصَّبر عند تغيُّر الحال. "صفة الصَّفوة".

أحياناً يُدعى طالب العلم إلى هيئات علميَّة لينضمَّ إليها فيطير فرحاً، ولا يدري أنَّه سيدخل امتحاناً عويصا.

في تاريخ الإسلام عدَّة حقبات زُلزلزت فيه قلوب العلماء، وطارت الأفهام، و اشتبهت عليهم القضايا،حيث لا ينفع شيئ إلَّا ستر اللَّه وتوفيقه.

فحفظ التَّاريخُ فضلهم وعلمهم بجوار زلاتهم.

والعدالة قيمة عظيمة تكفي منها قطرة،و الأنظار متعدِّدة.

النَّاس في سيِّد قطب...؟

اختلف النَّاس في سيِّد قطب_ رحمه اللَّه_بين جافٍ عنه، مبالغ في ذمِّه، مجاوز لحدود وآداب النَّقد، لا يقف الَّا على أخطائه، أو ما يتكلَّف في جعله كذلك.

وآخر مغال فيه، لم يشر ولو مرَّة واحدة إلى أخطائه، وربَّما اجتهد في تأويلها...!
ولحدِّ الآن لم أجد معتدلًا في سيِّد قطب، ولا في واحدٍ آخر من علماء المسلمين ونُظَّارهم،فإمَّا مع الشَّخص كلِّيَّة أو ضدَّه كلِّيَّة..!
وأمَّا من ينسب إليه زلَّات، وعدم دقَّة أو إطلاقات موهمة ،ويقول: له مفصَّلات صحيحة، وكلُّ ذلك مطلقا بدون تعيينها فهو من الصِّنف الثَّاني، لا من المعتدلين فيه.
امَّا رأيي فيه فإنِّي لم أجد في فكره تميُّزاً يستدعي عناية خاصَّة ، وفي ظنِّي أنَّ المعتنين بتراث ابن تيميَّة ابتداء في مشوارهم العلمي لا يبقى في عقولهم اهتمام لغيره.
وربَّما للخلفية العلميَّة أثر في ذلك، فإنَّ المولع بالمنطق والكلام والفلسفة لا يجد بغيته عند سيِّد قطب، وإنَّما هذا مجال المتأثرين بالأدب والتُّراث النَّجدي، أو من أحد أجنحة الإخوان ممن نشأ على كتبه.
على كلٍّ الحملة عليه غير مفهومة وهي لتضليل الأراء، وتشتيت الأنظار عن العطب الحقيقيِّ.
يبقى على المتأثرين به، وبعضهم يصل درجة الافتنان(!) أن لا يدخلوننا في مدخلية مضادَّة فإنَّ أحسن ما يخدمون به تراثه هو بيان خصائصه، ومميزاته التي وجودها فيه..!
رحمه الله و أعلى منزلته، وكفى المسلمين شرَّ الغلوِّ في الذَّمِّ والمدح في كل العلماء والمصلحين والصالحين .

مرَّة أخرى.. الأمر يتجاوز سيِّد قطب..؟
أظنُّ ~والله أعلم ~أنَّ الاعتذار لسيِّد قطب بأنَّه أديب اعتذار غير سديد، فإنَّنا إن نظرنا في مادَّته نكاد نجزم أنَّ بعض العلماء يعجز عن مثلها، بغضِّ النَّظر عن موافقته.
وهذا في الحقيقة تقليل من علم الرَّجل، ومجانبة للموضوعية ، فما نُسب إليه من غلوٍّ في تكفير، أو زلَّة في تعبير... موجود عند بعض من يعدُّهم هؤلاء من العلماء... ؟!
وبعض هؤلاء الذين يعتذرون له بأنَّه أديب لا يخالفونه في عقيدته فحتماً يقصدون الهفوات اللَّفظية والَّا كان عليهم أن يعتبروا شيوخهم أدباء لا علماء..!
فمما لا شكَّ فيه أنَّ تفسيره للقرآن وكلامه في الحاكمية لا علاقة له بالأدب، وكون لغته قوية وأسلوبه مميَّزا، وكان أديباً لا يكفي لقبول هذا الاعتذار.

و قد يقصد بعضهم أنَّه لم يتكلَّم في علوم الحديث وأصول الفقه وغيرها، فهذا حال كثير من المتأخِّرين يتكلَّمون في فن واحد بعلمٍ، وفي غيره كلامهم فيه فضلى أو نافلة.
وعليه فإنَّ الرَّجل وإن لم يكن عالما وفقا للمقاييس التقليدية فإنَّه أكثر من مجرَّد أديب إسلاميٍّ.
وحينئذ يلزمنا تصحيح أخطائه التي نجد لها نظائر عند غيره بدون هذه الاعتذارات الباردة، كما نفعل مع سائر العلماء والمفكِّرين، فليس علينا أن نغطِّي بالعدوان عليه حقائق الأنظمة وخصومتها مع الإصلاح.
ولا أن نغطِّي بحسن قصده وشرف موقفه أخطاءه، فبهذا المنهج لن نخرج من الظُّلمة.
فيما يخصُّ المنشور السْ َابق فأقول :
بارك الله في الجميع، فكلُّ المداخلات تقريباً ذكرت وجهة نظر سديدة، وفتحت لنا زاوية نأخذها بعين الاعتبار.
يبقى سؤال أشرت إليه، ولم أر له إجابة، وهذا الذي يهمُّني حتى نتجاوز دوامة الاختلاف حول الشَّخصيات العلميَّة :
هل يجب أن نظل مسجونين في فكر الدُّعاة والمصلحين المعاصرين ك_ البنا، وسيد قطب، والألباني وابن باديس وغيرهم أم أنَّ المجريات قد تجاوزت تصوراتهم الدَّعوية الإصلاحية، على الأقل في بعض الجوانب .. ؟
و هل لنا أن نفصل في فكرهم بين ما هو ثابت لا يتبدَّل، فهو بالتالي من الشَّرع المنزَّل ،وبين مقاربات واجتهادات ~كما في رؤية الدَّولة والسِّياسة وغيرها ~أصبح فيها كلامهم بعيداً عن حقائق الواقع...؟
المشكل في تقديري أنَّنا لا نفرِّق في فكرهم بين الدِّين المنزَّل ،والذي يقتصر فضلهم فيه على إعادة بيانه، وبين اجتهادات حاولت تجاوز الواقع وإصلاحه لكنها قاصرة ومرتبطة بظروفهم، من الخطأ التمسْ ُك بها الآن كما هي .؟
بعض الجزائريين من السَّلفيَّة والإخوان على حدٍّ سواء قصَّروا في تراث ابن باديس وعلماء الجمعية، وكذلك في تراث مالك بن نبي، غاية ما عند أحدهم انَّه قرأ لهم رسالة أو مقالا..؟!
ولذلك يُعاني تصورهم الدَّعوى من فراغات، ويدخلون في نزاعات أممية بدون خصائص ثقافية لصيقة ببيئتهم.

الصورة :عند كثير من المسلمين لتاكل الموز عليك بحقيبة أقنعة مختلفة.

لنبطَّ الورم إليك التالي...

نُسب لبعض السَّلف انَّه قال عن فتنة الصَّحابة : ما اقتتلوا الَّا على الثريد المعفر...!

وروى يزيد بن هارون حديثا ضعيفا مفاده أنَّ النَّبيَّ صلَّى اللَّه عليه وسلم بعد وفاته انتفخت بطنه، وتغيَّرت حتى نصب له أهل مكَّة مصطبة الشَّنق، وما نجَّاه الَّا كذب سفيان بن عينة رحمهما اللَّه.

وقال الإمام أحمد :من لم يربِّع بعليٍّ فهو أضلُّ من حمار أهله.! ومعلوم أنَّ من الصَّحابة من لم يبايعه أو تراجع عنها.

واختلف المسلمون في نسبة الصغائر إلى النَّبيِّ صلَّى اللَّه عليه وسلَّم ،ومنهم جاهلٌ جعل النَّهي عن شدِّ الرِّحال إلى قبره صلَّى اللَّه عليه وسلَّم تنقيصاً من قدر النُّبوة.

وبعضهم جعل ابن تيميَّة أعلم من جبريل عليه السلام، ونملة سيدنا سليمان عالمة..!

وهكذا نجد عبارات قبيحة في حقِّ الصَّحابة نسبت للرازي وغيره

وهذا كثير في الكتب، منه ما هو سوء أدب في التَّعبير، ومنه ما هو كذب سمج للطَّعن في النَّاس فما قام الدَّليل على انَّه خطأ، أو سوء أدب بيَّنا ذلك، ونهينا عنه دون أن نهدر الصَّواب.

فعلينا أن نأخذ القول المعيَّن ونقيِّمه بالدَّليل الشَّرعيِّ دون الوقوف المبالغ فيه عند الشَّاب.

ومن أساء الأدب مع اللَّه أو مع رسله، أو صحابة رسوله، أو حتى مع العلماء سدَّدناه ونصحناه، ونهينا عن الاقتداء به فيما أخطأ فيه.

كما فعل الأئمَّة مع الأمثلة المذكورة وانتقلنا إلى ما نحن بصدده.

والواجب على محبِّيه أن يعترفوا بذلك ويستنكروه.

كما الواجب على غيرهم إذا ظهر إيمانه وقصده الحقَّ أن يرجعوا ذلك إلى فساد تصوُّره وليس لسوء قصده.

وفي مشاكل 2017 م لا أعتقد أنَّه سيحلُّها فكر قطب، ولا خربشة المدخلي ولا غيرهما من المعاصرين، فنحن في مستنقع يحتاج إلى تصور جديدٍ ياخذ شيئا مما قرَّره المصلحون المعاصرون لكنه لا يكفي.،فشمِّروا..

امَّا عن تأثير فكره...؟
كون بعض النَّاس يجد في فكر سيَّد قطب تأثيرا جميلا أو إيجابيا في الأمَّة فهذا أمر مفروغ منه، لا ينكره عاقل يُميّز بين الكبش والتيس.
كوننا يجب أن نوافقه كلِّيَّة أو جزئيًّا على ذلك هذه مصيبة بعض المفتونين بسيّدِ قطب.
وبعض النَّاس يرى أنَّه اثَّر سلبا على طائفة من السَّلفيَّة النَّجدية كانت تبحث عن غطاء فكري، كما كان فكره يحتاج إلى تأصيل عقدي شرعيٍّ، ولهذا نجد مساندة نجدية لفكره لا نظير لها عند غيرهم.
يا أخي له ما له، وعليه ما عليه،فمن عجبه شيئا فليقم عليه الدليل، ومن لم يعجبه فليذكره بدليله وليمر إلى حاجته.
وأنا أتحدَّث عن نفسي وليس عن كلِّ النَّاس: لم أجد في فكره ما يصلح أن يجعله متبوعاً، يعني: صوابه موجود عند غيره،و لم أعد الاستشهاد بكلامه بدعة أو عيبا في منهجية الاستدلال، ولا نهيت عن كتبه لمن عرف باخطائه من الناشئة.
وفي نفس الوقت أكذِّب من جعله مصيبة الأمَّة، وعلَّق عليه التَّكفير الجائر، وهو موجود مؤصَّلا في بيوتهم.. وأسهل شيئ أن تنظر في مراجع داعش والمنظِّرين للتطرُّف.
وفي اعتقادي أنَّ النَّاس لما عجزوا عن تجاوز الإشكالات التي تواجههم تبحث في شخصيات مضت تتخذها ملجأ يشعرها بالحماية،وهذه مشكلتنا كلما جاء مصلح علقنا في الاختلاف حوله.
وعليه فلا هو شيخ الإسلام، ولا هو الجهم بن صفوان.
والأمَّة اليوم محتاجة إلى تجاوز هذه الثنائيات المتطرفة، هذا قصدي، فيه ما هو مشترك، وفيه ما هو تقديري بعيداً عن الحبِّ والبغض والعدوان.
ولا سبب لتدخلونا في تفصيلات لا أحبُّ استحضارها، ولا مصلحة فيها في هذه الأوقات.. فعند الرَّجل أخطاء بعيدة عن متناول عقول المداخلة،لا يستاهل أن نقف عندها فما لحقه من جور يثني العقلاء عن الايغال فيها، عفا اللَّه عنه وأصلح أحوالنا.
الصورة :المشهد مضبب على هذا ببغض لا يدري من أين جاءه، وعلى ذاك بحب انساه الانصاف.

ثلاثي السَّلفيَّة..!

إذا كانت السَّلفيَّة عقيدة السَّلف (القرون المفضَّلة) ومنهجا علميًّا لإثباتها قد يمتدُّ ~أحياناً ~ على مسائل أخرى فمن أين لنا اعتبار السَّلفيَّة الصَّحيحة ما كان عليه العثيمين، والألباني، و ابن باز، أو التَّحاكم إلى أقوالهم..؟

نعم هم علماء فضلاء، أهل علم واعتدال ،يُستشهد بهم لكن بعد الأدلَّة الشَّرعيَّة.

وبدون شكٍّ يمكن أن تكون سلفيًّا بدون الاستفادة عن هؤلاء ولو أنَّ النَّظر في كلامهم لا يعدم من فوائد كثيرة، كما يختصرون الطَّريق على ناشئة طلبة العلم.

يمكنك تعلُّم الفقه والعقيدة وأصول الفقه وقواعد النَّقد ،وغير ذلك منهم ، لكن ليس حصراً عليهم.

فلا تحصروا السَّلفيَّة الَّا في الدَّليل الشَّرعيِّ والَّا صارت شيئا زائداً على الشَّرع.

والواجب الفصل بين قضايا الخطاب السَّلفيِّ الدَّاخليِّ حيث قد يعتد بقولهم مجردا عن الدليل ، وبين الخطاب الملِّي الذي يتطلب الدليل المشترك.

فهم الفهم...؟

يختلف النَّاس في مناط القاعدة السَّلفيَّة المشهورة (فهم السَّلف). وليس هذا مبتغى هذا المنشور ولكن تسلسل المعضلة في عقول كثير من السَّلفيّين لأنَّنا من فهم السَّلف انتقلنا إلى فهم ثلاثة شيوخ...!

فعندنا : " فهم السَّلف" و " فهم العلماء لفهم السَّلف" ثمَّ " فهمنا لفهم العلماء لفهم السَّلف".

وهكذا حتى صارت قاعدة " فهم السَّلف" نفسها ضبابية مطَّاطة ينزلها كلُّ واحد على فهمه، أو فهم شيخه.. ؟!

وهذا في الحقيقة تعقيد للعلم ليس بتكثير مسائله أو تدقيق مقدِّماته ولكن بتعريته من خصائصه حتى لا يصبح بينه وبين الظنِّ ومجرَّد الاعتقاد فاصل.

في الحقيقة لا يوجد شيء مستقلٌّ عن الأدلَّة يُسمَّى " الفهم" نحتجُّ به على مخالف، فالفهم ليس شيئا آخر غير المعرفة والعلم.

وكونه درجات يتفاوت فيها الخلق لا يعني بحالٍ أنَّه شيئ زائد عن العلم بالدَّليل.

فـ_(الفهم) هو معرفتك الشَّيئ بالقلب، و" فَهِمَ" يعني: علم (كما في لسان العرب).

تعني : أدرك الشَّيئ، وعلمه، وأحسن تصوُّره، واستوعبه.
كما تقول : فهم القضيَّة، فهم الدَّرس.
و " فهم الدَّليل الشَّرعيَّ" يعني : علم وعرف معاني كلام الله وكلام رسوله صلَّى الله عليه وسلَّم.
و" الفهم" له جانبان :جانب ذهنيٌّ يتمثَّل في فعلٍ عقلي لمعرفة معنى شيئ، أو طبيعته، أو وظيفته.
وفي هذا الجانب هو: القدرة الذِّهنيَّة التي نتجاوز بها الصُّعوبة والمشاكل التي تُعيق إدراك المعنى فهو نتيجة هذه القدرة.
وله جانب نفساني : إذ هو خاصِيَّة أن نملك في أنفسنا عدداً من الخصائص المعينة على التَّصور الصَّحيح، يعني: هيئة قابلة، ومجموع الخصائص الضَّامة لفكرة.
والتَّعبير الخاصُّ عنه هو: الفقه، فالفهم عامٌّ، والفقه خاصٌّ بفهم مراد المتكلِّم من كلامه (كما يقول ابن القيم) .
وعلى هذا ليس الفهم شيئا غيابيا، أو سحريا، أو سرًّا غامضا، فليس الفهم الَّا الدَّليل المعتبر السَّالم من معارضة مؤثرة، يُثبت أنَّ هذا المعنى أو ذاك هو مراد الشَّرع.
و سواء قلت : هذا فهم السَّلف ،أو فهم ابن تيميَّة ،أو فهم شيوخ السَّلفية الثلاث، فلا يوجد شيئ في العلم مجرَّد عن الدَّليل الَّا التَّقليد المحض، وهو جهل.
فمهما كان يلزمك أن تثبت أنَّ فهم هذا الشَّيخ أو ذاك لدليلٍ هو الموافق لمراد الشَّرع، ولا إثبات بدون دليل معتبر.
وهذا بدون أن نعرج على اختلافهم في عدَّة مسائل، وعلى تبعُّض أفهامهم، وأحيانا تعدُّدها.
وعليه، لا يمكن حصر السَّلفيَّة في ثلاثة شيوخ أو سبعة ، فضلا عن حصر فهم الدَّليل فيهم.
وإذا قُدِّر انَّهم اتَّفقوا على مسألة فليسوا الأمَّة، ولا هم كلُّ أهل السُّنَّة.
فحيثما وليت وجهك يلزمك الدَّليل الشَّرعيُّ.
والسُّؤال البديهي :كيف عرفت أنَّ فهمهم للدَّليل الشَّرعيِّ ،أو لفهم السَّلف هو الفهم الصَّحيح..؟
والعجيب أنَّ بعضهم يريد التَّحاكم إلى أقوالهم في مسائل قتلها العلماء المتقدِّمون

بحثا..!
قد يُصدم الشَّباب بمثل هذه التَّصحيحات لأنَّهم شبُّوا على مسلمات وكلِّيَّات بدون تفصيل، أوقفتها الأحداث والجزئيَّات في وسط الزِّحام فالتفتت إليها الأنظار، وعرفت منها ما كان مخفيًّا لعدم مقتضى، أو عدم تدقيق.

عند مستوى معيَّن قد تختلف زوايا النَّظر.. فلا تعتقد أنك أمسكت الحق من أوله إلى آخره، وفي جميع أحواله.
إذا وصلتَ لهذا الفهم.. ينفعك بإذن الله التالي :
في هذا العصر تشتَّت الحقُّ وتوَّزع ، هذا أصاب منه جزءا مهمًّا،وهذا علَق بنتفٍ منه، وذاك لم يصله منه إلَّا الغبار..
يمكن أن تدعو للمسيئ من المسلمين بالهداية إلَّا أن يمنعك اعتقاد باطن... ؟؟
فاللَّهمَّ ردَّ المسلمين إلى الحقِّ ردًّا جميلا.
..
العيد والجمعة.. مشكلة عظيمة..!
إذا صحَّ عن النَّبيِّ صلَّى اللَّه عليه وسلَّم التَّخيير ،ولم يوجد نصٌّ معارض فلا قول معه إلَّا في حدود إقرار اختيارات المذاهب لأسباب معلومة.
وإذا لم يصح النَّصُّ عندك، ولكنه صحَّ عند غيرك، وليسوا بأقلِّ منك في دراية الحديث فدع اختياراتك لنفسك ولأهل مذهبك.
وإذا لم يصح نصٌّ ولكن ثبت اختلاف السَّلف في ذلك فنفس الشَّيئ.
والواجب عليك إن كنت متمذهبا أن تنسب اختيارك لمذهبك، ولا تجعله مطلقاً كانَّ الأمَّة أجمعت عليه، فهذا من الفظاظة، ومن الخيانة العلميَّة، فعلى الأقل أعرض الأقوال المخالفة.
و عجباً لمتبع مذهب لا يتقيَّد بآدابه...!
اعمل بمذهبك، ولا تكلِّف الَّا اهل مذهبك، ودعوكم من هذا الاجترار لمسائل لم يحسمها المتقدِّمون..؟
تمذهب ولا تتمندب.. .!
وما كانت فيه نصوص خاصة وليس مجرد عموم وأقوال أثرية توافق منطق الحكمة

من تشريع الخطبة كان الأقرب إلى الصواب. والله أعلم

هدي السَّلف.. ؟

من لطيف التوفيق أن لا تعفس على هدي السَّلف.

مشكلة المعاصرين عندما يصطدم واقعهم مع النَّصِّ، أو مع ما درج عليه أئمَّة السَّلف فقهاً من الشَّريعة أنَّهم يهدرون هديهم تجاهلا ،أو بتأويل ما،ولا يبحثون عن التوليف.

وهكذا تدخل الشُّبهة على الخير وتتولد الثنائيات الغبية، هذا يتمسَّك بأثر سلفيًّ، ويهدر مصلحة واقعية معيّنة، والآخر يتمسَّك بهذه المصلحة، ويهدر ذاك الأثر، حتى لا أقول النَّصَّ.:

يمكنك أن تأمر بالمعروف، وتنهي عن المنكر، و تنصح، و تعترض، وتنتقد بدون أن تسبَّ، أو تدعو بالشَّرِّ.

فإن وراء كلِّ منتقد ~ في الغالب ~طائفة من المسلمين واعية أو جاهلة، وربَّما هي من تبقيك في الزاوية...!

ومتى نشر السَّبُّ والدُّعاء بالشرِّ~ الَّا حيث ثبت به النَّصُّ~ ونحن في قضايا تسربلها التَّأويل: الوعي أوفتح القلوب..؟!

لن ينصلح حال الأمَّة بالسَّبِّ، فهذا ديدن الشِّيعة، ولا بالدعاء بالشَّرِّ فقلَّما ينفع الدُّعاء من عطَّل الأسباب.

{ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (125) وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ (126) وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ (127) إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ (128) [سورة النحل]

الدوران في فراغ باسم الدِّين...!

1_شرف لك أن تكون برزخا بين المسلمين في المشترك، وفي تقليل أضرار التَّصادم، تجمعهم على ما فيه صلاح الدِّين وصلاحهم.

2_أنا مقتنع بأنَّه على المسلم المعاصر أن يقف وقفة رجل عالم بدينه، واع بأحواله الواقعية، في الدَّعوة، والسِّياسة، والعمل الاجتماعيِّ، ولكن بحكمة وتقدير للمآلات، جمعاً بين المصالح.

ومن ذلك مسألة : النَّقد والنُّصح والاعتراض على الحكومات، والأحزاب، والجمعيات، والتيَّارات الفكرية والدَّعوية، والشَّخصيات المختلفة.

لا يركِّز على طائفة دون طائفة وفساد دون فساد،فهذا صنيعِ النَّاقص في فهمه أو في نيَّته.

وقد كتبت عدَّة مقالات في هذا الباب بعضها تتوجَّه إلى التَّأصيل الشَّرعيِّ، وبعضها الآخر بمسحة فكرية. (ليعرف الملتحق)

نحتاج للخروج من الدوران في فراغ إلى المقايسة الواعية الدَّقيقة بين الأزمنة القديمة وظروف أهلها السِّياسيَّة والاجتماعيَّة وغيرها، و الدَّولة القديمة، وبين ما يقابلها من أحوال العصر خاصَّة الدَّولة الحديثة بمؤسَّساتها واعرافها السِّياسيَّة والإعلامية، مع زحمة الاتِّصالات وآثارها في تضليل الوعي، وتماس الحضارات مع بعضها بعضاً.

أكبر مشكلة تواجهنا اليوم هو أنَّ الكلَّ يعتقد أنَّ نظرته شرعيَّة، وهي التي تجب على الجميع..؟!

وليس هذا من خصوصيات هذا الزَّمن فهذا أمر إنساني موجود في كلِّ عصر لكن الفَرق يكمن في أن تكون في الأعلى، تتربَّع على قطار الحضارة، و أنت أحسن من عدوك قوَّة عسكرية، واقتصادا، وأخلاقا ،و عقلا ،ودولة تحفظ التَّوازنات, وبين عصرٍ علقت فيك كلُّ الأمراض، وأنت في ذيل الأمم.

في زمن أحاطت بك ثقافات قوية جاذبة، و مؤثِّرة على كثير من أبناء أمتك، خاصَّة في جوانبها السِّياسيَّة والاجتماعية والفكرية مع معاناتنا من مرض "إعجاب كلِّ ذي رأي برأيه".

ولو بقينا في محاولة إقناع بعضنا بعضاً بأفكارنا وتصوُّراتنا الخاصَّة سنزيد الحلقة المفرغة سرعةً والحفرة عمقاً، ونكون كالذي يعضُّ ذيله.

فالواجب العمل على المشترك، وهو ضرورة إصلاح أحوال هذه الأمَّة، ولإشباع الذاتية لابأس من التَّدافع الفكري، والدَّعوة إلى القناعات لكن عند العقلاء، وليس الجهَّال الذين لا يحفظون أدبا، ولا يحسنون جدلا.

نعم؛ الحقُّ في ذاته واحد، وله معالمه، تكون واضحة في مسائل، و خفيَّة في أخرى، لكن تفاوت النَّاس في كلِّ القدرات العقلية والأحوال النَّفسية القلبية، مع تأثير قرون من المذهبيات، وتعقُّد العلوم يحول دون تحقيق مقوِّمات الأمَّة المختلفة إذا بقينا في حالة الانفصال عن هذا الواقع الموصوف.

فإن استطعتَ أن تقنع غيرك بأفكارك فلم يمنعك أحدٌ لكن لا تزد النَّاس شقاقا وعداوة ، وتحبس الأمَّة في وضعها المزري فإنَّ العمل ضدَّ التَّأليف في مثل هذه الظروف جهل عظيم بأصول الشَّريعة ، أو جرم كبير في حقِّ الأمَّة.

هناك تطرُّف لا شكَّ في ذلك، كما هناك تضييع وتقصير لكن بتزايد العقلاء، وأصحاب الفكر السَّديد تُسدُّ الفجوات، وتُدفع الأفكار الهدامة و المريضة إلى الحواشي والأطراف، كما كان الحال ~دائما ~ في تاريخ الإسلام.

كلُّ فكرة وإن سُمِّيت بأي اسم جميل أو محمود تعجز عن الجمع بين أصالتها والدَّعوة إلى نفسها بدون أن تهدر الأبعاد(المصالح) ألمِلّية والجماعية، و تتحرَّر من قواعد طارئة أو احتياطية مضرَّة بشكل مطلق في هذا العصر كقاعدة الهجر مثلا (وفي كل جماعة أفكار ميتة أو مميتة) هي خطأ على الشَّريعة،و مصيرها الانكماش على نفسها المركب الإسلامي يحتاج إلى تعشيق السرعة.

العقل الضاجر...!

في هذا العقل لتكون متقيا يجب أن تكون مجنَّداً في مذهب حيث يكون عقلك متحرِّراً يبحث عن الأصح، والأقوى، و الأنسب، والأنفع في كلِّ شيء إلَّا في الفقه يجب أن تُعطِّله وتجمِّده، وتُغمض عينيك، وتسدَّ اذنيك وأنفك(!) عن أي قول قاله عالمٌ، أو إمام من المسلمين، ليس لأنَّه عري من دليل قوي، أو بعيد الماخذ من الشَّريعة ولكن لأنَّه ليس قول مذهبنا (الذي ليس اختيارا علميًّا نتبناه، ولكن فرضه علينا سلطان (ما) ونحن على دين الملك)..!

ولأنَّ المذاهب كهوفٌ لها مدخل واحد، ومخرج واحد...!

ربَّما تفهم بهذا التَّصرُّف من بعض دعاة وجوب التَّمذهب لماذا العقل الإسلاميِّ المعاصر جامد، وعاجز عن الاجتماع على فتات مشاكله التي هي هراء أمام المعضلات الكبرى التى تُعانى منها ثقافته وحضارته.

عقل منفصم ،يعاني من ولع مرضى باجترار الكلام فيما لا قيمة له، ولا يأتي بجديد مفيد للأمَّة الَّا اغراقها في حروب زائفة.
عقل يمضغ مسألة عادية موجودة من قبل وجود المذاهب وأثناء وجودها، ويحوّلها إلى مشكلة كبيرة...؟!
عقل حبيس رواسب قومية في غير محلها، يكره قوماً، أو جماعة، أو شخصية علميَّة فيكره ما معهم من صواب، أو ما هو واسع لم يُضيِّقه اللَّه.
عقل لا يزهو الَّا إذا استعمل عبارات تُقلِّل من قيمته، قبل أن تقلِّل من قيمة المخالف.
عقل يقيس قياساً تالفا فيسمِّي عدم التقيُّد بمذهب "مذهبية جديدة".
ومخالف مذهبه في مسألة بسيطة "رقيق الدِّين" يعني: أصبح التَّمذهب بمجرَّده تقوى ودعاة التَّرجيح فجرة..!
عقل موتور مغموم متضايق من الخلاف في الحيز الجغرافي لمذهبه، يبحث عن التَّرويح عن نفسه بالتَّقليل من فهم ودين مخالفه.
عقل لا يقدر الَّا على صنع الشقاق حتى فيما وسَّعه اللَّه، عاجز عن معالجة الخلاف والتَّعامل معه في عصر صار فيه كلُّ شيئ ينافر التَّقليد الأعمى، والتَّعصُّب المذهبي.
هذا العقل قد تجده في السِّياسة ومنهج الإصلاح يطأ أعناق النُّصوص والآثار عن الأئمَّة الذين يقلِّدهم في الفقه ويخالفهم في فقههم السِّياسي أو في عقيدة هي أهم بكثير من الأحكام.
لا يراعي فهمهم فيها كأنَّهم في الفقه لون، وفي غيره لون آخر...!
الدَّعوة إلى لزوم مذهب في الفقه مفهومة لكن رمي المخالف لكم بأنَّه أنشأ مذهبا جديدا فكذب أو جهل إذ هذا حال أئمة المذاهب وكبار أصحابهم، وفي كلِّ عصر وجد أئمة لا يلتزمون بمذهب.
احشموا شوية ففيكم فضلاء وأهل صلاح وعلم عليهم التفكير قليلا ، فكذلك عند المخالفين لكم ذخيرة من كلِّ نوع نتمنَّى تفجيرها في الرِّمال لأنَّ هذه المسألة جواب فاسد وتالف لمشاكل الأمَّة،و هو جزء من موضة تحميل السَّلفيين خيبات غيرهم..
قبل أن تكتب منشورا فكِّر انَّه لا يقابلك من الجهة الأخرى " نساء مكتوفات الأيدي" كما يُقال .
فإن أبيت فبعرر إلى عيد الأضحى القادم.

التَّميُّز..

لا يكون التَّفوُّق والتَّميُّز بالقدر المشترك فإنَّه موجود عند الجميع. و ما برز عالِمٌ ولا تفوَّق الَّا بالقدر المميز ،وهو قدر زائد عن القدر المشترك.

إذا لم يدرك من الأصول والمقاصد ممَّا لا يوجد في القدر المشترك لا يحصل أيُّ تميُّز ،لأنَّ التَّميُّز ليس نزوة ولا طفرة مفاجئة.

عمِّم هذا في أي مجال تفهم ما عليك انتهاجه.

ردُّ المعقولات البيِّنة ليس ظاهرة في العقائد فقط، بل هي موجودة مستفحلة في التَّصوُّف، والفقه والتَّاصيل له..!

وهي وراء موت العلوم، وعقمها وانحطاط عقول أهلها

تحرير الأصل، وفهم لوازم القول به غير حفظه.. أو ترديده.

الجُنون العذب...!

يعيش بعضُنا في أفكار إذا نظرنا في مدى تعلُّقها بأصول الدِّين الكبرى، ومدى ارتباطها بالواقع وجدناها نوعاً من الجنون(!) إذ يعجز العاقل عن فهم منطقها، مآلها،وهي واضحة المخاطر.

والمصيبة أنَّ أصحابها يجدون فيها عذوبة لا نظير لها...!

لا يفصلون بين الخيال والواقع، وبين المشاكل الحقيقيَّة والمشاكل الوهمية.

فهناك مشاكل حقيقيَّة ومشاكل وهمية أو خاطئة، تمنع بلوغ المستوى المطلوب للإصلاح.

و حتى يركِّز الإصلاح على الحلول يجب أوَّلا معرفة ما هو المشكل الوهمي ثمَّ رصد المشاكل الخاطئة وتجاوزها.

تُشكِّل هذه المشاكل الخاطئة نوعاً من " الجنون العذب"، من " طمأنينة الجهل"، "راحة بال الغافل"..!

ولذلك يصعب التَّخلُّص منها لأنَّ الشَّخص أو الجماعة ،أو المجتمع المذهب ،يتعلقون بها فتحتل أذهانهم ثمَّ تصبح بالنِّسبة إليهم من المعالم المطمئنة، كمقاييس ،قواعد، تحميهم في الدَّاخل من صعوبة البيئة الخارجيَّة.

ولهذا نميل إلى الرضا عنها، أو حتى العناية بها بدون وعي.
باعتبار الوجود كلُّ المشاكل حقيقيَّة تُمارس علينا تأثيراً لكن بعضها حقيقي يعود لطبيعة الحياة والوجود ،بينما أخرى هي ذهنيَّة بحتة ،لا نعالجها بنفس الطَّريقة.
فالمشاكل الحقيقيَّة تعالج والَّا بقيت، بينما المشاكل الخاطئة نغفلها فتزول لأنَّها أوهام ذهنيَّة، تنزعها عن ذهنك فتزول.
عندما نسأل : من نحن (؟) ، كيف نكون أمَّة واحدة، على الأقلِّ في مقوِّمات الوجود لا الكمال (؟)، ما هي وضعيتنا في هذا العالم (؟) ، ما هي حقائقنا الاجتماعيَّة والسِّياسيَّة والاقتصاديَّة (؟) ،إلى أين نسير (؟)..... (الخ) فهذه مشاكل حقيقيَّة.
عندما نعتقد أنَّ انحطاط الحضارة الإسلاميَّة سببه الوجود الطَّائفي، لا الصِّراع الطَّائفي المنفلت والمبالغة في العداوة(!) وانَّ مشاكل الأمَّة تعدُّد الرَّأي العلميِّ، وعدم التَّمذهب وعدم الوحدة في كلِّ أجزاء العقيدة(!)
وأنَّنا لسنا جماعة واحدة، ويجب أن نكون على قلبِ رجل واحد، لا في المشترك الدِّينيِّ والسِّياسيِّ والاجتماعيِّ، ومصالح الأمَّة الكبرى، ولكن في كلِّ كبيرة وصغيرة(!)
وانَّ صراعنا الدَّعوى، وهو تركيز كلِّ طرف على هيمنته وإنهاء وجود المخالف دعويا ، أو بالسَّيف والإكراه هو الحلّ(!)
ومن جنسها :أريد تغيير كلِّ الطوائف الموجودة، وتغيير البيئة حتى أشرع في العمل(!)
والإسلام ليس مستهدفا(!) وأنَّ الفتن الدَّاخلية لا تدار من غرفة عمليَّات عالمية متفرقة وهدفها واحد (!)
فهذه كلُّها تصوُّرات خاطئة يبنيها الذِّهن من مواد من الماضي مبعثرة، بدون نسق منظَّم ليصنع منها المشاكل الوهمية.
مشاكل هي أفكارٌ نوليها قيمة ونتَّخذها واقعاً، وهي في الحقيقة ليست إلَّا فكرة تُعقِّد الحياة، وتؤخِّر الإصلاح.
وهكذا مقوِّمات فشل الإصلاح موجودة في فكر المصلح نفسه،لأنَّ كلَّ محاولة لإنكار الواقع، الأشياء كما هي ~ويعلم الله براعتنا في إنكار الواقع برؤية عقدية أو فقهية تنكر المعقولات البيِّنة ~تبوء بالفشل.

كما أنَّ العدو لا ينام عن ترسيخ هذه الأفكار فينا بشتى الطُّرق.
فالواقع يجب أن نقبله كما هو ثمَّ نطوِّره بالطَّريقة التي نُشارك بها فيه،فالسَّبيل الوحيد لتغيير الواقع هو المشاركة فيه.
هذه المشاكل الخاطئة تأتي من أفكار غير منظَّمة مأخوذة من واقعٍ مغاير أو مفصول عن واقعنا الفعلي بحواجز كثيرة.
في الغالب هي أفكار آلية وليست تفكيراً عميقا.
هذه المشاكل الوهمية هي إذاً صوت فكرة آلية لا تكفُّ عن التَّعليق والهمس داخل الذِّهن بدون توقف.
ليست إلَّا بناء من خيط منطقي رفيع جداً يربطها بنظرة اختزالية إلى معالم ماضية نرصُّها فوق الواقع كالضمادات لتحليله بسرعة.
وعليه فهي نظام تفسير للواقع ننتهي إلى اعتبارها هي الواقع نفسه..؟!
ولهذا نجد جماعات إسلاميَّة مختلفة تتبنَّى أفكارا معلومة النِّهاية مسبقا، وأفكارا مستحيلة الإنجاز، أو لشدَّة فسادها لا يمكن حتى الكلام عنها تحت عنوان واضح.
ولهذا كذلك لا يُبالي هؤلاء بتداعيات هذه الأفكار وثمنها الذي تدفعه الأمَّة.
إنَّها أفكار بدون مسئولية.
والمقصود في الأخير أنَّ التَّوقف عن التَّفكير يكاد يكون مستحيلا، وتنظيم سيل الأفكار صعب لكن تصفيتها وتوجيهها ممكن، على ما درج عليه العارفون تحت اسم " مراقبة الخواطر وتصفيتها" .
مع مراعاة مادِّيَّة الفكرة، وهي مدى اتِّصالها بالواقع الموجود وتأثيرها فيه بشكل مفيد.

الشَّيخ ربيع..

لم يبعث الشَّيخ ربيع علم الجرح والتَّعديل من القبور، سواء قصدنا الكلام عن رواة الحديث فكل مهتمٍ بعلوم الحديث أو فقه أو عقيدة وكلِّ ما يقوم على سند يحتاج للكلام عن الرُّواة، أو قصدنا النَّقد بصورة عامَّة فنقد الطوائف والمقالات ليس من علم الجرح والتَّعديل في شيئ، إنَّما يستفيد المترجمون من علوم أخرى لبيان حال عقيدة الرَّاوي ، ومع ذلك فقد ذمَّ غير واحد المبالغة في ذلك.

وعليه فإنَّ ما قام به الشَّيخ ربيع هو توظيف الاسم لبغيه على النَّاس فإنَّه يتكلَّم في اشخاص لا يشاركهم في علمهم، وفي قضايا خارج إدراكه..!
وليس المشكل في النَّقد ولكن في البغي والعدوان، وفي منهج متطرف لا ينضبط بقواعد علميَّة واضحة.
أمر آخر..
الوصول إلى الدُّعاء للشَّيخ ربيع بصدقٍ من طوائف تضرَّرت منه كثيرا ~ وليس كما يعتقده بعض الشَّباب الذين لا يعرفونه جيداً ~لهو رقي في الرُّوح الإسلاميَّة، فأن تكون للعداوة بين أبناء الأمَّة حدود معقولة، ولو من طرف واحد لهو خطوة عظيمة نحو الوعي بحقائق الدِّين، فإنَّ ما بين الشَّيخ رزقه اللَّه العافية، وأنزل عليه رحمة من لدنه ومخالفيه يتجاوز أطر الخلاف بكثير.
وهذا درس عمليٌّ لاتباع الشَّيخ ربيع الذين يبخلون على سيِّد قطب وكلِّ عالم مخالف له بالدُّعاء بالرَّحمة، بل وربما يدعون عليه بالشَّرِّ.
وإذ نسأل اللَّه الشَّافي الكافي أن يردَّ عليه الصحَّة والعافية، نسأله كذلك أن يعفو عنه، ويختم لنا وله بالحسنى...

إلى أين قيمة الإسلام...؟
كون الشخص مسلما لم تعد له قيمة..!
غلب العداء والبغضاء والفرقة الملة حتى في المصائب..!
أدعو علي وأدعو عليك، كل طائفة تلعن أختها ،وكل جيل يسلم سلسلة السخط واللعن إلى الذي يليه..!
إذا فصل العلم عن الرحمة فهو عقوبة، والأفكار لا تزول بزوال الأشخاص.
وهكذا نستحق تعاقب الفتنة كلما ذهبت واحدة خلفتها أخرى.
مذهبيات متعادية.. ؟

لماذا يجب أن اهتمَّ... (؟)
قال أحدهم :" أنا مهتمٌّ بالمستقبل لأنَّي سأقضي فيه بقيَّة حياتي".
قاعدة الاهتمام في الإسلام عظيمة، لا تُقصِره على فئة دون فئة، أو على نخبة متعلِّمة

أو متنفِّذة.

فقط يجب عليك أن تغوص مع المعنى، وتسترسل مع الدلالات، ولا تغرق في مصطلحات صيغت وفقا للغة معيَّنة، أو لم يعد لها نفس الوقع على العقول لتدرك أنَّ قاعدة الاهتمام الإسلاميَّة ما هي إلْـَّا قاعدة " الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر" التي تضع أساس الصَّرح لاستمرار الخير، الحق، النعم، الأمن.

لا يوجد في الإسلام فعل بدون عواقب، أو فعل لا نهتمُّ به ونحكم عليه بالرِّضا أو الكره.

إنَّ خضوع جميع المسلمين لهذه القاعدة، وتخصيص كلِّ فئة من الفئات الثلاث بطريقة في الإنكار، هو عناية تامَّة بخاصِيَّة الاهتمام بكلِّ ما يجري في بيئتنا، بشرط الإدراك له "من رأى منكم منكرا ". لكن هل المقصود :المعاينة والمشاهدة بالعين، أم يتناول المدرك بالسَّمع، فإنَّ كثيرا من المنكر لا نراه ولكن نعلمه بالسَّمع يعني :بالإخبار .

فقد تُخبرك زوجتك بما أحدثه ابنك في غيابك، فتنكر وتعاقبه، أو تغيِّر ما صنع.

وقد كان النْـَّبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم يبلغه ما فعل فلان من الصَّحابة في غزوةٍ فينكره ويصحِّح.

الكلام في هذا الباب كثير يهمُّنا منه هنا انَّه يؤسِّس للاهتمام بما يجري حوالينا، ولمسؤوليتنا في إصلاحه بحسب مرتبتنا في العلم والقدرة، وأنَّه قضيَّة إيمانية قبل أن تكون ثقافية أو سياسيَّة.

وعليه لا يمكن بحال أن نفصل السِّياسة عن الإيمان والأخلاق وبالتَّالي عن الاهتمام (حذف البسملة مثالا) .

كان أفلاطون يقول : " ما يجنيه النَّاس من عدم اهتمامهم بالسِّياسة هو أن يُحكموا من أناسٍ أسوء منهم".

تبدو السِّياسة اليوم مدانةً من قسم كبير من العلماء والشُّيوخ لكنها إدانة بجهلٍ بطبيعة العمل السِّياسيِّ الجماعي، المبنى دائماً على التَّوافق الجماعي، إذا كانت في إطار منظَّمات تقوم على الشُّورى الضيِّقة أو الواسعة.

ففي ايِّ عمل جماعي تحتاج إلى إلزام نفسِك بالتَّواصل بين ما تعتقده كشخص، وبين ما تصل إليه الجماعة ممثَّلة في حزب، أو جمعية أو منظَّمة تنتمي إليها.

و الذي يجعل النَّاس ينفرون من السِّياسة هو عدم فهمهم أنَّ الحياة الجماعية لا تُشكَّل و تنظَّم كما تنظَّم حياتهم الشَّخصية.
الأحكام عند النَّاس قطعية في كلِّ شيئ، نتحزَّب ،نتكتل، نتبنّى موقفاً ونُعلنه بكلِّ صراحة كدليلٍ على الصِّدق والالتزام، وهكذا نعتقد انَّنا أصحاب قناعات..!
نكن عندما نعود بالخُطى على مسيرتنا و أفكارنا نكتشف أنَّ أفكارنا تتقدَّم في السِّن، وفي الوقت نفسه تتغيَّر ثمَّ تتخاون حتى تتقاتل فيما بينها...؟!
كما قال بعضهم: " في الغالب تختفي الألوان الزاهية عندما تلتقي بألوان أخرى".
لهذا نجد أنْ التَّبرير الوحيد لتكرار الأخطاء الذي نشاهده عند الإصلاحيين هو تمسُّكهم بأفكار متقادمة، وأقصد: الأفكار الفرعية الحاملة للفكرة الجوهرية.

ولع الفيسبوكيين بمنشورات الصراع والصدام أكثر بكثير من اهتمامهم بمنشورات الوعي...؟!
الطريق أمامنا طويل طويل...

الروهينجا... ؟
عندما ترى صور الروهينجا أعرض عليها خطابك ومنهجك، واسألها عن مذهبهم وعقيدتهم تعرف أين أنت في مصيبتهم..؟!
سعيك أيها المسلم يجب أن يكون لدولة العدل والكفاءة والا ستظل معاركك وآمالك منشورات وتغريدات على مواقع التواصل الاجتماعي..
الروهينجا.. ؟
في الحقيقة لا أعرف هذه الطَّائفة من المسلمين ولا تاريخها وظروفها وأحوال البلد الذي تعيش فيه لذلك أجد شعوري اتِّجاهها ضعيفا ليس كشعوري بإخواننا في المشرق وحتى الصُّور المؤلمة التي تصلني أثرها عليَّ إنساني أكثر بسبب ضعف الارتباط بهم، اسأل الله ان يجبر ضعفهم ويحدث أمرا يفرج عنهم. نصرهم يكون بالدَّرجة الأولى على الذي يليهم، ولحدِّ الآن لا أعرف موقف الدُّول والشُّعوب الإسلاميَّة في شرق آسيا و وسطها من قضيَّتهم .
قضيَّة هذه الطَّائفة المسلمة، وكل ما يحصل للمسلمين، في أي مكان هو درس لك أيُّها

المسلم عن مصطلح "العصر، والدَّولة المعاصرة" الذي يكثر في حديث المفكرين، فأنت ترى إخوانك يموتون بأبشع الطُّرق ولا تستطيع فعل شيئ لهم، ولن تفعل، لا تستطيع أن تحمل زادك على غاربك وتذهب لنجدتهم، ولا هم يحتاجونك هناك.

وحتى لو كنت دولة لن تستطيع فتح حدودك لهم إلَّا بعد حسابات واتِّصالات :هل تقدر على ايوائهم وإطعامهم، وهل تضمن الحسابات الإقليمية والدَّولية والاقتصادية وغير ذلك...؟

هذا هو مفهوم "العصر" :أن تعيش في عصرك، تفهمه، وتعرف أسباب القوَّة فيه.

أن يكثر سعيك لإقامة دولة العدل، وأن تطلب وسائل ذلك العلميَّة والعمليَّة، و تتخلَّى عن تصورات ساذجة، وخطاب ديني تعفَّن من التَّشتيت.

أكثر ما يقدر عليه المسلمون مع أنَّ بورما دولة هشَّة وضعيفة هو ما تفعله تركيا لأنَّها الدَّولة الإسلاميَّة السُّنِّيَّة الوحيدة التي حصَّلت بعض أسباب القوَّة في هذا العصر،ولو بالإنفاق عليهم.

دور الدولة القوية رعاية مصالح مواطنيها واخوانهم وأداء الحق إلى أهله وإقامة الدين..

هل عرفت أين مجال العمل..؟

التَّعليقوية الإسلاميَّة..!

التَّعليقوية سمة في العقل الغربيِّ المولع بالتَّجزئة والتَّفتيت، والفصل بين أجزاء الكلِّ فصلًا اصطناعيا يولِّد التَّناقضات.

عرفها المسلمون في عصور الضَّعف، تتمثَّل في أن يُعلِّق أحدهم على كتاب، أو على مسألة فيه، ثمَّ يُعلِّق معلِقٌ آخر على المعلِّق الأوّل، وهكذا حتى تصير المسألة قريباً من الجزء الذي لا يتجزَّأ (!) ويعود آخر تعليق إلى ما قرَّره صاحب الكتاب، اي: نقطة البداية..!

امَّا التَّعليقوية حالياً ~ ولا أقصد التَّعليق على الحدث السِّياسيِّ والاجتماعيِّ و ما في ضمنه فهذه متابعة حيوية ~ فزادت على ذلك، فلا شيئ يمرُّ بدون تعليق، ونريد من الكاتب والمتكلِّم أن يأتي على جميع أفراد العامِّ تعييناً، وعلى جميع جزئيَّات الكلِّيِّ توصيفاً..!

فإذا كتب أحدهم مثلا : "احذروا الجمود".
جاء آخر وقال : " احذروا ممَّن يُحذِّر من الجمود".
ثمَّ يقول ثالث : " ليس أكثر جمودا ممَّن يُحذِّر من الجمود" ...!
وهكذا نطوف على المسألة نفياً وإثباتا لكن في فراغ التَّناقض .
التَّعليقوية هنا هي: ترك الفكرة الجوهرية في المبرِّد(!) وتشريح الكلام الفرعي أو القشور كالذي يريد الذهاب إلى مكَّة لكن كلَّما رأى طريقاً فرعيا سلكه حتى إذا ضيَّع وقته عاد للطَّريق الرئيس، هذا إن لم يته..!
فإذا قلتَ في سياق واضح:"الدَّولة الإسلاميَّة السُّنِّيَّة الوحيدة تركيا" لإخراج إيران من الكلام تركوا الفكرة الجوهرية وبحثوا كيف تكون تركيا دولة سنِّيَّة..!
وهكذا ينزل المطر عندنا ولكن يذهب أكثره للبحر..!
لقد أصبح كلامنا في حمى وتيرة التَّغريد والتَّوقيعات نتاج الإمكان الذِّهنيِّ، وليس لمنطقية الفكرة وواقعيتها.
فقدنا بوصلة العقل الذي ينزل في عمق الفكرة وتُهنا وسط المفردات فلم نفهم بعد أنَّ إسلاميَّة الدَّولة أو سنِّيَّتها هي في إسلاميَّة وسنِّيَّة شعبها ورجال دولتها قبل مؤسَّساتها، ففرق بين دولة تُعلن الإسلام شعاراً وسياستها على نقيض الولاء والبراء الإسلاميِّ، وبين دولة افتكَّت من العلمانيين لكن يسلك رجالها مسلك المسلم يُسدِّد ويقارب.
هناك فرق بين من استلم دولة إسلامية، وهو يعمل لتحويلها إلى دولة علمانية، وبين من استلم دولة علمانية، وهو يعمل على ردِّ الدِّين فيها إلى مكانته، ولو في جزئيَّات كمدارس القرآن وتشريع منصب المأذون... الخ
هناك فرقٌ لو تلاحظون بين مقبل بالقليل ومدبر بالكثير..؟
اللُّغة كلماتٌ لا حول لها ولا قوَّة،تُساق ذليلةً فنصنع منها ما نشاء، ونتشدَّق بها كما يحلو لنا
لا ضابط لها إلَّا أن تُطابق واقعا فعليًّا، أو يغزلها منطقٌ عقليٌّ سليم.
أكثر التَّعليقات تخنق الفكرة ولا تدعها تتنفَّس.
لا يوجد قول كامل من كلِّ جهاته والَّا لزم الإحاطة بكلِّ لوازمه ،وهو محال الَّا على اللَّه.
عندما تُعلِّق على أحدهم فمن الطَّبيعيِّ أن تنطلق من منظورك الخاصِّ لكن اترك فجوة

لمنظور المعلَّق عليه تخفُّ وطأة تدابر الجهَّال، وعلى الأقلِّ نصير في عداد عقلاء المتعادين...!

إذا كان لابدَّ من العداوة فلتكن معقولةً، تحسب لأيام الحاجة إلى التَّعاون أو التَّصالح.

أرسل فكرك في مسائل العلم وأحوال العالم يرجع لك بأفكار وتصوُّرات صادقة، تبني بها معرفة نافعة متجدِّدة ،تحملك إلى آفاق جديدة.

أخِّروا الشِّعارات وقدِّموا العمل... أوَّل أعمالنا تأخير الشِّعارات..

الصُّورة :صدق بعضهم "النَّملة أفقه من بعضنا"... ومن النَّمل ما يصنع العسل..!

الفكرة...!

تموت الأفكار السَّيِّئة ولكن في احتضارها ~ و حتى بعد تسليم الرُّوح ~ تقتل معها الملايين..!

يوجد عند المسلمين كثير من الأفكار السَّيِّئة في العقائد، وفي السُّلوك، و التَّصور الدَّعوى، وخاصَّة في الإصلاح السِّياسيِّ، فهي إمَّا تدفعك للتخلِّي عن مسئوليتك اتِّجاه أمَّتك، و إمَّا تخدِّرك، أو تجعلك مستحثَّة في متحف..!

وأكثر الأفكار الدِّينيَّة قتلا للضمير وعبثا بالدِّين والدُّنيا هي تلك الأفكار التي تسبح الآن في حوض الأنظمة، تتقوى بها القروش .

وتبقى أخطر الأفكار السَّيِّئة القاتلة هي النُّظم العربيَّة السِّياسيَّة التي يبست جذُورها في عصرٍ العالم فيه مفتوح على مصراعيه، تُنعش كلَّ فكرة دينيَّة قاتلة تحت عناوين مختلفة..؟!

لقد تطوَّر النِّظام العربيُّ البائد إلى نظام معقَّد يُبقى على نفسه بِسُلطة قمعية، و آلة بروبوغندا كبيرة تصنع واقعيات وهمية.. ومعارك

دونكشوتية، فكيف وقد نشأنا وتربَّينا أن لا نتحرَّك حركةً بدون بسملة..؟!

لكنه ليس الوحيد الذي يحمل أفكارا سيِّئة قاتلة، فكذلك عند الإصلاحيين أفكار ميِّتة، وأفكار معطِّلة تدفع أفكار الحال (actualité) وتتثاقل عن الإصلاح الدَّاخلي.

إنَّ أبرز عائق أمام التَّجديد و التَّغيير ليس الصُّعوبة في إيجاد الفكرة الفعَّالة أو الأصيلة، ولكن في القدرة على تجسيدها.

لا يمكنك أن تعيش بفكرة واحدة للعقيدة فقط، أو للعقيدة والعبادة، تحتاج معها إلى فكرة

العمل للإصلاح الشَّامل.
فكرة الفعل هي التي تجعل فكرة العقيدة وفكرة العبادة أفكاراً حية.
فالأفكار الصَّحيحة تحتاج إلى أن تكون أفكاراً حالية تُغذِّي الشرارة وتقويها، وتستلهم من التَّجارب الرَّشيقة والمرنة.
وكما قال طوماس إديسون : "العبقرية 1% استلهام و 99% تعرُّق".
اعرض أفكارك على الواقع، وانظر إلى نسبة تجسُّدها فيه تعرف كميَّة التَّعطيل...

الهجرة (مِن) و (إلى) الفيسبوك..!
ليس الفيسبوك الَّا صورة عن واقعنا الفكري والحضاري، وربَّما أحسن من جهة أنَّ رواده يقرؤون ويكتبون... كحدٍّ أدنى..
فهو لا يفعل سوى عكس شخصيَّة المرء لكن بخطوط أغلظ.
وقد يزيد بعض (النَّاس) شجاعة الخلوة والتَّخفِّي التي يمنحها.
لذا فإنَّ اعتزاله هو اعتزال للواقع،إذ الواقع ليس أحسن حالا منه.
فلا تُلقي بالًا للتَّفاعل فإنَّ آلياته تبعٌ لأعراف المجتمع، خاصَّة في الموضوعات المتعلِّقة بالحضارة و إصلاح العلم والعقل.
لذا اجمع اهتمامك على قيمة ما تكتب فإنَّ في النَّاس ~ و إن كانوا قلَّة ~ من يفهم ويوزِّع الفهم.
وقد أدَّت هذه المنصَّة ما لم تؤديه الكتب والمنابر،وعلى الأقلِّ منعت احتكار المنابر الإعلاميَّة، وسمحت بالتَّرابط بين المثقفين، ونشرت وعيا كان مغيَّبا..
مثلنا في واقعنا العلميِّ كمن يوقد النَّار تحت المطر، إن لم يُظلِّل عليها بالصَّبر والمثابرة لم تلهب..!
هذه لحظة في التَّجربة لن تطول.
وتذكر : لا يعيش في بؤر الوباء إلا الأطباء والمرضى.

بروز ثقافة يستلزم أفول أخرى..؟
لا يجب على الشَّباب المثقف استيعاب التُّراث فقط، ولكن أيضاً رفع الثقافة الإسلاميَّة إلى مستوى جديد يعجز عنه المجتمع القديم.

لا تنتظر الإصلاح الشَّامل من شيوخ العلم(بعضهم..؟) فعندهم فكرة واحدة لا تبلى ،وهم سيِّئون للغاية في غير الدِّين.
ومن صور سجنهم للدِّين معالجة القضايا العامَّة معالجة فقهيَّة/وعظية محضة، وعزلها عن أبعادها السِّياسيَّة والصِّراعية، وهذا وإن ظنُّوا أنَّه صيانة للدِّين، فهو في الحقيقة تحديد وحصر لدوره في العبادة فقط، البسملة كنموذج.
خطبة جمعة جديدة، من غير جمود ولا تهريج..

المداخلة على لون الطيف إذا مزجتهم على بعضهم رأيت المادة السوداء..

بدون تلعثم
المدخلية منهج لقيط وعقل قمامة ونفس كلبية. أصناف كثيرة تختلف حول الأشخاص وتتفق في الصفات.
ارتاحت القرعة من حك الراس..؟

لمن أكتب...؟
1_ أنا لا أكتب لإرضاء أحد من النَّاس، لا لجماعة، ولا لصديق أو لموافق.
فأساساً أنا لا أنتمي لأي جماعة، أو تكتُّل مصلحة.
ولا أمدح من يمدحني، كما لا اذمُّ من يذمُّني لأنَّه يذمُّني، بل قد أمدح صراحة من يذمُّني ضمنيا ، فالسَّاحة مملوءة باللئام .
وانا سلفيٌّ على طريقة ابن تيميَّة بحسب ما فهمته، وهذه السَّلفيَّة هي عندي منهج علميٌّ، وليست شخصا.
2_ اكتب لفضلاء طلبة العلم ممَّن لا يحتاج أن أذكر له المقدِّمات الظَّاهرة، والبدبهيات الواضحة، أو يريدني أن اجترَّ الكلام.
وعليه فأنا أكتب بحسب ضميري.
3 _ اكتب بطريقة يفهم منها الذي وافقته على نقد طائفة كالمداخلة مثلا انَّه لا يستلزم بحال انِّي موافق له في أشياء اخرى.
4 _ موضوعات كالمدخلية والإخوان والسَّلفيَّة والسِّياسة والدَّعوة وغيرها أصَّلت

(رؤيتي) من سنوات ~ قبل أن تنبت الشجاعة لبعضهم الآن ~ بمقالات كثيرة طويلة بادلتها الشَّرعيَّة. (117مقالا للمدخلية)
وانا الآن اكتب مختصرات لمن يعرف هذه الخلفية وتابعها، أو لمن عنده حظ من علم يسمح له بقراءة المضمرات.
5 _ أحرص قدر الإمكان على العدل والإنصاف، والنَّقد عندي لا يفسد الود ابتداءً، ولكن إذا دعت الحاجة
يصبح نقضا.
وعليه فكثير من الإخوة يظنُّ انَّي أوجِّه كلامي لهم، وليس بصحيح فمن لم يفهم مقالاتي فما ألزمته بها، ولا منعته أن يرى ما عند غيري فحيث يناسب الكلام طبعك وعقلك فحطَّ رحالك.
الطُّفولة في العلم ليست أعمارا ولكن حالة عقل،وعليه فالطفل في العلم هو من يريد الأشياء على لونين متضادين إما أبيض وإما أسود، يتعبه الاستثناء واللون الرمادي، ويحب أن تضع له الأسماء على المقصودين لأنه يهتم بالشخص وليس بالفكرة.
إن لم تفهم فلست إياك أعني..

يتحفظ على المدخلية صنفان :مدخلي قعيدي أو رجل يجهل شرها وحقيقتها وهؤلاء من يضعون الأدب في مزبلة..!

الشفقة على المدخلية..!
من يريد أن يتأدَّب مع المداخلة وهو يقصد: عدم وصفهم بوصف سلبيٍّ مطابق لهم، فليناظر الرأس ~ إن طال عمره ~ثمَّ ينتقل إلى قيادة الصَّف الثْ◌َاني وهم: شيوخهم في السعودية.
ثمْ◌َ قادة الصَّف الثالث وهم: شيوخهم خارج المملكة.
وبعد ذلك كلَّ الطَّبقات بداية بشيوخهم في البلد، وانزل إلى بائع السْ◌َمك والشامية والمسك (لا اقصد المهنة) ثمَّ تعال نتحدَّث...!
هذا وقد ذهب زمن عزَّتهم... ؟
النَّاس خاضت المعارك ولا معين لها، وتلقَّت الضَّربات من كلِّ صوب حينما جبن

الكبار وارتعبوا ثمَّ يأتي يافع يشفق على الإفك والبهتان وتضييع الدِّين وبيعه نسيئة للمفسدين، واغتيال شخصيَّة المصلحين و التحريض عليهم قتلا وسجنا كما في عدَّة بلدان.... الخ (!).

قد يحتاج المتكلِّم في الفرق وطوائفها مدحاً أو بما يعتقده إنصافاً أن يُفرِّق بين مقام المخاطبة ومقام الإخبار.

لكلِّ قاعدة استثناء..

يمحِّض اليهود الشدَّة، فهي من طباعهم.

ويمحِّض النَّصارى اللَّين (نظريا) وهو من ضلالهم.

والمسلم يضعهما في موضعهما، قد يلين، وقد يشتدُّ بحسب المصلحة.

ويحذر من دعوات دين الحبِّ الاتِّحادي :حبُّ الكفر والإيمان_ السُّنَّة والبدعة_ التَّقوى والفجور...!

وعذر القائل لا يستلزم عذر المنهج والقول.

ومن استحقَّ وصفاً فمن الباطل رفعه عنه.

و إذا لم يُزل الماء الوسخ طُلب من الموادِّ ما يزيله.

الأعماق الكبيرة الباردة تحتاج أجهزة خاصة فاغطس حيث تقدر.

رفاهية اللامبالاة..!

اللامبالاة هي أن لا تحمل همًّا ، ولا تلتزم بأيَّة قضيْ◌َة ،تدفع إلى مؤخِّرة عُمقك المشاكل ،مشاكلك أو مشاكل بلدك أو أمَّتك. .!

وقد يكون من صورها العيش في التَّاريخ..!

أو تعليق كلِّ مصائب الأمَّة على بدعة حقيقية أو متوهمة كأنَّ هذه البدع ظهرت في هذا العصر فجأةً .

و أخطر صورها الاعتقاد بأنَّنا سنعيد الأمَّة إلى عهد هارون الرشيد بصورة ممسوخة من الجرح والتَّجريح..!

اللامبالاة هي رفاهية الصَّبي الذي لم يع ،لكنها رفاهية بحقٍّ.

وهي رفاهية الجاهل الغافل عن الأحداث العامَّة أو الذي يعتقد أنَّه سينجو بمفرده...!
وقد تنفع جرعات من اللامبالاة بكل من يعيق الطريق.
اللامبالاة المساوية للاعتزال الطوعي عن المسئولية نتيجتها واحدة :تراكم الأوساخ (المشاكل).

الإعلام والنِّقاش العام..؟
تبَّع الكذَّاب لباب الدَّار...!
كان "جيفرسون" يقول : " أفضِّل صحافة بدون حكومة على حكومة بدون صحافة"...!! كدليل على أهمِّيَّة الإعلام في نظامهم السياسي.
في الخطاب السِّياسيِّ النَّظري، في النِّظام الديمقراطي (الذي ترفعه الدساتير العربيَّة) الصَّحافة مؤسَّسة غير حكومية، مركزيَّة وضروريَّة.
لا يقتصر دورها على نقل الأخبار فحسب ولكن أكثر من ذلك : نقل الآراء ومواجهتها مع بعضها بعضاً، فالصَّحافة هي التي تفتح النِّقاش العامَّ حيث تتشكَّل الإرادات، لأنَّ حقَّ التَّصويت يحتاج إلى إطار سياسيٍّ يُفعِّله، وهذا دور الصَّحافة.
يعني : حرِّيَّة الصَّحافة مرتبطة بسيادة الشَّعب ، فإن لم تكن هناك سيادة حقيقيَّة للشَّعب فلا تتوقَّع وجود صحافة حرَّة.
فالدَّور السِّياسيّ للصَّحافة هو ضمان التَّداول على السُّلطة، من خلال تأطير النِّقاش العامِّ.
لكننا في البلاد العربيَّة نلاحظ أنَّ الصَّحافة لا تتحكَّم في جريان المعلومة، بل وتمارس(كثير منها خاصة الفضائيات) تزييف الوعي بالمآسي الاجتماعيَّة،فالدراما التي تفتعلها أو تبالغ فيها هي تخدير لممارسة تأثير سلبيٍّ على تشكُّل الإرادات السِّياسيَّة ..!
حتى التي تعلن مساعدة المصابين تعرضها على شكل جرعات مخدرة.
وإذا بدأت الصَّحافة في الغرب تعاني أمام الإعلام الجديد :مواقع التَّواصل الاجتماعيِّ التي تدفع الصُّحفيين إلى تجديد المهنة، تراهن الصَّحافة العربيَّة على أمِّيَّة المجتمع، وانَّ غالبيته لا تزال بعيدة عن هذه المواقع.
ولهذا يتمنَّون أن يبقى المجتمع أمِّيًّا، ويكرِّهون الشُّرفاء في هذه المواقع بأذنابهم

المنتشرة فيه،أو بالمغفل النافع..!
كاذبٌ ناقل للكذب {سمَّاعون للكذب أكَّالون للسُّحت } [المائدة].
وسمَّاع للكذب حبًّا أو غفلة {وفيكم سمَّاعون لهم} [التوبة].

اعتزال القضايا العامَّة.. ؟

هذا المنشور تابع لمنشور " الإعلام والنِّقاش العام" .
اعتزال المثقف ثقافةً عامَّة أو إسلاميَّة (لا أقصد المفتون في دينه) لمواقع التَّواصل الاجتماعيِّ على نوعين :
النَّوع الأوَّل : اعتزال مطلق كأنَّها غير موجودة (!)
وقد يكون ممَّن سبق له تجربتها ولم يجد فيها بغيته.
والأسباب في هذا النَّوع متعدِّدة وقد تكون مبرَّرة، مثل أن يضرَّ بأخلاقه أو نفسيَّته، أو يضيَّع عليه واجبات دينيَّة أو مصلحة معيشية.
فهذا عليه أن يعتزله.
وقد لاحظت أنَّ المشكل ~ في الغالب ~ يعود إلى افتقادنا الانضباط في أسلوب الحياة، فنحن نعاني من الإفراط في الأشياء، بحيث نعجز عن التَّحكُّم في النَّزوات، ولا نسيطر عليها بالعقل (الاعتدال في الشَّهوات بالسَّيطرة).
ولهذا لا نستطيع التَّوقُّف، وقد صار هذا الفضاء نزوةً لكثير منَّا..!
وهذا مشكل يعود إلى تدهور حضاري بحيث أنَّنا نفتح أعيننا في مجتمعٍ يخلو من النظَّام الَّا في الصَّلاة لمن يحافظ عليها في الوقت الشَّرعيِّ.
فالوقت عندنا قيمة مهملة سواء عند المؤسَّسات الرَّسميَّة، أو الشَّخصيَّات العامَّة أو عموم النَّاس.
لا يحترم الوقت والموعد الَّا من رحم اللَّه.
حتى من نتوقَّع منهم ضبط النَّفس واحترام المواعيد يضيِّعون أوقات النَّاس بالتَّغيير المستمر لها، وعدم احترام الآجال.
الوقت والانضباط الحياتي قيمة مهملة في تربيتنا .
ولهذا عندما نفطن لهذا نقرِّر اعتزال مواقع التَّواصل الاجتماعيِّ، وهذا يوافق مصالح بعض الجهات.

النَّوع الثَّاني :اعتزال نوعيٌّ : مثل أن يحصر نفسه في موضوع أو فنٍّ واحد،لا يخرج عنه إلَّا نادراً.

مع إهمال لبقيَّة الموضوعات، قد اختزل الحياة في موضوع واحدٍ..!

ولا حجْۤة هنا للاختصاص، فليس هنا وظيفة بأجرة على أساس الاختصاص.

ثمَّ المختص في باب ولابدَّ أن يكون مشاركا في أبواب أخرى فالاختصاص قدر زائد على قدر مشترك أولي، ونحن نتحدَّث عن مثقف... ؟

و الاعتزال هنا هو في عدم التَّفاعل مع الأحداث اليومية المهمَّة وقضايا السَّاعة التي تشكِّل الرَّأي العامَّ، و الألفة الجامعة لمن يريد الإصلاح فالمؤمن كما في الحديث : (يأْلَف و يُؤلَف، لا خير فيمن لا يألَف و لا يُؤلَف).

والألفة هي تشاكُل أهل الخير وأهل الصَّلاح، ليس في الأخلاق فقط، ولكن أيضاً في الاهتمام والتَّعاون على كلِّ الوسائل التي تثمر خيرا، ومن الخير: الوعي الصَّحيح بقضايا البلد والأمَّة.

حرِّيَّة الكلمة (المسؤولة) ..؟

أوَّل علامة على التَّضايق من النَّصيحة أصابت أم أخطأت هي: تكميم الأفواه.

لا يجب أن يقلق عالم، أو مفكِّر، أو مصلح على رأيه إن لم يُهدِّد أمن بلده واستقراره ، أو يدعو إلى فتنة.

وتقييد الرَّأي يجب أن يكون خاضعاً لأسباب شرعيَّة فقط.

المبدأ : كلُّ حجَّة لاعتقال عالم تكرهه ~ بعيدا عن سبب شرعيٍّ وجيه ~ هي حجَّة لاعتقال عالم تحبُّه.

ولهذا نرفض اعتقال العلماء ولو كنَّا نخالفهم.

فهكذا اعتقل العلماء من كلِّ الطَّوائف لنفس الأسباب، لأنَّ كلَّ طائفة ترى الأمور من وجهة نظر مذهبها.

يعني كلَّما جاء حكم موافق لطائفة سحق الطَّائفة المخالفة فتسعى هذه الأخيرة إلى كلِّ عدوٍّ يخلِّصها منه..!

و للعلماء حقُّ إبداء رأيهم في كلِّ القضايا، فهذا جزء من وظيفتهم في الشَّريعة، وقد يخطئون.

وكما قال ابن تيميَّة : " كلُّ أمَّة قبل مبعث محمَّد صلَّى الله عليه وسلَّم علماؤها شرارها إلَّا المسلمين فإنَّ علماءها خيارها" . (رفع الملام 8/1)فاحفظ لهم المقام ولو كنت مخالفا.
الحقيقة اليوم ضائعة في الأحقاد.
وكما قيل :عندما لا تكون الحقيقة حرَّة لا تكون الحرِّيَّة حقيقيَّة. الشَّريعة لا تتبع نزوات أحد ومصالحه الشَّخصيَّة.
{وتلك الأمثال نضربها للنَّاس وما يعقلها إلَّا العالمون} [العنكبوت].

نحو خطبة جمعة جديدة..؟

الحمد لله، والصَّلاة والسَّلام على رسول الله.
لم يعد بالإمكان الاعتماد على موهبة الخطيب فقط، في عصر أصبح فيه الخطاب علماً مستقلا يعتمد على تقنيات وآليات متعدِّدة.
وإن كان لخطبة الجمعة مميِّزات شرعيَّة إلَّا أنَّ فنَّ الخطابة واحد.
ومعلوم أنَّ قيمة خطبة الجمعة تتبع قيمة يوم الجمعة، قال النَّبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم :(خير يوم طلعت فيه الشَّمس يوم الجمعة ، فيه خُلق آدم عليه السَّلام ، و فيه أدخل الجنَّة ، و فيه أخرج منها ،و لا تقوم السَّاعة إلَّا في يوم الجمعة) رواه مسلم.
وقد شرَّع صلَّى الله عليه وسلَّم عدَّة أحكام خاصَّة بيوم الجمعة، منها خطبة الجمعة.
يمكن للخطيب الجيد أن يقود النَّاس إلى الشُّعور الصَّحيح اتِّجاه قضيَّة أو حدث شهده الأسبوع.
ويمكن للخطبة الجيدة أن تجذب النَّاس إلى قضيَّة تهمُّهم جميعا. فالخطيب الجيد هو الذي يحدِّد النَّبرة الصَّحيحة والنَّظرة الدَّقيقة من الحدث.
وخطيب الجمعة ليس صحفيا، ولا محترف سياسة، ولكنَّه يتعاطى مع الأخبار المهمَّة ،فهي مادَّته لكن بطريقة مختلفة، أهمُّ معالمها أنَّه منضبط بالشَّريعة و آدابها، ولا يتكلَّم الَّا للصَّالح العامِّ بعيداً عن أي جهة إلَّا مصلحة الدِّين ومصلحة المجتمع برمَّته.
تراعي كلمته وحدة الصَّف، ومهما كان الحدث قاتماً يعالجه بهدوء وإيجابية.
لهذا تكون اللَّحظات الأولى من الخطبة فارقةً، فهي التي تحدِّد في عقل المستمع إليها نبرة الخطاب :إذا ما كان الخطيب في دور جلَّاد سيشبعهم لوما، أو قاصًّا بارعا يبثُّ

فيهم الآمال، ويستدعي أحسن ما فيهم.
وهذه شروط الخطبة النَّافعة :
1_ معرفة المستهدف ومستواه التَّعليمي ، وفي العادة يعرف إمام المسجد من يصلِّي عنده، و أقصد هنا الغالبية.
2_ الخطبة استهلال و تحليل (حكاية) و خاتمة.
3_البحث عن الحجج وهي :حجج عاطفية إذ يجب أن تمسَّ الخطبة عاطفة النَّاس (التَّناوب بين نبرة الصَّوت الهادئة والمرتغعة).
حجج منطقيَّة بحيث تكون معقولة للنَّاس، تتضمَّن ذاتية الخطيب وموضوعيَّة الحدث أو القضيَّة.
4_ الخروج عن العادة، ويكون باختيار الأفكار الحالية يعني: قضيَّة الأسبوع أو الحال.
أمَّا الحدث التَّاريخي فهو للتَّمثيل والاعتبار.
5_ اختيار الأسلوب بحسب الموضوع، ويمكن الجمع بين أساليب مختلفة.
وأساليب الخطبة (في العلم المعاصر) تتراوح بين الأسلوب القضائي :حقٌّ /باطل، صواب /خاطئ.
التَّداولي :إقناع /دحض إقناع.
التَّعليمي :مدح /ذمٌّ.
ويحدِّد نوع الأسلوب الموضوع إن كان مجتمعيًّا، ثقافيا.. الخ.
ولا ينسى الإمام انَّه معلِّم وحاكم باسم الشَّريعة، يحدِّد ما هو :"حق، صواب، محمود" في الشَّريعة والعكس صحيح.
6_أنواع البداية (الاستهلال) :
يمكن أن يبدأ خطبته:
_ باستفهام أو بعدَّة أسئلة، ولا يعطي الأجوبة مباشرة، يترك المستمع يفكّر، وهذ أحسن طريقة (ما بال أقوام).
_ البداية بقصَّة قصيرة تثير الفضول.
_ بمعلومة موثَّقة صادمة.
_ بأقوال مأثورة.

_ أمثلة شعبية صحيحة المعنى والمبنى.
_ توقيعات ذات مغزى.
_ تأكيد حدث أو نفيه.
وللخطابة سلبيَّات منها :
1_لا يجب أن تتجاوز أطول خطبة مدَّة 20 دقيقة كأقصى حدٍّ لأنَّها المدَّة التي يحافظ فيها الإنسان على تركيز مقبول، فمع تشفيع التَّحليل بأمثلة وبالنُّصوص المطابقة تكون هذه المدَّة مثالية.
مع العلم أنَّ اللُّغة عندنا صناعية وليست طبيعيَّة ،يعني :تحتاج إلى شرح النُّصوص.
2_عدم الإكثار من المعلومات فإنَّه يُشتِّت الانتباه، ويرهق الذاكرة، ولا التَّركيز على نقطة واحدة فإنَّه يُدخلل الملل.
3_ بخلاف ما يظنُّه عشَّاق الكلمة الفصيحة فإنَّ نظرة النَّاس للبلاغة سلبيَّة فإنَّها في الغالب تدلُّ عندهم على فراغ الشكل كالصدفة الجميلة الخاوية.
والتَّكلُّف يشعرهم بسوء القصد والاحتيال، وتثير فيهم البلاغة الشَّكَّ من صدق الخطيب.
وعليه يجب أن يكتسب الخطيب ثقافة الكلمة، ووعيا بحدود البلاغة بحيث يبحث عن كفاءة الكلمة يعني :يحرص على لياقة العبارة، لا غربتها على المسامع، فالبلاغة الحقيقيَّة هي الإقناع وليس الإعجاب.
ومراعاة منطق الكلمة يتطلَّب الأسلوب المباشر.
مفهوم السِّياسة عند الخطيب :
السِّياسة ليست سبَّ المسئول ولا الحديث عن الأحزاب، ولا توظيف الحدث لتصفية الحساب مع جهة ما.
السِّياسة هي أن تحلِّل الحدث، وتذكر فوائده، أو مضاره على المجتمع.
أن تذكر حكم الشَّريعة فيه، ولك أن تختار اسلوب الاستفهام أو النُّصح غير المباشر.
أن تنتقد الأفكار لا الأشخاص، ولا شيئ يمنعك أن تتحدَّث مشفقا.
السِّياسة أن تذكر قيمة الشَّيئ في عين الشَّريعة مراعيا المقاصد والتَّداعيات بعلم و أدب، بدون أن تدعو لفتنة أو تحثَّ على فوضى.
ودائما اغرس في النَّاس محبَّة البلد، ومحبَّة أهله، والحفاظ على استقراره و أمنه.

ولا تبالغ في النَّقد وكن منصفاً، ولا تتعامى عن شيئ إيجابي،وقيِّد كل كلمة مشتبهة ووضِّحها.
المهمُّ هناك ألف طريقة صحيحة للنَّقد والنُّصح تؤدِّي الواجب، ولا تضيِّع واجبات أخرى.
فقط كن ذكيا فإنَّ اللُّغة طيعة، حريصاً على الخير بدون فتنة، عارفاً بالواجبات المعجوز عنها، وبما لا يتأتى فعله من الحسنات الَّا بسيِّئة أقل منه ، ومتى يلزمك موقف السُّكوت عن الخطأ.
السِّياسة باختصار أن لا تغفل عن صراع الأفكار، لا صراع الأشخاص، ولا صراع الأحزاب فأنت إمام كل الناس.
منبر الجمعة هو أن تعلِّم الدِّين بحسب المناسبة امَّا التَّعليم الدِّينيُّ العامُّ فعندك الأسبوع.
وفْقك الله وردَّ إليك عند النَّاس منزلتك في الشَّريعة.

العقل العلميُّ..؟
من الظواهر السيِّئة في بيئتنا الثقافيَّة أنَّه غلب على خطابنا العلميِّ الإشهار للشْخصيَّات العلميَّة و الاختلاف حولها بدلا من التَّعمُّق في الأفكار التي أسَّست لها.
ومن الصَّعب عندنا مناقشة مسألة بدون التَّعرُّض للأشخاص.
ومرد هذا :طبيعة التَّكوين التي تدخلك مباشرة في العلوم الشَّرعيَّة دون تهيئة للعقل الذي سيحتضنها والنَّفس التي تنصف أو تنحاز.
ولهذا يربط المتعلِّم العلم بشيوخه ويصير تحت تأثير الشْبه الملقَّنة، وما لم يكوِّن العقل العلميَّ سيظل تحت تأثيرهم طيلة حياته.
ولهذا نجد أنَّ شخصيَّات علميَّة إسلاميَّة كان لها ولا يزال تأثير قويٌّ على العلوم والثقافة الإسلاميَّة تميَّزت بالعقل العلميِّ.
يكفي أن تقرأ لهم كتابا لتجد أنَّ تأثير المشيخة والمذهب عليهم قد اضمحل وذاب تحت المنهج العلميِّ الصارم.
ومما لفت انتباهي انَّك لا تكاد تجد عالما مثل ابن تيميَّة يقول :"قال لي شيخي"..!
وهذا في الفلسفة الظواهرية الحديثة يمثْل عماد المنهج العلميِّ يعني :أن يستوعب الإنسان علم شيوخه وتجارب غيره، ويصهرها في تجربته الخاصَّة فيكون ما تلقَّاه

عنهم محقَّقا حيًّا بلغته وتصويره هو.
ومن المفهوم أنَّ المبتدأ ياخذ المسائل مسلَّمة مبنيَّة على الثِّقة في المعلِّم لكن عند النُّضوج العلميِّ يجب أن تبدأ عمليَّة تعليم جديدة الغرض منها اكتساب عقل علميٍّ.
العقل العلميُّ هو العقل الذي يثق في العلم، ويسترسل معه، ويجعل أحكامه بعد العلم بها.
هو عقل متحرِّر من مذهبية، أو مشيخية ،فيما يجب فيه الاجتهاد. يبحث على تأسيس وتأصيل معرفته بعمل علميٍّ منطقي على مادَّة علميَّة موثَّقة يمكن ردّها إلى أصول واضحة.
العقل العلميُّ لا يتكوَّن باتقان التَّعريفات، ومعرفة المصطلحات فقط، بل لهذا العقل عدَّة صفات، أو خصائص، وعنده محذروات.
أمَّا الخصائص فهي:
_ التَّحفُّظ حتى يستبين الأمر، وينظر في جميع الأدلة والوقائع.
_العقلانية :لا يخاصم صريح عقله بحسن الظنِّ بشيوخه أو مذهبه.
_المنطقيَّة الواقعية:يراعي منطقية الاستدلال يعني: ترابطه، ويلتزم بها.
_ التَّماسك الفكريُّ :أن يكون علمه ومنهجه مبنياً على أصول واضحة ومطردة في شكل نظريَّة محقَّقة وقابلة للتَّحقُّق.
_الانفتاح على النَّقد :يقبل النَّقد ويتعامل معه سواء على شخصه أو على مذهبه.
ومثل هذا تجده كثير الاستفادة من المخالفين، يطوِّر أدلَّتهم ويستغلُّها في بناء نظريته، ويقوَى به مذهبه جدًّا.
_التَّواضع أمام الحقيقة العلميَّة: وهذه صفة نفسيَّة /عقليَّة، منبعها الإخلاص والتَّجرْ ُد، وعقل موسوعي عرف طبيعة العلم ومراتب النْ َاس فيه.
وأمَّا المحذورات فهي:
_ الحذر من الأحكام السَّابقة :لأنَّ الحكم يأتي بعد حسن التَّصوُّر.
_الحذر من الحدس والانطباع الأولي : فهذا يصلح عند الشُّعراء امَّا في العقل العلميِّ فالدَّليل الواضح والبيِّنة .
_ الحذر من العوامل الشَّخصيَّة كالحبِّ والبغض والتَّمذهب.
_ واكثر شيئ يحذر منه: مقرَّرات المؤسَّسة العلميَّة التي ينتمي إليها وقد تكون مذهبا،

فمعلوم أنَّ المذهب نظام تفكير مغلق.

كلمات لقلوب تقيحت من الكراهية..!
من عرف ربَّه، وأنَّه فوق عباده قهَّار جبَّار، فعَّال لما يريد، حكيم فيما يفعل، لا يعزب عن علمه ومشيئته وقدرته شيئ :{وله أسلم من في السَّماوات والأرض طوعا وكرها وإليه يرجعون} [آل عمران].
وأنَّه عفو كريم، برٌّ توَّاب رحيم.
و فهم حقيقة التَّوحيد، وأنَّه ليس مجرَّد أحكام، بل أصله أعمال القلوب من :يقين وصدق وإخلاص ورضا، فمن ظفر بالرِّضا فقد ارتقى المنازل كلَّها لم ينظر للنَّاس الَّا بعين الرَّحمة.
ولم يجد لهم في نفسه إلَّا السَّماحة والعفو فيما يخصُّ حقَّ نفسه.
وأمَّا حقُّ اللَّه وحقُّ النَّاس فإلى كلِّ ذي حقٍّ حقَّه إن شاء عفا و إن شاء أخذه.
العفو كما قيل :لا يغيِّر الماضي ولكنه يوسِّع المستقبل..

الأحداث و تسويق الاعتذار...!
في أيِّ موقف تتَّخذه تستطيع الاعتذار عنه، يكفي فقط أن تبحث في التَّراجم والتَّاريخ لتجد موقفا مشابها،ففي التَّاريخ مثال من كلِّ شيئ تقريبا.
هذا إن سلمت من كمَّاشة السِّياق وشروط القياس..؟
و تبقى المشكلة الكبيرة بالنِّسبة إليك أنَّ الأعمال بالنِّيَّات...!

صناعة المناهج في البيئة العلميَّة المريضة..!
كثير ممَّا يدخل عند السَّلفيين المعاصرين تحت مسمَّى "الاختلاف في المنهج" أصله نزاعات شخصيَّة تتحوَّل إلى مذاهب...!
فالذات المريضة يطول عليها الأمد فتؤصِّل لنفسها ثمَّ تعتقد أنَّها تؤصِّل للدِّين...!
ما مات ملك أو غاب عن العرش الا اضطربت حاشيته.. بعده...!

ما بين المادِّيَّة والوجودية.. ؟

المادِّيَّة مذهب وجودي ،لا يعترف بوجود جواهر أخرى غير المادَّة ،و يرفض على العموم :وجود الإله والرُّوح ،و الغيب.
وعند بعضهم الإله مادة، يعني :فيزيائي الطَّبيعة ولَّدته الفيزياء.
و" الوعي" بالنِّسبة إلى المادِّيَّة ليس إلَّا ظاهرة ثانوية ترتبط بالمادَّة.
أمَّا الوجودية فهي فلسفة الإنسان وليست فلسفة الأفكار.
تُفنِّد سابقية الماهية ،وتعدُّ وجود الإنسان انتاجا ذاتيًّا حرًّا وحيدا في عالم بدون إله.

العقم الفكري...؟

كلُّ جماعة بدون أفكار (تتوقف عن إنتاج أفكار جديدة محاطة بالشرائع الكلِّيَّة) هي جماعة بدون مستقبل، لأنَّ العقم في الأفكار يقود حتما إلى عقم في المشاريع، وعقم في تجديد الممارسات.
وهذا حال المدخلية الخاصَّة التي ليست إلَّا مجرَّد قوالب جاهزة لإجراءات وتدابير حماية من أفكار الغير.
هذه التدابير معلَّلة، مقيَّدة بأعراف بيئية لكن بدون فكر يراد حمايته. فليس عند المدخلية فكر تحتاج إلى حمايته، بل هي منهج حماية شخصيَّات متحزبة تؤصِّل بقاعدة الهجر لحماية نفسها.
المدخلية إذا اعتبرناها فكرة(!) فهي جزئية ،رخوة ،غير كافية لتقديم دين كامل شامل، محلية بمجرَّد انفتاحها على غيرها تتلاشى لأنَّها لا تملك حصانة علم.
ولهذا هي مستباحة من كلِّ الدوائر، تعيش في افتعال مواجهات عقيمة جعلت الدين في موقف شفقة ورحمة لا موقف عزَّة.
لكن هناك ~ أيضا ~ مدخلية عامَّة تتمثل في : الجمود على أدبيات وأفكار المصلحين الذين مضوا، تعاني من لا حيوية علميَّة شديدة، عندها عناوين مشاريع لكن بدون تفاصيل، مرَّ معها الإصلاح الإسلاميُّ جانبا.

ذرة من الصَّراحة .!

لا توجد ~ الآن ~ سلفيَّة كاملة، لا قديمة، ولا حديثة...!

القديمة كانت كاملة في بيئتها،وقَّعت على عصرها، ومع ذلك كان فيها تقصير في الجانب السِّياسيّ، وفي موقف سلبيٍّ من المعقولات..؟

غطَّى على هذا التَّقصير جهود جبَّارة لبعض المنتسبين لها.

على كلٍّ هي الآن تاريخ، ما لم تنفتح السَّلفيَّة المعاصرة ~ التي هي الآن دعوة صوفية بالمعنى السِّلبي ~ على الفكر المعاصر تهضمه وتجدِّد نفسها لتكون دعوة شاملة كلِّيَّة معيارية، وجزئيَّة عمليَّة.

لا يمكن أيُّها العاقل أن تبدأ فكرة بعد قرون من انهيار حضاري رهيب كاملة، هذه سطحية في فهم الفكرة نفسها، وفي فهم التَّاريخ وسننه الفكرية، ومراحل نهضة الأمم.

كمال الفكرة لا يزال بعيدا، و إذا سألتَ عن سبب التَّراجع الذي ربَّما لم تشعر به بعد فهو حبوب منع الاخصاب [الانغلاق وعدم استيعاب العصر] التي جعلت الفكرة عقيمة.

وستظل عقيمة ما بقيت تعيش تحت ظل اجتهادات مصلحي العصور المتأخِّرة الذين مضوا، كلهم بدون استثناء أحد.[أو جماعة]

من عنده رؤية واضحة عنده رسالة و مهمَّة، البقية تتحرَّك حركة البيدق.

المدخلية العامَّة والعلمانية الإسلاميَّة ... ؟

يُسمِّى كثير من النَّاس حركات التَّغيير والإصلاح السِّياسيَّة الإسلاميَّة ب" الإسلام السِّياسيِّ" ويعدُّونه حشرا للدِّين المقدَّس في وسخ السِّياسة..!

والمؤسف انَّ هذا التَّبرير العلماني بدعة تروِّج لها تيَّارات إسلاميَّة كثيرة :سلفيَّة ،وصوفيَّة ،وتبليغية وغيرها...؟!

وهي ~ في الحقيقة ~ بالنِّسبة لهذه التيَّارات بدعة ورثناها من الدَّولة العبَّاسية، عندما ضعف العلم بمقاصد الشَّريعة وحقيقتها في مدرسة تولَّت القضاء تُعرِّف السِّياسة في كتبها بأنَّها التَّعزير في الجنايات (!؟!) ومع الوقت صارت السِّياسة في مقابل الشْ َريعة...!

ثمَّ جاءت العلمانية المعاصرة التي دفعت الدِّين في ركن العبادة فقط بحسب مفهومها للدِّيانة.

ولما رأت بعض الإسلاميِّين يرفعون شعار : " الإسلام دين حياة عنده منظومة

سياسيَّة واقتصاديَّة و أبعاد اجتماعيَّة " ممَّا يناقض الصُّورة التي تُقدِّمها عن الدِّين سمَّتهم " الإسلام السِّياسي".

وبهذا نفهم أنَّ منطلق التيَّارات الإسلاميَّة التي ترفض الإصلاح السِّياسيَّ تحت عنوان " رفض تسييس الدِّين" تلتقي مع مفهوم العلمانية للدِّين، وأنَّه مقتصر على عقيدة غيبية فقط، لا يُقبل منها أي تعلُّق بشؤون الحياة، و شعائر تعبُّدية، وانَّ الدِّين لا سياسة فيه الَّا بمعنى الأحكام السُّلطانية ،اي: التَّصرُّفات التي تقوم بها الدَّولة في :القضاء، والحسبة، وولاية الحرب، والعلاقات مع الدُّول الاجنبية.

ولهذا يعدُّون السِّياسة الشَّرعيَّة مرادفا للأحكام السُّلطانية، وهذا خطأ فإنَّ السِّياسة أعمُّ من الأحكام السُّلطانية إذ نجد فيها : أحكام الإمامة، والولاية، وشروط أهل الحل والعقد، ونصاب أهل الشُّورى، وإجراءات التَّولية، وشروط خلع الحاكم، ونظريَّة أهل الشوكة، والمتغلب، وتعدُّد المطالبين بالحكم.. . الخ.

ممَّا يتعلَّق بتنظيم التَّنافس على الحكم والسَّعي للسُّلطة بحسب البيئة آنذاك وقد فرضت الدولة الحديثة شروطا جديدة.

وعليه فإنَّ تعريف السِّياسة بأنَّها مجرَّد أحكام سلطانية هو تعريف قانوني، بعيد عن التَّعريف الاجتماعيِّ والسِّياسيِّ، فالسِّياسة ليست مجرَّد إدارة الدَّولة لشؤونها ومصالح مواطنيها، بل هي من جهة : الإصلاح نفسه، فإنَّ من يقيم عدل الله ورسوله في النَّاس فقد ساسهم بالشَّريعة.

ومن جهة :هي إجراءات هذا الإصلاح، ومنهج الوصول إلى تنفيذه.

ولهذا هي كلُّ مصلحة متحقِّقة لم يرد فيها دليل جزئيٌّ.

ولهذا السَّبب اختلفت تعاريف الفقهاء للسِّياسة بحسب النَّظر إلى إحدى الجهتين، فعند ابن عقيل هي : كلُّ فعل يكون النَّاس فيه أقرب إلى الصَّلاح، وأبعد عن الفساد، وإن لم يخبر به الرَّسول، ولم ينزل به الوحي، بشرط عدم مخالفة شيئا من الشَّريعة ".

مع ضرورة أن نستحضر العجز عن واجب، أو الاضطرار إلى سيِّئة، أو تقديم سنَّة على واجب... الخ.

وبين تعريف العزِّبن عبد السَّلام: إقامة الدِّين وسياسة الدُّنيا به.

وهو ما جمعه ابن خلدون تحت تقسيمه السْيِاسة إلى: شرعيَّة مستفادة من الشَّرع، وعقليَّة تتعلَّق بالإجراءات والممارسات العلميَّة. لكنه اصطلاح ضعيف، و إن كان

المضمون صحيحا، ورثه عن المتكلِّمين في جعل العقل في مقابل الشَّرع.
من الأحسن استعمال اصطلاح ابن القيم : الشرائع الكلِّيَّة الثابتة والأحكام السِّياسيَّة الجزئيَّة المتغيِّرة الدائرة مع عللها وعرفها وواقعها.
وبخلاف السِّياسة الغربيَّة اتَّفق الفقهاء الإسلاميُّون على أنَّه لا يجوز أن يخالف شيئ من السِّياسة الشَّريعة، فلا يوجد شيئ يسمَّى "عذر[سبب] الدَّولة، ولا دين لا يسوس النَّاس" لكن بالشَّريعة المنزَّلة، لا المؤوَّلة ولا المبدَّلة، هذه الشَّريعة التي تجدها حيث تجد العدل.
إذا فهمت هذا فهمت العلمانية الإسلاميَّة والدروشة الحديثة في بعض التيَّارات الإسلاميَّة.
هذه الشُّبهة :"السِّياسة هي الأحكام السُّلطانية فقط "موجودة عند رموز سلفيَّة لم ينتبهوا إلى أنَّنا في دولة حديثة شكلا أو مضمونا مخالفة من كلِّ وجه للدَّولة القديمة، و أنَّ الأحكام السُّلطانية "إدارة الدَّولة" تتبع دين الحاكم وعقيدته وفقهه ضمن إطار حضاري وثقافة مجتمعيَّة.
هناك من جعل للسِّياسة مكانة في دعوته للإصلاح، لكن بدون رؤية واضحة ومفصَّلة، مجرَّد تواجد ذوات في المشهد السِّياسيِّ، مع مدخلية =" الجمود على فكرة متحزبة" ...!

المصطلحات في العقل الفوضوي...!
يعاني عقل بعض الشَّباب المترنح بين المناهج من فوضى عارمة سببها أنَّه ظنْ العلم هو معرفة اصطلاح الفنون، خاصَّة الإصطلاحات الغربيَّة المعاصرة..!
لم يدر أنَّ العقل العلميُّ لا يتكوَّن بحفظ التَّعربفات والقواعد عن ظهر قلب فضلا عن استخدام المصطلحات فقط.
فالعقل العلميُّ هو عقل تحديد المنظومة الفكريَّة ،والوقوف على الأسئلة التي كان يجب أن تبرز ها مبادؤها ولم تفعل.
فهم المنظومات المعرفية هو العقل العلميُّ وليس التَّحدُّث بالمصطلحات العامَّة التي يمكن أن تضعها على أي شيئ،خاصَّة المصطلحات الغربيَّة الناتجة عن عقل مولع بوضع اصطلاح لأي شيئ لمجرَّد فرق طفيف .

فمثلا يأتي أحد هؤلاء الشَّباب الذي ألقاه المنهج الذي وجده أمامه في أزقة سوق شعبي في تناقض بين ما يؤصَّل له وما يراه فيصف كلَّ نقد لمنهج يحسن الظنَّ به بأنَّه " فكرانية"..!

وهذا ينسب ~ من جهة ~ منهجه إلى طبيعة الجماد لأنَّه لا يفكِّر! و أنَّ الشَّريعة علم بدون تفكير...!

ومن جهة أخرى استخدام سيئ لمصطلح دقيق يخصُّ من يعتقد أنَّ كلَّ موجود هو دائما عبارة عن فكرة، أو أنَّ أصل النشاط العاطفي و الارادي إلى تصورات الفكر..؟

وبدون أن نبحث كيف تكون الفكرة مبدأ الإرادة، و الذي هو قول العقلاء أقول :إنزال هكذا مصطلح على عمليَّة إمعان النَّظر في المعرفة لتحسينها وتعميقها خير مثال على ما باتت تفرزه بعض أشكال السَّلفيَّة.

ولا يمكن وصف هذا إلَّا أنَّه هذيان سببه تعارض الأفكار مع الانفعال.

و هذا يحجِّم بصورة جدية استخدام هذه المصطلحات، ويشكِّل عائقا أمام النِّقاش بمصطلحات علميَّة موحَّدة.

نحن أمام معضلة مصطلح غير متكافئ مع الحقيقة اللغوية والخارجية، وسوء استخدام له، سببه فوضى التَّحصيل ،وعدم التَّوفيق.

رتِّب عقلك.. قبل إطلاق لسانك،وافهم معدول اللفظ الكلي.

بدأ الاتجاه التغريبي في السعودية من فترة الملك فهد كان يكفيكم أن تنظروا في نوع المستشارين ورؤساء الهيئات الإعلامية، تفطنون على خير

السعودية في كلمات..

ورث الملوك السعوديون المتعاقبون على الحكم مجتمعا بدوياً تمكَّنت دعوة الشَّيخ محمَّد عبد الوهاب من تربية كثير منه على الدِّين فاجتمع فيه التَّديُّن مع الطَّبع البدوي، فكانت له سلبياته وايجابياته.

لكن مع دولة هشَّة، لا تملك مؤسَّسات حكم، في تصوُّر سياسيٍّ خارج التَّاريخ، نشأت على التحالف مع القوى العظمى طلباً لحمايتها.

وكان دورها تنفيذ سياسات هذه الدُّول في الإقليم، من دعوى مجابهة المد الشُّيوعي

إلى التَّصدي إلى الهلال الشَّيعي تحت غطاء قراءة أيديولوجية منكوسة : أهل الكتاب أفضل من الشُّيوعين إذ القراءة السِّياسيَّة جزء من الأيديولوجية العاقلة.
والقراءة السِّياسيَّة تقول بانَّ الدُّول الغربيَّة وإن كانت احسن في جوانب هي أخبث وامكر واستعمارية بكلِّ أشكال الاستعمار.
فاضاعت سياستهم الرعناء العراق وحوَّلت المطالبة في سوريا بالحقوق إلى حرب دينيَّة خسر فيها السُّنَّة غالبيتهم.
والمهمُّ أنَّ المؤسَّسة الدِّينيَّة لم تكن في المستوي، وكانت توفِّر الغطاء الشَّرعيَّ لسياسة الملوك، في غفلة عن التَّحوُّلات الاجتماعيَّة والثقافيَّة التي كان النِّظام يجريها من خلال سياسية إعلامية وضِع على رأسها تغريبيون حوَّلت الشَّباب من حبِّ محمَّد عبد الوهاب إلى حبِّ ميسي، ومن التَّنافس على قرَّاء القرآن إلى التَّنافس على المطربين والممثلين وبدأ المجتمع السعودي المحافظ يكتشف الفكر الغربيّ، والنموذج الثقافي والحياتي التابع له، فوجده أقوى على الخطاب الدِّيني الذي أضعفه التَّشدُّد والغلو فساهم في عجز الشُّيوخ عن نقل القيم التي نشأ عليها آباؤهم.
وهكذا ينتظر النِّظام تغيُّر الأجيال خروج المتدينة وبروز الأخرى ليتمَّ عمليَّة التَّغريب.
مشكل المؤسَّسة الدِّينيَّة في السعودية هو تديُّن متشدِّد، منغلق، منفِّر ،بعيد عن التعامل بحكمة مع الحياة المعاصرة، ما إن يكتشف الشَّاب بقيَّة المذاهب الإسلاميَّة حتى ينتابه الشُّعور بالشك فيما نشأ عليه.
مع ثقة ساذجة في النِّظام تحت عذر المصلحة، ويكذبون على ولاة الأمور...!
إذا أردت أن تعرف توجُّه اي نظام فانظر في مؤسَّسات صناعة الرَّاي كوسائل إعلامه الرَّسمية، من يقودها، وخاصَّة وسائل التَّرفيه،فإنَّ صناعة الرَّأي وتزييف الوعي في هذا العصر مهمَّة الترفيه: التلفزيون والسينما وبرنامج الترفيه.
لا جديد ممَّا يحدث في السعودية لم يحدث في الدَّول العربيَّة الأخرى فقط الاحتكاك بالحضارة الغربيَّة بدأ متأخِّرا.
عندما تدرس حالة لا تنظر إليها الآن فقد تكون موروثة من الصَّعب التَّنصُّل عليها كلِّيَّة، ولكن انظر إلى أين تتجه..

مرمطة الهيئات الدِّينيَّة..!

لن تجد أحسن من مؤسَّسات دينيَّة قبل أعضاؤها المنصب تحت شروطه تقدِّمها كقربان لطائفة كبيرة من المجتمع ربتها مجموعة MBC تتوق لحياة اجتماعيَّة متحررة.. ؟

وللعالم الغربي لتقول: إنِّي على خطاكم، فكيف نفسِّر قيام ممثل المملكة الدائم في الأمم المتحدة ليعلن القرار أمام العالم، ويبدأ التَّصفيق... إلَّا أنَّه أراد أن يقول :انتصر النُّور على الظلامية..!

لا يتعلَّق الأمر بالمسألة من وجه فقهي، ولكن كحدث سياسيٍّ دُفع فيه أعضاء الهيئة العلميَّة إلى الدِّفاع عن موقف ضعيف بدون حجَّة شرعيَّة إلَّا الغلو في سدِّ ذرائع متوهمة كمًّا وكيفا، في مسابقة عض أصابع مع التغريبيين..؟

ثمَّ تأتي الدَّولة لتضحي بمن يُمثِّل عندها الدِّين الرَّسمي.

وهكذا من تحريم الفديو والصُّورة إلى اباحته، إلى هذه المسألة، إلى مسائل أخرى كاختلاف الموقف بين أفغانستان والعراق.

سيكون لهذه الضَّربة تردُّدات كثيرة، لكن صراحة المشكل ليس في قرار الملك ولكن في الهيئة التي بدأت خاسرة.

وحان الوقت لتلتحق بالأزهر وسائر المؤسسات الدينية الرسميةفي، فهذا ما يجنبه التشدد وعدم الاستشراف.

مركزيَّة السعودية..؟

لا أقصد مركزيتها كمنتج للنفط ولكن كمركز تأثير دينيٍّ في العالم، فهذا أمر لا ينكر.

هناك صنفان من السَّلفيين يحبُّون هذا التَّأثير الدِّينيَّ لها:

1_ المداخلة ،وهؤلاء يحبُّون الدَّولة السعودية كدولة لأنَّ قياداتهم العلميَّة فيها.

وهذا الصِّنف شديد التَّعلْ ُق بالقوالب اللَّفظية على حساب المعاني، لذا صار من الدِّين عنده الدِّفاع عن الدَّولة السعودية بغضِّ النَّظر عن اية صفة أخرى.

2_ وهناك صنف يحبُّ المذهب النَّجدي ويتوافق معه لكن يبغض الدَّولة.

وبعيدا عن المسألة العلميَّة في حدِّ ذاتها والتصويب والتخطئة لا يرى هذا الصِّنف الثَّاني انَّ مشكلة السعودية هي الغلوُّ والتَّشدُّد، بل يعيب عليها التراخي في فرض بعض الأحكام.

وممكن فيه صنف ثالث يحبُّها لأسباب أخرى.
وعليه يجب أن نبحث تاريخيا عن أسباب انزواء هذا المذهب من قبل في ركن من جزيرة العرب.
لأنَّ نفس الأسباب تتكرَّر اليوم، ولا يمكن الدَّولة السعودية إذا واكبت النِّظام العالمي الَّا أن تبتعد عنه، وتحجِّمه.
وقد بدأت العمليَّة من مدَّة بحيث نجد مقدِّماتها في بعض مراكز البحث، لذا سيعود إلى زاويته السَّابقة.
ولن تنفع مواقف بعض الشُّيوخ لأنَّه لا نفاذ لكلمة لم تقنع السَّواد الأعظم الذي يرى أنَّ هذا المذهب متشدد، و يتناقض مع متطلبات دولة المواطنة.
لهذا مهما كانت الإجراءات التي ستعلنها الدَّولة سيصطف معها.
السُّؤال هنا :هل الدِّين المطالب به، متاح ممكن في المجتمع السعودي الحالي..؟
هذا الاهتمام الزائد بما يجري في السعودية يدل على مركزيتها، كما يدل في الوقت نفسه انَّها ستمرُّ على نفس ما مرَّت به الدُّول العربيَّة الأخرى لما اتَّصلت بالحضارة الغربيَّة.
إن لم نفهم أنَّ كلَّ هذا نتيجة للانفتاح على الثقافة الغربيَّة بدأ بالدَّولة العثمانية ومصر، وسيختم الحلقة بالسعودية، فنحن نتحدَّث في فراغ.

عبثية المفهوم..!
الحقائق السِّياسيَّة والاجتماعيَّة لا تنبثق بالفجأة والصُّدفة، ولا تفسِّرها البيولوجيا ولا الأماني كما يقول علماء الاجتماعيات.
فإذا كان كلُّ وضع له بالضَّرورة سبب سبقه وعنه نتج ،علمناه أو لم نعلمه فإنَّ التحوُّلات التي تحدث في السعودية كانت متوقعة من مدَّة طويلة.
والحقائق ماثلة أمام الأعين ليست مخفية عنَّا لكن بعض النَّاس لا يجد حاجة إلى الفهم، ويريد أن تستمر حالة التَّخدير التي كان يعيش فيها...!
الواقع ليس حقائق معقَّدة جداً لتعرف إلى أين تتجه سفينة الشُّعوب والدُّول.
المشكل عند من يحنُّ إلى سنوات ماضية أنَّ الواقع الحالي (الحاضر) عرَّى تلك السَّنوات الماضية، ويقدِّم لنا نظرة عليها أكثر دقَّة، فصدمنا بالنَّقائص التي كنَّا نحسبها

كمالا وفضيلة.
لذلك أقول : مهما طال أمد الفهم الفاسد للدِّين فإنَّه ينكشف ويرتدُّ على نفسه.
تحديد المسئولية هنا ليس شماتة في مسلم، ولكن لاستخلاص العبر. لذا يجب أن نسأل : بالنِّسبة لكلِّ شخص كان يرى السعودية النموذج الإسلاميَّ الأمثل في هذا العصر، فاصلا الرَّبط بين موروث دينيٍّ وأعراف اجتماعيَّة، وبين الحالة السِّياسيَّة الدَّاخليَّة والخارجيَّة في عقيدة سببية دونكشوطية :ما سبب هذا التَّراجع..؟
لماذا لم يتم المحافظة على تلك الحال التي أنت معجب بها، هل بلغت الكمال فوجب أن تنزل..؟
ام انَّك لم تنتبه إلى التَّصورات الدِّينيَّة الفاسدة التي غطَّت عليها التَّصورات الصَّحيحة، ومن ثمَّ انت أعمى عن مسئولية الخطاب الدِّينيِّ في كلِّ ما يحصل...؟
افهم يا هذا أنَّ ما يحدث هو إعلام بفشل بعض المفاهيم الدِّينيَّة كافكار، تصورات، مذاهب، تيَّارات اتِّجاهات، وأنَّها في عصر عجزت عن فهم أزرار التَّحكُّم في واقعه وحقائقه.
وكون العلمانية الجزئيَّة
أو الكلِّيَّة فاسدة عندنا لا يعني أنَّ تصوُّراتنا الدِّينيَّة لمعالجة الواقع الاجتماعيِّ والسِّياسيِّ والثقافي والحضاري صحيحة... هذه حقيقة عضَّ عليها.
الحقائق مرَّة، وأكثر مرارة منها عيشك في الوهم ورفضك الاعتراف بدروشتك و هشاشة فهمك للدين والدنيا.
زورقك على البر لا يبحر.

متى ننضج... ؟
سهلة مهلة : عندما نقبل نقد العلماء الذين نحبُّهم، والمذاهب التي نتبعها، ونتلقَّاه بصدر رحب، وعلى الأقلِّ لا نرفضه مبدئيا.
النُّضج_ كما يقال_ ليس فطرة أو غريزة تولد معنا، ولكنه شيئ يكتسب مع الوقت، والوقت هو الأستاذ الذي يعلِّمنا في كلِّ يوم.

... وتغرق عقولنا في نقطة من التَّاريخ..!

أحوج عقول البشر اليوم إلى العمل بمبدأ : عدم التَّناقض والثالث المرفوع :حق /باطل_صواب /خطأ هي عقول المسلمين التي تجعل الشَّيء مرَّة صحيحا، ومرَّة باطلا بنفس الشُّروط ومن نفس الجهة...!
الشَّيئ في الشَّريعة إمَّا صواب عند المتقدِّمين والمتاخِّرين، وإمَّا خطأ وإن قام عذر المتقدِّم لاجتهاده وغرق المتأخِّر في هواه.
اختاروا القدم التي تقفون عليها فإنَّكم في عصر لا يقبل ولا يرحم الاضطراب.
مشكلة مسلمي اليوم أنَّهم يتحدَّثون عن التَّاريخ المشحون بالعاطفة كمن وصل المعركة متأخِّراً فيأمل أن تندلع من جديد..!
ولمَ لا تكون للحسن، وقد مدحه النَّبيُّ صلَّى اللَّه عليه وسلَّم لصنيعه في الأمَّة كاخيه الحسين_رضي الله عنهما_ذكرى ام انَّه سوَّد وجوه المؤمنين..؟!
النَّصُّ ثقيل على بعض النَّاس..!
لا تتبع الشِّيعة في تفريقهم بين سبطي النَّبيِّ صلَّى اللَّه عليه وسلَّم فأهل السُّنَّة لا يفرِّقون بينهما.
ولا تجعل الحديث عن الحسين في يوم عاشوراء واجهة لفقه سياسيٍّ لم يستقر بعد.

العلم والإصلاح... ؟
كما أنَّه ليس كلُّ العلماء نظَّار (مفكِّرين) كذلك ليس كلُّ العلماء مصلحين بالمعنى الإصطلاحي.
فهذا الاسم يطلق على من مارس الإصلاح الدِّينيَّ بالمفهوم الشَّامل بأبعاده الاجتماعيَّة والسِّياسيَّة ،ولا يقتصر على الإصلاح العلميِّ فقط.
وفي الصِّنفين خير ونفع، لكن في ظروف الانحطاط تحتاج الأمَّة إلى العلماء المصلحين أكثر من غيرهم.
...و ممَّا أفرزه العصر الحديث ~ بعدما كان الإصلاح حكراً على علماء الدِّين وأهل السُّلطان شرقا وغربا ~ بروز المثقف كمصلح سياسيٍّ وثقافي.
وهو شخصيْ َة عامَّة تتميَّز بالكتابة في كلِّ الموضوعات ذات الاهتمام العامِّ، وبالنشاط الإعلامي.
نجده أقلَّ تحفُّظا في مواقفه من العلماء، و أكثر انغماسا في قضايا المجتمع والسِّياسة.

لغته العلوم الانسانية، واستثمار حوادث الواقع ويضيف عليه العلماني تكبير فجوات الخطاب الديني، أو ما يقدر على تشويهه، يستغل الغرائز وتطلعات الناس
وهذا الدَّور " المثقف المصلح" هو الذي يتقمَّصه العلماني، ويعطيه أفضلية على العالم.

انتبه...!
الزُّهريْ ُ، وابن قتيبة ،وابن أبي الدُّنيا وغيرهم كثير ، علماء أكبر و أجلُّ من كلِّ العلماء المعاصرين، ومع ذلك انتُقِدوا على صِلاتهم بالسَّلاطين.
أن تكون في تماسٍ مع السُّلطة ليس ذنبا، بل فيه إيجابيَّات، وليس من الضْ َروري أن يكون الجميع في الهامش.
لكن.. بشرط أن تساند من في الهامش لأنَّه يستطيع أن يقول ما لا تستطيعه ، و أن لا تميل ميلًا أكثر مما تستلزمه قوَّة الضَّغط .

انتبه... (2)
الشَّخصيَّة التي يمكنها مقارنة الحكَّام ،وتحفظ دينها في حدود المعقول... المعقول... المعقول لها أوصاف مخصوصة، لا تتوفَّر في كثير ممَّن اختار تعنيفهم في نقده.
بعض سلاطين الأمس أكثر تجبُّرا وفسادا من بعض حكَّام اليوم، فقط لم يعرفوا العلمانية..؟
كان منهم سفَّاحون يقتلون بالظَّنِّ والهوى..!
و منبطحون للتتر، و للصَّليبيين شرقا وغربا..!
وكان منهم آكَّلو المكس، وجامعو الضرائب على الخمر والزِّنا..!
فاحذر في المقارنة، لا تغرق في اعتبار وضع لم يكونوا يملكون حرِّيْ َة اختيار غيره.
بعض النَّاس يبزق في مرق هذا الحاكم، ويحتسي حريرة حاكم آخر في شكل جمعية أو منظمَّة..!؟
المشكل عندنا _ دائما_في فرض رؤية واحدة عندما تكون هناك رؤيتان... ؟!
إذا كنَّا سندور بين "مداخلة" داخل القصر، و"مخارجة" خارجه فلتهنأ مدام

اللاماركيز بطول العمر...!

الفقه السِّياسيُّ عند الإسلاميِّين..!!

عيب المشماش جبره الخوخ وعيب التفاح جبره البوعويدة..!

من يؤصِّل للثَّورة يجد أمامه النُّصوص النَّاهية فيحتاج إلى تكفير الحاكم المعاصر حتى لا تتناوله تلك النُّصوص ... ؟

والمشكلة أنَّ النُّصوص فصَّلت العلاقة بالحكَّام في حال كونهم ظلمة، ولم تشر عندما يكونون كفرة، فذكرت الأخفَّ وتركت الأغلظ..؟!

وهل يذكر النَّبيُّ صلَّى اللَّه عليه وسلَّم الأئمَّة و أنظمة الحكم إلى قيام السَّاعة، ولا يذكر هذا النَّوع من الحكَّام...؟

والمشكل هنا أنَّه قد لا يفرْ ِق بين القول والقائل، ويعزل المسألة عن سياقها الحضاري، فلا كفر الَّا في الحاكمية، وأمَّا العقائد المحدثة في نظره فإمَّا هي كفر لكن يقيِّدها العذر بالجهل، وإمَّا هي كفر فيكفِّر الأمَّة حاكما ومحكوما...!

طيب الحكَّام كفرة وكذلك الأمَّة فماذا أنت صانع، هل ستهديهم.. ؟

وهل عقيدتك في المسألة عقيدة كلِّ المسلمين..؟

وإذا لم تكن فماذا سيكون الصِّراع إن نشب..؟

وكلَّما وجد في التَّاريخ مثالا عن رجل خرج على حاكم زمانه احتفل به، مع انَّ كلَّ من خرج_ آنذاك_ فمعللا بالظُّلم.. ؟

وبالتَّالي صار تأصيله متناقضا، إذ لو أجاز الخروج للظُّلم لم يبق للنُّصوص التي تأوَّلها في الكافر أية فائدة، والأحسن_في هذه الحال بحسب هذا المنطق_أن تترك السُّنَّة كلَّها إذا كنَّا نحتجُّ بها في باب، و نتَّخذها ظهريا في باب آخر..؟!

وعندما يحتفل بالحسين_ رضي الله عنه_ يغفل عمداً الحسن_ رضي الله عنه_ ويضرب عن موقف ابن عمر_ رضي الله عنهما_ مع أنَّه أجل من الحسين علماً وحالا، وقد كان ما نهاه عنه..... ؟!

وأمَّا المداخلة فأخذوا نصوصاً خاصَّة بحالة وعمَّموها على حالات مختلفة، وجعلوا اي شيئ يتعلَّق بالحاكم سلباً خروجا عليه..!

وليس في النُّصوص الَّا السَّيف فألحقوا به القلم واللِّسان، حتى جعلوا الإضراب

القانوني، والانضمام للنَّقابات لحفظ حقوق أهل الصِّناعات خروجا على الحاكم فقتلوا الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر، وزكُّوا سياسات مخاصمة للدِّين صراحة، وجاهدوا بكلِّ قوَّتهم لدوام الفساد واستمراره، فجعلوا الحاكم مقدَّساً، والدِّين مدافعا عن الظُّلم والفجور والنَّهب... الخ...!!

هذا هو الفقه السِّياسيُّ الإسلاميُّ منذ "صفِّين" يعجز عن بناء نظريَّة سياسيَّة واحدة مطردة لا تتناقض.

لا يمكن التَّناوب بين الشُّورى وغيرها، فإمَّا الشُّورى هي الأصل الصَّحيح إلى قيام السَّاعة، وكلُّ من تركها فقد أخطأ بدون استثناء أحد فتبرير الضَّرورة غير تصحيح المبدأ، وإمَّا الخروج، والتَّغلُّب، وهوى أهل الشَّوكة... ؟

فإمَّا نستقرُّ على الأصل القرآني البديهي: الشُّورى، ونعمل لأجله تاصيلًا ونشرا لثقافته في النَّاس وسياسةً، رافضين منكرين ايَّة طريقة أخرى، وإمَّا سنبقى في الحفرة لأنَّ من وجد عذرا للخروج على عثمان وعليٍّ وعمر بن عبد العزيز_رضي الله عنهم_لن يعدم للخروج على أصلح حكَّام هذا الزَّمن.

ادرسوا شوية هوبس عن الصِّراع الطَّبيعي بين البشر، ونقضه لنظريَّة أرسطو عن الإنسان :حيوان المدينة.

ليس كلُّ مجتهد لم يكن عنده هوى أو لم يقصِّر في اجتهاده.

الفقه السِّياسيُّ الإسلاميُّ المعاصر فوضى تدور بين نظريَّة استبداد مدخلية، ونظريَّة آناركية مخرجية، وهو يُنادي على العلمانية كما ينادي الصَّبي الذي اشتدَّ به ألم الجوع على امِّه..!

إن لم نعترف بأنَّ مصالح النَّاس ثقافيًّا تجاريًّا اجتماعيًّا سياسيًّا مختلفة متضاربة، و أنَّها تولِّد الصِّراع، إن لم نبن نظريَّة سياسيَّة قويمة ،تحوِّل الصِّراع الطَّبيعي إلى إدارة عقلانية ليصير تنافسا سلميًّا فلننتظر حكم القردة، أو العلمانية المتطرفة. !

من لم يفهم أننا دعوة في بيئة انهيار حضاري شامل انهار فيها العقل الحاضن والضمير والنفس والعقيدة والأخلاق قبل القانون فسيجرب مائة فكرة ثم يعض ذيله.

لا خير في أمة تلعن سلفها الذين أخذت عنهم كل دينها لأجل نظرية سياسية، فانتظر أن تبول عليها الخنازير!

السياسة بين الأمس و اليوم.

جوابا على تعليق الأخ أحمد زايدي.

المجتمع القائم على العصبة الذين بُنيت عليه الدَّولة القديمة بعد الخلافة الرَّاشدة، والتي حدَّدت توجُّهات الفقه السِّياسيِّ بحيث أصبح أكثره نظريًّا انتهت.

لقد تكلَّم الفقهاء عن أهل الحل والعقد، وأهل الشُّوري، واعتبروا أنفسهم جزءاً منهم،

لكن في أيِّ دولة بعد الرَّاشدين استشير الفقهاء في تعيين حاكم أو خلعه...؟

السِّياسة الآن كلُّ الأفعال الحاصلة أو المتوقعة من دولة ،أو مؤسَّسة أو تنظيم، أو حزب، أو فرد ،من أجل الوصول / المحافظة على إدارة الدَّولة (السُّلطة)

ويا ليت طلبة العلم اهتمُّوا بها على أساس أنَّها مجموع الخطاب والأفكار التي موضوعها تنظيم السُّلطة، وتقييم أفعالها في مجالات الحياة المختلفة ،على الأقلِّ في التَّعليم.

ولو انَّنا استفدنا من العلوم الاجتماعيَّة لفهمنا انَّها أفعال البشر التَّي تتَّصل بنشوب الصِّراع، أو حسمه حول الصالح العامِّ لما انتشر فينا التَّصور السَّاذج انَّه يمكن أن توجد أمَّة هامدة، لا تضارب مصالح فيها دنيويَّة أو دينيَّة، يكون فيها المطلب الغريزي الآدمي للسَّعي نحو الحكم ميتا..!

ومتى منع الإسلام من التَّفكير في نظام حكم الأمثل..؟

وماهي مقاييس الحكم على صلاح مجتمع، هل هي الثراء ام كيفية معاملة الفقراء ام القيم الأخلاقية..؟

وهل يكمل الإنسان بدون عدالة وحرِّيَّة واستيفاء حقٍّ..؟

وإذا كانت السِّياسة علما إنسانيًّا أو شرعيًّا لا كما يعتقد بعض المتشرنعين فلا علم بدون الظَّفر بنظام مجموع، بطريقة منطقية ومدلل عليها، سواء كانت معرفة وصفية أو تفسيرية أو سبرية.

هل يؤثِّر عليَّ القانون الصادر، نشوب حرب، إغلاق سوق... الخ

فإن كان الجواب بنعم فكيف إذاً لا أهتم... ؟

المشكلة انَّنا لا نفرِّق بين مطلب الشَّريعة بعدم الاقتتال على الحكم والسَّعي للولاية، وبين الطَّبع الآدمي الذي يقود الى ذلك.

فالشَّريعة لم تنكر الطَّبع الآدمي بل نهيها يدلُّ على وجوده، وإذا نهت عنه فلأنَّها تعتمد على رادع الإيمان ووجود طرق شرعيَّة للوصول إلى السُّلطة لمن يستحقُّ أن يتولاها، هو الشُّورى واختيار المسلمين.

فلا هذا موجود ولا ذاك.

صراحة : لسنا في العير، ولا في النْفير، لا النُّصوص تمسَّكنا بها بعد فهم، بل ربطناها بعرف السَّلف الاجتماعيِّ.

ولا الواقع نظرنا فيه نظر عقلاء فعندما تصبح الضَّرورات العقليَّة و البديهيَّات، وشواهد الواقع تحتاج إلى نصٍّ تعرف الهاوية التي نحن فيها.

علم السياسة ،وعلم الاجتماع السياسي، وفلسفة السياسة مع ضوابط السياسية الشرعية علوم يطلبها الشرع لأنها تحقق مصلحة كبيرة، و الاعتناء بها ليس لعبا،فاياك وسوء الظن بها لأنه عدم وعي بمقاصد العلوم الشرعية التي من المفروض انك درستها.

دين أهل الحديث..؟

قال أبو بكر بن عيَّاش لجعفر الصَّادق : هذه الأحاديث التي تحدِّث بها : لها سند، أم شيئ سمعته في داركم أو أهلك..؟

قال جعفر الصَّادق : بل سمعتها في أهلي.

فقال أبو بكر بن عياش :فإنَّا لا نحدِّث إلَّا بسند.

وتبعه على هذه القاعدة أجلَّاء في الحديث.

نسمِّي صنيع ابي بكر بن عياش :موضوعيَّة، روح علميَّة، أمانة علميَّة، وهي كذلك يأبى الشِّيعة الرَّافضة أو الشِّيعة القعيدية الَّا اعتبار ذلك نصباً، ومعاداة لأهل البيت...!

نظريَّة الاحتواء المزدوج :صاحب شيطان الطَّاق..!

مشكلة الهوى مع النص..؟

إذا صح النص يلزمك أن تقف عنده أو توجهه بدليل معتبر، أما أن تهمله فكانك وطأت عليه بقدمك...!

وإذا كان ضعيفا فبين لنا نستبين معكم.

لا تخدع نفسك فلولا النصوص لعبدنا الحجارة وجمعنا لها الأقيسة العقلية والأمثال

والنظائر.
النص فوق الجميع لمن علمه لذا قد ينجو مخالفه ويغرق المبرر له على حساب النص.
وبدلا من تعظيم الرجال مهما كانوا عظم صاحب النص.
لا كسروية في الإسلام.

مكبح النَّص... ؟

الخروج بالسَّيف على الظَّلمة(أنا دقيق العبارة) خطأ لا يجوز بحكم الرَّسول.
وعندما يتعلق بالظلم النصوص صحيحة تحتاج لتجاوزها إلى تأويل الباطنية.
سواء فعله صحابيٌّ جليل، أو مسلم وضيع، لذا عليك أن تثبت أنَّ هذا الصَّحابي الجليل عرف النَّهي الشَّرعيَّ وخالفه، مثل ان يكون راويا لأحاديث النَّهي.
فهنا مبحث آخر نقدر على تفصيله.
ابتغ منهجا غير هذا فما المشكل في النُّصوص فإنَّ قائلها لا ينطق عن هوى، ولكن في عجزك عن إيجاد سبل أخرى، لعجزك عن إقناع السَّواد الأعظم.
إذا أعجبك موقف العزِّ بن عبد السَّلام وابن تيميَّة والمغيلي فإنَّهم لم يجرُّوا معهم عامَّة النَّاس.
ولا ادري كيف يزعم هؤلاء إمامة مالك والشَّافعي وابي حنيفة وأحمد في العقائد والأحكام مع طعنهم في أهل السُّنَّة تحت القول الخربان : النَّزعة الأموية، وهو متوجِّه لهؤلاء..؟!

موضوعيَّة حلال علينا حرام عليكم .. (!)

سؤال لدعاة دراسة التَّاريخ بموضوعيَّة، وكسر التَّقديس الزَّائف وتجاوز الموقف الأدبي، من أولئك الذين اختصروا تاريخ الإسلام في بني أميَّة، ومصائبه في أئمَّة السُّنَّة الذين ليسوا على هواهم السِّياسيِّ، ثقات في العقيدة والفقه وحفظ ونقل فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه، كذبة في رواية أحاديث عدم الخروج و أشياء أخرى سياسيَّة (!) ،لتفتح كلَّ الملفات بموضوعيَّة حقيقيَّة :
_ هل أهل البيت معصومون..؟
_ هل درستم تاريخهم السِّياسي..؟

_ هل أقاموا بعد تمكُّنهم دولة مبنيَّة على الشُّورى أم كلُّ دولهم في المشرق والمغرب وراثية كغيرهم..؟
_ من كان شيعتهم التي تحارب معهم : السُّنَّة ام الرَّافضة..؟
_ هل كانوا على عقيدة شيعتهم في الصَّحابة ام على عقيدة أهل السُّنَّة..؟
_ هل يوجد في الرَّافضة من أهل البيت..؟
_ ما الموقف من صنيع بني العبَّاس أبناء عمومتهم بهم ..؟
_ من أين استمدَّ أهل السُّنَّة والخوارج والمعتزلة الأوائل والمرئجة دينهم، في العقائد والأحكام، وكلِّ شيئ..؟
_ وهل الفضل في النَّسب =الفضل في الإيمان والعلم..؟
و دعونا من شرف النَّسب، والصَّلاة عليهم، وعدم ايذائهم، و إكرامهم تعظيما لصلتهم بالنَّبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم، فهذا حقٌّ لا ينكره صحيح الإيمان، ولكن نتحدَّث عن السِّياسة والملك، وتغذية حقِّ الحكم.
ارونا تنويركم وموضوعيَّتكم... ؟
لا كسروية في الإسلام، تعلَّم دينك ثمَّ تكلَّم..!
بعض النَّاس ممَّن خرَّب عقول شباب متعطش للإصلاح لا تجده موضوعيًّا إلَّا في العناوين، كقوله وهو كذَّاب : ننتقد أهل السُّنَّة كما ننتقد الشِّيعة لكنَّه ينتقد أهل السُّنَّة تفصيلًا، ويستروح في ذلك، وينتقد الشِّيعة مجملا ،وفي أشياء الشِّيعة أنفسهم ينتقدونها.. ؟!
لم يبق اليوم لا عليٌّ ولا معاوية، والكلُّ تحت حكم العلمانية.
محققِون زعموا... خلاصة تحقيقهم : بناء حضارة ونهضة بسبِّ معاوية ولعن يزيد...!
عقول عشَّشت فيها أمراض التَّاريخ.. .

بديهيَّات طالب العلم (2)
يخلط بعض النَّاس بين فضل النَّسب وبين فضل التَّعيين والتَّحقيق وفضل المظنَّة.
والفضل في العلم عندهم مساو للعصمة (!) والفضل في النَّسب مساو للعلم، وهذه آثار خلل التَّحصيل .

و الستة الذين اختارهم عمر لاختيار الخليفة بعده لم يكونوا أعلم الصَّحابة بكلِّ جزئيَّات الدِّين فقد كان بعض من كان خارج الستة أعلم بالتَّفسير أو القراءة أو الحلال والحرام أو الفرائض فعلمنا أنَّ الستة كان عندهم زيادة معرفة بالسِّياسة كما حقَّقه الطَّبري والحافظ.

وقد لا يعلم بعضهم أنَّ الحجَّة في النَّصِّ، وليس في فعل الصَّحابي إلَّا إن كان راوي الحديث، وحينئذ يدور الأمر بحسب قرائن خارجية على اعتبار رأيه أو روايته.

ومن الضَّعف العلمي في الأصول الجهل بأنَّ جل الصَّحابة فاتتهم نصوص حتى ألزمهم بالنَّبيِّ صلَّى اللَّه عليه وسلَّم كعمر بن الخطَّاب وعليٍّ وغيرهما.

و منهم من حضر النَّصَّ المنسوخ ولم يبلغه الناسخ، وهذا أمر بديهيٌّ فقد كانوا بشراً لهم حياة خاصَّة يتعذَّر أن يكونوا مع النَّبيِّ صلَّى اللَّه عليه وسلَّم في كلِّ دقيقة.

لكن مجموع السُّنَّة محفوظ عند مجموعه، وقد بلَّغوه احسن تبليغ.

وعليه فإنَّ الاستشهاد بفعل الصَّحابي بمجرَّده، وافتراض انَّه كان يعرف النَّصِّ وفاهم له بدون دليل رمي في عماية، يستحسن دراسة تاريخ التَّشريع والتَّدوين.

وأمَّا منهجية دراسة القضايا العلميَّة والأحداث التَّاريخيَّة فلا تكون بالتَّمسُّك بنصٍّ واحد وخنقه من عنقه بتحميله ما لا يحتمل، مثل : نصَّ الفئة الباغية، فهي لا تكون باغية الَّا بعد رفض الصُّلح ولم يجر الصُّلح، وقبله كانت طالبة بحقٍّ، منازعة فيه لكن النص سماها " باغية" فهي بدون شكٍّ باغية لكن في أي شيئ..(؟) في سؤالها القصاص أو رفضها الانصياع للخليفة الشَّرعيِّ حتى يسلِّم قتلة عثمان، وقد كان قتلته في جيش عليٍّ، بل كانوا أمراء فيه كالأشتر النَّخعي، ولم يكن الخليفة قادرا عليهم.

وكان زمن فتنة حتى حلف عليٌّ انَّه لم يشارك، ولم يحث على قتله. وعليٌّ نفسه سمَّي ما وقع " فتنة" وكذلك الصَّحابة المعتزلون، بل والنُّصوص.

وعليه تستلزم المنهجيَّة العلميَّة جمع النُّصوص كلِّها، وأوَّلها تلك التي احتجَّ بها المعتزلون كسعد بن أبي وقَّاص ومحمَّد بن مسلمة وعمران بن حصين، فإن رأى الباحث انَّها ضعيفة تكلَّم عن علتها ويُجيبه المخالف.

ثمَّ ينتقل إلى نصوص الفتنة نفسها ويبدأ بما ورد في قتل عثمان ظلما فإنَّ خبثاء الشِّيعة وجهَّال أهل السُّنَّة منهم من يبرِّر قتله، ومنهم من لا يعتد بالحادثة، وقد أخبر النَّبيُّ صلَّى اللَّه عليه وسلَّم أنَّه الباب الذي إذا كسِر وضع السَّيف في الأمَّة إلى قيام السَّاعة.

ثمَّ ينظر في حديث " تقتله الفئة الباغية"، ولا نفهمه بدون نصِّ قتال الخوارج، وانَّ أدنى الطَّائفيين إلى الحقِّ تقاتلهم مع نصِّ فضل الحسن في الصُّلح.
وبهذا نفهم انَّها كان فتنة، لا يتبيَّن فيها الحقُّ لكلِّ واحد، وانَّ حديث عمَّار ليس فيه أمر بالقتال كما يعلِّل به بعضهم ضمنيا.
وجيش عليٍّ قاتلوا لما لم يجب عليهم القتال ونكلوا لما وجب..؟
وبهذا نعرف أنَّ موقف أئمَّة السُّنَّة كعمر بن عبد العزيز بترك الخوض في فتنة الصَّحابة تظهر قيمته عندما نرى مناهج المتأخِّرين فيها.
لذا أقول : لا يخوض فيها ابتداءً من غير حاجة شرعيَّة الَّا سيئ الطَّوية فتَّان، ضالٌ عن سواء السَّبيل.
هذه هي القصْة: قف عند النُّصوص وأعط كلَّ ذي حقٍّ حقَّه، و إن بدا لك في النُّصوص علم لم يعرفه غيرك فاذكره، أمَّا إغفال مجموعها، أو التَّلبيس بواحد منها على عشرين فليس من العلم في شيئ.
قال مالك عن القرَّاء (العبَّاد) الذين حملوا السَّيف : لو طلبوا العلم لما حملوا السَّيف على الأمَّة..!
ولم يشهد التَّاريخ لسيف أعمل في الأمَّة أنَّه جاء بخير، وما دفع أهل السُّنَّة إلى الإجماع على عدم الخروج وهو إجماع متأخِّر فيه نزاع لكنه إجماع على النَّصِّ الَّا لما عاينوه من شرٍّ.
وكون بعض أئمَّة التَّابعين ترك الجمعة خلف الظَّلمة ليس فيه حجَّة لأحد لأنَّه خلاف النُّصوص وهكذا قس.

للمعلقين...

لا يمكن الرد على كل التعليقات لاختلاف مستوياتها وكثرتها لكن كونوا على يقين اني أجبتكم في كل منشور أنزلته إن انتبهتم؟!

اختلاف الرَّأي...؟

الادِّعاء :
بعيداً عن القناعات الشَّخصيَّة هناك آراء تُحترم_حتى لو لم نقتنع بها_لأنَّها صادرة

عن مآخذ نعرف أنَّ الذِّهن إن لم يكن متيقظا قرعته من غير استئذان.
وإن كنَّا نعرف كيف نوجِّهها ونخرج منها ننظر لها من خلال مكنات صاحبها لا مكنتنا نحن .
واقصد هنا رأي من أحاط بالقضيَّة المعيَّنة، ويعرف كيف يستخرج الدَّلالات، ويجمع النُّصوص ليستخرج منها الحكم الزَّائد.
وهناك آراء تافهة، أو مجرَّد خبط عشواء، كلام بدون تأصيل علميٍّ، عبارة عن نفاثات موتور، أو تخبُّطات من غير تحصيل، فهذه لا تحترم، لكن يحترم الشَّخص، إذ ذاك مبلغه من العلم وجهد نفسه.
وهناك آراء هي نفايات مريض يطلب شهرة، أو يُصفِّي حسابات فهذه لا تحترم، ولا يحترم صاحبها.
التَّأصيل :
يظهر اختلاف الآراء_كما يقول المختصون_أنَّ بعضها ليس مؤسَّسا، ومع ذلك فإنْ َ احترامها لا يستلزم الموافقة عليها.
لكن قد يكون احترامها حاجزا أمام السَّعي للحقيقة، لأنَّنا عندما نقبل أن يكون للنَّاس رأي مخالف لرأينا لا يجب أن يعني ذلك عدم معارضته.
وفي اللَّحظة التي يقول فيها الشَّخص : "هذا رأيي" فقد أعلن أنَّه لا يمكنه الذَّهاب معنا إلى أبعد ممَّا هو عليه.
وهنا يصبح هذا المبدأ عائقا أمام البحث عن الحقيقة، الذي يستلزم مراجعة القناعات.
إذاً عدم احترام الآراء ليس شرطا للبحث عن الحقيقة بشرط أن لا تكون الآراء متساوية، رأي عالم مع رأي قاصر، بحيث يجب أن نفرِّق بين الآراء التي لها قيمة علميَّة تستند على مجموع نصوص، وتوجَّه بمنطق ما يبدو منها معارضة، وتخلص إلى توليف معقول، وبين آراء مبنيَّة على مقدِّمات خاطئة، وعدم استقراء للنُّصوص والأحداث بكلِّ تفاصيلها وإهدار بعض النُّصوص لحساب أخرى، مع حسن أو سوء ظنٍّ مبالغ في شخصيَّات الأحداث، و إغفال عناصر البيئة والعرف.
يعني :موقف علميٌّ يعارضه موقف أدبي متدثر بشبح علم.
هنا نحن بين موقف أخلاقي اتِّجاه الحقيقة، وآخر اتِّجاه المخالف.
والخلاصة أنَّ احترام الرَّأي الآخر لا يجب أن يكون مجاملة زائفة تمنع من

الاعتراض على الرَّأي، وبالتَّالي البحث عن الحقيقة، والتي هي في حال النِّزاع_ في الغالب_ بين فضلاء الأمَّة كالصَّحابة مركَّبة متبعِّضة على الخصوم.
وهذه هي الحقيقة التي انتهى إليها عظماء الأمَّة، والتي ترفض العقول الضيّقة في النُّفوس المغبونة رؤيتها.

الأدب... قصَّة بعضهم..!

رجل يظنُّ نفسه فارساً في عالَم لم يعد يوجد فيه فرسان..!
ولا بد أن يصنع عدوًّا...!
يُبارز طاحونات الهواء...!
يطعن بحربته الرِّيح...!
.....ذاك دون كيشوط.. وكم يوجد منه عندنا..!
لأهلها فقط :
الأدب الرَّاقي الذي يرسم لك صورة الطَّبيعة البشريّة، و يفتح لك أقفال النَّفس، ينقلك على بساط الكلمات و أجنحة المشاعر المصوَّرة ببراعة إلى آفاق لم تقترح عليك الحياة رؤيتها، وتجارب لم تختبرها أكثر من ثلاث أسماء يتداولها (بعضهم).
"عزازيل" قصَّة الرَّاهب المصري هيبا أروع قصَّة امتزجت فيها طبيعة الإنسان الضَّعيفة أمام الجمال مع التَّديُّن والإيمان في زمن افول دين وظهور آخر، وصراعات الملوك والمصالح التي تصنع للشُّعوب مذاهبها، صراع الفلسفة مع الدِّين،صراع الآدمي مع الشيطان .
" الفحل الأسود" لجاك لندن.
سيد الأرض لهوك بنسون صراع الإيمان المسيحي مع المادية في آخر الزمان_ابنة اليهودي المتشرد_... تاجر البندقية لشكسبير ترسم أدق خطوط الشخصية اليهودية وعلاقتها بالربا_اوتيلو العربي الأسود في البندقية_الكوميدية الإلهية حيث يتناقض حب دانتي لابن رشد مع عقيدته المسيحية_الامال الكبرى لديكنز_ الأحمق لدستوفسكي_العجوز والبحر لهيمنجواي_القصر لكافكا_يوميات مجنون لو كسون_ الرجل بدون فضائل لموسول_ البحث عن الوقت الضائع لبروست_الحرب والسلام تولستوي... مئات الكتب.

فعليكم بالأدب الرَّاقي فإنَّه يرقِّق الطِّباع كما قال الشَّافعي.
وفي الأدب العالمي روائع تستحقُّ القراءة.

هشاشة الإنسان... (!)
سيأتي يوم على بعض النَّاس يقتلعون فيه أبواب الحديد التي وضعها حبُّ الدُّنيا على ضمائرهم، سيفجِّرون الأقفال التي تحبس قلوبهم... إن بقيت إنسانيَّتهم، وإلَّا فإنَّ الدَّواب تموت معها أسرارها.
سيتمنَّون لقاء ماضيهم، يبزقون عليه حتى يجفَّ ريقهم، يسبُّونه حتى يثملوا..!
لو كان الماضي رجلا كانوا سيقتلونه خنقا.. كانت لتكون جريمتهم الأخيرة..
لا تقلقوا ستلقونه في الجهة الأخرى..
آل زمانكم إلى خطِّ الزَّوال، سيحطُّ بكم العمر في أرض الوهن.
غلب عشقهم الحياة عشقهم للحقِّ... فصمتوا حتى نسوا وقع أصواتهم... وما يطمعون إلَّا في رمل الصَّحراء..!

وحش الجهل أرحم من وحش العلم.!
عندما نحصِّل بعض العلم نوقظ الوحش النائم في أعماقنا.. ألم تر أنَّ الحسد بين طلبة العلم أكثر من تحاسدهم وهم جهَّال .. ؟!
فالمصيبة الكبرى يا طالب العلم _ كما قيل_ ليس أن تجد وحشا ما ، ولكن أن تكتشف أنَّك أنت الوحش..!

أخي المبتلى ..
تأتي المصائب حيث لا تتوقَّعها، تحمل معها أوجاع كلِّ ما مضى من أخواتها.. لتعيد فتح جروح اندملت مشوَّهة ..
عندما تسدُّ باباً يفتح آخر ليسيل منك دم جديد..!
(لا يزال البلاء بالمؤمن حتى يلقى الله وليس عليه خطيئة).
... إنَّ الحياة و إن حرصت غرور..!

لا تقصد الباب الخطأ..

بعد أن تطوف على عقول البشر وتغوص في نفوسهم ، و تختبر مودتهم ستعجبك هذه الكلمة :

(لنقبل الآخر على أنَّه إنسان محدود ومتغيّر، ولنبحث عن السَّعادة عند اللَّه).

{ أَلاَّ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى، وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى} [النجم]

الحفظ أم الفهم..؟

عندما تنقل نتيجة أو حكما علميًّا مبنيًّا على الضَّرورة العقليَّة، أو اللُّغوية ،أو الشَّرعيَّة ،مثل : علم العقيدة، أو أصول الفقه... الخ مجرَّدة عن مقدِّماتها ينتقل هذا العلم من البرهانية إلى المتنية (يصبح متنا) ويصبح علماً قانونيا كما عندما تقرأ قانون العقوبات.

مع تسليمنا بصحَّة أحكامه وصلاح أهله، لا يمكنك المناظرة به مهما كانت درجة صدقه وصوابيته.

فإن تضمَّن نقل الأقوال بأسانيدها فهو يصلح للتَّوثيق فقط، وهذا ما جعل المدرسة السَّلفيَّة الأثرية ضعيفة منذ ظهور علم الكلام، وما تبعه من فلسفة.

وإذا صيغ بمصطلح خاصٍّ تحوَّل من كونه علماً عامًّا إلى علم خاصٍّ له لغته، ولا يفهمه إلَّا أهله.

وهنا إذا أردت الدَّعوة به فعليك أن تُعيده إلى لغته العامَّة فإن تعذَّر وامتنع فاعلم أنَّه علم خاصَّة لا يصلح لمخاطبة العوامِّ به.

وعليه فبدلا من تضييع وقتك في حفظ ما يصلح للتَّوثيق فقط احفظ طرق الوصول إلى نتائجه وكيفيَّة البرهنة، والَّا بكلمة واحدة من خصم مجادل تضيع محفوظاتك...!

🍃🍃🍃من قصد البحر استقل السّواقيا 🍃🍃🍃

تحوُّل الفضيلة إلى رذيلة... ؟!

دفاع المرء عمَّا يعتقده حقًا، وإن كان ذاتيًّا كلّيًّا أو جزئيًّا فضيلة.

وكونه مخطئا بالنِّسبة لنا قد يكون كذلك ذاتيًّا كلّيًّا أو جزئيًّا.

الموضوعيَّة بالنِّسبة له ولك هي عندما تفحصان أدلَّتكما بمواجهة مع دليل الآخر.

فمن كان منكما متجرِّداً منصفاً متمسِّكا بمنطق الاستدلال ،هو من يكون قوله حقًّا ذاتيًّا وموضوعيًّا.
وهنا فقط يصبح الدِّفاع عمَّا نعتقده حقًّا باطلا ،لا يغني عن الحقِّ الموضوعيِّ شيئًا.
{ وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ}.
لن نجيب اللَّه يوم القيامة كما نجيب بعضنا بعضاً في الدُنيا.
وموقف الإنسان قبل العرض على اللَّه سبحانه غير موقفه بعد العرض، هذه حقيقة كثيراً ما ننساها أثناء النِّقاش ..!
امَّا قبل ذلك فموقفكما فضيلة.
المشكل في الموقف قبل النِّقاش وبعده أن يكون أحد الأطراف مقصِّراً في آلة النَّظر وأدوات البحث، ولم يصل إلى قوَّة عقل وسلامة قلب يُسيطر بها على العادة فيعوِّض ذلك بالعناد، أو جحود الحقائق البديهيَّة.
وهذا إن لم يطالب بجزاء التَّقصير في الآخرة، يفوته فضل العيش في الدُّنيا بالحقِّ وللحقِّ.
هي نفسك وما تسموا إليه، وإنَّ لك يوماً ستتشهد فيه لك أو عليك.
❦و لم أر في عيوب النَّاس شيئًا ❧كنقص القادرين على التمام ❦
......

ورع القشِّ..!
إذا كان ما يضعك عند العباد يرفعك عند اللَّه فانعم بها ضعة.
بدون أحوال قلبية قد يُلقى ورعك في الحشِّ..

وإطراق طرف العين ليس بنافع ❁ ❁إذا كان طرف القلب ليس بمطرق
....

العلميُّ الجمعي في دراسة العلوم..؟
يذهب بعض السَّلفيِّين إلى ذمِّ علم أصول الفقه، والقدح به في الأشخاص (!) وهم أكثر

المعاصرين إهمالا له..؟
ولهذا الموقف سببان، كلٌّ واحد منهما يخبرك عن حجم الطَّامة عندما نفتقد إلى منهج علميٍّ جمعي ندرس به العلوم الإسلاميَّة في مجموعها كنظريَّة معرفية واحدة :
الأوَّل : أنَّه علم عقليٌّ ،القصد منه ضبط عمليَّة الاستدلال الخاصَّة بالأحكام، وتنظيم إجراءاتها ومراحلها، وذلك من خلال مجموع قواعد تردُّ الاستدلال إلى مصادر التَّلقِّي.
وهذا الاختصاص في أصول الفقه بالفقه وحده هو أحد عيوبه، إذ المفروض إذا كان النَّصُّ الشَّرعيُّ مادَّة واحدة في الأحكام والعقائد، ومصادر التَّلقِّي واحدة أن يكون مختصًّا بالنَّصِّ ومصادر التَّلقِّي في أيِّ مجال يتعلَّق بعلوم الشَّريعة..؟
المهمُّ أنَّ هؤلاء السَّلفيِّين ورثوا النَّظرة الأثرية من جمهور المحدثين، والمتمثِّلة في النُّفور من كلِّ ما هو عقليّ،على عقليَّتهم : كلُّ ما ليس فيه قال اللَّه، قال رسول اللَّه فليس بعلم موثوق..!!
الثَّاني : سببه أنَّ ائمتهمَّ أكثرهم من المحدثين لم يكتبوا في أصول الفقه، فلم ينتبهوا إلى أنَّ الفقهاء الأوائل الذين تكلَّموا في أصول الفقه كانوا حفاظَّ حديث مثل مالك والشَّافعي واللَّيث وأحمد وغيرهم، وهؤلاء لم يكونوا متكلْمة ولا متمذهبة.
و بدأ بعد مرحلة التَّدوين بقليل في الفترة التي ظهر فيها الفقه المذهبي استقلال الفنون المختلفة عن علوم الحديث.
فلما استفرد المتكلِّمون والمتمذهبون الاثريُّون والقياسيُّون بهذا العلم وقع هذا الشُّعور للسَّلفيِّين.
و المعضلة لا تتوقف هنا، بل هي أعمق فالعقل السَّلفيُّ [الأثري] عقل نقليٌّ بالمعنى الحرفي،لا يفرِّق بين المعقولات الضَّروريَّة ومطلق المعقولات.
ولهذا تجد شيوخهم يجعلون العقل تابعاً للنَّقل، يعني: تبعية فرع لأصل، وهذا ليس بصحيح، لأنَّ العقل الضَّروريَّ أصل كالسَّمع تماما، لكنه مستمد من النَّصِّ، أو يشير إليه النَّصُّ.
فالدَّليل الشَّرعيُّ قسمان: سمعيٌّ أو نقليٌّ ،وعقليٌّ ،يعني : أنَّ الدَّليل النَّقليَّ إن تعلَّق بما لا تدركه العقول استقلالا كان سمعيًّا محضا كبعض الصِّفات الخبريَّة ،هنا يكون العقل تابعا للسَّمع، يعني :يتمُّ الإدراك العقليْ بعد إخبار النَّقل، وبدونه استحال.

وإن تضمَّن ما يدركه العقل الضَّروريُّ مستقلا عن السَّمع، أو بإشارة منه فهو كذلك شرعيٌّ فكوننا نعلم بالنَّصِّ أنَّ اللَّه حيٌّ لا يعني : أنَّه لو لم يشر النَّصُّ إلى ذلك لم نعلمه، لأنَّ هذا مما يدركه العقل الضَّروريُّ.

فموقف السَّلفيِّين [الأثريين] في هذا خطأ.

ومن لم يعرف المعقولات يعجز بالضَّرورة عن استخراجها من النَّقل ولذا فهم كالمتكلِّمين جعلوا العقل في مقابل الشَّرع، فهم سواء وإن كانوا على طرفي نقيض.

هذا يقدِّم السَّمع مقصيا العقل المحض ،وذاك يقدِّم العقل مقصيا السَّمع...!

العقل السَّلفيُّ الأثري ينقصه التَّحليل بالمقاربة الدَّاخليَّة والخارجيَّة فلا ينظر في تاريخيَّة العلوم لغياب منهج دراسة المجموع.

وهذا ليس خاصًّا بهم فلحدِّ الآن لا تملك الأمَّة هذا المنهج، وإن كانت أجزاء منه مبثوثة بين طيَّات الكتب، ويلزمك عقل وثقافة ابن تيميَّة اوابن حزم لتحلِّل وتدرس المجموع بمنهج واحد.

نعم عندنا مناهج علميَّة لكنَّها لدراسة علوم فردية أمَّا دراسة المجموع بمنهج واحد فلا.

و أقربها لهذا هو أصول الفقه غير أنَّه قاصر بسبب هوس الفقهاء بالفقه، والمتكلِّمين بعلم الكلام وهذان الصِّنفان هم من استأنف أعمال المؤسِّسين له من طبقة مالك والشَّافعي، وسارا به إلى الوجهة الموجود عليها إلى اليوم.

في الخلاصة : بأيِّ علم ندرس العلوم الإسلاميَّة كوحدة معرفية تنظر داخل كلِّ علم وخارجه، وارتباطه بغيره تاريخيًّا ،ومن حيث المبادئ العلميَّة التي يقوم عليها.

والسَّلفيَّة الأثرية مع العقل في هذا الزْ َمن على قول القائل : أنا الغريق فما خوفي من البلل..!

المقصود ب_" السَّلفيَّة الأثرية "المستنكفة عن التَّدليل العقليِّ لا المتَّبعة الآثار فبهذا المعنى كلُّهم أصحاب منهج أثري.

التَّسلسل في الآثار..ونياشين النَّصر..!

إذا أردت دراسة التَّسلسل في الماضي وفي المستقبل, ومشكلة الارتداد إلى ما لا نهاية فادرس تسلسل الرُّدود عند طلبة العلم (!) على جزئيَّات مجهرية... ؟!

واكتشف مصدر هذا التَّسلسل : العقل الخربان ،والنَّفس الموبوؤة التي تريد أن يبق كلامها آخر الكلام كعلامة لديها على حسم الخلاف، وكنياشين على النَّصر ...!
عندما يكون الكلام صحيحاً تكفي قطرة منه، وعندما يكون فاسداً لا يغيِّر نتنه البحر المحيط.

و أفضل قسم اللّه للمرء عقله ✿✿فليس من الأشياء شيء يقاربه
إذا أكمل الرَّحمن عقله ✿✿فقد كملت أخلاقه و مآربه
....

أصول الأنظار و أصول الوقائع..؟

يكثر في كتب أصول الفقه خاصَّة ذات الخلفية الكلاميَّة التَّعليلات النَّظريَّة، فإنَّهم يضعون القاعدة على عاداتهم في تقسيم كلِّ شيئ ولما لا يكون التَّقسيم دقيقا، وتنشأ حالات واقعية لا يستوعبها التْـَقسيم يهرعون إلى الإمكان الذِّهني اللُّغوي لحل الإشكال وضمان سلامة تقسيمهم.
فمثلا قسَّموا العلماء إلى مجتهد مطلق ومقلِّد، لكنَّهم وجدوا في الواقع العمليِّ علماء قامت دون كلامهم في أغلب مسائل الأحكام موانع مختلفة، قد تكون اهتمام بعلم آخر، أو انشغال، أو أصلا عدم رغبة لكنَّهم يملكون مقوِّمات الاجتهاد والاستنباط فجعلوهم قسما ثالثا سمُّوه المجتهد المقيَّد وزعموا تنظيراً انَّه مقلِّد لصاحب المذهب في الأصول و إن خالفه في الفروع... ؟!
وهذا عين التَّناقض إذ أنَّه لا يستطيع مخالفته في فرع الَّا اذا خالفه في الأصل ،سواء في إعماله وهنا تدخل قواعد أصوليَّة فرعيَّة قادت إلى المخالفة.
أو يخالفه في ترتيب الأصل ضمن الأصول الأخرى، أو بأصل آخر.
ما يذكر في أصول الفقه من تقسيمات لتعليل الأحوال الواقعية للعلماء أكثره أجوبة مضايق القصد منها إزالة التَّعارض أو الأشكال على القاعدة الأم التي وضعوها.
فنسبيَّة الاجتهاد كما تكون في الفروع تكون في الأصول ،إذ الاجتهاد كعمل عقليٍّ لا يتجزَّأ على مجال دون مجال.
وما الذي يمنع مخالفة أصل الإمام..جدار برلين أم أنَّه أصل منزَّل من عند اللّه...؟!

وإنَّك لتستخرج الفهم منهم كأنَّك تقتلعه من جوف صخرة..!

.....

أخبار واقعنا...!

عندما تنظر في المسلم المعاصر، فتقابل بين التَّاريخ والقيم، و الأمل والمستقبل، العمل ومنتوجه، الأيديولوجيات وحقيقتها تصفعك فكرة هذا الإنسان نفسه، ينسخ الرداءة والانحطاط، جوهر إنسانيَّته مفقود، فارغ بدون محتوى، وتاريخه بدون غد..!

ثم تسأل لماذا كل هذه الكوارث بدون مخرج..؟

فتدرك حينها شيخوخة هذا النموذج وانتهاء صلاحيته.

نحتاج اليوم إلى مفكِّر لا نموذجي Atypique يمارس النَّقد بدون منظومة فكريَّة حقيقيَّة لأنَّ المنظومات أصبحت سجنا.

ينتقد الحداثة الغربيَّة ككونها سقف الفكرة الأمثل كما ينتقد أوضاعنا لكن بنقاط ملحومة مع بعضها بعضا.

مفكْر يفرُّ من الأفكار المهيمنة المكرَّرة بدون تجديد إلى فكرة العمل، حيث يفكِّر في أشياء منظورة، ويغرف من وقائع تقاطعت مع تجربته.

يتكلَّم عن كلِّ ما نتنكر له، و نهمله ونخفيه، ليُسمع ما لا يسمع....

من مقال : << آخر أخبار الإنسان بدون دين وثقافة : ذكريات إنسان وسلوكيات قرد <<

هذا آخر مقال فقد فرغت الجعبة..... نلقاكم بعد أن نعيد التزوُّد، ونسجَّل خواطرنا.... ربَّما بعد أن نزور معرض الكتاب.

إضافة على منشور "تحول الفضيلة إلى رذيلة"

....

.. اتبع السُّنَّة... عضَّ عليها بالنَّواجد... الحقُّ أبلج... الخ

هذا الكلام حقٌّ من صاحب الشَّريعة لأنَّ قوله حقٌّ لفظا ومعنى.

امَّا منك فهو مجرَّد مقدِّمة شعرية ترفعه في وجه مخالفك، فأنت قد تقوله لفظا، والمعنى الذي تقصده أو تضعه عليه غير صحيح.

و بدون دليل معتبر يدرء المعارض من جعلك ممثلا للحقِّ...؟
منذ قرون والنِّزاع حول المراد يفتك بمذاهب عريقة في تأصيل نفسها، فتريد حسمه بهذه الشِّعارات... ؟!
لنفترض انَّك عند اللَّه صورة طبق الأصل لما تريده الشَّريعة، وأنَّك موقن بصوابيتك، يبقى هذا اليقين موقفا ذاتيًّا يحتاج إلى التَّدليل عليه بقوَّة الحجَّة، لأنَّ غيرك لا يعرف ما عند اللَّه بهذا الخصوص، ولا يهمُّه ما انت موقن به لأنَّه شعور ذاتيٌّ يملك مثله.
وعليه إمَّا تبقى الأمَّة على قاعدة : " كلُّ حزب بما لديهم فرحون" ، في ذيل الأمم... ؟!
وإمَّا تلتزم في نفسك بما تراه صواباً، وتلزم به من يطيعك، وتسعى دائما لمعرفة الرَّاجح فيما اختلفت فيه الأمَّة، وتدعو إليه غيرك بحجَّة صحيحة دون أن تعطِّل ما تحتاج إليه الأمَّة لاستئناف مسيرتها ورسالتها من التْ َعاون لبناء أمَّة يسودها السَّلام والإخاء والعدل، مع بقاء سنَّة التَّدافع الفكريِّ بعلم وأدب ،ودون مصادرة على المطلوب.
وقوله تعالى :{ فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنَّما يتبعون أهواءهم}
لا ينطبق عليك اخي الكريم حتى تكون ممَّن يجب تصديقه في كلِّ ما يُخبر به، ويُطاع في كلِّ ما يؤمر به...؟!
وهذا مقام النُّبوَّة الخاصِّ بمحمَّد صلَّى اللَّه عليه وسلَّم.
وعليه فليحذر من يستشهد على المسلمين بآيات القرآن التي تخبر عن صدق النَّبيِّ صلَّى اللَّه عليه وسلَّم في دعوته، فأنت لست في مقابل اليهود أو النَّصارى ولكن في مقابل مسلمين ينازعونك فهم المراد.
فاحذر فعل الخوارج ينزلون آيات نزلت في الكفَّار على المسلمين...!
عليك أن تفرِّق بين الحقيقة ومعيارها الدَّليل السَّالم من المعارضة المعتبرة، وبين اليقين الذي هو شعور ذاتي قد يكون حقاًّ وقد يكون وهماً.
والحقيقة متى تيقنت بها التزم بها وادعو إليها بدليلها، لا بقولك : أنا على حقّ..!
واخيراً : فرِّق بين ما يلزمك كفرد وجماعة خاصَّة في نفسكم، وما يلزمك اتِّجاه جماعة المسلمين، وهو ما يلزم كلَّ جماعة المسلمين مع بعضها بعضا من النِّقاش بعلم وأدب وأخوَّة حول الحقِّ المتنازع حوله، ومن التَّعاون على الحقِّ المشترك.

إذا فهمت هذا فكن متأكِّدا أنَّ حالنا سيتغيَّر بسرعة لا تتوقَّعها.
وإن لم تفهم فأنت تُعاين في كلِّ يوم حالك، وهو إلى أسوء..!

العلم لمن اتَّقى..؟

...... :

فرق كبير بين من يبدأ الطَّلب بالفقه، وكلُّ الفقه يعلِّم الحيل إلَّا لمن اتَّقى..(!)
أو بدأ بعلم الكلام، وكلُّه يعلِّم الجدال عن النَّفس، والتَّأويل لها إلَّا لمن اتَّقى... (!)
وبين من بدأ بتفسير القرآن... بإحياء علوم الدِّين.. الزَّواجر عن الكبائر.. رياض الصَّالحين...
تعرف الفرق عندما تنظر تحت العمامة..؟
قال محمَّد بن المنكدر عند الموت وقد جزع :أخشى آية من كتاب اللَّه عزَّ وجلَّ ،قوله عزَّ وجلَّ : { وبدا لهم من اللَّه ما لم يكونوا يحتسبون} .

....

تبخُّر القناعات..(؟)

المسلم المعاصر في وضع قطعة مطَّاط يتجاذبها طرفان...(!)
لأنَّه عصر يزداد فيه في كلِّ يوم عدد المعلومات، بوتيرة تجعله يشعر بالعجز عن مواكبة الأحداث المتغيِّرة المتجدِّدة بسرعة فائقة.
لأنَّه لم يعد قادراً على القبض إلَّا على المؤقَّت، لا شيء من القناعات صار نهائيا...؟!
لأسباب مختلفة كلُّ المسلَّمات وضِعت على طاولة البحث . .(؟)
هذا حال السَّاكن الذي لا يُحسِّن قناعاته بدوام الطَّلب، ويترك الفجوة بينه وبين البحوث العلميَّة الصَّادقة والمغرضة تكبر..؟
حال من يبني مسلَّماته بدون تموقع معرفيٍّ يسير فيه على خريطة معرفيَّة محدَّدة المبادئ، والاختيارات المعرفيَّة القاعدية واضحة.
والقادم أحلك...!

.....

بين الحياد والتَّحيُّز... (؟)

لا شكَّ أنَّ هناك آراء غير مريحة بالنِّسبة للرَّأي الشَّخصي لبعضنا.
لكن مع ذلك لابدَّ من طرحها لأنَّ نفس الحقِّ الذي تملكه، وهو أن يكون لك رأي، هو من يخوِّل الآخر انتقاد رأيك.
يتكلَّم كثير منَّا كقادة عمل دعويٍّ أو جماعة أو ربَّما ساسة.
لكنهم في الوقت نفسه يتقمَّصون عباءة الباحث عن الحقيقة، السْاعي خلف الرَّاجح، و الصَّحيح.
ومعلوم أنَّ العلم يتطلَّب الحياد عند التَّحليل، فالعالم يحتاج إلى الصْرامة المنهجية للوصول إلى هدفه، الذي هو إثبات الحقيقة ،إصابة المراد الشَّرعيِّ انطلاقاً من معطيات ووقائع ثمَّ بأدلَّة معترف بها علميًّا أنَّها صالحة.
لذا عندما تتكلَّم كطالب علم تحتاج إلى حياد مفصلي لتتوصل إلى فهم جذري للمسألة، فأنت هنا في دور أستاذ.
لذا وجب الفصل بين هذا الدَّور وبين كلامك عن إلتزامات ومواقفك السِّياسيْة، فهنا أنت في دور قائد، ملهم، صاحب قضيَّة... الخ.
نعم؛ يتكلَّم طالب العلم عن أمَّة أو مجتمع ينتمي إليه، وهو مواطن فيه، ملتزم بقضايا، وله مواقف شخصيَّة، ومدعو للمشاركة برأيه.
و ما الحاجة إلى العلم إن لم يساهم في تحسين المجتمع لكن اتِّخاذ موقف سياسيٍّ شيء، وتحليل الهياكل السِّياسيَّة والمذاهب الحزبية شيء آخر.
لذا يتوقع منك النَّاس عندما تتكلَّم أن لا تقسو على أحزابهم، و شخصياتهم المفضلة..!
ولو تقمَّصت الدَّورين معاً، في آنٍ واحد تفقد مصداقيك، لذلك يتوجب عليك الفصل.
فكون هذا التَّنظيم السِّياسيُّ قريبا من قيمك وآرائك السِّياسيَّة شيء يليق بك كرجل فعل سياسيٍّ.
ونقدك لمذهبه السِّياسيِّ ،و تحليلك لأفعاله السِّياسيَّة شيء آخر، لا يجب عليك أن تمزج بينهما فتفقد الموضوعية.
كما لا يجب على القارئ أن يلزمك بأحد الموقفين، فهذا يريدك محلِّلا محايداً في جميع الأحوال...؟ والآخر يريدك مناصراً مؤيِّداً في جميع الأحوال...؟
فعليك أن تبحث عن التَّوازن حتى لا تفقد مصداقيتك، ولا التزامك بقضاياك.

......

الثقافة تنفع... ماكس فيبر "العالم (الباحث) والسياسي ".

من سوى التَّجربانية يعيش في عقل المادِيَّة (المتأسلمة) ...؟!

لماذا يريدون قتل الفطرة..؟

الملفات الكاملة شرحاً ونقداً لمبادئ البراديجم عن مذاهب الإلحاد والشُّكوكيَّة :

_ المادِّيَّة معدن الإلحاد ونسف كذبة "مادِّيَّة مؤمنة".

_ الأدلَّة القطعية على إلحاد ماركس والماركسية لمن لا يعرف.

_ التَّجربانيَّة (الحسَّانية المتطرفة) وإنكار قبلية المعارف الأوَّليَّة والعلاقة مع المادِّيَّة والوجودية الجديدة :تشريح التَّناقضات.

_ هل كان ابن تيميَّة مادِّيًّا ،تجربانيًّا ،حسَّانيًّا... ؟!

_ وهل فعلا اللَّه مادَّة عنده، أو عند أحد المسلمين حتَّى المجسِّمة منهم...؟

المنهج : اجتناب الجدل بنصوص العلماء التي ملأت المقالات.

تجاوز الشُّبهات لجرِّ دلالة النُّصوص بتكلُّف وتشغيب نحو الطَّرح التَّجرباني المادِّي لأنَّها ذاتية التَّفنيد ،مجرَّد ألعاب لفظيَّة.

وكذا تأوُّل مذهب ابن تيميَّة الصَّريح بطرق سقطت في الحشوية..! لأنَّ نصوص الرَّجل واضحة صريحة وكثيرة جداً.

تجاوز المصادرات المذهبية، والقراءة المذهبية بكشف نقاط الالتقاء والافتراق بين المادِّيَّة و التَّجربانية، والإجابة عن سؤال :كيف يكون المادِّيُّ روحانيًّا.. ؟

تشخيص حالة هوبس (الإله المادَّة) بتعريف المادَّة.

وهل كلُّ حديث عن اللَّه افتراضي أو تحقيقي هو إيمان (تفصيل أنواع الإلحاد).

حالة لوك : الرُّوحانية ثنائية أم وحدوية مع التَّجربانية، وعدم التَّسامح مع الإلحاد، فهل كان فعلا مادِّيًّا..؟

وهل يكفي وحده مثالا عن مادِّيَّة مسيحية..؟

وعليه، ذهبنا مباشرةً إلى مناقشة أدلَّة أهل الشَّأن من التَّجربانيين الغربيين.

!..Et Que les pots d'argile s'entre-cassent

....

رجال قتلتهم عقولهم فأكلوا فطرتهم.. ؟!

تحت ظلال شجرة الاعتداد بالعقل الميتة جلس عبر التَّاريخ فضلاء عباقرة كثر:
منهم من كتب أروع ما كتب البشر عن المال مع فقره منه حتى مات ولده من قلَّة الطَّعام (!) مثل : ماركس، كتب "رأس المال" وهو أعظم مؤلَّف في بابه.
قضى حياته يحارب كلَّ أنواع إخضاع الإنسان حتى أدخل في ذلك خضوعه لله عزَّ وجلَّ، وزعم أنَّ صفات الله من اختراع الإنسان وأنَّها ليست إلَّا صورة لما يريد الإنسان أن يصبح عليه..!
وفي نهاية المطاف خضع أتباعه لفكرة لم يتعرَّف عليها عندهم فقال :لو كانت هذه هي الماركسية فلست ماركسيا..!
ومنهم :كنط مع انْ َِه كان عقلانيا يثبت المبادئ الفطرية لم ير الفطرة الَّا في الأخلاق، و كان يقول :شيئان يثيران لدى الإعجاب والخشية المستمرة : " السَّماء المرصَّعة بالنُّجوم فوقي وقانون أخلاقي في قلبي".
ثمَّ زعم أنَّه لا يمكن إثبات وجود اللَّه، ولا إثبات عدم وجوده...!
يقول من جهة : دور الوحي توجيه العقل، ومن جهة أخرى يقول : لا توجد علاقة اتِّصال بين اللَّه والإنسان...!
بحسب فلسفته فإنَّ اللَّه موجود لأنَّ من غيره وضع القانون الأخلاقي والمبادىء الأوَّليَّة في فطرة الإنسان لكن لا يمكن إثبات وجوده أو نفيه...!
وهكذا يثبت العقلاء أشياء لا يعملون بها، وينفون أخرى تعمل بها عقولهم يوميا..؟!
وقد يعملون بأشياء لا يدرون وجودها.
هؤلاء العقلاء الأذكياء يوجد منهم العشرات تعجبهم فكرة فيزيلون شيئا فشيئا ما يقف أمامها حتى لا يبقى فيهم الا تلك الفكرة.
وهكذا بدأ كنط مؤمنا وانتهى لا أدريا...!
وكذلك بدأ ماركس ثم فتنه بوير وفيرباخ وتجاوزهما إلى الأسوء..!
لذا لا ترد عقلك إلى أحد،فإنَّ الضائعين بعقولهم كثر، ولا ترتكز الَّا على الوحي.
واحذر العقل الناشئ في بيئة ملحدة أو متأثرة بالإلحاد فإنه في الغالب لا ينتج عنه إلا نوع جديد من الإلحاد.
لما نشأ ابن ملكةيهوديا في بيئة سنية لما أسلم كانت فلسفته متأثرة بيئته مناقضة لبيئة ابن سينا.

العاقل يتمسح، وهذا كثير عليه...
والجاهل المتعالم يتبجح، وهذا قليل عليه.
على الأقل يعرف العاقل أن الظفر بمنطق الدليل والحجة لا يكفي لفهم مذاهب الناس بدون الظفر بمنطق ديناميكية الاستدلال..!

تعليم الجهل..!
لم يمزق ابن تيمية الفلاسفة والمتكلمون كما مزَّقه أطفال السلفية...!!
عالم فذ، وعقل جبَّار، ومصلح عظيم انتسب له بعض فتية الجهل مع سوء الخلق.
إذا لم تكن المبادئ مشتركة فالنقاش مضيعة للوقت ،وزيادة في الخصومة،فكيف بالنِّقاش بدون ذرة مبدأ..!
و نصيحة قيلت لمن يعوزه الفهم : هناك عدة طرق للانتقال إلى الفعل ،السكوت إحداها.

تناقضات سلفيَّة البقالة..!
إذا كانت نفس المتكلِّم والقارئ سوية... إذا لم تكن هناك رغبة منافية لقصد الحقيقة تقف في الخلف.. فإنَّ أي نقاش، في أي موضوع يقربهما.
في بيئتنا لا نعرف ديناميكية الحقائق، فنحتاج من العلماء الذين نستشهد بهم أن لا يضمروا اية مقدِّمة بديهية ..!
بديهة تصور أو بديهة تصديق، بديهة محضة ام بديهة خاصة..!؟
عن أي علم نتكلَّم وقليل منَّا من يتكلَّم منشئا لتصوراته الخاصَّة المعبرة عن وعيه بالموضوع، يعني: إدراكه في نفسه، وفي علاقته بكلِّ ما يرتبط به.
اي علم وأكثرنا لا يتكلَّم الَّا ناقلا لكلام غيره، والنَّقل ليس إلَّا صورة جمدت على عبارات بدون دوافعها النَّفسية الادراكية.
عندما نتكلَّم منشئين للتَّصورات معتمدين على منطقية الاستدلال وحدها يمكننا أن نحسم فكرة في بضع كلمات، وحينئذ نخرج من الوصاية والمصادرة المذهبية.

لكن بعقلية النِّقاش بالنَّقل نحتاج إلى مئات مقالات ولا ينتهي الخلاف.
واقصد انَّنا لا نتكلَّم لتحقيق فكرة ولكن لتحقيق مذهب فلان وعلان وهذا الفلان عنده أطنان من الكلام بحسب المستفز له، ولا يمكنه أن يستحضر كلَّ اللوازم كلَّما تكلَّم في المسألة، فتأتي عقلية النِّقاش بالنَّقل والصراع حول التَّمثيل فتمزقةِّ اربا، كل طرف يرفع قطعة من كلام المنقول عنه...!
هل نحقِّق المسائل العلميْة من منظور الشَّرع والضَّرورات العقليَّة والواقعية أم نحقِّق مذهب ابن تيميَّة فيها...؟
وإذا فرضنا أنَّ مذهبه فيها هذا أو ذاك فماذا يثبت هذا.. ؟
هل يثبت أنَّ الشَّريعة، والحقيقة كحقيقة في أي مجال هي ما قاله ابن تيميَّة.. ؟!
تحقيق مذهب ابن تيميَّة قضيَّة ثانوية في تقرير الحقِّ الشَّرعيِّ، قد يتطلبها النِّقاش لكنها ليست الغاية منه.
هذه المسائل المختلف فيها هل هي مستقلَّة عن ابن تيميَّة أم مرتبطة به، ارتباط الحقيقة بالأدلَّة الشَّرعيَّة أو الضَّروريَّة .. ؟
نفهم أنَّه قد يفتح الطَّريق إليها، وقد يكون استدلاله فيها قويًّا لكن رغم كلِّ هذا يبقى مجرَّد وسيلة، فحتى مع الاستعانة بتقريراته فلتحقيق حكم الشَّرع ،ومعرفة الحقْ في نفسه، وليس تحقيقا لمذهبه..!
مدح بعض الفقهاء المناظرة وذكروا فوائدها (وفي حكمها ما يكتب اليوم على هذه المنصَّات) و يذكرنا هذا بمعنى كلمة قالها الغزالي ابو حامد مفادها : إذا كان عندك استعداد أن تناظر في الغابة حيث لا يراك ويسمعك الَّا اللَّه كما تحبُّها أمام الملوك..!
لولا الجمهور الجاهل، الملوك على ركام الجهل لما نطق جاهل واحد ،لكنَّنا في عهد الفراغ، و في المدينة الخبيثة، حيث جمهور المهرجانات...!
......

على بالك...؟

في غياب اتِّفاق على استخدام مصطلح (ما) في معنى محدَّد يجب أن تُحدِّد بنفسك المعنى الذي تعطيه لتلك الألفاظ.
وهكذا نقرأ كلامك بشكل صحيح.

نريده وطناً للإنسان أم عشًّا للثعابين...؟!

اليوم ذكرى كلِّ من قام بواجبه في سبيل اللَّه، ممَّن مضى أو لا يزال.

... لكن هذه كلمات لذكرى من عاشوا في وطني منسيين...

رحلوا...

لم يتركوا لنا الَّا الشَّرف الذي عاشوا به.

لذكرى الذي تعيش روحه في وطنه.

لذكرى من يسكن في الأقبية و تحت المجارير...!

لذكرى من لم يتركوا له إلَّا عظامه....!

لذكرى من لم ير من وطنه خيراً...

ولا يزال يحبُّ أرضه وسماءه... لذكرى من يرفض أن يكون فاسداً.

يرفض أن يكون وحشا يأكل بني جلدته ..!

لذكرى ذاك الذي يستفزُّ شرفه الرَّذيلة في قلوب الفجَّار .

لذكرى الذي يتألم في وطنه لكن لا ينهب ...

لا يخدع...

لا يبيع الفضيلة .

لذكرى من لا يطيق النَّظر إلى فشل وطنه، إلى تخلُّفه، إلى بؤس بعض أبناء وطنه .

الوطن ليس عَلَماً في مهب الرِّيح. ليس أنشودة تطيح بدمعة متحجرة.

ليس الهتافُ للعبة.

ليس ذكرى غشَّها الحاضر .

ليس تاريخاً لرجال الماضي بدون كرامة رجال الحاضر.

. الوطن شرفٌ...

عَرقٌ من أجل لقمة حلال.

خدمةٌ بلا مقابل.

حبٌّ لمن يعيش فيه.

شفقة على صغيره وكبيره.

سؤدد يُراد له.

الوطن عدل و ضمير حيٌ..

... والذكرى مناسبة لتنتقل القيم من جيل إلى جيل، وليس ليبيس جيل على الكراسي.

احفظ أعمالك المهمَّة .. ؟

قال محمَّد بن واسع : إن كان الرَّجل ليبكي عشرين سنة وامرأته معه لا تعلم..!
... ابن الجوزي؛ صفة الصفوة
ذهب الرِّجال بالجوائز.. وبقينا بمسخ التقنية. ..

لا شيئ من وراء... إلَّا العلم

بعض طلبة العلم مقاربتهم في تناول قضيَّة علميَّة غير مفصحة عن منهج هذه المقاربة، ينقصهم نوع من الدقَّة الَمفهومية المنهجية.
تلاحظ في ثنايا كلامهم أنَّهم لأسباب ما _ ربَّما ثقافوية _ اضطروا إلى اتِّخاذ اختيارات ذاتيَّة دفعتهم إلى توجيه النْصوص أو كلام العلماء في اتِّجاه تلك الاختيارات.
وهذا أمر داخليٌّ في الإنسان عادي، فقط من المهمِّ أن يكون واعيا بها، يتحمَّلها ويتكفل بها، لا ينكرها.
فيمكنك أن تجري بحثاً بالرُّجوع إلى مذهب فكري معترف به، فقط لا تجعل منتجاته منهجا لعلماء لا علاقة لهم به، إلَّا فى حدود تقاطع بعض تلك المنتجات.
فهذه مقاربة أيديولوجية ،ونحن في وضع ابتسمولوجي نبحث أدوات إنتاج الفكر لا في المنتجات نفسها.
و عندما نجد العالم كابن تيميَّة يفرِّق بين فطرة الإسلام وفطرة الخلق.
"فطرة الإسلام" عنده هي : السَّلامة من الاعتقادات الباطلة والقبول للعقائد الصَّحيحة، وكون فطرة الإسلام استعدادا وقبولا، لا يعني قدرة مجردة عن تأثير، لأن الاستعداد لا بد أن يكون بمواد، أن يكون شيئا ليس مجرد فراغ.
فهذا الاستعداد والقبول يخصها في جانبها العقلي الذهني، وليس في جانبها العقلي الشعوري حيث تكون إقرارا بالربوبية ومحبة وإرادة، وليس مجرد استعداد.
فالاستعداد هو أنه من جهة فطرة العقل المجرد إذا تركت على أصلها تقبل الاعتقاد الصحيح وترفض الاعتقاد الباطل،وهذا وجه واحد للعقل لابد من الانتباه لوجهه الآخر

العقل بمعنى القلب (العقل مع باطن النفس).
لهذا لا بد من الانتباه إلى التدقيق التيمي.
فالمسألة عنده واسعة ودقيقة جدا، تحتاج إلى قراءة تحليلة لمشروع فكري وليس الا قراءة مطالعة.
فهذا يعني أنَّه يفرِّق بين معرفة أوليَّة خاصَّة بالإسلام، وبين معرفة في شكل مبادئ مطلقة وقوى متمثلة في بناء عقلي تسمح بالتَّعقل، و بفهم العالم الخارجي.
وعندما يدور مذهبه عن الحسِّ حول استحالة إدراك جزئيَّات العالم المحسوس متعينة بدون الإحساس نعلم أنَّ هذا جانب واحد من العقل، الجانب الذي يبقينا متَّصلين بالعالم الخارجي متنبهين _ كما يقول برغسون _ لكن هناك جانب آخر هو علاقة داخليَّة راسخة مع النَّفس، وهو ما يجعل معرفة ذاتيَّة عن إرادة اللَّه وحبِّه ممكنة بدون أي سبب خارجي.
العلاقة بين العقل _ حتى وإن اعترفوا بأنَّ قواه وبناءته فطرية _ ليست علاقة تماثل ولا مساواة مع الحسِّ.
فما يَبنيه العقل مما يتلقَّاه من الحسِّ من تصورات ومفاهيم أكبر بكثير من المواد التي يتلقاها من الحسِّ.
قد تبدو بعض المذاهب الفكرية بالنِّسبة لأنصارها كبناء جميل متناسق لكنها في الحقيقة تتضمَّن بعض الآراء المؤقتة، مقدِّمات أوليَّة بسيطة جداً، تستخلص منها نتائج عظيمة خطيرة...!
لابدَّ من البحث في مركز المسألة : (كيف تتمُّ عمليَّة التَّعقل)،وليس فقط، ولكن كذلك (هل التَّعقل نفسه عمليَّة فطرية؟) بمعنى إذا كان الاستدلال عمليَّة نظريَّة فإنَّ طلب الاستدلال فطرة في جميع البشر.
وهذا ما سنبحثه في المقال القادم إن شاء اللَّه تعالى، فقد جمعت بذور هذه المسألة عند ابن تيميَّة رحمه اللَّه.
و وجدت أنَّ الفطرة عنده هي علميَّة وعمليَّة، وهي ما يتعقَّل ويتفقَّه به الإنسان، والعلم باللَّه يكون بالفطرة العامَّة المشتركة بين الخلق، وهذه فطرة الإسلام، وبالهداية الخاصَّة بالمؤمنين، وبالتَّعريف الخاصِّ بالمؤمنين وبالوحي.
و التَّعقل فعل من جملة أفعال الإنسان، فيه جزء كبير آلي، موجود في كلِّ البشر حتى

ممَّن لا يعرف العمليَّة، لذا لا يجوز أن تكون مبادئ التَّعقل من العبد لأنَّ فعله لها حادث من الحوادث، لا يجوز أن يحدث نفسه، مثل مبادئ أي فعل إنساني.
فلا يجوز أن يحدث فعله بمبادئ فعله، لأنَّه يلزم أن تكون تلك المبادئ علَّة فعله ومعلولة فعله.
فالفطرة في الإنسان، في كلِّ شيئ (العقليَّة والنَّفسية والخلقية) هي الابتداء، وبهذا تكون الفطرة العقليَّة تناسبية مع البلوغ.
الفطرة عند ابن تيمية قوَّة وعلم، فالتَّعقل إذاً قوَّة (بناءات، هياكل عقليَّة) و علم (مبادئ عقليَّة أوليَّة مجرَّدة مطلقة) فكيف تقبل النَّفس التَّعلُّم لو لم تكن فيها قوَّة تقبل ذلك.
وكما سبق _ عن فطرة الإسلام _ يمكن أن تكون الذَّات كافية في حصول الإقرار بالصَّانع ومحبَّته والإخلاص له بدون سبب منفصل عنها.
إلى المقال الأصلي...

الاقتتات على التَّاريخ..!

......
يهمُّني التَّاريخ كمعرفة ،وفيها انظر في وضع الإنسان فيه بدون أن يكون شغلي الشاغل.
ما يشغلني هو وضع الإنسان في الحاضر.
ما عاد تاريخ الأنبياء فإنَّ استدعاء التَّاريخ يكون في الغالب لتبرير أوضاع الحاضر السيِّئة.
لذلك لا يستدعي من هذا غرضه الَّا التَّاريخ الذي يخدمه، كتاريخ برؤيته هو، ويهمل باقي التَّاريخ ،يقتطع منه مرحلة كأنَّها خرجت من العدم فظهرت فجأةً، لم تكن صيرورة لمراحل سابقة.
حقيقة الواقع المعاش لا يخبر عنها التِّاريخ ولكن الحاضر.
التَّاريخ من الماضي، والماضي دخل الوجود وخرج منه،ذهبت أفعاله وبقيت صور منه كذكرى فلم يبق إلَّا الحاضر الموجود، وهو أفعال، والمستقبل الموجود في العدم، وسيدخل الوجود،وهو أماني وآمال.

من التفت كثيراً للوراء قد يلتوي عنقه ويبقى في الوراء...!

نقاشٌ في مرحاض...!!!

كنت أظنُّ أنَّ شراسة جمهور السَّلفيين مع مخالفيهم تأتيهم من شعورهم بالاستعلاء بالحقِّ ،لأنَّ الوعي عندهم منفوخ بشعارات تجعلك تظنُّ أنَّك كنت واقفا على حافة الكون يوم بدأ الله خلقه..!

و أنَّك لا تحتاج في هذا العالم السُّفلي - بهذه الشِّعارات - إلَّا الاغتسال للجنَّة...!

لكنِّي اكتشفت أنَّها فيما بينهم أشدُّ فأدركت انَّ السَّلفية عند كبارهم منهج في معلف..!

وانَّه لا يطيب لهم الردُّ الَّا في كنيف...!

و سواء ناقشك هذا السَّلفيُّ بقال في "شرح السُّنَّة" ، أو تمعقل وتفلسف ،من الضَّروري عنده أن يسبُّك...!

إذا قلتَ لهم :قالت البديهة، قالوا لك: من زكَّاك... ؟

قلت: زكَّتني دودةٌ ... وحدثني هنديٌّ أحمر أنَّي في ضيافة سلفيٍّ أترك عقلي في البيت، و أستعدُّ للعضِّ.!

جدالٌ مع ظلي ..!

النَّقد الموجَّه للسَّلفيين لا يعني أنَّ غيرهم لا يوجد فيهم ما ينتقدون عليه..؟

بديهية يا ظلي...!

انتقاد السَّلفيين لا يعني انتقاد السَّلف..؟

بديهية يا ظلي...إلَّا إن وجدت في هذا العصر من صحب النَّبيَّ صلَّى الله عليه وسلَّم ،أو صحب أصحابه..!

يمكن أن تكون على عقيدة السَّلف ولا تكون سلفيًّا.. ؟

بديهية يا ظلي...فالسَّلف سلف جميع المسلمين، لا تحتاج لتقول حقًّا بدليله أن تضعه تحت اسم السَّلفيَّة..فالحقُّ يعرف بالأدلَّة الشَّرعية، لا بأسماء الفرق والجماعات، فليس من دورها إلَّا التَّمييز العرفي ...!

السَّلفيون أكثر النَّاس تعميماً لأحكامهم فإذا انتُقدوا بحقٍّ قالوا : " لا يجوز التَّعميم، التَّعميم حرام"..!

مع انَّك قد تكتب "جمهور السَّلفيين"، وان كان لفظ الجمهور يدلُّ عندك على الغالبية السَّاحقة...!؟

بديهية يا ظلي... فالبعير لا يرى إلَّا حدبة أخيه ...!

في الحقيقة قرأت وقرأت للسَّلفيين ،ولم أجد عندهم نقدا للتَّصوراتهم المعاصرة الغارقة في الأوهام، لم أجد إلَّا مناكفات حول أشخاص، حتى العلم الذي يتكلَّمون فيه فممَّا له علاقة بالحكم على الأشخاص.... ؟

لا تتحامل عليهم يا ظلي... هذا حال المدخلية فقط، وربَّما العلوم المختلفة عندهم هي حاليا مخطوط لم يطبع بعد...!

لا أظنُّ أنَّ الشرَّ محصور في السَّلفية المدخلية وحدها ...؟

بديهية يا ظلي... هناك مدخليات لا تتبع المدخلي...!

هذه لم أفهمها مع انِّي ذكي و أوتيت جدلا..؟

بسيطة يا ظلي... المدخلية منهج ،أليس هكذا يقولون..(؟) إذاً من وجد فيه هذا المنهج فهو مدخلي..!

وما هذا المنهج... إنِّي أراك لجوجا يبحث عن الشوارد... ؟

بسيطة يا ظلي... المدخلية ليست منهجا علميًّا كما اصطلح النَّاس على كلمة "منهج" ، بل هي إجراءات بوليسية وتدابير أمنية،و أفكار مشوهةَّ لإسقاط كلِّ متهم بالإصلاح، و قد يكون شخصا ، وقد يكون عملا في جمعية ، وقد يكون فكرة، وقد يكون عقلا...فكلُّ من خاصم هذه الأمور مدخلي قحٌّ...!

أعرف بعض فضلاء المداخلة علماً وخلقا ،وربَّما اتَّفق لي رؤية مثله في دواعش... ؟

لا تكذب يا ظلي...!

إنِّي لا أكذب..عاشرتهم وخبرتهم...؟

اذاً بسيطة يا ظلي.... هؤلاء غلبتهم تربية ذويهم، وهم صنف في النَّهار مدخلي، وفي اللَّيل متحرر ،منعهم الجبن، أو المصالح من الصَّدع...!

طيب، من أين لك أنَّ هذه الطِّباع السيِّئة في الأتباع أخذوها من الشُّيوخ... ؟

بديهية يا ظلي... ممَّن تعلَّموا تغيير أسماء النَّاس الحسنة إلى المعاني السيِّئة، ممَّن تعلَّموا الكذب على المخالف، ممَّن تعلَّموا كل مصطلحات الإقصاء المبتدَعة :" مميع، سروري،حزبي، أضل من اليهود والنَّصارى،اضرُّ من الشَّيطان،ممنَّ تعلَّموا صناعة

البهتان...!
يقولون :إنَّ هذا النَّقد الموجَّه لهم صناعة سلفيْ َة ما بعدية... ؟
أصبحت مدخليًّا يا ظلي... كنت أحسبك تعلَّمت منِّي شيئا...!
ألا يوجد سلفيَّة ما بعدية... ؟
عندما تريد أن تطعن يا ظلي لا تحكيه على لسان غيرك...!
هذه صناعة مدخلية، ياخذون اللَّفظ الصَّحيح ويشتقُّون منه اسماً يحملونه على معنى مذموم بالتَّواطؤ و التِّكرار....!
لآ توجد سلفيَّة ما قبلية، ولا سلفيَّة ما بعدية... لا صلبة ولا سائلة فأصلًا هذه تمثلات لا أول لها ..!
أجدني كارهاً بعض ما تقول رغم منطقتيته وحقيقته الواقعية...؟
بديهية يا ظلي... سرعة الاستجابة للحقِّ نادرة في النَّاس... لكن احذر فالعدَّاد شغَّال...!
طيب، كلمة أخيرة قبل أن تغيب الشَّمس : في نظرك، ماذا يريد السَّلفيون الذين تنتقدهم... ؟
واضحة يا ظلي.... يريدون مدخلية بدون المدخلي؛ هذا كلُّ ما في الأمر.. يا ظلي...!
لا يمكنني أن أغادرك وفي قلبي هذا السُّؤال : تعميم المدخلية على كثير من السَّلفيين أراه مجانبا للصَّواب ،هل عندك من بيِّنة...؟
بسيطة يا ظلي.... المدخليَّة درجات وصفات، أكثرها اشتراكا بينهم التَّعصب لشخص ولفكره، ورفض توجيه أيِّ نقد له،واعتقاد حيازة الحقِّ كاملا حتى في الظنِّيات....!
لهذا تجد المدخلية العامَّة في كلِّ طوائف المسلمين...!
الشُّبهات خطَّافة و أخشى أنَّك خطفت عقلي... ؟
على كلٍّ لو كان ما تقوله حقًّا لقاله شيوخنا الفضلاء كربيع الزَّمان.. ؟
.... صمت المقابر...
ما لك لم تجب... ؟
احترق دماغي...!
ألقمتك حجراً... هاه..؟!
ناقشت دمية ولم أعلم...!
إلى أين تفر ... ؟

أتقيأ حجرك قبل أن يتحجَّر عقلي... !

في الأخير....

هناك إنسان خيِّرٌ، حرٌّ يتفكَّر، يزن المصالح والمفاسد.

وهناك إنسانٌ جاهل ،طيّب، على الفطرة،يعرف المعروف، وينكر المنكر،لا يتغذَّى على الكذب، ويعاف السَّفالة.

وهناك بغلٌ في حفلة...!

ماذا يكمن وراء اسم "السَّلفية".. ؟

التَّعلُّق بالسَّلف و ما اصطلح عليه تحت عبارة :"فهم السَّلف" عند فئات سلفيَّة لها قراءة بسيطة ومباشرة، تستعمل الشِّعارات كتقنية استدلال ،وعندها مبالغة عاطفية معها يجعل مصادر التَّلقِّي في الإسلام غير كافية بذاتها لتحديد المعنى الشَّرعيِّ...! في نوع من التَّفويض يرفعه الرُّجوع إلى السَّلف.

لكننا إذا عدنا إلى السَّلف لم نجد الاتِّفاق الَّا في قضايا العقيدة، وهو اتِّفاق ضمني لأنَّهم أصلا لم يستفصلوا في أقسامها النَّظرية.

ونحن نعرف أنَّ النَّظر في فهم السَّلف - في حالة الاتِّفاق - يتعلَّق بضبط السِّياق التَّاريخي لدلالة للألفاظ الشَّرعيَّة فقط، والَّا فالاختلاف عندهم في بقيَّة المجالات معروف مشهور.

لذا فإنَّ مصطلح "السَّلفية" نشأ كاسم لجماعة، وليس كوصف لعقيدة أو لطريقة في تقريرها - كما نجده عند ابن تيميَّة والذَّهبي مثلا - فكان الغرض الوحيد منه الإقصاء لفئات عُدَّت من قرون طويلة من طوائف أهل السُّنَّة.

يعني :أنَّ هذا المصطلح جاء بدوافع التَّميُّز عن القريب المذهبي تحت شعور المنافسة على اسم أهل السُّنَّة.

نحن هنا أمام مقاييس تقييم جديدة دُفع بها سياسيًّا إلى الإمام للإقصاء كعمليَّة بناء على الأنقاض بتوظيف النِّزاعات الكلامية ...؟!

حيث حوّل علم الكلام إلى القيمة الوحيدة لمعرفة السُّنِّيِّ من المبتدع، وضاع حتى تقسيم السُّنَّة إلى عامَّة وخاصَّة، لم تصبح له أي فائدة لأنَّه أصبح عديم الأثر وبالتَّالي

عديم الجدوى.
وعليه، عندما ننظر في تعليل الشَّيخ الألباني نجده يدور على هذا الفهم، يعني: أنَّ الاسم بالنِّسبة إليه أصبح مطَّاطا لا يميِّز أهل الحديث عن غيرهم، فيجب إحداث اسم جديد...!
ولو تابعنا هذا المنطق نجد أنَّه أدخل السَّلفيَّة في ورطة عندما اصطدمت فهومهم، فاضطر كلُّ طرف إلى إضافة عبارة جديدة عليه مثل: سلفيَّة علميَّة أو سلفيَّة جهادية وهكذا..؟!
ومع ذلك ظلت المعضلة كما هي بدون حل، بل انفجرت فالجهادية فئات وبينها تناقضات لا تقلُّ عن تناقضات السَّلفيَّة العلميَّة.
والنِّهاية لهذا :إقصاء جديد مضاعف أو مزدوج، يعني: كلُّ فئة ستعتبر نفسها السَّلفية الحقَّة الوحيدة، والبقيَّة جماعات ضالة.
وأساس الخلل عند السَّلفيين هو في فهم ما معنى أنَّ الحقَّ واحد، وفي أي مجال..؟
وهو خلل ينمُّ عن طفولية محيِّرة في فهمه لأنَّ الموقف الإسلاميَّ من الحقيقة المطلقة إنَّما يجعلها كذلك في الموضوع، ولا ينفي انَّها نسبية للذَّات ،إمَّا من جهة عدم العلم بكلِّ حالاته المختلفة، وهي كثيرة كما في القضايا القطعية.
وامَّا من جهة تعدُّد موارد الاجتهاد كما في القضايا الظنِّيَّة.
فنحن هنا أمام سطحية حتى في فهم الإسلام في قضايا مثل: المحكم والمتشابه ،والعامِّ والخاصِّ والنَّسخ ،وتصويب المجتهدين... الخ فكلُّها تشرح معنى أن يكون الحقُّ واحداً، يعني :مطلقا.
امَّا الحداثة كواقع كوني يشهده العالم فلم تفعل سوى كشف هشاشة التَّأصيل ودوغمائية الموقف السَّلفي بهذا الخصوص واقصد :اتِّخاذ الرَّأي مذهبا علميًّا بدون تدليل معتبر.
وعليه تأتي المابعدية (حركة تصحيح) كرد فعل على هشاشة التَّأصيل ومنتجاته، لتعيد طرح الأسئلة من جديد، وتبحث عن القيمة المعرفية وراء مواقف السَّلفيين من غيرهم.
لذا فإنَّ اسم السَّلفية عندما كان يُطلق على وصف العقائد وطريقة إثباتها بأنَّها :سلفيَّة ـ أثرية ـ نبوية كانت له دلالة معرفية هي البحث عن أصالة الفكرة الإسلاميَّة.
لكن لما حوِّل إلى اسم جماعة فبغرض التَّفريق والإقصاء، بدوافع سياسية خلفه، لكن

ليس فقط لأننا نجد السَّطحية و التَّساهل في التَّأصيل للاسم راسخة في عقلية كثير من القيادات العلميَّة السَّلفيَّة.

وهو في الحقيقة أسوأ شيء وقع للسَّلفيين،نوع من الهالة على الرَّأس حركها الواقع فنزلت إلى العنق وصارت غلا يخنق....!

المابعدية...؟

الواقع يسأل والتراث يجيب، هكذا افهمها.(كحركة تصحيح لا كمقاربة قد تخالف فيها)

كلُّنا يعرف أنَّنا كنَّا غارقين في تصورات لا تمت للواقع بصلة، يعني :بينها وبين الواقع فجوة كبيرة.

وأنَّ إدراكنا لهذا الواقع والسَّعي للبحث عن الأجوبة الشَّرعيَّة جاء نتيجة للصِّدام مع الحداثة.

وربَّما أهم ما فرضت علينا الحداثة مراجعته :مفهوم الدَّولة المعاصرة، القطرية، مفهوم المواطنة، دور المرأة الاجتماعي والسِّياسي، معضلة الطَّائفية، الاستفادة من العلوم الانسانية وغيرها من قضايا كثيرة.

فإذا ذهبتَ للغرب ووجدت ثقافة متعلقة بحقوق الحيوان في طرح إنساني وقانوني، وعُدت إلى التُّراث الإسلامي لتبحث فيه عن الموقف الإسلاميّ، ووجدت انَّه يوصي بالإحسان إلى الحيوان وغير ذلك.

وكذلك فيما يخصُّ علاقة الإنسان بالبيئة، لا يقال :هذا نتاج الحداثة والغرب...!

نعم، الذي حرَّك فيك البحث هو الوضع الغربي، لكن ألذي جعلك تنتبه و تبحث في تراثك هو اصالتك كبعد مثير لملاحظة الفرق .

والبحث تمَّ بوسائلك لا بوسائل الحداثة الَّا فيما هو كوني مشترك كأكثر مادة العلوم الانسانية.

فهذا يدلُّ على ديناميكية إسلامك وتتبعه لحركة الواقع ،وأنَّه لم يصنع منك مسلما جامدا، توقف عقله في فترة من فترات التَّاريخ.

وكون مادة الاهتمام بالحيوان موجودة في تراثك لا يعني أنك كنت مهتما بها فضلا عن جمعها وتطويرها.

عندما حلَّل المابعدية ظاهرة التَّشدُّد في السَّلفيين لم يعتمدوا تحليلات المستشرقين

ولكنهم تتبعوا الظَّاهرة في مرجعيات السَّلفية نفسها.
لذا فإنَّ رفض تصحيحاتهم تحت عذر انَّها نتاج الحداثة موقف سلبي يُعبر عن عجز في الحفاظ عن الهوية في مواجهة الحداثة الَّا بالانعزال ورفض المواجهة.
ولهذا نخسر في كل يوم مساحة جديدة.
لا يلزم بالضَّرورة أن تصيب المابعدية في كلِّ شيء لكن لهم فضل إعلان النَّفير..
أظن أن الموقف الإسلامي ككل هو كما وصفه مالك بن نبي "موقف اعتذاري" لذا يغلب عليه البحث عن أعذار لَلرفض وليس عن أسباب الفهم.

البلدان العربيَّة في كلمة..!
بلدان يتداخل فيها الزَّمن، في الصْبَاح أنت في 1930م بتاريخ العالم المتحضر، وبعد الظهر تجد نفسك في العصر البرونزي...!
نصف إنسان الصَّباح يتحوَّل بعد الظهيرة إلى ديناصور لاحم.. ؟
والإدارة في الصَّباح مضمار حواجز، وبعد الظهيرة سوق نخاسة..!
هذه البلدان مسوَّدة كبيرة (brouillon sans propre) يخرمط فيها الأطفال في طور الحضانة...!
البلدان العربية مخبر لمحاكاة ارتطام الإنسان بجدار. .!

طارق رمضان و الغرب ..؟
اتِّهام طارق رمضان الغرض منه ضرب عقل ثاقب ولسان قويٍّ جداً في الدَّفاع عن الإسلام بعيداً عن تكعرير (قعقعة) بعض الخطباء .
وهو في هذا الأمر شخصيَّة مزعجة جداً للآلة الإعلاميَّة اليهودية.
وقد ثبت في قضيَّة أخيه ورجل المخابرات السويسرية الذي طُرد من وظيفته لأنَّه شهد بأنَّهم وضعوا في حاسوبه مادَّة داعشية قبل مداهمة الشُّرطة لبيته..!
ولن يتركوه بدون تحجيم دوره أو إسكاته؛ وهذا متوقع من مدَّة.
وعليه ،وبدون الرَّجم بالغيب الذي نكلُّ علمه للّه هو بالنِّسبة لنا برئ. وعندما تثبت إدانته من محاكمهم يظلُّ عندنا بريئا حتى تثبت عليه التُّهمة وفقاً لشروطها في شريعتنا.

وعندما تثبت بهذه الشُّروط سيظلُّ إنساناً و مسلما،وقد اتُّهم بهذه التُّهمة من هو أجلُّ منه.
وكلُّ مسلم يعرف بالضَّرورة من دينه دواء الذُّنوب فإنَّما التَّوبة النَّدم والاستغفار.
والرَّجل ليس من علماء الدِّين، ولا داعية يشتغل على الوعظ.
الزِّنا في أوروبا كالخمر بلا ثمن حقيقي إلَّا إذا أردت الفاخر..!؟
ولا تحتاج إلى السَّعي خلفه فهو من يطلبك، فكيف بالاغتصاب... ؟!
لا يهمُّ الغربيون ما ستعتقده في حقِّه فأصلًا لست المقصود، ولكن اللَّه رقيب على ظنونك.
لمعرفة براعة الرَّجل يجب أن تُقيِّم فكره في البيئة الغربيَّة لأنَّ بعض أجوبته لا تصحُّ في بيئتنا، ثمَّ ضمن توجُّهاته الفكرية و إلَّا كان أفلاطون أو أرسطو حقائب حمار..!
وهذه ظاهرة عندنا حتى في بعض العلماء ، كلُّ مذهب يُقيِّم علميَّة الرَّجل من منظوره فيستنتج انَّه "جاهل!" لأنَّنا لا نفرِّق بين أنواع الفضل، وأنَّ الرَّجل لا يكون فاضلا بعلمه عندنا لكنَّه فاضل في مذهبه. وهكذا، لا يسوى ابن تيميَّة قيمة بَصْلَة عند حمقى المخالفين حتى من المشهورين في زمن الرداءة، ونفس الشَّيء للغزاليِّ وابن حزم...!
فكر تافه، يرفض أن يتزحزح من مستنقع (عقل خرب).

القبائل الإسلاميَّة...!
عندما تُعاين العلاقة بين المذاهب والجماعات تعتقد انَّهم قبائل إسلاميَّة تعيش على الغزو، لا جماعات ومذاهب إسلاميَّة تعمل كلُّ واحدة برؤيتها نحو هدف مشترك .!
بطبيعة الحال ـ وهذا نعيشه يوميا على الفيسبوك ـ يوجد في كلِّ جماعة (إلَّا من تعلمون) أفراد حطَّموا السِّجن الوهمي الذي وضعته هذه الجماعات، يتكلَّمون بدون عداوة، والنَّقد عندهم ضمن أبعاد ملِّية، مفتوح على الجميع، وكذلك الإشادة عندما تكون مستحقَّة .
لا يستمتعون بالنَّقد وسعادتهم في الحقيقة.
نحن بحاجة ملِّحة إلى تخفيف وطأة الهويَّات المذهبية لأنَّها أخطر من الهويَّات العرقية، لتكون هويَّة جزئيَّة في الهويَّة القرآنية الكلِّيَّة التي يجب أن تكون الهيكل الحقيقي الذي يسند تلك الهويَّات

الجزئيَّة ويمنع ارتدادها على الهويَّة العامَّة بالنَّقض.
نحن الآن في صراع الهويَّات المذهبية (لا في تدافع الهويات) في قلب عمليَّة تدمير ذاتي يصوِّر لنا على أنَّه تدمير للغير (الهويَّة المخالفة) (!)
وبالتَّالي نحن الآن ندمِّر قاعدة وجودنا الفعَّال.
الحجَّة بريئة من أيِّ وسيلة سوى الإقتناع الطوعي..
الحقيقة الجرداء شيء، والحقيقة في أبعادها الاجتماعيَّة والسِّياسيَّة شيء آخر.
والدواء يحفظ الحياة لكن بالجرعات المناسبة وإلَّا قتل.
✿.... فإنَّ في الخمر معنى ليس في العنب✿

النَّزاهة و الموضوعيَّة..
في اختيارنا للكلمات، في ترتيبنا لفصول الكلام، في لحن القول نحدُّ من موضوعيتنا.
الفرق فقط هو بين الرَّجل النَّزيه الذي يتحمَّل المسؤوليَّة ويفي للمخالف وبين المغرض.
وتلك هي موضوعيَّة الذَّات:التَّمييز بين هيكل الذَّات والإنتاج الذَّاتي.

سرُّ المراوحة في المكان..؟
فقط عندما تعترف بالحقيقة (بأخطائك) تتقدَّم إلى الأمام.
فرد _جماعة _حزب _مذهب _مجتمع _دولة _أمة.سرُّ المراوحة في المكان..؟
فقط عندما تعترف بالحقيقة (بأخطائك) تتقدَّم إلى الأمام.
فرد _جماعة _حزب _مذهب _مجتمع _دولة _أمة.

ما أكثر النقاط العمياء عندنا .!
......
النقطة العمياء المعرفية (قد تكون مقدمة، عنصرا، صفة، قاعدة) لا تراها الذات المعمية عنها) = عدم دقة الاستنتاج + فساد الممارسة والتأويل العلمي + تهديد صحة التصورات =
عدم انسجام الطرح =الخصومة على الريح..!

Alter سلفية...!

النِّساء في الملاعب، والخطاب دال بدون مدلول..!

هل السلفية في شد مع المعاصرة(روح الحداثة) وتحسب أنها في حرب مع واقع الحداثة (عقلانية الأنوار) والعلوم كبراديجم للعلم..!

متفلسفة آخر الأسبوع في معركة معقَّدة لخلط الإثبات مع التَّفويض و التَّفويض المشفَّر الذي هو نهاية قول مجموعة منهم ..!

السَّرديات السَّلفيَّة الكبرى (خاصَّة الصِّفات الخبرية) تُعاني من عقلانية سلفيَّة جديدة عبارة عن تهجين العقلانية الغربيَّة مع العقليِّ التَّيميِّ.

"عصارة فلسفة التَّوحيد عند ابن تيميَّة " بعد" hyper سلفية"و "post سلفية " ستصل سريعا إلى "alter سلفية"..!

نتصور أصل الوجود بمنهج، و أصل المعرفة بمنهج مغاير، ونقرِّر أنَّ لبعض الحقائق اصلا حرًّا..؟!

المهمُّ مع تغيُّر البادئة لا يزال الاسم في اللَّعب مع العبثي.

الحياة بالنمط الإسلامي تتراجع يوميا ، والقوم في الغمام..!

السَّلفيَّة الكلاميَّة و السَّلفيَّة التَّيميَّة... ؟

لم يكن ابن تيميَّة مهتما بعلم الكلام والفلسفة فقط، ولكن بكل مجالات المعرفة والحياة،بالفرد والجماعة والدولة، بشروط الآخرة وشروط الحياة.

لم يترك علوم الشريعة :من تفسير وحديث وفقه وأصوله وسلوك وسياسة و لغة وغير ذلك، لأنَّ هذا طبيعة المصلح.

لذا لا يمكن أن نعتبر السلفية الكلامية سلفية تيمية في شمولية المفهوم ومداه، ولكن سلفية كلامية تتمثل مذهب ابن تيمية.

يبقى أن نسأل إن كان لهذا التقصير أو القصور في كل تلك المجالات تأثير على تصور مشكلة علم الكلام.

واقصد الاهتمام المعرفي لا العملي بسبب تعدد الواجبات.

المعارف القبلية للبسطاء..!

مثال تقريبي يعقبه تفسير العملية كما وصفها بياجي.
طُلب من العميان(معطيات حسية) من كل الأعمار والأجناس والفئات(رجال - نساء- كهول -شيوخ - أطفال - حسب مستوياتهم العلمية والاجتماعية - جنسياتهم - وظائفهم ومئات الصفات الأخرى) أن يدخلوا غرفة كبيرة(العقل) حيث سيجدون شيئا (ما) ليس له وصف إلا أنه قوة (القدرات العقلية)لا يُميز، وغير متعلم، إنما عندما يلتقي بهم الواحد تلو الآخر سيتعلم، فهو مستعد للتعلم، وإن كان لا يملك أي شيء يُميز به، ويعالج به أوَّل العميان.
فحتى يحصل له تمييز لمجموعة العميان لا بد أن يكون قادرا على تمييز الأعمى الأوَّل الذي يدخل عليه، فبدون وعي مسبق بما يفعل سيكون كصندوق نضع فيه عملات نقدية الواحدة تلو أخرى حتى يمتلئ، وسيبقى صندوقا لا يعرف ما فيه(من أين جاء الجرب للجمل الأوَّل)
المهم، أنَّه رغم كل هذا سيجلسهم بحسب الصفات المميزة لكل فئة منهم في أماكن خاصة.
وفعلا دخلوا فقام ذاك الشيء من غير النظر إليهم فهو غير مبصر، وليس له علم سابق بهم (لم يزود بملفات فيها صورهم وصفاتهم)بترتيبهم بحسب صفاتهم بعد أن جمعهم وميَّز بينهم، وتعرَّف على كل فئة، ثم أجلسهم في أماكنهم المخصصة بدون خطأ..؟!
وقد قيل :أنَّهم قبل دخولهم تلك الغرفة قيل لهم :لا يوجد من يتوالكم في الغرفة فدبروا راسكم..!
فدخل العميان جميعهم وتشاوروا فيما بينهم كيف يوجدون من العدم شيئا مبصرا يجلسهم في أماكنهم المخصصة، وبعد التداول انتهوا بواسطة التخاطر عن بُعد (فكلهم أعمى، و أخرس، لا يدرك نفسه ولا غيره) إلى أن يحكَّ جميع العميان بعضهم ببعض فقد يتولد منهم شيئ يبصر ويميز ويعي المطلوب منه (يعني أعمى +أعمى +أعمى آلاف المرات =مبصر).
الخلاصة بحسب هذه النظرية أن الاستعداد العقلي هو قابلية كقابلية المطاط للتمديد دون أن يعي انَّه يتمدد..(فعل لا إرادي)..!
فكذلك العقل هو مستعد للمقارنة والتجريد والتمييز والتعميم والتصنيف دون وعي بما

يفعل..!
فهل الاستعداد هو مثل قدرة جسدية يتصرف فيها العقل، ام قدرة علمية يعني :تمييز و إدراك أولي .. ؟
لأنَّ وصف هذه القوة بأنَّها خالية من مبادئ عقلية يجعلها قدرة جسدية لا علمية فأي حاسوب قابل للتعلم لا يمكنه التعلم بدون data.
و كيف تكون الفطرة النفسية والخلقية والاجتماعية واللغوية سابقة وتكون العقلية لاحقة..؟
وسواء قلنا عن هذه القوة بأنَّها استعداد أو قابلية فلابد لها لتقديم شيء على شيء من ترجيح، ولا ترجيح بدون تمييز العلامات المرجِّحة.
وأما إن كانت بعدية فلا ميزة لتخصيصها باسم "الفطرة" إذ بهذا المعنى كل علم في الإنسان مما يكتسبه سيكون فطرة، اسم بدون معنى محصل.
إذا أخذنا التجريد كمثال على قوة فطرية يُفسِّرها بعضُهم ب_"الاستعداد" ،و معلوم أنَّ التجريد عملية معقدة ومرحلية حيث انَّه عبارة عن استخلاص من(فئة أشياء) خصائصها المشتركة بواسطة التوليف بين التجريد و التعميم.
فلو لم يكن في التجريد عمليات أخرى داخلية لم يكن التصور إلى صورة متفحمة عن الواقع(تراكم موضوعات فوق بعضها بعضا). فكلمة "استعداد" غامضة لا تفسِّر لنا الإدراك التفاعلي مع واقع فيه منطقية و تنسيق.
والتجريد كقوة فطرية في العقل يبقى ثانويا لأنَّه لا يشارك في تكوين بعض وسائل المعرفة، مثل: " إمكانية التركيب _والتصنيف المنطقي _والعمليات الحسابية" فهذه الوسائل غير موجودة بهذه الصورة في الواقع (الخارج) لأنَّها تنسيقيات ذهنية، أو هياكل نشاط عقلي.
وإذا أخذ التجريد معلوماته من الموضوعات الخارجية (مصدره خارجي) فإنه ينشط الجوانب التصويرية للتفكير،والوظائف التصويرية للعقل لا تميل (بحسب "بياجي") إلى تحويل الموضوع ولكن إلى توفير صورة مقلدة (بالمعنى الواسع للكلمة).
لذا تحتاج تجربة التجريد إلى التكميل بعملية أكثر ديناميكية من التجريد البسيط تُسمى "منطقية" حتى تسمح ببناء خصائص علائقية مأخوذة من أفعال داخلية ومنسَّقة تُسمى " عمليات" .

فالعارف يحتاج إلى عملية "موازنة" في التبادل مع الواقعي لتغيير تصور موضوعات فوق بعضها البعض (في التجريد البسيط) لتصبح واقعا معقولا(منطقيا ومنسقا) بواسطة أفعال داخلية في العقل دورها : المنطقية والتنسيق، قبلية لا تأتي من الحس.

بعض النَّاس يظنُّ أنَّ المسائل التي يتكلَّم فيها كثيراً "رزق أبيه"(!) يحتاج غيره إلى(فريضة مواريث) ليتكلَّم فيها.

عندما يجعل الإنسان نفسه تافها يهتم بالاساطير الجديدة..!

ذكر أبو حامد الغزالي رحمه الله في أحد كتبه لعله "القسطاس المستقيم" ما يفيد أن الإنسان يعرض عن الحجة قصدا، فإذا جئت بيت أحدهم _مثلا _وقلت له :هذا البيت الذي تسكنه ملك لجدي أو لوالدي و أمهلك شهرا لتغادره.

لقال لك :هذا غير صحيح، وما دليلك، وهل عندك إثبات، عقد ملكية، وبيننا المحاكم!

ثم لم ينم ليلته بحثا في صندوق وثائقه، وسأل أمه وأباه وزوجته وأعمامه، وبكر في الصباح لديوان المساكن و الممتلكات يتحرى.

لكن إن قلت له :دينك باطل، وانت كافر أو مشرك لقال لك :نعم، وذهب وتعشى ونام هنيئا.

الإنسان التافه هو إنسان غفل عن نفسه، عن حقيقتها، وعن مطالبها الفطرية فتراه يعظم الأساطير الجديدة مثل نظريات علمية تجمع بين معطيات واقعية وتصورات خيالية مثل :نظرية القط في علبة!

مسائل لا تزيد في هدايته، ولا يعرف بها ربه، بل لا تحسن من حياته، لا تنفعه في شيء.

كما قال أحد السلف :عقلاء في الدنيا بهم في الدين.

فهم المنهج السحري..!

عندما لا يكون الشيء معقولا، مجرد أهواء و آراء اعتباطية وتلبيسات بمصطلحات شرعية ،وتحاول تحليله وفهم نسقه ونموذجه الفكري وتتوقع تصرفات منطقية

لأصحابه بينما فكرهم وسلوكهم منطق محال غير قابل للاستعمال، مناف لكل اساس سليم (كما هو حال المدخلية) فالناقص في عقله هو أنت.. عفوا..!!
راك فارغ شغل في بالي..!

القدر الفارق.

الشك في الأرباب التي يتخذها المشركون شكاً في كونهم يستحقون صفة الربوبية غير إنكار وجود الله أو الشك فيه، فهذا كفر لا يحترمه إلا ضال عن معرفة دينه إلا إن كان يرى أنَّ المعدوم قرَّر في يوم ما :ها! أنا غير موجود، كيف ذلك؟ يجب أن أكون موجودا :إذاً.... بنج بانج... ها أنا ذا موجود...!
المبالغة في التسامح خطأ وقلَّة اكتراث بالحق.
إذا كان كائن قادراً على إيجاد نفسه (يهب لنفسه الوجود) هذا يعني أنه كان موجودا قبل أن يوجد..!
وإذا كان موجودا من قبل لم يكن في حاجة إلى أن يوجد نفسه مادام كان موجودا..؟!
أول معاينة للعقل عندما ينظر في هذا العالم هو إدراك أنَّ كل ما هو موجود (إنسان، حيوان، نبات، معدن) خاضع لمبدأ الولادة (الحدوث) النمو، و التدهور، تحت قانون الإمكان والحدث، لأنه لا شيء وهب نفسه الوجود
والحياة بنفسه ولكنه تلقاه من سبب ليس هو.
وعندما نصعد مع سلسلة الحدوث فلابد من وجود شيء لا يكون ممكنا وخاضعا لقانون الحدوث أعطى الوجود لهذا الكون الذي لا يحمل في نفسه سبب وجوده ولا هو خالق ذاته.
عندما يحاول الإلحاد التفكير (في) نفسه إلى النهاية فإنَّه لا يستطيع الاستمرار، ويتحوَّل إلى نوع آخر من التفكير ليس فلسفة إلحادية ولا فيزياء زلابية! ولكن مثالية خيالية وتديُّن ساذج شركي، ليس إلا وحدة وجود الوثنية القديمة. في الفلسفة من المستحيل المصالحة بين الإلحاد والتفكير العقلاني بسبب أنَّ الإلحاد المحض _وبالنظر إلى ما نعرفه اليوم ومن قديم بطريقة يقينية أنَّ الكون لم يكن دائما وأنَّه بدأ بالوجود_ هو مقالة غير معقولة ولا قابلة للتفكير.
لا يدافع عن شخص لا نعرف مضمون مقالاته بدقة، ولا يوجد سعة نقلية أو عقلية في

البحث عن وجود الرب الخالق، هذا خطأ فادح.
التسامح زين لكن ليس مع الوسخ.

المدخلية قصَّة فشل...!

المدخلية فكرة سوداوية عن المسلمين، فاشلة من أصلها، أرادت لها الأنظمة السياسية بشتى وسائل الإنعاش أن تُثابر على الفشل إلى الرمق الأخير لتستنزف منها كل قطرة خير فيها في مصل تمديد عمر هذه الأنظمة..!
لكن التمادي على الفشل يعني أنَّها مقطوعة عن واقعها، وواقع العالم حواليها، رهينة فهم مسموم لشيوخ مفبركين بقطع مسترجعة من نفايات بشرية .
إذا قُدِّر وجود عقلاء في هذه الجماعة (لأنَّ القوم يشبهون الجاهل الذي جرفه الوادي وهو يقول :ما أحلاها عومة!) فإنَّهم يحتاجون إلى هضم هذا الإخفاق الذريع الذي بلغ نهايته لكن هضمه يتطلَّب أوَّلا قبوله وليس البحث عن المتهمين في زحل..!
فيمكن للفشل أن يكون مفيداً لكن بشرط أن لا ننكره، فالفشل هو: صباح الخير على الواقع الحقيقي لا الافتراضي الذي صنعه شيوخهم بفتاوى ومنهج خارج الزمن.
الواقع ،هو: الاستيقاظ على حقيقتك، على انَّك تعيش في سماء عقلك (على تعبير ابن سينا)، على واقع نفسية سوداوية أظلمت ببغض المسلمين، وعلى واقع العالم المحيط بك الذي ما صدقَّ وجود هذا الصِّنف من البشر..!
واقع أنَّ الأشياء لا تتوقف علينا وحدنا فكيف ببناء الدول والأمم.؟
يحتاج المدخلي العاقل(إذا قدر وجوده) أن يرجع للخلف ليتحمل مسؤولية دعوى غير مسؤولة، ليفرض على نفسه تفتيشا داخليا دقيقا، يبحث عن الأسباب في نفسه :ما الذي لم يكن صحيحا..؟
الفشل أيها العاقل(المقدر وجوده في هذه الجماعة) لا يعني أنَّك فاشل إلَّا إذا تماديت في الفشل... هذا إن كنت عاقلا..!
في ظنِّي هذا منهج تالف ظالم لنفسه ولغيره حان وقت رحيله فلن تعصر من الحجارة إلَّا الغبار.
لو كانت بخارا... ؟؟؟ولكنها دخان...!!!
لا تكذب على نفسك لا يوجد في المدخلية علامة ولا سلامة...

التفركيس... ؟

الحملة على الشيخ فركوس (كما يقول بعض الناس) ما هي إلا حملة على مدخلي وليس على شيء آخر..!

فلا فرق بينه وبين سائر شيوخ المداخلة إلا في طبعه الهادئ، أمَّا المواقف والطريقة فواحدة.

وليس عنده من العلم ما لا يوجد عند غيره من الناس، بل في اختصاصه عليه كلام كثير ،ولولا أنَّ أحدهم دفع عنه (من مدة) لكان ولي نعمته (تنصيبه شيخا) و أتباعه أسقطوه بعلمين :أصول الفقه والمنطق.. .!

الرجل أسوأهم لأنه إذا قُدِّر له شيء من علم فهو حجة عليه، ومقارنته بأصحابه وإن أجحفت في حقه فهي دليل على قيمته الحقيقية، فلا يصاحب الرعاع ويسند الجهال إلا..... ؟!

دعك من التفركيس(استثناء فركوس من مصائب المداخلة)فأعوان الظلمة ظلمة مثلهم.

وهذا الذي يتحدَّث عن الاشعرية والصوفية ماذا قدَّم لهم؟ متى حاورهم بعلم و أدب وجل كلامه في الطعن على سلفيين مثله. .؟!

الكلام عن الطوائف والمقالات الكلامية والفلسفية والسلوكية بعيدة جدا عن المداخلة.

ومشكلة فركوس مع مداخلة مثله فيحشر في بياناته طوائف أخرى يستفزهم ليوسِّع دائرة المتخاصمين ويجعلها "حربا مقدسة" تجلب له مساندة بقية السلفيين..!

مدخلي اصفر! مدخلي احمر! المشكل ليس في اللون ولكن في المدخلية..

الذاتيات والعقل المدخلي :علاقة منشأ ..؟

إذا نشأ أحدنا على شيخ أو مؤلف ثم فارقه احتفظ ببقايا ودٍّ له، وهذا أمر طبيعي لكن بشرط أن لا يخرِّب هذا الودُّ عقلك.

كذلك عندما تقرأ لكاتب ما فإما تعجب به و إما تُصاب بالقرف، وهذا ردُّ فعل عفوي لا نتحكم فيه لكن لا يجب أن يقود تقييمك.

وعند تقييم العالم (وما في ضمنه) نحتاج أولا إلى فهم المراد ثم إعادة بناء موقفه

(إعادة صياغة أدلته بلغتك) ثم تقييم فكره.
و منطلق كل خطوة علمية هو التساؤل بطريقة علمية، وكذلك الإجابة بطريقة يقودها العقل وليس المودة و العاطفة.
فلا يهم في العلم إن كنت تحب الشيخ فركوس أو ابن القيم أو لا، توافقه أو تخالفه ،المهم: هل تقدر على تمييز الأدلة والوقوف على العلاقات بين المقدمات إن كانت مشروعة، فليس ما يعجبك يعني أنه صحيح والعكس كذلك.
تكون طالب علم فقط في اللحظة التي وراء الآراء والمذاهب تهتم بالأسباب المقدمة لدعمها.
تعلَّم أن ينصب فكرك على الأمثلة المضادة بشرط المطابقة، وعلى الوضعيات المستشكلة، فالمثال الشخصي لا يستخلص منه قاعدة عامة، فلا يوجد مثلا طالب علم لم يستفد منه أتباعه، لكن هذا ليس دليل تقييم.
اجتنب التعبير العاطفي كالشفقة والتعاطف، والتعبير التقييمي ك :هذا جيد _شيخ سني يحضره مئات الطلبة فالمعتبر الكيف وليس الكم، فما أكثر الجهال والابرياء.
وكذلك الموجهات الأدبية ك:بدون شك/ اتفق العلماء/ بدون منازع/حتما... الخ ،ومفردات القدح، وأوجه الثناء، والإغراق، والجمل المضادة(إلا بعد أدلتها) والمفارقات والمنطق المحال، فكلها لا تصلح في التقييم العلمي.
وعلى هذا فإنَّ الشيوخ المداخلة (يدون استثناء) لم يعلموكم سوى المدخلية، وخرَّبوا عقولكم وأخلاقكم، و ما علق فيكم من خير فقد ضاع في بحر شرٍّ كبير .!
لاباس بالذاتيات بشرط أن تكون من الشأن العالي؛ مع ابن باديس مثلا.

عندما تكون المشكلة نفسية يعقدها العلم السطحي ..!

هل يستلزم وعينا بما نفعل (نكتب ،نجادل) وعينا بأهمية ما نفعل..؟
هذا هو السؤال الذي يحدِّد الوعي الصحيح الكامل والذي علامته ليس قول الحق (في نظرك) ولكن الاحتراز من أثره على ما هو أهم منه (المسؤولية).
إذا كان الوعي يعطيني معرفة عن نفسي، وعن علاقاتي بالعالم فيجب أن أعي أن العصبية والغضب، والتنافس الوضيع، و الحب، والغرق في السياقات التاريخية للموضوعات العلمية تغير إدراكي للعالم بنظرة موضوعية واقعية أو خاطئة في

وضعيتها ضمن المجموع.
فالوعي ليس مجرد معرفة موضوع كما تناوله الأوائل ولكنه كذلك الشيء الذي يجبرك على الإجابة لمتطلبات ذاتك في هذا الواقع.
وهنا تكمن "المسؤولية" إذ الوعي ليس مجرد تمييزي بين طائفتين، مجرد اهتمام بالرد على هذه ومخاصمة تلك، فهذا وعي ينقصه اليقظة بالسياق العام.
و إلا فإني مع الوعي بما أقول فأنا غير مسؤول.
يجمع "عدم الوعي" كل ما يفلت عن إدراكي، وكل ما هو موجود لكني لا أفهمه.
وعندما أجعل النظري الذي لا يهم الأمة بحال، وليست مخاطبة به موضوع الساعة وسبيل نهضتها، وعندما ابالغ في الاهتمام به في أمة أو وسط يفتقد إلى أبجديات المعرفة، و أساسات الوعي بالذات فأنا غير واع به ضمن إطاره المعرفي /الحضاري.
في وعي بعضنا بما هو فيه لا يعي الجزء الذي لا يعيه.
المشكلة نفسية تحتاج إلى بناء الوعي الجماعي ولا يتم إلا بتقييم فلسفة الوعي المعاصرة ثم الانكباب على تأسيس منهجنا العلمي بقسمه المعاصر، وبعد ذلك البحث في نفس الاتجاه.
وعلى ذلك فإن ما نتحدث عنه أحيانا، مثل: "المدخلية" فهو لإعادة التربية لا غير، إذ هو موضوع لا يستحق العناية.
وفي كلمة "مدخلية" تدخل مقالات من كل التيارات فأكثرهم لا يخالف في تقديس زعمائهم المؤسسين.
الصورة :مجرد مزرعة شاي...!

صناعة العنوان... ؟

بين العنوان العلمي الأكاديمي الذي يخبر في الغالب عن الإشكالية،ونادرا ما يتضمن حكم الباحث، و يحتال على الاطالة بالفصل بين جملتين بنقطتين (:). والعنوان التجاري الذي يستغل فضول الناس وكسلهم مثل: "الحل العجيب لإزالة الشعر الأبيض نهائيا"وعندما تفتح تجده يتحدث عن قشور الجوز أو الحلبة، أو "لن تصدق هذه الوصفة السحرية لإنقاص الوزن".. الخ

يوقفني كثيرا هذا العنوان الشائع عندنا :"براءة (مذهبي /جماعتي ..) من (شيء غير جميل)..!

فإنه يخبرنا أن الموضوعية عندنا كأنها الطاعون..!

صحيح انه لا يجب أن نصدق كل ما يقال لنا عن الذين لا يفكرون مثلنا..؟

وما عليش يا سيدي... البراءة لجماعتك مليحة للضمير لكنهم ليسوا ملائكة ولا أنبياء، انتقد شوية..!

مفهوم "غلاة" .. ؟

إذا تتبعت هذه الكلمة في المقالات و مختلف المنشورات ستجد أنَّ كل طائفة تُطلقها على الطائفة التي تليها من جهة اليمين، تماما كما تطلق عبارة "تمييع" وما في ضمنها على من يقع على يسارها.

فالسلفي النجدي(يسمي نفسه بالسلفي وغيره يضيف إليه بهارات) يعتبر الغلاة هم الخوارج، و المميعة هم بقية السلفيين والإخوان..؟!

و السلفي التجريحي(نفس المشكل) يعتبر المداخلة غلاة في التجريح وبقية السلفيين(عن يساره) مميعة ومعهم الإخوان.

الوحيد الذي لا يستعمل عبارة "غلاة التجريح "هو المدخلي، فكل تجريح عنده هو شرعي مشروع ..؟!

الغلو الوحيد الموجود في نظره هو غلو التكفير..!

المهم أنَّ كل الطوائف تجرح المخالف المباشر لها بشكل أو بآخر، الفارق بينها وبين المداخلة بمختلف ألوانهم هو أنَّ المداخلة يجرحون الجميع في الحرب والسلم، ويستعملون عبارات خاصة بعلم الجرح والتعديل بينما البقية يجرحون في حالة الحرب فقط (إلا من رحم الله).! بعبارات مفتوحة.

وفي كل الطوائف(القديمة والحديثة) تبديع وتكفير؛ الاختلاف فقط في كون بعضها تصرح به تأصيلا ودعوة، وبعضها الآخر لا يعلنه، مع تفاوت واضح فيه بحسب سلم ريختر كل طائفة.!

وإذا كان التكفير والتبديع حكمين شرعيين فهناك فارق بين المطلق والمعين، وبين القول والقائل عندما نتحدث عن المسلمين..؟

انتبه إلى من لا يقول بوجود غلاة تكفير ،وغلاة تجريح، فهؤلاء هم الغلاة، في وجودهم البقية معتدل، وعند غيابهم تبرز الحقائق.

الصِّراع على الانتساب للسُّنَّة..!

يقول بعض السلفيين :يتفاضل الناس في كل شيء..

و يتفاضل المسلمون في: الإيمان والتصديق، والتعظيم، والاجلال، والعمل الصالح، وفي قراءة القرآن وفهمه، وفي معرفة السنة والعمل بها، وفي عقولهم، وذكائهم، وتصوراتهم ،وحفظهم، وطولهم وعرضهم، وجمالهم وقبحهم.... الخ ولا يتفاضلون في الانتساب إلى السنة..؟!

أهل السنة طوائف متفاضلة، فمنهم من قدَّمها في كل شيء: أصول وأحكام وسلوك. ومنهم من آخرها في بعض الأبواب (و إن كانت مصادر التلقي عنده هي الكتاب والسنة والإجماع) بسبب قاعدة عقلية نظرية أو عملية اعتقد صحتها. ومجملا أخص الناس بها جمهور أهل الحديث،َ(هذا لا ينفيها عن غيرهم) وفيهم تقصير في أبواب كباب اعتبار المعقولات بالوحي والحساسية من المعقولات الضرورية، مما همَّشهم في الأمة وجعل أهل الفلسفة يستطيلون على الأمة حتى انتصب لهم متكلمة أهل السنة فاصابوا واخطؤوا .

والواجب على العاقل أن لا يمنع المسلمين من انتحال السنة، ولكن يُبيِّن لهم أين خالفوها إذا كان معه دليل يدرء الشبهة.

الحرص على صدق المقولة وصحتها بالعلم شيء غير مدفوع وحيوي، واذكاء نار الطائفية ونصب العداوة شيء آخر مذموم.

وهذا الداء موجود في السلفيين والاشعريين على حد سواء.

إذا كنت تملك الحقيقة فيكفيك أن تبينها وتدرأ عنها الشبهة بعلم صحيح وأدب يليق بمؤمن فهذا ما ينفع الناس وليس إدخالهم في السنة أو إخراجهم منها...وقد كان شيخ الإسلام الصابوني مصاحبا لأئمة أشعرية والأمثلة كثيرة.

حسن الخلق وقلَّة العلم.

بعض النَّاس عندهم صون اللِّسان وحسن خلق فيحفظهم ذلك من وزر كثير، لكن قلَّة

اعتنائهم بالعلم توقِعهم فيما هو أشدُّ كمساندة الباطل، و تفوِّت عليهم المراتب العالية كمظاهرة الحقِّ.
الجهل مع حسن الخلق يلزمه التَّحفُّظ وإلَّا أضاعه الباطل.

قسمة المذاهب والطوائف..!
كلُّها بدون استثناء قط إمَّا دعوة حقائق، أو دعوة رسوم، أو دعوة أرزاق.
والمشكل عندما يصطدم فريقان لا ينتميان إلى دعوة الحقائق ، هذا كلُّ ما في الأمر، فالشجار هو بين أهل الرسوم أو أهل الأرزاق.

الحظوة في المزاد..!
الظَّاهر أنَّ التَّنافس على الحظوة على أشدِّه، وظهر مترشِّحون جدد لكن هل لهم أثر في السَّلفيِّين.... لا أظنُّ ذلك، وبقيَّة الطَّوائف محجوزة...؟
المشكل في عالم الأحياء و التَّحليل في مدينة الأموات ..!
......
تصدَّق علينا العقلُ المزدوج بالموافقة للمنع ...؟
متى و أين وجدت فرداً أو جماعة أو مذهبا يوافق مخالفه على شيءٍ و يُسلِّم له بصحَّته..؟
ربَّما تجده عند آحاد العلماء المتقدِّمين، أمَّا عند المعاصرين فإنْ سلَّم للمخالف بشيء فهو مجرَّد موافقة للمنع، يعني: سد الثغرة قبل أن يراها العدو.. ! على منوال " و إن وافقنا على قولكم.... فإنَّنا بخلافكم ....".
ربَّما قد تجد ثمرة لبعض النقاشات التي نراها لكنَّها في الغالب في قضايا من قبل الآراء الجانبية التي لا يخسر فيها المتنازل شيئًا من موقفه.
لا يمكن أن تُلغي عقلك، أو تقول له:" قف هنا" في مجال معقول، و تُعمله في مجال آخر ربَّما أعقد بكثير منه، ثمَّ تقول لنا: نحن نتقدَّم ... ! لأنَّ هذا عين التراجع ..؟
خاطري واسع ولا أقبل من يقول العكس ...

متى تعمل فكرك..؟

إعمال الفكر وتوظيف الذكاء جيد لكن الفكر لا يعمل في فراغ يحتاج إلى أن تغذيه بكثرة القراءة وإلا ستجد نفسك تقول اقوالا لم تخطر ببال عقلاء البشر..
تكلم فيما أحطت به دراسة، و أكثر في مركب عقلك من المكابح عندما تقرأ لأئمة الفن... ستأتي عليك أيام ستضحك من جهلك وجسارتك على مستشكلات القضايا..!
أنا متيقن ان بعض الطيبين يتكلم في قضايا لم يقرأ فيها كتابا واحدا مختصا فيها.

العقل الفعَّال ...؟

عجز الفلاسفة المشاؤون و غيرهم عن تفسير كيف يحصل العلم للإنسان(مع انهم تكلموا عن المباديء الاولية و الحس و التصورات الفطرية المتعلقة بمبدأ الوجود و الهوية)، ومن أين يستمده فابتدعوا العقل الفعال l'intellect agent وهو مخلوق منفردا عن العاقل!
وهو شي ء رفضه المسلمون قاطبة حتى الذين قالوا إنه عين بل حتى من كبار المشائين كتوما الإكويني انتقده و صرح أن المشائية لا تحتاج اليه.
لكن هل نفي هذا و هو نفي لخرافة كثيرة التناقض يلزم منه نفي دور الملائكة في العلم الذي قد يحصل للإنسان ...؟

التزهد والسياسة..؟!

يوجد في المتزهدة صديقون، سواء عرفهم الناس أو عرفهم أهل مجالهم.
ومع ذلك فإنَّ موقف أهل الحديث منهم في الرواية بخصوص ضبطهم حكمة عظيمة، خاصة عندما ترى في هذا العصر فكرهم السياسي وسذاجة تغريداتهم..!
من غلبت عليه حالٌ نقصت منه أحوالٌ... فرحم الله الفقهاء الذين جمعوا بين العلم والعمل، بين القول(العقل) والإرادة(العمل) ..

انظر إلى عينيك ..؟

البحث عن " رؤية عينيك" هو تعبير في التحليل النفسي عن البحث لتفكيك البديهيات ، وتفكيك البديهيات لفهمها غير التشكيك فيها ، الأول ابستمولوجية نقدية قديمة/جديدة مفادها أنه عندما ترى بعينيك (العقل الواعي بما يصدر عنه) إلى ما تنظر به ،كيف

هو؟ ستنتهي إلى رؤية موضعك، و إلى أخذ مكتسبات كل علم .
بينما الثاني هو مرض لطفولة العقل الذي يتسلسل في سؤال الأسباب،و يظن أنه يحرِّر المسائل، ويردُّ علماء المسلمين قاطبة إلى الرُّشد الذي لم يشمُّوا رائحته (اجتمعوا على ضلالة أو على جهل بما هو من مدركات عقولهم) ...؟

حماس والبخور السياسي .. ؟
لما كانت الشريعة هي القانون الوحيد الذي يدير حياة المسلمين كان للعلماء بها دور و تأثير في قيادة الناس، ومخاطبة صنَّاع السياسة لأنَّ العلماء كانوا يتكلَّمون بما يعلمون.
امَّا اليوم فهناك سياسة، وعلوم سياسة، وسياسة دولية، واقتصاد واستراتيجيات، وقانون دولي، وكذب بلغ حدًّا يستدعي ظهور الدجَّال ! وصراعات خفية أكبر من العلنية ممَّا صار معه كلام العلماء في السياسيات يشبه التبخير لمفاعل نووي..!
ينطلق تفكير الطفل من زاوية مصلحته :"أريد هذه اللعبة لأنَّ جيلالي يملك واحدة".
وعلى نفس المبدأ تقوم السياسة عندنا فأنت تحلِّل موقف حماس من " الهفَّة الأمريكية على سوريا" بمنظور مصلحتك (الانتقام من النظام السوري وحلفائه).
وحماس تصدر البيانات من منظور مصلحتها.
وإذا كانت الأطراف المختلفة في سوريا متساوية في القيمة على حساب جمهور الشعب فإنَّها ليست كذلك بالنِّسبة لحماس إلا إذا غلب البغض العقل..؟
فإمَّا نحلِّل بهذا الفكر ونعلم أنَّ الصداقة والعداوة وجهان لعملة واحدة هي المصلحة.
وإمَّا نعود إلى البخور ونحلِّل على أساس أنَّهم (حماس) خبث لا دين لهم، أو جهَّال لا يعرفون مصلحتهم أو.. الخ.
ربَّما متابعة قناة في بوليفيا أجدى من متابعة باعة الوهم في صفقاتهم مع الغرب ممن يعود في موقفه كما يعود الكلب في قيئه..!
من الصَّعب مراعاة مصلحة الغير عندما تساوم على مصلحتك.
كانت حماس قبل الوعود الخليجية في سوريا، ومن الصعب عليها الاستمرار بعدها، نسأل الله لهم المعونة على ما فيه صلاح كل فلسطين.
الهفوة اللفظية..!
تحليل الهفوة اللفظية سلبا أو إيجابا (مهما كان الذي صدرت منه) هفوة عقلية... لكنها

مادة للبرامج الهزلية.

ماذا بقي من ابن باديس..؟

يختلف الجزائريون فيما ياخذونه عنه، فمنهم من يجد فيه السلفي الذي نابذ انحرافات الطرقية.

ومنهم من يثمِّن فيه قدرته على جمع المختلفين، وتأسيس قواعد العمل المشترك مع المخالفين.

ومنهم من يمثِّل عنده الإسلام بالخصائص الجزائرية.

ومنهم من تعجبه عقلانية الرجل

.... الخ

بالنِّسبة لي يمثِّل ابن باديس الرجل الذي لا يغلب عليه جانب على جانب، ولو أنَّ إنشغالاته الدعوية والعلمية ودوره التنظيمي في الجمعية لم تسمح ببروز جانبه السياسي كما يجب.

كما يبدو لي انَّه ضمن الشخصيات الجزائرية كان أكثرهم تطابقا بين العقل واللسان، مع واقعية الوصف،المعنى عنده أسهل من اللفظ.

ماذا بقي منه..؟

ذكرى سنوية، و تراث مهجور..؟!

وجمعية لا تعيش في وقته ولا في وقتها..!

الصورة :خيَّال جزائري(من منطقة الزِيبان أو الحُضنة والله اعلم) سنة 1908م بعد أن صار ركوب الخيل فانتسيا، وبدأ حجم المظل يتناقص.!

رحمهما الله ...

عندما يكون القارئ نفسه pdf..!

إذا لم تستبن من كتابات الشَّخص تشابها مع بعضها بعضا.

وإذا لم تعرف استقامة الكاتب ونزاهته من المكتوب نفسه، إن كان مطابقا للواقع، صادقا في مقدِّماته.

وإذا لم تفرِّق بين حجَّة يقين شرعيَّة وحجة احتمال مذهبية.

وإذا لم تفطن إلى الفرق بين العقلي المشترك بين البشر، والعقلي المشترك بين أهل الملل، فأنت معتقد بما يكتبه شيوخك فقط, وهذا أثر تصديقك لهم، وليس أثرا لمعرفتك بالمسألة في حدِّ ذاتها (إذا فرضنا علم ومصداقية شيوخك).
فليس لمثلك يكتب النَّاس، ولا مثلك يقدر على إثبات صحَّة دينه، ولا لمثلك نصبت أعلام الحق و أقيمت البراهين وخطت مناهج العلم..!
فتدرب على المطويات!!!

التكنولوجيا و التَّزكية ؟
الظْ َاهر انَّ مبدأ التَّزكية الذي اسرف فيه بعضهم حتى ارتدَّ على نفسه قضت التكنولوجيا الحديثة على البقية الباقية منه ، فقريباً ستحدِّد من هو العالم، وما هي مواصفاته..؟
والظَّاهر انَّ معيارها الوحيد سيكون :من الأكثر مصادمة لتراثه لأنه أكثر لايكات !
فعند غياب الرُّشد يعوِّض النَّاس الحقائق العلميَّة بشذوذ الطَّرح الذي يشعرون معه أنَّهم في جهلهم عالمون، وفي قلَّة تقواهم ناسكون؟
تكلَّم بدون جهد التَّحصيل، وتديَّن بدون تكاليف تزكية النَّفس..!
يسمح لك بمزاولة الطب الأطباء و بالكلام في الدِّين: النت.!

منهج عرض الحقِّ(ما نعتقده) ..؟
من قبِل من المسلمين (بما فيهم السَّلفيَّة المعاصرة) ما عرضه ابن تيميَّة _رحمه اللَّه _من مقالات ومنهج فلأنَّه عرضه على أنَّه مراد القرآن والسُّنَّة وما استنبطه منهما.
فإذا لم يقبل المسلمون اليوم (كثير منهم) ما تعرضه السَّلفيَّة (خصوصا التَّيميَّة) فلأنَّها تعرضه عليهم كمذهب لابن تيميَّة(!) لم تقدر على تملُّكه وإعادة صياغته من جديد.
وعلامة ذلك أنَّهم لا يقبلون كلاماً لا يُذكر فيه ابن تيميَّة أو يرتابون منه.
ولو شرحت لأحدهم مسألةً شرحا شاملا بأدلَّة واضحة لسألك: أين ذكر ابن تيميَّة المسألة.. ؟
ربَّما لم يتكلَّم فيها، أو لم يستوف النَّظر فيها، أو لم يفسِّر العمليَّة ومختلف إجراءاتها..؟
لا يكون الكلام معقولا لأنَّ هذا أو ذاك قاله.. و إن تفاوت النَّاس في الذكاء والشُّهرة

بالعلم والإمامة.
لذا نحتاج إلى سدِّ فجوة قرون.

ما ضرَّ الدِّين إلَّا القصَّاص والقرَّاء!

و إن كان الوعظ من الدِّين إذا قام به صادق في إخباره، عالم بدينه. ولهذين الشَّرطين حذَّر السَّلف من الوعَّاظ، وذمُّوا القرَّاء الذين خرج منهم الغلوُّ.

يقضي أحدهم حياته الدَّعوية في الكلام عن أشراط السَّاعة وعذاب القبر، أو في التَّغنِّي بالقرآن حتى يذيع اسمه وينتشر ذكره ثمَّ تأتي المستجدات فيسأله النَّاس فيكبهم على وجوههم في الفتنة، أو يستخدمه السَّاسة في تأجيج حرب، أو طمس حقائق، أو تنويم النَّاس، أو تشويه مصلح حقيقي.

و إنَّما تنفق سوق الوعَّاظ والقرَّاء (من هذا الجنس) في الأمم الجاهلة بمعنى العلم و قيمته.

ويدخل في الوعظ المطلق كلُّ فنٍّ(أو كل فن لم يكتمل) بما يسمح بتحليل الواقع بموضوعية و بربطه بما يناسبه من نصوص الشَّريعة.

باختصار :لا يمكِّن من التوليف بين الحقائق.

مقياس النجاح في البلاد الخربانة...!

عندما يدبُّ الفشل في عروق أمَّة حتى يكاد يصبح طبعا فيها(!) تتعلَّق بأي نموذج نجاح، ولو كان سطحيا تافها في قيم الأمم الحية، مثل: :الجري خلف جلدة، أو النهيق بكلام خردة..!

عندما تتحوَّل السَّخافة إلى فاحشة..!

من تجاهل الواقع يستطيع العيش على ظهر السَّخافة،فكما قيل :"لو كانت السَّخافة تقتل لتناثرت الجثث في شوارعنا..!"

لقد تحوَّلت الفُرجة إلى سلعة، و تواطأ معها ساكن المجارير... ؟!

عندما ترفض أمَّة مواجهة الحقيقة تتجاهل الواقع فتصبح فرجة لغيرها.

لا تنتهي صلاحية الإنسان بالعبث فتلك مرحلة يمرُّ بها ولكن عندما يجعله فضيلة.

لو كان العقل واعياً لتوقف القلب عن النبض..!

الصورة :ظن الوالد الجاهل أنها لعبة!! والطفل البريء يضحك أو يبكي وهو الأوكد..

أزمة وعي الشباب..!

هناك ميل ملحوظ للشباب _في الآونة الأخيرة _إلى النشاط الدعوي في إطار العمل الجمعوي.

وسبب هذا الاندفاع هو معاينتهم لعدم جدوى النماذج التي يمثلها الشيوخ بحكم مخالطة هذا الشباب للطبقات الاجتماعية عن قرب.

لكن الوجه المظلم لهذا الاستيقاظ هو أنهم زهدوا في العلم لنظرة سلبية للطريقة [التقليدية] لكن زهدهم فيها بلغ لسبب نفسي مع سوء تصور لأسباب المشكل العلم كعلم بغض النظر عن طريقة عرضه.

لهذا أظن أنهم سيكرورن نفس العثرة التي فروا منها، وربما ستكون عثرتهم أسوء لأنهم إن اعتقدوا أن الجانب العملي هو الحل فهذا يعني أن فهمهم للمشكل سطحي للغاية، و أنهم تحت تأثير الموجة الأبيقورية المابعد حداثية التي تجتاح العالم و التي لم يشعروا بتأثيرها السلبي على ردة فعلهم، لأن مشكل الأمة في الذهنية والنفسية السائدة فيها، والتي إن لم تغير فلن تنفع كل الجهود في تحريكها إيجابيا.

ولا تتغير هذه الذهنية والنفسية إلا بالعلم.

الزهد في العلم دليل أزمة جديدة أعقد من أزمة النماذج المنتقدة.

الصورة :عندنا كله "لحم" وكلها "ضلوع" عندنا غيرنا هي مختلفة النوعية والقيمة..!

ما الجزء العلمي في مجموع معارفك (؟) فإن ركام المعلومات المختلفة ليست علما إلا أن تكون تحت فكرة واحدة.

ومن قصد البحر استقل السواقيا.. ؟

كما قيل :كثير من الناس مذهبه آخر كتاب قرأه!

وسرعة الانبهار بالعلماء والمفكرين ثم سجن النفس في فلكهم سببه ما يحمله هذا المثل الشعبي من المعاني "المسكين وقع في الدشيشة فظن أنها المعيشة"!

عندما لا تكون المعارف القاعدية مؤسسة لا نعرف منهج تعليق الحكم إلى نهاية

الدراسة, هذا إن عرفنا أنه من قلب الموازين قراءة الكتاب المتخصص قبل الكتب العامة فضلا عن القراءة الاعتباطية التي لا تتدرج في مشروع فكري.
ولهذا اول من نقرأ له ننبهر به ويهيمن علينا فكره, ونقع في تقليده بالضرورة لأننا لم نقصد البحر، لم نستطلع كل المجال, كأنه علم انبثق فجأة من عدم!
عندما تدرس كل ما يتعلق بفن ما، من بدايته إلى الحالة التي وصل إليها لن تبهرك الأفكار كثيرا لأنك سترصد المسار وتعرف أين تم التلاقح مع غيرها فتقبلها بشرط أو تتحفظ عليها.
المثل العلمي السائر "قانون للاتباع" يقود دائما للمصادر.

روح مواقع التواصل..!

الأثر السلبي لمواقع التواصل على الأمم المتخلفة التي لا تملك مؤسسات علمية خاصة تجمع نخبتها في كل مجال اختصاص وتبقيها في السباق أن هذه المواقع بدات تنحت عقول أبنائها على نموذج الداء المستشري في المجتمعات الغربية والذي تقاومه بتلك المؤسسات العلمية والفكرية التي تنتج الفكر.
هذا الداء (روح هذه المواقع) هو "إثارة الاهتمام لا دقة الحقيقة" لذلك يغلب على هذه المنصات "لعبة الكلمات" أقيسة ظاهرها الصحة وهي في الباطن مغالطات، مهمتها إثارة الاهتمام داخل التيار لأن الناس لم تعد تهتم بالحقيقة الموضوعية ولكن بالحقيقة كما نراها نحن، لذا فإن كل ما يتطلب مني مراجعة المقدمات(أو على الأقل عصر عقلي فيها) لا يهمني، فعقلي يعمل بالتشابه =هو حقيقي كل ما يشبه ما في التيار الذي أنتمي إليه..!
لعبة الكلمات هي معلومات واقعية لكنها ثانوية لا تحسن الإنسان بل تبرر له موقفه فقط...

من زاد علمه زاد عذابه..؟

هذه العبارة المنسوبة للمسيح عليه السلام تذوقها عندما تمر على منشورات الأصدقاء وتجد فيها أخطاء تضرب أساس المعرفة(و إن كان السياق حسنا) فتقع في إشكالية التأويل(لكلام الناس) :"التعارض بين حق القارئ وحق الكاتب" يعني :أن حق الكاتب

أن تفهم مقصوده ومراده, وحقك كقارئ أن تستنطق المكتوب عن أحوال الكاتب النفسية و أساسات معرفته وظروف البيئة التي كتب فيها.
وجه الشبه هو أن الخطأ في منشور الأصدقاء قد يمس أسس نظريتهم, وبالتالي لن يسكتوا عن ملاحظتك, ولن تسكت عن تعقيبهم, والنتيجة بالضرورة ستكون فساد الود.
لذا فإن تسليم الحال هو أحسن ما تساس به صداقات اليوم.
جسور الرومان عمرت طويلا..!

تأبَّط خيرا...

يطمح كل قارئ إلى فهم أكثر للمقروء، وحتى إلى زيادة فهمه للكاتب الذي لم يُفهم، فالعقل لا يشع، و صاحبه لا يبرز إلا على حساب الاخر.
لذا هو مهموم بالابتكار ، ابتكار الفهم، الجمل السريعة، المقارنات الظريفة ،التغريدات المصنوعة حتى لو حشر آي القرآن في كلامه بدون شرط ولا قيد إلا لمناسبة بعيدة.
وهكذا تصبح البراءة من البدعة كالبراءة من الكفر (لكم بدعتكم و لي بدعتي) لأنهم مبتدعة في نظره و هو مبتدع في نظرهم.؟
أم عليه أن يقول : لكم بدعتكم ولي سنتي ..جزم لنفسه –ومن حقه –بالسنة كما جزم غيره لأنفسهم –ومن حقهم –بالسنة..؟ لأن تعلُّق المسلم –مهما كان - بالحق حق لكن إثبات أنه على الحق واجب معجوز عنه عند الغالبية العظمى منهم .
وهكذا مع فقهاء الخطابة، و متكلمة الفيسبوك،و جنرالات التأويل و التفسير " يتفكك العلم و يتفسخ فيقتصر العقل على التصفح و السعي بدون طائل، ويبدأ في الدوران بدون توقف ، يبني و يغرق في بنائه مثل دودة القز حتى يختنق (مونتان ،مقال ،ف:13).
لأنه بدلا من إقامة الدليل - ليس على أنني مصيب و غيري مخطئ ولكن على أن الأدلة الشرعية تسند هذا الموقف وليس ذاك - يتسلى الواحد منا بالتصنيف، ومع بعض كلمات التنفير من هنا وهناك يكتمل الاستدلال.
لا يتقدَّم العقل إذا زاد الكلام ولكن إذا استقر على معنى واضح، و إن لم تعصر عقلك احتله جهل الخطباء.

تشبه الحياة في الفيسبوك حياة الترحال : تتبع المراعي (الكلأ المعنوي و المادي) وخفف كل ما يقبل التخفيف... !
في الحقيقة مواقع التواصل سوق كبير لعرض الذمم و الضمائر و بيع الأقلام ، و سهوب واسعة للصيد...

الجهال في ثوب العلم..!

قال أحدهم :"قالت نابتة الحشوية" ،وهو يقصد علماء ربما لا يساوي (كقيمة علمية ما تحت أظافرهم!
وهذا مثل قول الآخر :"أفراخ الفلاسفة" .
ولو جرد كل واحد منهما كلامه عن هذه العبارات الحمقاء لكان مسألة علمية لطيفة تبتهج بها نفوس العقلاء.
يا أخي العزيز :على كل كلام كلام، فاقتصر على البرهان فإنه واحد، أو أترك المجال لأهله، فلقد صارت الحقائق من تحت ألسنتكم نتنة.
لقد أفسدتم العلم حتى عافه الناس.

اللايكات على التافه لأنه مذهبي..!

قيل :حتى لا تموت غبيا يجب أولا أن لا تحط نفسك بالحمقى..!
خصوصا من مذهبك.اللايكات على التافه لأنه مذهبي..!

إضاءة من الخطوط المبدئية لمنهج ابن تيمية المعرفي ...

- لا يوجد شيء يُسمَّى " صقلته الأذهان - حققه الأوائل - قبله الفضلاء" إذا لم يكن نقلا عن معصوم يجب تصديقه أو لم يكن إجماعا، لأنَّه لا يزال العقلاء ينكرون على العقلاء، و لأنَّه مادام النزاع فيه قديما فلا يوجد قول بأولى من قول إلا بدليل.
- و إذا تعلَّق الأمر بعلوم عقلية محضة فإنَّ الأصل فيها أن تُعلم بمجرَّد العقل[و إن أخذها آخذ بالتقليد] ، وما كان كذلك لا يجوز تصحيحه بالنقل، بل لا يتكلَّم فيه إلا بالمعقول المجرَّد (المجرَّد عن التأثيرات المذهبية) = العقل الصريح.
ومتى دلَّ العقل الصريح على بطلان شيء منه لم يكن لنا رده لأنَّ ما أخذ عمَّن يجب

تصديقه يصحَّح بالنقل، وما أخذ عن عقل محض يصحَّح بالعقل الصريح.
راجع ابن تيمية ،الرد على المنطقيين ضمن مجموع الفتاوى 1/208 .
بطبيعة الحال فإن تتبع الأقوال،و استعراض المذاهب و تحديد النظريات جزء من العملية العلمية لكن لا يجب أن نقع في العكس فنجعل ما يتطلب التوثيق لمعرفة حاله في الأزمنة الفاضلة للإسلام،أو المتلقى عن المعصوم ملغى بالعقل الفلسفي أو غيره ،أو نطلب التوثيق كشرط على الصحة لما هو بديهي ضروري.

السلفية بين الانتشار والإنكماش..؟
إذا لم يكن انتشار فكرة دليلا على وضوحها أو حقانيتها فكذلك انكماشها لا يدل على ضبابيتها و فسادها، وإلا كان انكماش بعض الأفكار في وقت الانتشار السريع للسلفية دليلا على فساد هذه الأفكار.
إذا نحن أمام حجة حشوية سوقية لنتركها على جانب.
انتشرت السلفية بتلك الطريقة لأسباب كثيرة منها :
1) _ان الأفكار المخالفة لها كانت في سبات عميق في تقليد مميت، عاجزة عن تجديد نفسها.
فمن هذه الحيثية عليها أن تحمد السلفية من جهتين :من جهة أنها دفعتها إلى الاستيقاظ و نوع تجديد لخطابها ،ومن جهة عمل غلو السلفية وافتعالها المعارك التافهة مع المسلمين إلى تبديد رصيدها .
2) _أن السلفية تيارات مختلفة جدا في تنزيل الأصول المتفق عليها بينها على الواقع، إلى حد يصعب فيه على العاقل تصديق وحدة أصولها. وبالتالي فإن انهيار التجريحية في منهج cannibalisme كالحيوان الذي إذا لم يجد ما ياكله اكل أبناء جنسه، فإن لم يجدهم اكل أطرافه، إلا أن السلفية التجريحية فاقته بشاعة فاكلت رأسها!
ونفس الشيء وقع للسلفية الوعيدية تجاوزها الواقع ،وظهرت سطحية تأصيلاتها، وسذاجة تفكيرها ،مع الهزائم في كل مكان.
3) _مراجعة كثير من السلفيين لأنفسهم, وواضح جدا لكل عاقل أن أقوى النقد على السلفية هو ما كتبه السلفيون أنفسهم ،اما نقد غيرهم فأكثره تهويل وخطابة.
وإذا لم تفهم السلفية أن كل فكرة لها قوة انطلاقة (لا علاقة لها بصوابيتها) تستنفذ

بسرعة إن لم تجدد نفسها فهذا لازم لجميع الأفكار.
ومن يسكن على هذا الكوكب يعلم أن تراجع السلفية لم تعوضه أفكار دينية أخرى حتى يفرح المخالف (وان كان فرحه مبررا فإن البغي طبع علاقاتها بأهل الدين)بل التغريب الذي يعوم على كل شيء!
وانتشاره ليس دليلا على ضبابية جوهر الفكرة السلفية وحدها بل على ضبابية الفكر الديني المعاصر كله. فلا يدع العاقل مدخليته الخاصة تغلبه حتى يقول قولا أو حالا :التغريب ولا السلفية!!!
وكل من لا يفرق بين أنواع السلفيين فهو أسوء من أرذل نسخهم.

بلوغ العمر [الميتافيزيقي] ؟

هو العمر الذي تتعالى فيه عن الانطباع المباشر إلى تجريد المسائل عن مركزية الاهتمام بنفسك ،وعن علاقاتها بالذوات.
وعلى هذا :يعجبني قولك(بغض النظر عن مذهبك وشخصك) ليس لأنه من عالم آخر ،ولكن فقط وفقط لأن عقلي أعطاه قيمة.
فالإعجاب بالقول الفاضل دليل على فضل عقل المعجب، وليس لأنه يبيع الاعجابات ، أو يعقد بها التحالفات.. هكذا افهم القضية.

كيف تفهم ما تقرأ..؟

تخلص_فقط _من سوء الظن وو يرحمها ربي(إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث)

فلسطين والسياسة... ؟

أي حركة تقوم بها دولة ما لصالح فلسطين هي(كما ونوعا) متأثرة مباشرة بمقدار شرعية نظامها المرتبطة ضرورة بعدالته الاجتماعية.

يضيِّق الصيامُ الفكر، ولكنه يقوِّي الإرادة، فاصرفها في الصَّلاة والقرآن.

والنَّفس راغبةٌ إذا رغَّبتها ✿✿وإذا تردُّ إلى قليل تقنع

🕮وفَّقنا اللّه و إيَّاكم 🕮

الكتبُ وتكثير الغثِّ..!

إذا كانت القراءة حجر الزَّاوية في بناء الأمم لأنَّها ثقافة السُّلوك لتملُّك الكفاءات؛ تحدُّ العقل للوصول إلى المعرفة فقد أصبح الكتاب حليف المسلم في كلِّ معارك اليوم.

وإذا كان الكتاب الدِّينيُّ هو حارس التراث لكنه كذلك يجب أن يكون التَّعبير عن إبداع هذا التُّراث وخلاقيته الجديدة في جعل الإنسان المسلم دليلا لعصره.

فإذا كان دور الكتاب الدِّينيِّ إعادة إحياء الفطرة أو معالجة التشوُّهات التي ألحقتها بها القرون والظُّروف فإنَّه كذلك أداة لتقدُّم المسلم في مراحل الحياة كما في مقامات العبودية.

إن لم يعبِّر الكتاب عن أصالة الفكرة ، ولم يشهد على تفاعلها مع أهلها وواقعهم لم يُعط فرصة لمضاعفة المعرفة الشَّرعيَّة أو غيرها، وتدقيقها وتعميقها، وسيكون مجرَّد مضغ لمادَّة لم نلمس روحها فلن تشرق بها أيامُنا.

النَّفس المضطربة مشتَّتة،ليست ناضجةً للعلم و الحكمة،و لا لعمل صالح دائم ..فاعقلها إلى باب واحد..النَّفس المضطربة مشتَّتة،ليست ناضجةً للعلم و الحكمة،و لا لعمل صالح دائم ..فاعقلها إلى باب واحد...

تحوِّر الكتابة الواقع و تنقله إلى مكان آخر(كما قيل) فتبرز أشياء _مع جرِّ القلم على الورق _لم تكن في فكرك عند بداية الكتابة... تنفَّس بالقلم..

المسجون في خواطر السُّوء..!

....

يعجز الإنسان المعاصر عن قوَّة عبادة السَّلف ليس لأنَّه مقيَّد بسلاسل من حديد، أو لأنَّه لا يعرف فضل العبادة ولكن لذلِّ قلبه لخواطر السُّوء.

تقدِّم لنا الحياة _بدون هدنة _تحديَّات لا تنتهي، ما إن تخرج من واحدٍ حتى تدخل في جديد، فتصيبنا خواطر السُّوء من كلِّ الأنواع (عن الذَّات، الأسرة، المجتمع...) وهذا طبيعي فلابدَّ من لمَّة الشَّيطان، لكن أوضاع الحياة في بلداننا العربيَّة تغذِّيها حتى تسمِّم

العقول، وتقود إلى انحراف الإدراك.
لذا يبقى كثير منَّا يجترّ فيها معتقداً أنَّه قادر على حلِّها بمجرَّد التَّفكير فيها.
و عندما تقاومها فإنَّها تثابر لأنَّ علاجها في إنكارها بالقلب، فصريح الإيمان كراهية ذلك وبغضه، وفرار القلب منه ،والتَّعوُّذ باللَّه منه، و الانتقال إلى شيء آخر.
خواطر السُّوء سببٌ خفي للوهن في العبادة والطَّلب فللقلب محبوبات يتعلَّق بها كلَّما تذكَّرها انصرف إليها، فتدبر ما يجذبه وما يصرفه فإنَّه ينجذب إلى محبوباته وينصرف عن مكروهاته. القلب إمَّا في حبِّ ما قد كان، وإمَّا في رجاء أن يكون،وهذا القسم من الخواطر الأخفى من وساوس الشيطان لأنَّ خواطر الكفر والنِّفاق يكرهها القلب المؤمن ويتألَّم منها بخلاف الأولى.
زد في المقتضي لجمع القلب على الخير(معرفة اللَّه وذكره بخوف ورجاء) يضعف الشَّاغل ويزول العارض، وافعل ما تقدر عليه من أسباب الخير فإنَّه يثبِّتك، ويزيدك ثقةً في اللَّه ،و من ثمَّ في نفسك...

الفقه البديع.. .
قول أمير المؤمنين عمر بن الخطَّاب _رضي الله عنه _:((إنِّي لأجهز الجيش و أنا في الصَّلاة))
هل هو نقصان من الخشوع في الصَّلاة والاشتغال بما ليس منها (ينقصها) ...؟
توجيه ابن تيميَّة للحديث بديع...

التفكير الكارثي ...!
ينطُّ بعضنا في العلم كما ينطُّ في العمل، يبدأ الشيء ولا يتمه،يريد الشيء بسرعة وبأدنى جهد.
و قيمة الفعل أن تتقنه ، لذا لا ينتج له من الثمرات والآثار إلَّا ما يليق به:نقصان ما هو بصدده عن الكمال المقدور، وهكذا نقضي حياتنا نمشي كالبط ...!

عندما تنهار حضارة لا تنهار أنظمتها في الحكم وعمرانها و جحافلها فقط بل ينهار فيها الإنسان فيفقد توازنه ليقيم حربا بين المتلازمات :القول والإرادة ،العلم والذوق،

العقل والنقل،الرجل والمرأة ،فضلا عن معركة الأصل والعصر.
الحرب في داخله على أشدها، ويفقد مقياس المتعة والشهوة (والفضيلة والرذيلة فيغالي فيما تلبس به) فتتكاثر فيه كل أمراض الباطن التي تشوه فطرته الآدمية.
ليس المشكل في أمة ما تكاثر التيارات الفكرية فيها ولو كانت في طرفي نقيض، فهذا لا تخلو منه أمة من الأمم حتى في الفترة الذهبية للمسلمين كانوا تيارات مختلفة.
الفارق هو بين أمة تنتج فكرها وبين أمة تتلقاه من تاريخها أو من غيرها صورة باهتة جامدة لا حياة فيها فيولد فيها الصراعات الإقصائية و يزيدها وهنا على وهن، لأنها في حال انهيار لإنسان لن ير من تراثه إلا الصورة التفاعلية بين طوائفه.
وليس المشكل في اعتقاد كل طائفة أنها مصيبة ولكن في توجيه فكرها لخدمة المصالح المشتركة للأمة في وجودها ونهضتها، في إيجاد الحكم الراشد.
المشكل الجوهري الذي نعاني منه هو اعتقاد كل طرف بأنه يمكن لفكرته الخاصة أن تهيمن على البقية، فهو مع الأمة لكن بشرط عدم وجود الآخر، في تصور لم يكن إلا في عهد النبوة، تصنعه القراءة المبتسرة للتاريخ وقياس بين أزمنة مختلفة.
وعليه فإن تعليق المشكل على طائفة أو طائفتين ليس هو الحل..
عندما تنهار حضارة فإن انهيارها يأخذ قرونا لكننا لا ننتبه إليه إلا بعد الانهيار العسكري ومعاينة ما عليه العدو من أسباب القوة.
كذلك عودة الأمم تحتاج إلى وقت طويل لذا فما تراه من تخبط و أصوات ترتفع ثم تختفي هو أمر طبيعي..

السياق والمعنى :الكلمة الواحدة، تطلقها في حقك فتكون من التواضع، وفي حقِّ غيرك سبَّة..!السياق والمعنى :الكلمة الواحدة، تطلقها في حقك فتكون من التواضع، وفي حقِّ غيرك سبَّة..!

الخوف من الاختلاف..
الاختلاف حقيقة لم تعد من قرون بحاجة إلى معاينة وإثبات، والتفكير فيها من هذه الجهة عطل في العقل، فلم يبق للتفكير فيه إلا في كيفية تسييره وإدارته.
هناك مسلمات خاطئة راسخة في عقولنا، اكتسبناها من عدم الشعور بالمسؤولية

السياسية، يعني: بالاطار العام لشروط وجود أمَّة فعَّالة، فأنا في طائفتي ومذهبي وجماعتي مسؤول عن الصحة العلمية لمذهبي وفقط، وكل ما يمس ما هو خارج الحقيقة العلمية لمعتقدي لا يهمني.

من ضمن هذه المسلمات الخاطئة والمدمرة _في الحقيقة_ هي أن الاتِّفاق على كل شيء شرط لنتفاهم، وهذا خطأ خطير قد يهدر قرونا من الجهود، ويلقي بها في نار الصراع الضار، إذ التفاهم هو تحديد مشترك بين مختلفين يتجاوز نقاط الافتراق و يضعها في مكانها، ويمنع فيضانها على المشتركات.

وكذلك الاعتقاد بأنه يجب أن نكون على رأي واحد، وهنا لا يميِّز بعض الناس بين أن نكون على قلب رجل واحد، وبين أن نكون على عقل رجل الواحد، الأولى إشارة إلى المحبة والائتلاف والأخوة، بينما الثاني مخالف لطبيعة الإنسان في أسرته ومجتمعه.

لا يمكن أن نسيِّر الاختلاف بدون أن نفهم كيف يفكِّر المخالف، بدون أن نقبل حقه في الاستقلالية.

لذا نحتاج إلى أن نفهم الأسباب التي جعلت تلك الشخصيات المختلفة التي ذكرها ابن حزم في "الرسائل" تربطها صداقات حميمة..؟

أظنُّ أن التعرُّف على الأشخاص عن قرب، في الحياة الواقعية مختلف جدا عن التعرُّف عليها من كتب الخلاف الفقهي أو الكلامي.

لا يمكن تجاوز سلبيات الاختلاف بدون أن نقبله ،ولا يمكن أن نقبل المخالف بدون أن نحبَّ فيه شيئا ما، كالانتماء لنفس الدين ونفس الحضارة والتاريخ واللغة والمصير.

لا يمكن أن نسيِّر الاختلاف بدون الاستماع إلى المخالف استماعا نشطا إيجابيا، تسبقه النِّيَّة الصادقة وليس الاستماع السلبي الذي بيَّت الأجوبة والحكم.

عندما تقبل الاختلاف فإنك لن تبحث عن إثبات تفوُّق تفكيرك ولكن عن إبراز ميزاته. وبهذا يكون الالتقاء تبادلا وليس مواجهة صدامية.

نعلم أن الاختلاف إن لم يروِّضه العقل ينتج _في العادة_ العداوة لذا عندما تراه قد كبح نهضة أمة فاعلم أن عقلها لم يعمل عليه بعدُ.

عندما أقول :"تسيير الاختلاف يتطلَّب قبوله" فأعني قبول وجوده، وإلا فإن أمام كل طرف واجب الحقيقة التي عليه أن يدعو إليها.

وعليه؛ فقبول الاختلاف لا يعني التخلي عن القناعات وعدم الدعوة إليها، فهذا واجب

أخلاقي..
... ولكن يعني حصره في إطاره الفكري و انتقاء لغة علمية راقية ،مع فهم الحائل العلمي والنَّفسي والتاريخي بين الناس وبين قناعاتك.

داء الكتابة :
عندما يأخذ الإنسان حكاك الكتابة فلا يشفيه إلا صوت حك القلم... صمويل لوفرداء الكتابة :
عندما يأخذ الإنسان حكاك الكتابة فلا يشفيه إلا صوت حك القلم... صمويل لوفر

عندما تعجز ثقافة..
عندما لا نكون الأفضل في فترة ما، عندما لا نبرز بين الأمم في شيء مهمٍّ نجد حاجة ماسة لأنْ نقبل أنفسنا كما نحن، فنجعل من النَّجاح التامِّ في الفشل قيمةً كبيرة...! عند بعض الأمم تجعله من باب السُّخرية(الأدب الساخر من الذات) لكن عند أخرى يكون بتحويل التافه إلى قيمة، كما نفعل نحن مع كرة القدم.
عندما تعجز ثقافة فإنَّها تعجز عن تقديم نماذج إنسانية معاصرة للفضيلة والإنجاز الذي تتفوَّق به ، فإمَّا تكرِّر قصص نماذج الماضي، وإمَّا تصنع من الزُّعر(voyou) نماذجها،{بل يريد الإنسان ليفجر أمامه}.

ابن باديس والسلفية.. ؟
ما علاقة السلفية الجزائرية بابن باديس، ولا أقصد الاقتباس من كلامه، ولكن صلة المولد والمنشأ،و تطابق المنهج ،فالرجل تنويري على طريقة ابن عاشور ومحمد عبده، سلفي المعتقد، مالكي المذهب، له آراء سياسية، حركي التصور الدعوي، بينما الغالب على السلفية الجزائرية إما النجدية و إما الألبانية، من حيث المنهج والمرجعية و الولاء..؟
وعلى هذا فإن نفور كثير من السلفيين من جمعية العلماء سببه منافرتهم لمنهج الرجل وليس ما قد يُحصى على الجمعية من سلبيات.

البهجة بالتفاهة..!

....

لاباس أن يقبَّل الإنسان للوهلة الأولى خداع الحواس وفخ المتعة ويتبع طُعم الأهواء بدون تمييز بين الأشياء وظلالها، فنادرا ما يرتعد الإنسان من شهواته(على تعبير جاك لندن).

اي فائدة لأمة ضعيفة في بذل كل ذاك العَرق والإيمان بالنفس وشدة الاهتمام اليوم لتفوز غدا (إذا قدِّر) في رياضة ما، أو في مسابقة أغاني، ثم تكون _في نفس اليوم_ تفاهة ضمن بقية تفاهاتها الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والحضارية المعاصرة ..؟!

نعم، قد تستفيد الأمم القوية من التفاهات في مجال ما، وهذه موهبة جميلة عند تلك الأمم، أمَّا نحن فصنعنا من الذهب الأصفر والأسود فقراً، فكيف نجني من اللَّعب إذا أفلسنا في الجد ..؟!

مجاوزة الحدِّ عندنا في الاحتفاء بالتفاهة علامة على التخلُّف وتغيُّر الأولويات لا غير..

في تعبير ليفلسوفٍ :في هذا العالم (قد) يغبط العاقل أولئك الذين يتقدَّمون في الحياة بالسباحة على سطح الأشياء، الذين كل شيء عندهم متعة وخفة، حيث السعادة تحت الطَّلب؛ كلَّما تأهَّل فريقهم لنهائيات صراع الثيران! أو فاز مطربهم..!

البهجة والضحك عندهم في تواريخ محدَّدة،جمعوا عيدانها ليحرقوا بها حرمة شهر رمضان..! قد حرَّروا أنفسهم من أثقال الوعي و تخلَّصوا من النفس اللوامة ليتخلَّصوا من بؤسهم.

يتركون أنفسهم تحملها أمواج التفاهات التي يصنعها لهم الساحر الغربي، فهم شديدو الحرص على تطبيق وصفاته ليعيشوا في مجتمع المتعة مهما كانت الظروف.!

الإنسان التافه هو في غاية السعادة بتفاهته، لا يقشعر جلده من آية أو من حال أمته المتذيلة لأمم تعبد الفئران أو الفروج، ولكن مع كلِّ وصلة إشهار، ومع كلِّ كرة تدخل شباك منافسه...!

التافهون عندنا يتبعون ما عليه العالم من تفاهة، لهذا فإنَّ التفاهة في شعوبنا محنة لا تتركهم سالمين، لأنَّها تفلسهم و تتعبهم، وتفرغ جيوبهم كما تفرغ عقولهم؛ تأخذهم في

جولة للفخر والاعتزاز بدون محتوى ولا قيمة....
نرجو لأمتنا أن تفرح لكن بدون أن يُستخف بها فتطيع.
بعيدا عن الاستراتيجية الإعلامية ماذا تعني لنا واقعة "محمدو غاساما"خاصة جوابا على سؤال الدكتور عبد الكريم بكار عن قوانين التجنس؟

قد قيل كلُّ شيء... لو لم تتغير معاني الكلمات..!

قيل لي :اتبع جدك.
قلت :نعم حيث تبيَّن لي صوابه.
قالوا :لا، أتبعه وخلاص!
قلت:هل كان نبيًّا؟
قالوا :لا
قلت :إذن أتبعه فقط لأنَّه جدي ليس لأنَّ قوله صواب.!
قالوا :قد كان عالما.
قلت :نعم؛ وافتخر بذلك لكن كيف أصنع فيما تبيَّن لي أنه أخطأ فيه..؟
قالوا:هو معذور، و الأقوال كلها صحيحة
قلت :أنا لست هو، فأنا محاسب على علمي، وهو محاسب على علمه.
فهذا الكلام صحيح لأخي الذي لم يظهر له خطأ جدنا.
قالوا :بدون جدال، فقد ذمَّته الشَّريعة
قلت:تريدون أن أتبعهnostalgie ..؟!
لا يمكن لإنسان حي الضمير أن يعمل بخلاف اعتقاده، إن لم تفهموا هذا فرحمة الله على عقولكم التالفة.
وانتم مشكل لا يقلُّ ضررا عن مشكل الذي ذمَّ التقليد بدون قيد ولا شرط.
ومشكلة أمتنا ليست في تراثها وتعدِّده ولكن في غلوِّ الأطراف، وتصدُّرهم المشهد.
مشكلتكم في تراث بلدكم الذي لم تخدموه،فلم يخدمكم في تقليل تسوُّلكم الثقافة والدين شرقا وغربا.
الفكر يواجه بالفكر وليس بهذه الخزعبلات، والحقيقة لا وطن لها إلا قلوب الصالحين

الأحرار.

منطق المناويين هو منطق يبسِّط العلاقات بين الأشياء ويردُّها إلى تعارض "خير أو شر".
وهو منطق خطير في بعض التَّفكير ، سائد عند الناس لأنَّ الاستثناء بالتقييد أو التخصيص يرهق العقل .
مشكلة هذا المنطق أنَّه لا يقابل بين المتناقضات و المتضادات المحضة فحسب، ولكن كذلك بين متقابلين بينهما وسط!
ولو تمعَّنت في كثير من اختلافات المسلمين ستجدها مبنيَّةً عليه، فمثلا انتقادي لشيء لا يعني بحثي عن أقصى نقيض له،وإن كان بعض النَّاس قد يجعل من الحبَّة قبَّة.
الاعتدال هو توليف علمي في قضايا تبعَّض فيها الصَّواب.

العلماء كالأزهار تزيِّن بعضها بعضاً، والعلم يتحرَّك نحو العلم ،ناثراً الأدب و المودة.
إذا لم تجد هذا(!) فلا تطيل المكوث فيكثر إفسادك؛ولا تغرَّنك عمامة، ولا تزكية، و لا تشقيق الكلام، ولا تفريع المسائل .

التلفزيون آلة تقضم روح الإنسان لكن لا شفاء لإدمان الناس عليه إلا أن يكون عندهم زهد في المباح أو إمكانيات مادية يعوِّضون بها هذا المتنفس، في انتظار أن يصل الإعلام المنضبط بثقافتنا إلى توفير الحاجة .

آفة العقل...!
عندما يعتاد الإنسان التَّدقيق العلميَّ يزهد لا إراديا في الوعظ،والكلام البسيط، وهنا يلزمه العودة إلى هذه الحقيقة :قد تكون نجاتك في تلك الكلمات التي يفهمها كلُّ النَّاس،رأى أحدهم الجنيد في المنام فسأله :"ما فعل الله بك؟ قال :طاحت تلك الإشارات و ذهبت تلك العبارات، وما حصَّلنا إلَّا ركعتين كنَّا نصليهما في اللَّيل!".

لا يتحدَّث الانسان الَّا بما صعد إلى سطح قلبه؛ وكلُّ حديث عن النَّاس أو للنَّاس لا ينطلق من تجربتك الشَّخصيَّة معه هو تفلسف فارغ،مِن جنس من اشتغلوا بحكاية أخبار الصَّالحين عن إصلاح السرائر.
وعندما يكون الإنسان موفَّقاً فإنَّه لا يُسأل ولا يتحدَّث إلَّا فيما يعرف.. قد عرفتَ متى خُذلت..!
... يوجد في أكثر الأحيان أشياء مفقودة في أعماق الرُّوح أكثر من أعماق البحر..
ف/هيغو

الصلاة خلف المجنون..؟

في سنة 1998م(علي ما اظن) خرجت لصلاة العشاء متأخرا وعند اقترابي من المسجد سمعت الإمام يتكلم بالقرآن كما يتكلم الإنسان بدارجته فقلت في نفسي :لعله على مذهب مالك ولكنه بالغ كثيرا؟ دخلت المسجد وصليت معهم على تلك الحال، بعد انقضاء الصلاة قام الإمام وتوجه لأحدهم معروف بالتشغيب (ملتحي) وقال له :فلان! تنطق كلمة استدعي الشرطة(يخوفه بتهمة الإرهاب) ، ثم توجه إلى جموع المصلين وقال لنا :إذا أحببتم صليت بكم غدا.
وبعد أن تمعنت فيه جيدا وجدته مجنون الحي! فسألت عن هذه المصيبة فقال لي بعض الحضور:لما حان وقت الصلاة بدأ الإخوة المتعلمون يتادفعون الإمامة بينهما ورعا باردا فتقدم المجنون وأمر بإقامة الصلاة فاطاعوه.. وصلى بهم!!

محمد أبو راس المعسكري.؟

شخصية علمية فذة و ثرية ،صاحب الإنتاج العلمي المتعدد، و الذي صنَّف في جل العلوم الشرعية، ودوَّن في رحلاته لتاريخ غرب أفريقيا و لأفريقيا الاستوائية و للعالم الإسلامي من خلال لقاءاته مع علماء كل بلدة.
بلغ نشاطه العلمي ترتيب فقه ابى حنيفة وهو مالكي، وتناول مسألة الاختلاف المذهبي، والاجتهاد وعذر الأئمة، ومنزلة الاختلاف لأنَّه درس الفقه الحنبلي والشافعي والحنفي زيادة على فقهه المالكي،وحفظ الحديث، وجالس أئمة الوهابية وأبدى رأيه في مذهبهم ، وناقش علماء الرملة حول القهوة والدخان(السجائر) .

رجل من معسكر يكتب عن تاريخ جربة !
وسجَّل كل ما يتعلق بفتح وهران وطرد الإسبان منها سنة 1795م، و تناول ثورة الدرقاوة على السلطة التركية سنة 1802م (درء الشقاوة في حرب درقاوة) و عشرات الكتب الأخرى، لا يعرف عنه الجزائريون إلا اليسير!
أسس بمعسكر مكتبة المذاهب الأربعة (المدرسة المحمدية)لأنه كان يفتي بالراجح منها.
فهل هذا التوجه عائد إلى ثقافته الفقهية والأصولية و إلى رحلاته العديدة (الانفتاح على الآخرين)أم إلى.. ..؟

اجعل اللَّه أمامك ولن تخشى شيئا خلفك... مثل انجليزي!!!اجعل اللَّه أمامك ولن تخشى شيئا خلفك... مثل انجليزي!!!

الفقه البديع : متى تجوز اليمين الغموس ؟
سئل ابن تيمية عن : ((رجل تعرض لامرأة غيره فزنا بها، ثم تاب من ذلك، وسأله زوجها عن ذلك فأنكر، فطلب استحلافه، فإن حلف على نفي الفعل كانت يمينه غموسا، وإن لم يحلف قويت التهمة، وإن أقر جرى عليه وعليها من الشر أمر عظيم...؟
قال: فأفتيته أنه يضم إلى التوبة فيما بينه وبين الله تعالى الإحسان إلى الزوج بالدعاء والاستغفار والصدقة عنه ونحو ذلك بما يكون بإزاء إيذائه له في أهله، فإن الزنا بها تعلق به حق الله تعالى، وحق زوجها من جنس حقه في عرضه، وليس مما ينجبر بالمثل كالدماء والأموال، بل هو من جنس القذف الذي جزاؤه من غير جنسه، فتكون توبة هذا كتوبة القاذف، وتعريضه كتعريضه،وحلفه على التعرض كحلفه، وأما لو ظلمه في دم أو مال فإنه لا بد من إيفاء الحق فإن له بدلا، وقد نص أحمد رضي الله عنه في الفرق بين توبة القاتل وبين توبة القاذف.
وهذا الباب ونحوه فيه خلاص عظيم وتفريج كربات للنفوس من آثار المعاصي والمظالم، فإن الفقيه كل الفقيه الذي لا يؤيس الناس من رحمة الله عز وجل، ولا يجرؤهم على معاصي الله تعالى، وجميع النفوس لا بد أن تذنب، فتعريف النفوس ما

يخلصها من الذنوب من التوبة والحسنات الماحيات كالكفارات، والعقوبات هو من أعظم فوائد الشريعة)) المستدرك على مجموع الفتاوى 3/209.
وقد رخص الفقهاء في اليمين الغموس للضرورة مستدلين بقوله تعالى : (من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره و قلبه مطمئن بالإيمان و لكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله و لهم عذاب عظيم) فإن أباح الإكراه كلمة الكفر فإباحته لليمين الغموس أولى، وما أباح أكل المحرمات أباح النطق بما هو محرم.
الفائدة هنا: أنه لا يوجد شيء لا توبة منه ، و لا يوجد في التوبة ما يضر التائب بشكل من الأشكال ،وهذا من عظمة الإسلام في نفي الحرج ، وقول ابن تيمية : "و جميع النفوس لا بد أن تذنب" حقيقة وجودية عظيمة تتطلب حقيقة شرعية أعظم وهي الرحمة التي تضمنتها الشريعة ، و حقيقة الفقه هو رد الناس إلى رحمة الله.
الإشكال الفقهي في مسألة ابن تيمية : هل يكفر عن هذه اليمين الغموس ...؟

صدقة الفطر... ؟

إلى حد الساعة لم أقرأ منشورا في هذا الباب إلا في مسألة إخراجها نقدا أو قوتا !
والمسألة فيها قضايا عديدة تهم الناس أكثر من هذه الجزئية مثل: تقديم إخراجها بأيام أو بأسابيع، ومثل إعطائها لغير المسلم!!
لأنه في الغالب إذا أخذها المسكين اليوم (كل شيء مغلوق خاصة إن كانت دقيقا) ما بين الفجر وصلاة العيد راحت عليه فرحة العيد (بالطعام أو الحلوى أو الكسوى مما شرعت لأجله وهو المواساة)

نقطة فارقة...!

الناس في دعاء القنوت في صلاة التراويح لا يتصنعون البكاء ولكن النفس مفطورة على التأثر بالجماعة ولو كانت منفردة صعب عليها البكاء لأن البكاء من المعنى غير البكاء من الصوت وتأثير الجماعة..
قد شرح هذه الظاهرة(بكاء النفس عند سماع القرآن بدلا من الاطمئنان) ابن تيمية رحمه الله.
واما تطويل هذا القنوت فاجتهاد لا أعلم دليله حتى عند الإمام أحمد كأنهم أخذوا قوله

في القنوت في رمضان وضموا إليه دعاء ختم القرآن عند الجيلاني لكنهم يفعلونه يوميا؟!

من فقه البسطاء :"عريان الركابي اشرو(ا) له خاتم". .!من فقه البسطاء :"عريان الركابي اشرو(ا) له خاتم". .!

مشكلة المسلمين ليست في إشكاليات تراثهم العلمي ولكن في تصفية حساباتهم به!مشكلة المسلمين ليست في إشكاليات تراثهم العلمي ولكن في تصفية حساباتهم به!

لم يكن المشكل في يوم ما في نوع المسائل التي يتجادل حولها المسلمون(إلا عند المتعصبة) ولكن نوع المقاربة.

لذا معركتنا اليوم في تعليم الناس المقاربة العلمية الصحيحة وليس في هجر هذه الموضوعات.

من لم يدرس أصول الفقه دراسة من أحصى مدارسه وفروعها ،ولمس عن قرب أسباب اختلافها: فمن الخوض فيما لا يعنيه وصفه الأفعال و الأقوال التي كان عليها العلماء بالبدعة.

و أمّا تبديع الأشخاص فمقامرة بدينه.

وفي قول الأئمة :"هذا خلاف السُّنَّة، هذا معاندة للحديث،.... الخ" ما يحفظ عليك دينك .

ومن المُلح جدًّا دراسة أفعال النَّبيِّ صلَّى اللَّه عليه وسلَّم _وقد أبدع المالكية في تقسيمها_فإنَّ أكثر التَّبديع فيها.

من الحسن مراعاة عدد الركعات في قيام رمضان وغيره و كذلك مراعاة الكيفية؟

(الصَّلاة خيرُ موضوعٍ ، فمن استطاع أن يستكثر فليستكثر)هذا لفظ الطبراني، ورواه غيره، وفي الأسانيد كلام ،لكن يتقوَّى بمجموعها ،ولذا حسَّنه الألباني في صحيح

الجامع (3870) .
فماذا يدخل في الإكثار :الكم أم الكيف كإطالة القراءة والركوع والسجود.. بحسب مدة القراءة ..؟

لم يطرأ جديد في ليلة القدر =أخفيت عنا؛ فزد في الخير إلى نهاية الشهر ولا تقف طويلا عند علم الإشارة والقياس، قد حسم النص أمرهالم يطرأ جديد في ليلة القدر =أخفيت عنا؛ فزد في الخير إلى نهاية الشهر ولا تقف طويلا عند علم الإشارة والقياس، قد حسم النص أمرها

برلمان(سوق) بيع البقر!!
عندما تكون المشاكل عميقة تمسُّ الحياة برمَّتها وليس بعض جوانبها فقط،لذا نُناكف في كلِّ شيء.
الفهم عمل جاد والجهل كسل فقط..
و أشد صور الكسل العقلي فتكا هي ملء العقل بالأمور السطحية حتى لا يبقى مكان للمسائل الحقيقية.

أجمل ما يصنع ابن آدم لأخيه: جبر الخاطر بالمواساة أو بعدم تذكيره بالحرمان.
راقب ما تنشر...أجمل ما يصنع ابن آدم لأخيه: جبر الخاطر بالمواساة أو بعدم تذكيره بالحرمان.
راقب ما تنشر...

الرضا والسلام..
....
في الحياة، في طريق النجاح و الثراء يسير صنفان من الناس :نوع ذاهب فيه ونوع راجع منه، و سخط أولئك لا يمنع هؤلاء من التقدم فيه، لأن الإنسان يريد أن يرى كل شيء بأم عينيه، لا يريد أن يصدق إلا بتجربته الخاصة (برويس)
قال بعض الحكماء :يتحوَّل سخطنا على أنفسنا إلى سخط على كل شيء، حتى يفرغنا

حتى النخاع من الاطمئنان (يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية)، الاطمئنان مقرون بالرضا.
عندما نشعر بالفقر ولا نرى أبعد منه يقلق وعينا فيرى المستقبل غير محدد، و الحاضر مترنحا، فيغمرنا السخط ،ويفتح فينا أبواب الهم والغم، وشتات القلب حتى يغلب علينا تقلُّب الحال، ونفقد الاستقرار والسلام مع النفس.
الساخط يجرُّ الحياة كأنها دلو امتلأ بالتراب، فيثقل القلب ويظلم الفكر.
ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم :"ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربًّا" اي :رضي بتدبير الله له لأنَّ الرضا سكون القلب إلى الاختيار (وربك يخلق ما يشاء ويختار).
والرضا عن الله يطرد كل الأغيار من قلب العبد، فهو كما قال العارفون :علامة على صحة العلم بالله، ومتى كان العلم بالله صحيحا استقر في قلب العبد.
الرضا بالله ربًّا يثمر الرضا برسوله والرضا بدينه، فالرضا يبدأ بالرضا بما أعطى، ثم بما قدر وقضى فيدخل فيه الرضا بما منع.
يبدأ رضا عن الله ويصير رضا بالله.
يحصل الرضا بمعرفة الله وأنه يمنع ويبتلي رحمةً، وبلزوم ما يرضيه، فمن لزم محبوبات الحق احبه الله، ومنه ينال العبد رضوان الله (ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم) رضوان الله أكبر من الجنة لأصحاب الجنة.
ولأن السخط لا يُصلح ولا يسهّل شيئا فاجعله كمال قال فيلسوف هندي :بداية المبادرة. تحتاج إلى رحلة بقلبك في القرآن وفي أخبار الصالحين..

آخر منشور لسنة 2018م... إليك أيها المحروم من شيء ما.

ابحث عن الموانع الخارجية بعد أن تفتش عن الموانع الداخلية.. وعلى هذا الأساس افهم هذا المقال فهو نابع عن فهم النص الشرعي وليس مما يكتب في الجرائد.
{وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ }
لا يوجد في هذا الكون من يمكنه أن يمسك عنك رحمة الله ، وكل الخلق جنود عنده، يمنع ببعضهم و يمنح ببعضهم الآخر ،و إليه المنتهى و ليس بعده مرمى .

هذا المقال لا يرفع تبعية المسؤولية ، و لكن يركز على مسؤوليتك أنت فقط فهي المفتاح ، فعندما يقتحم سارق بيتك فهي مصيبة لك و ذنب له ...
قف عند النص الذي أوردته كما وقف عنده الصادقون و لا تجعله خلفك ظهريا فتخلط بين الحق الموجود و الحق المقصود.

....
بعض الناس سعيد في دول فقيرة من أبسط الأشياء وبعضهم تعيس في دول تملك كل شيء فما بال الفقراء في أمريكا وكندا ودول أوروبا، في سنة 1982 التقيت بمدينة تولوز بجزائري كهل يسكر تحت جدار كنيسة فقلت له :لم لا ترجع للبلد؟
فقال لي :لا يمكن أن ارجع بحالتي هذه فأنا لا أملك شيئا.
سألته :كم لك في فرنسا؟
رد :أكثر من عشرين سنة.
فقلت له :لن ينزل عليك الثراء و انت في هذه الحال وبهذه العقلية ستموت تحت هذه الكنيسة.
بعض الشباب يغمرون عقولهم بتصور مثالي عن الحياة إلى درجة تشلهم ولا ياخذون بالأسباب وليس عندهم قناعة ولا صبر وبطبيعة الحال لا يظهر لهم من الحلول إلا الهجرة.
هناك فقراء جدا وتزوج أبناؤهم بأقل التكاليف لأن والديهم علموهم التفكير السليم والاعتماد على النفس بعد الله.
الفرج لا يتوقف على عمر..
بعث النبي صلى الله عليه وسلم بعد الأربعين وليس في الدنيا كرامة أعظم من النبوة فهي الشرف الخالد بعد أن عاش قبلها يتيما .
وقد رأيت في الحياة رجلا فقيرا بعد أن تقاعد من مهنة متواضعة فتح الله عليه براتب من فرنسا وبموخر خمسين سنة لمعطوب حرب في بلده مع معاشه فنسخت في نفسه كل سنين الحرمان فالمهم العاقبة والأمور بخواتمها.
ورأيت شبابا ظفروا بوظائف عزيزة بعد سن 35، ومنهم من كسب سيارة جميلة أو بيتا واسعا أو تزوج بعد الأربعين..

افعل ما يلزم من أسباب في حدود طاقتك وغيِّر طباعك فأحيانا هي السبب، واسع في الأرض تجد سعة.

وراجع اعتقادك ودعك من باعة الوهم.

عن أبي ذر الغفاري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال عن ربه :

: (يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي ، وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا ، يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته ، فاستهدوني أهدكم ، يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمته ، فاستطعموني أُطعمكم ، يا عبادي كلكم عار إلا من كسوته ، فاستكسوني أكسكم ، يا عبادي إنكم تخطئون بالليلِ والنهار ، وأنا أغفر الذنوب جميعا فاستغفروني أغفر لكم ، يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني ، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني ، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئا ، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجرِ قلب واحد منكم ما نقص من ملكي شيئا ، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني ، فأ فسألوني ، فأعطيت كل واحد مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر ، يا عِبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها ، فمن وجد خيرا فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه) رواه مسلم .

عندما كان أبو إدريس الخولاني يحدث بهذا الحديث كان يخر على ركبتيه فتامله جيدا تعرف أين مشكلتك..

بئر التاريخ السياسي..

عند التحليل السياسي الأكاديمي لأزمات العالم الإسلامي من الطبيعي جدا أن نعود إلى صفين باعتبارها مفترق الطرق الذي كان سببا في كل ما أعقبها في المجال السياسي والديني لكن هنا سؤالان لا يأخذنان حقهما من العناية هما :

1_هل نظر المستبد المعاصر في التاريخ السياسي للأمة و أعجب بقرار تحويل الحكم إلى ملك وراثي ومن ثم قرر أن يكون مستبدا أم هناك أسباب عصرية اجتماعية وحضارية هي من تفرخ لنا المستبدين؟

2_ليس المشكل في تحميل صفين ما وقع بعدها فهذا لا نختلف عليه، المشكل في

قراءتك لما قبلها يفتقد إلى الموضوعية والحياد المعرفي وبالتالي يبتعد عن معالجة مشكل الدولة والمستبدين عند المسلمين لذا ننسى في غالب الأحيان أن نجيب عن هذين الإشكالين :1_لماذا نجح هذا وفشل ذاك مع تفاوت في الفضل و الشرعية؟
هل كان نجاح الاستبداد طفرة مضادة لحال المجتمع وأنظمته العرفية والنفسية والاجتماعية ام نتيجة طبيعية لها؟
ما بال كل من كان يذم (الاستبداد) معاوية رضي الله عنه عندما أقام دولته أخذ بمنهجه بدون استثناء أية دولة حتى الدول المنتسبة لآل البيت مشرقا ومغربا أهدرت مبدأ الشورى واتخدتها ملكا وراثيا؟
الموضوعية أن ترد النتائج إلى أسبابها الحقيقة وتقف عند الأخطاء السياسية والدبلوماسية وضعف القراءة الاجتماعية والحضارية.
ولقد مللنا من التغافل عن الحقائق الاجتماعية و الأولى بنا أن نبحث عن الأسباب القريبة منا في هذا العصر فليس في أزمات التاريخ سنجد حلا لمشاكل اليوم..
ونحن اليوم بحاجة إلى هستوغرافيا التاريخ السياسي أكثر منا إلى التاريخ السياسي نفسه..
لم نعد بعد وإنما بارقة سمحت بها لحظة هدوء.

التحليل السياسي الصوري المنفوخ..!

لا أظن أن شكل نظام الحكم في العصور الإسلامية المتأخرة خاصة بعد ظهور الدولة الحديثة له علاقة ما بواقعة صفين بل الذي أجزم به أن هذا التحليل مغالطة تاريخية وواقعية تزيف وعي المسلمين بحاضرهم.
وإن كانت صناعة المرء تغلب على تفكيره فليست مع ذلك حجة لهذا العجز عن فهم الحفرة التي تتخبط فيها
إذا كنا سنعيد تكرار شكل الدولة القديم (إمبراطورية إسلامية أموية أو عباسية أو مملوكية أو عثمانية.. الخ) فنعم ادرس صفين وتضلع منها كما يتضلع المريض من ماء زمزم!
لكن إن كنت تبحث عن أسباب الاستبداد المعاصر في الدولة الإسلامية المعاصرة فمسالة البحث واحدة ووحيدة هي :لم لا تزال نخبتنا تفكر بذهنية عصر الانحطاط والضعف ؟

فهذا السؤال سيقودك حتما إلى التساؤل عن نوع الفهم الديني المنتشر فينا وعن حقائق مجتمعاتنا النفسية والثقافية..

لقد استطاعت بعض الشعوب القطيعة مع تاريخها التافه وتبني دولة قوية في أربعين سنة... وحدثني يا صديقي عن صفين..؟!

أظن أن كل عاقل سيطير من الفرح لو استطعنا تأسيس دولة يغلب عليها العدل و الشورى ويقل فيها الفساد بدون البعد الديني.. فما علاقة هذه الدولة بصفين.. ؟

لا أظن أن المستبدين ولا غالب شعوبهم في العالم الإسلامي يعرفون صفين أو اصلا نظروا في كتاب إسلامي أو غربي في شؤون السياسة...

عندما يبني جارك بيتا جميلا مريحا فعجزك عن مجاراته سبب آخر غير أن جدك كان يسكن في خيمة!

متى يجوز لك الاستشهاد بكلام العلماء المكثرين.. ؟

علامة نقص علم الإنسان أنه عاجز عن استحضار كل لوازم المسألة ولو كان يقدر على ذلك لبطل التواصل بين الناس لأن الحديث عن البطيخ سيأخذ شهورا.

وعلى هذا من لم يقرأ لعالم مكثر جميع مادته لا يمكنه الاستشهاد بكلامه لأنه سيضل نفسه والقارئ له و يظلم ذاك العالم.

عندما يقول ابن تيمية :أئمة أهل البدع أضر غلى على الأمة من أهل الذنوب ولهذا أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتل الخوارج ونهى عن قتال الولاة الظلمة (لم أراجع عباراته) فيجب أن تحذر من ظاهر هذا الكلام وأضعف الإيمان أن تراجع جميع كلامه عن الخوارج، فقد أشار وهذا كلام واضح من نصوص الباب أن سبب تخصيص النبي صلى الله عليه وسلم الخوارج بالحديث والتعيين وهذا الحكم دون ما سواهم من فرق هو ما تميزوا به عنها من القتل بالتأويل فكل الفرق تكفر لكنها تعذر إلا الخوارج يتاولون تكفير الناس ثم يوجبون القتل.

ولو كان سبب أمر النبي صلى الله عليه وسلم بمقاتلتهم بدعتهم للزم أن يذكر جميع المبتدعة بدون استثناء.

ثانيا :أحكام معاقبة المبتدعة تخص الطبقات الأولى منهم قبل أن يدخل في أقوالهم أهل الإيمان والعلم.

ومن لم يفرق بين طبقاتهم فسد نظره..
هذا فضلا عن أن تنزل كلامه هذا على بعض الدعاة من أهل السنة.
الرجل يختم حياته بمذهب: لا أكفر أحدا من أهل القبلة بمقالة، ويعذر أئمة وقضاة الجهمية في مسائل هي عنده كفر صريح ثم نريد قتل المخالف في رأي سياسي؟
الرجل كتب الخمسينية ليستنكر معاقبة العلماء على آرائهم ونريد حشره في هذا الباطل.
في الأخير قبل الحديث عن أحكام التعزيز يجب إثبات التهمة.
هذا الأمر يدلك على أن التجريحية لها نفس أصول الوعيدية إنما منعهم الارجاء السياسي من طردها.
من الأفضل أن نفهم قليلا من أن نسيء الفهم.. اناتول فرنس.

اقرأ
"الخمسينية" رسالة فيها موقف ابن تيمية من معاقبة العلماء...

سؤال...
هل ما آلت إليه المذاهب في العصور المتأخرة هو استمرارية للإنتاج المعرفي في العصر الذهبي فنعتبره تطورا ثم استقرارا لها ام هو انهيار وانحطاط عنه فنعتبره قطيعة نوعية..؟
إذا لم تسمعني جيدا لا يمكنك أن تفهمني جيدا.... السلام عليكم

أحرقوا كتب الفقه أو ميّزوا بين المتشابهات..!
تجد في كتب الفقه الإسلامي المعدة ليقرأها الناس ويشرحها العلماء في حلق العلم قول الفقهاء :
لا يحق للسلطان _ ينبغي، يجب على السلطان _ ليس للسلطان حق في ماله أو دمه..الخ... ؟!

"من منع عالما من الإفتاء مطلقا و حكم بحبسه لكونه أخطأ في مسائل كان ذلك

باطلا بالإجماع فالحكم بالمنع والحبس باطل بالإجماع"
... ابن تيمية "الخمسينية"

خصائص العلماء..
"لو قدر أن العالم الكثير الفتاوى أفتى في عدة مسائل بخلاف سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم الثابتة عنه وخلاف ما عليه الخلفاء الراشدين لم يجز منعه من الفتيا مطلقا بل يبين له خطوه فيما خالف فيه فما زال في كل عصر من إعصار الصحابة والتابعين ومن بعدهم من علماء المسلمين من هو كذلك".. ثم سرد الأمثلة... ابن تيمية" الخمسينية"

أزمة خوض المعارك في غير زمنها ... ؟
نقل أحد الفضلاء عن العلامة الشنقيطي من "أضواء البيان" أنه قال فيما معناه :"لم يكن في الذين أخذوا كنوز كسرى و قيصر حليق لحية"
من باب الحقيقة التاريخية كان فيهم من شرب الخمر، وكان فيهم نصارى تغلب كما في القادسية ،وربما كان فيهم من غل، وكان فيهم من سب ولعن صاحبه، وكان فيهم من طعن على إمامه فيما بعد كمن صح عنه الكلام في عثمان... الخ
من جهة الوعي: لا أظن أن اللحى والعصمة من الذنوب أو من الأقوال التي ظاهرها مخالفة السنة في الهيئة كانت وراء نجاح الفتوحات.

لماذا نعجز عن أناقة العبارة..؟
الذي يبهرني في لغة المتقدمين أنهم سواء اشتدوا أو لانوا تبقى عباراتهم أنيقة.
ليس دائما و لكن في كثير من الأحيان أناقة اللغة دليل على أناقة القلب و نبل الروح.
أناقة العبارات عند الغضب كأناقة الموقف في الهزيمة أشد صعوبة من الأناقة في الرضا وعند الانتصار.
الأناقة خط الدفاع الأول في زمن العنف والرداءة وسوء الأخلاق.
لذا أنصح شبابنا العزيز الواعي بترك الألفاظ القبيحة والمستهجنة خاصة التي استحدثتها أجيال اليوم لانه عندما يقدر العقل على التحرك في المعاني بمرونة يقدر

على التعبير بأناقة والعكس صحيح.
أناقة لغتك هي علامة احترامك لمن يستمع إليك أو يقرأ لك.

مشكلات التفقه..؟

يعتقد بعضنا نظريا (لأنهم عمليا غارقون في الرأي) أن اتباع الشريعة لا يكون إلا باتباع النص بدلالة مباشرة وان بقية طرق الاستدلال والاستنباط محض رأي لذا نجد موقفهم من المذهبية مبالغا فيه فالإشكال عندهم ليس في التقليد في حد ذاته ولكن في الاجتهاد والتأويل الذي اضطر إليه الأئمة لأسباب كثيرة، في مقابل تطرف من الجهة الأخرى يعاني كذلك من مشكلة الاجتهاد والتأويل.

الوضع في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم غير الوضع بعد وفاته لأنه في حياته كان يحسم الاختلاف والاجتهاد، أما بعد وفاته فدخل على الشرع التأويل والاجتهاد.

لذا فإن المعتبر في الاجتهاد تقوى الله وليس الإصابة، وما يلزمك مما تيقنت أو غلب على ظنك أنه السنة لا يلزمك إلا أنت.

"وقد يقول كثير من علماء المسلمين أهل العلم والدين من الصحابة والتابعين وسائر أئمة المسلمين كالأئمة وغيرهم أقوالا باجتهادهم فهذه يسوغ القول بها ،ولا يجب على كل مسلم أن يلتزم إلا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهذا شرع دخل فيه التأويل والاجتهاد، وقد يكون في نفس الأمر موافقا للشرع المنزل فيكون لصاحبه أجران، وقد لا يكون موافقا له لكن لا يكلف الله نفسا إلا وسعها، فإذا اتقى العبد الله ما استطاع آجره الله على ذلك وغفر له خطأه.

ومن كان هكذا لم يكن لأحد أن يذمه ولا يعيبه ولا يعاقبه "مجموع الفتاوى 35/367

إلى متى..؟!

في كل يوم يخسرون مساحة جديدة، وفي كل يوم يتشظون وينشطرون، وفي كل يوم يرجعون للخلف والفجوة مع واقعهم تكبر، ومع ذلك لا يشكون في أوهامهم كأنهم عدموا الشعور والتفاعل مع الواقع.

كلما تقدم العمر بالإنسان العادي فقد أوهامه غير أن بعض الشيوخ إذا زاد عمرهم زادت أوهامهم؟!

معروف ان الأوهام سبب الحماقات التي يرتكبها الفرد أو الجماعة أو حتى الدول.
والذي يعيش في وهم يظنه حقيقة شرعية و تاريخية إذا رأى وهمه يضيع ويتبخر يشعر بخطورة شديدة فيزداد تطرفا، لأنه كان كلما سقط له حصن من حصون الواقع لجأ إلى وهمه!
حتى من يكتب عن الإسلام والحضارة يرى أن خلاص المسلمين في السلفية وهذا بالنسبة للسلفي غاية التمني.
لكن الواقع أنها 73فرقة عجز المتقدمون وقد توفرت لهم كل أسباب القوة المادية والعلمية لاختصارها في واحدة!
فهل سنبقى في هذا الوهم أم هناك طرق ومناهج لحفظ الخصائص وتحقيق مصالح وجود الأمة وازدهارها؟

سؤال مقلق جدا..؟

من صنع الحضارة الإسلامية :الفقهاء(معهم المتكلمة) أم الملوك أم الفلاسفة؟
وهل انهارت الحضارة الإسلامية لما ضيَّعت منهج البحث العلمي في علوم الطبيعة أم لما تضعضع منهج البحث في العلوم الدينية؟
أجب بدليل وليس بالعاطفة.
وبناءً على جوابك هل تسعى لعودة الدين وفقا لتصوراتك ام لعودة الحضارة.؟
وهل في مقدور أحدهما أن يعيد الآخر، أم لكل أسبابه وسبله ؟
بالمختصر المفيد ما هو الدين الذي يصنع الحضارة ،وهل هو الدين الموجود حاليا؟
إذا كان الملوك هم من شيَّد الحضارة بمعية الفلاسفة فهي سياسية متأثرة بثقافة أهلها وليست دينية محضة.
اتمنى للجادين تفكيرا ممتعا.

سؤال في الحقائق المرة؟

مع العصر الحديث أفلت الإمبراطوريات شرقية كانت أو غربية مما يعني أن إدارة دولة واسعة الارجاء كثيرة العرقيات والطوائف صار صعبا مع تقدم الإنسان وخروجه من النظام القبلي الذي لم يكن للفرد فيه حضور إلا تحت اسم رئيس

القبيلة،عصر cosmopolite لذا انتهى الأمر إلى تقسيم الدول بحسب مصالح النفوذ والعرق والمذهب إلا حيث تعذر ذلك, وهذا أمر شهده أولا العالم الغربي ثم نقله إلينا عبر الاحتلال .
وعلى هذا أصبحت المواطنة بحسب الحدود الجغرافية الإدارية الجديدة
يبقى أن نسأل هل كان العالم الإسلامي مستعدا اجتماعيا لهذا التقسيم أم أكره عليه؟
والمقصود: هل وجد الاستعمار نعرات عرقية أو مذهبية تخمر على سطح الأحداث،فمثلا لماذا فشل الهاشميون السنة في حكم العراق وانفجر الوضع بعد 2003؟
ولماذا قاومت بعض المناطق الإسلامية نفوذ العثمانيين وقاومته بحد السلاح؟
الدرس المستفاد من التاريخ الإسلامي المعاصر هو أن مبدأ المساواة السياسية في المواطنة كان ينخر في الدول الإسلامية (الإمبراطوريات)حتى أدركه العصر الحديث فنسف الوضع الإسلامي.
تبيَّن لاحقا لنا(لمن أراد أن يبصر) أن هيمنة اية طائفة على بقية الطوائف في الحكم يقود حتما لانفجار الدول القائمة على ذلك ،و للأسف لا يزال يتكرر في العالم الإسلامي..!
كما نعلم من تاريخنا أن الهوية كانت :" مسلم وغير مسلم"لكن تحت الجلد كانت الهويات الطائفية تتقاتل وتتصارع على الحكم مما يعني أن الهوية الأولى كانت مصهورة بالقوة وبحسب المد والجزر الطائفي.
فكيف أصبحت سني وشيعي مثلا .؟
ثم أيضا لماذا كان استيقاظ الوعي بالهوية القومية العرقية متأخرا كما عند الأكراد وبعض البربر وغيرهم؟
هل هو بسبب ضعف الهوية الجامعة التي غيبتها الهوية المذهبية؟
وهنا يأتي السؤال الأهم :ماذا بعد أفول نجم "الهوية الدينية(المذهبية) تحدد الهوية الوطنية"..؟
و اقصد بالهوية الوطنية: المتساوية والمشاركة في الحكم.
التصور السياسي للدولة لا يزال يعتمد عندما بشكل أو بآخر على مبدأ الغلبة والقوة والشوكة نعمل به أو نتنكر له جدلا بحسب موقعنا لكنه متغلغل في تأصيلاتنا لا نعرف

غيره، والحديث عن الشورى والمبادئ الدستورية العامة يجعلها مع واقعنا التاريخي والحالي مجرد إجراءات ثانوية في خدمة مبدأ التغلب بالقوة.
الموضوعات التي نتجنب مناقشتها هي عقدنا سواء لأننا لا نثق في بعضنا أو لأننا لم نصل مستوى الوعي بها.

من مشاكلنا العملية:الحيدة و المجاملة الزائفة ؟
إذا لم يكن كل عضو في حزب أو جماعة أو حكومة... الخ متيقنا من أن مقاصد بقية الأعضاء طيبة لن توجد ثقة.
وبدون ثقة لا ينجح شيء جماعي في هذه الدنيا فبعدمها لا يوجد صدق ولا استعداد لإظهار العيوب.
الثقة تحفز التنافس لأنها تجعله مواجهة سليمة حيث يكون كل عضو مطمئنا على أن آراءه لن تجلب له متاعب أو تكون سببا لعقوبة كإقصاء من نوع ما.

مشكلة المؤرخ الجديد؟
دراسة تاريخ مشكل معيَّن غير دراسة التاريخ العام فبحسب طبيعة المشكل تكون الدراسة مثل أن يكون عن الفلسفة أو الفيزياء فدراسة التاريخ السياسي الإسلامي لابد أن تكون من مؤرخ ملم بالسياسة والفقه والإنسانيات.
وإذا كان عمل المؤرخ على شيئين :المصادر وقد تكون متوفرة للجميع، و المنهج الذي يعد مفتاح خطوات العقل في الموضوع.
فالملاحظ على الدراسات الأخيرة للتاريخ السياسي الإسلامي أنها تفتقد بشكل واضح إلى التمثلات الاجتماعية للتاريخ بحيث صار التاريخ نفسه منهجا فافتقدت عملية تحويل الكتب إلى شهود إلى منهج واضح إلا سوابق المؤلف و أيديولوجيته السياسية فتاثر الفهم والشرح و تعسف التأويل.
ألمشكل اننا كنا نتوقع من الجيل الجديد لمورخينا أن يخرجوننا من دائرة مطالعة التاريخ إلى فهم أنفسنا بواسطة التاريخ.
البحث في آثار الماضي ونقدها وتاويل المصادر يحتاج إلى شيء زائد على صناعة المؤرخ ولهذا كان كلام الفقهاء في أشكال نظم الحكم في الإسلام أعمق فهما للعامل

الاجتماعي من تحليل المؤرخين ،ولهذا أيضا وقفوا عند الواجب المعجوز عنه وتقديم الضرورة على المبدأ و لبقاء هيكل الأمة والدولة.
المشكل أن الضرورة استنزفت تاريخنا كله، لكن أليس هذا من أبلغ الأدلة عن غياب التمثلات الاجتماعية لدراسة السياسة وتاريخ السياسة؟
الفرق الذي وجدته بين كلام الفقهاء في التاريخ السياسي وبين المؤرخين المعاصرين هو في السبر والتقسيم النظري والواقعي لذا كان الفقهاء أكثر واقعية حيث نصوا على المبدأ الشرعي الفاضل ورغبوا فيه لكنهم لم يهملوا حقائق الواقع الاجتماعي اعرافا وثقافة فسمحوا آليا ببروز حضارة عظيمة حفظت وجود الأمة رغم أنها عاشت في بيئة استبداد وصراع داخلي كبير على الحكم.
في حين نجد المؤرخ المعاصر يعيش داخل التاريخ بعيدا عن تاريخ الحاضر، غارقاً في مثالية المبدأ، غافلا عن الأسباب الحقيقية وراء تعطيله، مشخِّصا مشكل أمة بتلابيبها في شخصية تاريخية واحدة كانت افهم منه للواقع ولطبيعة المجتمع المسلم آنذاك ..؟؟
الصورة :الثابت ضبابي! والمتحرك واضح!

الأفكار الجيدة في أرض البور!
من الواضح _بحسب علماء الاجتماع _أن أية فكرة صالحة أو فاسدة لا تجد جندا يخدمها تبقى بدون أثر.
من هنا أهمية الرجال، لكن الرجال بدون فكرة، بدون منهج وطريقة عمل لا يساوون شيئا ،مجرد رجال على ركام حجارة، وقود لنار الخسارة.
الفكرة لا تعوِّضها قوة ولا شجاعة ولا غير ذلك ، والفكرة ليست مفهوما فكل الناس عندها مفاهيم جمعية أو مشتركة ولكنها شيء له محتوى جديد.
المشكل عندنا أن أهل الفكر الصحيح ليس لهم متابع بالمقارنة مع شيوخ الوعظ مثلا؟!
و الخلاصة أن الأفكار الصالحة تحتاج إلى أمة تقرأ بفهم أو تحسن الاستماع، ومادامت الأمية الثقافية منتشرة فالأولوية لخطاب البساطة والشدة فهما معيار الصوابية عند الجاهل .
دمتم على خير...

#نصائح_امتحانية

ابتعد عن الملهيات التي تلتهم وقتك. يمكنك استخدام تطبيقات تمنعك من استخدام بعض التطبيقات الأخرى (أو بعض المواقع) التي تسبب ضياع يومك، ومن هذه التطبيقات 👇

صناعة الكلام..

المشكل عندنا (سواء المتكلم أو السامع) أننا لا نفرِّق بين شكل وبين مضمون ، فمن يتكلم تجده في العموم غير متأدب، أو فاحشا ،أو لا يحترم الحساسيات في الشكل ،وغير دقيق في المضمون.

و المستمع مثله يقف عند الشكل ويهمل المضمون.

تمرُّ الرسائل بجمال الشكل ودقَّة المحتوى.

و يثمر النقد بالفصل بين الشكل والمضمون.

ممكن أن ترفض الكلام بدون تحفُّظ عندما يخل بشروط الشكل والمضمون، ويمكن أن تتحفظ على الفاسد منهما فقط...

فقدنا الفطرة العقلية الفعالة، ولم نسد الخلل بالتعليم..

لغز المدخلية..؟

الدين الرسمي في مصر خليط من أشعرية المتكلمين لا أشعرية الفقهاء(الفرق بينهما في التعلق بالنص و الولاء للشريعة) ومن تصوف فلسفي اندثرت دلائله وبقيت أشباح مسائله.

وبطبيعة الحال لا يمكن لهذا الدين أن يتعايش مع السلفية المدخلية فإنه وإن تشارك معها الفقه السياسي فإنه يختلف معها في كل ما سوى ذلك.

لذا أظن أنه فيما يخص عزل الرسلان لا يتعلق الأمر بولاء هذه السفلية للسعودية بقدر ما يتعلق الأمر بتهيئة الجو لمناورات سياسية قادمة فيها تمثيلية تسوية أو ما شابه.

النظام المصري قادر على فصل ارتباطها بالسعودية كما يفعل الرضواني الآن بحجة الرد على الريس.

وليس صعبا على هذا النظام أن يفبرك شيوخا محليين.
لا أظن أن نظاما عربيا يفقه شيئا في أمنه يقبل تبعية سلفية محلية إلى نظام أجنبي قد يتحول إلى عدو في أية لحظة.
في ظني عملية فصل المدخليات المحلية عن التبعية للمدخلية السعودية قد بدأت من مدة، وقد بدأها الأردن ثم المغرب، وهي على قدم وساق في الجزائر ومصر..
عندما تكون جماعة مديونة لنظام قولبت لتواجه معارضيه الفعليين والمحتملين كما هي المدخلية يمكنه أن يفعل بها ما يشاء تارة يبعد ،وتارة يقرب، ولن تجد في ذلك أية مشكلة فمتى رأيت الحيوان الأليف يغضب من سيده غضبا نهائيا لا رجعة فيه!
هذه الجماعة ليس لها أصل سليم لذا تحليل خطوات النظام أجدى من تحليل مواقفها ،فهي في الخدمة مهما كانت الظروف ومهما كانت قساوة المعاملة لبعض رموزها لأنها جماعة مركبة على قواعد الارتداد بدون أضرار، فأسهل شيء هو القضاء على شيخ فيها.
أظن أن كل الجماعات الإسلامية مرتبطة بواسطة بعض أفرادها بشكل أو آخر بعلاقات خارج حدود محلها، وهذا أمر طبيعي إذ غالب فكر هذه الجماعات مستورد من الخارج، والفكر المحلي الأصيل غير مفعل، ولأنها نشأت في أدبيات بنظرة سياسية ملية لم تستطع لحد الآن تكييفها مع نموذج الدولة التي تعيش فيها.
كما أظن أن السجال بين المذاهب والجماعات مشبع بعقلية الثأر والتشفي لا يعالج القضايا في الصميم إلا عند بعض طلبة العلم ممن يناقش التأصيلات أولا ثم الجوانب السياسية ثانيا.

نقد الخطاب...

....
نقدنا الخطاب يجب أن يكون منطقيا يتناول اولا اللغة (المصطلحات ،لغة العولمة الثقافية ،وعلى الأقل التحفظ على استعمال المفردات العلمانية) والاستدلال.
ثم يستتبعه النقد الاجتماعي الذي هو امتداد له، يكشف العوامل المحددة التي تضغط على منتجي الخطاب.
بهذا يمكننا فهم الواقع السياسي /الاجتماعي والثقافي، وما يفرزه من ظواهر، ومن ثم

التعامل معها بشكل عقلاني فعَّال .

قيل :عندما لا تشبه قوما لا يستهويك الكلام باسمهم..!

يغلب على التعليقات في الفيسبوك العفوية، والتي ليست إلا الكلام بدون مصفاة كما يقول علماء النفس.

طريقة لتصريف العواطف بالكلمات بدون أن يقدر الفكر على قياس لوازمها ونتائجها.

وهذا ما يدل على أننا لا نزال في السلوك الطفولي،فالكلام العفوي قفزة حيوية لكنها سلبية.

يجب على كلمة العاقل أن تعتني به قبل أن تعتني بغيره.

يدل التفاعل الفيسبوكي مثله مثل مجالس الناس في المقاهي والأسواق والمناسبات الاجتماعية أن الناس يحبون الكلام بدون علم لملء فراغ العقول.

فمع أن أحدهم لا يملك كل المعلومات، أو لم يكن موجودا لكنه يثرثر، لأنها طبيعته..!

لا يكفي الواعي منَّا حزن ما يرى لنزيده طبقة!!

يمكننا أن نتحسن ونبلغ الرشد المعرفي، فقط علينا أن نتعلم البحث والتفكير قبل الكتابة سواء في منشور أو في تعليق.

محدودية الوسائل بحسب الهدف .. ؟

من يحرص على مخاطبة جميع الناس، بمختلف حساسيتهم بدون أن يخدش خيطا منها، ويوظف تقنيات التواصل المعاصرة من ديكور وحركية جسدية ومواقف إنسانية (وهو شيء جميل) لا يمكنه أن يكون إلا كمنشط اجتماعي في مخيم صيفي، بدون لون (انتساب) ،لا يقرع الحقائق، ولا يحلل بصرامة.

لذلك لا يصنع إلا وعيا ظرفيا أو مخصوصا هو شبيه بالتعليق على الأحداث.

هل له نفع؟

نعم لكثير من الناس، السؤال في أي مجال؟ وهل له تأثير عميق ومستدام؟

في الأمم التي تعطي أهمية كبيرة للمعرفة تبرز الوجوه الثقافية بالخطاب المكتوب حيث تتبلور الفكرة ضمن منظومة معرفية واضحة.

و كما أن الانتماء الضيق يقيِّد الفكر ويفقده الإبداع فإن الفكر العميق مرتبط بمنظومة معرفية صالحة، فصراع التخلف والتقدم، الحق والباطل، صراع منظومات وليس صراع أفكار تسبح بعيدة عن شواطئها.
والمقصود أن كثيرا من النشاط العلمي ظرفي ونوعي(خاص) يفتقد للعمق، يحظى ببعض التجاوب الجماهيري لمفارقته الطرق التقليدية فقط، مثل بعض برامج صناعة الوعي تغرس لينة وتقتلع آيكة!
مشكلة الجمهور عندنا هي نفس مشكلة صناع المعرفة :تعميم الخاص.

الإلكترون الحر.. ؟
يزعجنا لأننا نتجمع بمغناطيس التشابه النفسي وليس بالتوافق العلمي ثم نتواطأ مجاملة ،بعضنا ينفتح بالكلام مادام وحده لكنه ينغلق في حضور علم الآخر، وبعضنا على العكس.
المدخلية ليست سوء فهم لكنها طبع نفساني و ذهنية مختلة موجودة فينا بتفاوت لذلك يهيمن على كثير منا التحزب الضمني.

التفكير... ؟
من دون تفكير فلسفي [نقدي علمي] سينتهي بنا الأمر إما إلى فنطازيا البلاغة [حال المعرفة عندنا] و إما إلى بربرية التقنية [مصير الحضارة الغربية]... ألدو هوكسلي "أفضل العوالم" 1932

تحليل الخطاب السياسي؟
الخطاب السياسي ليس له معنى خارج الفعل السياسي،فأفعال كل طرف تكشف حقيقة مضمون خطابه السياسي.
في بلاد الغباء السياسي صفات رجل الدولة :الحكمة وعدم التسرع واستشراف العواقب لكن في سنة 2087م ...!
#الخشقجي

الساسة بذهنية عامية! وبعض القصاص نبتت لهم قرون! والسواد غير مكترث!
والمعرفة لا تتشكل من حالة ذهنية واحدة لأن الأنا الجمعي و الحزبي نقل الوقائع من ساحة الحقائق المجردة إلى حلبة التكتلات والحسابات لكن السلاسة الفكرية لتأويلها في غرفة الإنعاش .!
الدفاع عن عصبيتك (فلا علاقة للدين أو للبلد كبلد بدفاعك) في جميع الحالات ظالمة ومظلومة منهج الجاهلية.

منطق الفعل السياسي ؟
ترتبط هوية ومقصد الفاعلين في حدث ما بسلسلة أفعالهم في بلدهم و إقليمهم وفي العالم (مع المعارض لهم بالرأي مثلا)فتضعهم في منطق أفعالهم.
يريد السياسي من خطابه أن يكوِّن لنفسه هوية جدلية (صورة جدلية) تصنعها لغة الخطاب مع صورة له يصلي أو يعزي أو يواسي فقيرا! تكون أحسن من صورة الفعل.
المشكل هو أن تقع مع خصم يتحكم في أسرار التواصل يعرف كيف يرتكز على القيم السائرة في العالم وخاصة في الدول النافذة للتأثير فيها وعليك.
الفارق في الخطاب السياسي اليوم هو في الحذق السياسي المقرون بأخلاقيات سياسية واضحة وبين الغباء السياسي مع فجور الأفعال.
بالنسبة لبعض الناس لا تهمنا إضاءة الفعل للمقصد فلا يهمنا زمن الفهم فنفسر الفعل الواقع في زمن سلمان بما فعله عبد العزيز في زمنه (منهج المتسعودين)
لا يهمنا إلا ما وقع بالفعل أما نتائجه فلا تعنينا كأنه فعل لا يعمل في الزمن ولا في المكان ولا أثر له.
عندما يعجز الإنسان عن التبرير يطوف حول معنى الصدفة.

المسلم والإسلامي؟
قرأت قبل قليل مقالة للأستاذ يس اعمران عن تعريف المسلم والإسلامي عند الغربيين حيث بيَّن أن تفريقهم بينهما في الاختلاف حول قيمة ومنزلة الدين في السياسة حادث مبني على حصرهم للدين في جانبه الطقوسي فقط، وأن هذا مما يمد في أزمة الدين

والسياسة عند المسلمين.
ولا شك أن شيوع هذا التفريق سببه حالة ترهل في تصورات الجمهور الدينية واستعمال من غير وعي للعبارتين في الخطاب المعاصر، فعلى الأقل يحتاج المتكلم منا إلى التمييز بين مسلم لا يكترث بوضع الدين في السياسة وبين مسلم فهم أن الفصل المفتعل بينهما القصد منه تحويل الإسلام إلى دين بدون تشريع.
فبعد ميلاد الدولة الحديثة في الغرب ظهر البحث في فلسفة السياسة في علاقة السياسة بالأخلاق، وهذا راجع إلى أن الفكر السياسي الغربي مر بمراحل بدأت بمرحلة شرف السياسي في العهد اليوناني ثم جاءت مرحلة الكنيسة والسياسي ولم تقدم إضافة ملموسة تسد حاجة الإنسان الغربي بسبب ضعف التشريع في النصرانية فسرعان ما تجاوزها إلى مراحل أخرى
بينما شهد الإسلام مراحل في أشكال الحكم وليس في التشريع المعمول به إلى تقريبا ما قبل سقوط الدولة العثمانية ببضع سنين.
وعبارة "إسلامي" استعملت عند المتقدمين بعد ظهور المصدر الصناعي لكن كنسبة إلى الإسلام وليس في مقابل عبارة "مسلم" فالمسلم هو من حاله الإسلام عقيدة وشريعة والإسلامي هو المنتسب للإسلام.
الخطر في هذا التفريق أن يقودنا إلى التفكير بمصطلح إسلامي في مواجهة مصطلح مسلم، وهذا يعني الصراع والإقصاء.
مشكل الغربيين هو الولع بحروف (isme) لقتل المعاني وتحريفها.
لذا الحاجة قائمة إلى استعمال عبارات أخرى للتمييز بين المسلم غير المبالي بمنزلة الدين ومقامه في صناعة السياسة وضبطها وبين المهتم بهذا الأمر.
يقظة في استعمال المصطلحات من الاستاذ الفاضل.

مابعد الشيوخ
(الانهيار المقبل للممالك الخليجية)
في 01/04/2012م تاريخ الطبعة الأصلية لهذا الكتاب تنبأ الكاتب البريطاني "كريستوفر دفيدسون" بزوال ممالك الخليج بعد خمس سنوات.
وعلى عادة الغربيين في المنهجية العلمية جاء هذا الكتاب متخما بالمعلومات

والتفاصيل، استعرض فيه الحالة السياسية والاجتماعية والاقتصادية، ووقف بحسب تحليله عند أسباب بقاء هذه الأنظمة الخارجة عن التاريخ وعن كل منطق فذكر الأسباب الداخلية والخارجية.

بالنسبة لي الأسباب الداخلية التي علل بها بقاء هذه المزارع العائلية ليست حاسمة على عادة الغربيين في التحليل السياسي /الاجتماعي بتبرئة الشعوب واعتبارها ضحية، وربط الأمر بالسياسة فقط، وإنما الأسباب الخارجية هي السبب الرئيس، ولعل طريقة معالجة الغربيين لحادثة الخشقجي ستؤكد هذا.

المهم انه اعتبر الرفاه الاقتصادي، وشراء الذمم بالهدايا ،ووجود الوجه المظلم للاقتصاد الخليجي ممثلا في النسبة العالية للمغتربين في مقابل المواطنين من عوامل الاستقرار، وأن هذه الأنظمة تعمل على الفصل الهويتي بين المواطن والمغترب بالسيطرة على الزواج وبتشجيع الزي الوطني الموحد لذلك أول ما تقوم به الأقليات المعارضة في السعودية

والبحرين مثلا هو التخلي عن الزي الموحد كصورة من السخط السياسي.

ولم يفته الإشارة إلى عملية ترسيخ عبادة الشخصية لغرس البعد الأبوي للعائلة الحاكمة من خلال دفع بعض الأمراء إلى الإنجازات الرياضية والعلمية والرحلات والحضور المكثف لصور الملك وولي العهد في كل شارع وزاوية.

كما أشار إلى السيطرة على المؤسسة الدينية والتحالف معها لتسويغ السلطة المطلقة و أن علماء الدين يقفون كثيرا عند قوله تعالى {يا أيها الذين آمنوا اطيعوا الله و أطيعوا الرسول و أولى الأمر منكم} وينسون الآية التي تسبقها {إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها و إذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل}.

المهم أن الكتاب ثري بالمعلومات الدقيقة والتحليل المنهجي لها لكن في تقديري فاته السبب الأبرز وهو أن لا شرعية الحكم مستمدة من الشعب نفسه أي: هو ما يجعله شرعيا، هي مشكلة إنسان فقد من بعض خصائص الإنسان فيه، إما يعيش ذهنيا خارج التاريخ، وإما غرق في مادية العصر وفي الأنانة، لذا فإن هذه الأنظمة ستبقى لمدة أطول مما تنبأ به.

الكتاب موجود مترجما باللغة العربية نشرته مكتبة مؤمن قريش ،ومن طبع مركز أوال للدراسات و التوثيق.

بلاد التوحيد... و التمييز ذاك الفقر الذي نعاني منه!

التمييز هو القدرة على الفصل الواضح بواسطة الحواس و العقل بين الأشياء أو بين صفاتها، فمثلا الكلام عن الأخ بوعقل باعتباره مسلما أو مصليا أو طبيبا ماهرا ناجحا غير الكلام عنه باعتباره ابنا عاقا أو أبا أو زوجا فاشلا أو صديقا أو شريكا خائنا أو جارا سيئا أو مواطنا فاسدا.

إذا فهمت هذا فاستعمله في قراءة المنشورات التي تمدح في جوانب أو التي تذم في أخرى.

عندما تعلِّق على أي منشور يتحدَّث عن السعودية بأنها "بلاد التوحيد" بغض النظر عن النقطة المثارة فيه فهذا يعني أنك على منهج "أد الفرض و أثقب الأرض، أو صل العشا

ونجِّس الدشيشة" !

وقد يقول لك من الناس:هذا بالنسبة إليك.

أو: التوحيد مع التكفير ونشر الإرهاب في المسلمين؟

أو التوحيد وخدمة سياسة ومصالح الكفار؟!

أو هذا حال موروث يسعى الحكام الحاليون لتغييره؟!

أو :توحيد ونذالة، توحيد وعلمنة، توحيد وفجور، توحيد وظلم... الخ

وعليه ركِّز على النقاط التي يعالجها المنشور أُوْ ما تخلطش الله يرحم والديك.

نعم بقوة بعد أن يتقنوا العربية ولو قدرت على نزع الفرنسية من رأسي لفعلت..

العلم ما قام عليه الدليل والنافع منه ما جاء به الرسول وما سوى ذلك خزف مزوق أو باطل ملفق

الصبر على الله، على أمره ونهيه وقدره..الصبر على الله، على أمره ونهيه وقدره..

اللغة العربية بلهجة أهل السهوب في الجزائر.اللغة العربية بلهجة أهل السهوب في

الجزائر.

في الروضة الشريفة..في الروضة الشريفة..

هيبا الراهب المصري الراوي فى كتاب "عزازيل" ترجمة يوسف زيدان ،وأما في العلم فابن تيمية حيث الجد اللغوي في صورته الخام لا شقشقة ولا تكلف والمنطق العقلي سيد الموقف والشوكاني.

الإنسان فعندما قرأتُ قوله ﷺ :
"لا يجزي ولدٌ والدا إلا أن يجده مملوكا فيشتريه فيعتقه" عرفت أن الحرية أعظم شيء بعد الإيمان بالله ورسله، فلا يوجد شيء يمكن أن يكافئ به الوالد إلا الحرية، المؤسف أنها في أدبياتنا قليلة.

الجمال... من حديث جنازة؟
يعتبر علماء النفس أن الانفتاح لدى الإنسان يأتي من تعلم تذوق الفنون.
جاء في الحديث (واللفظ لابن سعد في الطبقات الكبرى) عندما مات إبراهيم ابن النبي صلى الله عليه وسلم رأى النبي صلى الله عليه وسلم فُرجة في اللبِن (جدار اللحد) فأمر بها أن تسد وقال :"اما أنها لا تضر ولا تنفعُ ولكنها تُقِرُّ عينَ الحيِ ،و إن العبد إذا عمل عملا أحب الله أن يتقنه".
والظاهر أنه أخبر أن وجود الفرجة خلل لا يضر ولا ينفع، لا الحي لأن القبر سيردم ولا الميت لأنه في شأن آخر.
ثم علل لماذا يجب أن تسد بأن تسويتها تقر عين الحي أي تشعره بالرضا لكن الحي لا ينظر إليها إلا لحظات قصيرة حتى يحث التراب عليها، ثم أردف بالعلة الثانية التي تعطي الأولى كل قيمتها وهي أن الله يحب اتقان العمل، فربط بين الجمال لأن الذي يقر العين الجميل وليس القبيح والإتقان.
وإذا كان الجميل هو ما يبعث الإعجاب والارتياح في النفس لأنه موافق لمقاييس

التوازن والانسجام و الكمال، فجمال العمل لا يأتي إلا من الإتقان وما الجمال إلا تناسب الخطوط أو الأشكال أو الألوان أو العبارات أو الأفعال فليس الإتقان إلا إحكام التناسب بين أجزاء الشيء ووظائفها، والله يحب الإتقان لأنه كامل أتقن خلقَه و لأنه جميل يحب الجمال.

إذاً معيار الجمال الشامل في الإسلام هو الإتقان وليس مجرد الذوق فإذا اعتمدنا الذوق أصبح الجمال نسبيا لاختلاف الأذواق ، وإذا اعتمدنا الإتقان أصبح مشتركا، و الشأن هنا.

والإتقان يأتي من قوة المهارة وهي تبع للعقل، و أما الذوق فيأتي من النفس، فهو حافز وطالب للجمال.

ولهذا لا يقف الإسلام عند جمال الصور بل يتجاوزها إلى إلى الجمال العميق النافع للإنسان جمال الباطن.

وعلى هذا فإن دور الجمال ليس انفتاح الإنسان على غيره فحسب ، فهذا عموما يأتي من رقَّة الطباع ولكن تعليم الإنسان اتقان العمل فمن أحب الجمال حرص على الإتقان.

و يقر العين (يرضيها ويريحها الجمال وليس القبح) إلا عند جمال الباطن فإنه يجعل الذميم جميلا بل أجمل من جميل الصورة فقط.

الله الجميل الذي يحب الجمال أخبر عنه النبي صلى الله عليه وسلم أنه لا ينظر إلى أجسامنا و لا إلى صورنا ولكن ينظر إلى قلوبنا (صحيح مسلم)

الغرض من الجمال الإتقان ،وأثره المريح والمهذب للنفس لكن المعيار عند الله جمال القلب بما يقر فيه من الأحوال العالية والمشاعر الراقية لأن جمال الصورة في المكلف قسمة امتحان فقط ،فالجمال مطلوب في كل شيء إلا في الإنسان هو مشروط بجمال الباطن.

المقصود أن حصر الجمال في الصور الخارجية قاد بعض الصوفية إلى دعوى عبادة الله بعشق الصور التي وكذلك الغرب قاد الغرب إلى عبادة الصور وكما قال جوزي أورتيغا في "نزع الإنسانية عن الفن" :ينبغي أن تكون المتعة الجمالية متعة عقلية.

فالأخلاق هي جمال الداخل وهذا المعيار الذي جاء في الحديثين الذين ذكرتهما في المنشور "تقر عين الحي" فيه حظ النفس الفطري والطريق إليه الإتقان. والثاني

"ولكن ينظر في قلوبكم" يضع معالم الطريق ويحفظ...

عازفُ الناي _في كل بلاد العرب _يقود الحيَّات ... و الفئران... إلى حتفِها...!

قابوس.. و التطبيع مع إسرائيل.. قراءة أخرى !

عندما يتجبر أخوك القوي وتصبح سياسته طائشة مهددة للصغير بجواره يبحث هذا الأخير عن الحماية التي في متناول يده.

فما بين دولة كإيران لها أطماع نفوذ حيثما وجد الشيعة و سياسة بنفس كسروي، ونظام مثل السعودي لم تسلم منه دول شقيقة بعيدة فضلا عن القريبة فلم تسلم منه قطر إلا بمعاهدة دفاع مشترك مع تركيا ماذا يمكن لسلطنة عمان أن تفعل و هي تحت ضغط متابعة سياسة السعودية كالأعمى، ولا تملك ثروات كبيرة تستهوي أمريكا إلا التطبيع مع من لهم نفوذ على الغرب ويمكنهم حمايتها من إخوانها!

لقد دخل الخليج مرحلة التمزق بسبب سياسة جديدة في المملكة السعودية بات الجميع لا يأمنها.

ولا شك أن تطبيع السلطنة مع الصهاينة موافق لتوجه السعودية والإمارات لكني أظن أن التطبيع هو طلب الحماية من الهاجس الخفي وإلا كانت تنتظر قادة المنطقة البدء به.

نحن أمام تكرار عهد دول الطوائف في الأندلس والشام.

سياسة "حجة الأقوى هي دائما الأفضل" كما قال لافونتين، هي ما تسير عليه السعودية مع جيرانها، دولة لا تحتاج إلى تبرير نفسها لأن معها القوة بالنسبة لأولئك الجيران.

في حين أن السياسة لو كانت نابعة من الدين أو العقل يكون شغلها أن تثبت شرعيتها أمام محكمة الشريعة (العقل والضمير).

في هذه السياسة الطائشة تكون كل النهايات متساوية ويقتصر دور العقل على المكر فقط، وتصبح الأخلاق مجرد صفحة بيضاء يرفض السياسي ملأها كما يقول هيرش.

حجة القوي ومنطق سلسلة أفعاله في المنطقة ستصبح في مركز اهتمام كل دولة في الجوار فبالضرورة يقلب هذا الوضع العقل على نفسه ويدفع الدول الأضعف إما باتجاه إيران أو إسرائيل .

التطبيع بين العرب والصهاينة مضادة للطبيعة لكنه يكشف لنا التحالفات القادمة، وعن حال التفاهم في دول الخليج، هو زمن اللايقين عندهم ، زمن دس السم في الهدايا ليس للعدو ولكن للأخ الطائش.
ستجمعهم إسرائيل في حلف ضد إيران لكن في داخله أحلاف، تحمي كبيرهم من إيران وتحمي صغيرهم منه، والمفلح منهم نسبيا من سيلجأ إلى تركيا.
الحصول :الشاب المتهور فركت القصعة!

المراحل السياسية..؟
بالنسبة لهبرماس وراولس ودوركين وفوكياما وغيرهم الغرب في مرحلة "تآكل السياسي".
بالنسبة لي نحن (في أمتنا) في مرحلة لعب الصبيان وخرف العجائز ربما تفطم السياسي الذي سيعقب مرحلة ساسة troubadours (شعراء متجولون ينشدون للملوك في مقابل المأوى والطعام)
" il faut reconnaître dans la poésie arabe la mère et la maîtresse commune de l'espagnole et de la provençale, on aperçoit dans la poésie des troubadours les traces de cette filiation, et l'on y voit aucun vestige de la poésie grecque ou latine"
Histoire littéraire d'Italie (1811)Pierre-Louis ginguene

الظاهر أننا لم نعلمهم الحضارة فقط ولكن كذلك طبائع اللئام من شعرائنا باعة الكلام !..

الانطباع الأول ؟
يتشكل لديك انطباع أولي عن الإنسان من عدة أشياء تراعيها النفس،في الغالب لا علاقة لها بالعقل، فالمنطق يقول :لا تشتر كتابا من جمال غلافه لكننا نفعل..!
والمنطق يقول :ليس كل جميل الوجه ذكيا وطيبا وكريما لكننا نظن ذلك، وفي المثل الجزائري "الناس تحسب الجمل الأبيض قاع شحم"

بالنسبة إلي :الكيفية التي يستمع بها إليك فإنها تخبر عنه، عن بشاشتته، عن موقفه الأولي منك، عن تأخيره الظن والاحتياط أو تقديمهما ، فمن الناس من يقبل عليك بوجهه لكن في عينيه ترى روحه مدبرة، و "المؤمن هيِّنٌ لين تخالُه من اللين أحمقَ".

العلم والحُكْم .. ؟

استدعى الشيخ محي الدين والد الأمير عبد القادر قاضي بطيوة إلى غريس (وبينهما مائة كيلومتر) فذهب مع زوجته بعد أن أصرت على مرافقته... ومعهما حمار.
ولما وصل عقدوا له جلسة محاكمة، ووجهت له تهمة "بيع العلف لبغال الجيش الفرنسي" فأجاب :وهل كنت أقدر على منعهم من أخذه؟!
حكموا عليه بالموت فشنقوه وامرأته تنظر، وبعد لفظ أنفاسه أنزله الجلاد وقال لها :خذي هذا الحبل(الذي شنق به) واربطيه على ظهر الحمار حتى لا يقع منك.
ردت عليه العجوز :الله إكثر خيركم خل الحبل عندكم تشنقوا به آخر..!
وصل الأمير عبد القادر وكان غائبا فرأى الشيخ ميتا على ظهر حمار فحزن ، وقال لهم :لماذا قتلتموه كان يكفيكم معاقبته ، هذا شيخي الذي حفظني القرآن(كانت العادة أن يحفظ أهل معسكر القرآن في بطيوة والعكس) ؟
رحمهم الله جميعا أرجو أن كل واحد منهم قدَّر أمره وأعدَّ حجته، وعند الله يعلو اليقين وتستنطق النوايا.
لا تقوم الدول بدون صرامة القانون، لكن لابد من علماء يفصلون بين الظن واليقين ،يصونون الدين ويدفعون الظلم، كما قال ابن تيمية :صنف العلماء الذين يخضع لهم كل أصناف أهل العلم(بل كل أصناف الناس)
هما حيث أخبر الله أنه يرفع درجات بالعلم :
{وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ} ، {كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ۖ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ ۗ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ}
:من كان على منهج إبراهيم عليه السلام من دفع الصائل على الدين مهما كان بالحجة الدامغة التي تقطع التشغيب.
ومن كان على منهج يوسف عليه السلام من سياسة الحكام لمنع ظلمهم عن الناس.

((العالم هو الإنسان الذي يتم من خلاله التمييز بسهولة بين الصدق والكذب في الكلمات، بين الحقيقة والخطأ في القناعات، بين الجمال والقبح في الأفعال)) ...
منسوب للأمير عبد القادر.
نوع العلماء عندنا يكاد يناسب نوع الأمراء ،و أمتنا اليوم كميزان غير دقيق لا تلد (في العلم) إلا ناقصا عن الكمال الممكن مهوِّنا أومهوّ ِّلا.
...منشور آخر عن أصدقائي وبعدها أزور المعرض، أكتب لكم منشورا عنه وعن قيمة الكتاب عندنا، وعن أزمة تكوين العلماء على متطلبات العصر إن شاء الله تعالى ثم نعود لعادتنا.

أصدقائي...!!
ردا للجميل وشكرا لله باللسان :كغيري من الناس لم تقترح علي الحياة إلا ما أنا فيه، وربما كانت لدي قدرات أهدرها طيش الشباب وكلَب المتعة لكن ما فضلني الله به _وعندي اطلاع على أحوال الفضلاء شرقا وغربا _و أجزم به، أنه وهبني أصدقاء نادرا ما يجود بهم الزمان (ولا ينقطع الخير من أمة محمد صلى الله عليه وسلم) ، وأعي ما أقول، نفس عالية و أدب يأسرك، مع لين عريكة وكرم طبيعة ورجاحة عقل مع تفاوت في كل هذه الفضائل، وبطبيعة الحال لهم عيوب كسائرنا لكنها مغمورة غلبها النبل .
إذا أقبلتُ هللوا ، وإذا أدبرت لم يدبروا كما هو حال النفس المتقلبة ، لم أحتاج معهم يوما إلى الاعتذار، ولا أظن أني منحتهم شيئا ليس عند غيري ، رغم أن الصداقة في الغالب_كما قيل _لا تثمر ثمارا جيدة بدون مبادلة.
وقد لا نلتقي كثيرا ومع ذلك الود محفوظ كاللؤلؤ في صدفه حتى أني في خلوات النفس أسألها :يا ترى من أين لنا هذا العطاء؟
كثير من صداقاتي بدأت بالتقاء عقول وانتهت بتقارب قلوب.
رزق الله ومنحه ليست العلم والمال والصحة والولد.. الخ فقط ولكن الإخوان ربما من أعظمها فإن الرجل لا يعيش بطبيعته وعفويته و أسراره إلا مع الخلان الأوفياء، وتلك هي حياته التي من نصيبه، أما البقية فكأنها وظيفة تعوزها الحرية المطلقة.
أقول هذا لأن كثيرا من الرجال لم يعرفوا صداقة حقيقية يذقون بها هذه الأحوال

فالصداقة :"عندما نشعر بها حقيقة،ً من كل متع القلب الدنيوية هي الأكثر قيمة و الأكثر رهافة، فهي التعاطف الودود، تحملنا الواحد نحو الآخر على منحدر ناعم و طبيعي.
هذا الشغف (لأنها بالنسبة للقلوب الطيبة هي واحد) خالية من أسى وحزن الحب تحتفظ دائما بأسر وجاذبية الحب المولود حديثا، هي رفيقة البراءة، والعون على الحياة، و أول غذاء للقلب بعد الإيمان، الحليب ينعش جسما متعبا لكن الصداقة وحدها تنعش قلبا محتضرا (خرعا) [دو موستي بتصرف]
أصحابي... بارك الله فيهم ورضي عنهم وقدرنا على رد الجميل لهم.
هذه شهادتي في أصدقائي وقد شبنا معا، وبعضهم لا يزال يحتفظ بسواد شعره، ويوما ما أكتب شهادتي في طلبتي وكل من جمعني بهم العلم ،والحمد لله هم من نفس الطينة لولا أن الشباب شعبة من الجنون خدش بعضهم لكن مع سلامة الجوهر والحمد لله.
لابد أن الله حباك أنت الآخر بشيء ثمين، و الهدية على قدر الهادي وإنه والله ليهب على مقاس العبد وحاجته، وأحيانا تجد ما قد تتمناه في روعك قد سبقك.

ما باله وجدان ابن تيمية؟!

(النفس الراقية)
الأنفس الراقية العلوية لكأنها طيف يسبح في الفضاء موجودة في علماء المسلمين وعبادهم بكثرة.
وأقصد بالرقي تلك الأحوال العالية في التعامل مع الله، لا تنطق إلا به، ولا تصمت إلا لتناجيه.
ولأن النفس واحدة يمتنع عادة أن تصمد في هذه المقامات بغذاء الروح وحده دون غذاء الوجدان الوجودي الإنساني من سماع أو شعر رقيق أو تأمل في منظر جميل ،فالوارد ثقيل يهد الجبال.
لذا حيَّرني أمر ابن تيمية مع هذه الأمور فمكانته في هذه العوالي لمن صاحب كتبه لمدة طويلة متينة،يكفيك أن تقف على معركته مع ابن سينا حول مقامات العارفين لتلمس علو قدره فيها،

ومع ذلك لم يظهر ولو مرة حاجة نفسه إليها.
نعم، قسم السماع إلى عقلي وملي وشرعي، و أنكر بشدة التعبد به، وتوقف هنا إلا لمن لم يفهم كلامه في مجموعه.
ومن سنين وأنا أفكر في هذا الأمر و أقول: لعل في تربيته التي اتسمت بالجد الشديد حيث ربما لم يتعرض لما يتعرض له أقرانه، ثم المسؤولية العلمية والإصلاحية التي وقعت على كاهله ولم يغادر عمر الشباب بعد ما جعله يتجاوز هذه الحاجة، خاصة و أنه رجل ذو همة صلبة، شديد الانضباط الذاتي، يعامل نفسه بالاحتياط، مع قوة ورعه. ومعلوم أن السيطرة على السماع تكاد تكون مستحيلة فمن ذاقه بالغ فيه، تفرط النفس فيه أيما إفراط،وكل ما تسمعه مما يرفع المعاني أو يضعها يغذي نفسك، وإذا نسيته فإن نفسك تتذكره وتتصرف به في لاوعيك.
أو ربما لم يحضر خلوته أحد، أو لم يحفظ لنا التاريخ ليله، أو أنه وصل تلك المرتبة حيث يضمحل كل شيء و يتلاشى في نفس العابد،تفنى حظوظها ،ولا يبقى إلا إرادة الله و الأنس به..وكلمته عن القرآن عند موته مع تلك البراعة في تفسيره تدل على أنه تجاوز القنطرة حيث تملأ معانيه لا ألفاظه النفس ولا يبقى لها حيز لغيره.
فعلا ابن تيمية ظاهرة تحتاج إلى دراسة خبراء يفصلون بين جوانبه المختلفة لم يتوفروا فينا لحد الساعة.
لا أريد تصديعا بالفقه، من فهم الله انوره، ومن لم يفهم فتح الله عليه.

خصومات التاريخ..!

تقع خصومات بين علماء وعباد وشعراء وساسة لهم فضل علينا.
وبطبيعة الحال نميل إلى أقربهم إلى عقولنا وقلوبنا.
وقد تكون الأحداث قريبة منا فيعيش بعضهم بعد موت أصحابه ويكركر معه خصومته معه ويريد أن يزرعها فينا، و الواجب على العاقل أن يحفظ له مقامه دون أن يهدر فضل خصومه ومخالفيه، فندع لهم خصومتهم و نأخذ محاسنهم.
هذه قاعدة وقف عندها الإمام أحمد فيما يخص فتنة الصحابة، وهي مناسبة جدا لمعالجة الخلاف بين الفضلاء.
ستجد في كتب التاريخ اتهامات متبادلة مختلفة افصل الجزئي العلمي منها عن النفسي

والمذهبي تفز بكل خير و تسلم من شرها.
لابد أن نتجاوز عقبات التاريخ ونقلل من شرها علينا ولا نجعل كل شيء في مواجهة والمشترك بينهم كثير.

العالم أو المثقف.. الخلط المميت!

العالم هو شخص حصَّل العلوم الشرعية ووظيفته استنباط الأحكام أو شرحها. وإلى هنا يشبه الصورة القديمة للفيلسوف الذي يقود فكره في إطار تصوري، لا يتحول إلى مصلح إلا إذا وظف علمه في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
أما المثقف فهو شخصية معاصرة يرتكز نشاطه على ممارسة التفكير العلمي وينخرط في المجال العمومي لمشاركة الناس تحليلاته حول موضوعات مختلفة أو للدفاع عن القيم، هو الشخص الذي يتدخل فيما لا يعنيه، على قول سارتر.
يكون إما مبدعا للمفاهيم والتصورات كما هو حال العالم والفيلسوف، و إما وسيطا بين السياسي والمستهلك للمعرفة أو الأيديولوجية.
يرتكز المثقف كالعالم على زاده الأكاديمي لتقديم فكره ولكنه يفكر في العالم كما هو وبعد ذلك كما يجب أن يكون.
لذا لا يلزمه تحفظ العالم لأنه لا ينتج التصورات فقط ولكن يتحرك بها في المجال العام للتأثير بها في تحسين الحال، قد يدافع عن وجهة نظر السياسي عندما تكون صائبة لأنه ليس سياسيا دائما في المعارضة، وقد يبسطها للناس إذا كانت تقنية، وقد يدافع عن القيم والعدالة وهو الغالب عليه.
لكن يمكنه أن يكون سياسيا، مصلحا، رجل ميدان ويمكن أن يظل في صناعة التصورات ونقلها للطرفين: السياسي والشعب.
وعلى هذا فإن استحضار ما يليق بالعالم في الدولة القديمة على هذا الوجه المعاصر الجديد يدل على عدم إدراك لما صار عليه العالَم المعاصر والدولة الحديثة.
ومنه وقع على العلماء ظلم حينما طالبناهم بوظيفة لا يملكون أدواتها لأنهم تلقوا تكوينا لعالَم مضى، أو عندما الزامناهم بالصمت بدون اعتبار نوعهم وقدراتهم الفكرية في أمة تشكو من عدم المثقف أو عدم ثقته أو كفاءته.
يحتاج العالم اليوم إلى المهارات الادراكية المعرفية لأن جسم المعرفة في هذا العصر يكبر بشكل هائل، ومن يريد المساهمة في هذا العصر يلزمه أن يكوِّن نفسه على

متطلبات عالم اليوم و الغد ، وهذا يقدر عليه آحاد العلماء فقط لكنه في متناول المثقف.

الواقعية هي أن تأخذ الشيء كما هو مع إمكانية تحسينه ، والمثالية هي أن لا تبالي به ،وتمضي لهدفك(صورتك الذهنية عنه) مهما كان الثمن.

بأي نظَّارات ترى واقعك..؟

بسم الله الرحمن الرحيم

الواقع ليس نتاج لغتِنا لأنه موضوعي لا يقوم على آرائنا الشخصية فكون التراب لا ينقل الكهرباء ليست رأيا لأحدهم.

و عليه فإن الحقيقة موجودة اعتبارا من وقائع موضوعية لأن الموضوع منفصل عن الذات في وجوده، ولهذا نثبت الحقائق المطلقة وإمكانية اليقين، لكنه مرتبط بها في المعرفة لذلك نعذر المجتهد المخطئ لأنه من هذه الجهة الحقائق نسبية.

فمثلا: من بلغه النص المنسوخ ولم يبلغه الناسخ الحق بالنسبة اليه هو المنسوخ لأن ذلك مبلغه من العلم، يعني: الحق هنا متعلق بذات هذا العارف، لكن الحق في نفس الأمر هو النص الناسخ، فمن بلغه النص المنسوخ و الناسخ الحق بالنسبة اليه هو الناسخ ،يعني: أن معرفته الذاتية مطابقة للحق كما هو في الوجود في الواقع الخارجي و ليس في ذهن العارف.

يعيش كثير من المسلمين خاصة الجماعات الإسلامية في واقع مأمول هو الواقع الموجود في الكتب أو في تصوراتهم الذهنية، وقد يكون واقعا يمكن وقوعه لكنه لم يقع ،والمشكل أنهم يبنون مشاريعهم عليه.. !

أعني :أنه يرى واقعه بعين الشيخ العالِم الذي يتبعه وليس بعينه هو، فأفكاره تماثل واقع ذاك الشيخ لا تماثل واقع اللحظة، واقع الوضعية، لأنه يقرأ واقعه بنظَّارات ذاك الشيخ، ويسقط واقعه وواقع السلف على واقعه المعاصر،وهذا يأتي من التقليد المذموم لأن التقليد هو من الأمور التي تبني للإنسان في ذهنه واقعا غير موجود.

تقع حوادث أمام عينيك أو تُخبر عنها لا يمكنك تركها بدون تفسير لأن عقلك مفطور على تفسير بيئته وتبرير ما يقع حوله ليتمكن من التكيف معه، وكما يقول علماء النفس :فتحكي لنفسك حكاية، يعني :تفسر تلك الحوادث بحسب ما تملك من معطيات عنها،

فإذا توقفت –مثلا - سيارة إسعاف قرب عمارتك تفسره بكونك تعلم بوجود شيخ مزمن يسكن في تلك البناية سبق و طلبوا له سيارة الإسعاف عدة مرات، لكن قد تكون مخطئا ،فقد يكون المسعَف طفلا أو امرأة أو توقفت لأسباب أخرى كثيرة. وحكايتك هذه (تفسيرك للواقعة) يعطيها معنى وسلطة، المعنى هو اعتقادك فيها، يعني :الصورة الذهنية التي بنيتها عن هذه الواقعة بحسب معلوماتك، والسلطة لأنك لن تتصرف إلا بحسب هذا الاعتقاد فقد تنزل من بيتك للمساعدة! واعتقادك لا يطابق الواقع الموضوعي.

فأقل ما تكون أفكارك مغرضة ومنهج قراءة الواقع غير مشوّه تكون أقرب للواقع الخارجي الموضوعي كما هو.

وهذا يعني أنه في إمكانك تشويه واقعك من غير شعور، كما في إمكان بعض الناس أن يشوهوا واقعك فتعيش في واقع غير موجود، فعندما لا تماثل أفكارك واقعك تعيش في الأفكار المشوهة اللاواقعية، وهي أفكار تسكن عقولنا وتمنعنا من رؤية الواقع كما هو، كما هو في لحظتنا نحن لا لحظة ابن تيمية أو محمد عبد الوهاب أو محمد عبدو أو سيد قطب أو ابن باديس... الخ.

ولهذا اهتم علماء الاجتماع بهذا السؤال:انطلاقا من أي معرفة يتمكن الإنسان من بناء واقعه؟ وبتعبير آخر:انطلاقا من أي واقع يبني الشخص واقعه الخاص؟

يقول ليبمان :الإحساس الوحيد الذي تجده حول حدث ما لا يرجع لتجربتك ولكن للصورة الذهنية التي تشكّلت لديك عن هذا الحدث، وهذه الصورة (اعتقادك) هي التي تهيكل رد فعلك، لهذا لا تكون آراؤنا أجوبة عن العالم الذي يحيط بنا.

وهذا تحليل ظواهري صحيح في حالة كانت جميع صورنا الذهنية للواقع غير مطابقة له، وهذا غير صحيح لأنه لا يسعى بعضُهم لتشويه الواقع إلى أنهم أدركوه كما هو ولأسباب أخرى ، مثل أن كل ما أخبر به الأنبياء عن واقع الغيب هو مطابق له، وكثير مما ندركه من الواقع هو كما هو لأن العلم صحيح مطابق للشيء كما هو في الواقع الخارجي.

وظيفة كل وسائل نقل المعلومات إلا ما رحم الله هي توجيهنا نحو الرأي العام المرغوب، و نحن لا نقدِّر حجم أحكام القيمة التي تُضخ في وعينا، ولا ندرك الرابط بين العالم الرمزي الذي صنعوه لنا أو صنعه لنا جهلُنا وبين الواقع

ولأن التفكير كعملية التنفس قد لا نشعر به، وهو في حدٍّ واحد (binôme) مع رد الفعل، فإن الابتعاد عن الواقع يستدعي هذا الأخير الذي يجعلنا نعيش في النظرة المجملة وفي الارتياب.
وعندما أشرت إلى التقليد الأعمى بأنه مما يشوه واقعنا فأقصد أن النشأة على تعميمات و أحكام مسبقة تربوية مجتمعية نأخذها من بيئتنا و ثقافتنا دون تمحيص نستخدمها بالضرورة في تفسير واقعنا تشوه صورته الذهنية ، مثل: الحب و البغض الموروث بين الناس يقود الى الحكم على الشيء دون معرفته عن قرب.
ومن يكون هذا حاله يميل في تفسير الواقع الى التخمين اكثر من ميله الى الحصول على المعطيات الواقعية ، فمن يعيش في واقعه منهجه: الاحصاء و الاستقراء و تتبع المصادر المضادة ، ومن يعيش في واقع وهمي لا يسمع الا من مصدر يوافقه.
لهذا نحتاج إلى منهج فهم الواقع حيث نتمكن من تحليله في عدة مستويات و إلا عجزنا عن تغييره، وهذا المنهج شيء زائد عن العلوم الشرعية موجود في العلوم الانسانية بشرط تجديد براديجماتها لأنها مادية نابعة من الفلسفة الغربية، معارضة لنظرتنا القرآنية عن طبيعة الكون والنفس الإنسانية.
لذا على المسلم المثقف أن يساعد الناس على رؤية الواقع كما هو، و يبعدهم عن العميان الذين لا يسمعون الحقيقة ويرفضون رؤيتها كما هي، لإصلاح ما يمكن إصلاحه، فعلى المسلم المعاصر أن يوقع على عصره هو،(تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون).

صدق القائل :كل منَّا يعيش في عالمه!
كتبت منشوراً عن صفات أصدقائي فظنَّ الناس أنه من كرمي بالغت في وصفهم!
أقول شيئا واحداً (ليس هو جوابي الأصلي الذي احتفظ به لنفسي) :إذا منَّ الله عليك قد تصادف في هذا الزمن رجالا أنفسهم أكبر من بعض فضائلهم، وإن كانت لهم عيوب(حقيقة الطبيعة الآدمية).
كيف تتجاوز تلك العيوب يتوقف عليك لا عليهم،أو بالأحرى على فضائلك أنت، هل عرفت أين الخلل.. ؟
تشاكل الأنفس أقوى من تشاكل الآراء (الأرواح جنود مجنَّدة...) ولهذا الصداقة في

هذا الزمن مجرد تجانس في مذهب، ليست صداقة أرواح لأنَّ خصائص الإنسانية معطلَّة فينا.
لكن أصاب كبد الحقيقة من فهم انها عطاء وليس عن بحث تجدها..
بآيتين تسمو بالصداقة، الأولى تعلِّمك بأن لا يكون حظ نفسك هو المقدم دائما فإذا لم تنله غضبت: { فإن أعطوا منها رضوا وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون}
والثانية تعلّمك أن تغفر النقص والضعف الآدمي: {فأسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم}
الصورة :من الما اقلع ونحن في الصخر نغوص.. ليلة البط هذه.

حيرة الشباب.. ؟
انا جالس مع ابني نتحدث عن عدة أمور لم يمنع ذلك من كتابة هذا المنشور، فتذكرت ابن الجوزي رحمه الله عن التوليف بين الواجبات.
من تجربتي مع الشباب بالمخالطة أو بالمراسلة يعاني كثير منهم من حيرة وتيهان لا يعرف أين يضع قدمه.
وأنصح هذا الشباب بأن يطالع نظرية (big five) أو (hexaco) التي وضعها "كولدبرغ سنة 1981م وطورها كوستا وماكري سنة 1992م.
وهي نظرية عن خمس صفات في الشخصية الناجحة والواعية مثل :الانفتاح ويتضمن العاطفة و المغامرة والتطلع والفضول وخصوبة الخيال.
الوعي ويتضمن الانضباط الذاتي واحترام الواجبات و التنظيم والتوجه نحو الأهداف و العمق.
والانشراح والانبساط ويتضمن العاطفة الإيجابية اتجاه الناس والتحفيز الذاتي و الاقدام والمصاحبة.
اللطف ويتضمن اجتناب الشك والمعارضة الدائمة للمحيط.
والخامسة اجتناب بعض أوصاف العُصابية كالغضب والقلق.
وفي الحقيقة تضمنت الكثير مما يوافق وصايا النبي صلى الله عليه وسلم.
وكذلك كتاب "التوليف النفسي" ليفروتشي عن أسباب الفشل لأنه يصف كيف نتخلص من العادات السيئة.

اللذة الباطلة وفن الحياة ؟

نعيش في عصر دجَّن العقول وروَّض الأنفس حتى حصرت المتعة في الجنس كأنه تشارك أفكار ، تماما مثل مفهوم "قيمة" أصبح مرادفا للمال..!

لكنها حقيقة سطحية، في الظاهر فقط، لأن تضخيم اللذة الجنسية هو فقط تعويض عن حياة مسيخة (بدون طعم) تافهة وباهتة، هو هروب من مجتمع مقلق وليس نزوي هيدونوزي، لأن الهيدونوزية (مذهب يبحث في اللذة واجتناب الألم) تتضمن فلسفة شهوة، وهذا المجتمع المعاصر ليست له فلسفة، فلا يعرف معنى المتعة ولا فن حياة_كما قال بعضهم_ المتعة عنده في الجنس والطعام واقتناء البضائع المادية لأنه بيئة مادية ،نسي أن الحياة ثلاثية الأبعاد: روح وجسم وعقل يجمع بينهما ،بتعبير آخر :شراهة الحيوي (الحيواني) و فضول الذهني واتقاد الروحي.

تشبهنا متعتنا لأنها التوجيه الذي نعطيه لحياتنا، لذا لا يجب أن نخلط بين حاجات الجسم ومصالح العقل وتطلعات الروح ،فمهما عشت للجسد وأهملت العقل ولم تسمع نداء الروح تبقى إنسانا مكوّنا من هذه الثلاثة.

القضية قضية توازن مع ضرورة التفريق بين أنواع الإنسان، واختلاف حاجة كل نوع ،فالنقص عن الكمال في بعض اللذات لا يعني أنها محرمة.

"محبة النفوس للباطل نقص لكن ليس كل الخلق مأمورين بالكمال، ولا يمكن ذلك فيهم، فإذا فعلوا ما به يدخلون الجنة لم يحرم عليهم ما لا يمنعهم من دخولها.

قال النبي صلى الله عليه وسلم :(كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا أربعة) مع العلم بأن الجنة يدخلها كثير من النساء والرجال أكثر من الذين كملوا من الطائفيين".. ابن تيمية؛ الاستقامة

فما لا يليق بكمال أبي بكر أو عمر ورفضاه أو كرهاه ليس محرما على غيرهما فإن حاجة النفوس في اللذات تتفاوت فهذا لا تستقر نفسه إلا بلذة مادية وذاك لذته في ترك هذه اللذة.

و ما أعان على لذة مقصودة شرعا هو حق، وما لم يعن عليها فهو باطل، إذا لم تكن فيه مضرة راجحة لم ينه عنه. فكل لذة لا تعقب لذة أو ألما في الآخرة، ولم تمنع لذة خيرا منها فهي باطلة مباحة، قد تكون مكروهة في حق الكمل من الناس لكن مباحة

لغيرهم، وإذا أعانت على لذة مستقرة في الآخرة فهي مستحبة.
يجب التفريق بين النقص عن الكمال وبين الحرام الذي يضر في الآخرة.في "الاستقامة" تفصيل يمكن أن نبني عليه فلسفة كاملة في الموضوع ونفهم به بعض وجدانيات المتقدمين.
من بحثي "فالقة الإصباح الإنساني : اللذة في الإسلام "

مابعد الثورة..؟

الفارق بين الثورات الناجحة كلية والثورات الناجحة نسبيا أو الفاشلة هو أن ما بعد النوع الأول أكثر رونقا وفيه يعيش الناس آمال ورؤية تلك الثورة التي تكون في الغالب تجديد ظروف الحياة بالحرية والعدالة على أساس رؤية دينية أو فلسفية معينة.
اما النوع الثاني فتعيش في ما قبلها الذي يكون أفضل من مابعدها على الأقل مع المبدأ الذي أسسته لنفسها.
هناك ثورات تاتي لأحداث تغيير عنيف في هيكل مجتمع غير راض عن ظروفه، وهذا النوع يشكل من فجر التاريخ انقطاعات متتالية وتقلبات مفاجئة.
هناك نوع هو محاولة تصحيح أزمة نظام.
السؤال الذي يفرضه دراسة تاريخ الثورات وهي كثيرة جدا هو :متى حققت ثورة في التاريخ وعودها؟
الكثير منها فشلت ورد عليها بقمع عنيف كما في انتفاضات الربيع العربي لأن همها كان إسقاط السلطة فقط، وبعضها ولد ديكتاتوريات أسوأ من الأنظمة التي أسقطتها (روسيا/الصين).
إذا لم تكن الثورة تفكيرا مجتمعيا سياسيا حول الحرية والعدالة يحدث تغييرات سياسية واجتماعية عميقة (ميلاد جديد) لتأسيس دولة على ما تم التفكير فيه.
بهذا المعنى الثورات الوحيدة التي نجحت هي الثورة الأمريكية سنة 1776 م وتأسيس أول جمهورية في فرنسا سنة 1792 م
قيمة أي ثورة هي فيما بعدها إلا إن كان هدفها الوحيد هو الحرية، وهذا يطرح سؤال عن مستوى التفكير عند مفجري الثورة الجزائرية؟!
لكن قد يقال بأن بيان اول نوفمبر يشكل وثيقة لا تقل في قيمتها الفكرية عن بيان الآباء

المؤسسين في أمريكا، وهذا صحيح فقد تضمن أسس الدولة المأمولة فمن أين جاء تعطيله ؟
في تقديري تشكو المجتمعات العربية من ذهنية المتخلف وهي ذهنية معيارها البندقية وليس الكفاءة الفكرية لذا ترجع السلطة في نهاية المطاف إلى صاحب البندقية.
وإذا نظرنا في قيادات الثورة سنجد أن الفكر والثقافة كان في السياسيين وليس في العسكريين لهذا جاءت دولة ما بعد الاستقلال على مقاس فكرهم.
الثورة الجزائرية ثورة عظيمة وأدت ما بعدها ذهنية المتخلف.
نحتاج إلى الخروج من روح الذكريات كلما حلت المناسبة إلى التفكير فيما كان ينقص الثورة ولا يزال إلى يومنا هذا، وهو الثورة الفردية أو ثورة الفرد على طباعه السيئة وعقليته الفاسدة فلن يلد الإنسان الجزائري الحالي إلا ما يعيشه الآن.

رصاصة منتصف الليل على التربية الفرنسية.

كان يعمل معي رجل يكبرني بعشرين سنة، وجدني في وقت صلاة الظهر أتوضأ في الحديقة الخلفية لمكان العمل فسألني :ما زالت الظهر أربع ركعات؟
فأجبته :لا ،زادوا ركعة impôt!
ثم قلت له :لماذا لا تتوضأ وتصلي معي الظهر؟
رد علي :لا أقدر، أنا مريض من المعدة!
فقلت له :غسل المعدة ليس من واجبات أو سنن الوضوء!
هذا الرجل تربى مع أبناء الفرنسيين، ونشأ يعزف على البيانو ،صعب عليه جدا العودة إلى أصله.
وفي الجزائر الكثير منه، من كل الأعمار!.

لماذا مالك بن نبي؟

باختصار شديد :هناك في المسلمين من خرج عن السرب بمستوى فكري يليق بهذا العصر، لكن في الفكر الإجتماعي يبقى الوحيد الذي تجاوز الطائفية، ولم يخدمها باي كتاب، فكانت رؤيته ملية بخلاف بعض الباحثين هيمنت عليهم مذاهبهم الدينية فجمعوا احيانا بين قوة فكر ودقة تحليل مع أطروحات لا يقبلها منطق عقل ولا منطق تاريخ رغم اعتدالهم،وهذا بسبب ضعف تحصيلهم في العلوم الشرعية فأكثر ما ضر بهم

ضعف أو عدم التوثيق أصلا.
يمكن أن نعتبرهم مصلحين داخل مذاهبهم.
هذا فضل مالك بن نبي في تجديد فكر المسلمين الملي:
القدرة على النظر عبر الطائفية ابصار في ليل المسلمين.

مخاطر الكتب؟

القراءة... ليست فعلا بريئا بدون تبعات، لا يمكن أن تكون محايدة ، إنها مغامرة بأتم معنى الكلمة، لا تدري أين ستنتقل وبماذا سترجع إن رجعت..؟!
القراءة خطوة خطيرة، لا يمكن أن نسلم من تأثيرها، لأنها إذا كانت تسلية، و هروبا من هموم الحياة، تخرجنا من سجننا الذهني بدون تملُّك أدوات تحليل النص فلسفيا فإنها ستضخ فينا أفكارا فاسدة أو مشوهة بدون شعور فقد تدخل كتابا معك دينك وتخرج بدونه.
لا يمكنك أن تخرج من قراءة كتاب بدون أن تحكم عليه، لذا أول ما يجب أن يتعلمه المسلم هو القدرة على التمييز بين الجوهري والثانوي، بين التقدير والقيمة، بين الصور البلاغية والحقائق العلمية، وهذا بعد أن يتثقف في دينه. لابد من التناسب بين الكتاب الذي تقتنيه وبين مستواك الثقافي فالكتب ليست للزينة لأنها قنابل لا دواء لها، فاستقرار الحق في القلب مشروط بخلوه من الباطل.
نعلم الطفل التمييز بداية من لوحات فنية، بطاقات إشهارية يعني من الصور والرسوم ثم ننتقل معه إلى المعاني الخطية حتى يكتسب مهارة التمييز لأنها قوام التحليل.

المفكر في معمعة الخلافات المذهبية ؟

عندما يتناول المفكر الاجتماعي المذاهب والحركات الإصلاحية الدينية فمن منظور شامل يعني كجزء من حركة الأمة الكلية ، لا يدخل في التفاصيل العلمية التأصيلية ويكتفي بالكليات الكبرى المقاصدية يحاول استرجاعها و إعادة تأسيسها، رد الاعتبار للمفاهيم الأصلية قبل الغزو الطائفي لها وحيث يرصد الانزلاق المفاهيمي، لأن المفاهيم تسافر عبر الزمن وقد يصبح المفهوم الأصيل في حال تدهور ثقافة أمة فكرة شاردة فيها، لابد أن يخترق الحدود ويعيد بناء مسار ذاك المفهوم، تلك الروح، ذاك

المقصد.
وهذا نسميه ديناميكية الرؤية حيث لا يجمد نظره داخل مذهب معين.
يحاول المفكر رصد زمن التدشين للفكرة الإصلاحية والبيئة التي خرجت منها فيمدح انبثاقها لأنه حركة في أمة راكدة، ثم بعد ذلك ينظر إن كانت فعلا انقطاعا مع حالة ركود وتدهور ام استئنافا للوضع الأمثل الذي سبق الانحطاط.
يبحث المفكر عن درجة وقيمة التأثير الذي أحدثته في المجتمع وفي حركة التاريخ، لا عن خلوها من العيوب وصوابية أصولها بصفة تفصيلية إلا في حدود ما يدلل على نظريته.
لا يهمه بالدرجة الأولى إلا الممارسة والأثر والصيرورة والانحراف ومدى قدرتها على المساهمة في بناء المستقبل كما يرجوه.
اما تلك النظرة الطفولية التي تجعلنا نقف عند كل شخصية مدحها أو ذمها، أو لأنه مدح فكرتين في طرفي نقيض، أو مدح شخصية من مذهب لا نرتضيه فلأننا ابعد ما يكون عن هذه الكفاءة.
و معنى أن لا يكون المفكر طائفيا هو عندنا أن يكون بدون عقيدة، بدون دين، بدون اختيارات، بدون قناعة خاصة، شخصية شفافة بدون تضاريس !
هذا ما لم نفهمه وأنى لنا فهمه بمثل ثقافتنا الضحلة.
يدرس المفكر نظام حركة المجموع واتجاهه، ويحاول تحريك المفاهيم بكشف زوايا فيها اختفت عن الأنظار أو الغاها الجمود.
المفكر ليس شيخ طريقة ولا امام مذهب.
هذا منشور شارك في أفكاره مجموع طلبة في درس اليوم، هناك أفكار تقنية دقيقة تخص الفرق بين المفكر والعالم التقليدي تركتها لمناسبة أخرى.

حجة النفوذ .. ؟

هي نقيض نفوذ الحجة،عبارة عن استدلال بلاغي يعتمد على قول مأثور لشخصية علمية أو على مجرد الإشارة إلى اسمه، نحو :".. كما قال ابن تيمية.. كما قال الإمام مالك" حيث نستغل نفوذ الإمام في المقالات أو الفقه.
وكذلك الاستشهاد بقول الخبير فقط لأنه خبير.

لكن أفسد منه عندما نقول :هذا رأيك، هذا نظرة الفلانيين.. و الخ.
فهنا تعتمد على نفوذك على نفسك كما استعملت هناك نفوذ المرجعية، وهذا يكون في الغالب عندما نريد أن ننتصر لرأي أو مذهب بدون دليل.
فهذه زندقة لأنها تجعل كل الحقائق نسبية، يعني :الحق ما اعتقد الشخص ،كأنك تقول :انا حر في أن اخالفك، أن حر في اعتناق ما أشاء من الآراء .! وهذا فهم فاسد لأن الحرية هنا نتيجة ليست دافعا فالذي يوجب عليك اتباع هذا الرأي وليس ذاك هو القناعة وليس الحرية، والحرية هي أن لا تكره على رأي، ليس أن تختار بالتشهي.
و خطورتها هي أننا لا يمكن أن نتوقف بها عند مذهب أو ملة لأنها لازمة لكل حقيقة.
و الإسلام دين له مصادره ووسائل اجتهاده، من أخذ بها فهو في حظيرته ،ومن لم يفعل هو في شيء آخر.
وفرق بين من يقول ما يوافق ما قاله الرسول أو ما كان عليه وبين من يقول قولا جاء من اجتهاد ضعيف أو فاقد لشروطه مخالف لقول الرسول أو لما كان عليه.
القضية يا رجل هي السند، اصعد معه وانظر من أين خرج قولك، من مشكاة النبوة ام من فلسفة أو رأي من ليس بمعصوم.
فمقام النبوة فوق مقام عقل هذا أو ذاك، وفوق مقام تجرد هذا أو ذاك، وكل شيء في الدين يجب أن يعتبر به.
راجع شروط مقام النبوة تعرف ماهية الدليل الشرعي ومراتب الاستدلال به.
الرسول ليس مجرد مبلغ للحجة بنقل لفظها ولكنه كذلك مقيم لها على الخلق ببيان معناها.

ما بين الإخفاق والنجاح..
قال سقراط :"السقوط ليس إخفاقاً؛ الإخفاق هو أن تبقى حيث سقطت".
معركة الحياة الصعبة مملوءة بالاخفاقات التي تقود للنجاح، بشرط أن تنجح في التخلص من الرغبة في الاستسلام، إذا لم تفقد الحماس، وخصوصاً إذا بقيت تظن أنك قادر(لكل أجل كتاب).
الحياة كالسيرك، وأنت تمشي على الحبل فروِّض نفسك على الإعادة بعزم أكبر.

في أعماق الفيمينيزم... ؟

الحمد لله وحده، و الصلاة و السلام على من لا نبي بعده.

في النظرة الميكانيكية للوجود، و التي عمَّت بعد ذلك الاجتماعيات و علم و النفس و كل العلوم الإنسانية فقَدَ الإنسان الإحساس بالطبيعي،فأهمل الفطرة و لم يعتد بها في تحديد ماهيات الأشياء.

بالنسبة إلى هذا النموذج لا يوجد طبيعة إنما الثقافة هي من يشكِّل هوية وماهية الإنسان، هو (اختيار ثقافة لا اختلاف طبيعة).

النموذج الميكانيكي:

بدأت الحداثة في العالم الغربي بمقاربة موضوعية للمعرفة من خلال تشكيل علم عقلاني موضوعي تقدمي مستقل عن الآراء الشخصية، و متحرر من الولاية الدينية عليه... !

وفي هذا المناخ بدأ البراديجم (النموذج الفكري) الميكانيكي مع ديكارت و غاليلي (نظرية الاتصال و الصدمة) ومع النموذج الميكانيكي للجاذبية عند نيوتن (الفعل عن بُعد)،حيث رفض العلة الغاية،و افترض أن العلة مؤقتة ،و لا هدف لها ، وهو –في الأخير كما يقول بعض الفلاسفة - موقف ايديولوجي و ليس بعلمي، مبني على تصور مادي خلاصته: تمثيل ميكانيكي للطبيعة .

بحسب ديكارت نلاحظ حكم المادة: ما إن نجمع الآلة تخضع لقانون تدهور الطاقة العامة للكون(entropie) التي تعني أن كل نظام فيزيائي معزول يميل الى اختلال التنظيم بالتدريج،فالآلة جزء من مملكة المادة، و ليست من قبيل الأحياء،تميل إلى فقدان النظام الذي أعطاه لها المهندس الذي صنعها ،فلا يمكنها إلا الاهتراء، مما يجب معه أن تُصان و تنظَّم و تصلَّح من الخارج،وهذا يعني أنها غير مستقلة.

لقد انتقد كثير من مفكري الغرب هذا النموذج ،في كتابه "ما هي الحياة " قال إروين شرودينجر : "خاصية الحياة هي عكس العملية (الميكانيكية) فعندما تميل المادة إلى اللانظام تمسكها الحياة و تُعيد بناء النظام، ما لا تقدر عليه أية آلة".

وهذا نشاهده تحت أعيننا في كل يوم، مجرد نظرة إلى أي حيوان كقط يلعق شعره لتنظيفه أو جرحه لمداواته يجب أن تجعلنا نتواضع.

البراديجم الميكانيكي هو الحكم على الحي بالآلة ،وككل نموذج يحتاج إلى قاعدة

اجتماعية، و بُعد ايديولوجي،و يعتمد نجاحه على دوغمائيته، مشكلته أنه لا يفرق بين ما هو طبيعي لم يصنعه الإنسان و ما هو اصطناعي من صنعه ؛ يقول ديكارت : " لا أعترف بأي اختلاف بين الآلات التي يصنع الحرفي، و بين مختلف الأجسام التي تشكلها الطبيعة،فكل قواعد الميكانيك تعود للفيزياء ،و الطبيعة مجرَّد مَشْغل أو قاعة آلات ".

وعلى هذا فالعلل ظرفية ليس من ورائها حكمة وغاية.

ومن هذا جاء الفيمينيزم[الميكانيكي] فوجدنا عدم توافق وضع المرأة في طبيعتها مع وضعها في الثقافات الغربية و غيرها،و أن وضعيتها في الطبيعة أحسن بكثير من وضعها في الثقافة، فإن العالم المابعد حداثي جعل من المرأة شيئا و ليس ذاتا إنسانية، فما نراه على صفحات المجلات هي "المرأة الشيء" على اصطلاحهم.

و دور هذا الشيء اذكاء التشهي و تغذيته، و سيلة للبيع،أو "مثالية جمالية في خدمة الإشهار" ، المرأة الشيء هي تمثيل ،صورة دائمة الحضور في كل مكان، كحضور الطلب على الجنس في الثقافة الغربية.

لذا من المهم الحديث عن الفرق بين طبيعة المرأة الفطرية و بين صورتها التمثيلية في الثقافة الحداثية.

بدأت ثورة الفمينيزم بالغضب من بعض القيم التقليدية عن المرأة،ككونها مجرد مصدر للمتعة ، المرأة الطبَّاخة ، المرأة الولود خاصة للذكور، لكنه انحرف بعد ذلك الى ما قام ضده بل زاد عليه الأسوأ بحيث صارت البنت مطالبة لتكون امرأة أن تفعل كالرجل ... !

يقول دعاة الفيمينيزم : لا نولد امرأة ولكن نصبح كذلك ، و فكرة المرأة تصور ثقافي مثله مثل "اللباقة، الاعتقادات و اللغة" تصور ثقافي كغيره ، إذاً تصور نسبي متغير من ثقافة إلى أخرى.

يقول أحدهم:و بطبيعة الحال : من الغباء تحديد ماهية في مقابل ماهية أخرى، ماهية المرأة لا تتحدد في مقابل ماهية الرجل(أن تكون مثله) بل نحددها في ذاتها بخصائصها، فالأنوثة اختلاف طبيعة ليست اختيار ثقافة، فطبيعة المرأة مرتبطة بجسمها، لأن ما يكوِّن الصفات الشخصية لوجود ما، و يوجِّه نوعا ما مستقبله هو طبيعته ،فمن طبيعة النار أن تلتهب،ومن طبيعة بذرة القمح أن تصبح سنبلة ،و بدون

شك لن تصبح رومانة.. !
كما قدَّر الله خلقه وهدى تحتوي الطبيعة في البذور الامكانات المقدر لها أن تتحقق طبقا للطبيعة ،طبقا لقوانين طبيعة الشيء كما شاءها الخالق، وهي قوانين غير إنسانية تحدِّد مستقبل الشيء الطبيعي، لهذا على مبدأ القوة و الفعل يحتوى الخروف الصغير بالقوة الكبش القوي، و لن يفعل النمو سوى تحقيق فكرته ، فكرة الخروف الذي لا يمكنه إلى أن يحقق طبيعته عندما يكبر ، يحقق بالفعل ما كان فيه بالقوة.
عندما نتحدث عن طبيعة المرأة التي لا تزال بالقوة في بنت صغيرة ثم تستيقظ عندما تصبح فتاة ،و طبيعيا تصبح امرأةً بدون أن يتدخل أي شيء إلا عملية طبيعية تتحقق بواسطتها قدراتها الأنثوية ، قدرات فكرة امرأة تتفتح و تنبسط كبرعم الوردة الذي يصبح في لحظة معيَّنة وردة، بدون أن يكون سرا غامضا تصبح الفتاة امرأة.
في الحقيقة الفيمينيزم ثقافة حاولت مسخ طبيعة المرأة و فطرتها ، و إذا كانت بعض الثقافات قد سلبت المرأة بعض حقوقها فهذا لا يجعل طبيعة المرأة نتاجا للثقافة .
.... و أما الفيمينيزم العربي فهو مجرد فجور لتائهات ...

هوس البحث عن إقناع الغير في قضايا لا تقبل الحسم..؟
أصعب شيء هو نقل التصديقات إلى الغير، ومشكلة النقاش الفقهي عند المعاصرين هي الحرص الهوسي لإقناع الغير بالاختيارات الفقهية الشخصية ليعدل عن قناعته..! وهذا يجعل النقاش الفقهي يدور بين أحكام القيمة وقرائن الذاتيات فكل كلام يستلزم حكم قيمة أو عاطفة أو محاولة الإقناع بالشكل كجمال الخطاب أو قوة التصوير أو يحاول التوجيه بالتلاعب بجهات القضية يحاصرها باستعمال مؤشرات درجة اليقين مثل:" حتما، بدون منازع، منهج أهل الحديث، اتفق العلماء، أهل الأثر، أهل الحق، بدون شك، بديهيا ،بالتأكيد، أو يقسم "فهو حكم تقديري، ربما تدل تلك العبارات على مدى قوة المسألة في نفسه هو، لكن في الإقناع الأمر يتوقف على عناصر أخرى.
المتناقشون (في هذا العصر) في هذه القضايا الخلافية إما من قسم المعاند الذي لا يمكن النقاش معه إلا انطلاقا من مقدمات يسلم بها، وهيهات هيهات وجود من يطرد ما يسلم به!
وإما من قسم الجمهور الذي يخاطب بالمقدمات المشهورة، وفي هذه الحال لم نخرج

من الزريبة لأن لكل قول أئمته ومأخذه الأصولي وشهرته.
وعليه، تأبط قولك والعب بعيدا!
وإذا كانت المذاهب في المسألة معلومة من قرون فالكلام فيها مجرد اجترار قلما يأتي أحدهم بجديد..! وكل طرف يعرف مرتكزات الآخر لكن الهوس بالرأي يجعل الأطراف تفقد راحة النفس لأن وجود القول الآخر يزعجها ؟!
من يقول المولد بدعة لا يجهل انه يوجد من الفضلاء من يقول بخلافه والعكس صحيح.
الجدال في الإسلام يكون بالمقدمات المسلمة نعم، لكن التي هي حق في نفسها، اما فحص القضايا لإبطال الاحتمالات الوهمية و للتخلص من التناقض ومن الوضعيات المستشكلة فهو سبب كل هذا الاجترار.
وقولي للمخالف هو :قولك محترم، أعرف كل من قال به من الأئمة المعتبرين عندي، وأعرف دعائمه عندهم، وإلى هنا نقف.
المشكل الأصولي في "البدعة" هو في الماصدق (النطاق والامتداد) وفي ضوابط المدلول المستلزم للدليل!

رعاة البقر في العلم..؟

مع أني أبحث فيها من سنين، وجمعت من مادتها الكثير لم أستقر لحد اليوم على موقف جازم يجيب عن كل الوضعيات المستشكلة إجابة أقتنع بها وليس اقبلها موافقة لمذهب أصحابي أو حبا لهذا الإمام أو ذاك، هي مسألة "الخلاف الأصولي حول البدعة".
لذا أستغرب كيف يجزم فيها بعض الشيوخ مع أنهم شيوخ وعظ وقصاص ضعاف في أصول الفقه وفي النظر الفقهي. ؟!
لكن من يفاضلون بين الكتب لأجل موقفهم من الكتبة وليس لقدرتهم على اعتبار مادة تلك الكتب يبدعون أنفسهم ناهيك عن غيرهم!
الفقه باب العلم ويتطلب عقلا ومعرفة لا تنفع معها الشعارات خاصة إذا كان أحدهم لا يعرف محل النزاع(المسألة عنده كتلة واحدة) فكيف بتحريره؟!
المهم أنهم لا يتراجعون وينكمشون على أنفسهم من غير سبب، ربما لأن زمن التلبيس

على ضعاف التمييز بخطاب شكلي مشحون بالشعارات والقوالب الهائلة قد ولى.

البدعة.. حاجي أو فك وحدك.. ؟

يرى ابن تيمية جواز عد السور بالمسبحة في الصلاة؟!
ولم يثبت هذا في نص، ولا عمل به أحد السلف، لا العد في الصلاة، ولا التسبيح بالسورة الواحدة في الصلاة ، ولا ذكر الله بعد الصبح بتكرار الفاتحة.
والإمام أحمد يرى جواز الاقسام بالنبي صلى الله عليه وسلم؟!
وابن بطة يرى جواز فتح المصحف على الفأل؟!
وكثير من السلفيين يحبون القنوت في التراويح و تطويل دعاء القنوت؟!
أين ثبت هذا عند السلف؟ و أين الدليل السمعي عليه ؟و أين صارت السنة التركية؟
وإذا لم يكن هذا بدعة عند هؤلاء الأئمة الاعلام فعلى أي أصل استندوا؟ فإما فهمهم للبدعة ليس كفهم أتباعهم و إما تناقضوا؟!
وقد اخترت التمثيل بهؤلاء لأنهم تقريبا على مذهب واحد فيما يخص البدعة.
وهناك عشرات المسائل لا يكاد يخلو مذهب عالم من مثل هذا..!
ناهيك عن الأقوال فأمرها لا ينضبط.
وكل هذه الأمثلة أعمال قربة !
ثم أخيرا :هل يعد العمل بما جاء في حديث ضعيف بدعة؟
و ما معنى "بدعة لغوية" هل يوجد فرق معتبر محقق بين بدعة لغوية و بدعة شرعية،أليس المشترك بينهما العمل من غير مثال سابق؟
في اللغوية مطلق عدم السبق وفي الشرعية عدم السبق في الشرع: عدم الأصل الشرعي.
فإذا جمعهم عمر على فعل سبق وفعلوه مع النبي صلى الله عليه وسلم فكيف تكون بدعة لغوية وهي
الفعل غير المسبوق سواء مطلقا أو في الشرع، أليس هذا تأويل على حساب لغة عمر رضي الله عنه فإذا لم يقصد البدعة بالمعنى الشرعي لأنهم سبق وصلوها مع النبي صلى الله عليه وسلم لا يستقيم أن يسميها بدعة حسنة ويقصد البدعة اللغوية وهي الوجود غير المسبوق.!

يوجد تناقض في هذا التأويل، خاصة وأن العلة المقدمة يضعف أثرها أنها لم تكن كذلك في خلافة الصديق وليس هو بنبي.
ولهذا وجه قوي لمن ذهب من الأئمة إلى مفهوم البدعة الحسنة، وان قوله صلى الله عليه وسلم "كل بدعة ضلالة" عام مخصوص.
كذلك لا يمكن أن نقيد مفهوم البدعة الحسنة ببدعة
تنقيط المصحف لأن الصلاة والقنوت عبادة محضة وتنقيط المصحف مصلحة في الوسيلة بسبب قيام حاجة لم تكن قائمة.
وبعض السلف كان يرى التوسيع على العيال في عاشوراء ولا سند له؟
المهم على كل مذهب استشكالات، وكل دليل يقدمه مذهب ما يمكن الاعتراض عليه أو توجيهه والمصيبة أن الخلاف بين أئمة قمة في التسنن وفي اللغة والفم؟
لذا فإن التهويل و التشنيع صناعة الفاشل.

البدعة الحسنة عند ابن تيمية ...؟

الحمد لله وحده، و الصلاة و السلام على من لا نبي بعده.
تأول بعض العلماء قول عمر- رضي الله عنه - عن التراويح " نعمت البدعة" بأنه على المجاز، وهو في نفس معنى - تقريبا - من قال عنها" بدعة لغوية" لكونهم يرفضون تقسيم البدعة إلى حسنة وسيئة، فهذا منهم توجيه وتخفيف من قوة الاعتراض بالحل اللغوي في مسائل أصولية بحتة.
وهو أمر مفهوم يبقى أن نفحص منطقيته وقيمته كدليل ، فمعلوم لمن يقرأ قليلا ما كتبه العلماء في ردودهم و مناظراتهم أن وصف الشيء بأنه مجاز يشبه التحجج بمثل : " هذا بدعة و إن لم يشعر بها، قاله تقية ، هذا تعريف غير جامع ولا مانع ، و عند الفلاسفة عبارة " صدفة" تسد كل ثغرة في الاستدلال ؟
المهم أن الاحتجاج بهذه الموجهات دأب عليه العلماء فلا ينكر إذ الأجوبة في العلم تعتمد كثيرا على الإمكان العقلي لكن لابد لكل إمكان أو احتمال من قرائن مادية واقعية وإلا فإن الممكنات الذهنية كثيرة جدا قد تكون وقد لا تكون.
مع العلم أن استخدام هذه الحجة " المجاز" يختلف من شخص لآخر بحسب تحديات الموضوع و استراتيجية الجواب لكنها تبقى عبارة يستخدمها الصديق كما يستخدمها

الزنديق كما يقال ، يعني : العالم بفحواها و الجاهل بها، المدلل عليها ، و الملتف بها على الاعتراض ، فمثلا صح عن بعض السلف أنهم اعتبروا تدوين الكتب في غير الحديث بدعة ، و ذموا به وجرحوا به ثم يأتي أحدهم ويقول : "قصدوا البدعة مجازا، ومن لم يعرف هذا لم يعرف ماهية البدعة أو هو متجوز في لفظه"، و قبول مثل هذا التعليل صعب لأن من قال به بدون شك يعرف ماهية البدعة ، و ليس متجوزا لأنه ذم به وجرح .

وعليه، فإنه من ذكاء القراءة سعة الثقافة التي تسمح لك باستحضار المثال المضاد لأن النقاش في الكتب قد يغلب عليه طرد المناظرة وتصبغه حاجات الجدل فيكون الكلام موجه لدفع التناقض وليس لبيان الحق في المسألة.

ولنفي وجود بدعة حسنة علل الأفاضل بأن التراويح دل عليها الدليل العام وهو قوله صلى الله عليه وسلم" سننت لكم قيامه" ولأنه صلى بهم عدة أيام ثم تركه خشية أن تفرض عليهم قال آخرون؟

ويبدو لي أن تسمية ما دل عليه الشرع بدليل عام ولم يفعل في وقت النبوة بدعة لغوية غير دقيق إذ اللائق اعتبار كل ما دل عليه الشرع بدليل عام او خاص سنة، وليس ببدعة لغوية، فهذا التبرير يصلح لو لم يقولوا بأن النبي صلى الله عليه وسلم فعلها مع الصحابة فإذا سبق وصلوا جماعة بإمام واحد لم يكن هناك "عن غير مثال سابق" لا لغة ولا شرعا.

قال ابن حزم «كما روي عن عمر رضي الله عنه نعمت البدعة هذه وهو ما كان فعل خير جاء النص بعموم استحبابه وإن لم يقرر عمله في النص" وهذا توجيه أحسن من اعتبارها بدعة لغوية.

وهذا التبرير يدفعه الأدلة التي استدلوا بها هم أنفسهم مثل أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى بهم جماعة غير التراويح كالكسوف جماعة ولم يقل: أخشى أن تفرض عليكم، وإذا قيل: الكسوف نادر الحدوث فكذلك التراويح مرة في السنة.

ثم الا يدفع هذا المحذور قوله سننت لكم قيامه «إن الله فرض عليكم صيام رمضان، وسننت لكم قيامه» فقد ميز بين الفرض والسنة تمييزا واضحا، مع أن الحديث فيه ضعف في سنده.

وأما الجواب على اعتراض بعض العلماء أنه لو كان الأمر كما تقولون لصليت بهذه

الكيفية في خلافة الصديق بأنه يمكن أن يغفل أو لا يجتهد في المسألة أو يخطئ؟
فالجواب بأن لفظ " يمكن ويمكن" يمكن أن أرد به أي دليل حتى لو كان صحيحا قطعيا في دلالته، فأولا المسألة ليست من موارد الاجتهاد فبحسب تقريركم هي سنة عليها أدلة عامة وخاصة، وهي مسألة عامة يقوم به المسلمون في كل شهر رمضان من كل سنة، فكيف لا يعرف الصحابة هذا التوجيه حتى خلافة عمر والمقتضى قائم والمانع انتفى والنصوص موجودة بمثل هذا الظهور الذي تصورونه إلا لأنهم لم يفهموا هذا الذي تذهبون إليه.؟

ولننظر الآن في أقصى ما قدمه ابن تيمية في مسألة " البدعة الحسنة"، قال: " هب أن البدع تنقسم إلى حسن وقبيح، فهذا القدر لا يمنع أن يكون هذا الحديث دالا على قبح الجميع، لكن أكثر ما يقال: إنه إذا ثبت أن هذا حسن يكون مستثنى من العموم"

والسؤال: هل الاستثناء من العموم غير تخصيص العموم؟

وقال:"وإلا فالأصل أن كل بدعة ضلالة، فقد تبين أن الجواب عن كل ما يعارض به من أنه حسن، وهو بدعة: إما أنه ليس ببدعة، وإما أنه مخصوص، فقد سلمت دلالة الحديث. وهذا الجواب إنما هو عما ثبت حسنه، فأما أمور أخرى قد يظن أنها حسنة وليست بحسنة، أو أمور يجوز أن تكون حسنة، ويجوز ألا تكون حسنة، فلا تصلح المعارضة بها، بل يجاب عنها بالجواب المركب، وهو: إن ثبت أن هذا حسن فلا يكون بدعة، أو يكون مخصوصا، وإن لم يثبت أنه حسن فهو داخل في العموم."

إلى هنا يدافع ابن تيمية عن عموم قوله صلى الله عليه وسلم «كل بدعة ضلالة" بأنه إما ليس ببدعة، وإما أنه مخصوص، وبهذا تسلم دلالة الحديث.

الإشكال: هل يوجد اختلاف بين من قال " ليس كل بدعة ضلالة" لأن هذا القول عام مخصوص فهناك بدع حسنة، وبين من قال: العموم محفوظ وما كان من الأعمال المعينة مثلا ليس ببدعة فلا يندرج في الحديث [هذا مسلم له] أو إن اندرج لكنه مستثنى من هذا العموم لدليل كذا وكذا الذي هو أقوى من العموم مع ان الجواب الأول أجود عنده "

ويقول في موضع آخر: "وأما المعارضات، فالجواب عنها بأحد جوابين: إما أن يقال: إن ما ثبت حسنه فليس من البدع، فيبقى العموم محفوظا لا خصوص فيه.
وإما أن يقال: ما ثبت حسنه فهو مخصوص من العموم، والعام المخصوص دليل فيما

عدا صورة التخصيص".؟ !
وعند ابن تيمية المخصص يكون من الكتاب والسنة والاجماع نصا واستنباطا وليس كما يقول بعض السلفيين: أين النص المعين؟
ومعلوم أن من يرى خلاف قول ابن تيمية يستشهد بقصة عمر مع التراويح من باب تخصيص العموم بقول الصحابي الذي لم يخالف وهو مذهب ابن تيمية في المسألة وإن رده إلى أحد القولين في المسألة، وهو ما تنطبق عليه هذه القصة بحذافيرها.
وهنا سلم ابن تيمية للمخالف أن العبارة عام مخصوص حيث قال: " فيفيدهم هذا حسن تلك البدعة، أما غيرها فلا."
وعلى هذا الإقرار منه يكون البحث المطلوب هو في كون البدعة حسنة أو سيئة وليس في عدم وجود بدعة حسنة، فابن تيمية عالم بحق يجيب عن الاعتراضات ولما تكون لازمة له يقر بذلك ويضع قيده لا كما يفعله بعض المتشيخة بلا فهم.
وعلى هذا وهو مربط الفرس في المسألة يمكن حمل بعض أقوال ابن تيمية أو أفعاله التي لا نص عليها ولم يفعلها أحد قبله أنه لم يكن يراها بدعة بل مما يسمح به الاستنباط ولا هي تناقض منه بين التأصيل والتطبيق.
كذلك يوجد عند المخالفين نصوص عامة استنبطوا منها هذا المفهوم " بدعة حسنة" ومن أعمال بعض السلف، كما استنبطوا جواز الاحتفاء بالمولد من نصوص عامة و خاصة كالنص في صوم الاثنين شكرا لله على مولده، ولست هنا في صدد تقرير المولد ولكن في بحث الإشكالات على مفهوم البدعة الحسنة.
كذلك مما قد يفند قول من قال: لا يمكن أن يخصص به (قول عمر) العموم لأنه مخالف للحديث في صلاة التراويح كاتمام القيام مع الإمام بأن الصحابة قبل أن يجمعهم عمر على إمام واحد كانوا يجتمعون في جماعات كل جماعة على قارئ، فكما جاء فيما رواه مالك بسنده عن عبد الرحمن بن عبد القاري أنه قال:" خرجت مع عمر بن الخطاب في رمضان إلى المسجد، فإذا الناس أوزاع متفرقون. يصلي الرجل لنفسه، ويصلي الرجل فيصلي بصلاته الرهط، فقال عمر: والله إني لأراني «لو جمعت هؤلاء على قارئ واحد لكان أمثل»، فجمعهم على أبي بن كعب قال: ثم خرجت معه ليلة أخرى، والناس يصلون بصلاة قارئهم، فقال عمر «نعمت البدعة هذه»، والتي تنامون عنها أفضل من التي تقومون» يعني آخر الليل وكان الناس

يقومون أوله ".
ولاحظ أن تعليل عمر رضي الله عنه ارتكز على الأفضلية وليس على ما يذكره من يتأولون قوله، مع أن الحال التي أراد تغييرها إلى الأمثل كانت في العهد النبوي وفي خلافة الصديق؟
ففعل عمر هو تجميعهم على قارئ واحد، وعلى هذا يحمل ترغيب النبي صلى الله عليه وسلم المسلمين في الانصراف مع الامام لينالوا أجر قيام ليلة، وأقصد أنه ليس دليل خاص على التراويح التي جمع عمر المسلمين عليها ، اللهم إلا إذا لم يسم من يصلي الناس بصلاته إماما؟
ومما يدلك على أن المسألة بعيدة عن الحسم الأصولي أنه عند النزول إلى الوقائع تجد الخلاف في تنزيل الأصول بين أتباع المذهب الواحد، فكم مسألة اختلف فيها السلفيون الذين هم على مذهب [" كل بدعة ضلالة" عام محفوظ] مثل: التسبيح بالمذكرة، والقبض بعض الرفع من الركوع، و مثل: صلاة الغائب مع أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يفعلها على الوجه الذي نشاهده اليوم من الصلاة على ميت صلت عليه طائفة من المسلمين وهم يقولون : صلاة الجنازة فرض كفاية ! مع انها اندرجت تحت أصل عام في صلاة الجنازة، و دليل شبه خاص لأنه متعلق بمعين له خصوصيات ككونه مات مؤمنا في وسط قوم كافرين لا يوجد من يصلي عليه،وكثير مما اختلفوا في إدخاله في قاموس البدع.
بعض الناس إذا أزعجهم النقاش الأصولي حول مفهوم البدعة الحسنة والبدعة السيئة انتقل إلى الضمادات في الصيدلية السلفية فيقول لك: التشبه بالكفار في احتفائهم بميلاد عيسى عليه السلام؟ مع أن المؤرخين كابن كثير الذين رصدوا بداية الاحتفاء بالمولد النبوي عند المسلمين لم يرجعوه إلى هذا الاعتبار.
ومع ذلك هذا اعتراض ضعيف لأن السبحة سبق إليها البوذيون وأهل الكتاب، ولم يستعملها النبي صلى الله عليه وسلم وإن صح عنه إقرار عد التسبيح بالحصى أو النوى، وجمهور العلماء على جوازها بمن فيهم ابن تيمية وابن القيم!
وكذلك سبقنا اليهود إلى صوم عاشوراء ، فليس كل ما سبق اليه اهل الكتاب محرم إذا كان منطلقنا ليس التشبه بهم ولكن لدواعي خاصة بنا مثل: تركنا الصلاة في النعال لأجل فرش المساجد وليس تشبها باليهود يعني: تنزها عن الصلاة بها رغم ورود

النهي النبوي عن ذلك.
ومن أفسد النظر إدراج الذكرى في حكم العيد ...

تذكير العقلاء...!
لا يوجد مذهب أقوى في رد قول من قسم البدعة إلى حسنة وسيئة من تأصيلات ابن تيمية حتى يمكن أن نصفه بأنه أكثر المواقف صلابة وتصلبا، ومع ذلك الرجل في كوكب وبعض المتمسحين به في كوكب آخر، فانظر كيف كان يرى النقاش في العلم وفي المسائل الخلافية، يقول: " والمجادلة المحمودة إنما هي بإبداء المدارك وإظهار الحجج التي هي مستند الأقوال والأعمال، وأما إظهار الاعتماد على ما ليس هو المعتمد في القول والعمل، فنوع من النفاق في العلم والجدل، والكلام والعمل".
ورشق الناس بالبدعة، وسبهم، والتشنيع عليهم بما يظنه الجاهل تشنيعا وغير ذلك لو كان هو المعتمد عند بعضهم في القول ببدعية الاحتفاء بالمولد النبوي فعليهم السلام، وقد كفانا ابن تيمية أمرهم بوصف بليغ.
ناقش بعلم أو مر بسلام مرور الكرام، أما تلك المهاترات المتمثلة في إثبات صوابية الأقوال بمجرد التزكية، ووصف فلان بأنه أصولي وهو عدو أصول الفقه، لا يميز فيها بين الشاة والبعير،أو حتى لو كان من فطاحله فإن الترجيح ليس بالمرتبة في الفن،فمثل هذه الأمور اشغل بها نفسك مع أصحابك لا تلطخ بها صفحات غيرك.
وهناك صنف آخر أقل حدة مل من النقاش، أو لا يجد وقتا له، أو ليس عنده جديد في المسالة فيتكأ على "الأنا" و يقول: "المخالف في هذه المسالة معاند ليس إلا " !
وربما يصح هذا على بعض الناس لكن في المخالف من هو أحرص على الحقيقة و أعلم منا و أحد نظرا بأشواط، و الغفلة عن لوازم أقوالنا المباشرة قدح في الفهم ،ودليل على ضعف النظر. ولماذا لا يكون العناد من جانبنا أم لنا براءة في الزبر ؟
وعليه، إن كان للإنسان كلمة صحيحة يريد أن يشاركها مع الناس فليس أمامه إلا أن يبسطها أما الذاتيات فلا تزيد الإنسان إلا تضييعا للصواب لو فرضنا أنه معه.

بين التقرير والاعتراض؟
هذا آخر منشورلي في المسألة لأن الكتابة الطويلة على الهاتف النقال متعبة، ولأني لا

أريد أن أصير إلى ما لا أنصح به، فما هذه إلا استشكالات ليست تقريرا نهائيا، فهذا يحتاج إلى تفرغ وإلى كتب كثيرة بين اليد.

مذهب ابن تيمية عند التقرير هو أن كل بدعة ضلالة لكنه عند الجواب على الاعتراض لا يسعفه هذا المذهب فينتقل إلى الرد بالمذهب الثالث القائل بأن ما كان من المحادثات حسنا تستوعبه كليات الشريعة فلا يقال عنه "بدعة"،وهو الذي اعتبره الجواب الجيد، وهو مذهب ابن حجر الذي يرى إطلاق لفظ البدعة على المحادثات المذمومة فقط أما المحمودة فيطلق عليها اسما يناسب حكمها في الشرع.

وهذا رأي يقترب منه موقف الشاطبي خصوصا عندما يتأول تقسيم العز بن عبد السلام بأنه قصد بالبدعة الحسنة المحدثات التي هي في الأصل مصالح مرسلة، لأن لفظ البدعة عند الشاطبي مذموم، لكن إذا ذهبنا إلى تطبيقاته كالحكم ببدعية تبخير المساجد والذكر الجماعي وغيرها مع قوله بالبدعة الإضافية ،وهي الفعل الذي يكون من جهة سنة ومن جهة بدعة يعني: الاختلاف في الكيفية لا في الأصل،و هو ما يسميه ابن تيمية " المبتدع وصفا المشروع أصلا" أو هكذا تعبير يظهر انه يجمع بين المذهبين ،خاصة وأنه لم يوفق في الفصل في علم الكلام فهو بلا شك محدث في أكثر مسائله،والأصل الذي يكون قد اعتمد عليه تعارضه أصول أخرى وبحسب تفصيله للبدعة في الأحكام كان عليه أن يطرده في الأصول.

كذلك مما قد يقال عن موقف ابن تيمية من البدعة اللغوية انه أصل عند المقسمين لها إلى حسنة وسيئة لأن البدعة في المعنى اللغوي تحتمل المدح و الذم وليس هذا بمذهبه فكل البدع عنده مذمومة، ولهذا كان قول الصناعي في "سبل السلام" عن قول عمر "نعمت البدعة" :"ليس في البدعة ما يمدح بل كل بدعة ضلالة" مطردا مع هذا المذهب.

ولهذا أيضا يوجد في العلماء مثل ابن الجوزي من يعتبر الاجتماع على إمام واحد في صلاة التراويح من المحدثات التي لا تصادم الشريعة كما في "تلبيس ابليس".

هناك أمثلة على عبادات أحدثها الصحابة دون معرفة حكم الشريعة فيها، يعني: لم يعملوا مبدأ التوقف، فإما أقرهم النبي صلى الله عليه وسلم عليها أو نهاهم عن بعضها.

وقد يقال :وجود النبي صلى الله عليه وسلم بين ظهرانيهم يحسم الاجتهاد، وهذا صحيح لكن كنظرة منا ومعاينة لا يعني أنهم انطلقوا من هذا الاعتبار، فما فعله بلال -

رضي الله عنه ـ من جعل صلاة لكل وضوء علمه النبي صلى الله من رؤيا.
لهذا يسبب هذا الأمر اضطرابا في المسألة وهو عويص، و إن كان كمال الشريعة يقتضي أن يكون زمن الوحي له خصوصية.
ومن هنا يجب فهم قوله صلى الله عليه و سلم :"من سن في الإسلام سنة حسنة.." الحديث ،وقوله "إن معاذ قد سن لكم سنة حسنة كذلك فافعلوا" وتأويل الحديث على من أحيا سنة مندثرة يبطله الشطر الثاني "من سن سنة سيئة" يلزم منه وجود سنن سيئة.!
ومعنى سن أي: الابتداء في الأمر.
وهذا يعضد تقسيم البدعة إلى حسنة وسيئة، يبقى الاعتبار الأهم هو: هل ما اندرج تحت كليات الشريعة وقواعدها العامة، أو دل عليه نوع من الاستنباط الصحيح يصح تسميته بدعة حسنة؟ أظن أن المذهب الثالث ،والذي يجيب به ابن تيمية في الاعتراض هو أحسن من جهة انه يجمع بين محاسن المذهبين، و يحفظ نوعا ما لغة النص وأنه فعلا كلمة جامعة.
مشكلة بعض السلفيين أن كلام ابن تيمية مركز جدا ،واستدلاله ـ أحيانا ـ ضيق على عقولنا ،وهو ثري يجيب تقريرا واعتراضا، و يعتني بلب المسألة لكن لا يعزلها عن مسالكها ومتعلقاتها فمثلا مما وجدته يقف عنده في "الاقتضاء" التفريق بين مراتب الأعمال، وأنه ليس كل الناس تصلح لأعمال المرتبة الأولى خاصة في المتأخرين علماء وأمراء وعوام، ليس لسبب إلا أنهم عاجزون عنها علما،ويعضد ذلك بتجويز الامام أحمد لبعضهم لما يراه مكروها في الأصل، وان ما لا يليق ببعض الفضلاء لا يعني أنه لا يليق بعامة الناس، لكن الناس لا يقفون عند هذه الاعتبارات، و لا عند الحاجات المتجددة التي لم يعرفها المسلمون من قبل بسبب العزلة الحضارية، و لكونهم كانوا في وضع أمثل من وضعهم الحالي فلا يقفون عند مسألة إحداث عيد ثالث بل يعممون حتى على ما هو ذكرى لا يمكن سلخها من تاريخ المسلمين و المشكل أن تنظيرهم غير قابل للتطبيق في فقههم فعندهم عدة مسائل وفقا لقواعدهم هي بدعة و لكن لأنها اختيارات مذاهب لها تأثير عليهم ،أو هي مذهب رسمي في السعودية لا يجرؤون على طرد أصولهم ،وليس هذا خاص بالبدعة فقط بل كذلك في التكفير و التفسيق .

إلى العام المقبل بإذن الله سنخصص مناسبة المولد الشريف لرد الطعون في السنة و التعريف بمقام النبوة من باب المناسب الأصولي.

أسباب المد والجزر في الفقه السلفي..؟!

الحمد لله وحده،و الصلاة و السلام على من لا نبي بعده.

هناك قضايا كثيرة سُجِّلت على أنها بضاعة خالصة للسلفيين،وذلك بسبب حقيقة الخطاب السلفي الاستدلالي الذي أعمته نعرته ورؤية سطحية لمنهج النقد عند أئمة السلف، حيث غرق في لغتهم على حساب حقيقة المضامين وحقائق الواقع الموضوعية.

فمثلا قضايا كـــ :" منافرة مظاهر تعظيم قبور الصالحين والمشاهد المنافية للتوحيد" فمع أن كثيرا من أئمة الأشاعرة و فقهاء المذاهب لهم نفس الموقف، وربما في بعض الحالات يكون أقوى طرحا إلا أن المسألة سجلت باسم السلفيين وحدهم !

وهكذا مع الموقف من التصوف الكشفي وبعض شخصياته، ومن النقاش مع بعض الطوائف الإسلامية ،وهذا للسبب الذي أشرت إليه أولا، وهو عدم استراتيجية، لا في الاستدلال ،ولا في الخطاب، سببها تصورات خاطئة في مراتب التسنن ولد غلوا في الخطاب،و قضى على قيمة المشترك، وعلى الحقيقة العلمية والتاريخية المتمثلة في دور بعض طوائف أهل السنة في صيانة الدين وخدمة العلوم الشرعية.

إضافة إلى استراتيجية خارجية وظَّفت السياسة والإعلام ليبدو الخطاب السلفي بهذا الشكل،ومعلوم أن القضايا التي تُسجل على أنها من خصائص طائفة معيَّنة تنتشر بانتشار فكر الطائفة وتنكمش بانكماشها

ومشكلة الفقه السلفي المعاصر في شكله الغالب عليه حاليا ليس أنه تعبير صارم وطرح مركز (مع عدم الدقة لأنه ينفر من التعقيد الذي يفرضه تحرير محل النزاع) ،مع ضعف قوته التفسيرية بحيث لا يفحص الاثباتات الضمنية، فهو لا يعنى إلا بالصريحة، ولا يجيب إحصاءا للحالات المتعددة، فالأمثلة المضادة فيه غير مطابقة أو لا تحترم مجال المقارنة ، كما لا يعترف بالحالات التي يجد صعوبة في إثباتها، ولكن لفقدانه لاستراتيجية الاستدلال، فهو خطاب هجومي بامتياز، بدون فحص نقدي حقيقي، و بدون تمييز بين العلاقات العضوية والتوليف في الكليات، ذلك لأن اختيار

استراتيجية الاستدلال يحددها التحديات و الموضوع ووضعية الاستدلال، فيمكن أن نعتمد التفنيد مع مذهب ،و الموافقة للمنع، أو الموافقة العاقلة (المشروطة)مع آخر.
يخلو الخطاب الاستدلالي السلفي من هذا حتى في نقاشه الداخلي، لأن السلفيين دمر فيهم سلم مراتب العلماء، وتحت شعار اتباع الدليل و محاربة التقليد الأعمى،و منهج انكار فضل المخالف و استحقاقه الاحتقار لأنه مخالف! سُمح للرعاع بمناقشة أهل العلم، على أساس: لا يستحق اسم عالم وحقوق هذا الاسم إلا الموافق المطلق... !
لا يمكن لفقيه حقيقي كوَّن لنفسه عقلية جامعة بين المعارف أن يقتصر نظره لمسألة "المولد النبوي الشريف" على الجانب الفقهي البحت وحده بمعزل عن وضع الأمة العلمي والتاريخي لأن الاحتفال بهذه المناسبة أمر وقع وانتشر، و اعتاد عليه المسلمون من قرون، لا يمكن أن تقتلعه بعد ذلك من عقولهم بمجرد طرح فقهي بهذه الاستراتيجية، فكلما جاء الشهر تذكره الناس آليا ،ويصعب عليهم جدا تصور القبح في إقامته لأن الطريقة التي يعرض بها السلفيون موقفهم هي في نفسها قبيحة ، وهذا لا يبرر ردرد الفعل السلبي من الأطراف الأخرى التي هي كذلك يعاني خطابها من الذاتيات و التلبيس و المبالغة و الطعن في النيات وحب النبي صلى الله عليه و سلم لكن معها الإسلام الشعبي وهو عامل قوتها و ليس منطقية الاستدلال.
لذا فإن العمل على تخليصه (المولد النبوي) من المظاهر السلبية ،والاقتصار على اعتباره ذكرى تخصص لزيادة المعرفة بحقوق النبي صلى الله عليه وسلم هو ما يمكن العمل عليه إلى أن يستغنى من عنده استعداد علمي عن اعتقاد و مظاهر العيد التي تلحق به
وأما القول بأنه بدعة فقد أصبح معرَّفا في السلفيين، ينتشر بانتشارهم و ينكمش إذا انكمشوا ،رغم أن الحكم ببدعيته موجود عند علماء لا يعدون منهم، لكن الاستشهاد بهم فاقد للمصداقية عند الناس، لأنه استشهاد تعضيد وليس للاعتماد،يعني: قد علم الناس أن السلفيين يبدعونهم تبديعا كليا وليس عندهم تقييم نسبي تفصيلي.
إن لم يراجع السلفيون منهجهم الفقهي على ضوء قاعدة "مراتب الأعمال" و "مراعاة القدرة العلمية" التي أسَّسها ابن تيمية فهو إلى التقلص لا محالة، وعن استحقاق وليس ظلما له.

الفهم المعطوب..!!

بعض الناس يريد جمع المسلمين على قلب رجل واحد!!

وبعضهم يريد جمعهم على عقول المتضادة..!!

نحن الآن في مرحلة تحويل العلماني الدين إلى فلكلور ،و تأصيل الإسلامي لذلك بقاعدة "تسليم الحال".. (et vogue la galère) !!

لو كان أمر الدين إلينا نحن أهله لقلت :مسكينٌ الدين علق وسط الجهَّال..!!

الفكر الإسلامي السياسي والحضاري ☔

فهم طبيعة المعركة التي يخوضها الإسلام كملَّة ،وتمييز دوائر الصراع الخارجي والداخلي أمر جوهري لكن متى دخلنا في التأصيل للانتقال إلى التطبيق (العملي) قبل أن نحقِّق تراثنا ونجدِّد مناهج قراءة الواقع فانتظر الفوضى، وتحوُّل حملة هذا الاتجاه إلى حملة مظلّة (parapluie)!

الفكر الذي لا قضية عنده تستحق التركيز إلا ما كان من جنس قضية مقتل خاشقجي و أخبار السعودية ،فهذه خلاصته :

في العمق :

_لا اتفاقي

_غير قابل للإنتاج

_متناقض

في الشكل :

_ناقص القدرة في التطبيق

☆☆**أنواع الكتبة..!**

قرأت مقالا في الموضوع فاعجبني إليكم زبدته :

☆الكاتب التسويفي المماطل

متحمسٌ هاذٍ، دائما في انتظار الإلهام، و إذا حضر طمع في الزيادة لذلك هو قليل

الإنتاج.

☆الكاتب متعدد المهام
كاتب نموذجي، عنده موهبة استفزاز النظراء، و قدرة على التكيف مع محيطه فلا يحتاج إلى هدوء أو عزلة، يكتب في جميع الوضعيات والأحوال، يفتح مشاريع كتابة مختلفة في آن واحد.

☆الكاتب المنظم
يخطط ويحضر بصرامة حصص العمل، عنده إيقاع واحد، ويكتب لهدف معين.

☆الكاتب السهم
يتميز بإنتاج وفير وبشراهة في الكتابة مرعبة، يكتب كثيرا وبسرعة فائقة، هو في الكتبة قاتل محترف، فارط النشاط مدمن على الكتابة.

☆الكاتب المحقق
يهتم بالالغاز العلمية والاشكالات الدقيقة، لا يشبهه احد في قدرته على حل الغوامض، أكثر الكتبة علمية، نصف كئيب ونصف قلق و سري، ذئب معزول غير اجتماعي، لا يملك الوقت للآخرين، مشغول بتتبع خيط أعماله كمحقق بوليسي.

☆الكاتب الموثق
قريب من المحقق، همه الظفر بالحقيقة، والتحقق من المعلومات، تستفيد منه الكثير.

☆الكاتب الدقيق
همه في التفاصيل، جمله طويلة ووصفه دقيق، عنده موهبة في سبر حالات النفس، حساس و أنيق وثرثار، يفضل الكتابة للمجد وليس لتكثير القراء، نخبوي شوية.

☆الكاتب المدمن عاطفيا
يحتاج باستمرار إلى الاطمئنان على قيمة ما يكتب، قليل الثقة في نفسه لكن مع موهبة كبيرة.

☆الكاتب الحالم
عقله في السماء وبصره ضائع، حالم، حياته السابقة ثرية، ياخذ وقته في الكتابة، و يتأمل قبلها، عنده إحساس مرهف ويحب الشعر.

من تجربتي.. :
من خالط فضلاء الناس نضج عقله واتسع صدره.
ومن عاش في ثكنة لم ينتظر إلا صوت النفير للقتال(!)

من تجربتي.. :
انتبه إلى التضارب بين التأصيل و التطبيق..؟
وجدت شيئين في مسألة "البدعة" :
الأول :لا يوجد من يقول لك بشكل حاسم من هو المبتدع، نعم يعرف البدعة لكن المبتدع فبكلام غير محصل، أحسن ما وجدته عبارة لابن تيمية "من خالف الكتاب المستبين والسنة المستفيضة أو ما أجمع عليه سلف الأمة خلافا لا يعذر فيه، يعامل... " وهي كما ترى مقيدة بقيد شديد يعجز عنه غالبية الناس.
ثانيا :المفروض أن من حدَّد البدعة في تعريف معيَّن وضوابط واضحة أن لا يقع في بدعة ضمن تحديده وضوابطه..؟!
فمن يعد أي فعل لم يفعله النبي صلى الله عليه وسلم ولو تعلق بما يشبه العادة بدعة كيف يقول اقوالا من جنس ما لا يتعلق به عمل لم يقلها النبي صلى الله عليه؟!
إن لم يكن التعريف جامعا مانعا يختل التطبيق.
عندما نجد عند المعاصرين تضاربا في التبديع، في جميع مجالات الدين ،حتى وجدنا تبديعا في: مسائل أصول الفقه! وعلوم الحديث! وبدعة منهجية!وفي الاختيارات

الفقهية.. الخ
فهذا يخبرك عن مدى تحرير مفهوم البدعة عندنا!!
الاقتصار على وصف القول أو الفعل بالبدعة دأب عليه العلماء لأنه اجتهاد، لكن تبديع المعين به أفرط فيه المتأخرون...!

من تجربتي.. :
أن تُعيد هندسة عقلك =تعلُّم طرق الاستدلال الصَّحيح... خير لك من كثرة القراءة جودةً في الفهم واستثماراً في الوقت.
قراءة في أنواع الاستدلال، وقراءة في شروط صحَّة الدَّليل، وقراءة في نظريَّة اللزوم و أنواع التلازم تقلب عقلك رأساً على عقب، وتُعيد ترتيب كلِّ شيء.
لا تضيع عمرك في الانتقال بين البرامج التعليمية، وفي الكتب العلمية إن لم تضبط الاستدلال.

تصوري للسلفية ..؟
الحمد لله وحده، و الصلاة و السلام على من لا نبي بعده.
1 – لا يهم ما أعتقده في نفسي و ما تعتقده في نفسك، الذي يهم دليلي ودليلك،وماذا قدمت في التيار الذي تنتمي إليه (لإصلاحه فكلها بدون استثناء تعاني) مما يؤدي إلى عزة الدين ونهضة الأمة ؟
2 - ربط علاقات حسنة مع الناس و الاستفادة منهم لا علاقة له بالقناعات إلا عند الجهال في اية طائفة كانوا ..
3- بحسب قوانين الجدل يطلب في المناظرة إعلان المذهب من أجل مصلحة واحدة وهي حتى لا ينتشر الكلام و يطول من غير حاجة ، لذا أقول: الانتساب إذا كان لمجرد التعريف كما تقول : جزائري و يمني و عراقي فلاباس به (لا أظنه ممكن عندنا حاليا في ظل رداءة العقل إلا نادرا) و إلا فلا حاجة إليه لأنه لا يقوم بدلا عن الدليل الصحيح، و لأنه يثير من الشر أكثر من مصلحة إعلانه، وعندنا المداخلة كل معاركهم عليه كأنهم يتقاتلون على برج في أحد الثغور.. !
4 - سأتكلم في المسألة بالإشارة التي يفهمها طالب العلم بدون ذكر أمثلة تصويرية أو

استدلالية.

5 - أعتقد في نفسي جازما بدون تردد أن السلفية كمنهج في بناء المعارف (نسخة نظّار أهل الحديث بسبب الموقف من العقل ودوره) أصح المناهج.

6 - لكن كمنهج نقدي تحتاج إلى تحقيق، فليست في الحقيقة منهجا واحدا؛ لقد أثر فيها كثيرا اختلاف نفسية العلماء ما بين معتدل ومتشدد ومتساهل.

كما أثر فيها اختلاف مراتب العلماء فهما وتعبيرا ما بين محقق شمولي ومتخصص مشارك،أدى إلى اضطراب بين القواعد و التطبيق، وبين الأصلي والاحتياطي،وحتى هي تعاني من صعوبة الفصل بين الإسلام المنزل و الإسلام المؤول في هذا الباب.

ولاشك أنها تحتاج إلى مراجعة التصورات التي بنت عليها علاقاتها بالمخالف لتفصل بين المواقف الأدبية و السياسية و الاحتياطية و بين الحقائق العلمية الموضوعية.

7- يظن صغار السلفيين وعوامهم أن السلفية التي هم عليها الآن "فكرة ناجزة كاملة" رغم أن الخلاف فيها على أشده و في طرفي نقيض (!)بينما هي في الحقيقة مجرد بذرة مع حشو كثير؛وكما هو حال جميع الأفكار المسترجعة لابد أن تمر بمراحل لتقترب من الفكرة المثالية، وهنا تعاني من عقبتين:

الأولى :تجربة السلف ليست دائما كافية، و أحيانا غير متفقة .

الثانية: صعوبة سد الفجوة بين ما كان عليه السلف وبين ما يلزمها من تحديثات لترتفع إلى مستوى العصر.

8 - وهي أجنحة مختلفة تصب فيها مصادر مختلفة:سياسية، مذهبية؛مع خلفيات فكرية و ثقافية مختلفة، تجد هذا في موقفها من التصوف،و العمل السياسي،و الفلسفة .. الخ ولهذا تميل يمينا ويسارا بالنسبة لخط نظّار أهل الحديث ،لا يجمع بينها إلا المرجعية (نظريا فقط)، ولب الموقف في الأسماء والصفات مع اختلاف في طريقة العرض، واتفاق كلي في التوحيد العملي.

أما في غير هذا فهي مختلفة، وليس اختلاف درجات بل اختلاف يقترب من التناقض، لكنهم يتغافلون عن ذلك عند الدفاع عنها.

9 - بالنسبة لشخص يعتقد أنها أصح المناهج مع تفاوت كبير بين الفكرة وتمثلاتها في العصر الحديث مرده عدم تحقيق مواقف المتقدمين، لا يمكنه إلا أن يركز النقد عليها. وإذا فهم أحدهم أن النقد لها هو تزكية لغيرهم فلقلة عقله، بل النقد لها لقيمتها المعرفية

عنده،و لأهمية دورها في حفظ توازن الأمة مع الفكرة الأصيلة.
10- النقد الذي يشتغل عليه بعض السلفيين حاليا ليس بحثا عن تموضع جديد كما يعتقده بعض [chroniqueur] السلفية، ولكنه مجرد تحقيق وإعادة صياغة تصله الأفكار والمذاهب سواء في تقدمها أو في عملية عكسية عند استرجاعها ،وهو أمر طبيعي،فلا توجد فكرة جمدت إلا إن كانت ميتة !
11- كل المشاكل التي تعرضت لها السلفيه هي لأنها بالأساس منهج مراقبة أصالة الأفكار ومدى مطابقتها للعهد الأول، ما يشبه الاهتمام الأكاديمي، ولذلك تغلب على لغتها الصارمة الزائدة، فلما خرجت إلى المجال السياسي وتصور الدولة الحديثة،و اتخاذ موقف من الصراعات المعاصرة الداخلية و الخارجية لم تكن مستعدة لذلك فحدث فيها شرخ لسببين :
الأول :احتاجت إلى تأصيل الاهتمامات الجديدة فاكتشفت أن التوافق سترته الكليات وفجرته الجزئيات.
الثاني :كبقية المسلمين لا تملك منهج قراءة الواقع يفي بالغرض فكلما جاءت الأحداث الكبرى أخرجت المنسيات وقذفت بها في التشظي .
12 - بخلاف بقية الجماعات و المذاهب فإن السلفية كتيار تدل هذه التقلبات التي يعيشها على أنه تيار ديناميكي وحيوي، متحرك في مجال المعرفة،وهذه الحركة الظاهرة فيه سببها أن السلفية تتحول إلى فكرة جامعة مهتمة بكل المجالات ، بخلاف بعض التيارات المحصورة في مجال وحيد،و التي سيأتي عليها هي الأخرى دور الاضطراب قريبا و إلا فاتها الدور الحضاري لأنه فيما عاد ذاك المجال لا تقترح على الأمة شيئا غيره.

في(+) تجربتي... :
تحدث في الواقع الإنساني تفاعلات غريبة غير متوقعة لكنها تكشف حقيقة الإنسانية.
(!) قال لي أخٌ فاضل :هل هناك مشكل إذا أحببتك و أحببت الشَّيخ الرسلان؟
قلتُ له :"لا مشكلة " ... من يشترط في الحبِّ فما ذاقه، لكن هناك شيء مفقود في القضيَّة!!
ربَّما أحبَّ فيَّ وجها، وأحبَّ في الشَّيخ الرسلان وجها آخر..فالنَّفس البشرية أعجوبة

في التركيب والتعقيد.
وإذا كانت الأضداد لا تجتمع في الوجود فإنَّها تجتمع في القلوب.
الصورة :لجمال نفسه وصفاء نيته.
❀بارك الله فيه❀

التحفظ على بعض مواقف ابن تيمية بين الصوري و الواقعي..؟

الحمد لله وحده، و الصلاة و السلام على من لا نبي بعده.
في كل جماعة (أو مذهب) تبرز شخصيات علمية تبلغ مستوى نقد المؤسس (أو المؤصل) فذلك دليل على حيوية المذهب أو الجماعة، وعلى نضجه وتطوره، بشرط أن يكون النقد حقيقيا وليس صوريا ،لأنه في الحالة الثانية يدل النقد (الصوري) على أن الدافع لم يأت عن تبصُّر معرفي ولكن لأسباب أخرى كصيانة مكانة(statut)أو كرد فعل على تجاذبات داخلية
في مرحلة ما... يتردد بعض طلبة العلم الذين اشتغلوا على كتب ابن تيمية (قد يضمرونه وقد يصرحون به) حول بعض المسائل التي بلغها فكره، مما هو من قبيل الاستنباط، و التي لا يجدونها عند المتقدمين بألفاظهم ؟
لا يهم التردد في هذا النوع من المسائل(ليس حراما أو جهلا)، المهم هو فهم التأسيس المعرفي لها؛ مع اعتبار التالي:
أولا :معلوم لنا أنه لم يتكلم السلف في التوحيد العلمي ضمن نظام معرفي تأسس نقضا للفلسفة وعلم الكلام الفلسفي (في مراحله المتأخرة) ولكنه كان عبارة عن مواقف مستنكرة الخوض في المسائل النظرية مع استنباطات محدودة للدفاع عن ظاهر النص، برزت منها بعض القواعد مثل مقولة الإمام مالك المشهورة في الاستواء. بينما الأمر عند ابن تيمية (و لظروف مغايرة من كل وجه) منظومة كاملة تفرض الطرد والاستيعاب، فلا يمكنه إلا أن يتكلم في تلك القضايا
ولا ينبغي أن يكون المشكل عند الباحث الجاد في سلم الأشخاص الزمني ولكن في سلم المعرفة والمدارك، والعقل الإنساني ينتقل من المناطق الظليلة (المظلمة) إلى الوضوح بواسطة صفاء البناء المذهبي وليس باللجوء إلى القفز بين المذاهب.. !
و الحركة التصاعدية للمعرفة ترجع مشروعيتها بكل حق لمفهوم وحدة النظام،

ومفهوم النظام المعرفي ليس مجرد مسلسل لحقائق عليا بل هو اتصال و شبكة و ربط بين الاسباب فيما بينها ،ليس ركاما من الأقوال حيث الكل مرمي عشوائيا.
لا تأخذ المعرفة قيمتها من مفاهيم جرداء فقط ،ولكن من استنتاجات مركبة أو انشائية ينتقل فيها العقل في مسيرته من المبادئ البسيطة الى ما يلزم عنها من نتائج لزوما اضطراريا،وهنا ينتقل الفكر من المعلوم للمجهول.
و ابن تيمية بحسب قراءتي له لا يشتغل بالاستنتاج الاغريقي، و لا يعترف به، و فنده تفنيدا تاما ،و أقصد الاستنتاج الصوري أو القياسي حيث لا يكون في النتيجة شيء زائد في المقدمات، يعني: تحصيل حاصل، مادمنا نجد في النتيجة "المتحدث عنه و المتحدث به" بل من حقائق شرعية ايجابية (ثبوتية و سلوبية مقترنة بالاثبات) هي الأساس الأسفل للحقائق العلوية .
ترهبنا المسائل عندما تكون مفصولة عن أساسها المعرفي وهذا لا يعني الاستغراب من التردد او بطلان التحفظ لكن بالأساس المعرفي البديل المطرد ، وليس بالرهبة والاحتياط ،وطلب بطَّانية السلف!!
وإلا على السلفي أن يقف عند كتب التوثيق العقدي (الشريعة-أصول اللالكائي.. ومثلها) و يدبر أموره بها،فمن أخذ بالإثبات يلزمه استيفاء النظرية أو الإقرار بالحاجة إلى نسبة من التفويض.
و لأن أول م

حكمة (إن قبلتها) ..:
إذا عرفت أنَّه "على كلِّ كلام كلام" غثًّا كان أو سمينا، فتعلَّم أين تتوقف.
و عند مستوى معيَّن تختلف زوايا النَّظر، فوسِّع زاويتك لتحيط بالأخرى ،أو سلِّم الحال(السكوت) ، أو عش على رأس جبل..!!

التكنولوجيا.. ؟!
لم تسحقنا تحت الإدمان الجديد فحسب، بل مسختنا أيضاً: أسَّست وضعا جديدا، و أعادت تشكل العلاقات، كل العلاقات :
لقد حوَّل الفيسبوك كلَّ النَّاس إلى صحفيين!!

اضطرابات الشباب العاطفية..و الانهيار الشتوي.. !

الحمد لله وحده، و الصلاة و السلام على من لا نبي بعده.

قد لا يجد كثير منَّا سببا للسلبية التي أصابت شباب الأمة حيث فقد الرغبة في العلم وصار يجري خلف شيء وهمي في مواقع التواصل وظهرت فيه اضطرابات عاطفية،فيكفي أن تتبع منشورات الفيسبوك وغيره لتعاين ذلك.

وبحكم القبعة الموضوعة على رأسي ـ من غير رغبتي ـ يتصل بي كثير من الشباب لعرض مشاكله لعله يجد عندي نصيحة تنفعه للخروج مما هو فيه.

وقد أصابتني بعض الرسائل بصدمة كبيرة حيث اكتشفت حقيقة حياة بعض المتدينين التعيسة، وبعضها قرأته على كره لشدة الحياء الذي تملكني، أو الاشمئزاز الذي لا تملك دفعه عن نفسك. . !!

المهم اكتشفت أمورا مروعة، فمنهم من يعاني من أمراض جنسية، ومنهم من يحتاج إلى مهدئات، ومنهم من يعاني من مخلفات صدمات شديدة تعرَّض لها.

ومنهم من كأنه في حفرة عميقة كلما صعد ووصل إلى حافتها للخروج أعيد قذفه فيها من جديد.

وكلهم تقريباً يعلِّق مشاكله على :"السحر، العين، نقص عاطفي، مشاكل بين الأبوين، العيش مع بخيل عاطفي(الفراغ العاطفي)، تأخر الزواج،عادة سيئة" لكني لحظت أيضاً أن بعضهم يشكو مما يسميه علماء النفس "الاضطرابات العاطفية الموسمية" أو "الانهيار الشتوي" والتي تخص بعض الأشخاص في فترات معيَّنة يصابون فيها بحزن غير مبرر.

وبالنسبة لعلماء النفس هذا نوع انهيار يُسببه تغيُّر الإضاءة عند تغيُّر الفصول ما بين شهر أكتوبر ونوفمبر، عندما تتقلص ساعات ضوء النهار، وتخف الأعراض مع اقتراب الربيع أو يحدث العكس.

وأعراض هذا الاضطراب : " الحزن، فقدان الرغبة، عدم الاهتمام، تغيُّر المزاج، عجزعن اغتنام الفرص والتمتع باللحظات، فجأة لا يهتم بكل ما كان يشتهيه، لا يقنعه شيء، مع تنامي شعور اتهام النفس، انخفاض في الطاقة، التعب من غير سبب، القلق وصعوبة التركيز، انخفاض النشاط الاجتماعي، الانطواء على النفس" في الأخير

يرى حياته بدون معنى فيفضل الانزواء في البيت.

وإن كنت لا أجزم بالسبب الذي ذكره علماء النفس بل اعتبره - ربما - مجرد زناد أو (déclencheur) فإني أرى أن هذه النفوس عندها استعداد لاستقبال هذه الاضطرابات لأنها نفوس " تشك في قدراتها، تخاف المستقبل وتستعجل الثمرة، وتخشى فوات الأوان" لأنها تستمع لخواطرها وتنساب معها، لا تُفعِّل عقيدتها في تصور الوجود وتفسير أحداثه ، ولا تستحضر أن الله رقيب قريب، كأنه سبحانه ترك الشخص مع نفسه، لأنه (بعضهم) في النعمة لا يشهد المنة، وفي النقمة لا يصبر، ليس عنده قناعة، ولا يكون قضاء الله جيدا بالنسبة إليه إلا إذا حقَّق رغباته، يرفض أن يكون فقيرا،أو مريضا ؟

وربما لا يشعر بهذه الأحوال العميقة لأن الأقوال تخفيها، فكثيرا ما يظن الإنسان أن أقواله صورة عن باطنه، لأنه يستمع للسانه ويصدقه ولا يسمع صراخ روحه.

لا أقول لهذا الشباب ما يقال لهم عادة:"عليكم بطاعة الله والذكر.. الخ" فهذا يعرفونه ولكن أقول لهم :أولا: عندما تخلو بنفسك حاور الله تعالى في عقلك لكن بصدق، ومعنى ذلك أن تربط كل شيء به وتسأل وتجيب نفسك في حوارٍ داخلي مستحضرا دون غفلة أن الله يسمع ويرى، دون تزيُّن أو اصطناع، ولكن كعبد لا يملك من أمره شيئا.

ثانيا :اقرأ مجلد القدر لابن تيمية ،فإن عجزت فعلى الأقل جزء "الحسنة والسيئة" وإلا فكتاب ابن القيم ،ولا تقف عند النزاع الكلامي، فقط الفصول التي تشرح أفعال الله وحقائق العبد.

ثالثا:إذا صححت عقيدتك، فصحح عبادتك ووفيها فإن حركة الظواهر توجب بركة السرائر،ولا تقلل من أهمية مراقبة الخواطر والتعوذ منها، وإحسان الظن بالله فإنها تدخل فكرة ثم تصبح جمرة.

رابعا: أكثر ما يسبب الاضطرابات العاطفيى للشباب : تأخر الزواج ، و البطالة (الرزق) ، علاج الأول ان يتزوج لكن بعض الشباب أفسدته كتب الأدب و الشعر و الأفلام فلا يتزوج بحسب ظروفه و قدرته ،وهنا يمكنه أن يتزوج بأدنى التكاليف و لكنه يقيِّد نفسه بشخص في برج عال، و ينتظر تحسُّن الأحوال و السنين تمر، لا يملك حسا سليما و عقلا عمليا ،سبب ظروفه الأول هو الأفلاطونية التي يعيش فيها.

علاج الثاني: اعمل في أي شيء و لا تحقرن ذلك ، فقد رأيت من جاء من أقاصي الأرض إلى مدينة لا يعرف فيها أحدا، و بعد أيام اشتغل في غسل الفناجين و المبيت حيث يعمل، ثم يتعرف على الناس و شيئا فشيئا تتحسن أحواله فيغير عمله، و يصبح من أهل البلد ، ثم يتزوج و يكوِّن أسرة مثله مثل سائر الناس ، الشيء الوحيد الذي فعله هذا الشخص ولا يفعله الشباب هو مغادرة العش.

و رأيت شبابا تزوج في كوخ و الآن يسكن في بيت لائق .

كذلك من الأسباب : إهمال التعليم فكثير من هذا الشباب درس سنة او سنتين في الجامعة ثم غادر لسبب من الأسباب ،و مادام الإنسان شابا فبإمكانه التعلم وتطوير مهاراته ،وتعلُّم الحرف المطلوبة.

ضف إلى ذلك أنه وقع في فقه سلفي متشدد مثالي فردي مفصول عن الواقع ، لا يصلح إلا للأغنياء ،فينغلق عقله دون الحلول الممكنة نهائيا.

أرجو أن يرزقكم الله بعد ذلك الأسباب المادية لصلاح الحال، ومهما يكن فقد وعد الله المؤمنين بحياة دنيا طيبة (مَنْ عَمِلَ صالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَياةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كانُوا يَعْمَلُون)، يحييه حياة طيبة في الدنيا ويجزيه بأحسن عمله في الآخرة.

فقد علمت أين المشكل فاطلب الحل هناك... في قلبك فثم أكبر معارك الإنسان و ثم داءه ودواؤه،و ربما أنت مؤمن على الوصف القرآني لكن لم تحن الساعة فقط.

الكتب التي يحتاجها الشباب؟

يبدو لي أن الشباب المسلم بحاجة ماسة في فترة من حياته إلى كتب الأدب النفسي أو الخيال البسيكولوجي على شاكلة كتب "لورون غونال" مثل :"الرجل الذي كان يريد أن يكون سعيدا"، "اليوم الذي تعلمت فيه أن أعيش"، "و ستجد الكنز مدفونا في داخلك"، "الفيلسوف الذي لم يكن حكيما".

أو كتاب "رفائيل جوردانو" :"تبدأ حياتك الثانية عندما تفهم أنه ليس لك إلا واحدة"، "الجروح الخمسة التي تمنعك أن تكون أنت ل_" ليز بوربو "،" أول يوم مما تبقى من حياتي "ل_" فرجيني غريمالدي ".... الخ

على أن تكون بثقافة إسلامية لأن هذه المذكورة و إن حوت المشترك الإنساني لتعلقها

بالنفس البشرية إلا أن فيها روحا غربية.
وأظن أنها ستكون لفائدتها رائجة جدا.

بالباء والتاء لعقول بطأها السبات..!!

يقرأ الشباب المسلم بنهم كتب الأدب العربي(وكلمة أدب هنا أقولها مجازالأنها في الغالب كتب هابطة) لأنها النوع الوحيد الذي يجد فيه نوعا ما الحديث عن حياته العاطفية والاجتماعية، فحياة الشباب في الخفاء غير ما يظهر عليه عند بوابة المسجد وعلى صفحات الفيسبوك!

والحياة المعاصرة فيها ضغط شديد، لا تنفع معه لغة العسكر والقانون، لذلك هناك صنف منهم مدمن على الأفلام وحتى الرسوم المتحركة لأنه يبحث عن شيء مفقود حتى في الأدب العربي المعاصر؟

و نصح هذا الشباب بكتب علم السلوك الإسلامي كنصحه بكتب علم الصواريخ! ولا أظنها تأتي من شخص قرأ علم السلوك وفهمه، فهذا علم مهجور عند علماء العصر إلا بعض النتف الوعظية فكيف بعامة الناس ؟!

وهو علم ديني يعالج أحوال النفس في هذا الجانب، لا يعنى أبدا بمشاكل الحياة اليومية العاطفية والمهنية والاجتماعية، بل هو أساسا علم منفر من الدنيا، محقر لها في الغالب، فيه اخطاء مخالفة للشريعة وأكثر أهله ممن قال الدنيا واعتزلها .

وفي نسخه الرديئة يصنع الدراويش!

و أما ما كتبه بعضهم كمحمد الغزالي مثل "جدد حياتك"

فهو مأخوذ من التراث الأمريكي، ولا يلبي حاجة الشباب لأن نفوس البشر تحب نقل المعاني في قالب القصة و الرواية،

ثم إن هذا النوع قليل جدا.

لذا تكلمت عن ضرورة أن يكون لنا بديل إسلامي على شاكلة (=يشبهه في الشكل و المشترك الإنساني ويخالفه في المميز الثقافي) ما يوجد عند الغربيين، وهو الأدب النفسي، يحث تعالج قضايا الحياة حتى التافهة (في نظرنا نحن المتحضرين) من قبل مختصين أو مثقفين في علوم التحليل النفسي وغيرها ،في قالب الرواية. وهكذا نوفر لشبابنا حاجتهم مع سلامة البناء حيث يجد المعالجة النفسية مع التعليم في قالب يحبه.

نحن هنا لا نتحدث عن الوجدان الديني ولكن عن الوجدان في شقه الحياتي اليومي، وتقريبا سسننصح من يعاني من مشكل نفسي خاص أن يقرأ كتاب "علم النفس في القرآن"!!

وأما من يقدر منا على قراءة الكتب الغربية في اي اختصاص سواء عنده مكنة التمييز الثقافي أو لا فهو لا ينتظر منشوري ولا يكترث بآراء دواعش الفهم .

التمييز نعمة عظيمة..

التصنيف الفكري..؟

ما يقوم به المداخلة ليس تصنيفا بالمعنى العلمي لأنه عملية يهتم بها علم المناهج و تعني التوزيع بحسب الطبقة و الفئة والصنف أو النوع.

وبحسب هذا التعريف نجد خلاصتين:

الأولى :ما يقوم به المداخلة لا هو تصنيف ولا تبويب ولا مَقْوَلَة ولكنه يشبه الشاكول (جدول مشاكلة) مثل التنميط العرقي؟!

الثاني :المدخلية تتحدى كل قواعد التصنيف، فلا نجد من يشبههم في المسلمين حتى في درجة مستوى الذكاء المنخفضة جدا، ولهذا يصنفون الناس ولا يصنفهم الناس!

أنت لا تتعامل مع" كلام" ولا أقول" فكر" يخضع لأي منطق شرعي أو عقلي عام أو عرفي، لذا كلمهم بأية لغة تريد إلا لغة العلم.

حدود الإسلاميين ..؟

يمكنك حفظ حدود أصالتك في عالم اليوم فقط عندما تحفظ مقاييسها وليس أشكالها لأنَّ الحدود ليست جدارا بينك وبين غيرك ولا الأسموز من جهة واحدة فقط!

ليس في مقدور [الإسلاميين] تغطية كلِّ مجالات المعرفة فضلا عن مجالات اهتمام الإنسان .

لذا؛ إذا أردت أن لا تصبح "أحفورة" في وعي أمتك ، أو ما يشبه "الحيوان الثقافي" في محمية حتى في داخل بلادك ، فاضبط خصائص هويتك حتى لا تفقد جنسيتك الثقافية عند الاتصال الفعلي مع محيطك لأنَّك لحد اليوم تعيش في عزلة حتى عما يدور في داخلك! :لا ترصد التغييرات في أجيالك الصاعدة ، ولا تشعر بأنّ ّك تُحرك

نحو الحواشي؟!
ثم تعلَّم لغة أجنبية بإتقان فلا ثقة في عمل مقلَّد (في مهمات المعرفة) لأنَّ كل من اعتمد على اللغة العربية وحدها بقي في المستوى الثاني مفعولا حيثما كان.
واسرح في هذا العالم تلتقط ما تفهم به ما ليس عندك ، وتعضد به خطابك الذي يلزمك تغييره لأنَّك إلى الآن لا تُكلِّم ولا تَسمع إلا نفسك، و تحرك مجتمعيا، لعل اللَّه ينفع بك المسلمين.
هذه كلمة لدعاة ومفكري المستقبل..

القراءة عند طالب العلم المنهجي :ما بين التصفح و الدراسة..؟
لا معنى لقراءة أي كتاب إلا إذا سمح لك برؤية أكثر وضوحا للمسألة.
والهدف هو الاستفادة منه إلى أقصى حد، لكن فيما يخص "الكتب العلمية" فإنه بدون إعادة صياغته في شكل مخطط أو خلاصة (فهم الاشكال +الجواب المقترح +أبنية الاستدلال و تقييمه)سواء تكتبه على النص نفسه أو في كراسة تكون القراءة بدون فائدة.
و الملخص ليس اختصارا (قطعة من كلام المؤلف) ، هذا يدل أنك لم تفهم وأتعبت نفسك في الكتابة لأن ما لا تعبر عنه بلغتك لم تفهمه.
وتأتي صعوبة القراءة من :"غموض العبارات=مصطلحات تقنية، ومن قوة الاستدلال وضيقه (دقته) ،ومن الجمل التي لا تظهر معانيها مباشرة.
والعلم الجامع لهذه الكفاءة هو علم المنطق.
و مهما كانت مدرستك فإنك تحتاجه في كل العلوم العقلية أصلا أو تبعا ، وسواء كنت من هنا أو من هناك لن ينفعك نفعا محققا بدون نقضه القديم والمعاصر .
بدون هذا تكون فائدة قراءة بعض الكتب التراثية أو المعاصرة قليلة.
التراث الإسلامي ضخم جدا، وجسم المعرفة المعاصرة يكبر بشكل مهول، و الحل لمسايرة الأمر هو التمكن من مهارات الإدراك المعرفي(القدرة على فحص كل منظومة معلومات معقدة وعلى كسب المعرفة في أي اختصاص و استعمالها و نقلها للغير) ما يشبه فلسفة الإدراك المعرفي ،وهي فطرية في بعض الناس (عندهم قوة عقلية) ويمكن تطويرها عند غيرهم.

ثم البحث المستمر لأنه يدقق المعلومات، والتدريس أو إيجاد صيغة أخرى للنقاش لأنه يُثبِّت المعلومات، مثل: مجلس علمي أسبوعي، أو نادي ثقافي ،أو حلقة قراءة.
وفعل نسبة محدودة من هذه الوصية سينفعك كثيرا.
هذا جواب الأسئلة المتكررة التي وردتني بأحسن ما قدرت عليه.

المستقبل ..؟

عندما نغرس شجرة فإنَّنا نعد لمستقبلنا أو لمستقبل غيرنا لأنَّه قد يسبقنا الأجل فلا نأكل من ثمارها، ولا نستظل بظلها ،ولا ننعم بجمالها،ومع ذلك فالمستقبل الأخضر أنجز في الحاضر الأجرد، ليس المستقبل إلا ثمرة الحاضر.
حتى الأجر الذي ننتظره من اللَّه هو جائزة في المستقبل.
على هذا أفهم قوله صلى اللَّه عليه وسلم :((إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة، فإن استطاع ألا تَقوم حتى يَغرِسَها، فليَغرِسْها))
يعني :لا تزهد في أي شيء يمكنه أن يحسِّن مستقبلك، وفي هذا الحديث:لم يبق مستقبل لك إلا آخرتك.
إنَّه تهيئة الأذهان على أنَّ التحضير للمستقبل ما هو إلا بتأسيس الحاضر.
وعلى قول أحدهم :ليس المستقبل إلا تنظيم الحاضر و إعادة ترتيب أمورك فيه، فهو ما يسمح له بالتحقق(بمشيئة الله) .
فتش خزانتك و ستجد أنه يوجد الكثير مما يمكنك فعله لدينك ولدنياك.

أشكال التعصب ...؟

الحمد لله وحده ، و الصلاة و السلام على من لا نبي بعده.
هناك شكلان من التعصب:الأول: بلطجة الجاهل في العلم و المعرفة .
و الثاني: هو تحزب الجاهل في العلم و المعرفة،لكن مع تفاوت في درجة هذا الجهل أو في نوعه.
ينجم التعصب عن الجهل، فالمتعصب شخص يعتقد أنه يعرف، ما يسمح له بالجزم بصوابية و أفضلية ما يتعصب له،فيجعله لا يحب أن يرى أو يسمع المخالف.
ليس المتعصب ذاك الشخص الذي يدافع عن آرائه و قناعاته و مذهبه و شخصية

يحبها بمبالغة شديدة فقط ،فهذا شطر التعصب، و شطره الثاني ـ وهو لازم عنه ـ هو ذم المخالف و عدم التسامح معه أو إهماله في النوع الثاني.
ففي النوعين التعصب هو التحمس لرأي أو مذهب أو شخص، قبول الفكرة بدون شرط (غياب تام للمراجعة و التساؤل) نوع من الخضوع الكلي،و الطاعة بدون حدود يعقب الانبهار.
لهذا هو في الحقيقة حماس عاطفي و ليس قناعة علمية لأن القناعة العلمية تكون على أساس علمي،و من عنده هذه الكفاءة لا يمكن أن يرفض رأيا أو يهمله لمجرد كونه يخالف الرأي الأول.
التصعب في شكله القديم الذي لا يزال موجودا عند كثير من المسلمين هو الكراهية التي يبرِّرها الحب، يكره هذا الرأي أو هذا المذهب أو هذا الشخص لأنه يحب الآخر الذي يتبعه و يحبه فحسب.
هناك تعصب جديد منتشر عند المعاصرين في فئات تظن نفسها مثقفة و منفتحة لأنها تسمع لشخص ينتقد التراث أو شخصيات علمية كبيرة !!
في هذا التعصب الجديد لا نجد الكراهية للآخر، ولكننا نجد الاهمال، عدم الاهتمام لكل ما لا يوافق ميوله ؛ في هذا التعصب لا نزال في اطلاقية الصواب لكن بدون كراهية، يعني: يتبع مفكرا أو عالما كأنه لا يصدر عنه إلا الصواب، وقد حاز كل الحقائق في كل المجالات. !!
في هذا النوع لا يكره الآخر لكن يهمله، لا يهمه ما عنده ،إن كان مفيدا له في جوانب كثيرة لا توجد عند جماعته ،لابد وهذا شرط صحة أن يزكي له متبوعه شخصا في أصول الفقه، و شخصا في علوم الحديث ،أو شخصا في الفقه ... الخ.
لا يمكنه أخذ العلم و الاستفادة إلا ضمن حزب أو تكتل !!
ومرجع هذا أنه جاهل يحسب نفسه مثقفا أو متعلما،لا يملك الأدوات العلمية للتمييز و الترجيح ، هو الآخر مدخلي في منهج التعامل مع المعرفة .
الفرق بين هذا النوع من التعصب و النوع الأول، أن الأول قد يتعصب لعالم حقيقي أو لجاهل يلبس عمامة العلم، لكن في النوع الثاني يكون التعصب في الغالب لشخصية علمية معاصرة.
لهذا كان أحسن تعريف للتعصب هو قول أحدهم: "التعصب هو التفاف مجموعة

أغبياء حول شخص عبقري" ؟
وكذلك يجمع المتعصب حواليه من يشاكله لأنه يحاول حماية نفسه من العالم الخارجي فهو قليل الثقة بعلمه و عقله .
مصيبة المتعصب الثاني أنه لم يعلم بعد أن الأهم ليس في إقناع الإنسان في جميع الحالات و لكن في دفعه إلى التفكير.

تكلَّم لغة الذين (النَّاس /الفئة) تريد إقناعهم؛ لذا لا يوجد _الآن _منشور لغته (البناء السردي /المصطلح /الأمثلة) عامَّة.

شيطان الفيسبوك..؟!
بعض الناس إذا انقطع عن الفيسبوك لمدة معينة تحسن مزاجه ووجد الوقت لفعل أشياء أخرى.
البرنامج الذي يعمل به فيسبوك (algorithme)هو من يختار ما سيظهر لك عند فتح حسابك، لهذا يؤثر على مزاجك وحتى على أحكامك السياسية؛ فقد لا يظهر لك إلا الأخبار المحزنة والصور الكئيبة المقلقة والمنشورات التشاؤمية.
لذا نوِّع في قائمة أصدقائك من كل الفئات، وكذا في الصفحات التي تتبعها وإلا أتخمك بطعام واحد.. حتى تمرض..!!

كيف أثَّر علينا الفيسبوك ..؟
ما يؤكد الدور المهيمن لمواقع التواصل الاجتماعي على حياة الإنسان المعاصر أنها بخلاف ما يظنه بعضهم ليست مفصولة عن الواقع ،نعم هي تزيِّن الواقع أو تشوِّهه لكنها ليست مفصولة عنه ،بل تعكس تبادلا حقيقيا في حياة واقعية بين شخصيات موجودة ؛لكنها قد تكون مصطنعة، أضافت إلى نفسها محسِّنات ،و الصلَّة هي التعليق و الدردشة و الرسائل الخاصة .
لهذا فإن جدارك على الفيسبوك هو امتداد لحياتك الواقعية سواء عرف الناس هويتك الحقيقية أو لم يعرفها إلا الرب سبحانه و تعالى.
هو آلة تقنية /اجتماعية غيَّرت سلوكنا للأفضل أو للأسوأ بحسب ثقافتك و اتزان

شخصيتك ،أدخلت فيها شيئا جديدا اقتطع منها ساعات طويلة ،عرَّفنا بأشخاص جدد ومكَّننا من الظهور في صورة أحسن ،ألزمنا۔ ولو أدبا ۔ أن نرد على الإشارات التي يرسلها الآخر مثل :الغمز أو لعبة، و صرنا نقبل صداقات من مجهولين .
غيَّر معنى كلمة" صديق"،و ابتذلها،وكذا كلمة "أعجبني،و سواء كان إدمانا أو عادة فرض عليك أن تبقي الشبكة على اطلاع بك، وأن تتفاعل مع أفرادها .
و يبدو أن غالبية التبادل في الفيسبوك لا يهدف إلى الكفاءة لأنه ليس صوت خلفية عميقة ،ومن هذه الجهة لا يمثل شيئا ،ومع ذلك يمكن أن نستخلص منه كل شيء.
بالنسبة لعلماء النفس يصبح كل شيء في الفيسبوك سببا للمحادثة و الثرثرة،لأنه يسمح بالمحادثة في كل شيء، والثرثرة هنا مكتوبة، معلنة ، ومنشورة، و تفاهة العبارات أو الأقوال ليست لها نفس القيمة كما لو كانت في السوق أو المقهى حيث سرعان ما تنسى ، هنا هي مكتوبة و بذلك تصبح منتجة لما يناسبها.
على حسب بعض الباحثين فإن الفيسبوك هو القصة التي نساهم جميعا في كتابتها نكتشف ذلك عند مراجعة ما يدور فيه،و مصداقيته، وكيف يشكِّل المخيال ويؤثِّر على المزاج، ويوجِّه الذهنيات، و يبني القناعات .
وهذا لا ينفي أنه يسمح بتغليف الحقيقي الواقعي بالخيالي الوهمي، لأنه يوفِّر لنا فرصة تحسين الصورة التي نظهر عليها، وبهذا يشبه دش (حمام) كلامي لحضور حفل اجتماعي نظهر فيه أننا نهتم بالآخر و نفكِّر فيه ولو كذبا، أو لأي اعتبار آخر.
لكن حتى لا يكون تنويما اجتماعيا على حساب استقلالية الفكرو ثرائه،وعلى حساب ما تحتاجه أمتنا ۔ بخلاف الأمم الأخرى ۔ حاول أن تكتب ما ينفع و لتحقيق ذلك تحتاج أن تضع نفسك في مكان القارئ ، و إلى أن تكون في المعلومات التي تقدمها قيمة مضافة ؛و لا تبحث عن الإقناع بكل وسيلة فإن أعظم انجاز للكاتب هو دفع القارئ للتفكير .
وبذلك وحده تنمي ثقة الناس فيك، وتربط معهم علاقات متينة، و تكون لك هذه الأرضية القاعدية ذخرا في الآخرة.

من تجربتهم.. :

تصرف في الحياة بحسب إيمانك وعلمك، وليس بحسب إيمان الناس وعلمهم، فما

يجوز لهم قد لا يجوز في حقك، وأنت مكلف بعلمك وعليه تحاسب، وبإيمانك و عليه تعامل.
ولا تفقد طيبتك لأن الناس قساة.. ومن رزقه الله طيبة فحرص على حسن القصد كان من الفئة التي لا تهزم، وكيفما انقلبت أموره خرج منها بخير.

أذكى الأذكياء من أسند الأمر لله :

بدون الخوض في باب القدر والأفعال الاختيارية والاضطرارية فإن لوازم فعل العبد لا يعلمها على حقيقتها وعددها إلا الله، فكيف بأفعاله سبحانه؟!
ولو توقف نظام هذا العالم على رغباتنا لفسد وانهار.
وما أنا متأكد منه أنك في عالم النوايا حر ؛لذا كانت" نية المرأ أبلغ من عمله" و" إنما الأعمال بالنيات"، (إن أقواماً خلفنا بالمدينة ما سلكنا شعباً ولا وادياً إلا وهم معنا، حبسهم العذر)ح/ص.
حبسهم الله لحكمة لكنهم أخذوا الأجر كاملا لصحة نواياهم !
معركتنا الحقيقية (معركة الخير والشر) في ذاك العالم، اضبطه يتكفل الله بما لا تعلم وتاتيك الأمور على مقاسك.
وقد يرحم الله بالجهل و يعاقب بالعلم أو يفعل العكس؟
المقصود أنه قادر على قلب الجواهر فكيف بمآل أفعالك؟! وأنت أحوج إلى مراقبة خواطرك و تصحيح مقاصدك منك إلى التفكير في ضمان سلامة السلعة من كل عيب، فإن الصحيح قد يفسد وقد يصلح الفاسد أو يرزقك منه خيرا.
فرغت جعبة الشهر..!!

تعليم الجهل..!!

لا تسيطر على عقول النَّاس بتعليمهم ما يزيد في وعيهم ولكن بتجهيلهم فارفع شعار محاربة الجهل (البدعة _الغلو...) لكن إعمل كل ما في وسعك لنشره..!
فهذا الشيء الوحيد الذي يسمح لك بتحييد الجماهير والتحكُّم فيها.
لأنَّ بنشر الجهل تحجر على عقولهم، ويسهل عليك تغيير محتوى كلمات مثل :"منهج _ سنَّة_ سلفيَّة _ثقافة_وطنية_فن .. الخ".

و بهذه القوالب التي بُدِّلت معانيها يمكن خنق كلِّ فكرة واعية في المهد. .!
فقط فَبْرِك شيوخا ومثقفين وفنَّانين.... الخ
والشَّخصيَّة الجاهلة المفبركة علامتها أنَّها بدون ماض في تخصُّصها،تُنزل بمظلَّة ليلا..؟
كما أنَّ علامة الجاهل الإعجاب بالنَّفس، و عيبه أنَّه متحذلق يظهر له الخطاب المنطقي بدون معنى!
إذا صادفت جاهلا فعلِّمه(إن قبل التعلم) أو تغافل عنه لكن لا تحتقره إلَّا إن كان مفبركا لتعليم الجهل فإنَّه نفاية بشرية.

عدم تطابق العرض ↔الطلب!!
لا يوجد في بلدان العرب أحزاب سياسية، يوجد فقط طوائف سياسية!! تمثل نفسها و لا تمثل الناس.
ومشكلة الغيبوبة السياسية التي يصنعها الإعلام الذي يستدرج البسطاء إلى بئر بدون قعر حيث يعميهم بتفاصيل دراما الحياة هو غياب تشكيل سياسي ملائم للناس ،يحد من شهية السلطة ويوقظ الوعي السياسي (ثقافة ونضج يسمح للناس بالتموقع بالنظر إلى النظام السياسي، ويمده بقدرة على تحليل علاقات النظام في المجتمع وفهم شبكتها متعددة الأبعاد)
وفي الحقيقة؛ يعرف الناس هذا لكنهم لا يجدون أحزابا تقنعهم بجدوى الاكتراث بالسياسة.
أضف إلى ذلك قوة التقليد المادي (التنافس على الدنيا) جعل الإنسان ينظر في رجليه، لا يجد الوقت لرفع رأسه لأن حياته سلسلة سباقات سرعة!!

نصيحة لشبابنا.. :
عندما تستمع أو تقرأ لأحدهم لا تغرق في الجزئيات والتوصيف الإنشائي، فقد لا تنتبه إلى غياب الربط المنطقي ،ويقف عقلك عند جزئية توافق عليها، ولكن ابحث في كلامه عن سؤال الأطروحة وجوابه، فقد تكون الجزئيات إيمانا والأطروحة كفرا..!!
لأنه في المسافة الفاصلة ما بين المقدمات والنتيجة يوجد كل تاريخ البشر في المغالطة

والسفسطة والمكر والتلبيس!

عجبا!!

لا أشك أن الغرض نقد القرآن فضلا عن السنة، والشافعي والبخاري وابن تيمية مجرد أسماء لتخفيف الصدمة لا غير!

الكلام في العمومات يخفى حقائق الناس فلم أكن أتصور كمية الجهل بأصول الإسلام عند بعض الشباب الذي لا يزال لحد الآن في سطحية مزعجة يدافع عن أفكار معارضة لصريح القرآن والسنة بوضوح(وليس لافهام يحتضنها كلها مراده) بأن صاحبها أراد تجديد الدين وتصحيح المفاهيم... الخ

وأرجو أن لا نقع تحت قوله صلى الله عليه وسلم :((إن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يرى بها بأسا ، يهوي بها سبعين خريفا في النار)).

المساواة بين التوحيد و الوثنية، الإسلام والنصرانية ليست اجتهادا ولا تصحيحا للمفاهيم ..!!

هذا إيمان فولتير ليس الإيمان في القرآن، ولا أظن أني في حاجة إلى سرد الآيات!!

تنبه معي و قس عليها عقل الأستاذ ذواق :الأحياء لا يأخذون عن الأموات، هذه أزمة وعي.!

يلزم منه أن كل من يموت يهجر قوله حتى نكتشف علاجا للموت لكن كل رواد المذاهب أموات حتى المتأخرين فأين روسل و سارتر ودريدا... الخ وكل حي سيموت؟!

فعلا هذا منطق بلا حدود يناسب مؤمنون بلا حدود!

هل سألتم أنفسكم في أي شيء بالضبط يعترض على الشافعي و ابن تيمية، لم يذكر ولا مثالا واحدا.

قيل :تكلم في 10 دقائق ؟

قلنا :نعم، تكفي لاضلال أمة أو لهدايتها ؟

سؤال آخر :لماذا مثل بالشافعي وترك شيخه مالكا ومعروف أن مالكا أكثر شدة منه حتى في الأصول يبالغ في سد الذرائع و في الحديث أكثر صرامة،وهما من نفس المدرسة والمذهب العام؟

ولم خص الفقه السني دون غيره مادام يتكلم عن عقلية الأمة فأين الشيعة ام ليسوا من

الأمة؟
مصيبة الأمة عند ذواق من ابن تيمية كأن أتباعه هم من يحكم بلاد المسلمين، ويشرف على التعليم؟
ولو كانوا كذلك فما ذنب ابن تيمية؟ وأكثر بلاد المسلمين يغلب عليها تيارات أخرى وهي متخلفة؟
وعند ابن رشد مصيبة المسلمين من الصوفية وابن سينا؟!
وكذلك عند مالك بن نبي الذي وظف كلامه عن الفقهاء في غير محله!
أعجب ممن يدافع عن مثل هذه السفسطة!!

الفرق بين الهدم والتصحيح..؟!
من سنوات وأنا انتقد السلفيين بجميع طوائفهم والمتكلمين والصوفية والإخوان و المتمذهبين والغلاة،في مسائل مختلفة.
وخالفت ابن تيمية في مسائل، بل كتبت عن شدة الإمام أحمد في مقال طويل جدا.
وانتقدت جمهور أهل الحديث في موقفهم من العقل، وكذلك بعض الفقهاء والمفسرين والأصوليين واللغويين و المؤرخين والمترجمين وكتبة المقالات ورواد الإصلاح، وبعض مواقف من هم أجل من هؤلاء كلهم،
وربما اقتربت من الحطيئة 😂
و لم أجد في لحظة واحدة حاجة أو شبهة لأهاجم العقلية الإسلامية ككل لأن الصواب يتبعض، فهذا معه نصيب وأخطأ في مسألة مع التفاضل فيما بينهم.
ولأن النقد يتوجه لجزئية الصواب فيها موجود عند غيرهم من أهل صناعتهم وليس الجر على الكليات.
وهكذا؛ نقدهم جميعا في نقاط مختلفة لا يعني بحال نقد منهجهم الجامع ،أو منهج كل فئة برمته.
ويمكنك أن تغسل يديك من كل ناقد يلخص كل مشاكل الأمة في فئة واحدة، فهذا اما جاهل وإما مغرض.
لا أظن أن نقد العقلية الإسلامية ككل، و ضرب رموز أهل السنة يأتي من منظور داخلي في الأمة..!!

الشافعي وأصول الفقه..؟

تدوين أصول الفقه وتنظيمه وتطويره غير إنشائها، هذا لا يحتاج إلى فهم خاص.

تكلم ابو حنيفة في القياس وعموم البلوى... الخ وهو أقدم من الشافعي.

وتكلم مالك في الإجماع وعمل أهل المدينة وسد الذرائع والمصالح المرسلة و منزلة النص والعموم وغيرها وهو شيخ الشافعي!

وتكلم الصحابة كابن عباس في الناسخ والمنسوخ والقياس (الاعتبار) وغير هذا كثير، وهم أقدم من الشافعي!

وكلام السلف ممن كان قبل الشافعي في الفقه واستنباط الأحكام كثير جدا لا يجمع إلا بتكلف فبأي شيء كانوا يستنبطون؟!

والصحابة أكمل علما ممن جاء بعدهم لأنهم مستغنون عن هذا العلم كاستغنائهم عن علوم اللغة.

وعليه؛ فإن القول بأن استنباط الأحكام هو اجتهاد الشافعي ومن عنده بدأ، مخالف للضرورة التاريخية والعقلية.

ومن ثم استغرب ممن يقول :"المسلم المعاصر خطير جدا، وغير إنساني " لأنه على عقلية الشافعي..!

ويا ليته قال :فئة قليلة من المسلمين ولم ينسبها إلى الشافعي.

وكل المسلمين ينتسبون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإلى أئمة الدين فهل من كذب منهم في الدين أو تزندق أو انحرف أو غال ينسب ذلك إلى رسوله وإلى الإمام الذي يتبعه؟!

وأتمنى أن يضربوا لنا مثالا واحدا عن قضية أخذت عن الشافعي هي سبب انتكاسة المسلمين وتخلفهم و خطورتهم؟

من يريد ربما أن يقول لنا :اليهود والنصارى ليسوا كفارا بنص القرآن (بغض النظر عن حكم الفردوقيام الحجة من عدمه) والنبي محمد صلى الله عليه وسلم بعث للعرب خاصة فليصرح بذلك ولا يتمسح بالشافعي الذي بحسبه "لا يرعى منطقه المشترك مع الالهيين"؟!

لا أدري ما هو المشترك إذا قصد الربوبية وما تأثيره في صلاحية هذا المشترك إذا

كانت الربوبية تثليثا كفر الله سبحانه وتعالى به في صريح القرآن!
كل مشاكل الإنسان تأتيه من اللف والدوران.
سنناقش هذه النقطة في القرآن باسهاب لاحقا إن شاء الله تعالى.

التلاعب بالتمثيل..؟

أي مسلم يتابع الأخبار التلفزيونية في إمكانه أن يعرف أنه يوجد يهود يعارضون الصهيونية عقيدة، لكن السؤال هو عن نسبتهم؟
كما يعلم أكثر المسلمين أن اليهود في خارج الكيان الصهيوني يدعمونه فإن وجدت أقلية تخالف توجه الأغلبية من اليهود فهذا قليل التأثير على رأي بعضهم .
وهذا مناسب لما ذهب إليه غير واحد ممن درس التلمود وأنه لا يمكنها إلا إنتاج الصهيونية وما يشبهها ، وعبر التاريخ.
المهم كون بعض المسلمين من غير المثقفين أو من بعضهم لا يفرق بين اليهودية والصهيونية ما علاقته بالشافعي وابن تيمية، وقد حدثت الصهيونية بعدهما؟
ملاحظة :هذا مأخوذ من الدقائق 10!
الباطل غير محدود لأنه بلا أصل، يقول أحدهم في لحظة :المسلم المعاصر خطير جدا! وتحتاج لنسفها ساعات طويلة ومقالات كثيرة لأنها ليست كلمة بريئة فقد ربطها بعدم إنسانيته و بعقليته الإسلامية وموتها مع أئمة من يمثلها... الخ
في كل شعوب العالم آراء شائعة وحكايات خيالية لا يربطها عاقل يدري ما يخرج من رأسه بآراء علمائها ومنهجهم العقلي إلا إذا كان غرضه إسقاط مرجعية الأمة الدينية!

ذواق و الأركونية..!

يمكنك في المحادثة العامة أن تقول :الاشعرية والصوفية والمالكية و الشيوعيين.. الخ
لكن في النقاش الاستدلالي لا يهمني هذه الأسماء فما علق الله عليها النجاة، المهم ماذا قالوا، عليه الدليل ام مجرد إثبات مطلق؟
إذا عرفت هذا، فأقول :
مع علمنا بخلفية الأستاذ ذواق لم نرد كلامه إلا الاركونية التي تدعو إلى الحج العقلي!
و المراجعة النقدية للنص القرآني بمنهج النقد الأدبي الغربي ،و أن النقد الفيلولوجي

استطاع أن يكشف القصور في أسلوب القرآن،وأن الأساطير لها أصداء في القرآن،و القرآن ينجز ويبلور بنفس طريقة الفكر الأسطوري (ساشرح لكم معنى الأسطورة عندهم)
و أنه بدون جمع كل الوثائق حتى المعدومة التي يمكن أن توجد! لا يمكن نقد القصة الرسمية لتشكيل القرآن!
ومعنى ذلك أن تصحيح النص القرآني مشروط بمعدوم يمكن أن يوجد!
و اللازم لهذا شيئان :الأمة في ضلالة عن المعنى الصحيح إلى يومنا هذا!
أو ما كان كفرا وضلالة في الزمن الأول يمكن أن لا يكون كذلك الآن، فقط علينا انتظار اكتشاف وثائق تشبه وثائق البحر الميت الخاصة بالتوراة؟!
عندما أقول :الغرض هو القرآن فلست ألعب بالكلام لأنه عندما يقول الأستاذ ذواق :"انتهى عصر التمييز بين التوحيدي والوثني، السماوي والوضعي" في إطار الوعي القرآني الجديد! فهو يقصد انتهاء الرواية الرسمية للقرآن لأن هذا التمييز لم يختلقه الشافعي وابن تيمية بل هو مما قرره القرآن وكرره كثيرا(سيأتي مقال تفصيلي).
لذا عندما يأتي أحدهم ويقول هذا موقف التيمية فهذا استخفاف بعقول الناس لأن المواجهة ليست بين ابن تيمية والاركونية بل بين المسلمين والاركونية. فدفع الشبهات عن القرآن ليست حكرا على السلفيين فقد دافع عنه الأشاعرة ورد الدكتور محمد عمارة وهو معتزلي أو فيه اعتزال على حامد أبو نصر.
وإذا قدرنا أن بعض الناس تقاعس عن ذلك و قام به السلفيون فهذا شرف كبير لهم.

الدفاع عن دواق مباشرة أو بالتوقف وخلط الاسود بالأبيض؟!

من حق أنصار الأستاذ دواق أو الموافقين له على ما قاله أن يدفعوا عنه بأنه لم يقصد كذا وكذا، لكن السليم أن يفسروا مجمل كلامه بمفصل كلامه هو ،وإلا كان توجيههم تأويلا في مقابل ظاهر قطعي.
وعندما يقول بعض الفضلاء :لم أفهم هذا من كلامه؟! "
فأقول له :لا فهمك ولا فهمي مقياس للفهم الصحيح الدقيق لكن عليك أن تقر بأن فهمي تسنده كتيبة من المنشورات فيها بسط الأدلة والقرائن في مقابل تساؤلاتك.
الليلة بإذن الله أبين لكم السبب الحقيقي لمحاولته تشويه الشافعي فالأمر أخطر مما

تتصورون.

تحمل الاختيار..؟!

على قول المثل :"من يقبل طبيعته كمعزاة يجب أن يتحمل مسؤولية رائحته"
لا أدري لماذا لا يتحمل الناس مذاهبهم فيخفونها، خاصة في النخبة لا يتحملون مسؤولية ما هم عليه، و حقيقة شيوخهم وخلفياتهم ومراجعهم خاصة وأنهم يرفعون أفكارا واضحة المشرب؟
نعم ؛هناك أسباب وظروف قد تمنع الإنسان من إعلان مذهبه حتى ان اتخاذ قرار الانتقال إلى مذهب أصعب من تحمل إعلانه!
يجب أن ترد ما لا تقبله بدون نفاق، وتحمل تناقضاتك بتواضع، لا تتسلل كالسارق.
لا شك أن المجتمع الذي يخاف فيه الإنسان من إعلان مذهبه، ويضطر إلى المدارة مجتمع ينقصه التسامح على الأقل إذا كان المذهب إسلاميا!
ليس التسامح (على قول أحدهم) إلا الصبر على فكرة مضرة بالنسبة لنا.

اصطدام منطقية التغربيين مع واقعية عبَّاد الجرذان ..!

وأنا أتابع ما يسميه أركون تقليداً لرون هابر "الحرتقة" الواقعة عند المفتونين بالثقافة الغربية وجدت أن فكرهم لا يسعفه عقل ضروري ولا تاريخ لذا
يطوفون على فكرة مركزية واحدة تبريرية انهزامية هي
أن سبب تخلف المسلمين هو دينهم الذي يمثله intégriste مثل الشافعي!!
وعليه ؛فمن الضروري التخلص منه لكن إن أبيتم إلا التمسك به فهاكم نسخة مسكويه بتنقيح فولتير!!
ولأننا لسنا مثلهم أفكارنا واضحة صريحة نجيب عن كل شبهة لهم باستدلالها الخاص لا نمضغ نفس الكلام نقول لهم :ما بال التقدم الغربي الذي حولتموه إلى صنم يعبد يحصل عند الهندوس والبوذيين، أهو لصحة هذه الديانات؟! أم لأنه على نقد فوكو للحداثة(وبالتبعية هو نقد لكل العلمانيين الحداثيين و المابعد حداثين) نتيجة للعلوم الطبيعية بعيدا عن أي شيء آخر ؟!
وإذا كان كذلك فمن يعطل تقدم المسلمين وعندهم هذه العلوم وهي في متناولهم إن لم

تكن السياسة التي تدافعون عنها فهي من يحكم المسلمين اليوم وليس الدين.

في عبثية التجديد عند الحادثيين التغريبيين..؟

يلبس الحداثيون كلية أو نسبيا لأن الحداثة مبعثرة في عقولهم، فمنهم الملحد، ومنهم الضائع بين المناهج،وفيهم المقتنع جزئيا بأطروحات الحداثة، عندما يتحدثون عن تجديد وسائل الاجتهاد في الإسلام..؟

ولأن الخطاب الحداثي خطاب فاشل في العالم الإسلامي ـ حتى أن أكبر قرف كان يعاني منهم رائدهم هو كيف يتوسع [الأصوليون]وقدرتهم على التكيف مع الحداثة و افرازاتها كالدولة القومية في حين هو في عالم أفلاطون ـ فقد يتخلى بعضهم عن مصطلحات الانتروبولجية و البنوية ويحتفظ بالمضامين التي يغلفها بالقوالب الإسلامية، فبعضهم يقول لك: نحتاج إلى نقد العقل الإسلامي !

ومعلوم أنه ليس للمسلمين عقل خاص بهم ولكن معرفة خاصة، ولا يمكنه استهداف المعرفة الإسلامية مفصولة عن مرجعيتها ومصادرها، فلابد له من نزع القداسة عن النص،و بالتالي يطبق عليه الوسائل التي تطبقها الانتروبولجية على أغاني البدائيين ورقصهم وقصصهم عن الأفعى التي خلقت العالم !

ثم يستخلص أن نفس النمط السردي موجود في القرآن ،فالشجاع منهم و الأكثر تغربا يسميه السرد الأسطوري للعجائب الموافق للمخيال الاجتماعي يعني: نفس فكرة ابن رشد عن التمثيل التخييلي في القرآن مطورة ببعض أفكار كلود ليفي ستروس مثل: كون الفترة الشفهية في أي حضارة يعني: الفترة النبوية عندنا هي فترة العقل المتوحش .

وأما المراوغ أو المتردد في هذه النظرية فيقول لنا : الفقهاء أصابوا في فترتهم التي عاشوا فيها لكنه قد ظهرت في هذا العصر معارف كبيرة كانوا يجهلونها ، يعني أن الصواب نسبي الى البيئة؟

و إذا سألته: طيب هذا معلوم للكل لكن هذه المعارف المستحدثة المبهرة هي في قرآن جديد أم سنة مندثرة في البحر الميت أم قواعد استنباط من النصوص جديدة؟

يشبه قول الذي أراد إثبات الاختلاف بين عهد السلف و عهد المتأخرين وضرب لنا مثلا بأن أهل المدينة كانوا يقضون حوائجهم في الخلاء بينما أهل مكة كان عندهم

الكنيف، و أن النبي صلى الله عليه و سلم لم يأكل الدقيق الأبيض المنخول ولا عرفه !
هذا الصنف الذي هذب النظرية وحاول تخليصها من العبارات الصادمة للوعي الإسلامي أما المتصل منهم بالغرب أو الملحد فيعتبر علماء الطبقة الأولى على وجه الخصوص انتهازيين حتى لا يقول شيئا آخر كلما خالف القرآن هواهم استعملوا مبدأ الناسخ و المنسوخ ، لذا يجب أن نفهم أن المشرب واحد الاختلاف في التعبير و في درجة القناعة بالنظرية ومدى الاقتباس منها فقط.

المهم نحن في داخل خرافة عصرية تزعم أن أي انتقال من الشفهي إلى الكتابة سببه الدولنة وظهور النقود، وبالتالي تتحول كل المعرفة الشفهية إلى أيديولوجية !

ثم يحدثوننا عن السياق التاريخي والصيرورة كأن علمهم هذا انبثق فجاءة، ولم يأت من مسار تاريخي هو أيضا ،فنحن نعلم أن الانتروبولجية ولدت من رحم الانثنولوجية، في فكر علماني غربي ولد هو الآخر من خلط بين مفهوم عقلانية ملتبس بموقف من الميتافيزيقي غرق في اللا أدرية أو منكر بدون أساس مع العقل الأداتي.

وهكذا إذا طبق المسلم المعاصر هذا العلم على دينه فإنه سيصبح متحضرا يصنع قنبلة نووية لا يستعملها لأنه أنسانوي، فقط يقبل القتل بالأسلحة التقليدية، وسيقبل الشذوذ الجنسي والتحرر من الأخلاق لكنه سيحتفظ بأخلاقه!

كل ألوان الحداثية التغريبية ـ سواء بلحى أو برنيطة ـ متفقة أن سبب تخلف المسلمين هو عدم فهمهم لرسالة القرآن وعجزهم عن التأويل العلمي بالعقل الحداثي(تطبيق النقد الانتروبولجي) وإهمالهم السياق الحالي للحداثة(معرفية قبل الحداثة و معرفية بعد الحداثة)، الاختلاف في التعبير فقط! وكلهم يدعو للمطلق إلا من لا يعرف أين هو بالضبط، عنده مشكلة مرجعية مذاهب وتيارات (filiation) وليس المقصود بالمطلق الحقائق المطلقة المنتجة لليقين كما قد يتوهمه بعضهم ولكن اللامحدود الذي ليس له شرط أو قيد، و انه لب القرآن، يعني بالبنط العريض : اسلام بدون حدود، فقط الإيمان بالمطلق؟

و أكبر عدو لهم التمييز الفرقاني بين الإيمان والكفر ، بين للتوحيد والشرك و خصوصا الولاء والبراء على هذا التمييز، فهنا يفقدون عقولهم!، يقولون: ما هذه العبثية ..نحن في عصر إنكار المطلقات ؟ و أي مطلق تثبت أنت إذا ترفض التمييز و

الفرقان ، وكيف تثبت حقيقة واحدة مطلقة إذا لم تكن لها حدود تميزها عن غيرها ؟
وكما كانت الانتروبولجية أداة الاحتلال الغربي للعالم فهي لليوم كذلك يحتل بها عقول الضائعين من أبناء الأمم.
هذا وغيره قد يضعه بعضهم مراوغة تكتيكية تحت عبارة "تجديد وسائل الاجتهاد الإسلامي"، لكن الأرضية والمرجعية البراديجمية والهدف واحد، فقط التلبيس بتغليف المفاهيم الغربية بعبارات إسلامية.
وإذا قبلنا أن الفقيه المعاصر يمكنه الاستعانة بالعلوم الإنسانية في إنزال الحكم الشرعي فمن باب توسيع إدراكه للواقع وليس إدراكا للحكم الشرعي واستنباطه الذي يبقى خاضعا لوسائل النظر في الأحكام الشرعية الإسلامية، أو قل من باب تجديد منهج قراءة الواقع وليس قراءة النصوص.
وعليه يحتاج الاجتهاد الإسلامي إلى تحقيق التراث بالاجتهاد الإسلامي المطعم بما ذكرته ،وليس إلى تجديد التراث بالانتروبولجية لأنها محل نقد كبير حتى في الأوساط الغربية لكن الحداثي عندنا لا يزال يأكل من خبز كلود ليفي ستروس،وغودي و ليمير ورولز وحمولات السبعينيات؟!

ما بين الوصف والإدانة.. ؟
إذا قلت :هذا كلام شيعي باطني اتحادي (وحدة الأديان) مصادم لصريح القرآن والسنة!
قامت قائمة بعضهم أو بعضهن! و قالوا لك :"c'est une condamnation !"
Ah bon, vraiment !؟
لماذا تخنق الحقيقة الإنسان فيتكأ على عاطفته لردها إذا كان فعلا تنويريا على أنوار الغرب التي لم تجلب إلا الظلمة! ؟
طيب إليك ما يفرق بين اليقين ونبرة الاندهاش كأنها مصباح كشف كل فساد المقدمات لأجل أن الخلاصة فيها إدانة.
Cher ami des lumières sans lampes ! :
لا يحتمل العلم إن كان مبنيا على منهج ثابت مسبقا وليس مجرد قفزات بحسب الرغبات والميول الخروج من دراسة قضية بدون حكم عليها سلبا أو إيجابا،وإلا كيف

نفرق بين التصورات الساذجة والتصديقات.
إذن؛ المشكل ليس في الإدانة لأن كل إدانة هي حكم، ولكن في قيمة هذه الإدانة، وبالتالي هذا الحكم:هل هي جزافية أم مبنية على مدخل وجسم مقالة يعج بأفكار مقرونة بأسبابها وخاتمة سالت بدون إكراه ؟!
ثانيا :عندما أقول :هذا قول الشيوعيين ،أو قول شيوعي لا يعني أن القائل شيوعي ولكن قوله هذا قول شيوعي!
ثالثا:عندما أقول :هناك لوازم تبقى على صفتها حتى يتبين الأمر، فهذا يعني أنها لوازم وليس تحقيقا بوليسيا!
رابعا :من يتكلم عن "نقد العقل الإسلامي" و"تجديد الاجتهاد" في الأمة، و يحصره في أهل السنة، فإما أن الشيعة ليسوا من الأمة، وهو اساسا ينكر علينا التمييز العبثي بين التوحيدي والوثني فكيف بالتمييز بين السني والشيعي؟!فيلزم أنه طرح شيعي..! ومن ينكر التمييز بين الإسلامي والوضعي... الخ فإنما يريد اسلاما بدون جدران تفصل بين الداخل وبين الخارج، وهذا يقوله الباطني والاتحادي الذي يقول بوحدة الأديان!
في الأخير :هذا الوصف والحكم هو بالنسبة لكل قارئ حكم تقديري حتى يقتنع أو لا يقتنع بالمقدمات.
بالنسبة لي هو وصف وإدانة لأن هذه الأفكار عندي في حكم الأشياء الفاسدة المضرة. والقارئ عنده عقله ليحكم لكن لا يعترض علي بأنها إدانة فهذا سخيف.
“Quand on ne peut revenir en arrière, on ne doit se préoccuper que de la meilleure façon d'aller de l'avant.”citation
.Alors , on peut prendre congé du débat , pour se rincer les idées

المرجعية.. ؟

في أي عمل علمي نجد نوعين من المرجعيات :
الأولى "مرجعية اعتماد" وهي مرجعية التيار أو المذهب أو المدرسة التي ينتمي إليها الكاتب، والتي في الغالب يعتمد على نظامها المعرفي ويدافع عنه إلا في نقاط فرعية يسيرة تكون من قبيل اختلاف درجات.

الثانية:مرجعية استشهاد، وهي مرجعية تعضيد أو تمثيل ،تدخل في حقل جمع المعلومات وتوسيع البحث.

وعليه؛ إذا أردت أن تعرف مذهب كاتب ما فانظر في مرجعيته، ولا تهتم كثيرا لما يقوله عن نفسه، و يتعذر به فإن إخفاء المذاهب السيئة السمعة عند الباحثين كثير جدا.

تعلموا التدقيق في مرجعيات من تقرؤون له، وتعلموا علم المقالات خاصة المقالات المعاصرة (المذاهب والتيارات)

الحق مطلق والحقيقة نسبية؟

هذا شعار "القبالة اليهودية" _"الغنوص" _" الأفلاطونية" _" الإشراق" _" الاتحادية" _" وحدة الوجود" _" الباطنية" _" الماسونية" (قد يقوله صادق لا يعلم فحواه ومداه).

في" مابعد الحداثة ":الحقُّ والحقيقة نسبيان.

في القرآن والسُّنَّة :

الحقُّ معيُّن لأنَّه موصوف بصفات الإثبات ،والحقيقة مطلقة في الوجود فلا شيء هو شيء آخر.

نسبية في الذات لأنَّ العلم يتفاضل بين النَّاس.

الكلمات والمعاني..و التعليقات.. ؟

عندما تكون الكلمات مشحونة بالعاطفة تتجاوز المعاني.

لكن في الحقيقة هي لم تتجاوز المعاني ولكن التسرع يلغي سبر الحالة.

عندما تكون المساحة في العقل بين وقت ظهور الفكرة وبين وقت التعبير عنها ضيقة يكون العقل في وضع القيادة الآلية.

في عقلك مساحة للحرية اجعلها كبيرة بالبقاء فيها طويلا قبل التعبير.

اجمع عقلك، وكن حاضرا في اللحظة.

فيروس الفشل..!

عندما يُحبط الناس لا يكون رد فعلهم تصحيحا لدنياهم على أساس "إذا لم يعجبك شيئ

غيِّره، وإذا لم تستطع فغيِّر موقفك " ولكن على حساب دينهم، لأنَّ التميُّع أسهل وأقل كلفة في اللحظة.
المشكل أنَّ النخبة القائدة للسياسة، أو للفكر الديني أو الدنيوي لا تعرف الطريق حتى تدل عليه، و الأسوأ أنَّها عندما تعرفه لا تسلكه هي أوَّلا (عكس مقولة ماكسويل).
و المحصِّلة أنَّ الفاشل يبثُّ الفشل حتى وهو ساكت.
....
الذي أذلَّ القط و أفزعه إدراكه المفاجئ أنَّ الحياة في البرية غير الحياة في البيوت..!

وقت الحلو ...

(لا تزهد فيمن يرغب فيك، ولا ترغب فيمن يزهد فيك).. ابن حزم
لأني قد أذكر بعض المعلومات النفسية العامة المتوفرة لأي انسان يبحث عنها يظن بعض الطيبين أنهم قد يجدون عندي العون على بعض مشاكل الحياة الأسرية أو الاجتماعية .
والحقيقة أنه ليس عندي إلا ما غنمته من تجربتي، أو التقطه سمعي من أحاديث الناس أو مرَّ عليَّ في كتاب.
ومن المشاكل المتكررة مشكلة "الخيبة في الصداقة" و تأثيرها السلبي على نفسية الإنسان؛ و غالب الناس يجد في نفسه رغبة و حاجة ملحة الى الصداقة لا يمكنه دفعها ، لكنه يصدم بحقائق الواقع .
عندما تؤلمنا الخيبة فهذا أمر عادي لكن عندما تكون كبيرة وممتدة فالخلل فينا، لأنه حينما تتوقف سعادتك على تقييم الناس لك فهذا خلل توازن انفعالي سببه أنك تريد الشعور بأنك "موجود" في نظرهم،وهذا ينسيك نفسك، وفي الله غنى عن كل موجود، وعوض عن كل فائت؛ و في الناس أحباب لم تلقاهم بعد...
أكثر الناس فيهم فزع فلا يظهرون حقيقتهم و يكتفون بالعلاقات السطحية !
تنشأ الصداقة من علاقات الطفولة في مدرسة ،أو مجاورة في سكن،أو مشاركة في جمعية ... الخ أو من التقاء على مثل هذه الأسباب بعد البلوغ؛ رفقة وزمالة تتحول إلى صداقة.
و أكثر الصدقات مبنية على تشارك لحظة استمتاع بلذة ما ، وعلى التعاون البيني لكن

الصداقة لا تنشأ بسبب هذا،و لكن لأنهما كما هما، يعني: التشابه؛و تتوقف هذه الصداقة عندما تتوقف الحاجة .
و بحسب أهل المجال لا تكون الصداقة الحقيقية إلا بين شخصين:ناضجين - مسئولين –متزنين- كرماء لأنها تستلزم ثقة كاملة في الآخر،ورغبة للعيش في الحقيقة (بدون تزيُّن) مع حب الخير للآخر.
في هذه الحال لا تحتاج الصداقة الى تواطؤ كلي، و تأخذ وقتا لتستقر لأنها تتطلب معرفة الآخر؛ و أكثر ما تحتاجه الصداقة هو "التواضع"لأنها تحتاج إلى نظرة واقعية للصديق ، لا تنقص من فضائله، ولا تضخِّم عيوبه ،وعلى هذا ؛لا تستعجلها.
لا يمكنك أن تعجب ولا أن تقنع الجميع فلا تضيع وقتك في محاولة إرضاء من يزهد فيك، أو من يحاكمك، و على قول أبي عثمان المغربي:"لا تثقن في مودة من لا يريدك إلا معصوما ".
كن أنت ...و حسِّن نفسك لله تعالى وحده تكون خيرا للناس وعلى الناس.
الحياة لا تُبنى في يوم، و السعادة ليست غريزة، اهتم بنفسك، و خذ حظك من الدنيا(و لا تنس نصيبك من الدنيا).
ولا تفقد بهجة الحياة ، فلذة مباحة صغيرة قد تجعلك سعيدا، و الأمور الصغيرة المقدور عليها تسعد من الكبيرة المعجوز عنها .
خذ وقتا لنفسك(و إن لنفسك عليك حقا) ساعة لك وحدك، ساعة لا تعيد فيها شريط الماضي ولا تستشرف المستقبل، ولا تدع المعركة لتكون سعيدا غدا؟ تنسيك سعادة اليوم .
و اقض وقتا مع من تحب من الناس كأبويك، وكن رفيقا معهم، وقدم لهم ما تقدر عليه من الهدايا (تهادوا تحابوا) و افرح غيرك تفرح.
وليكن لك شغف في مفيد كعلم نافع أو عمل مفيد وهواية جميلة، فإن الشغف يغذي النفس ، و به تزدهر؛و اعط لحياتك معنى شريفا.
لا تكن كمن عنده شراهة إلى السكر فإن الإكثار منه يفسد البدن، و لذلك خلق المر ليجعل الحلو لذيذا، فاحرص على سلامك الداخلي، ومن عمَّر قلبه بذكر الله سكنت نفسه..فإن الثابت عند الأهوال من يتذكر أن يذكر.
إذا ما وضعتَ القلب في غير موضع ***بغير إناء فهو قلب مضيع

و إنما خلق القلب ليعرف الحق و يريده،لذا يمكنك أن تسمو بالصداقة إلى مراتب الإخلاص في كل شيء،فلا تنتظر العوض من صداقتك؛ و عزائمك عند صفاء الصداقة و المخالة من جهتك فقط (إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا)... وهذا حديث آخر ...

و بالسكَّر نفارقكم ...

ضرورة الانتباه حال القراءة إلى الحلول المنهجية:

الإشكال في القراءة عندنا أننا لا نقف عند الأجوبة العلمية التي تحل إشكاليات علمية معقدة فرضها المنهج الغربي..؟!

و لست أدري أذلك من تفاوت كبير بين ما يعرفه شبابنا المثقف عن الفكر الغربي وبين المستوى الذي يدور فيه هذا الفكر، أم أن الاطلاع منصب على الخلاصات وليس على المناهج المعتمدة في توليدها؟

و المهم أن ثقافة الشباب ضعيفة بشكل محير..!

و أتساءل بأي منهج(غير المسلمات) يدفعون الأطروحات التغريبية.. ؟!

المعركة ضخمة جدا، لم تترك ساحة حتى للجرحى، و لا تعترف باتفاقية جنيف، و الطابور الخامس في كل زاوية، ولا نبدل جهدا يوازي أهميتها؟!

يذكرني هذا بتكليف النبي صلى الله عليه وسلم للصحابي الجليل "زيد بن ثابت" بتعلم اللغة العبرية للاحتياط من مكر اليهود، وكيف كان امتثاله رضي الله عنه!

لقد كانوا فعلا أهل رسالة.

أقول هذا لأن الخطاب الإسلامي المعاصر مملوء بمفاهيم و مصطلحات لا تناسب نظامنا المعرفي إلا جزئيا، ولا يجد نقدها اهتماما كما يجده توظيفها في نقد الفكر الإسلامي داخليا..؟!

ويجب أن نعلم أن السموم المنهجية هي التي تعفن الفكر، فالمفاهيم المنهجية هي التي تحدث تغييرا في الذهنية لأنها تعمل على هياكل الفكر فتدمر ركائزه و تفقره من خصائصه.

و"الخشارة" التي نجدها في خطابنا مرجعها إلى المفاهيم المنهجية الغربية التي نعتبرها مشتركة وهي ليست كذلك.

وعليه؛ احرص على تكوين عقلك بطريقة جيدة لأنه خير من عقل مملوء بالمعلومات دون منهج أصيل.

مرحلة الخبز الضائع (المحمص) ..؟

من الطبيعي أن يسعى الإنسان إلى إضافة الجبن إلى الخبز الحافي.. لكن ليس بالانشغال بالشهرة واستعجال العلم..!

لم يجمع القرآن بين الصبر واليقين لأن هناك طريقا ممكنا آخر..!

الدين كموقف إيماني ليس وسيلة للعيش لكن كعلوم يمكن أن يكون وظيفة، غير أن الفصل صعب لأن الدين موقف فعَّال بعلومه فتأتي المعيشة بعلومه بعد التأكد من أنها بلغت النضج اللازم لأداء المهمة الأولى.

بُعد نظر العلماء..!

روى وكيع بن الجراح في مكة حديثا ضعيفا (لم ينتبه لضعفه) فنصب له أهل مكة الأخشاب لشنقه، وما خلصه منهم إلا سفيان بن عينة قال لهم :"أتقتلون عالما روى حديثا صحيحا"؟!

وما قال ذلك إلا لتخليصه من الموت!

ودخل البكري مسجدا فوجده بدون ضوء وكنيسة قريبة منه مضاءة فغضب وذهب للكنيسة وأخذ ثراياها وأضاء بها المسجد فشكاه النصارى إلى السلطان فأحضره وفرش النقع لضرب عنقه! وما خلصه الا ابن جماعة بشبهة.

العلماء يعرفون قدرهم في المجتمع ولو تعارضوا، و لا يستعدون القضاء أو السلطان على بعضهم بعضا، ولا يسعون لقطع أرزاق من خالفهم بموقف فقهي.

وكذلك على الشيوخ اجتناب حدة اللهجة فإنها تثير العداوة، والحذر الشديد في استعمال مصطلحات الأسماء و الأحكام في خلافهم.

عالق في الفراغ.. (!)

كثير منا يمر بفترة يشعر فيها أنه عالق في داخل حياة مملة وفارغة، الأيام تتشابه ولا يرى جديدا في الأفق.

عندما يهيمن عليك هذا الشعور لا تعرف ما عليك فعله لتتقدم، لتخرج من هذه الحال، ما الذي عليك تغييره(؟)
تشعر أنك وصلت للحد.
المشكل هو أن ما تعيشه غير متعامد مع ما تأمله.
في هذه اللحظة تهتز القناعات وتنهار عزائم الناس، ولا يبقى لهم إلا العالم الآخر فمنهم من يلجأ إلى قبور والديه(!) بينما كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة.
هنا تحتاج أن تنفصل عن المشكل، تهرب منه لفترة دون أن تنكره، تذهب في عمرة أو رحلة روح أو ما شابه.
تحتاج إلى مكان يتباطأ فيه الزمن الدنيوي ، لتعيد النظر إلى داخلك فعندما ينزل الضباب ويحد الرؤية إلى عشرة أمتار لا تتوقف، تقدم تلك الأمتار لتر أبعد.
عندما تحاصرك أسئلة لا أجوبة لك عليها فهذا عند أهل الدنيا وقت المغامرة، وعند المؤمن وقت الاستسلام : وقت التوقف عن الدوران في فراغ، و انتظار المعونة من الله فإنها تأتي بقدر المؤونة.
و المعونة ليست دائما فرجا ماديا فإن اللّٰه يهب الصبر بقدر البلاء (و قد جف القلم بنصيبك و أقساطه و أزمنتها) فقد تكون مؤنتك: قلة يقين عدم قناعة، ضعف بصيرة، فتكون المعونة رأيا صالحا، أو حالا قلبيا يعيد إليك السلام، أو ترزق به القناعة دون انقطاع الرجاء في الزيادة لكن مع راحة البال وبركة في اليد والبطن.
كما قال أحدهم :يقول (الأنا) :كل شيئ يأخذ موضعه و سأجد السلام؟
وتقول (الروح) :أجد السلام، وكل شيء سيأخذ موضعه.
اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام.
السلام من الله وحده؛ (واتبع ما يوحى إليك واصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين).

نصيحة من قرون خلت..!

لم ينل أحد شيئا من ختم الخير نبي فمن دونه إلا بالصبر، فلا تسأم من الدعاء فإن العبد يستجاب له ما لم يعجل (كما في الحديث).

وإذا صبرت على الموانع لا يلبث أن يؤيدك الله بروح منه، ويكتب الإيمان في قلبك.
لكن عنوان الصبر هو الحرص على الصلاة باطنية وظاهرة، وعلى القرآن فإنه مأدبة الله، وورد الذكر في النهار وعند النوم، وبالاستغفار بعد التوبة يمتعك الله متاعا حسنا إلى أجل مسمى.
واجتهد في الحوقلة فبها تحمل الأثقال وتكابد الأهوال وتفتح الأقفال وينال رفيع الأحوال.
هذه نصيحة ثقيلة على النفس بخلاف نصائح علم النفس لكنها الحل الوحيد صدقني.
ومادمت تأباه فأنت عالق في الطين..!
تحليلات علم النفس المعاصر جيدة في الغالب ومفيدة في شرح الأسباب الواقعية لكن الحلول التي تقترحها ظرفية تشبه تأثير المخدر.
أما الحل الديني فجذري لأنه يفسر لك واقعية حالتك ومنطقها الميتافيزيقي (الغيبي).

العفو وحب النفس ..!

حتى الإنسان الخير عندما يغفل عن ذكر ربِّه قد تعتريه غلظة، ويكون _أحيانا _وقحا سليطا..!!
يسمح لك الذكر الدائم أن تستخلص من نفسك _في لحظة الغضب _الصبر ، و أن تمنح العفو.
يفرغ العفو نفسك من شرِّ الضغينة ويملؤها بالاحترام وحب الخير للمسيئ .
كما قيل :يأتي العفو من القلب وليس من الرأس، لأنه ليس عملية حسابية ،ولكنه هدية مجانية تدل على ثراء قلبك بالإيمان، فإما تعفو، وإما تتململ.
عندما لا تعفو تسيئ أنت أيضا، بشكل من الأشكال. فحتى عندما تقول :"الله يغفر له مسكين!" فتلك نميمة!!
{الشيطان يعدكم الفقر و يأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا}.

تحدَّ نفسك..؟

فيما عدا حدود الله التي فيها نجاتك وسعادتك يوجد في كل مكان حدود عرفية، أو اجتماعية، أو حتى علمية أو مذهبية تسجن طاقتك وتبقيك في مكانك كما أنت!

وقد يضع الإنسان لنفسه حدودا، وقد يتوهم وجودها.
لن تتغير، ولن يتغير وضعك بدون أن تتحدى أولا نفسك، وحينما تفعل ستجد أنك قادر على كثير من الأشياء، مثل: ذاك الكهل الذي لم يكن يعتقد أنه في إمكانه العدو لمسافة 20 كلم، أو ذاك العجوز الذي ختم حفظ القرآن قبل موته بشهر..!!
يجب أن ترفع رأسك لتفكر أبعد من النقطة المعتادة،حينها ستدرك أنه يلزمك الخروج من منطقة العادة، منطقة الرفاهية لتتجاوز قدراتك للوصول إلى أهدافك الجديدة.
قد لا تصل إلى كل أهدافك لكنك ستبلغ بعضها.
أن تتحدى حدودك الجسمانية كما فعل ابن أم مكتوم الذي تحدى عائق العمى وحمل راية المسلمين في القادسية، أو العقلية كما فعل واصل بن عطاء الذي تحدى اللغة العربية فتكلم بها مناظرا بدون حرف "الراء"، أو الاجتماعية كما فعل كل المصلحين هو أن تتجاوز حدودك الذهنية، فهي من يجمدك في مكانك،لأنك تستطيع أن تحفظ وتتعلم ما تشاء،وتستطيع أن تفعل أمورا كثيرة تبدو لك الآن مستحيلة.
لن يتغير شيئ إذا بقيت في مكانك المريح نسبيا..
لا شك أنك لتحقيق ذاتك بحاجة إلى الخروج من الصف، الابتعاد عن السكة للسير على طريق غير معهود لك، والذي يبقى أقل ثمنا من عدم التحرك.
يجب أن تخرج عن الصف بتفكير جديد لأن المجتمع(في الغالب) لا يسمح لك بالوجود في فردانيتك، فنحن نماذج مدفوعة للتطابق فيما بينها،ولهذا يخرج(في أحيان كثيرة) الولد على مهنة أبيه.
ولأجل ذلك تحتاج إلى"الجرأة"...فكيف تتجاوز حدودك و أنت خائف يشعر بالضعف..؟!
... وهذا حديثنا القادم إن شاء الله تعالى.

حياة السَّاخط.. ؟!
يظنُّ الساخط بالله غير الحقِّ سواء كان السخط على الشرع (وهذا خطير جدا) أو على القدر.
الاتِّجاه الوحيد لحياة السَّاخط هو دائري، يبذل جهدا عظيما ،و يتقدَّم بدون توقف لكنه لا يصل إلى شيء إلا أنَّه يجد نفسه دائما في المكان نفسه..!(لأنَّ الأسباب لا تغيِّر

المقادير، فمهما كانت فهي ناقصة بدون مشيئة اللَّه).
وإذا كان سيجد يوما ما طريقه فسيكون بدون شكٍّ رَدْباً (طريقا مسدودا).
و عزاءه الوحيد أنَّ الطُّرق المسدودة لا تترك الأوهام {وجد اللَّه عنده فوفَّاه حسابه}
مشكلة السَّاخط ليست في تعطيل الأسباب، ولكن في عدم الرضا بما قسم اللَّه له.! وقد يكون غده أفضل من يومه إلا أنَّه في لحظته غير قانع(قد أفلح من هدي للإسلام ورزق الكفاف وقنع)أحمد.
حقيقة الغنى هو الاستغناء ومن رضي بقسمة اللَّه جعله أغنى النَّاس ليس بالمال ولكن بعدم الحاجة المنافية.
يشبه هذا السعادة، فهي ككلمة لا ندري ماذا تعني بالضبط، و أي وضع إنساني تغطي إذ نجد صاحب المال تعيسا لأنَّه محتاج إلى صحة أو عاطفة، أو ولد، أو إيمان..الخ ؟!
ونفس الشيء مع الفقير قد يكون تعيسا وقد يكون سعيدا؛ فلا مجال لقياس سعادة النَّاس لكنك بدون شكٍّ تعرف إن كنت سعيدا أم لا؟
و المقصود أن ترضى وتتخذ الأسباب ،فذاك السَّبيل الوحيد لتشعر بالغنى والسعادة، ولو بدون الثراء.
و عليه فإنَّ الشعور بالمراوحة في المكان قد يكون سببه السخط لا غير.
هل منع علماء النَّفس وخبراء التنمية البشرية الفقر..؟
هل غمرت النَّاس السعادة لمجرَّد أنَّهم يعيشون في بلاد مزدهرة ..؟

قال الياباني :لقطع النهر إمَّا تتبلل، وإمَّا تبني جسرا.
إنَّما أحدِّثكم من تحت الجسر..(!!) افهم إن استطعت(؟!)

كتاب..؟
من يتفضل و يرسل لنا نسخة pdf من كتاب (dialogue des marabouts)
.De miguel de Cervantes et hassan Pacha veneziano
ترجمة "Fred Romano " أوت 2017 م.
قضى سرفنتس مؤلف دونكشوت 10 سنوات سجنا في الجزائر العاصمة، وفرَّ منها إلى وهران إلى الحصن الإسباني.

ويبدو أنه التقى في فترة سجنه بحسن باشا(وهو رجل من أهل البندقية كان نصرانيا يحمل اسم "Antonio manitius"
وانتقل إلى الإسلام، وصار من بايات الجزائر) ودار بينهما حوار حول الأديان.
تقول المترجمة: إنه كتاب بارع (magistral) حوى الشهادة على معركة simancas (التي ضاعت وثائقها) برؤية عربية.
كما تضمن مرجعيات لمذهب الإنسانية و أسرار النهضة (الغربية).؟؟
و قد اشتعل الشغف لقراءته.
Marabout =مرابط (بالمعنى الصوفي)

في الحياة..!!
... إن لم تتوقف بين الفينة والأخرى لتنظر حواليك ستجد أنها مختصرات تتكرَّر في كل يوم، وعيب المختصرات أنها تفوِّت عليك أشياء تستحق الوقوف عندها.
لقد رأيت أشخاصاً لا ينقصهم ذكاء ولا طاقة مرُّوا (لهذا السبب) بجانب حياتهم..!!
لذا ربما حان الوقت لك لطيِّ الصفحة و الانتقال إلى الأشياء الأكثر أهمية مهما أخذت من وقت.

مرض العزوف عن القراءة والتعلم!
أنت لا تقرأ، ولا تحضر حلقات العلم ليس لأن المعرفة مركمة أمام أبواب بيتكم، أو لأنك مشغول بدراسة أو عمل، فأنا متأكد أنك تبذر أسبوعيا أكثر من ساعتين في المقاهي أو ما يشبهها..!!
أما مواقع التواصل فصارت لك كالطعام، وربما سيأتيك الموت يوما ما و أنت موصول بها كأنها مصل حياة..!
لا يوجد سبب للعزوف عن القراءة والتعلم إلا إيثار الاستمتاع، وأعظم مصدر للمتعة اليوم منصة الفيسبوك حيث يشعر "أناك "أنه موجود..!
كما في المقهى تشعرنا الثرثرة أننا أحياء؛ لكن خذ هذا :قيمة حياتنا تساوي الجهد الذي نذبله، فما هي قيمة حياة هذه الأمة عندك..؟
هذا هو السؤال الذي عليك أن تنشغل بالإجابة عنه.

القراءة وحضور مجالس العلم فعل جاد، يعبر عن حضور العقل الواعي، و أن صاحبه تجاوز عتبة الاستمتاع بالكسل والخمول العقلي.
و هنا فقط يجد لذة العلم، ويقتنع بأنه نور يبدد كل الظلمات، و يثق بأنه قادر على انتشال الأمم من جحورها.
محال أن يستطيب الطفل الطعم المر، فهذا تذوق يتدرب عليه البالغ العاقل.

الحضارة ... إشكالية المفهوم الذي تعارض به النصوص ؟

الحمد لله وحده و الصلاة و السلام على من لا نبي بعده.
يعاني مفهوم الحضارة من إشكاليات علمية كثيرة، لأن التاريخ يستعصي على حصره في زاوية، و لم يجد الغربيون وسيلة لتجاوزه إلا بتقسيم الحضارات إلى أنواع، وهذا لا يرجع إلا انها فعلا أنواع ،ولكن لاختلاف الاختصاص العلمي المنظور به،
فالحضارة عند المؤرخ و الفيلسوف غير الحضارة عند علماء الاجتماع، و غير الحضارة عند علماء الانتربولوجية .
فيمكن أن نقول :هناك زاويا مختلفة للنظر في المفهوم ،فلقد شهد التاريخ قوى هيمنت على الأرض،ولدت وعاشت ثم ماتت، من البابليين و الفراعنة و الاغريق و الفرس و الرومان و المسلمين .. الخ
لكننا عندما نفحص تاريخ هذه القوى أو الإمبراطوريات نجد أن مسارها غير مسار الثقافة فهناك قوى زالت وزالت معها ثقافتها،وهناك قوى زالت كفاعل سياسي و اقتصادي لكن بقيت ثقافتها حية مقاومة، بل و تنافس ثقافة المهيمن في بعض المجالات .
و السؤال: هل الحضارة مساوية للثقافة أم للقوى العسكرية،لأننا شهدنا التتر غزو العالم عسكريا لكنهم ذابوا في ثقافة المسلمين و ثقافة الصين ؟
وما معنى العزة التي نفتها النصوص عن المسلمين في حال ابتعادهم عن دينهم؟
هل الحضارة هي القوة العسكرية الجبارة أم التفوق العلمي التقني أم هي التفوق العلمي التقني وحده أم مع التفوق السياسي و الاجتماعي ، فهناك دول عندها تقنية متقدمة لكنها خسرت الحرب ففقدت عزتها و أصبحت تحت هيمنة قوى أخرى مثل اليابان و ألمانيا.

وهناك دول عندها تفوق تقني و ليست منتجة للثقافة ولا مصدرة لها مثل الصين و تيوان ،وحتى المكسيك و الشيلي و مصر نالوا جوائز نوبل في الاداب وهي دول متخلفة.

لقد زالت الحضارة الإسلامية بمعنى القوة العسكرية و الانتاج العلمي و الدولة المزدهرة و بقيت الثقافة الاسلامية و العلوم الأدبية و الشرعية و اللغة ..الخ.

وهذا يدعونا إلى التمييز بين مفهومين للثقافة، المفهوم الانتربولوجي الذي يعتبر الشطح ثقافة، و مفهوم فلسفة الأنوار الذي يخلط بين البداوة و الوحشية.

لقد تحملت كلمة"حضارة" عبر العصور بمعاني كثيرة آخرها التعريف الانتربولوجي تعريف القرن العشرين ؛ بالنسبة اليَّ تعريف الحضارة بالثقافة على المفهوم الانتربولوجي غير دقيق لأن الثقافة هنا تعني نوعا من التنظيم الاجتماعي و أغاني و فلكلور و شيئا من المعارف البدائية ، يعني: كل نظام اجتماعي فيه نوع شرطة ،وعادات عرفية مشتركة هو حضارة ثقافة..؟

و على هذا تكون لشعب الماوري في المحيط الهادي،و لشعب جزر فيجي، وسكان أستراليا الأصلين حضارة، و كذلك بعض المناطق في أفريقيا السوداء ...؟

وهذا تعريف ما بعد حداثي يفند نفسه بنفسه فهذه الشعوب فقدت كل شيء في مقابل الحضارة الغربية ،ومنها من فقد لغته و تاريخه لأنه غير مكتوب ، وبعضها يكاد يزول من الوجود كأمة مثل الهنود في الأمريكيتين.

التعريف الذي يفرض نفسه هو ان الحضارة قوة اقتصادية و سياسية و عسكرية مصهورة في ثقافة حية منتجة للمعارف الادبية و العلمية الطبيعية تتضمن الدين و اللغة و الفنون و تهيمن على مساحة كبيرة ،و تشع على غيرها بفكر في مختلف مجالات المعرفة.

في هذا التعريف تدخل الأمبرطوريات المشيدة للعمران و المنتجة للفنون و الاداب و التقنية، و يمكن أن نقول: لقد كانت القوة العسكرية دائما مرتبطة بتقنية سلاح جديد او بتكتيك عسكري جديد.

من هنا لا بد أن مفهوم العزة توضح بصورة جلية و صار مرتبطا ببعدين: الاقتصادي و العسكري ، فروسيا اليوم دولة تملك عزة عسكرية بحيث لا يمكن للعالم أن يعيش بدون روسيا لكنها تتعرض لعقوبات اقتصادية و سياسية، و يحجم دورها في كثير من

البقاع حتى عند حدودها لان اقتصادها يساوي الاقتصاد الاسباني ..؟
فإذا ما كان هناك تفاضل ضروري بين الاقتصاد و القوة العسكرية فبالضرورة البعد العسكري هو المعتبر، فهناك دول عندها اقتصاد قوي و أخرى عندها رفاهية مادية ومع ذلك العزة بعيدة عنها كثيرا.
وعلى هذا نجد ان النصوص التي أخبرت عن أحوال المسلمين عند ابتعادهم عن الدين و تعطيلهم لكتاب الله مثل : (يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها»، فقال قائل: ومِن قلة نحن يومئذ؟ قال: «بل أنتم يومئذٍ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن في قلوبكم الوهن»، فقال قائل: يا رسول الله وما الوهن ؟ قال: «حب الدنيا، وكراهية الموت).
و قوله صلى الله عليه و سلم : (لم تظهر الفاحشة في قوم قطُّ حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم الذين مضوا، ولم يُنقصوا المكيال والميزان إلا أُخذوا بالسنين وشدة المؤونة وجور السلطان عليهم، ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا مُنعوا القطر من السماء، ولولا البهائم لم يُمطروا، ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلط الله عليهم عدوًّا من غيرهم فأخذوا بعض ما في أيديهم، وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله ويتخيروا مما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم).
و أيضا (إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ ، وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ ، وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ ، وَتَرَكْتُمُ الْجِهَادَ ، سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا لَا يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ).
لم تنف عنهم الرخاء المادي بل العكس جعلت السعي خلفه على حساب الواجبات الدينية هو سبب هوانهم، فهي إنما نفت العزة بصريح العبارة ، ولم تنف فيضان الدنيا عليهم، ولا يمكن أن يكون شعب عزيزا في هذا العالم بدون قوة اقتصادية و عسكرية ، وهذا ممتنع بدون تقنية متطورة أو معارف علمية قوية.
و بالتالي هذا الى اليوم ممتنع عن المسلمين ،و الواقع اكبر شاهد على ذلك، لا توجد فيهم دولة عزيزة ، و أية عزة عندهم فهي ممزوجة بذل وهوان كبير ،و تحت حماية قوة عالمية، أو بسبب الانضواء تحت حلف قوي .
و الدول التي تعتمد على السياحة ماذا سيكون حالها سياسيا داخليا و خارجيا،و اقتصاديا داخليا لو منعت الخمور و العري و المجون ..؟
يخلط بعضنا بين مفهوم الدنيا في النصوص و بين الحضارة سواء كثقافة حية أو

كتقنية و اقتصاد وقوة عسكرية ،وهما مفهومان مختلفان جدا سبق و أوضحته،كما يخلطون بين المعاصرة التي هي تحديث وسائل العيش في مختلف المجالات و بين الحداثة كفلسفة وفكر اجتماعي و سياسي و اخلاقي و أسلوب حياة .

هناك دول متخلفة غنية، تستهلك التقنية بشراهة أكثر ممن ينتجها، و تعيش في الزجاج، ومع ذلك هي ذليلة و غير متحضرة على المفهوم الذي رجحته في هذا المقال .

لحظات ضائعة ..

هي لحظات القبح، اللحظات التي عشت فيها بدون وجدان، والتي عشت فيها بدون شعور بالحاجة إلى جمال الباطن.

هي كل الكلمات غير اللازمة التي خرجت منك.

هي كل التفاهات التي فعلتها أو اهتممت بها.

عندما يتقدم الإنسان في العمر ينضج ذوقه ويقوي وجدانه ،يكتشف(على قول أحدهم) أن حياتنا لا تكفي بدون أدب (بمختلف أشكاله) راق سليم.

تكلموا ولم يقولوا شيئا..يا له من فن ..!

بعض الناس يكتشف أن فكرته غير مؤسسة علميا لكنه يعد نفسه من الطبقة المثقفة المنفتحة لأنه يعرف توظيف بعض العبارات الغامضة على عموم الناس، فيحاول إثبات وجهة نظره رغم فقرها، ولا يدري أنها مجرد شبهات ملقنة أخذها عن أناس يعانون من استيلاب ثقافي أو عندهم أزمة نفسية اتجاه الشريعة. فمعلوم أن كل من يريد التحرر منها لا يريد أن نظنه منافقا فيشعر بضرورة تأصيل الأزمة بمذهب فيدخلنا في عملية فكرنة التافه.

وهي أن تقول شيئا غير مهم أو بدون صلة مع كلام من يدافع عن الشريعة.

وإذا كان الهدف من الكلام هو التواصل من خلال استعمال كلمات لها معان محصلة في سياق يخدم فكرة فإن الكلام عند هؤلاء ثرثرة فخمة لأنها محشوة بمصطلحات علمية تستعمل في غير موضعها، تنقل معلومة مجملة من حامل إلى آخر فيما يشبه (reformatage) لكن من تلقاء أنفسهم.

ليس المقال العلمي هو حشو المصطلحات ورميها في وجه القارئ فقطع السيارة المفككة في صندوق ليست سيارة.!
للمصطلح وظيفة خطابية في الخطاب العلمي ليس للتشغيب أو إخفاء العجز عن مقاومة الأطروحة المضادة فالافراط في المصطلح دليل ضعف الفكرة وخوائها من محتوى مفهوم متماسك.
المهم أنني وجدت مقالات أصحاب "الإسلام الحداثي" ، وهو الإسلام المبدل الجديد مجرد كلمات بدون فائدة ولا حاجة إليها.
طيب؛ سنعرِّف لكم الحداثة فاخبرونا أي أجزاء الإسلام تريدون اقتطاعها منه ليصبح حدثيا..؟!

ملذات الزهاد..!

كان العارف بالله يحي بن معاذ الرازي مولعا بالرمان ،وكان المحدث العظيم المعلمي مولعا باحتساءالشاي.
هذه ملذات صغيرة تمنح الفقير بهجة كبيرة، وتشحذ همته، يحتال بها على صعوبة العيش ليجد إرادة يقاوم بها الإغراء و يتقدم بها على سبيله.
حبة سكاكر يضعها في فمه ويترك نفسه تغرق في لحظة الحلاوة، أو رشفة قهوة و عين القلب تقبِّل معنى بديعا في سطر على صفحة كتاب لها أثر عجيب على نفوس الزهاد.

الرسم كالشعر إذا فهمته..!

بداية إليك هذا المثال تفهم من خلاله كيف حوَّل الرسام منظرا متواضعا إلى مشهد متخم بالاحساس.
في مذهب هذا الرسام "الانطباعية" يتعلق الأمر بالقبض على اللحظة، ومراعاة تحولات الطبيعة، وتغيُّر الضوء، لذا العمل فيه بسرعة ووضع الطلاء يكون مباشرة على اللوحة دون الرسم الأولي.
مما استفدته من النقاد في لوحة "كلود موني" المسماة "العقعق" أنها تبدأ بآثار الأقدام التي تقود المشاهد إلى عمق اللوحة الذي يجسده تخفيف درجات اللون الأبيض.
المنظر عادي: ثلج يكسو طبيعة ريفية، و الثلج يتأثر بالضوء، ويساهم في إظهاره

حتى تبدو لك السماء تذوب في الأرض.
يجب أن تبحث و تتأمل لتكتشف طائر العقعق، ومع ذلك فكل اللوحة تنتظم حوله كأنه عنصر سري يعطي المشهد دينامية الحياة.
ولأن منظر البيوت و الحاجز الخشبي الذي يقف عليه يدل انه حط لفترة وسيطير مجددا فهو يرمز لفجائية اللحظة.
يعطي المشهد شعورا بالصمت والسكينة.
التعامل مع اللون الأبيض بلغ قمة التحكم حيث تجاوز تعقيدات اللون الواحد.
يعبر مثل هذا الرسم عن الانفعال و ترجمة الإحساس فهو نوع من الأدب والشعر لكن بريشة وألوان تعوض الكلمات؛ لم أجد من المتدينين من يتذوق قيمته ويعبر عن ذلك إلا أحد الأستاذة الأفاضل فلا أدري ما هو السبب، خاصة إذا خلت اللوحة من صورة حي إذا كانوا على مذهب تحريم صورة الحيوان.. ؟
هل يرجع الأمر إلى عدم اهتمام بالآداب عموما، كيف وفي صحيح البخاري ينشد حسان عائشة شعرا أوله غزل عفيف..؟!
أظنه تقليد الشيوخ في أسلوب حياتهم أو عدم شعور بجوانب النقص في شخصية المتدين المعاصر.
خذ من العلماء علمهم وتقواهم وأدبهم ،لا تأخذ بداوتهم فإن منهم بدوا في الحياة المعاصرة.
بالمناسبة درست الرسم سنتين، وهو مما تركناه لأجل القراءة، فلست أتطفل على الموضوع.

رحيق السنين.. :
العلم لا ينتج ضده ،فلا تأتي ظلمة النفوس من نور العلم.رحيق السنين.. :
العلم لا ينتج ضده ،فلا تأتي ظلمة النفوس من نور العلم.

يا عَوْدِي غِيْرْ نْهَمْ اللَّه لا جْرِيْتْ...!
.... رسالة

التفقه..والدعوي والسياسي ؟

لنفحص أحد التبريرات الخاص بالحاجة إلى التفقه على الطريقة المذهبية(وإن كنت لا أعراضه خاصة لمن وجد حاجته فيه) لكني شخصيا لا أعتقد فعاليته فقد جربته وهو فعلا يقتل العقل الفقهي لكن ككل العلوم قد يقال :جهد الشخص هو الحاسم.

مع ذلك يقولون :العلماء الذين دعوا إلى عدم التمذهب مثل: ابن حزم وابن تيمية وابن القيم والشوكاني تمذهبوا اولا ثم اجتهدوا؟

وهذه في نظري مغالطة تريد أن توظف ما ليس في قدرتهم لنقد ما في قدرتهم، أو ما ليس اختيارا لهم لذم ما هو اختيار ،فهؤلاء لم ينشأوا على مذهب مختارين له، بل هذا أمر خارج عن مقدورهم ولكنهم عندما نضجوا تركوه،فلا يلزم نفس المسار.

وقيمتهم العلمية المابعدية لو كانت مما اكتسبوه من التمذهب لكانت في غيرهم.

المشكل عند بعض الإخوة انهم لم يفهموا الفرق بين طريقة أهل الحديث وفقهاء المذاهب ،وأنها منهجية في الأساس فما يعده المتمذهب ضروريا في التفقه يعده المحدث غير ضروري لأنه مجرد وسائل لخدمة وشرح التقليد، وليس لخدمة وفهم النص الشرعي فإن حصل فبطريقة غير مباشرة، يعني حتى نصل لقول الإمام..!

و لهذا تأتي مسألة توحيد الفتوى فرعا على الاختلاف المنهجي و تضلل عن القضية الأساسية وهي تأثيرات الصحوة الإسلامية على الوضع الثقافي للمغاربة، و أظن أن ردة فعل بعض المغاربة غير صائبة، وتمثل تخبطات تزاوج فيها السياسي الخبيث مع العلمي الساذج، فأولا كل المذاهب القديمة والحركات الإسلامية ولدت في المشرق لأن الإسلام والدول الكبرى في بداية الحضارة الإسلامية ولد في المشرق.

والمشكل عند بعض المغاربة حاليا هو أنهم حجموا الحركات الإصلاحية الداخلية الناشئة من بيئتها لأسباب سياسية ونعرات، وكانت السد الممكن الوحيد القادر على معالجة التفاعل الثقافي بين المشرق والمغرب لصد السلبي منها.

مع العلم ان السلبي القادم من جزيرة العرب ليس أسوأ أثرا من وحدة الوجود وعبادة القبور والتصوف الفاسد والجمود الموجود فيهم، فهذا يدمر وجود الإنسان وذاك يدمر الدين.

ولهذا نجد أن قيمة المغاربة المعرفية المعاصرة تأتي من مفكريهم وليس من مؤسساتهم الدينية التقليدية.

والذي ينتظرهم إذا كانوا جادين هو تجديد مذهبهم الفقهي و العناية بتراثهم فمشكلتهم ليست مع المشرق ولكن مع النجديين،فهل يوجد في تراثهم العلمي ما يمكنهم من صدها بفعالية علمية، في اعتقادي الشخصي هو موجود ولكن ليس في اختياراتهم المتأخرة.

التنكر لفضل السلفية..!!

انكماش أو انحصار بعض الأفكار السلبية السلفية(لسنا متفقين على تحديد ما هو سلبي فيها مع السياسي والمذهبي و العلماني) النسبي ليس نتيجة لفكر في مقابلها ،ولكنه بسبب الأحداث السياسية العالمية واستنفاذ تجاربها للرصيد.

وحتى الفكر المواجه هو سلفي ،وإلا فإن المدارس التقليدية غير موجودة، وإن وجدت فليس عندها ما تواجه به ،فبدعة الإرجاء لا ترد بدعة الوعيدية فضلا على أن تواجهه علمانية أو رشدية أو باطنية..!

وهنا نفهم أن السياسي باستعانته بالمدخلي أدرك محدودية المرجعية المغربية التقليدية.

الدين تحت رعاية الملوك :أثر نظرية المتغلب في الفقه..!

ينشأ الناس على مذاهب اختارها لهم الملوك ثم تتقادم العهود فيدافعون عنها كأنها كانت عن اختيار واع منهم!

تنتشر المذاهب عندما يقرر الملوك مقاومة أيديولوجية ملوك منافسين لهم في مناطق نفوذهم فيسلمون القضاء والمدارس إلى علماء المذهب المنافس لمذهب خصومهم أو للمذهب الذي قرروا تبنيه بغرض قطع الولاء والتعاطف.

وكذلك يختارون المذاهب التلفيقية لأنها تساعدهم بضبط "الرعية" فرجل هنا ورجل هناك.!

فئة قليلة اختارت مذهبها عن وعي لأنها ترفض أن يختار لها الملوك أو المجتمع.

وإذا كنا نقر بعيدا عن هذا التأثير أنه يوجد علماء وأفاضل وجدوا في التمذهب وسيلة لرعاية دين العامة، أو للتعلم ،فإن قول القائل أنه لا يمكن معرفة أو فهم النص إلا بالمذهبية بأي عبارة زوقها قول لا يستحق الاحترام بل البول عليه..!

فلا يجب أن نحترم الآراء التافهة وخاصة المخربة للعقل والمعرفة و الحقيقة.

عوائق في طريق طالب العلم ..؟

قد لاحظتُ ـ في المدَّة الأخيرة ـ على الموضوعات التي ينزلها بعضُ الإخوة نمطا واحدا، فهمتُ منه أنَّهم يمرُّون بمرحلة قلق و اضطراب يمرُّ بها جميع النَّاس في فترة من فترات حياتهم، خاصَّة الصَّالحين منهم، وكما قال ذو الإصبع العدواني :

أطافَ بنا ريْبُ الزَّمان فداسنا *** له طائِفٌ بالصَّالحين بصيرُ

وقال البحتري:

ألم ترَ للنَّوائبِ كيف تسْمو ***إلى أهلِ النَّوافِلِ والفضولِ

وقال أبو الطيِّب:

أفاضل النَّاس أغراض لذا الزَّمن **** يخلو من الهمِّ أخلاهم من الفطن

وليس الإشكال في هذه الاضطرابات في حدِّ ذاتها، ولكن في طريقة التَّعامل معها، والخروج منها بأقصى سرعة ممكنة ،وبأقلِّ الأضرار، فمهما كان لن يغلب عسرٌ يسرين، ومهما طال اللَّيل طاردته أنوار الصُّبح من على رؤوس الجبال .

وفي الحديث: ((ما يصيب المسلم من نَصَبٍ ولا وَصَبٍ ـ وهما المرض والتعب ـ ولا همٍ ولا حزنٍ ولا غمٍ ولا أذى، حتى الشوكة يشاكها، إلا كفَّر الله بها من خطاياه)).

المهمُّ: ما تعانون منه ـ العجز عن الدِّراسة ـ يكون بسببين اثنين:

إمَّا عين تصيب الإنسان فتتغيَّر أحواله من الاجتهاد إلى الكسل، ومن الذَّكاء إلى البلادة وصعوبة الفهم، أو عدم القدرة على التَّذكُّر و التَّركيز حتَّى يستغرب ذلك من نفسه.

وإمَّا مشاكل اجتماعيَّة أو عاطفيَّة تُشتِّت الذِّهن، و تُضعف العزيمة، وتُوهن القوى العقليَّة ،وتقتل الرَّغبة في طلب العلم، والعلم يحتاج إلى الاستقرار النَّفسي ،وإلى راحة البال، وبدون ذلك يُصبح مضيَّعة للوقت ،فأعرف كثيرا من الشَّباب، ومن طلبة العلم من هذا حاله، لأنَّه عجز عن تجاوز هذه المرحلة بتدابير حاسمة حازمة.

وعليه،وبما أنَّي لا أعرف أسباب مشكلتكم بالضَّبط فأقترح عليكم أوَّلا أن يكون لكم وردٌّ من الذِّكر "الحوقلة ـ والاستغفار" ساعة بعد الصُّبح، وساعة قبل المغرب،أو حسب وقتكم ،واستعانة بالصَّلاة "وقت الضُّحى ـ أو بعد العشاء مباشرة ـ أو قبيل الصُّبح "كلُّه طيِّب،{واستعينوا بالصَّبر و الصَّلاة }فلابدَّ من الفزع إليها.

واعلموا أنَّ الأشياء بقدر فاطلبوها بعزَّة نفس، وتوكَّلوا على الحيِّ الذي لا يموت ،فالتَّوكُّل حصن الله من الأعداء، من دخله كان آمنا محفوظا محفوفا برعاية الله و لطفه،واعلموا أنَّه لو رفعت الجبال فوق رأس العبد فالأفضل له أن يبقى ساكن القلب، لأنَّه عبد مملوك لإله عليم حكيم رحيم، فاستعينوا بالصَّلاة على السَّبب المعيَّن ترزقون التَّوكُّل .

وذلك كما قال العارفون : إذا علمتم أنَّ الأمر كلَّه بيد الله، قال تعالى:{ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ } ،وقال:{ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الأمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الأمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ} فمن علم أنَّ الأمور كلُّها بيد الله :أمر الدُّنيا وأمر الآخرة، والنُّفوس والقلوب لم يبق له نظر إلى سواه، وانجمع بكلِّيَّته على الله ، قال تعالى:{ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا } حسبه أي: كافيه، ومن كان الله كافيه ماذا يفوته؟!

ثانيا:إن كانت مشكلتكم اجتماعيَّة"عاطفيَّة" أو ما في ضمنها فيجب أن تحسموا أمركم وتتَّخذوا قرارا نهائيا ،فإن التَّردُّد هو مشكل و ضعف أكثر النَّاس ،وحتَّى يسهل عليكم ذلك عليكم أن لا تفكِّروا في عاقبته تماما ،فمهما كان هذا القرار، ومهما كانت نتائجه لن يخرج عن قضاء الله وقدره ،و الخير ليس في الشَّيء نفسه، ولكن في مصيره الذي لا يقدر على التَّحكُّم فيه إلاَّ الله تعالى ،وهذا يكون بالنِّيَّة الصَّالحة التي تقترن مع هذا القرار، فليس لكم من الأمر شيء إلاَّ النِّيَّة ،و الله كفيل بتغيير الأحوال وتقليبها فهو الوحيد الذي له القدرة على تغيير جواهر الأشياء و طبيعتها. {فَعَسَى أَن تَكرَهُوا شَيئاً وَيَجعَلَ اللهُ فِيهِ خَيراً كَثِيراً }

وقوله : {وَعَسَى أَن تَكرَهُوا شَيئًا وَهُوَ خَيرٌ لكُم وَعَسَى أَن تُحِبوا شَيئًا وَهُوَ شَر لكُم وَاللهُ يَعلَمُ وَأَنتُم لاَ تَعلَمُونَ }

فنحن في قاعة امتحان كبيرة نُمْتحن فيها كلَّ يوم تُدعى الحياة، فكلّ ما فيها امتحان وابتلاء : المال فيها امتحان، والزَّوجة والأولاد امتحان، والغنى والفقر امتحان، والصِحّة والمرض امتحان، وكلُّنا ممتحن في كلِّ ما نملك، وفي كلِّ ما يعترينا في هذه الحياة حتَّى نلقى الله، قال تعالى : {كُل نَفسٍ ذَائِقَةُ المَوتِ وَنَبلُوكُم بِالشر وَالخَيرِ فِتنَةً وَإِلَينَا تُرجَعُونَ }.

وقال جلَّ ذكره: {أَحَسِبَ الناسُ أَن يُترَكُوا أَن يَقُولُوا ءامَنا وَهُم لاَ يُفتَنُونَ (2) وَلَقَد فَتَنا الذِينَ مِن قَبلِهِم فَلَيَعلَمَن اللهُ الذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعلَمَن الكَاذِبِينَ }.

فأنت أيها المعافى ممتحن، ولكن ما أحسست أنَّك في قاعة امتحان حتَّى ابتُليت، وليس فينا من هو أكبر من أن يمتحن ، وكيف لا وفي الحديث الصَّحيح : "أشدُّ النَّاس بلاءً الأنبياء، ثمَّ الأمثل فالأمثل..." .

كما أنَّه ليس فينا من يملك رفض هذا الامتحان، ولكن فينا من يُمتحن بالبلاء فينجح بالصَّبر والإيمان والاحتساب، وفينا من يمتحن بالبلاء فيرسب بالجزع والاعتراض على الله.

إنَّ الله تعالى قسَّم بين النَّاس معايشهم وآجالهم، قال تعالى: {نَحنُ قَسَمنَا بَينَهُم مَعِيشَتَهُم فِي الحَياةِ الدنيَا }. فالرِّزق مقسوم، والمرض مقسوم، والعافية مقسومة، وكلُّ شيء في هذه الحياة مقسوم، فكلُّ شيء بيده يقلِّبه كيف يشاء، فيمتحن من يشاء، ويعافي من يشاء { أَلاَ لَهُ الخَلقُ وَالأمرُ } .

أسأله تعالى بمنه وكرمه أن يصلح بالكم، ويلهمكم رشدكم، ويخرجكم من كلِّ ضيق إلى سعة رحمته، وعظيم عنايته ولطفه، وأن يمنَّ عليكم بما يفرح قلوبكم ويرضيه عنكم إنَّه ودود كريم.

الصورة: يتمكن متسلق الجبال من تسلقها لانه يملك تقنية لذلك و تقنية الحياة الايمان و العقل السليم.

لم يكن من المفروض أن انزل اليوم شيئا لكن لأمر قدره الله سبحانه نزل ما كان مقدرا له ان ينزل ..

طبقات النقاش و مستويات التحليل؟

بداية ليحاول الإنسان الاعتدال في كمية النقاش على قول ابن شُبرُمَة :"من بالغ في الخصومة أثِم، ومن قصَّر فيها خصمَ، ولا يُطيقُ الحقَّ من بالَى على مَن دار الأمر "سير أعلام النبلاء.

ثانيا :يكون السؤال واحدا و الإجابة مختلفة لأن كل واحد منا يتناوله بحسب تاريخه المعرفي و لغته وحريته.

و المتعب للذهن في النقاش هو أن تجر إلى الجواب حرفا بحرف في موضوع تناولته

في الكليات والأسس المعرفية، يعني في مستوى يتجاوز حتى أصول الفقه، والمناقش لا يميز متطلبات كل مستوى.
و معلوم أنه لو كان يلزمنا الرد على كل الاعتراضات بغض النظر عن صلتها فلن نفعل شيئا، وستضيع الحقائق الكبرى في وديان الحقائق الصغرى.
و على قول أحدهم ليس الجنون في التحدث مع حائط ولكن في سماعه يتكلم.
بطبيعة الحال يختلف مناقش عن مناقش، وانا هنا لا أقف عند مسألة الأدب وحق كل إنسان في الإعلان عن وجهة نظره فهذا والحمد لله مكفول عند كثير من شبابنا المثقف، و إنما أقصد تمييز مستويات النقاش فقد أكون قابلا لفكرة لغيري غير مقتنع بها لنفسي في مستوى معين لكن في مستوى آخر أبين سبب رفضي لها فيلتبس على المناقش الأمر.
والمقصود أن المفهوم المعين مثل "مذهبية" يتدخل في مستويات عديدة، و تناوله في مستوى يكون مختلفا عن تناوله في مستوى آخر.
فهناك المستوى الإدراكي المعرفي _و التاريخي _و الواقعي الاجتماعي _والسياسي _و الفقهي الأصولي.
و المستوى هو الذي يحدد ويعطي نوع التحليل المناسب، لهذا علينا الانتباه إلى موضوع الدراسة و مستوى التحليل.
مثل اللسانيات عنده ثلاث مستويات :اللفظ وبناء الجملة والدلالة.
ومن هنا أهمية ضبط المنهجية العلمية،وهذا يعني أن الحديث عن التمذهب من الداخل غير الحديث عنه من الخارج، فحجج المذهبي للداخل لا تنفعه في تناول المذهبية من الخارج.
ومنهج المقاربة الخارجية غير موجود في الفقه ولهذا نلاحظ في النقاش اعتلالات كثيرة سببها أن كثيرا من المناقشين ثقافتهم فقهية فقط.

الهوية كلمةٌ بلا تاريخ..!

تكلمت سابقا عن الوطنية الفطرية،وهي حب بلدك وقومك وبين الوطنية الجاهلية التي تريد أن تجعل اختيارات علمية فرضتها ظروف معينة جزءا من الوطنية يعني: التعصب للأجداد،وهذه وطنية ضعيفة تخلط بين السيادية و التعصب الأعمى.

وهناك دعوة فرعية عنها هي القومية، وهي التعصب على الدم، وهي دعوة لا إنسانية تقوم على مبدأ "أحب قومك وابغض الآخرين"!

وهذه الدعوات لا تسفر عن وجهها الحقيقي، و إنما تتلفع بمفاهيم أخرى مثل" المرجعية الوطنية" و"الدفاع عن الهوية الفلانية"!

و معلوم انه كل ما خرج عن دعوة الإسلام فهو من عزاء الجاهلية سواء كان حبا لبلد أو نسب أو عرق أو مذهب أو حزب فقد سئل النبي صلى الله عليه وسلم :هل من العصبية أن يدافع الرجل عن قومه(قس عليها البلد والمذهب والحزب) في حق فقال :" لا؛ ولكن من العصبية أن ينصر الرجل قومه في الباطل"

التعلق ببلد وخدمته بإخلاص و الدفاع عنه ضد من يريد به شرا أمر فطري، فالأرض هي الوطن و أبناؤها هم قومي بغض النظر عن عرقهم لأن الجامع هو الدين والتاريخ والمستقبل.

وإذا كان دمك في عروقك لا خصيصة له إلا أنه يصلح لإنعاش بقية البشر، و لهجتك في لسانك ماذا بقي الهوية المزعومة إلا الجاهلية؟

أرى في كل قوم زبالة بشرية تسرق وتنهب وتفجُر فلو كانت الدعوة إلى الهوية الفلانية دعوة إلى الفضائل والقيم والعمل لامكن النظر فيها لكن القيم لا علاقة لها بالعرق، فهي اذاًإما معادية للإسلام وإما سياسية فاشلة.

تعجبني كلمة قال أحدهم :"كل الدماء حمراء وكل الدموع مالحة" فلم يبق ليتفاضل البشر إلا التقوى التي اقترن فيها العلم بالرحمة.

المجال الوحيد الذي ينفع فيه نقاء الدم هو مجال الخيل والكلاب، وهذه حيوانات غير مكلفة.

التنويري شخصٌ أدخل في رأسه لمبة في مكان الدماغ..!

احترام الآراء الساقطة...؟ !

هناك الأدلة وهناك الهراء، لذا لا يمكن أن نقول:"للناس حق في إبداء رأيهم"، فهذا من مخلَّفات الجهل التي استرجعتها الحداثة، إذ ليس لك حق إلا في الرأي الذي يمكنك التدليل عليه وفقا لإجراءات و شروط الاستدلال.

و ايجاب احترام رأي الغير مطلقا مغالطة أخلاقية، وهي نفسها رأي لا يجب احترامه، فالقانون الأخلاقي الفطري فيَّ و الذي يؤكده الدين هو أن فلانا إنسان مثلي يوجب عليَّ إذاً أن احترمه، لكن الانتقال من احترام الشخص إلى احترام رأيه(ولو كان خطأ) أمر غير أخلاقي، لأنه احترام للخطأ وليس للخطأ قيمة .. !

فكون الإنسان له حق أن يقع في خطأ لعدم قدرته على اجتنابه لا يساوي للخطأ حق، فليس للآراء حقوق، ليس لها إلا ما تدلل عليه، فلا قيمة للرأي إلا إن كان حقيقة.

لك حق في أن يكون لك رأي في نفسك، أما في النقاش فليس لك إلا ما تثبت بدليل، لذا فإن مناقشة الآراء التافهة هو عدم احترام للحقيقة، للعلم و للعقل، و لجهد الإنسان في البحث عن الصواب.

العلم ليس ذوقا نفاضل فيه بين التفاح والإجاص؛و الآراء التافهة لا تصدر عن الجاهل فقط بل كذلك يوجد في كلام بعض العلماء آراء تافهة وهراء يلقونه للدفاع عن قناعات تقلينية،و إذا لزم مناقشة الكفر او النفاق أو البدعة المحضة فهذا لا يعني احترامها ، و كذلك يكون أحيانا الأصل صحيحا أو مقبولا لكن وسائل الدفاع عنه هراء لا يستحق الاحترام.

في سوق مصطلحات تحييد التحاكم المعرفي إلى الشرع ..؟

الحمد لله وحده، و الصلاة و السلام على من لا نبي بعده.

كما قال روسو عن "سهولة و أريحية النقد"(!) :" تنتقد بكلمة؛ و أحتاج أنا إلى صفحات للرد عليك " !

الباطل بخلاف الحق غير محدود لأنه شبهات تخطر على بال كل أحد من الناس،فلا يمكن وجود خطاب يبين الباطل على وجه التفصيل قبل ظهور الباطل، لكن هذا لا يمنع أن دواء الشبهات هو العلم .

مشكلة الباطل ليست في أنه متماسك، ولكن في تسلله إلى عقول بعض المتدينين يشتبه عليهم النزاع المشروع بالنزاع المصطنع .

و أخطر ما يهدد المسلمين وهو فرع عن شعار " احترام رأي الآخر " الشعار المتكئ على الأنا " هذا فهمك أنت للنص" و هذا قول حشوي،لا تجده عند أهل العلم، و لا

عند الفلاسفة، ولا عند عاقل من العقلاء،لأن كل نزاع علمي هو اختلاف أفهام ،و إنما جاءت الشريعة و رزقنا العقل، و نظَّم العقلاء العلوم و بيَّنوا قواعد كل فن و آداب النقاش و أصول الجدال لنبيِّن صحة فهم و فساد آخر ؛ لذا هذه الحجة تدل على أننا خارج النزاع العلمي و في داخل شجار المقاهي..؟

و لهذا يجب أن نبين أنواع التدافع و المقاومة في العلم ،و نميزها عن الشجار من خلال الوقوف على الفوارق بين النزاع العلمي و الصراع المصالحي و المهاترات و المناكفات، لأننا نجد الاختلاف يدور إما حول منطقية الدليل ومعقولية الحقيقة، و إما حول الاعتقاد و السعي للإقناع به وهنا يتحول النزاع العلمي إلى صراع طائفي وهذا عموما فيه توظيف سياسي و يكثر فيه التهويل و التهوين و التدليل الجدلي،و إما هو تراشق بآراء من أجل الشهرة و الرئاسة و محض المغالبة .

لقد تكلم المسلمون عن اختلاف التنوع و اختلاف التضاد ،وسموا التدافع العلمي بــ"النزاع" ،وفرقوا بين النزاع اللفظي الصوري الذي يعود الى اطلاق لفظي و النزاع المعنوي الذي يعود الى اعتبار عقلي ،وعن تحديد محل النزاع أو موضعه ،و النزاع المطلق مثل النزاع في النوع و النزاع في أفراد العام ،و تسليم الدليل مع بقاء النزاع ،و ان المعتبر في موارد النزاع الحجة لا العلماء ، و الفرق بين النزاع المشهور و النزاع الشاذ، وبين النزاع المحفوظ و النزاع المستحدث ،و منعوا دعوى الاجماع في مواضع النزاع،و طبيعة النزاع إن كان لغويا أو عقليا أو شرعيا ،و تحدثوا عن فائدة النزاع و غير ذلك ، لكن لا يوجد عندهم دفع يسمى " هذا فهمك أنت للنص"

وهنا يجب أن نفصل بوضوح بين النزاع الواقع بين المقرين بالشريعة و بعلومها الشرعية وبين المنكرين للشريعة صراحة أو بتأويل و لصلاحية علوم الاجتهاد فيها ،فالأول من أقسام النزاع و الثاني من قسم الصراع مع الدين لتطويعه لصالح الفلسفة الغربية المعاصرة، و بعضه شجار لخدمة مصالح شخصية يشبه وصف كنط لبعض الخلاف بين فلاسفة الأنوار.

وكل رأي لا يمكن أن ندافع عنه بمصادر الإسلام، ولا يمكن أن نناقشه بنصوصه وبوسائله فهو خارج حدوده،هو مجرد صراع مع الإسلام يحتاج إلى أن يكشف عن جنسيته الثقافية.

إذاً للنزاع العلمي الإسلامي خصائص منها التمييز بين موضوعية الشرع و نسبية معرفة آحاد العلماء ، وهذا يقودنا إلى الانتباه إلى بعض انحرافات مذهبية العلماء (ليس من المذهبية) التي كان لها التأثير السلبي على علم الفقه بتجريد مسائل الخلاف المذهبي الذي أظهر الفقه كعلم ظني (ستكون فرصة لنتكلم عن هذا الأمر و أثره على نظم الحكم القديمة و مساهمته في نشر علم الكلام) و لعل أخطر ما في طريقة عرض الفقه هذه أنها تقنع الناس أن الاختلاف في الأحكام غير قابل للحسم (مع ضرورة التفريق بين اختلاف التنوع و اختلاف التضاد) ومن هنا تأتي حجة " هذا فهمك أنت للنص " كتسلسل منطقي لحجة " الخلافات العلمية بين المسلمين غير قابلة للاختزال" ، و أن هذه الاختلافات تقود الى اختلافات لا يمكن حلها، فلا يمكن أن نعرف من هو المخطئ ومن هو المصيب ، وعليه فلكل واحد مذهبه، و لكل واحد رأيه ، ولكل واحد حقيقته، فيجب أن تحترم أراء الآخر و شخصه .. !

و لأن المناطقة أفسدوا أصول الفقه الإسلامي خاصة المتأثرة بالمتكلمين فغيروا من طبيعة الاستدلال الإسلامي و ادخلوا شروطا أخرى في ماهية الدليل أثرت على مفاهيم مهمة مثل: مفهوم اليقين، ومفهوم الدليل، و مفهوم العلم فأصبح الترجيح بالأقوى و الأقرب و المناسب غير مؤثر فإما اليقين القطعي و إما اللاأدرية أو تكافؤ الأدلة ؛وهذا كله محدث مناف لما كان عليه سلف الأمة و أئمتها في العلم .

يعني هذا الحال المستحدث أنه لا يمكننا امتحان تماسك حجج الناس و أقوالهم و أحكامهم، و البحث عن أكبر تماسك ممكن ،ولا يمكن أن نستدعي بديهيات و ضروريات دينية و عقلية نرجح بها بين الأقوال فإما اليقين الجذري و إما روح تلعب ..؟ !

و قد ساهم في هذا الوضع بسبب ضعف بعض العلماء في علم السنة و الآثار اعتقادهم أن أكثر مسائل الفقه أقيسة والذي استوجب رد فعل ظاهري معاكس، و كذلك التباس معنى كلمة"شرع" بين المنصوص عليه في القرآن و السنة، وبين موارد الاجتهاد الذي هو تأويل، و بين الأقوال و المذاهب المبنية على الأحاديث الموضوعة و الواهية و الأقيسة الباطلة و الآراء المستوردة و التقليد المحرم، الذي هو مثار النزاع الأبرز.

فكل هذا أصبح عند الناس تحت مسمى" الشرع" ومن ثم تعذر بالضرورة الحسم في النزاع لأن الرد لم يكن إلى القسم الأول و وقع اضطراب في التعامل مع القسم الثاني

من زاوية مستقلة .
فالمشكل الأصلي هو انتشار فكرة أن النصوص غير شاملة لعامة أحكام الأفعال التي تولد عنها الاحتجاج بآراء آحاد العلماء في مسائل النزاع، و ظهر فقه لا يسير نحو النص في طريق مباشر يعني الحجة عنده في المقام الأول ليست النص و الإجماع و الأدلة التي نقدر مقدماتها بالأدلة الشرعية لا بأقوال العلماء فنشأ جيل من الفقهاء مقلد ضعيف في الاطلاع على الآثار فتجد الفقيه غاية اجتهاده حفظ مؤلف واحد في السنن،أو مؤلفين لكن ليس بالعدد الكافي، لا يحسن الأدلة الشرعية فتعذر إقامة الحجة الفاصلة و أصبح تقريبا كل شيء من موارد الاجتهاد ، و الله المستعان.
عندما ننظر في قوله تعالى : {فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر} [سورة النساء]نفهم منه أن الوحي حقائق مطلقة لا نسبية فيها، و أن منهج الفصل في النزاع بين المسلمين هو العودة إلى الله و إلى رسوله، و إذاً كيف يدعونا الله إلى ما لا يقين فيه، أو إلى ما لا يصلح لحسم نزاعنا ؟
و إذا لم تحسم النصوص الخلاف فما دورها ..؟
و إذا علمنا أن الموضوعي هو ما يظل هو طبقا لنفسه مهما تغيَّر العارف الملاحظ علمنا أن النسبية ليست من الدين ولكنها من العارف،و ليس من كل عارف ولكن من بعضهم وهو سبب العذر ، و العذر يعني عدم العقوبة (عدم الحكم على القائل) لا يعني عدم الحكم على القول، فإذاً هناك إمكانية للوصول الى القول الأقوى الأقرب و بل إلى القطعي المحكم موضوعيا.
فالنص حق في نفسه لا يختلف بحسب عقائد الناس و أحوال علمهم لذا كان كل ما عارضه باطل مطلقا ،قال تعالى : {الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق} [الأعراف 43]
وعليه فدور العلوم الشرعية هو بالضرورة تعليمنا التمييز لمعرفة الصحيح وتمييزه عن الخطأ.
يستغل الحداثي و التنويري هذه الحال و يبحث عن إجازة تخولهم فعل ما يحلوا لهم، مانعين غيرهم من الحكم على أقوالهم، ويريدون من هذا الشعار " احترام رأي الغير" أن نجعل في سلة واحدة رأيا في الدين مستنبطا من نص وفقا لقواعد العلوم الشرعية مع رأي مأخوذ من الانتربولوجية.. ؟

عند إعمال هذه القاعدة يجب أن نلاحظ الفرق بين صدور الرأي المخالف لنا من داخل الإسلام، فهذا ننكره بالنقد العلمي إن كان من موارد الاجتهاد و إن كان شاذا لا نعتد به وبين الرأي صادر عن موقف ينكر القيمة المطلقة لموضوع الديني، غارق في نسبية وصفية ومعيارية كأنه لا يوجد في الدين حقائق معيارية نرد إليها اختلافاتنا و تأثرها بنسبية معرفتنا.

وليس لأننا لا نقبل الرأي الضعيف و المخالف لقواعد الشريعة يلزم بالضرورة منه أننا غير متسامحين مع من أتى البيت من بابه و أخطأ ، فهناك مشترك كبير بين المسلمين يساعد على رد الخلاف إليه و ما يسمى بالعذر بالجهل هي قاعدة لتجاوز النسبية في العقوبة و ليس في الحكم على الدليل او المقولة فالتجسيم عند المتكلم كفر لكنه لا يكفر به، وكذلك التعطيل عند المثبت ،وهذا لا يعني تكافؤ الأدلة .

لذا هنا نوعان من الرأي لا قيمة لهما: رأي جاهل في موضوع خاص لا يعرفه كجاهل بالحديث يتكلم في صحة الحديث وضعفه،وكل جاهل بالعلوم الشرعية يتكلم فيها فرأيه هراء ،وهذا رأي متطفل على علم أو مجال بالجرأة فقط ،و هذا القسم يتناوله قوله تعالى : (ولا تقف ما ليس لك به علم)

ورأي خارج عن أصول الاسلام وقواعده ،رأي يزعم الانتماء إلى الإسلام ينتقده مباشرة أو غير مباشرة جاعلا نقده من قبيل الاختلاف الإسلامي بينما حقيقته أنه يسكن في أطروحة غربية معادية للإسلام .

هذا الشعار "احترام رأي الغير" بغض النظر عن قيمته هو من مخلفات " ما بعد الحداثة" التي وصفها سبونفيل بأنها " ما بقي من الحداثة عندما نطفئ الأنوار"، لكن يجب أن نحذر من الأسباب التي تصنع مثل هذه الأحوال حينما تنشر في الناس الشك و التردد و الاضطراب.

تشبه المذهبية المطلقة شخصية "ثلاثية أغريبا"(agrippa) :

"شخص وقع في مستنقع يريد أن يخرج منه بسحب نفسه من شعر رأسه"!

ضع العنوان الذي يناسبك ..!!

الحديث عن الكفاءة إذا عمَّت السرقة كالحديث عن البتر إذا عمَّت الخنزيرة الجسم..!!

من لم يفهم أنه لا وجود في السياسة لحسنات بدون سيئات ،وهذا من المائة الثانية، من اليوم الذي فصلت فيه ولايات المال و الحرب عن ولاية الشرع فسيتعب كثيرا.

فهي لنتفلسف 😎في ابيستمولوجية التفاضل بين نهب عنده كفاءة ونهب تزوج البلادة ..!!

... حسنات ممتنعة بدون سيئات، هذا تحليل انطولوجي !!!

رحم الله ابن تيمية وجد الوقت ليرسل لنا هذه الرسالة... ✿

الجائعون إلى المتعة..!!

الجائع إلى المتعة لا يبحث عن أصل الحفلة إن كان بابليا أو يهوديا ،المهم يتمتع..!

وعلى قول نابليون :لابد أن تكون الحفلات صاخبة لأن الحمقى يحبون الصوت..!

لو لم يكن أحمقا فهل يحتاج ليحتفل إلى زرنامة..لذا الوعي حفلة لا تنتهي كما قيل. ؟!

ماذا في حفلات النصارى إلا الأكل والخمر والجنس ؟!

قال الله تعالى :{والذين لا يشهدون الزور وإذا مروا باللغو مروا كراما} فسر جمع من السلف "الزور" بأعياد المشركين و أمثالهم لكن هذه صفات عباده الصالحين.

أوهام المصلحين ..؟!

دفع الشر بحسب الإمكان (كما دلت أحاديث الأمر بالمعروف)فمن ظن أنه يمكن الإصلاح بدون مقارنة الفجار أو من يُخيَّل لنا أنهم فجار فهو في وهم،و الأوهام تقوّلنا الحماقات..!

و خدعة الوهم أنه يأتي في صورة حقيقة كبرى.

يعمل المصلحون في هباء لأنه إذا اختلف القصد زال التوافق ،والقصد تحت قبضة الحقيقة أو الوهم.

الإصلاح (استلف الوصف) هو معركة الحياة، تعمل وتفكر وتتحرك في كل مجال ممكن فإذا أحرقت المدينة تلجأ للحصن، وإذا أخذ الحصن تلجأ للكهف، لكن لا تنفك عن المقاومة.

وقد علَّمنا التاريخ أن الكلمة تصنع الفارق في مصير الشعوب لكنها الكلمة العليمة

التي تولد الأفعال.
المسجد بيت الصالحين والإصلاح اشتغال على الجاهلين و الطالحين.
ومن خاف على عقله أو نفسه فليتصوف.

استثمار الذكاء في التحسن المستمر

يملك بعض الناس مقدرة فائقة على التغيرللأفضل ، لا يعتبرونه عملا سلبيا أو خسارة لشيء ثمين، لأن الثمين عندهم هو تحسين أنفسهم باستمرار، الاستجابة للمتطلبات المستجدة، التعامل ايجابيا مع الخير ، عرفوا أن الحكم فرع عن التصور، و التصور فرع عن كم المعلومات و قيمتها الموضوعية، كل العلوم في الحقيقة بخلاف علم المنطق الصوري العلم فيها حاصل جمع : جمع المعلومات، توثيقها، تصنيفها ،ثم التوليف فيما بينها.

لذا لا يرون أن تغيرهم و انتقالهم من فكرة مجملة إلى فكرة مفصلة، ومن نظرية مجملة إلى محكمة من خلال تطوير أنفسهم و شخصيتهم تأديبا و إلزاما لها على مفارقة الفكرة عندما تكون ساذجة، أو خاطئة،و التشوف إلى الأفضل دائما شيئا سلبيا كما يفهمه الجاهل.

ليسوا في وضعية انتظار أن يوضع العلف أمامهم ! بل هم في حركة دائمة و انتقال مستمر داخل عقولهم يلاحظون الخلل و يبحثون عن الجواب المطابق إما في قاعدة معلوماتهم أو عند غيرهم .

هكذا فطروا، هؤلاء من صنف "من كان له قلب".

من علامة الذكاء الانتقال الكلي عن المقال أو الجزئي من خلال تطويره و تحسينه، وحتى بعض صور التناقض تدل على الذكاء فإن الذكي يلاحظ بسرعة الضعف في موقفه فينتقل عنه؛و ليس من شرط الذكاء أن يكون فطريا بل يمكن أن تصنع ذكاءك لكن ذلك يحتاج منك أولا إلى تربية نفسك ،فتلزمها بالاستماع و القراءة إلى غيرك، و تقبل أن يكون الخير عنده،كما تقبل أن تأخذ منه، هنا فقط تستفيد من عقول غيرك و تستمد منها ما ينقصك و تصيرا ذكيا بزكاة نفسك لا باستعداد فطرتك، إنه ذكاء الطلب.

الذكاء كقوة البدن وقوة الإرادة لا يمدح لنفسه، كما قال ابن تيمية : من أوتي الذكاء و

الفضائل العلمية و الإرادية بدون إيمان كمن أوتي قوة في جسمه بدون إيمان ، فلا ينفع شيء إلا أن يعبد الله وحده لا شريك له،ويؤمن برسله و باليوم الآخر.

وفرق بين أذكياء أهل الإيمان و أذكياء أهل النفاق و الكفر، فإنه و إن جمعتهم القدرة على معرفة الأمور الدقيقة سواء كانت حقا أو باطلا، إيمانا أو كفرا،التي لا تعلم إلا بذكاء و فطنة بحسب موضوع بحث كل فئة منهم، إلا أنهم يفترقون في القصد و الإيمان، أهل الإيمان لا يستجهلون من لم يشركهم في علمهم فقد يكون عند الرجل قصور في الذكاء و البيان و لكن عنده إيمان أحسن من إيمان الذكي.

و المقصود أن الأمة لن تتحرك من وضعها بمن يهاب التطور و الارتقاء و إن سماه تغيرا، كما لم تتحرك قديما إلا بأئمة لم يهابوا تغيير مذاهبهم و آرائهم باستمرار، فكان أبو حنيفة يفتي بالقول و يتركه، وكذلك الإمام مالك حتى قال الناس: "علم الناس يزداد و علم مالك ينقص"، و انتقل الشافعي من مذهب إلى مذهب، و كذلك داود الظاهري من الشافعية إلى الظاهرية، و هكذا كان الغزالي، و ابن حزم و ابن تيمية و ابن القيم و الشوكاني و غيرهم يطورون أنفسهم باستمرار طلبا للأفضل.

إذا كان وضع الأمة سيئا فيلزم أن ما يتشكل منه هذا الوضع سيء، و إذا كان وضع الدعوة ما يعلمه الجميع فلن يتغير بمن يريد البقاء كما هو ،لن يتغير حتى نتغير ، ربما تعلق المشكل على غيرك، فهكذا التعصب يرى صاحب المذهب أنه يجب إصلاح الدين و إصلاح الأمة مستثنيا نفسه ،يعني: على الجميع إصلاح أنفسهم إلا هو ، فهو المصلح؟

لو كان ابن تيمية ـ كمثال للمستفيد منه ـ على مثل عقليتنا ، هاب التطوير و التغيير و البحث عن الراجح و قلب المشهورات المسلمات لما تغير شيء و لما وجدتَ اليوم مادة تستعين بها على الاجتهاد في هذا العصر المعقد فكريا.

مشكلة بعض الناس هي أن علمهم لا يزيد لأنه مسجون داخل عملية تكرار لنفس المادة ،مع ضعف الاعتماد على الله وعدم ثقتهم في انفسهم و العلم تراكمي ليس في الكم فقط ،بل في استثمار هذا الكم المتزايد فهو عملية ديناMكية ،فتكثر لكن في نفس الاتجاه الذي تحدده الكليات لا انطباعات الشيوخ و توجسات بعضهم فيعديك الجبان بجبنه و الكسول بكسله.

قوله تعالى : {إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ} لا ينطبق على

المتعصبين للمذاهب فقط، بل ينطبق على كل من يظن نفسه أنه ملك الحقيقة بتفاصيلها كاملة و ليس عنده برهان، وعلى كل من يأب تجديد العلم و الفكر تحقيقا، مهما كان الاسم الذي تسمى به، و أنصحه بجولة داخل جماعته يجمع كتبهم و مقالاتهم ليكتشف مدى الاختلاف بينهم و التناقض الذي بسط جناحيه على أقوالهم.
دعوكم ممن جمد على اجتهاد شيخه فهؤلاء جزء من مشكل الأمة، وما لم تفهمه اليوم ستفهمه غدا، فإن أقوى مرجح بين المذاهب الواقع، انظر مذهب بعض العلماء في أجرة التعليم و أجرة الإمام أين صار اليوم...؟

ماذا تمثل الأعياد..؟

دور العيد الاجتماعي هو تقوية الانسجام والتماسك الاجتماعي، تقوية الانتماء الرمزي لجماعة. ووظيفته حفظ دين أو تراث أمة من خلال نقل القيم والمبادئ من جيل إلى جيل، تجديد الاعتقاد والانتماء إلى الشريعة المؤسسة لأمة، ربط الحاضر بالماضي، الخلف بالسلف ، ضم أعضاء المجتمع إلى تاريخ مشترك يتجاوزهم كأفراد.
كما له جانب ترفيهي يدخل فيه الانقطاع عن الحياة اليومية، وضبط إيقاع الوقت كما يفعله يوم الجمعة، فالعيد يوم راحة وفسحة مباحة مقرونة بالغاية الدينية.
ولهذه الأسباب يرى بعض الفضلاء أهمية ذكرى المولد النبوي الشريف و بطلان قياسها على أعياد النصارى.
وهناك نوع آخر من الأعياد عند غير المسلمين دورها :خرق الممنوع، التحرر من القواعد، تحرير النزوات، و السماح بالتجاوز والإسراف (على قول فرويد) ، مثل أعياد نهاية السنة، و الكرنفال.. الخ وهذه لا يحضرها صاحب دين؛ هي أعياد من عنده أزمة تقوى، لكن قد يقع فيها بعض الناس جهلا وغفلة بدون أن يتجاوز الاحتفال عنده: أكل تلك الحلوى (الخاصة بمعتقد النصارى الضالين حتى في هذا الأمر) و مائدة فاخر بحسب قدرته.
وهذا الأخير لا يحتاج إلى الذهاب إلى مكان ما يكفيه بيته..!
وهذا النوع من الأعياد المخالف لقيم مجتمع وعاداته مجرد لهو، لا يساهم في وحدة مجتمع، ولا في حفظ قيمة، وهومجرد تعبير عن شدة جوع نفس تائهة عن مناسبة

للاستمتاع، تكون في الغالب غير متدينة أو سطحية التدين ، أو غير مرتبطة بهويتها الدينية من متفرنسي الوعي،ولهذا لا تعالج الفتوى بالتحريم هذه الظاهرة إلا نادرا لأن أصحاب هذا الأمر بحاجة إلى تصحيح مفاهيم عميق.
لذا من الكيس الحذر من دعاوى التعايش الكاذب، فقد عاش بعض المسلمين مع النصارى من الصبا يفعلون كل شيء معا، ولكن لكل واحد دينه وعاداته وأعياده، ولم يضطر أحدهم إلى معايدة الآخر، وبقيت الصداقة لأنه أمر طبيعي ان لا يوافق بعضهم بعضا على شيء ديني كما لا يتوافق الناس على كثير من أمور الحياة بدون اي مشكل.
وليست مسألة التهنئة بنفس درجة خطورة مشاركتهم احتفالاتهم. وبطبيعة الحال تحاول عقيدة وحدة الأديان استغلال هذه المناسبات للتأصيل مستغفلة بعض أهل الدين للدخول في تقسيمات شكلية خادعة.

هذا فديو أعجبني لسببين :
الأول :هو أنه لمدينتي الصغيرة ، ليتعرف عليها الإخوة ولتكن فسحة صغيرة .
الثاني:أنه لأول مرة يظهر رئيس بلدية أنه يملك خريطة طريق وفكرا تنمويا و يطلع السكان على مشاريعه.
ملاحظة :الجانب الثاني ليس مقصودي فيمكن إيقاف تشغيل الصوت لمن شاء.

هندسة السياسة..!!
"الفأر مْقَلَقْ (مستعجل) من زْهَرْ (حظ) القط!!
هذا قانون السياسة في بلداننا، ويمكن أن تضع بدلا عن صفة" مقلق "صفات مثل :" ساذج، نية(مثالي) ، بهلولة، هدَّار ، خَلَّالهم تَقْشِيْرْتَه!!
المؤسف جدا أنَّ السفهاء فهموا الواقع أحسن من الإسلامي بكثير فاستطاعوا منع الناس من الاهتمام بالسياسة بمن فيهم الإسلامي ،الذي "مشتاق اللبن أُوْ مْدَرَقْ (مخفي) طاسَهْ(إناءه)

يريد أن يمارس السياسة ويحللها ب_"تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم و المتعلم"..!!

السياسة لها ميزان واحد هو: أين " خير الشرين "؟أخف الشرين. لأن بقية الاختيارات متساوية.

الشر في إهمال فهم السياسة الواقعية هو أن تنتهي إلى أن يحكمك من هو أسوأ منك بكثير.. على قول أفلاطون.

تعشق السياسة الحمقى والعجزة حيث تجعل(على قول ماركس) المصلحة الخاصة تبدو أنها مصلحة عامة.

المهم، القط راه فرحان الفئران بزاف..

السياحة..رؤية خارج السرب ؟

البلاد الإسلامية التي تملك مقدرات طبيعية أو معدنية وإمكانيات للتنمية من الأفضل لها اجتناب تطوير السياحة الأجنبية لأنها لا تجلب إلا تفسخ الأخلاق وهوان الشخصية، وتصبح تحت رحمة التقلبات السياسية والأمنية.

بطبيعة الحال لا يرى الفقير والعاطل عن العمل هذه الرؤية، وهذا موقف مفهوم و معذور،لأن السياحة تعني النمو الاقتصادي والنشاط التجاري و عائدات من العملة الصعبة لكنها تستهلك الطاقة والموارد الطبيعية خاصة الماء في الفنادق و المسابح والملاعب المختلفة وترفع أسعار الغذاء في بلاد اساسا تعاني من ندرة وعجز في إنتاج هذه الموارد.

إضافة إلى الاعتداء على الأراضي الفلاحية وتخصيص الشواطئ و تلويث البيئة أكثر مما هي ملوثة.

وقد يجد خبراء الاقتصاد والسياسة مضادات لهذه الأطروحة، ومع ذلك فإن التأثير السلبي للسياحة على الجانب الاجتماعي معترف به عالميا فإنها تغير طباع الشعوب وعاداتهم وتنشر فيهم التسيب الأخلاقي وتعوضه بتهذيب لفظي سطحي.

الجانب الاقتصادي مرتبط بقوة بالجانب الاجتماعي لأن النمو في الغالب لا تستفيد منه إلا فئة خاصة ويدفع ثمن التجهيزات دافع الضريبة مع ارتفاع أسعار العقار بالنسبة للسكان المحليين، كما أن السياحة لا تساهم في أنعاش المناطق إلا موسميا.

السياحة الأجنبية تضعف البناء الاجتماعي وتؤثر على الأعراف والعادات.
وأنا أتكلم هنا عن البلاد التي يمكنها تطوير الفلاحة وتربية المواشي والمائيات والصناعة المنجمية والتجارة مع محيطها وخاصة الصناعة التقنية، وغير ذلك مما يشكل تنمية حقيقية، فهذه ستقع تحت نفوذ الرأسمالية العالمية كلية، فالاستعانة بالسياحة شيء متحكم فيه نوعا ما، وأما الاعتماد عليها فيشبه بيع البلاد...!

فيضان الحنان والرحمة .. ؟

الكلام عن الترحم من عدمه هو فرع عن مسألة "الأسماء والأحكام" حيث بحث العلماء قضايا مثل: الولي والتقي والفاجر والمؤمن و الكافر.. الخ.
يعني بحثوا في الأسماء الشرعية و الأحكام المتعلقة بها.
وترك الترحم على ميت او الصلاة عليه أو حضور جنازته.
أو ترك الصلاة خلف إمام بسبب فسقه (إذا ثبت عنه) منهج شرعي ثابت، قد يكون عقوبة له إن كان حيا، وردعا لأمثاله إن كان ميتا.
ولا يعني في هذه الحال أنه كافر، لأنهم لم يمنعوا أهله من الصلاة عليه والترحم عليه والاستغفار له، وحضور جنازته، وإنما يمتنع عن هذا فضلاء الناس، ومن هم قدوة فيهم.
و إذا سارع أهل الإيمان والصلاح إلى الترحم والاستغفار للظلمة والفساق والصلاة عليهم وحضور جنائزهم لم يقوموا بواجب النصح لهؤلاء الناس، لأن أقوم ما ينصحون به هو مقاطعتهم عندما يحتاجون إلى أهل الدين، ففي غير هذه المواقف لا يعيرون كلام أهل الدين أية قيمة.
ويبدو لي أننا نلمس هنا درجة الصفر في الوعي الديني عندما يختلف أهل الدين في جواز الترحم من عدمه إذا اتفقوا على إسلام المعني ولو باستصحاب البراءة الأصلية بسبب النشوء فربما بعض المتكلمين لا يعرف عن الميت شيئا إلا اسمه ومحل إقامته.
وربما يعلم عنه آخرون شيئا من الإحسان أو هكذا أمور.
الذي يستدعي البكاء هنا سرعة بعض المتدينين إلى القول بأنه مسلم يترحم عليه و يستغفر له.. (وليس هذا محل النزاع) فيظهر من ترك الترحم أنه مخالف لأحكام الشريعة و من الغلاة ويقدم صورة سيئة عن الإسلاميين أو الملتزمين أو المتدينين..!

إن لم تنصر الشريعة إذا ضاعت في الجماعة على الأقل أظهر غضبك لها إذا ضيعها الفرد ويمكنك الترحم عليه سرا.

وكما يجب أن تفرق بين الحكم في الحقيقة وبين العقوبة والردع يجب أن تفرق بين أحكام الدنيا وأحكام الآخرة.

عند غياب النص أو عدم قيام الحجة نرجو للمحسن ونخاف على المسيئ.

الدين بدون معيار

إذا أردت جذب أهل الدين إلى الأسفل نازعهم الشرعية، يعني: أزل عنهم صفة السلطة بالكفاءة.

شجع منهم من لا ضمير له، أو من عنده استعداد للخلود إلى الأرض، من عنده قابلية لبيع المبدأ.

أو انشر فيهم من ينازعهم الوظيفة ويتجه عكسهم.

هذا سبب ضعف المواقف عند أهل الدين وليس تغير الزمن.

هناك فرق بين مداراة الفسقة لاتقاء شرهم وبين مداهنتهم فإن فسقهم لم ينتج من غيرتك على الدين أو من تمسكك به، ولكن من ضعف إيمانهم أو فساد اعتقادهم.

والرفق واللين في الخطاب لا يلزم المواقف وكل الحالات ولو كان كذلك لاقتصر القرآن على الترغيب دون الترهيب.

والدين وعد ووعيد.. لا يفصل بينهما خاصة في زمن تذوب فيه الحدود سريعا فالقضية ليست قضية لين وشدة لأن الترحم في بعض المواقف قد يعد لينا وهو تسيب بحسب أثره.

والمعتبر تقدير المصالح وإذا كان ليننا المزعوم كشدتنا (الأمر هنا لا يتعلق بهذا ولا بذاك) لا يغير شيئا فاصلا لا يعتد بنا القوم فالأولى الحفاظ على وضوح الشريعة في موقفها من المجاهر بالمعصية والداعية إليها والمزين لها في الناس.

الموسوية والعيسوية في الإسلام..!

لا يوجد في الإسلام تمحيض الشدة أو تمحيض اللين ،بل يتوقف الأمر على المصلحة فالشر في الناس كالوسخ قد يزيله الماء وحده، وقد لا يذهب إلا بمواد تنظيف وشدة

الحك.

وتناول الموقف من رموز الشر بمعادلة الشدة /اللين خطأ ،وتبسيط لقضية أكثر تعقيدا.

رموز الشر أو رؤوسه هم أشخاص لهم سلطة مادية أو معنوية على الناس، فإما يخضعون لنفوذهم، أو يتبعونهم ويقلدونهم أو يتأثرون بهم.

أو هم من يزين للناس الشر، أو يؤصله لهم صراحة أو بطريق غير مباشر فيهون من أمر السيئات أو يجعلها حسنات، فإنه ما أفسد الناس ووضع الدين في محل شفقة إلا أحبار السوء الذين يزهدون الناس في الطاعة ويجرؤونهم على المعصية.

وهؤلاء كغيرهم محل دعوة بالرفق دون أن نغفل عن خطورة شرهم في مقابل شر المغمور من الناس.

وإذا لم يجب أن نقنط الناس وهم أحياء من رحمة الله فيجب أن نحذرهم من الموت على معصية الله والتفريط في الواجبات.

وعندما يموت أحد رؤوس الشر يجب أن نفكر في نظرائه الأحياء حتى لا يلحقهم نفس المصير.

لذا عندما يموت أمثال هؤلاء يستحسن إظهار عدم الرضا عنهم من رؤوس أهل الصلاح.

المشكل ليس في اللين والشدة فهذه مغالطة، ولكن في عدم فقه بعض أهل الدين، أو في ضعف دينه فيضرب موقف أهل الصلاح، لأنه لو اجتمع أهل الخير على ترك الترحم وحضور الجنازة لكان ذلك رادعا إلى قيام الساعة.

فالمشكل ليس في اختلاف الزمن ولكن في انتساب أناس إلى العلم والصلاح يداهنون الفسقة ،ولا يبالون بتضييعهم للدين، فيكسرون أثر المقاطعة.

لقد فقد الدين قيمته من أهل الدين أنفسهم قبل غيرهم عندما باعوا واشتروا به عروض الدنيا وإلا فإن سلطانه قوي حتى على الفسقة لأن الموت يقين تركع عنده الشهوات.

بغض النظر عن الشخص المتوفى فيجوز الترحم على من ثبت إسلامه، وقد يكون المعني جاهلا معذورا في بعض الأمور، وليس هذا الموضوع ولكن في أمثاله الأحياء، فهذا مقام تخويف لا ينبغي أن نجعله مناقضا لمقام الخطاب باللين.

والناس حتى الفسقة منهم يعرفون الصادق من أهل الدين و المتاجر به،فاحفظ حرمة الدين، وفي الناس من يقوم بالواجب، فاحرص على ما يلزم مقامك أنت إن كنت

صائنا لدينك، ولو قطعت ثيابك على هؤلاء فلن ينقص عددهم ترحمك عليهم وحضور جنائزهم،والدعوة أولا لمن يقتدي بهم أو يعدهم محسنين.

هندسة العلم أو معمارية الفكر..؟

البرنامج الدراسي =علم.

ما يحصله كل واحد من الدارسين =معرفة.

العلم ما كان معلومه كليا والمعرفة ما كان المعلوم فردا متعينا متميزا عن غيره.

والمعرفة يصيبها الذهول والنسيان لذلك لا تنسب لله تعالى.

ولأن معرفة تتعلق بالمفردات دون الكليات، والعلم يأتي من المفرد، والاعتبار والقانون يأتي من العام الكلي لهذا نعرف بالاستقراء وننقل المعرفة ونعلمها بالاستنتاج.

تبدأ المعرفة بالوعي الانعكاسي المتعقل فيما يخص العالم الداخلي، وبالوعي التلقائي المتعقل فيما يخص العالم الخارجي. فإن عمقناها بالتفكير حتى أصبحت عقلية عملية مشكلة في نظام متناسق أصبحت علما، وإلا نزلت إلى مرتبة علم ثقافة.

يتحول الوعي بالشيء إلى فكرة عندما نقدر على وضع كلمة له.

قبل أن يتجسد الوعي بكلمة يسبق الفكرة ما قبل الوعي لمعناها، وهو شعور مشترك في البشر يعبرون عنه بحسب لغتهم.

نشعر أولا بكبر المكان ثم تأتي كلمة "كبير" لتجسد الاحساس فيتحول إلى فكرة.

ليس لأن الطفل يعرف مجملا ما هو النوع يفهم ما هو الضفدع عندما يرى واحدا!

لا يوجد ملاحظة ممكنة بدون إطار نظري قبلي والتحدي الحقيقي للفكر هو بداهة في لحظته الأولى لحظة الاستقراء حيث تتكون التصورات فإذا كان منطلق الاستنتاج هو التصورات فإن الاستقراء هو فعل تشكل التصورات نفسها.

كل المعرفة حتى العادية اليومية أصلها الاستقراء إلا مجالين :الالهيات والرياضيات!

هل يفتح لك هذا الاستثناء نافذة لفهم أصل المعرفة؟

ولهذا كان القياس سيد المعرفة في العصور المتقدمة قبل النهضة لكن ما علاقة التعميم في القياس بعلاقة التعميم في الاستقراء؟

هل القول بأن المعرفة تأتي من الحس هو نقطة بداية لم تأت من الحس؟لا يمكن أن

نفكر في العقل بغير العقل.
ركام المعلومات في رأسك يتحول إلى علم بالنظام. والنظام هو وحدة معارف مختلفة تحت فكرة واحدة.
إذاً اسأل :ما العلمي في معرفتك؟

البدعة والفجور..!

المقابلة القديمة بين البدعة والفجور، وإن كانت غير مفهومة عند كثير من المسلمين بسبب اضطرابهم في فهم الأساس العلمي للمسالة الذي هو "مخالفة اعتقاد التحريم" بحيث يكون بينهما عموم وخصوص، يعني من جهة تكون البدعة أشد من المعصية ومن جهة أخرى تكون المعصية أشد من البدعة فالعاصي مخالف للشرع عمدا، والمبتدع بالتأويل ، وحقيقته أنه يقصد الطاعة.
فمن جعل البدعة أخطر من المعصية مطلقا فما فهم المسألة، ولا فصل الأمر، ولا وقف عند نوع البدعة ونوع المعصية.
هذا فيما يخص الجانب النظري للمسألة.
اما فيما يخص الجانب العملي في هذا العصر فإن الفجور أخطر بكثير من المعصية لأن التيارات والدوائر المعادية للدين تستهدف التدين برمته بغض النظر عن المذهب، ذلك أن البدعة أمر مختلف فيه من أيام ظهورها، ولها أسباب مختلفة، بينما الأحكام الشرعية محل اتفاق بين المسلمين.
وعلى هذا فإن من يريد محاربة الدين لا يفاضل بين المذاهب بل يبث الفجور و الإغراء في المجتمع ويحاول ابعاد الناس عن الالتزام فالمهدد الآن هو التدين وليس الحقيقة العلمية الجزئية ،ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم :" إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون؟ فاتقوا الدنيا واتقوا النساء فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت النساء" مسلم.
المعادون للدين لا يضربون الدين بالبدع إلا التي فيها تمييع لأحكام الشريعة أو إسقاط للتكاليف.
ولا نختلف انه يجب ان نرجو الخير للمسلم حيا وميتا، كما لا نختلف على تشجيع الشباب الملتزم الواعي على الاجتهاد في دعوة بعض الفئات لكن أيضا يجب أن لا

يزك العلماء وطلبة العلم حياة الفجور أو الرذيلة بأي شكل من الأشكال ليس تمنيا للشر لأحد، ولكن لإبقاء الحد والفرقان بين الحياة السليمة والحياة الخاطئة.
لا شك أن بعض الشباب ينظر من باب الرحمة أو من باب مصلحة الدعوة، وكل هذا محمود مطلوب لكن المقاربة بعقلية التضاد مفتعلة أو لا يوجد سبب لوجودها لأن الحدث العادي المحلي يهم المتصل به واقعا، سواء كان على هذا الرأي أو على ذاك ،وهو من يكون لفعله أثر.

الإعلام الماكر على حافة الهيجان ..!

يشهد الإعلام في العالم الغربي وهو أستاذ الإعلام الماكر عندنا انهيارا حادا في المصداقية فحتى المعارضة المصنوعة المتحكم فيها، والنخبة الناقدة بمنهج التعويض :"اعضك من ثيابك مرة واعضهم من رقابهم مرات لم تخدر الناس كلية..!
فتنامي التيارات القومية في العالم دليل أنه بدأ يفقد السيطرة وأن الثقافة المقاومة لم تقل كلمتها الأخيرة.
لذا يحاول اللوبي المهيمن السيطرة على النت بشراء رأس مال أهم المواقع او إدخال أصحابها في القطيع.
على قول أحدهم :الديكتاتورية في كتب الخيال العلمي بدأت تتحقق ،والتحكم في كل شيء حيوي من مركز واحد ليس ببعيد، و سينتهي الأمر عندهم إلى المواجهة الشاملة.
أما عندنا فإن تلاميذه يحاولون تطبيق طرقه بصناعة الدراما من كل حدث اجتماعي ،وحقن المساكين بها لصناعة معايير جديدة للمسلم المثالي الذي يمكن أن يكون أي شيء ترفضه الشريعة والفطرة والعقل بشرط أن يتصدق على المساكين، ويلعب لعبتهم في تخدير ضمائر الناس.
التلاعب بالرأي العام باستعمال مجموع وسائل التأثير على الناس لغرض سياسي اقتصادي ثقافي أصبح ملموسا في القنوات العربية ومواقع التواصل فقد اقتنعت دوائر الهيمنة انه يمكن توقع رد فعل الإنسان إذا استعملت محفزات معينة ولعل من أبرزها بمناسبة موت المشاهير هو استدعاء الانفعال العاطفي وحتى الشعور بالذنب بالتقصير في حق هؤلاء المشاهير مع الإشادة بالحقارة من خلال إبراز الصفات الاجتماعية

للشخص كمساعدة الفقراء أو حب الوالدين كأنه ذر السكر على القاذورات.
وكل هذا يدخل في عملية التطفيل (تحويل المشاهد إلى طفل) بما سبق وبسبر آراء الشارع بانتقاء.
والهدف العميق هو الإلهاء والتضليل، وصناعة تدين جديد شفاف وخفيف يخمد جذوة الدين مع شيطنة حملة الموقف الشرعي.
عندما تنظر في المعالجة الإعلامية لوفاة المشاهير الذين يلعبون دور التنويم تتأكد أنهم يخاطبون الناس كأنهم أطفال..!

قرصنة العقل الإسلامي..!!

لقد توصلت الانطولوجية الحديثة بعد التعمق في الدراسة الانثروبولوجية للعقل و تطور علوم الإدراك المعرفي خاصة علم النفس المعرفي إلى هندسة معطيات المعرفة والربط بين كل مجالاتها وتطبيقاتها.
ومن هنا أمكن المهيمن السياسي مستعينا بها والخبرات الاجتماعية والنفسية من إعادة هندسة المجتمع ليلتحق مقتنعا بنظام هو ضد مصلحته دون أن يشعر أن قناعته مفبركة وغير طبيعية.
ولتحقيق هذا الهدف لا يحتاج فيما يخص السواد الأعظم من الناس إلا إلى علم نفس الحشود وعلم نفس الجماهير بحيث يغير ذهنيتهم ويوجههم حيث يريد.
أما فيما يخص الطبقات التي تملك حصانة ثقافية مثل الإسلاميين وغيرهم فإنه يحتاج إلى قرصنة عقولهم كما وصفها أحدهم :
يعني الالتفاف على ميكانيزمات الدفاع المتمثلة في العقيدة و القناعات الشرعية حتى يقبل الإسلامي نمط تدين يرفضه أساسا رغما عنه، يعني يغير موقفه ذاتيا مما كان يرفضه.
في هذه العملية يحتاج إلى التسلل خلسة إلى الآلة و إعادة كتابة الشفرة لتتعطل.
ويحرص على أن يحافظ الاقتحام على مظهر سلامة ووحدة العقل فيجب على عملية القرصنة أن تحترم براديجم التفكير الإسلامي المعاصر وطريقة العقل في التفكير وعاداته و الغوريتماته وطريقه المعتادة في التفكير.
ما يشبه إدخال حصان طروادة الذي يجعل العقل يعتقد أن كل شيء في مكانه و أن

التفكير لا يزال محافظا على هويته.
حيث نجد الاستشهاد بالنصوص وتفسيرها بالتاريخ الإسلامي وليس بآليات تفسير النص لكن مع الإلهاء عن الأبعاد النفسية والاجتماعية التي تخدم في مستويات أعمق البعد الاقتصادي والسياسي فيركز في مسألة "الترحم على الميت" على البعد العقدي/الفقهي الصرف الذي يغرقه في مرق الإنسانية مثل الرحمة والشفقة والتعاطف وتقييم الإنسان بميزان إحسانه للغير وليس بميزان بعده عن القيم الشرعية.
وهكذا يدخل العقل المقرصن في نقاش حول استحقاق كل مسلم للرحمة والحاجة إلى تأليف القلوب لمصلحة الدعوة.
لا يدرك هذا العقل المقرصن أن القضية لا تتعلق بالترحم ولا بمصلحة الدعوة وإنما يريد تضليلك عن أبرز صفة في الشخص والتي تقرع لأول وهلة وعي المتلقي مثل الغناء الهابط و الشذوذ فما أسهل قبول النموذج حيا بعدما نقبله ميتا!
العقل المقرصن لا ينتبه لمستويات التحليل ولا لجغرافية المعركة.
إذا لم يكن لديك وسيلة للاعتبار فانظر في التغطية الإعلامية..!

مفهوم العالِم.. ؟

لقد تكلم الفقهاء والأصوليون عن حد العالم، وعن كم المعلومات التي يحتاج إليها، ومرتبته في انتاج المعرفة.
والذي أريد الوقوف عنده هنا هو تصوير المفهوم في مخطط يسهل علينا التعرف على العالم بسرعة لأن التباس المفهوم جزء كبير من مشاكل النقاش العلمي عند المسلمين.
لا شك أن المعرفة درجات تبدأ بسيطة عبارة عن تلقي تلقائي ثم نثريها بالتفكير العميق إلى أن تصبح علما، واقصد بالعلم هنا المعرفة المركبة اي التي تبلغ درجة تحويل ركام المعلومات إلى منظومة، ولا يكون هذا إلا بعد استخراج القوانين والمبادئ العامة الكلية، يعني الانتقال من مستوى معرفة الوقائع المفردة إلى معرفتها كلية عامة.
وهنا يتبين لنا أن دور العالم تملك المعرفة كمفردات سواء كانت من وقائع أو نصوص أو وضعيات أو تجارب ثم تشكيل المفاهيم وبناء التصورات في عملية مستمرة مما يعني أنه انتقال من جمع المعلومات إلى تنظيمها في وحدات، وهذا

يتطلب التفكير العميق والعقلانية والصياغة للتعبير عنها وإمكانية التطبيق والتشكيل في نظام متناسق.

وبدون هذا لا يمكن نقل المعرفة وتعليمها، ولا ضحد النظريات فيها.

إذا عرفنا هذا عرفنا أن العلم أربعة أبعاد :

الأول :العلم كمعرفة وهو القدرة على تعريف ووصف موضوع بطريقة منظمة داخل تخصص علمي معترف به، وهذا الجانب الوصفي في العلم.

الثاني :موضوع الدراسة نفسه طريقة عزله عن بقية الموضوعات وقسمته إلى تفريعاته و أجزائه و استخراج أبعاده، يعني القدرة على المقايسة.

الثالث :العلم كمنهج يتعلق بطريقة الاستدلال ومجموع الإجراءات الثابتة المطابقة وبالمناسبة لموضوع الدراسة التي نعتمد عليها.وهذا الجانب التفسيري للعلم.

الرابع :العلم كحالة نفسية وذهنية يعني قيمة وصفة في الشخص الذي يتبع سلوك معين يهيئه لإنتاج المعرفة العلمية مثل :الموضوعية والحيادية والعقلانية والتجرد عن العاطفة، ما يسمى الروح العلمية التي تتضمن الأمانة العلمية والاذعان للحقائق لأنه لا يمكن بعد حصول المعرفة في القلب أن يدفعها عن قلبه(يرجح غيرها) فهذا حرام.

وفي هذا البعد يدخل قول السلف :"العلم خشية الله" يعني القصد هو الله فمن قصد الحق وقبله وصدقه إذا تبين له فقد حقق الخشية.

باختصار :من لا يملك منهجا علميا واضحا مطردا (البعد الثالث) وذهنية سليمة من التحيز ومخالفة القناعة الباطنية (البعد الرابع) ليس عالما وإن عده الناس منهم، لأن الذات هي التي تعمل على العلم، وهنا المعرفة... وهنا المعرفة هي فعل التعرف والعلم هو الحصول على النتيجة.

البعد الأول والثاني يدخلان في الثالث الذي يتعلق بمنهج جمع المعلومات (معرفة الأعيان)ومنهج تحليلها وتركيبها.

ويمكن أن نلتمس هذا في طريقة الاستدلال فإن وجدنا منطقية فيه يعني اللزوم الضروري بين القضايا ومعقولية الحقائق التي يثبتها مع الاستقرار داخل النظام المعرفي فهذه صفات الكلام العلمي.

أثر عدم التزامن الفكري على التسيس الإسلامي.. ؟

التشظي السياسي معاينة يتفق عليها الجميع (وهو فرع عن تشظي بديهيات المشروع السياسي) لكنهم يختلفون حول أسبابها ليس لاختلاف زاوية النظر، فإن النظر الصحيح من أي زاوية كان يختلف في رؤية الأبعاد والتناظر، وليس في موجودات المشهد.

المشكل (في نظري) هو المرض القديم فينا، مرض التجمع على الولاء للأشخاص أو للكيان على حساب الالتقاء على الكليات (الأفكار الحية الواقعية الاستراتيجية).

في الحقيقة كل الجماعات والتيارات الإسلامية هي في نظام عملها تشبه الفرق الباطنية (secte) إن لم تنشأ معهم من البداية، ولم تشرب من مشاربهم، ولم تكن مواليا للجماعة و ليس للمشروع فلا يمكنك العمل معهم..!

لهذا فإن كل حديث عن التشظي الإسلامي في المعترك السياسي هو نوع من التخدير الموضعي لأن الحقيقة هي أن هذه الجماعات سجينة أدبيات وفكر زمن تدشينها، ولأن مشكل أدائها السياسي كامن في آليات عمل الحزب التي تناسب مفهوم الدولة في عهد الحشاشين.

لا يناسب تشكيل الحزب ونظامه الداخلي وآلياته الواقع الحديث.

الحزب السياسي ليس جماعة دينية عندها اعتماد!

والتاطير السياسي للشعب ليس بالكتب الدينية والفكرية التي تشيد بفكر الجماعة أو تؤصل له فهذا ممكن أن يكون بعدا في نواة الحزب.

يشبه التفاوت بين منطلق الإسلامي ووضعه السياسي الحالي، وبين هذا الإسلامي وذاك التفاوت بين الصوت والصورة فالتكامل مفقود في الرؤية والآليات والاستراتيجية، يعني أننا نعاني من مشكلة تزامن فكري بين الشرعي والسياسي، وعدم تعاصر مع متطلبات الدولة الحديثة.

وبطبيعة الحال يسبب هذا التفاوت كالانتقال من الجزائر لليابان صعوبة التركيز والشعور بالنعاس..!

لذا فإن أقصى ما يمكن للإسلاميين فعله (إذا فعلوه) هو التحالف السطحي لأن كل واحد منهم يحمل في عمقه بذرة الشعور بحيازة الحقيقة المطلقة في جميع الآراء، و التي تنتج فيهم عقلية الإقصاء في مستويات مختلفة، و بأشكال مختلفة،فإن لم يقصيك في التدافع العقدي أقصاك في الاختلاف الفقهي أو الدعوي وإلا ففي المجال السياسي.

و الخلاصة :باستثناء الغيرة على الدين والحماس لفكرة مجملة لا نملك رؤية ولا استراتيجية.
يبدو أن المجال السياسي ينقصه اختصاصات تماما كالاختصاصات التي تنقص المجال المعرفي مثل التي تميز العلم عن المعرفة،و الحشو عن الدليل، أو تضع بنوك البيان، أو تصوغ المعرفة .

اللغة العربية..؟

ما لم يفهمه بعض الناس هو أن اللغة العربية بعد الإسلام أصبحت لغة ملة و حضارة وليس لغة شعب لأنها منهجيا تحتكم أولا إلى القرآن والبيان النبوي،وأيضا لأنها وعاء المعرفة الإسلامية التي شاركت فيها جميع الشعوب الإسلامية.
فإذا جاز تملك اللغة كبضاعة فهي ملك كل من خدمها و ساهم في تطوير علومها من الشعوب غير العربية،فمن اهملها أهمل ميراثا حضاريا لشعبه..

التَّقريد..!

ذكريات إنسان ووعي قرد..!
لم يجد كاهن العالم وسيلة ممتازة لصعق رأي الشعوب لإبعادهم عن المسائل الحقيقية مثل إغراقهم في قومية عرقية زائفة من خلال صناعة معبودات جديدة تخفض وعيهم فتصنع أحداثا سطحية يلبسهم فيها شكارة أو بطانة كبش! احتفالا بتاريخ وهمي لا معنى له.
لم يسبق في تاريخ الإنسان أن بلغ التنويم الأيديولوجي بأمور سطحية مثل ما يتعرض له اليوم حيث صارت مقابلة في كرة القدم تغير مزاج شعب، ويستخلص منها انتصارا قوميا.
لقد صنع لبعضهم من أكل الشرشم ولبس جلد كبش تاريخا عرقيا لأن ليفي ستروس ربط الثقافة بالعرق!!
إنه انسلاخ وضياع جماعي عن تاريخ مجيد صنعوه بفضل الإسلام.
أن تبلغ العصبية في الشعوب جذب الاهتمامات الإنسانية إلى مثل هذا السفول في

الوعي أمر يندى له الجبين.
لا يوجد ما يجمع بين الغيبوبة واللامعنى مثل الاحتفالات الكرنفالية على أنها هوية الإنسان .
إذا لم يجد الإنسان شيئا يظهر به تميزه إلا ارتداء شكارة أو الافتخار بالجري خلف كرة فلأنه ليس لديه ما يقوله .
وإذا كان الاحتفال الكرنفالي بخلفية ليفي ستروس ودراسات بورديو هو ما يدل على عبقرية شعب فهذا شعب ضحية يعاني من تحميق جماعي لأن عظمة الشعوب في العلوم والآداب ومساهمتها في صنع الحضارة وليس في جلود الكباش أو في قدم أحمق تضرب كرة.
الصورة :الفن تحت الأرض

مصيبة الأعياد الموروثة عن الجاهلية.. ؟!
عندما دخل النبي صلى الله عليه وسلم المدينة قادما من مكة وجد لأهلها يومين يلعبون فيهما فقال :"ما هذان اليومان؟ قالوا:كنا نلعب فيها في الجاهلية. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :إن الله قد ابدلكم بهما خيرا منهما يوم الأضحى ويوم الفطر" رواه أحمد وابو داود والترمذي والنسائي وغيرهم وصححه الحافظ في الفتح، ومنهم من قال :هو على شرط مسلم.
قال بعض العلماء بأن اليومين هما النوروز وهو أول أيام السنة الشمسية والمهرجان يوم الميزان أو ايكينوكس الصيف، وأنهما من وضع الحكماء المتقدمون (الفلاسفة) المعتنون بالهيئة (الفلك) وصلا أهل المدينة فاتخذوهما عيدين.
والمقصود أن هذين العيدين لم يكونا من الأعياد الدينية ومع ذلك نهى عنهما فإن الابدال يفيد النهي.
وإذا ضم إلى ذلك قوله صلى الله عليه وسلم :"إن لكل قوم عيد وهذا عيدنا" نفهم التحريم، وانه لا يوجد فرق بين عيد ديني وعيد عادي.
قد تكون هناك أبعاد أبعاد اجتماعية وثقافية لبعض الذكريات التي تحفظ قيم الأمة لا تتوفر في هذه الأعياد التي كثرت على المسلمين.
والمقصود من الحديث أن الإسلام لا يعني التخلي عن العادات في اللباس والطعام

وعن اللسان لكن حيث ورد النص فالعادة مخصصة من الأصل، ولا يجوز الاحتجاج باصلية الاباحة في العادات.

وإذا لم يكن للإنسان إلا هويتان :هوية خلقة ويردها الدين والعلم إلى أصل واحد هو التراب، وهوية دين :مؤمن كافر لم تكن العادات الثانوية من هويات الشعوب إلا اللسان، فإن لم يعمل الإسلام على تغييرها فلانها طبيعية لا تعارض الدين.

أما الأخلاق والسلوك والقانون والآداب والاعتقاد فمحسومة بالدين.

لذا يجب التفريق بين من يحتفل بعيد لأنه موروث في عاداته بغض النظر عن الحكم الشرعي وبين من يجعله شعارا ورمزا عرقيا فهذا بدون شك اغلظ حرمة ومحض نعرة عصبية.

الثقافة هي الآداب والعلوم والمعارف والفنون السليمة ليست الفوكلور والوشم... الخ فهذه ثقافة عند لكان وليفي ستروس

الهوية مشكلة تعريف الإنسان قبل تعريف الثقافة

الحمد لله وحده، و الصلاة و السلام على من لا نبي بعده.

هناك عشرات الهويات للشخص الواحد اكثرها تمثلات غير ذاتية، لا تعبر عن حقيقته كإنسان لنستعرض القضية من أصلها فنقول:

أول ما بدأ هذا المفهوم بدأ عند الفلاسفة فجاء بناءً على الميتافيزيقا أن هوية الشيء هي :" علاقة كل شيء بنفسه ، أن يكون واحدا،أو هي الانتماء لنفس الشيء كأخر ".

في الميتافيزيقا الابستمولوجية هي:" صفات موضوعات متميزة بالعدد فقط ،درجة عليا من التشابه".

في علم النفس: الهوية هي " التمثيل الذي لفرد عن نفسه مقرون بشعور الاستمرارية و الديمومة ".

في علم الاجتماع: هي "التمثيل الذي لجماعة عن نفسها، ما يشكل وحدتها و استمراريتها ".

هناك تعريفات كثيرة لمفهوم " الهوية" هي مقاربة خاطئة لمفهوم الهوية تجعله مولدا للنعرات الجاهلية،ويرد الانسان الى مستوى وحش، فعندما أسال : من أنا ؟ ما هي هويتي ؟ ما الذي يشكل هويتي ؟

أجد أنني بهذه المقاربات موزع بين هوية جنسية (ذكرأو أنثى)، و ثقافية (ما هي الثقافة اذا كان لها 150 تعريفا) ،وعرقية (هل توجد أعراق)، ودينية (مؤمن ام كافر مؤمن بماذا وعلى أي مذهب) ،ومهنية (انتمي الى هذه المؤسسة و ادافع عن مصالحها)، و قانونية (بطاقة التعريف)، و سياسية (انتمي لهذا الحزب) و رياضية (أناصر الفريق الفلاني) ؟

بهذه المقاربة الهوية في كل مكان، وفي كل زاوية تتربص بك .. !

صدق من قال : "لولا الأنبياء لكان الفلاسفة أعقل البشر" لأن الاستعمال الفلسفي لمفهوم الهوية شيء آخر- غير التفاهات في علم الاجتماع و الأنتروبولجية الثقافية - ميتافزيقي يرد المفهوم بعيدا عن كل هذه الاعتبارات إلى الواقع الوجودي = كل ما هو موجود ،لأنك أولا شيء قبل أن تكون إنسانا مسلما جزائريا عربيا،شيء من الواقع له خصائص،إذاً لكل موجود هوية ، فليست الهوية خاصة بالإنسان .

هذه الهوية تسمى "الهوية العددية" نسبة الى العدد و ليس للرقم الالكتروني، هي تمييز كل موجود عن موجود آخر، أهو أ .

ثم تأتي "الهوية النوعية" المنسوبة إلى مجموع خصائص مشتركة بين مجموع أفراد مثل "الانسانية "، نوع من الأشياء ، لا تتعلق بمجرد التشابه في الكيفيات ،فالموز يشبه الشجرة لكنه من نوع الحشائش،هوية نوعه هي العشب و ليس الشجر.

عندما نغيرهوية النوع يصبح شيئا آخر،و الشيء الأصلي قد يتغير و يختلف لكن هويته تبقى .

بطبيعة الحال نخالف الفلاسفة هنا في ضرورة التمييز بين الهوية الذهنية و الهوية الواقعية الوجودية، و نستنتج من هذا أن كل البشر لهم هوية نوع واحدة،وهي أنه حي عاقل متكلم،ويرجع لنفس الأصل التراب أو الغبار النجمي كما تزعم بعض العلوم.

وهذه الهويةهي التي اعتمد عليها الشرع في محاربة الجاهليات العرقية عندما قال " الناس من آدم و آدم من تراب " و ان التفاضل بينهم بالتقوى ؛وهذا يعني أن الأصل البشري واحد إذن الاختلاف المعتبر بينهم سيكون في أشياء أخرى لم يذكرها الفلاسفة خصوصا في العصر الحديث.

فالأصل واحد و القدرات و الصفات النوعية واحدة و يختلفون في أشياء كثيرة فرعية مثل انهم شعوب و قبائل لكنها اختلافات غير معتبرة سببها كوني ضروري يتعلق

بالتوالد و الانتشار و ليس بقيمة ذاتية ، و منها اختلافات اخرى تتعلق بمجالات أخرى لكنها أيضا غير معتبرة لأنها ليست من القيم النافعة لهم في الدنيا أو الآخرة فلم يبق إلا التقوى.

و على هذا فكثير من هذه الاختلافات مجرد تمثلات لذا تكون هويات سطحية.

إذا عرفنا أن الإنسان كشيء موجود هو نوع أذن هويته هنا أنه نوع واحد، لكن هذا الشيء الموجود الحي و العاقل و المتكلم ليس له حقيقة وجودية واحدة فهذه هوية خلق فيلزم أن تكون هناك هوية غاية ، وهي تختلف بين المؤمن و الملحد، عند المؤمن هي عبادة الله،وهذه الهوية حددها الوحي و يشعر بها الإنسان في فطرته(و ما خلقت الجن و الانس إلا ليعبدون)، ولهذا تتوجه جميع المخلوقات إلى عبادة ما تعتقد انه الله ،و بالتالي لم يهبها الإنسان لنفسه.

و عند الملحد هي التمتع، ستكون لنا فرصة مناقشتها في مقال قادم عن براديجمات الإنسان في العلوم الغربية ضمن نقد الدراسات الانثروبولوجية في الجزائر.

وخلاصة هذه الفقرة هي أن الهوية الذاتية للإنسان هوية خلق و هوية غاية ،و ما سوى هذا هي هويات تمثل .

وهوية التمثيل هي التمثيل الذي يعطيه فرد أو جماعة عن نفسها ، وهي هوية سطحية لأنها هوية تبحث عن نفسها ، و تضيع في كثرة الأبعاد،و بالتالي ليس لها عمق الهوية السابقة التي تعود إلى خصائص ثابتة و ليس تمثلات.

ومشكلة هذه الهوية التمثلية هي أنها فخ أو طُعم خادع، فليس الوفاء لجماعته لأنها جماعته يبقينا نحن أنفسنا ميتافيزيقيا (علة وجودنا)بل الوفاء للقيم الانسانية الفطرية و المكتسبة من الوحي، و لهذا لما سئل النبي صلى الله عليه و سلم: هل حب القوم عصبية قال: لا، لأنه فطري ثم قال: :و لكن الانتصار لقومك على باطل هو عصبية "، فلا عبرة إذن إلا بالقيم لأنها صور عن الحقيقة ، ولهذا أيضا عندما تداعى غلمان بالانتساب إلى الأنصار و المهاجرين وهي أسماء محمودة قال :" دعوها فإنها منتنة " أبدعوى الجاهلية و انا بينكم " و النتيجة لا انتصار إلى للحق و بدون تعصب لمذهب أو جماعة أو قبيلة .

و الفخ أو الطعم الخادع هو أن الهوية التمثلية غالبا ما تكون هوية ثقافية وهي ظاهرة متعددة الأبعاد، محددة بالانتماء الثقافي المضطرب، و مبنية في مركز مجموعة

ضخمة من الفئات تكون الذات فيها مقطعة الأوصال بين نظام قيم و لسانيات و ديانات، و عادات، و اعراف ... الخ.
و الخطر فيها أنها تولد لا شعوريا التعصب ، فإذا كانت الثقافة مجموع معقد يحتوي العلم و الاعتقاد و الفن و القانون و الاخلاق و العادات و كل سلوكيات الانسان كفرد في مجتمع من الصعب أن تتحقق في جماعة بمفردها فينشأ التمايز بينهم في العرق و في عادات تافهة نخص الطعام أو اللباس .
الثقافة في الانثروبولوجية الثقافية هي : تقنيات ،أشياء مصنوعة، طرق صناعة، افكار،أهواء ،قيم موروثة .
وعند بعضهم : طريقة العيش، أو المعاني و المعايير،أو المحيط المصنوع من الانسان .
وهناك ثقافة عالمة و ثقافة جاهلة ، في الأولى هي تطوير بعض القدرات العقلية بتمارين عقلية مناسبة ، و في المعنى الجاري نجد ان الثقافة عند بعضهم هي : معرفة انجازات العقل في الأدب و الموسيقى و الرسم ، أو مجموع معلومات مجملة في مجالات مختلفة وهذا المعنى هو الغالب .
وهناك الثقافة المحمولة بالمركزية العرقية في الأنثروبولجية الاجتماعية : مجموع النشاطات و الاعتقادات،و الممارسات المشتركة لمجتمع أو لفصيل اجتماعي خاص.
نحن امام مشكل تعريف لا يولد الشعور بالتفوق العرقي؛ و التعريفات الماضية غير حاصرة ولا معبرة بصورة ملموسة عن هذا المفهوم، و قد رصد (Kluckohn) تعريف الثقافة في العلوم الاجتماعية فوجدها 150 تعريفا.
فمثلا الشاب الجزائري عنده ثقافة الشباب ، و ثقافة مسلم و ثقافة جزائري و ثقافة عربي و ثقافة افريقي و ثقافة سلفي و ثقافة اشتراكي أو .. الخ، فأي هذه الثقافاتا تحدد هويته الذاتية الحقيقية و هل يمكن أن يجمع بين كل هذه الأبعاد ..؟
و إذا أخذنا الثقافة بالمعنى الاجتماعي فهي: مجموع صفات مميزة ،الروحية و المادية و العقلية ،و العاطفية التي يتصف بها مجتمع او مجموعة اجتماعية ،وهذه تلغي كل ثقافة مبنية على العرق .
إذا وسعنا المفهوم أمكن ان نقول : ما يجمع أعضاء جماعة و يجعلها متناسقة أو متناغمة، أو ما يحدد بلدا أو أمة ، فما الذي يجمع الجزائريين بهذا الضابط غير الدين

الإسلامي ولغته و الأرض و التاريخ المشترك ،فإذا نبشنا العصبية لم يكن لها دور ووظيفة إلا الهدم .

و إذا أخذنا الهوية في علم النفس الاجتماعي اعتراف الشخص بما هو عليه أو اعتراف الآخرين ، الطريق التي يعرف بها مجموعة أنفسهم أو يعرفهم بها غيرهم على أساس الانتماء الاجتماعي الممنوح او المطالب به دخلت في الهوية العائلة، و العمر و غيرها فأقول: أنا أعرف نفسي بأني مسلم جزائري فما الذي سيضيفه لي إذا أضفت عربي و ما الذي سينقصه ؟

لا يضيف إلي أي شيء له قيمة مضافة،و سينقص مني أني سأتميز عن مسلم آخر بشيء لا يفيد الدين ولا الوطن ، هذا لا يعني أنني لست من العرب لكن ما الذي يصلح له رفع هذه الراية إلا التعصب العرقي إن لم يكن مجرد إخبار عن حق موجود كوجود القمر أو الشجر بدون أي خلفية تنتقص من شعب آخر أو تحتقره ..؟

أن تلبس مجموعة من الناس الاصفر و تأكل السمك في يوم من السنة بوصفة معينة و تسكن بيوتا من خشب على أشكال معينة،و تتكلم بلغتها فيما بينها فهذه عادات لا تعارض الدين ولا الانسانية لكن ان تضمنت تصريحا او تلميحا الانتقاص من مجموعة أخرى لهذا العادات أو اعتبار ذلك تفوقا عرقيا فهذا اولا حمق ، وثانيا جاهلية و ليس هوية ؛ فلا مشكل في العادات ان لم تخالف الدين و تهين الإنسان.

بهذه الاعتبارات التحليلية في هذا المقال و بأخرى قادمة في مقال آخر أرجح أن الثقافة معرفيا هي الاطلاع على معلومات مجملة في مجالات شتى أو هي المعرفة التي لم تبلغ حد العلم المنظم، وحضاريا هي المميزات الحضارية الدالة على الإبداع العقلي و الصناعي و الرقي و الذوق الرفيع.

و أما بعض العادات فهي تنشأ و تختفي في الشعوب لأسباب كثيرة منها الدخول في دين يعارضها أو التعرض للاستعمار او الاحتكاك بشعوب أخرى او التطور الحضاري، وهنا يجعل بعض الناس لباسهم التقليدي ثقافة، و أظن ان الثقافة فيه في الابداع في صنعه و جماله وليس في كونه تقليديا فكثير من الأمور التقليدية لا جمالية فيها و اعتبار أي تفاهة يفعلها شعب ثقافة هو مفهوم غربي متأخر، نفس المفهوم الذي يجعل المشي عريانا حضارة ..؟

كلمة "ثقف" في اللغة العربية هي الفطنة و الذكاء و ثبات المعرفة، و " ثقافة" هي:

تسوية اعوجاج الرماح و السيوف .
و إذا جمعنا كل التعريفات نجد أن الجانب العقلي و الروحي أكبر أجزائها مما يعني أنه العنصر الفعال فيها .

إذا لم يفرق المرء بين حدث ينقل قيمة ثابتة معتبرة ،وبين حدث بلا قيمة.. ؟!

هندسة الحكاية التاريخية لأغراض غير التاريخ
انتبه جيدا لهندسةِ الحكاية التَّاريخيَّة، كيف يبنيها من يرويها، لأنَّ كثيراً مِن الشَّوائب ~ من هذا الطَّرف أو من ذاك ~ تجتمِعُ حول الحدثِ لجعل جوانبه مَلساء، فتُضبِّب الحقيقة. ويُصبِح الحدث أو الحكاية مُبرِّراً لِخطابِه،لا ينظر إليه كحدثٍ تاريخيٍّ، ولكن كَمُبرِّر لما هو عليه الآن أو لما يريد أن يصير اليه،فيشبعه زورا بالشعور بِالمظلومية و بالأحقاد ، و يحمل معه في الطَّريق مظلومية (حقيقية او متوهمة) كلِّ فترة حتَّى يتشبَّع بعواطف لم تكن ~ أصلاً ~موجودةً أثناء الحدَثِ نفسِه؟
مهما كانت طبِيعةُ الحدَثِ التَّاريخي فإنَّه يتشكَّل و ينتقِلُ ضِمن مجالِ العواطِف المُصاحِبة له أو لِنتائِجه، ولإعادَة إخراجِه من المذهبيَّة أو العرقية ليطفوَ إلى سطح التَّاريخ من جديدٍ ، يجِبُ على الدَّارس لهُ كعاقلٍ لا يُريد أن تبقى الأمَّة مَسجونةً في هذا الحدثِ أو الحكاية، أن يُشخِّصَ داخِل الإدراكات المختلِفَة العواطِف و المشاعِر و أحكام الإدانة، و حينئذ اللامُبالاة بالعواطفِ هي وحدَها التي تَفُكُّ شِفرتَه، و طريقَتَه في صُنع التَّصوُّرات ونَسجِ الخيالات،لأنَّ العاطِفة الملتصِقَة بهِ ليست مجرَّد طلاءٍ مذهبي أو ثقافي يُغطِّيه بل هي جُزء منه، ومن توظيفِه في الصِّراعات .

صلة أبطال الكرتون(الورق) بأبطال التاريخ
العيش في التاريخ ظاهرة في الامم المتخلفة ، وهو حمل ثقيل يجب أن يترك لأهل الاختصاص وفي الجامعات، إن حاضرك هو ما يشهد عليك سواء احسنت فيما مضى او أسأت ، المهم كيف أنت الآن ، و كيف ستنتهي ، كيف ستكون الخاتمة ..؟
جعل الله النهار خلفة لليل ، و السنة للسنة، و الشهر للشهر، و الأحقاب للأحقاب، ليمكننا دائما أن نبدأ من جديد، لنصنع لأنفسنا حاضرا ليس بالضرورة أن يكون

مسجونا في ماض مضطرب ،قد يكون تاريخ عائلتك سيئا فيمكن أن تصلحه بأن تكون انت بداية لتاريخ جديد جميل ، تنبع منك الفضائل و تورثها في عقبك، و يمكن أن يكون تاريخ عائلتك نبيلا فخما فتقضي عليه بفسادك و تورث عقبك كل رذيلة ، هكذا الأمم تتقدم .

لا تبنى امة على التاريخ كتاريخ إلا أمة تصنع في الحاضر مآسيها ،و ليس لها فكر تتعامل به مع ألحاضر، فتستدعي معارك التاريخ لتحي فيها من جديد، فكلنا يعرف سيرة النبي صلى الله عليه وسلم ، وسير الصحابة (مع أن هذه السيرة مصدرا ومرجعية لنا دائمة)، و أبطال الإسلام و المصلحين الكبار لكنها مجرد صورة طيفية ، ذكرى في ذاكرة لا تنتعش في الحاضر ، لأن المبدأ الذي صنع تلك الشخصية إن لم يكن فينا كتجربة حية يبقى مبدأ مجردا ، صورة ذهنية لا غير .

يجب على البيئة (الواقع) أن تفرز أبطالها ، ليس هذا دور التاريخ ، تتكون الشخصية التي تقود من الشعور الصحيح بالوسط الذي تعيش فيه ، تعرف بيئتها ، لا تقول: سأقود لأني أريد أن أكون الأمير عبد القادر، أن اكون صلاح الدين بل لأنها تشعر أن هذا طريق الخلاص ، انها مسؤولة، هذا دورها.

ندرس تاريخ الشخصيات الإسلامية و الوطنية للأطفال لنغرس فيهم إمكانية وجود اهل الفضل، إمكانية تغيير الواقع، و ليس لنجعل منها امثلة أفلاطونية.

الناس عاجزة عن الاقتداء بسيد الخلق عليه الصلاة و السلام ويأتي من يريد تذكيرهم بشقنشيق ..؟

التاريخ فخ لكثير من الشعوب، يخدرها لذا يعود للتاريخ بطريقتنا السيئة الفشلة في الحاضر.

تصنع الأمم الغربية حضارتها و تفرض ثقافتها على محيطها بما فيه نحن ثم نتشاجر عليه بعد قرون طويلة من اختراعه، يوليوس قيصر نموذجا .. عقول بليدة !!

صناعة الهوية..!

لا يوجد اعراق، إنما القبائل والشعوب لأن الاختلافات الخلقية بين البشر سطحية، وهم نوع واحد.

ومادام الناس يقولون بها فلن تتوقف الحروب لأن العنصرية والكراهية لا تنبع من

العدم، ولأن العرقية تغذي التبرير للطموح السياسي(هوتسو وتوتسي).
عندما تستولي الحيوانات المنوية على دماغ الإنسان التائه عن سر الوجود يفكر بعرقه.
أما الهوية الثقافية فهوية تمثل ليست ذاتية لدى لا تعبر عن حقيقة وتتغير باستمرار في الإنسان لأنها ذات أبعاد كثيرة جدا، لا يمكن الجمع بينها، ومنها تأتي العنصرية عاجلا أم آجلا لأنها كلمة مجملة ملغومة ،فحددها أولا وبعد ذلك انظر إن كان تحتها معنى محصل غير آثار الحضارة.
وكما قيل :الرجل العظيم ليس له أجداد ولا أحفاد، لأنه يكوِّن عظمته وحده.
(وإن هذه امتكم أمة واحدة وانا ربكم فاعبد ون) انتهى الكلام وختم.

استغفال الحمقى..!!
عندما نذهب إلى الصحراء الجزائرية أو إلى منطقة أخرى نجد عندهم عادات متنوعة في اللباس ولونه والطعام والاحتفال في الأعراس وغير ذلك كثير، قد يسميها بعضهم ثقافة (ويكفي وصفها بأنها عادات).
ومع ذلك نجلس مع إخواننا بكل سعادة مع شعورنا بالاختلاف بين عاداتنا وعاداتهم، ومع ذلك لا نعطيها اهتماما فوق ذلك لأن الذي يعلو عليها هو أنهم مسلمون مثلنا وأبناء بلدنا ،فهذا وضع طبيعي جدا.
لكن عندما تدخل الجاهلية والشعوبية وبغض الإسلام مخفيا تحت شعار بغض العرب، واتخاذ راية غير راية البلد، فهنا لا توجد عادات ولا ثقافة، والحديث عنها هنا استغفال للحمقى.
تذكير العنصري الجهول بحق الإسلام وشركاء الوطن سيصبح قريبا مثل معاداة السامية..!!
لك خصوصيات لاباس لكن لا تساوم بها غيرك في البلد حيث ستصبح عنصرية..

مركزية النبوة في أحكام المؤمن.!
عندما دخل مسروق على عائشة وعندها حسان بن ثابت ينشدها شعرا قال لها :لم تاذنين له أن يدخل عليك ،وقد قال الله تعالى{ والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم}

؟قالت:" وأي عذاب أشد من العمى إنه كان ينافح أو يهاجي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم" البخاري.
قال عروة :كانت عائشة تكره أن يسب عندها حسان ،وتقول: انه الذي قال: فأبى ووالدتي وعرضي*** لعرض محمد منكم وقاء.
فرغم أنها (رضي الله عنها) تأذت منه (رضي الله عنه) كثيرا نظرت إلى ما فعله مع النبي صلى الله عليه وسلم وتركت حظ نفسها.
بالموقف من النبوة تتحدد نظرتنا للناس ،وبها يتحدد مصيرهم عند الله.
من أكرمه الله وعرف القيمة العظيمة للنبوة المحمدية كان هواه تبعا لما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم.
لا يوجد شيء مهم لا نعتبره بالنبوة.

ليس لأنها أمطرت اليوم لن تتوجه غدا نحو الشمس..!

هل سألت نفسك :ما هدفك في الحياة (؟) لأن فوضى الحياة عدم وضوح الغاية.
وإذا لم تعش في كل يوم بحماس وشغف يمدك بطاقة فتيقن أنك بدون هدف في الحياة.
والهدف ليس هو الأمل، الهدف هو ماذا تريد أن تقول للناس، الهدف هو رسالتكم لهم، هل تريد أن تقول لهم :كلوا واشربوا، ابنوا ناطحات السحاب؛وحدوا الله واعبدوه، كونوا عباد الله إخوانا.. الخ؟
هناك هدف شخصي قد يكون حصول على مال أكثر، على بيت اول أو ثان، شراء سيارة؛ لكن هناك أهداف مجتمعية أيضا، يبدو لي أن أعظمها مساعدة الناس على التحسن في دينهم ودنياهم.
وكل واحد منا قيمته قيمة أهدافه فتعال عن المبالغة في متاع الحياة الدنيا.
ليس الهدف أن تعيش لتتمتع ولكنه ما يدل أنك تعيش بطريقة واعية حياة واعية.
إذا لم يكن لك هدف فلأنك لا ترى العالم بطريقة صحيحة، واعلم انه لا توجد رياح طيبة لمن يسير بدون هدف؛ والعقل الكبير عنده هدف في الحياة بينما العقل الصغير عنده أمل.
ولا يهم من أين أتيت ولكن إلى أين تذهب..؟
وعلى قول هيغل :السعيد من طابق بين حياته وأهدافه، لذلك فإن أفعالنا و أخلاقنا تنبئ عن أهدافنا.

يظن كثير من الشباب أنه بدون مستقبل بينما هو بدون هدف، فكثير من العظماء كانوا أناسا عاديين لكن بأهداف عظيمة.
والآن.. إذا قررت أن يكون لك هدف يعبر عن المعنى الذي تريد أن تعطيه لحياتك فنظم كل نشاطك حوله، واربط حياتك إليه، وليس إلى أشخاص أو أشياء مادية.
واعلم أن سعادتك في أفعالك التي تسعى بها لأهدافك، وليست في أهدافك.
ما إن تحدد هدفك تتقدم لأنه يصبح في نفسك قوة مبدعة، واعلم انه يوجد حواليك كل ما تحتاجه لإنجاز أهدافك، وقد كان لبعضهم مجرد قلم وورقة..!
كثير من الأهداف قد لا نصل إليها لأنها ليست من قدرنا أو مستحيلة لكنها تبقى أهدافا نستعملها كمصباح وبدون شك من توكل على الله أرضاه.
{إذا فرغت فانصب وإلى ربك فارغب}
كانت هذه حكم جمعتها لكم.

الوضاعون الجدد..!

هذا "البنادم" الذي ينشر رسائل مسنجر عن توبة الفاتيكان عن التثليث هل يريد رفع معنويات المسلمين أم يريد خداع النصارى..؟
الوضاعون في أية جهة كانوا يفسدون الحقائق لأنهم يجعلونها تشتبه بالباطل.
الصورة :هذا اللمبة ما ضويش..!!

ما يدخل في الثقافة قد يدخل في الجاهلية..!!

الجاهلية هي حياة الأمم قبل الإسلام حيث كان الفرس مجوسا والعرب في الجزيرة واليمن وثنيين واليهود والنصارى على دين محرف.
وعلى هذا فإن أجمع تعريف لها هو :"كل ما كان قبل الإسلام ولم يقرهم عليه من عقائد وأقوال وأعمال وعادات،ويدخل فيه ما لم ينه عن عينه إذا نهى عن جنسه" .
فهذا ميزان المسلم الذي يحكم به على الأشياء وليس ميزان الثقافة والتقاليد{أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون}
وحمية الجاهلية تقابلها كلمة التقوى والمؤمن أحق بها.
ولا يمكن أن يفعل الناس فعلا مجردا عن نية، وتلك النية إما تكون حسنة و إما تكون

سيئة، فإن اقترن بالعادة اعتقادات فاسدة وأعمال كتفريق الطعام على أدوات البيت أو زواياه، والتشاؤم والتفاؤل، والصوم عن نوع طعام، ورموزا كارتداء الأقنعة أو غير ذلك من هذا الجنس فهو من أمر الجاهلية.

وهذه البقايا تدل أن أصل العمل كان وثنيا جاهليا،

فلا عبرة بما يصير إليه العمل فيما بعد.

المثقف.. ؟!

نسمع كثيرا في هذا العصر كلمة "مثقف" على لسان نخبة الشاشات والمقصود بها من يعرف لغة أجنبية و أسماء بعض الأدباء وعناوين كتبهم، وأسماء الرسامين مع قدرة على إنشاد بعض الشعر والأقوال المأثورة والإحالة على بعض الفلاسفة خاصة إذا كانت الأسماء مجهولة عند جمهور الناس.

هذه هي الثقافة التي تسمح لك بالاشعاع في المجالس تكون فيها التفاهة السيدة المضيفة..!

هذه الثقافة هي وجه الجهل عندما يتسلل إلى المدينة.

الثقافة الحقيقية هي المعرفة التي تتغذى عليها باستمرار لتكوِّن نفسك لتكون إنسانا عارفا بربه، عالما بحقائق الحياة والإنسان، صالحا شريفا فاضلا، وتُعين غيرك ليكون كذلك.

الثقافة هي لإصلاح الإنسان ووسطه الذي يعيش فيه، لإصلاح دينه ودنياه، عباداته وعاداته.

المعرفة مجملة أو مفصلة ليست لتزيين المجالس وتقطيع الكعكة للبرجوازية الظاهرة والخفية.

الثقافة ليست الرقص والغناء وبهرجة الألبسة والبيوت فتلك عادات وتقاليد.

الثقافة ليست فَكْرَنَة "التفاهة "بمصطلحات فخمة حتى تصبح كأنَّها رياضيات غير مفهومة لكن محترمة!

اصنع حضارة تعلي كلمة الله أو عش في متحف مفتوح..!

اقتضاء الصراط المستقيم..!

كتاب لا نظير له في كتب المسلمين، يمكن اعتباره مرجعا مهما لتكوين الشخصية الإسلامية ،وتحديد خصائصها ومعالم هويتها.
تضمن كل المباحث التي تبطل وتقاوم براديجمات العلوم الاجتماعية والانثروبولجية الثقافية في تحديد حقيقة هوية الشعوب وثقافتها وعاداتها.
وكذلك اوضعية اللسانية للشعوب الإسلامية ، والقواعد الشرعية في التعامل مع اختلافها ، والفرق بين مفهوم العروبة قبل الإسلام ومفهومها بعده (وهو بحث جليل).
كما تضمن تفصيل مفاهيم: الجاهلية، والبدعة، وأحكام ومخاطر التشبه(بتحليل نفسي نادر) والعادات والأعياد، وضوابط التفاضل بين الناس.
كتاب لا يسع طالب العلم تأخير دراسته لأنه فعلا كاشف لخصائص الشخصية الإسلامية بما لا تجده في كتاب آخر.
دراسته (وليس قراءته) فارقة في حياة المسلم مهما كانت نسبة ما يأخذه منه.
الصورة : قرن غزال جزائري بالتمر والعسل.. ثقافة حلوة..!

يوجد بعض الناس بدون حياء !! يأتي لصفحتك حاملا معه قاذورات نفسه .. استر عنا سوئتك يا هذا ..!!

منهجية القراءة والبحث والكتابة..؟
يبدأ النجاح العلمي (التعلم) بتبني تغييرات إيجابية وعميقة للعادات والسلوكيات العلمية.
وخدمة مني طلبة العلم في الجامعات أو في حلق المساجد والمعاهد الدينية وغيرها سأشرع_ إن شاء الله تعالى_ مباشرة بعد إنزال مقال عن "موقف بعض الدراسات الانثروبولوجيا الاجتماعية و الثقافية في الجزائر من التدين والإسلام الشامل [الاسلاموي!] في إنزال موضوعات منهجية وتنظيمية في الموضوعات التالية :
1_طريق النجاح الدراسي وأهمية الانتظام.
2_الفهم للتلخيص و التلخيص للفهم.
3_النص الحجاجي .
4_تعلم التفكير بنفسك.

5_ تعلم التفكير النقدي .
6_عناصر التفكير والتعلم،ومستويات التفكير.
7_ التدليل باختصار.
8_كيف تتعلم لغة أجنبية.
9_ كيف تكتب مدونة معلومات(حالة الفن)
10_كيف تكتب بحثا علميا (مذكرة/تقريرا علميا /مقالا مفصلا)
11_دليل منهجي للبحث في العلوم الانسانية.

سأبدأ بحول الله بكيفية كتابة بحث علمي بطريقة منهجية ،وبطبيعة الحال هذا مشروع سبق وجمعت مادته،و درسته لبعض الطلبة لكن لا تدري نفس ماذا في الغد، وعوارض الدنيا كثيرة، والنفس شديد التقلب في رغباتها فنسأل الله التوفيق، وأن يكتب لنا أجره، وينفع هذه الفئة في تطوير نفسها بالصرامة المنهجية.

احترام الفضل في العلم..؟

من عرف العلم؛ عرف لذته وصعوبته واتساعه، وعرف حظوظ الناس فيه، فإنه بخلاف الساذج يشهد فضل أهله وإن خالفوا مذهبه، لأن العبقرية العلمية عامة لكل متحرر من الأنظمة المعرفية ممن يعتقد أن النظام المعرفي واحد، قد يتعدد شكلا وصياغة فقط.

وهؤلاء من نتبع مناهجمهم وكلياتهم، و مرتبتهم عندنا في هذا المستوى لا تعني أننا لا نخالفتهم في مستويات أدنى.

ويدخل في هذا فضل أئمة مذاهبنا.

و العبقرية النسبية هي: البراعة والمتانة داخل نظام معرفي معين، فقد تكون مالكيا وتشهد ببراعة وفضل شمس الدين السرخسي في الاحناف،أو ابن عقيل في الحنابلة.. الخ

وقد تكون سلفيا وتشهد بإمامة البقالاني، و بقوة عقل الجويني، وسعة اطلاع الرازي وقدرته الجدلية في داخل المنظومة الاشعرية.

وقد تكون أشعريا وتشهد بعلم وفضل القاضي عبد الجبار داخل منظومة المعتزلة.

وقد تكون مسلما وتشهد بفضل وحكمة سقراط ومنهجه في الخطاب المباشر، وقوة

المجال المعرفي عند أفلاطون، وقوة التصوير والتحليل عند أرسطو من داخل أنظمتهم المعرفية.
وقد تعجب بقوة شخصية ماركس وثباته على المبدأ، أو بقيمة فلسفة روسل في داخل منهجه الفلسفي.
فقد تعترف بقوة التحليل وتعدد مستوياته وبالصرامة المنهجية لكنك لا توافق على النتيجة بسبب ظنية
المقدمات أو لتضييع الأصول المهمة.
الفضل قد يكون متعينا في مشتركات، وقد يكون نسبيا كما قد يكون تحقيقا وغالبا.
والمقصود :غسل اليدين ممن لا يشهد بالفضل إلا لنسخة عن شيخه أو عن نفسه من أهم مواد تنظيف الجو العلمي من السموم.
والعلم لا تشهد عليه إلا الكفاءة ،وهي لا تعرف مسبقا بإجازة أو تزكية ولكن أثناء ممارسة العلم نفسه.

منهج النسائي..!
بعض القضايا في عالمنا الإسلامي تحتاج إلى منهج النسائي _رحمه الله _لما دخل بلاد الشام..!

الكفاءة والتزكية التقليدية أو الحديثة.. ؟
السعي للتزكية على الطريقة القديمة أو العصرية قد يكون فخريا وقد يكون ضروريا للوظيفة والاسترزاق وربما اجرائيا لفتح المنابر فالحرص عليه يكون لهذه الأسباب فقط، وأما العلم في حد ذاته فهو كفاءة تصور تام.
والكفاءة هي وحدها سلطة العلم (قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين)
والكفاءة هي القدرة على التصرف بفعالية ضمن فئة من الوضعيات المستشكلة المحددة.
هي مقدرة ترتكز على المعارف العلمية ولكن لا تختزل فيها.
وتتحقق الكفاءة العملية أثناء الفعل لا تسبقه، فهي إمكانية اتخاذ إجراء فعال في حالات مختلفة.

و الأداء يلاحظ بينما الكفاءة تستنتج.
ولهذه الكفاءة مجموعة خصائص مثل انها عملياتية، منتهية اللمسات، لأن الكفاءة على الفعل لا تقبل الانفصال عن الفعل.
والكفاءة نكتسبها ونتعلمها حيث نصبح أكفاء بالبناء الشخصي للذات، وبالبناء المجتمعي لأفراده. وهي مهيكلة لأنها تتزاوج ليست مجرد عملية جمع: معرفة التصرف، إرادة التصرف، والقدرة على التصرف.
وهي مجردة لا يمكن أن نلاحظها مباشرة لكن يمكن أن نلاحظ مظاهرها ونتائجها، فلا يمكن الحكم على الفعل حكماً نهائيا كليا بدون ملاحظة نتائجه.
في هذه التعريفات الادراكية الكفاءة هي الجزء العملي للعلم.
لهذا احرص على الكفاءة العلمية وتكون بتحقيق أبعاد العلم الأربعة التي سبق وبينتها.
والعلم على قول الإمام مالك :نور يقذفه الله في قلب عبده، وعلى قول الفراهيدي :خواطر تسنح في الصدر.

المواطن و حياة الصورة المفحمة ..؟!

"المواطن" اليوم لا يشعر بموت قلبه سواء سمع خبرا عن نهب ألف مليار، أو عن منع الصلاة، لأنه من بداية الانفتاح الاقتصادي صار خاضعا لعملية"تطبيع الأزمات والمنكرات". فمن خلال عملية حقن المنكر بجرعات تعوَّد عليه..!
فذاك المواطن الذي كان مشتاقا لتفاحة يجلبها له مسافر إلى أوروبا كانت لديه عقيدة أو أيديولوجية ما، يميز بها القيم ؛لكن بعد أن فتح السوق الحر أمامه كل سبل تسويق المتعة والتشهي أدمن عليها فأصبح الاستهلاك والتنافس فيه شغله الشاغل حتى أهلك دينه و فطرته.
عندما يفسد الإنسان ويصبح وكرا للشهوات بدون قيد ولا شرط لا يشعر بتبعات الفساد لأنه في هذه المرحلة أصبح جزءا من هيكلة الأزمة.

عصر الغواني..!

المشهد الأول :
إذا كنت تعرف هستريوغرافيا مصطلح "pornocratie " فستفهم القصة.

كما فعل "برودهون" مع حركة تحرير النساء سنة 1875م عندما ردت عليه امرأتان كتب "النساء في العصر الحديث أو (la pornocratie).. ؟!
وإذا عمت الظاهرة طبقات الشعب!!
المشهد الثاني :
الاستضعاف قد يكون في الكم وقد يكون في النوع؛ وقد اجتمعا في المصلحين..!
معركة المصلحين في هذا العصر اقتصادية بالدرجة الأولى، لكن لتفهم هذا تحتاج إلى فهم مستويات الصراع وطبيعته الشاملة وحقائقه الخفية،فحينها فقط ستدرك ضرورة مراجعة كل التصورات (المفاهيم) التي تُشكل رؤيتك لنفسك ولهذا العالم، وبالتالي لهيكل العمل ولاستراتيجية الحضور.
أنت اليوم في عالم يمكنه الالتفاف على كل دفاعاتك العقدية والنفسية ليوظفك في تحقيق مصالحه.
وإذا وجدك قد قيَّدت نفسك بفكر وفقه وفهم يكفيه شرك فسيزغرد!

الخروج من التفكير في دائرة مغلقة..؟
يتطلب ثقل الظروف تجديد الرؤية لتفكيك شيفرة الميكانيزم الذي يجعل حلقات ضيقة جدا، حلقة نخبة مرتزقة، حلقة إدارية، حلقة مالية، إعلامية، سياسية.. الخ تفرض طموحاتها بإظهارها على أنها إرادة السواد الأعظم..؟!
ربما يحتاج المتيقظ أن يبتعد عن الأيديولوجية من أجل رؤية علمية يمكنها أن تكشف له ما يصعب فهمه بخصوص تناقضات العالم الإسلامي السياسية.
ليسأل: ما الذي تصلح له الطبقة السياسية (بشقها الإصلاحي) إذا كانت كلها تدور في مسار مغلق بخلاف اللاعب الرئيسي الذي ينقل فكرته من دائرة إلى دائرة حتى تصبح حقيقة عامة ..!
يبدو لي أن تقييم والقطيعة مع النسخة الرسمية للإصلاح (فكر وممارسة الجماعات والتيارات التي ترفع شعار الإصلاح) باتت ضرورية إذا أردنا إيجاد محرك سياسي للإصلاح لأن القارب يبحر الآن بحسب حركة الرياح وتيارات البحر فقط.
كلمة لما بعد الحدث نفسه..

قيل :عندما تنهار أمة بسبب عدوها الخارجي تنهض سريعا، وعندما تنهار من الداخل لا تنهض!! [بل تأخذ وقتا طويلا] ..!

التديُّن الساكن أو الميت..!

الحركة صفة الحي؛ وحتى الكلمة تسكن نسبيا أو مطلقا وتتحرك، و من هنا يقع الالتباس بين الكلمة كجذر مشترك، في صيغتها المطلقة في وضعها المعجمي حيث تكون ساكنة مجردة عن القيود فتكون رمزا مجردا للمعنى، وبين المعنى الذي هو حركة في سياق أو في جملة مفيدة.

عندما لا يتحرك التدين الفردي نحو الإحسان، نحو حقيقة أصل الدين التي هي الأعمال الباطنة (الإسلام علانية والإيمان في القلب) [أحمد] يكون التدين الفردي ساكنا، حركة جوارح بدون حركة داخلية فيقسو القلب {فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم } فيقبل الضمير الجمع بين التدين وضده (الفساد)ولا ينفع معه_ حينئذ_ وعد ولا وعيد، بل حتى المصائب لا ترده إلى رشده :{فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون }.

وعلى هذا قال السلف :يزيد الإيمان بالطاعات وينقص بالمعاصي، فلابد من حركة نفسية داخلية بين المقامات والأحوال وسعي للدرجات وإلا لم تشرق أيام الإنسان.

و عندما لا يملك التدين الجماعي رؤية جماعية موحدة، مشروعا حضاريا شاملا في قاعدته تكون الجماعة ساكنة بدون مستقبل.

والمشكل الحالي هو أنه كما يوجد رجل يكون أمة تسعى دوائر النفوذ لتحويل الجماعات إلى فرد، مجموعة أفراد بدون مشروع حقيقي فتدفعهم نحو الجماعية الطائفية دفعا.

وهكذا تصبح جماعة الأفراد فرصة لبعض الطموحات الشخصية فقط وتدخل في عمليات معروفة النتائج مسبقا(؟!)

مما قد يدل أنها بالنسبة لدوائر النفوذ مجرد ثقل مضاد لمنع انبثاق مشروع حضاري سياسي حقيقي(بعضها في الشق السياسي وبعضها في الثقافي والاجتماعي)

إذا لم يتحرك الإنسان من مكانه رغم كثرة الأسباب والمحاولات فهذا يعني أنه لم يغير استراتيجيته (إن كان يملك واحدة)، وإذا لم يغيرها... ؟!

إن لم يكن التدين متحركا وظف لتاثيث الحياة الاجتماعية فقط.

وحدها الثقافة القوية الواسعة هي ما يمنحك مسافة من التلاعب الإعلامي بوعيك.
*انضم إلى حلقة قراءة.وحدها الثقافة القوية الواسعة هي ما يمنحك مسافة من التلاعب الإعلامي بوعيك.

حلق القراءة.. ؟
انتشار نوادي (دوائر - حلق) القراءة بين الشباب أهم شيءحصل للمسلمين(فكريا) في العصر الحديث بعد (الصحوة الدينية).
وهذا إشارة قوية على أن الشباب أدرك أن النضج المعرفي والحضاري هو التغيير بالاشتغال على العقل باستمرار، فوحدها المعرفة تسمح لنا بالتقريب بين الأحداث و الانتباه إلى العلاقات بينها، وبالتالي أن نفهم أنفسنا و ما الذي يجب علينا فعله لنحقق رسالة الإنسان المسلم في الحياة.
وعلى هذا لا توجد وسيلة أفضل لتحقيق ذلك من تكاثر حلق القراءة لكن القراءة ليست فعلا شفافا محايدا لأنها تتضمن مخاطر كثيرة وللاحتفاظ بمسافة آمنة من التلاعب بوعيك تحتاج إلى توسيع وتعميق ثقافتك فكم الثقافة ونوعها هو قاعدة المعارف التي تسمح لك بتحليل المعلومات وتفكيك النظريات وتفادي السببيات الجدلية لاستخراج المخفي وراء المفاهيم والصور.
المشكل هو أنه توجد مافيا الإدراك المعرفي التي تسوق الثقافة وترتب قيميا المذاهب والنظريات و تتحكم في صناعة الكتاب والترويج له وإبراز الوجوه العلمية لأن من يتحكم في المال ثم السياسة والإعلام ينشر المذاهب ويبرز الفلاسفة والمفكرين الذين تدعم أطروحاتهم الثقافة التي تخدم مصالحها، فما يقدم على أنه فلسفة قوية قد لا يكون إلا خرقة لمسح الأحذية..!
والمقصود أنك بحاجة حيوية إلى الثقافة خاصة الفلسفية والتاريخية (تاريخ التاريخ) لكن الحقيقية وليس المروج لها من قرون فلابد لك من قاعدة تأويل تسمح لك بتمييز الفكر الحقيقي (ضمن بيئته وطبيعته) وبين الدعاية.
ولهذا تحتاج إلى شيئين :التحكم في طرق الاستدلال والاتكاء على حقائق الوحي.

واعلم أنه لن يكون تراثنا حيا حياة كاملة إلا إذا منحنا فرصة الإبداع في نقد الثقافة المزيفة.
على قول أحدهم :إننا لا نعلم ما نريد، ولا حتى ما نعلم أو ما نعتقد أننا نعلمه ولكن ما نحن عليه.
و أظنه يقصد العلم بالفعل، العلم الذي يمكن التعبير عنه بعبارات عينية صريحة، والذي يتفاعل فينا حدسيا وليس الذي يمثل جزرا عائمة.
النهضة الحقيقية هي أن نرفع الحشود (نسبيا) إلى مستوى النخبة ،لكن قبل ذلك يجب أن نكوِّن هذه النخبة الجامعة بين عمق التراث وقوة الثقافة المعاصرة.
كذلك يحتاج القارئ الدقيق إلى إتقان إحدى هذه اللغات :الفرنسية - الألمانية - الإنجليزية.

قرصنة العقل السلفي المدخلي!!
لا أظن أنه يوجد عملية التفاف على دفاعات العقل السلفي واختراق وعيه لتحويله إلى مكبح للفكر والعمل الإسلامي مثل كلمة "بدعة"، ولا أقول :"مصطلح" لأن كل مصطلح هو مفهوم ما، يقتضي تصورا علميا يعتمد مبدأ المقارنة بين الأشياء ثم تصنيفها ثم ترتيبها على أساس قاعدة ترتيب شرعية،وهو الشيء المفقود لدى هذا الطيف السلفي الذي لا يحتكم إلى هذه العملية في استعمالاته اللاواعية لمصطلح "بدعة" حيث أمَّم الكلمة و أخرجها من إطارها العلمي لتصبح بطاقة يضع تحتها كل من يخالفه!
نحن أمام بدعة تُبدِّع، خائن يخوِّن،، جاهل يُجهِّل غيره..!!
فحتى إذا ضبطنا مفهوم "بدعة" بتأصيل علمي واضح يفرق بين أنواعها وأسبابها والقدر المشترك بينها وبين الاجتهاد والخطأ لا يسمح لنا ذلك بالاستعمال المفرط لها، فتقرير المصطلح شيء وتوظيفه شيء آخر يرجع إلى اعتبارات دقيقة فيما يسمى "إدارة الدليل وسياسة العلم" لأن المعتبر شرعا هو تصحيح الخطأ وتوفير المادة العلمية لذلك، وليس نبز المسلمين به، لأنه في هذه الحالة يصبح المصطلح مجرد كلمة تحقيرية يتعالى عنها العقلاء.
وخطورة هذا الاختراق للعقل المدخلي (عقل موجود في غير المداخلة) أنه يضع هذا

السلفي في جبهة أعداء الدين صراحة لأنه يخلط عليه سلم التقييم ومقاييس التفضيل التي يُبنى عليها الولاء الشرعي والمناصرة والمساندة، فلا يمكنه وقد اخترقوا أهم حصن معرفي شرعي أعدَّه لصيانة وعيه إلا أن يُفشل كل محاولة جامعة لمواجهة التهجم على ثوابت الأمة.

الاختراق هو قتل السلفية بالسلفية، الإسلام بالإسلام بمجرد النقد التفكيكي الذي يعزل العنصر عن كليته وسياقه والوقوف على عدم دقة في الجزء لضرب منطقية الرؤية الكلية.

القرصنة هي انتقاء خط ضمن الخطوط الكثيرة وتغليظه حتى تختفي بقية الخطوط، مثل: عبارات غير مضبوطة من بعض الأئمة وردت بغير نظام تأصيلي واضح ، أو كلمات تنفير أو فلتات لسان؛ ثم جمع على أساس قياس شبه الصور وليس العلل، وإضافته إليه حتى يتشكل مذهب يهدم المذهب الأم..!!

وهكذا يعتنق الناس المذاهب الملفقة المعدة لضرب وعيهم ودينهم على أنها الدين الصحيح!!

دوامة الخلاف..!

إذا كان غرض الإنسان التبرير وليس طلب الحقيقة وفقا لمعاييرها فإنه سيجد في التراث ما يريد؛ على قول أحدهم عن التاريخ بأنه يبرر كل ما نريد، وأنه لا يعلمنا بصورة قطعية شيئا لأنه يحتوي على كل شيء [تقريبا] ويعطي أمثلة عن كل شيء..!!

إذا فهمت هذا، عرفت أن الاستدلال ليس مجرد تمثيل أو نقل لقول ولكنه تحقيق المراد، وقد يحتاج إلى استخراج المضمر، و المسكوت عنه.

والمقصود أن شبه الحقائق في كل مكان والانتقاء مخدر قوي..!

السياسة و السفر في الأحلام..!

صراحة لا أجد أي شيء يقتضي التغيير في بلادنا، مجرد أفراد عطلوا الأسباب إلا القول فيما بينهم يحلمون بدون أساس واقعي، أو توجعهم قلوبهم..!

وبعض النخبة تبزنس بمثاليات جدلية غير مقبولة أو غير مهتم بها شعبيا.

الأسباب التي تفرض أو تنتج من ذاتها تغييرا غير موجودة، ونحن كما كنا قبل عشر سنوات..!

كل كلامنا عبارة عن وصف للحالة وليس كشفا لعللها.

لا يأتي التغيير من عدم لذا لا تكثر العويل، وكلمة "لا يوجد حل" أو "الحلول متكافئة"(الغالب للأسوأ) من المفروض أن تعطيك عقلانية و هدوءا، وأكثر من ذلك تواضعا أمام ضعفك.

إن لم تعلم إلى غاية اليوم قواعد اللعبة في العالم الثالث فلا تشغل نفسك بالسياسة.

إن لم تغير للأحسن فلا تنتقل للأسوأ، والطريق طويل فاغرس الشجر لتستظل تحته.

الجذر الأصم في وعي المسلمين السياسي..!

كل من أعرف من أهل الفضل تدينا أو نزاهة أو ثقافة حقيقية أو سمعت عنهم(ممن يتكلم في السياسة) لا ينتمون لأي حزب موجود، ولم يؤسسوا حزبا حسب تطلعاتهم، ولا جمعية ذات اهتمام سياسي، فأسأل :من أين سيأتي التغيير على مقاسكم؟!

إذا كنَّا كلنا محللين سياسيين لشعوب لا تعيش في الفيسبوك، أو لا تسمع منا، هي عبارة عن أطفال كبار، أو هكذا تعاملهم السياسة في العالم فكيف نتوقع غير ما نحن فيه..؟!

على قول أحدهم :السياسة بالنسبة لكثيرين فرصة تربُّح (affaire) وتتحول مع الاستعمال إلى لعبة ومضاربة لمصلحة من يعيش منها وجعلها وظيفته!

منطق الشبكة..!

دور المدخلية العالمي هو نفس دور الإعلام المرتزق (عناصر الدعاية) لكن دينيا : القضاء على العبقرية العقلية الثقافية الإسلامية بالشيطنة والتلاعب بقواعد الجرح والتعديل وتغطية المقاصد الفاسدة بقوالب الألفاظ الشرعية..!

و منطق الشبكة هو أن الصفة الأولية في الإنسان والتي تعطل أية صفة أخرى مثل أنه سني او مسلم نزيه أو تقي أو جزائري مثلك هو أنه مدخلي قبل كل شيء...!

يعني حزبية (بالمعنى الديني لا السياسي) لكنها حزبية قبلية.

الإسلام مبني داخليا على قاعدة "موالاة الأقرب للرسول" وخارجيا على قاعدة

"الأقرب للحق، للصواب" (كما في الحرب بين الروم والفرس) و المدخلية لأنها اختُرقت في مفهوم البدعة وعلى قاعدة الوعيدية جعلت ما ليس ببدعة بدعة، والبدعة العملية كالبدعة الغليظة، ودون تمييز بين طبقات المخالفين، ودون اعتبار لمستوى الصراع هل هو ملي أم مذهبي فعكست الأمر.. ؟!

الخطأ والتلاعب في مفهوم البدعة عزلها ذاتيا عن مفهوم: جبهة الإيمان، جبهة الإصلاح، جبهة أي خير مشترك..؟!

ومع كل أنواع المصل لانعاشها فهي في أفول سريع.

لماذا نسميهم "المداخلة"؟

عندما أسمي أتباع منهج الشيخ ربيع "مدخلية" فهذا اسم لمعاينة موضوعية(سبق وعللناها كثيرا) ، تماما كما لو قلت عن شخص أعمى :هذا الأعمى.

و أما من أين المنطقية لتسميتهم بهذا الاسم فأقول :غالب عقلاء المنتسبين للسلفية ممن يوجد بينهم خلاف لا يخرجون بعضهم بعضا من السلفية إلا الشيخ ربيع وأتباعه ومن يشاركهم المنهج ويخالفهم في القيادة.

ولا يفعل هذا إلا من يحتكر الاسم ليتكلم باسم الأكثرية ولم يوكله أحد (إلا من يدفعهم) ، فوجب حفاظا على حقيقة الطيف السلفي، وصيانة لحق الانتساب للسلف، وأكثر من ذلك لما كانوا عليه تسميتهم بالمصدر الوحيد الذي يغرفون منه:"المدخلي تمييزا لهم عن غيرهم تمييزا يضع في المقدمة شذوذهم ويكشف تسللهم تحت الأسماء المشتركة.

الكل الجدلي ..؟

هذه عبارة مستلفة من عند هيغل، لكن في الحقيقة(كما سأشرحه) هو مفهوم منطقي فطري عند جميع الناس فقط الصياغة اللفظية لهيغل.

وأنا أخذه هنا مفصولا عن الأحادية الجدلية المتعلقة بوحدة التناقضات أو الأقطاب المتناقضة حيث يكون التمايز على المستوى الحسي فقط أما على المستوى المتعالي فهي متحدة فهذا إذا استثنينا وحدة المصدر(الخلق) هو وحدة وجود.

و جدلية هيغل المثالية في تجاوز التناقضات الظاهرة معروفة،وكذلك معنى الجدل هنا النقاش وليس الجدل الفلسفي المثالي أو المادي.

كما لا أقصد الكل في الكليانية (هلويزم).

المهم؛ لقد اعتدنا غير واعيين عند النقد أن نفكك كلام غيرنا فإذا ظفرنا بجزئية غير دقيقة أو تساهلا في التمثيل أسقطنا الكل..!

فهذا الصنيع هو الغالب على طلبة العلم إلا من رحم الله لكنه لا يبلغ في السوء ما يفعله محترفة الكذب، أصحاب سوء القصد.

فهذا الصنيع ليس من العلم ولا من نبل الأخلاق لأن المعتبر في التدليل الطابع العام يعني الرؤية الكلية إن كانت تصمد أمام النقد أم لا؟

وعندما نقول الرؤية الكلية فالمعني هو التناسق والانسجام بين فصول الكلام لأن وجود أدلة ثانوية ضعيفة أو أمثلة غير دقيقة أو وهم في الإحالة، أو وجود مثال واحد مضاد لا يخلو منه كلام خاصة إذا كان مباشرا.

وهذه الطريقة في إقصاء الكل الصحيح بجزئية غير دقيقة هي نوع من الجدلية البلاغية لأن اللغة تنقل شِبه حقائق كثيرة ووظيفتها عند العقلاء أن تكون أداة دقيقة وفية للمعنى.

حدود استراتيجية الإصلاح..؟

التحليل السياسي للتوعية والتأثير غير المباشر مهم جدا، فهو أهم جزء في الحياة السياسية لأنه وحده هو من يعيد القضايا المسكوت عنها إلى طاولة النقاش.

لكنه حتى عندما يكون مقرونا بنشاط إعلامي رسمي أو بديل (قنوات - مجلات - صحف - محاضرات - تظاهرات ثقافية /سياسية..) فهو محدود؛ عند درجة ما يحتاج إلى تأطير سياسي.

ومن جهة أخرى لا تكفي فيه العفوية المعرفية أو التحليل بالبداهة لأنه في عالم السياسة المقاصد بعيدة عن الظاهر تحتاج إلى شبكة تفسير الأحداث.

وهذه الشبكة أو القاعدة مستمدة من الطريق الذي رسمته لنفسك فترد كل تأويل سياسي إلى اقتراب من طريقك أو ابتعاد عنه.

وبطبيعة الحال هذا الطريق هو هدفك ووسائل تحقيقه، يعني :نظريتك التي تأخذ موادها من المبادئ ووسائلها من الواقع الذي دائما ما يعود لينفجر في وجهك (على قول لينين)

كما أن العمل السياسي الموسمي الفاقد لما سبق هو الآخر محدود.
و هناك طريق ثانوي هو طريق الشخصيات الثقافية والسياسية المستقلة، لكنه يعاني بشكل عجيب من مشكلة غلبة (الأنا) على القضية فتجد الواحد يبحث عن الحضور الإعلامي، ولتحقيق ذلك يحتاج إلى حمل قضية لكن ما إن يحقق هذا الحضور يغلب أناه قضيته ويأخذ عليها الأسبقية...!
كما تبقى فكرة الإصلاح النسبي تأثيرا من الداخل، أو من الخارج بمساندة الأمثل محتاجة إلى سبر عميق، ومع ذلك ففيها منطقية واضحة، و يسندها التاريخ في الدرجة الثانية بعد العصبة.
و لمنع الحليب المغلي من التدفق لا تحتاج إلى أن تكون فيزيائيا =قطع مصدر الحرارة بأحد الاحتمالين.

إذا وجدت من أحدهم عنادا مع حسن خلق فسلِّم له الحال(لا تسترسل معه) فالعاطفة قوية أو المعطيات ناقصة أو التصور أولي.

ابن باديس..!!

....
بالنسبة إلي ابن باديس في الإصلاح نجم في مجرة ابن تيمية والبنا ومحمد عبد الوهاب وأمثالهم.
كل ما أحتفظ به عن ابن باديس رحمه الله إضافة ثمينة في فهم آليات الإصلاح الديني.
وبعد مسيرة في العلم أضيف شيئين :قيمة فكره في مراجعة الحركة الإصلاحية بعده.
الثاني :الوقوف على نقائص حركته في فهم مجريات واقعنا الحالي، خاصة في ظل العولمة الخفية.
ابن باديس عملاق الإصلاح لأنه جمع في نفسه بين السلوك الراقي بالأخلاق العالية، والعلم الأصيل المتين، ونفاذ بصيرة في قراءة الواقع، مع حكمة في الدعوة.

رجل أسس فكره على القرآن، قيد العلم بالخلق، وأسس حركيته على قراءة الواقع، مثال للمفكر الشمولي الذي فصل بين التدافع العلمي وبين تحقيق المصالح المشتركة.
رجل فهم معنى جبهة الإيمان، جبهة الوطن، جبهة الأمة.
ومع هذا، لم يبق من ابن باديس في بلده إلا ذكرى سنوية، وحديث حنين وذكر مآثر..!
كنت أتمنى أن لا نتجاوزه إهمالا، أو انشغالا بمصادر أخرى ليست أقوى من فكره، ولكن في إطار حركة علمية تقتضيها سنن التقدم والتحسن، كما نفعل مع كل علمائنا (بالمعنى الهيغلي) :التجاوز مع الاحتفاظ بالأهم، جوهر الدعوة ،شمولية النظرة، و الأبعاد.
مشكلتنا مع السابقين إما التقليد الأعمى وإما الإهمال..؟
يمكن أن نتمسك بمبادئ مذهب بدون الارتباط بكل النتائج التي استخلصها المؤسسون.
لا يمكن بحال أن يكون الأتباع صدى لإمام المذهب، لأن المؤسس يعتبر آراءه الفرعية مرتبطة بمبادئه.
والفصل بين الفكرة الأساسية والتي جاءته علاوة على ذلك صعب جدا لكنه ضروري، فلابد من الفصل بين المنهج والنتائج.
ومع أن ابن باديس ليس مثل ابن تيمية شخصية علمية صارت موضوع مضاربات جدلية بين الأتباع إلا أن الاجتزاء لفكره في كلمات مأثورة دون النظرة التأصيلية الكلية صبغه بهالة تبرك خفَّضت من قيمته العلمية.
والمقصود استرجاع مكتسبات فكر ابن باديس، ومالك بن نبي والبناء عليها في صياغة تصورات جديدة.
لنتجاوز مرض المتخلف :إذا جاء التالي أهمل عمل المقدم وبدأ من جديد..!

تفسير الماجريات.. ؟
عندما تحدث أمور كبيرة مثل الاضطرابات السياسية لا يمكنك فهم حقيقتها، عمقها، جوهرها الذي يبقى بعد أن تستبعد الشكلي وتدرك بعض مقاصد الفاعلين بالتقلب بين المعلومات المسربة والمفبركة و المستنبطة بحسب دوافع كل شخص، فهذا يسمم عقلك ،وفي الغالب تندم عليه بعد أن ينجلي الغبار.
ممكن أن نكشف الهيكل خلف الملابسات، وراء الشيء التافه، أو الجديد غير المعهود

نلمس القصد، ووسائل تخريب الوعي.
لا شك أن العلامات تقدم المعنى، وكذلك تتبع مسار الخط البياني لبعض الكتبة.
في بلاد المسلمين السياسة مثل الأقنوم تحتاج إلى فصل طبيعة كل واحد، وبعد ذلك النظر على أساس أن الحقيقة هي في مجموع العناصر عندما يصبح المجموع مغلقا ونهائيا.
وهو ما لم يحصل بعد، لذلك يكون التعليق على الماجريات مجرد مضاربة تحملها الأماني.
في مثل هذه الأحوال يعود العاقل إلى التحليل الشرعي حول سنن التغيير ثم إلى الشاهد التاريخي والشاهد الواقعي المعاش،و يتمسك بما خلص إليه، وإلا تحول في لحظة إلى الإيمان بوجود العنقاء، و الطفرة في العلم والوعي، وفقد معايير التقييم وخصوصا التمييز بين المتماثلات والجمع بين المتشابهات.
الفعل السياسي له اركولوجية و جينيالوجية لا يمكنك إغفالها وإلا صرت ساذجا.
إن لم تفهم العالمي لن تفهم المحلي..

لماذا غابت الشخصيات الإسلامية..؟

1_ لأن الظهور تحدده شاشات الفضائيات وليس المشاركة في المظاهرات.
2_لأن من يحدد من يظهر على هذه الشاشات يقوم بانتقاء دقيق لهذه الشخصيات ويقوم بتدويرها على الشاشات الموجودة.
3_لأن الإسلاميين المنتهجين لطريق المظاهرات!! فاصلوا في الحقيقة المجتمع عملا وخطابا، يعملون عليه من الخارج..!
4_لأنهم لا يدركون قيمة الإعلام فزهدوا في قناة وحيدة بمختلف الطرق، منهم من حاربها صراحة، ومنهم من أهملها،فهي يتيمة وسط قومها!
5_ولأن وعيهم في سبَّاطهم، لم يفهموا بعد أن مقومات التدافع تغيرت جذريا في هذا العصر (métamorphose de la lutte)وهي تتطلب أدوات أخرى لا يسمح لهم فقههم الفرداني تملكها .
كل هذه الأحداث تدل على أنهم لا يتحكمون في قراءة الواقع، وسيلتهم الوحيدة الذكاء الفطري وهو غير كاف.

و الخلاصة هي أن عقلية أشعب(اكذب كذبة وصدقها) لن تذهب بعيدا، ولن تصنع فارقا .

أحوال المسلمين مع النبوة.. !
من المسلمين من يصدق النبي صلى الله عليه وسلم في خبره وأمره لكن بدون دليل ولا برهان.
ومنهم من يصدقه في خبره وأمره لكن من غير دليله هو وبرهانه بل يصنع دليله بنفسه كمن يعتقد أنه يصل إلى عبودية الله بإحداث عبادة غير عبادة النبي صلى الله عليه وسلم.
وإنما الشأن في الذي يصدقه في خبره وأمره بدليل النبوة وبرهانها.. "النبوات" بتصرف.
بعد ذلك يمكنه التعضيد بأمور أخرى.
هذا مشكل فساد العقل والعمل الإسلامي المعاصر.
أهواؤنا أقوى من تسليمنا،نسلم في الأحكام الفردية ونعصي في الأحكام الملية، وعقولنا أضعف من فهم شبكة الحكمة الشرعية في سنن التغيير وقوانين التدافع ،و جناية التأويل على واقعنا لا تقل عن جنايته على اللغة الشرعية .
عندما لا تتوقف المطالب (ولا يمكنها أن تتوقف لأنها لحد الآن شكلية، مجرد راحة نفسية) لابد أن يعيدوك إلى المربع الأول بشكل من الأشكال، الحنة على الوسخ، أو تنجار.. ؟

أوصاف الرويبضة..!!
مع أن اختلاف الآراء أمر طبيعي ،ومع ذلك بعض المتكلمين في قضايا كبرى سندباد بحري!! وهو ما سيخبرنا به المآل.
لا يعاني الرويبضة من مشكل نية صادقة أو صلاح، ولكن من فهم تافه.
وفي الغالب ينتمي لتيار متطرف سبق وأحرق الأمة عنفا أو تميعا..!!
يدفعه الحنق أو الغرور أكثر مما يدفعه الصدق والروية وحسن تقدير الأمور،رضي باسم على غير مسمى.

المسيري رحمه الله..؟

خلاصات المسيري عن المذاهب الفلسفية خاصة الحديثة (بداية من ديكارت) غير دقيقة لأنه ياخذ عن المعلقين (commentateurs)ولا ينتبه إلى انتماءاتهم، و منزلتهم في النقد والتخصص لذا نجد كلامه عن العلمانية فيه مبالغات بلاغية بعيد عن منهج الفيلسوف.

كذلك موقفه من فلسفة كنط سطحي جدا عندما اعتبر أن فلسفة كنط هي من حفظ لأوروبا الحد الأدنى من الإيمان!!

معلوم أن القراءة العلمية قراءة اركولوجية بالدرجة الأولى لا تكتفي بمقدمات الكتب وتصريحات المؤلفين فيها بمعزل عن منطقية الأسس الفلسفية، وإن زعم كنط في "نقد العقل الخالص" أن هدف عمله الفلسفي حماية الأوروبيين من الخطر المادي (ص:381)،وأن مذهبه يسمح بقطع جذور المادية، الحتمية،الإلحاد، اللايقين "المقدمة"، حماية العالم من أضرار العقل التأملي بالدين "أ849".

تحرير اللاهوت من المضاربات الدوغمائية "مقدمة لكل ميتافزيقا مستقبلية" فمذهب الرجل تناقض وتلفيق.

نعم بدون شك يقرأ كنط بحسب الموقع فرجل ملحد مثل نيتشه مفهوم جدا أن يعتبر فلسفته الأبواب الخلفية للعودة إلى الله مبتدأة من عند باركلي ولبنتز "الدجال"

وهذا يقع لمن يقرأ "كنط بدون كنطية ،التفكير في ميتافزيقا ممكنة بعد حملة هيوم.

كلمة نقد في فلسفة كنط مغالطة خادعة خالية من المعنى المحصل وهي تناقضات خطيرة تتمثل في وضع الشيء في نفسه كعلة.!

وبدون إطالة التناقض يجلس في قلب المذهب وينتشر على كل المنظومة وينتهي إلى شكوكية متطرفة.

ملخص فلسفته :لا يمكن للإنسان أن يجد مبادئ علمه إلا في عقله نفسه، ولا يجد مباديء سلوكه إلا في وعيه، فالعلم هو إفراز التعقل، والأخلاق هي إفراز الوعي الانعكاسي.

وبالتالي كل الفجور الغربي والإنسانية بدون تبرير تبررها فلسفة كنط إذ هي قائمة على الاستقلالية الأخلاقية والاستقلالية العقلية، وكل العلوم الغربية هي انعكاس

لذكائهم.
تقديم فلسفة كنط على فلسفة هيجل ومزاوجتها بالفرويدية الغرض منه تبرير التحرر والقضاء على جذوة الدين.
وعلى هذا نفهم أن قول الطيب بوعزة "يحتاج علم الكلام الإسلامي إلى عمل كنط على الميتافزيقا" تخبرنا عن درجة دقة نخبتنا!
ويبقى المسيري إضافة في عالم الثقافة الإسلامية.
هذا آخر منشور سأعود إلى القراءة أحاول أن أفهم ونلتقي نا بعد الانتخابات إن هي حصلت لنتكلم في العلم وحده.
إليكم الخط...

الثورة..

جوابا على سؤال محدد لأخ فاضل بحسب ما التقطت المطالعة لبعد البحوث عن اليد حاليا.
بحسب كامو، وقد كتب عن الثورة، كما في "المقسطون" تحمل الثورة في نفسها المطالبة بالعدالة، تقول :لا للرشوة، الكذب، الطمع، الاستغلال؛ تطالب بالعدالة والنزاهة هي إذاً قبل كل شيء أخلاقية قبل أن تكون سياسية.
وهذا يطرح السؤال عن أخلاقيات من يطالب بهذه الأخلاق؟!
في التصور الماركسي :الثورة تخون الانتفاضة (الحراك) لأن الأيديولوجية والتي هي عند الغربيين كل كلمة يجعلون في آخرها "Isme " تسترجع لصالحها شعور الاضطهاد والظلم وتوجهه نحو مصالحها الخاصة.
لهذا بدلا من السماح للانتفاضة بالاندفاع عند مفترق تقدره تخطط بحسب أهداف محددة في اتجاه نظام معين (صفقة).
مشكلة الانتفاضة(وهذا سبب تحريمها شرعا لمن لم يدرك الحكمة الشرعية) أنها لا يمكن أن تجد نفسها الا في الثورة، يعني: تذهب نحو العنف، هو أنه لا شيء مخطط له، لا تعرف ماذا تريد وإن عرفت ماذا لا تريد..!
لهذا محكوم عليها إن كانت عفوية التحول إلى العصيان، ومن ثم إلى العنف لأنه في مركزيتها، في أولئك الذين هو طبيعتهم، ممن يريد أن يفرض علاقة القوة.

نتابع الجواب في منشور آخر..

Utopia ضد Eutopia..؟!

من معاني الأتوبيا "لا مكان"، "بلد لا مكان" يعني :مكان غير موجود.
وأما الأوتوبيا فتعني "المكان الجيد" "البلد المثالي".
وإن كتب طوماس مور سنة 1516م كتابه "أتوبيا" فإن كتاب "الجمهورية" لأفلاطون هو أول فكرة أتوبية أو نموذج لها حيث مجتمع عادل والنظام السياسي المثالي يحكم الناس لكن بخلاف أتوبية نخبنا الفيسبوكية والفضائية الجمهورية جزء من مشروع التعليم..!!
فبالسؤال عن معرفة ماذا ستكون مدينة بدون ظلم أقام أفلاطون بناءه الخيالي للمجتمع المثالي.
كل أتوبيا تضع رؤية مثالية منطلقة من عقل إصلاحي يبحث عن مجتمع خال من الظلم، مجتمع الأولوية فيه للجماعة ومرجعيته أخلاقيات صارمة،تضع الحكمة والمعرفة و التعليم في الوجه الأول، واقتصاد مغلق لأن الاقتصاد المفتوح على العالم باب دخول الشرور.
لأن هذا النموذج السياسي هو قطيعة مع عالم واقعي يحكم عليه أخلاقيا وسياسيا بأنه فاسد، تبحث عن الملك الفيلسوف أو الفيلسوف الملك!!
هي نوع من الفرق الباطنية أو السرية إذا نزعنا عن الكلمة على قول أحدهم الحمل السلبي صدقت.
في النقيض للأتوبيا نجد الواقعية اللاأخلاقية "كلبية" في الفلسفة السياسية، يعني :مكيافيلي ضد أفلاطون؟
يشرح الأول في "الأمير" أنه يجب معاملة الإنسان كما هو وليس كما نريد أو نحلم أن يكون، ففي عالم الجهل "كهف أفلاطون" الناس ليسوا طيبين، بل طماعين عنيفين ،يفترسهم الطموح.!
بالنسبة للكلبي الواقعية هي البحث عن طريقة للعيش المشترك تبقى محتملة فالاخيار قلة، وتغيير طبيعة الناس إن لم تكن مستحيلة فإن العالم لا ينتظر و الفعل لا يمنح نفسه أجلا فيجب مواجهة الصعوبات وتعلم إدارتها بكفاءة، فوحدها الكفاءة التقنية

تهم(براجماتية).
كل من ينطلق من المثالية يواجه سريعا عقوبة الواقع ويحكم على نفسه مسبقا بعدم الفعالية وينتهي إلى الفشل.
تنطلق هذه الواقعية السياسية من تمثل الواقع في مقابل الأتوبيا التي تنطلق من تمثل ذهني.
مهما كان المجال فإن السلطة ليست إلا علاقة قوة، تحقيق شر أقل بدون ضمان بيقين اي خير (هذا يخبرك من من الإسلاميين قرأ الأمير واقتنع به!) يكفي كخير أن ننجح في إبقاء الناس مجتمعين في مجتمع مدني ومنعهم من قتل بعضهم بعضا.
هذه الواقعية تستند على الوقائع الصراعية والعنيفة للمجتمع على قول هوبس :الإنسان ذئب للإنسان!
على أساس أن التاريخ يؤكد (في غير فترة الأنبياء وأتباعهم) أن الأنا. أن الأنا وإرادة النفوذ والقوة دائما ما يظهر من تحت قناع المثالية.
في منشور "وهم السياسة" سنرى كيف أن واقعية الإسلام المتمثلة في قواعده السياسية المبنية على التعامل مع الممكن المتاح وتحقيق المصالح ودرء المفاسد معتبرا الواجب المعجوز عنه و ما لا يتأتى فعله بدون سيئة، والتي ينتقدها بعض المسلمين الثوريين ارحم بالبشرية من هذا المهاترات التي مرت علينا ومن أحلام الثوريين..

وهم السياسة..وصحّاف العراق..؟

أولا :قد تختلف أحكام الأشياء بين الابتداء والانتهاء، ولهذا نعالج القضية أحيانا من جهة المبدأ وموقفي هنا يحاول أن يكون منسجما مع النصوص التي لست من أنصار تأويلها بحسب الوسائل السياسية المنتهجة في العصر الحديث الغربي الهيئة والنفس.
و أفضل طريقة أئمة الدين في أن الإصلاح دور العلماء في حدود قدرتهم، ولكن ليس عليهم أن يختفوا وراء صدور عوام المسلمين..!
وأعتقد يقينا أن الدولة انعكاس للمجتمع،وأن الفساد منظومة تشارك فيها نسبة مؤثرة من الشعب، و أن عقوبات الله الكونية أكثر من عقوباته الشرعية، فرحمته وعقوبته نلمسها في جميع أحوال الإنسان الفردية والجماعية، وفصل بعضها عن بعض هو

ترحيل للمشكل وتجاهل للمسؤولية الفعلية.
ربط الإصلاح بالثورة ومشتقاتها ربط الذاتيات بالماهية عند المشائين فكرة وعيدية خالصة.
وقد نحاول معالجة الواقع وقد تحرك (بغض النظر عن موقفنا المبدأي) على أن يحقق مصلحة معقولة دون أن يعيش في الوهم الذي يضره عاجلا أو آجلا.
وهذه من الحالات النادرة التي أتمنى أن أكون مخطئا فيها.
كما لا نختلف مع غيرنا في المعاينة ،لأن الحديث عنها تحصيل حاصل.
ثانيا : الكتابة في السياسة بالتأسيس المنطقي على أفكار منتهية التصور لعلماء ومفكرين اجتازوا القنطرة غير الكتابة بالتخمين وفقا لتسلسل الأحداث،الأولى علم والثانية صحافة تبيع الأكاذيب، أو الوهم، أو " تْقَزَنْ" بالتعبير الجزائري.
ثالثا :هذا وقفة عن الشعب والسياسة في الغرب في نظر نظر بعض مفكريه، والحديث قياس
ذكر أحد الفلاسفة أن الكذب قد يؤثر على مجرى التاريخ، والمثال الحرب العراقية الثانية.
إلى سنوات قريبة كان الكذب من جهة السلطة (الكذب المكيافلي) من أجل دعم السلطة واستمرارها لكن في الغرب كان الإعلام هو القوة الرابعة التي مهمتها تعديل الميزان.
لكننا الآن دخلنا في عهد ما بعد الحقيقة على قول صحافية الجارديان.
حيث أصبحنا نجد في موجة الكذب راحتنا إلى غاية أننا لا نبدي أي انزعاج عندما نكتشف الأكاذيب.
يبدو أن قلة فقط تكترث للحقيقة، وهذا يعني أننا نعيش في الوهم لا نحبذ الالتقاء مع الحقيقة التي تقلب رأسا على عقب أحكامنا السابقة و تدعونا لمراجعة الذات.
نفضل الإخراج السينمائي العبقري و اللعوب، نرتاح للاشاعات و التهويلات و buzz.
وتقريبا ذابت السياسة في الفرجة (وزير مهرج أو راقص) وهذه نتيجة حتمية تقودنا إليها.. مابعد الحداثة التي تسكن عظامنا إلى ما بعد الحقيقة.
وهذا تطور طبيعي لتغلغل النسبية في أحكامنا.
لقد تغير جذريا التفاعل بين الساسة والإعلام factual politics حيث يوجه الساسة

النقاش السياسي إلى الانفعالي ليتحزب الناس بدون تدليل مقنع.
على قول هاري فرانكفورت الانتقال من الكذب إلى الحماقات.
كنا مع الكاذب الذي يحتاج إلى معرفة الحقيقة ليتمكن من إخفائها بإحكام وصرنا مع البلعوط الذي لا يكترث بها، لا يهمه إلا متابعة أهدافه.
الكلام عن العيش في الوهم، ومشكلة الرأي العام تكلمت عنه تفصيلا من قبل حيث أشرت إلى

كنتُ في منحة الله بها عليم ،ثم تَفَسْبَكْتُ يومين ،فإذا هو زمن "البْرَاحَة"!!
فإلى أن ينقضي الضجيج.

الشيوخ في زمن تكوثر أقلام الجهل..!
هذه كلمة عن الشيوخ قبل أن نغادر هذا السوق، كان من الواجب أن نبدأ بها .
لأن أحمق القلب لا اللسان يظن أن المعاني أسيرة لغة معينة نحاول أن نشرح له الأمور بطرق وصياغة مختلفة عن اللغة العلمية (لغة الفقهاء) التي صار يحتقرها، ونعضد له ما دلت عليه النصوص بمختلف طرق المعرفة.
كلما استجدت أحداث يسأل كثير من الناس (ممن يعبث بوعيه وهو لا يدري) :أين العلماء.. ؟
ولو سردنا عليه آيات القرآن وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم وأقوال أئمة الملة في الحث على طاعة العلماء وعدم التقدم عليهم والثقة في علمهم لجعل كل ذلك وراءه ظهريا بكلمة واحدة :لا يفقهون الواقع..!
والجاهل لا يدري ان كل مزامير الإعراض التي يتبعها جاهلة بالواقع جهلا ذريعا لأن الواقع ليس أخبار الجرائد.
الواقع كالتقاط الحواس للمعلومات مشترك بين كل الناس، فقه الواقع ليس معاينة الموجود ولكن قراءته لإدراك المقصود.
والتحكم في قراءة الواقع يحتاج إلى شبكة تفسير، وهذه الشبكة أساسها العلم الشرعي ثم العلوم الانسانية :الفلسفة ،علم الاجتماع بفروعه ، السياسة، الاقتصاد، علم النفس، التاريخ خاصة الاقتصادي والسياسي.

و من ضعف في العلم الشرعي وإن حصل بقية الوسائل أمكنه أن يقرأ الواقع لكن قراءة غير إسلامية، وهذا ما تتخبط فيه بعض الأقلام حاليا.
والمقصود أن كل من تتبعهم وترى أنهم فقهوا الواقع لم يحصلوا نصف هذه الوسائل.
و بالمختصر لم يفهموا الواقع حتى ينجلي وتفحص قراءتهم مع نتائجه.
لذا يستقبح من العاقل تسمية المضاربة بالتخمين فقها للواقع!
مواقف العلماء معروفة لأن مستندهم معروف من قرون ولأن الأحداث ليست جديدة، وقد سبق وتكلموا فيها مرارا وتكرارا.
إذن السؤال :أين العلماء؟ المقصود منه أين تعليقاتهم على طرد فلان من المظاهرة، وتصريحات فلان، وما جاء في جريدة الخبر، واستقالة علان...؟
يعني: يريد من العلماء أن يعملوا عمل الكهان، والصحفيين يصبحون "chroniqueurs"!!
وكما قيل :الجاهل يثبت، والعالم يشك، والحكيم يفكر.
الحكيم يسكت، والعالم يلاحظ، والجاهل يتكلم..!!
لقد تكلمت في هذه الآونة مع كثير من الشباب المثقف نسبيا ووجدت أنهم يجزمون بأمور ويحللون ويبحثون، وهذا شيء محمود وبشارة خير لكن عندما يتوسع النقاش يعجزون حتى عن رد المسائل إلى كلياتها فضلا عن ضبط المسالك،لكن بسبب السن يرضى أن يبني حكمه على مقدمات كثيرة ناقصة،وهذا ما لا ،وهذا ما لا يفعله العلماء عندما نقرأ لهم.
أول صفة في العلماء، علماء السنة مهابة النصوص لمنزلة الوحي في قلوبهم، بل يهابون حتى كلام أئمة الدين، يقفون عنده تقديرا واحتراما لأنهم يعرفون ممن خرج.
العلماء لا يتكلمون بالتخمين ولكن بالنص والاجتهاد وفقا لآليات استقر عليها الاجتهاد من قرون.
العلماء يقيسون على الموجود والمجرب والمعاش وعلى العلل المؤثرة.
العلماء لا يستخفون بدماء أو أموال أو مصير الناس.
العلماء لا يبلعون كل ما يقال، ولا تؤثر فيهم كلمة طيبة أو قبيحة إذا لم يشهد عليها عمل خارج حاجة الظرف.

السياسة في الدولة الحديثة علم وحرفة للصراع على السلطة ...!

في فقهنا تدور على إقامة الدين ورعاية الدنيا.

هل انتبهت للفجوة؟السياسة في الدولة الحديثة علم وحرفة للصراع على السلطة ...!

في فقهنا تدور على إقامة الدين ورعاية الدنيا.

هل انتبهت للفجوة؟

قيمة التحليل السياسي..؟

هذا السؤال يقودنا إلى السؤال عن درجة علمية التحليل السياسي، يعني: السؤال عن المنهج.

تعاني علوم السياسة من الاستلاف الابستمولوجي من علوم الحياة، والتعدد الانطولوجي يمنع الوحدوية الابستمولوجية فالوضع الوجودي للكائن الاجتماعي مختلف عن الكائن الطبيعي.

والطبيعة السياسية للشيء مرتبطة مباشرة بحكم الملاحظ، والمقارنة تعاني من جدلية المتشابه والمختلف (نحن كمصر ،لا، لسنا كمصر).

أضف إلى ذلك إشكالية الواقعية وآثارها السياسية.

فنحن بين الوسائل المعرفية المقترحة في المنطقيات التفسيرية المقتبسة من علوم الملاحظة عند تحليل الفعل السياسي،وبين الرجم بالغيب.

والمقصود أن التحكم في المصطلح وطرق تحليل الخطاب بمراعاة المجال التداولي و معرفة المرجعيات و القدرة على السبر أقرب للصواب من العبثية(لعب الورق) التي نشاهدها.

الدولة الحديثة.. الهوية والدين.

جدلية الهوية أم المؤسسات؟

......

التعريف الإسلامي للسياسة ينظر للغاية المتمثلة في تحديد وظيفة السلطة:" إقامة الدين وسياسة الدنيا به" كما عند العز،" أفعال يكون الناس بها أقرب إلى الصلاح

وأبعد عن الفساد ما لم تخالف الوحي"ابن عقيل.
فباستثناء كلام ابن القيم عن الشرائع الكلية والشرائع الجزئية، وكلام ابن خلدون عن السياسة الشرعية والسياسة العقلية (القوانين المفروضة من العقلاء و بصرأء الدولة) لم تتناول التعريفات الجانب الاجتماعي المتمثل في أفعال البشر المتصلة بنشوب الصراع من أجل السلطة، ومعلوم أن الفعل الاجتماعي يحوي الفعل السياسي.
وهذا قد يعني أن الغاية شرعية والوسيلة عرفية.
والذي اعتقده أن هذا التعريف ركز على الغاية على أساس أن المجتمع المسلم لا يعاني من صراع الهوية الدينية، وهو مستقر على الوسيلة تنظيم عصب + أهل الشورى.
لكن الدولة الحديثة والوضع الجديد الذي أحدثته المتمثل في العلمانية والتنافس على الحكم بالحزبية السياسية أربك الفقه السياسي عند الجماعات الإسلامية فالمتمسكة بالتعريف الإسلامي الغائي الذي فقد دولته، و بالوسيلة القديمة رأت أن العمل السياسي حزبية لأنها لم تنتبه إلى طبيعة الدولة الحديثة وصراع الهوية ،و أن الغاية الدينية لم تصبح جزءا من المشروع السياسي.
والتي ركزت على الغاية رغم فهمها لاشكالية الوسيلة لم تفهم طبيعة الدولة الحديثة.
وهذا حصل للغربيين شبيه منه فالدولة الأمة بالمفهوم العلماني رأسملت المجتمع ولفظت الماركسية التي لم تتمكن من الاستمرار لمدة معينة إلا في شكل [ديكتاتورية] والدولة الحديثة من طبيعتها علمنة المجتمع آليا،فالديمقراطية مثلا هي كالبذرة لا يمكنها إلا أن تنبت ما في بطنها.
والمقصود أن الحديث عن التمكين للدين (القانون الشرعي) سابق لأوانه، وينم عن عدم فهم لجوهر الدولة الحديثة، وأن الخلط بينه وبين الدفاع عن الهوية المشتركة بمؤسسات الدولة الحديثة، سببه الخلط بين الدعوي والسياسي، و هو ما يجعلنا نوعا خاصا من الدهماء...!
لذا فإن بناء المؤسسات السياسية والوصول إليها هو هدف السياسي الأول..

السياسة بين الوسيلة والغاية

....

تسبق الغاية الوسيلة في العلم وتسبقها الوسيلة في الفعل.
الدولة ـ في الإسلام ـ وسيلة لتحقيق الغاية المتمثلة في أداء الحقوق (خدمة الناس) وإقامة الدين.
عندما نتحدث عن إقامة الدولة وبناء المؤسسات، وتأسيس الأحزاب والمشاركة في الانتخابات.. الخ فنحن نتحدث هنا عن السياسة كوسيلة، وهذه السياسة بهذا المعنى، في الدولة الحديثة التي نعيش فيها نفصل بينها وبين السياسة كغاية، فغاية الدولة الحديثة خدمة المواطنين فقط، ليس من مهامها إقامة الدين لأنها دولة علمانية سواء أشرفت على الدين كشعائر (تنظيم الحج..) أو كبناء المؤسسات الدينية (مثل المساجد...) أو لم تفعل كالدولة اللائكية.
فالمعتبر في الوصف هو قانونها، هل هو إسلامي أم مدني =لا ديني،ثم رسالتها .
وعليه، فإننا عندما نتحدث عن "التمكين للدين" فإننا نتحدث عن السياسة كشطر الغاية في الفقه الإسلامي وليس كوسيلة، وهو مطلب وإن سبق في العلم فهو متأخر في الفعل يحتاج إلى وسائل للتقدم نحوه ،أو لتحقيق مقدامته، أو لمنع عوائقه.
يعني :حقق الوسيلة (ايجاد الدولة المشتركة) دون أن تغفل أنك في دولة حديثة، في مجتمع فيه صراع هوية، من مصلحة المتصارعين تحقيق المشترك بينهم،وهو الدولة التي تحقق لهم العدالة الاجتماعية والشفافية في الحكم والحرية... الخ،و بهذا تكون قد حققت شطر الغاية الدينية الأول ،و الذي هو في نفس الوقت وسيلة للشطر الثاني.
نستخدم الوسائل المحضة لتحقيق الغاية التي هي كذلك وسيلة لغاية أشرف منها .
المشكل الذي نعاني منه في هذا النقاش سببه التداخل بين تصور الغاية و تصور الوسيلة من جهة،وعند المداخلة: المقارنة بين وسيلة حداثية ووسيلة إسلامية قديمة ترك العمل بها من قرون ،وهي عرفية في الأصل.
ومن جهة أخرى: التعاند بين الغاية الإسلامية والغاية العلمانية الموجودة في الدولة الحديثة، فما هو في هذه المرحلة من اختصاص الدعوي ـ و هو نشر الوعي الديني والتدين ـ ينقله بعض الناس إلى التدافع السياسي في غير وقته، يعني: معركة الغاية الشرعية أدخلوها في معركة الوسيلة، وهذا خطأ يسمِّرهم في مكانهم لأنه ببساطة اختلال في الترتيب الكوني، وباللغة الفلسفية: المقدم في الزمن لا يعني أنه مقدم في الرتبة أو الشرف.

والطرف الإسلامي الذي يعتبر أن الدولة الحديثة حرام كوسيلة وكغاية، لا يمكنه تصور السياسة إلا بتأسيس دولة أخرى مختلفة في تنظيمها وقانونه، وهذا غير ممكن له، يحتاج أن يقنع فكريا المجتمع، وخاصة أهل الشوكة فيه، بدون أن ندخل في موقف القوى العالمية..؟

أصحاب هذا التصور لا يوجد عندهم هدف مرحلي، أو قصد لتقليل الأضرار، لأن الدفاع عن الهوية كحد أدنى فضلا عن تحقيق الغاية من الدولة في الشق الثاني (إقامة الدين) منطقيا يتطلب منك أن تكون موجودا في الدولة الحديثة، يعني: تقبلها كوسيلة وليس كغاية كاملة.

وكذلك تقبل الوسيلة التي توصل إليها مثل: العمل السياسي الحزبي... الخ.

فالدولة المبنية على مؤسسات تحقق العدل غاية إسلامية و إنسانية مشتركة، و المشترك مقدم على المميز في التعايش، وهو نفسه الوسيلة الوحيدة في ظل الدولة الحديثة للوصول إلى الغاية الشرعية المتميزة.

وعليه، نحن نعاني من خلط بين الدعوي والسياسي كوسيلتين مختلفتين، ومجالين يتطلبان كفاءات مختلفة.

الخلط بين السياسة كغاية مرحلية (المشاركة في حكم البلاد) أو كغاية نهائية (وظيفة الدولة بحسب التصور الإسلامي) سبب الاضطراب في الفقه السياسي المعاصر.

في علم الاجتماع نهتم بالمحددات الاجتماعية للانتخاب، في السياسة نهتم بالانتخابات نفسها كوسيلة لتحقيق الهدف السياسي.

كذلك الدعوي يهتم بالجانب العلمي والأخلاقي للسياسة كجزء من اهتماماته، وأما السياسي فيهتم بآليات تحقيق الأهداف مرحليا بحسب التغيرات التي يحدثها في الذهنية الاجتماعية سواء بالدعوي أو بالإنجازات السياسية.

في الأخير :من يخوض الآن سياسيا معركة الهوية (وإن كنت تكتيكيا على غير هذا الرأي)لا يقصد إقامة الدين أو تحقيق السياسة كغاية كما يعتقد البسطاء، وإنما يهدف لمنع المخالف للهوية من الاستيلاء على الحكم أو الانفراد به،فالوسيلة هنا لدفع مكروه وليست لجلب محبوب.

المشاركة السياسية في هذا العصر لها غاية هي تحقيق الشطر الأول من وظيفة الدولة في الفقه الإسلامي، وهو الشطر الإنساني المشترك المتمثل في العدل وتوابعه، لأن

العدل قيمة تحتوي في نفسها بقية القيم.
والغاية الثانية :دفع المكروه المتمثل في تغيير هوية الشعب بالتواجد في دوائر سياسية تسمح له بمقاومة مشاريع التغريب.
إقرار الواجب علميا شيء و تعليقه (الاحتفاظ به إلى وقت القدرة عليه) شيء آخر.
هذه هي المعادلة في الإصلاح و السياسة، وإلا صدق الحلاق في" الدولة المستحيلة"، وأعتقد أن ظنه صدق، ليس لأن الإسلام لا يمكنه أن يطوِّع الدولة الحديثة، و يتكيف مع الواقع المعاصر، ولكن لأن عقولنا منقطعة في بيداء الوهم !!
المهم :من اختلط الأمر في رأسه اختلط عليه في الواقع، ووجد نفسه "خضرة فوق طعام".
في بلاد المسلمين يَغتصب الحكم ثم يدخلهم في نقاش حول "مدنية الدولة" !! فإذا أبدى الناس معارضة استخف بعقولهم وقال لهم:مدنية غير علمانية !!
يعني:وغير إسلامية، فهي علمانية عمليا، لأن التقابل هنا لا يسمح باجتماعهما و لا بارتفاعهما، فإذا وجد أحدهما ارتفع الآخر، و نظريا كحبر على ورق في الدستور هي شفافة.. !
نحن في دولة حديثة أنتجها فكر علماني، فما العلمانية إلا الوجه السياسي للحداثة والحديث عن وسيلة إقامة الدولة كما كانت في الدولة الإسلامية القديمة عند الحديث عن الوسيلة في الدولة الحديثة، والحديث عن الغاية من الدولة في الإسلام عندما نتحدث عن الغاية المشتركة بين المختلفين في الهوية، هو فجوة في العقل لا تقع إلا لمن لا يفصل بين الموجود و المقصود، و لم يفهم الطريق بينهما، يعيش في طفرة زمنية فيها ماض ومستقبل فقط، الحاضر مهمل!!
وتبسيط الجلي لغو و عي في اللسان.. والمهم رانا في غمة من صنع محلي!

الفرق بين السياسة المتدينة وبين الدين المسيس هو الفرق في عالم السياسة بين رؤية سياسية وبين رؤية وعظية.
الأزمة فرصة نادرة تسمن فيها الأرانب..!الأزمة فرصة نادرة تسمن فيها الأرانب..!

أزمة اليوم نكتة الغد، فخفف عنك الضغط..!!

الوعي الظرفي :
وعي جوال بدون منزل ، لا يعرف أين سيبيت .....!

النميمة نقد جبان نوصله بواسطة شخص آخر..!النميمة نقد جبان نوصله بواسطة شخص آخر..!

جوهر العلمانية هو العقل المشرِّع من نفسه لنفسه؛ فصل الدَّين عن الدَّولة سياسيًّا أنت فيه من مدَّة طويلة..!

بذور العلمانية في التراث الإسلامي. . ؟!
فصل الدِّين عن الدَّولة بدأ في العصر العبَّاسي الثاني يوم فُصلت الولايات عن ولاية الشَّرع ؛واحتفظ الحاكم بولاية الحرب دون ولاية الصَّلاة، وتمَّ التَّأصيل له فقهيا بالفصل بين الشَّريعة والسِّياسة كما فُصلت الحقيقة عن الشَّريعة في العبادة والإرادة. .؟
وفصل العقل عن الشريعة الذي بدأ مبكرا وأصل له ابن رشد الذي يقال في الغرب أنه مؤسس الدولة اللائكية فلسفيا.. ؟!
تغيير مصدر قانون القضاء بدأ مع حملة نابليون..!
لذا اكترث الآن ببناء الدَّولة فأمامك طريق طويل تصلح فيه أوَّلا فكرك لتقترح مشروعا حقيقيا يُغيِّر الذهنيات ويسدُّ حاجات الإنسان.
المعركة مع العلمانية ليست سياسية بامتياز، بل معرفية مع فلسفة الأنوار والحداثة وبناتها.
لذا تقع المهمة الأكبر على عاتق الدعوي وليس على السياسي.

لذا عندما قلت في المنشور السابق بأن جوهر العلمانية، هو العقل المشرِّع، وهي أساس فلسفة كنط المعرفية والأخلاقية حيث العلم إفراز للعقل، والأخلاق إفراز للنفس فلأوضح تاليا أن البذور موجودة في تراثنا، وأن الانحراف بدأ عندنا.
الفصل عند العباسيين فصل إجرائي إداري وعند الفلاسفة والمتكلمين عقلي معرفي وعند بعض الصوفية عملي إرادي.
العلمانية نتيجة حتمية لمنزلة الدين والإيمان في العقلانية.

المسؤول عن علمه والمسؤول عن فهمه..؟
العلمانية مرتبطة _في أي بقعة في العالم _بأفول الالتزام الديني.
حصر العلمانية في الجانب السياسي و إغفال أصلها ومحركها ،وهو الفصل بين العقل والدين (عقيدة لأن الشريعة فرع عنها فقط) مصيبة عظيمة عند الإسلاميين!!
إذا أعان الله شرحنا لكم الفكرة، ولماذا لا يعارض العلمانية عقيدة وليس كموقف إيماني من تحكيم الشريعة إلا فصيل واحد من المسلمين.

إذا لم تعرف ان العلمانية تولدت من إصلاحات مسيحية وظفتها فلسفة الأنوار فلن تعرف كيف بدأ توليدها من الإسلام. المعركة أكبر من تصورك

المسار الإسلامي نحو العلمانية ..؟
الحمد لله وحده،و الصلاة و السلام على من لا نبي بعده.
الحديث عن بذور فكرة الفصل بين الشريعة و السياسة و ارتباطها بالفصل بين العقلانية و الشريعة والحقيقة و الشريعة لم تأخذ نصيبها في دراسة قابلية العقلية الإسلامية للعملنة لأن العلمانية كفكرة جاهزة مكتملة جاءتنا من الغرب مع الحداثة التي هي الصورة النهائية أو العملية لفلسفة الأنوار.
وإذا خرجت العلمانية من المسيحية فإن المرحلة الثانية من العلمنة التي شهدها العالم الإسلام أخذت نفس المنحى الغربي يعني: محاولة توليدها من المواد المحلية ،هذا ما لم ينتبه اليه الإسلامي المخاصم لها لأن بعضه هو جزء منها ، نعبر عنه أحيانا بالتغلغل العلماني في الإسلاميين.

ولهذا أظن أنه لحد الساعة المعركة معها خاسرة لأن الصراع مع العلمانية سطحي جدا لم ينتبه إلى أن الذهني (psyché) الإسلامي فيه قابلية لها،و أن السير نحو الحداثة كما نفعل يقود ضرورة إليها ،فلماذا تعجز بعض الدول الإسلامية التي عندها رغبة عن الانفصال عنها ،و أخرى تقترب منها رويدا رغم الخلفية الإسلامية القوية فيها ،و لماذا لا يكترث بها إطلاقا جمهور المسلمين وليست من موضوعات اهتمامهم ..؟

يقول بعض المسلمين ممن كتب عن العلمانية: لسنا كالغربيين لأن دينهم محرف وجدت العلمانية بيئة مناسبة لها..؟

ولكني عندنا انظر في قوله صلى الله عليه و سلم :" لتتبعن سنن من قبلكم" الحديث، وأرصد المسار الاسلامي أرى العكس تماما، وهو أننا على خطاهم ماضون،فإن كان ديننا محفوظ الرسم فان المعنى وقع عليه التبديل في الخبر و في الأمر،لذا يجب أن نعرف كيفية هذا الحفظ .

حفظ الدين حكم قضاه الله لأن الاسلام آخر رسالة و بالتالي لا يمكن انتظار نبي آخر يأتي لتجديد الدين، وهذا الحفظ مفعل بعدم اجتماع الامة على ضلالة كما ورد في النص، مما يعني أن الامة لا يخلو منها الحق، لكن هذا الحق قد يكون عند طائفة صغيرة، موجود لمن بحث عنه ،غير معروف للأكثرية،فالمعتبرفي المواد التي ستسخدم في توليد علمانية محلية ليس ما عليه فئة من المسلمين و لكن حال الغالبية.

من يرقب مسار الأمة بداية من العهد الاستعماري يدرك أننا نسير نحو الحداثة بخطى حثيثة، و نعجز عن صد تأثير ثقافتها التي هي جزء من وظيفة البضاعة التقنية التي نستوردها، لذا فان أم المعارك ليست في المستوى السياسي بل في الأصول المعرفية ، في الفصل بين الايمان و العقل الذي فتح كل التعديلات التي شهدتها المسيحية ومن ثم إلى تبلور فكرة العلمانية.

وهذا موجود عندنا أيضا حيث وقع الفصل بين الشرع و العقل في نظرية المعرفة الإسلامية و في الأصول العلمية دون العملية عند بعضهم، وعند بعض الصوفية الاتحادية و بعض الفرق وقع فيهما جميعا.

و يمكن أن نسأل لماذا سيكترث من ضعف عنده الالتزام الديني بالقانون الوضعي، و لماذا لا يمكن تأصيل العلمانية بمواد محلية و قد سبق عندنا وضع السياسة في مقابل

الشريعة، كما وضع العقل في مقابل الشرع، و الحقيقة في مقابل الشريعة..؟
فصل السياسة عن الشريعة المصالح المرسلة موقف المداخلة و الصوفية و جمهور الطوائف الاسلامية
ولنسأل هل المسار الذي اتخذته الأمة من الدولة الاستعمارية إلى اليوم يسير نحو الدولة الإسلامية الحديثة أم نحو الدولة العلمانية.
إذا كانت الحداثة هي الرحم الاجتماعية و السياسية و الثقافية للعلمانية،فحيث طورت الحداثة قوتها الحضارية أصبحت المسيحية منزوية الى هامش الحياة الاجتماعية(قضية الخاصة للأفراد) يقل عددهم باستمرار ،فلم تعد تشكل عمق سلوك ووعي الإنسان الغربي، أليس هذا ما يحصل في المسلمين اليوم تحت رعاية الدولة الحديثة ،ألسنا نار في إطار الثقافة الشبابية العالمية صناعة المعنى الديني و الحياتي من اختصاص الفرد و ليس الجماعة أو المؤسسات الدينية ..؟
في نهاية القرن 19م و بداية القرن 20م أصبح الدين مقرونا بالمجتمع التقليدي مآله الاختفاء من المجتمعات الحديثة (ثورات ــ ودمقرطة) فأسس أوغست كونت نظرية الدول الثلاث،و أسس كارل ماركس نظرية الدين= أفيون الشعوب،و أسس دوركايم لنظرية انحسار ضروري للدين في المجتمعات الصناعية.
نشاهد اليوم استمرار العقلنة العلمية و التقنية لعالم مفرغ من كوسمولوجيات مقدسة،حيث كل السياسات المنتهجة و الثقافة التي يعمل على نشرها تعمل على تأكيد استقلالية الفرد الذي أصبح ذاتا سياسية واجب أن تعيد اختراع نفسها ، فإذا خصص كل شيء فلم لا يخصص الدين كذلك ؟
ربما يمكن أن نقول بأن انحسار الدين صار يشكل مؤشرا للعصرنة.
وعندما أقول: يتم توليد العلمانية من مواد دينية مثل العقلنة الإسلامية كما حصل في الغرب ضمن العقلنة الغربية كما أشار اليه هبرماس و ماكس فيبرالذي قال :لم يعد الدين ضحية غير مباشرة للحداثة و لكن فاعل كامل في سير العملية،و صارت الأثننة مهمة جدا في تنظيم أخلاقيات الحياة الدينية فالمقصود أن بذور ذلك بدأت في الغرب بمركزية الإصلاحات البروتستنتية التي تأسست عملية الإصلاح فيها على عقلنة العلاقة مع العالم من مبادئ دينية .
بالنسبة لـ ماكس فيبر :فإن إصلاحات البروتستنتية هي آثار غير مقصودة لصالح

مثالية المعاصرة مثل: "الفحص الحر،وحرية الضمير و التسامح ، استقلالية الحكم في العلوم كما في قضايا الإنسان".
و بالنسبة إليه ساهم في الدين في العلمانية من غير قصد في دور نظرية العدالة الالهية في تغيير المذاهب الدينية من خلال محاولة الدفاع بمنطق و عقلنة الدين.
كذلك التعريف الزوجي للعلمنة و العقلنة في أعمال هيجل و أعمال ماكس فيبر كان لها دور مهم تاريخ الابستمولوجيةمثل أطروحته عن " دور الطهرانية (puritanisme) في بروز روح الرأسمالية.
ومن ذلك أيضا : عقلنة الدولة و الذاتية الحرة (العقل في التاريخ) ،(فلسفة غير مؤرخة وغير اجتماعية) دور الدولة في عقلنة الحياة الاجتماعية قوي جدا ، و فكرته عن كون الديانات جسر نحو حقيقة ديناميكية (وحدة الوجود على نسخته) و أنها ليست حائزة على الحقيقة ، ولابد هنا أن نتذكر الصراع العلمي الإسلامي القديم حول الحقيقة المطلقة و الحقيقة النسبية في مباحث المحكم و المتشابه و تصويب المجتهدين ، كيف تشكل بعض المذاهب فيها مادة للمتعلمنين من المسلمين.
لحد الآن لم نعاين بدقة الخسارة الدينية كما عاينتها الكنيسة ما بين سنة 1930/1960م و المقصود بالخسارة انحسار الالتزام الديني فوظفت علماء الاجتماع من خلفيات مسيحية لتحليل الظاهرة و قياسها تحت عنون أفول " حضارة المعابد " و خلصت غلأى أن الثورات التي شهدها العالم الغربي كانت وراء القوانين اللائيكية ،لكن أهم ما وقفت عليه هو أن السبب الرئيس هو فلسفة الأنوار التي قادها فلاسفة وبورجوازية ربوبيين ،لا أدرانيين،من كنط ، وفولتير و روسو و غيرهم، مما اعتبره العلمانيون محاولة لشيطنة الحداثة كرد فعل على الانهيار السريع للديانات.
وما بين سنة 1960/1980م بدأ وعي المؤرخين و علماء الاجتماع بالتغييرات الجذرية ما سماه (Olivier Tschannen)المرحلة البراديجمية حيث نجد فكرتين :
الأولى: وجوب مراجعة براديجم الانهيار على ضوء التحولات الاجتماعية التي ضربت أوروبا.
الثانية: خصخصة الدين المرتبطة بانحساره لم تعد مؤشرا كافيا على العلمنة، مع عودة الحركات الدينية الجديدة مثل البوذية التي مست الطبقة الوسطى المثقفة في الغرب، و ظهور إلهيات التحرر في أمريكا اللاتينية ، و الثورة الايرانية و الحركات

الإسلامية في العالم الإسلامي.
وهنا ظهر شكل جديد من العلمانية سببه تحرر علماء الاجتماع الدينيين من وصاية الكنيسة يعني إلى إثبات الأصول الدينية للعلمانية ، و أن البروتستنتية هي من دفعت بفكرة الإنسان المعاصر ،و الانسانية فكرة مأخوذة من الصوفية الإسلامية ،و يمثل اللغز الأمريكي التجدي لمفهوم إزالة المسيحية أو انحاسر الدين في العالم المعاصر حيث نجد مجتمعا مغرقا في خطاب ديني وعظي لكن كل شيء مباح ،و كل منحل أخلاقيا سواء كان سياسيا أو فنانا يلبس صليبا و يفعل كل شيء مع مجتمع مادي استهلاكي يفيض بخطاب ديني وعظي في فصل تام بين الثرثرة الدينية و الحياة مفرغ من اي تدين حقيقي .
و المقصود أن المرحلة الثانية من العلمانية التي يشهدها العالم الغربي و بالتبعية بقية العالم هي الكشف عن الجذور الدينية للعلمانية ، و أن العلمانية لا تستلزم اختفاء الدين بل يجب أن نفكر فيها كنتيجة لتحولات اجتماعية مثل العقلنة و التمييز ،و أن العلمنة هي عملية فقدان الكنيسة للتحكم في تربية الأجيال لصالح الدولة ،وهذا مقرون بأفول الالتزام الديني و تغيير الأخلاقيات، و لذلك قلتُ في مناسبات كثيرة أن سلاح مواجهة العلمانية في المجتمع على المستوى العملي هو محاربة الفجور و نشر التدين وهذا دور الوعظ.
يقول بريان ويلسون في " العلمانية التمييز الهيكلي للنظام الاجتماعي (ص:40/1976): سحب التعليم و التربية الأخلاقية و العدالة و المعرفة و التكافل الاجتماعي من رجال الدين.
ثلاثة مفاهيم مركزية عند تشنانن:
1 ـــ التمييز: الحياة الاجتماعية تتفرق في دوائر متميزة دينية و لا دينية ،مما يستلزم تحكم ذاتي autonomisation (برجر و ويلسون) ، الخصخصة(لوكمان) تعميم المرجعيات الدينية خارج الدوائر الدينية (فيبر، بارسونز،لوكمان) تعددية رؤى العالم داخل الدائرة الدينية مع منطقيات تتنافس (برجر) و أفول الالتزام و الانتماء الديني.
2 ـ العقلانية: المعايير العقلانية تفرض نفسها في الدائرة اللادينية و تصبح مؤسساتية تنكر وجود المقدس، يجري هذا على مستوى المثقفين و لكن كذلك على مستوى التنظيم الاجتماعي، السياسي ..الخ مما يستلزم : علموية

(scientisation)(socialogisation) والتي تحدد النظام الاجتماعي بطريقة عقلانية ،حيث أن انهيار رؤية العالم الدينية لأن المنظومات تفقد في الاقناع و الامكانية الثقافية بسبب المنافسة نفسها.

3 ـ العولمة : المجال الديني يلتفت الى المصالح الخاصة له اللادينية الحياتية ، تعويض اخلاقيات المتوجه للغيب بأخلاقيات المجتمع الراقي mondaine (فكرة فيبر) و التدين يفرض نفسه كتزود بالمعنى و أداة التحقيق الشخصي لا الجماعي.

لابد أن نفهم أنه بالنسبة للنظام العالمي فإن النظريات العلمانية غير قابلة للرجعة و ان عودة الأصوليات(الدين) ليست إلا مقاومات ظرفية مؤقتة ، و ان نجاح الروحانيات من الشرق الأقصى في العالم الغربي مثل البوذية يقع ضمن منطق خصخصة فردانية الاعتقاد، لأن العلمانية هي العصرنة و التحديث،لذا ما لم نفصلها عن حداثة إسلامية، و نتحكم في ثنائية القديم و المعاصر فإن الانزلاق نحوها أكيد.

ولابد أن ننتبه إلى أن انتشار الباطنية العالمية المعاصرة، ما يسمى دين الحب ،وهو الوجه الديني للأنسنة هو من المواد المهمة في صناعة علمانية محلية .

هناك حقائق تريد العلمانية توظيفها ، مثل أن الدين يحافظ على الحياة الجماعية كما عند هبرماس،لكن من خلال سيطرة الدولة على الدين ،و إخراج الدين من النقاش العمومي و تقديس التنوع .

مفهوم العلمانية و المنظور التاريخي

العلمانية مصطلح متعدد المعاني و هجين : الفرق بين العلمانية نسبة الى العلم و العلمانية نسبة الى خصخصة الدين.

ـ الأبعاد الثلاثة للعلمانية:

1 ـ المحايدة (neutralisation): تحديد مفهوم "مواطن" بمقاييس أخرى" ـ الفصل بين الديني و اللاديني ـ علامات و معايير الانتماء للدين من عدمه ـ

2 ـ خصخصة الديني :المطالبة بالصفة الشخصية للتدين،و و إذا قبلت الديانة نسبيا فمن باب أنها تدخل في حقوق الإنسان و حرية الأشخاص لكن مع عدم الاعتراف بالأجسام الدينية بأية خاصية جوهرية لها.

3 ـ عقلنة الحياة: على المستوى الفردي و الجماعي (التمييز التقدمي شيئا فشيئا لمختلف مجالات النشاط بالمحو المتنامي للتراتبية بين هذه الدوائر و بين القيم، و

انهيار التمثيل الرمزي الديني و الميتافيزيقي.
بدأت العلمانية الفعلية مع روسو و روحانيته المبنية على الكائن الأسمى و الدين الطبيعي و اختزال المذاهب من أعلى " الدولة" وقدم الحل العلماني لتناقض الدين مع العلمانية من خلال قاعدتين : يمكن أن تكون مسيحيا وثوريا ـ و يمكن أن تكون ثوريا بدون أن تكون ماديا .
لهذا نشاهد اليوم عودة ماركسية جديدة مناهضة للماركسية الفرويدية تقول : يسار العمل و يمين القيم ..؟
و فكرة روسو هي الفكرة التي سيعمل عليها كنط في الخفاء من خلال القول بالواجب الأخلاقي النابع من الانعكاس النفسي للخروج من الدولة الطبيعية، و القانون الكوني للحرية التي يضمنها الحق العام (الدستور) ، و تحديد الفعل بالواجب الضروري فيما يسمى " العقل المشرع"،أو " القاضي الكوني" حيث كل شخص قادر أن يحكم إن كانت أفعاله مطابقة للقواعد العامة (الحق العام) و ليس لمصدر أخر كالدين لأن الأخلاق ليست قائمة قيم أو معايير سماوية.
وبهذا يفتح كنط فضاء المنفعية الواعية بحدود البحث عن السعادة.
ومن كنط ستنتقل العلمانية من فيلسوف إلى آخر حتى تصل في جانبها السياسي المتعلق بالعدالة إلى راولس و نظرية حجاب الجهل (VOILE DIGNORANCE) يعني: الجهل بوضعيتنا الحقيقية(البيولوجية و الاجتماعية) هي الشرط الوحيد لحياد ضروري للموافقة على قواعد مقسطة لتنظيم الهياكل الأساسية للمجتمع تحت هذا الحجاب للجهل ننتج اتفاقا يؤسس فكرة معقولة عن العدالة ،وفي هذا المجتمع يصبح الأفراد مشرعين كونيين كانطيين لأنهم لا يتصرفون كمتفرجين غير مهتمين .
مع نظرية المصالحة بين الأخلاق و المنفعة و الدولة المتفاعلة لا المخططة...الخ.
بدايات العلمانية
دار النقاش الفلسفي من عصر التنوير (بصورة مكثفة) عن طبيعة الإيمان و طبيعة العقل، و النزاع المحتمل بينهما، أو مشكلة الإيمان و العقل ،يعني: طبيعة العلاقة بينهما: هل هما متوافقان أو غير متوافقين؟ هل يجب عليهما العمل بالتوافق؟ ومن الذي يجب أن يقود الآخر؟

و المقصود عندهم أن الإيمان مجرد تصديق لقول بدون معرفة قيمته وصحته بدليل قاطع مثل إذا سألت أحدهم: أين يقع حي الهضاب في أرزيو فأشار إليك إلى جهة الشمال فتصدقه دون دليل منك على أنه مصيب، وهكذا الايمان بالله و برسله مجرد ثقة و تصديق بدون دليل موضوعي ..؟

يعرف أندري لالند في كتابه " التعبير التقني و نقد الفلسفة ، باريس 1976م، ص: 360 ، فصل: الإيمان بأنه فعل طوعي إرادي نتبنى من خلاله على أن رؤية ما للعالم صحيحة غير قابلة للإثبات عقليا، ولا بديهية" .

وخلاصة الطرح الفلسفي أن الناس يؤمنون بدون عقل ، ويبنون قناعة بدون دليل لأن العقل عاجز عن التفكير في[لغز]الله،و لأن الباطني يحاول الاقتراب من هذا اللغز بطرق ليست هي طرق العقل.

و حتى اولئك الفلاسفة الذين اخترعوا مغالطة " النور الطبيعي للعقل و جعلوه في مقابل النور ألما وراء الطبيعي للإيمان كوسيلة كفيلة بالوصول إلى الله بدون الوحي ،وضعوا الشعوب الغربية في وضع خطر كبير أدخل أرواحهم في تيهان بدون نهاية.

و إذا كان الشائع في الفكر الغربي حتى عند الفلاسفة الروحانين و النصرانيين أن الإيمان شيء فوق العقل و ربما نجد هذا عند بعض المتكلمين في بعض المباحث (الصفات و الأسماء)

وعليه فالذي يجب أولا هو تحديد مفهوم العقل الذي ينفونه عن الإيمان،أي: مراجعة صحة التصور و نسبية مداه فإذا قلنا عن شيء بأنه " عقلي" فهذا نسبة إلى العقل في وصف أفعال العقل او نتائجها مثل القوى و الملكات العقلية في مقابل الحسي ، فليس هذا العقل المقصود.

لن أناقش القضية لأني هنا في مقام بيان جذور العلمانية و بذورها المعرفية في التراث الإسلامي لأن انهيار الحضارة الإسلامية كان في نظري مانعا لطرد هذه البذور حنى جاءتنا من الغرب .

و أن المسألة بدأت عندهم في وضع معايير جديدة للعقل و صياغة عقلانية جديدة يكون الدين خارجا عنها و بعد ذلك كانت الحداثة و وجهها السياسي المتمثلة في العلمانية تطور طبيعي لإخراج الدين من حيز المعقول .

عندما أجاب المسلمون عن سؤال :" ما هو أول واجبات الإنسان ..؟" قال أهل السنة

و اهل الحديث و كبار الصوفية و جمهور الفقهاء: إنه الإيمان، و إن اختلفت عباراتهم فبعضهم عبر بــ" الشهادتين " في حين قال آخرون : " معرفة الله " وهي كلها ألفاظ متقاربة .

وذهب بعضهم إلى أنه النظر العقلي كأنما استقلوا كلمة " إيمان" أو حملوها على المعنى الشائع في الفلسفة :" اعتقاد ذاتي (تصديق) بدون مبرر موضوعي " لأنهم ربما قدروا أن التصديق شيء لا أول له ، لا شيء يسبقه في الإنسان، يحصل في قلب الإنسان بدون مقدمات فينبثق فجأة ،لا يوجد في ميكانيزمات بناء القناعات إلا العقل البرهاني القياسي المصطنع في المنطق الصوري، لا يوجد أحوال نفسية داخلية مؤثرة مباشرة في تعرف العقل على العلاقة بين قضية و أخرى ،ولا يوجد مبادئ عقلية فطرية و قوى نفسية فطرية تعمل في شعور الانسان الداخلي..؟

لم يبحثوا كيف يتشكل اليقين في الإنسان، كأن الانسان فجأة يصدق بشيء أو بتعبير الغربي: الايمان هو اختيار حر ، و المشكل ليس في حرية الارادة و الاخيار ولكن في دوافع الاختيار هل هو اعتباطي أم له أسباب تعتد بها الشريعة و تقبلها، لم يهتد اليها الفكر الغربي و قبله الفكر الكلامي الفلسفي ..؟(.....)

فإذا فكرنا الاختيار انطلاقا من الحرية فيجب أن نفكر الحرية انطلاقا من الاختيار لأنها غير واعية ولا مبالية بما اختير على قول كنط، فالحرية صفة في الاختيار و ليست سببا له ، لا يكفي ان نجعل الحرية شرطا في اختيار الإيمان لنبرر صحته أو فوقيته على العقل، فالحرية مجرد قدرة على الاختيار لا تكفي لإعلان الإيمان صحيحا فوق إدراك العقل فالحرية غير مدركة لماهية ما تختار لأنه في هذه الحال لا يمكن التمييز بين الإيمان وعدم الايمان، فالإنسان معرض لاختيار عدم الايمان كما قد يختار الايمان لو كان الايمان شيئا ذاتيا بدون مبرر موضوعي أو عقلي .

ربما كان بعضهم أكثر دقة عندما قال: " النظر واجب وجوب الوسائل و الايمان واجب وجوب الغايات "إذ في جميع الأحوال فإن الانسان لا يؤمن بدون نوع من النظر لكنه النظر الفطري في الانسان و ليس النظر الفلسفي/الكلامي، وهذا النظر هو الأساس الفطري لكل قواعد المنطق الصحيحة التي صيغت فيما بعد في قوانين مصطنعة ،إضافة إلى قوى أخرى غير ذهنية، باطنية داخلية نفسية فطرية تعمل على تشكيل التصديقات في قلب الانسان.

وعلى هذا فإن القوم يعملون على التراث الإسلامي المعتزلي وغيره لصناعة علمانية من مواد محلية ، وفي الحقيقة يوجد في الفقه السياسي و التصوف و العقلانية الكلامية و الفلسفية،وممارسات الدولة في العصر الوسيط الإسلامي مواد يمكنهم توظيفها لهذه الغاية .

وعلينا أن نسأل لماذا لا يكترث جمهور المسلمين بموضوع العلمانية و اقصد جمهور المذاهب ؟

مشكلة فصل العقل عن الشرع بجعله في مقابله و جعل ولاية الشرع أقل من ولاية العقل، وكذلك مقام الفيض و الاشراق و إن كانت مشكلة العقل في الأصول النظرية لم تطرد تناقضا معرفيا في الأصول العملية فإنها تمس الجوهر الإسلامي المعرفي، و إذا أضيف لها فصل السياسة عن الشريعة وغير ذلك من الانفصالات التي حدثت في التراث الإسلامي فإن مواد الالتفاف على الشريعة ستكون في هذا العصر أقوى مما عرفه المسلمون مع التأويل الاسماعيلي و الباطني لها.

وعلى هذا أقول بأن المعركة معها في نظرية المعرفة قبل أن تكون سياسية،و أن كل جزء من تراثنا لا يستقيم مع نظرية المعرفة الصحيحة يواجه اليوم آلة فكرية لن تسمح له بالتناقض في الأصول وعدم طردها كما فعل في تاريخه و ستقضم منه على مهل.

الموضوع قابل لتفصيلات كثيرة خاصة لنقاط الضعف في موقفنا منها لكني كتبت هذه الروقات بسرعة فائقة ، ولا اظن أن النشر الفيسبوكي يسمح بتطويل الموضوع إلى هذا الحد .

منظرو البراديجم العلماني الجديد :

- طوماس لوكمان (الدين الخفي،1963/1967)
- بيتر برجر (la canopée sacrée)
- بريان و يلسون (الدين في المجتمع العلماني،1966)
- ريشاد فان (نحو نظرية العلمنة ،1978)
- دافيد مارتن (النظرية العامة للعلمانية).
- كارال دوبلبير (العلمنة : أبعاد تصورية متعددة).

المراجع : ماكس فيبر : سويولوجية الدين ـــ مارسيل غوشي : خيبة العالم ـــ إدغار

كيني: تعليم الشعب ــ بول فاين: اليونان هل صدقوا أساطيرهم ـــ هبرماس: عقلنية التصرف و عقلنية المجتمع ــ جون بول ويلام: سوسيولوجي و دين ــ إريك فايل : هيجل و الدولة ــ غي بلانتي بونجور : هيجل و الدين ـــ هيجل: مبادئ فلسفة القانون ــ كلود بروير : المنطق و الدين المسيحي في فلسفة هيجل .

لحد الآن صدقت معاينة الكنيسة الغربية :الثورات تنتج القوانين اللائيكية.

كل العمل الانثروبولوجي الثقافي حاليا يركز على سحب إنتاج المعنى من العلماء ليصبح حقا للشباب .. لا دين/ حياة بدون علماء الشرع.

الإسلاميون في الأحزاب المعارضة رحم الله غربتهم وصبَّرهم على ثرثرة إخوانهم..!!الإسلاميون في الأحزاب المعارضة رحم الله غربتهم وصبَّرهم على ثرثرة إخوانهم..!!

النقد المخادع: تذكير الشخص بفضائل من يبغض..!!

أحزاب معارضة بدون قاعدة جماهيرية تحاسبها الجماهير على الضعف!! شعب متحضر؟؟

قلمٌ.. أو قرن الشيطان ..!!

إذا عرف المسلم دينه عرف أنَّه مسؤول عن كلِّ ما يكتب، وأنَّ القلم ليس ريشة نلوِّن بها شَعر اللُّغة كما قيل. .!!
الكتابة في شؤون المسلمين ليست هواية تدخلها عاريا من قواعد الشَّرع وشروط الاستدلال،فحق الاستنباط وإنتاج المعنى كفاءة شرعيَّة.
وعلى الأقل راقب هذا الشَّرط : "الدَّليل ما سلم عن معارضة مؤثرة" لأنِّي يمكن أن

التقط من التَّاريخ ما يناسب هوايا من الأمثلة.
والعلماء استدلُّوا بالنَّصِّ الصَّحيح و أخطؤوا لأنَّه لم يسلم من معارضة نصوص أقوى منه، أو كان مشتبها بنسخ أو تقييد شرعيين، أو يحتاج إلى استنباط دقيق.
فما بالك بمن احتجَّ بقول آحاد الصَّحابة على خلاف العموم، أو الإجماع... الخ.
وإن كنتَ موفقاً فلن تقترب من حمى أئمَّة الدِّين فتلك علامة الخيبة، وأنَّ اللَّه قد خذلك.
ليس القلم من يسمح لك بالتقدُّم في الظُّلمات ولكنه نور العلم الشَّرعيِّ.
لذا أنصح مشفقا الشَّباب أن يحصِّل قدرا من العلم الشَّرعيِّ، مجرَّد ثقافة شرعيَّة تسمح له بمراقبة الحقِّ ليس في طلب الدَّليل فقط، ولكن كذلك في إعمال النَّظر فيه قبل الكتابة، وإلَّا فليكتب في قضايا لن يُسأل عنها إن وجدت...؟
في الإسلام لا نقابل بين فكر "سيمون بوليفار، و لينين، وروباسبيار..." بعلم أئمَّة الدِّين وعلماء الملَّة.
قلم العقل الإسلاميِّ مداده العلم الشَّرعي..

جولاج قبل الآوان ..!
لا تقل :" أكلتُ الطعام" حتى يفنى في جسمك، "فرزقك ما أكلت فأفنيت " الحديث..
فقد يأتيك خطب ما فلا تتم الأكل ، وقد تتقيأه..!!
يحكى أن سلحفاة وجدت مصران خروف فشرعت تلتهم فيه بلعاً وقبل أن ينقضي طوله مرَّ في الجو صقر فظن السلحفاة صخرة تخرج من تحتها أفعى، فهوى إليها والتقط بمخالبه المصران وارتفع راجعا إلى عشه..!
وارتفعت معه السلحفاة (بحكم نصف المصران في بطنها) والمصران ينسل منها حتى إذا خرج كلية سقطت إلى الأرض، فقالت :لن أقول بعد اليوم :أكلت شيئا حتى أتبرَّزه..!!
لازمة كل ثورة [عنيفة] مذبحة الأبرياء (شارل بودلار).
و لازمة كل ثورة سلمية الولوغ في أعراض الأبرياء والشرفاء..!!
لأن الثورة عطلة الحياة (مالرو) يحاسب فيها فوَّام اللحظة خدَّام السنين..وتلغ فيها الصبيان..!!
في الثورات تكثر الغوغاء، و ينبت لها لسان حاد يسبق لسان عقلائها .

و "عندما تفقد الكلمات معانيها يفقد الناس بوصلتهم .. " مستلف من عند آكل صراصير بتصرف !!

عباس مدني..

لا أتذكر عن عباس مدني رحمه الله إلا كلمة قالها لصحفي :"سنفجر الألغام في الرمال" وعنوان رسالته "مقومات الحل الإسلامي"

غفر الله له و رحمه.

والموت مساواة بين البشر ومن دخل الإسلام معه القبر فنستبشر له خيرا.

الكليات تكفي العقلاء والتفاصيل تعمي الدهماء ..!!

لا يكفي أن تعرف الحقَّ، يجب أن تحبَّه وتريده..روائع الحراني.

من أين لكم الرشد..؟!

قتل بعضهم رجلا فلما شاهد أحد الغربيين _ وكان ممن حرض على قتله أو أمر به _صور قتلته يرقصون حول جثته، قال :"لا نحتفل بالموت"!

إذا أردت نقد رجل فخصص لذلك منشورا (أو ما شئت) لكن لا تفعل ذلك في منشور تعزية أو تأبين فهذا شين غير مناسب، فحيث يريد الناس الرحمة لا تفسد قصدهم سواء كنت من أنصاره أم من خصومه، فإن الكلمة الزائدة دائما ما تدمر القصد (على قول أحدهم)

والسبب الوحيد الذي دعاني إلى الترحم كتابةً على شخص لا يجمعني به فكر ولا منهج، هو الإسلام، وكفى به سببا.

ولأني رأيت الناس إذا مات واحد من جنسهم نشروا خبره وذكروا محاسنه ،وشاركهم [الإسلاميون] في ذلك،وإذا كان مسيئا اجتهدوا في التأويل له.

،وإذا مات [إسلامي] مر الخبر مر الكرام، وكان موته للإسلاميين فرصة لأكل بعضهم بعضا على عادة عقولهم وطباعهم..!

لا المخالف له يرحم فاجعة أهله و ينظر للموت بهدوء، و يدع الكلام لوقته،واذا اضطر قال كلمة صحت عن الميت ولم يسترسل في النقد.
ولا الموافق اكتفى بما يليق بالمناسبة، فتراه يشمشم عن كل كلمة قيلت في مبجله لا تليق بغلوه فيه..!
في كل فكرة (متطرفة) يوجد صادقون، و يوجد [جرذان] تضع على طريق الناس فتات الخبز(النفس طمَّاعة أو معتزة) والقطار يتبع السكة ..!
خير من الطرفين: الوسط الذي أخذ محاسنهما وترك لهما مساوئهما.
لا تلزمني في صفحتي بخلقك، ولا برأيك في الناس.

المبادئ تحكم النزهاء والقوانين تحكم الأشرار.. فطرة بوذي..!المبادئ تحكم النزهاء والقوانين تحكم الأشرار.. فطرة بوذي..!

إلى الشباب الصاعد..
الإسلاميون [جماعات وتيارات] غرقت في فنجان. ..؟!
وليس أكثر تأكيدا لأطروحات العلمانية منهم،لم يتخلصوا من سلوكيات جاهليتهم و شرها الثرثرة يحسبونها نقدا، و نصيحة!!
وإن كان فيهم الواعي، والمجتهد، و العامل، و المتخلق، إنما أتحدث عن المناخ العام.
أرجو أن تتخلص الأجيال الصاعدة من الانتماءات الضيقة، ولا تتخذ أي شخصية علمية أو فكرية أيقونة أو صنما!
وحده الوحي والسنة ومنهج علمي متين للنظر في أقوال الأئمة والمرور عبرهم.
وان تقبل بعد ذلك على العلوم الانسانية فإنها في هذا الزمان شرط صحة لكل فعل في الميدان.
التحكم في النقد العلمي بموضوعية، بالسؤال دائما عن الأصل المعرفي، وعن طبيعة الموضوع، ومنهج تقريره ، مع تقدير للشخص مهما كان.
وإلا انتهوا مثلنا مجرد تِبن..! إلا من رحم الله.

رقص الدومينو ..!

لم يسبق لي أن سمعت السياسي ينتقد الدعوي، ولا أعرف السبب، أهو من وعيه بقيمة الدعوي أم لسبب آخر؟
لكن كثيرا ما سمعت الدعوي ينتقد السياسي بأنه لم يفعل شيئا، وقدم تنازلات كثيرة، والأمور محسومة مسبقا.. الخ.
واذا سألنا الدعوي :ماذا أنجزت أنت؟ وأنت عاجز عن جمع العدد التي تجمعه راقصة أو مهرج ليستمعوا إليك..؟!
وتقريبا سنتسول طلبة علم..!
ربما ليس تقصيرا منك، فأنت تواجه موجة من التميع والإلحاد؟
وربما خطابك في كوكب والناس في كوكب؟
وربما لا تميز طبقات الخطاب وتحتقر الوعاظ، وربما... الخ.
عندما يُحرك الدعوي، العلمي، الفكري ،الوعي الجمعي يتحرك السياسي.
وعندما تموت يموت السياسي، فأنت وقود السياسي ومدرب الفئات الصغرى.
المصيبة واحدة لكنها فرصة لتجديد الفهم.
و الفيسبوك وسيلة لقياس درجة الاهتمام بين منشور علمي تعب عليه كاتبه ومنشور مزاح!

فورة الكتابة..!

كتبت من 15/04/2019 إلى 26/04/2019 (43)منشورا..!
ال(44)مكتوب على الهاتف ويتعلق بالتاريخ الاجتماعي للعلم الشرعي.
المهم فرغت الجعبة وفقدت الاهتمام،وعلى كل حال كثير منها خربشات عفوية سهلها الهاتف المحمول.
ولا أظن أن هذه الكثرة محمودة لكن هو طبع فينا انفجاري، نطلق طاقة كبيرة مرة واحدة ثم نهمد، ولله في خلقه شؤون.
نسأل الله أن تكون لنا لا علينا، وأن ينفع بها بعض عباده.

معالم بين ريحين ..!

إذا بدأت حركيتك بفكر من أول يوم مفاصل لبيئتك فكلما تقدمت فيها حركةً وزمنيا

زاد الانفصال.
كان من المفروض أن ندرك من البداية أن مجتمعنا ورث حالة إسلامية معقدة شكلتها قرون من العوامل السياسية والانحرافات العلمية، ليس مسؤولا عنها.
جعلته هذه الحالة يعيش تناقضات على كل المستويات تستدعي معالجتها العمل معه ومن داخله والسير معه ،وليس إعمال الولاء والبراء فيه و الصدام معه.
مقابلة الحالة مع الحقيقة الشرعية دون نظر في الأسباب الموضوعية ،ومن أهمها التراجع المعرفي والاضطرابات السياسية وتفسخ الانسجام الاجتماعي التي أدت إلى التناقضات هو سبب المفاصلة الفعلية التي كانت وراء تكاثر المشاكل و المراوحة في المكان أو التقهقر.

توازن اللحظة ...؟

الذي يمنع الناس من التعاون على نافع مشترك لهم (البر) و التعايش كمسلمين عندهم دين واحد و فطرة إنسانية وعقل مميز ليس اختلافاتهم فهي طبيعية، وفي كل الأمم قواعد لادارتها ولكن الحمق في قراءتها .
وما زاد الطين بلة اعتقاد بعض المسلمين أن الشريعة تأمر بهذا الوضع المزري، يعني: بطريقة ما بهذا المنكر سمعا وعقلا!
لا علاقة للنقد بهذا، ففي النقد حياة الأمم بعلومها و أفرادها بشرط العلم ليس بالقضية الجزئية فقط ولكن بالمسار الحضاري، مع خلوه من حمولة الاتهام التي تصنع العدوان .

الثورة على القاموس ..؟!

" كل ثورة يجب عليها أن تبدأ بإصلاح القاموس" أظنه قول لهيغو، ربما يتناسب جدا مع هذا القول "الثورة أفيون المثقفين".
ربما هذه الكلمات معاينة عقلاء لنوع العبارات التي تكثر أيام الثورات، والتي تأخذ حمولات جديدة لأن الثورة نفسها حمولة انفعالية للوعي وللنفس.
ونحن نعلم أن المصطلحات عندنا ليس لها خطام، تعاني من الانفلات، و تستخدم في الغالب كأسلحة للالتفاف على الحقائق المرفوضة وليس لتوحيد الخطاب..!

من العبارات التي نستخدمها في السلب فقط مع أنها متعددة الاستخدام عبارة "طعن" التي تعني الوخز بأداة حادة.
و تستعمل في لغة الفقهاء بمعنى جرح الذمة والشرف، فطعنه بلسانه: عابه وشتمه، ومنه الحديث "ليس المؤمن بطعان ولا لعان ولا فاحش ولا بذيء"
كما تستعمل كثيرا في الاستدلال عند الفقهاء، يقولون :طعن في الدليل، يعني ضعفه.
ومنهم في القانون كالطعن في الحكم، الطعن بالنقض، إجراءات الطعن.. الخ.
المهم أنها عندنا مرادف للتجريح أو النقد بغض النظر عن موضوعه، نلوح بها كسبب مبيح لسب الناقد أو للانسحاب إلى حمى القبيلة!
وبدون شك نحن في حاجة ماسة إلى إصلاح قواميسنا الفردية، وأن نفهم أن كل شخصية عامة مرتفعة عن الناس بحكم الوظيفة، يراها ويسمعها الكل، فيتكلم عنها الكل، وفي الكل الموافق والمخالف بحق أو بشبهة، فهي هدف للطعن في أقوالها و أعمالها مفصولة عن منزلتها و عرضها.
يجب أن لا تنفعل إذا طعن في مذهبك أو في علمائه لأنه وضع طبيعي جدا، فقط عليك النظر من زاوية الطاعن و ستجد أنه منطقي بحسب رؤيته هو.
وحتى لو كان تجنيا فكذلك هو عادي لأنه رد فعل انفعالي أسبابه كثيرة تستوجب الرحمة و الشفقة.
فقط عليك أن تقلق على نفسك وليس من الناقد عندما لا تعرف إن كان نقده صحيحا أم لا؟
لذا عليك أن تتقبل النقد وترفض سوء الأدب والشتم فقط، ولا تخلط بينهما.

عودة النور ..؟

في فترة ما اقتنيت كمية كبيرة من الرسائل العلمية الجامعية، في مختلف العلوم الشرعية والموضوعات ووجدت أن بعضا منها ليست إلا دراسة تاريخية للعلوم الشرعية ..!
وإن لم نبلغ (في حد علمي) مرحلة العلم الديناميكي حيث يلتقي أهل اختصاصات مختلفة لتبادل المعارف حول اختصاص معين فإن الدراسة التاريخية للعلم ليست أمرا هينا إذا خرجنا من التصور العامي للتاريخ.

لكن كنا نأمل أن يبرز خطاب تاريخي عن العلم الشرعي المعين منفتحا على التجريبي الاجتماعي و يتجاوز البلاغة ليطرح أسئلة أساسية عن منهج هذا العلم وتجربته الاجتماعية.

فمن الأبعاد المهمة في إحياء العلوم أن يهتم التاريخ بالتجربة الاجتماعية للعلم المعين، مثل ما نجد عند الغربيين: التاريخ الاجتماعي للشعر أو، القصة، أو الذوق.. الخ.

ما بين منهج التقسيم للفهم (الذي ينسبه الغربيون لديكارت) ومنهج الربط للتكوين ،يضع التاريخ الاجتماعي العلم في إطار عام يشرح العلاقات، ويعيد بنائها انطلاقا من نقاط توجيه مختارة بعناية لإعادة بناء هذا العلم.

فهذه هي الدراسة التاريخية للعلم التي نحتاجها الآن.

و أما الرسائل العلمية فلابد من إعادة تجديد شروطها لتكون تفعيلا للعلوم الشرعية وليس سردا لتاريخها حتى نبتعد عن عقلية طالب خبز التي انتشرت فينا..!

شباب الأمة وشباب نفسه ..؟!

يحب الشباب الفعل لأن كل شيء فيهم مستعد للفعل حتى العقل عندهم متسرع للحكم ويشجع فيهم الاندفاع، لا يقدِّر الأمور على حقيقتها.

وهذا عيب طبيعي في الشباب يحد من شره التأطير وملازمة أهل العلم.

وهنا لا بد أن نسأل :ممن يأخذ الشباب حكم الشريعة على أفعالهم، وممن يستمدون أفكارهم.؟

وقوة الفعل عندهم في الغالب هي في الفعل على الموضوع الخارجي وليس على الذات.

ولذلك قد يبذلون فيها جهودا كبيرة لا يبذلونها في تزكية أنفسهم ،فيلازمهم تضييع الرواتب وأوراد القرآن والذكر والصيام..!

ويبذرون أوقاتا ثمينة في أي شيء إلا في التعلم والدعوة إلى الله.

يهيأ لهم الشيطان كل أسباب الحماس للافعال التي لا زكاة فيها لأنفسهم ثم يأملون..!!

والملاحظ عليهم أنهم يتحركون بمقالات صحفية، وتحليلات تلفزيونية من مضيع لدينه، أو مسيحي، أو غير محصل لعلوم الشريعة.

تسرب إليهم من غير شعور أعظم خطة خبيثة لتدمير الأمة ودينها حرية صناعة

المعنى لنفسه باعواد الثقاب..!
ليس الدين من يعطيه معنى الحياة ومعنى المؤمن، والتقى، و الواعي، و السني.. والمصلح.. الخ ولكنه هو من يصنع لنفسه هذه المعاني بدون رد إلى الله ورسوله.
وأعانتهم على ذلك ألسنة مضلة تطعن في علم علماء الشريعة وفي فهمهم الواقع تلبس في التمثيل بدعاة المدخلية ناسية كل العلماء الذين يعلمون الحق و يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، وقد تقول لهم :لا يوجد علماء ،والحقيقة أن العلماء موجودون ولكن الشباب زهد في العلم ويشكو إيمانه من الاستسلام، يريد الأقوال على هواه..!
و أصبحت السياسة عندهم غير مرتبطة بالشريعة، يمكن أن يتكلم فيها بدون قيد ولا شرط ،لا من حيث التحقق من الأخبار، ولا من حيث رد الأفعال إلى الاعتبار الشرعي.
وعندما تحلل تصرفاتهم تجدهم بدون عقيدة، يقدح في مدخلي لأنه حفظ الأصول الثلاث يستقلها كأنه درس المطولات..!
وينتقد مبدأ التزكية عندهم لأنه يريد الدين سرح مرح يعبث به كل جاهل به،وكل ناعق ضال.
لا يفرق بين التزكية لإثبات الكفاءة والاستحقاق وبين الاستدلال بالتزكية.
هذا النوع من الشباب شباب نفسه ليس شباب الأمة، وهو من يمنع الاستفادة من التراكم التجريبي، فاقد لشروط النجاح.

أخطاء الخبرة..!
من شدة بغضنا المداخلة نلصق كل مصائب الأمة بهم!!
و من غلبه الهوى فمحله غير قابل في أي زمن كان،فليس له إلا أن يبحث عمن يبرر هواه، لهذا يكثر هذه الأيام تدين اللسان.
كما لم يخل زمان من حجة لم يخل من شيوخ هدى وشيوخ هوى.

لماذا المداخلة وحدهم.. ؟
يكاد يتفق الإسلاميون على أن سبب أحوال الدعوة السيئة المداخلة ،ويبدو لي أن هذه معاينة غير صحيحة تغطي على فشل من يرفعها.

و الوعيدية الذين أحرقوا بلاد المسلمين؟
والذين اهملوا الفكر المعاصر، واهملوا الوسائل media المعاصرة؟
والذين ظنوا أن الترغيب والترهيب يصلح لكل طبقات الناس..؟
المسؤولية مشتركة بنفس القدر، وأحيانا بتفاوت وليست مسؤولية المداخلة وحدهم.
الصراحة هي أنه يوجد نموذج لأسلوب حياة وثقافة شبابية عمت البلاد الإسلامية لا يمكن مقاومتها بوسائلنا، لأنها تمس الروح والبناء النفسي الداخلي، تبدأ من سن مبكرة في تلقين الإنسان هذا النموذج الحياتي، وتستمر معه في كل أطوار حياته، وفي كل مكان، البيت، المدرسة، المعمل.. الخ لأن كل شيء يصنعه الغربي له وظيفة التلقين على هذا النموذج.
الأمر محكم وشرحه يطول ودور المدخلية فيه هو إبعاد النظر عنه.
لكنها ليست السبب وإن كانت جزءا كما هو حال الجميع إلا القليل.
لا يمكن فهم حقيقة وضعنا لأننا لا نملك الأدوات إلا بالاستعانة بالتحليل الماركسي الجديد للمجتمع الليبرالي الغربي، فقط حينها سنفهم انثر بيولوجية المجتمع المسلم التي تقاوم وتعاند الخطاب الديني..
لي فهم فهم.. لي ما فهمش الله يوفقه.. العلم لفهم هذا العالم المعاصر طريق طويل وشاق.

الخطاب الديني و التأثير في الحياة المعاصرة ..؟

لا يمكن أن نفهم بوسائلنا المحضة و إن كان القرآن أشار إلى طبيعة الصراع و مبادئه الكبرى إلا من خلال من يعيش في قلب المعصرة التي تقطِّر النموذج الغربي الذي يصدِّر لنا كأسلوب حياة و ثقافة ترفيه و رياضة و آداب و سينما أو كفكر، ويرفض النظام العالمي و هيمنة نموذجه الثقافي المادي ، ممن اعاد الاعتبار إلى روسو وهيغل ، فهذا وصف واقع و بعد ذلك يمكن إدراج الطبقة الثانية من النقد وهو النقد الإسلامي .
لكن صراحة نحن لا نملك حاليا شبكة قراءة تسمح لنا بتفسير كثير من المظاهر التي نعيشها ولابد من الاستعانة بالفلسفة و العلوم الانسانية التي تتحكم في قراءة الواقع ،

فنقد التفكير الغربي يبدأ بالنقد الغربي أولا ثم الإسلامي إن قدرنا عليه.

ما يتم ـ الآن ـ هو أن مدرسة الحياة أصبحت القسم الذي يمنع استيقاظ الوعي، حيث يتلقى فيها المراهق الحلم الجاهز الذي سيجري خلفه طيلة حياته، وإذا قدر له تحقيقه ففي الغالب على حساب دينه.

في هذا الطور يتم تلقينه أسلوب الحياة الغربي بتلك الأشياء البسيطة الالكترونية في شكل ألعاب أو وسائل تعليم، و التي هي في حقيقتها طقوس تلقينية لنموذج المعاصرة الحياتي ستمنع بقدر الإمكان الانتقال من المتعة إلى الواقع.

ولهذا ينحرف كثير من الشباب إلى المخدرات وتعلق بهم حتى بعد التدين و من الصعب عليهم التخلص من حمولات الماضي و النموذج الشبابي الذي نشؤوا عليه.

خذ الموضة الآن في اللباس و الهيئة و الشعر الغرض منها خلق العلامة التي تخلق الرغبة في النفس ،و دور ثقافة الحب المنتشرة في كل مكان، والمخدرات والموسيقى وحتى الرياضة هو صنع الإنسان الآلة، الإنسان الذي تعطلت فيه القدرة على الحكم، الذي يجري خلف شهواته و لا يمكنه أن يعيش لمبدأ،كما لا يمكنه التدين إلا صوريا .

كل ما يدور الآن حول الحب الغرض منه إعادة صياغة مفهوم الإعجاب بالمرأة، الغرائز الأولية في الإنسان، وعواطفه التي يختبرها وهو مراهق(والتي هي في الناس من بداية البشرية) لنسأل : كيف وصلت إلى السلطة الثقافية.؟

لقد وظفت المعاصرة كل علمها، من فلسفة، علم نفس، انثروبولوجية.. و الخ لمهمة أيديولوجية هي التضليل للوعي، فمن خلال تلغيم اللاوعي تخفي صناعة النموذج المهيمن. هناك مستويات تلقين، تبدأ بنوع الألعاب والرسوم المتحركة، ثم مستوى المراهق الذي يلقن الشبقي واللهوي/ اللعوب و الهامشي.

وأما دور بعض المذاهب كبعض الصوفية والمدخلية فتسد مسد علم النفس التحرري غير الموجود عند المسلمين، و بالتالي دورها المصادقة على السلوك التحرري،و على النموذج الاجتماعي و الثقافي و السياسي الذي نعيش فيه من خلال إهمال التعرض له ، تنتج اللاوعي للمفترس، يعني :نفس دور الفرويدية في الغرب.

لكنه كذلك يستعمل غلاة الطرف الآخر في مهمات أخرى بسيكولوجية و سياسية لتشويه الصورة في الوعي و إدخال الشك و فتح الطريق في الوعي الجمعي لحركات التنوير ودين الحب.

كل شيء يدور الآن حول الأنا كموضوع شخصي يقود للفردانية، والوعي ليس إلا ما هو موجود في الخارج ؛ ثقافة المعاصرة هي الإذن بالتبذير، وتحرير النزوات،تبذير الروح .

منظومة الهامشية كثقافة تحت السيطرة يقوم بها المثقف و الفنان اللذين يشيعان التمرد على قوانين حسن السلوك.

يقوم النموذج الحياتي الغربي على استرجاع التقدم التقني بتلك الأجهزة التي نظنها بريئة ودورها إفلاس الأخلاق و إفساد الروح،فمن من الناس يتحكم فيها حتى لا تضر دينه و اخلاقه و لا تبذر له وقته ، ومن من الشباب لم تفتنه ووضعت الفساد الأخلاقي بين يديه وأزالت عنه كل الحواجز..؟

الآلة في هذا العصر تنتج الاستعمال، وبعد ذلك ينتج الاستعمال بدوره آلة أخرى أكثر تطورا. وهكذا يدور الناس في حلقة، ومع كل اختيارات جديدة مزيد من تبذير المال ،و الطاقة ،ومن التيهان .

من مقتنيات تجهيز كالنقل و الكهرباء إلى مقتنيات خدمة بيتية مثل :موقد، غسالة، الخ إلى مقتنيات استهلاك لها أثر المخدرات.. من مقتنيات مفيدة لا تتجاوز وظيفتها إلى مقتنيات الشبقي /اللهوي تعمل على الروح

كيف نفسر عدم تأثر الإنسان بالوعظ،في مسجد او في مقبرة ؟

كيف نفسر تناقضات السلوك حيث نجد التدين وضده..؟!

نعيش اليوم عدم فعالية الخطاب الديني في مقابل فلسفة وعلم نفس وآداب وفنون ورياضة و تقنية وظفوا في صناعة معنى للحياة داخل النفس، في مقابل خطاب ديني لا يزال ينظر للمعركة أنها على مستوى المحاججة العقلية فقط،حتى التصوف السني القائم على عقيدة التوحيد و ضوابط السنة تم القضاء عنه و إن كان اختفى من مدة لكن هناك حواجز لمنع تجديده و عودة ظهوره .

نحن ننشأ اليوم في قلب نموذج غربي يتغلغل إلى عظامنا ، نموذج في كل شيء : تعليم، معمار ،إدراة، جماليات، فنون، سينما ، رواية، فكر ، سياسة ، نموذج دولة ، طبخ، آلات، .. الخ وكلها تقريبا لها وظيفة خطتها نفس مادية ابيقورية نفعانية .

لهذا لا يمكن أن نعلق مشاكل الأمة على المدخلية وحدها فهم كذلك ضحية توظيف رهيب. وكذلك العلماء لم يجدوا نخبة فكرية أو نظارا تكشف الأسلحة التي يستخدمها

النموذج الغربي، و تذكر باستمرار إلى وجوب إعادة مناهج تكوين العلماء.
لهذا أرى أن تعليق سوء الوضع على العلماء أو على المدخلية تساهل في القراءة يمنع من الخروج من المأزق و يمد في عمر الضياع لأن أهم عجز نعاني منه هو عجز نخبة رائدة تستكشف عمق الغرب و تحضر نخب الصف الثاني .
لا يزال الطريق بعيد يحتاج إلى عمل عميق على الوعي و اكتساب مهارات معرفية تسق الفعل الذي لن يكون في ظني إلا عبثا ....

منهج المناهج .. ؟

انقسم المسلمون على ثلاث مناهج :
الجامعون : صدقوا عن علم وعملوا و أحبوا عن علم، وقرنوا بينهما، سلموا من آفتي الكلام والتصوف و حصلوا ما فاتهما.
الكلاميون :غايتهم مجرد التصديق والعلم و الخبر، فوتوا العمل.
الصوفيون :غايتهم المحبة والانقياد و العمل والإرادة،فوتوا القول والعلم.
منهج القرآن : الجمع بين العلم والعمل، الخبر والطلب....... روائع الحراني.
[والعلم :علم بالشريعة (المقصود) وعلم بالواقع (الموجود).
الكذب، أو الخطأ في الإخبار بالثاني (الذي له علوم لادراكه) يمنع الانتقال إلى الأول]

الحداثة سدَّت المحل (الأعلى والأسفل) والخطاب يرتدُّ عليه كالمطَّاط.. البقية جنود احتياط ..!!

حرب بلا موتى..!

قال جورج بطاي في 1936 م :"علم الاجتماع هو دراسة المقدس".
يقصد حقيقة موضوعه..!! ويمكنك أن تقول نفس الشيء عن الانثروبولوجيات واللسانيت... الخ.
والحاصول.. أنهم يدرسوننا من وقت كان الهنود الحمر أمة..لمجرد قتل الوقت..!!

بين الفرد وحياته من أنتج الآخر..؟

هذا السؤال الصعب المعقد وجدته في كتاب عالم اجتماعي جمع تراجم لعدد من علماء الاجتماع والانثروبولجية وعلم النفس الاجتماعي.. الخ سردوا بأنفسهم قصة حياتهم.

صعوبة هذا السؤال تأتي من صعوبة النظرة الانعكاسية التي سترى بها ماضيك، حيث ستصبح مؤرخا لنفسك، ومحلل اجتماعي ونفسي لها، تصبح نفسك موضوع تحليلك.

لكن أهمية هذا السؤال أنه سيجيبك لماذا أصبحت أستاذا، أو عالم اجتماع، أو فقيها، أو متكلما ،أو رجل أعمال، أو طبيبا . الخ

للإجابة عن هذا السؤال يلزمك العودة على خط سير حياتك، وعندما نقول: "مسارا" فإننا نقول :"منطق المسلك" الذي سرت عليه. لذلك من الصعب بالنسبة لكثير من الناس أن يتحدثوا عن وجود مسار منطقي في حياتهم، لأننا بالرجوع في الزمن لرؤية ما هو الطريق المقطوع سنجد أننا لم نقطع طريقا وإنما مسحنا سهلا مهادا.

أحببت الغوص فوجدت نفسك طباخا، ثم جددت الرغبة فاردت أن تكون طيارا فوجدت نفسك معلما..!

ما هي الروابط التي تربط بين نشاطك الثقافي وحياتك الخاصة؟

هل يغذي نشاطك العلمي حياتك الخاصة أم هو مفصول عنها؟

ما هي قصة الفرد لتاريخه الخاص؟

ما هي خريطة الطريق أو السهل الذي سلكته؟

ما هي مفاصل حياتك الخاصة ومفاصل حياتك العلمية؟

ما هو مسارك الشخصي الاجتماعي، العائلي،وتجارب الطفولة، وربما السياسي الذي جعلك الشخص الذي أنت عليه الآن؟

وما علاقته باختياراتك العلمية والنظرية، وميلك لهذا العلم واختيارك لهذا البحث..؟

مسألة فعلا مشوقة ومهمة إذا عرفت مسارات ومسالك بعض الأعلام في كل المجالات،أعانك ذلك في تصحيح مسارك.

وكل ميسر لما خلق له...

الديموقراطية..؟
المؤمنون بالديمقراطية في العالم ثلاثة أصناف :أفلاطونيون _ عوام الشعوب _ نخبة المسلمين..؟!
بقية الناس مؤمنة بالدولة الرسالية، رسالة جماعة أيديولوجية، أو جماعة مصالح ،أو مزيج منهما.
وأما الشعار والتنظير له و التنظيم الشكلي للدولة فمعمول للأصناف الثلاثة .
قال العارفون :لا تدع العلم يحجب عنك المعلوم.. صالحة لكل معلوم.

{ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا}

من طبيعة البديهة أن تمرَّ غير مرئية؛ لأنَّ التَّصريح بها يشلُّ الاستدلال..!

كل واحد و محطَّته عند همَّته..!
ما بين الجملة والتفصيل تسقط الضحايا ..؟!
يعلم المسلمون من حيث الجملة أن كل ما خالف الكتاب والسنة فهو باطل، فهذا لازم لإيمانهم.
لكن في المسائل المفصلة، لا يعرف ما الذي في الفلسفة وعلم الكلام والتصوف و..الخ و العلوم الانسانية يخالف الكتاب والسنة أو يوافقهما.. (النبوات) بتصرف يسير.
ومن هنا يهاجم ما لا يعرف أو يدافع عنه ..!!
ولهذا فإن الأصل في المسلم المخالف للكتاب والسنة فساد التصور لا سوء القصد.

من مصائب الزمان أن يقود المجانين العميان..! (شكسبير)
......
أن تقول عن إمام في الدِّين: "قد أخطأ في كذا" ؛ فهذا ممكن اذا حالفتك جنود الاستدلال.
ولكن أن تقول: "جاهل أو يتكلَّم بلا علم ".. فقد عرَّفتنا نفسك،وكفيتنا مؤونة تقليب

الرَّجيع ..!!
و"المجنون" في قطع الشطرنج "الفيل" عند العرب أقرب الأحجار إلى الملك والملكة..!

سبحان الله..
نكتب للنَّاس فيفضِّلون ما لا نفضِّل لأنَّهم لا يشعرون بما نشعر.. أو العكس ؟!(Zài (jiàn

الشعبوية في ذم العلماء .. !

الحمد لله و الصلاة و السلام على رسول الله.
لقد تكلم بعض المفكرين العقلاء عن أوضاع أهل العلم و المعرفة في شعوبهم، إليكم بعض النقاط تقدم بعض الأدوات البسيطة للتفكير في أحوالنا و إن كان إشعال فتيل نقاش في العمق ،دائما ما يصطدم برغبة قوية للنقاش في الحدث و ليس عن الحدث ،فمن الصعب علينا اتخاذ مسافة من الحدث للتفكير بهدوء.
عندما انظر في أحوال علماء الدين في مصر بعد ما جرى في بلادهم أتذكر كلمة توكفيل عن قضاة محاكم التفتيش : " سأترك لك الحياة لكني أتركها لك أسوء من الموت ..؟".
ماذا بقي من العلم، و ماذا ربح مجتمع لم يجد إلا علماء الدين يفرغ عليهم خيبته.. !
في كل أزمة يحاكم الناس العلماء ـ الذين قضوا حياتهم في التعليم وفي خدمة الدين و العباد ـ غير واعين أننا في عالم يتم فيه التركيز على عدد محدد من الوجوه يسوَّق لها بأنها عالمة و مثقفة، حيث أصبح التفكير في التاريخ العلمي بمعيار سجل الانجازات العلمية التي تمنحها الأنظمة و المؤسسات التابعة لها؛ نوع من شرف الدفن في مقبرة الملوك.. !
و لقد غرس في وعي الناس وحتى بعض النخبة الإسلامية شبكة قراءة ايديولوجية،هي نقطة تثبيت اختزال حياة الأفكار ودور العلماء في الالتزام بالمبالغة

في سرد الأفكار الرائجة.
في الأزمات يتسلق بعضهم بالمزايدة على وعي العلماء قائلا: العلماء لا يقفون على أرض الواقع ! العلماء عاجزون عن مواجهة لحظة القرار الحاسم: إعلان الثورة،أو تزكية المظاهرات من أول وهلة !
و الخلاصة: كل من لا ينخرط معك فهو غير مسئول، غير واع..؟
الحكم على العلماء رد فعل شعبوي مشترك في الشعوب،المؤسف أن الآلة المعادية للشعوب و للإيمان تلقن التهمة و بعض الناس تنضجها؛غالبيتهم من ذوي الأرضية الهشة،و نقدهم انفعالي فارغ ،ينتهي الى إدانة العلم الشرعي و ليس علماء الشريعة ، كما يفعل جلادوهم... !
يعيش هذا الموقف السلبي من العلماء عموما في الأطراف،و يكشف عن التوعك الذي تجده عدة جماعات في المعاصرة السياسية و الاجتماعية.. ! يمكن أن يفسر أيضا بخوف جماعي من خيبة حصلت أو قادمة لا بد لها من كبش فداء....؟
تمنع العلمانية عن العلماء التدخل في الحياة السياسية بحجة عدم كفاءاتهم، تريدهم أن يكونوا مجرد تقنيي العلم الشرعي ! لا يتدخل في التسيير و الإدارة.
و كذلك نفس الشيء من قبل اختصاصيي السياسة اللفظية (عندما لا يكون الشعب في الشارع) المغامرين الذين لا يزنون النتائج العملية لأحكامهم ؛ كما قيل: كلماتهم عجيبة، و سياستهم خطيرة،و آمالهم سطحية فبالنسبة لهؤلاء ينطبق على العلماء قول أوغست كونت على المثقفين : " العلماء اخصائيو العموميات " ! لا يصلحون للجزئيات المهمة.
رغم أن العلماء لا مكانة لهم في الأمة لكن عند كل أزمة تهز الدولة أو الأمة يسارع الكل الى التذمر منهم و اتهامهم لا اخلاقيا بالمسؤولية عن الإخفاق الجماعي ..؟
لنسأل: ما هي السلطة الاجتماعية أؤدبية التي يتمتع بها العلماء ماعدا عقد القران و رد الناشز لبيت الزوجيه..؟
و إذا كان الواقع الفردي و الجماعي غير خاضع للشريعة فكيف يخضع للعلماء..؟
في كل أحداث الأمة يتكلم العلماء و يحذرون و ينبهون لكن الايمان بالثورة و بالساسة باعة الوهم ، و بأهل الشوكة أكبر من الايمان بعلم العلماء و صدقهم .. !
يريد بعض الناس من العلماء الحديث عن الوقائع اليومية و عن أسماء معينة، لا

يعرف أن كلام العلماء له صفة التجريد بالدرجة الأولى لأنه يعنى بالمبدأ الشرعي،و بدونه لا يدخلون في ألغاز الأحداث السياسية.
العلماء رجال العلم الشرعي و التفكير و العقلنة به،لا يأخذون أحكامهم من أفعال ظرفية يتدفق منها المكر و يكتنفها الغموض، وعندما يختار بعضهم اجتهادا الإصلاح السياسي و مدافعة الواقع لا يسلطون عليه ألسنتهم ، و يعذرون اجتهاده لكن من غير أن يلزم عن ذلك تزكية .
نحن اليوم أمام جيل تشبع بقيم الغرب ،و قد نجح الغرب في اختراق منظومتنا المعرفية و تأصيل قيمه بما يقتطعه منها ،ولم يعد للعلماء قيمة لا في السلم ولا في الحرب، على قول دريو في " كلاب من التبن : " ليس العلماء من يعلِّمنا ما هي الحياة ، ولكن الزلازل و الفيضانات و الأعاصير " هذا لسان حال الناس في الأزمات... تعلموا إذاً من المصائب إن كان لكم علم لقياسها ..؟ !
نعيش اليوم كارثة حقيقية تتمثل في جرأة الشباب على شيوخ هرموا في مكابدة العلم، يقول: أخالفه في هذه القضية، ورغم خلافي معه... الخ .. بعمومات ثقافية .. !.و إلى هنا لم نخرج من الممكن حتى يتعجب من موقف عالم لا يعجبه ، لم يفهم تأسيسه،ولا أدرك بواعثه ..؟
قد يظن بعض الناس أن التفكير في حدود الشريعة سهل ،و أن الفعل هو الصعب على قول أحدهم، ولو سلمنا لهم ذلك تنزلا يبقى الأصعب: الفعل بحسب الفكرة (غوطه) ،وهو ما لا يجده العلماء في أفعال الشعوب .
لهذا لا يمكن العلماء قيادة دبابة المظاهرات و الثورات الشعبية..؟
لا ينكر العلماء تطلعات الشعوب المشروعة ، ولا يعاندون حقائق الوقائع لكن منصبهم خطير ومسؤولية عظيمة ، ليسوا فيها أحرارا من القيود و الشروط ،ولحد الآن لم يكذب الواقع مواقفهم.
بطبيعة الحال يوجد في العلماء من قارن دوائر الحكم ،ومن زاد على موقف اجتهادي مقبول أو ممكن أشياء كثيرة مضادة له،و غير ذلك ؛ لكن كما هو الحال دائما يوجد فئة من كل نوع ، ومقام العلم الشرعي أعلى و أخطر من أن نعمم الأحكام ،ولا نقدِّر علم العالم إلا إذا كان موافقا لنا ، فهكذا لن يدوم لطائفة عالم ..؟
ليس العلماء وحدهم (بعضهم) من معرفته بالمجتمع سيئة لأنه مجتمع جديد تغيَّر عن

المجتمع الذي نشأ فيه، فكذلك الشعوب تجهل الواقع و تتعامل معه كأحداث سطحية بريئة، فالجميع يعيش بالدغمائية (المعنى السلبي) في أكثر الأشياء ظنية، وكثير من الإصلاحيين لم يجددوا رؤيتهم الاصلاحية .

وهذه الدغمائية تقود الى ممر مقطوع بتناقضات من الصعب تذليلها، أدت إلى تأخر تنظيري وولدت ظاهرة أناركية جدلية،حيث التصق كل نشاطنا الفكري على الدفاع و اتهام فكر آخر : علمانية ، مدخلية، وحتى مجتمعات اخرى .. !

نحن الآن في حرب شرسة تضرب من التحت بنيتنا المعرفية التحتية بتعفين نقاء و ثوابتية مصادر التلقي،و تعفين التاريخ الإسلامي بدايةً من تاريخ الصحابة الى تاريخ ومنهج أهل السنة، وقد انخرط فيها بعضنا بحثا عن نظرية ثورية إسلامية يصلح بها الوضع السياسي،و بعضهم بحثا عن تجديد الدين لكن بغير مواده ..أو من غير كفاءة .. !

ومن الفوق نتعرض إلى ضرب حراس الشريعة بشتى الطرق،بالاستمالة ،و التخوين،و التهميش؛و الكل يضرب فيهم ،المدخلي و الحركي و الإخواني ،الثوري، و السطاني..الخ مع الحقن الخفي و المعلن بالنموذج الحياتي و الثقافي الغربي الذي يحول دون فعالية الخطاب الديني المعاصر .

العاقل يستفيد من مفكرين كفرة ، ولا خلاق لهم ، و المسلم يعجز عن الاستفادة من عالم مسلم ليس على مذهبه أو رأيه ،حتى العالم المدخلي المفرط في مدخليته (إذا وجدته) يمكن أن تستفيد منه في شيء يتقنه ،و حده النقد العلمي الصحيح يفصل بين العالم كشخص وبين منزلة العلم.

لتفعل الأمة ما تشاء لن تصل لشيء بدون العلماء .

الوعظ بأعمال السَّلف..؟

إذا كان الفهم بحسب عقول الناس فإن العمل الصالح بحسب إيمانهم،لهذا فإن المبالغة في الوعظ بأعمال السلف التي لا يطيقها أكثر الناس قد تكون سلبية على الوعظ،فكثير من الناس يقول: ومن منَّا كالصحابة ..؟ !

وهذا لأن أعمال السلف في الغالب من أعمال المقربين،ولا يليق بها إلا أن تكون كذلك، فتكون بالتالي قدوة للعلماء ،و لمن كان ايمانه مناسبا للجهد اللازم لها من عامة

الناس.
و أعمالهم المثالية ـ إذا ضبط الاستشهاد بها ـ تكون كمصباح نتقدم على نوره في طريق الخير و الصلاح، لا يعني بالضرورة أن نصل اليها،و قدوة الناس النماذج التي تعيش بينهم أو قريبة منهم، المجانسة لهم في الظروف و الأحوال و الزمن،فقدوة النفس العظيمة العظماء، وقدوة النفس ما يقع درجة أعلى منها .
المقصود أن طاعة الله و رسوله بحسب الامكان،و إمكان عامة الناس مشترك إلا في حالات، و الحسنات تتنوع بحسب المقامات و مطالب النفس، و لهذا قيل: " حسنات الأبرار سيئات المقربين".
وهذه كلمة لها معنى صحيح و آخر فاسد، و الصحيح الذي يليق بموضوعنا هو أن الأبرار أو المقتصدين هم من يقتصر على آداء الواجبات و ترك المحرمات، وهذا الاقتصار سيء في طريق المقربين ، يحرمهم درجة المقربين، فيسوءهم ذلك لأنهم يطلبون و يحبون درجة المقربين، و هذا الاقتصار يفوِّتها عليهم، فيسؤهم فوات المحبوب .
فإذا تاب المقربون من الاقتصار على فعل الواجبات و ترك المحرمات فإنهم لا يتوبون من نفس العمل الصالح الذي يفعله الأبرار، و لكن من الاقتصار عليه، فالتوبة هنا من ترك الأحسن و ليس من فعل الحسن (ابن تيمية؛ مجموع الفتاوى).
و كما يؤمر المسلم بحسب قوة إدراكه يؤمر بحسب إيمانه ،و ضمن ما أوجبه الله تعالى عليه، و يرغب في الاجتهاد بالقدر اللائق المناسب لعلمه و إيمانه ، حتى لا يشعر بالتقصير ،فلا يؤمر العبد إلا بما يقدر عليه كما حددته الشريعة، فالصدقة بالنسبة لعموم المسلمين :"ما كانت عن ظهر غني"، و بالنسبة للمقربين هي:" جهد المقل" الأولى الحد الأدنى المشترك بين جميع المسلمين، و الثانية الفضل الذي يمتاز به المقربون .
فوعظ الناس بما يطيقون هو الراتب، و بفضائل المقربين هو العارض، كما كان النبي صلى الله عليه و سلم يقصر خطبته أحيانا،و يطيلها أحيانا بحسب حاجة الناس، و خطبته العارضة أطول من الراتبة. زاد المعاد 1/184
ويبقى هدي النبي صلى الله عليه و سلم هو القدوة لكل المسلمين لأن أعماله مطاقة للجميع إلا ما كان من خصائصه، وهي أعدل الأعمال و أنسبها لفطرة الانسان ، فمن

كان واعظا فليعظ بها فمتابعته خير محض.
و أما أعمال السلف فلا يقدر عليها كثير من الناس حتى من العلماء ،وهي مفيدة جدا لغرس تعظيمهم في نفوس المسلمين و لنتخذها سراجا ينير لنا درب الاجتهاد و العمل الصالح مع ضرورة التمييز بين الخطاب الكلي و الجزئي لإدراك المقصود بدون سلبيات،فمراعاة قوة إدراك الناس و قوة إيمانهم قاعدة لطيفة من أعطاها حقها أزالت عنه تعارضا كثيرا (كما قال ابن القيم).
التذكير بأعمال السلف العظيمة في العبادة و غيرها يجب أن يكون متناسبا مع الحث على متابعة النبي صلى الله عليه و سلم قدرا ومقدارا ،فالأعمال القوية التي تتطلب ايمانا قويا وهمة عالية قد تحي و قد تقتل ارادة العبد فيمل و يترك، فالأمر يتوقف على الجرعة منها،وهدي النبي صلى الله عليه و سلم كما في الصحيحين : " اكْلَفُوا مِن العَمَلِ ما تُطِيقُونَ؛ فإنَّ الله لا يَمَلُّ حتى تَمَلُّوا"،وفي صحيح البخاري : إنَّ هذا الدِّين متين وإنه لَن يُشادَّ الدِّينَ أحدٌ إلا غَلَبَهُ، واستَعِينُوا بالغَدْوَةِ والرَّوحَةِ وشيء من الدُّلجَةِ، والقصدَ القصدَ تبلغوا".
وقد استفاض عنه صلى الله عليه و سلم النهي عن مداومة الصيام و القيام و قراءة القرآن في أقل من ثلاث ،وقال : " أَحَبُّ الدين إليَّ الحنيفية السَّمحة "احمد.
و اعمال السلف من درجة أعمال المقربين درجة يسبقها إيمان المقربين و علم المقربين،من فهم هذا فهم متى وكيف يعظ بالأعمال التي من هذا الجنس.
و حث الناس على ما يقع ضمن حدود الله و تعليمهم شروط صحة العمل الشرعي، وتصحيح البواطن أعظم نفعا لهم من حثهم على فضائل الأعمال إذا لم يكن إيمانهم و علمهم مساعدين لهم.

دواء ضعف الذكاء..!

ضعف الذكاء ليس عيبا لأنَّ الذكاء عطاء دنيوي كالطول وقوة البدن،ومع ذلك يمكن معالجته بشيء يسمى "التجريد"..!
وإن كان المصطلح مهيبا فإنه ليس إلا القدرة على قبول عدم الفهم في اللحظة لنفهم فيما بعد..!
بعض المعلقين من أبطال التسامح في الاختلاف إذا كان هو المخالف! يريد أن يكون

بطلا [في فهم ما يتحدَّث فيه الناس] بكسر الأبواب المفتوحة..!!..
قيلت لقوم لا يعلمون أنَّ الطفرة ممكنة في الكلام بسبب إضمار تخصيص العموم عندما يكون ظاهرا، و ليس في المعاني..!

قلبك إما يفتحه القرآن (الوحي) وإما يفتحه السيف (المصائب).. ؟
غذاؤه من الإيمان والقرآن، وهذا شهر القرآن ومعقل العابدين على الأبوابقلبك إما يفتحه القرآن (الوحي) وإما يفتحه السيف (المصائب).. ؟
غذاؤه من الإيمان والقرآن، وهذا شهر القرآن ومعقل العابدين على الأبواب

لا تطمع أن تتركك الدنيا.. ؟!
ولا أن تدعك نفسك تمتثل الأمر على الإطلاق لأنه لا بد لها من جلب المنفعة ودفع المضرة، ووحده الله سبحانه يجلب ما ينفعك ويدفع عنك ما يضرك ،وحينئذ فقط يمكن أن تدع هواك وتطيع أمره.
لا تصح عبادة بدون توكل على الله ولا توكل بدون عبادة {فاعبده وتوكل عليه} [هود].
فلا بد لك من التوكل والاستعانة بالله حتى تقدر على امتثال الأمر بإطلاق.
قد عرفتَ سبب الفشل في العبادة:ضعف التوكل والاستعانة،يعني :ضعف الوثوق بالله والاعتماد عليه، وهذه أحوال قلبية شريفة عليك أن تحدث نفسك بها.
تجد بعض هذه المعاني في "السلوك" لابن تيمية شارحا الجيلاني.

حكاية كتاب :أمراض القلوب وشفاؤها(الجزء الأول)
هل أنت مهتد بالقرآن.. ؟
هو رسالة في مجلد السلوك وهو المجلد الخامس (بحسب الطبعات) من "مجموع الفتاوى".
وقد طبعت مستقلة مع "التحفة العراقية".
هي رسالة لطيفة تقريبا من (30)صفحة تناول فيها ابن تيمية الأسباب التي تمنع الهدى التفصيلي مثل الأمراض التي تصيب نفس الإنسان و أبرزها :الوقاحة _الحسد

_الشح والبخل _والعشق.
القرآن هدى للمتقين؟
كثيرا ما يقول المفسرون :هذه آيات نزلت في الكفار، والمراد بالإنسان هنا الكافر كما قال تعالى :{وإذا مس الإنسان الضر }
وهذه الآيات تناولت تشخيص عيوب الإنسان التي ذمها الله فيظن بعض الناس أنه ليس للمسلم في هذا الذم نصيب، ويذهب عقله للمشركين قبل الإسلام أو الكفار أو اليهود والنصارى فلا ينتفع بما أنزل الله ليهتدي به عباده.!
وإذا عرفنا أن المسلمين فيهم مؤمن ومنافق، وقد يكون في المسلم شعبة من نفاق (إذا حدث كذب و إذا أوتمن خان وإذا عاهد غدر وإذا خاصم فجر) رواه الشيخان.
قال الصحابة :(القلوب أربعة :قلب أجرد فيه سراج يزهر فذلك قلب المؤمن، وقلب أغلف فذاك قلب الكافر، وقلب منكوس فذلك قلب المنافق، وقلب فيه مادتان :مادة تمده بالإيمان ومادة تمده بالنفاق فأولئك قوم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا)
وعلى هذا فإن كل عبد ينتفع بما ذكر الله في الإيمان من مدح شعب الإيمان وذم شعب الكفر.
وكذلك قولهم عن قوله تعالى :{اهدنا الصراط المستقيم} بأن الهدى حصل للمسلم ويفسرونه عدة تفسيرات.
ونحن نعرف أن المسلم أقر بأن القرآن حق على سبيل الإجمال لكنه يحتاج أكثر إلى العلم بما ينفعه ويضره وما أمر به ونهي عنه في تفاصيل الأمور وجزئياتها.
وقد يعرف الكثير ولا يعمل به! والهدى إلى الصراط المستقيم يتناول التعريف بما جاء به الرسول مفصلا وما يدخل في أوامره الكليات.
والمسلمون قد تنازعوا في الأمور العلمية الاعتقادية والعملية مع أنهم كلهم متفقون على أن محمدا حق والقرآن حق فلو حصل لكل منهم الهدى إلى الصراط المستقيم فيما اختلفوا لم يختلفوا!
وأكثر المسلمين يعصي الله فلو هدوا إلى الصراط المستقيم في تلك الأعمال لفعلوا ما أمروا به وتركوا ما نهوا عنه؟!
ابحث عن الهدى التفصيلي..

وإنِّي أبحثُ عن واعظٍ لِنفسي وهو بين جنباتها ،أعماني عنه طلب حظها و"لو قضى شيء لكان"

أنت بوَّابُ اللَّه على قلبِك..؟!

اخرج من نفسِك، تنحَ عنها، سلِّم الكل إلى اللَّه تعالى.
كُن بوَّابه على قلبك، لا تدخل قلبَك إلَّا من أمرك بإدخالِه، وصد عنه كلَّ من أمرك بصدِّه[لا يدخل بيتك إلَّا مؤمن]
... الجيلاني ؛فتوح الغيب.

قد ينقلب الصَّبرُ بالعَطاء شكراً ؛ فإن لم يكُن فعانِق الصَّبرَ وارضَ بالقضَاءِ {إنَّما يُوفَّى الصَّابِرُونَ أجرَهُم بغيرِ حسَابٍ}.. وذاك خَتمُ العطَاء..!

ليس شيءٌ أسرع من السِّنين ؛ولا يهدرها مثل طُولِ الأمَل ..!

الكسل عن العبادة..؟
تريد الاجتهاد في الطاعة لكنك تكسل..ويدخلك التأويل: أزور فلان، والعلم مقدم على النافلة.. وتوعية الناس واجب.. الخ ويمر الشهر كسابقيه.. ؟!

لأن نفسك تغلبك على اتباع هواها ،وهواها البطالة ..؟
و الإنسان لا يترك محبوبا إلا بمحبوب آخر يكون أحب إليه منه، فإذا ذاق العبد طعم الإخلاص أحب طاعة الله فيقوي حب الله في قلبه فينقهر له هواه بلا علاج (كذلك لنصرف عنه السوء و الفحشاء إنه من عبادنا المخلصين).السلوك بتصرف
محبة الله أصل إرادة الله وأصل الصبر على أمر الله وبهذا يتقوى العبد على الطاعة.
من امتطى الصَّبر قهر الحلو و المرَّ..!

إنَّما تنظر العَينُ حيث يَنظُر القَلب{ إذْ يَغْشَى السِّدرَةَ مَا يَغْشَى مَا زَاغَ البَصَرُ ومَا

طَغَى}

أمراض النفوس التي نعجز عن مداواتها ..؟

قيل :"في كل جسد حسد" والمقصود أن القلوب تمرض كما تمرض الأجساد ،فتمرض بالوقاحة والحسد والشح والبخل والعشق وغيرها. وحفظ الصحة يكون بالمثل، و إزالة المرض بالضد.

فيجب مداواة القلوب من هذه الأمراض فإنها موجبة للعقوبة وفساد الحال،ويكون ذلك بالمخالفة، فإن الهوى إذا خالفته مرة بعد مرة خرج من القلب، وإذا اتبعته دخل القلب ورسخ فيه.

لكن قد يعجز الإنسان عن معالجته فعليه حينئذ أن يدافعه ويخنقه بالصبر والتقوى، فيكره ذلك من نفسه ولا يظهره، فكما أن أمراض الجسم مع التقوى تكون شهادة مثل :المطعون والمبطون، وصاحب ذات الجنب، والميت بغرق، أو حرق، أو هدم؛ فمثلها كذلك أمراض النفس إذا اتقى العبد ربه فيه وصبر عليه حتى مات، كالجبان الذي يتقي الله ويصبر للقتال حتى يقتل، وكذا العشق والحسد.. الخ

فهذه الأمراض إذا كان معها إيمان وتقوى كانت كما قال النبي صلى الله عليه وسلم :"لا يقضي الله لمؤمن قضاء إلا كان خيرا له إن أصابته سراء فشكر كان خيرا له، وإن أصابته ضراء فصبر كان خيرا له "مسلم.

ابن تيمية؛ السلوك؛ بتصرف.

الوصفة التيميَّة لصلاح النَّفس..!

1)_ إكمال الصَّلوات المفروضة باطنا وظاهراً فإنَّها عمود الدِّين.

2)_القرآن مأدبة اللَّه، غذ به قلبك فإنَّه يحفظ علم القلب وعمله بالإيمان.

3)_اتِّخاذ وردا من الذِّكر في النَّهار وعند النَّوم، يضمُّ إليه :أ) _الاستغفار؛ فمن استغفر اللَّه ثم تاب إليه متعه متاعا حسنا إلى أجل مسمَّى.

ب) _لا يترك في طرفي النهار : لا حول ولا قوة الَّا باللَّه، فإنَّها بها تحمل الأثقال، وتكابد الأهوال وينال رفيع
الأحوال.

4)_ لا يسأم من الدُّعاء والطَّلب فإنَّ العبد يستجاب له ما لم يعجل.
5)_ الصَّبر على الموانع والصوارف فإنَّه لم ينل أحد شيئاً من ختم الخير نبيٌّ فمن دونه إلَّا بالصَّبر.
بهذا لا يلبث أن يؤيِّده الله بروح منه، ويكتب الإيمان في قلبه.
[ويبدو لي أنَّه في حالة خراب الحال أن يركِّز في البداية على الحوقلة والاستغفار والدُّعاء بالهداية والمعونة ثمَّ سيفتح له في القرآن والصَّلاة وهنا ستبرز الموانع والصَّوارف فعليه بالصَّبر ومعه يأتي النَّصر.]
[أصل الخير والفلاح والسَّعادة في التَّقوى (فعل الأمر وترك النَّهي) والصَّبر على المقدور.
والتَّقوى تحتاج كذلك إلى الصَّبر عن ألم الفعل ولذة النَّهي،فالصَّبر مفتاح الفرج في كلِّ شيء]

الاستعداد النَّفسي...؟
هو أن تلزم قلبك بما يجب فعله أو تركه أو الرِّضا به. وذلك بأن تحدِّث به نفسك باستمرار فإنَّ خواطر الخير مادَّة القصد الصَّالح (الإخلاص) ،والاستعانة والتَّوكُّل.
ومنها تنشأ المحبَّة التي تحوِّلها إلى همم ثمَّ إلى إرادة.
قال سعد بن أبي وقَّاص :"ردَّ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم على عثمان بن مظعون التَّبتُّل ولو أذن له لاختصينا" البخاري ومسلم.
كانوا مستعدين نفسيًّا لتكاليف مطلوبهم: بذل الجهد والصَّبر .
والمقصود أنَّ النَّجاح يتوقف على الاستعداد ، وأن الاستعداد النَّفسيَّ للعمل الصَّالح بمحادثة النَّفس به حتَّى يحبَّه القلب ويرغب فيه.
الصُّورة :حتَّى الرَّاحة والاستجمام بالعمل..!

الصَّبر والمثابرة..!!
هذه الصُّورة يقول صاحبها: إنَّه قضى (06)سنوات، و(4200)ساعة ،وأخذ (700.000)كليشي "رَوسَم" ليتمكن من التقاطها..!!
لذا قيل : أفضل الأشياء تحتاج إلى صبر.

بدون صبر لا يكون علم ولا عمل.
يُخفِّف الصَّبر كلَّ الشُّرور بدون دواء..!!
{فاصبر إنَّ وعد اللَّه حقٌّ ولا يستخفَّنَّك الذين لا يوقنون}

كيف تعيش في الدُّنيا ..؟

رسول اللَّه _صلَّى اللَّه عليه وسلَّم _أفضل الخلائق، وسيِّد ولد آدم الذي له الوسيلة في المقامات كلِّها ،لم يكن حاله أنَّه لا يريد شيئاً، ولا أنَّه يريد كلَّ واقع(ابن تيميَّة) ....
فكان يصوم ويفطر ،ويقوم وينام، ويقاتل و يسالم، ويحبُّ ويبغض، ويتزوَّج النِّساء، ويأكل اللَّحم،ويحبُّ الحلو والطيب، ويلبس الجميل و ما توفَّر له..الخ.
راضيا بما رزقه اللَّه، مستعيناً بطيبات ما أحلَّ له على امتثال أمره؛ وهمَّته طاعة الأمر.
ومع النَّاس :
"كان ينظر في حظِّ نفسه إلى القدر، فيقول :"لو قضى شيء لكان" فيعفو و يصفح.
وفي حقِّ اللَّه ينظر إلى الأمر الشَّرعيِّ فيستوفي حقَّ ربِّه"(نم)
هكذا حاول أن تعيش.. لا تُحرم نفسك طيبات ما أحلَّ اللَّه لك، لكن لا تجعلها همَّك الأوَّل فإنَّها مقسومة، وكل البلاء يأتي من" عبادتها"، وأكثر الخلق معذَّبون بها..!
ومع النَّاس :عن نفسك انظر إليهم بعين الرَّحمة، وعن دينهم فسُسهم إلى أحسن ما يمكنهم منه.

ما دمت كارهاً للذنب فهناك أمل ..!

تشتهي النَّفس المعصية فإن كان القلب مبغضاً كارها ففيه خير(حياة) !! لأنَّ المنافق والكافر لا يجد هذه الكراهة.
فاستثمر هذا الخير عزما على الانتهاء.

أزمة التَّديُّن ..!

بالنَّظر في المساجد في شهر رمضان (التردُّد) ، وفي نوع الموضوعات التي تثير الاهتمام (على كلِّ أنواع الشاشات) فإنَّ التَّديُّن العامَّ والخاصَّ في تراجع ملحوظ؟!

يبدأ بفقدان الاهتمام بالحديث الدِّينيّ وينتهي إلى التَّديُّن العامِّي(العبادات مجرَّدة) أو إلى التَّديُّن القولي..!

وهو ما يبحث عنه العلماني عندما يتحدَّث عن "الهوية الإسلامية" في مقابل "الإيمان الإسلامي" حيث تصبح الهوية مجرَّد لون حضاري..!

نلاحظ اليوم شبابا يتحدَّث عن الدِّين لكن لا يمارسه(معطِّل للصلوات أو مذبذب) وإذا مارسه فلا يقرأ به الحياة، يبحث عن أدوية لأمراضه النَّفسية، وعن حلول للنجاح في ثقافة أبناء الدنيا..!

يفضِّل القراءة السياسية المحضة للأحداث، وينفر من أي قراءة مشوبة ببُعد عقدي أو شرعي.

أصبح معياره الأخلاق الفردية السلوكية مفصولة عن العقيدة(شاذ متخلق، فاجر طيب، ملحد كريم.. الخ)!!

وهي علمنة ذاتية تدخل فيها المجتمعات عندما تعيش في عالم معاصر غريب عنها، متغلغل في روحها ، تبدأ بالمعارضة ثم التكيُّف(سلبي عند الغالبية) ثمَّ التجاوز؛ ما يشبه حال متديِّن وجد نفسه في ملهى ليلي(!) و ليس له مكان آخر يذهب إليه، يحاول بداية تعطيل حواسه(!) ولما لا يقدر يتكيَّف بحسب قوة عقيدته وعمقها ، فإمَّا يذوب فيه و يستغفر بين الفينة والأخرى، وإمَّا يحاول تطويعه.

نحن الآن في علمنة الأخلاق العلمنة الذاتية، والتي تحاول العلمانية تأسيسها خارج الدِّين (مأسسة القيم).

نحن الآن في بداية الدُّخول إلى جحر الضب، والاستمتاع بخلاقنا كما استمتعوا بخلاقهم، والخوض كما خاضوا... .. وأيَّام الشَّظف أمامنا.. !!

تديُّن المعاصرة و التَّعلمن الذاتي (الآلي)

الحمد لله و الصلاة و السلام على رسول الله

بدايةً التعلمن الذاتي أو الآلي،يشبه الإلحاد و الكفر بالإله ظاهرة قديمة تُفكرن فتسمى "الدهرية أو المادية"، لكني أقصد هنا التعلمن المصاحب للمعاصرة بسبب التناقضات التي تحدثها مع التدين التقليدي، فينزوي الدين في ركن التعبد الشخصي أو الجماعي معزولا عن بقية مجالات الحياة،ولا يصبح الرؤية التي نرى من خلالها وجودنا و

حياتنا و مستقبلنا.
الذي يخبرك عن القيمة السائدة في مجتمع ما هو حديث مائدة الطعام، و أقصد الغلبة و القيادة و ليس الحصر: هل هو الدين أو السياسة أو الدنيا..؟
لا نختلف أن غالبية شبابنا تربى وتكوَّن خارج المسجد، وهو اليوم منجذب أكثر فأكثر لحياة المعاصرة بحداثتها، وتطلعاته السياسية والاجتماعية ليست نابعة عن رؤية عقدية للوجود. وهذا لا يمنع أن بعضه يستأنس بالتبرير الشرعي لها تعضيدا وليس اعتمادا.
وحديثه (الأقلام السياسية) عن الهوية في المنظومة التعليمية مجرد عنوان لتسويق الخطاب أو لملء الفراغات، يحاول من خلاله أن يُبقي فعله السياسي معلقا بالإسلام ولو بخيط..؟
فهو لم يحدد أي جزء ينقص..؟
في الحقيقة الهوية الإسلامية التي يتحدث عنها هي هوية مدنية إذن علمانية، دخلنا فيها منذ الاستقلال ،ولا علاقة لها بعصبة معينة إلا في إطار النمو الطبيعي للأفكار،فمنذ ذلك الحين لم يكن للمدرسة أي دور في صياغة الشخصية الإسلامية للشاب حتى جاءت الصحوة..!!
لا شك أن بعضنا نشأ في الكتاتيب على الأقل في العطل المدرسية لكن لم نأخذ منها إلا الرسوم و ذكريات الطفولة ،أما أسلوب الحياة و فلسفتها فمن حياة الشارع و الثقافة السائدة بعد الاستقلال.
لم يكن ما نتلقاه في البيوت و المدرسة و الكتاتيب قويا ليواجه النموذج الحياتي الغربي لأننا كنا نتلقاه كوصايا و اوامر و مجملات معزولة عن التأسيس النفساني الوجداني و المعرفي.
كما لا يمكن أن ننكر أنَّ بعض مذاهبنا الدينية علمانية من قبل أن تظهر العلمانية في العالم(!) وهي المذاهب التي غلبت عليها الرسوم والاسترزاق، حيث فقدت حقيقتها من قرون طويلة قبل الاحتكاك بالعالم الغربي بكثير، وهي كل مذهب يؤسس لازدواج الشخصية و يحصر الدين داخل الزاوية أو المسجد أو البيت .
وقد تراجع دور المسجد بعد تراجع الدور الاجتماعي للدين، بالقضاء على الوقف وتضييق نشاطه، و علمنة المنظومة التعليمية، ثم أخيرا وضع الدولة ليدها على الزكاة

اكتمالا للحلقة.. !
كل هذا أخرج الدين من البعد الاجتماعي، وأخرج المسجد من الدور التربوي التعليمي، ونُقلت صلاحيات المسجد إلى المجتمع المدني الذي تسيطر عليه الدولة،مما يعني أن المعركة في المجتمع المدني هي حيث تفرخ الأديولوجيات ، وحيث يتم علمنة القيم الإسلامية في التكافل،و الكرامة و خدمة الاخر...الخ.
فهم الإسلاميون بعد كر وفر سواء بدافع الأحداث أو بالتخطيط الغربي (أو بهما وهو المعقول) أنَّ المعاصرة واقع لا مفر منه، وهي في مواجهة المسجد، وأن مفتاح الصراع ليس في جلب الناس إلى المسجد ولكن باستباق العلمانية من خلال الفعل السياسي /الاجتماعي بدلا عن الفعل العقدي (الدعوي الذي فقد زخمه)فزحفوا على النقابات، وعلمنوا أداتهم السياسية : "إسلامية الديمقراطية " لتكون بديلا عن الديمقراطية الإسلامية.
ونحن اليوم - في إطار منطقية الحدث و التكيُّف - نسير إلى المرحلة الثانية :حيث لا تشترط الممارسة الدينية في الأعضاء ولكن الالتحام حول قيم إسلامية معلمنة،أو علمانية مؤسلمة ،وهكذا يصبح الحزب السياسي الذراع العلماني للإسلاميين.
بطبيعة الحال هم لا ينظرون إلى الأمر هكذا، بل يعدونه من قبيل الإجراءات الظرفية على طريقتهم في تعلم الفقه بواسطة المذهبية(!) ولكن في حقيقة الواقع لا يتحكمون لا في الأسباب ولا في أثارها عليهم،لأن هذا الوضع ليس تكيُّفا استراتيجيا منهم، ولكن دُفعوا له قصدا.. ؟!
وعلى فكرة حسن حنفي :"يمين إسلامي ويسار إسلامي" بدأ بعض الشباب التنظير الماركسي للإصلاح السياسي، وظهر إسلاميون تقدميون تنويريون،ونحن على اعتاب ظهور إسلاميين نباتيين،و أئمة شواذ ، و التلهي بالقرآن و الاذان .. !
وبعد أن حاولت بعض التيارات السلفية نفض الغبار عن العقيدة لتدخل عالم السياسة وصناعة الدولة بالعنف أو بالسياسة، و فشلت لأن الطرح كان معزولا عن المسار الحضاري دخلنا مرحلة تفضيل الفعل على العقيدة، كما نشاهده في أدبيات الحراك الجزائري، ومن بداية الربيع العربي، وانحصر دور العقيدة (الشريعة) في التبرير (الديني) للفعل السياسي بعد حدوثه و ليس إفرازه و قيادته شعبيا أو نخبويا ..؟
في الانتخابات البلدية الأخيرة في تركيا زحفت الأحزاب العلمانية لأن جيل الشباب

الحالي لم يعرف تركيا الفقر والرشوة والوسخ، لا يعرف إلا ما يعيشه اليوم، فإن كان سيئا بالنسبة إليه سخط، وهذا لأن الدولة الحديثة قلبها في المجتمع المدني، وقلبه في المطالب الاجتماعية،و بعد ستينيات القرن الماضي أسست العولمة الثقافية لبراديبجم انثروبولوجي جديد يتمثل في الجيل بدل الطبقة الاجتماعية، و الحرية بدل المطالب الاجتماعية يكسر القواعد القديمة، و إن لم نصل هذه المرحلة أو لم تغلب على شبابنا لحد الآن ..؟

فإذا سلكت هذا الطريق ـ ولا أظن أنه بالإمكان غيره سياسيا ـ يلزمك بالضرورة التخلي عن البعد العقدي ، والمساهمة في صناعة دولة علمانية بشكل أو بآخر ، مما يعني أن التحدي هو في إعادة بناء المجتمع على البعد العقدي ،فما يمكن أن تقدمه الدولة الحديثة للمشروع الحضاري الإسلامي محدودة جدا لا يسد الرمق.

والإعجاب ببعض دول شرق آسيا الذي نجده عند شبابنا ناجم عن إعجابهم بالدولة الحديثة بغض النظر عن كونها منتجعا سياحيا أو دولة رسالية، لأن البعد العقدي غائب.

عندما يكون معيار تقييم الفرد هو المكاسب المادية،و معيار تقييم المجتمع هو الرفاهية الاجتماعية وليس العقيدة والواجب الإيماني فنحن في قلب فلسفة الحداثة، و بالتالي نحن الأمة التي لم يهلكها الفقر ولكن الدنيا =الحضارة المعاصرة.

كل الاضطرابات السياسية الكبرى في الدولة الحديثة و العالم المعاصر تشكل قطيعة مع ثقافة و تأسيسا لأخرى جديدة ،ما يسميه المختصون "القطيعة الانتثروبولوجية" حيث تتشكل الثقافة الجديدة و يزداد الانفصال عن العمق العقدي أكثر فأكثر .

وقد يبدو هذا غريبا في الجزائر و إن كان معاشا في بقية الدول العربية لأن الحديث في الجزائر الآن عن "الهوية النوفمبرية" و أظن أن هذا الشعار وظيفته أن يكون في مقابل الهوية الإسلامية أو الإسلام السياسي،و بدون الدخول في ثقافة و ايديولوجية قادة الثورة التي يجذبها كل طرف إليه أشرح هذا الرأي:

يقول العلماني الغربي : نحن حضارة هلينية /مسيحية، أو يهودية/ مسيحية لأنه لابد له من إطار هوياتي يرفض به الافكار التي تكسر قواعده العلمانية، ولا يجد لها في الطرح العلماني مخرجا عقلانيا.

كذلك مصطلح "الهوية الاسلامية" المقصود به اللون الحضاري ، وكلمة " ضمن

مبادئ الإسلام" ليست سوى شعار للتملص من الاحكام الاسلامية لأن المبادئ ليست إلا القوانين العامة الكلية التي محلها العقل ، يعني: معنوية، لا قيمة لها بدون أحكامها الجزئية العملية ، فالكرامة الإنسانية مبدأ اسلامي بدون بعده العقدي و أحكامه الجزئية التفصيلية يمكن أن تدخل تحته كل ما ليس بإسلامي، كذلك " الحب الإلهي، و التكافل، و الحرية، و خدمة الغير، و احترام الاخر،و العدالة .. الخ كلها تصبح بدون الأحكام الشرعية الجزئية و البعد العقدي قيما علمانية.

خارج المسجد تصبح القيم الإسلامية غير مفهومة أو مقبولة و بالتالي غير مشتركة في المجتمع ،وهكذا تمت علمنة المسجد بقانون المساجد الذي فرح به المداخلة يوم صدوره ،وكان جزءا من عملية التأسيس لتديُّن المعاصرة (التديُّن العلماني).

يمكن أن نجعلها معركة خبز لبناء إيمان و لكني أظنها استراتيجية محدودة إن لم تكن مضرة، و الأولى بنا منهج الأنبياء و هي أن تكون في الأساس معركة إيمان لها أذرع مختلفة ، لكن هذا يحتاج أولا القناعة للعودة إلى الدعوة .

هذا تحليل لكليات أزمة التدين في المجتمع الإسلامي المعاصر، أما عن الحدث الحالي في الجزائر فرأيي أن المعركة الحقيقية حول بناء الدولة وليس في هويتها التفصيلية لكن يأبى الناس غير ذلك ....

أزمة الفكر الإسلامي..؟

لا يمكن مقاومة حضارة الا بحضارة ،والحضارة ليست جمال العمران ولا التقدم التقني و لكنها إنتاج فكر إنساني يؤثث وجود الإنسان،يحفظ فطرته ويشبع فضوله الروحي ويعطي لحياته المعاني الأخلاقية .

نحتاج اليوم إلى الفكر التصوري (الذي ينتج التصورات) وليس إلى قادة ساسة.

أزمة الحركات الإسلامية المعاصرة عند: م. م. الشنقيطي.. ؟

والسؤال الغائب عندنا..؟

حتى لا أضيع في التعليقات فهذا مقال يلخص المسألة ،مسألة المفكرين و القادة، من الحاجة إليهم حاليا ضرورية و من الحاجة إليهم من قبيل نش الذبان..؟

قال الدكتور محمد مختار الشنقيطي :
"إن أزمة الحركات الإسلامية اليوم ليست في ندرة القادة التنفيذيين، وإنما هي في ندرة القادة التصوريين القادرين على بناء رؤية متجاوِزة، يستطيعون من خلالها وضع البدائل التي تُخرج هذه الحركات من حالة الفوضى والجمود، وقد عبر الأستاذ عمر عبيد حسنة عن ذلك بقوله: (إن هذه التنظيمات -في معظمها إن لم نقل كلها- انتهت إلى لون من القيادات التي ظنت أن القيادة تعني الإشراف الإداري.. وعجزت عن إنتاج قيادات فكرية، ذلك أن هذه القيادات بطبيعتها الإدارية الرتيبة، تضيق ذرعاً بأي تطوير أو تفكير أو تغيير، وكل الذي يعنيها: الإبقاء والإصرار على صورة الماضي للمفكرين الرواد الأوائل، على الرغم من تغيّر الظروف والأحوال والمشكلات.. وعلى أحسن الأحوال يمكن وصف تلك القيادات بأنها أغلفة لحفظ تاريخ الجماعات، وهذا الاستمرار الرتيب استدعى بطبيعة الحال تقديم الخطباء على الخبراء) وهو تشخيص صحيح. لقد أنتج هذا الخطأ في فهم مهمة القيادة العليا، والغفلة عن أهمية الجانب التصويري فيها، نوعاً من القيادات التي لاتحسن أكثر من إدارة اجتماع أو تحرير بيان، وما أبعد ذلك من متطلبات حركة تغيير اجتماعي وسياسي هي أمل أمتها."
د. محمد_مختار_الشنقيطي؛ من كتاب "الحركة الاسلامية في السودان" عن قناة "رؤية للثقافة و الاعلام".
مسألة تجاوز فكر القادة المؤسسين للحركات الإسلامية كنت تكلمت عنها سابقا، وبيَّنت أن المقصود هو التجاوز مع الاحتفاظ ،و عندما أقول التجاوز فلا يعني تجاوز المواد الشرعية التي بنوا عليها حركتهم الإصلاحية فما كان عندهم شركا يصبح عندنا توحيدا ،أو ما كان حراما يصبح حلالا مثلا ، لأن الدين واحد في كل العصور و لكن تجاوز الرؤية الإصلاحية التي تعني أهميتها المجردة المفصولة عن الواقع الحضاري.
و المقصود أن الحاجة إلى تجديد أو عصرنة الرؤية الإصلاحية هي أساس السؤال الذي لم يجب عنه الشنقيطي،و الذي هو :لمَ نعجز عن إنتاج المفكر التصوري.. ؟
فقد لا نختلف كثيرا حول المعاينة إنما الشأن فمعرفة سبب العقم ، وهذه مسألة تكلمت

فيها كثيرا سواء عندما بحثت طرق تكوين العلماء أو مناهج التحصيل أو معايير انتقاء الكتب المعتمدة في التدريس نقدا لبرنامج صناعة محاور او عندما تكلمت عن معضلة الجمع بين أصالة الفكر و واقعية الفعل (المعاصرة) .
فقد ذكرت غير مرة الفرق بين الأئمة الذين تكلموا في العلوم منشئين للتصورات و بين غيرهم من شراح و نقلة و مقلدة ، ولابأس اليوم أن نتكلم عن الفكر التصوري لأن الدكتور لم يشرحه، فأقول:
هناك نوعان من الفكر :
الأول: الفكر المعلوماتي وهو الفكر الذي تسيطر عليه المعلومة يعتمد على تحليل المعلومات، و يقول خبراء الدماغ أنه يشتغل على الجهة اليسر ى للدماغ .
الثاني: الفكر التصوري و هو الفكر الذي يعود إلى نظرية ، فهو الفكر الذي يستعمل الخيال و الرؤية الاستشرافية، و الإبداع ، يعتمد في حل المشاكل على الطرق الخلاقة المبدعة، و التوليف بين عدة أفكار مختلفة لإيجاد حل جديد ،يضع عدة أفكار مختلفة تحت فكرة واحدة.
هو فكر طبيعي في بعض الناس لكن يمكن تعلمه، يتصف بأنه بطيء التحليل يعني: يجتنب التحليل المباشر للحدث أو المشكل،و يعتمد الرؤية الشاملة للمجموع .
له قدرة على ترجمة الأفكار المجردة، وجرأة على تجربة المسارات الجديدة،و يمتاز بالتحليل و الهيكلة الفكرية ورؤية مجموع العناصر، يستمع إلى الأفكار الحدسية ، يقال أنه يشغل الجهة اليمنى للدماغ.
يتوجه النقد التصوري إلى التصورات و ليس للمعلومات، يحيط بدائرة التصور، بهيكل الأفكار داخله وجهازها، يبحث عن معنى المشكل، يحدد تعدد التصورات في الموضوع الواحد و يراجع أسباب اختلاف التصنيف التي سببت التعدد.
يحاول أن يفهم كيف يطرح المشكل ،ماهي مساحة المواقف و أين تتقاطع الاستراتيجيات الفكرية أو الاستدلالية فقد تكون الأطروحات جذرية في الأساس لكن الإحاطة بها ملونة .
ما الذي يراه المفكر الذي ننتقده من خلال بطارية تصوراته ، معاينة نقاط التحول في الفكرة العامة و ضبط الخصائص ، في هذا المستوى لا يحاول التحليل أن يشرح و لكنه كما في منهج الظواهرية يكتفي بالوصف بدون تبرير أو معيارية سابقة ،يحاول

أن يفهم بفهم الكاتب حتى يصل إلى عمق الفكرة حيث لا تصبح العلاقات بين الأفكار الرئيسة و الفرعية مجرد استنتاجات و لوازم و لكن اتصالات و روابط هنا يبدأ التحليل الثاني الذي يشرح ويبرر وفقا لمعايير المرجعية المعرفية و يخلص إلى التوليف الممكن.

إذا لم نهضم تراثنا جيدا كما هو و نميز مستوياته و أنواعه الشرعي المنزل و المؤول و المبدل،و نهضم الفكر المعاصر كما هو إثباتا و نقدا في بيئته ثم نعود لتراثنا المحقق لنبدأ في التوليف بين الصحيح في كل قسم و الاجابة عن المعاصر بفكر مهيمن عليه عقليا فلا يمكن أن ننتج مفكرين تصوريين.

وقار القرآن ...

جاء في الحديث:"ليس منَّا من لم يتغن بالقرآن " ،"زينوا القرآن بأصواتكم"..

اختلف السلف والأئمة في معنى "التغني" و كيفيته، فذهب بعض الأئمة كمالك وأحمد وابن عيينة وغيرهم إلى أن المعنى تحسين الصوت والجهر به، و كرهوا قراءة اللحون واعتبروها بدعة.

قال مالك :"إنما هو غناء يتغنون به"، وقال أحمد:" محدث، بدعة لا تسمع "، ورويت الكراهة عن جمع من الصحابة والتابعين.

وذهب ابن المبارك والنضر بن شميل إلى جواز التغني بما شاء من الأصوات واللحون، وإلى هذا ذهب أبو حنيفة والشافعي، وروي عن بعض الصحابة.

وقد وفق ابن القيم في "زاد المعاد" إلى التوليف بين القولين على قاعدة قول النبي صلى الله عليه وسلم في الأذان :"إن الأذان سهل سمح.." وأن للقرآن وقارا يقتضي أنهم(السلف) قصدوا القراءة بتحسين الصوت من غير تكلف ولا تمرين ولا تعليم، من قبيل السليقة واسترسال الطبيعة سواء قرأ بصوت تحزين أو غيره.

و أضاف أنه لا يوجد في السلف من أجاز القراءة بالألحان وايقاعات الموسيقى.

ومعلوم أن مراعاة أحكام التغني قد تكون من جنس الوساوس المانعة من التدبر(كما أشار إليه ابن تيمية).

وكما تعشق النفس بواسطة العين الصورة الجميلة تعشق بواسطة الأذن الصوت الجميل، و الصوت مؤثر في النفس مجردا عن القرآن، فما أسهل أن يقع الإنسان في

عشق عذوبة الصوت ويظن أنه يتلذذ بمعاني القرآن ويخشع لها ... !
لكن من جهة أخرى مفهوم أننا في زمن من الصعب التدين فيه على الشباب،زمن سادت فيه ثقافة حياة واحدة في جميع الشعوب ،و غلب أسلوب حياة مادي شهواني حيثما ولى وجهه بهرته الفتن، وأن الشباب المتدين يحتاج إلى نوع تيسير في الوجدانيات بالرخصة الصحيحة أو بالسكوت عن بعض الأمور، وتناولها مجملا إذا اقتضت الحاجة، فالمهم أن يحافظ على الصلاة ويعمر المساجد،لأن تضييع صلاة التراويح عند الشباب المتدين أصبح ظاهرة.
ومعلوم أن الحمولة الوجدانية على الشباب قوية جدا، فهو في زمن غير مسبوق في فتنة النفس،وثوران الإكراهات.
و في مثل هذا العمر يسبق الوجداني العقلي، وكل شيء فيه يمر على الانفعالي، ونفسه تعيش معارك الوجدانيات المتعارضة، ولابد للحفاظ على تدينه أن تتعايش الإكراهات في حياته الوجدانية إلى أن يمكنه الله من إبصار ما يوجد خلفها.
وعليه؛ يجب إعادة تصحيح علاقتنا بالقرآن فإنما أنزل لنتدبر معانيه، وتدبرها لا يتعلق بعذوبة الصوت الذي هو سبب الطرب(ذاك الشعور الغريب الذي تحس معه النفس أنها تطير في الفضاء) الذي يجعل الإنسان (المحتاج إليه) يجد لذة للقيام في الصلاة، ولا تخامره نية الانصراف وكراهية التطويل،وهذا محمود من هذا الوجه،لكن لا علاقة له بتدبر المعاني حتى نكون واضحين.
أقول هذا من باب غلق المنفذ على تلبيس الشيطان بتمييز المتشابهات وإلزام القلب بالاعتدال مع مراعاة أحوال النفس و حاجتها إلى الغذاء الوجداني المتمثل في الجماليات، فإن " الورع الصحيح هو التورع عما نخاف عاقبته مما نشك في حرمته لكن بشرط أن لا يكون في تركه مفسدة أعظم من فعله كمن يترك ذمة أبيه مرهونة بدين لأنه يمتنع عن سداده بمال فيه شبهة " ابن تيمية؛ السلوك.
وما يصلح للشباب قد لا يصلح للكهول،و قد لا يصلح حتى لبعض الشباب نفسه بحسب اختلاف الهمة و نوع العلم و مرتبته و شرف الأحوال القلبية التي ذاقها .

العلمانيون ذخيرة إعلامية/سياسية ؟!العلمانيون ذخيرة إعلامية/سياسية ؟!

الحبُّ تلك الغاية..؟!

"من أحبَّ شيئًا جذبه إليه بحسب قوَّته".. (ابن تيميَّة ؛السُّلوك)

تجذبه بإرادتك، ويجذبك بإرادة (إن بادلك الحبَّ) وإلَّا فبغير إرادة(تنجذب إليه) ..!!

فاختر محابك فإنَّك عالق معها..؟؟

والحبُّ حقيقة لأجلها كان كلُّ شيء ،وفيه زلَّت أقدام العبَّاد(ما التذ عارف بمشاهدة!)

وتاهت أفهام أذكياء العالم (إنكار محبَّة اللَّه سرُّ التَّوحيد!)!!

وإذا أخطأ فيه الإنسان فهو لعنة القلوب..!!

و الرَّبُّ متَّصف بكلِّ صفة تُحب ،فهو أحقُّ بالمحبَّة من كلِّ محبوب.

{واستغفروا ربَّكم ثمَّ توبوا إليه إنَّ ربي رحيم ودود}..

... {وهو الغفور الودود}

✿على الحبِّ نتركِكم وعلى الحبِّ إن شاء اللَّه نلقاكم✿

السِّياسة في الجزائر بناءٌ تصارعي للمواقف النَّظريَّة وبالتَّالي تُقصي إحداها الأخرى..!!

صعوبة فهم السياسة ؟!

نجد صعوبة كبيرة في فهم السياسة في مجتمعاتنا بحيث أنها لا تتبع مسارات منطقية، وهي شديدة التقلب.. ؟!

لكن هل يمكن أن نفهم السياسة دون فهم الوقائع الاجتماعية، ودون فهم نفسية الفرد التي ينبع عنها تصوره للسلطة وفعله السياسي.. ؟

هل يمكنن أن نحلل دون أثر بنيوية الأهواء في السلوك الإنساني،في تصوره للسلطة، وفي فعله السياسي..؟

في الهياكل اجتماعية يوجد إنسان يتلقى النفسية و الأهواء!!

لهذا علِق بعض المحللين في نية السلطة ما هي، لأن النفسية تغلب الخطاب.. (؟)

وعلق اخرون مع نفسية الشعب غير القابلة للدولة التي ينادي بها تجريدا خارج الواقع...!

نريد تغيير الإنسان (الفاسد) بمؤسسات (صالحة) يصنعها هذا الإنسان الفاسد .. ؟!

تشرُّد المحلِّل .. و نصف الوهم ..!

مَن تحرَّر من شيء لا يجب أن يعتقد أنَّه تحرَّر من كلِّ شيء.
فمن تحرَّر من سياسة جماعة لم يتحرَّر من كلِّ السِّياسات!
إن أدرك هذا وقبله تقدَّم وإلَّا نطح الفوضى..!
هذا إذا كان _أصلا _ يفعل شيئاً أو يفكِّر فيه من تلقاء نفسه..!!
و أسوء من ذلك أنَّ الشَّعب لم يتحرَّر من نخبة بعضها لم يخرج من حالة الوصاية، تعجز عن استخدام عقلها من دون إيعاز مذهبي أو حزبي أو مصلحي(!)
وبعضها الآخر ينقصه التَّصميم على شرح حقيقة الواقع للشَّعب بأنَّه ليس العلَّة الحصرية، ولن يكون. .!
نخبة متشردة بين الاختصاصات والانتماءات،والشكلانيات..!

قلوبٌ غافلة ..!

قال اللَّه تعالى :{ولقد أخذناهم بالعذابِ فما استكانوا لربِّهم وما يتضرَّعون}
بعض العباد يخرج من مصيبة يدخل في أخرى(!)
وما من أمرٍ يُقبل عليه إلَّا وجد فيه التَّعسير(! ؟)
ومع ذلك يصرُّ على ما هو عليه من ذنوب،و أعظمها تضييع الصَّلاة ، ويأمل إن هو تحسَّن حاله تاب و أصلح دينه..!
وقد لا يأتي المأمول، وقد يأتي ولا تنتفع به، بل يكون باباً لشرٍّ أعظم.
فكيف تجعل النِّعمة مقدَّمة على المنعم ؛ لو كنت تَعقِل..؟!
✤آن لك أن تستيقظ من غفلتك ✤

تُب توبة عامَّة ..!

إذا تاب العبد من ذنب ارتفع موجبه (العقوبة) فإذا حصلت الشِّدَّة بذنوب ،وتاب من بعضها خُفِّف منه بقدر ما تاب منه، بخلاف ما لم يتب منه(!) وبخلاف صاحب التَّوبة العامَّة (الذي يتوب دائماً من التَّفريط في أمر أو الاعتداء بمحظور).
ابن تيميَّة؛ السُّلوك؛ بتصرُّف.

النَّفس لا تريد إلَّا حظها فإذا قضى انصرفت

تدعو اللَّه فيفتح عليك من لذيذ معرفته وحلاوة مناجاته؛ فإذا استجاب لحاجتك انصرفت نفسك..!
وما يجده المؤمن في الشِّدَّة والضُّرِّ من لذَّة التَّوحيد الكامل والرَّجاء التَّامِّ والتَّوكُّل والإنابة إلى اللَّه أعظم من لذَّة رفع الضُّرِّ.(ابن تيميَّة؛ السُّلوك بتصرُّف)
الفائدة :

1_ اشعر بحقيقة فقرك تبقى نفسك طالبة حاضرة

2_ البلاء من تمام النِّعمة عليك(إذا كنت تجد هذه الأحوال)

في انتظار أن يجد الشَّعب [الملائكة] التي تمثِّله الشَّياطين ترقص ..!

الشَّعب في تجربة عقلاء السَّاسة..!

لاحظ بعض العقلاء الذين شاركوا في ثورات وانتفاضات، و تحولات سياسية كبرى أمورا تتعلق بسلوكيات الشعوب في مجال السياسة، منها هذه الأقوال لأنها تعين في فهم الشعوب و التعامل معها :

"الشعب طاغوت بعدة رؤوس"

يقصد أنه عندما تصير الكلمة للشعب فإنه يستبد من خلال المغالاة في مطالبه، ولأنه في الغالب تبرز عدة قيادات تمثله تزايد في دعوى تمثيله يكون الطاغوت بعدة رؤوس.

"الشعب عنده قوة وليس لديه حكمة" يعني أن انتفاضة الشعب قوة رهيبة تسقط البروج لكن لأنه يتكلم بعفوية لا يعرف حقيقة الواقع فإنه يتصرف بدون حكمة ولذلك تسرق منه ثمرة حركته.

"الشعب بدون قائد يسير نحو حتفه "هذا أمر مجرب فإن غالبية الشعوب التي تثور بدون قيادة تنتهي إلى فوضى أو إلى ضياع مطالبها.

📎 "تحب الشعوب الخطب الرنانة أكثر من حبها الفعل الحسن" لأنها عاطفية تؤثر في نفسيتها الخطب التي تدغدغ كبريائها بخلاف الفعل المفيد لها.

📎 " ليس للشعوب سادة إلا ما تستحق" لا يمكن للشعب أن يحكمه إلا ما ولد إلا أن يشاء الله أمرا.

📎 "للشعب المجنون ساسة و رجال دين شياطين" بدون تعليق..!!

📎 " ليس للشعوب حق إلا أن تحكم بعدل "

تعرف الشعوب الظلم لكنها لا تعرف مصلحتها :{وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به}

الخلاصة :الصبر على أحوال الشعوب والمضي فيما تعين من مصالحها الحالية.

"طاغوت" بمعنى مستبد.

الحل... مجرَّد استفهام ..؟؟

يكفي ليفقد الشَّيء معناه أن تضيف إليه كلمة "عسكري" مثل :"عدالة عسكريّة" ، "موسيقى عسكرية" (جورج كليمنصو)!

لكن المشكل أنَّ العسكر في الجزائر يريدون أن تبقى السُّلطة في المدنيين ،وأن نختار رئيس الدَّولة بسرعة، وهو من تُطلب منه الإصلاحات، وهذا منطق مقبول نوعا ما :

_ إن كان الشَّعب واعيا كما يزعم شعراء السِّياسة.

_ واذا كانت النُّخبة قد تعلَّمت الدَّرس، فيمكنهم دائما أن يطالبوا الرَّئيس القادم بمزيد من الإصلاحات، يعني ما الذي يمنعهم من التظاهر..؟!

وأمَّا إذا اعتقدوا أنَّها فرصة لا تتكرَّر ،فليس بالفرص النادرة تبنى الدُّول لأنَّ الثورة الفرنسية مثلا مرَّت بثلاث مراحل، وربَّما أخذت ستين أو ثمانين سنَّة..!!

وهل يمكن أن نقول :

اعرف مع من تتعامل، وإلى أيِّ قدر يمكنه التنازل.

وهل يمكن معه حاليا أكثر ممَّا كان..؟

وهل سنذهب إلى قرع الطبول إذا رفض الحراك التنازل وحينها تتبدد الأفكار..!

قيل :بعض النَّاس تبالغ في محدودية قوَّة العقل حتَّى تنسى أحياناً استخدامه.. !

الممكن في السِّياسة والعلم والعمل .. ؟!
[الغالب] في السِّياسة [الحديثة] نظيف اليد من ليس له يد..! (قيل)
منذ قرون طويلة استقرَّت السِّياسة والعلم والعمل لعدم القائم بالطريقة المشروعة علما وعملا على✽جواز فعل الحسن الذي لا يتأتى فعله إلَّا بسيِّئات✽
لأنَّه في السِّياسة كما في العلم والعمل يكاد يستحيل وجود حسنات محضة بدون سيِّئات!!
لهذا يتعذر ويتعسر على الإنسان الحسنات المحضة إلا بنوع محدث لحاجة الإنسان إلى تحرير قواعد دقيقة كثيرة، فإذا لم يوجد إلَّا النور الذي فيه ظلمة، وإلَّا بقي الإنسان في ظلمة، لم ينبغ أن نعيب وننهي عن نور فيه ظلمة وإلا خرجنا عن النور بالكلية.
وعلى هذا يجب أن نحمل ذمَّ العلماء للشيء على موضعه، لأنَّ العجز عن كمال الحسنات والاضطرار إلى بعض السِّيئات غالبيته في [المتأخرين] معذور، لأنَّه يكون عن غلبة، وقد يكون مع قدرة لكن مع حاجة وضرورة.
والمقصود أنَّ معرفة الحسنات في نفسها علما وعملا (وكذا السِّيِّئات) شيء والقدرة عليها عند المتأخِّرين علما وعملا شيء آخر.
والخلط بينهما سبب الشرِّ والعدوان بين المسلمين، وسبب عدم قدرتهم على الانتقال إلى الأفضل لأنهم مثاليون غير واقعيين؛ فوازن بين الشَّرّين، وانظر إلى أخفِّ السِّيِّئتين..وامض وإلَّا رجعت إلى نقطة الصِّفْر والصَّفَر..!!

الهدرة في السِّياسة..!!
الكلام في السِّياسة في تقدير مصالح البلاد؛ وإن كنت موقنا أنَّ النَّاس لن تعود حتى ترى الرؤوس أو ما شابه!!
و ليس أضر على البلاد من كهنة السِّياسة(!) فمن تقديس الحاكم إلى تقديس الشَّعب!!
كلامهم من قبل يشبه علم الفلك، ومن بعد يشبه علم التَّنجيم!
فرق بين من يتكلَّم في السِّياسة درايةً بتجارب البشر وبما تستحسنه الشَّريعة وبين من

يتكلَّم بمحض رأيه.
ستكشف لنا الأيام قيمة كل حديث..
ما زال ما عطاونيش لوزين تاع ربراب!!

هل يعاقب الموحِّد الفاجر ..؟!
قد تكون عقوبة الفاجر في الدُّنيا أشدَّ من عقوبة الشِّرك..!
" ذكر اللَّه عن قوم لوط استحلال الفاحشة، ولم يذكَّروا بالتَّوحيد بخلاف سائر الأمم، وهذا يدلُّ على أنَّهم لم يكونوا مشركين، وإنَّما ذنبهم استحلال الفاحشة وتوابع ذلك. وكانت عقوبتهم أشدَّ إذ ليس في ذلك تديُّن بل شرٌّ يعلمون أنَّه شرٌّ" ابن تيميَّة؛النُّبوات.
ويمكن أن نقيس على قضية المبتدع والفاجر عند المداخلة..

حرمة العلم..!!
يقول الفلاسفة :العلم (متعلقا بالذات) علمان :علم بالقوة وعلم بالفعل.
ممكن نفسره هنا[بعيدا عن الاستعداد] بالعلم في الذاكرة الذي يغفل عنه الإنسان حتى يستفزه ويستدعيه فيبدأ في السيلان والتدفق.
وعلم هو ماثل بين عينيك.
أصحاب النوع الثاني هم من يمكنهم الجواب مباشرة لأن علمهم حاضر متحرك، وهم أهل استقراء وأرباب السبر والتقسيم وعندهم كليات قوية يردون إليها الجزئيات.
أما نحن فإن قدر وأننا من القسم الأول نحتاج إلى تعلم منهج الجواب بعد البحث الجاد والمراجعة لأن العلم أصبح فعلا بضاعة رخيصة!!
والجرأة على تعقب العلماء بحرف أصبحت مصيبة كبيرة تبشر بالانحطاط أكثر مما نحن فيه الآن

بعض آراء هتلر عن المسلمين..!
من 04 إلى 26 فبراير 1945 أملى هتلر على وزير الحزب "مارتن بورمان" مذكراته، و في اليوم الذي تزوج فيه ، وهو اليوم الذي سبق انتحاره، يعني في 29/04/1945 أملى وصيته على كاتبته "ترودل يونغ" بحضور وزير الحزب

"مارتن بورمان" وأمضاها على الرابعة صباحا.
مجموع هذه الوصية تضمن الوصية بشقيها الشخصي والسياسي من عشر صفحات والمذكرات وهي عبارة عن رؤيته السياسية/ الحضارية،مثل ان ألمانيا دفعت للحرب ولم يكن أمامها اي خيار آخر وأنه لم يقدر على التراجع كما ذكر نظرته للشعوب، حيث ذكر موقفه من الاستعمار، وأنه أفقر الشعوب ، ونظريته الخاصة حول التوسع، وأنه يجب أن يكون متصلا أرضا،وأنه على الإنسان ليزدهر أن لا يغادر أرضه.
كما تكلم عن الإنسان الأبيض، وأنه لم يقدم لبقية الشعوب إلا المادية والتطرف و الخمر ومرض السفليس، وأنه فيما سوى ذلك تملك تلك الشعوب ما لا يملكه.
لم يذكر اليهود ولكن اليهودية ووصفها بالدولية (منظومة) وأنها سم لكل شعوب العالم.
كما انتقد المسيحية وتهكم من عجزها أمام الإسلام، وأن التنصير لم يغير المسلمين،ثم قال :"ليقال لي اذا كان الاستعمار زاد عدد المسيحيين عبر العالم، أين هي الاعتناقات الضخمة التي أعطت الإسلام نجاحه..؟!"
وتهكم من زعم المسيحية حيازة الحقيقة السامية.
قال :"لو تخلت فرنسا وبريطانيا عن أطماعهما في شمال أفريقيا والشرق الأوسط كان هذا ليسمح لأوروبا بسياسة صداقة جريئة اتجاه الإسلام"
" لقد أزعجنا الصديق الإيطالي تقريبا في كل مكان، وهذا ما منعنا في شمال إفريقيا مثلا من عمل سياسة ثورية [...] وحيدين كان بإمكاننا أن نحرر البلاد الإسلامية المهيمن عليها من قبل فرنسا.
كان ليكون لهذا وقع ضخم في مصر وفي الشرق الأوسط المستعبدين من الإنجليز [...] كل الإسلام كان يهتز لأخبار انتصاراتنا؛ المصريون، العراقيون، الشرق الأوسط، كلهم كانوا مستعدين للانتفاضة.
ماذا كان يمكننا أن نفعل لمساعدتهم، حتى لندفعهم لما كان فيه مصلحتنا وواجبنا.
حضور الإيطاليين إلى جانبنا شلنا وخلق تضايقا عند أصدقائنا المسلمين لأنهم رأوا فينا متواطئين متطوعين أو لا مع الجائرين المضطهدين لهم، ذكرى القمع البربري الممارس ضد السنوسيين لا تزال حية".

الوصية السياسية لهتلر؛ ملاحظات مارتن بومان 1947؛ باريس، فيارد 1957 ،ص:100.
وقد طبع مع عقود المحاكمات العسكرية لنورنبرغ.

الشعوب ولقاء التاريخ..؟!

عند نقطة الحسم قد ترفض الشعوب المسؤولية..؟!
جاء في "توراة القدس" 29/18:"في غياب رؤية يعيش الشعب بدون مكابح".
تظهر الشعوب في لحظات فارقة من تاريخها حماسا غير معتاد وجرأة لكن بدون أحكام سياسية؛ ومتى اتسمت حركتها بالدغمائية تولد عنها الانحراف في مختلف الأطراف.
وقد يكون من أسباب عدم تحقيق الشعوب لطموحاتها المعقولة الطموح غير المحدود لبعض من يغذي حماسها.
تقع الشعوب في أخطاء تاريخية باتخاذ قرار بائس، اختيار سيئ، يغير مسار التاريخ.
لا نسمي شيئا بخطأ تاريخي إلا إن كان لنا الاختيار، فهل يمكن أن يتخذ شعب ما قرارا ضد مصلحته يقود إلى كارثة..؟
التاريخ مملوء بامثلة عن ذلك وإذا وجد المثال المضاد فهو قليل.
لقد أخطأ الاسبان لما ظنوا كاليفورنيا جزيرة، و أخطأ اليابان في سياسته العسكرية والاقتصادية قبل الحرب ، و أخطأت فرنسا في رفضها اعتماد الدبابة قبل الحرب العالمية الثانية.
في كل شعوب العالم نجد الأخطاء السياسية.
وكثير من الطواغيت حملهم الشارع إلى الحكم فذبحوا شعبهم أو باعوا بلدهم حتى قال غوبلز :من يسيطر على الشارع يسيطر على الدولة لأن كل أشكال الديكتاتورية جذورها في الشارع.
لقد أخطأت النازا سنة 1962 في كتابة الخط الرابط بين كلمتين في شيفرة التوجيه للمسبار "مارينار" المتوجه لكوكب الزهرة وكلفته 18،5 مليون دولار.
و أخطأت وكالة سياحة في رقن حرف فخسرت 80%من زبائنها.
نرى اليوم أخطاء الشعوب بجوارنا(!) ولعل خطأ الشعب الأمريكي مع ترامب سيدفع

ثمنه لسنوات.
لذا قال ماركس :"التاريخ لا يعيد الصحون"
فما أخطأت في شطبه من العلامات فبدون رجعة.
لا يمكنك أن تقول للتاريخ :أعد لي هذا الصحن فإني لم أكل منه، أو لم اشبع منه..!
... يتبع بالمنشور اللاحق فما هذا إلا مقدمة له.

الشعوب ولقاء التاريخ (02)

....
وقد تعلمنا من الإسلام أن الخطأ في الرحمة أفضل من الخطأ في العقوبة.
وعلى هذا فالخطأ في البناء خير من الخطأ في الهدم، لأن البناء زيادة، فما فاتك اليوم بنيته غدا، وأما الهدم فإنه يزيل المعالم، وقد لا يسمح بعودة ما كان.
في السياسة[عندما يغيب القائم بالطريقة المشروعة] نادرا ما يكون الاختيار بين الخير والشر ولكن بين السيئ والأقل شرا [مكيافلي]
هناك فئة ليس لها تجذر في المجتمع الجزائري تستهدف الهيمنة على السلطة لكنها تحتاج قبل ذلك إلى الاستيلاء عليها أولا، وبعد ذلك سيصعب أزاحتها لأنها مرشحة دوائر الهيمنة الغربية.
و يساعدها أن يستبعد الانتخاب من العملية ،خصوصا تحت إشراف المؤسسة الوحيدة التي يمكنها مقاومة دوائر الهيمنة الغربية،وهذه الفئة عندها حجج مشتركة مع فئات أخرى اصلح منها.
تريد هذه الفئة ابعاد تلك المؤسسة ليس حبا في الديموقراطية ولكن لتستفرد بالشعب.
ولسنا هنا في مقام تزكية ولكن في مقام حساب وموازنة.
وهذا التقدير الشخصي ليس تزكية لهذا الرأي في ذاته، ولكن لأنه الأمثل في ظل قناعتي بأن البلد لا يحتمل تطويل أمد الأزمة، وأن الشر قابع متربص.
وكل الشعوب التي تعاني اليوم من عدم الاستقرار ومصيرها خارج حدودها وضعت في بالها بداية هدفا مثاليا بدون مرحلية واستراتيجية، وصارت في كل يوم تفقد شيئا من قوتها وسلامتها الاقتصادية وغيرها حتى بلغت النقطة التي خرجت الأمور عن سيطرتها، فهناك نقطة يصلها صاحب القصد الحسن لا يملك فيها الاختيار.

الوسيلة الوحيدة اليوم لمقاومة النظام العالمي وتدخلاته هو الدولة في وضعها الطبيعي إذا كانت في يد الوطنيين و الشعب يقظا، أما الشعب الذي يستيقظ فجأة ثم يدخل في سبات فلا يحقق شيئا لنفسه بهذه الطريق أو بتلك.
الذي يحيرني أن الكل يعلم أن الحاكم الفعلي هو الجيش وليس الباءات، والكل يعلم أنه في مقدوره استبدالهم بأسوأ منهم،وأن لديه من وسائل الضغط لثني أي شخصية يُعتقد أنها محايدة، ولن يغير ذلك في المعادلة شيئا إذا كانت نيته سلبية..؟!
يوجد في الجزائر ملايين من عندهم استعداد للعب اللعبة، وهل في تطويل الطريق ضمانات لأحد لا أظن ذلك، مجرد إجراءات تعقد الأمور لأن الجزائريين لن يتفقوا على مواد الدستور ولا ثقة بينهم..!
هل نحن أمام نفسية الثائر الذي أصبحت الثورة غايته وليس وسيلته، ولا يملك تصورا للمستقبل ويتعلق بكل ما يباع له على أنه تغيير.

الاختلاف حول الأزمة!!
هذه آخر غطسة لي في هذا الموضوع الكبير .
ذكرني منشور لأحد الأفاضل بأننا نتكلم في مسائل برؤى تقديرية(الأزمة الجزائرية) لا نملك فيها معلومات موثقة، وأنها مجرد آراء يجب أن تبتعد عن كيل التهم، ففي كل جهة يوجد صادقون وطنيون وزائفون ،فإما نحتكم إلى الحجة والرأي المدثر بالقرائن المعقولة وإما نصمت.
قناعتي الشخصية أن الشعوب الإسلامية حاليا لا تملك مصيرها في ظل النظام العالمي إلا بمؤسسة تملك وسائل المناورة و التحالف الخارجي المضاد بغض النظر عن الموقف منها سواء قبلت التبرير المصاحب للموقف أم لم تقبله.
نحن نعلم أن العراق و سوريا واليمن وليبيا لا تملك مصيرها بيدها، ومصر قدم جيشها تنازلات وضمانات لكاهن العالم ، ودول الخليج بدون تعليق.
والجيش السوداني في مفترق الطرق قد لا يخرج منها سالما.
ونعلم كلنا أن الاتفاق الشامل مع النظام أو بين المعارضين له أنفسهم مستحيل،وإن ظهر الآن بعض الانسجام فهو توافق ما قبل توزيع الغنائم.
كما نعلم أن ذهاب الأزمة إلى ما لا نهاية مستحيل هو الآخر فلابد أن يبرز في لحظة

ما مرجح ما، وهو ليس في صالح البلد يقينا لأنه سيكون خارجيا أو انفلاتا داخليا.
هذا منطق التحليل الكلي الذي قد تعمي عنه الجزئيات الساخنة.
بعض الناس في تصور سيريالي يقول لك :على النظام أن يتنازل.. ؟!
أعد تدوير المسألة في رأسك تجد الجواب بنفسك، البلد كفريق كرة، كل واحد فيه موظف إلا المناصر(الشعب).
لنتصور أننا غيرنا كل الإدارة الجزائرية من القمة إلى القاعدة فمن أين ستأتي بالبديل النزيه ويقتنع الجميع بنزاهته..؟
وأنا أكتب هذه الخاطرة أعلم أننا دخلنا مرحلة الاتهام وستاتي مرحلة السب ثم التعادي صراحة.

الموقف متشابه والتعليل مختلف!

قيل :" الرأي العام عبارة عن خليط من الجنون والحكمة ومشاعر منافقة ومشاعر صادقة وعناد وفقرات في الصحف وإشاعات في التلفزيون" بتصرف.
حتى لا يدخلني بعض الفضلاء في غمامة ما أو في تصنيفاتهم لمذاهب الجزائريين في أزمة بلادهم أوضح هذه النقطة :
موقفي الأصلي المبدأي موقف بسيط للغاية _فلست مثلكم خبير سياسة وتفكير استشرافي_ وهو:"أن إيقاف مهزلة العهدات وما تبعها إنجاز عظيم، لكن ولابد من تقسيم الإصلاح إلى مراحل وإلا تهنا في كهف لا مخرج له لأن العداء والخصومة الكامنين أعظم من اعتبار المصلحة المشتركة.
وإذا كان بعضنا يخشى من تلاعب الجيش أو لا يجزم بنيته فإنه يوجد من يتلاعب بالجزائر برمتها شعبا وجيشا ومقدرات، لذا بأسرع ما تنتهي المرحلة الأولى يكون أسلم للعباد والبلاد.
وأما الاعتبارات الإصلاحية وبناء دولة عادلة وتغيير دستور، وضمان نزاهة الانتخابات ووو.. الخ دفعة واحدة فلم أدر أأبكي أم أضحك؟!
لأني لا أعتقد أننا نملك شروطه حاليا، محض تفلسف سياسي في ظل نوعية الإنسان الذي نحن عليه،وعمق الفساد.
وأخطر شيء على البلاد أن يصدق الشعب بهذا الوهم بالشكل المعروض.

لهذا فإن معيار التوجيه عندي هو البعد الخارجي فقط، إلى أية درجة يمكن تقليل أثره، ومن يقدر مهما كان حقيقة أو تقديرا.
وأما كل ما يقال عن تبريرات المواقف فهي عندي كاحاديث بني إسرائيل ،فما هو إلا الصراع على الحكم بين مؤسسة في ظني تقدر الأمور داخليا وخارجيا، وعندها تصور يناسبها، وبين جهات أخرى على دراية تامة بما تفعل لا تناسبني في شيء ، وما بينهما حلفاء وأنصار وأهواء شتى.
بطبيعة الحال للناس آراء كثيرة، لا أحد هو وصي على الآخر لكني أنصح بعض المتحذلقين بالتالي:
عندما تكون الأزمة مركبة وفيها اعتبارات عديدة اتخذ موقفا وفق مستويات المشكل، يعني: موقف متعدد المستويات يمكن أن تجمعه في توليف. Par compartiment إذا كنت تفهم هذا المنهج!!
و إذا ظننت انه يوجد شخصية يمكنها ضمان نزاهة الانتخابات، والإشراف على كتابة دستور وقوى الشر تلعب الطومبولة والجيش يتفرج(!) فأنت حر في أن تؤمن بالعنقاء.
إذا بقينا بهذا التفكير فإننا إلى فكرة باريتو سياسيا ذاهبون..!
من بداية الأزمة وانا اراقب واتابع كل مايقال داخليا وخارجيا ومن كل الألوان وهذا الذي ظهر لي فذكرته في هذه المنشورات والي الله المصير.

ماذا يحتاج الشباب.. (01)
قد يبدو للشباب في مقتبل حياتهم انهم بحاجة إلى ضمان مستقبلهم وارزاقهم وغير ذلك، وإنما يأتي بالحسنات ويذهب بالسيئات الله تعالى، لذا تحتاج أولا إلى معرفة الخير والشر، وما أمرت به ونهيت عنه ،ثم بعد ذلك إلى أن يهديك الله فتقصد الحق وتعمل به دون الباطل.
ثم لابد لك بعد ذلك من الذنوب فتحتاج أن تتطهر منها بالتوبة.
فأنت محتاج إلى العلم والعمل والتوبة ،إذ لابد لك من تقصير أو غفلة، فما يسعه الا التوبة والاستغفار.
وعليه إن فرطت فيما يلزمك من العلم فرطت في العمل وصعبت عليك التوبة.السلوك

بتصرف.

المشكلة الجزائرية ..!

من المؤكد أن العقل لا يمنح الثقة بسهولة ، لكن كذلك الثقة لا تمنح العقل الكامل !
ومعروف أن الشعوب تشتغل بالولع والشغف وليس بالثقة، لكن الشأن في النخبة،
وهنا قرينتان :
الأولى: لقد حقنت الدماء،وهذا مكسب عظيم، وإن حرب التخابر حامية الوطيس في أرض قفار ليس فيها إلا الحجارة فكيف ببلد مثل الجزائر؟!
فما لا نراه بأعيننا نعلمه بعقولنا،والعذر هنا قائم للمتشكك.
الثانية :وإن كان مطلب بناء مؤسسات الدولة مهما إلا أن شطرا كبيرا ممن يطالب به لا يوثق في نيتهم، ولا في نزاهتهم ،ولا في هويتهم، والدمقراطية المحضة لا يسمح بها إلا السفهاء، وهنا لا يوجد عذر قطعي في تقديري.
وعلى هذا فإنه(كما قيل) 📌ليس من الحذر وضع كل الثقة في الحذر 📌
إن التقطت المغزى اقرض(سلف) واحذر، أما الحذر وحده فلا يقود إلى أي مكان.

البداية و هشاشة النفس الصافية..!

عندما يكون الشاب مقبلا على الله ونفسه صافية، فيها رقَّة الرياضة(المجاهدة بالعبادة) لكنها لم تنجذب إلى محبة الله وعبادته انجذابا تاما ،فلم يقم بها ما يصرفها عن هواها فإنها متى فتنت بمال أو جاه أو بصورة استولت عليها تلك الصورة المحبوبة فتبتلع قلبه وتقهره ،فلا يقدر قلبه على الامتناع فيبقى مستغرقا في تلك الصورة ،لأن المحبوب المراد هو غاية النفس.
والقلب يغرق فيما يستولى عليه سواء كان محبوبا أو مخوفا، محبة المال أو الجاه أو الصورة ،فيبقى كالغريق في الماء استولى عليه وأحاط به المحبوب فيطلبه والمكر وه فيدفعه،والهوى كالسبع يقهر الفريسة بقوته.
لذا يحتاج الشباب قبل تمكن الإيمان من قلوبهم إلى الاحتياط وعدم المخاطرة بأنفسهم اعتمادا على صلاحهم.السلوك بتصرف يسير

معالم الاختيار أثناء الأزمة..؟

" تتمثل الأزمة على وجه التحديد في أن القديم يموت والجديد لا يستطيع أن يولد، وخلال الفاصل بينهما نلاحظ الظواهر الأكثر مَرَضِية " دفاتر السجن؛ أنطونيو كرامشي.

الحالة المرضية (هنا) هي عدم الثقة في الجيش من طرفين لا يثقان في بعضهما بعضا!!

أحد هذه الأطراف سبق وتحالف مع المؤسسة العسكرية تحت قيادة أخرى ضد الطرف الثاني..؟!

ومعلوم أن كل أزمة تخفي تحتها أزمة، لأن كل موضوع يعود بشكل أو بآخر للذات الإنسانية، فما كان أزمة جماعية اجتماعية أو سياسية أو اقتصادية يعود في الحقيقة إلى أزمة في الذات، لذلك نجد دائما خلف الأزمة السياسية أزمة أخلاقية كنهب مال عام، تكبر على الشعب، ظلم، وغير ذلك.

و لأن الأزمة تحدث ضغطا نفسيا وعصبية وخوفا فينتاب الناس القلق على مصير البلد، ويدخلون في حالة التيهان فترى الإنسان يتنقل بين المواقف،خاصة عندما لا تبرز الأزمة قيادة سياسية تملك رؤية واضحة، وهو الأمر غير الطبيعي..!

وعلى هذا يختلط علينا الحياد في الأزمة بين شقيها السياسي والأخلاقي والمعضلة أن من يشك في نية المؤسسة العسكرية وهو شك طبيعي بالنظر إلى السوابق(بغض النظر عن عربون المرحلة الذي قدمه) يواجه أزمة أخلاقية أكثر حدة مع الجهة المعارضة لمقترح الجيش فأقل ما يمكن أن يقال عنها إنها ليست البديل الذي يمكن أن يأمله المسلم النزيه فاضافة إلى سوابقها السيئة ليس حاضرها بأفضل حال.

بالنسبة لشخص نظره للمسألة بسيط أحدد معلمين هنا إضافة إلى ما ذكرته في منشورات سابقة :

1_إذا ساءت الأمور فستسوء أكثر على الشعب الفقير.

2_إذا كانت الأزمة السياسية في حقيقتها أزمة فكر سياسي لأن العامل الوحيد الذي يفسد كل المشاكل السياسية هو سؤال الثقة فهذا يعني أن هذا الطرف لا يقدم رؤية سياسية كبيرة.

في الأخير :من يتكلم عن اختيار شعبي حر نزيه في بلد نعرف أين يقبع فيه رأس

المال والإعلام والمشورة الخارجية فهو يعيش في سويد السويد وليس سويد ولد عباس!!

أركان المجاهدة :
معرفة الله، معرفة النفس، معرفة الشيطان، معرفة الدنيا.
الجيلاني ،الغنية.

خطوات المجاهدة :
توفية الأعمال، الوفاء بالعزم، تصفية الأحوال، الاسترسال مع العلم الشرعي، مراقبة الخواطر.خطوات المجاهدة :
توفية الأعمال، الوفاء بالعزم، تصفية الأحوال، الاسترسال مع العلم الشرعي، مراقبة الخواطر.

اصطلام النخبة..!
عندما لا تتوفر المقدمات الفكرية و الحضارية للإصلاح السياسي الشامل تؤمن النخبة في اصطلام اللحظة الجماهيرية ببابا نويل وتفقد بصرها أمام علامات ترى من طرف المجرة! ثم تصبح بابا نويل للشعب!!

لماذا الحوار سياسي متعثر..؟
بعض الكتبة يحللون الواقع السياسي بما يجب أن يُفعل وفقا لمواد الدستور والتسلسل المنطقي للأحداث ومراحل التحوُّل السِّياسي بحسب مثاليات الديمقراطية في كتب السياسة(!)
لا على أساس أنَّ القابض على السُّلطة لا يريد تركها، أو الابتعاد عن التقرير فيها، وأنَّه عنده خطته الخاصة به ليس لأنه متسلط (العنصر الوحيد الذي نبني عليه نظرتنا السياسية) بل لأنَّه عمليا يرى أنَّه لا يوجد بديل يمكن أن يدير البلد باستقلال عنه.
وأنَّ التركة السياسية والواقع السياسي المحلي والخارجي أعقد من أن تترك إدارة البلاد لسياسيين لم يثبتوا جدارة كبيرة في فهم الخلفية الاجتماعية والسياسية

والتاريخية التي تحكم القرار السياسي.
ولهذا لا يوجد حوار حقيقي ولا يمكن أن نتوقع حلا توليفيا لأنَّ الطرف الأقوى لا يعتد إلا بحقائق الواقع مع اعتبارات إرث وظيفته(التي لا يفهمها المدني) ، وطرف يعيش في مثاليات سياسية، أو عنده فكر لا يناسب واقع البلد ولا تاريخه، طرف لا يزال لحد اليوم يعتقد أنَّ الطرف الأقوى عبارة عن فرد واحد، و أنَّ ذهابه سيغير قواعد اللعبة فيدفع في هذا الاتجاه..!!
محاولة عزل الجيش عن السياسة أو تقزيم دوره في الوضع الحالي للبلد في كل المجالات وللعالم، إن لم يكن مخاطرة حالمين فهو بعيد عن إكراهات الواقع جدا.
هكذا يبدو لي الأمر لاني رأيت التحليل عند كثير من الأقلام يعتمد بعدا واحدا فقط وهو أن الجيش لا يريد تغيير النظام السياسي في صورته التي كان عليها لأنه فاسد، ولا يوجد أسباب أخرى!
ونحن بين خيارات قادمة تنتهي لنفس النتيجة لأن ما يحكم هو حقائق الواقع وليس التغييرات السطحية الظرفية.

صدقة الفطر..!

عندما يعجز الإنسان أحيانا في بداية الطلب يرجح بالمجملات كأن يقول:"إخراجها طعاما اتباع للنص ونقدا اتباع للرأي"
وهذا غير صحيح لأن إعمال كليات الشريعة ومقاصدها عند اختلاف الواقع الذي ينزل عليه النص الجزئي هو حقيقة الاتباع للنص لأنه اتباع لمراد الشارع وليس تشهيا.
هذا بدون أن ندخل في تفاصيل القياس في النوع الذي يقول به من يرجح إخراجها طعاما (وليس قوتا)
والمقصود أن يعرض الإنسان موقفه دون أن يعرِّض بتعلق غيره بالنص فإن كثيرا ممن يتجه إلى هذا التفريق لا يعرف أين تكمن معركة النص،ومع من، و ما هو السبب وأثره على التاريخ العلمي للمسلمين..؟

معركة النص.. ؟!

إذا كان ولابد أن تعرف خفايا معركة النص فعليك أن تقرأ خصائص النبوة وآياتها،وتعالى يا صديقي نتحدث عما وقع في الإسلام معرفيا..!

وأما التوظيف لهذا العنوان في الاختيارات العلمية المعتمدة من أئمة الإسلام فغرضه إبقاء العقل الإسلامي تحت وصاية السطحية لتسهيل التوظيف، ولا علاقة له البتة بتعظيم النص،وإلا كان أعظم الناس اتباعا للنص الظاهرية الحرفية!!

بحسب مبلغ علمك بالنبوة يكون لها في قلبك من العظمة ما يجب لها(استمداد العلم وتعظيم مراد الوحي واتباعه)

الأصدقاء والأعداء..؟!

لو أحسن إليك اصدقاؤك الذين يحبونك لغير الله أوجب ذلك محبتك لهم وانجذاب قلبك إليهم حتى إنك لا تصبر على فراقهم، ولا تقوى على مخالفتهم ولو كانوا على غير استقامة، وهذا يقطعك عن الله وعبادته.

فحب الناس لك يوجب جذبهم لك بقوتهم، فإن لم يكن فيك قوة تدفعهم بها عن نفسك من محبة الله وخشيته جذبوك واخذوك إليهم كحب امرأة العزيز ليوسف لما كانت محبته لله وإخلاصه وخشيته أقوى من جمال المرأة وحسنها وحبها له عصمه الله، فدفع فتنتها بقوة حبه لله.

كذلك يؤذيك أعداؤك فيشغلونك بأذاهم عن الله، فأصدقاؤك يحبون استخدامك في أغراضهم حتى تكون كالعبد لهم، وإن لم تفعل ما يطلبون حصل بغض لك، ففي الحقيقة أصدقاؤك هؤلاء كأعدائك لا يقصدون نفعك، ولا دفع الضرر عنك، وإنما يقصدون نفع أنفسهم .

فكل ما يقع بين البشر من خصومات وفتن وموالاة ومعاداة فلأجل أغراضهم.

والناس إما رجل يريد إفساد دنياك بأخذ مالك، أو بإزالة منصبك لكنه لا يقدر على إفساد دينك، بخلاف من يواليك لغرض، فإنما يفسد دينك إن أطعته في أغراضه فلابد أن يكون فيها حرام أو ظلم أو غير ذلك مما لا يجوز، وإن عصيته عاداك.

فلا تزول الفتنة عن القلب إلا أن يكون دينك كله لله عز وجل، فتحب لله، ولما يحب الله، وكذلك في البغض والموالاة والمعاداة وإلا فإنك لا تفعل سوى تكثير أعدائك وتمكينهم من نفسك.

الحب في الله هو أن يحب فيك تقوى الله وصلاح العقيدة والإيمان بالله فانظر هل يحبك الناس لهذا حتى تعرف إلى أين ستقودك هذه الصداقة.؟
.. السلوك بتصرف.

لا يمكن أن تعرف إنساناً إلَّا من خلال الصداقة[لأنَّه لا يتكلَّف في هذه الحالة] .. قيل!لا يمكن أن تعرف إنساناً إلَّا من خلال الصداقة[لأنَّه لا يتكلَّف في هذه الحالة] .. قيل!

لا تتعلَّم الفلسفة[تشكيكات الغير ورؤيته] ولكن تعلَّم أن تتفلسف[اسأل اسئلتك أنت التي تنبع من حاجتك] كنط.
طبِّقه فيما نحن فيه (و في كل العلم) ترى بعض الضوء.

قراءتي البسيطة لمواقف الإسلاميين في الجزائر والسودان موجودة في التعليقات على منشور "لماذا الحوار السياسي متعثر" لطولها لم أقدر على انزالها كمنشور بواسطة Facebook lite لمن أراد النظر فيها.

الاعوجاج الأيديولوجي..!
إذا كانت المواقف السياسية غير نابعة عن رد فعل أيديولوجي (بالمعنى السلبي) فيمكن أن تتحسن وتسير نحو حد ضروري من التوافق.
عندما نحلل بمنهج فلسفي المواقف(الإسلامية) في الحدث نلاحظ ما يسمى بالتشبع السببي و الذي هو صورة من تبسيط المشكل.
وأقصد بالاعوجاج الأيديولوجي(المصطلح الفلسفي المشهور) عدم الموضوعية بحساب الحدث المواتي على العامل الصديق (الحراك الشعبي) في حين أن القراءة المنطقية تبرز شكا قويا حول عفويته، واتخاذ موقف دون معرفة مفتعله أو المحفز له يؤثر جدا على واقعية الموقف.
ونحن هنا بين نظريتين تعاني الأولى من التناقض مفادها أن الدولة العميقة ممثلة في الجنرالات المطرودين من الجيش في تحالف مع قوى علمانية وانفصالية ورجال

أعمال هي من افتعلت الحراك، ثم أخذ مفهوم الدولة العميقة تعريفا آخر بعد استقالة الرئيس فدخل فيه عائلة الرئيس وأخرج آخرون؟!

ثم أصبح قيادة الجيش في تطور غير جاد للمفهوم لأنه غير مستقر فإذا كان التعامل مع النظام السابق والاستفادة منه لم يسلم إلا القلة!

وأما الأحداث غير المواتية لنا فنحملها على عامل العدو(الدولة العميقة، الجيش، و نستبعد العلمانيين والانتهازيين..!) ونواجهها بالتشكيك.

ومن هنا يكون موقفنا بناءا على السبب الذي نختاره، والذي نعتبره المؤثر الرئيس الذي يقف وراء الحدث وعلى أحكامنا السابقة على أبرز اللاعبين (الجيش مثلا).

في الغالب نعين ما لا نحبه من الأسباب على أنه هو السبب، أو نعتبر العامل الذي يجب تغييره لإصلاح الحال هو السبب، في هذه الحالة الجيش، سواء كان مبعدا عن القرار ثم استعاد المبادرة، أو كان مساهما بمحض إرادته في النظام

السابق،واضطرته الظروف إلى التكيف، لكن السؤال المحير هو :ماذا لو كان هو المفتعل المنظم للحراك (قرائن تدل على ذلك) للتخلص من نظام العهدات وخدمة المال..؟

الاعوجاج الأيديولوجي يدفعنا لتفكيك المجموع للبحث عن سبب وحيد نعده السبب المفتاح، والذي نختاره بناءا على مقاييس مركزية ذاتية غير عقلانية مرتبطة بالتصورات البوليسية التي نحلل بها السياسة.

المنصف المتريث يعلم أن الأزمة مركبة، لا يمكن اختصارها في سبب وحيد، والوعي الذي وصله بعضنا بحيث صار هدفه بناء مؤسسات الدولة عازلا القضايا الهوياتية عن موقفه يصبح عقيما لا معنى له إذا لم يطرد بحيث نقتنع أنه مهما كانت اعتبارات مختلف الأطراف. .. يتبع في التعليق

"العلم بدون ضمير مجرَّد خربة" رابلي؛بانتغريل.

الضمير هو المسؤولية الأخلاقية ،ولا يتصوَّر أن يكون لسيء الخلق مسؤولية أخلاقية ؛وما أكثرهم..!!

شجار الكلمات..؟

حاول أن يتغذّى موقفك من التَّصوُّرات وليس من المعلومات وحدها .. هنا يكمن الفارق بين التَّحليلين السِّياسيِّ و الفلسفي، ولكلٍّ فوائده.
ومع ذلك فغاية المعلومات أن تقودنا إلى شجار كلمات (كما تفيض به الشاشات حاليا) لا إلى تواجه عمق.
هذا الذي حاولت الوصول إليه في منشوراتي عن الأحداث حتى نتعلم المقاربة الفلسفية (طرح الأسئلة العميقة) وليس تحويل كل شيء إلى حزبية فإن الوطن للجميع والصواب موافقة الارجح في موضعه.

كيف تفكِّر بنفسك في عالم كذوب..!

أكثرنا لا يفكر بنفسه، وإنما يأخذ مواقفه من أفكار غيره؛ وبعضنا يعتقد أن معدل الذكاء هو من يحدد قيمة الفكر، وهذا غير صحيح، فلا توجد علاقة طردية بين قيمة الفكر ومعدل الذكاء.
الذي يحدد قوة تفكيرك هو صفاتك الشخصية ومنهجك، وأقصد بالصفة الشخصية: الفضول، والرغبة في تجاوز حدود فهمك، وبالمنهج: مجموع خطوات.
كنت البارحة تكلمت باختصار عن الاهتمام بالتفلسف وليس بالفلسفة ،بطبيعة الحال لا يمكن أن نتفلسف إذا لم نعرف الفلسفة لكن قصدي أنك عندما تعرف ماذا يفكر غيرك لا يعني أنك فكرت، فأخذ المعلومات العلمية(نقل العلم) التي تسمح لي بالاستقراء والسبر والتقسيم شيء، واكتساب التمرين على التفكر من العلماء شيء آخر.
أشار كنط عند حديثه عن تعلم التفكير إلى مصطلح كان يوصف به الفلاسفة الشكاك وهو (zététique) الذي يعني: البحث والفحص، و مساءلة الأسباب التي نعتقد بواسطتها أن شيئا ما صحيح، أو كيف تخترق أسباب الأشياء.
وفي الحقيقة ليس هذا إلا المنهج العلمي المبني على الافتراض /الاستنتاج، سمي "فن التشكيك" وأصبح اليوم اسما لجماعة أو مذهب يهتم بتفنيد الخرافات والنظريات العلمية والخيالية.
صراحة تعلم التفكير عملية معقدة تقتضي دمج معارف قوية وتصفيتها، والربط بينها وبين المعلومات، مع القدرة على الشرح ورد الحجج إلى سياقاتها... يتبع

طريقتي في العلم في رمضان..؟

المشهور عن السلف (كانوا في زمن لا يدرسون فيه علوم اللغة؛ والتفسير والسيرة والفقه وأصوله داخلة في علم الحديث، و يعتمدون الحفظ ،ويبدؤون الطلب مبكرا) يعتنون في شهر رمضان بالقرآن.

وفي الحقيقة يمكن للإنسان أن يقرأ القرآن إلى حد معين فإن النفس لا تتحمل أن يخرج عن مقداره المعتاد كثيرا.

بالنسبة لي لا تميل نفسي في النهار إلى العلم فاتركه لما بعد التراويح ساعة لأشغالي وساعة للعلم (بحسب الحاجة إلى النوم) لذا لا اشتغل به في هذا النهار(اعتني بوردي من القرآن) إلا ما كان من لقائين في الأسبوع مع بعض الأصدقاء نتدارس في الأول كتاب" السلوك" لابن تيمية ،أخذنا منه هذه السنة فصل "أمراض القلوب وشفاؤها" ،و"تاريخ علم السلوك وأسباب الانحراف الذي وقع فيه"، و"شرح ابن تيمية لفتوح الغيب للجيلاني الثلث الأول".

وإذا قبل طلبة العلم نصيحتي فعليهم بقراءة هذا الكتاب مرة كل أربعة أشهر فإنه يغير حياة الإنسان، ويصلح نفسه وقلبه، ويفتح عليه آفاقا أو عالما آخر يجهله أكثر الخلق، ففيه حقيقة التوحيد ومقصد الرسالة.

في اللقاء الثاني نتدارس كتاب "النبوات" في إطار حلقة قراءة ونحن الآن في الدرس 12.

وكذلك أنصح بهذا الكتاب كثيرا، فهو أحسن كتب ابن تيمية (في نظري) وإن كان البعض يفضل (الدرء) لقيمته الفلسفية في معضلة معرفية عويصة، وتعليلي هو أن هذا الكتاب يعالج أخطر أصول الدين، من لم يحققها اضطرب عليه باب الهدى والضلال والإيمان والكفر، ولم يميز بين الخطأ والصواب(كما يقول صاحبه بالفعل) لأنه يعالج ماهية الدليل وشروطه وقوانينه ،ويضع أسس نظرية المعرفة المستنبطة من الوحي فيما يخص خصائص النبوة ،بالنسبة لي هو قاعدة المعرفة والإيمان.

وبهذه المناسبة أذكر طلبة العلم أنه بعد التمكن من قوانين الدليل وطرق الاستدلال، فإن أعظم ما يحتاجونه هو قاعدة معارف إسلامية متينة تسمح لهم بالاستقراء والنقد من خلال معرفة المثال الموافق و المضاد،فإن أهم ما في الدليل السلامة من المعارض، وهذه القاعدة تكون من خلال مراجعة كل ثلاث سنوات أو أربع كتاب

تفسير، وكتاب في التاريخ الإسلامي، وكتاب في السنة و فقه الحديث كفتح الباري ،وكتاب في الفقه الجامع للمسائل بحسب مذهبه بطريقة المطالعة.
بطبيعة الحال لا توجد طريقة موحدة فبحسب وقتك وطموحك عليك أن تجد طريقة تلائمك.

هكذا انظر للأمر.. إن شئت..؟
أولا :انتبهوا إلى أن التحليل شيء ،والمواقف الشخصية شيء آخر ،خاصة إذا كانت مركبة، مما يعني أن الشخص يتخذ موقفا يكون دائما قريبا إلى موقفه الأول أو الأصلي. وبناءا عليه حاول فهمه.
ثانيا : يجب أن يكون موقفنا معرفيا مصلحيا وليس بإديولوجي دوغمائي نثبت عليه ولو كان خاسرا(ظهرت قرائن المرجوحية) أو تجاوزه الواقع.
ثالثا :لن يتوقف الاختلاف لأن السياسي ينقسم إلى سياسي قناعة وسياسي اتفاق.
ومشكلة الاتفاق في السياسة والمقصود به رأي الأغلبية أنه لا يأتي إلا بعد اختلاف و حوار طويل، لكن عندما تكون المواقف متباينة كثيرا والثقة مفقودة لا يكون مفيدا،لأن الاتفاق كما قال أحدهم هو الخضوع السعيد.
رابعا :كل واحد يدعي أنه واقعي في مواقفه، لا يجري خلف شيء مسمر في الهواء! ،وبعضنا قد يفهم الواقعية على هذا المثال "وجدت الناس تشرب الخمر اشرب معهم!"وهذا ضياع وليس واقعية، لأن الواقعية هي أن تحقق من المثالية ما يسمح به الواقع.
ففي الحقيقة لا يوجد من ليس بواقعي ولا من ليس بمثالي، إنما هي قضية نسبية فقط.
والمعتبر هنا
أن التطبيع مع الواقع من هذا أو منازعته من ذاك هي رهن للواقع نفسه(يعني لشروطه الموضوعية) وليس لنظرية قبلية(شروط ذاتية) ، وهذا ما يفرق بين واقعية منطقية وبين واقعية متهورة(واقعية المثالي)
خامسا :ما يذكره بعض الأفاضل من مبررات للجيش لا توجد عليها أدلة ملموسة أو غير مرئية إذا لم يمكنني تصديقها وكذلك تكذيبها، وإن كانت التجارب السابقة تدعو في هذه الحالة إلى التحفظ فمن يرى مثلي أن الأمور لن تتغير في جوهرها (طبيعة

النظام السياسي وليس الإدارة) مهما كانت المراحل والإجراءات والمدة ليس لعدم الرغبة ولكن لعدم القدرة النفسية والاجتماعية و الرؤية الحضارية إذ لا يمكن التقدم إلا معا فيلزمه التحفظ الإيجابي على قاعدة رهان باسكال (في الحقيقة هو رهان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه).

إلى هنا قد أديت ما علي لأني لست من أهل هذا الشأن بالاختصاص.

في مصر سمح بالاختيار الحرِّ للشعب (بنفس إدارة مبارك)...هذه قضية.

لانهاك أقوى الخصوم، وترحيل الأمل... قضية أخرى؛فهمت.. ؟!

لذا من الأفضل القبول بالخطة والعمل على الاستفادة منها بقدر الإمكان..!

صحَّة المجموع ..!

قول وكيع بن الجرَّاح :"أهل العلم يكتبون ما لهم وما عليهم ،و أهل الأهواء لا يكتبون إلَّا ما لهم"

نفي للايديولوجية إذا كانت بمعنى الانتقاء بدون معيار موضوعي .

وللدوغمائية إذا كانت بمعنى الدِّفاع عن الفكرة بغض النَّظر عن قيمتها .

الفكرة الكلِّيَّة الصَّحيحة لا يعني أنَّ جزئياتها متساوية القوة والقيمة؛فالقيمة في الكل.

خرب فكر المسلمين يوم تركوا هذا الفهم .

ولهذا ينظر [الغافل عن تبعض الصواب في بعض القضايا] لمسائل متفاوتة القيمة في نفسها (مركَّبة) على أنَّها حقٌّ في مقابل باطل(المنطق المثنوي)!

المفاضلة في السياسة..!!

حياة الإنسان عبارة عن اختيارات، وأصعب شيء في الاختيار المفاضلة لأننا نختار ما نفضل.

وبالنسبة للمؤمن فإنه يختار ما اختار الله، لكن هناك قضايا كثيرة لا يتبين للناس فيها إرادة الله،فلابد لهم من مرجح فمنهم من يرجح بذوقه واستحسانه ومنهم من يرجح بالقرعة وهكذا.

فقبان الميزان هو معيار المفاضلة، وهو عند غالبية الناس ذاتي فالنفس المتشددة تختار

غير ما تختاره النفس اللينة، وهكذا مع النفس العالمة والنفس الجاهلة، والنفس المتأنية والنفس العجولة ،والنفس الورعة والنفس الجريئة والنفس المثقفة مع النفس غير المثقفة، وخصوصا بين النفس المسؤولة والنفس غير المبالية، النفس التي تحسب الكلفة والنفس التي تحسب الجائزة.

يعود لكل واحد منا بحسب هذه الاعتبارات المفاضلة بين الإصلاح والصدام، بين المضمون والمشكوك فيه، بين المأمول والمتاح الممكن، بين الوضع الناقص والفوضى، بين الموجود وغير الموجود، بين الغضب والحكمة، بين العوائق والامتيازات، بين ما ليس في أيدينا وما في أيدينا.

لكن يوجد معيار شرعي يصلح لكل المسائل، وعليه تتأسس نظرة العاقل الحكيم لمراتب العمل وتفاضلها هو "تحقيق المصالح ودرء ودرء المفاسد بحسب الممكن من علم وقدرة المصلِح والمصلَح".

يعني: بحسب علم المصلح وقدرته، فإذا انتفى العلم أو القدرة رفع التكليف، فأنت ملزم بالإصلاح بحسب علمك ولكن ليس فقط بل كذلك بحسب قدرتك.

ثم هل يملك من تريد إصلاحه العلم الذي يفهم به الخطاب فيكون بينكما قدر مشترك يوحد المعايير فيرى خيرا ما تراه أنت خيرا، أم أن علمه لا يسمح له بالانتقال من المرتبة التي هو فيها إلى المرتبة التي تدعوه إليها، وهل يملك القدرة على ذلك؟

أحيانا قد يمنع الإنسان شدة فساده فيقبل الصلاح إلى حد معين كأن يترك الخمر ولا يترك الحشيش أو السجائر، وأحيانا لا يسمح له علمه بفقه مغزى الخطاب، وأحيانا يقدر ما لا تقدر بسبب شبهات أو غير ذلك.

فالقدرة هي: هل توجد أسباب مانعة فعلية أم لا؟ وليس في مشروعية هذه الموانع، من فهم هذا استقام له النظر وإلا اضطرب عليه.

والسؤال :هل يملك المجتمع الجزائري العلم والقدرة لتحقيق تصور الدولة المثالية؟ وهل يملك الحراك (وسيبقى) العلم والقدرة على فرض رأيه؟

لا أظن يوجد عاقل يقول: نعم!

من يعرف إلى أين يريد الذهاب لا يثنيه التوقف عند المراحل والتنازل عن الواجبات أو تعليقها إلى وقت توفر أسبابها و القدرة... عليها ؛انظر السيرة النبوية في صلح الحديبية،وفي حنين وما تعلق بها.

القضية ليست مجرد اختلاف رأي ولكنها اختلاف علم واختلاف نفس.
بعض الأفاضل يعتقد أن مواصلة الحراك سينهك السلطة وأن الصدام غير متوقع ويبدو لي أنه بعيد جدا عن الحقيقة فإن منطق السلطة غير منطقه.

كيف تفكِّر بنفسك في عالم كذوب (02)..؟

نواصل مع ما وصلت إليه مناهج التعليم في تعليم التفكير، و كما أكدت عدة مرات على ضرورة العناية بالتصورات، بالتفكير بالتمثلات الذهنية من خلال توجيه العقل نحو موضوع لتكوين أحكام واستدلالات.(سبق وشرحته في منشورين (
أن تفكر بنفسك أعقد من القدرة على الحكم بصوابية هذا الطرف أو ذاك .
لتفكر بنفسك عليك أن تطرح الأسئلة بنفسك ،وأهم سؤال على الإطلاق في التحليل العلمي الفلسفي هو "لماذا"؟ لأنه سؤال عن العلة والسبب.
إذا طرحته عدة مرات تحسن تفكيرك، لأنك ستصل به إلى جذور المشكل،فكل سؤال عن السبب تضعه في عقلك ستتجه إليه كل قواك الذهنية، وتقلبه على جميع أوجهه، فمثلا تسأل :لماذا يريد هذا الطرف مرحلة انتقالية؟ ولماذا لا يريدها الطرف الآخر ؟ وعندما تفحص أجوبة كل طرف تعيد عليها نفس السؤال لتستخرج الأسباب غير المعلنة..!
السؤال ب_لماذا يختصر علينا الطريق، ويجنبنا الأخطاء والفرضيات الثانوية، و يمكننا من مناقشة النتائج، والفصل بين الحقيقة الصورية التي يتعلل بها الناس في الغالب والحقيقة المادية التي يضمرونها.
ثانيا :تعلم التريث والتحفظ لتراقب مسارات الخطاب والأحداث لأن التفكير بالتصور يأخذ وقتا فعملية بناء التصورات تحتاج إلى تجريد و مقابلة وتمييز و تصنيف واختبار معيار التصنيف، فمثلا لو أردت أن تفهم مسألة دون المرور على هذا المنهج فستهرع إلى النت، وهناك ستجد خمسين جوابا على مسألة واحدة، ولا يمكنك مراجعة قاعدة التصنيف لكل جواب، مثل الذي يشكو من مرض فيبحث عنه في الانترنت فلن يرجع إلا بالوساوس لأن تصفية المعلومات وقواعد الربط بينها لم يتعلمها.
ثالثا :الصدق العلمي العقلي مع نفسك فحيث لا تحيط بالموضوع اعترف بذلك في نفسك وحينها ستدرك ما ينقصك لتتعلم فهم الموضوع كما قال الشافعي: انظر الذي

ينقصك واطلبه.
رابعا :تعلم الرغبة في تجاوز حدودك في الفهم فإنه بدون شغف لا ينجز شيئا في هذا العالم.
خامسا :دائما ركز على الأفكار العامة أولا فإن الجزئية تنشرك في المتاهات، فعلى العناوين العامة تعلق معلوماتك كما يعلق الثوب على المشلح، ومن خلالها يمكنك جمع الأفكار المتشابهة في نفس السلة، وترتب معارفك تراتبيا،وهذا سبب التفكير الجيد...
يتبع

تجاوز الأمر..
" ما خيِّر رسول اللَّه صلَّى اللَّه عليه وسلَّم في أمرين إلَّا اختار أيسرهما ما لم يكن إثما فإن كان إثما كان أبعد النَّاس منه"أبو داود.
وقد يكون في الأمرين محذور إلَّا أنَّ أحدهما أشدُّ من الآخر فيبقى التَّيسير معيار التَّرجيح لأنَّه مقرون بالرَّحمة والرِّفق،ورفع المشقة غير الضَّرورية ،والتي يفوت معها المطلوب ،وتكون مفسدتها أكثر من نفعها خاصَّة في المصالح العامَّة.

مستويات التحليل.. ؟
كلما تكلم مسؤول خرجت النخبة بتحليل لخطابه ولشعارات الحراك التي تعقبه كرد فعل عليه.
تعتني هذه التحليلات بلغة الخطاب وبدلالتها السياسية،وربما القانونية، لكن لم أسمع لحد اليوم تحليلا نفسيا واجتماعيا في سياق سياسي ،فضلا عن تحليلات من جنس آخر.
وأما عن مستوى جمع المعلومات فنجدها في الغالب عامة معلنا عنها، وخاصة من مصادر مختلفة مشبوهة، في ثوب تحليلات صحفية وقدماء الجيش أو الافلان أو الساسة ،لا تخرج عن وصف الإشاعة، لكنها تأخذ عند الأفراد وظيفة المعلومة الدقيقة والسرية.
إذا نظرنا في الميكانيزمات التي تسمح للفرد بتنظيم نفسه داخل مجتمعنا من خلال التحكم في تجاربه سنجد أنها غير ثابتة، مثل: السلم الذي يقدر به ذاته، والذي هو

متأثر بشكل مباشر بحزمة العواطف الجماعية والمواقف الرمزية التي يجدها في محيطه، حيث نجد أنه في الأساس كفرد يحتقر وضعه و بيئته، وهو موبوء بأمراض نفسية يسرق ويغش ويكذب .. الخ ولا يقدر عواقب أفعاله حتى أنك تجد معلما وأستاذا وإماما غشاشا أو يعين على الغش!

،ولكن تسمح له الوضعية الجماعية(الثورية مثلا) بالثورة على هذه الصفات في المسؤولين لكن دون أن يتحمل تكاليف العمل على الذات كفرد حيث إنه كفرد بقي هو هو، لم يتغير سلوكه، لا يزال يقيم حياته كلها على استغلال الفرص غير المشروعة.

أما تصوره للعالم وللواقع فمرتبط بالمعرفة الاجتماعية يعني الممارسة في محيطه ، وليس عن معرفة علمية،تلقى القيم.

والمستوى الأيديولوجي عنده متفاوت جدا، لذلك نلمس بوضوح ضعف قوة الروابط، مما يعني أن تماسك الجماعة مؤقت بحسب درجة العدوانية أو الاستعصاء التي تواجهه .

لا يمكن أن نفهم الظاهرة (الثورية) التي لبسته من دون تحديد فضاءها الاجتماعي، و مرجعياتها الثقافية والسلوكيات الفردية خارج سياق التظاهر، وأنا عائد الخميس الفائت من وهران إلى بيتي رأيت سيارة تتوقف بجنب الطريق ليخرج منها رجل ينزع العلم الوطني من أحد الأعمدة التي تزين الطريق ربما ليتظاهر به يوم الجمعة تحت شعار :يا السراقين!!

يحدد طبيعة الفرد انتظام واطراد إحصائي لأعماله، وليس السلوك أثناء الظواهر.

من الصعب تحديد كل الكيانات الفاعلة في الظاهرة، لكننا نعرف أن قلة هم الفاعلون الذين هم سياق لفاعلين آخرين، والذين بدونهم يفقد الحراك زخمه.

كذلك دراسة وتيرة العبارات والشعارات يخبرنا أننا في حالة عناد يعوض عدم وضوح الرؤية لاغير.

وأما طول مدة الظاهرة (الحراك) فلا يدل على عزم ولا على وعي، وإنما كلما زاد عدد الفاعلين زاد وقتها، والعكس صحيح.

أظن أن درجة الاهتمام العالمي بالحراك تدل أنهم فهموا حدوده ومساره من أول يوم.

نحن أمام إنسان متناقض يساهم في الفساد ثم يبكيه، لا يعي حدود ومدى مطالبه، ولا قابليتها للمقايسة.

والأحزاب بدلا من ترشيد الحراك تسير في ظله مما يعني أنها لم تتعلم شيئا ووقودها السياسي حشوي إما مجرد انتقام أو ركوب الفرصة ولو كانت مجهولة المآل..!
الكل يكذب على نفسه وعلى الكل إلا من رحم الله.

شرح حديث الأحمسية.. ؟

بعيدا عن الأحداث الجارية، فهذه مسألة كل الأوقات.
عندما يفشل الإنسان أو يعجز يطالب غيره بما يلزمه هو، لأنه يختار السهل على الصحيح.
قال أبو بكر الصديق للمرأة الأحمسية لما سألته :"ما بقاؤنا على هذا الأمر الصالح؟" :"ما استقامت لكم أئمتكم" البخاري.
حمل العلماء هذا الحديث "أئمتكم" على العلماء والأمراء وإن كان السياق يخص الأمراء فقالوا :صنفان إذا صلحوا صلح الناس :العلماء والأمراء، لأن العلماء يدخلون في "أولى الأمر منكم" ولأن طاعة الله ورسوله مقدمة على طاعة المخلوق، وإنما يعرفها الناس من العلماء، وبالتالي تلزمهم طاعة العلماء.
ولأن العلماء هم من يراقب الحكم لأنهم حراس الشريعة، وبالتالي حراس العدالة وأداء الأمانة.
ولأنه جاء في الحديث :"أول ما يرفع الحكم بالأمانة "أحمد وغيره.
والحكم هو عمل الأمراء وولاة الأمور، ونحن نعلم من النصوص أن أول ما يضيع من الدين فروعه ثم أصوله في الاخير، لهذا تضيع الأمانة قبل الصلاة كما جاء في الحديث وإذا رفعت أمانة الحكم بقى العلم لأنه يسبق الحكم وهو أصله.
ولأنه ورد في الحديث :"إن أخوف ما أخاف عليكم :زلة العالم، و جدال منافق بالقرآن، وأئمة مضلون" الدارمي
فتبين أن صلاح الناس أو فسادهم بصلاح هذين الصنفين؛ لكن يأبى كثير من الناس إلا حمل هذا الحديث على الأمراء وحدهم، وعندهم بعض الصواب لكنهم يخطئون في فهم حديث الأحمسية لأن هذه المرأة سألت عن بقاء هذا الأمر، ويمكن أن نفهم أنها تسأل عن الإسلام أو عن العدل بحسب سياق الحديث.
يعني :تسأل عن حالة موجودة وتخشى من زوالها، والحديث لم يخبرنا كيف أوجدت

هذه الحالة؟
فإذا قلنا :سبب فساد الناس البالغين الحكام، فما هو سبب فساد الحكام؟ والحكام أفراد يخرجون من الشعب الفاسد الذي أفسده حكام سابقين، وهكذا ندخل في الدور!
لكننا نعرف أن الأمر الذي سألت عنه المرأة أسسه وأقامه النبي صلى الله عليه وسلم يعني النبوة وبالتالي العلم ،إذ العلم إمام العمل يسبقه ليوجده ويرافقه ليصححه ويخلفه ليحاسبه،ولهذا قال الصحابة تعلمنا الإيمان ثم تعلمنا القرآن.
وعلى هذا نفهم أن المسؤول عن بقاء الصلاح :الحكام والعلماء، لكن المسؤول عن تأسيسه: العلماء فهم المسؤول عن وضع المفاهيم،وتربية الناس عليها ليخرج منهم المسؤول في أي قطاع.
ولو تتبعنا سيرة الحكام الصالحين لوجدنا أن الذي هيأهم هو التربية والتعليم فمثلا: نعرف أن عمر بن عبد العزيز لم يلحق بوالده لما ولي مصر بل بقي عند اخواله: عبد الله بن عمر وسالم بن عبد الله بن عمر، وأنه تربى كذلك على يد صالح بن كيسان، ثم لما بلغ أخذ كثيرا عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، وكان مصاحبا أثناء حكمه لرجاء بن حيوة وعمرو بن مجاهر.
وهكذا لو تتبعت سيرة الحكام العدول لوجدت أنهم تأثروا برجال صالحين، كما تأثر صلاح الدين الأيوبي بنور الدين زنجي الذي رباه صالحون.
ولما كان الناصر قلاوون يستشير ابن تيمية كانت سيرته أفضل من سيرة قطز الذي كان مقربا للمنبجي.
يتبع...

شرح حديث الأحمسية (02)

لولا محمد بن عبد الوهاب الذي جمع الشباب وأدبهم لما استطاع محمد آل سعود توحيد الجزيرة وتصحيح التوحيد فيها بعد أن كانت تعبد في بعض مناطقها الأصنام والأشجار.
هذا الشاب الذي نشأ في عائلة أو مجتمع فاسد عندما يصير مسؤولا من أين سيأتيه الإصلاح؟
فمن أين تلزم فاسدا بالإصلاح وهو لم ينشأ عليه، وربما نشأ في معهد في لندن أو

موسكو..؟!
وعلى هذا فأصل الإصلاح :العلماء، والحكام فرع عليهم، وعندما أقول العلماء فتدخل فيهم كل النخبة التي تصنع الوعي، فإن كانت فاسدة فلا مطمع في صلاح الحكام، وفي صلاح الشعب،فقد ثار الناس على حكام صالحين و قتلوهم لما غلبت النخبة على أمرها.
وانظر في قادة الثورة الذين تلقوا تربية في الجمعية ومن نشأ على غير ذلك..؟
المهم المقصود أن المسؤولية قائمة في حق الجميع، لكنها متفاوتة، فإذا وجد تحت الحكم الفاسد فاسدون فكذلك يوجد صالحون، فكيف صار هذا صالحا وبقي الآخر فاسدا... ؟!
فمن أراد خيرا فعليه بالعمل على النخبة، ولاباس أن يسعى في بقية المستويات.
الاعتماد على أن سبب فساد الحكام والشعوب هم الحكام إضافة إلى كونه غير معقول هو اختيار الأسهل وترك الصحيح، وزيادة في العمى والغواية.
السياسة زبدة المجتمع لأنها تتعلق بالصلاح العام، و كما أن العدل يختزل في نفسه كثيرا من القيم فإن السياسة في الغالب انعكاس لقيم المجتمع.
لا شك أن مجتمعنا بلغ في العشرين سنة الأخيرة قاع الفساد لكني موقن أن من ربيَّ على حرمة السرقة و بغضها واحتقار من تكون فيه، لا يسرق ولو سرق كل الناس.
الكارثة عميقة ومتجذرة جدا لتقتلع بمجرد قرار سياسي أو حراك شعبي، فكلنا نعرف حالة هذه الشعوب.
وعلى هذا تتقرر مسؤولية النخبة اتجاه الشعب واتجاه الحكام؛ وبيع النعناع للاسترزاق خير من أن تعد من النخبة المرتزقة.

العالم والسياسة..!
العالم لا يكرر مطالب العامة أو الساسة أو السلطة(بحسب مقام الخطاب يعني لا يؤلف كتابا في بيان) ولكن يبرر ما يراه منها صحيحا، فدوره أن يعين المصلحة لا أن يجملها،ودوره تنقيح المناط إذا الشريعة بينت الأحكام العامة.
لا يكتب بيانات هي مجرد إثبات حضور pointage!

جمدنا في القاع..!

الملاحظ أنَّ [العلماء] في تراجع مستمر، لم يفهموا وظيفتهم فاستعاروا وظيفة "المثقف المعاصر" المتمثلة في علاقة خاصَّة مع السُّلطة هي النَّقد الدَّائم لها كما في الغرب.

وظيفة العلماء الأولى هي استنباط المعاني الشَّرعيَّة وتأثيث حياة المسلم بأحكام الشَّريعة التي يحرسونها، وليس ترديد أهازيج الجماهير التي تدور في حلقة..!

العلم الشَّرعيُّ موقف قوَّة لكن بسبب ضعف النموذج هو في زاوية ميتة، عبارة عن ضجيج بلا أثر..!

العلماء ترتكز مكانتهم على أعمالهم التي تنقل الناس من حال وعي إلى حال وعي أفضل، وليس على كتب بدون قيمة معتبرة، أو على الإعلام، أو على مسايرة الحشد .

يمثِّل العلماء اليوم في وظيفتهم الجديدة (المثقف) تراجع النَّقد العلمي لصالح النَّقد الثقافي /السِّياسيِّ ،ولذلك جمدنا في القاع!

نقض العلماء..!

انتقد المقال لا تنتقد القائلين، ودافع عن المقال لا تدافع عن القائلين؛ ففي العلم معيار واحد: الصواب والخطأ.

وإذا لم تعرف الأشخاص فيكفي أن النيات لله تعالى.

السِّياسة تلد المرض، والنخبة الفاسدة أو التائهة تحوِّله إلى مذاهب، والإعلام يبيعه للنَّاس سمًّا..!

"لا شيء يؤلم المفكر (الإنساني) أكثر من رؤية اللاعقلانية الكارثية في الشعوب "إدمنود ثوديار.

الرد في 1805 م على سماسرة الهم باعة الوهم..!

التجارة بدم الشعوب و لقمتها كورقة ضغط وتفاوض في السياسة تجارة قديمة.

العالم والمثقف..؟!

كلمة "مثقف" (intellectuel) مصطلح غربي معاصر ،دوره ممارسة نقد السلطة من أجل هدفين اثنين هما: الحرية والعدالة.
وهناك مصطلح "مفكر" (penseur) في الغالب يعنى به الفيلسوف عندما يتكلم في قضايا عامة، وقد يتناول كل من يتكلم في كليات.
وهناك مصطلح "الباحث" (chercheur)ويضاف إليه الاختصاص فيقال :باحث اجتماعي، باحث في الاقتصاد.. الخ.
في التراث الإسلامي عرف مصطلحان "عالم" ويدل على المتقن للعلوم الشرعية خاصة الأصول والأحكام، وأطلق على كل فن اسم يخص العالم به مثل: فقيه، مفسر، محدث، متكلم.. الخ.
لكن في جميع الحالات يبقى اسم "عالم" مرتبطا بالعلوم الشرعية.
إضافة إلى هذا نجد مصطلح "نظار" وهو مرادف لمفكر، ويطلق على الشخص الذي يهتم بالعقليات ويقال" عالم نظار" ، و "نظار" مجردا عن صفة عالم، و غلب الاستعمال على المتكلمين.
المقصود أن وظيفة العالم محددة من بداية الإسلام، وباعتبار النقد فدوره النقد العلمي الشرعي، لذلك ليس هو من المثقفين، فالثقافة صفة زائدة في العالم الشرعي، الذي وظيفته معرفة العلوم الشرعية والحكم على الأشياء بالأحكام الشرعية وليس بمطلق الفكر.
ولا شك أن العالم المثقف الذي يسمى بالعالم الموسوعي أفضل من العالم المقتصر على العلوم الشرعية ،لكن معنى "مثقف" هنا هو اتساع الثقافة، وليس الوضعية أو الوظيفة كما في الاصطلاح المعاصر.
لذا عندما يخلو بيان العالم من التكييف الشرعي فهو في مقام مثقف ،وليس في مقام عالم إسلامي.
دور العالم والمثقف التحليل لإيجاد حل إلا أن حل العالم يجب أن يكون شرعيا.
ونحن اليوم في عالم: العالم والثرثار، الأول يبني وفقا لرؤية شرعية والثاني يفعل ما يحلو له.

سخط ،فسق، ألحد ؛ومع ذلك ظلَّ البلاء يلاحقه!!

يترك لك المعاند الكلمة الأخيرة بشرط أن تكون : نعم!!
وقد قيل هذا عن المرأة ؟!

قيل :
القوة التي لا تعرف إلا الانتفاضة تستهلك نفسها؛ ولذلك (في غياب الفكر) هي سلوك إفلاس!

✿العيد ✿
العيد للجميع.. لكن المآسي تصيب البعض؛ لهؤلاء أقول :يمرُّ العيد وتبقى الحياة، وفيها أعياد وأعياد.
ولغيرهم أقول :لسنا وحدنا في العالم فبثُّوا الفرحة حواليكم قدرالمستطاع.
عيدكم جميعا مبارك سعيد؛أعاده الله علينا وعليكم بالخير والهناء🌷🌷

الشباب والمتعة .. ؟

....
ليس عمر الشباب بدون عقيدة
إلا سنوات نسيان العالم والواقع بطلب المتعة؛ هكذا كان وسيظل.
جاء في الحديث الذي رواه ابن حبان والبيهقي وحسنه بعضهم وضعفه بعضهم الآخر (ولعل دوافع الخلاف في الخصائص البشرية للنبي قبل النبوة) :"... أبصر إلي غنمي حتى أسمر كما يسمر الفتيان.. فلهوت بذلك الغناء وبذلك الصوت حتى غلبتني عيني فما أيقظني إلا حر الشمس فرجعت.."
توجد في الشباب ميول فطرية و تتحرك فيهم نوازع النفس لاستطلاع متع الحياة ولذلك يحتاجون إلى تربية إيمانية تمدهم بفلسفة حياة ومقياس شرعي للمتعة لأننا في حضارة حسانية أبيقورية.

لكن كذلك إلى تربية وجدانية جمالية لتذوق الكلام الحسن ومعرفة جماليات الصوت واللون والشكل حتى لا تصنع لهم (في جميع الأحوال) قدوات قبيحة بشعة لتسفيه أحلامهم واخضاعهم في مقابل الاستمتاع.

لأننا في عصر مكننة النزوات وتفجير أحاسيس الجسم؛ عصر تحرير الجسم؛حيث أصبح الفن والصورة هياكل جديدة لتربية بشر دجاج.

نشر ثقافة اللامبالاة بواسطة المثقف والفنان والممثل الذين يقومون بالترقية الاجتماعية للتافه حيث يرتقي التمثال إلى الإيقاع.

من خلال الميول الفطرية الحسية نسترجع الشباب وبالفن القبيح والمخدرات نجعله لاعوبا خاضعا.

ما الذي سمح لاضطرابات عمر الشباب في المتعة والخيال أن تتحول إلى لعبة السلطة الثقافية.. ؟

لذا فإن الكلام على طلب الشباب لمتعة باللهو بدلا عن مسؤولية المنظم ورداءة ثقافته وتوظيفه للقبح في تضليل الشباب غفلة أخرى في نقاشنا.

يتكوَّن المستقبل المشرق من نفس مواد الحاضر المظلم غير أنه بعقول مختلفة (فقط)

الحدث بين القراءة الفقهية والقراءة الشاملة.

ينظر بعضنا لكل واقعة بنظرة فقهية محضة.

والاقتصار على الجانب الفقهي وحده هو جزء من التلاعب بالنخبة المتدينة.

نحن نعرف أن المجتمع المعاصر مدمن على الوجداني العاطفي وعلى الفرجة، ولذلك لم تعد صناعة المثقف المروج له والفنان عفوية بل تخضع لتخطيط وسيطرة تامة على وسائل الإنتاج والنشر.

حتى الرياضة أصبحت من مظاهر التلاعب بالجماهير و اضعاف قوة الانتساب للهوية التوحيدية .

وإذا كانت هذه المجالات :الرياضة، الموسيقى، الصناعة السينمائية، التلفزيون، الأدب، الموضة.. الخ من وسائل التلاعب بالذهن وتدمير الشخصية، و تحميق

المجتمع من أجل الهيمنة والاستغلال والاخضاع بسلاسة لم تكن النظرة الفقهية وحدها كفيلة بالعلاج، خاصة وأن جبهة التدين تعاني هي نفسها من الفرار.
وهذه مجالات بغض النظر عن نظرة الإسلاميين لها هي مجالات قوية موجودة في كل المجتمعات وفي كل الأزمنة.
وعليه إذا كنا لا نريد أن يتلاعب أحد بشبابنا فيجب أن نفهم هذا العصر و أن نتعامل مع الموجود وليس مع رغبة فئة لا أثر لها في حياة المجموع.
لأن عقلية القضاء على الشر المثالية هي سبب الإخفاق في الحد من الشر.
المعالجة الفقهية المحضة تزيد في عزلة صاحبها؛ وفي فرار الفلوس.
قاوم؛ ما لا تستطيع اقتلاعه هذبه وإلا جرفك الواقع.

يمكن للشعوب أن تقول وأن تفعل ما تشاء؛ لن تكون بلدانهم إلا كما هم في حقيقتهم.

حيوات الإنسان بين الندم والأمل

....
قيل :لكل إنسان حياتان؛ تبدأ الثانية عندما يدرك أنه ليس له في [الدنيا] إلا حياة واحدة. يعني :لم يعد يملك وقتا يضيعه ليعمل صالحا لنفسه ولأمته ولعباد الله.
يعيش الإنسان بين الندم والأمل، الندم على ما فات والأمل في الأفضل؛ويبقى السؤال :الندم على ماذا؛ والأمل في ماذا؟
و المرجح : " شرُّ المعذرة حين يحضر الموت، و شرُّ الندامة يوم القيامة" .

أنواع منشورات[طلبة العلم]..!.

......
يوجد على هذا الأزرق منشورات تخاطب نفسها؛في حوار أحادي لا تتصور نوع القارئ ولا تكترث بذلك.
وأخرى تخاطب طائفتها في الاختصاص(لا إشكال فيها) أو في المذهب بحيث تنطلق من قناعات تلك الطائفة فتبدأ جدلية بمقدمات غير مسلمة.
كما يوجد منشورات تخاطب كل المسلمين(السنة منهم فقط) لكن بلغة خاصة لا يفهمها

كل أهل السنة ؛ أو بلغة بعيدة عن لغة العصر، تفتقد فيها النصوص إلى التعضيد بالشواهد العقلية الضرورية أو بالتجارب المعاشة أو بالعلوم العصرية الصحيحة.
لم تفطن بعد إلى أن النصوص وحدها مجردة ليست مشتركة عند المسلمين، إما في ثبوتها وإما في دلالتها، وأن المشترك العقلي والتجريبي والعلمي الكوني هو ما يزيل عنها تلك العقبات.
ليكون الخطاب عاما للعباد يجب أن يكون جامعا توليفيا يعتمد الكليات المشتركة؛ بعيدا عن الانتماءات الخاصة. فالغرض الأول هو إيصال المعاني الشرعية بتجديد اللغة أو تعضيدها وليس الجمود على القوالب.
لا يجب أن نعتمد فقط على تصديق الناس بالخبر ولكن علينا أن نبرز لهم بالدليل المتنوع أنَّ الخبر الشرعي حق في نفسه فليس العلم مجرَّد التَّصديق" لأنَّ تصديق الخبر:
1)_ بدون أن يعلم أنَّه في نفسه حقٌّ.
2)_ أو أنَّ المخبر به صادق.
= قول بلا علم.... "النبوات".
تصديق الأنبياء في أخبارهم واجب؛ الجزم بأنَّها حقٌّ مطابق لازم.
أمَّا العلم بالدَّليل أنَّها حقٌّ في نفسها فهذا ما يفرق بين العالم الحقيقي وغيره.
وإذا كنت مبتدئا لم تشب في العلم والدعوة فالزم طريقة شيوخك واحذر أن تظن أنهم زبدة ما وصل إليه العلم مهما كبروا في عينك وسميتهم أئمة.

الحقائق المرة..؟
لا يشعر غالبية المسلمين في هذا العصر بشرور الطائفية والمذهبية كما عاشها السابقون لأنها في كثير من بلدانهم بدون نفوذ سياسي حقيقي.
وما ترفعه الأنظمة من شعارات مذهبية فهي لمجرد التوظيف السياسي ولضرب الإصلاح الديني الحقيقي الذي يهدف إلى إصلاح المنظومة المعرفية برمتها .
وفي أي بلد كان فيه للمذهب نفوذ إلا ووجدت التضييق على المذاهب الأخرى ومطاردة رجالها بقوة أو بسلاسة، من خلال التهميش والاستبعاد من المناصب التعليمية و الدينية والثقافية وغير ذلك.

نحن نعلم يقينا أن المذاهب لم تنتشر من تلقاء نفسها (بقوة حجتها) بل بواسطة الإكراه بالوسائل الخفية أو العنيفة من قبل الحكام والقضاة ، وأنها اختيارات سياسية لا علاقة لها بالاختيارات العلمية.

كما نعلم يقينا أن التعصب الأعمى نشأ معها ،فمن بدايتها الأولى بدأ سب الإمام المخالف والتضييق عليه و محاربة أتباعه والاستعداء عليهم بالحكام.

ووصل الأمر إلى الضرب والقتل وقطع الرزق وحرق الكتب؛ وتشويه التاريخ والتراجم ..والفتن الاجتماعية التي لم تسلم منها الأسواق ولا المساجد.. الخ ولم يسلم من ذلك إمام.

وليس هذا بغريب لأن التمذهب بهذا الشكل أصلا هو أزمة عقلية(عجز في تصور العلم) فكيف له أن يلد رشدا سلوكيا...؟

ثم زاد الطين بلة المتكلمون لما خاضوا في الفقه والعقائد وتقربوا بها إلى السلاطين.

المهم عرف كثير من علماء المذاهب بأخلاق العسكر!!

و المقصود أن هذه المذهبيات الطائفيات بسلبياتها، وبالضبط التعصب للقناعات وما تفرزه من تناقضات الخطاب الديني صارت منصة متينة للعلمانية لتقزيم الدين.

لذلك لا تتوقع مع هذه الحال وصول الدين إلى بناء دولة ،بل لن ترى إلا التراجع بعد أن استنفذت قوة الانطلاقة.

أنا هنا لا أبحث التمذهب كمشكلة معرفية؛ أو كاختيار لأنه اساسا فاقد لحرية الاختيار و لمعايير محددة ولكن عن دوره في ضعف الخطاب الديني و إشعار الناس باستحالة اليقين لاستحالة إدراك الحقيقة المطلقة.

فمن جهة نجد التمذهب العقدي الذي جعل النصوص أشباحا لا حياة فيها وفخا للعقول!

ومن جهة أخرى تطور التمذهب الفقهي بتأصيلات المتكلمين الذين جعلوا الدليل مجموع الدعوى! إلى نسبية سفسطائية.

وهكذا ضعف التعلق بالنص كمصدر للحقيقة المطلقة في الأصول وفي الفروع، والله المستعان.

اختلال النقاش في الفيسبوك!

المشكل في مواقع التواصل الاجتماعي انها لا تتيح لك فرصة لتدقيق المسائل كما

تتطلبه فتضطر في غير عادة الباحثين في العلم إلى نسج عناوين الفقرات لتصير مقالا.
وهنا تصطدم مع أناس لا يمكنهم فهم دقة المقال لأن كل الروابط المنطقية والدلالية والمرجعيات وامثلة الاستنباط أو الاستشهاد مضمرة.
و المقصود أنه(كما قال أحدهم) لا يمكنك أن تفهم مقالا إن لم تعش بنفسك بعضه؛ فالحقيقة العلمية ليست دائما شيئا نفهمه باستيراد بل هي أحيانا جزء منك؛ يعني نابعة من شعور وإدراك ذاتي لأن التصور تام وقد جرت كل مراحله في داخلك، فتارة نعلم بالضرورة بعد تصور الأمر، وتارة نحتاج إلى نظر، بينما كثير من الناس قد يجمع معلومات كثيرة من المطالعة لكنه مع ذلك يعجز عن الارتقاء إلى هذا الفصل لأنه ناقل تصورات لم يعشها بنفسه ليست فعلا قام بنفسه وحتى مراجعة قاعدة التصنيف لم يقم بها.

لوازم الجود الإلهي..؟
قال ابن تيمية :"كلما كان الناس إلى الشيء أحوج كان الرب به أجود؛ وكذلك كلما كانوا إلى بعض العلم أحوج كان به أجود فإنه سبحانه الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم".
1)_هل من شواهد مادية على هذا الكلام؟
2)_ماذا يستلزم في المنهج المعرفي الإسلامي؟

التغيير..؟
تفتح اليد وتقبض؛ ولو بقيت على حالة واحدة لكانت مشلولة (الرومي).
قيل :لا تبحث عن تغيير المراعي فإنَّ ذلك يفرح العجول (!) ولكن كن أنت التغيير الذي تريد أن تراه في العالم.
ابدأ بنفسك فغيِّر ما فيها من جهل و أمراض يغيِّر اللّٰه ما بك من سيِّئات.
يتغيَّر الإنسان لا محالة؛ والسعيد من تغيَّر للأحسن.
تغيير المسؤول يصنع بهجة الغافلين الذين يعتقدون أنَّ أحوالهم ستتحسن و إن لم يتغيَّروا هم

رسائل الأحرف

....

قراءة نص الغير ومساءلته بدون هوادة والتعليق عليه بجد علمي وليس بمناكفات المقاهي ؛ أو المرور بسلام هو علامة على احترامك لنفسك أولا .

الشَّكُّ.. ؟!

قد يكون الشكُّ طريقا إلى النور وقد يردُّك إلى الظلمات!!(قيل).

قد يكون الفرق هو بين الشكِّ في الدَّلالة وبين الشكِّ في الدَّليل.

لكني أجزم أنَّه بين طلب صادق للحقِّ وبين ردِّ فعل نفاقي؛لذا فإنَّ السلامة في محل القصد وليست في العلم نفسه ؛{وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون}.

_وقد يحمل الأول على الشك المنهجي المتمثل في تعليق الحكم في انتظار التحقق من صدقه (التحفظ المنهجي) ،أو لفحص منطقية الاستدلال ومراجعة طريقه.

نوع من الفرق بين الشك العقلي الذي هو تيقظ، وبين الشك القلبي الذي هو مرض.

أكبر خطيب مفوَّه في العالم [عند جمهور الناس] هو النجاح(قيل)

رسائل الجوال..!

منذ سنتين أقل أو أكثر كل منشور لا يتجاوز ثلاث صفحات فقد كتبته مباشرة على الجوال.

وفي الغالب نتيجة التفاعل مع منشورات فيسبوكية أو حوارات خاصة فاكتب بسرعة ما يجول في خاطري، وليست هذه طريقتي التي صهرت عليها نفسي حيث أكتب الأفكار العامة و كل خواطري العلمية على ورقة ثم أنقلها إلى الحاسوب حيث أنميها و أوثق المصادر وأراجع عبارات النصوص و أتفرع إلى كل وجه محتمل يدركه عقلي.

والمقصود ثلاثة أشياء :

1)_فرض علينا الفيسبوك (و أخواته) منهجه متمثلا في السرعة والإجمال و قصر

الكلام.
2)_غرس فينا (على قول صديق) عقلية الوجبات السريعة والمرطبات بحيث صارت نفوسنا لا تطيق التدقيق العلمي والصرامة المنهجية والمقالات الفكرية الدسمة، و الطويلة نسبيا.
3)_الكتابة بهذا الأسلوب تليق بالناشط الفيسبوكي الذي يبحث عن منصة حوار بدون ضوابط منهجية صارمة.
ولا شك أن في ذلك مزايا لكنها لا تناسبني لذا سأعود إلى طريقتي الأولى لأن الرداءة ليست حتمية علينا و لأنها أنفع لي وللناس، كما أنها تيسر لي حفظ مقالاتي لأن جل هذه
المنشورات(الجوالية) مجرد دردشة لا احتفظ بها عندي، يعني دفنت في مقبرة الفيسبوك.
وأنصح طلبة العلم الذين لا يشتغلون كمعلقين على الأحداث خصوصا السياسية أن يعودوا نفوسهم جدية الطرح والتدقيق والصرامة المنهجية لأن الأمور تسير إلى تحويل المجال العلمي والفكري إلى سيرك 🎪

روائع منهج عباد علماء السلف

هذه كلمات نادرة ندرة النبوة في الناس حول الموقف من العلم والاستدلال في السير إلى الله، وهي تابعة لمنشور "الشك"
الجواب عن الإشكال :
هناك "فرق بين من جمع قلبه على الخالق وعبوديته بمقتضى أسمائه وصفاته، ومن قصر همته على بحث الزمان والمكان والجواهر والأعراض ليصل إلى الخالق وعبادته.
الأول شح بالزمان أن يذهب ضائعا في غير السير إلى رب الزمان والمكان.
والثاني تفرق في معرفة حقيقة الزمان والمكان.
الأول لا يتعلق في سيره بدليل ،ولا يمكنه السير الا خلف الدليل، يعني: لا يفتقر إلى دليل على وجود المطلوب، ولا يستغنى طرفة عين عن دليل يوصله إلى المطلوب؛سيره لأنه صادق على البصيرة واليقين والكشف لا على النظر والاستدلال.

الإشكال :
نعم؛ الدليل شرط فلا يوصل إلى المطلوب إلا من باب العلم، لأنه بدون دليل ينقطع السائر، ولا يصل الا إلى مجرد الخيال والمحال.
و التعلق في المسير بالدليل لا يفرق عليه عزمه و قلبه لأن التفرق في الدليل خير من الجمعية على الوهم والخيال. كما أننا لا نعرف كون الجمعية حقا الا بالدليل والعلم.
و اليقين والنور والبصيرة والكشف يغنيان عن أدلة أرباب القال لا عن أدلة الوحي ،فالمتكلم يفني زمانه في تقرير حدوث العالم وإثبات وجود الصانع، وذلك مفروغ منه عند السالك الصادق الموقن، فالذي يطلبه هذا بالاستدلال
المعرض للشبه هو فطرة وضرورة ويقين وكشف للسالك.... ابن القيم بتصرف يسير.

تموت النفس ويتبخر اليقين في غارات التأويل و كمين الترخص.

اقتحام أعماق عقل السلف..!

....
قال الإنسان :الله يقول و أنا أضع المعنى (أفسر).
يزعم الإنسان [المؤمن] أن الله على كل شيء وكيل (وهو على كل شيء وكيل) ثم لا شيء في العلم به يتوقف عليه بل على الاكتفاء العقلي للإنسان... ؟!
يمنحه الله لفظا "كلمة" بدون معنى، وهو يمنح نفسه المعنى، يأخذها ويضع عليها المعنى الأنسب إلى عقله...!
يريد هذا الإنسان(لأسباب ذكرناها في موضع اخر) أن يعطى "حرية التأويل" رغم أنها تلغي وظيفة الرسل، وتجعل الإنسان سيِّدا على معاني النصوص، وهو ليس بسيد حتى على نفسه..!
كيف نفترض أن كل شيء يعتمد على الله، وأنه خالق كل شيء ، ومن جهة أخرى نتجاوز رسوله وأصحابه؟!
ما معنى {خلق فهدي} {علم القرآن} {خلق الإنسان} {علمه البيان}... ؟
...... ترويض التأويل.

ليس من دقة العقل ولا من أمانة النفس الاستشهاد بأقوال عالم هجرها أو نقضها بنفسه، لك أو عليك.

قيل :يذهب طالب العلم إلى العلم كما يذهب إلى الحرب :مستيقظا، والخوف في بطنه، لكن باحترام

الذكريات أبوابٌ يضعها الزمن حوالينا ليفتح للحظة قلوبنا على ألغازه ،و للسماح للماضي بالسفر إلينا..

تجاوز الاجترار..!

في كثير من القضايا العلمية الخلافية الكبيرة ليس العلم أو الشبهة هو ما تجدد عند المسلمين المعاصرين؛فالاستشكال هو نفسه من قرون طويلة، و لم يفرض واقع المسلمين المعاصر المعرفي أو الحضاري تجدد إشكالات جديدة لم يعرفها المتقدمون. وكذلك الجواب عليه هوهو ،لم يأت المعاصر بأجوبة جديدة ،مما يعني أن المقتضى للنقاش في هذه القضايا ليس علميا ولكنه يعود إلى
أمراض نفسية كالتعصب أو إلى الجهل.
لذلك من المفيد لنا التركيز على أن لا يكون النقاش في النصوص نفسها التي هي محل الاستشكال فقد قتل البحث فيها وتكرر نفس الاشكال ونفس الجواب في كل قرن تقريبا ولكن في الأسباب المعرفية فيما يسمى الآن "نظرية المعرفة".
وإن كان ابن تيمية قد قام بالعمليتين معا في إطار منظومة متحدة متكاملة الجوانب لأنه على الأقل أي نقاش في العلم يكون ممكنا بدون فحص طبيعة الاستدلال ومصادر مواده و قوانينه ؟!
غير أنه في نظري لم يتابع من المخالف الذي عجز عن الارتقاء إلى هذا العمق من البحث، وبقي في مقاربة مذهبية يكرر نفس الشبهات الأولى متغافلا عن العمل المقدم على هذا المستوى، مقتصرا على فبركة تناقضات سطحية.

أقول هذا لأن النقاش الذي يغرف من مكر الكلمات سيبقى بدون نهاية ،وهذا ما لا يفعله العقلاء.
نعم يستمر النقاش لأجيال لكن بتوسع العلم وفتح مجالات جديدة تضيف قيمة وليس مجرد الاجترار لأنه سيصبح هذيانا.

الخلط بين تفضيل الجنس بسبب فرد واحد وبين تفضيل جميع أفراد الجنس بسبب فضل واحد منهم جهل مطبق.

الفهم المتعاطف...!!

يعلم الذي رزقه الله "الحياد الأخلاقي" _ أن السجالات العلمية بين المسلمين عاطفية بدرجة كبيرة جدا؛ يأتي فيها العلم في المرتبة الثانية بعد عاطفة الانتماء. العلم عندنا ليس غاية كحقيقة وليس منهجيا وسيلة للوصول إلى هذه الغاية، بل هو مجرد سلاح لحماية القناعات.
ولذلك من الصعب جدا أن تجد نقدا للذات لأن النقد في العقل القبلي لايعني التصحيح ولكن الإبطال..!
ولن تجد _أيضا_ إشادة بالمخالف في قضايا معينة، فلا يتجاوز الإنصاف عندنا _على قلته _تلمس العذر له.
ومن هنا فإن عقلية تصحيح كل المذاهب _عند بعضهم _حيث الصحة صفة ذاتية لها شاملة مردها الانتماء المرضى للمذهب الذي يرد العلم إلى منزلة خلف الانتماء.
إن ضعف "الحياد الأخلاقي" و قوة "الفهم المتعاطف المتحامل " الذي سيطرت فيه العاطفة(النزوات) على العقل وروضته لوظيفة واحدة هي التبرير فقط.
وهذا ما يجعل كلامنا يشبه العلم لكنه في الحقيقة عاطفة تسجن الموضوعات في قراءات مدرسية تتعمد اختيار نفس المقاطع من كلام المخالف بدون البحث عن القصد الموجه للوقوف على الأطروحات المركزية.
و في نفس الوقت تغطي على التناقضات الذاتية و تضلل عن رؤية "أبواب الهروب" الموجودة في تأصيلات المذهب.
ولعل السبب المباشر لهذا أن التعلم عند شبابنا عفوي وليس بمنهجي، فهو وما التقط

في الطريق؛ لا يعرف التحفظ والتعليق؛ وكل من يصادفه في طريقه يحاول تجنيده لقناعته بدون حوار حقيقي، حتى الأكاديمي عندنا عاجز عن الانفصال عن قناعاته أثناء التدريس، فلا يعطي الطالب فرصة "الاختيار الحر" :يساعده أولا على تكوين عقله و اكتساب التفكير العلمي، فإذا أراد بعد ذلك أن ينقل إليه قناعاته الخاصة لم يكن مستغلا لجهله، و بالتالي يكون قد أعانه على اختيار حر إلى حد ما.

ولهذا من النادر أن تجد [شخصا] يدرس طلبة من انتماءات مختلفة، فكل عملية التعليم عندنا تدور في حلقة لأن هدفها استنساخ نموذج الشيخ على أنه الأكمل.

يعتنق شبابنا ما يلتقطه عفويا، وأول شيء يصادفه من كتاب أو شيخ ينشأ على مذهبه ورؤيته.

ولغياب منهجية التحصيل ومنهجية التفكير وعدم اتساع الثقافة يصعب عليه فيما بعد أن يراجع القناعات، وأن يعطي لنفسه حرية الاختيار الصحيحة.

ينشأ عبدا مسلما عقله لغيره وهذا طبيعي لكنه يعيش يدافع عن عبوديته لقناعات في الحقيقة لم يخترها عن وعي مستيقظ ولهذا علاقته بالعلم عاطفية ويصعب عليه الحياد الأخلاقي.

إضاءة الطريق لا صناعته و اختيار الأفضل الممكن.. ؟

لا يمكن لفكرنا أن يتغذى من تفكيره الخاص، سيدور في حلقة لذا نحتاج إلى توسيع رؤيتنا وإثراء عقلنا بالحفاظ على الحوار مع كبار العلماء و النظَّار.

ما معنى قولنا :"فلان على مذهب ابن حزم في القياس، أو ابن تيمية في المعرفة، أو ديكارت في الشك... الخ... ؟

هل المقصود التقليد والاتباع على نموذج التمذهب الفقهي أم هو شيء آخر؟ (سبق وأن كتبت عن الفرق بين المذهب في الاصطلاح الفقهي والإصطلاح الفلسفي).

الجواب عن هذا السؤال سيحدد لنا الوظيفة الضائعة وظيفة التعليم القائمة على الإقناع العلمي وليس التجنيد القائم على الدعاية.

المذهب هنا معناه طريقة خاصة للتفكير، الاشتراك مع المؤسس في فن النظر في الفروق الدقيقة، وفي جوانب المعنى ،حيث يوفر المؤسس طريقة للتساؤل والتفسير، و يقدم إعانة على التوجه للتفكير في المسائل.

هنا يكون المؤسس " سائقا" دون أن يجعل نفسه قائدا يصنع رأيك. قناعتك بالقضية هي لقناعتك بالمنهج وليس لأنك ورثت مذهبا أو نشأت عليه، فأنت موافق للمؤسس ضمن حرية اختيار واع أو على مبدأ اختيار الأفضل الممكن.
في هذا الشكل من المذهب لا يوجد مأزق الاختيار الأعمى ولا توجد اعتبارات للاختيار إلا الصوابية والأحقية، لا يوجد مجال للجواز النسبي وللتعدد الموضوعي للحقيقة.
المذهب هو ضمن حرية العلم وواجب الضمير.
هذا التمذهب بالمعنى العلمي الصارم هو فكر مجرد واستطرادات منطقية لنظام مركب في وحدة معرفية يرفعنا فوق الانتماء والعاطفة والواقع ليعود بنا بفعالية في المرحلة الثانية إلى الواقع فيبني به العقل رؤية معرفية عامة أو في مجالات مخصوصة.
يتقاسم الموافق مع المؤسس طريقة القبض على الموضوع أو المجال.
مؤسس المذهب مقتنع بفكره لكن بعد عمل منهجي كامل ومن ثم يجعل من قناعته منارة لغيره، دون أن يدعي أنه المالك للفكر والمنهج و لكنه مجرد ناقل وشارح لحقيقة موضوعية مكتفية بنفسها عن ذاتانياته سواء كانت شرعية سمعية أو عقلية ضرورية.
في هذا النوع من التمذهب لا يتم
تحويل العلم إلى خصومة أشخاص (علماء) لأن ذلك مسخ لطبيعة العلم وانحراف في الأمة بدأ بعد عصر السلف.
هذا الصنف يقرأ قراءة أولية منفتحة واثقة وبعد أن يستوعب وجهة النظر يمكنه أن يأخذ مسافة من الأطروحة.

بعض الموضوعات مركبة و معقدة أو دقيقة فلا تطمع في التبسيط لأنها ببساطة لا تقبله.
لذا عليك بالارتقاء إليها ؛لايوجد طريق آخر.

الدولة "السينمائية" ..!

عاش المسلمون بعد عهد الاحتلال في "دولة سينمائية " عبارة عن استديو كبير ، دولة تشبه "المدينة السينمائية" التي كل شيء فيها من كرتون أو خشب النجارة ،والبناءات لها واجهة واحدة و خلفها القفار!

في هذه الدولة الحكومة تمثل دور الحكومة وهي ليست بحكومة ، والمعارضة تمثل دور المعارضة وهي موالاة ،حتى الجامعة تلعب دور جامعة،وهكذالكل القطاعات..! لكنها أدوار رئيسية إلا الشعب فدوره كومبارس!!

لا أريد الدخول في الأسباب المبررة لهذه الحال لأن الذي يهمني الآن بخصوص الجزائر هو ظهور قوى سياسية شبابية جديدة،فأسأل بدون قبَّاعة :هل هي شيء جديد طرأ علينا سيكون الاستفاقة (ولو نسبية) للشروع في رسم معالم دولة جديدة..؟

وأنا هنا أترقب بحسب الاصداء المشهد بين نظرية "فيبر" المبنية على الفرد، ونظرية "دوركايم" المبنية على الجماعة..؟

أنا متفتح على التجربة وانظر إليها بإيجابية ،وعندنا كل الوقت للحكم عليها، وإنما جاء سؤالي منطقيا بالنظر إلى معطيات واقعنا ومع ذلك استبشر خيرا في هذه القوى بأن تكون منصات لتكوين وعي سياسي جديد.

اذهب! بسرعة!

"مع الوقت تحوِّل الخيبة القلب إلى رجل أعمال!"

ليس المشكل في "الثقة" ولكنه في عدمها!!

يقال :"الشباب أكثر ثقة في المستقبل لأنَّ كل شيء يبدو ممكنا لمن لم يجرب بعد" .

وهذا لا يعني أنَّ من جرب وفشل وفقد الثقة من حقه أن يبثَّ التوجس في شباب اليوم لأنه لن يأخذ الدنيا إلا من غزاها بيقين وصرامة. والعقل الواثق يثابر إلى النهاية لأن عثرات البداية لا تثنيه عن المواصلة.

إن كان التوجس مع الفعل فهو ثقة بدون سذاجة و أما إن كان بدونه فما هو إلا نفس ميتة و تثبيط.

مجرد التوجس من القادم ليس من حكمة السنين ولكنه من ثقة زائدة وسذاجة في

تصور الممكن، يصاب بها من يأمل أكثر مما يسمح به واقعه، أما من أدرك أن المعركة الأولى هي في صنع نخبة حقيقية(واعية مخلصة صابرة) تدافع الواقع، وترفع وعي القوى الحية بمسؤولياتها فكل المستقبل له، غدا أو بعد غد.

إذا لم نثق في الله سبحانه، ولم نثق في أنفسنا رغم ادراكنا لعيوبنا فلن يكون المستقبل إلا أكسح من الحاضر لأنَّه لا شيء يتغير بالتوجس وحده، فلابد من الفعل مهم كان التعثر واردا عليه.

"أن تجرؤ هو أن تختل قدمك مؤقتا، لا تجرؤ هو أن تضيع نفسك" كيغارد.

ثق في الله، وثق في قدراتك حتى يسبقك الأجل فإما تحقق و إما تهيأ لغيرك.

رسالة أمل لمن يحاول أن يغير إلى الأحسن نفسه أو بلده.

وجها لوجه: الرغبة في التغيير و التفاؤل..!

أشياء كثيرة تجعل التغيير صعبا، وأشياء قليلة تجعله ممكنا أهمها على الإطلاق :الرغبة.

لا يمكن لمن فقد التفاؤل أن يغير شيئا إذ لا رغبة بدون تفاؤل، وفي القول الدارج "تفاءلوا خيرا تجدوه"، ومعناه صحيح لأن التفاؤل يقوم على حسن الظن بالله والثقة في النفس والرغبة في الأفضل، قال العلماء :"تحويل النبي صلى الله عليه وسلم رداءه في صلاة الاستسقاء هو تفاؤل بتغيير الحال من القحط إلى الخصب .

يعرف الإنسان مصدر استياءه ومع ذلك يأخذ الخمول الغلبة عليه.

لماذا..؟

لأنه (بحسب خبراء المجال) يصادف ثلاث عقبات تقف أمام التغيير :

العادة، والخوف، وصعوبة تحديد ما يريده حقيقة.

فمن اعتاد الجمود، ويخاف التعثر ومواجهة الصعوبات، ولا يملك رؤية واضحة مثل من يحدد هدفا أكبر مما يسمح به واقعه الذي يغفل عن تغيير مقدماته أولا.

كل متشائم من المستقبل فعلته العادة والخوف وعدم دقة الرغبة، فإما يريد تغييرا جذريا أو لا تغيير!!

لا يمكن تغيير وضع قائم من سنوات طويلة بدون فكرة مبدعة؛ ولا يمكن أن تكون الفكرة مبدعة إلا إذا تركتَ عالم الأفكار التي أصبحت عديمة الجدوى أو غير مواتية

للتوجه نحو المستقبل.
لا يشترط في الفكرة المبدعة أن تكون نقيضا لما أنت عليه فصهر فكرتين قديمتين يصبح فكرة جديدة كما يقال.
لا يتعلق الأمر بأن تتغير أنت، أن تغير عقيدتك ومبادئك إذا كانت صحيحة ولكن بتغيير ما يوجعك.
لا يعني التغيير بالضرورة أن تتغير أنت إذا لم تحمل بين جنابتك أسباب فشلك.
في أول "مقال من أجل إصلاح التعقل" فصل "قرار نفسك" يذكر "سبنوزا" كيف بحث عن حياة جديدة، و ذكر أن الطريقة ليست التغيير :"من كل شيء إلى كل شيء، ولكن بإبعاد رغباتك الجوفاء، رغبات بلا قيمة.
عليك أن تكتشف ما يمنحك سعادة دائمة، واهجر المشاعر السلبية(كالإحباط، وسوء الظن بمن يريد أن يعمل شيئا لنفسه أو لبلده أو لأمته ، ليغير حالنا).
لا تسبق الأحداث و دع الأفعال تصدق الكلمات أو تدمرها.
ابحث عن أفكار تنمي فيك بهجة فعالة، تمنحك شعورا بالخلود لأن الفرح الحقيقي لا يتحول أبدا إلى حزن، فمن فقد شيئا لله مهما كان ثمينا لن يحزن عليه أبدا، فأن تكون عونا للضعيف، دليلا هاديا للضالين ،مصلحا لأحوال بلدك، منخرطا في تغييره لن يصبح ذلك حزنا مهما وقع إذا جمعت الرغبة والصبر إلى الإخلاص.
التغيير هو أن تكون أولا صالحا ثم أن تتخلى عن رغبات تافهة ومشاعر سلبية؛ والأهم أن تحاول تغيير ما يوجعك.
عجبا ممن يشكو سوءا ولا يفعل شيئا لتغييره...

أشعر أني أكتب لكم كثيرا! لكن الكثير كان دائما مقياس عالمي الداخلي..!
كلمات لا تتابع! معان متشابكة تدور في حلقة حولك!..بتصرف

ليس التفكير إلا استيقاظ المعاني في عقلك لتبدأ البحث عن نفسك.

بعض الإسلامين مع العلمانية كأنه بين جبهتين يريد أن يكون فيهما معا في آن واحد،

ولا ندري أهو انفصام معرفي أم مناورة تكتيكية؟!

بسيكولوجية التأويل..!

كلُّ وَهْمٍ هو تأويل! وكثير من التأويلات أسبابها وهمية!

أبداً لم أشعر و أنا أقرأ القرآن أنَّه يريد أن يقول شيئا، وأنَّ هذا الشيء يفرُّ منَّا؛هذا أجده في النصوص الفلسفية /الكلامية .

فرق بين أن تجهل معنى اللفظ وبين أن تجهل المراد في الخطاب الشرعي إلا في حالات خاصة.

يولد الوهم عندما يبالغ الذهن في فرض على الإدراك الفطري تمثيلا يستخرجه من عمقه الخاص(مخاوفه) ، ولا يرى غيره.

يتكاثر الوهم على أرضية اللاوعي الذي ينشر فيه الذهن إبداعاته الخاصة(تكويناته) بدون التنبه إلى أنَّه الصانع لها، فما يزعم رؤيته ليس إلا لعبة التوقعات،فأرى أفعى حيث يوجد في الحقيقة حبل! ليست الأفعى الاَّ عملية ذهني الخاص الذي أعطى لخوفي(محذوراتي) شكلا، فرض الشكل انطلاقا من مخاوفه.

في اللحظة التي يدخل فيها الأساس العاطفي أو النفسي في اللعبة ويحتل لوحده مجال الوعي ينسخ نفسه في تأويل متوهم للحقيقة،لهذا فإنَّ كل وهم هو تأويل.

من المدهش أن نلاحظ إلى أية نقطة يمكن للذهن أن يطوِّر ابداعا مجنونا ليستمر في الحفاظ على نظام تأويله، كما في كل حالات الارتياب المرضي.

ليس تقسيم اللغة إلى حقيقة ومجاز، والنصوص إلى متواترة و آحاد

هو سبب التأويل الفلسفي /الكلامي ،فهذه أدوات التأويل، و أما السبب فهو الخوف من إثبات إله له هيئة وطبيعة مخلوقة، هذا الخوف الذي يسمونه "قرينة التجسيم"!

وإذا دخلنا في عمق هذه القرينة وراجعنا الأساس الميتافيزيقي ثم المنطقي لها وجدناها مجرد وهم، خوفٌ قسم الموجودات المرئية له وقاس عليها كل موجود لم يشاهده ولو كان الإله!

فحيث عقدت النصوص على ما يسمح بالفهم دون اقتحام مسألة طبيعة الإله من خلال التركيز على التمييز بين الصفات الثبوتية الدالة على الوجود الواقعي وبين السلوب التي هي صفات المعدوم تحوَّل الخوف الخوف في العقل الفلسفي /الكلامي إلى وهم

،وكل وهم هو تأويل.
للعقل معنيان بارزان :
المعنى الدارج ويعني القدرة على التفكير المنطقي،هو العقل الذي يفسر العلاقة بين السبب والنتيجة(المبدأ التفسيري) .
في الفلسفة هو القدرة على تشكيل التصور بخصوص ما هو وما يجب أن يكون على أساس مبدأ الهوية وما يرتبط به من مبادئ، بخصوص الممكن و الضروري ،المطلق وغير المطلق ،يسمى أيضا عندهم التعقل الخالص.
هذا العقل هو الذي فرض قياسا على العالم السفلى ما هو الله تعالى ثم صارت القرينة خوفا!!

حياة بدون أدب خانقة كمنظر بدون سماء!
الشباب هو العمر الذي نجمع فيه كنوزنا قبل أن تبدأ الحياة تقتلعنا قطعة قطعة..!
اقتطف منه كل كلمة ترقي بها مواجيع إنسان، أو تجبر خاطره، أو تشعل بها خيالك حتى ينفصل الفكر عن آلام هذا العالم السفلى ويعرج إلى مدارج النجوم.

النفس و الرغبة في الحق!
الرغبة في أن تكون محقا قد تكون متعلقة بالحق وقد تكون من هوى النفس فالنفس تريد العلو بالحق أو بالباطل! وهذه الرغبة إن لم تكن للحق لذاته بنفس مجردة وكفاءة عقلية وعلمية فقد تقتل حقوقا كثيرة! وتجعل طالبي الحق عونا لخصومه.

يميل الإنسان إلى هيكلة عالم متسق لأنه دائما في بحث عن المعنى!!
والمعنى إما يمنحه لنفسه بتخيل عالمه الخاص،و إما يستمده من خالق العوالم.

السر وراء تعقيد الكلام بالمصطلحات..!
ليس كل مصطلح ينحته أحدهم (في الالهيات، ما وراء الطبيعة، معرفة الإنسان الفردية والجماعية.. الخ) هو من أجل ممارسة مراقبة ذاتية فإنَّ أكثرها أقنعة تخفي وراءها معنى باطل هو الإلغاء الجذري للإشارة إلى المعاني الشرعية!

عندما نغوص في كثير منها نجد الغموض محيطا بكل مفصل فيها!
لذا لا تسلم بأي مصطلح إلا بعد رده إلى حقائق الشرع فإنَّ جناية المصطلح على المعاني الشرعية أكبر هجوم تعرَّض له الوحي.

قال قومٌ :من كان وحيداً في الحياة فرماد النَّار مُلكَه!
{وجعل منها زوجها ليسكن إليها}.

عندما تفقد الكلمة معناها..!
وصف النبي صلى الله عليه وسلم القرآن (كما في حديث الترمذي عن علي) بأنه "لا يشبع منه العلماء، و لا يخلق عن كثرة التردد).
وقد جرب أهل القرآن ذلك حفظوه صدرا وقرؤوه مئات المرات، وفي كل مرة يجدون نفس الحلاوة وتجدد التعلق بألفاظه و معانيه.
تفقد كثير من الكلمات معناها، يكثر الناس من ترديدها في الغالب في غير موضعها أو من غير حاجة او يحملونها ما لا تطيق حتى تفقد معناها.
هذه الكلمات فجأة تصبح فارغة من المعنى، غير مفهومة ذهنيا.
تصبح تجمع أحرف عديمة الدلالة!
في هذه اللحظة لم نعد جائعين إلى معناها ، قد تشبع الدماغ من المحتوى!
وعندما يمل الدماغ من كلمة لا يمنحها الاهتمام، و ينساها في الأخير مؤقتا..!
يسمى هذا في العلوم العصبية الادراكية "الامتلاء أو الشبع الدلالي" .
مثل من عوقب بكتابة كلمة "لن أتأخر" ألف مرة، تكون في البداية مفهومة، ثم يأخذه الملل، و بعد ذلك تصبح مجرد خطوط هندسية بدون معنى، لكن إن طلب منه إضافة "عن الدرس" فستتجدد طاقته فورا.
كلمة مثل :"منهج" و "السلفية"، "مجروح" ، "تزكية" ، "الشيوخ".. الخ في قاموس المداخلة نموذج مثالي على ذلك، أصبحت بدون معنى محصل!
كذلك في قاموس العلمانية كلمات مثل: "حرية"، "مواطنة"، "مدنية".. الخ.
وهكذا بعض الكلمات في الخطاب السياسي الحالي من هذا الجنس مثل: "حوار"، "مرحلة انتقالية" ،"دستور "،" حراك ".. الخ سترد الشعب إلى عدم المبالاة بها و

بأهلها ..!
البراعة هنا في القدرة على تنويع العبارات وتجديد سياقاتها ومداخلها مع الاحتفاظ بالمعنى الأول.
احتفظوا بالمعنى ونوعوا كلامهم وزينوا لغتكم بأناقة العبارة ورقي الأسلوب وتعدد الأدلة فإن النفوس تمل بسرعة،و من بعض الأفواه لا تقبل الحق!!

الشعب بلحمه وعظمه..!!
كلمة "شعب" كلمة متعددة المعاني، وهي أكثر كلمة يستعملها الساسة، مع أن كثيرا من الفلاسفة لا يعتبرون الشعب بالمعنى السياسي شيئا موجودا ،بل مجرد تعبير!
في الحقيقة إذا حللنا الخطاب السياسي نجد أن كلمة "الشعب" تعني عند بعض الساسة وهم قلة (وعند بسطاء الناس) الفقراء من سكان بلد ما.
فلا يدخل فيها الأغنياء، يعني أنهم ليسوا من الشعب!
كلمة "شعب" في دارج الصحافة والطبقة السياسية والأغنياء هي في مقابل "النخبة".
،وليست النخبة إلا هذه الفئات التي تقابل كلمة شعب المسكين!
في حالات أخرى "الشعب" هو الأفراد الذين ينتخبون، وأحيانا الذين يتظاهرون!
عندما يقول السياسي :"الشعب الحقيقي" فإنه يريد الرد على من يتكلم باسم الشعب.
وعلى هذا لا يكون الشعب هو نفسه بالنسبة للجميع، لكل واحد شعبه! فالشعب عند العلماني غير الشعب عند الإسلامي؟
والشعب عند السياسي ليس إلا عددا من الناس ينتخب أو يتظاهر فإذا كان عدد المتظاهرين صغيرا لم يسم" شعبا "بل" فئة"، ويقال: مظاهرات فئوية!
وإذا لم يكن هناك شعب فلا يوجد رأي عام! ولا يوجد غالبية! ولا يوجد إرادة شعبية!هذه كلها أكاذيب صنعتها السياسة الغربية.
فأحسن ما يمكن أن نحمل عليه كلمة "شعب" هو الناس الذين ليس لهم صوت..!
وإذا لم يوجد شعب بالمعنى السياسي فلا يوجد إلا النخب في مقابل من لا صوت له.
وعليه؛ فمن يتكلم باسم الآخر (سواء عنى فئة منه أو أخرى) هو من يدير الأمر، وهو من سيقرر. الشعب الذي يظن غير هذا هو كذبة صدقت نفسها.
الأمور تدور بين نخب مختلفة، فمن أراد أن يخدم "المساكين" فعليه أن يكون في نخبة

سياسية أو اقتصادية أو عسكرية، ولكل نخبة فروع.
هذا هو الشعب سياسيا بلحمه وعظمه، شيء غير موجود إلا كمجموعة أشياء لا تلتقي إلا في كلمة "شعب"!!
لذلك عندما ركز الفقهاء المسلمون على "أهل الشوكة" و هم الآن كل نخبة لها نفوذ، وعلى "أهل الشورى "وهم أهل الفكر والعلم لم يكونوا في عالم التنظير الفلسفي.

اللَّهم من ضاق بنا صدره فإنَّ قلوبنا قد اتَّسعت له" أبو حنيفة (تاريخ بغداد (15/473).
لا يتَّسع قلبك لمخالف في رأي ضاق بك صدراً إلَّا إذا كان لك عقل لا يعميه حبُّ النَّفس ولا تعصُّب، و قلب يعرف أسباب الرقَّة والعطف.
الواجب على المسلم في خلافه لمسلم آخر في قضايا (على الأقلِّ) ظنِّيَّة كالسِّياسة (مثلا) أن يتجنَّب العبارات القادحة القويَّة،مثل :النِّفاش! الضَّلال! التَّمييع! بيع الضّمير ! الخيانة! ... الخ.
فهذه كلُّها علامات على عدم منهج النَّظر والمناقشة، وضيق الرؤية، وتعفُّن القناعات بما ليس منها.
وكلُّ هذا يسمِّم الجوَّ بين المسلمين!
للكلمة جوانب:لغوية بمطابقة المعنى، منطقية بالدلالة ،عاطفية /أدبية بحسنها.
قد يظهر بعد مدَّة أنَّ الصَّواب لم يكن في هذا ولا في ذاك، ولكن في رأي مهجور (تابعه قليل) ..؟!
وحينئذ تكون تلك الأحكام والشراسة في مهب الرِّيح!

الخطاب السياسي الفيسبوكي..!
إذا كنت تكتب لقارئ تتوقع أن يتنور بكلامك فمثل هذا القارئ يريدك أن تحترمه.
هناك خطاب سياسي عبارة عن دردشة يغلب عليها طابع مهاجمة أطروحة المخالف أكثر من اهتمامه بعرض بضاعته!
وهناك خطاب يدافع عن رؤيته، يعرض حججه، يريد أن يكون منطقيا، وحتى عندما يكون قاسيا لا تنبعث منه الكراهية.

لكن يوجد خطاب جاهلي اللهجة، سوقي المضمون رغم كل التزويق اللغوي!
هذا الخطاب يظن نفسه عبقريا ومتابعيه مخلوقات مهلوسة!
قد يكون الخطاب مقنعا وليس فيه كلمة صحيحة واحدة لأنه نقاش مغلوط يتلاعب بترحيل الألفاظ إلى غير وجهتها!
يتشبع القارئ لكل خطاب من نموذج فكري و أحكام مؤسسة على قيم خاصة بمرجعية ثقافية معينة لأن لغة الخطاب تنقل إليه رؤية وليس مجرد عاطفة.
لا يمكن أن تحدث الناس بخلطة عجنتها بالعنصرية لأنه لا يوجد رؤية للعالم أو للدولة أو للحقيقة عرقية!
إذا أردت أن يستمع إليك عاقل فركز أجوبتك واجعلها قصيرة لأن ذاكرة بروتاغوراس ضعيفة...!

ليس كلُّ من يخالفك الرأي قد دقَّ طبول الحرب عليك!

لستَ في مأزق؛ إذا كنت تقدر على الرجوع للوراء!....

النخبة..!
بغض النظر عن شكل نظام الحكم فإن كل الأنظمة التي عرفتها البشرية أنظمة نخبوية، الفارق الوحيد هو في القيمة الإنسانية (الإيمانية) للفرد المكون لهذه النخب،حتى في الإسلام كان نظام الحكم نخبويا تمثله صفوة الصحابة قبل أن يتحول إلى ملك وتصبح النخبة وراثية تعمل على مبدأ الولاء والتحالف..!
سياسيا "النخبة" هي الطبقة السياسية، وإن كان الحاكم الفعلي نخبة خفية.
المشكل في الطبقة السياسية أنها _كما قال موسكا _تميل إلى الانغلاق على نفسها وتصبح وراثية،لأن كل نظام فاسد يميل للملكية المقنعة!
وكل الأنظمة تميل مع الوقت للفساد لأن وضع السلطة والنفوذ والمال في أيدي الرجال وآلة الدولة تعمل لصالحهم مع الشعور بالأمن من العقوبة لا يقاومه إلا الخوف من الله،بدون هذه القيمة تفسد السلطة كل الفضائل.
ولعل قول اللورد أكتون :"السلطة تميل للإفساد والسلطة المطلقة تفسد مطلقا" يشهد

عليها التاريخ إلا في حالات قليلة، في الغالب تكون في خلافة النبوة وأتباعها.
من المفروض أن النخبة هي مجموع الأفراد الذين انتخبوا طبيعيا من غير تصويت مباشر من خلال بروزهم في المجتمع بالاستقامة والكفاءة في أي مجال كان.
بالنسبة لبعض فلاسفة السياسة لابد من أجل الاتزان وحتى لا تكون نخبة البلد هي الطبقة السياسية وحدها فلابد من نخبة حكومية تسعى للهيمنة على الحكم ونخبة لا حكومية.

الملاحظ عندنا أن النخبة هي الطبقة السياسية وحدها وتتشكل ممن يبحث عن السلطة اكتسب نخبويته من مال جمعه في الغالب بطريقة مشبوهة أو من ولاء لحزب أو لكونه متقاعد المؤسسة العسكرية.
لقد علمنا التاريخ السياسي وهو حقيقة و إن قاله مكيافلي أن نوع نظام الحكم لا يهم ولا يعني شيئا، بل الذي يهم هو إلى أي شروط يحتاج النظام للحفاظ على السلام الاجتماعي، ولتحقيق إزدهار الشعب.
التجربة تفيد أن الشكل ونظام المؤسسات ليس حصنا من الفساد مهما قلصنا نفوذ المسؤولين ولكن في القيمة الإنسانية للمسؤول و في قوة النخبة اللاحكومية التي ليست جزءا من الطبقة السياسية.
في البلاد التي لا توجد فيها إلا نخبة واحدة هي الطبقة السياسية المكونة من عساكر ورجال أعمال ومناضلي أحزاب تعيش هذه النخبة على جهل الشعب.
لذا يستحيل وجود نخبة سياسية فعالة بدون نخبة مثقفة لا سياسية من المستوى الأول سلوكا و كفاءة علمية.
تشكل نخبة سياسية أولية في معمعة الأحداث تهدف إلى توفير شروط الوعي السياسي من خلال التأطير السياسي لقوى التغيير المتمثلة على وجه الخصوص في الشباب المثقف حركة طبيعية صحية لكن أي تجاوز لهذا الدور سيكون افسادا لها.
بحث دور النخبة السياسي مكيافلي، موسكا ،ميشالز ،باريتو ،كرامشي.. الخ لكن لم يستطع أحد منهم تجاوز المعادلة الإسلامية "أهل الشوكة /أهل الشورى" والتركيز على القيمة الذاتية للمسؤول وليس لقيمة المؤسسات.
الصورة : ايجاب التأويل هو البحث عن المعنى كأنه هدية مفاجئة! مثل الهدية في

علب مسحوق الغسيل..!

المشكل ؟!
لأنَّه لم يفهم أنَّ (الحدث) وإن كان حلا لمشكل مضى فهو مشكل لحل قادم لأنَّ :
"الوقائع تنتمي للمشكل وليس لحلوله ".. كما قيل!
لكن لا تقلق :"فرغم كل شيء يجد الزَّمن الحل رغماً عنك" (سقراط)!
بطبيعة الحال حلا يناسب حقيقتك لا تطلعاتك!

(قيل) :الطَّريق الذي يصعد هو نفسه الطَّريق الذي ينزل! يحدِّد الاتِّجاه :الإخلاص لله و اتِّباع الرَّسول !

التغيير من فوق أم من تحت!!
هذه مسألة عويصة يتساهل بعضهم في الإجابة عنها، لأن بناء مجتمع مختلف عما هو عليه الآن ليس بالعملية السهلة، إن لم تكن مستحيلة في غير سياقها الطبيعي.
ومما لا شك فيه أنها عملية خطيرة!
تذهب بعض نظريات علم الاجتماع (الذي شاخ بسرعة) إلى إمكانية التغيير المفاجئ، مع العلم أننا نتحدث عن تغيير اجتماعي جماعي واعي؟!
في الحقيقة الطبقة الوحيدة التي تزعم إمكانية التغيير من أعلى هم الساسة، فدائما ما يعد الساسة _وهم في المعارضة _بتغيير حياة المجتمع لكن في نهاية المطاف تغيِّرهم حياة القصر (!) لأن هذه الطبقة السياسة نبتت من بيئة تبيع وتشتري الضمير في أبسط أمور الحياة!
لا يوجد شخص واحد عاقل في شرق أو غرب عرف صالحا دخل السلطة ولم يتغير للأسوأ!
كل التشكيلات الحزبية ما إن تدخل الحكم حتى تفقد ألوانها!
في النظام السياسي المعاصر المحلي منه تفريعة للعالمي فالأحزاب مصادرة، ومؤسسات الدولة مستهلكة من قبل محترفين، و الشعب والنخبة مفترعين في أفكار بهرج، والمسؤولية مذابة..!

طرح القضية بهذا الشكل خطأ في المقاربة الاجتماعية؛ كان "ميشال كروزي" يقول _في سبعينيات القرن الماضي_: "لا نغير المجتمع بمرسوم" لأن المجتمع معقد وتفاعلاته عديدة.

كذلك لا يمكن أن نغير المجتمع من الطريق، فالطريق يسقط حكومة، لا يستطيع تغيير نفسه، والوقت السياسي لا يعمل لصالحه.

يجب أن نفرق بين حركة شعب و بين اضطراب شعب.

حتى الانتخاب هو مجرد مشعل لبريق الأمل، وأما التغيير بواسطته فأسطورة كذبها الواقع.

لقد رأى الاشتراكيون أن التغيير يكون من فوق ومن تحت معا، ومع ذلك هم من تغيَّر وضاع في الزحمة.

المشكل عند بعض أساتذة علم الاجتماع في الجزائر أنهم يربطون تغيير المجتمع بتغيير الدولة لكن عندما ننظر في تجارب التاريخ نجد أن المجتمع إما يتغير بحركة طبيعية متوازنة بين وعيه الثقافي وطموحه، بحيث لا يوجد تفاوت كبير بينهما، وإما كما في بعض الحالات بحركة نخبة تغير القوى الحية في المجتمع ومن ثم السلطة.

المشكل عندنا هو أن النخبة عليها مائة سؤال وليست متابعة والشعب لا ندري من حركه، وقد أفرز هذا وضعا غريبا حيث صار الشعب قاطرة النخبة!

مقولة روزفلت :"انزل للشارع و أجبرني" تصلح لتغييرات صغيرة محدودة لا لتغيير المجتمع الذي يغير دولة، ولا لتغيير دولة تغير المجتمع.

زمن البوليتيك !

زمن القراءة، التأمل والاستمتاع بالصمت!

كلمة أخيرة..!

ليس الفهم ذكاءا ولكنه معرفة ،الذكاء عامل سرعة لكن بدون معرفة مسبقة يستحيل الفهم.

بدون معروف لا يمكن أن نفهم مجهولا!

الكلام عن الشيء باعتبار تعلقه بنفسه غير الكلام عنه باعتبار تعلقه بغيره!

الكلام عن القضية باعتبار كما يجب أن تكون (المقصود) والكلام عنها باعتبار ما هي عليه (الموجود) شيئان مختلفان.
هكذا افهم ما يكتبه من يفكر في الحاضر و يؤصل للمستقبل.

الإعلام والدعوة

بين الإخبار بالواقع والأمر بالواجب
سؤال الدعوة بين الأمس واليوم..!
لا شك أن الدعوة في قضايا العقيدة العملية تراجعت بشكل كبير إلى درجة يمكن أن نصف ذلك بالانتكاسة!!
الأسباب كثيرة، من ضمنها أحداث الواقع المضطرب التي جرفتها بعيدا عن رسالتها الأصلية، و أصبح الأمر مقتصرا على مجرد ترديد أحكام إدانة لا يأبه بها الناس لأنها بدون تسبيب ضمن نقاش حقيقي!
لقد تابعت التعليقات حول فيديو أنزلته قناة "الأنيس" على صفحتها تحت عنوان "هذه بعض الجوانب المشرقة لواحدة من الوعدات في الغرب الجزائري فما هي الجوانب المظلمة التي تعرفها في مثل هذه المناسبات"؟
يظهر من خلال العنوان أنه دعوة لمناقشة قضية مهمة، إعادة فتح ملف قضية "تعظيم المشاهد" لكن بطرح ذكي و أسلوب هادئ جاذب للمخالف إلى فضاء النقاش.
يمكن أن نعتبر كلمة" الجوانب المشرقة "مبالغة في الوصف غير دقيقة لكن عندما نجدها مقرونة بكلمة" فما هي الجوانب المظلمة" نفهم أن الإشراق هنا نسبي المقصود به الإيجابيات، وأن الأسلوب ذكي يستدعي المخالف إلى النقاش برفق، لأن الموازنة بين السلبيات والإيجابيات شرط في الحوار الثنائي.
الفيديو عبارة عن مشاهد لألعاب الفروسية ومبارزة العصي وتجمع الناس على ذلك، لا تظهر فيه المشاهد (المعظمة)، ولا يحتوي على إشادة بالمظاهر المنحرفة؛ يحاول أن يعالج من خلال افتعال النقاش انحرافات عقدية وسلوكية تحت حجة "إحياء التراث".
الفيديو دعوة ذكية لتناول الموضوع وكشف المخالفات الشرعية التي تصحب هذه

المناسبات والأماكن التي تشهدها، ربما لم يفهم بعضنا رسالته والحاجة إلى إعادة فتح هذا الملف المهم.

ومن المهم أن ندرك الفرق بين الدعوة في المسجد أو في المعهد الشرعي وبين الدعوة في الإعلام المرئي حيث تقتضي بنية الخطاب الإعلامي وشروطه تغطية الأخبار ووصف الواقع كما هو، وعرض رأي المخالف أو حججه لأننا لسنا سفسطائية نبحث عن الإقناع ولكن أهل دين وعلم يكشفون الحقائق للناس من خلال السؤال الصحيح والجواب الدقيق.

و للاتصال متطلباته حيث تتناول القضايا الخلافية بأسلوب غير مباشر حتى يتمكن الخطاب الإعلامي من تجاوز الأحكام المسبقة و النعرات ليتمكن من شغل المجال العام.

لقد تغلغلت العادة في تشكيل الفهم لدينا، وسيطرت على الخطاب الدعوي الذي يعجز عن معالجة سلبياته، التي افشلته أو جعلته خطابا داخليا لمجموعة أفراد يجد صعوبة بالغة في الوصول إلى غيرهم.

منهج أهل السنة كما يقول ابن تيمية في "المنهاج" (1/547)هو "الاخبار بالواقع والأمر بالواجب" فقد أخبر الفيديو بالواقع، وعلى المعلق والشيوخ الأمر بالواجب!

لا يمكن فتح مجال النقاش مع المخالف بابتداء الكلام معه بالإدانة، وبدون تقديم ما يجذبه إلى الحوار كبعض الإيجابيات النسبية أولا ثم بعد الاستماع إليه درء شبهاته بعلم و رحمة.

ربما يعاني الفيديو من نقائص يمكن تداركها مستقبلا مثل ان يتضمن ذكر أحسن كيفية لفصل الإيجابي عن السلبي حتى يكون الحوار بالصور والمداخلات ثم بالتعليق بعيدا.. تابع التعليق الأول...

العلم مخيم في عطلة و الجبهات ساكنة ..!!

في الماضي القريب كان هناك تدافع بين المسلمين، فاقد بلا شك لأدبيات الحوار العلمي ولقوانين النقاش والجدال، ومحمل بشدة بعاطفة الانتساب، ومشحون بمصطلحات السجال، لكنه كان موجودا يسمح إلى حد ما بإشعاع بعض الحقائق التي تعمل عملها في حياة الناس.

كانت هناك حركة علمية، عليها ما عليها لأنها كانت في الحقيقة أشبه بالحرب وبالصراع على التجنيد لكن مع ذلك تصارعت فيها المذاهب، وكان للحقيقة منفذ إلى الوجود، و للناس إمكانية لفهم الأمور والتحسن باعتناق الأصوب مباشرة أو بتحسين مواقفهم كرد فعل على قوة طرح المخالف.

اليوم جمد كل فريق في مكانه بعد أن حفر خنادق جبهته، و أصبحنا على الاتفاق الضمني :سبني من على سطح بيتكم، وأسبك من على سطح بيتنا..!

لا يوجد أمر بالمعروف ونهي عن المنكر، لا العملي ولا العلمي، نمر على مظاهر سيئة، أو نعيش بقربها دون أن نحرك ساكنا؟!

لا يوجد أدنى تفاعل علمي إيجابي، قد رضي كل طرف بغنيمته، وكل واحد مشغول بجماعته، لا يوجد تواصل بين الضفتين..!

لذا نحن في مرحلة انتكاسة؛ في تقهقر إلى الوراء؛ نقدم دليل صدق لأطروحة العلمانية بأن موجة التدين (الشبابي) التي شهدها العالم الإسلامي ليست إلا رد فعل على الحداثة..!

كان من المفروض بعد مرحلة الجدال العقيم والسجال الحربي، والتي لم تخل فصولها من دعوة بينة ومحاولات حقيقية لاحتضان المخالف وإقناعه بضرورة التسليم إلى الحجة وحدها من خلال مراجعة المصطلح، وتتبع تاريخ المقالات وأسبابها الموضوعية و مصادرها وإقامة العذر العلمي أن نمر إلى مرحلة الحوار الرصين والهادئ، فإذا بنا ننتقل إلى شيء آخر، هو جمود كل طرف عند خطوطه، والاكتفاء بقصف مدفعي فوضوي عن بعد!

العلم كالرأي هو كذلك اعتقاد لكنه اعتقاد يمكن أن ندافع عنه بحجة سمعية تفسرها ضرورة عقلية فما العلم إلا معرفة الحكم وعلته وأما وضع البطاقات (étiquette)الحكمية على الأقوال والأفعال دون حوار وتدافع البرهان مع الشبهة فهو انتكاسة وجهل مركب بحقيقة الرسالة النبوية.

معرض الكتاب!!

لطالب العلم المحترف :

أولا :إذا أردت أن تتعلم فاعلم أنه في كل علم توجد مفاهيم مركزية؛ هدفك الأول بعد

التعرف على هذا العلم نشأته وتاريخه وأعلامه ومسائله هو السيطرة عليها.
ثانيا :في كل العلوم يوجد تداخل بين المعجمي والفلسفي أو العقلي ؛بين الذهني والواقعي.
ثالثا :في كل مذهب يوجد ازدواجية مصادر المفهوم؛ ومشكل في وحدة التصور.
لهذه الأسباب قلما يخلو كلام العلماء والفلاسفة من فجوة ترسب (إلا القليل)
رابعا :إن لم يكن يومك من 10 إلى 15 ساعة فلا تطمع أن تنتج شيئا مميزا؛ ستكون مثل الآخرين: تكرر الموجود من قبلك وقد تزيده ضبابية!
إنسان اليوم أكثر من إنسان الغد (أو أقل) لأن أفكاره تسبق واقعه؛ لأنه دائما في بحث عن تحسين ظروفه، و نفسه،و بطريق أولى فهمه وعلمه وعمله.
طبيعة الإنسان أن يتجاوز نفسه وإلا شابه الحيوان؛فإما يتقدم وإما يتأخر،لا يمكنه الثبات على حال.
لذا عليك أن تجد اللذة في التعب، والمتعة في مصابرة صعوبة القراءة والبحث.
الخلاصة :أي قراءة لا تأخذ بالحسبان النقاط الثلاثة الأولى ستكون مملوءة بالفجوات النظرية والمنهجية

كيف تقرأ لمن يشرح المتقدمين؟
(مذاهب المتقدمين عند المتأخرين)
بعض العلماء أو الفلاسفة نتج عن فكرهم مذاهب مختلفة وأحيانا متناقضة لأنهم لم يتموا نقدهم العلمي، ولم يأتوا بنظرية مكتملة فقام أتباعهم بمنهج الاستلهام بسد الفجوة وتكميل نقدهم للعلوم.
ومن هنا خرج من رحم فكرهم مذاهب متباعدة!
لكن العلماء و الفلاسفة الذين قاموا بتأسيس نظريات كاملة ومنظومة معرفية صارمة كاملة لا يكون تعدد وتعارض المذاهب المستلهمة منهم إلا بسبب سوء فهم الأتباع!
لذلك عندما تقرأ لمن يشرح مذهبهم عليك أن تقبض على نقطة الأصل ونقطة الرسو عند أتباعهم، بالتعرف على المميزات التصورية وتقييم صلتها (اتساقها) العلمية و دراسة تنوع ما ينسب إليهم والدفاع المعاصر عنهم.
بهذا تقف على الأخطاء الابستمية وتنجو بإذن الله من الفوضى السارية الآن.

الأحمق المفيد..!
مصطلح لينيني يعني شخصا يخدم مخططات معارضة لتطلعاته؛ يضفر (ينسج) الحبل الذي سيشنق به!
لا يجب أخذ الكلمة في الدرجة الأولى لأن هذا الشخص قد يكون ذكيا نابغة لكنه تم اقتحام وعيه،أو استغفال يقظته ،وتوظيف ضعفه النفسي.
قد يكون معارضا زائفا، وقد يكون حقيقيا يقدم ذريعة للقضاء على الفكرة؛بحسب خصائصه إن كانت عقلانية أو عاطفية يستخدم!
سواء هذا أو ذاك فهو يؤسس السلبي على الإيجابي بالأفكار المرقعة وأنصاف المفاهيم ،لكن الزائف يعرف أين يتوقف في التحليل والنقد، بينما الحقيقي يلقي ظلال مضماراته ومطلقاته على واقعه.
دور "الأحمق المفيد" أو "المثقف تحت الطلب" هو احتلال مساحة الفكرة الحية عندما يُعجز عن الالتفاف عليها.
تلك هي غالب الرموز الإعلامية التي تتقيأ بها الشاشات أو أحاديث الناس، وما بين الأنواع أنواع..!
قد يثبت الرجل الحق مجملا ويحاربه مفصلا..!

التراجع مرة أخرى..
أصبح العلم مهددا بالعقلية الفيسبوكية التي ليست في الحقيقة تنوعا في المواقف العلمية ولكن مجرد تحويل العلم إلى مواد فرجة!
لم تعد البديهة قادرة أن تسمع نفسها فالسخافة تدور بين الصفحات كما لو كانت آراء علمية صحيحة!
أصبح كلام المهرج الذي يكتب على صفحته أي شيء مشاركا في تمييز الخير والشر، الحق والباطل، ما يجب وما لا يجب.
المشكل أن الاذابة العامة للتصنيف العلمي للأحكام الذي غرقت فيه
أوروبا تحت فلسفة النسبية نخر العقل الإسلامي نفسه وصدق على غالبيتنا قول النبي صلى الله عليه وسلم "إعجاب كل ذي رأي برأيه" يعني بصورة ما "تصبح الحقيقة ما

نريدها أن تكون"!

أخلاق ومنهج الموضوعية و الحياد الأخلاقي و النزاهة العقلية أصبحت مسخرة لأن كل الآراء يراد لها أن تسطح بمحو الحدود العلمية بين المعلومة المجردة والفرجة.

أصبح النقاش العلمي فرجة فيسبوكية بين خزعبلات جاهل وطالب علم حقيقي.

هذه الحال التي نراها في صغار طلبة العلم الشرعي من الاعتناء بشكليات العلوم وإعلان وجدانياتهم ودفع العلم إلى الأسلوب الأدبي تلقينا وتعبيرا، مع المقاربة الوعظية للشريعة المبنية على الاعتقاد بأنها حق دون العلم بأنها حق(التقليد ليس علما) يدل على تراجع العقل الإسلامي وأننا دخلنا في فترة انحطاط ثانية ،وبالتالي انتهى دوره. الباب الآن مفتوح أمام بروز تيار جديد إلى الواجهة المعرفية تتجاوز كل الموجودين مع الاحتفاظ بالجوهر ،قراءة منهجية جديدة تهندس الجسم المعرفي الإسلامي ،و تزاوج بين البعد التاريخي و النفسي والاجتماعي لصياغة رؤية سياسية.

المقلِد (بالكسر) ليس هو المقلَد لأنه ليس نظيره؛ولا هو مساهم معه في العبقرية حتى يكون المثل هو الآخر بالظهور.!

التقليد كعملية ذهنية ؟

دائما التقليد هو نسخة سيئة عن الأصل بمعنى أن القول الأول لا يمكنه الاحتفاظ باصالته في النسخة ؛ ذلك

أنه حالة ذهنية لا تقبل التجزئة (ليس التبعيض)فإما العقل مهيأ لاكتساب التصور وإما عاجز فاللوجوء إليه لحاجة ليس لعجز التصور ولكن لشح المعلومة أو لضيق الوقت؛ و هذا غير تأصيله مطلقا ؛والحكم مسبقا بالعجز؛ فهذا أمر عجيب جدا!!

حقيقة التقليد المطلق أنه تمثل لقول دون علميته فالمقلد يعيد إنتاج قول أنتجته ذات الإمام العارفة ضمن معطيات معينة توسعت عند المقلد لكنه أهملها.

المقلد يرضى ذاته فقط فلا معنى للقول العلمي إلا بالقناعة الاجتهادية.

في التقليد مصلحة تعليمية فعلى المقلد أن يدرس القول لكن لا يقتصر على تقليده دون أن يسبر سائر الأقوال الأخرى فالتوقف عنده على أنه الأصح مضاد للعلمية.

والتقليد هنا إجراء تعليمي للقول ليس لعلميته المطلقة.

أستاذية التفكير؟

الاتباع قد يراد به أخذ القول بدليله لكن بصورة مفتوحة على كل الأقوال وليس محصورة في شخص واحد كما في التقليد، وإن كان مصطلح "التقليد" مضاد للعلم إذ يعني أخذ القول بدون دليل على الأقل بدون فهم سببية الدليل بمعناه الاستقصائي الشامل الممكن.

بعد ذلك التقليد بمفهوم التأصيل المذهبي يعني البقاء ضمن قول واحد و نصرته بالافتراض المسبق أنه الأصح! فهو يناقش الأدلة الأخرى لكن لتكلف بيان صحة القول المقلد وليس بحثا حياديا عن الأصوب؛ هو مفارقة عقلية!

ثانيا :اتخاذ شخص كنموذج تفكير لا كمصدر العلم الجاهز المعلب هو شيء آخر غير التقليد المذهبي.

فهذا الشخص النموذج هو سائق المركبة وليس قائدها؛مرافق يمثل طريقة تفكير؛ وظيفته كأستاذ موجه لمراجعة أصول الأقوال والمبادئ العلمية.

ممكن أن يكون عبقريا يلهمنا ونستفيد منه مقاربة عقلية بدون أن يغلق علينا بقية الطرق، وبدون أن يفرض علينا نظرة أحادية لأنه مناقش للمقالات وليس مقررا بالدرجة الأولى للمذاهب. منطلق منهجه أن لا يحجر علينا بمنطق المذهب ولكن يلزمنا بمنطق الدليل الأقوى لأنه لا يعتقد فقط الاحقية بل يعلمها ويدلل عليها فاتحا النقاش إلى أقصاه بدون مصادرة.

هو منارة ترشد إلى شيء آخر وليس إلى نفسه، ترشد إلى مصدر التلقي المشترك وتبحث ما مدى موضوعية

و علمية القواعد المتبعة للتعامل مع مصادر التلقي المشتركة.

كل الأئمة هم أساتذة تفكير علمي عند المتبع لأنه حفظ لهم هذه الوظيفة، في حين فصل المقلد بين هذه الصفة (الآلة العلمية) ومنتجها المحكوم بذاتيات كثيرة.

كل الأئمة المؤصلين أساتذة تفكير في فنهم وليسوا أنبياء فنهم، وكل واحد منهم و ما رزقه الله من توفيق.

الاتباع يدور بين الحقيقة والدعوى، وهو كذلك معرض للنسبية.

مهزلة العقل الإسلامي بعد إخفاقات [الإسلام السياسي].!

كل ما نراه حاليا يشير إلى أنه لا يمكن أن نصنع بالموجود الحالي مستقبل الأمة!
لقد حولت السياسة الإسلاميين إلى عوام بمميزات مظهرية وعقول نقابية
(syndicale)!
كلما اصطدم الإسلاميون بواقع سقطت منهم قطعة، ولأن المفهوم كان عائما في الإجمال والضبابية فيما يخص رؤية العصر الحضارية: السياسية والاجتماعية والمعرفية فنحن أمام عقل إسلامي طائفي بالمعنى السلبي للكلمة، موضوعيا لا يمكن أن ينحجر في مجال ويتحرر في آخر!
لذلك صرنا نرى حاليا :إسلامي إنساني! إسلامي حداثي! إسلامي علماني! إسلامي قومي! .. حتى في المجال الفلسفي دخلنا في ثنائيات :مادي /مثالي ،عقلاني /تجريبي.. الخ.
هذا لأن المشكل يكمن في ضبابية الرؤية المستقبلية و إجمالية المفاهيم.
يشبه الإسلامي في تضعضعه المعرفي أمام الواقع :الرجل الذي دخل المسجد و لما أساء إليه بعض المصلين قرر ترك الصلاة كلية!!
أسأل :ما وسائلك العلمية الأصلية وليس الفقهية التي تحدد بها تموضعك في الخريطة المعرفية وعلى أساسها تختار مسار عقلك ونقطة ارتكازه المعرفي ونقطة رسوه في تحديات العصر في جميع المجالات؟
كيف لمن لا يملك وسائل أو أدوات النظر الشامل لتاريخه الكلي، لا يملك أدوات قراءة الواقع وتحليله ولا أدوات منهج إعادة ترتيب قضايا التراث بحسب حاجته الآن لأن التقدم في الشرف والاهمية لا يعني التقدم في الوجود بالضرورة، وبعد غربلتها أن يحدد خصائص عقله ويقرر هذا الاختيار أو ذاك؟!
أساتذة التفكير الإسلامي يبحثون جوهر الموضوع في كتب ومقالات لا تقرأ! لكن النقاش يقوم به عوام الفيسبوك وطلبة يعجنون هذه الموضوعات بأنصاف تصورات لغياب خريطة معرفية .
لذا الأحسن البحث عن النقاش النخبوي والعمل على تكوين النخب من الدرجة الأولى.

اللغة السوقية والتدليل الحشوي !

ليست القضية قضية علم ضد لا علم ،إذا كانت اللغة العلمية تقابلها لغة سوقية ، والتدليل العلمي يقابله التدليل الحشوي .
يوجد عند الناس تدليل اجتماعي عادي يمثله النقاش في الساحة العمومية والمقاهي والأسواق، وهو تدليل مرتبط بالنتيجة العملية:"بعت /اشتريت، زدني /أنقصتني" يكثر فيه الخطاب القضائي "اتهام /دفاع"،و هو تدليل جمع التناقضات في سلة واحدة مضبوطة على اختياراته ورغبته الشخصية.
في هذا النوع من التدليل نتكلم لنحدد مصلحتنا فقط، ونستعمل كما _يقول أهل المجال _شعارات من جنس "انتخبوا الحزب الفائز"!
في اللغة العلمية أوجه الخطاب بالدرجة الأولى لنفسي، لتنظيم فكري وتوسيعه وتعميقه وترتيب أفكاري؛ وليس للإقناع، لأن الإقناع قد يكون بوسائل باطلة، بأشباه أدلة، بمغالطات.
لذا أنا أبحث في الدرجة الثانية عن الإقناع لكن بالحق وحده
الكلام في العلم باللغة الاجتماعية العادية مموهة بمصطلحات علمية وأكثرها تصورات ساذجة مهملة للتعريف حيث الاطناب بالمضادات مثل: توظيف التشابه بين مصطلحين للقضاء على القدر المميز بينهما مثل "مقلد /متبع"!أو ضرب الفارق العلمي بالسلوك العامي لأن الحجة الحشوية تبحث دائما عن الارتكاز على واقعة تنسف بها المبدأ فلا تقابل تأصيل العلماء مع تأصيل علماء مخالفين ولكن بين تأصيل علماء و تمثلاته عند عوام أتباعهم.
لأنها لغة جدلية المقصد يكثر في القياس الذي تضربه لك الدخان! فتموه الفرق بين متبع ومجتهد مطلق مع أنها غارقة في النسبية السفسطائية فتجد الحجة الحشوية من جنس "أنا فاهم لأني فاهم" اللغة صحيحة ومنطقية الاستدلال عند قيام الساعة!
وأما اللغة السوقية و
هو أن أحدهم يناقشك بخائنة الأعين (الغمز) كما يفعل في السوق (أنت لست الشافعي !
التدليل الحشوي هو أن تستعمل حجة جزئية صحيحة لتمرر أشياء خاطئة، أو فكرة فاسدة مستغلا الانطباع بالحقيقة والبديهة الذي تشعه تلك الحجة اليتيمة.
الكلام باللغة العربية وتركيب مصطلحات علمية لا يخرج اللغة عن كونها سوقية

والتدليل عن كونه حشويا إذا كانت التصورات ناقصة ومخلص الكلام عبارة عن حشو ونافلة قول وحباك.

السوقي الحشوي هو الذي يعيد نفس الشيء ويناقش بمثل اصعد لأعلى وانزل لأسفل،وأين أنت ..!!

النقاش بالأسئلة أسلوب تعليمي بين أستاذ وطالب لا يصلح في التناظر، و المتكلم يثبت المفهوم ليس شرطا أن يبدع المفهوم.

العقول الفقهية..!

يتطلب التأصيل العلمي توليف الموقف النهائي، ما يستلزم درجة عالية من وحدة التفسير المقدم، والذي لا يتم إلا بالاتساق الفكري التصوري والمنهجي.

الغرض من هذه السلسلة من المنشورات حول" التقليد والاتباع، التقليد والاجتهاد" هو كشف الخلل الذهني في تكوين المفهوم، أو التدليل غير الموحد أو اللامتجانس، وإن شئت فقل :الانقطاع التصوري حيث يجد المؤصل _لوجوب التقليد والنافي لوجود اتباع مخالف للتقليد _عند انتقاله من مفهوم إلى آخر صعوبة في التموضع في قسمته الأصلية :"مجتهد /مقلد، متبع =مقلد" وأن مثليته هذه مستمدة من قول كلامي أطلق في مقابل قول المعتزلة "الجهل مماثل للعلم".

وعليه فإن جهة الفكرة غير قابلة للاستغلال لكنه مع ذلك يريد ابقاءها مشتعلة!

المقصود ببساطة: إثبات أن جهازه الفكري معطل، وأن أقواله عندما يتحدث عن القسمة الكلية مسخرة منطقية !

عقل الانحطاط..؟

السؤال: أي العقول كان سببا في الانحطاط الحضاري الإسلامي؛ ولابد أن يكون عقلا مؤثرا على السياسي ،فهل هو العقل الفلسفي العرفاني كما يقول الجابري، أم العقل الفلسفي المشائي، ام العقل الكلامي، أم العقل الفقهي؟

في ظني أنه العقل الذي صار مزيجا من بقايا عقل كلامي وخيال عرفاني و هو العقل الفقهي المذهبي المتأخر.

العقل الذي كان مسيطرا على العقل السياسي هو بالدرجة الأولى العقل الفقهي

المتأخر، وهو عقل طبقي جوهره عقل فقهي متأخر سطحي، ليس له عمق ،له خصائص جدلية بمعنى المضاربة في فراغ، يميل إلى التعقيد اللفظي للمفاهيم البسيطة، وفيه عناصر كلامية ميتة غير فعالة لأنها نسخ عن نسخ، وربما دخل في تكوين بعضه بقايا عرفانية خرافية (نقف لاحقا على خصائصه)

عندما ننظر في الحياة السياسية في عصور الضعف نجد هيمنة واضحة للعقل الفقهي على الحياة السياسية، وهذا العقل كان مزيجا من عقل كلامي في مستواه الأدنى ،أي عقل تقليدي فقد خصائص العقل الكلامي الأول كما فقد خصائص العقل الفقهي السلفي ،وصار مزيجا فقد القدوة على المضاربة المعرفية، وأقصد انه عقل عاجز عن التفكير في أفضل طريقة للتفكير، فإذا كان العقل تلك القدرة للظفر بالتمييز بين الحقيقة والخطأ، بالاعتماد على ذكائه الفطري، وإدراكه، وذاكرته ،مع القدرة على الانفصال عن نبض العاطفة؛ العقل الذي ينتج العلم لا يستنسخه، وينظم الأخلاق والسلوك الفردي والجماعي، ويضع العقل التقني في موضعه، يحد من أثره على العقيدة لكن يسمح له بممارسة وظيفته.

العقل الذي ينظم علاقته مع واقعه بنشاطه العملي و التصوراني.

نحن نعلم أن العقل الفقهي هو المشكل للعقل الاجتماعي لأنه أقرب العقول إلى الجمهور، وهو المشكل لوعيها الديني والديني، وهو العقل المؤطر للسياسي و الحامي له.

السؤال :هل كان للمسلمين منهج علمي في العلوم غير الدينية والذي أنتج الحضارة الإسلامية وأعطاها التفوق المادي، فما الذي وقع لهذا العقل ،وأي العقول قضى عليه... ؟

ربما كل العقول ساهمت في الانحطاط المعرفي والسياسي والاجتماعي لكن ما نسبة كل عقل، ومن هو العقل المهيمن في العصور المتأخرة، وما خصائصه؟

الخلاصة هي أن العقل الفقهي في الصورة المذهبية المتطرفة التي انتهى إليها، وهي صورة لاادرانية متجاهلة تجعل الحقائق تابعة للعقائد؛ وتصحح الأقوال المتناقضة موضوعيا لأنها مبنية على ما يشبه فكرة "ليس لله تعالى في نفس الأمر في نفس الأمر حكم معين يطلب بالاجتهاد في الحوادث التي ليس فيها نص قاطع عندهم"، وهو قول باطل شرعا وعقلا قال به فضلاء متكلمون أصوليون كان قصدهم صحيحا!

هذا العقل فقد نشاطه المتمثل في العقل التأملي الأستطرادي ، وأصبح عقل التدمير الذاتي، وبقياه فينا هي ما يمنعنا من بناء رؤية حضارية وسياسية جديدة تخرجنا من الوحل الذي نحن فيه.
قد يجيب هذا المنشور عن سؤال "خلل تكوين العقل العربي المعاصر"؟

الخطاب التعليمي..!
معلوم أن جوهر تكويننا العلمي تلقيني بواسطة الخطاب التعليمي.
وفي الغالب لا يحتفظ الخطاب التعليمي بنوع المقاربة أو المنهج الذي سلكه العالم (المفكر)، بل يفضل الخطاب التعليمي الوقوف على النتائج (الأحكام)!
لا يدعوك الخطاب التعليمي إلى معاودة اكتساب التصور كما حصل عند العالم(تقوم بنفس العملية فتراجع التعميم وقاعدة التصنيف عنده) ، فضلا عن تكوين تصورك الخاص.
يشكو الطلبة الذين يناقشون الرسائل العلمية أن لجان المناقشة لا تطالبهم بشرح تصوراتهم ولكن بذكر مرجعيات التصور!
لكن عندما يكون الشخص مشهورا لا يطلب منه إسناد التصور إلى مرجعية لأنه بالإعلام أصبح نبي التجريد!له حق إنشاء التصورات وغير المشهور ليس له إلا حق النقل!
ومعلوم أن الذي يحتاج إلى التوثيق هو النسبة لا الموضوع نفسه فلا يمكن أن أنسب حكما أو قضية إلى الشرع أو إلى طائفة بدون توثيق إلا ما كان من مسائل مصدرية العقل.
المشكل في التعليم عندنا سواء الديني أو غيره أنه لا يعلم التفكير وتملك المعرفة لأنه يعبد التجريد كافكار مفبركة مسبقا، والتجريد هو اختيار ما يمسكه العقل من الموضوعات التي توضع أمامنا، وبدون تكوين تصوراتنا الخاصة مع تحليل تصورات الغير لا يمكننا تفكير الأشياء؛ الكلام بالمعلومات غير الكلام بالتصورات.
ولهذا نعاني في قضية تحقيق التراث من النقيضين.
والفرق بين التجريد وبين المجرد هو كالفرق بين هندسة البيت والبيت ،والخطاب التعليمي يضع أمامنا البيت لا هندسته، ولهذا تجد الطالب لا يستطيع التنقل من

موضوع إلى موضوع دون انقطاع التصور ،لا يوجد تواصل علمي بين مختلف مستويات التفكير عنده؛ يستطيع أن يفكر في قضية في المستوى الفقهي لكنه لا يستطيع نقلها إلى المستوى الفلسفي أو السياسي أو الاجتماعي لأنه يناقش أو يفكر بصورة البيت لا بصورة هندسة البيت.

و لهذا نجد خللا عظيما عنده في فهم ماهية الاجتهاد ؛والفرق بين العلم والمعرفة، وإمكان العلم؛حتى إنه يجد راحة في التقليد ويعتبره علما على أصل المعتزلة "الجهل مماثل للعلم" بدون تفريق بين اعتقاد الشيء حقا إذا كان مطابقا للموجود وبين العلم بأنه حق.

المقصود أن هذا الخطاب التعليمي سمح بجمع التناقضات في رأس الطالب فتراه يسعى لتأصيل المسائل بالمرجعيات! مما يعني أنه إذا تداخلت عند طائفة متقدمة أبعاد كلامية ميتافزيقية مع أبعاد واقعية و فقهية شرعية لابد أن يستمر هذا التناقض إلى قيام الساعة..!

وإذا كان عاجزا عن فهم هندسة الفكرة عند المتقدم عليه فإن نقاشه بالفكرة طريق مسدود.

وهذا حال النظر في التراث عندنا ومن ثم حال النقاش العلمي؛الذي يمكن أن يكون بتصاوير صفحات الكتب!

المشكل عندنا في هيكلية العقل و الكلام بعد ذلك فرع عليه !

البدوية ..!

قال ابن خلدون :"... وليسوا بأهل نظر أيضا فأكثرهم[المالكية] أهل الغرب، وهم بادية غفل عن الصنائع إلا في الأقل"

ووصفهم القاضي عياض "بقلة استعمالهم النظر وقلة تحققهم به"

وقصة ابن الفضل النحوي مع تدريس أصول الفقه في بلاد المغرب معروفة...!

واستثنى ابن رشد الحفيد بلاد المغرب من المجهود الإسلامي في استنباط النظار الحجج في مسائل الخلاف.. فصل المقال.

وأما عن نفسيتهم فقال أبو بكر بن العربي في آرائه الكلامية :" فإن ظهر عندهم من له معرفة أو جاءهم بفائدة في الدين وطريقة من سلف صالحين وسرد عليهم البراهين

غمزوا جانبه وقبحوا عجائبه و عيبوا حقه استكبارا وعدوا وسعوا في إخماد ذكره وتحقير قدره و افتعلوا عليه و ردوا كل عظيمة إليه".
ولهذا نبغ منهم رجال لأنهم اتجهوا إلى الفلسفة و العلوم الانسانية لأنها بضاعة لها قيمتها عند غير المغاربة، في المسلمين وغيرهم؛ ومع ذلك لم يسلم من بداوتهم هؤلاء!!
ولهذا _أيضا _قامت فيهم من قديم الزمان الدول المتطرفة دول الخوارج والتشيع القرمطي؛ ولهذا _أيضا _تنفق فيهم الأفكار الحشوية البسيطة و الغالية كالمدخلية وغيرها.
وإذا تتبعت تراجم نوابغهم وجدت أن أكثرهم مات بالمشرق، ولا تزال إلى يومنا هذا بلاد المغرب طاردة للمواهب..!!
فكرة من عند الصديق؟؟

كتب أفلاطون "الجمهورية" بحثا عن أفضل قوانين المدينة ؛ثم قال لهم :"وطني في السماء"!
متطرفٌ أفلاطون ؟!

ساسة في الغمام.. !
بعض المترشحين تحت تأثير "ديمقراطية الآراء" مهموم بفكرة ضمان "نزاهة الانتخابات" كأن مصير الدول متوقف على "الاختيار الحر"! ليس الرئيس وحده من سيغير معادلة النهضة إذا لم تكن "التوازنات" متفقة على ذلك.
الشعب يختار لكنه لا يصنع السياسة؛ ليس جزءا من الجهاز ؛ يستدعى لأداء دوره الإجراءاتي لكن نهضة البلاد هي نتيجة رغبة الفاعلين، ليست نتيجة ضرورية لنزاهة الانتخابات(عندك نماذج كثيرة حواليك).
لذا فإن السياسي الحقيقي من يفاوض و يحاور الفاعلين على نقطة التقاء.
هذا؛ إذا كنت تسأل لماذا تملك أقليات سياسية نفوذا أو دورا، فلانها ذكية سياسيا.
قيمة السياسي ليست في شكل اختياره، ولا في نزاهته وحدها ،ولكن في كفاءته

ورؤيته، وخصوصا في قدرته على جر كل الفاعلين خلفه نحو هدف واحد وهو نهضة البلاد.
لذا فإن انتخاب الشعب خطوة مهمة لكن ما بعده هو دور الساسة

نحن والإنترنت..!

فكرة استفدتها من قراءتي الأخيرة:
عندما بدأ الإنترنت توجست منه الدول خيفة لأنها رأت فيه ثورة تكنولوجية ستوسع حرية التعبير ودمقرطة المعرفة وسيولة تنقلها، وسيصبح مكانا لتبادل المعرفة والإبداع الفكري، وبالتالي سيغير موازين القوى لأنه سيقضي على الهيمنة والتحكم في المعلومة...!
وبعد أن ذاع في الناس اكتشف المفكرون أنه في الحقيقة أقوى وسيلة لنشر وغرس الفوضوية في الوعي العميق.
لقد تبين أنه مشروع سياسي لراسمالية مفترسة ترى أن كل شيء هو بضاعة و منتج.
بالنسبة للشباب المسلم حوله الإنترنت إلى مثقف بدون قراءة علمية ؛مجادل بدلا عن باحث،ومعلوم أنهما لا يتكلمان نفس اللغة، وأن الباحث يراعي ما يسمى "استقبال الخطاب".
كما جعله يساهم في تعويم المعلومة الصحيحة في بحر من الإشاعات المعلومة أو المجهولة المصدر ، و في خنق الحقيقة العلمية بالتأويلات الجاهلة.
في الجانب السياسي نقل الإنترنت الفضاء العام الذي يشكل مكان النقاش السياسي وتواجه الآراء الواعية ونقد السلطة من العالم الاجتماعي إلى الرقمي المخفي،
فاكتشفنا أن الرأسمالية المعلوماتية لا تزال مهيمنة على الفضاء العام الرقمي عالميا ، وأن الإنترنت دخل محليا في استراتيجية الدول للتحكم في الفضاء العام وعودة إمبراطورية الدولة على النبضات الرقمية؛ يمكن أن نقول أنه غير نفسية رواده السياسية حيث حول الاحتجاج والاعتراض وربما الغضب إلى مرح وزهو بالفعل السياسي!
يعاني الإنسان المعاصر خاصة المسلم الذي فقد حسه النقدي من "عبادة التكنولوجية" هجر الكتاب لمختلف الشاشات ظنا منه أنها ستقدمه نحو الحرية فإذا به يقف على

العكس تماما، حيث صار رأيه الموضوعي مقموعا بمكر رقمي متعدد الأشكال.
... هذا لأن تقدم الآلة ليس تقدما للإنسان الذي يتقدم بعقله وما ينتجه من تصورات تخدم حقيقته، وليس بآلة متطورة يغلب فيها جانب التسلية على وظيفة إنتاج المعرفة.
في ظني لقد تم السيطرة بشكل كامل على وسائط التوصل الاجتماعي وتحويلها إلى "ملتقى فنانين" و ان المعرفة الحقيقية والنقاش العلمي عليه ان يعود إلى المواقع الإلكترونية المتخصصة.

معرض الكتاب..!

وإن لم يقدر لي زيارة المعرض هذه السنة إلا أن الله أكرمني بعدد من العناوين تناسب انشغالاتي هذه الأيام أذكر لكم منها اليوم كتاب "ابن تيمية وعصره" ؛وهو في الأصل أعمال مؤتمر بنفس العنوان عقد في جامعة برنستون أبريل ٢٠٠٥.
وكان الهدف منه الإجابة عن ثلاث أسئلة :
الأول :هل هناك منهج تيمي واضح المعالم وما هي خصائص هذا المنهج؟
الثاني :السياق التاريخي :الاجتماعي و السياسي لفكر ابن تيمية.
الثالث :صدى ابن تيمية في العصر الحديث.
يمثل الكتاب الاهتمام الغربي المتزايد بابن تيمية بعد الصورة النمطية التي تشكلت عنه في الغرب التي تصوره شخصا معاديا للعقل؛ بعد قول غولدزايهر "اعتمد على السنة دون ما عداها"؛ وبعد القراءة الخاطئة لبعض من انتسب إليه من المتشددين حيث زهدت الباحثين فيه.
نجد فيه مرجعيات غربية عديدة تناولت ابن تيمية بالترجمة وبدراسة جوانب من فكره.
خلصت أوراق البحث إلى ثلاث نتائج :
الأولى :مركزية العقل في فكر ابن تيمية العقدي والفقهي ما يمكن أن نسميه "عقلانية النقل"حيث دافع عن تماسك وعقلانية المادة العقدية.
(الكتاب شارك فيه عدة باحثين من جامعات غربية مرموقة وبعضهم مسلمين)
الثانية :مركزية منهج السلف في فكره وأنها سلفية متحررة حررته من أي انتماء مذهبي طائفي.

الثالثة :ضحد الصورة النمطية عنه بأنه متعصب حيث كشفت براغماتية واقعية في المسائل العملية.

ملاحظتي على الكتاب أن كتبته ليسوا فلاسفة بالمعنى الجذري لذا لا يرتقي النقاش إلى التصورات، بل هو وصفي والمقاربة مجملة؛ ومع سعة مؤلفات ابن تيمية واهتماماته العلمية اقروا بأنه لم يصدر لحد الآن عمل يليق بهذه الشخصية العلمية،وأن السلفية وحدها لا تعبر عن تميز المنهج التيمي.

فهناك مفاهيم تحتاج إلى المناقشة مثل :"الراديكالية" وهي مفهوم حداثي مبنى على النسبوية ؛وكذلك "البراجماتية" ومقصودهم :إقامة العذر للمخالف.

درس الباحثون أسباب الحرب التي شنت عليه وعلى أصحابه وأنها ليست إلا الرفض لحركية الإسلام..!!

هناك نقاط كثيرة تناولها الكتاب، وهي مهمة ومفيدة جدا مثل صراعه مع الحنابلة ومحدثي عصره، وأسباب انقلاب بعضهم عليه مثل ابن الزملكاني، وكيف أن فكره أسيء فهمه من قبل اتباعه وخصومه، واستخدم في غير سياقه، إضافة إلى مسائل علمية مهمة مثل المنهج القرآني العقلي وثيولوجيا السنة... الخ

هناك مجموعة نقاط نقد على الكتاب مثل مسألة قيام الحوادث التي تناولها جون هوفر بسطحية غريبة،واعتماد باحثة على رسائل منحولة.. الخ ربما اسخر لهذه النقاط مقالا خاصا في الأيام المقبلة إن شاء الله تعالى.

والخلاصة أن هؤلاء الغربيين فهموا في وريقات من كلام ابن تيمية ما لم يفهمه كثير من المسلمين في قرون.

الكتب التي وصلتني من المعرض هذه السنة :

١_القومية العربية الجذرية والإسلام السياسي منتجات متناقضة للحداثة للأستاذ الهواري عدي.

(يوجد على النيتوب لقاء معه حول هذا الكتاب) .

ملاحظاتي :فكرنة الحياة السياسية العربية خطأ أكاديمي وقع فيه الأستاذ لأن بعض الفاعلين جهلة ليس لهم ايديولوجية ولا فكر؛ فكرهم الوحيد هو :هذا يؤكل لنأخذه!

عدا هذا الكتاب جيد في تفسير أسباب انقلاب القومية العربية من الليبرالية إلى

اليسارية(ما يسميه القومية الشعبوية) ودور االعسكر في الحياة السياسية،سنخصص له مقالا تعريفيا بعد أن اقرأه لكني سمعت اللقاء الصحفي مع المؤلف.
٢_الفكر الفلسفي والعرفاني عند الشيخ محمود الشبستري(اهتمامي به هو لدراسة الغنوص الإيراني ووسائلهم في الجمع بين العرفان الأفلاطوني المحدث والمشائية)
٣_شرح ديوان عبد القادر الكيلاني وشيء من تصوفه(خاب أملي فيه المادة إنشائية)
٤_اللغة والمنطق دراسة في البناء والتأصيل لأبي بكر العزاوي (مغربي، هو مختصر تعليمي وليس نقاشا)
٥_قراءة جديدة لعلم المنطق وعلاقته بالميتافيزيقا عند ابن رشدللاستاذ رمضان بن منصور (تونسي؛ المادة مفيدة مع عودة الميتافزيقا بقوة مؤخرا ويمكن ربط نقاش عميق مع نقد ابن تيمية لميتافزيقية المنطق في أقسام الكلي وأنواع العلم الفلسفي ومبحث الماهية)
٦_كتاب المنطق التقليدي وغير التقليدي للأستاذ أسعد الجنابي(تعليمي بعيد عن ابستمولوجية وتاريخية الموضوع)
7_ما هي الميتافزيقا؛ عند أرمسترونج، كريبكي، لويس، ماك تغارت، روسل، وايتهيد؛ فريدريك ناف(بحسب المقدمة والفهرس يستحق العناية)
8_ابن تيمية وعصره(سبق التعريف به وسانزل ملخصا عنه مع بعض النقد؛ خاصة عن الحملة التي تعرض إليها ابن تيمية ومعالم منهجه)
9_مجلة المستقبل العربي عن موضوعات :أي مستقبل للوطن العربي؛ التشبيك في الوطن العربي؛ الحراك النسائي المغربي؛ دار الكفر ودار الإسلام بين السياسة والدين؛ الدولة الوطنية والمشروع التنموي.

كيف حفظت كتب ابن تيمية من حملة الحرق والمصادرة!

بعد وفاته رحمه الله كتب شهاب الدين بن مري رسالة إلى أصحابه(تلامذة ابن تيمية _ وكلهم شيوخ في العلم تفوقوا في فنونهم _ يحذر من انحسار كتب الشيخ وبالتالي علمه ومنهجه، حيث تحسر بشدة على عدم توفر نسخ لكتاب ابن تيمية "الرد على عقائد الفلاسفة" فاقترح عليهم خطة استراتيجية لجمع التراث تتمثل في : ترشيح ابن رشيق المالكي لجمع المؤلفات ونسخها [قال ابن كثير أنه كان أبصر بخط شيخ

الإسلام منه إذا عزب شيء منه على الشيخ استخرجه أبو عبد الله "البداية والنهاية"مقربا جدا منه، وقال ابن عبد الهادي بأنه هو من كان يكتب أعمال ابن تيمية ويجد في جمعها "العقود الدرية"]
ثم إذا جمعت المؤلفات عهد بها للأصلح من الجماعة [تلامذته] ليقابلها على نسخة الأصل، ثم يقوم المري وابن القيم بمراجعة أخيرة لهذا العمل وهذا لمنع أي تصحيف أو تغيير لبعض المعاني.
هذا الحرص الشديد على حفظ تراث ابن تيمية يدعو للدهشة والإعجاب لأن الأمر هنا لا يتعلق بتراث ابن تيمية فقط بقدر ما يتعلق باستمرار منهج السلف والطريقة السلفية.. كاترينا بوري؛ ابن تيمية وعصره، مصادر جديدة في ترجمة ابن تيمية.
في ظني لقد طبقوا الخطة بمساعدة بعض أتباع الشيخ وأصحابه من الأمراء المماليك(سيف الدين أرغون، وأمير دمشق كتبغا المنصوري، صلاح الدين يوسف التكريتي، سيف الدين البراق) مثل: سيف الدين قطلوبغا الفخري فإنه كان من الذين استردوا كتب ابن تيمية عقب وفاته كما ذكره ابن كثير.
لأنه بدون مثل هذه المساعدة كان من الصعب إنقاذ كتبه من حملة الكراهية والتعصب فقد كان كلما أدخل السجن تعرض أصحابه للمطاردة والمحاكمات والنفي والضغط عليهم بالعزل من المناصب وحتى السجن، فلقد كانت صحبته ومناصرته ولو بكلمة جالبة للمشاكل..!
رحمه الله ورحم أصحابه على ما بذلوه لحفظ تراثه، وكما قال غير واحد: أصبح الآن رغم كل الحرب عليه والتهميش في الحواضر العلمية، والاقتباس الأعمى من بعض جهلة أتباعه سلطة علمية دينية عالمية(يوسف ربوبورت وشهاب أحمد) ومن المفكرين المبدعين ممن كان لهم منهج منتظم في تاريخ الإسلام..وسواء أحببناه أم لم نحبه فإن ابن تيمية يبدو أكثر أهمية الآن من أي وقت مضى لأن القراءة الصحيحة لمدونته تهم مستقبل الإسلام وعلاقته مع غير المسلمين "فضل الرحمن".
نتحدث عن موقف المؤسسة الدينية منه في مقابل الشعبية الجماهيرية إذا وجدنا الوقت لذلك.

تعلم العقيدة..؟

إذا كان المقصود العقيدة الايجابية= العقيدة موثقة سندا ومؤسسة بأدلتها العقلية، والعقيدة [السلبية "] =نقد العقائدالمخالفة فلا توجد وصفة موحدة، بل تحتاج إلى شيخ يعرف موضوعه، تدرس عليه ثلاث سنوات كأقل تقدير مع كثافة القراءة.
وإذا اختلطت اليوم مباحث العقيدة بالفلسفة والمنطق فتحتاج أن تعرف أولا عقيدتك موثقة، وتتمكن من قوانين الاستدلال تاصيلا ونقدا ثم الإحاطة بالمفاهيم المركزية في الفلسفة وإلا فإن تصور القضايا العلمية غير حفظها.
لذا فإن الكتب التي تزعم وضع خطة أو منهج لتعلم هذه العلوم لن تزيدك إلا متاهة؛ فعليك أن تتبع إحساسك وحاجتك المعرفية، وفي كل مرة تفتح بابا كان مغلقا أمامك وتسترسل مع العلم فان بعضه ينزع لبعض.
ربما تنفع هذه المناهج بعض الناس لكنها بعيدة عن تكوين مفكر.

سقراط و ابن تيمية..!

عندما اتهم سقراط بمحاولة تغيير دين المدينة وتغيير عقيدة شبابها لم يرفض التهمة لكنه ناقش الدين الذي تدافع عنه المدينة ما أساسه العقلي؟ ثم رضي بالحكم بالإعدام بالسم لأنه كان يقول :لا يجب أن نحي بأي طريقة بل بالفضيلة والموت أفضل من الظلم.
عندما عقدت المحكمة لابن تيمية حول العقيدة الواسطية وطلب منه الاعتراف بأنها معتقد حنبلي رفض الاحتماء بالمذهب الحنبلي وقال: بل هي عقيدة السلف وما دل عليه الكتاب والسنة لأنه فضل الحقيقة التي اقتنع بها ودلل عليها على السلامة الشخصية.
وفي بعض المسائل قال :كنا على مذهب الآباء وكانوا على قول أهل البدع فلما عرفنا قول الكتاب والسنة تركنا مذهب الآباء.
أن تكون عالما عاملا شيء آخر غير العلم.

سلسلة "منهج ابن تيمية الفقهي" (01)

١_رفض ابن تيمية سلطة المذاهب على حساب سلطة الدليل، ومع توقيره للأئمة كان

يرى أن الآراء العقدية و الفقهية الصحيحة ليست حكرا على أحدهم، كما كان لا يعتبر مذهب المدرسة الفقهية دليلا فقهيا في حد ذاته لأنه ينبغي على المرء أن يدرس الدليل ليخلص إلى رأيه ما دام يملك أهلية النظر.
بالنسبة إليه مثلت المذهبية "طائفية الفقهاء" فلم يكن المذهب مجرد انتماء فكري فقهي، بل كان مؤسسة لربط علاقات اجتماعية ومهنية، يمثل هوية ايديولوجية جماعية لكل من انتسب إليه.
وجسد الجدل الفقهي داخل المذهب نفسه المنافسة على المزايا الدنيوية، ولهذا لا يلتزم أحيانا بهوية المذهب.
مع وجود تجاذبات داخله مثل الجدل الذي حدث داخل المذهب الشافعي بين الفقهاء المحدثين والفقهاء المتكلمين،فكان لابد من تقويض سلطة المدارس الفقهية السائدة من أجل حرية الاختيار الفقهي.
لم يرفض ابن تيمية التقليد مطلقا لكنه أنكر الفهم المتشدد للنصوص المخالف لفهم الصحابة،والورع المبالغ فيه، وثنائية الشريعة والحقيقة، والتي كانت المرض الذي أفرز أعراضا مثل "الحيل الفقهية" ، فلما كان هذا الفهم مخالفا لحاجات المسلمين دفعهم إلى التحايل.
سنعرف في هذه السلسلة أن منهج ابن تيمية الفقهي يقوم على أسس معرفية قوية مستمدة من العقيدة وعلى أسس اجتماعية شكلت واقعيته،كما في ملكية الأراضي وتنظيم الأسرة.
2_ هذه سلسلة مقالات لمقال كتبه "youssef rapoport " في "مؤتمر ابن تيمية وعصره" عن منهج ابن تيمية الفقهي؛ وهو مقال على قصره ثري في التعريف بالعقلانية الفقهية التيمية.
وقد استعان الكاتب للوصول إلى هذا الطرح بكتبة مثل عبد الحكيم المطرودي و جورج المقدسي، ووائل الحلاق و يحي ميشو و لاووست... الخ مع أنه لم يقف عند مفاهيم مركزية في المنهج الفقهي التيمي مثل :مفهوم السنة، مقام السكوت، ضوابط المصلحة،مراتب الأعمال، سد الذريعة... الخ
٣_المؤلف محاضر في قسم التاريخ في جامعة لندن"كوين ماري" من سنة ٢٠٠٨،درس في جامعة تل أبيب ثم برنستون.

تدور كتبه على الجانب الزراعي والقروي والاقتصادي والتشريعي في التاريخ الإسلامي الأوسط، مثل كتابه "الزواج والمال والطلاق في المجتمع الإسلامي في العصور الوسطى"
في مقال له نشرعلي موقع "middle east eye" تحت عنوان "هل من المعاداةللسامية التساؤل اذا ما كان لإسرائيل حق الوجود" بتاريخ 10/05/2016صرح أنه صهيوني لكن ليس بأي ثمن ،مطالبا بمساواة الحقوق لكل من يسكن فلسطين،و معارضا فكرة دولة يهودية على حساب الهويات الأخرى ،وأقر بحق العودة لستةملايين فلسطيني، و يرفض دولة إسرائيل في شكلها الحالي كما يستنكر التمييز ضدالفلسطنيين واحتلال أراضي اللاجئين.
ختم بأنه صهيوني يطالب بالعدالة والمساواة.
منذ أن اكتشف لاووست ابن تيمية انصب اهتمام الغربيين على الجانب العقدي والجدلي لديه لكن في السنوات الأخيرة شهدنا اهتماما متزايدا بفقه ابن تيمية في الأوساط الأكاديمية الغربية حيث ظهرت عدة دراسات حول إسهامات ابن تيمية في الفقه الإسلامي في أبواب العقود والحلف والشهادة والخروج و أحكام البغي[قادها تلميذ لاووست جورج المقدسي وقد كتبت منذ سنوات طويلة في موقع العربي مقالا عن تعليقه على كتاب أصول الفقه لابن عقيل "الواضح" ومشكلة الجدل الفقهي].
لا يختلف المنهج الفقهي التيمي عن المقاربة التيمية العقدية فالتفكير الفقهي عند ابن تيمية تحكمه جملة من المبادئ طبقها بشكل منهجي في كتاباته الفقهية ترتبط هذه المبادئ ارتباطا وثيقا بإطاره الفكري الواسع فقد نقل المبادئ العقدية إلى حقل الفقه في عملية تدل على وحدة نظرية المعرفة عنده والاتساق المنهجي.
تقوم أساسيات المنهج الفقهي التيمي على أربعة عناوين رئيسية :
الأول :عدم إمكان تعارض نصوص الوحي مع المعرفة العقلية؛ ونقل هذا المبدأ العقدي إلى النظرية الفقهية يشكل لديه أداة أساسية للعقلانية الفقهية حيث سينظم به قضية القياس المخالف للنص والمصلحة المرسلة والاستحسان بتحليل بديع؛ فما عارض نصوص الوحي كان فاسدا.
الثاني :تحجيم سلطة المذاهب الفقهية ولأصل الإجماع لصالح الاجتهاد المستقل من أجل تعدد الآراء الفقهية.

الثالث :البناء على "نية المكلف" في تصحيح العقود بغض النظر عن الصيغة ويطرد مبحث النية في العبادات.
الرابع :التفكير الفقهي التيمي تحكمه البراغماتية الواقعية فلم يكن ابن تيمية أبدا مثاليا متشددا [سافصل هذه القضية في مجالين :التدين والسياسة] فابن تيمية الفقيه يهتم بما يحتاجه المسلم العادي في حياته ومن هنا جاءت مخالفته لأغلب الفقهاء كما في طواف الحائض والمزارعة وزراعة الأرض المغصوبة.
هناك أصول أخرى ربما هي أدل على منهجه الفقهي مثل :مفهوم السنة؛ ومقام السكوت، ومراتب الأعمال الشرعية، والضرورة حيث يعالج المشكلة اللغوية ثم المضمون الواقعي سأضيفها إلى هذا المقال.
في المقال القادم "القياس الصحيح والعقلانية القرآنية"
الحداثي و أتباعه الذي لا يفرق بين الاستتابة والقتل لا يصدعنا فقد جليت المسألة في نقدي على عدنان إبراهيم.

الفلسفة عند المسلمين؟
المعروف عند المسلمين أن الفيلسوف هو الذي يعارض الوحي بعقله،أو يقول بما يقتضيه العقل وحده، ثم خص الاسم في المشائين أتباع أرسطو لأن غالبية الفلاسفة في المسلمين كانوا على مذهبه،ولهذا وجدنا الطعن بها في كتب التراجم حيث اتهم بها أحمد بن صالح المصري من قبل النسائي بسبب قضية عزة نفس، واتهم بها ابن حبان...!
وأما ما لحق ابن تيمية من بعض المحدثين والحنابلة الذين _بخلاف القرآن _ذموا جنس العقل وليس العقليات الفاسدة وحدها، ولم يلحظوا الفرق بين التحليل الفلسفي وبين اعتبار المفاهيم المستحدثة بالكتاب والسنة.
وأما الخصوم من المتكلمين وغيرهم فكانت أداة تشنيع وتهويل على عاداتهم في الجدل العقدي !
وكما قال ابن دقيق العيد: من لم يفهم قولا نسبه إلى الفلسفة او كما قال!
لكن في الحقيقة العلمية الفيلسوف هو محب(أو طالب) الحكمة، والحكمة هي: قول الحق وفعل الصواب،يعني :اسم جنس لمن يحب الحكمة.. ابن القيم ؛إغاثة اللهفان من

مصائد الشيطان.؛ بتصرف يسير..
فالمعتبر صوابية القول والفعل وموافقه للوحي أو مخالفته.
لقد حدث هذا المشكل عندما تغلغل التصور الكلامي الفلسفي إلى علماء الشريعة فالفيلسوف والمتكلم هو من يقسم الدليل إلى شرعي وعقلي بينما القسمة الصحيحة هو أن يقسم إلى شرعي وبدعي، والشرعي إلى نقلي وعقلي.
وهكذا قد تجد محدثا يدافع عن تصور فلسفي كلامي دون وعي..!

هذه السلسلة التيمية من المنشورات المقصود منها مشاركتكم ما أظن أنه فائدة علمية في كتاب "ابن تيمية وعصره" وفي نفس الوقت هي نقد لما أراه مخالفا للحقيقة.
ستكون سلسلة خاصة بمنهجه الفقهي و تأثيره في المسلمين؛ كنت أنوي إلحاق منهجه في التفسير لكني لا أملك الوقت للبقاء على الفيسبوك مدة زايدة على ما قررته.
مع علمي أننا دخلنا مرحلة ركود علمي وضعنا في متاهات السياسة لأن المعادلة التي تحكم السياسة في العالم الإسلامي لا يعرفها كثير من الناس؛ ومن يعرفها لا يعرف كيف نتجاوزها!

التأثير التيمي في المسلمين (الجزء الأول)
قلت في المقال الذي خصصته للتعريف بكتاب "ابن تيمية وعصره" أن كتبته ليسوا من الفلاسفة بالمعنى الجذري للكلمة فهم ما بين مؤرخ ومدرس للحضارة الإسلامية، لهذا نجد أن بعض المقالات التي تضمنها فيها استقراء وإن كان ناقصا، لكن تشعر بعمل عقلي ومنهج فكري في التحليل، في حين أن أخرى خالية من معالجة التصورات و أسلوبها سردي سطحي على قاعدة الاتحادية "الموجود مراد محبوب" ! مثل المقال الذي كتبه الأستاذ خالد الرويهب تحت عنوان" من ابن حجر الهيثمي إلى خير الدين الألوسي "وهو أستاذ مساعد في تاريخ الفكر الإسلامي في "هارفرد" يشتغل على تاريخ المنطق (بحسب الترجمة الموجزة له في مقدمة الكتاب) .
قبل الاسترسال مع قضية التأثير التيمي في المسلمين أحب أن أناقش منهجيته :

لقد حوى مقاله معلومات تاريخية مهمة، وفيه بعض التوجيه، لكنه ينقل من الكتب بدون تحرير محتوى المنقول في العمق، ولا يتتبع تاريخية المصطلح، ومن هنا كانت أجزاء من مقاله بعيدة عن الوقوف على السبب الحقيقي.
كما أنه يقابل بين المجمل والمفصل مثل مقابلته بين كلام الهيثمي الانشائي العاطفي المذهبي و كلام الآلوسي العلمي النقاشي، و إن اعترف بأن هذا الثاني يتكلم عن علم بكتب ابن تيمية!
والرجل فيه ميل واضح للمتكلمين، ربما بسبب خلفيته وغلبة صناعة الأخبار على قوته الفلسفية لهذا يبالغ في تأويل موقف كل عالم صوفي أو أشعري مدح ابن تيمية أو دافع عنه بأسلوب حشوي، فمثلا يبحث في عقيدة هذا العالم عن شيء يخالف فيه ابن تيمية ليقلل من أثر ابن تيمية عليه؛ وهذا نظر حشوي لأنه لا يشترط في إثبات التأثير الموافقة في كل شيء، المهم أنه استمد منه فكرة أقام عليها منهجه الاصلاحي العلمي أو العملي.
كذلك من حشويته أنه يعتقد بأنه إذا ذكر كتاب في مرجع ما مثل كتب الطبقات أو التراجم فهذا يعني أن تلك الفكرة التي تضمنها هذا الكتاب لم يقض عليها وأنها لازالت حية والعكس صحيح. (ص 352عندما يتحدث عن الركوي وص 346مع الكوراني) و معلوم أن الحقائق العلمية لا تحاكم بمثل هذا المعيار، وأن الأفكار لها قوة وضعف بحسب حال الازمنة.
ربما يرجع هذا إلى ضعفه الشديد في العقائد و الأصول الشرعية؟!
لقد حاول جاهدا التقليل من تأثير ابن تيمية في الحقبة التي درسها واقتصر على نفي تأثيره على غياب ذكره في مدة خمسة قرون دون أن يقدم لنا السبب الحقيقي المتمثل في التعصب والمواقف اللاأخلاقية، ومع اعترافه بعودته بداية من القرن السابع عشر لم يفسر لنا سر هذه العودة، وكيف أن حركات صوفية في العراق وتركيا انتهجت طريقه؟
ثم لا بد من الوقوف عند نقطتين مهمتين لم ينتبه إليها تشكلان مغالطة المقال ؛سبب الأولى هو الخلط بين المذهب الفقهي والمذهب العقدي، وهي المتعلقة بمصطلح "أهل السنة" فلكي تنسب جماعة إلى طائفة لابد أن تحرر خصائص هذه الطائفة، وأين يلتقي معها المنسوب إليها يعني :المشترك والمميز،فلا يمكن أن ننسب شخصا إلى

الشيعة أو الخوارج لمجرد موافقته لهم في قضية إذا لم يقل بخصائص هذا المذهب أو ذاك.
أهل السنة في العرف الفقهي :من يقابل الشيعة في قضية الإمامة، وتفصيلا (في الأصول) من يقول بأن مصدر التلقي عنده هو الكتاب والسنة والاجتماع.
وبهذا المعنى في الفقه نجد أن أهل السنة دائرة كبيرة تجمع كثيرا من الطوائف والمذاهب الكلامية والصوفية لكن في باب العقائد هناك قسم كبير من هذه الطوائف لا تعتبر الوحي مصدرا للتلقي بل العقل.
واذا جئنا إلى التبسيط قلنا :لا شك أن أهل السنة هم االائمة الأربعة واقرانهم من العلماء وسلفهم، وهنا يلزمك لتقول: أنا على عقيدة هؤلاء أن تنتسب إليهم لا الى غيرهم ممن جاء بعدهم، وأن لا تخالف منهجهم بالتوثيق وليس بالادعاء؛ فكيف يكون رجل على عقيدتهم إذا قال: عقيدتهم أسلم وعقيدتنا أحكم؛ وأنهم كانوا مشغولين بالجهاد ، فينسب إليهم الجهل ثم يتناقض وينسب عقيدته إليهم..؟!
لهذا لزم ضرورة أن نميز بين السنة العامة والسنة الخاصة،وعلى هذا عندما يقول الرويهب: غالبية علماء السنة كان مخالفا لابن تيمية فإنه يقصد السنة العامة التي يدخل فيها الأشاعرة والماتريدية ،وحتما لا يقصد أهل الحديث إذ كل عقيدة ابن تيمية هي دفاع عن معتقدهم، وكل توثيقاته من كتبهم.
وإذا علمنا أن سلفية ابن تيمية تقوم جوهريا على السلف وعقيدة أهل الحديث بما فيهم الأئمة الأربعة لا يضره أن يخالفه غيره لكن بدون أن تصادر اسم أهل السنة لجماعة المتكلمين فكتب السنة التي حوت عقائدهم ليست الكتب الكلامية، وزملاؤك في المؤتمر يقولون بخلاف قولك فمحمد سعيد أوزرفالي يتحدث عن المنهج القرآني العقلي عند ابن تيمية، ورشا العمري تتحدث عن ثيولوجيا السنة عند ابن تيمية، وليفنت هولتزمان عن استعماله وابن القيم للحديث في الكتب العقدية.. ؟!
لا يجب أن نمنع الناس من انتحال السنة ولكن يجب أن نبين لهم أين خالفوا السنة؛ وعليه أين اعترض المتكلمون على ابن تيمية بمخالفته السنة ؛أم العكس الذي حصل؟!
وكل ما عندهم هو دعوى الإجماع الوهمي ومخالفة عقلانية المشائين.
يقودنا هذا إلى النقطة الثانية التي اعتمد عليها الرويهب في تحليله، وهي عدم اعتماد كتب ابن تيمية في المدارس الإسلامية في الحقبة العثمانية، وهذا شي يجعلني ابتسم إذ

كيف يتوقع من الأشاعرة تدريس كتب ابن تيمية كأنه يطالبهم بضحد عقيدتهم؛ فهل درس الأشاعرة كتب مخالفيهم؟! وهل خلت كتبهم في المقالات من التهويل و التشنيع على المخالف؟وليس هذا خاصا بهم بل يوجد عند كل الطوائف.
ثم العجيب أنه يقابل بين تدريسهم كتب التفتازاني المتكلم المتفلسف الأشعري وعدم تدريسهم كتب ابن تيمية خصمهم!!
عندما يستعرض كتب الطبقات والأثبات فيجد ذكرا للفتوحات المكية وكتب الأشاعرة ولا يجد كتب ابن تيمية فاي حقيقة علمية يمكن استنباطها سوى العصبية المذهبية والسوقية الفكرية عند بعض العلماء، كما هو الحال مع قضية المنطق سجنتهم العصبية حتى تخلفوا عن الأمم، قال الشيخ مصطفى عبد الرزاق :لو أن الدراسات المنطقية سارت منذ عهد ابن تيمية على منهاجه في النقد بدل الشرح والتفريع و التعمق لبلغنا بهذه الدراسات من التجديد والرقي مبلغا عظيما.
المشكل عند الرويهب أنه اعتمد على شخصيات علمية ضعيفة في أصول الدين وبعضها ثبت عنها الاضطراب النفسي والكلام بالكراهية والمبالغة في العداوة لا أريد تجريحهم تفصيلا فإن النقاش العلمي يكفي لضحد أقوالهم.
مثال على محاولة الرويهب التقليل من قوة الموقف التيمي يتمثل في الترويج لدعم بعض العلماء الممارسات المنتشرة والتي تعارض الأحاديث الصحيحة؛ وهو مثال يقرب لنا مفهومه لأهل السنة؛ قال ص :359 :مسألة كتابة الأسماء على القبور والتي جاء النص على منعها في حديث ولكن الفقهاء الذين رأوا جواز ذلك ردوا بأن الحديث ليس له إلزام فقهي لأن "أئمة المسلمين من الشرق إلى الغرب مكتوب على قبورهم فهو عمل أخذ به الخلف عن السلف" (جلال الدين السيوطي؛ شرح سنن النسائي ٨٧/٤)
ينقل الرويهب دون أن يعمل عقله في المنقول؛ فهو لا يعرف أولا مراتب الائمة و لا قواعد أصول الاستنباط؛ ومن هنا يقارن ابن تيمية بعلماء دونه فهما وعلما فأولا عن أي سلف يتحدث السيوطي وقبور الصحابة والتابعين وتابعيهم موجودة مشاهدة وهي بدون كتابة على الشواهد؟!
ثانيا :كيف نعطل النص الشرعي بعمل المتأخرين المخالف لعمل السلف؟!
ثالثا :كيف لا يكون للحديث إلزام فقهي ونحن مأمورون شرعا بالأخذ به؛ فكيف نعمل

بخلاف النص؟!
ثم يواصل فيقول :كذلك لم يعمل ابن عابدين بالحديث الذي منع تجصيص القبور.. وبناء القباب عليها وأعمل الحديث الآخر والذي فيه أن ما رآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن (رد المحتار ٣/١٩٧(
هنا تبرز لنا الإشكالية المتعلقة بالعقلانية الفقهية المذهبية فكيف يقول الرسول هذا حرام وتقول الأمة المزعومة عند ابن عابدين بلى هو حلال، بمعنى كيف يرى النبي صلى الله عليه وسلم شيئا سيئا وتراه الأمة حسنا؟!
وكيف يعارض العالم نصا خاصا بنص عام و بخلاف سياقه فإن قوله "ما رأه المسلمون" هو تعميم يعني عامة المسلمين وليس فئة منهم، ولم يزل في العلماء من ينكر هذا العمل فكيف نزعم أن جميع المسلمين رأوا هذا العمل حسنا ؛ هذه دعوى كاذبة.
ومن باب التعنت ينقل قول الهيثمي أنه حتى لو قال النبي صلى الله عليه وسلم صراحة "لا تزوروا قبري "فإنه من الواجب أن نؤول هذا القول وذلك لمخالفته إجماع الأمة في جواز زيارة القبور ؟
بغض النظر عن مسألة الزيارة والايهام الذي يقع فيها بين مطلق الزيارة وشد الرحال إليها فإن الحديث الذي استشهد به الهيثمي عام والحديث المفترض خاص، والخاص يقيد العام في الصورة المعنية مع بقاء العام على عمومه في بقية الصور أو الأفراد.
يبدو أن الأستاذ لم يقف على مشكلة الإجماع وأنه في الغالب دعوى تهويل بدون اساس، وهو منهج كلامي فكيف تجمع الأمة على خلاف قول نبيها..؟! وهو القائل لا تجتمع أمتي على ضلالة.
ما لم يفهمه الدكتور هو أنه ليس كل خلاف يدل على خطأ المخالف فالحكم هو النص وليس آراء العلماء، واذا أردت الموازنة فلا تنقل مذهب شخص من عند خصومه لتضفي الشرعية على خصومة أمثال الهيثمي لابن تيمية!
سنعاين هنا أن كل الإصلاحيين تاثروا بابن تيمية حتى الصوفية الاتحادية والاشعرية والماتريدية، كما سنكشف شهادة أهل المذاهب المخاصمة له بأنها هولت عليه ونسبت إليه ما لم يصح عنه، وأن الاشاعة والتهويل هي غالب ما حوته الانتقادات له، وحتى من حاول أن يكون علميا كالاخميمي افترض مذهبا من رأسه وراح يرد عليه.

وقد يبحث الإنسان في تراثنا عند المتأخرين عن نقد موضوعي سالم من التشنيع و التهويل و لا يجده...!
إلى الجزء الثاني إن شاء الله تعالى.

كيف تتحرر من نعرات الكتب؟

نقل ابن حجر في الدرر الكاملة (1/215) عن سليمان صدر الدين الشافعي أنه قال:" كنت إذا سمعت شخصا يقول أخطأ النووي اعتقد انه كفر"!
وانقل أن أبا بكر القالوسي كان متعصبا لسيبويه وذكر قصته فقال: ورد أبو بكر القالوسي على القاضي أبي عمرو _وكان شديد المهابة _ فتكلم في مسألة في العربية نقلها عن سيبويه فقال له القاضي: أخطأ سيبويه ! فكاد يجن ،ولم يقدر على جوابه لمكان منصبه، فجعل يدور في المسجد ودموعه تنحدر وهو يقول: أخطأ من خطَّأه ،ولا يزيد عليها !".
وهذا يذكرنا بصنيع صاحب تفسير" البحر المحيط "!
استغل بعض العلماء الغث والسمين الموجود في كتب التراجم والطبقات مثل من اتهموا باتباع المردان او شرب الخمر.. الخ في نقاشاتهم العلمية دون سبر الروايات والتحقيق فيها بالنظر في منطقية المنقول ومقابلته بموقف الأئمة المعروفين بتقوى الباطن وتحري الصواب، والنظر في مادة العلماء من كتبهم.
وهذا الأسلوب المتمثل في في تحويل النقاش عن المضامين العلمية إلى محاولة التأثير على القارئ بذكر مثالب مفبركة تنضح به كتب التراث في المتأخرين.
فمن لم ينتبه إلى هذا حرم علما غزيرا وقضى حياته في الوهم،فمنطلق كل خطوة علمية هو التساؤل، تساؤل من نوع خاص، والإجابة عن هذه الأسئلة يكون بقيادة العقل لا العاطفة التي يدخل فيها دعم المثالب المستخرجة بالمبالغة في اللوازم أو روايتها بدون تحقق فأنا أعرف أن بعض العلماء كان مختل العقل حتى أصيب بالجنون وبعضهم كان يعاني من مس الشياطين وبتحليل بسيكولوجي سريع لكلامهم تدرك اضطراباتهم النفسية مثل ازدواجية القطب وغيرها، وبعضهم يظهر جليا من تعارض مواقفه أنه كان حريصا على المنصب خاضعا لضغط سلطة المذاهب،

وبعضهم سعى في قتل عالم آخر ليأخذ منصبه في القضاء إلى غير ذلك مما له أثر على القارئ
لذا عليك أن تركز النظر على الدليل وحده مع اليقين أن الدليل الصحيح يقبله العقلاء الذين لهم نفس هذا المنهج.
وكونك على مذهب معين لا يحررك من أخلاقية الخلاف واحرص على الصوابية "الحقيقة" مع أخلاقية الخلاف.
و الإسلام ذو طبيعة حوارية لأن العلم نفسه ذو طبيعة حوارية والإسلام دين العلم والعقل المفكر، ولا يمكن للعلم أن يكون أوامر عسكرية أو أن يصاغ في لغة سوقية كما نجده عند بعض متعصبة المذاهب والطوائف لتنافر الطبيعتين.
يطبع الجو العلمي الإسلامي من قرون طويلة ربما من بداية المائة الثالثة النعرات والبغي في الاختيارات العلمية مع استخدام وسائل لا أخلاقية للاغتيال الأدبي للشخصيات العلمية ؛نعم وجد أفاضل عقلاء من كل الطوائف قال ابن القيم: إذا ظفرت بواحد منهم فذاك يوم سعدك..!
سانزل المنشورات متتابعة لأني استعجل الفراغ منها فقد .

التأثير التيمي في المسلمين (الجزء الثاني)

قبل العصر الحديث و دخول آلة الطبع واهتمام المستشرقين بالتراث الإسلامي كان العلم تحت قبضة الزوايا والمدارس المذهبية تحتكر المخطوطات و تحجر على العقول، بحيث أن الاستئثار بالمخطوطات يجعل من يملك مخطوطا في أصول الفقه يتندر على أهل منطقته و يبدو فيهم كعلامة زمانه!
وعلى هذا كلما أعمل عالم عقله في كتب مخالفي مذهبه وتحرر من الشبه الملقنة وملك قوة شخصية إلا وجد الحقائق مغايرة لما هو مشهور في مذهبه، فهذا إبراهيم الكوراني الكردي نزيل المدينة (1690م)وهو فقيه شافعي وصوفي من أتباع ابن عربي ذكر في ثبته(الأمم لايقاظ الهمم ص:100) بعض أعمال ابن تيمية وابن القيم من جملة الكتب التي كانت تدرس؟!
وفسر تلميذه الفقيه المغربي عبد الله العياشي (1680م) بأن سوالا في العقيدة وجه لشيخه فذكر أنه بسبب تمسك الحنابلة بظواهر الكتاب والسنة حكم بتضليل شيخ

الإسلام ابن تيمية و أتباعه كابن القيم معاصروه من الشافعية كالسبكيين وغيرهم، وتحاملوا عليه ونسبوه إلى العظائم، وقد أجاد شيخنا بالفحص.. ولم يقلد أهل مذهبه من الشافعية... و أخذ هو في الفحص عن رسائل الشيخ ابن تيمية و أصحابه "الرحلة العياشي" (1/399) .
ثم يقول :" قال لي : لما أمعنت النظر في رسائل القوم و مصنفاتهم وجدتهم برآء من كثير مما رموهم به أصحابنا الشافعية من التجسيم و التشبيه، و إنما القوم متمسكون بمذاهب كبراء المحدثين كما هو معروف من حال إمامهم
رضي الله عنه" .
ونفس الشيء انتبه إليه محمد عبده مع فتنته بالعقلانية الغربية و قول ارنست رينان بأن الدرس العقدي المسلم قد دخل فترة ركود طويلة فيما بعد الغزالي، وهي معاينة لا تصح إلا تصح على الدرس الأشعري، قال في تعليقه على" شرح الدواني للعقائد العضدية" عن ابن تيمية "إذ أنه عادة ما ينسب له ما لم يقله".
مشكلة العقلية العصبية في المسلمين أنهم حين القراءة لا يميزون بين الدليل العلمي والدليل الخطابي الذي يعتمد البلاغة وليس المنطقية، لجهل غالبيتنا بشروط الاستدلال ولهذا قال ابن تيمية في "الفتاوى الكبرى" (6/88) :"فان كثيرا ممن يسمع كلمات العلماء الغليظة قد لا يعرف مخرجها ،وكثيرا من الناس يروونها رواية متشف متعصب".
كذلك تأثر العالم الهندي ولي الله الدهلوي (1762م)بابن تيمية وهو صوفي نقشبندي كما أشار إليه بالجون في كتابه عنه ص200.
والقول بأن سبب المزج بين ابن تيمية وابن عربي عند الكوراني والدهلوي سببه عدم اطلاعهما على نقد ابن تيمية لابن عربي فمنهج داعر، إذ النقد الذي وجهه ابن تيمية للاتحادية والحلولية لا يكاد يخلو منه كتاب من كتبه، وهذا ما لم يفهمه الرويهب على عادة متعصبة الطوائف والمذاهب، وهو أن العلماء يمكن أن تجمعهم فكرة مشتركة مع قدرتهم على تجاوز الحدود الرقابية التي تفرضها عليهم السلطة المذهبية، وقد وجد هؤلاء عند ابن تيمية مادة الإصلاح الديني.
ثم هناك سبب آخر وهو أن كثيرا ممن يعظم ابن عربي لا يدرك عمق فلسفته، و معلوم أن ابن عربي كان ظاهري في المذهب الفقهي، معارضا للمذهبية الفقهية

والكلامية بشهادة الأستاذ نفسه.
وممن تأثروا بابن تيمية العالم التركي محمد البركوي (1573م) فأسس حركة قاضي زادة، ونسبت له رسالة " زيارة القبور) لها عنوان آخر" زيارة القبور الشرعية والشركية "تنسب أحيانا لسينان يوسف أماسي (1591م)أو إلى أحمد رومي اخيساري (1631م)يقول الرويهب أنها مستمدة من" إغاثة اللهفان "لابن القيم بحسب ما نقله عن رودولف ماخ، وهذا يدل على تأثير ابن تيمية في الصوفية والماتريدية الأتراك.
نقل الرويهب أن البركاوي قال في كتابه" الطريقة المحمدية" بأن دراسة علم الكلام و المنطق هو واجب كفائي على الأمة، وهو يبحث هنا عن تقليل التأثير التيمي على الماتريدية لكنه لم يفلح بسبب ضعفه في هذا الباب فاضاف "وهو رأي لا يوافقه فيه ابن تيمية"، ونسب إلى الزبيدي في "اتحاف السادة المتقين" أن ابن القيم رد ردا عنيفا على من قال بأن دراسة المنطق هو فرض كفاية. ومعلوم أن السلفية بداية من أئمة السلف إلى آخر واحد منهم يحرمون دراسة علم الكلام والمنطق على عامة الناس، وموقفهم من هذين العلمين مشهور لا يجهله أحد لذلك فإن قول البركوي في غاية الانسجام مع الموقف التيمي، فهو فرض كفاية وليس طلبا للحق فيهما ولكن لرد باطلهما،فذم السلف للكلام المحدث متفق عليه،ونقض ابن تيمية للمنطق شامة في الفكر الإسلامي.
ربما مصدر خطأ الأستاذ المصدر الاستشراقي الذي نقل عنه الذي لم يميز بين الموقف التيمي من العقل الضروري والعقل الفلسفي الكلامي.
وهنا نقطة تحتاج إلى تجلية كنت قد أشرت إليها منذ سنوات طويلة تخص مشارب السلفية الجزائرية و أطوارها التاريخية بناء على بحث قام به الشيخ المهدي البوعبدلي رحمه الله مفاده أن السلفية تسربت إلى الجزائر في القرن الثامن الهجري، في نفس فترة شيخ الإسلام ابن تيمية عن طريق الفقيه أبي الحسن الصغير الزرويلي (توفي 720هجرية)الذي كان شعاره" محاربة البدع كيفما كانت وكيفما كان دعاتها" وناصره الحافظ ابو عبد الله محمد بن مرزوق.
كان الزرويلي قاضي مدينة فاس معارضا للصوفية مهاجما للبدع ،وكتب ابن مرزوق ضد قاسم العقباني التلمساني الصوفي رسالة" النصح الخالص في الرد على مدعي

رتبة الكامل الناقص".
وكان في الفريق الآخر عبد الرحمن الثعالبي ومحمد بن يوسف السنوسي، وشارك في المعركة الشاطبي و الطرطوشي وكثير من علماء الجزائر والمغرب.
وقد تناولت هذه المعركة نقد شخصيات صوفية كبيرة مثل الغزالي والمحاسبي والقشيري، ثم ظهرت بعد قرون في نواحي بجاية على يد زروق الفاسي شيخ الأخضري
الذي حاول تمييز التصوف السني عن التصوف البدعي فكتب "قواعد التصوف" و"كتاب البدع" ثم استتنأنفها العالم الليبي الأصل الجزائري المسكن محمد بن علي الخروبي والشيخ عبد الرحمان الأخضري صاحب الأرجوزة المشهورة المطبوعة مع فتاوى ابن الصلاح والتي تفيض بذم البدع الصوفية وتدعو إلى الكتاب والسنة؛ وقد بينت هناك أن السلفية قسمان :سلفية أهل الحديث وهي سلفية في أصول الدين العلمية والعملية، وسلفية أشعرية وماتريدية، وهي سلفية في أصول الدين العملية فقط، وذكرت أمثلة كثيرة عن علماء أشاعرة ذموا انحرافات التصوف وتعظيم القبور، ودعوا إلى الاعتصام بالكتاب والسنة وغير ذلك مما هو مشهور في الخطاب السلفي.
أقول هذا لأن الأستاذ الرويهب يريد التقليل من التأثير التيمي بابراز نقاط الاختلاف بين ابن تيمية والعالم المتاثر به ،ومعلوم أن تلامذة ابن تيمية أنفسهم يتفاوتون في التأثر به، وهذا أمر طبيعي.
والمقصود إثبات الحضور التيمي داخل المدرسة الكلامية الأشعرية والماتريدية والمدرسة الصوفية.
إلى الجزء الثالث إن شاء الله تعالى.. عن التأثير التيمي في اليمن والعراق وغيرهما،ونقد محمود الآلوسي للشافعية بخصوص السنة !!

التأثير التيمي في المسلمين (الجزء الثالث)

ظهر التأثير التيمي في اليمن من خلال مجموعة من العلماء تأثروا بآراء ابن تيمية أمثال :محمد بن الوزير (1436م)و صالح المقبلي(1696م)و محمد بن اسماعيل الأنصاري الأمير(1768م)و محمد الشوكاني (1834م)فقد وافقوه على الموقف من علم الكلام والمنطق ووحدة الوجود وتقديس الأولياء والقبور ورفض فكرة الانتماء

إلى مذهب فقهي معين(برنارد هايكل؛ الإحياء والإصلاح في الإسلام، 76/108الرويهب).
وعرف عن الصنعاني والشوكاني تقديرها البالغ لفكر ابن تيمية وابن القيم؛ كما ثبت اطلاعهما على بعض مؤلفاته، وقد وجدنا الشوكاني في "البدر الطالع" يرد على ابن جماعة واصحابه ويمنع المقارنة بين علم ابن تيمية وبعض من ذكروه مستعملا عبارة تسخيف حينما قال :"لا يأتي علمه على ظفر رجل ابن تيمية" أو قريبا من هذا المعنى.
ومما أعاد اكتشاف ابن تيمية كتاب "جلاء العينين في محاكمة الاحمدين" الذي كتبه خير الدين الآلوسي) 1899م)خصصه للرد على الهيثمي ابن حجر و أبان فيه عن قوة علمية في مقابل أقوال مرسلة اتكأ عليها الهيثمي وكشف الفرق بين من يعود إلى المصدر ومن ينقل عن غيره!
في هذه الفترة ظهرت في جنوب العراق حركة سلفية وصفها ابن سند البصري) 1827م)بأنها سلفية واعتبرها امتدادا لحركة الشيخ محمد عبد الوهاب؛ وفي هذه المرحلة كتب العالم البغدادي على السويدي) 1822م)رسالة مهمة في العقيدة هي "العقد الثمين في مسائل الدين" أفاضت بالمواقف السلفية.
في هذا الوقت شرع الشيخ الصوفي النقشبندي الكردي خالد الشهرزوري) 1827م)في حشد الأنصار بين علماء العراق من أجل حركة إصلاحية رفضت مبتافزيقيات ابن عربي ومقاومة البدع الشائعة في الناس(بطرس أبو مانح؛ السلفية و صحوة الخالدية في بغداد، 354/361الرويهب).
كما رفضوا التفسيرات المجازية لنصوص الصفات متخذين في ذلك مذهب السلف.
وقد واجهت الحركة السلفية مقاومة من العلماء الشافعية حتى قال محمود الآلوسي واصفا فقيها شافعيا معاصرا له :"قاصر الباع في مذهب السلف كما شأن سائر المنتسبين للشافعي" المسك الأذفر ؛ص ٣٩١.
من المعلوم أن علم كلام الصفاتية نشأ في أحضان المذهب الشافعي ولهذا وجدنا الشيرازي في "التبصرة" يميز بين الشافعية والاشعرية، وإذا تتبعنا كتب الكلام سنجد أن معظم علماء الكلام كانوا يجهلون مذهب السلف وعمدتهم في ذلك كتب المقالات والتي من أحسنها "مقالات الإسلاميين" لأبي الحسن الأشعري ومع ذلك لم يحرر

مذهب السلف، ولم يكن يعرفه، وبعض المقالات السلفية التي عرفها فبالواسطة وينسب إليهم أحيانا مقالات بالظن.

ولهذا نفهم موقف الآلوسي عندما صادف علماء بدون تكوين صحيح مجرد مقلدة بدون تمييز حتى وصفهم قائلا :"كثير من الطلاب عارين عن الاطلاع على تفصيل الأدلة من السنة والكتاب ولم يميزوا القشر من اللباب" جلاء العينين ص٢).

والضربة القاضية التي تلقاها الهيثمي من الآلوسي هو أن هذا الأخير كان مطلعا على بعض كتب ابن تيمية فسهل عليه نسف ما رماه به الهيثمي إضافة إلى اطلاعه على كتب السفاريني الذي استمد كثيرا من ابن تيمية، وكذلك ما كتبه الكوراني والدهلوي فاستعان بهذه الكتب لضحد مهاترات الهيثمي وإثبات أن معتقد ابن تيمية هو معتقد السلف.

وقد أشار محمود الآلوسي في كتابه "غرائب الاغتراب ص:٣٨٨)إلى نقاش وقع بينه وبين حكمت عارف في اسطنبول حول ابن تيمية، ورد عليه التهم التي وجهها لابن تيمية ثم ذكر أن حكمت عارف له ميل إلى مذهب السلف في الآيات المتشابهات!

وربما كان هناك تأثير للشوكاني بحسب الأستاذ الرويهب من خلال تلميذ تلاميذه صديق بن حسن القنوجي شيخ ابنه خير الدين الآلوسي فكانت الفكرة الأساسية لهذه الحركة العلمية الإصلاحية هي أن الاعتماد على القرآن والسنة هو السبيل لتطهير العقيدة والفقه مما لصق بهما من بدع متأخرة مثل :تعظيم القبور والفلسفة والمنطق؛ وهذه فكرة تيمية بامتياز.

كما استفاد الآلوسي من العقد الثمين لعلي السويدي وبدون شك كان لدفاع الآلوسي عن ابن تيمية أثره على شخصيات علمية إصلاحية محورية في سوريا والعراق أمثال جمال الدين القاسمي ومحمد رشيد رضا الذي تعقب شيخه محمد عبده في رسالة التوحيد قائلا :"فات المؤلف أن يذكر في هذه الخلاصة التاريخية أنه بعد أن استفحل سلطان الأشعرية في القرون الوسطى وضعف أهل الحديث متبعو السلف، ظهر في القرن الثامن المجدد العظيم شيخ الإسلام أحمد تقي الدين بن تيمية، الذي لم يأت الزمان له بنظير في الجمع بين العلوم النقلية و العقلية وقوة الحجة، فنصر مذهب السلف على المذاهب الكلامية كلها ببرهاني العقل والنقل، وقد أحيت مصر والهند كتبه وكتب تلميذه الأكبر العلامة ابن القيم بعد أن كان الاهتداء بهما محصورا في بلاد

نجد، وهي الآن تعم الشرق والغرب، وستكون عمدة جميع مسلمي الأرض "ص:٦٧؛هامش ٢.

في الأخير ردا على معايير الأستاذ الرويهب أقول :راجت المذاهب الكلامية التلفيقية التي حاولت التوفيق بين موقف أهل الحديث وموقف المعتزلة وقد كانت مقربة للسلاطين نتيجة السند الذي كانت تقدمه إليهم وربما لانتماء بعض كبار الفقهاء إليها ومن ثم استولت بالقرار السياسي على القضاء والمدارس العلمية ومن ثم روجت في الوسط الشعبي عقيدتها وفي بعض البلاد كالغرب الإسلامي فرض مذهبها بقرار سياسي ولم يكن اختيارا حرا من الناس ثم تتعاقب الأجيال ويصبح معتقدا لأهل البلد!!

فيما يخص التأثير التيمي في الغرب الإسلامي فمعروف من خلال الحركات السلفية في هذه البلاد،وهذا ما لم يعرج عليه الأستاذ الرويهب وكذلك التأثير في الهند وشرق آسيا.

الواقعية السياسية في كتب السياسة الشرعية.. ؟

ذكرت الأستاذة منى حسان في مقالها المعنون ب"فهم الفكر السياسي لابن تيمية"بداية من الصفحة ٣٩٤من "ابن تيمية وعصره" أن الغربيين يسمون كتب السياسة الشرعية التي هي نصائح للحكام"مرآة الأمراء" يعني أن الأمير يرى في النصيحة نفسه فيصلحها.

وقد ذكرت أن مثل هذه الكتب لا تبحث فيها" مؤسسة الحكم" بل أحسن سبل للحكم.

وهذا صحيح فكلام ابن تيمية في مجلد" الخلافة والملك" ضمن المجموع، وفي "منهاج السنة" كلام سياسي تأصيلي حيث يتحدث عن تنصيب الحاكم وطرق الاختيار وحكم أشكال الدولة، وموقفه من الإمامة والبيعة. .. الخ بينما في "السياسة الشرعية" نجد الاهتمام بالجانب التطبيقي للحكم بغض النظر عن النظري،ما يمكن أن نسميه ترشيدالحكم.

ولهذا نقلت الأستاذة عن لامبتون من كتابه "مرايا الأمراء الإسلامية" أن كتبة كتب السياسة الشرعية لم يكونوا مهتمين بالجانب النظري للحكم بقدر ما كانوا مهتمين بالجانب التطبيقي.. لهذا لم يكونوا يهتمون بالتبرير للدولة ولكن كانوا مهتمين بالحاجة إلى تعديل آثار أعمالها حسب ما يمليه الظرف؛ مهتمين أشد الاهتمام بالعدل، وكان

الهدف من كتبهم إرشاد المجتمع للطريق الأمثل.
يمكن اعتبار أعمالهم بمثابة احتجاج على المظالم التي كانت منتشرة في المجتمع وفشل المجتمع في بلوغ الغاية المثلى، تمثل هذه الكتب وصفة لعلاج الشرور السياسية.
يفرق لامبتون تفريقا يراه فاصلا بين كتاب السياسة الشرعية أدب النصيحة" وبين الفقهاء والفلاسفة في المجتمع الإسلامي" وعلى هذا الطريق فندت باتريشيا كرون نسبة الجزء الثاني من نصيحة الملوك" إلى الغزالي، والجزء الأول الذي تصح نسبته إليه" ينبغي تصنيفه ضمن "تحية الأمراء" وليس "مرآة الأمراء" التي تعنى بالجوانب العملية و الأخلاقية لأنظمة الحكم.
نصيحة الغزالي بغض النظر عن نسبتها إليه عبارة عن كيفية الوصول إلى الحكم.
هذا الذي أشارت إليه منى حسان نجده بالفعل عندهذا الصنف من العلماء لا يبحثون ما نسميه القضايا الدستورية ولكن الإجراءات العملية لإيصال الحقوق إلى أهلها وإقامةالدين، لا يغرقون في التنظير الدستوري الذي يبحثه الفقهاء في مظانه وعلى هذا الأساس تعاملوا مع ولاية المتغلب و أشكال الحكم.
واذا كان لنا أن نستفيد من هذه الملاحظة والتي سأتكلم عنها في منشور "الواقعية والمثالية عند ابن تيمية" هو أن الجمود على القضايا الدستورية مضيعة لأنها منعدمة لشروطها المادية وأن تركيز السياسة لدى المعارضة على الجانب التطبيقي أقرب لتحصيل نتيجة ملموسة ورد بعض الغبن عن الشعب.
بالنسبة إلى الأستاذة منى حسان وسع ابن تيمية مدى ما نسميه أدب النصيحة "في أمور الدولة حيث أدخل في السياسة" الشرعية بطانة الحاكم.
هناك نقطة تتعلق بموقف ابن تيمية من الخلافة، فقد استنبط لاووست من موقف ابن تيمية ضد مفهوم الإمامة عند الشيعة أنه تخلى عنها، وتبع لاووست على هذا الاستنباط كثير من الغربيين على أنه تخلي عن فكرة الخلافة و أنها غير ضرورية ،وعارضه بعض المفكرين المسلمين.
وهنا يجب أن نفصل بين الخلافة كحكم واحد لجميع المسلمين والخلافة كشكل لنظام الحكم يتعلق بشكل اختيار الحاكم وهو ما يسميه "خلافة النبوة".
لا أظن أن ابن تيمية غاب عنه أن الخلافة قوضت بعد خروج الخوارج وقيام دولة

الامويين في الأندلس من المائة الثانية ثم قيام الدول في الشرق والغرب، و مابقي منها كان رسميا لا أثر له في الواقع، مع سيطرت المذاهب العقدية على الرأي السياسي للناس؛ ولم يكن ليفوته أنها فكرة صعبة الإنجاز في ظل الظروف المتغيرة الثقافية والاجتماعية، لكن لا مانع من تجمع أقاليم ومناطق تحت حكم واحد.
القضية تحتاج إلى بحث معمق والموضوع شيق لكنه متعب لأنه يتطلب استعراض كل الفهوم الممكنة لفكر ابن تيمية السياسي لذا نرجي مناقشة الأستاذة إلى أيام أفضل.

الواقعية والمثالية التيمية ..؟!

يعاني المسلم خصوصا المعاصر من إكراهات الواقع وتعارضها مع النص، من وجوب امتثال الحقيقة العلمية النصية لكن في بيئة تنعدم فيها شروطها المادية، ما يسميه بعضهم "الواقعية والمثالية".
ونحن نعرف أن هناك اسبابا كثيرة مثل ضعف العلم وحدوث التأويل وتعقيدات علمية، و انفصال السياسي عن الشرعي.. الخ ولدت هذا التعارض.
هذه الأسباب تلبست بها الحقائق فجعلت بعض الواجبات الشرعية معجوزا عنها، وصار المسلم يعيش بالضرورة(والتي هي حكم استثنائي) و تتوق نفسه إلى الوصول إلى الحقيقة الشرعية المقصودة.
و المعضلة هنا في فهم دور النموذج الشرعي "المثالي" هل نترك التعامل مع الواقع حتى يتحقق هذا النموذج أم نتعامل مع الواقع دون السعي لتوفير شروط تحقيق النموذج المثالي.
هذه المعضلة عالجها ابن تيمية بما يسميه المعاصرون "البراغماتية العلمية" أو "الواقعية العملية".
نفس الأصل الذي أعمله ابن تيمية في الفقه و أصول الدين كمسالة التدين الشعبي أعمله في السياسة، و أقصد مراعاة شروط الواقع والسعي نحو النموذج "المثال"= إدراك الواقع الموجود وموازنة المصالح فيه مع المضرات، حيث أكد على وجوب مراعاة الإمكان العلمي والقدرة لدى الأمة في قاعدته المشهورة "بعث الأنبياء لتحقيق المصالح و تكمليها بحسب الممكن من العلم والقدرة، ودرء المفاسد وتقليلها بحسب الممكن من العلم و القدرة "؛ أو" نقل الناس من حال إلى أفضل منه بحسب علمهم

وقدرتهم".
بهذا نعرف أن المثالية ليس المقصود منها _دائما _الوصول إليها، لكنها علم وراية نسعى نحوها، وظيفتها تحديد الطريق والاتجاه، قد يتمكن بعض الناس في بعض الأمكنة أو بعض الأزمنة من تحقيقها.
فمثلا :النموذج السياسي المثالي، هو نظام خلافة النبوة(الشورى والاختيار الحر) الذي لا ينبغي على المسلمين التخلي عنه مع القدرة عليه؛ ولهذا يعترض على المبالغين في التقوى الذين يعزفون عن المشاركةالسياسية بحجة غياب النموذج الأمثل "خلافة النبوة" فينفرون من "مقارنةالفجار" مع وجود مصلحة الدين والناس في ذلك(مثل بعض فئات السلفية)فهؤلاء إنما يتركون واجبا وقتيا من أجل واجب مطلق! لكنه في نفس الوقت يذم التجاهل المتعمد للنموذج الأمثل.
وفي قاعدة "مراتب الأعمال الثلاث" في الدعوة والتغيير تطبيق لهذا المبدأ: التعامل مع الموجود ومعرفة عذر وجوده دون التنازل عن الأمثل والسعي للاقتراب منه.
كما نجده يعمل هذه القواعد في قضية "المولد النبوي" حيث يجمع بين الحقيقية العلمية التي تحكم بأنه بدعة وبين المقاصد الشريفة لمن يجيزه وما تضمنه من حاجات روحية للمسلم؛ وعلى هذا فإن الموقف المتعالي (الاقتصار على التنديد بأنه بدعة) ليس هو الطريق الأمثل، بل يجب توفير الحاجة الروحية للمسلم و ما تضمنته هذه الذكرى من مصالح، و نقله إلى الموقف المثالي برفع مستواه العلمي والعملي حتى لا يشعر بالحاجة إليه.
المهم أن تكون المقاربة جامعة ينظر فيها لأحد عناصر القضية العلمية ضمن علاقته ببقية عناصر الكل او المجموع مثل دراسة الموضوع ضمن أبعاده الاجتماعية و الحضارية أخذا بعين الاعتبار تحديات المسلم بعد العصور الفاضلة ومصادر تهديد الهوية الإسلامية.
الحمد لله فرغت جعبة هذا الشهر..

نصيحة في قراءة ابن تيمية..

يتفق من يقرأ لابن تيمية أن كتاباته غير منظمة لأنها في كثير من الأحيان ترد في شكل فتوى، وفي أحيان أخرى هي ردود، فيغيب عنها النسق الفني، ويكثر فيها

الإستطراد، مع استعماله أسلوب العودة حيث يبدأ الفكرة الأصلية ويتفرع إلى الأوجه المحتملة ثم يعود إليها ليستكشف علاقة أخرى لها، ولهذا ينقل البحث المنطقي من المستوى الذهني إلى المستوى النفسي، وينتقل من العقيدة إلى الفقه أو أصوله اويفعل العكس، وهذا قد فهمه المترجمون له حينما قالوا بأنه يتكلم على طريقة المفسرين.
لذلك يحتاج القارئ الذي يبحث عن النظام الفكري للرجل في القراءة الأولى أن يعيد هندسة ورسم مخطط المقال التيمي بجعل الإستطراد في الهامش، وجمع الأفكار المكررة إلى بعضها، ثم يقرأه مجددا حينئذ سيكتشف تعددية علمية ثرية ونظرا فلسفيا فريدا.
كذلك عليه أن يتجاوز لغته الحادة، والتي تغيب في تحقيقاته الكبرى، أو في مؤلفات التأصيل كالدرء، وهذه الحدة لها سببان :الأول :شخصية ابن تيمية الذي لم يكن له وقت للمجاملات والأحاديث الجانبية، وهذا منذ نشاته لأنه تربى في بيت علم وتقوى ووقار حتى أنه كان لا يلعب مع الأطفال مثله، وكانت همته كلها مصروفة لطلب العلم،ولا أعرف رجلا كانت لغته جادة إلى الحد الأقصى تشبه لغة الرياضيات مثله ولعله لذلك يحب بعض الناس القراءة لابن القيم لأن لغته أجمل وفيها الصور التعبيرية بينما لغة ابن تيمية لغة التصورات.
الثاني: أنه تعرض لحرب شعواء مست كل جوانب حياته حيث كان السجن بيته الأول، مع التكفير والتهديد بالقتل ومحاولات الاغتيال، واستعداء السلاطين عليه، مع التضييق اجتماعيا عليه بالضغط على المحيطين به ماديا ومعنويا وترهيبهم، فكان لابد لطبعه الآدمي أن يثور بشكل أو بآخر؛ ولعله لذلك كان يقول في مجالس المحاكمة التي كانت تعقد له :"للحرب كلام وللسلم كلام"
وسيكتشف القارئ الموضوعي في كتبه فترات سكينة وهدوء و أنه إذا جد الجد طغت عليه السماحة وتجاوز حدته ولغة الحرب والدفاع عن النفس، و أبحر في العلم المجرد عن الذاتيات وردود الفعل، كيف لا وهو الذي أصل العذر بقواعد علمية متينة لا نظير لها، والذي شمل فلاسفة الاغريق، وغيرهم، وسامح كل من تسبب له في الأذى لأن القاعدة عنده هي أن مصير الناس يتحدد في الدنيا والآخرة بموقفهم من النبوة،و أن الالتفات إلى قدح الناس قدح في التوحيد ولأن غالب من يفعل ذلك قد يقصد خيرا وهو الدفاع عما يعتقده صوابا وإن كانت الشريعة لا تقر هذه الأساليب اللاأخلاقية.

هذه الصعوبات التقنية وراء عزوف كثير من الناس عن قراءة كتبه إضافة إلى حملات الدعاية السلبية، فمن اتبع هذه النصيحة غاص في تراث الرجل وفتح لنفسه مجالات مبتكرة في دراسة الفكر الإسلامي؛ووجد عالما معتدلا وفكرا إسلاميا أصيلا ؛لكن هذا يخص شرفاء الرجال من أي جهة كانوا الذين تحرروا من سطوة الانتماء ولم تستعبدهم النعرات،وليس لهم غرض دنيوي من العلم.

منهج ابن تيمية الفقهي (02)

هل المشكل في التقليد المذهبي أم في التعصب المذهبي . ؟

يعتقد كثير من الناس أن موقف ابن تيمية من المذهبية الفقهية يخص مشكلة التعصب المذهبي وحدها ؛وهذا غير دقيق بل المشكل عنده هو التقليد وما التعصب إلا من أعراضه.

والمقصود بالتقليد هنا العلماء ،وليس لمجرد أنهم يقلدون بل لأن الاجتهاد يتجزأ فيمكنهم التقليد حيث يعجزون عن الاجتهاد لكن يمتنع أن يعجزون عن الاجتهاد في جميع المسائل، وحينئذ لا يجد أي عذر لمن يخالف اعتقاده لأجل اعتبار شكلي هو المذهب.

لا شك أن للتقليد ايجابيات فيما يخص العامة وبعض العلماء في حالات نسبية، وقد انتبه لهذا لكنه بخلاف غيره انتبه إلى آثاره السيئة على العقل الإسلامي وحركية العلوم والإصلاح، ولا ينكر عاقل دور التقليد في مشاكل العقل الإسلامي المعاصر المتخبط مع ذاته، والعاجز عن هضم تراثه و تحقيقه واستقبال العالم برسوخ معرفي.

الفكرة المركزية في منهج ابن تيمية العام فيما يخص الانتماء المذهبي في المجالات العلمية والسلوكية هي الاختيار الحر، والعلاقة المباشرة مع الكتاب والسنة.

وبطبيعةالحال هو يتحدث هنا عن العلماء ؛ يقول :"فمن جعل طريق أحد من العلماء او الفقهاء أو طريق أحد من العباد أو النساك أفضل من طريق الصحابة فهو مخطئ، ضال مبتدع".

وعندما يتحدث عن المذهب الذي نشأ فيه وقد كان خبيرا بكل الاختلافات الدقيقة داخله يظهر هذا التوجه رغم قوة إعجابه العلمي بالإمام أحمد، يقول :"من كان خبيرا بأصول أحمد ونصوصه عرف الراجح في مذهبه في عامة المسائل، و إن كان له

بصر بالأدلة الشرعية عرف الراجح في الشرع"
وهنا يجب أن نقف على قضية مهمة وهي أنه لم يرفض التقليد خاصة بالنسبة للعوام بل وحتى للعلماء مادام الواحد منهم لم يعلم بدليل المخالف، وهنا يستدعي الأصل في التكليف ويعممه، الأصل المتمثل في أن الله تعالى يكلف كل إنسان بما يقدر عليه؛
وهل يجعل هذا التمذهب واجبا؟ فهذا ما لا يوافق عليه لأنه أولا :آراء أئمة المذاهب ومن جاء بعدهم من الفقهاء إنما هي مجرد آراء وليست أدلة بذاتها، وقد آل الأمر بالكتابات الفقهية إلى الاقتصار على نقل آراء أئمة المذاهب دون ذكر الأدلة من الكتاب والسنة، ومع تحول المذاهب إلى "طائفية الفقهاء" بسبب التنافس الذي حدث بينها كان ولابد أن يتبع ذلك التعصب المذهبي، وهو مرض أنهك الأمة في الجمود، و أثر حتى على عملية تصحيح وتضعيف الحديث، وجلب التكلف في تأويل النصوص لصالح قول الإمام.
السبب الثاني وهو أعمق لأنه معرفي، هو أن الاجتهاد ليس أمرا واحدا لا يقبل التجزي، بل قد يكون الرجل مجتهدا في فن أو باب أو مسألة دون فن أو باب أو مسألة، وكل أحد فاجتهاده حسب وسعه، فإذا قلد فقيه في مسألة عجز عن الترجيح فيها فهذا لا اشكال عليه لكن ان يقلد في مسألة يقدر على الترجيح فيها ويتركه من أجل الانتماء المذهبي، فهذا يجعل العلم بدون قيمة، ويجعل التعلق بقول الإمام بغض النظر عن قيمته مقدما على التعلق بالحقيقة العلمية، وبدون شك يضطرنا هذا الوضع إلى تأصيل هذا الانحراف عما كان عليه السلف والأئمة أنفسهم، وحينئذ لا يمكننا إلا الاستعانة بأحد أنواع السفسطة المتمثل في القول بأن الحقائق تتبع العقائد، كما ناقش فيه الغزالي وبعض الشافعية والمالكية في تصويب المجتهدين.
وهذا المبدأ يقود مباشرة إلى النسبوية ومنها إلى اللاأدرانية من الدرجة الثانية كما قسمها ابن حزم، اللاأدرانية المذهبية التي تأتي بعد اللاأدرانية الملية.
بديهيا لا يجوز للفقيه ان يتبع رأيا مخالفا لما وصل إليه فكره، لا لشيء إلا لأن هذا الرأي مخالف لقول أمام المذهب... ؟!
لقد لمس ابن تيمية خلال حياته العلمية أن المذاهب الفقهية أصبحت طائفية الفقهاء، وأن سلطتها تجاوزت وظيفة التمذهب التي هي استجابة لوجود عجز عن الاجتهاد عند بعض العلماء _وهو في الحقيقة عجز نسبي_ إلى سجن للاجتهاد، و تعطيل

لحركية العلم، وهو ما نجد الإشارة إليه في رسالته "الخمسينية" ما يعني أنه في ظل سلطة المدارس الفقهية سيكون من الصعب نجاح حركة الإصلاح.
والمقصود هنا بالدرجة الأولى إصلاح العقول والمنهج المعرفي في جميع المجالات العقدية والفقهية والسلوكية فلابد من خطة علمية أصيلة أو من مراجعة بعض الأصول و إعادة ترتيبها للتقليل من هذا النفوذ المانع لحركية الإسلام، فقام بتأسيس أصل سلفي قديم همشته المذهبية والطائفية، هو جعل منهج السلف وليس أحكامهم معيار التحاكم العلمي، وقد أعفى هذا الأصل ابن تيمية من التقيد بأي انتماء آخر، وفتح عليه باب نقد الكل بما فيهم مذهبه الأصلي الفقهي و العقدي ؛الحنبالة والمحدثين ،و في أي مجال (نخصص له مقالا لاحقا) والأصل الثاني الذي سي يضعف به سلطة المذاهب هو مراجعة مفهوم الإجماع عند المتكلمين، و الذي صار معتمدا عند الفقهاء مثله مثل كثير من مفاهيم المتكلمين التي سيطرت على كتب أصول الفقه ومصطلح الحديث والبلاغة.. فإذا كسر هذا الباب ورد أصل الإجماع إلى حقيقته عند السلف، وكشف عن عدم واقعية هذا الطرح الكلامي الفقهي وما دخله من مغالطات وشبه وتنظير ذهني خالص سيضطر المخالف إلى النقاش بالأدلة وقبول الخلاف، والانكار في مسائل الخلاف، وبالتالي يجرده من سلاح التهويل بالإجماع والحكم بالكفر (وهذا كذلك سنخصص له مقالا)
الذي نخصص له الحديث اليوم ويمثل عبقرية ابن تيمية في جر المخالف إلى الحقيقة بمقدمات يسلم بها هو تلك الرسالة التي كتبها لهذه الغاية ،وظن الناس أنها لغاية أخرى هي "رفع الملام عن الأئمة الأعلام" إذ يوحي عنوانها أنها ترمي إلى تبرئة أئمة المذاهب الفقهية من أخطائهم المخالفة للنصوص الصحيحة، لكن غرضها الحقيقي كما أشار اليه مارك أنتوني(نقلا عن رابوبورت) هو التقليل من أهمية سلطة المذاهب الفقهية، فبعد أن افتتحها بالثناء على الائمة باعتبارهم من خيار الامةوورثة الأنبياء، ولهذا لا يتعمدون مخالفة النصوص، عطف على ذكر الأسباب العلمية التي تجعلهم يخطئون من غير قصد وهي أسباب موضوعية، يوافق عليها كل عاقل(يمكن العودة إليها لمن شاء) مثل عدم العلم بالنص او عدم ثبوته عندهم من الطريق الذي وصلهم، وبالتالي قد بذلوا وسعهم ولهم العذر، ولهم أجر الاجتهاد.
ولا أظن أن فقيها أقام الثناء والعذر لأئمة المذاهب كما فعل ابن تيمية، يكفي أن تقارن

موقفه من أبي حنيفة مع موقف جمهور المحدثين وفقهاء المذاهب الأخرى لتملس مدى صدقه وغوصه إلى عمق عملهم، وتفهمه لمنهج أبي حنيفة مع مخالفته له في بعض الأجزاء.

لكن هذه الرسالة وهذا التأصيل لعذرهم هو كذلك دليل قاطع عملي على عدم عصمتهم، المبدأ الذي يقره كل أهل السنة بلسان المقال لكنه عديم الأثر في الواقع.

وعليه إذا كانوا معذورين فإن من يقلدهم وقدانتشر العلم بعد أن جمعت السنة وحققت، وتبين له الراجح فهو غير معذور، لأنه لا يجوز ترك العمل بالسنة لرأي عالم آخر، فالحجة الشرعية للحديث الصحيح، واما الأئمة فلا حجة فيهم، بل يحتج لهم، فالادلة الشرعية حجة الله على جميع عباده بخلاف رأي العالم.

نعم؛ قد يكون للعالم حجة في توك العمل بالحديث لم نطلع عليها فمدارك العلم واسعة، وقد يبديها ولا نفهمها وقد لا يبديها، او لا تبلغنا، اما نحن فملزمون باتباع الدليل الشرعي، ولا ننصرف عنه بغير حجة معتبرة شرعا، ليس لمجرد ان الإمام ترك العمل به.

في الحقيقة وكما أشار رابوبورت في مقاله(نقلا عن الحلاق) لقد شعر فقهاء العصر الإسلامي الوسيط بالحاجة إلى الاجتهاد؛ وهذا ماتجده في أصول الفقه مثل الزركشي، لكن السلطة المذهبية تركت الامرحبرا على ورق.

ممكن مراجعة كلام ابن تيمية في الباب في رسالتة عن التقليد والاجتهاد، في المجموع المجلد ٢٠ و ١٩ و ١١

وكذلك كتاب العطيشان "منهج ابن تيمية في الفقه"، وأشار رابوبورت إلى كتاب للحلاق لكنه باللغة الإنجليزية لم أتمكن من الاطلاع عليه.

و اما العقلانية الفقهية عند ابن تيمية في قواعد نظريته فهي في كتابه "القواعد النورانية".

في المنشور نتاول قضية الإجماع والنقاط التي فاتت رابوبورت ثم قضية القياس والاستحسان والمصلحة المرسلة إن شاء الله وبعد ذلك اذا تيسر الأمر القواعد الناقصة عند رابوروت فيما يخص العقلانية والبراغماتية (الواقعية) الفقهية.

فكر مثاليا وافعل واقعيا، قالها مفكر فرنسي لكنها مختصر منهج ابن تيمية.. ذُكِّرتُ

بها

فقه الواقع عند ابن تيمية(المنهج الفقهي التيمي 03(

هل ابن تيمية متشدد؟

هذه مقدمة استدراكية على أسس تيمية فاتت من كتب عن المنهج الفقهي عند ابن تيمية :

الذين بحثوا المنهج الفقهي التيمي ركزوا على فتاويه الفقهية لم ينتبهوا إلى التأصيل الذي وضعه في مجالات أخرى ، وهذا ما فات رابوبورت في هذا الباب ،واقصد نظرة ابن تيمية الشاملة لما حدث للعلوم الشرعية كأصول الفقه والفقه والتفسير في العالم الإسلامي، وما افرزه هذا الوضع العلمي الجديد من تعدد مراتب العمل.

كما لم ينتبهوا إلى مرتكز تأسيسي في النظرية الفقهية التيمية وهو مفهومه للسنة، وأنها لا تتناول أقوال النبي صلى الله عليه وسلم و أفعاله و تقريراته فحسب، بل يدخل فيها كل ما دل عليه الدليل الشرعي ولو لم يفعله النبي صلى الله عليه وسلم في زمانه لعدم قيام المقتضى.. الخ

يعتقد بعض الناس أن ابن تيمية متشدد جامد يحلق في أفكار مثالية، وهذا لأنهم يخلطون بين موقفه الراديكالي (الثابت) الشرعي من البدع التي انتشرت في العالم الإسلامي وبين مراعاته في التنزيل الفقهي للواقع المنتشر، أي: التعامل معه بموضوعية باعتبار القدرة والعجز والامكان العلمي للناس.

وهذا ما يحكم منهجه الفقهي، فالفقه عنده ليس مجرد نظرية بل ممارسة؛في النظر العلمي يحكم بالمعيار الشرعي على مشروعية القول او العمل أو بدعيته، لكن في الفقه الذي يتعلق بالاحكام الشرعية ينظر كذلك لحال المسلمين وحاجتهم.

] التشدد العلمي] في الحكم بالبدعية غير السماحة الفقهية وهذا الموقف ممن يرى أنه متشدد سببه ومرجعيته الاختلاف بينهما في قضايا جوهربة تاسيسية في العلم، فابن تيمية يقر بالنسبية الذاتية المتعلقة بادراك كل شخص وتصوره، ويرفض النسبية الموضوعية التي تجعل الحقائق الموضوعية فرعا عن الاعتقاد فالحقيقة عنده واحدة لا تتعدد إلا في السنة المتنوعة مثل تنوع صيغ الاستغفار وهكذا؛ لذا فإن حكمه ببدعية

القول او العمل ليس تشددا عنده ،ولكن لانه الحقيقة الشرعية الوحيدة فالسماحة في هذا الباب تعني ازدواجية الحكم ومضاهات الشريعة.. ولهذا انتبه شارمان جاكسون لقيمة هذا الموقف المعرفي، قال رابورت " إن أفكار ابن تيمية حول العقلانية القرآنية ونقده للفلسفة الاغريقية يمكن استثمارها واتخاذها أرضية في النقد ما بعد الحداثي في العلم الحديث كأداة قوية، وهو ما اقترحه مؤخرا شارمان جاكسون "الإسلام والسود الأمريكيين ص:9_13"

ومعلوم أن جوهر ما بعد الحداثة هو النسبية العلمية والثقافية والاخلاقية.

بسبب هذا الفرق بين ما يمكن تسميته "الصحة النظرية او النموذج الأمثل" وبين واقع المسلمين العلمي والعملي قسم الأعمال الشرعية كما في "الاقتضاء" إلى ثلاث مراتب:

الأولى :أعمال صحيحة أصلا ووصفا، أي؛:علميا وعمليا، وهي أعمال النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته، وهذه على الإنسان العالم بها أن يلتزم بها في نفسه، ويامر بها من يطيعه ويثق فيه.

الثانية : الأعمال من الدرجة الثانية وهي الصحيحة اصلا المبتدعة وصفا، أي: هي علميا شرعية لكن عمليا زاد فيها الناس وانقصوا منها بحسب الحد الشرعي، مايسميه الشاطبي" البدع الإضافية"، وهذه هي الاكثر وجودا في علم وعمل المتأخرين.

والثالثة: الأعمال المبتدعة اصلا ووصفا، وهذا ينسجم مع تقسيمه الشرع إلى منزل ومؤول ومبدل.

وعلى حسب هذا التقسيم ينصح ابن تيمية بنقل الناس من الثانية إلا الأولى اذا كان عندهم استعداد علمي حتى لا يدفعوا إلى المرتبة الثالثة، يعني: أن منهجه الدعوى هو العمل على أصحاب المرتبة الثالثة على وجه الأولوية ، ومحاولة نقلهم على الاقل إلى المرتبة الثانية.

وقد ارتكز في هذا على فتوى الإمام أحمد في زخرفة المصاحف التي هي عنده مكروهة، مع أنه اذن للامير الذي أراد انفاق الف دينارا على زخرفة المصحف فراى إنفاقها على المصحف افضل من إنفاقها على كتاب شعر.

هذا التفصيل البديع الذي استنبطه من واقع المسلمين العلمي والعملي مرده إلى قاعدته السنية العظيمة في الموازنة و المتمثلة في أن الإبتعاد عن نور النبوة يكثر فيه أن

تقترن بالحسنات سيئات إما مغفورة[معذورة] او غير مغفورة.
وقد يتعذر على المسلم سواء في العلم أو في العمل سلوك الطريقة المشروعة المحضةالمتمثلة في أعمال الدرجة الأولى إلا بنوع من المحدث لعدم القائم بالطريقة المشروعة علما وعملا بعد عصر السلف و أئمة السنة[بسبب ما دخل الأمة من تأويل وتعقد العلوم والانتقال من الخطاب النبوي العام البسيط باللغة الطبيعية إلى الخطاب العلمي المعقد بلغة اصطلاحية لا يفهمها إلا العلماء].
وعليه؛ إذا لم يحصل النور الصافي بأن لم يوجد إلا النور الذي ليس بصاف وإلا بقى الإنسان في الظلمة فلا ينبغي علينا أن ننهى المسلم عن نور فيه ظلمة، يعني: نشترط عليه نور لا ظلمة فيه [مثالية] وإلا فكم ممن عدل عن ذلك يخرج عن النور بالكلية اذا خرج غيره عن ذلك لما رآه في طرق الناس من الظلمة.
وفائدة هذه القاعدة هي حمل ذم السلف والعلماء للشيء على موضعه، لأن العدول عن كمال العلم او العمل حتى في السياسة ليس فقط في العلم و السلوك قد يكون عن غلبة، وقد يكون مع قدرة، الأول لعجز وقصور، او مع قدرة و إمكان. الثاني قد يكون مع حاجة وضرورة وقد يكون مع غني وسعة، وسواء العاجز عن كمال الحسنات او المضطر إلى بعض السيئات معذور... "٢١١؛المنطق والسلوك؛ مجموع الفتاوى.
هذا هو التأسيس العلمي عند ابن تيمية للعذر الموضوعي في العلم والعمل، والذي نجده يطبقه في الدرء عندما يتحدث عن الباجي وابي بكر بن العربي وابي ذر الهروي وأئمة الكلام.
وهنا يجب أن نلاحظ أن المنهج الدعوى السلفي المعاصر في غالبيته بعيد عن هذا التأصيل لذلك يدخل في مصادمات مع التدين الشعبي بدون حكمة ؛ ولهذا لا يمكن إلا أن نوافق رابوبورت حينما يقول :"استكشاف المنهج الفقهي لابن تيمية في إطار فكري ثري ومتكامل، ومن ثم انقاذه و تخليصه من ذلك القيد السلفي الذي يعاني منه في كثير من الأحيان."ص:257,ابن تيمية وعصره.
وهذه الخلاصة تظهر بكل قوتها بعد قراءة قواعد الفقه التيمي وقد نشرت منشورين منها أحدهما عن المثالية والواقعية، والثاني عن التقليد، والثالث المتعلق بهذه المقدمة الاستدراكية يأتي بعدها، وهو عن أمثلة عن فقه الواقع عند ابن تيمية.

نقص الجرأة في أخذ التحليل إلى نتائجه المنطقية، هي عيب الفكر الإسلامي المتأخر، وسبب فشل نظريات الإصلاح.

المتشدد المتسامح..!

هذا الوصف المتناقض الذي جمع بين صفتين متنافرتين أطلقته الباحثة "ركيل يوكلاس" على ابن تيمية وهي تبحث كيف استطاع معالجة العلاقة المتوترة بين تصنيف البدع ضمن مرجعية السنة المتشددة (تقصد الحكم العلمي) ومراعاة الاستجابة للحاجات و المتطلبات الروحية للمجتمع المسلم؟

وبعد دراستها لمقاربة ابن تيمية لمسألتي السماع والدعاء أمام القبر النبوي وكذلك لمسألة المولد النبوي وجدت أنها تعكس نظرته الشاملة لاعتبار نية الفاعل وقصده مع استنكار الفعل في حد ذاته.

يصعب على الغربيين فهم مسائل البدعة و أن الحكم الشرعي على الشيء بأنه كفر أو بدعة أو فسق ليس تشددا لأنه لا يوجد إمكانية لحكم آخر فالمسالة ليست اختيارية والنسبية فيها ضعيفة لكن هذا لا يستلزم أن الفاعل كافر او مبتدع إلا بشروط أخرى صارمة.

فالذي يحدد بدعية الشيء هو النص، وبعد ذلك تدخل اعتبارات أخرى مثل قصور العلم والتأويل والحاجة والضرورة مما يوجب تخلف الحكم وثبوت المسامحة.

لهذا لا يوجد في الحقيقة تشدد مع السماحة ولكن يوجد اعتباران شرعيان هما: حكم الشيء في ذاته بمعزل عن نية الفاعل وما أضافه اليه من مصالح.

والثاني: هذا الشيء باعتبار تعلقه بالقصد والامكان العلمي والحاجة والضرورة.

الأسس العلمية الكبرى لهذا المنهج تكلمت عنها في المنشور بعنوان "هل ابن تيمية متشدد" ؟

النسخة الأصلية لفهم الإسلام.. ؟

يشكل السلف (الصالح) النسخة الأصلية العملية للإسلام قبل الاحتكاك بثقافات الحضارات الأخرى ووقوع التفاعل ، هذا المفهوم المتعلق باعتبار السلف أحد أعمدة ابستمولوجية المنهج السلفي في العلم لابد أن نفحص أسبابه الموضوعية، وبعد ذلك

ننزل إلى قيمته المعرفية.
نحن نعرف مثلا أن المسيحية خرجت في منطقة جغرافية تواجدت فيها الفلسفة بقوة، وهذا الأمر لم يترك لها الزمن الكافي لتؤسس نفسها معرفيا فقد بدأ التأثير فيها من الوهلة الأولى فعند دراسة الآباء الأوائل للكنيسة الذين كتبوا في الإلهيات إلى غاية غريغوار الكبير (ت 604م)و ايزودور إشبيلية (ت 636م)و يوحنا داماسان، ومنذ إعلان بونيفاس التاسع سنة 1298م تعترف الكنيسة الكاثوليكية بأربعة أساسيين داخلها هم :أمبراوز، جيروم، أوغسطين، غريغوار الكبير، في حين تعترف الكنيسة اليونانية (الارثودوكس) وتمجد ثلاثة :بازيل الكبير، غريغوار نازيانز، يوحنا كريستوستوم.
لذا نجد في زمن الآباء الأوائل (الرسل مثل بول وبيار) ثلاث تأثيرات فلسفية
:1_الافلاطونية ومختلف نسخها عبارة عن اقتباسات مختارة.
2_الأرسطية عن طريق قراءة غير مباشرة، ففي زمن آباء القرن الثاني اهتموا بحوارات أرسطو، مؤلفات تعاليم عامة، بينما اهتم آباء القرن الرابع على المقالات المدرسية، مؤلفات مقصورة على فئة معينة.
3_الرواقية التي وضعت مبادئ الأخلاق أخذوا منها مقولات مثل "زرع الكلمة في الإنسان فطري"، "مفهوم طبيعي"، "حس مشترك"، كلود هنري دو بورد؛ الكتاب الكبير للفلسفة، ص:55/56
كما نعلم أن المؤسس الأول القديس بول كان مطلعا على الفلسفة، والمؤسس الثاني القديس أوغستين كان مانويا في جاهلته، على فلسفة أفلوطين بعد اعتناقه المسيحية.
لذا إذا نظرنا في عقيدة التثليث سنجد أصلها فرعوني فرضته كنيسة الإسكندرية ذات السلطة في المسيحية الأولى بسبب أنها كانت مخزن الحبوب للدولة الرومانية الشرقية، ولا يمكن عقلنة! هذه الفكرة إلا بفلسفة أفلاطون في الجواهر والمثل، وأما فكرة أصل الشر فهي أفلاطونية محدثة(النور والظلمة) .
والمقصود أن مشكلة الوحي (النقل) والعقل بدأت في المسيحية مبكرا لهذا نجد أوغسطين يحدد المنهج المسيحي كالتالي :"تلقي الحقيقة بالإيمان قبل الولوج فيها بالعقل، وبعد ذلك يمكن مقاربة أسرار التثليث و أصل الشر ومشكلة وجود الله" نفس المصدر ص٥٧
يعني أنه جعل العقل في مقابل الوحي، والايمان مجرد عاطفة، فالايمان يقدم تلك

الحقيقة مثل التثليث وبعد التصديق بها (الدافع) يفسر العقل لغزها، فالعقل لا حضور له في البداية إلا في حد الحس السليم!

هذا الطرح الفلسفي الذي يجعل العقل مشروطا بالإيمان لكن مستقلا عن الوحي يستمر في المسيحية إلى غاية الحداثة و يدفعها لتبني العقلانية التجريبية، والى اعتبار الإيمان مجرد اختيار عاطفي، قفزة في اللامعقول..! ومن ثم يبرر العلمانية.

بينما الإسلام ظهر في جزيرة العرب، منطقة قاحلة لم يطمع فيها الفرس والروم، فبقي العرب على فطرتهم وبعقلية عذراء فلسفتهم البيان، سمحت للإسلام بأن يبدأ بدون شبهات الفلسفة، ويأخذ وقته في بناء نفسه معرفيا فجمع القرآن وبدأت العناية بجمع تفسيره، وجمعت السنة حفظا تم دونت في نفس الوقت نظمت العلوم الشرعية، فلما بدأ التأثير الفلسفي الحقيقي في العصر العباسي الأول كان الإسلام مستعدا ويملك وسائل المقاومة، لهذا سنجد رد الفعل الأصلي عند فقهاء الحديث، وحتى المدرسة الأشعرية الكلابية في بدايتها هي فرع عنهم يسميها ابن تيمية "متكلمة أهل الإثبات".

خصائص العصر الأول المسمى بالقرون المفضلة أنه كان سنيا في السلطة السياسية ،وفي المؤسسة الدينية، وحتى الفرق التي ظهرت فيه كانت عربية (محلية) مثل:

الخوارج والشيعة المفضلة والمرجئة والقدرية وهم اوائل المعتزلة، ولم يكن لهذه الفرق نفوذ وتاثير كبير حتى العصر العباسي زمن المأمون.

إذا نحن أمام حقائق جيوسياسية وتاريخية تؤسس لمفهوم السلف الصالح العلمي، الذي يعني النسخة الأصلية لفهم القرآن والسنة،والنقاء الفكري.

وهذا ما سيبني عليه ابن تيمية منهج السلف العقدي والفقهي والهرمينوطيقي "التأويلي" كمفهوم مركزي، وإذا صح التعبير يبني الابستمولوجية على السلف، ففي التفسير بدلا من البحث الموسوعي عن المعاني الممكنة المحتملة لكلمات القرآن يجب أن نبحث في التفسير المنقول إلينا عن السلف، لأن فهم السلف للقرآن هو بالضرورة أعلى من فهم غيرهم من المسلمين لأن لغة القرآن هي لغتهم، فهم من تكلم بها بخلاف من نقلها، وقد حدد في كلام طويل وظيفة اللغة في تفسير النصوص وأنه لا يلجأ إليها ابتداء لأن الأمر لا يتعلق بلغة عربية مطلقة ولكن بلغة الرسول، والاعلم بلغته هم المحدثون،كما أن الاعلم بلغة ابن سينا أصحابه وهكذا. ولغة السلف تعرف بتفسيرهم وبالسياق ،وليس بالمعاجم ،وعلى هذين السببين يصبح علم التفسير كالفقه والعقيدة

فرعا لعلم الحديث.
وهذا التفصيل لابن تيمية تدعمه الحقائق التاريخية فمنذ انفصل الفقه عن الحديث بسبب التمذهب ظهرت التفسيرات المتشددة والورع المبالغ والتعقيد وضعف التأسيس الفقهي على الأثر، ومنذ انفصل التفسير عن علم الحديث فقد ارتباطه بالسلف، وتأثر بثقافة المفسر اللغوية او الفقهية او العقدية، و"لم نجد المنهج المقارن في التفسير حتى ظهر ابن تيمية فكان الوحيد الذي قدم نظرية معيارية متسقة في تفسير القرآن بشكل منظم وبصورة مستقلة، فكانت مقدمته في التفسير عملا غير مسبوق انقدت التراث التفسيري من تناقضات" وليد صالح؛ ابن تيمية وعصره ؛ص:١٥٠.
الابستمية التيمية :
عندما يحصر ابن تيمية(مقدمة التفسير) العلم بين نقل عن معصوم، وقول عليه دليل معلوم، يعني ان العلم إما نقلي يؤخذ عن معصوم، وهو النبي صلى الله عليه وسلم تتحقق منه بالتحقق من صحة النقل، و إما عقلي، والذي نعرف صحته من ضروريته ومنطقيته الفطرية.
وهو هنا (فات وليد صالح هنا) يتحدث عن المصدر ليس عن الصفة لأن العلم النقلي عقلي المضمون.
والنتيجة الابستمية لهذا التحديد للعلم هي أن التفسير لن يكون علما إلا اذاوضعناه تحت هذا التحديد او التعريف للعلم عندها نتأكد من صدق هذا العلم، فيجب أن يكون نقلا عن السلف واعمالا للعقل في ترجيح الأقوال أو تحليلها، ولما كان فهم القرآن أمرا مركزيا في العلوم الإسلامية كانت نظرية التفسير جوهر منهج السلف الذي يعتمده ،وفي الحقيقة هي نفسها في الفقه والعقائد، يعني :الأصل النقل والعقل يكشف كنوزه.
وهذا يعني من هذه الجهة الثانية ان التفسير والعقيدة والفقه هي علوم فرعية عن علم الحديث، وهذا هو منهج أهل الحديث الذي يمثله ويشرحه ويدافع عنه ابن تيمية نقليا بالتوثيق ،و عقليا وفلسفيا بالشرح.
في الفقه سيثبت تفوق فهم السلف من خلال قضية القياس حيث يبرهن بأمثلة عن صحة أقيسة الصحابة بالنظر لمن جاء بعدهم، وفي التفسير قد مر عليك التعليل وسيطبق النظرية في تفسيره في مئات الآيات، وفي العقيدة كان ذلك هو حصانه

المفضل.

أسئلة لرخصة قيادة كتاب..!

لتقول: قد درست (ليس مجرد مطالعة) هذا الكتاب تحتاج إلى الإجابة عن عدة أسئلة، أكثرها تفتق في ذهنك خلال القراءة نفسها، لكن أهمها تكون بالقلم على هامش الصفحات أو في كراسة.

مرحلة الفهم :

1_ما نوع القراءة التي يتطلبها هذا النص (الكتاب)؟
2_ما المطلوب منا عند قراءة كتاب؟
3_ما هي الأطروحة التي يدافع عنها الكاتب وكيف استخرجتها؟
4_ما هي الإشكالية التي يحاول الإجابة عنها؟
5_ماذا أفادك العنوان؟
6_قطع النص(الفصل) إلى فقرات وعنونها وعلل مخطط التقطيع؟
7_استخرج الكلمات المفتاحية.
8_استخرج الواسمات المنطقية
9_هل يوجد أمثلة و ما نوعها؟

مرحلة إعادة بناء موقف المؤلف :

1_ ما الذي نحتاج إليه لإعادة بناء موقف المؤلف؟
2_ استخرج الموجهات اللامنطقية (الذاتيات ،أساليب القدح والمدح)

مرحلة التقييم :

1_ كيف تقيم موقف الكاتب.. ؟
2_ما هو شكل أدلته... ؟
3_ ما هي القوة التفسيرية للكاتب؟
4_ ما الأمثلة المضادة الممكن أن تورد عليه..؟
5_ هل لأطروحته وضعيات مستشكلة... ؟
6_ هل توجد علاقة بين أطروحته و أطروحات أخرى؟
7_ ما نوع مخطط الخطاب الذي استعمله الكاتب، طرق التفكير الاستدلالي؟

مسالك السياسة..؟
ممارسة السياسة بأي شكل مقبول إما تهدف إلى توجيه الاهتمام إلى تحسين الأداء الفعلي والتنفيذي للحكم بالتركيز على الإدارة المالية وموارد الدولة وتطبيق القانون وتحسين الأداء الوظيفي لمؤسسات الدولة وادارتها المركزية و المحلية(وهذا ما يحرص عليه العلماء والفلاسفة ومن خبر حقيقتها).
و إما تهدف إلى السعي خلف التصحيح الدستوري وشرعية الحكم والمؤسسات.
لكن في مجتمعات فاقدة لشروط الخوض في ذلك وتحقيقه ،مجتمعات هي صورة انعكاسية لأنظمة حكمها تجد كل راحتها في استمرار النموذج، أو مجتمعات عاجزة عن إنتاج البديل الفردي والجماعي لا يمكن السياسة إلا أن تكون علاجية لا تأسيسية ؟
ومع ذلك فإن الاهتمام بمعالجة الجانب التطبيقي للحكم يحتاج إلى مجتمع مدني قوي، أو إلى أحزاب لها قاعدة شعبية ، وخاصة (وهو شرط الشروط) إلى نخبة سالمة من عقلية الخبز، واعية بمفهوم "وحدة جبهة الإصلاح".

ما فهمته عن لبنان..؟
أدرك الشعب اللبناني أن الطبقة السياسية فاسدة وغير كفوءة ومن ثم يطالب بتغييرها جذريا متجاوزا الانتماء الطائفي إلى القيم الإنسانية المشتركة مثل: النزاهة والكفاءة.
المشكل الوحيد هو أن مجتمعه المتجرد مؤخرا من الطائفية لم ينتج رجال دولة بهذه الصفات خارج الدائرة الطائفية ، وبالتالي هو غير قادر على تعيينهم بعيدا عنها !
ولئن كان دور الشعب مراقبة الحكم فإن السياسة وظيفةواختصاص، لا يمكن أن تعتمد على تقنوقراط في كل المناصب(إذا قدرنا وجودهم بتلك الصفات.)
وهل الشعب اللبناني مستعد في حال نشوب فتنة الاستغناء عن حماية الطائفة..؟
السؤال :كيف يتكون رجل دولة؟

" الفعل أثناء النوم "السياسي..!

آداء أفعال متسقة لا يعني بالضرورة الوعي.. لأن الآلية تحكم أفعال الإنسان أثناء اللاوعي ،مثل "somnambule"!
تمديد نشوة الحدث ليس تغييرا للواقع..!!
الصورة للترويج فقط..

التحولات الفكرية الكبرى في العالم الغربي..!

بدأ التحول الفكري الحقيقي في العالم المسيحي الأوروبي على عدة مستويات، اللاهوتي بالانفصال عن التأسيس الأوغسطيني الأفلاطوني المحدث للديانة النصرانية الذي قام به الإكويني)(1224/1374)فتضررت به الباطنية النصرانية. لكن عجزه الواضح عن التوفيق بين [الكتابات المقدسة] والعقل، أو عقلنة الاعتقاد النصراني رد بسرعة أوغسطين(354/430) إلى مركزيته من خلال روجر بيكون الذي فصل فصلا تاما بين اللاهوت الذي اعتبره تجربة باطنية لا علاقة لها بالعقل والعلم.. .! وبهذا غرس بذرة الفصل بين الدين والعلم التي سيستأنفها اوكام(1290/1349).
في المنطق سيقوم أبيلار (1079/1142)بالمحاولات الأولى مع مشكلة الماهيات والواقعية.
بالنسبة لدون سكوت(1266/1308) فعلى خطى الإكويني يعتمد دليل ابن سينا في واجب الوجود ومن ثم سيتعرض للحكم الذي أدان 219 قضية رشدية أي مشائية.
في حين أن أوكام سيعلن استحالة أية معرفة عقلية أو حدسية الإله، ويبدأ تدمير مفاهيم أرسطو و أنسلام والإكويني مع الحرص على استبعاد أية واسطة دينية مؤسستية بين العبد والله،يعني :رد الإيمان والعقيدة إلى الجانب الباطني الأغوستيني وحده، مواصلا ما غرسه بيكون قبله.
لكن يبقى التحول الفكري الكبير الذي سيقلب موازين العالم هو موقف روجر بيكون (1210/1294) من "فائدة العلوم التجريبية" حيث وضع لهم الاستراتيجية التالية :
_ هذه العلوم مقرونة بشروط ميتافزيقية (توظيف نصراني) وفلسفة أخلاقية تصبح آداة التحويل الديني العام لغير المسيحيين...!
_ والهدف هو إثبات لغير المسيحيين تفوق الديانة الكاثوليكية، وفي حالة العكس فإن ثمار التجربة تستخدم في بناء اختراعات خاصة للقضاء عليهم..!!

_ يعمل العلم للخلاص حتى للمدينة النصرانية الأرضية (فكرة أوغستين عن مدينة الله).
نلاحظ هنا الدور الديني للعلم التجريبي الذي مع النقد المنطقي (الأورغانون الجديد) سيخلصهم من فلسفة الماهيات المشائية، ويمنحهم القوة والتفوق التقني، والذي سيغطي اليوم عن الانهيار الأخلاقي و أثره الملغى على هيمنتهم.
بحسب مؤرخي العلوم بدأت التحولات الفكرية في النصرانية ببويس(480/525)، وجون سكوت.
لقد شهد العالم الإسلامي تحولات فكرية كبيرة كانت كفيلة
بجعل الغفوة قصيرة جدا قام بها ابن تيمية و ابن خلدون لكن دخول العقل الإسلامي في سبات حضاري حيث لم يبق إلا تصوف شعبوي وفقه حشوي ونظرة جامدة ميتة للعلوم الشرعية أفقدته وحدته وجعلته عبارة عن مقصورات مفصولة عن بعضها بعضا،قضت على المنهج العلمي وفعالية العقلانية الإسلامية ،لا تزال ليومنا تنتج اشكاليات جدلية محضة لا تؤثر في واقعنا، وتمنع تحديث الخطاب مما يساهم في انبهار الشباب المسلم بالحداثة الغربية؛ وهو ما سنتكلم عنه لاحقا إن شاء الله تعالى..

حطام القرون والانبهار بالحداثة..!

المشكلة التي أشار إليها الدكتور طه عبد الرحمن والمتعلقة بتوجهنا الحتمي نحو حداثة يجب أن نجعلها إسلامية خاصة بنا، وليس مجرد نسخة مشوهة عن الحداثة الغربية؛ تحتاج إلى تمييز بين الدافع الفلسفي وهو ما ركز عليه الدكتور، وهذا لا يشكو المسلمون من نقصان مواده لديهم، بشروط نتحدث عنها لاحقا.
المشكل أن الدافع نحو الحداثة بشكلها الغربي كما نشهده اليوم مثلا في السعودية هو سياسي، الهدف منه استمرار الحكم بانفتاح اقتصادي مقرون بانفتاح ثقافي يدفع الجماهير إلى اهتمام سياسي مجتمعي وليس اجتماعي، يعني: قضايا "societales" وليس "sociale".
الأولى مثل قضايا حقوق المرأة والترفيه والسياحة، و القصد منها إبعاد النظر عن التغيير السياسي الذي تقود إليه الثانية.
يتمثل الانبهار هنا في جانبه المادي المخفي تحت صورة مزيفة لانبهار فكري، فكل

ما يروج له الحداثي العربي بعيد عن الفلسفة الحداثية الغربية التي يستلف منها بعض الصور والآليات ليؤصل لحداثة عربية غربية، لكن الدافع الأساسي هو مادي حياتي.
فبعد إزالة السكر والتخدير وقوانين الدين الحداثي الجديد، والوعي بعد صدمة الانبهار بمجموع الأوهام التي تروجها الحداثة، ثم التفطن إلى التزوير الذي مارسته الحداثة على التاريخ الاجتماعي الغربي، وعلى التاريخ العلمي البشري نكتشف ركاكة محيرة في الطرح الحداثي وإن كنا نعرف أسبابها من بداية تشكل العقل الغربي.
و المقصود هنا هو السؤال عن سبب انبهار شبابنا بالخطاب الحداثي المحلي مع أنه سخيف.. ؟
بحسب تجربتي والنقاش الذي خضته في هذه المسألة يرجع السبب إلى جهل مطبق لدى الشباب بدينه، وأعني هنا جهلا خاصا، لأن بعضهم لديه بعض المعارف الشرعية لكنها سطحية وسطحيته ليست من جهة الكم فقط، بل السطحية المعرفية العامة.
ولتفهم أضرب لك هذا المثال :يمر الشباب على رسالة تعالج قضية النقد التاريخي المعاصر والنقد الحديثي عند المسلمين، أو مقارنة بين طرائق الاستقراء الغربي ومسالك العلة عند المسلمين فلا يكترث لها كثيرا، سواء كان متدينا مهتما بالعلوم الشرعية، أو مثقفا بثقافة العصر! فالأول عنده علاقة بعلوم الحديث كأداة لتوثيق النص و شرحه فقط، لا ينظر إليه كآلية عقلية تجريبية لتوثيق المعرفة عامة، بينما الثاني يراه خاصا بأمة، لا يوجد فيه مشترك بشري عام، لدى فإن صلاحيته محدودة جدا..؟!
هذا المثال ينبهنا إلى مشكل خلل الدور المزدوج للعلوم الشرعية عند المعاصرين ، يعني ان للعلوم الشرعية دورا داخليا يتمثل في إثبات النص وفهمه والعمل بموجب ذلك وهذا ما يتلقاه الشاب المعاصر، لكن دورها في تأسيس نظرية المعرفة الإسلامية العامة لا يقدمه الشيوخ، لأنهم لا يملكون الأدوات المعرفية اللازمة لذلك خاصة العلوم الإنسانية بعيدا عن براديجماتها الغربية الخاصة، فلو أن الشاب المسلم الذي درس علم الحديث درس العلوم الإنسانية والنقد التاريخي كان لا محالة سيهتم بتلك الرسالة التي أشرت إليها، ويدرك قيمتها المعرفية، وربما أدرك عندها أن علوم الحديث وإن كانت وظيفتها خدمة النقل هي عقلية تجريبية بامتياز، تصلح لتوثيق كل

المعرفة الإنسانية.
الطريقة التي يُدرس بها بعض الشيوخ العلوم الشرعية خاصة التفسير وعلوم الاجتهاد والعقائد جعلتها عبارة عن انطباعات عاجزة عن الارتقاء إلى موضوع علمي، لأنهم يقدمونها كمسلمات جامدة ليس لها أصل معرفي عام، يعني: هناك قطع لوحدتها المعرفية مع مصادر التلقي أو مصادر المعرفة الإسلامية ومراتبها، فالمنهج في أصول الفقه او في علوم الحديث غير المنهج في التفسير او في العقائد العقلية.!
ونحن في عصر يتطلب البحث عن الوحدة الفكرية، بل طريقة عرض هذه العلوم لا يفصلها فقط عن إطارها المعرفي العام بل عن الواقع والوجود أيضا، فلا تساهم في تغييره الابطريق غير مباشر، وكما في العصر الحديث لا يجب أن نفصل بين فكرتنا عن الحياة وحياة هذه الفكرة.
نحن في عصر قامت الحداثة فيه بمكننة المعارف وتشظية العلوم، ولهذا انتصرت ثقافة الخبير على ثقافة الفيلسوف ما شكل خطرا سياسيا واجتماعيا على الإنسان الغربي المعاصر أصالة وعلى المسلم بالتبعية.
هناك نتيجة حتمية لتعقيدات المعارف المطلوبة المتنامية إن لم نعتمد منهجا معرفياموحدا محدثا مع لغة العصر هو أن تصبح علومنا مجرد انطباعات بدون مشروع علمي شامل.
بالعودة إلى تاريخ العلوم الشرعية بعد ابن خلدون وهو أمر ضروري لنعرف عن ماذا وعمن نتحدث؟
نجد أن فقدان المعنى والمفهوم مرتبط بأزمة عامة هي الانتماء الحزبي في المعرفة الذي يتدثر به العلماء، والذي وضع منزلة العالم النظار في وضع حرج حيث أصبح عاجزا عن تقديم رؤية شاملة عامة للمسلمين.
كل شاب مسلم عرف البراديجم العام للمعرفة الإسلامية الأصيلة، ثم البراديجمات الخاصة بالعلوم الإسلامية وعرف براديجمات الفكر الغربي لا يمكنه الانبهار بالثقافة الغربية؛ نعم قد يعجب بالتنظيم والصرامة المنهجية (بعيدا عن قيمتها)والاضافات المهمة في العلوم الإنسانية والادراكية ويستفيد منها بدون أي تأثير سلبي على عقيدته وشريعته وسيشعر بهيمنة القرآن على المعرفة البشرية.
هناك محاولات شبابية من دكاترة ومثقفين في هذا الاتجاه، حتى التي يمكن أن نصفها

بأنها غير ناضجة هي مفيدة لأنها تستفز العقل الجامد لكنها تعاني من نوع إهمال بسبب مبدأ التزكية الذي ينفر منها عقول الشباب ؛وهو ما سنتحدث عنه لاحقا إن شاء الله تعالى.

تآكل مبدأ التزكية..!!

مبدأ التزكية الذي عمل به أهل الحديث والفقهاء، والذي أخذ بُعده التأصيلي بعد مقولة محمد بن سيرين المشهورة هو مبدأ ثنائي الوظيفة: وظيفة عملية و أخرى علمية.

وظيفته العملية:هي حفظ دين (عقيدة و أخلاق) العامة؛ يعني هو هنا تدبير احتياطي وإجراء عملي لحماية وصيانة الناس مما يفسد دينهم و أخلاقهم.

أتعجب كيف حورته المدخلية لتجعله سلاحا في وجه مخالفيها مع تغافل تام عن كل الوسائل الحديثة التي تدمر دين وأخلاق ووعي المسلمين، مثل وسائل الإعلام النظامية والخاصة..!

أما وظيفته المعرفية فهي إثبات الكفاءة العلمية، لهذا لم يكن أبدا عند أحد من علماء المسلمين _ممن يعرف ماذا يخرج من رأسه _وسيلة لإثبات الصوابية لأن الصوابية لها محددات أخلاقية و علمية، فلا عصمة إلا للرسول، والعلم ما قام عليه الدليل.

فلما حوله بعض المسلمين المعاصرين إلى بديل عن الدليل بحيث لم يصبح للعلم أي دور في تقييم الأفكار والشخصيات إضافة إلى توظيفه من قبل المؤسسات العلمية التقليدية و الأنظمة السياسية للتحكم في الفكر من خلال التحكم في تعيين المشيخة، فقد دوره ووظيفته الأصلية وصار مضادا لطبيعة الأمور بما فيها العلم نفسه!

لقد ساهم التطبيق السيء لهذا المبدأ في الحجر على العقل الإسلامي و الحد من نشاطه وفعاليته، كما قلل من أثر الأعمال العلمية الجادة والتجديدية التي تهدف إلى رفع مستوى المسلمين وتزويدهم بأدوات التعامل مع العصر وحجم دور أصحابها إلا من أسعفته الامكانيات المادية لتوفير منابر خاصة به واستقطاب بعض الشباب.

لكن الواقع لا ينتظر ولا يخضع للرغبات فبدأ يتغير شيئا فشيئا حتى تحرر اليوم كثير من الشباب من هذا المبدأ.

ورغم الإيجابيات الكثيرة لهذا التحرر إلا أنهم صاروا بذلك عرضة لاستيلاب ثقافي بدون شعور.

لأن من طبيعة رد الفعل أن يأتي على الايجابي والسلبي معا تآكل هذا المبدأ المهم.
وعليه؛ لابد أن نميز بين حماية العامة و الناشئة و الحاجة إلى إثبات الكفاءة العلمية الشرعية وبين متطلبات الاستدلال العلمي.
أقول هذا لأن كثيرا ممن يتكلم اليوم في التراث الإسلامي لا يملك كفاءة علمية شرعية، علاقته به لغوية محضة، ومن ثم يعمل وسائل غير شرعية تنتمي إلى نظام معرفي الحادي وثني الأصل في هذا التراث زاعما التحقيق!
ولأنه يستعمل اللغة التي يجدها في كتب التراث يظن الناس أنه يملك كفاءة علمية شرعية!

المسؤولية العلمية !..

القيادات العلمية (لنستعمل هذا التعبير تخفيفا) كغيرهم من الناس تحت هذا الأصل "لا يكلف الله نفسا إلا وسعها" يفعلون ما أمروا به على قدر استطاعتهم العلمية والعملية،وجهودهم كثيرة لا شك في ذلك لكن وجه التقصير عندهم هو تقني _إن صح التعبير _يتمثل في التفريط مع إمكان العلم.
و أقصد أن العلم بتعذر الإصلاح الديني نفسه في هذا العصر _بغض النظر عن الاجتماعي السياسي _بالاعتماد على العلوم الدينية وحدها ممكن لهم لو أنهم تأملوا واقع العالم المعاصر واستسرلوا مع العلم إلى جوانبه التاريخية خاصة تجارب المصلحين المعاصرة لماذا أصبحت محدودة وعجزت عن تجديد نفسها، و الانتقال إلى مراحل معرفية أكثر تطويرا للمنظومة؟
فالحاجة إلى تحصيل ثقافة معاصرة محيطة بناومؤثرة فينا بشكل ملموس وكبير جدا، والبحث عن وسائل قراءة الواقع و تفسيره علميا، والتفتيش عن أسباب الانحطاط، كلها أمور طبيعية في كل نفس عارفة تنتقل من حقل معرفي إلى آخر بحثا عن إجابة لمشاكلنا بعيدا عن المقولات الخطابية والعاطفية المشهورة عندنا، أو حتى المقولات العلمية الإصلاحية التي تغير الواقع الذي صدرت عنه.
مما يعني أنه توجد لدى كثير من هذه القيادات عملية كبح عقلي إرادية ! سببها _في نظري _الخوف من قوة النموذج المعادي، والخوف في مثل هذا دائما ما يكون سببه الشك، فنحن لليوم نعاني(الغالبية) من رهاب العقليات، و لا يمكننا نقل الحقائق إلا

باللغة التي ورثناها و إن لم تكن مفهومة في هذا العصر، كما نشك في قدرتنا على تحديث معارفنا، وفي تجاوز الفكر الغربي المعاصر؟
يمكن أن نصف الحال بأنه اختفاء المقاومة للحفاظ على ما يمكن الحفاظ عليه في إنتظار أيام جميلة!
العناصر الدينية في الخطاب المتوجه لقضايا السياسة و الصراعات الاجتماعية الحضارية الملية صحيحة لكنها في سياق خرافي.. ؟
ذلك لأننا نشكو من اللاواقعية الفكر ،و نعاني من مظاهره بوضوح فج؛ تتمثل هذه اللاواقعية الفكرية في: عقلية "إما كل شي او لا شيء" لذلك نرفض الموازنة، وهي عقلية تلزم بالانعزال أو التهور؛ التعميم المبالغ فيه؛ التوقف عند تفصيل سلبي واحد بحيث يفسدكل رؤيتنا للواقع ؛إهدار الجوانب الايجابية لتجاربنا حيث نخلط بين صحة المبدأ وخطأ التجربة؛ الاستنتاجات السريعة الناتجة عن رد الفعل والعجلة؛ خطأ التوقع وضعف الاستشراف لغلبة العاطفة والفكر الاعتذاري ؛ التهويل والتهوين وغياب الاعتدال؛التفكير الانفعالي؛ الايجاب على النفس من غير موجب حقيقي، أو مع عدم الشروط المادية؛ الشخصنة والتفكير البطاقي (بالبطاقات) ؛ التأويل غير السائغ و غير المؤسس لأنه بخلاف القاعدة.
كل هذه (في علم النفس المعرفي) من أنواع التفكير اللاواقعي الذي يطبع نشاطنا العلمي، إضافة إلى العامل السياسي الذي نشر الرداءة وعقلية الترقيع، فلا طرق التدريس التقليدية تداركت النقص الذي تعاني منه والفجوة التي تفصلها عن العصر الذي تعيش فيه الآن، ولا الطرق الحديثة تعمل بالمعايير العالمية أو الموضوعية ..! وعندما يتخلف العلم يمكن للحكمة أن تسد النقص فتدرك القيادات العلمية الشرعية تعدد المهام والواجبات وحدود بعض الاختصاصات التي تحب الاعتناء بها فتترك الاكفاء في حراسة حدود الملة والغزو العلمي يقومون بمهامهم.

المشهد جميل لكن الشاعر تنقصه الكلمات.. للأسف ! والحال قبيح.. و المفكر تنقصه التصورات !

الأمة بين المفكر الانتهازي و المفكر الاستشرافي!!

....

هناك مقولة قالها "مونتاين" عن نفسه تصلح لوصف حال كلامنا عن الأشياء؛ تخبر عن جزئية الرؤية وعن دعاوى التمييز في مواضع الضبابية؛ قال :"ليس لي ما أقوله عن نفسي كلية، ببساطة ومتانة، بدون ارتباك، وبدون خلط، ولا في كلمة واحدة.
"أنا أميز"[عبارة منطقية مدرسية تعني أفرق بوضوح بين الإثبات والنفي] هو العضو الأكثر عموما في منطقي".

كثيرا ما شعرنا بريح التاريخ تحملنا؛ وقع لنا ذلك بعد الخروج من كابوس الاحتلال، كما يقع لنا اليوم بعد الخروج من مناخ حكم فاسد لا أظن أن البشرية ستبلغه في يوم قادم!

في هذه الفترات أو الأحداث التي شهدتها كل الدول العربية في أوقات مختلفة لمسنا بكل احاسيسنا سياق التاريخ من أجل مستقبل أفضل تبين لنا فيما بعد أنه محطم! وبين ليلة وضحاها أصبحنا على حقيقة واقعنا الضبابي المعقد القراءة .

وهكذا منذ قرن الإصلاح، القرن الذي شهد حركات إصلاحية كبيرة نحن أيتام مشروع مجتمع، المثقف حاضر لكن بدون هدف...!

الفرق بيننا وبين أولئك المصلحين الذين كان همهم التخلص من الاحتلال كخطوة أولى للنهضة، محللين أسباب التخلف التي مكنت منا الأمم الأخرى في الفساد الديني والسياسي؟! ومن ثم توجهت حركتهم نحو الإعداد لطرد الاحتلال والسير نحو مجتمع عادل.

الفرق بين زمننا وزمنهم أن مجتمعنا فقد ما كان يعطيه المعنى، فقد المثقف المفكر من تلك الطينة.

يعني لم نعد ننتج المفكر الاستشرافي وتكاثر فينا المفكر الانتهازي الذي ينظر إلى مسارات الحضارة في مقدماتها السياسية بعقلية الفرصة والصدفة!

كل الحركات السياسية الشعبية التي شهدتها بلداننا بعد الاستقلال اصطدمت بواقع أكثر تعقيدا مما كنانظن إلى درجة أن هذه الحركات الشعبية أصبحت أزمةتاريخانية!

الانتقال من الفكر الاستشرافي والتخطيطي إلى الفكر الانتهازي مع الفشل المتكرر لكل تلك المحاولات يدل بوضوح أن فكرنا مصاب بنوبات مرض شديدة (paroxystique).

ولهذا نجد في هذا الفكر المضاربات الهادفة إلى تمجيد وربما تقديس الحركات الشعبية! وتجذر هذا البعد عند غالبيتنا كأن هذه الحركات الشعبية هي الحجر الفلسفي الذي سيعطي المعنى للماضي و يحضر المستقبل..؟!

عندما ننظر فيما وقع في البلاد العربية من عدة سنوات، وما يقع اليوم في الجزائر ولبنان، وخصوصا في العراق وإيران ندرك أن البعد العالمي لثورات الشعوب وقيمتها قد ولى تحت مصالح النظام العالمي.

والذي تعنيه حركة "الثوران ثم الاختفاء" المتكررة هو أن واقعنا صفحة غير واضحة القراءة، ولهذا نفق سوق المثقف أو السياسي... الخ الانتهازي !!

نصيحة الإمبراطور الفيلسوف..!

"لا تأمل جمهورية أفلاطون! لكن كن راضيا إذا تقدم شيء صغيرإلى الأمام، وفكر أن ما سينتج عن هذا الشيء الصغير لن يكون بالضبط شيئا صغيرا.

من _بالفعل _ يمكن أن يغير المبادئ التي يضبط الناس عليها حيواتهم؟!

ورغم ذلك بدون تغيير جذري لهذه المبادئ هل يوجد شيء آخر إلا العبودية لأناس يئنون وهم يتظاهرون بالطاعة؟! ".

مارك أورال؛ القلعة، ص:904.

الكتابة والروح ..

قد تكون الكتابة من أجل التحرر من الماضي أو من المحيط العائلي أو الاجتماعي، أو من قيود الذنوب في لحظة ضعف طالت.

قد تكون من أجل إثبات الوجود في محيط لا يقدرنا.

قد تكون من أجل التشافي من جروح لم تندمل، أو من أجل مواساة النفس .

قد تكون من أجل الشعور بالرضا بإظهار المكنة.

لكنها عند فئة من الناس تكون من أجل التذكر والتعرف على النفس، و هي الأهم في أغراض الكتابة.
نجد في كتابات العلماء النظار والمفكرين جملا ،أقوالا مأثورة ،قواعد علمية ،أبيات شعر.. الخ تتكرر كثيرا لأن
الكتابة تمرين للعقل الباطن ؛لأن هذه الأشياء التي نحبها و نحرص على تكرارها تذكرنا من نحن؛ تذكرنا بتصوراتنا، فهي بمثابة معالم على الطريق لتكون هويتنا الشخصية التي نحتناها بجهد فكري حاضرة، لا ننساها أو نتيه عنها،فإن آفة الإنسان نسيان الحقائق التي منحت له في يوم من الأيام.
ولذلك هو كثير التناقض، سريع التيهان عن مبادئه.

يوجد عند زاوية كل شارع باعة "شربة السياسة" بالمغرفة..!
عن بيرس بتصرف

القلعة الداخلية...

....
كانت قرة عين النبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة، وكان يحب بعض الأشياء كالطيب ولحم الكتف والشراب الحلو، وكما وصفته عائشة رضي الله عنها كان مولعا بالسواك.
و إن كان شأن النبي صلى الله عليه وسلم عظيما فإن هذا مثال تقريبي.
وكان الصحابي أبو ذباب السعدي مولعا بالصيد، وكان العارف الرباني يحي بن معاذ الرازي مولعا بالرمان، وكان أبو سليمان الداودي الضرير المقرئ مولعا بشعر أبي العلاء المعري.
وكان بعض أئمة التصوف محبا لمعاشرة النساء يسميه "القوت".
فحتى في حال الحقيقة يأخذون من الدنيا ما يعين عليها لأن حق النفس لا يزول في حالة الولاية.
وهكذا نجد في الشخصيات العلمية ميولا إلى بعض المباحات يجدون فيها سعادة وراحةنفس ولو كانت المتعة في لحظات، فهذا مولع بكتب الأدب وذاك بشراء الكتب،

و آخر بالخروج إلى البراري،أو بشرب الشاي كما كان المعلمي.
ومن المعاصرين كان فيهم من يجد متعة في السباحة أو قيادة السيارة بسرعة.. الخ
ونجد رجلا مثل سفيان الثوري يحب حلوى الفالوذج، وهذا ابن تيمية يحكم على شعر العفيف التلمساني بأنه جيد بخلاف عقيدته ولولا قوة تذوق المعاني و فصاحة العبارات لما كان هذا حكمه.
ولما سئل الجنيد عن السماع استحبه لمن صادفه من غير طلب، وابن تيمية أدرجه(في غير التعبد) تحت قسمته الثلاثية :العقلي والملي والشرعي، فجعله من العقلي والملي.
ولما ننظر في أخلاق الفضلاء نجد المنقبض والسهل الممازح وهكذا الطباع الآدمية فيها تنوع لكنها كلها تحتاج من مباحات الدنيا إلى أشياء تتقوى بها و تغذي بها النفس.
ما بين ما نعرفه عن العلماء والملوك الصالحين من خلال صورهم المرسومة في أذهاننا و ما نكتشفه من ممارساتهم الحياتية يوجد فجوة.
من المعاصرين كان الفيلسوف النمساوي لودفيغ فيتغشتاين مولعا بالقصص البوليسية و أفلام رعاة البقر و الفوز بشيء في ألعاب السوق الموسمي، مما هو من التسلية الشعبية التي لا تناسب مكانته الفلسفية.
كان يعتبرها فيتامينات ذهنية، أو حماما يغسله ويرخيه من جهد العقل، فرصة للخروج من التفكير الفلسفي المعقد والملتوي، تحرير عقله لبرهة من حزمة الأفكار المتواصلة و ما تطلبه من انتباه.
كان هذا الفيلسوف يفضل التسلية الشعبية على الفنون التي اعتبرها تفاقم في الإنسان الكريه والمرضي..!
هذا الميل إلى مباحات (بحسب ديانة أو ثقافة هذه الشخصيات) لا يعود إلى نقص عميق في صفات شخصية ولكن إلى فهمهم الطبيعة الآدمية وحاجتهم كبقية الناس إلى الترفيه عن النفس.
إن حب الاستمتاع بطعام معين، أو الاسترخاء بالصيد، أو النظر الى الطبيعة، او ممارسة رياضة معينة، أو هواية كالرسم، أو قراءة الشعر، أو أدب معين، أو التجول في البراري.. الخ يحرر الإنسان من هاجس النظر الى الحياة برؤية تردها لشيء واحد فقط، فمن تنوع وتعدد ما نحتاجه منها للاستمتاع يتكون اعتدالنا في كل شيء،وتسلم طباعنا من التطرف.

الانحراف بعد الالتزام.. ؟

من الأقوال المؤسسة عند السلف: "الاقتصاد في السنة خير من الاجتهاد في البدعة" وهو مبدأ يشمل العلم والعمل، مستنبط من مجموعة نصوص صحيحة تنهي عن التنطع والغلو، وحمل النفس على خلاف فطرتها، و تكشف حقائق النفس الإنسانية واحوالها وضعفها ،وترشد المسلم إلى منهج التزكية النفسية السليم الذي يضمن الاستمرار وعدم الانقطاع.

في بداية الأمر عند الإقبال على الله تعالى يذوق الإنسان خاصة الشاب حلاوة الإيمان ويجد مدد الله و تأييده ملموسا في يومياته.

ومن طبع الإنسان الاستزادة من اللذيذ، ولأنه بسبب شبهة علية الاقتران يعتقد أن مرد ذلك هو الاجتهاد في العبادة و ليس التوبة و ما تفتحه من أحوال قلبية شريفة.

و بطبيعة المجتمع الذي نعيش فيه، والذي لا يوفر للشاب بيئة سليمة _ الفجور متاح معروض على قارعة الطريق_حتى يمكنه عبادة الله ومواصلة حياته المباحة كما كانت، مخالطا الناس في الخير، يضطر إلى البحث عن مجتمع أصغر يحميه من مغريات و مفاسد المجتمع الأكبر.

و لأنه ليس لوحده من يعاني من هذا الفارق سيسجن نفسه مع اشباهه داخل جماعةصغيرة موحدة السلوك والهدف والمظهر واللغة والاهتمامات، ويرتبط بها ارتباطا رحميا مصيريا حتى يتخلى عن لباسه وعاداته واهتماماته السابقة وتنوع حياته.

في نفس الوقت ستتشكل فيه نفسية جماعية وعقل جماعي بحيث يصير صعبا عليه التواجد بمفرده في المجتمع الأكبر وحتى التعبد التطوعي سيكون بايعاز جماعي!

ومن يعتاد على أداء الأعمال جماعيا يعجزعن تأديتها بمفرده، ولهذا عندما يطول عليه الأمد، و يتعرض لضربات الحياة و محنها، وتنازعه نفسه الفتية فيضعف حتى يترك الفرائض كالصلاة ويهجر القرآن فإنه لا يترك علامات الانتماء إلى المجتمع الصغير الذي كان يحتمي به، ويحافظ لمدة ما وسعه الأمر على مظاهر التدين... ؟!

وعندما يشعر مثل هذا الشاب بالغربة في وسط المجتمع الكبير تنعقد فيه عقد نفسية لا يشعر بها، فهو باستمرار تحت وابل من سهام الشهوات التي يعرضها المجتمع الكبير

في كل زاوية، و مع سيطرة معايير نجاح اجتماعي لا أخلاقية، فإنه في البداية يستند على الخلاص الأخروي متجاهلا جحافل المغريات لكن الوقت يطول والنفس تتوق للمباح، و المباح في مجتمعنا الكبير كثيرا ما يكون محاطا بمقدمات غير مباحة أو مقرونا بنوع فساد، و لابد له منه، فيبدأ في الترخص المشروع والنفس بطبعها تميل للشمال، لا يسوقها إلا سوط الخشية من الله، يبالغ في الرخص وتصبح عادته، و يسعفه التأويل في تسكين واعظ الله في النفس.

وقد يكتشف بعد تراكم العلم أنه قد أوجب على نفسه ما لم يوجبه الله عليه، و أنه ضيق واسعا فينفتح على الدنيا ويتخذ صحبة من خارج جماعته الصغيرة، و صديق الصديق ليس كالصديق، والدنيا دول، فإذا انضاف إلى ذلك خسارة معركة القلب بسخط على فائت، أو تعلق بمرجو محبوب للنفس إلى درجة تجعل الخواطر فيه مهيمنة على القلب عجز عن المباح أو عن الاعتدال فيه، و لم يكفه لأن الفطرة فسدت وعندها يلتذ بما يضره في الدنيا او العاقبة من مخدرات أو غيرها لأنه إذا لم تسكن النفس بالقرآن و الذكر فلابد لها أن تسكن بشيء ما، مخدرات أو إفراط في المعازف أو بلهو يفصله عن الواقع.

وفي هذا العصر وفي مثل هذه الحالات تؤدي المخدرات(خاصة الخفيفة!) الوظيفة بكفاءة عالية! لأنها غير مرئية المظاهر فلا رائحةلها ولا تسكر، وسهلةالتناول.

هذا الشاب هو ضحية مناهج منحرفة تحجر على العقل، تناقض الفطرة، ولا تعتني بتزكية النفس، أو تقدم تزكية بدعية شكلية رسمية استرزاقية يقسو فيها القلب.

كما هو ضحية مجتمع يشيد بالفساد، وشيوخ(بعضهم) يبيعون الوهم قصروا حديثهم على الدين وحده، لم يرشدوه في حياته، وقد يتسببون في فشله المهني، لا يفرقون بين سلوك الخاصة وسلوك العامة، امتهنوا الوعظ، و مع كثرة الطلب لا يستطيعون انتقاءالموضوعات بحسب حاجته فيمطرونه بموضوعات فرضتها عليهم فهارس الكتب وجمال العنوان وتفرد المحتوى! فيعيش في فقاعة او مخيال زائف بعيد عن الواقع حتي تقع الواقعة:انغماس في المعاصي او اعتناق فكرة ضالة!

ولو أنهم اكتفوا بحدود الله دون مولدات الفقه النظري و الجدلي، و بمجملات السنة في التزكية والتفقيه والعقيدة لكان كما كان السلف شامة الفضيلة، آدميا مؤمنا حيث ما كان، يشع على غيره الخير، ولا يمتص قاذورات المحيط.

و لأنه لا يتم بعد البلوغ لأن حجة الله بالغة والعقل والرشد مناط التكليف فلا حجة فيما مضى ليستمر الفساد فيما هو آت..

الغرائز... وتناقضات الإنسان..!

الإنسان _ كما قيل _كالجدار القائم تجد فيه كل شيء: الحصى والرمل والحديد والحجارة وحتى الصدف..!

و لهذا هو مملوء بالتناقضات، بعضها صعبة مضرة، وأخرى غريبة تجعله غير متوقع و غير مفهوم التصرف، لكنها تكشف مختلف تضاريس شخصيته.

تناقض الإنسان بخلطه الحسنات بالسيئات لا يجعله منافقا ،فهذا حال الغالبية يظلمون أنفسهم، والتناقض في حال الضعف هو فشل أخلاقي يخبر عن وجه واحد لحقيقة هذا الإنسان، ليس عن كل حقيقته لأن حقيقة الإنسان كل حقيقته هي في قيمة الغاية التي يطلبها، و في اختياره الحر لأن كثيرا من الناس يفعل الذنب كارها،والمعتبر بكمال النهاية.

لذا على الإنسان أن يسيِّر تناقضاته بالحرص قصدا وبحسب قدرته على التحسن.

واذا كان الإنسان مخلوقا من ضعف، و في غريزته أخلاق مذمومة كالمنع عند الرخاء و الجزع عند الشدة فكيف له أن يتجاوز قبضة هذه الشرور النفسية؟

هذه المشكلة أجاب عنها ابن تيمية في "الحسنة و السيئة" عند معالجته قضية الشر العدمي.

مشكلة الإنسان ليست في غريزته أو طبعه بالدرجة الأولى و لكن في معصيته الأمر الشرعي ،فطاعة الأمر هي التي تقيه شرور نفسه التي غرست فيه لتأدية مهام حياتية ضرورية لبقائه، فلولا غريزة المعاشرة لما تناسل، ولهذا عندما تحكم نوعا ما في الإنجاب في الحضارة المعاصرة هجر الزواج الشرعي، وإذا تزوج رفض الإنجاب لأنه مقيد له، ولهذا تعاني المجتمعات الغربية من الشيخوخة.

فالمنع ينفعه و يضره، ولا يضره إلا إذا منع واجبات، وكذلك الجزع ينفعه في غريزة البقاء، ويضره حيث يجب البذل كالنصرة والجهاد و المواساة.. الخ.

،و لا يضبط هذا إلا الأمر الشرعي، ولذلك كان جنسه أعظم من جنس المنهيات.

مشكلة الإنسان في صفاته الغريزية السلبية نسبيا هي عدم اتزان طلبه اللذة مع نفوره

من الألم، فليعيش ويعمر الأرض ويحقق المنافع ويجتنب المضار غُرس فيه طلب اللذيذ عن طريق المحبة، فما وجده لذيذا أحبه، ومن ثم يصبح مرادا لديه فيطلبه، والعكس صحيح.
ونزول الضر بالعبد من تمام نعمة الله عليه لأنه لا يولد الإرادة الصالحة فيه إلا الألم، من خلال اضطراره للصبر، وصدق لجوءه لله تعالى (سبق وشرحناه)
وعندما يترك الأمر الشرعي تضعف لديه الإرادة الصالحة وتقوى الإرادة الفاسدة لأنه بدون أمر شرعي فإن الإنسان يطلب كل ماهو لذيذ عنده، و لا يعرف على وجه الدقة أو الإحاطة إن كانت فيه مضرة دنيوية او اخروية، ومن هنا يفعل الإنسان حتى المتعلم ما يضره في عاقبته الدنيوية أو الأخروية.
فمشكلة الإنسان مع غرائزه هي في ترك الأمر الشرعي، و سبب ذلك عدم الصبر، فمن لا صبر عنده فلا إرادة صالحةله، ويعيش بالارادة الفاسدة، وفي الغالب يموت عليها.
تتجلى أهمية الصبر عن اللذة المحرمة بقوة العلاقة مع الله تعالى، ونفاذ بصيرة العقل عند الشبهات التي يتصيده بها الشيطان، فقبل الفعل يرجح له الجواز، وبعدالفعل يرجح له الحرمة ليهلكه باللوم، ويضعف إرادته لتجاوز الأمر، لأن الإنسان قلما يعمل بالوصية الشرعية المتمثلة في اتباع السيئة الحسنة، وهكذا يقتطع منه الشيطان قطعة و يهيئ له أنه لا يستطيع ردها إلى مكانها إلا إذا أعاد بناء الجدار من أسفل!
بنيت سعادة الإنسان على فعل المأمور واجتناب المحظور والصبر على المقدور، وحينئذ لا تضره غرائزه، ولا ما يقع بين الطاعات إن اجتنب الموبقات و داوم التوبة والافتقار.
و المقصود تعلم التعامل مع التناقصات الأخلاقية لتقليل الضرر ،والتقدم نحو الأحسن، وعدم الانهيار الذي يعمق الهوة ويصعب العودة.
ففي قوله تعالى :{قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا} دعوة صريحة لعدم الاستسلام للذنوب مهما عظمت وتكاثرت
فإن القنوط من رحمة الله سببه الاعتقاد الفاسد بأن الله لا يغفر له، و إما لتقديره بأن نفسه لا تطاوعه على التوبة،

و أنه مغلوب على أمره قد قهرته، والشيطان قد استحوذ عليه، وحسب ابن تيمية هذا يعتري كثيرا من الناس.
و الذي عليه جمهور المسلمين هو أن التوبة ممكنة من كل ذنب والمغفرةموعودة للتائب.
والذي اعتقده فيما يخص هذا الصنف الذي قهرته نفسه واستحوذ عليه الشيطان أن قوله تعالى :{إنه هو الغفور الرحيم} بعد قوله :{إن الله يغفر الذنوب جميعا} أعقب الصفة بعد الفعل، تأكيدا لكمال مغفرته ورحمته، وأن التوبة ممكنة في مثل هذه الحالات بشرط الانابة إليه والاستسلام له{و أنيبوا إلى ربكم و أسلموا له} والانابة تكون بالقلب، وقلما تتخلف الجوارح عن إرادة القلب إذا كانت جازمة، فإنه إذا تحقق القلب بالتصديق والمحبة لزم وجود الأفعال.
وقد أشار الشيخ عبد القادر الجيلاني إلى هذه النكتة عندما تحدث عن أحوال المؤمن الثلاث: أمر يمتثله، ونهي يجتنبه وقدر يرضى به، وأنه ينبغي له أن يلزم بها قلبه ويحدث بها نفسه؛ فمن أراد أن يحب شيئا حدث نفسه به كثيرا، فإن كثرة الخاطرفيه تعقد القلب على حبه، وتقوي إرادته و طلبه. والمحبوب يجذب إليه كما أن المحب يجذب هو الآخر، ومن تقدم نحو الله شبرا تقدم نحوه باعا، ومن آتاه تلقاه من بعيد.
و الانابة فيها معنى الإقبال والرجوع، ولا يكون إقبال إلا لمحبة أو استغاثة؛ وقد قسمها بعضهم إلى إنابة للخلق جميعا اضطرارية و إنابة خاصة بأوليائه، والذي اعتقده وقد قال الله تعالى في الآية :{و أنيبوا إلى ربكم} أنها إنابة ربوبية لأن المسرف ويدخل فيه من غلبته نفسه وقهرته شهواته مسه أشد أنواع الضر وهو الضر في الدين وتاكيد فعل المغفرة بصفة الغفور هو لاعتقاد أن الله يملك حاجته وقادر على أن يغفر له كما جاء في الحديث ، وهذا يكون عند بداية الانابة فإذا لحقت المحبة ومقامات القلب الأخرى وتوجه القلب باعماله إلى الله صارت من الثانية.
و أما الاستسلام له فهو الاستجابة للأمر الشرعي ولو مع كراهة النفس، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لذلك الرجل :"أسلم ولو كنت كارها".
بسط هذه المسائل طويل، وأنصح الشباب بقراءة مجلد السلوك لابن تيمية على الأقل ثلاث مرات في السنة، فإنه جمع زبدة تزكية و سلوك الموحدين علما وعملا ، أخص أهل الشرع و أقومهم بالكتاب و السنة، وهو كالبلسم للمذنب والتائه الحائر، و إن

كانت هناك كتب أخرى إلا أني أفضله عليها لأن _على قوله المجرب _صحة النظر في الأدلة والأسباب كالقرآن والسنة موجبة للعلم، وصحة الإرادة موجبة للعمل الصالح.
من نزل منزلة التوبة _وجوهر التوبة كما في الحديث "الندم والاستغفار" _نزل المنازل كلها، وهذا سلوك القرآن لا سلوك من يجعلها من منزلة العوام.

كيف أقبل الصداقة..!

في الغالب أستمد انطباعي عن الشخص من الصورة أو من القول المأثور الذي يرفعه، مع إني أنظر في الحساب لكن لا أبالي بالفكر إلا إذا لمست أنه جمع بين الخروج عن المحتمل إلى التطرف أو سوء الأدب.
أكثر ما يرجح عندي القبول وحسن الظن بطالب صداقتي ابتسامة بعض الأشخاص في الصورة، خاصة عند بعض الناس الذين لا تكون تقاسيم وجوههم على مقاييس أبناء الدنيا فانها تضفي عليهم بشاشة وحلاوة تعكس عندي جمال الباطن.
واقصد ابتسامة المحيا لا ابتسامةالشفاه، و كما في المثل " عندما تلتقي رجلا مضجرا ليبتسم لك أهديه ابتسامتك".
هناك عدة قرائن ترجح عندي الاختيار في حال محدودية العدد مثل الموازنة بين الجزائريين و غيرهم، ومثل حفظ نسبة للأخوات ٢ /١٠، و الموازنة بين أهل الفكر وأهل الشرع، والصغار و الكبار ،و أمور تلقائية حالية.
و اما الذين يراسلونني لقبول طلب الصداقة فأقبلها مباشرة لأن من قدرك فقد أوثقك.
و مما لا يعجبني(وقد يكون بحسن نية من الشخص) التسمي بالسلفي والأثري فخير ما يدل علينا أسماؤنا اذا طابقت المسمى.
في الحقيقة وددت لو أقبل طلبات الصداقة بدون انتقاء لكن كثرة الحسابات الوهمية و المتطرفة في أفكارها يمنع هذه الرغبة إضافة إلى تحديد العدد من إدارة الفيسبوك.
كبر السن والشعور الكاذب بعلو المنزلة والجلوس على كرسي، المشيخة بحق أو بباطل يجعلنا ننتظر الصداقة و لا نطلبها وهذا نقص.
على الرحب... وأهلا بالجميع..

العقل المعيشي..! ؟
هو تعبير _و إن شئت مصطلح_ يطلقه ابن القيم على عقل المنافق، وهو عقل توليفي لكن توليفته بين المتناقضات كالايمان والكفر،و هو عقل الادهان في دين الله، عقل إرضاء الفريقين.
مع هذا بالقلب ومع ذاك باللسان..!
لكن يجب أن نميز _وهذا موضع اشتباه_ بين أنواع التوليف، فمنه الصحيح الذي هو جمع بين عناصر صحيحة من مختلفين، وبين التوليف النفاقي الذي هو الجمع بين متناقضات عمدا.
كما الفرق بين المداهنة و المداراة، والفرق بين ارضاء مختلفين برد حق كل طرف اليه والمصالحة بينهما وبين ارضاء فريقين في طرفي نقيض.
{إذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا و إذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم}.
ذكره في "إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان" وفي "المدارج".

مفارقات: حيث أتوقع النقاش لا يكون وحيث لا أتوقعه يكون؟!! عندي فكرة عن السبب أذكرها في منشور قادم "السنوات اليتيمة و أزمة الفكر"

السنوات اليتيمة و أزمة الفكر..!

العالم بأسره يشكو في السنوات الأخيرة من فقر فكري أشار إليه عدة مفكرين كما في "ميلاد الاسطورة المعاصرة" ،" الأزمة الألمانية للفكر الفرنسي"(هذا عن مركب نقص الفرنسيين اتجاه خضوع فلسفتهم المعاصرة للفلسفة الألمانية بينما كان العكس في فترة روسو وغيره) ؛ "أزمة الفكر المعاصر" لكلوس مان، ازمةالثقافة" هانا ارندت.
لكن مع اختلاف المستويات بين عالمنا و عالمهم، فنحن نعاني من تجريف داخلي و من عجز في بناء تصوراتنا الخاصة لكن بصياغة تتضمن مجابهة النموذج الغربي الغازي ،نحن نبحث عن صهر المعرفي بالسياسي.

في حين يعاني الغرب من عودة الإشكالات القديمة التي ظن أنه تخلص منها إلى الواجهة، ومن انفصال المعرفي عن السياسي.

الظاهرة المنتشرة في شبابنا المثقف مؤخرا، و المتمثلة في كثرة الاستشهاد بالمؤلفين الغربيين يعتبرها البعض غير صحية وخطرا على الإسلام؟

وفي تقديري هناك دافع إليها واقعي قوي هو أننا لا نملك شبكة "قاعدة" لقراءة الواقع و تفسيره بموضوعية علمية، وبالتالي لا يمكن تجاهل هذه الضرورة الضاغطة، ومطالبتهم بالاعتماد على العلماء المسلمين وحدهم في قضايا لم يتكلموا فيها أساسا، أو بمجرد مجملات !

يجب أن نفرق بين الحديث عن الإسلام إثباتا الذي يفرض أن يكون بوسائله و مرجعيته، وبين متطلبات الجدل عنه أو الكلام في قضايا إنسانية مشتركة.

الخطر ليس في مجرد الاستشهاد بهم، فهذه سطحية اعتذارية ولكنه في الاعتماد عليهم دون نقد مرجعيته إسلامية أو حتى ضرورة عقلية أو تجريبية.

ومع ذلك لا يمنع هذا من الاعتراف أنه عندهم ما ليس عندنا في بعض المجالات، أو فصلوا ما بعضه مجمل عندنا، وأنهم يملكون منهجية مضبوطة، فالإشكال ليس في معارفهم غير الدينية التي فيها الغث والسمين ولكن في نماذجهم الفكرية.

وعلى هذا فإن التذمر بدون شهادة صدق عن واقعنا وواقعهم لن يسهل علينا تغيير واقعنا فضلا عن نقله من الموجود إلى المقصود.

وهذه أمور واقعية تمر بها الأمم، وهي شهادة على حيويتها وحركيتها، كما تخبر عما يسببه البحث عن النفس من الاضطراب والتخبط عندما نكون في وضع ضعف حيث تغلب معادلة "احتكاك +فشل متكرر".

بعد خيبة المثقف الماركسي تحول إلى الليبرالية الثقافية، و هي صورة خفية لليبرالية بالجمع بين ماركس وفرويد (freudo marxiste)

في الحقيقة بعد الخيبة الجماعية لكل التيارات الفكرية الغربية من عدم مسار تاريخي تحرري، وتلاشي فكرة الغد المشرق، وبروز أزمة المستقبل؛ بعد أن حلم الماركسيون بمجتمع بدون طبقية تبخر حلمهم مع سقوط الاتحاد السوفياتي..!

في الحقيقة خاب ظن كل المثقف الغربي، من المسيحي التقدمي إلى الليبرالي المحافظ إلى الماركسي، وكان لابد لهم من لوم الماضي لأنه هو ما جعل الحاضر على ما هو

عليه، على قول هارتوج عن الحاضر :" هو كل شي ولا يوجد تقريبا فيه شيء"!
وعلى قول بول ريكور :" الاختيار الآن بين الرمادي والرمادي، ولى زمن الاختيار بين الأبيض و الأسود" لعدم وجود مشروع تحرري و غياب مثقف رسالي كما كان الحال في الماضي!
على هذا، وبمساهمة الماركسية الفرويدية،و الحداثة تحت إمرة السيد" الرأسمالية العالمية اللاأخلاقية " أصبح الحاضر طاغوتا مكتفيا بذاته، غيرمحتاج للماضي، مما سيدفع المثقف الغربي المخدوع إلى وضع أوهام الماضي في موضعها حتى لاتزعج هذا الحاضر!
هذه التحولات المعرفية والسياسية متمثلة أولا في انتقال_الحديث _مركز الثقل من الأدب إلى العلوم الاجتماعية، والآن عودة إلى الفلسفة، مع مرحلة البنائية التي ستضع قدما في الأدب وأخرى في العلم :اللسانيات العامة بارتز ،والذي سيجمع خيبته في هذا القول :" أرفض بعمق حضارتي حتى الغثيان"!.
وفي الانثروبولجيا كلود ليفي ستروس ،والذي سيلخص القضية بقوله :"من الرجل العريان إلى لا شيء"!
و في التحليل النفسي لاكان، وكلنا يعرف موقف الفكر الغربي من التحليل النفسي عندما لم يعتبروه علما!
التحول الثاني وهو مهم لأنه عملي هو انفصال المثقف اليساري عن السياسي اليساري، وعلى هذا سيتصالح المثقف الماركسي مع القيم الليبرالية، ومستعينا بفرويد سيفرش للرأسمالية التحررية العالمية (ليبرالية اقتصادية مع ليبرالية أخلاقية) و التي جعلت المثقف بوسيلة أو أخرى موظفا عندها أو دفعته ليفر من المسؤولية.. ؟
الفكر الغربي الآن في مراكز التفكير التابعة للرأسمالية التحررية (libertere) حيث توظف العلوم التي نعرفها والتي لا نعرفها لشيء واحد هو بسط نفوذها ونموذجها المتمثل في "المجتمع الاستهلاكي المتحرر من الأخلاق".
وكما توجد مقاومة في العالم الإسلامي توجد مقاومة في العالم الغربي الذي مل من النموذج الوحشي الذي فرضته عليهم الحداثة، حيث أصبحوا عبيدا للبنوك، أرواحهم تئن تحت المسخ الأخلاقي الذي طالهم من الإعلام و الثقافة الاستهلاكية، مع تراجع هويتهم التاريخية التي فككت بأدوات الطمس بمختلف الأشكال.

بطبيعة الحال نحن في بداية المقاومة وهي شكلية تنصب على نقد النتائج دون الأسباب، و الحقيقية منها محتشمة لم تجد بعد الإطار السياسي الداعم لها لذلك تهلل بقيام أي نظام قومي مثل حكومات اليمين المتطرف، ومثل بوتين وترامب، لأنها تدرك أن المسخ عميق جدا ومعقد وشامل، لا يمكن مقاومته بدون دولة.

لذلك هناك استنجاد بروسو بعد الإهمال الذي طاله من التنوير والحداثة لأنه يقترح طريقا ثالثا يجمع في نظرهم بين حسنات الماركسية كما في نظريته الاقتصادية والاجتماعية وموقفه من الثراء، وبين حسنات اليمين المحافظ في شبه إيمان بدون ديانة ونظرية أخلاقية مدنية ونظرية سياسية تقود إلى ديمقراطية شمولية.

تفسخ الأخلاق و ما يتعرضون له من غزو روحي وضياع الفرد بعد عزله عن الجماعة والحاجة الفطرية إلى شيء من الروحانية والتكافل المسيحي دفعهم نحوه لأنه يوفر هذه الحاجات دون العودة إلى المسيحية التي يرفضونها فمعه يمكن أن تكون أخلاقيا بدون ديانة، مؤمنا برب بدون نبوة وأحكام الديانة تحت فكرة الكائن الأسمى والدين الطبيعي ما يعني ماديا بدون إلحاد!

لقد تعرض روسو إلى نقد من الفيمنيزم بسبب موقفه من المرأة، وقبل ذلك من الموسوعيين الذين حذروا هيوم منه بسبب انتقاده فلسفة الأنوار جوهر الحداثة.

وقد عرف عنه ذم الثراء تحت مسمى الترف، وانتقاد سوء توزيعه، و لأنه يجلب عدم المساواة و الاذلال والبؤس والفساد والغرور والشجع وعدم القناعة والتخلي عن القيم المدنية، وحب الذات وعدم الشفقة..

وفي الاقتصاد انتقد الاقتصاد السياسي و الاستهلاكي الليبرالي و طالب بمنع أية آلة أو تقنية تستغني عن اليد العاملة.

وفي السياسة انتقد هوبس ولوك لأن فلسفتهما السياسية تقود بحسبه إلى المجتمع البرجوازي، و أقام نظريته السياسية على أن الانسان طيب بطبعه و المجتمع هو من يفسده.

وعلى هذا فكل ناقم عن وضع الأخلاق والاقتصاد والسياسة في أوروبا وجد عنده مستند فكري!

المهم أن الغرب يعاني حاليا من بؤس فكري أو من أزمة فكرية حادة فقد سطحت ما بعد الحداثة كل التضاريس الفكرية والثقافية.

و بالنسبة لنا هو مفيد في نقد الأنوار، و في تتبع أثره على هبرماس وراولس وجورج ساندر ودريدا ثم فيخت و شيلار و هيغل وكنط و تولستوي وبوشكين وروبسبيار لفهم العقلانية الغربية و أزمتها مع الوحي،وعيوب الحضارة الغربية.
أما الأزمة عندنا فهي متعددة و مختلفة الطبيعة قسم منا يستورد ما ألقاه الغرب في القمامة أو هو محل مراجعة عميقة و قسم متمسك بتراثه لكنه عاجز عن تقييمه موضوعيا وتجديده ليصلح به واقعه، إما رافض للعلوم الإنسانية، و إما يعتبرها مكملة أو معينة، وهناك أنوار خافتةتسطع من هناوهناك، وقد كتبت عن أزمتنا الفكرية في عشرات المقالات فلا حاجة هنا للتكرار..

أسباب ضعف القراءة..؟

طالب العلم مولع بجمع الكتب، حريص على قراءة كل ما كتبه الناس بغض النظر عن دينهم و مذاهبهم، لأنه يريد أن يصدر عن علم و دراية؛ و بعضهم بلغ به الأمر أنه لا يمكنه المرور على قصاصة ملقاة على الأرض دون أن يلتقطها و يقرأ ما فيها!
و إن كان هناك فارق بين الكتاب الورقي و الكتاب الرقمي إلا أنها قضية عادة فقط، خاصة مع لوحات القراءة التي فيها رفاهية لا تنكر.
في تقديري من لا يقرأ المقالات العلمية على الفيسبوك أو في مواقع على النت لا يقرأ من الكتاب، فمن يعجز عن قراءة صفحة رقميةكيف سيعالج نفسه لتقرأ خمسمائة صفحة ورقية...!؟
ومع ذلك نتساءل: إذا كان يجد صعوبة في قراءة مقال طويل فإن متابعته لمنشورات الشريط العام وربما للفيديوهات هو في الأخير أضعاف أضعاف ذلك المقال! ما يعني أنه يبحث عن الترفيه عن نفسه، وهذا مشروع إن كان بالضوابط الشرعية، وكان مهتما بالعلم و الفكر في العالم الحسي..؟
عندما نقرأ يظهر ذلك في كلامنا :في ثراء الأفكار و تنوعها، في الإحاطة الثقافية، في منهجية الكلام، في متانة المرجعيات وكثرتها، في قوة التوليف، في الخريطة المعرفية التي نتكئ عليها.
يبدو لي أن الهاتف الذكي الذي أصبح كالحاسوب ومواقع التواصل أثرت في وعينا العميق و اصابت عقليتنا و نفسيتنا بشيء ما، مع المناخ العام الذي نعيش فيه حيث

العلم قيمة ميتة، والتعلق به أثناء الطلب اوالتكوين مرتبط بالمستقبل المهني ثم ينقطع الاهتمام به، ما جعلنا نتجنب الجريد، و حولنا إلى معلقين صحفيين على الأحداث (chroniqueurs)!

لقد طرح العلماء المسلمون قديما السؤال عن كم المعلومات التي يجب تحصيلها كما في حفظ الحديث و عدد آيات الأحكام للمفتي أو المجتهد و غير ذلك؛ ونحن في زمن يكبر فيه الجسم المعرفي بسرعة شديدة، وفيه الغث و السمين، المهندس الذي يزيد في العقل ،و المكرر أو غير المحقق الذي يضيع الوقت ،فإما تقرأ بدون هوادة ما استطعت ولن تلحق، و إما تختصر الطريق فتتعلم الحس النقدي وأساليب التفكير وقوانين الاستدلال ،و الاعتماد دائما على أئمة كل فن المحققين فيه، فتجمع بين القراءة والنقد في وقت واحد.

المشكل في الأمم الذي تتولد عنه مصائبهم العلمية هو عندما يصبح العلم حكرا على فئة قليلة منهم ،لأنه عندما يرتفع مستوى الناس الثقافي تتهمش فيهم الخلافات غير الموضوعية، يعني: يقل فيهم بيع المغشوش..!

يمكن أن أحدد وظيفة شخصية للفيسبوك فاعتبره كصحيفة؛ أو كمنصة تواصل مع أصدقاء مثل مقهى نلتقي فيه، تكون الموضوعات فيه مفتوحة، بعيدة عن الجد، إلى غير ذلك.

المهم هو أن برنامج القراءة محفوظ و لو في حلقة قراءة أسبوعية أو شهرية.

هناك حسابات اتباعها جادة جدا، وفيها فكر رصين و إعمال عقل ظاهر، ومع ذلك تعاني التهميش، والتفاعل فيها قليل جدا فأتذكر قوله صلى الله عليه وسلم :"يأتي النبي ومعه الرجل.. وليس معه أحد"!

دمت على يقظة العقل و الخواطر..

العنف و الحضارة عند الغربيين ..؟!

هذا المقال مساهمة سريعة مني لأحد الإخوة يحضر رسالة علمية في موضوع "دور الدين في نشوء الحضارات"

....

يعرف بعضنا أن وظيفة فرويد _في النظام الليبرالي_ ايديولوجية ،مثله مثل علم

النفس البنائي اللاكاني هي تبرير اللاأخلاقي: السياسي والاقتصادي والمجتمعي والثقافي، فاحتكار صناعة الدواء و ما تسببه من موت مئات الالاف من الفقراء، واتخاذ تدابير بنكية للتحكم في أسعار المواد الغذائية مما يسبب المجاعات ، والحروب العدوانية من أجل ثروات الشعوب، ودعم الأنظمة الفاسدة لمنع التنمية... الخ تحتاج إلى مسكن للضمير، إلى فم وحش يبلع هذه الآثام!

لنأخذ المسألة من وجهة تحليل موافقه؛ في كتابه (totem et tabou) يحاول أن يوضح لنا أن القتل الأول (قتل قبيل لهابيل) هو مبدأ محضر "civilisateur"!

يعني أنه جعل القتل في مركز تفكيره في أصل المجتمعات، فقتل أب القبيلة البدائية ! هو فعل حقيقي و ضروري لتأسيس مجتمع متحضر..!

وفي كتابه "موسى الإنسان والديانة التوحيدية" يعطي القتل "المشطوب" فكرة القوة الرمزية.

هيكل المذهب الفرويدي هو أن الحضارة الانسانية هي نتاج الشر و ليست من نتائج الخير، مع أنه لم يأخذ بعين الاعتبار المشكل السياسي لقاتل الملك(الإنسان الصالح) ، ولا البعد و العاقبة الأخلاقية لرفض حكم الله؟

التحليل الذي ينطلق منه غث فلأن قابيل بعد قتل أخيه طرد _حسب الرواية التوراتية_ إلى أرض "نود" شرق أفغانستان حاليا، و أسس فيها مدينة "هينوش"، وبالتالي فإن القاتل هو من أسس أول حضارة إنسانية، والقتل هو السبب المباشر! ، أو لأنه أول من دفن ميتا، وهي أول علامة تحضر؟!

لكنه لم يجبنا إن كان بقية إخوة قابيل لم يؤسسوا مدنهم، ولماذا لا يكون أول عمل حضاري هو اللباس وصناعة الأدوات والحرث؟ ولم لا تكون اللغة هي أساس وجوهر التحضر؟!

مع العلم أن عملية القتل متأخرة بالضرورة عن هذه الأمور ؟

ثم لم لا يكون مؤسس الحضارة الإنسانية الغراب لأنه هو من علم قابيل دفن أخيه..؟!

لم لا يكون أساس التحضر الإنساني هو معرفة الله و التعليم الإلهي لآدم ، وقد و جدنا أن كل الحضارات البشرية بدأت بدوافع دينية، فأول ما قام الإنسان ببنائه هو المعبد سواء الكعبة لآدم أو صخرة المذبح و عمود الحساب الفلكي لمن تجهَّل من أولاده، ومن المعابد انتقل الحساب الفلكي إلى الزراعة.

ولو كان البناء وحده معيار الحضارة لكان النمل الناسج او النحل او العنكبوت أو النمل الذي يبني المداخن التي طولها مقارنة بحجمه عدة كيلومترات سيد الحضارة..!
من خلال قصة أوديب الخرافية يبني فرويد مذهبه مازجا القصة التوراتية بالخرافة ليركز على رؤية تراجيدية للبشرية المدانة بأكبر جريمتين: قتل الأب التي تستبدل النظام بالفوضي، والفاحشة التي تفسد الأنساب.
لقد اخترع فرويد _كما قال موافقوه _الإنسان الأوديبي ليزعم أن مصيره محدد في لاوعيه، و أنه بوتقة الوعي المعاصر المتكفل بأثمه(بلع الآثام والاستمرار كأن لم يكن من أجل المصلحة).
لم يبحث فرويد_ مع أنه نفساني _عن سبب الجريمة و الذي يظهر أنه نفساني، فإن قابيل حسد أخيه لكون الله تقبل قربانه ولم يتقبل قربانه هو فحسده على ما فضله الله.
وذنوب البشرية الأولى ليست القتل والزنا بالمحارم كما يذهب إليه، ولكنها الأمراض النفسية :الحرص والكبر والحسد؛الأول ذنب آدم، والثاني ذنب إبليس، والثالث ذنب قابيل.
وهذه الأمراض النفسية تمنع الاستسلام للأمر، وهي مجتمعة في اليهود !
و الحسد مرض اليهود بامتياز،حسدوا النبي صلى الله عليه وسلم حتى قيل بأن سورة الفلق نزلت بسبب ذلك، و حسدوا المسلمين: { ود كثير من اهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق}.
ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم كما في "السنن":"
دب إليكم داء الأمم قبلكم الحسد والبغضاء".
تتكون الحضارة من العامل الروحي المستوحى من الدين و يمثل الدافع الأخلاقي، ومنه تأتي العدالة الاجتماعية ثم الدافع المادي، وهو الوسائل التقنية،ومن هذا يأتي مظهرها الثاني وهو التفنن في الترف والتكلف بالصنائع على قول ابن خلدون.
الذي يظهر من التحليل الفرويدي أنه لا يوجد قانون واضح لا غموض فيه يبيح القتل في الحالات الضرورية، بل هو متروك لنزوة ورأي الأقوى ومصلحته لأنه بحسب الرواية التوراتية فإن قابيل بعد قتل أخيه قال لله تعالى :"وهل أنا حارس على أخي؟" على عادة اليهودي في الاعتراض على الأمر الإلهي والالتفاف عليه ، وحبهم لسفك الدماء بغيرحق!

فالقتل عندهم غير مقيد بالدفاع عن النفس، أو من أجل النفس ،او لمنع الافساد في الأرض، ما نسميه "القتل بالحق" :{ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق}.
القتل عندهم" اليهود و الليبرالية اللاأخلاقية " لا يكون لمنع الفساد في الأرض ولكن لإقامةالدولة المتسلطة على الغير ولتحقيق المصالح المتمثلة غالبا في الهيمنة على الغير ونهب ثرواته!
يقول اوجان انريكي في كتابه "من القبيلة غير المنظمة إلى الدولة"(de la horde à l'état) : العنف الأول مؤسس القانون!
ومعلوم أن وضع القانون لا يكون _في الغالب _للحث على الخير لأنه فطري في الإنسان لا تستنكره فطرته، و إنما تصدر القوانين بعد وقوع الجريمة لمنع تكرارها،فصدور القانون هو نتيجة لارتكاب الذنوب، والعيش بالمبادئ الأخلاقية خير من العيش بالقانون الذي لا يحتاجه إلا الشرير لردعه، والخير في درجة ثانية ليحميه.
لم يؤمر آدم في الجنة إلابقانون واحد في صيغة نهي: {ولا تقربا هذه الشجرة} ،فمؤسس القانون هو وجوب طاعة الله وليس العنف.
وعليه يوجد فرق بين الحاجة إلى العنف لحماية الخير الإنساني عند تعذر غيره وبين اطلاق اليد به.
في العلوم الإنسانية الغربية حقائق كونية مشتركة بدون شك لكن الغالب على براديجماتها الاساس المادي الهيدوني ،فيحاولون بأي شكل إخراج العنصر الديني من المعادلة و مسخ الروايات الدينية بالخرافات الوثنية مثل: خرافة أوديب وبروميتي؟
الدين ضروري لنشوء الحضارة والصحيح منه ضروري لتطورها يحرسها من الانحراف إلا ما فيه هلاك البشرية هذا ثابت لا مرية فيه.
السؤال الذي يجب علينا الجواب عنه بموضوعية هو ما الذي حطم الحضارة الإسلامية،إذا صح أنها حطمت ؟
هل كان الدين حاجزا أمام التطور العقلي والاجتماعي و كمال الحضارة؟
التحليل و الفحص الموضوعي الحر يلزمنا بالثنائية التالية :إما هو عامل تطور للعلوم الطبيعية ،و إما حاجز لها ما إن يتدخل حتى تتوقف العلوم وتختفي وتموت حركيتها على زعم ثلة من علماء الاجتماع الغربيين؟!
فإذا افترضنا أنه الدين _كما يزعم الحداثيون_ فهل هو الدين أم النسخ المحرفة منه ،

يعني: هل الدين المنزل الذي كوَّن أمة وأعطاها عناصر التطور الحضاري عقيدة وأخلاقا وقانونا ،ومدها بالإطار السياسي هو نفسه الذي حطمها، أم هو دين آخر، حدث بعده، هو الدين المبدل الذي ننسبه لله تعالى بكل ما فيه، و الذي أبعد الفطرة عن عقيدة وفقه وسلوك الإنسان ،وعن تفكيره العقلي، وقتل فيه فعالية العقل ضمن معالم عقيدته وأصوله المنزلة؟

لأنه عندما لا يحتمل هذا الدين المبدل النقاش الصادق النابع عن حاجةحقيقية حتى في مسائل قطعية تكون عن شبهة مع سلامة القصد، او في مسائل ظنية أو متجددة، ويرتكز على حجة السلطة، و يغلق على كل شيء داخل صندوق "حقائق مطلقة لا تمس"، او" حقائق مختلفة لكنها متساوية القيمة"! ،و يحارب العقل دون اعتبار بالكتاب والسنة ،و يؤخر النص خلف عقل مستورد وثني الاصل، ولا يميز بين العلم الديني والعلم الطبيعي، لابد أن يقتل الحضارة في شقها التقني، و ينتهي هو نفسه إلى الخرافة العقدية والشعوذة ،وممارسات السوق ،فقد قتل كل عوامل التطور الإنساني ضمن فطرته.

ثم يجب أن ندقق في هذه الحالة الفرق بين معنى حطم ومعنى أضعف لأن الحضارة الإسلامية لم تزول كلية،إنما فقدت الدافع المادي يعني: الجزءالتقني، و بقي فيها الجزء الأكبر المتمثل في الدافع الأخلاقي على سلبيات.

عندما ينحرف الدافع الأخلاقي يعجز عن السيطرة على الدافع المادي وينشب بينهما صراع، بدايته إما من هذا وإما من الاخر، في الأمة الإسلامية من رحمة الله و لخصائصها كانت الغلبة فيه للدافع الأخلاقي لأسباب ذكرتها في موضع آخر.

وأما في الأمة النصرانية فكانت الغلبة للدافع المادي لأسباب نعرفها كلنا، وهو حجم التحريف الذي تعرض له دينها من البداية، وحتى من الناحية الحضارية بقيت المسيحية ما يقرب ألف سنة، من تنصر قسطنطين إلى الفترة المدرسية لم تنجز شيئا تعيش على العمران الروماني، لم تنتج إلى مضاربات أوغسطين اللاهوتية و والنقاش حول جنس الملائكة!

مشكلة المؤرخ والانثروبولوجي وعالم الاجتماع الغربي عندما يتحدث عن الدين أنه ينسى حجره الفلسفي المتمثل في تاريخية، الشيء، و أقصد تتبع مختلف المراحل، فالدين في زمن النبوة والقرون الفاضلة والفترة الذهبية غير الدين بعد ذلك، و إن لم

نفرق بين الدين المنزل و ممارساته عبر القرون،فإننا نخلط بين المبدأ في ذاته وبين ممارساته البشرية في فترات ضعف دخلت عليه عناصر أجنبية غيرت منه.
الذي يحطم الحضارات ليس الدين المنزل،ولكنه التكذيب والإجرام و إفساد دين الله؛ وهذا ما تشهد به الآثار_ كما في مواقع بومبي في ايطاليا_و التي تخبرنا لأي شيء أحرقهم الله برماد البركان..!
قال الله تعالى :{قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين} ، {قل سيروا في الأرض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين} ،{قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل كان أكثرهم مشركين}
سبب زوال العزة والنعمة هو انحراف الدافع الأخلاقي، الذي عند بلوغ حد حساس يفسد الإطار السياسي والإداري فيزول العدل الذي هو وظيفته في الجزء الحياتي فيزول الملك ونصبح أنصاف إنسان على قول أحدهم.

قراءة الواقع الجزائري..!
الحديث عن الواقع ـ معظمه ـ ليس إلا تقديرات وتخمينات ليس وحيا منزلا ، يبقى القادم منه هو معيار الصدق، وهو من سيحكم على هذه التقديرات.
ومع ذلك لابد من تفاضل رؤية على رؤية بتحليل عقدي أو سياسي أو تاريخي، أو بتركيبة منطقية مكونة من كل هذه الأبعاد.
لا يخفى أن أوجه تحليل الواقع متعددة، والأسباب التي تجعلها متعددة كثيرة، بعضها لها تعلق بتفاوت الناس في تصور الموضوع وفهمه، وربطه بأدلته المناسبة له، إضافة إلى اختلافنا في الموضوعية، والتجرد من علائق الانتماء والأمنيات.
فبعضنا ينطلق من انتمائه مترنحا بين المنهج الوصفي والأحكام المعيارية الجامدة.
المهم أن عقل الإنسان في مثل هذه القضايا مشتت بين تعارض الأمارات و تقابل الارادات كما يقال: تراجمت به الآراء تراجم الصبيان بالحصباء!
بالنسبة لي، في واقعي الشخصي أو واقع الناس تأتي كل قراءة للواقع بعد الاعتبار العقدي لهذا الواقع السنني الكوني والخاص بالمسلمين، يعني ان ما لا يتماشى في نظري مع التقييم الشرعي و النظرة العامة للدين لا أقبله.
بالنسبة إلي الارتكاز في الموقف من الانتخابات على اغتنام الفرصة هو نوع من

جعل العربة أمام الأحصنة فإن تقدمت فإلى الخلف!
ذلك أن الحجج التي اطلعت عليها التي تروج للفرصة هي نفسها و بتأثير أكبر تعضد فكرة التخطيط والعمل المتزامن بين مختلف الواجبات.
القول بالفرصة _وهو من جنس القول بالصدفة_ سبق و بينت أنه من الفكر الانتهازي الذي دائما ما تكون عواقبه وخيمة، هو مبنى على تقدرين :
الأول :أن جمهور الشعب سياقطع الانتخابات!
وهذا تقدير غير دقيق فنحن نعلم أن مقاطعة الانتخابات بدأت من سنين طويلة، فهي وسيلة سبق و إن استخدمت ولم تعط نتيجة، والنظام يعلم أن الشباب في الساحل والمدن الكبرى لا ينتخب، و ان غالبيته لا يملك بطاقة الناخب، أو لم يجددها، و مع ذلك لم يبذل جهدا في تحفيزه لأنه لا يكترث بهذا العامل.
كما يعلم أن الإقبال على الانتخاب يكون قويا في المدن الداخلية وهناك حضوره قوي، فالجزائر ليست الجزائر العاصمة أو منطقة القبائل فقط!
التقدير الثاني :بناه أنصار الفرصة على التقدير الأول، يعني أن فشل الانتخابات سيضطر النظام إلى التحاور والتنازل،!
وهذه قراءة هشة للغاية فإن النظام يعرف إمكانية فشل الانتخابات بالمعيار العالمي، بل هو متأكد من ذلك، وتعنته في قبول أي تنازل للمتحدثين باسم الحراك طيلة هذه المدة يعني أنه يملك خيارات أخرى، يغلط غلطة فادحة من يحصرها في التنازل لمطالب أنصار الفرصة.
فالقراءة الجيوسياسية للإقليم و العالم حاليا تفيد أنه لن يجد أية صعوبة في المزج بين مجموع خيارات تغير كل معطيات الواقع.
ربما الفرق الأهم بين الموقفين :الانتهازي والاستشرافي ،الفرصة والعمل المهيئ والتخطيط هو في الاكترات بالعواقب.
الذي استفدته من ابن تيمية في تفسير سورة الأحزاب هو أن الذي يأمرنا به الوحي هو أولا طاعة الله في النفس، وفي الناس، ويدخل في طاعة الله الأخذ بالأسباب المختلفة المعنوية والمادية السياسية، وليس اغتنام الفرصة على تعطيل واضح لهذه الأسباب..!
و ثانيا: انتظار وعد الله، ومع الأول نستغفر حتى تتم الطاعة، ومع الثاني نصبر حتى يتم اليقين بالوعد، قال تعالى :{واتبع ما يوحى إليك واصبر حتى يحكم الله وهو خير

الحاكمين}}.
أقول هذا بغض النظر عن كون النظام المقبل_في نظري _أفضل من السابق اختيارا أو اضطرارا..

فاضل بين ما ضيعت و ما كسبت..!
أحد الإخوة ممن أخذ عني شيئا من العلم الشرعي وصار صديقي _لأن صحبتنا قديمة_ كان قبل إلتزامه شابا مرحا خفيف الروح، شديدالاهتمام بمظهره، كثير التجوال في دول العالم، جمع ثيابا فاخرة باهظة الثمن، و سجل لحظات سعادته في تلك الأيام في صور تذكارية.
وبعد أن من الله عليه بالالتزام، وبحسب الجو الديني الذي دخل فيه تصدق بكل تلك الثياب الفاخرة فلم يعد بحاجة إليها لأن فيها تشبها بالكفار!
واحتفظ ببعض "البنطلونات" قطعها إلى ما فوق الكعبين يلبسها تحت عباءة، و قام بحرق كل تلك الصور التي جمعها في جولاته لأنها صور جاهليته!
وبعد تراكم العلم اكتشف أن اللجنة الدائمة و خلافا للالباني رحمه الله تجيز لبس البدلة والبنطلون إذا استوفيت الشروط الشرعية! و أن مذهب الجمهور في الإسبال جوازه لغير الخلاء!
كما اطلع على بحوثي في" التصوير" و" الأخذ من اللحية" فامتزج فيه الحزن مع الغضب، و قال لي(حديث قديم لا أتذكر تفاصيله جيدا) :ضيعونا آ صاحبي!!
قلت له مواسيا :لا تندم عن شيء تركته لله تعالى في وقت كان اعتقادك يستلزمه.
فرد علي :لم أندم على ما فعلت ولكن على التقائي بجهلة أفسدوا علي حياتي و سجنوني في عباءة!
قلت له :هم مثلك أهل خير، ما فعلوا ذلك إلا حبا في السنة، فصح قصدهم ولم يسعفهم العلم.
فرد مرة أخرى قائلا :حرمت على روحي حاجة ما حرمهاش علي الله تعالى، قش شباب عزيز، غاضوني التصاوير في بلايص روعة!!
واقتضى ذلك أن انتقل معه إلى الأهم فقلت له :إن شاء الله تعالى تتصور عند الكعبة، والأجر الذي أخذته طاعة لله تعالى أعظم من القماش و الصور فلا تضيعه.

نمر كلنا على خيارات نتراجع عنها بسبب زيادة العلم، لا يجب أن نخلط بين القصد و الموضوع، فإن نية المرء أبلغ من عمله، المهم في السابق أو الآن أن لا نخالف اعتقاد التحريم.

ومهما يكن فإن اليقين باختيارتنا العلمية ليس كيقيننا بالله، و إن كانت اختيارات الجماعة التي نشأت فيها ليست هي الراجحة عندك فإنهم اعطوك دينا، و أخلصوا لك النصيحة بحسب مبلغهم من العلم.

،وقد اتخذنا في حياتنا اختيارات تمنينا في لحظات الضعف و الأزمة لو لم نفعلها، لكن بعد إمعان النظر في العقيدة ونبضات حسن الظن بالله لمسنا بأيدينا أنه في الحقيقة لم يحصل لنا إلا الخير الذي نعجز عن أداء شكره، فقط نحتاج إلى رفع الحجاب، و لمثلنا لا يرفع إلا في لحظات نبصر فيها ومضات الحق لأننا لم نتم الإيمان الذي تشرق به أيامنا، و نبدد به خواطر النفس السيئة ووساوس الشيطان وغرور الدنيا.

و مما يعجبني مما قيل في الندم أن الندم على شيء من الدنيا ليس إلا تضخيما لرغبة مضت فهو ربما خطأ ثان.

يخبرنا الندم على الدنيا أننا في الطريق الخطأ لأن الطريق الصحيح هو الرضا، لكن الندم على التقصير في حق الله تعالى وما يتبعه من حقوق للوالدين والأهل والأصحاب و المسلمين و إن كان مرا له غصة فإنه يخبرنا أننا على الطريق الصحيح.

و البشرى أن "كفارة الذنب الندم" أحمد.

الكلام في مكان الغير (!)

تجتمع فئةٌ من النَّاس لتتكلَّم باسم فئةٍ أخرى، و تحكم عليها من غير حضور تلك الفئة(!) يعني: كل واحد منَّا يحكم في بيتِهم و يرسل الأحكام مع دخان مطبخِهم، ثمَّ يعتقد الجميع أنَّه حل المعضلة و أنهى المشكلة ؟ !

عندما يتكلم شخص في مكان آخر يعني أن الشخص غير المعني يتكلم في مكان المعني، فمثلا يكون معي شخص ويقول لي أحدهم مثلا :أخطأت! فيقول رفيقي: لماذا تهين الرجل؟

مع إني لا أعد كلمة ذاك الرجل إهانة، فهو هنا (رفيقي) يتكلم في مكاني بما لا أشعر به.
وهكذا عندما تتكلم عضوات في الفيمينزم عن المرأة الجزائرية أو يتكلم سياسي عن الشعب، أو يتكلم فصيل عن عموم الشعب!
لتتكلم في مكان فئة يجب أن يكون الموضوع مشتركا.
ولهذا قال بعضهم :هنا نحجز كلمة الغير لأننا نعتقد أننا نفهم عقليا ما يعاني منه، يعني بالتقدير الذهني!
و لأننا فهمنا جيدا ما يريده هؤلاء الناس نشعر اننا نملك حق تقديم الدروس لهم؛ ونشرح لهم كيف يكون موقفهم، وكيف يعيشون حالتهم، متى يمكنهم الكلام، ومتى يجب عليهم الصمت،.... الخ بتصرف يسير.
وبالتالي نحدد لهم خريطة الطريق و الأجندة، ثم نعمل عليهم شرطة!!
إن لم يتفق الناس، ولم يكن لهم رؤوس سيكون الكلام عبثيا!

الاختصاص العلمي هو لأكل الخبز ليس للتفكير(!)
كيف تكوِّن تفكيرك..(؟)

....
و إن كنا في زمن الاختصاص في العلوم عامة، و التي صارت تشكو من سلبيات التخصص، و الحاجة إلى التعاون بين الاختصاصات من أجل نتائج أكثر دقة فإن التخصص في علوم الدين، وفي الفلسفة، و في الإنسانيات للتفكير في قضايا الإنسان مرفوض من ذاته وهو سبب ظنية أو ضيق النتائج.
الإنسان موضوع علم الاجتماع أو السياسة او علم النفس او الاقتصاد او التاريخ أو اللغة، او الأحكام الشرعية و الأخلاق كل لا يتجزأ.
لأنه عند زاوية ما يلتقي كل ما يتعلق به كفرد أو جماعة فيتفاعل أو ينصهر، لذا لتكوِّن تفكيرا شاملا و دقيقا تحتاج إلى:_ضبط مسار قراءتك الشخصيةبالتنوع و التعدد داخل التخصص الواحد و خارجه حتى تحيط بالحوارات بين المؤلفين وبين العلوم، مثل :الحوار بين المحدثين و الاصوليين حول شروط صحة الحديث، و الحوار بين أصول الفقه واللغة حول المطلق وعوارض العموم، وبين المنطق واللغة،

وبين اجتماعيات الدين والانتروبولجية الدينية، وبين الابستمولوجيا والفيلولوجيا حول التأويل والتفسير.. الخ.
بدون الوقوف على جنيالوجيا الموضوع و بنوة الأفكار من الصعب عليك ضبط الروابط المنطقية بين مختلف المجالات التي تبحث نفس الموضوع، و أن تسأل عن هوية المجال أو الفكرة، و أساس هذا الموقف أو ذاك.
بدون الوقوف على الحوارات التعارضية بين المؤلفات حول نفس الموضوع داخل نفس الاختصاص وخارجه، لا يمكنك أن تهضم الفن و الموضوع تصوريا لأن هذه الحوارات هي ما يكشف لك أصالة الفكرة.
ومع أهمية التعريف في تحديد قيمة المقدمات الأولية التي تبنى عليها الأطروحة، ولذلك قال انشتاين :إذا قبلت مقدمات كنط عن الماقبليات سلمت له كل شيءبعد ذلك!
لذا فإن هذا المنهج في القراءة سيسمح لك بأن تكتشف أن تعريف الموضوع هو قضية براديجمات فقط، ولهذا كانت قاعدة ابن تيمية المنهجية هي: عدم التسليم للمصطلح، ومراجعة التعريف بما يسميه "الاعتبار الشرعي" ثم البحث العقلي واللغوي فيه.
إذا أردت أن تحيط بالقضية من مختلف أوجهها بما يشبه ضبط الاحتمالات بالسبر والتقسيم، والذي يعتمد على قوة الاستقراء فإنك تحتاج إلى أن يكون بؤرك التاريخي عن الأفكار في مجالات المعرفة المختلفة واسعا بقدر المستطاع، لأن هذا ما سيسمح لك من تحديد معالم الفضاء العقلي الثقافي الذي في داخله ستنبسط الفكرة أو الموضوع.
التفكير الشامل هو تفكير موسوعي ثمرة لقراءات متنوعة، ولتبادل حواري ثري بين العلوم و المؤلفين .
عندما نفتقد إلى هذا المنهج في القراءة سيحدد الإطار التحليلي الموضوع وليس المقاربة.. (!)
عندما تقرأ في الكتابة التخصصية تجد أنه في كثير من الأحيان الذي يجمع بين أهل اختصاص واحد ليس المنهج ولا الابستمولوجيا، ولكنه الدفاع الطائفي عن هوية اختصاصهم!
لك أن تسأل: لماذا مثلا نجد تأثير ابن تيمية(أمثل بمن أعرف ليس حصرا) في المفكرين الموضوعيين أوسع بكثير من مقروئيته،ومن غيره.. (!؟)

فإن قليلا من الناس من درس كل كتبه من العلماء المتأخرين، وحتى من الباحثين الأكاديميين الأجانب بمجرد قراءة أولية لكتاب أو كتابين يخرج متأثرا بشكل أو بآخر(؟) مع لجوء الناس إليه في مجالات مختلفة كثيرة.. (؟)

يمكنك أن تراجع مثلا فهرس "الرد على المنطقيين" لتقف بنفسك على تداخل المجالات المعرفية المختلفة، وكيف يوظفها في بحث نفس الموضوع، وكيف يردها إلى نفس المنهج المعرفي.

نقص عدد العلماء و المفكرين الموسوعيين و الاستشرافيين أصحاب التفكير التصوري و التأصيل العلمي، سواء في المسلمين أوفي الغربيين(مؤخرا) سببه أن مسارات القراءة أصبحت موحدة حجما ولونا كحبات الطماطم على رف بائع الخضر(!) تخصصية مهنية، ففقدت ذاك التعلق العقلي والنفسي بالمعرفة الذي يبحث عنها في كل زمان وفي كل مكان وفي كل مجال، فتكاثر المفكر الانتهازي، و المفكر الإعلامي، لأن هذا المسار في القراءة ينتج تلقائيا التفكير المعلوماتي لا التصوري المؤصل.. (؟!)

،لذلك تجده يناقش النتائج دون الأسباب، والتحليل يتوقف في نصف الطريق لأن مادة المطالعة غير كافية، والقراءة تقريبا أحادية النوع، وصرامة التصور يعني قوة البقاء في التجرد المدة التي يتطلبها الموضوع هشة فسريعا ما ينزل إلى القراءة الحسية.. (!)

قول بعض السلف :أبواب العلم كثيرة فخذ منه أحسنه، يجب أن نفهم منه أولوية بعض العلوم على أخرى في الطلب لتأسيس العقل وصيانة الدين، لأن علاقة المسلم بالدليل هو أن يكون هاديا للمدلول، له قيمة أخلاقية مع قيمته العلمية، لكن بعد ذلك يجب التوسع فإن المعرفة مهما كانت قليلة النفع تفتح باب معرفة الحق.

إن القضايا العلمية الدقيقة لا تعلم إلا بذكاء و فطنة فطرية أو مكتسبة، لذلك تحتاج إلى مسار قراءة قوي ينمي ذكاءك وفطنتك، يعني يقظتك، و يعينك على تحقيق علمك وبيانه.

حصاد السنين.. ؟

....

رسالة صفحتي على الفيسبوك هي مشاركة من يقف على منشوراتي إعجابي بالنصوص العلمية القديمة الكبرى المغذية للعقل أو للروح ، بعبقرية بعض الشخصيات.
مشاركتكم بخلاصة قراءتي للأعمال المعاصرة الرئيسية، بتجاربي الحياتية والسلوكية، ما هو أساسي لثقافة الروح ولهويتنا.
وأحيانا_ خروجا عن المسار _ عن رؤيتي للواقع السياسي و أحوال الوجدان..
لهذا الغرض سأخصص سلسلة منشورات بين الفينة والأخرى لحصاد السنين تكون مختصرة جدا كخلاصة موجزة للمعاني والحقائق التي وقفت عليها والتي سأقف عليها إن شاء الله تعالى.
و أكثر ما يهمني هو أن أنصب للشباب جسرا يعبرون عليه إلى العصر بسلام.

حصاد السنين(١)

1 _ ما يجعل فكرة تهيمن على جغرافيا واسعة هو الأمر السياسي أو التحالف مع الدولة.
،وكل فكرة تهمل هذا القران تعيش مهمشة أو تتلاشى إلى الزوايا التي طرقها غير معبدة... (!)
2 _ الحركات أو التيارات التي منظومتها هلامية غير مستقرة أو فيها مجموعات أنظمة مستقلة عن بعضها البعض فإنها في هذه الظروف من غير الممكن أن تحقق نجاحا عاما يحتفظ بما يكفي من الوحدة لرؤية سياسية في نفس الاتجاه.
3 _ المدارس داخل التيارات التي ينصب اهتمامها على الكلام والفلسفة دون شمولية الاهتمام، و الاعتناء بالبعد السياسي، في الأخير هي مجموع جدليات تعجب المدارس الفكرية وليس الشعوب،تكون مواتية لتكوين فلاسفة دين لا رجال عمليين.
4 _ في مقابل شراسة الفكر المعاصر الذي لا يترك لخصومه هدنة للمقاومة ماذا يمكن لبعض الجماعات أن تقدمه للأمة إلا رؤية شاعرية اكثر منها عقلية واقعية؟

لم الاختفاء داخل الآخرين! ؟

ما كان في الإنسان تضوعت رائحته عليه فارفع رايتك..

فهم شدة رد فعل أهل الحديث..

تكلم بعض (القريبة من كثير) من المسلمين على الله تعالى وجوده وصفاته وعلى النبوة خصائصها ومنزلتها، وعلى التصوف وسائله ومقاصده على قاعدة الفلاسفة لا على أصول المسلمين ،بدلوا الدين الذي أنزله الله على النبي صلى الله عليه وسلم.

من عرف حقيقة أقوالهم التي يخفونها تحت العبارات الإسلامية،والمصطلحات العقلية والعرفانية المحدثة (ماذا أقول وماذا أترك) لا يمكنه إلا أن يجل غيرة أهل الحديث و جهادهم لحفظ أصالة الإسلام،ويفهم سبب شدة وقوة رد فعلهم.

ومن غطس في الفلسفة المعاصرة أدرك أنها ليست إلا براز الفلسفة القديمة الوثنية...!!

في امتحان التاريخ..!

" كل إنسان في مقدوره التمييز بين البقرة و الحمار يدرك ادراكا تاما أن مواد الفقه الإسلامي لها وجود ملموس في القرآن ، و أن علماء الإسلام خاصة في الفترة الأولى(كأئمة المذاهب) خدموا القرآن و السنة بشرف ووفاء تام، و لم يكن لهم أي غرض إلا نقل الدين الذي بلغه النبي(صلى الله عليه وسلم) للأمة"

رد المستشرق الهولندي رون هاليبر على أركون؛" العقل الإسلامي أمام تراث عصر الأنوار في الغرب؛الجهود الفلسفية لمحمد أركون" بتصرف يسير..!!

للعلم ضريبة..!

قبل أن تطلب العلم اعرف مسؤوليته:معرفة الحق والعمل به وتبليغه.

العلم إما يحييك لتحي به الناس، و إما يطغيك فتجادل به لغير الحق .

العلم منه مشترك يقدر عليه كل طالب ،ومنه عزيز لا يؤتى إلا المخلصين الذين يتحملون كلفته:الصدق قصدا و إخبارا.

العلم الشرعي أعز عند الله من المال: " فمن غلَّ شيئا آتى به يوم القيامة يحمله"،وعلى عالم [ربما أعلمهم] تدور رحى النار يوم القيامة!

معنى أن تكون حاضرا..؟

أن تكون " يقظاً " هي أن ترمي نفسك في ايقاع الاهتمامات اليوميَّة و الحاضرة التي تعيشها أنت أو أمَّتك على كلِّ المستويات.

و أن تكون "حاضراً " هي أن لا تشيح بنظرك عن هذه المهمة.

أن تكون " يقظا حاضراً" هو أن تكون " منتبهاً " بما يجب عليك فعله على وجه الاستعجال، وما يجب عليك الاحتياط له لتقف على الثَّغرات.

قد نكون حاضرين في هذا العالم بأجسامنا لكن عقولنا تنتابها فترات نعاس نتمنَّى الخروج منها...!

عند النداء لتجمُّع الصباح في الثكنات أو السُّجون أو المدارس يجيب الشَّخص الموجود بأنَّه حاضر، فأن تكون حاضراً هو أن تكون " هنا"، وأن تكون غائبا هو ألا تكون "هنا".

" هنا" تعني: " هذا العصر"، " هذه الأمَّة في هذا الزَّمن"، " هذا الوطن وليس ذاك في الأحلام"، " هذا المشكل وليس ذاك".

قصة مقام الفناء..!

....

جلس رجلان صالحان يذكران الله فقال أحدهما لصاحبه :ماذا وجدت في ذكرك الله؟

قال :وقعت فيما يشبه الاصطلام!.. فغبت عن شهود نفسي و الخلق، لم يبق إلا الحق؛ ورفع الحجاب فرأيت أقدار الله تجري بالخلق، لا شيء يخرج عنها، قد أحكم الجبار تدبير السماوات والأرض!

قال الأول :ما شاء الله! فتحت لك أبواب الغيب! فماذا استخلصت من هذا المشهد العظيم؟

قال الثاني :أن الخلق لا حول لهم ولا قوة، أشباح تمسكها خيوط القدرة ، مساكين لا قدرة لهم و لا فعل، هو وحده القادر الفاعل، قهر الخلق بقدرته، و أجبرهم على ما

يريد، فكل ما كان منهم وما سيكون أراده أن يكون، فمن رأى ما رأيت استسلم لاقدار الحق ورفع اللوم عن الخلق!
و قد أدركت أن غاية العارف الفناء الذي حصل لي، و في أقل أحواله أن يكون من لوازم طريق العارف.
قال الأول :ذكرت الله مثلك، و ربما أكثر منك! ولم يقع لي ما وقع لك؟!
قال الثاني :أنت طلبت العلم ففرقك! و أنا سلكت التجرد فذقت ما لم تذق.
قال الأول :إذا كان العلم يبعدنا عن الله فالجهل خير منه!
قال الثاني :ألم تسمع إلى قول كبار العارفين :زدني فيك حيرة!
قال الأول :إذا كان العلم بتفسير القرآن وبسنة الرسول لا يقرب من الله فكما قلت أنت :الحيرة أفضل، لكن عقلي و قلبي لا يطيقان هذا القول، فطرتي ترفضه! فكيف يأمرنا في القرآن بطلب العلم و بطاعة الرسول، ويمدح اولي العلم، ويجعل شهادتهم بالوحدانية مع شهادته، و يكون الجهل _لأن الحائر مساو للجاهل في عدم معرفة القول الحق _أفضل من العلم بالقرآن والسنة؟
وهل بعث الرسول ليزيدنا علما بالله ام حيرة؟!
قال الثاني :قولك صحيح في علم الشريعة، وقولي صحيح في علم الحقيقة.
قال الأول :كيف يكون قولان متعارضان صحيحين، أليست الشريعة هي الحقيقة التي جاء بها الرسول؟
قال الثاني :الشريعة ظاهر وباطن، فابليس كفر في الظاهر لكنه مؤمن في الباطن، لأنه لم يفعل إلا ما أراد الله تعالي، وكل مخلوق مراد محبوب؛ فهذا مثل لك عن علم الظاهر وعلم الباطن.
قال الأول :وهل سيخلد في نار ظاهرها العذاب وباطنها الرحمة؟ و ما توعده الله به من العذاب هو في الحقيقة نعيم كنعيم أهل الجنة؟ فلم جعل الله دارين واحدة للنعيم والأخرى للعذاب اذا كان في كليهما النعيم؟
بحسب قولك كل أمر في القرآن بمخالفة الشيطان هو في علم الباطن أمر بطاعته، وكل أمر بطاعة الرسول هو في هذا العلم امر بمعصيته.
و أخبرني! كيف يكون أمر الرسل بالمعروف حقيقة شرعية صحيحة، ويكون أمر الشيطان بالمنكر حقيقة باطنية صحيحة،؟! وهكذا مع الزنا والسرقة والقتل وسائر

القبائح؟!
ولو كان كل مخلوق مراد محبوب لوجب على الباطني أن يحب الفجور بمحارمه ويرضى به، ولوجب عليه أن يحب السارق الذي سرق ماله، والقاتل الذي قتل ابنه، ويرضى فلا يشكو هم _ولا أي ظالم_ إلى حاكم، و لا إلى الله تعالى؟!
وأصلا لن تكون هناك يوم القيامة أية محاسبة ولا محاكمة، فكل مخلوق مراد محبوب! وكل ما فعله البشر أراده الله، وبحسبك أحبه!
فلم يحاسبهم على شي وقع عليهم قهرا، لا طاقة لهم في عدم فعله، وهو محبوب الله، فكيف يعذبهم على محابه؟
قال الثاني :لا أدري كيف قبلتُ هذا الكلام الذي قلته لك، بدا لي صحيحا، والآن أراه كلاما لا يقبله عاقل، وتمجه النفس، أفلا بصرتني بسر ذلك رحمك الله ..؟
قال الأول :أولا :هذا الفناء الذي تدعونه كيف يقع لكم؟ هل تغادر أرواحكم أجسامكم و تعرج إلى عالم الملكوت و أنتم في حال يقظة أم هو أمر يعتري أذهانكم؟
قال الثاني :هو حالة شهود في غيبة عن الخلق وعن البدن لا أدري أين يجري!
قال الأول :اعلم أنه تجريد ذهني تقوم به القوة النظرية في الإنسان، ولهذا لا يمكنكم الاستمرار فيه ما ان تخالطوا الاهل والأولاد وتتلبسوا بما لابد للنوع الإنساني منه من الغرائز زال عنكم، و تبينت تناقضاتكم وانتهت الوحدة.
ثانيا :وهو _علامة لكل مؤمن_ كيف أقبل أمرا لم يقع للصحابة ولا أخبر به الأنبياء، فإن كان الفناء ثمرة الايمان والصلاح فليس في الخلق أكثر إيمانا وصلاحا من الصحابة فضلا عن الانبياء..؟!
هذا الفناء الّذي لم يَرد له ذكر، لا في الكتاب، ولا في السّنّة، ولا في كلام الصحابة والتّابعين، ولا في كلام الزّهّاد المتقدّمين، ولا جعلوه غاية ولا مقاما، وقد كانوا أحقّ النّاس بكلّ كمال، فلقد كانوا أعلم النّاس وأقواهم في دين الله !
قال ابن خلدون في (المقدمة): «.... وسلف المتصوّفة من أهل الرّسالة أعلام الملّة لم يكن لهم حرص على كشف الحجاب، ولا هذا النّوع من الإدراك، وإنّما همّهم الاتّباع والاقتداء ما استطاعوا، ومن عرض له شيء من ذلك أعرض عنه ولم يحفل به، بل يفرّون منه ويرون أنّه من العوائق والمِحن وأنّه إدراك من إدراكات النّفس مخلوق حادث وأنّ الموجودات لا تنحصر في مدارك الإنسان، وعلم الله أوسع، وخلقه أكبر،

وشريعته بالهداية أملك...." (ص: 475)
قال ابن خلدون في (المقدمة): " إنّ هؤلاء المتأخّرين مِنَ المتصوّفة المتكلّمين في الكّشف وفيما وراء الحسّ توغّلوا في ذلك، فذهب الكثير منهم إلى الحلول والاتّحاد كما أشرنا إليه، وملأوا الصّحف منه، مثل الهرويّ في كتاب المقامات له وغيره، وتبعهم ابن عربي وابن سبعين وتلميذهما ابن العفيف، وابن الفارض والنّجم الإسرائيلي في قصائدهم " (ص: 473) طبعة دار القلم 1409
قال الثاني :سبحان الله! كيف حدث هذا في الإسلام، وكيف تفسر لي وقوعه لي وعدم وقوعه لسادات الأمة ؟
قال الأول :لابأس ساشرح لك من أين جاءكم هذا الفناء خطوة خطوة :
ليس كل ما خلقه الله فقد أحبه بخصوصه، بل الله تعالي لا يفعل إلا لحكمة، فيريده ارادة عامة التي تجمع كل ما خلق، وحبه هنا للحكمة من وجود ذاك الشيء وليس للشيء نفسه، فإنه يخلق أشياء وهو يبغضها، وأمرنا ببغضها كالكفر والفسوق والعصيان لكنه يحب الحكمة من خلقه لها لأن فيها خيرا لخلقه.
وقد أرسل الرسل ليخبرنا أنه خلق هذه الأمور كالخمر والخنزير والسرقة والربا ليقضي بها حكمة عظيمة، و نهانا عنها لأنها تضرنا و ليس لمحض قهر التعبد.
و أنت تحدثني عن هذه التجربة العظيمة التي وقعت لك والتي سميتها "الفناء" أدركت من أجوبتك أن مضمونها نقص المعرفة وعدم العلم، وليس هذا من صفات الكمال،وسأخبرك
لماذا!؟
العبد الذي يذكر الله، و عرفه كما عرَّف نفسه في كتابه، وكما عرَّف به رسوله في السنة، معرفته بالله مفصلة متضمنة لأسمائه الحسنى وصفاته العلى ،فأنت في شهودك في الفناء لم تر الا ربا جبارا قهارا، يفعل بقدرة مجردة عن حكمة!
وذاك العبد رأى في القرآن ربا خالقا، فاعلا بحكمة، مريدا بعلم وليس بصدفه، حليما رؤوفا لا يضل عباده يأمرهم بأمر ويريد خلافه؟!
جعل لأهل الخير علامات يعرفون بها، تميزهم عن أهل الشر :لا يأمرون الا بمعروف ولا ينهون إلا عن منكر، وأهل الشر علامتهم عكس ذلك.
ذاك العبد رأى بعلمه بالسنة أن الرسول نازع أقدار الحق بالحق، نازع الكفر بالإيمان،

والشرك بالتوحيد، والظلم بالعدل، والمحرم بالمباح مثل الزنا بالزواج، كما ينازع البشر كافتهم المرض بالدواء، والجوع بالأكل والتعب بالراحة، فكلها أقدار الحق.
وقد مرض وعالج نفسه، وحكم على المسيء القاتل بالقتل، و على محي النفس بالثواب، وعاقب قوما وجازى قوما، وصادق قوما وحارب آخرين بأمر الله، ففرق وميز بين المحسن والمسيء، بين النبي والشيطان، بين البر رالفاجر، بين الصادق والكذاب، بين من يقضي حياته طائعا ومن يقضيها في الكفر والعصيان، ولم يسو بينهما كما فعلت انت في الفناء!
أقام المحاكم للفصل بين المتظالمين، وفرض الحدود، ألم يعلم أن كل مراد محبوب..؟!
وقد كلفه الله بأوامر أمرنا بها، ونهاه عن أخرى نهانا عنها، ألم يعلم أن كل مخلوق مراد، وكل مراد محبوب؟!
ذاك العبد رفع عنه الحجاب الذي رفع عنك في الفناء وهو في شهود البقاء ، فشهد المخلوقات يدبرها الخالق و يصرفها بمشيئته كما هو الأمر عليه في نفسه ،فكان مشهده أكمل وأتم من مشهدك في الفناء، لأنه في البقاء لم يصطلم فلم يغب عنه علمه، و شاهد في العالم من أفعال الله وعرف نظائرها ما لم تشاهده في فنائك، وشاهد في القرآن الفرقان بين الحق والباطل، وبخلافك عرف ربه وعرف أمره، رأى الأمر ورأى الحكم، رأى القدرة مقرونة بالحكمة، ورأى الرحمة، رأى الأمر القدري مقرونا بالأمر الشرعي، والمحبة العامة و الخاصة، رأى الجلال ورأى أيضا الجمال و الكمال.
هذا الذي سميتموه "سر الربوبية"هو أمامك تراه كل يوم فإن
حاجة الخلق الي الربوبية في دينهم هي أشد الحاجات ثم إلى دلائل النبوة فعليهما تبني الألوهية لهذا يسرها الله وسهلها اكثر مما يحتاج اليه العامة فضلا عن العلماء،
فالحوادث مشهودة، خلق الحيوان والنبات والسحاب ونزول المطر، والبشر مؤمنهم وكافرهم متفقون على واجب الوجود إنما يختلفون في صفاته، فالمؤمن والعاقل يجعله الله، والملحد يجعل الكون خالقا لنفسه! ، يعني هو واجب بنفسه ممكن بها في نفس الوقت، فهذه(ضرورة واجب الوجود) بديهة غير قابلة للتدمير لأنها الهوية.
من يفحص موضوع الفناء بدقّة، فإنّه لا يجد من أصحابه إلاّ إقرارا بالرّبوبيّة ورؤية الله متفردا بالخلق، مدبّرا لهم، ورؤية مشيئته نافذة فيهم، وهذا وإن كان حقّا، فإنّه ليس

العروة الوثقى، ولا معصم التّوحيد، الّذي هو رؤية الله مستحقّا لكمال الحبّ وتمام الذّل، وما يتبعهما من أوصاف الإيمان، ومحامد الأخلاق.

فلمّا لم يعرفوا من الألوهيّة إلاّ الرّبوبيّة، ووجدوا أنّ الله ربّ كلّ شيء، ظنوا أنّ الإله هو القادر على الخلق فقط، ولذلك انتهوا كلّهم إلى الجبر ونفي الاختيار والحرّيّة عن الإنسان، ومتى انتهينا إلى الجبريّة، الّتي تنفي الأفعال عن المخلوق نفيا مطلقا، قاد ذلك حتما إلى القول بوحدة الوجود، فالخالق هو الله، والفاعل هو الله، وما الإنسان إلاّ صورة أو شبح..!

فهكذا عندما أخذ بعضهم بالقول في الأجسام والذّرة، لم يقدروا على معرفة الله إلاّ من جهة الرّبوبيّة، أي القدرة على الخلق، ثم أنكروا المحبّة والحكمة في أفعاله، وكان التوحيد عندهم مجرد نفي الشريك في الفعل! ثم امتزج ذلك بالتّصوّف فخرج الاتّحاد والحلول!

إن اضمحلال النّفس، وتلاشيها أمام شهود ربوبيّة الله، وتقديره المحكم للكون؛ يسميه أصحابك : - شهود الذّات -ليس فيه شهود إلهيّة الله لعباده، وتجلّي صفاته وأسمائه.؟!

في مقام الفناء فقدت التمييز فلم تفرق بين المأمور به و المحظور، بين المحبوب والمكروه، فناؤك هو في الرّبوبيّة، وهو فناء من عجز عن شهود شيء من المخلوقات إذا شهد قلبه القدرة والمشيئة ، حجب عنك شهود الشّرع: والأمر والنّهي، وعبادة الله وحده،وطاعة رسوله..

الفناء لغة هو: الاضمحلال والتّلاشي والانعدام، وقد يراد به الهلاك.

وأمّا قصد أصحابك فهو أن تذهب المخلوقات وتتلاشى في شهود العبد، وتغيب في العدم، كما كانت قبل أن توجد، ويبقى الله كما لم يزل، ثم تغيب صورة الفاني، وتضمحلّ أيضا، فلا يبقى له صورة ولا رسم، ثم تغيب مشاهدته، ويصير الله هو الّذي يشاهد نفسه بنفسه، كما كان الأمر قبل إيجاد المكوّنات!

ألم يقل الغزاليّ في (الإحياء): " المرتبة الرّابعة من التّوحيد: أن لا يرى في الوجود إلاّ واحداً، وهي مشاهدة الصّدّقين، وتسمّيه الصوفيّة: الفناء في التّوحيد، لأنّه من حيث لا يرى إلاّ واحدا، فلا يرى نفسه أيضا، وإذا لم ير نفسه لكونه مستغرقا بالتّوحيد، كان فانيا عن نفسه في توحيده، بمعنى أنّـه فنى عن رؤية نفسه والخلق ". (ص: 229) طبعة دار القلم

واعلم يا صديقي أن الفناء عن رؤية المخلوق، كحال المغشيّ عليه والنّائم، وهذا إن كان يقع في حالة الذّهول، أو الخوف الشّديد، أو السَّكْر؛ فإنّه نقص في الإيمان والتّوحيد، إذ هو فقدان لقدرة التّمييز والسّيطرة على العقل، الّتي يرى بها المخلوق نفسه مخلوقا، ويرى الخالقَ خالقا.

فإذا لم يضمحل المخلوق في الوجود الخارجي الحقيقي لا الذّهنيّ؛ فإنّ للوجود أربع مراتب: وجود خارجي، وذهني، ورسمي، ولفظي كان هذا الفناء المزعوم مكابرة ومعاندة للعقل والحسّ، باطلا بنفسه لا يحتاج في إبطاله إلى شيء.

وانظر إلى شيخ الإسلام الهرويّ يقول في (المنازل): " الفناء اضمحلال ما دون الحقّ علما، ثم جحدا، ثم حقّا وهو على ثلاث درجات..." (ص: 404 /3) (مدارج السّالكين).

والمخلوق موجود في الخارج (أي: موجود حقيقة)، باق للأبد، إمّا إلى الجنّة، وإمّا إلى النّار، فانعدامه في الذّهن ليس علما، وإنّما وهما وخيالا، إذ هو باق، لا ينعدم بحال.

وعليه، انتقل الهروي بعدها إلى الجحود، فقال: - اضمحلاله جحودا -، وهذا يؤكّد أنّه لم يضمحل علما، فأراد جحد وجوده، وهذا إنكار ومكابرة، قال تعالى: {وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا} (النمل: 14).

وأمّا اضمحلاله حقّا، فلا يكون إلاّ بالاتّحاد، لأنّ الحقّ هو إدراك الحقّائق على ما هي عليه، والحقّائق تثبت حسّا وعقلا أنّ الرّبّ ربّ، والإنسان إنسان، فما بقي إلاّ الاتّحاد ليكون اضمحلال المخلوق حقّا.

وأمّا اضمحلاله مشاهدة، والّتي لم يذكرها الهروي لأنّه جعلها من باب الاضمحلال الأوّل، أي الاضمحلال علما، فإن أمكن وقوعه في حالة غيبة العقل، فهو زيف وسراب، إذ بمجرّد عودة العقل تنقضي المشاهدة، ويعود المخلوق إلى وجوده، الفناء عن وجود المخلوق، وهو فناء القائلين بوحدة الوجود، وأصلهم الّذي بنوا عليه هذا الفناء: أنّه لا يوجد وجودان ممكن وواجب، فلا يفرّقون بين كون وجود المخلوقات بالله، وبين كون جودها هو عين وجوده، فالفناء عندهم فناء عن شهود المخلوق في حالة الغيبة واليقظة..!

قال الثاني :أين المسكين أنا من الهروي؟!

قال الأول :إذا قال بعض الفضلاء بقول لم يشهد عليه شاهدان_ كما قال الداراني

_ هما الكتاب والسنة فلا يقبل منهم، وإذا كان الهروي من فضلاء الأمة فإن فيها فضلاء أجل منه علما وقدرا لم يقولوا بقوله؛ فالقضية ليست قضية فضل و إنما حجة شرعية.
و الهروي غلبه الشهود و لم يحتمل علمه الوارد فوقع في الجبر والاتحاد،ومع ذلك عندما يعود إلى اليقظة ويخرج من التجربد يشتد على المتكلمين فينقض مذهبه في الفناء والجبر رغما عنه لأنه باطل.
قال الثاني :أخبرني يرحمك الله هل هناك فرق بين الاتحاد و الحلول؟
قال الأول : الاتّحاد صعود الإنسان من عالم الحسّ والمادّة إلى عالم الملكوت، مفارقا كلّ صور المحسوسات، غائبا عنها، منسلخا عن جسده، ليتّحد بالخالق في تجلّياته.
بينما الحلول هو: نزول الخالق وحلوله في جميع مخلوقاته، لتكون مظهرا من مظاهره، وامتدادا لوجود، فإن كان عاما فهو وحدة الوجود، وإن كان في شخص فهو الحلول الخاص كحلول النّصارى.
فالأوّل، أي: الاتّحاد عبارة عن الكثرة في الواحدّ، والثّاني، أي: الحلول عبارة عن الواحدّ في الكثرة.
قال الثاني :نسأل الله العفو لقد وقع في هذا الذهول فضلاء لا يشك في فضلهم ممن لهم قدم صدق في الإيمان؟!
قال الأول :قال ابن خلدون في (المقدمة): «وصاحب الغيبة غير مخاطب والمجبور معذور، فمن علم فضلّه واقتداؤه حمل على القصد الجميل من هذا، وأنّ العبارة عن المواجد صعبة لفقدان الوضع لها، كما وقع لأبي يزيد وأمثاله، ومن لم يُعلم فضلّه ولا اشتهر فمؤاخذ بما صدر عنه من ذلك إذا لم يتبيّن لنا ما يحملنا على تأويل كلامه، وأمّا من تكلّم بمثلها وهو حاضر في حسّه، ولم يملكه الحال فمؤاخذ أيضا، ولهذا أفتى الفقهاء وأكابر المتصوّفة بقتل الحلاّج، لأنّه تكلّم في حضور وهو مالك لحاله " (ص: 474)
يا صديقي: إذا عرفت أن الفناء استهلاك الشّيء في الوجود الذّهنيّ، لا في الوجود العيني الخارجي عرفت خطره على العقيدة، و إن أثبت العلماء العذر لبعضهم فإن التحذير من الانزلاق واجب علينا،ولا ريب أنّ من اصطلم وغاب عقله، فتلاشى المخلوق في شهوده، فإمّا ألا يشاهد شيئا البتّة، وهذا لعمرّ الله تلاش للمخلوق، مثله

مثل المغشيي عليه، فلا مزيّة له، وإمّا أن يشاهد خيالات، فقول بعضهم :" يغيب بمشهوده عما سواه" قول مجمل يحتاج إلى التّحرير، فإنّ مشهوده الّذي يقصدونه هو الله...!

قال أبو بكر بن العربيّ في (العواصم): "إنّ الصوفيّة يقولون: لا ينال العلم إلاّ بطهارة النّفس، وتزكية القلب، وقطع العلائق بينه وبين البدن، وحسم مواد أسباب الدّنيا من الجاه والمال، والخلطة بالجنس، والإقبال على الله بالكلّيّة، علما دائما، وعملا مستمرّا حتّى تنكشف له الغيوب فيرى الملائكة، ويطّلع على أرواح الأنبياء، ويسمع كلامهم، وراء هذا غلوّ ينتهي إلى القول بمشاهدة الله " (ص: 30/1) طبعة الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر 1981.

وقال ابن حزم في (الملل والنحل): " رأيت لرجل من الصوفيّة يعرف بابن شمعون كلاما نصّه: إنّ لله تعالى مائة اسم، وإنّ الموفى مائة هو ستة وثلاثون حرفا، ليس فيها في حروف الهجاء شيء إلاّ واحد فقط، وبذلك الواحد يصل أهل المقامات إلى الحقّ، وقال أيضا: أخبرني بعض من رسم لمجالسة الحقّ أنّه مدّ رجليه يوما فنودي: ما هكذا يجالس الملوك، فلم يمد رجله بعدها، يعني أنّه كان مديما لمجالسة الله تعالى " (ص: 49/2)

قال النّبيّ صلّى الله عليه و سلّم في الحديث الصّحيح عند ذكر الدّجال: " اعلموا أنّه لا يرى أحد منكم ربّه حتّى يموت "، فعلم بيقين لا ريب فيه، أنّ دعوى هؤلاء : رؤية الله في الدّنيا، كذبة باردة، وقحة سمجة.

قال الأول: لأحدثك عن الذهول، ومنه ذهول النسوة في قصة يوسف عليه السلام أحدثه عشقهنّ الصّور الجميلة، وعندما صادف هذا العشق الكامن فيهنّ مطلوبه، أحدث هذا الالتقاء لذّة غمرت العقل، وشدّت انتباهه إلى تلك الصّور، فطغت اللذّة على الألم فأنسته، فهُنّ سكرنّ بالصّورة الجميلة كما يسكر الآخر بالهوى أو الخمر، ولم يتلاش أي شيء عندهنّ، كما لم يعتقدنّ أنّهنّ صرنّ يوسف؛ قال تعالى: {فلما رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن وقلن حاشا لله ما هذا بشرا إنّ هذا إلاّ ملك كريم}، (يوسف: 31)، فلم يصبنّ بأيّ فناء كما يزعم بعضهم.

وما يحدثه العشق والهوى بالنّفس من ذهول شيء معروف، ولو ضُربت دابّة حال السّفاد لم تذعن، وهذا بسبب طغيان اللذّة على الألم، أ فيمكن أن نقول عنها: إنّها دخلت

في فناء؟
كما تجد أحدهم مطعونا بخنجر، وهو يقاتل لشدّة غضبه الّذي أنساه الألم، ولو لم يكن غاضبا ثائرا لرأيته يتوجع ويتأوّه، ولا يصطبر.
إذا تأمّل الإنسان في نفسه، يجد أنّه عند استيلاء اللذّة على عقلـه وتمـكّنهـا مـنه غايـة التّمكّن، ينسـى ما دونها، وقد يفقد السّيطرة على نفسه، ولهذا قالت عائشة رضي الله عنها عن تقبيل المرأة في رمضان: (وأيّكم أملك لإربه)، فكم من شخص عاشر في رمضان لمجرّد مداعبة، فوقع في المحظور مع أنّه قد يكون من أهل الإيمان والالتزام.
وذلك الصّحابيّ ـ رضي الله عنه ـ الّذي كان قائما يصلّي في اِحدى الغزوات، فرشق بسهم ولم يحرّك ساكنا، إنّما استيلاء لذّة مناجاة الله عليه، أنّسته الإحساس بالألم، فلم يصرخ، ولم يتأوّه واستمرّ في صلاته ليزداد ذوقا لحلاوة الإيمان !
قال الثاني :هذا صحيح فليس كل غيبة للعقل فناء فلم اعتقدنا أننا في حضرة الحق؟!
قال الأول :إن اقتصار هؤلاء في سلوكهم، على مجرّد ما يحصل بنظر القلب والذّوق، دون عرض مواجيّدهم على الكتاب والسّنّة، قادهم إلى التّألّه المطلـق؛ ذلك أنّ الزّهد المطلق، والعبادة المطلقة بترك الشّهوات البدنيّة من الطّعام والشّراب، والتزام الخلوة، يقود إلى معرفة مطلقة بثبوت الرّبّ ووجوده، فلذلك تجد المتصوّفة يحبّون ذكر الله بالاسم المفرد (الله)، أو بضمير الغيبة (هو)، وهذا الذّكر المبتدع، لم يرد في السّنّة، ولا يمكن عدّه ذكرا لله إلاّ بقصد المتكلّم به، فهذا الذّكر لا يفيد إلاّ أنّ الله مطلق ، بخلاف الذّكر المشروع بصفات الله وأسمائه ، الّذي فيه تعيين للإله المعبود، و معرفة به معيّنة، تدعو إلى التّفريق بينه وبين غيره من معبودات النّاس المتعددة.
فهذا النوع من الذكر لا يثبت إلاّ مدبّرا للعالم لا صفة له، كما إنّ كلّيات الفلاسفة لا تثبت إلاّ مدبّرا للعالم لا صفة له.
ولهذا فإن هذا التّألّه المطلق، يقود إلى معرفة بحسب مقتضاه،ولهذا عندما يتعمقون في هذا المذهب يتركون قراءة القرآن و الذكر كما قال عارفهم :
بذكر الله تزداد الذّنوب... وتنطمس البصائر والقلوب
وترك الذّكر أحسن منه حالا... فإنّ الشمس لها غروب (وحدة الوجود)
قال الثاني :هذا صحيح فقد ذكر الشعراني في الطبقات أن شيخ الغزالي في السلوك

نصحه بترك قراءة القرآن في الخلوة!
قال الأول :عندما يأخذ الناس بعرفان الفلاسفة كابن سينا
يعظمون تجريد النفس عن الهيولي يعني: عن المادة والبدن وهو الزهد في أغراض البدن ،وهذا ليس فيه الا تجريد النفس عن الاشتغال به ،فتبقى فارغة فيلقي إليها الشيطان ما يلقيه و يوهمه أن ذلك من علوم المكاشفات والحقائق، وغايته وجود مطلق هو في الاذهان لا في الاعيان !
إنّ التّألّه المطلق بالرّياضات والتّجرّد والذّكر المطلق، قاد هؤلاء إلى إثبات وجود مطلق لله، ومن ثم اعتقاده، وعندما يصادف هذا الاعتقاد حالة الفناء، وكثير منهم يصطلم ويسكر بالسّماع ، يغيب عقله كالسّكران بالخمر او البنج، فتحدث له تلك الأوهام والخيالات فيعتقد الحلول والاتحاد، ومن هنا يقولون :إن الحق المنزه هو الخلق المشبه !
ذلك أن الخيال والأوهام هو نسيج تلك الاعتقادات الكامنة في عقولهم قبل السّكر، فإنّ كلّ اعتقاد يعتقده الإنسان، لابد له من تصوّر مجمل له، ذلك أنّ الإنسان لا يمكنه فهم ما لا يتصوّره، والحافظة (الذّاكرة) لها قدرة على تركيب تلك التّصوّرات، ومهما بلغ خيال الإنسان فإنّه لا يعدو أنّ يكون قياسا على الموجودات، ومن هنا منشأ الخيال والأوهام!
قال الأول :وفي الأخير يا صديقي اعلم أن هذا الأمر مأخوذ عن بعض فرق الشيعة وهم أخذوه عن متصوفة الفلاسفة
قال ابن حزم في الملل والنحل:"اعلموا أنّ كلّ من كفر هذه الكفرات الفاحشة ممّن ينتمي للإسلام، فإنّما عنصرهم الشّيعة والصوفيّة " (ص: 188/4) طبعة دار المعرفة 1403.
قال ابن خلدون في (المقدمة) عند ذكر ابن عربي وأتباعه:".... وكان سلفهم مخالطين للإسماعيليّة المتأخّرين من الرّوافض، الدّائنين أيضا بالحلول وإلهيّة الأئمّة، مذهبا لم يعرف لأوّلهم فأشرب كلّ واحد من الفريقين مذهب الآخر واختلط كلامهم، وتشابهت عقائدهم، وظهر في كلام المتصوّفة القول بالقطب، ومعناه: رأس العارفين، يزعمون أنّه لا يمكن إن يساويه أحد في مقامه في المعرفة حتّى يقبضه الله، ثم يورث مقامه لآخر من أهل العرفان، وقد أشار إلى ذلك ابن سينا في كتابه (الإشارات) في فصول

التّصوّف منها، فقال:" جلّ جناب الحقّ أن يكون شرعة لكلّ وارد، أو يطَّلع عليه إلاّ الواحد بعد الواحدّ.

والمقصود يا صديقي من كل هذا الكلام أن الفناء كرحلة علية موجود عند كل متصوفة الأمم، فإن كان حقا لزم أن تكون كل هذه الديانات المتعارضة عقيدة وشريعة حقا؛ ومن هنا اقترن بأصحاب الفناء القول بوحدة الأديان فإنها فرع عن وحدة الوجود.

قال الثاني :جزاك الله عني خيرا، سانصرف الآن.

قال :الأول :إلى أين، لم يحن بعد وقت صلاة الفجر؟

قال الثاني :إلى صحيح البخاري حتى أموت كما فعل أبو حامد رحمه الله.

قال الأول :إذا اخترت الهدى المحمدي لكن اعلم أن صحيح البخاري لا يعلمك كل ما شرحته لك فلابد من تدبر القرآن ومعرفة علم السلف، ثم بعد ذلك معرفة ما عليه الناس فإنه يفتح باب معرفة الحق؛ هداني الله و إياك للحق.

قال الثاني :سأصحب من على هدي السلف.

قال الأول :لا تنسى أن تعرج على ابن تيمية فإنه يشرح لك النقل بلغة كل مذهب.

ألغاز النفس :

أنا موقن بلقاء الله لكني أعجز عن الطاعة..؟!

....

كثير ممن انغمس في المعاصي، أو أبحر في الشكوك يريد بعد انقضاء تلك النوبة أن يرجع إلى طاعة الله لكنه لا يقدر، نفسه لا تطاوعه، فكيف يجتمع التصديق الجازم الذي لا شك فيه بالمعاد والجنة والنار ويتخلف العمل .. ؟

و هل في طبعنا البشري أن نعلم أننا مطلوبون غدا أمام سلطان يعاقبنا أشد العقوبة أو يكرمنا غاية الإكرام ولا نستعد لهذا اللقاء بل نبيت ساهرين في نقض قوانينه، و قد تيقنا أنه بث العيون حوالينا تسجل له كل ما يصدر منا..؟!

هذا لعمر الله سؤال صحيح وارد على أكثر الخلق فاجتماع هذين الأمرين من أعجب الأشياء...!

إذا كان علمك ضعيفا ثم تغفل عنه ولا تستحضره لأنه في أكثر أوقاتك أنت مشتغل بما

يضاده فيغيب عن القلب فإنك ستفعل السيئة وتندم لحظة عودة علمك؛ فإذا انضم إلى ذلك تقاضي الطبع، وغلبات الهوى، واستيلاء الشهوة، و تسويل النفس، وغرور الشيطان، واستبطاء الوعد، وطول الأمل، ورقدة الغفلة، وحب العاجلة، ورخص التأويل، و إلف العوائد؛ فهناك لا يمسك الإيمان إلا الذي يمسك السماوات والأرض أن تزولا..!

وإنما يتفاوت الناس في الإيمان و الأعمال بهذا.

وجماع الأمر :أن تقوي علمك بالله فتصح بصيرتك، و صابر حتى تصبر.. قال تعالى : {و جعلنا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ} [السَّجْدَةِ]

ابن القيم الجواب الكافي 1/38..... بتصرف.

في الحقيقة هناك حالات تتداخل فيها أسباب نفسية مع ما أشار إليه ابن القيم، لذا من الضروري _كما وصل إليه علم النفس المعاصر _ التمييز بين حالة فقدان الإرادة في العمل التعبدي فقط، وبين الحالة العامة لكل الأفعال التعبدية والحياتية.

وليس من السهل كشف الاضطرابات النفسية لأن أسبابها متعددة، وحتى في الحالة التي تعم أفعال الدين و أفعال الحياة يجب التمييز بين النقص العرضي للإرادة بالنسبة لشخص مجهد، والذي يعجز عن مواجهة واجباته مؤقتا.

وبين الحالة المرضية التي تمتد في الزمن، و ينتج عنها نقص في الإرادة، وعجز دائم في اتخاذ القرارات وتحديد أهدافه في الحياة، حيث يصبح الإنسان كأنه ينظر في فراغ..!

في هذه الحال يوجد نقص في الإرادة وعجز في الفعل، وانفساخ العزيمة بسرعة مع الوعي بذلك، لكن لا يمكننا فعل شيء حيال ذلك!

ومن أعراض هذه الحالة الميل الدائم للتسويف، مع صعوبة في المحافظة على حياة اجتماعية ومهنية متزنة لأن الشخص لا يستطيع الانضباط بالمواقيت، و أدنى حركة بالنسبة اليه يجد فيها معاناة..!

كما أنه في الغالب مغمور بمختلف الأفكار الطفيلية، ولا يستطيع الاقدام على الفعل حتى عندما يكون ضروريا.

يعاني هذا الشخص من تغيير في كل الظواهر التابعة للإرادة وجهود الانتباه.

قد تكون اسباب هذا المرض الحزن(وهو مذموم في الإسلام) الكآبة، والإدمان على

الخمر، المخدرات، المعازف، العادة الجنسية، وحالة الكآبة الممتدة مع حزن.
ينصح علماء النفس بالنشاط مثل: ممارسة الرياضة، و النظر في الطبيعة، وخصوصا إعطاء معنى للحياة، وقد سبق وتكلمت عن "مشروعك في الحياة"، وهي بدون شك أمور مساعدة.
بالنسبة لي أرى نصيحة ابن القيم قد تضمنت الإشارة إلى أهم الأسباب لذا انصح بالتالي :
1_ بقراءة "قاعدة في المحبة" لابن تيمية فإن فيها معالجة جذرية لمشكلة الإرادة بما لا تجده في أي مكان آخر فإنك عندما تفهم ميكانيزم وألغاز النفس وكيف ركبها الله ستعالج نفسك بنفسك، وضعف العلم الذي أشار اليه ابن القيم يتناول هذا بالدرجة الأولى فإنه قاعدة العلم بالله في أول سؤال ميتافزيقي يجابه الإنسان أثناء سؤال الهوية.
2_ ، مع ترك الإدمان او التخفيف منه إن كان موجودا، و إفراغ المواد الصالحة عليه كالذكر والاستماع إلى القرآن دون اشتراط التوبة التامة لفعل ذلك لأنه سيكون صراع مواد في القلب.
3 _ تغيير العادات اليومية بإدخال أمور جديدة فيها مثل رياضة، تجول، زيارة أقارب أو أصدقاء.. الخ
4_ قراءة شي من السلوك، في باب طول الأمل واستعجال الاستجابة، وسير الصالحين ككتاب الصفوة فإنها تردالتفس إلى الشوق إلى الله و تحبب العمل الصالح و نجد فيها النماذج البشرية الصالحة.
5 _ الرقية بقراءة القرآن وحده, خاصة المعوذات والآيات التي تتحدث عن الوسوسة، وآيات شرح الصدور، و آيات السكينة، يضع يده على صدره، ويقرأها بتكرار فإن حالات كثيرة سببها وسوسة شيطانية، لأنه في حالة الشك أو المبالغة في المعاصي يستحوذ على النفس ويفرخ فيها.
6_ الاجتهاد في الدعاء بشرطين :العلم بأن كل شيء خلقه الله بما في ذلك ما تعاني منه ، و أنه يملك ما تحتاجه وهو قادر عليه.
الصورة :أنبوب المجاري في مخزن المياه العذبة، أصلح التسريب..!!

خطاب بمصطلحات محلية لكنه بدون محتوى..!

....
كما يقول المختصون: اللغة أداة قمع أو تحرر بحسب النية المبطنة، حتى الأحداث توجه في شكل كلمات.!

لكن المشكل عند المسلمين ليس في المصطلحات الغازية الملغمة فقط، بل أشد منه يأتي من مصطلحات تراثية المسار أجنبية الأصل المعرفي وليس اللغوي فقط.

ومع ذلك هي أقل شرا من المصطلحات الفكرية [الإسلامية] المعاصرة التي نكذب بها على أنفسنا لأنها مصطلحات لحمناها(souder) في الهواء!!

مثل مصطلح :" مركزية الوحي ،مركزية القرآن" .. الخ ،وهي مصطلحات محلية النحت لكن قياسا على مصطلحات انثروبولجية غربية!!

فإذا كان علينا أن نحذر من اللغة التي نستوردها فكذلك التي نصنعها ،لأن المراوغ يخترع لنا الفاظا وديعة تقتلنا بعد مدة! ولأن مصطلحاتنا المصنعة في مخابرنا التائهة تسبح في الهواء مجرد عبارات بدون محصل حقيقي، نملء بها المقالات و ليس لها دور حقيقي إلا الثرثرة!

وإذا كانت المصطلحات تصهر الذهنية وتبني اللاشعور، وهي قوالب المفاهيم ورايات الحرب الفكرية، و المعركة في اللغة أخطر المعارك بشرط أن يكون تحت سلاح الكلمة المنحوتة من قبلنا محتوى حقيقي، لأنه لا فرق بين من يقول :علينا أن ننطلق من مركزية الوحي، وبين من قال :عليكم بالنص، أو علينا بالكتاب و السنة، أو بمصادر التلقي الإسلامية إذا اكتفي بهذه العبارات _وفي الحقيقة الشرعية منها مثل الكتاب والسنة فيها غنية عن المصنعة في هذا العصر من كل وجه _ولم يقدم مادة مبنية عليها لأن الرغاء بالمصطلح لا يجعل التحليل صحيحا لمجرد أنك ذكرت مصطلح "مركزية الوحي" ،ولا حتى عندما تزين مقالك مقدمته أو خاتمته بآية أو حديث، فكل المسلمين يصنعون ذلك ومع ذلك وقع فيهم الانحراف.

فليست كل الانحرافات التي وقعت في الأمة أجنبية المصدر مثل الخوارج والقدرية والمرجئة.. الخ ،هي بضاعة محلية!

و إذا جئنا إلى مركزية الوحي فهي أقوى عندها مما هي عند المفكرين الإسلاميين المعاصرين الاجتماعيين والفلسفيين قاطبة !

لذا إن لم نحدد المقصود من هذا المصطلح "مركزية الوحي" ونعالج به تراثنا أولا

فهو مجرد شعار كسائر الشعارات الدينية والعلمية التي رفعت في الأمة ولم تغن عنها شيئآ، ولم تكن ضمانة عصمة ولا صوابية.
من لا يتكلم عن العقيدة واللغة والتفسير وأصول الفقه وغيرها تعيينا في مسائل واضحة ويبين أين خالفت الوحي ويناقش أهلها عن أية مركزية للوحي يتحدث؟ فضلا عن مقابلة الفكر الغربي الذي لا يعرفه بها؟!
من يثرثر بمثل هذه الشعارات عن أي مركزية وحي يتحدث و مركزية العقل الفلسفي في التراث الإسلامي بعد عصر السلف اكثر من مركزية الوحي في الالهيات والمنهج واللغة و العبادة والتزكية، وأصول الفقه .. الخ
وعند أي علماء الأمة وجدها، وإذا وجدها في الإنسانيات والاجتماعيات عندهم فليظهرها للناس.!!
من ينتقد براديجمات الفكر الغربي بمنهج السلف ومعاني الوحي هو من يستطيع الحديث عن مركزية الوحي، أما الكلام بمصطلحات بدون مقابل له تماسك، وعجز واضح عن التدليل العملي لموقع المصطلح لأنه لم يحقق أولا تراثه، لا عقيدة، ولا تفسيرا ،ولا منهجا ،و يشعر بضعف مركزية الوحي فأصلا لانه لا يعرف خريطة معاني الوحي، ومركزية الوحي عنده هي مجرد نقل الألفاظ.
ليس التعبير دليلا على التفكير، فمن السهل أن نجعل المصطلح تفكيرا لكن هل هذه الفكرة واعية بنفسها اذا كان لابد أن يكون كل تعبير تفكيرا.
رد التفكير إلى المصطلح وحده بدون محتوى موضة بنائية فهناك عقول مملوءة بالكلمات والمصطلحات تعاني من الالتباس و تثرثر كثيرا !
التفكير العلمي الذي يستعمل مصطلحات خاصة هو البناءات الذهنية، اما الصور الذهنية في رأسي عن سقوط الثلج والذكريات والخواطر وحزمات الوعي مما هو موجود عند كل الناس هي كذلك قد تسمى أفكارا، ولا ينقطع الإنسان طيلة اليوم من الحديث لكن بدون شك ليست الفكرة التي هي موضوع التفكير الذي يفكر فيه المفكر تحت نظر العقل.
كلما أراد شخص أو مذهب أن يعطي لفكرته شرعية و احتاج الى تجاوز القواعد المتعارف عليها أو البديهيات سلك سبيلين :
الأول: نحت مصطلحات جديدة يضع فيها تلك الأفكار التي يرفضها الاصطلاح

الموجود، أو لمجرد تعقيد الخطاب!
الثاني(لا يتعلق بالمقصود هنا) :بذل كل جهده الممكن لنسف مبدأ التناقض، إما بنظريات منطقية ،و لم أجد واحدة أفلحت، حتى المنطق الحدسي مجرد دعاوى مبنية على خيال تستجدي التصديق، و إما بضرب معايير الحقيقة الواقعية بتمجيد العقل فوق ما يستحق على حساب الحس.
مركزية العقل ليست في ترديد هذا المصطلح ولكنها في شيء واحد هو اعتبار كل شيء بمعاني الكتاب والسنة.
مركزية الوحي لها قواعد سلوكية ومنهجية أهمها أن لا نتكلم بدون علم، و لا نعمم بدون استقراء، و لانغرق في الوصفي على حساب المعياري.
على الإنسان أن يعرف ما يتكلم عنه ويدلل عليه ويضرب له الأمثلة، أما المجملات فكلام كأي كلام.

منزلة النبوة

....
تعرف منزلة الوحي (النص أو الشريعة) في أي علم أو فلسفة
بقيمة النبوة في معاييره المعرفية و التقييمية، فمن جعل الأقرب إلى الرسول في أنقص مرتبة فذاك مقام الوحي عنده !!
؛قال بعضهم :علماء الشريعة ثم المتكلم ثم الصوفي ثم الفيلسوف،أو الصوفي بعد الفيلسوف!
و أضاف أصحاب الوحدة: الصوفي المتفلسف بعد الفيلسوف ثم المحقق وهو الاتحادي!!
وفي تقسيم الدكتور طه عبد الرحمن: العقل المسدد (الشرعي) ثم أعلى منه العقل المؤيد (المتصوف الفلسفي)!
،ومثله الجابري قدم العقل الفلسفي المشائي (البرهاني) على جميع العقول!
أنظر _ مثلا _ "فصل المقال" ،"ميزان العمل"،و"الفتوحات المكية"، "المنقذ من الضلال"... الخ أجمعوا على جعل الأقرب للرسول في أنقص المراتب!!
و إنما تعلو منازل الناس في العلم وفي الآخرة بدرجة قربهم من النبوة.

منزلة الوحي.. ؟
المقصود من هذا المصطلح المحدث"مركزية الوحي" والذي يستعمل المسلمون بدله مصطلح "الكتاب و السنة" ،" منزلة الوحي "،" منزلة النص" هو تفضيل الوحي وجعله النموذج المرجعي الوحيد، أي المنهج الذي ننظر من خلاله إلى العالم، الثقافات، الأفكار المعارف المتنوعة.
لكنه عند المعاصرين إلا فئة قليلة مجرد كلمة معلقة في الهواء فلكي يصح لك الحديث به يجب أن تحدد أولا موقعه في التراث الإسلامي، اي لابد أن تفعله أولا في تراثك.
يعني تفصيلا أن يكون عندك نموذج فكري علمي مستمد من الكتاب والسنة تحلل به كل فكر أجنبي.
فإذا لم يحدد الشخص النموذج العام والنماذج الفرعية عنه (الخاصة بكل فن) فإن حديثه عن "مركزية الوحي" كلام بدون طائل.
مثلا: الشخص الذي يحقق علم الكلام ويقول هذامخالف للكتاب و السنة لأنه لا يعود إلى المنهج المستمد منهما، ويدلل على ذلك يمكنه أن يتحدث عن هذا المصطلح، لكن استعمال مصطلح الكتاب والسنة بدون استعمال كلمة "مركزية" لأنها في الاجتماعيات المعاصرة" الانثروبولجيا" تعني مجرد تعصب، تشبه "دوغمائية"!
فالمقصود المعاصر من "مركزية" هو رؤية العالم وتعدده من خلال موشور مفضل حصريا للافكار والمصالح ونماذج مجتمعنا او مذهبنا.. الأصلي بدون رؤية نقدية.
كذلك من ينتقد وينقض البراديجم الاجتماعي والنفساني والتاريخ والفلسفي والسياسي.. الخ بمنطلقات شرعية واضحة ويبين عيوب الفكر الغربي في تناقضاته الداخلية ثم الخارجية بنموذج "براديجم" مستمد من الكتاب والسنة وبلغة عقلية مشتركة هو من يستطيع الحديث عن منزلة الوحي والنبوة ولا يكون في فراغ.

إسلام أركون..!

....

إذا عرفت من هو المسلم عند "أركون" أمكنك فهم ألغاز كلامه
فالرجل لا يتحمل مسؤولية أفكاره، ويظهر ازدواجية بين خطابيه الموجه للغرب والموجه للمسلمين.

لم يأت بجديد سوى التنظير لوحدة الأديان حيث يكون الإنسان مسلما بدون حاجة إلى عبادة،و ترتفع التكاليف و يدخل البشر كلهم في دين إنسانوي!
نحن بحاجة أولا إلى أن نعرف من هو المسلم عند أركون؟
عندما التقى "هاليبر" بأركون في أمستردام وجّه له هذا السؤال:" هل أنت مسلم ؟"
أجاب أركون :"إن كثيرين من المسلمين يرون الإسلام كبستان له جدران فهو بستان من الداخل ،و ما يقع خارجه ليس بإسلام!
أما أنا فأرى الإسلام مكانا مفتوحا فاعتبر نفسي مسلما و" أنسانويا في آن واحد!
اكتشفت ذلك عند مسكويه " العقل الإسلامي أمام تراث عصر الأنوار"
من هذا النص نفهم أن الإسلام في تصور أركون غير محدود بحدود عقدية أو شرعية، بستان مفتوح على مصراعيه!
و نحن نعلم أن ما لا حد له سواء كان شيئا ماديا أو معنويا لا يمكن تمييزه عن غيره، فإنما تتميز الأشياء فيما بينها بخصائصها التي تشكل حدودها .
يسمي بعض الناس هذا الإسلام الأركوني بـ"الإسلام الليبرالي" ،و التسمية الصحيحة له هي "وحدة الأديان" المنبثقة من وحدة الوجود.
يقول:" الغيبيات؟ إنها بعد نفسي لإدراكنا،لا أقول بأنه يتوجب علينا تأكيد صحتها و حقيقتها كما يفعل اللاهوتيون السذج ! أقول: إنها تساهم في بناء المتخيل الاجتماعي ،أي أنها تشكل جزءا من البحث النفسي الاجتماعي،لا نستطيع أن نفهم بعض الحضارات إلا إذا أدخلنا فيها البعد الغيبي كمنظومة مرجعية و كإطار لإدراكنا النفسي للعالم " الإسلام دين ومجتمع (كتاب جماعي) ص:48/49
التدين عند أركون هو انخراط المؤمن (؟) في الحداثة و إنارة الرموز الدينية بالعقل العلمي !
و الايمان هو تطبيق النقد العقلي!
و القطيعة ليست بين المؤمنين و الكافرين و لكن بين معرفية سبقت الحداثة ومعرفية حداثة!
و العقل العلماني التنويري الضيق و السلطوي قليلا عليه أن يتحرك و يتوسع في حقل عقلاني أكثر تفهما يستجدي قبول تدين إسلامي شكلي و ليس رفض الدين كله!
دفاعه عن" تدين إسلامي شكلي" له نفس القيمة الانثروبولجيا للدفاع عن الديانات

البدائية الوثنية!
لكثرة المراوغة في كلامه لا تستبين التحدي الذي يضعه استشكاله على الإسلام، كل الإسلام بدون استثناء شيء منه لأن أركون مفصول في نظريته عن كل المذاهب الاسلامية حتى عن مذهب ابن عربي الذي يمدحه كثيرا ، و إن كان مذهب ابن عربي مثل نظرية أركون غامضا فإنه على الأقل فيه درجة من التمييز بين الحقائق لا نجدها عند أركون؟
نسمع اليوم عبارات تحولت إلى مصطلحات مثل :" إسلام حداثي، إسلام تنويري، إسلام إنساني".. الخ بعد أن عاش المسلمون لقرون طويلة يحكمون على المسائل بأنها صواب /خطأ _سنة /بدعة _حق /باطل مع أنهم فرقٌ ومذاهب ظهر في المعاصرين منهم تحت تأثير فلسفة الحداثة /ما بعد الحداثة هذه الأسماء الجديدة .. !
مما يستلزم معه أن المقابل لها هو الإسلام القديم في مقابل الحداثي، والإسلام الظلامي في مقابل التنويري، والإسلام الوحشي في مقابل الإنساني، وهكذا نحن في سوق صفات تباع على ملصقات. .. !
ومع أن هذه الصفات الجديدة للإسلام تكره كجدتها "فلسفة الأنوار" التعميم ،فهي مثلها ـ إذا تعلق الأمر بالدين ـ إطلاقية، لأنه لا يوجد في نظرها مسلم غير ظلامي بدون أن يكون تنويريا، هذا إذا عرفنا بصورة واضحة ماذا تقصد بالظلام ...؟
و هو ما يحكم أن هذه الأسماء الجديدة نسوجات تضليلية،وأنها بضاعة في سوق الأهواء الجديدة، فلا يوجد إلا اسلام واحد، ومنهج شرعي واحد.

لنتخلص من تناقضاتنا أولا :
الإسلام بين مرجعية واحدة ومناهج متعددة. ؟!
....
عندما نتحدَّث عن "وحدة المرجعية"_ هذا إذا سلَّمنا أنها فعلا واحدة عند الجميع، و في جميع مجالات الدين_ لا بد أن نحسم إشكالية تعدد المنهج، لأنه في الواقع الإسلامي وحدة المرجعية بعد عصر السلف لم تقترن بها وحدة المنهج؟!
فإما أن الإسلام له منهج واحد يحتمل قدرا من تفاوت في النتائج لأسباب علمية فرعية وموضوعية تتعلق باختلاف المدارك، و تفاوت الإحاطة بمادة الاستدلال، مما هو من

قبيل عدم العلم مثل: فوات معلومات من جهة الثبوت.
وهذا التفاوت أو الاختلاف مفهوم، يحتمله المنهج الموحد، يعد من اختلاف التنوع، أو من اختلاف التضاد المبرر الذي تأتي مثل قواعد "رفع الملام" لمعالجته لاحقا، لكنه في أصوله وقواعده التأسيسية هو واحد.
ويلزم عن هذا التقرير مراجعة التراث العلمي الإسلامي وتقييمه بهذا المنهج الموحد، و بعد ذلك وبواسطته تحديث المواجهة مع الفكر المعاصر الغازي.
وقبل حديثنا مع الخارج بمنهج "عصمة الوحي" علينا أن نتحدث بها فيما بيننا؛ بالمختصر المفيد :نثبت وجوب وحدة المرجعية ثم نستلزم وحدة المنهج.
بدون هذا ستشبه المواجهة مقاتلة العدو بجنود هم في الحقيقة جواسيسه (من غير قصد أو شعور) في صفوفنا!
وعلى هذا فإن المراوغة والتحجج بإلصاق هذا المنهج بشخصية علمية معينة ، أو بمذهب معين الغرض منه نفي وجود منهج موحد عند السلف، مع أن كل مقاربة موضوعية تنتهي حتما إلى أن هذه الشخصية أو المذهب لم تفعل سوى نقل المنهج وشرحه فمن السهل جدا ملاحظة أن الاستدلال فيها يعود مباشرة إلى المرجعية توثيقا ودلالة.
يقصد كثير من المسلمين بالأصالة الفكرية القفز إلى العصر بما حمل الجمل بدون تمييز بين غث و سمين!
و إن شئت: نقفز إلى العصر ب_73 فكرة تناطحت في الماضي و ستواجه العصر بمرجعية موحدة ومناهج متعددة متناقضة!
لنتخلص أولا من تناقضاتنا حتى لا يأتي مستشرق يعلمنا ديننا يقول لنا مثلا: لم أجد في القرآن من أوله إلى آخره مظاهر تعظيم القبور الموجودة فيكم، وهذا شيء أخذتموه من فترة ما قبل الإسلام، كما فعل غولدزيهر!
أو يقيم علينا آخر بالدليل المادي الحجة بأن كثيرا مما نعده من عقائد ديننا و قواعد تصوفنا أخذناه عن مذاهب اليونان كما فعل المستشرق دفيد سانتيلانا !
ربما لنصلح "مركزية أنفسنا" قبل أن نتحدث "لغوا بدون فعل ملموس واضح عن" مركزية الوحي "!
المنطق الوحيد للتناقض هو خلل التفكير بين المعيار العقلي والحقيقة الواقعية.

بعض وجوهنا الفكرية التي تريد أن تكون أصيلة يحيط بها التناقض لأنها تقع في التناقض العملي :تنادي بمعيار عقلي لا تفعِّله في واقعها المعرفي والدعوي!
مثل رفع شعار في ثوب مصطلح منهجي ك_" أصالة الفكر "الخ
وهو ما يسمى عند المسلمين" مخالفة العمل للعلم"، و في الفلسفة ب" التناقض الإنجازي" ،ما يساوي :عدم انجاز فعله الذي يعلنه!
لهذا نلمس قوة الخطاب التيمي وتفوقه العقلي في قدرته
على التعرُّف على هذه التناقضات بين المعيار و الواقع ، والتي لم تكن لتوجد لو كان الدرس المنهجي واحدا.
بعض الخطابات لا تعرف جيدا أن كل اختيار فعل بطريقة او بأخرى يستلزم في نفس الوقت تأكيداته النظرية الضمنية، فالفعل هو الوسيلة المنطقية الطبيعية لنصب الجسر بين الأفعال و المعايير. يعني: الربط بينها، ومن ضمن هذه المعايير ما يحكم أن هذا الفعل سيء أو جيد(هوب)
ومن هذا مشكلة التعريف حيث نصنف تحت نفس الاسم تصورات خاطئة ليس لها مقابل في الواقع مع أخرى صحيحة مثل العقل الضروري والعقل الفلسفي الكلامي، و مثل الزهد والتصوف ،ومثل التفسير والتأويل.. الخ.
كذلك استعمال كلمات ازدواجية التبعية في شروط لا تكون لها في الحقيقة معنى ،فمعلوم أن "تعدد المنهج" لا يمكن أن يصنف مع "وحدة المرجعية" إلا إذا فوضتنا المرجعية حرية اختيار المنهج ،ما يلزم عنه شيء ممتنع هو أن تقدم لنا المرجعية الكلمة مشفرة !ونمنح نحن أنفسنا المعنى!
ومن هنا يصبح مشروعا تبدل المعنى الشرعي من منهج إلى آخر! ،ومن زمن لآخر!
فمن يستعمل مفهوم "مركزية الوحي" لكنه يعتقد بتعدد المناهج الإسلامية، فهو يغرف من مصادر متناقضة لا يجمعها منهج واحد، و المتناقضون في منظوماتهم المعرفية يمثلون عنده الأصالة لأنه يعتقد أن الأصالة المعرفية مفصولة فابن تيمية يمثل أصالة معينة، والرازي يمثل أخرى ،أو هذا يمثل أصالة في المنطق أو التفسير و الآخر يمثلها في التصوف ! فقد أنكر أسس هذا المفهوم الواقعية لأن استعمال هذا المفهوم يستلزم أن الواقع التعددي للمناهج الإسلامية أو للأصالة غير صحيح معياريا.
باختصار :طبق الفكرة على فعل صاحبها، أو حتى على نفسها تعرف مدى صحتها!

وكما قيل :يمكن أن نتكلم في الفراغ لكن هذا لن يملأه !

مشكلة فكر بن نبي في مشكلة الفكر..!

....

في تحليله لمشكلة الفكر (في كتابه مشكلة الأفكار) عند المسلمين المانع لهم من بناء حضارة (نهضة معاصرة) وقع في قراءة خاطئة حتى لا نقول "قراءة تاريخانية مادية" عندما مثَّل بقصتين، كل واحدة تمثِّل تراثها: قصة حي بن يقظان لعامر بن الطفيل الفلسفية التي تمثِّل _في نظر بن نبي _غلبة التوجُّه الروحي لدي المسلمين على حساب الاهتمام المادي(بالأرض) من خلال مبالغتهم في النظر الى السماء!

وقصة ربنسون كرزوي لروبرت دافو التي تمثِّل الاهتمام الغربي بالمادة بالنظر إلى الأرض، لأنَّ مدار القصة الإسلامية السؤال عن لغز الموت، و مدار القصة الغربية الاعتناء بما يحتاجه الإنسان في حياته، وفي هذه القصة البدء بصناعة مائدة للطعام!

فأولا :قصة عامر بن الطفيل قصة فلسفية أفلاطونية محدثة من تراث ابن سينا العرفاني، تؤصِّل لفكرة ديكارت: "الوصول إلى الله بالنور الطبيعي (العقل الفلسفي) وليس عن الفطرة كما قد يظن بعضهم.

فإذاً هذه القصة لا تمثِّل المسلمين بل تمثِّل الترسيب و التكديس عند مالك بن نبي _رحمه الله_! فإنَّ الذي يمثِّل المسلمين هو المستمد من مرجعيتهم الأصيلة، و الانحراف لم يكن في التصوف وحده.

ثانيا :كل الحضارات القديمة قامت في الحيز الجغرافي الإسلامي، وعرفت الزراعة قبل الغربيين، والمسلمون هم من نقل التقنيات وكثيرا من أنواع المحاصيل إلى أوروبا، فالتحليل بالارتكاز على أنهم كانوا رحلا لا يمكنهم التمركز والاهتمام بالأرض لا يصح على غالبيتهم.

ثالثا :الباطنية عند الغربيين في تراثهم مماثلة لما عندنا و أقدم.

والمقصود أنه و إن انتبه إلى بعض عيوب البراديجم الغربي كما في تعريف "الثقافي" لم يتخلص من ماديته كلية.

و السؤال :هل يمكن نقد البراديجم الاجتماعي الغربي بدون عمق فكري في المعرفة الإسلامية، و لا شك أن وسائل التحليل الغربية مفيدة لكنها ليست حاسمة.

مشكل آخر يمكن أن نلمسه عند هذا المفكر العبقري هو المدح المتناقض الذي كاله لكل الحركات الإسلامية الإصلاحية التي استبشر بها خيرا؟!
فهذه الحركات كانت من مشارب مختلفة، وكان من المهم جدا أن ينتبه إلى أنها ولدت من رحم الصراع في ظروف تعرضت فيها الأمة إلى هجمة كبيرة هددت هويتها فحتما سيكون فكرها مرتهنا بهذه الظروف، و بالتالي لن تحمل للأمة فكرا مليا يمكنه أن يحركها حركة واحدة متزنة في نفس الاتجاه.
فهذه الحركات صنعت_ كالمذاهب الفقهية _سلطة معنوية على المنتمين إليها ستكون الكابح الأول لتجددها.

هذا كل ما في الأمر..!
قد يعتقد أحدهم أني أوجه عناية خاصة للفيسبوك و أبذل جهدا من أجله، فهذا غير صحيح لأن الفيسبوك يضيع عليك خطط البحث؛ أنا فقط إما أكتب منشورات مما علق بذهني مباشرة على الهاتف المحمول ، وهي الأكثر منذ ما يزيد عن سنة، و إما هي موجزات قصيرة لدراسات خاصة أو لدروس ألقيها تظهر لي مناسبة فأنزلها.
هذا كل ما في الأمر؛ قاعدة البيانات كبيرة (المسودات) و القص واللصق سهل لكن مع شيء من التفكير و التكييف.
العناية الوحيدة هي أن أوصل فكرة سليمة إلى القارئ.
وعليه أنصحك أن لا تمنح الفيسبوك إلا فضل وقتك وجهدك بحسب ما عندك، من الكثير كثير، ومن القليل قليل..
النحلة مشهورة بشيئين.... ؟

مادامنا نعتقد أنَّ النقد العلمي سيء، و أنَّ التعاون على الإصلاح يستلزم صمتا معرفيا و مجاملات لغوية فلم نخرج من أوهامنا.

في كثير من الأمم عندما ارتفع منسوب التعليم الجيد قلَّ فيها الخلاف تلقائيا،والباقي منه لم يعجِّزها!

ملخص كلام كثير: مصطلحاتنا المنـهجية المعاصرة أكبر من واقعها العملي!

الحفر في سؤال المنـهج...

....

هناك مفهوم في الفلسفة المعاصرة هو نوع رد على للموقف البعدحداثي الذي خرب "مركزية العقل" الغربية والشرقية بنفي إمكان حقائق يقينية..!

ومفاد هذا المفهوم باختصار _و إن كان له صور عديدة _هو تبني مفهوم ليس له في الواقع أثر، أو ينقض ذاته مثل قولهم:" لا مطلقات كل شيء نسبي" و اللازم عنه أن هذا القول نفسه نسبي.!

يذكر هذا المفهوم تحت اسم" سرقة التصور "و صورته التي تهمني هنا هي: "استعمال تصور بإنكار آخر يجعل الأول ممكنا"!

وهذا إنكار لمنطقية التلازم، أي : للصفة التراتبية في الاستدلال لأن التصورات تعتمد على بعضها بعضا، ما نسميه "تسلسل المقدمات في بناء الاستدلال.

لذا فإن معرفةالجذر الجنسي للتصور مهمة.

هذه السفسطائية تميزت بها فلسفة القرن العشرين ما بعد حداثية ،وهي باطنية جديدة، لأن هذا الأمر سفسطة أصبحت شائعة مثل :اليقين مستحيل، لا علاقة لمحتوى العقل الإنساني بحقائق الواقع ،الواقع ليس إلا ظاهرة، العلم مستحيل، العقل عاجز عن معرفة الحقيقة،الإيمان قفزة في اللامعقول.. الخ

و يبدو لي أننا في رد فعلنا على الفكر الغربي نقع في "سرقة التصور" لأننا ننحت مصطلحات باللغة العربية لكن نفسيتها غربية، أوننكر التصورات التي تجعل التصور الأساسي ممكنا، أو نرفع المفهوم وليس له مقابل في التطبيق عند بعضنا خصوصا في الأصول العلمية ! ؟

وتحاول الحداثة الآن في هجوم مضاد رد "مركزية العقل" لأن الثقافة الغربية تسير نحو العدمية..!

وكذلك نحن مطالبون برد الاعتبار إلى "مركزية العقل" بمعناها الشائع وليس معناها في لسانيات دريدا، لأنه بالنسبة لي الخطاب الحداثي و أشد منه بعد الحداثي فيما يخص الإيمان خطاب لا عقلي، لكن بشروط خاصة بطبيعة الحال، لا مقابلتها كما

يفعل البعض ب_"مركزية الوحي" لأن الوحي لا يعارض العقل، بل الوحي تضمن" مركزية العقل فيه "، ونقصد:" مركزية دور العقل"، فقد ذم عدم استعمال العقل بعد التعليل بمثل قوله تعالى :{أفلا يعقلون} وكرر كثيرا فعل "عقل".
وفي الحوار القرآني بيان واضح أن الكفر والشرك ضعف عقلي، كما في قوله تعالى :{فهم لا يعقلون}.
وقد بين القرآن خصائص العقل اليهودي وذم العقل السطحي وهشاشة الحجة وغير ذلك.
كما أنه يستحيل فهم الوحي بدون عقل لكن أي عقل؟ هذا السؤال المهم.
المركزية العقلية_ في الفكر الغربي _في الاستعمال الأول هي الانغلاق داخل شيء أو اعتباره المرجع او المعيار الوحيد؛ الانغلاق على الذات وعد مسلماتها مرجعا لصلاحية ومشروعية خطابها.
يستعمل دريدا هذا المصطلح بدلالة خاصة هي: تمثل ماهية اللغة والخطاب في العقل الغربي، الفصل القيمي والزمني بين الكتابة والفكر، فالمكتوب عنده ما هو إلا نسخة ميتة عن القول لها دورالحفظ فقط، لكنه حفظ ناقص خائن:يضيع قسما كبيرا من حياة المعنى..!
بالنسبة إليه فإن ممثل "مركزية العقل" هو روسو !
يقول هابرماس عن دريدا :قام بتجديد مبدأ التفسير الحاخامي "الحرف على حساب العقل" ورفض ما هو خارج عن النص" اجتماعي او سياسي..!
"مركزية العقل"عند بعضهم الآن هي في الانتقال من فلسفة اللغة إلى فلسفة العقل لمراجعة النظرة الارتيابية.
و المقصود هنا أن" مركزية العقل" يجب أن تعني عندنا ضرورة العقل لا حصر المعرفة في مصدريته، لهذا عندما نقدم مفهوم" مركزية الوحي ،أو "مركزية القرآن "،أو" مركزية النص" فبهذا الاعتبار.
ويلزم عن هذا المفهوم شيئان :العصمة والمرجعية:أن الوحي معصوم، و أنه مرجعيتنا الأساسية و الشرطية لأية مرجعية فرعية حينما نقول :يجب أن نعتبر المعاني و المعارف المتجددة به.
لكن هناك مشكل يضبب وضوح هذا المفهوم يأتي من جهتين :

الأولى علمية نظرية ،والثانية عملية.
في الأولى: هل من الضروري أن نقابل "مركزية العقل" الغربي ب_"مركزية الوحي"، فهذا تسليم للعقل الغربي بأنه العقل الإنساني :نموذج العقل في أكمل حالاته! لأنه هل يستقيم أن نجعل الوحي في مقابل العقل الإنساني يعني: الفطري الضروري، أم الواجب البحث _كما فعل سلفنا_ في خصائص هذا العقل الغربي لنميزه عن العقل الفطري؟
وهو فعلا مخالف له، لأن العقل الغربي عقل تجريبي مادي أداتي لا يعترف إلا بما تدركه الحواس، و يحصر المعرفة في ذلك.
و لأننا إن قبلنا فكرة التعارض بين الوحي والعقل قبلنا فكرة التعارض بين الخلق والوحي ، لأن الذي خلق العقل هو من أنزل الكتاب، وجعل العقل مناط التفكير و التكليف، وأمر بإعماله في تدبر الآيات وفهم الكون.
وبالتالي لابد أن تعني عندنا "مركزية الوحي" شيئا واحدا هو عصمة الوحي و أنه مرجعنا الأساسي، وبالضرورة أنه مستغن عن الوسائل الأجنبية عنه ، لا مخالفته للعقل ،فإن اتباع الغربيين في مصطلحهم وثنائياتهم الجدلية هو ما دفعنا إلى نحت هذا المصطلح "مركزية الوحي" فنحن هنا أمام تأثير غربي علينا غير مباشر، أدخلنا في لعبتهم، و في أزمتهم مع العقل ومع الوحي..!
والواجب على طريقة القرآن_ وكما فعل ابن تيمية_ أن نرد الشارد _المفتون بالمقدمات العقلية الدقيقة و بالعقليات _بالعقل فندعوه إلى مناقشة العقل، وبه نبطل ما خالف معاني الوحي.
العقل عندنا موافق للنقل (الوحي) و التعارض ليس من أحدهما ولكن من اعتبارات خارجية، إما عقل فاسد من جهة فطرته أو من جهة علمه المكتسب ، و إما نقل غير ثابت.
و أظن أن استعمال المتقدمين لمصطلح "عصمة النبوة" او عصمة النص" أفضل دلالة من هذا المصطلح" مركزية الوحي" لأنه يخلصنا نحن من هذه الثنائية المفتعلة بين الوحي والعقل، وكذلك من تناقضاتنا العملية فيطرح علينا سؤال المنهج :
ما لوازم عصمة الوحي أو النص في ممارستكم المعرفية؟
في قواعدكم في الاستدلال؟

ما حقيقتها الواقعية فيكم: هل تحتكمون إليه في حال النزاع بينكم؟
وهل "مركزية الوحي او القرآن" مركزية أحكام فقط أم مركزية أحكام ومنهج؟
يعني: ان القرآن او الوحي قدم لنا أحكاما بدون منهج لفهمها ؛أم أحكاما بمنهجها ؟
هل نملك منهجا قرآنيا؟ وهل أعملناه و أين؟ أم عندنا منهج جالس على كل الموائد ، حاميا نصيبه من الهشاشة بمثل هذه المصطلحات..؟!
وهذه الأسئلة تنقلنا إلى الجهة الثانية :ما الحقيقة الواقعية لهذا المفهوم ؟
يعني: هل فعلا تصدرون عن الوحي في كل العلوم الشرعية الأساسية، ولا تقدمون عليه الرأي؟
هل هناك وحدة بين المنهج و المحتوى ،أو بمعنى آخر :استحالة الفصل بين الدين ومنهجه ،فهل قُدم لنا دين بدون منهج فعلينا اختراع المنهج المناسب ؟
فلابد من وجود منهج قرآني، فبأول نظرة في الوحي نجد منهج القرآن في تثبيت الأخبار، ومنهجه في التاريخ، وفي النقاش وقواعد المجادلة، وفي القياس (الاعتبار) و الاستدلال وغير ذلك مما ليس هذا موضع تفصيله.
والمنهج هنا قواعد كلية وأصول ثابتة تحدد المعالم لما يستنبط فيما بعد من التجربة والضرورة العقلية، يرسم معالم النموذج المعرفي أو مخطط الطريقة.
لذا نسأل عن الاختلاف الكبير في الأصول العلمية هل يرجع إلى طبيعة النص لأن الوحي اكتسب صفة العصمة من ذاته هو وليس من شيء خارجي، والظن و النسبية هي من العارف وليس من النص.
وبالتالي فإن النص حق في نفسه ،لا يختلف بحسب عقائد الناس و أحوالهم {لقد جاءت رسل ربنا بالحق} ،وإلا فإن كل مسلم يثبت وجود حقائق مطلقة يلزمه الإقرار بوجود منهج مطلق يقود إليها في الوحي ،فكيف الطريق إلى المطلق بمنهج نسبي؟!
أم أن هذا الاختلاف المتضاد يرجع إلى طبيعة المنهج الخاص بكل طائفة و محدوديته، و معلوم أن كل علم متصل بمبادئه واختيارته المنهجية التي تقود عمله.
ونحن نعلم أن الاتصال المعرفي المباشر بمادة علمية غير الاتصال بها بوسائط كثيرة، وهذا ما يجعل السلف شرطا في فهم الوحي، و ليس اللغة أو المنطق، لأن في حالتهم(السلف) الاتصال بالمعرفة اتصال مباشر بموضوعها.
و مشكلة اللغة والمنطق المجردين عن منهج السلف أنها زادت التمزق المعرفي

فكانت ملجأ الاعتقادات وليس وسيلة في الوظيفة المعرفية، و أقصد أن الاستعانة باللغة المعجمية و نظرية الحد والتصور كانت بغرض مذهبي جدلي، بعيد عن الاهتمام المعرفي البحت، و لذا غلب التدليل الجدلي بدلا عن معقولية الحقيقة.

و منطقيا نعلم أن اختلاف النتائج في هذه القضايا يعني الاختلاف في المنهج او الخلل في تطبيقه.

كذلك قوله تعالى :{فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر} نفهم منه شيئين :

1 _ الوحي حقائق مطلقة لا نسبية فيها.

2 _ منهج الفصل في النزاع بين المسلمين هو الرد إلى الله وإلى رسوله، فكيف يدعونا الله إلى ما لا يقين فيه، او إلى ما لا يصلح لحسم نزاعنا، هذا ممتنع ؟!

ومعلوم أن الاختلاف هو حول المراد فلا يمكن الرجوع (رد) النزاع إلى النص بدون منهج حاكم، فهذا بديهي.

واذا لم تحسم النصوص الخلاف فما دورها..؟!

لكن حاول أن تنظر إلى المسألة بعيدا عن قواعد العذر فليس هذا موضعها.

لهذا يبقى السؤال وجيها :هل أعطى الوحي للمسلمين علوما بدون منهج، ودينا بدون معيار الصواب والخطأ؟

ومعلوم أن دور المناهج هو تعليمنا التمييز بين الصحيح والخطأ.

كذلك لابد للعلم أن يقبل المقايسة(عناصر أولية و أبعاد).

وعلى هذا فإن "مركزية الوحي" تستلزم أن لا يختلف الدليل من نظام فكري لآخر في داخلها،و أن لا يكون التفقه في الدين هو تقنين أقوال مذهب فيصبح العلم مجرد أرشفة، ويتوقف العقل عن العمل بكل طاقته!

"سرقة التصور" بخصوص مفهوم "مركزية الوحي" بالنسبة لكثير من المسلمين هو مثلا قولهم :الكتاب والسنة لا يدلان على أصول الدين بحال،وإنما ندركها بقياس العقل ! ؟

أو في ممارستهم حيث نجد الاجتهاد في تصحيح الحديث والتقليد في فهمه..؟

عندما تكون النظرية أصيلة مبنية على وحدة معرفية تتدفق منها الخلاصات بسلاسة ودون تكلف و إكراه و لي اللسان.

لذا عندما يستعمل بعض المسلمين هذا المفهوم في مواجهة الفكر الغربي نقول لهم : يوجد فرق بين الانفصام المعرفي والمناورة التكتيكية..!

تأثير المشائية في الأمم.. ؟!

....

يقول لاموت فايار (1642) :منذ أن جاهد ألبرت الكبير والقديس طوما لشرح ألغاز ديانتنا بمصطلحات الفلسفة المشائية لا نرى إلا هي مستقرة في كل مكان، لا نقرأ شيئا آخر في كل الجامعات المسيحية"الكتاب الكبير للفلسفة؛ دوبورد.

هذا القول بنبرة حزينة يخبرنا عن هيمنة المشائية على الدين المسيحي إلى غاية فترة ديكارت وهوبس وسبينوزا و لبينتز

حيث انتقد لاموت و مالبرانش نصرنة المشائية، ونصرنة أرسطو واتخاذه حجة سلطة!

وقد استعملها المسيحيون ضد بعضهم بعضا فوظفها الأرثوذكس في مناقشتهم ضد اليسوعيين، ولما كانت عند سبينوزا نسخ أرسطو مترجمة إلى اللاتينية استعمل "أرسطو الوثني" ضد أرسطو في المدرسية المسيحية"!

وهذا لأن المشائية لها مرونة بسبب تعدد أشكالها الراجع إلى تعدد قراءة أرسطو.

وعليه هناك ثلاث مشائيات :مشائية دينية يمثلها ابن سينا وابن رشد والميموني و الإكويني،و مشائية لا دينية يمثلها أوكام غويوم، ومشائية طبيعية إيطالية.

في العالم الإسلامي نرصد ثلاثة أنواع من المشائية :مشائية ابن سينا في الوجود والمنطق بقيت مزدهرة عند الشيعة ، مشائية ابن رشد في كل المجالات الفلسفية انقرضت أو تحولت إلى اليهود والنصارى في القرون الوسطى،وعادت في القرن 19عند بعض الحداثيين في العالم الإسلامي!

و هناك مشائية خفية موجودة عند المتكلمين المسلمين أخذت من الفلاسفة بدون إحالة، و مع بعض التحوير، وكذلك من التأثر بابن سينا، وهي عناصر مشائية نجدها في الاتجاه الفلسفي داخل علم الكلام الإسلامي.

المشائية الكلامية ورثت العداء للفلسفة من قدماء المتكلمين لهذا بقيت نوعا ما محترزة من بعض المقولات الفلسفية مثل الهيولي الأولى، و الجوهر (المجرد عن المادة)، قدم

العالم.. الخ فلم تستعمل بشكل مباشر المصطلح الفلسفي الميتافزيقي كما هو ولكن من خلال المنطق الصوري، كما لم تحل على الفلاسفة إلا ذما (بإستثناء حالات)
أقوى تأثير مشائي عليها كان في المنطق في نظرية الحد والتصور حيث واقع الواقع المنطقي إثبات الماهية أو نفيها بالسلوب، والذي انبسط على مسألة الأسماء والصفات تقريبا كلية.
ومن المنطق أثرت في العلوم الأخرى كأصول الفقه.

إلى أين..؟!
الموضة الآن عند المسلمين _وهي موضة بعدحداثية الشبه _ : كل المقالات متساوية حقيقة أو مصلحة(!)
لذا هناك نفرة غريبة من النقاش العلمي و إقبال مفرط على المجاملات لاعتقادهم أنها باب تحقيق الآمال في الدولة العادلة وفي النهضة..!
ومتى اعتقدت أمة في سوء أثر العلم كإفساد المودة الذي يكون بسبب فساد النفس وسوء الخلق وليس بسبب العلم نفسه ،فهي إلى القهقري!

أين الكتب الغربية المترجمة عن المسلمين.. ؟!
....
بعد أن ورث المسلمون الفلسفة الاغريقية _ عن طريق ترجمة نصارى الشام_ بداية، وبعد ذلك بقراءتهم حيث كان كثير منهم يحسن لغة النسخ الموجودة آنذاك، كما أن اليونان أخذوا عن السوماريين والمصريين والفرس وغيرهم ورَّثوها في القرن العاشر الميلادي إلى النصارى مرة أخرى!
بعضهم مثل "muratori" في القرن الثامن عشر ينكر ذلك لكن "Casiri" و "Brucker" يعتقدان العكس إلا بالنسبة للأرغانون.
يقول "tiedemann" بأن ذلك واقع لا يمكن تكذيبه؟
وعلى رأيه "buhle" و "middeldorf" و"moller"
و يؤكدون أن ما نقل من القسطنطينية بعد سقوطها قليل بالنظر لما أخذ عن المسلمين.
نفس الشيء تقريبا قام به في 1819 "amable jourdin" ذكر المرجع الذي أشير

إليه في آخر المنشور قائمتين واحدة بالكتب الأرسطية التي نقلت من القسطنطينية والأخرى بما ترجم عن المسلمين.
ولأن هذا حز في نفوس بعضهم زعموا أن النصارى ما إن حصلوا على النسخ الإغريقية/ اللاتينية توقفوا عن استعمال النسخ العربية/اللاتينية، وهذا غير صحيح لأن مشكلتهم لم تكن في المراجع فقط بل في الشرح، ولهذا يعترف باحثون مثل " degerando" بأن نقلهم عن المسلمين من النسخ العربية اللاتينية سابق لما جلب لهم من القسطنطينية.
كما أثبت "schmolders" الصلة الوثيقة بين الفلسفة الإسلامية والفلسفة المدرسية.
يقول "munck" :تأثير الأولى على الثانية كان حاسما، وكذلك "roter" و "rousselot" يقول : "القديس توما يمشي أعمى على آثار أرسطو و العرب خصوصا" (دراسة عن الفلسفة في العصر الوسيط 2/166
يلوم "gioberti" كبار علماء اللاهوت في العصر الوسيط على الارتباط فقط بالفلسفة الاغريقية العربية يعني: بارسطو العرب "sarrasins" و الخلفاء !
بحسب "cousin" و " haureau" الحقبة الثانية للمدرسية في القرن العاشر كانت نتيجة الاتصال بالعرب.
ونفس الشيء يذهب إليه "renan"
يعتقد "stockl" أن تأثير الفلسفة العربية على تطور المدرسية المسيحية كان كبيرا.
ونفس الشيء بالنسبة ل_ "schwane" وكتب "vallet" أن الفلسفة العربية تحتل مكانة واسعة في كتابات علماء اللاهوت في القرن الثالث عشر، كلهم مشغولين بمحاربتها!
لكن بعضهم انتقد المبالغة في تقدير فعلهم على الفلسفة المسيحية مثل الكاردينال "gonzalez"!
الثابت أن الكتب المترجمة من الاغريقية إلى اللاتينية تبدأ الظهور حوالي سنة 1240 م؛ ترجمة أمثال "henri de brabant" و" guillaume de moerbeke" بطلب من توما الإكويني هي من سنوات 1260_1270 و يستبعد أصل كتاب قبل 1215_1220م
أما النسخ العربية /اللاتينية يعني النسخ اللاتينية المترجمة عن العربية فإنها تظهر قبل

نهاية القرن العاشر، وترجع إلى مدرسة المترجمين التي كونها " Raymond archevêque de tolede"، وكثير من هذه النسخ هي أعمال " Gérard de cremone" المتوفى سنة 1187م، كما هناك نسخ أخرى كتبت حوالي 1230؛ من قبل "Michel Scott" و "Hermann l'allemand"

ما يعترف الغربيون بسبق وصوله إليهم من طريق المسلمين هو كتاب "من الفيزياء" و "السماء والعالم" و الكتب الثلاثة من "météorologie" وكتاب "الولادة والفساد" وجزء مهم من "الأخلاق" و"قصص الحيوان"!

المشكل أننا أثناء قراءة كتبهم نجدهم ينقلون عن ابن سينا وابن رشد وابن باجة وعامر بن الطفيل وغيرهم، ويشرحون بهم أرسطو، ويرجحون بهم الاختلاف في فهمه، بل ويرجحون أقوالهم على أقواله..!

لكن الذي يهمني في هذا المنشور هو أولا : أين هذه الكتب الآن؟

والأهم من كل هذا :أين الكتب التي ترجموا منها علوم المسلمين مثل: المنطق و الفيزياء والفلك والطب والبصريات الزراعة والرياضيات والميكانيكا (الحيل) وغيرها... ؟

لماذا اختفت..؟!

لعلها كلها موجودة في مكتبة الفاتيكان التي لا يصل إليها أحد؟

_ السرد التاريخي لأقوال الباحثين الغربيين مقتبس عن "مجلة المدرسية الجديدة" لسنة 1894م، الصفحات 385_410؛ لصاحبه "ج. فورجي"

الداعية إلى اللَّه في العالم الهيدوني (اتِّباع الشهوات)

....

أصبح الإنسان المعاصر يُكوِّن رأيه في الفضائيات،ومن الأفلام و المجلات، ومواد الاستهلاك اليومي، و قَتل فيه الإدمانُ للشاشات الأحاسيس الفطرية و أصاب عقله بالركود؛ أصبح عقله الممحو منسقا في مصفوفة إعلامية/ استهلاكية أوصلته إلى درجة الصفر في التفكير، حتى في تقييم مشاعره و تذوُّق انطباعاته الوجدانية(من مقالي عن فلسفة الجمال في الإسلام وهو جزء من بحث فلسفة اللذة في الإسلام)

لقد عوَّمت الحداثة و ما بعدها هذا الإنسان في تيار " نحن"، في المجرى المتحرك و المتلون للرأي الإعلامي، و القبضة قوية على عقله إلى درجة أنَّ التعليم لم يعد قادرا على انتشاله منها[لهذا صرنا نحرث في الماء] .. غنتر أندرس ؛انتهاء صلاحية الإنسان.

هذا عصر الطعام المعلَّب الجاهز المعد مُسبقا، عصر الأفكار الجاهزة، تُشغِّل شاشةً فتتسوق منها فكرة ، ثم من أخرى وهكذا أصبح التفرج على شخص يصيد سمكة أو يحلل نفسية كلب في أتفه حوار يكون مادة إعلامية دسمة مطلوبة ومرغوبة!

عالم اليوم باتفاق العقلاء عالم الاستهلاك المفرط ، الهم الأول فيه للنخبة السياسية و الثقافية/ الإعلامية هو الفائدة و المنفعة،لقد شكلوا الحياة المعاصرة بشكل يجعل الإنسان يجد نفسه مرتاحا في عدم التمييز، فهذا جزء من حرب الفائدة على الذكاء لأنَّ العقل المحتار أكثر قابلية للتلاعب و أسهل في الإغواء ليستهلك ما ينتجون..!

الإنسان كما خلقه الله بعقل وقَّاد، وفطرة سليمة أصبح مُعطَّلا مرميا إلى جانب ورشة "صنع الحقائق الجديدة،و الاستئثار بالحكم و المغنم"! تنتظر روحه مرور داعية إلى الله يعرف حقيقة ما جاء به الأنبياء، و مدرك لما يخرج من عقله، سلَّمه الله من الأوهام، و الهرطقة، و الجمود و التحجر الفكري، و الأنانية، يبحث عن قطع غيار لعقول بشرية عطَّلها إبليس وجنوده الإنس بأفكار مسمومة ملوَّنة بكل الألوان،ونفسٍ فقدت القناعة في بريق المعروضات المزيَّنة، تعبد الشهوة و المتعة، يشتريه بالرحمة و الاهتمام بأخيه الإنسان، يصلحه و يُعيده لحركة الحياة تحت ظل معرفة الله و شريعته..

وكما قالوا: الرذيلة تشعل الحرب و الفضيلة تقاتل عن الضحايا..!

..... فرغت الجعبة ولاح آخر..

الصورة :زورق الإنقاذ يبحر في الأهوال!

في كل المجالات.. :

النقد الذي لا يفعل إلا المعاينة لا فائدة منه (!)

والنقد الذي يصحح لا يستمع إليه (؟!)..

التغيير والإصلاح بأدوات جديدة ضد طبيعة الواقع العميق. إذا اعتاد الجسم على نظام غذائي مختل يلزمه مدة تكيف طويلة ليعتاد على الصحي .

و عليه ستستمر القديمة لكن في سياق جديد مادام هناك حيوية عقلانية ،أرجو ذلك.

نقاش بدون نهاية (!)

....

عندما فتحت حسابي على الفيسبوك لأول مرة ضمني بعضهم إلى مجموعة علمية...
ثم وقع نقاش بيني وبين أخ من سوريا امتد من بعد صلاة العشاء إلى قريب من الفجر بدون أية نتيجة، بل ازدادالشرخ، و كثر تكرار المعاني بعبارات مختلفة، و انتشرنا في كل الموضوعات!
يتنازل المناقش عن رقعة ليأخذ ثلاثة، والأجوبة لا تتوارد على بعضها بعضا، تستعمل القلب والنقض يستنجد بلوازم إيجابية لا يحتملها كلامه! تعتمد البسط للمقدمات المضمرة يخرج عن الموضوع!
تذكرت كلمة لابن تيمية مفادها "الحرص على عدم الخروج عن الكليات أثناء النقاش" لأن الجزئيات تتفرع و تنتشر حتى تخرج من مجال النقاش إلى مجال بعيد تماما لمجرد اشتراك في شيء..!
من تجربتي وجدت أن نصيحة ابن تيمية تعمل بشرطين فقط :الأول :أن يكون النقاش مشافهة حيث يمكن منع التهرب و المحاصرة.
الثاني : أن يكون بين متقاربين في المستوى، لا يحتاجان إلى استغراب المصطلح، و يستعملانه في موضعه.
ويكون عندهم نفس الالتزام الأخلاقي بصدق المقدمات، لأنه إذا كان أحدهم يطلق ما يمر برأسه وعنده نفس مغالبة، والآخر متقيد بالقواعد العلمية، يعني :الأول يرسل الأرنب والثاني يعدو خلفه، فلن ينتهي النقاش..!
مرة كنا في مجلس فقال لنا أحدهم في حوار هادئ من غير خلفية :الإمام مالك أفضل الأئمة!
قلت له :ما مستندك؟
قال :قول الشافعي "إذا ذكر العلماء فمالك النجم"
ودخلنا في مقارنة أصولية وفقهية وسلوكية بين الأئمة طويلة جدا؛ وظل متمسكا برأيه!

و أنا لا أريد تغيير رأيه وإنما بحث عدم علمية مستنده.
المهم بقينا على الحال حتى راودتني فكرة فقلت له :قال الإمام أحمد :"كان الشافعي كالشمس للدنيا و العافية للناس" ثم أضفت: إذا طلعت الشمس اختفت النجوم.
وعلى مفاجأة مني قال :صدقت؛ الآن اقتنعت أن الشافعي أفضل منه.
قلت له :مقارنة في أصول الفقه والفقه والسلوك لم تقنعك واقتنعت بهذا؟! لا أعتقد انك ستفلح في العلم.
المقصود :إما أن تجتنب النقاش بالمرة إذا قدَّرت عدم الأهلية، أو الإبتعاد عن هدف المنشور أو الصفحة، و إما تقطعه بأي عبارة مناسبة إذا رأيته ينتشر في كل اتجاه لأنه لن تأتي منه فائدة.
فليس واجبا عليك أن تجيب عن كل شيء، وتتابع أقل كلمة، و تساير الفكرة ولو كانت تافهة، لأنه حينئذ سيصبح النقاش بدون نهاية وبدون هدف.
وفي الغالب سيتحول الاهتمام من السبب إلى من يمثله، و ستحتاج إلى أسلحة جديدة تقشر الكلمات، لا يقبلها شرفك وشرف موضوعك.
وإذا كانت الأرض خصبة و قال أو قلت حقا قبل غلق النقاش فسينبت في وعي أحدكما.
في بعض أنواع السقوط الاختياري متعة!

قراءة الواقع..

....
نتحدث كثيرا عن فقه الواقع وعن أهميته، وننقل ما قاله الفقهاء _كابن القيم _عن دور فهم الواقع في إنزال الحكم، لكن كيف نقرأ الواقع، هذا ما لم يجب عنه أحد بصورة واضحة لذلك يسأل طلبة العلم :كيف نقرأ الواقع؟
لا يوجد "فقه الواقع" كعلم مستقل، ولكن نوع ذكاء في التفطن إلى تغير ظروف الواقعة، إلى وقوع ترتيب جديد في العلل، مراعاة أبعاد لم ينتبه إليها الاخرون.. الخ
كذلك لا يوجد علم خاص يسمح لك بقراءة الواقع و تفسيره، ولا أظن أن المتنفذين في أي مكان سيخبرونك بأدوات قراءة الواقع !
في الحقيقة لن يسمح لك بالفهم، ستوضع دائما في وضع ارتباك، واعلم أن كل العلوم

المعاصرة لها مهمة ايديولوجية لذلك فإن الفهم هو سلاح المعركة،بقية المعارك هي معارك وهمية تضيع فيها، وتكرر نفسك ومعها اخطاءك.
الخطر من ضعف قراءة الواقع وتفسيره ينجم عنه نتيجة كارثية هي :العجز عن تجديد الفكر، فتكون فكرتك دائما متأخرة عن الواقع لا يمكنها معالجته، وهذا ما يصيب المسلمين المعاصرين، ويفسر تكرار الفشل و المراوحة في المكان!
إذاً بشكل حساس جدا تحتاج إلى التحكم في الواقع(قراءة صحيحة).
ومعلوم أنه لا يوجد في العلوم الإسلامية ما يسمح لك بقراءة الواقع، وهذا مفهوم لأنها علوم تعالج الدين وليس السنن الكونية بالاهتمام الأول، لكن يوجد فيها ما هو أهم من ذلك،وهو ما يحرس الأداة التي تقرأ بها الواقع من الانفلات على أصول الإسلام في مختلف المجالات، ويضع لها المعالم.
لتتمكن من قراءة الواقع بكفاءة عالية تحتاج إلى التمكن من أساسيات هذه العلوم بالدرجة الأولى :الفلسفة _التاريخ _علم الاجتماع _السياسة _الاقتصاد_ علم النفس الفردي والجماهيري.
ثم قراءة المذكرات السياسية ، تاريخ الحروب الخاصة، الإعلام والاتصال.
التحليل الذي يعتمد على الذكاء والمنطق لا يكفي وحده لأن المشاكل لها مستويات أو مناطق، منها مثلا البسيكولوجي: ما يدور في رأس عناصر المشكل، ففي نفسية كل طرف يكمن تفسير موقفه ووضعيته الحقيقة إن كانت قوة أو ضعف؟
وكل تصور هو مرتبط ببسيكولوجيته،والوقوف على الرابط في غاية الأهمية.
تحديد مستوى المشكل يسمح لك بتحديد منطقة التدخل.
كل علم من هذه العلوم يقدم لك قراءة والفلسفة تجمعها كعناصر في القراءة التوليفية..
و يأتي الدين كمؤطر لكل براديجمات هذه العلوم حتى لا تخرج عن معالم الحقائق الكونية والنفسية والعقلية والاجتماعية التي أقرها.
في الغالب يظهر ضعفنا في قراءة الواقع في كوننا نذهب دائما إلى الاثار، لا إلى الأسباب الحقيقية التي تمثلها علوم قراءة الواقع، وفي عجزنا عن تجديد فكرنا.
باختصار :تحتاج إلى نشاط عقلي مستقر و تكاثري في مجالات معرفية مختلفة لتكون قراءتك للواقع صحيحة وبالتالي يكون فعلك لمعالجته صحيحا.

عندما يتحرك الواقع الذي تعيش فيه لا تشعر به فهو مثل حركة الأرض أنت فوقها ولا تشعر بحركتها ! لكن لكل شيء علامات.. ؟؟

علاج عقلك

....

هذا المقال موجه لمن طلبه أو يحتاج إليه.

المستوى الذي بلغه علم النفس المعاصر في الفترة الأخيرة بعد تحالف مجموعة علوم جمعت التجربة الإدراكية مع علم الأعصاب، و مع التخلص من البراديجم التأويلي مذهل.

لقد توصل إلى شرح وظيفة العقل و مختلف أحواله، مما يبرهن على أن العقل ليس عمليات دماغية فقط، ولكن له جذور نفسية عجيبة.

عندما تقرأ بعض الأعمال في هذا الموضوع تندهش من الكيفية التي ركب بها الله تعالى هذه الأداة، إنه عالم آخر متقن مبهر، لكنه معقد جدا، يتداخل بشكل يسبب الدوار!

لكنه أيضا يؤكد بما لا يدع مجالا للشك عند كل شخص متواضع أمام الحقيقة العلمية أنه خلق على فطرة تخص آلياته، وليؤدي فطرة نفسية بحيث لا يمكن فصل فطرة العقل عن فطرة النفس.

في الشرح المعاصر تقف بشكل ملموس على ظاهرة فساد فطرة العقل باختلال وظائفه، و تخبطه في أمراض خفية عندما تختل فطرة النفس بفساد إرادتها.

التفسير لوظائف العقل و أحواله دقيق مقنع علمي تجريبي لدرجة كبيرة جدا، لكن مع ذلك لا يمكنك التدخل لإصلاح الخلل!؟

لا يكفيك هذا العلم الهائل لترد العقل إلى وظيفته الفطرية لأنك لاتستطيع إجراء عملية على دماغك بنفسك، والتدخل البسيكولوجي الوضعاني الخارجي محدود جدا.

كنت دائما منجذبا إلى الدراسات عن بسيكولوجية العقل سواء عند العارفين المسلمين أو عند الغربيين المعاصرين.

في الحقيقة سمح لي الاطلاع كهاو على هذا المجال عند المعاصرين على فهم التحليل البسيكولوجي عند المسلمين الذي ورد في شكل وصايا سلوكية لتزكية النفس.

كما وقفت على حقيقة مهمة جدا في تحديد القيمة النوعية حياة الإنسان، وهو أن الطمأنينة النفسية و وضوح الأفكار وحيوية العقل وسلامة وظائفه مرتبطة بالجانب العملي أكثر من الجانب النظري.

و أقصد أن الفهم العلمي لظواهر العقل والنفس يجعلك واعيا لكنه لا يصلح شيئا اختل فيك إلا بصورة محدودة جدا، لذلك يعلم الإنسان ما يضره لكنه لا يقدر عن الامتناع عنه لأن المعالج ليس الفهم، ولكنه شيء آخر هو من جهة غاية للإنسان لها دور تغذية الفطرة بطاقتها الحقيقية و إصلاحها عند الخلل.

ما يعني أن المسلم العادي يعالج نفسه من غير وعي بما يفعل بشيء بسيط يعجز عنه كل علماء الدنيا لأنه فقط أطاع الله في هذا الشيء؛ لا يهم أن لا يعرف هندسة العقل و خريطة النفس، المهم أنه على وفاق مع فطرته و عقله، لا يعيش في جحيم.

المسألة كما يعرضها البسيكولوجيون :

المقصود بالأفكار عدة أشياء، فمنها البناءات الذهنية التي يقوم بها العالم المفكر، ومنها الأفكار اليومية التي لا تتوقف فينا، والتي نسميها "الخواطر" تلك التي تتسكع في رأسنا، التي تعطي قواما لقلقنا، لمخاوفنا السرية، للميلودراما البسيكولوجية لحياتنا؛ هي الضجيج غير المتوقف في خلفية الذهن.

في هذا المجال لا نرى شيئاً، لا نتهم شيئاً، لا نناقش قيمة هذه الأفكار لأننا في الغالب نتبع خواطرنا بدون بصيرة، و الأسوء أنها في الغالب تستولي علينا فنفقد رأسنا أو نكبر رأسنا!

عند المختل الفكر يهذي، لكن عند الشخص العادي هو نشاط محموم لا ننفصل عنه إلا عند النوم.

السؤال هو :ما العلاقة بين أفكارنا وحياتنا؟

هل يجب أن نحذر من خواطرنا في نفس الوقت الذي نمجد فيه النصب التذكاري للفكر؟

ما هي قيمة أفكارنا إذا كان ولابد علينا الحذر منها؟

الفكر بين الوضوح والارتباك :

يوجد في الفكر وضع الوعي البسيكولوجي (الدورية العسعسية المجنونة لأفكارنا).

ويوجد ما يفكر فيه الفكر (الفكرة التي هي موضوع الفكر).

إذا لم نعتبر إلا الوضعية الذهنية فإننا نتحدث عن الفكر في البسيكولوجيا، لكن عندما ننظر في المحتوى المنطقي الواقعي للتصور أو للفكرة فإننا نتموضع في المستوى المنطقي للفيلسوف أو العالم المفكر.

الفكر كوضع للوعي ،والفكر كفكرة هما غير مفصولين، فإننا عندما نفكر نخمِّر بدون توقف أفكارا، سواء كانت سوداء أو وردية، لا يوجد فارق.

حتى في حالة الضجيج الذهني الأكثر ارتباكا لا نتوقف عن التلفظ الذهني، لأن أن نفكر هو أن نتحدث مع أنفسنا، وهو في نفس الوقت إنتاج فكرة و استخدام أفكار.

المفكر الذي يؤلف كتابا يفكر فيه كما تفكر المرأة أين ستنشر غسيلها غدا، يتعلق الأمر دائما بالذهن لكن في استعمال مختلف، في نظام الرأي أو في نظام العلم (التفكير المدلل عليه).

الذهن المفكر هو أداة التي نستعملها في كل يوم لتكوين صور أو إسقاطها، للاستخبار، للنقاش، للأمر أو للندم.. الخ

الذهن هو أداة التفكر، و التصور هو تكوين ذهني.

التعقل هو القدرة على التمييز، الاستخدام، التقدير بواسطة الأفكار، التعقل هو الأداة الحادة للذهن.

بينما العقل الاستدلالي التأملي هو القدرة على توليف الصور الذهنية يعني الأفكار.

هذا العقل الاستدلالي في الذهن هو القاضي الذي يقيس ويقارن و يرتب و ينظم ويربط باتباع مبادئ منطقية عقلانية.

العقل كذكاء هو مختلف عن العقل المتعقل لأنه قدرة خاصة هو النظرة البراقة التي نجدها عند بعض الناس ولانجدها عند آخرين، يوجد في نظر الذكاء خاصية حدسية.

كل هذه الفروق صورية :التعقل،العقل الاستدلالي، الذكاء... هي أوجه لواقع واحد ووحيد هو العقل الباطن، هي مجرد أسماء لقدرات خاصة للذات الواعية.

سماعنا صوتا أو عدة أصوات في داخل رؤوسنا هو ظاهرة غير إرادية للفكر الذي لم يدرك أننا نستطيع توقيفه، هي حوارات ذاتية، أو حوارات أحادية، حوارات متواصلة،مثل عندما نصادف في الطريق شخصا يتحدث مع نفسه، الفرق بيننا و بينه هو أنه جهر، أعطى لحواره صوتا مسموعا.

ما قيمة فكرة (خاطرة) غير متوافقة مع الوضع التجريبي الذي أنا فيه؟

ما قيمة فكرة تكتكتها متواصلة تضبب الإدراك؟
لا قيمةلها؛ الأسوء أن صوت الذهن حاجز أمام المعرفة بما هو هنا والآن.
يمنعنا هذا الصوت من الاستجابة بطريقة مناسبة صائبة لكل وضع تجربة لما نحن عليه ونريد الخروج منه.
شريط الصوت للنشاط الذهني الفوضوي لا يفعل سوى لجلجة (تلعثم) مخططات من الماضي، و تأسيس فعلنا على هذا النشاط المرتبك هو لا محالة زرع الارتباك.
إن النشاط الذهني الذي يأخذ صوره هذا السبيل حيث لا يتوقف عن الثرثرة، الحكم، التعليق، المضاربة، التأفف، الشكوى، المقارنة، يقول :أنه يحب أو يكره.. الخ هو في الغالب قد حاد بالنسبة لما هو، ليس هو إلا مجرد تكييف ذهني ينسخ نفسه بدون نهاية على خلفية لا وعينا العادي.
أي شخص يلاحظ طريقة عمل الذهن اليومية يتعرف أنه يوجد في الفكر صورة من النشاط القهري لا تساهم في صفاء العقل الباطن، بل بالعكس تولد ارتباكا متواصلا.
نفس هذا النشاط الذهني ما يجعل بعض الأشخاص يدورون في حلقة مفرغة من الأحسايس، يحتفظون بحقد، ويظنون أنفسهم محط كراهية و تنقصا متواصلا..!
بتعبير آخر :الفكر(الخواطر) متروكا لنفسه يرتد ضد الحياة، وهذا راجع لطبيعته لأنه يؤخذ دورا قهريا(تذكروا أقوال النبي صلى الله عليه وسلم عن القلب)
يقول إيكارت تول :كثيرون يعيشون مع جلاد داخل عقولهم، يهاجمهم ويعاقبهم بدون توقف، يمتص طاقتهم الحيوية؛ هذا الطاغوت هو مصدر العذاب والمآسي.
الخبر الجيد هو أنه يمكنك التحرر من الذهن، وهو التحرر الحقيقي الوحيد ،لا يتعلق الأمر بإقصاء الذهن ولكن برده إلى مكانه من أجل رفع وزيادة الحدة واستيقاظ الذكاء بإقصاء الوظيفة الطفيلية؛ ولرفع العقل الباطن فوق الذهن العادي بدون نكران قيمته، و خصوصا بدون نفي الوعي.
يحدث شيء عندما نصبح واعين بالذهن نفسه، نصبح شهودا؛ وفي وضع الشاهد يكون الذكاء حادا في وضعية منتج صامت يراقب الذهن ويفهمه، ومن ثم نكون في حالة وضوح قصوى واكتشاف للذات دائم.
لفهم كيف يشتغل الذهن لا يجب الدخول في مخططاته للأفكار المتكررة، اسطوانته القديمة التي يشغلها بنفس الأغانى، وربما منذ سنوات.

بتعبير آخر :يتعلق الأمر بالبدء بعمل مراقبة نجد فيها هي وضوحا مستمرا.
المسألة إذاً هي أن يكون منتبها جدا لعمل الفكر، والنظر في مسار الفكر، لأن النظر يقتل مباشرة تعرف(غرق) الوعي في الذهن القهري....
نواصل عرض هذا الشرح المعاصر للأسباب التي تجعل الإنسان مسجونا في خواطر واحدة متكررة، وفي نفس عاجزة عن التقدم، عن الانتقال إلى مرحلة جديدة.
فمن حصل له ألم من شيء ما فإنه ما إن يشعر بالتشابه مع حالة جديدة يستدعي نفس ردة الفعل، نفس الأسطوانة :تكرار نموذج رد فعل ماض، حيث تسحبني إنفعالاتي في الدوامة.
رؤية العملية كاملة ستبقيني في وضع شاهد، أطفو فوق تيار الانفعالات بدلا من أن يسحبني معه.
هذا ما يسمح لي بالانتقال من اللاوعي العادي إلى وعي أعلى أكثر وضوحا.
ما هو اللاوعي العادي؟
نعرفه في المقال القادم حيث نواصل الشرح المعاصر.
لم أمزج بين هذا التشريح البسيكولوجي المعاصر وبين الحل الإسلامي الأسهل بكثير جدا والمباشر في علاج العقل والنفس حتى يسهل استيعاب هذا وذاك.
خلاصة هذا المقال أن العقل يحتاج إلى حراسة و مراقبة لما يجري داخله، من الصعب جدا القيام بها، لأن الملهيات كثيرة جدا، والحفاظ على وضع يقظة مستمرة تقريبا مستحيل. فلابد أن تتسلل مواد التشويش، إضافة إلى أن المراقبة وعي يحتاج إلى طاقة مفعلة بالضرورة نستمدها من خارج أنفسنا.
هنا ينهار كل البراديجم الفلسفي والبسيكولوجي المعاصر القائم على إنكار وجود الجن والملائكة، لذلك مع قوة تشريحه لا يمكنه إلا محاولة المعالجة بالعقاقير!
عندما يغرق الإنسان تفسد فطرته العقلية بسبب فساد فطرته النفسية، لا يستطيع أن يخرج نفسه بدون إعانة خارجية كالذي يريد أن يسحب نفسه من المستنقع الذي وقع فيه بسحب شعره بيده!
يمكنك أن تحرس عقلك، وبالتالي تسمح لنفسك بالخروج من سجنها السوداوي، والانتقال إلى مرحلة جديدة، بتحييد خواطر السوء، وهي الأفكار التي تشكل الضجيج في خلفية الذهن، الأفكار التي تجعل الذكاء والتعقل غير فعال.

هذا التحييد يكون بطرد الشيطان، تقليل أثره ، صرف الخواطر السيئة مباشرة بدون فتح الطرد، واستدعاء القوة المساعدة المغذية بالأفكار الصحيحة وبخواطر الخير التي تغذي فطرة النفس وتزودها بالطاقة الايجابية ،فيدخل العقل في حالة هدوء ،وتراتيبة وظائفه كما فطرته التي خلق عليها ليقوم بدوره.

حراسة البرج تتطلب قوات تقف خارج أسواره وفي داخله، يحتاج الحصن إلى تحصين مستمر، والعقل هو برجك.

نقف على هذه الأمور في موضعها،ومنها إلى قيمة التمييز.

إلى اللقاء القادم..

التفصيل حيث لا تفصيل..؟

....

اعتاد شبابنا حبا في زيادة العلم الاستفصال حيث لا يوجد تفصيل زائد على ما قدم، يريد أن تلقنه المسألة خطوة مجهرية خلف خطوة مجهرية، وهذا غير ممكن.

عندما تحدثنا عن "فقه الواقع" وذكرت العلوم التي يحتاجها الإنسان ليكتسب قاعدة قراءة للواقع تسمح له بتفسير الواقع إلى أقرب درجة ممكنة لما هو عليه كانت هذه المعلومة كافية لوحدها لتضعك في الصورة وتوضح لك الطريق الذي عليك سلوكه.

الواقع مركب من عناصر عديدة لأن الفاعل فيه الذي هو الإنسان له أوجه متعددة كفرد وكجماعة مما يعني بالضرورة أن المفسر للواقع لن يكون مجالا معرفيا واحدا، هذه بديهة.

عندما تدرس هذه العلوم التي أشرت إليها و بالكيفية التي أخبرت عنها ستجد نفسك تلقائيا تفسر الواقع بطريقة علمية موضوعية، فإن العلم الذي نتملكه و نختزنه في أنفسنا يفعَّل تلقائيا عندما يلتقي بموضوعه.

لذلك لا توجد طريقة منهج مرسوم تتبع خطواته بصرامة لتفسرالواقع(هناك المنهج الظواهري لكنه لا يكفي لوحده) لأن تفسير الواقع هو مكنة فلسفية يكتسبها الشخص تسمح له بتوظيف مجالات معرفية مختلفة في التحليل، وهو ما اسميه "مستويات التحليل" فالجانب الاقتصادي يقدم لك معلومة و دافعا، حقيقة مؤثرة في القرار في هذا الوقت، وهكذا مع السياسي والاجتماعي والبسيكولوجي وغيرها.

لأن كل حالة صراعية علامتها التعقيد يعني تداخل عدة مستويات، و أنت في هذه الحالات أمام واقع سياسي وواقع اجتماعي وواقع اقتصادي وهكذا.
وهل تظن مثلا أن البروفايل البسيكولوجي لرجال السياسة لا يؤثر في سياستهم، وفي كيفية إدارتهم الصراع، ودرجة قبولهم للتنازل أو تعنتهم وغير ذلك؟
هذه العلوم تسمح لك بعمل انتروبولجية الموضوع، الوقوف على كل أضلاعه حتى تكشف عن ماهية المنظومة و مقاصديتها.
و لتحديد المنظومة نحتاج إلى تحديد موضوعها، فننظر في ظواهرية الاستعمال بالوقوف على الممارسة و الرموز المستخدمة، ففي كل خطاب سياسي _مثلا _رموز
.
كذلك المنهج الكرونولوجي للحدث بتفكيك العناصر بحثا عن أوجه التشابه بينها التي تدلنا على الوحدة.
فمن المعلوم أن الواقعة ما هي إلا عنصر بناء مجموع مغلق تكشف نظام الضرورة و جينالوجيا (شجرة) المشروع.
الظواهرية تكشف البداية والمسار والاكتمال.
هناك قواعد عديدة لقراءة الواقع ،هي عبارة عن مخطط مجمل في عناوين يوضح مستويات القراءة لكن إن لم تكن مشاركا في تلك لعلوم التي أشرت إليها ولم تملك منهجا للتحقق مع المعلومة و تحليلها وكليات كبرى ترد إليها الجزئيات فلن تنفعك كثيرا تلك القواعد (grille de lecture).

علاج العقل (2)

....

مقدمة :

لا يجب الخلط بين التحليل النفسي المرفوض علميا وبين علم النفس (وعلم النفس المعرفي) الذي ينطلق من معطيات علمية تجريبية الذي يجد كل واحد منا تفسيراته في نفسه لأنه يعيشها ويختبرها في باطنه.
لكن هذا لا يمنع من وجود استدراكات عليه تبين النقائص فيه و محدوديته العلاجية، أذكرها كمخطط نقدي في آخر هذا المنشور، والتفصيل يأتي في التحليل الإسلامي ضمن منشورات أخرى لاحقة.

.... الموضوع

كنا توقفنا في المقال السابق _الذي شرح لنا مختلف وظائف العقل و كيف تختل وظيفة الذهن فيصبح عائقا أمام العلم الصحيح و مفسدا لحياة الإنسان _ عند السؤال عن ماهية اللاوعي العادي؟

اللاوعي العادي هو التماهي مع ميكانزيماتنا الفكرية،انفعالاتنا ،ردود فعلنا، رغباتنا، ونوافرنا.

في هذه الحالة أنت تحت قبضة الذهن الذي هو خاصية الأنا، اللاوعي بالوجود.

ليس هو حالة ألم أو بؤس شديد، لكنه حالة صمم _و تقريبا_ متواصلة لانزعاج، عدم رضا، ضجر وسأمة وعصبية، نوع من صوت طفيلي" في عمق الخلفية".

ممكن لا تنتبه إليه لكثرة ما هو جزء من الحياة "العادية" مثل صوت "مكيف هواء" في خلفية الحجرة إلا أن يتوقف.

مع ذلك يوجد دائما في حياتنا لحظات يحصل فيها "فجوة ترسب" فاصل بين فكرتين، بين لحظة ضعف نشاط ذهني وأخرى نحمل فيها مثلا اهتمامنا على إحساس معين :جملة موسيقية، مرور عصفور، عبق قهوة.

فجوة الترسب في الفكر مهمة للغاية لأنه في هذه اللحظة يتوقف الفكر، ويجد الوعي اتصالا حيا مع ما هو.

لقد قضينا معظم حياتنا (ما نسميه اليقظة) نتتبع عرض خيط أفكارنا، حان الوقت الآن لفهم ما هو الفكر، حان الوقت للاهتمام بما يحدث عندما يتوقف الفكر، وإلا فإن ما يحصل بدون تغير هو أنه من اللاوعي العادي نمر إلى اللاوعي العميق الذي هو بطريقة أخرى اكثر رصانة.

المقصود من اللاوعي العميق _عند إيكهارت_ حالة المعاناة الناتجة عن التناقض الثابت بين الذهن والواقع.

يحدث هذا عندما تنقلب الأشياء في الحياة اليومية إلى السوء، عندما يرى الأنا أنه في مواجهة تحد، خسارة، خطر لم يتوقف عن مقاومته، خصوصا في النزاعات العلائقية التي هي نصيب أكثر الناس.

إنه هذه الطريقة التي يشتغل بها الذهن التي تحملنا في العادة إلى الهروب، البحث عن تعويض (خمر، مخدرات، انحراف، مبالغة، تشدد... الخ).

اللاوعي العميق لا يختلف من حيث الطبيعة عن اللاوعي العادي، يختلف عنه فقط في الدرجة، لكن ما يولده هو شحنة لسلبية :الغضب، الخوف الحاد، عدوانية ،انهيار عصبي.. الخ ما يسميه إيكهارت "تفعيل جسم المعاناة".
السلبية التي يولدها الإنسان في حياته في العلاقات، في علاقته بالعالم، مصدرها في فكره وليس في شيء آخر[الأسباب عدم تلبية مطالب الفطرة]
هل نحن نتحدث هنا عن خلل وظيفي للذهن عندما ينجرف، ينحرف عن السكة، عندما يتيه الفكر فإن الحياة هي من تنجرف وتحيد عن السكة.
هل يمكن التفكير بطريقة صحيحة،هل نستطيع تقويم التفكير؟
الا يمكن الوعي بالخلل الوظيفي للوعي بدون أن نفهم في نفس الوقت الوعي، ما يعني بالضرورة أن أكون شاهدا على الوعي نفسه.
الدخول في وضعية شاهد هو ممكن جدا؛ لا يمكن للوعي أن يحل مشكلا هو نفسه من أحدثه، يشبه هذا أن نطلب من شرطي التحقيق في جريمة هو ارتكبها!
هي وضعية متناقضة تتطلب أن نفهمها، لنحاول الاقتراب .
يمكن أن نقول: الموقف الطبيعي الذي يهيمن على الفكر لا يمكن فهمه إلا بالمرور إلى الموقف المتعالي؛ هذا التحول للفكر لا يمكن أن يجري إلا في داخل حالة اليقظة، نوعا ما بيقظة أعلى من التي يشتغل فيها الذهن في الانتباه.
إن فهم وظيفة الذهن و تجاوزها من أكبر التحديات لأن الأمر يعود إلى اتهام الوسيلة التي تسمح للإنسان بالتطور ،فهو من جهة مساعد، ومن جهة أخرى يمكن أن يكون قيدا.
ما دمنا في الذهن فإن تجاوزه يحمل على أنه خسارة، ومع ذلك يوجد حالة استعجالية لتحول الذهن الذي يؤثر سلبا على التفكير، لكن كيف يمكن للتفكير أن يتغير، يصبح أكثر ذكاءا، أكثر نظاما، أكثر مفهومية بدون أن يخسر مكتسباته؟
لا يريد الإنسان أن يفقد قدرته على التحليل و التمييز، لكنه يحتاج أن يتعلم التفكير بوضوح، بطريقة مخترقة.
غلبة التفكير ليست شيئا آخر غير مرحلة في تطور الوعي، يجب أن ننتقل إلى المرحلة التالية على وجه الاستعجال وإلا سيدمرنا الذهن لأنه تحول إلى وحش حقيقي،نصبح كالمصاب بالوسواس القهري، أو كالذي يرى الأشياء ما ينفعه وما

يضره لكنه لا يستطيع أن يحرك ساكنا، ذهنه يبرر له كل سلبياته، يبرر له سكونه عن الحركة الضرورية لمصلحته، يصبح مجرد متفرج، وذهنه هو مخدره الأول..!

التهمة الموجهة للذهن خطيرة لكنها مفهومة في المعنى المزدوج لكلمة "فكر" التي بدأنا بها هذا الموضوع: الفكرة بمعنى البناء الذهني للتصور، والفكرة بمعنى الخواطر غير المتوقفة، والتي يمكن أن تكون بذرة فكرة حقيقية أو مدخل كهف مظلم.

في المعنى الثاني الفكر هو الإنتاج الفوضوي للذهن، بالمعنى العادي؛ يجب الإحاطة بالمدى لنعلم إلى أي حد الذهن مسؤول عن الفوضى في حياتنا الشخصية.

القضية هي رد الذهن إلى مكانه الصحيح، سنستعمله بطريقة أفضل من السابق، هذا سيتيح لنا استخدام ذكاءنا بطريقة أكثر اختراقا، أكثر صحة، أكثر فعالية مما كان عليه تحت قبعة حوار قهري.

الفكر والوعي ليسا مترادفين يمكن للوعي أن يكون بدون فكر، يستضيء الوعي بالصمت، و يظلم بالثرثرة الذهنية؛ لذا فإن تصحيح خلل الوظيفة الذهنية ليس إعداما لقدرات العقل (الباطن).

البديهي هو أنه لا يمكننا ترك الأشياء كما هي لأننا مسؤولون عن فكرنا، ما يعني مسؤولين عن حياتنا، وعن كل ما هو إنتاج فكرنا.

في كل مرة يدخل في المجال الانفعالات العاطفية يفقد الإنسان الرحابة والقدرة، ويصبح العقل مضطربا.

ليس فقط أن الانفعالات العاطفية تحدث الاضطراب ولكنها تحدث على المستوى الذهني تأثير إسقاطات(ماضية على الواقع)

لا يوجد أي معنى لإثارة سؤال التمييز إذا كنا نغفل تماما عن حالة العقل المفكر، يجب اعتبار المحتوى المنطقي للفكر على أنه محمول بسيل بسيكولوجي.

ما إن يدخل "الأنا" حلبة الأهواء و المشاعر تنتهي سلطة التمييز.

التعلق بالمركزية الذاتية هو جذر اتخاذ موقف في الرأي يرفض الأنا إفلاته، لأنه يحس بأن التهمة موجهة إليه شخصيا.

....

خاتمة الشرح المعاصر الغربي :

مكتسبات هذا العرض للتشريح البسيوكولوجي للعقل، و بالأحرى للذهن و دوره في

اضطراب العقل وعجزه عن التمييز هو أنه كلام علمي تجريبي يتعلق بميكانيزمات العقل البشري وارتباطاتها النفسية.
المشكلة فقط في كون هذا النموذج الغربي يصف ويعلل بعلل ثانوية، لا يسمح بالوصول إلى تحديد المصدر الحقيقي لهذا الخلل وما ينتج عنه من اضطراب نفسي في الشخصية.
وبالتالي ليس في مقدوره اقتراح العلاج المناسب فأن تفهم كيف تجري الأمور في شيء لا يمكنك لمسه بيدك، تتداخل فيه وظائف في الدماغ مع أخرى في النفس والعقل الباطن لا يعني أنه في مقدورك إصلاحه.
لهذا ترتكز أدويتهم على الحوار ومحاولة تغيير الجو، وتعويض عدم الوضوح الذي يعاني منه الذهن، والذي يعني عدم السكينة بالعقاقير التي ترخي الأعصاب وتطلق نبضات نشوى تشعر براحة ما!
لقد جعلوا الأفكار السلبية (وهي الخواطر) في مقابل الأفكار العلمية في الذهن، بينما الخواطر في الحقيقة بذور الأفكار ليست أفكارا بالمعنى التام.
كما جعلوا اللاوعي مستويين: عادي وعميق، و الفرق في الوضوح...!
و أكبر مشكلة لديهم ومرجعها البراديجم المادي هي في مصدر الخواطر فجعلوها كلها نفسانيية و أهملوا الأهم :الرحمانية والشيطانية.
وهذا يعني أنهم جعلوا النفس خالقة مولدة لتلك الأفكار الطفيلية(الخواطر) ،وهذا على النموذج الكنطي الذي يجعل العلم من إفرازات النفس!
وإن كنا نقر بوجود خاصية الانعكاسية في العقل لكنها مسؤولة عن الخواطر النفسانية وهي مجرد تكرار، وهذا لا يفسر الخواطر الأخرى التي لا نهاية لها؟
لقد ظنوا أن الوضوح والمقصود به الهدوء و السكينة _لأنهم ربطوه بالانفعالات العاطفية _تأتي فقط من التعالي على سيل العواطف والانفعالات ،وليس من التعالي في العلم والمراد، في الاستعانة بالخارج عن العقل والنفس.
اعتبروا هذه الخواطر حوارا قهريا داخل العقل، يعني أن هذه الخواطر قهرية لا يستطيع العقل الامتناع عنها، وهذا صحيح ولهذا اختلفوا ما إذا كان إسكاتها مضرا بالذهن وبالتالي بالوظائف العقلية الأخرى، لكنهم لم يشرحوا كيف هي قهرية فإن استقراء الموجودات يبين أنها موجودة لغاية، كما لم يشرحوا لنا مصدرها الحقيقي.

اعتبارهم ما يجري في الذهن مسؤولا عن نوعية حياة الإنسان والعالم الذي يصنعه حواليه صحيح لكن بدون تعليل منطقي وبدون قيد أو بدون الاهتمام بالعناصر الخارجية عن قدرته.

لم ينتبهوا إلى أن الخواطر ضرورية للإنسان و إن ادركوا أنها أداة تطور الوعي لكن ردوا ذلك للذهن في حالة اللاوعي وهو اعتراف غير مباشر.

لم يذكروا الأسباب الحقيقية وردوها كلها للعواطف، والعواطف نفسها هي أثر ليست سببا، كأنهم بدؤوا الشرح من وسط الطريق!

بالنسبة للموقف الإسلامي فقد تكلم العلماء العباد في الموضوع وبينوا أهميته، وبعض طرق العلاج الذي دعوا إليه باعتباره مقاما في طريق السلوك إلى الله.

ومع ذلك وقع انحراف أو تلبيس عليهم نأتي عليه في موضعه.

من الذين تكلموا في الموضوع بشكل مفصل يقابل التفصيل الغربي نوعا ما، و إن تفوق عليه في نقاط عديدة: ابن القيم ،وقد خصص في كتابه "سفر الهجرتين" فصلا لحفظ الخواطر.

الإشكال الوحيد هو أنه مفصل بطريقة تجعله موجها للخاصة وليس لعامة الناس، و إن تضمن ما ينفعهم ، كما أنه اعتمد كثيرا في حل المعضلة على العلم كما فعل المعاصرون إلا أن العلم الذي ارتكز عليه ليس هو شرح العمليات العقلية وأثرها في النفس بل العلم الإلهي، وهذا فارق كبير إلا أننا سنجد الشريعة اعتمدت لعموم الناس الحل العملي، وهو سهل، وفي متناول الناس، والعلمي لأهله.

والذي يبدو لي أو لمست أنه خاض في الموضوع ضمن نظرية معرفة يعني: ضمن تسلسل معرفي متسق هو ابن تيمية. حيث ربط بين وظائف النفس والفطرة المعرفية، وحالات النفس الانفعالية والفعلية، ودور الشعور وعلاقته بالارادة و كمال النفس البشرية.

عندما بدأت مطالعة هذه الموضوعات والمقابلة بين المعاصر الغربي والإسلامي فهمت لماذا كانت عقول المسلمين أصح العقول (كما قال ابن تيمية)

كما ترجح لدي أن أنسب الطرق السلوكية لأكثر الناس لصيانة عقولهم ونفوسهم هي طريقة الجنيد: "دوام الذكر، ودوام الطهارة. ودوام الصوم" فقد جمعت أقوى مطهرات النفس ومحصناتها من الأفكار السلبية ، جمعت بين المفرغ المحصن:

الطهارة والصيام ،وبين المغذي المصلح :الذكر.
وبطبيعة الحال لا يقدر كل الناس عليها، مما يردنا إلى الذكر والطهارة والصوم في السنة، فإن المقدار والكيفية فيها تناسبان كل الناس، كما تناسبان طبيعة الإنسان، و تتركان له مجالا للحياة العادية.
إلى المقال القادم إن شاء الله تعالى.

ماذا عليك أن تصحح..؟

....
"هداية الله لخلقه وإرشاده لهم هو بحسب حاجتهم إلى ذلك وبحسب قبولهم الهدى وطلبهم له قصدا وعملا" ابن تيمية.
عليك أن تبدي حاجتك: تعتقد أن الله يملكها لأنه خالق كل شيء، و تسأله منها بنيتك وبحالك "تقدم الخطوة الأولى".
عليك أن تعلم أنه أعلم منك بحاجتك، يعلمها قبل أن تشعر بها ويقدر على قذف ما يشاء في قلبك {إذ يوحي ربك إلى الملائكة اني معكم فثبتوا الذين آمنوا}
وقد بث سبل هدايتك في نفسك :في فطرتك النفسية والمعرفية العلمية والعملية ،وفي الآفاق حولك، وفي الكتاب المنزل.
عليك أن تجعل قلبك قابلا للهدى ،محلا طيبا يقبل الطيب، فرد فطرتك إلى طبيعتها لأن اضطراب النفس و فساد العقل كله من فساد الفطرة.
وفساد الأفكار يعلم مع صحة الفطرة، و فطرة النفس في ارادة الله وقصده وحبه، وحسن فطرة العقل من حسن فطرة النفس ، فإنه يوجد في النفس ما يوجب ترجيح الحق على الباطل في الاعتقادات و الارادات لأنها ولدت على الفطرة.
و إلا فإن كل شيء صدر عن الله، فلابد أن يعود كل شيء إليه
{تسبح له السماوات السبع والأرض ومن فيهن و إن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليما غفورا}.
فإذا صحت الفطرة صحت الغرائز، وصحت النفس، وصح معها العقل، فلاتعارض بين عقل وحس، ولا بين ايمان وعقل، ولا بين علم وعمل؛ ولا بين علم طبيعي وعلم إلهي؛ فالحق تتظافر كل الموجودات لتشهد عليه، تتنوع ولكنها تحت الأصل الواحد

تأتلف،ولعدم معقولية الكفر والشرك العظيمة فإن الله حليم غفور إذا تاب العبد مما يشهد الكون بأسره بما فيه نفس الإنسان على ضده، فطهر فطرتك بداية بالذكر :" ألا أنبئكم بخير أعمالكم و أزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم و خير لكم من إنفاق الذهب والورق و خير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربون أعناقكم قالوا بلى،قال:ذكر الله تعالى".

قال معاذ بن جبل:" ما شيء أنجى من عذاب الله من ذكر الله"، والذكر مطهر للقلب، مصلح للفطرة، طارد للشيطان وللأفكار السيئة السلبية خواطر وشبهات علمية وشهوات إرادية.

وكذلك علم التوحيد الشرعي يصحح قصدك ويجعل قلبك متعلقا بالله؛ ومن لجأ إليه أواه.

أين ضرب العقل ..؟

....

عندما تتابع المنشورات على الفيسبوك والفديوهات على مواقع أخرى، وكذلك القنوات التلفزيونية حتى في منشورات المتدينين ستلاحظ أن اهتمامهم منصب على ما حوى موضوعا دراميا أو عاطفيا انفعاليا أو جسمانيا(جماليا) أكثر بكثير من الموضوعات العلمية!

أي منشور يتحدث عن تجربة علائقية: عن صداقة، عن خيانة، عن غدر، عن خصومة، عن قتل ،عن سجن، عن أخبار ولو لعلماء، عن مثل هذه الأمور يجد إقبالا كبيرا!

وجود هذا الأمر في الناس مفهوم فقد مسخت فطرهم لكن وجوده في المتدين يعني أنه هو الآخر قد احتلت روحه، وقد وصل المكر إلى أعماق نفسه، إلى فطرته بحيث أن علمه الديني وحتي إيمانه لم يعد يتحكم في نفسه، عقله الجدلي السطحي و لسانه في جهة، و نفسه وعقله العميق في جهة أخرى.

و الحديث الديني تقريبا لتأثيث الديكور..!

لهذا يخطئ من يظن أن المعركة سياسية ،بل هي معركة وعي ولا أقصد الوعي سياسي، بل الوعي بالنفس، وأين زرعت فيها الألغام،المعركة اليوم معركة

بسيكولوجية معرفية.
لقد تم دس السم في حالات النفس الانفعالية والفاعلة فتبعت الحالة العقلية آليا.
ضربوا فطرية طلب المنفعة و اجتناب المضرة ، خربوا الشعور فخربوا معه الذوق الذي ندرك به الحسن النافع والقبيح المضر وبطبيعة الحال ستتحول المحبة والإرادة إلى ملذات النفس الجديدة، وسيجد الإنسان نفسه عاجزا عن محبة و إرادة ما ينفعه حقيقة، في أحسن أحواله سيعيش في إرادة مستقبلية عزمية تخور في الغالب، لا إرادة حالية قصدية تنجز الأعمال الصالحة و النافعة.
لم تبق _مع الوقت _مقاومة الا في الفرائض، وأنا متيقن ان الشباب المتدين الذي يقبل على المنشورات غير العلمية ويرتاح لها قد يكون مضيعا للرواتب، لا يحافظ على ورد القرآن إلا بصعوبةبالغة، ولا يصوم إلا من رمضان إلا رمضان!
لقد دمروا بصناعة الفرجة و بناء الحياة المعاصرة على العاطفي و اللعوب و الشهوي مقدمات المقاصد والغايات كما تدمر المبادئ الأولية البديهية بالسفسطة.
الإنسان بمن فيه المتدين مقصوف باستمرار بالعاطفي في كل شي، الرغبات منشورة على أوسع نطاق و الشهوات معروضة، وفي كل يوم يشغل شاشة هاتفه أوتلفزيونه يحتسي شربة دراما! حتى يفقد التمييز وهو لا يشعر، ويسحبه التيار ولن يخلصه التعليم عند هذه النقطة.
عندما تضرب الفطرة يتلذذ الإنسان بما يضره وبما لا ينفعه تنسجم نفسه مع اللعوب والشهوي والعاطفي بدون جهد، يكون الجانب المنطقي لعقله ملغى ، في عطلة طويلة الأمد ، موضوعا في خزانة، العقل مجرد سيل من العواطف، وإهتمامه العلمي تجاري لتأمين وظيفة، أو تعلقا به لتعويض نقص ما، نوع من المهرب، أو البحث عن إثبات الذات.
عالم المتعة المحررة مصدود في اللاوعي لكن يدفعه الواقع المستهلك لها بشراهة.
ماذا يجد الإنسان في الدراما و العاطفي واللعوب حتى يولع بها، يجد :الانفعال، المنافسة، المخاطرة، الرابط الاجتماعي الرقمي يعني الوهمي، نزوات الجنس و العنف، معركة الخيال الحديث عن الغير؛ حتى تتجاوز التسلية إلى الإدمان.
وكل هذه وسائل لتخريب الفطرة وتسطيح العقل.
الحل هو أن تهتم أكثر بروحانية شرعية صحيحة، علاقة بين الذات و عقلانية شرعية

صحيحة.
و المعركة اليوم في التكفل بأمراض الناس النفسية لاسترجاع فطرتهم.
بمجرد أنك تجد نفسك تميل لأمور غير جادة، و تتلذذ بالعاطفي و الانفعالي على حساب العلمي الإيماني والعقلي يجب أن تدرك أنك تعاني من خلل ما، وإن لم تفطن بملاحظة عقلك فعلى الأقل تفطن بمقارنة اهتماماتك باهتمامات السلف والعلماء والصالحين.
وإذا احتاج الإنسان إلى شيء من الوجدانيات و الترفيه فبدون إفراط وإلا لا يلومن إلا نفسه.

معايير الاختيار و أسباب التيهان..

....
الحشد من الناس له رؤوس كثيرة لكن بدون دماغ _كما يقال _لأنه بغريزة القطيع يميل الفرد إلى تكييف سلوكه على سلوك الأفراد الآخرين، يقف حيث يقفون، يقرأ مايقرؤون،ويستحسن ما يستحسنون.. الخ !
فمثلا تدخل السوق فتجد خضَّارا أمام بضاعته وليس عنده زبون، فتقف عنده وتبدأ في طلب ما تريده، تزن الخضر وتضعها في قفتك، فيبدأ الناس رويدا رويدا في التجمع عند هذا الخضَّار إستئناسا ببعضهم بعضا كأن هذا الخضَّار عنده ما ليس عند غيره!
كذلك تكون في مدينة وتريد الغذاء فتبحث عن مطعم فتجد اثنين أو ثلاثة متجاورين ، تمر بجوارهم و تنظر في داخل كل مطعم، وتدخل في الذي ترى فيه شخصين يتناولان طعامهما إذا كان الآخر فارغا، لأنه في لاوعيك قرينة على أفضليته، بدون أن تنظر في قائمة الطعام و كلفة كل وجبة..!
بعض الناس عندهم معايير المجانسة فيدخل المحل الذي يكون في صاحبه شبه منه،مثل علامات تدين ،أو مناصرة فريق رياضي أو غير ذلك، لذا يخضع البشر إلى تأثير الشبه والمجانسة و المشاكلة أكثر من أي معيار آخر!
تأثير الحشد قد يدفعنا إلى قرارات خطيرة كما يقال في المثل العامي :"إذا ألقى الناس أنفسهم في البحر فلا تلقي نفسك معهم.
قد يقف الحشد في مكان خطير مثلا على الطريق السيار وتكون في مكان أكثر آمنا

ومع ذلك ستشعر بالأمن حيث الحشد!
يعاني الإنسان من تأثير الحشد كما يعاني من مشكلة الاختيار والحشد يوفر له معيارا يغنيه عن صعوبة الاختيار.
يرجع المشكل بالأساس _كما يقول المختصون _إلى أن دماغنا لا يحب الاختيارات المتعددة و يفضل البدلية، هذا أفضل هذا أقل فضلا ، نعم أو لا، أسود أو أبيض.
كلما كان عندنا اختيارات كثيرة نجد صعوبة في الاختيار، وكثرة الاختيارات تشل القرار، مثل الشخص الذي يدخل مكتبة من أجل اقتناء كتاب يخرج بدون أي كتاب..!
هذه الصعوبة في الاختيار تدفعنا إلى إبقاء باب الاختيارات الممكنةمفتوحا.
قد يقضي الإنسان أسبوعين مترددا في اختيار نموذجين لنفس الشيء، مثل لون الزليج أو ستائر البيت!
هذه الترددات تصرفه عن نشاطات أخرى ربما اكثر أهمية لحياته أو لدينه.
الحاجة اللاعقلانية لترك الاحتمالين مفتوحين تنسي الإنسان عواقب هذا الانتظار.
في الحقيقة _وهذا بيت القصيد _لا يهددنا غياب الإمكانيات بل بالعكس وفرة الاختيارات هي التي تنتهي إلى صرفنا عن هدفنا الأول، وتضييع الوقت والفرص والطاقة، فيكثر في حياتنا الفرص المهدورة، و الانتقال من شيء لآخر دون أن نكمل الأول أو نختبره على حقيقته.
هذا المشكل نجده عند الشباب في اختيار الزوجة حيث تتعارض في نفسه معايير الشرع مع معايير النفس، فالمعايير الشرعية عبارة عن مجرد معلومة منطقية إذا كانت النفس تطلب لذة غير موافقة للتصور الشرعي لها، مثل لمفهوم الجمال في الدين، والحقيقة التي يكشفها الدين من تحت الجلد عن المرأة الفاضلة، فيرجح مفهوم الجمال المادي الذي بني عليه أسلوب الحياة المعاصرة، والقلب يختار ما يجده لذيذا لا يختار ما يجده منطقيا.
فإذا لم تحب محاب الله لن تريد ما يريد الله، هذا أمر بديهي.
لأن الحب مبدأ جميع الحركات الارادية ،ولابد لكل حي من حب وبغض ،واجتماع حب الأضداد في القلب راجع لعدم اكتمال محبة أحدهما ،فمن كانت له الغلبة قضى على الآخر.
و معلوم أن حب الشيء و إرادته يستلزم بغض ضده وكراهته إذا كان الشخص عالما

بالتضاد بينهما ، وهو ما لا نشعر به في الغالب أو نعده أمرا طبيعيا، فالمحبة التامة لله تستلزم وجود محبوباته لأن المؤمن يجد لذة في محبوبات الله و هذه اللذة فطرية فيه، لأن ما يحبه الله موافق لفطرة الإنسان.

ولهذا كان الدين فطرة الله التي فطر الناس عليها :{فأقم وجهك للدين حنيفا فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون}

ولهذا _أيضا _لا يوجد حرج في الدين:{وما جعل عليكم في الدين من حرج} يعني: لم يكلفنا ما لا نطيق وليس في عبادة الله مشقة إلا في بعضها ولها أحكام خاصة، ولا تعدم هي الأخرى من الفرج و التخفيف، ولا تنفصل عن لذة الإيمان.

لأن الدين موافق لذوق النفس البشرية وطبيعة شعورها وقدراتها، ومن هنا كان النبي صلى الله عليه وسلم يسمى الصلاة "راحة"، و يسميها بعض الفقهاء "تكليفا".. ؟

إذاً يكتمل الإيمان باكتمال المحبة التي تكتمل بتحقق اللذة بالإيمان والعمل الصالح، كما في الحديثين عند مسلم :

"ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان، أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار"

وفي الاخر :" ذاق طعم الإيمان: من رضي بالله ربا، وبالإسلام ديناً، وبمحمد نبياً ورسولاً"

وقد فسر النووي في شرحه على مسلم معنى حلاوة الإيمان بالاستلذاذ بالطاعات حتى يتحمل المشاق في رضى الله.

يجد المسلم صعوبة في الاختيار كلما ضعف إيمانه،وكذلك إذا ضعف علمه بالواقع و بالشرع.

وكلما قوي حب اللذات الجسمانية على حساب النفسانية الشريفة ، أو النفسانية والجسمانية التي لا تنفع في الآخرة على النافعة في الآخرة في قلبه اختلت معايير التقييم وبالتالي مقاييس الاختيار.

وفي الحديث الصحيح :" من أحب لله و أبغض لله و أعطى لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان".

وكمال الإيمان هو أن يكون الدين كله لله بعبادة تتضمن كمال الحب وكمال الاستسلام

والافتقار.
والانسان يتاله ما يهواه ويحبه ضرورة،ولهذا كان معنى الحديث "لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعًا لما جئت به" صحيحا إذا كان المقصود كمال الإيمان، ما يعني ليس طاعة الأوامر الشرعية فقط ولكن محبة ذلك.
،و معلوم أنه يجتمع في قلب الإنسان الإرادات المتعارضة، إرداة الشيء وضده، مثل شهوة النفس للمعصية وبغض القلب لها، وما دام القلب مبغضا لها فإن المرور إلى الفعل سيكون صعبا، وإذا وقع أعقبته مباشرة ندامة وتوبة واستغفار.
كل شيء في هذا الوجود مبني على الميزان، أي العدل، فأساس العلم هو الاعتبار بالجمع بين المتماثلين و التفريق بين المختلفين ،والصلاح والنقد بالموازنة بين الحسنات وبالسيئات، وكذلك استقامة القلب وتوجهه مبنية على الميزان بين اللذة الجسمانية واللذة النفسانية ،بين اللذة لمصلحة الحياة واللذة لمصلحة الآخرة.
عندما تقول :الجمعة القادم أبدأ الصلاة، أتخلص من كذا و أصوم..أشرع في برنامج علمي أو رياضي.. الخ فهذا يعني أن إرادتك للتغيير غير جازمة(إذا لم يكن المانع عدم قدرة خارجية) لذلك جاءت في صيغة عزم على الفعل في المستقبل[يفرق بعض العلماء بين العزم والقصد فسموا التصميم على الفعل في المستقبل عزما ،و ما قارن الفعل قصدا وليس المشكل في التسمية لأن التمييز اللفظي إن كان دالا على اختلاف الحقيقة الواقعية فهو منطقي] إنما في واقع الفعل لأن ما يعزم الإنسان على فعله في المستقبل لا بد أن تتجدد إرادته حين فعله، فالارادة لا تعمل بالتخطيط، يجب أن تقارن الفعل وتكون جازمة، وهي الإرادة المستلزمة لوجود الفعل مع القدرة.
و إلى هنا هذه مقدمة صالحة تدل على أن حب الشيء بدأ ينعقد في قلبك، لكنه لم يبلغ الدرجة التي تنتج قصدا حاليا، فإن قوة اللذة يستحيل أن نؤخر عنها ذوقها (مباشرتها لتحصل بعدها) لذلك ستسوف،كأنك تشتهي العمل الصالح أو العلم النافع لأنك أخبرت عن لذته لكنك لم تذقها، و هذا الاشتهاء يضعفه ضعف تصديق الخبر، أو قوة المعارض في القلب.
المعركة هي في القلب، وللقلب لذة نفسانية ،عندما يفسد إحساسه تتغير لذته النفسانية، و ما لا يلتذ به القلب لا يحبه ولا يطلبه، ولن تكون له إرادة له مهما كانت قيمته العلمية، فكل شي في الإنسان هو سعي نحو اللذة الجسمانية أو النفسانية، أوحركة

عكسية تتمثل في الفرار من كل ألم جسماني أو نفساني.
إذا لم تكن طاعة الله ضمن لذتك النفسانية فستعاني العجز وخور العزائم.
الإنسان الذي يجد لذة في الخمر ،أو في إيذاء غيره، أو في الزنا إما يجد لذة في شيء هو لذيذ للغريزة الإنسانية لكن عاقبته سيئة بمعنى مشروط في الشريعة ،و إما أنه يجد لذة في شي غير موافق لفطرةالانسان مثل الخمر،والكذب.. الخ
وكل ما يجده الإنسان لذيذا يحبه، سواء كانت لذته مواتية لفطرته أو مخالفة لها ،وكل ما يحبه سيطلبه، سيتحرك القلب نحوه محبة قصدا وارادة.
والقلب محل التمييز والعلم، وبالتالي سيؤثر فساد حسه على فساد إرادته و حركته، وبالتالي يفسد تصوره لأنه سيمرض ويحصل له ألم نفساني بخروجه عن الفطرة، وكذلك لأن الوظيفة الذهنية ستختل ، سيفسد فيه التحسين والتقبيح الفطري.
كل ذلك سيؤثر على علمه بالحق والباطل، و تمييزه بين الخير والشر، وقد يمرض إذا كثرت المادة الفاسدة فيه سواء شبهات او شهوات حتى يفقد التمييز بين ما ينفعه وما يضره فيفسد علمه وتصوره.
ومتى ترك القلب عبادة الله بتوحيد التي هي حركته الفطرية الطبيعية اتبع هواه وانحرف ،و الفطرة وحدها لا تقوم بحاجات الإنسان لأنها تتعرض للمسخ، وتحتاج إلى الغذاء والقوات، ولهذا كملت الشريعة الفطرة.
وعندما تمرض القلوب فشفاؤها في القرآن :{و ننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين}
إذا مرض القلب و أمراضه كثيرة، وكان فيه تقوى ومقاومة بقي مستمسكا بالحبل، وإذا بلغت مقاومته لمرضه درجة الصبر لله فهو بلاء في حقه.
والمقصود أن فساد حس القلب يعني ذوقه يقود حتما إلى فساد إرادته وحركته واتجاهه.
فإذا كان الإنسان يجد لذة في متابعة فيلم، في قراءة رواية ،في مجالسة الأصحاب.. الخ على قراءة القرآن أو الكتب الشرعية، أو يفضل الأدب على الفكر فالخلل في قلبه، وحتما سيكثر، بل ويدمن على ما يستطيب قلبه وترتاح فيه نفسه، و إن كانت راحة وهمية لأن الشعور بالنقصان سيلازمه والحسكة لن تذهب من قلبه.
وعندما يجد القلب لذة أعظم فيما هو دون محبوبات الله التي هي موافقة لفطرته السوية

فقد فسد حس قلبه وحتما فسد تصوره، لهذا تصبح عند أمثال هؤلاء البديهيات الفطرية محتاجة عندهم إلى نظر و استدلال، و يضعف فيه اليقين، و تتأثر فطرته العقلية فيتاثر علمه فلا يحصل له يقين من العلوم والأدلة الموافقة لفطرته، ويصير بحاجة متزايدة إلى مقدمات مركبة ودقيقة،لا يحصل له هدى بدونها!
وستجده شخصا يرتاح إلى كلام البشر اكثر من راحته إلى كلام الوحي، ويميل إلى الجدل أكثر من ميله إلى العمل.
لهذه الأسباب كان حبل الله بالنسبة للإنسان هو القرآن طالما كان متمسكا به فهو في سلام.
عندما تفسد الفطرة يفسد الذوق ،وبالتالي تفسد معايير الاختيار لأن العلم فسد ،ولا أقصد فساد المعلوم ولكن أداة التمييز، ما نحدد به النفع و الضر، المصلحة والمفسدة.
لذلك فإن اختياراتكم العلمية مثل :ماذا تقرؤون؟ ماذا تدرسون؟ أين تبذلون جهدكم؟ وتستغلون وقتكم؟ في ماذا تفكرون؟ ليست مفصولة عن اختياراتكم الحياتية ،ستخضع لنفس المقاييس، لنفس المعايير، لنفس الذوق.
لا يمكن أن يعيش الإنسان كما يعتقد الفلاسفة بلذة علوية فقط، بل لا يوجد تعارض بين اللذة العلوية واللذة السفلية ما دام الأصل واحدا.
لا توجد وحدة معرفية نظرية فقط، بل يجب أن يتحد العلم مع العمل ، فالوحدة المعرفية الحقيقية ما كان الاتساق فيها بين المعرفة و السلوك والأخلاق وأسلوب الحياة.
تلخيص ما يحتاج إلى مجلد في منشور ليس بالشيءالسهل فإن وصلت الفكرة فقد تم المقصود.

بواطن الكتابة..!

....
يمكن للكتابة أن تكون أرضية للعمل على الذات،نوعا من سبر الذات لمعرفتها؛ هذا إذا كان فعل الكتابة تجميعا للانتباه يردك إلى نفسك أولا وقبل غيرك.
هدف الكتابة هو نقل القصد إلى الغير بواسطة تعبير، و ما إن يوجد قصد توجد علاقة بين ذات وموضوع.

،بعض الكتابات هي كتابة ذات إلى نفسها ، حوار داخلي مبسوط على ورقة، لأن الكتابة تسمح بسلسلة الخواطر و الإحاطة بلوازمها.
كتابات أخرى هي محاولة للابتعاد عن الذات، لا تعبر عن الحالة الراهنة للذات، و إنما هي إسقاط لما تحب أن تكون عليه،يعني
أفضل الكتابة التي تساهم في الوعي بالعالم و تزيد في معرفة الذات الإنسانية ،توسيع الوعي بها، سبر دواخلها، استوضاحها.
إذا وعيت هذا ستتحسن مناشيرك.

قوَّة الكلمة ذابت وغرقت تحت سيل الكثرة النافلة!
الأصول اللادينية في العقل الإسلامي!

....

1 _ لا يكاد يوجد خطاب إسلامي لا يرد كل شيء إلى السياسة؛ بمعنى: كل المذاهب الدينية الموجودة هي صناعة السياسة، ولم يكن العلماء إلا موظفين لصياغة رواية دينية على مقاس الحكام!
إذن دينك باطل! فما تطبقه على غيرك ينطبق عليك، والأمة مجتمعة على دين باطل! والله لم يحفظ دينه!
أصلا فكرة رد كل شيء إلى السياسة فكرة انثروبولوجية علمانية، هي نفسها التي تزعم أن الخلفاء محو الرسالة الروحية للإسلام، وحوَّلوها إلى فكرة دينية _سياسية ! وهي نفسها التي يستلفها بعض الجهلة لوصف أهل الحديث، وكل من يخالف النفس الوعيدي!
هذا فيروس يستعمله الشيعي ضد السني، والوعيدي ضد أهل الحديث، و الحركي ضد العلمي، وفي النهاية يفسد دين الجميع.
2 _ من يرد فساد طباع الناس وسلوكهم إلى الفقر فهو كذلك في براديجم ماركسي مادي لأن فساد الإنسان في الإسلام يرجع بالدرجة الأولى إلى الجهل وليس إلى الفقر.
3 _ من يرد سوء الخدمات إلى المجانية هو كذلك في براديجم ليبرالي لا يؤمن بثواب الآخرة، نفس منطقية تحريم الربا ضد إباحته.
انتبه فإن النموذج الاقتصادي الذي تسبح فيه بعض الدول الإسلامية مانع بطبيعته للقيم

الإسلامية السياسية والاجتماعية والاقتصادية، وإليك بتحليل أنثروبولوجي غربي قريب من الحقيقة الواقعية :

بعد أن أخذت أمريكا مع حلفائها الأوروبيين زمام التحكم في الاقتصاد العالمي بداية من اتفاقيات برايتون وودس من 1 إلى 22 جويلية 1944 م بدأ الاستعمار في شكله الجديد المتمثل في استغلال الموارد الطبيعية و التحكم في قوى العمل بواسطة شركات متعددة الجنسية تتحكم في الاستخراج و الترادينغ والتحويل الصناعي للمواد الأولية مع وضع اليد من قبل البنوك الغربية الكبرى على الاستثمار و التبادل الاقتصادي.

وهكذا فرض براديجم الانتجاوية والنمو الاقتصادي المؤسس على مقياس pib الوحيد، مع أسلوب حياة :مستهلك /بائع الذي نتحرك في داخله في تحولاتنا العمرانية والاجتماعية والثقافية.

ايديولوجيا هذا البراديجم مؤسس على مبدأ "الربح المالي" ، فهذا التحفيز الوحيد المفترض له تنشيط الفاعلين في اقتصاد السوق الذي عوض العيش في مجتمع مرتبط بالتفاعل المادي والثقافي للأفراد.

مستلهما من الليبرالية الجديدة أسس هذا البراديجم انثروبولجية لفردانية مركزية الذات و باسم هذا التصور الضمني للإنسان، ندعو إلى التطور المستقل لقدرات الفرد في روح منافسة وتنافسية بتوسط المؤسسات الدولية المسيطر عليها من قبل أمريكا، مثل: صندوق النقد الدولي، والبنك العالمي، بواسطة آلية اقتراض البلدان الأضعف اقتصاديا، و بواسطة الاختراق للاكتشاف و الاستغلال الغذائي والمنجمي في المناطق المحيطة بالأرض المأهولة،الأمازون مثلا .

لا يوجد أي تجمع بشري استطاع التملص من هذا البراديجم الاقتصادي الليبرالي المالي، لذا لا توجد ثقافة لفئة من البشر استطاعت الحفاظ على استقلالية ضرورية لتطور اجتماعي ضمن هويتها الثقافية المستقلة.

بالمجمل لا يوجد ثقافة مزدهرة إلا ثقافة هذا البراديجم مادام الاختراق الايديولوجي الليبرالي الجديد الذي يرد كل نموذج آخر إلى نفسه.

حتى الدول التي تقاومه سياسيا و اقتصاديا مثل الصين وروسيا لم تسلم من اختراق نموذجه الثقافي لثقافتها لان الاستهلاك و إن كان قاعدة اقتصادية هو مرتبط بالثقافة

اكثر منه بالاقتصاد.
لذا لا يمكن مقاومة هذا النموذج الشره والشرير بدون دولة، ولا دولة لها نفس لمقاومته بدون وعي سياسي، ويستحيل بروز الوعي السياسي طفرة على الوعي الروحي الذي وحده يقدر على حراسة الوعي من اختراق أفكار ملغمة له.
وهذا يقودنا إلى النقطة 4 _ مشكلة اللغة الفرنسية فأقول :
ممكن تدعيم حضور أكاديمي تعليمي أكبر للغة الانجليزية أو التيوانية إن شئت، أما دعوى التخلي عن اللغة الفرنسية فيظهر أنك لا تعرف عروقك !
كما لا تعرف أن تغيير اللغة الأجنبية مجرد تغيير للمهيمن الذي ثقافته ومصالحه واحدة، فماذا صنع الذين سبقونا إلى اللغة الانجليزية من المسلمين غير أنهم مثلنا عرضة للنهب و الاستغلال والهيمنة الثقافية بلغة غير فرنسية!
نحن الآن مجرد زبد فوق الماء و مشكلة اللغة فقاقيع في دماغك لتخنقه، مشكلتنا أعمق من مشكلة اللغة الثانية إذ قبل أن نصل إليها علينا معالجة مشكلة الروح ، ومشكلة العقل.

تهوية الجو..!

....
اللغة جزء من هوية الشعوب لكنها ليست الهوية الجوهرية ،الهوية هي العقيدة و المنظومة الأخلاقية والتشريعية لأنه لا يمكن فصل التشريع عن العقيدة والأخلاق.
وعندما يكون الخلل في هذه المفاهيم الركائز، وفي العقل نفسه يكون منطق المعنى بعيدا عن الواقع، وتصبح اللغة صندوقا فارغا ،وموضوعا لم ينخرط في تاريخه، وبناء لا يحكم تفاصيله.
وبالتالي يكون المشروع النهضوي مجرد نموذج لغوي مملوء بزوايا ميتة ،مجرد عالم كلمات ،لا يوجد في داخله إلا أشباح مفاهيم؛ عالم يسجن العقل في جدال فارغ ،يقيد نشاط الذكاء ،يضع اللغة مرهما على مصائب الفكر والسياسية !
كل لغة لا تنتج الفكر والمعرفة تكون في وطنها في مرتبة ثانية، مع هيمنة الصيني اليوم على قطاعات تكنولوجية مهمة لا يزال غير قادر على فرض لغته لأن العلم الذي يتفوق به لم تنتجه لغته،ولأن ثقافته لا تطرب العالم..!

يؤسس لهيمنة اللغة العلم، و تنشرها الثقافة :الأدب و فنون الفرجة..

التعبير عن الشعور..!

....

بعض الناس يشعر بالحاجة إلى التعبير عن شعوره عند موت شخصية سياسية، لا يقول للناس شيئاً لا يعرفونه إنما يسجل موقفا إنسانيا ، أو يشهد بما يعتقد أنه يجب أن يبرز في هذا الظرف،هذا أمر طبيعي جدا.

لكن بعضهم الآخر لا يشعر بالحاجة إلى تقاسم شعوره مع الناس، أو يرى أن الحديث المعتبر يكون أثناء الأحداث،أما بعدها فدور المؤرخين.

دور مؤسسة الجيش في حفظ أمن البلد و استقراره وحقن دماء الجزائريين تحدث عنه كثير من الناس في عز أزمة الوعي بما يحدث،وهذا واقع لا يمكن لأحد إنكاره.

فهناك مسائل كبيرة نختلف حولها ومسائل أكبر نتفق عليها منها :سلامة البلاد و أهلها.

وكما يقال :عندما تسقط شجرة تحدث ضجيجا أكبر من صوت نمو أشجار الغابة، و أنا أفضل أن أتحدث في منشوراتي عن نمو الغابة لا عن الشجرة التي سقطت،ولا أعيب على من روعه سقوط الشجرة فتحدث بمحامدها.

حتى عن الذين هاجموا القرآن و طعنوا في السنة أفضل الرد على أفكارهم لا الحديث عن موتهم.

الإيغور..؟

....

سئلت هذه الأيام عن قضية المسلمين الإيغور، و أنا في الحقيقة لا أعرف عنهم شيئا، كما لا أعرف ما يحدث لهم في الصين، لا أعرف أسبابه ولا حقيقته.

الذي أعرفه يقينا هو التالي :

1_ لا يخرج الغرب القضايا إعلاميا فجأة ولا حبًّا في المسلمين بل هو خبيث ماكر لا يملك ضميرا إنسانيا.

2 _الغرب بدولته الحديثة معارض لكل دعوة انفصالية إلا عند أعدائه.

3_ لا يشك أحد أن الصين تهدد هيمنته على العالم، ولا أظن أنه سيبقى يشاهد نموها مكتوف الأيدي!
4 _ لماذا لا يحق لهذه الأقلية المسلمة طلب الانفصال مادام المشترك ليس الدين ؟
مسألة معقدة، وهي تشبه مسألة "إستقلال باكستان عن الهند" و مسألة "لم لا تتكلم في الاتحاد السوفياتي" التي جلبت لمالك بن نبي رحمه الله بعض المشاكل؛ فبعضهم يقرأ الخرائط دينيا فقط، وبعضهم يقرأها سياسيا و استراتيجيا أيضا،فمثلا الأقرب إلينا دينا (النصارى) هو من احتل بلاد المسلمين، وهو من ينهب ثرواتهم!
التعاطف مع المسلم في مصابه حقيقة توجبها العقيدة، و أما المواقف السياسية فهي بحسب دوائر الصراع لمن فهم خبايا الأمور، ولست منهم.
ولا أظن أن الصين المركبة من أقليات كثيرة كقوة عالمية قادمة ستتساهل مع أية دعوة إنفصالية من مسلمين أو من بوذيين أو غيرهم.
ونحن أضعف مما توهمه ألسنتنا بالتأثير عليها بمواقفنا الفيسبوكية.

قيل :عندما ينقص الإنسان التمييز يعتقد أن العالم يحكمه الأغبياء!

ومن المغيبين من يعتقد أن الفيسبوك سرح مرح..!

الذكاء أكثر الأشياء عند الناس ،لذلك يعتقد كل واحد منهم أنه يملك منه زيادة!

فهم طبيعة الإمبراطوريات..

....
كتاب "قصة قصيرة عن الامبراطوريات :كيف تنشأ وكيف تنهار" لصاحبه غابريال مارتيناز غرو، وهو دراسة تاريخية_سياسية على قواعد ابن خلدون.
وكتاب برزيزنسكي "le grand échiquier" عن نشوء أمريكا و فلسفتها الإمبراطورية يساعدان في فهم المسار الذي ستأخذه الصين :كيف ستتوسع في

مجالها، و بعيدا في البحار عندما تستكمل قوتها البحرية.
الأهم أن نعرف القرائن التي تخبرنا أن المارد تجاوز منذ سنوات نقطة التحول التي يمكن أن تغير مسار تاريخه عندها.
وفي كل أنواع الحروب التي ستخاض ضده: اقتصاديا ،بلبلة داخليا، حروب زوايا ،هي فقط لكبح وتيرة التطور لديه حتى لا تكون الفجوة كبيرة يصعب ردمها وليس لانهياره.
و حتما سيكون المسلمون مادة محاولة الكبح هذه، الأسباب و الأعذار موضوعية أو مفتعلة النتيجة و السياق لن يتغير.
و كما تختار الأنظمة النخبة الإسلامية(إلا من عاش في الهامش)أقصد "الممثلين" فإن الغرب هو من يختار ممثلي الاقليات على مقاسه، لذلك احذروا الأمر جيدا!
لا توجد دولة إسلامية عاقلة تستعدي الصين أو من مصلحتها ذلك، سواء التي تدور في فلك أمريكا أو الناتو، أو التي تدور في فلك روسيا والصين.
والدول الإسلامية المحيطة بها يحتاج اقتصادها إلى الصين كما تحتاج إلى عدم الدخول معها في صراع معلن، وإذا عجز الغرب عن الاستغناء عنها فكيف بغيره..؟!
إذا كانت هناك قضايا مع الصين تحتاج إلى معالجة فليس بلغة جماعة الضغط في الفيسبوك، ولكن ب_"شد مد" استراتيجي اقتصادي وسياسي تقوم به الدول وليس الجماعات الإسلامية التي لا تتعلم من أخطائها، وفي كل مرة تقدم قربانا لصراعات المصالح العالمية الكبرى.
المسائل الداخلية الصينية مسألة وجود بالنسبة لهم وليست من مسائل المصالح،وعلى ذلك قال وزيرهم للدفاع في أزمة تيوان: "سنحارب إلى النهاية وستكون الحرب كارثة على الإنسانية" بطبيعة الحال هي تصريحات سياسية نعم، لكن ليست موجهة لأوغندا بحسب علمي !
لا تحفظوا مصطلحات وتجعلوها أصناما عقلية أو من قبيل مبادئ العقل الأولية، الاقليات المسلمة المضطهدة كثيرة، وليس في الصين فقط، مثل الهند و غيرها؟
وكثير من المسلمين يضطهدهم مسلمون مثلهم، والمسلم في هذا العصر لا قيمة له في المعادلة، هو مجرد غثاء ولسان يصرخ..!
بطبيعة الحال له حق الصراخ _ولن يغني عنه شيئا إذا عطل السنن وساهم في

وضعه_ ولكن عليه واجب إصلاح نفسه أولا وطلب أسباب القوة، و أن يتوقف عن التناقض: يؤيد دولة يحبها تسحق مسلمين أو أخرى تساهم في ذلك، لأنها تقدم له وجبة أعذار دسمة وفي نفس الوقت يبكي غيرهم في مكان آخر!

هو متناقض سببا ونتيجة لأن العالم المعادي لم يذبح منه ما ذبحه هو من بني جنسه..!

في كتاب مارتيناز تحت عنوان "l'expulsion de la violence" يذكر الصفة التي تميزت بها الإمبراطورية الصينية القديمة في مقابل الروم والمسلمين فيما يخص العنف.

كل تجمع سياسي على هذا المستوى يصدر العنف خارجيا ويوجهه في البداية داخليا.

الإمبراطورية لا تهاجم ولكنها تدافع عن الازدهار والحضارة!

المعادلة الوحيدة التي تتعامل بها مع الأضعف هي :الثراء _عنف.

سعداء هم بعض الناس الدعاوى لا تزعج راحة بالهم!سعداء هم بعض الناس الدعاوى لا تزعج راحة بالهم!

نصح أحدهم"غربي" المسلمين في بلاد الغرب أن يختاروا ممثليهم من الطبقة الوسطى "بورجوازية" تجمع بين التعليم الجيد والراحة المالية، لأنَّ الدول الغربية تنتقيهم كمفكرين و ساسة و فنانين وغيرهم من الطبقة الفقيرة بمواصفات خاصة وتستعملهم كإسفنجة !

لست متأكدا من فهم قصده؟ لكني أعرف طاقات في الفكر من المسلمين الغربيين والشرقيين الأبواب موصدة في وجوههم ،هذه حقيقة.

وكل من تعاقب على التمثيل الرسمي"الإعلامي" للمسلمين في المهجر اشتكى الناس من انحراف في عقيدته أو في دينه أو في سلوكه..!

عند التأمل نجد كثيرا من الكلام بين الناس تكاملي المضمون لكن النفس أو الفقر اللغوي يوردانه في صيغة تعارضية!

قيل :عندما يتدخل القدر تلتقي الذبابة بالعنكبوت!
لا أبشع جواب على الحر من عدم الجواب ؛ للتافه الصفع بالوصف المناسب ، لأن من يقيِّم التافه قريبا يبيع أثمن ما عنده.
الإنسان كائن ناقص يبحث عن كماله، أحيانا يحب خلط التباين مع عاداته !
و الجيد في الوقت أنه يمضي بدون أن نتدخل وإلا كان الإنسان سيبذل الكثير ليجعل بعض اللقاءات من الماضي..!
لولا أن النحل يلسع لساكنه الذباب!

قانون التعليق

....
يطمح كل قارئ إلى فهم أكثر للمقروء، وحتى إلى زيادة فهمه للكاتب الذي لم يُفهم، فالعقل لا يشع، و صاحبه لا يبرز إلا على حساب الاخر..!
لذا هو مهموم بالابتكار ، ابتكار الفهم، الجمل السريعة، المقارنات الظريفة ،التغريدات المصنوعة حتى لو حشر آي القرآن في كلامه بدون شرط ولا قيد إلا لمناسبة بعيدة..!
وهكذا مع فقهاء الخطابة، و متكلمة الفيسبوك،و جنرالات التأويل و التفسير " يتفكك العلم و يتفسخ فيقتصر العقل على التصفح و السعي بدون طائل، ويبدأ في الدوران بدون توقف ، يبني و يغرق في بنائه مثل دودة القز حتى يختنق" (مونتان ،مقال ،ف:13).
لأنه بدلا من إقامة الدليل - ليس على أنني مصيب و غيري مخطئ ولكن على أن الأدلة الشرعية تسند هذا الموقف وليس ذاك - يتسلى الواحد منا بالتصنيف، ومع بعض كلمات التنفير من هنا وهناك يكتمل الاستدلال.
لا يتقدَّم العقل إذا زاد الكلام ولكن إذا استقر على معنى واضح، و إن لم تعصر عقلك احتله جهل الخطباء.
تشبه الحياة في الفيسبوك حياة الترحال : تتبع المراعي (الكلأ المعنوي و المادي) وخفف كل ما يقبل التخفيف... !
في الحقيقة مواقع التواصل سوق كبير لعرض الذمم و الضمائر و بيع الأقلام ، و سهوب واسعة لصيد الأرانب!

إن لم يميز الإنسان بين الدعوى(المطلوب إثباته) والدليل ولنقل هنا هو ما دل على صحة الدعوى فهذا يعني أنه يعتقد أن كل ما تفرزه عقولنا من لغو، ثرثرة، أية كلمة نرسلها بدون اعتبار لأي شيء، لأي قانون منطقي، لأي علاقة معقولة بينها وبين ما جاءت لتحط عليه بقبحها أو تفاهتها تستحق التفاعل و التأمل و التعامل معها كحقيقة تفرض الاحترام.

و إن كان الكلام يتفاوت من عدة جهات فإن الأهم هو تلازمه وكل دعوى هي رأي بلا أية قيمة حتى تقترن بدليلها فيكون الموجب لاعتبارها وغض الطرف عن نقائصها هو الدليل. فالدليل هو حق الكلام العلمي بدونه يفقد أي استحقاق، أي تقدير إلا عند من يعيش في اللبس والحشو.

حتى عندما نعمل على الدعوى على جمالها و أخلاقيتها وتحوي شيئا يشبه العلم، كقرينة أدبية أو شبهة اشتراك تبقى دعوى في ثوب حكم قيمة.

وحتى حكم القيمة إن كان فيه رزانة ما فإن مكانه خاتمة الكلام بعد أن يقوم الدليل بدوره.

شرعية الدعاوى هي أدلتها، ما يستحق أن يسمى دليلا بغض النظر عن نوع هذا الدليل وقيمته الموضوعية، فبيان هذا من وظيفة المجيب.

العقل الذي يعتقد أن الإحالة على روابط المنشورات أو الكتب، هي ما يعطي الدعوى شرعية الدليل يحتاج إلى تقويم سريع مثله مثل أي جان و إلا فسدت العلوم وحل بدلها الجهل،فالروابط وصور الفقرات في الكتب ليست تداعي الأفكار او من روابط الانتقال بين النصوص بواسطة كلمة مفتاحية!

والعاقل لا يرد على الدعوى، كما لا يرد على أيام كلام فارغ، ولا احترام للرأي إلا إذا تساوى مع نظيره، و أما التافه و الحقير والنذل فلا قيمة له، وكل شيء يجب أن يوصف بما يطابقه.

العقل يكيفه الوسط الثقافي الذي يسبح فيه، و السرد بلا ضابط يعكس الوعي بالنفس، لا يهم إن كان التفكير يفضل التشبيه والاستعارة أو التحليل المنطقي، المهم التلازم والجدية وإلا سمحنا للجهلة بتسميم المعرفة و إفساد العقول. ونحن في زمن عم فيها التسيب المجتمع حتى بلغ التعليم والعلاقات فلابد من حسم والحذر من نفخ المسخرة.

الدعوى المجردة يكفي فيها المنع المجرد(عدم التأسيس) ، لا تستحق أكثر من ذلك،

هذا إن كانت ممن عرف علمه و اشتغاله بمجملاته وتفصيلاته، فكذلك يوجد عند أهل العلم لأسباب كثيرة الكلام في صورة دعوى ولا يكون مدعيا، وبعضهم يسوق دعواه كأنها بديهة ولا دليل عليها إلا قوله، وكثيرا ما يدخلون صورة الدعوى في أدلتهم، بل الحكم بمجرد الدعوى والتحكم في الكتب العلمية لا يحصيه على حقيقته إلا الله.

الفرق بين الدعوى عند أهل العلم وبين الدعوى التي هي مسخرة شاسع، العلماء يشبهون بالمتفق في موضع المختلف أو العكس، أما غيرهم فمجرد ألفاظ تحكمية بدون خطام. ومتى كان متعلق جوابك الدعوى المجردة من كل شبهة ممكنة تهت في تكلفات لفظية لا فائدة من ورائها.

الجهل ليس عيبا ابتداء لشموله جميع الناس {والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا} ، فالعيب هو التقصير في إزالة الجهل.

تعلم ثم تعالم إن كان ولابد! تأكد من نقطة التوارد ثم أورد.

بعض الناس محتاج إلى التأديب لا المقاولة.

الموت والحياة..

....

كنت أريد الحديث عن الموت ! كنت أريد أن أقول _كما قيل _:ما الأجسام إلا أقفاص يوما ما تغادرها عصافيرها ،فطوبى لمن وفق لحسنات عظيمة،و أواصل في هذا السياق لكن الحياة كعادتها إقتحمت علي همتي :زراني شباب فاضل استبشرت بهم خيرا، فعلا ملؤوا عيني، و أمتعوا عقلي بأسئلتهم و أجوبتهم،اهتمامات عالية وفهم أكبر من سنهم.

لنقترح آراءنا كما اقتنعنا بها باحترام ،و لنواصل الحفاظ على ما لا يتقوم عيش الناس إلا به.

المثقف في الأزمة ..؟

....

في الغالب الثقافة مرتبطة بالسلطة المهيمنة، تولِّد مثقفين(رجال فكر، دين، رياضة، فرجة.. الخ) يمنحونها التجانس،التبرير وصكوك الغفران؛ ينشرون قيمها في المجتمع كقدوات للناس، أو يعمِّمون ممارستها في القاعدة الشعبية، ينشرون الذهنية المناسبة

لها.
كلما تغيَّرت السلطة تغيَّرت معها الثقافة والقانون و المثقف و الذهنية ، وبهذا يمكنك رصد التغيَّرات إن كانت سطحية أم عميقة ،لكن مع ضرورة أن تمنحها وقتها الكافي.
نحن في أزمة سياسية خطاب المثقف فيها خطاب أنين وبلاغة ، يظهر وجعه أكثر مما يفعل الإنسان العادي، والشعب لا يعقد على المثقف آماله لأن المعاناة اليومية غير القلق الحضاري، لذا يميل إلى التفسيرات الاقتصادية فيعجبه مسدور ،ويعجبه توليف علماء الاجتماع وخبراء القانون الدستوري الذين يتناوبون على البلاطوهات ،ولا يعرف شيء يسمى التفسير المعرفي.
السياسة الثقافية كانت قائمة على مهرجانات الغناء واللباس التقليدي..!
الشعب أمي بصورة أم بأخرى، فقد تلك الحروف التي غنمها من نضاله ضد الاحتلال، و المثقف يشكو من تعدد النماذج :الموقف السياسي المشترك تصطف في داخله ثقافة متعددة و متخاصمة تطرح مشكل المركز و انفصاله عن الحواشي.
الرجاء الوحيد هو أن لا تزيد الأزمة السياسية من حدة أزمة الثقافة، و أن تدفع إلى بروز جيل جديد مؤمن بالمستقبل بواقعية، بعيد عن دوغمائية الأجيال الحالية.

الحفظ و التجاوز :احفظ صحيح من سبقك وتجاوزهم إلى صحيحك.

كيف تكون نفسك ..؟

....
عندما ينظر الإنسان في المستوى الفكري الموجود حاليا يدرك أن البشرية في فترة تراجع لم تعد البشرية تنتج تلك النوعية من المفكرين التي سبقت، سواء في العالم الغربي أو في العالم الإسلامي.
في العالم الغربي الأمر مفهوم _ بحسب من درس أزمة الفكر الغربي _فإن انقراض كبار مفكري الماركسية نوع "لوفابر، فالون.." جعل الليبرالية المهيمنة على العالم الغربي لا تجد الحاجة للنشاط على هذه الجبهة، و تركز على المجال الاقتصادي، ومن هنا تأخَّر دور الفيلسوف لصالح دور الاقتصادي.
وهذا مفهوم فإن الصراعات الفكرية القوية التي تؤطر الصراع السياسي هي التي

تنتج المفكرين العميقين فإذا ضعف الخصم ستوجه قوتك لمجالات أخرى.
لكن انقراض هذا النوع في العالم الإسلامي هو بسبب التبعية فقط، فعندما يتحوَّلون نتحول معهم، لأنهم يصنعون لنا الموضوع، إذا تحولوا إلى العقلاني المنطقي تحولنا إليه، وإذا تحولوا إلى العاطفي _كما هو الحال الآن_ تحولنا إليه، فحياتنا مفحمة على حياتهم:قانون،سياسة،تسلية،ثقافة،إعلام ،رياضة ،أدب، مسرح، فنون، تعليم.. الخ
أدخلونا في العولمة قسرا يوم قهر علمهم المادي جهلنا وتقدمهم تخلفنا،يعني أننا لا نصدر عن حاجتنا، ولأن مذاهب الجماعات سجون، ومن لا ينتمي إلى جماعة توفر له الحماية والسبل والموارد فمن الصعب عليه النجاح، ومعلوم أن هذا الصنف من العلماء والمفكرين من صفاتهم النفسية التحرر، و الجماعات تقدم خدمة في مقابل خدمة!
السؤال الذي يتردد باستمرار من الشباب، وقد شعروا أن الطينة الموجودة لا تفي بتحديات المسلمين في العالم المعاصر كيف يصير الواحد إلى نموذج مالك بن نبي مثلا لكن مع الجوانب التي كانت تنقصه.
قد يعرفون كيف يقرؤون تراثنا _؟ _لكنهم في حيرة في كيفية التمكن من الفكر المعاصر؟
المشكل واحد هو أنك بدون قائد، جيل سبقك _وهذا قدر الرواد _يجب أن تقرأ كثيرا، وستضيع وقتا كبيرا في قراءة كل شيء و أي شيء؛ وهذا مفروغ منه فكي تمحص ستحتاج إلى قراءة كثيرة جدا، وهذا ليس سهلا،ويقتطع من حياتك مدة مهمة.
قد تقضي في علم ما عشرات السنين، ولهذا تجد الطالب يجمع في الفن الواحد عشرات الكتب، و يعتقد أنه يجب عليه أن يقرأها كلها للإحاطة بهذا الفن!
والحقيقة أن ضبط الفن تحقيقا لا يحتاج إلى أكثر من أربع أو خمس كتب، لكنها كتب خاصة متميزة بالاهتمام بالمفاهيم المركزية لهذا الفن، ورسم مخطط مسالكه، مع قوة تحقيق صاحبها، تنقلك في ذاك الفن نقلة، إذا اتبعت الطريق التقليدي ستحتاج إلى سنوات وعشرات الكتب لتصل إليها.
الفرصة الآن هو النت والكتب الإلكترونية ، حيث يمكنك تجميع التصورات وتوصيلها مع بعضها، فيمكنك تتبع فكرة حتى ترد أطرافها على مركزها، لكنك تحتاج مع ذلك إلى استعمال حسك النقدي.

وهذا يردنا إلى كيفية تكوين الحس النقدي لربح الوقت واختصار الطريق، أين تتعلم التفكير العلمي؟ أين تعيد هندسة عقلك؟ كيف يكتسب عقلك قدرة النقد المباشر؟ كيف يمكنه بسرعة فحص منطقية أي استدلال؟

بالنسبة لي لا أعرف تكوينا للعقل مجتمعا في مكان واحد _نسبيا في مقابل غيره _مثل أمهات كتب ابن تيمية.

فيما يخص النصيحة المنهجية: لا تقرأ بالموضوعاتية كما يُفعل الآن يعني :أولا :لا تفصل الأفكار عن تاريخها و أزمنتها، عن سياقها المعرفي والاجتماعي و إلا فقدت منطقيتها،و أصبت بداء البعد حداثية حيث تبدو لك عصور الحياة الفكرية البشرية متناقضة ويجب القطيعة معها من أجل التطور!

و إذا أردت التعبير عن الأفكار بطريقة متماسكة، فأسس القاعدة للوحدة المعرفية، وهذه لا تكون في بداية التكوين بقراءة متعددة المشارب.

البناء المعرفي تراكمي لكن من لا يملك الخريطة أو المخطط سيتيه في البراري ويضيع عليه وقت ثمين، وسيبذل جهدا كبيرا.

بطبيعة الحال هناك خصوصية أو فروق بين تعلم العلوم الإسلامية وبين العلوم المعاصرة ،فالأولى يوجد متمكنون منها أو مشاركون يمكن الاعتماد عليهم، بينما الثانية يوجد بعض الأساتذة يشتغلون عليها لكن قلة ومنذ منذ سنوات قليلة فقط لذا سيكون الجهد الفردي فيها كبيرا.

و أقصد من جمع بين صحة الدين وهذه الأمور ،وإلا فالمعتني بها كثر.

المثقف..؟

....

عندما نتحدث في هذا العصر خاصة في المغرب الإسلامي عن المثقف (intellectuel) فالمقصود بالدرجة الأولى الحالة الفرنسية التي بدأت مع قضية دريفوس1894/1898 م حيث أخذ معناه المعاصر المقصود به "من له معرفة (قاعدة) فلسفية تسمح لهم بالتطرق في المجال العام إلى جميع أنواع القضايا و خاصة القدرة على تحليلها هادفا إلى شيئين :إظهار الحقيقة و تحقيق العدالة" .

وعليه فالمثقف حالة خاصة ليس هو الفيلسوف الأكاديمي، و الباحث في تخصص ما،

سواء العلوم الإنسانية كعلم الاجتماع ،والنفس ،أو في اللسانيات، أو في العلوم الطبيعية. يمكن أن يأتي من هذه الاتجاهات لكن ليس لخدمة فنه.
هذا النوع من المفكرين وجد في اليسار الفرنسي فقط خاصة الماركسي.
في الإسلام كان هذا الدور المتمثل في التدخل في الحياة العامة يقوم به عالم الدين أو الشاعر، أما الفيلسوف فكان دائما في لباس أكاديمي، لذلك لم يكن له دور مباشر في الحياة العامة وخصوصا السياسية.
في هذا الزمن و بسبب الدولة الحديثة وابتذال المعرفة،وظهور وسائل الاتصال الجماهيرية أفرز دور المثقف ليكون حلقة وصل بين الحكومة والشعب؛ شخص له معرفة كلية، أقل تحفظا من العلماء لأنه لا يمثل الدين بطريقة رسمية ، بل يمثل الشخص الواعي بواقعه، والذي يملك قدرة عقلية على تفسير الظواهر الاجتماعية والسياسية والاقتصادية.
لهذا من الصعب حاليا على علماء الشريعة أن يقوموا بالإصلاح كما كان من قبل،إلا من خلال التأثير على المثقف أو صناعته، ومن يطالبهم بالتدخل المباشر فما فهم هذا!
ولهذا شاهدنا في السنوات الأخيرة تحول بعض الدعاة أو طلبة علم (وليسوا في الحقيقة طلبة علم بالمعنى التخصصي لأنهم غير معتنين بتدقيق العلوم بل ينصب اهتمامهم على المطالبة بالإصلاح انطلاقا من ثقافة إسلامية) إلى وظيفة مثقف ،فشاهدناهم في الحراك الشعبي، وفي وسائل الإعلام، و يحاولون إنشاء الأحزاب والجمعيات وغير ذلك.
ممكن أن نقول :المثقف الآن _ بغض النظر عن خلفيته العلمية_ هو شخص يرفع خطابا يتسم بشيء من العلمية من أجل تحقيق العدالة الاجتماعية و الدولة المرجوة.
المشكل في المثقف عندنا هو أنه يصعب عليه أن يكون حلقة وصل بين الشعب و الحكومة لأن شعبه لا يقرأ، ولا يفهم الخطاب الثقافي، ولا يزال في نظام الولاء والمصالح الشخصية،كما أنه ليس له إنتاج ثقافي من أجل المواجهة السياسية،والخلفية الثقافية حاضرة أكثر من اللزوم و إن أخرها أحيانا إجرائيا.
الإنتاج الثقافي الموجود هو ديني، وغالبيته عقدي أو شرعي يأتي من الإسلاميين،فإذاً طائفي في نظر المجموع رغما عنه، أو علماني نخبوي غير متصل بالشعب.
و أقصد أنه لحد الآن لا يوجد إنتاج ثقافي خاص بالمواجهة السياسية،نابع عن رؤية

واقعية محلية، لا تاريخية أو مستوردة.

قيل :السنين التي تمرُّ لا تعلِّم شيئا للغافل ولا للشرير.
يعدُّ الماضي على أصابعه الذابلة سنينك !فأيقظ الأماكن النائمة ،ستضع قريبا خدك على ترابها البارد !

فائدة اليوم..

....
كان موضوع درس اليوم استثنائيا فرضه نقاش حلقة "رفقاء الكتاب" ليوم السبت التي كانت عن حقبة الإنسية المسيحية التي سبقت حقبة المصلحين، ولماذا استعانت المسيحية في هذه الفترة ببعض المناهج اليهودية، وكذلك فلاسفة النهضة فكان لابد من تخصيص درس اليوم لهذا الموضوع حتى لا نترك خلفنا حفرا في العقل!
الموضوع كان عن "القبالة اليهودية و النصرانية بالتبعية ،عن الأصل و الأساس والتأصيل أو التبرير وما آلت إليه الآن".
الفائدة التي أريد ذكرها هنا هي عن العقل اليهودي_ وقد سبق وتكلمت عن العقل الغربي _وهذا تمهيدا للسؤال عن العقل الإسلامي المعاصر ،والسبب معلوم للجميع هو التباين الشديد بين العقل الإسلامي عند المتقدمين وبين العقل الإسلامي عند المعاصرين،مما ذكرني بعبارة لأحدهم قال فيها (بحسب ما علق بذهني) : "بعض الشعوب يُنتزَع نورها من يدها، وبعض الشعوب تَخنق نورَها تحت أقدامها !"
العقل اليهودي :
وصف القرآن صفات اليهود النفسية و أفعالهم وعقلهم، وصفهم بالعنت، والعناد والكذب والتمرد والتواصي على كتمان الحق والحسد والبخل الشديد والجبن والاحتيال لأكل أموال الناس بالباطل والحرص على الحياة والتحريف وخيانة العهود وقتل الأخيار وكثرة السؤال والاختلاف على الأنبياء.. الخ
وعندما ندرس الفلسفة الغربية نجدها دخلت مرحلة الانهيار و التراجع بعد أن نشر فيها اليهود _خاصة في الفلسفة الألمانية الفكر السببي الميكانيكي المادي بعد أن كانت

فلسفة مثالية ، نقطة التحول مع دخول العقل اليهودي _الماركسي الذي اذاب كل القيم و الإنتاج الإنساني العقلي والعلمي والفني بالجدلية التاريخية على أنها مجرد انعكاس للتطور الاقتصادي!

نجد في العقل اليهودي الجمع بين العدمية و المعيارية الوضعانية ،بين المادية الشهوانية الحسانية وبين الأخلاقية المجردة..!

تناقضات العقل اليهودي مفهومة إذا أجرينا مسحا لتاريخ تدوين كتبهم الدينية والغاية التي دفعتهم إلى تعقيدها بالتعليقات المتكاثرة وترك المعنى مفتوحا إلى غاية القرن 16م.

العقل اليهودي القبالي عقل يرى في الصدفة بناءات يستخلص منها معلومات!

المهم أننا نعرف سبب تناقضاته فهو عقل في نهاية المطاف غير عقلاني لأن العقل الذي يجزم في التوراة أن الله تعالى يحب رائحة شحم الأضاحي إضافة إلى مفهوم تسيتسوم لا يمكنه أن يكون عقلانيا ،فهذا العقل الذي يقدس ميتافزيقا الحرف، ويعتقد أن الحقيقة بشعة لا يمكن أن يخبر بها الناس إلا وهي مشفرة حتى لا يصلها إلا الآحاد لا يمكن أن يكون عقلانيا.

وبالتالي في إمكانه الجمع بين كل التناقضات وتخريب أي حقيقة.

يبقى أن نبحث عن تناقضات العقل الإسلامي المعاصر مع أنه عقل له مبادئ أخلاقية وفيه قوة عملية، أو عن أسباب عقمه.. ؟!

النكتة في موضوع العقل اليهودي وكيف حول عيوب اللغة العبرية إلى أداة هو تأثيره على العقل المسيحي ثم بعض الإسلامي في التنبؤات بحساب الجماترية كمن حسب ليوم القيامة، أو لفناء دولة إسرائيل.. الخ !

ملاحظة :هذا المقال تمهيد لمقال قادم عن كتاب صدر هذه السنة 2019 م تحت عنوان "قرآن المؤرخين" شارك فيه ثلاثون باحثا أكثرهم من اليهود و المسيحيين والشيعة الباطنية!

صراع الهوية والحقيقة:

أثر الهوية على علاقتنا بالموضوع

....

يغطي مفهوم الهوية مجالا واسعا وبينه وبين مفهوم الذاتية عموم وخصوص ،ويحتاج التفكير الشامل فيها إلى بحث كيف تتكون، وهل يمكن تغييرها أو إصلاحها.

الذي يهمني هنا هو الحديث عن قبضتها(سطوتها) على الإنسان، والقبضة الهوياتية هي منظومة خضوع ذهنية و اجتماعية ورمزية ،عندما يتحرر منها الإنسان يشعر أنه لم يكن موجودا، لأنه كان في حالة خضوع و إدمان لسلطة مفرطة احتلت روحه وحياته الاجتماعية والثقافية لكن بموافقته..!

سطوة الهوية على نظام الإنسان المعرفي تسلب الذات حقيقتها، وتقدم له عدة إجراءات لتجاوز الاضطراب عندما تصادمه الحقائق.

يعيش الإنسان تحت قبضة عدة هويات :العائلة،القبيلة(الاثنية) ،الأصدقاء،المجتمع،الثقافة ،التعليم ،المذهب ،الجماعة ،فهو محاط بدوائر كثيرة تشكل بمجموعها هويته.

والتي تكون بالنسبة إليه مبادئ مرجعية.

الأهم بالنسبة للإنسان الحر هو الهوية الشخصية هوية البحث عن الذات لأن الإنسان في نهاية المطاف يأتي للدنيا وحده ويموت وحده ويبعث وحده {ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة} لذا عليه أن يجد طريقه بين الهوية القابضة والهوية الواعية، بين الهوية الموروثة والهوية المختارة.

ولتحقيق هذا يحتاج إلى أن يربي نفسه على الاستعداد لقبول الحقيقة بدون شرط، و أن يكون تعلق نفسه بها محبة وقصدا أقوى من قبضة الهوية الشاملة عليه.

سبب تردد الناس في الانتقال عن قول فاسد (دين،مذهب،فكرة) إلى الأحسن منه ، وكذلك سبب عقم النقاش بين الناس حتى إنك لا تكاد تجد نقاشا أفضى إلى نتيجة لا يعود بالدرجة الأولى إلى مشكلة علم واختلاف مناهج وتكفاؤ أدلة واختلاف زاوية النظر.... الخ ؛ فهذه كلها علل تبريرية موضوعية لكن لمشكل ذاتي، بل يعود السبب إلى سطوة الهوية على الإنسان.

كثير من الناس يعرف في قرارة نفسه أن الحق عند غيره، وقد يلتزم به سرا، وقد يناقش به أطرافا أخرى غير أصحابه لكنه لا يقدر عن التخلي عن دينه أو مذهبه(ولو بالانتساب المجرد) ... ليس من أجل الدين أو المذهب ولكن لأجل الهوية، فالدين أو المذهب جزء من هويته التي تمثل كل ما هو عليه الآن وما كان عليه آباؤه، تمثل

أسلوب حياته ،ولغته و عاداته ،فإذا قبل الانتقال إلى القول الأحسن انهارت هويته فينهار كل شيء فيه؛ عليه أن يبدأ حياته من جديد، يجدد أسلوبها ورؤيته لها، يجدد أصدقاءه وربما أقاربه..!

لهذا عندما ينتقل كافر إلى الإسلام أو مسلم إلى قول أرجح

ينهار عالمه و أحلامه و تاريخه، كل ما يمثله كهوية يسقط في لحظة،لأنه سيتخلى عن إرثه،و سيحاكم هويته التي سينفصل عنها؛ولابد له أن يبرر تخليه عن الفكرة القديمة بطريقة لا يذم فيها نفسه، ولهذا ذكر الله تعالى في القرآن ما يدخل في هذا الأمر فقال :{بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة و إنا على آثارهم مهتدون}، {و إذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون}.

سطوة الهوية على النفس ليست بالأمر الهين ولذلك تدفع الناس لجحود الحقائق أو الاعراض عنها، يضعونها جانبا و يستمرون في حياتهم كأن لم يكن!

ولنا في قصة عم النبي صلى الله عليه وسلم أبي طالب مثال على ذلك فإنه أحاط النبي صلى الله عليه وسلم برعايته و حمايته لكنه رفض دعوة الإسلام ومات على ملة أجداده رغم علمه بصدق دعوة النبي صلى الله عليه وسلم.

قبضة الهوية هي المسؤول المباشر عن التعصب والنعرات وتناقض العلماء حيث نجد فيهم الأذكياء الذين تنبهوا لتناقض مذاهبهم لكن بدلا من الانتقال عنها أو إصلاحها بالغوا في التأويل لها!

تؤثر الهوية حتى على قيمة النقاش وعلى الاختيارات العلمية، والانتقال عن الأقوال و المذاهب كما في نظريات الاتساق المعرفي، فكلما تلقى الإنسان معلومة جديدة سعى تلقائيا لمحاولة إلغاء تأثيرها على التنافر في نظامه المعرفي.

وكذلك نجد أن التطابق في النظام المعرفي يحصل للذات العارفة عندما يكون الارتباط مع الآخر ايجابيا مبنيا على الحب والمودة والاحترام، ويقع التنافر وتضييع المشترك عند الارتباط السلبي المبنى على الكراهية.

لهذا فإن التواضع للحقيقة والاستعداد النفسي لقبولها والخضوع و الاستسلام لها ولو كارها في بداية الأمر هو ما يشكل الفارق في الهدى،كما قال النبي صلى الله عليه وسلم للرجل الذي دعاه إلى الإسلام :"أسلم وإن كنت كارها" أحمد.

إذا كانت النفس مستعدة لقبول الحقيقة، لم تضع شرطا لها، ردت الأمر إلى الله وحده، فهذا يعني أن الفطرة استرجعت، و أنها تخلت عن الأحكام المسبقة والشبه الملقنة ،وحينئذ فإن القرآن وحده كفيل بالهداية إلى التي هي أقوم، فتكفي قراءته لمن تخلى عن أحكامه المسبقة لحسم أمر اختلاف الديانات، و يرشد الإنسان بيسر إلى الدين الحق، ويرجح له ما اختلف فيه الناس، فيعرف أي الأقوال هي الموافقة للقرآن في كثير من القضايا المختلف فيها، ولهذا أمر الله سبحانه وتعالى أن تكون الدعوة بالقرآن:{قل إنما أنذركم بالوحي ولا يسمع الصم الدعاءَ إذا ما ينذرون}؛{و أوحي إلي هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ} { كتاب أنزل إليك فلا يكن في صدرك حرج منه لتنذر به وذكرى للمؤمنين }،{فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهادا كبيرا}،{فذكر بالقرآن من يخاف وعيد}، {و إن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ذلك بأنهم قوم لا يعلمون}.

ولهذا قال مجاهد: "حيثما يأتي القرآن فهو داعٍ، وهو نذير"

ولهذا _أيضا _نجد أن الغربيين الذين اهتدوا إلى الإسلام لم يدخلوا في قضايا فلسفية معقدة بل بمجرد قراءة ترجمة القرآن وجدوا حاجتهم التي كانت فطرهم تشعر بوجودها وعدمها عندهم.

ومن هنا تظهر لنا قوة الحقيقة التي تضمنها قوله صلى الله عليه وسلم في حديث العرباض بن سارية عند ابن ماجه :"تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك"

فإن الإنسان إذا تخلى عن أحكامه السابقة وخرج من كهفها كفاه الوحي في معرفة الهدى ومنهج الحق.

لهذا يجد بعض الناس في القرآن بسهولة ووضوح تام توحيد الله في العبادة والقصد والتوكل و الاستعانة وليس الاستعانة والتوكل على غيره؟

و يجد إثباتا مفصلا للصفات ونفيا مجملا للسلوب لا العكس ؟

و يجد عبادة الله باتباع الرسول وليس باتباع غيره؟

و يجد فيه تعظيم التوحيد وليس تعظيم المشاهد؟

ويجد فيه مدح الصحابة وليس ذمهم؟

و يجد فيه العمل من الإيمان وليس مفصولا عنه في كل أنواعه ؟

و يجد فيه دعوة لاتباع السنة وليس الفصل بينه وبينها؟
و يجد فيه أن الشريعة هي الحقيقة وليست شيئا آخر ؟
باختصار يجد في القرآن الفرقان بين الحق والباطل، بين الإيمان والكفر ،بين التوحيد والشرك ،بين العقليات الصحيحة و الفاسدة ، بين التجرد الصحيح والتجرد الباطل... الخ
والمقصود أن التعقيدات التي تحول بين الناس وبين الحقائق ليست من الموضوع ولكنها من الذات،و أن الهوية الشاملة أشد رسوخا في النفس وتأثيرا عليها من التعلق الإنساني بالحقيقة.
والإنسان يعاني بسبب سطوة الهوية عليه من مشكلة عدم الاتساق في نظامه المعرفي الداخلي عند ورود المعلومة الجديدة عليه فيتجه تلقائيا إلى التعامل معها وفقا لمعلوماته السابقة عن الموضوع، وبما يطابق اهتماماته الشخصية، فقد فطر على دفع القلق المعرفي والسعي إلى التناسق في منظومته المعرفية، فإما يقبل الحقيقة وهو المطلوب، و إما يزيل التوتر بالتاويل، وهو ما يفعله غالبية البشر لذلك{وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين}.
كما يعاني في نفس الوقت من التنافر المعرفي مع الآخر في حال كان الارتباط معه سلبيا غير قائم على المودة والاحترام.
لذا يحتاج الإنسان إلى أن يكون حرا، ولن يقدر إلا بتجريد التوحيد لله تعالى، فهو وحده من يمنحه القوة على التخلي عن المسبقات، والاستعداد النفسي لقبول الحقيقة.
وبغض النظر عن مستوى التحليل ومقام البحث الذي قد يقتضي الخوض في مقدمات دقيقة، و لغات علمية مختلفة فإن العلامة على صحة الخطاب هي بمقدار ما يستنبط من الوحي، ولهذا قال ابن بادِيس : "عندما يختلف عليك الدُّعاة
الذين يَدَّعي كل منهم أنه يدعوك إلى الله تعالى، فانظر مَنْ يدعوك بالقرآن إلى القرآن و مثله ما صح من السنة ؛ لأنها تفسيره وبيانه فاتبعه ؛ لأنه هو المتبع للنبي صلى الله عليه وسلم في دعوته وجهاده بالقرآن»[تفسير ابن باديس].
ليست الحقائق هي المعقدة ولكنها النفس العارفة التي تقبع تحت سطوة الهوية، فما لم ينم الإنسان في نفسه حب الحقيقة والاستعداد لقبولها بدون شرط سيكون من الصعب عليه تغيير رأيه.

الشكُّ في الشك..!

....

قال محمد بن عيسى النظام : " مات ابن لصالح بن عبد القدوس فمضى إليه أبو الهذيل ومعه النظام وهو غلام حدث كالمتوجع له، فرآه منحرفاً فقال له أبو الهذيل: لا أعرف لجزعك وجهاً إذا كان الناس عندك كالزرع؟ فقال له صالح: يا أبا الهذيل، إنما أجزع عليه لأنه لم يقرأ" كتاب الشكوك"، فقال له أبو الهذيل: وما كتاب الشكوك؟ قال: هو كتاب وضعته من قرأه يشك فيما قد كان حتى يتوهم أنه لم يكن، وفيما لم يكن حتى يظن أنه قد كان، فقال له النظام: فشك أنت في موت ابنك، واعمل على أنه لم يمت، وإنْ كان قد مات فشك أيضاً في أنه قد قرأ الكتاب وإن كان لم يقرأه! "تلبيس إبليس.

ذكر لي صديق في مجلس عزاء الوالد _رحمه الله _أنه حضر من أيام جنازة أحد معارفه، وقد شيَّعه معهم صديق له ملحد، كانت تجمعهم مودة؛ و بينما كانوا يحثون التراب على الميت رفع الملحد يديه إلى السماء يسأل الله بإلحاح شديد _وقد خنقته العبرات _أن يدخل صديقه الجنة!

فاستغرب من فعله وسألني عن تفسير هذا التناقض؟!

فقلت له(بعض هذا) :عندما تشتد الأمور على القلب ويضغطه الوارد سواء كان خوفا أو شدة حاجة فإنه يتجه إلى ما يعلم ولا يلتفت إلى العقل، بل يلقيه في هذه اللحظة في سلة المهملات!

والقلب يشعر بوجود الله من اللحظة التي يعي فيها الإنسان نفسه، عندما يعي أنه موجود، و أنه متميز عن بقية الموجودات بوجوده الخاص،ما نسميه "مبدأ الهوية" حيث يدرك مباشرة أنه لم يصنع نفسه ولم يأت من عدم.

تقوم الظروف الضاغطة بنقل ذلك العلم من منطقة اللاشعور إلى منطقة الشعور لأن الاضطرار الوجداني يثير الفطرة ويزيل حجاب الغفلة والذهول :{وما بكم من نعمة فمن الله ثم إذا مسكم الضر فإليه تجئرون}.

والنفس لا تطلب إلا ما تشعر بوجوده، يمتنع أن تتجه نحو ما لا تشعر بوجوده، ولهذا قالت الرسل :{أفي الله شك فاطر السماوات والأرض}

فهذا الملحد كان يتكلم في فيزياء الكون والمادة السوداء.. الخ وهي أمور نظرية بحته لكن وقع موت صديقه في نفسه أعظم لأنه مقرون بالحب، والمعارف الفطرية إذا كانت ذوقية انفعالية كانت ارسخ في النفس، لا يملك العبد دفعها عن نفسه
وقصد الشيء و إرادته لا يكون إلا بعد الشعور به.
هذا الملحد شك بداية نظرا لعمى في معرفة ضرورية تلقائية غير إرادية مرتبطة بخلقته وطبيعته لا تقبل الشك، لكن لفساد الفطرة ذهل عنها ،ولما قرع قلبه ألم فقدان المحبوب حركها فيه فتوجه قلبه مباشرة بدون استئذان العقل نحو فاطره يسأله الرحمة لصديقه.
فالعلم بوجود الله حاصل في النفس و كذلك إرادته فإذا جاءت الشدة والبلاء تذكرت النفس ورجعت إلى ما فيها من العلم و الإرادة. كما يقول شيخ الإسلام.
لا يمكن أن تقول :أنا ذاهب إلى مدينة ما، فإذا سئلت :ما اسمها، أين تقع؟ قلت :لا أعلم!
لأن الإنسان لا يريد ولا يقصد إلا ما يشعر بوجوده، وكذلك طلب الدليل على وجود الله تعالى هو تحصيل حاصل إذ لولا شعورهم بوجوده لما طلبوا الدليل عليه، والدليل لا ينشئ المدلول ولكنه يذكر به.
فالعلم بثبوت المدلول_هنا _سابق على دلالة الدليل عليه لذا فإن الاستدلال لا يثبت المدلول ولكنه يذكر به.
مثل دلالة النجم القطبي على جهة الشمال فيسبقه العلم بجهة الشمال أولا، فلابد أن يعرف النجم القطبي وانه من جهة الشمال، ولولا تقدم هذا العلم لم يمكنه الاستدلال به.
فإذا خفي على الإنسان جهة بلده مثلا استدل به على جهة بلده إن كان بلده في جهة الشمال، أو في الجهة المقابلة وهي الجنوب وهكذا.
والعلم يحصل بالدليل لمن لم يكن عالما به قط، والرب تعالى قد عرفته الفطرة قبل ذلك، و إنما حصل للنفس غفلة وذهول ونسيان وشك بعد فساد فطرة، ولهذا يصلح القرآن ما فسد في الفطر لأنه يبصرها و يذكرها بما هو موجود فيها وغفلت عنه :{تبصرة وذكرى لكل عبد منيب}
ذلك أن أكثر العباد غافلون عما فطروا عليه من العلم، ومن هذا :الإقرار بالرب، فإذا نظروا في آيات الله القولية وهي القرآن، أو في آياته الفعلية التي خلقها في الأنفس

وفي الآفاق حصلت لهم التبصرة وهي العلم بعد العمى "الجهل والشك" ، أو التذكرة وهي العلم بعد الغفلة: {سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق} وعليه؛ فهذا الملحد كان الإقرار بالله حاصلا في نفسه وهو يشك في وجوده، ولما ضغطته مشاعر فقدان صديقه استفز ذلك فطرته فثار فيه علم قلبه الضروري، ومن ثم توجه نحو الله تعالى.

والموت آية دالة على الله تعالى لأنه يختم أطوار العمر ويسبقه زوال الإدراك والعودة إلى الحالة الأولى: {الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة}، { ومن نعمره ننكسه في الخلق أفلا يعقلون}

والانتكاسة في الخلق دليل على أنه يعيد ما ابتدأه كما يعيد الأجساد للحشر، فالاطوار و المراحل تدل على الصيرورة و الغاية:{قل يا أيها الناس إن كنتم فى شك من دينى فلا أعبد الذى تعبدون من دون الله ولكن أعبد الذى يتوفاكم}

والموت حقيقة صادمة تنسف كل الظنون، وهو أول شك يدخل على شك الشاك في الله تعالى : {بل إدارك علمهم فى الآخرة بل هم فى شك منها بل هم منها عمون}

والشك هو تردد بين النفي والاثبات، فهم لا ينكرون الآخرة مطلقا، ولكن يشكون فيها، والموت باب الآخرة لذلك عندما تستشعر النفس السوية، أو التي احتفظت بشيء من فطرتها قربه تتخلى عن أوهامها وتعود للتسليم و الاستسلام.

فالدليل دوره بعدي يعني: في المعارف النظرية، وليس في الأوليات الضرورية الفطرية التي لا يمكن الشك فيها بخلاف النظرية البعيدة، فلما ذهل أو نسي هذا الملحد ما علمه بالفطرة أو شككته فيه شبهات لغفلته عن هذا الأمر نقل الإقرار بالرب الخالق من دائرة الفطري الضروري إلى دائرة النظري البعدي الاستدلالي حتى جاء موت صديقه ورده إلى دائرته الأصلية وهي الضرورة.

ومعلوم أنه يوجد يقين بدون شك(اليقين في مقابل الشك) لكن لا يوجد شك بيقين، لذلك فكل شك ففيه شك؛ وتلك آية لله تعالى.

يقع الناس في الشك لأنهم لا يغذون فطرهم بالقرآن، والشك عند فساد الفطر ممكن، لكن بعد العلم بالوحي هو مجرد لعب

{بل هم فى شك يلعبون}.

تجاذبات في مفهوم "تجديد الفكر الإسلامي"

....

(١) المدخل

....

من مدة و أنا حريص على متابعة كلِّ ما كتب وقيل عن "تجديد الفكر الإسلامي" بحثاً عن أجوبة تطفئ حرَّ الأسئلة العالقة في ذهني؛ والحمد لله تشهد أمتنا حيوية كبيرة في هذا المجال نظرا للفشل المتكرِّر الذي يصوَّر لنا بطرق كثيرة ماكرة على أنه بديهة!
بطبيعة الحال _وكما قال الأستاذ سليم العوا في محاضرته عن تجديد الفكر الاسلامي في مجمع الفقه الإسلامي بجدة، منتدى الفكر الإسلامي _" لا تثور الحاجة إلى التجديد إلا في مواجهة التحديات، فاولئك الذين لا يشعرون بالتحدي مطمئنين إلى ما هم عليه في الثقافة والفكر لا يحتاجون إلى البحث في ضرورة التجديد الفكري ".
نشعر بالحاجة الملحة إلى تجديد فكرنا عندما نملك أصولا وكليات ثابتة عليها مدار عقيدتنا و رؤيتنا للوجود تصطدم بواقعنا ،أو تعجز عن معالجة مشاكله، ما يثير انتباهنا إلى وجود خلل في استدعاء هذه الأصول أو في قراءة الواقع.
ولأن الموضوع متشعب ومقاربات العلماء والمفكرين مختلفة فسأخصص عدة مقالات لهذا الموضوع بحيث أقف في كل منشور عند كتاب من الكتب المهمة _في نظري _التي درست القضية.
لقد تتبعت الموضوع في الكتب التالية :
"تجديد الفكر الديني" لمحمد إقبال، "تجديد الفكر الاسلامي لحسن ترابي،" تجديد الفكر الاسلامي" لمحسن عبد الحميد،" التجديد في الفكر الإسلامي" لعدنان محمد أمامة، "تجديد الفكر الإسلامي" لجمال سلطان.
محاضرة بهذا العنوان لسليم العوا في منتدى الفكر الإسلامي بمجمع الفقه الإسلامي بجدة، مقال على موقع الشيخ عبد الكريم زيدان تحت عنوان "نظرية التجديد في الفكر الإسلامي"، مقال للأستاذ عمار جيدل بعنوان "نقد مسالك المسلمين في التغيير الاجتماعي عند مالك بن نبي"، محاضرة للأستاذ عصام البشير بنفس العنوان....الخ
وكما لا يخفى على طلبة العلم فإن الاهتمام بموضوع تجديد الفكر الإسلامي لا يلح في نفس الإنسان إلا بعد مرحلة النقد الذاتي سواء الذي يقوم به بنفسه أو بمتابعة ما يكتبه

غيره، وقد كتبت مقالات كثيرة في هذا الباب تناولت الجانب العقلي المنهجي والسياسي و الدعوي و الحضاري والاجتماعي وحتى النفسي ،كما تابعت ما كتبه غيري، مثل :"الهوية والحركية الإسلامية" للمسيري ،"الصحوة الإسلامية" لعبد الكريم بكار، مجموعة القرضاوي عن الصحوة مثل: "الصحوة الإسلامية من المراهقة إلى الرشد" ، "ظاهرة التضخم السياسي نحو بيان قرآني للدعوة الإسلامية لفريد الأنصاري، "الإسلاميون والعسكر سنوات الدم في الجزائر" لمحمد سمراوي ، "العلمنة من الداخل" بشير عصام المراكشي،" مآلات الخطاب المدني" لإبراهيم السكران، "أزمة التنظيمات الإسلامية" لجاسم سلطان، "الإسلاميون ومراكز البحث الأمريكية" مركز نماء

"مراجعات الإسلاميين دراسة في تحولات النسق السياسي والمعرفي" لبلال التليدي،"الإصلاح السياسي في الفكر الإسلامي" لمحمد ابو رمان،"ما بعد السلفية "لأحمد سالم وعمرو بسيوني.. الخ.

لقد اعتنيت بكل ما وقع تحت يدي عن الإخوان و السلفية والحركة الجهادية وغيرها و الديمقراطية، والتصور السياسي الإسلامي،حتى ما هو من قبيل النقد الخارجي الذي لم يكتف بنقد التيارات الإسلامية و انحرف إلى نقد المشروع الإسلامي برمته ،إضافة إلى الكتب الغربية.

مقدمة عن الموضوع :

اهتمَّت بعض هذه الكتب(عن تجديد الفكر الإسلامي) بتناول مناهج التعامل مع التراث الإسلامي والغربي، ورصد جهود الحركة الإسلامية التجديدية و الإصلاحية؛

وبعضها اهتم بالجانب الفلسفي لرسالة الإسلام.

واهتم بعضها الآخر بالضوابط الشرعية لهذا التجديد.

ولأن مفهوم التجديد يتناول تجديد الدين أي: إعادة إحياء ما اندرس منه، مثل: إحياء السنن المتروكة والعودة إلى ما كان عليه السلف ونبذ البدع، كما يتناول تجديد العقل الديني أي الاجتهاد وحركية العقل ،وكذلك يتناول تجديد الحضارة الإسلامية فقد تداخلت هذه الأبعاد في تلك الكتب.

و المقاربة التي أرى أنها تجيب عن المشكل الذي نريد فهمه ومعرفة أسبابه وطرق تجاوزها هو أن نجعل مفهوم التجديد بمعنى إحياء السنة سواء في العقيدة أو الأحكام

ومنهج الحياة مبحثا أرى أنه من وظيفة الدعوي، ونجعل التجديد بمفهوم إحياء العقل بالاجتهاد مبحثا أرى أنه من وظيفة الأكاديمي، والتجديد بمفهوم إعادة بعث الحضارة الإسلامية بما فيها الحياة على ضوء الشريعة الإسلامية مبحثا أرى أنه من وظيفة السياسي لأنه لا يمكن بعث نهضة جديدة بدون حكم راشد.

ولا شك أن الأقسام متداخلة فيما بينها لكن الفصل التنظيمي معين على حسن تصور الإشكال.

ما يعني أن التجديد يتناول :تجديد الدين، تجديد العقل الديني ،تجديد الحضارة الدينية.

و قد وجدت أن بعض هذه الكتب المشار إليها أكثر حفرا للموضوع من غيرها، مع أن كل كتاب من هذه الكتب (كذلك المحاضرات والندوات) ساهم في تجلية جانب لكن يبقى بالنسبة لي الدراسة التي رصدت بذور المشكل في التراث هي الأكثر عمقا والأقرب إلى الأسباب الواقعية.

بعض هذه الدراسات ينقصها التفكير الملي، وبعضها الآخر عبارة عن نقد حار، أو وصفية بدون معيارية.

و أكثر ما أعانني على فهم بنيوية المشكل ما كتبه الترابي، و لا أعني الحلول التي اقترحها، لكن يبقى تحليل مالك بن نبي الأكثر شمولية _في تقديري _ مع أنه بعيد عن التحليل الديني العميق، وأظن أن مرجع ذلك هو المقاربة الاجتماعية - السياسية لأن تحليله يتناول البعد الحضاري وهو أشمل الأبعاد بخلاف الكتب الأخرى التي كانت ذات بعد واحد هو الديني فقط،فمالك اهتم بتجديد الفكر الصانع للحضارة، والبقية اهتموا بتجديد الفكر الديني :تجديد الفقه والأصول وعلم الكلام، فما هو قيمة مضافة عنده هو في نفس الوقت نقص في تحليله، وإن أشار إلى القضايا الدينية المحضة لكنها إشارة مجملة.

و معلوم أن الغرب لا يغزوننا بدينه او بفلسفته فهي ضعيفة التأثير فينا، لا تمس إلا طائفة لا تشكل كتلة حرجة ولكن بحضارته وأسلوب حياته الذي ضر السواد الأعظم، وهذا ما يزيد مقاربة مالك بن نبي قيمة ثانية.

كما يتضح الفرق _أيضا _في الانتباه إلى تأثير الانحطاط الحضاري على الدين نفسه، الأمر الذي غفلت عنه غالب الدراسات، التي غلبت عليها روح الاعتذار وعقلية مطاردة الحرائق على تعبير أحدهم. .

هناك أفكار عند مالك بن نبي اعتبرها بوابات منهجية ضرورية لدخول موضوع التجديد الفكري عند المسلمين الأولى منها :

نحن الآن في مرحلة انتقال أعمى من مرحلة ركود إلى مرحلة نهضة، ولأنه انتقال أعمى نشعر بالمراوحة في المكان، و أحيانا بالرجوع القهقري لكنه شعور وهمي فما يبدو لنا تراجعا هو مخاض الانتقال واستنفاذ احتمالات الفشل.

و الانتقال أعمى لأنه لم يعتن بدراسة الفترة التي سبقت مرحلة الركود لأنها تختزن أسباب الركود فلئن سمح التفوق العلمي وقوة الجهاز السياسي بإطالة عمر التفوق الحضاري فإن أسباب الركود المتمثل في موت التفكير و الفتور و الجمود العقلي بدأت بمدة طويلة قبل الانحطاط.

والنقطة المهمة التي انتبه إليها مالك بن نبي هي ضرورة التحرر من عقدة النقص، فإن ما أصاب المسلمين ليس خاصا بهم، بل هو سنن كونية قضاها الله على جميع البشر، فيجب تصديق الوعد الشرعي، وبناء الأمل عليه، فإنه المحرك النفسي لنا نحو التجديد الشامل.

الفكرة الثانية التي اعتبرها بوابة الدخول إلى موضوع تجديد الفكر الاسلامي هي المعادلة الاجتماعية الحتمية لكل فعل إنساني حضاري، و المتمثلة في العوالم الثلاث : عالم الأشخاص وعالم الأشياء وعالم الأفكار، فهذه حتمية اجتماعية لأن كل شيء يكمن في هذه العوامل الثلاث لكن النماذج الفكرية هي أهم عنصر، فمن عالم الأفكار تأتي أسباب الفشل،لأن الشيء هو الشيء، وقيمة الإنسان بحسب فكره.

ومعلوم أن الفكر الإسلامي المعاصر في طابعه العام ذرى تجزيئي بدلا من أن يكون شموليا، غير فعَّال لأن منطق الفكر هو القول وليس العمل(يفكر ليقول وليس ليعمل) ولأن الأفكار الميتة لم تترك مساحة كافية للافكار الحية.

مراجعتنا للفكر الإسلامي عبارة عن نقد حار للممارسات دون حفر العمق العقلي والنفسي لنلمس جوهر المشكل، نخلط بين الحاجة إلى التفكير العميق والدقيق، و بين الحاجة إلى بساطةالخطاب الدعوي.

لقد اصطبغ التفكير الإسلامي بظاهرة رد الفعل والدفاع عن الشرف، وعليه بنيت الحركات السياسية و الجهادية، وتحت ضوئه تحركت الأحزاب الإسلامية.

والتيارات الإسلامية يعوزها التاطير والتكوين السياسي، في البداية سلمت الأمر

للسياسي الذي استخدمها، وبعد ظهور الإسلام السياسي لم يختلف عن السياسي العلماني في إهمال عملية بناء القيم وتغيير نفسية الإنسان المسلم الذي توقف نفسه الحضاري.

تعاني الأحزاب الإسلامية من نفس أمراض الأحزاب الأخرى: اهتراء القيادة ،عدم وجود تناوب حقيقي على القيادة، عدم معيارية موضوعية في اختيار القيادة، التنظيم الأسري المنغلق، الانفصال بين القيادة والقاعدة النخبوية المفصولة بدورها عن الشعب، عدم الشفافية وغياب تام الإحصائيات والدراسة العلمية لنشاط الحزب، والاعتماد على صفقات مع أنظمة الحكم لعدم الوثوق في الشعب، مديونية الأحزاب أو الأفراد القادة لدول لها مصالح تحتية تحكمها مصالح فوقية ربما دفعت هذه الأحزاب إلى الصدام كما وقع في مصر فبعد أن كان الإخوان يرفضون الدخول في الانتخابات الرئاسية والهيمنة على البرلمان ناقضوا أنفسهم وانتحروا مما يعني أن هناك جهات دفعتهم.. ؟!

وحتى معارضتهم اليوم للحكم في مصر تظهر عدم حرية كافية ،وغلب عليها المبالغة والتكلف في نقد النظام المصري تقف عند قضايا تافهة تبني عليها خطابها السياسي المعارض !

ومثل هذه النقائص دفعت قبل سنوات بعض الشخصيات الإسلامية مثل حسن الترابي إلى السعي لتكوين تنظيم عالمي جديد يسع غير أهل السنة أكثر انفتاحا على مكونات الأمة، ويكون بعيدا عن دوغمائية الإخوان وتنظيمهم الأسري شبه السري ..!

وفي الحقيقة لا يحتاج الإسلام إلى تنظيم عالمي لأن الفكرة مبنية على فكرة الخلافة التي لا تملك حاليا أسبابها ،بل بالعكس يحتاج إلى التنظيم المحلي نظرا لطبيعة الدولة الحديثة وخصائص كل بلد، لكن الفكرة يجب أن تكون عالمية و أقصد بالفكرة المشروع الإسلامي.

كما أن المسلم المعاصر يشكو من تراكم الهويات وبعضها هويات قاتلة على تعبير أمين معلوف، ليس لها علاج سياسي فعال، و إنما يكمن علاجها في تربية دينية مبنية على عقيدة التوحيد، وضرورة توسيع قاعدة المعرفة.

كما ان مشكل تراكم الهويات من عقبات العمل السياسي بمنظور أممي.

لقد وجه بعض الناس انتقادات إلى الإخوان مفادها أنهم تميعوا بالنظر إلى منهج البنا،

وربما تعلمنوا لأنهم تخلوا عن المطالبة بتطبيق الشريعة!
وفي الحقيقة فإن تعليق هذه المسألة أو تأخيرها على أنها واجب معجوز عنه من مكاسب تجربة الإخوان التي دفعوا
ثمنا باهضا لها، و ليس هذا من العلمانية في شيء، فنحن نعيش فيه من بداية الدولة الوطنية، ولا نملك القدرة على تغييره فحتى من جهة التنظير للإشكالات التي قد تواجه الدولة الإسلامية بهذا التصور لم نستعد.
والمقصود إعادة ضبط موضع الفكرة في المشروع فهي سائرة بدوننا.
عندما خرج اللبنانيون والعراقيون متجاوزين الانتماء الطائفي طالبين الكفاءة بدلا عن الموالاة، مقدمين اهتمامات المعاش والأمن على الهوية المذهبية فهذه رسالة قوية على حدود الهوية في العالم المعاصر، وفي حياة الناس.
والإخوان كغيرهم يعانون من السجن داخل أدبيات لم يعد لها سبب وجيه، وينطبق على الحركة الإسلامية برمتها قول مالك بن نبي :"عندنا تغيب الفكرة يبزغ الصنم"
لقد أهملت الحركة الإسلامية دور الدعوة أو خففت من زخمها لحساب العمل السياسي، و إن كان الدافع تعرض المشروع الإسلامي إلى ضربات قوية فإن قوته في المجال الدعوي، فهو وحده الذي يمكنه التكفل بتحييد المؤسسات الدينية المتواطئة على حربه، ومنع تمثيلها للمرجعية الدينية، وكذلك الحد من تأثير الإسلاميين الذين دجنوا في الصف، خاصة وأن عملية صناعة الغبي الرقمي أخذت أبعادا مهولة.
وعلى مستوى الدعوي تقبع أم المعارك مع المناهج الدخيلة التي أسقطت منزلة العلماء في وعي الأمة، والتي تسلل سمها إلى شباب الحركة الإسلامية فكلما استجد أمر حمَّلوا العلماء وزره!
وفي الأمة التي يملك فيها صبي مدخلي نفس نفوذ العالم في المسجد والشارع لا تتوقع إلا الفوضى والهوان.
لا يعني تجديد الفكر الاسلامي قبول الواقع على أنه قدر محتوم، بل لابد من العناد والمنازعة للواقع في القضايا الجوهرة، مع الحاجة الضرورية إلى الخروج من وصاية بعض الدول، والعمل معها بدون الخضوع لها، لأن كل الدول تحت قبضة مصالحها الاستراتيجية و أولها استمرار وجودها،فمثلا موقف حماس من المجرم الصفوي الذي قتل غير مبرر، لا تحتاج إلى توظيف العقيدة لتحفظ علاقتها المصلحية

مع إيران.
أحيانا نصلح المسجد ونعتقد أننا أصلحنا الدين !
نحتاج اليوم إلى تفكير علمي دقيق يؤثر في المثقف، لا يكون فكرا مجردا منقطعا عن حياة الناس ، وفي الوقت نفسه إلى خطاب دعوي مبسط و عملي يستجيب لتوقعات الشعوب، يؤثر في العوام و في بورجوازية الطبقة الوسطى و الفنانين، و العالم الريفي.
والبلاد العربية بحاجة ماسة إلى تكوين الإطارات السياسية لأن هذا التكوين استأثرت به الأحزاب اليسارية،وتلك الأخطاء السياسية التي وقع فيها الإسلاميون في مصر وغيرها تؤكد هذا الأمر.
قلب التجديد، والذي يجعل الدين حيا عاملا جامعا وصاهرا لعناصر الحضارة بديلا لتعاسة الإنسان المعاصر هو تجديد فهم النص الذي تحت وطأة المؤسساتية المذهبية أصبح فكرة ثقيلة بالغواشي و الأحمال اللغوية و المنطقية والفلسفية أرهقت رسالته وطمست أنواره، فأثقلت كاهل الدعوة الدينية برمتها.
بخلاف تشخيص بعض الأفاضل فإنه ليس من مشاكلنا الثقة المفرطة في السلف إذا كان المقصود فهمهم ولكن في تحميلهم ما يفوق سقفهم المعرفي، و في إنزال ما هو من قسم التأويل (الاجتهاد) قسم المنزل!
وكما قال الترابي :الإبتعاد عن الأصول وعن المنبع؛ تعقيد النص وإفراغ شاحنات التأويل والشرح عليه حتى عوضت الحاشية المتن من أقوى أسباب تجديد الفكر الإسلامي.
نبدأ عرض الموضوع مع محمد إقبال ونختمه بمالك بن نبي رحمهما الله.

في أي مرحلة سياسية نحن.. (؟)
الإلتزام السياسي أم التكوين السياسي و إثراء النظرية..؟

....
أظهرت الأحداث التي شهدتها الدول العربية غيابا (عدم فعالية) لأحزاب سياسية حقيقية ،لها قاعدة شعبية نضالية وعامة موالية، و كذلك عجزا واضحا في التكوين السياسي للطلبة الجامعيين ولناشطي هذه الأحزاب، خاصة الأحزاب الإسلامية؟

وقد رأينا أخطاء واضحة في اختيار المرشحين، وغفلة في ممارسة السياسة لا تليق بهذا الميدان،فالسياسة ليست حفلة شواء، تحتاج إلى أهلية خاصة.
بخلاف الشعور الشائع فإن الإسلام السياسي وإن كان في مفترق طرق اكتنفت شبابه وقياداته الحيرة _نوعا ما_ هو يتقدم ويطرح أفكارا عديدة، فنحن فعلا في مرحلة إثراء النظرية السياسية الإسلامية.
وقد بدأت (الحركة الإسلامية) تكتسب مهارة الحوار مع الذات ومع الآخر، وبخلاف سلفها المعاصر صارت مهتمة جدا بالبعد المعرفي للحداثة، شديدة الاهتمام بتأصيل الإدراك الفلسفي للكليات الإسلامية.
نعرف كلنا بأن الإسلاميين لم يدخلوا للمعترك السياسي على أنه متعة أوحبا في السلطة لذاتها كما يشيعه خصومهم عنهم تشويها لهم ،و إن كانت هناك انحرافات فردية لكن المعتبر هو الجملة، ولكن دخلوه لتغيير وضع المجتمع المسلم الذي لولا فضل الله عليه بالصحوة كانت الحداثة ماضية في تفتيت هويته.
الحركة الإسلامية موزعة اليوم بين مقاومة علمنة المعرفة بالتأويل الحداثي للتراث الإسلامي وبتطويع القيم والمعتقدات الإسلامية ،و بين مقاومة علمنة السياسة من خلال التأكيد على خصوصيات الدولة الإسلامية المتمثلة في حراسة الدين أو إقامة الدين من خلال حفظ حدود الله وتوفير الأسباب وتهيئة الظروف لدفع الإنسان إلى عبادة ربه حق العبادة، ورعاية المصالح من خلال العدل الاجتماعي ورد الحقوق إلى أهلها، فالدولة في الإسلام امتداد للرؤية العامة هي علاقة تلازم بين الغائية الوجودية والنظام السياسي،فكل شيء في المسلم محياه و مماته لله رب العالمين.
لكن هذا البعد المعرفي أو النموذج الإسلامي للحكم منعدم الأسباب المادية الاجتماعية والسياسية حاليا، والتكلف له بدون مردود إيجابي، يبقى حاضرا في فلسفة الإسلام السياسية، نثريه ونوسع قاعدته المعرفية و نقدمه كبديل عالمي فلابد أن يكون المشروع الإسلامي شاملا لا يترك فجوات للحداثة الغربية.
واقعيا انصب اهتمام الحركة الإسلامية من أول وهلة على أسلمة الدولة القومية ، و قد أخفقت كل المحاولات لأنها معارضة للسنن الكونية، فالدولة القومية بخلاف ما ذكره أوغلو آيلة للزوال نعم لكن ليس قريبا ،لأنها دولة تراكم الهويات، و ما لم يضعف البعد المعرفي والديني الأممي سطوة و أثر هذه الهويات فإن الدولة القومية باقية،

وهذا ما يفسر سرعة تفكك الخلافة الإسلامية الحقيقية في العهد العباسي.
لم تنجح الحركة الإسلامية في أسلمة الدولة القومية لأننا أساسا لم نبن دولة راشدة لنضع عليها الأسلمة.
ولبناء هيكل هذه الدولة نحتاج إلى مشاركة سياسية حقيقية لا تكون قفزة في قطار يسير بسرعة دون توقف كما هو حال الإسلام السياسي الآن!
معلوم أن دور الأحزاب ليس الوصول إلى الحكم الذي هو هدفها فقط ولكن _أيضا_ التكوين السياسي العام للشعب والخاص للأعضاء،الذي هو وسيلتها ،و الغاية تسبق الوسيلة في العلم وتسبقها الوسيلة في العمل، ولعل هذا ما يفسر الاخفاق المتكرر الذي عرفه الإسلام السياسي.
عندما تعرف المخطط الأصلي لتركيب سيارة أو أي جهاز تعرف أين وقع التلاعب بمواضع القطع تبديلا أو إنقاصا.
تمارس السياسة في البلاد العربية بدون تكوين مسبق، لأن الممارسة لا تحتفل كثيرا بمبادئ علم السياسة،ولأن مكانة العلم عندنا كمكانة النزاهة سمة المغفل!
ولأن السياسة عندنا ليست سوى خدمة الرئيس فوقك فهو من يضع الخطة ويحدد العمل، والسياسة بالنسبة لمن يقع تحته في المسؤولية هي الحماس في تنفيذ الأمر، لذلك يمكن أن نقول: إن مفهوم السياسة عندنا بمختلف خلفياتنا هي سياسة الكاشير حتى عند الإسلاميين !
لماذا نحن في مرحلة التكوين السياسي فقط ؟
الاشتباك مع السياسة حتمية إيمانية ومعيشية، إيمانية لأن منهجنا السياسي فرع عن رؤيتنا للكون، ومعيشية لأننا نتعامل معها يوميا، فهي شأن عام متغلغل في حياتنا، ولأننا نعلق على الأحداث ونشكو التسيير.
فنحن مشاركون في السياسة شئنا أم أبينا، إما مشاركة واعية و إما مشاركة غير واعية، ولا تكون واعية بدون تكوين سياسي علمي يسمح لنا بتجاوز مجرد متابعة الأحداث،ولحد الآن لا يمكن أن نقول بأننا مارسنا السياسة بوعي!
يتكون السياسي _في العادة وليس شرطا _على المستوى المحلي ثم الإقليمي ثم الوطني.
نحتاج إلى تكوين لنوعين من الناس :للمتسيس في وقت فراغه و للسياسي المحترف.

يساهم العمل المرتبط بالبلديات والمجالس الولائية في توعية السياسي فتبدأ السياسة على المستوى المحلي ثم ترتقي الي المستوى الوطني.

ومعلوم أن من أراد أن يغرس نفسه في الحياة السياسية الوطنية لمدة طويلة عليه بالاهتمام بالمحليات،فهي نقاط تتابع التأثير على المواطن على الاقل تفيده عند جمع التوقيعات.

يحتاج السياسي إلى حيازة ثقة الناس فيه، و إلى المهارة في تقديم رأيه لهم بطريقة مقنعة، مما يتطلب مكنة خطابية، كما يحتاج إلى ثقافة قانونية واقتصادية عامة، و أن يتملك خصائص القيادة، ومهارة إدارة الصراع وقراءة المنافس.

وكذلك إلى اتقان لغة أو لغتين أجنبيتين، وإلى التدريب على التفكير والعمل تحت الضغط، وإلى تعلم القدرة على هيكلة العمل، وإلى معرفة القانون الدستوري والاجتماعي ،و إلى القدرة على إثبات الشخصية والتواصل الشفوي ..

وكل هذه القدرات قابلة للتعلم والتطوير و التحسين

إضافة إلى السلوك السوي والأخلاق الحميدة.

و معلوم أن الترشح للانتخابات هو الدعوة إلى رؤية خاصة للعالم، يرافقها عمل حزبي قادر على تسويقها، وهذا يحتاج إلى أدوات لتنفيذه في الحلبة السياسية والاماكن العمومية.

نحن الآن في العالم العربي في مرحلة إبراز توليفة سياسية جديدة تسمح بظهور هيكل تكوين سياسي يتجاوز التقسيمات التنظيمية السياسية الموجودة،لا يبحث عن السلطة ويبتعد عن المسؤولية ،يكوِّن السياسي المستقبلي و يساهم في الاصطفاف في المعركة الثقافية،فهذا ما يمكننا فعله الآن.

إن الظروف الحالية مهيأة لبروز مثل هذه الحركات السياسية التي تاخذ أبعادا جديدة، فاذا تجولنا في التشكيلات الحزبية في العالم و التي تمكنت من تغيير المعادلة سنجدها تشكيلات تولي التكوين السياسي أهمية بالغة.

فلا شك أن تحويل الإعجاب بشخصية علمية أو فكرية أو سياسية إلى العضوية في القيم التي تنادي بها هذه الشخصية ،و إلى الاشتراك في قراءة واحدة للعالم يحتاج إلى تكوين سياسي جاد.

يحتاج العمل السياسي إذا أراد أن يكون ناجعا إلى هياكل للتكوين السياسي ولو عن

بعد، وإلى التكوين المتواصل للإطارات الحزبية.
كما يفترض التكوين و يستلزم وجود وصياغة رؤية للعالم يمكن ترويجها ونشرها عند الإطارات والأعضاء العاملين قبل عموم الناس.
كذلك يعالج التكوين السياسي مشكلة التشظي في العمل السياسي الإسلامي لأنه يعالج تعدد الحساسات الداخلية،ويفرض التعاون المضطرب،أو إدارة الاختلاف داخل استراتيجية واحدة.
و أنا أقرأ كتاب جاسم سلطان "قواعد في ممارسة السياسة" وهو كتاب يصلح لتكوين نظري لمبتدئ السياسة يمكن أن تعتمده الأحزاب والجمعيات مع ضرورة أن تضيف إليه ملحقا بالسياسة العملية التجريبية ،وآخر عن فلسفة الإسلام السياسية ذكر فيه أهم ما يجب أن يفهمه المشتغل بالسياسة عن الدولة والسلطة وثقافة السياسي و مهاراته وفقا للسياسة العملية وليس للفلسفة السياسة ،و لخص فيه أهم قواعد اللعبة السياسية أو صناعة الحدث سعدت بهذا الاهتمام ورتبت بعض أفكاري،خاصة و أنه حاول ربطه بإشارات إسلامية تسمح بالتعاطي مع السياسة المكيافيلية بدون التلوث بها.
نحن في مرحلة التأسيس، في مرحلة ضبط النظر لتقدير العمل، وكل ما يحدث في البلاد العربية يخبرنا بهذا إلا إذا عاندنا الواقع...
....

لماذا التلقِّي السَّاكن؟

الحقيقة ترهب الإنسان لأنَّها تعلن له اختيارا آخر قد يخالف هواه!

الذيلية الخفية للغرب..؟!

......
النخبة الإصلاحية الدينية والنخبة الإصلاحية السياسية :
من الأمور التي تلف موضوع تجديد الفكر و الإصلاح السياسي بسديم من الضباب يثير البلبلة الفكرية: الاضطراب في معرفة منازل العلماء والمفكرين ،ومراتبهم في فهم الدين، وفي فهم الواقع.

التغيير سواء تحت عنوان التجديد أو الإصلاح يعاني من إشكالية عدم تطابق الرؤية بين النخبة الإصلاحية الدينية والنخبة الإصلاحية السياسية من بداية النهضة الإسلامية، من أيام الافغاني و أقرانه.

هناك شخصيات فكرية إسلامية لها مساهمات في قضايا دينية فرعية عن العلوم الشرعية ،مثل: التاريخ الإسلامي ،والفقه السياسي والاجتهاد والمرأة، والحرية.. الخ تتداخل بنوع تضارب مقاربتها مع رؤية علماء الشريعة في هذه الموضوعات، ومن ثم يحدث التنافر بينهم.

لذا نحتاج _كما كان الحال دائما _إلى علماء نظار أو علماء مفكرين، يجمعون بين الكفاءتين، لأن التحليل الديني إن لم يكن معرفيا بامتياز كان كالتحليل السياسي في مستوى واحد علمي نظري كما الآخر واقعي فقط.

وموقف علماء الشريعة المتحفظ وحتى المناوئ من المفكرين في الإصلاح السياسي بتنظير ديني سببه أن هؤلاء يخلطون بين التراث الفكري الذي أبدعته الأمة ،و يعتبرون بكل ما يصح وضعه تحت مسمى "تراث" وبين الوحي الإلهي والبيان النبوي الذي لا يجوز بحال تسميته "فكرا" كأنه نتيجة تأمل إنساني!

ونقطة الشد هي اعتبار هؤلاء المفكرين لكل اجتهاد قام به الأئمة من قبيل التفاعل بين عقل المسلم و أحكام الدين الازلية ،ما هو تكيف منهم بنوع وكمية المعارف العقلية والتجارب التي تقع في كل زمان، وبالتالي تتساوى كل أجيال المسلمين*، في حين أن الشريعة فرقت بينهم، و أنه لا يجوز بحال أن نضع الاجتهاد وفقا لآلياته الإسلامية الأصيلة واستناده على عموم القرآن أو السنة و فهم الصحابة العملي في نفس المستوى مع اجتهاد غير منضبط أو مدفوع باهتمامات غربية، في أحسن أحواله يرتكز على قول شاذ،يستجيب لضغط العصر بدون فحص قيمة ما يفرضه هذا العصر الغربي.

فكيف نخلط بين فهم الإسلام على طريقة السلف قبل حدوث الاختلاف وبين فهم أثَّر فيه التغريب والاستيلاب الحضاري، أو على الأقل الانبهار بالغرب مع عجز شبه تام عن قدرة علمية لبلورة منهج علمي أصيل يقابل النموذج الغربي.

، فمن لم يتمكن بعد من الإحاطة بخصائص المنهج المعرفي الإسلامي الأصيل كيف يمكن أن نطمئن إلى اجتهاده، بغض

النظر عن فشله في تجاوز امتحان الأدلة الشرعية التفصيلية.. ؟!
الامتصاص المعرفي اللاوعي :
سمة بارزة في جل المفكرين المسلمين الذين تعلَّموا في جامعات الغرب الذيلية* لبعض قواعده المطلقة، تعلق في تفكيرهم ويكررون توظيفها في أحاديثهم لأنَّها تحوي الصحة المنطقية التي تستهوي العقل الحي الباحث عن أجوبة لمعضلاته الفكرية.
و تكرار استعمالهم لها يجعلها كالبديهيات لا تستدعي نبش أعماقها و أسباب ظهورها مما يجعلهم يغفلون عن افتقارها إلى الصحة المادية، إلى التطابق مع الواقع الشامل لا المخصوص.
الذيلية للغرب في شيء من الأفكار أمر قهري يقع فينا في لحظة غفلة حيث نتلقى الفكرة في سياق تبدو فيه منطقية ثم نستلفها تلقائيا لأن العقل سجلها في القسم الصحيح من المعرفة و من ثم نوظفها في سياقاتنا الخاصة.
وقد تنتقل إلينا بواسطة إسلامية فتكون الغفلة عن عيبها أشد، ولا يمكن للعقل أن يظل يقظا طيلة الوقت.
(لا نختلف أنه لبناء المستقبل نحتاج إلى "إعادة بناء (فهم الماضي و إعادة صياغة معارفه"* بلغة تجعل المعاصر يدرك معانيها ومقاصدها، لأنه "إن لم تتحكم في تراثك تحكم فيك " ، يعني: إن لم تحققه أعاد إنتاج نفس المشاكل التي أثرت عليه و أوصلتك إلى السلبيات التي تعاني منها في حاضرك.
لكن بشرط أن نستوضح ما هو التراث؟
هل تقصد الوحي(الشرع المنزل) ، أم الاجتهاد(الشرع المؤول) ، أم الابتداع(الشرع المبدل) ؟
فكل هذا يدخل تحت مفهوم كلمة "تراث".
هل فعلا يوجد "فرق بين المثال (المبدأ) و الواقع (التجربة)" ؟
وهل دائما وفي كل قضية؟
وعن أي واقع وتجربة نتحدث؟
هل كل امتثال سلفي (الصحابة والتابعون) للمثال هو اجتهاد منهم أم هو اتباع للنبي صلى الله عليه وسلم، فلا يوجد أي تضارب أو اختلاف بينهما؟
و إذا صحَّ هذا في جانب من المجال السياسي لأنهم اختلفوا فيه فهل يجوز لنا سحبه

على كلِّ مجالات الدين، حتى فيما اتفقوا عليه؟
ومسألة الاختلاف السياسي بين الصحابة قضية فرعية اجتهادية ليست من أركان الدين، و بخلاف من خاض فيها من المفكرين الذي تغلب عليهم نزعة تعظيم الدولة على حساب الأمة فإن العلماء حسموها بالنصوص ،وليس بمحض الآراء السياسية.
ثمَّ إذا كان لنا أن نفرِّق بين المثال والواقع، فبأيِّ شيء سنفهم المثال إذا استبعدنا شهود الوحي ومبلغيه؛ أم الأمر مفتوح لكل الأفهام؟
التفريق بين الثوابت و المتغيرات، أو بين القطعيات والظنيات وتخصيص قول الصحابي المخالف للجمهور به لم يكتشفه المسلمون من قريب مثلا.
ما نسميه بالتجديد الفكري، أو تجديد الدين ليس شيئا جديدا عند المسلمين، وهو نفس الشيء مع ما كان العلماء يسمونه بالتهذيب والتحقيق، العملية لم تتوقف ابدأ إلا بعد موت العقل الإسلامي فهذب المحدثون النصوص ،وهذب العلماء الفقه وعلم الكلام والتصوف والتاريخ وعلوم اللغة وغيرها.
هل كان تديُّن الصحابة اجتهادا بينه وبين الدين مسافة حتى نحتاج إلى التفريق بين الدين والتدين أم هذا لازم لغيرهم (الخلف) فلا يجب أن نضع أنفسنا في منزلة الصحابة فهما للدين وامتثالا له لأنهم جزء أساسي من منظومة وظيفة النبوة، فدورهم لا يقتصر على تبليغ الدين قوليا فقط بل على نقله عمليا أيضا، وهم أول من امتثله تحت مراقبة الرسول صلى الله عليه وسلم،كما أنهم جزء من وسائل حفظه، ولا يمكن حفظ اللفظ بدون معناه.
وكما جاء عند مسلم عن عبد الله بن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (مَا مِنْ نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللَّهُ فِي أُمَّةٍ قَبْلِي إِلاَّ كَانَ لَهُ مِنْ أُمَّتِهِ حَوَارِيُّونَ وَأَصْحَابٌ يَأْخُذُونَ بِسُنَّتِهِ وَيَقْتَدُونَ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِنَّهَا تَخْلُفُ مِنْ بَعْدِهِمْ خُلُوفٌ)
فهذا لكل نبي استجاب له قومه، والنص صريح بأن المشكل في تغيير الدين من الخلف وليس من السلف.
تتجلى قيمة الصحابة في نقل الدين عن النبي صلى الله عليه وسلم مشاهدة وسماعا بدون واسطة، وفي وقوة فهمهم وعظيم فضلهم الثابت بالقرآن والسنة والدليل العقلي.
وفضل التابعين في صحبتهم للصحابة ونقلهم لعلمهم وفقههم وفتاويهم.
والسلف ليسوا نقيضا للنص بل هم نقلته وأعلم الناس به، وتعظيمهم والثقة فيهم هي

بهذا الاعتبار لنقاء أصولهم وقوة فهمهم وليس لمجرد التبرك.
وما يرفعه السلفي من شعارات مثل :"وجوب أتباع السلف، و الاعتبار بفهمهم" هي قواعد توجيهية عامة ليست أدلة تفصيلية نعملها في الاستدلال، فليست خاصة بقضية معينة ،واعتبارها مجملات لا تعصم من الخطأ.
فضل السلف علما وحالا ثابت بالنصوص ويلمسه كل عاقل يتتبع أقوالهم، واتباعهم هو اتباع منهجهم لا آحادهم، وفهم السلف قاعدة عظيمة في معرفة أصالة الفهم ونقاء المنهج، وهذه قاعدة تعمل في الاختلاف بين السلف ومن جاء بعدهم، لا تعمل في الاختلاف بينهم حتى نستدرك عليها بوجودالاختلاف بينهم.
أليس الدين هو النص، والتدين هو الامتثال لهذا النص، فإما نحن أمام حالة توافق بين السلف، و إما أمام حالة اختلاف وحينئذ هل يمكن أن يكون الصواب في قول ثالث ؛يعني :اجتمع السلف على ضلالة؟!
إذا أجمع الصحابة فإجماعهم حق، وما اختلفوا فيه فلا يخرج الحق عنهم و إلا لزم شنيع القول.
و إذا كنتَ ستأخذ بأحد أقوالهم فلابد أن ترجح بالنص وبالتالي قد شهدت على الأقل لنفسك بتطابق الدين مع التدين!
ليست هذه القواعد المعاصرة إلا صورة أخرى لمشكلة المراد القديمة.
نعم ؛هناك "خلط _عند بعض الناس _بين الوحي والتاريخ" ، يعني: بين الإسلام و ممارسات المسلمين، يستشهدون في مقام التأصيل الديني بأي حادثة أو سلوك وقع في التاريخ القديم لكن لا يمكن بحال أن نعتبر تدين السلف "تاريخا للدين وليس دينا" بل لا يمكن أن نقول هذا عن تدين أي مسلم ولو كان من العوام إلا إذا أثبتنا بالدليل أنه اجتهد في تدينه بعيدا عن مراد النص.
ومعلوم لكل منصف أن العلماء السلفيين لا يأخذون دينهم من ممارسات تاريخية، ولا حتى من اجتهادات فردية لأئمة كبار، هذا يفعله جهال اغتصبوا كرسي العلم و نسبوا أنفسهم للسلف
في الحقيقة تنطبق هذه المقولات على التدين البدعي الذي وقع في الأمة وليس على التدين بالاتباع، لذلك هناك خلط عند مستخدم هذه المقولات فبدلا من توجيهها للتدين المنحرف عن تدين الصحابة والتابعين لهم بإحسان يوجهها للتدين المطابق لتدينهم !؟!

وهذا التساهل أو التوظيف لقواعد منكوسة *شيء عجيب جدا لأنه يصطدم مع بديهيات في تاريخ التشريع، و يعاند نصوصا صحيحة تحثنا على الاقتداء بهديهم.
و إذا كان هناك نقل أعمى من التراث يفعله بعض المسلمين لا يجوز نسبته إلى المسلمين جميعهم، خاصة و أن الإنكار قائم على هذا الصنيع، لكن في الوقت نفسه يجب أن نستنكر النقل و الاستدعاء الأعمى للبضاعة الفكرية الغربية.
ولا أظن أن الانتصار إلى نظريات سياسية معينة ،أو إلى اجتهادات فقهية شاذة أو ضعيفة يحتاج إلى هذا التحامل على الصحابة لأن المنتسب إليهم رفضها؟!
بطبيعة الحال لا نوافق على تجاوز القدر المشروع في ردة الفعل إلى التكفير و التضليل بدون شروطه الشرعية ، لكن بطريق أولى لا نقبل هدم قواعد التدين او الاجتهاد.
ولابد أن نفرق بين من هو على تدين الصحابة قصدا وفعلا وبين من هو على تدينهم بالقصد لا بالفعل، وهم من يزعم أن هناك فرقا بين الدين والتدين عند الصحابة!

....
*_حسن الترابي؛ تجديد الفكر الإسلامي
*_ مصطلح عند المسيري رحمه الله.
*_ كلام لمحمد مختار الشنقيطي وحسن الترابي
*_الجمل بين ظفرين هي من كلام محمد مختار الشنقيطي في مجلس بعنوان "ماذا بقي من تراث حسن الترابي"
*_ مثل اعتذارات باردة لاجتهادات مناقضة للدين جاء بها الترابي.

الدكتور. سعود والسيد. جهاد.. (!)

....
هذا عنوان كتاب لمحلل استراتيجي مختص في الجيوبولتيك، تولى منصب في مصلحة القضايا الاستراتيجية في وزارة الدفاع الفرنسية، ومدير المنظمة الأوروبية للذكاء الاستراتيجي وغيرها.
الكتاب عبارة عن تحليل للسياسة وخصوصا للدبلوماسية السعودية وتوظيفها للدين أو

ما يسميه هو "الوهابية"حيث أن السعودية تصدر فكرة دينية لا تؤمن بها، تحاربها داخليا بطرق ملتوية _والآن أصبحت صريحة _وتغرق بها غيرها خارجيا.
يبدأ التحليل منذ اللقاء الشهير على الطرَّاد كوينسي بين الملك عبد العزيز والرئيس روزفلت بعد عودته من يالطا!
من يومها مضى سبع ملوك إلى الملك الحالي منذ 23/01/2015 م.
يقف الكاتب عند الدبلوماسية الدينية للنظام السعودي الذي بحسبه يحمل التبشير للوهابية في حمضه النووي! والذي يستعمل السلفية _وهو الاسم الجديد بالنسبة إليه للوهابية_ (يعترف في مقدمة كتابه أنه بعيد عن التحليل اللاهوتي او الديني) كقوة ناعمة (soft power idéologique)
ويقف المقدم له عند ظاهرة التحالف مع الدين كقوة دبلوماسية, ويذكر بزيارةبوتين لجبل أتوس, وتحالفه مع الكنيسة الأرثوذكسي. .؟
ويتسأل لم سمحت دول الشرق الأوسط والمغاربية للسعودية بنشر هذه الأفكار في مجتمعها إلا المغرب الأقصى، ويعتبر ذلك نتيجة لاستقالة السلطات السياسية أمام المشروع السعودي، لكنه تغافل عن المشروع الإيراني مع أنه مختص في الملف الإيراني؟!
بحسبه توجد مفارقة تحتاج إلى دراسة وتحليل فكيف نفسر أن 5000 من المجاهدين في أفغانستان كانوا من السعوديين، وفي تفجيرات 11 سبتمبر 15 من 19 منفذا كانوا سعوديين، ومن معتقلي غوانتنامو 115 من 611 سعوديون؟!
بعد تفجيرات مركز التجارة العالمي سنة 1993 م قررت أمريكا ضرب السودان لأن 05 من المنفذين الذين كانوا 15 كانوا من السودانيين.
لكن بعد 11 سبتمبر قررت أمريكا ضرب العراق وأفغانستان مع أنه لم يكن في المنفذين أي عراقي أو أفغاني، وكانت تنوي حتى ضرب كوريا الشمالية؟!
بحسب الكاتب يوجد في العالم ما بين 50 إلى 60 مليون سلفيا، منهم 20 إلى 30 مليون في الهند، 06 في مصر، 1,6 في السودان، 10.000 في تونس، 17.000 في المغرب، 7000 في الأردن، 17.000 في فرنسا، من 04 إلى 5000 في ألمانيا، و 27,5مليون في بنغلاديش!
لم يذكر الأرقام في بلاد كثيرة؟!

بحسب المخابرات الألمانية السلفية أكثر التيارات الإسلامية انتشارا في العالم، و لطبيعة تكوينه وخلفيته يسأل إن لم يكن مرد ذلك إلى الدبلوماسية السعودية ، فمثله لا يعترف بسبب آخر.

مع أنه يعترف في كتابه بوجود عدة سلفيات، مثل السلفية الساكنة (quiétiste) و السلفية الجهادية لكنه لدواعي الانسجام في تحليله السياسي يضع الجميع في سلة واحدة.

الكتاب يدور حول الممارسة القبلية للحكم في النظام السعودي ويبحث الترابط بين دبلوماسية الدولة السعودية التي لا دور لها إلا إنقاذ حكم آل سعود (وهذه نقطة مهمة تفسر سياستهم الضارة بمصالح المسلمين) وبين الوهابية.

في الحقيقة من الناحية العلمية الدينية ينقص كتابه تفاصيل مهمة وهو غارق في إجمال قبيح لكن من الناحية السياسية والجيو بولتيك يمكن الاستفادة منه كثيرا.

بحسب المقدم له يجب تعميق التحليل والاهتمام بالحركات الإسلامية الأخرى وخصوصا بالاسلمة التي يقودها أردوغان إلى أي حد ستصل؟ وحتى بالمنظمات المستقلة ،وافهم يا فاهم!

اسم الكتاب بالفرنسية : Dr. Saoud et Mr. Djihad (le monde comme il va)

المؤلف : pierre conesa.

ملاحظة :سياسة السعودية في "الجهاد" شهدت تحولات محيرة في المرحلة الثانية للازمة السورية والليبية خصوصا بعد ظهور ولي العهد السعودي.

يتفق غالبية المسلمين على أن السعودية استعملت المدخلية والتطرف في ملفاتها السياسية فلم يأت الكاتب بجديد إلا أنه لا يميز بين مدارس السلفية خصوصا في الفقه السياسي و الأسماء والأحكام.

لعبة القرن..

قال يهودي!! عن [صفقة] القرن :هي مثل جبنة "emmental" الجبن لإسرائيل و الثقوب للفلسطينيين.!

قلتُ :موقف الدول العربية مثل تكبيرة حارس السرَّاق :الاستنكار الضبابي

للفلسطينيين والأفعال و الأموال لتثبيت الصفقة !!

المشترك والمميز:مسلم و إسلامي !

....

المسلم هو مفعل الإسلام بالاستسلام لرب العالمين إيمانا وعملا، والإسلامي هو المنسوب إلى الإسلام.

كل إسلامي (منسوب إلى الإسلام) من المفروض أن يكون مسلما حقا (إيمانا وعملا) ليكون كل مسلم إسلاميا تحقيقا و ليس مظنة جغرافية أو تاريخية.. الخ.

اصطلاحا دعويا هناك فرق واقعي بين مذاهب تعنى بالتدين الخاص حتى في صورتها الجمعية كمذاهب التزكية، وبين الدعوة إلى شمول الإسلام لكل جوانب الحياة الفردية والجماعية، الاجتماعية والاقتصادية، الثقافية والسياسية،لذا يوجد فرق بين إسلام هذا و إسلام ذاك بهذا الاعتبار.

وعليه؛ فإن الزعم بأنه من الأفضل أن يكون الإسلام بدون الإسلامويين المنسوبة إلى مالك بن نبي؟! خلل في فهم قيمة النسبة ودلالتها ،وارتباطها بحقيقة المنسوب إليه إلا إن قصد أن الإسلاميين بمعنى دعاة الإسلام الشامل لا يحتاجون في العمل السياسي الراهن إلى هذه الصفة لأنها الصفة التي تتضمن الجانب القانوني الاسلامي والهوية الشاملة ، بل إلى أن يكونوا مسلمين فقط، بمعنى الاهتمام بالدولة كمؤسسة حكم بعيدا عن الهوية = إيجاد الدولة قبل بحث هويتها،فهذامفهوم بغض النظر عن الموافقة أو المخالفة.

يتعرض الإسلام الشعبي (السواد الأعظم) إلى هجمات يومية من الإعلام، تقريبا كل البرامج تمسخ الشخصية الإسلامية، وتدفع إلى تغيير أسلوب الحياة و تشويه الثقافة بمختلف طرق التضليل و الإغراء و الإغواء،وسلاحهم نشر الفجور فيه.

الإسلام السياسي يتعرض إلى كل أنواع التشويه و التضييق مع التعويم في القضايا المركبة لتغيير وجهته واحتوائه في منظومة الفساد.

وللأسف تم التلاعب بالحركة الإسلامية بمختلف تشكيلاتها، ولا يزال لأنها لحد اليوم لا تملك منهج قراءة الواقع ،ولم تدرك بعد أنه في الجيوسياسي اعتبار الوجود مقدم على الهوية، و أن الدولة و الحكم يتعامل مع محيطه على أساس ضمان الوجود

واستمراره قبل الاكتراث بهويته؛ لذا فإن الثقة العمياء التي وضعتها التيارات الإسلامية في بعض الدول لم تجلب لها إلا التوظيف لمصالح تلك الدول.
وميل بعض الأنظمة لبعض التيارات ليس للاشتراك في الهوية ولكن لأنهم لم يجدوا غيرك ليلعبوا دورهم في الإقليم.
الإسلام الفكري و الحضاري يكلم نفسه لأنه محاصر بأمة لا تقرأ ،وأنظمة تغلق دونه المنابر، قد خصصتها لدعاة تبديد الدين !
مع ذلك... لم تبدأ الحرب على الإسلام من اليوم {وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين} ، بل كل صراع خاضه نبي من أنبياء الله كان من أجل الإسلام ،حاربوه فخابوا واندثروا ،وبقي الإسلام {هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله}
كلما شدوا عليه غزاهم غزوا، اخترق بيوت مشاهيرهم و رهبانهم،سكن قلوب أبنائهم و جنودهم ولا يزال؛ يضيقون عليه ويتوسع حيث لم يكن معروفا ،لم تبق بقعة من الأرض إلا ويرفع فيها اليوم شعاره.
بلغ الخبث أوجه، التراث معطل من قرن أو أزيد قليلا ، يريدون القضاء على النزر الباقي في حياة المسلمين ،والله متم نوره، والدين منتصر {كتب الله لأغلبن انا ورسلي} .
معركتنا اليوم مع أنفسنا معركة استرجاع إيماننا القرآني وحشد الهمم للعمل لدين الله ولأمتنا،والمعرفة التامة،والمعرفة التامة ،والمعرفة التامة فإنها وحدها الموجبة لأثرها.
تجمع الريح العاصف الغمام وتسوقه للبلد الميت.. والآن
تهب علينا ريح عقيم تتقدم _كما قدر الله _ودق السماء.. و إنا قادمون.

لماذا التيهان ؟

أفضل حليف عربي لأمريكا منطقيا هو حليف موضوعي لإسرائيل... فلماذا التيهان ؟

شيخ الأزهر والدفاع عن التراث.. ؟!

....

ليست القضية قضية إنصاف بقدر ما هي قضية إلزام لأن الهجوم على التراث خرج

من الأزهر نفسه في العديد من القضايا!
و تصريحات شيخ الأزهر إذا نظرنا في مفهومها هي تزكي قسما من التراث عليه تحفظ أو هو ممدوح عنده هو فقط ،وتذم بإضمار تراثا عند غيره هو أعظم و أكثر أصالة من تراثه !
والتراث الذي يتعرض للهجوم ليس مباحث علم الكلام ولكنه القرآن والسنة و أحكام الشريعة ومقام النبوة.
وتأخر هذه اليقظة من مؤسسة الأزهر مذمة وليس مدحا.
و بالنظر إلى حجم الهجمة على التراث وتنوعها فإن رد فعل الأزهر لا يرتقي إلى مستوى مسؤوليته.

قصة السعودية والإخوان... (؟)

....

أولا : عندما تقرأ للغربيين في قضايا الدين والعالم الإسلامي لا تلتفت إلى النتائج ولا إلى التحليل لأنها _في الغالب _غير موضوعية، وناجمة عن تصور ناقص، لأن كل المقاربات الحداثية و المادية مبنية على معرفة قاصرة أو موجهة لذا خذ فقط المعلومات التي تحتاجها والتي تبين لك ثبوتها.

....

يعرف جميع الناس موقف السعودية اليوم من الإخوان المسلمين الذين حمتهم في وقت ما من اضطهاد القوميين العرب فما الذي تغيَّر حتى انقلبت عليهم و أصبحت تطاردهم و تستعدي عليهم دول العالم.؟
بتتبع سياسة النظام السعودي مع التيارات الإسلامية(الإخوان ،السلفية الجهادية ،المدخلية) منذ نشأته سنجد أن الضروري الحيوي بالنسبة إليه هو التوفيق بين مصالح السلالة الحاكمة بشيء واحد هو خدمة حماته الغربيين بسياسة نفطية تفيدهم وبتوظيف الإسلاميين الذين تحت حمايته في صراعاتهم العالمية أو الإقليمية.
التمييز بين النظام السعودي كزبون ثري و قزم جيوسياسي و دبلوماسيته الدينية (استخدامه للدين) لتحقيق هدف بقاء نظام الحكم العائلي عندما يقوم هذا التوظيف بمهمة نصب الحواجز أمام الشيوعية والاشتراكية العربية مهم لفهم طبيعة النظام.

يعتبر الإسلاميون المدافعون عن النظام السعودي _وهي سذاجة _أن مهمته هي نشر رؤيتهم للإسلام في العالم
وهم سذج لأنهم لا يفصلون بين اعتقادهم صوابية مذهبهم الذي يقوم هذا النظام بنشره بواسائله المادية وبين القصد السياسي من ذلك، فاستخدام نظام ما لمذهب ديني ما، لا يعني أن هذا المذهب فاسد بالضرورة لمجرد كون هذا النظام فاسد كما يحلو للبعض نقد الوهابية لهذا السبب، خاصة و أنها مقترنة به منذ نشأته ،فالنظر في القيمة العلمية للشيء غير النظر في المستوى السياسي.
لهذا يجانب الصواب في هذه النقطة المعارضين لهذا النظام والموافقين له على حد سواء.
كما لا يعني سعي هذا النظام لنشر هذا المذهب أن الدافع له إيماني، فوحده النظر في التوظيف الجيوسياسي لهذا المذهب من يكشف لنا القصد الحقيقي،ومعلوم أن من يؤمن بمذهب ما لا يعرضه للخطر ويدخل في الحرب العالمية عليه!
لقد غيَّرت الحرب العالمية الثانية المعطيات الاستراتيجية
السعودية المحلية حيث سينتقل امتياز التنقيب عن النفط من
شركة انجليزية هاجعة من سنة 1933 إلى شركة " Standard Oil of California (Chevron)
لمدة 60 سنة(جدده بوش سنة 2005) وفي سنة 1944 تولد" أرامكو "حول مجمع أربع شركات أمريكية ستكون إلى سنة 1973 عاملة تطوير صناعة النفط في المملكة.
نقطة التحول بالنسبة للسعودية في الحرب العالمية الثانية هو" اتفاق كوينسي "في فبراير 1945 مع الرئيس روزفالت الذي في مقابل حق الامتياز في النفط يضمن الحماية العسكرية للسلالة.
التحالف الأمريكي- السعودي سيظهر أنه مفيد جدا أمام صعود القومية العربية المدعومة من الاتحاد السوفياتي، حيث ستكون السعودية في هذه المعركة الأمريكية السوفياتية حليفا مهما لكن ليس الرئيسي بعد.
وسيلعب عداء الناصرية للملكية دوره في شد وثاق هذا الحلف الناصرية؛ يقول جمال عبد الناصر الذي استولى على الحكم في مصر في سنة 1952 كقائد الحركة القومية العربية :"يجب على العرب أولا أن يبدؤوا بتحرير الرياض قبل تحرير القدس"، وهو

ما أصبح استراتيجية عند بعض منظري الإخوان اليوم الذي يرى أن نهاية العائلات الحاكمة في شريط النفط هو الحل الوحيد لاستعادة العرب دورهم في إقليمهم ضد الدور الصفوي ومن ثم الاهتمام بالقضية الفلسطينية.
في خطاب له في 26 جوان 1966 يطعن عبد الناصر في صدق دبلوماسية النظام السعودي :" لا أتخيل لحظة واحدة أن المملكة السعودية يمكنها يوما المحاربة في فلسطين، مع القواعد الأمريكية و البريطانية على ترابها، يجب عليها أولا أن تتخلص من هذه القواعد".
اعتقد جمال عبد الناصر بفكرة تصدير الثورة عبر الشرق الأوسط الملكي، من بغداد إلى صنعاء، وما أعطاه الأمل في ذلك هو شبه انهيار مملكة الأردن سنة 1956,، وانهيار الملكية في العراق سنة 1958.
في نفس السنة يعلن الوحدة بين مصر وسوريا كمقدمة لفضاء قومي عربي موحد، و في سنة 1965 يستولي بومدين على الحكم في الجزائر، في سنة 1966 يقوم الانقلاب العسكري في دمشق، و في سنة 1967 يستولي القذافي على حكم طرابلس، وهذه آخر موجة للمد القومي العربي.
الرياض المحاصرة بالقومية العربية تشعر بالتهديد من الحرب الأهلية في اليمن التي بدأت سنة 1962 لأنه خلف الانقاسامات القبلية هي حرب بالوكالة بين القاهرة والرياض حيث سترسل القاهرة 60000 جنديا، لكن حرب سنة 1967 ستحد نهائيا من طموحات عبد الناصر.
وفي سنة 1970 يتواصلون إلى اتفاق..!
قام الملك فيصل بمعارضة فكرة" الوحدة العربية" بفكرة "الوحدة الإسلامية" مع أن أباه قوَّضها أيام العثمانيين! وسينمي في هذه الفترة دبلوماسية دينية بمساعدة الإخوان المسلمين اللاجئين في السعودية من خلال تأسيس هياكل وطنية ودولية انعكاسية للتي أرادها ناصر.
وعندما يسأله صحفي فرنسي (جون لا كوتير) سيقول :"أنا لست زعيما عربيا أنا زعيم مسلم"؟!
الغربيون تحت عمى التنافس والخصومة شرق _غرب نظروا إلى السعودية في البداية كمزود بالنفط لا كشريك استراتيجي

لكن مع دورها في محاربة اليسار العربي ممثلا في القومية العربية _وهو ما يشكل محنة اليمن اليوم حيث أنها دعمت الشمال على حساب الجنوب اليساري _وبروز دورها في حرب أفغانستان تغيَّرت النظرة إليها قليلا؛والتي بدأت تفقدها الآن فلم يبق فاعل إقليمي على الساحة الشرق أوسطية إلا تركيا و إيران،و الملف الوحيد في يدها حاليا تناور به هو التطبيع مع إسرائيل، وعلمنة الحياة في المملكة.

إضعاف الدور السعودي بدأ سنة 1991 و أحداثه، ثم بالانقلاب الايديولوجي عليها، حيث أصبحت هادفا لتيارات جهادية لها نفس التوجه العقدي مع الوهابية النجدية.

لم تأو السعودية الإخوان بعد صدامهم مع عبد الناصر لأجل أخوة الدين ،ولكن ليعينوها على تأسيس مؤسساتها العلمية وكذلك السياسية التي تواجه بها المد القومي واليساري، ولما انتهت هذه الحاجة جعلتهم ألد أعداءها ،تماما على مقتضى الاستراتيجية الأمريكية التي تعيش على افتعال الصراع والتي استبدلت العداء للشيوعية بالعداء الإسلام فانتقلت معها السعودية التي تعادي كل الحركة الإسلامية الا المداخلة.

معلوم أن السعودية تحارب الإسلام السياسي لأنها تريد أن تكون النظام السياسي الوحيد في العالم الذي يمثل الإسلام.

تشكل سنة 1979 بداية الزلزال للسعودية، وفي نفس الوقت نفسا جديدا في خدمة المشروع الأمريكي حيث أنه بعد

صدور عقد وفاة الاشتراكية العربية منذ حرب 1967

سيضرب النظام السعودي ثلاثُ صدمات؛ في فبراير مع الثورة في طهران سيبدأ التشيع المنافسة على الزعامة الإسلامية،والطعن في شرعية إدارة السعودية للحرمين، واستقبله الإخوان وعلى رأسهم القرضاوي و النفيسي بالترحاب مستبشرين به كمساعد للمشروع الإسلامي إلى غاية سنة 2005 /2006 حيث فطنوا لحقيقته ،وربما انضاف إلى ذلك ثأرهم من النظام السعودي.

،في شهر نوفمبر يحتل أتباع إخوان من أطاع الله مذهبيا الذين ساعدوا آل سعود على الاستيلاء على الحكم المسجد الحرام لمدة 18 يوما، ما يعني أن السخط الداخلي أخذ بعدا خطيرا ،لكن في شهر ديسمبر يحدث الغزو السوفياتي لأفغانستان ما سيقدم للنظام فرصة إعلان الجهاد خارج البلد وإرسال المعارضين العنيفين لمواجهة أزمة

خارجية.
من جهة يتخلص منهم، ومن جهة أخرى يقدم خدماته للصراع الغربي- السوفيتي ،وهو ما يكشفه فيما بعد موقفه من الغزو الأمريكي لأفغانستان والعراق حيث سيصبح الجهاد محرما وستنشر الطائرات الأمريكية فوق مدن العراق المناشير بهذه الفتوى!
هذا هو السبب الحقيقي لعداء السعودية للإخوان، وهذا هو دور الدين في اللعبة السياسية عندها.
المرجع :"الدكتور سعود والسيد جهاد" بتصرف يسير.

في المنشور القادم نتكلم بحول الله عن دور اللجنةالدائمة السياسي، وحقيقة العلاقة بين الوهابية و السلفية، هل هي كما يروج له بعضهم فرع عنها لمجرد الاشتراك في بعض المسائل أم هناك لعبة مقصودة لتصدير النجدية تحت مسمى السلفية، وكيف تمت عملية استرجاع القيادة السلفية إلى البيت السعودي؛ ربما نبحث هذا الملف، وربما أواصل في مسائل تجديد الفكر الإسلامي.

توحيد الصف..؟!

....
الدعوة إلى توحيد الصف بدون تفصيل الواقع تكون عواقبها وخيمة ،لأن الجاهل بالحقائق عندما يكتشفها تنسف موقفه الأدبي، وهذا جربناه مرات كثيرة فلا تطمئن إلى علاقة مع جاهل بحقائق الأمور.
لذا نريد توحيد الصف لكن بالعلم و عن دراية بتاريخنا وواقعنا ونقاط الاختلاف والاتفاق ،لا مجرد موقف أدبي لا يصمد عند أول امتحان.
مثال ذلك :حضر رجلان بينهما خصومة عند قاض على الطريقة العرفية فطلب منهما التسامح وضغطا عليهما فتعانقا ،ولماخرج من عنده أخذ المظلوم عصاه وانهال على صاحبه ضربا! فالتسامح بعد إثبات الحقوق.
والمقصود الشهادة بالصدق عن الواقع الموجود، وتجاوزه بفهم وعلم إلى الحق المقصود، هذا وحده الذي يسمح للمختلفين بالعمل للمصلحة المشتركة.
الاحتفاظ و التجاوز: هو أني أعرف موقفي أو مذهبي أو اختياري جيدا، و أعرف

مذهب المخالف جيدا ،أعرف تاريخه و أسبابه ولماذا اختلفنا، ثم اختار تجاوز ذلك لما لا بد من تحقيقه من مصالح أمتنا،ولأنه لابد من تجاوز الخلاف العلمي إلى الحقائق العملية :حفظ الوجود، حفظ الدين المشترك، تحصيل المصالح المشتركة.
لإدارة الاختلاف وتجاوز أثاره السلبية على الأمة يوجد علم لذلك ،وهذا العلم هو الذي يجب أن نبثه لأنه من الممتنع أن تجتمع مع من يكفرك ويضللك، و عليه هناك مذاهب يجب أن تراجع نفسها أو تقوض إلى الهامش،لا يوجد حل ثالث.

المطلب الحيوي في تجديد الفكر الإسلامي :

الخلط المفاهيمي في مطلب توحيد الصف..!

....

لا يوجد عالم أو مفكر إسلامي لم يهتم بقضية تجديد الفكر الإسلامي وتعرض لها في كتاب من كتبه، لذلك فإن تتبع كلامهم مرهق إلا إن علق بذهن أحدنا ملخص موقفهم والمصدر الذي بحث فيه المسألة.
و أسهل الطرق هي حصر البحث في الكتب التي خصصت لهذا الموضوع وحده، و هذا ما فعلته في بحثي في هذا الموضوع، وفي الحقيقة و أنا أغوص في هذه الكتب وجدتها كلها مفيدة من وجه أو من آخر، حتى تلك البعيدة مضمونا وقصدا عن حقيقة تجديد الفكر أو العقل الإسلاميين (بحسب تسمية كل واحد) أفادتني في تصور خطورة الموضوع على بعض العقول التي لم تتشبع من العلوم الشرعية فانتهت _على قول الدكتور عصام البشير *_إلى تبديد الدين وليس تجديد الدين ؛ومعلوم أن الانحراف يسمح لك بفهم بنيوية الموضوع أكثر من الموفقة.!
في رحلتي بين هذه الكتب ، من إقبال و محمد الغزالي و محمد عمارة، وحسن الترابي وغيرهم وجدت أن كتاب الدكتور محسن عبد الحميد "تجديد الفكر الإسلامي" أكثرها جدية في الطرح، و أعمقها ،و أكثرها إحاطة بمواقف العلماء المسلمين من القضية ، ففي كتابه تتعرف على جهود العلماء قديما و حديثا، في المشرق وفي المغرب.
كما أنه تناول مختلف حقول التجديد، فالوقوف عنده أنفع في لم شتات الموضوع، وفي إثراء البحث و الخروج بنتائج محددة الأضلاع واضحة المحتوى، سهلة الإعمال والتطبيق.

وكتابه من إصدارات المعهد العالمي للفكر الإسلامي الذي يعرف غالبيتنا جهوده وتوجهاته المعرفية مثل: إسلامية المعرفة ،وشخصية رجاء فاروقي رحمه الله.
وربما الذي رجحه عندي مع ما ذكرت من أسباب اعتباره الحضارات الأجنبية من مصادر الفكر الإسلامي بعد القرآن والسنة! وهي قضية تستحق عندي النقاش ولو بدفع المال لما تفتحه من مسائل تحتاج إلى تجلية.
كما شد انتباهي في استعراضه لمواقف المجددين تركيزه على المصلحين أكثر من المفكرين، و إهماله الحجر الأساس في تجديد الفكر الإسلامي الحضاري ممثلا في مالك بن نبي إضافة إلى علماء دين يستحقون صفة المجدد..؟!
في كتابه نفس إخواني ولو في المصادر والعناية، وعنده عدم اطلاع على الإنتاج السلفي لكن الطرح ملي وموضوعي وثري أقف عند ملاحظاتي عليه في موضعها.
وهذه بعض أفكاره التي تصلح مدخلا لقراءة كتابه أشير إليها بين ظفرين :
بحث العلماء والمفكرون في قضية تجديد الفكر الإسلامي من زوايا مختلفة، فمنهم من اهتم بتجديد العلوم الشرعية، ومنهم من انصب نظره على التجديد الحضاري، وآخر على تجديد العقل الإسلامي يعني: تجديد طرق تفكيره ومناهج مقاربته، ومنهم من حصر التجديد في احياءالسنة ونبذ البدع كما يتصورها.
و أرى أنها كلها مطالب صحيحة مترابطة فيما بينها، لكن من جهة أخرى تدل على عدم تصور تام لأسباب الانحطاط الحضاري، وأنه لابد من خطوات منهجية قبلية تسمح أو توفر الأسباب أو الجو لإعادة انطلاق العقل الإسلامي.
من أسباب انهيار الأمة: المذهبية و الطائفية، ليس لأنهم لم يكونوا على قلب رجل واحد أو عقيدة واحدة فهذا مطلب غير قابل للتحقيق إلا تحت وصاية نبوية تحسم الاجتهاد، لأن افتراض أمة موضوعية كلها مخالف للواقع الكوني، ولكن لأنهم لم يحسنوا التعامل مع اختلافاتهم فأصبحت صراعات اجتماعية و سياسية عنيفة، بدلا من أن تكون تدافعا علميا فقط،منعت التلاقح المعرفي و أضاعت قوة العلم في صراعات الحكم.
عندما نتحدث عن ضرورة توحيد الصف فلا نقصد توحيد العقل أو القلب، ولكن توحيد قواعد التعامل وإدارة الاختلاف.
إذن: وحدة الصف ليست جمعا على قلب رجل واحد ولكنها "فهم حقيقة الانتماء إلى

كيان واحد، ما هي صوره ومستوياته".
" تعدد مستويات الانتماء إلى الكيان الحضاري أو المذهبي واختلاف طرق الانتماء" ، هذا ما ينتبه إليه الدكتور محسن عبد الحميد.
وهذا "الانتباه إلى مستويات الانتماء وطرقه هو ما يمنع الصراع على الانتساب ونفي انتماء الآخر".
وهذا التفصيل من الدكتور هو الحل لمشكلة تشظي الأمة فمثلا إذا فحصنا قضية الصراع المبالغ فيه في أحقية اسم أهل السنة بين السلفية و الأشعرية نحتاج أولا كما قال الدكتور إلى "قراءة معرفية (ابستمية) تتبع العوامل الذاتية الموضوعية الداخلية والخارجية لنشوء المذهب او المقالة او الجماعة" تسمح لنا أولا بوضع أساس الأساس المتمثل في القاعدة الأخلاقية: هل الاختلاف سببه سوء القصد أم فساد التصور؟
لأن هذه القاعدة هي مناط العذر الأخلاقي ،ثم بتتبع الأسباب الذاتية و الموضوعية لنشوء المقالة يأتي العذر العلمي، ومن هنا يمكن حصر الاختلاف في المستوى المعرفي وحده وتجاوزه بموقف علمي واع، وليس بموقف أدبي مجرد عندما يكتشف نفسه ينفجر.
تسمح لنا القراءة المعرفية بمعرفة التالي مثلا :نشأ العقل الكلامي في بيئة دخلت عليها حضارات أخرى مخالفة، لم يكن في مواجهتها إلا العقل الفقهي بعقلانية فطرية، إذا لم يكن مقتنعا بها، وعنده ميول نفسية للمقدمات المركبة لن يكتفي بأجوبتها، فالعقل الإسلامي القرآني المؤصل فلسفيا لم يتبلور إلا عند ابن تيمية.
و نحن نعلم أنه وقع اختراق للمنظومة المعرفية الإسلامية في أواخر العصر الأموي و بداية العصر العباسي لم يتم التعامل معها بالقرآن من طرف المتكلمين لعجزهم عن هذه الطريقة، وتعامل أهل الحديث معها بالقرآن كان استشهادا وتسليما، لم يكن خطابهم يحمل التأصيل الفلسفي لموقف أهل الحديث. وعملية انفصال العلوم كالتفسير والفقه و السلوك وأصول الفقه وعلم العقائد عن علوم الحديث ساهمت في هذا الاضطراب، مع تسلل القواعد الفلسفية واختراقها للعقل المسلم نصب الحواجز اللغوية و المنطقية و الجدلية بين الطالب والقرآن، فصار غير ممكن الوصول إلى الحقيقة بدون المقدمات العلمية الدقيقة التي لا يمكن أن يحسنها كل واحد.
وهذا الحال أصاب السلوكي والسياسي معا، فكيف نستثني العقلي؟!

ولهذا عندما لا يذكر أبو حامد الغزالي منهج أهل الحديث في طرق الطالبين *لا يعني أنه لا يعلم بوجودهم، فهو متكلم فقيه، أصولي بارع، ولكن لم يتبين له التأصيل العقلي أو الفلسفي لمذهبهم.

لهذا نفهم سبب نشوء مقالة الأشعرية، و موضوعية القصد لا النتيجة، وبالتالي يتبدل عندنا معيار التقييم الذي سيكون: الإيمان ،وحسن القصد ،والفضل، و الجهاد عن الدين، والجهد في سائر علوم الدين، وخصوصا الحفاظ على الهوية السياسية المبنية على هوية عقدية مرتبطة بالسنة، والتي بسبب مجادلات علم الكلام اخرناها إلى الوراء، وحقها التقدم، لأنها تتعلق بجوهر وجود السنة ،وليس بكمال وجودها.

عندما يقول ابن تيمية :"البلد الذي لا يكون فيه أهل الحديث فأهل السنة فيه هم الأشاعرة" فلكي تفهم أن المعيار عنده ليس موقعا جغرافيا بل مستويات الانتماء وطرقه، افترض مدينتين متجاورتين، في إحداها لا يوجد إلا الأشاعرة وفرق أخرى، وفي الثانية أهل الحديث مع الفرق الأخرى، فيكون الأشاعرة سنة في مدينة ومبتدعة في المدينة المجاور؟!

الهوية صفة ذاتية في الإنسان، لا تنفصل عنه، والذي أراد ابن تيمية توضيحه هو أنه بالنسبة للسلفي المستوى الأول للانتماء وأفضل طرقه هو مستوى أهل الحديث، ثم مستوى الأشاعرة.

ومعلوم أن التفاضل موجود في كل شيء، بين الأنبياء، بين الصحابة ،في الإيمان ،في التصديق، في الذكاء، في الفهم، في الحفظ، في الارتكاز المعرفي على النص... الخ.

و انظروا كلام ابن تيمية في اليقين في أصول الدين أين يطلب؟

المشكل في العقل الإسلامي اليوم هو أنه معطل بالتقليد ،لا يمكنه المرور إلى هذا الفهم، حتى الذين يذمون التقليد هم في الحقيقة مقلدة، لأن الاجتهاد ليس عملية انتقاء بين الأقوال بل هو روح، حالة في العقل يعمل نفسه تلقائيا، ويأخذ في التأمل والتفاعل مع الموضوع، لا يمكنه التلقي الساكن.

وهذا يذكرني بما قاله المسيري* عن شعار الإخوان المتمثل في "سيفين بينهما كتاب وعبارة و أعدوا" ، و أنه كان مناسبا لزمن مواجهة الاستعمار وحشد الجماهير، يناسب واقعا لم يعد موجودا، عليه التناسب مع تركيبة الواقع.

فهناك اجتهاد في الاقوال مع تقليد في النفس وما فرضته البيئة، فبعضهم يجتهد في

انتقاء الأقوال لكنه يقلد السلف في حلولهم الطارئة التي بخلاف اعتقاد السلفية المعاصرة لم تكن جامدة بل بحسب الحاجة، كما في قاعدة التعامل مع المخالف:بدأت بالهجر المطلق، ثم بالمناظرة أمام السلطان ،ثم بالرد الكتابي الذي كان ممنوعا من قبل، ثم وصلت إلى حالات التأليف والاكتفاء بالتدافع العلمي.
عندما نملك المنهج يكون الانتقاء واعيا، وعندما لا نملك المنهج يكون أعمى.
ينتبه الدكتور محسن إلى ما يسميه "مرض التقليد، عقلية التقليد و إهمال النظر التي تؤدي إلى إنكار البديهيات وكره الحقائق واتباع الدعوات الباطلة" ؛ فمشكلة تجديد الفكر الإسلامي مرتبطة بالنزعة التقليدية إلى حد بعيد، و أعتقد أن تجاوز سلبيات الاختلاف يكون من خلال التجاوز العلمي الواعي لا الأدبي الذي نجده في كثير من الكتب، و الذي يقتل التعلق بالحقيقة و ضرورة الاستمرار بالدعوة إليها ويجمع الناس على ألغام مؤقتة الانفجار.
... في المقال القادم نناقش نواصل مع الدكتور في قضايا مهمة

......
*_ لقاء تلفزيوني.
*_المنقذ من الضلال.
*_الهوية والحركية الإسلامية ،ص :97

حق العامي في الرأي..

......
يعتقد بعض الناس أنَّه ليس للعامي حق في أن يكون له رأي شخصي في القضايا العامة ، يلزمه اعتماد رأي أهل العلم!
مع أنَّ بعض أهل العلم قد يكون غير مطلع على الشأن السياسي، وموقفه من القضايا التجاهل و الاعتزال ، وقد يكون ميَّالا إلى موقف سياسي خاصٍّ به !
وكذلك في الشأن الاجتماعي قد يكون بعيداً عن تحديد المصلحة، فبعض الشيوخ وعَّاظ، وبعضهم يغلب عليه الاختصاص الأكاديمي الدقيق البعيد عن مجال السياسة... الخ
فما الضابط الذي يسمح للمسلم أن يكون له رأي، أي مستوى علمي يجب أن يبلغه

ليصبح له حق في الرأي الخاصِّ ؟
، هل يجب أن يبلغ درجة الاجتهاد ليكون له رأي في حياته الشخصية و المهنية والاجتماعية والسياسية التي تمسُّه مباشرة..؟
أم القضية تتعلق فقط بالقضايا الدينية التي تحتاج إلى علم خاص؟
وفي أي الحقول يكون له رأي، وفي أي الحقول لا يعتد برأيه..؟
فمثلا: كثير من السياسة يعتمد اليوم على كفاءات اقتصادية و قانونية دستورية لا يعرفها بعض العلماء ،وهم فيها عوام ،فكيف يؤخذ برأيهم فيما يجهلون...؟
عندما تختلف آراء العلماء حتى داخل المذهب الواحد، هل له حق في اختيار الفتوى أم تلزمه أول فتوى يسمعها..؟
قال النبي صلى الله عليه وسلم موجِّها خطابه للمسلمين :"لا تكونوا إمعة" *يعني :لا تحسن إن أحسن الناس و إن أساؤوا أسأت معهم، بل يجب أن يكون لك تمييز فتحسن إذا أحسنوا ولا تسيء إذا أساؤوا.
قال الله سبحانه وتعالى :{المؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر} [التوبة] فمنحهم سبحانه وتعالى حق إبداء الرأي فيما يرونه معروفا ومنكرا.
وفي حديث عند ابن ماجه :"لا يحقر أحدكم نفسه؛ قالوا :يا رسول الله كيف يحقر أحدنا نفسه؟ قال :يرى أمر الله عليه فيه مقال ثم لا يقول فيه فيقول الله عز وجل له يوم القيامة :ما منعك أن تقول في كذا وكذا؟ فيقول :خشيت الناس، فيقول :فإياي كنتَ أحقَّ أن تخشي، فإياي كنت أحق أن تخشى".
يعبر الرأي عن كرامة الإنسان، و أنه ليس متاعا، ومعرفة آراء العوام مطلب في جمع المعلومات ومعرفة الواقع الموجود.
،والعامي لا يعرف مصلحته في قضايا تتطلب معرفة خاصة لكنه يعرف مصلحة معاشه و ما يتعلق به، ويعرف الصالح من الفاسد.
وفي أوطاننا لم يبق للانسان إلا رأيه يساهم به في الحياة المدنية والسياسية لبلده!
ودور النخبة الصالحة مساعدته على الفهم وترشيده، وهو يملك من القوة العقلية الفطرية ما لو فعل وغذي يسمح له بالتمييز.
لذا فإن الرأي ليس مقصورا على العلماء في كل شيء، وللعامي حق ابداء رأيه في

الأمور العامة والخاصة بدون الاعتداء على حق الآخرين، و في منطقة المعروف.
وعليه تكوين رأيه بمشورة العقلاء والصالحين،والتثبت من المصادر في تلقي الأخبار، فلا يساهم في نشر الأكاذيب كما قال الله تعالى :{وَإِذَا جَاءهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلاَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاَتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلاً} [النساء]
ففي هذه الآيات الإنكار على من يبادر إلى الأمور قبل تحققها فيخبر بها وينشرها، وقد لا يكون لها صحة، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كفى بالمرء كذباً أن يحدث بكل ما سمع" *.
إذاً يجب أن نفصل بين القضايا العلمية الخاصة التي لا يحسنها إلا العلماء، وحاجة العامي إلى الاستهداء بهم في تكوين رأيه في القضايا الدينية كما جاء في قوله تعالى :{وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحي إليهم فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون} [النحل] وبين ما هو في إمكان معرفته.
وربما مما يسمح لنا بفهم هذه المسألة جيدا ،وفي قضايا الدين نفسه ،هو مسألة "اختلاف الفتوى على العامي" فذهب بعض العلماء إلى أنه يتخيَّر في الأخذ بأيهما شاء، وقال بعضهم :يختار قول الأفضل علماً وديناً فإن استويا سأل ثالثا، وهذا في الحقيقة سيرده إلى الترجيح بالعدد إذا وافق الثالث أحدهما.
وفي "الموسوعة الفقهية" :فهو مخيَّر يأخذ بأيهما شاء، قال الشوكاني :واستدلوا بإجماع الصحابة على عدم إنكار العمل بقول المفضول مع وجود الأفضل، ويبدو لي أنَّ الأمر قد يتجاوز هذا لأنَّ اختلاف الفتوى قد يكون بين حل وحرمة.
و ألزمه بعضهم بالترجيح، وهو قول الحنفية والمالكية، و أوجب عليه الشاطبي الترجيح باتباع الأعلم، فكما يجب على المجتهد الترجيح أو التوقف فكذلك المقلد عليه الترجيح وليس اتباع الأيسر؟!
و أقرب الأقوال عندي للمعقول الممكن للعامي ما قاله الغزالي :يأخذ بقول أفضلهم عنده، و أغلبهم صوابا في قلبه، فهذا موافق لقوله صلى الله عليه وسلم :"استفت قلبك ولو افتاك المفتون"
والمقصود أنهم أثبتوا له الاختيار و الترجيح والاجتهاد النسبي و أنَّ عليه تفعيل رأيه، وكيف لا، فالكافر يدخل في الإسلام برأيه وقناعته.

و الخلاصة يجب أن نفرق بين ما يحتاج إلى الأهلية الخاصة والعلم بالأبعاد، وهو لازم للعلماء أولا، وبين ما هو في مقدور العامي.
ومن قضايا السياسة العامة ما يمكن العامي معرفتها على وجه يكون له رأي فيها، ومن القضايا ما تتجاوزه فهو فيها على رأي من يحسن بهم الظن.
....
*_ الترمذي وقال :حسن غريب
*_ مسلم في الصحيح
*_ رواه الإمام أحمد وحسنه غير واحد

تعاونية إغراق الأمة..!!

....
تتكوَّن من :شبه عالم، شبه مثقف، شبه سياسي ،شبه أديب،شبه صحفي .. ومن شباب شبه طالب علم لا يقرأ.. الخ
الأحمق المعاصر مكدِّس معلومات،لا يعرف شيئا ويقول كل شيء !
وإذا عرف شيئا لم يعرف شيئا محدداً أو مفيدا ؛يرميك حديثه في هوَّة الملل..!! [كما قيل]
تحية إلى شبابنا الذي يجتمع في حلق القراءة، يرفض أن تسقيه البلاطوهات و المقاهي بأحاديثها المرسلة بسفاسف الأمور.
قيل :"العقل الذي لا يقرأ يهزل".
والكتاب الذي يجب قراءته هو الذي يشعل فيك نارا تنير الزوايا المظلمة في عقلك.

في مملكة الجهل..!

....
كتبت إحداهن بلغة فولتير(الترجمة غير دقيقة بسبب السرعة) :
كثير من مآسينا التي ترهقنا تأتي من كون أكثر الناس أصبح لا يعرف أو لا يجرؤ أن يقول :لا أعرف "!

الأحمق المعاصر مكدس معلومات من كل نوع، تسقي التلفزة و المجلات ذاكرته بالتفاهات، و التي تعطيه وهما بأن الإنسان الموسوعي صاحب العلم الكلي موجود، وأنه هو التجسيد الممكن له!
أدنى فرصة هي جيدة بالنسبة له للنقاش بنبرة مستوى هابط فاخر يغطسك في الشرود الذهني.
الحقيقة أنه لا يعرف شيئا، ويختفي تحت السيل الجارف لكلماته الفارغة التي يحب أن يعتقد أنها تشكل ثقافة كبيرة يحسد عليها..!
عدم العلم لم يعد من موضة أيامنا، يجب أن تعلم و أن تتحدث في كل شيء، إنها فضيلة الوقت. .!
ومادام المساهمون في عملية النصب يعرفون كل شيء، يصبح التعلم يعني :الاعتراف بالجهل ضعفا لا يجب السماح به.
الناس التي لا تتقن عملها و الذي تقبض من أجله الثمن لا تكف عن الثرثرة في موضوعات تعتقد أنها تتحكم فيها كما لا يفعل غيرها، لا يمكن عدهم لكثرتهم.
يعرفون أشياء كثيرة لكن ليس التي يجب أن يعرفوها ليتقنوا عملهم...!
وضع هؤلاء الأشخاص أحدهم بجانب الآخر هؤلاء الذين يتوقف نظريا السير الحسن للعالم عليهم يشكلون كارثة عريضة.
أعمدة المعابد القديمة لا تزال واقفة بينما الشرفات التي بنيت من سنوات قليلة بالتأكيد من مهندسين عندهم علم كبير تتهاوى على رؤوس المارة!
عالم ما بعد الحداثة يعج بالخرقاء!
في قمة هذا التجميع لعدم العلم المتكبر يجلس ملوكا مسيرو العالم، الساسة الذين يتلاعبون بمصيرنا ،لا يوجد أي فرق بين مصلح السيارات الذي يرجع لك سيارتك تسير بنفس العطل الذي كان فيها عندما سلمتها له والوزير الذي يتخذ قرارات مضادة للحس السليم والمصلحة العامة!
هما هذا أو ذاك مضران بعدم كفاءتهم التي لم يريدوا الاعتراف بها، والتي لا أحد فكر يذكرهم بها، هل سمعنا أن وزيرا أو مسؤولا ساميا طرد لعدم الكفاءة؟!
مثل الشخص المسخرة المذكور أعلاه، السياسي لا يجهل شيئا عن شيء، ابدأ لم نسمع مرشحا أو منتخبا يقول :"لا أدري" مثل هذا الاعتراف لا يحتمل إنسانيا بالنسبة

لأشخاص يسيرون في أرض الله مستعدين لشرح أشياء لا يعرفونها جيدا، دائما مستعدين لاقتراح الحلول لمشكلات لم يكونوا يعرفونها ثانية واحدة قبل أن يسألوا عنها!

رفض قول "لا أعرف " هو الباب المفتوح لأفظع الاحتيالات.

هذا الشيء غير السوي هو اعتيادي للأسف إلى أقصى حد في مجتمعاتنا، لا شيء يسير كما يجب أن يسير عليه لأن كثيرا من الأشخاص يعرفون أشياء كثيرة من دون معرفة محددة أو نافعة، و ما المثال الأفضل من العرض المسرحي المدهش للمناظرات الانتخابية، سيرك خبراء الحساب الفاشلين حيث تمطر الأرقام، لأنه من المهم أن نعرف إذا أردنا أن نصبح شيئا مهما أن نعبر بالكلمات الهائلة و الأمثال ونعرض معارفنا البيروقراطية التي ليست دليلا على الكفاءة.

مخدوعين يصفق الناخبون على هذه الاحتيالات الفكرية والسياسية ،ويحملون إلى السلطة من يطاوع اللعبة، لكنهم لا يجرؤون عندما يكتشفون الخدعة أن يشكوا في هؤلاء بأنهم ليسوا إلاخرقاء لا يحسنون شيئا.

وما يقود العالم إلى الخراب إلا هؤلاء ،فخرون بثقافة المطويات، يلد محدودو العقل من هو أكثر محدودية منهم فتتشكل دوامة تنزل بنا بسرعة أكبر فأكبر.

في هذا العالم الذي يقف بصعوبة أن لا تعرف شيئا وتزعم أنك بئر العلم، هذا هو امتياز الحمقى المنمقين الذين سلمناهم مهمة صناعة التاريخ.

منطقا الاختلاف...!

....

لا يقل الحوار السياسي عندنا شرًّا عن الحوار العلمي لأن جل النقاشات تعجز عن ضبط النفس عن الانجرار إلى اتهام النيات والتشنيع وتصيُّد السقطات والتهويل.

قال الله تعالى :{وما تفرقوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم } [الشورى] فبيَّن أن سبب الاختلاف ليس العلم ولكنه البغي في العلم ،والذي هو خلاف العدل :الإنصاف والموضوعية.

يدير الاختلاف في أي مجال كان(المذاهب،الاعتقادات ،الطرق، السياسات.. الخ) أحد منطقين :منطق المواجهة أو منطق الحوار.

منطق المواجهة هو المنطق الذي لا يمكنه السلامة من الاعتداء "البغي"، ومنه يأتي التفرق المذموم الذي يوهن الأمة لأننا في منطق المواجهة لا نتفق مسبقا على الثوابت، ولأن كل طرف يتكلم من جهته وفي غياب الآخر، أو غياب احتمال صوابيته.

في منطق المواجهة تتواجه الأنفس والاعتقادات الباطنية وليس العقول والمقالات المجردة عن الانفعالات.

منطق المواجهة هو منطق مغالبة، صراع بروح معركة وجود،

لذا يكون البغي حاصلا لا محالة فيه.

وهذا البغي قد يكون بتأويل وقد لا يكون بتأويل،فالمواجهة تدفع تلقائيا إلى العناد و إنكار ما مع المخالف من صواب، أو أخذه باللوازم .

في منطق المواجهة دائما ما يتجاوز النقاش إلى بحث النيات واتهامها والمبالغة في التشنيع باللوازم والتهويل.

وعامة الفساد الذي يقع في اختلافات الأمة من منطق المواجهة لأن نتيجة مباشرة لنزعة التقليد، والتلقي الساكن والمبالغة في حسن الظن بعلماء المذهب خاصة إذا دخل التوظيف السياسي تعلو العصبية و يقود ذلك إلى البغي.

والذي يزيد الطينة بلة أن أكثر من يبغي لا يعلم أنه باغ، بل يعتقد أن العدل منه، ولهذا يقع البغي بتأويل وبغير تأويل من الأكابر من أهل العلم ومن أهل الدين فليسوا بأفضل من السابقين الأولين *لكن بغيهم لا يقع إلا بتأويل لسلامة نياتهم وصلاحهم، والمتأول يعذر لا يتبع.

لذا يجب علينا إذا كنَّا عقلاء انتهاج منطق الحوار فإنه وحده الذي يقطع الطريق على حشر البحث في النيات والتشنيع والتعصب في النقاش، لأن الإنسان في الحوار يتواصل بمودة تدفعه إلى البحث عن الاتساق مع الطرف الآخر، ما يجعل النفس مهيأة للموضوعية والانصاف، وتقبل الاحتكام إلى الثوابت ورد المتغيرات إليها.

كل الاختلافات دخل فيها أهل فضائل عظيمة ومقامات كريمة وهذا أمر طبيعي فلابد أن يقولوا في العلم ، وتقريبا كلها وقع فيها بعدهم أو بكلامهم بغي بشكل أم بأخر.

في منطق الحوار الذي في "نظرية النماذج" تكون الصيغة قانونا منطقيا عندما تكون صحيحة في كل النماذج (في كل العوالم الممكنة)؟

هذا إذا كان بالإمكان أن يكون البشر على نفس درجة العلم والموضوعية، فنحن نعرف أن أكثر المشاكل وتضارب الفهم يأتي من الذات العارفة وليس من الموضوع نفسه، و إلا فإنه ليس أوضح حجة من القرآن والسنة، والأدلة النصية والعقلية على ذلك لا تعد، ومع ذلك الاختلاف بين المسلمين كبير وكثير!

ما يكون عندنا قانونا منطقيا، يعني: دليلا قطعيا أو ضروريا يكون من المفروض غير قابل للاعتراض و إلا ناقض الشخص نفسه لكن تحت شرط أن تكون وسائل التعبير وقواعد الحوار مقبولة من طرفي النقاش.

وهذا حال لا يمكن إلا في منطق الحوار لأن الحوار هو بالدرجة الأولى بحث عن قنوات اتصال، عن مقدمات مشتركة ،يعطي ويأخذ ويؤسس النفس لقبول الحقيقة ،على الأقل التوليف مع المخالف*.

....

*_ أنظر :جامع الرسائل 6/41

*_ الحوار ليس مناظرة حيث النقاش بين مدافع وناقد، يلزم المدافع إظهار أن أطروحته متسقة ،في حين يجب على الناقد إثبات أن الأطروحة متناقضة ومن حق الناقد أن يطرح أسئلة عن كل ما قاله المدافع، ويجب على المدافع أن يجيب عنها أو يبين فسادها، وأحيانا كل واحد منهما مدافع وناقد.

نهضة الصين :... سؤال للعرب؟!

.....

عندما ننظر اليوم مقارنيين بين نوع رجال الحكم في الصين وبين نظرائهم في الغرب نفهم سر التفوق الصيني، لم يعد يوجد في الغرب حكام من طراز: روزفالت وتشرشل وديغول، بينما حافظت الصين على نفس نوعية ماو.

لفهم سر تقدم الصين السريع لابد أن نفهم الروح التي تحركها وهي روح مفقودة عند غالبية الحكام العرب الذين لا يتمتعون بأي شخصية، ولا ببعد نظر، و غالبيتهم أميين حاضريين وعقولهم كالعقل العربي في أدنى صور انحطاطه: عقل تافه تحكمه نفس جشعة بأخلاق قطاع الطريق، فمعظم الدول العربية دول عصابات تحكم بنفس منهج قطاع الطريق: سحق ونهب الضعيف وخدمة القوي.

أكثر شيء لا يطيقه الصينيون الإهانة، وهو أكثر شيء يتمرغ فيه معظم حكام العرب بلذة! يسمي الصينيون القرن التاسع عشر "قرن المذلة" وليس لهم هاجس إلا عدم تكراره و الانتقام بالتفوق.

لفهم الصين اليوم نحتاج إلى فهم الاستراتيجية السياسية والاقتصادية للصين، كيف يتطورنظامها، ما هي علاقتها ببقية العالم؟

هناك عشرات الايضاحات يمكن أن تشرح لنا جيبولتيك الصين، وتطلعاتها ،مثل:

التحدي القطبي الشمالي والجنوبي، حدود الفضاء، الفضاء الإلكتروني، الصراع على المواد الأولية، الشركات الصينية المتعددة، الجيش الصيني.. الخ

لكن كل هذا لا يهمنا هنا، لأننا نريد البحث عن السبب النفسي وراء قفزة الصين، ما هي فكرة استرجاع أمبراطورية الوسط؟ ماذا يعنون بنسيان قرن المذلة؟ استرجاع ثقافة كونفشيوس؟ الحزب الشيوعي بدون ماو؟ ثقافة الرئيس الحالي تشي جانبينغ؟ دور الطبقة الوسطى؟ التعامل مع سرطان الفساد؟.. . الخ.

في السنوات الأولى من القرن 21 م لم تكن الصين في عين العالم إلا "معمل العالم"، بلد الأسعار المخفظة، الذي نقلت إليه المؤسسات الغربية الكبرى إنتاجها الضخم.

وفي وسط سنوات 2010 م ظهر جليا أن الصين قد غيَّرت سلمها و طموحاتها، فقد صارت على طريق أن تصبح القوة الاقتصادية العالمية الأولى على حساب أمريكا، استرجاع مكانتها قبل انحطاطها بداية القرن 18 م وخاصة 19 م والصدام مع الأوروبيين.

كيف لبلد كان يعتبر في النصف الأول من القرن 20 م الرجل المريض لآسيا النجاح في الخروج من التخلف، والقفز فوق درجات التطور و الاختراع التكنولوجي بهذه السرعة؟

فهم القوى التي تحرك هذا العملاق، وكيف يعالج عيوبه ونقاط ضعفه مهمة جدا لفهم أسباب تخلف العرب.

في جانفي 2018 م راجعت أمريكا تحليلاتها وقدَّرت أن التنافس الاستراتيجي بين الدول وليس الإرهاب هو ما يشكل القلق الرئيسي لأمن الولايات المتحدة، ومن ثم تم تعيين الصين وروسيا ضمن أبرز منافسيها الاستراتيجين، رغم أن الصين ليست الاتحاد السوفياتي، ولا تحمل همًّا ايديولجيا عالميا، و إن كانت تشكل النموذج

للحكومة السلطوية.
يرفض حكام الصين وضعية كتلة ضد كتلة، ويفضلون أن
أن تلعب هذا الدور روسيا؛ لقد نام العالم ليلة فاستيقظ في الصباح على عملاق غيَّر قواعد اللعبة الدولية، وسبب له تشنجات مختلفة من جهة، ومن جهة أخرى يرغب هذا العالم في التعامل اقتصاديا معه. .؟
هذا العملاق لا يتصرف كإمبراطورية لكنه يجيد سياسة الأمر الواقع، كما في النزاع في بحر الصين الجنوبي يرسل أساطيله البحرية ثم يفاوض.
ليست الصين مجرد عملاق اقتصادي ولكنها أيضا قوة تكنولوجية في الصف الأول في الاختصاصات المستقبلية مثل :الذكاء الاصطناعي، والبيوتكنولوجيا، قوة عندها مشروع سياسي طموح: طرق الحرير الجديدة التي تقذف بالاستثمارات والشركات الصينية في العالم برمته،مكونة تحالفات، وزبائنية على سلم لم يبلغ من قبل!
من الصعب اجتناب الحرب بين قوة صاعدة طموحة وقوة مسيطرة تمر بظروف صعبة...؟!
الصين تحت قيادة تشي جينبينغ منذ سنة 2012 م هي توليفة بين ثلاث عناصر :
1_ رأسمالية لها وجه دولة استراتيجية التفكير و التسيير ووجه خاص، تشجعه السلطة السياسية، ولكن أيضا يخضع لتحكيمها.
2_ حكم سلطوي لا يقدم أي تنازل لأية رؤية ليبرالي، بل بالعكس يحطم في المهد كل محاولات التغريب لجزء من النخبة الصينية.
3_ القومية "وقود" الايديولوجي البديل او المكمل لشيوعية الواجهة حيث المستفاد منها هو البعد اللينيني فقط : التنظيم والانضباط.
أثناء القرن 20 م جربت هذه المعادلة و لم تفلح لكنها مع الصين شيء آخر، وهذا سيكون له أدنى شك تأثير على بقية العالم نظرا لقوة الصين.
في خطابه الثاني في مؤتمر الحزب الشيوعي الصيني في أكتوبر 2017 أشار الأمين العام رئيس الجمهورية الصينية وقائد القوات المسلحة تشي جينبينغ إلى "5000 سنة من التاريخ الصيني" ، الصين ليست إمبراطورية فقط إنها حضارة؛ هذا التمييز مهم جدا رغم القطيعة بعد استيلاء ماو زيدونج على الحكم في 1949 م و الذي كان عنيفا ، كذلك الثورة الثقافية سنة 1966 م.

انهار النظام الصيني بداية من القرن 18 م وتم ذلك في بداية القرن 20 م لأسباب داخلية، ونتيجة لصدمة الالتقاء مع أوروبا العنيفة بثورتها الصناعية، ففقدت الصين مكانتها لمدة قرن (لا حظ سرعة العودة للواجهة في مقابل طول مدة سبات العرب؟!).

طيلة التاريخ الصيني فإن الحقيقة الاجتماعية للملكية كانت مشكلة من تراتيبية في ماهيتها :ليس الشخصية الفردية ما يكوِّن الحقيقة الإنسانية الأولى ولكن الاشتراك التراتيبي من شخصين:الاشتراك بين حاكم ووزيره، من الأب والابن، من الأخ الأكبر وأخيه الأصغر، من زوج وزوجة لكن بدون مساواة.

يقول فولتير في القاموس الفلسفي: "لا يوجد عندنا في أوروبا أي بيت تاريخه ثابت بطريقة أفضل من إمبراطورية الصين".

يرتكز النظام الصيني الحالي على نفس القواعد، هذا التصور للسلطة يعود بعد قرن من الأزمة.

أكثر من باحث لاحظوا أن أصول الدولة الصينية الحديثة يبحث عنها في تحول البرنامج الصيني الأصلي وليس في بديله ببرنامج غربي.

تطفل التأثير الغربي في وسط القرن 19 م خاصة الماركسية في القرن 20 م لم يفعل سوى تضليل الممرات بدلا من تسهيل قراءة خطوط القوة للتطور الدستوري الصيني.

هذا الميراث غير معلن عنه بصراحة في بيجين حيث شرعية السلطة تكسب بالانتساب إلى "الآباء المؤسسين" للجمهورية الشعبية، وخصوصا مع ماو زدونج، رغم 30% من حصيلته السلبية كما حددها الحزب الشيوعي بعد موته، متخليا عن ماوسسة النظام (البراجماتية).

طبيعة العلاقة بين القيادة العليا والشعب، الضبابية المتعمدة بين الحزب والدولة، واسترجاع عناصر مفتاحية حضارية مثل مبادئ كونفشيوس يوحي بإعادة إنتاج المخططات القديمة التقليدية التي شكلت الصين عبر آلاف السنين.

"الصين القديمة حاضرة للسهر على الجديدة" كتب سنة 1998 عالم الصينيات كلود لار، للسهر على أن تعود لمكانتها الوسطى.

أحد مفاتيح "النهضة" الصينية الحالية يوجد بالتأكيد في ما يسميه الصينيون "قرن المذلة"؟

هنا أيضا يجب أن نرجع إلى تقرير تشي جينبينغ للمؤتمر التاسع عشر للحزب الشيوعي الصيني، وهو نص مدروس في كل الصين كأنه الإنجيل، حيث يقدم القائد الأول للصين قراءته للماضي :"بتاريخ أكثر من 5000 سنة، اخترعت أمتنا حضارة مدهشة، مكونة من مساهمات رائعة للإنسانية، وأصبحت إحدى أكبر أمم العالم، لكن مع حرب الأفيون سنة 1840 م غطست الصين في ظلمات الاضطرابات الداخلية، و الاعتداء الخارجي، شعبها مدمر بالحرب رأى وطنه مفتتا، وعاش في الفقر واليأس، لكن بالصلابة والبطولة قاتل العديد من الوطنيين ".

هذا الخطاب تذكير بمتطلبات المسؤولية لشحن الأمة من أجل طي صفحة" قرن المذلة "نهائيا، بينما ما أصاب الأمة الإسلامية لقرون طريلة أشد مما أصاب الصين في قرن واحد لكننا نسميه" عصر الضعف" و" الاستعمار"، و حقيقة اسمه أنه عصر الذل، وهكذا وصفه النبي صلى الله عليه وسلم كما في الحديث "سلط الله عليكم ذلا لا ينزعه حتى ترجعوا لدينكم" أحمد و أبو داود صححه الألباني.

دلالة حروب الأفيون :

يهمل الغربيون دلالة حروب الأفيون في الوعي الصيني، هذه الحروب التي افتعلتها بريطانيا لفتح الأبواب التجارية للصين

وانتهت باتفاقيات ظالمة تجبر الصين على شراء فائض الأفيون الذي تنتجه بريطانيا في مستعمراتها في الهند، وفتح سواحلها للقوى الأجنبية مع السماح للندن بالاستقرار في هونج كونج لمدة 150 سنة.

حرب الأفيون الثانية (1856 _1860) شهدت دخول فرنسا وروسيا الحرب ضد الصين إلى جانب بريطانيا، ووصلت الجيوش الفرنسية و البريطانية إلى بيجن، وخربت و نهبت القصر الصيفي "يوان مينجوان" وأخذت كل ما تقدر على حمله من الكنوز، وما لم تقدر على حمله دمرته.

نسي الاوروبيون هذه الحوادث لكن في الصين، في ذاك القصر جداريات تذكارية تذكر الصينين في كل لحظة بجرم الأوروبيين.

لكن الاعتداءالغربي لا يبرر كل شيء، لا يفسر الضعف المتواصل لسلالة كينج، ولا الهزيمة أمام اليابانيين سنة 1894م ،حيث كان الصينيون ينظرون دائما بفوقية لليابان فإذا بالهزيمة تفطنهم على أن هذه الدولة قد أتمت عصرنتها في عهد مييج (1868

_1912).
الانتصارات اليابانية كشفت للأوروبيين أفول الإمبراطورية الصينية "الرجل المريض" لبيجين تبين أنه يحتضر...!
بالنسبة للمتابعين آنذاك الإمبراطورية المندشو هي إمبراطورية عثمانية أخرى ستقوم القوى تحت اسم "دائرة التأثير" بتقطيعها إلى مناطق حماية حقيقية.
أمراء الحروب :
أمل الصينيون مع نهاية سلالة كينج سنة 1912 م و إعلان الجمهورية على رأسها صان يات سن المثقف السياسي _المحتفل بذكراه في الصين إلى اليوم _ في ساعة تحديث الصين، لكن البلد هوى في الفوضى بين "أمراء الحرب ".
الاعتداء الياباني و الإفلاس الاقتصادي، السرد التاريخي ل_"قرن المذلة" يُحمل الأجانب وبالدرجة الأولى الغربيين وكذلك اليابان وروسيا القيصرية وشركائهم الصينين المسؤولية.
بعداستيلاء الحزب الشيوعي على الحكم سنة 1949 م شهدت الصين إجراءات قوية أدت إلى مآسي حيث تعرض ملايين الأشخاص إلى النفي من غير محاكمة في حملات "ضد اليمين" يعني: ضد ليبرالي الحزب الشيوعي وفروعهم سنوت 1950 م.
كذلك مات الملايين من الجوع نتيجة "القفزة الكبرى للأمام" (1958 _1960).
إضافة إلى ضحايا الثورة الثقافية(1966 _1976) وحوادث تيانآنمان 1989 م.
تشكل عملية التحكم في كتابة التاريخ الصيني تحديا مصيريا لأن شرعية وسلطة القيادات الحالية للحزب الذين يقدمون أنفسهم كوارثين لتاريخ بدون شوائب، معترفين فقط ببعض الأخطاء بحسب النقد الغربي المتحامل !
هذا السرد التاريخي يمنح الصينيين شعورا بإعادة الارتباط بتاريخهم الكبير تحت قيادة الذين سمحوا بذلك بفضل نضالهم .
لتبرير مطالبها في بحر الصين الجنوبي قدمت بيجين خرائط قديمة تظهر مسارا بتسع خطوط تقتطع أهم المناطق المتنازع حولها، ما يمثل الطريقة التي تستعمل بها الصين الماضي الذي سبق "قرن المذلة".
في كل صبيحة كان تشانج كاي شك قائد كيومنتاج القومي، الحزب الند للحزب

الشيوعي وعدو ماو زيدونج الذي هزم وطرد إلى جزيرة فرموزا "طيوان الحالية" يكتب في يومياته "الانتقام من قرن المذلة"..؟

في 04 ماي 1919 م اجتمع آلاف الطلبة أمام باب السلام السماوي رافعين لافتات في وسط العاصمة بيجين، و معهم المثقفون و آلاف الشباب للتظاهر ضد معاهدة وقعت في فرساي الفرنسية، هذا الحدث سيكون بداية صفحة جديدة في تاريخ الصين، شعارا لدخول البلد في الحداثة، هاتفين :" يمكن أن تُحتل أراضي الصين بالقوة لكنها لن تمنح، يمكن أن يقتل الصينيون لكنهم لن يخضعوا،بلدنامهدد بالخسارة، أيها المواطنون تأهبوا".

الأمر أولا قومي وطني، وبعد ذلك فيه مطالبة بإزالة كل ما يكبح تطور الصين من التقاليد، و أن على الصين أن تستقبل "السيدة علوم" و "السيدة ديمقراطية "على تعبير المثقف شان دوكسيو الذي التحق فيما بعد بالحزب الشيوعي الصيني، مثل ليانج كيشاو(1873 _1929) الذي كان موجودا في باريس سنة 1918 م و اطلع على نفاق النموذج الغربي للديمقراطية.

قرن بعد ذلك احتضنت الصين "السيدة علوم" ولكنها قدرت أنه يمكنها الاستغناء عن" السيدة ديمقراطية" لصالح معاصرة متحكم فيها(سلطوية).

على مدار تاريخها في القرن العشرين بحثت الصين عن الحداثة التي كانت تنقصها من أجل غسل الإذلال في القرن السابق، و للرجوع إلى مصف الأمم المتطورة، مدركة أنه

بدون التقدم التقني فإن التخلف يفاقم من أمراضها، وهذه حقيقة لم يفطن إليها العرب فالتقدم عندهم مجرد رفاهية..!

في حالة إحباط من الأطماع الإمبريالية الأوروبية احتضن قسم من مثقفي أحداث 04 ماي الأطروحات الشيوعية و التحقوا بالحزب الشيوعي، هذا الحزب الذي يقود منذ سبعة عقود العصرنة الصينية، ونجح في الإقلاع الاقتصادي بدون تنازل سياسي حقيقي.

في سنة 1978 م أعلن دانج اتشياوبينج خليفة ماو زيدونج على رأس الصين "التحديثات الأربع "التي يجب على البلد أن يستهدفها:الصناعة، الزراعة، العلوم والتكنولوجيا، و أخيرا الدفاع الوطني.

بعض الدراسات التجريبية افترضت أن الديمقراطية مرتبطة بدخل الفرد، و أنه متى تجاوز دخل الفرد في الصين
10000$فستتدمقرط الصين حتما ؟!
الأمر الذي لم يحصل، فقد تجاوز دخل الطبقة الوسطى في الصين هذا المبلغ بكثير، ولم تخامرها فكرة المطالبة بالديمقراطية، مقتنعة بالخطاب الرسمي عن الاستقرار الاجتماعي للسماح بالنمو الاقتصادي.
في سنة 2013 م بعد أيام قليلة من انتخابه على رأس الحزب الشيوعي الصيني زار تشي جينبينغ كوفو، المدينة التي ولد فيها كونفشيوس 2500 سنة من قبل في مقاطعة شاندونج.
حيث استشهد بقول الحكيم :"دولة بدون الفضيلة لا يمكنها الازدهار، وشخص بدون فضيلة لا يمكنه الازدهار"
يجب الوقوف على الصفة غير العادية لهذه الزيارة، ولهذا الاستشهاد لأنه في سنة 1973 م أطلق الربان الكبير ماو زيدونج وزوجته حملة نقد ضد "الأستاذ كونج" الاسم الصيني لكنفوشيوس، المنسوب إليه لين بياو خليفة ماو الذي أصبح عدوه، تحت شعار" بين لين بي كونج "" ضد لين، ضد كونج "كما كانت الحشود التابعة لماو تصرخ.
بحسب الماويين فإن السياسة الكونفوشوسية تتمثل أساسا في عملية استرجاع الطبقات القديمة للقيادة،وأن حكمة كونفشيوس سبب تخلف الصين بالمقارنة مع القوى مثل اليابان.
هذا الأمر يدل على مرونة الحزب الشيوعي الصيني، و أنه يجيد الابحار بين الاستمرار والبراجماتية الايديولوجية و التخلي عندما يلزم الحال عن مطالب أحداث 04 ماي التي من عاداته الاستشهاد بها.
لقد وجد في كونفشيوس البديل الايديولوجي، أو مكمل الحزب الشيوعي، في زمن ضعف فيه التوجه الشيوعي بسبب الانفتاح بعد ماو، ونظرا للمارسات الاقتصادية الرأسمالية.
يعزم النظام السياسي في الصين تاطير الكونفوشوسية الجديدة بحسب مصالحه بتاويلات مضبوطة، فمسك من تعاليم الحكيم الطابع التراتيبي: احترام كبار السن،

التقوى الفرعية (احترام الأسلاف) التي هي قيم مقبولة عالميا، في مقابل أو ضد عالمية حقوق الإنسان على النسخة الغربية والبناء الديمقراطي، باسم الهوية الوطنية المستخرجة من المصادر المحلية للحضارة الصينية.
من كلمات كونفشيوس المأثورة :"إذا كان الأمير عادلا، لا عيب فيه فإن الشعب سيقلده وسيكون هو نفسه طيبا، الشعب يقلد دائما الأمير"
في سنة 2006 م نشرت الدولة ثقافيا عن طريق سلسلة تلفزيونية نشطتها أستاذة جامعية فلسفة كونفشيوس ولما وجدت تجاوبا شعبيا تبنته الدولة رسميا.

....

المرجع :_جيوسياسي الصين ؛بيار هاسكي
_القوة الصينية ،فاليري نيكات
_ تفكيك الدولة.
_ تاريخ العلم والحضارة في الصين؛ جوزيف نيدهام.
_ طريق الصين ؛روب غيفورد.
_ تاريخ تطور الفكر الصيني،خه حاو وو و آخرون.
الصور :الأولى :سفينة الرخام في القصر الصيفي.
الثانية :بوابة السلام السماوي في المدينة المحرمة.
الثالثة :بيجين المعاصرة.

التيه..

للخروج من التيه يجب أن نعي أولا أننا تائهون :يجب سبر التيه نفسه =رؤية الوهم كوهم

التحليل الفلسفي و المقاربة الظواهرية في الفهم والشرح..؟

....

التحليل كلمة مخيفة غير مفهومة لذا يجب أن نعرف أن التحليل الفلسفي ليس هو التحليل الكيميائي، لا نبحث عن تحطيم الواقع إلى أجزاء صغيرة.

التحليل هو أداة التقسيم لأنه وسيلة التمييز و الفرقان.

وإذا أردنا مرادفا لكلمة "تحليل" فهي كلمة "وصف" لأن التحليل هو أولا وصف الأشياء كما هي.

وهناك طريقان للتحليل :

_ إما نحلل اعتمادا على الكلمات، فيمكن للغة أن تدلنا على طرق التمييز، وعلى العلاقات الجوهرية التي يجب أن نظفر بها لنفهم.

_ و إما يكون التحليل بالوقوف المباشر مع الأشياء نفسها كما تظهر لنا في المعاش، أي: وصف تجربتنا مع هذه الأشياء، تسمى في الظواهرية: "المقاربة الظواهرية".

يفضل التحليل الثاني في الموضوعات المرتبطة بالذات،حيث المقاربة ضمن تجربة الوعي التي تمنحنا إياها التجربة.

عندما أقرأ لبعض الناس أجدهم يتكلمون في موضوعات علمية شرعية أو غير شرعية مرتبطة بالإنسان لكن يتناولونها بمقاربة وصفية تقليدية محضة، لا على سبيل الاستضاءة وتشكيل التصور الخاص بنقل تصورات الغير كمرحلة أولى تسبق الترجيح، لكن كأنهم لا يعيشونها في أنفسهم كأناس، مثل :الاجتهاد كيف يقع في النفس،و درجاته وأحواله،وحقيقة إعمال العقل والانتقال من الفكرة المباشرة إلى الفكرة المفكر فيها، ومثل :معرفة أحوال الإنسان في الصدق والكذب، ولأي سبب يكذب ومتى يصدق، وغير ذلك.

والمقصود أنه لا يوجد علم بالوصاية على الفهم.

عندما تقول :"زيد عصبي، أو أديب، أو طفل.... الخ" لا تنطبق هذه العبارات على زيد وحده، بل على كثيرين، وهذه العبارات لا تخبرنا عن زيد من هو؟ ما هي خصائصه و مميزاته، ما يجعله مختلفا عن غيره؟ فمنهج الوصف محدود في بعض القضايا.

وربما على هذا نفهم قول أرسطو :"لا علم إلا من العام ولا وجود إلا للمعين الخاص" وهو يقصد العلم الكلي، و إلا فإن الخاص هو مصدر العلم الواقعي لكن من العام يكون الميزان و الاعتبار.

هل الفهم هو الظفر بالفكرة أو التصور أم القدرة على شرح الشيء؟
الفهم غير الشرح! فلا أقول :شرحت زيدا، ولكني أقول :فهمت زيدا؛ وأقول :فهمت هذا الشيء وشرحت هذا الشيء؟!
لأن الشرح يستدعي جوابا نهائيا، والشخص معقد جدا لا يمكن الإحاطة به في شرح.
وفي الشرح توجد عملية تفكيك وتحليل يتجاوز منهج الوصف إلى منهج الاختبار المباشر، ومن هنا يصعب فهم تقليد القادر على الاجتهاد في الموضوع.
لذا لا يمكن الوصاية على الفهم، ولا يمكن تفتيته ،فإما يقدر على الفهم، و إما لا يقدر عليه، وبذل الجهد مسألة أخرى.
لذا من الصعب اعتبار عالم المذهب عالما بالشرع إلا إذا قلنا :هو عالم في الحقيقة مقلد بالوصاية، وتلك أعجوبة سلطوية التمذهب الفقهي.. !!

التطبيع مع إسرائيل..!

......
وصف مالك بن نبي _رحمه الله _وظيفة إسرائيل في العالم العربي بأنها "ورم تثبيت" يعني :تثبيت العالم العربي على الحال التي قصدها الغرب أثناء فكرة "سايس بيكو"،تقسيم الأراضي المفروض بالمصالح الاستراتيجية الأوروبية.
ما هي الصورة التي يرسلها العالم العربي للعالم :صوت السلاح وغضب الايديولوجيات، يقدم مشهدا يوميا للفوضى والوحشية؛ من ضفاف النيل إلى هضاب فارس، ومن أقاصي الأناضول إلى شواطى المحيط الهندي حصيلة السنوات الأخيرة لا تشجع على التحليل :ديكتاتوريات عسكرية، شعوب بدون دولة، حروب أهلية، تهجير السكان، اقتتال طائفي، رعب يومي.
الربيع المصري لم يمنع عودة الديكتاتورية ، في دمشق كما في صنعاء آمل الشعوب تحطم في وحشية الحرب، بينما العراق لم ينته من التفكك، وفلسطين تغرق، والغرب راض عن رؤيته الاختزالية التي تربط المشرق بالارهاب والظلامية الدينية!
يحتفظ العالم العربي ببصمة التفاهمات التي أعقبت الحرب العالمية الأولى ما بين 1914 و 1922 كما تحتفظ أوروبا ما قبل 1989 بوجه يالطا.*
وزن العرب النفطي لا يتجاوز 20 ٪ من الإنتاج العالمي، وبالتالي لابد أن يتجاوز

دور بعض الأنظمة العربية مجرد تقديم امتيازات نفطية.
ونحن نعلم أن الدول النامية أصبحت ناديا مغلقا مكونا من ثلاث حلقات، آخرها حلقة تركيا وماليزيا والبرازيل وغيرها، وهو مغلق دون كل من يرفض نوعا من التطبيع مع إسرائيل اقتصاديا أو سياسيا.
الدولة الوحيدة التي اقتحمت النادي بشروطها هي الصين لكن الصين دولة أمة، والعرب أمة في دول متعددة، مما يعني أن الخطة الغربية الأولى هي تحييد الكتلة التاريخية التي يمثلها العرب.
لهذا لا يمكن أن نفسر الهرولة العربية نحو التطبيع إلا بأن بعض هذه الدول تحولت وظيفتها إلى ورم تثبيت يمنع من تفعيل الكتلة كبعد إقتصادي وسياسي.
و إذا كان التطبيع الآسيوي مع إسرائيل دوافعه اقتصادية فإن التطبيع العربي دوافعه وظيفة ورم التثبيت،وهو امتداد للاثر الصهيوني، دوره :تنشيط الحرب الباردة بين العرب وشق صفهم، وتضخيم مخالفات الاستعمار، والحرب بالوكالة، وجعل الإسلام في مقابل القومية العربية، وتاجيج الصراع السني-الشيعي، وتثبيت الديكتاتوريات السياسية.. الخ
إضافة إلى أن إسرائيل تمثل لبعض العرب البوابة لتوقي الأخطار القادمة من بعض دول الإقليم كإيران التي تمثل تهديدا وجوديا ،أو من تركيا التي تمثل تهديدا لنموذج الحكم العائلي.
لا يملك العرب لا رؤية نهضوية تستخدم مقدراتهم وكل عوامل قوتهم، ولا عندهم رغبة في ذلك، ولذلك فإن حركتهم السياسية والاقتصادية يدفعها الرهاب فقط...!!

....

*_ العشرية التي زعزعت الشرق الأوسط، نادين باكو، ص:6
*_ الخريطة من كتاب "جيبولتيك العالم العربي" ديدي بليون ليست دقيقة إلا بقراءة الملخص المرفق معها.

التاريخ المضاد لليبرالية(1)..؟

......

لا تزال الليبرالية لليوم تمارس تأثيرا حاسما على السياسة العالمية، و تتمتع برصيد سمعة لم يسبق التشكيك فيه.

بغض النظر عن وحشية نظامها الاقتصادي يغلب على الناس اعتقاد فوائد فلسفتها السياسية، فالمسَّلم به الذي تروج له أنها مثالية عالمية تطالب بازدهار الجميع، بينما يحكي لنا دومنيكو لوسيردو قصة أخرى، تاريخا من الدماء والدموع، القتل، و الاستغلال.

الكتاب يفضح الفلاسفة الذين نظَّروا لليبرالية، ويبين أنها منذ أصولها إيديولوجية طبقة في خدمة جماعة صغيرة من الرجال البيض، مرتبطة بخصوصية مع السياسات الأكثر ليبرالية :العبودية ،الاستعمار ،الإبادة ،العنصرية واحتقار الشعب.

الكتاب عبارة عن بحث تاريخي بارع يغطي ثلاثة قرون (20-17)يفند السردية الليبرالية عن نفسها.

يحلل الكاتب بطريقة جراحية الأعمال الفلسفية لأبرز المفكرين الليبراليين، أمثال: "

"Locke, Burke, Tocqueville, Constant, Bentham ou Sieyès

ليكشف التناقضات الداخلية فأحدهما كان مالكا للعبيد، والثاني يدافع عن إبادة الهنود، والثالث يشيد بحبس واستغلال الفقراء، والرابع متحمسا لسحق الشعوب المحتلة!

الليبرالية فكرة تضع حرية الفرد في مركز اهتماماتها، هذه الحرية غير المعروفة أوالمحتقرة من قبل مختلف الفلسفات العضوانية ".(نظرية تطبق النموذج البيولوجي لكائنات عضوية على واقع مركب)

و إذا كان الأمر كذلك فأين نصنف جون كالهون نائب رئيس الولايات المتحدة في نصف القرن 19 م الذي يدافع عن الحرية الفردية استنادا إلى لوك نفسه ضد تدخل سلطة الدولة، وينتقد بدون هوادة الأنظمة الاطلاقية و تركيز السلطة، وروح الصليبية، ويدافع عن حقوق الأقليات، فبدون شك نجد في فلسفته كل خصائص الفكر الليبرالي المنجز والأكثر جاذبية إلا أنه يعتبر الاستعباد" خيرا إيجابيا" لا يمكن للحضارة أن تتخلى عنه بأي شكل من الأشكال...!

وعندنا يتحدث عن "عدم التسامح وروح الصليبية" فليس لمعارضة إذلال السود و إبادة الهنود، ولكنه يقصد المعارضين لذلك، الذين يسميهم "المتعصبين العميان" (2)

إذن هل كالهون ليبرالي؟
كل رجال الدولة في أمريكا وبريطانيا و غالبية الثوريين الفرنسيين كانوا يملكون المزارع و العبيد..!
لا يعتقد جون ستيوارت مل أنه يمكن أن تكون ليبراليا وتملك عبيدا ،ومن ثم دخل في جدال ضد الذين كان يحسبهم "ليبراليين" (من بينهم: أكتون و غلادستون) الذين ناصروا أثناء الحرب الأهلية الأمريكية الجنوبيين العبوديين! (3)
نحن أمام معضلة :إذا كان الواحد من هؤلاء ليبراليا بالمعنى التقليدي كفكرة ممجدة للحرية فإن الليبرالية تنهار.
وإذا كان على العكس فلماذا لا نزال نعتبر هؤلاء وعلى رأسهم لوك آباء الليبرالية الشرعيين؟
يعتبر لوك الاستعباد وتجارة الرقيق أمرا عاديا غير قابل للاعتراض عليه، وهو نفسه ساهم في كارولينا في صياغة القواعد الدستورية التي بحسبها "كل مواطن حر في كارولينا يمارس سلطة بدون حدود على عبيده السود مهما كانت آراؤهم أو دياناتهم" (4)
لوك آخر كبار الفلاسفة الذي بحث عن تبرير الاستبعاد المطلق والأبدي(5)
لقد ساهم لوك بشكل فعال في تجارة العبيد السود(6)
يتتبع الكتاب كل فلاسفة الليبرالية، و ينبش تناقضاتهم في أعماقه، ويكشف النفسية التي خرجت منها الليبرالية،وهو من الأمور المحيرة التي تكشف لنا أن السردية الثقافية والمعرفية الغربية مغلوطة قدمت الفلاسفة الذين خدموها و أخرت المعارضين لها و إن كانوا أجل قدرا وعلما منهم.
كيف نفسر تلك العنصرية في فكر منظري الديمقراطية والعدالة، فهذا منتسكيو يقول :"يوجد بلدان أين تستفز الحرارة الأجسام و تضعف بقوة الشجاعة فلا يحمل الناس على أداء واجب الشاق إلا بالخوف من العقاب"!
هنا حتى إذا لم تكن العبودية متفقة مع العقل المجرد، فهي كذلك مع العقل الطبيعي الذي يأخذ بعين الاعتبار المناخ والظروف الملموسة(7)
لقد ذكرت عدة كتب تلك العبارات التي تعبر عن رؤية الليبراليين للجنس البشري ولحقوق الإنسان، مثل عبارة: "ممنوع الدخول على الكلاب والسود (و الصينيين)

"(8)

هذا الكتاب الدقيق والغني بالمراجع هو قراءة مقارنة بين التاريخانية المبتذلة التي تختفي فيها الليبرالية وبين التوسع الاستعماري و بعث العبودية، فإضافة إلى تتبع مواقف: بودن، كروسيوس ولوك يتتبع كل فلاسفة الليبرالية الآخرين ليثبت أنه لا علاقة لهم بالحرية الإنسانية ، وأنهم مجرد إقطاعيين نظَّروا لمصالحهم الخاصة.

الليبرالية تستعبد الآن جميع العرقيات بما فيها العرق الأبيض، الكل لخدمة فئة صغيرة، وحتى يشعر العبد بالحرية مسختها بالتحرر الأخلاقي، فاقتصاديا وسياسيا هو عبد، وأخلاقيا هو حر من كل ضمير وفطرة!

المؤسف أن بعض الناس بدون خلفية ثقيلة غرتهم ببهرجها التسويقي..!

الهامش........

1 _ كتاب لأستاذ الفلسفة في جامعة "إيربونو" بإيطاليا "دومنيكو لوسيردو" ترجمه عن الإيطالية "برنارد شامايو" من إصدارات مجموعة لا ديكوفارت بوش /رقم 416.

2_ Madame DE STAËL, Considérations sur la Révolution française, op. cit., p. 317.

3_ John Stuart MILL, Autobiographie, Aubier, Paris, 1993, p. 221.

4_ John LOCKE, Constitutions fondamentales de la Caroline, art. CX, in Deuxième Traité du gouvernement civil. Constitutions fondamentales de la Caroline, Librairie philosophique Vrin, Paris, 1967, p. 245.

5_ David B. DAVIS, The Problem of Slavery in the Age of Revolution, 1770-1823, Cornell University Press, Ithaca, 1975, p. 45

6_ Maurice CRANSTON, John Locke, Longmans, Londres,

1959, p. 114-115 ; Hugh THOMAS, La Traite des Noirs, 1440-1870, coll. « Bouquins », Robert Laffont, Paris, 2006, p. 199, 202

7_ Charles-Louis MONTESQUIEU, De l'esprit des lois XV, 7

8_ Leon F. LITWACK, Trouble in Mind. Black Southerners in the Age of Jim Crow, Knopf, New York, 1998, p. 467.

_ Office d'Information, Les Droits de l'homme en Chine, Pékin, 1991, p. 3.

العدو الحقيقي ليس بالضرورة الذي نحارب ضده ولكنه الذي يستفيد من الخسائر .. مثل إفريقي

الكتلة الحرجة و... التافه..!

......

وأنا أتابع "vidéo sur watch" نوع الفديوهات التي لها عدد متابعين ومعلقين و مشاركين أكثر وجدتها كلها تافهة : أحدهم يلعب بدراجة نارية، و آخر نصب فخا لأفعى، وبعضهم ينزل مقتطفات من فيلم وهكذا:مشكلة بين زوجين، شرطي يجري خلف دجاجة، واحد يقلع ضرسه، واخر يقطع شجرة..!!

حتى فديوهات السياسة المتبعة هي في التهريش والتهريج السياسي!

الكتلة الحرجة (الشبابية) تخرج من سواد عادي، بشر عادي جاد في حياته ونسبة اللعب واللهو عنده معقولة، لا تخرج من سواد غثاء ..؟؟

لماذا عمَّت البذاءة و [التفاهة]!!

....

البذاءة منتشرة اليوم، تعبر عن نفسها في التصرفات، اللغة، مثارات الضحك، الفنون!

نصادفها في الحشد كما عند النخبة، حتى في قمة الدولة!

تتكاثر في الإشهار، الإعلام، في النت ومواقع التواصل الاجتماعي..!
والأدهى أنها تعرض نفسها بصفاقة، واثقة من نفسها، وفي أحيان كثيرة بعدوانية...!
لكن رغم فورتها و خطورتها ،رغم الأسى الذي تسببه فإنها لم تجد منا المقاومة اللازمة، ولم تكن موضوع فحص نظامي:
ما هي وسائل الوقايةمنها؟ وطرق علاجها؟ ما هو مضادها الحيوي؟
الصعود إلى مصادرها التي تجعلها ممكنة، والتي تأذن لها، وربما تشجع توسعها..؟
البذاءة و [التفاهة] ثمرة الحداثة الشرهة، وانتشارها يعكس تيهان ما بعد الحداثة.
فحص المبادئ المؤسسة للغرب المعاصر تكشف الحافز العميق للظاهرة، و تقترح السبيل المتبع للاحتراس ضده[وهو الدين]
ما وراء البذاءة و التفاهة يتعلق الأمر برفع الرأس في مواجهة تطرف الحداثة التي تغري بمشروع التحرر الذي تحمله، وتعاند إزدهار إنسانيتنا وفقا للفطرة.
لذة الأدب...
المسلم (والإنسان) المعاصر مطالب بعوامل التواضع، أن يزيح نفسه عن المركز، أن يتجاوز ذاته بتوجيه انتباهه إلى محيطه الذي يجب أن يصلحه ويحميه مما يفسده.
وفي الوقت نفسه إلى طبيعته الإنسانية وفطرته التي يجب أن يستمع إليها أكثر ليعاود إيجاد معنى الفعل الإنساني.
هذا المعنى الذي أظلم بهوس التحرر و دوغمائية الحقوق التي تذل الفرد لنفسه، إما بتجنيده لخدمة نظرية شهوانية تشل حكمه إلى غاية وعيه، وإما بتصغيره إلى متعته الذاتية التي تجعله طفلا وتخفضه..!
علاقتنا بأنفسنا وبالعالم الذي نعيش فيه هيمانة إلى الفطرة الإنسانية،و الفطرة الممسوخة هيمانة للوحي الإلهي ليصلحها.
لعلاج ذلك يناسبنا أن ننفصل عن التجريدات التي تنفخنا و تضلنا ،ولنستعيد قدراتنا على التمييز، وعلى إنجاز غايات فطرتنا التي تحي فينا، بوضع حدود الذاتية من خلال ردها إلى ما يسمو بها، فتجديد فطرتنا هو ما يحمينا من البذاءة و التفاهة،و سائر السقط و الانحطاط الإنساني.
التفاهة والبذاءة والفظاظة.. الخ ثمرة الحداثة وحربها على الدين؛هذا ما يفسر كيف عمت العالم، ويظهر علاجها الوحيد.

الصور:الإشادة بالتافه _الموتى يتفرجون على أنفسهم.

......
المرجع :برتروند بوفون؛ البذاءة و الحداثة ،غاليمار.

كيف تفكر في مسألة ما..؟

......
نبحث كلنا عن منهج علمي عملي يمكننا من التمييز والتحكم في التعبير والمنطق من أجل امتلاك قدرة على التفكير المتين والمهيكل.
ويمكن أن تقترح علينا الدراسات المعاصرة هنا مسارا تفصيليا يمر على مراحل كتابة بحث علمي فلسفي لكنه ليس حيلة عامة للكتابة العلمية المتينة مع الاقتصاد في الدراسة،فالمنهج يسمح بقيادة و تحضير التفكير الذي من المفترض أنه ناضج قبل عملية الكتابة.
لا ينفع المنهج إذا لم يكن لدينا ما نقوله، لا يمكن أن نكتب هكذا (أي شيء) ، بطريقة عرضية رقيعة (بالنظر لشروط الاستدلال) إذا لم يكن لدينا ما نقوله.
يجب أن تعطي ثقافتنا لتفكيرنا جسما،شكلا و هيئة و محتوى.
ليس الفكر بلاغة ولكنه رؤية مؤسسة، فلعرض الأفكار بوضوح يجب أن نملك رؤية عريضة حول الموضوع تؤهلنا للدخول في تعقيداته.
لذا يجب الانطلاق في الكتابة بالتزام وصبر، يعني: بمنهجية.
و أكتفي هنا بتوضيح كيفية توليد الأفكار حول مسألة ما فأقول :
1_ يجب ملاحظة عن ماذا يتعلق الموضوع الذي نريد التفكير فيه ، ما مركزه، ومع أي مفاهيم هو في علاقة.
2_ تحليل مصطلحات الموضوع باعتبار مجموع صيغة النص.
3_ أخذ كل مصطلح والبحث عن دلالته ومحاولةصياغة تعريفا عاما مستعينين بالتالي :

1) _ أصل الكلمة "إيتيمولوجي"
2) _المرادفات الممكنة مع التفكير في الظلال التي تفصل بين مختلف القيم الداخلة في الكلمات.
3) _ المصطلحات من نفس العائلة, والتي يمكن بواسطتها أن نربط علاقات.
4) _ الأضداد ، عندما يكون للمصطلح ضد ، فمن المهم عدم نسيان الضد فغالبية التصورات تشتغل بزوج، هي ثنائية :اللذة /الألم، الليل /النهار، الأمل /اليأس، النجاح /الفشل.
5) _ التعبيرات المشتركة للغة التي تستعمل الكلمة في معنى قريب من الموضوع، فهذا يتيح الشعور بشكل أفضل بالصفة الملموسة للموضوع.
فإذا عرفت معنى الكلمة، والكلمات القريبة منها، و أضدادها ومختلف استعمالاتها الجارية فقد تشكلت لديك مادة فيها عدة اتجاهات عليك بحفرها حتى تتشكل لديك رؤية نسقية تضع كل المفاهيم الكبرى و الصغرى في علاقة داخل الكل.
وهذا الموضوع سيفرض عليك أسئلة تحولها إلى مشكلة لتجذب بها القارئ.
والمادة التي تشكلت لديك من التحليل اللغوي والتحليل المنطقي للغة تستخرج منها الأفكار الجوهرية, و تحفر كل فكرة، من خلال البحث عن هذه المفاهيم في الوحي وعند علماء المسلمين ثم عند المعاصرين.. الخ
و مما يجب عليك معرفته هو أنه توجد مفاهيم معالم، وهي مفاهيم عرضانية "مستعرضة" لكل سؤال متناول في المفاهيم نفسها؛مثل :
مطلق /نسبي _مجرد /ملموس _بالفعل /بالقوة _تحليل /توليف _سبب /غاية _ممكن /ضروري _اعتقاد /علم _جوهري /عرضي _شرح /فهم _في الواقع /في الحق _صوري /مادي _جنس /نوع /فرد _مثالي /حقيقي واقعي _هوية /مساواة /اختلاف /_حدسي /استدلالي _شرعي /مشروع /_مباشر /غير مباشر _موضوع /ذات _وجوب /إكراه _أصل /أساس _إقناع /حث _شبه /تشابه جزئي _مبدأ /نتيجة _نظريا /عمليا _متعال /فيضي ملازم _كلي /عام _خاص /فردي... الخ
لا يجب الخلط بينها وبين المفاهيم، هذه أدوات عقلية تستعمل في سياقات مختلفة فاستعمال خط مائل (/) هو للدلالة على الثنائية أو التضايف.
مثلا :مجرد /محسوس

المحسوس هو ما يمكن أن يدخل في تجربة ذاتية :إحساس بألم، بالبرد أو الحرارة، تجربة موضوعية :قياس شيء، ظاهرة (في الفيزياء، بيولوجيا).
على العكس هو مجرد ما هو من قبيل التصور الخالص :
الضرورة، الأعداد ،المثاليات الرياضية، الأفكار عموما مجردات.
السياق الذي تعمل فيه هذه المعالم :
في نظرية المعرفة نتحدث عن تجريد الأفكار بالنسبة للصفة المحسوسة للإدراك ،أو للخيال.
في الإبستمولوجيا نتحدث عن الصفة المحسوسة للتجربة، عن تجريد النظريات الفيزيائية.
في الجماليات نميز التجريد في الفن المعاصر، والفن التصويري الأكثر تجريدا.
في فلسفة السياسة يمكن أن نميز تجريدية الدولة وصفة محسوسية الأمة ،الإدراك أكثر تجريدا من الإحساس إلخ.
معرفة المفاهيم المركزية في الفلسفة مهم جدا, و أهم منه معرفة المفاهيم التي هي معالم نستخدمها كأدوات في بحث تلك المفاهيم المركزية.
....

الصورة :عقلك هو "القرداش" و الموضوعات هي "الصوف" والتفكير هو "البشم".

عندما يصنع رجل التقنية شخصيتك!

....

1 _ الظواهر السلبية العامة(العالمية) لاتكون أسبابها خاصة(محلية) لأننا غير فاعلين في العالم.
2 _ التأثير في سوادنا بأسلوب الحياة و بضاعته التقنية.
= يمكن تخريب فطرتك وشخصيتك بدون مقالة!
= إذا كان الهجوم عليك من غير مقالة فبماذا ستدافع ؟

في هذا العالم الليبرالي النفس لا ينجح إلا التنافسي(بالمعايير الحيوانية) (فتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم كما أهلكتهم)

الدابة المتوحشة..!!

....

من دلائل النبوة تلك الأوصاف والأحوال التي أخبر بها النبي صلى الله عليه وسلم عن آخر الزمن وما تصير إليه أمور الناس مثل قوله :"يتقارب الزمان ويظهر الجهل ويقل العلم ويفشو الزنا ويشرب الخمر ويكثر الهرج، قيل: يا رسول الله! ما الهرج؟ قال: القتل القتل".

وفي الحديث الصحيح الذي رواه النسائي(١) عن عمرو بن تغلب أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :" إن من أشراط الساعة أن يفشو المال ويكثر ، وتفشو التجارة ويظهر العلم ، ويبيع الرجل البيع فيقول : لا حتى أستأمر تاجر بني فلان ، ويلتمس الحي العظيم الكاتب فلا يوجد".

ولعل أظهر علامة في فهم خصائص تلك الأزمنة هي "ظهور العلم" أي :يزدهر، والمقصود العلم الدنيوي لأن من أشراط الساعة الجهل بالدين كما ورد من حديث أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال" إن من أشراط الساعة :أن يُرفَع العلمُ ويَثْبُتَ الجهل"(٢) وفي حديث آخر :" ((إن بين يدي الساعة لأياماً ينزل فيها الجهل ويرفع العلم))(٣)

وفي رواية :" يظهر العلم أو القلم"، وفي اعتقادي هما متلازمان فلا يزدهر العلم إلا بالانتشار وتعلقه بالمال ، ووسيلته القلم وما يقوم في معناه.

والعلم الدنيوي هو علم متعلق بالحياة الدنيوية يعني: بالماديات، بالجسم ومتطلباته الشهوية وفروع ذلك ،ما يسبب الغفلة للإنسان، ولذلك قال الله تعالى :{يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ} [الروم]

هذا المجتمع الذي يكثر فيه الزنا، والربا، والكذب، والشح والقتل، والعلم بالدنيا والجهل بالآخرة، والكلب على المال هو مجتمع "الدابة المتوحشة" ، بدون خطام وشرهة نهمة، لا تشبع من شيء.

"الدابة المتوحشة" هي الصورة التي اختارها "هيغل" لتعيين المجتمع المدني عندما لا يكون إلا سوقا، فعندما تتحقق سيطرة الليبرالية عندها يصبح التدجين الرأسمالي الغربي للبشرية قويا.*

كيف تم هذا المسخ والتحويل للروح وللمجتمع؟!

كيف هو غير مفهوم عندنا بالشكل الذي يسمح لنا من مقاومته خاصة و أن النصوص كثيرة في وصفه و التحذير منه، ونحن في عهد يقال فيه: كل شيء مقول وكل شيء معلوم!

الفضح الضعيف لمجتمع الاستهلاك من قبل المثقف المزعوم اليساري أو الإنساني أو الذي ربط الحضارة و النهضة بالرفاه ووفرة المال وحدهم ساهم في تمويه الدابة المتوحشة!

الإيديولوجية الرأسمالية الجديدة تريد من ليبراليتها المتحررة أن تمتزج بالحرية الإنسانية فإذا رفض اقتصادها اشتد الطلب على نموذجها السياسي، ولا يمكن بحال الفصل بينهما فإذا قبلت أحدهما اقتحم عليك الأخر مخدعك، وتحت عنوان التحرر يسوق الاستبعاد للشهوة و الغرائز.

أحد الأسباب الجوهرية لسوء معرفتنا بالمجتمع الجديد تكمن في دوغمائية المسلمين المعاصرين المسؤولة عن تخلف نظري مهم(التنظير) ، فهذه الدوغمائية ولدت ظاهرة غريبة تتمثل في مقاربة جدلية تنظر من ثقب الماضي :كل الحياة الثقافية والسياسية انغرزت في الدفاع عن مجتمع في زمن آخر، عن وسائل إصلاحية أخرى ؛نوع من السلفية السياسية و الحضارية،تريد إعادة نفس المجتمع ونفس الحضارة بنفس الوسائل، بنوع سفر إلى الماضي!

حتى الإدانة التي نوجهها للمجتمع الغربي هي لمجتمع آخر لم يعد موجودا، مجتمع التنوير و الحداثة فقد أكلته بعد الحداثة أو الحداثة عندما تبلغ حدودها.

لا المجتمع المسلم المعاصر ستكفيه الاستراتيجية القديمة وحدها ،ولا الاستراتيجية الغربية بقيت جامدة في تصور رأسمالي أولي أو يساري منبوذ.

إثارة الدابة المتوحشة من مخبئها سيحدد طبيعة المعركة النهائية معها ومستوياتها ، معركة مواجهة استراتيجية تعفين تاريخ المسلمين وهويتهم، وتعفين روحهم بالماديات.

لذا فإن سلاح المعركة هو الروحانية الإسلامية الشرعية الموافقة للفطرة مع سلاح الصورة في كل تشكيلاتها، فنحن في عالم معاصر مغاير للعالم القديم "التقليدي" المسلم أو الغربي.

نحن في عالم متسارع في كل شيء، أوجد وتيرة جديدة للإنسان، لم يعد يحكمه الليل /النهار، ويضبط حركته بحركة الشمس عندما تغيب ينام.

المجتمع متسارع غاب فيه الدين فغابت معه الحقائق النهائية التي تكبح جماح النفس، وتصد الشك ،ومع غياب نظام العالم التقليدي و القطيعة مع ثوابته فقدت المنظومة العائلية والمجتمعية استقرارها.

و أصبح الإخفاق ملازما للإنسان فاجتمعت عليه في هجوم غير مسبوق: الفردانية و المادية و قاطرتهما التكنولوجيا التي تهرب به إلى الأمام!

حياته أضحت رقمية، و ووالديه ومعلمه الشاشات التي تعده بكل شيء، والإنسان بطبيعته كائن متخيل ينظر وراء الحقيقي فيتولد لديه الطموح ، و لكن لا شيء ممكن في الواقع إلا لفئة قليلة من الناس!

يجب علينا _كما يقول الناقدون _تحليل حدود و أكاذيب الحداثة، وبناء على ذلك معالجة الإنسان معالجة نفسية واجتماعية و سياسية و حضارية إذا أردنا أن نقاوم و نهيأ لعالم إسلامي أولا (ولكل الناس ثانيا) تعود فيه الفطرة إلى وظيفتها.

يكاد الصالحون أن يكونوا في عجاجة لا تعرف معروفا ولا تنكر منكرا إلا من رحم الله ، ومع ذلك الدعوة واجبة عليهم حتى يبلغ كتاب الدنيا أجله.

النظر في النصوص وفي الواقع يظهر جليا أن المعركة بين العلم الأخروي بنظرته الاعتدالية للروح والجسد وبين العلم الدنيوي لكن بأدوات نظرية أصيلة وعملية جديدة.

....

١_ الألباني، صحيح النسائي رقم: 4468 وقال : صحيح

٢ _ صحيح البخاري

٣_ البخاري.

* _الدابة المتوحشة عنوان كتاب لكلوسكار يتجه فيه إلى تحليل ماركسي جديد.

الاستلهام و الانتحال الفكري... ؟

....

نحن نعيش في وضع فكري يعاني من انفصام بين المنهج والمحتوى لأن الغالب علينا التقليد المعلن أو المضمار؛ وبهذه العقلية يكون من الصعب تنمية التفكير العلمي لأن التعاطي سيكون مع العلم كمعلومة تُنقَل مع شيء من الإضافة الهامشية، وليس مع تصور داخل تفكير نسقي لا يضع المفاهيم كل واحد في درج..!

ما سيولد فينا الكسل العقلي، و يُحبِّب إلينا السهولة البلاغية التي توهم وجود فكر وليست إلا عبارات منمقة ليس تحتها المعاني المحصلة..!

والمقصود أن الإنسان بحاجة مستمرة لتغذية عقله حتى يمكنه تزويد تفكيره بمواد صناعة المعرفة، فهناك حاجة ملحة إلى إيجاد الإلهام من السياقات الفكرية عند الغير، والى البحث عن بذور أفكار تخدم الرؤية الشخصية دون أن تكون كتابته مجرد جرد مرجعيات أو كتالوج آراء!

لذا يمكن أن تجد في كتاب أو مقال معلومة مفيدة فلا تنقلها نصيا ،ولكن استرجع لحسابك ما يبدو لك منها صحيحا،فإن كانت استشهادا أحلت على المصدر مع ضرورة التمييز بين التعامل مع التصورات وبين التعامل مع المعلومات.

في التصور التام يلزمنا معاودة مراحل العملية من أولها (قد يكون ذلك تلقائيا عند أصحاب العقل النقدي) وخصوصا مراجعة التصنيف، ومن ثم يمكن تكييفه مع اتجاهنا الفكري. وهذا لا يحتاج إلى إحالة لأن الأخذ كان لمادة خام تقولبها بصناعتك الخاصة، حيث تفقد الفكرة سياقها وروابطها عند المؤلف؛ وبدون مثل هذا الاستلهام يستحيل التفكير.

عندما تكون باحثا أو كاتبا يصادف أن تجد فكرة عند غيرك تعجبك، ربما تكون جزءا من موضوع ما، وترغب في تحويرها لصالح فكرة عندك، تبني عليها نظامك الخاص، رؤية مكتملة خاصة بك، فلا إشكال في ذلك لأنه لا يمكن اختراع مائة في المائة فكرة جديدة غير مسبوقة، و المعرفة لا تنشأ من صفر، لكن من المهم أن تعرف الفرق بين الاستلهام وبين الانتحال والادعاء .

لهذا يُعرِّف بعضهم الاستلهام بأنه " استرجاع فكرة أو تصور خاص بفكر شخص آخر لها مواضيع مشتركة" .
و يمثِّلون باستلهام أفكار من فيلسوف لكتابة قصة خيالية.
بينما الانتحال هو "نسخ العمل أو جزءا منه لشخص آخر و نسبته لنفسك" .
الأول(الاستلهام) هو استرجاع فكرة أو تصور لتصنع منه شيئا مختلفا، بصلصتك أنت إذا جاز التعبير،إنه استثمار لفكرة في سياق مغاير، أو ضمن نظام معرفي خاص بك.
بينما الثاني هو نسخ خالص لإنجاز شخص آخر مثل الذي ينشر بحثا أو مقالا لشخص آخر تحت اسمه هو دون الإشارة إلى صاحبه.
يرى بعض الناس أن الاستلهام"قد يكون بسيطا بحيث ترى فكرة عند غيرك وترغب في استعمالها في مشروعك[كمقالة أو كتاب] ، لكن الاستلهام الحقيقي يكون عندما يلهمك السياق لحديث أو لقراءة فكرة خاصة بك، وهو استلهام تلقائي قد لا تتحكم فيه".
الاستلهام هنا يسمح لك بتصور مضمون جديد لشبح فكرة قديمة عندك، مادة لسقي بذور فكرة أولية ،فكرة تشكل نظم العقد لأفكار موجودة عندك والتي لم تصل إلى ما يربطها حتى قرأت ذلك الكلام، قطعة كانت تنقص البناء، طريقة جديدة وجدتها لصياغة أفكارك... الخ
المحتوى الأصلي يأتي منك ونسبة الاستلهام الخارجي فيه قليلة، ليست الغالبة، بحيث نجد روحك في المقال وليس روح الآخر(عكس الانتحال).
لا تلمس الملكية العقلية للشخص الذي اقتبست من عنده فكرة إذا تكيِّفها لرؤيتك، ولهويتك، ولموضوعك حتى لا تكاد تشعر بها.
يضع بعضهم شروطا مثل :"في حالة الاستلهام لا نقوم بنسخ_ لصق للمحتوى، لا نعود باستمرار إلى المصدر الذي استلهمنا منه الفكرة ذهابا إيابا ، نكتب بكلماتنا الخاصة ، عندما نستعمل عنصرا لشخص آخر نذكر المصدر ونميز كلامنا من كلام غيرنا بصريا بمثل :غلظ الخط أو ظفرين، أو ما شابه".
في الحقيقة المعتبر هو التمييز بين الفكرة التي تحولت إلى شيء آخر، وبين الفكرة التي بقيت على أصلها عند صاحبها لأنه عندما يكون الإنسان كثير القراءة وكثير

التفعيل التأملي لما يقرأ تتشكل في نفسه أفكار كثيرة، وتتداخل وتترابط فيما بينها، و تأخذ لون رؤيته الكلية.
عندما نقرأ للغير يوجد دائما زاوية من خلالها يسجل وعينا موقفه بناء على منظومتنا المعرفية، وينطلق العقل بعد ذلك في الاحتفاظ بما ربطه أو كيفه،وهذا هو المطلوب :تغذية الآلة لتنتج بضاعتها الخاصة.
فمثلا :نجد التشابه بين الكوجبتو الديكارتي واليقين الداخلي للوعي بالذات عند أوغستين، ومع ذلك فإن الفارق بينهما بيِّن ومثل هذا لا يخلو منه فيلسوف أو عالم، إذا أمعنت النظر وجدت النظريات مكتملة عند هذا، بذرة قبل قرون عند ذاك؛ لأن المعرفة تراكم وتفاعل وتنبيه واستلهام.
إذا عرفت هذه الفروق أمكنك تنمية فكرك دون الاعتداء على جهد الغير.

قرآن المؤرخين...!!

....

في أواخر سنة 2019 م وبداية هذه السنة 2020 م بدأت تظهر مقالات توظف إحصائيات لعدد بعض الكلمات في القرآن ومختلف الأوزان التي وردت فيها، و تعدد موارد استعمالها تستهلك ثلثي المكتوب ثم تقفز إلى شبهة علمانية تمدح النص الشرعي المنتقى مع تفسير علماني، وتذم العلماء و المفسرين بحيث توحي الطريقة أنها حقيقة مستمدة من القرآن الذي تلاعب العلماء بتفسيره...!
هذه المقالات مستمدة من كتاب صدر سنة 2019 م بفرنسا تحت عنوان "قرآن المؤرخين" (le coran des historiens) وهو كتاب اشترك في تأليفه يهود ومسيحيون و إيرانيون باطنية وغيرهم.
هو مجرد دراسة وصفية بمناهج متناقضة تقفز بحجج "المنحدر الزلق و استدعاء الجهل، و الرجل الفزاعة " إلى مقررات تافهة.
أكتب مقالا تعريفيا بهذا الكتاب بعد أيام إن شاء الله تعالى.

التفكير والتدليل خارج حجة السلطة المذهبية

....

تابع للمقال اليتيم "الاستلهام والانتحال"!! لعله يوضح الأهمية في بناء الفكر وشحذ التفكير.
اللجوء تحت سلطة الغير:مذهب ، شخصية علمية بارزة.. الخ يظهر في الكتابة التي تبدأ ب"بحسب" ،"بالنسبة" متبوعة باسم السلطة :الشافعي، مالك، ابن حزم،الباقلاني، ابن تيمية، الألباني.. الخ.
المساوئ في هذا هي في تقديمها على أنها تفكير لمختصر مذهب و التخلي عن كل تفكير شخصي..!
لا يطلب من الكاتب من البداية أن يملك عبقرية إعادةالتفكير في كل شيء بدون أية مرجعية،فهذا يتطلب قدرات خارقة وفكاكة!
في الدراسة نجد إعانة من إنجازات علمية ممن سبقنا، ومع ذلك حتى عندما نريد أن ننصف تفكيرا عملاقا يجب علينا أولا أن نعرف كيف نعيد التملك بطريقة شخصية أسبابه، بمنهج كاملة، حي ثم نختتم الفقرة أو المقال ب"هذا ما اثبته ابن تيمية، الرازي.. الخ"
يجب أن يكفي التدليل نفسه بدون حاجة إلى ضمان الذي يقدمه اسم العالم أو المذهب ما.
تتمثل الكفاءة العلمية في قراءة لصيقة للعالم أو المذهب ثم تلخيص تدليله بتكييفه مع لغتنا وبأمثلة دقيقة و نذكر اسمه إلا في الأخير.
الطريقة المثلى هي أن لا يظهر اسم العالم إلا في الملاحظات، لذا يجب أن تمنع نفسك من ذكره في البداية ولكن اتبع التحقيق واذكره في الأخير، كذلك نفس الشيء مع القول المأثور.
عندما تقول في آخر مقالك :"هذا الرأي، الأطروحة، المذهب ،القول الذي تبناه الطاهر بن عاشور.. الخ " يجب أن يكون سحب هذه الجملة ممكنا دون أن يتضرر الاستدلال، و القارئ المختص أو اليقظ يقوم بالربط بنفسه.

تعطيل صلاة الجماعة و إقامة الجمعة..؟

1_ الحديث هنا علمي خالص فإن الأمر بيد الحكم فحديثنا لن يقدم ولن يؤخر في شيء إلا معرفة المواقف الفقهية و تاصيلاتها.
2_ يبدو لي أن مقاربة المسألة تكون من زاويتين قبل الوصول إلى الحكم.
المقاربة الأولى لا يمكن الفصل في الفرع والأصل متنازع فيه، فمعلوم أن الصحابة ومن جاء بعدهم اختلفوا في الفرار من الطاعون،والمقصود من الطاعون هنا المعنى الثاني في النصوص يعني :الموت، أو الوباء الذي يكثر فيه الموت الجماعي.
وهذا الاختلاف مبني على موقف كل طرف من العدوى.
فمن رأى الموت لأجل والاحتراز منها شكلي نهى عن الفرار، ومن رأى أنه لا تعارض فالموت بأجل لكن أيضا بسبب اختار حجز من وقع فيهم ومنع دخول من كان خارجا عنهم.
والظاهر من الأحاديث الصحيحة كحديث عبد الرحمن بن عوف في البخاري أن الشريعة اقرت نوعا من الحجر الصحي بمنع الناس من الخروج من البلد الذي وقع فيها الوباء وهذا لا معنى له إلا منع انتشار العدوى، ومنعت من كان خارج بؤرة الوباء من القدوم عليه، وهذا كذلك لا معنى له إلا منع انتقال العدوى إليه.
و السؤال :هل الحجر على من كان في بؤرة الوباء مانع من اتخاذ تدابير بالنسبة إليهم تحمي السليم منهم من العدوى، أم تركوا لمصيرهم؟
من الحديث نفهم أن الشريعة قصدت الحماية و أخذت بالتدابير الممكنة لوقف زحف العدوى، فهل كان ممكنا لهم علما وقدرة اتخاذ تدابير حماية داخل بؤرة الوباء،؟
الشيء الوحيد الذي وجدته هو أمر عمرو بن العاص الناس بالتفرق في الأودية والشعاب عارضه شرحبيل بن حسنة بالاستسلام وقبول الأمر.
وظاهر الحديث يوافق موقف عمرو بن العاص إذ لا يمكن تبعيض الحماية فإما نذهب باتجاه تدابير الحماية في حدود المقدور عليه و إما نقبل بالاستسلام.
وعلى هذا إذا لم نجد في النصوص تدابير حماية إلا ما جاء عن عبد الرحمان بن عوف عرفنا أن الأمر يتعلق بالقدرة في فهم آليات انتقال العدوى و تدابير قطع الطريق عليها الخاصة.
وفي نظري فقد شرح كثير من العلماء مقاصد الحديث النبوي، منهم ابن القيم، قال :
: وَفِي الْمَنْعِ مِنَ الدُّخُول إِلَى الأْرْضِ الَّتِي قَدْ وَقَعَ بِهَا الطَّاعُونُ عِدَّةُ حِكَمٍ:

إِحْدَاهَا: تَجَنُّبُ الأَسْبَابِ الْمُؤْذِيَةِ، وَالْبُعْدُ مِنْهَا.
الثَّانِيَةُ: الأَخْذُ بِالْعَافِيَةِ الَّتِي هِيَ مَادَّةُ الْمَعَاشِ وَالْمُعَادِ.
الثَّالِثَةُ: أَنْ لاَ يَسْتَنْشِقُوا الْهَوَاءَ الَّذِي قَدْ عَفَنَ وَفَسَدَ فَيُصِيبُهُمُ الْمَرَضُ.
الرَّابِعَةُ: أَنْ لاَ يُجَاوِرُوا الْمَرْضَى الَّذِينَ قَدْ مَرِضُوا بِذَلِكَ، فَيَحْصُلُ لَهُمْ بِمُجَاوِرَتِهِمْ مِنْ جِنْسِ أَمْرَاضِهِمْ.
الْخَامِسَةُ: حَمَايَةُ النُّفُوسِ عَنِ الطِّيَرَةِ وَالْعَدْوَى؛ فَإِنَّهَا تَتَأَثَّرُ بِهِمَا، فَإِنَّ الطِّيَرَةَ عَلَى مَنْ تَطَيَّرَ بِهَا، وَبِالْجُمْلَةِ فَفِي النَّهْيِ عَنِ الدُّخُولِ فِي أَرْضِهِ الأَمْرُ بِالْحَذَرِ وَالْحَمِيَّةِ، وَالنَّهْيُ عَنِ التَّعَرُّضِ لأَسْبَابِ التَّلَفِ، وَفِي النَّهْيِ عَنِ الْفِرَارِ مِنْهُ الأَمْرُ بِالتَّوَكُّلِ وَالتَّسْلِيمِ وَالتَّفْوِيضِ، فَالأَوَّلُ: تَأْدِيبٌ وَتَعْلِيمٌ، وَالثَّانِي تَفْوِيضٌ وَتَسْلِيمٌ.
وَفِي الصَّحِيحِ: أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خَرَجَ إِلَى الشَّامِ، حَتَّى إِذَا كَانَ بِسَرْغَ لَقِيَهُ أَبُو عَبِيدَةُ بْنُ الْجَرَّاحِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَصْحَابُهُ، فَأَخْبَرُوهُ أَنَّ الْوَبَاءَ قَدْ وَقَعَ بِالشَّامِ فَقَالَ لاِبْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: ادْعُ لِيَ الْمُهَاجِرِينَ الأَوَّلِينَ، قَالَ: فَدَعَوْتُهُمْ، فَاسْتَشَارَهُمْ وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّ الْوَبَاءَ قَدْ وَقَعَ بِالشَّامِ، فَاخْتَلَفُوا، فَقَالَ لَهُ بَعْضُهُمْ: خَرَجْتَ لأَمْرٍ، فَلاَ نَرَى أَنْ تَرْجِعَ عَنْهُ، وَقَالَ آخَرُونَ: مَعَكَ بَقِيَّةُ النَّاسِ وَأَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلاَ نَرَى أَنْ تُقَدِّمَهُمْ عَلَى هَذَا الْوَبَاءِ،
فَقَالَ عُمَرُ: ارْتَفِعُوا عَنِّي، ثُمَّ قَالَ: ادْعُ لِيَ الأَنْصَارَ، فَدَعَوْتُهُمْ لَهُ فَاسْتَشَارَهُمْ، فَسَلَكُوا سَبِيلَ الْمُهَاجِرِينَ، وَاخْتَلَفُوا كَاخْتِلاَفِهِمْ، فَقَالَ: ارْتَفِعُوا عَنِّي، ثُمَّ قَالَ: ادْعُ لِي مَنْ هَاهُنَا مِنْ مَشْيَخَةِ قُرَيْشٍ مِنْ مُهَاجِرَةِ الْفَتْحِ، فَدَعَوْتُهُمْ لَهُ، فَلَمْ يَخْتَلِفْ عَلَيْهِ مِنْهُمْ رَجُلاَنِ، قَالُوا: نَرَى أَنْ تَرْجِعَ بِالنَّاسِ وَلاَ تُقَدِمَهُمْ عَلَى هَذَا الْوَبَاءِ، فَأَذَّنَ عُمَرُ فِي النَّاسِ: إِنِّي مُصْبِحٌ عَلَى ظَهْرٍ، فَأَصْبِحُوا عَلَيْهِ، فَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَفِرَارًا مِنْ قَدَرِ اللَّهِ؟ قَالَ: لَوْ غَيْرُكَ قَالَهَا يَا أَبَا عُبَيْدَةَ، نَعَمْ نَفِرُّ مِنْ قَدَرِ اللَّهِ تَعَالَى إِلَى قَدَرِ اللَّهِ تَعَالَى، أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ لَكَ إِبِلٌ فَهَبَطَتْ وَادِيًا لَهُ عُدْوَتَانِ، إِحْدَاهَا خِصْبَةٌ، وَالأُخْرَى جَدْبَةٌ أَلَسْتَ إِنْ رَعَيْتَهَا الْخِصْبَةَ رَعَيْتَهَا بِقَدَرِ اللَّهِ تَعَالَى، وَإِنْ رَعَيْتَهَا الْجَدْبَةَ رَعَيْتَهَا بِقَدَرِ اللَّهِ تَعَالَى؟ قَالَ: فَجَاءَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ وَكَانَ مُتَغَيِّبًا فِي بَعْضِ حَاجَاتِهِ، فَقَالَ: إِنَّ عِنْدِي فِي هَذَا عِلْمًا، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: إِذَا كَانَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلاَ تَخْرُجُوا فِرَارًا مِنْهُ، وَإِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بِأَرْضٍ فَلاَ تَقْدَمُوا عَلَيْهِ (1) .

زاد المعاد (4 / 44 - 45) . وحديث: " أن عمر بن الخطاب خرج إلى الشام " أخرجه البخاري (فتح الباري 10 / 179) ، ومسلم (4 / 1740) [نقلا عن الموسوعة الفقهية]

وهنا من كلام ابن القيم يبرز السؤال التالي :هل صلاة الجماعة من أسباب انتشار المرض و انتقاله بين سقيم وصحيح، وبالتالي هي من الأسباب التي يجب أن تجتنب؟ فهل موقف الصحابة و أقصد عدم الخبر على تعطيل صلاة الجماعة من شدة تعظيمهم الصلاة فقط، أم لسبب آخر مثل تلك هي حدود الحماية عندهم في إدراكهم خاصة مع اختلافهم في العدوى و الفرار من الوباء و إن كان رأي عمرو بن العاص بالتفرق يفيد اجتناب التجمعات.

الزاوية الثانية :هل هناك تناسب بين الوقائع الطبية و هذه الإجراءات ،فمثلا نرى أن استراتيجيات الدول مختلفة فمثل بريطانيا و هولندا اختارت المناعة الجماعية،وبدون شك لن تغامر بشعبها؟

ثم هل بلغنا مرحلة الحجر التام بحيث نمنع أي تنقل و اي تجمع فنوقف المعامل ووسائل النقل والمطاعم و المقاهي والمساحات التجارية فنلحق المساجد أم أننا لم نبلغ هذه المرحلة والناس في الطرقات في صورة عادية.

والمقصود ما المصلحة من غلق المساجد إذا كان الحجر التام ممتنعا ؟

كما نسأل ما فائدة أن لا يدخل الناس بلدا موبوءا ولا يخرجوا منه إذا جاز لهم الخروج لحاجة وجاز اجتماعهم في الصلاة، إذا كنا قادرين على تقليل الضرر في المحجور عليهم؟

ثم إذا نظرنا في مسألة الصلاة في الرحال وقد اختلف الفقهاء في اعذارها فمن طريق أولى أن يكون الوباء أعظم أسبابها ،فالجامع العقلي كيف يؤذن لمثل تلك الأسباب حيث النعال لم تبتل والريح والثلج والخوف والمرض ولا يؤذن في وباء قاتل بنسبة معينة؟

ذكر صاحب الاستقصا لاخبار المغرب أنه وقعت فتنة في فاس بعد قتل السلطان عبد المالك بن زيدان حتى عطلت الجمعة والتراويح من جامع القرويين مدة، ولم يصل به ليلة القدر إلا رجل واحد من شدة الهول.

هل هناك وسيلة لإقامة الصلاة في المسجد و الجمعة مع احترام التدابير فيمكن أن

يصلي الناس بوسائل الحماية كما يركبون ويدخلون المحلات التجارية ويمشون في الطرقات بوسائل الحماية، ويمكن الجمع بين الصلوات، فالشرط الوحيد أن يمنع من يخل بشروط الحماية من الدخول.
، وكما قال ابن القيم :الأخذ بالعافية مادة المعاش والمعاد، والأمر إلى الحاكم يقدر المصلحة وعنده مؤسسات تفتيه،والله اعلم.

الداروينية :الإنسان الأول كان موحدا!!

يقول علماء الانثروبولوجية بأن الإنسان في الوضع الأسطوري أي حالة العيش الأولى لم يكن لديه نظرية ولا رمزية ولا مجاز، ولا خرافة فقط أسلوب حياة يصل للمعنى مباشرة،يعني كان سلفيا!
وفي الواقع الأسطوري هذا الإنسان غير واع بنفسه تماما ليطلب ما ليس هو عليه الآن، فهو لا موحد ولا ملحد، موحد وملحد في نفس الوقت، إذ يحتوي الواقع الأسطوري على كل شيء ونقيضه، يعيش في المقدس المعاش.
مفهوم أنهم يبحثون عن تأصيل الإلحاد وأنه بخلاف الموقف الديني ليس دخيلا على الإنسان بل كان معه من الأيام الأولى.
والذي يهمني هنا أنهم أثبتوا أنه كان موحدا فالتوحيد لم يأت مع الديانات الثلاث فقط.
وجدوا أنه في التدين البدائي يوجد ما يسمى المانا "le mana»: وهو عند الملغاش " hasina" وعند هيرون "orenda" وعند الأوماها "wakenda" وعند الباغوندا "tilo".. الخ قوة أو تأثير فوق طبيعي يتدخل ليفعل كل ما هو فوق طاقة الإنسان العادي .
هذا التعريف يفرق بين الطبيعي والفوق الطبيعي لكن في الذهنية البدائية التوحيدية "moniste" لا يميز بين الطبيعي والفوق طبيعي (لا يفرق بين عالمين) الفيزياء والميتافيزيقا، الإنسان وبيئته شيء واحد، والانطولوجيا ليست مفكرة ولكن معاشة، لا يفصل بين المقدس وغير المقدس،يعيش في وسط متحد به، في الحي، وجزء أصلي من كل واحد، وعنده رؤية وحيدة.
تعني كلمة "mana" سلوكه التوحيدي كإنسان أمام الكون، مهيكل في وعيه يجعله يتصرف بحدس اتجاه الأشياء الطبيعية.
وبناء على هذا صنعوا الخديعة الأنثروبولوجية المتمثلة في التالي :إن كانت القوة في

الشيء فالمانا في السحر بالمعنى الخارق"magie" ، وإن كانت في روح تتحكم في الشيء تعني كلمة مانا سلوكه التوحيدي theiste فإذن الدين؟
= السحر والدين لهما نفس الأصل، وهما موقفان يمثلان الإلحاد والدين، لا أسبقية لأحدهما على الآخر، فالإلحاد أصله السحر، والدين أصله التوحيد.
2 ـ في الحقيقة في الرؤية الدينية أو الداروينية فإن التوحيد سابق على الإلحاد، والسحر لا يمثل الإلحاد لأنه إذا كان التوحيد رد الأمر إلى إله واحد فإن السحر هو مثل الذهول أمام معجزة يدل على مخالفة قانون الطبيعة، وعلى عجز قوة الإنسان العادية، ولابد منطقيا أن يرده إلى قوة ما وليس إلى غياب قوة فوقية على قوته، فهذا تكلف أنثروبولوجي واضح لإيجاد مكانة للإلحاد في أصل الإنسان الدارويني.
و المقصود أنهم مع إنكار هم الأصل الآدمي أرادوا إثبات أصالة الإلحاد في الإنسان الأول فاثبتوا أصالة التوحيد فيه !

....
المصدر :جورج مينوا، تاريخ الإلحاد، فيارد 1998،ص:18.

المسجد كمصلى والمسجد كتجمع

الموضوع"الوباء" له جانب عقدي يتعلق به كمصيبة وما تتطلب من حسن الظن بالله والصبر والتوكل عليه و التضرع إليه.
وله جانب فقهي يتعلق بأحكام المرض وحكم التدابير في الشريعة.
وله جانب علمي طبي هو الذي يقرر نوع الضرر وقدره و إجراءات مدافعته..
يمكن للفقه أن ينظر في الضرر الناجم هل هو معتبر شرعا أم لا؟
لا يمكن في مثل هذه الحالة أن ننظر للمسجد كمكان للعبادة فقط ولكن أيضا كمكان للتجمع وبالتي للعدوى فالنظر الطبي لا يتعلق بالصلاة ولكن باجتماع الناس،لم يقل إن الصلاة تمرض الناس ولكن تجمعهم؛ وعليه فالقول بأن غلق المسجد محاداة الله مجرد تهويل لا حقيقة له لأن السبب معلوم ظاهر، وهو معتبر سمعا وعقلا، بل ربما العكس

هو المذموم شرعا لأنه تعريض للخطر بدون سبب كمن يعلم أن السلطان يقتل كل من يدخل المسجد وتوجب على الناس الذهاب لحتفهم .

هنا تداخل بين موقفين :موقف لا يؤمن بخطورة هذا الوباء فيلزم منه لا جدوى من غلق المسجد لأن السبب وهمي.

وموقف منطلقه فقهي محض يرى عدم جواز غلق المسجد مهما كان، ولا دليل معه إلا عدم الخبر وعمومات عن الصلاة.

وهذا الأخير أضعف المواقف يعتمد على عدم العلم ويلغي من باله الواقع الفعلي، و لا يعتد بالضرر الحاصل أو الغالب على الظن حصوله.

وقد يقترح إجراءات للحفاظ على المساجد مفتوحة، ويظهر لي أنه عند الأزمات لا يجب أن نتوقع تصرفات استثنائية من العامة بدون رادع حقيقي ملموس.

لذا عندما نقترح حلا يجب أن يأخذ في الاعتبار حال الناس وطبائعهم ومعهود وضعهم المعرفي و المعيشي و ما يقدرون عليه بناء على ذلك و ما لا يقدرون عليه، ومن ثم لا نفعل إلا مبدأ الاحتياط لعدم ثقتنا في التجاوب وعلمنا بضعف الوعي.

واما تلك المحاججة بالمقاهي والمطاعم وعدم تجاوب الناس فهي هامشية لأن الحاكم يأمر بالمقدور عليه، ويتدرج في الإجراءات حتى يصل للقصوى وهي التي تعطل معاش الناس لهذه الضرورة.

و لئن كان المسجد أفضل بقعة على الأرض فإن الناس لا تعيش فيه بل تعيش في السوق و الشارع والمقهي أكثر ما تمكث في المسجد لذلك طبيعيا أن نجدهم في هذه الأماكن.. يعجبني بعض من كتب في الموضوع رافضا غلق المساجد كلية بدون أن يعلل فتواه ببغض الدين والمحاداة ،ولكن بما رآه فقهيا.

في وقت الأزمات والفتن والأهوال الحذر اللفظي مطلوبفي وقت الأزمات والفتن والأهوال الحذر اللفظي مطلوب

شجرة الفلاسفة الغربيين ومعيار الأخلاق والدين في الترتيب؟

مع بداية فلسفة الأنوار التي تقوم على المبادئ التالية: 1 ـ الأفكار الأساسية للأنوار هي نفسها للإنسانوية: الأنا المستقر المتناسق الواعي والعقلاني، المستقل والعالمي (كلي) بدون أي شرط، يلمس مباشرة طريقة كيف يكون الإنسان.

2 ـ العقلانية الكنطية هي الشكل الوحيد للموضوعية.
3 ـ المعرفة المنتجة بواسطة العلم هي الحقيقة الخالدة.
4 ـ العقل هو الحاكم الوحيد للصحيح في الحق والعدل والخير والجميل.
وهي فلسفة مرتبطة في الأصل مع الفلسفة الاقتصادية البريطانية والمذهب الطبيعي بدأت المؤسسة السياسية الغربية عملية إعادة رسم شجرة الفلاسفة وما تفرع عنها من علوم في وعي الإنسان الغربي.
فكلف في فرنسا الماديون مثل " ديدرو" بكتابة الموسوعة ، حيث نجد فكر " لامتري"وماديته التجريبية المادية الجذرية و فن الاستمتاع و التحرر الأخلاقي و التأثر بأبيقور، وكان هم المؤسسة فصل الأخلاق عن الدين كمعيار أولى، وثانيا: تقديم الفلسفة التي تمجد بهجة الحياة وربط السعادة بالاستمتاع بالرغبات، مثل: فلسفة أبيقور والهيدونية وفلسفة سبنوزا وكنط، على الفلسفة الدينية، ومن ثم تم تشويه فلسفة ليبنتز بواسطة فولتير في مسرحيته كانديد مع أن فلسفته فلسفة تفاؤل، والمصيبة أن فولتير لم يقرأ أساسا أعمال ليبنتز...!
وأما باسكال فردم كفيلسوف متدين، ولم يتركوا له إلا صورة الفيزيائي، ولهذا لم يجد كتابه "الأفكار" عناية حتى بسيطة إلا في الأوساط المتدينة المسيحية.
وهكذا قدم كنط كمجدد الفلسفة والفكر واعتمدت عقلانيته كمعيار في حين استبعد هيجل إلا في التيار الماركسي كما استبعد روسو بسبب فلسفتهم الاجتماعية، وأخذوا منهما القانون ونظرية الكائن الأسمى المفصول عن خلقه بالنسبة للربوبيين .
ولأن فلسفة كنط قوية المشرب من فلسفة سبنوزا اتجه تفسيرها بعده بفلسفة سبنوزا، ونحن نعلم أن فلسفة سبنوزا مادة فلسفة الأنوار في عدة عناصر مثل:
ـ الفلسفة هي الوعي بالذات والعالم والله، بوعي عقلاني حدسي، والحرية الحقيقية عندما يحصل الإنسان معرفة مطابقة لنفسه ومشاعره، و فصل الإيمان عن العقل والدولة لائكيه،كما أسس لهم نقد النص الديني بالعقل الفلسفي "exégèse"، وخضوع السلطة الدينية للسلطة المدنية (لا دينية) ،وترسيخ دولة الحرية والامن، مع الفصل الجذري بين الدين والالهيات والفلسفة، و مقدمات أسس الدولة المعاصرة ، و الفصل بين الإيمان والعقل، و الحق الطبيعي تحدده الرغبة والقوة، و الحق حاكمٌ جماعي هو الديمقراطية، يعني: عقلانية مطلقة ـ رفض إله متعالي خالق العالم ـ إنكار الحرية

والإرادة الإنسانية ـ حب الله عقليا.
فلسفة كنط تناقض خطير يتمثل في وضع الشيء في نفسه [chose en soi] كعلة [1] وهذه فكرة أخذها من فكرة الجوهر عند سبنوزا.
فأسس فلسفته على الاستقلال الأخلاقي يعني: الإنسان أصل القانون وهذا اعتباطي لا علة له وأناني، فجمع بين الاستقلال العقلي والاستقلال الأخلاقي ما يقود حتما للفردانية المعاصرة والطواف حول الذات عبادة واهتماما فينفصل الإنسان عن الواقع لأن الذات مستقلة، وكل هذا يقود إلى الاستقلالية الإنسانية، يعني: تجاوز الإنسان بوسائله وحدها الحواجز الوجودية الاجتماعية والنفسية، يعني: أداة ليبرالية لتصبح مستقلا.
والنقد المتعالي الذي هو الفكرة الجوهرية [idée force] عنده يجعل علوم الغربيين هي انعكاس لذكائهم وليس للإله، العقل لا يمكنه ان يعرف شيئا ما وراء الظواهر، فلا يمكن الانسان ان يجد مبادئ علمه الا في عقله نفسه، ولا يجب ان يجد مبادئ سلوكه الا في وعيه، فالعلم هو إفراز [sécrétion] التعقل، والاخلاق هي افراز الوعي.
وفائدة العقل ليست المعرفة ولكن الفعل، ليس له أن يحدد ما هو موجود في العالم ولكن ما يجب أن يكون من أجل الحرية.
ولأن كل الفلسفة الإلحادية بشكل او بآخر تطوف حول الحدس " نتكلم عنه في مقال خاص " فإن الانتقال من الأوليات إلى المعرفة غير ممكن إلا إذا كان الموضوع مقدما في حدس حسي.
والخلاصة: فلسفة كنط سفسطائية لأنها تقلب واقعية المعرفة كما عند بروتغاوراس يصبح الانسان مقياس كل شيء [2]
عندما انتقد شبنهاور وحدة الوجود عند سبنوزا مع أنه يجعله في شجرة الفلاسفة الحقيقيين التي تبدأ من أفلاطون و تمر على كنط لتصل إليه فلأنه تفطن إلى التخريب الأخلاقي [مع انه ملحد الإلحاد البسيكولوجي]الذي تتضمنه حيث قال : تتعارض وحدة الوجود مع الحقيقة الواقعية الأخرى المشكلة للإنسان وهي الأخلاق [الحقيقة الأخرى هي الواقع الخارجي نراه متمايزا] فالعالم بالنسبة إليهم تجليات فقط " théophanie " حيث كل أفعال الإنسان وحتى الحيوان أيضا إلهية وحسنة، لا يوجد ذم، ولا تفضيل ممكن: لا يوجد أخلاق ،وهذا ما يقتل الأخلاق [انتبه إلى التالي]

فمذهب سبنوزا هو " عالم بدون أخلاق، ما يشكل نموذجا يعتمد عليه العالم المعاصر، ومن هنا يأتي تجديد السبنوزية انطلاقا من وحدة الوجود في أيامنا متمثلا في الضعة العميقة للأخلاق ".

عودة شبنهاور على وحدة الوجود سببه أن فلسفة كنط تم إعادة توجيهها نحوم سبنوزا يقول: "بعد النقد الكنطي لكل الإلهيات الجدلية تقريبا [لهذا السبب يمجد كنط ويذم ديكارت وليبنتز] كل الناس التي تتفلسف في ألمانيا ألقوا أنفسهم على سبنوزا: كل المحاولات الفاشلة مثل التي تحت عنوان «الفلسفية ما بعد كنط " postkantienne "ليست إلا السبنوزية معدلة بدون ذوق، مغلفة بألف خطاب غير مفهوم ومشوه بطرق كثيرة" [2]

مثال آخر في علم الاجتماع:

نحن نعلم أن مؤسسي علم الاجتماع ثلاثة: فيبر، دوركهايم وسيمال، روج للأوليين وأخمد ذكر الثالث، لننظر في موقف الثلاثة من مسألة " الله تعالى"

بالنسبة لـ "دوركهايم" الله إسقاط خيالي لسلطة مطلقة للمجتمع على الأفراد، وبالنسبة لـ "فيبر" فإن فورة الديانة التوحيدية ترجمت في انسحاب الله خارج العالم المتروك مع انقضاء وهمه، يعني الامكانية للإنسان ليفكر ويعمل بطريقة مستقلة.

الإله المعاصر [يعني في هذا العصر] عند جورج سيمل بالعكس تقرب من الإنسان حتى أصبح الناطق الشخصي لشخصيته الداخلية، الحلم «rêve diffusion" مع العالم مجرد إتوبيا تغذي «أزمة الأنا " في ألمانية سنوات 1900 بعد نيتشه، بالنسبة إليه فإن وريثي قرن الأنوار «Aufklärung» أخطئوا عندما ظنوا أن نقدهم وضع حدا للرغبة في الدين عند كل معاصريهم، بنزعهم الأهلية " نقدهم "déqualifiant"المؤسسات و العقائد تركوا الفرد المعاصر متصلا بمصادره الداخلية وحدها [الفطرة] ، يعني : ما يسميه سيمل " التدينية" وهي ليست صورة باهتة للإيمان الذي يبقى حيا رغم التخلي عن المعايير و الممارسات ، لكنه استعداد داخلي للشخص للدين ، صفة دينية للروح ، لا يملكها كل الأفراد بالتساوي [لم يفرق بين أصلها و بين تغيرها فيهم [ٍ .

التأرجح الديني نحو السريرة"الباطن" مع آماله وصعوباته يوضح ما يعين به سيمل "مأساة الثقافة" حيث أن الحداثة التي تمنح للفرد مثالية إلزامية ملحة ازدهار " الأنا

الداخلي" ضاعفت في نفس الوقت الحواجز أمام هذا الازدهار، فسلام الروح غير متاح إلا لقلة من العباقرة قادرين على مقاومة المتطلبات الاجتماعية والرجوع لقوانينهم الخاصة فقط.
شخصية الله تغذي الحنين الذي يحمله كل واحد في نفسه عن استحالة الانصهار مع العالم.
إشباع الحاجة إلى "التدينية "يفرض صفة خاصة للروح تعوض ضياع شرعية المؤسسات.
يعاين سيمل "تفتت الأنا" الغربي ويركز في الفردانية على أن "التدينية" صفة للروح لذلك يبقى الإنسان دائما راغبا في الدين رغم تدمير العقائد والمؤسسات الدينية الذي وقع في الغرب كأنه يثبت أن التدينية فطرة في الإنسان.
وهنا يجب أن نوضح أنه تحت تأثير الأنثروبولوجيا لأنه لا يوجد شيء فطري في الإنسان يسمى "الميل للتدين" بل فيه ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم معرفة فطرية بالخالق تتمثل في الشعور به - وليس الشعور إلا العلم بالموجود - ومن ثم حاجة داخلية لحبه وإرادته.
وتتصل هذه الفطرة النفسية في الفطرة العقلية النظرية حيث إذا نظر في المصنوعات تحقق مباشرة أنها محدثات، وأن المحدث لا يصنع نفسه فيعلم أنها مفتقرة إلى صانع لا يعرفه إلا بالوحي فيما بعد.
فالذي في الفطرة الإنسانية هو معرفة مجملة بالخالق والإقرار بربوبيته، غير متعين بمجرد الفطرة النفسية والعقلية، فتعينه كل مجموعة بشرية في ظاهرة من الظواهر الطبيعية تكون بالنسبة إليهم هي الأقوى، بينما إذا جاء الوحي عيَّنه وعر"َفه لهم بأسمائه وصفاته وعرفوا أمره ونهيه.
الفطرة النظرية العقلية تقوم بالأساس على الفطرة النفسية لأن الإنسان حادث كائن بعد أن لم يكن، والعلم الحاصل في قلبه حادث فلو لم يحصل في قلبه علم إلا بعد علم قلبه للزم ألا يحصل في قلبه علم ابتداء فلابد من علوم بديهية أولية يبدؤها الله في قلبه غاية العلم النظري الاستدلالي أن ينتهي إليها [5]
وعليه يمتنع أن تكون الفطرة التي يتكلم عنها سيمل تحت اسم "صفة خاصة للروح" هي الميل للتدين أو التدينية لأن معنى هذا أن الله جعل الإنسان ميالا لأي دين بما في

ذلك التدين الفاسد.

وهذا ينسف أيضا من فسر الفطرة بالاستعداد للتدين، فالفطرة هي معرفة الربوبية المجملة.

..

الهامش:

1 ـ فيري في "نقد للنقود الثلاث" ص:249.

2 ـ نظرية كنط عند الوضعية الجديدة هي نظرية معرفة، وعند مدرسة ماربورج: بول ناتروب وهرمان كوهين هي فلسفة اخلاق، لكنها في الحقيقة فلسفة تحرر عقلي ـ أخلاقي.

القراءة العلمية هي قراءة أركولوجية بالدرجة الأولى، والقراءة السطحية هي القراءة الأدبية أو التي تكتفي بالمقدمات، أو تأخذ تصريحات المؤلف الخطابية بمعزل عن منطقية الأسس الفلسفية، يشرح لنا كنط في " نقد العقل الخالص" ص: 381أ أن هدف عمله الفلسفي هو حمايتنا من الخطر المادي، ويزعم أنه وجد حدود العقل، ويظن أن مذهبه يسمح " بقطع جذور المادية، الحتمية، والالحاد، واللايقين للعقول القوية «مقدمة نقد العقل الخاص"

يشبه كلامه مقدمة بركلي لكتابه [Hylas'dialogue d] عندما قال: " إذا قبلت هذه المبادئ ونظر إليها كصحيحة يستتبعها في نفس الوقت أن الالحاد والشكوكية تنهزم كلية".

كذلك يقول كنط: إقامة حصن: أن يكون العقل الإنساني خطام العالم فيكون محميا من الأضرار التي يلحقها العقل التأملي[spéculatif] بالدين " نقد العقل الخالص أ 849" وليس أضر على الدين منه.

وفي " مقدمة لكل ميتافيزيقا مستقبلية " يقول: "تحرير اللاهوت من المضاربات الدوغمائية"

لذلك يقرأ كنط بحسب المذهب الشخصي لكن فلسفته متناقضة مضطربة، حاول التلفيق بين المثالية والعقلانية والواقعية، وبين العلم والايمان ولم يقدر فانتهى إلى

اللاأدرية.
في كتابه " أسس ميتافيزيقا الآداب[ursmœ] ملاحظة نهائية «يقول: الشيء الوحيد الذي يمكن أن نفهمه من [impératif catégorique] هو عدم مفهوميته.
يقول نيتشه عن كنط: عدمي [nihiliste] بمصارين دوغمائيا مسيحية، أصبح أحمقا، حماقات" الدجال"ص:11.
والمقصود أن صورة كنط عند النخبة الإسلامية صورة مغلوطة قدمتها فلسفة الأنوار لمصلحتها، وقرينة على ان الحفر الإسلامي يتم بواسطة الغير.
3 ـ دالبوس فيكتور، من كنط إلى ما بعد الكنطية، منشورات مونتاين 1940، ص: 40 و171
4 ـ جورج سيمل، فلسفة الدين، ترجمة فريدريك جولي، نشرية إلكترونية 2016 ص: 13
5 ـ ابن تيمية، الدرء.

فقه النوازل والحجج المركبة

....
الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.
المقال طويل نوعا ما لأنه لا يمكن اختصار توجيه ابن القيم إلا قليلا ،ولأن عباراته أفضل من عباراتي.

في هذه النازلة التي حلت بنا اعتمد الفقه المانع من غلق المساجد على حجج مركبة لا يستقيم تركيبها مع بعضها بعضا، فمن جهة يؤصل لعظم قدر صلاة الجماعة والجمعة في المسجد وعدم ورود الغلق في التاريخ.
وهذا الدليل والذي هو في حقيقته مركب من دليل عام منزل على واقع خاص ومن مقدمة سلبية "عدم الدليل السمعي التاريخي" يدخل في تركيب دليل مبني على موقف بعض الصحابة والعلماء من العدوى، ولا علاقة بينهما، فالصحابة على فرض الاستقراء الواقعي التام لم يرفضوا غلق المساجد لعظم قدر الصلاة عندهم أو لكون الترك الكلي يجعل فرض الكفاية فرض عين، ولكن لأن العدوى عندهم سبب غير

مؤثر ولا معتد به، يشبه القوة القاهرة التي ليس معها إلا الاستسلام، وأن إثبات العدوى مناف للتوكل وقوة الإيمان وخصوصا للتوحيد، بل صح عن بعضهم الدعاء بأن ينال الوباء منه كما ورد عن معاذ بن جبل لأن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر أن المطعون شهيد.

ثم زادوا وركبوا ـ بعضهم ـ هذين الدليلين المركبين مع دليل ثالث هو أن الوباء مجرد مؤامرة لأنه أقل فتكا من الأنفلونزا.

في الحقيقة الاختلاف حول القضية الأساسية أي العدوى قديم وكثير لكن هذا لا يمنع من الترجيح فإن الآراء بعضها أحسن من بعض، وبعضها أوفق مع الشريعة والعقل والتجربة، ومجرد اختلاف الصحابة ليس حجة.

ومعلوم أن الكلام في مسألة العدوى دون الكلام في الأسباب المؤثرات والقدر أو السبب الجزئي والسبب الكلي يبقى بدون حل، وعقيدة أهل السنة هي تحقيق التوحيد الخالص والجمع بينه وبين إثبات الأسباب لذلك ينازعون القدر لا يستسلمون له، ولهذا قال عمر:" أفر من قدر الله إلى قدر الله " وكذلك يبنون عقيدتهم في التداوي على النصوص الشرعية التي حثت عليه وجعلت الدواء من القدر كالداء.

واما ما ثبت عن بعض الصحابة من ألفاظ تفيد الاستسلام فهي ليست من خلفية جبرية وأو سوء فهم لمسألة العدوى بل لأن الطاعون وردت فيه نصوص خاصة مثل كون الموت به شهادة، أو لبلوغهم نصوص النهي عن اعتبار العدوي مثل الأكل مع المجذوم وغيرها في مقابل النصوص التي تعتبر العدوى سببا مؤثرا بمشيئة الله.

ومع ذلك تبقى الحجة في النصوص والضرورة العقلية التي أشارت إليها فالفيروس مثله مثل سائر مخلوقات الله المعادية والضارة سبب جزئي والله هو السبب الكلي وليس منا من نظر في اللوح المحفوظ فقال: هذه قائمة بأسماء من سيموت في الوباء مهما فعلوا فعليكم بالسكون والاستسلام والرضا وهذه قائمة بأسماء من سينجو منه ولو أكلوا الوباء أكلا فافعلوا ما شئتم لن تموتوا به؟

وما دام الإنسان لا يعرف ما في اللوح المحفوظ فيجب عليه شرعا سمعيا وعقليا الأخذ بالأسباب دون ربط النجاة بها على وجه التأثير التام فالموت بسبب والنجاة بسبب.

لذا لا يمكن فصل الفقه عن العقيدة فإما يكون الترجيح من جهة صحة النصوص وإما من جهة الناسخ والمنسوخ وإما من جهة المفهوم والجمع وإزالة ظاهر التعارض بقوة

التعليل.
وقد يضيف بعضهم حجة المنحدر الزلق المتمثل في رس حجج المخالف بطريقة تقود إلى ما يعتبر كارثة، هذه المغالطة يقترن بها في الغالب التهويل والتشنيع، وهو مستعمل كثيرا في النقاش السياسي.
الصيغة العامة لهذه الحيلة هي كالتالي: إذا تقبل هذا فالباب مفتوح لكل شيء فإذا قبلت (أ) كنقطة بداية وهي شيء يوافق عليه مخالفنا يتبعه (ب) ثم (ج) ثم (د) وهكذا تباعا، من نتائج سيئة إلى نتائج سيئة إلى شيء كارثي، الحجة بطبيعة الحال هدفها أنه لا يجب علينا الموافقة على (أ).
مثال: من يسرق دجاجة يسرق بقرة (ليس بالضرورة)، إذا منحته يدك أكل ذراعك، ـإذا قبلنا الانتخاب سنعيش تحت الدكتاتورية، إذا منعنا الطعن في الثوابت سنفتح الباب على مصراعيه للرقابة وقمع حرية التعبير وعن قريب نعيش في مجتمع فاشي، إذا سمحنا بالطلاق انفجرت العائلة ومن ثم تعم الفوضى المجتمع وتزول الحضارة، إذا فعلت استثناءا لأجلك فسأضطر لفعل ذلك لكل الناس، إذا أجزنا للتلاميذ الهاتف ماذا يكون بعد ذلك: الخناجر أم المخدرات. ...؟
وهي حجة لا تعمل بدون أختها فزاعة التبن المتمثلة في التالي: إذا قال أحدهم: أنا ضد السياحة الأجنبية في البلد، أقول له: لم أنت ضد مصلحة بلدك وازدهاره.
أو إذا قلت: أنا ضد الخدمة الإجبارية، قيل: لم أنت ضد أمن بلدك.
فإذا قلت: يجب غلق المساجد، قيل لك: هذه مكانة الصلاة عندك، والعكس صحيح نقول لمن يرى عدم جواز غلق المساجد أنك تريد قتل الناس.
القاعدة هنا: أنه يجب علينا الدفاع عن أطروحة المخالف بطريقة صادقة وليس تقديمها في صورة ضعيفة أو سخيفة.
لقد تكلم ابن القيم _أحسن ما وجدته في الباب _عن مشكلة العدوى في "زاد المعاد" لكنه أبدع في "مفتاح دار السعادة" وإليكم ملخص الأرضية التي يمكن أن نرجح بها قول من أثبت العدوى سببا شرعيا للحجر الصحي ومنع اختلاط الناس حتى في المساجد:
تعريف الطاعون:
أولا: لَمَّا كَانَ الطَّاعُونُ يَكْثُرُ فِي الْوَبَاءِ، وَفِي الْبِلَادِ الْوَبِيئَةِ، عُبِّرَ عَنْهُ بِالْوَبَاءِ، كَمَا قَالَ

الخليل: الْوَبَاءُ الطَّاعُونُ. وَقِيلَ: هُوَ كُلُّ مَرَضٍ يَعُمُّ، وَالتَّحْقِيقُ أَنَّ بَيْنَ الْوَبَاءِ وَالطَّاعُونِ عُمُومًا وَخُصُوصًا فَكُلُّ طَاعُونٍ وَبَاءٌ، وَلَيْسَ كُلُّ وَبَاءٍ طَاعُونًا، وَكَذَلِكَ الْأَمْرَاضُ الْعَامَّةُ أَعَمُّ مِنَ الطَّاعُونِ فَإِنَّهُ وَاحِدٌ مِنْهَا، وَالطَّوَاعِينُ خُرَّاجَاتٌ وَقُرُوحٌ وَأَوْرَامٌ رَدِيئَةٌ حَادِثَةٌ فِي الْمَوَاضِعِ الْمُتَقَدِّمِ ذِكْرُهَا.

ثانيا: وَالطَّاعُونُ يُعَبَّرُ بِهِ عَنْ ثَلَاثَةِ أُمُورٍ:

أَحَدُهَا: هَذَا الْأَثَرُ الظَّاهِرُ، وَهُوَ الَّذِي ذَكَرَهُ الْأَطِبَّاءُ.

وَالثَّانِي: الْمَوْتُ الْحَادِثُ عَنْهُ، وَهُوَ الْمُرَادُ بِالْحَدِيثِ الصَّحِيحِ فِي قَوْلِهِ: («الطَّاعُونُ شَهَادَةٌ لِكُلِّ مُسْلِمٍ»)

الثَّالِثُ: السَّبَبُ الْفَاعِلُ لِهَذَا الدَّاءِ، وَقَدْ وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ: («أَنَّهُ بَقِيَّةُ رِجْزٍ أُرْسِلَ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ») ، وَوَرَدَ فِيهِ " أَنَّهُ وَخْزُ الْجِنِّ " وَجَاءَ أَنَّهُ دَعْوَةُ نَبِيٍّ.[زاد المعاد]

إشكالات العدوى في الفقه والعقيدة:

أعني: التعارض بين نصوص العدوى حيث فرقت جماعة بين العدوى بمعنى التضرر ليس من المرض نفسه و لكن من نتائجه ممثلة في عدوى الجذام و السل و النقب وهو توجه غير معقول بتاتا قال ابن القيم : " وَالْأَطِبَّاءُ تَأْمُرُ أَنْ لَا يُجَالَسَ الْمَسْلُولُ، وَلَا الْمَجْذُومُ، وَلَا يُرِيدُونَ بِذَلِكَ مَعْنَى الْعَدْوَى، وَإِنَّمَا يُرِيدُونَ بِهِ مَعْنَى تَغَيُّرِ الرَّائِحَةِ، وَأَنَّهَا قَدْ تُسْقِمُ مَنْ أَطَالَ اشْتِمَامَهَا، وَالْأَطِبَّاءُ أَبْعَدُ النَّاسِ عَنِ الْإِيمَانِ بِيُمْنٍ وَشُؤْمٍ، وَكَذَلِكَ النُّقْبَةُ تَكُونُ بِالْبَعِيرِ - وَهُوَ جَرَبٌ رَطْبٌ - فَإِذَا خَالَطَ الْإِبِلَ، أَوْ حَاكَّهَا وَأَوَى فِي مَبَارِكِهَا، وَصَلَ إِلَيْهَا بِالْمَاءِ الَّذِي يَسِيلُ مِنْهُ، وَبِالنَّطَفِ نَحْوَ مَا بِهِ، فَهَذَا هُوَ الْمَعْنَى الَّذِي قَالَ فِيهِ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: («لَا يُورَدُ ذُو عَاهَةٍ عَلَى مُصِحٍّ») كَرِهَ أَنْ يُخَالِطَ الْمَعْيُوهُ الصَّحِيحَ؛ لِئَلَّا يَنَالَهُ مِنْ نَطَفِهِ وَحِكَّتِهِ نَحْوٌ مِمَّا بِهِ" و هذا إقرار بالعدوى ضمنيا و رفضها لفظيا فقط .

والجنس الثاني من العدوى يتعلق بالطاعون وتأويل الحديث الصحيح «إذا وقع في بلد" متناقض فالذين أمروا بالبقاء في البلد الذي وقع فيه الطاعون فحتى لا يظنون أن الفرار من قدر الله ينجيهم من الله، وبالنسبة لمن كانوا خارج محل الوباء فالعلة هي سكون القلب وطيب العيش فإن إدراك أمر الله العباد في أي مكان من هذا الوجود فالعلة للمجموعة الثانية هي نفسها للمجموعة الأولى لأن من تمنعه من دخول البلاد

المصابة سيظن أن الوقاية حمته من العدوى، وهذا في غاية الوضوح.
سينتقل ابن القيم في التعليل مرحليا باستقراء مختلف المواقف العلمية إلى أن يصل إلى التوليف الذي يمثل الموقف الشرعي الصحيح.
وذهب قوم بأن الأمر باجتناب المجذوم والفرار منه على الاستحباب وأما الأكل معه ففعله لبيان الجواز وأن هذا ليس بحرام، وسنلاحظ أن كل المذاهب في المسألة لا تنفي سببية العدوى وتميل إلى أن الشريعة أمرت بتدابير الوقاية منها، وذهبت فرقة أخرى إلى أن الخطاب بهذين الخطابين جزئي لا كلي ، يعني أن النبي صلى الله عليه و سلم خاطب كل واحد بحسب حاله الإيماني فمن كان إيمانه قوي و توكله جعلها سببا لدفع قوة العدوى ومن كان ضعيفا خاطبه بالاحتياط و الأخذ بالتحفظ ، وضرب مثلا بالكي كيف فعله و مدح من تركه و هو نفسه فعل الاثنين لتقتدي به الأمة ، وهذا التوجيه و إن كان حسنا فإنه يعني شيء واحد هو ان الاحتياط يلزم الجميع و التوكل حالة خاصة لا يلزم بها الإنسان إلا نفسه لان العامة أكثر من الخاصة.
وذهبت فرقة أخرى إلى أن الأمر بالفرار منه لأمر طبيعي وهو انتقال الداء منه بواسطة الملامسة والمخالطة والرائحة إلى الصحيح لكن هذا يكون من تكرير المخالطة والملامسة له وأما إذا اكل معه مقدارا يسيرا من الزمان لمصالحة راجحة فلا بأس به، يعني: لا تحصل العدوى من مرة واحدة فنهى سدا للذريعة وحماية للصحة وخالطه للحاجة والمصلحة فلا تعارض بين الأمرين، وهذا أمر يبدو لي يعود إلى مستوى إدراكهم المعرفي لمسألة العدوى و ربما يصلح على بعض المراض دون بعض لكن يجعل مخالطة المريض لمصلحة و حاجة فقط فينزل على الأطباء و الممرضين مثلا.
وقالت طائفة بأن المجذوم الذي أكل معه به جذام يسير لا يعدي مثله وليس الجذمى كلهم سواء والعدوى خاصة منهم جميعهم، وهؤلاء يفرقون بين درجة المرض وهو معتبر مثلا في الإبولا الذي لا يعدي حتى تظهر الاعراض " النزيف" لا يصلح في مثل فيروس كورونا.
وعللت فرقة أخرى بأن الجاهلية كانت تعتقد أن الأمراض المعدية تعدي بطبعها من غير إضافة إلى الله سبحانه فأبطل النبي صلى الله عليه و سلم اعتقادهم بذلك و أكل مع المجذوم ليبين أن المرض من الأسباب التي جعلها الله مفضية إلى مسبباتها ففي نهيه

إثبات الأسباب و في فعله بيان أنها لا تستقل بشيء فهي متوفقة على مشيئة الله إن شاء أبقى تأثيرها و إن شاء سلبه ،ولهذا نجد أن المريض تدخل عليه جماعة فيعدي بعضهم ولا يعدي بعضهم الاخر لسبب ما قد يكون استعداد بدون هذا وعدم استعداد بدن الآخر بمناعة او غيرها.

ووجهت فرقة الأخرى التعارض بأن هذه الأحاديث فيها الناسخ والمنسوخ فينظر في تاريخها فنعمل بالناسخ وإلا توقفنا فيها، قلت: يصعب التوقف في مسألة تعم بها البلوى.

وذهب آخرون إلى أن بعض النصوص محفوظ وبعضها غير محفوظ وتكلموا عن حديث " لا عدوى" وان أبا هريرة كان يرويه أولا ثم شك فيه فتركه وراجعوه فيه فأبى أن يحدث به، قال أبو سلمة: فلا أدري أنسي أبو هريرة أم نسخ أحد الحديثين الآخر.

وأما حديث جابر:" أن النبي صلى الله على وسلم أخذ بيد مجذوم فأدخلها معه في القصعة " فحديث لا يثبت ولا يصح، وغاية ما قال فيه الترمذي: إن غريب لم يصححه ولم يحسنه، وقال شعبة وغيره: اتقوا هذه الغرائب. زاد المعاد 4/139 بتصرف.

ـ و ذهب آخرون إلى التفريق بين ما يخبر به النبي صلى الله عليه و سلم عن وحي وهو الخبر المعصوم و بين ما يخبر به عن ظنه من أمور الدنيا التي هم أعلم بها منه ، فهذا الحديث ليس في رتبة النوع الأول ولا تثبت له احكامه وساقوا قصة تأبير النخل حيث قال:" غنما أخبرتكم عن ظني و انتم أعلم بأمر دنياكم و لكن ما اخبرتكم عن الله " و هذا من ادلة النبوة و اعلامها كما شرحه ابن القيم .

قَالُوا: فَهَكَذَا إِخْبَاره عَن عدم الْعَدْوى إِخْبَار عَن ظَنّه كإخباره عَن عدم تَأْثِير التلقيح لَا سِيمَا وَأحد الْبَابَيْنِ قريب من الآخر بل هُوَ فِي النَّوْع وَاحِد فَإِن اتِّصَال الذّكر بِالْأُنْثَى وتأثره بِهِ كاتصال المعدى بالمعدي وتأثره بِهِ وَلَا ريب أَن كلهما من أُمُور الدُّنْيَا لَا مِمَّا يتَعَلَّق بِهِ حكم من الشَّرْع فَلَيْسَ الْإِخْبَار بِهِ كالإخبار عَن الله سُبْحَانَهُ وَصِفَاته وأسمائه وَأَحْكَامه قَالُوا فَلَمَّا تبين لَهُ من أَمر الدُّنْيَا الذى أجْرى الله سُبْحَانَهُ عَادَته بِهِ ارتباط هَذِه الأسباب بَعْضهَا بِبَعْض التلقيح في صَلَاح الثِّمَار وتأثير إيرَاد الممرض على المصح أقرهم على تأبير النّخل ونهاهم أَن يُورد ممرض على مصح قَالُوا :وَإِن

سمى هَذَا نسخاً بِهَذَا الِاعْتِبَار فَلَا مشاحة في التَّسْمِيَة إذا ظهر الْمَعْنى .
وَلِهَذَا قَالَ أَبُو سَلمَة بن عبد الرَّحْمَن فَلَا أدرى أنسى أَبُو هُرَيْرَة أَو نسخ أحد الْقَوْلَيْنِ بِالْآخرِ يعْنى بحَديثه بِالْحَدِيثين فجوز أَبُو سَلمَة النّسخ في ذَلِك مَعَ أَنه خبر وَهُوَ بِمَا ذكرنَا من الِاعْتِبَار.
قال ابن القيم: وَهَذَا المسلك حسن لَوْلَا أَنه قد اجْتمع الفصلان في حَدِيث وَاحِد كَمَا في موطآ مَالك أَنه بلغه عَن بكير بن عبد الله ابْن الْأَشَج عَن ابْن عَطِيَّة أَن رَسُول قَالَ لَا عدوى ولاصفر ولايحلل الممرض على المصح وليحلل المصح حَيْثُ شَاءَ، قَالُوا وَمَا ذَاك يَا رَسُول الله فَقَالَ: رَسُول الله إِنَّه أَذَى.
وَقد يُجَاب عَن هَذَا بجوابين: أَحدهمَا أَن الحَدِيث لَا يثبت لوَجْهَيْنِ: أَحدهمَا إرْسَاله وَالثَّانِي أَن ابْن عَطِيَّة هَذَا وَيُقَال أبوعطية مَجْهُول لَا يعرف إِلَّا فِي هَذَا الحَدِيث.
الْجَواب الثَّانِي: قَوْله فِيهِ " لاعدوى" نهى لَا نفى أي لَا يعدى الممرض المصح بحلوله عَلَيْهِ وَيدل على ذَلِك مَا رَوَاهُ أَبُو عمر النمرى حَدثنَا خلف بن الْقَاسِم حَدثنَا مُحَمَّد بن عبد الله حَدثنَا يحيى بن مُحَمَّد بن صاعد حَدثنَا أَبُو هِشَام الرفاعى حَدثنَا الْبشر بن عمر الزهرانى قَالَ :قَالَ مَالك أَنه بلغه عَن بكير بن عبد الله بن الْأَشَج عَن أَبى عَطِيَّة أَو أبن عَطِيَّة شكّ بشر عَن أَبى هُرَيْرَة قَالَ قَالَ رَسُول الله لاطيرة ولاهامة وَلَا يعدى سقم صَحِيحا وليحل المصح حَيْثُ شَاءَ خفى هَذَا النهى كالإثبات للعدوى والنهى عَن أَسبَابهَا وَلَعَلَّ بعض الروَاة رَوَاهُ بِالْمَعْنَى فَقَالَ لَا عدوى وَلَا طيرة وَلَا هَامة وَإِنَّمَا مخرج الحَدِيث النهى عَن الْعَدْوى لَا نَفيهَا .
وَهَذَا أَيْضا حسن لَوْلَا حَدِيث ابْن شهَاب عَن أَبى سَلمَة بن عبد الرَّحْمَن عَن أَبى هُرَيْرَة قَالَ: قَالَ رَسُول الله فَمن أعدى الأول فَهَذَا الحَدِيث قد فهم مِنْهُ السَّامع النَّفْي وَأقرهُ عَلَيْهِ، وَلِهَذَا أستشكل نَفْيه وَأورد مَا أوردهُ فَأَجله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم بِمَا يتَضَمَّن إبِطَال الدَّعْوَى وَهُوَ قَوْله:" فَمن أعدى الأول".
وَهَذَا أصح من حَدِيث أبي عطية الْمُتَقَدّم.
ثم نصح ابن القيم بالعودة إلى مسلك التلقيح المذكور آنفا او ما قبله من المسالك، ثم شرع في بيان مسلكه هو، وهو مسلك بديع يقوم على أصول الاعتقاد القرآني ويلم كل فروع المسألة تحت نفس الأصل، قال:
وَعِنْدِي فِي الْحَدِيثين مَسْلَك آخر يتَضَمَّن إِثْبَات الْأَسْبَاب وَالْحكم ،وَنفي مَا كَانُوا عَلَيْهِ

من الشّرك واعتقاد الْبَاطِل، وَوُقُوع النَّفْي وَالْإِثْبَات على وَجهه فَإِن الْعَوام كَانُوا يثبتون الْعَدْوى على مَذْهَبهم من الشّرك الْبَاطِل كَمَا يَقُوله المنجمون من تَأْثِير الْكَوَاكِب فِي هَذَا الْعَالم وسعودها ونحوسها كَمَا تقدم الْكَلَام عَلَيْهِم وَلَو قَالُوا :أَنَّهَا اسباب أَو اجزاء اسباب إِذْ شَاءَ الله صرف مقتضياتها بمشيئته وإرادته وحكمته ،وَأَنَّهَا مسخرة بِأَمْرِه لما خلقت لَهُ ،وَأَنَّهَا فِي ذَلِك بِمَنْزِلَة سَائِر الْأَسْبَاب الَّتِي ربط بهَا مسبباتها وَجعل لَهَا أسبابا أخر تعارضها وتمانعها وتمنع اقتضاءها، لما جعلت أسبابا لَهُ ،وَإِنَّهَا لَا تقضي مسبباتها إِلَّا بِإِذْنِهِ مَشِيئَته وإرادته.

لَيْسَ لَهَا من ذَاتهَا ضرّ وَلَا نفع وَلَا تَأْثِير الْبَتَّة، إِن هِيَ إِلَّا خلق مسخر مصرف مربوب لَا تتحرك إِلَّا بِإِذن خَالِقهَا ومشيئته، وغايتها أَنَّهَا جُزْء سَبَب لَيست سَببا تَاما فسببيتها من جنس سَبَبِيَّة وَطْء الْوَالِد فِي حُصُول الْوَلَد فَإِنَّهُ جُزْء وَاحِد من أَجزَاء كَثِيرَة من الْأَسْبَاب الَّتِي خلق الله بهَا الْجَنِين، وكسببية شقّ الأَرْض وإلقاء الْبذر فَإِنَّهُ جُزْء يسير من جملَة الْأَسْبَاب الَّتِي يكون الله بهَا النَّبَات.

وَهَكَذَا جملَة أَسبَاب الْعَالم من الْغذَاء والرواء والعافية والسقم وَغير ذَلِك وَأَن الله سُبْحَانَهُ جعل من ذَلِك سَببا مَا يَشَاء وَيبْطل السَّبَبِيَّة عَمَّا يَشَاء، ويخلق من الْأَسْبَاب الْمُعَارضَة لَهُ مَا يحول بَينه وَبَين مُقْتَضَاهُ فهم لَو أثبتوا الْعَدْوى على هَذَا الْوَجْه لما أنكر عَلَيْهِم.

كَمَا أَن ذَلِك ثَابت فِي الدَّاء والدواء ،وَقد تداوى النَّبِي وَأمر بالتداوي ،وَأخْبر أَنه مَا أنزل الله دَاء إِلَّا أنزل لَهُ دَوَاء إِلَّا الْهَرم ،فأعلمنا أَنه خَالق أَسبَاب الدَّاء وَأَسْبَاب الدَّوَاء الْمُعَارضَة المقاومة لَهَا، "وأمرنا بِدفع تِلْكَ الْأَسْبَاب الْمَكْرُوهَة بِهَذِهِ الْأَسْبَاب، وعَلى هَذَا قيام مصَالح الدَّاريْنِ بل الْخلق وَالْأَمر مَبْنِيّ على هَذِه الْقَاعِدَة " فَإِن تَعْطِيل الْأَسْبَاب وإخراجها عَن أَن تكون أسبابا تَعْطِيل للشَّرْع ومصالح الدُّنْيَا.

والاعتماد عَلَيْهَا والركون إِلَيْهَا واعتقاد أَن المسببات بهَا وَحدهَا، وَأَنَّهَا أَسبَاب تَامَّة شرك بالخالق عز وَجل، وَجَهل بِهِ، وَخُرُوج عَن حَقِيقَة التَّوْحِيد.

وَإِثْبَات مسببيتها على الْوَجْه الَّذِي خلقهَا الله عَلَيْهِ وَجعلهَا لَهُ إِثْبَات لِلْخلقِ وَالْأَمر للشَّرْع وَالْقدر للسبب والمشيئة للتوحيد وَالْحكمَة، فالشارع يثبت هَذَا وَلَا يَنْفِيه ،وينفي مَا عَلَيْهِ الْمُشْركُونَ من اعْتِقَادهم فِي ذَلِك ،وَيُشبه هَذَا نَفْيه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الشَّفَاعَة فِي قَوْله:" وَاتَّقوا يَوْمًا لَا تجزى نفس عَن نفس شَيْئا وَلَا يقبل مِنْهَا شَفَاعَة وَلَا يُؤْخَذ مِنْهَا

عدل "وَفِي الْآيَة الْأُخْرَى:" وَلَا تنفعها شَفَاعَة "،وَفِي قَوْله:" من قبل أَن يَأْتِي يَوْم لَا بيع فِيهِ وَلَا خلة وَلَا شَفَاعَة"، وإثباتها فِي قَوْله:" وَلَا يشفعون إِلَى لمن ارتضى" وَقَوله: من ذَا الَّذِي يشفع عِنْده إِلَّا بإذنه"، وَقَوله: لَا يملكُونَ الشَّفَاعَة إِلَّا من اتخذ عِنْد الرَّحْمَن عهدا ".

فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ نفى الشَّفَاعَة الشركية الَّتِي كَانُوا يعتقدونها وأمثالهم من الْمُشْركين وَهِي شَفَاعَة الوسائط لَهُم عِنْد الله فِي جلب مَا يَنْفَعهُمْ وَدفع مَا يضرهم بذواتها وأنفسها بِدُونِ توقف ذَلِك على إِذن الله ومرضاته لمن شَاءَ أَن يشفع فِيهِ الشافع فَهَذِهِ الشَّفَاعَة الَّتِي أبطلها الله سُبْحَانَهُ ونفاها، وَهِي أصل الشّرك كُله، وقاعدته الَّتِي عَلَيْهَا بِنَاؤُه، وأخبيته الَّتِي يرجع إِلَيْهَا.

وَأثبت سُبْحَانَهُ الشَّفَاعَة الَّتِي لَا تكون إِلَّا بِإِذن الله للشافع وَرضَاهُ عَن الْمَشْفُوع قَوْله وَعَمله، وَهِي الشَّفَاعَة الَّتِي تنَال بتجريد التَّوْحِيد، كَمَا قَالَ:" أسعد النَّاس بشفاعتي من قَالَ لَا إِلَه إِلَّا الله خَالِصا من قلبه «، والشفاعة الأولى هِيَ الشَّفَاعَة الَّتِي ظَنّهَا الْمُشْركُونَ وَجعلُوا الشّرك وَسِيلَة إِلَيْهَا فالمقامات ثَلَاثَة:

أَحدهَا: تَجْرِيد التَّوْحِيد وَإِثْبَات الْأَسْبَاب، وَهَذَا هُوَ الَّذِي جَاءَت بِهِ الشَّرَائِع وَهُوَ مُطَابق للْوَاقِع فِي نفس الْأَمر.

الثَّانِي: الشّرك فِي الْأَسْبَاب بالمعبود كَمَا هُوَ حَال الْمُشْركين عَليّ اخْتِلَاف أصنافهم.

الثَّالِث: إِنْكَار الْأَسْبَاب بِالْكُلِّيَّةِ مُحَافظَة من منكرها على التَّوْحِيد، فالمنحرفون طرفان مذمومان: إِمَّا قَادِح فِي التَّوْحِيد بالأسباب، وَأما مُنكر للأسباب بِالتَّوْحِيدِ.

وَالْحق غير ذَلِك وَهُوَ إِثْبَات التَّوْحِيد والأسباب وربط أَحدهمَا بِالْآخرِ، فالأسباب مَحل حكمه الديني والكوني، والحكمان عَلَيْهَا يجريان، بل عَلَيْهَا يَتَرَتَّب الْأَمر والنهى وَالثَّوَاب وَالْعِقَاب ورضى الرب وَسخطه، ولعنته وكرامته.

والتوحيد تَجْرِيد الربوبية والإلهية عَن كل شرك فإنكار الْأَسْبَاب إِنْكَار الْحِكْمَة، والشرك بهَا قدح فِي توحيده، واثباتها والتعلق بِالسَّبَبِ والتوكل عَلَيْهِ " الله" والثقة بِهِ وَالْخَوْف مِنْهُ والرجاء لَهُ وَحده هُوَ مَحْض التَّوْحِيد.

والمعرفة تفرق بَين مَا أثْبته الرَّسُول وَبَين مَا نَفَاهُ، وَبَين مَا أبْطلهُ وَبَين مَا اعْتَبرهُ، فَهَذَا لون وَهَذَا لون وَالله الْمُوفق للصَّوَاب."انتهى

وبعد ان أثبت أن النفي والإثبات لم يتواردا على محل واحد فيما يخص الأحاديث

الصحيحة ثم أخذ يمثل رحمه الله بالنهي عن وطء الغيل، والعزل.
وختم بأن كلام النبي صلى الل ه عليه وسلم يصدق بعضه بعضا ويشهد بعضه لبعض فالاختلاف والإشكال والاشتباه إِنَّمَا هُوَ فِي الإفهام إِلَّا فِيمَا خرج من بَين شَفَتَيْه من الْكَلَام.
وَالْوَاجِب على كل مُؤمن أَن يكل مَا أشكل عَلَيْهِ إِلَّا أصدق قَائِل وَيعلم أَن فَوق كل ذِي علم عليم وَأَنه لَو اعْترض على ذِي صناعَة أَو علم من الْعُلُوم الَّتِي استنبطتها معاول الأفكار وَلم يحط علما بِتِلْكَ الصِّنَاعَة وَالْعلم لَا ندرى على نَفسه وأضحك صَاحب تِلْكَ الصِّنَاعَة وَالْعلم على عقله.
وَالنَّبِيّ يذكر الْمُقْتَضى فِي مَوضِع وَالْمَانِع فِي مَوضِع آخر، وَيثبت الشَّيْء وينفي مثله فِي الصُّورَة وَعَكسه فِي الْحَقِيقَة، وَلَا يُحِيط أَكثر النَّاس بِمَجْمُوع نصوصه علما وَيسمع النَّص وَلَا يسمع شَرطه وَلَا مَوَانِع مُقْتَضَاهُ وَلَا تَخْصِيصه، وَلَا ينتبه للْفرق بَين مَا أثْبته ونفاه، فينشأ من ذَلِك فِي حَقه من الاشكالات مَا ينشأ.
وينضاف هَذَا إِلَى عدم معرفَة الْخَاص بخطابه ومجارى كَلَامه، وينضاف إِلَى ذَلِك تَنْزِيل كَلَامه على الاصطلاحات الَّتِي أحدثها أَرْبَاب الْعُلُوم من الْأُصُولِيِّينَ وَالْفُقَهَاء وَعلم أَحْوَال الْقُلُوب وَغَيرهم فَإِن لكل من هَؤُلَاءِ الاصطلاحات حَادِثَة فِي مخاطباتهم وتصانيفهم فَيَجِيء من قد ألف تِلْكَ الاصطلاحات الْحَادِثَة وسبقت مَعَانِيهَا إِلَى قلبه فَلم يعرف سواهَا فَيسمع كَلَام الشَّارِع فيحمله على مَا أَلفه من الِاصْطِلَاح فَيَقَع بِسَبَب ذَلِك فِي الْفَهم عَن الشَّارِع مَا لم يردهُ بِكَلَامِهِ ،وَيَقَع من الْخلَل فِي نظره ومناظرته مَا يَقع.
وَهَذَا من أعظم أَسبَاب الْغَلَط عَلَيْهِ مَعَ قلَّة البضاعة من معرفَة نصوصه فإذا اجْتمعت هَذِه الْأُمُور مَعَ نوع فَسَاد فِي التَّصَوُّر أَو الْقَصْد أوهما مَا شِئْت من خبط وَغلط واشكالات واشتمالات وَضرب كَلَامه بعضه بِبَعْض وَإِثْبَات مَا نَفَاهُ وَنفي مَا أثْبته وَالله الْمُسْتَعَان.
ثم شرع في تحقيق قضية المجذوم فقال: " فَلَا ريب أَنه روى عَن النَّبِي أَنه قَالَ:" فر من المجذوم فرارك من الْأسد "، و"َأرْسل إِلَى ذَلِك المجذوم أَنا قد بايعناك فَارْجِع، وَأخذ بيد مجذوم فوضعها فِي الْقَصعَة، وَقَالَ: كل ثِقَة بِاللَّه وتوكلا عَلَيْهِ".
وَلَا تنَافِي بَين هَذِه الْآثَار، وَمن أحَاط علما بِمَا قدمْنَاهُ تبين لَهُ وَجههَا، وَأَن غَايَة ذَلِك أَن مُخَالطَة المجذوم من أَسبَاب الْعَدْوى، وَهَذَا السَّبَب يُعَارضهُ أَسبَاب آخر تمنع اقتضاءه

فَمن أقواها التَّوَكُّل على الله والثقة بِهِ فَأَنَّهُ يمْنَع تَأْثِير ذَلِك السَّبَب الْمَكْرُوه.
[الشرط]: وَلَكِن لَا يقدر كل وَاحِد من الْأمة على هَذَا فَأَرْشَدَهُمْ إِلَى مجانبة سَبَب الْمَكْرُوه والفرار والبعد مِنْهُ، وَلذَلِك أرسل إِلَى ذَلِك المجذوم الآخر بالبيعة تشريعا مِنْهُ للفرار من أَسبَاب الْأَذَى وَالْمَكْرُوه وَأَن لَا يتَعَرَّض العَبْد لأسباب الْبلَاء.
ثمَّ وضع يَده مَعَه فِي الْقَصعَة فَإِنَّمَا هُوَ سَبَب التَّوَكُّل على الله والثقة بِهِ الَّذِي هُوَ من أعظم الْأَسْبَاب الَّتِي يدْفع بهَا الْمَكْرُوه والمحذور تَعْلِيما مِنْهُ للْأمة دفع الْأَسْبَاب الْمَكْرُوهَة بِمَا هُوَ أقوى مِنْهَا ،وإعلاما بِأَن الضَّرَر والنفع بيد الله عز وَجل فَإِن شَاءَ أَن يضر عَبده ضره وَإِن شَاءَ أَن يصرف عَنهُ الضّر صرفه، بل إِن شَاءَ أَن يَنْفَعهُ بِمَا هُوَ من أَسبَاب الضَّرَر ويضره بِمَا هُوَ من أَسبَاب النَّفْع فعل ليتبين الْعباد أَنه وَحده الضار النافع، وَأَن أَسبَاب الضّر والنفع بيدَيْهِ ،وَهُوَ الَّذِي جعلهَا أسبابا .
وَإِن شَاءَ خلع مِنْهَا سببيتها ،وان شَاءَ جعل مَا تَقْتَضِيه بِخِلَاف الْمَعْهُود مِنْهَا ليعلم أَنه الْفَاعِل الْمُخْتَار، وَأَنه لَا يضر شَيْء وَلَا ينفع إِلَّا بِإِذْنِهِ ،وَأَن التَّوَكُّل عَلَيْهِ والثقة بِهِ تحيل الْأَسْبَاب الْمَكْرُوهَة إِلَى خلاف موجباتها ،وتبيين مرتبتها وَأَنَّهَا محَال لمجاري مَشِيئَة الله وحكمته ،وَأَنه سُبْحَانَهُ هُوَ الَّذِي يضْربهَا وينفع لَيْسَ إِلَيْهَا ،وَلَا لَهَا من الْأَمر شَيْء ،وَأَن الْأَمر كُله لله، وَأَنَّهَا إِنَّمَا ينَال ضررها من علق قلبه بهَا ووقف عِنْدهَا
.... فالتوحيد من أقوى أَسبَاب الْأَمْن من المخاوف والشرك من أعظم أَسبَاب حُصُول المخاوف وَلذَلِك من خَافَ شَيْئا غير الله سلط عَلَيْهِ وَكَانَ خَوفه مِنْهُ هُوَ سَبَب تسليطه عَلَيْهِ وَلَو خَافَ الله دونه وَلم يخفه لَكَانَ عدم خَوفه مِنْهُ وتوكله على الله من أعظم أَسبَاب نجاته مِنْهُ."مفتاح دار السعادة 2/269
وعليه ثبت أن الأخذ بالأسباب لا ينافي التوحيد، بل هو جزء منه إذا كان الاعتقاد صحيحا، فالنصوص الصحيحة أقرت العدوى ووجهت إلى تدابير الحماية من المرض والأذى مما هو مصلحة ثابتة للناس وجاءت نصوص أخرى لتصحح العقيدة والفهم وليس لتنفي النصوص الأولى.
وبهذا يظهر أن تعليل رفض غلق المساجد من هذا الجانب ضعيف جدا والأولى الذهاب إلى علل أخرى مثل كون القضية مبالغ فيها أو غير ذلك بحسب ما يبدو لأصحاب هذا الاتجاه
وإذا صح التعليل بالعدوى ووجهت النصوص إلى تدابير الحماية منها بالفرار والحجز

وعدم ادخال مصح على مريض واتخاذ مسافة من المريض كما في مبايعته صلى الله عليه وسلم للمجذوم جاز اتخاذ الإجراءات التي تحقق هذه المصلحة بحكم التقدم العلمي في الطب وعلم العدوى وإن لم يتخذها المتقدمون للأسباب التي وضحت.
الصورة :العلم ألوان ومع المتقدمين نحتاج أن نبقى في المدرسة إلى انقضاء الأجل.

شيطان كورونا..!

طبيعي جدا أن يغلب على الناس الحديث عن هذا الأمر فحيثما وليت سمعك وبصرك لن ترى إلا تلك الصورة الزرقاء أو الحمراء لدائرة باشواك كأنه لغم بحري مجهري؟!
أنت الآن تحت سيل من الأخبار والمعلومات قد تفجر أي حاسوب قوي لو كانت لديه أحاسيس ومشاعر إنسانية.
وكلها أخبار سلبية سوداوية تجعلك تحت الصدمة.
و بطبيعة الحال زيادة على تعليمات الوقاية والتي من كثرتها ستسلبك أقوى حماية لديك: منطقية عقلك ومناعةجسمك لأن الخوف والقلق والهلع يدع العقل بدون حس سليم ويفقده توازنه ويضعف مناعة الإنسان.
لقد وضعنا بين معلومات ونقيضها :الكمامة تنفع ولا تنفع، تحتاجها فئة ولا تحتاجها فئة أخرى، المطهر الكحولي كل نصف ساعة، كل ساعتين، كلما أردت حك أنفك أو عينك لكن كثرة استعماله مضرة بالجلد.
ونفس الشيء بالنسبة للقفاز حامل الفيروس اكثر من اليد و أنت أصلا لا يمكنك رميه لاتملك منه الآلاف؟!
الفيروس يعيش على الأسطح الرطبة 09 أيام ويعلق بحذائك فانزعه عند دخول البيت و أنت أصلا تسكن في عمارة!
و الفيروس يعيش على الثياب، وفي الهواء فعقم ثيابك وانزعها عند دخول البيت ويمكن أن الفيروس دخل معها فيجب تعقيم البيت، و الالبسة والخضر والفواكه؟!
وفي الخارج اتخذ مسافة حماية من كل شخص و.. الخ.
المعلومات التقنية عن الفيروس معقدة بالنسبة إليك و متناقضة ،و عن انتشاره، والأدوية كانت ممنوعة أصبحت متاحة، و اللقاح على مخاض، ويجب أن تتزود بالسلع و أصلا لم يبق لديك إلا ربعةدورو؟!

الساسة ينصحون، والاطباءينصحون، والعشابة ينصحون بالتوابل وتسخين الجسم والكل ينصح، و أهلك في البيت يكادون يثورون عليك كلما استجد خبر قصفتهم به!
و بطبيعة الحال تسمع التشكيك لكن الوقائع الطبية المعلنة تدفعها في اللاشعور.. الخ
أظن انك لن تستطيع مجاراة الأمر وتحتاج إلى تعقيم عقلك ونفسك من هذه الأخبار والمعلومات و إلا ستصاب بوسواس قهري، أو تموت بسكتة قلبية أو دماغية!
اجتنب قنوات الأخبار إلا مرة في اليوم لمدة قصيرة جدا، وخذ بتدابير الحماية التي تقدر عليها، و أحسنها النظافة بعد تصحيح عقيدتك، والخروج للحاجة فقط بدون هستيريا، واشغل نفسك بالمطالعة وقراءة القرآن ومتابعة برامج مفيدة بعيدة عن الكورونا، و إن كنت موفقا اجتهد في العبادة.
كن عاقلا فقط.
و أرجو انك ستضحك من نفسك بعد انقضاء هذا الأمر.

مظاهر التدين و ما بعد العلمانية.. ؟

....
ماذا يفعلون بالدين، هذا الشيء الذي يتنافس الكل في العالم المعاصر لإقصائه، أخلاقه التي تشكل حاجزا أمام إزدهار الأشخاص"التحرر الفجوري".
هذا الشيء الذي تصوره السياسة على أنه نظام تسلط، و تقول عنه بعض العلوم الموجهة بأنه وهم، ويحمِّله التاريخ المقروء بعين واحدة أنه سجل تشريع العنف، لكنه يقاوم بثبات محاولات القضاء عليه.. ؟!
يقاوم، لا كبقية طعام على مائدة، قصاصة من ورقة ، لا كحجر في رواسب ترابية ، لا كشاهد لماض مضى حتما ولكن كمورد تعبئة ،مصدر لمعنى وشرعية العمل الجماعي، أداة لبناء الذات رغم كل شيء.
هذا السؤال يجري على طول القرن، كان حاضرا في أوروبا سنة 1900 م في قلب بروز علم الاجتماع الذي وعد بعد كنط و أحسن منه برد الحق إلى العالم بدون الرجوع للإلهيات ولا الميتافزيقا.
هذا الذي قدروا له أن يختفي أمام آفاق المعاصرة ثابت الحضور في كل مكان، في كل زمان؟!

لأنهم اخترعوا علوم الاجتماع، اجتماعيات الدين والانثروبولوجية يجب عليه أن يرتعد.
بالعكس ها هو يقول لهذه العلوم :تنقصك الأدوات، أعيدوا النقاش مع سلفكم الذين تحاولون التنصل منهم.
اوغست كونت صور تاريخ البشرية على أنه تتابع ثلاث عهود أو دول :الدولة الدينية التي أعقبت الدولة الميتافزيقية والتي يجب عليها ترك المكان للدولة الوضعية الخاضعة للعلوم المادية.
علماء الانثروبولجية و الفيلولوجيون يعاندون في وصف الديانات عاجزين عن فهم المشترك بينها، والذي يشكل ماهية التدين "الفطرة".
مؤرخو الديانات يتسألون ما المكانة التي نعطيها للحقيقة الدينية، كيف نصف تاريخ العقائد التي تقاوم النقد التاريخي؟
ماذا نفعل مع هذا الدين الذي قال لنا :لا يمكنكم أن تطبقوا علي نفس المنهج الذي طبقتموه على التوراة والإنجيل؟
لا يمكن استبعاد الدين من النقاش حول أي موضوع، الثقافة، العلم ،الحرية ،المرأة، الدولة... الخ.
يتحدى الدين التفسير العلمي له، يظهر لهم أنه أعلى من علومهم، أنه باختصار معاصر وليس شيئا بليدا. [02]
بعد النقاش سنة 2004 بميونيخ بين الفيلسوف يورغن هابرماس و الكاردينال راتزينجر (الذي أصبح فيما بعد البابا) أقر واعترف هابرماس الملحد والعقلاني الجذري أن بعض الأفكار أو القيم الجوهرية لا يمكنها أن تصاغ في لغة الفلسفة والعقل فقط ،و أنها تجد تعبيرا أفضل في تعبير الدين.
ما شكَّل ضربة فلسفية مجمدة للأنوار الفلسفية.
بالجملة هذا يعني عند تحويله إلى مجال العلوم الاجتماعية فإن مصطلح "ما بعد العلمانية" يرمز إلى التخلي او النسبية أو الوضع في حالة شك لنظرية العلمنة.
يقدر المختصون أنها لم تعد تصلح إلا لأوروبا الغربية، وحتى هناك هي في حالة ضعف، لكن في كل مكان آخر في الحقيقة تقوية لميزان الدين و الممارسة الدينية هو ما أصبحنا نشاهده.

كما كتب عالم الاجتماع المشهور الأمريكي بيتر برجر "لا يزال العالم متدينا بشراسة كما كان دائما، وفي بعض الأماكن كما لم يكن عليه من قبل".
لكن كيف ذلك؟ تحت أي شكل؟ بطريقة فردية أم كما كان جماعية؟ بالقطيعة مع الديانات الموروثة أم في طريقها؟
متصلا بالسياسي أم في خارجه أو بجانبه؟
أصبحت القيم الدينية تثور وتظهر في الفضاء العام، وفرضت نفسها في النقاش السياسي الأكثر مركزية و حرارة.
هل يجب تشريع الزواج للجميع أم لا؟ هل نسمح أم نمنع الحجاب الإسلامي والنقاب؟ كيف نفعل مع مظاهر الصلاة خارج المساجد؟ [01]
هذه الحملات على النقاب ولباس السباحة للمسلمات في الغرب،وتكاثر المساجد ،وتحول التمثيل الإسلامي إلى المحليين وليس المغتربين فقط، المضايقات التي يتعرض لها المسلمون في شرق آسيا،رد الفعل العنيف لبعض المسلمين.. الخ و إن كان في المجال السياسي يعبر عن عنصرية وخوف ومتاجرة وحيرة فإنه في مجال القراءة في العلوم الاجتماعية يمثل مقاومة الدين الحاضر للعلمانية، و أنه صار يضرب أركانها في عقر دارها، يتقدم و يتوسع بالعا كل أشكال التدين الأخرى، فارضا نفسه في كل مجال، معيدا مناقشة سؤال الأخلاق والقانون والدولة والحضارة.
النظرة المادية الليبرالية لكل شيء ارتدت على نفسها فأدخلت الإسلام حتى عالم الموضة و الرفاهية، عاد الدين كموضوع فوق المعاصرة و الحداثة.
العلمانيون عندنا يعانون من تأخر ثقافي، لا يوجد لديهم تطبيق لتحديث العلم.

....

الهامش :

1 _ الدين العودة، بين العنف والسوق والسياسة، موس العدد 49، ص: 03.

2 _ دونيس بوليتي ،فلسفة الدين لسيمل ،ص:04 بتصرف

يذكِّرنا العلماني أنه يمكن للإنسان أن يكون أدنى من الأنعام العلماني عندنا بقايا ثقافة تحتضر

التفكير بالثنائية

.....

يبقى الطالب في عموميات مجملة إذا لم ير أن الكلمة تغطي عكسا "نقيضا" ،وأنها لا تفكر إلا بالنظر إليه، فمثلا "الإنسان" ليس له ضد، كذلك "نسر " لكن بعض التصورات لها نقيض بخلاف أخرى.

لهذا نقول : يتضرر تفكيرك من إخطاء الثنائية.

فمثلا: عندما نجد كلمة "لذة" فمن الضروري أن نربطها بـ «ألم"، و إذا وجدنا في النص "السلام " يجب أن نفكر مباشرة في مصطلح "حرب" إذن ننظر إلى الثنائية بينهما.

وهذه الطريقة تسمح لنا أولا باستخراج العلاقة مع بقية المفاهيم، ومن توسيع مجال المعنى، وهذا ما يثري الفكرة.

ثانيا :عندما نعجز عن تعريف شيء فعلى الأقل نعرف عكسه لنقف على التعارض،مثل :الإهانة عكس الإكرام.

فكثير من التصورات تعمل في داخل تمثل ثنائي، يعني: نفكر فيها بالنظر إلى عكسها مثل: خير /شر، لذة /ألم، آمل /يأس، ممكن /مستحيل، عقلاني /لا عقلاني.. الخ وهذا حال غالبية المعالم الفلسفية نجدها ثنائية.

لذا يجب دائما التساؤل إذا لم يكن في مصطلحات موضوع ما تصورات ثنائية عندها نضع جدولا لتدقيق التضاد فإنه مهم.

لكن انتبه وتذكر أن الثنائية التصوراتية هي في نفس الوقت خدعة، او لا توجد إلا في التصورات لا في الواقع، وعليه يجب بعد ذلك الذهاب وراء التعارض الثنائي الذي يميل في الغالب إلى أن يكون أكثر شدة يوقع فيما يسمى "منطقية مانوية ".

باختصار :اهتم جيدا بدراسة أنواع التقابل.

تغيُّرات في العلمانية بسبب الإسلام..؟!

(المساواة بين الجنسين والحرية الجنسية)

.....

بظهور الإسلام لفلاسفة الغرب منذ حوالي قرنين "تاريخ بداية الاستشراق" وبعد

مرحلة العصبية و التشويه نسف كل المناهج التي اعتمدتها الحداثة لدراسة الديانات فوقع الباحثون بين الاندهاش والإعجاب، وبين الإنكار والعناد والتحامل، و تشتتوا منهجيا بحيث اخترع كل واحد لنفسه منهجا يدرس به الإسلام، وهكذا فقدت مناهجهم المعيارية، وهذا سنقف عنده مفصلا قريبا جدا.

وليس هذا فقط فبعد أن برز الإسلام للغرب إعلاميا قامت العلمانية بإدراج بعض الأفكار فيها كأفكار مؤسسِة لها بينما هي في الحقيقة متأخرة عن نشوئها لتواجه بها خصيصا الإسلام!

جوان ولاش سكوت "Joan Wallach Scott" أستاذة أمريكية مختصة بفرنسا، من أوائل المنظرين للجنس كأداة تحليل في البحوث التاريخية، نشرت مؤخرا "سياسة الحجاب" هولندا. 2017

في كتابها "الجنس والعلمانية" صحافة جامعة برنستون، 2017، الترجمة الفرنسية فلاماريون، 2018.

عنوان النسخة المترجمة "دين اللائكية".

الكاتبة تستعمل مصطلح "علمانية" و المترجمة جوال ماريلي استعملت مصطلح "لائكية" لأن الكتاب يدرس الحالة الفرنسية.

كذلك يجب الانتباه أننا نستعمل كلمة "جنس" بمعنى النوع مثل "ذكر _أنثى" وبمعنى "الجماع "وليس النكاح لأنه يستعمل في العلاقة الشرعية فقط.

تحت عنوان "الدين والعلمانية" قالت :

فكرة أن العلمانية هي ازدهار المرأة غير صحيحة كلية فعند دراسة تاريخ الجنس "النوع" في فرنسا تذهل من الخطاب السياسي الذي يدعي أن مساواة الجنسين قيمة جوهرية في الديمقراطية منذ الثورة الفرنسية.

في الحقيقة مساواة الجنسين غائبة في الوثائق المؤسسِة للديمقراطيات الغربية، حتى عندما تُستدعى مبادئ حقوق الإنسان العالمية، لم تصبح قيمة مركزية بالنسبة للسياسيين الفرنسيين إلا من بداية القرن الحالي، وفقط من أجل تسجيل المعارضة للإسلام،هذا ما يظهر في قانون 1905 للفصل بين الكنيسة والدولة.

تحت عنوان "خطاب العلمانية" أكدت أن قضية المساواة الجنسية تدخل في ادبيات "صدام الحضارات" فُهم خطاب العلمانية على أنه مرادف للعملية المقدَمة كانتصار

الأنوار على الدين، لكن الاستعمال الأخير لهذا الخطاب هو كبديل وضعي ليس لكل الديانات ولكن للإسلام فقط.

في هذا الخطاب العلمانية هي ما يضمن الحرية و مساواة الجنسين بينما الإسلام مرادف للقمع.

فكرة صامويل هتينغتون في 1993 تجعل النصرانية الغربية في مواجهة الإسلام، في صراع ممتد منذ 1300 سنة بحسبه.

لكن كثر استعمال الصيغة "صدام الحضارات" خاصة بعد 11/09/2001 فقُدمت العلمانية والمساواة بين الجنسين كدليل على التفوق الغربي بالنسبة للإسلام كله.

وهكذا سنة 2003 قال برنارد ستازي رئيس لجنة التفكير حول تطبيق مبدأ اللائكية في الجمهورية: إن فرنسا لا يمكنها السماح للمسلمين بإضعاف "قيمها المؤسسة "والتي من بينها: الفصل بين الكنيسة والدولة، المساواة بين المرأة والرجل، والحرية للجميع.

في نفس السنة فسر مختصا السياسة الامريكيان: رونالد إنجلهارت و بيبا نوريس أن صدام الحضارات الحقيقي يتعلق بالمساواة بين الجنسين والحرية الجنسية .

بحسب هذين المؤلفين فإن الأوامر الدينية في الإسلام تقود إلى رفضها.

يظهر بوضوح أن المساواة بين الجنسين المرفوعة اليوم كبمدأ أساسي وثابت للعلمانية لم تكن إطلاقا ضمن الاستخدامات الأولى لهذه الكلمة "العلمانية الفرنسية".

في الحقيقة فإن عدم المساواة بين الجنسين كانت أساسية في صياغة الفصل بين الكنيسة والدولة التي تفتتح عصر المعاصرة الغربية.

سأذهب بعيدا بأن أقترح أن الحداثة الأورو-أطلنطية تضمنت نظاما جديدا لخضوع وتبعية النساء، اللواتي خصصنا للدائرة العائلية المؤنثة، المفروض منهن تكميل المجالات الذكورية والعقلانية للسياسة والاقتصاد.

عندما برز الإسلام في نهاية القرن العشرين مع الجدل عن "صدام الحضارات" أصبحت المساواة بين الجنسين أول اهتمام للعلمانية، بينما لحد الآن من الصعوبة بمكان تحديد ماذا نعني بالمساواة بين الجنسين لأن معنى هذا التعبير يقوم بشكل عريض على الوضع في تعارض مع الإسلام وعلى حسابه"ليس لها مفهوم مفصول عنه".

حجج هذا الكتاب هي مختصرا كالتالي :
1 _ الفكرة التي بحسبها المساواة بين الجنسين متأصلة في منطق العلمانية خاطئة.
2 _ اليوم مثل سابقا هذا التأكيد الخاطئ تاريخيا مستعمل لتبرير دعاوى التفوق العرقي والديني للبيض، للغرب وللمسيحية.
3 _ تستخدم بكيفية لصرف الانتباه عن مجموعة صعوبات مستمرة مرتبطة بالاختلافات بين الجنسين ،صعوبات تشترك فيها الأمم الغربية وغير الغربية ،النصرانية وغير النصرانية ،مهما كانت مختلف الطرق التي تحاول بها حلها.
عدم مساواة الجنسين ليست فقط "تحت-منتج" لبروز الأمم الغربية المعاصرة المتميزة بالفصل بين العام والخاص ،السياسي والديني ،هي بالعكس في قلبها نفسِه، و العلمانية هي الخطاب المكلف بحل هذه الصعوبات.
معنى ذلك :عدم المساواة بين الجنسين وفقا للثنائية الغربية التي تضع الأشياء في معارضة بخلاف الإسلام الذي يضع المرأة في مواجهة الرجل تحت مبدأ "الشقائق" كامنة في قلب الحضارة الغربية.
.....

المراجع

1 _ العلمانية كخطاب سياسي لنفس الكاتبة من كتابها "هذا الهوس الفرنسي بالحجاب" ترجمة فرنسواز فوغاس، أوريون ،أفريل 2016.
_ الدراسة الأكثر شهرة، جوديتث بوتلر، اضطرابات في الجنس، الفيمنيزم وتخريب الهوية، 1990، ترجمة سنثيا كروس، باريس، لا ديكوفرت. 2006
التي قالت :"لنتوقف عن الاعتقاد بأن اللائكية تضمن المساواة بين الجنسين ".

"إن المعونة تأتي من الله للعبد على قدر المؤنة وإن الصبر يأتي من الله على قدر المصيبة" رواه البزار والبيهقي.
نسأل الله بأن لا يجمع علينا الجهل و ضعف الوسائل مع شدة البلاء

شبح العقلانية..؟

....

من طبع الإنسان أن لا يلتفت إلى الأرقام فمن يخاف ركوب الطائرة لا يبالي بالإحصائيات التي تقول بأن إحتمال الموت في طائرة أقل بكثير من احتمال الموت في سيارة.

يميل الإنسان إلى تصديق المعلومات التي تؤكد اعتقاداته من التي تنفيها.

السرديات التي يبنيها دماغنا يمكن أن تكون متسقة إلى درجة كبيرة وفي نفس الوقت هي خاطئة كلية.

فهم ومعرفة معالجة خداع الادراكي جوهري لأن تأثيرها على الفهم و القرار كبير جدا.

ولهذا كان ابن تيمية كثيرا ما يستشهد بهذا الأثر: ((إن الله يحب البصر الناقد عند ورود الشبهات، ويحب العقل الكامل عند حلول الشهوات)).

العقل ليس قوة ذهنية منطقية مجردة فقط بل تؤثر في عمله وتوجهه النفس؛ وهذا ما قاله أبو عبد البصري كما نقله عنه ابن تيمية في " الدرء" عن أسباب قوة العقل وبصيرته:

" كلما استعملَ العبدُ عقلَهُ و عمِلَ بعلمِهِ و أخلصَ في عملِهِ و صفا ضميرُهُ و جالَ بفهمِهِ في بصيرةِ العقلِ و ذكاءِ النفسِ و فِطنةِ الروحِ وذهنِ القلبِ، وقَوى يقينُهُ و نفَى شكَهُ و ضبطَ حواسَهُ بالآدابِ النبويةِ، وقامَ على خواطرِهِ بالمراقبَةِ، وتحرَى تركِ الكذبِ في الأقوالِ و الأفعالِ، و صارَ الصدقُ موطِنَهُ و ذهبَ عنهُ الرياءُ و العُجبُ، و أظهرَ الفقرَ إلى اللهِ، وتبرأَ من حولِهِ و قُوتِهِ و ذكائِهِ وفهمِهِ، ولزِمَ الخدمةَ، و قامَ بحُرمَةِ الأدبِ، وحفِظَ الحدودَ والإتباعَ، وهربَ من الابتداعِ زادَ اللهُ في معرفَتِهِ وقَويت بصيرتُهُ."

السباحة في بحر ما لا يمكنك فهمه.. ؟

.....

بحسب تجربتي تبدأ المصائب في الأحباب تنهال على الإنسان في الغالب عندما يتجوز الثلاثين ويقترب من الأربعين قبل ذلك يغلب على حياته العافية و الفرح و البهجة ولو في فقر، تعكِّرها تجارب عاطفية في الصداقة و الزخات الأولى لخواطر

الحب مع إخفاقات دراسية أو مهنية ، لكن البلاء الحقيقي الذي يكون بعد الثلاثين ، هنا يزداد تعلق الإنسان بالبحث عن أسبابه ومحاولة فهمها، فيبدأ يفتش في حقيقة الحظ و الصدفة، و يصير حاله كخشبة تافهة تسوقها أمواج بحر عاتية إلى حيث لا يدري ،وهي ترفعه تارة و تخفضه أخرى يمحق نفسه و يفقد كبرياءه.
يبحث في أعماقه عن علة تصلح للحكم الذي نزل به، يفتِّش طيات ماضيه، يقيس نفسه بغيره، ثم يدخل مرحلة تبرير أفعاله، يتأوَّل لها ليجعل الأمر خارجا عن طاقته، يرسم بدقة العبقري المخارج حتى ينتشي بالنتيجة لأنها في الغالب يرافقها قدر جديد، مدد من الله فيه مسرات، رحمةً منه عندما يبلغ عقل الإنسان أقصاه ، وتوشك النفس على القفز في بئر اللامبالاة أو الإلحاد، فيظن حينئذ أن الأمر قد انتهى، هذه بداية حياة جديدة، مكتوب جديد؟
ثم تبدأ دورة جديدة من الصراع مع نفسه، تنتقل فيه المعركة من زوايا نفسه المظلمة التي لم يسبق له زيارتها ،إلى أغوار الفضاء، إلى فعل الله،حيث تتشابك الخيوط ويسحق حكم الله كل علة و سبب، ولا يبقى من صور الكون ماثلا بين عين المسكين إلا إرادة الجبار القهار فيعجز بدون معونة الشرع عن فهم المجمل منها، يراوده الإلحاد حتى يخشى على نفسه منه إن كان مؤمنا،يحاول أن ينتشلها من اللوم، كالغطَّاس يقطع النفس و يصمد في أعماق الشكوك، يتشبث بإيمانه قدر المستطاع ، لكن الخيط رفيع ،و اليقين تآكل مع البلاء، وممرات تفسير الكون لا نهاية لعددها، أُيها يسلك؟ ، تتهاطل عليه الأسئلة التي لا إجابة عليها، يأبى باطن عقله الاسترسال معها لأنه مربوط بالبديهة و الضرورة،و البديهة أقوى من أي سؤال لا جواب عليه، فهذه الدقة المتناهية الدقة التي اكتشفها من نفسه ،و من هذا الكون:عظمة الخلق ودقة تفاصيله يذوب معها العقل في تتبع مسالكها ، فلا يبقى منه إلا الضرورة: لكل فعل فاعل، ويجب أن تتوقف سلسلة الفاعلين و إلا كان الجنون و استحال الوجود.
وهنا يغتنم الشيطان فرصته و يلقيه في الحزن على الماضي و التأنيب على الاختيارات و الشك في الفعل الإلهي في جدواه وعدالته ، و سلاح الشيطان الوحيد هو محاكمة فعل الله إلى رغبتك الجامحة في السعادة وطرد الهم وفي السلامة من الآفات و المحن، يريد أن يبعدك عن ركائز الإيمان بالتضليل في التفاصيل، ولن يكون خلاصك في إيجاد الجواب التفصيلي لجزئيات حياتك لأنك لن تجده في هذا العالم،هو

في عالم آخر يحتاج إلى عقل آخر، إلى معاينة اليقين في عالم الملكوت حيث تقف ذليلة كل الأسباب المادية عند عتبة الحسن و البهاء و الجمال في فعل الله فلا تجهد نفسك ،الحل هو في إدراك عظمة الفاعل و صفاته .

أن تعرف أنه يحب خلقه لأنه يحب صفاته، و أنه لا يريد إلا ما يحبه محبة عامة، ولا يريد إلا لحكمة محبوبة لديه فلا يفعل عبثا، ولا يظلم مثقال ذرة، لا يريد بك ومنك إلا خيرا.

الشيء الوحيد الذي تفهمه في هذا العالم السفلي هو فيزياء نفسك: شهواتها و حبها وغضبها و أحوالها، و أنها خاضعة لمدار رسمه الخالق الحكيم كما يخضع كل جرم سماوي لكتلته و لجاذبية أكبر منه، لا يدور في مدار يختاره هو، كذلك أنت حياتك في أمر الله: حكمه الشرعي و ليس في حكمه الكوني.

على قدر معرفتك بالله يكون تعظيمك للرب تعالى في القلب، وأعرف الناس بالله: أشدهم له تعظيما وإجلالا.

وقد ذم الله تعالى من لم يعظمه حق عظمته، ولا عرفه حق معرفته، ولا وصفه حق صفته: { مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا } [نوح: 13]

معناه: لا ترجون لله عظمة، ما لكم لا تعظمون الله حق عظمته، لا تخافون لله عظمة؟ ابن القيم؛مدارج السالكين.

يعرف المخلوق الضعيف الفاني الله من طريقين: من طريق آياته في الكون، و ما يكشفه لنا من الغيب في النفس و الآفاق، ومن طريق الخبر الشرعي.

{أوَلم ينظروا في ملكوتِ السَّماوات و الأرضِ وما خلقَ الله من شيءٍ} [الأعراف]

{قلِ انظروا ماذا في السَّماوات و الأرضِ،وما تُغني الآياتُ و النُّذُرُ عن قومٍ لا يؤمنونَ} [

يونس][1]

فكيف به هو سبحانه، لا نحصي ثناء عليه هو كما أثنى على نفسه.

فعن أي تعليل لأمره أخي تبحث؟

و أي قدر و قضاء قدَّره و قضاه تريد أن تفهم أسبابه و لوازمه وعواقبه؟!

استسلم أنت لا شيء في عظمته؛ نازع باقداره أقداره ،من الممتنع لذاته أن يحيط علمك بشيء من علمه إلا بما شاء فكيف بعلمه كله!

يكفيك أن تعلم أن من هذه عظمته رحمان رحيم، عادل، لا يظلم مثقال ذرة، حليم يعفو عن الإساءة، و يجازي عن الحسنة.
لا يمكن أن يفهم من عرفَ بعض اللوازم فِعلَ من عرف كل اللوازم إلى نهايتها، هذه حقيقة فلا تدع الشيطان يخدعك.
....
1 _ هذه بعض المعلومات عن حجم ما في السماوات :
مجرتنا:مجرة درب اللبان(La Voie lactée)، قطرها أكثر من 100 ألف سنة ضوئية ، تحتوي ما بين 200 و 400 مليار نجمة أو 234 /مر نجمة ، فيها 4 /مر شمس ، على الأقل 100/ من تشبه شمسنا.
تنتمي مجرة اللبان إلى مجموعة مجرات تسمى" المجموعة المحلية"(Groupe local) يحتوي مجرتين كبيرتين: مجرة اللبان و مجرة أندروميدا، وحوالي 25 مجرة صغيرة قزمة (galaxies naines).
المجرات القزمة التابعة للمجموعة المحلية،الأقرب من مجرتنا هي مجرة الكلب الكبير(Grand Chien) تبعد عنا حوالي25 ألف سنة ضوئية، و42 ألف سنة ضوئية عن مركز مجرتنا،تتبعها مجرة (galaxie du Sagittaire) بحوالي80 ألف سنة ضوئية ثم غيمة مجالان الكبرى(Grand Nuage de Magellan) و الغيمة الصغرى(le Petit Nuage de Magellan) بحوالي 179 ألف و 210 ألف سنة ضوئية.
وهذه المجموعة المحلية هي نفسها تابعة إلى تنظيم نجمي أوسع " ركام مجرات" يسمى "ركام العذراء"(amas de la Vierge) هو نفسه في وسط تنظيم نجمي أوسع "فوق ركام" (superamas) يسمى " فوق ركام العذراء"(superamas de la Vierge).
وهناك مجموعات مجرات أخرى تابعة لركام العذراء مجاورة للمجموعة المحلية،من ضمنها "مجموعة مافي(Maffei) ومجموعة(M81) ومجموعة النحات (groupe du Sculpteur.) .
تبعد الشمس حوالي 26 ألف سنة ضوئية عن مركز المجرة،وعن الأرض مسافة (149 597 870 km1) وهي وحدة قياس فضائية (ua) يستغرق الضوء للوصول

إلينا 8 دقائق و19 ثانية .
تبلغ الطاقة المنبعثة منها في كل ثانية ما مقداره انفجار 400 /من قنبلة نووية.
ـ الثقب الأسود (trou noir) أنواع، ينشأ بعد انهيار جاذبي لنجم ضخم، يسمى حينئذ (trou noir stellaire) ، الثقب السوداء الموجودة في قلب المجرات تبلغ كتلتهم بعض ملايير المرات كتلة الشمس،(trou noir supermassif) أو (trou noir galactique)،وهناك:(trous noirs intermédiaires)،و(trous noirs primordiaux).
بعض هذه الثقوب السوداء يختزن طاقة قدرها 20 /من شمس،ولا ندري ما وراء ذلك،(وَما قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ وَالسَّماواتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحانَهُ وَتَعالى عَمَّا يُشْرِكُونَ) [الزُّمَرِ: 67]
هذا خلق الله ،ومع ذلك تبقى عظمة الله بعيدة عن تصورنا، عجزنا عن تصور عظمة خلقه فكيف به؟!
جاء في الحديث: " أُذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ مَلَكٍ مِنْ مَلَائِكَةِ اللَّهِ مِنْ حَمَلَةِ الْعَرْشِ، إِنَّ مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ إِلَى عَاتِقِهِ مَسِيرَةُ سَبْعِ مِائَةِ عَامٍ " وما قدر السماوات إلى عرشه إلا كحلقة ملقاة في فلاة كما في الأثر:" مَا السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ فِي الْكُرْسِيِّ إِلَّا كَحَلْقَةٍ فِي أَرْضٍ فَلَاةٍ، وَفَضْلُ الْعَرْشِ عَلَى الْكُرْسِيِّ كَفَضْلِ تِلْكَ الْفَلَاةِ عَلَى تِلْكَ الْحَلْقَةِ ".

مأزق الدولة الحديثة في الأزمة الصحية...؟

....
الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله.
خارج الموضوع: العواقب السياسية والاقتصادية في الدول الغربية أكثر من العلمية الطبية هي ما سيقدم كل الإشارات المهمة عن ظاهرة هذا الفيروس،عن استراتيجية مواجهته ؟! ، وأما الاجتماعية فقد وقعت.
قبل فيروس كورونا كان الحديث في الغرب، في الدول الاجتماعية يدور حول التشخيص المتشائم عن "أزمة دولة الرفاهية الاجتماعية" ومحاكمة ضد الدولة الموزعة للثروات تحت شعار "إصلاح الدولة".
وقد تمكنت آلة المصالح الليبرالية من إقناع النخبة السياسية من كل التيارات وموظفي

الدولة والمثقفين والصحفيين وحتى النقابيين لتغطية هذا الإصلاح للدولة، وبمساعدة كبيرة من وكالات الإشهار.
وبطبيعة الحال لم يكن المقصود من هذا الإصلاح الليبرالي للدولة الاجتماعية إلا الخدمات العمومية حيث توجهت هذه الدول إلى خصخصة البريد، تقليص ميزانية المستشفى والتعليم العمومي.. الخ
أكثر هذه الإصلاحات مرت غير مرئية من القطاع العريض من الشعب، لم يشعر بها إلا عمال القطاع الذي أصابته، فكانت المعارضة لها محتشمة غير منسقة لأن الإعلام المتواطئ لم يغطها.
تم تمريرها بالمراسيم والتوجيهات الحكومية التي لا يسمع بها المواطن تحت أسماء ضبابية وسرية، فلم يشعر بهذه المراسيم والتوجيهات الحكومية إلا المتضرر بنتائجها.
في نهاية هذا المسار لإصلاح الدولة المزعوم ضربت الخدمات الاجتماعية والمصالح العمومية يعني: النموذج الاجتماعي الذي قامت عليه الدولة الحديثة: الجمهورية والديمقراطية والعدل والمساواة وخدمة المجتمع.
في هذه العملية قام الاتحاد الأوروبي بإفلاس الرقابة العمومية على الاقتصاد، وأصبحت المنافسة والتي هي في غالب الأحيان غير أخلاقية القيمة الأساسية الوحيدة.
فشاهدنا إعادة صهر الخدمة العمومية للتشغيل workfare، ونمت ثقافة النتائج:
تحديث الشرطة بإنقاص عددها وتكثير الكاميرات في الساحات العمومية فتكاثر مناطق الظل، وأصبح المستشفى مريضا بالربحية [1]
وحاولت الحكومات الالتحاق ببريطانيا وأمريكا في الطب بسرعتين: طب الأغنياء وطب الفقراء، مع أن النظام الطبي في فرنسا وألمانيا نشأ على النموذج البيسماركي حيث تمثل ميزانية الصحة من 11 إلى 16 % من الدخل القومي الخام.
في حين حافظت ألمانيا على قوة منظومتها الصحية بتدابير جانبية أهمها بقاء أهم الصناعات الصيدلانية والطبية على أراضيها انهار النظام الصحي في فرنسا التي أغلقت 100 ألف سريرا في عشرين سنة، وحتى أدوات الفحص الطبي عن الفيروسات أصبحت تستوردها، والشركة الوحيدة التي تنتجها على أراضيها مملوكة بالأغلبية لشركة أمريكية وجهت منتوجها لأمريكا.
أكبر مصنع لأجهزة التنفس الاصطناعي شركة air liquide بمداخيل تقدر بـ 33

مليار دولارا سنويا والبلد يشكو من عجز رهيب، لا يملك إلا ستة آلاف سرير إنعاش لما يقرب من 70 مليون نسمة.

بلد الموضة لا يصنع الكمامات الطبية لأنه يستورد الفلتر من الصين، وكل المواد الفعالة التي تدخل في صناعة الدواء يستوردها من الهند أو الصين مع أنه يملك شركاء دواء كبرى لأنه من أجل الربح بيد العمل الرخيصة رحَّل صناعته إلى هذه البلدان.

الإدارة الرأسمالية للتعليم وخاصة لقطاع الصحة كشف فيروس كورونا محدوديتها ولا أخلاقيتها.

بدون شك ستكون هناك محاسبة سياسية كبيرة في الدول الغربية، سيعاد النظر في مفهوم مركزية الإنسان وبيئته في سياسة الدولة، وهل الاقتصاد هو كل شيء وبأي ثمن، وهل هناك اقتصاد آخر لا يقوم على المضاربات المالية في البنوك والبورصات؟

هذا النموذج الليبرالي للدولة الحديثة الذي ربى الشعب على اللهو والمجون وصناعة الفرجة يجد صعوبة شديدة في ابقاء الناس في بيوتهم لأن الإنسان الغربي اعتاد على العيش المرح خارج البيت فارتفعت نسبة الاعتداء على الزوجات كما ارتفعت نسبة استهلاك المخدرات.

في هذه الأزمة اكتشف الإنسان الغربي الاستهلاك المحلي للمنتجات الفلاحية المحلية، كما اكتشف هشاشة دولته وهشاشة أسلوب حياته، وأن الدوباج بالأدوية لا ينفع مع الفيروسات.

كما اكتشف أنانيته حيث تبخرت شعارات التضامن بين الدول الغربية ونشب الصراع على المواد الصيدلانية والطبية فظهرت حالات قطع الطريق على هذه المواد في الحدود، وشاهدنا تضامنا سطحيا بين الأفراد فأهمل كبار السن في دور الرعاية بعدما فر العمال إلى بيوتهم فماتوا جوعا أو لعدم تلقيهم أدويتهم اليومية.

مع انتشار الفيروس تفشى مرض الخوف من الآخر: أصبح الناس يصفقون من شرفات بيوتهم على عمال القطاع الصحي تشجيعا لهم، لكنهم لا يريدونهم أن يسكنوا معهم، أو أن يقفوا بجوارهم في المحلات التجارية...!

اكتشف الانسان الغربي هشاشة دولته، دولة بدون استشراف وتوقع أربكها فيروس

وإن كان شديد العدوى او سريع الانتشار لكن مع خطورة محدودة لأن الخبراء فيها أصبحوا اقتصاديين يفكرون بالقياس على الحالات السابقة؟

لقد نجحت الدولة الحديثة في علمنة نفسها ليس لأن الناس اقتنعوا بالعلمانية بقدرٍ ما هو مُتعلّق بتضاعف ذي دلالة لتوقُّعات الشعوب من مؤسَّسات الدولة والقطاع العامّ، ومن الحكومة، كما تنبه إليه فكلاف هافل.

هذه المؤسِّسات يرتبط نجاحها بقدرتِها على التخطيط لِلاستجابة لتوقُّعات الشعوب لذا تُضاعف باستمرار سيطرتها على الحياة الإنسانية من خلال إضافة قواعد جديدة، وصياغة ممنوعات ومحرَّمات وحوافز ضريبية، لكن مع ذلك أخطأ الطاغوت هدفه، فتبخرت آمال السعادة المخطَّط لها، فأصبحت الثقة في الدولة غير مُبرَّرة، ولم يبق لدى الشعوب إلاَّ خيبة أمل واسعة في النخبة السِّياسية كما لاحظ هارولد جيمس.

يقول نفس الكاتب المؤرخ: خلال الأزمة الأوروبية كان الأوربيون راضين جداً، ومقتنعين بأنَّ لديهم أحسن المؤسَّسات، فلم يفقدوا فقط حس التواضع والشعور بهشاشة براعة الإنسان لكن كذلك معنى السُّلطة والإبداع الأصيل لكلِّ فرد.

ومع هذه الأزمة زادت خيبتهم وسيكون لها حديث.

يصبحُ النِّظام السِّياسي في أزمةٍ في الوقت الذي يفقدُ فيه هالة التعظيم والتقديس، وديناميكية التفاعل بين البشر مخالفة بشكل جوهري للإكراه السلطوي العلماني لأنه لا يفرض على الناس أن يكونوا الأفضل ماديا ولكنه يسمح لهم بالتكيف مع المتغيرات، فمصدر إلهام البشر بالتضامن هو الله، وليس مبدأ التنافس اللاأخلاقي.

إنَّ تنامي عدم المساواة [نأخذ من الفرد بحسب قدرته ونعطيه بحسب حاجته] لا يُسهل التفاعل بين النَّاس بل يبني الحدود الفاصلة إضافةً إلى أسباب متعدِّدة أُخرى تذهب من السِّياسة النقدية والمالية إلى تفكُّك العائلة التقليدية، وتآكل مؤسَّسة الزواج التي حطَّمها الطلاق بسبب العلاقات خارج الزواج، إلى نسبيَّة متطرفة تريد أن تجعل جميع القيم متكافئة.

إنَّ تجربة الدولة العلمانية الغربية الحديثة تدعونا إلى الشكِّ في قدرة "الدولة الأخطبوط" في حلِّ كلِّ المشاكل الاقتصادية والاجتماعية، فبريق هذه الدولة سببهُ الازدهار الاقتصادي، ومع تنامي الفقر أُصيبت كرامة المواطن، وحينئذ تقترح هذه الدولة التي هي في حقيقتها جمعية أشرار الإكراه على الضريبة بينما يقترح الدِّين أوّلا

الصدقة والزكاة المبنية على المحبَّة والتعاطف بين النَّاس ثمَّ الضريبة بقدر الحاجة [2]
ما جدوى قوة الاقتصاد إذا لم تعد الفائدة على الشعب بخدمات عمومية جيدة، ما نفع هذا الاقتصاد إذا لم يستخدم لتضييق الهوة بين الأغنياء والفقراء؟
ما نفع الدولة التي لا تجعل في مقدمات أولوياتها الإنسان بحاجياته الروحية والحياتية الضرورية ...؟
أما في البلاد العربية فيوجد قطاع صحي لا توجد منظومة صحية، لأن المنظومة تعني دوران عناصر مختلفة متسقة تحت أصل واحد وهو ما لا وجود له عندنا، بعض البلاد كبلدنا ورث قطاعا صحيا خربه النظام السابق وبزنس في صناعة الدواء والمواد الطبية والصيدلانية كعادته، مع تكوين علمي رديء جدا وهجرة الكفاءات، والمحصلة القطاع العمومي هش والقطاع الخاص مجرد تجارة.
....

المراجع:
1 ـ أنظر مقال أندري غريمالدي في كتاب " تفكيك الدولة "مجموعة مؤلفين ،لا ديكوفارت ،باريس 2010.
2 ـ مقالي: " هل تقتل العلمانية الدولة الحديثة؟".

الفرار من كورونا إلى أين..؟!

....
قال الله تعالى :{فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ} [الذاريات]
يفرُّ العارفون من الله إليه.
ويفرُّ الصالحون إلى الله.
ويفرُّ غيرهم من اللَّه!
الصنف الأول: علموا أنه خالق كل شيء ،لا يقع شيء في هذا الوجود من دون إرادته ومشيئته، فكل مكروه يفرون منه هو فرار من عذابه إلى رحمته، من نقمته إلى رضاه،يفرون من مكروه دون الخوف منه؛ يفرون إلى الله بتجريد التوحيد التام.
الصنف الثاني: أعمتهم الأسباب عن رب الأسباب فيفرون خوفا وهلعا من المكروه

إلى الله كملجأ لهم، طلبا لرحمته وعافيته بالتوبة والاستغفار.
الصنف الثالث: حطب نار الدنيا أو نار الآخرة.
الفرار هو الهرب من شيء إلى شيء، قال السلف :فروا منه إليه واعملوا بطاعته[١]
فروا مما سوى الله إلى الله [٢]
كورونا وباء يحذر من خطورته الخبراء ، والدولة حثت على التدابير المقدور عليها لمقاومة انتشاره فعلينا بالتجاوب الايجابي لكن بدون أن نجعل من هذا الفيروس إلها، له المشيئة النافذة في العباد فهو مجرد سبب، يسلطه الله على من يشاء، و يصرفه عمن يشاء ،والسبب التام هو الله سبحانه وتعالى: {وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ ۚ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۚ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ}.
و إلا كثرت فينا الأمراض النفسية و أثقلنا المستشفيات بالأمراض المتوهمة.
لا يهمك الفرضيات عن مصدره، و عن استراتيجيات الدول في مدافعته، ولا القراءة المختلفة للأرقام و الإحصائيات الطبية لأن السالم المعافى غير من أصيب به أو مات به أحد من عائلته، فوراء الأرقام مهما كانت صغيرة مآسي و أحزان وفزع، ومهما كانت نسبة الخطر فأنت حريص على أن لا تكون فيها بإذن الله تعالى.

....

الهامش :

١ _ ابن عباس.

٢_ سهل بن عبد الله

٣_ لابن القيم كلام ثمين بهذا الخصوص في "المدارج".

دور المثقف في الأزمة؟!

هو القطيعة مع السجالات الحدثية والانفعالية سواء كانت متصارعة أو متوافقة، يحاول اقتراح أجوبة للنقاش المجتمعي تمس واقعية مجتمعه :الأضرار التي تمسه وسبل تقليلها، خاصة إن كان ينتمي لدولة أو لشعب لا دور له في صناعة الحدث العالمي.
بطبيعة الحال النظريات والفرضيات كثيرة جدا، وتداخل الحقيقة مع الكذب، الصواب

مع الخطأ صعب التفكيك و أصعب منه التوليف الذي يرسم الصورة الكاملة، وربما لدى بعض الناس قدرة على التحليل لكنها تبقى تاويلات أو تحليلات إما يصعب علينا فهمها و تصديقها، و إما أن فهمها لا يعيننا في شيء مما نحن فيه،لا يقدم ولا يؤخر!
لذا يجب التمييز بين المعطيات الواقعية التي تمسك مباشرة وبين تفسير الأحداث قبل انقضائها،فنحن لا نملك مصادرنا الخاصة للخبر بل نتلقى كل المعلومات والأخبار من الإعلام وهو مسيس كلية.
محاولة فهم الأحداث وفصل الطبيعي منها عن المصطنع ،وفصل الحدث عن طريقة إدارته قبل انقضائه غير ممكن، فلم يفهم _مثلا _المفكرون الفرنسيون خلفية أحداث شهر ماي 1968 ومن يقف خلفها ولأي غرض إلا بداية الثمانينات.
صعب جدا أن تفهم حدثا في داخله مئات الأحداث ويمس عشرات المجالات و أنت جزء فيه قبل أن ينتهي وتأخذ مسافة منه، و تجمع ما يمكن من المعطيات الثابتة الموثوقة.
مشكلة التحليل بالاثبات أو بالنفي هو عندما ينطلق من الإمكان وليس من الثبوت.

عندما يفشل التفكر النقدي يلجأ
إلى عالمه الصغير سواء المذهبي أو الأكاديمي، أين يطرب نفسه بنفسه، من دون أن يكون قادرا على تهديد أيا كان؟
قيلعندما يفشل التفكر النقدي يلجأ
إلى عالمه الصغير سواء المذهبي أو الأكاديمي، أين يطرب نفسه بنفسه، من دون أن يكون قادرا على تهديد أيا كان؟
ماذا يصنع المفكرون بالمهنة في وسط كل هذه الانهيارات؟
......

"يتمسكون بالصمت لا يحذرون، لا يفضحون شيئا، الفجوة بين فكرهم والمجتمع الواقع كفريسة لكل الكوارث تزداد في كل يوم، الفجوة بين وعودهم ووضعية الإنسان فاضحة، لا يتحركون يبقون دائما من نفس جهة المتاريس، يجتمعون في نفس الاجتماعات، وينشرون نفس الكتب، كل من كان يتوقع منهم شيئا يثور أو يضحك

منهم. "
Paul Nizan, Les Chiens de garde, réédité par Agone, Marseille,)
.(.1998

قرآن المؤرخين النقد المنهجي الأول [1]

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.
التعريف بالكتاب:
هذا تقييم يخص كتابا صدر سنة 2019 م باللغة الفرنسية تحت عنوان "قرآن المؤرخين"[le coran des historiens] وهو مكوَّن من ثلاث أجزاء ضخمة، شارك في كتابته ثلاثون باحثا، فهو بالتالي عمل جماعي ضخم، كلهم من المختصين في الإسلاميات! وغالبيتهم من الغربيين إلا اثنين أو ثلاثة من أصول شرقية، مثل: مهدي عزيز صاحب كتاب " الخطاب القرآني المضاد " والإيرانية سمرة إلودي أزرنوش المختصة في التصوف الخسراوي، وبعضهم يهود مثل: بار آشر.
قرآن المؤرخين دراسة في الجزء الأول عن سياق وميلاد النص القرآني، والثاني والثالث خصوا لتحليل النص القرآني، وببليوغرافي الدراسات حول القرآن.
الكتاب من منشورات الإيل؛ باريس 2019 م
الخلاصة الأولية أنه دراسة غربية برؤية شعوبية شيعية(باطنية) تحت إشراف الإيراني الفرنسي الجنسية"متخصص في التشيع"!: محمد علي أمير معزي والباحث الفرنسي في الإسلاميات: غوليوم دي.
يزعم المشرف بأنه عمل استغرق أربع سنوات، وأنه مبادرة علمانية سياسية يسميها "مدنية" لمحاربة التطرف والتقريب بين المعارضين والمؤمنين بالقرآن [ص :30] وهذا أمر عجيب فكيف تجمع بين المؤمن بالقرآن والكافر به حينما تزعم أنه نص مفبرك أو محرف، فلم يجمعوا أمرهم عليه؟!
الكتاب يعبر فعلا ـ من حيث البيبلوغرافيا ـ عن قرنين من الدراسة الاستشراقية للإسلام، تقف خلفه مؤسسات علمية ومخابر أبحاث معلنة وربما أخرى غير معلنة، الغرض منه توفير مرجع للعلمانيين الفرنكوفونيين ومادة يصنعون منهم ثقافة للحديث

والكتابة، شكل من أشكال مقاومة الزحف الإسلامي في النطاق الفرنكوفوني، ومحاولة علمنة المجتمع المسلم، وبخلاف المعلن هو كتاب شبهات وليس كتاب دراسة علمية موضوعية، ويمكن أن أجزم بموضوعية أنه مجمع تفاهات!

أشير إلى بعض ما جاء في هذا الكتاب، وأقدم وصفا عاما له، وأقف عند مسألتين فقط: الأولى المنهج المعتمد، والثانية: المثال العملي لهذا المنهج في تفسير سورة الإخلاص، واخترت هذه السورة لقصرها ولأنها تهم الديانات الثلاث.

هيكل الكتاب:

يتكون الجزء الأول ـ وهو أهم الأجزاء ـ من المباحث التالية : المسيحيون في إيران حوالي 31 صفحة، المسيحية الإثيوبية 28 صفحة ،التيارات اليهودية النصرانية الشرقية القديمة 34 صفحة، المانوية 27 صفحة، الكتابات البدعية اليهودية الموجودة في القرآن 39 صفحة ،خص منها الموجود في القرآن بعض الصفحات والمقصود الحقائق التي حرفها اليهود مثل ما في الأناجيل البدعية عندهم مثل إنسانية عيسى26 صفحة، الممنوعات السريانية 39 صفحة، الملاحم الإيرانية ، قرآن الحجارة "ربما كتبه شخص جاهل"، المدخل 46 صفحة، الإطار التاريخي والجغرافي السياق 100 صفحة، العرب والايرانيون قبل الإسلام 25 صفحة، من جزيرة العرب الي الإمبراطورية 34 صفحة، اليهودية والقرآن 64 صفحة.

ما مجموعه 493 صفحة عن موضوعات لا تتعلق بالقرآن نفسه من ضمن 950 صفحة عدا الفهارس والرسوم، خصص لموضوع القرن 457 صفحة.

ملخص الدراسة:

بحسب المشرف محمد علي أمير معزي: " ـ سقى النصَ القرآني النصوصُ اليهودية والمسيحية المتقدمة عليه حتى في مفرداته.

ـ تم محو الرسالة الروحية وتسيسيها وعسكرتها وأمبرطرتها من طرف العرب بعد موت محمد [صلى الله عليه وسلم]

ـ الخلفاء [الراشدون] أخضعوا القرآن لإعادة بناء سياسية ـ دينية".

هذا الملخص الذي حاول الإشهار به للكتاب على مختلف الوسائل الإعلامية، وهو ملخص غير دقيق، ويمكن أن أقول: مغالط لمحتوى الكتاب ولما ذهب إليه المشرف الفرنسي على الكتاب غوليوم داي فيوجد على موقع "ميزان أنفو" نقد للأطروحات

النقدية المتطرفة التي وردت في هذا الكتاب حيث يفند داود سلمان في جزئين مزاعم المشرف الفرنسي " غوليوم داي" على الدراسة، الذي زعم تعدد مؤلفي القرآن، وأن تأليفه متأخر! رغم الاكتشافات الأركولوجية [يقصد قرآن الحجارة، أو القرآن المنقوش أو المكتوب على الحجارة في الجزيرة العربية أقف عنده في الحلقة الثانية].
الملخص الحقيقي التفصيلي سيمر عليك في هذا التقييم، والمقصود هنا التنبيه على أن المشرف من أصول إيرانية أراد توظيف الكتاب لمذهبه الشيعي الباطني وهو إثبات أصل القرآن كرسالة روحية فقط، وأما القرآن نفسه فقد تم تحريفه من قبل أهل السنة لأغراض سياسية بينما يذهب الباحثون الغربيون ـ بعضهم ـ إلى أنه نص مقلد للتوراة والإنجيل، غير صحيح بالمرة، ولهذا نجد الشيعي الباطني يوجه بعض الانتقاد إلى الباحثين معه بطريقة غير مباشرة من خلال توجيهه إلى المستشرقين.
الانطباع الأولي:
عندما شرعت في قراءة هذا الكتاب ـ من حوالي شهرين ـ وقد بُذلت فيه جهود بحثية تثير الإعجاب، فلم يتركوا شاردة ولا واردة لا علاقة لها بالقرآن إلا حشروها في بحثهم! موضوعات لا علاقة لها بالقرآن مثل: نظام نسخ اللغة الإثيوبية القديمة! التسميات التوراتية المختزلة! علاقة العرب بالفرس! تاريخ بلاد فارس الديني في دراسة موسعة جدا؟! مع ملف كامل عن المانوية!
حتى تاريخ اليهود في الجزيرة وفارس! وتاريخ النصرانية في الجزيرة العربية، وتاريخ الدولة البيزنطية! تفصيل النصرانية الإثيوبية! والمحيط القانوني للقرآن!
ومعلوم أن كل هذه المجالات ليس لها علاقة مباشرة مع القرآن ولا حتى غير مباشرة، لأن قيمة أي نص هي في مضامينه وأدلة صحته التي يرفعها، وإلا فإنه ولابد من وجود علاقة ما بين العرب قبل الإسلام وشيء من الهند أو الصين!
يشكو الكتاب من تمزق معرفي فمجموع الباحثين لم ينتهوا إلى نفس الخلاصات وإن كانت الخلاصة التي قدمها المشرفون تمثلهم جميعا وسنذكرها بعد قليل.
حتى الدراسات الأركولوجية اعترفوا بأنها محدودة لأن دول الخليج توكل هذه الدراسات إلى تقنيين أجانب!
وفيما تعلق بالخط العربي اعترفوا بوجود اشتراك بين اللغة الحميرية " العربية الجنوبية" مع العربية الشمالية!

وكل هذه دراسات لا تعني النص القرآني في شيء، حتى مع افتراض بعضهم أنه مصنوع فيما يسمونه "نسخ القرآن" و"صناعة القرآن" بالكلمة الفرنسية " fabrique du coran" كما في الصفحة 686/1.

والمقصود أنهم استعملوا مهارات اختصاصاتهم التي تعاني من قصور منهجي حاد للتشبيه بقضايا تبدو أنها علم لكنها في الحقيقة مجرد وصف بدون معيارية مع إغراق بمصطلحات غربية مسامية.

ولا شك أن هذه الجهود لها مقابل مادي مماثل يذكرنا بقوله تعالى: {إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون والذين كفروا إلى جهنم يحشرون} [الأنفال]

نقد المنهج في كتابة هذا العمل:

أولا: لابد أن أقول بأن هذه الأدوات المستعملة هي من نتاج عقل فطرته مريضة، والغرض ليس البحث عن الحقيقة ولكن تشويهها، فأصلا المنهج مختل لأنهم لا يملكون مصادرهم الخاصة لدراسة الفترات الأولى للإسلام، فمن جهة يستثمرون المواد من المصادر الإسلامية ليس لهم مصدر آخر، ومن جهة ثانية يقولون: هذه المصادر غير موثوقة، متأخرة عن الأحداث؛ ومعلوم أن المتأخر هو جمع المصحف العثماني وليس الكتابة أو الحفظ...؟!

نقد النقد التاريخي:

تعريف المنهج النولديكي:

1 ـ تيدور نولديكه"1836/1930" مستشرق ألماني متخصص في الفيلولوجيا، يتقن التركية والفارسية زعم وجود عيوب أسلوبية في القرآن!

كان يبحث بأي وسيلة للطعن على القرآن فلم يجد إلا هذه الدعوى فنشر سورة مكذوبة على القرآن في كتابه " تأريخ المصاحف " (2 / 102)، ونشرتها " الجريدة الآسيوية الفرنسية " سنة 1842 (ص 431 – 439) نعود لهذه المسألة في موضعها، أخذها من كتاب الشيعة " دبستان مذاهب " باللغة الإيرانية لمؤلفه محسن فاني الكشميري، وهو مطبوع في إيران طبعات متعددة.

2 ـ البراديجم النولديكي هو علمنة السرد الإسلامي الحديثي فحيث يخبر النص الإسلامي عن جبريل يقرئ النبي صلى الله عليه وسلم القرآن نحذف ذلك ونجعل بكل

بساطة محمد [صلى الله عليه وسلم] هو المؤلف، وكذلك يبعد ويقصي كل الغيبي.

وهذا ربما ما يجب أن ينتبه إليه المسلمون في دراساتهم، أقصد علمنة الخطاب العلمي اللاهوتي من خلال استعمال مصطلحات مفخخة مثل: اللامتناهي، المطلق، المتعالي، المفارق.. الخ فكلها مصطلحات لا تثبت الخالقية، وخصوصا الاتصال بين الخالق والمخلوق بواسطة الوحي والفطرة.

وعلى هذا قس مصطلح واجب الوجود فكل قديم عندهم واجب الوجود، ولهذا ينتقل النقاش معهم إلى صفات واجب الوجود وليس إلى وجوده الواجب إذ كل من يثبت قديما مع الله فقد أثبت واجب الوجود سواء كان العالم أو شيئا آخر.

كذلك نجد مثل هذا المشكل في الرواية التاريخية ما قبل الإسلامية فأكثرها سردية توراتية.

ربما يشرح لنا ـ بشيء من الاستنتاج ـ إشكالية هذا الكتاب المنهجية غوليوم داي "Guillaume dye" تحت عنوان "الجسم القرآني: السياق والتركيب" بداية من الصفحة 733 - 827/1

البحث يناقش أدوات المقاربة التاريخية النقدية للقرآن مع تقديم بعض الأمثلة عن هذه الطريقة يعني: يتحدث عن محدودية البراديجم النولديكي "nôldekien" بتفكير هيستريوغرافي كما أشار إليه "wansbrough" حيث من نهاية القرن 19 م شهدنا طلاقا منهجيا بين الدراسات القرآنية والدراسات التوراتية والإنجيلية، يعني: العجز عن إعمال منهج نقد التوراة والإنجيل في القرآن. [1]

يحاولون إرجاع هذا الطلاق إلى ميراث العالم الألماني «heinrich ewald «[1803/187] الذي كان أستاذا في" noldeke "و" wellhausen" والذي هاجم بطريقة عنيفة أصحاب مناهج النقد التاريخي حيث قال: «كتابات العهد الجديد تمثل وصفا دقيقا لحياة وتعاليم المسيح وبداية الكنيسة النصرانية، وأن طريقة النقد التاريخي مجرد شكوك تنتهي إلى تدمير الحياة العقلية والأخلاقية ،وأن التسجيلات الأولى لدين ما يجب أن تشكل تسجيلا موثوقا به ومؤكدا لمحتوى الإيمان المنقول من الأجيال الأولى للمؤمنين، فهذا وضع طبيعي أن يكون التحريف متأخرا عن أجيال المؤمنين الأوائل، وأن هذه الاعتبارات مهمشة في النقد التاريخي"، وهذا غير الصحيح لأنه كما سنراه قريبا مرد الطلاق المنهجي سببه منعة القرآن عن مناهجهم القديمة.

في الحقيقة وكما اعترف به الباحث فإن كثيرا من العلماء الغربيين ظلوا واعيين أو لا بدرجات مختلفة تحت تأثير سحر القرآن والسياق العام الذي يفرضه من سنة 1970 وخاصة قبل عشرة سنوات حيث دخلت الدراسات الغربية حول القرآن وأصول الإسلام الثورة، والباحثون في حيرة وتيه لم يسببه لهم أي كتاب آخر، مما أدى إلى تنوع واختلاف المناهج والنظريات القرآن في الدراسات المتأخرة للقرآن [2]

ما يدل باعترافهم أن القرآن فرض عليهم تغيير البراديجم، لأنهم وجدوا صعوبة مع القرآن، ومعلوم أن تعدد المناهج في دراسة نفس الموضوع يعني عدم وجود منهج إذ من شرط المنهج قطعية قواعده ووضوح اجراءاته، وبالتالي ليس لهم منهج وإنما هي مقاربات نسبية بحسب اجتهاد كل واحد وخلفيته.

وقد انتبه غير واحد منهم إلى مشكلة المنهج وأنها عويصة إذ أساسا لا يوجد منهج لدراسة الديانات يصلح عليه هذه التسمية، انظر كتاب "الطريقة والنظرية" للمؤلف ستيفان شوميكر " Stephen shoemaker".

ثانيا: طعن هنريخ إيوالد "heinrich ewald" في النقد التاريخي لأنه يقف عند جزئيات تُدخل الشك، وليس في مضمون الرسالة الدينية ولكن بالوقوف عند جزئيات خارجة عن النص نفسه كأن التاريخ مادة يقينية أو أحصي بدقة كل الأحداث، فالمنهج النقدي الذي يتجاهل التواتر ويركز على حجر وجد مكتوبا عليه بخط عربي قديم في سوريا على أن أصل الخط العربي سوري، ثم وجدوا حجرا أخر في منطقة النبط فردوا أصله إلى الانباط! لا يمكن الاعتماد عليه لأنه قائم على احتمال أن تظهر صخور مكتوب عليها بالعربية في الهند او تركيا تفند كل هذا!

وللدفاع عن أنفسهم من هجمة إيوالد اضطر كتبة هذا الكتاب أن يردوا عليه بأن فريدريك شوالي "friedrich shwally 1863/1919" وول هوسن " well haussen 1844 /1918" رغم استعمالهما النقد التاريخي في دراسة الإسلام لم يشككا في الرواية الإسلامية التقليدية (الرسمية) لأنها مبنية على أساس أكثر متانة، ومن هنا وثقوا في المصادر الإسلامية. [3]

ومع ذلك فإن النقد الذي وجهه إيوالد للنقد التاريخي هو الصحيح لأن ثبوت تلاعب في ألفاظ الإنجيل مثلا يثبت وقوع التحريف فيه لا يثبت أن أصله موضوع، ولا علاقة له بالوحي نفسه، فكما يوجد فيه ما يثبت التحريف يوجد فيه أيضا ما يثبت الأصالة، فيه

وفي شهادات الإسلام، ومن أحداث تاريخية وقرائن وغيرها.
والمقصود أن إثبات وجود التحريف أو الاختلافات بين النسخ الإنجيلية غايته إثبات أمر متأخر لا يعني بالضرورة عدم صحة الأصل أو عدم وجوده.
واللازم من كونهم لم يشككوا في السرد الإسلامي التقليدي حول القرآن هو أنه صحيح مسند غير متناقض، كما يلزم منه رفضهم انحراف الشيعة وعدم منطقية كلامهم في دعوى جمهورهم وقوع التحريف في القرآن، وأن الدعوى نفسها غير متناسبة مع السياق القرآني وروحه إضافة إلى تهافتها حتى عند عقلاء الشيعة. [يأتي التفصيل في موضعه]
ورغم هذا تناقض صاحب البحث حينما قال: «ولكن هذا لا يستلزم أن الثقة الخاصة جدا التي أثبتاها اتجاه المصادر الإسلامية مبررة بطبيعة هذه المصادر"، وهذا ما أخبرت عنه سابقا من كون هذا الباحث ينتقد المناهج الغربية لكنه يتبنى نتائجها حيث نجد عنده مثل هذا النفي بدون دليل...!
ونحن نسأله: إذن بماذا؟ فليس للمصادر دور الا النقل والتوثيق، وهي إما أصيلة وإما محرفة، لا يوجد تبرير آخر، خاصة وأنهما أدركا أن نموذج نقل كلام شخصية استثنائية كالرسول تتطلب عناية فائقة من التسجيل الدقيق والحفظ والنقل والاحتفاظ من أصحابه. ...؟
وعليه؛ فليس هذا الاستدراك من الباحث إلا صورة عن الانزلاق من الوقائع الصحيحة الى الخلاصات المجانية المغيرة، والتي تكثر في هذا الكتاب!
- يتحدث في المدخل [5] غريغور شولر " gregor shoeler" عن موقفين منهجيين استعملهم المستشرقون في دراستهم القرآن وبداية الإسلام يعلمان عن تناقضات البراديجم والمنهج، تحت مصطلحين: النقد، والنقد المتطرف " hypercritique وcritique«.
وعلى عاداتهم في غمر الحقائق بالتلاعب بالمصطلحات، يزعم المشرف الباطني من أصول إيرانية تخفيفا لوطأة الحقيقة أن بعضهم يفضل التقسيم إلى: نقد متطرف ونقد أدنوي " maximaliste وminimaliste"...!
في بحثه "الكتابة والنقل في بداية الإسلام" ذكر أن أصحاب الطريقة الأولى ينصرون أنه يمكننا تقريبا الاقتراب من حقيقة تاريخية إذا رفضنا وألقينا جانبا كل ما ليس لدينا

سبب صحيح لقبوله من المصادر الإسلامية؟!

وفي مقابلهم أنصار المنهج الثاني الذين يقولون: يجب أخذ مصدر أو تقليد قديم على أنه أصيل ومحتواه بمقبول مادام لم نجد سببا صحيحا لرفضها.

والسؤال: بأي معيار تنخل المصادر؟ وكيف يمكنكم دراسة موضوع لا تملكون فيه إلا مراجع أصحابه إذا أقصيتم هذه المراجع؟

عمليا وجدت في الكتاب أن معيار النخل هو ما يوافق مسبقاتهم اعتمدوه وما خالفها طرحوه؟

الظاهر أنهم يريدون تطبيق البدعة الجديدة: ولع المستشرقين بإنتاج المكتوب ككتابة بدلا من الاهتمام بإنتاج المحتوى (اللاهوتي، الفلسفي، الأدبي) مع الفارق الشاسع بين أنواع النصوص، فالمخطوط لم يعد عندهم يمثل فكرة صحيحة ـ خاطئة بالنظر في محتواه، ولكن بالنظر فيما يسمونه" العناصر المادية المنتجة له "ويعنون "البيئة المحيطة به "...!

ومعلوم أن صحة الفكرة نابعة من نفسها بمدى مطابقتها للأمر في نفسه، صدقها وواقعيتها، فهدفهم الأساسي ليس الفكرة نفسها ولكن محيطها الديني والسياسي وحياة الفاعلين فيه، مع التركيز على نقاط التشابه ولو كانت سطحية وإهمال أوجه الاختلاف ولو كانت جوهرية، لا يتعلق الأمر بفهم الدلالة ولكن بالمصادقة على ظروف كتابة المكتوب، إذن بعيدين جدا عن الحياد والبديه.

المجتمع الذي تشكل فيه النص مهم عندما يكون كاتبه فردا من هذا المجتمع ليس عندما يقدم النص نفسه على أنه كلمة الله. [يأتي تفصيل فساد هذا المنهج في الحلقة الثانية]

وعليه فالباحثين في هذا الكتاب بعضهم استعمل الطريقة الأولى لكن مجرد دعوى إذ لا يوجد مصادر غير الإسلامية تحدثت عن بداية الإسلام فتحكموا بالهوى، فالمصدر الذي يناسب منطقهم وخلفيتهم اعتمدوه، مثل خرافة بعض الشيعة بتحريف القرآن، وطعن بعض الملاحدة في القرآن، والذي يخالفها رفضوه.

وغالبيتهم استعمل المنهجين معا كما في هذا الكتاب مثل المشرف الباطني الذي يسعى إلى إثبات أصل الرسالة الروحانية مع نفي كل ما سوى ذلك! وهذا أول التناقضات المحورية فيه إذ الخلاف بين المنهجين واضح فأحدهما ينفي الآخر، وبالتالي يستحيل

الجمع بينهما.
النقطة المنهجية الأولية هي السؤال عن حيادية الباحثين فالعلمانية أو عدم الإيمان بالإله أو بالوحي كلية أو بالقرآني وحده هو ما يحدد براديجم هؤلاء، يعني: رؤيتهم الوجودية التي تنبع منها رؤيتهم المعرفية، فمن قال: إن منهج النقد التاريخي الذي يعني علم التاريخ والعلوم الملحقة او الفرعية أو الذيلية هي علوم حيادية بين الكفر والايمان؟ إذ من غير المعقول أن ينتهي كافر بالله إلى إثبات صحة القرآن أو النبوة لأن براديجمه واعتقاده الشخصي بأنه لا يوجد إله، أو لا يوجد وحي مع اعترافه بصحة القرآن يعني تناقضه الشخصي؟! وبالتالي يفقده كل مصداقية.
إذن من الوهلة الأولى نعلم أن النتيجة أو الخلاصة هي نفي إلهية القرآن، فنحن أمام علوم موظفة، ابتدعها عقل كافر لتأسيس كفره، ليست حيادية ولا عقلية مشتركة، وفي نفس الوقت هي علوم مستشكلة عند أصحابها كما ستقف عليه أكثر في هذا التقييم.
مشكلة التشابه بين الديانات:
عندما يقولون [في [764/1ٍ بأن الخلفية المسيحية واليهودية موجودة في القرآن، وأنه يذكر شخصيات مسيحية مثل: عيسى ومريم، المذكورة فيه أكثر مما في الإنجيل، وشخصيات مشتركة بين اليهودية والمسيحية فهل هذا دليل على أنه صناعة بشرية، أم دليل على صحة الجنس، وأنه من مصدر واحد، فالقرآن دليل على سماوية الكتب المنزلة، فالتجانس علامة الوحدة لولا التحريف الذي لحق العهد القديم والجديد، والقرآن نص على أخوة الأنبياء ووحدة رسالتهم.
ونحن نعلم أيضا أن المقاربة بالمقارنة تأسيسية وتكوينية في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية ترتكز على تشابهات سطحية، تنتبه إلى نقاط الاتفاق التي تحرص على اعتبارها جوهرية وتهمل نقاط الاختلاف، أقول هذا لأن كل دراستهم هي مقارنة بين القرآن والكتب السابقة عليه حول النقاط السطحية.
هذه الطرق تفتح مجال الممكن الإنساني والاجتماعي لذا تقود بالضرورة إلى موقف أبستمولوجيا لنسبية ثقافية لكن انطلاقا من اشتراك في مجملات، فما نسميه "عالمية الدين السماوي العلمية" لأن الأنبياء يدعون الي نفس الأصل لأنهم من مصدر واحد، والاختلاف بينهم في الفضاء والزمن وبعض التشريع اختلاف ترتيب وجودي شكلي لا يمس جوهر رسالتهم، فالواحد منهم يدل على جنسه والجنس يدل على الواحد، لا

يعني أن المتأخر قلد المتقدم تقليدا أعمى.
وعليه لابد من مقاربة الدين المشترك في جوهره في خصائصه التطورية المناسبة لتطور الإنسان فمن الطبيعي جدا أن تكون الرسالة الخاتمة أكثر تطورا ودقة وشمولية مما سبقها، ولابد أن تحمل خصائص مرتبطة بخصائص الوظيفة، فنقاط التشابه مبررة بوحدة المصدر والرسالة، ونقاط الاختلاف مبررة بوظيفة الدين الخاتم وقانون الاكتمال.
ومع ذلك تبقى هذه الديانات الثلاث غير متماثلة، ما يفرض موضوعيا رؤية منحرفة تعجز عن عودة انعكاسية على المركز تعلن رجوع نقدي شديد على البراديجم الأبستمولوجي الاجتماعي والأنثروبولوجي الذي ترتبط به قاعدة التفسير: التشابه بين الديانات او اللغات، أو اختلافات اللغة الواحدة.
إشكالات المنهج المعتمد:
كيف يمكنك إثبات صحة نص من مصادر مستقلة إذا لم تنظر في محتواه وتحتكم إلى معيار يقيني؟
كيف يكون النص كإخبار موثوق وكسردية غير موثوق؟!
تبديل تاريخ توراتي بسرد السنة الإسلامية، أركيولوجي بشهادة المصادر المادية والوثائق الأقدم ونواة السيرة النبوية يمكن الاعتماد عليها ويقصدون أخباره صلى الله عليه وسلم قبل نزول الوحي.
و في الحقيقة المستوى في هذه الدارسات ضعيف جدا مؤسس على شبهة ساذجة واحدة لم يستطيعوا تجاوزها عمدا أو جهلا هي التشابه بين الديانات الثلاث في أسماء الرسل و بعض الأخبار و الأوامر الإلهية كما فعل أبراهام غيغر" abraham geiger 1810 /1874" في كتابه "ماذا أخذ محمد من اليهودية" حيث قال: "إن المسلمين يزعمون القطيعة مع التوحيد قبل الإسلام بدون دليل، والدليل على ذلك وجود عناصر من الديانتين اليهودية و النصرانية في القرآن".
فبمثل هذه السطحية المحيرة يؤلف كتابا كاملا على فهم مغلوط لأن المسلمين يثبتون القطيعة بين مفهوم التوحيد في القرآن ومفهومه في الديانتين باعتبار التحريف الذي لحقهما، من تثليث ووصف الله تعالى بأوصاف ناقصة، لا يعلنون الانقطاع بين التوحيد القرآني وتوحيد موسى وعيسى عليهما السلام، فرسالة الأنبياء واحدة، وهذا

معلن عنه في القرآن من أول وهلة، والقرآن كتاب يصحح الكتب التي سبقته مهيمن عليها، قال الله تعالى : {وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ }[المائدة].

وبالتالي فإن وجود قضايا متشابهة هو دليل التصحيح القرآني لما وقع على الكتابين من تحريف ليس دليلا على التقليد.

يتجاهل العقل الغربي أن كلمة الله لا يمكنها بالضرورة العقلية وبالخبر السماوي إلا أن تكون واحدة وهي توحيد عبادته، وأن الإيمان بالرسول يلزم عنه الإيمان بالرسل والعكس صحيح، فهذا دليل الصحة وعدم التناقض، والمنطق السليم يستبعد العكس.

وعليه فإن القرآن لا ينتمي إلى الثقافة التوراتية أو الإنجيلية كما أدركها في زمن نزوله ولكن إلى الوحي التوراتي والإنجيلي قبل تحريفه، هذا فرق شاسع، وهذا معنى شهادة المسلمين على غيرهم التي وردت في القرآن: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ} [البقرة]

والوسط هو العدل كما فسره السلف، يشهد المسلمون للأنبياء بالتبليغ كما جاء في الأحاديث الصحيحة، وكتابهم يشهد على التحريف الذي وقع في الكتب التي سبقته.

في الحقيقة لا يمكن تبرير هذه السطحية والتفاهة العقلية إلا بوجود طوية، وهذا ما اعترف به المشرف على البحث عندما قال: " نجد في كثير من كتب المستشرقين حماسا تبشيريا للنصرانية ونبرة ضد إسلامية في كتب القرن ١٩ وحتى ٢٠ «. [6]

فعندما ننظر في عمل إنياك غولدزايهر" ignac goldziher (1850 /1921) " نجد تشكيكه في مصداقية مصادر الحديث الإسلامي وبداية الإسلام تمثل جهلا محيرا بعلم الحديث، فالمنهج جدلي يخلط بين الغث والسمين؛ كل الكتبة الغربيين رغم تحاملهم الظاهر لم ينجح واحد منهم في التشكيك بدليل مقبول أن القرآن لا يعكس بصفة جازمة دعوة محمد، فلغة القرآن قرشية وهي لغة محمد. [7]

فهذا نودكله يزعم في "تاريخ القرآن" أن الإنجيل أثر كثيرا في القرآن الذي لم يفهم الإنجيل"!

وما دليله على أن العلماء المسلمين أدرجوا في القرآن آيات وحذفوا أخرى بسبب صراعتهم السياسية غير قرآن الشيعة النوري الذي طبعه، والذي يشبه عقله؟!

مع أن القرآن واحد عند جميع الفرق الإسلامية؟

وفي أي منهج علمي رصين نعتمد الشاذ، خاصة وأن عقلاء الشيعة أنفسهم يعتبرون من يقول ذلك زنديقا او جاهلا، لأنه قول متهافت ذاتيا بغض النظر عن مكذوبية الخبر نفسه.

وكيف يتم تزوير القرآن من قبل الحكم الخلافي ودائرة علماء الدين، والقرآن واحد عند جميع الطوائف فكيف يجتمعون مع السنة على هذا التحريف؟ خاصة وأنهم يلصقون التزوير بعبد الملك بن مروان خامس الخلفاء الامويين كدين الإمبراطورية وفترة صناعة القرآن وهي فترة متأخرة عن جمع القرآن؟

وأين هذا التزوير وما هي عناصره اللغوية والضمنية؟

إذا نحن أمام فكر محمول بخلفية سيئة اتجاه الإسلام، والغصة التي لم يستطع نولدكه بلعها هي موقف القرآن من التثليث فهذا مقصوده من قوله " لم يفهم القرآن الإنجيل"!

ينقل الباحث أمثلة عن غونتر لولينغ «gunter luling " وكريستوف ليكسنبرغ " Christophe luxenberg» التي حكم عليها المختصون والفيلولوجيون بأنها مواقف متطرفة من القرآن، مثل قولهم: " ليست رسالة القرآن الا أناشيد نصرانية سيرياكية عربت واسلمت "؟! [8]

والسؤال: أين ذلك في التثليث أم في الخمر أم في الخنزير أم في التشريع أم في العقيدة...؟!

يعاني العقل الغربي من عقدة التفوق القرآني وعصيته على مناهجهم التي أزاحوا بها التوراة والإنجيل من حياة أهلها فليس عندهم الا شبهة التشابه.

يعني نحن هنا بصورة صريحة في الكذب، فالبحث لا يبسط إلا عموميات ضبابية بدون اكتراث بالفحص النقدي، وحيث يفصل فالقضية تاريخية محضة لا علاقة لها بالقرآن، لأن التعميق ليس في النص القرآني لكن في محيطه الجغرافي والتاريخي.

هذا النظام التاريخي الدهري المعمول به في هذا الكتاب متزلف للعلمانية، نفاقي ماكر، يهدف إلى تضليل طريق الإيمان الذي أصبح مطلوبا إسقاطه بدون سفك الدماء، فقط بترك الكلمات المضللة تنصهر مع أجزاء هي حقيقية بكونها فعلا وقعت في زمان ما أو مكان ما، وليس بكونها من صلب الموضوع؟

منهج يبحث في تناقضات التاريخ الإسلامي، في مقالات الفرق الباطنية التي يعدها المسلمون سنة وشيعة وخوارج زنادقة ثم يسقطها على أنها تناقضات القرآن...!

يورد مصطلحاته ببراءة الوعي المنهجي وليس ببراءة وعي الضمير، تختلف الأبحاث لكن الطريقة واحدة هي طبع نموذج مثالي سلبي غير موجود في مخيال القارئ لكتابهم يعتمد ملصقات صهرت عباراتها في تجارب النقد التاريخي للتوراة والإنجيل لتشويه الحقيقة، وهي مجرد أكاذيب صاغها اخصائيون في شكل بحث ليس عند التأمل إلا عبارات بدون معاني محددة، مطاطية يمكنها شمول كل موضوع لأن التقنية التي اعتادوا عليها تقود إلى التشبيه مع الفارق المخفي بعناية لخلق الالتباس الذي تنطلق منه الإدانة قبل بداية البحث بسوء الطوية.

هذا هو نظام البحث المعرفي في هذه الكتاب: ركام تفاهات ممنهجة لكنه نظام معرفي منتشر في الغرب متعدد الأشكال كثير التفاصيل بدون أن نبحث عمن هو قائد الجوق، والمخفي المتستر هو توافقات مذهبية وراء مصالح سياسية تشكل آلة ماكرة لها شبكتها في العالم الإسلامي الناطق بالفرنسية.

نحن اليوم في مرحلة قدح الإيمان بمواد محلية لكن بمنهج غربي دهري، في هذا المنهج الفاشل يمكن لكل واحد أن يضع تحت تعبيراته ما يريد، لهذا يريد هذا المقال تتبع مسار مناقشة منهجهم وفحص الأحداث وكيف وظفوها في إنتاج هذا الركام من التفاهات.

إلى الحلقة القادمة إن شاء الله تعالى والخاصة كذلك بالعيوب المنهجية المفضوحة.

....

الهامش:

1 ـ يتساءل الباحث عن السبب الذي جعل المؤسسة الغربية ترفض بعض الكتب أو تهملها بدون حجة مثل "محمد ونهاية العالم" لي فولرز ١٩٠٦، أو "القرآن والسنة" لي لامنس ١٩١٠، ويشتكي من عدم وجود حوار بين علوم الديانات والإسلاميات؟! هذا الباحث غير موضوعي تماما، ينتقد المناهج الغربية لكنه يقدم بديلا عنها أسوأ وهو الكلام بدون منهج ورفض الحقائق بدون سبب كما ستراه.

2 - 745/1

3 ـ ص: 29/1

4 - 1/757

5 ـ في المدخل ص:23/1

6 ـ صفحة ١/٢٥
7 ـ نفس المصدر
8 ـ ص :27

التفكير فردي أو جماعي..؟

النقد الجماعي

......

ليس المقصود بالمفكر فصيلة خاصة من الناس بل كل من يملك العلم بموضوعه وعنده منهج علمي للاستنتاج و الانتقال من المعلوم إلى المجهول، و أولهم العلماء لكن ليس عندما يكتفون بالنقل وحده، و إنما عندما يحققون ويثرون المفاهيم و ينتجون التصورات.

التفكير الجماعي :

كثير من الأعمال التاريخية أثبتت الدور الذي لعبته مراكز التفكير (think tanks) في انتاج وتفجير الإيديولوجية ليبرالية جديدة تحكم العالم اليوم.

في تجمعات هؤلاء المحافظين تجمعات للخبراء يعينهم الأقوياء..؟!

يجب أن نجعل منتجي مسارات أو شبكات النقد متضادة، تجمع مفكرين مخصوصين في ثقافة جماعية، يحدد بنفسه موضوع و غاية تفكيره و فعله، يعني: مستقل.

هذا المفكر الجماعي يستطيع و يجب أن يمارس وظائف نقدية سلبية من خلال إنتاج و سائل الدفاع ضد الهيمنة الرمزية التي تتسلح بسلطة العلم المادي.

يجب أن يخضع الخطاب المهيمن إلى نقد منطقية تهاجم أولا مصطلحات العولمة، لكن كذلك التدليل يجب أن نخضعه إلى النقد الاجتماعي من خلال وضع تحت الضوء محددات من ينتج الخطاب المهيمن أولهم الصحفيين و الاقتصاديين.

وفي الأخير يجب أن نضاد بنقد علمي حقيقي سلطة العلمية المزعومة للخبراء خاصة الاقتصاديين.

إضافة إلى الدور الايجابي المتمثل في المساهمة في إنضاج السياسة.....

كل التفكير السياسي يحتاج إلى نقد فإذاً إلى إعادة بناء، ولا يمكن أن يكون هذا عمل فرد واحد، أستاذ تفكير يعتمد على إمكانات فكره الخاصة (توفيرالشروط الاجتماعية

لإنتاج فكر حقيقي)
حياة النظرية هي أن نتمكن من استخدامها، يجب أن تشتغل، عندما يبدأ المنظر نفسه العمل بها."[1]
يسأل المثقف : هل على المفكر أن يعمل ويفكر في العام والمثالي والعادل والحقيقي، أم ضمن مساحة محددة، وفي نقاط معينة..؟
يتحدث بعضهم كسيد الحقيقة والعدل، ممثل الدين والعقل والفهم والعلم؛ يريد أن يكون ضمير الجميع،والذي نحتاجه هو التفكير في نفس الموضوع وليس نفس التفكير.
العبقرية صفة ذاتية فردية لكن الجهد يمكن أن يكون جماعيا، و إذا بلغ الإتقان أمكن وجود عبقرية جماعية عرضية يتصف بها المنتج.
المشكل ليس في الاجتماع المادي للعلماء والمفكرين ولكنه في عدم التفكير في نفس الاتجاه ولو كانت الموضوعات متعددة بحسب المجال.

الهامش :
(intellectuel collectif'l) _ 1
.(agir, Paris, 2001'Pierre Bourdieu, Contre-feux 2, Raisons d)

أنت لست إلا ما تعرف عن نفسك،وربما عن العالم المحيط بك كذلك؛ فزد في علمك بهما تحذرهما
{بَلِ الْإِنسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ}أنت لست إلا ما تعرف عن نفسك،وربما عن العالم المحيط بك كذلك؛ فزد في علمك بهما تحذرهما
{بَلِ الْإِنسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ}

المسؤولية لعدم كفاية الفعل..!

....
ما يظهر فساد التفكير عندنا هو اعتمادنا في التحليل والشكوى و التبرير على أحداث و أفعال و نتائج جاءت في أسفل النهر وننسى ما حمله النهر من العين!
و هذا تناقض داخلي خطير...!

هناك أناس عباقرة في تحليل النتائج لكنهم يجبنون عن النزول إلى الأسباب لأنهم جزء منها.
في الحقيقة لا يكاد يوجد بريئ، التواطؤ شبه جماعي، فقط عندما لا نجد مصلحتنا نشكو الوضع الحالي، ونحن جزء من أسبابه الماضية بالفعل أو بعدمه.
توجد أسباب كثيرة معرفية ونفسية و سياسية واجتماعية تفسر ما نحن عليه اليوم،
ومع ذلك يبقى السبب القريب الذي يثبت مسؤوليتنا الجماعية هو :عدم الفعل أو عدم كفايته.
الإنسان الذي يكتفي بالحمل، لا يتصرف، و لا يبادر، ضعيف الطاقة أو الفهم، هامد، سيغلب عليه التسويف.
في قاموس علم النفس :غياب المبادرة و النشاط إلا إذا حُرض أو بعد إيعاز بالفرض أو بسحب جماعي هو في بعض من الأحيان حالة مرضية..!
يقولون :أقل ما تفعل أكثر ما تشعر بأنك لا تستطيع الفعل،والعكس صحيح.
تأتي هذه الحالة السلبية من الهمود عند بعض الأشخاص من فكرة الإتقان :لا أفعل الشيء حتى أفعله كاملا!
و أحيانا من نقص تقدير الذات.
عندما تؤخر الشيء فإنه يذهب لأن الحياة لا تنتظر أحدا.
درجة الوعي تتنامى في كل يوم، لكن هذه الجرعة لا يمكنها أن تصلح ما أفسدته سنين من عدم الكفاءة والفساد في ظرف قصير، لذلك ليتوجه الوعي والفعل نحو المستقبل.
وانظر ماذا يمكنك فعله من الاشتغال على تثقيف عقلك وتهذيب نفسك والاشتغال على مجتمعك،ومدافعة الشر والضعف والعجز وعدم الخبرة و الكفاءة بالممكن من العلم والقدرة.
وعندها ستتحسن كثير من الأمور.

الدِّفاع عن الدِّين مهمَّة الخاصَّة لكن الدِّين لكلِّ المسلمين؛ لا رقيب ولا حارس المعبد، ولكن على الأقلِّ كن معنياً بالقضية.الدِّفاع عن الدِّين مهمَّة الخاصَّة لكن الدِّين

لكلِّ المسلمين؛ لا رقيب ولا حارس المعبد، ولكن على الأقلِّ كن معنياً بالقضية.

جدِّد علمك و عواطفك..!

....

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.
قال الإمام مالك بن أنس_رحمه الله _كلمة تساوي في العلم وزن الأرض ذهبا :
"إذا قلَّ العلم ظهر الجفاء و إذا قلَّت الآثار ظهرت الأهواء"(مجموع الفتاوى 17 /307)
عندما ترجع لتجربتك الشخصية ولتجارب غيرك تجد أن أبرز علامة على الجفاء بين الناس قلة العلم، أو بالضبط عدم العلم الذي يجمع كل العلوم في مسبحة واحدة.
تجد رقي المعاملة و أناقة اللغة بين مختلفين في الملة أو المذهب، والغلظة و الجفاء بين أبناء المذهب الواحد!
ومرد ذلك إلى العلم:قلة وكثرة، و إن كان المعتبر النوعية والجودة.
و كذلك ما نشأت الأهواء ووقع الانحراف العلمي في الأمة إلا بالابتعاد عن علوم الآثار.
إذا كانت أسوأ علاقاتي مع الناس هي علاقتي مع أقربهم إلي ديناً، مذهبا، مرجعية، فكرا ، فهذا يعني أن سوءها ليس من الدين ولكن من نفسي ، يعني: من فكرة فاسدة عن الدين .
فليست المشاعر و العواطف التي تتحكَّم فينا إلا الأفكار الفعَّالة في دواخلنا،فالحب سببه فكرة ايجابية عن المحبوب ، وكذلك البغض و الكراهية ما هو إلا فكرة سلبية عن المكروه استحكمت من النفس.
فنحن ـ في الحقيقة ـ تحت سيطرة أفكارنا التي تبدأ كخواطر ثم تتحوَّل إلى عاطفة.
و الأفكار قد تكون منجزة مستوفية لشرائط التفكير السليم، أخذت كل الوقت في النضوج،ناتجة عن استقراء لموادها و استيفاء النظر في الأمور: كلياتها و جزئياتها؛يعالجها العقل بترتيبها بحسب أهميتها و رتبتها في الشريعة.
وقد تكون ساذجة مبنية على انطباع أولي أو على عقلية الحشد و السرد، لا تكترث

لـ"مبدأ عدم التناقض" فتقف عند كلمة و تهمل مئة أخرى!
يمكن أن نغيِّر هذه العواطف بإعادة فحص الفكرة من جديد،فبتغيرها تتغير العاطفة ، فالعواطف و المشاعر ليست دائمة إلا بدوام الفكرة.
و لهذا نجد كثيراً من الناس كان يبغض أقواما حتى إذا فتح الله عليه و راجع منهجه أو توسَّعت معارفه تغيَّرت فكرته عنهم فتتغيَّر عاطفته نحوهم.
ولهذا أقول دائماً: سبب كل الكراهية التي نجدها عند الغلاة و في كل مذهب وجماعة غلاة :منهج انتقائي يخدع نفسه ،يحشد الحالات الموافقة و يهمل عن قصد الحالات المخالفة، يحتج بفعل هذا ، و يهمل فعل ذاك ممن يقتدى بهم ،يرى مواقف الشدة بدون فهم سببها، و يتعامى عن موقف اللين،لا يعرف إلا أقوال أصحابه والعلم عنده تبع لما يهوى، لا يعرف أيهما الأصل و أيهما الاستثناء، لأنه عاجز معرفياً عن الجمع بين الأشياء، عن التوليف بين الكليات وجزئيتها ،عن وضع الاستثناء و التعليق في السياق الكلي.
يجد من الصعوبة بمكان أن ينوِّع مواقفه بحسب المصلحة، أن يفصل بفاصل واضح بين كلمات التنفير و فلتات الغضب، والنعرات المذهبية التي ملأت مراجعه ، والتي هي في الحقيقة رد فعل وموقف أدبي ردعي له أسباب موضوعية في وقتها: علمية و اجتماعية و سياسية، و بين الموقف العلمي المبني على فحص أسباب المخالفة كـ"نوع الاجتهاد،و أسباب الاشتباه،و القدرة على التمييز بين المتشابهات،و رد القول إلى الحال الغالب على القائل،مع فهم قويم لتاريخ التشريع،و الأسباب المختلفة لظهور المقالات و تطوُّرها و تفاعلها فيما بينها".
فإنه من العجيب أن يقيم العلمُ الشرعي العذر المعتبر فنهمله و نقف عند الموقف الأدبي في زمن زالت كل أسبابه الواقعية و الممكنة.
يمكن لهؤلاء أن يطوِّروا أنفسهم في اتجاه خدمة المقاصد الكبرى للدين، فبالأمس كنا ننكر قول بعضهم: " لنعمل فيما اتفقنا عليه و ليعذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه"، و اليوم أصبحنا نقر بصحة الشق الأول، ولا نزال ننكر الشق الثاني لكن الاعتراف به لن يتأخَّر مع هذه الأحداث المتسارعة المتصارعة بشرط أن نفهم معنى" العذر" و معنى " الإنكار".
فالعذر هو تفهُّم أسباب الوجود الكونية التاريخية و العلمية لا تصحيح ما نعتقد أنه

خطأ.
و ترك الإنكار لا يعني ترك الرد و النقد، فهذا غير موجود في أية أمة لكن تجريده من العداوة و البغي ليظل إنكارا علميا فكريا، لا يؤثر على القسم المتفق عليه ، إذ منطقيا لا يمكن أن نتعاون على المتفق عليه و نتعادى في المختلف فيه!
هناك فرق بين التعاون على المتفق عليه وهو ما نراه كلنا برا و ترك التعاون فيما نراه أو يراه بعضنا إثما، وبين التعاون على جزء والتعادي على جزء آخر، لأنه إذا ترسخت العداوة النفسية امتدت.
العقل الذي يؤصِّل لهذا عقل يعاني من انفصام في أولياته أو ضرورياته.
فقط وسِّع آفاقك بفحص كل الأقوال، ودعك من الحجر على عقلك فإن العلم و الإنصاف أن تنظر في كل الأقوال، لا تستروح إلى قول جماعتك و تُعادي الأخرى بالتقليد عن جهل.
أزل الحدود التي وضعوها على عقلك أو وضعتها لنفسك من تلقاء نفسك إن كنت شخصا يثق في عقله، و يتشوَّف لمعرفة الحق، مهتم بالحقيقة لا غير.
فيمكنك دائما أن تتجاوز قدراتك العقلية الحالية إذا قبلت التعلُّم الاستقرائي، و صرت لا تعترف إلا بالبرهان ثانيا.
و إذا قبلت قبل كل شيء هذه الفكرة: لست الحق المطلق و لن تكونه ،ولا عندك يقين علمي بما أنت عليه، ما معك قد يكون عن جزم هوى لا عن جزم علم ، فسدد و قارب
.
القضية هي الاختلاف بين رجلين: أحدهما مستعد لتطوير فكرته، لتحسينها ، لتلقي الجديد،فحتى في الشريعة يوجد الناسخ و المنسوخ ،و العام و الخاص، و المطلق و المقيد.
والثاني :رضي بما هو عليه، لا عن علم، ولكن عن موقف نفسي، معظمه عواطف و مشاعر و لَّدتها فيه فكرة ناقصة فاسدة.
في الأخير : كما يمكنك توسيع دائرة معلوماتك بأن تزيد فيها في كل يوم جديدا ،يمكنك أن تربي نفسك على عادات جديدة في التعامل مع الناس تكون نبوية خالدة لا تأويلية استثنائية.

منهج طلب العلم..؟!

....

لا توجد وصفة سحرية في طلب العلم إنما هي الهمة و الشغف و المثابرة و مجالدة التصور، ومجاهدة المصطلحات ليلا ونهارا، ولزوم أهل الفهم من أهل العلم إن وجدوا، وإلا فإني رأيت المعلم على الحقيقة هو الرحمن الذي علم القرآن، له من الأسباب، ومن طرق تعليمك ما لا يقف على كنهه أو ضبطه البشر، فاعتمد عليه، و اطلب العلم منه .

بالنسبة لي لم أجد أحسن من برنامج ابن خلدون ـ رحمه الله ـ الذي ذكره في (تاريخه) مع بعض الإضافة و التحسين، ذلك أن الرجل شديد الذكاء ،واسع الإطلاع، قلَّ من يعرف المذاهب الإسلامية العقدية و الفقهية وفي شتى العلوم مثله فإن من يكتب عنها تلك الملخصات في كتابه(المقدمة) لا يكون إلا واسع العلم و المعرفة، دقيق الملاحظة ، محللا بارعا.

ففي الحقيقة لا يوجد للكلام عن البرامج العلمية لطلب العلم أحسن من العلماء الموسوعيين خاصة المحققين منهم.

وقد وقف غير واحد عند طرق العلم المنتشرة في العالم الإسلامي و انتقدها ، منهم أبو بكر بن العربي المالكي في كتابه الرائع (ترتيب الرحلة) و الذي نقل منه في (العواصم من القواصم)جزء الكلاميات، فتحدث عن طريقة المغاربة و الأندلسيين في التعليم، و انتقد بعض فصولها خاصة اعتمادهم الشديد على الحفظ دون مراعاة قوة الإدراك و التصور.

ومثله فعل ابن خلدون وكتب لنا هذا الفصل الرائع :

"وجه الصواب في تعليم العلوم وطريق إفادته:

اعلم أنّ تلقين العلوم للمتعلّمين إنّما يكون مفيدا إذا كان على التّدريج شيئا فشيئا، وقليلا قليلا يلقى عليه أوّلا مسائل من كلّ باب من الفنّ هي أصول ذلك الباب. ويقرّب له في شرحها على سبيل الإجمال، ويراعى في ذلك قوّة عقله واستعداده لقبول ما يرد عليه حتّى ينتهي إلى آخر الفنّ وعند ذلك يحصل له ملكة في ذلك العلم إلّا أنّها جزئيّة وضعيفة. وغايتها أنّها هيّأته لفهم الفنّ وتحصيل مسائله. ثمّ يرجع به إلى الفنّ ثانية

فيرفعه في التّلقين عن تلك الرّتبة إلى أعلى منها ويستوفي الشّرح والبيان ويخرج عن الإجمال ويذكر له ما هنالك من الخلاف ووجهه إلى أن ينتهي إلى آخر الفنّ فتجود ملكته. ثمّ يرجع به وقد شدّ فلا يترك عويصا ولا مهمّا ولا مغلقا إلّا وضّحه وفتح له مقفله فيخلص من الفنّ وقد استولى على ملكته هذا وجه التّعليم المفيد وهو كما رأيت إنّما يحصل في ثلاث تكرارات.

وقد يحصل للبعض في أقلّ من ذلك بحسب ما يخلق له ويتيسّر عليه".

ثم شرع في انتقاد طرق التعليم التي لا تراعي المرحلية.

تلخيص طريقة ابن خلدون:

1_ـ التدرج في كل فن.

2 ـ يكون التدرج بإلقاء المسائل على الطالب على سبيل الإجمال.

3 ـ القصد من هذه الطريقة: تحصيل الملكة (هي صفة راسخة في النفس، وتحقيقه أنه تحصل للنفس هيئة بسبب فعل من الأفعال، ويقال لتلك الهيئة: كيفية نفسانية، وتسمى: حالة، ما دامت سريعة الزوال، فإذا تكررت ومارستها النفس حتى رسخت تلك الكيفية فيها وصارت بطيئة الزوال فتصير مَلَكَة، وبالقياس إلى ذلك الفعل: عادةً وخلقًا.).

وتهيئ الفهم (تصور المعنى من لفظ المخاطب)، لا الإحاطة (إدراك الشيء بكماله ظاهرًا وباطنًا) والتحقيق (إثبات المسألة بدليلها).

4 ـ يدرس كل فن على ثلاث مراحل،أي يرجع إليه ثلاث مرات ،كل مرة تكون أوسع من سابقتها ،فالمرة الأولى: للتعرف على الفن و معرفة مصطلحاته ومسائل.

الثانية :للتوسع فيه و الإحاطة بجميع قضاياه بالشرح(بسطه وإظهار ما خفي من معناه.) والبيان (إظهار المعنى وإيضاح ما كان مستورًا قبله، وقيل: هو الإخراج عن حد الإشكال)

الثالثة: لمعرفة الخلاف فيه وتحقيق المذاهب.

5 ـ يدرس كل فن بمفرده ، ولا يخلط بين الفنون، ولا يغادر الفن حتى ينتهي منه، وهذا أكد عليه ابن رشد في مقدمة" الضروري في أصول الفقه".

6 ـ حتى لا يفوته الانسجام العلمي عندما يقتصر على دراسة فن واحد يخصص ساعة للمطالعة وليس للدراسة يطالع فيها كتبا وعلوما مختلفة.

والحكيم إذا أراد التعليم لا بد له أن يجمع بين بيانين:

1 ـ إجمالي(إيراد الكلام على وجه يحتمل أمورًا متعددة) تتشوف إليه النفس.
2 ـ وتفصيلي(جمع الشيء فصولا متمايزة، ومنه المفصل سمي به لكثرة فصوله أي سوره) تسكن إليه.قاله الزركشي
ـ و العلم تراكمي،و التقلبات الاجتماعية متسارعةو، و المعوقات كثيرة فيلزمك عزم وشغف واستعانة بالمولى، واعلم ان العلم يدفع لبعضه ويرسلك عند أصحابه.

بعض التفكير الايجابي باعتدال !!

....

قيل :النَّاس كالزهر لكل منهم جماله الخاص، يتفتح ويزهر بطريقته وبوتيرته الخاصة..ولكن بعضهم كالشوك أو حنظل.
تحرَّر من ألم الكراهية :حرِّر نفسك بالسماحة والتفاؤل والنظرة الايجابية لإخوانك فالعذر فيه شفاء النفوس.
تقدَّم :وسِّع آفاقك فتزول الحدود التي وضعتها لنفسك من تلقاء نفسك.
تذكَّر:لسنا ضائعين، فنحن تحت عناية الرحمن.
{خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ} [الأعراف]

خطوات المعرفة و أسسها.. ؟

....

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبيَّ بعده.
تحتاج المعرفة إلى: القبض عليها ثم التملك ـ التكوين ثم التوليد" التفريع" ـ الاعتناء ويأتي منه التثمين ـ المشاركة والمساهمة في بنائها "توسيع مجالها بالتشارك".
ويمكن أن نقول: الدائرة الفاضلة للمعرفة: هي: اعثر عليها وحددها ـ تحديثها ـ تطويرها وزيادة قيمتها ـ الحفاظ عليها ـ مشاركة غيرك بها.
يحتاج طالب العلم إذا أراد البحث ومقارعة المخالفين أن يتموقع أولا معرفيا، أي: يحدد موقعه في نظرية المعرفة فيكون له منهج معرفي، ومنها يكون استخلاص موضوع بحثه،و قواعد منهجه.
نظرية المعرفة عند المسلمين ليست واضحة " كتابةً وليس وجودا"، اللهم إلا بعض البحوث وأحسنها الذي تكلم عن المنهج المعرفي عند ابن تيمية بإسهاب مستفيدا ممن سبقه في الموضوع.

فعلى المسلم الباحث أن يكون له موقف من قضايا معرفية منهجية كثيرة رؤية وجودية يستمد منها رؤية معرفية تحدد لديه الموقف من كل المفاهيم المركزية في الفلسفة و الهدف العام، وتساعده في إدراك الهدف الخاص.

فنظرية المعرفة تشكل الخريطة المعرفية التي نحدد من خلالها المبادئ التي يقوم عليها البحث ثم اختياراتنا المعرفية القاعدية.

في الفكر الغربي رؤيتان(تقريبا) : _الرؤية الوضعية: وتراعي المبدأ الوجودي [الفرضية الواقعية]، ومبدأ الكون المربوط [فرضية الحتمية] ومبدأ الموضوعية [استقلال الموضوع عن الذات]، ومبدأ حيادية المنطق [الانفصال العقلاني]، ومبدأ الفعل الأقل [ضبط المتغيرات].

_ الرؤية البنائية :وتراعي: مبدأ التمثيل أو تجربة الواقع [فرضية النسبية]، مبدأ الكون المبني أو غائية صور العالم [فرضية المقاصدية] مبدأ التفاعل بين الذات والموضوع [تبعية الموضوع للذات]، ومبدأ التدليل العام [البلاغة الحديثة] ومبدأ الفعل الذكي.

وهناك رؤية مساهمة هي التحليل الشامل أو الرؤية النظامية.

وكل هذه المسائل التي أشرتُ إليها في الرؤية الغربية لنظرية المعرفة، للمسلمين موقف منها، يحتاج فقط إلى فصله وعزله عن قضايا علمية أخرى.

المقصود أن الباحث المسلم يحتاج إلى تحديد نظرية المعرفة الإسلامية الأصيلة، يعني :المستمدة من القرآن والسنة، على الأقل نظرية المعرفة لمذهبه، وبعد ذلك الشروع في تحديد موضوع البحث وخطوات الوصول إلى الهدف منه.

هناك كتب كثيرة عن نظرية المعرفة عند الغربيين ،وعند فلاسفة المسلمين ،وبعضها تدرس نظرية المعرفة عند فلاسفة معينين لكن أنصح بقراءة المنهج المعرفي عند ابن تيمية أولا وبعد ذلك تسهل الأمور.

ومن ضبط منهجه المعرفي كان بحثه علميا ممنهجا مفيداً بعيداً عن العصبية و السطحية، وما المناكفات الكثيرة بين المسلمين إلا أن بعضهم يناقش بمذاهب انتقائية في داخلها عدة نظريات معرفة متناقضة !

عندما تضبط هذا الباب سيسهل عليك قراءة الكتب بدون تحفظ، لأنك ستكتشف منهج الكاتب وتياره و أصول اطروحته بسرعة، يعني: ستدرك منطلقه المعرفي.

ستتعلم أنه من المهم الوعي بالمنهج المعرفي و التكفل به ، فمن المهم أن تعلن ذلك ولا تخفيه، فالمعتبر صدق المقدمات و منطقية الربط بينها و احترام الاتجاه الذي تقود إليه،والعلم ما قام عليه الدليل.

وإذا ضبطت هذا الباب عرفت كم الانحراف المعرفي الذي وقع في الأمة.

إشكالية المشكل والإشكالية

في العصرين: القديم والحديث ...؟

....

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.

المستقر عليه الآن عند الغربيين أن "المشكل" هو سؤال من طبيعة نظرية أو عملية يصعب تصوره وشرحه وحله، و"الإشكالية" هي مجموعة مشاكل مرتبطة بنفس الموضوع، أي مسألة أو وضعية تثير عدة تساؤلات.

كلمة "مشكل" مستخدمة في أيامنا هذه بوتيرة فريدة، حيث أية صعوبة نواجهها نجعلها مشكلة: مشكلة ضريبية، مشكلة الأيتام، مشكلة المياه الشروب، مشكلة انقطاع الكهرباء.. الح

نحن محاصرون يوميا بهذه التعبيرات، ونعتقد أننا باستلاف هذه الكلمة من العلوم الدقيقة سنضع بعض الصرامة في وضعية الصعوبات، ونكون قادرين أكثر على حلها.

بالنسبة للفلاسفة كانوا يستعملون قديما كلمات "نظرية أو مذهب" لكنهم أصبحوا اليوم يستعملون كلمة مشكل: مشكلة الوجود، مشكلة المعرفة، مشكلة العلوم، مشكلة الأخلاق، مشكلة الدين.

أما الفلاسفة الألمان فيستخدمون كلمة إشكالية "Problematik" لتعيين اختصاص يتعلق بطريقة بسط المشاكل.

وبعد اشتهار هذا التعبير الألماني عقد له المعهد الدولي للفلسفة سنة 1947 بـ «لند "مؤتمرا تحت عنوان: "مشكلة المشكل «، وذكرني هذا بتعبير الآمدي في "أبكار الأفكار ": "هذا إشكال مشكل "!

ونجاح هذا التعبير في هذا العصر يعلمنا بالتوجه الفلسفي المعاصر بعد الحداثة لأنه في القديم لم يستعمل هذه الكلمة إلا الرياضيون بالمعنى التقني المستعمل حاليا "حل مسألة".

وفي اللغة العربية لا نقول:" حل هذا المشكل الرياضي أو الهندسي " ولكن نقول:" حل هذه المسألة الرياضية أو الهندسية ".

هذا الاستعمال لكلمة " مشكل" بالمعنى الرياضي هو ما نجده عندما نفتح "التعليقات على إقليدس" لبرقلس .

والمشكل ـ بالمعنى الغربي ـ في الرياضيات هو نظرية حل مسألة مسبوقة بعلم، يعني: أن الرياضي يملك علما مسبقا سيستعمله في حل المسألة الرياضية، كان اليونان في القديم يعتبرون هذا توليدا للعظمة!

وامتد التعبير إلى الفلك الرياضي حيث نجد أفلاطون نفسه يستخدمه في "الجمهورية" لتعيين البحث في تركيب الدوائر ذات الحركة الموحدة التي من المفروض أن تفسر ظهور الحركة المتغيرة للكواكب، لكن الافلاطوني سبوسيب يرفض استخدامه في الهندسة، ويفضل أن يكون نظرية رياضية مبرهنة، أو قضية رياضية «théorème»، لأن مشكل يعلن لنا ميلاد عظمة، ولا يوجد توليد في الأشياء الخالدة.

الاستثناء الوحيد نجده في كتاب أرسطو "الموضعيات" "Topiques" المخصص لفن النقاش حيث يذكر أرسطو مجموعة مشاكل لكن العنوان ليس من أرسطو بل من القرن الرابع أو الخامس بحسب ليون روبن.

يوجد في هذا الكتاب مسائل رياضية، ومسائل متعلقة بالبيولوجيا والأخلاق، لكن دائما كما في الرياضيات يتعلق المشكل بمسالة عينية ملموسة محدودة، معرفة تفرض وجود مسبق لعلم تطرح في داخله، علم يقدم وسائل حلها.

الفرق بين المشكل "مسألة" والقضية يعود إلى الطريقة التي يطرح بها السؤال فإذا قلنا مثلا: حيوان يمشي ثنائي الأرجل هو تعريف الإنسان أليس كذلك؟ فنحصل على قضية، لكن بالعكس إذا قلنا: هل الحيوان الماشي والثنائي الأرجل هو أو لا التعريف للإنسان؟ هنا هذا مشكل "مسألة".

بتعبيرآخر: بينما لا يحتمل التعريف إلا أطروحة نطالب بقبولها، فإن المشكل يعتبر كممكن عكس الأطروحة المقدمة، ويستدعى في نفس الوقت فحص الحجج المساندة

لهذه الأطروحة والتي ضدها، هو جوهريا جدلي، ومن هنا مفيد للفلسفة مادام جلب حجج للاتجاهين يسمح لنا باكتشاف الحقيقة بسهولة أكبر والخطأ في كل حالة.

وهذه معضلة ضخمة: اعتقاد أن مهمة الفلسفة اكتشاف الحقيقة بالوضع في نفس المستوى العقل الفلسفي و العقل الضروري ، العقل الفلسفي و الوحي، المبنية أساسا على عدم اعتراف الفلسفة بأي حقيقة لم تنبع منها ، لكن للأسف لا توجد في الفلسفة أية حقيقة مطلقة لأن الفلسفة منظومات مختلفة حقائقها داخل المنظومة فقط إذا خرجت منها تبخرت ، ليس في الفلسفة إلا السؤال الجيد ،وهنا نعترض عليها بنفس الاعتراض الروسلي على الشكوكية فنقول: إذا كانت الصفحة بيضاء فالنقاش مستحيل إذ لا بد من علوم مشتركة فعليك الدخول إلى الدائرة التي تقبعين في خارجها.

مصطلح " فلسفة" كثير الاستعمال ولهذا قد يعطي فكرة غير دقيقة، التفلسف هو التفكير في مجموع وقائع لاستخلاص عمومات، يدل على التفكير والتعميم، ولهذا نقول: فلسفة الفن، فلسفة التاريخ ...الخ.

عند فحص شكل الفلسفة، نوع التفكير الذي يناسبها، ما نسميه" العقل الفلسفي" يظهر أنه يمكن تعريفها ـ في العصر الحديث ـ كالتالي: تتمثل في الحاجة بالإحاطة بكل الآراء مضافة إلى خصائص العقل الفلسفي وهي: التفكير الحر الفحص الحر، والتخلص عند التفكير من كل تأثير خارجي عن المنطق، يعني: الاستدلال بدون الاعتراف بأي سلطة إلا سلطة هذا العلم ونور العقل، وللعقل الفلسفي خاصيتان: 1 - الميل إلى التفكير من أجل التعميم، والحرية في التفكير، وهو عقل مكتسب ليس المقصود منه العقل الفطري الضروري.

من هذا الشرط الأخير تتبع بالضرورة الفروق بين الفلسفة والدين، فالدين يقبل بالإضافة إلى شهادة العقل الفطري وإلا فإن العقل الفلسفي عقول كثيرة متناقضة سلطة الوحي الذي يسميه الفلاسفة (التقليد التاريخي)، بينما الفلسفة لا تعترف إلا بالأسئلة والأجوبة الصادرة عن العقل وحده، ومن هنا كان الاختلاف بينما، ونحن نعلم أن المنطق ليس مصدرا للحقائق العلمية لأن دوره تبرير اختيارات الذات فقط.

يزعم الفلاسفة أن التفكير الفلسفي بحسب الأزمنة والظروف عمل بطريقين مختلفين بتعبير آخر هناك شكلان من العقل الفلسفي، أحيانا يتقدم بالتحليل فيقترب من المنهج الرياضي، وهذا غير صحيح فعندما نفحص أقرب الفكر الفلسفي إلى الرياضي أوالذي

يزعم لنفسه هذا وهو فكر سبنوزا نجد الرياضيات فيه هي في كيفية ترتيب المسائل وليس في الاستدلال فعليه قناطير الاعتراضات لأنه يدور في حلقة مفرغة، مثل ما في مسألة " العبارة".

الشكل الحقيقي للعقل الفلسفي هو تركيبي يترك مكانا أكبر لإلهام والخيال بدون الحاجة إلى النظام الرياضي، العقل في هذا النوع من التفكير يرى الوقائع في مجموعها، يتعلق بها خصوصا، يفضل الفرضيات الواسعة التي تجمع الوقائع إلى التحليل الذي يشرحها بدلا من ترتيب أفكارهم في سلسلات يجعل منها مجموعا هذا مثلا العقل الأفلاطوني، انظر مثلا تاريخ مصطلح " الماهية" ومنشأه الأسطوري.

كل تعريفات الفلسفة تجعل موضوعها المطلق، في الواقع العلة الأولى هي الكائن، منه يأتي كل الواقع أو هو كل الواقع فالبحث عن العلة الأولى هو المبدأ الأول، هو البحث عن البدائي المطلق، سواء في عالم المعرفة أو عالم الوجود، ومع ذلك فما هو المطلق في الأول (المعرفة) إنه عقل الإنسان، في الثاني (الوجود) إنه الله، من هنا تلتقي كل التعريفات في هذا: " الفلسفة هي علم المطلق".

وحتى وإن أعتقد بعضهم أنه يمكننا الوصول إلى الحقيقة التاريخية للأنظمة الفلسفية وحتى تحديد تصنيف لها بطريقة موضوعية فإنه لا يعتقد أنه يمكن للفلسفة أن تقترح الحقائق لأن كل فلسفة أصيلة" حقيقية" عندما تجعل نفسها نظاماً تقترح طريقتها الخاصة في تحديد ما هو " الواقع"، وتمييزه عن الظاهر، ولا يمكن بحال أن نثبت أنها أفضل من أخرى.

تهدف الفلسفة إلى الحقيقة، مثل مسلمتها التي نجمت عنها، لكن لا يوجد حقيقة فلسفية خارجية عن نظام.

تنوع الفلسفات يجعل مفهوم" حقيقة فلسفية" غير كاف وغير ملائم على الأقل إذا كانت كلمة " حقيقة" مستخدمة في معناها العادي.».

المشكل إذن هو قبل كل شيء الوعي بالبديل ويأتي من الشك فمثلا: يعلم النجار والمعماري والنحات ما هي المادة التي يعملون عليها، وكذلك يعلم الفلاح والصياد البحري ما هي العناصر: الأرض، البحر، الجو، والتي تقاومهم أو تساعدهم.

كذلك رجل الدين المتصل بإلهه بالعبادات هو متأكد من وجوده؛ وكل هذه العلاقات الحيوية بالمعنى الكامل للكلمة تلد عندهم مجموعة من المشاكل العملية تحلها فقط

التجربة، لكن لا أحد منهم يفكر في طرح ـ بالنظر إلى الموضوعات التي تشغل حياتهم كلها ـ المشاكل الفلسفية التي طرحها على أنفسهم الأينيون الإغريق أو من جاء بعدهم من الفلاسفة: ما هي المادة؟ ما هو أصل العناصر؟ ما هي طبيعة الإله؟
لأنه بالنسبة إليهم وفي نظرهم لا يوجد بديل: المادة، العناصر، الإله، تفرض نفسها كحقائق غير قابلة للنقاش ليكون هناك مشكل.
يعني: يجب أن تبدأ بالشك في هذه الحقائق، وأنها ليست كما تظهر، لا تتغير في شكلها الحالي، لتشك فيها.
قدم غابريال مارسال أطروحة أخرى "التمييز بين الغامض والإشكالي" فالمشكل هو شيء نصادفه يقطع علينا الطريق، هو كامل أمامي، وعلى العكس الغامض هو شيء أجد نفسي منخرطا فيه وليس كاملا أمامي.
الخلاصة على العموم هي أن المشاكل الفلسفية غير موجودة في نفسها، مفصولة بحيث نجدها متطابقة ولكنها لحظات في التفكير الفلسفي للمجموع الذي يحتوي وضعيتها وحلها.
يبقى التفكير كيف لهذا التصور أن يسمح في الفلسفة بتقدم حقيقي والذي في المقاربة الأولية تبدو قليلة التطابق معه[1]
الخلاصة: الفلسفة ليست حل المشكل ولكن المساهمة في عرضه فقط، وينبع منها من أصلها الشكوكي، ولهذا عندما أتذكر قول برغسون: "في الفلسفة إذا كان المشكل مطروحا بشكل جيد فهو محلول" أدرك كمية الأوهام التي عانى منها.
المشكل والإشكال عند المسلمين:
يستعمل علماء المسلمون مصطلح " مشكل " وفعل «أشكل" كثيرا، في كل علومهم، حتى في علوم القرآن وعلوم الحديث فنجد كتبا مثل: " "مشكل إعراب القرآن" لمكي بن أبي طالب، " مشكل الآيات " لأبي الحسن علي بن مهدي الطبري،" مشكل الآثار" للطحاوي، " مشكل القرآن" لابن قتيبة، "مشكل الحديث وبيانه" لابن فورك الذي يسميه ابن تيمية أحيانا " مشكل الآثار، وأحيانا أخرى " تأويل مشكل النصوص " [2]
لكن مع اختلاف معرفي جوهري بينهم وبين الغربيين لأن منطلق الإسلامي هو إمكان اليقين والحقائق المطلقة، ومنطلق الغربيين فلسفة المعرفة والتي ليست إلا التشكيك في

المعرفة كما بينه روسل [ويأتي لاحقا]
المشكل عند المسلمين هو: " ما لا يتسير الوصول إليه، والحق المشابه بالباطل، وعند الأصوليين: ما لا يعلم المراد منه إلا بالتأمل بعد الطلب لدخوله في إشكاله وأمثاله، مأخوذ من أشكل، أي: دحل في أشكاله وأمثاله، كما يقال: أحرم، أي: دخل في الحرم، وأشتى، أي: دخل في الشتاء، كقوله تعالى: {فَأْتوا حَرْثكُمْ أَنى شِئْتُم} اشتبه معنى " أنى" على السامع أنه بمعنى " كيف" أو بمعنى " أين" فعرف بعد الطلب والتأمل أنه بمعنى " كيف" بقرينة الحرث."[3]
وشرح المشكل من الكلام هو بسطه وإظهار ما خفي من معناه، ومثاله عندهم هو المتشابه، فيزول الإشكال بالفكر والتأمل الذي يقود إلى تفصيل الإجمال، ويرتفع الإشكال بالإيضاح، فأشكل الأمر يعني: التبس.
وهو توجه بعيد جدا عن التوجه الغربي لهذا نجد الكفوي يقول في " الكليات" ملخصا موقف العلماء: "لا يحسن في العلوم اليقينية إيراد الإشكال والاعتراض مع الإعراض عن حلها لأن ذلك تهاون في أمر الاعتقاد فلا يليق إلا بطريق الإرشاد، كما لا يستحسن إيراد برهان المغالطين ودلائل الفلسفة بلا إيراد إشكال عليها لأن ذلك إخلال في تحقيق الحق وتعيين الصواب." [4]
قضية المشكل وأحيانا يقال عنه " المتشابه" عند المسلمين هي في ضوابط الحكم بأن هذا مشكل أو متشابه، هل هو محض العقل؟ وبناء على ماذا يكون العقل مستشكلا على النصوص؟ فحيث ظن الناظر أن هذه الآية تخالف غيرها من الآيات المحكمة البينة جاز أن نقول عن بعض الآيات إنها مشكلة ومتشابهة، ما نسميه " رد المتشابه إلى المحكم «، " المجمل إلى المفصل ".. الخ.
لكن إذا نطق الكتاب أو السنة بمعنى واحد لم يجز أن يجعل معارض ذلك المعنى هو الأصل وما في القرآن والسنة مشكلا متشابها لا نقبل ما دل عليه!
فهنا نحن أمام مشكلة التموقع المعرفي بسبب نظرية المعرفة أو على الأقل الجانب العملي منها التي تفرض: هل يجوز أن تأتي الشريعة بما يخالف العقل الضروري؟
وهو شبيه أن نقول: هل يمكن أن يتناقض الوحي؟ هل يمكن أن يخالف الوحي الحقيقة كما هي في الواقع؟
لابد أن نفرق بين هذا وهو كثير في التراث الإسلامي الكلامي والفلسفي وبين ما قد

يشكل على بعض الناس من نصوص لا يفهمونها فهي مشكلة بالنسبة إليهم ليست مشكلة في الشريعة وهذا لعجز فهمهم عن معانيها.

فالتموقع المعرفي هنا هو: إما أن نجوز وجود في القرآن ما يخالف صريح العقل والحس وإما لا نجوز ذلك؟ ويتفرع عن هذه مصائب عظيمة في المعرفة.

لا شك أن المسلمين اتفقوا على ان القرآن شفاء لما في الصدور من الشبه والخواطر السلبية والوسواس وأنه بيان للناس لكن إذا اختفت آثار الرسالة مكانيا أو زمانيا فقد لا يعرف بعض الناس اللفظ الشرعي أو يعرفوه لكن لا يعرفون معناه.

ولهذا لم تقع في المسلمين جاهلية نسبية في العبادة وفتن السيف والتفرق شيعا فقط بل ما وقع من جاهلية نسبية قولية " علمية" أسوأ بكثير، وهي أصل العملية. [5]

تقوم الفلسفة كلية على الشك، والاختلاف في نسبته فقط إذ هذا جوهرها التحتاني، الأس لوجودها، خاصة الفلسفة الحديثة لكن يهذبون المعنى بمفهوم: الفلسفة هي نقد المعرفة، ومعلوم أنه لا نقد بدون شك.

ولهذا ينتقد روسل في كتابه "مشاكل الفلسفة" الارتباط بين هذا المفهوم والشكوكية المطلقة التي تتموقع في خارج المعرفة كلها، ثم تتربص من وجهة النظرهذه الخارجية اللحظة التي تضطر فيها إلى الدخول من جديد إلى دائرة العلم.

تطلب الشكوكية المستحيل لأنه لا يمكننا ابداً تفنيدها، لأن كل تفنيد يجب أن ينطلق من علم مشترك بين المختلفين، فإذا كان الشك كصفحة بيضاء لن يستطيع أي استدلال مجرد الابتداء.

نقد المعرفة الذي هو مهمة الفلسفة لا يمكن أن يكون من النوع التخريبي إذا أردنا نتائج إيجابية، وضد الشكوكية المطلقة لا يمكن أن نعارض بحجة منطقية، لكن من السهل أن نرى أن مثل هذه الشكوكية هي غير عقلانية.

يحاول روسل تبرئة الفلسفة الحديثة من الشكوكية بتمييز الشك المنهج الديكارتي الذي تتأصل فيه هذه الفلسفة، والذي يتكلف ليجعله من العمليات النقدية التي تمثل ماهية الفلسفة، يتعلق الأمر بحسبه في مساءلة ما هو ظاهرا مشكوك فيه، أخذ أجزاء العلم المفترض جزءا جزءا للتفكيرهل يمكن أن نشعر باليقين بأننا فعلا في المعرفة.

يقول: ليس من المعقول رفض الاعتقادات التي لا تقبل الاعتراض مهما دققنا فيها لكنه لم يوضح ماهية الاعتراض فأصلا كوجيتو ديكارت عليه اعتراضات كثيرة من

عند غاسندي وهيوم وبورت رويال وهوبس وكنط وغيرهم كثير، والمقصود هل الاعتراض معيار موحد أم أنه يعاني من مشكل الفلسفة الأصلي: منظومات مختلفة متناقضة؟!

في الحقيقة ديكارت في كوكب وروسل في آخر مع أنه يمكن قراءة الشك المنهجي على طريقين: طريق عقلي متعلق بتعليق الحكم ثم طريق نفسي عميق مرتبط بقضايا الوعي، والمقصد الحقيقي من عبارة ديكارت ~ كما بينته في بحث مستقل ~ هو أنه قصد بالشك الشعور الداخلي بمعنى: إدراك ذاته من خلال شعوره بها، فالشك ~ بالنسبة إليه ~ هو لإثبات علاقة بين الذات والوعي [هي الروح عنده] وأن الوعي بالروح هو الوعي بالنفس الحقيقي.

ويمكن أن نلمس ذلك من العبارة نفسها، كما يمكن أن نلمسه من أقواله، فإنه كان ينهي عموم الناس عن الشك، ويخبرهم أنه خطير قد يضل الإنسان طيلة حياته، وأنه إذا امتد فيهم شلهم عن العمل، وهم بحاجة إلى الفعل؛ فكان يوصي في حالة الشك بالالتزام بعادات وديانة البلد.

كما كان يقول: يلزمنا أولا معرفة الخير جيداً، وبدايةً معرفة الله التي تجعلنا نشعر بمحبة عقلية اتجاهه، فالشك بالنسبة إليه تجربة خاصة شخصية، على كل واحد أن يكتشف طريقه بنفسه. "البحث عن الحقيقة".

تعتبر المثالية أن الكائن بالدرجة الأولى فكراني، كل شيء أفكار، ويفسرون العالم بالعقل، يعني: الله عندهم عقل أو روح خالصة، في القرن18 م تطور التيار الفلسفي الديكارتي إلى ثلاث فروع : - تيار ليبنتز و يغالي في الروحانية الديكارتية و يصعد بها نحو مثالية مطلقة، و - تيار لامتري يتعلق بالميكانيكية و يهوي بها نحو المادية ، و أخيرا تيار المدرسة الانجليزية اتبع مسارا وسطيا حيث تنصهر المثالية مع الوضعانية.

- تعني المثالية " ميل فلسفي يتمثل في رد كل وجود إلى الفكرة بالمعنى العريض للكلمة، يعني: وفقا للمعنى الديكارتي لحقائق الوعي نلحظ صورتين: التي ترد الوجود إلى الفكرة الفردية والتي تختزل الوجود في الفكرة العامة.

ما يعني أن الموضوع الوحيد المعروف هو الفكر أو مجموع تغيراتنا الذاتية التي من ضمنها أفكارنا، إذن لا حقيقي إلا أفكارنا (وإن كان ديكارت يميز بين الوجود أو

الموضوعي الحقيقي والفكر) كان واقعيا وبالنسبة للواقعية المثالية فهي شكوكية جزئية، وحتى مثاليته سموها «إشكالية" لأنه الشك في الوجود الخارجي، واليقين في واقعية الذات المفكرة.

الشك عند ديكارت عدة مستويات: الشك المتعلق بحقيقة إدراكاتنا = شك في الحس مثال: الوهم البصري (تأملات ميتافيزيقية) مع العلم أن الخطأ من العقل فليس الحس إلا ناقلا، والشك المغرق يعني: ما كان متعلقا بالحس يبلغ كل مجال الحقيقي، العالم المعقول كذلك، الحقائق العلمية نفسها، بواسطة الشك وصل ديكارت إلى الكوجيتو والذي يلخص بأنه إثبات بطريقة تجريبية حدسية للشعور وليس منطقية حريتنا (مبادئ الفلسفة).

يحاول روسل ـ وهو أصلا رجل ملحدعاش في الشك ومات فيه ـ أن ينقد الفلسفة من السم الذي يسري في عروقها وهو الشك بأن الفلسفة في تصوره لا تسعى إلى التدمير بدون سبب، ولكن في فحص قيمة كل جزء من العلم أو المعتبر علما.

ثم يدعو إلى قبول إمكانية الخطأ الإنساني الذي تعمل الفلسفة على تقليله لكنها في الحقيقة تضخمه، ولا يمكن روسل أن يضرب مثالا واحدا عن فيلسوف او مسألة فلسفية اتفق عليها الفلاسفة.

لا يمكن اجتناب الخطأ ولا أحد معصوم منه لكن هذا من الذات وليس من الموضوع وفي غير ما جاءت به الأنبياء.

انطلق روسل من فرضية وجود شكوكية مطلقة، وهذا فرض مستحيل فلابد للشاك من شيء يسلم به فحتى الحجر لا يمكنه الشكوكية المطلقة لأنه موجود وتتكسر عليه الأشياء.

منطلق روسل هو أن الشك يفيض في الفلسفة من كل جوانبها وأنه يعتقد أن كثيرا من الفلاسفة يؤكدون على قدرتهم على الإثبات بالاستدلال الميتافزيقي [اجتنب تسميته بالعقلي لأنه ملحد] وقبليا العقائد الأساسية للدين وجوهر عقلانية الكون ولا واقعية الشر! ومثل هذه الاطروحات... وهذا شيء رائع لكن ما إن نفحص بانتباه الحجج التي تسندها يتبين أنها مملوءة بالضبابية ومعلقة بتأكيدات مجانية، يعني مثل تأكيداته هو بغض النظر عن اختصاره لمذاهب كثيرة في مسألة الشر في مذهب واحد.

وعليه، فإن الاستشكال على النصوص من دون وجود تعارض بينها هو استشكال

فلسفي بالمفهوم الغربي كما بينته قد يوافق منهج الشك عند الغزالي أو بعض المعتزلة لا يناسب المعتصمين بالكتاب والسنة الذين لا يرون الشك وسيلة للمعرفة إلا في النظريات البعدية لا في المعارف الفطرية القبلية.

يمكن أن نتحقق بنفس الطريقة من مصطلحات غربية كثيرة الهدف منها علمنة الخطاب الفلسفي والعقلي مثل مصطلح " جدل" و"جدلية"، ومتعالي، ومفارق، لا متناهي ... الخ.

....

الهامش:

1 ـ إميل بريهي (1876-1952)، مفهوم المشكل في الفلسفة، دراسة الفلسفة القديمة ،1955، ص:16-10 باريس، الطباعة الجامعية لفرنسا.

2 ـ قال: «ابن فورك» وذويه كانوا يميلون إلى النفي في مسألة الاستواء ونحوها، وقد ذكرنا فيما نقله هو من ألفاظ «ابن كلَّاب» وهو من المثبتين كذلك كيف تصرَّف في كلامه، تصرفًا يشبه تصرفه في ألفاظ النصوص الواردة في إثبات ذلك، كما فعله في كتابه «تأويل مشكل النصوص» فكان هواه في النفي يمنعه من تتبع ما جاء في الإثبات، من كلام أئمته وغيرهم". بيان التلبيس 1/146

3 ـ الكليات 538/1

4 - 1/1088

5 ـ انظر مجموع الفتاوى 17/307

6 ـ مشاكل الفلسفة، المدخل، ترجمة فرنسوا ريفنك، منشورات بايو 1989.

مخطط دراسة العلمانية

هذا مخطط بالعناوين المهمة لمن أراد دراسة العلمانية دراسة أكاديمية جمعته من بحوث غربية اهديه لطلبة الأقسام العلمية المهتمة بالموضوع.

العلمانية:

1 ــ تعريف العلمانية 2 ـــ تعريف العلمنة 3 ـــ تعريف اللائكية 4 ــ نقاط الاختلاف بينهما

العلمانية اجراء مرتبط بالحداثة:

ــ الحداثة هي الرحم الاجتماعية و السياسية و الثقافية للعلمانية،فحيث طورت الحداثة قوتها الحضارية أصبحت المسيحية منزوية الى هامش الحياة الاجتماعية(قضية خاصة للأفراد) يقل عددهم باستمرار ،لم تعد تشكل عمق سلوك ووعي الإنسان الغربي.

ــ في نهاية القرن 19م و بداية القرن 20م أصبح الدين مقرونا بالمجتمع التقليدي مآله الاختفاء من المجتمعات الحديثة (ثورات ــ ودمقرطة) (أوغست كونت: نظرية الدول الثلاث) ــ (كارل ماركس: الدين= أفيون الشعوب) ــ (دوركايم : انحسار ضروري للدين في المجتمعات الصناعية).

ـ عقلنة علمية و تقنية لعالم مفرغ من كوسمولوجيات مقدسة(خيبة آمال العالم).

ـ تأكيد استقلالية الفرد (الذي أصبح ذاتا سياسية واجبا عليها أن تعيد اختراع نفسها)

ـ تخصص المؤسسات (أذن كذلك الدين).

ـ انحسار الدين شكَّل حينئذ مؤشر للعصرنة.

ـ العقلنة الغربية:

ـ عند ماكس فيبر ، لم يعد الدين ضحية غير مباشرة للحداثة و لكن فاعل كامل في سير العملية.

ـ أهمية الأثنن ethnicisation (الانتقال من التقنية السحرية الى تنظيم اخلاقيات الحياة الدينية)

ـ مركزية الاصلاحات البروتستنتية : عقلانة العلاقة مع العالم من مبادئ دينية.

ـ معاينة الخسارة الدينية: 1930/1960م معاينة الكنيسة لانحسار الالتزام الديني ـ الرغبة في قياس و تحليل الظاهرة (تحليلات اجتماعية تحت عنوان: أفول حضارة المعابد) ــ الأسباب: الخوصصة نتيجة للثورات و القوانين اللائكية ـ(شيطنة الحداثة يعني الاعتماد على التهويل بدلا من المواجهة الفكرية)

ـ منعرجات60 /1970م أزمة المعاصرة:

ـ افتقار المجتمعات مابعد الصناعية ــ أول صدام نفطي ــ نقد الاستهلاك كغاية في نفسها ــ المهاجرون و الفسيفساء الثقافية = الشعور بضرورة إعادة التفكير في الديانات التي في طريق انهيار سريع بالضبط النصرانية.

ـ الأمثلة الأربعة المضادة وشعور عودة الدين:
ــ أسباب لمراجعة براديجم انهيار الدين: 1 ــ الديانات العلمانية مثل الشيوعية و عبادة القائد =ديانات بديلة ــ2 ـ الديانات الشعبية و الحاجة إلى الشعائر التعبدية (تعقلن الفاتيكان) ــ 3 ــ الدور السياسي للدين (الهيات التحرر في امريكا اللاتينية ـ الثورة الايرانية ـ انتخاب ريغان) ــ4 ـ الحركات الدينية الجديدة (البوذية التي مست الطبقات الغربية الوسطى المثقفة) ـ الحركات الإسلامية .
ـ المنعرج البراديجمي:
ــ ما بين 1960/1980م بداية وعي المؤرخين و علماء الاجتماع بالتغييرات الجذرية ما يسميه (Olivier Tschannen) المرحلة البراديجمية حيث تفرض فكرتان نفسيهما: 1 ـ يجب مراجعة براديحم الانهيار على ضوء التحولات الاجتماعية التي ضربت أوروبا ــ 2 ــ خصخصة الدين (مرتبطة بانحساره) لم تعد مؤشرا كافيا على العلمنة.
ــ تحرر علماء الاجتماع الدينيين من وصاية الكنيسة بفرض براديجم العلمانية بداية 1970م :البروتستنتية دفعت فكرة الانسان المعاصر ـ اللغز الأمريكي كتحد لمفهوم إزالة المسيحية في العالم المعاصر (المعاصرة لا تعني انحسار الدين)
ـــ منظرو العلمانية لهذا البراديجم الجديد :

- Thomas Luckmann (The Invisible Religion, 1967 [1963])
- Peter Berger (The Sacred Canopy, 1967)
- Bryan Wilson (Religion in Secular Society, 1966)
- Richard Fenn (Toward a Theory of Secularization, 1978)
- David Martin (General Theory of Secularization, 1978)
- Karel Dobbelaere (Trend Report. Secularization : A Multi Dimensional Concept, 1981)

الأفكار المشتركة :
1 ـ عملية العلمنة لها جذور دينية ــ 2 ــ هذه العملية لا تستلزم اختفاء الدين.(التفكير في العلمانية كنتيجة تحولات اجتماعية= العقلنة و التمييز ــ العلمنة = عملية فقدان الكنيسة للتحكم في تربية الأجيال لصالح الدولة و التعليم اللائيكي ــ مقرون بأفول

الالتزام الديني ـــ تغيير الاخلاقيات ـ
ـــ بريان ويلسون: العلمانية التمييز الهيكلي للنظام الاجتماعي (سحب التعليم ـ التربية الخلاقية ـالعدالة و المعرفة و التكافل الاجتماعي من رجال الدين) différenciation structurelle du système social » (1976, p. 40).
ــــ دافيد مارتن: يرفض البعد الكوني لعملية العلمانية ويركز على مفهوم التعدد(pluralisation) يميز بين بلدان أحادية القطب المسيحية مثل فرنسا و ايطاليا من بلدان التعددية البروتستنية مثل انجلترا و امريكا من بلدان الاختلاط المانيا و سويسرا
ـــ كرال دوبليير: الصفة المتعددة الأبعاد للعلمنة(العلمنة = مستوى اجتماعي ـــ التغييرات الدينية = مستوى مؤساستي ـــ المشاركة الدينية = المستوى الفردي).
ـــ ثلاثة مفاهيم مركزية عند تشانن:
1 ـــ التمييز: الحياة الاجتماعية تتفرق في دوائر متميزة (دينية و لا دينية) ،مما يستلزم تحكم ذاتي autonomisation (برجر و ويلسون) ، خصخصة(لوكمان) تعميم المرجعيات الدينية خارج الدوائر الدينية (فيبر، بارسونز،لوكمان) تعددية رؤى العالم داخل الدائرة الدينية مع منطقيات تنافس (برجر) و أفول الالتزام و الانتماء الديني.
2 ـ العقلنية: المعايير العقلانية تفرض نفسها في الدائرة اللادينية و تصبح مؤسسساتية تنكر وجود المقدس، يجري هذا على مستوى المثقفين و لكن كذلك على مستوى التنظيم الاجتماعي، السياسي ..الخ مما يستلزم : علموية اجتماعية (scientisation) التي تحدد النظام الاجتماعي بطريقة عقلانية (ويلسون) انهيار رؤية العالم لأن المنظومات تفقد في الاقناع و الامكانية الثقافية é) بسبب المنافسة نفسها (برجر ـــ لوكمان ـــ ويلسون) .
3 ـ العولمة : المجال الديني(الدائرة) يلتفت الى المصالح الخاصة له اللادينية ، تعويض اخلاقيات متوجهة للغيب بأخلاقيات المجتمع الراقي mondaine (فيبر) التدين يفرض نفسه كتزود بالمعنى و أداة التحقيق الشخصي.
ـ اجتماعيات وطنية: المعارضة :دولة/دين

ـ خصخصة الاعتقاد:
تقلص الانتماء الديني للمسيحية ــ تنامي الالحاد ــ نمو الالتزام الديني(المجموعات الإسلامية)
ـ العلمانية = عصرنة وتحديث:
ـ النظريات العلمانية غير قابلة للرجعة : الأصوليات ليست إلا مقاومات ظرفية/مؤقتة ـــ نجاح الروحانيات من الشرق الأقصى ضمن منطق خصخصة فردانية الاعتقاد.
ـ منعرج 1990م: ثلاث ظواهر كبرى :
1 ــ تشكل الإسلام الأوروبي 2ــ ظهور المشكل الاجتماعي للفرق sectes 3ـــ عودة الدين في العالم و الاستثناء الأوروبي.
ـ الوجوه الدينية للمعاصرة :
ـ الملتزم (تدين جماعي واجب ومؤسسساتي) ــ الحاج (تدين فردي خارج المؤسسة) ـ المعتنق (القطيعة مع دين والتعلق بالاختيار) نظرية هرفيو ليجر
ـ علمنة المعاصرة:
ـ لا يقين ما بعد الحداثة مع خيبة آمل المعاصرة
ـ ثنائية القديم و المعاصر
ـ بين العلمانية و الايديولوجية (ـ تأويل الدين بين العلمانية و الايديولوجية):ـــ الدين المسيس و السياسة المتدينة(الإسلام السياسي)ــ الحركات الاسلامية في مواجهة العلمانية العربية (ــ المسيري ـــ الحوالي)ـ العلمانية العربية كدين مزعوم نظرية علي مبروك: نقد اركون ـ الجابري ـــ قيم الدين المشتركة بين البشر ــ ـــ الشفافية الدينية بضاعة علمانية.(العلمانية أيديولوجية سياسية)
السلطة الدينية و السلطة السياسية:
ـ تنامي التطرف ـــ السلطة السياسة و السماحة ـــ إزالة سلاح الديانات
تناقضات العلمانية:
ــ احتفاظ الدين على الحياة الجماعية ــ الأصالة: تراجع الدين المؤسستي في أوروبا(في العالم العربي محاولة الدولة السيطرة على الدين) ــ عودة التدين: حقيقة أم وهم ــ مكان الدين في النقاش العمومي ـــ تقديس التنوع
العلمانية و العالمية: ــ النزاع بين العالمية و الكونية

مفهوم العلمانية : المنظور التاريخي و النقد
ـ العلمانية مصطلح متعدد المعاني و هجين(polysémique et hybride) : الفرق بين العلمانية نسبة الى العلم و العلمانية نسبة الى خصخصة الدين
ـ الأبعاد الثلاثة للعلمانية:
1 ـ المحايدة (neutralisation): مفهوم "مواطن يتحدد بمقاييس أخرى" ـ الفصل بين الديني و اللاديني ـ علامات و معايير الانتماء للدين من عدمه ـ
2 ـ خصخصة الديني :المطالبة بالصفة الشخصية للاعتناق الديني ـ مصطلح " الوعي الجوال الرحال" فرض نفسه على شرعية فرض الحقيقة على الناس ــ إذا قبلت الديانات النسبية قبلت في العام : تدخل في حقوق الإنسان وحرية الأشخاص ــ عدم الاعتراف بالأجسام الدينية بأية خاصية جوهرية (عادية).
3 ـ عقلنة الحياة: على المستوى الفردي و الجماعي (التمييز التقدمي شيئا فشيء لمختلف مجالات"دوائر" النشاط: المحو المتنامي للتراتيبة بين هذه الدوائر و بين القيم و انهيار التمثيل الرمزي (الديني و الميتافيزيقي)
ـ التطور ــالاستدانة ــ النقل و التحول ــ طرق العلمنة: العلامات و المقاييس و الأساليب لنوع من الانتماء الديني طوعي حتى في نظر الملتزمين أنفسهم.
ـ علمنة وتفردانية : (جوزاف مايستر) تعديل و معايرة أطروحة العلمنة : الفردانية هي مظهر وتابع الشر في الديانات معنى الأنانية الابتعاد عن الصحيح و الخير.
ـ لائكية و التعليم: (إدغار كيني)
ـ ماكس فيبر :علمنة و عقلنة و خيبة أمل (البروتستنتية آثار غير مقصودة لصالح مثالية المعاصرة مثل"الفحص الحر،وحرية الضمير و التسامح ، استقلالية الحكم في العلوم كما في قضايا الإنسان،ما هي مساهمتها بالضبط بول فاين) فيبر: دور نظرية العدالة الالهية في تغيير المذاهب الدينية من خلال محاولة الدفاع بمنطق و عقلنة الدين ــ التعريف الزوجي للعلمنة و العقلنة تركهما أعمال هيجل و اعمال ماكس فيبر ــدور مهم في تاريخ الابستمولوجية أطروحته مثل:" دور الطهرانية (puritanisme) في بروز روح الرأسمالية.
ـ هيجل: عقلنة الدولة و الذاتية الحرة (العقل في التاريخ)(فلسفة غير مؤرخة وغير اجتماعية) دور الدولة في عقلنة الحياة الاجتماعية عند هيجل أقوى من فيبر ــ

الديانات جسر نحو الحقيقة ديناميكية و ليست حائزة على الحقيقة.
ـ الختام : عقلنة و عولمة : في مواجهة التعدد الديني وخوفا من صعود الأنانيات تخيل روسو دينا مدنيا من خلال مقارنة للديانات الايجابية (اختزال المذاهب من أعلى "الدولة")
المراجع :
ماكس فيبر : سويولوجية الدين ــ مارسيل غوشي : خيبة العالم ــ إدغار كيني: تعليم الشعب ــ بول فاين: اليونان هل صدقوا أساطيرهم ــ هبرماس: عقلنية التصرف و عقلنية المجتمع ــ جون بول ويلام: سوسيولوجي و دين ــ إريك فايل : هيجل و الدولة ــ غي بلانتي بونجور : هيجل و الدين ــ هيجل: مبادئ فلسفة القانون ــ كلود بروير : المنطق و الدين المسيحي في فلسفة هيجل ــ
ـ علمانية هدم الدين لأنه خرافة (العقل الحداثي المادي) ـ تأصيل العلمانية بالدين ــ علمانية الدولة لا علمانية المجتمع.

ملاحظة :
هذه عناوين لمختلف القضايا التي تطرحها الدراسات العلمانية او عن العلمانية اظن ان الطلبة سيجدون أفكارا مهمة كثيرا لرسائلهم العلمية.

الأبستمولوجيا وفلسفة العلم للتثقيف
ملخص قصير بما كتب في الموضوع
....
هذا المقال هدية للإخوة الذين يبحثون نظرية المعرفة سياسيا..!
ـ هناك تداخل وترادف بين الإبستمولوجيا ونظرية المعرفة وفلسفة العلوم " درجات الاختلاف والتمييز بين المعرفة العلمية وغير العلمية، بين العامة والخاصة" وأيضا تداخل مع اجتماعيات المعرفة وتاريخ العلوم وتاريخ الأفكار والمنطق التحليلي.
مقدمة:
1 ـ) فلسفة العلوم (،) تاريخ العلوم (، (تاريخ الأفكار) و (الأبستمولوجيا)، (نظرية

المعرفة)، (نظرية العلوم)، (اجتماعيات العلوم) يشكلون مجموعة معارف متكاملة خاصة بالمعرفة العلمية.

2 ـ دراسة واحدة يمكن أن تجمع كل هذه الخطوات بحيث أن التمييز بينها ليس دائما سهلا.

الأبستمولوجيا:

1 ـ الأبستمولوجيا من اليوناني " épistèmê " ومعناه «العلم"، تُسمى أيضا " نظرية المعرفة".

2 ـ مصطلح انكليزي نحته الميتافيزيقي جامس فريدريك فريي [1808-1864] للتدليل على نظرية المعرفة، ظهر أول مرة باللغة الفرنسية سنة 1901 في ترجمة مؤلف لـ برتراند روسل ثمَّ سنة 1906م، في إضافات قاموس لاروس الجديد المصور.

3 ـ كنط في "نقد العقل الخالص" (جانب مثالي) وهيوم (جانب تجرباني) وكوهين هرمان من مدرسة ماربورغ أسَّسوا الأبستمولوجيا المعاصرة من خلال إخراج مبادئ وطرق فيزياء نيوتن.

4 ـ تمَّ تكميلها من قبل: أرنست كازيرر في "مشاكل المعرفة في الفلسفة" وليون برانشفيك في "مراحل الفلسفة الرياضية" وجون فيلمان في "فلسفة الجبر" وباشلار في " العقل العلمي الجديد"، هذا الأخير بيَّن أن التفكير العقلاني: جهد وضع المنظومات سابق على الاتصال بالتجربة، لكن التجربة دائما ما تفجر كل منظوماتنا العقلانية.

نعني بالأبستمولوجيا: 1 ـ دراسة طرق المعرفة المطبَّقة في العلوم.

2 ـ دراسة طبيعة الحجة وشروط الاعتقاد العقلي إذن هي تفكير فوقي(métaréflexion)

تقنيا: ـ الوصف والفحص الناقد للإجراءات، لـ النظرية والتطبيقات التي يقوم عليها العلم.

ـ كلاسيكياً: نميز فحص المبادئ الكبرى، طرق البحث والتجريب، وأخيراً خلاصات الأنظمة العلمية.

ـ تُميز في العلم معين:

1 ـ المبادئ الوجودية: ما هو موجود.
2 ـ والمعرفية طرق التعرُّف.
3 ـ وأخيراً المظاهر العملية مثل: أشكال التجربة والتقنيات المستعملة.
ـ تحاول الأبستمولوجيا تشكيل النماذج العلمية 1 :[paradigmes] ـ (المبادئ العامة والمناهج المقبولة).
2 ـ لها وجهان: الأول: الجانب المعياري الذي يهدف إلى تحديد ما هو العلم إذن تحديد مجال العلم؟ هل هذا الاختصاص علم؟ تعطي الطريقة الصحيحة لتنظير المعايير التي يجب احترامها تقترح تطوير الاختصاص وتحسينه.
الثاني: جانب وصفي: ما هي هياكل الديناميكية الداخلية لاختصاص علمي؟ الجانب النقدي.
3 ـ الأبستمولوجيا هي فعل الفلاسفة المهتمين بالعلوم، لكن كذلك الباحثين أثناء عملهم، عندما يفكرون في اختصاصهم نُسميها أحيانا " أبستمولوجيا تأسيسية ".
أسئلة الأبستمولوجيا: 1 ـ (حدود المعرفة) ماذا يمكنني أن أعرف؟ وكيف؟
2 ـ (مصدر المعرفة) من أين تأتي المعارف؟ من الحس أو العقل؟ تمييز نوعين أساسيين من المعارف:
أ ـ المعارف الحسية من خلال أصلها، والتجريبية من خلال طرقها.
ب ـ المعارف العقلية، مثالية أو ثقافوية.
3 ـ هل معارفنا صحيحة، ثابتة؟ كيف نحكم على صحته أو على قيمته؟ ماذا يعني أن تكون نظرية علمية صحيحة؟ كيف نتحقق من صحة نظرية علمية؟
4 ـ هل يمكن أن نبرِّر الاعتقادات الجمالية الأخلاقية والدينية؟
5 ـ هل العلوم التجريبية هي المصدر الوحيد للمعرفة؟
1 ـ ما هو العلم" العلوم"؟ ما الذي يميز هذا النوع من العلم عن غيره؟ كيف نحدده"نعرفه"؟
2 ـ كيف تكوَّن هذا العلم؟ ما هي العوامل " تقنية ـ رياضية ـ اجتماعية ـ فلسفية ـ دينية الخ" التي أثَّرت على تطوُّره؟ وما هي طريقة العمل والتفكير التي استعملت في بنائه؟
ما هي الأبستمولوجيا المعاصرة: يستعمل حاليا للتدليل على شيئين مختلفين:
1 ـ نظرية عامة للمعرفة الإنسانية العلمية وغير العلمية الأكثر شيوعا للمصطلح

الانجليزي " الأبستمولوجيا"، يمكن اعتبار الأبستمولوجيا فرعاً عن الفلسفة التي تعالج: الطبيعة والقيم وحدود المعرفة الإنسانية.
2 ـ "نظرية المعرفة العلمية" أو "فلسفة العلوم" هذا التحديد الثاني أضيق ويتمسك به عموما المؤلفون باللغة الفرنسية، " النظرية العامة للمعرفة" محددة بالمصطلح النادر[gnoséologie]
ملاحظة: 1 ـ تقييد نطاق التحليل الإبستمولوجي على المعرفة العلمية يسمح بالتميز بينها وبين فلسفة المعرفة.
2 ـ بعض علماء الأبستمولوجيا المعاصرين يميزون أيضا بينها وبين فلسفة العلوم، هذه الأخيرة تُخضع التفكير في العلم لاهتمامات فلسفية عامة.
3 ـ يُبرِّز هذا التعريف نقطتين مهمتين:
الأولى: أن الأبستمولوجيا هي خطاب عن العلم إذن يفترض مسبقا العلم، بهذا المعنى تأتي بعده.
ثانيا: الأبستمولوجيا هي خطاب نقدي عن المعرفة العلمية، عن إعداده وتطوره يعني: يجب عليها تحديد موضوعها " ما هو العلم" ومنهجها: تحديد معرفة ما حقيقية علمية ومعرفة غير علمية تُسمى غالباً "علم مشترك"، أو "حس مشترك"، يفترض وجود فارق واضح بين هذين النوعين من المعرفة.
4 ـ إذا كان مصطلح " الأبستمولوجيا" منحوتا في هذا العصر فإن "فلسفة العلوم" ترجع إلى العصور القديمة مادامت العلوم كانت موضوع تفكير أفلاطون وأرسطو وعند العلماء منذ 25 قرنا، لكن الذي ميَّز في الغرب العلوم كموضوع مستقل خاضع للتحليل الفلسفي هو كنط.
5 ـ طبيعة الأبستمولوجيا تجعلها تابعة لمجال الفلسفة ولا يمكن اعتبارها غريبة كلية عن "فلسفة العلوم" بل هي جزء منها، ولليوم لا تزال مسالة التمييز الواضح بين "الأبستمولوجيا" و "فلسفة العلوم" مفتوحة.
6 ـ من المهم أن نلاحظ أن النصوص التي تعالج الأبستمولوجيا متأثرة بعمق بالآراء الفلسفية لأصحابها بينما العلم هدفه تضييق أثر الذاتية لذا فإن الأبستمولوجيا ليست "علم العلوم" لهذا العلموية التي تفرض أن العلم يمكن أن يعرفنا بكل شيء، تبحث على اختزال الفلسفة في الأبستمولوجيا، وبالعكس الشكوكية تفرض أننا لا يمكن أن

نعرف شيئا.
ـ لتحليل موضوعها" المعرفة العلمية" تشتغل الأبستمولوجيا على منهجين:
الأول: الطريقة المتزامنة الآنية: المتمثلة في اعتبار التخصصات العلمية في لحظة معينة، باستقلال عن تطورها التاريخي، بحيث نشرع في تحليل مباشر لهذا التخصص، لمحتواه ومنهجه.
الثاني: الطريقة التطورية الزمنية: المتمثلة في تحليل التخصصات العلمية من منظور ولادتها" تكوينها" تطوُّرها، ونضوجها، حينئذ نشرع في تحليل جيني في مقابل التحليل المباشر، تسمح هذه الطريقة بطرح سؤال "التقدُّم العلمي".
2 ـ تستعين الأبستمولوجيا بـ «تاريخ العلوم " بالبناء عندما تستعمل الطريقة التطورية لاستخراج الحقيقة الخام الضرورية لتحليلها.
3 ـ إن دراسة تاريخ التخصصات العلمية والنظريات التي تعتمد عليها يسمح من جهة بفهم هذه التخصصات العلمية ضمن حالات تنميتها الحالي وبتحليل طبيعة تطوُّرها العلمي " هل يوجد تقدم علمي؟ ما هي عملية تطوُّر العلوم؟"
4 ـ كذلك التمييز بين ما تفرضه الوقائع " الحقائق" التجريبية "إذن ما هو قبلي"[ما لا تؤكده الوقائع، المسبق ـ ألاستنتاجي]، وبين ما يُضيفه العلماء " إذن بعدي "[مؤسس على الحقائق].
5 ـ تحتل الطريقة التطوُّرية مكانا مركزيا في تطوُّر النظريات الإبستمولوجية المعاصرة مثل: التزويرية لبوبر، ونظرية الثورات العلمية لـ كوهن، أو نظرية برامج البحث لـ لاكتوس.
6 ـ تستعين الإبستمولوجيا كذلك بـ «اجتماعيات العلوم" لاستخراج معلومات عن التفاعل بين العلوم والمجتمع للإجابة عن سؤالين:
1 ـ في ماذا أثَّر علم معين على التنظيم السياسي، الاقتصادي والاجتماعي لمجتمع ما أو لمجموعة بشرية، أو على تطور التفكير الفلسفي والديني والأدبي ...؟
2 ـ ما كانت أو ما هي الإكراهات الاجتماعية الممارسة من قبل المجتمع على تنمية علم ما أو على نظرية علمية؟ وهل الآراء الفلسفية والدينية والسياسية للباحثين لها تأثير على تنمية ومضمون النظريات العلمية.
أحسن ما يمكن التوصل إليه هو أن نظرية المعرفة تهتم بكل المعرفة، والإبستمولوجيا

بالمعرفة العلمية فقط، فهي أخص منها، أو أن الثقافة الفرنسية تفضل مصطلح " فلسفة العلوم" والثقافة الإنجليزية تفضل مصطلح " الابستمولوجيا" بدون ما ندخل في قضية ماهية الفلسفة التحليلية.
للمراجعة [La philosophie des sciences] لـ [Dominique Lecourt].

هذه الأيام سيكون الاهتمام بقضايا فلسفية تثقيفية مثل :مخطط دراسة الحداثة ،تاريخ و أصل مفهوم الماهية ،تصحيح صورة كبار الفلاسفة الإغريق في التراث الإسلامي :سقراط و أفلاطون و أرسطو ،ملخصات عن المادية، وحدة الوجود،.. الخ بإذن الله تعالى.

مخطط دراسة الحداثة وما بعد الحداثة [01]

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.
ملاحظة : هذه أربع مقالات تنزل اتباعا فيها رسم وتصوير لهذين المذهبين مع المقارنة و أبرز الانتقادات عليهما يضعك في الصورة ويسمح لك بالظفر بأهم العيوب فيهما ويتيح لك قراءة الكتب الإسلامية التي تناولتهما بالنقد بشيء من الراحة المعرفية.
عليك أن تفهم أن النقد الإسلامي المباشر للفكر الغربي لا يزال الطريق أمامه طويلا، يسهل بعد تحقيق التراث بأدواته الإسلامية ،وبعد الاطلاع على الفكر الغربي في معصرنته، يعني في تطوره التاريخي و في النقد الغربي الغربي.
هذه المقالات في الأصل جمعتها على شكل جمل تلغرافية مرقمة لأجل دروسي لذلك النسق الفني فيها مخالف للمعتاد.
1 ـ مؤسسو ما بعد الحداثة: ليوطار ودولوز وبودريلار لذلك تسمى في أمريكا " الحالة الفرنسية".
3 ـ الحداثة هي القطيعة مع الماضي، وما بعد الحداثة مجموعة أفكار خرجت للسطح كمجال علمي في أواسط 1980م، وهي صعبة للتحديد والتعريف تاريخيا ومفهوميا، لأنها تظهر في تنوع عريض من الاختصاصات او مساحات العلم، متضمنا: الفن ـ

المعمار ــ الموسيقى ــ السينما ــ الادب ــ الاجتماع ــ الاتصالات ــ الموضة والتكنولوجية (الاختراعات خلقت أشياء مختلفة غيَّرت إدراكنا)
كيف نميز بين التحديث (modernisation) والمعاصرة (modernité) والحداثة (modernisme)...؟

1 ــ كلمة " معاصر"(MODERNE) استعملت تحت كل أشكالها، ولفهم تاريخية النظرة من الضروري تمييز العصرنة " التحديث" (MODERNISATION) من المعاصرة (MODERNITE) من الحداثة (MODERNISME).

المرحلة الأولى: (MODERNISATION) (التحديث والعصرنة) هي تقدم تكنولوجي وعلمي.

المرحلة الثانية: (MODERNITE) (الحداثة بمعنى المعاصرة) هي مرتبطة بالشروط الاجتماعية والثقافية للتغييرات: نتكلم عن الحياة المعاصرة التي تبدأ من بداية القرن 19 م.

المرحلة الثالثة: (MODERNISME) (الحداثة) هي أسلوب وطريقة(نمط) لتمثيل وتقديم المعاصرة (MODERNITE).

المرحلة الرابعة: إدراك المعاصرة (MODERNITE): تشاؤم: الانجازات تعلن عن وعود، ولكنها كذلك دمار ـ مستقبليات FUTURISME: المعاصرة منظورة بحماس في قيمتها كجديد.

المرحلة الخامسة: معنى معاصر MODERNE: 1 ـ هو ما سنتذكره مائة سنة من قبل، ويبقي في ذاكرتنا ــ2 ـ فكرة التقدم بالنظر الى القدماء.

ما بعد حداثة أزمة في الحداثة...؟

1 ــ رسم المؤرخ الأمريكي " بيري أندرسون «في كتابه " أصول ما بعد الحداثة «(كاتب متخصص في اليسار والماركسية نقد الثقافة الفرنسية في كتابه " الفكر الفاتر " 2005م) جنيالوجية ما بعد الحداثة بإعادة تشكيل حدود للتصور الذي يلخص الفكر والفن الغربي لسنوات السبعينيات الى يومنا (كما في فكر الفيلسوف الأمريكي "فريدريك جامسون «) وقبله عند واضعي أسس المفهوم: «جون فرانسوا ليوتار "(أول من اعتمد المصطلح في كتابه" شروط ما بعد الحداثة" 1979م)، والألماني «يورغن هبرماس".

2 ـ بالنسبة لـ" ليوتار " العلامة المميزة لشروط ما بعد الحداثة يكمن في فقدان مصداقية السرديات الكبرى METARECITS المؤسسة على التقدم العقلي، وازدهار الموضوع العقلاني، فهي سرديات فوقية شمولية:(حكاية عن الواقع يهدف الى تبرير التطور الماضي والحاضر، خطاب تبريري لقواعد اللعبة وللمؤسسات التي تسير الرابط الاجتماعي)

3 ــ بالنسبة لـ" هبرماس" تلمس مابعد الحداثة صراع "مثالية الأنوار"، وبالنسبة لكليهما هي مرادف لـلأسى الواقع في المكان والزمن = التشاؤم.

4 ـ يتابع "فريدريك جامسون" هذه الدراسة سنوات 1980م في مقاله المنشور سنة 1984م في مجلة "NEW LEFT REVUE " تحت عنوان «ما بعد حداثة أو المنطقي الثقافي للرأسمالية المتأخرة "هنا لم تعد ما بعد الحداثة معرفة كقطيعة جمالية أو ابستمولوجية: أصبحت مؤشرا ثقافيا لمرحلة جديدة في تاريخ الرأسمالية مؤسسة سنوات 1970م بداية مع الصدام النفطي.

5 ـ تأخذ الحداثة نهايتها عندما تفقد كل نواقضها، يشير "أندرسون":

ــ مع نهاية الأوهام الثورية والانتصار العالمي للرأسمال اختفت إمكانية نظام اجتماعي جديد = أفق ضروري للحداثة متأثر بإرادة القطيعة وبــ الطليعة: تظهر حينئذ مابعد الحداثة حيث تنصهر الثقافة في الاقتصادي، والسياسي في السوق (تشير مابعد الحداثة إلى تشبع كل مسامات العالم بمصل الرأسمال).

6 ـ من خلال إظهار الوساطة بين الجمالي والسياسي يشير جامسون لأثار هذا الانقلاب المنعرج في المجالات الجمالية: (pop art de warhol) ومعمار بورتمان، وكولهاس، وسينما لينش) والثقافي: (نموذج المسيطر على التلفزيون والفيديو، إعلام مابعد الحداثة بامتياز).

7 ـ تضع ما بعد حداثة على المسرح بشكل مبرز: السخرية ـ الأقوال المأثورة، الترقيع للتقاليد، اللعب على الأعراف الشعبية = التهجين ـ عدم مركزية الموضوع ــ محاكاة أثر فني أو أدبي.

8 ــ لا يتصف عالم مابعد الحداثة بالتحديد ولكن بالامتزاج t والاحتفاء بالتهجين وزهرية عفنة؟

9 ـ إذا كانت الحداثة مقالة ما بعدية موحدة لتنوع كبير للأشكال والحركات التجريبية،

فان مابعد الحداثة تلتحق بمفهوم سالف "أنفا" ظاهرا قرب تطبيقات الممارسات الفنية التي ستعود لوصفها.
10 ــ بتثبيت الإطار الزمني والعقلي لهذا المنعطف يربط "أندرسون" مفهوم مابعد الحداثة بأساساته التاريخية، ويدعو الى تجاوزه = فهل تشكل ما بعد الحداثة بعدُ مفهوما ذا صلة لتلخيص حقبتنا= نقطة عمياء في التفكير لأنه يبدو أن مابعد الحداثة بدورها تواجه منعطفا جديدا.
11 ـ مقال " نيكولا بوريود" 2009م: " من أجل جماليات عالمية" يفتح آفاقا لظهور مفهوم " بدل المعاصرة " alter modernité "(ثقافة "الما بعد" للحظة تاريخية تمحى لفائدة رؤية للتاريخ لولبية، لثقافة عالمية مقطوعة الجذور، مهمومة بالتنقل المستمر من "مابعد" الى " بدل"[alter] مرورا بـ (فوق) [hyper]
ــ تبقي الحداثة أفقا تاريخيا مركزيا بداية القرن العشرين، والأحرف البادئة" préfix" المختلفة التي تدخل على الحداثة هي علامة على ميراثها، وإعادة اختراعها تحت أشكال أخرى: مابعد ـ ما بعد الحداثة.
ــ لا أحد يعرف ما هو العصر الذي دخلنا فيه فيما بعد الحداثة، وماذا سنصنع فيه، لكنه يمثل فترة مهشمة؟!
مقدمات (سوابق) الحداثة: عند ماري كلايج أستاذة مساعدة في قسم اللغة الإنجليزية في بجامعة كولورادو:
للحداثة وجهان لتعريف ولفهم ما بعد الحداثة:
الأول: تأتي من الحركة الجمالية المسماة "حداثة" (modernisme) التي انتهت مع أفكار القرن العشرين حول الفهم، وهي حركة في: الفنون المرئية، الموسيقى والأدب، رفضت المعايير الفيكتورية التي كانت تحدد طرق تشكيل وتلقي، ومعنى التحفة الفنية في فترة المعاصرة العليا (haut modernisme) [1919/1930]، وهذا أعاد تحديد ما هو الشعر والخيال (بروست ــ كافكا ــ وولف ــ الوجوه المؤسسة لحداثة.
أهم خصائص الحداثة من منظور أدبي:
1 ـ الاهتمام بالانطباعية والذاتية في الكتابة والفنون المرئية (التحدث عن النفس) اهتمام محمول على طريقة النظر والقراءة والادراك نفسه، بدلا من المدرك نفسه.
2 ـ حركة مزاحة بالنسبة للموضوعية الظاهرة المقدمة من المتكلمين بضمير الغائب

كلي العلم رؤى روائية ثابتة، أو بمواقف أخلاقية واضحة والقصص المحكية بطريقة مخففة لــ"فولكنار "مثال على هذه الحداثة.

3 ـ لُبس في أنواع الكتابة إلى درجة أن يبدو الشعر أكثر واقعية كما عند " إليوت" والكتابة أكثر شاعرية كما عند " جويس ووولف".

4 ـ اهتمام بالأشكال المهشمة، القصص المتقطعة، واللصق الظاهر المؤقت لمختلف المواد.

5 ـ ميل للانعكاسية أو الى الوعي بإنتاج العمل الفني: كيفية انجاز الشيء.

6 ـ رفض للجماليات الصورية لفائدة الرسوم الأدنوية مثل شعر " كارلوس وليامس" رفض الجماليات الصورية لصالح العفوية، والاكتشاف أثناء الاختراع.

7 ـ رفض التمييز بين الاعلى والاسفل، بين ثقافة كبيرة وثقافة شعبية في اختيار المواد المستعملة لإنتاج الفن وفي طرق توزيع واستهلاك الفن.

مابعد الحداثة:

1 ـــ مثل الحداثة تتبع نفس الأفكار مع رفع قيمة " المحاكاة، السخرية، الترقيع، والفن بعد حداثي (والتفكير) يفضلان الانعكاسية والوعي، التفتيت وعدم التواصل، خصوصا على مستوى القصة، الالتباس، والعفوية، ويبرز الاهتمام للموضوع اللامهيكل، اللامركزي، اللاإنساني.

2 ـ لكن إذا كانت مابعد الحداثة تشبه كثيرا الحداثة فإنها تختلف عنها في سلوكياتها اتجاه كثير من هذه التوجهات، فمثلا: تميل الحداثة إلى تقييم منظر مفتت كشيء تراجيدي، كشيء نتأسف عليه، ونعتبره خسارة (لهذا ينصر العديد من الحداثيين فكرة أن دور أعمال الفن أن تعيد الوحدة، الانسجام والمعنى التي ضاعت في الحياة المعاصرة)، بينما مابعد الحداثة على العكس لا تتباكى على فكرة التفتيت، المؤقت، وعدم الانسجام ولكنها تحتفي بكل هذا؛ هل للعالم معنى؟ فلا نزعم أن الفن قادر على خلق المعنى فنواصل اللعب مع العبثي!

3 ـ مقاربة أخرى لتقييم العلاقة بين الحداثة ومابعد الحداثة تعيننا على توضيح بعض المميزات بينهما بحسب " فردريك جامسون": الحداثة وما بعد الحداثة هي تشكيلات ثقافية تصاحب مراحل خاصة للرأسمالية، فيحصي جامسون ثلاث مراحل أولية في الرأسمالية:

ـ المرحلة الأولى: التي تملي التطبيقات الثقافية الفريدة (لها تأثير على نوع الفن والادب المنتج) الاولى لرأسمالية السوق التي ظهرت في15القرن، وامتدت الى غاية القرن19 في الغرب، في انجلترا و امريكا و مناطق نفوذها.
هذه المرحلة الاولى مشتركة من تطورات تكنولوجية خاصة الآلة البخارية بجماليات محددة تسمى " الواقعية".
المرحلة الثانية: ظهرت في 19القرن متأخرة إلى أواسط نفس القرن، حوالي الحرب العالمية الثانية، هذه مرحلة للرأسمالية أحادية السياسة مشتركة مع محركات الاحتراق، ومرحكات كهربائية، ومع المعاصرة.
المرحلة الثالثة: التي نحن فيها، هي مرحلة الرأسمالية العالمية، أو الاستهلاكية المتمحورة على (الماركتينك) التسويق واستهلاك السلع، وليس على الإنتاج، مشتركة مع تكنولوجيات نووية والكترونية، والتي برزت فيها ما بعد الحداثة كنوع جمالي تابع وخاص بها:
4 ـ لكن إذا وصف "جامسون" مابعد الحداثة بالعلاقة بين المصطلحين لطرق الانتاج والتكنولوجي هناك تعريف ثان لما بعد الحداثة يفيض أكثر من التاريخ، ومن علم الاجتماع، من الأدب وتاريخ الفن، هذه المقاربة تحدد "مابعد الحداثة" كاسم لتشكيلة اجتماعية كاملة، أو كمجموع اتجاهات ومواقف اجتماعية/تاريخية بالضبط.
ــ هذه المقاربة الأخيرة تضع في شد ما بعد الحداثة والمعاصرة أكثر من: ما بعد الحداثة والحداثة.
ولكن ما هو الاختلاف بين المعاصرة والحداثة...؟
ــ الحداثة ترجع عموما إلى مجموع الحركات الجمالية للقرن العشرين بينما المعاصرة ترجع الى مجموعة أفكار فلسفية، سياسية واجتماعية وأخلاقية التي تزود قاعدة المظهر الجمالي للحداثة، بهذا المعنى " المعاصرة " أقدم من الحداثة، العلامة التجارية " المعاصرة" كانت المستعملة أولا في علم الاجتماع بداية من القرن19 و كان مفروضا أن تميز حقبة الحاضر مما سبقه المسمى " القديم" [antiquité]
ـ لا يزال الجامعيون يتناقشون لمعرفة متى حقيقةً بدأت الحقبة المعاصرة؟ وكيف نميز بين ما هو معاصر وما ليس كذلك؟
ويبدو أن الحقبة المعاصرة تبدأ كل مرة عندما يقرر المؤرخون النظر عن قرب، لكن

عموما الحقبة المعاصرة مشتركة مع الأنوار الأوروبية التي بدأت في وسط القرن18، وبعض المؤرخين وجدوا بعض العناصر من الأنوار بداية من النهضة، أو قبل ذلك لكن الفكر التنويري بدأ كما قدمنا فعليا.

5 ـــ الافكار الأساسية للأنوار (المعاصرة) هي نفسها الأفكار الأساسية للإنسانية [humanisme] بحسب مقال جاين فلاكس أستاذة العلوم السياسية، والعلاج النفساني، يحدد هذه العناصر في:

1 ـــ يوجد "أنا" مستقر، متناسق، ومعروف؛ هذا "الأنا" واع، وعقلاني، ومستقل وعالمي" كلي" بدون أي شرط، أو اختلاف جسماني، يلمس ويخص جوهريا طريقة " أسلوب"كيف أن تكون وتصنع بالنفس.

2 ـ هذا "الأنا " يعرف نفسه ويعرف العالم بواسطة العقل، حيث العقلانية متموضعة في عمل الذهن وهي الشكل الوحيد للموضوعية.

3 ـ طريقة المعرفة منتجة من طرف "أنا"عقلاني وموضوعي هي " العلم" التي يمكنها استنتاج حقائق عالمية عن العالم مستقلة عن الوضع الفرداني للذات العارفة.

4 ـ المعرفة المنتجة بواسطة العلم هي " الحقيقة" وهي "خالدة".

5 ـ المعرفة/الحقيقة المنتجة من العلوم بواسطة "الأنا " العارف الموضوعي والعقلاني تقود دائما نحو التقدم والكمال، وكل المؤسسات الانسانية وممارساتها يمكن تحليلها بواسطة العلم (عقل/موضوعية) وتحسينها.

6 ـــ العقل هو الحاكم الوحيد للصحيح في الحق والعدل والجمال والخير سواء الشرعي أو الأخلاقي، والحرية تتمثل في طاعة القوانين التي تتوافق مع المعارف المكتشفة بالعقل.

7 ـــ في عالم محكوم بالعقل، تكون الحقيقة دائما نفسها مثلها مثل الخير والعدل (والجميل)، لا يمكن أن يكون هناك صراع بين ما هو صحيح وما هو عادل ... الخ.

8 ـ تبقى العلوم إذن البراديجم لكل الأشكال النافعة اجتماعيا للعلم، والعلوم محايدة وموضوعية، والعلماء هم من ينتج هذا العلم عبر قدراتهم العقلانية، يجب أن يكونوا حرين لإتباع قوانين العقل، وان لا يكونوا مدفوعين باهتمامات أخرى (المال والسلطة).

9 ـ اللغة كطريقة تعبير مستعملة لإنتاج وبث العلم، يجب أن تكون كذلك عقلانية،

ولتكون عقلانية يجب أن تكون شفافة، يجب أن تعمل فقط لتمثيل العالم الحقيقي المحسوس" مادية"، مجرد وسيط للعقل العقلاني، تستقر في وضعية ملاحظ، يجب أن يكون هناك رابط موضوعي ومهم ودال بين الأشياء الحسية والكلمات المستعملة لتسميتها (بين الدال والمدلول).

يوجد اذن بعض المقدمات للمذهب الانساني، أو للحداثة، تستخدم لتبرير أو تفسير خياليا مجموع هياكلنا الاجتماعية ومؤسساتنا، متضمنة: الديمقراطية والقانون والعلوم والأخلاق والجماليات.

النظام، السرديات الفوقية والمعاصرة:

1 ــ المعاصرة أساسياً معاصرة بالنظر للنظام: عقلانية، وعقلنة، حيث يتعلق الأمر بخلق النظام انطلاقا من الفوضى، الفكرة الرئيسية هو أن مزيدا من خلق العقلانية كفيل بخلق مزيد من النظام، وأنه كلما كان مجتمعا منظما بأفضل طريق سيسير، لان المعاصرة انطلقت في عملية تهدف دائما الى مزيد من إرساء النظام.

ــ المجتمعات المعاصرة باستمرار متأهبة ضد كل ما يندرج تحت " الفوضى"، وهكذا تحاول المجتمعات المعاصرة أن تقيم ـ دائما ـ معارضة مزدوجة بين النظام واللانظام، للتمكن من ارساء تفوق النظام، لكنها بفعل هذا تحتاج الى ترقية كيانات تمثل أو تتضمن اللانظام، فتحتاج دائما الى خلق أو بناء اللانظام.

في الثقافة الغربية يميل اللانظام إلى أن يصبح الآخر المحدد ضمن أزواج المعارضة، إذن كل ما ليس بأبيض، ليس بذكر، متباين الجنس أو غير صحي غير عقلاني، يصبح جزءا من اللانظام، ويجب اقصاؤه من المجتمع العقلاني المعاصر المنظم...؟ (غير عقلاني = اللانظام)

ــ السبل المتخذة من هذه المجتمعات المعاصرة لخلق الفئات مثل: نظام ولا نظام يجب أن تساهم مع جهد لحفظ الاستقرار، بالنسبة لــ" جون فرنسوا ليوتار " هذا الاستقرار مقرون بفكرة جمعية أو نظام كلي، والكلية والاستقرار والنظام يحافظ عليها بواسطة "السرديات الكبرى" يعني: القصص التي تقوم عليها ثقافة ما، تحكي عن نفسها بخصوص ممارستها الخاصة ومعتقداتها الخاصة، فمثلا: إحدى السرديات الكبرى للثقافة الامريكية هو القول بأن الديمقراطية هي الشكل الأكثر عقلانية للحكم، وأنها تقود للسعادة العالمية.

ــ كل نظام اعتقادات أو ايديولوجية عنده سردياته المؤسسة، فسردية الشيوعية الكبرى أن الرأسمالية ستدمر نفسها، وسييرز عالم اشتراكي ايتوبي بالضرورة، هذه السرديات الكبيرة نوع من النظريات الفوقية أو الأيدولوجيات الفوقية، يعني: ايديولوجية تفسر ايديولوجية.

ــ بالنسبة لــ" ليوتار" كل مظاهر المجتمعات المعاصرة تتضمن العلوم كشكل أولي للعلم، مرتبطا بهذه السرديات الكبرى فان مابعد الحداثة هي نقد هذه السرديات الكبرى، الوعي بأن مثل هذه السرديات تستخدم لتغطية التناقضات وعدم الاستقرار الذي هو كامن في كل شكل للممارسة والتنظيم اجتماعي.

بتعبير آخر: كل محاولة لخلق النظام تتطلب دائما خلق الثمن المساوي من اللانظام، وكل سردية كبرى تخفي بناء هذه الفئات بشرح أن اللانظام هو حقيقةً فوضوي وسيئ، وأن النظام حقيقةً عقلاني وجيد.

- برفضها السرديات الكبرى فإن ما بعد الحداثة تفضل السرديات الصغرى: القصص التي تفسر الممارسات المحدودة، الأحداث المحلية أكثر من التصورات الشاملة أو العالمية على السلم الكبير، السرديات الصغرى الما بعد حداثية هي دائما بحسب الوضعية، مؤقتة، ممكنة وزمنية، ولا تزعم: العالمية، الحقيقة، العقل، الاستقرار.

الدال المابعد حداثي، النسخة وتشظي العلم:

1 - جانب آخر من تفكير الأنوار (الأخير من النقاط التسع) هو فكرة أن اللغة شفافة، وأن الكلمات ليست إلا تمثلات لأفكار أو لأشياء، وليس وظائف أخرى؛ ترتكز المجتمعات المعاصرة على فكرة أن الدلالات هي دائما نسبية للمدلول، في ما بعد الحداثة العكس، لا يوجد إلا الدال، وعليه فإن فكرة واقع مستقر أو دائم تختفي، ومعها فكرة أن المدلولات التي تبينها الدلالات؛ في المجتمع ما بعد الحداثي لا يوجد إلا السطوح بدون عمق، فقط الدال بدون المدلول.

2 ــ طريقة أخرى للتعبير عنه هو القول مع جون بودريلارد أنه في المجتمع ما بعد الحداثي لا يوجد الأصلي، فقط نسخ عنه، أو ما يسميهم "محاكاة"، فيمكن أن تفكر مثلا بخصوص الرسم أو النحت أنه حيث يوجد عمل أصلي (فون كوخ مثلا) يمكن أن توجد آلاف النسخ، ولكن الأصلي يظل هو صاحب القيمة الكبرى (خصوصا المالية) ما يتناقض مع الأقراص الليزرية أو الأشرطة حيث لا يوجد أصلي، لا يوجد

إلا نسخ بالملايين، وكلها متشابهة، ومباعة بنفس الثمن.
مثال آخر: مفهوم الواقع الافتراضي، واقع التظاهر حيث لا يوجد الأصلي.
3 ــ في النهاية: ما بعد الحداثة مركزة على مسائل تنظيم المعرفة حيث أنه في المجتمعات المعاصرة العلم كان مستوعبا بالعلوم، ومعارضا للحكاية، كانت العلوم علما جيدا، والحكاية سيئة، بدائية ولاعقلانية (اذن مشتركة مع النساء والاطفال والمجانين والبدائيين) بينما العلم جيد في ذاته.
ــ نكتسب العلم بالتعليم، وللوصول للمعرفة عموما لنصبح شخصا متعلما هذا الهدف المثالي للفنون الحرة، في مجتمع الما بعد حداثي يصبح العلم وظيفيا، تتعلم الاشياء ليس لتعرفها ولكن لتستعملها، مثل ما يؤكده (sarup) السياسة التعليمية الحالية تؤكد على الكفاءات والتكوين، وليس على المثالية المجملة الإنسانوية للتعليم على العموم.
ـ ليس فقط في مجتمعات ما بعد الحداثة العلم متميز بفائدته، ولكنه أيضا موزع ومخزن ومصفف بطريقة مختلفة، في المجتمع الما بعد حداثي مقارنة بالمعاصرين (الحداثة) نجد خصوصا بروز التكنولوجيات الإعلامية التي أحدثت ثورة في طرق الانتاج العلمي، التوزيع والاستهلاك في مجتمعنا.
ــ في المجتمع الما بعد حداثي الشيء الذي لا يقدر أن يترجم في شكل معروف وقابل للتخزين بواسطة حاسوب يعني شيء غير رقمي يتوقف عن كونه علما، ليس جهلا كما هو في براديجم الإنسانوي الحداثي ولكنه «صوت"، شيء لا يمكن وصفه بأنه علم هو صوت، يعني: شيء غير معروف داخل المنظومة.
4 ــ بالنسبة لــ" ليوتار " السؤال المهم في المجتمع الما بعد حداثي: من يقرر ما هو علم وما هو صوت...؟
مثل هذه القرارات المتعلقة بالعلم لم تعد معيَّنة باعتبارات معاصرة (حداثة) أو إنسانوية: تقييم العلم كحقيقة (خصائصه التقنية) أو كخير أو عدل (الخصائص الأخلاقية) أو كجمال (الخصائص الجمالية)، يقول: العلم يتبع براديجمات ألعاب اللغة كما وضعها فيتشتين على ألعاب اللغة(jeux).
ــ عدد كبير من الأسئلة يمكن أن تطرح على ما بعد الحداثة، وأهمها هي السياسة التي تفترضها، أو هل الحركة نحو التشظي والمؤقت، الانجاز، عدم الاستقرار هي أشياء جيدة أم سيئة ...؟

الجواب على هذا في المجتمع المعاصر متنوع: الرغبة في العودة الى ما قبل ما بعد الحداثة (الحداثة / الإنسانوية/ الفكر التنويري) يميل الى أن يصبح مقرونا بمجموعات فلسفية ودينية وسياسية محافظة، إحدى نتائج ما بعد الحداثة يبدو أنها صعود [الأصولية] الدينية كشكل مقاومة للتشكيك في السرديات الكبرى للحقيقة الدينية قصة سلمان رشدي في الشرق مثلا.

ــ هذا الاقتران بين ما بعد الحداثة والمحافظة أو الاصولية يفسر جزئيا لماذا التشظي والمضاعفة يميل الى جذب الليبراليين والجذريين، ولهذا وجد نظَّار الحركة النسوية مابعد الحداثة جذابة.

ــ السردية الكبرى مثل " تحرير العمال"، شعار السياسة المابعد حداثية: فكر شموليا وافعل محليا ولا تهتم بأي مشروع كبير.

يتبع بمقارنة نقدية بين الحداثة و ما بعد الحداثة ......

مخطط دراسة الحداثة وما بعد الحداثة [04]

الأخلاق في ما بعد الحداثة من رؤية عامة

....

1- أفرغت الحداثة الأخلاق من كل مرجعية متعالية مبنية على الدين،شعارها:" الانتهاء من الله"! تعالى الله علوا كبيرا.

2- حتى في محاولتها تشكيل عالم مجرد من كل مرجعية للتكاليف (قواعد إجبارية) والتقاليد وأكثر من ذلك للدين،حاولت الحداثة جاهدة الحفاظ على بعض القيم مثل: " العمل،الادخار،و التأجيل إلى وقت لاحق (رضا) مباشر لاستثمار فائدة على الأمد البعيد".

3- كثير من التصورات تعود ـ في الغالب ـ في أصلها إلى مرجعية تتجاوز الفرد، لكن الحداثة لا تكترث لهذا، لأن التأكيد على " الحق في التعبير الذاتي" عن النفس؛ هذا كان هدفها.

4 ـ لكن عندما وصلت الحداثة إلى "نقطة حرجة عندما صارت الأولوية الممنوحة للذاتية تدمر الحاجة إلى الموضوعية، اضطرت لمعاينة أننا وصلنا إلى مرحلة من تاريخ البشر متصفة بغياب تام لاحترام القانون، من هنا برزت أخلاق جديدة ملتفتة

إلى السعي إلى اللذة: لهوية، فردانية، مهمومة باللحظة الحاضرة فقط، منكرة لضرورة ملاحظة الماضي أو التفكير في المستقبل.

5- الآن أصبح هذا هو الابتهال الجديد، واتخذت موقفا ضد كل جهد لوضع حدود للحرية و تحقيق الفرد، هذه الأخلاقيات الجديدة هي في قلب علم القيم (التحسين و التقبيح) ما بعد الحداثة.

أخلاقيات ما بعد الحداثة

- نجد في أصل علم القيم ما بعد الحداثة أزمة سلطة تتضمن المؤسسات التقليدية (العائلة، المدرسة، الدولة، العدالة، الشرطة) التي بواسطتها حاولت الحداثة تنظيم مجتمع عقلاني وتقدمي.

تظهر هذه الازمة بعدة طرق: مجتمع يمجد الشباب، ويمدح النزوات والأهواء (جماح خيال النزوي)، والثقافة حيث الثراء يقدم نموذج النجاح والسعادة، واقتصاد الاستهلاك حيث "تكون" هو أن تشتري، وتستهلك، وتستعمل وترمي.

- الهوية محددة بالتصرفات في السوق وليس بالأيديولوجيات، بتعبير آخر:" الصورة" تهيمن على الحقيقة، لتكون شخصا مهما يجب أن تكون على الشاشة، أو حاضرا على موقع إلكتروني " ما نقدمه للمشاهدة يحدد من أنت، وقلة من يكترث بما هو موجود" حقيقة": الصورة المقدمة للجمهور أصبحت موضوع عبادة، ثقافتهم المابعد حداثية فقدت كل حب للحقيقة.

- بخلاف أخلاقيات العمل، والادخار الفردي التي كانت للحداثة، الأخلاقيات الحالية تؤكد القيم الخاصة بالاستهلاك: الانفاق، وقت فارغ وبطالة.

- لكن هذا لا يمكن أن يعمل(ينجح) بدون تبجيل وتفخيم الفردانية، وتبخيس(تخفيض) القيم للأسباب تطوعية هي لا مبالاة حقيقية بالخير المشترك.

- المثالية العليا تكمن للأسف في متابعة إشباع اللذة، وتحقيق الذات في الدائرة الخصوصية.

- عبادة الاستقلالية الشخصية، وتنوع أساليب الحياة يأخذ أكثر فأكثر الأهمية.

- تأذن التعددية بـــ تنوع القيم والاختيارات الفردية، لكن بدون أي أصالة.

- الاختلافات الايديولوجية أو الدينية تعامل كظواهر الموضة بسطحية، تتعلق بثقافة الحرية والاسترخاء الشخصي، الطبيعي، المرح، حرية التعبير تبرز كمفاهيم مقدسة.

ـ اللامعقول يجد مشروعيته في: العواطف، حدوس، أحاسيس، وفي الجسدي.
ـ الاشتهاء والابداع يندرج في إطار بديهة يحترمها أكثر الناس: التقليل من التقشف والمبالغة في اللذة، تقليل الانضباط والمبالغة في التسامح.
دور الإعلام: في نفس الوقت تصنع وسائل الإعلام الرأي العام، وتقرر توجهات نفقات المستهلك ومقاييس سلوكه، فيستبدلون التفسير والأخلاق الدينية بمعلومة ظرفية، حينية، مباشرة ومزعومة موضوعية، يقيِّمون ما يبدو حقيقيا الآن ويضعونه فوق مفهوم الخير/الشر.
ـ بينما المفارقة هي أنه لا ينفك تأثيرهم من الزيادة، في حين أن الاتصال في قلب الأزمة: الناس لا يتحدثون إلا عن أنفسهم، يريدون أن يكونوا مسموعين لكنهم لا يريدون الاستماع، يريدون التواصل بدون التزامات، فالمشاركة عن بعد والأصدقاء مخفيين، موجة: الإميلات، والشات على النت وهوت لاين.
الشكل الجديد للأخلاق
ـ ما هو الشكل الذي تتخذه الأخلاق في السياق الابستمولوجي لما بعد الحداثة الاجتماعية/الثقافية...؟
ـ إذا صدقنا إبوفتسكي فإن ميلاد ما بعد الحداثة في أواسط القرن20م فتح الطريق لعهد بدون واجب، حيث مفهوم "الواجب المطلق" وجد نفسه مقصيا من مجال الأخلاق، وحيث تطورت (نمت) أخلاقيات تعلن حق الفرد في الاستقلالية، في السعادة، و التحقق الشخصي.
ـ ما بعد الحداثة عهد ما بعد أخلاقي، لأنها ترفض كل قيمة لا مشروطة متفوقة مثل: خدمة الغير، والإيثار والتضحية.
التناقض: لا يحرم مجتمعنا نفسه على الأقل (بحسب بعض البلاد) من بعض التشريعات القمعية والقيمية (ضد المخدرات، الاجهاض، الرشوة، التفريط والتقصير لحماية الطفولة، النظافة العمومية، وللدعاية لأنظمة غذائية سليمة) ما يشمل أحيانا الرقابة وعقوبة الموت.
ـ لا تقترح ما بعد الحداثة الفوضى الأخلاقية ولكنها تعيد توجيه الانشغالات الاخلاقية من خلال تأطيرها في التزام ضبابي، زائل ومتلاش، غير مؤلم، لقيم لا تتقاطع مع الحرية الفردية فالبذخ واشباع الرغبات (حكم) متعية.

- هذا المزيج لمعنى الواجب وإنكار الواجب خاص جدا بأخلاقيات ما بعد الحداثة أصبح واجبا لأن الفردانية العمياء موجودة بالفعل على حساب الشروط الضرورية للسعي للذة وتحقيق الذات، يجب وجود أخلاقيات تميز بعض الواجبات حتى نكمم الفردانية بدون أن نمنعها.
- الاكتراث الأخلاقي الما بعد حداثي لا يعبر عن القيم ولكن عن استنكار في مواجهة الحدود المفروضة على الحرية، طموحه ليس الفضيلة ولكن الحصول على الاحترام، وجهودها تهدف إلى منع كل ما يمكنه التضييق على حقوق الفرد.
- أخلاق خفيفة (حمية) حيث كل شيء مقبول لكن حيث اختفى الواجب والتضحية اللامشروطة.
- لقد تركت مابعد الحداثة خلفها بعيدا الانسجام مع المثل الأخلاقية كما تركت ضد الأخلاقية.
- بينما انتهى مثل هذا التطور إلى أخلاق مشبعة بالالتباس، عندنا من جهة: فردانية بدون قانون تتجسد بالإقصاء الاجتماعي، الديون العائلية، والأمية، أناس بدون مأوى، الغيتوهات، اللاجئين، المهمشين، المخدرات، العنف، الانحراف، الاستغلال، الاجرام بالبدلة، الفساد، الرشوة السياسية، والاقتصادية، القتال من أجل السلطة بدون تحفظ، التغييرات الجينية الاصطناعية، التجارب على فئران مخابر بشرية ...الخ.
- من جهة اخرى: المجتمع مغموس الى رأسه بروح تيقظ فوق أخلاقية، مستعد لكشف كل شكل مساس بالحرية الفردية، وبحق كل شخص في الاستقلالية: الاهتمام الأخلاقي بحقوق الإنسان، العفو المطلوب من أجل أخطاء الماضي، المحافظة على البيئة، حملات محاربة المخدرات، التدخين، الجنس التجاري، الإجهاض، التضييق الجنسي، الرشوة، التمييز العنصري، محاكم أخلاقية، مظاهرات صامتة، استغلال الأطفال، حركات انقاذ اللاجئين، الفقراء، العالم الثالث.. الخ .
- في هذا السياق الأخلاق الهيدونية الجديدة للحياة المابعد حداثية تترجم إلى متطلبات متناقضة، من جهة: عندنا معايير: يجب أن تأكل بطريقة سليمة، الحفاظ على الصحة، مكافحة التجاعيد، البقاء نحيلا، تثمين الروحانية، ممارسة الرياضة، النجاح، التفوق، التحكم في النزوات العنيفة ...الخ
- من جهة أخرى: يوجد الدعاية للشهوات، للحياة السهلة، الإقالة من كل مسئولية

أخلاقية، تمجيد نفقات الاستهلاك وللصورة، المبالغة في العناية بالجسم على حساب الروح، والنتيجة: الانهيار العصبي، الخواء الداخلي، الوحدة، القلق، الفساد، العنف، الاهمال، الكآبة...الخ.

الأخلاق ما بعد حداثية في الحياة اليومية

- لفهم لأي مدى أصيبت حياتنا اليومية بأخلاق ما بعد الحداثة للنظر في قائمتين نموذجتين لمشروع ما بعد الحداثة: يتعلق الأمر بــ" الواجبات الأخلاقية" و "المباحات الأخلاقية".

القائمة الأولى: الواجبات الأخلاقية في أخلاقيات ما بعد الحداثة:

- التسامح مع كل أسلوب حياة
- حضور حفلات من أجل الأعمال الخيرية
- الرد على الهاتف لتقديم هبة
- إلصاق على سيارته شعار ضد العنصرية
- المشاركة في التظاهرات ضد ظلم (مقدر أو حقيقي)
- المشاركة في مارطون من أجل حياة سليمة
- استعمال الواقي الذكري
- المنع من المنع (كل الناس لهم الحق في عيش حياتهم)
- حمل شريط أحمر للتظاهر ضد التمييز ضد المثليين.
- أن تكون من أنصار البيئة
- التبرع بأعضائه
- تقنين أماكن العمل للحماية من الإرهاق الجنسي
- الوفاء (مادامت المحبة قائمة وبعد ذلك ...)
- إدانة كل أشكال العنف
- عدم محاولة إقناع الغير بديانته

قائمة المباحات الأخلاقية:

- ضمان الحرية الجنسية، لكن بدون تفضيل التحرش مع الحذر من السيدا
- الفساد خير من أن تعتبر أحمقا
- التدخين لكن ليس في الأماكن المخصصة لعدم المدخنين

- عدم احترام القواعد، الناس، أو الأسباب التي تعيق التحقق الشخصي
- الدعارة مقبولة لكن فقط في الأحياء الساخنة
- الكذب مقبول لكن ليس أثناء حملة انتخابية
- الخيانة مقبولة لكن فقط عند فقدان الحب
- الإجهاض مقبول لكن فقط ضمن مخطط عائلي
- يمكن أن نجرب أي شيء عند البحث عن تحقيق الذات
- يمكن أن نكيف الدين للالتزام الذي نأخذه
- معاقرة الخمر مقبولة لكن بدون مبالغة
- من الجيد تراكم النجاحات، الفخر والمال مهما كانت النتائج للغير
- تمتع بوقتك ولا تكترث بالمستقبل

قانون الضمير لمابعد حداثي[comme convenu]

- الأخلاقيات الما بعد حداثية لا تقف عند مثل هذه القوائم لأن روح الحرية القصوى التي تصبغ ما بعد الحداثة ولدت قانونها الخاص بالضمير، في المناخ السائد كلها فردانية جديد جنس لعناصر ايديولوجية واجتماعية/ثقافية وأخلاقية، التصق ليلد نوعا جديدا من الضمير المابعد حداثي، هو بالشكل التالي:
- لا يجب علي أن أميز لأنه يجب أن أبقى منفتحا لكل شيء، و لا يوجد حقيقة مطلقة.
- يجب أن أقدم المال من أجل الأعمال الخيرية لأن رؤية الأطفال الجوعى يؤلم قلبي
- يجب أن أتظاهر ضد اللاعقوبة حتى لا يفلت المجرمون من العقوبة بسهولة
- يجب أن أعيش بطريقة سليمة لأن جسمي هو ما يسمح لي بالنجاح والتلذذ.
- يجب أم اهتم بأي دين لأنه يمكنني أن أستقي منه طاقتي.
- يجب أن أظهر اهتمامي بالمسائل الجادة حتى لا أبدو ماديا بدون قيمة جاهز لاتباع أي موضة.
- لا يجب أن أنتقد أي أسلوب حياة لأن كل شيء جيد.

التقييم النقدي: أخلاقيات كلبية

- يمكن أن نجد بعض الاضافات الايجابية في الأخلاقيات المابعد حداثية للمشاكل التي تهدد في أيامنا الإنسانية: أسلوب حياة سليمة، الاهتمام بالبيئة، مقاومة العنف والتمييز فهي أشياء جيدة.

لكن ما بعد الحداثة تضع تحت الضوء إخفاقات أخلاقيات وممارسات الماضي فلا يجب أن نخطئ ففي قلب أخلاقيات ما بعد الحداثة لا يوجد أي أثر لدوافع ضميرية، فقط السعي الفرداني لتحقيق واستقلالية الذات.

- فإذا كان السبب في كل أخلاقيات أصيلة هو: هزيمة الشر بالخير، فإن ما بعد الحداثة عذراء من كل إلهام ضميري، ولا تبحث إلا عن محاربة تطرف (مبالغات الشر بدون إرادة اجتثاثه.

- تصارع أوتتخبط ضد بعض مظاهر الشر بدون الاعتراف بأصلها، فهدفها: الوصول الى استقلالية الذات، ومفهوم يقوم ضده كل ما تصفه الكتب المقدسة بالشر.

- هل يمكن أن يقاوم نظام أخلاقي الشر إذا كان أساسه نفسه هو هاجس الذات ؟،فهل يمكن الوصول الى السعادة بمثل هذه الأخلاقيات التي تدافع عنها ما بعد الحداثة؟

- إذا كانت السعادة هي: السعي للاستقلالية والتحقيق الشخصي وتلبية الرغبات الآنية، فإن التحكم في كل حرية مفرطة e بدون انفتاح حقيقي للروح، لجاره ولله.

- إذن في هذه الأخلاق البحث عن السعادة ليس إلا إعادة انتاج متكرر للأفكار، و الأفعال، و المواقف التي نعرفها من قديم، نجد خليطا قديما من: الحياة و الموت، اللذة و الألم، النجاح و الاخفاق، البهجة و الحزن، و كل هذا يجهل ما هو ضمني (تحت السطر) في سعي الانسان للسعادة: الرغبة في شيء آخر، في شيء مختلف، في شيء يخلصنا من صراعات ضد الاخلاقية وهذا " الشيء هو غائب في هذا البحث المابعد حداثي عن السعادة.

الشبهة: تكتفي أخلاقيات ما بعد الحداثة بشيء قليل، وتعطي لنفسها هدفا خفيفا عندما تزعم أن الأخلاقيات الدينية عجزت عن إسعادنا أو جعلنا أفضل، فقد حان الوقت لتقليص طموحاتنا وقبول الناس كما هم.

- فهل فعلا أخذ الدين فرصته ولم ينجح، لأن الإنسان المعاصر لا يمكن تحسينه كلية، وأن تغييرا جذريا مستحيلا فيجب أن نقبل ذلك، يبدو أن ما بعد الحداثة توصلت الى بعض اليقينيات تخص الطبيعة البشرية والمستقبل، ولكنها تنكر هذا العلم على الدين.

- ما بعد الحداثة موقف كلبي cynique (نسبة لسلوك مؤسسها) تزعم بطريقة ضمنية من جهة ما تنكره بصراحة من الجهة الأخرى.

الكلبية: مدرسة فلسفية قديمة أسسها Antisthène وتلميذه Diogène de Sinope

تبحث عن العودة للطبيعة و احتقار الاعراف الاجتماعية و الراي العام و الاخلاق المشتركة، مادية ومناهضة للأعراف، تدعو الى الفضيلة و الحكمة لكن بالحرية، ليست هدفا في نفسه)

المرجع:

1 - روول كاربس، دكتوراه من جامعة قرطبة في الفلسفة، يدرس بجامعة أدفنتيست الأرجنتين.

مراجع فرعية:

1. Kenneth Gergen, Le soi saturé, Dilemmes d’identité dans le monde contemporain (Barcelone: Paid6s, 1992), p164-168
2. Beatriz Sarlo, scènes de la vie Postmoderne Intellectuels, art et culture vidéo en Argentine (Buenos Aires: Artel, 1994),p. 38-43.
4. Gules Upovetsky, p. 225-231.L'empire de l'éphémère: le mode et le destin dans les sociétés modernes Paris:Gallimard, (1987).
7. GUI est Upovetsky,. L'ère du vide: essai sur l'individualisme contemporain (Paris: Gallimard, 1983)
16. Gilles Upovetsky, Le devoir du devoir. p. 9-12, 46. Le crépuscule du devoir:l'éthique indolore des nouveaux temps démocratiques (Paris: Gallimard, 1992).

الإيمان والعقلي والعلمانية وطاغوت العقلانية !

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.

من المعلوم أن العلمانية هي الوجه السياسي للحداثة، والمفروض أن تظل في السياسة كنظرية سياسية قبل كل شيء، لأنها لو كانت فعلا " التفكير في النسبي بوصفه نسبيا لا مطلقا " كما يزعم "علي مبروك" لكانت العلمانية مقولة ما بعد حداثية وليس حداثية، لأن الفرق بين الاتجاهين هو الفرق بين العالمي والمحلي، بين النظام

واللانظام، بين المحدد والمختلط، بين القيم المطلقة والقيم النسبية.
فكأن العلمانيين العرب لم يميزوا بدقة بين الأصل المثالي لعقلانية الأنوار الذي هو نفسه أصل الحداثة وبين طبيعة هذه العقلانية التي جعلت الإيمان قفزة في اللامعقول بحسب " كيكغارد"، أو تحديا للعقل بحسب "كنط".
وبطبيعة الحال كان المقصود بالدرجة الأولى " الايمان المسيحي " والذي هو فعلا عقيدة لا معقولة يصعب تبريرها عقليا، خاصة عندما يصبح العقلاني هو الملموس المحسوس فقط.
وبسبب هذا الخلط الناجم عن تاريخية الايمان المسيحي وتاريخية العقل الغربي لم يجد العلمانيون العرب تطبيقا للعلمانية إلا بنقض التراث الإسلامي، فحتى عندما يريدون التأصيل السياسي للعلمانية يكون ثلاثة أرباع كلامهم عن التراث الإسلامي والربع الأخير عن النظرية السياسية...!
ولهذا يصدق عليهم نقد علي مبروك لهم بأن العلمانيين العرب أرادوا استبدال الإسلام بدين جديد، او هكذا معنى.
وكثيرا ما يستعملون مصطلح " تاريخية الفكر" ويقصدون تاريخية النص، وتاريخية العقل الإسلامي لكنهم في الحقيقة واقعون في تاريخية المسار الأوروبي وتاريخية العقلانية الغربية تماما كخصومهم من بعض الإسلاميين الواقعين في تاريخية السياق الحضاري وتاريخية الصراع، حيث نشاهد عملية مستعرة لتشكيل علم الكلام وإعادة تشكيله لكنها لا تمس إلا السطح وتزيد من حجم اللامفهوم، فمن يتتبع الكلام عن الصفات الخبرية يجد الهروب عملة شائعة.
وقد قرأت مؤخرا بعض التعليقات على "مقالة التفويض" وللوهلة الأولى تخيل الي انني امام عقل حر ومفصول عن شروط بيئته عندما وصل مسالة التفويض دخل في دورانية اثبات وتأصيل لولبي غير واضح او مجمل، لا يقطع عنك السؤال، حيث لا يزيد الكلام ــ بعد حذف كلام ابن تيمية بالنص او بالمعنى ــ عن تكرار دعوى الاثبات، فيزعم التعلق بالمعنى المطلق، وحتى المعنى المطلق محدد بأفراد المطلق، والجزء المشترك هو مشترك بين أفراد متساويين فيه بكونهم أفراد ذاك المطلق ...؟ في النهاية ينتهي الى نوع تفويض منمق، يستلزم شكوكية عمق في مفهومه للإثبات وللقدر المشترك؛ في البداية تكون على شفا حفرة وبعد قراءة كلامه تقفز في الفراغ.

وللخروج من الشك الذي يثيره كلامه يحتاج الى المراهنة على التفويض لكن مع اعادة تأكيد الاثبات الذي يعود على نفسه ليؤسس لمستوى اعلى يتحول فيه الى تفويض، يعني: اول الدرجة اثبات نصي ثم اثبات لغوي، ثم تفويض عقلي.
المهم أنه كسلفي متسق مع نفسه لا يتبنى التفويض الأشعري، وكلام ابن تيمية كثير الحضور عنده، لكنك تبقى على جوعك، وإن كنت معتمدا عليهم في الفهم فإنك ستنفي التفويض تقليدا لابن تيمية، أو تحتاط بتفويض مبطن عال الطراز، وذلك لصعوبة فهم الشرح.
والمقصود أننا وإن كنا ننفي تاريخية النص ونعتبر الفقه ملحقا بالشريعة وليس اجتهادا محضا كأي اجتهاد لأن الشريعة هي التي طالبتنا باتباع المظنون فيه في موارد الاجتهاد مع اختلافها، ولأنه اجتهاد بأدوات الشريعة وليس بأدوات الثقافة الغربية، لكن لا ننفي تاريخية السياق في علم الكلام مثلا، وتاريخية الصراع حوله التي أثرت على مساره وإفراز قضاياه.
معلوم أن الدولة الحديثة التي بدأت مع النهضة هي جزء من الحداثة، وأهم خصائص الحداثة بناء كل شيء على العقلانية التي بدأت كلاسيكية مع ديكارت ولبينتز ثم أثرت عليها التجربانية البريطانية، ثم غلبت عقلانية كنطية نقدية، إلى أن أصبحت في يومنا هذا عقلانية أداتية بحثية.
وبطبيعة الحال البناء على العقلانية الغربية الحديثة (خلافا لعقلانية الميتافيزيقا =البحث عن العلة) كان المقصود منه القطيعة مع الماضي في جميع المجالات:
الفلسفة ــ العلوم ــ الفن ـ المعمار ــ الموسيقى ــ السينما ــ الادب ــ الاجتماع ــ واليوم: الاتصالات ــ الموضة ــ التكنولوجية.. الخ
لذا نجد أن الأفكار الأساسية للأنوار هي نفسها الأفكار الأساسية للحداثة، وللمذهب humanisme وليس homéisme ممثلة في البحث عن "أنا" مستقر، متناسق، معروف، واع، عقلاني، مستقل وعالمي، يلمس جوهريا طريقة كيف أن أكون، وما أصنع بنفسي.
وهذا " الأنا" يعرف نفسه ويعرف العالم حواليه بواسطة العقل، حيث العقلانية متموضعة في فعل (عمل) الذهن، وهي الشكل الوحيد للموضوعية، والمعرفة التي ينتجها هذا " الأنا" العقلاني الموضوعي هي " العلم"، وهذا العلم ينتج حقائق

(معرفة) عالمية خالدة عن هذا العالم، مستقلة عن وضعية الذات العارفة، وبالتالي محايدة.
وعلى هذا تكون العلوم الطبيعية براديجم لكل أشكال العلم النافع اجتماعيا.
وهذه المعرفة/الحقيقة التي ينتجها " الأنا" العارف الموضوعي والعقلاني تقود للتقدم والاتقان لكل المؤسسات الإنسانية وممارساتها، فهذا العقل هو الحاكم الوحيد لما هو "صحيح"، وبالتالي لما هو " حق"، و"عدل"، و " خير «(سواء الشرعي أو الأخلاقي) بدون إمكانية صراع بين هذه المفاهيم لأنها محكومة بالعقل.
وحتى اللغة يجب أن تكون عقلانية بأن تكون شفافة، تعمل فقط لتمثيل العالم الواقعي المحسوس في دور مجرد وسيط للعقل العقلاني، ووضعية ملاحظ.
وهذه العقلانية تفسر مجموع هياكلنا الاجتماعية ومؤسساتنا، وتعقلن الديمقراطية والقانون والعلوم والأخلاق والجماليات، وتكوِّن مجتمعا منظما متأهبا ضد الفوضى، في معارضة مزدوجة " نظام ولا نظام "
وفي الحداثة كل ما ليس بـ" متابين الجنس"، ليس بصحي هو غير عقلاني، وجزء من اللانظام، فهي وإن اعتبرت الإيمان شيئا فوق العقل بتضاد، أو خارج مجال العقل، أو غير عقلاني إلا أنها كانت تعمل على الوضوح والتحديد الصارم للأشياء، بخلاف ما بعد الحداثة التي جعلت الدين والايمان من السرديات الكبرى التي هي عبارة عن ايديولوجية لتبرير ايديولوجية، نوع من النظرية الفوقية المؤسسة تغطي التناقضات، لذا عندما ننتقد الحداثة علينا أن نحدد ما يجب نقده مما يجب تأكيده.
المهم أنه بعدما كان براديجم العلم في الحداثة هي العلوم أصبح في ما بعد الحداثة" ألعاب اللغة.
المهم أن هذا الوضع ولد لدى العلمانيين العرب هذه الحالة التي كان لها انعكاساتها على فهم الإسلاميين للمشكل، وفي تقديري أول المشكلات العويصة أننا في وضع دين في مقابل فكر (فلسفة)لا يخضع لأي مذهب او دين، لأن الفلسفة لا تعترف بمذهب محدد ولا بسلطة روحية.
وهذا يعني: أن المعاصر الغربي والمتبع لفكره من المسلمين وغيرهم يتصور أننا حينما نتحدث في مشاكل المعرفة فإننا نضع الإيمان الذي هو ـ عندهم ـــ في صورته النهائية " مجرد اعتقاد " في مقابل العقل بصفتنا نتحدث عن موقف دين هو الإسلام.

وهذا قد ولَّد لدي بعضنا عقدة ترجمت في وعينا إلى هوس بعقلنة كل أقوالنا على التصور العقلي الغربي الذي هو تفعيل العقل الأداتي او التقني في مجالات خارجة عن سيطرته وأكبر من قوته.

ولهذا يجتهد كثير من الخائضين في المسائل الكلامية والفلسفية في العصر الحديث من التيارات الإسلامية لعقلنة كل شيء في الدين، أو كل شيء في رؤية مذهيهم (العقلنة الغربية)، محاولين تقديم تبرير عقلي على أن هذه المسألة أو تلك معقولة للإنسان، وأنها ليست مجرد اعتقاد ظني وحكم ذاتي مبني على الإيمان بحسب المعنى الشائع في الوسط الفلسفي الذي يجعل الدين عموما والإيمان خصوصا من قسم اللامحسوس (اللاملموس)، وبالتالي الذي لا يخضع لحكم العقل، فنحن هنا أمام إشكالية كبيرة تبدأ بتعدد المفهوم حول العقل.

وعليه دار النقاش الفلسفي من عصر التنوير (بصورة مكثفة) عن طبيعة الإيمان وطبيعة العقل، والنزاع المحتمل بينهما، أو مشكلة الإيمان والعقل، يعني: طبيعة العلاقة بينهما: هل هما متوافقان أو غير متوافقين؟ هل يجب عليهما العمل بالتوافق؟ ومن الذي يجب أن يقود الآخر؟ ففي حين يبحث الفلاسفة [المؤمنون] عن التوفيق بينهما، يبحث آخرون عن تفسير التعارض.

يُعرف أندري لالند " الإيمان" في كتابه " مفردات التقني ونقد الفلسفة، باريس 1976م، ص: 360، فصل: الإيمان، كالتالي: " الإيمان فعل طوعي إرادي نتبنى من خلاله على أن رؤية ما للعالم صحيحة، وهي غير قابلة للإثبات عقليا، ولا بديهية".

في هذا التعريف ـ وهو تعريف متملص ـ يجعل الايمان شيئا غير بديهي، ولا يمكن إثباته بالعقل، يعني: ينزع الصفة الفطرية و العقلانية للإيمان، فلا يكون في متناول العقل، العكس الذي نجده عند موريس بلوندال.

وخلاصة الطرح الفلسفي أن الناس يؤمنون بدون عقل، ويبنون قناعة بدون دليل لأن العقل عاجز عن التفكير في [لغز] الله، ولأن الباطني يحاول الاقتراب من هذا اللغز بطرق ليست هي طرق العقل.

وحتى اولئك الفلاسفة الذين اخترعوا مغالطة " النور الطبيعي للعقل وجعلوه في مقابل النور ألما وراء الطبيعي للإيمان " (كرد فعل على لامعقولية الايمان المسيحي ممثلا بالتثليث) كوسيلة كفيلة بالوصول إلى الله بدون الوحي، وضعوا الشعوب الغربية في

وضع خطر كبير أدخلهم في تيهان بدون نهاية على تعبير بعضهم.
إن الاقرار للفكر الغربي بلا عقلانية الإيمان وأنه فوق العقل (بضدية)، أو السعي لإثبات عقلانيته وفقا للعقلانية التي حدودها غلط متساوي من كل جهة، وفي نفس الدرجة من الخطر على الإنسان، وهو منزلق خطير سببه ما غرسته الفلسفة في الفكر البشري في تعريف الإيمان بأنه شيء ليس في متناول العقل، وانه ليس علامة على اليقين العلمي بل مجرد يقين شخصي، عبارة عن اعتقاد ذاتي ليس له مبرر موضوعي ذاتي ولا موضوعي (خارجي).
وعليه، فالذي يجب أولا هو تحديد مفهوم العقل الذي ينفونه عن الإيمان، أي: مراجعة صحة التصور و نسبية مداه، فإذا قلنا عن شيء بأنه " عقلي" فهذا نسبة إلى العقل في وصف أفعال العقل او نتائجها مثل: القوى و الملكات العقلية، في مقابل الحسي، فهذا حال عقلي أو إحدى عمليات العقل وليس ماهية العقل في كليتها، فليس هذا العقل المنفي عن الإيمان.
وهناك العقل كقوة في الإنسان يقتدر بها على ربط الحدود والقضايا بعضها ببعض عندما يتعرف على ما يوجب الربط والتلازم، وبالأخص جملة المبادئ الضرورية، فهذا العقلي الأصلي أو المشترك او الضروري عند كافة البشر، وهو العقل الذي قصده أئمة السنة عندما عرفوا العقل بأنه غريزة، وهذه [ماهية] العقل، وهي واحدة لا تتعدد.
وهناك صور أخرى لحالات العقل المكتسبة الخارجة عنه كقوة مشتركة في البشر مثل العقلي بمعنى "العقلاني" حيث يوضع العقل كمصدر لكل معرفة يقينية ويقصرها على مبادئه، وخصوصا اتباع المعرفة التجريبية لمبادئ العقل التي يعتبرها فطرية، وهذا كذلك لا مشكل فيه مع الإيمان (وهنا نحتاج إلى ضبط أنواع العقلانية وسيأتي) وهناك العقلاني ممن يجعل العقل وحده قادرا على المعرفة الحقيقية، في مقابل اللاعقلانية متمثلة في الوجدان والنقل(الوحي)، ويُدخل في تمجيد العقل والتزام حدوده بعدم الانقياد للعاطفة: الوحي والايمان...؟!
فهذا هو العقل الذي يعتبر الإيمان شيئا لاعقلانيا، وهذا العقل الوضعاني الذي اختلطت عنده العقلانية بالعلم الطبيعي، أو ما يسميه هبرماس: عقل البحث العلمي، أو العقل الأداتي أو التقنية.

لذا فإن تعضيد المعارف الإسلامية باكتشافات العلوم الدقيقة، هو خلط بين العقل والتقنية واخضاع ما مجاله العقل كقوة في الانسان إلى العقل الذي صنعته التقنية والبحث العلمي، وهو عقل مخبري مرتبط بأدوات القياس المخبري، اختزل الموجودات في المحسوسات المباشرة لحواسه، لا يمكنه أن يرى كل المساحة الموجودة في العقل البشري ضمن وحدة الإنسان العقلية والنفسية كوحدة حية.

إذن العقلانية هي المذهب الذي لا يعتبر عقلا إلا العقل الاستطرادي (المنطقي المتنقل)، والمصدر الوحيد الممكن لكل معرفة حقيقية (واقعية)، بمعنى آخر: لا يكون الواقع قابلا للمعرفة إلا بموجب تفسير بالعقل المحدد كافية وضرورية، وهكذا تدخل العقلانية في الاجمال عندما تشمل كل مذهب يصف العقل الانساني بالقدرة على معرفة وتأسيس الحقيقة.

في شكلها الكلاسيكي يتعلق الأمر بافتراض أن عمل العقل يتمثل في تحديد أن بعض الآثار تنتج عن بعض الأسباب، وحصريا انطلاقا من مبادئ منطقية على الطريقة التي تنتج بها النظريات الرياضية من الفرضية المفترضة بداية، وأكثر من ذلك وخصوصا المبادئ المنطقية نفسها المستعملة في الاستدلال والتي عرفت بالاستنتاج.

لذا نجد أن من العبارات الشائعة " العقلانية الحديثة" أو " العقلانية الكلاسيكية"، لتعيين العقلانية كما تشكلت من "ديكارت" و " لبينز " متمثلة تقريبا فيما يمكن أن نسميه منذ "كنط" العقلانية الدوغمائية".

تكون العقلانية دوغمائية عندما يعتبر العقل كمصدر وحيد محدد للمعرفة، وفقط بواسطة مبادئه القبلية تزعم الوصول إلى الحقيقة خاصة في المجال الميتافزيقي.

مع ضرورة الانتباه إلى أن مصطلح " دوغمائية" تم تغيير مساره من معناه الأصلي والذي يعني حرفيا " مذهبي" ومضمونا: الإقرار بوجود حقائق مطلقة، وبالتالي بإمكانية اليقين، إلى معنى " اعتناق الرأي بدون دليل وعدم قبول الاختلاف حوله ".

أما عبارة " العقلانية الحديثة" فتهدف إلى موضعتها في تاريخ الفكر طبقا للمصطلحات المستعملة (الفترة الحديثة، والمميزة لها عن العقل في الفلسفة القديمة كما نجده عند أفلاطون وأرسطو.

عبارة " العقلانية الكلاسيكية " تهدف إلى تمييزها عن العقلانية الموسعة والمجددة (مُحَدَثة) بالنقد الكنطي وإسهامات العلوم التجريبية ما يساوي: " العقلانية النقدية" لـ

كنط وكارل بوبر، و" عقلانية تطبيقية" عند غاستون باشلار.
نجد كذلك عبارة " العقلانية القارية " لتمييزها وضد التجريبية الانجلوسكسونية (هوبس ـ لوك ـ هيوم ـ الخ).
استعمال هذه المصطلحات المميزة بين العقلانية الحديثة (ديكارت ـ ليبنتز) والعقلانية النقدية لتعيين عموما العقلانية الكنطية وما بعد الكنطية استقلالا عن الألوان والحساسيات التي تكونها.
وقد استعملت عبارة" العقلانية" قبل عصر النهضة وخلال العصور الوسطى ويتعلق الأمر هنا بالعقلانية في الإلهيات.
بعد هذا؛لقد حاول عدة فلاسفة معاصرين معالجة الاشكال المصطنع الذي فرضه الفكر الغربي بين الايمان و العقل بعدة طرق ، مثل طريقة كيركغارد ،و هبرماس ،و قبلهما كنط و غيرهم، ولعل الحل الذي اقترحه الدكتور طه عبد الرحمن بالتركيز على أحوال العقل المتكوثرة (حسب تعبيره) و تقسيمه إلى عقل مجرد (عقل الفصل بين الذات و الموضوع)، و العقل المسدد (عقل العملي الشرعي)، و العقل المؤيد (عقل التجربة الباطنية)، هو حل يقترب من الحل الكنطي من بعض الأوجه ،أي اعتبار العقل العملي أساسيا و ليس عقلا إضافيا ،مع إعادة تقسيم أنواع العقل.
لكن كأنه حل في مواجهة العقل التنويري الغربي المهوس بالفصل بين الذات والموضوع، وهو عقل تشكل تحت تأثير العلوم الدقيقة والتجربانية التي حددت مجال المعقول أو الخاضع لحكم العقل بالملموس المحسوس، وما عداه عدته نوعا من الآراء الشائعة التي لا ترتكز على دليل علمي موثوق، وأثر هذا حتى على العقلانيين المثالين أمثال كنط (العقلانية الكنطية).
المهم، هذه التقسيمات للعقل هي إضافية للعقل تتعلق في مجملها بأحوال تتخذها العقول تميل فيها مع آلية فيها وتبالغ فيها، لأننا عندما نجمع عقل فيلسوف مع عقل متدين مع عقل باحث في العلوم الدقيقة نجد اختلاف نظرتهم للعقل ناجمة عن ممارستهم له في اختصاصهم او مذهبهم، أما عقولهم فهي واحدة، لا تختلف في شيء، فهذا صوفي باطني يعمل بعقله في تقرير مذهبه والتأسيس له، ولكنه يضع العقل تحت الفيض والاشراق في معرفة الحقيقة.
و بنفس العقل يتكلم الفيلسوف المشائي فيجعل البرهان المنطقي فوق الفيض و النص،

ومن هنا نفهم ان تكوثر العقل هو تكوثر لمظاهر أخذه إليها صاحبه فهو تكوثر خارجي و ليس من بنيات العقل، مما يشبه من بعض النواحي "النفس" توصف في حالة بأنها مطمئنة، و في حال أخرى بأنها لوامة، و لكنها نفس واحدة في الحقيقة، جاءها التعدد من جوانب عملية وليس من ماهيتها و خصائصها كنفس، فإذن تكوثر العقل من جهتين: من جهة تنوع عملياته، ومن جهة ثقافته، وعليه فإن هذا التكوثر للعقل الغربي ثقافوي و ليس فطريا ضروريا في الإنسان.
ونفس الشيء يقال عن العقل العقلاني المعاصر الناقد أو التقني، فهذه أحوال للعقل ثقافوية إذا اعتبرت الايمان شيئا لا معقولا فمن حكم ثقافتها و ليس من حكم العقل كعقل ،لأن هذا العقل عند غير هؤلاء يعتبر الايمان شيئا معقولا مفهوما من كل جوانبه، و ما يتضمنه من أخبار عن عالم الغيب، هي معقولة بالنسبة اليه، مفهومة، يقدر على فهم عدم امتناعها، و حتى فيما لا نظير له يقدر على فهم المعنى المشترك، فالرسل جاءت بما يعجز العقل عن دركه ، لم تأت بما يعلم بالعقل امتناعه،فالعقل لا يعلم بامتناع الإيمان و إن كان عاجزا عن إدراك (من تلقاء نفسه) ما قد تخبر به الأنبياء من صفات الله و أحوال الآخرة .
وعليه، فإن تعدد العقل هو شيء خارجي عن العقل، لأن العقل المفكر ـ وهي أخص خصائص العقل ـ واحد في جميع الناس، إنما التعدد الممكن هو في علاقاته الذهنية المنطقية وعلاقته النفسية، وما يعتبر انواعا هي ممارسات للعقل المجرد، مستويات تطبيق، مجالات ينشط فيها متأثرة بثقافته وعقيدته.
فالجانب المنطقي في العقل يكمن في وصف المخططات، ولكن ليس في القدرة البسيكولوجية في إيجاد الحجج، ولهذا كتب فراج في " كتابات منطقية وفلسفية" ص: 226: "" يا لها من مغالطة للفكر أن تكون أكثر أو أقل سهولة لكشفها، المنطق لا يعير أي اهتمام، هذا هنا اختلاف ذو طبيعة بسيكولوجي". يعني: لا يهم كثيرا إضاءة التفكير، فمهما كانت مقاصد وأغراض المتكلم، إذا كان يريد أن يقول هذا وليس ذاك، هذا لا يعنينا، الوحيد الذي يهم ما قيل بالفعل ".
يقصد أنه في المنطق الموضوع لا يعمل في الزمن، ولا في المكان، لا يهم زمن الفهم.
يتميز المنطق إذن عن البسيكولوجيا بدايةً بمساحة مجاله لأنه لا يهتم إلا بفئة محددة

لحالات الوعي " التعقل"، لا يعرف إلا قدرة واحدة للأنا، هذا الأنا الذي تصفه البسيكولوجيا تحت كل مظاهره.

والبسيكولوجيا ليس لها هدف إلا بتعريف العقل بالمضاربة؛ أما المنطق فلا يدرس من أجل التعلم، ولكن من أجل كسب القدرة.، يعني: البسيكولوجيا تُبيِّن كيف تجري الأمور، والمنطق يبين كيف يجب أن تجري للوصول إلى الهدف الذي رسمه لنفسه.

ومع أن المنطقي متميز عن البسيكولوجيا فإن لديه علاقات خاصة بها بدايةً: في كلِّ منهما يتعلَّق الأمر بالإنسان، يُطبق المنطقي لهدفٍ خاصٍّ نتائج البسيكولوجية، ولهذا يسبق العلم النظري بالضرورة العلم التطبيقي: فيجب أن نعرف ما هو "الذكاء" قبل أن نسعى لاستعماله.

إضافةً إلى ذلك ليس "الذكاء" مقدرة معزولة في " الأنا"، تتصرَّف بمفردها، بل يتصرَّف دائما بمعية مقدرات أخرى، فنجد أن الإرادة والحس يعلبان دورا في الظواهر العقلية، يجب إذن أن تسبق البسيكولوجيا المنطقي.

9 ـ من بعض الجهات تفترض البسيكولوجيا المنطقي لأنَّ هذا الأخير يعالج " نظرية اليقين" الذي هو أساس أي علم.

ونحن إذا نظرنا الى العقل كوظيفة معرفة وكصفة في النفس الانسانية وقوة عملية وجدناه واحدا رغم اتساع ووفرة موضوعه الصوري، والمبدأ المخصص لوصف هذه القوة والوظيفة بأنها العقل واحدة مما يستلزم أن له قدرة تفكير واحدة بالمعني الجذري لكلمة تفكير (التفكير الخام) رغم الأسماء العديدة التي يحملها بحسب اختلاف عملياته، وهذه القدرة نفسية.

فمثلا عند فحص علاقة العقل بالتجربة نجد أن تجربة الانسان المجرب ليست التجربة الحسية التي يتحدث عنها كنط، و لا التجربة العلمية أو المخبرية، ومع ذلك في كل واحدة من هذه المعاني التجربة لحظة ضرورية للمعرفة، يعني أن التجربة الحسية و إن كانت لحظة ضرورية للمعرفة لكنها غير كافية فالعقل هو مصدر التصورات لكن هذه الأخيرة تبقى فارغة ما لم تعطها التجربة محتوى، يعني (حسب تعبير كنط وهو حل وسطي بين ثنائية المثالية/التجربانية): كل معرفة تبدأ مع التجربة لكن كل معرفة لا تنبثق منها.

والمقصود أن العقل [الأصلي] او الفطري أو الضروري او المجرد ضروري لكل

أنواع العقول الأخرى، والتي تختلف بسبب ثقافة الانسان وعقيدته ولا تولد معه، لكن في جميع الأحوال بهذا العقل الأصلي الفطري، بهذه القدرة تؤدى عدة وظائف قد تكون علمية أو أخلاقية أو تقنية، وبنفس العقل نميز بين الخير والشر، ونوجه الإرادة ونضع القواعد للتمييز بين الصواب والخطأ، فهو عقل واحد، ولذلك لم يصفه القرآن إلا بصفة التعقل والتذكر، يعني: بقواه العملية لأن قواه النظرية فطرية فيه، ومدح مسمى العقل في عدة مواضع.

وعليه؛ فإن التمييز اللاحق بين أنواع العقول بناءً على معايير العقلانية يمكن أن نقول: العقل كمجموعة مبادئ موجهة للمعرفة أو للفعل، العقل كمبدأ لوضع وتنظيم المبادئ، وهكذا.

قال كنط في " نقد العقل الخالص" التقديم للطبعة الثانية ص:24: " اضطررت إذاً إلى حذف العلم لتعويضه بالإيمان " واختلف الفلاسفة فيما بعده في تفسير هذه المقولة، وكان أقرب الناس الى اتجاهه هو كيكغارد، وهبرماس مع اختلاف سنراه.

بالنسبة لــ كنط فإن الإنسان المتصف بالعقل والعقلانية في العهد الكلاسيكي هو من يملك فن القياس، أو بتعبير أدق: "فن القيام بمقارنة قياسية بدقة"، وهذه المقارنة تعمل بواسطة العقل، فبالنسبة للعقلاني العقل هو المصدر الوحيد الممكن للمعرفة الحقيقية (الواقعية).

لكن عندما نتحدث عن العقل لا يمكن أن نستبعد الوعي لأن ملاحظة الوعي من الخارج كما فعل الفلاسفة غير الدخول في هذا العالم الذي حاول المعاصرون تفسيره بتطبيق قواعد الوضعانية واختراع ما سموه "علم النفس التجريبي" تفسيرا لأفعال الوعي بالأسباب القريبة لمحاولة حل المشكلة المزدوجة للتصنيفات والقوانين، دون قدرة واضحة على الوصول الى الأسباب العميقة في "علم النفس العقلاني".

والمقصود أن حل لغز العقل ـ في الثقافة الغربية ــ لا يزال بعيدا رغم الجهود الحديثة، وربما نقبض على خيط لهذه الأسباب العميقة التي تجعل الايمان في الفكر الغربي تحديا للعقل بأن نفهم أنه مَوضَعَ نفسه، واتخذ من جهته حدا بينه وبين الايمان عندما اعتبر كل شيء غير ملموس محسوس خارج مجال العقل، فهنا اكتشف انه فعلا يوجد حد بينه وبين الايمان لكن من جهة الايمان لا من جهته. يعني: أنه بسبب الحد الذي فرضه على نفسه ــ بسبب غروره وتمرده على النبوة ــ اكتشف ــ كما يقول

هبرماس ــ أن أصله في شيء آخر غير نفسه (غيره هو) وانه يجب الاعتراف لهذا الغير بالقوة التي يمارسها على مصيره (العقل) وإلا سيدخل (العقل) في طريق مسدود للسيطرة والتحكم في ذاته الهجينة التي لا يمكن إلا أن تفقده صفته (خاصيته) كعقل.

فالله هو " معنى كل المعاني، ومصدر كل المصادر «، وهو ما قرره ابن تيمية بقوله: من الله بداية الإنسان خلقا وإيجادا، تصويرا وتقويما، هداية وتعليما، وإليه المنتهى وجودا ومصيرا حسابا وجزاء، قال: {وأن إلى ربك المنتهى} [النجم].

وفي الدعاء المأثور الذي ذكره مالك في " الموطأ":" حسبي الله وكفى، سمع الله لمن دعا، ليس وراء الله مرمى، وفي رواية: ليس وراء الله منتهى".

يتعلق الأمر عند هذا الاتجاه خاصة عند هبرماس بمحاربة الوضعانية العلمية التي تزعم اختزال كل معرفة في العلوم وحدها، بالمعنى الضيق الذي تأخذه هذه الكلمة في الفكر الغربي، يعني: علوم الطبيعة أو العلوم الدقيقة.

بالنسبة لــ " جون لادريار " ــ تفسيرا لمقولة كنط ــ فإن العقلاني [rationnel] هو ما يقبل الفكرنة بحسب مقولات التفكير العلمي، بينما العقلي[raisonnable] هو ما يقبل الانتقال كغاية طبقا لأمر العقل العملي، يعني: النظام الأخلاقي (بصفته يشكل غاية الإرادة الحرة).

وهذا الفرق بين العقلي والعقلاني هو ما جعل " برتراند راسل" يقول: ليس الإنسان العقلاني إلا وحشا لا إنساني «لان هذا الإنسان في حصره العقل على المفهوم العقلاني المعاصر سيقصي كثيرا من خصائص الإنسان، وبالتالي يتحول إلى وحش، وهذه كلمة صادقة نشاهد أثرها في وحشية الإنسان الحداثي، وتضعضع الأخلاق والقيم عنده.

والخلاصة الكنطية رغم شدة تناقض مذهبه: إذا كان الإيمان هو بالنعمة فضيلة مُعَانَة، فإنه بالإرادة فضيلة حرة، وهو بالعقل قيمة مؤسسة.

أقام كنط نظريته على تقسيم العقل إلى عقلين: خالص وعملي ،لكننا نجد أن العقل العملي = العقل التأملي يفكر الأخلاق، لا يوجد إلا عقل واحد، وحدة العقل، فليس العقل العملي إلا العمل بمقتضى العلم، والعلم مهما كان مصدره يكون معقولا بالعقل الضروري الفطري، وبهذا تنسف كل تقسيمات العقل التي لحقته عبر تاريخ الفلسفة.

وعليه، يجب علينا الفصل بين العقلي والعقلاني الغربي، كما يجب ضرورة التوقف عن اعتبارهما متساوين لأنه من جهة العقلاني (الذات العقلانية العلمية) تريد العقلانية مثاليا أن تكون مكرهة، بينما العقلي ليس كذلك إذ يريد أن يكون مقنعا.
و بهذا يتبين أن الايمان لغز في العقل الوضعاني فقط،في العقلانية النقدية،في العقلانية المعاصرة،في العقلانية الموسعة ،و ليس في العقل الأصلي الحقيقي المشترك في كل البشر، لأن هذه العقول مجرد أسماء لممارسات، و أحوال لعقل أخذها من طغيان تلك الممارسات عليه، ليست صفة فطرية في العقل ، ليست قوة في العقل ، ليست ميكانزيما آلية في عقل الإنسان، فهي شيء خارج عن العقل، جاءه من ممارسات ومفاهيم خارجة عن العقل كعقل، تأثيرات جانبية للعلوم الدقيقة و عقلانية فلاسفة التنوير و تصورات فاسدة عن الغاية من وجود الانسان...(....)
وهذه ظاهرة قديمة في الفلسفة و الفكر البشري كلما أراد احدهم أن يمرر قوله ليأخذ صفة المعقولية أعاد تقسيم العقل ،أو ادخل عليه شروطا صناعية لطمس طبيعته ، و لعلي في النقد السريع المختصر لفلسفة كنط و موقف كيكغارد قد بينت أوجه التناقض في المقولة الفلسفية الشهيرة :" الايمان قفزة في اللامعقول" و إن كنت قد تركت التفاصيل الكثيرة لموقف كيركغارد في البحث الأصلي حيث إن مضمون فلسفته في الموضوع أن العقل لا دور له خارج الإيمان لكن له دور مهم في داخل الإيمان ، وهو أن يؤكد أن الإيمان ليس من مجاله يعني :أن يزيد لغز الإيمان لغزية (إذا صح التعبير) ... !؟ يقصد هذا الوجودي أن العقل لا يثبت واقعية الإيمان ولكنه يعقلنه من داخل، ما يدل بوضوح أنهم فقدوا عقلهم الفطري، {وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير} [الملك: 8 - 10].
ومع إقرارنا بأن قوله هذا يصدق على العقيدة المسيحية في التثليث، فهذا القول مخالف لصريح العقل عندما يتكلم عن الايمان مطلقا، وليس لمثل هذه العقليات عند العقلانية المعاصرة بمذاهبها واتجاهتها وحساسياتها ترد حقائق الكتب المنزلة وأخبار الرسل المتواترة مما دل عليه السمع وشهد له الحس، فليس هذا العقل الذي بنيت عليه علوم الإنسان كالرياضيات والفيزياء وحتى العلوم الوصفية كالطب.
وكل ما كان من المعقولات الدقيقة كمباحث المعرفة في مصادرها و انواعها و يقينيتها من العقليات الدقيقة إنما بني برد دقيقه إلى المعقولات البديهية الأولية، و إذا

قمنا برد هذا القول " الايمان قفزة في اللامعقول" ،أو " لا يوجد دليل علمي على صحة الايمان" أو قول كنط " معجزات الأنبياء تحد للعقل " إلى المعقولات البديهية الاولية تبين فساده، و انه مؤسس على عدم العلم فقط ، و سبب عدم العلم: الاعراض عن علوم النبوة ،وسبب الإعراض خلفية إغريقية وضعت تصورها للعالم السفلي معيارا للحكم على العالم العلوي، و بالتالي نجد أن هذا القول هو نفسه قفزة في اللامعقول ، فما بالك إذا كانت قضايا الايمان من العقليات الصريحة المعلومة بالفطرة التي فطر عليها الناس ...؟

فإذا كان " صريح العقل " هو ما يكشف غلط الحس والنقل، فإنه هو كذلك ما يكشف المعقولات الزائفة، والمصادرات باسم العقل والعقلانية، فالعقليات النظرية لا يجوز بحال أن تعارض العقليات الضرورية الفطرية (....)

مختصر عن مبحث " معركة الإيمان والعقل الغربي" ... لم أقدر على الاختصار أكثر من هذا لأن المعاني كانت ستتأثر.

ملحق :

2 _ أول من قسم العقل إلى عقل نظري وظيفته الحكم العقلي و عقل عملي وظيفته الأفعال الجزئية والتعقلات الجزئية هو أرسطو، وهذا يرجع إلى عقدتهم من الحس وفتنتهم بالكلي فلا علم عندهم إلا من العام، ومعلوم أنه لا علم بالواقع الخارجي إلا العلم بالمعين ولا يتم إلا بالحواس ودور العلم الكلي تشكيل القانون لنقل العلم إلى الغير.

العقل في الأصل مصدر: عقل يعقل عقلا كما يجيء في القرآن {وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلاَّ الْعَالِمُونَ} .

{أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا} {وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لا يَعْقِلُونَ} {وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ} .

وهذا كثير وهذا مثل لفظ السمع فإنه في الأصل مصدر سمع يسمع سمعا وكذلك البصر فإنه مثل الإبصار ثم يعبر بهذه الألفاظ عن القوى التي يحصل بها الإدراك فيقال للقوة التي في العين بصر والقوة التي يكون بها السمع سمع وبهذين الوجهين يفسر المسلمون العقل.

ومنهم من يقول العقل هو من جنس العلم كما يقوله القاضي أبو بكر بن الباقلاني وأبو الطيب الطبري وأبو يعلى بن الفراء وغيرهم.
ومنهم من يقول هو الغريزة التي بها يتهيأ العلم كما نقل ذلك عن الإمام أحمد بن حنبل والحارث المحاسبي.(بغيةالمرتاد).

2 _ مقارنة بين الحداثة وما بعد الحداثة في العلم.

1 ــ يختلفان في براديجم العلم: في الحداثة هو العلوم (الوضعانية) وفي مابعد الحداثة ألعاب اللغة (التجاذبات اللفظية ـ التلميحات ـ التعميمات المتسرعة)
والخطر إذا تساوت الآراء كان التيه والحيرة= ما بعد الحداثة ضد التمييز.
ـ دور التعليم : بالضرورة تعليم التمييز =معرفة الصحيح و تمييزه عن الخطأ.)

2 ــ في الحداثة العلم هو الذي يحدد الحقيقة والصحيح والعادل والخير، في مابعد الحداثة العلم وظيفة وفائدته النفع، والواقع غير مستقر ولا دائم، ولا توجد حقيقة مطلقة، ولا شيء عالمي" كلي"

3 ــ الحداثة تعتمد على عقلانية الانوار (مبنية على تفوق العقل) والبحث عن القوانين الكلية بحسب المنهجية الوضعانية، مع مسلمة أن الحقيقة محايدة وكونية، أي مكتفية بذاتها.

مابعد الحداثة مذهب يشكك في الوضعانية، في بحثها عن القوانين الكلية، وعن الحقيقة لصالح مقاربة تأخذ بعين الاعتبار تنوع وجهات النظر، وانه لا يوجد حقيقة واحدة بل الحقائق تتعدد.

في مابعد الحداثة يؤثر الباحث على ملاحظته، لذا تشكك في البحث عن الحقيقة المطلقة لصالح النسبية، وانه يوجد حقائق بعدد وجهات النظر، مع رفض الازدواجية أو الثنائيات، مثل: ذات/ موضوع، ومعاصر /قديم، ورجل/ امرأة، حيث تعتبر هذه الثنائيات اختزالية لأنها تضع سلما للقيم يفضل القيم الغربية، وبهذا لا يظن المابعدحداثيون بوجود عقل مشترك يكون نفسه بالنسبة لكل شخص، ويميلون الى تنوع العقلانيات المختلفة المبنية والمستقلة عن السياق التاريخي والثقافي.

وبهذا يظهر خطأ بعض الإسلاميين الذين قسموا العقل إلا ثلاثة أنواع هروبا من الفصل بين الذات و الموضوع لأنهم يؤسسون المعرفة على التجربة الباطنية ،يوضحه :

لسبب: من طبيعة العلم اشتراط التفسير لأنه يعمل بمبدأ السببية، والأهم من هذا أن الذهن يعمل بفطرته وبالضرورة في خط واحد مع مبدأ السبب، ومبدأ السبب هو الذي يجعل الذهن عمليا بشكل رهيب، وهو الذي يضفي المنطقية والعقلانية والموضوعية على التفكير، وبه أنجز البشر تقنياتهم.

ـــ التقنية التي تميزت بها الحداثة هي الامتداد المسلح للعلم الموضوعي = العلاقة الشاعرية مع الطبيعة كما هي عند (الباطنية والظواهرية والوجودية وما بعد الحداثة) هي امتداد لأوهامهم لأنه يوجد معارضة واضحة بين العلاقة الشاعرية مع الطبيعة حيث النفع معلق، ومن جهة أخرى العلاقة العقلية مع الطبيعة حيث يسخرها الإنسان ويستخدمها لنفسه ويعلم أنها مسخرة، وكل شيء فيها متميز بحقيقته عن الآخر؟

6 ــ في مجال العلم والعقل لا يمكن الدفاع عن مابعد الحداثة لأنها لا تملك تأصيلا مذهبيا فهي مجرد محاولة نقد، موقف ينكر القيمة المطلقة لموضوع، يعتبر أفكارنا لا تحمل في ذاتها قيمة، هي فقط بالنسبة إلى شيء آخر، مثل: مرحلة تاريخية، ثقافة معينة، أذواق، أمزجة شخصية..... الخ. ـ

الحجر الصحي خلوة مع الشيطان و الشاشات، و الخلوة بدون تقوى باطن خطيرة على الدين، فاقض هذا الوقت في استكمال ما ينقصك من :علم نافع، مراجعة، هواية مفيدة، حفظ أو تكرار قرآن، رياضة، حتى اللعب المعقول خير من فجور البصر و إدمان الأفلام.

الإعلام و صناعة الخبر ؟!

......

لمدة طويلة اعتقد الناس أن شيئا ما صحيح لأنه مكتوب في صحيفة أو قالته قناة فضائية! لكن اليوم بدأت قناعة الشعوب تنقلب، عندما يجلس الناس أمام شاشتهم فإن أول شيء يستغربونه يقولون مباشرة :"بماذا يريدوننا أن نصدق هذه المرة!"

اليوم عندما تقوم وسائل الإعلام بتحليل نسبة قراءة الصحف أو المشاهدة لا تدخل هذا السؤال :أية قناة تفضل وتجدها موثوقة أكثر؟

من عدة سنوات كان فعل "كشفت" مفخرة الإعلام وواجبا مقدسا، كشف خفايا القضايا

القضائية وتلاعبات الأنظمة كانت مرادفة للدفاع عن حرية الرأي و الديمقراطية.
كشف التعذيب، أو الترحيل القهري للأقليات، أو نهب المال العام كان بالنسبة للصحافة شكلا من أشكال المعركة السياسية والمهنية، على أساس أن إعلام الشعب بهذه الفضائح سيغير الأشياء!
أما اليوم فإن الشفافية ارتدت بفعل فاعل فأصبحت سلاح كل منتهك للحق، لم تعد تخيف أحدا لأنها عديمة التأثير في عقول الشعوب التي تم تدجينها وتخريبها؟!
لهذا تفعل الأنظمة في العالم علانية، تحت عنوان الشفافية يعلنون قضايا النهب والاختلاس واستغلال النفوذ، وتضارب المصالح العامة مع مصالح المسؤولين... لكن بدون تبعية حقيقية.
لم تعد مهنة الصحفي تعني نقل الوقائع ولكن إدخالها في عالم التمثلات، لم يعد عالم الاتصال حكرا على وظيفة واحدة بل دخلته مهن كثيرة، و استولى المال _ والذي هو إما واجهة للحكم أو تحت تصرفه _على وسائل الإعلام.
لهذا و إن بقي اسم الوظيفة"صحفي" اختفى المسمى "نقل الحقائق كما هي" ، لم يعد هناك صحفيون إلا في البطالة أو مهمشين؛ لا يخاطبكم اليوم إلا أعوان دعاية وبروبوغندا،مهنتهم أن يطبخوا لكم يوميا "شربة أكاذيب" أو" شربة حقائق" بدون مذاق،فالحقيقة ليست مجرد معلومة خام ولكنها أيضا سياق وقراءة وإطار.[01]
يعمل الإعلام في عصر "ما بعد الحقيقة" بما قاله بعضهم :"
إذا أردت من النَّاس أن يفقدوا مقدرتهم على التَّمييز فاقصفهم باستمرار بوابلٍ من العواطف لأنَّ هذا يرميهم في الارتباك.
و إذا فعلته باستمرار فلن يكون عندك إلا قطيع عقول مرتبكة طيّعة و سهلة التَّطويع و التَّوجيه.
إذا أردت أن تولِّد المعلومات ~ في شاشة التلفزيون ~ الارتباك فأبذر الخوف، قدِّم أقصى ما عندك من الاستفزاز العاطفي بطريقةٍ تضع المتفرِّج في حالة عصبيَّة/ انفعالية ؛ لا تخاطبه وهو هادئ،اجعله عاطفيا، حسَّاساً، قلقا،سطحيا؛أغرقه بالدراما، بقصص البؤس و الجرائم و حكايات الطَّلاق و السِّحر و الشَّعوذة ، وخطف الأطفال،و الاعتداء على النِّساء ... الخ
وجِّه نظره إلى ما يستخرج شعور الوطنية لديه، اصنع له أعداءً، حاصره بالأرقام

وبخبراء يقولون الشيء وضده، فهذا يمنع كلَّ إمكانية تفكير لديه، بل قد يجعله يعتقد أنَّه على اطلاع جيِّدٍ: لأنه سيعبِّر عن شعوره أمام الشَّاشة..!
يجب أن نلاحظ أنَّ المحتوى المنطقي للفكرة محمول بسيل " حزمة" بسيكولوجية، فمهما قدَّمنا للنَّاس~ إلى مالا نهاية ~ النَّصائح المنطقيَّة المعقولة فلن يكون لها أي أثرٍ على عقلٍ مضطرب قلق و ذاهل، لأنَّه على هذه الأرضية لا شيء غير تكاثر الفكرة المرتبكة.
أخطر ما في الأمر أنهم لم يعودوا بالحاجة إلى الكذب لأن الحقيقة لم يعد لها أي وقع على الناس، ولهذا أصبحت الشفافية المحسوبة في صفهم بعدما كانت عدوهم!

....
الهامش :
1 _ صناعة الخبر:الصحفيون وإديولوجيا الإتصال ،فلورنس أوبينا و ميغال بناسياغ ،المدخل ،لاديكوفرت(بتصرف).

عزلة العباد والرهبان والإنتاج الحضاري..؟

....
جاهدت الحداثة لإخفاء دور الرهبان في إزدهار الحضارة الغربية كأنها حضارة بدأت مع عصر الأنوار الذي لم يجلب في الحقيقة إلا الظلمة، ظلمة الروح وجسد ملتفت إلى نفسه!
مع ذلك أثبت التاريخ الغربي بعد أن تطور وتحرر من وظيفة كتابة تاريخ الملوك، وابتذل نفسه قليلا ليكتب عن تاريخ الإنسان العادي:عن تاريخ الأزهار، والطبخ، والضحك،واللباس، و الأحذية، والمراحيض.. الخ أن الرهبان في جميع مناطق أوروبا باختيارهم الإقامة في المناطق المعزولة عمروا تلك المناطق، فأصلحوا الأراضي وزرعوها، وطوروا الفلاحة، وجلبوا أصناف الخضر والفواكه، و طوروا فصائل نباتية وحيوانية جديدة.
كما طوروا العمران فبنوا القصور والمعابد و القناطر، و ساهموا في الطب والتعليم، وكان لهم الفضل في أصناف الكروم والفاكهة الأوروبية، و أشهر الأجبان والأكلات

والحلويات هي من إبداعهم.
والمقصود أن الرهبان في الغرب ساهموا في الازدهار الحضاري، في تعميم القراءة والكتابة في مقابل دور العباد المسلمين الذي لم نشهد عندهم مثل هذا النشاط؟!
فما هي الأسباب؟
في ظني يرجع الأمر إلى عدة أسباب منها :
1 _ قدماء العباد (التابعين وجيلين أو ثلاثة بعدهم) كان إقبالهم على العبادة تاما، وزهدهم كاملا ،في اللباس والطعام وملذات الحياة لكن كانت مساهمتهم في العلوم الشرعية قوية فاستوعبهم العلم والعبادة ،وكذلك المساهمة في الفتوحات و المرابطة في الثغرر.
2_ ما وقع في التصوف بعد ذلك أي: التصوف الفلسفي أو الجهمي يؤكد تفسير مالك بن نبي في "مشكلة الأفكار" من طغيان الجانب الروحي على الجانب المادي.
3 _تاريخ الحياة عندنا لم يكتب بعد، لا يزال يدور في موضوعات الملوك والدول والحروب، لم يخصص لموضوعات اللباس والطعام والدواء و أشياء الحياة اليومية دراسة مركزة حتى يمكن أن نتتبع دور العباد في التمدن و العمران ومختلف مجالات الحياة.

تغيير الرأي بين طبيعة الأشياء ومقاومة الأهواء

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.
قال الله عز وجل: {فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ} [الزمر]
القدرة على تطويع النفس للانتقال إلى القول الأرجح أو الأقوى أو الأصح هو ما يدل على قوة العقل، إذ العقل القوي هو الذي يعمل على نفسه قبل أن يعمل على غيره، فتخضع له النفس وتذعن طائعة أو كارهةً للانتقال من موقف إلى موقف، ومن رأي إلى آخر أفضل منه، وبهذا يحصل لها الهدى.
وإذا أمر الله تعالى باتِّباع الأحسن والأخذ به فيما أنزل، كما قال: {وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ} [الزمر]، {فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا} [الأعراف] فكيف بموارد الاجتهاد، ومظان التخمين؟

لكن هذا يحتاج ~ كما قلتُ ~ إلى قوة عقلية وقوة نفسية، وهو أمر صعب لعدة أسباب سنبحثها في هذا المقال.

لذلك فإن بعض الناس لن يُغير رأيه مهما كان، ليس لأنه صاحب برهان استعرض كل الآراء، واستوفى النظر، واقتنع بوعي وإدراك أن رأيه صواب أو أقرب، ولكن لأن عقله راكد لا يتحرَّك، فالإنسان الذي لا يُغذي فكره، ولا يُغيِّر آراءه كالماء الراكد يفسد فيه الصحيح، ولا يعيش فيه إلا ما يطيقه.

هذا الشخص الراكد يقرأ نفس الكتب، ويدور فيها، ويفحص نفس المعلومات، لا يُجدِّد علمه، لا يُوسِّع معرفته، لا يبحث عن مؤكدات رأيه خارج قناعته، وقوة الرأي لا تثبت بأدوات نفسه ولكن بمقدار صموده واحتوائه للآراء الأخرى.

تغيير الرأي أو الرؤية ~ بخلاف الشائع عند الناس ~ هو تطور تطبيعي للإدراك، لأنه جزء من التعلُّم الدائم والمطالعة المستمرة والاسترسال مع العلم، والتغيير قد يكون جزئيا بمعنى: هو تطوير للرأي وتقوية له، وقد يكون كلياً بالتخلي عنه والانتقال إلى آخر، لهذا يتوقف تحسين الرأي أو الانتقال إلى غيره عندما يتوقف التعلُّم والبحث.

لذلك لن يُغير رأيه من توقف عن التعلُّم والمطالعة أو عنده مشكل سلوكي نفسي للاسترسال مع العلم، أو يدور في نفس المراجع.

عددٌ من الناس لا حصر له ليس لهم رأي إلا رأي جماعتهم ومذهبهم، لأن غالب الناس يعجز عن تكوين رأيه الشخصي، فتوفِّر له الجماعة رأيا جاهزاً؛ لهذا نجد أن أكثر الناس تنتقل إليهم الآراء كالعدوى.

و المطلوب من طالب العلم أن يفحص الظروف التي تمنعه من أن يكون موضوعياً وحياديا كالانتماء إلى جماعة أو مذهب، أو حالة الصراع بينه وبين غيره، فإن الانتماء، و الآراء الهجومية أو الدفاعية كرد فعل تمنع الموضوعية، ولا يمكن للإنسان الذي يشعر بمديونية ما اتجاه غيره أن يكون موضوعيا، لذلك لا يمارس النقد على جماعته ومذهبه إلا قلة من الناس.

ومتى فحص الإنسان ظروف تكوين رأيه اكتشف أن كثيراً مما يقطع به مجرد ظن تلقاه ممن يحسن الظن به، أو كوَّنه في خضم أزمة نزاع مع غيره، لم يعطيه حقَّه من النظر الفاحص.

هل يُفرِّق طالب العلم بين اعتقاد الرجحان ورجحان الاعتقاد، بمعنى: هل رأيه

واختياراته بعيدة عن تأثير ميولاته الباطنة؟
عليك أن تنظر في الأفكار التي قبلتها، والمعرفة والقناعات والآراء التي تشبَّعت بها، وتسأل نفسك إذا كانت منسجمة مع مبادئك كالاجتهاد، وعدم التعصب، وموالاة الحق وحده...الخ؟
هل كوَّنت آراءك بناءً على معرفة علمية أم على ظنون وتخمينات؟
لذلك نقول: يجب على طالب العلم تنويع الآفاق والآراء، وألا يترك آراءه تتحوَّل إلى حقائق مطلقة، فإن الوهم أو العاطفة دائما ما يُقدِّم الرأي على أنه حقيقةٌ مطلقة من الثوابت.
واحرص على اكتساب وسائل منهجية المعرفة والتحليل، فأنت تحتاج إلى أن تعمل على عقلك قبل أن تعمل على عقل غيرك، فكم من رأي فاسد يحمله طيب، فإنه ~ كما قيل ~: الآراء الفاسدة كالنقود المزوَّرة يضربها الأشرار ويستعملها الطيبون بعد ذلك، فيطول أمد الجريمة بدون أن يعرفوا، وإلا كيف تُفسر أن الفكرة يبدؤها زنادقة ثم نجدها بعد قرون عند قوم مؤمنين صالحين؟
وبعض الناس عندهم مبادئ تدور على القياس النوعي " الكيفي" للرأي لكنهم عمليا يعتمدون القياس الكمي، فتراه يقول: لا يحتفل في الحق بالعدد، وأكثر الناس غير مؤمن، والحق مع فئة قليلة، لكنه لا يعمل بهذه المبادئ داخل مذهبه وجماعته!
وقد يكون رأي ما منتشراً في جماعة ما، منغرساً فيها إلى درجة عميقة، يصل إلى حدِّ التعصب، ومع ذلك لا يدل على قيمته إلا بمعرفة درجة تجانسه مع المبادئ الأصلية.
وإذا كان الرأي الواحد كشعاع الطيف إذا حللته وجدت فيه عدة ألوان، فإننا نجد في الرأي المتعصبين له، والطائفيين، والمتحمسين القابلين للتعبئة، ولتعميم التفكير، وللتحزُّب عليه، وكل ما يقود إلى الشعور بتفوُّق الجماعة، ويقود إلى تسطيح الأسئلة المطروحة وإخضاعها لمنطق مانوي، أو كما كان علماؤنا المتقدِّمون يسمونه " مثنوي «، وهو منطق الذي يُقدِّر الأشياء بحسب المبادئ المطلقة للخير والشر، بدون أي فرق أو ظلال، أو درجات، أو حالة متوسطة؟
كما تفعل بعض الجماعات المعاصرة خاصة السلفية منها، الأشياء عندها بيضاء أو سوداء، لا يوجد وسط بينهما، فترفض الاستثناء والتقييد والتخصيص في كل شيء.
أسباب مقاومة التغيير:

مقاومة التغيير ترجع بالأساس إلى رفض تخطئة النفس، وإلى قوة العادات التي ينشأ عليها الناس، وكذلك الخوف من التغيير الذي يرتكز على معطيات موضوعية هو الخوف من فقدان الحقوق ومراجعة المصالح المكتسبة، كزوال مشيخة، أو ذهاب الأتباع، وقد يرجع إلى درجة التعبئة الممنهجة عليه..

إن مقاومة التغيير عندما تقوم أسبابه العلمية الموضوعية هو آلية دفاع طبيعية للنفس لـ «الأنا" لكن متى فهم الإنسان أن تغيير الرأي عند العقلاء سببه أولا هو البحث عن توازن جديد بين الرأي والواقع عند الاصطدام، بين الهدف والوسيلة العاجزة، بين الأصالة والمعاصرة ...الخ

هو إذاً السعي للوصول إلى الاستقرار بعد فترة لا استقرار وأزمات داخلية، هو البحث عن انسجام وتناغم بين منظومة الأفكار بتقليل التناقض بينها، وطرد الأصول، وليس التغيير من أجل التغيير.

ثم إن آراء الناس تخضع يوميا للتغيير الإجباري، فهناك من أحاطوا بتقنيات التحكم والتلاعب بالوعي، ميكانيزمات مقاومة الأنا، وبالدوافع والاعتقادات يوظفونها في الاقتصاد والإشهار والإعلام لتوجيه الآراء نحو مصالحهم، كما تستعمل في معالجة الأمراض الذهنية، وإعادة إدماج المدمنين في المجتمع، ومقاومة الحركات السرية، ومؤسسات التلاعب بالوعي.

إن الآراء الضعيفة الخارجة باجتهاد خاطئ من آراء قوية هي مثل الجزئيات الضعيفة في الكليات الصحيحة، تكون لها قوة انطلاقة وبريق لكن في نهاية المطاف يستهلكها الزمن ويردمها الواقع، وليس المشكل في الكليات ولكنه في الجزئيات.

بهذا نعرف لماذا لن يغير بعض الشيوخ وطلبة العلم آراءهم مهما كانت ضعيفة متناقضة مع الأصول، منافرة للأهداف لأنهم سجنوا أنفسهم في قراءات معينة، واكتفوا بما حصّلوا، أو انشغلوا بالدفاع عن المكتسبات والمصالح، لهذا أقول كما قال أحدهم:

إنك تحتاج إلى شجاعة أكبر لتغيير رأيك، من أن تثبت عليه.

Image may contain: text that says 'La biologie est la seule science dans laquelle la division et la multiplication veulent dire

</ "'.la m&<a href=#xea ;me chose

نبحث جميعنا عن الفهم لكن ماذا يجب أن نفهم لنحسن فهمنا.. ؟نبحث جميعنا عن الفهم لكن ماذا يجب أن نفهم لنحسن فهمنا..؟

لا يمكن بلورة فكرة ناضجة وكاملة إلا من عمل شاق جدا، أما في تسويق الذات فيمكنك انتاج مئات الأفكار في شهر واحد ..!

ضريبة الصدق في العلم!

....

أعرف بعض الشباب لهم قدرات عقلية فذة وقوة على الاستنباط مع سرعة بديهة، وجملهم الله بأخلاق عالية لكنهم يتحاشون الكتابة بسبب سوء أخلاق وسلاطة لسان بعض المعلقين، وهذا حال النفوس الشريفة تتأذى من اللغة الساقطة ومع ذلك لابد أن يقتحموا هذا الميدان محتسبين جروحهم.

وهذا ما قلته لأحدهم لعله ينفع من هو مثله.

مما لا يشك فيه مَن يطلع على أبحاثك أنك تجيد صناعة الدليل ~ على الأقل ~ في مادة الأحكام وما يستتبعها، وهذه مقدرة عزيزة في الأزمان المتأخرة مع عفة لسان وحسن معاملة وقلَّما يجتمعان في أبناء هذا الزمن لكن صناعة الدليل وبناء المقالات العلمية شيء وحسن القتال والجهاد به لإعلاء صوت الحق شيء آخر يتطلب علماً يقبع عميقا في نفوس البشر تشرب منه قوة نفسية تسبح في الصدق فالمعادلة دائرة بين توحيد المطلوب وتوحيد الطلب.

وأمثالك ممن يتعجلون رضا الله في العلم لكن بينهم وبين عموم أمتهم مفاوز يجدون معارضة لتفاوت الفهم والإدراك في العلم لا من حيث أنه طريقة تنافي التعصب والجمود على الآراء بدون بينة، ولا من حيث هو حالة وعي في إنسان مثقف فإن لم يكن الواحد منا قادرا على تحمل المعارضة والنقد فما عليه إلا مجاراة التيار ومسايرة

الكثرة لكن هل سيسمح له إيمانه بذلك فما هذا إلا نوع نفاق قد يعذر صاحبه لخوف فوات مصلحة أو حصول مضرة.

وربما عليه ألا يخوض في قضايا العلم كلية لكن هل سيكون إمعة حتى في القضايا التافهة فحتى الحديث عن البطاطا والحمص يحتاج إلى أن يقول فيه رأيه وقناعته وإلا عاش بين الناس كالبهيمة.

فلم يبق له إلى أن يعبد الله بالصمت حتى يلقاه؟

وكما تأنف النفس من سب الناس لها والوضع من قيمتها تأنف أكثر من مداهنتهم وأن تعيش تحت سلطة الجاهل العقلية لذا لم يحفل العلماء بما يصيبهم في ذات الله فمنهم من مات وألقيت جثته في المزبلة، ومنهم من مات مهجورا أو طريداً أو أشبه بالدرويش، ولعلك تعرف أسماءهم، [لا يسقط الجهاد بالخوف على النفس] .

هناك ذاتان يهتم لهما المسلم: ذاته كإنسان بسبب طبعه الآدمي يحب لها العلو والعزة وأن تمدح فلا تذم، وذات الله لأنه الغاية التي ليس بعدها غاية، وليس أكبر من البحث عن الحق ونشره في الناس كغاية يتقرب بها العلماء إلى الله فتلك عبادتهم التي خصهم الله بها، أن يعرفوا الهدى وأن يذيعوه بين الناس.

ولهذا فما تضايق النفس من الاعتراض والنقد مصدره إيمانها أو علمها ولكن طلب حظها وقد يكون شعورا يبثه الشيطان فيها ليثنيها عن الخير ويقطع بينها وبين استفادة الناس منها وكذلك يفعل مع من ضعف من أهل العلم يسلط عليهم السفهاء والجهلة وأشباه طلبة العلم ينالون من عرضهم حتى يخاف بعضهم ويؤثر الصمت ويتحاشى كل قضية خلافية ويسير مع القطيع وبئس الوظيفة أو الرسالة اختار فلو يبيع الكعك على قارعة الطرق يكون أحسن عاقبة له عند الله.

إن الله هو الذي يرفع ويضع وهو الوحيد الذي يقدر على قلب جواهر الأشياء فيجعل السب والعدوان والنقد الهدام سلما للعلياء، والمدح والتزكية دركا للكهوف والدهاليز.

[01]

وكم من مشهور في بدايته خامل في نهايته.

عندما تستشير استشر عارفا بربه، عالما بحدوده، مدركا لطريقة العلماء الحقيقيين فإنه إن اعترض عليك اعترض بأمر فقهي أو علمي لا باعتبار عقلي مرسل أو إطلاق لفظي أو اصطلاح خاصٍ(كما يقول العلماء) .

العلم بالبرهان والحلم في تبليغه ثم الصبرعلى أذى الناس من تبليغه ذاك لباس العلماء ومنهجهم.

أسباب الرفعة :

1 ـ قال ابن تيمية : فَرَفْعُ الدَّرَجَاتِ وَالْأَقْدَارِ عَلَى قَدْرِ مُعَامَلَةِ الْقُلُوبِ بِالْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ فَكَمْ مِمَّنْ يَخْتِمُ الْقُرْآنَ فِي الْيَوْمِ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ وَآخَرُ لَا يَنَامُ اللَّيْلَ وَآخَرُ لَا يُفْطِرُ وَغَيْرُهُمْ أَقَلُّ عِبَادَةً مِنْهُمْ وَأَرْفَعُ قَدْرًا فِي قُلُوبِ الْأُمَّةِ فَهَذَا كُرْزُ بْنُ وَبَرَةَ وكهمس وَابْنُ طَارِقٍ يَخْتِمُونَ الْقُرْآنَ فِي الشَّهْرِ تِسْعِينَ مَرَّةً [بحسب المروي عنهم لا بحسب الممكن واقعا] وَحَالُ ابْنِ الْمُسَيِّبِ وَابْنِ سِيرِين وَالْحَسَنِ وَغَيْرِهِمْ فِي الْقُلُوبِ أَرْفَعُ.

وَكَذَلِكَ تَرَى كَثِيرًا مِمَّنْ لَبِسَ الصُّوفَ وَيَهْجُرُ الشَّهَوَاتِ وَيَتَقَشَّفُ وَغَيْرُهُ مِمَّنْ لَا يُدَانِيهِ فِي ذَلِكَ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ أَعْظَمُ فِي الْقُلُوبِ وَأَحْلَى عِنْدَ النُّفُوسِ وَمَا ذَاكَ إلَّا لِقُوَّةِ الْمُعَامَلَةِ الْبَاطِنَةِ وَصَفَائِهَا وَخُلُوصِهَا مِنْ شَهَوَاتِ النُّفُوسِ وَأَكْدَارِ الْبَشَرِيَّةِ وَطَهَارَتِهَا مِنْ الْقُلُوبِ الَّتِي تُكَدِّرُ مُعَامَلَةَ أُولَئِكَ.

وَإِنَّمَا نَالُوا ذَلِكَ بِقُوَّةِ يَقِينِهِمْ بِمَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ وَكَمَالِ تَصْدِيقِهِ فِي قُلُوبِهِمْ وَوُدِّهِ وَمَحَبَّتِهِ وَأَنْ يَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنَّ أَرْفَعَ دَرَجَاتِ الْقُلُوبِ فَرَحُهَا التَّامُّ بِمَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَابْتِهَاجُهَا وَسُرُورُهَا كَمَا قَالَ تَعَالَى: {وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنْزِلَ إلَيْكَ} وَقَالَ تَعَالَى: {قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ } الْآيَةَ.

فَفَضْلُ اللَّهِ وَرَحْمَتُهُ الْقُرْآنُ وَالْإِيمَانُ مَنْ فَرِحَ بِهِ فَقَدْ فَرِحَ بِأَعْظَمِ مَفْرُوحٍ بِهِ، وَمَنْ فَرِحَ بِغَيْرِهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَوَضَعَ الْفَرَحَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ. [01]

فَإِذَا اسْتَقَرَّ فِي الْقَلْبِ وَتَمَكَّنَ فِيهِ الْعِلْمُ بِكِفَايَتِهِ لِعَبْدِهِ وَرَحْمَتِهِ لَهُ وَحِلْمِهِ عِنْدَهُ وَبِرِّهِ بِهِ وَإِحْسَانِهِ إِلَيْهِ عَلَى الدَّوَامِ أَوْجَبَ لَهُ الْفَرَحَ وَالسُّرُورَ أَعْظَمَ مِنْ فَرَحِ كُلِّ مُحِبٍّ بِكُلِّ مَحْبُوبٍ سِوَاهُ، فَلَا يَزَالُ مُتَرَقِّيًا فِي دَرَجَاتِ الْعُلُوِّ وَالِارْتِفَاعِ بِحَسَبِ رُقِيِّهِ فِي هَذِهِ الْمَعَارِفِ ".

دمت في أحسن الحال ورزقك الله قوة القلب ونور البصيرة.

العلوم ليست صوتا لأحد، و لا هي الحقيقة، ولكنها طريقة للبحث عن حقيقة الطبيعة،والفلسفة ليست صوتا إلا لصاحبها،والقرآن صوت الله الذي عليك الاستماع

إليه.

"العلم حربٌ للمتعالي كما أنَّ السيل حربٌ للمكان العالي"

(نقله ابن تيمية)

حقيقة أية فكرة ليس في الفكرة ذاتها فتلك حقيقة ذاتية ذهنية، و لكن فيما يجعلها ممكنة خارج نفسها، و يعطيها معنى يعيش به الناس.حقيقة أية فكرة ليس في الفكرة ذاتها فتلك حقيقة ذاتية ذهنية، و لكن فيما يجعلها ممكنة خارج نفسها، و يعطيها معنى يعيش به الناس.

الأسئلة يطرحها العصر(الواقع) لا الماضي، والجواب عنها في التراث لا في العصر، فالمعاصرة أن تجيب عن إشكالات العصر، وأن تعالج انحرافات العصر، والأصالة أن تكون الحلول من تراثك.

الواقعية الإصلاحية.. ؟

....

يعاني جزء من الخطاب الديني اليوم من علم سوقي ، غارق في المثالية لا يتجاوز حدود روحانية سطحية ، منفصل عن الواقع الذي يعيش فيه، يفتقد إلى واقعية في التصوُّر، و في العمل الميداني، حتى صار العالم فيه "مؤرخ الدين وليس عالم دين" مع أنهم يعملون ما في وسعهم و لكن قناعتهم بما هم عليه دون الشعور بالحاجة إلى تطوير علمهم بتفكير زائد هو سبب صلتهم بالدين كصلة مؤرخ و ليس كصلة عالم، إذ لا تخرج أجوبتهم عن صياغة الماضي.

وهكذا بدلا من الاهتمام بالقضايا الصغرى الجزئية المرتبطة بحياة الناس وواقعهم ومعالجتها لنصنع بها واقعا جديدا ركَّزنا كل جهودنا على القضايا الكبرى التي تحتاج إلى بيئة مهيَّئة و ظروف مواتية لم نوجدها، لأن الحياة العملية للمسلمين ظلت متمردة علينا، بعيدة عن اهتمامنا، فوقع لنا خلط بين "دين الدولة " كمرحلة ووسيلة و"دولة الدين" ، إسلام الدولة، و دولة الإسلام.

ثم ابتلينا بمن فجَّر العمل الدعوي الملموس بتأصيل استدلالي خالص من جهة نوعه

يعني: أثري،لكنه انتقائي، منهج جعل الدين الذي نريده أن يحيط بحياة المسلم شيئا مجردا، نقل التساؤل عن الدين إلى التساؤل عن فكرة الدين .

بتعبير آخر: جعلوا المسلمين يبلعون الحقائق(أدلة شرعية، نصوص،أثر) نظريا ثم يتقيؤنها عمليا.

و بالغوا في إقفال شروط الوصول إلى العلم الشرعي الحقيقي بتسطيح التعليم الديني وفصله عن الثقافة الكونية ، و تحديد بعض المراجع القليلة السطحية، و استبعاد أخرى تفتح العقول،

و بالقفز على جهود العلماء المحققين أرادوا تكثيف المتاهات العلمية لإضاعة الوقت في التحقيق و الصياغة الجديدة لتطابق العصور اللاحقة.

وحتى يُطبِقوا على الشباب نهائيا نقلوا قاعدة شرعية من إطارها المعرفي الخاص وجعلوها منهجا عاما،وهي قاعدة" فهم السلف" فمن إشكالية " تحديد المعنى و معرفة المراد" إلى السياسة و الاجتماع و الوسائل الدعوية، وهي أمور متجددة بحسب تجدُّد الأعراف و المجتمعات.

بينما الشريعة فرضت علينا الالتزام بالمبدأ المنزل، و لم تفرض علينا أن نبحث عن المطابقة مع مواقف السلف الخاضعة لظرفهم، في الدعوة، و الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر، و السياسة و الإصلاح لأنها وسائل متجدِّدة، لا يجب أن تُخلط بالعقيدة و الأحكام و القيم ،وهكذا حكمنا على مواقفنا بأن تكون في هذا العالم كلمات ميتة.

وبهذا المنهج انحصرت وظيفة عالم الدين في التكفُّل بتأطير المجتمع وتوجيهه نحو مصالحه الأخروية فقط، و تحديد آماله الدنيوية بجبرية مبطَّنة، مقتصراً على التفكير في الدين الأخروي مفصولا عن الدين الدنيوي ، غير مهتم بصنع واقع جديد للمسلم المعاصر.

وهكذا تحوَّل الداعية من حارس القيم إلى حارس عتبة القصر، لا يحرسه من كل فكر فوضوي عدمي يؤسِّس لمنهج الصفر، ولكن من الإصلاح ، للحفاظ على الواقع كما هو، لأنه إذا كان التغيير ممكنا نحو الأفضل فهو ممكن ـ أيضاً ـ نحو الأسوأ، فالأولى الإبقاء على الأمور كما هي !

أصبح هؤلاء الدعاة ـ بحثا عن استقرار هذا الواقع المتوهم،لأنه في الحقيقة متحرِّك ـ

ينتجون معايير مضادة لخلفيتهم العلمية لفرض مفهومهم للإصلاح و للسياسة ، في نهاية المطاف تعمل هذه المعايير ـ شاءوا أم أبوا ـ لصالح الواقع كما هو، وليس كما يجب أن يكون.

فمن جهة يفاصلون هذا الواقع لأنه فاسد، و يدفعون أتباعهم لتهميش أنفسهم،فالسياسة في البرلمان شرك،و الاختلاط في الجامعات حرام، وكذا العمل في أسلاك الدولة ، و ينتظرون أن يتغيَّر هذا الواقع إلى مثاليتهم ـ من تلقاء نفسه ! ـ ليتعاملوا معه و ينخرطوا فيه، و من جهة أخرى يتبنون فقها سياسيا مضادا، يعمل كل ما في وسعه من إنتاج النظريات الدينية ليبق هذا الواقع كما هو ؟ !

وعليه بدون مواجهة هذا التناقض لن يقدر الدين على التعامل مع هذا الواقع المادي بامتياز، هذا التناقض الذي يعبِّر عن خضوع المجتمع لطبقة من الناس فاقدة حتى لشروط المستبد المهتم بنهضة بلده، في نهاية المطاف هم جزء منها نظرا للامتيازات مادية أو معنوية المستحقة أو غير المستحقة.

و إذ يجب أن نتخلى عن المثالية في التصور و العمل إلى الواقعية الدعوية فأقصد واقعية موضوعية ملموسة تُقيِّم المجتمع الإسلامي تقييما صحيحا، متحرِّرة من قيودها الخاصَّة كفقه سياسي غير مجدَّد ،و نظرية نقدية احتياطية مبنية على سدِّ الذريعة بدون ذريعة، تقف جدارا أمام التفكير العلمي الذي يتجاوز العصور إلى الشرع المنزل.

لقد ظن بعض إخواننا في تصوُّر ساذج أن هجر الناس ومناصبتهم العداء،و الاعتصام بخطابهم و لغتهم كما هي من دون أي تفاعُل مع الغير وفتح قنوات الاتصال مع المخالف سيقود المسلمين إلى مذهبهم ؟

وهذه رؤية بعيدة عن حقيقة الناس، بعيدة عن الواقع، فالحقائق الموضوعية التي لا يغلط فيها أحد يعني: علاقتهم مع واقعهم، ومع الناس مدمَّرة، لا ترجع إلى تخيلاتهم و تجريدهم.

و المثالية لا تتحوَّل إلى حقيقة واقعية بمنهج و خطاب ضبابي يتعامل مع المسلمين بالأقنعة و الواجهات، و التدقيقات الأكاديمية الفارغة.

أن تكون واقعيا هو أن تبحث عن تغيير الواقع، وعن تحرير الدين من قبضة السياسة المهيمنة عليه.

أن تكون واقعيا هو أن تكون صاحب موقف، فلا يوجد دين محايد، إذ كل موقف وافتراض هو اختيار وميل لموقف، كان بوعي أم لا، فحتى اختيار عدم الاختيار هو اختيار.
و الدين الذي يريد إصلاح الواقع، بالضرورة يجب عليه أن يلتحق بالواقع.
وإذا كان من الضروري الاعتراف بأن دور العلماء هو التبرير العلمي الصحيح لكل الحقائق الدينية لكن المنزلة وليس المؤولة المطابقة لنوع من الوجود الإسلامي المرتبط بزمانه، فإنها حينئذ تدعو ذاك الزمان إلى الامتداد في الحاضر، فيصبح المبدأ عاجزا عن معايشة الواقع ومقارعة فساده .
إن الدين يعيش واقعيا في جانبه العملي و ليس في جانبه العلمي، ومهما كانت المسائل النظرية العلمية مهمَّة فإنها من جنس الهوية، ليس بها يظهر الدين، بل بواجباته العملية التي يحي الناس بها فالدين الحي في الفعل و الحركة، و ليس في العقل و السكون ، يعني:في التطبيق النافع المرتبط بالعالم الواقعي ،بالإنسان ، و ليس في دينٍ داخل الذهن ؟
هي إذاً الواقعية الدعوية ضد المثالية التنظيرية، و الروحانية المجرَّدة، وخطاب التشظي و الانشقاق.
يبدأ عملنا الدعوي ورد فعلنا على الواقع السيئ بإعادة التفكير في القناعات الدعوية أوَّلا ثم بالتوقف عن التفكير في المشاريع و القضايا الكبرى:" الدولة الإسلامية، الشريعة،رسالة الإسلام إلى العالم... الخ" و الاهتمام بالصغرى،فإنشاء الجمعيات في الأحياء، و القرى و المدن، ودعوة الناس لانخراط فيها ،وإنشاء المدارس الوضعية التي تحفظ القرآن بدلا من مدارس تحفيظ القرآن إن لزم الاختيار بينهما، وإطلاق وسائل الإعلام حتى المحلية ،و الاهتمام بعلوم الاتصال... الخ ، هي خطوات صغيرة مقدمة لمشاريع كبيرة.
لكن قبل ذلك من حيث التفكير لا الانجاز : التفكير في أهم وسائل نشر الوعي و تغيير الذهنيات التي تجعل المسلم فاعلا متحرِّكا ايجابيا متفائلا، وهو نشر نوادي الكتاب و القراءة في كل مكان، ولا بأس من الاستفادة من تجارب الأمم الأخرى في هذا الباب حتى تكون قراءة مفيدة نافعة محققة للأهداف المنشودة.
و إذا عرفنا أن عزلة المصلحين و النخبة الصادقة عن المجتمع تعود بالدرجة الأولى

إلى صعوبة التواصل بينهما لضعف قيمة القراءة و الكتاب في أمتنا المعاصرة، وقلة المنابر الإعلامية الهادفة فنحتاج إلى نشر الوعي عن طريق نشر ثقافة القراءة حتى تصير عادة من خلال تأسيس نوادي ودوائر و جمعيات القراءة و الكتاب في الجامعات، و الثانويات، و في كل مدينة وقرية.
بطبيعة الحال هناك خطوات صغيرة كثيرة في مختلف المجالات أشرت إلى ما يبدو لي الأهم وهو تعميم القراءة ورفع المستوى الثقافي.

التاريخ دائما معاصر، يعني :سياسي" [01]

ماذا يعني تجديد الخطاب.. ؟

....
كثر الحديث عن تجديد الدين وتجديد الخطاب الديني، ولا شك أن المقصود بالتجديد أولا إزالة ما لحق مراد الله ورسوله من سوء فهم، لكن علينا أن نميز بوضوح شديد بين تعريف الناس سواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين بالإسلام وبين رد شبهات معينة موجهة إليه.
فلا دعوة إلى الإسلام إلا بالقرآن والسنة ،فما انتشر الإسلام في العالم، وها هو اليوم يتدفق على مختلف أرجائه كالسيل لا يوقفه شيء بسبب معاهدنا الفكرية ومؤلفات فلاسفتنا ومناظرتنا الكلامية ! ولكن بآيات القرآن و أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، فلا شيء في هذا الكون أفتح للقلوب و أدفع للشبهات، يملء القلب سكينة ويطمئن الروح منهما، ولا أعلم أحدا دخل في الإسلام بغيرهما.
وهما طول الدهر جديدان، لا يحتاجان منا إلا تبليغهما وترجمة معانيهما للناس، فما أنزل القرآن إلا هدى ورحمة، وما بعث محمد صلى الله عليه وسلم إلا ليعرف الناس بربهم ويبين لهم ما يتقون.
الناس الفارغة من الإيمان في أقطار الأرض تعيش قلقا روحيا عاصفا، تنتظر أن تسمع كلمة الله و تعرف رسول الإسلام من أحاديث.
لا يجلب الناس إلى الإسلام إلا ما خاطبهم به النبي صلى الله عليه وسلم، ولذلك قال :"بلغوا عني ولو آية"(البخاري) لم يقل مقدمة فلسفية أو قاعدة كلامية، وهذا لأن

القرآن نزل ليخاطب الفطرة الإنسانية فليس أعلم بها و أوفق لها منه.
ودعا لمن بلغ عنه ولو حديثا : (نَضَّرَ الله عَبْدًا سَمِعَ مَقَالَتِي فَوَعَاهَا ، ثُمَّ بَلَّغَهَا مَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا ، فَرُبَّ حَامِلِ فَقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ ، وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ لاَ فِقْهَ لَهُ ، ثَلاَثٌ لاَ يَغِلُّ عَلَيْهِنَّ قَلْبُ الْمُؤْمِنُ : إِخْلاَصُ الْعَمَلِ ، وَالنَّصِيحَةُ لأُولِي الأَمْرِ ، وَلُزُومُ الْجَمَاعَةِ ، فَإِنَّ دَعْوَتَهُمْ تَكُونُ مِنْ وَرَائِهِ)).الطبراني وغيره.
وتبليغ سنته إلى الأمة أفضل من تبليغ السهام إلى نحور العدو(ابن القيم)
الحاجة إلى التجديد تخص مجالات محددة مثل خطابنا الجدلي ومقارعة الشبهات بما يدرءها ويدفعها ويقيم حجة الله البالغة.
أقول هذا لأن الحديث عن التجديد هو مشكل حضاري وليس مشكلة في النصوص ، مشكل مشروع الدولة الإسلامية المعاصرة و إعادة بعث حضارة الإسلام.
وأما تجديد الدين فليس إلا إعادة وظيفة النص كما كان أول مرة.
هناك ورشات كثيرة للتجديد، أغلبها أكاديمية و سياسية لكن مادة الدعوة كما هي، ربما هناك نقاش عن الوسائل،وهو نقاش بلا معنى، سببه على الغالب أن بعضهم عندما بحث موضوع البدعة والمصلحة المرسلة تناول تجدد أمور المعاش والعادات و إلا فبداهة نحن نتحدث عن وسائل نقل وتبليغ رسالة وليس عن وسائل عبادة،ولا عن وسيلة تطمس النص.
عندما نقول :رسالة دعوية" فهذا يعني أنها تواصلية حيث يتواصل الداعية مع المدعو عن طريق فعل الكلام، إما بين الداعية كفرد و فرد آخر، أو بين الداعية و جماعة من الناس.
و إستراتيجية التواصل (الدعوة) الغرض منها توفير وسائل وصول الرسالة الإيمانية التي يحملها الخطاب وفهمه ودرء شوائب بيئة المخاطَب ورد الفعل العكسي.
إستراتيجية الخطاب الدعوي هي علم أو فن توجيه و تنسيق الأفعال الضرورية لتحقيق أهداف الخطاب الإسلامي، ويتضمن :
1 ـ تحديد الأفراد والطبقات التي سيخاطبها الدعاة.
2 ـ تحديد الرسالة التي ستنقل إليهم.
3 ـ تحديد أهداف الداعية (وعظية إيمانية ـ مبادئ الإيمان ـ الوعي ـ تعليم الأحكام ـ حماية من الغزو الثقافي..الخ)

4 ـ اختيار و سائل دعم الرسالة (الخطاب) و قنوات التواصل المتكيفة (منبر ـ تجمع ـ مجلة ـ انترنت ـ قناة فضائية،تظاهرة اجتماعية.. الخ) .
5 ـ ويجب على مخطط التواصل مع الناس أن يجيب عن سؤال التالي : كيف نصل الهدف المحدد (الناس) على اختلاف ثقافاتهم و مستوياتهم التعليمية وطبقاتهم الاجتماعية، يعني كل خطاب يستهدف جمهورا محددا، ولكل جمهور داعيته(شباب ـ عوام ـ نساء ـ أطفال ـ بسطاء ـ طبقة راقية ..الخ)،أو لون خطابه ووسائله (كتابية ـ و سائل إعلام ـ نشاط اجتماعي (مخيمات ـ مؤتمرات ـ تنظيم مسابقات ثقافية ـ رياضية ..الخ)
الدعوة إلى الله تحتاج حتى إلى ميزانية عمل لكن لأننا لا نزال نعيش في الماضي لم ندرك أن الدعوة كعمل فردي قليلة الأثر و أن العالم اليوم مشروعات فكرية تواجه مشروعات، ومؤسسات تواجه مؤسسات، و أموال تواجه أموالا،ورؤية استشرافية تواجه رؤية استشرافية.
لهذا فإنه بدون تحديد إستراتيجية دعوية في: ـ توفيرها نظرة كلية للأعمال المطلوب تنفيذها من: صحافة،إشهار،مواقع انترنت،حملات توعية ـ بريد الكتروني ـ أحداث دينية اجتماعية سياسية ..الخ إضافة إلى حلق العلم) والجهد المطلوب توفيره (مادي ـ تطوع الدعاة ..الخ) باختصار يعني لتكن الدعوة حسب موضوع الساعة و بوسائل العصر.
يحتاج الداعية إلى ما يسمى بـ "رعاية الصورة" يعني عليه أن يرعى صورته في وعيهم، و يدفع عنها الشوائب التي يُلحقها بها الخصوم، أو التصرفات الخاطئة ممن يمثِّلهم أو ينتمي إليهم، فهو بين فعلين: إيصال المعلومة الدينية و تزيين صورة مرسِل المعلومة، والإسلام يتعرض لمحاولات تشويه خبيثة تنفق عليها البلايين.
وكما قلتُ سابقا: قد يكون المقصود الفرد أو الجماعة، وقد يكون المدخل إليهما: مطالبه الاجتماعية أو السياسية، أو الثقافية، أو الترفيهية أو الرياضية، أو التكنولوجيا، و على القدرة على إدخال رأي الإسلام في هذه المجالات تتوقف قدرة الدعوة على الوصول إليهم، فهذه المجالات أبواب تدخل منها النصوص على الناس، فمفهوم "التواصل، الدعوة، المخاطبة" متفاوت مرن قابل لكل جديد يساهم في نجاحه، لا يجب أن نحصره في صورة واحدة من حيث الشكل(الوسائل) لأنه عندما يدخل

الأفراد في التواصل فيما بينهم يجب أن نأخذ في الحسبان تفاعل العمليات المعرفية و العاطفية و اللاوعي بينهم، فكل معلومة عن طريق لفظ،أو كتابة،أو صورة تقدِّمها لهم سيتعامل معها الشخص أو الجماعة المستقبلة لها على أساس معرفتهم المتقدمة وعاطفتهم، وما انغرس في لا وعيهم، لذلك تحتاج أن تدرج معرفتهم(علمهم) كونهم ـ مثلا ـ متفرنسين،ملاحدة ،غربيين ،شباب تائه، مولعين بالروحيات معظمين للعقل،... الخ في المعلومات التي تقدِّمها لهم بتسلسل يذيب احتمال التعارض التناقضي(اختلاف التناقض) و الصدام، يعني لا تبدأ بمعارضتها بل بتزيين مذهبك وفهمك من خلال طريقة عرضه حتى يحدث لديهم الشوق ، و التفطن في لاوعيهم إلى نقائص ما عندهم من غير أن تشير إليه صراحة،آخذا في الحسبان الأحكام المسبقة و سوء الظن الكامن في اللاوعي.

وهنا يجب أن نفهم أن نقل المعلومة إليهم هو جزء واحد فقط من التواصل معهم، ليس هو كل عملية التواصل التي تتضمن انتقال ـ في نفس الوقت ـ مستويات مختلفة أو متعددة لمعان الكلمة لا تتضمنها الكلمة لفظيا، إنما تضمنها بالصورة المرفقة، بالإشارة المقارنة، بطريقة العرض،بالسلوك ، بالجو الاجتماعي الذي تمثله الجماعة المسلمة، البيئة التي توفرها للمهتدين الجدد .

المقصود أنه للكلمة الشرعية قيمة مضافة هي وسائل نشرها وتبليغها.

العالم اليوم عالم الصورة في كل المجالات، والصورة لها علوم خاصة بها تقنيات ووسائل مثلا ، وهذا يشبه نوعا ما السؤال عن جواز القتال ببندقية صنعها العدو!

يجب أن نفرق بين ما يحتاج إليه الدين من تجديد بتحقيق التراث الاجتهادي و تجديد فلسفة العمل للدين وبين مشاكل المسلمين النفسية والسلوكية ومشاكل العقل المسلم المعاصر التي هي نتيجة الإبتعاد عن الدين المنزل مع الصعوبة التي وجدها هذا العقل في الدخول إلى العصر، وهي صعوبات ناجمة عن انحرافه عن العقل الإسلامي الأول وليس منه.

والمقصود أننا عندما نرى المحاضرات والملتقيات العلمية نجدها في الغالب تدور على موضوعات ناجمة عن كون علاقتنا مع العصر علاقة غير متناظرة، علاقة العصر المحاضر والمسلم المستقبل للمحاضرة، فاغفلنا قوة الإسلام وهي القرآن والسنة وركزنا على المشاكل البشرية والإسلامية على أنها مشكلة عقل و تصورات

في حين هي مشكلة إيمان وخطاب لا يصل الفطرة كما يصلها الوحي.
هي مشكلة عقل نعم لكنه العقل الفطري، العقل الذي مسخت فطرته النظرية والعملية.
والخطاب العقلي هو خطاب مرافق للنص، رافع لولايته، كاشف لما تضمنه من الهدى والبيانات، ليس خطابا معوضا له بحال من الأحوال.
تحية خالصة للوعاظ، دام فضلكم و شكر الله سعيكم وجنبكم انحرافات بعض القصاص.

فتنة العقل عند التنويريين..!!

....
حصل لي أن اجتمعت ببعض الشباب المتأثرين بالخطاب المسمى نفسه "الإسلام التنويري".
الذي عاينته من حديثي معهم أنهم شباب خلوق،مهذب اللغة جامعي التعليم، منبهر بالحضارة المعاصرة، لا يملك عمقا معرفيا إسلاميا لذلك يجذبه كل خطاب يرفع شعار عقلنة الخطاب الإسلامي، ويوهمه أنه بمقدوره تجاوز معوقات النهضة الإسلامية لأنه شباب مهموم بأوضاع الأمة.
جوهر حجتهم هي أن من حق الإنسان البحث عن الحق، والعقول تختلف فلم أنظر بعقل السلف؟
و أنا لا أشك في أنهم يبحثون على الحق لكن بأي أدوات؟ وبأي معيار تحاكم الأقوال المختلفة؟ فالعقل منه صحيح ومنه فاسد، فبأي شيء عرفت أنك في العقل الصحيح وعرفت فساد عقل غيرك؟
فهل يفرق هذا الشباب بين طلب الدليل والنظر في الدليل والدليل موجود عندنا هو كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم و إجماع أهل العلم، والنظر فيه يكون بالنظر الإسلامي لأنه المنهج الرباني الذي منح لنا مع الوحي لا تجده في أية أمة، وتحرير الخلاف الداخلي يكون بأدوات العلوم الشرعية وليس بأي عقل.
ومن يحتاج إلى معرفة الحق لابد أن يعلم أنها عملية مركبة تتطلب قبل كل شيء أن يقصده،أن يقصده بباطنه، فما بينه وبين ذلك العواطف والميول و الأهواء، فلا يدري أهو طلب صادق من النفس أم هو هواها؟

وبدون السيطرة عليها، وتمييزها في مختلف مجالات إراداته و أفعاله فإنه يخضع لها فتفوت عليه معرفة الحق، وحينها لا يكون العقل إلا شاهد زور لأن العمل الأساسي الغالب للعقل لا يتمثل في البحث عن الحقيقة فهذا دور النفس لا العقل ،و لكن في البحث و التحقُّق من علاقات التبرير المنطقي بين الاعتقادات،يعني: نفسك تعتقد وعقلك يبرر!

فهو أكثر اهتماما بالعلاقات المنطقية بين الاعتقادات من حقائقها الذاتية وإلا كيف تبرر أن فلاسفة و متكلمين و علماء لغة و نحو،وفقهاء و غير ذلك يكتب عشرات المجلدات، و يضع النظريات لتبرير معتقده،وهم مخالفون لبعضهم بعضا، وكلهم يرفع لواء العقل واللغة والمنطق، وربما كان مخالفا للنصوص،لأنه لم يبق في عقله إلا وظيفة التبرير المنطقي للاعتقادات، و اختفت وظيفة السعي للحق مباشرة تحت نبضات الاعتقاد المسبق أو الهوى.

ومشكلة هذا الشباب ألخصها في نقطتين :

النقطة الأولى :لم ينفعه التعليم الرسمي مهما كان اختصاصه من الناحية المنهجية، فهو لا يقبل أن يتحدث أي شخص في معادلات الفيزياء المعقدة التي ليست من المعارف الفيزيائية المبتذلة لكنه يقبل أن يتحدث أي إنسان عن قضايا إسلامية كبرى و تتطلب سلطة كفاءة.

وتراه يستمع لمن لا يميز بين صحيح الحديث وضعيفه، ولا يعرف مخرجات الفقهاء. يزعم المنهج التجريبي لكنه لا يراجع المقدمات التي يبنى عليها الخطاب التنويري، ولا يتحقق من توثيق النقل مع أن هذا الخطاب فيه تساهل في الإحالة.

يريد هذا الشباب أن يتكل على عقله لكن عقله المكتسب قاعدته في الثقافة الشرعية والفلسفية ضعيفة، فيمكن أن تهرف عليه بما تشاء في تفسير القرآن أو علوم الحديث أو أصول الفقه أو تاريخ التشريع وعلم المقالات، فضلا على أنه معدم من معرفة متينة بقوانين الاستدلال، لا يميز بين تقدير و تقرير.

وعندما تُبين له أخطاء هذا الخطاب يواجهك بالقضايا التي أصاب فيها، ما يعني أنه تنقصه النظرة المنهجية الشمولية.

النقطة الثانية :

أنه بسبب ضعف اطلاعه على العلوم الإسلامية بحيث يستحيل عليه أن يموضع

مخاطبه في تياره الفكري ومذهبه لا يطرح على نفسه الأسئلة الأساسية التي تخص دعوى إعمال العقل :

إذا تعارض عقلك مع عقلي فأيهما نقدم؟ ونحن نرى العقلاء مختلفين حتى داخل الطائفة واحدة؟!

وفي كل الملل والمذاهب عقلاء، وهم في طرفي نقيض..!

وهنا معضلة : كيف يخرج من الإسلام عقلاء ، و يدخل فيه عقلاء؟

ويوجد في النصرانية و اليهودية و المجوسية و غيرها وهي متناقضة عقلاء؟!

فلو كان العقل واحدا لكانوا على دين واحد؟

ولم تعددت المذاهب العقلية و الفلسفية إلى مئات المذاهب كل واحدة تنقض الأخرى!

فعقل المقبل على القرآن و النبوة وفهم سلف الأمة غير عقل المدبر عن القرآن و النبوة وفهم سلف الأمة.

عقل الشيء إما يكون بالعقل الغريزي ،وهذا يشترك فيه جميع البشر،وقد يكون بعقل مركب من أدلة و مقدمات سابقة وهذا عقل مكتسب ليس العقل الصريح.

والتنويري الذي يأخذ عنه هؤلاء الشباب هو عالم بموضوعه بالنظر لمستوى إدراكهم، لا بالنسبة لمعايير علماء الإسلام.

ليس المشكل في العقل، ولم يكن في العقل، و لكن في عدم التَّوفيق، و غلبة الهوى، و التَّقليد في الشُّبه الملقَّنة، ومتى سلِم العقل من الأغاليط كان الميزان الذي وهبه الله للبشر ليزنوا به الواردات القلبيَّة و العقليَّة، و يفرِّقوا بين الحقِّ و الباطل، فما بعث الله الرُّسل إلاَّ إلى ذوي العقل، ولم يقع التَّكليف إلاَّ به، فيستحيل أن يخالف الوحي." ابن تيميَّة".

فهل العقول المفطورة على نفس المبادئ تنتج الأخطاء أم أنها بريئة منها، ولم تجهز بفطرتها لتصدر عنها الأخطاء ،فمن أين ــ إذاً ــ تأتي الأخطاء ،و تستعمل العقول في تبريرها ، وقد يخدر الإنسان نفسه بالخطأ و يناضل عنه كأنه حقيقة..؟

و إذا كان الإسلام خاتم الأديان فماذا يستلزم ذلك ليحقق هذه الوظيفة المتمثلة في هداية البشر إلى قيام الساعة؟

هل يستلزم ذلك أن جميع ما سيصل إليه البشر من معارف أخذ بالحسبان؟

هل يستلزم ذلك إمكانية اجتماع الأمة على ضلالة وخلو فترة من تاريخها من الحق؟

ما الغرض الذي أنزل من أجله القرآن؟ وهل أنزل هاديا مبينا لما اختلفت فيه الأمم؟ و أنزل ليفهم ويتدبر ام هو لغز مغلق!؟!
وما دور الرسول إذا لم يكن تفسير القرآن الذي يحتاج إلى تفسير؟
وما دور الصحابة إن لم يكن نقل الدين لفظا ومعنى ؟
لم ينزل القرآن ليضع لنا قوانين الفيزياء، ولا الخلاف بين العلماء هو في العلوم الطبيعية، ولكن ليعرفنا بواسطة الرسول بخالقنا ،ويعلمنا بامره ونهيه، وهذه علوم لا زيادة فيها على ما جاء به النبي صلى الله عليه وعلمه السلف منه، فما اتفقوا عليه أخذنا به، وما اختلفوا فيه فإن العلماء وجدوا في الكتاب والسنة ما يكفي من الأدلة ليرجحوا به، لكن في جميع الأقوال الحق لا يخرج عنهم.
وعليه فإن دعوى إعمال العقل في الدين متجاوزا السلف ضلالة يقينية شرعا وعقلا.
يتحدَّث التنويري عن الدين على أنه في غالبيته ـ إن لم يكن كله ـ مجرد اعتقادات بالمعنى المقابل للعلم (آراء ظنية) ثم يخطب علينا لمدة ساعة بكل ما وضعه في "الطنجرة التنويرية": معلومات فيزيائية ، نظريات نفسية و اجتماعية مع شيء من العرفان الفلسفي و الفقه الإسلامي.. !
و المطلوب منَّا أن نصدِّق أنَّ كل هذه "الخالوطة " حصيلة منهج تجريبي يقيني، لأنه في حديثه هذا ذكر شيئا عن المنهج التجريبي و العقلانية و الواقعية العلمية وبعض المعادلات الفيزيائية و الأرقام ..؟
التنويري يضِّعف منهج النقل و الإخبار، و هو غارق فيه كله، فالتجربة لم يراها في المنام إنما ينقل عن ناقل، و يخبر عن مخبر، ولأنه يتحدَّث عن نظرية فيزيائية و فرضية كوزمولوجية فحديثه علم وليس خبرا يحتاج إلى شروط التحقق من الأخبار ... !
نثمن في هذا الشباب حرصه على عزة الأمة وطلبه الخروج من الخلافات العقيمة لكن عليه أن يعرف الأصل وبعد ذلك ينظر في الفرع، ولما كانت فتنة أبناء هذا الزمن في العقول المكتسبة و العقلانيات الغربية فلابد عليه أن يبحث أولا في قوانين الاستدلال ومناهج المسلمين في الاستدلال لتكون لديه نوع حماية لعقله، وحتى يتمكن فعليا من إعمال عقله ونفع أمته.

نوع التَّفكير تصنعه طرق التَّعليم

....

من الأشياء التي غيَّرها العصر الحديث و طوَّرها حتى أصبحت علماً مستقلا بنفسه: طرق التَّعليم؛فنجد كتابات: "موشمان "،و" بياجي"، و بيداغوجيا "ليبمان" و غيرهم. و الناظر في طرق التَّعليم الديني في العصور المتأخرة يجد أنها لم تتغيَّر كثيراً فلا زالت تعتمد على حفظ المتون وشرحها بالطريقة الإلقائية: أستاذ/تلميذ"(في اتجاه واحد)، وهي الطريقة التي تُساهم ـ بنسبة كبيرة ـ في نوعية العقل الذي يتشكَّل لدى الطالب،فتفسِّر نوعا ما نوع العقلية المهيمنة في المجال الديني الحالي مع ضرورة استثناء من طور نفسه فيما بعد بجهده الخاص.

بالإضافة إلى بعض الآداب الجميلة التي ورثناها عن سلفنا لكن ساء المعاصرون فهمها أو توظيفها، و أصبحت عقبة أمام عملية تعليم الطالب خاصية التفكير النقدي بنفسه؛ فأُخذ " السمت" على أنه برتوكول للفصل بين الشيخ و الطالب حتى تبقى العلاقة بينهما علاقة رسمية كالعلاقة بين مواطن ووزير دولة (!) و صار "احترام الشيخ" يُفهم منه عدم فتح مجال النقاش معه بالإكثار من الأسئلة خلافا لما قاله سعيد بن المسيب لما استضاف قتادة و أكثر عليه الأسئلة :" أنزفتني يا أعمى ".

وذُم الاعتراض العلمي _الحافظ لمقام الشيخ وليس التطاول والتشغيب _على الشيخ و أصبح وقاحة وسوء أدب و من علامات التعالم،و بالتالي صار التعليم الديني نوع من الخدمة العسكرية:الاستماع و التلقي فقط. .. !

و معلوم ــ عند خبراء هذا المجال ـ أنَّ تعلُّم التفكير النقدي لدى طالب العلم الناشئ لا يتم من خلال نقل العلم من الشيخ ــ و هو الفهم الخطأ في طرق التعليم الديني التي تعتمد على عملية نقل المعلومات حفظا مع شيء من الشرح لا يُفجِّر في الطالب قوة التفكير النقدي الذاتي ـــ و لكن من خلال التساؤل و تبادل الأفكار ،و بهذا يصقل بناءه المعرفي الذاتي ، فلا يمكن تنمية التفكير النقدي لدى الإنسان بدون أن نترك له الاستقلالية الضرورية ليفكِّر بنفسه،فلكي يوقظ في نفسه التفكير العقلاني المبدع يجب أن نمنحه بعض الحرية ،و نسمح له بتوجيه كل الأسئلة التي تتبادر إلى ذهنه،لأنَّ أخذ الكلمة أمام الشيخ ليقول رأيه و يستفهم عن النقاط الغامضة مهم جدا في تفعيل التفكير النقدي لديه، فيمكن أن نكلِّفه بالتعبير عن رأيه بخصوص موضوع ثم التفكير ضمن

المجموعة تحت توجيه الشيخ؛يحتاج الطالب الى ان يناقش طالبا مثله بنفس المستوى و السلطة .
و تبدأ عملية غرس قيمة القراءة عندما نقدِّم له مؤلفات مكيَّفة مع واقعه، تلمسه مباشرة حيث يشعر أنه معني بالموضوع ، و نختار له (في العلوم الشرعية) المؤلفات العلمية التي كتبها الأئمة الذين عرفوا باستقلالية التفكير ،فبهذه الطريقة يمكن أن تتقوى لديه قوة الفهم، و تتطوَّر مداركه و مخياله، وقدرته على الاستدلال، و يعرف قيمة التفكير النقدي الذاتي.
لهذا لا تستغرب من نوع التفكير المنتشر بيننا فإنه ثمرة لطرق التحصيل العلمي..

شعارات تخريب الخطاب العلمي!
"احترام رأي الغير" " هذا فهمك أنت للنصوص «، "فهم السلف لا يلزمني "
....
الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.
هناك فوضى علمية في الساحة العلمية الإسلامية، هذه الفوضى لا تعود إلى العلوم الإسلامية كما يحاول التنويري إظهارها بل إلى أوضاع خارجية عنها مرت بها الأمة في العصور المتأخرة هي عرض للانهيار الحضاري عندما تضعضعت المؤسسات العلمية وقامت وسائل العصر بابتذال المعرفة العلمية و برزت حركات إصلاحية لم يكن في إمكانها الاشتغال على الأكاديمي لسوء وضع الأمة يحاول التنويري استغلالها لتأصيل خطابه ليظهر العلم الإسلامي الشرعي على انه خلافات لا تنتهي ،و أن كل الأدوات العلمية القديمة لا يمكنها حسمه ،و أن هذا الوضع هو سبب تخلف الأمة فلابد حينئذ من تجديد أدوات النظر و الاجتهاد في النصوص الشرعية و القفز فوق علماء الأمة بما فيهم الصحابة " السلف".
في الحقيقة هناك مساهمة من بعض المدافعين عن السلف والعلماء والعلوم الشرعية والتراث الإسلامي من خلال سوء توظيف كليات علمية نتكلم عنهم في الجزء الثاني.
لكن الصورة التي يقدمها التنويري عن الفقه والعقيدة الإسلامية صورة زائفة وإن كانت موجودة، زائفة لأنها لا تمثل حقيقة الأمر في نفسه، لا تمثل واقعه عند العلماء، موجودة لأن عقل الجاهل بالتراث الإسلامي يفتقد إلى أصول النظر ومنهج القراءة فلم

يفهم أو تعامى عنما يمثله الاختلاف من ثراء في الفكر الإسلامي العلمي وعن حيوية هذا الفكر ،ولم يفرق بين الاختلاف الذي تكفله الشريعة و بين الاختلاف الذي هي منه بريئة .

مشكلة الباطل ليست في أنه متماسك، ولكن في تسلله إلى عقول بعض المتدينين يشتبه عليهم النزاع المشروع بالنزاع المصطنع.

و أخطر ما يهدد المسلمين وهو فرع عن شعار " احترام رأي الآخر " الشعار المتكئ على الأنا " هذا فهمك أنت للنص" و هذا قول حشوي،لا تجده عند أهل العلم، و لا عند الفلاسفة، ولا عند عاقل من العقلاء،لأن كل نزاع علمي هو اختلاف أفهام ،و إنما جاءت الشريعة و رزقنا العقل، و نظَّم العقلاء العلوم و بيَّنوا قواعد كل فن و آداب النقاش و أصول الجدال لنبيِّن صحة فهم و فساد آخر ؛ لذا هذه الحجة تدل على أننا خارج النزاع العلمي و في داخل شجار المقاهي..؟

و لهذا يجب أن نبين أنواع التدافع و المقاومة في العلم، و نميزها عن الشجار من خلال الوقوف على الفوارق بين النزاع العلمي و الصراع المصالحي و المهاترات و المناكفات، لأننا نجد الاختلاف يدور إما حول منطقية الدليل ومعقولية الحقيقة، و إما حول الاعتقاد و السعي للإقناع به وهنا يتحول النزاع العلمي إلى صراع طائفي وهذا عموما فيه توظيف سياسي و يكثر فيه التهويل و التهوين و التدليل الجدلي،و إما هو تراشق بآراء من أجل الشهرة و الرئاسة و محض المغالبة .

لقد تكلم المسلمون عن اختلاف التنوع و اختلاف التضاد ،وسموا التدافع العلمي بــ"النزاع" ،وفرقوا بين النزاع اللفظي الصوري الذي يعود الى اطلاق لفظي و النزاع المعنوي الذي يعود الى اعتبار عقلي ،وعن تحديد محل النزاع أو موضعه ،و النزاع المطلق مثل النزاع في النوع و النزاع في أفراد العام ،و تسليم الدليل مع بقاء النزاع ،و ان المعتبر في موارد النزاع الحجة لا العلماء ، و الفرق بين النزاع المشهور و النزاع الشاذ، وبين النزاع المحفوظ و النزاع المستحدث ،و منعوا دعوى الاجماع في مواضع النزاع،و طبيعة النزاع إن كان لغويا أو عقليا أو شرعيا ،و تحدثوا عن فائدة النزاع و غير ذلك ، لكن لا يوجد عندهم دفع يسمى " هذا فهمك أنت للنص"

وهنا يجب أن نفصل بوضوح بين النزاع الواقع بين المقرين بالشريعة و بعلومها

الشرعية وبين المنكرين للشريعة صراحة أو بتأويل و لصلاحية علوم الاجتهاد فيها، فالأول من أقسام النزاع و الثاني من قسم الصراع مع الدين لتطويعه لصالح الفلسفة الغربية المعاصرة، و بعضه شجار لخدمة مصالح شخصية يشبه وصف كنط لبعض الخلاف بين فلاسفة الأنوار.

وكل رأي لا يمكن أن ندافع عنه بمصادر الإسلام، ولا يمكن أن نناقشه بنصوصه وبوسائله فهو خارج حدوده،هو مجرد صراع مع الإسلام يحتاج إلى أن يكشف عن جنسيته الثقافية.

إذاً للنزاع العلمي الإسلامي خصائص منها التمييز بين موضوعية الشرع و نسبية معرفة آحاد العلماء ، وهذا يقودنا إلى الانتباه إلى بعض انحرافات مذهبية العلماء (ليس من المذهبية) التي كان لها التأثير السلبي على علم الفقه بتجريد مسائل الخلاف المذهبي الذي أظهر الفقه كعلم ظني (ستكون فرصة لنتكلم عن هذا الأمر و أثره على نظم الحكم القديمة و مساهمته في نشر علم الكلام السلبي) و لعل أخطر ما في طريقة عرض الفقه هذه أنها تقنع الناس أن الاختلاف في الأحكام غير قابل للحسم (مع ضرورة التفريق بين اختلاف التنوع و اختلاف التضاد) ومن هنا تأتي حجة " هذا فهمك أنت للنص " كتسلسل منطقي لحجة " الخلافات العلمية بين المسلمين غير قابلة للاختزال" ، و أن هذه الاختلافات تقود الى اختلافات لا يمكن حلها، فلا يمكن أن نعرف من هو المخطئ ومن هو المصيب ، وعليه فلكل واحد مذهبه، و لكل واحد رأيه ، ولكل واحد حقيقته، فيجب أن تحترم أراء الآخر و شخصه .. !نتجاوزها بطبخة حداثية تنويرية.

و لأن المناطقة أفسدوا أصول الفقه الإسلامي خاصة المتأثرة بالمتكلمين فغيروا من طبيعة الاستدلال الإسلامي و ادخلوا شروطا أخرى في ماهية الدليل أثرت على مفاهيم مهمة مثل: مفهوم اليقين، ومفهوم الدليل، و مفهوم العلم فأصبح الترجيح بالأقوى و الأقرب و المناسب غير مؤثر فإما اليقين القطعي و إما اللاأدرية أو تكافؤ الأدلة ؛وهذا كله محدث مناف لما كان عليه سلف الأمة و أئمتها في العلم .

يعني هذا الحال المستحدث أنه لا يمكننا امتحان تماسك حجج الناس و أقوالهم و أحكامهم، و البحث عن أكبر تماسك ممكن ،ولا يمكن أن نستدعي بديهيات و ضروريات دينية و عقلية نرجح بها بين الأقوال فإما اليقين الجذري و إما الاختيار

الحداثي ..؟ !
و قد ساهم في هذا الوضع بسبب ضعف بعض العلماء في علم السنة و الآثار اعتقادهم أن أكثر مسائل الفقه أقيسة والذي استوجب رد فعل ظاهري معاكس، و كذلك التباس معنى كلمة"شرع" بين المنصوص عليه في القرآن و السنة، وبين موارد الاجتهاد الذي هو تأويل، و بين الأقوال و المذاهب المبنية على الأحاديث الموضوعة و الواهية و الأقيسة الباطلة و الآراء المستوردة و التقليد المحرم، الذي هو مثار النزاع الأبرز.
فكل هذا أصبح عند الناس تحت مسمى" الشرع" ومن ثم تعذر بالضرورة الحسم في النزاع لأن الرد لم يكن إلى القسم الأول و وقع اضطراب في التعامل مع القسم الثاني من زاوية مستقلة.
فالمشكل الأصلي هو انتشار فكرة أن النصوص غير شاملة لعامة أحكام الأفعال التي تولد عنها الاحتجاج بآراء آحاد العلماء في مسائل النزاع، و ظهر فقه لا يسير نحو النص في طريق مباشر يعني الحجة عنده في المقام الأول ليست النص و الإجماع و الأدلة التي نقدر مقدماتها بالأدلة الشرعية لا بأقوال العلماء فنشأ جيل من الفقهاء مقلد ضعيف في الاطلاع على الآثار فتجد الفقيه غاية اجتهاده حفظ مؤلف واحد في السنن،أو مؤلفين لكن ليس بالعدد الكافي، لا يحسن الأدلة الشرعية فتعذر إقامة الحجة الفاصلة و أصبح تقريبا كل شيء من موارد الاجتهاد ، و الله المستعان.
عندما ننظر في قوله تعالى : {فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر} [سورة النساء]نفهم منه أن الوحي حقائق مطلقة لا نسبية فيها، و أن منهج الفصل في النزاع بين المسلمين هو العودة إلى الله و إلى رسوله، و إذاً كيف يدعونا الله إلى ما لا يقين فيه، أو إلى ما لا يصلح لحسم نزاعنا ؟
و إذا لم تحسم النصوص الخلاف فما دورها ..؟
و إذا علمنا أن الموضوعي هو ما يظل هو طبقا لنفسه مهما تغيَّر العارف الملاحظ علمنا أن النسبية ليست من الدين ولكنها من العارف،و ليس من كل عارف ولكن من بعضهم وهو سبب العذر ، و العذر يعني عدم العقوبة (عدم الحكم على القائل) لا يعني عدم الحكم على القول، فإذاً هناك إمكانية للوصول الى القول الأقوى الأقرب و بل إلى القطعي المحكم موضوعيا.
فالنص حق في نفسه لا يختلف بحسب عقائد الناس و أحوال علمهم لذا كان كل ما

عارضه باطل مطلقا ،قال تعالى : {الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق} [الأعراف 43]

وعليه فدور العلوم الشرعية هو بالضرورة تعليمنا التمييز لمعرفة الصحيح وتمييزه عن الخطأ.

كذلك ساهم في هذا الوضع العرضي للعلوم الشرعية قولهم " لا إنكار في مسائل الخلاف" و حمله الناس على عدم النقد و طلب الأقوى و الأرجح و أحيانا الأصح فكأنما جعلوا الخلاف عذرا لتكون الأقوال متكافئة متساوية بغض النظر عن مأخذ كل قول ؟

يستغل الحداثي و التنويري هذه الحال و يبحث عن إجازة تخولهم فعل ما يحلوا لهم، مانعين غيرهم من الحكم على أقوالهم، ويريدون من هذا الشعار " احترام رأي الغير" أن نجعل في سلة واحدة رأيا في الدين مستنبطا من نص وفقا لقواعد العلوم الشرعية مع رأي مأخوذ من الانتربولوجية.. ؟

عند إعمال هذه القاعدة يجب أن نلاحظ الفرق بين صدور الرأي المخالف لنا من داخل الإسلام، فهذا ننكره بالنقد العلمي إن كان من موارد الاجتهاد و إن كان شاذا لا نعتد به وبين الرأي صادر عن موقف ينكر القيمة المطلقة لموضوع الديني، غارق في نسبية وصفية ومعيارية كأنه لا يوجد في الدين حقائق معيارية نرد إليها اختلافاتنا و تأثرها بنسبية معرفتنا.

وليس لأننا لا نقبل الرأي الضعيف و المخالف لقواعد الشريعة يلزم بالضرورة منه أننا غير متسامحين مع من أتى البيت من بابه و أخطأ ، فهناك مشترك كبير بين المسلمين يساعد على رد الخلاف إليه و ما يسمى بالعذر بالجهل هي قاعدة لتجاوز النسبية في العقوبة و ليس في الحكم على الدليل او المقولة فالتجسيم عند المتكلم كفر لكنه لا يكفر به، وكذلك التعطيل عند المثبت ،وهذا لا يعني تكافؤ الأدلة .

لذا هنا نوعان من الرأي لا قيمة لهما: رأي جاهل في موضوع خاص لا يعرفه كجاهل بالحديث يتكلم في صحة الحديث وضعفه،وكل جاهل بالعلوم الشرعية يتكلم فيها فرأيه هراء ،وهذا رأي متطفل على علم أو مجال بالجرأة فقط ،و هذا القسم يتناوله قوله تعالى : (ولا تقف ما ليس لك به علم)

ورأي خارج عن أصول الاسلام وقواعده، رأي يزعم الانتماء إلى الإسلام ينتقده

مباشرة أو غير مباشرة جاعلا نقده من قبيل الاختلاف الإسلامي بينما حقيقته أنه يسكن في أطروحة غربية معادية للإسلام.

هذا الشعار "احترام رأي الغير" بغض النظر عن قيمته هو من مخلفات " ما بعد الحداثة" التي وصفها سبونفيل بأنها «ما بقي من الحداثة عندما نطفئ الأنوار"، لكن يجب أن نحذر من الأسباب التي تصنع مثل هذه الأحوال حينما تنشر في الناس الشك والتردد والاضطراب.

عجز التنويري عن وضع الخلاف العلمي في إطاره والتعامل على انه وضع طبيعي يدل على سلامة المنهج والعقل الإسلامي سببه الأيدي التي تطبخ له التنوير والتي تسعى إلى قطع الاتصال بالأصالة.

في الحقيقة فإن فقاعات التنوير هي العقبة الأساسية أمام عملية تجديد ما يحتاج إلى تجديد في الفكر الإسلامي لأن التنوير ليس إلا تقمصا للحداثة الغربية ،جهد بدأته دوائر الاحتلال لفرض هيمنة ثقافتها، ولذلك كانت المقاومة بالتمسك بالأصالة شديدة إلى حد أنها تجاوزت المعقول، وهذا رد فعل طبيعي بالنسبة للمسلمين، نفس الوضع الذي جابه به الجزائريون الاحتلال الفرنسي عندما قدم لهم التعليم الغربي المعاصر، يقول الكاتب الفيلسوف "جول فيري" بعد عودته إلى باريس من لجنة تفتيش أرسلتها فرنسا إلى الجزائر: ((إنَّهم لم يقبلوا حقوقنا السِّياسيَّة، ولا تعليمَنا، ولا خدمتَنا العسكريَّة، إنهَّم يطلبون المحافظة على أحوالهم الشَّخصيَّة ،و تعاليم القرآن غير ناقصة)).

خطر التنويري أنه كثيرا ما يوظف السيوسيولوجي " المساوئ الاجتماعية و اجتماعيات المعرفة" لضرب الابستمولوجي يعني أصول المعرفة الإسلامية، يقتنص كل الأحداث السلبية المرتبطة بالعلماء و المذاهب التي وقعت في الإسلام ليضرب الأصول المعرفية، ومعلوم أنه لا علاقة لهذه الأصول بكل السلبيات التي وقعت في التاريخ الإسلامي لأن مرد هذه السلبيات هو الصراعات السياسية و توظيف الحكام للمذاهب في توازن السلطة لاستمرارها.

بعض التنويريين الحداثيين يأتي إلى تجربة الإخوان في مصر مع أن المشكل السياسي او الدستوري ليس منهم و يقفز منها إلى أنهم لم يفهموا القرآن، وعالمية الإسلام.. الخ وكذلك يصطاد في سلوكيات بعض المتدينين في الغالب من العوام

ويتتبع خطباء قصاص أو فتاوى شاذة تحرم الاكل بالشوكة أو تقول بسطحية الكرة الأرضية ليطعن في فهمهم القرآن وفهم سلسلة مراجعهم إلى منتهاها !
لهذا لا يناقش التنويري الموضوع في ذاته ولكن دائما ما يدخل على عقول متابعيه بقضايا سياسية محضة مع شيء من التوابل العلمية يريد بها هدم مصداقية المراجع الإسلامية يعني نسف جدران الحصن فيثير قضايا مثل يزيد ومعاوية و الفتنة الكبرى ... الخ ومعلوم انها قضايا سياسية لا علاقة لها بالأصول المعرفية لكن بعد ذلك ينتقل إلى هذه الأصول فيهاجم الفقهاء يبدأ ببعضهم و ينتهي عند الأئمة الأربعة وهكذا حتى يصل التابعين ثم الصحابة ثم يعمل الفهم الغربي في النصوص الشرعية و يخلص إلى تاريخيتها المخففة يعني أن المعنى مرتبط بزمنه و عصره .
مشكلتنا الكبرى: شباب خانه التعرُّف على المشكل الحقيقي و صور التعامل معه، فلم يقارن بين الاحتمالات، ولم يؤلف بينها ،ولم يرتبها ،لأنه يفتقد إلى نشاط عقلي مستقر و تكاثري في مجالات معرفية شرعية وغير شرعية مختلفة، يعني: يفتقد إلى القدرة على الفهم الصحيح و التمييز بين العالم و شبه العالم، بين الاستشكال الحقيقي و الاستشكال المصطنع .
لما كان اسم " الإسلام الحداثي " ثقيلا على بعضهم اختاروا " الإسلام التنويري ".
شعار "فهم السلف" يأتي إن شاء الله تعالى في مقال مستقل.

صنفان من الناس يقيمون خطابهم على حجة "الاستقراء المتشائم" في حقِّ الغير،
و " المتفائل" في حقِّ أنفسهم: ما كان من المخالف في الماضي صحيحا سيتبين خطؤه في المستقبل، وما كان منهم من تجارب لم تثبتت نجاعتها في الماضي فستنجح في المستقبل..!
(س. م) و(ح. ع)!!

ما هو العلم ومن هو العالم.. ؟
(هدية للأخ عبد الكريم شنيقر وفقه الله لمرضاته.)
الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.
بعض الأشخاص من أية ملة أو مذهب كانوا عندهم بيان وبلاغة وسرعة بديهة

واستحضار وربط وشخصية وحضور اثناء الكلام ،ولكن ليس عندهم علم لان كلامهم جهل مركب أو سفه، فالعلم ليس البراعة في الكلام بالاصطلاح الفلسفي أو المنطقي أو الأصولي ولكن ما هو باطن القول وظاهره.

لهذا لا يغرنك الربط المنطقي بين المقدمات، وثراء المصطلحات فكل الفلاسفة بما فيهم الوثنيون عندهم ربط منطقي قوي وتدليلات عقلية عالية الطراز، ومع ذلك فأقوالهم باطلة عقلا فضلا عن الشرع لأن العبرة ليست في شكل الدليل ولا في نظمه بل في مواده، ولأنه ليس العلم في عقولنا هو من يبحث عن إيجاد الحجج لتبرير فعل ما، ولكنها النفس (الأنا) ، فليس العلم قدرة معزولة في " النفس"، تتصرَّف بمفردها، بل يتصرَّف دائما بمعية قدرات انفعالية أخرى تعلب دورا في الظواهر العقلية لذا تسبق النفسُ الذهن.

لهذا نحتاج إلى معرفة علاقة بسيكولوجية الفرد بعلمه وبأفعاله، وما هو العلم حتى نقول: فلان يتكلم بعلم أو قد تصرَّف عن علم؟

وعليه عليك أن تعلم أن قوة البلاغة، والذكاء، وسرعة البديهة، وهندسة المعرفة، وقوة المنطق، وثراء اللغة العلمية بالمصطلح الخاص لا تخرج لوحدها الإنسان من الجهل المركب.

لهذا ومن باب تعليم الشباب الدفاع الذاتي عن عقولهم نتكلم عن المسألة من زواياها الثلاث: ما هو الجهل المركب، من هو العالم عند الله، وما هو العلم تقنيا.

الجهل:

قال الجرجاني: الجهل البسيط: هو عدم العلم عمَّا من شأنه أن يكون عالمًا.

الجهل المركَّب: هو عبارة عن اعتقادٍ جازمٍ غيرِ مطابقٍ للواقعِ.

وعليه فكل قول جازم غير مطابقٍ للحقيقةِ الشَّرعية فهذا جهل مركَّب، لكن قد يكون عن تقليدٍ وليس عن اجتهادٍ.

كما يراد بالجهل عدم الشُّعور وهو البسيط،وقد يراد به الشُّعور بالشَّيء على خلاف ما هو به، وهذا المركَّب،كما يراد به السَّفه،قال الله تعالى:(وأعرض عن الجاهلين)[الأعراف:199].

وقال عمرو بن كلثوم:

ألا لا يجهلنَّ أحدٌ علينا*** فنجهلَ فوقَ جَهْلِ الجاهلينا

والجهل ليس عيبا ابتداءً لشموله جميع النَّاس،قال الله تعالى:(والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا([النّحل: 78]، فالعيب هو التَّقصير في إزالة الجهل،
والجهل الثَّاني: الجهل المركَّب وهو العلم بالشَّيء على خلاف ما هو عليه في الواقع هو الغلط، وسببه الشُّبهات، والتَّعجُّل في الكلام على المسائل العلميَّة، وعدم استيفاء شروط البحث كالاستقراء التَّامِّ والتَّحليل الشَّامل.
أمَّا الجهل الثَّالث وهو السَّفه فسببُه الاستكبارُ والجحود والإنكار والإعراض بعد حصول العلم ووضوح الدَّليل كما قال الله تعالى:(وجحدوا بها و استيقنتها أنفسهم ظلما وعلوًّا([النّمل: 14].
قال الصَّنعاني في (إرشاد النُّقاد إلى تيسير الاجتهاد):
((فالجهل قسمان: عدم تصوُّر الشَّيء أصلاً، وهذا الجهلُ البسيطُ، وتصوُّره على خلاف ما هو عليه، وهذا الجهلُ المركَّبُ، فكون الإنسان يظنُّ أنَّ الفقه هو علم الحساب فهذا جهلٌ مركَّبٌ؛ لأنَّه تصوَّر هذا العلم على خلاف ما هو عليه، وكونه لا يعرف مدلول الفقه -أصلاً- فهذا هو الجهل البسيطُ)).
قال أبو حيان التيميَ: " الْعُلَمَاءُ ثَلَاثَةٌ " فَعَالِمٌ بِاَللَّهِ لَيْسَ عَالِمًا بِأَمْرِ اللَّهِ، وَعَالِمٌ بِأَمْرِ اللَّهِ لَيْسَ عَالِمًا بِاَللَّهِ، وَعَالِمٌ بِاَللَّهِ عَالِمٌ بِأَمْرِ اللَّهِ، فَالْعَالِمُ بِاَللَّهِ هُوَ الَّذِي يَخَافُهُ، وَالْعَالِمُ بِأَمْرِ اللَّهِ هُوَ الَّذِي يَعْلَمُ أَمْرَهُ وَنَهْيَهُ ".
وجاء عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: {وَاَللَّهِ إنِّي لَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَعْلَمَكُمْ بِحُدُودِهِ}.
والله سمى العاصي جاهلا: {إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ} ومعلوم أن العاصي شخص مميز ولذلك هو مكلف، فالتمييز ليس مانعا من الجهل.
والجهل في المعصية هو إما عدم العلم بعاقبة الفعل وإما فساد الإرادة، وهما متلازمان.
وعن الحسن: {الْعِلْمُ عِلْمَانِ فَعِلْمٌ فِي الْقَلْبِ وَعِلْمٌ عَلَى اللِّسَانِ، فَعِلْمُ الْقَلْبِ هُوَ الْعِلْمُ النَّافِعُ؛ وَعِلْمُ اللِّسَانِ حُجَّةُ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ}.
وفي الصحيحين عن أبي موسى أن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: {مَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مَثَلُ الْأُتْرُجَّةِ طَعْمُهَا طَيِّبٌ وَرِيحُهَا طَيِّبٌ، وَمَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ

الْقُرْآنَ مَثَلُ التَّمْرَةِ طَعْمُهَا طَيِّبٌ وَلَا رِيحَ لَهَا، وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مَثَلُ الرَّيْحَانَةِ رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مَثَلُ الْحَنْظَلَةِ طَعْمُهَا مُرٌّ وَلَا رِيحَ لَهَا}.

فهذا المنافق الذي يقرأ القرآن يحفظه ويتصور معانيه وقد يصدق أنه كلام الله ولا يكون مؤمنا، كما أن اليهود يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وليسوا بمؤمنين، وعليه فالعلم غير مفصول عن العمل، ومتى كان مفصولا دل على أنه علم غير تام لأن العلم التام يستوجب العمل بموجبه لا محالة، فكل من لم يعمل بعلمه فهو جاهل في الحقيقة.

والعقل عند المسلمين وغيرهم هو غريزة باعتباره قوة في الإنسان وهو عند بعضهم من جنس العلوم وهو ما أسميه " العقل المكتسب «يعني ثقافة الشخص فأحيانا نقول: هذا شخص عاقل، ونقصد أنه حكيم ومرد ذلك إلى ثقافته وتجربته.

والعقل في اللغة مصدر عقلَ يعقلُ عقلا، فلا يسمى عاقلا إلا من عرف الخير فطلبه والشر فتركه، ولهذا قال أصحاب النار: {لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ}، وقال عن المنافقين: {تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ}[01]

وعليه فمن لم يعرف عداوة الحداثة للدين ولو كان متخرجا من جامعات إسلامية شرعية فهو جاهل إما بعدم علم وإما بجهل مركب وإما بسفه لفساد الباطن.

والعلم عموما ما قام عليه الدليل، والديني في كل مجالاته ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم، وما سوى ذلك فباطل ملفق أو خزف مزوق. كما قيل.

في العلم لا يحكم على القول وحده كأنه جزء مستقل عن بقية الأقوال، يعني هناك وحدة معرفية لا يمكنك أن تقول في العقيدة قولا ينقضه قول آخر في الفقه أو في أصول الفقه.

ولهذا يختلف الناس حول الشخص بسبب تعلُّق كل واحد منهم بجانب من جوانب القول أو يغلب جانب على جوانب أخرى، فيرى قوله في هذا الباب صحيحا ولا يعرف أنه قول مطرود بباطل في أبواب أخرى.

لماذا نعجز عن التحليل الصحيح؟

الجواب في نظري هو أنَّ الخلط بين العلم وبين مجموعة معارف، أو اعتباره مجرَّد معلومة ومعطيات بدون إجراء، وبدون طريقة، وبدون التنبُّه إلى التذويت الذي نقوم

به، فعندما يذوِّت شخص ما علماً ما يحوِّل هذا العلم إلى معرفة يعني التملك لكن ليس وحده فعملية التملك تكون في النفس و قد يقترن بهذا القول محبة أو بغض ، فيبني الشخص معرفته هذه داخل حزمة من الانفعالات و لهذا نفس المعرفة التي نستخلصها من القول عند شخص آخر لا تكون هي نفسها، ومن هنا تختلف الرؤى، فبقدر الموضوعية بقدر ما تقترب الخلاصة وبقدر الذاتية بقدر ما تبتعد.

ومعلوم أن اكتساب العلم يفترض عملية مستمرة من الاستيعاب وتنظيم المعارف يجريها الشخص المتعلِّم مما يفرض التعارض مع كون العلم " مجرد التراكم والاحتفاظ" فكون وسائله تراكمية لا يعني أنه تراكم معلومات، ولا لغة اصطلاحية، بل ترتيبه " مراتب العلم " ومنهج توظيفه في النظرية الكلية أهم بكثير.

لهذا نحتاج أكثر من أي شيء آخر إلى معرفة فكرية تتمثل في قدرة التملُّك وتشكيل المفاهيم، ولربط هذا العلم بشبكته الإسلامية وبالواقع نحتاج إلى القدرة على طلب المعلومة الصحيحة ضمن الشبكة، يعني في داخل كلياتها الشرعية.

للعلم في التعريف المعاصر أبعاد هي:

البعد الأول: هو أن نميز العلم كمعرفة بدون اعتبار مسألة السبق والتعلق بالمفردات والمركبات، هنا نقول: المعرفة العلمية لا العامية هي التي تسمح لنا بتعريف ووصف موضوع بطريقة منتظمة داخل تخصص علمي معترف به، مثل هذا التعبير: " ما هو تعريف الصواب، أو البغض «، فهذا الجانب الوصفي في العلم، تجده عند كل متحدث ولا يعني أنه عالم.

البعد الثاني: هو أن نميز العلم كموضوع دراسة، في هذه الحالة الموضوع نفسه يعني: طريقة عزله عن بقية الموضوعات و المتغيرات و طريقة تعريفه، وهل يقبل تحقيقا بطبيعة علمية مثل هذا التعبير: " هنا مشكل علمي"، أو " هذا مشكل يخص العلم"،ليكون موضوع دراسة يجب أن نقسمه إلى تفريعاته و أجزائه ،عزل عناصره الأولية ، و القدرة على استخراج أبعاده ،يعني: أن يكون قابلا للمقايسة ،مثل السكر ليس موضوعا علميا في العلوم الدقيقة و لكن نسبة الكحول في الدم، لكنه موضوع علمي في الفقه و القانون و الإجرام و علم الاجتماع. وهذا الأهم.

البعد الثالث: هو أن نعتبر العلم منهجا، طريقة، وهذا يعني أن الاستدلال يجب أن يعتمد على مجموعة إجراءات ثابتة معروفة ومعترف بها مطابقة ومناسبة لموضوع

الدراسة عند أهل العلم مثل هذا التعبير: " الإجراء العلمي تم احترامه بالحرف"، وهذا لا ينفصل عن البعد الثاني: وأقصد أنه لا يوجد فصل بين المعلوم والمنهج.
على هذا البعد تكون في الغالب قاعدة العلوم الشرعية لتوثيق بحوثها، فتوثيق الحديث يجب أن نحترم فيه أصول وقواعد علم الحديث، واستنباط الدلالة يجب أن نحترم فيه قواعد ومبادئ أصول الفقه وإجراءات الاستدلال، وهذا جانب تفسيري في العلم.
البعد الرابع : وهو بيت القصيد ، وعليه يكون الانسان عالما أو جاهلا أن نعتبر العلم حالة ذهنية ،هي قيمة و صفة الذي يتخذ تصرفات تهيئه لإنتاج معرفة علمية، كما في هذا التعبير " أظهر الروح العلمية" بطريقة مختصرة هو حالة ذهنية و نفسية تتعلق بقيم كـ الحيادية، الموضوعية ، العقلانية الصحيحة ، التجرد من العاطفة ، الانصاف ،الأمانة العلمية ، فكل من يريد ارتداء معطف العلم يجب أن يتحلى بهذه الأوصاف و إلا لم تنفعه كل الأبعاد الأخرى .
وعلى هذا أقول: لا شك أن أقوال بعض الناس قد تحوز على الجانب الشكلي والظاهر في العلم ومع ذلك هي بعيدة عن المعرفة الصحيحة.
وعلى هذا قد تكون كثير من أقوال الناس تحوي منطقا معينا لكنها مع ذلك جهلا مركبا.
وإلى الذي يكسل عن طلب العلم والاسترسال مع فنونه فإذا ما وقع حدث رجع إلى الكتب المرجعية المقنِّنة لمسائل الفقه وخطف معنى أو مصطلحا وبنى عليه تحاليله أقول: لا يحوز صاحب هذه الطريقة كل تجربة البحث الضرورية للبث في كثر من القضايا، فهذا من خصائص العالم الذي يقرأ وينظر ويحقِّق المسائل بمعزل عن الأحداث.
الكفاءة العلمية هي مقدرة ترتكز على المعارف العلمية ولكن لا تُختزل فيها،ومن الصعب على غير الخبير ملاحظتها مباشرة من كلام أو كتابة الشخص
....

1 ـ تفصيل الموضوع في مجموع الفتاوى.

الأستاذ بوكروح مفتياً للمسلمين ؟!!

....

قرأت منشورا للأستاذ نور الدين بوكروح نشره على صفحته حول "كورونا والصيام" طلب فيه من المسلمين عدم صيام شهر رمضان لأن فيروس كورونا يفتك بالجائعين، و أنه علينا أن نختار بين إسقاط فريضة الصيام وبين موت الملايين؟!

ولي على كلامه هذا استفسارات طبية وشرعية يسيرة :

الأول :بحسب معلوماتي ولست من أهل الاختصاص فإن الصيام يقوي المناعة فقد قرأت لعدة متخصصين غربيين ومسلمين أن الصيام المتقطع وبعضهم يذهب إلى المتواصل أنه من أقوى الأسباب للفتك بالفيروسات والمكروبات ،و أنه يقوي المناعة، و إن كنت عاجزا عن تأكيد هذه المعلومات لكنني متأكد أنهم أوثق منه و أصدق حديثا.

الثاني :ما بال الغربيين يموتون بالآلاف وبطونهم متخمة بالطعام والجوعى في الهند و آسيا وأمريكا الجنوبية و إفريقيا أقل إصابة منهم بكثير؟

الثالث :بحسب علمي يوجد في المسلمين آلاف العلماء و الفقهاء والمؤسسات الشرعية وكذلك في الجزائر هيئة فتوى وعلماء يملكون سلطة كفاءة علمية وشرعية وتحت تصرفهم خبراء في الطب للبث في هذه المسألة إذا افترضنا الحاجة إليها فما الذي حشر الأستاذ بوكروح في هذا الأمر؟!

مع العلم أن الأستاذ حداثي يطالب بمأسسة الدين فكان عليه على الأقل احترام المؤسسات الشرعية في البلاد،وبعد أن تصدر فتواها إذا فرضنا تهويل الأستاذ ممكننا يقول رأيه، أم هذه فرصة لحشر الدين في علم الفيروسات؟!

يبدو لي من كلام الأستاذ بوكروح أن فيروس كورونا أرسل خصيصا للمسلمين فهو يتربص عند أبواب المساجد وينتظر ان يصوم المسلمون ليفتك بهم .!

ربما حان الوقت للأستاذ أن يتقاعد عن الكتابة في هذه الأبواب، ولينم قرير العين فإن" العلم الديني القديم الصالح لكل زمان ومكان لن يواجه إحراجا خطيرا"فهذا تواجهه الآن الدولة الحديثة التي تدعو إليها، وتواجهه الحضارة المتوحشة التي تعجبك، ويواجهه العلم الطبيعي الذي حسبته من الحقائق الخالدة.

و اما المسلمون فإنهم يصومون الآن بعض الأيام من شعبان وسيصومون شهر رمضان كاملا والست من شوال بفضل الله.

و أما مقال الأستاذ الأصلي "كورونا و الحضارات" فيكشف عقدة الأستاذ كأن هذا

الفيروس لم يصب إلا المسلمين وكأنهم الأمة الوحيدة التي عجزت عن إيجاد دواء له مع أنها أقل الأمم إصابة به؟!

وكأن العلم الديني الذي يصفه بالاستهزاء بأنه بقديم جديد الصالح لكل زمان ومكان هو المسؤول عن ضعف المنظومة الصحية وهو المسؤول عن تكوين الأطباء وتجهيز المستشفيات؟!

فجور في الخصومة ليس إلا!!

شغف طالب العلم

....

الشَّغف: حرقة يجدها الرَّجل مع لذَّة فِي قلبه، وقيل: الشَّغف أن يبلغ الحبُّ شغاف القلب.

هذا وصفٌ لبعض الحالات وليس لكلها :

عندما تسمع بعنوان كتاب مفيد أشار إليه عالمٌفلا يهدأ لك بال حتى تُحصِّله؟

وعندما تحصِّله فلا تضعه من يدك حتى تنهيه، فإن قطع بينكما قاطع ظل ذهنُك مشغولا به حتى تستأنف قراءته؟

عندما يكون استكشافه وتقليب صفحاته ألذ من الطَّعام؟

عندما تشعر بأنَّك منقوص حتى تكمل قراءته؟

عندما تذهب أموالك في اقتناء الكتب؟

وعندما تقتصر وصيتك لكل مسافر إلى بلد ما على البحث عن عنوان كتاب؟

فأنت مشغوف بالعلم والكتب.

وعندما تعلو قيمة التَّعليق على هامشه برسم الأسهم والدَّوائر والمستطيلات على جمال ورقاته وقيمته النَّقدية فأنت طالب علم ولست جامع كتب، يُفكر في تحصيل ما فيه على إطالة عمر ورقه وغلافه.

وعندما تصادفك كلمات علميَّة لا تفهمها فلا تشتكي صعوبة الكتاب بل تشتعل فيك نار معرفة المجهول فتقرِّر دراسة ذاك العلم بدون تأخير، فأنت طالب علم، صاحب همَّة عالية، لا يحب الأسئلة التي تبقى عالقة.

وعندما تقرأ فصول الكتاب بخيالك فكأنَّها مشاهد تعقب مشاهد، كلما قلبت صفحة

كأنما فتحت بابا إلى مدينة جديدة أو غرفة كنوز منيعة، وتسأل في نفسك:
لمَ لم يقل هذا الجواب؟ هنا احتمال لم يذكره؟ هذا فصل تكلَّم فيه فلان بأجود من هذا؟
ألم يقل في بداية الكتاب كذا وكذا؟ هذا يصلح دليلا على المسألة الفلانية؟
فأنت قارئ بين السُّطور، يتصوَّر ما خلف الكلمات وما أمامها، وظني أنك مُعان.
وإلاَّ فلا تُضيّع وقتك، خذ ما تحتاجه ويُقيم دينك، واشتغل بما فيه صلاحك وصلاح المسلمين، فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ، والبرُّ أبوابه كثيرة، والعلم أفضل شيء بعد الفرائض.
وقد يعلو المؤمن بالعمل الصالح والخلق للحسن كثيرا من أهل العلم فإن للعلم آفات خطيرة، وهو مادة للذنوب لمن لم يتقو عليه بالتقوى واشتغل بتعهد القلب و صلاحه، و إلا لم يكن من جملة طلبة العلم أصلا .
و أكثر آفات العلم قتلا للقلب فتنة المال فإن المال داء الدين من جهة الحاجة الضرورية إليه فبه قوام الدنيا وصاحب العلم إن كان فقيرا عنده قوة خارقة على التأويل لنفسه، فقد يدخل نفسه في متاهات، ولذلك فإن أحوج الناس للصبر طلبة العلم ولن يسلموا من شر العلم إلا ببعض الزهد و التحمل فقد سجن ابن سيرين على ديون كانت عليه و أقيم على المصطبة وقيل :هذا أكل أموال الناس!
وهو أكثر شيء يلهي عن العبادة، قال شعبة: إن هذا العلم يصدكم، عن ذكر الله وعن الصلاة وعن صلة الرحم فهل أنتم منتهون؟!
وكما قال سفيان بن عيينة : إذا كان نهاري نهار سفيه وليلي ليل جاهل، فما أصنع بالعلم الذي كتبت؟
العلم إحدى أعظم اللذتين في الدنيا وقبل أن يتم فيه حسد الله به عليم وكما قال عمر :لا يتم حتى لا تحسد من فوقك ولا تحتقر من تحتك.
والمقصود من الحديث عن الشغف بالعلم أنه ما زهد فيه من زهد من الشباب إلا لقلة انتفاعهم به، فإما طلبوه للشهرة ولم يحقق لهم ذلك، و إما طلبوه كوسيلة للعيش ولم يشبع طموحهم.
في العلم دائما ما توقف عند خطوط حمراء إن صبرت رفعت درجتك، و أزيل همك، و إن تجاوزها نزلت درجة وتوقف علمك عن النمو لأن زكاة العلم العمل بموجبه.
يعيش طالب العلم بعقيدته وبها يفسر الوجود ويقرأ الأحداث فإن لم يكن له يقين

العلماء وتوكل العباد عجز عن الجمع بين وصفي العبادة والشهادة وعاش عاميا يأخذ بأسباب العوام ويطمح طموحهم و إن لبس ثوب العلم وتكلم بلغة العلماء.

متاجرة العلماني بمسمى العلوم..!

.....

لا يكاد ينطق العلماني في أي قضية مهما كانت بعيدة عن الدين إلا وذكر أن سبب تخلفنا الدين كله أو بعضه، مثل الملحد الذي لا يفتح فاه إلا ليقول: الله غير موجود، ليس له مقالة أخرى فهو بهذا أشبه بمجنون الله (إذا صح التعبير) ، العلماني لا يفتح فاه إلا ليقول لنا :الدين هو السبب!

وكما يعلق كل مصائب الدنيا بالدين يدندن حول الواقعية العلمية لكن في الحقيقة واقعيته واقعية الرأي المشترك حيث يتصرف كأن العلوم نجحت مسبقا في الوصف الحرفي للواقع

بينما العلوم نفسها تقول بكل تواضع : يمكن قبول إمكانية التقدم العلمي بدون أن نزعم أن العلم قادر على إتمام هذا السعي.

الواقعية العلمية موقف متفائل على قدرة العلم على اكتشاف الطبيعة الحقيقية للواقع.

في نهاية المطاف حتى العلماني لم يقدر على التخلص من الميتافزيقا(ميتافيزيقا العلوم) فهو كغيره يبحث عن تأثيث رؤيته الشكوكية للعالم انطلاقا من نتائج البحث العلمي.

موقف العلماني ليس واقعية علمية ولكنه تأويل ميتافزيقي لنتائج العلم.

موقفه لا هو أبستمولوجيا العلوم، ولا هو واقعية علمية، هو مجرد مرض نفسي وخلل عقلي .

و الفلاسفة الذي هم فلاسفة حقيقة وليس تخرافا العلوم عندهم بالضرورة محدودة في القوة أو في الفعل{وما أوتيتم من العلم إلا قليلا} .

يستعصى عليك إيجاد الفئة التي ينتمي إليها بعضهم،حتى الاعتماد على فاصل القيم (في المنطقيات الحرة و البديلة) المعمول لحساب العناصر " المتمردة" لا يفلح معهم !

القراءة المغلقة..؟

.....

عندما أرى كتب العلوم الشرعية التي يقرأها الشباب وهي كتب عمدة في التكوين العلمي الإسلامي (في نظري) أعلم أننا لا نزال في الضباب لسببين اثنين :

الأول :القارئ الفاهم يقرأ ويتجاوز إلى ما لم يقرأ ،ويحتفظ بالكتب لوقت الحاجة مثل: البحث أو مراجعة.

عندما يبقى في نفس العناوين فهذا يعني أنه لم يفهم، أو أنه لا يقرأ في الحقيقة،او قد توقف عن القراءة منذ مدة،ويحب أن يظن الناس أنه لا يزال يقرأ، ربما يستحي؟!

وأنا أطبق القاعدة السلوكية في كل المجالات بدون استثناء وهي :لكي تفلح أصدق الله و أصدق نفسك، لا تتصنع للناس لا تحاول أن ترضيهم، اعترف بضعفك، بتقصيرك، فثم ستجد القوة للتحسن.

الثاني :لا يوجد كتاب في الدنيا مهما كانت قيمته يقول لك :ابق عندي إلا القرآن وكتب الحديث النبوي، كل الكتب الأخرى إن كنت قارئا جيدا تدفعك إلى غيرها،وترسلك في آفاق مختلفة.

وبالتالي لا يمكن أن تكون قائمة كتب هذا الشهر هي قائمة كتب الشهر الفائت أو الشهر القادم.

أظن أن كثيرا من الشباب لم تتجاوز قراءته العناوين لذلك نفس الكتب حاضرة في مخيلته.

سبق وبيَّنت متى يمكنك أن تقول :"فهمت كتب هذا العالم" وهو فقط عندما تفهم نظريته(منهجه المعرفي +الأطروحة) ويكون ذلك عندما تعرف الأسئلة العالقة.

مثلا :ابن تيمية شخصية مفصلية عند السلفيين، عند كثير منهم معنويا فقط، يعني :شخصية تاريخية بارزة، ذكر اسمه في المجالس يفخمها!

وعند بعضهم تجمعهم علاقة به في بعض الموضوعات مثل: الاقتضاء، و الصارم المسلول، وكتبه الفقهية، والأسباب معروفة.

وهناك من يرتبط به في كل مجالات المعرفة،و هؤلاء يسيحون في أرض المعرفة.

في الغالب نرتبط بالأشخاص ليس لقيمتهم الذاتية ولكن لتصوراتنا الخاصة، فمنا من

يرتبط بشخصية علمية بسبب صدق لهجتها، ولا علاقة لصدق اللهجة بالعلم.
و بعضنا يتعلق بها لبيانها كما يقال بالفرنسية:(le verbe facile).
وبعضها لأننا نتوسم في تقاسيم وجهها خيرا، وبعضها بسبب مظهرها.. وهكذا.
أقرأ منشورات أحد الإخوة من بلد مجاور، في الغالب هي
خلاصات لقراءاته، يصوغها بحسب قصده ،لأن فهم كلام العلماء شيء والتفكر فيه شيء آخر ،ما يعني أنه استخلص جوهر الفكرة، و المفاهيم متى تصورها العقل فهو مشارك فيها.
المقصود أنه من قراءة منشوراته أدركت أنه فهم ما قرأ، و أن فهمه فتح قراءاته على خارج الدائرة التي تربطه مباشرة بالعلم الإسلامي.
هذا الإنسان يمكنني أن أقول عنه :قد قرأ فعلا.
سألت في عدة مناسبات :بأي علم، و بأي منهج تقرأ واقعك وتحلل تاريخك العلمي والسياسي، وتصور نهضة أمتك في جميع المجالات؟
إن كنت تعتقد بتلك الكتب التي تقرأ فقد صدق ظني لا نزال في الضباب!
المعرفة التي في الكتب كالعملة النقدية عندما تنتقل بها خارج جماعتك تحتاج إلى أن تحوِّلها إلى عملة مقبولة في كل البلدان.
إذا احتاج الطالب إلى أكثر من سبع سنوات لتكوين نفسه معرفيا كمسلم فلن يصل في صراعات هذا الزمن.

وظيفة العلم غير العلمية ؟!

....
تفسيرنا لما نعايشه وندركه من واقعنا يخضع لوطأة مخطط تصوري ذهني تصنعه العادات والألف، وترتيبات نتواطأ عليها، فمفاهيمنا التصورية تتشكل في لغتنا كشبكة مشتركة بـ التشابه بحيث يرتبط كل تعريف لشيء بما يشبهه، وهذا ما يسميه المعاصرون " كُلِّيَّانية المعنى" فمثلا: إذا كان تعريف التفاحة بأنها ثمرة يحتاج إلى تعريف الثمرة، وتعريف الثمرة بأنها عضو النبتة يحتاج إلى تعريف العضو فإن أي تغيير لتعريف النبتة أو العضو يؤثر بالضرورة على تمثُّلنا للتفاحة.
هل العلاقة بين العلم الشرعي أو الإنساني وبين العلاقات بين المسلمين على اختلاف

مذاهبهم علاقة ترابط يؤثر فيها وتؤثر فيه؟ يعني: هل العلم بناء مستقل كما في النظرية العلموية أم انه نشاط اجتماعي له عواقب على الناس اجتماعيا و سياسيا؟

لذا كانت المقاربة الداخلية للعلم مهمة، لكن أهم من ذلك الآن هو المقاربة الخارجية: الاجتماعية والسياسية.

يعني: يجب أن نسأل عن هدف العلم الشرعي إن كان صوريا بحثا لا يهتم إلا بالبعد الغيبي والنجاة الفردية، أو إن كان له أهداف عملية اجتماعية/سياسية؟

هل تتماشى نظرتنا للعلم الشرعي ولتوظيفه في الدعوة في خط مواز مع الإصلاح الاجتماعي /السياسي أم أنها مناقضة مفاصلة له ؟

بمعنى آخر: هل يستقيم أن يعطل العلم الشرعي والدعوة إلى الله الإصلاح السياسي وما يستتبعه أو لا يساهم فيه ؟! .

" السير مع الجميع" أخلاقيا /سياسيا/اجتماعيا لا يسحب أبداً "السير مع الجميع علميًّا" إلا في عقول توقفت عن التفكير، فالعلاقة بين التعامل مع المحيط الاجتماعي وبين العلم ليست علاقة تبادلية إما هذه وإما هذه، لأن مفاصلة الناس اجتماعيا وأخلاقيا لا تشكل الوظيفة ولا الهدف من الدعوة والتصحيح العلمي أو التدافع العلمي بين الناس .

لذا نحتاج إلى إعطاء العبارات في المجال العلمي وصفا خاصا مميزا لها عن حالات الاشتراك بحيث تصير مفاهيم مقنعة.

لا تكمن أهمية العلم في المعرفة أو العمل التعبدي فقط ،بل العلم الشرعي نافع للدنيا أكثر من العلم الدنيوي، لأنه ترمومتر السلم الاجتماعي، و الأمن في الأوطان؛ و دليل ذلك ما قاله النبي صلى الله عليه و سلم كما في حديث أبي هريرة عند البخاري: ((يُقْبَضُ العِلْمُ، وَيَظْهَرُ الجَهْلُ وَالفِتَنُ، وَيَكْثُرُ الهَرْجُ» ، قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الهَرْجُ؟ فَقَالَ: «هَكَذَا بِيَدِهِ فَحَرَّفَهَا، كَأَنَّهُ يُرِيدُ القَتْلَ»

نقل ابن القاسم عن مالك أنه قال: ((إن أقواما ابتغوا العبادة و أضاعوا العلم فخرجوا على أمة محمد صلى الله عليه و سلم بأسيافهم، ولو ابتغوا العلم لحجزهم عن ذلك)).

لابد أن تجمع بين دور العلم المعرفي في معرفة الله و أمره وقيادة العمل، وبين دوره الاجتماعي والسياسي، فلا العلم في الابراج ولا الرهبانية ينصلح بهما حال الناس.

لذلك اقرأ ما يعينك على فهم هذه المجالات.

عندما لا تفهم فصولا في كتاب ما فلا تقلق وتنقطع عن القراءة ،فهذا يحدث للجميع.
و قد مر علي قول لروسل مفاده أن فلسفة هيغل صعبة وهي كذلك ،فاحيانا تحتاج إلى فهم عادة المتكلمين في فنهم ،و أحيانا الموضوع ليس من مستواك بعد، وأحيانا الكاتب نفسه غير فصيح، وأحيانا طريقته في الشرح رديئة، و أحيانا هو نفسه غير فاهم فاقرا كتب أئمة الفن الذين يتكلمون فيه منشئين للتصورات.
وعليه أفهم ما تقدر عليه وتجاوز ما لم تفهم إلى غيره،سيأتي وقت وتفهم ما فاتك.

كيف تنتقي كتب "علم السلوك" ؟

....
"علم السلوك" ،أو "أعمال القلوب"، أو "الرقائق"، أو "التصوف" أو الزهد" علم يقوم على علمين اثنين بخلاف ما يُعتقد بعد الانحراف الذي وقع في مدارسه، مثله مثل بقية العلوم شهد انحرافات متفاوتة الدرجة، بعضها في العمل، و أخطرها في القول.
معلوم أن العلوم من جنس القول والعبادة من جنس الإرادة والناس تختلف في القول وتشترك في الإرادة، ولهذا تجد آحاد الصحابة تكلموا في العلم، ولكن تقريبا كلهم تكلم في الإرادة، ولهذا تجد _أيضا _أن أهل السلوك مجتهدون في الإرادة لكنهم في القول يقلدون إماما من الأئمة الأربعة.
وهذا يعني أن الإرادة تجربة ممكن يعيشها أي إنسان إذا اجتهد في العبادة، بينما القول لا ينال بالتجربة ولكن بالرواية والفقه و إعمال العقل.
إذا عرفت هذا عرفت لماذا وقع انحراف في مدارس السلوك، يعني :كان أهله أولا من أهل العلم كالحسن البصري وابن سيرين ويونس ابن عبيد وابن حبيب وعبد الملك بن دينار وغيرهم كثير جدا جمعوا بين القول والإرادة ثم حصل في الأمة انفصال بين العلوم وعلم الحديث الذي كان عند سلفنا العلم المنهجي الذي ينظر به أئمة الإسلام في الأحكام و العقائد والتفسير و السلوك؛ وكان هذا حركة طبيعية بعد تأصيل العلوم الشرعية وظهور المذاهب.
في هذه الفترة ظهر في بعض المدارس السلوكية ما يسمى "علم الإشارة" وهو عبارة

عن قياس فأصبح علم السلوك يعتمد على التجربة الباطنية وحدها، وضعف أهله في العلم بالآثار، وعجزوا عن تمييز صحيح النصوص من ضعيفها.
ومن هنا شهد انحرافات كثيرة وظهرت فيه مقالات باطنية شديدة الخطورة مثل : "التفريق بين الشريعة والحقيقة ، والظاهر والباطن" ودخلته الفلسفة الفارسية القديمة وخصوصا الفلسفة الأفلوطنية المحدثة بمقالاتها الأساسية مثل مقالة" العبارة "و مقالة" الفناء "!
ولهذا نجد أن كبار علماء السلوك إلى تقريبا طبقة الجنيد كانوا حريصين حرصا شديدا على العلم الشرعي خاصة السنة لأنهم يعلمون أن التجربة الباطنية يدخلها الشيطان ويقع فيه الوهم وزوال التمييز، والأقوال في هذا كثيرة، منها قول أبي سليمان الداراني :"إنه لتمر بقلبي النكتة والنكتاتان فلا أقبلهما إلا بشاهدين" يعني :الكتاب والسنة.
وعليه فإن العبادة يلزمها نوعان من العلم:
1 ـ العلم الشرعي بحيث يعلم ماذا أوجب الله عليه من العمل، و يعلم العمل الواجب من المستحب، فيقدم الواجب على المستحب، وكل ما كان من عمل الجوارح.
ويدخل في هذا العلم بالأسماء والصفات.
2 ـ العلم الذي يدرك به أعمال القلوب و مراتبها و آفاتها وهو علم السلوك، وهذا غاية العلم الشرعي و هدفه الأول، إذ به يتحقق العلم الأول، وتتحقق العبادة الكاملة.
فائدة العلم الأول: هو أن لا يعبد المسلم الله بما تحبه نفسه، والعبادة تكون بما يحبه الله و يرضاه، و بالعلم الشرعي يعرف المسلم العبادة التي يحبها الله.
فاهم فائدة للعلم الأول هي: الاقتصاد في العبادة، ولا يتم ذلك إلا باتباع السنة، فإنها الصراط المستقيم في العبادة الذي يجانب الإفراط و التفريط، و يجمع بين عبادة الروح و عبادة الجسد، بين العقل و القلب.
كذلك هو مهم جدا من جهة أنه يصحح الأحوال ويعلمك مراقبتها،وتمييز الصحيح منها من الفاسد، فلا يسد مدخل تلبيس الشيطان إلا العلم الشرعي،الذي يميز بين الأحوال ويرتب المقامات الترتيب الشرعي الصحيح.
فائدة العلم الثاني (علم القلوب) : فهي كثيرة و جمة إلا إن أهمها حفظ العبادة من الآفات و المبطلات الخفية، و إصلاح مالك العبادة وهو القلب.
فمن الناس من مع كثرة عبادهم و صدقهم فيها، وما لهم من العلم و الفضيلة قد حجبوا

عن هذا العلم، فمنزلتهم منزلة من شاهد شعاع الشمس فظن أن ذلك هو الشمس، وليس وراء الشعاع شيء آخر أصلا، فهم و إن عبدوا الله فاتتهم عبادات قلبية و عقلية، وحالية لا يعلمها إلا الله.

ـ فمن الناس من لهم وصف العبادة دون وصف الشهادة لأنهم لم يعبدوا الله على علم، فلهم قوة في العبادة و الإنابة و المحبة تجتذبهم إلى معبودهم و مقصودهم ومحبوبهم، ولكن ليس لهم قوة مع ذلك على شهود سائر ما يقوم بالله من أسماء و ما يستحقه من صفات، فعبادتهم استغرقتهم و شغلتهم عن معرفته المعرفة الواجبة.

فهؤلاء إما يقصروا في واجب العقيدة الصحيحة فيقعون في بدع مضرة، و إما في طلب الدنيا التي لا يصح الدين إلا بها، و إما يقصروا في واجب الإعمار و البناء، فهم إذا لم يتركوا واجبا لم يضرهم حالهم، و إن تركوا مستحبا مشتغلين عنه بما هو أفضل منه لم يذموا، و لكن إذا تركوا واجبات كالجهاد، والأمر بالمعروف و النهي عن المنكر، أو تشاغلوا بالعبادات المستحبة عن الواجبات المالية و البدنية لحقهم الذم.

وهنا تدور حياة المسلم في هذا الجانب على قاعدة هامة هي: فعل المقدور من الصالحات خير من الاهتمام بما يعجز عنه العبد أو يصده عن غيره.

و المقصود الأعظم من هذا المنشور أن العبادة تتعرض للفتنة، لفتنة الشهوات ولفتنة الشبهات، وهذا نبحثه في مقال لاحق.

إذاً أنت محتاج إلى اجتناب العالم الفاجر و العابد الجاهل، فتحتاج إلى علم سلوك، علم أعمال قلوب لتزكي نفسك يكون مستمدا من القرآن والسنة، أو يشهد على صحته القرآن و السنة، ما يعني: إلى من جمع بين العلمين حتى يبقى مقام النبوة وولاية النص دائما أعلى من مقام التجرد والإرادة، وإلا كانت عبادتك كأكل الخشب، فإنه يوجد في المشركين الهنود وغيرهم من هو أقوى إرادة، قد يبقى واقفا سنة كاملة ، ويزحف آلاف الكيلومترات على بطنه، لا ينفعه ذلك لأن الهدى في صحة المعتقد والعبادة بالمشروع.

من أراد قراءة السلوك الخالص الجامع بين العبادة والشهادة
فعليه بكتب ابن القيم حتى يهضمها جيدا ثم التحفة العراقية.

هناك كتب كثيرة فيها فوائد سلوكية لكن على طالب العلم أن يحرر بعض الأصول المهمة، ويموضع نفسه معرفيا في التصوف السني قولا و عملا، يعني: يبحث عن

القول والعمل الموافقين للقرآن.
نتبع هذا المقال بسلسة في شهر رمضان إن شاء الله تعالى، وربما بمقال عن منزلة العقل في العبادة.
....
_ مراجعة مادة هذا المقال في كتب ابن القيم السلوكية وفي مجلد سلوك ابن تيمية ضمن المجموع.

سردية الحداثة :ازدهار الإنسان في توسيع منطق المساواة لكل العلاقات الاجتماعية اعترافا بكل الأهواء مهما كانت مضادة للفطرة الإنسانية!سردية الحداثة :ازدهار الإنسان في توسيع منطق المساواة لكل العلاقات الاجتماعية اعترافا بكل الأهواء مهما كانت مضادة للفطرة الإنسانية!

عندما يخرف العلماني لا تخرف معه..!

......
كلما وجد العلماني فرصة لضرب الدين لم يفوتها، و أحيانا يخترعها من نفسه، كما في مسألة وباء كورونا
قال بوكروح :"علماء الدين لا يهتمون إلا بما له قيمة دينية" فيتصور الذي يستمع إليه أن علماء الدين لا يهتمون بحياة الإنسان ! ويفضلون أن يصلوا في المسجد ويموت نصف الشعب!
علماء الدين يهتمون بكل ما له قيمة دينية هذا صحيح ، لكن كل ما هو موجود في حياة الإنسان له قيمة في الدين ،إيجابية إن كان مما تتقوم به روحه و بدنه ،وسلبية إن كان مما يخفض آدميته ويمسخ روحه .
الفرق بين علماء الدين و العلماني هو أنهم لا يريدون للإنسان حياة البهيمة فينظرون لدينه و دنياه في غير تعارض، في حين هو يذبح الدين من أجل حياة بهيمية.
نفس الشيء يقع من المتدينين فقد صنع شاب جزائري جهازا اصطناعيا للتنفس و آخر أنشأ أرضية رقمية لوزارة الصحة، ولأنهما ملتحيان انهالت المنشورات على العلماني: أنظر ماذا يقدم الإسلامي للناس فماذا قدمت أنت؟!

و إن كان رد الفعل هذا مفهوما إلى حد ما بمعنى: تخراف إسلامي في مواجهة تخراف علماني، لكنه غير منطقي لأنهما لم يصنعا هذه الأشياء بالعلوم الدينية أو بفهم سلفي للفيزياء! ولكن بعلوم طبيعية هي مشترك بشري ليس لها دين.
كما أننا نعلم أن وسائل الكشف عن المرض يصنعها صيني ياكل الصراصير، وربما يعبد الضفادع، وربما سيصنع اللقاح أو الدواء ملحد!
وهؤلاء الإخوة اجتهدوا لنفع الإنسان في بلدهم بغض النظر عن دينه أو مذهبه و الواجب علينا أن نفعل مثلهم و نجتهد في إعانة الناس في أي مجال نحسه لا أن نجعل منها قضية دينية أو مذهبية وهي ليست كذلك.
المهم أن هذا النقاش فارغ من المحتوى فقيمة الدين وقيمة حملته أعلى من هذه الأمور، وماديا نحن نعيش عالة على الصناعة الغربية، لكن المشكل هو عندما يتحول إلى تصفية حسابات مع التيارات الإسلامية، فنستعمل نفس وسائل التهجم على العلماني في التهجم على الصوفي والإخواني وغيرهم!
وعندما يكثر الرغي، ويصبح كل شيء جدلا في قضايا لا علاقة لها برؤيتك الدينية فهذا سيدفع المسلمين الذين يعيشون في هذا العصر ـ في الليل و النهار،في مطعمهم و ملبسهم ومركبهم،في ثقافتهم ولهوهم ــ في مشاكل معيشية كثيرة إلى نبذ الخطاب الديني على أنه مجرد مناكفات، وفوائده مجرد طرائف و فضوليات ثقافية ، و سيندفع المثقف منهم ـ على سنن من قبلهم ــ إلى ما يشبه الفكر الثوري لكنه مادي كما كان عند الغربيين : نيتشه/ماركس/ سارتر / في مقابل أفلاطون و أرسطو و ليبنتز و ...؟ العقول التي كادها باريها ليس بالتخراف تردها إلى العقل الصريح، والمتدين المخرف لا يفعل سوى الإسراع إلى الهامش.

يسعى العلماني إلى تفكيك المنظومات المعيارية [التقليدية] التي تمنع الاعتراف السياسي والاجتماعي بالشواذ والكفر والفجور !

مخطط دراسة الحداثة وما بعد الحداثة [03]

....
الحادثة وما بعد الحداثة والموقف الوهمي لبعض الإسلاميين:

1 ـــ يعتقد بعض الإسلاميين أن ما بعد الحداثة أحسن من الحداثة (التي يركزون الهجوم عليها) بالنسبة للإسلام، وهذا ترد في عدم معرفة الذات، وعدم الوعي بطبيعة الاختلاف بين الحداثة وما بعد الحداثة.

2 ـــ المبدأ الأساسي في أنثروبولوجيا الدين هو أن كل حضارة تتجذر في رؤية خاصة بها للعالم، تطرد على نظامها المعرفي والثقافي والتعليمي والقانوني والاقتصادي والسياسي، فيجب الرجوع الى ما يؤسس هذه الرؤية ويعطيها معنى (ما هو المعني الذي نعطيه لوجودنا فرديا وجماعيا).

وعليه :ما هي أوجه التشابه بين الحداثة وما بعد الحداثة في طريقة تصور الانسان:

1 ـــ منذ الانوار أكد الغرب أنه " علماني وبدون ديانة " لأن الميول المؤسسة للمسيحية مظلمة، ولأنها نظام ديني غير عادل، رجعي وقمعي، أعطى شرعية لعقلانية الانوار.

2 ـ كل مجتمع يحتاج الى الرجوع الى إطار تصوري يحدد منظومة اعتقاداته، وفي الغرب هي" المعاصرة والمادية".

3 ـ التعريف التقليدي للدين الذي وضعته الأنوار(لاروس): " مجموع اعتقادات أو مذاهب مصحوبة بشعائر تحدد علاقة الانسان بالمقدس".

ـــ طعن الأنثروبولوجيون (مختصون في علم الاجتماع) في هذا التعريف، بالتعريف التالي: " رؤية للعالم أو منظومة اعتقادات تعطي معنى للوجود".

4 ـ بحسب هذا التعريف يمكن أن نقول: إن الايديولوجية يمكنها أن تؤسس منظومة اعتقادات فنجمع ايديولوجيات مادية معاصرة تحت فئة "الدين"، لأن كثيرا من الناس يستخدمونها لإعطاء معنى للوجود..!

تعريف الايديولوجية: " مجموع متناسق ومندمج لأفكار واعتقادات (أو افكار حولت لاعتقادات) يهدف لتفسير موقف الناس من حياتهم في المجتمع، ووضع خط سلوك مطابق لأفكارهم واعتقاداتهم"

5 ـ بهذا الاعتبار نري بوضوح أن التمييز بين منظومة اعتقادات دينية وايديولوجية سياسية معاصرة صعب جدا، و تكلف هذا التعريف الذي يجعل الدين والشيوعية نفس الشيء الغرض منه القضاء على الانتماء العقدي لأن الإنسان بدون ايديولوجية (على مفهومهم للمصطلح) إنسان بدون حقيقة مطلقة ،بدون حقيقة محددة.

ـــ وإذا اختلطت الايديولوجيات والديانات في طريقة تحديدها فكذلك في الوسائل التي تستخدمها: من الحاجة الى وضع جهاز تقني للبث والاقناع لكسب اعتناق الجماهير، بغض النظر عن صفتها العقلانية فان الايديولوجية السياسية المعاصرة تولد بالمشاعر وتولدها فتقترب من الدين [من هذه الحيثية]المشكل أن الحداثة وبنتها ايديولوجيات لأنها هي الأخرى تبحث عن الإقناع و الانتشار؟!

ـ يصعب اليوم التمييز بين الايديولوجية الغالب عليها الطابع السياسي من التي ترجع الى قيم دينية او اقتصادية، فكل الايديولوجيات المعاصرة تميل الى الاستحواذ على كل المجالات، وبهذا تصبح منظومة كاملة لأفكار واعتقادات.

منظومة الاعتقادات المعاصرة:

1 ـــ بداية من النهضة الاوروبية ثم عصر الانوار برزت في الغرب منظومة اعتقادات جديدة كرد فعل على منظومة اليهودية/المسيحية غير مسبوقة في شكلها، هدفها الأول تحرير الشعوب من جمعياتها الدينية، وتحقيق ازدهار الافراد بإقرار أحقية العقل على الاعتقاد.

2 ـــ رفض هيمنة التقاليد (النقل) الدينية والحقائق المفروضة ليصبح العقل المزدهر هو من يضع كل علم وحقيقة، فقدمت العلوم على أنها معين الخلاص على الأرض، تصور جديد للإنسان يقدم شروطه كذات مستقلة، يعني: شخص يقول أنا في مواجهة العالم والاخرين، إنه عصر الانسان الجديد.

3 ـ ككل الديانات وعد مفكرو الانوار بالجنة على الأرض، وكانت رسالتهم النبوية: إن قدوم العلوم الجديدة سيقود بالضرورة الانسانية الى عهد الازدهار، وانتشرت التكنولوجية الحديثة من اجل خير الانسان، موجهة بعقلها الخاص من اجل إحلال السلام العالمي في النهاية.

4 ـ في هذا العمل التجديدي للإنسان: الدولة الوطنية الحديثة لعبت الدور المركزي كالضامن والممثل الوحيد الشرعي للفرد المستقل المالك لنفسه (لم تفعل الدولة سوى أن لبست ثياب الكنيسة التي قدمت نفسها كالممثل الوحيد للإله على الارض، فأخذت مكانها الدولة التي تدافع وتحمي مصالح الفرد/المواطن :(المرجعية الجديدة للحداثيين).

ـ حيث كانت الكنيسة تلعب دورا مركزيا (التعليم، الصحة، الاجتماعي..) اخذت

الدولة (السياسي مع فكرة الوطنية) سينظم المجتمع في كل مظاهره وجوانبه.
منظومة اعتقادات مابعد الحداثة:
1 ـــ بنهاية القرن الماضي فقد حسن الظن بالحداثة كثيرا من مصداقيته (الحروب الاوروبية، ازمة الهوية الاقتصاد سحق الانسان تحت المطالب المادية) وأخذ الطعن فيها باعتقاد جديد هو "ما بعد الحداثة"، هذه الايديولوجية الجديدة بقيت وفية الى أساسيات الفلسفات المادية للأنوار، ولا زالت تطالب بالقطيعة الجذرية مع الموروث اليهودي/النصراني، هي في الحقيقة تغيير وضعية تكيُّف فقط...؟
2 ـــ كرد فعل على مثاليات الحداثة ترفض الرؤية المابعد حداثية: الاعتقاد في المشاريع السياسية الكبرى والجماعية التي كانت تراد أن تكون عالمية، والتي كانت دموية في التاريخ المعاصر، حيث تبين أن أغلب الايديولوجيات المعاصرة:
استعمارية، إطلاقية، توسعية، وعنصرية، حتى الاعتقاد المقدس في العلوم في التقدم والاثار المخلصة للتكنولوجية الجديدة المعاصرة لم تسلم من النقد والتساؤل.
3 ـ بالنسبة لما بعد الحداثة: إذا كانت الايدولوجية الحداثية أصل الشرور في القرن الماضي فلأنها بقيت مؤمنة معتقدة أكثر من اللازم، مرتبطة أكثر بخلفيتها المسيحية، وتلك الارادة لفرض حقيقتها المهيمنة في الايديولوجيات القومية الاطلاقية، هي في الحقيقة استرجاع (قيء) لتصورات الانسان والحقيقة المأخوذة من التراث اليهودي/المسيحي.
4 ـ في الدين المابعد حداثي هذا المفهوم للحقيقة المطلقة لا يجب ان تكون له الاولوية إذا كان العقل (يسمح بالوصول الى الحقيقة) كان في قلب كل شيء عند الحداثة سيكون اولا وقبل كل شيء ازدهار الانسان كفرد يشكل الديانة المركزية لما بعد الحداثة، مفهوم الحقيقة نفسها يصبح ثانويا.
5 ـ بالنسبة للحداثة كانت الاعتقادات الدينية ومؤسساتها التسلطية العقبة الرئيسية أمام انتشار الفكر الحداثي، بالنسبة لمنظري الايدولوجية المابعد حداثية ما يطرح المشكل هو كل هذه الايديولوجيات الجماعية التي تجرف الجماعات على حساب الافراد سواء كانت دينية ام لا.
6 ـ لا تعارض مابعد الحداثة بطريقة مواجهة الروحانيات أو الدين مادامت تقدم نفسها كاعتقادات فردية غير معيارية، ولا تخرج عن المجال الشخصي الخاص.

وترى أن نضال الملحدين المعاصرين ضد كل الديانات عديم الجدوى وينتج ضده لان الخطر (التحدي) ليس هنا.

7 ـ تحترم الايديولوجية المابعد حداثية أولا الفرد الذي هو حاكم على كل شيء، والاعتقاد الديني يتكيف ويخاط على مقاس الفرد، يمكن ان يكون دينيا ومابعد حداثيا في نفس الوقت...!

ـ لكن كل الديانات (والايديولوجيات) ذات المشروع الجماعي أو مجتمعي تعتبر خطيرة، يمكن للفرد الانتماء لمجتمع ايماني لكنه مظهر لا يقدم أولويا، ويجب ان يبقى ثانويا مثل السؤال التعليماتي" تعليمة": هل انت أولا مسلم أم فرنسي، مسلم أم جزائري، مسلم أم امازيغي ...؟

بعيدا عن الاستفزاز الذي يجعل في علاقة واقعين غير قابلين للمقارنة (الانتماء الوطني والانتماء الكزمولوجي الذي يحدد المؤمن بعد حياته الارضية) الذي تبحث عنه مابعد الحداثة هنا هو التموضع حول انتماءه الاولي، لتأكيد ان انتماءه للإسلام كله نسبي، وان الاعتقاد يظل نسبيا، وفي النهاية رؤيته للعالم ليست مدمجة ولكن مندمجة في انتماءه الوطني.

ــ ما هو ضمني: هو أن قبول الاسلام أو الديني في المجال العام مشروط يجب على الخطاب الديني ان ينحني أمام التوفيقية «دين ـ فلسفة مابعد حداثي"، يعني: يجب على المؤمن ان يتخلى عن التعبير عن مبدأه الأساسي للمطلق، وعلى التأكيد (منطقي لكل مؤمن) ان دينه حقيقة، لأن تفسير نسبية اعتقاده هو دليل على التسامح، والتعبير عن اعتقاده بيقين يظهر عقل مغلق غير متسامح...!

ـ للائمة المشهرين إعلاميا حق الكلمة في المجال العام لكن بشرط عدم الازعاج، أو نقد المبادئ المباعد حداثية (الاسلام يجب ان يقبل لأنه دين كغيره من الديانات).

8 ــ صحيح ان الايديولوجية الما بعد حداثية ليست معادية للدين بشكل قطعي، لكن يجب فهم الوجه الخفي: بالنسبة لما بعد الحداثة يبقى الفرد المرجعية النهائية، الفرد هو الحقيقة الوحيدة، وليس إلا مستهلكا للدين لازدهاره الشخصي الفردي، انه تصور نفعاني للدين وللإيمان، للاعتقاد وحتى للإله.

9 ــ بالنسبة لما بعد الحداثة يجب على الدين الاستجابة لــرغبات الفرد الذي يحتاج الى دين على المقاس، دين يتكيف مع الفكرة المهيمنة، ويندمج، ويقبل ان ينزوي في

دائرة الخصوصية، ويترك توجيه التعبير العام للأفكار مابعد حداثية، وبالتالي يتخلى عن سعيه للعالمية.
ما بعد الحداثة ليست إلا أزمة الحداثة، الحداثة عندما تفقد القليل النادر من الصواب الذي كانت تحتويه.
هذا المقال للإخوة الذين طلبوه و إلا فقد كنت قررت إيقاف هذه السلسة...

يعتقد الحداثي أن النموذج الغربي المريض هو أفق البشرية، المرحلة النهائية التي لا يمكن تجاوزها، الغاية التي ليس بعدها غاية، لكن بخلافه هو يكاد يجمع الغربيون على أن نموذجهم في طريق الانهيار!يعتقد الحداثي أن النموذج الغربي المريض هو أفق البشرية، المرحلة النهائية التي لا يمكن تجاوزها، الغاية التي ليس بعدها غاية، لكن بخلافه هو يكاد يجمع الغربيون على أن نموذجهم في طريق الانهيار!

حق المؤلف وحق القارئ؟

.....

برزت مشكلة حقوق المؤلف عندما ظهر في الغرب كُتَّاب يعتاشون من الكتب فقط.
رأى فيغتور هيغو "أن الكتاب ككتاب ملك المؤلف، لكن كفكرة هو ملك للنوع الإنساني، لكل العقول الحق فيه، إذا تعارض حق المؤلف وحق العقل الإنساني وجب التضحية بحق المؤلف لأن المصلحة العامة هي المعتبرة".
خطاب الافتتاح لمؤتمر الأدب العالمي.
المشكل في الغرب تم معالجته بالوسائل التقنية بحيث بقي الكتاب الورقي وهو البضاعة الأصلية متوفرا لمن يملك القدرة على اقتنائه، و وفرت نسخ بمختلف الصيغ الإلكترونية وسعرها أقل بكثير من سعر الكتاب الورقي.
المؤسسات العلمية التي لا تهدف إلى الربح يمكنها إصدار كتبها بصيغة pdf غير مصورة فاساسا النشر الإلكتروني أكثر انتشارا من الورقي.
والتي تحتاج في استمرارها إلى الأموال فيمكنها بيع الكتاب بمختلف الصيغ الإلكترونية وهذه ليست تقنية معقدة.
منذ بداية هذا الوباء عندي الآن سبعةكتب عنه صيغة epub أو pdf كتبت في هذه

الفترة وليست كتبا تجارية بل دراسات علمية موثقة.
وهذه السرعة في التعامل مع الحدث الذي جعلها ممكنة هو الكتاب الإلكتروني بصيغة epub.
ونحن أمة بحاجة إلى الكتاب أكثر من غيرنا، و طالب العلم عندنا مفلس يحتاج إلى تشكيل مكتبة كبيرة تتطلب أموالا طائلة ،فالحل هو أن تتجه المؤسسات العلمية إلى النشر المباشر بالصيغ الإلكترونية التي تمر أو لا تمر على الكتاب الورقي.

فهم الغرب نافلة أم ضرورة ..؟

....

إذا لم نعرف الصورة التي صار عليها الفكر الغربي المنتج للثقافة العالمية، المتحكم في التقنية، و في اقتصاد العالم و تجارته و إعلامه و تعليمه، الصانع لمعايير التفوق الاجتماعي و النجاح المهني و الدنيوي،سيكون من الصعب علينا مواجهة تداعياته علينا.
إننا مضطرون لدراسته و فهمه لمواجهته ،والواجب أن ينصب الدرس العقدي على دراسة المذاهب الفكرية المعاصرة ، لأن السنن التي تحكمه هي نفسها التي تحكمنا ، و أن التأثر بها انبهاراً و تقليداً لا يقف عند الثياب و الطعام بل هو أعمق بكثير يتغلغل داخل التصورات الثقافية و يصنع الذهنيات التي تشكل جدار ممانعة أمام الخصوصية الإسلامية.
نحتاج أن نعرف ما حصل لليهودية والمسيحية لنعرف ماذا سنواجه ، وحتى لا ننزلق حيث انزلقوا، وليس هذا بمستغرب فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: (لَتَركِبُنَّ سنَنَ مَن قبلَكم حَذوَ القُذَّةِ بالقُذَّةِ، حتى لو دَخَلُوا جُحْرَ ضبٍّ لدخلتُموه"، قالوا: يا رسول الله! اليهود والنصارى؟ قال: "فَمَنْ"؟)
وقد تكرَّر هذا التحذير فجاء قوله الآخر صلى الله عليه وسلم: (الله أكبر قلتم كما قال قوم موسى لموسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة أنها السنن لتتبعن سنن من قبلكم وسيعود الدين غريبا كما بدأ).
وقد ذهب أبو عبيدة ـ رحمه الله ـ في تفسير قوله تعالى: {لتركبن طبقًا عَن طبق} [الانشقاق: 19] إلى معنى: لتركبن سنة من كان قبلكم في التكذيب والاختلاف على

الرسل.
فوجبَ بمقتضى هذه الأخبار البيِّنة أن يكون في أمتنا ما كان في أهل الكتابين قبلنا، فلا يمكن أن ندافع هذه السنن إلا بمنهجين أو سبيلين:
المنهج الأول: أن نعرف ثقافتهم جيدا، من بدايتها الأولى إلى ما صارت عليه اليوم، وكيف تحولت وانتقلت من حال إلى حال، وكيف كان الصراع بينها وبين المسيحية، ولماذا خسرت المسيحية المعركة؟
الثاني :أن نحاول إصلاح سلبيات عيوب الخطاب والفعل التي توفر الأسباب التي تساعد الفكر الغربي على النفوذ فينا، يجب الرجوع إلى المفاهيم التي تشكل الشخصية الإسلامية وتحميها من الذوبان، وتضع حدودا فاصلة بين الحقائق لكن بلغة علمية عقلية وليس كمجرد أحكام فليس أفضل للعقل المعاصر من إثبات الفرقان العقلي بين الحق والباطل لأن الخطابات التنويرية المتنامية كلها مقدمات الإلحاد و الروحانية بدون وحي، وكلها مقدمات الزور الغربي.

أي جماعة بدون تأثير سياسي إيجابي بشكل من الأشكال أو(اجتماعي فعَّال) هي كينونات لفظية.

العقل ضحية النفس..!

......
رغبة الإنسان في أن يكون على حق كثيرا ما تخدعه، وهي رغبة موجودة في غالبية البشر ليس منهم إلا ويريد أن يكون على الحق لأن قصد الحق فطرة في البشر.
هذه الرغبة الفطرية تفسر عناد الناس في بقائهم ودفاعهم عن آرائهم مهما بدت لنا مجانبة للصواب(للوحي)
هذه الرغبة الملحة في أن نكون دائما على حق تخدع الإنسان لأنها تتحول إلى اعتقاد أنك على الحق.
سبق وبينت أن العقل خاضع لانفعالات النفس وفعاليتها خصوصا الإرادة، و أنه ليس هو من يسعى للحق ولكنها النفس، أما العقل فدوره التبرير المنطقي للاعتقادات فإن كانت صحيحة بررها و إن كانت باطلة بررها، ولهذا تجد في كل الطوائف عقول

جبارة تبرر مقالات مذاهبها!
، ومن هنا يظهر الفرق بين العقل الذي يبرر ما دل عليه الوحي والعقل الذي يبرر ما لم يدل عليه الوحي.
هذا لا يعني أنه لا يوجد في الإنسان عقل صريح يحكم بموضوعية، إنما يعني أنه مغمور تحت الرغبة التي تخدعه فتوجهه إلى تبرير ما تحب، لأن تعيين الفعل الارادي لا يكون تلقائيا من نفسه، في الواقع تذوب الأسباب التي تبرر الإرادة مختفية في الدوافع الخفية.
دوافع الرغبة أقل عقلانية و موضوعية، لهذا لا تتكل على رغبتك في أن تكون محقا لتجنبك الخطأ ،فالرغبة وحدها لا تكفي في الوصول للحق،وكل الآليات العلمية تأتي بعد الصفات النفسية.
هل تخضع هذه الرغبة لمتطلبات وشروط العقل الواعي
: أم أنَّها ليست سوى نقاب شفاف أو قناع لدوافع عميقة فينا قليلة العناية بالحقيقة، ترفض النفس أنْ تعترف بها، نلمسها في عدم اكتراثها بالمنهجية العلمية الصارمة بترقيع المقدمات واستسهال النتائج، وبالتكلف في تطويع العقل الصريح والاحتيال عليه.
بسبب تعرُّف العقل على بناياته الذهنية الخاصة نُحمل على الاعتقاد بالصواب في كل أفكارنا بدون التشكيك فيها أبدا ،ومن الممكن التمييز بين الاعتقادات الطرفية التي نحن مستعدون للتخلي عنها و الاعتقادات المركزية التي لا نريد التخلي عنها لأنها في علاقة ضيِّقة بمعنى الهوية عندنا.
فهل من الممكن الاعتقاد في أفكار ضالة بدون التفطن لذلك، و بأي معنى يمكن أن نتكلم عن الاعتقادات اللاواعية، وما علاقة هذه الاعتقادات بمعنى الهوية عندنا ...؟
ومادام المذهب موجودا والجماعة موجودة يعني
الاتفاق على صوابية الاعتقاد موجود فإن ذلك يعفي من كل تحقيق ، و يعطي بديهية مزعومة للفكرة
إن الاعتقاد بأننا على الحق سواء كان واعيا أو غير واع فإنه يحدِّد موقفنا من الواقع لكونه ينتج فيلتر التأويل، و دائما ما يجذب هذا الاعتقاد التجارب الموافقة له التي ستزيده وثوقية،

إذا عرفت هذا عرفت أن العقل الفطري الصريح و الضروري المخلوق في البشر ليس حرا بل هو تحت طبقات من الانفعالات النفسية ومن المشاعر ومن العقل المكتسب (معلومات ملقنة) تشكل الهوية والانتماء، تستعين بالعقل الجدلي وقدرته المنطقية لتبرر تلك الرغبة التي تختفي في داخلها اعتقادات لاواعية.
وهنا يمكنك أن تلاحظ قوة الفرق في السلامة من هذه الرغبة و الاعتقادات اللاواعية بين المتمسك بالنصوص الذي يجعل عقله خلف فهم السلف لها، وبين من اعتقد أن العقل المجرد وهو عقل المقدرات الذهنية يمكنه أن يصل إلى فهم النصوص في خلاف ظاهرها ومرادها عند السلف الصالح.
كل عقل جبار في المسلمين في هذا المذهب أو ذاك لا يختلف عن كل عقل جبار في ملة من الملل أو فلسفة من الفلسفات، الذي يختلف بينهم هو العقل المنطلق من عصمة النص مسايرا فهم السلف ،والعقل المنطلق من مجرد رغبة.
وعليه فإن هذه الرغبة الخادعة لا يصد شرها على العقل إلا مفهوم الاتباع ومفهوم مراعاة فهم السلف الصالح وإلا فاعلم أنه في الحقائق الدينية العقل وحده عاجز.
فلا تغرنك بهارات العلوم واقصد المصطلحات الفخمة والعبارات الهائلة، ولا رغبتك في أن تكون على حق.

السياسي يفكر في الانتخابات المقبلة بينما رجل الدولة يفكر في الأجيال القادمة (ج. ف. كلارك)

كيف سقطت النصرانية في الغرب؟

.....
العقل الغربي عقلان: عقل أداتي، عقل المخبر في العلوم الطبيعية، وهذا عقل رياضي لا علاقة له بأي شكل من الأشكال بالعقلانية الغربية و بالعقل الفلسفي الذي انتج العلوم الإنسانية،فالباحث في المخبر قد يكون سكيرا يخاف الأشباح ويقرأ في كل صبيحة صحيفة التنجيم! ومع ذلك عندما يدخل المخبر يطبق الرياضيات أو الفيزياء بمعزل عن عقله الذي يتشاءم من قط أسود، ويعتقد أن حركة النجوم تؤثر على مصيره!

هذا العقل الثاني(العقل الفلسفي) هو الذي يقودهم إلى الانهيار ،والعقل الأول هو الذي يبطئ سرعة هذا الانهيار بما يوفره لهم من هيمنة وثراء، لكن مصيرهم محتوم، فالعقل الثاني هو الذي يحكم الأول.

والمقصود التمييز بين العقلي الغربي والعقلاني الغربي.

والعقل الأداتي أو العلمي الطبيعي موجود في المسلمين كما في غيرهم، يرجع إلى التعليم، ليس هو العقل المرتبط بهوية حضارة أو خصائص عرق كما يخرف العلماني!

ومشكلة هذا العقل عندنا هو غياب الإرادة السياسية التي توفر له الموارد، فالعقول الإسلامية تشغل أكبر المخابر العالمية.

لم ينسلخ الغرب من الدين والقيم فجأة بل بدأ ذلك من الفترات الأولى للتاريخ المسيحي، واقصد فترة التدين، فمن الوهلة الأولى جمع النصارى بين الإيمان المسيحي والفلسفة الوثنية ،ولم تزل تنخر فيهم عصرا بعد عصر محمولة تحت قلنسوة القساوسة حتى فجرت فيهم الحداثة!

فباستطلاع سريع كرونولوجي لعلماء النصرانية وموقفهم من عقيدتهم، وانها فوق العقل، وسر يجب الإيمان به لا فهمه ،وما خرج منهم من انتقاد للمؤسسة الدينية، وتململ، وبذور إنسانوية مادية، و علمانية، و شيوعية، وليبرالية، هو الذي قضى على دينهم ومكن للدهريين!

معلوم أن فلسفة أبيقور ضعيفة ووضيعة في مقابل الفلسفة الإلهية الإغريقية، ومع ذلك غلبت عليها في الغرب المعاصر

في عالم علماني مادي يسعى خلف السعادة المادية المجرَّدة بكل الوسائل، وقد لخصَّها في المادة و المتعة التي تتحقَّق بتمكين الحواس من التلذُّذ بمحسوساتها بغض النظر عن كل قيم ، يعني: الظفر بالشهوات.

همُّه الوحيد: كيف يعيش جيدًا بحسب معايير العصر متمتعاً بكل ما يمكنه تحصيله .

فلا يمكن بحال أن نُغيِّر هذا العالم إن لم نفهمه كما هو، بعيداً عن كل مثالية، بحيث نتعامل معه بدايةً على ما هو، و ليس على ما نرغب، فإن المفهوم الأول يقذفنا في قلبه، و الثاني يعزلنا و يهمِّشنا، و يجعلنا فكرة مستحيلة الانجاز، أو جسما متهرئا في متحف فنون قديمة.

بدأ العالم المسيحي يلفظ أنفاسه تحت وطأة النظريات الدينية المحرَّفة الخاطئة تزامناً مع ظهور البوادر الأولى للعلوم الفيزيائية و البيولوجيا و الرأسمالية التي جلبت الوفرة وغذت التصوُّر المادي مما أدى إلى بعث الفلسفات المادية اليونانية القديمة كـ"مذهب الشكاك، و المادية،و الحسية" خاصة بنظامها الفكري عند "أبيقور"، القائم أساساً على: رد المعرفة إلى الحواس ،التي كانت محتقرةً من قبل المذاهب الفلسفية الأخرى على أساس أنها مادة، والمادة مظلمة وباردة ، لا ترتقي إلى شرف العقل، فبخلاف أبيقور كان رأي غالبية الفلاسفة أن السعادة في القيم و الفضيلة؟
وهكذا أكدَّت العلوم المعاصرة أن العقل لا يستقل بنفسه بالمعرفة، و أنه و إن كان الحاكم فإن مرد معرفته إلى ما تلتقطه الحواس، و أنه بدونها عاجز حتى عن أبعد شيء عن مجال الحواس، وهو الخيال، غير قادر في صناعة الخيال و نسجه عن تجاوز ما أدركه بالحواس،فإن كانت الحواس لا تميز فإن العقل لا يحس.
فلما عضدت العلوم المادية مكانة الحواس في المنهج العلمي، إذ هي أصل التجربة و المنهج التجريبي، وفي غياب دين صحيح يتعامل مع واقعه كما هو، لا كما يرغب أهل الدين بسطت فلسفة أبيقور " الحسية" جانبها الأخلاقي السلوكي المتمثل في أن السعادة في المتعة،و تطوَّرت فيما بعد إلى المادية و الوجودية الملحدة .
وهكذا وجدت المادية الطريق ممهداً لتغلو بمذهب أبيقور مستعينةً في طريقها بمذهب "كنط" و"كونت" اللاأدرية و الوضعية(لا يمكن للعقل الإنساني أن يتوصل إلى معرفة المطلق) و بـ"التفكيكية" و " البنيوية" المتولدة عنه،حتى وصلت به إلى تشكيل الحياة المعاصرة ، فحتى الفلسفات الإغريقية الوثنية كان محور اهتمامها الله بطريقٍ أم بآخر حيث كانت الفلسفة تدور على اتجاهين: الاتجاه الذي يقترح تفسيرا للعالم لنشأته و أصله مهموم بالبحث عن ما وراء الطبيعة (الغيب) والاتِّجاه المهتم بوجود الإنسان و معالجة مشاكله الملموسة فحوَّلت الأبيقورية الجديدة العالم المعاصر إلى الاهتمام بالإنسان كجسم فقط، ومن مادية المنهج العلمي إلى مادية التصوُّر العام، فكان عصر الإلحاد و الدين المعلب للمناسبات.
لقد تضافرت المذاهب الفلسفية الغربية من "مادية قديمة"، و "شكوكية" ،ولدت "اللاأدرية"، و "الوضعية" و "الحسانية المفرطة"، ثم "التفكيكية"، و "البنيوية"، و "الوجودية" مع الدين المسيحي المحرَّف على إيجاد المناخ المناسب لتزدهر فيه فلسفة

"أبيقور" و نظريته للحياة و للناس و الفكر، فوجد فيها الغربيون المتململون من المسيحية و النخب البرجوازية المتواطئة فكراً يحافظ على نغمة يومية تربطه بالمجتمع تفتقده بقية الفلسفات، فكراً لا يقف موقف الحياد، عندما يحاصر المجتمعَ الإقطاعُ، أو الاستعباد، أو الاستغلال.... الخ يقف إلى جانب الناس.
فكر نافع لأضعف الناس منهم،يسهل الوصول إليه لبساطة لغته و قضاياه ؛ بخلاف غيره من الفلاسفة كان أبيقور يستقبل في مدرسته الرجال و النساء، العبيد و الأطفال ، يُبغض النخبة و يصفهم بأنهم إما علماء البرجوازية أو علماء السلطة، لا يحترم الأساتذة، محتقرا لقواعد اللعبة (السياسية)، يُسمي نوزيفان التيوسي(Nausiphane de Téos) "الرخوية، الجاهل، الغشاش" ، ويصف الأفلاطونيين بأنهم مداهنون، فكرهم ثقافة بلا جدوى،فمن أراد علما حقيقيا فيجب عليه أن يفتخر بالتحرُّر من علمهم المغلوط لأن الحياة لا تتطلُب الأيديولوجيات الفارغة بل الحياة فحسب.
والحكمة عنده تمرُّ عبر الجسد، والمعرفة تمرُّ عبر الحواس، والعلم يفنِّد الخرافات، والفكر هو أن تفكِّر كيف لا تموت فاقداً للأمل.
لا تشتغل بالسياسة الكبرى لأنها تفقدك التوازن، لا زواج، ولا تكاليف، عش من أجل ذاتك بإزاحة الاضطرابات، فقد ولِد الإنسان للبهجة، الجماعة تجعلها ممكنة، السعادة بسيطة: لا تمرُّ لا بالمال، ولا بالتشريفات، ولا بالسلطة، ولكن بالتحكُّم في الذات، مما يفرض الاستعمال الجيد للجسم، وحسابات علمية للشهوات والرغبات (قياس وتحكم في المتعة)، فلا استجابة إلا للرغبات الطبيعية والضرورية بطبيعة الحال انتقل الغربي من الابقورية إلى الهيدونية لأنها تلزمه بالاعتدال في الشهوات و الزهد في الدنيا وعندما يفتح الإنسان على نفسه باب الشهوة فإنها لا تتوقف حتى عندما يتأذى الجسم!
ليكن همُّك الفلسفي الوحيد هو اجتناب الخوف من الموت، فليس هو إلا تفكك الذرات، فالآلهة مادية، ولا تتدخل في حياة الإنسان؛ ليست مشكلتك أن تبحث في وجود الله من عدمه، مشكلتك أن تكون سعيداً.
هذه المبادئ العامة لفلسفة أبيقور التي أضحت الفكر الغربي المعاصر تعود في نهاية المطاف إلى قوله تعالى: {إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ}
{وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ

إِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ} [الجاثية]
لم يكن أبيقور متميزاً في مجتمعه ومع ذلك عادت فلسفته للحياة الغربية باستمرار فأخذ هذا الموقف التنويريون مثل " فولتير" وهلفتيوس، وطوَّره اجتماعيا وسياسيا روسو.
ولدت الحسية "الفرويدية" فكان التحرُّر الجنسي ، و أعلنت "البنيوية" أنه لا يوجد الإنسان صانع العقل(كما عند الحداثة) لا يوجد إلا الإنسان ثمرة التاريخ واللغة و النظام الاقتصادي؛ بنية الاقتصاد وبنية اللغة، وبنية اللاوعي، وبنية العائلة؛ فعلى ماذا الالتزام؟، لا نحتاج لإيديولوجية، لا نريد إلا التمتع كما في "فديو كليب"، الحياة حركة و الباقي لا شيء،فنشطت صناعة الترفيه و الاستهلاك،وعمَّت ثقافة الإشهار، وصارت البضاعة الأكثر طلباً :البحث عن طرب الشهوة، وهزة الجماع ؟
هذا هو الفكر المهيمن الآن على العالم الغربي، والذي صاغ الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والإعلامية والثقافية للغربيين، والتي فُرضت علينا بسبب أو بآخر، وأثَّرت علينا تأثيراً بليغاً، والتي في ظلها يجب أن نجد طريقنا لنرد القيم إلى موضعها أو بالأحرى لنفهم الناس أن الإسلام ليس ضد المتعة والبهجة والسعادة لكنه يضع معها القيم التي يفارق بها الإنسان الحيوان.
وكما قال تلستوي :لا عظمة حيث تنقص البساطة والطيبة والحقيقة.
عندما تعجز الحضارة عن معالجة المشاكل التي ولدتها فهي حضارة تنهار.
كل العلوم الغربية الآن وظيفتها تخريب الروح.

العقل والهدى..؟

.....
ما نفع قوة الإبصار بدون شمس؟
وما نفع الشمس للأعمى؟
العقل ليس مصدرا للحقائق،هذا أكبر خطأ وقع فيه الفلاسفة ومن تأثر بهم ،هو وسيلة نبصر بها الحقائق.
الحقائق هي بمثابة الشمس (مصدر النور) والعقل الأداة بمنزلة قوة الإبصار في الإنسان.

فالأعمى لا يرى الشمس في عز النهار، و أصح الناس نظرا لا يراها بعد أن تغيب.
المعادلة للوصول إلى الحقيقة هي :قوة العقل وسلامة فطرته النظرية والعملية +الوحي الإلهي.
بتعبير أدق :النقل هو الشمس، والعقل قوة الإبصار.
مهما كان العقل قويا (ويمكنك أن تستعرض كل العقول البشرية الجبارة التي مرت في التاريخ) إن لم ينظر في دليل هاد لن يهتدي، سيطوف ويطوف على نفسه، ولن يرجع إلا بما يشبه لحم جمل على رأس جبل وعر، لا هو سمين فينتقى، ولا الجبل سهل فيرتقى.
أقصد:غاية ما سيصله إليه مجملات لا تشبع نهمه ولا تهدي روحه.
إذا لم تكن إشارة الطريق دالة بالمطابقة على الاتجاه الصحيح نحو غايتك فلن تصل إليها.
....

المرجع :تصوير ابن تيمية لعلاقة العقل بالوحي، يأتي قريبا.

ما هي وظيفة العقل بالضبط(في العلوم الدينية)؟

...
بعد أن تكلمنا عن العقل و أنه مخدوع أكثر من كونه خادعا في عدة مناسبات لعل أكثرها تفصيلا المقال الذي تناول علاقة العقل بالنزوات عند روسل.
لابد أن نتحدث عن منزلته ووظيفته في الحقائق الدينية وغيرها، لأنه يبدو لي أن صنفين من المسلمين يدفعون الشباب المثقف إلى العلمانية دفعا هما :الغلاة الحرفيون الذين فصلوا الدين عن حكمته، والمتغربون جزئيا فإن ما معهم من أصالة يغري الناس بأنهم في الحق، وما معهم من تغريب يفرغ الجزء الأصيل من محتواه.
لفهم وظيفة العقل سأتحدث عنها ضمن حامل لها حتى يكون الكلام واقعيا وليس مجرد تنظير مثالي.
ولهذا الغرض اخترت موقف ابن تيمية نموذجا فكما قال عنه
إبراهيم مدكور في كتابه (في الفلسفة الإسلاميَّة) (ص:32/36): ((

يعوِّل ابن تيميَّة التَّعويل كلَّه على النَّقل، ولا يدع للعقل مجالا كبيرا رغم ما منح مِن عقل جبَّار، ويذهب إلى أنَّ القرآن يشتمل على علوم الدِّين كلِّها...))
، واقصد بيان سبب ذلك يعني :لماذا هذا العقل الجبار لا يعترف إلا بالنقل..؟
وفي السياق نسأل :متى تضمن أن عقلك ليس في عملية تبرير لاعتقاد غير واع، وانه يبرر حقائق فعلية؟
رغم أن ابن تيمية سخر كل جهده العقلي لبيان أن منهج أهل الحديث هو منهج السلف الصالح فإنه لم يغفل الوقوف على الفرق بين الحق وبين طريقة عرضه وبيانه بحسب حاجة الناس.
موقف الغالبية العظمى من أهل الحديث معارضة الاستدلال العقلي، بينما منهج ابن تيمية ~ الذي صرح به ~ هو: ما ثَبت بالكتاب و السُّنَّة و الإجماع حتمًا و يقيناً تُؤيِّدُه فطرة الله التي فَطَرَ عليها عبادَه وضرورة العَقل و نظره و استدلاله، فلا فرق عنده بين اليقين في الأوليات و اليقين في النص،ومهمتنا ~ بالنسبة إليه ~ هي كشف ذلك.
وعلى هذا كانت عنايتُه بالدراسات اللغوية و المنطقية و العقلية و الوجدانية .
هذا ما يُفَرِّقُه منهجيا عن جمهور المحدثين الذين يتوقفون عند الكتَابِ و السُّنَّةِ و الإجمَاعِ استدلالا سمعياً وخطاباً، هم يستدِلُّونَ بهذه الأصول و هو يستدل لها بالفطرة و الضرورة و الاستدلال العقلي.
و السؤال المنهجي هنا : لماذا اختار ابنُ تيمية هذا المنهجَ ؟
الجواب: لأنَّه وجدَ الله في القرآن يستدعي في عباده: العَقْل، و التَّفَكُر، و الفطرة، ويحتج عليهم بذلك.
كما قال: {أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلا كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلا} [الفرقان]، و قال:{ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ }[الأعراف]، و قال:{ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ }[الملك].
فوجد القرآن قد مدح: التفكر، التدبر، التذكر، النظر [الفكر] الاعتبار، الفهم، العلم، العقل، السمع، البصر، النطق، يعني: مدح العلم و أسباب العلم الحسية، و أسبابه المعنوية.

ومن هنا عرف أنَّ جنس عدم العقل و الفهم لا يحمد في القرآن بحال ،بل يؤمر به أمر إيجاب أو أمر استحباب لكن ليس على العموم بل يفرق بين الأشخاص نوعاً و عينا، فبعضهم لا منفعة له في العلوم الدقيقة كالعوام و غيرهم، و بعضهم يمنعه من العلم النافع كناشئة طلبة العلم ، و بعضهم لأنه قد يضره بسبب عدم استعداد عقلي أو غيره.

و إذا كانت العلوم منها ما جنسها مباح كالعلوم العقلية لكن بعض أنواعها أو أعيانها كالفلسفة و علم الكلام الفاسد و التقليد الفاسد فاسدة، تمامًا كما أنَّ من العلوم ما جنسها و أعيانها محمود لكن تضر النفوس المريضة التي قد تخادع بها من أجل الرياسة على الناس و الجدال بالباطل، و مثل هذه الأسباب؛ فمن الضروري ملاحظة الفرق و اعتباره عند تفصيل الموقف من العلوم الدقيقة العقلية و الوجدانية و الاستدلال بها .

و عليه ،يجب أنْ نعرف أنَّ جمهور أهل الحديث و بالدقة غالبيتهم العظمى الذين لم يحققوا هذه المسألة لم يُفرق بين أهل المعرفة و التمكين بهذه العلوم فحكَّم حالة نفسه على حالة غيره ، يعني اعتقد عجز الجميع عن الإحاطة و التمكن منها،ثم لم يفرِّق بين أهل الحاجة من أهلها وهم الغالبية من المسلمين وبين من لا يحتاج إليها من أتباعهم.

وعلى هذا أوجب الإعراض عنها !

وهنا يجب أن يكون التقسيم باعتبار الزمن أي: حين استفحل أمر العقليات و الوجديات، أما في زمن التابعين فقد كانت اللغة العلمية واحدة ، فقد استعمل الأئمة كأحمد و الشافعي والدارمي الأدلةَ العقلية لكن الضرورية الفطرية فقط، و أضافَ ابن تيمية، و بعض السلفيون المعاصرون إلى ذلك الاستدلالَ العقلي المنهجي.

ما هي شبهات" اشتباه الأدلة" هذا الاتجاه ؟

1 ـ وجدوا أنَّ ما بعث به الله رسولَه صلى الله عليه و سلم فيه كل ما يحتاج إليه الناس من أمر دينهم، وهذا صحيح.

لكن الشيء لا ينظر إليه باعتبار ذاته فقط، بل كذلك باعتبار غيره، يعني: ما نُسميه في اللغة العلمية" الإطلاق و النسبية " فقد حدثت في الأمة مقالات كثيرة، و ليس كل واحد من المسلمين قد بلغته النصوص كلها، ولا كل واحد منهم يفهم ما دلت عليه بما يرد الخطأ في تلك المقالات.

وعليه، كان الصحيح الواجب أنه من اشتبه عليه الأمر في هذه العقليات فتوقف حتى لا يتكلَّم بلا علم أو حتى لا يتكلَّم بكلام يضر ولا ينفع أن يسكت، و قد أحسن غاية

الإحسان، لكن ليس عليه أن ينهي من علم الحق فبيَّنه لمن يحتاج إليه ، فهذا الثاني أحسن منه و أطوع لله ولرسوله ، و في كلٍّ خير بشرط أن لا ينهي عمَّا لا يعلم حقيقته.

ولهذا لما روى يحيى بن آدم لابنِ المبارك عن ابن عبَّاس، قوله: " لا يزال أمرُ هذه الأمةِ مواتياً أو مقارباً، شكَّ الراوي، حتى يتكلموا في الولدانِ والقدَرِ".

قال له ابنُ المبارك: أفيَسكُتُ الإنسان على الجهلِ؟

وقد صدقَ ابنُ المبارك لأنه إذا وقعت الشبهةُ لم يكن الهُدى في السُّكوت، فالسكوت فيه السلامة قبل وقوع الشبهة و ليس بعدها، فمن التزم السكوت بعد وقوع الكلام فإما لعجزه عن الجواب و إما لعدم فهمه لكلام ابن عباس ~ رضي الله عنهما ~

فقال له يحيى بنُ آدم: أفتأمرُ بالكلامِ؟

وهذه حيدة منه ~ رحمه الله ~ لأنه أجاب عن استفهام باستفهام، وهذا نصنعه عندما يكون الاستفهام ملزماً لنا، ولا نستحضر جوابه فنهمل الجواب عن السؤال و ننتقل إلى الاعتراض باستفهام آخر، إذ المفروض أن يجيبه بأحد جوابين : لا يسكت الإنسان على الجهل، أو يسكت الإنسان على الجهل،أو يُفصِّل، ولم يفعل أية واحدة من هذه لأنه لم يكن يعرف إلا الكلام المذموم .

فسكتَ ابنُ المبارك، لأنَّ الكلام الذي سأل عنه يحي بن آدم كان مذموما فيه مغالطات كثيرة، فلو أمر بالكلام مطلقاً لتضمن إذنه الكلام بما فيه من أخطاء.

وربما نفهم جيداً إذا عرفنا أن مسألة " الولدان" لما وقعت تكلَّم فيها قتادة و ربيعة الرأي و لم يسكتوا لأنَّ الفتنة بها حدثت، و الواجب توفير الصواب للناس لكن الآلة الإعلامية في كل زمان تنشر مذهباً و تطمس آخر ، فأهل التحقيق هم دائما القلة.

ثانيا: هؤلاء نصبوا العلومَ العقلية و الوجدية الصحيحة عدواً للخبرِ، فُقصَّر دلالةَ الكتابِ على الخبرِ، لأنهُ لا يُفرِّقُ بين طريقِ وصولِ الدليلِ إلينا و بين مادتِهِ، فاخطأ في هذه القضية صنفان : صنف خاضوا فيها بدون اعتبارها بالكتاب و السنة و صنف أعرضوا عنها، و الحق عند غيرهما جملة وتفصيلا.

و بهذا المثال تفهم أنَّ مذهب كثير من السلفيين المعاصرين ما هو إلا عبارة عن سوء فهم لكلام الأئمة مع أنهم يريدون أن يكونوا على الحقِّ، بل هم مقتنعون أنهم على الحقِّ ؟ !

فمثلا عندما جاء ابن تيمية إلى قوله تعالى: {وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ} [الحج].

وفسَّره بالتالي: فالحيُّ قوامه بطبيعته المستلزمة لحركته الإرادية ، وقوامها بالمراد لذاته، فإذا لم تكن حركتها لإرادة المعبود لذاته، لم يكن لنفسه قوام، بل تبقى ساقطة ، ولهذا يهوي في الهاوية ،وهي ذنب لا يغفر ، لأنه فسد الأصل كالمريض الذي فسد قلبه ، لا ينفع مع ذلك إصلاح أعضائه.

فمثل هذا الكلام عن "الإرادة و الحركة الإرادية" نعلم أنَّه ليس من بضاعة أهل الحديث، فلا نجد له أثراً عند من سبقه منهم، فلابد أنَّ شيخ الإسلام لما اطلع على كتاب الرازي ~ رحمهما الله ~ " أقسام اللذات" أدرك أنَّه موضوع ~ و إن كان مهماً ~ لا ينتمي للثقافة الإسلامية فتتبع مرجعيته،وهذا ما يصنعه العلماء الحقيقيون يتتبعون أصول الكلام و يعتبرونها بالمصدرين و بالعقل الضروري، و لذلك تكلَّم عن النفس و قوامها و طبيعتها و غير ذلك لما ناقش ابن سينا و نقل مذاهب الفلاسفة في ذلك، ومن ثم حتماً قرَّر أنْ يكتب قاعدته في ": المحبة" و قاعدته في " الإرادة" التي هي العمدة في بناء منهجه المعرفي في قضايا المعرفة كواقعية المعرفة و الوجود، و في علم السلوك، وعلم النفس المعرفي عند الكلام عن الفطرة و الشعور و اليقين، و الشك ، و مادة الأدلة و غيرها.

وهذا نموذج حي عن فائدة العلوم الدقيقة في تفسير كلام الله و تقريبه للناس، و كشف الهدى الذي يحمله،ومثال حي عن توسيع المعرفة بالحقِّ و تعميقها بحسب حاجة الناس في كل عصر، وهناك أمثلة كثيرة جداً.

فموقف ابن تيمية من موقف جمهور المحدثين من علم الكلام لخصه بما نقله في " الدرء" من قول الخطَّابيّ في (شعار الدِّين): "الكلامُ المكروهُ الَّذي زجرَ عنهُ العلماءُ وعابُوهُ، هو التَّجرُّدُ في مذهبِ الكلامِ، والتَّعمُّقُ فيهِ على الوجهِ الَّذي يذهَبُ المتكلِّمون.))

و ملخص منهج ابن تيمية هو : يُكره العلم إذا كان كلاماً بغير علم، أو حيث يضر، فإذا كان كلاماً بعلم، ولا مضرة فيه فلا بأس به ، و إن كان نافعاً فهو مستحب، فلا إطلاق القول بالوجوب صحيح، ولا إطلاق القول بالتحريم صحيح ، مثله مثل التقليد و الاجتهاد ، فالاجتهاد جائز للقادر على الاجتهاد ، و التقليد جائز للعاجز عن

الاجتهاد.
و بهذا نعرف أنَّ ذم الكلام مطلقا كما هو عند جمهور السلفيين المعاصرين ليس مذهبا لابن تيمية.
و بتحرير هذه المسألة نستخلص أربعة أمور:
1 ـ ليس كل أئمة الحديث أكفاء في التحقيق العلمي، فالمنهج العلمي الصحيح ليس الاستشهاد بأقوال بعضهم على صوابية القول إن لم تسعفه الأدلة و تؤكده، فمن ظن أن المنهج السلفي هو إقامة الشاهد من قول بعض المحدثين دون أنْ يكون مصدر الاستدلال الدليل المعتبر شرعاً فقد أخطأ المذهب.
2 ـ موقف غالبية السلفيين المعاصرين هو موقف جمهور المحدثين و لا علاقة له بمنهج ابن تيمية جملة و تفصيلا، تجمع بينهما النتائج فقط، لا المقدمات، و لا منطقية الاستدلال و ضروبه.
3 ـ هل هناك مسائل شبيهة ؟ نعم، في قضايا التصوف ـ و السياسة، و الأسماء و الأحكام، و معاملة المخالف و غيرها، سيأتي الحديث عنها مستقبلا بتفصيل و إسهاب.
4 ـ هل السني السلفي هو الذي لا يتكلَّم إلاَّ بالألفاظ الواردَة التي لا يُفهَمُ معنَاها أو يعجز عن إفهامِ الناس بمعانيها بِلُغتِهم،أم من فَهِمَ معانِي النُّصوص، و دفع الخطأ المعارض لها بأي لغة أو مصطلح يفهمه الناس لا يعارض مدلوله الكتاب و السنة هو أحق بالسنة من غيره ؟
وكذلك نحن نعرف ~ مثلا ~ أنه قد أشار في عدة من كتبه [2] إلا مسألة التقصير في الدليل العقلي و اعتقاد أنَّ الشرع يدل بالخبر المجرد فقط، وهذه مشكلة جوهرية في تحليل اختلاف لغة الخطاب و آليات الاستنتاج ثم بالنتيجة في وضع العلاقة بين المذاهب الإسلامية في علم الكلام و قضايا الاعتقاد عموماً.
فإذا تغيرت لغة العلم في فترة ما، أو هيمنت لغة أو اصطلاح ما على فترة بحيث صارت لغة السلطة أو لغة تكفلها السلطة و صار أهلها القضاة و رؤساء المدارس العلمية كان التخلف عن اتخاذ موقف علمي منها يعني: اعتبارها و تقييمها بالكتاب و السنة ،ومن ثم التخاطب بها ~ على الأقل مع أهلها ~ تقصيراً علميا في حقِّ الكتاب و السنة، و في حقِّ الأمة ،وفي حقِّ المخالف الذي لا يفهم غيرها إذ الناس إما صاحب حقٍّ عليه مسئولية بيانه لغيره، أو مخطئ يحتاج إلى من يرشده.

فلا يكفي أن تكون مصيبا ~ بغض النظر ~ عن حقيقة هذه الصوابية يجب أن تأخذ بالوسائل الكفيلة ببيان هذا الصواب لغيرك من المسلمين وغيرهم،فالحق يحتاج إلى لغة مفهومة للناس، و ليس على الناس أن يأتوا إلى لغتك فقد تكون لديهم شبهات عنها ~ ساهمت فيها ~ تمنعهم من اعتمادها.

وحامل الحق هو المسئول عن تبليغ الحقِّ و بيانه، و الحقُّ يحتاج إلى أن نقدِّمه بجرعات غير قاتلة كالدواء إن لم نحترم الجرعات فقد يكون قاتلا.

و الحق يحتاج أنْ نسلط عليه ضوءا مناسبا و إلا صار كذبا، و لأنَّه الحقّ فيجب أنْ يكون مظهرُه و لباسه و عطره جميلا طيبا.

عندما نُقصِّر في وسائل نشر الحق أو بيانه فإنَّنا نساهم في ابتعاد الناس عنه، و نساهم في مزيد توغلهم في الباطل.

إذاً الإحاطة الملموسة بالمفاهيم الخاصة بكل فئة هي سبب الرؤية الشاملة و انتظام المنهج العلمي بحيث يسعى إلى الصوابية العلمية لكن بدون أن يؤثر على التناغم و الانسجام العلمي في القضايا العلمية المشتركة ، وفي النسيج الاجتماعي و السياسي للمسلمين.

لا شك أنَّ كثيرا منَّا قد لاحظ أنَّنا نعاني من عدم استقرار في منهج البحث فلا تحكمنا معايير موحدة أو قواعد مشتركة، و كتب التراث فيها تقلبات كثيرة ،وفي بعضها فوضى في نسقها الفني و ترتيب مواضيعها و عدم فصل حقيقي بين المواضيع المتشابهة، إضافةً إلى غموض الأطروحات و المفارقات و التناقض و الضبابية و الاضطراب في بعضها .

و أنا هنا لا أفعل سوى وضع مادة أمام عقلك و أنت و نفسك أختم بها سلسلة المنشورات عن العقل إلى أن يتجدد سبب.

موقف بعض أهل الحديث معارضة الاستدلال العقلي، بينما منهج ابن تيمية ~ الذي صرح به ~ هو: ما ثَبت بالكتاب و السُّنَّة و الإجماع حتمًا و يقيناً تُؤيِّدُه فطرة الله التي فَطَرَ عليها عبادَه وضرورة العَقل و نظره و استدلاله، فلا فرق عنده بين اليقين في الأوليات و اليقين في النص،ومهمتنا ~ بالنسبة إليه ~ هي كشف ذلك.

وعلى هذا كانت عنايتُه بالدراسات اللغوية و المنطقية و العقلية و الوجدانية .

هذا ما يُفَرِّقُه منهجيا عن جمهور المحدثين الذين يتوقفون عند الكتَابِ و السُّنَّةِ و

الإجمَاعِ استدلالا سمعياً وخطاباً، هم يستدِلُّونَ بهذه الأصول و هو يستدل لها بالفطرة و الضرورة و الاستدلال العقلي.

و السؤال المنهجي هنا : لماذا اختار ابنُ تيمية هذا المنهجَ ؟

الجواب: لأنَّه وجدَ الله في القرآن يستدعي في عباده: العَقْل، و التَّفَكُر، و الفطرة، ويحتج عليهم بذلك.

كما قال: {أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلا كَالأنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلا} [الفرقان]، و قال:{ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ }[الأعراف]، و قال:{ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ }[الملك].

فوجد القرآن قد مدح: التفكر، التدبر، التذكر، النظر [الفكر] الاعتبار، الفهم، العلم، العقل، السمع، البصر، النطق، يعني: مدح العلم و أسباب العلم الحسية، و أسبابه المعنوية.

ومن هنا عرف أنَّ جنس عدم العقل و الفهم لا يحمد في القرآن بحال ،بل يؤمر به أمر إيجاب أو أمر استحباب لكن ليس على العموم بل يفرق بين الأشخاص نوعاً و عينا، فبعضهم لا منفعة له في العلوم الدقيقة كالعوام و غيرهم، و بعضهم يمنعه من العلم النافع كناشئة طلبة العلم ، و بعضهم لأنه قد يضره بسبب عدم استعداد عقلي أو غيره.

و إذا كانت العلوم منها ما جنسها مباح كالعلوم العقلية لكن بعض أنواعها أو أعيانها كالفلسفة و علم الكلام الفاسد و التقليد الفاسد فاسدة، تمامًا كما أنَّ من العلوم ما جنسها و أعيانها محمود لكن تضر النفوس المريضة التي قد تخادع بها من أجل الرياسة على الناس و الجدال بالباطل، و مثل هذه الأسباب؛ فمن الضروري ملاحظة الفرق و اعتباره عند تفصيل الموقف من العلوم الدقيقة العقلية و الوجدانية و الاستدلال بها .

و عليه ،يجب أنْ نعرف أنَّ جمهور أهل الحديث و بالدقة غالبيتهم العظمى الذين لم يحققوا هذه المسألة لم يُفرق بين أهل المعرفة و التمكين بهذه العلوم فحكَّم حالة نفسه على حالة غيره ، يعني اعتقد عجز الجميع عن الإحاطة و التمكن منها،ثم لم يفرِّق بين أهل الحاجة من أهلها وهم الغالبية من المسلمين وبين من لا يحتاج إليها من أتباعهم.

وعلى هذا أوجب الإعراض عنها !

وهنا يجب أن يكون التقسيم باعتبار الزمن أي: حين استفحل أمر العقليات و الوجديات، أما في زمن التابعين فقد كانت اللغة العلمية واحدة ، فقد استعمل الأئمة كأحمد و الشافعي والدارمي الأدلةَ العقلية لكن الضرورية الفطرية فقط، و أضافَ ابن تيمية، و بعض السلفيون المعاصرون إلى ذلك الاستدلالَ العقلي المنهجي.

ما هي شبهات" اشتباه الأدلة" هذا الاتجاه ؟

1 ـ وجدوا أنَّ ما بعث به الله رسولَه صلى الله عليه و سلم فيه كل ما يحتاج إليه الناس من أمر دينهم، وهذا صحيح.

لكن الشيء لا ينظر إليه باعتبار ذاته فقط، بل كذلك باعتبار غيره، يعني: ما نُسميه في اللغة العلمية" الإطلاق و النسبية " فقد حدثت في الأمة مقالات كثيرة، و ليس كل واحد من المسلمين قد بلغته النصوص كلها، ولا كل واحد منهم يفهم ما دلت عليه بما يرد الخطأ في تلك المقالات.

وعليه، كان الصحيح الواجب أنه من اشتبه عليه الأمر في هذه العقليات فتوقف حتى لا يتكلَّم بلا علم أو حتى لا يتكلَّم بكلام يضر ولا ينفع أن يسكت، و قد أحسن غاية الإحسان، لكن ليس عليه أن ينهي من علم الحق فبيَّنه لمن يحتاج إليه ، فهذا الثاني أحسن منه و أطوع لله ولرسوله ، و في كلٍّ خير بشرط أن لا ينهي عمَّا لا يعلم حقيقته.

ولهذا لما روى يحيى بن آدم لابنِ المبارك عن ابن عبَّاس، قوله: " لا يزال أمرُ هذه الأمةِ مواتياً أو مقارباً، شكَّ الراوي، حتى يتكلموا في الولدانِ والقدَرِ".

قال له ابنُ المبارك: أفيَسكُتُ الإنسان على الجهلِ؟

وقد صدقَ ابنُ المبارك لأنه إذا وقعت الشبهةُ لم يكن الهُدى في السُّكوت، فالسكوت فيه السلامة قبل وقوع الشبهة و ليس بعدها، فمن التزم السكوت بعد وقوع الكلام فإما لعجزه عن الجواب و إما لعدم فهمه لكلام ابن عباس ~ رضي الله عنهما ~فقال له يحيى بنُ آدم: أفتأمرُ بالكلامِ؟

وهذه حيدة منه ~ رحمه الله ~ لأنه أجاب عن استفهام باستفهام، وهذا نصنعه عندما يكون الاستفهام ملزماً لنا، ولا نستحضر جوابه فنهمل الجواب عن السؤال و ننتقل إلى الاعتراض باستفهام آخر، إذ المفروض أن يجيبه بأحد جوابين : لا يسكت الإنسان على الجهل، أو يسكت الإنسان على الجهل،أو يُفصِّل، ولم يفعل أية واحدة من هذه

لأنه لم يكن يعرف إلا الكلام المذموم .
فسكتَ ابنُ المبارك، لأنَّ الكلام الذي سأل عنه يحي بن آدم كان مذموما فيه مغالطات كثيرة، فلو أمر بالكلام مطلقاً لتضمن إذنه الكلام بما فيه من أخطاء.
وربما نفهم جيداً إذا عرفنا أن مسألة " الولدان" لما وقعت تكلَّم فيها قتادة و ربيعة الرأي و لم يسكتوا لأنَّ الفتنة بها حدثت، و الواجب توفير الصواب للناس لكن الآلة الإعلامية في كل زمان تنشر مذهباً و تطمس آخر ، فأهل التحقيق هم دائما القلة.
ثانيا: هؤلاء نصبوا العلومَ العقلية و الوجدية الصحيحة عدواً للخبرِ، فُقصَّر دلالةَ الكتابِ على الخبرِ، لأنهُ لا يُفرِّقُ بين طريقِ وصولِ الدليلِ إلينا و بين مادتِهِ، فاخطأ في هذه القضية صنفان : صنف خاضوا فيها بدون اعتبارها بالكتاب و السنة و صنف أعرضوا عنها، و الحق عند غيرهما جملة وتفصيلا.
و بهذا المثال تفهم أنَّ مذهب كثير من السلفيين المعاصرين ما هو إلا عبارة عن سوء فهم لكلام الأئمة مع أنهم يريدون أن يكونوا على الحقِّ، بل هم مقتنعون أنهم على الحقّ ؟ !
فمثلا عندما جاء ابن تيمية إلى قوله تعالى: {وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ} [الحج].
وفسَّره بالتالي: فالحيُّ قوامه بطبيعته المستلزمة لحركته الإرادية ، وقوامها بالمراد لذاته، فإذا لم تكن حركتها لإرادة المعبود لذاته، لم يكن لنفسه قوام، بل تبقى ساقطة ، ولهذا يهوي في الهاوية ،وهي ذنب لا يغفر ، لأنه فسد الأصل كالمريض الذي فسد قلبه ، لا ينفع مع ذلك إصلاح أعضائه.
فمثل هذا الكلام عن "الإرادة و الحركة الإرادية" نعلم أنَّه ليس من بضاعة أهل الحديث، فلا نجد له أثراً عند من سبقه منهم، فلابد أنَّ شيخ الإسلام لما اطلع على كتاب الرازي ~ رحمهما الله ~ " أقسام اللذات" أدرك أنَّه موضوع ~ و إن كان مهماً ~ لا ينتمي للثقافة الإسلامية فتتبع مرجعيته،وهذا ما يصنعه العلماء الحقيقيون يتتبعون أصول الكلام و يعتبرونها بالمصدرين و بالعقل الضروري، و لذلك تكلَّم عن النفس و قوامها و طبيعتها و غير ذلك لما ناقش ابن سينا و نقل مذاهب الفلاسفة في ذلك، ومن ثم حتماً قرَّر أنْ يكتب قاعدته في ": المحبة" و قاعدته في " الإرادة" التي هي العمدة في بناء منهجه المعرفي في قضايا المعرفة كواقعية المعرفة و الوجود، و

في علم السلوك، وعلم النفس المعرفي عند الكلام عن الفطرة و الشعور و اليقين، و الشك ، و مادة الأدلة و غيرها.

وهذا نموذج حي عن فائدة العلوم الدقيقة في تفسير كلام الله و تقريبه للناس، و كشف الهدى الذي يحمله،ومثال حي عن توسيع المعرفة بالحقِّ و تعميقها بحسب حاجة الناس في كل عصر، وهناك أمثلة كثيرة جداً.

فموقف ابن تيمية من موقف جمهور المحدثين من علم الكلام لخصه بما نقله في " الدرء" من قول الخطَّابيّ في (شعار الدِّين): "الكلامُ المكروهُ الَّذي زجرَ عنهُ العلماءُ وعابُوهُ، هو التَّجرُّدُ في مذهبِ الكلامِ، والتَّعمُّقُ فيهِ على الوجهِ الَّذي يذهَبُ المتكلِّمون.))

و ملخص منهج ابن تيمية هو : يُكره العلم إذا كان كلاماً بغير علم، أو حيث يضر، فإذا كان كلاماً بعلم، ولا مضرة فيه فلا بأس به ، و إن كان نافعاً فهو مستحب، فلا إطلاق القول بالوجوب صحيح، ولا إطلاق القول بالتحريم صحيح ، مثله مثل التقليد و الاجتهاد ، فالاجتهاد جائز للقادر على الاجتهاد ، و التقليد جائز للعاجز عن الاجتهاد.

و بهذا نعرف أنَّ ذم الكلام مطلقا كما هو عند جمهور السلفيين المعاصرين ليس مذهبا لابن تيمية.

و بتحرير هذه المسألة نستخلص أربعة أمور:

1 ـ ليس كل أئمة الحديث أكفاء في التحقيق العلمي، فالمنهج العلمي الصحيح ليس الاستشهاد بأقوال بعضهم على صوابية القول إن لم تسعفه الأدلة و تؤكده، فمن ظن أن المنهج السلفي هو إقامة الشاهد من قول بعض المحدثين دون أنْ يكون مصدر الاستدلال الدليل المعتبر شرعاً فقد أخطأ المذهب.

2 ـ موقف غالبية السلفيين المعاصرين هو موقف جمهور المحدثين و لا علاقة له بمنهج ابن تيمية جملة و تفصيلا، تجمع بينهما النتائج فقط، لا المقدمات، و لا منطقية الاستدلال و ضروبه.

3 ـ هل هناك مسائل شبيهة ؟ نعم، في قضايا التصوف ـ و السياسة، و الأسماء و الأحكام، و معاملة المخالف و غيرها، سيأتي الحديث عنها مستقبلا بتفصيل و إسهاب.

4 ـ هل السني السلفي هو الذي لا يتكلَّم إلاَّ بالألفاظ الواردَة التي لا يُفهَمُ معنَاها أو

يعجز عن إفهامِ الناس بمعانيها بِلُغتِهم،أم من فَهِمَ معانِي النُّصوص، و دفع الخطأ المعارض لها بأي لغة أو مصطلح يفهمه الناس لا يعارض مدلوله الكتاب و السنة هو أحق بالسنة من غيره ؟

وكذلك نحن نعرف ~ مثلا ~ أنه قد أشار في عدة من كتبه [2] إلا مسألة التقصير في الدليل العقلي و اعتقاد أنَّ الشرع يدل بالخبر المجرد فقط، وهذه مشكلة جوهرية في تحليل اختلاف لغة الخطاب و آليات الاستنتاج ثم بالنتيجة في وضع العلاقة بين المذاهب الإسلامية في علم الكلام و قضايا الاعتقاد عموماً.

فإذا تغيرت لغة العلم في فترة ما، أو هيمنت لغة أو اصطلاح ما على فترة بحيث صارت لغة السلطة أو لغة تكفلها السلطة و صار أهلها القضاة و رؤساء المدارس العلمية كان التخلف عن اتخاذ موقف علمي منها يعني: اعتبارها و تقييمها بالكتاب و السنة ،ومن ثم التخاطب بها ~ على الأقل مع أهلها ~ تقصيراً علميا في حقِ الكتاب و السنة، و في حقِّ الأمة ،وفي حقِ المخالف الذي لا يفهم غيرها إذ الناس إما صاحب حقٍ عليه مسئولية بيانه لغيره، أو مخطئ يحتاج إلى من يرشده.

فلا يكفي أن تكون مصيبا ~ بغض النظر ~ عن حقيقة هذه الصوابية يجب أن تأخذ بالوسائل الكفيلة ببيان هذا الصواب لغيرك من المسلمين وغيرهم،فالحق يحتاج إلى لغة مفهومة للناس، و ليس على الناس أن يأتوا إلى لغتك فقد تكون لديهم شبهات عنها ~ ساهمت فيها ~ تمنعهم من اعتمادها.

وحامل الحق هو المسئول عن تبليغ الحقِ و بيانه، و الحقُّ يحتاج إلى أن نقدِّمه بجرعات غير قاتلة كالدواء إن لم نحترم الجرعات فقد يكون قاتلا.

و الحق يحتاج أنْ نسلط عليه ضوءا مناسبا و إلا صار كذبا، و لأنَّه الحقّ فيجب أنْ يكون مظهرُه و لباسه و عطره جميلا طيبا.

عندما نُقصِّر في وسائل نشر الحق أو بيانه فإنَّنا نساهم في ابتعاد الناس عنه، و نساهم في مزيد توغلهم في الباطل.

إذاً الإحاطة الملموسة بالمفاهيم الخاصة بكل فئة هي سبب الرؤية الشاملة و انتظام المنهج العلمي بحيث يسعى إلى الصوابية العلمية لكن بدون أن يؤثر على التناغم و الانسجام العلمي في القضايا العلمية المشتركة ، وفي النسيج الاجتماعي و السياسي للمسلمين.

لا شك أنَّ كثيرا منَّا قد لاحظ أنَّنا نعاني من عدم استقرار في منهج البحث فلا تحكمنا معايير موحدة أو قواعد مشتركة، و كتب التراث فيها تقلبات كثيرة ،وفي بعضها فوضى في نسقها الفني و ترتيب مواضيعها و عدم فصل حقيقي بين المواضيع المتشابهة، إضافةً إلى غموض الأطروحات و المفارقات و التناقض و الضبابية و الاضطراب في بعضها .

وكل هذا يحتاج طالب العلم إلى أنْ يحترز منه، و إلى أنْ يفصل بين العنف اللغوي الموجود فيها بسبب النعرات و المذهبية، أو الأذى الذي تعرَّض له بعض العلماء و بين المضمون العلمي الصرف.

وعلى هذا نقول: لقد تكوَّنت الصورة الذهنية ~ عن المخالف ~ المرتسمة في عقول الشباب من كل هذه العوامل: من عنف كلامي، شيوخ يفتقدون إلى النظرة الشاملة، لا يفرقون بين مقام الوصف و مقام الحكم، لا يقفون عند الأسباب الموضوعية لظهور المقالات،لا يفرقون بين المقالة و الشخص،حتى يخيل للشاب إذا ما نظرت إلى الصورة الذهنية ~عن المخالف ~ في عقله تجدها صورة آدمي بقرون شيطان ، مبغض للرسول، يعمل كل ما في وسعه لمعارضة السنة ؟

وهذه صورة بعيدة عن الحقيقة، جاءت نتيجة النفخ و تضخيم القضايا و المسائل و شيطنة المخالف بلغة التشنيع و الإثارة و المغالبة حتى أصبح خطابنا خطاب المتكالبين على بعضهم بعضا.

من المفروض أن يكون خطابنا علميا إيمانيا أبعد ما يكون عن الأيديولوجية فيقبل النقاش و الحوار ، حتى ولو كنا مقتنعين بصوابيتنا يمكن أن نعتبر النقاش مع غيرنا بيانا و شرحا ، و إن اعتبره هذا الغير نقاشا تأسيسيا.

لا مانع من أن تحتفظ برأيك، و أن تفتخر به بأدب ومودة للمسلم، فليس شرطا في قول الحق الإسراف في التشنيع.

نحتاج إلى إعادة ترتيب القضايا المعيارية، و أنْ نُفرق بين النظرية منها و العملية، و أيها تدخل في مقومات وجود الأمة و فعاليتها، و الأخرى التي هي من كمال الوجود و التحقق.

لا يجب أن نقع في فخ تداعيات حصد النجاح في مجال أو مجالين و نهمل الشعور بالشبع من الإخفاقات التي باتت تلاحقنا في مجالات كثيرة ، و ليس على من يشعر أنه

أقلية أن يقاوم مقاومة المنهزم: دوامة الصمت، بل يجب أن نمضي إلى معركة النقد و التحقيق، فما لم نفعله نحن سيفعله أعداء الدين وحينها النتيجة ستكون وخيمة ، و دعوكم من حجج المتعصبة فالنقد العلمي بالوسائل الشرعية لا يخدم إلا الحق، والحق لا يخدم أعداءه.

أفضل ملخص ـ في نظري ـ عن العبقرية العقلية لابن تيمية هو ما قاله الدكتور محمود يعقوبي في الفصل الثالث:(نقد المنطق بعد ابن تيمية) {ص:230}:

((وقد تبيَّن لنا من خلال تتبُّع هذا النَّقد أنَّ صاحبه على بيِّنة تامَّة مِن آراء خصومه، و أنَّ له معرفة عميقة بالإسلام عقيدته و شريعته، و أنَّ له نظرا ثاقبا و غيرة متبَّصرة على الإسلام ولدا فيه روح نقدية قد عدَّها بعض المفكرين الإسلاميين المحدثين ضربا من النعرة[الأستاذ إبراهيم مدكور في"أورقانون أرسطو" الَّتي تكون قد صغَّرت في عين صاحبها منطق اليونان و فلسفتهم، إلاَّ أنَّنا نعتقد أنَّ شيخ الإسلام ما كان لينقد المنطق اليوناني لولا حرصه على حماية الدِّين الإسلاميِّ ممَّا شأنه أن يفسد أصوله، ويهوِّن عليه التحوُّل عنها عن طريق ممازجة الصَّحيح للفاسد، ومداخلة الفطري للاصطناعي، ومصاحبة المنطق للميتافيزياء اليونانية عامَّة و المشائية خاصَّة.

لقد انبرى لنقد المنطق المشائي لأنَّه سبق له أن نقد الفلسفة اليونانية الَّتي كان خصوم الإسلام يستعملون بعض آرائها للطَّعن فيه، والَّتي وجد هو أصولها دعائم استتند إليها المنطق الأرسطي وخليفته المنطق المشائي حتَّى في ثوبه الإسلاميِّ الأول.

إنَّ نقد الإمام ابن تيمية للمنطق المشائي جزء مِن نقده الشامل للفلسفة اليونانية، و إذا كان بعض النَّاس يعدُّون الحماسة في النَّقد عيبا، فإنَّ هذا العيب إن جازت نسبته لسلوك الناقد، فإنَّه لا يمكن نسبته إلى طبيعة النَّقد و قيمته، فالقول الحقُّ لا تعيبه اللهجة الَّتي يقال بها، ومع ذلك فإنَّنا لا نرى أنَّ غيرة ابن تيمية على دينه هي وحدها الَّتي جعلت منه ناقدا للمنطق المشائي، إذ الغيرة على الدِّين هي الَّتي حرَّكت جميع مَن أفتوا مِن أئمَّة الإسلام بتحريم الاشتغال بالمنطق المشائي تعليما و تعلُّما، لكنَّنا نرى أنَّ الروح النَّقديَّة المتأججة و المعرفة الدقيقة بمسائل المنطق المشائي و أصوله، و بالعلوم العقليَّة عامَّة، و الدراية الشاملة بالعلوم النَّقليَّة، هي الَّتي عندما اجتمعت فيه جعلت منه ناقدا للمنطق المشائي".

غمز العلماء..!

....

كلنا لا نميل إلى بعض العلماء، أو لنا اعتراضات على طريقتهم، وكلنا نعرف النقائص التي يعاني منها التكوين في العلم الشرعي،(ليس في العلم الشرعي ولكن في المكملات).

وكلنا نعلم الحاجة الملحة إلى أن يسعى العالم لتطوير علمه وتثقيف نفسه للارتباط بالواقع.

لكن هذا شيء والطعن عليهم مطلقا الذي له ظاهر وباطن فالطعن في العلماء مطلقا طعن في خيار الأمة،ومن هنا عظمت فتنة غلاة التجريح وفتنة العلمانيين.

ومعلوم أن بعض الناس يتحاشى مهاجمة النصوص خوفا من ردة الفعل من العلماء وطلبة العلم فيهاجم العلماء مطلقا ،يعني كل العلماء، وهذا خطير يشبه من بعض الأوجه القول بخلو العصر من أهل الحق .

وفي الغالب (إن لم تكن زلة لسان) عندما يغمز شخص العلماء مطلقا فلانهم متمسكون بما يخالف رأيه وهواه، في الغالب أحاديث لم يجد وسيلة صريحة لمعاندتها.

وهذا أسلوب علماني مفضوح أكثر منه أركون، لا يضرب النص مباشرة، يهاجم العلماء ويضرب كفاءتهم ليضع المعنى الذي يريد على النص!

قد يقع و نغمز عالما في علمه لموقف أو اجتهاد خاطئ وقع منه، أو بسبب بغيه وعدوانه على غيره من العلماء لكن ان نجعل كل العلماء في سلة واحدة فهذا إما ينم عن مشكل مع وظيفة العلماء يريد مزاحمتهم ببضاعة لا يقبلها العلماء أو يشكون فيها، و إما هو زلة سببها الإدمان على الشهرة.

فلقد شكلت مواقع التواصل الاجتماعي وفقا للعقلية والنفسية الغربية يعني لابداء الرأي بدون تحفظ، ولما أدمنا عليها صرنا بدون شعور نجد أنفسنا مدفوعة للتعليق اليومي على الأحداث و أحيانا لا يأتيك الإلهام، ولا تجد ما تقوله فتتكلف،ومن هنا تأتي السقطات.

لا يمكن استبدال علماء الشرع بالمثقفين في صناعة وعي الأمة الديني.

مشاكل التعلم... ؟

.....

آفات العلم _ خاصة عزيز العلم_ الملل لتشعب الطالب بين أنواعه فلا يدري على أي علم يقبل، أو تستعصي عليه بعض العلوم الدقيقة فيقفل راجعا عنها ويترك طلبها.

وهنا يجب الإشارة أن على طالب العلم منهجين يلتزم بهما:

المنهج الأول: ويكون في بداية الطلب يحاول أن يأخذ من كل علم أفضله و أحسنه كما قال الشعبي:" قال مجالد: سمعت الشعبي يقول:" العلم أكثر من عدد القطر فخذ من كل شيء أحسنه".

في ظني يبدأ بتشكيل قاعدة ثقافية شرعية تسمح له بأن يقف على قدميه، يكون لبها ما يجب عليه من العلم.

المنهج الثاني: قال ابن قتيبة في كتاب"تأويل مختلف الحديث":"على أن المنفرد بفن من الفنون لا يعاب بالزلل في غيره و ليس على المحدث عيب أن يزل في الإعراب، ولا على الفقيه أن يزل في الشعر، و إنما يجب على كل ذي علم أن يتقن فنه إذا احتاج الناس إليه فيه."

يبدو لي أن التخصص في فن واحد مزر بفهمه، ولكن عليه الجمع بين العلوم المتجانسة، والتي قد تكون علمين أو ثلاثة، فمثلا :لا يستقيم الاختصاص في العقيدة أو مقارنة الأديان بدون الفلسفة والمنطق.

والمقصود من الاختصاص توفير الوقت والجهد ليتقنها جيدا.

العجز عن التوبة.. ؟!

....

جميع النفوس لابد أن تذنب ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم :(أتبِع السيئة الحسنة تمحها).

و السيئة لا تخرج من القلب إلا بحسنة من جنسها، والبول يستحيل بكثرة صب الماء عليه.

{أَقِمِ الصَّلاَةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ، إِنَّ الحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ} [هود:]

فمعرفة النفس ما يخلصها من الذنوب و آثارها من التوبة و الحسنات والكفارات و العقوبات من أعظم فوائد الشريعة[02]
إذا اتبع الإنسان شهواته استولت على قلبه وقهرته، و يصبح اسيرأ لها، يصرفه هواه في طلبها.
و الرادع إما محبة تامة لله تعالى، و إما خشية تامة.
وإذا ابتلعت الشهوات القلب قهرته وعجز عن الامتناع منها، وقوله تعالى :{فذرهم في غمرتهم حتى حين} يعني فيما يغمر قلوبهم من الشهوات التي تمنع المسارعة في الخيرات والعمل الصالح.
الصبر على المحرمات واجب و إن كانت النفس تشتهيها ،قال الله تعالى :{وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله} والاستعفاف ترك المنهي عنه.
والصبر على المحرمات أفضل من الصبر على المصائب، والمسلم يصبر على فعل الصالح ويصبر على ترك الطالح.
وقد أخبر الله تعالى في القرآن أن المخلصين من عباده هم من ينجو من السيئات :{فبعزتك لاغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين}
إذا عرفنا هذا فلماذا يشكو بعض المسلمين من الغرق في الذنوب بحيث يعجزون عن تركها رغم أنهم يعرفون كل نص ورد فيها، ويعرفون الخطر من الموت عليها، ومع ذلك لا تتجاوز توبتهم منها حد الاستغفار، ثم يعودون إليها كأنهم مدمنون عليها، لا يستطيعون الإقلاع عنها!
و الحمد لله أن الاعتبار بكمال النهاية، وهذا الكمال يحصل بالتوبة والاستغفار، والتوبة من الذنوب واجبة، و النصوص في ذلك كثيرة.
فما هو السبب يا ترى؟
وهل هي مشكلة في ضعف محبة الله، أو مشكلة قلة خشيته، أم مشكلة خلل في الإخلاص، أم غير ذلك مثل: عدم الصبر ؟
ولماذا لا يستطيع هذا الإنسان الصبر عن المحرمات؟
فمن أين يأتي الصبر؟
ملاحظة :مشي أنا نحاجي ونفك، شاركوا برأيكم فقد ينفع الله اناسا ضاق بهم الحال.
....

1 _ خرجها أحمد (5/153، 158، 177) والدارمي (2794) والترمذي (1987) .
2 _ التحفة العراقية.

سباب العجز عن التوبة: المقدمة
علم النفس التيمي في العصر الحديث؟

....

الحمد لله و الصلاة و السلام على رسول الله.

كنتُ قد سألت في المنشور الأخير عن «سبب العجز عن التوبة" وجاءت الإجابات مختلفة متنوعة، وتقريبا كلها صحيحة تكشف لنا زاوية من الموضوع، ومع ذلك لا يمكن الإنسان المذنب أن يجد فيها خلاصه لأنها إما معهودة عنده، سمعها مرارا مثل: ضعف الايمان، ونقص محبة الله، وقلة خشيته وهكذا أمور، وإما أنه لم يبلغ درجة معرفة كيف يصلح هذه الأمور.

الذي أود الوقوف عنده هو كيف تشتغل الذنوب فينا والآليات النفسية للتخلص منها، فتقريبا الفشل الإنساني له أسباب واحدة مشتركة وإن فارقه الفشل في الطاعة بأسباب خاصة به.

وقد تعلمت في هذه الدنيا ثم من مادة ابن تيمية ـ رحمه الله ـ السلوكية أن المشكلة في قضيتين:

الأولى: نحن ندعو الله بأن يساعدنا على الطاعة وترك المعاصي، ونستغفر مئات المرات يوميا ونتوب إليه باللسان لكننا لا نفزع إليه، نسأله سؤال الجالس على أريكته الذي لا يبالي في الحقيقة إن استجيب لدعائه أو لم يستجاب له، لا يوجد في قلبه حرص الفازع من الهول الخائف من الهلاك.

المقصود أنه إن لم تظهر فقرك الشديد وحاجتك إلى الله تعالى ولم تشعر بالفزع من ويلات المعاصي فسيكون دعاؤك ضعيفا.

الثانية: كما أن فاكهة اللسان الغيبة والنميمة فإن سكاكر النفس المعاصي، وما لم يتحول الطفل فيك إلى رجل ستطلب نفسك السكاكر بنهم ولن تشبع، والرجولة في فطام النفس، وفطامها في ألم الصبر عن الشهوات المحرمة وعن محارم الله.

واعلم أنه لا توجد وصفة سحرية تخبر بها فتصير صديقا، وأن زمام الأمر في الصبر، ومبنى الصبر على الإرادة الصالحة، ومبنى الإرادة الصالحة على شيء آخر، وإلا ستموت على ذنوبك، والشر حاصل منك لا محالة إلا أن يشاء الله أمرا.
وهذا ما سنعرفه في المقالين القادمين إن شاء الله تعالى، أما هذا فهو لرد الفضل إلى أهله:
يعرف عالم البحوث العصبية والنفسية البروفيسور "أنطونيو دامسيو" برتغالي متخصص في "neurologie" و "neurosciences" وعالم نفس، متأثر بـ "سبنوزا".
اهتم بقضايا الإدراك المعرفي والسلوك، وأهمية الانفعالات والشعور في عملية الإدراك المعرفي، من أقواله: لا أؤمن بحواسيب لها وعي.
له عدة كتب في الباب منها: كتاب بعنوان "شعور الذات نفسها"، وكتاب "خطأ ديكارت" بحث فيه سبب الانفعالات والاعتبارات لدور الانفعالات في التفكير واتخاذ القرارات انطلاقا من دراسة حالة phineas cage [1823/1860] والذي كان مراقب أعمال في السكك الحديدية في أمريكا، وقع له حادث تمثل في دخول قضيب حديدي طوله متر ووزنه 06 كلغ في جمجمته من أعلى إلى أسفل، أضر بالفص الجبهي اليسار وغيَّر شخصيته وطباعه وسلوكه الاجتماعي والشخصي.
رد عليه بخصوص كتاب " خطأ ديكارت" دونيس كامبوشنر " في كتابه "ديكارت لم يقل شيئا" حيث اتهمه بعدم قراءة وافية ومتأنية لديكارت وأنها خاطئة!
نشر سنة 2003 م كتابه الأبرز "لقد كان سبنوزا محقا، دماغ الفرح والحزن والانفعالات"، جمع كل دراساته السابقة، وركز على تعريف الشعور ودوره في التجربة الإنسانية، وأن الانفعالات والشعور جزء من العقل خلافا للمشهور عن ديكارت.
ينتقد في هذا الكتاب الغرب على أنهم لم يأخذوا من فلسفة سبنوزا إلا الانفعالات والشعور وسيلة لتغذية الحياة، ولم ينتبهوا إلى دور الألم واللذة في المعرفة الإنسانية.
يقول في مقدمة هذا الكتاب: مشاعر الألم واللذة أو أي صفة من هذا القبيل تشكل ما تحت قواعد عقلنا، في الغالب لا ننتبه إلى هذه الحقيقة الأساسية الأولية لأن الصور الذهنية للأشياء والأحداث التي تحيط بنا، وكذلك الصور المشتركة مع الكلمات

والجمل التي تصفها تمتص جزءا كبيرا من انتباهنا المحمل بزيادة.
لكن هذه المشاعر حاضرة مرتبطة بجماعة من الانفعالات والحالات الروابط.
هي الموسيقى التي تسكن بدون انقطاع عقلنا، الطنين المستحيل توقيفه للألحان الكلية التي لا تموت إلا عندما نذهب للنوم.
وهذا الطنين يكون أغنية مطربة عندما يغزوننا الفرح، وترنيمة عندما نحزن.
نظرا للحضور الكلي (الوجود في كل مكان في جميع الأوقات) للشعور كان يمكن أن نعتقد أن العلم عرفها وعرف وظيفتها من زمن طويل، ولكن ذلك لم يحصل!
من ضمن كل الظواهر الذهنية التي يمكن أن نصفها، التي لا نفهمها بصورة أفضل بالمعنى البيولوجي هي الشعور ومستلزماته الضرورية (مواده): الألم واللذة.
والعجيب أن المجتمعات المتطورة تزرع بوقاحة المشاعر، وتسخر إمكانيات كثيرة وجهودا للتحكم فيها: الكحول، المخدرات، الأدوية، الجنس الحقيقي والوهمي، كل أشكال الاستهلاك والممارسات الاجتماعية والدينية بحثا عن الرضا.
نرتب مشاعرنا بالحبوب" الأقراص"، المشروبات، ومراكز إعادة التأهيل، قاعات الرياضة، والتمارين الروحية، لكن لا الجمهور ولا العلماء في وضعية لضبط ما هي المشاعر بيولوجيا نتحدث.
ما هي الانفعالات، الشعور؟ الفرح والحزن خصوصا، هي مفاتيح بقائنا وراحتنا النفسية، ليس هذا فقط ولكن العملية التي تفسرهما هي التي تحمسنا وتساعدنا على إنتاج ابداعاتنا الأكثر روعة: الفن، السلوك الأخلاقي، القانون الحقوق، تنظيم المجتمع".
من قرأ ابن تيمية يعرف قيمة هذا الاعتراف من شخصية بهذه الأبعاد في العالم المعاصر.
درس عدة قضايا تهم الإدراك المعرفي مثل: هيكل الشعور وأثر التغيرات في اللذة والألم، والضحك المفاجئ، وتجارب أجزاء الدماغ المتضررة، يحاول أن يثبت بدراساته أن للدماغ علاقة بالشعور أيضا.
أشاد بـ " سبنوزا" كثيرا لأنه الفيلسوف الذي بخلاف ديكارت لم يفرق بين الروح والجسم وعالج طبيعة الانفعالات والشعور وعلاقة العقل بالجسم، وكان من أوائل من انتبه في الغرب إلى أن الفرح شيء، والشيء الذي يسببه شيء آخر، يعني: الانفعال

يسبق الشعور.
وكذلك لكونه ذكر أن مقاومة عاطفة سلبية قوية يكون بعاطفة إيجابية قوية يأتي بها التفكير العميق، بالنسبة لسبينوزا هذا الشكل الوحيد للحرية وفقا لجبريته وحتميته الوحدوية.
في الحقيقة و إن كان دامسيو استفاد من سبنوزا في تفسير نتائج تجاربه على الدماغ وجسم الانفعالات لم يفهم فلسفته جيدا فيما يخص علاقة الروح بالجسم و هذا لصعوبتها من جهة و لكونها كجميع نظريات وحدة الوجود هي مجرد كينونات لفظية فالروح عند سبنوزا مجرد وضع للجسم، أو الموجود في وضع روح. ربما تكون لنا فرصة نتكلم فيها عن نقد فلسفة سبنوزا.
المقصود أن ما انتهى إليه «داماسيو" من كون العالم لم يعرف قيمة الانفعالات وبالضبط اللذة والألم في التكوين المعرفي لإنسان، وكون الانفعال يسبق الشعور غير صحيح بالمرة، بل كلام ابن تيمية في تعلق المعرفة الفطرية بالنفس من حالاتها الثلاث: الحالة الانفعالية، والحالة الفاعلة، والحالة العقلية وأهمية الدور المعرفي للإرادة واللذة والألم أدق وأشمل من كلام سبنوزا بل ومن نتائج البروفيسور "دامسيو".
يقول ابن تيمية مثلا:" الموجودات المتصورة إما أن يتصورها الإنسان بحواسه الظاهرة كالطعم واللون والريح والأجسام التي تحمل هذه الصفات، وإما أن يتصورها بمشاعره الباطنة كما يتصور الأمور الحسية الباطنة الوجدية مثل الجوع والشبع والحب والبغض والفرح والحزن واللذة والألم والإرادة والكراهة والعلم والجهل «الرد على المنطقيين 52.
يقول أيضا: " إن مقصود الحياة هو حصول ما ينتفع به الحي ويستلذ به، والحي لابد له من لذة أو ألم، فإذا لم يحصل له اللذة لم يحصل له مقصود الحياة فإن الألم ليس مقصودا "14/298.
ولأهمية هذين العاملين الضرورية في بناء معرفة الإنسان وأخلاقه ورؤيته الجمالية وآدابه يقول ابن تيمية: «إذا تبين هَذَا فَاعْلَم ان اللَّذَّة وَالسُّرُور أمْر مَطْلُوب بل هُوَ مَقْصُود كل حَيّ وَكَونه امرا مَطْلُوبا ومقصودا امْر ضَرُورِيّ من وجود الْحَيّ وَهُوَ فِي الْمَقَاصِد والغايات بِمَنْزِلَة الْحس والعلوم البديهية فِي المبادئ والمقدمات" الاستقامة،

2/148.
المهم نصوص ابن تيمية في هذه المسائل تفصيلا وتأصيلا كثيرة جدا، وعليها أقام منهجه المعرفي المبني على فطرية المعرفة، وهي تأصيلات قمة في الروعة، لم يصل إليها الغرب إلا هذه الأيام، وفي نظرية علمية بحتة غير مكتملة، ويشوبها كثير من الفجوات لكنها تشهد على عبقرية المسلمين وعلى متانة نظامهم المعرفي وانه رباني المصدر يجمع بين الفطرة الإنسانية والوحي في تكامل عجيب.

....

1 ـ ا لإحساس هنا بمعنى تجربة اللذة والألم وليس الحس الخارجي يعني الشعور.

2 ـ في بعض الكتب التي درست المنهج المعرفي عند ابن تيمية مقدمة جيدة لفهم هذا الجانب النفسي في المعرفة عند ابن تيمية ربما هو أول واهم موضوع يمكن أن تفهم به ما معنى أن تكون معرفة الله فطرة في الانسان بعيدا عن التفلسف في حفرة.

المراجع :
1_ سبنوزا كان محقا، الفرح والحزن، دماغ الانفعالات، طبعته في الأصل مؤسسة هارتكور تحت عنوان : looking for Spinoza :Joy, sorrow and the feeling brain سنة 2003 ،ترجمه جون لوك فيدال لمؤسسة أوديل جاكوب سنة 2004 ،باريس.
2 _ الشعور بالنفس ،الأجسام ،الانفعالات ،الوعي سنة 1999ترجمته نفس المؤسسة سنة 1994، نفس المترجم.
3 _ خطأ ديكارت، سبب الانفعالات، سنة 1994،ترجمه نفس المترجم لنفس المؤسسة سنة 1995.

القراءة الجديدة... ؟

....

منذ سنتين تقريبا تهيأت لي _بفضل الكتب على صيغة(epub) التي تقريبا تصلني كل يوم ما بين كتابين إلى ثمانية _القراءة السريعة بحيث يمكنني قراءة كتاب في اليوم،و أحيانا أكثر بحسب الحجم والرغبة بالطريقة التالية :

في هذا النوع من الكتب الفهرس مجموعة روابط بالضغط على العنوان تنتقل إلى الفصل، وكذلك على رقم الهامش، فاقرأ المقدمة ،ثم اتفحص الفهرس، وأقرأ العناوين التي تثير عندي فضولا، أو التي لها علاقة بأفكار موجودة عندي.

و استكشف كذلك العناوين التي استغربها أو أتعجب منها ،وفي الغالب الأفكار الجديدة و المثيرة تظهر من عنوانها.

بمجرد أن أضغط على العنوان، و ينقلني إلى الفصل أميز بسرعة إن كانت الأفكار جديدة تستحق القراءة أم لا؟

ثم أختم بقراءة الخاتمة، فأنا لا أقرأ إلا الموضوعات التي تهمني، وتحديد ما يهمك يرجع إلى سعة الثقافة ونوعها وطبيعة الأسئلة التي تشغل ذهنك.

في الغالب لا يأخذ مني الكتاب أكثر من ساعة، و إذا وجدت فيه ضالتي أنسخها مباشرة على الهاتف، و أول ما أفتح الحاسوب أنقلها إليه بعنوان واضح، قد أضيف ملاحظاتي وقد لا أفعل شيئا.

من المهم جدا أن يكون عنوان الملف دالا على الفكرة ليسهل عليك استخراجه عند الحاجة.

هذه الطريقة ممكنة حاليا باللغات الأجنبية فقط، فعلى منهدسي الإعلام و مؤسسات البحث العلمي ومراكز التفكير الإسراع في خدمة الكتاب العربي بهذه البرامج، لأنها تطور الطرق الجديدة في القراءة، وتسمح للقارئ بمسايرة الجسم المعرفي الذي يكبر باستمرار.

لا يوجد كتاب يستحق القراءة من أوله إلى آخره إذا كنت قارئا كبيرا، لأن المواد تتكرر في الكتب إلا القرآن وكتب الحديث النبوي.

بطبيعة الحال هناك كتب تأسيسية للمعرفة تقرأ كلها، لكنها كتب نقرأها في البداية، و نعتبرها مصادرا دائمة نرجع إليها لمراجعة المعرفة أو للبحث.

إذا ركزت في هذا الصيف مثلا على تعلم لغة أجنبية بطريقة علمية، وليس بطريقة السياح فستوسع قدرتك على تثقيف نفسك، وعلى الرجوع إلى المصادر بدون وسيط.

والأهم ستتمكن من متابعة الفكر في العالم وتقوم بعملية تحديث (mise à jour) ثقافتك.
و بطبيعة الحال هذا الكلام موجه للمهتمين بالفلسفة والعلوم الإنسانية والفكر عموما في انتظار أن يخدم الكتاب الإسلامي بهذه البرامج لأن ثمن هذه الصيغ الإلكترونية زهيد، وكثير منها تحصل عليه بالمجان إذا عودت نفسك الصيد على الشبكة.
إن كنت حلزونا فلا تبتعد عن بيتك!

لماذا عليك أن تكتب..؟

....
"وحين كتبت هذا الجواب لم يكن عندي من الكتب ما يستعان به على هذا الجواب فإن له موارد واسعة" ابن تيمية، مجلد السلوك (10/428).
يقصد أن التوسع في الموضوع واستغلال كل إمكانياته يحتاج إلى مراجع خاصة :مراجع الحديث ،ثم الكتب التي تناولت الموضوع و نقلت الأقوال، إما للاستلهام منها ،و إما للتعضيد.
قيل الكثير عن الكتابة، ومما يقال أيضا :إذا أردت أن تفكر تفكيرا علميا فاكتب، فإن التفكير بدون كتابة يشبه التنفس (لا إرادي) وهو رد فعل آلي فينا، ليس تفكيرا بمعنى الكلمة.
التفكير العميق بدون كتابة ممكن، يقوم به بعض الأشخاص ، يشبه اللغة عند العرب قبل تدوين علومها،ونجده في حالات خاصة.
تأتي الأفكار مع الكتابة،لأن الكتابة تسمح بالتعمق من خلال الاستنتاج، في الكتابة تتقدم الفكرة.
تلزمك الكتابة بالتعريف و الترتيب و الاستدلال غير العشوائي.
لهذا لا يكون النص النهائي مقصودا إلا في مراحلها الأخيرة المقصود ماذا سيولد أثناء الكتابة.
الكتابة هي فعل منتج ومنظم للأفكار الأولية، للخواطر، للأسئلة.
قد تكتب لتفكر في موضوع، مثل الذي يقرأ ليطرد هما، أو يكتب ليسلي نفسه، وقد تكتب لتتواصل مع الناس.

الكتابة هي جمع شتات الأفكار، حيث تستدعي من الذاكرة كل ما قرأت و سمعت ورأيت، أجزاء أفكار تبحث عن أَنصافها المفقودة، تسعى كصاحبها للكمال ، القطع الضائعة في العقل ترحل في زواياه تبحث عن قافلة تنظم إليها،عن رفقة توصلها إلى جهة تقصدها لتستقر.

من الكتابة استرجاع بضاعة ألقيت في المهملات لنعيد تدويرها، نعاود التفكير فيها، لأن معطيات جديدة أو سؤلات حديثة قرعت النفس.

تحضر رغبة التواصل بالكتابة بحسب مستثير الكتابة ،فالكتابة بعد السؤال من شخص، من حدث، غير الكتابة نتيجة سؤال داخلي.. عند بعض الأشخاص تسبق الكتابة الخاصة الكتابة للغير،لكن مهما كان فأنت تكتب لنفسك لأنك قارئ نفسك قبل أن يقرؤك الغير.

التفكير بواسطة الكتابة لا يعني أنه لا يسبقها، فالتفكير هو تنظيم أفكار واستثمارها لصورة نهائية،و التفكير الهادئ غير التفكير في القضايا الملحة، في الاستشكالات التي لا تفارق عقلك حيث تجد الأفكار تتطاير في عقلك، تصطدم مع بعضها فتترابط أو تتنافر ،بحثا عن بنات جنسها، تلتف حول سؤال وتضغط عليه، هنا يكون العقل حبلى ينتظر الكتابة ليلد القصة كاملة.

في هذه الحالة تشعر _كما يقول أحدهم _كأنك ممسوس، لا يتوقف عقلك عن الاشتغال، و الأفكار تنقدح فيه كان أحدهم يلعب في داخل عقلك بقداحة، فيتطاير فيه الشرر في كل مكان فتقوم بجمعه قبل أن ينطفأ ثم تبسطه في الكتابة.

الكتابة أنواع :العلمية تكون كمسودة، و الفكرية تكون خلاقة، والتعليمية هي إعادة كتابة بحوث خاصة، معلومات جمعت من قبل.

أكتب فلن يكون عقلك بعد الكتابة كما كان قبلها، اكتب أي شيء، فقط كن جادا في الفكرة، قاصدا خيرا ،ولو كان الأسلوب تهكميا.

تمرن على الكتابة فإنما خلق القلم ليتعلم الإنسان ما لم يكن يعلم، و ليكتب الإنسان عن درس الألم والحلم.

لكن تذكر قوله تعالى : {فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ} [البقرة].

الإنسانية العلمانية أو فعل الشيء لغير الله تعالى ...؟

تعلم العلم لذاته نموذجاً

سأل أبو داود الإمام أحمد بن حنبل: طلبتَ هذا العلمَ -أو قال-: جمعتَه لله؟ فقال: لله عزيز، ولكن حُبِّب إليَّ أمر ففعلته.

قد يحبب الشيء للعبد بشكل لا يصبر عنه فيطلبه لا لله تعالى ولا لأحد غيره، وهذا ليس مذموما ولكنه يدخل في تسخير الله لعباده في أشياء لحكمة منه يقضي بها من الخير ما لم يعلمه إلا هو.

وهذا يشبه الغرائز التي بدونها كان النوع البشري ينقرض، فييسر الله عباده لحكم جليلة فيحبب إليهم تلك الفضائل أو الأعمال، ويجعل فيها من اللذة ما يتحملون لأجله الألم ويفوتون ملذات كثيرة من أجل تلك اللذة العظيمة.

ومن ذلك قول المأمون: " لقد حبب إليَّ العفو حتى خشيت ألا أؤجر عليه".

بهذا الأصل نفهم دعوة " الإنسانية" ودعوة «فصل الأخلاق عن الدين" يعني أن الانسان الغربي وجد في نفسه ميلا للإحسان ولبعض الفضائل فظن أن مصدرها تقدم الإنسان، وأنها من طبيعته ليس مصدرها الدين، ولم يعلم أنها فطرة بدون وحي تتيه في وديان أهواء الانسان وتختلط بطبائع البهيمة، وترتد على نفسها فتمسخ الفطرة الدنيوية الفطرة الدينية التي فيه، وأن هذه الميول الفطرية للأخلاق الإنسانية تحتاج دائما إلى الوحي ليغذيها ويحفظها من الانحراف والمسخ.

وهذا مثل قول الشافعي :"طلبنا هذا العلم لغير الله فأبى أن يكون إلا لله"

وقد تتبعت شرح هذا القول فلم أجد شرحا جامعا، داخلا في قاعدة كلية مثل شرح ابن تيمية ،قال في "جامع الرسائل" :

والمقصود هنا أن محبة هذه الأمور الحسنة ليس مذمومًا بل" محمودًا، ومن فعل هذه الأمور لأجل هذه المحبة لم يكن مذمومًا ولا معاقبًا، ولا يُقال :إن هذا عمله لغير الله، فيكون بمنزلة المرائي والمشرك، فذاك هو الشرك المذموم.

وأما من فعلها لمجرد المحبة الفطرية فليس بمشرك، ولا هو أيضًا متقربًا بها إلى الله، حتى يستحق عليها ثواب من عمل لله وعبده، بل قد يثيبه عليها بأنواع من الثواب: إما بزيادة فيها في أمثالها، فيتنعَّم بذلك في الدنيا.

ولهذا كان الكافر يُجزى على حسناته في الدنيا وإن لم يتقرب بها إلى الله، ولو كان فِعْل كل حَسَنٍ إذا لم يُفعل لله مذمومًا يستحق به صاحبه العقاب لما أطعم الكافر

بحسناته في الدنيا إذا كانت تكون سيئاتٍ لا حسنات.
وإذا كان قد يتنعّم بها في الدنيا ويُطعم بها في الدنيا، فقد يكون من فوائد هذه الحسنات ونتيجتها وثوابها في الدنيا أن يهديه الله إلى أن يتقرب بها إليه، فيكون له عليها أعظم الثواب في الآخرة.
وهذا معنى قول بعض السلف : طلبنا العلم لغير الله فأبي أن يكون إلا لله.
وقول الآخر لما قيل له: إنهم يطلبون الحديث بغير نيَّة، فقال: طلبهم له نيَّة، يعنى نفس طلبه حسن ينفعهم.
وهذا قيل في العلم لخصوصيته، لأن العلم هو الدليل المرشد، فإذا طلبه بالمحبة وحصَّله عرَّفه الإخلاصَ لله والعملَ له."
ثم شرح أصل المسألة في موضع آخر شرحا تفصيليا في مبحث اللذة والألم و الفطرة فقال :
" فيما إذا كان في العبد محبة لما هو خير وحق ومحمود في نفسه، فهو يفعله لما فيه من المحبة له، لا لله، ولا لغيره من الشركاء، مثل: أن يحب الإحسان إلى ذوي الحاجات، ويحب العفو عن أهل الجنايات، ويحب العلم والمعرفة وإدراك الحقائق، ويحب الصدق والوفاء بالعهد وأداء الأمانة وصلة الرحم.
فإن هذا كثير غالب في الخلق في جاهليتهم وإسلامهم، في قوتي النفس العلمية والعملية، فإن أكثر طلاب العلم يطلبونه محبة، ولهذا قال أبو داود للإمام أحمد بن حنبل: طلبتَ هذا العلمَ -أو قال-: جمعتَه لله؟ فقال: لله عزيز، ولكن حُبِّب إليَّ أمر ففعلته.
وهذا حال أكثر النفوس، فإن الله خلق فيها محبة للمعرفة والعلم وإدراك الحقائق، وقد يخلق فيها محبة للصدق والعدل والوفاء بالعهد، ويخلق فيها محبة للإحسان والرحمة للناس".
ثم بيَّن رحمه الله أن الانسان يفعل هذه الأمور لا يتقرب بها إلى أحد من الخلق، ولا يطلب مدح أحد ولا خوفا من ذمه، بل لأن هذه الإدراكات والحركات يتنعَّم بها الحيُّ ويلتذُّ بها، ويجد بها فرحًا وسرورًا، كما يلتذُّ بمجرد سماع الأصوات الحسنة، وبمجرد رؤية الأشياء البَهِجَة، وبمجرد الرائحة الطيبة.
وكذلك يلتذ ويفرح ويتنعَّم بمعرفة نفسه للأشياء التي تُعرف بالباطن، ويلتذ أيضًا

بشهود باطنه وإحساسه، كما يلتذ بشهود ظاهره وإحساسه.
وكذلك يلتذ بما تعقله نفسه من الأمور الكلية التي تعقلها، وكذلك في أفعاله وحركاته، كما يلتذ بأكله وشربه ونكاحه.
وكما يلتذ برحمته وإحسانه إلى أهل الحاجات من أقاربه وغير أقاربه، ويلتذ بالجود والإعطاء، ويلتذ بالعفو عن المسيء إليه وترك معاقبة المسيء.
.... فهذه مكارم الأخلاق التي تكون في بني آدم، كما كانت تكون في أهل البادية، فهذا الحس وهذه الحركة الإرادية يتنعَّم به الحي ويتنفع به ويلتذ في الحال.
.... وهذه أمور محسوسة بالباطن والظاهر، وهي التي أدرك حسنها من قال: إن العقل يُقبِّح ويُحسِّن، ومن قال: إن العلم بحسنها لصفة قائمة بها معقولةٍ: إما بالبديهة وإما بالنظر، أو معلومة بالشرع "جامع الرسائل 5/191
هذا تفصيل طويل يتجاوز الغرض الذي أبحث عنه، وإن كان مهما جدا في إثبات أن الفطرة ميل للشيء ليست مجرد استعداد، يدخل في بيان الفطرة التي خلق الناس عليها، فإن تحبيب الله لعباده الفضائل والأمور المحمودة يقضي الله به خيرا كثيرا.
و كما قال في كتاب "توحيد الألوهية " ببيان هذا الميل المغروس في الإنسان المسلم لحفظ الدين :" وقام علماء النقل والنقاد بعلم الرواية والإسناد، فسافروا في ذلك إلى البلاد، وهجروا فيه لذيذ الرقاد، وفارقوا الأموال والأولاد، وأنفقوا فيه الطارف والتلاد، وصبروا فيه على النوائب، وقنعوا من الدنيا بزاد الراكب، لهم في ذلك من الحكايات المشهورة، والقصص المأثورة، ما هو عند أهله معلوم، ولمن طلب معرفته معروف مرسوم، بتوسد أحدهم التراب وتركهم لذيذ الطعام والشراب وترك معاشرة الأهل والأصحاب والتصبر على مرارة الاغتراب، ومقاساة الأهوال الصعاب، أمر حببه الله إليهم وحلاه ليحفظ بذلك دين الله" مجموع الفتاوى 1/8
والله تعالى حبب إلى عباده كثيرا من الأمور، بعضها ديني مثل: الايمان، ويدخل فيه سائر الطاعات، وفي المقابل كره إليهم الكفر والفسوق والمعاصي.
وبعضها دنيوي كما في قوله صلى الله عليه وسلم:"حبب إلي من دنياكم النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة" أحمد والنسائي.
لم يقل: حبب إلي ثلاث، فإن المحبب إليه من الدنيا اثنان، وجعلت قرة عينه في الصلاة فهي أعظم من ذينك، ولم يجعلها من الدنيا. الصفدية 2/272

المقصود أن الله يحبب لعبده أمورا من الدنيا وأخرى من الدين، ومن أهم المحبوبات العلم يطلبه لما فيه من لذة ومصلحة له، لكن نشره لا يمكن أن يكون إلا لله تعالى، وإن تضمن هو الاخر لذة ومسرة تحصل للنفس، ولذلك يفعله غير المؤمن، إنما بالنسبة للمؤمن ليست هي الحاكمة، بل يبتغي الأجر عند الله لأن نشره دعوة إلى الله، ولأن عند نشره تدخل عليه آفات مثل حب الشهرة.

تقدير الذات في عالم فشا فيه الكذب!

......

من السهل أن ينال الشخص تقدير الناس له _ برهة من زمن إلا أن يفضحه الله _ بالكذب فيظهر لهم ما لا يبطن، ما هو خلاف حقيقته، لكن من الممتنع أن يقدر ذاته برذائلها إلا إذا مسخت فطرته من أصلها، وهذا غير موجود إلا إذا فقد الإنسان كل آدميته.

أسهل له أن ينال تقدير الناس من تقديره لنفسه، فهو يعلم من نفسه ما لا يعلمه الناس عنها.

في الحقيقة كل واحد منا يساوي عند الناس ما تساويه نفسه في عينيه كما قيل.

ما تظنه من نفسك هو ما يصنع مستقبلك كإنسان،فإن كنت تظن أنك كريم لعلمك بمساوئ البخل فستكرم.

و إن كنت تظن أنك صادق لعلمك بقبح الكذب وسوء عاقبته فستصدق؛ وهكذا كل ما تظنه بنفسك هو ما يشكل ما أنت عليه وما ستكون عليه.

عندما نكون في إطار نقاش علمي نبحث عن القرائن و الشواهد وتظفر بحاجتك فتنقل ماتحتاج إليه، لكن أحيانا عند النقطةالتي قدَّرت أنها كافية تجد جملة تقيد المعنى، وفي اللحظة التي ترفع فيها النص المقتطع يشير لك ضميرك بأن تلك الجملة مرتبطة بما اقتبسته، فإن كنت تقدر ذاتك: ترفض الكذب أو التلبيس و تعاف النذالة، وترى أنها لا تليق بطموحك، فكل إنسان وطموحه، فمنا من يطمح إلى المروءة، يهمه كيف ينظر الله إليه، وكيف ينظر هو لنفسه؟

هل يقدرها ام يحتقرها، فستترك ذلك النقل،و تبحث عن آخر، أو تنقله بتمامه، وتوجهه بنقول أخرى بطريقة علمية موضوعية.

وهذا الأمر يقع في رمشة عين، فإما تنجح و إما تسقط!
ليس قوة الذكاء هي من يحسم المعركة هنا ولكنه القصد الأول: القصد الذي حركك للكتابة:إن كان لله تعالى، لإحقاق الحق أم للمغالبة وتضليل الناس أو طلبا للشهرة؟
لا يملك الإنسان سلاحا ينجح به في الامتحانات الدقيقة مثل الإخلاص وحسن القصد.
لا تظلم واعيا ، والكذب ظلم وأنت منصور.
عندما أقرأ _ وقد قرأت كثيرا _ وأجد أشخاصا ليس عندهم أمانة علمية، يكذبون في المقدمات، يلبسون بالمتشابه، يقتطعون الكلام بوحشية وسوء قصد من سياقه، أقول :كيف ينظرون لأنفسهم؟ وكيف ينظرون لها مع علمهم بعلم الله بصنيعهم؟
كان الصالحون يوصون اتباعا للقرآن والسنة بالصدق، الصدق مع الله ،والصدق مع النفس، والصدق مع الناس، فوحده الصدق ينجي العبد.
في زمن الكذبة على الله ورسوله وعلى العلماء وعلى الناس كن صادقا تعيش متواصلا مع ذاتك في سلام، ويمدك الله بمدده الخفي: بالبصيرة فيما اختلف فيه الناس.
لا يستحل الكذب وما هو من جنسه إلا المبطل، فإن الحق لا يحتاج إلى الرذائل، وقوته من ذاته، ليست بما نصنعه له مما لا يشاكله ولا يجانسه ،فالنور نور،والظلمة ظلمة.
فز بالحق أو اخسر بشرف، وطالب الحق لا يخسر ابدا لأن الأقوال العلمية ليست نقودا ستضيع منه،و الانتقال من مذهب فاسد أو مرجوح إلى ما هو أحسن ابتغاء مرضاة الله هو الفوز بعينه، لكن الجاهل، والمريض نفسيا، والمبطل، يعدون ذلك خسارة، و إنما خسروا يوم فلتت عليهم المقاصد الحسنة.

نسبية الأخلاق و مصدرها في العلمانية بشقيها ...؟

....
الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.
يسعى العلمانيون بما قدروا عليه على فصل الدين عن الأخلاق، مع أن الدين متمم لها، يغذيها ويؤطرها،و مصدر الأخلاق الفطرة الإنسانية، فهي من الله من جهتين: من جهة الفطرة التي فطر العباد عليها، ومن جهة الوحي الذي يتمها ويغذيها ويحي ما تفسخ منها.

بطبيعة الحال هذا لا يساعد العلماني فعندما كان حداثيا كان يعتبرها شيئا مشتركا لكن فقط الأخلاق التي أقرتها فلسفة النوار، وبعد أن صار ما بعد حداثي صار يقول بأنها نسبية ولكل قوم أخلاقهم، فأساسا هو لا يميز بين الأخلاق وقواعد السلوك، فالأخلاق هي ما يوافق الفطرة الإنسانية، يجد الناس ميلا لها فطريا ولذة ومصلحة، بينما قواعد السلوك فهي عادات تألفها بعض القبائل البدائية مثل الذين يمشون عراة فهذا يدل على جهلهم والدليل أن غالبية البشر يستقبحونه إلا العلمانية.

سنناقش في هذا المقال قولهم بنسبية الأخلاق، و مصدرية الأخلاق هل هي الفطرة أم العقل العلماني؟

وسنعمل النقد الغربي والإسلامي معا كما في المقالات السابقة حول هذا الموضوع.

بحسب بعض الموسوعات "العالم الجديد"بدأت العقلانية مع الفلسفة الأخلاقية لـ كنط وواجبه المطلق المتمثل في دعم وجود قيم مطلقة، في وجود أخلاقيات.

إذا كانت الأخلاق هي تطبيق القيم كما يأمرنا عقلنا بها، وهي في العقل مجرد انعكاسية النفس فهذا تناقض قاتل، في الحقيقة مقصد كنط مادي لأنه إذا كان الدين هو معرفة واجباتنا كأوامر إلهية، فإنه في الدين الموحى به الأمر الإلهي يؤسس الواجب، بينما في الدين الطبيعي الذي يدعو إليه كنط ـ وهو ليس بدين في الحقيقة ـ يجب ان نعرف أن شيئا هو واجب لنعترف به كأمر إلهي؟!

بالنسبة لعقلانية كنط للبقاء داخل حدود العقل الإنساني وحده الدين الطبيعي ضروري أخلاقيا، وعلى ذلك لا يحتاج الايمان العملي أبدا لإله حقيقي، يجب ان نكتفي بفكرة الله التي ينتهي اليها كل جهد أخلاقي جاد يهدف الى الخير «الدين داخل حدود العقل".

الأخلاق عند كنط لا علاقة له بقيمة مطلقة من حيث أنها مجرد تقييد تفرضه الذات على نفسها، والإنسان قد يفرض على نفسه شيئا شريرا أو مضرا بغيره، إذا لم يكن لديه دين موحى به يخبره ما يجوز وما لا يجوز، فقد يفرض على نفسه الصيام أو الحمية حتى يهلك، فبالنسبة لكنط لا يوجد شيء جيد إلا الإرادة الصالحة." أسس ميتافيزيقا الآداب "393.

لكن من أين تأتي الإرادة الصالحة، إن لم يكن من الفطرة، ومن يضبطها أي ما الذي يقول: هذه إرادة صالحة وهذه إرادة فاسدة؟ ونحن نعلم أن الخير ليس شيئا فقط بل هو كذلك معيار ويستخلص الفعل قيمته من القصد الذي يقود بشرط أن يكون القصد

صحيحا، لأنه لا يكفي أن نريد الخير لنكون خيرين، فهذا مجرد شكلانية لأن القصد لا يكفي وحده يجب أن يكون الفعل صحيحا أيضا.
يكون الفعل أخلاقيا عند كنط إذا كانت القاعدة التي تديره يمكن أن تكون قانونا يعني عالمية، مشتركة بين البشر، ولا مشترك بين البشر بالتوافق بل بالفطرة لكن الفطرة النفسية لا يمكن فصلها عن الفطرة العقلية والفطرة النفسية لا تؤسس للأخلاق فقط بل تؤسس أيضا لمعرفة الله وترتبط بها ارتباطا وثيقا، لأن فطرية الأخلاق تستلزم بالضرورة الفاطر بها.
أفسدت عقلانية كنط حتى في المجال الأخلاقي الإنسان الغربي لأنها لم تراع هشاشة الإنسان، الذي لا يمكنه أن يكون أصل القانون لأن ذلك يجعل القضية اعتباطية بدون علة حيث سيستند القانون الإنساني على الأنانية، والإنسان بدون الوحي لا يمكنه أن يتجاوز بأنانيته ووسائله الخاصة الحواجز الوجودية الاجتماعية والنفسية لابد له من قانون أعلى على الجميع.
ولهذا فإن نظرية كنط الأخلاقية ما هي إلا جزء من الليبرالية لأنه في هذه الحالة لن يكون الضمير حرا، فإذا كان ما ينتج فينا الرغبات لا يخضع لله تعالى فمن أين لنا العلم أن هذه الرغبة فينا هي لنا ومنا وتعبر عن الفطرة الإنسانية؟
خاف من رد الفعل فلبس عليهم بمصطلحات نحتها هو نفسه فيها الإشارة إلى الله والدين والأخلاق لكن مجرد أشباح بدون حياة.
بالنسبة لكنط العلماني الملحد لا يمكن الانسان ان يجد مبادئ علمه الا في عقله نفسه، ولا يجب ان يجد مبادئ سلوكه الا في وعيه، فالعلم هو إفراز التعقل والاخلاق هي افراز الوعي، لا توجد اخلاق مصدرها الدين، لا يوجد معيار فوقي يحدد ما هو أخلاقي وما هو مجرد عادة إنسانية نتجت عن تفسخ الفطرة في الإنسان؟
أكبر عائق أمام كنط والعلماني هو السؤال التالي: من أين تأتي الحقائق الأخلاقية؟ بالنسبة للمتدين تأتي من الله " الخلق والوحي"، بالنسبة لغيره من الوعي الإنساني لأن العلماني يزعم معرفة الحقيقة، يستطيع أن يحكم على ما هو خير وما هو شر، يعتقد أن الحقيقة يمكن تحديدها، وبالتالي تشريعها وتطبيقها!
المثاليون أمثال كنط سعوا لإثبات وحدة الأخلاق وعلمنة الأخلاق الدينية " المسيحية في الغرب".

لكن هل يوجد واجب مطلق يملي على كل واحد الطريقة المطلقة لسلوكه؟
نظرية كنط مؤسسة على سلامة مبادئ السلوك المأخوذة من العقل بطريقة دائرية من خلال صفاتها المقنعة من نتائجها، يعني العقل يلد نفسه، والأخلاق تلد نفسها بحسب مبدا سبنوزا الذي أهلكه «الشيء علة نفسه " لكن هذا يشبه: الفرع الثالث لمأزق هانس ألبرت المسمى "ثلاثية مناشهاوسن " يذكر برجل نجح في إخراج نفسه من المستنقع الذي وقع فيه بحمل نفسه من شعره!
ما ينسف مسألة مصدر الأخلاق العالقة عند العلماني هو أن الفطرة ويمكنه أن يسميها هنا البديهة تمدنا بمقاربة أولية في المجال الأخلاقي، ونحن نملك القدرة على التفكير في المجال الأخلاقي، وإذا وقع اختلاف فيها فيمكننا امتحان التماسك الشامل لأحكامنا والبحث عن أكبر تماسك ممكن، و حينئذ يدخل معيار الفضائل و الأخلاق الفطري وهو اللذة و الألم ، المصلحة و المفسدة، المرتبطان بالعقل الضروري و بالوحي ، فالوحي وحده هو من يحدد النعمة أو اللذة ، النقمة أو الألم المستقرين ، بتحديد عاقبة الأفعال الدنيوية و الأهم الأخروية.
يرد كنط والعلمانيون خلفه كالأطفال الأخلاق إلى انعكاس نفسي، وهذا مصطلح لا معنى له، فافي النفس انعكاسية في الأفكار يعني دائما ما تعيد تدويرها مثل الوساوس لكن الأخلاق هي انعكاس لأي شيء إن لم تكن الفطرة؟ وبأي شيء تعمل الفطرة؟
لا تعمل الفطرة إلا بمبدأ الميل لما تشعر به، وهي لا تشعر إلا بواسطة اللذة التي تعبر عن حسن المبادئ الخلقية والألم الذي يعبر قبحها:" فالإنسان من نفسه يجد من لذة العدل والصدق والعلم والإحسان والسرور بذلك، مالا يجده من الظلم والكذب والجهل... وهم مفطرون على محبة ذلك واللذة به، لا يمكنهم دفع ذلك عن أنفسهم كما فطروا على وجود اللذة بالأكل والشرب والألم بالجوع والعطش" ابن تيمية، الرد على المنطقيين، ص:467.
ويستحيل أن يحسن أحد إلى غيره إلا لكونه يعود منه على فاعله حكم يحمد لأجله، إما لتكميل نفسه بذلك، وإما لقصده الحمد والثواب بذلك، وإما لرقة وألم يجده في نفسه، يدفع بالإحسان ذلك الألم، وإما لتلذذه وسروره وفرحه بالإحسان، فإن النفس الكريمة تفرح وتسر وتلتذ بالخير الذي يحصل منها إلى غيرها "المصدر نفسه.
بهذين العاملين، الأصلين، المصدرين، المسؤولين عن الميل والمحبة أو البغض

والنفرة تثبت فطرية وضرورة المبادئ الخلقية الكبرى التي نجدها مشتركة بين البشر: "العدل محبوب للفطرة تحصل لها بوجوده لذة وفرح، نافع لصاحبه ولغير صاحبه، تحصل به اللذة والفرح، وما تنعم به النفوس... والظلم ضار لصاحبه ولغير صاحبه وأنه بغيض يحصل به الألم والغم وما تتعذب به النفوس" نفس المصدر.

النسبوية الأخلاقية:

في "ما بعد الحداثة" كل أشكال الفعل الجماعي مستحيلة مادام الاتفاق على أصول قاعدية ممتنعا، ولا نستطيع فعل شيء لان كل وضعية مختلفة، يعني: نسبية كاملة لكل القيم، ومنا نسبية الأخلاق حيث معايير الخير والشر متغيرة تختلف بحسب ثقافات الشعوب وبحسب الأزمنة، والاعتقادات الأخلاقية مختلفة بحسب الأفراد إذاً لا يوجد حقيقة أخلاقية.

وإذا سلمنا جدلا بأن هذا واقع لكنه ليس بحجة لأننا نقول: هل الاعتقادات الأخلاقية أساسيا مختلفة بحسب الأفراد، ألا يوجد نقاط اتفاق مهمة؟ وهل التنوع الظاهر لا يخفي بالفعل تشابها؟

يعني: أن المبادئ الأخلاقية الكبرى مشتركة في البشر، إنما يختلفون في أخلاق جزئية هامشية، كما أنه لا يمكننا الانتقال من تأكيد تنوع الاعتقادات الأخلاقية إلى فكرة أن لا واحدة من هذه الاعتقادات الأخلاقية صحيحة.

لا تقوم العلمانية بشقيها الحداثي وما بعد الحداثي في حالة سوى بوصف اعتقادات الأفراد، وتؤكد أن مضمون هذه الاعتقادات ليس نفسه مثلا بحسب الثقافة، وهو ما نسميه "النسبية الوصفية".

ومن جهة أخرى لا تهتم بمضمون هذه الاعتقادات وتنوعها، ولكنها تقول: إنه من بين هذه الاعتقادات المختلفة لا واحدة يمكن اعتبارها صحيحة، ولا واحدة يمكنها أن تلعب دور المعيار الكوني، وهذا ما نسميه " النسبية المعيارية".

وهذا في حد ذاته مغالطة لأننا بصفة عامة لا نقول لمجرد أن اثنين عندهم اعتقادات مختلفة بخصوص نفس المسألة: هذا لا يسمح بالقول إنه لا يوجد حقيقة بخصوص هذه المسألة فيمكن أن أحدهما مخطئ والآخر مصيب، لماذا يجب أن يكونا مصيبين معا؟

وعليه: تأخذ النسبية الأخلاقية المعيارية قوتها من النسبية الأخلاقية الوصفية، وهذا مصادرة على المطلوب.

لنفحص مختلف الحجج التي تقدمها العلمانية، فمثلا في حجة التسامح تقول ما بعد الحداثة: الاعتقادات الأخلاقية مختلفة بحسب الأفراد، وفكرة وجود حقيقة في الأخلاق يقود إلى عدم قبول هذه الاختلافات، فيقود إلى عدم التسامح، واللاتسامح غير مقبول فإذاً فكرة وجود حقيقة في الأخلاق غير مقبولة.

ولاحظ أنها ترفض وجود حقيقة مطلقة في الأخلاق ليس لسبب واقعي، وهي بهذا تدحض نفسها لأنه أولا: إذا كانت فكرة وجود حقيقة في الأخلاق غير مقبولة [نتيجة هذا الاستدلال] إذاً لا يمكن أن نقول: لا يجب أن نكون غير متسامحين لأنه يلزم أنه على الأقل يوجد حقيقة أخلاقية واحدة التي هي:" يجب أن نكون متسامحين"؟

وثانيا: ليس لأننا نقبل فكرة وجود حقيقة في الأخلاق يعني: بالضرورة أننا غير متسامحين، يمكن أن نقبل فكرة وجود حقيقة في الأخلاق، وندافع بأنه من بين هذه الحقائق الأخلاقية يوجد شكل من واجب التسامح، خاصة إذا اعترفنا بصعوبة الأفراد على تحديد ما هي الحقيقة الأخلاقية مما يقودنا إلى نوع تواضع وحوار حقيقي مع الآخرين بدون حكم مسبق أننا نملك الحقيقة [يعني نجعله حكما بعديا]

حجة ثانية تعتمدها ما بعد الحداثة وهي حجة أن الخلافات غير قابلة للاختزال، يعني: الاعتقادات الأخلاقية مختلفة بحسب الأفراد، وهذه الاختلافات تقود إلى اختلافات لا يمكن حلها، ولو وجدت حقيقة أخلاقية لأمكن حل الخلافات بتحديد من هو المخطئ ومن هو المصيب إذاً لا يوجد حقيقة أخلاقية؟

وهه الحجة شبهة أكثر من كونها دليلا فالاختلافات في الأخلاق ليست بالضرورة غير قابلة للاختزال، يمكن أن نستدعي نوع من البديهيات الأخلاقية " الفطرة" وبعقولنا الخاصة " التحسين والتقبيح" نبحث عن إيجاد اتفاق على مسائل الأخلاقيات، فمثلا تقول لنا الفطرة الإنسانية النفسية والعقلية: بأن الألم لأول وهلة شرٌّ، والعناية بالآخرين هي للوهلة الأولى خيرٌ، فالإنسان مفطور على طلب اللذة والفرار من الألم.

من جهة أخرى نحن نملك القدرة على التفكير في المجال الأخلاقي حيث يمكننا امتحان التماسك الشامل لأحكامنا والبحث عن أكبر تماسك ممكن.

في الحقيقة فإن النسبية في المجال الأخلاقي مذهبية حزبية تبحث عن منح الإجازة لفعل ما يحلو له مانعاً على غيره الحكم على أفعاله، مبدؤها «لكل واحد الحق أن يصنع أخلاقا كما يحلو له " ليس لنا أن نحاكمه، يجب أن نكون متسامحين!

واللازم من هذا هو أن نجعل في سلة واحدة المفسدين في الأرض: بالمخدرات، القتل، السرقة، التطرف، قتل الأبرياء، الاستعباد، المتاجرة بالنساء، بيع الأولاد، الانتحار، استعمال الأطفال والحيوانات جنسيا، استغلال الإنسان لأنها ثقافتهم؟
لهذا يفرض السؤال نفسه: هل تتساوى أخلاق المعتدي جنسيا وأنواع الفاحشة مع أي أخلاق؟ فنحن نعلم أنه لا يوجد مجتمع بشري يقبله بطلا، إذن هذا موقف لا يصمد لأنه هناك قيم لا نسبية فيها مثل: كرامة بني آدم، واحترام شخص الإنسان، وبهذا ليست النسبية إلا عدم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
ومن تناقض النسبوية زعمها أنها متسامحة لكنها لا تقبل التنازل عن التسامح لأنه قاعدتها واللازم، أنها تقر بوجود شيء مطلق"قيمة كونية"!
يعني: لا يمكنها أن ترفض الإطلاقية في كل شيء والنتيجة هي أنه لا يمكن أن نكون نسبيين إلى النهاية؛ وفي الحقيقة يجب على النسبوية الكلية قبول التسامح واللا تسامح مادام هو ثقافة شعب؟
هذه مواقف العلمانية النسبوية النظرية وإلا فإنها عمليا تضطر إلى تعديل موقفها أخذاً بعين الاعتبار الشرعية حسب القانون وموافقة المقبول اجتماعيا!
لهذا نشاهد العلماني النسبوي ينخرط في التوافق الاجتماعي أو القانوني، ويضطر إلى أن يدعم فكرة أن الأساس الوحيد لما هو خير أو صحيح يكمن فيما يسمح به أو يعاقب عليه المجتمع الذي ننتمي إليه، وهذا مبني على نسبية ثقافية.
لكن هل هذه القواعد والقوانين التي تنظم بصرامة سلوكياتنا هي خير أو شر، مثلا: أن نسرق، وفقا لأي معيار؟
فإذا كان الأخلاقي ما كان موافقا للقانون وليس لما يشعر به الإنسان أنه ملزم به، مثلا يجتنب العلماني النسبوي السياقة في حالة سكر ليس خوفا من الإضرار بغيره ولكن خوفا من عقوبة القانون إذا أوقفته الشرطة، فأي إنسانية هنا يتداعى إليها العلمانيون؟!
وعليه فإن التصرف أخلاقيا بالنسبة إليه هو التصرف بالتوافق مع الشرعية والعادة وليس مع الفطرة والعقل، لان التشريع قد يقوم به شخص منحرف، يصل شاذ إلى مواقع سياسية مهمة ذات نفوذ ويشرع لنا قانون جواز الأفعال المضادة للطبيعة ومن ثم يصبح هذا الفعل أخلاقيا لأنه قانوني!
يعقد العلماني المشكل على نفسه لأنه يعتبر "الأخلاقي" ما هو مقبول اجتماعيا

ومشروع، ليس هناك معيار آخر سوى مجموع القواعد التي يخضع لها غالبية أفراد المجتمع في بيئة معينة، في عصر معين، وحينئذ يتصرف الفرد جيدا إذا تصرف كالجماعة التي يعيش فيها ولو كانت اخلاقهم أخلاق البهائم!

لهذه الأسباب لا يمكن قبول التوافق الاجتماعي أو القانوني لأنه يوجد في العديد من الدول قوانين سيئة وتمنع الخير مثل قوانين الفصل العنصري، وطرد المهاجرين واللاجئين ... الخ، فقانون يفرض الوشاية بكل شخص ينتقد الدولة لا يقبله الناس إذا علموا أنه سيسجن أو يقتل أو يعذب، حتى ولو كان قانوناً يجب ألا نطيعه.

ومن هنا فإن القانون الرباني "لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق " ينسف النسبية الأخلاقية]، كما هناك قوانين سيئة قد تفرض عنصرية في أماكم ما أو أعمال، والنتيجة هي أن التوافق الشرعي [القانوني]المجتمعي غير مقبول.

وفي المجتمع القائم على التوافق يجب أن تعتمد القوانين بالإجماع مادام الاعتراض أو النقد الفردي لا معنى له فلا يكون هناك إصلاح أخلاقي، ومن أين يحصلون الإجماع في مجتمعات الأهواء والأنانية؟

والتاريخ البشري مملوء باللا توافقين كالأنبياء والمصلحين الذين كانت دعوتهم في البداية معزولة غير مقبولة لكن كسبت بعد ذلك أتباعاً، فلو كانت المجتمعات نسبوية توافقية لما وقع إصلاح في تاريخ البشرية.

حتى في المجتمع الغربي كان الخروج من الكتلة الاجتماعية للنضال ضد الاستعباد، والعنصرية لم يكن بدون نقد القوانين والعادات والأهواء الاجتماعية الجماعية، انتقدوهم لأنهم وجدوها أخلاقيا غير مقبولة، وهذا استدعاءً لأفكار تحدد الخير والشر معارضة لأفكار زمانهم.

كما نعلم أن الفعل المشين مثل الشذوذ الذي يزعمون أن الموقف منه سيتغير مع الزمن ليس فعلا حديثا بل هو موجود من قديم، ومع ذلك لم يقبل، لم يتغير الحكم الأخلاقي في حقه.

فالذي يجب أن نعرف هو أن الممارسات الأخلاقية هي التي تتغير لا المعايير الأخلاقية الكونية" المشتركة بين البشر"، والفعل يدل على انحطاط المجتمع وليس على تطور ذهنيات وتغيُّر القواعد الأخلاقية، فكون المبدأ الأخلاقي لا يحترم أحيانا مرتبط بضعف نفسي وليس بتغير حكم أخلاقي.

نجد مثلا أن "المهر والثأر والدية" موجودة في كل المجتمعات البشرية تقريبا، ما يوجب علينا التفريق بين أخلاق ذات بعد كوني مثل: الإحسان إلى الضعيف كالأطفال والشيوخ هي مبادئ أخلاقية، وأخلاق ثانوية محلية، هي عادات عن جهل، وليست موافقة للفطرة النفسية والعقلية مثل عادة اجتناب مؤاكلة المرأة في بعض الأقوام.
بعثة الأنبياء هي تطهير الفطرة مما لحق بها وتجديدها بعد أن يلحقها المسخ.
أظهرت دراسات اجتماعية أنه يوجد تنوع كبير فيما يخص معايير السلوك الجنسي قبل الزواج فعلى 158 مجتمع تمت دراسته، 65 يشجعها، 43 يقبلها بشروط، 6 يميلون لعدم القبول، 44 يدينون ويعاقبون عليها. [Schaefer, R.T., Sociology, N.Y., 1989, p. 82]
المشكل في مثل هذه الدراسات أنها لا تراعي عامل تغير الفطرة، وعامل الرجحان، فلم تبين لنا متى بدأت هذه العادة او تلك في تلك القبيلة، فحتى في أهل الإسلام وهم أهل ديانة سماوية توجد عادات لم تكن في سلفهم ،ولم يأمر بها الدين فكيف بقبائل بدائية، هذا إذا وثقنا بهذه الدراسات فعليها ملاحظات كثيرة؟
ثم نقول: إذا كان هناك تنوع على مستوى المعايير والقواعد الأخلاقية لكنها واضحة موحدة على مستوى المبادئ الأخلاقية مثل:" لا تسرق" قاعدة أخلاقية ضمن مبدأ تصرف دائما بطريقة ليعيش ويزدهر الناس،وهذا مبدأ أخلاقي كوني حتى المجتمعات التي لا تتبنى قواعد أخلاقية تعاقب على السرقة.
كذلك ثبت أن الفاحشة بين الأقارب محرم كوني " طابو"..
في الحقيقة كل المجتمعات لها قانون أخلاقي [الاتفاق على وجود الأخلاق] وقوانين تحمي الملكية، ولا واحدة تسمح بالكذب والسرقة والقتل بدون سبب.
وعليه فإنه توجد قيم مشتركة بين جميع المجتمعات ضرورية لوجود المجتمع وبقائه، مثل القواعد التي تشترط الحقيقة وإلا تعذر التواصل بين البشر، وكذلك قوانين ضد القتل والاعتداء وإلا تعذر العيش معاً.
وليس لأن الغالبية عندها عادات وتقاليد مختلفة حجة صحيحة لنقول:" السرقة والقتل" أفعال أخلاقية بدون أساس حقيقي، إذاً يمكن أن نحكم على هذه الأفعال في إطار آخر مثل: الفطرة، العقل، الوحي.
ـ السؤال: ما هي قيمة الأخلاق؟

عندما ننظر في الأخلاق نجد أن المعيار الذي يحكمها اجتماعيا هو عدم إزعاج حياة الناس، تحقيق السلام بين الناس.

ليست النسبية الأخلاقية فكرة أن الناس لهم معتقدات مختلفة في الأخلاقيات فقط لكنها بالأحرى نظرية حول حالات الاعتقادات الأخلاقية التي بحسبها لا واحدة منها موضوعيا هي حقيقة.

والنتيجة هي أنه لا يوجد أية وسيلة لتبرير أي مبدأ أخلاقي كشامل أو كوني، فتحرمنا النسبوية من وسيلة رفع اعتراضات أخلاقية ضد عادات اجتماعية بشعة مادامت هذه العادات موافقا عليها في قوانين المجتمع الذي تعيش فيه.

يسعى العلماني إلى فصل الانسان عن الله بالطعن في الوحي بمختلف الأوجه، المهم إفراغه من معانيه ومضامينه، واعترضتهم فطرية الأخلاق فإنه وإن كانت المبادئ الكبرى فيها فطرية فإنه لا ينكر أحد أن اخلاق أهل الديانات الكتابية أكمل من أخلاق غيرهم لأن الوحي يجدد الأخلاق ويصلح المتفسخة، ويضيف أخرى تكتمل بها الأخلاق الفطرية، ولهذا يحاولون الآن فصلها عن الدين وهو أمر أشد عليهم من فصل الانسان عن عاداته .

وهذا لأن الفطرة التي تؤسس للمبادئ الأخلاقية هي نفسها وبنفس الميكانزيم تؤسس لمحبة الله وتوحيده، وبالتالي تحصر الكمال الإنساني في صلاح نفسه بسلامة هذه الفطرة، والتي جاء الوحي معلما بها، مذكرا لها.

وموقف العلماني من الدين هو إن سجن هذا الدين نفسه في المجال الفردي وساهم في علمنة المجتمع فلا مشكل معه، وأما إن رفض فيجب تدميره، على مذهب الفلاسفة الدهريين: عبادة الله ليست واجبة، ويجوز عبادة من سواه.

والوحي يقول: لا يسعد أحد إلا بالإيمان والإسلام، والعلم والأخلاق لا تحصل بهما وحدهما السعادة: {فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ} [الروم].

⬇ربان قادران امتنع أن يكون له إلهان معبودان: {لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا} [الأنبياء]


قيام المنفرد أسهل بكثير من قيام الجماعة تطويلا لكن الدخول في عبادة المنفرد أصعب بكثير من العبادة جماعة.
وفقنا الله لمرضاته

متى نكتب..؟

....
الكتابة أنواع كثيرة ،الذي يهمنا كطلبة علم شرعي هو الكتابة العلمية ،وكذلك التي تسمى "فكرية".
هذا النوع لا أظن أنه يبدأ في الإنسان كرغبة مثل الكتابة الأدبية.
الكتابة الأدبية في الغالب يدخل فيها أشخاص اعتادوا كتابة ما يرونه، ما يشعرون به، ما يفكرون فيه من أمور الحياة، و أحيانا تعليقا على الأحداث.
في هؤلاء من يكتب إشباعا لرغبة نفسية، يريد أن يتحدث عن نفسه، يريد أن يتواصل مع الناس،الكتابة بالنسبة لهؤلاء فتح العين على العالم، خاصة على عالمهم الداخلي.
ومنهم من يتخذها وسيلة للعيش، أو للشعور بأنه موجود، أو طلبا للشهرة.
يمكنك أن تعرف ذلك إذا نظرت إلى ما حولتهم الكتابة:هل إلى أشخاص متواضعين حافظوا على نفس الأصدقاء ونفس أسلوب الحياة، أم كانت بالنسبة إليهم ترقية اجتماعية ؟!
الكتابة مغامرة، صعبة عندما يغيب الإلهام، وفيها كثير من الصدف، و أحيانا كثيرة لا يوفق الكاتب،فلا يمكن أن تحافظ على وتيرة واحدة في قيمة ما تكتب، وفي براعة نسيجك للموضوع
تحتاج لتكون كاتبا إلى التقتقة، إلى ما يشعل فيك الرغبة، فبدون مستثير لا يمكنك أن تكتب شيئا قيما، ستكون كتابتك أشبه بفرض مدرسي تفعله مكرها،فإما تكون الكتابة سعادة بالنسبة إليك و إما لا.

يكتب الإنسان لأن شيئا أيقظه ،فرصة توفرت له، ولا شك أن الكتابة تسمح للإنسان بتطوير نفسه، فهي توفر له مفتاح قراءة، فكل موضوع يكتب عنه إن كان ألما نقص منه، و إن كان فضيلة زادت فيه.

الكتابة الأدبية والكتابة التي هي حوار مع الذات ومع المحيط تحتاج إلى خصوبة الخيال وقوة التشبيه وثراء المفردات، والقدرة على إبراز الجزئيات الصغيرة، و وضع التضاريس للمشهد المسطح.

، أما الكتابة العلمية و الفكرية فتحتاج إلى سعة الثقافة وقوة الملاحظة العلمية، و إلى منهج يلتقط الفوائد ويصهرها في السياق المعرفي.

كل أنواع الكتابة تحتاج إلى القدرة على التعبير والثراء اللغوي، وهناك من هو مثلي يعرف معاني كثير من المفردات لكنه يستعمل عددا محدودا منها، إن لم يتوقف و يستدعي ذاكرته بتركيز لا تسيل العبارات في عقله بسلاسة و تلقائية، لكننا نعوض ذلك ببلاغة المعنى الكلي و بالأسلوب التعليلي ، و اما العبارات فبسيطة لبساطة اللغة.

عندما لا نملك المرونة اللغوية يجب أن نملك المرونة الذهنية

فأصعب شيء الربط بين الأجزاء و الفقرات، وفي العلم: بناء الترابط المنطقي بين الموضوعات.

بالنسبة لي بدأت الكتابة عندما بدأت أكتب ملخصات للكتب العلمية، و أثناء كتابتها تضيف في الهامش تعريفات للمصطلحات والفوائد التي اصطدتها من كتب أخرى ، فتضطر إلى نوع تصرف وتنسيق.

وفي نفس الوقت يعين تحضير الدروس كثيرا في هذا العمل، لأنه يدربك على انتقاء ما يقال وما يهمل، فتكتسب نوع قدرة على التفاعل بأفكارك مع كلام العلماء، وعلى تنظيم المادة وترتيب المعطيات.

ثم يأتي المحفز عندما تقرأ كتابات بعضهم وتجدها غير دقيقة فتكتب ردا عليهم ،وتعرضه على أصدقائك فيحمدوه ويشجعونك، وهذا هو أهم عامل في الدفع نحو الكتابة، يعطيك ثقة في نفسك، لأن أي بضاعة تصنعها إن لم تعجب الناس ويثنوا عليك ستتوقف عن صناعتها.

لذا أنصح بتشجيع منشورات الشباب ،وتنبيههم إلى القدرات الكامنة فيهم، فعندما تقرأ لأحدهم فكأنما تنظر في داخل عقله فتلمس موهبته ونوع ذهنيته ،وبعضهم يملك قدرة

على غزل الكلمات ينفع في نقد الأحداث.
وبعضهم عنده منطق بديهي ينتبه بسرعة للبيادق الناقصة في لعبة الاستدلال، ينظر في الزوايا المظلمة والمناطق الظليلة في كلام الناس.
بعض الشباب عنده قراءة كثيرة لكنه لا يعرف كيف يفكر بها، كيف يترجمها إلى منشور بدون أن ينسخ صفحة كتاب.
أول ما كتبت بعد كتابة الدروس وخطب الجمعة كان في الفقه في موضوعين، واحد عالجته برؤية أصولية والآخر برؤية حديثية لأن الأول كان يتعلق بقضية العلاقة بين المطلق والعام والثاني كان يدور حول صحة حديث.
مثل هذه الكتابة هي تمرين تتعلم فيه الفن أسرع و أدق من قراءة عشرات الكتب لأنك تقرأ وتبحث وترجح في نفس العملية، تتعلم في الركام كما يقال.
فيما يخصني لا أطلق كل طاقتي في الكتابة العلمية إلا في حالة الرد حيث يمكنني الصبر على القراءة والكتابة لساعات طويلة قد تبلغ 16 ساعة في اليوم أمام الحاسوب ،اتتبع كل الممرات الممكنة، و أتحقق من مئات الامكانيات، وهو ما لا أفعله في حالة الهدوء حيث تتبين لي أوجه للجواب لكني لا أسبرها و أكتفي بالظاهر فقط،
أكثر الأجوبة أجدها عندما أتوقف عن الكتابة وجمع المادة، عندما أجلس للطعام أو أخلد للنوم، فعقلي لا يتوقف عن التفكير في الموضوع حتى تنقدح الأجوبة في خاطري فأسجلها مباشرة على أي حامل في انتظار تشغيل الحاسوب.
التفكير العلمي ليس اختيارا يمكنك أن تقرر التوقف عنه متى شئت ، مثل وظيفة تغلق المكتب وتنتقل إلى حياة أخرى ،في العلم إن لم تنه المسألة بقيت عالقا فيها.
قد أجد الجواب عن اعتراض قوي أثناء النوم لأني في حالة الاهتمام الشديد بموضوع ما أفكر فيه و أنا نائم، أو أناقشه في النوم مما هو من قبيل حديث نفس.
أحيانا في اللحظة التي يفقد فيها الإنسان الوعي ليدخل عالم النوم، عندما ينقطع الخيط الرابط بين اليقظة والنوم أتذكر شيئا فاحمل هاتفي و اسجله عليه، وقد أفعل ذلك عدة مرات.
عندما أكتب أقسم الموضوع إلى أجزاء كثيرة بحسب الأفكار ثم أعلق عليه بثقافتي وفهمي، فهذه الأجوبة الأولية هي ما يوجهني في جمع المادة.
وعندما أجمعها استعمل الألوان، فكل ما أقدر أنه يصلح كمدخل للموضوع أجعله

باللون الأخضر، و الخاتمة باللون الأحمر، وقلب الموضوع بالازرق، ثم أجمع الألوان إلى بعضها البعض.

عندما تضع المسألة في خاطرك وتجمع المادة يكون التفاعل بينها عندما تكون في عملية الكتابة، لكن الانتباه إلى حلول الإشكالات غالبا ما يكون في خارجها،واعتقد أن ذهنيات الناس تعمل بطرق مختلفة.

في التفكير العلمي تفكر في عدة موضوعات في نفس العملية تفكر في هذا برهة، ثم تنتقل إلى الآخر،ثم إلى آخر، وهكذا لكن في نفس العملية.

حتى يرسل أحدهما حبلا إلى الآخر عندها تكون الفكرة الأم أو أطروحتك المضادة جاهزة.

كل إنسان مسخر لما خلق له، وقرينة ذلك أنك إن كنت تفعل شيئا، ولا تشعر أنك تبذل جهدا فيه، وتجد راحتك ولذة فيه فهذا شي قد سخرت له.

قد يفكر طالب العلم في مرات عديدة ترك العلم لأن العلم الذي نقبل عليه حبا يتطلب كثيرا من التضحيات بخلاف طلب العلم التجاري، فإذا وجدت أن الظروف دائما تردك إليه بشكل عجيب أو لطيف فقد أعنت عليه، وقد وظفك اللطيف الخبير.

جوابا على سؤال أحد الفضلاء :لا أظن أن قلمي استوى، بل أنا أكتب بعود ثقاب! عندي سهولة ويسر في صناعة الموضوعات، و أما الكتابة البليغة والمعالجة فشيئ آخر، و لكننا لسنا في زمن الخبرة و الإتقان.

لا يوجد هنا أي حالة استثنائية لا يمكنك عملها، فقط عالج رغبتك وقصدك، ولا تقلل من قدرك دون أن تحسب نفسك شخصا مهما لا يستغنى عنه.

نحن في آخر الزمن حيث يفشو القلم ويظهر ،يظهر الكتاب ويكثر الكتَّاب فاحرص على أن تكتب ما ينفع عباد الله، وعالج قصدك، وابتغ ما عند الله، فإن الكتابة في هذه الأيام فتنة للكاتب و للقارئ، و قد تسلط عليها قوم أعاننا الله و إياهم على نفوسنا.

....

لغز الكتابة..!

...

كما أحدثت الكتابة تقلبات كبيرة في الحضارات تحدث مثلها في الفرد، للكتابة أثر

عجيب على النفس، الإنسان فضلا عن كونه حيوانا ناطقا هو حيوان قائل، وهو قائل لأنه مخلوق فطر على التواصل ، يحتاج إلى أن يقول، ما إن مسك ناصية القلم قبل أن يعرف الحروف عبر عن نفسه فرسم على الصخور الأشكال أولا بيديه، ثم كتب بالحجارة على جدران الكهوف.
فهل كتب ليحفظ المشهد ،ليسجل للتاريخ،ليحفظ الذاكرة، أم كتب ليفرغ دواخله، و يتواصل مع الآخرين من خلال الفضاء والزمن؟
هل كتب ليضاعف الكلمة لتصبح منطوقة ومكتوبة، ليتملك العالم بالقلم، "فالقلم مفتاح يفتح كل الأبواب" أثناء الكتابة تملك ما تريد، يمكنك أن تملك الألماس، السلاح، الطائرات، البواخر.. الخ حينما تكتب عنها لا تتصرف في ماديتها ولكن في مفاهيمها ووظائفها،و"من عنده قلم عنده أجنحة".
يكتب الإنسان ليخافت بالأسرار، ليتصل بنفسه فعندما تحدث نفسك يشبه ذلك نوع جنون، لكن عندما تكتب عنها فأنت تحاور كائنا آخر، كما قال سرفنتس :"القلم لسان الروح".
تخيل لو لم تكن تعرف القراءة والكتابة كيف كانت لتكون حياتك..؟
في المنشور السابق "متى نكتب" أردت إنزال صورة كلب قطبي يمشي بصعوبة فوق الجليد كنايةً على أن الكتابة كلَب يأخذ الإنسان فوق سطح زلج _ لأن الإنسان عندما يكتب في بداية أمره يكلب على الموضوع، يغمسه في حبه وفي بغضه، وقد يكون القلم خنجرا حادا أو سما زعافا، لكن مع السنين يتعلم الهدوء وتسيكن نزواته _ لكني استقبحت صورة الكلب في موضوع شريف كموضوع الكتابة، خاصة عند أهل الدين.
هناك كتابة استطلاعية كأنك تتجول برفاهية في مدينة عالمية ،تستطلع الأجواء وتصف المكان، لست معنيا بما سيقال عنها ،ليست مدينتك ،أنت في الجماليات تتكلم في موضوع بحيادية، لا تغمز قولا، ولا تلدغ أحدا.
هذا النوع يشبه مقولة "على أي مذهب أنت؟ والجواب :في أي بلد نحن؟" هذا النوع ليس نفاقا أو متاجرة وإنما نحتاج إليه أحيانا فإنه ينزع عنا الثوب الضيق للانتماء، ويسمح لنا بالتواصل مع فئات مختلفة من الناس.
الكتابة التي تدافع عن القناعة هي الكتابة الحقيقية لأنها صادقة اللهجة، ويطلق فيها الكاتب العنان لقوته الإقناعية، في هذه الكتابة يرفع رايته بوضوح، ويجب على

الإنسان أن يتكفل باختياراته و يزينها للناس بلغة علمية هادئة وعبارات أنيقة، فإن أقام العذر العلمي فقد بلغ الكمال.
هذه الكتابة إن سلمت من اللغة العدائية و الادانة لا تضاهيها أي كتابة أخرى.
تأتي بعدها الكتابة التي ليست مع أو ضد، ولكنها تضع القلم في الجرح، كتابة الصحفيين الحقيقيين، وكتابة شرفاء الدعاة المصلحين.
عندي عشرات المقالات على حاسوبي لكثرتها نسيتها، هي بحوثي في قضايا علمية شرعية متنوعة كتبتها بجد ديني حقيقي ، وبعضها كتب كاملة لم أنشرها لأني في يوم كتابتها كنت في موقف أنا اليوم في غيره.
لا أنظر إليها على أنها بضاعة ثمينة وجهود جبارة يجب أن استفيد منها، ولكني أنظر إليها على أنها شيء فات مقتضاه، إذا نشر ينشر في سياقه العلمي، يعني :الفيسبوك ليس مكانا مناسبا لها،لكنها مادة دروسي فأنا لا أعلم إلا بقناعتي لكني أضخ في الدرس كميات كبيرة من الأكسجين.
الكتابة لا تأتي تكلفا، هي تدفق لا تتحكم فيه، أحيانا تكون عندي فكرة ثمينة، معلومة قيمة للغاية أسعى لوضعها في منشور و لا أجد الكلمات المناسبة، و الصياغة تصبح صعبة جدا لأن الفكرة بشكلها الخام فيها عموم ولا أجد سبيلا لاستلال الاستثناء ؛هي جميلة جدا لكن إن تركتها على حالها أوهمت شيئا لا يناسب عقيدتي، فإما أتركها جانبا في انتظار أن يأتي يومها ،و إما أحذفها حتى لا أشغل ذهني بها لكن اغرزها في دماغي كمعلومة فأحيانا تسعفني في النقاش.
عندما أكتب فلأني وجدت فائدة، أو لأني قرأت منشورا فأرسل له رسالة داعمة أو ناقضة، أو أكتب جوابا على سؤال في الخاص، وهذا كثير، إذا بذلت جهدا في الجواب فأفضل تعميمه.
الماجريات لا تهمني كثيرا، ولست أهلا للتعليق عليها، و النقد السياسي أفضله أن يكون فلسفيا لا سياسيا محضا،ومع ذلك أقدر الشخص الذي يغمس قلمه في الحياة على أن لا يغفل عن غمسه في الدين بين الفينة والأخرى.
أتعب في بعض البحوث جدا، و أشاركها بعد الانتهاء منها بسخاء نفس، هي قيمة جدا في نظري أثناء تكوينها، عندما أجيب على الإشكال ويزداد يقينيني بالقرآن والسنة،و أطمئن على منهجي، بعدذلك لا تسوى عندي بصلة!

الكتابة عندي أهم من القراءة لأن القراءة فعل أتلقاه في الحقيقة ، لكن الكتابة هي فعل أرسله أنا، هي إفرازي أنا، أما القراءة فهي النظر في إفرازات آخر.
عندما تتأثر بشخصية علمية فحتما ستؤثر على كتابتك، وستنقل إليك أسلوبها، وقد لا يناسب شخصيتك فموافقة أحدهم على أصوله لا يستلزم بالضرورة الموافقة على النتائج.
فكذلك لا تترك قراءتك تطمس شخصيتك، حاول أن تجد أسلوبك، لاتكبح عفويتك، لا تخاف من الخطأ فلا يخاف منه إلا تجار العلم، وقدر وزن الكلمات النفسي، و اما المنطقي والجمالي فأنت و ما تقدر عليه.
ماذا غيرت فيك الكتابة؟
هل هذبت طباعك؟ هل حسنت علمك؟ هل جلبت لك قراءة جديدة؟ هل جعلتك تكتشف قدرات دفينة في أعماقك؟
هذه الأسئلة هي معايير تقييم تجربتك في الكتابة.
الكتابة متعة وسعادة، هم وقلق، لكنها في كل الأحوال مسؤولية لأن "القلم الموثوق قد يجعل لا شيئ شيئا"و إما يشعل المصابيح و إما يكسرها.
وما نكتبه اليوم يرسل رياح الغد.
....

إذا قبلنا فكرة اختلاف المطالع عند الشعوب المتصلة أرضا فإنها تتبع زوايا الأرض والجغرافيا لا تتبع الحدود الإدارية !

العبادة بالفرائض كالبحر تغذيه الأنهر، فكلما قوي التطوع عند الإنسان دامت له الفرائض كما ونوعا
و العبادة وفقا للسنة دون الغلو و فوق التقصير، توافق الفطرة فلا تجهد النفس و البدن(ابن القيم)

مخاطر القراءة (02)
....

نشر الكتب في السنوات الأخيرة و الحث على القراءة موضة هذا العصر، لكن ماذا ينشر ؟وما قيمته؟

ماذا تقرأ؟ وكيف تقرأ؟ فتلك قضية أخرى مضيعة في السنوات الأخيرة .

القراءة مغامرة خطيرة جدا، قد تفسد دنياك برمتها ،وقد تضيع عليك آخرتك، قد تجعلك إنسانا سيئا؛ وكثير من القراءة الجهل خير منها، ودين العجائز وعقولهن أحسن منها لفهم الدنيا و العمل للآخرة.

لهذا لا تتهافت على الكتب بدون ميزان نظر، فبعضها غير ناضج، وبعضها خطير، لأن نشر الكتب يغلب عليه الآن الغرض الإشهاري والتجاري، هو مجرد وسام وهمي لا يعني بحال اكتمال رؤية الكاتب أو نضوج نظريته.

لذا فإن القليل من المكتوب الآن سيكون عمدة الأجيال القادمة.

هناك أعمال أكاديمية جادة من المفيد الاطلاع عليها ولكن الكثير منها تقرأه مرة ولن تعود إليه.

و بعض ما ينشر الآن تقريبا يشبه ما صنعه قدماء المتكلمين مع التراث الإغريقي..!

عندما لا تكون رؤية الشخص ناضجة كفاية يغش نفسه ويغش غيره لأنه سيشوه ثقافته، و الأفكار المكررة مهما كانت مزوقة معادة الصياغة لن تأخذ مكان الأصيلة.

والأفكار المشوهة والناقصة تموت بعد إطلاقها بفترة، أو بعد موت صاحبها إن كان له أتباع.

القراءة الكثيرة نافعة جدا لأن العلم يتحرك باستمرار وعليك التحرك معه، ولن تطور نفسك بدون سعة القراءة، ويمكن قراءة كل أنواع الكتب بغض النظر عن جودتها ومنزلة صاحبها في المعرفة لكن لمن يملك كليات جاوزت القنطرة، أما لغيره فهي مزيد من التيه.

بدون تلك الكليات فإن أي فكرة صيغت بأسلوب علمي ستعجبك، تقرأ كنط فيعجبك ! ثم تقرأ نقيضه فيعجب أيضا لأنه ليس لديك تلك الكليات الحاكمة التي ترد إليها كل الأفكار.

يجب أن تعرف أصولك الجامعة ومفاهيمك المركزية، فوحدها هي من يسمح لك بغربلة ما تقرأ، فإنه إن كانت الجزئيات التي يقدمها الكتاب معلومة، فإنه لا قيمة لها إن كانت كلياتها باطلة غير متوافقة مع الكليات الشرعية أو العقلية الضرورية.

وعليه فإن التركيز عليها وعلى تاريخك العلمي يسبق معرفة ما تولد في العصر الحديث،فمثلا إذا قرأت كتابا يتحدث عن المسؤولية أو الحرية تحتاج أن تكون ملما باصلك الجامع في الشر.
و إذا قرأت عن كيفية إدراك الواقع تحتاج إلى معرفة أصلك الجامع الذي يحدد ما هو الواقع؟ وهل التجربة الشخصية وحدها كفيلة بإدراكه؟
الأصول الجامعة والكليات الصحيحة هي شبكتك للقراءة والتفسير، وهي ما يشكل حسك النقدي.
يقول ابن تيمية :"إن معرفة أصول الأشياء ومبادئها ومعرفة الدين و أصله، وأصل ما تولد فيه من أعظم العلوم نفعا إذ المرء ما لم يحط علما بحقائق الأشياء التي يحتاج إليها يبقى في قلبه حسكة" المجموع 204 /19.
عندما نتحدث عن فعل الكتابة فنقصد البحث الذاتي: كتابة عشرات أو مئات الأوراق لتجمعها بعد ذلك في بضعة صفحات وتحرق الباقي إذا شئت،نقصد وسيلة التفكير ،ومستثير النقاش ،لا نطاق النشر، فهناك وسائل نشر تفتح النقاش و اما عرض بضاعتك على أنها كاملة، فهذا لا يمكن أن تدعيه إلا كتب معاصرة قليلة !

موجب كمال النفس في الدنيا و سعادتها في الآخرة هو تحقيق الشهادتين ؛الباقي كل الباقي مهما كان فاضلا مثل: الأخلاق و العدل هو متعة للنفس ووسيلة لكمالها(الحراني بتصرف)

التوقف في وسط الطريق!

.....
إذا لم تجدد علمك ستتوقف عن القراءة والطلب ، ستأتي عليك سنين حبلى بالأفكار الجديدة والدعوات والأحداث تشعر معها أن القطار فاتك وعندها لن تبقى لك رغبة في العلم.
و إذا كانت عندك نظرة تجارية للعلم تريد أن تلمس ثمرته من شهرة أو مال أو اعتراف.. الخ فستتوقف إن لم تحصل.
إذا لم يكن عندك استعداد نفسي لتعيش كما عاش أهل العلم مصاحبين للكتاب و للطلبة

و تتخلى عن جزء من راحتك الشخصية فستتوقف عنه.
طلب العلم طريق طويل ومهمة شاقة لكنه يمنح لذة لا نظير لها وسعادة حقيقية بأتم معنى الكلمة، يجمعك بخيرة الناس،ويبارك لك في دنياك ، وتعيش مع قوم تحي القلوب بذكراهم.

نحن ببساطة نمشي في اتجاه الأبواب التي تفتح لنا.. ؟

.....
الفكر الغربي مفخخ جدا ،انفجر على أهله قبل أن ينفجر على غيرهم، لا يوجد اليوم فلاسفة حقيقيون في الغرب ،لا يوجد إلا فلاسفة البلاطوهات من نوع " freudo marxiste" والفلسفة بضاعة كاسدة.
لم يبق في الغرب اليوم من الفلاسفة الجادين إلا الروحانيون وهم أبعد ما يكون عن الهدى القرآني ،ومع ذلك يعانون من عزلة و إهمال.
و اما أساتذة الاسلاميات واللاهوت والتاريخ الديني فكلهم تحت قبضة العلوم الذيلية للتاريخ و الانثروبولوجية الدينية وكلها براديجمات مادية ملحدة.
لا يوجد اليوم فلسفة في الغرب ،يوجد فقط أسلوب حياة مادي ومنهج التشكيك في كل شيء،و الولع بالتعليقوية و التجزئية.
عندما تنشر مراكز إسلامية كتبا أنجزتها مراكز جامعية غربية شارك فيها ملاحدة يهود ونصارى وزنادقة باطنية من شعوب إسلامية تدرس قضايا نحن أعلم بها منهم ،فهل يعرف هؤلاء علم الحديث أو أصول الفقه أو التفسير أحسن منا؟!
عندما يكتب الغرب عن علم الكلام الإسلامي فليس ليذكر دوره في صد الفلسفة الوثنية و اليهودية و النصرانية ولكن ليهدم أصوله كلها، الصحيح منها والفاسد ،ويدفع الشباب المنتمي إلى مذاهبه إلى الإلحاد، فماذا سيفعل إذا أقنعته بأن كل مواده إغريقية و يهودية ونصرانية ؟
وهو شيء غير صحيح، هناك عناصر فلسفية بلا شك لكن علم الكلام الإسلامي طبقات ،بعضها ذاتية المرجع مثل الطبقات الأولى ،والتي يحاولون تسميتها بعلم الكلام النصي أو الاثري ، والوسطى والمتأخرة هي التي نلمس فيها عناصر فلسفية و الاحتكاك بين الحضارات أمر طبيعي جدا، فتفاعل الأفكار وهناك نقاش إسلامي

داخلي يمتد لقرون لذا لا نحتاج إلى ترجمة هذه الكتب إلى اللغة العربية من قبل مراكز إسلامية دون تمحيص وتعليق.
نحن بحاجة إلى ترجمة الدراسات الغربية في العلوم التي لا نملكها، وبشرط أن نراجع براديجماتها، ونكتب لها مقدمات علمية لائقة، ونعلق عليها بما ينبغي، أما دفعها هكذا كما هي فهذا لن يجعل الشباب يتعلق بعلم الكلام الإسلامي، ولن يفر منه إلى السلفية التي ينظرون لها بنفس الطريقة بل للإسلام كله، ولكنه سينتقل إلى الإلحاد، أو إلى أسوأ منه "عدم الاكتراث بالدين أصلا"
أي معرفة تنشرها هذه الكتب؟ وماذا تتوقعون من ملاحدة وزنادقة أساسا يعتبرون الإسلام دينا وضعه بعضهم؟
أي علم عن علم الكلام الإسلامي سيمدونكم به و أنتم أهله و أصحاب مراجعه؟
إذا كان المعتني بترجمة هذه الكتب لم يقرأ تاريخ الفلسفة و مذاهبها ليتتبع بنفسه تاريخ الأفكار وتقاطعها فلا يصلح لهذا المجال.
غالبية الشباب الذين تأثروا بدعاة التنوير فسد دينهم، منهم من ألحد، ومنهم من تنصر، ومنهم من بقي معلقا بالإسلام بخيط عقلي رفيع بدون عبادة وولاء وبراء، خربوا لديه معيار الحقيقة ومقاييس الأمور.
يعتقد بعضهم أنه يخدم هذه المذاهب لانه نشر كتابا غربيا عنها وهو في الحقيقة يخرب فيها..!!
الغبي معجب بشهادة الغربي و إن لم يدري إلى ما تؤول إليه !

الحيلة الغربية والتقصير الإسلامي
شروط الترجمة!

.....
الدراسات الغربية للإسلام ومذاهب أهله أكثرها تخريبية ،وهم لا يقرون للمسلمين بأي إبداع، في الفلسفة نحن مجرد سعاة بريد نقلوا إليهم التراث الإغريقي، وفي العقيدة ليس الإسلام إلا اقتباسات من اليهود والنصارى!
وعلم الكلام الإسلامي متأثر باللاهوت اليهودي والنصراني ليس فقط في المسائل ولكن كذلك في الدلائل!

هناك محاولات محتشمة من بعضهم يعترف للمسلمين ببعض الأصالة في العلوم الطبيعية والآداب لكن في القضايا الدينية جل أعمالهم تخريبية تستهدف كل المذاهب الإسلامية بدون استثناء.

في فترة ما روج المستشرقون للمعتزلة على أساس أنهم يقدمون العقل على النقل ويؤصلون للحرية؟!

لكن الاتجاه الغالب عليهم هو التركيز على غربية المصادر الكلامية الإسلامية.

كما فعل سانتيلانا في كتابه "المذاهب الإسلامية" ، يحاولون إستبعاد أي عقلانية قرآنية، فنحن ما بين أصحاب عقل إغريقي أوعقل باطني! كما فعل هنري كوربان في كتابه "تاريخ الفلسفة الإسلامية" لكن الجميل في هذا الكتاب الأخير هو أن المقدم له موسى الصدر لم يكتف بالتقديم فقط بل راجعه، وناقش كوربان في كل ما نسبه للشيعة نقاشا قويا لأن الكاتب نسب_ بالنسبة إليه _للشيعة الإمامية المذاهب الباطنية، والقول برمزية الخطاب القرآني الأمر الذي لا نجده في بعض الكتب المترجمة.؟!

مع أن كوربان بذل جهدا جبارا في دراسته، وخالف مراكز البحث الغربية التي تعمدت إهماله، و إستبعاد كتبه من الدراسة!

والرجل على درجة عالية من النزاهة و التمكن العلمي إلا لأنه رفض التصنيفات الغربية الاستشراقية، وطرح أعماله كفيلسوف وليس كمستشرق ،لأن الاستشراق تحت تأثير النموذج النودكلي يدرس الإسلام كثقافة شرقية غير عالمية في مقابل الثقافة الغربية العالمية ،فيضعون علم الكلام في مقابل المدرسية اللاتينية الوسطى، و يصنفون الفلاسفة كابن رشد في دائرة الفلسفة الإغريقية يعني: الغربية، فليست الفلسفة العربية _ هكذا يسمونها _إلا حلقة في الفلسفة الغربية، ضاربين بعرض الحائط التكييف والتطوير الذي أدخله عليها الفلاسفة في العالم الإسلامي.

بطبيعة الحال تصرف كوربان بحكم ميله واختصاصه في التصوف الباطني، فأنا هنا أتحدث من داخل دائرته، لكنه مع ذلك كان مصيبا عندما قاوم الشبهة الغربية التي أرادت نزع أي منطقية عقلية عن مذهب ابن عربي على أنه مجرد خيال بدون تأصيل فلسفي عقلي ؛فهذا غير صحيح بغض النظر عن قيمته المعرفية ونوع المنطق العقلي الذي انتهجه، وهو كسائر الباطنية العالمية يعتمدون ما يشبه المنطق الحدسي الذي وجدناه بعد ذلك عند سبنوزا وحتى عند شبنهاور.

وقد انتهى في دراسته إلى إبراز التشابه بين الاتحادية عندنا والافلاطونيين الانجليز و بومي و غوته وغيرهم.
لقد همش كوربان في الأوساط الأكاديمية الغربية بسبب مقاربته الفلسفية للاهوت و التصوف الإسلاميين كما أشار إليه فاسرستروم في "دين بعد دين".
والمقصود أن ترجمة الكتب والتقديم لها ليس تشريفا ولكنه مسؤولية.
عندما كنت أدرس كتاب "قرآن المؤرخين" لمدة أربعة أشهر تقريبا من أجل كتابة تعريف نقدي له وجدت صعوبة بالغة في إنجاز ذلك، فالكتاب ضخم، وشارك فيه ثلاثون باحثا، كل واحد منهم له منهجه وموقفه وخلفيته!
وليس من السهل الانتباه إلى كل المغالطات التي يدسونها في الكتاب فهي كثيرة جدا، وعليك متابعتها كلها توثيقا ومراجعة الروابط والاحالات و التوجيه الإسلامي لها.
هذه الطريقة المتمثلة في الكتابة عن الإسلام بواسطة اعمال ضخمة يشارك فيها عدد كبير من الباحثين من كل الآفاق متنوعي الاختصاص، ويجمع بينهم العلمانية أو الباطنية أو الموقف العدائي لما يسمى بالاسلام التقليدي، ولابأس ان تضم الدراسة شخصا أو شخصين يتسمان ببعض الاعتدال لكن الاتجاه العام للكتاب هو العداء المعلن أو المبطن، هذه الطريقة هي الرد الغربي على الانتشار السريع للإسلام في دياره.
المشكل عندنا هو أن يكلف شخص واحد بالترجمة، ومعلوم أنه ليس من دور المترجم ووظيفته النقد.
يمكن لشخص واحد أن يقوم بالترجمة لكن التقديم والنقد يجب أن يكون من مجموعة من المتخصصين المسلمين فلا يمكن تقديم دراسة غربية للمسلمين بدون تحقيق ومراجعة ونقد لها، فهذا تخريب للبيت بأيدينا.
عندما شرعت في قراءة كتاب "المرجع في تاريخ علم الكلام الإسلامي" (قراءة محلل) أدركت أننا هواة بدون حس نقدي فالمقدم له لم يتعرض بحرف واحد لمحتوى الكتاب مع أنه يشوه مذهبه، بل راح يحكي لنا عن تاريخ الترجمة في مصر، وغالب الترجمة التي تمت في مصر قام بها فلاسفة مصريون وليس علماء الكلام، هذا إذا لا يزال هناك فرق؟!
و أما المترجم فقد كان أفضل منه، وقف على بعض المغالطات وهي قليلة جدا، مع

العلم أن الإشارة إليها غير معالجتها، ومع الاعتراف أنه ليس بدوره.
وعلى هذا قدم الكتاب للقارئ العربي بدون مقدمة علمية تناسب حجم الكتاب والجهد المبذول فيه، و تدقق في خلاصاته، اغواها العرض التاريخي المنظم و الممنهج وغفلت عن مضمراته والفكرة المركزية للدراسة!
الموضة الغربية الآن هي أنه ليس الفلاسفة وعلماء اللاهوت من يتكلم عن المذاهب الإسلامية ولكن من يسمون أنفسهم باساتذة التاريخ الإسلامي، وهؤلاء يفوتهم الكثير لأن غالبية رصدهم جغرافي كرونولوجي فتفوتهم الحركة الدقيقة داخل المذهب الواحد ومختلف حساسياته، ونوعية ثقافة أصحابه.
يمكن لتدرك هذا الأمر أن تنظر في مسألتين :تاريخ علم الكلام الشيعي، وتاريخ المذهب الأشعري.
عندما يطعن الغربي لا يفعل مثلنا يضلل ويستهتر و يحتقر ولكنه يطعن بما يشبه العلم، يحرف الحقائق، فالخلاصة هي إلباس علم الكلام وظيفة لم تكن له، وتشويه مفهوم التجديد مع إغفال تام للتقديرلحركات التصحيح القديمة والجديدة.
لا يكفي عرض المحتوى بدون ابداء قيمة، كما يجب أن يقابل العمل الغربي بما يناسبه فنيا ومنهجيا، مع ضرورة الانتباه إلى الفرق بين المقاربة الفلسفية الغربية النادرة و المقاربة الاستشراقية التي لا تزال تحمل نفس الروح.
لا يمكن أن نغلق النقاش مع الغرب لكن النقاش شي والتلقي شيء آخر، وما عندنا من سم صنعناه بأيدينا لم نقلل لحد الساعة أثره على العقل الإسلامي يجعلنا في غنى عن السم الغربي.

لا تؤخد المذاهب من الخصوم..!

......

هذه كذبة استشراقية نفقت عند المسلمين، يريدون بها تجديد الاهتمام بما انقرض من أفكار في العالم الإسلامي !
و هي في الحقيقة تجعل كل المسلمين كذبة، يكذبون على بعضهم بعضا،لا يوثق فيما ينقلهم بعضهم عن بعض، يعني :سقوط عدالة الكل!
بالنسبة لشخص اعتنى بالنقاش العلمي بين المسلمين وعنده حظ من منهج علمي

رصين يعلم شيئين :
الأول :أنك توثق مذهب طائفة بالأسانيد إلى أئمتها وبمراجعها التي تمثل كل طبقة من طبقاتها، لا طبقة واحدة.
الثاني :مما ينقله خصومها عنها و يشهدون به فإنهم وإن صاروا بسبب النعرات والخصومات السياسية وغيرها إلى التهويل أو التهوين بقصد التشنيع فهذا يمكن للدارس النبيه أن يعزله عن الموضوع العلمي كما أنه لا يفعله كلهم،فبعضهم لا يظهر منه العداء، وعنده اعتدال ، وربما فيه ميل إلى بعض أقوال تلك الطائفة.
والغالب أنهم يفعلونه بتضخيم لوازم الأقوال أما الأقوال في حد ذاتها فإن العالم المسلم ملزم بالصدق والأمانة في نقلها.
وماذا ينفعه أن يرد على طائفة بقول ليس لها، فإنها حينئذ تكتفي بنفي القول وتتخلص جذريا من الاعتراض.
إضافة إلى أن كتبة كتب المقالات ينتمون إلى هذه المذاهب فإن وهم أحدهم صحح الآخر لاختلاف المذهب فمثلا معلوم أن أهل الحديث لم يكتبوا في المقالات بل كتبوا في السنة وتعني عندهم هنا الرد على المتكلمين في مسائل التوحيد و الإيمان ومع ذلك مذهبهم معروف عند الكل، قد تفوت كاتب المقالات بعض تفاصيلهم ومذاهبهم الدقيقة أو ينسب إليهم ما لا يصح نسبته لهم لكن ليس لأنه كذاب ولكن لأن ذلك أقصى ما يعرفه عنهم، أو قد تلقى مذاهبهم عن فرد واحد منهم ليس بإمام جامع أو بمحقق فيهم.
و إذا جئنا إلى الأشعرية فسنجد أن بعضهم مثل محديثهم وفقهائهم يميل إلى طبقتهم الأولى ومنهم من فيه ميل إلى بعض أقوال المعتزلة ومنهم من فيه ميل إلى الفلسفة ليسوا متطابقين من كل وجه، وكذلك الحنابلة.
فإذا جاء أحدهم كما في "المرجع في علم الكلام" في المجلد الثاني وبحث مذهب الإمام أحمد الكلامي وكل العالم الإسلامي يعلم أنه كان على طريقة أهل الحديث من أشد الذامين لعلم الكلام فكيف ننسب إليه مذهبا في الكلام وهو يرفضه إبستمولوجيا و انطولوجيا؟!
بعد ذلك يجعلون المذهب الحنبلي الكلامي واحدا وهم فيهم مفوضة وموؤلة ومثبتة و اتحادية وغيرهم، وفيهم من يقترب كثيرا من الأشاعرة كما فيهم من يقترب من المعتزلة بخلاف أصحاب الإمام من المحدثين.

و يزيد الطين بلة ويصنف ابن تيمية وابن القيم تحت اسم "الحنابلة الجدد" مع أنهم لا يجمعهم بالحنابلة المتكلمين أي صلة بل هما على مذهب أهل الحديث، و يدافعان عن العقيدة المبثوثة في كتب السنة ،وعن شخصيات كالبخاري والدارمي وابن خزيمة والبربهاري و الهروي والحربي، وابن بطة والاثرم والسجزي والأجري واللالكائي والصابوني،الأنصاري و هذا الصنف، ويوثقان مذهبهم بكتبهم و اسانيدهم.!

يزعم كتبة هذا الكتاب الذي ليس له هدف إلا بث التشكيك في تاريخ علم الكلام الإسلامي أننا لا نعرف مذهب الكرامية ونوهوا بالاهتمام الإيراني الحديث بهم؟!

ونحن نعلم أن الإيرانيين المعاصرين سيناوية و الكرامية ينسبون للتجسيم ،أي ربما يشبهون من وجه قدماء الشيعة المجسمة قبل عصر ابن أبي الحديد.

والأهم من ذلك أن المذاهب الكلامية الإسلامية الكبرى نقلت أقوالهم و أدلتهم و آراء أئمتهم.

في الحقيقة ما يمكن أن يستخلصه الباحث من كتب المذاهب عن المذاهب المختلفة أقوى بكثير و أدق و أوثق مما يؤخذ من كتب المقالات.

كيف نفهم أن كتبة هذا الكتاب لم يشيروا إلى المادة الموجودة في كتب الأشاعرة وعند ابن تيمية عن الكرامية ؟!

يقع في العلم أن ننسب لشخص أو لمذهب مقالة غير دقيقة، فهذا يرجع للوهم الإنساني، لكن لا تتفق طائفة برمتها لا تستحل الكذب أو ترى جواز نصرة المذهب به على نسبة مقولة غير صحيحة إلى خصومها (مع تقدير أن ينتقل الوهم من واحد إلى البقية) ومع ذلك هناك الطوائف الأخرى.

في كل مذهب يوجد مرتزقة يعزفون على هذا الوتر، يستغلون عدم وصول المخطوط إلينا لتكذيب نسبة المقولة، وفي أحيان كثيرة يفضحهم الله فيظهر المخطوط!

هذا المنهج الاستشراقي المختل ومقولته هذه راجع إلى العقلية المادية التي لا تعترف بالخبر كمصدر للمعرفة، ولا يوجد عندها شي يسمى التصديق(سيأتي في منشور قادم)

المقاربة الفلسفية و المقاربة الاستشراقية الاختزالية ؟

......

كنت أشرت في مقال سابق إلى وضعية هنري كوربان في المجتمع الأكاديمي الغربي وما تعرض له من إهمال لأنه عارض ورفض مقاربة المستشرقين وفضل بدلها المقاربة الفلسفية.
وهذا لأن الفيلسوف عندما يدرس علم الكلام أو التصوف لا يقف كثيرا عند الأمور التاريخية ويغرق دراسته ببلوغرافيا الموضوع كما يفعل المستشرق تجد في الصفحة الواحدة إشارة إلى عشرين دراسة نصفها يثبت ونصفها الآخر ينفي ! ، وأكثرها صادرة من نفس الجهة، يعني من المراكز الجامعية الاستشراقية فيظن الغبي عندنا أنها "très bien ressourcé"!
الفيلسوف يتناول عقلانية ومنطقية الفكرة بحسب العقلانية و المنطقية المعتمدة عنده، يبحث عن التأصيل العقلي للفكرة بينما المستشرق يتكلم عن الفكرة من خارجها، من خلال ما كتب عن تاريخها بغض النظر عن مصداقية المكتوب فهو لا يعترف إلا بالوثيقة!
هذا المنهج الاستشراقي المختل راجع إلى العقلية المادية التي لا تعترف بالخبر كمصدر للمعرفة، ولا يوجد عندها شي يسمى التصديق!
يوجد في تاريخ الفلسفة نوع من المقاربة يسميها بعضهم: "مقاربة زمالة: وهي دراسة النصوص بروح" عقلية" زميل أو خصم أو طالب أو أستاذ بهدف التعلم منهم، ننتقد لكن مع استعداد للتعلم منهم ، يقول جوناثان: " أعامل الكبار الموتى، كأنهم كبار وأحياء، كأشخاص عندهم ما يقولونه لنا الن "
في كتابه «من المنطق إلى علم الكلام" يطالب جول فيلمان وهو مؤرخ الفلسفة من مدرسة غيرولت من قارئيه أربعة امتيازات: " الأول: يعطي حق التفكير، عندما يقدم مؤلف قضية يعتبر ناقده أنه يقدم في نفس الوقت مجموع نتائج هذه القضية.
الثاني: يعطي حق قراءة النص المدروس في لغة المعاصرين، يأمر بالوفاء لروح النص وليس لحروفه.
الثالث: يدعو إلى اعتبار فلسفة ما كنظام وليس كـ «أنشودة نشوة"غير مترابطة.
الرابع: الحق في أن أكون نفسي، لأنه يكون التاريخ عبثا إذا لم ينيرنا ولا يستطيع أن ينيرنا إلا بالمسافة التي نتخذها معه".
يعني أنك إن كنت تبحث عن الفهم تدخل أولا في النظام الذي تريد دراسة مذهبه حتى

تتصوره بتصور أصحابه فهذا يسمح لك بفهم الأسباب الموضوعية التي افرزته وبالتالي إقامة العذر وبعد ذلك تقرأه بنظامك أنت حيث تكون في مرحلة التقييم والنقد. الاكتفاء بالوصف والنقد الخارجي لا يعطي لمؤرخ الفلسفة الشعور الحي والأصيل بالموضوعية .

حتى وإن اعتقدنا أنه يمكننا الوصول إلى حقيقة علم ما، ويجب أن نميز هنا بين التخريب بالوصف الذي يقوم به المستشرقون وبين التخريب بالتحليل العقلي، فكيف نصنف العلم موضوعيا إذا كان العلم الذي نعمله جعل نفسه نظاما يحدد بنفسه ما هو الواقع، يعني: الموجود والمشكوك في وجوده بدون فحص المحتوى، بمجرد السرد الكرونولوجي لأسماء مؤلفين في هذا العلم

تهدف الفلسفة إلى الحقيقة بغض النظر عن منهجها، وماذا تقصد بالحقيقة في حين يهدف التاريخ الاستشراقي إلى الوصف، بحيث يكتسب الشيء مشروعيته بمجرد انه موجود بغض النظر عن التفاعل الذي وقع بينه وبين غيره، وأسباب اندثاه، ومدى مطابقته لأصول الدين الذي ينتمي إليه.

أصبحت الحقيقة مرتبطة عند المؤرخ الغربي بتاريخ نظام الكتابة ومجموع الحروف والعلامات والرموز، الذي أخذ بعد سبعينيات القرن الماضي حيزا من الاهتمام بسبب تعدد نسخ الكتاب المقدس ولغاته الأصلية العبرية والآرامية إلى اليونانية واللاتينية، واختلاف نسخة كل قرن عن القرن الذي يليه، واختلاف الكلمات والجمل من نسخة الي نسخة.

ولهذا غلبت على دراستهم للنصوص الدينية الكتابة وتراجعت اللغة وغاب المعنى تماما؟

ما يظهر فساد أسس هذا المنهج هو اعتماد أحداث جاءت في أسفل النهر لنحكم على العين، فهذا تناقض داخلي خطير...!

وعلى هذا كيف للبعد المادي ان يشكل مؤشرا على الصحة؟

أقصد بهذا أن هذه العلوم الذيلية لعلم التاريخ تتعلق بالجانب الحسي للمكتوب ليس بجانبه المعنوي يعني: بالمظهر التقني، المظهر البصري، تحديد الموقع في الفضاء والزمن فقط.

فنحن نعرف أن تشكل علم التاريخ الغربي كعلم عقلاني في القرن 19 لم يرافقه أبدا

تفكير ابستمولوجي معمق، ولهذا ظهر مؤخرا ولع المستشرقين بإنتاج المكتوب ككتابة بدلا من الاهتمام بإنتاج المحتوى (اللاهوتي، الفلسفي، الأدبي) مع الفارق الشاسع بين أنواع النصوص، فالمخطوط لم يعد عندهم يمثل فكرة صحيح ـ خاطئ بالنظر في محتواه، ولكن بالنظر فيما يسمونه "العناصر المادية المنتجة له ويعنون "البيئة المحيطة به"، والنظام الكرونولوجي للمقالة.

ومعلوم أن صحة الفكرة نابعة من نفسها بمدى مطابقتها للأمر في نفسه، صدقها وواقعيتها، فهدفهم الأساسي ليس الفكرة نفسها ولكن محيطها الديني والسياسي وحياة الفاعلين فيه، مع التركيز على نقاط التشابه وإهمال أوجه الاختلاف، لا يتعلق الأمر بفهم الدلالة ولكن بالمصادقة على ظروف كتابة المكتوب إذن بعيدين جدا عن الحياد والبديه.

تتمثل أزمة براديجم علم التاريخ الغربي في الانتقال من المحتوى الي الوثيقة كرد فعل على دراسة تعدد الإنتاج، والوثيقة وحدها كنظام كتابة والبيئة المحيطة بها غير كافية للحكم بصحة المعنى.

نحن نعلم أن المعرفة ملك مشترك ،وأكثر اعتقاداتنا تعتمد على خبرة الغير، فبقول شهادة الغير طريقة أساسية لاكتساب المعرفة، ليس فقط عن العالم الخارجي لكن كذلك عن ذواتنا لأن النفس الإنسانية واحدة.

في كلمة الانثروبولجية ماري دوكلاس في كتابها "الدلالة الضمنية :"الاحتلال المتبادل لعقولنا هو الثمن الذي ندفعه للتفكير".

يوجد تقليد فلسفي انطلق من عند أفلاطون يميل إلى استبعاد الاعتقادات التي نكتسبها بواسطة الغير ،بينما يميز أوغستين في كتابه "فائدة الاعتقاد" المعرفة التي هي من اختصاص العقل والاعتقاد الذي هو من اختصاص سلطة العلمية.

ويتبعه لوك في ذلك الذي يؤكد أن أفكار الغير التي نكتسبها بالشهادة لا تصبح في عقولنا إلا مجرد آراء حتى ولو كانت صحيحة.

بعد الثورة المعلوماتية في المجتمعات الإعلامية بكثافة فرض على الإبستمولوجيين إدخال مفاهيم مثل :الثقة، والسلطة والاختلاف في تفكيرهم حيث تدرس الآن الابستمولوجية الاجتماعية ميكانيزمات الثقة التي ينبني عليها النظام الادراكي للمجتمع.(1)

ديكارت في كتابه عن الإنسان انتهى إلى تصور اختزالي للحياة،و مصطلح "اختزالي" فيه نبرة تحقيرية يعني الميل إلى التبسيط كما اختزل فرج الجبر في المنطق، يطلق كذلك على من يقدر إمكانية تفسير مجال أو تصور بدون الاستعانة بآخر.
هو موقف فلسفي من الواقعي وليس منهجا تفسيريا.
الاختزالية أنواع: فمنها الوضعانية، والاختزالية العامة: اختزالية ديكارت ونيتشه وهرسل، حيث التفكير التحليلي ضد التفكير المنظومي.
والمقصود ليس كل اختزالي وضعاني، ولكن كل وضعاني هو اختزالي، وكذلك التجرباني اختزالي في المعرفة، وكل من ينكر أنواع مصادر المعرفة ويقصرها على مصدر وحيد.
كمن ينكر الشهادة التي يدخل فيها التواتر كمصدر للمعرفة، أو يجعلها مختزلة للمعرفة بتعبير أدق.
ومن هنا صار العالم المعاصر مبنيا في مجالات كثيرة على تكذيب الشهادة وعدم تصديق كل ما يقوله الآخر، والتحقق من المعلومة يكون فقط من المصادر والوسائل التي على رأينا؟
المذهب الرافض للشهادة كمصدر للمعرفة الذي أحياه هيوم في كتابه "من الطبيعة" عارضه بشدة توماس ريد حيث عرف بموقفه المعارض للاختزاليين حول مسألة " الشهادة كمصدر للعلم والمعرفة" مخالفا هيوم، فهو يناصر أن الشهادة ليست مختزلة لبقية أشكال المعرفة: " لأن الكائن الأسمى غرس في الإنسان مبدأين، مبدأ الصدق يحثه على قول الحقيقة، ومبدأ التصديق يحثه على الاعتقاد فيما يقال لنا، وقد أخذ عنه هذا الموقف الفلاسفة المعاصرون في أبستمولوجيا الشهادة خاصة أنطوني كوادي و تيلر بورج.
لا يميز المستشرق بين اليقين الفيزيائي والذي هو نفسه يقبل الاستثناء كما في معجزات الأنبياء وكرامات الصالحين وبين اليقين العادي الموجود في الناس، والذي هو في حقيقته مبني على أسباب جادة مثل التلقي عن العلماء لكن لم تكن موضوع دراسة دقيقة وتفكير عند العامة، واليقين الإيماني الذي سببه الشهادة ، شهادة الإنسان كالعلماء أو شهادة الله بواسطة الرسل كما في وحي، وبين اليقين العلمي الذي يجمع

بين اليقين الإيمانيو الحقيقة التي يفهمها الإنسان مباشرة، والراجع إلى بداهة الحقيقة سواء كانت البديهة فطرية مباشرة أو بعدية مكتسبة.
المقصود أن المستشرقين يقوم منهجهم على نظرة مادية للتاريخ تستعين بعلوم ذيلية له نابعة منه او من الانثروبولجيا، وهو منهج وصفي يعتمد النقد الخارجي ولا يعترف بالخبر والشهادة بما فيها التواتر كمصدر للمعرفة لا يمكن الوثوق به بحال إضافة لعدم موضوعيته ولا عقلانية معاييره فضلا عن سوء القصد الطافح فيه.
....

1_ نقلا عن "هل يمكن أن نكون ضد اختزاليين فيما يخص الشهادة؟
غلوريا أوريجي.

القراءة الفعالة و قراءة القرآن!

....
لا يتساوى المسلمون في قراءة القرآن كما ولا نوعا، فهي بحسب عادة كل واحد وغرضه من القراءة.
في هذا المنشور قاعدة عامة في القراءة خاصة لمن لم يعود نفسه قراءة وردية مع الحرص على مسألة التركيز.
من الصعب المحافظة على التركيز الذي هو ضروري للتدبر
القرآن فوق عشرين دقيقة لكثير من الناس إلا بالتمرين والاعتياد، اما القراءة بفهم الكلمات دون فهم المراد لأنه نسقي فيمكنك أن تقرأ إن كنت تملك القوة مدة ٢٤ ساعة.
يقرأ القرآن تعبدا كما يفعل جمهور الناس ،ويقرأ تعبدا و تدبرا كما يفعل العلماء ،في هذه القراءة نحتاج إلى التفاعل معه و إلى التأمل والتركيز الشديد الذي يصعب المحافظة عليه لأنه يشبه التجريد.
يؤكد خبراء الإدراك المعرفي وعلم النفس المعرفي و التربوي أن الإنسان لا يقدر على المحافظة على التركيز لأكثر من تسعين دقيقة(90)، بعد ذلك يتعب الدماغ و يشرد.
ويبلغ تركيزنا الذروة عند الدقيقة 25، ويبدأ الملل يتسلل إلينا عند الدقيقة 75 وهنا

ينصحون بالتوقف و أخذ قسطا من الراحة والعودة من جديد.
بالنسبة للذي لم يتعود القراءة ينصحونه بالقراءة ما بين 5 إلى 10 دقائق ثم التوقف لوقت قصير والمعاودة حتى يتم نصف ساعة قراءة، وهذه نصيحة ثمينة لطلبة العلم لرفع كمية القراءة عندهم والمحافظة عليها يوميا دون ملل.
نصف ساعة قراءة تعني ما يقارب حزبين أو يزيد بحسب وتيرة القارئ.
وفي حزبين خير كثير إذا صحت النية،لهذا أنصح الشباب أن يقرأ بحسب وتيرته ،ولا يحاول تقليد غيره ،و أن يحرص على التدبر والوقوف عند الأحكام الشرعية ، وفي مقام الدعوة يدعو ويتعوذ في مقام التعوذ ويتعامل مع القرآن على أنه يخاطبه هو بتلك الحقائق و الوصايا والعبر.

كيف تقيم كتاب بسرعة؟

.....
ملاحظة :
يعاني شبابنا اليوم من مشاكل مركبة سببتها الحياة المعاصرة ووضعية بلداننا: في قلة الموارد، أو سوء استخدامها، وعقلية الترقيع، وعدم الكفاءة.
تتراوح بين مشاكل شخصية وعائلية واجتماعية و تعليمية أثرت بشكل واضح على نفسيته بحيث يشكو كثير منهم من ضعف التركيز وصعوبة الفهم، وكثرة المطلوب منهم وتنوعه فيها خلط بين مرحلة بناء التصور ومرحلة التحقيق.
حتى البرامج التعليمية المقترحة نظرية لم تستخلص من تجربة طويلة في التعليم، لا تنقل له الحقائق التي سيواجهها ويواجهها الناصح نفسه،هي عبارة عن استطراد أثناء الكتابة من جنس الإمكان الذهني المحض ،ليست عن تجربة علمية ممنهجة، عن بحث عند خبراء المجال، وعن تفكير في تجارب واقعية معينة.
وكذلك أثرت على نشاطه وانتاجيته، و على قدرته على التعلم وعلى التعبد والتدين،جعلته معلقا بين عالمين :عالم الحضارة الماضية بعلومها و كتبها و شخصياتها، وعالم الواقع الذي يجري بسرعة.
وهو في عالم خطير كثر فيه دعاة الضلالة ، غير مأمون، تكاد القلوب تنخلع من موضعها خوفا من المستقبل، يمارس عليه ضغوطات رهيبة بثقافة مادية شاملة

متغلغلة في أدق أجزاء الحياة فإذا كان لنا أن نبقيه في حظيرة الإسلام الحي وحاضنته فيجب أن نقدم له آليات علمية (تكوينية) عملية يمكنه اتابعها بسهولة نسبية، تساعده على التعلم، وتفتح عليه المغاليق التي يواجهها مثل حيل للقراءة والفهم، وخطوات للتعبد، والتي تسمح له مع الوقت من الاعتماد على نفسه في التفكير والعمل.

لا نعلقه بمثاليات و نماذج لا يستطيع الوصول إليها، تبث فيه
الفشل، و تضعف من عزيمته، وقد تزهده في العلم أو في العمل،يجب أن يطلبها تلقائيا كقرينة على نضوجه و رسوخ الإيمان فيه وتوسع علمه.

الموضوع :

في الغالب يوجد عند كل شخص _ مشارك في فن ما أو مهتم به قرأ فيه عدة مؤلفات _ موضوع يتقنه ويحكم فصوله أكثر من غيره، فإذا نظرت في كتاب أنظر أولا في الموضوع الذي تعرفه فإنه سيدلك على قيمة الكتاب، من حيث توثيق المعلومة ،وجودة الطرح، وقيمته الاستدلالية.

وهذه الطريقة ليست ناجحة مائة في المائة لأن أكثر الكتب تتفاوت قيمتها من فصل لآخر، لكن رغم ذلك هي فعَّالة في الحكم على الكتاب بسرعة، لأن الكاتب المتمكن تنزل صرامته البحثية درجة، لا ينتقل من الجيد إلى الردئ !

هذه أسرع طريقة للحكم على كتاب و أيسرها.

و إذا كان الإنسان في بداية الطريق فإنه يعمل بنصائح من يثق في علمه، يقرأ ما يقترحه عليه إلى أن يطور مهارة القراءة لديه، وهي مرتبطة بتطوير حسه النقدي الذي ينمو طرديا مع توسع مداركه في العلم لذلك لا تتعجل امتلاكه.

تتطوير مهارة القراءة هو تطوير معايير التقييم التي يمكن أن نجملها في بعض النقاط :

1 _ شهرة المؤلف ،وقد تكون شهرته في فن واحد أو في عدة فنون، وهو المؤلف الذي تجاوزت أعماله الكبرى قنطرة النقد بحيث صار مرجعا في العلم عموما أو في بعضه.

2 _ ارتباط المحتوى بما تبحث عنه، فلا تقرأ قراءة عمياء بل قرر ما تقرأ مسبقا.

3 _ موثوقية المصادر ،وهذا يخص الكتب الإسلامية والغربية المعاصرة،لأن القدماء يحيلون إحالة عامة، وبعض ما يحيلون عليه لم يصلنا.

4 _ موضوعية المعلومات التي يقدمها، وهذا نعرفه من نسبة الحشو الموجود في الكتاب، و الحشو هو كل كلام لا تحتاجه الأطروحة.

5 _ دقة المعلومات ،و تتجلى في عمق التفكير ودقيقه، فهناك من يغلب على كلامه الإجمال، ولا يوجد لديه متابعة للفكرة إلى أصغر أجزائها ولوازمها المتاحة.

6 _ حداثة المحتوى يعني :ارتباطه بقضايا العصر و أحداثه، فمثلا :تقرأ كتابا في علم الحديث لمؤلف قديم لكن المحقق لا يعرج فيه على القضايا التي يكثر فيها النقاش في عصره.

كذلك عليك أن تنتبه إلى أنه ليس كل الكتب المكتوب على غلافها "تحقيق فلان" محققة، فشرط التحقيق أن يكون المحقق مشاركا في الفن، له باع فيه.

والتحقيق ليس ضبط الكلمات والآيات وتخريج النصوص وترجمة الأعلام، و ببلوغرافيا الدراسة فقط، بل تحقيق المادة العلمية برصد المذاهب و إيضاح محل النزاع، وربما تحريره هو المفيد.

أحيانا يتسلط جاهل أو مغرض غير نزيه ولا أمين على عالم أو مفكر بنقد يعكس عيوب نفسه وضعف عقله فينتهض أحدهم للرد عليه فتبتعد المادة عن مراد المؤلف المختلف حوله، فدائما ضع كلام المؤلف الأصلي معيارا بينهما إذا قدرت أن الخلاف بينهما علمي حقيقي ليس من قبيل مشاحنات ذوات أو مناكفات مذهبية.

هناك أمور سيصل إليها الشباب كما وصلنا إليها، والمفروض أن يصل حيث لم نصل إذا كان توجيهنا له جيدا، قد قدمنا له خبرتنا ليكسب الوقت، ولا يضيع جهده كما ضيعناه.

وعليه ؛لا يحتاج منا أن نركز الحديث عنها، فقط أوصله للربوة و سيرى ما رأيت.

القراءة النافعة : التي تزيدك هدى وحسن خلق، التي تزيد علمك بدينك، التي تزيدك فهما للعالم، التي تجعلك متقنا لوظيفتك ،والباقي تسلية مباحة أو محرمة أو تبذير للعمر..

القراءة الناجحة.. ؟

.....

تكون القراءة ناجحة عندما تحسِّنك ،وعندما تجعلك تتقدَّم.
تحسِّنك كإنسان تحسنت روحه فازداد إيمانا ومعرفة بالله واتباعا لرسوله، فهذه لعمر الله أنجح القراءات.
يمس التحسين الذي تسببه القراءة الناجحة _ إضافة إلى ارتقاء الروح إلى المنازل الشريفة و المقامات العالية في الإيمان والمعرفة الإلهية و العبودية _ العقل حينما تزوده بمنهج لفهم ذاته ،ولفهم العالم حواليه، بمعلومات موثوقة تثري علمه الذي يبني به رؤيته الوجودية التي يعيش بها ويموت عليها، المبنية على الفضائل والقيم النبيلة كالصدق و الموضوعية و الإنصاف.
يزيد في عقلك كل ما يزيد في خيرك ويقلل من شرك،فإنما كمال العقل في الحكمة، وهي أن تعرف الحق وتعمل به، و أن تصلح دنياك وتعمل لما بعد الموت.
قد تجعلك القراءة النافعة تختبر شعورا نبيلا لم تعرفه من قبل، تتعرف على أخلاق نادرة لا يتصف بها إلا الصالحون و العقلاء.
أنت في نفس الوقت :إنسان، و مسلم ،ومواطن، و ابن ،وأب، وأخ، و زوج، و صديق، و جار، وزميل، ورفيق، وطالب، ومسؤول.. الخ، كل هذه الصفات إذا تحسنت بالقراءة فقد كانت ناجحة، وهي تتحسن عندما تحقق واجبات كل صفة من هذه الصفات، كما أوصت به الشريعة.
كل هذه الصفات تدور بين الواجب والكمال، فجبر التقصير فيها لتحقيق الواجب منها تحسن، وروم الفضل فيها تحسن نحو الكمال.
القراءة التي تحسنك هي القراءة التي تبدأ بتحسين داخلك، تعلمك سلامة الصدر، العفو، ومسامحة الجميع، خلو القلب من الضغينة لأحد.
هي القراءة التي تعلمك الحفاظ على كرامتك، و أن النفس كلب لا يتوقف عن اللهث ،و أنه لا حرية مع الطمع، حرية النفس في أن تقنع، لا تبالي بما عند الناس فالعبد حر ما قنع، لا يتعلق قلبه بأحد من الخلق كما قيل :"كن مع الخلق بلا نفس".
الحرية الحقيقية والأولى حرية الروح والضمير فلا يستعبد قلبك أحد.
تحسنك القراءة عندما تجعلك تتابع محابك المشروعة و طموحاتك الشريفة،تتجاوز الصعوبات، تقوي عزمك، وتلهمك السير، وتجديد المحاولة بعد المحاولة.
يتحسن الإنسان بأشياء صغيرة لم يكن يفعلها، سيشعر بالتحسن كل إنسان ينهض

ليصلي الفجر، ويشهد الصبح يتنفس، يشم هواء البكور قبيل شروق الشمس،سيشعر أنه إنسان جديد.
يشعر بالتحسن كل شخص يتعلم في كل يوم شيئا جديدا؛هي أشياء صغيرة تغيرنا و تجعلنا نتحسن، ونستمر في التحسن، نجمعها كالحصى فنشيد بها قصرا.
بالنسبة لي الكتاب الذي حسن نفسي وغير رؤيتي كان "إحياء علوم الدين" لأبي حامد الغزالي _رحمه الله _لم أكن أعرف يومها أنه مشحون بالأحاديث الضعيفة، و أن بعض مسائله غير دقيقة، لم أكن لانتبه لهذه الأمور لأني لم أعلم بوجودها.
الذي كان يعنيني يومها هو أنه كشف لي الفرق بين نفسين :نفس مريضة ونفس سوية، المريضة التي ملكها الحسد والضغينة، لا هم لها إلا الوصول لهواها ، ونفس شريفة، عالية الهمة، تتشوف للمتعالي، تسعى لرضا الله، تحب الخير للناس، وتسعى لسعادتهم، تمنح ما تقدر عليه، وعندما تقصر اليد تجبر خاطر المكسور؛وما هي إلا النفس الأولى تحولت إلى الثانية بفضل بارئها.
فتح علي الباب إلى هذا العالم الجديد، و حبَّب إلي الأحوال السلوكية لأرباب العقول، بعد ذلك سيدقق لي المحتوى، ويكشف لي مقاما أعلى كتاب آخر (ليس المهم عنوان الكتاب فكل إنسان وطريقه وعقله وطبيعته)
القراءة الناجحة لا تتوقف على جودة الكتاب نفسه، على قوته العلمية و أناقة لغته ووفرة حججه فقط، ولكن وخصوصا على أثره الذي يتركه فيك، فمن الكتب من تغير نظرتك للحياة وتريك الأمور بعين البصيرة، وهي كتب فضلاء السلف وكتب الذين يسيرون خلفهم بوعي يوقعون به على عصرهم.
وهناك كتب ترفع مستواك فجأة، تلخص لك عشرات الكتب وسنينا من الدراسة، هي كتب الأئمة المحققين الذين جمعوا بين العلم والعمل، بين السمع والعقل.
القراءة الناجحة موجودة في كل الكتب تقريبا مع تفاوتها في العلم _ إذا كان المقصود بالنجاح هو أن تستل منها فائدة تنفعك _ لكن ذلك موقوف على حسن قصدك، وعلى تواضعك أمام الحقيقة، فإن الحق عليه نور لا تخطئه إلا النفس المظلمة بأمراضها!
في كل الآفاق توجد كتب يمكنها أن تنفعك كمسلم، لكن فقط إذا كانت لديك مسبحة، عقد مصنوع من مادة هادية، يقبل أن تضع فيه تلك الخرزات التي تلتقطها من هنا وهناك.

القراءة الناجحة هي التي تجعل الإنسان المؤمن في داخلك يزهر ليملأ الأجواء حوله عبيرا، والرحاب بعد ذلك ثمارا.

Image may contain: tree, plant, sky, cloud, grass, flower, outdoor and nature

الآن اكتشفت نفسي..!

...

بعض الشباب ما إن يستقيم على الجادة لا يكاد يميل عنها إلا يسيرا، نزوله عن درجات الالتزام لا يكاد ينتبه إليه، مهما كانت العواصف التي تضرب في داخله يحافظ على مظاهره وعلى واجباته الدينية، يفعلها عادة! بدون لذة ! بدون تعلق حقيقي بها لكنه يحافظ عليها!

لم يبق يربطه بها إلا الحكم الفقهي،كون تركها كبيرة أو ما هو أشد لكن علاقة المحبة لها والراحة فيها تختفي في هذه الفترة.

نجد في كتب التراجم قصصا عن النماذج البشرية المختلفة، مثل :من يزهد وبعد فترة يقبل على الدنيا، من يطلب العلم الشرعي ثم يتركه،من يقضي حياته في الفلسفة أو الكلام أو الأدب ثم يتوب منها، وهكذا.

تجدون على عدة مواقع على النت، منها موقع جريدة الخبر لسنة ٢٠٠٩ مقالا تحت عنوان "الآن اكتشفت نفسي" للشيخ أبي عبد الرحمن بن عقيل الظاهري، وهو شيخ سعودي مشارك في علوم كثيرة و أديب ،ظاهري المذهب، له كتب ومقالات كثيرة يحكي فيه قصة حياته كطالب علم، وهي قصة مشوقة في حبكتها، وفي التحولات الإنسانية التي مرَّ بها ،يسرد فيه كيف أثرت عليه اختياراته العلمية فأفسدت نفسيته ،و عكرت باطنه، و أبعدته عن سيرة العلماء الربانيين.

كتب مقاله وقد بلغ من العمر 74 سنة يخبر فيه عن تجربته الشخصية، عن أخطائه :كيف عصى سلوكا وتقصيرا وغلبة هوى لا عقيدة، كيف عاش في الغفلة والتقصير و التسويف مع فترات صحو يسميها "الأفاويق".

وقد أرجع هذا إلى ثلاثة أسباب :

الأول: اتباع ابن حزم في ورطاته مع اختلاف البيئة، حيث غطس فيها حتى

غرق،فمن بيئة الحرمل والحنظل قلد رجلا عاش في بيئة زرياب وجواري النورمان، فتكلف التصابي تقليدا له، فتوحل في الحب والطرب، وانماع قلبه ووجدانه.
وقد قلت _ سابقا _ أن موافقة عالم على أصوله لا يوجب بالضرورة موافقته على نتائجه،فإن العلم تتداخل فيه أشياء كثيرة خارجة عنه.
كما يجب أن ينتبه طالب العلم في المسائل المظنونة وموارد الاجتهاد أن لا ينظر إليها نظرة فقهية محضة فقد ينتحر بها من حيث لا يدري، بل ينظر إليها مقرونة بحقائق النفس فإن النفس تميل للرجاء ،ولا يسوقها إلا الخوف و الخشية ،ولا تشبع مما يوافق هواها، وتكثر منه حتى يفسدها، وقد يرى بعضهم جواز المعازف ولا ينتبه إلى أنها تشغله عن القرآن، و لا تحرك النفس إلا للباطل.
فالفقه من العلم بأمر الله يحتاج إلى أن يكون مقرونا بالعلم بالله و بمعرفة النفس والشيطان والدنيا.
وقد كان الشيخ مولعا بالطرب حتى كتب سيرة مغنية! ثم تاب وقال :".. من غير جدال في تصحيح حديث وتضعيف آخر بل الأمر تجربة نفسية أن الغناء مهما كابر المكابرون يقسي القلب ويعين على هجر القرآن الكريم وحديث رسول الله وسير الصالحين" وقد صدق.
الثاني :الإيغال في العمل الفكري بدون تزكية النفس، وهذا يقع كثيرا للمهتمين بالفلسفة والكلام والفكر المعاصر عندهم ضعف في العبادة، يغلب على عقولهم الميل للدقائق، وكل هذه المواد لا تمد القلب بما يغذيه، ولا تزكي النفس، ولا يحد غلوتها إلا السلوك.
لهذا نجد شخصيات علمية مثل ابن تيمية تجمع في كلامها بين العلم والعمل، بين المنطق العقلي والسلوك النفسي.
وهذا لا ينتبه إليه بعض من أخذ عنه الجانب العقلي دون الجانب السلوكي فيتيح لهم الجدل العقلي التأول لأنفسهم فيتلفونها في الرخص، ثم لا يقوون على أسهل العبادات.
الثالث :التعلم لذات العلم مع شوائب من الرياء وطلب السمعة.
في الحقيقة التعلم لذات العلم ليس هو السبب، وقد نشرت قبل أيام مقالا في ذلك، فكثير من الأشياء من ضمنها العلم تحبب إلينا، وكوننا نفعلها حبا فيها ليس هو سبب فسادها، بل العكس عندما نحب العلم لذاته نقبل عليه بإخلاص ونسعى لاتقانه، و من عرف العلم عن قرب عرف أنه يكسر النفس ويفتح على الإنسان أبواب التواضع، وطلب

الأشياء القيمة ظاهرا وباطنا.
مشكلة الشيخ أنه فتن بامتيازات العلم، وغره عقله، وسبب ذلك ما ذكره من عدم تزكية فإن العلم بأحوال القلوب منفذ إلى العلم بالله الذي يهذب النفس ويحصنها من طلب الدنيا باسم العلم.
ولأن الشيخ محب للعلم حوى مقاله موضوعات ونكتا علمية ذيلية كثيرة ،سيسعد طالب العلم بقراءته، وسيسعد الانسان الكامن فيه أكثر.
وهذا المقال الفريد في عالم الشيوخ هدية غالية من الشيخ ابن عقيل الظاهري لطلبة العلم إذا ما عقلت قلوبهم جوهر النصيحة التي تضمنها، فإن لم ترغبهم و تعينهم لأن يكونوا الشاب الذي يظله الله يوم لا ظل إلا ظله "الشاب الذي نشأ في عبادة الله".
وهو الشاب الذي عاش شبابه على أحكام الشريعة لا يعني أنه كان معتكفا في المسجد منقطعا عن الحياة.
فعلى الأقل أن يكونوا سريعي الأوبة والتذكر، ولا تطول صبوتهم، ولا تكون عامة: {إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ}
لقد نال هذا الشاب هذا الشرف، وهذه المكرمة، وهذا الأمن، لأن الشباب شعبة من الجنون، يغلب عليه طول الأمل والغفلة عن الموت، مع قوة البدن والصحة التامة، وكثرة المغريات، وغلبة داعي الشهوة عليه، مع ضعف الخبرة والتعقل وسرعة الطيش، وبالتالي صعوبة كبح جماح الهوى، فمن سلم من الشباب فقد سلم كما قال ابن رجب.
لقد اتسم الشيخ بشجاعة أدبية وصدق وإلا لم يكن ليشرِّح نفسه لكم لتتعظوا، ومهما كان فإن الحقيقة تحرر الإنسان وتسمح له ببداية جديدة صادقة.
مقال الشيخ كما وصفه :بث علمي نفسي أدبي فني حي من رجل طلب العلم و أفرط على نفسه بسبب تلك المسائل الثلاث التي كتبت عنها من قبل فانتبهوا إليها.
من قرأه من قبل فقد لخصت له الجوهر، ومن لم يقرأه فهذه فرصته يتمتع ويتعلم ويتعظ.
كنت أود إضافة بعض الملاحظات عن السريالية والتسبيح لكنها لا تناسب القصد من هذا المقال.

مسودة الدستور.. ؟

....
لا شيء مما في العالم (المدرك) لا يوجد في اللغة، ولا شيء مما يكوِّن اللغة يكوِّن العالم[١]

يعمل كاتب الدستور أو القانون على لغة عادية، وحتى عندما يستخدم مصطلحات خاصة فإن غالب أدواتنا هي للأسف في نفس الوقت موضوعاتنا لأن مفاهيم الحس المشترك و التصورات العليمة يعبر عنها بنفس الحدود، مثل :دستور، سياسة ،دين ،سلطة ،قيم.. الخ [٢]

فمعنى "الدين" عند العالم غير معناه عند السياسي، وعندما يقول السياسي: "الإسلام دين الدولة" فهو لا يقصد "دولة الإسلام" كما يقصد العالم، ولكنه يقصد "إسلام الدولة" ليس له بُعد عقدي ديني تحمل عليه الكلمة بل الأظهر أنه يطلقه تحت بُعد ايديولوجية في حالتنا atypique ، مع علمنا بأنه لا قيمة للكليات بدون جزئياتها، فهي من تجعلها كليات واقعية أو مجرد تنظير ذهني.

ونفس الشيء يمكنك تطبيقه على مفهوم" تداول السلطة"التي ليست تغييرا للأشخاص ولكن للرؤية والبرنامج، و" الحرية السياسية التي ليست حرية التعبير ولكن الإمكانية الحقيقية و الفعلية للوصول للحكم ،و" ترقية اللغة العربية" التي أصبحت ثقل موازنة في صراع الهوية بدون أبعادها الحضارية،وغير ذلك.

ومن هنا يحدث سوء التفاهم لأن ابتذالية الاستعمال تغلب هم التعريف.

ومع ذلك لا يمكننا الاستغناء عن هذه الحدود المزدوجة الوجه لأنه ينقصها الدقة، لأن المهم بالدرجة الأولى ليس مثالية المادة القانونية، ولكن رغبة كاتبها في تنفيذ روحها وتجسيدها في أرض الواقع، وخصوصا وجود القوى التي تكرهه على تطبيقها.

عندما تجد السلطة نفسها تمارس السياسة وحدها، لا يقابلها إلا موقف فوضوي لا يستغل نقاط ضعفها ولا يستثمر مخاوفها ليقدم طلباته، فإنها تملك الحق مطلقا لتقدم الدستور الذي يسد ثغارتها، ويجبر نقاط ضعفها مستقبلا، يحميها من الفراغ الدستوري، ويكسبها الوقت للتعامل مع المستجدات.

الشيء الوحيد الذي يجبر النظام السياسي على التغيير هو الشيء الوحيد الذي لا تتوقعه الدساتير ولا تبث فيه، وهو القوة السياسية للرأي العام الذي يتبع تنظيمات

سياسية حية.
وعليه ماذا تملك المعارضة عمليا لرفض مسودة الدستور و اقتراح أخرى تلبي مطالب الحراك غير الحق المطلق للشعب في رفض ما تقترحه السلطة،فكيف يمكنها العمل على هذا العنصر، ولم تنظم نفسها بعد ؟!
لا يمكن أن تطالب السلطة بوضع مثالي لإنتاج دستور مثالي يكون نتيجة نقاش مجتمعي حقيقي بحيث أن المعارضة هي من تقترح المواد والسلطة تتداول فيها لأنك لا تناور سياسيا، غير مؤطر حتى التأطير الأولي الذي تفرزه طبيعيا الانتفاضات أو الثورات، وفي الحالة الجزائرية: الحراك الشعبي.
على قول العرب :"على كل كلام كلام" سيجد بعضهم نقاطا كثيرة إيجابية في مسودة الدستور سيقفون عندها ،وسيجد آخرون مثلها سلبية لأن القانون ليس إلا لعبة لغة، يقيده العرف والمضمر و التعطيل بقانون آخر وهلم جرا!
إذا طلبت التغيير دون أن تكون بارعا للمناورة في هامش ضعف السلطة لن تقترح عليك هذه الأخيرة إلا التغيير الذي يخدمها.
كما أن الدستور المعمول لكل الناس (يرسل رسائل مودة لمختلف الأطراف) ليس معمولا لواحد منهم.
ليست المشكلة في تقييم مسودة الدستور بقدر ما هي في مدى إمكانياتك المادية و المعنوية لرفضها أو تعديلها أو لتجعلها محطة لخطوتك التالية، بتعبير آخر :كيف ستنتقل من فشل إلى فشل حتى تنتصر؟!
ما هي خطتك لتدفع السلطة إلى قطيعة تدريجية مع ممارسات السلطة السابقة؟ كيف تقنعها بأن التغيير حتمي ولا يمكنه أن يظل لعبة لغة وشعارات إذا كنت تعتقد ذلك ؟ بعد كورونا أصبحت علاقة القوة في الحضيض فكيف تطورها و السلطة لا تكترث برغبتك، الذي يهمها هو الحصول على شيء منك، لذلك هي حريصة على وضعك في موقف ضعف و هذه هي لعبة السياسة إذا لم يكن النموذج السياسي نبيلا.
لعبة السياسة هي لعبة على أمراض المعارضة، تخنق التعبير الحر عن المواقف، وتولد علاقات صراع داخل المعارضة تمنع التعاون ،وتعرقل استقلالية المعارضة ،و تجعلها مع الوقت مدمنة على رحيق السلطة، كما فعلت مع المعارضة الرسمية التي صارت واعية و مهيكلة.

والمقصود أن الدساتير مجرد كلام على ورق، فعندما قررت الأنظمة في الغرب قمع الحريات واقصاء تيارات معينة والاستئثار بالحكم داخل مجموعة محددة لم تكن تلك الدساتير المثالية ذات فائدة للشعوب.
الوجود الواقعي في عالم السياسة يسبق الفعل السياسي.

.....
١_ وولف.
٢_ نتالي نيش، مقدمة "كل ما ليس بهوية" .

من يُقيِّم.. (؟)

....
عندما يقضي طالب العلم عمره يسبح فوق العلوم، لم يجد السبيل إلى الغطس في عمق العلوم الأسياسية التي تحتاج إلى تفاعل عقلي مباشر، يتكون لديه معيار واحد للتقييم هو "التعليق الأكاديمي" فلانه ظل على سطح العلوم يبهره كثرة الجزئيات، في حين كلما قوي علم الإنسان اهتم ببساطة الدليل ومباشرته.
التعليق الأكاديمي المعاصر ما هو إلا التعليقاوية بلغة أكاديمية و المتمثلة في التعليق على التعليق نزلت عن درجة التعليق على النص، تشبه إلى حد بعيد تخريج الحديث والتكلم عن الزيادات!
مشكلة المعلق في تلك البراءة التي ينتقل بها من النص إلى تعليقه، وفي الجهل بالمسار المتبع بقراءته التي تفترض نقطة بداية صامتة يمثلها تقليد الكتابة.
تجاوز هذا العائق المتمثل في اتباع المسار الفعلي الذي يقوده من النص إلى التعليق بإحصاء الشروط اللغوية لهذا الإنتاج للمعنى المضمر الضمني بالتعليق.
تمنع التعليقاوية إدراك تعقيدات المركب دون اختزاله في المقابلة بين جمل متفرقة..!
ليس الفكر العلمي مجرد تفكيك فكرة إلى أصغر عناصرها فضلا على أن يكون مقابلة بين جمل متكررة:قال هنا وقال هناك، وهنا سقط، ولعلها سين بدلا من صاد كما يفعل بعض المعاصرين.

لذلك إن لم تفهم النظام الفكري لعالم والذي يحكم عنده كل حقول المعرفة _ ولا يمكنك ذلك إن لم تفهم جميع الأنظمة الموجودة _لا يمكنك أن تعرف من فهمه ومن لا يفهمه من الناس ، وتقييمك حينئذ مجرد انعكاس لعلمك ليس انعكاسا لعلم ذلك العالم.

(لهذا يعجبني كلام بعض الشباب (في مصر والمغرب الإسلامي في مادة ابن تيمية لأنهم خرجوا عن وهميات التعليق الأكاديمي إلى التفاعل المباشر مع الفكرة كبديهة خاضعة لضروريات العقل لا إلى اختلاف الجمل المعبرة عنها.

الشخص التقليدي في التعامل مع علم الفقه سيظل طيلة حياته تقليديا في التعامل مع الفكرة، يبهره النفس الجمَّاع للجزئيات لا منطقية الفكرة،وتشابكها مع المفاهيم الكبرى.

ماذا استثمرت من علم الرازي في مقالاتك ،وتحليلاتك وكتبك حتى تعرف المتمكن من الرازي من المشارك؟

لفهم النظام الفكري لعالم تحتاج إلى ضبط معجم مصطلحاته وخاصة معجم أفكاره، بعد ذلك يمكنك التقييم.

تقييم الكتب ليس بأسماء المؤلفين ولا بعبارات القيمة ولكن بكشف القدر المميز فيها.

تقييم المؤلفين ليس لأن أحدهم يوافق اعتقادك في مسألة تشكل هويتك المذهبية، ولا الاختلاف معه معيار التقييم السلبي لذلك عندما تبدأ بالاعتراف بقيمة المخالف تكون قد أدركت ما هو العلم.

فهم السياسة !

....

السياسة إما أن تفهمها بالحدس، يعني: بمجرد وضع المطلوب تتمثل الحد الأوسط،وإما أن تفكر فيها مليا بعيدا عن الخبر نفسه، تعمل معطيات كثيرة لثقافة سابقة للحدث،فإن لم يكن ثمة حدس ولا فكر فهي الفوضى.

إنما يكون الاعتبار عندما نقيس الحدث الثاني بالأول، وكانا مشتركين في المقتضي للحكم، والاعتبار في كتاب الله تعالى الذي أمر به يكون بقياس الطرد وقياس العكس.

الإيمان الذي لا تزكو به عقولنا و أحلامنا لا تشرق به أيامنا(.. من ابن القيم)

حكمتان في (فهم) و (فعل) السياسة :
"لا يتبع المستشير نصيحة المشير لأنه لم يخبره بكل شيء" (!)
" لا أريد ولا أرفض شيئا مطلقا ،ولكني أستنصح دائما الظروف" (صيني)حكمتان في (فهم) و (فعل) السياسة :
"لا يتبع المستشير نصيحة المشير لأنه لم يخبره بكل شيء" (!)
" لا أريد ولا أرفض شيئا مطلقا ،ولكني أستنصح دائما الظروف" (صيني)

أي تسوية بنفسك و أي مواساة يا من يأكل يوم العيد الحلوى واللحم، ويفرح أولاده بلباس جديد عندما تعطي فقير اليوم ما لا تأكله، اللهم إلا إن كنت تسف الدقيق والطحين،أو تأكل الخبز حافيا؟!

العطاء..!
....
يعرف الإنسان قدر العطاء إذا مرت به أيام تألم فيها من لامبالاة الغير،لهذا عندما يمنح هذا يمنح حبًّا لا إكراها حتى لا تكون أعطيته إهانة .
وعندما تكتشف لذة الكرم ستخترع الأسباب لتمنح ما يدخل السرور على النفس المكسورة،وعندها ستتعرف على نفسك، ومع كل عطاء ستكبر روحك.(مستوحاة من أحرف)

صدقة الفطر بمقاربة إجتماعية إسلامية (!)
....
الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.
و بعد؛ فلقد قتل الفقهاء المسألة بحثاَ، وغسَّلوها وكفَّنوها وقبروها في كلِّ دليل كلِّيٍّ أو جزئيٍّ، و في كلِّ احتمال أو قرينةِ ممكنة، فاعمل بما ترجَّح عندك، أو بمذهب إمامك.
الفقه هو فحص طرق الاستنتاج ومن ثم طرق الاستدلال بعيدا ظاهر عبارة.

المقصود منه القدرة على استشفاف قيمة الأشياء،و على فحص فكري لصحة وحدود استدلال ما ،من خلال النظر في درجة مطابقة الدليل للمدلول.
بالبحث في تركيب الجملة وعلاقة الألفاظ بكونهما المقدمة أم أحد أوصافها، وفهم حدود اللفظ المعنوية.
وبالتحقيق المنهجي لشروط الدليل ومصداقية العلاقة بينه وبين المدلل،وبين النصوص الموجهة و النصوص العملية
الفقه هو الفحص الدقيق للعبارات ومساءلة قيمة العرضي و الثانوي و الاستئناسي و حظ البلاغة على حساب الجوهري يعني منطقية التلازم وواقعية التعليل.
الفقه هو القدرة على التساؤل بصرامة وعقلانية عن حقيقة، أوعن العلاقة المزعومة بين المقدمات و النتائج،ثم عن تأويلاتها،لكنه كذلك النظر في الأبعاد الاجتماعية للفعل التعبدي أو المعاملاتي.
لهذا رأيت أن أغير المقاربة التقليدية إلى مقاربة مقاصدية، اجتماعية ونفسية من واقعنا المعاش إذ هي في الحقيقة المرجِّح في الباب و إن كان واقعنا فيه الغالب وفيه النادر محاولا الابتعاد قدر الامكان عن الخلاف الفقهي لأنه واضح معلوم ولن أضيف فيه شيئا جديدا، و ليس الإشكال فيه سواء أخذت بهذا الرأي أو بذاك، وما وسع من سبقنا يسعنا، و إنما الهم و المصيبة تأتي ممن يريد فرض رأيه و تزييف رأي غيره.
وما يتخلل التعليل من اعتراضات هي لتأسيس القول لا لإحداث صور جديدة يمكن أن تتداول فيها المجامع الفقهية.
من يريد تجديد البحث في هذه المسألة عليه أن يجيب في بحثه عن القضايا التالية:
1 ـ ما هو الأصل الذي بُنيت عليه الزكاة في الإسلام..؟
2 ـ ما هو الانتفاع المراد تحقيقه يوم العيد..؟
3 ـ هل يتحقق بالقوت المدفوع في هذا العصر التسوية مع الفقير ومواساته...؟
5 ـ هل مراد النصوص في المصلحة التي تدور مع العلة أم في شيء آخر.. ؟
6 ـ هل نعطي المسكين ما يعرف هو أنه يحتاجه ويساله أم ما نريده نحن سواء في زكاة حول أو زكاة فطر..؟
7 ـ ما معنى قوله صلى الله عليه وسلم:" اغنوهم عن السؤال في هذا اليوم" فكيف يكون هذا الاغناء وماذا يسألون.. وهل هذا نص مفسر لنصوص زكاة الفطر..؟

بالنظر في نصوص زكاة الفطر نستخلص ثلاث مقاصد كبرى يجب أن توضع تحت النظر و الاعتبار عند الترجيح في هذه المسألة :

الأصل الأول: المواساة إذ كل العبادات المالية (سواء كانت زكاة بدن أو كفارة أو غير ذلك) بنيت على المواساة بين المسلمين، ولا تتحقق المواساة بدون مشاركة، فأنت تواسي أخيك حينما تشاركه نعمك فتسد خلله أو أحزانه، فيجب أن تحقق صدقة الفطر هذا المقصد يعني: أن تتحقق بها المواساة، فهل ستأكل اليوم العيد مما تصدقت به أم شيئا آخر ..؟

الأصل الثاني: المساواة ، و تحديد الشريعة نوع القوت بأن يكون من قوتنا القصد منه تسوية الفقراء يوم العيد بأنفسنا فإئا فرحنا فرحوا و إذا طعمنا طعموا ، و السميد الذي يقدم لهم اليوم لا يمكنهم أن يفعلوا به شيئا إلا أن يبيعوه لأنهم إما لا يحتاجون إليه ، أو يحتاج إلى مواد أخرى ليعدوا به طعاما ، ولم يكن هذا مراد الشارع.

فما لم يفهمه بعض الناس أن السميد أو الطحين لم يعد يفي بحاجة المسكين يوم العيد سواء إذا أراد طعاما أو أراد سد حاجة اخرى مع تجدد اعتبارات اجتماعية تغير بها عرف الفرحة العيدية ومفهوم التكافل الاجتماعي.

فمثلا لم يكن في زمن النبي صلى الله عليه و سلم طعام مخصوص ليوم العيد، ولكان الناس يصنعون له الحلوى ويكسون أولادهم و أنفسهم الجديد.

و إذا توفر لدينا نص صحيح صريح بأن نغنيهم عن السؤال يوم العيد فيجب أن تكون صدقة الفطر استجابة لسؤالهم لأننا لا نخرج غيرها ، فإن سألوا الطعام اعطوا الطعام، و إن سألوا غيره _ و حاجات الفقراء كثيرة و متعددة _اعطوا النقد الذي يفي بكل ذلك .

و المسكين يسال ما يحتاجه،و تحصيله هو ما يسبب له الفرحة و الرضا و الاستغناء المطلوب المراد شرعا .

2_ غالبيتنا في هذا العصر لا يملك في بيته القوت الذي يخرجه بل قيمته، لأننا صرنا لا نتخذ "عولة" العام بل نشتري طعامنا في كل يوم أو مرة في الأسبوع كالخضروات وبعضنا يشتري الزيت والسكر والقهوة ومثلها مرة في الشهر.

لهذا نشتري السميد ونتصدق به،لا نأخذه من قوتنا اليومي، يعني: مما نذخره للطعام.

كذلك نستفيد من مسألة تسوية الفقراء بأنفسنا أن يأكلوا من جنس ما ناكل يوم العيد لأن

الصدقة تكون من فضل قوتنا يوم العيد، ونحن لا ناكل يوم العيد لا السميد ولا الطحين ولكن طبخة مركبة منه ومن غيره، فالسميد ليس طعاما بمعنى أكلة ولكنه مادة خام يصنع منها الخبز أو أي طعام آخر ، يعني: يحتاج إلى التحويل و مواد أخرى.
ولفهم أن النصوص الشرعية مقرونة بحكمة تحقق مصلحة ليست لمحض قهر التعبد أنظر في الواجب في زكاة الحول_ ابن تيمية_ في أصناف الحيوان: الإناث دون الذكور الا في التبيع وابن لبون لأن المقصود: "الدر والنسل" وإنما هو للإناث، إذ المقصود النفع بالاستنماء والاستنفاع المستدام من الحليب والنسل.
بينما في الضحايا والهدايا يكون الانتفاع الآني وهو الأكل، وهنا الذكر أفضل من الأنثى فقدم.
وصدقة الفطر وجبت في الأصل طعاما لأن المقصود الانتفاع بها الحالي يوم العيد اكلا، ولذلك كانت من جنس الكفارات.
وعلى هذا لم يتحقق المقصد منها وهو الانتفاع الحالي "الأكل" بما يخرجه المسلمون اليوم من السميد والطحين إلا في بعض الامكنة يتساوى فيها المتصدق والمتصدق عليه حيث لا يزال طعامهم بسيطا ويطحنون ويعجنون في بيوتهم.
كما انه لا يحقق المساواة، ولا ينتفع به الفقير يوم العيد فيشبه أن يكون عملا بدون فائدة حالية للمسكين.
قال ابن تيمية في (المجموع) 25/68:"... وأما إخراج القيمة للحاجة أو المصلحة أو العدل فلا بأس به... إلى قوله :مثل ان يكون المستحقون للزكاة قد ذاب طلبوا منه إعطاء القيمة لكونها أنفع فيعطيهم اياها"ومعلوم أن زكاة الحول أعظم من زكاة الفطر.
تذكَّر أن الزَّكاة ليست ضريبةً تُثقل كاهلك، ولكنَّها عاطفة وروح اتِّجاه أخيك.
فإذا وجدتَ من يأخذ منك حفنات السَّميد بطيبة نفسٍ، وهو راض فرح بما أخذه منك فأخرجها سميداَ أو من كلِّ ما تقتات منه.
يفرح المسكين_ اليوم _في يوم العيد إذا كسا أبناءه ثياب العيد..
يفرح المسكين يوم العيد إذا وفَّر لأهله صحن حلوى يشربون بها قهوتهم..
يفرح المسكين يوم العيد إذا كان عنده الغذاء والعشاء..
لقد تغيرت الأعراف إذا لاحظت...!
لا تتصرَّف تصرُّف من يريد التَّخلُّص من واجب، ولكن تصرَّف تصرُّف من يريد أن

يفرح معه الضَّعيف في حدود المستطاع.
أظنُّ أنَّ المسكين الذي يأخذ منك السَّميد موجود، أمّا الذي يفرح به فنادر!
"اغنوهم عن السؤال في هذا اليوم"فانظر ماذا يسألون في هذا اليوم إن كانوا يسألون..؟
رد النصوص الجزئية إلى النصوص الكلية، ولا تفعل فعلا_ لسبب ما_ عدم جدواه..
و احرص على الخروج بالفعل الواعي من تعقيدات الخلاف الفقهي إلى مصالح المجتمع الإسلامي المعاصر .؟
نعم هي عبادة ، لكن إخراج الزكاة هو العبادة و ليس جنس المزكى ، فزكاة الحول أعظم خطرا عند الله من زكاة الفطر ومع ذلك قبلها النبي صلى الله عليه و سلم من غير جنس ما يجب فأخذها ثيابا لأن أصحابه كانوا أحوج الى الثياب منهم إلى التمر ،وهذا دليل البخاري في إخراج القيمة.
وانظر مثلا إلى مرونة الشريعة في التكفير عن الجماع في شهر رمضان فهو عبادة فانظر إلى ما رواه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه لتعرف روح الإسلام و مقاصده العظمى وهو تحقيق المصالح و تكميلها بحسب الممكن من العلم و القدرة ودرأ المفاسد و تقليلها بحسب الممكن من العلم و القدرة ليكون الناس في أحسن ما يمكن أن يكونوا عليه رحمة بهم في الدنيا قبل الآخرة، قال أبو هريرة : ((بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلَكْتُ.
قَالَ: «مَا لَكَ؟».
قَالَ: وَقَعْتُ عَلَى امْرَأَتِي وَأَنَا صَائِمٌ.
فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هَلْ تَجِدُ رَقَبَةً تُعْتِقُهَا ؟»
قَالَ: لاَ.
قَالَ: «فَهَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَصُومَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ»؟
قَالَ: لاَ.
فَقَالَ: «فَهَلْ تَجِدُ إِطْعَامَ سِتِّينَ مِسْكِينًا»؟
قَالَ: لاَ، قَالَ.
فَمَكَثَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَبَيْنَا نَحْنُ عَلَى ذَلِكَ أُتِيَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِعَرَقٍ فِيهَا تَمْرٌ - وَالعَرَقُ المِكْتَلُ - قَالَ: «أَيْنَ السَّائِلُ؟» ؟

فَقَالَ: أَنَا.
قَالَ: «خُذْهَا، فَتَصَدَّقْ بِهِ».
فَقَالَ الرَّجُلُ: أَعَلَى أَفْقَرَ مِنِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَوَاللَّهِ مَا بَيْنَ لاَبَتَيْهَا - يُرِيدُ الحَرَّتَيْنِ - أَهْلُ بَيْتٍ أَفْقَرُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي..؟
فَضَحِكَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى بَدَتْ أَنْيَابُهُ، ثُمَّ قَالَ: «أَطْعِمْهُ أَهْلَكَ»))
عصى الله ثم أباح له أكل كفَّارته لأنه أحوج إليها من غيره... !
و قد يكون القوت غير منصوص عليه فيكون من باب القياس! فإذا جاز القياس على القوت جاز جعل النقد قوتا بل هو أقوى من القوت لأن النقد يستطيع المسكين أن يشتري به جميع القوت؟
كذلك تغيَّر أسلوب الحياة في كثير من الأماكن، فالناس لم تعد في الغالب تعجن الخبز في بيوتها بل تشتريه من المخابز ، و لا الخبز هو قوت أهل البلد كما يزعمون بل الكسكس أو مرق البطاطا والخضر أو الحبوب الجافة ، و الكسكس لا يُعمل بالدقيق وحده .
لذا فإن ما ذكرته من كون النقد أعم من القوت المخصوص لأنه يتناول كل أنواع القوت ، فيسد حاجة الفقير إلى القوت والي غيره، وهذا الذي جاءت به الشريعة، وهو سد الحاجة والاستغناء عن السؤال، لا مراعاة جنس المزكى به ولو لم يسد حاجة، فهذا يجعل الشريعة تقصد ما لا نفع فيه ...؟
فعليك بفقه له علاقة بواقعك الذي تعيشه لا بواقع الصحابة رضي الله عنهم،فالعرف هو الحاكم في مثل هذه الحالات،نحتاج لروح الشريعة.
و إنما الإيمان أن تحبَّ لأخيك ما تحبُّه لنفسك، و أن تفعله في حدود قدرتك، و إن أصعب الأيام على الفقراء أيام العيدين تكاد قلوبهم تتفطر فإن أثقل شيء عليهم عندما لا يجدون شيئا يغيرون به نفسية أولادهم في يوم مخصوص.
في يوم مخصوص شرعا وعرفا كيوم العيد يجب أن يكون عمل المسلم مع أولاده و جيرانه و الناس أجمعين مخصوصا يخرج عن العادة.
وعليه فإن المطلوب الخروج بالفعل الواعي من تعقيدات الخلاف الفقهي إلى مصالح المجتمع الإسلامي المعاصر .؟
و الغرق في الخلاف الفقهي لن يحل أية مشكلة تواجه المسلمين، وهو أشبه بالدوران

في فراغ إن لم نجدد مقاربتنا له بالترجيح خارج دائرة الجدل الفقهي..
فمن الخلاف ما لا يتحرر محل النزاع فيه بسرد أقوال الموافقين والمخالفين من الفقهاء،فهذا أسهل شيء، لا يعجز عنه طالب علم صغير فهو أشبه بعمل مكتبي.
إنما الفقه الحي أن نعرف ما الذي نحتاج إلى تحقيقه ليكون فعلنا واعيا، يدل على قدرتنا على التكيف مع الوقائع المتغيرة ضمن تحقيق مقاصد ديننا وداخل معالم تراثنا الفقهي.
لماذا يجب أن نفعل هذه الصورة وليس تلك..؟
ما الأسهل على الذي يخرج الزكاة وما الأنفع للذي ياخذها..؟
ما الذي يحقق المصلحة العامة والخاصة، ويجمع أكبر قدر من المصالح فيحل بفعل واحد عدة مشاكل، ويسد عدة أبواب...؟
لقد عرفنا من الشَّرع أنَّ الزَّكاة شُرِّعت للمواساة، ولا تكون المواساة بما لا يجبر خاطر المسكين.
فما حقَّق المواساة وتسوية الفقير بأنفسنا يوم العيد كان هو المطلوب شرعاًَ.
وقد كان الطَّعام في زمن النُّبوة وربَّما في بعض الأماكن الآن هو ما يُحقِّق المواساة والمساواة.
امَّا الآن فلا يقول عاقلٌُ صادق في الإخبار عن الواقع الموجود بأنَّ المواساة تقع بغير المال في غالب الأمكنة.
قال الله تعالى: (ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون) فاخرج من جنس ما ستاكل يوم العيد، لا تُخرج أدنى منه، ولا يتأدَّي هذا إلَّا بالنقد الذي يسد حاجة جميع أنواع الفقراء إذ ليسوا في نفس درجة الفقر، ولا يحتاج كلهم إلى طعام يوم.
لقد رأيت الغربيين في عيدهم_ ونحن أولى منهم بكلِّ رحمة إنسانية ممكنة إذ ليسوا قدوةًَ لنا وقد ضيَّعوا المهمَّات لكن قد نعرف بالنَّظر إليهم ما فرَّطنا فيه من مقاصد ديننا_ لا يتركون في ليلة عيدهم مسكيناًَ تعرفه جمعياتهم ولا مشرداًَ في الطُّرقات، أو مريضاًَ في مستشفى إلَّا تذكَّروه وشاركوه بهجة العيد،يطوفون عليهم بأجود الطَّعام ممَّا يأكلون، وبالهدايا، بل رأيتهم يتذكَّرون الكلاب والقطط الشاردة..!
ماذا أرادت الشَّريعة أن توجده فينا، فإنَّ تشريع العبادات المالية وما في ضِمنها كصدقة الطَّعام ليس المقصود منه قهر التَّعبُّد، بل أشياء أخرى..؟

لقد غرس اللَّه في الإنسان الميل الطَّوعي للحياة الجماعيَّة والتَّاثُّر النَّفسي بما يظهر من مشاعر الآخرين، فإن رأى إنساناَ يضحك ضحك، و إن رأه حزيناَ حزن لِحزنه وهكذا تؤثِّر في الإنسان المشكالة والمجانسة.

تنقصُ فرحتُنا إن كان بحوارنا حزينٌ أو بائس لأنَّنا بفطرتنا لا يطيقُ القلبُ الفرحان النَّظر إلى الحزين.

ولذلك يواسِي الإنسان ألمه بألمِ عدوه، ويفرح لِفرح أحبابه،تلك طبيعته.

فكما لا يُمكنك أن تكون حرَّا وغيرك من بني جنسك أو ديانتك يُعاني الاستعباد.

وأن تعيش كريماَ والنَّاس حواليك يُذلون.

لا يمكنك أن تفرح فرحاَ كاملا وتحت ناظرك حزينٌ مكسور.

هذا المعنى المستفاد من هذه العبادات، أنَّ حقيقتك في حقيقة مجتمعك، إن لم تعمل على حرِّيته لن تكون حرَّا حرِّيَّة حقيقية.

وإن لم تعمل على كرامته لن تعيش كريماَ.

عيدك الحقيقي عندنا تُساهم في فرح النَّاس، وهنا يحقُّ لك أن تفرح معهم.

نجبر القلوب المنكسرة، ونعمِّم فرحة العيد حوالينا.،فانَّ هذا مقدِّمة لأمور أخرى أهمُّ بكثيرٍ حيث يجعل للفردانية في خدمة المجتمع، و المسلم الفرد مسؤولاَ عن حال الجماعة، كما الجماعة مسؤولة عن حالِ الفرد.

و(الصدقة برهان) فلتكن برهانا على فهمك وبعد نظرك وشعورك بإخوانك كما هي برهان على إيمانك.

وفي المذهبين خير إنما الشأن في أنفعهما للفرد والجماعة رعاية للمقاصد والحكمة الشرعية لا مجرد موافقة منطوق نص لا يقول به حرفيا الطرفان ، وهو ما يطلق عليه بعض المعاصرين ب: استثمار مقاصد الشريعة في الترجيح الفقهي عند تساوي الادلة.

ذلك ان قواعد المقاصد تؤخذ من نصوص كلية مجمع عليها. فيمكن استعمالها في اخر سلسلة الترجيح عند تساوي الاقوال في القوة من حيث الدليل.

والشريعة تخاطب جميع المسلمين ولذلك تقف عند حد الاجزاء في الإيجاب ولا تمنع الفضل.

تحقيق مراد الشارع وإن لم يعمل به في زمنه بهذه الصورة لعدم المقتضى هو الذي

يتحقق به حفظ دلالة النصوص إذا جمعت بحيث ندرك العلة الكلية ونرد إليها صورها الجزئية.
وإذا جاء في النصوص صاع من تمر أو أرز أو بر فلان القوم اما ياكلون التمر ولا يحتاج إلى إعداد أو البر وما في جنسه وكانوا يطحنون في بيوتهم ويخبزون اما الآن فهذا كله منعدم الا في بعض المناطق النائية، فماذا يصنع المسكين بالسميد وحده..؟
يمكن أن يقترح الفقهاء عدة حلول لكن الحل موجود اصلا وهو الأفضل من كل وجه وتنتهي معه كل الإشكالات وهو النقد.. وإذا تعارض في زمننا حلان أحدهما يطرح إشكالات والآخر يحلها جميعا قدم الأخير..
َ وفي حديث أبي سعيد الخدري : «كُنَّا نُخْرِجُ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ الفِطْرِ صَاعًا مِنْ طَعَامٍ» ، وَقَالَ أَبُو سَعِيدٍ: «وَكَانَ طَعَامَنَا الشَّعِيرُ وَالزَّبِيبُ وَالأَقِطُ وَالتَّمْرُ» يعني من طعامهم الذي ياكلونه.
وفي بعض البلاد كان طعامهم الغالب السمك أو لحم الحيتان ثم تحولوا إلى الطعام المعاصر، وكذلك كثير من المسلمين تغير طعامهم واختلفت حاجتهم ويندر ان تجد فيهم من لا يملك طعام يومه إلا بعض المجانين المشردين.

وقع الحق على النفس وأسباب الهداية

....
عندما كان أبو إدريس الخولاني_رحمه الله تعالى _يحدث بالحديث القدسي :"... يا عبادي كلكم ضال إلا من هديت فسلوني الهدى أهديكم .." كان لا يحتمل ثقل كلماته على نفسه حتى يجثو على ركبتيه..!
كذلك النفوس الشريفة يقع عليها الكلام الحق كأنه الصخر حط عليها فتتصدع وتستسلم.
ليقف الإنسان على الحق يحتاج إلى أن يسأل الله الهداية ويداوم على ذلك، فقول الله تعالى :"كلكم ضال إلا من هديته" يفيد هذا المعنى، ويفسر لنا أسباب الضلال التي يقع

فيها كثير من الشباب الذين يلقون بأنفسهم عند دعاة ضلالة ظنا منهم أن مرد الهداية ما يظنونه علما!

ولهذا كذلك تجد الجاهل مهتديا والمتعلم ضالا ! فاسالوا الله الهداية يهديكم، و لا تركنوا إلى عقولكم فيسلمكم لها، والعقل مسكين عاجز، بدون توفيق من الله مخذول يشارك في المكر به.

يمكن لكلمة أن تغيّر حياتك، ويمكنها أن ترفعك حتى تحلق في السماء، ويمكنها أن تحطك في الحفر،فكيف بكلام رب البرية؟!

الكلمة الحق تؤثر في النفس الشريفة وتردها إلى فطرتها، وكذلك الكلمة الطيبة و"الكلمة الطيبة صدقة".

وكما يحذر المؤمن من جانب من جوانب نفسه فيتهمها في الطاعة ،عليه أن يظن بها خيرا ويتفاءل ويحسن الظن بربه فتقوى عزائمه و تشتد إرادته {لَّوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا}

كان توماس إديسون في الصف الابتدائي فجاءت رسالة من المدرس، ففتحت أمه الرسالة وجعلت تقرأ قراءة صامتة ودموعها تنحدر، فقال إديسون الطفل: ماذا هناك يا أمي؟ فقالت: مكتوب يا حبيبي يا بني أنك عبقري وذكي حيث أن المدرسة غير قادرة على استيعاب قدراتك الفائقة لهذا يدعونني إلى البحث عن مدرسة تليق بذكائك وعبقرتيك.

فابتسم الطفل وسر، وكان ذلك اليوم آخر لقاء له بالمدرس، حيث ندبت أمه وقتها لتعليمه ومساعدته حتى أضحى إديسون الذي نسمع عنه اليوم.

توفيت أمه وفي يوم من الأيام بينما كان يفتش في أوراقها ومذكراتها وقع على تلك الرسالة من المدرسة بذلك التاريخ القديم، يود أن يقرأها مرة أخرى لأنها ألقت بظلال طيبة على نفسه فإذا به يقرأ : ”إلى السيدة المُحترَمة نانسي إديسون نحيطك علماً بأن ابنك غبي وبليد جداً، وقد أتعبنا وأشقانا لذلك نرغب إليك بدءا من اليوم ألا يأتي إلى المدرسة والسلام ”فانحدرت الدموع من عينيه ثم قال :“إديسون الطفل الغبي أحالته الأم الرائعة إلى عبقري عظيم”[١]

تحتاج إلى شيئين لتنال مرادك بشكل من الأشكال :

١ _ أن تعلم أن الله يملك خزائنه {أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ}

٢_أن تسأله منه بإلحاح .

و إذا أردت أن تجمع على نفسك أبواب الخير فاسأل الله العافية فإن أفضل ما أوتي العبد بعد الإيمان ليس الدنيا بزهرتها ، وإنما السلامة في الدين والبدن والأهل والرزق ، فليس شيء من النعم يهنأ لك إلا مع العافية، وهي كلمة جامعة لتأمين الله لعبده من كل ما يرهبه من نقمة أو محنة أو شر مع السلامة من الأسقام وفراغ القلب من كل ما يكدره ويشوش عليه.

روى العباسُ بن عَبْدِ الْمُطَّلِبِ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! عَلِّمْنِي شَيْئًا أَسْأَلُهُ اللَّهَ -عز وجل- قَالَ: "سَلْ اللَّهَ الْعَافِيَةَ"؛ فَمَكَثْتُ أَيَّامًا، ثُمَّ جِئْتُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلِّمْنِي شَيْئًا أَسْأَلُهُ اللَّهَ، فَقَالَ لِي: "يَا عَبَّاسُ يَا عَمَّ رَسُولِ اللَّهِ سَلْ اللَّهَ الْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ"(رواه الترمذي).

و العافية قرينة عفو الله، وهو أجل ما نسأله في العشر الأواخر.

وفي الدعاء المأثور :"اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ اليقين والعفو و الْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ" فاليقين يحفظ النفس إذا حل البلاء وبه تثبت وتصبر وتصابر ، والعافية تحفظ اليقين من مخاطر البلاء.

....

١_قصة مقتبسة من مقال أحد الإخوة.

رحمه الله..

This content isn't available right now

When this happens, it's usually because the owner only shared it with a small group of people, changed who can see it or it's been .deleted

aria-label="This content isn't available right now" aria- "# describedby="u_0_p" rel="noopener" tabindex="-1" <"target="_blank" class="_52c6" role="button

When this happens, it's usually because the owner only shared it

with a small group of people, changed who can see it or it's been .deleted

الديمقراطية بين الفكرة والواقع (!)

....

"يعتقد الشعب الانجليزي أنه حرٌّ، يخطئ بقوة، ليس حرًّا إلا أثناء إنتخاب أعضاء البرلمان ،بعدها هو عبد، ليس بشيء"

جون جاك روسو؛ العقد الاجتماعي، ١٧٦٢

يحصل شيء غريب مع الديمقراطية: كل العالم يصبو إليها لكن لا أحد يصدِّق بها، يكفي النظر في الإحصائيات الدولية لفهم هذا.

في برنامج التحقيق "World Values Survey" الذي

استنطق في السنوات الأخيرة عددا كبيرا من الناس في ٥٧ دولة بنسبة تمثل ٨٥ ٪من سكان المعمورة حول الديمقراطية و إذا ما كانت أفضل منهج لإدارة بلادهم أجاب بالإثبات ٩١،٦٪.

بداية من سنة ١٩٧٢ بدأ مؤشر الديمقراطية في الصعود حتى بلغ سنة ١٩٩٣ما يقارب ١١٧ بلدا انتخابيا، يعني :مؤسس على إجراءات الانتخاب، من مجموع ١٩٥ دولة.

٩٠ دولة منها تعتبر ديمقراطيات حقيقية! ؟

في نفس الوقت تؤكد هذه المنظمة أن عدد القادة الذين لا يعتدون بنتائج الانتخابات والنقاش البرلماني ارتفع في عشر سنوات الأخيرة بشكل ملفت، وأنه على عكس الرغبة الشعبية في الديمقراطية فإن ثقة الشعوب في البرلمانات و الحكومات و الأحزاب السياسية بلغت الحضيض.

كل شيء يجري كما لو كنا مؤيدين لفكرة الديمقراطية لكن ليس لتطبيقها ،على الأقل لتطبيقها الحالي..؟!

.....
المرجع :
دافيد فان رايبروك "ضد الانتخابات" مترجم عن الهولندية البلجيكية من طرف: إزابيل روسلان وفليب نوبل؛ دار فعل الجنوب.

أكمل العقل والرأي والعلم ما وافق القرآن والسنة { ويرى الذين أوتوا العلم الذي أنزل إليك من ربك هو الحق}(ابن القيم بتصرف)

الإعجاب بالشخصيات العلمية ..؟!

....
الإعجاب بالعلماء و المفاضلة بينهم أمر طبيعي تتداخل فيه عدة عناصر، فكل من نقرأ له أو نقرأ عنه نرتبط به بشكل ما، لأننا نجد فيه شيئا يعكس فينا ما نبحث عنه، ما نحبه و إن لم يكن فينا.
و قد نقرأ لعباقرة عند غيرنا ولا يثير فينا ذلك أي تعلق بهم كأن أرواحنا لا تتآلف!
كان الإمام أحمد يقارن بين مالك وسفيان الثوري فيفضل في العلم مالكا وفي السلوك سفيان الثوري، فمثل هذا أحكام قيمة مجملة تدل بالدرجة الأولى على تصور الإمام أحمد للعلم والسلوك، لهذا لا تعكس أحكام القيمة إلا ما هو في الأصل فينا.
في كل شخص فاضل يوجد ما يثير الإعجاب، عليك أن تلتقط من حديقته ما يزيد في دينك أو في عقلك أو في أدبك.
فائدة الإعجاب أن يلهمك لا أن يجعلك أحمقا لأنه لا يجب أن يكون للإعجاب بالعلماء امتداد عاطفي يعمي البصر.
يتجاوز الإعجاب حدود الصداقة و الاتباع و العداوة والاختلاف كان عبد الله ابن الإمام أحمد يقول :تعجبني أخلاق زبيدا اليامي وطلحة بن مصروف وقد جرحتهما.

لن يرتبط الفقه بواقعه المعاصر بدون استثمار العلوم الإنسانية في تحديد الواقع الإنساني في جميع أحواله ؛سيظل جدليا في أطروحته!

الرأي العام.. (!)

....

أمران يشكلان معيار الحياة السياسية إن كانت تسير إلى الأمام أو كانت مجرد شكليات توحي بالتقدم ولكن حقيقتها التقهقر هما :الرأي العام والأحزاب السياسية التي دورها الآن في العالم نصب الشعوب للعداء مع نفسها،فكم مرة فوتت الأحزاب السياسية على الشعوب فرص التجديد والإصلاح!

يخبرنا عن الرأي العام شيئان :

الأول :مؤسسات استطلاع الرأي، والإعلام وبالتالي هو ما تقوله العينة المستطلعة وليس ما تفكر فيه لأنه صورة آنية للحظة، هذا إن كان سبرا حقيقيا و إلا فإن الرأي العام في البلاد العربية مكبوت أو مشوه!

الثاني :وهو الحقيقي :الحركات الشعبية(الأفعال السياسية) ، ودرجة إقبال الناس على الانتخابات مثلا أو اجتماعهم على قرار انتخابي معين.

لا يكشف سبر الرأي الا العرضي لا يوجد فيه شيء جوهري،فالشخص المستطلع يجيب عن سؤال جملة، لا يجيب عن سؤال سياق وتصور شامل،لذلك فإن ما يعطي المعنى للرأي العام هو القراءة و التأويل وليس الجواب نفسه،وهذا ما تبرع فيه وسائل الإعلام.

الرأي العام مجرد مصطلح و المصطلحات ليست إلا بوصلات أو إشارة لجهة، بمعنى آخر :ليست إلا تصورا وصفيا لا يمثل حقيقة واقعية، لذا لا يجب أن تبحث عن واقع يطابقه فإنه غير موجود.

و الواقع الحقيقي ليس الرأي العام ولكنه الوعي الجماعي لشعب ما،هو ظاهرة متحركة،ولهذا تخسر الحركات الشعبية زخمها وتطالها الانقسامات كلما امتد بها الوقت.

وحده الوعي الجماعي مرادف للإرادة العامة، أما الرأي العام الاستطلاعي فهو كذبة صنعتها الديمقراطية الغربية للتلاعب بوعي الشعوب. .

والمقصود أن الوعي الجماعي يشرب من الثقافة و من الرؤية الحضارية وليس من الأحداث و تغطيتها الإعلامية ،فمهما كانت لا تثنيه عن رؤيته للدولة التي يريد العيش

فيها.
الرأي العام الذي لا يعقبه فعل سياسي ليس له أي قيمة في صناعة السياسة!

....
راجع :لويك بلونديو؛ صناعة الرأي العام.

فهم روح العيد في الإسلام (؟)

......
الحمد لله، و الصلاة والسلام على رسول الله.
لكل أمة عيدها الذي تفرح فيه والذي يتضمن عقيدتها وأخلاقها ورؤيتها للحياة، قال الله تعالى: [لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا] [الحج]، روى ابن جرير في تفسيره عن ابن عبّاس قال: (منسكًا أي: عيدًا) [0]
فهم البعد الإنساني والاجتماعي للعيد سواء البُعد الملي أو العقلي أو الشرعي، هو ما يسمح بفهم المبادئ والمقاصد الشرعية التي تدور عليها أعمال العيد.
لا يتعلق الأمر بأن تزود الفقير بطعام يوم أو أسبوع أو شهر أو سنة، ليس هذا من مطالب أبعاد العيد فالطعمة مجرد علامة وشعار وقرينة على أبعاد العيد الروحية والاجتماعية والإنسانية عموما.
في هذا المقال سأعرض الأبعاد الاجتماعية والإنسانية والنفسية للعيد كما قررها الفقهاء شرحا للنصوص وعلماء الاجتماع، فأقول: يدور العيد بين أساسين جوهريين: المراسيم والاحتفال؛ والأعياد الإسلامية تتميز ـ لأنها أعياد دينية ـ باتساع الطقوس التي تميزها عن العبادات اليومية مثل: الاغتسال والثياب الجديدة، والتطيب، والصدقة، والذكر الخاص، والصلاة المخصوصة، والخطبة [1]
وكذلك بكثافة الاحتفال والترفيه الذي يغلب ابتذالية الأيام العادية، ولهذا قال النبي: (يا أبا بكر، إنّ لكل قوم عيدًا، وهذا عيدنا) [2]
الترفيه جزء من العيد باللعب والغناء والتزاور والأكل، فيجمع العيد الإسلامي بين العبادة والعادة ويمزج بينهما، فدور صدقة الفطر كذلك هو في العبادة طهره للصائم، وفي العادة يساهم ليعم الترفيه كل المسلمين لأننا في يوم خاص، قال ابن تيمية: " فإن

العيد المشروع يجمع عبادة، وهو ما فيه من صلاة، أو ذكر، أو صدقة، أو نسك.
ويجمع عادة، وهو ما يفعل فيه من التوسع في الطعام واللباس، أو ما يتبع ذلك من ترك الأعمال الواضبة، واللعب المأذون فيه في الأعياد لمن ينتفع باللعب، ونحو ذلك.
ولهذا قال صلى الله عليه وسلم - لما زجر أبو بكر رضي الله عنه الجويريتين عن الغناء في بيته -: «دعهما يا أبا بكر فإن لكل قوم عيدا، وإن هذا عيدنا»، وكان الحبشة يلعبون بالحراب يوم العيد، والنبي صلى الله عليه وسلم ينظر إليهم.
فالأعياد المشروعة يشرع فيها - وجوبا، أو استحبابا -: من العبادات ما لا يشرع في غيرها، ويباح فيها، أو يستحب، أو يجب من العادات التي للنفوس فيها حظ، ما لا يكون في غيرها كذلك. ولهذا وجب فطر العيدين، وقرن بالصلاة في أحدهما الصدقة، وقرن بها في الآخر الذبح. وكلاهما من أسباب الطعام."[3]
عندما ننظر في هذا البعد في العيد الديني، وفي قول النبي لأبي بكر الذي شرحه ابن تيمية والمتمثل في القطيعة مع أعمال المواظبة والنهي عن الصيام والأذن في اللعب وغير ذلك نفهم مظهر التسلي والمؤانسة الذين تضمنهما العيد الديني.
وحتى المراسيم التعبدية نفسها فيها نوع فرجة وترفيه للجميع: بثياب جميلة، الخروج زرافات، التكبير في الطريق، الصلاة جماعة في ساحة - كما في السنة - فمن المراسيم الجماعية المدهشة إلى المشهد الشعائري [الطقوسي] الصلاة.
العيد فرجة للعين وانشراح للروح واستراحة للمحارب العابد لأنه في بعده الروحي شكر لله على تمام العبادة [حج أو صيام] فتضمن لذلك الصدقة والصلاة والتكبير [3 مكرر]، وفي بعده الإنساني الاجتماعي مواساة وتسوية ولطف وتكافل بين الغني والفقير.
وفي بعده النفسي ترفيه واستجمام واستراحة لأنه قطيعة فاصلة بين التقييد والانطلاق المأذون به فيه، ولذلك يهدف إلى الترفيه عن النفس، فهو احتفال رسمي يتمثل في إقامة الشعائر التي هي نفسها نوع احتفال حيث يلتقي المؤمنون في يوم فريد بثياب فريدة تعلوهم فرحة العيد، الفرحة بإنجاز شيء مهم في الحياة الروحية، ستكلله الصلاة ثم ما يتبعها من استرخاء وترفيه مباح.
لا يجب أن ننظر للعيد من شطره التعبدي فقط بمعزل عن الشطر المتعلق بالعادة، بالحياة الترفيهية أو الاحتفالية في المجتمع المسلم، لهذا يفرح المسلم بقدوم العيد.

إن مجرد الانتشار في الطرقات بعد انقضاء الخطبة ولقاء المسلمين وتهنئة من نعرف ومن لا نعرف هو في ذاته متعة وإطلاق للروح وإثارة تعيشها النفس في تلك اللحظة التي تملؤها الملاطفة والابتسامة حيث ترى الإنسان الخلوق، ويصبح الناس لطفاء فيما بينهم، والابتسامة لا تغادر الشفاه، نشعر عندها بخفة الروح، وتغمرنا الايجابية، ويسهل علينا العطاء.

اشتق العيد من العودة في الموعد المحدد، حيث كان أعياد البشر تدور دائما على عنصر تجدد الطبيعة، أو ميلاد فصل، أو نهاية عمل مجتمعي، فكان دورها تقسيم أيام السنة، والعيد في الإسلام يأتي تكليلا لركنين من أركان الإسلام، يكلل العبادة الجماعية.

وإذا كان الفقير يصوم معنا مهما كان فقره، ويصلي معنا صلاة العيد مهما كانت حالته، فلم لا يحتفل كما نحتفل، ويرفه عن نفسه كما نفعل؟

للعيد عدة وظائف، وهو ظاهرة اجتماعية وظيفته تلقائية ومؤسستية ـ كما يقول علماء الاجتماع ـ كظاهرة اجتماعية يملك قواعد ومنطقا خاصا به، نجده في الأعياد، يملأ العيد وظيفة جوهرية للجماعة أولها: تسهيل الانسجام والتجانس للجسم الاجتماعي، فالعيد يقوي رمزيا شعور الانتماء للجماعة والأمة.

وله ـ أيضا ـ وظيفة الحفظ حيث ينقل من جيل لجيل نظاما يعود للمصدر الأصلي، يجدد دوريا الاعتقادات المؤسسة للجماعة، وهكذا يسمح بربط الحاضر بالماضي، وتسجيل أفراد الجماعة في التاريخ الذي يتجاوزهم كأفراد.

ومن وظائف العيد: التكريس بواسطة العبادة الخاصة به والمراسيم التي تسمح للأفراد بتحسين أخلاقياتهم مثل: العطاء والمسامحة والصلة، والقطيعة مع الحياة اليومية، فيسمح لنا العيد بتجديد أخلاقنا، وتجديد شعور الانتماء إلى أمة واحدة متكافلة، فالصلاة جماعة، وصدقة الفطر، والتهنئة، والزيارة.. الخ دورها تجديد العلاقات بين أفراد المجتمع، وبنائها من جديد على قيم أخلاقية نبوية، وتخليصها من شوائب الحياة اليومية.

ومعلوم أن التهنئة بالعيد تزرع الود بين الناس وتذهب بالأحقاد، وتغيير طريق العودة من المصلى إلى البيت يسمح للمسلم بتهنئة أكبر عدد من المسلمين [3 مكرر2]

العيد حفلة شرعية [مقدسة] بمعنى: أمر الله بها، تعيشها الجماعة كلحظة حياة مركزة

بقطيعة تامة مع الحياة اليومية، ففي العيد بمعناه الحقيقي يشعر الفرد أنه مساند بقوى تجاوزه وتغيره، فيقوى فيه الشعور بالغير.
دور العيد أن يخرج حياة الفرد والجماعة من عادات الحياة اليومية، لذلك عليه أن يعم أكبر عدد منهم، فلا تظهر خصوصية العيد إلا بالمقارنة مع الحياة اليومية، وتحصل هذه القطيعة على عدة مستويات:
1 ـ قطيعة مع الزمن، فالعيد يعيدنا إلى الزمن الأول، زمن الوحي والنبوة، فيشكل بالتالي استئناف الماضي في الحاضر، فنعيش لحظة العيد كيوم مقدس خارج الزمن لأنه يحررنا من رتابة الحياة اليومية، وتخليدا لزمن النبوة والجماعة المسلمة الأولى.
2 ـ القطيعة مع الفضاء: يسمح العيد بفتح مساحات على بعضها بعضا تكون في الحياة اليومية مفصولة عن بعضها، هي مساحة الاغنياء ومساحة الفقراء، مساحة المتشاكسين، مساحة الأعضاء الجدد في المجتمع ومساحة الرحم، فكأن العيد بثيابه الجديدة ومراسيمه وترفيهاته يخلق عالما جديدا تتجدد فيه اخلاق المسلم وطيبته ونفسيته.
يقوي العيد الروابط الإنسانية حتى بين الأحياء والموتى ولهذا يكثر الناس من زيارتهم في أيام العيد، وذلك للشعور المتعالي الذي يصاحبه، وإن لم يثبت هذا في السنة.
إن أكثر ما يبحث عنه المجتمع في العيد هو المصالحة والاتزان الاجتماعي بين أفراده دور العيد الاجتماعي تجديد دوري لقوى المجتمع، فالعيد نوع من الإسراف أو التجاوز المسموح به مؤقتا، يسمح بصرف بعض النزوات مثل: الطعام الطيب، والغناء لمن يجوز له، واللعب ورؤية ألعاب البهلوان، ولهذا نهى النبي صلى الله عليه وسلم أبا بكر عن زجر الجاريتين وعلل بأنه يوم العيد فهو مباح لهذه المناسبة فقط، فما نتحكم فيه في الأيام العادية نطلق له نوعا من العنان في أيام العيد.
لقد جعل العيد في الإسلام للفرح والسرور، ووظيفة الجماعة أن تحرص على دفع الهموم والحزن عن أفرادها الضعفاء بالمقدور عليه، قالت عائشة ـ رضي الله عنها ـ " رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يسترني، وأنا أنظر إلى الحبشة وهم يلعبون في المسجد، فزجرهم عمرُ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ((دعهم، أمنًا بني أرفدة)) [4]
وعن قول النبي صلى الله عليه و سلم لأبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ : "إن لكل

قوم عيدا وهذا عيدنا " قال الحافظ : " ففيه تعليل الأمر بتركهما وإيضاح خلاف ما ظنه الصديق من أنهما فعلتا ذلك بغير علمه صلى الله عليه وسلم لكونه دخل فوجده مغطى بثوبه فظنه نائما فتوجه له الإنكار على ابنته من هذه الأوجه مستصحبا لما تقرر عنده من منع الغناء واللهو فبادر إلى إنكار ذلك قياما عن النبي صلى الله عليه وسلم بذلك مستندا إلى ما ظهر له فأوضح له النبي صلى الله عليه وسلم الحال وعرفه الحكم مقرونا ببيان الحكمة بأنه يوم عيد أي يوم سرور شرعي فلا ينكر فيه مثل هذا كما لا ينكر في الأعراس"[5]

قال ابن عابدين: "سمّي العيد بهذا الاسم لأنّ لله تعالى فيه عوائد الإحسان، أي: أنواع الإحسان العائدة على عباده في كل عام، منها: الفطر بعد المنع عن الطعام، وصدقة الفطر، وإتمام الحج بطواف الزيارة، ولحوم الأضاحي وغير ذلك، ولأنّ العادة فيه الفرح والسرور والنشاط والحبور غالبًا بسبب ذلك" [6]

في العيد يستروح ويتنفس المسلم السعة ويتنعم، ويذوق المعدم طيبات الرزق، ويكثر خيره وتهش نفسه إلى الإحسان وتنفجر سجايا فطرته وتتدفق عاطفته اتجاه المسلمين.

كذلك للعيد وظيفة سياسية، فالعيد الإسلامي جاء ليعوض المسلمين الأوائل عن أعياد الجاهلية ولهذا لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة وجدهم يحتفلون بعيدين، فقال عليه الصلاة والسلام: (كان لكم يومان تلعبون فيهما، وقد أبدلكم الله خيراً منها: يوم الفطر ويوم الأضحى)[7].

وهذا دليل اللهو المباح الذي يؤكده حديث الجاريتين في الغناء وحديث عائشة: (إن الحبشة كانوا يلعبون عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في يوم عيد فاطلعت من فوق عاتقه فطأطأ لي منكبيه فجعلت أنظر إليهم من فوق عاتقه حتى شبعت ثم انصرفت) [8]

وحتى الأعياد المسيحية فيها هذا البعد السياسي، وهو سياسي لأنه يعطي للأمة هويتها الخاصة فيفصلها في أمور عادتها عن عادات الأمم الأخرى بحسب الفصل العقدي، ولهذا السبب يشكل الاحتفال بالأعياد الوثنية وأعياد الملل الأخرى ضربة سياسية لهوية الأمة السياسية.

فالعيد الإسلامي يعطي العيد معنى جديدا للأمة عندما فيربطه بالصيام أو الحج بعدما كان مرتبطا بعبادة أو حدث وثني،فدور العيد المساهمة في بناء الكيان السياسي للأمة

والحفاظ على خصائص هويتها التي تحفظ عقيدتها من المشاكلة والمجانسة للأمم الأخرى في خصائصها.
وعلينا أن نسأل: ما خصائص العيد في المجتمع المعاصر؟
بدون شك ليس العيد احتفالا خاصا بزواج أو مولد أو تحصيل شهادة أو غير ذلك لكنه في الحضارة المعاصرة أصبح كذلك فلم يبق العيد بطابعه الديني إلا عند المسلمين ،أما غيرهم من الأمم فقد نزعت الطابع الديني عنه ،ولم تحتفظ الا بالترفيه و التسلية ،وتقريبا انتهت القطيعة بين خصوصيات أيام العيد و الحياة اليومية، لأن الإنسان المعاصر أصبح يريد الاستمتاع في كل يوم، فقد ميزان المتعة ،فلا يوجد شيء يفعله في العيد لا يفعله في بقية الأيام ،وصار بعض المسلمين خلفهم ،حيث لم يصبح للعيد أية نكهة خاصة ،مجرد تقليد، فهم يحتفلون في كل أسبوع وفي كل شهر، بل يهربون من يومياتهم في كل مساء!
لكن بقي صنف أو طبقة من الناس لا يزال العيد عندها على طبعه القديم فهم لا يأكلون الحلوى في كل يوم، ولا يستمتعون بطعام طيب إلا في العيدين، وربما لا يتوقفون عن الكد من أجل الخبز الا في العيدين، وكذلك لا يكسون أبناءهم الا مرة واحدة في السنة في عيد الفطر ثم يحتفظون لهم بالثياب للدخول المدرسي هم الفقراء، بمعنى آخر: لا يشعر الفقير بأنه موجود إلا أيام العيد.
ما الذي تغير في العيد المعاصر عن العيد في زمن النبوة؟
١ـ و إن كان الناس في زمن النبوة يخصصون العيد بطعام أطيب كما في قصة دخول رجل على علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ في يوم عيد الفطر فوجده يأكل طعاما خشنا فقال له: يا أمير المؤمنين ... تأكل طعاما خشنا في يوم العيد ... فقال له الإمام علي كرم الله وجهه: اعلم يا أخي أن العيد لمن قبل الله صومه وغفر ذنبه ... ثم قال له: اليوم لنا عيد وغدا لنا عيد وكل يوم لا نعص الله فيه فهو عندنا عيد.
والمقصود من هذه القصة قول السائل الذي يدل على ان القادر منهم كان يخص العيد بطعام أطيب لكن المشكل اليوم أن بعضنا يتمسك بالصورة مع علمهم أنه لا وجود لها في العيد المعاصر لأن الحياة المعاصرة مختلفة عن الحياة في العصور القديمة، وهذا لاعتقادهم أن الشرعي في الصورة، فيشترون الطعام ويوزعونه ما يردهم في الحقيقة إلى إخراج زكاة الفطر نقدا لأنهم لم يخرجوها من طعام بيوتهم، ولا مما يحتفلون به

يوم العيد أي: من الطعام الذي خصصوه للاحتفال بيوم العيد!
والأصل أنه لا حرج في التوسعة في الأكل والشرب والنفقة في هذه الأيام من غير سرف، لقوله صلى الله عليه وسلم في عيد الأضحى: (أيام التشريق أيام أكل وشرب وذكر الله عز وجل) [9]

٢ـ أصبحت صناعة الحلوى من مميزات العيد ولم تكن في المجتمع النبوي.
٣ ـ شراء ثياب جديدة للعائلة ولم تكن من عادات العيد في زمن النبوة كانوا يكتفون بلبس أجود ما عندهم، في الغالب لباس الجمعة.
٤ ـ لم يعد للطعام نفس القيمة كما في زمن النبوة بمعنى أصبحت حاجة الفقير في اشياء أخرى: مثل: الطعام الجيد، اللباس، مصاريف التنقل ايام العيد، الكراء، الكهرباء، الماء، الدراسة، الاستطباب وكلها لم تكن بهذه التأثير في المجتمع النبوي.
٥ـ أصبح الترفيه هو الخروج إلى الغابات والشواطئ، وأخذ الأولاد الى حدائق الألعاب والترفيه لأن الحياة المعاصرة ضاغطة نفسيا، والتنقل لصلة الرحم مع اتساع المدن وغلاء المواصلات، وكل هذا يتطلب النقود.
وعلى هذه التقريرات يجب أن تنظر لزكاة الفطر وأنها جزء واحد ضمن أجزاء كثيرة يجب أن تكون متناسقة منسجمة مع بعضها بعضا لتحقق روح العيد الإسلامي، فالصدقة في الفطر عبادة لأنها كفارة وطهره للصائم، وهذا بعدها الديني إضافة إلى كونها صدقة، ولها بعد حياتي اجتماعي هو المواساة والتسوية بالنفس والاشراك في الفرحة.
لهذا أقول عن الجدل حولها: لقد اخطأتم روح العيد عندما اعتقدتم أنها معركة حفنات دقيق أو بعض الدنانير!

....
الهامش:
0 ـ خرجه ابن جرير في تفسيره (17/198)، وعزاه السيوطي في الدر (6/47) لابن أبي حاتم.
1 ـ لا يحفظ في الاغتسال حديث مرفوع، قال البزار: "لا أحفظ في الاغتسال في

العيدين حديثًا صحيحًا". انظر: التلخيص الحبير (2/81)، وقال ابن عبد البر: "فأمّا الاغتسال لهما؛ فليس فيه شيءٌ ثبت عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم من جهة النقل". التمهيد (10/266).

لكن ثبت عن نافع أنّ عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهم ـ كان يغتسل يوم الفطر قبل أن يغدو إلى المصلى. أخرجه مالك في الموطأ: العيدين، باب: العمل في غسل العيدين والنداء فيهما والإقامة (1/177).

وقد نقل اتِّفاق الفقهاء على استحباب الاغتسال للعيدين غيرُ واحدٍ من أهل العلم، قال ابن عبد البر: "واتفق الفقهاء على أنّه حسنٌ لمن فعله" الاستذكار (7/11).

ويستحب التزين في العيدين في اللباس والطيب عند عامة الفقهاء، فعن عبد الله بن عمر قال: أخذ عمر جبةً من استبرق تباع في السوق، فأخذها، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله! ابتع هذه، تجمل بها للعيد والوفود. فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إنّما هذه لباس من لا خلاق له)) البخاري (948).

قال ابن قدامة: "وهذا يدل على أنّ التجمل عندهم في هذه المواضع –يعني: الجمعة، والعيد، واستقبال الوفود –كان مشهورًا" المغني (5/257).

قال مالك: "سمعتُ أهل العلم يستحبّون الطيب والزينة في كلّ عيد، والإمام بذلك أحقّ؛ لأنّه المنظور إليه من بينهم" انظر: المغني (5/258).

وقال ابن رشد: "أجمع العلماء على استحسان الغسل لصلاة العيدين" بداية المجتهد (1/216)

2 ـ البخاري في العيدين، باب سنة العيدين لأهل الإسلام (952). ومسلم في العيدين، باب الرخصة في اللعب، الذي لا معصية فيه أيّام العيد (892).

3 ـ الاقتضاء 1/475

3 ـ مكرر: يستحب إظهار التكبير، عن الوليد بن مسلم قال: سألت الأوزاعي ومالك بن أنس عن إظهار التكبير في العيدين، قالا: نعم كان عبد الله بن عمر يظهره في يوم الفطر حتى يخرج الإمام.

وصح عن أبي عبد الرحمن السلمي قال: (كانوا في الفطر أشد منهم في الأضحى) قال وكيع يعني التكبير. انظر (إرواء 3/122).

3 مكرر2 ـ فعن جابر رضي الله عنه قال: كان النبي عليه السلام إذا كان يوم عيد

خالف الطريق.. أخرجه البخاري في العيدين، باب: من خالف الطريق إذا رجع يوم العيد (986).

4 ـ أخرجه البخاري في العيدين، باب إذا فاته العيد يصلي ركعتين (988).
5 ـ فتح الباري (2/442).
6 ـ حاشية ابن عابدين (2/165).
7 ـ أبو داود و النسائي بسند صحيح.
8 ـ رواه الشيخان .
9 ـ مسلم و غيره.

كذبة الأحزاب السياسية.. ؟!

.....

بعد أن أظهرت الديمقراطية محدوديتها خاصة الديمقراطية التمثيلية لا التشاركية، و أفرزت منظومات سياسية غربية استبدادية في الباطن ،يتناوب عليها أشخاص و أحزاب متواطئة على تبادل الدور؛ لابد من السؤال عن جدوى وجود الأحزاب في النظام السياسي الأصلح.

هل الأحزاب السياسية ضرورة حيوية للديمقراطية ؟

هل يمكن أن توجد ديمقراطية بدون أحزاب كما كانت في الخلافة الراشدة، وفي غيرها؟

كيف يمكن للسياسة أن تشتغل بدون أحزاب سياسية؟

هل يمكن أن نقسم الإرادة العامة إلى إرادات خاصة ؟

دور الأحزاب في الغرب التناوب على السلطة، وفي الغالب يقتسم السلطة حزبان يحافظان على النظام السياسي الذي يحفظ لطبقة معينة الهيمنة على المال، وعلى موارد البلاد، وعلى الإعلام ،وعلى القرار السياسي !

ومع تنامي المشاكل الاقتصادية و البطالة والغلاء والتضخم وضعف القدرة الشرائية ظهرت الانظمة الغربية على أنها أنظمة فئة قليلة بورجوازية مستبدة تخدم مصالحها وترمي الفتات للشعوب.

وعندما تدهورت الرفاهية وانتهى عهد الوفرة ، ولم يعد الفتات كافيا لتغطية حقيقة النهب الذي تمارسه هذه البورجوازية ظهرت كل الأمراض وهي الآن تعيش أزمة سياسية مركبة تتصارع فيها قوى مختلفة مع الدولة العميقة، أو النظام العميق العالمي الذي يحكم عندها المحلي، ولم تظهر شدة هذا الصراع لأن معظم الشعوب الغربية حولت إلى خراف تعيش في التفاهة.

بالنسبة للعربي المفتون بالنظم الغربية ينظر للرفاهية ،والتي هي في الحقيقة نتيجة النهب الغربي لموارد لشعوب العالم الثالث. كما ينظر إلى التحرر الأخلاقي فأعتقد أن تلك الشعوب حرة ومزدهرة، وتعيش في نظام سياسي عادل!

بطبيعة الحال الفرق بين الاستبداد الغربي العلمي والملطف الشرقي الهمجي الفاضح يجعل الواحد لا يلاحظ المشترك و اعتبارات النسبة في النهب في دولة غنية ودول فقيرة.

دور الأحزاب السياسية عندنا هو تزيين صورة الحياة السياسية في مقابل نصيبها من امتيازات الحكم، لذلك فكل الأحزاب بدون استثناء مساهمة بشكل أو بآخر في تخلف البلاد، ومتواطئة على فساد الحياة السياسية، لا يتوقع منها إلا تمديد عمر الداء الذي نعاني منه، بما في ذلك الأحزاب الإسلامية التي جمعت إلى داء الاستبداد المشترك والهوة مع الواقع وتوازناته.

حزبان يعني رؤيتان، ويعني إقصاء كل الأفكار الأخرى، لهذا في الحقيقة لا يوجد إلا حزب واحد سواء في الغرب أو في الشرق فهل رأيتم اختلافا حقيقيا بين الديموقراطيين والجمهوريين في أمريكا ،أو بين اليمين واليسار في بريطانيا أو فرنسا، سواء في السياسة الداخلية أو الخارجية؟

ما يعني أن النظام العميق الذي يتحكم في كل شيء هو حزب واحد؟

و نسأل: لأي شيء يصلح البرلمان بغرفتيه غير تسجيل قرارات الحزب الحاكم سواء كان معلنا أو خفيا، في مقابل امتيازات ضخمة؟

إذا كان التداول الحزبي على السلطة في الغرب مجرد إجراء شكلي فكيف في البلاد العربية الذي هو معدم فيها؟

فحص كيفية سير الديموقراطيات الغربية يجعلنا ندرك أن عدالة النظام السياسي وشفافيته لا تحتاج إلى وجود أحزاب سياسية، الأمر يتوقف على صلاح الإنسان لا

على مثالية المؤسسة.
كتبت سيمون فاي سنة ١٩٤٠عن تاريخ الأحزاب السياسة وذكرت أن الأحزاب السياسية في المنظور الانجلوسكسوني عنصر لعب لا يوجد إلا في مؤسسة أرستقراطية،لعبة :عمال /محافظين!
لكن في أوروبا الأحزاب مؤسسة تاريخيا على مفهوم درجة ثانية من الشعب لأنها ناتجة عن الثورة، ولأنه لا يوجد أي منطق بين الإلهام الثوري وإنشاء الأحزاب.
يعني: تم تحويل النوادي إلى أحزاب، أي النوادي والمقاهي التي كانت تجتمع فيها النخب المثقفة للنقاش مثل: نادي اليعقوبيين في باريس، فهذه النوادي حولت بعد الثورات إلى أحزاب، فمن هنا كانت كل الأحزاب نخبوية تنظر للشعب بعيدا عن دجلها وكذبها على أنه مواطن من درجة ثانية، فكيف أصبح هذا ضرورة واقعية للديموقراطية ؟!
فكما قال طومسكي :"حزب في السلطة والبقية في السجن،" يعني بالسجن التهميش، فالحزب الذي يحكم البلاد حقيقة هو حزب واحد لا يعرف التناوب، وأما الأحزاب التي تتناوب على مظاهر الحكم فمجرد واجهة له.
الذنب الأصيل (أو الرذيلة) في كل حزب هو الميل للديكتاتورية، لذلك كان أكبر منظر للديموقراطية" روسو "ضد وجود الأحزاب.
وفي اللحظة التي تقبل فيها الشعوب وجود الأحزاب تقبل الميل إلى الاستبداد.
وجود الأحزاب دوره خطف ومصادرة صوت الشعب والنخب الحرة لذلك ضررها أكثر من نفعها.
تحتاج الشعوب إلى نخبة صالحة، لا إلى أحزاب، وإلى دستور حقيقي نابع منها، وإلى رجال خلص ينفذون إرادة الشعب، الباقي كل الباقي كذب وتضييع للوقت والجهد.
هل نتوقع أن تحدث الأحزاب السياسية شيئا مفيدا للشعب ولم تفعل من قبل؟!

منزلة ابن تيمية في السلفيات المعاصرة ؟

....
السلفية ليست حنبلية ولا وهابية، ولا حديثية مسندية ،ولا اجتهادية فقهية بامتياز، تتقاطع مع الوهابية في عدة نقاط لكن هناك اختلاف هيكلي في قضايا أخرى ،يختلفون

معهم في وضع الأسماء والصفات المعرفي، في النظرية الكلامية ،في نظرية المقاصد، وفي الموقف من التصوف والوجد، وفي التكفير والأسماء والأحكام ، وفي ابستمولوجيا المقالات الإسلامية.
هناك خلط فيما يخص منزلة ابن تيمية عند السلفية العامة التي تضم الوهابية وحنبليتهم،و الحديثية المسندية ،والاجتهادية الفقهية.
والذي يجب أن نفهمه التالي :
يعتمد معظم الشباب السلفي في الطلب على كتب الألباني و العثيمين ورسائل ابن باز وكتب محمد عبد الوهاب والدعوة النجدية _هذه الأخيرة التي رفعت إلى المستوى الأول في المرجعية بعد العملية التي قام بها النظام السعودي بواسطة أبناء محمد الوهاب و النجدية للاستيلاء على الزعامة السلفية بعد وفاة الألباني(سلفيته أقرب للشوكاني والقنوجي ليست عقدية أصولية) بتواطؤ من بعض تلامذة الشيخ، ومحاولتهم جعل إمام السلفية محمد عبد الوهاب(سلفيته تدور حول التوحيد العملي فقط) ؟! وليس ابن تيمية.
وفي دعوة فيها ابن تيمية وابن القيم فإن الاعتماد على كتب غير كتبهما ركاكة عقلية ! وعندما ينتهي الشباب من كتب هؤلاء الشيوخ يظن أنه أنهى المشروع العقدي السلفي! وهذا أكبر عائق أمامهم لفهم المشروع المعرفي التيمي مع ما يصادفونه من شيوخهم من صد عن علم الكلام مع أن ابن تيمية جدده كاملا من حيث الوسائل و الدلائل.
وهذا إما بسبب عجزهم عن العلوم العقلية، و إما بسبب عدم تمييز مراتب المحدثين ومقاصدهم، وتشكل تصور مغلوط لديهم عن منهج فقهاء أهل الحديث،والموقف الشرعي الحقيقي من العقليات، و نظرتهم السريالية للمراجع الأثرية في السنة (العقائد والمنهج) التي في غالبيتها هي مسائل بدون دلائل عقلية ،ينقصها التأصيل العقلي والتحديث المعرفي مع معارف عصورهم، تصلح للتوثيق فقط.
فيزعجهم موقف ابن تيمية الايجابي أو الموضوعي من علم الكلام والعقليات، ومن التصوف والوجديات، ودورانه مع المقاصد.
وفي الحقيقة معظم هؤلاء الشيوخ حتى من بعض المتقدمين لا يميزون بين الإثبات والتفويض، وكلامهم هو تفويض من درجة ثانية.
وعليه فابن تيمية عندهم مرجع سلفي بالتضمن وليس بالدراسة في إطار مشروع

فكري أكاديمي، وهم أبعد الناس عن فهم مشروعه.
أقرب الناس بابن تيمية من يسمون" التيمية" لكن المشكل عندهم من جهة أخرى فأكثرهم صغار السن تعلموا ابن تيمية من خلال مناظرة الأشعرية والاباضية وليس عن دراسة علمية منهجية، إضافة إلى دكاترة خليجيين يملكون الموارد لفتح مراكز دراسات لكنهم كذلك لم يحصلوا النظرية التيمية كاملة ولذلك كثر اختلافهم في تفسير كلامه، و يراجعون كتبهم باستمرار بطبعات جديدة لتصحيح الأخطاء!
ونشاهد اليوم نقاشا ومؤلفات ترقيعية تذهب يمينا وشمالا، و أزمة في فهم مسألة "التأويل" ؟!
وعندما يصادفون مسألة لم يتكلم فيها ابن تيمية بألفاظ مطابقة لالفاظ العصر، أو تحتاج إلى نوع استنباط مثل مسألة الحقائق المطلقة يتيهون في مختلف التفسيرات !
وعلى هذا فإنه من الأفضل لطالب العلم الرجوع إلى كتب الشيخين مباشرة فإن المعلقين عليهما يصيبون في مسائل ، ولهم فضل في شروحهم وجهودهم، ولكنهم أيضا يخطئون في أخرى كبيرة لها تبعات خطيرة،وقد سبق ونقدنا منهجية التعليم عندهم.
وأما بعض التيارات الجديدة التي خلافا لجمهور عقلاء البشرية تعتبره عالما عاديا فليست إلا وقاحة vulgarité!
سمح بها هذا العصر الضائع.
كما يجب أن نبحث سؤال الانتقال من سلفية رشيد رضا إلى سلفية محمد عبد الوهاب فإنه مفتاح فهم التحولات التي وقعت في السلفية من البدايات الأولى، وكيف أصبحت النجدية الحنبلية زعيمة السلفية؟!
إذا فهمت هذا فهمت عمق المشكل السلفي ومراتب أهلها فيها.

الوضع العربي.. ؟

......
الطريق :
يوجد عند مجددي الماركسية فكرة "paraxis" :لا يمكن مقاومة النظام العالمي بدون دولة ،ودور النخبة التكفل بأمراض المجتمع ،و الفعل مع الحلم.

المعاينة :
نخبة مرتزقة ربيئة النظم تهيء الفراش لها ،و أحزاب مصطنعة، وذباب إلكتروني بعمامات وشهادات جامعية،
و مجتمع مدني يبحث عن حرية سلوكية باطنها الاستعباد للمادة .
واللاوعي الجماعي يكبت الرغبة فيصبح واقع الطبقات الشعبية محبا للعيش في مجتمع الدابة المتوحشة!
الطريق أمامنا طويل في معالجة أمراض المجتمع النفسية و العقلية.

خضوع العلم بالضرورة لثقافة العالم المذهبية وبيئته الاجتماعية !

....
عندما تتبع علماء النحو واللغة والأصول والمنطق.. الخ على اختلاف مذاهبهم العقدية لا تجد أبدا واحدا منهم أوصله علمه الذي تخصص أو برز فيه إلى نتائج مخالفة لمعتقده ،فكلهم يوجه بعلمه النصوص إلى معتقده! لأن العقيدة سابقة لعلومه ومهيمنة عليها، ولأن المنشأ و التلقين في البداية هو الذي سيحكم العقل ويوظف خاصية التبرير المنطقي بحثا عن الانسجام المعرفي النفسي فالنفس لا تقبل المنازعة في داخلها ولابد أن تنظم المعطيات الجديدة في سياق ثقافتها العامة أو الإطار المعرفي العام.
فالعلم قلما يستطيع الافلات من قبضة الهوية إلا عند بعض الأشخاص، وهو متأثر إلى حد بعيد بالثقافة التي يتحرك في داخلها، وهذا حتى في العلوم الطبيعية حيث نجد النماذج الرياضية ليست إلا ألبسة للأفكار العلمية معمولة لتزيينها و تعديلها، وجعلهامقبولة في المجتمع العلمي أو في المذهب.
ولهذا نجد البشر بنتيجة علمية واحدة يضاربون بآراء مختلفة و متناقضة.
وهذا لأن المعطيات الواقعية لها احتمالات تفسير كثيرة بحسب الثقافة، والعالم و الباحث الإنسان يقدم ما يمسه ويهمه على الوقائع، فيكون كل الصراع في التفسير أو وظيفة التأويل هو للبقاء ضمن ما يمس اعتقادنا و هويتنا و مصالحنا و ما لقن لنا بغض النظر عن المعطيات، ما يعني أننا نوظف معارفنا العلمية لتعديل النتائج وترقيع التأويل.

وقد يعتقد الساذج في العلم أن المنهجية علم موضوعي وليست كذلك،فهي مجرد أداة تقبل الانعكاس؛ عندما راقب أحد الانثروبولجيين الباحثين وجد أن المنهجية المعتمدة تتأثر كثيرا بثقافتهم وعلاقاتهم الاجتماعية.
والمقصود أن العلوم التي نقرأ بها ونفسر بها النصوص مجرد أداة تقبل التوظيف المتعدد، و أن النشوء أو الطلب في البداية المعتمد على ثقافة السلف المبنية على عصمة النص وحدها فقط هي ما يسمح لطالب العلم بالاستغلال الأمثل لتلك العلوم وللمنهج المعتمد في تفسير النص.
الابتعاد عن ثقافة السلف _ و أفضل هذه العبارة في السياق المعاصر على عبارة منهج السلف _ والمقصود بالثقافة هنا مجمل المعارف الشرعية و السلوكيات الأخلاقية وطريقة التعامل مع النصوص التي كانت سائدة في العقل السلفي يبعدك عن عصمة النص لا محالة، ويدفعك إلى التحايل عليه بتكلف منطقي أو لغوي.
العلم في النصوص، ومنهج السلف العلمي متولد منها بعيدا عن رؤية ميكانيكية فلسفية تعتقد أن المنهج مفصول عن الموضوع.

الطفيلية الفيسبوكية!

.....
التجارة الطفيلية =الفائدة بدون إنتاج.
النقاش الطفيلي =الثرثرة بدون فائدة محصلة !
كل مقال يدور على أطروحة جوهرية ومجموع أطروحات فرعية مساندة و أمثلة مختلفة الوظائف.
وقد يترك لك كاتبه إذا اعتقد أنك بلغت عملية تلخيص الخاتمة في ذهنك.
و إذا لم تستطع استخراج الأطروحة، و لا تملك منهجية لفعل ذلك فلا تعرف كيف تقرأ النصوص العلمية و المقالات عموما فلا يمكنه أن يفعل لك شيئا، تماما كما لا يمكن للأستاذ في الجامعة أن يشرح لطفل مقررات الفصل، و غاية ما يمكنه توجيهه إليه هو رده إلى المدرسة الابتدائية ليحصل الأوليات.
عندما تسأل :ما ثمرة هذا المنشور؟ ما الغرض منه؟فهذا يعني أن ثقافتك ينقصها التحديث، ولا تعرف قراءة الصريح فضلا عن المضمر؟!

وهذا ليس انتقاصا لشخص ما، لأنه في مكان ما، عند سقف معرفي ما، في زمن ما نعاني منه جميعا، ولكنه دعوة وتشجيع له ليبذل جهدا ويتعلم كيف يسأل وطبيعة السؤال المفيد، فالأحسن أن تطلب المثال، التفصيل، تعترض بمثال مضاد، تسأل وجه الربط بموضوع ذي صلة مع ضرورة التمييز بين العلة والعلاقة.
ثم قد يجلب آخر _ من المسجونين في العاطفة _ على الناس بمصطلحات الحرب :أطفئوا النار بالبول، سدوا الثغور بالأعمى والأعرج و الأطفال!
فهذا يعني شيئا واحدا :التطفل على مائدة لم يدعوك أهلها إليها فإن أقل شيء تفهم به الكلام هو جمع الكلمات المفتاحية.
و إذا أوجعك مقال لأنه زعزع تصورا مثاليا عندك أو وثوقيتك بنفسك فهذه مشكلتك، و عندها يكون الصمت وأخذ الوقت في التفكير أحسن من الغثائية العلمية!
و إذا كان الفيسبوك منبرا مفتوحا لجميع الناس فإن طابع الحسابات العلمي و عناوين المقالات عليها دعوة لأهلها وتحذير لغيرهم،والعاقل يعرف قدره.
النقد الوصفي ليس حكم قيمة مطلقا يستدعي استبدالا كليا للمنتقد بل يدعو إلى التمييز والتحسن.

نحن والنقد ؟!

......
للنقد أوجه عديدة يخبر عنها عندما يكون العقل صافيا، فلا ينتقد الناس إلا من هو تحت نظرهم، و أن تُنتقد خير من أن يتجاهلك الناس،هكذا قال العقلاء.
قال أرسطو :لا توجد إلا طريقة واحدة لاجتناب النقد :لا تقل شيئا، لا تفعل شيئا، لا تكن شيئا!
فإذا أردت أن لا تنتقد فاخمد!
لا يجب أن نخشى من الغمز العلمي عندما يتوجب علينا ذلك لأن المقدسات الوهمية التي يشيدها الناس حواليهم (حول شيوخهم ومذاهبهم وبالتضمن حول أنفسهم) هي حجب على أعينهم تمنعهم من رؤية عيوبهم وفضائل غيرهم.
وقد يتغنى الناس بالنقد ويمارسونه يوميا على غيرهم لكنهم لا يحبون إلا الثناء لأن الكبر يبغض التصحيح.
ومعلوم بالمعاش أن من يستحق الثناء هو من يتحمل النقد بطريقة أفضل.

المهم عندما تَنتقد أن تكون سيد أفكارك، وحينها سيكون نقدك حتما منطقيا مؤدبا يستخرج القمل من تحت الأفكار والأحداث بغض النظر عن مرتبة وقيمة أصحابها.
وعندما تُنتقد أن تكون سيد مشاعرك، وحينها تعوّد نفسك قبول النقد (وليس بالضرورة الموافقة عليه) فتتحرر من تأثير الثناء على حالتك النفسية.
لا ينفصل شريف العلم عن نبل همة النفس، و لا ينفصل المنطق العقلي العالي عن رقي النفس.
يصهر عقلك بدقة الملاحظة وقوة التحليل ومنطقية الاستدلال قراءة طويلة وعميقة وواسعة ،وتفكير تأملي متواصل مشارك في مختلف المعارف.
ويهذب نفسك ما تعلمه عنها، وعدد الضربات التي تلقيتها، وسهام الأقدار المربية ، و خبرة السنين مع سيرة الصالحين العارفين ، ورغبة ملحة للتشبه بهم.

مدارج السالكين..؟

.....

هذا الكتاب لابن القيم الذي هو شرح لكتاب الهروي "منازل السائرين" في تقديري التصوف الذي يدعو إليه يقود إلى الجبر، فالإنسان فيه مجرد شبح في مهب الريح، يشبه إلى حد بعيد وضعه في فلسفة الجواز المحض!
فهناك تكلف في شرح المقامات وتقسيم دراجاتها، ومع أن ابن القيم إمام عن جدارة في موضوعه، وقد هذبه كثيرا إلا أن من يعرف سيرة ابن القيم خاصة في أواخر عمره يظفر بسرعة بالعلاقة بين تصوفه وتصوف الهروي مجردا عن الجبر والاتحاد العام.
المهم أن نظرتي للتصوف السني الشرعي تراه في تصوف التابعين ومن احتذى بهم سلوكا وتعبيرا.
وبالنسبة لي لا يقلل هذا من قيمة الكتاب فإن فيه تحريرا لمسائل شريفة، دقيقة ولطيفة، وفوائده السلوكية غزيرة، من الظلم وعدم الموضوعية أن يصفه الشيخ مصطفى العدوي بالخرافات؟!

وربما لو اكتفى بمثل عبارة الحويني "من يقرأه يتوسوس ويشك في أصبعه" لكان أفضل من وصفه بالخرافات لأنها دالة على صعوبته و تعقيداته!
فهذا الأسلوب السطحي الخفيف في تناول مثل هذه المراجع، وفي مثل موضوع السلوك ينقصها الحصافة العلمية وضبط العبارات.
والواجب أن يكون تقييم الكتب أكثر صرامة و بلغة علمية وبمصطلحات أهله المقبولة.
ومفهوم أنه يوجد في أهل الحديث و المتكلمين و الفقهاء من يتحامل على التصوف دون تمييز مذاهبه ومدارسه وموضوعاته، كما فيهم الغارق في متاهاته.
وهذا لا يخدم المقاصد الشرعية التربوية لأن الدعوة السنية دعوة جامعة بين النقل والعقل والتجرد الصحيح،و أصحابها الذين سماهم ابن تيمية بالجامعين.

ليس كل قضية علمية مثارة لا يكون دافعها صراع إمامة، وليس كل كلمة يطلقها عالم لا يراعي بها عيشه أو وظيفته أو مصلحته فالنفس أيام و أيام.
و الكتب طافحة بالأمثلة.

تركيا.. كيف تبدو لي ؟

.....
إذا لم يعجبك العيش في المجارير فاخرج منها ولن تخرج منها إلا بإرادة بعد فهم العالم و أمراضك اللذين يبقيانك فيها.
بهذا التشبيه يمكننا أن نبدأ الحديث عن ثنائية تركيا /العرب.
الملاحظ أن بعض العرب عندما يقرؤون الحالة التركية يخلطون بين الدولة العثمانية وبين الرؤية التركية المعاصرة لمستقبلها الذي يحدده دورها في العالم، فلا شك أن تركيا تسعى لتكون قوة مركزية ودولة محورية.
المشكل أن القارئ في البلاد العربية يعاني من عيوبه حتى في قراءة الآخرين فيقع فيما لا يقع فيه الأتراك وهو الخلط بين روابط الأخوة والثقافة الإسلامية و المصير المشترك في الشرق الأوسط وبين مشروع الدولة التركية الحديثة،بين الهوية الذاتية والشخصية الخارجية.

والمناصر لتركيا كالمعادي لها _ في الغالب _ ينطلق من موقف ايديولوجي بحت بعيد عن حسابات الدولة ورؤيتها الجيوسياسية.
في مداخلة لاردوغان من أيام قليلة أمام البرلمان التركي ذكر أن القوات التركية متواجدة في ست بلدان منها: سوريا وقطر وليبيا و أفغانستان و الصومال.. كعلامة على النفوذ التركي والدور المحوري الذي أصبحت الدولة التركية تقوم به بحثا عن مصالحها الاستراتيجية ،ما يعني أن انتشارها في غرب المتوسط و إن كان تحت موافقة أمريكية لوقف الزحف الروسي على المنطقة أو لاعتبارات أخرى فإن له أهدافا تركية خالصة اقتصادية في البروالبحر لحاجة من يلعب هذا الدور إلى الموارد والتوسع الإقليمي، و سياسية لأنه يجعلها حاضرة على مائدة تقسيم النفوذ في الدول التي تعيش في المجارير! .
بعد قراءتي لكتاب دواود أوغلو "العمق الاستراتيجي لتركيا" عرفت الهشاشة التي كانت تعاني منها تركيا هشاشة الهوية الممزقة والنسيج الاجتماعي المهلهل.
كما عرفت أن التفكير السياسي في تركيا ينطلق من الاعتبار القومي الذي هو الرؤية و المعيار إلا أن الأتراك بدوا لي لا يرون معارضة بين القومية التركية والهوية الإسلامية، و أن العمل ضمن مؤتمر الدول الإسلامية عامل مهم للخروج من تأثير القطبي.
الذي اعتقده أن الأتراك يعملون أولا لقوميتهم وبلدهم و أي اعتبار آخر هو هامشي ولأنه يساعدهم في تحقيق أهدافهم، لكني لمست من قراءتهم أنهم يعتبرون بلوغ القومية التركية ما تستحقه من منزلة في العالم هو بلوغ لكل المسلمين،أو أن الإسلام جزء من قوميتهم، وهذا توليف منهم بين سلبيات الدولة القطرية الحديثة والبعد الإسلامي.
تحتمي تركيا من الخطر الروسي بالناتو،لكن خطابها الداخلي معاد له؟!
الخروج التركي إلى أمريكا اللاتينية و أفريقيا له بعد ووظيفة اقتصادية و دبلوماسية لحصد التأييد لسياستها في إقليمها الحيوي ممثلا في الشرق الأوسط وغرب آسيا.
تبحث تركيا عن مكانة كقوة مركزية ودولة محورية وتحتاج لتحقيق ذلك إلى طمأنة النظام العالمي وضمان (لا تهدد) أمن إسرائيل وهذا لا مفر منه حاليا لكل الدول الإسلامية لكن بعضهم يلعبه علنا وبعضهم يكذب على شعوبه النائمة.

و استعمال الشرق الأوسط كدائرة تأثير في المنطقة لأنها المنطقة الوحيدة التي يمكنها استخدامها كحديقة خلفية لمضاعفة قيمتها الاستراتيجية واكتساب مكانتها.
السياسة التركية مبنية _ على قول بعضهم _ على استعارة الرمي بالقوس "كلما رمينا أقوى في الشرق الأوسط أبعد ما نحط في أوروبا والعالم"وهي واضحة جدا.
تبقى مسألة تهديدها للأمن القومي لدول الجوار؟
وأنا اعتقد أن من لا نفوذ له عسكريا أو سياسيا أو اقتصاديا خارج حدوده لا أمن قومي له حتى في غرفة نومه!
الامن القومي يتهدد بمجرد أن يجاورك من يخالفك ايديولوجيا ،فعند الاضطرابات تعرف مسبقا حركته في فضائك، إذا كان هذا المقصود.
إذا نظرنا في التعريف "الأهداف الواجب بلوغها والوسائل والموارد الموفرة من دولة لحماية مواطنيها و أراضيها و مصالحها الحيوية" أمكن التنبؤ بالسلوك السياسي و أفعال القوى السياسية في الجغرافيا.
الذي يعش في المجارير لا يملك حرية اختيار القوى التي ترعاه،فهو خادم لهذا أو لذاك ،وبغض بعض العرب لتركيا أكبر من بغضهم للصليبيين لذلك يفضلون أن يكونوا تحت هيمنة دولة غربية على دولة إسلامية،خاصة مع ظهور دويلات معادية للملة!
المشكل أن معظم الأنظمة العربية السنية لا تملك بعدا عقديا في سياستها، ولذلك اخترقت إيران مجتمعاتها مخابراتيا فإيران كالصين كل شيعي في العالم يجب أن يخدمها!
كيف أصبحت أفقر مناطق لبنان مناطق السنة بعدما كانت أفقر مناطقه جبل عاملة حيث ليس لهم إلا زراعة التبغ؟
لذا يحتاج العالم السني إلى دولة توازن الأمور الآن أو عندما تكتمل أركان قوتها الإقليمية، على قول الجزائري :غير انهم يا عودي والله لا جرات!
فرق بين دول عربية سلمت بأموالها ومليشياتها ودبلوماسيتها العراق ثم سوريا ولبنان (وتفاوض الآن في اليمن) لإيران ودولة توجد لنفسها موطأ قدم حيثما قدرت.
وبدلا من لعن تركيا لنخرج من المجارير ونؤسس شأننا.
تركيا دولة لم تحتل، وساعدت العلمانية المتطرفة في التحاق بعض قادة الجيش بفكر

الفضيلة، وكان دور بعض السياسيين في السلطة حاسما في فرصة حزب العدالة السياسية ، ومساحتها صغيرة نسبيا، وتعاني من تمزق هوياتي، وهي محاصرة من الخطر الأساسي عليها (الروس) من ثلاث جهات، والغرب يتعامل معها على كره بسبب مصالحه العسكرية.

والأتراك كالفرس لا يرون أنفسهم إلا حكاما لمنطقتهم لأن البعد التاريخي حاضر بقوة في تشكيل الهوية مع أن تاريخ الدولة العربية أعلى من تاريخ دولهم لكن العرب كالذيل لغيرهم يهاجمون دولتهم الأولى، فرخت فيهم شبه الصفويين و المستشرقين !

و أمريكا _ بحسب تقرير جيمي كارتر وغيره _في تراجع على مستوى البحث العلمي بعد فترة حكم بوش: نصف براءة الاختراع في العالم لسنة 2018 صينية ،والثلثان من آسيا، وبعد سنوات سيغلب عليها اللاتينيون، وأعلى نسبة وفيات فيها في الفقراء البيض؟!

وتركيا تستغل التراجع الأمريكي في عهد ترامب فتعرض خدمة وتحقق مصالحها وتنجز مشروعها.

يقول بعض الناس بأنها ستدفع ثمن سياستها ؟

و أنا أقول :لا يوجد من لا يدفع ثمن سياسته في العالم لكنها تربح الوقت والسؤال الدقيق :هل يتماشى نموها الاقتصادي و التكنولوجي والمجتمعي مع أفعالها السياسية والعسكرية؟

أظن ذلك، ولا يعلم الغيب إلا الله.

في الدول العربية التي سقطت فيها الدولة المركزية فلن تعود إلا تحت دولة أخرى أقوى،و أقصد لن تتخلص من التدخل هكذا هي سنن التاريخ خاصة الإسلامي.

الدول العربية دول قطرية استبدلت البعد الملي بالحدود الإدارية الاستعمارية، وبدون بُعد ملي في الفعل السياسي فإن ازدهار دولة إسلامية ما اقتصاديا لا يجعل منها سوى منتجعا سياحيا على نمط سنغافورة وغيرها!

كل مسلم يحب أن يكون بلده مثل تركيا أو أحسن، و أن يكون له شأن على المستوى الدولي، ولا يقطع أمر يهم إقليمه بدونه

ولكن الواقع لا يعترف بالمحاب، ومرحبا بالصومال إذا قدر على ذلك فالعقيدة أولا و آخرا.

للامبراطوريات الناشئة مهما كانت منطق خاص يبحث بالاضطرار عن التوسع و النفوذ،ليس بالضرورة مضادا لعلاقة الملة.
كيف ترى نفسك، وكيف ترى إقليمك والعالم هو ما يحدد طموحك وأفعالك.

أثر القرآن في الحضارة الغربية

......

الصورة :

صورة غلاف كتاب أوليفي هان "القرآن، كيف اكتشف الاوروبيون القرآن" مأخوذة من مخطوط من القرن 15 م يظهر فيه "ريموند لول" يناظر مسلما، ويقول له :"القرآن يقول بأن المسيح ابن الله و أنه بروح الله صار أفضل البشر"
وفي الصورة التالية للمخطوط يقوم المسلم غاضبا ويضرب النصراني ثم يشنق نفسه كناية عن الغم الذي أصابه من تفوق المسيحية على الإسلام!
بهذه الطريقة كانت الكنيسة تخدر أتباعها، ما يشبه حملات التشهير والدعاية الإعلامية اليوم، فلما اكتشف الفلاسفة و المفكرون الأوروبيون القرآن استغل أولا رجال الدين أدلته ضد بعضهم بعضا ،ثم استخدمه الفلاسفة و الأدباء ضد الكنيسة والتثليث، ومن ثم انطلقت الحداثة الغربية كما نعرفها.
يمكن أن نجزم أن أثر القرآن في الحداثة الغربية أقوى بكثير من أثر علوم الحضارة الإسلامية لأنه وفر لهم الإطار السياسي لتغيير نظام الحكم الأوروبي الملكي/الكنسي، وكشف لهم العقلانية الفطرية فصهروا مما استفادوه منه رؤية حضارية جديدة عليهم، فهذا التأثير هو الذي سمح لهم بالاستفادة من علوم الحضارة الإسلامية.
عندما بدأ الإسلام وهزم البيزنطيين لم تكن أوروبا تعرف شيئا عنه، بل مصطلح "أوروبا" نفسه لم يكن قبل لقائهم بالإسلام إلا لفظ جغرافيا سيتحول إلى مصطلح هوية بعد اللقاء.
لم تكن أوروبا تعرف شيئا عن الإسلام إلا بواسطة كتابات البيزنطيين عنه ،وهي كتابات غير موضوعية عبارة عن رد فعل عاطفي.

في هذا الكتاب وصف البلبلة التي حدثت لهم عند لقائهم بالإسلام، تسلسل كتاباتهم ضد القرآن، شهادات و اعترافات بعضهم، يرسم الحيرة التي أصابت كبارهم، النزاع الداخلي بين الاعتراف بالحقيقة وبين سطوة الهوية.

مثل ينستيس الذي لم يجد العبارة لاتخاذ موقف مستقر من الإسلام فمن جهة لا يريد الاعتراف بأنه دين إلهي، ومن جهة يجد فيه تمجيد الله، فيخلص إلى أنه حتما يدخل في مخطط الله! و أن القرآن كتاب غير قابل للتصنيف؟! لا يمكن للعقل الإغريقي /الروماني، عقل البيزنطيين أن يقرأه!

في سنة 1436 م أسر العثمانيون جورج الهنغري، وبعد عدة سنين نجح في الهرب وكتب كتابا عن الأتراك اعتبرهم فيه نقمة الله على فجور النصارى!

وحاول جاهدا ذم الأتراك، ومع ذلك لم يستطع كتمان فضائلهم فوصفهم :بالانضباط ،التواضع، حشمة نسائهم، تقوى علمائهم وعبادهم.

ذكرني هذا بشروط القرطبي في الأمة القوية المرحومة "حشمة النساء وتقوى العلماء وعدل الحكام" كما ذكرني بكلام حبر يهودي معاصر متخصص في الاقتصاد ذكر أن قوة هتلر ونجاحه الاقتصادي كان بالقضاء _ ما إن استلم الحكم _ على صناعة الزنا والربا التي كان اليهود وراءها!

جزم جورج الهنغري (المجري) أنه لا يمكن اقتصاديا وعسكريا هزيمتهم ،و أن المعركة معهم خاسرة، لأنه كان منزعجا جدا من التوحيد الإسلامي الذي يبطل جذريا عقيدة النصارى في الله ظن وهو في سنة 1458 أنه بعودة النصارى لإيمانهم يمكنهم الانتصار في هذا الباب !

يمثل جورج الهنغري نصرانيا فاجأته قوة المسلمين، منكسر نفسيا من الأسر، انتابته هلوسات ضد الأتراك؛ يقول : "في قبضتهم تقريبا أصابتني عدوى بدعتهم "دينهم" وبدأت أشك جديا في إيماني المسيحي "[ÉD. Schnapp. P. 27]

هذا الكتاب ثري جدا بالمعلومات عن تأثير القرآن في الذهنية الغربية التي فجرت الحداثة والنهضة على وجه الخصوص، و عن تأثير علوم المسلمين في الغرب، يرسم خريطة الحركة العقلية الغربية مع الحضارة الإسلامية، ورحلات فلاسفتهم إلى دول العالم الإسلامي مثل :تعلم بعضهم الجبر والرياضيات في مدينة بجاية، وتأثيره فيما

بعد في أمثال بيكون وطبقته.
الكتاب جهد في جمع شتات معلومات أخفيت لقرون،في غير متناول القارئ العربي ،يحتاج بطبيعة الحال ككل الكتب الغربية حتى التي يكتبها عشاق اللغة العربية والحضارة الإسلامية منهم إلى حس ناقد لتاويل الأحداث وتوجيه الشهادات في سياقها الموضوعي.
كما قال مقدم الكتاب :هو نوع أركولوجيا الذهنيات الغربية يعيد بناء اللقاءات بين المثقفين الأوروبيين والنص القرآني التي تنطلق من التبرير للحروب الصليبية، إلى المحاكمات الإسبانية ،إلى حملة نابليون على مصر، أو البحث عن دين عالمي كلي، مرورا بحرب الديانات (المسيحية) إلى بعثات الكاثوليك.
مقدمة الكتاب :
في السفينة التي أعادته من حملته على مصر كان نابليون تارة يقرأ الإنجيل وتارة القرآن؛ بحسب رفيقه إمانويل دو لا كاس، كان نابليون يقرأ ترجمة كلود إتيان دو سافاري المنشورة سنة 1783 م والتي قدم لها بمدخل طويل ذكر فيها أن الإسلام يتمثل في العقل الطبيعي ،و من الممكن أن يكون الدين الوحيد المنطقي حقيقة(vraiment rationnelle) و أن محمدا كان مصلحا ملهما، وقائدا جذابا ،وجنرالا لا نظير له، باختصار "رجلا عظيما".
كان نابليون يرى في النبي محمد صلى الله عليه وسلم مثالا للمشرع والقائد الحربي القدوة.
بالنسبة لقارئ في القرن 21 م هذه الرؤية للقرآن ككتابة للعقل الطبيعي ،نص مؤسس لدين أكثر عقلانية من المسيحية مفاجئة لكن رغم ذلك ليس هذا بجديد ففي نهاية القرن 17 نجد هذه الفكرة عند هنري ستوب في إنجلترا في 1671، ثم عند مؤلفين آخرين مثل: هنري بولانفيلي، جورج صال، إدوارد غيبون أو غوته.
بالنسبة لهؤلاء المفكرين ذكر محامد الإسلام ،نصه المقدس و نبيه طريقة لنقد غير مباشر لسلطة وثراء الكنيسة، العلاقة بين الملكية و الكنيسة الكاثوليكية أو الانجليكية عند الإنجليز.
بالنسبة لاوليفي هان فإن الحديث عن الإسلام حديث عن ذاته. (أعتقد أن هذا التوجيه لشهادات هؤلاء الفلاسفة و الباحثين في العلوم الطبيعية يأتي في المستوى الثاني لأن

التوظيف يأتي بعد منطقية الفكرة ومصداقيتها)
يقول :تخبرنا أقوال الأوروبيين عن القرآن غالبا أكثر عن آمالنا ومخاوفنا و أحلامنا مما تخبرنا عن الإسلام وكتابه المقدس(يعني كأنهم كانوا يرون فيه ما ينقص عقلانيتهم، والدين الذي يبحثون عنه والوضع الإنساني الذي يأملونه).
إنه في القرن 15 دخل القرآن فعليا في النقاش بين الأوروبيين خاصة بين الكاثوليك والبروتستونيين ،في 1543 نشر غوليوم بوستال أستاذ اللغات الشرقية في المدرسة الملكية (collège de France) فيما بعد، كتابا عن التوافق بين القرآن، أو قانون محمد والانجليين، يقارن مذاهب الإسلام بمذاهب البروتستنتية،يقول :"الاثنان ينكران تدخل الأولياء(عبادة الأولياء و إثبات تصرفهم في الخلق وشفاعتهم) ، يرفضان الصور، يضعفان رجال الدين(clergé) يتحدان السلطة البابوية ،ويحاربان الكنيسة الحقيقية بالسيف".
إذا كان بوستال يرى في محمد المسيح الدجال فإن هدفه الحقيقي هو لوثر، و المقاربة بين اللوثرية والإسلام ليست إلا وسيلة بالنسبة إليه لسلب المصداقية عن الحركة البروستونتنية!
في نفس السنة 1543 ينشر الإنسانوي البروتستونتي تيدور بيبلياندر في مدينة بال الترجمة اللاتينية للقرآن التي كتبها روبرت كيتون أربعة قرون من قبل..
كتب لها مارتن لوثر مقدمة حيَّ فيها نشر هذه الترجمة التي توفر بالنسبة إليه ليس فقط الحجج لتفنيد الإسلام ولكن أيضا
لمحاربة البابويين(papistes).
بقيت ترجمة كيتون طبعة بيبلياندر مدة قرن ونصف أبرز مصدر معلومات عن الإسلام بالنسبة للعديد من المفكرين الأوروبيين.
كان قراء هذه الفترة يستخلصون من القرآن الأدلة ضد الكاثوليكية أو البروستونتنين أنظر (ميشال سرفي) و ضد التثليث.
النسخة اللاتينية هي أصل الترجمات الأولى في اللغات العامية (vernaculaires) : الإيطالية، الألمانية، الهولندية، وقد وجدت هذه الترجمات نوعا من النجاح وغذت الشكوكية ضد المسيحية.
قرأ طحان (صاحب مطحنة) فريولاني "لغة منطقة البندقية الترجمة الإيطالية،

وخلص إلى أنه يجب نزع الصور في الكنائس الكاثوليكية، وحكمت عليه محاكم التفتيش بالكفر أو البدعة، و أحرق بالنار سنة 1599م.
وغير مستغرب أن تضع الكنيسة هذه الترجمة في قائمة الكتب الممنوعة.
وليس مستغربا أيضا أنه في القرون التالية قرأ أكثر فأكثر المفكرون الأوروبيون المعارضون للكنيسة القرآن بمتعة ماكرة مستخلصين منه الأدلة ضد رجال الكنيسة و المذاهب المسيحية.
الكتاب جدير بالقراءة يجيب عن الحلقة المفقودة التي استغلها الاوروبيون طويلا ليخفوا سرقتهم العلمية ونهبهم الحضارة الإسلامية زاعمين أن حضارتهم إنتاج العقل الغربي وحده؟!
ميزة الكتاب أنه يصحح الرؤية الشائعة شرقا وغربا والتي مفادها استفادة الغرب من علوم اليونان عبر الحضارة الإسلامية التي نقلتها وطورتها ويبين الدور الأساسي للقرآن وليس لهذه العلوم مجردة في الثورة الثقافية التي شهدتها أوروبا ،يكشف أثر القرآن في تجديد العقلانية الغربية ،اكتشاف فكرة الإنسانية ،الرؤية السياسية للحكم ولحق المواطن من خلال أفكار مثل: عدم حاجة الإنسان للاهتداء ولعبادة الله إلى مؤسسة ومراسيم، استقلال العلم والقلم عن الحكم.. الخ.
معلومات كثيرة مع حس علمي نقدي تقربنا من فهم أثر القرآن الحقيقي على العالم الغربي، وكيف أحدث هزة عقلية شديدة فيهم، وبالتالي أثره في الحضارة المعاصرة، كما نكتشف النفسية الغربية وقيود الهوية وخفايا الكنيسة.

......

المرجع :أوليفي هان؛ l'alcoran, comment l'Europe à découvert le coran.
منشورات بيلان ،تقديم جون طولن أستاذ التاريخ في جامعة نانت ،فرنسا.

تركيا والبلبلة في العقل العربي ؟!

....

في مادة الجيوسياسي _بحسب علمي _تكون القراءة كلية لا جزئية، ما يشبه قول

علمائنا في النقد "يجب مقابلة الجملة بالجملة" يعني: لا تأخذ حدثا جزئيا وتعممه على جميع الأحداث.
هناك فرق بين قراءة محلل مخابرات عنده معلومات غير معلنة وتكوين متين في قراءة التحركات وتقارير سياسية سرية وبين قراءة متابع يعتمد على كتابات أكاديمية و تحقيقات صحفية.
أقول هذا لأنه بدون شك قد اصطدمت تركيا في فعل من أفعالها بأحدهم، قد يكون كرديا له تطلع لقوميته، أو عراقيا يعتقد أنها ساهمت بشكل فعال في سقوط الدولة العراقية أو في وضع أهل السنة السيء بغض النظر عن حسابات الداخل التركي، أو غرز السكين في ثور ميت؟
وقد يكون نفس الشيء بالنسبة لشخص سوري اقتنع بأنها غير معنية بالشعب السوري، وما تفعله في الشمال فلمصلحتها الخاصة لأنها لو كانت صادقة لدخلت في حرب شاملة مع روسيا وإيران والجيش النظامي؟!
وهكذا الليبي ثم المصري والتونسي و الجزائري الميالين للعروبةبالفهم القومي ،أو عندهم رؤية مفادها أنها عنصر إقليمي لمخطط غربي لابقاء العرب أو بلادهم في الحضيض، أو ربما قراءة خاصة للتاريخ العثماني، وأنه قلب الحضارة الإسلامية من روحها الأولى وحولها إلى اللون العسكري الذي كان سببا في انهيارها..!
لكن لا تهمل موقف القطري منها، وكذلك السوري المستفيد منها والليبي المعارض لحفتر،... الخ
قراءة الحدث تحتمل تفسيرات كثيرة لأننا في الغالب نجره إلى إيديولوجية سابقة،أو لاحداث محلية لكن مع ذلك تبقى الوقائع هي الوقائع والعقيدة لا تتغير إلى قيام الساعة.
والأفضل قبل التحليل أن نقف عند المعاينة فمثلا: ليست تركيا من نصبت حكام العرب، وليست تركيا من نهبت مواردهم، وليست تركيا من أفسدت تعليمهم ومجتمعاتهم، وليست تركيا من فرقهم كل مفرق، وليست تركيا من نشرت فيهم الفساد المالي والفجور و العلمانية و الماسونية،وليست تركيا من سجنهم في التخلف... الخ
أنا هنا(المقال السابق) أتحدث عن رؤية الأتراك لواقعهم و منزلتهم بين الدول ،لنهضتهم الحديثة ،للثورة الصناعية و التجارية التي قامت في بلدهم مؤخرا، لا أتحدث عن خلافة إسلامية، ولا ازكي سياستهم الخارجية برمتها.

وعندما نقول: الأتراك ماديون وليسوا قوميين فهذه مقابلة بين وصفين غير متعارضين، فكل البشر الآن بمن فيهم من العرب طغت عليهم المادية، والتعبير الدقيق أن نقول عنهم: إنهم براجماتيون، فهذا صحيح،و إن كان أوغلو يرى في كتابه أنه يجب أن تكون سياسة تركيا قائمة على المبدأ وليس المصلحة، ولا أعتقد صوابية رأيه.
وتركيا ليست مساوية في القوة العسكرية لروسيا، لا تزال بعيدة عن ذلك، لذلك فإن مطالبة بعض الإخوة أن تدخل في سوريا في حرب مواجهة مع روسيا مطلب غير معقول ودعوة للانتحار.
وقد يسأل بعضنا :لماذا تحاصر أمريكا إيران ولا تفعل نفس الشيء مع تركيا إذا كانت فعلا تمثل أو تحمي المسلمين أو شي من هذا القبيل؟!
في الحقيقة لا يقول أحد بأن تركيا الحالية حامية للعالم الإسلامي(و إن كانت كذلك في قطر وليبيا) فهي أولا لا تملك إمكانية ذلك، و لا هي تريد فعل ذلك، فكل ما تقوم به شرطه الأول مصلحتها الحيوية (يعني الوجود) لكن عندما نقارن بينها وبين بعض الدول العربية فالفارق محزن للغاية.
لا أظن أن أمريكا تناصب عداءا حقيقيا لإيران بل تستخدمها في ابقاء العرب تحت الوصاية، وفي حالة ضعف، فمشكلة سوريا والعراق ولبنان واليمن مشكلة إيرانية وليست تركية، فكيف سمحت أمريكا لإيران بهذا التمدد الذي بدأ من عشرات السنين؟! القضية هي أنه في المدة الأخيرة بعد قدوم ترامب نشب بينهما خلاف حول بعض الملفات فقط.
و إذا كان الأتراك بخلاف إيران اختاروا استراتيجية العمل على نهضتهم و دورهم السياسي في منطقتهم من داخل الحلف مع أمريكا، فهذا يبدو ذكاءا منهم، لأن جل العرب يقدمون خدمات مختلفة لأمريكا بدون أن تعتبرهم حلفاء لها، بل مجرد خدم وهذا ما تدل عليه عبارة ترامب :لولا أمريكا لتحدث الخليج العربي الفارسي بعد أسبوع!
كل نظام حكم محلي يرى طبيعيا الخطر في دولة إقليمية مخالفة له ايديولوجيا و أقوى منه، ليس في هذا أدنى غرابة.
نحن الآن نعيش في الحدث التركي لا يمكن أن نحكم عليه حكما نهائيا إلا بعد انقضاء

مراحله الحيوية، والحديث عن تركيا هو نفس الحديث عن ماليزيا، عن دول خرجت من معادلة الانحطاط العربية، فقط يتوجه النظر إلى تركيا بسبب الفعل السياسي والعسكري وللقرب الجغرافي و التاريخي.

في هذا المجال أو السياق لا يوجد مدح ولا ذم، فقط المعاينة والوصف، المدح أتركه لمن استفاد منها كالليبي في الغرب مثلا والذم أتركه لمن تضرر منها كالليبي في الشرق ،أو بين الليبي الإسلامي والليبي العلماني، وهكذا اعتبارات ممكنة.

ومع ذلك الفرق واضح لكل عاقل بين السيسي (و أمثاله) و أردوغان كرجلي دولة،وبين تركيا ومصر(و مثيلاتها) اجتماعيا و سياسيا و اقتصاديا بل حتى على مستوى معالجة النفايات ونظافة الشوارع فكيف بما هو أعلى شأنا؟!

الذي يبدو لي منطقيا أن نراعي عزة بلداننا ونهضتها والعلاقة الاخوية بينها برابط العقيدة والتاريخ ولكن علينا أن نخرج من رؤية الأنظمة إلى رؤية تجمع العقيدة والمصلحة دون مصادمة بينهما ، فهذا يدافع عن رؤية سعودية_إماراتية أو مصرية والآخر لرؤية تركية صرفة أو غيرها، و أن نتعلم الفصل بين قراءة الوقائع وبين سحب التاريخ وصراع القوميات عليها.

لا نريد أن نكون مثل الجزيرة أو أسوأ منها العربية وسكاي الإمارات نولد البغلة ونفجر في الخصومة ونتحالف مع الشيطان!

المعرفة من المستوى الأول

....

كثير من الشباب يتعلم في سياق النقاش والمناظرة، بعضهم يستمر على ذلك وبعضهم يفطن إلى نقائص هذا الأسلوب.

وليس هذا عيبا لكنه ليس بالمنهج السليم، عليه الرجوع إلى الدراسة المنهجية و إلا لم تكتمل تصوراته و بقيت لديه ثغرات.

الأسوأ هو الذي يتعلم مسألة أثناء تأليف كتاب لأن حمى التأليف منتشرة فهذا قد يبهرك في تلك الجزئية لكنه يسقط في النظرية الكلية،و الغالب على هؤلاء أنهم لا يحسنون الكلام إلا فيما كتبوا!

يتعلم الناس بحسب المتوفر لديهم، وقد تسحب حماسة الشباب الإنسان إلى مجاراة

الموجود، ومع ذلك عليه أن يصدق مع نفسه فإنها تخبره بما ينقصه، واستدراك النقص وطلب الكمال من ميزة النفوس العالية التي لا توقفها شهوة الشهرة ومتعة الجماعة عن السير إلى الأمام.

ليس للمسلمين الآن واجب حضاري أهم من تكوين علماء أو مفكرين من المستوى الأول.

المفكرون_ والمقصود هنا العلماء النظار وليس المثقف _ عدة مستويات، لا يتميزون بالشهادات وحدها ولكن بالانتاج العلمي المتميز ، أو بالتأثير في المجتمع العلمي ،و أهم من ذلك بقوة التحليل وشموليته التوليفية،و بتاصيل المعارف وتنظيمها.

فمثلا مستوى ماركس في الاقتصاد ،كنط في هندسة المعارف، روسل في فلسفة المنطق،روسو في السياسة،فيران في الابستمولوجيا ،مالك بن نبي في اجتماعيات الحضارة...وغيرهم كثير.

و أظن آخرهم في فرنسا :ألتسيير، كلوسكار ،روني جيرار، غارودي؛ لم يبق إلا المفكر من المستوى الثاني أو الثالث.

هذا النوع من المفكرين يتميز بالنظرية الشاملة التي تهتم بأبعاد الإنسان الروحية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية ،و إلا فيمكن أن تجد مثلا شرح دولوز لفلسفة سبنوزا أقوى ما يمكنك الظفر به، ومع ذلك لا يجعل منه هذا مفكرا من هذه الدرجة و إن كان في بابه كذلك.

فالمعتمد هنا تكوين علماء لهم ثقافة شاملة وقوة تحليل علمي صارمة لأن وسائل الفهم في هذا العصر تحتاج على الأقل إلى خمس أو ست اختصاصات فضلا عن العلوم الشرعية.

فللتحكم في الواقع يجب أن تمنح نفسك حق فهمه الممنوع عنك وذلك بالتمكن من :الفلسفة، التاريخ ،الاقتصاد ،علم الاجتماع ،علم النفس، والسياسة.

نحتاج إلى هؤلاء ليخرج العلم من طور الدعوة العامة، من نقاش الشوارع، ومناكفات مواقع التواصل إلى التأصيل الأكاديمي الجاد لأنه بدون هذه الفئة ستكون الأفعال بدون وعي والأحلام مفصولة عن الواقع.

و قوام النهضة :الفعل والحلم.

تقريبا كل عباقرة الإسلام و حتى الغرب كانوا أقوى من شيوخهم إلا في حالات قليلة

ما يعني أن المعلم و إن لم يكن من هذه الفئة المطلوبة يمكنه أن يكونها،وذلك باختصار الطريق على الطالب و إفادته بخلاصات تجربته وتمرين ذهنه على التصور المطابق ،فليس مضطرا إلى نسخ نفسه في تلامذته.

مع الوقت والممارسة يدرك المعلم النقص في تكوينه العلمي أو الخلل في منهج المؤسسات العلمية ،أو يكتشف سبب ضعف النوعية في الفكر فيحاول سد ذلك عند الطالب وبهذا يساهم في تكوين طلبة أعلى مرتبة و أدق فكرا منه.

العلم الآن ليس بضاعة جاهزة تحفظها أو يضعها الشيخ في عقلك، هو شيئان :معلومات وفيرة ذات قيمة معرفية عالية وموثقة وقدرة على توظيفها في بناء تصور المسألة.

والمشكلة الحقيقية التي تواجه الطلب هي حجم الجسم المعرفي الذي يكبر في كل يوم وبدون قدرة على فهم كل الاختصاصات التي تعني اهتمامك و نوعية فكرك من الصعب استدراك ذلك.

دور الشيخ أن يقودك في اكتساب أدوات التفكير و فهم طرق الاستدلال ،ويدلك على العناوين المفيدة في مرحلتك، ومن هذا تكون لنفسك قوة التصور وحسا نقديا يسمح لك بتحديث معارفك ومجاراة الجسم المعرفي.

يمكن أن نلخص كل ذلك بالتالي :سبر و استقراء الموضوع ونظر فاحص بقوة عقلية للاستدلال.

بطبيعة الحال نحتاج لتطوير طريقة التعليم المعاصرة على أساس :التنظيم، الاستيعاب للموضوع، والنقاش بالتصور وليس بالمعلومة.

بقاء بعض طلبة العلم في موضوع الحديث الديني وحده سببه ضعف الثقافة، وبعضهم يسعفه ذكاؤه الفطري ونظره الاستدلالي في فهم الموضوعات غير الدينية لكنها شخصيات قليلة.

بطبيعة الحال ليس مطلوبا من الجميع أن يكون مفكرا من المستوى الأول لكن كذلك لا يجب "العفس" على أقدامهم من كل من هب ودب.

يعتقد كثير منا أن نخبنا مهمشة، وأنا أعتقد أن هذه النوعية غير موجودة، وأصلا يجب على النخبة أن تكون في الهامش لتحفظ حريتها.

مرض التمذهب المبكر في كل شيءٍ ..؟!

......

عادة سيئة جدا فينا تتمثل في أننا نشعر بحاجة ملحة إلى أن نتمذهب (بمعناه السيء :التحزب) في كل شيء حتى في أتفه الأمور، لا يمكن أن نتناول شيئا بروح الاستكشاف المعرفي، ندرس قضية لمعرفة حقائق الأمور كما هي؛ لابد أن نحولها إلى قضية مذهبية :ضد أو مع، مدح أو ذم!

لهذا نتمذهب على أول كتاب نقرؤه! بينما الغربي صاحب المنهج يقرأ الكتاب و يقتنع بأطروحته وقد يعجب بها مع ذلك لا يتبناها بل يتحفظ في انتظار استقراء أدبيات القضية، كالقاضي لا يصدر حكمه حتى يستوفي كل الشهادات.

طالب العلم يبدأ بحثه و قراءته من أجل الفهم، لتصور القضية وليس لاتخاذ مذهب، وبعد مرحلة الوصف المطابق الصارم يعرض ما قرأ على المعيار أو المبدأ ويصدر حكم قيمة عليه.

يأتي المذهب بعد استيفاء البحث والنظر، وبعد اكتساب المعيار ليس قبل ذلك، قبل ذلك أنت متفرج فضولي يريد أن يعرف :ماذا ولماذا.

ليس في كل ما تقرأ يجب أن تبحث فيه عن ميول الكاتب في المسألة فبعض القضايا تبدأ بالفصل الانطولوجي ولها صفة ابستمولوجية خالصة، بعد ذلك يقدم الفرضية بطريقة تضاربية جدلية تقوم على أدلة احتمال بحسب المقتضيات الانطولوجية ومثالية المعيار العلمي ،فغرضه استكشاف أحوال المسألة لا اتخاذ مذهب فيها،أو مصادرة مذهب، يهمه فهم الواقع لا الاصطفاف في جيش مذهبي.

التعلم ليس تمذهبا ؛افهم هذا وإلا ضيعت عمرك وجهدك في فراغ لأنك ستظل كما أنت وستعجز عن تطوير معرفتك.

لا يؤكل العلم غير ناضج!

التفكير الحر.. و التفكير في داخل تفكير واحد؟

....

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.

بحث العلماء المسلمون عملية التفكير تحت مصطلح "النظر" وبحثه الفلاسفة وعلماء

النفس والإدراك المعرفي وغيرهم تحت مصطلح "التفكير" لنحاول من بعض العناصر التي وقفوا عليهما أن نلخص زبدة ما قرأته من بحوثهم :
المقال هنا سيعالج العلاقة بين الفرد والجماعة في تفكيره، ومعنى الانغلاق في فكره أو في فكر واحد؛ يمكن أن تنقله إن شئت إلى مسألة الانغلاق داخل اجتهادات إمام واحد؛ ماذا تمثل في ماهية التفكير العلمي وقيمته العلمية؟
لا أبحث هنا جواز التمذهب من عدمه، الحاجة إليه من عدمها وهكذا مسائل كتبنا فيها من قبل بل على قياس قول هيغل :"فكر بنفسك لتكون فكرتك حية، فكما لا يأكل و يشرب أحد بدلا عنك ففكر بنفسك".
نريد أن نقف على العمليات التي تجري في عقل الذي يفكر بنفسه وكيف يمثل في الحقيقة العلماء خيرا ممن يقلدهم.
العلم تفكير خاص، تفكير معرفي متميز بقواعد وخصائص عن التفكير العامي؛ و إذا كان كذلك فلا يمكن أن يفكر بدلا عنك آخر لكن كذلك التفكير بنفسك لا يعني عدم مساحة لتفكير غيرك.
كما كتب أفلاطون: "التفكير هو أن تفكر بنفسك، في صمت مع نفسك "يعني هو عملية جدلية داخلية مسرحها العقل، كما يقول كبار السن" تحاجي وتفك وحدك "!
بحسب كنط هو "أن تستخدم تعقلك الخاص بدون أن يقودك آخر"،ويبدو لي هذه عبارة غير دقيقة فلابد للعقل من غذاء، ولابد لكل فن من مجال ومبادئ ثابتة بوحي أو ببديهة وتجربة مشتركة.
التفكير يعلن كيف تريد أن تكون؟ لكن هل يعني هذا أن الإنسان قادر على تفكير جيد بنفسه ،أم يحتاج إلى مساعدة فما نسبتها و ممن؟
أن تفكر بنفسك هو أن تستخدم قدراتك العقلية رافضا كل تأثير خارجي، وكل فكرة جاهزة(بدون فحص) ، لكن ما المساحة التي تحتاج أن تمنحها للغير أثناء هذه العملية. ؟ما نسميه "التوجيه في التفكير".
التفكير هو تساؤل عن المعنى، عن قيمة وأساس التأكيدات و الدعاوى.
نتحدث عن تفكير بالنفس في كل ما يشكل خضوعا غير شرعي أو غير مبرر منطقيا، فالتفكير ضمن حدود النصوص، وبين أقوال السلف خضوع نسبي مبرر أصوليا شرعيا ومنطقيا.

وعلى هذا ليس التفكير إلا تعبيرا آخر عن حرية الضمير ،و عن علاقة رحيمية مع الحقيقة.
لا يعني التفكير بنفسك الانغلاق عن الغير، اختلاق العلم مثل الصوفي الباطني الذي يغلق على نفسه داخل حدود تجربته الشخصية، فهذا ليس تفكيرا، بل هو غياب تفكير، إذ لا تفكير بدون أن يتغذى من فكر غيره، ولا يوجد تفكير بدون حوار.
بالضرورة يكون التفكير الحر حواريا.
التفكير بنفسك ليس انعزالا عن الغير، عندما تفكر بنفسك فإن ذلك يتضمن البحث بنفسك، تكوين تصورك الشخصي، مراجعة العلاقة بين الدليل والمدلول، فحص قاعدة التصنيف، استخدام قدراتك أنت، أما مادة التفكير فهي أفكار الغير ،علم العلماء تصوراتهم ،استدلالهم.. الخ.
تستخلص ثراء فكرك وخصوبته من علم غيرك و أفكاره فالقدرات الذهنية تتطلب شروطا لتمارس بفعالية.
لا يوجد علم بدون متاجرة مع العلماء، فالإنسان لا يولد مفكرا، بل يبدأ التصرف بقدراته العقلية في بيئة اجتماعية، في جماعة ،في مذهب ،تكيفه هذه البيئة فيحتاج عندما يبلغ ويستكمل الأدوات أن يفكر بنفسه، أن يحول تلك الآراء إلى أفكار (قناعة علمية) أو يتخلى عنها إذا لم تقبل التحول، لأنه في البداية يحمل أفكارا جماعية، عبارة عن آراء لم يفكر فيها، قد تكون متواترة، وقد لا تكون،قد تكون مسندة إسنادا صحيحا، وقد تكون مرسلة، قد تكون أصيلة، وقد تكون دخيلة.. الخ.
ما إن نبدأ في التفكير العلمي حتى يقبل الآخرون ويدخلون فكرنا، لا يمكنك التفكير بدونهم، تحتاج أن تعرف تفكيرهم في المسألة :ما الذي فاتهم؟ فتنتهي إلى نفس فكرتهم، أو توافق هذا وتخالف الآخر.
فأنت تحاورهم في فكرك؛ تفكر بنفسك لكن تفكر بحضورهم كأئمة و علماء و مفكرين، فالحوار سواء الداخلي أو الخارجي هو ما يجعل تفكيرك حرا.
أن تفكر هو أن تفحص، التساؤل بالنظر إلى المعيار ،في العلوم الشرعية هو النص مقرونا بفهم نقلة لفظه ومعناه.
يفكر الإنسان لأن شيئا ما يثير مشكلا في العقل، لأنه إذا كان الموضوع واحدا فإن تعدد فهم العلماء وتنوعه واختلافهم وتعدد تأويلاتهم لنفس الواقعة هو المشكل الذي

يشتعل في عقلك.
لذلك لا يمكن أن تكون متمذهبا لأنه سيكون اختيارا أعمى، وستقبل التناقض العام (تناقض مذهبك مع المذاهب الأخرى) فلابد من وجود خلل عند أحدهم من عدم علم، من تعارض ،من فهم مرجوح.. ؟
ولأن هذا الخلل يتناوب تارة عند هذا وتارة عند الآخر فالعقل لا يقبل بفطرته تعدد حقائق موضوع واحد، يتفهم أسباب الاختلاف لكنه يجزم انها من الذوات وليست من الموضوع.
لا يشعر العقل المحترم أنه في بيته في عالم أو مذهب يقال فيه الشيء و ضده، فالتناقض بالنسبة إليه فضيحة و إزعاج، خلل في وظائفه.
غالبا ما يكون مفعل التفكير الشعور بالتناقض لأنه مبدأ فطري فيه.
لكن فقط وسط العلماء يمكنك أن تستيقظ لتقوم بجهد التفكير فمثلا :تقرأ فتوى إمام وتبقى ساكنا، تصادرها مؤقتا، أو تشعر مجملا بخلل فيها ثم تقرأ فتوى آخر في نفس الموضوع فيتحرك تفكيرك، ينتبه إلى خلل عند الأول أو العكس. .
الرافض للتمذهب، لإخضاع تفكيره لحدود مذهبية ليس شخصا يستقي تفكيره من العدم ، بل هو كائن في حوار مع نفسه، لأنه في حوار مع الآخرين، ولو لم يكونوا حاضرين بأجسادهم معه،وحاجته إليهم حاجة إلى جميعهم ليست حاجة إلى واحد منهم يتكلف تصحيح قوله!
لا يمكن للفكر أن يكون وحيدا، بمعنى أنه يحتاج إلى موافقة العقول التي مثله ليطمئن على نفسه، فما الذي ينجينا من ميثولوجيا شخصية، ما يسميه كنط "التفرد المنطقي" هو موافقة الذوات المفكرة الأخرى؛ ففي علوم الدين وما يتصل بها نبحث عن موافقة فهم السلف لأن الدليل أثبت أنهم المعيار بالنسبة لنا إذا اتفقوا، و إذا اختلفوا فالصواب لا يخرج عنهم.
كما نبحث عن موافقة العلماء، وربما على هذا يتنزل قول الأئمة:" لا تقل قولا ليس لك فيه إمام" ، فممكن أن تخالف الجمهور لكن لابد و أن تجد من يوافقك على فكرتك بشكل من الأشكال.
ويضرب كنط مثالا على ذلك : إذا كنت جالسا مع أحدهم على مائدة ورأيت عليها نورا يحترق بينما الشخص الجالس معك لم يره، أو سمعت صوتا لم يسمعه غيرك

فمن أجل دقة حكمك
عموما ولسلامة تعقلك تحتاج إلى لمسة ذاتانية ضرورية هي أن يدعم تعقلك تعقل آخر بدون أن تنعزل بتعقلك عن الغير.
و هكذا بالنسبة للباحث الشرعي يحتاج إلى أن تدعمه النصوص، و أن يوافقه السلف فيما هو من مجالهم، ثم عالم من العلماء، لا يمكنه أن ينفرد عن هذه المعالم الثلاث ويبقى واثقا من فكرته.
يجب على قول كنط أن تحك عقلك على عقول أخرى "أنثروبولوجيا وجهة النظر البراجماتية".
على قول هيراقليط:" للمستيقظين يوجد عالم واحد مشترك بالنسبة للنائمين لكل واحد عالمه... الذين يتكلمون بذكاء لابد أن يعتمدوا على ما هو مشترك للجميع".
المشترك بين المسلمين مصادر التلقي والسلف والعقل الضروري لذلك كان الأصل الذي تنطلق منه المذهبية المتمثل في تعدد الحقائق، والظنون متساوية ،ولا يمكن حسم الخلاف، باطل مبني على إلغاء اي أثر لموضوعية الموضوع، والارتكاز كلية على الذاتية.
ونفس المشكل نصادفه في الأصول العلمية أسقطوا السلف كلية من المعيارية وفي الأصول العملية فتتوهم !
لهذا عندما نقول: يجب أن تفكر بنفسك فهذا لا يعني الانعزال في قوقعة عقلك، لأن تفكيرك يهدف الحقيقة، والحقيقة مطلب كل العقلاء قبلك ومن بعدك، وخاصة الذين كانوا قبلك و اختبروا أو شاركوا فيها كالسلف الذين عاشوا مع مصدرها وشارحها لهم بلغتهم،وعملوا بها في حياته، فالرسول هم من سأله، وهم من استمع إليه، وهم من بلغه أقواله و أعماله ،واللغة هم الناطقون بها، والإيمان هم قادته.. والقرآن هم من خوطب به في المقام الأول.
والحقيقة يمكن أن يعرفها عقل آخر غيرك، وقد أثبتت النصوص كما أثبت واقع الحال أن أكمل المسلمين عقولا و أولاهم بمعرفة الحقيقة الشرعية السلف.
التفكير إذاً هو فكرة موسعة على أفكار الغير، و إلا ليس تفكيرا، لهذا لا يفكر المتذهب تفكيرا حقيقيا لأن فكره لا يقبل التوسع على أفكار خارجة عن مذهبه إلا باستبطان رفضها إلا نادرا!

أثناء التفكير تستكشف بنفسك بإمكانياتك العقلية وإمكانية غيرك بأفكارهم، وفي نفس الوقت تضع نفسك مكانهم لتعرف مخارجهم.
في عملية التفكير بُعد حواري، فأنت لست واحدا ولا وحيدا، أنت أكثر من واحد، تضع الاعتراضات على نفسك بنفس الطريقة التي يفعلها غيرك لو كانوا حاضرين معك.
الحقيقة، وخاصة الحقيقة الإيمانية، الحقيقة الشرعية ليست ملكك ،ولا ملك غيرك، هي ملك مشترك بين المسلمين، لأن النص والذين نقلوه وفهموه وعملوا بموجبه هم أصل مشترك بين المسلمين، و إن قامت الفلسفة بعزلهم عن هذا المنصب عند كثير من الطوائف؛ وكذلك الفطرة والضرورة العقلية والحس أصل مشترك بين البشر.
الحقيقة الشرعية أعلى مني ومنك، لا يمكن بحال أن نحصرها في مذهب.
التفكير الحر تفكير مفتوح لا يحتمل بحال الانغلاق في مذهبه هو تفكير لا حدود له إلا مصادر التلقي وفهم السلف ،فهذا الشيء الوحيد الذي يتجاوز تناقضي وتناقضك إلى الحقيقة التي هي هدف وملك مشترك.
لا يأتي نشاط فكري جماعي إلا من خلال مجموع أنا أو ذوات
فلا يمكن أن تفكر إلا بنفسك، لكن لا يجب أن تخلط هذا بكن وحدك، لأن التفكير هو أن تفكر بنفسك، و أن تفكر بنفسك هو أن تكون وحدك، و أن تحمل في نفسك الآخر في نفس الوقت.
في الابستمولوجيا المعاصرة عمليتان :الأولى وصفية تتمثل في وصف ما يقوم به العلماء بطريقة صارمة بدون إعطاء حكم قيمة.
الثانية :معيارية تخص طريقة البحث المثالي، وهي التي تقوم بالنقد.
فإما يوجد في الشريعة معيار نرد إليه التناقضات(الاختلافات) و إما الأمر راجع لكل واحد ونصيبه، ما يفضي إلى أن الشريعة سلمتنا معلومات بدون منهج ؟!
فمن فهم هذا شعر بالاضطرار أن التمذهب لطالب العلم خلل في إعمال عقله، و أن عليه أن يفكر فيما يقدر على التفكير فيه ليكون اعتقاده في المسألة عن قناعة، وليكون ضميره حرا؛ وما لا يقدر عليه فإن ضروب الترجيح و المفاضلة كثيرة جدا، شرعية وعقلية وشعورية ،لا يحتاج إلى تكلفات فقهاء المذاهب التي حدثت مع فقه الخلاف والتعصب ونفخ المذاهب.

....

المراجع :
أفلاطون؛ هيبياس
_كنط ؛ما هي الأنوار _ نقد القدرة على الحكم.
_ هانا ارانديت؛ المفهوم الكنطي للحكم.
_هيغل ؛دروس عن تاريخ الفلسفة _رسالة إلى فون رومر _المراسلات _ نصوص بيداغوجية.
_ سمون مانن؛ التفكير الحر.

العلم الاجتهادي(التأمل و الاستنباط) ليس إبداعا فرديا خالصا لعالم ولكنه استعداد عقلي للتعرف على فكرة عند غيره _ في الغالب ممن سبقه _ قابلة لتشترك مع بذور أفكاره المتولدة عن نظره في مادة الفن لفتح إمكانيات جديدة في هذا الفن.العلم الاجتهادي(التأمل و الاستنباط) ليس إبداعا فرديا خالصا لعالم ولكنه استعداد عقلي للتعرف على فكرة عند غيره _ في الغالب ممن سبقه _ قابلة لتشترك مع بذور أفكاره المتولدة عن نظره في مادة الفن لفتح إمكانيات جديدة في هذا الفن.

لماذا لا تجمع بعض العلوم أهلها على رؤية واحدة.. ؟

....

عندما نتكلم عن علم فإننا نتكلم عن جسم معرفي، عن منهج ،وعن موضوع تدريس،وخصوصا نقصد بُعده المعرفي المحض.

فعلم الحديث ليس منهجا لتصحيح وتضعيف الحديث فقط، بل هو كذلك منهج عقدي وفقهي،طبيعته المعرفية لا تحتمل إلا أن يكون كذلك.

و التغيير نتيجة التطور الحضاري للأمة لم يمس ُبعده المعرفي ومنهجه كما يظن بعض المعاصرين ،ولكنه مس الدرس التعليمي الذي دخله التنظير، فمن أين ذلك ؟

كل علم له ثلاثة أبعاد أساسية :

_ العلم كمجتمع علماء أو ممارسين يتشاركون المصادر ،القيم ،القواعد ،الاعتقادات.. الخ.

،من هذه الناحية نجد أن المحدثين مصدرهم واحد هو الخبر الشرعي ولواحقه فيشتغلون على نفس النقلة وبنفس المنهج مع وجود اختلاف طفيف في بعض القواعد لكن أكثره اختلاف في إعمال القاعدة أو بسبب عدم علم.

و بخلاف الفقهاء والأصوليين و المتكلمين و المفسرين واللغويين والنحويين يتقاسمون نفس المعتقد؛ حتى عندما انفصلت تلك العلوم عن علم الحديث و أصبحت اختصاصا مستقلا ،وتغيرت مناهج التعليم بحيث أصبح الطالب يتلقى أولا مقررات مذهبية فقهية وعقدية قبل الاشتغال بالحديث ظل الاعتقاد الواحد عاملا مشتركا بين المحدثين رغم الاختلافات الطفيفة التي نجدها عند تلك الفئة من المحدثين المتأخرين التي نشأت أولا في بيئة فقهية أو عقدية مخالفة لأهل الحديث فدرجة ابتعادهم عن أهل الحديث خفيفة و أكثرها مقولات مجملة ربما نجمت عند بعضهم من عجز معرفي بخبايا الكلام مثلا.

والخلط هنا عند المعاصرين يقع في التباس الحديث عن المحدثين قبل انفصال العلوم وبعده بالحديث عن علم الحديث،بمعنى بعدم تمييز بين السنة التي هي منهج وطريقة المحدثين قبل الانفصال والتي ينتمي إليها في كل العصور أصوليون وفقهاء ومفسرون ولغيون.. الخ وصناعة حديثية تقنية ممزوجة بانتماء مذهبي آخر.

ميزة أخرى لعلم الحديث أنه لا ينتسب إلى علم آخر، فهو ليس فرعا عن علم آخر مثل بقية العلوم،يعني: ليس علما هجينا "مولدا".

البعد الداخلي للعلم يعني: بُعده الابستمولوجي، لأن كل علم هو قبل كل شيء فضاء منطقي لبناءات استدلالية.

على هذا المستوى فإن العادة أن يحدد العلم بمداخل أساسية :

تخص موضوعه ومنهجه، نشاطه، أمثلته المشهورة، حالاته الدراسية، ونصوصه المرجعية.

ما بات يسمى بعد كهان "البراديجم" يعني: النموذج.

و البراديجم جماعة علمية، هو مجموع الصفات المشتركة التي يتقاسمها أعضاؤه، والتي يأخذون منها هويتهم،كذلك هو مجموع القناعات و الاعتقادات التي تجمعهم ويثبتونها

لهذا فإن الجماعة البراديجمية هي جماعة إدراكية، يعني: طريقة في رؤية الأشياء.
وهذا لا نجده بشكل واضح المعالم في العلوم الشرعية إلا عند المحدثين بحيث نجد نفس العقيدة ونفس المنهج الفقهي لأن الحديث نفسه كممارسة هو منهج يعمل في جل العلوم الشرعية.
وهذا البراديجم له سلطة ثقافية واجتماعية بحيث يُكيف ميلاد وتطور مجال علمي وتشكيل جسمه النظري لأنه يوجه الباحثين في أعمالهم.
وقع الالتباس للمعاصرين في قضية اختلاف المنهج بين المتقدمين والمتأخرين بسبب العملية التعليمية التي كانت في البداية عملية تجريبية تقوم على الرحلة والسماع وتبادل مباشر وتفاعل تطبيقي.
، وبعد دخول المنطق وتنظيم المعارف وتدوينها أصبحت نظرية في كتب المصطلح ،و التعليم متنوع :طريقة التعليم، الأمثلة النوعية للكتب التعليمية ، التجارب الوعظية، قصص التجارب المثالية، وتعليقات المحدثين و أئمة العلم ،ونكته المشهورة وسردياته المثالية.
بعد دخول المنطق بدأت الكتابة في مصطلح الحديث فاحتاج الذين كتبوا فيه إلى الحدود و التعريفات، وكان غالبيتهم شافعية فاستحوذ عليهم التعريف الكلامي، فأدنى مقارنة بين جل كتب المصطلح وكتاب "شرح علل الترمذي" لابن رجب تجعلك تلاحظ الفرق في مقاربة الدرس التعليمي.
وكون ابن رجب من المتأخرين قد يدلنا على أن الفرق في المنهج بين المتأخرين و المتقدمين في الدرس التعليمي فقط والموجه في كتب المصطلح إلى العلماء عموما لأن منهج التعليم الفعلي عند المحدثين عملي سماعي.
وهذا نجده مثلا في رواية المبتدع وفي تعريف العدالة بحيث نجد في كتب التنظير الاصطلاحي شيئا وفي كتب السنة ،كتب الممارسة شيئا آخر،وقد أشار إلى هذا الصناعي في النقد وفي ثمرات النظر.
أما منهج التصحيح والتضعيف الذي هو قلب أبستمولوجيا علم الحديث فظل واحدا بحيث لم يجمع المتقدمون على تصحيح حديث أو تضعيفه وحكم المتأخرون بالعكس، والحالات الشاذة تعبر عن تفاوت طبيعي في تطبيق القاعدة قد نجده حتى عند آحاد المتقدمين، فهي مشكلة صرامة منهجية ليست مشكلة اختلاف منهجين، حتى في

قضايا مثل: الأخذ بظاهر السند والتصحيح بمجموع الطرق.
،وقد تكون المشكلة أحيانا ناتجة عن انتماء مذهبي يدعو إلى التساهل أو التشدد كما فعل البيهقي و الطحاوي و فعل السبكي مع ابن عبد الهادي وفعل السيوطي في بعض الموضوعات، و الأمثلة كثيرة.
والتفاوت بين العلماء في متانة الترجيح وترتيب العمل بالقواعد موجود حتى عند المتقدمين.
ويبدو لي أن الخلاف بين المحدثين من جهة و الفقهاء والأصوليين من جهة أخرى تم تحويله لنقص في الأدلة و الوقائع الثابتة إلى خلاف حديثي بين المتقدمين والمتأخرين.
وهذا بغض النظر عن تناقض دعوى من زعم أن منهج المتقدمين أندرس ،مع إشكالية تحديد فاصل زمني و معرفي بينهما، إضافة إلى أنه لا يوجد نص وصل المتأخرين لم يحكم عليه المتقدمون.
أما الحديث في هذه المسألة من أجل سحب إمامة الألباني في الحديث فموضوع آخر.
فكل علم يتميز بمصفوفة براديجمية تشكل الهوية الاجتماعية و المعرفية لجماعته العلمية.
و كل علم هو مكان وثمرة بناء اتفاق، وحينها يمكن أن نتناول الجوانب الابستمولوجية، الادراكية النظرية والتقنية لهذا الاتفاق ومكان الاتفاق في علم الحديث هو النص ولواحقه الآثار و فتاوى وكلام الأئمة.
بينما العلوم الهجينة أو المولدة لها طبيعة مركبة مكونة من علوم مستوردة، ليس لها علم خاص بها، تدمج فيها علوما من مجالات مختلفة: لغة ونحو و علم حديث وتفسير،وعلم كلام ومنطق الخ.
يعني فيها نوع بريكولاج معارف معزولة غير متشابهة، مثل علم الكلام،والفقه المتأخر، والتفسير غير السلفي،و أصول الفقه الكلامي.
وفي العلوم المعاصرة مثل: علوم الرياضة،علوم التربية، علوم الإعلام والاتصال، كلها تمثل هوية هجينة لأنها تجمع معارف من علوم أخرى حول موضوع مشترك.
مشكلة هذا النوع من العلوم أثناء عملية التعليم أنه سينقل معارف علمية مهيكلة ومبنية مؤسستيا في خارج عنها.
من هنا نلاحظ صعوبة في تفكير التكوين فيها، وفي جمع أهلها على رؤية موحدة.

هذه بعض خصائص علم الحديث، و أنه علم سني سلفي بامتياز غني بنفسه عما سواه من علوم، أو حاجته إليها يسيرة، أو تأتي في المستوى الثاني، حتى في البحث عن المعنى له منهجه المتمثل في اتباع استعمالات العبارة في مجموع النصوص وعند الصحابة والتابعين.
قد أحسن الدهلوي في وصف منهج أهله، وكيف استغنوا به عن بعض النظريات الأصولية .

فكر الترقيع (bricolage) عند المعاصرين..!

....

في الانثروبولجيا (كلود ليفي ستروس) يوجد مفهوم "الفكر الوحشي" وهو الفكر الذي يغيب فيه التفكير التجريدي! لكنه مع ذلك هو فكر ملموس.
في هذا المنشور سنرى كيف يكون الفكر الترقيعي من جهة ملموسا، ومن جهة أخرى مجمدا للإنسان في مكانه!
لنلاحظ الفرق بين المهندس والشخص المصلح المرقع، بالنسبة لهذا الأخير فإنه يعمل بما لديه ،يمارس إعادة توظيف واستعمال القطع، يحوّل استعمال الأصلي إلى استعمال جديد فيصنع لك محرك قارب صيد من مضخة ماء، و آلة ضخ من دراجة هوائية.. الخ.
أما المهندس فيكوّن تصوره ويبني عناصر عمله بالنظر إلى مخطط رؤية مسبقة محددة،فالمهندس من جهة الانفتاح، و المصلح المرقع من جهة إعادة التنظيم، يعني: أن المهندس يحاول دائما فتح طريق بينما الآخر يبقى في مكانه يعيد تدوير القديم..!
الشخص أو المجتمع الذي يملك المعرفة و أدواتها ويبني مؤسساتها بهدف معرفي لا إجتماعي - اقتصادي يكثر فيه المهندسون في كل المجالات ،والذي لا يملك ذلك يكثر فيه المصلحون المرقعون في كل المجالات :في العلم والصناعة والسياسة والحياة الاجتماعية والرياضة، في كل شيء تقريبا!
تتضمن فكرة "الترقيع" معنى الترميق والارتجال ،وهذه الظاهرة التي نجدها عند العلماء و المفكرين المسلمين المعاصرين لها جوانب إيجابية وجوانب سلبية ،الايجابية لأنها تدل على حيوية العلماء في بداية العصر الحديث الإسلامي، سلبية لأنها طبعت

أبناء اليوم بالرداءة، ما يعني ان النفس الطائفي والقبلي فينا لم يسمح لهم بالانتقال إلى مرحلة جديدة.

و أقصد تلك الطبيعة المتمثلة في الالتصاق بشكل مفرط في شيوخ ومؤسسي الجماعات، والعجز عن تجاوزهم مع حفظ المقام والجهد والفضل، فما يعقبهم لسنين طويلة ليس محاولة للانتقال إلى فكر المهندس، ولكنه دفاع وتبرير وشرح للترقيع وصراع حول الفضل!

فضل العلماء و المفكرين وغيرهم في بداية العصر الحديث الإسلامي أن إصلاحهم الترقيعي كان تكيُّفا مع أحداث حضارية عالمية لم تكن الأمة مستعدة لها، و لمواجهة عالم جديد متوحش يغزو كل شيء فيها كان بديهيا أن يدفعوا بعنف و عجلة طريقة تفكيرهم إلى الترقيع الفكري (في حكم المضطر) بينما تستلزم النهضة والبناء الحضاري الهدوء والتفكير التجريدي.

ومن هذه الجهة كان فكرهم ملموسا لكن من نوع واقعية المصلح المرقع لا واقعية المهندس.

وهذا الترقيع سنجده في المجال المعرفي في صورة الخلط بين التشارك و التقاطع، حيث يوجد في المقالات العلمية أصول مشتركة بين المذاهب ،فهذا يشترك مع ذاك في أصل أو اثنين ويخالفه في أصول تميزه عنه، لكن الذي لا يُنتبه إليه هو تقاطع الأصول الهويتية فالعلم بوتقة ونقطة التقاء وانصهار؛ مثل الذي يظن نفسه تركيا وفي الأصل هو فارسي!

فهكذا مع التيارات المعاصرة تجد الواحد منهم على أصول طائفة أخرى وهو يحاربها اسميا من دون أن يدري!

لأن مراجعه لا يحققون المسائل،فالمصلح المرقع لا يحوز كفاءة المهندس من السلف في زمن حيوية العلم.

كما يغلب عليهم منطق تبرير الموروث بتلابيبه دون تمييز مراتبه، وتهجين الأقوال!

وهذا ما يفسر لك التباين الشديد بين تيارات تنتحل نفس الاسم، أو نفس الهدف؟!

هذا التشريح بهذا المثال يمكنك أن تطبقه على كل المجالات المعرفية، بل أكاد أجزم أننا في السنوات الأخيرة في فكر تدوير فكر الترقيع فحتى القدرة على الترقيع بأنفسنا فقدناها، ولعله لهذا نرى في رواد الفكر والعلم والسياسة والأدب.. الخ في العصر

الحديث الإسلامي عباقرة أنجزوا وانهوا نظرية الإصلاح،فدورنا السباحة في حوضهم فقط!

تتراكم النباتات الطفيلية حول العلم الشرعي لأن التعصب والتوظيف السياسي سماد النباتات الضارة، ودور الباحث المعاصر أن يزيلها كلها ليمسك المنزل النافع فقط.تتراكم النباتات الطفيلية حول العلم الشرعي لأن التعصب والتوظيف السياسي سماد النباتات الضارة، ودور الباحث المعاصر أن يزيلها كلها ليمسك المنزل النافع فقط.

شجار الفيسبوك !

......

ليس في كل مرة تخالف يجب أن ترد، عليك أن تميز بين مخالفة ناضجة ودافعها علمي حقيقي ،وبين رد فعل للدفاع عن مكانة أو امتيازات تشيخ مزيف!

فأحيانا ليست إلا شجار حسد ،وصراعا لأسباب تافهة، عندما يغيب علم قادر على تجاوزها.

وليس كل مخالف أهلا لتقاوله، وكل عاقل حر يقول كلمته إلا وخرجت له بهائم بشرية من حيث لا يدري فعليه بالتغافل والصبر.

التاريخ العلمي مملوء بالمشاحنات بين العلماء،ما اصطلح على تسميته بجرح الاقران :مالك _الواقدي، ابن منده مع تلميذه أبي نعيم الاصبهاني ،النسائي_ احمد بن صالح، السخاوي _السيوطي.. الخ ،أحيانا تكون عنيفة متطرفة ، و قد يكتفى بعضهم بكلمة ويمضي في سبيله كحال العقول الكبيرة، وبعضهم يمنعه الأنا من فض الموضوع فيبقى مسجونا فيه،ويغرق في أوصاف التنفير.

تضخم الأنا موجود في غالبيتنا لكن العقل الراجح بعد استيعاب الصدمة الأولى يرجع ويسيطر عليه؛ فإذا كتبت مقالا للرد فهذا أمر طبيعي لكن التمادي يدل على أنك تعاني من هيمنة نفسك على عقلك.

وعندما تشرع في إنزال مقال بعد مقال فاعلم أن العلم سوق تجد فيه كل شيء، فلا تعتقد أنك مصيب، فهذه مجرد نزوة تخدعك، ويمكن الرد على مقالك حتما بنفس

الجودة والتوثيق، لأن حجر الأساس في العلم هو النموذج وليس المعلومات.
والصواب الجزئي يعمي عن الخطأ الجزئي!
و أتعجب ممن ترك معاصريه وهو يناطح أئمة بينه وبينهم قرون!
كما قال دولوز في "نيتشه والفلسفة" :كل فلسفة لا تحزن أحدا، ولا تغضب شخصا ليست بفلسفة ".
في الحقيقة لا تشبه العلوم الشرعية الفلسفة في شيء لكن بعض المسلمين صبغوها بمرض الفلسفة" الجدال الأبدي "!
لهذا ينطبق قول دولوز في الفلسفة على العلوم الشرعية اليوم فإن كان العلم الحقيقي يتغذى من الخلاف لكنه لا يوجب الشحناء والفجور في الخصومة لأن هذه الصفات السلبية منافية لطبيعته ،فهو علم شرعي مصدره الوحي أو لخدمة الوحي فكيف يلد أمراض النفس القبيحة.. ؟!
نزاع ،شجار، خصومة، مبارزة، نقاش، مناكفات ،جدل، حوار، خلاف، صراع.. الخ كلها كلمات تعبر عن عدم التوافق العلمي، و كل كلمة تضيف لونها، فمنها :مبارزة بين اثنين،ومنها :العداوة والعنف، أو التطرف.. الخ.
النزاع يكون في الغالب بين المذاهب والمدارس أكثر من الأفراد ، وكذلك الخلاف ،وحده النقاش اكثر هدوءا، لكن في النقاش لا نستعمل عبارات تحقيرية :متسلف، إخوانجي، متمشعر .. الخ
في كل هذه العبارات يوجد درجة من العاطفة أقلها في النقاش.
هذه المشكلة ليست خاصة بالمسلمين وحدهم، بل موجودة عند الغربيين منذ مناكفات الصورة عند البيزنطيين إلى ديكارت ومعاصريه ،وروسو مع فولتير، و دريدا مع فوكو.. الخ.
المشكل أن بعض المسلمين أصابوا بها العلوم الشرعية ففصولها عن الأخلاق الشرعية، في حين أن الغربيين في سياق عادي لأنهم في فلسفة، ومسلمة الفلسفة: النزاع الأبدي!
من المفروض كما كان الحال عند سلفنا أن تضعنا عبارة "خلاف" من البداية على أرضية الأفكار، لا على أرضية القيل والقال حتى لو كان علميا،فإنه يغلب عليه التشغيب بأنصاف الحقائق والحشو.

عندما نتتبع الخلاف في العلوم الطبيعية أو القيل والقال عند الباحثين نجده يمثل مرحلة فقط ،عند العجز عن الشرح قبل الانتقال إلى براديجم جديد (كهان)
لكن في الفلسفة وبالتبعية التي جعلنا فيها العلوم الشرعية بسبب العصبية كالفلسفة فإن القيل والقال لا يمثل فيه صدام الأفكار مرحلة بل هو حالة أبدية! ربما هو جزء من جسم الفلسفة؛ و العلوم الشرعية ليست فلسفة فمن المفروض أن يغلب عليها النقاش وحده،لأن النقاش أداة بحث حقيقية وكذلك أداة تعليم رهيبة فعالة، حيث يصهر الطالب سلاحه العقلي.
النقاش في الغرب اليوم يبدأ من الحضانة..؟!
مشكلة الطلبة في المناكفات والمشاحنات أنهم يبنون حسابات كبيرة على فرضيات ضبابية وتهم مرسلة ونقد مجمل، لا لوجود تباين آراء حقيقي !
وكثير منهم يتسبب في الشجار بسبب قصور لغوي فلا يعرف ينتقي عباراته كأنه لا يفكر في معاني الكلمات التي يستخدمها فيقول عبارة تقلب عليه الأمور، يأتي بدون مقدمات ويقول للآخر :ما هذا الهراء؟ فيقع هو في الهراء إلى عينيه!
ومعلوم أنه كلما كان العالم كبيرا كلما كان معارضوه كثر
هذه المفارقة قديمة، و العلماء الأكثر عبقرية لم يتوقفوا عن التواجه في حياتهم، وأحيانا بطريقة عنيفة عندما يدخل التعصب أو تضخم الأنا، و إن كان الكبار منهم فعليا لا يسقطون في هذه الأمور، قد يضربون و ينفسون لكن بدون بغي وعدوان، وفي الغالب يلتزمون بالتقوى الباطنة.
وعلى هذا احذر أيها القارئ الفيسبوكي فإن المشاحنين يستخدمون العقل كثيرا لجعلك أحمقا.
ليكن ردك مستفزا للتفكير وليس للعواطف و للعداوة.

براديجم الإنسان في الغرب؟!

....
قبل أن تخوض في القضايا التي يطرحها الغربيون بعد أن فتكت بهم النسبوية مثل قضايا: الشذوذ الجنسي، والقتل الرحيم، وإباحة المخدرات وغيرها، فالقضايا التي تخص الإنسان لا يحكم فيها بالفيزيولوجيا لأن الإنسان ليس مجرد آلة بيولوجية كما

يتصوره البراديجم الغربي.
لهذا يبدو ان كلام بعض الناس في مسألة الشذوذ الجنسي هذه الأيام مع اقتراب ذكراهم السنوية في الغرب غير دقيق قد يفهم منه الانتقال من حقيقية وجودية إلى حقيقية شرعية كما في البراديجم الغربي: يكسب الشيء شرعيته من مجرد وجوده، توجد النزوة فمن حق الإنسان ان يلبيها، يوجد اختلال هرموني فالفعل المضاد للطبيعة مشروع أو معذور..!
والاجمال يقود حتما إلى الالتباس في عقل القارئ الغافل، لذا لنقف عند أصل هذه المسألة.
البراديجم الغربي للإنسان إلى سنوات قليلة كان وضعانيا بنائيا، ليس في حقيقته إلا عبارة عن فكر نظراني تحزري تجاوزه اليوم البراديجم الغربي الإدراكي.
فمن الإنسان البنائي إلى الإنسان العصبوني غرق الغرب في ماديته ، لقد تغير مفهوم الإنسان في الثقافة الغربية في كل مرة انفتح مجال معرفي جديد، فكلما ظهر مجال موضوعاتي قابل للتعرف العلمي تضمن مباشرة تصورا للإنسان بحسبه!
وهذا في الحقيقة إشكال كبير لأن تغيير تعريف الإنسان يقلب رأسا عن عقب سلم التقييم الأخلاقي والقانوني، فبحسب تعريفنا للإنسان يكون موقفنا مثلا: من الشذوذ ـ الخمر ـ المخدرات ـ هل تلزم العقوبة إذا كان جرما أم التربية والمعالجة إذا كان مرضا، أو التسامح إذا كان طبيعيا ...؟
إضافة إلى أن سؤال: ما هو الإنسان؟ ينتج بالضرورة سؤال: ما هو المخلوق؟ وفي أمتنا ما هو المسلم؟
والتعريف يرتبط بما نقدر على تعريفه، وما يجب أن نفعله، لذا لزم تحليل المبادئ الابستمولوجية لهذه البراديجمات الغربية واستخراج الآثار على الأخلاق والسياسة.
بدأ تعريف الإنسان في الفكر الغربي في زمن "أرسطو" بأنه حيوان عاقل متكلم لكن حيوانيته في ثلاث أشياء فقط: الإرادة والحركة من أجل الطعام والشراب والتناسل، وبطبيعة الحال نضيف عليه كمسلمين أن كل حي مريد، وكل إرادة لابد أن تنتهي إلى مراد لذاته.
وهذا التعريف اليوناني اعتمد على العلوم الطبيعية القديمة، فانطلقت العلوم الاجتماعية المعاصرة الباحثة عن منهجية شرعية مثل التي للعلوم الدقيقة فأخذت

بتعريف الإنسان أو ماهية الإنسان عند أفلاطون وأرسطو، ومنها بنت التقسيم إلى علم النماذج البشرية، وهي في الحقيقة ليست تعريفات ولكنها تصنيف للأنواع حيث يوجد الإنسان في أعلى التراتبية ثم تيبولوجيا تميز الأصناف داخل النوع الإنساني.
تقسيم أفلاطون الإنسان إلى: ذكور، إناث، ثنائي الجنس، ومن الماهوية إلى الواقعية الأنطولوجية «مشكلة الهرمونات وانحراف النزوات" إلى الحتمية البيولوجية " الجبر البيولوجي" إلى الطبيعة النفعية حيث أصبح أي تمييز بين العادي وغير العادي، الطبيعي والمضاد للطبيعة عنصرية وتخلف؟!
ثم جاء عصر النهضة فأصبح الإنسان عند "ديكارت" جوهرا مفكرا مرتبطا بجسم؛ وهذا تعريف متأثر بالثورة العلمية في بداية الحداثة لأنه تعريف فيزيائي رياضي، وضع في تعارض أو مقابلة الجسم الفيزيائي مع العقل الرياضي، مع نظرة ديكارت الميكانيكية للإنسان، والى حد هنا لا نجد العلة الغائية يعني: الروح كجزء من تعريف الإنسان...؟
ثم جاءت الأنثروبولوجيا وعرفته بأنه تابع(رعية) متبع تحت ثقل البناءات، محدد بظروفه الاجتماعية أو العائلية، محكوم بشهوات لا شعورية، ومرتبط بتاريخه وثقافته ولغته، لذلك يدور بحثها كله على الجنس أولا ثم الدين والعادات.. الخ بعد لك.
ثم جاءت العلوم الادراكية لتجعله الانسان العصبوني، انسانا جديدا خاضعا لتطور الأنواع ومحدد بالجينات، ومرتهن بأداء دماغه، يعني: حيوان من الحيوانات.
"فرنسيس وولف من البراديجم البنائي إلى البراديجم الإدراكي".
ومع هذا التناقض والضعف البين في تعريف ما هو الإنسان لابد من العودة للواقع بعيدا عن الثقافوية لأن هذه التعريفات بدون شك ليست علمية فكيف يغيب المبدأ الروحي عن التعريف وهو حاضر مع الإنسان في كل تاريخه ...؟
إذا قدر أنه لا تتصور حقيقة الإنسان حتى تتصور صفاته الذاتية التي هي عند المتقدمين منهم:الحيوانية والناطقية،وعند المعاصرين:العصبونية و الهرمونية ، وهذه الحيوانية والناطقية و العصبونية و الهرمونية لا يعرف أنها صفاته الذاتية دون غيرها حتى يعرف أن ذاته لا تتصور إلا بها، فهل مجرد تصور الحيوانية والناطقية ، و الهرمونية ، و الشهوانية، و العصبونية يوجب تصور الإنسان فكيف نتصوره ولم نعلم أنه مؤلف من هذه الصفات دون غيرها؟

فأين حقيقة الإنسان من حس وعلم وعمل وإرادة ولذة ونفس وما يتعلق بها من أخلاق وروحانيات في هذا التعريف الغربي؟
الحركة والإرادة من لوازم النفس، والهرمونات من لوازم الجسم، والعقل من لوازم تمييزها لكن هل سعادتها في إشباع النزوات بغير ضابط أم هي مقرونة بأسباب نجاتها التي تفرض عليها أن تحيا حياة نافعة، والنافعة هي التي تجلب المصلحة وتدفع المضرة، ولا يحدد المنفعة والمضرة الحس وحده بل الشرع حاكم عليها، فقد نشعر بمنفعة وتكون حقيقتها أنها مضرة والعكس صحيح، وإلا فحياة البهائم.
ومقصود الحياة في الدنيا هو حصول ما ينتفع به ويتلذذ به لكنه مرتبط بمقصود الحياة في الاخرة لتحصيل اللذة الأبدية والنجاة من الألم الأبدي.
وقوام الإنسان الذي ليس هو مجرد جسم تديره المعادلات الكيميائية أن يعرف الله الذي خلقه ويريده ويحبه ويعبده، وإلا فإن النفس بطبعها لابد لها من مراد معبود غير الله وإرادات سيئة تضرها، فما فيها من شر، مثل: بخلها، وضعفها، ونزواتها، وغير ذلك المخلوقة فيها لحكمة يضرها إذا لم تعرف الله ولم تعبده ولابد لطبعها من معبود فحتما ستعبد الجسد "المتعة".
وبالتالي هذا الشر عدم لا يضاف إلى فاعل، ومن كونها بطبيعتها لابد لها من مراد تعبده، لا تستقيم فطرتها، ولا تستمر على سلامتها، ولا تعمل آليات النفس بصورة متزنة بدون ذلك فيخرج القلب والحواس عن وظائفهم السليمة فيقع لها هذا الشر، أو تفسدها هذه الشرور لأنها عبدت غيره فإنها لم تخلق إلا لعبادته.مقتبس عن ابن تيمية.
يعني: لما خلق الله الإنسان خلقه بغرائز ضرورية لنجاته في الدنيا و للقيام باعماله الحياتية، وهذه الخلقة مرتبطة مع خلق طبيعة نفسه بحيث لا تعتدل وتحافظ على توازنها إلا إذا أرادته وعبدته.
فهذه الغرائز والنقص الإنساني من الصفات السلبية لا تضره إلا إذا فصل جسمه عن روحه، يعني:إذا ركز على الجسم و أهمل الروح.
ولهذا عندما يفقد الشخص تقواه يستجيب مباشرة لغزائزه ونزواته فيسقط في الرذيلة فإذا عادت إليه تقواه احتقر نفسه، ما يعني أن غرائزه لا تغلبه إلا حينما يقطع صلته بربه.
و لهذا سيبقى البراديجم الغربي تائها حتى يحول الإنسان إلى حيوان قذر .

عندما تأخذ بعلم النفس الغربي الذي هو مجرد وصف لاضطرابات تحدث في نفس الإنسان يعجز عن معالجتها، ويحاول تسكينها بالمخدرات، ينتهي بك المطاف إلى تبرير كل أنواع الشذوذ لأن هذا العلم ناتج عن براديجم غربي ماديلا يأخذ في الحسبان أثر المعصية والكفر على النفس، ولا يعترف بشيء يسمى الشيطان[و أنا أدعوك لبحث موقف الفلسفة من بدايتها إلى يومنا من وجود الشياطين مع أن جميع الأمم و الحضارات عرفتهم؟] ، ولا يؤمن بوجود آخرة فمن الطبيعي جدا أن يكون القتل الرحيم منطقيا، فإنسان بلغ به المرض مبلغا، ولا يرجى برؤه فمن المنطقي أن نريحه من الألم؛ كأنه سيذهب في عطلة ترفيهية وضمنوا له الراحة في القبر!

بهذا البراديجم فإن الألم شر محض لا حاجة إليه ،ولا فائدة من الصبر، لكن إذا غيرت البراديجم براديجم رؤية العالم، إلى الموقف الإسلامي وحقائق الوحي فإن هذا القول يفقد منطقيته ويصبح بدون معنى لأن هذا الإنسان سيلقى ربه، وألم الدنيا له غاية تطهير الذنوب، و رفع الدرجات، ولا تمنع الشريعة من حقنه بالمسكنات والسعي لتخفيف هذا الألم عنه لكن الحياة ملك الله تعالى الذي وهبها له، فليس للإنسان ان يتصرف فيها إلا وفق العهد أو العقد، ليس له أن ينهيها من نفسه.

ولما لم يعد للصبر والاحتساب أي قيمة في النموذج الفكري الغربي فإن الناس ليس أمامهم عندما يواجهون المشاكل إلا المخدرات أو الانتحار!

قد يستقيم منطق القتل الرحيم في الرؤية الكفرية فلا يوجد إيمان بالآخرة، ولا يرجو المحتضر ربه، ولا يتوقع محاسبة، لكن الكفر فكرة دخيلة على الإنسان، ليس عليها نبني الحقائق، فسعينا لقبول هذه الفكرة عن القتل الرحيم سببه الفتنة بظاهر القول الطبي في غفلة عن النموذج الذي يعطيها منطقيتها.

عندما يقال لنا: هناك أشخاص عندهم فورة في هرمون الذكورة أو الأنوثة، أو ثنائية العضو التناسيلي، او هرمون يدفع للكذب أو السرقة فيحب أن نسامحهم على أفعالهم الشاذة؟

فهذه مغالطة كبيرة، ما يجعلها منطقا مقبولا وشيئا عقلانيا عادلا هو البراديجم الذي تنبع منه، البراديجم الذي قصر الإنسان على تفاعلات هرمونية بحيث صار فيه نوعا من المعامل الكيميائية، لا توجد روح وتقوى تقاوم وتكبح الهرمونات وإله معين على النفس.

نحن في براديجم إنسان مجبور لا يملك حرية الاختيار والقدرة على كبت نزواته ومقاومتها لأنه محكوم بالجينات والعصبون، إنسان غير مسؤول!

لا يوجد رجل بدون هرمون الذكورة، كما لا توجد أنثى بدون هرمون الأنوثة، ولولا ذلك لانقطع نسل البشر من قرون طويلة.

وتفاوت نسبة أو كمية هذا الهرمون أمر طبيعي يختلف من شخص لآخر، ووجود هرمون الذكورة بقوة يسمح له بتعدد الزوجات، لا يأذن له في الزنا لأن الإنسان ليس مجرد هرمونات، بل فيه ذات أعلى، و يستطيع بتقوى الله كبح نفسه، فليست الهرمونات من يدفعه للانتقال إلى الفعل المشين ولكن مسايرته الرغبة، فالفرق هو في الايمان والتقوى وشرف النفس ورجاحة العقل.

وجعل الإنسان مخلوقا مجبرا بالهرمونات مغالطة غربية واضحة تناسب رويتهم الأبيقورية والهيدونية للمتعة، والهرمونات مجرد مبرر فسيولوجي لإشباع الرغبات المحرمة .

عندما يكون الإنسان جائعا بشدة فإن رغبته في الطعام تكون قوية لا تكاد تغادر تفكيره لأن هرمون الأنسولبين يكون منخفضا جدا عنده فترسل هرمونات أخرى الإشارة إلى الدماغ و تثير الشهوة إلى الطعام ليطلبه فإن كان تقيا لم يجبره ذلك على سرقة الطعام لشدة رغبته فيه، كما يقال :تجوع الحرة ولا تاكل بجسدها.

وإن كان رجلا بدون دين فإنه سيسرقه،فمجرد الرغبة تبيح له الفعل القبيح فدور الهرمون إرسال الإشارة، إثارة الشهوة، لكن بين ذلك وبين الفعل هناك الإرادة والقدرة على الفعل؛و القدرة جسمانية والإرادة نفسانية تحكمها المحبة والعلم، فإن لم يحب ذلك وعرف فساده لم يفعله وصبر حتى يتيسر له من وجه مشروع.

وعليه ليست الهرمونات مبررة للفعل الشاذ بل عدم التقوى، وكل الناس عندهم هرمونات، و اختلال فيها في هرمون الذكورة أو هرمون النمو، أو هرمون الطعام، او هرمون النوم.. الخ.

و تأثير الاختلال الهرموني على سلوك الانسان ليس الهرمون هو سببه المباشر، و لكنه اضطرابات نفسية تأتي من عدم توازن نفسي، ومن تعارض مع الفطرة الإنسانية، من عدم إيمان و ذكر و عبادة، و إلا كيف نفسر الرغبة في الانتحار في مجتمعات الرفاهية من أشخاص عاشوا لخمسين أو ستين سنة بدون رغبة هرمونية

في الانتحار ؟
ولهذا أيضا لا نجد هذا المشكل عند المؤمنين المتقين، وهذا لا يعني أنهم لا يعانون من اختلال هرموني ما؟
لهذا نقول: الطرح الغربي المعاصر الذي يبني التسامح والتقبل الاجتماعي للظواهر الجنسية الشاذة وما في ضمنها، والذي يعتمد على الفيزيولوجيا كمستند منطقي لا يخبرنا بشيء جديد لم نعرفه من قبل، فلقد تحدث علماء الإسلام عن "الأبنة والخنثى والأمراض الجنسية والعاشق" لأن العشق كذلك مرض قوي جدا يسبب الامتناع عن الطعام والقلق و اضطرابات فيزيولوجية وغير ذلك فأقروا بوجود هذه الحالات، وأنها ليست عن انحراف أخلاقي حتى تنتقل إلى الفعل، اما مجرد وجودها في الإنسان فليس مبررا، بل عليه الصبر ولزوم التقوى وإلا لزمته العقوبة الشرعية.
وما بين الإقرار بالوجود الخَلقي والتسامح الخُلقي مفاوز ليست بإسلامية ولكنها غربية محضة ناجمة عن براديجم كفري في تفسير العالم والإنسان وإن زينت بعبارات إسلامية.
يتغير المنطق إذن بتغير البراديجم، فحيث يكون البراديجم ماديا هيدونيا يمجد الشهوة ويعتبرها هدف العيش، وكفريا لا يؤمن بوجود إله ووحي ونبوة فلا قيمة للصبر والاحتساب، ولا يوجد شيء يسمى التقوى يسمح للإنسان بتعديل سلوكه ولزوم الجادة وتجاوز مشاكله الفيزيولوجية.
من أصيب بشيء فعليه الصبر فإن الشريعة تأمر بذلك، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم :"أيها الناس قد آن لكم أن تنتهوا عن حدود الله، مَن أصاب من هذه القاذورات شيئا، فليستتر بستر الله، فإنه مَن يُبدي لنا صفحتَهُ نُقِمْ عليه كتاب الله". الجامع الصغير ؛صحيح.
وهذا مستند الفقهاء في الباب لأنه دعوة إلى منع إشاعة المعاصي و الفواحش، و أن الأفضل في حق المسلم الاستتار وعدم إظاهر قاذوراته للناس ،ليس إشاعتها في المجتمع و التظاهر بها والمطالبة بحق ممارستها!
بل عليه أن يصبر ولا يقع فيها فإن حصلت منه فعليه أن يخفيها ولا يبديها ويستغفر الله ويتوب إليه ويسأله المعونة.

عندما تنقصك مقدمات جوهرية كثيرة فالنقاش كإفراغ العلم في الحش! كمناقشة ملحد في القاعدة الشرعية "كل مسكر حرام" يستحيل أن يفهمها بدون إثبات النبوة وفهم خصائصها.

عندما تنقصك مقدمات جوهرية كثيرة فالنقاش كإفراغ العلم في الحش! كمناقشة ملحد في القاعدة الشرعية "كل مسكر حرام" يستحيل أن يفهمها بدون إثبات النبوة وفهم خصائصها.

خديعة التبرير المنطقي

وكذبة إمكان حقيقة دينية أصلية لم يعرفها السلف !

....

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله.

لا يقبل الحق إلا الشخص المتواضع للحقيقة، هذه الحقيقة النفسية العملية تثير سؤالا جوهريا في حياة البشر الفكرية: لماذا يعاند الناس الحق الأبلج؟

لماذا يتمسكون بالآراء الضعيفة ويظلون يدافعون عنها رغم وضوح بطلانها، رغم مصادمتها للبديهة؟

حاول غير واحد الإجابة عن هذه الأسئلة، وقد وقفت على جوابين اثنين بعيدا عن التفسير السلوكي أحدهما لهبرماس في كتابه "الحقيقة والتبريرات" ناقش فيه المقاربة اللغوية للفلسفة الذهنية والفلسفة اللغوية بنظرية همبولت غوليوم عن البراغماتية اللغوية ومسألة "وضعية السياق" حيث أن التبرير المنطقي يعتمد على رؤية صورانية للعالم وبناء لا براغماتي للقول وتمثل لغوي تمثيلي للواقع.

وفي الحالتين يهملون الجانب البراغماتي لأن كل خطاب هو حوار، ولا توجد اي عقلانية منطقية تواصلية بين البشر بدون براغماتية الحوار.

تهتم البراغماتية بعناصر اللغة التي لا يمكن أن تكون دلالتها مفهومة إلا بمعرفة سياق استعمالها، وهذا الهدف جزء من الدراسة التي تريد إبراز الانسجام الخاص للغة الطبيعية فيحلل البعد البراغماتي المقول من زاوية تأخذ بعين الاعتبار: المتكلم وتحليل السياق، ويتضمن هذا دراسة ظاهرة الارتباط السياقي الخاص بالعبارات الفهرسية مثل: انا، هنا، الآن، التي ترتبط دلالتها بالسياق، بمن يتكلم، ومتى، ما نسميه " وضعية المقول".

وكذلك التوجيه الحجاجي لمقول هو الاتجاه العام الذي يسمح انطلاقا من وقائع ممثلة بهذا المقول من التعرف على مرماه الحجاجي، للوصول إلى هذه النتيجة أو تلك، بالنسبة لمقول أن يدل" يكون دالا" هو أن يوجه بواسطة المحاججة نحو النتيجة.
ومن يعرف مشاكل علم الكلام والفلسفة سيدرك بسهولة مرمى هبرماس، عندما نجعل المتكلم مثل بشار بن برد كما عندما يتكلم الشارع، ومعنى اللفظ عند الصحابي كمعناه في الاصطلاح الفلسفي ،والخطاب في بيئة وثنية كالخطاب في بيئة إلحادية مثلا...!!
والثاني روسل في مقاله "عن المنطق والنزوات" حيث بين أن دور العقل ليس البحث عن الحقيقة ولكن التبرير المنطقي لنبضات النزرات الغريزية في الإنسان، وسبق وكتبت عن هذا.
والمقصود أن الصحة المنطقية للاستدلال عملية داخلية خاضعة لنوع البراديجم أو النظام الذي تجري فيه فهو من يحكمها لأن هذه الحقائق الذهنية التي ينتهي إليها الاستدلال المنطقي تسبح في نظام مغلق، ولكل نظام مغلق حقائقه ، لكنها في الغالب حقائق ذهنية لا واقعية.
مصطلح براديجم الذي يعني "النموذج الفكري" و بالضبط "المبادئ العامة" له في هذا السياق نفس معنى "المنظومة الفكرية" وعند المسلمين "المقدمات الكبرى" وهي المقدمات التي تتفرع عنها كل المقدمات الأخرى، مثل "الوجوب والإمكان" "التركيب"...الخ ،بعض المعاصرين يسميها "المفاهيم المركزية".
المشكل الأبرز في هذا هو المقدمات الخفية التي يصرح بها المتكلم والتي لو صرح بها ظهر فساد قوله ،وقد يكون المشكل في ترتيب المقدمات وهو أهون.
الوحيد الذي يتكلم بالحقائق الخارجية أو المطابقة للواقع يقينيا هو النص الشرعي، لهذا قلنا في عدة مناسبات بأن قيد منهج أهل السنة وفهم السلف هو الإطار الذي تضبط به التفكير في القضايا الشرعية ورؤية العالم ،وإلا فإنه ـ كما قال غودل ـ لا توجد أنساق معرفية مكتملة، ولا منطق مرجعي، فكل منطق تحكمه مرجعيته ونظامه الفلسفي.
وكل منطق ينطلق من رؤية فيزيائية للكون، فالمنطق الصوري المبنى على المقولات العشر هو تصور فيزيائي لأرسطو للوجود، قسمه إلى عشر صفات ثم حكمه في الميتافيزيقا، يعني: ما وراء الفيزياء، لأنه كان يتصور عالمين: عالم المادة وعالم

الصورة، فاخذ عنه المتكلمون المقولات مفصولة عن الرؤية الفيزيائية وطبقوها في مبحث الأصول العلمية.

ومرجع كل المعرفة البشري إلى الله تعالى، فمنه خلق كل شيء، فكلها معرفة نازلة، لا شيء منها صاعد أصالة.

والفرق بين الوحي وسائر العلوم والفلسفات هو أن الوحي إخبار مباشر بالمعرفة الإلهية بينما العلوم عبارة عن سلسلة ابتعدت لأسباب كثيرة عن أصلها الأول الفطري أو الموحى به، ولهذا لم يكن العلم الطبيعي هو الحقيقة، ولكن محاولة أو أداة للوصول إليها.

سبق وقلنا :تهدف الفلسفة إلى الحقيقة، مثل مسلمتها التي نجمت عنها، لكن لا يوجد حقيقة فلسفية خارجية عن نظامها ،فلكل منظومة فلسفية حقيقتها .

يقول فيلمان: " بالنسبة للحقيقة الفلسفية من الواضح أنه إذا كان حذري مبررا، فإن تنوع الفلسفات يجعل مفهوم" حقيقة فلسفية" غير كاف وغير ملائم على الأقل إذا كانت كلمة " حقيقة" مستخدمة في معناها العادي" طبقه على تعدد المذاهب هل يقبل العقل أن تكون كلها حقيقة واحدة".

إذن كيف يمكن اختيار فلسفة ما باختيار حر؟

وعند تقاطع الطرق يتساءل الفيلسوف: " أي فلسفة نتابع؟"

يجيب بأن اختيار فلسفة ما لا يمكن أن يكون أبداً محددا كفاية بمعنى أن يكون موجها بـ "مبدأ الأفضل" أو قاعدة تقرير ".

فهل هو ـ حينئذ ـ " فعل حر"؟

إذا لم يقل لنا بأنه " اختيار أعمى" فإنه يقول لنا: أنه مسترشد بمصالح العقل، لا يقول كذلك أنه يجب أن يتخذ عبر نظام اختيارات، أو بحسب مبدأ الأفضل الليبنتزي، أو لا يوجد اختيار أفضل ممكن.

وإذا كان التعدُّد الفلسفي غير قابل للاختزال فإنه يرتكز عليه تحتيا كل اختيار لنظام فلسفي.

لكن كيف يمكن للفلسفات أن تكون هياكل موضوعية ونظامية قادرة علي بيان شيء ما بحيث يكون ممر موضوعي من مجموع مبادئ إلى نتائج، يمكن للمؤرخ أن يلتقطها مع كونها موضوع اختيار حر يعفيهم من الحقيقة، هذا هو السؤال؟

يقول غيرولت تلميذ فيلمان: تعلن الفكرة الفلسفية دائما في كل حالة وبكل استقلالية أين يوجد الحقيقي وفي ماذا يتمثل،لذا فمن المستحيل تصور في نفس الوقت ان تتلقى في كل مرة واقعها الخاص من حقيقي سابق على إعلانها ونشاطها، فالحقيقي الواقعي الفلسفي يستلزم أنه مرتبط بحكم افتراضي " مفروض موجود ومطابق لنفسه " وهذا مجرد أطروحة للواقع، تضعه بحرية لكن بطريقة لا يمكن أن تكون اعتباطية وإلا بخرت الواقعي ، مثل هذا الاعتباطي مقصى مقدما بالعقلانية التي تؤسس كل فلسفة مهما كانت عقلانية او لا.

يختم بأن كل فلسفة هي " عالم منغلق على نفسه، كون من الأفكار المنغلقة على ذاتها، باختصار: نظام"وكل نظام يتشكل لنفسه وانطلاقا من "حقيقة الحكم" الخاص به الأصلي، وبالضرورة يعلن واقعها الخاص: وهذه الوضعية غير مناسبة مع مفهوم الحقيقة كما هي مستعملة في العلوم.

هذه الوضعية تقود إلى مثالية جذرية: الواقع المشترك الذي يزعم الفلاسفة كلهم أنهم وجدوه ليس في الحقيقة إلا واقعا فلسفيا الذي يكونه كل نظام فلسفي بطريقته.

وعلى هذا للعلم الحقيقة والواقع المشترك، وللفلسفة صياغة واقع أعلى لا يجيب ويقنع إلا نفسه هو الواقع الفلسفي.

السبب الذي لأجله لا يمكن أن يوجد مبدأ تقرير موضوعي مطلق بين طبقات الأنظمة الفلسفية هو أن الترجمات المتبادلة للأنظمة الفلسفية غير محددة، وهذا اللاتحديد هو ضمان استقلالية النسبية للفلسفة بالنسبة للعلم.

إذا فهمت هذا فهمت أن كل الانظمة الفلسفية بما في ذلك علم الكلام الإسلامي لأنه ليس إلا فلسفة كلامية فمن يقول مثلا: الممكن قديم غير محدث واجب الوجود لغيره ازلا وأبدا فهو أكثر فلسفة رديئة من أفلاطون نفسه!

كل نظام فلسفي بما في ذلك علم الكلام يمكنه أن يبرر نفسه منطقيا لكن داخل براديجم التوحيد الخاص به فقط ولأنه فلسفة ذهنية لغوية التبرير فبراديجمه مصطلحات بالمعاني المفصولة عن الواقع ، أو في داخل براديجم رؤية العالم إن كان نظاما إلحاد يا.

مثال عن خديعة التبرير المنطقي التي يخدع بها الإنسان نفسه: إذا قال المتفلسف والمتكلم: معنى " واجب الوجود": الذي لا يحتاج إلى فاعل، ولا يفتقر إلى محل،

والصفات لا تحتاج إلى فاعل لكنها تفتقر إلى محل هو الذات، كانت الصفات بهذا التصوير غير واجبة!

فهذا الاستدلال كما ترى منطقي سليم لكن داخل البراديجم الفلسفي الكلامي فقط،و متى أخرجته منه صار لغوا، فالمقدمة مبنية على توحيد الفلاسفة، وهو نفي التركيب، وأن كل مركب مفتقر إلى أجزائه، وأجزاؤه ليست هو،والصفات عندهم معلولة للذات، والواجب لا يكون معولا!

ومعلوم أن لفظ التركيب مجمل، فهل يقصدون ما كان مفرقا فجمعه غيره، أو كان مجمعا ففرقه غيره؟

وهذه المعاني منتفية في حق الله تعالى، إذ لا يتصور عاقل ذاتا مجردة عن صفاتها، فهذا محض إمكان ذهني يسمح به الذهن، كما يسمح بتصور إنسان بخمس رؤوس..!

مزجوها مع قولهم بأن علة الافتقار إلى المؤثر هي الحدوث لا الإمكان، وإذا جاؤوا لقدم العالم بدلوا فقالوا: الإمكان؟!

و إذا فهمت هذا فهمت أن منطقية الاستدلال تقع داخل البراديجم الذي تنتمي إليه، ليست كلية عند كل الناس، فهي منطقية بحسب المنطق الذي ترجع إليه، وهذا المنطق يرجع هو نفسه إلى رؤية وجودية أعم منه، لذا عندما يكون استدلال الشخص منطقيا فلا يجب أن يغتر بذلك إذا كان براديجمه ليس البراديجم الشرعي الذي نسميه في العلوم الشرعية منهج أهل السنة، و الذي من معالم الطريق فيه التي تمنع من الخروج عن الطريق فهم السلف وفقا لما سبق وبيناه من المقصود من هذا القيد.

تخيل أن أحدهم يقول لي :كنط _لو كنا معاصرين _يعرف مراد كلام والدك مثلك أو خير منك، سواء كان كلامه خبريا أو إنشائيا، ليست لك أي خصوصية أو تميز عنه لأن كل واحد منكما ذات مفكرة!

فأنت ستفكر في كلام والدك تماما كما سيفكر فيه كنط، أما معايشتك لوالدك، وعلمك بعاداته في الكلام ولغته، والمعاني التي يعطيها للعبارات فليست ذات تأثير في تحديد مراده.

وكذلك علمك بمتشابه كلامه و مفصله وممارساته ليس لها تأثير في معرفة مراده؟!

عمليا هل نجد أعلم بفقه مالك من طلبته المباشرين؟

هل يعقل أن أحدا من المعاصرين يفهم كلام مالك العلمي بصورة أدق من طلبته

المعاصرين له، الملتزمين بدرسه الذين صحبوه حتى وفاته؟
قد يقال :فلم يوجد بينهم اختلاف؟
فنقول :منشأ اختلافهم لا يرجع إلى تساويهم كذوات مفكرة إذا افترضنا إمكانية التساوي في الحفظ والفهم، ولكن إلى تخلف شرط مثل أن يحضر أحدهم ويغيب الآخر، يسمع أحدهم تراجعه عن المسألة ولا يعلم به الآخر.
وقد يكون أحدهما أعلم بارتباط هذه المسألة بمسالة أخرى من نوعها أو فرع عنها، ولا يعلم الآخر؟
، قد يعرف أحدهم السبب المقيد ولا يعرفه الآخر، قد يعرف أحدهم مخرج الجواب ولا يعلمه الآخر،لكن في جميع الحالات لا يخرج مراده عن قول أحدهم.
فهذا مالك فكيف بمن لا تجتمع الأمة بسببه على ضلالة فنقول :يجوز أن يفوت الحق كل تلك الطبقة ويخلو جيلهم من معرفة المراد الحق؟!
لماذا أعلم الناس باقوال ابن تيمية ابن القيم واصحابه هل لتساوي الذات المفكرة ام الخصوصية؟
لماذا شراح كنط تلامذته ؟
ولماذا لا يخرج المعاصر عن رواية أحدهم عنه ؟او عن تفسير أحدهم لكلامه؟ فلا يوجد معاصر يشرح كلام كنط خارج شروح تلامذته.
هذا مع أن فلسفة كنط فيها غموض، ونقاط ظل، و ضبابية، وزوايا مظلمة؛ فكيف بكلام الرسول؟
تخيل أن تفكير معاذ بن جبل في النص وبالتالي فهمه له كتفكير أحد الأبوريجان في أستراليا أو كتفكير هديغر لأنهم كلهم ذوات مفكرة !
تخيل أن ناقل اللغة أعلم بمعانيها من المتكلم بها!
تخيل أن الذي يحتاج إلى قواعد مكتوبة ليتعلم لغة ما أعلم بها ممن يتكلمها سليقة ؟!
تخيل أن من يقرأ القرآن مستعينا بكتب التفسير واللغة والنحو والفقه... الخ أعلم ممن عايش نزول القرآن، وسمع معانيه من الرسول، و استشكل فأجابه القرآن أو الرسول؟!
اعلم أنه ليومنا هذا لم يخالف أحدهم السلف فسلم له دليل.
وهذا ما يبرر لنا بقاء كل صاحب رأي ضعيف على رأيه مع انتسابه الى العلم لأنه

يستطيع في داخل نموذج مذهبه أو طائفته أن يستدل عليه بمنطقية ظاهرة لكن داخل أطر المذهب فقط فإن خرج منه تبخرت منطقية الاستدلال. .!

المتانة العلمية ليست في إحالة كل جملة تكتبها إلى مصدر ! فهذا يشبه ترتيب الجيوش بعدد الأفراد والعتاد، لا بالخبرة القتالية والكفاءة في استعمال المعدات!

أدق عبارة على بعض التعليقات في الفيسبوك :"و غداً ستشرق السمش !"
صدق من قال :"تمرُّ البديهيات متخفية" و إلا فقأت العين !

الدرس "والنقاش" العقدي (الكلامي).. ؟!

.....
يسأل كثير من الطلبة عن منهج فعال لقراءة كتب ابن تيمية مثلا ،ومن تمكن منهم من تحصيل بعض التقدم في الكلام يلاحظ أن النقاش فيه يدور في حلقة شبه مفرغة، ويغلب عليه الطابع الجدلية، فليس هناك حسم واضح على الأقل في نظر للمتابعين لأن جل اهتمامات المتابعين سطحية تدخل في إطار "الفرجة على الدراما" للهروب من الواقع، أو لأن تكوينهم في هذا المجال غير مهيكل، لا يملكون حسا نقديا وثقافة كلامية فلسفية كفيلة بقراءة جيدة.
ومرجع هذه الحالة خلل هيكلي في الدرس الكلامي، وفوضى معرفية عند حاملي لواء الكلام في القضايا الكلامية إلا القليل منهم من يكتب بمنهجية وتنسيق فني ومنهجي .
علم الكلام الواقع داخل دائرة أهل السنة نسبة أو تحقيقا (لا يهمنا هذا الأمر هنا) غير منظم، يعني: غير مبني بطريقة هرمية على شكل شجرة أنساب، ولا يوجد مخطط مفاهيم موجهة أو مبادئ عامة تتفرع عنها مفاهيم فرعية.
وهذا الوصف عام في مؤلفات الأشاعرة القديمة أو التقليدية أي مؤلفات قدماء الأشاعرة الكلامية أو كتبهم شبه الأثرية فالتنظيم المعرفي موجود فقط في المدرسة الأشعرية الفلسفية، في مثل كتابي: "المواقف" و "المقاصد"، وبعض الشيء في كتب المدرسة السنوسية التي لها طابع خاص لكن ليس تنظيما معرفيا حقيقيا،ومع ذلك هناك ترتيب موضوعي بحكم أنها محاولة لتجاوز المرحلة الفلسفية والعودة إلى

الأشعرية التقليدية، لكن دون أن تسلم من الأثر الذي تركته المرحلة الفلسفية ولو في صياغة القواعد المشتركة بينهم.
و أما الكتب السلفية الكلامية "النقاش العقلي" فهي تدور في الغالب على الرد العلمي لذلك لا تطمع أن تجد فيها النسق الفني والتنظيم المفاهيمي"الترتيب".
وهذا نقص بالنسبة لثقافتنا المعاصرة مؤثر في بناء التصورات وفي التحصيل بشكل عام، فهونقص منهجي ليس نقصا في المضمون ،فإن الكتب القديمة أعمق معرفة و أقوى تحقيقا،ويبدو أنها لم تكن بحاجة إلى التنسيق الفني وفقا لثقافة العصر، ولا للتنسيق المعرفي المخطط.
وليس المقصود هنا تقسيم أنواع المصنفات بحسب الصياغة الفنية والميل الفكري فإن من الكتب ما يسرد العقيدة بدون أدلة وبدون مناقشة المخالف، ومنها ما يكتفى بملخص أدلة، ومنها الكتب الكلامية الموسوعية التي تبني نظريتها وتهدم نظرية المخالف،وتسرد المقالات وتتبع دقائق الاستدلال.
و الإشكال المشترك في علم الكلام خاصة في الدرس التعليمي هو غياب تام لمستويات الصياغة،لا نجد فيه وصف المعارف بتفصيل المكونات الخاصة لمفهوم معين، خاصة إذا كان مركزيا، مع الأخذ بعين الاعتبار قدرات الاستيعاب للطالب بما يناسب درجة التجريد عنده ،ثم المرغوب في الوصول إليها.
فحتى كتب المتأخرين المصاغة في شكل أبيات شعر أو نثر موجز فيها هذا العيب.
وعلى هذا إذا لم يجد الطالب شيخا يرتب له المفاهيم وفقا لمنهجية علمية تجمع بين البعد الإبستمولوجي(النظرة الشمولية للأصل والموضوع والتطور التاريخي والنموذج المعرفي المعد للتعليم) والبعد البيداغوجي (العلوم المدرسة) والبسيكولوجي (العلم المناسب للمستوى)فسيجد صعوبة في فهم الكتب الكلامية على اختلاف مذاهبها، وسيقضي أيامه في البحث عن منهجية غير موجودة أصلا ،وتشتته تلك الكتب التي تزعم وضع منهجية للتحصيل فتسرد عليه قائمة كتب يجب أن يقرأها في كل شهر!
و إذا استطاع تجاوز هذه العقوبة فسيبقي علمه مملوء بالثغرات أو عاجز عن رسم شبكة المسالك.
ومن ثم سيصبح بالضرورة ريشة في مهب الريح يقرأ كتاب فلان عن نظرية ابن

تيمية في مسألة ما فيعجبه ثم يقرأ طرحا مضادا فيعجبه !
والغالب عليه أنه سيتحزب ويتخندق جهلا مع جهة ما، فالمنهج السليم يقتضي أن يقرأ ابن تيمية أولا حتى يتمكن من استعمال حسه النقدي في الترجيح بين الشراح وقراءتهم.
ولهذا نحن أمام فوضى تعليمية وفوضى في النقاش العلمي.
لنصور المسألة بهذا المثال :
يستعمل كنط عبارة "archetectonique" ويقصد منها بناء المعرفة بشكل هندسي حيث تجمع كل عناصر نظرية تحت مفهوم عام، وهذا مصطلح أخذه عن أرسطو الذي طبقه في علم السياسة، وطبقه كنط في أبرز كتبه "نقد العقل الخالص" فبدأ كالتالي :
النظرية المتعالية للعناصر :
جماليات متعالية :الفضاء _الزمن _الخلاصة.
المنطق المتعالي :
المدخل _القسمة :التحليل المتعالي _تحليل التصورات _:التعقل _استنتاج التصورات الخالصة
تحليل المبادئ :مخطط التصورات الخالصة _منظومة كل مبادئ التعقل الخالص:
التشابه الأول :مبدأ الدوام _الثاني :مبدأ الإنتاج _الثالث :مبدأ الاشتراك .... الخ وكل الكتاب على هذا النمط .
لهذا يمكن أن نقول اليوم بأن الواجب العلمي حاليا هو :
تحديد المشاكل الإبستمولوجية لعلم الكلام _رسم المخطط _البناء الجينيالوجي للمعارف الكلامية.
وفي الدرس التعليمي :_تيسير الوصول بمعجم مصطلحات المؤلف يكون نقديا يتجاوز أغلوطة "لا مشاحة في المصطلح" فإنها غير صحيحة في الكلام والفلسفة لأن المصطلحات هنا مفاهيم انطولوجية أو ابستمولوجية يجب أن تكون لها معايير موحدة هي الاعتبار الشرعي.
_ معجم أفكار أو مفاهيم خاص بعالم أو بأحد كتبه يشرح الأفكار الرئيسة ويكشف علاقتها بأفكار أخرى.

_جدول مبادئ مركزية عامة أو أساسية بحسب الموضوع أو المجال يقينية نرد إليها كل الفرضيات و الإمكان الذهني وتطورات الاستدلال أو الاستطراد.

وبعد ذلك يمكن بحث النظريات و تحديثها مع الفكر المعاصر والدخول في معركة الثنائيات الفلسفية.

هناك أسئلة جوهرية يجب الجواب عنها لبناء تصور ابستمولوجي لعلم الكلام الإسلامي مثل:

1 ـ هل هو فلسفة أم لاهوت إسلامي خاص ? .

2 ـ هل هو فعلا لاهوت سني ?

ما العناصر التي تجعله منضويا تحت السنة عامة أو خاصة؟ وما العناصر التي تبعده عنها؟

بعيدا عن السؤال التاريخي لأنه لم يعتبر نفسه ممثلا للسنة إلا في القرن الخامس الهجري.؟!

وهل كانت معركة أهل الحديث مع المعتزلة خاسرة رغم انتصار الإمام أحمد في معركة "كلام الله" لولا ظهور الأشعري؟

ويتفرع عنها دراسة أسباب تناقضات الأشعري وما يستتبع ذلك على مستوى المذهب، مع ضرورة الفصل البحثي بين الكتب الكلامية وكتب التبرير التاريخي للكلام مثل "تبيين كذب المفتري، وطبقات الشافعية للسبكي" لأنها كتب توجيه مذهبي ليست كتب بحث كلامي.

ألم يكن سبب فشل المعتزلة هو نفسه سبب عجز الكلام الأشعري الذي دفع كبار الأشاعرة إلى الانتقال إلى الفلسفة، مثل :عدم منطق خاص بالكلام فاستعمال منطق ولد في ميتافيزيقا قصد محاربتها به ؟! مع الوهم الكلامي الشهير بالقدرة على فصل المنطق عن ميتافيزيقيته !

وكذلك مشكلته العويصة مع الطبيعيات.

ـ ما الايجابي في علم الكلام إذا كان يقبل القسمة إلى صحيح وفاسد ؟

وهل هناك فرق بين القصد الكلامي والواقع الكلامي؟

مع العلم أنه مجال بحث القضايا المعرفية الكبرى،فما الذي يمكن الاستفادة منه في بناء نظرية المعرفة الإسلامية ؟

وهناك السؤال الذي يكشف براديجم علم الكلام هو سؤال انطولوجي يتفرع عنه سؤال ابستمولوجي :

ما هي علاقة علم الكلام بعقيدة دينية نصية سابقة لوجوده؟ يعني: كيف ينظر إليها إذا كان هو النظر العقلي الصوري؟ و إذا كان هدفه الاستدلال العقلي المحض على الإيمان، فهذا يفسر لنا لماذا يعرِّف الإيمان بأنه مجرد تصديق ؟

و إن أقر بعضهم بأن النص تضمن الممهدات العقلية لكن هذا الإقرار بقي حبرا على ورق.

اللازم: أن النصوص تحتاج إلى إثبات عقلي صوري ومفاهيمي ما يعني أنها غير عقلية !

كذلك من الأسئلة المهمة لفهم إشكالات علم الكلام هو أنه بالتعبير الفلسفي "علم لاهوت إسلامي" فيه كثير من الميتافزيقا بدون منطق خاص به، وبدون علم طبيعي إلا الفلسفي، وهذا ما يفسر لنا ثقته العمياء أولا في المنطق الرواقي وعند المتأخرين في المنطق المشائي.

و المقصود أن الدرس الكلامي أو النقاش الكلامي بدون مقاربة ابستمولوجية على شكل "فلسفة علوم" سيجعل التعليم فوضويا والنقاش جدليا!

وهذا لا يعني أنه لا توجد دراسات فيها شيئا من هذا، ولكن المادة متفرقة، لا يجمعها مرجع واحد كامل مفصل للباحثين وميسر للطلبة.

وقد لا يسمع بوجودها طالب العلم أصلا لأن تتبع كل الإصدارات متعذر، و لأن تشارك المعرفة لا يزال ضعيفا عندنا.

ولعل مشكلة اليقين في علم الكلام الذي دفع كبار المتكلمين إلى ذمه في أواخر حياتهم، أو إلى التناقض في الموقف من تعلمه تحتاج إلى دراسة عميقة تطرح السؤال عن يقينية المبادئ الميتافيزيقية التي انطلق منها، فإذا لم يكن الخبر هو منطق رؤيته الوجودية، فلابد له من منطق يدرس به الميتافيزيقا فكل ميتافيزيقا ناتجة عن رؤية فيزيائية، وكل منطق فلسفي في جوهره المتمثل في نظرية الحد و التصور ناتج عنها. ومعلوم كثرة التناقضات الكلامية في الطبيعيات..!

ويبدو لي أن الحاجة ماسة إلى إعادة بناء علم كلام إسلامي " جينيالوجيا" بوضع جدول المفاهيم الموجهة"المبادئ الأساسية" تكون متميزة، وفي منظومة متسقة

معرفيا مثل: مفهوم الواقعية عند ابن تيمية.
ـ تحديد نظام الأولويات لهذه المفاهيم.
ـ تحديث الصياغة ونظمنة علم الكلام الإسلامي داخل إطار سلفي" التحديث بدون قطيعة مع السلف عكس علم الكلام".
ـ ربط علم الكلام الإسلامي ببقية العلوم الشرعية [وحدة المنهج وقواعد التفسير، لا محاولة التفريع عن علم الوجود الانطولوجي الميتافيزيقي = إعادة تعريف المنهج بحيث يشمل كل العلوم ويخضع لمصادر تلقي واحدة]
ـ غرس المبادئ الأكثر عمومية في اللغة العادية كالخطاب النبوي ، حيث المفاهيم الموجهة تخاطب الإنسان العادي و ترد إلى المفاهيم المشتركة " الجمل الشرعية".
ـ المزاوجة بين المفهوم المجرد والإدراك الحاضر لزيادة الوضوح، أقصد: رد الحقيقة المجردة إلى حقيقة مباشرة فطرية حسية أو إن شئت المزاوجة بين العقل والحس والاحتفاظ دائما بالرابط بين المجرد والملموس.
ـ ترتيب هذه المبادئ " المفاهيم" الموجهة بنظام استنتاجي ينطلق من الأبسط إلى الأكثر تعقيدا، يحدد المستويات التعليمية.
ـ تطهير اللغة العلمية الكلامية من الغموض والتجريد المفاهيمي بالانطلاق من تصورات شرعية واضحة، ومن لغة شفافة معتبرة بالوحي لاجتناب التفكير الرمزي الذي يقود بالضرورة إلى إشاحة النظر عن الشيء نفسه، كما يقول أحد الفلاسفة. وهذا مثل منهج الفيزياء وذلك للتأكد من واقعيته، واجتناب المنهج الرمزي الرياضي الذي يغرق في التجريد فيبتعد الشيء عن واقعيته.
فعندما تقرأ الكلام تبتعد بالتجريد و الرمزية عن النص وعن جوهر الموضوع!
الانطلاق من التصور بدون البحث عن تعريف محدد" جامع مانع" فبعض التصورات يمكن أن تقود إلى الأفكار المباشرة يقينية بيقين واقعي، لأن مشكلة التعريف وصورانيته في قضايا الذات الإلهية يتطلب تسلسل الفهم والسؤال.
فقد يقر أحدهم بأن الصفات يجب أن تكون بالألفاظ الشرعية وليس بالتحليل العقلي المجرد لكنه يعود بالتحليل الصوري للغة و يفرغ العبارة الشرعية من محتواها.
ـ فمن المهم اجتناب الفهم المتسلسل والبقاء ضمن حدود شبكة النصوص، كما في مسألة " الكيف"فإثباته هو لإثبات واقعية الوجود، ونفي العلم به هو لقطع سلسلة

الأسئلة المفاهيمية التي يولدها التحليل المنطقي الصوري للغة لأننا في موضوع يتجاوز التوليدات العقلية الذهنية.
هذه بعض الملاحظات عن إشكالات الدرس التعليمي في العقائد خاصة النظرية، و إشكالات النقاش الكلامي ،و أوليات الجيل الحالي في التأليف :التنظيم المنهجي، تيسير الوصول.
لذلك اختم و أقول :ستبقى صعوبة تعلم الكلام ودراسته قائمة، والنقاش فيه جدليا لا يقدم ما لم تدخل عليه القراءة الإبستمولوجية الوصفية و المعيارية ،وما لم ينظم ويرتب ويفصل بين الضرورات التاريخية والحقائق الشرعية، ويعاد صياغته بما يناسب مستويات التجريد.

الجدلية المادية أو المادية الجدلية (كيف كيف)!!

....
حاول أن يكون كلامك واقعيا(ليس واقعية لينين فإنها تجريد مثالي ذاتاني☺على قول ويتر :إذا سألنا المادية :ما هو الوعي؟
أجابت بأنه _في نفس الوقت _منتج ووظيفة و خاصية للمادة فيصير تعريف لينين كالتالي :المادة هي ما هو موجود مستقلا عن منتج أو صفة للمادة..!
وعلى هذا فإن تصور لينين ليس له معنى إلا إذا أقر بأن الوعي لا مادي وموجود مستقلا عن المادة) ، ومنهجك صارما، ولغتك راقية و إلا فأمسك.

الانتسابات المتصارعة !

.....
سأل السبكي أباه :لماذا لم يذكر ابن عساكر من الأشاعرة إلا القليل؟ فاجابه بأنه التزم بذكر من دافع عنه فقط.
و ذكر له أنه رأى في بعض كتب طبقات المعتزلة وكانت أول ترجمة فيه لعبد الله بن مسعود _رضي الله عنه _! (السلف المتوهم)
فقال السبكي الابن :إذا كان المعتزلة فعلوا ذلك فمن حق الأشاعرة أن يدَّعوا إنتساب أبي بكر وعمر إلى العقيدة الأشعرية؟!

فاخبره والده بأن أتباع المرء من دان بمذهبه وقال بقوله على سبيل المتابعة والاقتفاء الذي هو أخص من الموافقة.
(الطبقات ٢/٢٥٥)
والسبكي أضاف إلى الأشاعرة أمثال ابن عبد البر و أبي طاهر الصلفي وأبي الوفاء بن عقيل الحنبلي؟!
والمقصود أنه يوجد في الناس من يوافقك ولا يتبعك، لكنه يوافقك بعلم، ويوجد فيهم من يتبعك ويدافع عنك ويهاجم من يرد عليك لكن بجهل.
وويوجد من ينتحل مذهبا هو أبعد عنه من خصومه!
لذلك التزم بالكلام العلمي في جميع الأحوال ما قدرت إلى ذلك ولا تلتفت لتشغيب المناصرين.

أسلمة المادية: النظرية التي ولِدت فاشلة!
(01)
المقدمة العامة

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.
أولا :من ليس له عناية بالفلسفة الأحسن له أن يترك متابعة النقاش الحالي بين بعض الأساتذة السلفيين حول المادية في مباحث العقيدة.
هو نقاش يدل على ثراء السلفية المعاصرة وحيويتها الفكرية لكن لمن تعود الدخول في هذه القضايا.
سنبحث في سلسلة مقالات قادمة ـ إن شاء الله تعالى ـ الموضوعات التالية:

1 ـ المسألة الأساسية في الفلسفة، وفيها ضبط ثنائية: مثالية ـ مادية، ومغالطة تصنيف المسلمين بالثنائيات الفلسفية.
2 ـ نسف التعريف الماركسي اللينيني للمادة.
3 ـ كشف مغالطة "مادة بالمفهوم الفلسفي" ويتضمن مختلف تعريفات المادة والفرق في مفهوم المادة والحس وأنواعه بين ابن تيمية والمادية.

4 ـ تصوير فساد أصول المادية واستحالة تلاقيها مع عقيدة ابن تيمية.
5 ـ الإلحاد في المادية.

المقدمة العامة:
مشكلة كتاب " نظرية ابن تيمية في المعرفة والوجود" للأخ يوسف سمرين أنه محشو بموضوعات فرعية كثيرة، والأطروحة الرئيسة فيه هي:" مادية الله "! ولدفع الوقع السلبي لهذه النظرة المادية يرتكز الكاتب على شبهتين:
الشبهة الأولى: أن لفظ "مادة" مجمل مثله مثل لفظ "جسم" فيمكن استخدامه في حق الذات الإلهية بعد التفصيل.
الشبهة الثانية: أن لفظ "مادة" في كتابه هو بالمفهوم الفلسفي، ونحن نعرف أن المفهوم الفلسفي مفهوم مجرد من المفهوم الفيزيائي، مجرد فكرة ذهنية لا تساعد وقوع الأخ سمرين في المثالية على أنها فلسفة المجرد وباب للإلحاد؟! فنحن نعرف كذلك أن المادية فلسفة حول طبيعة الوجود مثالية باعتبار أنها ترتكز على تمثيل ذهني للواقع وتشتبه عليه بالواقعية، في حين أن المادية نوع من الواقعية الفيزيائية تتضمن فرضية إضافية على الواقعية: حيث تُعرِّف المادة والواقع بدون أن تكون قادرة على توضيح طبيعة المادة.
والمادية التي يرتكز عليها الأخ سمرين مادية ماركس ـ لينين طبيعانية بحسبها الوعي والقيم الروحية خرجت من الأشياء المادية!
عندما نزيح الحشو والتفريعات نجد الأطروحة تعتمد كلية على تعريف المادة الماركسي ـ اللينيني دون أن يُبين لنا الأخ سمرين الفرضيات الأساسية التي أنتجت هذا التعريف، فلا يوجد في الكتاب منهجية علمية صارمة، ويغلب عليه السرد التاريخي للثنائيات الفلسفية مع عدم تدقيق في خريطة هذه المذاهب مثل اضطرابه في مفهوم المثالية.
فكان عليه أولا أن يصور للقارئ مذهب المادية بتوضيح كل مفاهيمه المركزية بحسب حاجة أطروحته إليه ثم يشرع في إثبات الاتفاق المزعوم بين ابن تيمية والمادة حتى نعرف النواة والقشور، ونعرف ماذا أخذ منها وماذا ترك؟
إضافة إلى عدم دقة في توظيف المصطلح حيث ينزع المصطلح اللينيني ويضع مكانه

المصطلح التيمي، فيتوهم القارئ أنهما متفقان، وفي الحقيقة بينها اختلافات جوهرية. والأخ إما تعمد وإما لم يدرك الوظيفة الإبستمولوجية للتعريف الماركسي ـ اللينيني للمادة، فأصل المسألة عند الماديين هو المقابلة بين الله والمادة، ولا يعني هذا أنهم مقرون بوجود الله، ولكن الوظيفة الإبستمولوجية تحتم عليهم المقابلة ليقولوا: المادة أولية، لأنه بدون هذه المقابلة يصبح قولهم "المادة أولية "بعد قولهم "لا توجد الا المادة" لغوا وسخافة!

فهم في مقام الرد على الخصوم فإذا قابلوا بين الله والمادة أو بين الروح والمادة فليس اقرارا منهم بوجود الله أو الروح، ولكن نفيا لقول من يسمونهم مثالية، فهذا التمييز أو المقابلة بين الله والمادة، أو الروح والمادة دوره بحثي فقط حيث يتعذر البحث بدون هذه المقابلة.

فالأخ أهمل الأصل ونزل درجة ليجعل خصومة المادية بين المادة والوعي الإنساني فقط! فصور لنا المشكل على أنه حول حركة الفكر هل هو من العقل إلى المادة أم من المادة إلى الروح، من الحس إلى العقل، يعني بيانا لوجه تناقضه أقول: من المادة إلى المادة لأنه بحسب تعريف لينين العقل في الدماغ والدماغ مادة، والوعي "العقل" يصبح المادة الواعية بعد ظهور الإنسان! بينما التقابل الحقيقي هو: بين الله تعالى كمصدر لهذا الوجود وللمعرفة وبين المادة كأصل وحيد له، على أساس من الأسبق منهما؟ وهل العقل محله الروح أم الدماغ؟

فمصطلح "الروح "عندهم لا يعنون به العقل بل الله أو النفس الإنسانية، وبالتبعية الفكرة والوعي.

عندما بدأت المادية "عند أبيقور" بدأت ملحدة في المضمون لكن دون إعلان صراحة الإلحاد فقالت: لا يوجد واقع آخر غير المادة، يعني: لا يوجد أي شيء في الكون غير الذرات والفراغ، وإذا كان هناك آلهة (بالجمع!) فمن طبيعة مادية!

وهذا القول يخرب نهائيا كل اعتقاد بوجود غيبي: إله، ملائكة، شياطين، روح.. الخ، وتحديد الطبيعة المادية للآلهة! إذا افترضنا وجودها يعود إلى تأكيد عدم وجودها؟!

وهذا عين ما يدعو إليه كتاب "نظرية ابن تيمية في المعرفة والوجود" الفرق الوحيد بينهما أنه يقول: هو إله واحد، وربما يمكن أن نضيف استنباطا: ومادته لا كالمادة بحكم أن لفظ المادة مجمل لكن الناس لا يعرفون إلا مادة واحدة، هي المادة الفيزيائية ـ

تماما كما تقوله المادية ـ ولا يتصورون مادة غيرها، فلا يخرجهم القول بأنها " مادة بالمفهوم الفلسفي، ومعناها مجمل " من تصور المادة التي يعرفون، إذ المادة الأخرى ممتنعة التصور عليهم ، والإنسان لا يعرف ما لا يستطيع تفكيره، وإذا كان من مادة " فيزيائية" فكيف تكون المادة حادثة؟

يعترف لينين ـ الذي يتكئ الأخ سمرين على تعريفه للمادة ـ باستحالة تعريف المادة والوعي لكنه يُعرف المادة بأنها الواقع الموضوعي الموجود مستقلا وفي خارج الوعي، الذي هو انعكاس للمادة، والإمكان الوحيد لتعريف المادة والوعي عند لينين هو في تأكيد أسبقية أحدهما على الآخر، فافهم أنت؟!

وبالنسبة إليه فإن المادة أولية، المادة بدون وعي ممكنة جدا لأنه أصلا لا يؤمن بوجود إله، وحتى لو وجد فإن المادة أولية عليه ـ كما عند الوجودية الجديدة ـ يعني مادته لا يمكن إلا ان تكون فيزيائية، وبالتالي جاء من الفيزياء وتتجاوزه الفيزياء!

وعلى العكس الوعي بدون المادة مستحيل، والله بدون مادة مستحيل عند أخينا المادي!

سنرى كيف تجيب المادية عن افتراض وجود الله في مقال تعريف المادة.

ومعلوم أن تحديد بأن الذات الإلهية مادة هو تحديد لطبيعته إذ ليست المادة إلا مكوِّن الشيء، مع العلم أن السؤال عن المادة يكون بصيغة " مما هو؟ " أو "مما يتكون؟

«والسؤال عن الماهية يكون بصيغة:" ما هو " لكن لا ماهية بدون معرفة الصفات الجوهرية، ولا يمكن معرفة الصفات الجوهرية بدون معرفة مما يتكون.

وعندما نهى الشارع عن التفكر في ذات الله لأنها فوق الإدراك البشري، وأقام المسلمون عقيدتهم على أنه ليس له ماهية كما عند المعتزلة، أو ليس له ماهية يحويها مقال كماعند أهل السنة (الكيف مجهول) فلحفظ إيمان المسلمين من فتح باب لا يطيقه علم البشر، فالبشري أساسا يعجز عن تصور العدم، وعن تصور مادة غير المادة التي يعرفها.

ويبدو لي أن الكاتب أراد تقرير الجسمية ومعلوم أن المادة يقصد بها الجسم، ويقصد بها مكونات الجسم أي: العناصر المركب منها، وهي نظرية هوبس الذي يعتبر كل موجود جسم، وكذلك مفهوم المادة عند لوك" جوهر جسماني" وهو مفهوم نسفته الفيزياء المعاصرة.

فليست مادية الشيء عنده إلا أنه جسماني فبحث عن مستند يؤسلم الفكرة فوجد ابن

تيمية بحث نفس الموضوعات التي تبحثها المادية مثل: الواقع، واستقلال الموجودات في وجودها عن علمنا، والإحساس، وعدم الاعتراض على إطلاق مصطلح "جسم" باعتبار معين فصب اهتمامه على محاولة إثبات اتفاق ابن تيمية مع المادية على مفهوم المادة، وبالتالي على الجسمية.

في الحقيقة قام الكاتب بقص المذهب المادي من أصوله أو مفاهيمه المركزية ومقولاته التأسيسية و أخذ جزئية فرعية لا يظهر منها ـ لغير خبير بهذه المذاهب ـ شناعتها وعظيم مخالفتها لمعتقد المسلمين وهي المقابلة بين المادة والوعي على أساس أن أكبر و أهم مسألة في الفلسفة هي مسألة مصدرية المعرفة " علاقة الفكر بالمادة" ،والمقابلة بين المادة والوعي تسمح له ببحث موضوع "المعرفة القبلية الفطرية" في حين أن المسألة الرئيسة ليست هذه ،فالمعرفة في نظرية المعرفة فرع عن مسألة أصل الوجود ،و المادية أو الرؤية المادية للعالم تقوم على فرضيتين منها يتفرع تعريفها للمادة :

الفرضية الأولى: لا يوجد إلا المادة.

الفرضية الثانية: المادة أولية.

والمقابلة بين المادة والروح ليس لها إلا وظيفة إبستمولوجية.

وعليه فإن مسألة أصل المعرفة عند الماديين ليست جزيرة عائمة في الفراغ بل هي جزئية ضمن الفرضيتين.

وحتى تعامله مع تعريف لينين للمادة خضع لنفس الالتباس لأن تعريف لينين عبارة عن توليف بين تعريفين أو ثلاثة ركز فقط على قوله:"المادة هي الواقع الموضوعي الموجود مستقلا عن الوعي وفي خارجه"

وهذا تعريف فقير جدا ومجمل يمكن إبراز نوع تشابه منه واستغلال الاشتراك اللفظي مع كلام ابن تيمية في الواقع الخارجي وقابلية الإحساس، مع العلم أن المادية لا تعرف شيئا يسمى قابلية الإحساس، لا تعرف إلا الإحساس المباشر المتصل بالمحسوس، لا تعرف شيئا لا تحسه الآن لكن يمكن أن تحسه بعد الموت، أو بعد تدخل إلهي يزيل أسباب عدم محسوسيته الآن.

فالمادية لا تعرف إلا الإحساس بواسطة الحواس الخمس، الإحساس البدني، لا تعرف "بمعنى لا تقر" بالإحساس الباطن، ولا بإمكانية الإحساس في عالم لا تعترف

بوجوده.
ولينين عندما يُعرف المادة فعلى أساس عدم وجود إله خلق هذه المادة، فهو يتحدث عن المادة التي نعرفها، لكن الأخ سمرين يقر بوجود الله ويزعم أنه مادة، وبالتالي عندما يقول لينين: " المادة هي الواقع الموضوعي الموجود مستقلا عن الوعي وفي خارجه" فيجب أن تُفهم المادة هنا على أنها مادة الله ومادة المخلوق على حد سواء، والوعي هنا: علم المخلوق وعلم الله على حد سواء أيضا
بطبيعة الحال هو لا يصرح بهذا لكنه لازم قوله إذ الخلاف ليس في مادة المخلوقات ولكن في طبيعة الله أو في إمكان الإحساس به يوم القيامة، واستعانته بتعريف لينين هو ليثبت لنا أنه إذا كان الله موجودا في العالم الخارجي فيجب أن يكون محسوسا، وإذا كان محسوسا فلابد أن يكون مادة، فالإحساس عنده لا يكون إلا لمادة، ووحدة المادة عند الماديين عدم مخلوقيتها وعدم قابليتها للفناء وعدم انفصالها عن الحركة،فاي تمييز في الواقع"اي فصل بين المادة والعقل مثلا" ينافي وحدة المادة، فالمادية مذهب أحدي يفسر الوجود بعنصر واحد هو المادة.
وبالتالي فإن استعانته بتعريف لينين هو لإثبات أن الله محسوس كحسنا بالمادة الفيزيائية، ومن هنا لم يمكنه إلا أن يقول بمادية الله، لأن التعريف هو لإثبات مادية كل موجود موضوعي.
كل ما جاء في هذه المقدمة العامة سيأتي مفصلا في مقالات مخصصة بداية من الغد أو بعده إن شاء الله تعالى بموضوع " المسألة الأساسية في الفلسفة، وفيها ضبط ثنائية: مثالية ـ مادية، ومغالطة تصنيف المسلمين بالثنائيات الفلسفية".

أسلمة المادية: النظرية التي ولِدت فاشلة!

[02]

المشاكل المنهجية في كتاب " نظرية ابن تيمية في المعرفة الوجود "ـ تبرير إلحاد المادية مع المبالغة في ذم المثالية المؤمنة ـ علمنة المسألة الأساسية في الفلسفة

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.
لم يبلغ الاهتمام العلمي عندنا شرطية الانتظامية التي لا تنفصل عن كل جهد فكري

صارم حتى لو كان الجهد فرديا لذلك قد نقفز فوق دقة التوثيق ونكتفي بمصادر وسيطة تشكل تصورنا للموضوع المبحوث!

لقد قام ابن تيمية بالعمل الابستمولوجي الضروري، قام به في الحالة العملية، يعني بطريقة غير موضوعاتية، أو بدون عودة انعكاسية على تطبيقاته النظرية بحيث لم يضعها في شكل خريطة أو مخطط لأن ذلك لم يكن من ثقافة وحاجة زمانه، والعقل الذي شكلته الثقافة المعاصرة المشوهة التي يتلقاها المسلم في كل زاوية من حياته لا تساعد على الإحاطة اللازمة بمنهجه كما يجب.

يعاني كتاب الأخ يوسف سمرين " نظرية ابن تيمية في المعرفة والوجود «من مشكلات علمية منها المعرفية حيث حصر المسألة في تاريخ البشرية بين خطين: مثالي ومادي، حتى داخل المذاهب الإسلامية، وهذا أمر غير دقيقة بالمرة، وإعادة لاستنساخ خطأ المتكلمين قديما؟!

ومن هذه المشكلات ما هو منهجي منها مثلا:

1 ـ النقل عن وسيط خصم(الماديين) هو نفسه تعرَّض لالتباس منذ قرنين، فالمثالية التي يتصورها الأخ سمرين غير موجودة بذاك الشكل عند أي فيلسوف يعلن المثالية، لا وجود لها في التاريخ الفلسفي المثالي، هي موجودة فقط في كتب فلاسفة ماديين، وفي معاجم لكنها غير موجودة عند المثاليين أنفسهم.

ويأتي المشكل من الاعتماد على القواميس الفلسفية وكثير منها كتبها ماديون وماركسيون مثل " الموسوعة " التي كتبها "ديدرو"!

ولفهم المذاهب نحتاج تحت شرط صحة دراسة تاريخ الفلسفة من مصادر مختلفة، مع اجتناب المصادر الوسيطة والقراءة المستعجلة حتى لا نفهم المسألة كما نريد نحن ولكن كما يريد صاحبها وفقا لما يناسب نظامه المعرفي، ثم يأتي النقض ومعالجة التناقضات، وسأضرب مثالا بـ «باركلي" لأنه في نظر الماديين أكثر الفلاسفة المثاليين تطرفا، ولأن الأخ سمرين وقف عنده أكثر من غيره.

وإذا كانت قراءة الفلسفة صعبة فإن تحقيق مذاهبها الكثيرة المتكاثرة المتداخلة أصعب فضلا عن التفلسف الذي هو عملية أخرى.

وعليه فإن عدم إحاطته بمذهب المثالية على وجه دقيق وتأثره بالمادية، وهو الذي نسب ذلك إلى المعتنين بتراث ابن تيمية، وقال عن بيجوفيتش "وهذا يبين أنه لم

يتصور المادية [ص:١٠٢]
وفي الحقيقة لم يترك سنيا ولا شيعيا إلا وجه له النقد على ذمه المادية، وهذا لأنهم بخلافه لم يفصلوا الميتافيزيقا المادية عن اجتماعياتها ونظريتها الأخلاقية ـ مع الاعتراف بأن في ردود بعضهم بعض الوهن ـ فهل يمكن أن نفهم المادية في نظريتها المعرفية في أطروحة أسبقية المادة على الأفكار دون أطروحتها التي تؤكد أولية المادة على الله تعالى، مع العلم أن عبارة "الأفكار" لها دلالة مختلفة بحسب المذاهب ،إن قصدت الفكرة عند أفلاطون، أو الفكرة في اللغة العادية العامة، أو عند التجريبية ،أو عند الظواهرية ،فالواقعية أساساً تختلف في معنى الفكرة بين واقعية مباشرة وواقعية غير مباشرة.
وهل يمكن أن نفهمها دون فهم التزامها السياسي ومقالاتها الاجتماعية، وموقفها الأخلاقي التحرري الفجوري عند بعض تياراتها؟
وكذلك مصطلح "مادة" الذي هو نفسه على أفضل تقدير مجرد تصور فإذن موضوع فكرة، وهل يكفي أن نعين للموضوع المنطقي التصوري "مادة" المحمول "واقعي" فإننا بذلك لن نخرج من مجرد وضع علاقة أفكار في التفكير، ونعتقد أنها تكفي لمعرفة مادية الواقع، على هذا لن نخرج بديهة من موقف مثالي، وإن كنا في كلامنا الإنشائي نذمها!
فإنه وإن كرر مرار بأن المادة هي الواقع الموضوعي المحسوس فإن تأكيده على انه مفهوم فلسفي يبقيه في دائرة التصور المنطقي المجرد عن التعريف الفيزيائي.
ومناقشتي له هنا " حقيقة المثالية" فلسفية محضة تأتي في سياق تحقيق المذاهب والتدقيق في المقالات المنسوبة إليها، وإلا ففسادهما "المثالية والمادية" عندي بيِّن، لكن عملا بالأصل القرآني في الموازنة بين المؤمن والكافر فلابد من الإقرار أن واحدة منهما أقل فسادا بكثير من الأخرى، بل لا مجال للمقارنة وأقصد المثالية المؤمنة، وإن حاول جاهدا تشويهها في مقابل تحسين صورة المادية مع نوع تبرير لإلحادها كما سيتبين في هذا المقال.
2 ـ لا يراعي للمصطلحات حقها الدلالي الإيتيمولوجي " اشتقاق الكلمة من أصلها وتاريخها، وإعادة تصاعدية معناها "، مثل مصطلح: " مثالية"، و"واقعية"، و " مادة"، و" فكرة"، و"روح" فيستعمل المصطلح على المفهوم المادي دون اعتبار

لأصله من أين خرج؟ والمعاني التي أضيفت إليه أو حملها عبر التاريخ، وكل هذا ستجده مقرونا مع موضوعه في هذه السلسلة.
وليذكر لنا فيلسوفا واحدا ينتمي إلى مذهب الأنانية "égoïsme" أو مذهب أنانية أحادية "solipsisme"، ثم ليثبت ما حال هذه المذاهب، متى نشأت؟ وأين نشأت؟ بعيدا عن "أسطورة المدينة" التي اختلقها "ديدرو" في "الموسوعة"، ومثَّل لها بـ «باركلي" ونسبه إلى فرقة سرية باريسية ضاع كتابها الذي يبسط مذهبها، والمنسوبة إلى ورَّاق ليوني مجهول؟!
ونحن نعرف أن مصطلحات مثل: " مثالية " و "مادية" بدأت من عند " ليبتز" و"وولف" وهما مثاليان، ونعرف أن المثالية بلغت صورتها النهائية ويمثلها بعدهما " كنط" و" هيجل"، و"هورسل" وغيرهما ، وهي مبنية على ثلاثة أبعاد لم يناقشها الأخ سمرين إلا سطحيا ولم يكن دقيقا في اليسير الذي وقف عليه، لأنه كان مهموما بربط المادية بابن تيمية وبتشويه خصمها الفلسفي " المثالية"، مع أن التضاد في الواقعية الفيزيائية مع المادية و إلا فإن المثالية فلسفة واقعية لأنها لا تنكر وجود العالم الخارجي و إنما تستثني الله تعالى من الوجود الواقعي المادي.
تظهر " الواقعية المعاصرة" ومعها المادية المثالي كشخص ينكر واقعية العالم الخارجي وتلصقه رغما عنه بذاتانية مطلقة العنان، والتي بالضرورة ستصور مذهبه كنسبوية عامة بينما في الحقيقة لا يوجد أي فيلسوف مثالي دعم هذا الموقف، ما يدفعنا لنسأل متعجبين: كيف لمذهب لم يسبق لأحد أن سانده في تاريخ الفلسفة بهذا الشكل المطروح يكون موضوع ذم في الموسوعات المادية، فمن كتاب مور "تفنيد المثالية" إلى الواقعية الأكثر حداثة لا نجد إلا هذه الصورة؟!
ما هي الأسباب التي يعود إليها ميلاد هذه الشخصية المثالية المنكرة لعالم خارجي عنها قبل أن يدعي "كنط" المصطلح، وعلى أي أرضية فلسفية أمكنها الازدهار؟ لنبحث أصل هذا الخيال المشوه لدلالة المثالية وكذلك عن نوع معارضتها المطلقة للواقعية.
إذا تتبعنا بشيء من الاختصار التطور الدلالي لمصطلح "مثالية" لميلاده سنة ١٧٠٢ م، إلى سنوات ١٧٨٠ حتى نعود إلى الشهادة التصورية التي سبقت هذه الصورة النمطية المنتشرة الآن والتي لا يمكن إلا أن نعتبرها كما هي: معنى متناقضا وتفسيرا

خاطئا الأكثر غرابة في تاريخ الفلسفة.
لا يوجد اليوم فلاسفة يدعون بوضوح مصطلح "المثالية"، الصفة اليوم لا تشير إلا إلى فلاسفة الماضي وبدرجة أولى المثالية الألمانية الضخمة، وفي بداية القرن العشرين: برادلي، رويس أو هورسل.
وإذا كانت المثالية تبدو أنها اختفت، أو لا يوجد من يطالب بها، فهذا لا يعني من الكتب الحالية، ومنها كتاب أخينا سمرين بحيث أنها منذ ثلاثين سنة مستخدمة بكثافة من قبل وفرة من الفلاسفة يزعمون أنفسهم" واقعيين "!
هذه الواقعية المعاصرة ـ التي تمثل مجرة التصورات في بداية القرن ٢١م ـ تستعمل مصطلح "مثالية" كنموذج لمأزق يجب اجتنابه أو عدو يجب محاربته، بحيث أعادوا تقديم الخصومة بين المثالية والواقعية إلى الواجهة لكن بطريقة رجعية مادام لا يوجد للمثالية ممثل معلن، ولا تصلح للواقعية إلا لتقديم نفسها كمعارض.
من هذه التصويرات السلبية لمصطلح "مثالية" تبرز دلالة أولى هي أن المثالي هو الذي ينكر واقعية العالم الفيزيائي الخارجي، فهو ذاتاني محض، ونسبوي عام، ومثال ذلك: تيارسلن(tiercelin) الذي في مقاله عن الميتافيزيقا الواقعية لسنة ٢٠١١م لا يتواني عن الكتابة ضد هيجل فيقول: "ضربة بقبضة اليد تأتي على كل حجج المثالية المنكرة لواقعية العالم الخارجي"!
هكذا بهذه السخافة يقصد بهذا القول أن المثالية ذاتانية، ظواهرية، أو أنوية توحدية (solipsisme) نسبوية [01] التي بالنسبة إليها فإن التمثلات المنتظمة للفرد وحدها ملموسة أو حقيقية، والبيئة الخارجية غير موجودة!
بعد ذلك نجد بيمبني (Bimbenet) في كتابه سنة ٢٠١٥ م يحدد المثالية في الذاتانية والنسبوية الأكثر ابتدائية، يعني في مرحلة الوعي الحيواني الذي عاجزاً عن موضوعية العالم كواقع خارج نفسه يجعل منه امتدادا هو وسطه!
بينما كما أشار إليه هيجل من قبل لا أحد من الفلاسفة المثاليين دعم ابدأ مثل هذا الموقف،يقول هيجل :"المثالية يقولون غالبا عنها تتمثل في إثبات أن الفرد يلد بنفسه كل تمثلاته حتى الأكثر مباشرة، وانه يضع الكل انطلاقا من نفسه" ذاته "هذا تمثيل لا تاريخي وخاطئ، إذا كانت المثالية مثل هذا التمثل الفج يعرفها ففعلا لم يوجد أبدا مثالي بين الفلاسفة"[02].

ما يتركنا في أشد الاستغراب كيف لمذهب لم ينصره أحد أبدا في تاريخ الفلسفة ـ بالشكل الذي تصوره المادية ـ يمكن أن يكون موضوع اتفاق على اختلاق [03] وهذا التشويه المخترع مستمر من قرنين من الزمن، إذا كان فيلسوف مثالي معروف لم يثبت أبدا انه ناصر عدم وجود العالم الخارجي، فما هو مرجع هذا التمثل الذي يستخدم الآن لتقعيد الواقعية كأفق وحيد؟

هل تعود هذه الصورة النمطية إلى الفلاسفة الأوائل الذين تبنوا المثالية يعني: كنط وفيخت أم علي العكس هي راجعة لمصادر أخرى غير الذاتانية والنسبوية المزعومتين للآباء المؤسسين؟

الأمر الثاني هو الثابت لسبب واضح هو أن هذا التشنيع المخترع بدأ قبل كنط، ولا يعود إلى تدخله فيجب أن نعود إلى الأصل التاريخي لهذا الخيال الفلسفي "المثالي ينكر العالم"!

الذي سيحتفظ بنفس البنية القاعدية في فترتين ونفس السياق: مور وبعض أنصار اللغة العادية، بعض أنواع الماركسية مثل: بوليتزر الذي مثل تيارسلن يعارض باركلي بحجة "قبضة اليد" ـ والذي نقل عنه سمرين في عدة مواضع من كتابه تصور المثالية ـ أو الواقعيين المعاصرين..

من المهم فهم أسباب ترجيع هذا التمثل المغلوط الذي يكشف لنا معلومات تتجاوز الخصومة بين مثالي وغير مثالي، فقد بدأ مفهوم "المثالية "مع ليبنتز سنة ١٧٠٢ م، وتحول جذريا مع المادي "ديدرو" الذي فبرك صورة أخرى مغلوطة سنة ١٧٤٩م.[04] .

إلى هنا أقف لأترك بقية التفصيل إلى المقال القادم ولأكمل بقية الملاحظات، الخاصة بهذا المقال.

3 ـ التكلم على لسان الماديين فتجد في الفقرة الواحدة أكثر الكلام منقولا عنهم في نسيج فسيفسائي يغلب النقل على التصور، يتخلله كلامه، فالثقيل يذكره على لسانهم وإذا لم تكن عباراتهم وافية بقصده أضاف من عنده كأنه يشرح عباراتهم.

4 ـ التزحلق على المصطلحات، مثل مصطلح "روحاني " الذي يستعمله المثالي وغيره بمعنى "اللامادي الأصل والمنشأ «»، ويستعمله هو بمعنى "اللامادي الذي أصله مادي"، نعم المادية تقر بأن الوعي غير مادي لكنها تجعله انعكاسا ـ إنتاجا

بالتعبير الدقيق ـ للمادة كما في تعقيبه على عبد الله القرني.
ففي تعليقه على قول عبد الله القرني:" الوجود الروحي ينكره الماديون "قال سمرين:" هذا غير صحيح بل يجعلونه تابعا للوجود الموضوعي المحسوس الذي يصطلحون عليه بالمادة ".
ولماذا يعقِّد الكلام فلو قال: الروحي عندهم تابع للمادة، وعرَّف لهم الروحي عند الماديين حتى لا يظن أحد أنهم يثبتون إلها ماديا، وأن المقصود بالروحي هنا ليس روح الإنسان التي فيه، ولكن العقل والوعي، وأنهما إنتاج المادة وليس خلقا لله تعالى لكان دقيقا واضحا.
واعترض عليه بأنه قال: "والوجود المادي هو الأصل وإن الوجود الذهني أو الروحي مجرد انعكاس له "يعني ناقض قوله السابق، فقال سمرين:" فأين هذا من قوله ينكرون الوجود الروحي"، وهذا تلاعب بالألفاظ لأن الروحي الذي تنفيها المادية هو اللامادي في طبيعته وأصله، والروحي الذي تثبته هو الروحي الذي تنتجه المادة، ما يعني أنها تقصد بالروحي اللامادي وليس ما ينسب للروح الإنسانية فهي لا تثبت روحا لامادية خلقها الله ونفخها في بدن الإنسان.
الموضوع:
بداية لا يمكن أن نشرع في تحديد أهم مسألة في الفلسفة وهي في الحقيقة لا تعنينا كمسلمين مؤمنين فأول واجب علينا هو الإيمان بالله ومعرفة الله بالنصوص الشرعية لكن لنتتبع رؤية أخينا سمرين حتى نعرف صحة ودقة التصوير الذي قدمه عن المثالية والمادية، فإذا جئنا إلى مسألة "ما هي أهم مسألة في الفلسفة "اكتشفنا بيسر كيف علمن المسألة، وتستر على فضائح المادية بل وبرَّر إلحادهم أو فسَّره بأسباب غير مادية!
علمنة مسألة "أهم مسألة في الفلسفة":
قال سمرين: " إن المسألة الأساسية الكبرى في كل فلسفة ولاسيما الفلسفة الحديثة إنما هي العلاقة بين الفكر والكائن "الجزئي المعين المحسوس أم بالتجريدي، بالشيء أم بالوعي؟". [يستغل كون هذه الألفاظ مجملة]
ويقول أيضا:"والسؤال الأساس في النظر إلى العالم هو حول علاقة الفكر، الوعي بالوجود وما هو الأسبق؟ " نقلا عن المادية الديالكتيكية.

فلا يوجد في كلامه في هذه المسألة، وفي المقابلة التي يضعها ذكر اسم الجلالة " الله" لأنه يستغل كون الألفاظ التي استعملها مجملة، ومن هنا يعقِّد البسيط ليسحق الابستمولوجي الانطولوجي، فالمسالة الأساسية هي: هل لهذا العالم خالق؟
المثالية المؤمنة تقول: نعم، وهو لا مادي؛ والمادية تقول: لا ليس له خالق، والمادة هي الموجود الوحيد، وبالتالي لها أسبقية على أي شيء لا مادي لاحق مثل: "الوعي"، وفي ضمنه "الفكرة "و"العقل" التي تقر بأنهم غير ماديين، قال سمرين(ص:١٠٣):"وقد أكد الماديون مرارا على ثبوت الوعي، وعلى نفي أن الوعي مادي" لكنه لم يقل هنا بأنه "نتاج مادة"!
يقول سمرين نقلا عن الماديين [ص:63]:"لكن الفكر عند المادية ينتج من المادة:" المادة تولد الإحساس بتأثيرها في أعضاء حواسنا، الإحساس رهن بالدماغ والأعصاب وشبكة العين والخ اي: بمادة منظمة على نحو معين ".
وبالتالي تحت مصطلح" الروح "سواء: العقل، الوعي، الفكرة، الله" تلده المادة كل ما ليس بمادي؛ ولدته المادة!
بحسب نظريته فإن الوعي يفكر أولا في نفسه كيف يعرف العالم، وسمرين مادي تجرباني لا علم عنده أوليا إلا من الحس، والحس معطي لنا من الواقع المادي، وبالتالي أول معرفة بالنسبة إليه معرفة عن الوجود " معطيات الواقع" وليس عن ذاته " وعيه وفكره"، فيفكرالوجود لأنه أشمل وأوسع وأصل المعرفة ثم يفكر معرفة المعرفة بالتبعية، وسواء فكر في المادة أو في الوعي فإن المفكر لا مادي بإقراره.
صرف (إذا جاز التعبير) الله تعالى من التقابل بين الله والمادة فيما يخص أسبقية الوجود وأصله فيبقى في التقابل مع المادة: العقل والوعي فقط، فتصبح مسألة ابستمولوجية سحقت أصلها الانطولوجي، لأن الحديث عن الأنطولوجي الأول غير ممكن إذا "صرفنا" الله من المعادلة، في حين يمكنه ذلك في الابستمولوجي، وبالتالي يمكنه الاستفادة من نظرية المعرفة المادية بدون أن يقف في وجهه أصلها الوجودي الإلحادي.
وحتى إذا ذكر الروح فإن الغربيين يذكرونها بمعنى العقل (mind - esprit) بينما في اللغة العربية لا تعني إلا معنى واحدا.
كما أن القول بماديتها أخف من القول بمادية الله ،ثم يمكنه اختصار التقابل بين المادة

والفكر لأن المثالية الإغريقية المشتقة من المثل وبالفرنسية من: (idée _ idéal _idéalité) فيظن الظان أن المقابلة بين الحس الذي تقدمه المادة والذي تزعم المادية أن المعرفة تبدأ منه وبين الفكر الذي تزعم المثالية الأفلاطونية أنه الأصل،وهكذا يضيع الفرق بين المثالية المؤمنة التي تضع في التقابل مع المادة بصفة أولية جوهرية الله تعالى و بين المثالية الأفلاطونية ، ففي بعض المواضع ذكر التفريق لكن عند الحديث عن المعرفة يهمل التفريق .

فما قام به الأخ سمرين في مسألة " أهم مسألة في الفلسفة" هو علمنتها قهرا، وسيأتي مزيد بيان وتوضيح بعد هذا المقال إن شاء الله تعالى.

تبرير إلحاد المادية:

كأنه يسعى لتخفيف صورتها الشنيعة، وكلامه هنا يحتاج إلى إعادة صياغة، قال:"فلما كان الإله في الفلسفات المنتسبة إلى الإيمان مندرجا تحت وصفه بالعقل والوعي والروح، وتعين عند الماديين ان الموجود في الواقع هو المعين المحسوس أنكروا أو نفوا ان يكون فيه هذا الإله [ص ٢٥٣]

لاحظ أنه عندما يريد تبرير إلحاد المادية يجعل ‹‹الإله" مندرجا تحت وصف " العقل، الوعي، الروح"، وعندما يتحدث عن هذا التقابل في قضية" أهم مسألة فلسفية" والتي هي عنده " لا فطرانية مبادئ المعرفة" ينسى هذا الإدراج؟!

بالنسبة لعقل سمرين فإن الماديين خالفوا المثاليين في الوجود كله إلا في الإله، وقالوا لهم: ما دمتم تقولون: هو عقل فهو غير موجود عندنا، وإذا قلتم: إنه مادة تتغير يجري عليها الزمان ويحويها المكان فهو كذلك غير موجود.

هذا استنتاج ضروري من قولهم لأن ـ أولا ـ المادية الفلسفية سبقت المثالية الفلسفية في الوجود، ظهرت قبلها فلم تلحد بسبب مقالات المثالية.

وثانيا: لأن المثالية لم تضع مسدسا على رأس المادية وتقول لها: إما الإيمان بإله مجرد معقول، وإما الموت؟! فكما اختارت المادية الكفر كان يمكنها اختيار الإيمان بالإله الذي تريد وبالوصف الذي تريد، لكن أصول المادية ـ وهم أطرد لأصولهم من سمرين ـ لا تسمح بالإيمان بأي نوع من أنواع الالهة- حتى إله سمرين المادي.

يقول سمرين [ص:252]: "لقد كان تعريف المثاليين لله على أنه" وجد منذ الأزل لم يخضع لأي تغييرهو دائما نفسه هو الروح المحض الذي لا وجود للزمان والمكان

بالنسبة إليه " ناسبا هذا إلى "مبادئ أولية في الفلسفة" لبوليتزر الضحية مثله لصناعة ديدرو.

فنقول: أي تغيير تريده أن يحدث على الله تعالى: يتطور مثلا كتطور المادة عند الماديين حتى ولدت فجأة من غير سبب: الوعي والعقل؟! بغض النظر عن مسألة "الأفعال الاختيارية "التي حتما وبالضرورة لم تقصدها المادية باستغرابها من إله مثالي لا يتغير؟

لاحظ أنه في كتابه هذا يتكلم بتداخل كلامه مع كلام الماديين ما يخشى منه يرويه على ألسنتهم، وما ينقص كلامهم يضيفه هو، يواصل قائلا:" هو الموضع الذي ينصب عليه نقد الماديين وأسس الإلحاد حتى في أوساط مثالية فقد ساير الماديون المثاليين المنتسبين إلى الإيمان في هذا التعريف لله يقولوا بعدها:" يجب أن نقاسم المثاليين صوفيتهم وبالتالي عدم قبولهم بأية رقابة علمية حتى نعتقد بوجود إله خارج الزمان أي غير موجود في أي لحظة، وموجود خارج المكان أي لا وجود له في أي مكان" نفس المصدر.

واللازم الضروري لكلامه هذا يعني أن الماديين كانوا مؤمنين قبل المثاليين؟! لأن قوله "سايروا المثاليين" لا معنى له إلا إذا كانوا كفارا ملاحدة قبل المسايرة المزعومة، فلما وجدوا المثالية لا تثبت إلها ماديا له زمان يجري عليه ومكان يحويه «لم يفصل سمرين العبارتين " مكان ـ زمان" حتى نستثنيه " قرروا الكفر به وبكل إله حتى الإله المادي الذي يؤمن به سمرين؛ وإن النفس بعنادها لتورد صاحبها الموارد!

يواصل: " وبالتالي حملت المثالية في أحشائها بذور نفي الإله الذي ادعته، ولما ألحدت المادية بهذا الإله المثالي [فضلت الإيمان بمادة ميتة لا واعية حتى ظهر الإنسان] ولم تؤمن بغيره، وكان تعريفها للمادية بأنها مصطلح فلسفي للدلالة على الواقع الموضوعي جعلت تعريف الوجود الموضوعي منحصرا في العالم والطبيعة "نفس المصدر.

يعني: لولا مقالة المثالية في الإله لما ألحدت المادية، ولولا مفهوم الوجود الواقعي عند المثالية لما قالت المادية كافرةً بالله تعالى: المادة عندنا بمفهوم فلسفي يعني الواقع الموضوعي، ونحن لا نؤمن بسببكم إلا بالعالم والطبيعة؟!

يقول [ص:335]: " ... وحتى الماديون الذين أنكروا الإله المثالي وتوقفوا عند النفي دون إثباتهم للإله الموجود موضوعيا القابل للحس" فهل
يريد سمرين أن يقول لنا بأن الماديين الملاحدة أنكروا الإله المثالي، فما منعهم من إثبات الإله المادي، هل تناقضت المادية أم لم تفهم أصولها؟
يشبه دفاع سمرين عن إلحاد الماديين بإلصاقه بمقالات المثاليين المثال التالي: قيل للسكران: لماذا شربت الخمر؟! قال: أغضبتني حماة صديق صديقي!
بحسب سمرين وافق الماديون منهج القرآن في طبيعة الموجود لأنهم وافقوا ابن تيمية، وابن تيمية استمد منهجه من القرآن ـ " فهذا معنى الاتفاق الذي يدعيه بين ابن تيمية والمادية في كتابه «ـ إلا أنهم ما قبل الإسلام وما بعد ابن تيمية إلى يومنا وبسبب المثالية لم يؤمنوا بوجود الله لأنه لا يستقيم مع مفهومهم للوجود، وإن استقام مفهومهم للواقع الموجود مع مفهوم ابن تيمية وبالتالي مع القرآن!
ما المصلحة من ربط ابن تيمية بالمادية إذا كان يقول بتلك الأصول من قبلهم وبصناعة إسلامية؟ أليس الأجدر إثبات قرآنية هذه الأصول بدلا من تعضديها بفكر ملاحدة ماركسيين فشلوا في كل الميادين؟ هل هو مجرد ترف علمي؟
الغريب انه مخالفا منهج القران يقرر بطريق غير مباشر أفضلية المادية الملحدة على المثاليين المؤمنين فمن يقول المادة هي الواقع الموضوعي المحسوس ولا يوجد إله، لا يوجد إلا المادة ، وبأصولهم سيصحح سمرين عقيدة المسلمين ـ على الأقل المتكلمين وكل من لم يصرح بمادية الله ـ في طبيعة وجود الله ، هؤلاء أفضل من المثالي المؤمن بوجود الله وجودا حقيقيا لكنه معقول غير محسوس، وعندهم وجود كل المخلوقات وجود واقعي موضوعي إلا وجود الله بسبب أنهم ظنوا أن كل ما اتصف به العالم المحدث يجب أن ينزه عنه الله حتى طبيعة الوجود ،وهذا بسبب نظرة فيزيائية مادية"الذرية" للعالم ؟ !
عندما يشك أحدهم في وضوح فكرة بالنسبة إليه كأن يكون وجود شيء ما محسوسا غايته أن يفترض وجودا غير معقول لنا ومخالف للنصوص، لكن هذا لا يعني بحال أنه يشك في وجود هذا الشيء فالانتقال من شكه في وضوح صفة موجود أو يقينيتها إلى الشك في وجوده كلية، أو يحمل بذور الشك ـ على تعبير سمرين ـ انتقال باطل واختلاق محض عليهم.

ولم أجده يشير ـ عندما يقتضي الكلام ذلك ـ إلى هذا الفارق بين المثاليين المؤمنين والأفلاطونيين، في الغالب يذكر المثالية كطائفة واحدة، فيجمع بين موحدها ووثنيها إلا في موضع تعريف المثالية، وليس للمثالية عنده إلا الذم كما ليس للمادية إلا المدح، بل يبرر إلحادهم، ويجعلهم في تناقض صارخ مع التاريخ والواقع ملاحدة بسبب المثالية التي تحمل في أحشائها بذور الإلحاد!

لو كانت المثالية سببا لإلحاد الغربيين وكثرته فيهم لكانت سببا لإلحاد المتكلمين المسلمين لأنهم في المثالية سواء بحسب الأخ سمرين، ما يعني أن أسباب إلحاد الغربيين هو لا معقولية الاعتقاد التثليثي المسيحي عند كثير منهم وليس المثالية، ثم المادية الأبيقورية والهيدونية وغير ذلك من مذاهب ماسخة بثتها فيهم الماسونية وفروعها. ولأن المادية تثبت المادة كأصل للعالم، وإذا كان خالقه من مادته لم يكن خالقا له.

لماذا لم يكثر فيهم الإلحاد قبل الحداثة، وقد كانوا مثاليين من قبلها؟

تفشي فيهم الإلحاد بعد ظهور التجربانية والظواهرية وإعادة بعث المذهب المادي.

لا يوازن الأخ سمرين في نظرته لمذهبين فلسفيين لا صلة لهما بالإسلام ويبالغ في ذم المثالية خصوصا المؤمنة وأخص من ذلك الإسلامية كما في تصنيفه ويقصد المتكلمين وكل من لا يقول بمادية الله، مع العلم أنه لا يحقق مذهبها جيدا بل ما يعرفه عنها في الغالب أسطورة فارغة من الحقائق التاريخية كما سيأتي في المقال القادم إن شاء الله تعالى.

في المقال القادم نتناول تعريف المثالية وتصورها عند سمرين والماديين وبالنقض المادية ـ لأن نقضها البنوي يأتي في مقال " مفهوم المادة الفلسفي"، ثم يليه مقال عن " أهم مسألة في الفلسفة" وهكذا؛ وهذا حتى لا تكون المقالات طويلة لا يتحملها القارئ الفيسبوكي.

والاهتمام بتصور سمرين المغلوط للمثالية مهم جدا في فهم الخلل في نظريته الشخصية التي ينسبها لابن تيمية فإن هذا الاهتمام بتصوره يصورلنا «انقسام بين ـ من جهة ـ فلسفة تضع في مركزها مسألة الحقيقة، وتقارب العالم بطريقة نظرانية (كموضوع علم) وتفكر الفلسفة نفسها كنظرية للعلم، نظري أو تطبيقي أو تاريخي الخ، لكنها أخفقت في موضوع صفات الله إضافة إلى سائر إخفاقات الفلسفة وحيرتها

الشاملة ،ومن جهة أخرى فلسفة مركزها مسألة أصل الوجود، وكحامل: الطريقة التي يمكن أو يجب أن يتجه بها الوعي العادي في العالم ، و إخفاقات هذه الأخيرة أشنع و أفسد من كل وجه لأن لب الموضوع هنا بالنسبة إلينا كمسلمين هووجود الله و ثبوت صفاته، الأولى و أقصد المؤمنة و التي يدخل فيها سمرين المتكلمة و أهل الديانات الثلاث مشكلتنا معها في ثبوتية صفاته ومنها واقعية وجوده، و مشكلتنا مع الثانية في وجود الله الذي تنفيه و بالتالي لا يوجد عندها شيء يخص ثبوتية صفاته ووجوده الواقعي ، فهنا سيقوم الأخ سمرين بحقن مذهب ابن تيمية بين الأمرين ، يأخذ أصول المادية بدون إثباتها لوجود الله " ملحدة" و يضع عليها إثبات ابن تيمية لوجوده و ثبوتية صفاته !

فتوضيح هذا كفاية يجب أن يسبق الحديث عن حقيقة مذهب ابن تيمية لأنه الأساس الذي اعتمد عليه الأخ في بناء دعواه عن اتفاق المادية مع ابن تيمية في موضوعية الوجود وفي أصل المعرفة، وكان تزيينه لمقالات المادية أولا مبنيا على التشنيع على المثالية وإظهار أصولها كلها لا معقولة، فنظريته في الحقيقة تقوم على فلسفتين لا علاقة لهما بالإسلام أو بالعقيدة السلفية: أطروحة مادية إيجابية ضد أطروحة مثالية سلبية ـ بالنسبة إليه ـ وعلق ابن تيمية ـ رحمه الله ـ في الزحمة!

....

[01] أنظر "اختراع الواقعية سارف جذرية، ٢٠١٥م؛ ص:١٩؛ إليزابيث فوجيل.
[02] دروس حول تاريخ الفلسفة، هيجل، الورقية، فرانكفورت مجلد ١٩ ص:١١
[03]أنظر" مكان الكلي، مأزق الواقعية في الفلسفة الحديثة ،سويل ٢٠١٥م.
[04] مقال " التعارض بين الواقعية والمثالية؟ الميلاد والهيكل لإيزابيل فوجيل.

استراتيجية النقاش ؟

....

عندما يختلف الناس مع كتاب فيه جرأة في الطرح كل واحد منهم يختلف معه في قضايا معينة يقدر أن مناقشتها مهمة. وهكذا كل واحد يتناول منه ما يعنيه منه، ويضع استراتيجيه في النقاش بناءً على ذلك.
و الطلبة يتابعون النقاش وتثيرهم مسائل خاصة ،وكل واحد منهم يريد سد الثغرة التي أحدثها الكتاب في عقله.
و أحيانا كثيرة لا يفهمون هذا ولا هذا، لأن النقاش لا يصور لهم المسألة برمتها، فالمناقش لا يتناول إلا القضايا التي تهمه وبحسب ما قرر مسبقا أنه سيخصص له من وقته.
بطبيعة الحال أحسن النقاش أو الردود التي تمسح الكتاب كله لأن أوله مرتبط بآخره حتى و إن بدت لنا بعض موضوعاته لا صلة لها بالموضوع لكنها كذلك عند صاحبها.
و أحسنها التي ترسم لك استراتيجية الكاتب وخطته و مشكلاته المنهجية فتعالج مشكلة المصطلح وتضبط المفاهيم ثم تتناول الأطروحة الأساسية وتتنزل معها إلى الاطروحات الفرعية.
الملاحظ أن بعض الشباب من الطبقة الثانية للنقاش يتكلمون في قضايا قطعوها عن مقدمتها وتربتها، و يهتمون بمناقشة الجزئيات قبل أن يحسموا التصورات الكلية.
والذي أراه مفيدا لهم هو أن يتابعوا مختلف المنشورات هذا إذا كانوا قرؤوا الكتاب أصلا، فأنا أعلم من المراسلات أن الغالبية تصفحته فقط ! ومنهم من لم يقرأه أساسا ولكنه يعلق ويسأل!! والذي قرأه لا يعرف موقف ابن تيمية الشخصي،ومعلوماته عن المذاهب الفلسفية سطحية أو غير مكتملة.
فيما يخصني قرأت الكتاب مرتين، مرة قراءة محلل أتجاوز المعلومات التي أعرفها واهتم فقط بتصور الكاتب، ومرة ثانية للتأشير على النقاط التي أريد الكلام فيها.
وخصصت للكتابة عنه يومين من الأسبوع، في يوم أجمع المعطيات وفي الآخر أكتبها،
أظن أن الكتاب سيشغل النقاش السلفي مدة طويلة و أنصح من لم يجد نفسه فيه أن ينصرف إلى تعلم ما يحتاجه فالفلسفة لا ندخلها فقط عندما تثيرنا القضايا بل ندرسها _بسبب حاجة _في هدوء بعيدا عن الجدل حتى إذا جاء كانت لدينا أرضية نقف عليها.

ولهذا أحاول الكتابة بأسلوب تعليمي يعني :إبراز اللوازم لأن مشكلة غير المتوسع في عدد اللوازم ونوعها التي ينتبه إليها، وفي شجرة الموضوعات وهرميتها.

أسلمة المادية: النظرية التي ولِدت فاشلة!

[03]

خطوات علمنة نظرية المعرفة بشيء من التفصيل

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين.
من المنطقي أن الذي يلغي في تفكيره "الله تعالى" من الوجودي" الأنطولوجي" يلغيه من المعرفي " الابستمولوجي" لذلك لا يمكن لنظرية المعرفة عند الماديين الا ان تكون علمانية تنفي فطرية المعرفة والهية مصدرها.
فإذا ما أرد أحدهم اعتمادها لكن بإقرار"الله تعالى " في الوجودي " الايمان بوجوده" دون المعرفي " المعرفة تأتي من الحس ولاوجود لمعارف ما قبلية" فسيحتاج إلى تعديلات هي في حقيقتها مغالطات تتداخل فيها المستويات، هي كالتالي:
1 ـ المغالطة في تقسيم المثالية في الوجودي وطرده في المعرفي، مع العلم أن المصطلح في الوجودي له مفهوم وفي المعرفي له مفهوم آخر، مثل مصطلح" مادة "أو" فكرة "وهكذا ،فعندما نتحدث عن" الفكرة" في الوجودي نتحدث عن وجودها الواقعي، وهل هل أصل أم فرع؟ و أما عندما نتحدث عنها في المعرفي فإننا نقصد هل هي أصل المعرفة، أصول بدايتها أم فرع عن شيء آخر مثل المادة التي تكون هنا بمعنى إنتاجها الذي هو الإحساس.
فالمثالية لا تنقسم إلى «موضوعية"و " ذاتانية" فقط(وهو تقسيم نتكلم عنه في المقال الذي يلي هذا) بل تنقسم كذلك واقعيا إلى " فلسفية" و " كلامية"، و "أفلاطونية" و " مؤمنة".
والتقسيم الأخير شرط لفهم التقسيم الأول، والتغاضي عنه عند الماديين في محل تأصيل نظرية المعرفة الغرض منه علمنتها، فأصل المسألة بينهما ـ" المثاليتين" ـ من الأحق بأن يوصف بالوجود؟
بالنسبة للمؤمنة الأحق به وأكمله: وجود الله، وبالنسبة للأفلاطونية الأحق به: الأفكار أو المثل، وهذا لأنها مثالية وثنية،وكون الله عند المؤمنة والمثل أو الفكرة أو غير ذلك

لامادية اعتبار آخر لا يعني بحال أنهما متكافئان حتى نضعهما تحت العبارة نفسها ومعا في مقابل المادة.
فإذا جعلت المادية في مقابل الأفلاطونية كان التقابل بين المادة والمثل (ومرادفتها) ، وبسهولة ـ لأن اللفظ يتحمل ذلك ـ يصبح الوعي!
وإذا جعلت المادية في مقابل المؤمنة مثل متكلمي الملل من النصارى والمسلمين كان التقابل الوجودي بين المادة والله ثم المجردات مثل: الماهيات والكليات والمطلق كفرع وليس كأصل.
ومصطلح " فكرة" مجمل له ألوان عند المثالية بحيث يشتركون في أبعاد ويختلفون في أخرى.
وعلى هذا فإن مقولة "أولية الفكرة على المادة" يمكن أن تُفهم بعدة طرق: إما أن نثبت مع أفلاطون أولية المثل " idéal" على العموم بالتعارض مع المحسوس.
وإما نضع مع ديكارت وغالب المثاليين المحدثين أن الفكرة هي أولا تمثلا آنذاك تكمن المثالية في الأطروحة التي بحسبها يجب أن يضاف [تابعا] للوعي.
في الحالتين تفترض المثالية في نفس الوقت وجود أنواع مختلفة من الواقع وتراتبية بين هذه الأنواع بحسب ما إذا كانت تعود للمادة أو للعقل [يعني أن المثالية تثبت واقعية العالم المحسوس كما تثبت واقعية الماهيات وواقعية الله بالنسبة للمؤمنة فالموجود عندها في الخارج: المادي واللامادي]
إذا كانت المثالية دائما في مقابل المادية فإننا من ناحية أخرى نجد "طيفا "من المذاهب المثالية بحسب ما إذا كانت تولي استقلالية أكثر أو أقل للواقع الخارجي، لا يمكن إذن فصل المثالية عن الانطولوجي"[01]
وعليه لا تضع المثالية في جميع الأحوال العالم مرتبطا بوعينا بصفة جذرية أو متطابقة، وسنعود لموضوع الفكرة لاحقا.
فما تفعله المادية هو استخدام مثالية باركلي المزعومة من أجل تبعية فرعية بين مستوى أنطولوجي (حيث تقول الأحكام: "س موجود" أو "غير موجود") ومستوى ابستمولوجي (س قابل للمعرفة، يعني :ممكن اليقين به أو أن يكون حقيقة أو ليس كذلك).
يوجد هنا تمييز مستوى يجب أن نعمله مادام القول بأن "س" مهما كان ليس قابلا

للمعرفة بطريقة يقينية (يعني في الزمن بواسطة أفكار واضحة جلية خالصة) لا يعني هذا تأكيدا إيجابيا بأن "س" غير موجود، فيمكن لشيء ـ في المثالية ـ أن يوجد لكن لا يكون موضوع فكرة واضحة وجلية متميزة.

وعلى العكس يمكن لكينونة رياضية أن تكون موضوع فكرة واضحة متميزة بدون أن نكون ملزمين مباشرة بتطبيق عليها مفهوم الوجود أو الواقع المستعملين للحديث عن الأشياء الملموسة.

باختصار: الوجود والمعرفة عند المثالية ليس بالضرورة نفس الشيء.

2 ـ استراتيجية إخراج «الله تعالى" من معادلة التقابل، فماذا تعني مثالية المتكلمين بدون إيمانهم بالله تعالى؟ وماذا يعني مالبرانش بدون رؤية في الله؟ وديكارت بدون الضمان الإلهي؟ أو ليبتز بدون الإله المهندس الذي يضبط التناغم الماقابلي (التوازي جسم /روح وروح /عقل)؟

الإيمان بوجود إله حقيقي خالق العالم المادي واللامادي عند المثالية المؤمنة يبعد عنهم الذاتانية المزعومة.

استراتيجية المادية ليس القول بمواجهة صريحة:"هذه المنظومة الفلسفية المسماة" المثالية" باطلة لأنها تتطلب ركنا إلهيا، والذي هوغير موجود" ولكن بتصويرها كمذهب مقطوع في الحقيقة من أساسه.

وهكذا يمكنهم أن ينسبوا لباركلي مثلا هذا الافتراض الذي يذهل والذي بحسبه "إنه وحده الموجود" حيث يؤكد باركلي بصراحة أنه يوجد عقول متعددة تجد أساسها وأصلها في الله (الذي هو نفسه موجود وحقيقي واقعي) انظر مقال "هل ضبط الأستاذ سمرين مذاهب المثالية؟"

يوجد هنا فعلا " خلط" وقراءة بسوء قصد.

يتساءل المادي ماذا تقول هذه الأنظمة المثالية ما إن يتبدد سرابها الذي تعده بديهة(وجود الله تعالى) ، ما إن يصرف الله من المعادلة لن يبقى إلا أفكارنا من جهة، ومن الجهة أخرى: الشيء الخارجي الملموس خارج أفكارنا.

ما نسميه علمنة إجبارية للمسالة هذا هو، نصل اللحظة التي لا يمكن فيها أن يبقى الله ضامنا واقعيا، وحدها تبقى متواجهة: الأفكار الإنسانية والعالم الفيزيائي، فيكون هناك إذن من يجعل من العالم (مثل الماديين مادة تديرها قوانين الطبيعة) الأصل لكل شيء

ضد الذين يجعلون من الفكرة الأساس النهائي لكل شيء مثل أفلاطون فقط.
يقول الأخ سمرين [ص:٦٤]:"إن المادة هي الأولى، الإحساس الفكر"
يصور لنا سمرين أن قول الماديين «المادة هي الأولى" المقصود هو أن الإحساس سابق على المبادئ العقلية الضرورية لكن بدون إشارة إلى أن مقولتهم هذه يقصدون بها بالدرجة الأولى الأنطولوجي" ليس لها خالق! "، وهذا معنى كونها أولية، وبالدرجة الثانية الابستمولوجي المتمثل في بداية المعرفة من الحس.
وفي السؤال : ما الذي ينتقل من الأشياء إلى الاحساس والفكر؟ وما الذي ينطلق من الفكرو الإحساس إلى الأشياء غير العقل؟ يظهر أن المادية تلتفت على نفسها!
ولا أدرى لم قرن الإحساس والفكر إذ الإحساس مادي والفكر لا مادي، وهو الوعي، فكيف يكونان اوليين معا؟!
ثم يصل إلى أطروحته الثانية:"الإدراك هو النتاج الأعلى لمادة منظمة بشكل خاص وهذه هي نظرات المادية على العموم"ناقلا عن لينين في "المادية ومذهب النقد التجريبي".
شبهة الاستاذ سمرين مركبة ذات طبقات متداخلة: يستعمل مصطلح "الفكر" بالمعنى المعاصر بينما هو في النقاش الفلسفي بين المثالية والمادية على الدلالة الايتيمولوجية حيث بدأ من مصطلح أفلاطون idée أو idealite يعني فكرة أو مثل.
ثانيا: لم يقل الحقيقة الكاملة، يعني: لم يشرح لنا ما معنى "النتاج الأعلى" و"المادة المنظمة بشكل خاص" وان المقصود بالأول: العقل" الوعي"، وبالثاني: الدماغ،ما يعني أن المادة القديمة غير الواعية و المتحركة تطورت فولدت دماغا منظما ولد بدوره "نتاجا عاليا" هو الوعي.
يعني: المادة ولدت العقل فإن كان هناك شيء غير مادي مثل الوعي فهو صفة للمادة ،إفراز لها ليس لشيء لا مادي يسمى الروح، أو الله ،بأي عبارة تطلق في المثالية على الله تعالى! ؛ المادة تحس نفسها فتنتج معرفة لا مادية!
ويبالغ في هذه الفبركة _ لأن المادية لا تدخل الإله تحت عبارة "المعين الموجود في الواقع"فهذا تفعله أنت وتلصقه بالمادية _عندما يقول في نفس الموضع:"فالمادية تعترف بأسبقية المعين الموجود في الواقع على التجريدي الكلي والمطلق، ولا تنفي التجريد أو الوجود الذهني أو الروحي".

نسأل: هل تثبت مثلا الله ؟!"
يواصل:" إنما الموجود المعين المحسوس الذي يعبرون عنه بالمادة "يعني أنت من قام بعملية المزج فيفهم بعضهم أن" الله =الموجود المعين المحسوس =المادة" عند الماديين!
المادية لا تعترف بوجود معين محسوس تسميه مادة في عالم الغيب، ولا سائر موجودات عالم الغيب فليس هو عندهم من هذا الوجود المعين المحسوس، نسيت هذه!
يواصل: "هو الذي له الاسبقية ولا ينفي هذا بحال وجود الأفكار إنما يكون وجودها بعد الإحساس بالمعين ".
معرفيا: يعني الإحساس يولد الأفكار في العقل بالإحساس وحده ؟!
وجوديا: إذا اندرج تحت عبارة" الأفكار": الله، الروح، المثل. الخ فوجودهم كلهم بعد وجود المادة.
يقول: "سيصبح قولهم مادي وهو مصطلح فلسفي للدلالة على الواقع الموضوعي مرادفا للطبيعة، حوادثها وصيرورتها" ناقلا عن روجي غارودي
على هذا إذا كان الله مادة كان جزءا من الطبيعة، ولعله سبب انتقال غارودي للتصوف؟
يواصل: " فهي الموجود في الواقع، وهي التي تقبل الحس بخلاف ذلك الوجود العقلي الذي يزعم بأنه موجود خارج الاذهان، وسيعبرون عن السؤال الأساسي في الفلسفة" ما هو الأسبق: الطبيعة (الوجود المادة) أم الروح (العقل _الوعي _الفكرة) ".
هنا عدة أشياء منها:_أنه صادر عندما قال (الوجود المادة).
_ أن الوجود العقلي الذي يزعم بانه موجود خارج الأذهان عدة أشياء، منها:" الله تعالى عند جمهور المتكلمين، الماهيات، المثل الأفلاطونية، الأفكار، الروح، العقل " غير موجودة في الواقع المحسوس عند المادية فإذاً غير موجودة مطلقا..!
إذن لا يوجد إلا مرتبة واحدة من الوجود الواقعي هي الوجود المادي وبالتالي فإن المسألة الأساسية عندهم هي: المادة " الطبيعة" هي الأسبق على كل هذه الموجودات الذهنية" الروح، العقل، والفكرة، والله " الذي دائما لا يذكره" غير الموجودة في الواقع؟ هل فهم جيدا ما يقوله؟!
يعني بالنسبة المادية أن هذه" اللاماديات موجودة وجودا ذهنيا فقط، وهذا الوجود

ولدته المادة "يعني المادة توهمت نفسها شيئا غير مادي !

فالله و الروح و العقل والفكرة موجودات تعترف المادية بأنها موجودة لكنها موجودات ذهنية فقط يعني في المعرفي وحده دون الانطولوجي، ووجودها من إنتاج المادة "الدماغ المتوهم وجودها في الوجود الخارجي الواقعي "!

المغالطة هنا كما سبق: خلط التقابل الابستمولوجي «مادة = إحساس " في مقابل روح= عقل، وعي، فكرة، بالتقابل الانطولوجي «مادة = الشيء المعين الموجود في الواقع في مقابل روح = الله، المثل "بحسب نوع المثالية عندهم"؟

المقابل الأصلي للمادة هو المقابل الوجودي يعني " الله تعالى"، وبقية الروحانيات" اللاماديات "مثل: العقل والوعي والفكرة مقابل فرعي للمادة كإحساس، وعلى هذا نفهم عبارة " عقل " التي توضع هنا وهنا.

يمكن أن نواصل مع الأخ سمرين في هذا السياق، فهناك عدة نقول عنه تفيد أنه ينقل الحديث من الوجودي إلى المعرفي بنفس المصطلحات فيحصل اللبس ويظن القارئ وجود توافق بين ابن تيمية والمادية.

يعرِّف الأخ سمرين المادية بانتقاء العبارات الموهمة بحسب السياق الذي يكون فيه، فيقول في هذه المسألة[ص:٥٩]:"لقد اصطلح على تسمية الفلسفة التي تقول بأسبقية الشي المعين المحسوس، الجزئي الثابت في الواقع على الوعي بالفلسفة المادية."

فهنا يستعمل هذه العبارات الموهمة لأنه يدخل تحتها اسم الجلالة الله بخلاف لو قال المادة، فلنعد تعريفه باستعمال العبارة الصحيحة عند الماديين لنتبين مدى صحته فسنقول: " لقد اصطلح على تسمية الفلسفة التي تقول بأسبقية الله تعالى ـ الذي هو عنده: شيء معين محسوس جزئي ثابت في الواقع ـ على الوعي أو العقل أو الفكر بالفلسفة المادية " فهل يقول أحد من البشر بأن هذه المادية موجودة إلا في عقل سمرين؟!

ويصح له نفي هذا الإلزام فقط إذا قال: الله ليس شيئا معينا محسوسا جزئيا ثابتا في الواقع، وحينئذ ماذا يبقى من كتابه؟ !

وصحيح أن المادية تثبت وجود المجردات مثل :روح، وعي، فكرة.. الخ لكن في الذهن فقط و كانتاج للمادة ،يعني :المادة الميتة اللاواعية بعد أن تطورت انتظمت وولدت مادة عالية الطراز هي الدماغ الذي انتج بدوره العقل الذي عندما انقسم إلى

عقلين :مادي ومثالي انتج المثالي هذه المجردات الذهنية و أكبرها الإله وتوهم وجودها في الواقع الخارجي مستقلة عن وعيه وما هي موجودة إلا في الذهن.
يعني :ماذا توهمت أنها شيء آخر غير مادي!
هذه عملية علمنة صريحة لنظرية المعرفة بالتلاعب بالمصطلحات وسياقات استخدامها وهو مضطر إلى ذلك إذا أراد أن ينفي ما قبلية المبادئ العقلية بحيث يجب عليه أن يضع المقابلة بين الماد ويمثلها الإحساس في مقابل الوعي اللامادي، في نفس وقت القول بمادية الله دون أن يُدخل في المعادلة أصل المادية الإلحادي بعدم وجود الله، فمتى كان في المعادلة إنكار وجود الله ظلت دينية ومتى صرف منها أصبحت علمانية.
وعبارة" الوعي" قد يقصد منها " الروح" وقد يقصد " العقل الإنساني" وقد يقصد " الفكر «فهناك معنى موسع ومعنى ضيق، لذا هو لفظ موهم بأن الأسبقية هنا ـ في كلامه السابق ـ بين المعرفة الحسية والمعرفة العقلية الخالصة، والوعي عنده وعند الماديين عندما يراد به " الفكر، والعقل" يأتي من الدماغ، وعندما يراد به " الروح" فعند الماديين هي غير موجودة وعند سمرين هي كذلك مادية لا يمكنه أن يقول غير ذلك، بينما الأسبقية الصحيحة في التصور المادي هي الاسبقية الوجودية الانطولوجية: من وجد أولا؟ من القديم؟ تقول المادية: هي المادة، وأي شكل غير مادي مثل: الروح أو الوعي هو ثان بالنسبة للمادة ومن منتجاتها.
ينقل الأخ سمرين عن فلاسفة ماديين نقلوا صورة مغلوطة عن المثالية، وعلمنوا نظرية المعرفة مثل: جورج بولتزر، فمثلا يقول[ص:٦١]:"عندما يتكلم الفلاسفة عن العلاقات بين الوجود والفكر أو بين المادة والروح أو بين بين الوعي والدماغ الخ.. فإنما يتناولون السؤال نفسه يعني: أيهما أهم المادة أم الروح، الوجود ام الفكر؟ أيهما المتقدم على الآخر هذا هو السؤال الأساسي في الفلسفة" من كتاب بوليتزر"مبادى أولية في الفلسفة".
يتضح من هذه الفقرة أن بولتزر في سياق كشف العلاقة بين هذه المتقابلات فإذن في الوظيفة الابستمولوجية لهذا التقابل وليس في الإقرار الانطولوجي يعني: الاعتراف بوجودها وجودا واقعيا ، وكما ترى العلاقة بين هذه المتقابلات هي "أيهما أهم؟ " و"أيهما المتقدم على الآخر؟" ما يعني بالضرورة أن كل هذا النص حول المادة

والوعي فقط لأن بولتزر ملحد لا يفترض من سؤال: من المتقدم على الآخر: الله أم المادة؟

فالعلاقات عنده بحسب عباراته هي بين الوجود والفكر، المادة والروح، الوعي والدماغ، والوجود عنده مادي بحيث ليس الواقع إلا وجود الماديات فالوجود = المادة = الدماغ يقصد أن الوجود والدماغ مادة، والفكر = الروح = الوعي؛ وعليه فهي مقابلة بين أشياء لا مادية بإقرار الماديين وأشياء مادية، والله تعالى غير موجود لا في هذه ولا في تلك.

وعبارة" الروح "هنا ترجمة غير دقيقة لعبارة "esprit" التي تعني " عقل " وليس «روح"، وعلى كل حال لا تغير شيء عندهم فهم فيها على النفي المطلق أو على اعتبارها مادة هي الأخرى.

وإذا كانت عبارة " أيهما الأهم" لا تكشف معنى كلامه بشكل واضح فإن عبارة" أيهما المتقدم على الآخر" تكشف كل شيء لأن المادية لا تعترف بوجود إله حتى تجعله متقدما على شيء، فحتما هو هنا في المعرفي؛ ولو أبدل أحدهم عبارة بولتزر " المادة أو الروح" ملبسا علينا بأنه يقصد بالروح الله تعالى، لأن المثالية تسميه "روحا" فستكون العبارة كالتالي: " المادة او الله " والمادية تقدم المادة فتبين بما لا مجال للشك فيه أن سمرين يعلمن المسألة بكل سبيل ممكن!

وهذا اعترافه الضمني بعلمنة المسألة يقول [ص:]٦٣:"إن أي نظرة إلى العالم منسجمة إلى هذا الحد أو ذاك يجب أن تنطلق من الاعتراف بأولوية إحدى البدايتين المادة أو الروح".

والمادية تعترف بأولية المادة فإذا تخيل أحدهم أن المقصود في هذا الكلام بالروح" الله" فتكون المادة متقدمة على الله، وفي تقدير مجنون يمكنك ان تستلزم أحد الاحتمالين: مادة الكون أو مادته هو.

معنى الاولوية هنا، فقد فسرها قبل قليل بالأهمية، وماذا تعني عند الفلسفتين في الحقيقة إلا أولية الوجود بالدرجة الأولى: من الذي وجد أولا أو من القديم منهما ومن المحدث؟ في الوجودي وفي المعرفي، من قال منهم: المادة هي الأولى فهي أولى في الوجود وفي حصول المعرفة، ومن قال منهم: الله هو الأول فهو أول عنده في الوجود وفي المعرفة لا يمكن الانفكاك عن ذلك إلا في حالة التناقض.

يطوف الأخ سمرين في عملية عملنة نظرية المعرفة على المقابلة بين المثالية والمادية، مقدما الابستمولوجي وساحقا الانطولوجي يقول [ص:٦٢]:"بالفرق بين الخطين الأساسيين في الفلسفة: أمن الأشياء نمضي إلى الإحساس والفكر (مادية) أم من الفكر والإحساس إلى الأشياء (مثالية)" ناقلا عن المادية والمذهب النقد التجريبي لينين.

السؤال: من الذي ينتقل من الأشياء إلى الاحساس والفكر؟ ومن الذي ينطلق من الفكرو الإحساس إلى الأشياء غير العقل؟

وإذا كانت المثالية تنطلق من الفكر والإحساس فكيف جعلتها قبل قليل تنطلق من المجرد والذهني؟! والمجردات المعرفية نوعان :مبادئ ما قبلية فطرية، وتجريد الحسي ؟[04]

موقف المثالية المتمثل في تعالي المثل العليا على الواقع تعتبره المادية ساذجا وبالفعل فيه سذاجة فمن يتصور عقله واقعية الماهيات، والمثل، أو إلها لا يتصف بصفة ثبوتية ولا يحس بأي وجه من الأوجه لكن مع ذلك تبقى المثالية فلسفة محورية ترفض سذاجة أخرى سذاجة المادية المتعلقة بالواقعي الذي لم تبرهن ابدأ استقلاله بالنسبة للفكر، فوجود الشيء في الخارج مستغنيا عن تصوري و علمي هو بالنسبة إليه هو و أما بالنسبة إلي فما لم أعرفه بإحساسي أو بالخبر الصادق فهو غير موجود بالنسبة إلي مثل كوكب عجيب لم يكتشفه البشر لحد الآن " و سيأتي تفصيل الاكتفاء الذاتي في الوجود"

المقال الذي ينزل مع هذا تحت عنوان «هل ضبط الأستاذ سمرين مذاهب المثالية" هو مرتبط به ويشرحه كمقدمة له، خشية التطويل فرقتهما، والمقال القادم إن شاء الله تعالى عن «قيمة مفهوم المادة الفلسفي "

....

الهامش:

1 ـ موسوعة إنيفرساليس، فرنسا ،٢٠١٢ ص: 2193

2 ـ تحقيق حول المادية في صفحات قليلة؛ موقع كافرتران.

3 ـ حول هذا التزحلق أنظر جون دوبرن "استخدامان لكلمة مادي: وولف وروسو

القرن ١٨ ؛١٩٩٢، رقم :٢٤، ص:١٤
4 ـ حول علمنة نظرية المعرفة انظر"التعارض بين الواقعية والمثالية"، إيزابيل فوجل، مجلة الميتافيزيقا والاخلاق، سبتمبر 2017 ففيه توسع أكثر مما لخصته.

أسلمة المادية: النظرية التي ولِدت فاشلة!
[04]
هل ضبط الأستاذ سمرين مذاهب المثالية؟

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين.
هذا المقال جزء من المقال [03]
وفيما يخص ضبط الأستاذ يمكنك أن تقف عند مثال باركلي فهو كاف لمعرفة درجته.
المغالطة بواقعية الماهيات
قال سمرين: " وقد توزعت الفلسفات بناء على نوعية الإجابة بين خطين أساسيين وهما: المادية والمثالية، والمادية هي التي اعترفت بأسبقية وجود الأشياء المعينة المحسوسة ".
يقصد أسبقية المادة اللاواعية، فوحدة المادة عندهم هي عدم المخلوقية وعدم قابلية الفناء.
قال: " أما المثالية فقالت بأسبقية الروح أي: المجرد، المطلق، الوعي ".
والسؤال: ماذا تقصد بالروح، اللامادي في معناه العام، أم العقلي؟
وهنا تتداخل يشكل مغالطة لأنه استعمل كالماديين عبارات: مجرد، مطلق، وعي، مرادفة للروح فيجعل المثالية هي التي تقول بأسبقية الماهية على المادة يقول:"مثل قولك حصان، فهذا تجريد لما في الواقع... فتبقي صورة لحصان ذهني فيقال هذا وجوده روحي ليس ماديا بل وجوده ذهني".
وهذه واقعية الماهيات لا واقعية الموجود غير المادي.
يعني: المثالية تقدم أسبقية ماهية حصان على الحصان المعين، وهذه المثالية غير موجودة عند من يقول منهم بواقعية الماهيات، يثبتون وجود هذه الماهية نعم، لكن لا يقولون هي سابقة على مادة الحصان إلا عند الأفلاطونية.

يلعب الماديون لعلمنة نظرية المعرفة في الاشتراك بين المثاليتين في مفهوم "الواقعية"، فمثالية المتكلمين ـ مثلا ـ تقول بواقعية الماهيات مثل: الكليات، وبوجود المعقول والمطلق والمجرد في خارج الذهن " يعني خارج الوعي"، وفي هذا تشترك مع المثالية الأفلاطونية، لكنها لا تقول بواقعية هذه المجردات فقط فكذلك الله تعالى عندها واقعي الوجود وهو أصل هذه المجردات بخلاف الأفلاطونية التي تعتبرها مستقلة.

فالخطة عندهم هي: إلصاق الذاتانية بالمثالية، والتغاضي عن الفرق الجوهري بين المؤمنة والأفلاطونية ما وسعهم الأمر، قال سمرين[ص:67]:" تبدأ [المثالية] من المبدأ القائل بأن الروحي اللامادي أولى"

إذا كان الله تعالى بحسبك يدخل فيما سميته "الروحي" وتقصد اللامادي مع المثل والأفكار والوعي.. ومثل هذه فهل هي متكافئة متساوية في هذه" الروحانية" حتى تمر متجاهلا كل الفروق بينها؟!

وعليه فهذا كلام مجمل بدون قيمة فاللامادي هنا وصف للروحي، ويدخل فيه: الله تعالى والروح الإنسانية، والعقل والوعي، وهم ليسوا نفس الشيء بداهة فأيهما قصد بالأولية؟

يواصل سمرين: " الموضوعية منها تقول: الفكرة توجد وجودا موضوعيا وأنها أصل خلق العالم".

ومعلوم أن " مصطلح " فكرة مستعمل عند أفلاطون على معاني محددة وخصائص، والفكرة عند غيره لها خصائصها هي الأخرى، وأن نقول: الله تعالى، والروح الإنسانية والماهيات موجودة وجودا موضوعيا غير أن نقول: الفكرة توجد وجودا موضوعيا، وإن كان هناك تداخل بين أن يكون الله فكرة وبين الفكرة عن الله حيث الفكرة عن الله تستلزم وجوده "الدليل الانطولوجي لأنسالم.

عندما نقول:" مثالية موضوعية "نقصد المذهب الذي يمنح الفكرة واقعا في نفسها مستقلة عن الوعي [موجودة في الخارج] وأكثر من ذلك عن العالم المحسوس الذي يفترض اتساقه علاقة مع الفكرة. [01]

وعند أفلاطون: الأفكار حقائق فردية تؤدي دور النماذج بالنسبة للأشياء المحسوسة التي تعتبر كمجرد "نسخ" لها واقعية أقل منها..

نرى بأن المثالية متطابقة جيدا مع واقعية أنطولوجية: أقل واقع محسوس يأتي من التغيير والفساد الذي يجري عليه.
الفكرة هي في هوية كاملة مع ذاتها التي تخصصها لتعيين الماهية الدائمة [الثابتة لا تتغير] للأشياء.
يبقى أنه حتى مقدمة كواقعية فإن الفكرة تعلن المثالية على أنها مذهب ابستمولوجي تماما كأنطولوجي. نفس المصدر.
الفرق الثاني الذي يبين الخلط بين المثاليات وعدم الانتباه للفوارق الجوهرية هو في فهم قوله " وأنها «أي الفكرة" أصل خلق العالم " فمعلوم أن الفكرة لا تخلق شيئا والماهيات الموجودة في الخارج لا يوجد متكلم مسلم أو نصراني أو يهودي ينسب لها أصل العالم وأنها خلقته!
عندما يقول مثالي ما: الفكرة ـ لا فحسب ـ هي ما يمنح الوجود ولكن ما يسمح بالمعرفة، فإنه لا يعني أنها خالقة للوجود ولكن لا يمكن معرفته بدونها، وبتحديد الفكرة في تمثل يوضع مشكلة الاتفاق بين هذا التمثيل والواقع الخارجي يعني: لا شيء آخر إلا مشكلة الحقيقة.
وهذا سنناقشه في مقال " موضوعية الوجود" عندما نتحدث عن كلام سمرين عن «اكتفاء الوجود الموضوعي بذاته عن تصوري وعلمي «وزعم اتفاق أصول المادية مع أصول ابن تيمية في هذه القضية حيث ركز على جانب واحد من الموضوعية وأهمل الجانب الأهم، موضوعية الموضوع أم موضوعية الذات، الموضوعية الفردية أم الموضوعية الجماعية؟
"استأنف ديكارت التمييز المدرسي بين "الواقع الموضوعي" للفكرة (وضعها كتمثل) و "واقعيتها الصورية" (الذي يرد إلى العلة خارج ذاتي للفكرة في ذاتي).
:"لا يمكن أن يكون لدي أي معرفة عما هو خارج ذاتي إلا بواسطة الأفكار التي في ذاتي" رسالة إلى جيبيوف ١٦٤٢.
الأفكار تشكل الشرط الضروري لكل معرفة والوسيط المناسب "بخلاف الإحساس الذي هو دائما ملتبس" بين الوعي والعالم.
مثالية مالبرانش ولبنتز ترتكز خصوصا على وجود" الأفكار الفطرية ". نفس المصدر.

لا يمكن أن أعرف العالم الخارجي بدون أفكاري لا يعني أن أفكاري تخلقه، فهذا فارق مهم جدا تغفله المادية من أجل «علمنة نظرية المعرفة بأصول المادية "!
على الأخ سمرين أن ينتبه إلى أن الفكرة عند المثالية في مقابل المادية يعني: في التقابل الأنطولوجي غير الفكرة عندها في مقابل التجربانية يعني: في التقابل الأبستمولوجيا فضد التجربانية يجب أن نعرف أن الفكرة بالمعنى القوي لا تجد أصلها في الإدراك الحسي ولكنها تشكل بعدا جوهريا [أصليا] للعقل، يعني: من فطرية المبادئ العقلية.
والواجب عليه أن يضبط الفروق بين المفاهيم، خاصة وهو القائل: " وحتى لا نتضايق من هذه المصطلحات [مطلق، كلي، وعي، أولية وخاصة عدم ذكر الله كأصل للوجود وللمعرفة] يقول: " وهذا التقسيم فلسفي فحسب والفلسفة أمر عقلي.. ومنهم من ليس مسلما، ومن لا يتقيد بحكم ديني أصلا فينبغي تحرير عباراتهم لنفهمها قبل أن نحكم عليها "[ص:59] ويا ليته فعل!
طيب إذا كانوا كذلك فلم لم تضبطها أنت، وتذكر العبارة الصحيحة التي تزيح كل لبس عن مذهب المادية فتقول مثلا: بالنسبة للمادية لا يوجد إلا واقع واحد هو المادة وهي سابقة على كل موجود محتمل أو لا مادي بما في ذلك الله تعالى، ونرتاح من القضية؟
وهذا لينين نفسه يقول:" لا يمكننا أن نقول شيئا عن المادة والروح إلا أولية أحدهما على الآخر"، وعندما يتحدث عن بوغدانوف وأتباع الماخ الروس يقول: " أدنى تفكير يثبت لهم أنه في الأساس لا يمكننا تعريف المفهومين الأساسيين لنظرية المعرفة إلا بالإشارة إلى أيهما نعتبره الأولي «. المادية ومذهب النقد التجريبي (127).
ولعل الأخ سمرين وقع في هذا الغلط بسبب قراءة بعض الشراح الذين ظنوا أن تعريف لينين للمادة يحتمل دخول الروح فيها أو الأشياء العقلانية، ومن ثم ظن أنه يمكن لمادية لينين أن تقبل وجود إله خالق الكون لكنه هو نفسه مادي؟!
يقول غوستاف ويتر في كتابه "الايديولوجية السوفياتية المعاصرة" ص:39_40:
" من المناسب أن نشير إلى تفسير خاطئ منتشر في التصور اللينيني للمادة فمن الشائع أن نصادف التصور التالي: ما دام لينين لا يعني بالمادة شيئا آخر إلا الواقع الموضوعي فقد اخترع تصورا للمادة اساسيا مختلف عن تصور علوم الطبيعة وفي الوقت نفسه عريض كفاية ليدخل فيه حتى العنصر العقلي فيجد مكانه، حتى الروح

يجب أن تعتبر كواقع.. يوجد هنا سوء فهم، وحقيقة يوجد فقرة في كتاب لينين تبدو لصالح هذا التصور، يكتب لينين: الخاصية الوحيدة للمادة التي يجب على المادية قبولها هي أنها واقع موضوعي موجود في خارج وعينا، لكن يوجد فقرات أخرى كثيرة حيث يقصر مفهوم الواقع الموضوعي على ما تقدمه لنا الحواس".

وحتى تعرف أن هذا الأمر عنده ممنهج فإليك فقرات أخرى من كلامه، قال: " أما المثالية فهو اصطلاح أطلق على الفلسفة التي تقول بأسبقية الوعي، المطلق، الكلي، التجريدي على المعين الجزئي الذي يمكن إدراكه بالحواس".

والتعبير الدقيق: هي التي تقول بأسبقية الله ـ عند المؤمنة ـ وبأسبقية المثل عند الأفلاطونية.

يواصل سمرين: " ويطلقون على الوعي والمطلق والتجريدي مصطلح "الروح".

ومعلوم أن متعلق الوعي العقل وهل محله الروح أم الدماغ؟ والمطلق يوصف به الله تعالى في الفلسفة، وكل هذه مع الماهيات مجردة فإذا كانت كلها تدخل تحت مصطلح " الروح" وهي مختلفة الجنس إذا صح التعبير، فكيف تمر على هكذا مصطلح يوضع فيه إلى جانب الله تعالى: العقل والوعي والمجردات من الماهيات والكليات وغيرها فحتي إذا كانوا يصفون الله تعالى بأنه مطلق، وعقل، وروح.. الخ فالفارق هو بين مطلق وعقل وروح خالق وبين مطلق وعقل وروح مخلوقة.

يجتنب ما وسعه الكلام إدخال اسم الجلالة تحت مصطلح الوعي حتى لا يظهر فساد المادية لأبسط المسلمين لأنه إذا قال لهم: المادة سابقة على الله انتهى النقاش معه، وهو يحتاج إلى تعريف المادية للمادة والواقع ليقول بمادية الله، وليقول بأسبقية الحس على المبادئ الفطرية في المعرفة.

يواصل: "يطلقون على كل معين ثابت الوجود في الواقع يشار إليه يمكن إدراكه بالحواس بالمادة" فإذن تعترف المثالية بوجود الواقع المشار إليه والمدرك بالحواس وتسميه "مادة" فلماذا جعلتها ذاتانية؟!

وفي موضوع بعيد من كتابه حيث كان بصدد إلحاق أسباب الإلحاد عند الماديين بالمثالية اضطر إلى التفصيل لأن الموضوع هنا عنده هو البحث عن أسباب كفر المادية قال [ص:253]:"فلما كان الإله في الفلسفات المنتسبة إلى الإيمان مندرجا تحت وصفه بالعقل والوعي والروح وتعين عند الماديين ان الموجود في الواقع هو

المعين المحسوس أنكروا [أو نفوا] أن يكون فيه هذا الإله ".
يفهم القارئ أنه لو لم تتدرج الفلسفات المنتسبة للإيمان " المثالية المؤمنة" الإله تحت وصفه بـ " العقل، الوعي، الروح " لم تكفر به المادية؟
ومعلوم أن المثالية الفلسفية تُسمى الله بالعقل لكنه يعرف بأن لفظ "العقل" مجمل يطلق على الله وعلى عقل المخلوق، وعلى أمور أخرى.
كما لا يجب أن ننسى أنه في القرن ١٧ م تاريخ ظهور مصطلحي مثالية ومادية كانت المصطلحات تابعة للمدرسيين فمثلا (res) الذي يأتي منه كلمة (réalité) لا يقصد منه أبدا ما هو خارج العقل، فضلا على أن يكون نقيضا للتصور، فهذا (res) إما مرادف لـ(ens) أو هو معه أحد المتعاليات، يعني: ضمن المفاهيم الأكثر كلية بحيث ينطبق على الكل، وأكثر عمومية حتى من المقولات التي لا تنطبق إلا على الأشياء المادية.
هكذا نجد في القرن ١٧ خمس متعاليات زيادة على الوجود (ens): الشيء)res(، الواحد(unum). شيء ما (aliquid)، الحقيقي (verum)، الجيد(bonum). []
في هذا السياق القول بأن(res) لا ينطبق إلا على شيء ملموس ومادي ليس له معنى، تماما مثل ان نقول: الخير لا ينطبق إلا على شيء مادي.
وهكذا في هذا المستوى من التعريف اختلطت موضوعات مثل: الله، المثل، المطلق، المجرد، الوعي، الروح،الخ " مع مصطلحات "وجود ،ماهوية، جوهرانية، ديمومة أو مجرد وجود ملموس لما هو أمامي" وأزيح الفرق. التعارض بين الواقعية والمثالية، إزابيل فوجل، مجلة الميتافزيقا والأخلاق، سبتمبر 2017.
في الأخير تبخَّر كل نقاش لمعرفة إذا كان مفهوم "حقيقة" عند المثالية يمكن أن ينطبق على شيء آخر غير المادية الملموسة.!
وعلى هذا من المهم في الفلسفة عدم حمل المخالف على مصطلحاتك، وبعد أن تضبطها يمكنك مناقشة موضوعية المفهوم كما فعل ابن تيمية الذي ركز بعد ضبط مصطلحاتهم على استحالة معرفة موجود غير محسوس مطلقا.
يقول الأخ سمرين عن المثالية الذاتانية التي جعل باركلي ممثلا لها: " الإنسان وحده ووعيه هما اللذان يتمتعان بوجود فعلى، ويؤكدون أن الأشياء لا توجد إلا إذا أدركها الإنسان بحواسه، وأنه ينكر وجود المادة " ناقلا عن "ألف باء المادية الجدلية".

هذا أثر على التحقق بالنفس فكيف يتصور عاقل وجود إنسان عاقل فضلا عن أن يكون فيلسوفا يقول:" خارج وعي لا يوجد شيء!" ثم نجتهد لإبطال قوله ونقول له تهكما كما فعل بولتزر:" ما رأيك لو نضربك بقبضة اليد على وجهك هل ستشعر بوجود عالم خارجي عن إدراكك ووعيك"؟!
يقول سمرين(ص:235):"المثالية في ظاهرها قد تنصر وجود الإله عن طريق إثباتها مجردات في الواقع الموضوعي أو حتى تطرفها إلى حد نفي الواقع عن طريق نفي المادة كما حصل الأمر مع باركلي فقد كانت المثالية تسوق لوجود مجردات في الواقع لكي ترد على الملاحدة".
يعني: إذا وضعنا أفلاطون في معزل فليس هو المثالي وحده في الوجود فلك أن تتخيل كل المتكلمين المسلمين على اختلاف طبقاتهم ينصرون وجود الله ظاهرا فقط، أما في الباطن فشيء آخر؟
ثانيا: هذا هو ملخص المثالية عنده، وهي موضوعية وذاتانية فقط، وبالنسبة إليه لا يوجد فرق معتبر بينهما كما ذكره في كتابه بعد الحديث عن المثاليتين: الموضوعية والذاتانية.
لنتكلم قليلا عن تاريخ تشكل هذا المصطلح "مثالية" من باب العودة إلى الأصل، وبعد ذلك نقف عند قضية باركلي ونجعلها الأساس لكشف خطوات علمنة نظرية المعرفة والوجود عند الماديين، خاصة المعرفة فأقول:
بدأ تعريف " المثالية" و " المادية" مع ليبنتز وولف على أنهم: «أتباع الأفكار" ضد "أتباع المادة" أدرج ليبنتز سنة ١٧٠٢م هذا التعريف لوصف مذهب أفلاطون، واستعمل هذا المصطلح بطريقة رجعية، وعليه فإنه في سياق ظهور هذا المصطلح يكون المثالي معرَّفا بـ "الذي يتبع فلسفة الأفكار" [02].
يعني: هو الشخص الذي يعطي الواقعية والأولية لـ: أفكار، لعالم فوق حسي؛ جعلهم ليبنتز في مقابل الماديين الذين مثَّل لهم بـ «أبيقور"، وقد ظهرت كلمة" مادية " قبل كلمة "مثالية" سنة ١٦٦٨ م في استعمالها الفلسفي لأنها كانت قبل ذلك تعني " عقاقيري ".
وأصبحت كلمة " مادي" فلسفية في النصف الثاني من القرن ١٧، ونفس الشيء سيكون عند مور ممثل" أفلاطوني كامبريدج "في "الحوارات الإلهية" التي استلهم

منها باركلي لتعيين من جهة: مذهب هوبس المقدم كمثال على مادية خطيرة كافرة، ومن جهة أخرى: الميكانيكية الديكارتية التي اعتبرها مور "أكثر مودة لأنها حافظت على الله والروح". [03].

بالنسبة لليبنتز: لا يعترف المادي إلا بوجود المادة، ميكانيزمات الطبيعة، بينما يدل مصطلح " مثالي" عنده على الفيلسوف الذي يثبت لعالم الأفكار: ديمومة وواقعية بالنسبة لتمثلاتنا الفردية والمنتظمة.

في هذا الترتيب الدلالي نلاحظ أن المثالية لا تعارض الواقعية، فتوجه المثالي ليس إنكار كل واقع فضلا عن إنكار العالم الفيزيائي في الخارج عنا، ولكن منح الوجود للمعقولات: الأفكار أو المثل.

في هذا الإطار يتحدد الوجود بما يملك الديمومة، ما يستمر ويبقى، أو الجوهر "الذي يبقى تحت أعراضه)"أو الماهوية "ما يتجاوز تمثلي الخاص".

إلى هنا لا يوجد ادعاء بأن المثاليين هم من ينكر الواقع الفيزيائي أو البيئة الملموسة الخارجية، ولكن بأنهم يمنحون مقولة الوجود لشيء آخر غير مجرد المادية، أو أيضا لشيء اخر غير وجود الفردي والملموس المصادف في بيئتنا المباشرة" المعين المحسوس".

وعلى هذا يمكن إلحاق "واقعية الماهيات" لبعض المتكلمين المسلمين وللقروسطيين بالمثالية في مقابل الاسميين.

وعلى هذا فإن مصطلح "مثالية" يُعين مجموعة فلاسفة يثبتون الفكرة أو المثل كمستقلة بالنسبة للعالم المادي أو الفيزيائي، هذه الأفكار ـ عند أفلاطون ـ تشكل عالما منظما (كوسموس) أين تحي مستقلة عن تمثلاتنا الفردية والبسيكولوجية.

هذا الحد الأولي له ـ إذن ـ علاقة بعالم المعقولات عند أفلاطون، وله ضد واحد هو المادية لا الواقعية، و سيعطيه "وولف" سنوات بعد ذلك استخداما اخر رجعيا، ويرسِّمه كمقالة فلسفية، بداية من سنة ١٧١٩ م [04].

يقترح وولف في شكل علم أنواع خريطة المذاهب بحسب مبادئها التصورية التي تنتشر بواسطتها، يقول: " كل فيلسوف هو إما شكوكي أو دغمائي، [مع العلم أن الحد "دغمائي" ليس له المعنى الذي نعرفه اليوم منذ كنط، إنما يعني شخصا يتبنى أن الوجود جزئيا أو كليا قابل للمعرفة، وأن الفيلسوف يمكنه وضع أطروحات إيجابية

حيث ينكرها الشكوكي، بتعبيره:"إن أطروحة إيجابية يمكن أن تقال (تعليق الحكم)] وكل دغمائي إما ثنائي (جوهران، ممتد/روح ـ ديكارت) أو أحدي (جوهر واحد ـ سبنوزا)، وكل أحدي إما مادي أو مثالي.
وولف هنا سيُخرج ـ في مقابل تقسيم مور ـ الميكانيكية الديكارتية من مادية لأن ديكارت يثبت جوهرين فهو ثنائي [ولأنه ميكانيكي في الفيزياء فقط]، ووحده هوبس وأتباعه ـ وسبنوزا بحسب ما نحمل الانثناء في عقيدته على الله أو على الطبيعة ـ يمكن أن يقال عنهم: ماديون.
المثال المضروب عن "الأحدية المادية" هو هوبس، وعن "الأحدية المثالية" إما تعددي أو أناني، يكون تعدديا عندما يقر بتعدد الأرواح، وباركلي هو نموذج هذا الترتيب فدائرة اختصاص المذهب بسيطة هي بحسب الرؤية إذا وجهت حمل الانثناء على الله أو على الطبيعة.
دلاليا ما يدقق مصطلح المثالية يعني: الوجود أو عالم الأرواح، الأرواح المتعددة (مجموع الكائنات العاقلة) تجد أصلها في روح الله، في هذا السياق الاسم المضاد للمثالية يبقى: المادية.
بالنسبة للفرع الثاني للأحدية المثالية يمثله عند وولف ما يسميه "الأناني" وهو تطرف، تضخم في المثالية، طرف أقصى ليس له ممثل معروف، ويذكر وولف شخصا من أتباع مالبرانش باريسي لم يسمه، لكن الهيستوغرافيا كشفت في القرن ١٩ م شخصا يسمى "جون بروني"، ورَّاق، اختفى كتابه الذي اعتمدته فرقة سرية تسمى "فرقة الانانيين".
وعليه فإن البعد الأناني للمثالية يظهر فقط بالاقتحام"كسر الباب"، مادام لا يوجد شك بالنسبة لوولف أن الطرف المتطرف للمثالية هذا ـ وهو أسطورة في الحقيقة ـ هي زائدة مجنونة كإمكانية نظرية.
في تصنيف وولف نجد أن الدلالة المتصلة بالمادية هي: إثبات أولية وواقعية عالم الأرواح بالتعارض مع الماديين الذين لا يعترفون بوجود إلا وجود المادة "أبيقور"، أو أيضا الطبيعة مفهومة بحسب قوانين الميكانيكا (هوبس).
وباركلي الذي لم يعلن نفسه أبدا "مثاليا" ولكن "لا مادي" ويشرح لنا باركلي "لاماديته" بأنها تتحدد في مقابل "الهوبسيين" والابيقوريين"، في الميتافيزيقا يتبنى

تصنيف وولف.

بمناسبة هذا الأمر خطَّأ سمرين "ص:95" يحي الهويدي لقوله بأن الواقع الموضوعي غير تابع للذات عند باركلي، وهو المخطئ في الحقيقة وليس هويدي، فعليه ألا يحمل مصطلح "موضوعي، وواقع "على اصطلاح المادية ويتتبع تاريخهما الايتيمولوجي في الفلسفة.

وقال نقلا عن المعجم الفلسفي لصليبا: " كان باركلي يطلق على مذهبه" اسم اللامادية لا اسم المثالية" قال سمرين ناقلا عن موسوعة لالاند: " وهي كلمة ابتكرها للتدليل على عقيدته الميتافيزيقية ".

قلت: بل ليميز بين عقيدته وبين مثالية أفلاطون الوثنية، فالمثالي المؤمن بعيد عن مثالية أفلاطون.

دور ديدرو في فبركة مثالية متوهمة:

رسم ديدرو "المثالي" كتابع لفرقة باطنية على مذهب الأنانية "الشيء الذي لا أثر له في تاريخ الفلسفة حيث يقدم ديدرو المثالية كنقيض للمادية، وأن أتباعها نفاة واقعية العالم الخارجي الذي يصفه كعالم ملموس للأشياء الفيزيائية المحيطة.

في "الرسالة عن العميان" سنة ١٧٤٩ م يكتب ديدرو:" نسمي مثاليين أولئك الفلاسفة الذين ليس لهم وعي إلا بوجودهم وبالأحاسيس المتتابعة في داخل ذواتهم، لا يقبلون شيئا آخر" [05].

يقول لنا ديدرو بأن المثاليين لا يعترفون بواقع إلا لوجودهم هم ولا لشيء آخر (لا يقبلون شيئا آخر) فما بين وولف وديدرو اختفى كلية مفهوم الأفكار أو مثل العالم المعقول لفائدة تحديد المثالية كمجرد" نزعة الأنا وحدي" (solipsisme)، وتأكيد للوعي الفردي وحده، هذا الوعي نفسه مختزل في شحنة أحاسيس!

الأعجب من ذلك أن مثال المثالي عنده والذي يجسد تعريفه هو "كونديلاك"، وهكذا أصبحت المثالية فجأة قريبة التجربانية الجذرية، وتشبه ما سمي فيما بعد "الظواهرية" الفرع الراديكالي للتجربانية.

يُعرف ديدرو المثالية كمذهب يؤكد عدم وجود أي خارج عن الوعي، ومنه سيأتي تعريف لينين والديالكتيك الروس الذي اعتمده سمرين في تعريف المادة كما سنراه لاحقا، يعني: لا يفرقون بين الوجود والمعرفة، بين وجوده وبين معرفته!

وقد تجاهل فيما يخص كونديلاك أن هذا الأخير يثبت الأشياء المادية خارجا عنا، والتي يقدمها كعلل ظرفية لإحساساتنا، فهنا يخلط ديدرو أطروحة ابستمولوجية بسيطة مع أطروحة انطولوجية.
وهكذا يواصل ويصنف ‹‹مالبرانش" كمثالي تلك الفترة، كذلك ليبنتز مع انه كان يقول بانه يتجاوز مثالية (أفلاطون) ومادية (أبيقور).
باختصار لم نجد المثالية الأولى مرتبطة بأي نظرية ذاتانية ولكن دائما بالأفكار.
ينقل ديدرو عن كونديلاك قوله: "ما هي إلا أفكارنا الخاصة التي نبصرها " وهي أطروحة نسبية لمعرفتنا لم تمنع كونديلاك وكذلك مالبرانش من تأكيد أن "ما يجري فينا" سببه في الواقع الخارج عنا ("الأشياء المادية" عند كونديلاك و"الله" عند مالبرانش).
لم يأخذ ديدرو هذا بعين الاعتبار وحوَّل مباشرة هذه الأطروحة الإبستمولوجية "لا نعرف إلا ما ندركه نبصره في أنفسنا" إلى أطروحة انطولوجية "ما ليس في أنفسنا غير موجود، ليس له الوجود" فمصدر هذا الخلط الأول هو الخلط - لا الاتصال - بين الانطولوجي (الوجود) والابستمولوجي (المعرفة) الذي سيعيش في المادية إلى يومنا عند بولتزر ولينين وغيرهم وبالتبعية عند سمرين.
لم يعد النقاش كما كان ما بين ١٧٠٢ إلى ١٧٤٠، للعلم من (الله، العقل، الأفكار، الطبيعة؟) التي يجب أن نمحنها عند المثالي الوجود (يعني الديمومة، الواقع أو الأولية) لكنه يصبح تحت ريشة ديدرو نقاشا بين الذين يثبتون وجود العالم الفيزيائي الخارجي والذين ينكرونه.
باختصار ليس فقط أصبحت المثالية مذهب أنانية أحادية، لا كونية، تجربانية ظواهرية ولكن زيادة على ذلك مضادة للواقعية التي تختزل هي نفسها في كونها مجرد تأكيد بأن الأشياء الخارجية الفيزيائية موجودة في خارج تمثلاتي.
نلاحظ عند ديدرو الانتقال بين "عالم خارجي خارج عني (يمكن أن يكون الله أو عالم الأفكار بحسب نوع المثالية) والعالم الخارجي الذي لا يمكنه أن يكون إلا عالم الشيء الفيزيائي وعليه الذي يعقبه" ثانوي "(ليس الأكثر معروفية أو الذي يملك الوجود المستمر) ينكر العالم الخارجي.
وقد ساهم بعض مؤرخي الفلسفة في انتشار هذا الخطأ فمن الشائع التحدث عن مثالية

أمثال (باركلي، ومالبرانش أو ليبتز) كما لو كان هذا المصطلح بديهيا بالنسبة لهم ومهيمنا على كل زمن.

وهكذا أصبح من الصعب الوصول إلى التعريف الدقيق الذي يعطيه الفلاسفة الذين تبنوا فعلا مصطلح "مثالي".

فيما يشبه عجلة غريبة سننتقل من دلالة قديمة للواقعية (مثل واقعية الماهيات عند القروسطيين) إلى دلالة بحسبها الواقعي هو فقط الذي يثبت وجود عالم فيزيائي خارج عنا، ما يومئ في نفس الوقت أنه يوجد فيلسوف ينكر هذا الواقع وبالضبط المثالي!

وأما ضعف موضوعية مفهوم «الواقعي غير المحسوس" فتلك قضية أخرى نقف عندها عندما نتناول مذهب ابن تيمية الصحيح.

....

01 ـ موسوعة إنيفرساليس فرنسا، ٢٠١٢. ص:2194

02 ـ نظام الطبيعة وتواصل الجواهر، باريس فلامريون ١٩٩٤ ص:١٩٨

03 ـ للاطلاع على هذه النقاط أنظر بلوخ: مادة للتاريخ، فران ١٩٧٧ص:21

04 ـ مقدمة ١٧١٩ ل أفكار معقولة، هال ١٧٢٠ ـ 2 ويطوره في سنة ١٧٣٤ في بسيكولوجية جذرية.

05 ـ الأعمال الكاملة، إد. دياكمان، بروست فارلووت، باريس، هارمان، جزء ٤ص:٤٤

06 ـ رسالة إلى فيالي جويلية ١٧٦٦، مراسلات، إد. روث ـ فارلووت جزء ٦ ص:97

07 ـ أنظرديدرو أمام المثالية، المجلة الدولية للفلسفة ١٩٨٤ رقم ٢/١ص:٧٠

يمكن مراجعة :

ـ أنظر مثلا فيخت "متاهة المثالية، الشكوكية، الواقعية والمثالية في مذهب العلوم ١٩٧٤.

ـ هوسل ،المثالية الموضوعية ،سارف ،باريس ٢٠٠١

ـ مكايل فوسال ، لينتز ،ما هي الفكرة في مقالة الميتافزيقا، فلامريون ،باريس رقم ١٠٢٨.

ـ أفلاطون الفيدون.
والرصد التاريخي الدقيق في" التعارض بين المثالية و المادية ؛إيزابيل فوجل ،مجلة الميتافزيقا والأخلاق ،سبتمبر ٢٠١٧ م.

أسلمة المادية: النظرية التي ولِدت فاشلة!

[05]

لا يوجد مفهوم فلسفي للمادة مجرد عن المفهوم الفيزيائي

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.
عندما يتحدث الإنسان عن الله تعالى بالمصطلحات الفلسفية وخصوصا المادية يفقد حديثه توقير الله وتعظيمه فليحذر المسلم من ذلك.
بالنسبة للأخ يوسف سمرين فإن مصطلح " المادة" الذي استلفه من الفلسفة المادية الماركسية هو " مفهوم فسلفي " وعليه عندما يقول: " الله مادة" أو " لا مانع من ذلك "ـ وبالتعبير الذي أكثر منه في كتابه كقوله:"إنما الموجود المعين المحسوس الذي يعبرون عنه بالمادة "، وقوله: [ص:٥٩]:"لقد اصطلح على تسمية الفلسفة التي تقول بأسبقية الشي المعين المحسوس، الجزئي الثابت في الواقع على الوعي بالفلسفة المادية." ـ فهو يعني مادة بالمفهوم الفلسفي وليس بالمفهوم الفيزيائي!
والله تعالى موجود متعين محسوس عند المسلمين بالحس الفعلي في الجنة يوم القيامة وبالتالي هو مادة؟ وهذا بدون أن يبين لنا موقف المادية من المسألة الأساسية " الإيمان بالغيب " بتعبير آخر أخذ تعريفها وطبَّقه على شيء تنفي هي وجوده، فهي أولا: لا تدخل تحت المادة الغيبيات، وثانيا: لم تصف الله تعالى بالمادة، ولا بالمعين المحسوس؟
الإله الوحيد الموجود ـ عندها ـ هوالذي ولدته المادة "الدماغ" الإله الذي توهمه الذهن! ولا معنى للروحانية المادية التي يدعيها سمرين في كتابه "ص:98" إلا هذا فالروحانية عنده هي الفكر؟!"سيأتي مقال في ذلك".
ثم يقول: أنا أخذت منها الصحيح وتركت غيره؟!
قال [ص:59]: " فالمفهوم الفلسفي [المفهوم المادي] للمادة: الواقع الموضوعي

الموجود خارج وعينا " ناقلا عن لينين في "المادية الديالكتيكية".
وفي [ص: 268]:" "المادة مقولة فلسفية للإشارة إلى الواقع الموضوعي الذي يعطى للإنسان في إحساساته والذي تستنسخه، تصوره، تعكسه إحساساتنا" ناقلا عن لينين.
فهل يوجد فعلا فرق محصل بينهما؟ أم هي مجرد مراوغة أو عدم فهم في أحسن تقدير؟!
المعنى الفلسفي للمادة معنى نسبي بالتعارض مع الصورة كما عند أرسطو "ما يكون الشيء" وبعد المدرسيين "في الغرب" أصبح مأخوذا بمعنى مطلق بالتعارض مع العقل لا يعين الجوهر عموما ولكن نوعا من الجوهر، الجوهر المادي ذاك الذي يظهر لحواسنا عكس نشاطنا الواعي.
هذه المادة بالمفهوم الفلسفي غريبة عن كل شكل يمكننا تصوره في فكرنا يعني محض افتراض!
المادة بالمفهوم الفلسفي كل ما هو موجود (أو يبدو أنه موجود) في خارج العقل ومستقلا عن الفكر: الجزء اللاعقلي واللافكري للواقع [دون أن نسأل عن أصل هذا التقسيم الحاصر للوجود المرئي والغيبي: مادي ـ لا مادي إذا لم نعرف إلا مادة واحدة]
وهذا تعريف سلوبي خالص لأنه من العقل أو الفكرلدينا تجربة داخلية التي تسمح لنا بالاختلاف من إعطاء معنى كذلك لمفهوم المادة، [فهذا التعريف صنعه الوعي وهو من اتصل بالمادة، فلا يوجد في العلم موضوع منفصل عن الذات].
المادة هي عكس الروحي بدون ذاكرة، بدون وعي، بدون ذكاء.. [إلى أن ظهر الإنسان عند المادية] لكن كل هذا لا يقول لنا ما هي؟
ماذا تعني الكلمة التي تشير إليها وكيف يمكن أن نفكر فيها؟ القاموس الفلسفي؛ سبونفيل ص:١٤٤٣
فلسفيا ما هي المادة؟
إذا قلنا :كل ما هو موجود في خارج عقلي ومستقلا عن تفكيري، لكن قولي هذا من داخل عقلي ووعيي، لا توجد مادة لها تعريف بدون وعيي وعقلي.
وعليه فإن تعريف سمرين للمادة بأنها "القابل للحس" مغالطة فهو لم يعرف المادة إنما أعطانا وصفا بدون حدود، فهل كل ما يقبل الإحساس مادة؟ وما دليله غير القياس

على المادة الفيزيائية واستخدام خبر شرعي يفيد قابلية الإحساس لا المادية مع نفي المماثلة فالله خلق كل ما سواه؟
وهذا تسليم لقسمة فلسفية ميتافزيقية مبنية على مزج بين الفيزيائي والميتافزيقي الصرف، فهذا الوصف ذاتي يعني: متعلق بي أنا الذي أحس بها، والصحيح أن يكون التعريف متعلق الموضوع في ذاته بغض النظر عن المدرك، يعني: يعطينا تعريفها بغض النظر عن وجود الذات العارفة، إذا استطاع ذلك؟! وحينها يعرف قيمة موضوعية الموجود " الموضوعية بدون ذات تكون موضوعية " التي يتحدث عنها!
وعليه فتعريفه المادة بالقابل للحس تعريف مشروط بوجود الذات،ومن هذا لم تقدر المادية أبدا على إثبات شيء واقعي مفصول عن الذات.
واقع المادة الذي يسميه سمرين نقلا عن الماركسيين "الوجود الموضوعي" لا يقدم لنا مباشرة فنحن من يفترض في الأخير بواسطة التفكير "أداة الوعي" تحت مبدأ السببية لنفسر لأنفسنا الظواهر التي تتصل بحواسنا، وبعد ذلك الأفكار التي نضعها لا تتصور المادة أبدا كما هي ولكن فقط في علاقتها بحواسنا.
لهذا لا يمكن للفلسفة أن تخبرنا ما هي المادة، فهي تضع مقالة لتبني عليها تصورات ميتافيزيقية وحدها الفيزياء تخبرنا ما هي المادة وهي بعيدة تماما عن تعريف الفلسفة المنتهى الصلاحية يوم يبدأ.
فتعريفه اسمي فقط ليس بتعريف حقيقي.
لا يمكن تعريف المادة الفلسفي بالمفهوم الفيزيائي ولا يوجد لها تعريف آخر إذن التعريف الفلسفي تجريد ميتافيزيقي، تعريف بدون محتوى.
المتكلمون ينفون عن الله كل صفات العالم المحدث ومنها المادية، والمادة عندهم قابلة للإحساس لكن الغلط عندهم هو أنهم مثل سمرين جعلوا القابلية للإحساس مقصورا حصريا على الشيء المادي فنفوها هم عن الله تعالى تنزيها لأنها نقص في تصورهم، وأثبتها هو لأنها كمال في نظره!
وقولهم ـ بهذا الاعتبار ـ خير من قوله بحكم أننا لا نعرف الا المادة بالمعنى الدارج وإليك التفصيل:
مصطلح "المادة" له معنيان:
المعنى الأول: ما يكوِّن شيئا فيزيائيا مثل: الخزف مادة الفنجان، هنا نقابل بين المادة

مع الصورة فيمكن أن يكون شيئان من نفس المادة مع اختلاف صورهما، حينئذ المادة جوهر محدد، دقيق جدا كما هو في اللغة العادية، ليس مجملا بل له معنى واحد؛ لكن تسمية عناصر جنسية مثل الخشب والحديد، والماء والهواء مادة هو غير دقيق.
وعليه فالمادة مبدأ تفسير الواقع المدرك لنا لا الغائب عنا، ومعرفة مادة شيء هو الإجابة عن هذا السؤال: "مما يتكوَّن هذا الشيء؟" والجواب لا يكون بسؤال: "ما هو هذا الشيء؟"الذي يسأل عن الماهية.
فإن لم يكن سؤال "مما يتكون الشيء" هو سؤال الماهية الفلسفي فإنه جوهره إذ لا ماهية إن لم نعرف مكوناتها " صفات الشيء الدائمة"، فقول الأخ سمرين بأنه مادة هو التحديد الأساسي لطبيعة الإله أو لجوهره بالتعبير الفلسفي!
المعنى الثاني: ما تتكوَّن منه جميع الأشياء، جميع الموجودات المدركة، فلا يمكن أن نتحدث عن الغائب عنا الذي ليس له نظير ولا يدخل تحت جنس معروف لنا.
وهنا المادة مقولة عامة مجردة"ميتافزيقية" في الحقيقة وليست واقعية، لأننا نعتقد أن كل الأشياء الفيزيائية لها جوهر مشترك هو المادة، ففي العمق معنى المادة هو نفس الشيء بأي تعريف عرفنا المادة، سواء الذري، أو الميكانيكي، أو النسبوي الكمومي، أو الدارج، فما وراء اختلاف الأشياء هي مكونة ومشكلة من نفس الواقع: المادة.
وعندما يقول سمرين بأن الله تعالى «من مادة" لا يمكن أن نتصور إلا المادة بالمعنى الفيزيائي الدارج فكل مادة بالمعنى الأول هي بالفعل قوام أو بنية أو هيئة خاصة للمادة بالمعنى الثاني، يعني: أن المعنى الدارج هو قوام المعنى الفلسفي.
المادة إذن عنصر مجرد، لا نصل أبداً إلى المادة بالمعنى الثاني، فنحن دائما في اتصال مع مواد معينة محددة هي مادة بالمعنى الأول؛ وهذا ما يجعل المادي " المسلم" ينتقل خفية من الأول إلى الثاني انتقالا متوهما فتصوره للمعنى الفلسفي للمادة لا ينفك عن المعنى الدارج.
وفقط من خلال تجريد المادة بالمعنى الأول يمكن أن نفكر المادة بالمعنى الثاني، فنفكر استمرارية ما، وحدة ما خلف مختلف مظاهر واختلافات المادة بالمعنى الأول.
المادة في المعنى العادي أو الدارج لها عندنا الخصائص التالية:
ـ تشغل حيزا من المساحة فلها صورة، قامة، حجم ما، ممكن تغير المكان، وهي ممتدة، ولها كتلة، وهي صلبة بشكل ما.

وكذلك تتصور المادة كأس "جوهر تحتاني" خامل سلبي، ونميزها بالفضاء الذي تشغله، وبالطاقة التي تحركها.
وعندما نقول بأن المادة محسوسة "مدركة" وهي عكس الروح فالمادة هنا موضوع التجربة الحسية بعيدا عن مقولة " الإمكان" التي نأتي عليها في موضوعها "موضوعية الموجود".
وعلى هذا يمكن أن نقول: المشترك بين التيارات المادية هو: تأسيس وحدة المادة والروح على سؤال الأصل المادي لما نسميه "الروح أو الفكر".
وعليه نحن أمام المعنى العادي " الدارج" حيث المادة هي المقالة التي نضع تحتها ما يكوِّن الأشياء التي تظهر تماسكا ومقاومة مثل: الخشب، الحديد، الرخام.. الخ.
وبتوسيع المعنى تعتبر الفيزياء المادة ـ على مستوى العين المجردة ـ أربع حالات: الجامد، السائل، الغازي، البلاسما.
من رؤية أنطولوجية (وجودية) المادة جوهر يظهر خصائص مستقرة مثل أنها "ممتدة "عند ديكارت و"ديناميكية" عند المادي ديدرو.
نلاحظ من هذه التعريفات أن المشكل حول المادة يأتي من الانتقال الباطن من معنى لآخر، والمفهوم الفلسفي للمادة ناتج عن توسيع مفهوم الملموس إلى الجوهر من أجل إعطائه بُعدا أنطولوجيا معاينا وجود مواد يمكنها أخذ صور مختلفة (التعارض التقليدي بين الصورة والمادة)، أي: مادة مجموع المواد مردودة إلى عموميتها تصبح جوهرا ماديا، فمادية الله بالمفهوم الفلسفي ليست إلا هذا!
ويمكن عندها أن نقول: مفهوم المادة المشترك مقولة ناتجة عن توسيع الكيفيات الثانية (محسوس، تجريبي، ذاتي) إلى الكيفيات الأولى (معقولات، أنطولوجيات، موضوعات) وهذه الثانية ناتجة عن نوع تصفية " تقطير"ميتافيزيقية للمواد المحسوسة، وهكذا كتب نيوتن:"شكل الله في البداية مادة الجزيئات الصلبة، التي لها وزن، صلبة، غير مخترقة، متحركة..." البصريات، كتاب ٣، مسالة ٣١.
توسيع المعنى الدارج ذي الاستعمال التجريبي إلى استعمال أنطولوجي أو ميتافيزيقي إشكالية كبيرة وخطيرة تنتهي إلى تعيين جوهر وجوده كمادي غير مبرهن فيسحبنا ذلك إلى مضاربات غير قابلة للتحقق.
عندما تصرح المادية الجذرية ـ التي يؤسس عليها الأخ سمرين نظريته في المعرفة

والوجود وفي وصف الله بأنه مادة ـ أن الواقع مكون من جوهر واحد مادي فإنها تدعي مبدأ أنطولوجيا غير قابل للإثبات، ما يشكل بالتالي ميتافيزيقا مثالية!
المادة لهذه الاعتبارات التي يتداخل فيها المعنى الدارج التجريبي مع تقلبات المعنى الفيزيائي وعدم وضوح المفهوم الفلسفي، والانتقال الخفي بين كل هذه المعاني هي بهذا الاعتبار مفهوم مجمل في العموم بنبرة جوهرانية، لكن عند ابن تيمية وعموم الناس الذين لا يعرفون إلا المعنى الدارج فهي مفهوم مفصل لذلك نفى مادية الروح بالمعنى الدارج كما سيأتي في مبحث " المادة والجسمية عند ابن تيمية".
لذا يفضل الباحثون عندما يتكلمون باللغة الفيزيائية أن يقولوا: "المكونات الفيزيائية" "منظومات فيزيائية" و"مادة "عندما يريدون تعيين ما يكوِّن الأشياء العادية.
وعلى هذا لا يمكن الأخ سمرين إلا أن يقول:"هو مادة لا كالمادة"حتى يبقى في مفهوم فلسفي يعلن الانفصال النظري عن المفهوم الفيزيائي الدارج.
وحينئذ ماذا أضاف غير التشويش على عقول المسلمين فليس في قوله أي زيادة على قول آخر :هو شيء لا كالأشياء، جرم لا كالأجرام ،جسم لا كالأجسام.. الخ، ما محصله إثبات صفة "مادة" ونفيها في نفس الوقت "لا كالمادة"، ما يساوي :1 ناقص 1(!)
أصول الملاحدة التي يريد تأسيس العقيدة عليها نهايتها أن الله جوهر جسماني مادي ! وفي الكون مادة واحدة ثم تتحول عنده الروحانية إلى مجرد أفكار ولدتها المادة من نوع الطاوية فلسفة وليست بدين وهكذا.
المقال القادم نعالج فيه قول سمرين «ابن تيمية يتفق مع الماديين " حيث جمع بين قوله في "الرد على المنطقيين" ص:71:"الحقائق الخارجية المستغنية عنا لا تكون تابعة لتصوراتنا بل تصوراتنا تابعة لها" وقول لينين في "المادية الجدلية ومذهب النقد التجريبي" ص:145:"الواقع الموضوعي الذي يعطى للإنسان في إحساساته والذي تستنسخه، تصوره، تعكسه إحساساتنا وهو موجود بصورة مستقلة عنا "
فالرجل لم يفهم معنى "الاستغناء عنا وعن تصوراتنا" عند ابن تيمية، وبين معنى" الاستقلال عنا "عند الماديين، إضافة إلى قضية " موضوعية الوجود".

....

المراجع :
ـ القاموس الفلسفي؛ سبونفيل، كوادريج، سبتمبر ٢٠١٣ باريس.
ـ المادة، القاموس الفلسفي، نويلا براكان، أرموند وكولن، باريس ٢٠٠٧.
ـ المادة، قاموس التصورات الفلسفية، ميشل بلاي، لاروس.

أسلمة المادية: النظرية التي ولِدت فاشلة!

[06]

المقدمات الإلحادية لمفهوم الوعي عند سمرين

هذا المقال يغنيك عن كثير من المقالات لفهم هيكل وباطن كتاب سمرين عن نظرية المعرفة والوجود فاصبر على قراءته وسترى بنفسك.

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.
" فأما من تدرَّب في المعاني الطبيعية، ثم حظي بالعلوم الإلهية، فإنه يستعين بأصول الطبائع على تقرير المعاني الإلهية، ويدعي أنها كلها أعلام دالة لذوي الألباب على المعاني العقلية التي أشار إليها تنزيل الكتاب... ينسب لأبي الحسن العامري.
لقد كان منهج السلف في باب العقائد يقوم على الرواية المسندة، وبها وبما تشير إليه من نظر عقلي فطري ينظرون في المحدثات، ويحكمون عليها بأنها سنة أو بدعة إلى أن تفلسف بعض المسلمين بفلسفة الوثنيين فأفسدت طبيعياتهم عقائدهم وطغت على كلامهم، وهو الشيء نفسه الذي يفسد عقائد بعض المسلمين اليوم حيث كثر في كلامهم تزيين شبهات الملاحدة، والتورية عن باطنها الفاسد، ولهذا الطريق نهاية واحدة كما كان لمن سلكه من قبل!
الأصل الملحد الذي يدور عليه كتاب سمرين كلية هو مقولة لينين:"المادة" تعكس الواقع الموضوعي الموجود باستقلال (منفصلا) وفي خارج الوعي الإنساني "[01]
هذا الأصل ملحد لأنه يضمر فرضيتين ملحدتين: الأولى: لا يوجد إلا المادة، الثانية: المادة سابقة على أي شيء آخر سواء كان: الله أو الروح أو العقل أو الفكرة.

وينقل سمرين عنه [ص:59] قوله:"المادة مقولة فلسفية للإشارة إلى الواقع الموضوعي الذي يعطى للإنسان في إحساساته والذي تستنسخه، تصوره، تعكسه إحساساتنا" لينين.

وليس كل الناس يستطيع تبصر المضمر و المحذوف و تعقيدات التصورات الفاسدة عندما توجه بعبارات موهمة ،ولا كل الناس يستحضر فصول الكتاب الأولى ويربطها مع فصوله الأخيرة لذا لنرسم مخطط مذهب سمرين بأقواله، ونزيل عنه كل غلاف التلبيس،فأقول:

1 ـ المادة عنده هي" كل ما يشار إليه يمكن إدراكه بالحواس: " ويطلقون على كل معين ثابت الوجود في الواقع يشار إليه يمكن إدراكه بالحواس بالمادة" [ص:59].

2 ـ ما هو الواقع عند سمرين؟

هو المادة، يقول:" ويطلقون على كل معين ثابت الوجود في الواقع يشار إليه يمكن إدراكه بالحواس بالمادة، فالمفهوم الفلسفي للمادة: الواقع الموضوعي الموجود خارج وعينا " ناقلا عن "المادية الديالكتيكية".

الخلاصة عنده هي: المادة هي الواقع، والواقع هو المادة.

ما هو الواقع عند الماديين؟

يقول كلوس وبوهر، وهما مؤلفا قاموس المادية الجدلية المتجدد «كلمات في الفلسفة" المعروف بـ "دياما"والذي يتولان الدفاع عنها: «الواقع الموضوعي ليس الفكرة المطلقة الروح أو الله ولكنه المادة الموجودة مستقلة عن الفكرة وعن كل مبدأ روحي.. لهذا تظهر الأهمية الأيديولوجية لمفهوم المادة في المادية الجدلية" [02]

النتيجة: الواقع عند الماديين غير الواقع عند سمرين، هو المادة المستقلة عن كل مبدأ روحي أو فكرة تتضمن معنى الله لكنه يستعمل تعريفهم ويقول إنه متفق مع أصول ابن تيمية! ولهذا لا يمكنه إلا أن يقول الله مادة حتى يمكنه استخدام تعريفهم.

3 _ ما هي المسألة الأساسية في الفلسفة عنده؟

يقول سمرين :"" وسيعبرون عن السؤال الأساسي في الفلسفة" ما هو الأسبق: الطبيعة (الوجود المادة) أم الروح (العقل _الوعي _الفكرة)" [ص:64] نلاحظ لا وجود لذكر الله هنا فالروح وعرفها بالعقل والوعي والفكرة ونحن في مقام مقابلة مع الطبيعة وفي سياق تعريف مادي ملحد ،كما لم يذكر "الخلق" وهو يتحدث عن

الأسبقية و الأولية؟!.
وقال أيضا :" : " إن المسألة الأساسية الكبرى في كل فلسفة ولاسيما الفلسفة الحديثة إنما هي العلاقة بين الفكر والكائن "الجزئي المعين المحسوس أم بالتجريدي، بالشيء أم بالوعي؟» [ص:57]
المسألة الفلسفية الكبرى هي التقابل في الأسبقية بين المادة والوعي ؟!
يقول انجلز: "السؤال الأعلى لكل الفلسفة... الذي أدى عدا ذلك دورا مهما في مدرسية القرون الوسطى، المتمثل في معرفة ما هو العنصر الأولي، الروح أم المادة... هذا السؤال أصبح بالنسبة للكنيسة التالي: هل خلق الله العالم أو هذا الأخير موجود منذ الأزل؟
الذين يثبتون أولية الروح بالنسبة للطبيعة يثبتون في الأخير مخلوقية العالم... يشكلون فسطاط المثالية والآخرون الذين يعتبرون الطبيعة العنصر الأولي ينتمون إلى مختلف المدارس المادية" [03]
والشيء نفسه يقوله لينين متحدثا عن بوغدانوف: " لا يمكن أن نقول شيئا آخر عن المادة وعن الروح إلا أولوية أحدهما على الآخر" [04]
النتيجة :المسألة الأساسية في الفلسفة هي: هل لهذا العالم مخلوق؟ المادية تقول: لا، وليس ما يقوله سمرين من التقابل بين المادة والوعي.
4 ـ المادة ـ عند سمرين ـ سابقة على الوعي:
يقول: "لقد اصطلح على تسمية الفلسفة التي تقول بأسبقية الشي المعين المحسوس، الجزئي الثابت في الواقع على الوعي" بالفلسفة المادية" [ص:59]
5ـ ما هو الوعي عند سمرين؟
يقول: " ويطلقون على الوعي والمطلق والتجريدي مصطلح الروح" [ص:59] إذن الوعي = الروح.
6ـ ما هي الروح عنده؟
يقول:"فلما كان الإله في الفلسفات المنتسبة إلى الإيمان مندرجا تحت وصفه بالعقل والوعي والروح وتعين عند الماديين ان الموجود في الواقع هو المعين المحسوس أنكروا أو نفوا ان يكون فيه هذا الإله «[ص: 253]
إذن الروح = الإله ـ العقل ـ الوعي، وبالتالي: المادة متقدمة سابقة على الروح: الإله ـ

العقل ـ الوعي.
يؤكد لنا سمرين هذا الأصل الملحد مرة أخرى ويضيف إليه الفكرة يقول: " وسيعبرون عن السؤال الأساسي في الفلسفة" ما هو الأسبق: الطبيعة (الوجود المادة) أم الروح (العقل _الوعي _الفكرة)" [ص:64]
وإذن: الطبيعة = الوجود = المادة سابقة على الروح: العقل ـ الوعي ـ الفكرة ـ والإله في النص الذي قبل هذا!
ويضيف إليهم مصطلحات أخرى، يقول: "فالمادية تعترف بأسبقية المعين الموجود في الواقع على التجريدي الكلي والمطلق ولا تنفي التجريد أو الوجود الذهني أو الروحي إنما الموجود المعين المحسوس الذي يعبرون عنه بالمادة هو الذي له الاسبقية ولا ينفي هذا بحال وجود الأفكار إنما يكون وجودها بعد الإحساس بالمعين ".
فيصير الأمر كالتالي: الطبيعة = الوجود = المادة، سابقة على الروح = العقل ـ الوعي ـ الفكرة ـ الإله ـ التجريدي ـ الكلي ـ المطلق، والتي لها وجود روحي = ذهني = تجريدي فقط!
وعليه فهو يتلاعب بالمصطلحات عندما يتكلم عن الأسبقية لا يذكر الإله لكن عندما يريد تبرير إلحاد الماديين يذكره فيتوهم القارئ أنهم كفروا بإله المثاليين فقط، يلبس قدر الإمكان عند ذكر من الأسبق في الوجود بإخفاء هذه الحقيقة «المادة سابقة وأولية على الله وجوديا، والمعرفة المادية " الإحساس" سابقة على المعرفة الفطرية معرفيا".
7ـ قال سابقا بأن المادة هي كل ما يشار إليه ويقبل الإحساس، والآن ستصبح هي الإحساس نفسه، قال: " إن المادة هي الأولى، الإحساس الفكر"[ص:64] هكذا قرن الفكر بالإحساس!
8 ـ لكنه في نقل آخر يجعل الفكر مقرونا بالكائن هو المادة التي يعبر عنها بـ " الجزئي المعين المحسوس" قال: " إن المسألة الأساسية الكبرى في كل فلسفة ولاسيما الفلسفة الحديثة إنما هي العلاقة بين الفكر والكائن "الجزئي المعين المحسوس أم بالتجريدي، بالشيء أم بالوعي؟» [ص:57]
ما يعني أن الفكرة التي جعلها من قسم الروح غير الفكر، فالفكر عنده هو عمليات

كيمائية في الدماغ تنتج الفكرة، قال [ص:63]:" لكن الفكر عند المادية ينتج من المادة:" المادة تولد الإحساس بتأثيرها في أعضاء حواسنا، الإحساس رهن بالدماغ والأعصاب وشبكة العين والخ اي: بمادة منظمة على نحو معين «.
وبالتالي تكون المادة في انتاجها العالي الذي هو الفكر هي من ولدت «الروح: العقل ـ الوعي ـ الفكرة ـ الإله ـ التجريدي ـ الكلي ـ المطلق " ولذلك قرر أن هذه موجودات هي أفكار ذهنية تجريدية لا وجود لها في الحقيقة وبالتالي فإن المادة ليست سابقة عليها فقط ولكنها أصلها ومصدرها أيضا ؟!
9ـ لكنه من جهة أخرى يجعل الفكر مرادفا للوعي، وهذا خلاف ما قرره سابقا، قال: " والسؤال الأساس في النظر إلى العالم هو حول علاقة الفكر، الوعي بالوجود وما هو الأسبق؟ "[ص:57].
وبهذا ينزل من المقابلة الوجودية بين المادة والطبيعة وبين الروح والإله، والعقل، والفكرة.. إلى المقابلة بين المادة كإحساس والوعي الإنساني، فإن الوعي الذي سيضعه في تعارض مع المادة هو غير مادي بحيث صنفه كما بينت قبل هذا مع "الروح والإله والعقل والفكرة والذهني"قال:" وقد أكد الماديون مرارا على ثبوت الوعي وعلى نفي أن الوعي مادي"[ص:103].
والوعي عنده هو ":"عندما يتكلم الفلاسفة عن العلاقات بين الوجود والفكر أو بين المادة والروح أو بين الوعي والدماغ الخ[ص:61] إذن الوجود = المادة = الدماغ، والفكر = الروح = الوعي!
فمرة يجعل الفكر في مقابل الكائن ومرة يجعله وعيا وروحا في مقابل المادة ،لكثرة الفوضى في كتابه لا توجد حدود واضحة بين المصطلحات إذ همه الأول التورية عن باطن هذه الأقوال عند الماديين.
لكنه منتج مادي "لكن الفكر عند المادية ينتج من المادة":"الإدراك هو النتاج الأعلى لمادة منظمة بشكل خاص وهذه هي نظرات المادية على العموم «. [ص: 64]
يعني أن الوعي الذي هو غير مادي باعترافهم هو نتاج المادة = المادة انتجت اللامادة، والوعي هو الفكر والعقل والروح والتجريدي والمطلق والإدراك" المعرفة" و الإله فيلزم بحسب مصطلحاته و أقسام المتقابلين عنده أن كل هذه الأمور لا مادية أنتجتها المادة!

لكنه من جهة أخرى يقول لنا: المادة هي الجزئي المعين المحسوس الذي يشمل الله لكن بالمفهوم الفلسفي فقط، فمن جهة كما سبق يضع اسم الجلالة مع المجردات، ومن جهة أخرى مع الجزئي المعين المحسوس؟!

والنتيجة بحسب التعريف الذي تضمن التصنيف للواقع والمادة والروح والوعي: هي أن هذه اللاماديات موجودة في الذهن فقط، وهذا معنى انها ثانية والمادة الأولى، والمادة هي الواقع، فهذه الأشياء ليست واقعية لأنها غير مادية!

فإذا فهمت مخطط مذهبه وحقيقته، وهي أصول مادية إلحادية واضحة متسقة مع بعضها بعضا كما صورتها لك نقلا من كلامه لا أدري كيف تعامل معها بهذا الشكل وغفل عن لوازمها فلنفحص الآن قيمة هذا التقابل والتعارض بين المادة والوعي كما أورده لينين إذ هو الأصل الذي يربط تقابل الأصل الوجودي لهما مع التقابل المعرفي.

تعريف لينين للمادة هو تحديد لحدها يمثل التوليف بين تعريفين قدمهما لينين في كتابه "المادية والمذهب النقدي التجريبي":

الأول: "المادة مقولة فلسفية لتعيين الواقع الموضوعي الممنوح للإنسان في أحاسيسه، مصور ومنقول، معاد إنتاجه بواسطة حواسنا والموجود منفصلا عنها "(ص:117).

الثاني: "...لأن الخاصية الوحيدة للمادة التي يجب على المادية الفلسفية قبول الاعتراف بها هي خاصية أن تكون واقعا موضوعيا، موجود في خارج وعينا "(ص:210)

ويقول لينين أيضا: "المادة هي ما بأثره على أعضاء حواسنا تنتج الإحساس، المادة هي الواقع الموضوعي الممنوح لنا في الإحساس")ص:133(

وكما يظهر جليا من كلام لينين فإن كون المادة أعيد إنتاجها من حواس الإنسان ليس عنصرا ثانويا في هذا "التعريف" ولكنه على العكس صفة أساسية للمادة، يعني بدون أن تعيد حواسنا انتاجها كصورة منقولة لا توجد مادة! ما يعني أن موضوعية الوجود هنا تعوم في الذات.

فما قيمة هذا التعريف؟

1 ـ القول بأن المادة أولية تصور ضبابي، له وظيفة منهجية، ولأن التعارض بين المادة والوعي مطلق مجرد، موجه ضد المثالية الذاتانية حيث يمثل الحس الواقع الوحيد.

وضد المثالية الموضوعية التي تؤكد أن الله تعالى سابق على المادة بكون المادة الموجودة مستقلة عن الله أو عن الفكرة" الواقع الموضوعي ليس الفكرة المطلقة الروح أو الله ولكنه المادة الموجودة مستقلة عن الفكرة وعن كل مبدأ روحي.. لهذا تظهر الأهمية الايديولوجية لمفهوم المادة في المادية الجدلية" [05]

وهذا يستلزم أن تعريف المادية للمادة تصور إيديولوجي، مفهوم فلسفي يبحث عن الوحدة المادية للعالم، والمتمثلة عنده في: عدم مخلوقية المادة، وعدم قابليتها للتدمير.

2 ـ القول بأن الواقع الموضوعي موجود منفصلا عن وعينا وفي الخارج عنه أبستمولوجيا خالصة محضة لأن الواقع المقصود الواقع الموضوعي الحالي، العالم المادي الموجود اليوم عند العلماء وهذا خطأ وفقا لأصول المادية نفسها، وسيأتي. [06]

3 ـ كذلك هذا المفهوم المادي مفهوم حشوي لأنه صيغة منطقية فارغة لأنها لا تنطلق من نظرة أنطولوجية عما هو الموضوع الجوهري لكل الخصائص. [07]

إضافة إلى أنه يخل بقاعدة التعريف الأساسية: ما نعرفه لا يجب أن يكون محتوى في التعريف. [08]

4 ـ إذا سألنا المادية ومن يتبعها: ما هو الوعي؟

أجابت بأنه في الوقت نفسه: منتج ووظيفة وخاصية للمادة، فيصير تعريف لينين كالتالي: المادة هي ما هو موجود مستقلا عن منتج أو صفة للمادة.

وعلى هذا فإن تصور لينين ليس له معنى إلا إذا أقر بأن الوعي لا مادي أصلا، وموجود مستقلا عن المادة "ويتر" نفس المصدر.

5 ـ ما هو مفهوم "موضوعي" عند المادية؟

تجيب بأنه المستقل عن الذات الفردية ووعيها الذاتي." ستأتي مسألة الموضوعية في مقال مستقل"

وعلى هذا فإن التعبير بـ "الواقع للموضوعي" الذي يشكل عنصرا تأسيسيا في تعريف لينين للمادة والمضاعف بالنص الآخر لهذا التعريف "المكونة باستقلال وفي خارج الوعي"، يعني في خارج كل الوعي الذاتى والموضوعي "الوعي الجماعي" حينئذ نقرأ تعريف لينين كالتالي:

المادة هي الواقع الموضوعي المستقل عن الذات الفردية ووعيها الذاتى الموجود

مستقلا عن الوعي الذاتي والموضوعي، فيظهر فساد هذا التعريف.
6 ـ في المفهوم المادي اللينيني تصبح المادة حدا فوق النظرية لا قيمة له في تفسير الواقع الموضوعي، ويعترف الماديون ـ كما في قاموسهم كلمات فلسفية ـ بأن مفهوم المادة عندهم فوق لغوي، وعلى هذا هو تعريف متناقض يخلط بين الواقعية الأبستمولوجيا والمادية الإبستمولوجية .
الواقعية الإبستمولوجية =المادة موجودة مستقلة وفي خارج الوعي.
المادية الابستمولوجية: لا يوجد في العالم إلا المادة متحركة = تناقض بشع" أين يوجد الوعي إذا كانت مستقلة عنه، في أي عالم هو موجود؟". [09]
7 ـ يدافع الماديون الحقيقيون ـ لا ما تفرخ عنهم ـ عن تعريفهم بأنه ابستمولوجي وليس أنطولوجيا، وهذا الاعتذار الابستمولوجي يعني أن تعريفهم للمادة له وظيفة ابستمولوجية فقط تتمثل في التعارض النسبي "نسبي مطلقا" بين المادة والوعي. نفس المصدر.
وحتى لو لم يكن للتعريف "المادة موجودة مستقلة عن الوعي وفي الخارج عنه" إلا معنى ابستمولوجي ووظيفة التعبير عن ميلاد الوعي كثان للمادة فإنه يستلزم بالضرورة اختلافا واضحا بين المادة والوعي، وعلى هذا فالمفهوم في حقيقته ليس أبستمولوجيا لأن التعارض نسبي!
8 ـ إذا تتبعنا تفسير المادية للوعي فهو كالتالي: رغم أن الدماغ ليس مصدرا للوعي ولكن عضوه [وإلا كانت الحيوانات واعية]، والوعي إنتاج تطور المادة، ولا يمكن أن يوجد إلا في علاقة لا تقبل الفصل مع أساسه المادي لكنه ليس مادة بإقرارهم.
يعني: ليس الوعي منتجا ماديا كإفراز عضوي ولكنه نشاط معقد ـ كما قال سمرين "الإدراك النتاج الأعلى لمادة منظمة بشكل خاص"، وخاصيته الأبرز هي في القدرة على عكس وإعادة إنتاج الواقع الموضوعي في صور مثالية، فالوعي إذن منتَج لمادة متطورة جدا، هو وظيفة للدماغ، عضو التفكير، عضو الوعي.
9 ـ إذا جعلنا الوعي من المادة فإن التمييز الابستمولوجي حينئذ بين المادة والوعي، المادة والروح، المادية والمثالية يفقد معناه، فلا يمكن دراسة هذه الموضوعات بدون هذا التمييز؟!
10 ـ من خصائص المادة عند الماديين الحركة التي هي طريقة وجود المادة، المادة

في حركة دائمة، وهما لا يفترقان أبدا، والحركة عندهم كل تغيير يحصل في الوجود: حركة سموية، حركة ذرات في شكل حرارة، كهرباء، تحلل وتفسخ، علاقات كيميائية، حياة عضوية، إلى أعلى مستوى ممثلا في الفكر. [10]
و"الفكر" نوع من الحركة للمادة المتطورة جدا عند انجلز، وبحسب لينين هو خاصية للمادة المتحركة، حالة داخلية للمادة المتطورة جدا. [11]
والعمليات الفيزيولوجية والبسيكولوجية التي تنتج في الدماغ تشكل مجموعا ووحدة مرتبطة مع بعضها بعضا لا تنفصل.
النتيجة: المادة المتطورة جدا هي الدماغ، والعمليات الفيزيولوجية والبسيكولوجية هي طريقة وجودها، وصورة الحركة النموذجية للدماغ الإنساني الذي لا يوجد بدون صورته النموذجية للحركة.
ما يعني أن الدماغ الإنساني لا يوجد بدون صورته الخاصة للحركة، بدون حالته الداخلية = بدون الوعي فإذن المادة المتطورة جدا (الدماغ) لا توجد مستقلة وفي خارج عملياتها "الفيزيولوجية بسيكولوجية" التي تمثل حركتها وحالتها الداخلية =لا توجد مستقلة وفي خارج الوعي ولكن فقط معه.
النتيجة: نطاق " ماصدق" تعريف لينين ليس كما يزعم ويتبعه سمرين كالأعمى واسعا ولكنه ضيق لا يشمل كل الواقع الموضوعي؛ وعليه نقول: هذا التعريف للمادة ساكن ومجرد؟
هو مجرد لأنه يهمل "يعزل عن التحليل" الوحدة التي لا تقبل الفصل بين المادة وحركتها ،في حدود أنه يقصي التطور الوراثي للدماغ، واللحظة التاريخية الملموسة حيث أصبح واقعا (ظهور الإنسان)
بحسب أصول المادية فإن هذا المفهوم يقصي بالفعل كل مادة ملموسة موجودة حقيقة تظهر مفصولة عن الوعي "مستقلة" قبل أن تصل هذه المادة إلى التطور، مستوى التطور حيث لا توجد المادة بدون الوعي، حيث لا يمكنها أن توجد بدون الوعي لأنها بالضبط مادة واعية، وهذا معنى قول ماركس ""الوعي لا يمكنه أن يكون أبدا شيئا آخر غير أن يكون واعيا".
ليكون تعريف المادة عند الماديين صحيحا يجب أن يهمل الدماغ الإنساني فينسحب ويكتفي بمرحلة للتطور من الصعب تحقيقها لكنها تنتهي قبل او مع ظهور الإنسان،

قبل او مع التحقق البيولوجي للدماغ وللوعي الإنساني، فلا تنسوا أنه لا يوجد عندهم إلا المادة وهي غير مخلوقة.
يهمل إذن هذا المفهوم الواقع الذي يتشدقون بأنه مادة، وكذلك يهمل ـ وفقا لتصوراتهم ـ إمكان الدماغ والوعي الانسانيين اللذين ظهرا في وقت معين لكنهما كانا دائما موجودين كإمكان بني على دورة تطور المادة.
وعليه ووفقا لأصول المادية لا يتعلق الأمر بالحقيقة الملموسة للمادة، بالواقع الموضوعي ولكن بمادة مجردة كليا، مادة أزلية متخلفة بدائية لم تصبح بعد واعية، إذ ستلد الوعي بعد ظهور الدماغ الإنساني في الوجود، ومن ثم ستنتج الوعي، ما يعبر عنه سمرين بـ " الإدراك النتاج الأعلى لمادة منظمة بشكل خاص"!
ما يعني أن المفهوم الماركسي اللينيني لا يخص إلا المادة قبل ظهور الوعي أي: قبل ظهور الإنسان، وهي مادة ميتة غير واعية، وأما فيما بعد فإنه لا يصلح عليها بداهة! ولك أن تسترسل في هذا التحليل وتضع بدلا عن كلمة" وعي": "الروح ـ الله " فهما عند سمرين كما بينته في تصوير مخطط مذهبه من نفس القسم، لتفهم المادية على وجهها.
ومن هنا يزداد الاستغراب بمن استلف هذا المفهوم المادي وأراد إلصاقه بالعقيدة الإسلامية تحت عنوان الاتفاق حوله بين ابن تيمية والمادية الجدلية، وهو مفهوم إلحادي كما يظهر بوضوح.
هذا المفهوم للمادة متخلف " رجعي" لأنه تاريخيا متجاوز بالتطور الفعلي للمادة" في شكل الدماغ الواعي"، فسبق وأن وجِدت مادة واعية قبل لينين وتعريفه، وهذا يعني مادة يرتبط وجودها بوجود الوعي، وسبق وأن وجد الدماغ الذي لا يوجد كحي بدون حالته الداخلية أو حركته الخاصة، كل هذا ينسف هذا التعريف، وهذا المذهب المادي بأصوله نفسها.
عندما نقول: لا يمكن أن نخوض في هذه المسائل واستلاف مقالات المادية قبل أن نفصل ما وضعية "statut» الله تعالى عندهم، وأنها المسألة الأكبر والأساسية في الفكر البشري عموما وليس في الفلسفة فقط فلنؤكد أنه لا يمكنك أن تدخل مذهبا ماديا ملحدا وتقص منه ما يناسبك لمجرد اشتراك لفظي ثم تقول: انظروا هذا يوافق مذهب ابن تيمية!

11 ـ هذا المفهوم للمادة عند المادية الجدلية "المادة هي الواقع الموضوعي الموجود مستقلا عن الوعي وفي خارجه" ينكر هذه المرحلة من تطور المادة " إلى وعي"، والتي تمثل من جهة أخرى عنصرا مؤسسا مهما لنفس نص هذا المفهوم «قوله: مستقلا عن الوعي وفي خارجه"، يعني: هذا المفهوم للمادة ينكر الوعي الذي يشكل (كتصور) جزءا جوهريا لهذا المفهوم نفسه!

هذا المفهوم الذي يقول:"المادة هي الواقع الموضوعي الموجود مستقلا عن الوعي وفي خارجه "هو تحت شرط أن نقبل دعوى لينين بأن الوعي ليس شيئا آخر غير خاصية للمادة، حالة داخلية لها، صورة لحركتها؟!

النتيجة: إن قالوا: الوعي خاصية للمادة فسد تعريفهم كما تبين! "حتى لو كان الوعي تطورا للمادة ولا يمكن أن يوجد إلا في علاقة لا تقبل الفصل مع المادة فإنه مهما كان ليس بأي مادة"[12].

وإن قالوا: الوعي مستقل عن المادة، ليس خاصية لها، ليس منتجا لها، ليس انعكاسا لها، أثبتوا له وجودا واقعيا مستقلا وهم قالوا: الواقع هو الوجود المادي وحده" المادة هي الواقع الموضوعي"!

تحت هذا الشرط يشبه هذا المفهوم الماركسي اللينيني قولي: معدن الحديد هو هذه المادة الموجودة مستقلة عن الحديد الصدئ وفي خارجه"!تصور المادة هرمان ص:173

فيمكن أن نقرأ تعريف المادية اللينيني كالتالي:"المادة هي الواقع الموضوعي الموجود مستقلا وفي خارج المادة الواعية "...!

والمادة الواعية عند المادي " الدماغ وإفرازه الوعي"وحده حصريا، وعند سمرين هي: " الله تعالى، والدماغ وإفرازه الوعي"؟

بالنسبة لسمرين يمكن أن ندفع التحليل إلى مرحلة متقدمة بحيث يمكن القول: " مادة بما فيها مادة الله " ـ ما دام جزئيا معينا محسوسا" في تعبيره ـ هي واقع موضوعي موجود مستقلا وفي خارج الوعي الإنساني و أي وعي محتمل" فكل وعي هو ثان بالنسبة للمادة وهو من إنتاجها؟! " حسنتُ العبارة الثانية "!

12 ـ هذا المفهوم الماركسي اللينيني للمادة وتحققها ـ وفقا لأصولهم ـ له صفة شكوكية تتمثل في إقامة التعارض بين المادة والوعي، والذي يرتكز على ضبابية مفهوم

الوعي، الذي يجب أن يكون لاماديا "لأنه كذلك" من جهة، ومن جهة أخرى: انتاجا، حالة داخلية، صورة لحركة المادة؛ وعليه فإشكالية تصور المادة هي نفسها إشكالية تصور الوعي.
فهذا المذهب ليس إلا إثباتات مجانية سطحية تقدم كحقائق غير قابلة للدحض، بحسبها يجب أن يكون الوعي منتجا، انعكاسا، حالة داخلية، خاصية، صفة جوهرية فيضية، صورة حركة المادة بدون أن نتوصل إلى تدقيق الطبيعة الحقيقية لهذا المنتج، لهذه الخاصية سوي الدعوى.
وبدون إثبات الروح كقائم بنفسه لا يشبه البدن وأثرها في العقل يستحيل عليهم الخروج من هذه الحفرة.
فصل الوعي عن المادة، والمادة الواعية عن المادة غير الواعية ليس شيئا آخر سوي عدم الحديث عن المادة الملموسة للكون، وبدون حديث عن الله تعالى لا يوجد حديث عن واقع موضوعي يقيني، وبدون الحديث عن الروح لا يوجد حديث عن مادة لأن العقل لا يتصور المادة الميتة تصبح حية واعية من تلقاء نفسها.
النتيجة: لا يوجد إمكانية تواصل بين المادة والعقل إلا بواسطة كائن واع حي هو الروح.
كل مادي متسق مع نفسه لابد أن يقول: كل شيء مادة حتى الحياة والوعي والعقل والذات التي تعتقد أنها حرة ومفصولة عن شروطها الجسدية، ولكنه وهم يجد ضرورة في المادة نفسها.
يريد أن يقول لنا المادي: الإنسان جزء من المادة يميل الى الاعتقاد بلا ماديته، يعني: مادة توهم نفسها في مكانها، موسى الحاج، الحاج موسى كما يقول الجزائريون ...!
الإنسان المادي هو الذي يرد للمادة حقها، أو بالأحرى المادة هي التي تتكلم عن نفسها بطريقة صحيحة إذن الحقيقة هي أن المادة هي التي تقول: أنا المادة...!
المادة المسكينة تتوهم انها ليست مادة، هذه خلاصة الطرح المادي على قول أحدهم: الممكن ليس الا ضرورة تجهل نفسها...!
لكن الحقيقة ليست من فعلي، وليست من مسؤوليتي، هي انعكاس ظلال تعقيداتي الجسمانية: مخي يفكر...!
والعقل المسكين بح وهو يقول: أنا أفكر، وفي عمق كل فكرة يوجد ذاك الذي يحرس

ويسال بدون انقطاع: في ماذا يجب أن أفكر ...؟
كما قال أحدهم تحديا للطرح المادي: يجب أن تكون الله لترى نفسك تفكر بدون أن تكون هذه الرؤية تفكيرا ...؟
بالنسبة للمادية كل شيء مادي بما في ذلك المادي نفسه الذي يفكر، ويقول: انا الذي أفكر لست الا مادة، والمادة داخلي هي التي تفكر، وتفكر في نفسها...؟
المادة هي الحقيقة الوحيدة لكني اعتمد على عقلي وارادتي لإثباتها، ولم يأت عقله ولا إرادته من مادة فكأنه يتمثل المادية مؤقتا لتأسيس ماديته...؟
أي مادي متسق منسجم مع نفسه يجب ان يكون شكوكيا، هذه الحقيقية لان دورانية الفكر تستلزم شكوكية عمق، ثم تزعم المادية انها غير دوغمائية...؟!
يعني: هذا قفزة في فراغ ...لأنه للخروج من الشك يجب المراهنة على الله كما نفعل عندما نقرر عصمة النص وضرورية المعرفة الفطرية، وكما فعل باسكال الفيزيائي، لا يمكن بدون الله بدون وحيه وفطرته أن نسلم من الشك: كيف تعود المادة على نفسها لتؤسس عقلا، إرادة، علما، من غير التكرار والتأكيد الذاتي للنفس ...؟ [13]
13 ـ لا يتحدث التعريف المادي للمادة عن المادة كواقع موضوعي ولكن عن مادة مجردة خالصة، فكرة، هذه المادة تكون انتاجا، وهذه مضاربة محضة في التطور الذي يولد فيه الوعي بأعجوبة!
وعلى هذا لا يكون الوعي انتاجا للمادة ولكن المادة نفسها لأنها مادة مجردة، مجرد فكرة هو منتج لهذا التجريد؛ ويظهر من هذا أن المادية الجدلية هي نفسها بهذا المفهوم شكل من المثالية.
14 ـ يعترف لينين باستحالة تعريف المادة والوعي لكنه يعرِّف المادة بأنها الواقع الموضوعي الموجود مستقلا وفي خارج الوعي، الذي هو انعكاس للمادة، والإمكان الوحيد لتعريف المادة والوعي عند لينين هو في تأكيد أسبقية أحدهما على الآخر، فافهم أنت؟!، يقول لينين: " لا يمكن أن نقول شيئا آخر عن المادة وعن الروح إلا أولوية أحدهما على الآخر" [14]
وبالنسبة إليه فإن المادة أولية، المادة بدون وعي ممكنة جدا لأنه أصلا لا يؤمن بوجود إله، وحتى لو وجد كفكرة فإن المادة أولية عليه، وعلى العكس الوعي بدون المادة مستحيل!

النتيجة: كل ما لا يوجد مستقلا وفي خارج الوعي ليس بمادة، ليس ماديا، وبحسب هذا التفريق الكائن الواعي يعني: المادة الواعية لا توجد مستقلة وفي خارج الوعي، وبالتالي ليست مادية!

وهذا تناقض صارخ قاتل، حيث حكموا بأنفسهم بأن الدماغ ليست مادة!

تعريف لينين مبني على فرضية أن المادة أولية سابقة، وعلى فرضية أخرى أساسية هي أن المادة تصبح مادة واعية ما إن تبلغ مستوى ما من التطور، وهذا ما أخذته الوجودية. [15]

والفرضيتان مجموعتان تمثلان قاعدة الرؤية المادية للعالم.

ومن هذه النقطة المهمة جدا لنظرية المعرفة عند المذهب المادي فإن المفهوم الشائع للمادة الماركسية اللينينية لا يأخذ بعين الاعتبار بل وينكر بحيث لا يقصد بالمادة إلا ما هو موجود مستقلا وفي خارج الوعي، ما يمثل تضييقا لتصور مفهوم المادة، المادة اللاواعية، المادة التي تحت شرط ما لتطورها الخاص تخلق نفسها، أي: تنتج نفسها كمادة واعية (تطور ذاتي) على مذهب سبنوزا في وحدة الوجود: الله علة ذاته = خلق نفسه!

هذه المادة غير محددة في كليتها إذا قلنا بأنها موجودة مستقلة وفي خارج الوعي، لكن بالنسبة للموقف المادي هي محددة لأن الوعي هو إحدى إمكانياتها الموجودة موضوعيا بفعل أن المادة الواعية هي إحدى المراحل الملموسة لتطورها. [16]

وهنا على المادية أن تستيقظ لتصدق فرضيتها بأن الوعي ليس شيئا آخر إلا المادة الواعية"نتاجها"!

وعليه فقد تبين بإن التعريف المادي يقصي من المادة: المادة الواعية، لهذا هذا المفهوم مجرد، ولا جدلي بحسب جدليتها. [17]

كما تبين أن المادة بهذا الشكل محض بناء عقلي، محض تجريد، حيث يهمل هذا التعريف الاختلافات النوعية بين الأشياء إذا جمعناهم كموجودات جسمانية تحت مفهوم المادة.

المادة بهذا الشكل ليست شيئا موجودا حسيا، المادة ليست شيئا آخر غير مجموع المواد، ومن هنا هذا المفهوم مجرد؛ وهذا المفهوم الماركسي اللينيني للمادة ينكر شيئا يجب أن يكون محتوى في ماصدقه، وهذا تناقض ذاتي.

المفهوم مجرد لأنه لا يرى ـ وفقا لأصوله ـ كل المادة الملموسة، والتي منها المادة الواعية" الدماغ" وعلى مذهب سمرين: لا يرى مادة الله، ومادة الروح وسائر الغيبيات، وبهذا يناقض أطروحته لأن المادة تلد الوعي عنده.
التعريف الماركسي اللينيني للمادة له قبل كل شيء صفة أيديولوجية لأنه يجب أن يظهر علما لا يوجد في الحقيقة، هو العلم بما لم يره، عندما يزعم الماديون أن مفهومهم للمادة لا يجب أن يشيخ ويتجاوزه العلم" الواقع الموضوعي ليس الفكرة المطلقة الروح أو الله ولكنه المادة الموجودة مستقلة عن الفكرة وعن كل مبدأ روحي.. لهذا تظهر الأهمية الايديولوجية لمفهوم المادة في المادية الجدلية"[18]
والخلاصة: لا يمكن تفتيت المادية بحيث نأخذ تعريفا صاغته من فرضيتين أساسيتين إلحاديتين ونزعم أننا نأخذ الصحيح منها فقط، فقد تبين في هذا المقال بلا لا يدع مجالا للشك، أن أس هذه الفلسفة الكفر بالخالق، وأنها تجريدية كالمثالية تماما، وشديدة التناقض، ومنه تبين أن كتاب الأخ سمرين عن نظرية المعرفة والوجود مملوء بالتناقضات على جميع مستويات الموضوع.
وإذا بطل الأصل بطل كل ما تفرع عنه فالإلحاد في الوجود أصل نظرية المعرفة عند الماديين.
كون المقدمات مأخوذة عن الملاحدة لا يلزم منها أن الآخذ يعتقد صحتها كما هي عندهم ولكن لتناقضه أو غفلته أو لتوجيه ما لها يرى أنها لا تتعارض مع الإيمان، فالمذهب هنا انتقاء وتلفيق بين أصول مادية و أخرى إسلامية ،بدون ترتيب ونظر في اللوازم لا ينتبه الإنسان إليها.
وفق الله صغار القراء لفهم تحديات الموضوع وأبعاده.

....

الهامش:

1 ـ ص:699" كلمات فلسفية ".

2 ـ كلمات فلسفية ص :702

3 ـ فويرباخ، ص:١٦

4 ـ لينين، المادية ، ص:177.
5 ـ كلمات فلسفية ص :702
6 ـ ـ هرمان بوم؛ مفهوم المادة عند المادية الجدلية، مجلة اللاهوت والفلسفة،١٩٧٧، جزء ٣٣ رقم 2/ص:167
7 ـ غوستاف ويتر، كلمات فلسفية ،ص: ٧٠٣
8 ـ ماك ميلان، عن "تصور المادة؛ هرمان، ص:169
9 ـ كلمات فلسفية ، ص: ٧٠٣
10 ـ انجلز؛ضد دوهرينغ، ١٩٤٦، ص:٤٢١" الملحق".
11 ـ هرمان بوم، تصور المادة، ص:١٧٢
12 ـ كلمات فلسفية ، ص: ١٩٨
13 ـ جزء من مقال سيتو. ف؛ روحانية وشكوكية،الفلسفي 2/2006 العدد 27
14 ـ المادية "ص:177.
15 ـ هرمان بوم، مفهوم المادة عند المادية الجدلية، ص: 179
16 ـ هرمان بوم؛ مفهوم المادة عند المادية الجدلية، ص:181.
17 ـ نفس المصدر السابق.
18 ـ كلمات في الفلسفة، ص :702

أسلمة المادية: النظرية التي ولِدت فاشلة!
[07]

وهم الروحانية المادية عند سمرين!

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.
قال الأخ سمرين [ص:98]: "وقد سبق بيان أن الفلسفة المادية لا تنفي الجوانب الروحية والمثل العليا، فالمادية نفسها فلسفة تعتبر الفلسفات خلاصة العصر الروحية فعندهم الفكر والمادة هما على السواء موجودان، إنما وجود الفكر تال للمعين المحسوس الذي يعبرون عنه بمصطلح مادة"

فـ"كون الإنسان ماديا لا يمنعه أبداً من أن يكون له مثل أعلى، وأن يناضل من أجل انتصاره " ناقلا عن بولتزر.
المادية لا تنفي الجوانب الروحية والمثل العليا لا يعني الإقرار بها كقيم صحيحة فهي مجرد انتاج للذهن، لا حقيقة له في الواقع.
والروحانية ليست النضال من أجل مثل عليا مثل: الحرية، والعدالة، والإنسانية.. الخ بل الروحانية عند المسلمين عبادة الله وحده والتزام أحكام شريعته، الروحانية ليست التغني بقيم مفصولة عن أساسها الأخلاقي.
وسؤال واحد يحسم هذا التزيين السيئ لمذهب كفري: هل هناك إمكانية روحانية بدون الإيمان بالله تعالى وطاعة أمره؟
لقد بالغ الأخ سمرين في تزيين المادية فإن قدَّر أن بعض مقالاتها صحيحة تلتقي مع رؤيته في مسألة "تعريف المادة" أو "ماقلبية المعرفة" فهذا مفهوم، لكن أن يبلغ به الحال إلى اختراع روحانية مادية في وسط إسلامي لا يعرف روحانية بدون إيمان بالله واتباع رسوله، وهو يعلم أن الروحانية المقصودة ليست الفكر والمثل العلمانية فهذا غير مقبول وهفوة منه.
وكون بعض الناس يقصد بالمادية المعنى التحقيري :عبادة الجسد والانغماس في اللذات و التحرر من الأخلاق لا يبرر نسبتها إلى الروحانية لا إسلاميا ولا فلسفيا.
وأما الروحانية عند الغربيين فهي كل مذهب يقبل وجود الكائن الأسمى " الرب"، العقل والروح الشخصية، وله شكلان:
الروحانية الثنائية: الروح والجسم، والفكر والمادة يتعايشون، والفكر عندهم هنا ليس معادلات وتركيبات كيميائية في الدماغ ولكن صفة في الروح.
والروحانية المثالية: العقل وحده موجود، الجوهر الممتد ليس إلا مظهرا، الحقيقة الصحيحة غير متوقعة ولا مادية، فليس كل شيء مادة، لهذا فإن المادية تكون ـ في الحقيقة ـ في مقابل الروحانية على وجه الدقة.
ومن الأفضل لنا إذ أننا كمسلمين لا قيمة عندنا لا للمادية ولا للروحانية الغربية و إن كانت أفضل منها،، ولأن زيف المسألة لا يستحق أكثر مما قيل، فلندع روحانيا يجيب الأخ سمرين عن الروحانية المادية [01]
صعوبة روحانية مادية:

عندما حاول بعض الماديين أن يكونوا روحانيين لم يجدوا ما يسعف نظريتهم إلا في ديانات شرق آسيا كما فعل أندري كونت سبون فيل صاحب "القاموس الفلسفي"!
وهذه المذاهب في حقيقتها أشكال مضادة للعلمية وللروحانية معا، ولا يمكن أن يوجد مادي روحاني، ومن التكلف اللغوي أن نسمي ديانات ومذاهب شرق آسيا كـ: البوذية، والطاوية، والكنفوشية، روحانيات!
والعقل الوحيد فيها هو أنه يلزمها كثير من العقل لتنكر العقل.
إذا قصدنا بالروحانية كل مذهب يتعالى بالروح في الوعي بالذات، فالروح والعقل في هذه المذاهب يجب أن تعود إلى الطبيعة لا الى الله، مع عدم الاهتمام بالأشياء، لا فكر لا فردية، الفيضية فقط.
بينما الذي يميز النفس هو على العكس وعي قوي بالذات، باختلافها مع الطبيعة، بكرمتها وبتعاليها وسموها، [بشعورها الفطري بالخالق، بحاجة فطرية إلى عبادته والتوجه إليه وإرادته]
هذه المذاهب هي في الحقيقة باطنية، نوع من العلاج الروحي، مثل شخص كافر بالله يئس من علاج الوسواس فقال: لنجرب الرقية! معتقدا أن القضية قضية موجات كهرومغناطيسية!
ليست هذه المذاهب الشرقية إلا رؤية للعالم ولكنها ليست روحانية فضلا على أن تكون دينا.
هذه الديانات الشرق أسيوية هي امتداد للمادية المتمثلة في إدماج دائم للعقل في الطبيعة التي من المفروض أنه جاء منها؟!
هذه أشكال ضد روحانية :أولوية السابق، التفكيرعلى التفكير، الهمود على الحرية الارادية، التأملي على التمييزي، الفيضي على المتعالي.
كيف تكون ماديا وتعتقد في الروح. ...؟
كيف يمكن للمادية أن تكون متعالية؟ كيف للمادة التي هي بدون تضاريس أخلاقية تستطيع من تلقاء نفسها خلق أعلى وأسفل، أسمى وأدني، بحيث أن شيئا يمكن أن يطالب بالأولوية والأحقية؟
الفضيلة لا تولد من الوجود تماما كما لا يمكن للوجود أن ينتج اللاوجود "العدم ".
والفلسفة المتمثلة في إلغاء الفكر والتفكير لصالح تأمل خالص للعدم، للكل، للوجود في

شاعرية لا فكرية ، لا يمكن أن تكون إيمانا بأي شكل من الأشكال.
روحانية المادية المزعومة من دون سُلمية قيم عمودية إذن لا قيمة.
إذا كانت الروح إرادة وفكر فلا يمكن أن نصف بالروحانية التجربة التي تنكر الإرادة والفكر، هذا تناقض!
يحاول المادي أن يفكر متعاليا على نموذج أسطورة "Icare» يعني: الارتفاع من الميت الى الحي، ثم من الجسم الى الروح لكن التجربة الباطنية للانصهار مع الطبيعة تذهب في عكس الاتجاه فتنزل من العقل إلى مصدره المادي، لهذا المادية هي صراحة نزع الروحانية في هذا الاتجاه أو في ذاك.
الأخلاق:
إذا كان كل شيء مادة فكيف يمكننا أن نهرب من هذا التسطيح العام لكل ما هو موجود، كيف يمكن لشيء أن يكون أكثر قيمة من شيء آخر...؟
كيف نفكر سُلميا وبتضاريس في الوجود، إذا كان الوجود واحدا، مساويا لكل وجود، فإذن لا شيء له قيمة إذ القيمة هي تفاضل ...؟
لن تكون هناك حقيقة وخطأ، عدل وظلم، فقط إحساس بالحقيقة وليس الحقيقة، إحساس بالأخلاق وليس الأخلاق.
والنهاية: الوجود هو وحدة، والقيمة، كل صور القيم هي وهمية...؟
إذا لم تتمتع القيمة الأخلاقية بإيجابية انطولوجية فلا يوجد حينئذ خير في ذاته، هو خير لأن الوجود صامت وغير مهتم، فأنا كإنسان حامل لوهم ضروري، وهكذا يجب أن نفهم النفس بالنسبة للمادي.
لذا فإن المادية على الحقيقة مذهب النسبوية: كل القيم متماثلة من نظر المادة لأن كل واحدة لا تفعل سوى الشهادة لحالة خاصة للجسم.
كل شيء في الإنسان فيضي، لا يوجد تصاعدية سُلمية في هذا الوجود، هو بالضرورة متجانس، نكون أو لا نكون، لكن لا يوجد كائن أقل أو كائن ذاتيا أسمى ...؟
كيف نفكر في ايمان في ظل هذه الشروط...؟
إذا لم يكن هناك إلا السببية المادية فإن الغائية ستكون وهما.
لا يمكن أن أقول: الأخلاق ضرورة وهمية لأني حينئذ لا أعتقد فيما أثبت.

لا يمكن للأخلاق أن تطلب مني شيئا إذا فكرتها وهما.
إذا اختزلت الخير والشر في الجيد والرديء، وهو الموقف المادي فكيف نعطي مصداقية للقيم الأخلاقية عامة مثل: العدالة؟ لا توجد قيم عامة في المادية لان المادية نسبية لكل جسم ما هو جيد له أو رديء، لا يوجد أصلا قيم إنما حالات جسم.
شئنا أم أبينا فإن لزومية الأخلاق تحتوي في داخلها مثالية المبدأ، فيستحيل الشعور بقانون الأخلاقي بدون إيجابية هذا القانون، مستحيل التفكير بدون وضع التفكير كمدخل وحيد للحقيقة، مستحيل التفكير بدون التفكير بأن الفكر يفكر صحيحا.
لا يمكن أن ندفع الله تعالى جانبا وندعي روحانية لأن كل إنسان يشعر بذاك الشعور بالحقيقة المطلقة التي تجعل إنسانية الانسان.
نحن مسكونون بالله في كل فكرة مادام كل فكرة تضع الفكر لحقيقة مطلقة، وماذا تكون فكرة لا تثق في نفسها؟
ليس الفكر ميكانزيم يشتغل بدون الأنا، فيما يجب أن أفكر؟، على ماذا يجب أن أحكم؟، هو قانون أخلاقي، ومبدأ الحرية الإنسانية موجود في قلب كل فكرة.
كما قال ديكارت: يوجد في فكرة عن إله - غير متناه [!] وقوي قدير- يسبق ويجعل ممكننا الفكرة نفسها عن مخلوقيتي ونقصي وفقري.[الشعور بالفقر والحاجة ذاتي في الإنسان]
ماذا سيكون المطلب الأخلاقي إذا كنت لا أرى الخير إلا بعد أن أزن في نفسي الشهوات والألآم، الفوائد والأرباح، [ليس] لتكن ضرورة وفطرة، ولكن مجرد منحدر لكينونتي لأنها في هذه الحالة ستذهب دائما في اتجاه الجيد بالنسبة لي، بدون شعور بالندم او عدم كرامة؟
العكس هو الصحيح :أرى الخير كحقيقة مطلقة، وأحكم على نفسي عند الاتصال به: هل أنا مستحق أن أكون انسانا؟
هل هذه الفكرة عن الخير حالة لجسمي؟ كما يقول سبنوزا : لأني أريد شيئا أحكم بأنه جيد! وليس لأنه جيد في نفسه أكون منجذبا اليه، لذا نسبوية المادية هي نسبوية وحدة الوجود؟[هما سيان في النهاية فالمادية تعبد طبيعة بدون إله ووحدة الوجود تعبد إلها هو طبيعة]
من هو الأول: المادة أم الفكر؟ لكن وضعنا كإنسان يستلزم مثالية المبدأ، ولا يمكن أن

نقاتل من أجل أخلاق نعتبرها وهما![ردا على قول بوليتزر الذي استدل به سمرين]
الصفة الضرورية لكل أوهامنا تدعو المادي إلى مراجعة موقفه المادي: ما هو الفيصل بين حقيقة ووهم، إذ لا نستطيع الاستغناء عن الحقيقة؟
الانسان مخلوق إلهي مادام يضع الحقيقة المطلقة في قلب كل أفعاله وأفكاره وإراداته.
لا يمكن في المادية التملص من الشكوكية بسهولة فكيف لمادي أن يكون صاحب قيمة إذا أكد أن الفضيلة وهم؟!
تفقد الاخلاق كليتها [كونها فطرية مشتركة في البشر] ومصداقيتها بفكرة المادي أنها ليست إلا طبخة في دماغي!
قلت :لا يوجد مادية روحانية غربية ،و إذا تخيل مسلم أنه مادي روحاني يشترك مع المادية الفلسفية في نظرية المعرفة فقط فعليه أن يصحح مفهومه للمادية أولا، وما يلي يعينه على ذلك :
ما بين الشوطين:
قال أحدهم كلاما ـ هو مؤشرعلى عتبة التجريد لديه التي وصل إليها ـ ما محصله: " خطأ المادية في الوجود لا يلزم عنه خطؤها في المعرفة!
وكيف تردون عليه " سمرين"بنقل أقوال أساطين الفلسفة فيوجد ماديون مؤمنون؛ دون أن يذكر لنا اسما واحدا؟"
فأرد بإيجاز شديد على هذه الخطبة كما يلي:
لم نجد الأخ سمرين نقل في كتابه "نظرية المعرفة والوجود" عن ماديين مؤمنين مسلمين أو مؤمنين بالمسيحية أو اليهودية بل كل هؤلاء صنفهم في المثالية إذا كنت تفهم ما تقرأ؟!
فيكون المنهج العلمي أن نناقشه في هذه النقول إما بكشف ما أضمره من معانيها، وإما بذكر لوازمها وتداخل الوجودي فيها مع المعرفي كما فعلته في مقالي الأخير" المقدمات الإلحادية في مفهوم الوعي عند سمرين ".
هل تريده أن ينقل عن الماديين الماركسيين وأناقشه بأقوال طائفة غير موجودة إلا في مخيلتك؟!
ثانيا: قد بينتُ في مقالي الأخير ـ بنقل عباراته كما هي ـ بأنه لم يقم كل كتابه على أقوال الماديين الماركسيين فحسب ولكنه ـ أيضا ـ اعتمد تعريفاتهم للمادة ولكل

مصطلحات الموضوع (المادة، الروح، الوعي، الفكر.. الخ) بنفس عباراتهم، ومعانيها عندهم وبترتيبها الوجودي عندهم، فيأتي هذا الشخص ويقول من سماء عقله: أخذنا عنهم الجانب المعرفي فقط؟! ونحن مادية تتبرأ من ماديتهم!

ثالثا:بخلاف خيال هذا الشخص لم نقف عند أصل المادية "المادة أزلية أولية على أي شيء آخر" بل وقفنا بعدها مطولا مع تعريفها للمادة الذي جعلتموه أصلا في نظرية المعرفة "المادة سابقة على الوعي" وبينا لكم بتحليل دقيق طويل أنه فاسد متناقض لا يعرف المادة ومجرد تجريد فلا تلبسوا على الناس أننا حصرنا النقاش في المستوى الوجودي فقط.

رابعا : كيف تفصل الإحساس "مصدر المعرفة عندكم" عن المادة " مصدر وجوده"، وأنت تعتمد كلية على سبق الإحساس وجوديا للعقل أو الفكر أو العلم، فاذا لم تسبق المادة (الإحساس) الوعي(اللامادي عند الجميع) وجوديا فكيف ينتقل الفكر ـ على وجه السبق والأولية ـ من المادة الى الوعي معرفيا؟ ما تعبرون عنه بـ " مابعدية المعرفة " فهل هي" المعرفة" ـ عندكم ـ ما بعد وجود المادة والإحساس أم ما بعد هذا الخبل؟

و إذا أردت أن تقول_بوصفكم ماديين مؤمنين!باحثين عن انفصال شكلي عن الفلسفة المادية ولم تحسن التعبير ـ: نقصد بالمادة التي تسبق الوعي مادة العالم المحدث فقط. فهذا صعب تصوره لأن المشكل عندكم ـ الذي وقعتم فيه بتبنيكم الفلسفة المادية ـ هو أن الله تعالى عندكم مادة أزلية؟!

وعليه اجتمعوا واشربوا الشاي بصحتكم ثم ابحثوا لوازم هذا القول على نظرية المعرفة عندكم، مثلا :

_ هل ينطبق قولكم "المادة سابقة للوعي" على الله تعالى مادام سبحانه مادة عندكم؟ وهذا بغض النظر عن طبيعة مادته(فيزيائية أم فلسفية) لأنه مهما كانت طبيعة هذه المادة فهل هي واعية ؟

يعني :الإنسان مادة ووعي فهل سبحانه وتعالى كذلك مادة ووعي أم مادة وحدها ؟ والمادة لا يمكنها أن توجد وحدها مجردة عن الوعي" سابقة عليه "إلا عند المادية التي من المفروض انكم تتبرؤون منها لكنها عندهم مادة ميتة بعد بلايين السنين من الحركة انخلق لها الوعي فجأة!

فيلزمكم إما القول بأنه مادة كله بدون وعي كما تقول المادية عن مادتها الازلية، و إما القول بأنه مادة ووعي ،أو مادة واعية لكن الوعي غير مادي باتفاق الجميع ؛وعدنا إلى مسألة :من الأسبق المادة أم الوعي؟!
هل فهمت الآن لا معقولية تصوراتكم المادية و بديهية فسادها ؟
لا يستقيم لكم ـ بعض الشيء ـ القول في الجانب المعرفي إلا إذا أنكرتم وجود الروح الإنسانية " النفس"، ونفيتم أنها قائمة بذاتها، أو سلبتموها أي دور في العلم " العقل"، ولهذا حرفتم كلام ابن تيمية في محل العقل وزعمتم عليه أن محله الدماغ!
مصيبة المسلمين في هذه السنوات الأخيرة هي في خوض من هب ودب في كذا مسائل بعيدة عن قدراتهم الاستيعابية وأدواتهم العقلية والمعجمية الفلسفية وما يناسب درجة التجريد عندهم، فالصياغة نفسها للمسألة تكشف الهياكل الإدراكية المعرفية عندهم! والله المستعان.

....

1 ـ سيتو. ف،"روحانية وشكوكية "، الفلسفي 2/2006 العدد: 27 بتصرف.

التبرير التافه!
الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله.
عندما يكون القول تافها يكون شفافا لمن اعتاد على القراءة المختصة والبحث الدقيق لكنه بالنسبة للغِر وما أكثره فإنه يهدد منزلة الجوهري عنده، فالتافه يلهيه عن الأساسي، ومن عادة الشخص السطحي أو المبتدئ التمسك بالتافه على حساب الجوهري.
التافه عبارة عن قول، فكرة، غير مبررين، ينتج عن تناقض معرفي ، أو اضطراب في تصور قضية ، مثل أن يصبح المنطوق عقبة إبستمولوجية أمام المفهوم!
القول التافه هنا هو بالمعنى الذي عرَّفته، وتفاهة قول لا تستلزم تفاهة كل الأقوال فضلا عن تفاهة الشخص، فهذا معنى تحقيري لا يليق بنا التخاطب به، وإن كان بضاعة رائجة عند أطفال الفيسبوك؛ أقول هذا حتى لا نسترسل في توليد البغلة!

قال غير واحد يختلفون إحاطة وفهما ما مفاده:" لا يصح تحميل سمرين وزر المادية الماركسية لمجرد أنه يقتبس منهم اقتباسا مجردا، والواجب أن نحاكمه على ضوء المنطوق الذي قاله "!رأيت هذا المعنى بصيغ مختلفة.

لنبين في عجالة تفاهة هذا القول ودرجة غرقه في تخريب العلم، وإذا كان الشخص يعرف مسؤولية العلم فيعلم أن الموافقة او المخالفة أقل قيمة في التعليم من تعليم الناشئة منهجية علمية صارمة، والتمييز بين الأدلة والأقوال المرسلة او التي بدون معنى محصل.

هذا التبرير التافه لا يصدر إلا من شخص لم يقرأ الكتاب أو لم يفهم بناءه المنطقي، او من متعصب يبحث عن تبرير بغض النظر عن قيمته العلمية ومدى مطابقته للحقيقة، تبرير لا يصح منه إلا منطق اللغة أما منطقية الاستدلال فالله إجيب على قول الناس!

1 ـ على أي كوكب يوجد اقتباس مجرد، والمجرد هنا هو الذي لا تجمعه أي علاقة بالسياق، بالأطروحة، بالفكرة؟

وهل يوجد اقتباس عن مذهب أو شخص ـ فضلا عن كونه أساس الأطروحة ـ لا يضع علاقة بين عناصر الأطروحة المختلفة؟

فعندما نستدعي فلاسفة مذهب معين ونرتكز على نظامهم المعرفي وحججهم لا يمكننا أن نقول: هذا اقتباس مجرد، لأنه لا يوجد في عالم الفلسفة والفكر اقتباس مجرد لا دور له في النص، مجرد زينة وديكور؟

وإذا لم نلزم الشخص باقتباساته التي فحم كلامه عليها إذ تقريبا يكاد يخلو كتابه من فكرة مهمة شخصية، كلها أفكار الماديين.

هل يتصور هذا الشخص أننا نقتبس أقوال مذهب معين ومفاهيمه وتعريفاته لمجرد الذكر أم لأنهم يقترحون حججا تغذي تفكيرنا الشخصي؟!

كل استدعاء لمفهوم خارجي عن تفكيرك وإحالة عليه بدون نقض له، له هدف واحد هو تعميق تفكيرنا الشخصي به، هذا إن كان على سبيل التعضيد، أما إن كان الأصل الذي أنطلق منه فهذا حديث آخر أسوأ.

فقط التبرير التافه يفترض أن النقل عن مذهب ما والاعتماد عليه في بناء الأطروحة لا يفترض أي معرفة وأي علاقة!

لقد بلغ هذا التبرير درجة من التفاهة أتعجب كيف لم يتصور أصحابه تفاهته؟! فكيف

نحاكمه على ضوء منطوقه، ومنطوقه هو أقوال الماديين نفسها، ببنائها الوجودي وتداعيتها المعرفية إلا فكرة واحدة عقدت بناءه النظري وأظهرت تناقضه هي " مادية الله"؟

لا يمكن لسمرين أن يقول مثل هذا التبرير التافه لان منطوقه منطوق الماديين، ولا يمكنه أن يقول أيضا:"ألزمني بمفهومي لا بمنطوقي " لأنه زوَّر مفهوم أصحاب المنطوق وضربنا على ذلك عشرات الأمثلة حول المثالية، وعلمنة نظرية المعرفة، وإدراج الله تعالى تحت مصطلح الوعي، وتعريف المادة، وتعريف المجرد، وتعريف الوعي، والتلاعب بين المستويات الوجودية والمعرفية، ونسبة الروحانية للمادية، وتزوير أقوال ابن تيمية، ودعوى الاتفاق بينه وبين المادية ، و اعتماد قول الماديين في أهم مسألة فلسفية مع تزوير المفهوم بالتلاعب بنص انجلز، و المادة تقبل الإحساس وهي الإحساس ،و الفكر عنده معادلة كيميائية ، بغض النظر عن أقواله غيرالمعقولة في المعرفة الأولية ،و شرحه المحير للتعقل !

كتاب الرجل بدون لون ولا تضاريس مجرد صورة مفحمة لمذهب المادية أدخل عليها تعديلات طفيفة من هنا ومن هناك، وتخللها نقول عن غيرهم لكنها ليست أساسية لم ينطلق منها في بناء أطروحته.

2 ـ لنظهر اللوازم يجب أن نبدأ أولا بشرح واضح للفرضيات المختلف فيها، ويُفهم نص أي كتاب من خلال ثلاث أبعاد: أبعاد المشكل الذي يطرحه وهي هنا: الله مادة ـ المادة سابقة على الوعي ـ لا وجود لمعرفة قبلية، الأولى بدعة مرتبطة بالثانية وهي مفهوم مادي بامتياز، والثالثة تجربانية مرتبطة عنده " بأطروحته" الثانية المادية وعنها نتجت.

أبعاد الاحتجاج ومصدر أدلته عقلية محضة أم مستلفة عن نظام معرفي معين هو هنا المادية.

ثم أخيرا التصورات ومدى مطابقتها للواقع مثل تصور مادة مفصولة عن الوعي، ودعوى موضوعية الوجود لا توجد إلا عند الماديين!

من قرأ كتاب سمرين من أوله وآخره، وعنده قدرة عقلية على رسم مخططه في ذهنه، والحفاظ على وتيرة التصور الكلي أثناء القراءة يعلم أنه مجرد إعادة صياغة سيئة

وتعبير مواز لنصوص الماديين هم يقولون " المادة هي " وهو يقول:" الجزئي المعين المحسوس المشار إليه هو "!
مجرد تكرار التعريف والمفهوم المادي بكلمات أخرى فإن كان اقتباسه مجردا فهو مجرد من أي لمسة شخصية، من أي تصور شخصي.
3 ـ هل يمكن نقض كتابه بدون إعادة بناء الأطروحة ببيان مصدرها وخلفيتها فحتى عندما تأخذ مفهوما ماديا تخالف الأصل التي أنتجته يجب أن تبين ذلك لكنني وجدته يتبنى أصول تعريفهم للمادة في تعريفه للوعي، ويدرج تحته كل ما يعتبرونه مجردا يعتبره هو كذلك، كما يتبنى مصطلحاتهم كما هي.
4 ـ إن لم نستخرج العلاقات بين التعريف والفرضية التي تأسس عليها، العلاقات المنطقية بين المفهوم ولوازمه، مراحل التدليل، الحلقة المفقودة التي يضمرها ويجهد لإخفائها، الفشل في بيان كيف انتقل من فكرة إلى فكرة، مثل: الانتقال من قابلية إحساس الموجود إلى ماديته، من مطلق الإمكان الخارجي إلى الإحساس الفعلي قبل ارتفاع موانعه.
هل يمكن أن نخوض في حديث فلسفي بدون تعريف وتحليل معنى المفاهيم وتوظيف المؤلف لها؟
كل اقتباس يورده عن أي مذهب ـ واقتباساته عن الماديين أساسيا ـ هو لإبراز فكرته وليس للزينة، لا دور لاقتباس مفاهيم مذاهب معينة وبناء عليها الأطروحة إلا إبراز فكرة المؤلف.
شخص يصفِّح معرفته على كلام مذهب كفري متناقض من أساسه إلى فروعه بدون أي شخصية أي خصوصية في الأطروحة نقول عنه: اقتباس مجرد؟
لا يمكن فهم أبعاد أي فكرة دون تمديدها إلى لوازمها المنطقية، ونبدأ بالتساؤل عن معنى التعريف الذي قدمه، هل هو معنى معقول أم هو مجرد تفاهة أيديولوجية مادية يعتقد صحتها السذج؟
لا يوجد تحليل فلسفي فضلا عن نقض علمي بدون الوقوف عند التحديات التي يضعها المفهوم المقتبس، وليس الاقتباس إلا مصادرة تعبير المقتبس عنه لصحته أو لسمعته.
كل اقتباس يعبر عن فكرة إما ندعم بها فكرتنا ونطابقها وإما ننقضها.
الأخ سمرين اعتمد كلية على تعريف لينين للمادة بأنها "مقولة فلسفية لتعيين الواقع

الموضوعي الممنوح للإنسان في أحاسيسه، مصور ومنقول، معاد إنتاجه بواسطة حواسنا والموجود منفصلا عنها" فكيف لا نلزمه بخلفيات هذا التعريف التي ولدته، وبمقاصده عند أصحابه، وبتحدياته على العقيدة الإسلامية، إضافة إلى تفاهته الذاتية وأثره على فهمه لمسألة المعرفة الأولية؟

إن كان المبرر طفلا في العلم يزعق بالشتائم فهذا لا نبالي به، ونعذره، لكن إن كان طالب علم وفاتته كل هذه الأمور فكان الأجدر به اجتناب هذا التبرير التافه والاكتفاء بذكر وجهة نظره العلمية في المسائل المطروحة في الكتاب.

إن لم يفهم الإنسان كيف يؤدي هذا التعريف بعد تحليله إلى الوحدة المادية للعالم، والمتمثلة فيه في: عدم مخلوقية المادة، وعدم قابليتها للتدمير، فهذه قضية إدراك لوازم ونوع القاعدة الفلسفية ليست قضية منطوق ومفهوم.

ما يقوله سمرين عن المادة_ وينطبق على الخالق سبحانه لأنه جعله مطابقا لتعريف المادة _ملخصا هو: " المادة هي الواقع الموضوعي المستقل عن الذات الفردية ووعيها الذاتي، الموجود مستقلا عن الوعي الذاتى والموضوعي"؟![1]

أين يوجد الوعي إذا كانت مستقلة عنه، في أي عالم هو موجود؟

المهم؛ ليس الغرض هنا الوقوف عند أقوال سمرين ولكن فحص هذا التبرير التافه ودعوة للإخوة إلى تغيير استراتيجية الرد ،فهذا رد مفلس له سوق كسائر أنواع البضاعة الرديئة لكنه لا ينفق عند العقلاء.

....

1_ حيث يقول لينين :"المادة هي الواقع الموضوعي.... " يقول سمرين :"هي الجزئي المعين المحسوس المشار إليه" فإما الله سبحانه وتعالى هو عنده جزء من مجموع مادة الوجود، و إما هو المادة بحسب هذا التعريف فإن رضي السذج بهذا لعقيدتهم ؟!

هذا المنطوق وهذا المفهوم !!

وعندما يستخدم ابن تيمية هذه العبارات فهل يقصد بها تعريف المادة أو وصف الله في علاقة مع تعريف المادة؟!

تبسيط الشبهة !

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.

من لا يميز لب الكلام عن حواشيه، التقرير عن الإنكار، اللازم عن الملزوم يتوجع عندما يكشف له الناس من كلامه الذي حسبه حقيقة بديهية ما لم يكن في حسبانه فتكون ردة فعله عاطفية، استجابة لحالة حزن داخلي،فينتقل إلى التهويل والتباكي وتصوير نفسه ضحية سوء فهم أو حسد.. ولهذا الشخص وأمثاله أشرح شبهة المسألة بتصوير آخر.

عندما تضع تعريفا أو وصفا يجب أن تراعي مآل الصياغة جيدا أين ستقود أفهام الناس لأنهم سيتلقونها بمعارفهم وتصوراتهم وليس بمقاصدك.

فمثلا عندما يقول أحدهم :"المادة هي الواقع الموضوعي الموجود مستقلا وفي خارج الوعي" ستتلقاه كتعريف للمادة الفيزيائية ،المادة المعروفة لنا، وينصب اهتمامك على درجة مطابقته لعلوم الفيزياء، وربما تناقش مفهوم "الموضوعية" و خاصة علاقة المادة بالوعي.

لكن ما إن يقول صاحب هذا التعريف :"الله مادة "ستتغير درجة الصياغة عندك وتتغير معها تحديات التعريف ولوازمه، فإذا وجدته يستعمل نفس العبارات لوصف الله "المادي عنده! " و المادة الفيزيائية مثل: "الجزئي ،المعين ،المحسوس ،المشار إليه "لا يمكنك أن تقرأ ذاك التعريف القراءة الأولى إلا إن كنت فاقدا للتمييز ،غير واع بمقتضيات دخول هذا المعطى في الأطروحة.

يرتكز سمرين في أطروحته على شبهة أو اشتباه ينتبه إليه بدون شك قراء ابن تيمية لكن غيرهم لا يولونه أهمية، خاصة إذا كانوا مهتمين أكثر بقضية القبلية و البعدية في المعرفة.

لقد سبق وتحدثت عن مشكلة التعريف المادي الماركسي للمادة فلسفيا وفيزيائيا، وبينت أنه مجرد تجريد ميتافزيقي، وتنتج عنه إشكالات معرفية كبيرة، واليوم أتحدث عن مشكلته العقدية، وما يستلزمه من فساد يدل على أن المدافعين عنه لم يعوا فساده، أو دخلوا في مرحلة عناد جدلي.

هذا التعريف ـ عند الماديين الأصليين ـ هو مقدمة لنفي وجود الله ،أو نتيجة مقدمة لنفي وجود الله " المادة أزلية أولية على أي مبدأ روحي" نتحدث عنه من هذه الزاوية

في مناسبة أخرى.

1 ـ المادة عند لينين:

يعرف لينين "المادة" بأنها "تعكس الواقع الموضوعي الموجود باستقلال (منفصلا) وفي خارج الوعي الإنساني ".

وأيضا: «المادة مقولة فلسفية للإشارة إلى الواقع الموضوعي الذي يعطى للإنسان في إحساساته والذي تستنسخه، تصوره، تعكسه إحساساتنا".

الفرضيات التي بني عليها هذا التعريف ناقشناها في مقالات سابقة لننظر الآن كيف سيترجم ويشرح سمرين تعريف لينين.

2 ـ المادة عند سمرين:

يقول: " ويطلقون على كل معين ثابت الوجود في الواقع يشار إليه يمكن إدراكه بالحواس بالمادة" [ص:59].

ـ يقول: «لقد اصطلح على تسمية الفلسفة التي تقول بأسبقية الشي المعين المحسوس، الجزئي الثابت في الواقع على الوعي" بالفلسفة المادية " [ص:٥٩]

وأيضا «إنما الموجود المعين المحسوس الذي يعبرون عنه بالمادة " [ص:64]

النتيجة: حيث يقول لينين " المادة" يقول سمرين: "ـ المعين ـ المحسوس ـ الجزئي ـ المشار إليه"

السؤال: هل تعريف سمرين، مطابق لتعريف لينين؟ والأهم من ذلك هل هو صحيح في نفسه؟

الجواب: من جهة مطابقة تعريف لينين هو غير مطابق، بينهما قدر مشترك واضح للعيان لكن لا يوجد تطابق لأن لينين لا يعترف بوجود الله وبالتالي الألفاظ التي يستعملها سمرين في تعريف المادة "المعين ـ المحسوس ـ الجزئي المشار إليه" يُخبر بها كذلك عن الله تعالى.

في النقاش الكلامي الفلسفي يخبر عن الله تعالى بأنه جزئي في مقابل من يقول بأنه " كلي ليس له إلا فرد واحد"، ويقولون: " الكلي الذي لم يوجد منه إلا فرد واحد في الخارج، أما في العقل فلا يمنع تصور وجود الشركة فيه".

فمن أخبر عن الله تعالى بأنه جزئي لم يقصد الجزئي الذي يندرج تحت الكلي، لا

يقصد ما دخل في تركيب شيء آخر، وهو كل أخص تحت أعم، فالجزئي المقصود في الإخبار عن الله بإزاء الكلي، وهو ما يمنع تصوره من وقوع الشركة فيه، بهذا الاعتبار الجزئي لا يكون جزئياً إلا إذا انحصر شخصه ومنع تصوره من وقوع الشركة فيه.

بينما الكلي معنى متحد صالح لأن يشترك فيه كثيرون، على تفصيلات ليس هذا موضعها فإذن الجزئي في هذا السياق هو في مقابل الكلي.

ومن يخبر عن الله تعالى بأنه جزئي يريد أنه معين وهو الموجود المتحقق في الخارج بحيث يدرك بالعيان من جهة ما هو مفرد متشخص تمكن الإشارة إليه، مثل هذا الكتاب، ويدرك بالحواس الظاهرة أو الباطنة، يقابل المجرد الذي لا يوجد إلا في الذهن.

ويمكن في هذا السياق أن يقول عنه آخر هو "شخص" لأنها لفظة يشار بها إلى موجود مفرد عن غيره من الموجودات، مدرك بإحدى الحواس، مثل: هذا الرجل، هذا الحصان، هذه الشجرة، ذاك البناء، تلك السيارة، وما شابه ذلك من الأشياء المشار إليها وحدها بعينها؟

كما يخبرون عن الله تعالى بأنه يمكن الإحساس به "الرؤية في الآخرة" وهذا معنى قولهم " محسوس" وهذا بغض النظر عن أن الإحساس لا يحصل إلا بمباشرة المحسوس، فهنا مقدمة عامة هي كل موجود يمكن الإحساس به بدون أن ندخل في تفاصيل الإمكان، ومقدمة خاصة وهي الخبر الشرعي.

وكذلك يخبرون عن الله تعالى بأنه يشار إليه لأننا نثبت العلو والاستواء ولأنه موجود يمكن الإحساس به.

ومن أخبر عن الله تعالى بهذه الأوصاف لم يقصد أنه مادة، ولا صرح بأنه مادة، فقط لتنزيهه من فكرة المجرد، لكن سمرين استعمل هذه العبارات في الإخبار عن الله تعالى ـ لأنه يزعم نقل مذهب ابن تيمية ـ ولتعريف المادة، وهذا فارق شاسع جدا.

وبالتالي تنطبق هذه الأوصاف على الله تعالى وعلى كل موجود في العالم المادي مثل هذه الشجرة، هذا الجبل، هذه الصخرة، هذا البحر ... الخ

أين اللعبة والتمويه؟

يلعب سمرين على درجات الموضوعية، فالتعريف في ظاهره صحيح لأن هذا بعض

ما نخبر به عن الله في سياق معين يعني: من زاوية ما تقتضيه هذه العبارات من كونه موجودا وجودا حقيقيا ثبوتيا، لكن لا نقول عنه بأنه مادة.
والتغيير الذي يدخله سمرين على تعريف لينين هو توظيفه لإثبات مادية الله فلينين يقصد الموجودات المادية التي هي عندنا مخلوقة، وسمرين يقصدها ويقصد الله بداعي الاشتراك في " المعين، الجزئي، المحسوس، المشار إليه "، فما أسس قوله بمادية الله تعالى إلا على تعريف لينين بإدخال التعديلات هذه.
كذلك يمكن أن نعيد صياغة التعريف بناء على أنه يخبر عن الله تعالى بتلك العبارات يصبح إشكالا كالتالي: المادة مقولة فلسفية للإشارة إلى الله وإلى الواقع الموضوعي الذي يعطى للإنسان في إحساساته والذي تستنسخه، تصوره، تعكسه إحساساتنا".
وهكذا مع بقية التعريفات:«إنما الموجود: المعين المحسوس والله تعالى، الذي يعبرون عنه بالمادة " [ص:64]
وحجتهم الوحيدة في جواز وصف الله تعالى بأنه مادة هي أنها بالمعنى الفلسفي، فلنفحص هذه الحجة قبل العودة إلى شطر التعريف الثاني.
قسم الفلاسفة الوجود إلى: المادي ولا مادي "مجرد"، ثم جاء قوم يتبنون المذهب المادي يسمون بالطبيعيين، يعني: يقولون: ليس في الوجود إلا مادة أزلية غير مخلوقة، لا وجود لمجردات خارج الذهن.
وعليه قالت المادية القديمة بالمادة الفيزيائية ثم جاءت المادية الجدلية فقالت بانها مقولة فلسفية كأن هذا التعبير حل سحري للمعضلة!
ومن الطبيعي جدا أن نسألهم: ما الفرق بينها وبين المادة الفيزيائية إذا كنتم تقصدون المشترك بين مواد جميع الموجودات، فهذه صورة مجردة عن المادة الفزيائية، لا يوجد شيء آخر يفهم منها؟
وعليه فإن من قال بأن الله مادة، ويصفه بما يصف به المادة من كونها الجزئي المعين المحسوس المشار إليه مما ينطبق على المادة الفيزيائية أيضا لا يمكنه أن يقول لنا: تعريف لينين لا يشمل الله؟
عندما تقول : " الله مادة " أو "بمادية الله " و تستعمل أوصافا جرى استعمالها في النقاش الكلامي الفلسفي الإسلامي في الإخبار عن الله تعالى و الناس يعرفون بأن الله عليم حكيم خبير ، و معلوم أن العلم عرض ليس بمادة ولا بجسم فطبيعيا سيسألون _

إذا كان الله مادة و له صفات مثل العلم، و ليس الوعي في عرفهم إلا العلم بذاتي بأفكاري و علمي و أفعالي و بالعالم الخارجي عني: هل يندرج أيضا تحت الشطر الثاني من التعريف اللينيني ـ السمريني":".... الموجود باستقلال (منفصلا) وفي خارج الوعي الإنساني " ـ " الخاصية الوحيدة للمادة... موجود في خارج وعينا ".
فهل ينطبق هذا أيضا على الله تعالى بوصفه مادة، وإذا لم نستعمل مصطلح "وعي" في حقه فنستعمل مصطلح " علم" ونحن نعرف أن هذا التعريف لا يتناول إلا المادة قبل ظهور الوعي قبل خلق الإنسان أما بعد ظهوره فتنتهي صلاحيته لأنهم يستحيل عليهم بتعرفيهم هذا إثبات مادة سابقة على الوعي، غاية ما يقدرون عليه أنه مقرون معها، يستحيل تعريفها بدونه كما سبق وشرحت في المقالات السابقة.
ونحن هنا لا نقيس الخالق بالمخلوق تعالى الله عن ذلك ولكننا نحلل مبادئكم فإذا عجزت عن إثبات وجود مادة غير المادة بالمعنى الدارج ثم تقول لنا: الله مادة، أنا مضطر حينئذ أن أسألك عن تقابل مادة _وعي، مادة _علم ؟
وعندما تكرر باستمرار أن المادة سابقة للوعي والله مادة عندك فلأي وعي هو سابق؟
فإن قلت: أنا أقصد المادة المحدثة فقط.
فأقول لك: بماذا أثبتت مادية الله؟ أليس بإخبارك عنه بأنه جزئي معين محسوس مشار إليه، وهو نفس ما أثبتت به المادة المحدثة؟!
أليس هو تعريف المادة الذي تتكؤون عليه؟
واللازم أنه سبحانه وتعالى دخل في المادة التي جعلتموها في مقابل الوعي وسابقة عليه، وعلى هذا لوازم كثيرة أشرنا إليها في مقالات سابقة.
ويمكن أن تقول :الله تعالى الجزئي المعين المحسوس الذي يشار إليه، الازلي الذي ليس له أول، والجبل والشجر.. الجزئي المعين المحسوس المشار إليه المخلوق.
وهذا تمييز جيد لكنك سميت الأول مادة والثاني مادة، ووصفتهم بوصف واحد، فكيف أفرق بين المادتين، وهما بهذا الاشتراك؟
الحجة الوحيدة التي قدمتها أن الأول مادة بالمفهوم الفلسفي والثاني مادة بالمفهوم الفيزيائي، وهذا مجرد تضليل فالمادة بالمفهوم الفيزيائي هي كذلك مادة بالمفهوم الفلسفي لأن المفهوم الفلسفي ليس في حقيقته إلا الوجود الواقعي مع افتراض وجود نوعين من المادة :مادة كلية تعم كل الموجودات ومادة جزئية تخص الموجود

المخلوق.
لقد فتحت على نفسك بابا لا تستطيع غلقه!
فنحن لا نفرق بين ذاته وصفاته، ولا نثبت إلا ما أثبه النص، وما ورد مما قد يتمسك به المشبه في الكلام من الصفات الخبرية فنرده بانه لو ثبت لفظ المادة أو الجسم في النص لطبقنا عليه القاعدة الخاصة بالصفات الخبرية.
ونفرق بين إثبات اللفظ المحدث ونفيه وبين عدم إطلاقه، وعندما ندخل في الاستفصال نفصل المعنى الصحيح من المعنى الفاسد لكننا دائما لا نطلق اللفظ المحدث.
فنحن لم نقل: الله مادة، ولم نمثله بخلقه، ولم نضعه في قضية جدلية مع المخلوقات او تحت لفظ المادة، ولا في مقابل الوعي الإنساني، ولا ماديته في مقابل علمه، هذا كله لازم عن قواعدكم الماركسية.
بطبيعة الحال اللازم ليس قولا حتى تشغبوا بأننا رميناكم بالإلحاد فهذا مجرد هروب للإمام ولكن اللازم حق، فإن لم تعرفوا لوازم أقوالكم ما ذنب الناس ؟!
والخلاصة: كل هذه المصائب جاءتكم لقولكم بمادية الله، وإلا كان ليكون قولكم بدون هذه البدعة أكثر معقولية ومنطقية.
ثانيا: أنتم تنسبون هذا المذهب لابن تيمية لكن عندما يدخل الناس معكم في نقاش مثل المعرفة القبلية الأولية تقولون: الوعي تفاعلات كيمياوية، وهذا ليس بمشكل يمكن الجواب عنه لكن أين قال ابن تيمية ذلك؟ وأين جعل محل الوعي الدماغ وحده؟
يلزمكم ـ وستصلون لهذا قريبا ـ الانفصال عنه والتأصيل لمذهبكم والدفاع عنه بحجج المادية الخالصة،أو بأي شيء آخر غير ابن تيمية !

أسلمة المادية: النظرية التي ولدت فاشلة!

[08]

اتفاق ابن تيمية مع الماديين حول موضوعية الوجود؟!

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.
لنبدأ بالمتفق عليه عند الناس وهو أن المادية بجميع تياراتها مذهب ينطلق من مبدأ أنه لا يوجد إلا واقع واحد، هو واقع المادة، وهذا عين قول سمرين منطوقا ومفهوما، وبالتالي المادة هي الحقيقة الموضوعية الوحيدة، والباقي سواء كان الله أو الروح يجب

أن يختزل في المادة أو يعتبر غير موجود(هذا ما أكده سمرين في كتابه عن المادية وهو يلصق أسباب الإلحاد بالمثالية).
وهذا كذلك موقف سمرين فالله عنده مادة فإما نقول مثله بمادية الله تعالى أو أن حقيقة قولنا إنه غير موجود(لازم قولنا وقول كل مثالي يحكيه على لسان الماديين دون أن ينتقده) ، ونحن(كمثاليين) ندعو الناس بذلك إلى الإلحاد! لأن إحدى مقدمات شبهته ـ التي كشفت فساده وبدعيتها في عدة مقالات ـ هي أن سبب إلحاد المادية قول جميع المثاليين بأن الخالق ليس مادة، هذا ما تدور عليه أطروحته ثم يقفز إلى موضوعه المفضل " بعدية المعرفة" وسنقف معه فيها لاحقا .
النظرية المادية هي مذهب وجودي بحسبه لا يوجد جواهر أخرى إلا المادة، يرفض في العموم وجود الإله، الروح، الغيب، والوعي ـ بالنسبة إليه ـ ليس إلا ظاهرة ثانوية ترتبط بالمادة.
لماذا لا يمكن المادي بحال الاعتراف بأولية الروح؟ لأن هذا بالنسبة إليه اعتراف بوجود الله، وكل تاريخ المادية بعد الحداثة كان معاديا للكنيسة «انظر نصوص جون ميسلار، البارون هولباخ، هلفتيوس، لديدرو".
فالمادية والإلحاد كلمتان تسيران مع بعض كأصبعين في يد واحدة، والعداوة للدين صفة ثابتة ومتكررة في كتابات الماديين، وعندما يقول لنا سمرين بأنهم لا ينكرون الروحانية فهو هنا باختصار يكذب على عباد الله جميعا المادي والمؤمن، وقد كشفت ذلك في مقال خاص فليقف عنده هو حاشيته إن استطاعوا!
تسعى المادية للتخلص من " الروح" كشبح في الآلة، ومن الإله الأخلاقي للديانات، والمعركة بين ديكارت والماديين والتي انتقلت إلى برغسون، وخاصة معركة فويرباخ وهيغل هي التي ستقود إلى بناء المادية التاريخية عند ماركس وأنجلز المسماة " المادية الجدلية "، مع العلم أن المعركة الأخيرة مع هيجل معركة ضد إثبات وجود الله ولو كان مجرد فكرة منطقية عند هيغل لأن الرجل يقول بوحدة الوجود، وهي مذهب مادي أيضا. [01]
مشكلة المادية أنها ترتكز على تصور فيزيائي منتهي الصلاحية، جمدت حيث كانت في القرن 19 يعني: ظلت متمسكة بالبراديجم الميكانيكي أي المادي القديم الذي احتضن علوم الكيمياء والذي نسفته الفيزياء حينما نقلت الاهتمام والبحث من

التفاعلات بين الذرات إلى التفاعلات داخل الذرة نفسها وبعد ذلك في فراغها، وأما «مفهوم المادة الفلسفي " فخرافة يصدق بها الساذج وسبق وبينت زيفها وتناقضها.
عرَّف لينين المادية بصفة واحدة للمادة على أنها " واقع موضوعي"، قال سمرين في [ص: 268]:" "ضابط الوجود الموضوعي قبول الحس " دون أن يشرح لنا عن أي موضوعية يتحدث، ولا معنى " قبول الحس"؟
فنقول: "ماذا يعني " واقع موضوعي"؟ هل هو شيء يمكن قياسه، كسره، رميه كحجارة...؟ فهذا تعريف فقير جدا مخل بشروط التعريف، ومثلا نحن لا نعلم شخصا تمكن من لمس الجاذبية، المجال المغناطيسي، موجة ما.. الخ ومع ذلك لم يكن للفيزياء أن توجد بدون هذه التصورات.
عندما اقترح نيوتن نظريته عن الفعل عن بُعد لم يتقبلها الميكانيكيون " الاسم القديم للماديين" الذين رءوا فيها «قوة غامضة" لأنهم لم يكونوا يؤمنون إلا بالسببية بالاتصال، والمادية اليوم في نفس الوضع لأن الفيزياء فككت التصور التشيئي للمادة «نراه في فصل تعريف المادة"، لأنها رأت أنه غير مناسب ويجب التخلص منه، فمن الأفضل التفكير على أساس بنية الطاقة ومجال الطاقة، والفراغ الذي عد من قبل عدما تبين أنه قماش المادة، وعليه وضعت الفيزياء المعاصرة المادية في حرج شديد."
انظر طاو الفيزياء؛ كابرا"[02]
فالمفهوم الفلسفي للمادة الذي تدعيه والذي أسه المفهوم الفيزيائي تبخر في الفيزياء المعاصرة، فلا يمكنك أن تثبت مادية شيء فضلا عن وجوده بمجرد قابلية الإحساس لأنها مجرد إمكان، إن كان ذهنيا فهو وهم، وإن كان خارجيا فيحتاج إلى دليل خاص أو نظير يقاس عليه، وما تعلق بالله تعالى فالخبر الشرعي هو الذي أثبته وليس الإمكان.
وعلى هذا فإن من لا يعرف هذا الخبر أو لا يصدق به فإن إمكانية الإحساس لا تساوي عنده شيئا بل هي دليل عند المادي بوصفه تجريبيا أن الإله غير موجود فيحتاج النقاش معه إلى أدلة أخرى، ولا يصل إلى قابلية الإحساس بالخالق الذي ليس كمثله شيء إلا بعد إثبات النبوة وتصديق الخبر، فالمادي لا يؤمن إلا بمباشرة الإحساس، يعني: الإحساس المادي الفعلي لا بإمكانيته فتوقفوا عن مزج تخاريفكم بالهدى.

ولو كانت قابلية الإحساس التي هي صفة للمادة الفيزيائية دليلا أو حتى قرينة في إثبات وجود موجود لكان الملاحدة الماديون آمنوا بوجوده قبل أن تطلع على كتبهم!
ولا يمكنك حين النقاش مع ملحد أن تقول له: انتظر نصل يوم القيامة وستحس بالموجودات الغيبية وتكتشف أنها مادة كما تعرفها! فما نثبت نحن كمسلمين الإحساس به يوم القيامة هو غير محسوس لنا في الدنيا فكيف يكون موجودا عند غيرنا إذا كان ضابط الوجود الموضوعي قبول الحس؟!
وهذه المسألة " قابلية الإحساس " التي يصف بها ابن تيمية " الموجود" ويصف بها سمرين "المادة" لم يغلط فيها نفاة رؤية الله يوم القيامة وحدهم بل غلط فيها أيضا بعض مثبتتها كسمرين وحاشيته، مع تلاعبهم بالفرق بين موجود ومادة، يقول ابن تيمية: " وهذا أيضاً من مثارات غلطهم، فإنهم قد لا يفرقون في المحسوس بين ما هو محسوس بالفعل لنا، وبين ما يمكنه إحساسه، وإن كنا الآن لا نستطيع أن نحسه.
فإن عنى بالمحسوس الأول، فلا ريب أن الأعيان منها ما هو محسوس، ومنها ما ليس بمحسوس، وما أخبرتنا به الأنبياء من الغيب ليس محسوساً لنا، فلا نشهده الآن، بل هو غيب عنا، ولكن هو مما يمكن إحساسه، ومما يحسه الناس بعد الموت" [03]
و عليه ليست كل الأعيان محسوسة لنا، وفي هذا الزمن التي لا تكون محسوسة لنا فيه هي غير موجودة بالنسبة لنا بدليل الحس، غير موجودة يعني: غير موضوعية ،وإن أثبت أحد وجودها فهو يتخيل وفي وهم باتفاق جميع العقلاء، فأما المؤمن فيعلم وجودها و إن لم يحس بها بدليل آخر يتبع الدليل الفطري المتمثل في أن معرفة الله مغروسة مغروزة في نفسه ، وكل معروف بغيره مجهول عبارة الشيخ أبي عبد البصري المالكي ،العبارة التي استدل بها ابن تيمية على ما قبلية فطرة الإسلام مع دليل الوحي ، و أما الكافر فلا يمكنك أن تناقشه بهذه المقدمة لأنها بدون الدليل الخاص هي دليل عنده على عدم وجود هذا الغائب غير المحسوس له في الدنيا .
لا يفرق سمرين بين موضوعية الموجود لنسميها ـ كما يفعل بعض الباحثين ـ موضوعية ثانية وهو الموجود الذي اتصل به إحساسنا فعليا، وبين موضوعية ثالثة وهي موضوعية الموجود الممكن الإحساس به مستقبلا، فالأولى تتوقف على الإحساس بينما الثانية "مثل موضوعية وجود الغيبيات" تتوقف على العلم وليس على الإحساس، فقولك " قابلة للإحساس، قال النص " ليس إحساسا ولكنه علم عقلي

سمعي، ومن لم يلحظ هذا الفرق بين الموضوعيات يقع في مثل هذ الأطروحات الفاسدة.[04]
إذن لو اعتمد المرء على الإحساس وحده "الإحساس المادي" لم تكن موجودة، و انما نثبته بالخبر و ليس بالحس فعلمنا قابلية الإحساس بالغيبيات بالخبر و ليس بالحس فالموجود الموضوعي هنا غير موضوعي إلا بالخبر و ليس بالإحساس، و الخبر أخبرنا أنه محسوس لم يخبرنا أنه مادة، فضابط الوجود الموضوعي تبخر في هذه القضية، و نحن لا نناقشك في موجودات أطراف الكون أو أعماق البحار، موضوعنا هنا محدد هو موضوعية وجود الغيبيات من أين استمدتها و الحس ممتنع مؤقتا؟ !
لهذا يجب أن نفهم أن الموقف المادي هو من قبيل معركة الإيديولوجيا كما يقوله جون بريكمون: نلتقي بماديين لا يحبون الانفجار الكبير "بيج بانج" لأنه يشبه سرد الخلق في التوراة، يجدون صعوبة وحرجا مع اللاحتمية الكمومية، بعضهم يريد أن ينكر خصوصية الوعي لأنه يخشى من عدم إمكانية اختزاله في المادة، والبعض الآخر يخشى أنه إن لم يمكن تفسير بعض جوانب طبيعتنا بالانتقاء الطبيعي فهناك مخاطرة توجب علينا استدعاء الفعل الإلهي.
تقوم المادية وبالتبعية سمرين في تصوره المادي للإله على فكرة حمقاء هي أنه لا يوجد أسرار كونية أو أمور غامضة لا نستطيع فهمها، ما يروج له سمرين تحت شبهة ميتة تتمثل في إلحاق المثاليين بالتجريبيين، وبالضبط بتعرفيهم للفكرة، عندما قالوا عن المثالية: " من الصعب بل المستحيل إثبات عالم خارجي عني"، لكن لا أحد من الفلاسفة السابقين زعم ان "خارجا عني" لا يمكن إثباته، يعني رموها بالشكوكية ، ما يعبر عنه سمرين بقوله : (ص:٦٥):"وقد احتد نقد الماديين على المثالية بإلزامهم بأن المثالية" تنكر إمكان معرفة العالم وقوانينه ولا تؤمن بقيمة معارفنا ولا تعترف بالحقيقة الموضوعية وتعتبر ان العالم مملوء بـ «أشياء بذاتها" ولن يتوصل العلم ابدأ إلى معرفتها " ناقلا عن ستالين من "المادية الديالكتيكية والمادية التاريخية".
فالعلم يسعى للفهم، لا يزعم أنه أحاط بالكون علما، وهناك أمور لا نعرفها إلا من الوحي، وهناك أخرى استأثر الله بالعلم بها، ولهذا مصيبة المادية في جحود وجود الله وغرورها بالعلم المادي.
المقاربة الموضوعية للمعرفة خطوة منهجية، فالعلم في نفسه ليس ماديا، والمادية هي

موقف ميتافزيقي يتجاوز المقاربة العلمية المعهودة، بالنسبة للمادية لا يمكن للموضوعية إلا أن تأخذ شكلا واحدا يسميها برنارد إسبانا " الموضوعية القوية" والتي تعني التصور الذي بحسبه يحمل العلم علم الواقع في نفسه، كما هو موجود مستقلا عن كل ملاحظ" الوعي"، نوع من الموضوعية بدون ذات تكون موضوعية! [05]

يقدم لنا سمرين تعريف للمادة بأنها الواقع الموضوعي المفصول والمستقل عن الوعي " فمتى كان هذا وأين؟ وكلامه هذا من داخل وعيه؟

وعلى هذا تجيب الميكانيكا الكمومية بالتالي: هذا وهم لا يمكن العلم بلوغه أبدا، فكل ما نعرفه عرفناه من الملاحظة ـ ليس من قابلية الحس مجردة عن الخبر بالنسبة للمسلم ـ مما يستلزم ذهن ملاحظ وعملية ملاحظة، وأدوات القياس ليست إلا امتدادا لأعضاء حواسنا ونظرياتنا ليست إلا بناءات ذهنية ونحن عاجزون تماما عن الحديث عن واقع خارج عن الوعي الذي نملكه، فإن قدر سمرين أو حاشيته المصفقة عن " وعي " الحديث عن شيء من خارج وعيهم أو بدونه فليتحفونا بذلك.

وعليه فما يمكن للعلم المادي أو حتى الفلسفي ـ وإن كان مجرد مضاربات في فراغ ـ أن يمدنا به هو موضوعية ضعيفة، موضوعية مبنية على التفاعل الذاتي، ونحاكمها إلى أن يقدم الملاحظون نتائج متفقة فقط، وهذا يكفي للقيام بالبحث العلمي، فالعلم خطوة إنسانية تبقى ذاتية.

ولا يجب أن ننسى أن النظرية العلمية رؤية على الواقع، وخريطة بلد ليست هي البلد يا نبهاء !، وتصوراتنا العلمية وصفية تقريبية، والواقع كما هو، واقصد هنا الواقع الغيبي الكوني والديني منه يخترق ويتفلت لوصفنا، وهنا موضوعية الواقع هي الخبر الشرعي، و قابلية الإحساس تخبر عنه مادية المادة الفيزيائية لا تخبر عن مادية الروح فضلا عن الإله ، فهنا حلقة ناقصة قفزتم فوقها : المادة الفيزيائية قابلة للإحساس" بدون الدخول في تعريفها الحالي المشكك في هذه المقدمة" = وكذلك الله قابل للإحساس = الله مادة ، و إذا لم يعجبكم اللفظ فهو مادة بالمفهوم الفلسفي فقط !

الاستنتاج: من أين عرفتم أن صفة المادة الفلسفية قابلية الإحساس؟ أليس من المادة الفيزيائية أم يوجد فيكم من رأى الروح أو الله تعالى وعرف عن معاينة أنه من مادة؟!

وعليه تكون المادة بالمفهوم الفلسفي أخذت قابلية الإحساس من المادة بالمفهوم

الفزيائي؟!
وعلى هذا نعرف أن المقاربة الموضوعية المادية لا تقود إلى يقين نهائي، والحل الوحيد للحفاظ على تصرف علمي هو الاعتراف بمحدودية علم الإنسان فالنظريات العلمية كلها قابلة للتزوير والمراجعة، ومن المستحيل اقصاء الصفة التاريخية للعلوم المادية كما يستحيل الفصل بين البناءات العقلية للعلماء والعلماء كذوات عارفة، وهذا يخرب كل اعتقادات المادية التحتية.[05]
هذه عملية التي يقوم بها سمرين مقلدا ملاحدة المادية هي عملية تحويل بسيكولوجي للفكرة، ما يمكن أن نسميه "ذهانية" أو "فكرانية" التي بحسبها يتعامل العقل مع أفكار هي نفسها مختزلة في تمثلات فردية بسيكولوجية، تمثلات بمثابة وسيط (صور عائمة كما يقول هيوم) بين العقل والأشياء الفيزيائية.
كانت المعادلة في السابق: الواقع = المادة فإذن: منكر مادية الواقع = منكر لكل الواقع.
وعندنا الآن معادلة: الأفكار = تمثلات خاصة لفرد فإذن: المثالية = أولئك الذين يؤكدون أن التمثلات الخاصة بالفرد هي أصل العالم أو الواقع الفيزيائي.
لهذا من يطعن في المادة" المادة هي الأولى "يطعن في الواقع بمجموعه. [06]
اما يقوله ابن تيمية عن محسوسية الواقع واستغنائه عن علمنا فيه إثبات استقلاله عن الحس المتصل إذا كان في هذا السياق لا علم بالمعين إلا من الحس، وهو عكس ما تقوله المادية إذ لا واقع عندها موضوعي إلا ما أعطي لنا في أحاسيسنا الآن وليس بعد يوم لا تؤمن بوجوده.
بدون الوحي في القضايا الغيبية لا أعرف إلا ما يدركه حسي، ولا واقع موضوعي عندي إلا ما يدركه حسي فاكتفاء الواقع بذاته في وجوده هو في ذاته هو ليس بالنسبة إلى ذاتي أنا، فبدون إدراكي الحسي وبدون خبر الوحي لا يوجد بالنسبة لي واقع موضوعي فهو مجرد افتراض.
وعلى هذا يجب أن نفهم سوء فهم سمرين الكبير لقول ابن تيمية:"الحقائق الخارجية المستغنية عنا لا تكون تابعة لتصوراتنا بل تصوراتنا تابعة لها"[07]
حيث زعم أنه يتفق مع الماديين" لينين" في قولهم:" الواقع الموضوعي الذي يعطى للإنسان في إحساساته والذي تستنسخه، تصوره، تعكسه إحساساتنا وهو موجود

بصورة مستقلة عنا " [ص:145]
فالرجل لم يفهم معنى "الاستغناء عنا وعن تصوراتنا" عند ابن تيمية ومعنى" الاستقلال عنا "عند الماديين، أشرح ذلك:
الحقائق الخارجية مستغنية عني في وجودها لأنها لا تحتاج لتكون موجودة بمعزل عني إليَّ، مثل نجم أو كوكب ما موجود في مجرة ما، سيعلم البشر بوجوده بعد ألف سنة من اليوم، لكنه في الحقيقة هو موجود منذ أن خلقه الله، ربما من بلايين السنين، فوجوده في نفسه مكتف بذاته عن علمي أنا بوجوده، لا ينتظر علمي به ليكون موجودا.
ومع ذلك وجوده في نفس الأمر ليس هو وجوده بالنسبة لي، فأنا كبشري لن أعلم بوجوده إلا بعد ألف سنة، وبدون خبر الوحي أو رؤيتي له، أي: إحساسي به فهو غير موجود بالنسبة إلى، وإن كان موجودا في حقيقة الأمر، فلا يمكنني العلم بوجوده إلا بإحساسي به أو بخبر صادق، لا يوجد طريق ثالث هنا. فالإحساس طريق العلم بالموجود ليس مقصورا على المادة.
فابن تيمية يتحدث عن هذا، عن الاكتفاء الذاتي للموجودات بالنسبة إلى الذوات البشرية العارفة، يتحدث عن موضوعية الموجود لا عن موضوعية الذات العارفة، وهذا ما يخلط فيه سمرين وحاشيته بشكل سيء للغاية، كما يتحدث ابن تيمية عن انفصال موضوعية الموجود عن موضوعية الذات، لا يتحدث عن موضوعية الوجود المادي أو المادة، فهذا تلبيس على حاشيتك النبيهة!
وأما لينين فيتحدث عن شيء آخر، عن الاتصال الحسي المباشر، عن الواقع الخارجي الذي يعطى لي في إحساسي، فها هنا اتصال حسي مباشر ليس قابلية الإحساس، وعلى هذا هو ينكر الواقع الخارجي الذي يتحدث عنه ابن تيمية، فابن تيمية يتحدث عن واقع خارجي أخروي أثبته الخبر، وإلا فإنه إن لم يتصل حسي بهذا الواقع الخارجي ولم يخبرني عنه عالم صادق كالوحي فمن أين لي العلم بوجوده؟ وافتراض وجوده مجرد خيال زائف.
وعندما يعلق سمرين (ص:99) على قول أحدهم لعله محمد قطب:"المادية لا ترتفع عن مدركات الحس" قائلا:" قائلا: فإن كان هذا يعني أنها لا تثبت ما لا يقبل الحس فهذا صحيح، فكل ما ليس بمحسوس، أي يقبل الحس ليس بموجود وهو الأصل الذي

كان عند السمنية وصححه ابن تيمية وإن كان المقصد أنها تتوقف عند المعطى التجريبي فغير صحيح.." ثم انحرف عن محل النزاع إلى المفاضلة بين المعرفة العقلية والمعرفة الحسية.

وهنا كذلك استمر في التلاعب بالألفاظ لأن المادية لا تقبل ما ليس بمحسوس في الحاضر، واما ما لا يقبل الإحساس إلا في الآخرة، أو بشروط إلهية فخارج مجال البحث عندها، فهي أصلا تنكر كل الغيبيات، وكلها قابلة للحس عندنا لأنها موجودات واقعية موضوعية بالنسبة لنا، لا نشترط الإحساس الحالي بها لنؤمن بوجودها إذا كان الخبر الشرعي أثبت الإحساس بها بشرطه.

وكذلك صحيح أن المادية تتوقف عند المعطى التجريبي، ولذلك تنكر وجود الله والروح والجن والملائكة والجنة والنار وكل الغيبيات لأنها ليست معطيات تجريبية تحس بها الآن.

وهي هنا بخلاف أخينا سمرين تتبع منطقها فإذا لم تقر بوجود إله ووجود وحي، ولم تر بعينها الملائكة فكيف لها أن تؤمن بوجودها؟! وتدرك أنها وإن لم تحس بها في الحاضر فهي قابلة للإحساس بشرطها، هذا علم مستفاد من الوحي أولا وليس من موضوعية الواقع الخارجي وإمكان الإحساس بكل موجود مجردا، فعندنا الملائكة موجودات موضوعية في الواقع الخارجي ولا نحس بها في الدنيا إلا حالات استثنائية من جنس المعجزة وما في ضمنها.

وعليه فالقول بإطلاق بأن "كل ما لا نحس به غير موجود" قول باطل، فنحن كذلك لا نحس بالمجال المغناطيسي والبروتون وما أقل منه، وكل ما هو بديهي رياضيا من مكونات الذرة، وهي موجودة، فالأخ لا يفرق بين إمكان الإحساس أو قابلية الإحساس والاحساس بالاتصال، الأول تيمي والثاني مادي لينيني؟

وأما القول بأفضلية المعرفة العقلية على المعرفة الحسية فمجرد مغالطة اعتاد عليها وحيدة عن الموضوع تليق به، لأن هذه المعرفة في كتاب أخينا معرفة حسية المصدرنافية لكل معرفة قبلية، وثانيا: كل المعرفة عقلية لأن الحس لا يعقل شيئا بنفسه، فتفضيل هذه المعرفة لا يعني بحال أنها لا تتوقف عند المعطيات التجريبية فقط، لأن كل المعرفة عقلية لا نعلم صحتها بدون العقل، قال ابن تيمية : " الحس الباطن أو الظاهر إن لم يقترن به العقل الذي يميز بين المحسوس وغيره، وإلا دخل

فيه من الغلط من جنس ما يدخل على النائم والممرور والمبرسم وغيرهم ممن يحكم بمجرد الحس الذي لا عقل معه"[08]

ولو كانت المعرفة تبدأ من الحس وتعود إليه، والعقل مجرد علبة فارغة تأوي إليه لتولد المبادئ البديهية لما سميت عقلية!

وإذا كان الحس مثارا للغلط فبأي شيء أصبح معرفة منظمة غير عشوائية؟!

والسؤال هنا: هل تقبل المادية المعرفة الشرعية؟ وهل تقول بمبادئ عقلية أولية حتى يمكن أن نقول عنها بصدق: إنها لا تتوقف عند معطيات التجربة؟

فهنا خلط عند الأخ بين الاتصال الحسي المباشر الذي هو شرط عند المادية لأن المادة هي الشيء المعطى لنا في أحاسيسنا، وبين قابلية الإحساس بشرطه عند ابن تيمية، ولهذا لا يفرق بين الواقعية التيمية والواقعية المادية، كما لم يفرق بين الواقعية المثالية والواقعية المادية... الخ.

إفلاس سمرين!

يبدو أن سمرين أفلس من الشبهات المحتملة فمن ابن تيمية ولينين إلى مشاركة على صفحته تفاهات! وعندما يكون شخص ضعيفا إلى هذه الدرجة، معدما أخلاقيا وعلميا، عندما يكون لا مباليا إلى هذه الدرجة بما ينشر من نفايات التفكير الإنساني لا أتوقع منه شيئا، عندما يُحجَّم فكره ويكشف تهافته لا ينتج عقله إلا مثل هذه النفايات.

بدون شك هذا راجع لميوعة سمرين فعند الجد ظهرأنه بدون حجج، كان يهرف على أشخاص بثقافة بسيطة، فلا يستغرب أن يشارك هذه التفاهات على صفحته.

ومع ذلك فشطرالمبتغى تم، لم تبق إلا مسألة واحدة؛ وأنا هنا لا ألوم المبتدئ فهو يبحث عن نفسه بحسب مستواه، سيتعلم بعد سنين ـ إن كان محلا قابلا للعلم ـ تمييز محل النزاع عن تفاهات سوء فهمه.

ولأن نفايات التفكير مكانها ذيل الأشياء فسأخصص لإفلاس سمرين مقالا بين الشوطين يتسلى به القارئ العاقل غدا إن شاء الله تعالى أو بعد غد.

....

الهامش:

1 ـ تحقيق حول المادية، غارفطرن.

2 ـ نفس المصدر السابق.
3 ـ الدرء [6/33]
4 ـ الموضوعية الأولى موضوعية الذات، والثانية موضوعية المدرك حسيا، والموضوعية الثالثة موضوعية العلم بإمكانية الإحساس به " قابلية الإحساس"، والموضوعية الرابعة موضوعية العلم الممكن غير الموجود حاليا بإمكانية الإحساس، مثل أن يقول شخص في القرن 18 سيتوصل العلم إلى قياس حجم الالكترون، أو إلى السفر إلى القمر.
5 ـ غارافطرن نفس المصدر.
5 ـ نفس المصدر.
6 ـ المقابلة بين المادية والمثالية، إيزابيل فوجيل
7 ـ الرد على المنطقيين، ص:71
8 ـ الجواب الصحيح [4/313]

المادي المؤمن المتوهم "هوبس"!

ما بين الشوطين

الحمد لله والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.

تعلم بعض الشباب من سمرين عادة سيئة في النقاش العلمي تتمثل في الاحتجاج على الباحث المخالف دون فهم مراده بما كتب في القواميس كأنها كتبتها أنبياء الفلسفة، وهذه القواميس تعود لثقافة كاتب الفقرة ولمذهبه و المادة فيها عبارة عن توليف كاتبها ،ومادامت ليست من عبارات المذهب أو الشخص المعني بها، أولا يعترف بها مقالة له فتبقى مادة للمبتدئين، مدخلا يتمرسون فيه، ويتعرفون به على المذاهب بصورة سطحية أولية، أما التحقيق فشيء آخر يحتاجون إلى سنين من الخبرة، من الوهم، من الأخطاء، من تجديد المعرفة وربما تغيير البراديجم ليقدروا عليه.

قال أحدهم: " سؤال تكرر: هاتِ فيلسوفا أو مادية يتفق البناء الفلسفي على ماديته ويؤمن أو تؤمن بإله خلافا للماركسيين؟ ـ لا أظن أنني لو جئت بمثال سينتهي النقاش، سيقول المتعصب هذه مادية منتقدة حاربها الماركسيون ويكون المعيار ما قالته إحدى

الماديات في حق الأخرى أو أي تبرير آخر يأتون به. -ولكن لكيلا يتكرر السؤال خذ هذا المثال من أعظم الفلاسفة الماديين وأشهرهم الفيلسوف الانجليزي (توماس هوبز) والذي واجه مثالية الكنيسة في موقفها من الله والوعي والروح والنعيم والعذاب الحسي وله كتابات شهيرة وقد تأثر به كثيرون." أهـ"

وأنا أجيب هذا الأخ بما ينفعه إن شاء الله تعالى فأقول:

أولا: هذا سؤال بصيغة التحدي، لا يقصد منه لفظه، فمثال واحد أو شخص واحد لا يثبت به صحة المذاهب لأن وجود التناقض في الفلاسفة والعلماء كثير جدا فلا نقصد بهذا السؤال المثال المحض، ولكن المثال المؤسس، فعندنا ـ مثلا ـ من يقول بوحدة الوجود ويقاتل عدوه ويعاقب الجاني، ويحرم نكاح المحرمات، وهذا تناقض في مذهبه!

ثانيا: لقد أخطأ التمثيل لأن أقرب فيلسوف لما يبحث عنه هو لوك وليس هوبس، ومع ذلك عندنا جواب عليه لا يقل قيمة عن الجواب الحالي.

ثالثا: هوبس على مذهب مادي محدود جدا، ليس على مذهب المادية الماركسية كالذين أقام سمرين على أفكارهم كل اطروحته.

لنتكلم عن هوبس المادي المؤمن بالله، سلف سمرين وحاشيته في الجمع بين المادية الماركسية والإيمان بالله تعالى مجملا ثم نفصل، يُنسب هوبس إلى الواقعية والتعاقدية والتجريبية، وقد اتهمه أهل زمانه ومن بعدهم بالكفر وغير ذلك، يقول برنهاردت جون: " نسب إليه خيال الدولة الطبيعية، إنكار الحق الطبيعي، الإشادة بالأنانية في الأخلاق والديكتاتورية السياسية، الاسمية، المادية مخفية، موقف ضد المسيحية، إلحاد متنكر "[01]

وأما بخصوص " ماديته" فجاء في موسوعة "إينفرساليس: " نتحدث عن هوبس كفيلسوف مادي؟ فعلا يعرف الأجسام بما يصادف مع بعض أجزاء الممتد ومستقلا عن فكرنا، لكن الامتداد نفسه ليس شيئا آخر بالنسبة إليه إلا ظاهرة شيء موجود في العقل، ظاهرة خارج العقل، والمادة نفسها ليست شيئا إلا كلمة نعيِّن بواسطتها الأجسام عموما معتبرة في امتدادها أو كبرها وفي قدرتها على قبول صورة.

هذا المذهب المادي هو نظرية "يبدو"، للظواهر، ظواهرية مضاعفة باسمية ". [02]

فالنسبة لهذا الأستاذ تحمل مادية هوبس على الجسمية ما يعني أن المادة هي الطبيعة

والجسمانية هي الهيئة أو الشكل الثبوتي فليس الأمر مختلفا كثيرا.
بالنسبة لهوبس كل موجود هو جسم، ونفس الشيء بالنسبة لوجود الله، وهذا الموقف هرطقي.
بحسب " ميشال سبانووت"[03] صرح هوبس في كتابه "Léviathan» النسخة اللاتينية سنة 1668 "أن الله جسم"، ويظهر أن هذه الفكرة لها وظيفة داخل بناء نظامه الفلسفي، بحيث تسمح له ببسط وحدوية كاملة للموجود معرفا الكل بالجسم...!
يعني: إذا كان كل شيء جسما فالله كذلك، إذ يجب أن يخضع هو كذلك لنفس المشترك للوجود، وأن يكون جسما بدون أن يفرق بين خصائص وجود الله وخصائص وجود المخلوقات.
يتعلق الله بما هو " موجود"، مثل الموجودات المشاهدة، وعلى هذا يكون الله في نظام هوبس الوحدوي الشكل مشترك الوجود، وبالتالي هو جسم.
وهذه الفكرة ليست جانبية أو من حواشي فلسفته بل هي أساس فلسفته حتى في السياسة كان هوبس جسمانيا، فهوبس مفكر مادي يتصور الله كمفهوم تحت نموذج الجسم، ويفكر الدولة تحت نفس النموذج، فيعتبرها جسما، وهذا يعني أن مفهوم الله عنده يدور على وحدة وجود هوبسية.
ومعلوم ان مصطلح " وحدة وجود" باللاتينية " panthéiste» أول ما ظهر عند جون تولاند سنة 1705 لهذا لا نستغرب عدم استعمال هوبس له.
المشكلة في فلسفة هوبس فيما يخص مقاربة مسالة وجود الله أنها غير واضحة: فهل هو معرَّف في الكون أو في جزء منه...؟ وهل هو فعلا موجود أم مجرد احتمال؟
وأمام هذه الصعوبة تراجع هوبس مظهرا عجزا عن استخراج كل النتائج التي يستلزمها مذهبه الفلسفي حول جسمية الله، ويقصدون بالتراجع زوائد النسخة اللاتينية.
قد يقول بعض المعجبين به: لم يكن هدفه تحديد طبيعة الله، ولا طبيعة وجوده، ولا فعله في العالم. لكننا نرى أن وحدوية الموجود في فلسفته جذرية، مبنية على جسمية الله ضمن جسمية كل موجود فمذهب وحدة الوجود طافح من نظريته.
وهوبس يؤكد علاقة التماثل بين الله والموجودات الفانية من خلال وصف الموجود بأن هيئة كل موجود بما في ذلك الله الجسم، ومن هنا لا يمكننا أن نقول بأن هذا التماثل ثانوي لا يظهر إلا بعد تحليل الصفة اللامفهومة عنده لجسم الله.

وعليه لا يمكن فهم نظرية هوبس إلى ضمن نظام وحدة الوجود.
ومما لا شك فيه أن فلاسفة وحدة الوجود وجدوا في فلسفة هوبس تصورات ومفاهيم وإشكاليات بنوا عليها مذاهبهم في وحده الوجود، هذه حقيقة، وكذلك أخذ منها الملاحدة بعض المواد.
يقول سبنوت: ومع أني حتى لا أظلم الرجل يجب أن أفرق بين منطق الدليل والحجج ومنطق ديناميتها.
لكن هذا لا ينفعني هنا إلا في أن أعرف أنه لم يصرح بالإلحاد، وأن ما أستنتجه من فلسفته ربما لم يقصده مادام أنه تراجع عن طرد قاعدته الوجودية الوحدوية فالمسؤولية هنا على عاتقه.
وإن كان يعيش في فترة يفرق فيها الفلاسفة بين ما يعتقدونه في عمقهم، وبين ما هو مسموح القول به وكتابته في عصرهم، لكن هذا سلاح ذو حدين قد يكون له وقد يكون عليه، والمادة الفلسفية الموجودة بين أيدينا حتى في طرحه السياسي تقودنا إلى زعم أنه كان ملحداً لا مؤمنا، وأن جوابه بأن الله جسم هو كلام جدلي في المحجاجة الفلسفية فقط، أي: اعتراض على معارض الطرح المادي بالروح والله أنه حتى لو وجد الله فإنه خاضع للمشترك الوجودي وهو الجسمية كامتداد لنظريته المادية.
ويؤكد هذا أنه اعتمد في بناء هذه النظرية في تحديد جسمية الله على التوراة حيث قال لأنه في التاريخ التوراتي ظهر الله للناس في صورة جسمانية، وهذا ما فصله "ميشال سبانووت" في كتابه "المادية المسيحية "، واخران في كتاب " هوبس ورغبة المجانين"، "هوبس وقصة الخلاص" كما أشار الى ذلك دومنيك فيبر في "هوبس وجسمية الله".
وقد كان الرجل رافضا حتى للدين الطبيعي مما يعني إنكار أدنى درجات الروحانية متمثلة في إيمان عقلي لا يبالي بأي عقيدة وعبادة ودين ...؟
وقد ذكر الدين الطبيعي سنة 1658 في "de homine" ولكن ليس في "Léviathan«.
ويظهر انه يرفض الدين الطبيعي لأنه لا يمكن بالنسبة اليه أن نثبت وجود علة أولى ولكن مجرد افتراضها، ولا وجود الله ليحكم الناس من خلال قوانين الطبيعة...؟
وموقف هوبس من الدين كما في كتابه " الوحش الأسطوري "[لفيتان] يفهمنا أن قوله

عن جسمانية الله مجرد افتراض لوجوده حيث قال: أربعة أشياء هي البذور الطبيعية للدين: فكرة وجود أرواح، الجهل بالأسباب الثانوية، عبادة ما يخيف، تنبؤ المستقبل انطلاقا من أشياء عرضية.

وبرر قتل الساحرات لأنهن عملهن مجرد احتيال ليس لكون السحر خارقا ...؟

وكان يرى أن سبب ضعف الطاعة المدنية للدولة هو الاعتقاد والخوف من الأرواح والتنبؤ بالمستقبل.

والسؤال: ما نوع الايمان الذي يمكن أن يتولد من مفهوم الله الذي قال به هوبس ...؟

فحتما لا تقود فلسفة هوبس أحدا الى ايمان صادق، ويظهر أن الله في فلسفة هوبس ليس هو الله الذي يمكن أن نصلي له...!

وفي أحسن أحواله هو شخصية مشكوك فيها، وتصريحاته منافية للإيمان وحتى لمذهب الروحانية، فإن قدر أنه كان على مذهب وحدة الوجود فهذا مذهب إلحادي مشفر وهو مذهب مادي يلجأ إليه المادي الذي يريد الاحتفاظ بفكرة " الله ".

ونختم بالتالي: الخطأ في هذا ليس مشكلا علميا، وأقصد لا يمس التصورات إنما يتعلق بدقة المعلومات فقط، ويمكن هذا الأخ اعتماد التوجيه التالي:

لا يوجد مانع أن يشترك مؤمن في مقدمة علمية مع كافر، بشرط أن يدخل عليها التعديلات الضرورية، ويدفع بقواعد علمية مقدمتهم الكفرية، كما فعل المتكلمون مع المذهب الذري، ويقول بناء على هذا: لا يوجد مادي مؤمن عند الغربيين، ولا مانع من وجوده عند المسلمين بالشروط السابقة،لكن يلزمه كثير من العقل ليسلم ما سيطرده منها من مقدمات.

أظن أن عدم التوفيق في الجواب عن هذا الاعتراض المتكرر سببه ضبابية التصور للمادية فقط.

....

الهامش

1 ـ ميلاد وحدود مادية هوبس؛ في العقل الحاضر رقم ٤٧، جويلية ـ أوت ـ سبتمبر ١٩٧٨ ص :٤١ ـ ٦

2 ـ ريموند بولان، أستاذ فخري في جامعة باريس ـ سوربون، عضو أكاديمية علوم

الأخلاق والسياسة؛ موسوعة إينيفرساليس على الشبكة.
3 ـ فيبر دومنيك، وميشل سبانوت؛ هوبس وجسم الله، والموجود أيضا في كتاب الأخير " الرواقية وآباء المسيحية ص: 26 وما بعدها.

فلسفة للبيع...!

ابن تيمية الذي فبركه سمرين ـ هل توجد فعلا فلسفة حقيقية صحيحة ?
الحلقة [09] من أسلمة المادية: النظرية التي ولدت فاشلة!

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.
جوابا على سؤال الأخ يوسف سمرين: شعوري الآن بعد أن قرأت سلسلة ردودك تحت العنوان الذي يعلن إفلاسك والتي رأيت فيها أطباقا طائرة! أنه يلزمك كثير من الوقت، فقد استعجلت ولو أخذت وقتا كافيا كنت ربما تظفر بشيء قيم!
ففعلا تعجبت من مستويات الطرح والموضوعات التي انتقاها ظنا منه أنها من أحسن ما يمكن الدفاع به عن كتابه!
فعلا كنت أتوقع أحسن من هذا بكثير فيظهر أن جعبة أخينا فرغت لذا أكثر من شخصنة النقاش لكن لا بأس لنضرب صفحا عن كل ما لا يفيد القارئ الفطن، وسأرد على تلك الردود الباهتة التي زادت في توريطه في مقال خاص بها، فتركيزي على كتابه أولا إذ هو موضوع الخلاف.
بطبيعة الحال يقدر كل واحد أن يهرف بما شاء على صفحته، وأن يزيف أي قول بأي شيء، الحجة في سلسلته هذه هي تكلم فقط، قل شيئا مهما كانت قيمته تافهة، فإنه سيكفي لتخدير العقل عن وقع حجة صحيحة عليه.
نحن في قلب انهيار معايير الحقيقة حيث يكفي التنكرلها فقط لتحويلها إلى شيء آخر لا قيمة له.
مسؤولية القراء في هذا الوضع بديهة تفقأ العين.
و أنا تفهم وضعه فربما قال كلاما لم يتوقع لوازمه فأثر على نفسيته لذلك أجلب بتلك

المهازل ولجأ إلى تلك السفاسف،وبحول الله سأرد له الفكة في مقال يجمعها قريبا بدون الخروج عن مقام العلم.
وعن قوله: " كأنه هو يفهم فيما يتحدث فيه"، " كان الكتاب مرهقًا له" فأهديه هذا المقال المتواضع، ففيه إجابة عن الجملتين؛ وفعلا كان كتابه مرهقا من كثرة الشبه التي دسها فيه، والشبهة التي يعالجها هذا المقال من أخطرها لأنها الشبهة التي ولدت منها نظريته، وهذا المقال حسبه لو كان عاقلا.
الغرض من هذا المقال تسليط الضوء بصفة خاصة مبصرة على أسس إفلاس علمي وعقلي شيَّد عليه الأخ يوسف سمرين نظريته في المعرفة والوجود، من خلال فبركة صورة مزيفة لأحد أعلام العلم.
ابن تيمية الذي يتحدث عنه سمرين مجرد ماركة مسجلة، فهو يعرف مسبقا أن من القراء من لا يملك ثقافة سابقة تسمح له بالتنبه إلى كل الشبه التي دسها في كتابه، ولا عنده الاستعداد لمراجعة ما نقله عن ابن تيمية بنفسه.
عندما يزور كاتب المقدمات لا ينتقل معه إلى النتائج إلا لأن في الناس من لا يعرف هذا، واليوم سنقف مع قضية مهمة بدأ بها كتابه، قضية فاسدة أصلا ووصفا.
مدح الفلسفة وتزيينها، وبأي طريق؟!
بدأ يوسف سمرين كتابه " نظرية المعرفة والوجود "بمدح الفلسفة، وهو محتاج إلى ذلك لأن كتابه يعتمد عليها كلية فبدونها لا تساوي نظريته فلسا!
والفلسفة التي يزكيها بالتلاعب بالكلمات ما هي إلا مادة الشك، وما فيها من صواب فرعي جدا وموجود في غيرها، لا يوجد فيها حق استقلت به بمفردها، وتزيينها للناس كما فعل تزيين لمعرفة فاسدة مضرة بعقيدة المسلمين .
وعلى عاداته يراوغ بكلمات ابن تيمية ينتزعها من موقف كلي فيشبِّه على الناس أن ابن تيمية مدح الفلسفة في حين أن ابن تيمية ذم الفلسفة أشد الذم.
1 ـ قال: " ولذا نقد ابن تيمية موقف الكثير من أهل الحديث والسنة لتعميمهم الموقف الرافض للفلسفة فيقول:"كثير من أهل الحديث والسنة قد ينفي حصول العلم لأحد بغير الطريق التي يعرفها حتى ينفي أكثر الدلالات العقلية من غير حجة على ذلك" [ص:٣٨]
قلتُ: ـ سأناقش سمرين في هذا الفصل فقط بما نقله هو عن ابن تيمية أنقله كما هو،

وإذا نقلت من موضع آخر أشرت إلى ذلك، فغرضي كشف التزوير الذي مارسه سمرين على كلام ابن تيمية.
ـ أين ذكر ابن تيمية الفلسفة هنا؟ هل الدلالات العقلية محصورة في الفلسفة، فكل دليل عقلي فطري ضروري أو نظري كسبي هو فلسفة؟
ـ يتحدث ابن تيمية هنا عن دعوى حصر طرق العلم في طريق واحد وإنكار بقية الطرق التي منحها الله للإنسان، لا يمدح الفلسفة بحال، بل في هذا النص ذم واضح للفلسفة أخفاه سمرين على عادته في اقتطاع الكلام مما يتم معناه وهو جزء جوهري منه، يقول ابن تيمية:
" فإن طرق العلم والظن وما يتوصل به إليهما من دليل أو مشاهدة باطنة أو ظاهرة عام أو خاص فقد تنازع فيه بنو آدم تنازعا كثيرا.
وكذلك كثير من أهل الحديث والسنة قد ينفي حصول العلم لأحد بغير الطريق التي يعرفها حتى ينفي أكثر الدلالات العقلية من غير حجة على ذلك.
وكذلك الأمور الكشفية التي للأولياء من أهل الكلام من ينكرها ومن أصحابنا من يغلو فيها وخيار الأمور أوساطها"اهـ
فلم لم يذكر سمرين "الأمور الكشفية "أيضا لأنه يعلم أن التصوف لا يقول ببعدية المعرفة!
ثم يواصل ابن تيمية ويحصر طرق المعرفة مخرجا منها "الفلسفة" بحيث يحصرها في ثلاث طوائف: أهل الحديث وأهل الكلام وأهل التصوف؛ فيقول: "فالطريق العقلية والنقلية والكشفية والخبرية والنظرية طريقة أهل الحديث وأهل الكلام وأهل التصوف قد تجاذبها الناس نفيا وإثباتا، فمن الناس من ينكر منها ما لا يعرفه، ومن الناس من يغلو فيما يعرفه فيرفعه فوق قدره وينفي ما سواه".
فأين ذكر الفلسفة في هذا النص؟ وأين مدح نقد أهل الحديث والسنة من أجل الفلسفة؟ ومصطلح الفلسفة في زمنه يصرف للمشائية حصرا فإن عمم تناول المذاهب الفلسفية الإغريقية لا مطلق النظر أو جنس النظر؟
ـ وإليك موقفه من الفلسفة والكلام في هذه القضية، وماذا يقصد بالطرق العقلية حتى لا تحشرها في النظر الفلسفي كما زعمت، قال: "فالمتكلمة والمتفلسفة تعظم الطرق العقلية، وكثير منها فاسد متناقض، وهم أكثر خلق الله تناقضا واختلافا، وكل فريق

يرد على الآخر فيما يدعيه قطعيا."[01]
فإذا كانت أكثر طرقهم العقلية فاسدة متناقضة، وهم أكثر الخلق تناقضا واختلافا، وكل فريق يرد على الآخر فيما يدعيه قطعيا فأين محل قولك: " ولذا نقد ابن تيمية موقف الكثير من أهل الحديث والسنة لتعميمهم الموقف الرافض للفلسفة" من كلامه هذا إلا الفبركة والتلبيس على شباب أحسنوا الظن بك؟!
ـ ومن هم " كثير من أهل الحديث والسنة "الذين يقصدهم ابن تيمية؟
يقول في نفس النص: " وطائفة ممن تدعي السنة والحديث يحتجون فيها بأحاديث موضوعة وحكايات مصنوعة يعلم أنها كذب، وقد يحتجون بالضعيف في مقابلة القوي، وكثير من المتصوفة والفقراء يبني على منامات وأذواق وخيالات يعتقدها كشفاً وهي خيالات غير مطابقة، وأوهام غير صادقة (إن يتبعون إلا الظن وإن الظن لا يغني من الحق شيئاً)». نفس المصدر.
2 ـ ويواصل سمرين عملية فبركة مذهب سلفي جديد مركب من قطع متنافرة لتزيين الفلسفة فيحتج بقوله: "ما يسمى عقليات منه حق ومنه باطل " وهنا كذلك زور سمرين قوله في اتجاه مدح الفلسفة في حين هو أشد الذم لها، فابن تيمية يتحدث عن العقليات هنا ويحكم أن منها الصحيح ومنها الفاسد، الصحيح منها ما دلت عليه الشريعة وعرفته الفطرة بالضرورة، والفاسد منها كثير من الكلام والفلسفة.
ـ الرجل يتحدث عن العقليات التي قدمها الفلاسفة و المتكلمة على الشريعة تحت عنونا قاعدة فاسدة:" يلزم من ثبوت ملازم الشيء ثبوت مناقضه ومعارضه" فأجاب : " ولكن صاحب هذا القول جعل العقليات كلها نوعاً واحداً متماثلاً في الصحة أو الفساد، ومعلوم أن السمع إنما يستلزم صحة بعضها الملازم له، لا صحة البعض المنافي له، والناس متفقون علي أن ما يسمى عقليات منه حق، ومنه باطل، وما كان شرطاً في العلم بالسمع وموجباً فهو لازم للعلم به، بخلاف المنافي المناقض له، فإنه يمتنع أن يكون هو بعينه شرطاً في صحته ملازماً لثبوته، فإن الملازم لا يكون مناقضاً، فثبت أنه لا يلزم من تقديم السمع علي ما يقال إنه معقول في الجملة القدح في أصله.
فقد تبين بهذه الوجوه الثلاثة فساد المقدمات الثلاث التي بنوا عليها تقديم آرائهم على كلام الله ورسوله"[02]
ـ وعلى نفس المنوال " التزوير والفبركة والاستخفاف بعقول جماعته " سيجعل

سمرين كلام ابن تيمية في الدفاع عن الكتاب والسنة مدحا للفلسفة! فيمدح التبحر في الفلسفة بالتبحر؟!

نقل سمرين قوله: " فمن تبحر في المعقولات، وميز بين البينات والشبهات، تبين له أن العقل الصريح أعظم الأشياء موافقة لما جاء به الرسول، وكلما عظمت بمعرفة الرجل بذلك، عظمت موافقة الرسول" ثم ربط قوله هذا بنقد ابن تيمية لكثير من أهل الحديث والسنة الذي ناقشته قبل قليل، والقول الأول من ال درء5/314 وهذا الثاني من مجموع الفتاوى أو مجموعة الرسائل والمسائل 5/19؟!

فالربط لم يقم به ابن تيمية لأنه في النقل الأول " من تبحر" كان في سياق، والثاني" نقد كثير من أهل الحديث والسنة" ذكره في سياق آخر لا علاقة له بالأول بينته لكم بنص عباراته في موضعه.

وهذا معنى قولي: " يفبرك سمرين مذهبا لا علاقة له بابن تيمية "حقيقته مجرد جمع لقطع غير متجانسة بل متناقضة إذا أخرجت من سياقها، لا يوجد جامع بينها.

ـ ولنفهم ماذا يقصد ابن تيمية من قوله "فمن تبحر في المعقولات" لابد أن نبحث في اتجاهين:

الاتجاه الأول قد بينه قبل هذه الفقرة وهو: ماذا يعني بالمعقولات؟ هل يعني بها الفلسفة، أم المعقولات الفطرية والشرعية، وهي التي قال عنها في هذا النقل: " العقل الصريح أعظم الأشياء موافقة لما جاء به الرسول "وقد تم؟

ـ ونضيف إلى هذا السؤال التالي: في أي سياق كان ابن تيمية يتحدث؟

قال قبل الجمل التي نقلها سمرين : " وهذا يقول لفظ (الوجود) و (الذات) وغيرهما، مقول عليه وعلى الموجودات بالاشتراك اللفظي المجرد كاشتراك (المشتري) و (سهيل) فتخرج الأسماء العامة الكلية كاسم (الوجود) و (الذات) و (النفس) و (الحقيقة) و (الحي) و (العالم) و (القادر) ونحو ذلك من مسمياتها، وتسلبه العقول ما جعله الله فيها من المعاني والقضايا العامة الكلية، وهذه خاصة العقل التي تميز بها عن الحس، إلى أمثال هذه المقولات التي هي عند من فهمها وعرف حقيقة قول أصحابها، ضحكة للعاقل من وجه، وأعجوبة له من وجه، ومسخطة له من وجه.

ومثل هذه المعقولات لو تصرف بها في تجارة أو صناعة من الصناعات لأفسدت التجارة والصناعة، فكيف يتصرف بها في الأمور الإلهية وفي صفات رب البرية، ثم

يعارض بها كلام الله الذي بعث به رسله وأنزل بها كتبه؟ ".
ـ ماذا يعني هذا الكلام؟
هذه العبارات التي يذمها " إخراج الأسماء العامة من مسمياتها"هي بالاتفاق معقولات الفلاسفة إذ مصطلحاتهم وقواعدهم هي مفاهيمهم، ويصفها بأنها " ضحكة، وأعجوبة، ومسخطة " وأنه لو طبقت في صناعة أو تجارة لأفسدتها، فكيف لو طبقت في الأمور والصفات الإلهية؟ وأنها مما يعارض بها كلام الله؟ فهل هذا مدح للفلسفة أم ذم لها لا يبقى معه بذرة خير فيها؟
ـ وما معنى قوله " تبحر في المعقولات" بعباراته هو؟
قال: " هذه المقولات التي هي عند من فهمها وعرف حقيقة قول أصحابها" أي: هذه المقولات العقلية الفلسفية من فهمها وعرف حقيقة قول أصحابها، هذا معنى التبحر في المعقولات عند ابن تيمية، وهو تبحر يحتاج إلى الفهم وهو شيء مستقل عن الفلسفة، ويحتاج إلى معرفة حقيقة قول أصحابها، وهذه معرفة بنبرة سلبية تعني معرفة هذا الشر الباطن المزوق بالعبارات التي تسلب العقول.
فالتعمق في دراسة الكلام والفلسفة لم يحتاج إلى ذلك ليس لأن فيه معقولات صحيحة خارجة مستقلة عن المعقولات العقلية الصحيحة الفطرية، أو عما أرشد إليه الوحي من المعقولات الصحيحة، فما يوجد في الفلسفة وهو صحيح من المعقولات هو في مسائل جزئية مخلوط بكثير من الباطل.
ـ وقرينة أخرى تحدد لنا بدقة ما الذي قصده ابن تيمية بقوله: " من تبحر في المعقولات" هي بقية كلامه الذي يأتي مباشرة بعد الجزء الذي نقله سمرين، والذي يفصل فيه بين المعقولات الصحيحة التي يسميها " بينات"، والمعقولات الفاسدة التي يسميها " شبهات"، قال: " ولكن دخلت الشبهة في ذلك بأن قوماً كان لهم ذكاء تميزوا به في أنواع العلوم: إما طبيعية كالحساب والطب، وإما شرعية كالفقه مثلا.
وأما الأمور الإلهية فلم يكن لهم بها خبرة كخبرتهم بذلك، وهي أعظم المطالب، وأجل المقاصد، فخاضوا فيها بحسب أحوالهم، وقالوا فيها مقالات بعبارات طويلة مشتبهة، لعل كثيراً من أئمة المتكلمين بها لا يحصلون حقائق تلك الكلمات، ولو طالبتهم بتحقيقها لم يكن عندهم إلا الرجوع إلى تقليد أسلافهم.
وهذا موجود في منطق اليونان وإلهياتهم، وكلام أهل الكلام من هذه الأمة وغيرهم،

يتكلم رأس الطائفة كأرسطو مثلا بكلام، وأمثاله من اليونان بكلام، وأبي الهذيل والنظام وأمثالهما من متكلمة أهل الإسلام بكلام، ويبقى ذلك الكلام دائراً في الأتباع، يدرسونه كما يدرس المؤمنون كلام الله، وأكثر من يتكلم به لا يفهمه.
وكلما كانت العبارة أبعد عن الفهم كانوا لها أشد تعظيماً، وهذا حال الأمم الضالة، كلما كان الشيء مجهولاً كانوا أشد له تعظيما، كما يعظم الرافضة المنتظر، الذي ليس لهم منه حس ولا خبر ولا وقعوا له على عين ولا أثر.
وكذلك تعظيم الجهال من المتصوفة ونحوهم للغوث وخاتم الأولياء، ونحو ذلك مما لا يعرفون له حقيقة".
وحتى لا أطيل على القارئ أقول: هل هذا ذم تام أم مدح للفلسفة ولمن يعظم الفلسفة ويدرسها كما يدرس المؤمنون كلام الله؟
وهل يصف المتكلمين ويجمعهم مع المتفلسفة في هذا الذم وهم عنده أفضل من الفلاسفة يعد مدحا للفلسفة عند عاقل؟
إذا كنت سأشفق على أحد فهو على من أحسن الظن بيوسف سمرين إن كان عالما بحاله يتحمل وزر سمومه التي بثها في الشباب، وإن كان غير ذلك فالله يتولاه وينجيه من هذا التزوير.
الثاني: هل استعمل نفس التعبير، لأن معرفة تفصيل القول المجمل إذا افترضناه كذلك وإلا فإنه واضح يقتضي جمعه مع نظرائه إلا إذا كنا مداخلة لا نحمل المجمل على المفصل؟
قال ابن تيمية في موضع آخر: "بل من تبحر في المعقولات ووقف على أسرارها علم قطعا أن ليس في العقل الصريح الذي لا يكذب قط ما يخالف مذهب السلف وأهل الحديث، بل يخالف ما قد يتوهمه المنازعون لهم بظلمة قلوبهم وأهواء نفوسهم أو ما قد يفترونه عليهم لعدم التقوى وقلة الدين، ولو فرض على سبيل التقدير أن العقل الصريح الذي لا يكذب يناقض بعض الأخبار للزم أحد الأمرين إما تكذيب الناقل أو تأويل المنقول، لكن ولله الحمد هذا لم يقع ولا ينبغي أن يقع قط فإن حفظ الله تعالى لما أنزله من الكتاب والحكمة يأبى ذلك، نعم يوجد مثل هذا في أحاديث وضعتها الزنادقة ليشينوا بها أهل الحديث كحديث عرق الخيل والجمل الأورق وغير ذلك .."[03]
فالمعقولات هنا هي المعقولات الصحيحة لا المعقولات الفلسفية، فبحسب ابن تيمية

كثير منها فاسد متناقض كما سبق، فإن اشتركت مع معقولات غيرهم مثل المعقولات الشرعية، والمعقولات الكلامية الصحيحة منها، والمعقولات الفطرية الضرورية لم يليق بك حصر كلمته هذه في معقولات الفلسفة؟!

وإن حملنا كلمته " من تبحر في المعقولات" على المعقولات الفلسفية وحدها وهو مستبعد جدا إذ في النص دفاع صريح عن أهل الحديث والسنة وذم للمعقولات التي تخالفهم فهذا يعني معرفة الشر لرده على أهله وليس لبلعه واعتقاده كما يفعل سمرين مع الفلسفة المادية.

وعليه فإن التبحر في المعقولات لا يعني بحال أن الفلسفة صحيحة ولا هو دعوى للناس للنظر فيها فمعلوم عن ابن تيمية دعوة الناس إلى العلوم الشرعية والاستغناء عن النظر العقلي الفاسد بما تضمنه الوحي من إرشاد إلى صحيح الأدلة العقلية.

ـ وكذلك قوله:" معرفة اختلافهم لمعرفة تناقضهم "ليس مدحا للفلسفة إلا في عقل سمرين؟!

ـ ويصل سمرين ذروة التزوير على ابن تيمية عندما يقول [ص:37]:"يقرر وجود الفلسفة الصحيحة توجب اتباع الرسل"، فيقول: «الفلسفة الصحيحة المبنية على المعقولات المحضة توجب عليهم تصديق الرسل فيما اخبرت به ".

ويواصل سمرين فيقول جمعا بين هذا القول وقول ابن تيمية:" الفلسفة الحقيقية هي العلوم الوجودية التي من المنطق فإن "ما يسمى عقليات منه حق ومنه باطل ".

النقل الأول من المنهاج ص: 365 والثاني من المنهاج ص: 357 والثالث من الدرء؟!

هذا الصنيع الذي يكثر في كتاب سمرين بأي وصف وصفناه لم نوفه حقه، وهو عمل لم يسبق لي أن رأيته عند عالم أو فيلسوف يبتر الأقوال من أطرافها وينسج بها مذهبا لم يقله صاحب تلك الأقوال لا تصريحا ولا تضمينا.

وحتى تفهم حقيقة هذه الجريمة أضرب لك المثال التالي: إذا قلتُ: بتتبع تاريخ اليهود سنجد عندهم اهتماما خاصا بالعلم ولذلك يحرصون على أن يكون أبناؤهم على درجة عالية من التعليم لأنهم شعب نخبة يحتقر الأعمال اليدوية.

ثم قلت في موضع آخر: كثير من الفلاسفة يهود ساهموا في تخريب الديانات بها، وفي موضع آخر أقول مثلا: يعلم اليهود الحقيقة ويصرحون بها عندما تخدم مصالحهم.

ثم يأتي أحدهم ويعمل عمل سمرين فسينسب إلى بأني قلت: اليهود يهتمون بالعلم

وكثير من الفلاسفة يهود، ويعلمون الحقيقة وينشرونها! هل هذا ما قلته أنا؟!
هذا بالضبط ما يعمله سمرين مع ابن تيمية، ومع الفلاسفة الذين ينقل عنهم!
فهذا الذي يقوم به سمرين ليس سهوا في إحالة، أوهما تداخل بسببه قولان لشخصين مختلفين مثل نسبة قول هذا إلى ذاك وهكذا، بل هذا عملية ممنهجة لتزوير الحقائق.
ـ لنعود للب الموضوع، ما الذي نسبه سمرين لابن تيمية في فقرة واحدة بتركيب أقواله المتفرقة؟
وجود فلسفة صحيحة توجب تصديق الأنبياء + هذه الفلسفة الصحيحة هي الفلسفة الحقيقية + هذه الفلسفة الحقيقية الصحيحة هي الفلسفة الوجودية!
لنفحص قول ابن تيمية الأول ثم نجر على البقية، فنقول:
أولا: حدد ابن الفلسفة الصحيحة بالفلسفة المبنية على المعقولات المحضة، وليس المعقولات الفلسفية، والمحضة الخالصة، المشتركة بحكم الضرورة الفطرية.
وهذه المعقولات المحضة توجب على الفلاسفة تصديق الرسل، وهم لم يصدقوا بالرسل ما يلزم عنه أن فلسفتهم غير صحيحة، وليسوا هم من قصد ابن تيمية، فكلامه هذا مجرد إلزام لا يخبر عن حقيقة وجودية تتمثل في وجود فلسفة صحيحة صدقت الرسل، هذا عين التخريف.
ثانيا: في هذا النص يذم ابن تيمية الفلاسفة بدون استثناء، ويفضل عليهم اليهود والنصارى في الإلهيات، ويلزمهم بناءً على فلسفتهم بعدم القول بقدم شيء من العالم، وأنهم مخالفون لصريح المعقول.
وبالتالي لا يوجد فلسفة مبنية على المعقولات المحضة، لا يوجد إلا فلسفة تخالف صريح المعقول وصحيح المنقول، يقول ابن تيمية: "لَكِن الَّذِي لَا ريب فِيهِ أَن هَؤُلَاءِ اصحاب التعاليم كأرسطو واتباعه كَانُوا مُشْرِكين يعْبدُونَ الْمَخْلُوقَات وَلَا يعْرفُونَ النبوات وَلَا الْمعَاد البدني، وَأَن الْيَهُود وَالنَّصَارَى خير مِنْهُم فِي الإلهيات والنبوات والمعاد.
وَإِذا عرف أَن نفس فلسفتهم توجب عَلَيْهِم أَن لَا يَقُولُوا بقدم شَيْء من الْعَالم علم أَنهم مخالفون لصريح الْمَعْقُول كَمَا أَنهم مخالفون لصحيح الْمَنْقُول، وَأَنَّهُمْ فِي تَبْدِيل الْقَوَاعِد الصَّحِيحَة المعقولة من جنس الْيَهُود وَالنَّصَارَى فِي تَبْدِيل مَا جَاءَت بِهِ الرُّسُل وَهَذَا هُوَ الْمَقْصُود فِي هَذَا الْبَاب".

فيفهم طالب علم مبتدئ من هذا الكلام أن قوله الذي جعله سمرين اعترافا من ابن تيمية بوجود فلسفة صحيحة مبنية على معقولات محضة ما هو إلا إلزام للفلاسفة بعدم مخالفة الرسل، وأنكم لو اتبعتم المعقولات المحضة لصدقتم الرسل.
وأنهم بدلوا القواعد الصحيحة المعقولة كما بدلت اليهود والنصارى ما جاءت به الرسل، ولهذا يواصل بالفقرة التالية والتي تزيد الأمر وضوحا، يقول:
" ثمَّ إِنَّه إِذا قدر أَنه لَيْسَ عِنْدهم من الْمَعْقُول مَا يعْرفُونَ بِهِ أحد الطَّرفَيْنِ فَيَكْفِي فِي ذَلِك إِخْبَار الرُّسُل باتفاقهم على خلق السَّمَاوَات وَالْأَرْض وحدوث هَذَا الْعَالم، والفلسفة الصَّحِيحَة المبنية على المعقولات الْمَحْضَة توجب عَلَيْهِم تَصْدِيق الرُّسُل فِيمَا أخْبرت بِهِ، وَتبين أَنهم علمُوا ذَلِك بطرِيق يعجزون عَنْهَا، وَأَنَّهُمْ أعلم بالأمور الإلهية والمعاد وَمَا يسْعد النَّفس ويشقيها مِنْهُم.
وتدلهم على أَن من اتبع الرُّسُل كَانَ سعيدا فِي الْآخِرَة، وَمن كذبهمْ كَانَ شقيا فِي الْآخِرَة، وَأَنه لَو علم الرجل من الطبيعيات والرياضيات مَا عَسى أَن يعلم وَخرج عَن دين الرُّسُل كَانَ شقيا، وَأَن من أطَاع الله وَرَسُوله بِحَسب طاقته كَانَ سعيدا فِي الْآخِرَة وَإِن لم يعلم شَيْئا من ذَلِك.
وَلَكِن سلفهم أكثروا الْكَلَام فِي ذَلِك لأَنهم لم يكن عِنْدهم من آثَار الرُّسُل مَا يَهْتَدُونَ بِهِ إِلَى تَوْحِيد الله وعبادته وَمَا ينفع فِي الْآخِرَة، وَكَانَ الشّرك مستحوذا عَلَيْهِم بِسَبَب السحر وَالْأَحْوَال الشيطانية، وَكَانُوا يُنْفقُونَ أعمارهم فِي رصد الْكَوَاكِب ليستعينوا بذلك على السحر والشرك، وَكَذَلِكَ الْأُمُور الطبيعية.
وَكَانَ مُنْتَهى عقلهم أمورا عقلية كُلية كَالْعلمِ بالوجود الْمُطلق وانقسامه إِلَى عِلّة ومعلول وجوهر عرض وتقسيم الْجَوَاهِر ثمَّ تَقْسِيم الْأَعْرَاض، وَهَذَا هُوَ عِنْدهم الْحِكْمَة الْعليا والفلسفة الأولى ومنتهى ذَلِك الْعلم بالوجود الْمُطلق الَّذِي لَا يُوجد إِلَّا فِي الأذهان دون الْأَعْيَان" [04]
- فأين في هذا الكلام وجد سمرين ابن تيمية يقرر وجود فلسفة صحيحة مبنية على معقولات محضة؟
هذا مجرد إلزام يعني أنكم لو بنيتم فلسفتكم على معقولات محضة لعلمتم أنها تفرض عليكم تصديق الرسل، والعلم بأنهم يعلمون العلم الإلهي بطريق يعجز عنه الفلاسفة، ولو فعلتم ذلك: تصديق الرسل، واتباعهم لكانت فلسفتكم صحيحة، فإن لم تفعلوا فهي

فلسفة فاسدة باطلة غير مبنية على عقليات محضة.
فما قام به سمرين وهو قلب كلام ابن تيمية كلية، وكلام ابن تيمية واضح بين لكل قارئ لا يحتاج أن يشرح ما يعني التعمد في تزويره لا يوجد احتمال آخر ممكن؟
2 ـ ثم يصف ابن تيمية المعقولات الفلسفية التي حولها سمرين بالتزوير إلى معقولات محضة بنيت عليها فلسفتهم بأنها أمور كلية نهايتها إثبات وجود المطلق الذي لا يوجد إلا في الأذهان، هذه هي المعقولات المحضة التي جعلت فلسفتهم صحيحة؟
3 ـ في هذا النص يحدد ابن تيمية ما هو العلم الأعلى والفلسفة الأولي عند الفلاسفة الذي يسميه سمرين في النقل التالي " الفلسفة الوجودية" وهذا مصطلح مجمل لأن الفلسفة الوجودية هي الفلسفة المبنية على النظر في الوجود، ومنها الفلسفة المادية التي هي مذهب وجودي بحسبه لا يوجد جوهر آخر غير المادة، ويرفض عموما وجود الله والروح والغيب، والوعي ليس إلا ظاهرة ثانوية مرتبطة بالمادة.
ومنها الوجودية وهي فلسفة الإنسان وليست فلسفة الأفكار، فلسفة الوجود الرافض لسبق الماهية والإنسان فيها منتج لنفسه حر وحيد في كون بدون إله، هي فلسفة تبحث عن المعنى الميتافزيقي للإنسان، فلسفة هيدغر، سارتر، كيركغارد.
والعلم الأعلى أو الفلسفة الأولى عند الفلاسفة الذي هو علم الوجود عندهم المسمى" الأنطولوجية" وهي جزء من الميتافيزيقا، وهي أولى عندهم شرفيا وليس وجوديا إذ الأولى وجوديا الفلسفة الثانية الفيزياء.
إذا عرفت هذا ستفهم لماذا نقل سمرين ابن تيمية بمنهجية التزوير قوله: "الفلسفة الحقيقية هي العلوم الوجودية "[ص:٣٧]
ما يعني أن الفلسفة المادية التي شيد عليها نظريته في المعرفة والوجود هي عند ابن تيمية الفلسفة الحقيقية، والحقيقي يستعمله هنا سمرين بمعنى" الصحيح" وليس «الأصيل " عند أصحابه، فما عليكم يا طلبة العلم إلا الإقبال عليها، واعلموا أن ما جاء في كتابي من النقل عن كل ماركسي من تعريف للمادة وللوعي هو عند ابن تيمية فلسفة حقيقية؟!
لا يحتاج سمرين أن يصرح لكم بكل هذا فقد يضع منزلة الفلسفة في أول الكتاب فإذا مرت هذه المقدمات في وعيكم وقبلتم فكرة وجود فلسفة صحيحة حقيقية فسيستنتج وعيكم لا شعوريا بأن ما حققه سمرين في القضايا التي أثارها في كتابه هو من هذه

الفلسفة الحقيقية الصحيحة، وهكذا عندما تقبلون المقدمات الفاسدة لا يمكنكم رفض النتائج الفاسدة الصادرة عنها.

ـ ماذا قال ابن تيمية بالضبط في النص الذي بتره وشوهه سمرين؟

قال رحمه الله: " "السادس: أن يقال لهؤلاء وهؤلاء جميعا: أصل ما أنتم عليه الرجوع إلى الوجود، والفلسفة معرفة الوجود على ما هو عليه، والفلسفة الحقيقية هي العلوم الوجودية التي بها يعرف الوجود، وأنتم لا تثبتون [شيئا] في الغالب إلا بقياس: إما شمولي وإما تمثيلي، فهل علمتم فاعلا يلزمه مفعوله أو يقارنه في زمانه لا يحدث شيئا فشيئا، سواء كان فاعلا بالإرادة أو بالطبع؟ ".

لنقف عند ما يمكننا استخراجه من مضامين هذه الفقرة:

1 ـ يقول سمرين في كتابه بأن أهم مسألة في الفلسفة هي:"من الأسبق المادة أم الوعي بمعنى الإحساس أم الوعي؟ ".

وهنا يقول ابن تيمية: الفلسفة الحقيقية معرفة الوجود، العلوم الوجودية التي يعلم بها الوجود التي منها المنطق، فإذن أهم موضوع عند الفلاسفة: النظر في أصل الوجود وليس في أصل المعرفة، ولذلك كانت أهم مسألة عند المادية: ما هو أصل الوجود المادة أم المبدأ الروحي، وليس الإحساس أم الوعي؟

2 ـ ابن تيمية يتحدث عن فرقتين " يقال لهؤلاء وهؤلاء جميعا" أصل المقالات التي هم عليها ترجع إلى الوجود، والفلسفة هي معرفة الوجود على ما هو عليه ما سماه في النقل السابق «الحكمة العليا والفلسفة الأولى التي هي عندهم أمور كلية كالعلم بالوجود المطلق وانقسامه إلى علة ومعلول وجوهر وعرض، وتقسيم الجواهر ثم تقسيم الأعراض والتي منتهاها " الفلسفة الحقيقية= الحكمة الأعلى = الفلسفة الأولى" العلم بالوجود المطلق الذي لا حقيقة لها في الأعيان بل هو مجرد وجود ذهني.

3 ـ "الفلسفة الحقيقية" عند الفلاسفة وليس عند ابن تيمية، كما تقول للشيعي: التشيع الحقيقي إثبات النص وعصمة الأئمة، ما لا يعني حتما أنك تعترف بصوابية التشيع ولكن هذا إلزام المتمذهب بمذهبه الحقيقي فقط.

فقول ابن تيمية: " والفلسفة الحقيقية هي العلوم الوجودية التي بها يعرف الوجود" قال بعده مباشرة: " وأنتم لا تثبتون [شيئا] في الغالب إلا بقياس: إما شمولي وإما تمثيلي" واضح جدا انه يقصد الفلسفة الحقيقية عند الفلاسفة وليس عنده لأنه مباشرة سيحتج

عليهم بمنهجهم في إثبات الموجودات، وانه لا يعدو قياس الشمول أو قياس التمثيل، فهذا احتجاج منه وإلزام لهم بأنكم إن كانت الفلسفة الحقيقية عندكم هي النظر في الوجود أو معرفة الوجود فأنتم تثبتون بالمعقول ما لا يعقل أصلا معينا، فضلا عن أن يعقل مطلقا، يقول: " وهل علمتم فاعلا لم يزل موجبا لمفعوله، ولم يزل مفعوله معلولا له؟ فهذا شيء لا تعقلونه أنتم ولا غيركم، فكيف تثبتون بالمعقول ما لا يعقل أصلا معينا، فضلا عن أن يعقل مطلقا؟ والمطلق فرع المعين، فما لا يكون موجودا معينا لا يعقل لا معينا ولا مطلقا، ولكن يقدر تقديرا في الذهن كما تقدر الممتنعات"[05]

فهذا ليس إلا قوله الأول الذي فصلناه في جملة" من تبحر في المعقولات" عندما قال:" نفس فلسفتهم توجب عَلَيْهِم أَن لَا يَقُولُوا بقدم شَيْء من الْعَالم علم أَنهم مخالفون لصريح الْمَعْقُول".

ـ وقد يتمسك عبقري منهم بقول ابن تيمية " العلوم الوجودية التي يعلم بها الوجود التي منها المنطق" كيف يكون المنطق من العلوم الوجودية؟

فأقول: لا شك أن المنطق المذكور هنا هو المنطق الصوري، والمنطق ثلاث نظريات: نظرية الحد والتصور «الماهية" ونظرية الحكم والقضية، ونظرية البرهان، والعلوم الوجودية عندهم: الفيزياء وهل أصل الميتافزياء عندهم، والمنطق الذي يخدم الجزء الميتافزيقي الأهم: الأنطولوجيا.

والوجود عند أرسطو مقسوم على عشرة مقولات، بهذا المعنى نسمي موجودا كل شيء موجود في الواقع.

وثانيا: الوجود الذي يعني الحقيقية في الأحكام، بهذا المعنى هو كل ما يمكن أن نصدر عليه حكما إيجابيا ولو لم يمثل شيئا في الواقع.

ومصطلح "الماهية " يحمل على المعنى الأول لأن الموجود بالمعنى الثاني ليست له ماهية، والوجود بالمعنى الأول يعني جوهر الشيء.

فالذي قام به أرسطو هو انه هندسة ماهية منطقية ـ فيزيائية ـ ميتافزيقية، فتكلم عنها في «ميتافيزيقا z» وفي الكتب المنطقية والكتب البيولوجية ما نتج عنه الاختلاف بين التعريف والماهية «التساوي عدم التساوي".

الوجود في الواقع هو الوجود كأس" جوهر تحتاني"، منطقيا هو واقعي مثل الخاص

والكلي، وواقع الواقع الصورة الجوهرية أو ماهيته.
والوجود في الواقع هو الوجود كأس، فيزيائيا هي واقعية المادة والعناصر، وواقع الواقع صورة مادته.
فالمادية فمذهب وجودي بحسبه لا يوجد جوهرآخر غير المادة يرفض عموما وجود الله والروح والغيب، والوعي ليس إلا ظاهرة ثانوية مرتبطة بالمادة. كما شرح وولف " الماهية" عند أرسطو.
والمادية مذهب وجودي عن طبيعة الوجود لا يجب أن يخلط بالواقعية العلمية أو التجربانية التي هي مذاهب معرفية على أساس المعرفة.
والوجودية فلسفة الإنسان وليس فلسفة الأفكار، فلسفة الوجود الرافض لسبق الماهية والإنسان فيها منتج لنفسه حر وحيد في كون بدون إله، هي فلسفة تبحث عن المعنى الميتافزيقي للإنسان، والمادية تبحث عن أصل الوجود وطبيعته.
وسمرين يمدح الفلسفة المادية، ويرى أن ابن تيمية مادي، فإذا قال ابن تيمية: الفلسفة الحقيقية الصحيحة هي الفلسفة الوجودية؟ أترك لكم الاستنتاج!
ختاما أقول:
الفلسفة بمعنى الحكمة "قول الحق وفعل الصواب" غير موجودة خصوصا في هذا العصر، ولم تكن الفلسفة في يوم ما حكمة بهذا المعنى ولن تكونه، فالفلسفة تفكير قوم وثنيين في البداية صوابهم في الإلهيات نزر يسير، وصوابهم في الطبيعيات سببه علوم انفصلت عنها ولا تعنينا، فلا علاقة لها بالهدي مهما اتكأ عليها أحدهم في تقرير مسألة إيمانية.
والفلسفة وجوه لا حصر لها من الأقوال المختلفة والمذاهب المتصارعة، ولا يوجد علم ينتهي في أسئلته الأساسية إلى نتائج متناقضة مثلها، ومصطلح الفلسفة نفسه له معان متعددة يقسمها إلى تصورات لا تحصر، لا يجمعها تصور واحد عام إلا التشكيك في كل ما لم يخرج من تحت تصور كل مذهب منها مكذبا بقية المذاهب!
لا يمكنك أن تدمج مختلف الأنظمة الفلسفية تحت مبدأ واحد ليس كالمذاهب الفقهية مثلا والعلوم الإنسانية، فمصيبة الفلسفة في تعددها التناقضي الذي فجرها اليوم إلى قطع لا قيمة لها، واختزلت اليوم واختزلت كل شيء في فكرة مادية ملحدة، بحيث لم يعد موجودا فيها موضوع حقيقي أصيل ولا منهج حقيقي. [06]

افتتح برتراند روسل أحد كتبه بما جاء في رسالة بولس إلى كنيسة كولوسيا "خذوا حذركم لا يجعلكم أحد فريسته بالفلسفة"، وهو ما يدورعليه هذا المقال.
وقال:"الرغبة في معرفة الحقيقة نادرة جدا في صفائها، ولا نصادفها في كثير من الأحيان عند الفلاسفة"، وأيضا:"قبل كل شيء الفلسفة عامة، قاحلة، مجردة، هي معرفة مجردة للكون"[07]
الفلسفة رجيع الشكاك ليس إلا.
وأتعجب من شباب في فلك سمرين هم أبعد الناس عن فهم الفلسفة ينصحون الناس على صفحاتهم الفيسبوكية وغيرها بقراءة الفلسفة، ويعينون لهم الكتب الأفضل في نظرهم لدراسة المذاهب الفلسفية وبعضها لشيعة فإذا ما اعترض عليهم بأنهم شيعة يسبون الصحابة، قالوا: " يتكلمون بموضوعية «يعني: عندهم موضوعية حين الحديث في الفلسفة، ويفقدونها في غيرها؟
ثم هؤلاء الشيعة على عقيدة ابن سينا ونصير الدين الطوسي فبأي شيء يشرحون الفلسفة غير الأفلاطونية المحدثة؟
فهؤلاء هم من يدفع الشباب الذين يحسنون الظن بهم نحو عدنان إبراهيم على أساس "مقابلاته التثقيفية" الأفضل في الحديث عن " الإباحية"، وما يدعو عدنان إبراهيم إلا لدين الحب «الباطنية العالمية" وحدة الأديان، ولذلك استباح العقيدة وعدالة الصحابة.
لا يجوز الاشتغال بالفلسفة إلا لمن اختص في علم الكلام أو التوحيد أو المنطق، ومن باب معرفة تناقضات المذاهب الفلسفية ونقضها بلغتها لأنها اللغة التي اجتاحت العالم، وبعد إحكام علوم دينه وعقيدته ،أما غيرهم فيتعلم العلوم الشرعية، ولا بأس بقاعدة في الفلسفة يأخذها من أساتذة موثوقين في دينهم وعقيدتهم ليس مباشرة من كتب الفلاسفة.

....

الهامش:
1 ـ مجموع الفتاوى ،11/338.
2 ـ الدرء ،1/91
3 ـ مجموع الفتاوى،33/172 ـ وكلام سمرين من نفس مصدره السابق ص:37.

4 ـ منهاج السنة 1/305

5 ـ منهاج السنة 1/369

7 ـ انتهاء صلاحية الفلسفة انظره في "ماذا يعني التفلسف اليوم" هو عنوان مقالة فلسفية لمكاييل ثونيسن ترجمها مارك سانيول، ازمنة معاصرة ٢٠٠٣ /٤(رقم ٦٢٥) صفحة ٣٦٢ إلى ٣٨٣.

8 ـ أن فرنسواز شميكل؛ روسل والفلسفة، ص:٠١ و٠٣.

غياب التكوين السنِّي !

كل المذاهب الفلسفية تنتهي إلى عقائد فاسدة!

هذا المقال تتمة للمقال الذي سبقه، والذي كشفنا فيه ما لفقه سمرين على ابن تيمية بخصوص وجود فلسفة حقيقية صحيحة هي الفلسفة الوجودية!

اجتنابا للطول لم أنزله معه، وغرضه تعليمي، فليس المقصود رد قول بقول ولكن إفادة القارئ له بما يعينه على حسن تصور المسائل، و على فهم العيوب البنيوية في كتاب الأخ سمرين.

وبغض النظر عن جسارته على مثل هذا العمل الشنيع الذي قام به فإن مدح الفلسفة أي مذهب فيها ينم عن غياب تكوين سني صحيح ، وعن عدم إدراك بما تؤول إليه ،وبموقف أهل السنة منها وفي مقدمتهم ابن تيمية؛ وهذا الانفصال المعرفي الأساسي عن أصول أهل السنة المعرفية عند سمرين.

تتأسس كل نتيجة على مجموع مقدمات، فإذا كانت المقدمات موغلة في الفساد كانت النتيجة موغلة في الفساد، وكل كتاب سمرين من أوله إلى آخره مدح للفلسفة المادية وذم للفلسفة المثالية ،ويدخل في المثالية أمورا من الفقه ومصطلح الحديث وغيرها من العلوم الشرعية؟!

وهذه أم المقدمات الفاسدة عنده التي استتبعها فساد القول في مادية الله والتجسيم وغيرها من مسائل تأتي مرتبة في مقال خاص بذلك.

عندما عربت كتب اليونان تلقاها متفلسفة المسلمين بالقبول التام، وتلقاها المتكلمون مع الحذر فعرضوها على أصولهم فأخذوا منها ما ظنوا أنه لا يخالفها وردوا ما عرفوا

مخالفته لأصولهم، على مشاكل كثيرة ليس هذا موضعها.
في حين رفضها أهل السنة رفضا قطعيا وذموها وذموا من يشتغل بها، وميزوا بين العقل الصريح والعقل الفلسفي الناشئ عن عقائد وثنية، والنتيجة أنه حصل بسبب تعريبها أنواع من الفساد والاضطراب. انظر بيان تلبيس الجهمية ،2/338
قال ابن تيمية: " وقد بين في غير هذا الموضع أن هؤلاء[الفلاسفة] أكفر من اليهود والنصارى بعد النسخ والتبديل، وإن تظاهروا بالإسلام؛ فإنهم يظهرون من مخالفة الإسلام أعظم مما كان يظهره المنافقون على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد قال حذيفة بن اليمان ـ رضي الله عنه ـ: "المنافقون اليوم شر من المنافقين على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم. قيل: ولم ذلك؟ قال: لأنهم كانوا يسرون نفاقهم، وهم اليوم يعلنونه".
ولم يكن على عهد حذيفة من وصل إلى هذا النفاق ولا إلى قريب منه؛ فإن هؤلاء إنما ظهروا في الإسلام في أثناء [الدولة العباسية] وآخر [الدولة الأموية] لما عربت الكتب اليونانية ونحوها، وقد بسط الرد عليهم في غير هذا الموضع.
والمقصود هنا: أن هؤلاء المتكلمين الذين زعموا أنهم ردوا عليهم، لم يكن الأمر كما قالوه، بل هم فتحوا لهم دهليز الزندقة؛ ولهذا يوجد كثير ممن دخل في هؤلاء الملاحدة إنما دخل من باب أولئك المتكلمين، كابن عربي وابن سبعين وغيرهما.
وإذا قام من يرد على هؤلاء الملاحدة فإنهم يستنصرون ويستعينون بأولئك المتكلمين المبتدعين، ويعينهم أولئك على من ينصر الله ورسوله، فهم جندهم على محاربة الله ورسوله كما قد وجد ذلك عيانًا." [01]
هذا هو موقف ابن تيمية من الفلسفة، وهذا منطقي جدا فإذا كان الكلام عنده بدعة كما عند السلف، وإذا كان موقفه من المنطق " ولهذا ما زال علماء المسلمين وأئمة الدين يذمونه ويذمون أهله وينهون عنه وعن أهله حتى رأيت للمتأخرين فتيا فيها خطوط جماعة من أعيان زمانهم من أئمة الشافعية والحنفية وغيرهم فيها كلام عظيم في تحريمه وعقوبة أهله" [02] فكيف بالفلسفة؟!
قال الذهبي: " بل قل من أمعن النظر في علم الكلام إلا وأداه اجتهاده إلى القول بما يخالف محض السنة، ولهذا ذم علماء السلف النظر في علم الاوائل[الفلسفة] ، فإن علم الكلام مولد من علم الحكماء الدهرية[المادية] ، فمن رام الجمع بين علم الانبياء عليهم

السلام وبين علم الفلاسفة بذكائه لابد وأن يخالف هؤلاء وهؤلاء، ومن كف ومشى خلف ما جاءت به الرسل من إطلاق ما أطلقوا ولم يتحذلق ولا عمق فإنهم صلوات الله عليهم أطلقوا وما عمقوا فقد سلك طريق السلف الصالح وسلم له دينه [ويقينه] نسأل الله السلامة في الدين." [03]

قال النووي عن العلوم الخارجة عن العلم الشرعي: " فالمحرم كتعلم السحر فإنه حرام على المذهب الصحيح وبه قطع الجمهور وفيه خلاف نذكره في الجنايات حيث ذكره المصنف إن شاء الله تعالى، وكالفلسفة والشعبذة والتنجيم وعلوم الطبائعيين وكل ما كان سببا لإثارة الشكوك ويتفاوت في التحريم" [04]

ليست الفلسفة إلا مخلفات أمم كافرة، مؤسسة على عقائد وثنية وإلحادية عندما يرق تعلق الرجل بالسنة يعتقد الحق فيها أو في بعض مذاهبها!

هل تصلح الفلسفة لشيء؟

الخطاب الفلسفي معلق بمشاكل ليس لها حل في الفلسفة، يحفر ويردم، ثم يحفر ما ردم وهكذا من غير توقف! لا يقدم حلا لأنه لا يملكه، فمن أين له أن ينتج يقينا؟!

لا يوجد في الفلسفة حسم لأي موضوع، فقط تحرك عقائد الشباب في جدال بدون ثمرة، وفي الأخير تزيلها عن الجزم، وتضعف تعلقهم بالشريعة فتجدهم يبدؤون المسألة _ مثل الفطرة _ بالنصوص ثم يدخلون عليها شبهات فلسفية وسوء فهم هيكلي فتصبح عندهم من المتشابه! فينتقلون إلى الفلسفة المحضة كما فعل سمرين في كتابه الفاسد، فينتقل الناس من الهدى إلى الداء الوبيل!

لا يمكن للفلسفة أن تنتج يقينا، ولا أن تقدما حلا لمسألة لأنها تبحث عن حقيقة لا يعرفها إلا الأنبياء.

وعلى هذا فهي لا تصلح لشيء كما قال بول فليري، ربما تصلح لدحض نفسها فقط، على قول أحدهم، وهذا ما أشار إليه ابن تيمية كما بين في المقال السابق.

الفلسفة كلها بجميع مذاهبها مادة الكفر والضلال، مهما كانت بدايتها كمنظومة فإنها تنتهي إلى مذهبين ماديين موغلين في الكفر: المادية ووحدة الوجود، ولا ينصح بها لغير مختص إلا رجل مقصر في معرفة ما في الكتاب والسنة من الهدى والبيان، فضلا عن اعتقاد صحة بعض مذاهبها!

بدأت الفلسفة كالتالي: " قول الدهريين[المادية] بوحدة الطبيعة ولا إله، قول أصحاب

الرواق بوحدة الطبيعة والإله [وحدة الوجود]، قول أفلاطون وأرسطو وقبلهما سقراط بوجود عالمين:"عالم الإله وعالم الطبيعة".
وحاصل مذهب أهل الرواق القول بوحدة الوجود أي: ليس هناك إلا عالما واحدا وجوهرا واحدا، هو عقل ومادة معا، لا يمتاز أحدهما عن الآخر.
قالوا على قول أفلاطون: هو ما يصح فيه الانفعال أو الفعل، فعكسوا عليه تحديده وقالوا: هذا لا يطلق إلا على الجسم، فما من وجود إلا وهو جسم ومادة [قول سمرين والمادية]
وأطلقوا ذلك على صفات الأجسام، وعلى الكليات، وعلى ما يتصورون في العقل.
[...]والعالم كالحيوان جسده هو هذا المحسوس[المادة] وروحه العقل[الله]، وهو عندهم الإله مفارق للمادة ممتزجا بها امتزاج الدم بسائر الأعضاء، وسريانه في العالم المحسوس فحصل الحياة والحركة والحس والعقل في الموجودات، كل على حسب رتبته في الوجود.
[...]وحقيقة مذهب الرواقيين ليس إلا الرجوع إلى مذهب الدهريين[الماديين] إذ لا فرق بين من يقول: ليس هناك إلا المادة، ومن يقول: إن المادة والعقل شيء واحد[...]والظاهر أن كل ما يتوجه على الدهرية يتوجه عليهم من دون تفاوت.
ومذهب الرواقيين آخر المذاهب نشوءا عند الإغريق، وقد نشأ من قول سقراط في الفرق بين الروح والمادة، ولذلك نفس مثالهم يضربه أصحاب الكليات هو أن وجود العقل في المادة ووجود الكلي في الأشياء كوجود ماء الورد في الورد والدم في الجسم.
[..]فأول بحث عند الإغريق كان مقصورا على المادة يلتمسون ماهية هذا الوجود المحسوس، ثم برز سقراط و أفلاطون فبينا ما بين العقل و المادة من تمييز فانقلبت المسألة إلى بحث آخر هو: التوفيق بين المادة و العقل و كيفية اتصالهما و تأثير كل منهما في وجود العالم،فقال أفلاطون: إن الجوهر العقلي هو الأصل في الوجود، ولم يبق للمادة إلا نوعا من الوجود قريبا من العدم المحض،وبالغ في التفريق بين المادة و العقل حتى كاد يتلاشى الاتصال بينهما.
ثم جاء أرسطو فزعم أن الوصول من العالم الأعلى إلى العالم السفلي لا يتأتى على طريقة أفلاطون، وأن اتصال العقل والمادة حاصل لا محالة في الأفراد إلا انه لما

حاول الارتقاء منها إلى عالم الغيب وإلى العقل الإلهي زلت قدمه ووقع فيما كان يحذر منه، حيث عجز عن كيفية الاتصال بين العالم الحسي والعقل الإلهي فلم يبق بعد إلا التمسك بأحد قولين:
إما القول بان المادة هي الأصل الوحيد ولا شيء غيرها، وهو قول الدهرية [المذهب المادي]، أو القول بوحدة العقل والمادة، وهو قول الرواقيين [وحدة الوجود] وهو راجع إلى قول الدهرية بنوع من الفرق، فوقف العقل البشري عند هذا الحد، ولم يبق له في الفلسفة شيء!
ولا تجد من القرن الثالث قبل المسيح إلى يومنا هذا ممن يقول بالفلسفة إلا شاك في الحقائق، ودهري لا يقول إلا بالمادة، أو رواقي يقول بوحدة الوجود وحدة المادة والعقل، ومشائي متفرغ للطبيعيات، آيس عن إدراك الحق، أو ملفق يسعى للتوفيق بين الآراء قدر الإمكان بأن جعل لها مبادئ الأقدمين فيثاغورس وتاليس وغيرهم"[08]
ومن فهم أصول المادية وطردها يعرف أنها تقود إلى أحد مذهبين: الالحاد المادي أو وحدة الوجود".
عندما ننظر في الإلحاد في الغرب نجده مختلف المصادر فمنه ما جاء من التشكيك في أسس المسيحية " عند كالفين: تموت الروح مع الجسم وتبعث معه، لا تعيش بعده" ، ومنه ما جاء من الشك الديكارتي فكان نتيجته: سبنوزا هوبس و هوي، ومنه ما جاء من التاريخ المقارن والنقد التوراتي فغرس عوامل الشك، ومنه ما جاء من لا أدرانية كنط، ومنه ما جاء من الإلحاد الشكوكي والإلحاد العملي عند هلفتيوس، ومنه ما جاء من إلحاد ألماني عدمي وسادي ، ومنه ما جاء من إلحاد مادي قلق عند ديدرو، ومنه ما جاء من عقلانية هيجل، فويرباخ إلحاد أنثروبولوجي، ومنه ما جاء من ماركس ولينين :إلحاد وجودي اجتماعي اقتصادي وتاريخاني، ومنه ما جاء من الإلحاد البسيكولوجي الفرداني عند شبنهاور وهارتمان، نيتشه، ومنه ما جاء من إلحاد الوجودية باسم الحرية والتحرر الأخلاقي ، ومنه ما جاء من الفلسفة التحليلية: لا معنى للسؤال عن الله،ومنه ما جاء من الإلحاد الشعبي، مضادة المؤسسة الدينية والتفكير الحر ضد الكنيسة، ومنه ما جاء من الروحانية الغربية: من الله إلى الروح "الروحانيين"[بالمعنى الإسلامي للإلحاد] ، و أخيرا من اللامبالاة عند الشباب الغربي = ضياع المعنى. [06]

كل هذا خرج من الفلسفة على اختلاف مذاهبها فيأتي أحدهم ويزعم أنه يوجد فلسفة حقيقية صحيحة وجودية ،ويلقي هذه الفرية على ابن تيمية فهذا قول تجاوز حد التأول وسوء الفهم إلى عدم الفهم أصلا؟!

عندما افتتحت مقالا لي بمقولة صحيحة لأبي الحسن العامري مفادها أن بعض المشتغلين بالطبيعيات يتبنون عقيدتهم بحسبها ثم يزعمون أن هذا ما جاء به التنزيل _ ونحن نعلم أن الطبيعيات هي الفلتر الذي استخدمه الفلاسفة والمتكلمون لبحث عقائدهم الأولية لتخرج بعد ذلك في صورة عقائد ثانية _ لم يجد سمرين في سلسلة " خيباته" إلى البحث في عقيدة العامري وأنه منحرف وهكذا تعبير، مع أن الموضوع خارج عن هذا بشكل واضح!

وشتان ما بين العامري ولينين وجماعته!

يدور قول سمرين بمادية الله والتجسيم على الطبيعيات الفلسفية عندما ينتقلون بها إلى الإلهيات، فهي صحيحة مادامت تخص العالم السلفي لكن ما إن يصعدوا بها إلى الميتافيزيقا تصبح ضلالات عظيمة، فلا معنى للمادة بالمفهوم الفلسفي إلا ماهية المادة أو الصورة الذهنية لمجموع المادة الفيزيائية، ولهذا قال ابن تيمية عنهم: " وأما المتفلسفة وأتباعهم " فغايتهم أن يستدلوا بما شاهدوه من الحسيات ولا يعلمون ما وراء ذلك" [07]

التزكية والشهادة:

و أما حديثه عن " حرصي على التزكية ولذلك دخلت في النقاش الذي دار حول منهج الشيخ ربيع المدخلي"، فهوعلامة فارقة على إفلاسه العقلي، فالتزكية أولا لم تأت في هذا الموضوع فقد كانت على عمل علمي في موضوع بعيد جدا عن منهج النقد وقضايا الجرح والتعديل.

ثانيا: يعرف الناس موقفي من التزكية وأني أستخدمها في العلم، وأنا أحدد وظيفتها جيدا على طريقة أهل السنة، فهي ليست دليلا يحسم به النقاش و لكنها كذلك عرف سني يحمي المسلمين من الملبسين والمشبوهين.

ولا أدري بأي عقل يفكر؟ فكيف ينقد طالب التزكية والتصدر المزكي في أيام عزته وسطوته يوم لم يكن كثيرون يجرؤون على نقده، أي عقل هذا يا رجل؟!

التزكية كالشهادة ـ وإن كانت التزكية أشرف من الشهادة الجامعية ففرق شاسع بين

العرف العلمي الإسلامي المبني على دين والعرف الأكاديمي الغربي المبني عل علمانية ـ علامة علم لا تثبت شيئا فالفهم والتوفيق والاطلاع ليسوا قضية تزكية أو شهادة، من الممكن أن يكونوا معها لكن ليس بالضرورة.
والتزكية لم أحصل عليها من لينين! ولكن من شيوخ مسلمين سنِّيين زكاهم أئمة هدى، خالفنا بعضهم في منهج النقد ولم نبال بالتزكية إذا كنت تفهم المعاني الدقيقة وتعرف الأحوال الشريفة وأين تضعك؟!
وكما قيل: عندما يتكاثر حاملو الشهادات الجهال تزهر الحماقة بسعادة!
روغانه لا يضاهيه إلا ضعف ضبطه، بشيء من الإرادة الصالحة والتواضع يمكنه ردم الفجوة في عقله لأنها فعلا كبيرة، وعندها فقط ستتحسن ردوده على النقد الموجه إليه.
لا يبنى الحق على التلفيق والجهل بالمذاهب ومسالكها!
....

الهامش:
1 ـ مجموع الفتاوى 5/547
2 ـ مجموع الفتاوى 9/7
3 ـ ميزان الاعتدال 3/144
4 ـ المجموع شرح المهذب 1/27
5 ـ دافيد سانتلانا؛ المذاهب اليونانية الفلسفية في العالم الإسلامي، ص: 85 وما بعدها.
6 ـ جورج مينوا ؛تاريخ الإلحاد ،مكتبة أرثام، فايارد 1998.
7 ـ ابن تيمية: " مجموع الفتاوى 6/588

وحدة الوجود ضعف التصور وعدم تحرير المذاهب!
الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله.
الأسبوع القادم أختم ـ بإذن الله تعالى ـ هذه السلسلة بمقال عن التجسيم عند سمرين و آخر عن لوازم القول بالمادة في نقاش الإلحاد مع شيء عن وظيفة إثبات الكيف ونفي

العلم به في البحث العقدي ،نعرض فيه أجوبته الأخيرة إضافة الى ما سطره في كتابه.
وقد يتخللها بداية من الغد إن شاء الله تعالى مقالات عن سبب رواج الفلسفة عند بعض طلبة العلم وعن سلبيات الفلسفة من باب فلسفة الفلسفة.
بدون ابن تيمية تفقد نظرية سمرين في المعرفة و الوجود أي قيمة فالفكرة التي تغطي الترويج للفلسفة المادية عند سمرين هي "بذرة الإلحاد = نفي مادية الله"،و تتبعها فكرة "مادية المعرفة" لكن السند ومعيار القيمة هو ابن تيمية! لكنه يخطئ عليه كثيرا، والأسوء يتصرف في كلامه بالتدليس والتلفيق،مع عدم ضبط دقيق لكلامه عندما ينقله بأمانة ،فهذا مقال آخر في هذا السياق !
مذهب وحدة الوجود في تصوير ابن تيمية وعند أهله:
قال [ص:341]:"إن إثبات المجردات العقلية في الواقع الموضوعي كما جر إلى الإلحاد كان هو السبب الرئيسي إلى" القائلين بوحدة الوجود والقائلين بوحدة الوجود ونحوهم من الحلولية والاتحادية حيث قال هؤلاء: الوجود واحد،"!
الكلام الذي ساقه بعد علامة التنقيط الظفرين)"(هو كلام ابن تيمية ـ وسأنقله كاملا بعد قليل ـ ففي هذا الكلام توجيه لكلام ابن تيمية بعيد عن وجهته التي ينضح بها:
1 ـ يقرر أن عدم القول بمادية الله كما يقود للإلحاد يقود لوحدة الوجود، وهذا غير صحيح كما سيتضح، وملخصا: من يحمل بذور الإلحاد لم يلحد"وجود الله"، ومن لا يحملها ألحد؟!
ثم يزعم أننا رميناه بتبرير الإلحاد، ومن ثم يدخلنا في مسابقة "من الضحية"؟!
3 ـ ما الذي قاله ابن تيمية وقصده؟
قال: "ومن هنا ضل من شركهم في هذا من الملحدين من أهل الملل كالقرامطة الباطنية، والقائلين بوحدة الوجود ونحوهم من الحلولية والاتحادية حيث قال هؤلاء: الوجود واحد، ولم يميزوا بين الواحد بالنوع والواحد بالعين [..] فالإنسان الكلي الذي يعقله الذهن إذا كان واحدا لم يكن هذا الإنسان الموجود هو عين هذا الإنسان الموجود"[01]
1 ـ ابن تيمية يتحدث هنا عن إلحاد الفلاسفة، وهؤلاء الفلاسفة كانوا إلهيين ما يعني أنه يقصد بكلمة" إلحاد "المعنى الديني كنفي الأسماء والصفات وليس المعنى المعاصر: إنكار وجود الله.

2 ـ ذكر أن المشترك بين هؤلاء الفلاسفة وأصحاب وحدة الوجود قولهم "الوجود واحد" وعدم تمييزهم بين الواحد بالنوع والواحد بالعين يعني أن اسم الموجود اسم عام يتناول كل أحد.

فأصحاب وحدة الوجود والفلاسفة ملاحدة باعتبار أن حقيقة قولهم لا يثبت وجود إله متعين في الخارج متميز عن غيره عند التحقيق لا أنهم كالمادية ينفون وجوده، أو أن الموجود عند الفلاسفة واحد.

3 ـ المسألة بدأت عند ابن تيمية من الصفحة 103 عندما تكلم عن قول الفلاسفة وأن فيه الإشراك والتوليد، فهو يتكلم هنا عن نقطة مشتركة بينهم لا عن تطابق المذهبين، وسمرين انتبه إلى هذا المشترك لأن ابن تيمية قال:"ومن هنا ضل من شركهم" ثم وجد في كلامه وصفهم بالملاحدة فجر كلام ابن تيمية إلى لعبته الأولى في كتابه، وهي إلحاق سبب الإلحاد بالمثالية، بينما في الحقيقة وحدة الوجود مذهب مادي جاء من مزج فلسفة الدهريين الطبيعيين مع عناصر من فلسفة سقراط وأفلاطون.

فابن تيمية ألزم الفلاسفة بما بينوه هم في المنطق من أن المطلق بشرط الاطلاق لا وجود له في الخارج عن الذهن، وطالبهم بطرده في الميتافيزيقا [ص:103]

وبعد ذلك ذكر سبب إلحاد من شاركهم في هذا الأصل، وهو يعلم أن الفلاسفة يجعلون تلك المجردات لا داخل العالم ولا خارجه، كما يعلم أن أصحاب وحدة الوجود لا يقولون عن الإله: إنه لا داخل العالم ولا خارجه، بل هو عندهم في داخله.

المشترك: قولهم: "الوجود واحد" وعدم تمييزهم بين الواحد بالنوع والواحد بالعين.

عند الاتحادية والحلولية: الوجود واحد = الموجود واحد في النوع وفي العين= في الاسم العام وفي " المادة أو الطبيعة "=وجود الخالق عين وجود المخلوقات = ليس للخالق وجود مباين لوجود المخلوقات منفصل عنها = ما ثم غيرُ للخالق ولا سواه " ليس إلا الله"[02]

"حتى إنهم يقولون: لو زالت السماوات والأرض زالت حقيقة الله"[03]

الله تعالى عندهم بمنزلة البحر وأجزاء الموجودات أمواجه كما قال ابن تيمية.

عند الفلاسفة: الوجود واحد = في النوع وليس في العين = الموجود واحد في الاسم العام فقط لا في الطبيعة، فالعالم مادة والإله مجرد "لا مادي".

عند المادية: الوجود واحد = الموجود والوجود واحد في الاسم العام وفي الطبيعة

"المادة"فهو مطابق لمذهب وحدة الوجود إلا في فكرة الإله.
قال ابن تيمية: " لكن التوحيد الذي يشير إليه هؤلاء الملاحدة - وهو وحدة الوجود - أمر ممتنع في نفسه لا يتصور تحققه في الخارج فإن الوحدة العينية الشخصية تمتنع في الشيئين المتعددين ولكن الوجود واحد في نوع الوجود بمعنى أن اسم الموجود اسم عام يتناول كل أحد " مجموع الفتاوى 2/351
وعليه؛ متى تكلمنا بالتصورات لا بالمعلومات لا نحتاج أن يصرح ابن تيمية بكل شيء، فهذا في غاية الوضوح.
لم يذكر ابن تيمية أن سبب وحدة الوجود هو المثالية فهذا قول سمرين يلفقه على ابن تيمية ولكنه ذكر الاشتراك في قضية فقط.
نقل سمرين قولي: "نعرف أن المثالية بلغت صورتها النهائية ويمثلها ... " كنط" و" هيجل"، و"هورسل" ثم قال: " هنا كان ينسخ عن مقالة من الشبكة المهم قال إن المثالية بلغت صورتها النهاية عند هيجل، ولكنه أحب أن يتفلسف لاحقًا فنسي ما سطره هنا، فقال: " هيغل... يقول بوحدة الوجود، وهي مذهب مادي أيضا."[04]
الجواب: هذه المقالات سلسلة واحدة" إلى غاية السادس "، وهي كلها كمسودة مقال واحد قطعته إلى عدة مقالات ثم اشتغل على كل مقال في وقت فراغي، وأخذ من هنا وأضيف هناك، وأحيانا أقطع المقال الواحد مرة أخرى بحسب الحاجة.
والمقالات التي اعتنت بضبط مفهوم المثالية في أحدها الإحالة المفصلة وفي الثاني إحالة عامة، وسترى بتتبع تسلسل المقالات على حسابي أنه جاء بعده.
تجد في هامش المقال الرابع مكتوبا من غير رقم إحالة ما يعني أنه ملاحظة:"الرصد التاريخي الدقيق في" التعارض بين المثالية والمادية، إيزابيل فوجل، مجلة الميتافيزيقا والأخلاق، سبتمبر ٢٠١٧فهذه الإحالة العامة على الموضوع برمته.
وتجد في هامش المقال الثالث تحت رقم الإحالة [٤] التالي: حول علمنة نظرية المعرفة أنظر "التعارض بين الواقعية والمثالية «إيزابيل فوجل، مجلة الميتافيزيقا والأخلاق سبتمبر ٢٠١٧ ففيه توسع أكثر مما لخصته.
وهذا إشارة واضحة إلى أن الموضوع ملخص عن ذاك البحث، فعن أي نسخ يتحدث وقد حددت مصدر الموضوع برمته؟!
ثم ماذا ننسخ؟ معلومة مبتذلة مشار إلى مصدر موضوعها في كل مقال ذكرت فيه

مادتها، من ينسخ النسخ الذي تعنيه لا ينسخ معلومة بدون قيمة في البحث عبارة عن كلمة مرسلة، ينسخ المؤلفات، الأطروحات والنظريات، التصورات المبتكرة؟!
الكاتب أحالك على مصدر الموضوع برمته وحدده، ولابد أيضا أن يربط وينزل بحسب الحاجة، بغض النظر عما اختبره الكتبة من السهو الوهم وانقطاع خيط الأفكار.. الخ.
وأما عن قوله: " ولكنه أحب أن يتفلسف لاحقًا فنسي ما سطره هنا، فقال: " هيغل... يقول بوحدة الوجود، وهي مذهب مادي أيضا" فالتالي يروي فضوله:
وحدة الوجود هي المذهب الذي يقول: هوية الله = كل الوجود = يشمل الطبيعة أو مختزلا فيها، وينطلق من فكرة اللامتناهي، الوجود المطلق للإله وتلتقي في طريقها بفكرة: المتناهي: الظواهر، العالم، فيستوعبها ويبلعها.
ما يعني أن وحدة الوجود تحدد الله تعالى في العالم، فهذا المتفق بين جميع تياراتها، لكنها تختلف في تحديد من الذي انحلَّ في الآخر؟ هل الله تعالى هو الذي حل في العالم أم العالم الذي حل في الله تعالى؟
فيسمي الغربيون التيار الذي يقول بأن الله تعالى هو من انحل في العالم بـ "وحدة الوجود المادية أو الطبيعية "، وفي هذا التيار العالم المادي هو الواقع الوحيد.
فالله تعالى عندهم ليس إلا حاصل كل ما هو موجود، والعالم المادي هو الموجود فقط، لا يوجد تعال، وينسبون هذا القول إلى الرواقيين، هولباخ، ديدرو.
وأما من يقول منهم: العالم هو الذي انحل في الله، فالعالم المادي " الطبيعة" مجرد مظهر للمطلق، وليس العالم المادي ولكن الله هو الواقع الوحيد والعالم تجليه مثل: أفلوطين، سبنوزا فيسميها الغربيون " وحدة وجود صورية" لا كونية، ويسميها المسيري " وحدة وجود روحانية".
وهذا في الحقيقة ـ كما هو ظاهر ـ تقسيم شكلي فكلها وحدة وجود مادية، الفرق فقط في الحركة من الله إلى العالم أم من العالم إلى الله، وفي علاقة الثبوت بالوجود.
لكن هناك حالة تجمع بين المثالية ووحدة الوجود هي حالة هيجل وشلينج فلا ترى في العالم المادي إلا تمثلات للعقول الإنسانية التي هي مجرد انعكاس لعقل وحيد هو الله، كقيمة لمبدأ = يضع الهوية المطلقة للوجود وللفكرة، متضمنة في نفس الوقت: الإله، الطبيعة، والانسان "منظومة الهوية المطلقة عند هيجل".

يسميها بعضهم " وحدة وجود منطقية"، أو " الكل المنطقي " منطقية شاملة، بوضع معارضة "كل" مع " الكل" = علاقة الكل بأجزائه فيستنتج الإثبات الذي ينفي والنفي الذي يثبت.

الواقع عنده معقول كليا يمكن الظفر به بالتصورات وقوانين العقل = كل ما هو واقعي هو عقلاني فليس التفكير في وجود الله ولكن التفكير في ماهية الله. 05]]

ولهذا اختلف الشراح في هيجل على أن فلسفته: إلحاد أم غنوصية أم وحدة وجود أم فلسفة مسيحية 06]]

التأكيد الأساسي في مذهب وحدة الوجود هو: وحدة الوجود والموجود)مثل المادية(: الوحدة المتجانسة والديناميية للكلية، التجلي والكلية.

والوحدة الكلية هي الله، عند الرواقيين "الله الطبيعة" عبارة عن حيوان كبير حي، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا، وعند هيجل هو عقل متعدد الأوجه.

الله في وحدة الوجود لا خارج العالم ولا أعلى منه، لا خالق ولا شخصي، ولهذا وحدة الوجود إلحاد، خاصة المادية منها إلحاد متنكر.

قال ابن تيمية: "وكنت أخاطب بكشف أمرهم لبعض الفضلاء الضالين وأقول إن حقيقة أمرهم هو حقيقة قول فرعون المنكر لوجود الخالق الصانع؛ حتى حدثني بعض عن كثير من كبرائهم أنهم يعترفون ويقولون نحن على قول فرعون"07]]

يمكنك الآن التعجب، ولو نسخت من الشبكة كنت على الأقل تجتنب مثل هذه التعليقات الفارغة التافهة!

من قرأ شيئا من الفلسفة عند خبراء فلسفة الفلسفة المعاصرين يعلم بوجود التيار المختلط بعد ديكارت، فمثلا نجد أن المذاهب الوضعانية والحسانية والتجربانية والظواهرية هي كذلك مثالية من أوجه كما أن المثالية تجريبانية من أوجه، وكذلك المادية.

تتميز الوضعانية عن المادية (المذهب الذي بحسبه لا يوجد جوهر إلا المادة، أو مجموع أجسام) بكونها لا تقبل أي جوهر فالخلاف بينهما كأنه لفظي، ومع ذلك فإنها ـفي الغالب ـ تقود إليها، لأننا عندما نعترف بأنه لا صالح إلا التجربة الحسية فهذا الطريق السريع إلى المادية.

ولهذا فإن كثيرا من الفلاسفة يصفون مذهب الوضعانية بالحسانية والتجربانية...؟

إذا قارنا التجربانية بالوضعانية وجدنا أن التجربانية تتعلق بطريقة (منهج) والوضعانية بمذهب، لكن الأولى تقود إلى الثانية، ففي الحقيقة ليس لدينا هنا إلا منظومة واحدة.

رغم عدم توقع المثقف فلسفيا مثل هذا التداخل فإن هذا الالتقاء يشرح نفسه بالأصل التاريخي المشترك لبعض النظريات في منظومة واحدة هي المنظومة الديكارتية، التي ولدت بسيكولوجيتها:المثالية، بينما هيأت ميكانيكيتها للوضعانية.

الفلسفة مذاهب متناقضة متشابكة ليست وحيا ولا علما مبنيا عليه، والمتغذي عليها في البناء المعرفي كالمتغذي بالتراب!

مذهب وحدة الوجود صعب التصور لأنه مبهم كما قال صرح بذلك ابن تيمية، والمشكل ليس في هذا ولكن في التخريف على قارئ ضحية تلفيق!

....

الهامش

1 ـ مسألة في حدوث العالم؛ ص:107

2 ـ " قسمة هذا المذهب عند ابن تيمية رباعية: الاتحاد المعين والمطلق، والحلول المعين والمطلق، الاتحاد والحلول المعين مثل النصارى، إما الاتحاد كاتحاد الماء واللبن وإما بالحلول، وإما بالاتحاد من وجه دون وجه.

وأما الحلول المطلق فيعنون أن الله تعالى بذاته حال في كل شيء، بينما الاتحاد العام هو عين وجود الحق هو عين وجود الخلق، ووجود ذات الله هي نفس وجود المخلوقات، فلم يخلق الله غيره وليس برب العالمين، وهؤلاء تفرقوا على ثلاث طرق.

مجموع الفتاوى 2/465/469

3 ـ المصدر نفسه.

4 ـ في سلسلة"خيباته"

5 ـ موضوع وحدة الوجود عند الغربيين: ـ موسوعة انفرساليس على الشبكة، فقرة: الطبيعانية ـ موسوعة انفرساليس، قاموس الأفكار، فرنسا 2012, ص:3215 ومابعدها ـ شجار وحدة الوجود، تافوالو، سارف، باريس 1995 ـ الأعمال الكاملة، سبنوزا، منشورات أرفنسا: الأخلاق 1677، ترجمة إميل سيسات 1848، ص:1915

_1918 _إله سبنوزا، فيكتور بروشارد، 1912، ص: 3525. الصيغة إيبوب.
6 ـ مشكلة الله عند هيجل إلحاد أم مسيحية، جورج فان ريات ،1965، ص:335 - 418، برسي.
7 - 2/469

في العقل الفلسفي !
سنَّة مستغنية عن الفلسفة وسلفية متفلسفة؟!
....
الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.
في فلسفة الفلسفة أو نقد المعرفة الفلسفية تكون الفلسفة إبداعا حيا وليس تكرارا لإبداع الماضي أو عرضا لقطع متناثرة تثير الفضول في متحف خيال التظاهر والتفاخر بثقافة فلسفية.
نحن أمام ظاهرة غريبة تعبر عن الخلل الذي يعاني منه التكوين المعرفي عند بعضنا هي ظاهرة يخشى منها أن تخرج لنا جيلا يريد قراءة الواقع، وأخطر من ذلك قراءة الوحي والتراث السني بفلسفة فلاسفة يمثلون المرحلة التي دخلت فيها الحضارة الغربية بعد نيتشه، مرحلة "خيبة الظن في الفلسفة "التي زادت حدتها باستغوال المادية العلمية في مختلف صورها وأشكالها منصهرة في قالب أبيقوري شهواني هيدوني.
جيل لم يحط بتحديات الفلسفة المعاصرة نهاية القرن 19 وظهور فلاسفة الشك الذين دفعوا الفلسفة في مرحلتها الحالية، مرحلة المادية، وكما قال بسكال شاربونا مؤرخ الفلسفات المادية: الملاحظ أن المادية في التاريخ لا تظهر إلا عند التقلبات التاريخية عندما تركد المجتمعات، بعد ذلك تنحسر المادية وتختفي. [01]
في مرحلة الخيبة من الفلسفة يبشر ماركس ـ بالفلسفة ـ نهاية الفلسفة! عندما أمل في تحقق حالة ما بعد الأيديولوجية كما في مضارباته المستقبلية عن الحقيقة، بالنسبة إليه تحقق الحقيقة يجب أن يستتبعه نهاية الفلسفة ومعها الأيديولوجية.
لكن كما يقول غنتر أندرس تلميذ هيدغر وهورسل الكذب هو الذي أصبح الحقيقي،

وعندما تصبح تأويلات خاطئة للعالم هي العالم، ينتهي العالم إلى جعل كل أيديولوجية صريحة غير مفيدة. [02]

ويحاول هورسل تحويل الفلسفة إلى علم مثل الفيزياء، في حين يبحث هيدغر عن حقيقة ضائعة في مرحلة الشعراء التي سبقت مرحلة الفلسفة الإغريقية، كان هيدغر من ألد أعداء كل الفلسفة القديمة مهتما بما كان قبلها، وهو مرحلة الشعراء، وغرضه القضاء على الفلسفة القديمة أو صرف عناية الناس عنها.

ولما كان الوجود عنده يتضمن المكان ـ الزمان ـ السببية، يعني: كل ما هو موجود يظهر في وقت معين، يستمر مدة ثم يختفي في انحلال شكله، إلى أن يصل هيدغر إلى أن كل وجود هو ظواهري، ومعلوم لنا أن مجال الظواهرية هو: العالم النسبي.

وعندما يستدعي هيدغر الكوجيتو" أنا أفكر إذن أنا موجود" يخطئ العمق، لان الخطأ الجسيم هي فهم يقين المرجعية الذاتية بالبحث عنها في " أنا أفكر" بينما هي في الحقيقة موجودة فقط في "أنا" في الروح.

ولأنه الوجودية ترفض كل تجريد غرق في الذاتية التي ليست شيء آخر غير الأنا، الوجود الشخصي، وأخطأ الكائن الذي كان يبحث عنه في الكينونة، فلم تقد فلسفته إلا إلى لا مكان، حيث لا وجهة، ولا هدف، وتضيع في نبرات شعرية.

وفلسفة فينجشتاين لا تخرج عن هذه الخيبة الغربية لما لم ينجح في وضع منهج ملائم وطريقة واضحة اعتمد التحليل المنطقي للغة العادية، فلأنه لم ينجح في كتابه الأول حاول تنسيق تصوره مع ممارسته الفلسفية عندما وعي بأن كتابه الأول لم يخرج عن التقاليد الفلسفية الميتافيزيقية، فلابد للفيلسوف كغيره أن يبدأ من نقطة ما، والرجل بدون وحي من أين يبدأ؟

وقد عاد في الغرب مؤخرا الاهتمام بفلسفته لأنها فلسفة تبشر بجيل فلسفة بدون فلاسفة الأمر الذي ظل مستحيلا طيلة تاريخ الفلسفة ففكرته الأولى أن الفلسفة ليست نظرية ولكنها نشاط هدفها توضيح مواقفنا التي لها معان مجملة أو ضبابية.

يبدأ من فكرة أن القضايا الفلسفية بدون معنى، فاستهوى بعض الغربيين فكرته عن الفلسفة من أيامها الأولى حيث كانت تعتبر نفسها كعلم فوق العلوم، موضوعها واقع غير متغير خارج عن العالم المحسوس وعن عالم الحس المشترك الذي يعيش فيه الإنسان العادي.

والفيلسوف وحده له القدرة على معرفة هذا الواقع المخفي بدون أن يخرج من بيته! فقط بفضل بحث عقلي سابق فيمكنه الوصول إلى الحقائق الضرورية والخالدة، وهكذا بنيت الفلسفة كتخصص قائم على نظريات.

والطريقة التي يفكر بها الفلسفة على النقيض من ذلك فالفلسفة عنده ليست بحثا عن شيء غريب يكشف لنا حقائق العالم لا يمكن معرفتها إن لم نكن فلاسفة.

بالنسبة إليه لا يوجد نظريات لنبنيها، لا يوجد وقائع مخفية لنكتشفها، كل شيء هنا، والفلسفة ليست قضية اكتشاف ولكنها قضية فهم، تعيد تنظيم بوضوح كما ينظم المرء غرفته عندما لا نستطيع العيش فيها بشكل عادي.

الرجل لم يبن نظريات، ولم يسع لهدم الموجودة، ولكنه حاول البحث عن الانسجام في صور تمثلاتنا، مراجعة قواعدنا النحوية، يعني: ما الذي نتمسك به في الواقع التطبيقي، فإذا وضح هذه القواعد يمكن التأكد أن لعبتنا اللغوية هذه أو تلك لها أساس متين، واقعي أو صحيح.

وفي هذه السلسة من المقالات سترى أنه كغيره لم يملك وسائل التحرر من الفلسفة التي ذمها فدار في مكانه يجد فكرة صحيحة وتضيع منه مائة.

إذا كانت الفلسفة تهتم بمسائل الأصل: أصل الوجود، أصل المعرفة، وبالغايات والحدود وغايتها الحقيقة كما تزعم فكيف لمنظومات فلسفية مختلفة متناقضة مغلقة على نفسها مذهبيا تفقد هويتها بمجرد انفتاحها على منظومة أخرى أن تصل إلى حقيقة مطلقة، حقيقة لا ترتبط بأي شيء إلا نفسها وخالية من كل قيد؟!

مع جيل فلسفة بدون فلاسفة إذا لم تقرأ كتاب الفيلسوف المحبوب لديه استغرب كأنك لم تقرأ صحيح البخاري!

جيل يبدو لي ربما لم يمر بمراحل التكوين السني لا السلوكية الوعظية، ولا العلمية الشرعية، ولا الدعوية، لم يصهره صراع الدعوة الإسلامية مع خصومها، لم يلمس واقعيا وظيفة الولاء والبراء في رسم معالم المعرفة الإسلامية الأصيلة.

هل يعرف هذا الجيل الفلسفة في المعصرة، في لمبيق التقطير؟

هل فكر فيها من داخلها ومن خارجها؟

هل يعرف البراديجم الفلسفي المشترك؟

كم قضى من عمره باحثا في التراث، وكم بقي عند ابن تيمية وكتب السنة؟

هل اكتمل عنده علم الإلهيات الإسلامي السلفي النسقي والمنهجي بجانبه السلوكي القلبي؟

هل يعرف الأسباب المعرفية النفسية التي أوقعته في قصعتها كما يقع الجائع في الطعام الرديء؟

تولد المذاهب الفلسفية وتموت كأي فكرة ناقصة مبنية على الشك، وهذا يدفعنا لنسأل: لماذا استغنت بعض الثقافات عن الفلسفة كلية كما استغنى عنها السلف وأئمة السنة؟

وعلى قول أحدهم: هل فعلا وجدت فلسفة في غير بلاد الإغريق وفي غير البلاد التي ورثت العقل الهليني؟

هل يمكن التفلسف بغير العقل الهليني مع التنافر الشديد بين العقل الإسلامي معه كما يمكن لأي شخص أن يلمسه في الموقف الإسلامي من المنطق الصوري، أو في اختلاف منطق اللغة العربية التي تشكل هوية خاصة للعقل الإسلامي عن آليات اللغة الفلسفية؟

لماذا بعض الثقافات مثل الغربية وبعض الطوائف الإسلامية تشعر بالحاجة إلى فلسفة دينها كما فعل آباء الكنيسة وأئمة الكلام عندنا؟

لكن ـ أيضا ـ لماذا يجد بعض المنتسبين للسلفية الحاجة لإعادة استثمار ما تأثروا به من فلسفة في صور دينية، وسلفية على وجه الخصوص؟

هل يتوقف تصديق الرسول أو يجب أن يؤسس مبدئيا على تأصيل فلسفي؟

هل يجب أن نتصور حقائق الوحي النبوي ونفهمها فهما تصوريا عقليا ونتجاوز الفهم اللغوي الشرعي إلى المفاهيمي، كما نفعل مثلا في قضية " الجسم"؟

من أين جاءت هذا الجيل الثقة العمياء في قدرة الفلسفة المادية أو في هيدغر أو فينجشتاين على قراءة لغة الوحي قراءة صحيحة حتى أصبحوا يقرؤون الواقع والنص الشرعي والتراثي بهم؟

ليس للمسلمين تقاليد إسلامية في الطبيعيات إلا طبيعيات القرآن، ولا لهم ميتافيزيقا خالصة بل عندهم إلهيات شرعية، ولا لهم منطق خاص ولد من ميتافيزيقا إسلامية خالصة، بل منطقهم العام قرآني والخاص عقلي شرعي في أصول الفقه والفقه وعلوم الحديث شكَّل عقلهم الاستدلالي.

يلجأ الناس إلى تفلسف دينهم (تحويل عقائدهم إلى فلسفة) عندما لا يعتقدون أنه ضمِن

الأصل العقلي لتلك العقائد كما حصل مع جمهور المتكلمين ،أو لأنهم يحتاجون إلى أن يصاغ هذا الأصل صياغة فلسفية ليكون مقبولا ،فصياغته العقلية الفطرية في لغته الشرعية غير كافية كما يحصل مع جيل فلسفة بدون فلاسفة .

بدون أن تحول الفلسفة هذا السلفي الذي تأثر بها إلا فيلسوف تجعله متفلسفا كفاية لتلد فيه أسبابا جديدة لمساءلة عقيدته، لأنه لا يمكن للفلسفة أن تقبل أي مسلمة مهما كانت طبيعتها، فيبدأ مسلما بما لديه، ثم شيئا فشيئا يدخل عليها التعديلات اللازمة لتصبح شيئا مفلسفا!

الفلسفة تفكير في أشياء لا فلسفية يعني: ليس للفلسفة موضوعها الخاص، وبالتالي فإن هذا السلفي المتأثر بها لا يكون ـ في الحقيقة ـ بدون الفلسفة واعيا بعقيدته وبنفسه فتسمح له الفلسفة بإبراز نفسه كمجدد للبحث العقدي، بدون الفلسفة هو عاجز عن لمس قيمة عقيدته، توطن في وعيه أنها أعلى خطاب عقلي يمكن الوصول إليه، فتقدم له الفلسفة وعيا جديدا بعقديته لأنه كان عاجزا عن الوعي بها في لغتها الأصيلة لكنه وعي بثمن حيث ستذوب حدود جنسيتها.

تشكلت الفلسفة تاريخيا كبحث عن "الحقيقي" من نوع جديد، حقيقي لا يكون هو الحقيقي في الرياضيات الصورية، أو في العلوم، ولا الحقيقي في الدين، ولا في التقليد، ولا في الرأي: حقيقة تريدها الفلسفة أن تكون أعلى من حقائق هذه المجالات، وأكثر أساسية، أكثر برهانية، أكثر يقينية.

المشكل الذي يهمنا هنا ليس أن نعرف إن كانت الفلسفة فعلا تبحث عن الحقيقة، ولكن أي نوع من الحقيقة تدعيه؟

وفي أي حدود تملك وسائل طموحها، وما هي طبيعة هذه الحقيقة الفلسفية؟

الحقيقة التي تزعم الفلسفة البحث عنها ليست حقيقية إيجابية، واقعية، تجريبية، ولا حتى حقيقة صورية، وأكثر من ذلك ليست حقيقة موحاة.

حقيقة غير إيجابية، غير منطقية، غير ذاتية، الحقيقة الفلسفية تريد أن تكون مطلقة "أولية" بالنسبة لبقية جهات الحقيقة.

في العمق: لا توجد إلا حقيقة تستحق اسم الحقيقة الفلسفية، وكل الحقائق الأخرى يجب أن تصادق عليها الفلسفة، وفلسفة العقيدة الإسلامية هي البحث عن شهادة تصديق فلسفية كامنة في اللاوعي.

تبحث الفلسفة بالفعل عن المبادئ الأولية، تلك المبادئ التي لا ترتبط بشيء، لكن التي كل إجراء للحقيقة يرتبط بها انفراديا.
وحتى لا ترتبط بشيء تخص الفلسفة نفسها بلغة شرعية ـ ذاتية مطلقة، فلا يجب أن نفترض أو نسلم بشيء مسبقا: بأي قبول، أو بداهة، أو تقدير، أو أن نحدس، في البداية.
الفلسفة في مشروعها الأساسي لا يجب أن تسلم بشيء، ولكن على العكس عليها ممارسة انعكاسية" تأمل تصوري" نقدية على كل المسلمات، بغض النظر عن قيمتها ومادتها مهما كانت.
لهذا السبب صُنفت البداية الفلسفية كشك جذري، رفض للرأي المشترك.
تريد الحقيقة الفلسفية إذن أن تكون لا مشروطة، ذاتية الشرعية، وأولية، لكننا نقول: إذا كانت الفلسفة إجراء للحقيقة بحيث يكون لها موضوع يمكن المحاسبة عليه بما يناسبه، أليس كل حقيقة هي حقيقة شيء ما؟
وهذا "الشي ما" أليس مسلمة لخطابه الحقيقي المتعلق به، فأنت لا يمكن أن تفكر في غير موضوع، وذاك الموضوع تأخذه مسلمة.
هنا يتحرك السؤال: ما هو موضوع الفلسفة، عن أي شيء تتحدث، وفي العمق: بأي شيء هي حقيقة؟
هل تمللك الفلسفة موضوعا؟ فإذا كان كل شيء قابلا للتفلسف فهذا يعني أنه يمكنها أن تأخذ أي شيء كموضوع لكن حينئذ موضوعات الفلسفة وموضوعات المجالات الأخرى ستتوافق بالضرورة، ما لم يحصل؟!
يوجد فلسفة حياة لكن الحياة ـ أيضا ـ موضوع البيولوجيا، هناك فلسفة عدالة لكن العدالة ـ أيضا ـ موضوع القانون، يوجد فلسفة لغة لكن اللغة ـ أيضا ـ موضوع اللسانيات ...الخ.
وهكذا يبدو أنه إن كانت الفلسفة قادرة على أخذ أي شيء كموضوع دراسة فصحيح ـ أيضا ـ أنه لا واحد من الموضوعات يرجع إليها بصفة خاصة؛ كما يقول العامة عندنا: المكسي برزق الناس عريان!
ومع ذلك نعترف بأن الفلسفة ليست اجترارا للعلوم الأخرى، فلها خصوصيتها ومكانها في المجال النقاشي لأن من ليس له دين أصلا، أو عنده خلل في فهم ما جاء

به دينه من البينات والهدى يدعوها إلى مائدته، وليس المشكل في جزئيات عقلية مشتركة منهجية أو معرفية، ولكن في المفاهيم المركزية الموجهة.

وعليه؛ لا تستمد الفلسفة خصوصيتها من موضوعها، ولكن من طريقة تعلقها به، فلا علاقة لها بموضوعاتها إلا بواسطة العلوم الأخرى، فالمادة الأولية للفلسفة، ما تشتغل عليه مباشرة ليس التجربة، أو العالم، أوالذات، أو الإدراك.. الخ لكن الرأي المشترك، أو العلوم المتعلقة بالتجربة أو بالعالم أو بالذات أو بالإدراك.

هي أساسيا تفكير انعكاسي نقدي هويتها أشكلة العلوم والآراء المتاحة، وليست معرفة إيجابية ولا تأويلا لشيء يجب أن يستخلص منه معرفة مثل علم الكلام مثلا.

لا تقصد الفلسفة موضوعاتها إلا من خلال علوم أخرى، فالعلوم هي هيوليها، مادتها الأولى.

الفلسفة هي الخطاب العام، واللغوس هو ما تمارس عليه التأمل الصوري النقدي، يعني: هي نوع من الطفيلي الذي يعيش على غيره!

هذا هو الوسيط الذي يجعل فلسفة الأخلاق ليست أخلاقنا إيجابية، فلسفة السياسة ليست سياسة إيجابية، فلسفة العلوم ليست علمية، فلسفة الفن ليست الفن... الخ.

لا تمارس فلسفة الفن بريشة رسام في اليد، بل تتطلب حشد علوم تتعلق بالممارسة الفنية وبالتحف الفنية، كذلك فلسفة الدين لا تمارس بالنص الديني، لهذا يبدأ السلفي المتفلسف النقاش في الفطرة المعرفية بالنصوص ويستشكل عليها حتى تصبح من المتشابه، ثم يلبس ثوب الفلسفة المحضة.

كذلك فلسفة الإدراك ليست وصفية ولكنها نقدية أو استشكالية بالنسبة للخطاب الذي يمكن أن يقال عن المجال الادراكي؟

ما تستشكله الفلسفة ليس المدرك كما هو لكن كل الأدبيات المتعلقة به سواء كانت شرعية، أوعلمية، أو شعرية، أو ظواهرية.. الخ

وهكذا اللغوس تحت كل صوره هو المحل" المكان" الحقيقي للنشاط الفلسفي، ومن خلاله فقط تقصد الفلسفة موضوعاتها المستلفة.

وعليه فجأةً لن تكون الحقيقة الفلسفية صيغة بسيطة لحقيقة ـ تطابق، لأن توسط "اللوغولوجي" (دراسة الخطاب) يمنع أن تكون الفلسفة الخطاب المباشر المطابق لهذا أو ذاك المجال الواقعي.

ليست الفلسفة معرفة إيجابية للأشياء ولكنها بدلا عن ذلك مجرد استشكال للمعارف، تأتي لمعارف العلوم وتختر أضعف نقطة ثم تستشكل عليها، لا تقدم الفلسفة أي حقيقة، فقط أسئلة استشكالية.
ومع ذلك ليست الفلسفة "معرفة المعارف" التي يمكننا استخلاص بعض المعارف هي نفسها إدراكية.
إذا لم تكن الفلسفة معرفة بالأشياء، كما يعرفها الوحي، أو تعرفها الفيزياء أو الطب.. الخ، ولم تكن معرفة المعرفة فلابد أن يكون للفلسفة علاقة فريدة بالحقيقة، هذه العلاقة هي ما يجب أن نفهمه.
وسيكون ذلك في المقال القادم ـ إن شاء الله تعالى ـ "حدود وقوة الحقيقة الفلسفية"

مراجع الموضوع:

ـ كليمونس رامنو؛ محاضرة بجامعة بروكسل، مدرسة العلوم الفلسفية والدينية، كلية جامعة سان لوي، 22 فبراير 1968، مجلة الفلسفة، ص:581- 596.
ـ مفهوم المشكل في الفلسفة؛ إميل بريهر، مقال منشور في كتابه دراسات للفلسفة القديمة 1955 ص 10/16 باريس، المطابع الجامعية الفرنسية.
ـ مقال عن أفكار عن الحقيقة والتقدم في الفلسفة؛ فنسون سيتو، في المخبر الفلسفي 2003/2 رقم 20 صفحة 83 ـ 129، هذا البحث المتعلق بالحقيقة الفلسفية سيكون عليه مدار المقالات القادمة، وقد قدمت لكم بعض العناصر منه في هذا المقال مع تصرف مهم يقتضيه التحليل التصوري.
1 ـ مقدمة " تاريخ الفلسفات المادية"2007

2 ـ انتهاء صلاحية الانسان، ص:224.

مقام النص الشرعي

....

عندما يسأل النبي صلى الله عليه وسلم عن مسألة إلهية أو شرعية لا يقول :سأبحث

المسألة ،سأفكر ،سأنظر في الكتب ولكنه يقول :الأمر كذا، أو ساسال ربي.
الحقيقة الشرعية التي يخبر بها النبي تخبر عن الواقع كما هو خاصة عن الواقع الأعلى الواقع الغيبي،ليست تخمين لوغوس، أو مضاربات مقدمات كلامية طبيعية.
وهكذا العالم السني عندما يسأل عن مسألة يبحث عن النص، يجمعه مع كل ما يشبهه من نصوص، ينظر في كلام الصحابة وينزل إلى التابعين ثم أئمة السنة،الحقيقة التي يخبر عنها ليست تفسيرية كالحقيقة العلمية، ولا ظواهرية وصفية بموضوعية، ولا ظواهرية فلسفية ذاتية، هي من رتبة أعلى (ستكون لنا فرصة نتكلم عن مراتب الحقيقة)
أما المتكلم أو الفيلسوف أو غيرهما فيتردد، يتلمس كأنه يبحث عن مصباح في ظلمة وسط خردوات كثيرة ، يعمل تجارب تفكيرية، منهجه واجراءاته " محاولة ـ خطأ" ، يعمل اختبار توافق، محاولات وتراجع؛ باختصار إجراءات حل المشاكل عنده عشوائية إلى درجة كبيرة، وغير مؤكدة.
وعليه فالحل غير مستخلص من المشكل، ولكنه ناجم من عملية تنقيع عقلي طويلة تتمثل في عمل تجارب تفكير.
و التلمس الذي يبرز منه الحل هو حاصل محاولات بحسب إثمارها حتى تظهر شيئا فشيئا فكرة مهيمنة، والتي تنتهي في الأخير إلى الفوز بالجائزة، على الأقل مؤقتا.
النتيجة: هذا الإجراء يظهر بشكل جلي أنه غير مضمون لأنه يعتمد مباشرة على الحدة العقلية لهذا الشخص ، وعلى قدرته على العمل، ما يلزم منه بالضرورة أن يكون الحل كذلك عرضة للشك.
و اللازم من كل هذا هو أنه من غير الممكن أن نعتبر الحل الذي يقدمه الفيلسوف أو المتكلم حقيقة بحكم الفوضى التي خرج منها، خصوصا أن هذه الفوضى هي مقدمة في نفس الوقت كمصدره وكالنموذج الذي يتحقق منه!
وعليه فإن الحل الفلسفي أو الكلامي لا معنى له إلا بالنسبة للمشكل الذي يجيب عنه، فالحل الفلسفي/الكلامي هو جواب لمشكل فلسفي/كلامي، و معقوليته هي في السؤال الذي يعود إليه لأن الفلسفة والكلام لا يستهدفان موضوعاتهما إلا من خلال نسيج معرفي (اللوغولوجي عموما للفلسفة والمقدمات الطبيعية الكلامية لعلم الكلام) متعلق بها.

فالمشكل الفلسفي أو الكلامي ليس مشكلا لازما عن الموضوع نفسه، بل هو بالأحرى إعادة صياغة فلسفية أو كلامية لشد قبل ـ فلسفي"أو" قبل _كلامي "ضمن هذا النسيج الاستطرادي.
ما هو الاستشكال الفلسفي/الكلامي ؟
ـ الأشكلة في الفلسفة وعلم الكلام : هي الشجب والتنديد بما يتوهم أنه ضعف في مجال معرفي، إظهار تناقض لازم أو متضمن في خطاب،مثل الجسمية.
عملية الاستشكال الفلسفية مرتبطة إذن بظهور شد ما بين الاستطرادات والاهتمام الذي يوليه الفيلسوف أو المتكلم لها، لا يوجد مشكل في نفسه ولكن فقط إستشكالات يجريها الفلاسفة و المتكلمة على معارفهم .
لهذا يمكن أن نقول :الحدود المعرفية للفيلسوف و المتكلم : هي حدود مشاكلهما ،وبالتوالي حدود أجوبتهما.
النتيجة: محدودية هذه المعرفة هي كذلك محدودية مشاكلها التي أُعدت، والحلول التي ستقدم.
ـ كيف لمحدودية المعرفة التي يمارس عليها الفيلسوف و المتكلم تأملا نقديا ومستشكلا أن تكون متوافقة مع طموح الفلسفة والكلام في حقيقة كلية مشتركة؟
، هذا بالضبط ما يطرح المشكل، لا يمكن لحل في الفلسفة أو علم الكلام أن يكون له مدى كليا مشتركا بين البشر إلا إذا أولا الاستشكال نفسه مورس على شد حقيقي ودال ضمن المجال المعرفي.
لا يجوز المتكلمون أن يختلف بحث عقلي فيما تشهد به الظواهر إذا كان صارما وخال من الميول والأهواء وكاملا لا يشوبه خلل أن يختلف اختلافا ذا شأن عن بحثهم، أو أن يفضي إلى نتائج تختلف بصفة جوهرية عن تلك التي استخرج وها.
[أنظر مقولة ابن فورك في "مجرد مقالات الأشعري" ص:[250
لهذه الأسباب فإن القيمة الكلية لحل تعتمد على القيمة الكلية للمشكل المتعلق به.
لن يكون للفلسفة وعلم الكلام علاقة بالحقيقة إلا إذا طرحوا الأسئلة الصحيحة، والسؤال الصحيح هو الذي يبرز من الموضوع نفسه وليس من الخلفية الشخصية،مثل أقسام الموجود عندهم.
ـ لنفترض الآن أن المشاكل التي يطرحها الفلاسفة و المتكلمة على العقيدة الشرعية

توافق وتطابق بالفعل الشد لقيمة عامة في داخل مجال المعارف المتاحة حول هذا الموضوع أو ذاك.
بتعبير آخر: المعارف التي من خلالها يستهدف الفيلسوف و المتكلم موضوعهما هي بالفعل مخترقة بشد، وأن فرادية وخصوصية الفيلسوف و المتكلم لا تتداخل مع التعيين الصارم لهذا الشد، في هذه الحالة نحن أمام شد موجود حقيقة مثل: منظومة مسلمات تكون في الواقع متناقضة.
وهنا يجب أن نسأل :من أين يستنبط المتكلم و الفيلسوف حلولهما ؟
من جهة الحلول ليست مستنبطة مباشرة من المشاكل لكنها تفترض تدخل المتكلم و الفيلسوف.
من جهة أخرى: الشد الموضوعي للمجال المعرفي ليس شدا أساسيا لكل معرفة ممكنة ولكن فقط شد موجود بالفعل ضمن مجال معرفي معين، أو في زمن ما، أو في ثقافة ما، هي هنا الثقافة الفلسفية الإغريقية مصدر المنطق و الطبيعيات لدى المتكلم و الفيلسوف على حد سواء.
لمشاكل والحلول الفلسفية لا معنى لها إلا في داخل المنظومة التي يندمجان فيها وينتميان إليها.
ـ المشكل الكلامي/الفلسفي والحل المقدم له مصاغان في لغة مفاهيمية لها تقنيتها الخاصة.
ـ فالمتكلم كالفيلسوف يدفعان حدود اللغة، ويجعلان لغتهما أداةً لتمنحهما صورة أفكارهما حتى أنه لفهم فلسفة أو علم الكلام من الداخل نضطر إلى تبن لغتهم وتصوراتهم.
المصطلحات التي يتعامل بها المتكلم و الفيلسوف هي استخدام خاص شخصي للغة.
الحل الفلسفي/الكلامي لا يقبل الصياغة إلا في لغته التي انتجته، فيتضح لنا أن قيمة حقيقته مرة أخرى سياقية داخلية.
ـ علاوة على ذلك فإن معنى تصور فلسفي/كلامي ليس دائما مفصح بيّن بطريقة واضحة بواسطة مقول التعريف.
يجب أحيانا فهم كل بناء المنظومة لفهم معنى هذا التصور أو ذاك، واستخدامه في هذا الحل أو ذاك.

النتيجة: المفهوم الفلسفي/الكلامي يرد إلى كل المنظومة الفلسفية/الكلامية التي يجد فيها مكانه ومعناه.

و أيضا لا يوجد حل إلا في صفيف مجموع الإشكالية، وليس فقط للمشكل الآني الذي يزعمون حله.

في الأخير : المشكل الفلسفي/الكلامي هو نفسه ليس له معنى إلا بالنسبة إلى مخطط حلول متاحة، وكل واحدة منها تجيب على أسئلة أخرى وهكذا دواليك.

حقيقة الحل الفلسفي/الكلامي أنه ليس إلا ارتخاء "انفراج" محلي في القماشة العامة؟

ـ عندما قلنا: إن الحل الفلسفي/الكلامي يشبه ارتخاء في المجال ما بين المعرفي فإننا نبسِّط الأشياء لأن الحل قبل كل شيء إعادة تأليف لمنظومة فلسفية أو كلامية ، والتي في مجموعها تميل إلى إذابة الشد ما بين المعرفي، يعني: الحل الفلسفي/الكلامي هو قبل كل شيء ارتخاء لشد فلسفي/كلامي قبل أن يكون لشد معرفي عام.

فقط من خلال توسط المنظومة في مجموعه تكون لهذا الحل أو ذاك فعالية في المجال المعرفي الخاص بهما.

ـ لكن إن لم يكن لحل معنى إلا ضمن البنية" الفلسفية الكلامية التي تتضمنه إذن هذه" البنية المجموع" هي التي لها علاقة بالحقيقة المتوهمة ، وليس الحل الآني الذي ليس إلا أثرا محليا مشروطا بالمجموع.

قد يقال :هناك فرق بين علم الكلام والفلسفة، وهذا صحيح لكن ما طبيعة هذا الفرق ثم ما قيمته وحاصله؟

منطلقا من تصور انطولوجي مغلوط عمدته المنطق الصوري وميتافيزيقا فلسفية أدخل عليها تعديلات ، ومن تصور ابستمولوجي مغلوط أيضا مفاده أن الإيمان مجرد تصديق قلبي،يحتاج إلى امتلاك استدلالات عقلية وصياغة صورية لا يمتلكها عامة المسلمين أوقع علم الكلام نفسه بالضرورة في التصور المفاهيمي لكبرى مسائل العقيدة.

علم الكلام ميتافيزيقا فلسفية حقيقية ،ولكنه من جهة أخرى وعلى وجه الخصوص عند المتقدمين منهم علم لاهوت بالقصدية وبالشرط، فيه عناصر فلسفية حقيقية.

وكونه يبحث عن إضافة صبغة عقلية على العقائد الإسلامية بحيث يصغها صياغة صورية ويثبت صحتها بطريقة عقلية محضة لأنها أعطيت في النص بلغة رمزية

غير مرتبة يربطه بالفلسفة.
فمن جهة استعمال أصحابه لمعنى اسمه حيث كانوا يعتبرونه مرادفا لعلم أصول الدين هو لاهوت إسلامي إذا جاز التعبير ، ومن حيث ابتعاده عن النصوص وفهم السلف ومغالاته في التأويل المناقض هو فلسفة.
و في الحقيقة تعريفه بأنه جدال عن العقيدة الشرعية بالعقل هو مجرد تعريف نظري لا يمثل الحقيقة إذ نجد أن الحد الديني فيه لا يتجاوز القضايا الغيبية مثل :البعث والجنة والنار ومثل هذه الأمور لكن في الانطولوجيا وإثبات وجود الله وصفاته وما يستتبعها يحافظ على الحد الديني فقط من خلال عدم إنكار النص لكن من حيث التأويل فهو فلسفي يعني: غير مقيد بحدود مسبقة إلا مقدماته الطبيعية.
و مصادره المعلنة الكتاب والسنة والاجماع والعقل، وهي مصادر صورية غير فعلية فالنص الشرعي أدخلوا عليه شروطا سندية جدلية مثل: الاحاد والتواتر، وشروطا لغوية تجريدية صورية مثل: الحقيقة والمجاز، والإجماع الذي يدعونه لا حقيقة له فلم يبق إلا مصدر واحد هو العقل، وأما النص فيحتفظون بغلافه فقط.
و هو كالميتافيزيقا فحص نظري لما يعد موجودا، ويدخل فيه الوجود الذهني عند المعتزلة والأشاعرة على حد سواء.
كذلك الكلام عن طبيعة واجب الوجود والقديم بالسلوب ولصفاته الذاتية ميتافيزيقا بالأساس وليس بنصي شرعي.
و أيضا البحث في الوجود من حيث هو وفي مصدره وهذا توافق بالمطابقة مع الميتافيزيقا.[01]
والذي يهمنا هنا ليس القضايا التي يثبتها ولكن طريقة التفكير ومصدر طبيعة الاستشكال على النص ومصدر حلوله، فمن هذه الجهة لا يختلف عن الفلسفة كثيرا.
......

١ _ انظر مقال ريتشارد فرانك، "مقدمة عن تعريف علم الكلام عند الأشاعرة و المعتزلة" ضمن كتاب "دراسات في تاريخ علم الكلام والفلسفة" ،مركز دراسات الوحدة العربية.
٢ _ هذا المقال تابع للمقالات عن الفلسفة التي سبقته.

كشف التدليس في تداخل مفهومي المادة والجسم
أسلمة المادية: النظرية التي ولدت فاشلة [15]
الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.
مقدمة لتهيئة الموضوع
ما قيمة مصطلح فلسفي كلامي إن لم يكن إلا إصدارا لإمكان ذهني فردي لا كلي مشترك يحاول أن يتعالى إلى الغيب؟
هذا المصطلح الفلسفي الكلامي كمفهوم لا يمكنه أن يحمل صفة لاشخصية لحقيقة علمية شرعية أو طبيعية، هو مجرد لون للعقل الذي أصدره.
لا يمكن للمصطلح الفلسفي(وتابعه المصطلح الكلامي) أن يكون مدخلا لحقيقة من درجة أعلى مثل الحقيقة الغيبية لأنه ناتج عن رؤية فيزيائية للعالم السفلي، ومن هنا لا تستطيع الفلسفة ولا علم الكلام ولادة واقعهم الخاص.
يتعلق الأمر بتحويل واقع موضوعاني في عقل غير متجانس معه، فيستحيل على المصطلح الفلسفي الكلامي تحويل الموضوع الخام ـ المجرد عن إخبار النبي المطابق له بالعبارات المتسقة معه ـ إلى معرفة، لأنه سيصف واقعا لا تطابقه إلا الألفاظ الشرعية التي لا تشكو بأي شكل من الأشكال من انحراف بين الموضوع واللفظ المعبر عنه، فهذه المصطلحات المحدثة تفرض مقولات متقطعة مستمدة من واقع متقطع على واقع متواصل في كثير من الأمور.
الأخبار الشرعية ليست دراسة علمية ظواهرية لعالم الغيب تبحث في بنيته الموضوعية وتفسر ميكانيزماته وقوانين فيزيائه إذا جاز التعبير، وليست كذلك وصفا لجهات ظهوره الذاتي، لدلالته بالنسبة للعقل الفلسفي الكلامي والطريقة التي يقدم بها نفسه إليه، بل هي شهادة معاينة، أو شهادة إخبار صادق من العليم القادر الذي خلق الدنيا والآخرة تتضمن التفسير لا التأويل لفطرة عقلية نفسية ، ولا شيء من هذا فلسفي كلامي.
لهذا فإن الحقيقة الشرعية حقيقة تطابق بين المعرفة والموضوع في حدود ما سمحت به الشريعة، ليست من قبيل الحقيقة عند المتكلمين والفلاسفة القائمة على الالتباس بين التخيل والإدراك كما في الكليات والماهيات، بين التفكير واللغة، بين المادة والجسد،

كما في هذا المبحث.
فالحقائق التي تكشفها النصوص الشرعية ليست من نفس طبيعة ما تعده الفلسفة أو علم الكلام حقيقة، ولهذا يتسلطان عليها بنقدهم اللوغولوجي المفصول عن المعرفة المحضة سواء كانت شرعية أو حتى علمية دقيقة، بل المفصول حتى عن المنطق لأن الحقيقة المنطقية تتمثل فقط في استنتاج القضايا انطلاقا من مسلمات أو مقدمات بشرط أن تثبت علاقة هوية تربط القضية المستنتجة بالقضايا الابتدائية، في حين الاستنتاج في علم الكلام والفلسفة مجرد عملية ثانوية وتقريبا هامشية، جل مشاكلهم لغوية اصطلاحية وليست فكرية.
علم الكلام والفلسفة ليسوا من قبيل الإدراك المعرفي لأنهما لا يتحدثان ـ خصوصا الفلسفة ـ عن الله تعالى بل عن المعرفة التي تتحدث عنه، فمعرفتهم به الخاصة كلها سلوبية قائمة على نفي عنه كل صفة للعالم ولو كانت قدرا معنويا مشتركا لا يؤثر على الخصوصية بأي وجه من الأوجه!
ومشكلة علم الكلام أنه ورث طبيعيات فلسفية نشأت في غياب الوحي وفي غياب علم فيزيائي صحيح حيث كان آنذاك مجرد تخمين ومضاربات، ولهذا يغلب عليهما السلوب لا المعارف الثبوتية الإيجابية.
الشريعة تخبر و تفسر، و المنطق يستنتج لكنه رهن مادة مقدماته ،بينما الفلسفة و علم الكلام لا يفسران شيئا ، و لا يصدقان خبرا صادقا، في ظاهره ، بل يقومان بمجرد الاستشكال عليه بناء على معرفة ليست فلسفية بالدرجة الأولى بل علمية خاطئة موروثة من زمن تداخل الفلسفة مع العلوم حيث قسموا الموجودات إلى أجناس ، و جعلوا موجودات العالم كلها مركبة من مادة و صورة أو من جواهر مفردة لا تقبل القسمة ما دحضه العلم بعد انفصاله عن الفلسفة ، فحددوا شروطا للجسم مبنية على مقولات علمية قديمة خاطئة ،ومن ثم استشكلوا على النص الشرعي بقرينة التجسيم ، فما تفعله الفلسفة و علم الكلام ليس من قبيل تفسير موضوع أو الإخبار عنه و لكن الاستشكال فقط، ثم يكون الحل إنكار دلالة النص صراحة أو بطريق غير مباشر.
يعني: ما يستشكلان به على النص هو الحل عندهما! ما يعني ـ أيضا ـ أنهما مطابقان لصورة استشكالهما نفسه الذي يلغيانه، فهما هويته السلبية، هوية سلبية لعيب أو خلل في معرفتهما عندما تقابل معرفة أعلى منها سواء كانت شرعية او علمية طبيعية.

بتعبير آخر: هما الحل لمشكل فيهما، يعني: هما قفا لوجود عدم! ولهذا يكثر فيهم النفي المفصل والإثبات شديد الإجمال مع بعض الفروق.
يأتي مزيد من هذا التفصيل في المقالات الخاصة بالفلسفة بالدرجة الأولى وبعلم الكلام بالتبعية.
الحل في العلوم الشرعية هو رد التوازن إلى الموضوع بإظهار هويته الإيجابية، توارد المعرفة مع الموضوع، والحقيقة الشرعية حقيقة متسقة مع أجزائها، مطابقة لموضوعها، مناسبة للغتها كما ستراه في هذا المقال.
وعلى هذا فإن مصطلح " جسم "يبقى نفيه كإثباته بدعة محدثة، والاستفصال فيه ليس إلا تفكيكا لاضطرابه وضبابيته، وليس اعتماده في شكل جديد، وإذا فهمت هذا ستفهم تلبيسات سمرين في الموضوع.
الجسمية عند سمرين!
يربط سمرين بمغالطة بين الجسم والمادة فكل جسم عنده هو مادة، وكل مادة هي جسم، قال ناقلا شطرا من كلامي: "معلوم أن المادة يُقصَد بها الجسم"[١] ثم قال: "إذن فلتتعامل معها وفق ذلك الاصطلاح، كابن تيمية"[01]
أولا: بتر سمرين ـ على عادته في التدليس ـ الكلام بترا مخلا بمعناه، فحصر "المادة" عندي في " الجسم" وهذا لم أقله، ولم يقله أي عاقل يعرف حدود المصطلحات الفلسفية، لقد قلتُ: " ويبدو لي أن الكاتب أراد تقرير الجسمية، ومعلوم أن المادة يقصد بها الجسم، ويقصد بها مكوِّنات الجسم أي: العناصر المركب منها " [02]
إذا قلتُ: يقصد بالمادة الجسم وما يتكوَّن منه الجسم فهذا يعني أني أقصد بالجسم غير ما يتكوَّن منه مثل: المقدار وشغل الحيز والأبعاد، ويقصد بالمادة الجسم عندما يراد ما يتكوَّن منه، لا المقدار، والحجم، والشكل والصورة.
والمادة لا يقصد بها الجسم حصريا إلا سمرين؟!
قولي هنا كان الغرض منه تمكين سمرين من تصحيح نظريته عن مادية الله، لعله يفصل بين الجسمية والمادية، مع إعادة الصياغة اللازمة لتعريف المادة الذي اعتمده، لكنه لم يفهم الرسالة، لأنه فعلا لا يفرق بين المادة والجسم، ولأنه واصل في مغالطته عندما تحدث عن المفهوم الفلسفي للمادة في مقاله رقم [11] حيث صرح بأنها المادة الفيزيائية" مفهوم منتزع من الحس" ـ كما سيأتي ـ فزاد الطين بلة!

إشكالية لفظ الجسم

ما الفرق بين قول ابن تيمية: "كانت جسما بهذا الاعتبار"، " هذه صفات لا تكون إلا لما يسمونه في اصطلاحهم جسما" وبين قول من جعل الروح جسما من جنس الأجسام المشهودة، والذي خطَّأه؟

قال ابن تيمية: " وسبب ذلك أن الروح - التي تسمى بالنفس الناطقة عند الفلاسفة - ليست هي من جنس هذا البدن ولا من جنس العناصر والمولدات منها؛ بل هي من جنس آخر مخالف لهذه الأجناس فصار هؤلاء لا يعرفونها إلا بالسلوب التي توجب مخالفتها للأجسام المشهودة، وأولئك يجعلونها من جنس الأجسام المشهودة وكلا القولين خطأ.

وإطلاق القول عليها بأنها جسم أو ليست بجسم يحتاج إلى تفصيل فإن لفظ الجسم للناس فيه أقوال متعددة اصطلاحية غير معناه اللغوي فإن أهل اللغة يقولون: الجسم هو الجسد والبدن، وبهذا الاعتبار فالروح ليست جسما؛ ولهذا يقولون: الروح والجسم؛ كما قال تعالى: {وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم} وقال تعالى: {وزاده بسطة في العلم والجسم}

أما أهل الكلام: فمنهم من يقول الجسم هو الموجود؛ ومنهم من يقول: هو القائم بنفسه ومنهم من يقول: هو المركب من الجواهر المفردة ،ومنهم من يقول: هو المركب من المادة والصورة، وكل هؤلاء يقولون: إنه مشار إليه إشارة حسية.

ومنهم من يقول: ليس مركبا من هذا ولا من هذا بل هو مما يشار إليه، ويقال: إنه هنا أو هناك؛ فعلى هذا إن كانت الروح مما يشار إليها ويتبعها بصر الميت - كما قال صلى الله عليه وسلم {أن الروح إذا خرجت تبعها البصر وأنها تقبض ويعرج بها إلى السماء} - كانت الروح جسما بهذا الاصطلاح " [03]

واضح من كلام ابن تيمية تخطئة إطلاق لفظ الجسم على الروح، وأنه عند الاستفصال تكون جسما بالمعنى الكلامي المقيد " فعلى هذا إن كانت الروح مما يشار إليها ويتبعها بصر الميت" لأن للجسم تعريفات كثيرة منها الصحيح كالقائم بنفسه، ومنها ما لا يمكن إطلاقه على الروح كالمركب من الجواهر المفردة، والمركب من المادة والصورة، فهذا غير ثابت في حق الروح إذا كيفيتها مجهولة لنا.

لنشرح مشكلة سمرين:

مشكلة سمرين أنه يتعامل مع مصطلح له براديجم، سياق معرفي عند ابن تيمية، وله براديجم آخر عند الفلاسفة والمتكلمين، فهو مشكل في النسيج المعرفي الفلسفي والكلامي، يعني: مشكلة في المنظومة الفلسفية والكلامية وليس مشكلة في الشريعة إلا إذا أثبت أو نفي.

و تعاملنا مع المصطلح يعني أننا فهمناه و استوعبناه ، وهذا يقتضي قدرتنا على التعليق عليه، على مناقشته، وأن نرد للمحاور معنى معقولا ،وهذا ما لم يحصل مع سمرين فعندما نتعامل مع المصطلح الفلسفي و الكلامي فنحن نعرف أنه ناجم عن لغة خاصة بهم ،تابعة لمنظوماتهم ، يستشكلون بناء عليه، لكنه ليس كذلك في المجال المعرفي في المجالات المختلفة ، فإذا لم نرجع لمستويات المصطلح و نفككها دخل تفكيرنا في دوامة ، فالاصطلاح الفلسفي الكلامي ليس حياديا ، ومن غير المجدي التيهان في مصطلح يبقى سلبيا بالخلفية و الاشتراك بين درجاته ، فالذي يحتاج إلى تعميق هو مدى المصطلح .

والمشترك بين كل تعريفات الجسم الموجودة ـ بحسب بابن تيمية ـ هو المشار إليه، والمشار إليه تطلق كذلك على الجسم بالمعنى الأول يعني الجسد، وليست خاصة بجسم لا نعرف عنه إلا أنه مشار إليه فقط، فهذه العبارة مشتركة بين الموجود الذي علمنا جسميته بالمشاهدة وبين الموجود الذي لا نعرف طبيعته.

وقد أبطل ابن تيمية قول المتكلمة بأن تعرفيهم للجسم في قضية "أجسم " عندما قالوا: " الجسم في اللغة هو المؤلف المركب، وأن استعمالهم لفظ الجسم في كل ما يشار إليه موافق للغة " فبين أن أهل اللغة لا يسمون كل ما كان له مقدار بحيث يكون أكبر من غيره أو أصغر؛ جسما؛ فهذا لا يوجد في لغة العرب ألبتة.

فليس كل ما هو مركب عندهم من الأجزاء يسمى جسما، فعلم أنهم إنما لحظوا غلظه وكثافته، لا أنهم اعتبروا كثرة الأجزاء وقلتها. [04]

ولكننا نعرف أن مصطلح جسم عند المتكلمين بجميع معانيه خاصة التركيب والتأليف إن لم يكن موافقا للغة كما بحثه ابن تيمية فإن الجزء الخاص بالقائم بنفسه والمشار إليه مأخوذ من الجسم بالمعنى الأول، فهو ينطبق على الجسد وعلى غيره، على الحي وعلى الهامد.

وهذا المعنى العقلي بناء على نظرية سمرين بأن كل مفهوم عقلي منتزع من الحس

فقد أخذه المتكلمة من المعنى الأول أي: الجسد إذ المفاهيم العقلية عنده ـ بحسب سمرين ـ مكتسبة لا شيء منها فطري.
ومصطلح "جسم" له حدود ضبابية فبدأ ابن تيمية بتعريف خطافات هذا المصطلح أي: الزوايا الناتئة أثناء مرحلة الاستشكال تحضيرا لها حيث يضع معاني ألفاظ الموضوع لشرح التناقض الذي يبرز من التعريفات.
وبإغفال القيد الذي أشار إليه ابن تيمية مثل قوله: "إن عنيت بالجسم أنه يمكن أن يشار إليه إشارة حسية لم يكن هذا ممتنعا عندي بل هذا الواجب فإن كل ما لا يشار إليه لا يكون موجودا " الدرء 6/131، " بهذا الاعتبار"، " على هذا الاصطلاح "،" بهذا المعنى".. الخ.
فمراد ابن تيمية هنا ليس أن يقول : الروح جسم ، و الله جسم ، و لكن ليبين أن الأمور العقلية المحضة لا عبرة فيها بالألفاظ فمتى علمنا ثبوت المعنى بالعقل لا يجوز لنا نفيه بأي عبارة عبر عنها ، و كذلك إذا علمنا انتفاؤه بالعقل ، فالعبارة إما تكون دقيقة بحدود واضحة فنقبلها أو نرفضها ، و إما تكون فضفاضة كثيرة المعاني الاصطلاحية المتناقضة فنثبت المعنى الثابت و تبقى العبارة مرفوضة فابن تيمية باشتراطه تلك القيود " على هذا الاعتبار" " بهذا المعنى" لم يقل : الجسم عندنا هو كذا ، و الجسم عندكم هو كذا ، حتى نقول: ابن تيمية يصف الروح أو الله تعالى بالجسمية، فيجب أن تلاحظ هذا الفرق المهم.
فابن تيمية يرتكز على المعنى العقلي "كل مشار إليه هو هنا او هناك " وقولهم انه مركب التركيب الكلامي أو الفلسفي، ويطالبهم بالدليل، ويصرح أن أكثر العقلاء يخالفونهم، فالمشكل في تعميمهم الجسمية باصطلاحهم على كل ما يشار إليه، فهذا المعنى ثابت في حق الله تعالى بالنص وبالعقل، ومعتمد نفي المتكلم له عن الله تعالى هو لفظ اصطلح هو عليه وليس المعنى العقلي المحض، فالتمزق هو في قماشة المعرفة الكلامية الاصطلاحية وليس في قماشة المعرفة العامة أو المحضة فضلا عن الشرعية.
" الأمور العقلية المحضة لا عبرة فيها بالألفاظ فالمعني إذا كان معلوما إثباته بالعقل لم يجز نفيه لتعبير المعبر عنه بأي عبارة عبر بها، وكذلك إذا كان معلوما انتفاؤه بالعقل لم يجز إثباته بأي عبارة عبر بها المعبر، وبين له بالعقل ثبوت المعنى الذي

نفاه وسماه بألفاظه الاصطلاحية."[05]
ثم بيَّن ابن تيمية في هذا النص نفسه النكتة التي يهملها من يطلق لفظ" الجسم" بدون قيد، وأنها من باب الإلزام لبيان فساد القول لا غير، وفي غيرهذا المقام لا يجوز إطلاقه،فهنا نعالج مشكلة اصطلاحية لغوية فحسب، فقال: " وقد يقع في محاورته إطلاق هذه الألفاظ لأجل اصطلاح ذلك النافي ولغته، وإن كان المطلق لها لا يستجيز إطلاقها في غير هذا المقام، كما إذا قال الرافضي: أنتم ناصبة تنصبون العداوة لآل محمد، فقيل له: نحن نتولى الصحابة والقرابة، فقال: لا ولاء إلا ببراء، فمن لم يتبرأ من الصحابة لم يتول القرابة، فيكون قد نصب لهم العداوة.
فيقال له: هب أن هذا يسمي نصباً.
فلم قلت: إن هذا محرم؟ فلا دلالة لك علي ذم النصب بهذا التفسير، كما لا دلالة على ذم الرفض بمعنى موالاة أهل البيت، إذ كان الرجل موالياً لأهل البيت كما يحب الله ورسوله، ومنه قول القائل:
إن كان رفضاً حب آل محمد ... فليشهد الثقلان أني رافضي"
يعني لو سميت أيها المتكلم كل مشار إليه جسما، والله مشار إليه بالنص الصحيح فمن أين لك أن هذا يقتضي ذما، لا من حيث الشريعة ولا من حيث المعاني العقلية المحضة؟
وليس في هذا موافقة على اللفظ، وجواز إطلاقه بحال، لأن مطالبة صاحب المصطلح المركب من معاني متباعدة أو مختلفة على دليل بطلان معنى من المعاني التي يدرجها تحت هذا اللفظ المركب بالمعاني الاصطلاحية والمرفوض شرعا ليست بحال عند عاقل يفهم الكلام تقريرا لهذا اللفظ المصطلح عليه.
وعندما تقول: إثبات لفظ الجسم أو نفيه بدعة في الشرع وعند السلف وأئمة السنة، لكنك بعد الاستفصال تطلقه على الروح وخصوصا في حق الله تعالى فإنك تتناقض مع نفسك! فهذا ما لم يفهمه سمرين وآخرون.
وهل نقل سمرين كلام ابن تيمية هذا التوضيحي عندما نقل فقرته الأولى؟!
فلا يمكننا أن نستعمل هذا اللفظ «الجسم" في معنى مشوه جزئي أو لا نعرفه إلا نحن" الجسم عندنا" حتى نقول: الروح جسم بدون قيد، فهناك معان أساسية للكلمة هي معاني الدرجة الأولى، وهي ما ساهم في إيجاد الإشكال، وليس المعنى العام او العقلي

الذي يقال على كل موجود واقعي.
ولهذا بدأ ابن تيمية من التعريفات ثم عمقها أثناء التحليل الذي كان كله اشتغالا على المعنى، فابن تيمية يثبت الحق الذي في النص وليس اللفظ المبتدع بكل معانيه.
هذا اللفظ و ما هو من جنسه صرح ابن تيمية مرارا أنها ألفاظ مبتدعة لا يجوز معارضة النصوص بها كموقف مبدئي أصلي لم يمنعه من تفكيكها فوجدها مركبة من عدة معان مختلفة ،بعضها أثبتته النصوص فاثبته متجاوزا المصطلح الكلامي، فأهل الكلام هم من سمى المشار إليه و القائم بنفسه جسما وليس ابن تيمية، فهو يرى كالسلف أن إثباته ونفيه بدعة ، لكن لا ضير من إثبات ما أثبتته النصوص ولو سميتموه تجسيما ،فهو أولا : نفى خصائص الجسم عندهم وهي التركيب من مادة وصورة، أو من الجواهر المفردة ،أي: سحب المعنى الناقص في حق الله تعالى، ثم نفى أن يكون إثبات المعنى العقلي العام " كل مشار إليه هو هنا او هناك " يقتضي الجسمية .
ابن تيمية لم يضع تعريفا جديدا للجسم فقال: الجسم هو القائم بذاته والمشار إليه، فهذا كذلك ينطبق على المركب، وعلى الحيوان وعلى الهامد، فيظل اللفظ مجملا، وما رفض في الشريعة إطلاقه نفيا وإثباتا إلا بسبب إجماله.
ونحن لا نعرف من الأجسام المشاهدة إلا ما كان جرما، له حجم ومقدار وكثافة، ويشغل حيزا، ومن مادة فيزيائية، لا نعرف جسما لأنه يشار إليه فقط، فهذا اللفظ يقصد به الجسد ثم وسع على غيره.
والمعنى العام أو الثالث ـ إذ شئت ـ لأن الأول يراد به الجسد، والثاني كل الأجسام الحيوانية والهامدة مأخوذا من المعنى الأول بتوسيعه، لا يستقل كلية عن المعنى الأول، فهنا شيئان نخالف حولهما المتكلمين:
الأول: كون التركيب والتأليف في الجسم مأخوذ من اللغة بل الذي لاحظه أهل اللغة هو الكثافة والغلظة، ولا يطلقون على الشيء اللطيف مثل: الروح أو الهواء أو السماء لفظ الجسم.
الثاني: ليس كل ما يشار إليه هو مركب ومؤلف، فهذا المعنى العقلي المحض لا يعتد فيه بلفظ " الجسم" المحدث.
فلا يمكن إفراغ المصطلح من كل معانيه السلبية واعتماد المعنى الصحيح فقط، لأنه

لا يمكن فصل اتصال المعنى العام عن المعنى الأول، أو لا يمكن إزالة الاجمال عنه، فهذا معنى القيود التي ذكرها ابن تيمية: إثبات المعنى العقلي وحده دون اعتماد اللفظ المبتدع.
وعليه لا يمكن أن نعد تفكيك المصطلح إلى كل معانيه عند أهله ورفضها باستثناء المعنى الذي أثبته النص إذعانا له فمن قال: الله جسم أو ليس بجسم فقد قال بدعة.
وأي حذف لعبارة "بهذا الاعتبار" أو ما يقوم مقامها بدعة لأن الإطلاق يرفع الاستفصال، والاستفصال هو الذي أجاز التعامل الاستثنائي مع اللفظ.
هذا المفهوم للجسم " المشار إليه فقط" غير موجود عند المتكلمة مجردا عن بقية المعاني فهل بعد الاستفصال يصبح اللفظ مشروعا وسنة أم يظل على بدعيته مع استثنائنا لذاك المعنى الصحيح، لأن إثباته كنفيه بدعة في الشرع.
ومن قال:"الروح جسم" يلزمه ذلك في الله تعالى لأن الأوصاف التي حكم بها أنها جسم مثل: المشار إليه والقبض والعروج، يوصف بها الله فهو كذلك يمسك ويقبض، وينزل ويرتفع "الاستواء إلى السماء" وغير ذلك.
والقاعدة التيمية في كل ما نجهل طبيعته هي الاستفصال لا الإطلاق.
لابد من مراعاة قيود ابن تيمية: بهذا الاعتبار ـ على هذا الاصطلاح ـ بهذا المعنى ومثلها، وليس في هذا اعتماد لمصطلح الجسم بقدر إلزام المتكلمين باضطراب معنى الجسم عندهم.
ما هو الجسم؟
الجسم بالمعنى الأول: هو الجزء المادي من الإنسان من جهة ما يقول: أشعر بألم في جسمي، وهو الجزء المادي بعد الموت الذي يتفسخ "جثة "، يعني: ما به يكون الوجود المادي لإنسان أو لحيوان، يعني: هو الجسم بالمعنى اللغوي المرادف لـ "الجسد".
وفي اللغة العامة ولغة القرآن وفطرة الناس العامة هو ما يعتبر في مقابل الروح، الجزء الحسي من الإنسان، لذلك ليس من الدقيق تسمية الروح بالجسم مطلقا، فهناك فرق بين أن تقول: هي جسم بهذا الاعتبار، وبين أن تقول: هي جسم مطلقا، لأن ابن تيمية إذا قال: هي على الاصطلاح الكلامي" ما يسمونه هم جسما" جسم فهو لا يقول بأنها مادة فيزيائية.

الجسم بالمعنى الثاني: بتوسيع الفكرة للجسم الحيواني إلى الأشياء الواقعية، أصبح الجسم عند الفلاسفة يطلق على كل ما يمس إحساساتنا بخواص خاصة، مثل: الهواء، الأرض، الشجرة، الحيوان، المدفع، السفينة، يعني: كل ما له تماسك وسماكة، مثل: هذا الورق.[06]

وعلى هذا يفكر الفلاسفة "الجسم " ككل موضوع مادي يعطى لنا في إحساسنا خواصه الأساسية الكتلة وعدم قبول الاختراق؛ فما يذهب إليه سمرين هو القول الفلسفي وليس ما اصطلح عليه ابن تيمية، وبينهما بون شاسع!

الجسم بالمعنى الثالث: تجاوز المعنى الأول والثاني المعلومين لنا بالمشاهدة والإدراك الحسي إلى ما لم ندركه، وما لا نعرف طبيعته، إلى كل مشار إليه، وكل موجود، وكل قائم بذاته.

والنكتة هنا: أن هذه المعاني الثالثة تنطبق على المعنى الأول والثاني وعلى ما لا نعرف طبيعته وكيفيته ولا نظير له، وبالتالي نحن هنا أمام عملية قياس غائب على شاهد واضحة!

المادة ليست الجسم عند ابن تيمية:

قال ابن تيمية عن لفظ الجسم: " وكذلك النظار، يُريدون بلفظ الجسم تارة المقدار، وقد يُسمونه الجسم التعليمي، وتارة يريدون به الشيء المقدر، وهو الجسمي الطبيعي والمقدار المجرد عن المقدار، كالعدد المجرد عن المعدود، وذلك لا يوجد إلا في الأذهان دون الأعيان، وكذلك السطح والخط والنقطة المجردة عن المحل الذي تقوم به لا يوجد إلا في الذهن "[07]

وقد يقول بعضهم: إن الله جسم بمعنى الجسم التعليمي الذي هو مشترك ذهني يعني العرض والطول والعمق مجردا عن المادة، ما يشبه عكس قول المتكلمين في الخلاء بأنه فراغ بدون أبعاد!

فالجسم قد يقصد منه المادة وهو البدن والجسد، والجثة، وقد يقصد منه المقدار والسماكة، قال ابن تيمية: " والجسم قد يفسر بالصفة القائمة بالمحل وهو القدر والغلظ كما يقال: هذا الثوب له جسم، وهذا ليس له جسم أي: له غلظ وضخامة بخلاف هذا، وقد يراد بالجسم نفس الغلظ والضخم " [08]

ونحن هنا في تحرير المراد بالمصطلح، وهل يطلق لفظ المادة على الجسم بالتطابق

ولسنا في مقام تحرير حقيقة هذا التفريق المعنوية، وأن الصورة ليست إلا عرضا للمادة والجسم شكل وجرم ومقدار يتكون من مواد مختلفة فما يكونه هو المادة أم هيئته الكلية فلا يقول عليها عاقل مادة، أو يقول: مادة هذا الإنسان جميلة او متناسقة، ومادة هذه البقرة ضخمة؟!

الجسم يطلق على المركب من مادة وصورة، وعلى المركب من الجواهر الفردة، وعلى المقدار، وعلى المادة، وعلى القائم بنفسه، وعلى المشار إليه وغير ذلك، على الحي والهامد فيبقى مجملا لا يجوز إطلاقه.

الجسم بالمعنى الأول هو الجسد، وبالمعنى الثاني كل موضوع له حجم ومادة سواء كان حيا أو هامدا، وحجم أي شيء هو مقدار جرمه، والجرم جسم كل شيء من حيوان وغيره، والمقدار هو ما تشغله ذات الشيء من حيز، ما يعني أن المعنى الثاني يدور على المعنى الأولى، والمعنى العقلي" الثالث" مشترك لكل موجود واقعي ليس خاصا بالإله، حتى نخصصه بلفظ جسم مهذب أو مطور عن الأول!

المتكلمة سموا ما يشار إليه جسما لأن عندهم المركب من الجواهر المفردة أو من المادة والصورة هو ما يشار إليه، وهذا بحث عقلي غير مسلم لهم.

قال ابن تيمية:" فمعلوم أنه لم ينقل عن أحد من الأنبياء، ولا الصحابة ولا التابعين ولا سلف الأمة أن الله جسم، أو أن الله ليس بجسم؛ بل النفي والإثبات بدعة في الشرع.

وأما من جهة العقل فبينهم نزاع فيما اتفقوا على تسميته جسما: كالسماء والأرض والريح والماء ونحو ذلك مما يشار إليه ويختص بجهة وهو متحيز، قد تنازعوا هل هو مركب من جواهر لا تقبل القسمة، أو من مادة وصورة، أو لا من هذا ولا من هذا؟ وأكثر العقلاء على القول الثالث.

وكل من القولين الأولين قاله طائفة من النظار، والأول كثير في أهل الكلام، والثاني كثير في الفلاسفة؛ لكن قول الطائفتين باطل معلوم بالعقل بطلانه عند أهل القول الثالث"[09]

وعليه؛ الجسم ليس مرادفا للمادة لا لغة، ولا من جهة المعاني العقلية، فالأسباب التي تمنع من إطلاق هذا المصطلح ثلاثة:

1 ـ لأنه مخالف للغة وللغة الوحي حيث يقولون: الجسم والروح (مسمى الأجسام غير مسمى الأرواح) = لم يجب أن يسمى كل ما قام بنفسه جسما، فهو بدعة رفضها

السلف، لم يتكلم بها لا القرآن والسنة والصحابة ولا أئمة السنة، يقول ابن تيمية: ".. لم يسلكه أحد من السلف والأئمة فلم ينطق أحد منهم في حق الله بالجسم لا نفيا ولا إثباتا، ولا بالجوهر والتحيز ونحو ذلك لأنها عبارات مجملة لا تحق حقا ولا تبطل باطلا، ولهذا لم يذكر الله في كتابه فيما أنكره على اليهود وغيرهم من الكفار: ما هو من هذا النوع؛ بل هذا هو من الكلام المبتدع الذي أنكره السلف والأئمة"[10]

وقال أيضا: " وإثبات لفظ الجسم ونفيه بدعة لم يتكلم به أحد من السلف والأئمة؛ كما لم يثبتوا لفظ التحيز ولا نفوه ولا لفظ الجهة ولا نفوه ولكن أثبتوا الصفات التي جاء بها الكتاب والسنة ونفوا مماثلة المخلوقات" [11]

وقال أيضا : "فيقال: أولا لفظ " الجسم " و " الحيز " و " الجهة " ألفاظ فيها إجمال وإبهام وهي ألفاظ " اصطلاحية " وقد يراد بها معان متنوعة ولم يرد الكتاب والسنة في هذه الألفاظ لا بنفي ولا إثبات ولا جاء عن أحد من سلف الأمة وأئمتها فيها نفي ولا إثبات أصلا؛ فالمعارضة بها ليست معارضة بدلالة شرعية؛ لا من كتاب ولا من سنة ولا إجماع؛ بل ولا أثر لا عن صاحب أو تابع ولا إمام من المسلمين بل الأئمة الكبار أنكروا على المتكلمين بها وجعلوها من أهل الكلام الباطل المبتدع؛ وقالوا فيهم أقوالا غليظة معروفة عن الأئمة" [12]

2 ـ الإخبار بالكيفية يكون فيما له نظير يماثله = الروح ليست من جنس ما نشهده من الأعيان = لا يمكن معرفة كيفيتها (في حال الغيب).

والعقول قاصرة عن تكييفها وتحديدها= لم يشاهدوا لها نظيرًا = والشيء إنما تدرك حقيقته إما بمشاهدته أو بمشاهدة نظيره فما بالك بالله تعالى.

وإذا قال أحدهم: فماذا نقول؟

فنقول: هذه مشكلة لم تحدث لك من النصوص ولا من فطرتك ولكن من المقال الكلامي الفلسفي فهي مشكلة وهمية يكفيك أن تقول: الروح ولا نعرف طبيعتها، الله تعالى ولا نعرف طبيعته، والإثبات لا يقتضي التكييف والمماثلة إلا في العقيدة المبنية على الفيزياء الطبيعية المادية الإغريقية، وأنت لا تستطيع تفسير صدور شيء من العدم، ولا تتصور العدم أصلا، وتعجز عن تصور شيء فعلي ليس له بداية، ومع ذلك يلزمك قطع التسلسل وهذا فطري فيك، وتعجز عن تصور وجود إله محاط بالعدم.. الخ فكيف تريد أن تشمله بصفات المخلوقات؟!

3 - إن لم نتعامل بلغة الوحي وما يوافق فطرة الناس العامة، فتحنا باب القول بتاريخانية النص، وأن الوحي خاطب الخاصة والعامة، وبالضرورة ستكون لغته عامة لأن الخاصة يفهمون لغة العامة بينما العامة لا يفهمون لغة الخاصة، فصرنا نقول بالمصطلح الكلامي أو الفلسفي الخاص!
فهذا تسليم للمتكلمين بأن اللغة الشرعية لغة رمزية، أوأن الله خاطب الصحابة بحسب سقفهم المعرفي، وبالتالي يفقد قيد "فهم السلف " معياريته في العقائد الشرعية.
وبالنسبة للمتكلمين فإن لغة الوحي لا تكشف في الغالب عن واقع يكون في متناول النظرية المفهومية والعقلنة، ولذلك يجتهدون في إضفاء الصيغة المفهومية على لغة الوحي بينما الأصل السلفي هو أن العبارات التي صيغت فيها الأسماء والصفات وما يتعلق بوجود الله والإخبار عنه تتجاوز الصيغة المفهومية كلية، وهذا ما تنص عليه قاعدة " إثبات الكيف ونفي العلم به " الإثبات مع نفي مماثلة الخلق.
فأوصاف الله التي تثبتت في النصوص الشرعية نطلقها باعتبار أنها لا تقتضي تكييفا ونفهمها كذلك بدون الايغال في عقلانية مفرطة تعتمد نفيا أو إثباتا قياس الغائب على الشاهد.
والفرق بين ابن تيمية والمثالية ثابت بدون الحاجة إلى هذا فالروح عنده عين قائمة بنفسها لها صفات ثبوتية وحاملة لأعراض ليست مجردة من قسم المعقول.
الفلاسفة و المتكلمون يعرفون الجسم بتعريفاتهم الخاصة بهم، لا بالمقرر في القرآن واللغة وفطر الناس ثم يحكمون على الصفات بأنها تقتضي التجسيم، فيكون النقاش معهم متنوعا بين الموقف الأصلي وبين الإلزام ببعض مقدماتهم.
ما بقي من المقال من باب إيضاح الواضح :
القضية قضية لوازم:
من الناحية المبدئية لا نطلق هذا اللفظ " الجسم" لا نفيا ولا إثباتا، وإطلاقه ومعارضة النصوص به بدعة عند أئمة السلف، لأنها ألفاظ مجملة قد تثبت في حق الله تعالى ما يجب تنزيهه عنه، وقد تنفي عنه ما أثبتته النصوص له.
لكن في النقاش قد نحتاج إلى الاستفصال فإن المتكلمين يتأرجحون في نفيهم بين الجسم بالمعنى العام وبين الجسم بالمعنى الخاص الذي هو المعنى اللغوي الموافق لفطر الناس والذي هو الجسد، وهذا منتف بالشرع ،قال ابن تيمية: " فإنه إن عنى

بالجسم الجسد: كانت المقدمة الأولى ممنوعة؛ فإن عاقلا لا يقول إنه لو كان فوق العرش لكان جسدا؛ ولا يقول عاقل :إنه لو كان له علم وقدرة لكان جسدا ،ولا يقول عاقل: إنه لو كان يرى ويتكلم لكان جسدا وبدنا، فإن الملائكة لهم علم وقدرة وترى وتتكلم ،وكذلك الجن ،وكذلك الهواء يعلو على غيره وليس بجسد.

وإن عنى بالجسم ما يعنيه أهل الكلام؛ من أنه الذي يشار إليه، وجعلوا كل ما يشار إليه جسما، وكل ما يرى جسما، أو كل ما يمكن أنه يرى أو يوصف بالصفات فهو جسم، أو كل ما يعلو على غيره ويكون فوقه فهو جسم[...]وإذا قدر أن الدليل على أنه ليس بجسد لم يلزم ألا يكون جسما بهذا الاصطلاح" [13]

فلأن لفظ " الجسم" فيه اشتراك بين معناه في اللغة ومعناه في عرف أهل الكلام نستفصل معهم، ونقول: إن كان المشار إليه، او الذي يرى عندكم جسما، فنحن لا نخضع لتعريفكم للجسم ولسنا ملزمين به، وهذه العبارة لا تمنعنا من إثبات ما أثبتته النصوص.

فإن قلنا: بأنه جسم بهذا الاعتبار، أو بهذا الاصطلاح ـ كما يفعل ابن تيمية ـ لا كما يفعل سمرين من إطلاق اللفظ بدون قيد فهذا لا يعني بحال أننا نعرف الجسم بتعريفكم فنحن لا نعرف إلا المعنى اللغوي الذي ورد به القرآن وما هو مستقر في فطر الناس، وأما المعنى العام فهو معنى مختلف في تحديده بين الفلاسفة والمتكلمين أنفسهم، ويعني الموجود الواقعي لا الجسمية بالضرورة.

فما يفعله ابن تيمية هنا ليس تسليما باللغة المفاهيمية على حساب اللغة الشرعية و لكن يدفع المقدمات المعتمدة في نفي ما أثبتته النصوص ، يقول: " فإن هؤلاء النفاة لا يريدون بالجسم الذي نفوه ما هو المراد بالجسم في اللغة فإن الموصوف بالصفات لا يجب أن يكون هو الجسم الذي في اللغة كما نقله أهل اللغة باتفاق العقلاء وسنأتي بذلك؛ وإنما يريدون بالجسم ما اعتقدوه أنه مركب من أجزاء ،واعتقدوا أن كل ما تقوم به الصفات فهو مركب من أجزاء، وهذا الاعتقاد باطل، بل الرب موصوف بالصفات وليس جسما مركبا لا من الجواهر المفردة ولا من المادة والصورة كما يدعون كما سنبينه إن شاء الله تعالى؛ فلا يلزم من ثبوت الصفات لزوم ما ادعوه من المحال بل غلطوا في هذا التلازم.

وأما ما هو لازم لا ريب فيه؛ فذاك يجب إثباته لا يجوز نفيه عن الله تعالى، فكان

غلطهم باستعمال لفظ مجمل وإحدى المقدمتين باطلة: إما الأولى وإما الثانية " [14]
يعني: أنه ينفي كل معنى سلبي يحمله لفظ " الجسم" عند المتكلمة ويثبت ما أثبتته النصوص، ليس لأن تعريف المتكلمين فيه الإيجابي المحض ولكنه استفاد الإيجابية الجزئية المشروطة هنا لأن النصوص أثبتت ذلك مثل: المشار إليه، والقائم بنفسه، والعلو، والاستواء ... الخ فلولا النص لم تكن أي موافقة اعتبارية ولو جزئية مقيدة على لفظ " الجسم".
وهذا الذي سيعبر عنه ابن تيمية بقوله: "ومنهم من يقول: هو فوق العرش ولا أقول هو جسم ولا ليس بجسم، ثم من هؤلاء من يسكت عن هذا النفي والإثبات؛ لأن كليهما بدعة في الشرع.
ومنهم من يستفصل عن مسمى الجسم فإن فسر بما يجب تنزيه الرب عنه نفاه وبين أن علوه على العرش لا يستلزم ذلك، وإن فسر بما يتصف الرب به لم ينف ذلك المعنى."نفس المصدر.
لم ينف المعنى وليس لم ينف اللفظ، فالمعنى ثابت واللفظ منفي.
وهذا هو الموقف السلفي يدور بين رفض إطلاق اللفظ نفيا وإثباتا، وهو الأصل، وبين الاستفصال وقد تقدم بيانه.
الجسم في اللغة وفي القرآن هو البدن، والله منزه عن ذلك، والمتكلمة يقصدون من هذا الاصطلاح عدة أشياء، بعضها لا تليق بالله تعالى مثل: المركب من الجواهر الفردة أو من المادة والصورة فهذه فيها نزاع كبير حتى في المخلوق، ويحتجون عليهم بأن السماوات ليست مركبة لا من هذا ولا من ذاك.
وعليه فقد يراد بلفظ" الجسم" هذا التركيب ونفي هذا صحيح إذا بين مقصوده ولم يجعل تعدد الصفات تركيبا، لكن قد يراد أيضا من لفظ " الجسم" ما يشار إليه، والقائم بنفسه والموجود، ونحن نعلم أن الله تعالى موجود، وقائم بنفسه، ويشار إليه في الدعاء، وهو فوق العرش فإذا قال أحدهم: هذه المعاني تخص الأجسام؟
قلنا: هذه المعاني أثبتتها النصوص ولم تطلق هذا اللفظ ولم تنفه، وتسميته لأجل هذا جسما هو كتسمية من يتصف بأنه حي عالم قادر جسما! ابن تيمية.
وعليه فإن تسمية ما يتصف بهذه الصفات بالجسم بدعة في الشرع واللغة.
وعليه فإن كان المعنى مركبا عند بعضهم من عدة معان لم يصح إطلاقه على معنى

واحد بالاتفاق، مثل الشي المكوَّن من أربعة قطع لا يصح إطلاقه على قطعة دون بقية القطع، فهو ليس هذه القطعة ولا تلك، هو مجموع القطع الأربع، كما لا يجوز إطلاقه بالمعنى اللغوي الشرعي في حق الله تعالى.

وعلى هذا لا يكون إطلاقه الاعتباري في مقام الإلزام سنة، فالسنة هي إثبات ما أثبتته النصوص، ونفي ما نفته، لا تخصيص الجسم بمعنى دون معنى وهو ليس كذلك لا لغة ولا اصطلاحا، فهذا مصطلح محدث أدخلوا فيه ما لا يوافقون عليه، فلا يمكن أن نستل معنى من معانيه التي قد يتصف بها كل موجود بغض النظر عن طبيعته ونقول بناء عليها: إنه جسم، فمثلا: كل مشار إليه موجود واقعيا، قد يكون جسما حيا أو هامدا، وقد يكون مما لا نعرف جنسه ونظيره، فقولهم" كل مشار إليه جسم" مغالطة كلامية ليست قضية عقلية ضرورية ولا خبرية شرعية.

فإن قلنا: بهذا الاعتبار هو جسم، فعلى اصطلاحهم وليس على اصطلاحنا لأن المعنى العقلي المحض الذي أثبتناه هنا لا نوافقهم على أنه دال على الجسمية وإن أدرجوه تحت هذا اللفظ المبتدع عندنا لغة وشرعا.

فمن لم يفرق بين مقام المقام الاعتباري ومقام الاطلاق وقع في لبس واضح.

متى يقصد بالجسم المادة؟

وبما سبق من معاني الجسم المختلفة تبين بشكل واضح أنه لا يقصد بالمادة الجسم إلا في حالة واحدة هي عند قسمة الشيء الفلسفية إلى مادة وصورة، حيث تكون المادة أحد جزئي الجسم، لا الجسم برمته، قال ابن تيمية: " ثم الجوهر قسموه إلى الجواهر العقلية المجردة التي يسمونها المقارنات للمادة، والمادة هنا هي الجسم، ثم يقولون: تنقسم إلى المجرد عن المادة من كل وجه وهو العقل وإلى ما يتعلق بالمادة" [15]

قال ابن تيمية: "التحقيق أنّ المادّة والصورة لفظ يقع على معان؛ كالمادّة والصورة الصناعيّة، والطبيعيّة، والكليّة، والأوليّة. فالأوّل: مثل الفضة إذا جعلت درهماً وخاتماً وسبيكةً، والخشب إذا جُعل كرسيّاً، واللبِن والحجر إذا جعل بيتاً، والغزل إذا نُسج ثوباً، ونحو ذلك.

فلا ريب أنّ المادّة هنا التي يُسمّونها الهيولى هي أجسام قائمة بنفسها، وأنّ الصورة أعراض قائمة بها، فتحوُّل الفضة من صورة إلى صورة هو تحوُّلها من شكل إلى شكل، مع أنّ حقيقتها لم تتغيّر أصلاً"[17]

التجسيم:
هو تمثل كل ما ليس بإنسان في صورة إنسانية، في معنى عام حرفيا يعني هذا المصطلح فعل إعطاء شيء ما صورة إنسانية: اختراع شيء له صورة مادية أو وصف شيء موجود بصفات إنسانية، فالمقصود هنا الجسد.
يقول بعض الفلاسفة بأن التجسيم نوع من الميل لصيق بالطبيعة الإنسانية يتعلق بالشكل والصورة لا المادة، حيث لا يستطيع الإنسان تصور إلا ما له شكل إنساني، فأي صورة أخرى تظهر له فيها نوع سخرية.
وما عدا الميثولوجيا الإغريقية لم تعرف طائفة بتشبيه الإله بالإنسان على وجه المثلية إنما وجد من يقول: يد كيدي، وقدم كقدمي وهكذا.
والخلاصة: إن لم يكن لحل معنى إلا ضمن المصطلح المستشكل الذي تضمنه إذن هذا المصطلح هو المشكل، وليس الحل (المعنى المستثنى من مجموع معانيه) لكن التعبير عن هذا المعنى بذاك المصطلح يفسد الحل ويصحح المصطلح الفاسد.
المادة ليست الجسم فالجسم له معان كثيرة، وابن تيمية لا يصف الله ولا حتى الروح بالجسم، فليس هذا اصطلاح ابن تيمية بل هو اصطلاح الفلاسفة، وتجسيم سمرين.

....
الهامش:
1 ـ سلسلة خيباته رقم 04
2 ـ المقدمة العامة من " أسلمة المادية: النظرية التي ولدت فاشلة ".
3 ـ مجموع الفتاوى 3/32
4 ـ مجموع الفتاوى 5/423
5 ـ الدرء 1/240
6 ـ مقولة التجسيم، إنفرساليس الموسوعة على الشبكة.
7 ـ مجموع الفتاوى12/316
8 ـ مجموع الفتاوى 5/419
9 ـ مجموع الفتاوى 5/434
10 ـ مجموع الفتاوى 3/81

11 ـ مجموع الفتاوى 5/296
12 ـ مجموع الفتاوى 5/298
13 ـ مجموع الفتاوى 5/214
14 ـ مجموع الفتاوى 5/364
15 ـ مسألة حدوث العالم ص:105
16 ـ درء تعارض العقل والنقل 3/84

أحمق العائلة...!

....

قول السلف الصالح ـ رضي الله عنهم ـ:"الاتباع لا الابتداع" قول ابستمولوجي أساسي وعميق لنحاول أن نمسك مداه بإنزال تفكير معاصر عليه إذا جاز هذا القول.

عندما نتكلم في العلم خاصة في العقائد ونخرج عن قيد الاتباع نتجاوز العبارات التي استعملها العلماء وبالضرورة نتجاوز المعاني، وندخل فيما يشبه فلسفة دارجة أو عامة ،مقاربة شخصية، فما دمنا متمسكين بالعبارات الشرعية فنحن في دين منزل ننقل عباراته وتفسير السلف لها، نعضدها بثقافة معاصرة، أو بفهمنا الخاص لكن لا نخرج عنها.

ولكن عندما نفقد هذا القيد ندخل في شخصنة هذه المعرفة.

هذه المعرفة أو المقاربة الشخصية التي ندخل فيها ستكون فوضى مركبة من: نصوص وعبارات شرعية، ومصطلحات حديثة فلسفية أو كلامية، ومعاني جديدة فيزيائية أو رياضية وفهوم شخصية.. الخ مثلا في موضوع الساعة :تقريبا سنقضم مفهوم "الكيف مجهول" من حواشيه حتى يفقد وظيفته الأساسية: قطع تسلسل الأسئلة الممكنة وانعكاسية العقل على نفسه " كما بحثناه في الارتداد إلى ما لا نهاية".

عندما ندخل في مقاربة فوضوية، الأفكار فيها غير هرمية وغير مرتبة، والمعاني قياسية سنكون في الفهم الشخصي والتعبير الشخصي.

وهذه حالة تكشف شيئا مهما هي أن النصوص وتفسير العلماء لها لم يعد كافيا، لم يعد يشبع حاجة عقلنا، وهو بدوره يكشف أننا تحت وطأة المحيط والعالم الذي نعيش فيه.

عندما نتجاوز مواضع العبارات الشرعية في النص فهذا يعني أنها تشهد مزاحمة في دواخلنا ،وأن العقل الغربي المبثوث في كل زوايا حياتنا يأكلنا من الداخل من غير شعور.
هذا العقل الغربي المتمثل في " كل شيء موجود يمكن معرفة ماهيته وتفسير وجوده"، فهو من يدفعنا إلى تجاوز العبارات الشرعية والتعبير السلفي وعدم القناعة بها ، وليست قضية مصطلحات متجددة لأن المشكل يمس مفاهيم عرفها السلف وعبروا عنها بعبارات واضحة.

وفي هذه الحالة فإن البعد الشخصي للمعرفة لا يقبل الاختزال فمتى ابتعد العلم الشرعي عن الاتباع غرق في الشخصانية، وحتى لو بذل هذا الإنسان جهدا للخروج من حالته الفردانية التي بالضرورة إذا ضعف الاتباع ستشرب من حالته الاجتماعية والتاريخية وخلفيته التكوينية، فإن حالته هذه تلحقه دائما لتحدده سلبيا حتى عندما يريد أن يكون موضوعيا مستقلا.
أي علم شرعي في العقائد يفقد صفة الاتباع سيكون له دائما لون الذي يشكله، فلا يوجد معرفة بذون ذات عارفة، والشرط الوحيد لتحجيم الذاتية هنا هو الاتباع، ما يعني ـ أيضا ـ أن العلم الشرعي عموما (في هذا المجال) غير ممكن إلا على قاعدة فردانية مشروطة إلا أن يكون بقيد الاتباع، لا يفقد هذه الهوية، ولا يخرج عن حدود هذه الجنسية.

وأنا هنا أفعل مع الشخص الذي فقد صفة الاتباع وتقمص صفة المقاربة الشخصية ما فعله سارتر مع فلوبرت في "أحمق العائلة": فهم القول او العمل العلمي انطلاقا من" التشكل "ومن" الشخصنة".
فحص العقل الجيني الذي يتضمن كل التكوين انطلاقا من منشأه، الذي طبقه سارتر على نفسه، في كتابه" الكلمات" يبين من أين جاءه الشغف بالحرية التي حددت كل

عمله الفلسفي والادب.
في الشطر الأخير لهذا الكتاب يميل سارتر إلى رد الأمر إلى" شفافية "الوعي لنفسه: الفرد نفسه غامض وانتاجه هو انبثاق علاقات معقدة ليس له فيها وعي واضح سواء على المستوى ما قبل التفكير أو التفكيري. [01]

هناك تأثير واضح بين أن يأتي الشخص من تكوين سني في المسجد، يغلب عليه الاشتغال طويلا على النص الشرعي فقها وتفسيرا وتوحيدا ،فيخالط علوم أهل السنة ،ويلمس أنفاسهم بين السطور، مع المهام الدعوية التي يأخذها على عاتقه ، وينتقل شيئا فشيئا في المعارف الشرعية ،ويتوارد اهتمامه العقلي مع اهتمامه السلوكي، لا يعيش في انفصام بين العقلي والسلوكي، وبين أن يأتي من خلفية أخرى ويكتشف ابن تيمية فشتان ما بين الرجلين بسبب خلفية التكوين.
هذا فضلا إذا فاته قطار التحصيل العقلي الخاص ،فعندما بلغ هذه المرحلة حالت دونها أمور اجتماعية أو مهنية أو غيرها فما حصله قبلها انكمش على نفسه ، و لم تبق منه إلا مجملات و عناوين يصعب عليه تفعيلها مع الفكر الحديث .

في الغالب لن يفصل هذا الشخص الثاني بين استطرادات النقاش العقدي التي حصلت للعلماء والسعي إلى تماسك القول من جميع جوانبه ولوازمه في قضايا لم تعط لنا كاملة، فتكثر قضايا الإمكان و الافتراض وبين الأقوال التأسيسية الأصلية.

ونقصد هنا أننا حينما نفقد قيد الاتباع، بُعده ومغزاه، يتجذر كلامنا في المعاش والتاريخ الشخصي فلا يمكن لمثل هذا التفكير الشبيه بالتفكير الفلسفي " أن يكون شفافا كلية مع نفسه حيث يجازف القصد الواعي للمؤلف" المتكلم "بأن يظهر غير مطابق مع العمل العلمي نفسه الذي يلده" [02]
يقترح سارتر طريقته" تقدمية ـ تراجعية "يمكن أن تضع تحت الضوء كل التحديات الشخصية غير المصرح بها لهذا القول الفلسفي أو ذاك، هذه الطريقة يطبقها سارتر في "أحمق العائلة "بعد أن حددها صوريا في "مسألة طريقة"[03]

كل معرفة في مجال العقائد لا تتقيد بشرط الاتباع هي نوع من فلسفة محددة لامحالة بتاريخ شخصي وسياق اجتماعي عاطفي معين، فإن كل إنسان يستبطن محيطه الاجتماعي وزمنه وتكوينه العلمي ثم يخرجه في رؤيته ومقاربته الشخصية؛وما يخرج منه من أقوال سيحتفظ بعلامات فردانيته، سيميل إلى تحويل وجهة نظره إلى حقيقة شرعية ثابتة.

لفهم قول هذا الشخص يجب أولا فهم هذا الشخص فقوله قبل كل شيء مقاربة شخصية.
عندما نفقد خاصية الاتباع نخرج من خصائص منهج الدين وندخل في مقاربة الفلسفة، ولا يمكن للفلسفة أبدا أن تتخلص من الفيلسوف الذي ينتجها ويسندها "قبل كل شيء الفكر الفلسفي هو بحث ومقاربة شخصية [04]

لا يمكن لأي فلسفة تقليدية أو فوضوية، عامة أو خاصة أن تتجرد عن الشخص الذي أنتجها، والذي بالاستلزام في الأخير بالنسبة لطالب العلم الذي ضعف عنده قيد الاتباع ستمزج أقواله كلية النص وأقوال السلف مع نظرته الفردانية.

أحمق العائلة ؟
هذا عنوان كتاب أدبي فلسفي لسارتر عن أديب فرنسي كبير هو غوستاف فلوبرت ترجمه فيه بطريقة خاصة أخذت منه عشر سنوات ولم يكمله، كما يقول مقدمه :نثر فيه حياة فلوبرت على خط كرونولوجي حيث ستكشف شخصية فلوبرت الطريقة السارترية من خلال حياة غريبة يصبح فيها أحمق عبقريا ،يقدم سارتر المظاهر الغامضة وحتى الوحشية على تعبير مقدم الكتاب.
الذي يهمني في هذا العمل هو شخصانية المقاربة الفلسفة و استحالة تحررها من خلفية الفيلسوف، الأمر الذي وقف عنده بشكل أوسع ألكيي في كتابه "دلالة الفلسفة"، وبقدر أقل سريو في "النشأة الفلسفية" ،وكذلك من خلال ما كتبه سيتو في الحقيقة والفلسفة.
لا أقصد بهذا المقال شخصا بعينه بل هو نصيحة عامة بالالتزام بالعبارات الشرعية و

بحدودها عند أئمة السلف قدر الإمكان، والاحتياط في الألفاظ بقيود تحميها من ملامسة المعاني الفاسدة ، فإن الخروج عن المنهج السني في هذا المجال و الدخول في التفلسف الفوضوي سريع و غير مشعور به، لا يحتاج إلى اصطلاحات فلسفية معينة أو إلى الانتماء لمنظومة ،فهو مجرد فقدان لقيد الاتباع كما حصل للمتكلمين فقدو هذا القيد لما دخلوا في الصياغة المفاهيمية للعقيدة فمهما حاولوا التميز عن الفلسفة _ وقد حاولوا فعلا _ لم يستطيعوا التخلص منها ومن فسادها ، فالفلسفة مقاربة ـ كما شرحتها في هذا المنشور و في المناشير التي سبقته ـ ليست علما ولا طريقة كلية عامة إلا في بعض النقاط غير الحساسة .

ولنحذر فكما أفسد الحكم إمرة الصبيان يفسد العلم فوضاهم وجرأتهم ولا مبالاتهم بقدر المسائل ومداها ،ومهما كان فهذا دين فانظروا عمن تاخذوا دينكم.

....

الهامش:

1 ـ مقال عن أفكار عن الحقيقة والتقدم في الفلسفة؛ فنسون سيتو، في المخبر الفلسفي 2003/2 رقم 20 صفحة 83 ـ 129

2 ـ ألكيي،" دلالة الفلسفة" ص:100. مجموعة الجسم والعقل، باريس، هاشيت، 1971

3 ـ نفس المصدر الأول.

4 ـ ألكيي ص:65

ـ من المفيد أيضا الاطلاع على التنشئة الفلسفية لـ إتيان سوريو.

مادي ملحد يفترض وجود الله فما كان تصوره؟ فحص قضية "كل موجود محسوس"

أسملة المادية :النظرية التي ولدت فاشلة ! [15]

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.
الله مادة فيزيائية عند سمرين؟
عندما اعترضنا على سمرين بأنه لا يوجد "مادة" بالمفهوم الفلسفي، هذا مجرد مفهوم ذهني للمادة الفيزيائية المشتركة، وأن نهاية قولك هو أن الله تعالى مادة فيزيائية مثل مادة العالم، وهذا ينجر عنه لوازم خطيرة قال:" فيقال: بل لا يوجد مفهوم في العقل مجرد تمامًا عن أي أثر للمحسوسات، فالمعاني كلها أساس اكتسابها من الواقع القابل للحس، وهذا ما سجلته في الكتاب، فأي جديد قاله"[01]
والجواب على تلبيسه سهل: عندما قلتَ هو مادة بالمفهوم الفلسفي فهذا لكون هذا المفهوم غير المفهوم الفيزيائي؟!
وعندما تعود وتقول: كل مفهوم في العقل مأخوذ من الحس ـ وهذا القول خطأ يأتي في قسم " في العقل والروح" ـ فهذا يعني أن قولك مادة بالمفهوم الفلسفي مجرد مراوغة عن المفهوم الفيزيائي!
لوازم القول بمادية الله:
عندما تقول للناس: "الله مادة"، ينشأ عن قولك لوازم ضرورية تحرك عقيدتهم نحو الشك، مثل: ما الفرق بينه وبين العالم المادي؟ هل هو الوعي فهو مادة واعية والعالم مادة غير واعية؟
وإذا كان مادة مثل مادة العالم فمن خلق مادة العالم، أم هي أزلية مثله ما يعني أنه لم يخلقها؟
فإن قلت لهم: هو مادة بالمفهوم الفلسفي.
قالوا لك: كيف عرفت وجود هذه المادة ونحن لا نعرف إلا المادة المعطاة لنا في حواسنا فإن قصدت تمييزه عن المعدوم بكونه شيئا لم تقض شيئا فالشيء يطلق على المادي وغير المادي.
ثم يقولون لك: المادة بالمفهوم الفلسفي محسوسة عندك، والمادة بالمفهوم الفزيائي محسوسة عندك أيضا، وأنت لا تقول بوجودين محسوسين مادي وغير مادي فلزم بالضرورة أنه من مادة فيزيائية.

فإذا كنت تقول: لا يوجد في الخارج إلا المادة، فالمادة هي كل الواقع، ما يعني بالضرورة أن المادة بالمفهوم الفلسفي هي الوجود كله، لكن عند المادية يعتمد على مسلمة مضمرة، لا وجود لغير المادة، فهذا ليس إلا اللعب بمعاني الألفاظ.

وعليه لا يحتمل قولك " المادة بالمفهوم الفلسفي " إلا أنها المشترك بين جميع أنواع المادة الفيزيائية فالمادة عندك هي ماهية المادة الفيزيائية !

قال ابن تيمية: " فالجمهور يُريدون به ما منه خُلق، وهو أصله وعنصره، وهؤلاء يُريدون بالمادّة جوهر باق، وهو محلّ للصورة الجوهرية، فلم يُخلق عندهم الإنسان من مادّة، بل المادّة باقية، وأحدث صورته فيها "[02]

المادة لفظ مشترك يعني ما شكل منه شيء مادي، جوهر محدد يتكون منه الشيء، و في المعنى المشترك هي ما يتكون منه كل الأشياء الفيزيائية، فالمادة هنا مقولة عامة حيث نفكر كل الأشياء الفيزيائية على أساس لها جوهر مشترك هو المادة مثل: الخشب، الحديد، البلاستيك.. الخ هي في العمق ما وراء الاختلافات الشيء نفسه ، تتكون من نفس الواقع هو المادة، فكل مادة بالمعنى الأول هي شكل خاص للمادة بالمعنى الثاني.

المادة المشتركة إذن عنصر مجرد لا نصل إليه أبدا لأننا دائما في اتصال مع مادة معينة محددة هي المادة بالمعنى الأول، وفقط بتجريد المواد بالمعنى الأول نفكر المادة بالمعنى الثاني فنفكر استمرارية، وحدة خلف مختلف المظاهر ومختلف المواد بالمعنى الأول.[03]

يقول الباحث الفيزيائي عن المادة: هي جزيئات عندها خواص مثل الشحنة يمكن قياسها.

فإن سألته : هل الروح مادة؟

يقول لك: لا يمكن، لأنه لا يمكن قياسها، فكل ما لا يمكن قياسه ليس مادة.

ما يعني أن أقل تعريف عنده يمكن أن يشمل كل شيء بالنسبة للفيزيائيين هو إمكانية القياس.

وعليه لا يمكن تصور مادة غير المادة الفيزيائية، وإذا قلنا: "الله مادة "انهت الملاحدة النقاش معنا، وانتقل النقاش إلى التالي: مادة العالم أزلية فلا يمكن أن يكون الله خالقا لها، ورجعنا إلى أن الله نظَّم المادة ولم يخلقها!

وبناء على هذا نسأل: ما الفرق بين قولك وقول مادي ملحد يفترض وجود الله جدلا، يقول التالي: إن وجد الله فلا يمكن إلا أن يكون مادي الطبيعة، وحينئذ يشرح ـ بحسب هذا الافتراض ـ ما موضعه في الفيزياء؟(وهذه صورة تقريبية لفهم أين يقود طرح سمرين)

إذا كان العالم حاضرا بذاته فهو موجود بذاته، وإذا استحال وجود العدم تحت أي شكل أو مظهر مهما كان، مع وحدة الطبيعة الفيزيائية، وما يسميه الفلاسفة " اتصال المادة" تقتضي أن الطبيعة الفيزيائية لا يمكنها إلا احتواء الإله وتجاوزه، وحتى توليده إن كان موجودا؟

ثم يقول هذا المادي الملحد: المهم ليس أن نعرف إذا كان الله موجودا أم لا؟ ولكن أن نعرف من الآن ماذا يمكن أن يكون فيما يخص مظهره أو طبيعته إذا كان موجودا؟

وبحسب أقوال أهل الدين: خلق الله كل شيء من العدم، ولي أن أسأل: كيف هو هذا العدم؟ لأنه إذا ذهبوا إلى غاية تسميته بهذا الاسم، فلأنه يكون قابلا للتأكد [constatable] الشيء الذي لا يمكن أن يكون.

لكن إذا كان العدم بالفعل ـ قابلا للملاحظة والتعرف ـ إذن هذا يعني أنه ذو مظهر فيزيائي، بينما لا يمكن أن نكون بمظهر فيزيائي بدون أن نكون جزءا من هذه الفيزياء، إذن العدم لا يكون كذلك، وإن لم يكن كذلك إذا كان موجودا ولكنه يكون بالأحرى حضورا للفيزياء التي تسود فيه مستمرة في التمدد.

وبالتالي يكون الله قد جاء من الفيزياء مما يعني أنه ضمن أو في هذه الفيزياء، وأنها تحيط به وتتجاوزه، لأنه لا يمكن أن نكون في الفيزياء ونكون من طبيعة غير فيزيائية.

من هنا إذا كان الله موجودا لا يمكن إلا يكون من طبيعة فيزيائية بحتة، هو إذاً ولدٌ لهذا العالم ككل شيء أو كل موجود، باختصار: الله هو شيء تماما مثلي أنا، هذا إذا كان موجوداً؟!

من الآن فصاعداً لا يجب أن أزعج نفسي بالسؤال عن وجوده من عدمه، يجب أن أنسى هذا الجنون بالإله، في انتظار أن ألقاه وأتفاعل معه إذا كان موجوداً؟!

ويضيف: لا يزال دائما أن الفيزياء هي أمنا، إذن الله ليس أكثر ولا أقل أهمية من هذا أو ذاك الشيء أو الموجود، هذا أيضا مبدأ أخلاقي لأمِّنا، مبدأ الذي يظهر بوضوح من

خلال لا معنى الجدلية.
وأيضا إذا قلنا: إن الله خلق كل شيء بمجرد كلمته، إذن أسأل: أين وضع خلقه؟ هل وضعه في نفسه، أو خارج نفسه؟
إذا أجابوني بأنه خلق خلقه في نفسه" داخل ذاته" إذن أستنتج أن الله هو كل خلقه، كل هذا العالم الفيزيائي متداخل بضيق، وأن الاثنين يشكلان واحداً؟ [ما يؤكد ما خلص إليه سانتيلانا من أن كل مذهب فلسفي موجود ينتهي إلى المادية الطبيعية أو وحدة الوجود].
وإذا كان الأمر على هذه الحال فلا يوجد سبب لتمييز عالم الجواهر والماهيات، الغيب، ما وراء، هو عالم المظاهر والأخطاء، العالم الفيزيائي، لا يوجد إذن سبب للتمييز بين الروح والمادة.
في المقابل: إذا أجابوني أنه وضع كل خلقه خارج ذاته، إذن أستنتج أن الله في وسط، وأنه محدود إلى درجة أنه يوجد خارج من وراء نفسه، إذن يوجد محيط بعده حيث يقدر على وضع خلقه فيه.
بينما لا يمكن أن يكون محاطا بدون أن يكون فيزيائي المظهر، ولا يمكن أن نكون فيزيائي المظهر بدون الانتماء مسبقا إلى العالم الفيزيائي.
فإذا أجابوني أن الله وضع خلقه خارج ذاته مما يستنتج معه أن الله كان محدودا، وأنه كان في محيط "وسط"لا يمكن أن يكون إلا الفيزياء.
وبالتالي هذه الأخيرة لم تحتو الله فقط بل تجاوزته، ولكن خاصة أنها كانت موجودة قبله، وعلى هذا لا يمكن أن يكون الله إلا من طبيعة فيزيائية بحتة ككل شيء أو ككل موجود.
ويخلص هذا المادي الملحد إلى التالي:
لا أكتفي إذن مجانيا وببساطة بجحد الله، ولا أن أدعي مجانيا موته، وأقل من ذلك أن ألعب دور اللا مبالي.
لا، بجرأة أقوم بعرضه على محكمة الوجود حتى يبرر نفسه بنفسه أو بواسطة عبيده وأنبيائه، بتبرير طبيعته إن كانت له طبيعة [هنا تفهم مشكلة المادي مع الغيب التي جاءته من منهجه التجريبي فكل شيء موجود يجب أن تكون له طبيعة مادية ويجب أن أعرفها يعني يكون مماثلا لخلقه وهذه مصادرة].

وفي انتظار ذلك أريد أن أحس وأرى نفسي ليس فقط الأقوى ولكن الأقوى الوحيد، وليكون ذلك لا يكفيني أن أعيش بجوار هادئ مع ند/ معارض، بل يجب أن يختفي كل جار معارض بكونه جارا معارضا، لأجل أقدر على أن أحس وأرى نفسي الأقوى، أليس هذا اللعب الذي يخبرنا به كل إله بواسطة أنبيائه؟
لا يجب على الإنسان أبدا أن يعيش لا كموجود ولكن إثبات وجوده[s'existentialiser] ليكون..[04]
هذه هي الوجودية الجديدة كما عرضها أحدهم، انتبَهوا إلى أن النقاش حول طبيعة الله أجدى لهم في المناظرة من الإلحاد المحض، إذا قلت لهم: الله مادة سلمت نفسك طوعيا لحتفك.
في هذا الطرح الوجودي الملحد مغالطات كثيرة فإذا لم تكن المادة قادرة لتكون علة لنفسها فكيف تكون علة لغيرها، فكيف إذا كان أشرف وأعلى منها، كيف يكون الميت علة للحي، هذا لا يقبله عقل ولا فطرة سليمة؟
وكيف تكون المادة منتجة للوعي كما قالت الرواقية: ما سبيل المادة إلى النظر العقلي وهما متغايران كلية؟
هل يقبل العقل أن معرفتي، تصوري للمعقولات، وتجريد الكليات، وتركيب الأقيسة، وتفريق المختلفات تشكلت من اصطكاك[05] مواد معدنية في تركيبة كيمائية داخل مادة أخرى "دماغي"، في اصطكاك مادة مع مادة، إحساس مع إحساس داخل عقلي الفارغ من كل مبدأ تمييز!
هل إذا واصلت ضرب الحجر مليون مرة سيتحول إلى دقيق فضلا عن خبزة؟ فكيف يوجد الوعي من اللاوعي؟
تنجم هذه الشبهات عندما نجعل الله تعالى الذي ليس كمثله شيء موضوع بحث فيزيائي في علم يرى أهله موجودات الكون ولا يعرفون ما هي، وينتجون لتفسير حيرتهم عشرات النظريات بعضها يثبت وبعضها ينفي فكيف بما لم يروه؟
والمقصود أن قاعدة " طبيعة خالق العالم لا تشبه طبيعة العالم" بديهة فطرية مركزية لا يجب التنازل عنها وإلا فتح باب كل الشكوك، فالإنسان بفطرته يقبل ويرتاح نفسيا أن الله ليس كمثله شيء في طبيعته وفي لوازم طبيعته بالضرورة، وهو يعلم أن الله خلق كل شيء: {وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاعِبِينَ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلاَّ

بِالْحَقِّ} ويضطرب جدا إذا قلنا له: طبيعته فيزيائية أو لوازم طبيعته لوازم فيزيائية.
فلا ينتج عن نظرية سمرين إلا تحريك العلم الفطري في وجود الله ، فإن العبد بفطرته إذا علم أن الله موجود وهو يشعر بوجوده بفطرته ، وكل العالم حواليه يخبره بانه موجود فعَّال عليم حكيم نافذ المشيئة ؛وهو يعلم أنه لم يخلق نفسه ، و لم يخلقه محدث مثله ، و لم يخلق من لا شيء ، مع علمه أن الله ليس كمثله شيء ،ويجب أن يكون كذلك ،لأنها القاعدة التي تنفي إمكانية أي مماثلة مع المخلوق ، و تمنع سؤال الطبيعة و الكيف دون أن تعطل وجوده ،لأنها تقرر له الصفات الثبوتية التي يتحقق بها وجوده الفعلي الواقعي لا كمجرد فكرة ، و يترك التنقيب عن كل ما لم تخض فيه الشريعة .
وإذاغذَّى نفسه بالعبادة وزكَّاها بالتصفية فإن وجود الله عنده يكون أظهر من أي ضرورة موجودة لأنه سيبرز فطرته كما خلقها الله فيه غير غافلة وغير ممسوخة.
لكن عندما تقول له:"الله مادة " وتعجز عن نفي النقائص عن هذا المصطلح لأنه مصطلح مبتدع في الشريعة لم تطلقه النصوص، ولا يعرف الناس إلا المادة المخلوقة تدخل عليه الشك من كل جهة، فأصل البلاء يأتي من إثبات قديم معه، والقول بانه مادة يثبت أزلية المادة لا محيد عنه.
لا يمكن أن نصد الإلحاد إلا بالقرآن، وبما يرشدنا إليه من أدلة، عندما تقول: "الله مادة " ينتهي النقاش مع الملاحدة فقد سلمت لهم بأصل أصولهم "المادة أزلية"، وما يتبقى من النقاش عن تفريق بين مادة أزلية ومادة مخلوقة مجرد وهم في رأسك، ووحدة المادة عندهم وعندك تنفي هذا، فلا يمكن مناقشة هنا إلا بإثبات أن الله ليس كمثله شيء، مقدمة ضرورية لأي نظرية تريد إثبات أن الله خالق لكل شيء سواه، وأن الوجود الثبوتي غير الوجود المادي.
و المشكل في "قابلية الإحساس" أنها نسبة بين القابل و المقبول ، لا تتوقف على أحدهما فقط كما يظن سمرين ،ونحن نعلم أننا لا نشعر بالملائكة وقد ملات الوجود ،و لا يشعر الآدمي في الجن بداخله إلا في حالات من خلال ما يجده من أثر، و ليس هذا عاما فبعضهم لا يعرف ذلك إلا بعد الرقية ما يعني أن خلل القابلية أنها ليست صفة ذاتية لازمة فالله تعالى يخلق ما يشاء ، و إن شاء أن ندركه جعله مدركا لنا ،و إن لم يشأ لم ندركه ،كما لم ندرك موجودات وهي معنا، ويخلق الله تعالى ما لم تره عين، ولا سمعته أذن، ولا خطر على قلب بشر ،فامتنع القياس، وقال سبحانه:{ وَيَخْلُقُ مَا لا

تَعْلَمُونَ } و حصول العلم بهذا بأي طريق من طرق العلم وقف على مشيئة الله تعالى.
يقول الباحث الفيزيائي: المادة السوداء مادة؟
فإذا سألته: هل يمكن الإحساس بها بواسطة الحواس الخمس؟
يقول لك: لا يمكن لأنها لا تبعث فوتونات لتمكن رؤيتها، ولا يمكننا الإحساس بلمسها لأنها لا تبعث إلكترونات وهو لازم للإحساس باللمس، فالطريقة الوحيدة لمعرفة وجودها هو قياس تأثيرها على المحيط.
وبهذا تعرف أن تعريف المادة _ بحسب هذا المثال _بأنها ما يمكن قياسه يدخل المادة السوداء في المادة مع عدم إمكانية الإحساس المباشر بها، فهي مع كونها مادة لا نحس بها "تؤثر على الجاذبية بحسب الباحث الفيزيائي" فإذن من المادة ما لا يمكن الإحساس به ولكن نعرف وجوده من أثاره.
وحتى لا نحصر أنفسنا عند الفيزيائي مع علمنا أنه الوحيد القادر على تعريفنا معنى المادة علميا فيزيائا _ خاصة و ان عدم الاتفاق عندهم في بعض القضايا منهجي _ وأن المادة بالمفهوم الفلسفي مجرد تخمين تنفيه الفيزياء، وأهم من ذلك لم يأت به الوحي نفحص هذه القضية " ما لا يقبل الإحساس فليس بموجود" إلى أي درجة هي صحيحة؟
لا شك أن هذه القضية صحيحة من جهة ما أدركناه من أجناس الموجودات في العالم السفلي لكنها صحيحة فقط بشرط، أما مطلقا فهي خطأ فأنت لا تحس بوجود الروح والملائكة والجن، وعندما تقول: يمكن الإحساس بها يوم القيامة، يقال لك: لأن الله أقدرك في الآخرة على ما لم يقدرك عليه في الدنيا، وللآخرة أحكامها الفيزيائية فالناس فيها لا تموت ولا تتغير، والأعراض توزن، والموت يذبح ... الخ بحسب كل ما أثبتته النصوص الصحيحة.
فقولك: كل موجود قابل للإحساس بدون هذا الشرط قول خطأ، لأنك لا تعرف الموجود إلا بعد الإحساس به، قبل ذلك لا تعرف إن كان موجودا أم لا إلا بالخبر؟
ولذلك عندما يقوله ابن تيمية يميز بين وجودي الآن ووجودي يوم القيامة، فهذه القضية مؤسسة من مقدمة محسوسة ومن مقدمة خبرية شرعية يرتكز عليها ابن تيمية في نقاشه مع من يؤمن بوجود الله وبالوحي وإلا لم تصلح.
فما لم تدرك الشيء بإحساسك لا يمكنك الحكم بانه موجود، وهذا يمنعك من انتزاع

قضية "ما لا يقبل الحس فهو غير موجود" فهذا استدلال منطقي وليس بمعرفي فضلا عن أن يكون شرعيا ،ينطبق على المجردات لا على كل الموجودات، وقابلية الحس غير وقوعه بداهة.

والحقيقة المنطقية تتمثل فقط في استنتاج القضايا انطلاقا من مقدمات، ولا توجد هنا هوية تربط بين القضيتين بتتالي وتسلسل الاستنتاج.

كما لا يوجد منظومة قضايا منطقية تثبت من نفسها تماسكها، يعني: عدم تناقضها لأن الحقيقة المنطقية غير قابلة للتحقق المباشر تحتاج إلى المرور إلى نظام أعلى وأقوى منها يكون فوق منطقي، هو نظام الإدراك الفعلي الذي يفحص القيمة الواقعية لمواد المقدمات، وهذه القضية المنتزعة منطقيا لا نجد فيها تطابقا بين الموضوع المفكر فيه والفكرة عن الموضوع، ومثال الملائكة والروح يكشف فساد مقدماتها.

والنتيجة "ما لا يقبل الإحساس" يمكن أن يكون معدوما أو مجردا، ويمكن أن يكون موجودا حال بيننا وبين الإحساس به مانع ما، مثل الأشياء الكثيرة التي خلقها الله في هذا الكون ولا نحس بوجودها بأي شكل من الأشكال، ما يعني أنها غير قابلة للإحساس مثلا: لبعد المسافة أو لشيء آخر، وتقبله عندما يشاء خالقنا، وقبل ذلك لم تكن موجودة بالنسبة لك مع أنها موجودة، فالأمر يتوقف على مشيئة الله لا على خاصية في جميع أنواع ما خلق.

وإذا كانت الموجودات الموضوعية مستقلة عنا فكيف نقيسها بمقاييسنا الذاتية، فبهذه القضية قد جعلت الموجود وغير الموجود تابعا للإحساس؟!

فالذي ينبغي لنا هو تقييد الوجود الذي أدركناه بحواسنا لا الوجود كمفهوم لا نعرف طبيعته ومقاساته بعد فيجب التمييز بين الوجود الواقعي المدرك فعليا وبين الوجود المقدر ذهنيا، فمن لم يعرف أنواع الموجودات من أين له تقييدها في طبيعة وجودية واحدة؟ [06]

وقابلية الشيء نسبة بين القابل والمقبول، والنسبة بين الشيئين موقوفة عليهما، فلابد أن يكون الموجود قابلا لإحساسي، وإحساسي قابلا لإدراكه، والروح الآن غير قابلة لإحساسي، وكذلك الله تعالى يقبله بإذنه في الآخرة ولا يقبله في الدنيا، وما يقبل الإحساس في حالة دون حالة لابد أن يكون وقع تغيير فيه أوجب له قبول ما لم يكن قابلا، وهذا ممتنع في حق الله تعالى أو ليس الأولى "بحسب المقصود من التغيير"

فيلزم هنا أن التغيير يحصل في المقبول وليس في القابل.
والمقصود أنه بدون وقوع التغيير لم يكن لقضية قبول الإحساس أي صحة واقعية.
فما يجب أن تعلمه هو أن هذه القاعدة لا تنفع في النقاش مع الملحد المادي لأنها عنده دليل نفي وجود الله، فقابلية الإحساس عنده فعلية وليست مؤجلة،وفي عالم زمني مكاني قابل للتجربة، فإن أضفت إليها مادية الله لم يبق لك أي شيء تناقش به إلا مذهب قدم العالم ووحدة الوجود.
وإذا أخذنا هذه القضية وقضية المفهوم الذهني للمادة تبين لنا بصورة واضحة أن المادية غارقة في التجريد والمثالية.
وإذا كان الله في طبيعته ليس كمثله شيء فكذلك ما يتعلق بها من لوازم ليس كمثلها شيء، نستفصل هذا في المقال القادم عن محل القدر المشترك ومعناه، وتحديات قضية الكيف.

......
الهامش:
1 ـ خيباته رقم: 8
2 ـ النبوات 1/318
3 ـ المادة، القاموس الفلسفي، نويلة براكن، أرموند ـ كولن، ٢٠٠٧
4 ـ جوبيل بواسي، سنغالي، له كتاب "أضواء أخرى على الوجودية الجديدة والوعي"، "الوجودية الجديدة نبوءة فلسفة القطيعة "وهي سلسلة، المقال من كتابه على موقع الوجودية الجديدة.
5 ـ دافيد سانتلانا؛ المذاهب اليونانية الفلسفية في العالم الإسلامي، ص: 85 وما بعدها.
6 ـ فكرة من نقاشي لأحد الإخوة طرحها علي.

سيِّد الدار؟

....
الدماغ (الذكاء ـ الفهم ـ النباهة ـ سرعة البديهة.. الخ) ليس سيِّد الدار، للعقل ليس إلا

الممثل، له دور مسيِّر الفندق، لكنه ليس بمفرده في المسكن، وإن كانت لعبته كلها ايهامنا أنه الذات الوحيدة.
لا توجد في الحلبة معركة أسطورية بين مقاتلين خياليين، لا يوجد إلا الروح عندما تمرض تلبس شخصيات متعددة؛ عُقد، كل عقدة شخصية!

من المألوف جدا أن نتعرَّض للنقد، لملاحظات مزعجة وحتى للإهانة، تولد لدينا غضبا غير مريح.
عندما يكون تقديري لذاتي عاليا ـ في الغالب في اللاشعور ـ وأسمع قدحا في علمي، أو في كفاءتي أدخل في غضب أسود، وبالغضب سيكون رد فعلي على [الأحمق] الذي استفزني!
وبدون شك سأحتاج إلى وقت ليفرغ الجسم الانفعالي من الشحنة، ويرجع إلى حالته الهادئة.
وفي انتظار ذلك ستكون جهنم: القلق، والانزعاج الذهني يطوف حول الانفعالي.
والخواطر تغذي الانفعالي، والانفعالي يُعيد إشعال الخواطر في حلقة مفرغة.

بينما الذي تضرَّر هي صورة الأنا، فلو لم تكن هناك صورة كانت الملاحظة ستمر بدون أن تعلق في شيء.
والتجربة كانت ستكون خطا في الماء، سريعا ما يعود الماء إلى استوائه، فلو لم تكن الصورة لم يحصل رد الفعل، على الأقل لم يكن بتلك الشدة.
والاستفزاز اللفظي غايته أن يحدث قفزة في الجسد، ترفع رأسك، أو تنظر مستغربا، أو تشير بيدك، وعندما يكون رد الفعل جسمانيا فقط لا يستمر لأن الصورة غائبة لتعيد إطلاق الدارة الانفعالية.

مع صورة الأنا يوجد جرح في حب الذات، ومنه يأتي ذاك الشعور الرهيب بانتقاص الأنا، والانطباع بالسقوط من الشرفة التي استوينا عليها، والتي كانت تمدنا بشعور العلو كالذي يشعر به رئيس الشركة عندما يجلس في مكانه الخاص، أو عندما يكون كرسيه أكبر وأحسن من كراسي مجلس الإدارة!

الأنا يغذي الصورة التي يملكها عن نفسه، وخاصة يتوقع من الآخرين تأكيدها، بينما التحدي في علاقات الحياة هو أن تضع باستمرار الأنا أمام المرآة.
وهنا العلاقة مع اللاشعور واضحة لأنه في اللحظة التي ننفعل مع مشاكل الأنا فإننا نستدعي الميول اللاشعورية.
وهذا لا يعني فقط أننا سنتصرف كحمقى يتلذذون بالقاذورات ونفايات النفوس، ولكن أكثر من ذلك وأدهى لن ننتبه لذلك.
كلما كان التعرُّف مع الأنا ظاهرا كلما كنا غير واعيين، والعكس كلما كان تأثير مشاكل الأنا قليلا فإننا نجد جاهزية، عفوية للتجاوز، واستقرارا داخليا وطبيعيا.
لا صورة فلا خيال شخصي للدفاع عنه، لأنه لا يوجد تعرُّف يرتكز على الأنا، لكن ما إن يكون التعرُّف مع الأنا تتخذ الذات وضعية الدفاع؛ لماذا (؟)
لتدافع عن "أناها "وحمايته بأي وسيلة، ولهذا نتمسك بأفكارنا وآرائنا ومواقفنا ضد كل شيء، فلا يمكننا تخفيف القبضة لأن ترك الأنا بينما نتعرَّف فيه هو الموت، فأفضل من الشعور بالانتقاص نفضِّل القتال إلى الموت، والانتصار سيكون طامة لأنه سيكون تقوية من جديد للأنا في موقفه.

ليس التواضع في العلم إلا أن تفهم أن كل بحث علمي صارم في العلوم الدقيقة مثلا - وليس مجرد انطباع أو تقاول على الفاسبوك - يحتمل نسبة ٠٦ في المائة من الخطأ بحسب خبراء الابستمولوجيا.
وأنت نفسك عندما تكتب تعرف الأفكار الهشة التي تحتاج إلى عمل عليها أكثر فتنزلها لضيق الوقت، او لعدم النشاط، أو بسبب الاستهتار أو لضعف الجدية.
لا يكون التواضع إلا عند غياب الصورة، أوعندما تكون باهتة، أو تحمل كتابات عليها مثل: أنا عبد ضعيف، ما توفيقي إلا بالله، لماذا لا يخطئ ؟، أين أنا من العالم الفلاني؟ أنا أعرف بنفسي من غيري، الله يعلم حقيقة خلقه.. الخ.
عندما تكون الصورة هكذا يرجع المرء للهدوء بسرعة.
والفكرة تكون غالية علينا عندما نعتقد أننا تصورناها بأنفسنا، نحن من أنتجها ونحتها فندافع عنها ليس بقناعة فقط ولكن بعاطفة أيضا.

كن شخصا حقيقيا (لا يتصنع) وعند الإهانة احرص على قوة الحجة أكثر من حرصك على لسان ذلق يعتذر لصاحبه بأي شيء، ففصاحة النبلاء الصدق، وهو سلطانها الأخلاقي.

ولا تتوقع الإنصاف من أكثر الناس فموازينهم بخسة، وقليل منهم من يقدِّر الكلام على حقيقته، وجمع المختلفات عندهم عفوي.

هذا لا يعني أن تذوب في اللين كالجبان، ولكن لتكن شدتك صرامة علمية تهين الجهل، وتصف الأشياء بمسمياتها، وتربط الأقوال بلوازمها البديهية.

تمرن على تعليق حكمك العاطفي والأخلاقي مدة القراءة والتحليل لتركيز الاهتمام على التقني وحده.

والطريقة الواحدة لنبش الأفكار وإظهار ضعفها ـ كما يقول بعضهم ـ هي الكتابة فيها، ومن لا يكتب ستجد عنده ضعفا، عدم اتساق، نصف فكرة، فمن يكتب أفكاره يكون أقوى في الدفاع عنها ممن لا يكتبها (لا يبحث كتابيا ويكتفي بمجرد القراءة).

أحسن كلامك ما يجعل القارئ له شخصا أفضل.

فادفع عن نفسك أولا نفسك، ثم ادفع عنها الآخرين، فما أضر عليك من نفسك.

....

هذه شذرات نفسية استخلصتها من بحث طويل عند بعض علماء النفس المعاصرين، بدت لي _ بشيء من التوسيع _ نصيحة جيدة لأي طالب علم، ومناسبة في الوقت الحالي لأنه بحسب متابعتي أصبح رد الفعل أسوء من الخطأ نفسه، فالخطأ ينعدم أثره بالمراجعة، وما يعتقد غيري أنه خطأ وليس كذلك عندي أصلحه بزيادة بيانه لكن ردود الأفعال السيئة أزمة في الأنا.

وكلنا يعاني بأقدار مختلفة من تضخم الأنا بشكل أو بآخر لكن تقليل حدته وسرعة العودة للهدوء هو ما أقصد، وهو ما يفصل طالب العلم الشرعي الحقيقي عن المزيف.

رويدك.. استرخ !

...

لا شك أن في بعض المقالات شيئا من العلم و التفكير العلمي،وأحيانا بشكل مبدع فعلا لكنه لا يغطيها من أولها إلى آخرها إلا نادرا، وعند أشخاص معدودين، إذ تخالطه كلمات بدون أهمية ،أو بدون صلة مع الموضوع.

كما يوجد مقالات من يتأمل العالم بمسافة، ويتصيد الكلمة المناسبة له، هي مقالات صغار العقل!

بعض المقالات إذا نزعنا عنها لهجة التهجم على آراء الغير(وفرق بين النقد والتهجم) ومصارعات الظرف ،و آثار الأسلوب ،والصيغ الجوفاء، وتوظيف الجميل في التافه لم يبق منها شيء كثير(!)

هناك مقالات _ في الغالب _ في أحسن أحوالها تقبل القراءة، ولا يعني بحال أنها معرفة تنتمي إلى الموضوع الذي تتحدث عنه انتماء ملاحظة إلى واقعة ، قياس إلى منهجه ،فالحروب التي تستتبعها حروب على نبأ كاذب، على ظنون ، على إفراز عقل مزكوم من قرون.

ما هي إلا شجار أنفة وكبرياء يضعف النقاش العلمي و لا يخدمه.

وهناك _أيضا _ مقالات التهكم والضحك، عندما تكثر في قوم تعني أن ثقافتهم توقفت عن التقدم لذلك مالوا إلى هذا النوع لأنهم فقدوا الأمل فلم تبق لهم قضايا يدافعون عنها.

والمقصود أن النوعية موجودة وتستحق الاحترام والتشجيع والاستثمار فيها، وكل واحد له أسلوب و اهتمامات غالبة، فقط على بعضهم أن يعرف أنه من الصعب الحفاظ على وتيرة واحدة في الجودة،والأهم في الكتابة أن تحافظ على هوية الموضوع بقدر المستطاع.

والأهم أنك تخالِف وتخالَف ما دامت الأمور في دائرتها الطبيعية وليس بالضرورة أنك جاهل أو ضعيف إذا خولفت، و لا مخالفك هو كذلك،و إن كانت هذه الصفات نسبية في الجميع.

و إذا كان العلم عندنا نقابية، وتحكمه علاقات الفؤية المهنية و الحزبية الجاهلية فتجد من يعتذر لشخص لأنه صديقه أو ينتمي إلى تكتله المصلحي يعتذر له في قضايا علمية صارمة بما هو محض تزوير للصفة الأصلية لأباطيله بردها إلى مشكلة "أخلاقية الردود" مثلا مع أن ردود صاحبه فاضت بالقاذورات؟!
وقد يدافع عنه في فرع رغم أنه يخالفه في الأصل؟!
وهذا في الحقيقة تبخير للحق باختزال متعسف تافه لرأي ضل عن الحق.
فإن تحررك من مثل هذه الانتماءات، ومثابرتك على البحث والكتابة بما لا يخالف اعتقاد الباطن، ومعاملة الغير في العلم معاملة واحدة دون التأثر بروابط الصداقة و التوافق الفكري مقام يجب السعي إليه ومحاولة بلوغه.
نجتهد بجد في الطلب لكن نسترخي مع الأنا لأننا نعرف ما ينقصنا.

حكمة الطُرفة

....

استلهم أحد الفلاسفة المعاصرين من فكرة "أليخاندرو كسدوروفسكي"(01) في كتابيه (حكمة الطُرفة) و(حكمة الحكاية) (منشورات عِش الشمس) ومن كتاب طوني بارسون (كل ما هو) (02) تحليل الطرفة فلسفيا حتى الطرف عديمة الجدوى.
والفكرة لا تتعلق بوجود موعظة حكيمة في كل طرفة، ولكن عن البحث عن قليل من المعرفة فلكل شيء دلالة، فإذا كنا أحيانا نقصد عمدا أن نقول لا شيء! (شيئا بدون معنى محصل) مع أنه من المستحيل لأن كل كلمة تخرج منا ينفلت منها معنى، حتى الأصوات مثل النحنحة (دلالة اللفظ بالطبع)، بل السكوت يقول شيئا بحسب سياقه مثل: دقيقة الصمت!
الأمر هو نوع من لعبة التفسير والتأويل معا أثناء المزاح والترفيه في الدرس الفلسفي.
وكثير من المعلمين يدخلون المُلح والطرائف في دروسهم لكن بدون هذا البعد التحليلي المعرفي.

استخدام الطرف أو حكايات الناس أو طبائع الحيوان لنقد السلوكيات، أو لوضع حكم الحياة في سياق شعبي أو حتى فلسفي موجود في التراث، في أخبار السراق، والبخلاء والحمقى والحيوان.. الخ لكن عند هذا الفيلسوف الاهتمام يدور على ضرورب المعرفة: فن الحديث، إمكانيات المستقبل، التناقض وكسر الثنائية المنطقية، الرغبة في القوة، غياب الرابط المنطقي.. وهكذا أمور.

من أمثلة ذلك:

الفرق بين التجربة والتجريب :

قام باحثٌ بتجربة على بُرغوث، وضعه على مكتبه وأمره بحزم بالقفز، فقفز البرغوث!

كتب الباحث في دفتر ملاحظاته العلمية: "عندما نأمر البرغوث بالقفز يقفز ".

بعد ذلك بدا له أن يقطع قوائم البرغوث بمقص ففعل، وأعاد أمره بالقفز فلم يقفز البرغوث!

دوَّن الباحث في دفتره: "عندما نقطع قوائم برغوث يصبح أصما"!

في هذه القصة خلط بين التجربة والتجريب (الاختبار) كما أشار إليه "باشلار" في أحد نصوصه: ليوجد اكتشاف علمي يجب أن يسبقه سؤال للواقع، بدون سؤال سابق لا يوجد جواب علمي.

في هذه الطرفة يتعلق الأمر بتجربة لكن في الإجراءات العلمية هي مسألة تجريب، فالتجريب هو الذي ينتج النتيجة العلمية وليس التجربة، التجربة ليست إلا تراكم المعاش.

والغريب في هذه الطرفة أنه لو كان هذا التجريب على جرادة "جندب" لم تكن الإجابة هزلية إلى هذه الدرجة مادامت أعضاء السمع للجندب موجودة على ظنبوب "ساق" قوائمه الأمامية؟!

إغفال العيش في الحاضر:

يوجد كثير من التهريب بين المكسيك والولايات المتحدة، وذات يوم تقدَّم إلى الحدود رجل مكسيكي على دراجة هوائية تحمل ـ أيضا ـ كيسا كبيرا يبدو ثقيلا، أوقفه

الجمركي:"قف! أريد رؤية ما في داخل هذا الكيس؟
رد المكسيكي: لا يوجد فيه إلا الرمل؛ وفعلا هذا ما وجده الجمركي فتركه يمر.
تكرَّر هذا الأمر مرتين أو ثلاث في الأسبوع لمدة ما، والجمركي يشعر بأنه يوجد شيء ما مريب في الكيس.
وفي يوم من الأيام كان في مقهى على الجانب المكسيكي فدخل رجل الدراجة، اقترب منه الجمركي في ثياب مدنية "أنا أراك كثيرا عند الحدود لكني اليوم في عطلة ويسعدني أن أعزمك على مشروب؟
وأثناء تناولهما المشروب سأل الجمركي المكسيكي: بالعودة إلى قضية الحدود أنت تصل دائما ومعك ذاك الكيس المملوء رملا لكني أعلم أنه يوجد شيء آخر، ونحن اليوم صديقان ولن أشي بك لكني أحترق لمعرفة ماذا تهرب بهذه الطريقة؟
"درجات هوائية!" أجاب المكسيكي.
على قول الكاتب طوني بارسون:"من جهة: السر مخفي، ومن الجهة الأخرى هو مكشوف كلية"! (كل ما هو؛ ص:٧١)
العبرة: الجمركي شخص "يبحث" إذن لا يرى إلا ما يبحث عنه، بينما الحقيقة تحت أنفه، لكن انتباهه ليس مفتوحا وحرا فلا يبصر ما هو واضح.
نفس الشيء مع "الحضور"هو الأهم فيما نبحث عنه، هو دائما هنا لكننا نمرُّ بجانبه، ولا نجد إلا أشياء" لا تكون أبدا ما نبحث عنه بالصورة التي نريدها" فتبدو لنا الحياة مخيبة لا تمنحني أبدا رضا كاملا!
سر الحياة هو حاضر هنا لكن العقل لا يمكنه إبصاره لأنه في الغالب يبحث عن فكرته الخاصة.
عندما يكون الإنسان في وضع ما فيه بعض النقص أو الضيق إما يبقى قلبه متعلقا بما هو أفضل منه فيكون حاضره عذابا نفسيا، يفوِّت عليه كل الجميل والسعيد وكنوز حاضره، فلكل أحوال الحياة لحظاتها من: الخير والسعادة والتعلم والعبادة والصداقة والحكمة.
وحتى في لحظات الحزن في الجنازات لحظات كهذه ورحمات، لكن طبيعة الإنسان الانتكاسة والانتقام من الحياة بتدمير نفسه بالمعاصي، والهروب من الألم الجزئي الذي هو رحمة اللحظة إلى النسيان المزيف في المسكرات المادية والمعنوية.

كذلك في العلم نقرأ بحثا عن شيء نجادل به، ولا نرى ما هو أهم منه وأفضل، فاحرص على أن يكون انتباهك دائما مفتوحا وحرا من نفس الجدل تظفر بالمبتغى وزيادة.

اختلاف أسلوب الحياة بسبب اختلاف رؤيتها:
عاش هندي أمريكي مدة في مدينة نيويورك وقدَّر أن اسمه طويل لا يناسب الحياة في مجتمع البيض، فتوجَّه إلى المقاطعة: صباح الخير سيدي أريد تغيير اسمي الذي يبدو لي طويلا.
ما الاسم الذي اخترته؟
لا أدري..
ما هو اسمك الحالي؟
"النسر الطائر الذي يسقط من السماء ".
إذن سيكون "بووم"
هذه الطرفة تبيِّن الاختلاف الشاسع بين ثقافتين: واحدة تسمح للناس بالعيش حياتهم بهدوء في تناغم مع الطبيعة، وأخرى دائما مسرعة حتى لا تضيع الوقت، والفرصة.

سطوة الانفعال اللاواعي على الإنسان :
أبلغ رجل زوجته وبناته أنه سيستضيف مديره في الشركة على الغذاء لكن المشكل أن له أنفا ضخما لا يمكن عدم ملاحظته، وأنه يسبب له عقدة كبيرة.
طمأنت المرأة زوجها بأنها ستتحكم في الوضع وشرحت لبناتها أنه لا يجب عليهن تحت أي ظرف النظر إلى أنف الضيف، وأكثر من ذلك الإشارة إليه بأي شكل من الأشكال.
مرَّ الغذاء كما يجب، وانصرفت البنتان إلى غرفتهما، وانتقل البالغون إلى الصالون لشرب القهوة، وتنفسَّت الأم الصعداء، وبابتسامة مضيافة سألت الضيف: كم قطعة سكر في أنفك سيدي المدير؟
هفوة لفظية دالة بوضوح: قضت المرأة ساعة تراقب بناتها، والتظاهر بالكلام مع الضيف دون النظر إلى أنفه، يعني: في كبت رغبتها في النظر إلى هذا الأنف

العجيب، فلعب الأنا دوره إلى النهاية لكن الانفعال اللاواعى كان يتربص الفرصة الأولى ليعبر بحرية ويخرج الرغبة المكبوتة.

المقصود:

عرف تاريخ الإسلام شخصيات علمية مرحة مازحة فطرائف الأعمش ـ رحمه الله ـ مشهورة في كتب التراجم، مثل حكاية الأعور والأعمش مع إبراهيم النخعي، وحكاياته مع زوجته وابنه.

وكذلك مزاح الشعبي فمما جاء عنه أنه سئل عن المسح على اللحية؟ فقال: خللها بالأصابع، قال: أخاف ألا تبلها؟ فقال له الشعبي: إن خفت، فانقعها من أول الليل!!

كذلك يوجد في النقاش العلمي والمناظرات الاستفزاز العلمي الذي فيه نوع من التحدي لكن الفرق بين الثقافة الإسلامية والثقافة الغربية أن المزاح عند المسلمين لابد أن يكون مبنيا على واقعة حقيقية لقوله صلى الله عليه وسلم: (أَنا زَعِيمٌ ببَيتٍ في ربَضِ الجنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ المِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا، وَببيتٍ في وَسَطِ الجنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الكَذِبَ وإِن كَانَ مازِحًا، وَببيتٍ في أعلَى الجَنَّةِ لِمَن حَسُنَ خُلُقُهُ) (03)

ولا يجب أن يكون الاستفزاز تهكما وسخرية إنما نوع من الغمز العقلي المقبول غير مهين، من باب التنبيه إلى ما نغفل عنه، إلى فظاعة جهله.

كلام الإنسان من جملة أعماله، وهذا ما يجب أن نستحضره عند المزاح.

و الاستفزاز قد يكون مفيدا إذا كان من شخص عالم بموضوعه ، وعنده نوع مهارة في إثارة من يناقش بغرض تحفيزه للتفكير أو للعمل الصحيح كما يفعل علماء النفس مع المرضى، و المدربون مع الرياضيين لدفعهم إلى بذل الجهد.

وهو كذلك وسيلة في التعليم بشرط أن لا يكون بطريقة وضيعة ووقحة، وبنية كسر الإنسان،والنيل من قدره، و إلا فإنه كلما زاد علم الرجل ابتعد عن الاستفزاز إلا في حال صراع يتطلب تهييجا وتحديا.

عندما يعم التهريج في أمة، ويصبح الهزلي مطلبا ترفيهيا رسميا، والمهرج شخصية مرموقة، ويضخ التهكم والسخرية في الأدب والإعلام، فهذا يعني أن ثقافة القوم قد توقفت عن التقدُّم وبعض المحاولات الجادة لن توقف مسار الانهيار، فالاتزان في الأمم علامة سلامة الحضارة، لكن عندما تغلب السخرية في المشهد العام، ويصبح المهرج ينتقد المفكرين والعلماء وصناع السياسة باختزالاته فتلك الأمة ستغبّر وقبل

ذلك سيكون الشعب قردة في سيرك المال والنفوذ.

....

الهامش:

1 ـ أليخاندرو كسدوروفسكي (1929) فنان شيلي/فرنسي معروف ككاتب سيناريو لقصص مرسومة ومخرج سينمائي، وممثل، وروائي، وكاتب مقالات، وشاعر، وعضو مؤسس لجماعة "بانيك" التي هدفها الوصول إلى فنٍ وحشي مفزع، كأفلامه التي تحمل رمزية روحانية توفيقية بمظهر مستفز، له إنتاج غزير متنوع.

2 ـ طوني باترسون (1933) كاتب إنجليزي بدأ النشر سنة 1996 مهتم بالتركيز على الإدراك المباشر والجذري لـ "ما هو"، ويدعو إلى عيش الحياة بمنظور مركز على الوعي اللامحدود لذاتنا الحقيقية.
في عالم غربي مأزوم تفيق فيه الفطرة بين الفينة والأخرى، تبحث الروح عن نفسها يوجد في كتابه نضج وسعي لفهم روحاني، مع وضوح وطبيعية في التعبير؛ وهو كاتب رائج عندهم.
3 ـ حديثٌ صحيحٌ، رواه أَبُو داود بإِسنادٍ صحيحٍ.

مم نتشكَّل شخصيَّة وعقلا (؟)

(كيف نقرأ وماذا نحذر؟ وكيف نعالج التفاوت العلمي؟
الحقيقة والأخلاق _ و أنواع المفكرين وصفات العقول)
....

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله.
عندما يبلغ الإنسان يتشكَّل من: تربيته، من قراءاته، من أساتذته، من تجاربه، من علاقاته الاجتماعية، وخصوصا من الصعوبات التي يواجهها في حياته، فكل وضعية

تفرض عليه مشكلة يضطر للتفكير فيها وتحليلها والتكيُّف معها لتجاوز صعوبتها وبناء نفسه.

وهكذا مع مشاكل المعرفة والحياة على حدٍّ سواء يتشكَّل عقله من تفكيره الليلي.

وعندما يحتاج إلى فكرة، إلى خادم ـ على تعبير أحدهم ـ فسيتناولها من ذاكرته، وممَّا هو أكبر منها: من كلِّ ما شكَّله ذهنيا ونفسيا، فليس اللغوس إلا إدراج وقائع تجاربنا في الاستدلال.

لهذا لا يمكننا فصل الفكرة عن الشعور، عن الطبع والمزاج، وأهم من ذلك لا يمكننا فصل الحقيقة عن الأخلاق.

لكن الإنسان معرض لفقدان هذا الارتباط بين الحقيقة والأخلاق عندما تفسد فطرته فتطغى ماديته، مثل المحامي الذي إن لم يراقب نهمه إلى عدد القضايا بغض النظر عن نوعها فلن يكون خادما للعدالة ولكن لمصالح خاصة لموكليه فيفقد الرابط بين الحقيقة والأخلاق.

هذا النوع موجود بكثرة في الناس: في الساسة ،و أحبار السوء، ،والفلاسفة،و الصحفيين، والمثقفين، والفنانين ،و الباحثين .. الخ، كلهم يقنعنا بواقعية الحياة وبالنفعانية!

والإنسان مفطور على هذا الرابط، وهو ما يشكِّل هوية ضميره فيحتاج في هذه الحالة وهذا نجده عند الفلاسفة والمفكرين أمثال نيتشه الذين عظَّموا العقل على حساب الأخلاق، وعند العلماء في شكل ميل للجدلي على حساب الحقيقي إلى أن يضبب بشقلبة بلاغية أساس فكرته لأن الناس نوعان: نوع الحقيقة عنده لها أساس أخلاقي، وبالتالي سيهتم بالحقيقة وليس بأن يكون مصيبا في حديثه، فتغلب إنسانيته أنانيته، وهذا النوع يريد تغيير العالم.

ونوع تشكَّلت نفسه وعقليته ـ بحسب وظيفته وبيئته وغلبة هواه على مبادئه الفطرية ـ على قالب هذا العالم، فتغلب أنانيته إنسانيته لأنه مقولب على عالم يحكمه النفاق فيحتاج إلى أن يقنع الناس بصوابية رؤيته الوجودية التبريرية، وسيبحث فيهم عن مساعدين لتمييع خطأه، وهذا النوع لن يبحث عن معايير الحقيقة ولكن عن تقنيات الإقناع.

سيبحث عن عبقرية تعلِّمه وضع قناع على مشاكل المجتمع بدلا من حلها، ولن يمكنه

بأي حال إلا الفصل بين الحقيقة والأخلاق!
لا يمكن أن نرتقي بمفردنا لأنَّنا لا يمكن أن نبدأ من الصفر، نحتاج إلى بستان نرتع فيه، فمن يريد أن يكون فيلسوفا عليه أن يستأنس بالعبقرية الفلسفية ويألفها، ومن يريد إثراء لغته وبلاغته فعليه أن يألف الأدب.
كذلك من يريد العلم الشرعي العالي عليه أن يستأنس بعبقرية العلماء وبسلوكهم الذي يمثلهم في لحظات السكينة بعيدا عن فلتات اللسان وكلمات التنفير لأن العلماء مرجعيتهم الشريعة، وهي لا تفصل النظري عن العملي، ولا الحقيقي عن الأخلاقي.
من يقرأ الجميل ويألفه سيقول الجميل، هكذا يتشكَّل الإنسان بالمجانسة والمشاكلة والألف.
والمقصود أن العناصر التي تشكِّل شخصيتك كثيرة لكن يمكنك توجيهها وتصحيحها باختيار ما تقرأ، أو ما ترتكز عليه قراءتك، فكل شخص عنده مادة وأسماء معيَّنة تغلب عليه، يبدأ بها تفكيره، يعرفها بشكل أوثق وأعمق من غيرها.
وكذلك بانتقاء صحبتك فتشرب من هذه المصادر، وشيئا فشيئا تقترب منها بحسب قوة الاستلهام والرغبة في التشبه بها والانسجام معها، فتشكِّل عقليتك وشخصيتك، وتمنحك أسلوبك في الحياة، ولن تكون نسخة طبق الأصل عنها لأن هناك عناصرا أخرى تدخل في العملية عناصر فطرية جبلية، وخاصة تجاربية، ستكون فقط من طينتها، من نوعها، وستكون لك خصوصيتك ومميزاتك.
الخطأ في القراءة يأتي من أنه يوجد عباقرة في الفكر لكن فكرهم عبارة عن صرامة في التحليل والوصف مع منهجية التنظيم الفني لموضوعاتهم، ويعبرون بلغة عليمة قوية، عندما تقرأ لهم يجذبونك إليهم لكنهم لا يمنحونك في الحقيقة إلا العقل الرياضي، تأثيرهم على العقل الاستدلالي فقط، هؤلاء هدفهم الوصول إلى الحقيقة الخام مجردة من لوازمها الميتافزيقية وإن اعتنوا على استحياء بشيء من لوازمها الاجتماعية والسياسية، عند باب الحقيقة يعودون أدراجهم ليفتحوا موضوعا جديدا!
في حين هناك عباقرة في العلم والفكر عندهم صرامة منهجية في السبر والتقسيم، في استكشاف كل الاحتمالات الممكنة، وفي تركيب المعاني، قد تكون لغتهم جافة ليس لديهم وقت ولا أنفسهم الجادة تميل لتحسينها لكن تعلقهم بلوازم الحقيقة ميتافيزيقيا واجتماعيا وسياسيا رهيب، والمعاني التي يطرقونها عالية الطراز فتأثيرهم على

الذهن، على الفكر في منشأه النفساني.
هذا الصنف الثاني يغيِّر من يقرأ له في العمق أما الأول فيمنحك تقنيات النقاش فقط.
يمكن أن يكون الإنسان موهوبا في بعض المواد وأخرقا بدون موهبة في أخرى، والإنسان بطبعه يغلب عليه نوع عقل على نوع آخر وعندما يفهم ذلك يبحث عن التوازن، فمنا ـ بحسب تقسيم بعض علماء النفس ـ من يتمتع بنوع ذكاء لساني لغوي، يلعب بالكلمات، يفكر بالكلمات، ويستعمل لغته للتعبير عن أفكار معقدة، هؤلاء عندهم قوة في التواصل، ويتحكمون في تقنيات البلاغة واستراتيجية النقاش.
نجد هذا العقل عند الروائيين والصحفيين والمحاميين والساسة و الخطباء خاصة.
وهناك العقل المنطقي الرياضي الذي يمنح القدرة على التفكير التجريدي والتقدير والقياس والربط المنطقي، هذا العقل يميل لتحليل الأسباب والنتائج وتفسير الأشياء.
وهناك العقل الفضائي الذي له القدرة على التذكر والملاحظة الدقيقة، وقوة الذاكرة الصورية وتمثُّل العالم ومعالم الواقع، هو عقل هندسي نوعا ما.
وهناك العقل الاجتماعي الذي له قدرة على معرفة وفهم ما يعيشه الآخرون، ويسمح لصاحبه بالتصرف بطريقة مناسبة، يفضل الدعوة إلى التعاون والسماحة والتمييز، له قدرة على معرفة وكشف المقاصد والنوايا قبل الإفصاح عنها بوضوح، هوعقل مطلوب في المعلم.
وهناك العقل المركز على داخله ومعرفة ذاته، يملك القدرة على فك شفرة انفعالاته، هو عقل السبر الذاتي والتحليل النفسي، له قدرة على الشعور المتعدد الواسع، وعلى التفكير في أفعاله، عقل يسمح للإنسان بالتطور والتحسن.
وسواء كانت هذه عقول أو صفات للعقول نعلم من أنفسنا أن بعضها يغلب علينا ويتحكم بالدرجة الأولى في تفكيرنا، ويحدد مقاربتنا، وكيفية تعاملنا مع الأمور، ولأننا نحتاجها كلها، ونحتاج إلى التوازن لتحقيق مختلف المطلوب منا خاصة الحقيقة ولوزمها الأخلاقية يجب أن نضعها في التوازي.
قراءة الإنسان مهمة جدا لأنها تحدد الصفة العقلية التي ستغلب عليه، بحسب بعض الباحثين منهم ألان باديو ومونتينيو يوجد أربع أدوار تفكيرية: الأول والثاني منها يمارسان النشاط في داخل الفضاء الفكري المعين الفلسفي او العلمي أو غيرهما، هما "المفكر" و "الإداري"، والثالث والرابع «المعمِم" و"كاتب المقالات" يفضلان

العلاقة مع الخارج (خارج مجال التخصص)
والقارئ أحيانا لا يعرف إن كان يقرأ لمفكر (منتج تصورات ـ إمام الفن) أو لفيلسوف يحلل وفقا لمنظومة فلسفية معينة، أو لأديب أو صحفي أو سياسي أو فيزيائي أو كاتب مقالات أو معلق يتفلسفون؟
لتطوير موقفه يرسم "المفكر" في مكتنز (مستودع النصوص العلمية والمعرفية لمجاله أو ثقافته أو حضارته) مساره الشخصي حيث يتلاعب بالحدود الزمنية والمذهبية، فلا يمكنه إنتاج موقف جديد قادر على إثراء المكنز المعرفي إلا بنوع نقد لهذا المكنز، فتجده يقول: "الفيلسوف أو الفلاسفة لم يفهموا أن.. "،"إلى يومنا هذا لم يقم المتكلمون إلا بـ.."،" الآن يجب أن. .." الخ
أما مهمة "الإداري" فهي الحفاظ على المكنز المعرفي بمضاعفة العلاقات بين عناصره، مثلا: ديكارت يعيد صياغة تساؤل أفلاطون، يمكن أن نعارض دليل الرازي بقول الأشعري.. الخ
كذلك يقوم بربط مفكري عصره بمفكري المكنز، فعندنا مؤسسي المذاهب وإداري المذاهب، علماء الملة وعلماء المذهب.
وفي الحقيقة لا يوجد بين أنواع العقول والنفوس فضاء لحدود مستقرة واضحة، بل يوجد تفاعل وتصارع بينها داخل الشخص الواحد لهذا علينا الانتباه أين نقف ولمن نقرأ وما الذي نأخذه وما الذي نتركه؟
على قول العارفين: مراقبة خواطرك، وأقصد: وعيك وما يتسلل إلى نفسيتك من مشاعر وأحكام قيمة وطبع المؤلف حتى عندما تقرأ لأئمة مسلمين كبار أنت تحت هذا النوع من التأثير فالمتشدد منهم سيصبغ فيك الشدة، والمتساهل السهولة المنهجية والمعتدل اعتداله.
يوجد في الكتبة على التقسيم الغربي من زاوية أخرى وفيه بعض الاختلاف عن تقسيمنا: الحكيم والمحترف والهاوي ومبدع التصورات، لكن وجودهم ليس بصفة خالصة لأن هذه الصفات تتراكب مع بعضها بعضا، وأحيانا بطريقة تصارعية في الشخص الواحد.
الحكيم عنده معرفة صحيحة بالأشياء، يطور أسلوب حياة معقول ومنسجم ومثالي، يطبعه التأمل والاعتدال والهدوء والاتزان واللين واليسر ما يشبه عندنا العارف

الصوفي المنضبط بالعلم الشرعي وكونفشيوس عند الصينين.
المحترف هو الذي يعتاش من فكره قد يكون معلما أو خبيرا أو صحفيا او غير ذلك، وهو النموذج الأكثر انتشارا في العصر الحديث عنده شعبية مؤسساتية وإعلامية، يمر هدفه بالمدخول المادي، وتعترضه إكراهات صراع المصالح فتبعده عن الحكمة، لذلك كان إيبتون سان كلير يقول: "من الصعب تفيهم شيء لإنسان إذا كانت أجرته مرتبطة بأن لا يفهمه".
المفكر الهاوي (هو نحن كتبة الفيسبوك) المتحمس للفكر، قد يكون أي إنسان يمارس التفكير كهواية بشغف وضراوة، وقد يهتم بأي مجال لكنه يحب أن يقوم عقله بتركيب الأفكار، وهو دائم الاستغراب من تعدد العوالم التي يبرزها التفكير، وهذا ما يحفزه لكونه هاويا فهو حر في اختيار مصادره لكن تنقصه الطريقة والتناسق، قد يقع في أي شيء.
أما منتج التصورات فهو حارث العوالم، رائد، بحسب جاك دولوز الذي يعرِّف الفلسفة كمصنع تصورات.
هو مفكر نظامي يقدم لنا رؤية أصيلة عن العالم بحيث بعده لا يمكننا أن نفكر كما كنَّا نفكر قبله، هو مفكر يفتح العقل أو يغلقه على عالم محتمل آخر، يعرف كيف يفكر في اللامفكر، وبارع في تحطيم الكوخ العلمي يبحث عن تشييد بيت صلب وثابت، هو الفيلسوف المفضل عند الغربيين.
معه لا نضجر أبدا، وهو شخص مرتاح في الاختلافات القوية والجدليات، محرك الحرية العلمية "عندنا في حدود مرجعية" ، لا يعرف في الغالب إلا بعد موته، الزمن هو الذي يثبته.
أسباب التفاوت العلمي (الجهل)
مشاكل العالم ومشكلة مجتمعنا على وجه الخصوص عدم المساواة من بداية طريق الحياة في: المال، والفرص، والكفاءة، وفي التعليم والثقافة، وفي نوعية التكوين، لهذا يكثر الجهل مع السلوكيات المرضية فتختل مراتب الناس، وتتداخل المهام والواجبات، ويعتلي الناقص وغير النزيه المنابر، ويعارض الأقل علما وفهما الأكثر بصفاقة!
لنتغيَّر يجب أن نتعلم، ولنتعلم ـ على قول أحدهم ـ يجب أن نسبر أعماق جهلنا، وقد

تسبره بتفكير تأملي، وهذه قدرة نادرة في الناس لكن من رحمة الله نجدها حتى عند العوام، وقد نسبره بقراءة لعلماء حقيقيين رابطة الحقيقة بالأخلاق والعقلي بالقلبي عندهم قوية جدا.

وجودك هو واقعك، والحياة أسلوب تختار أن تعيش به، وكل مسارها الصحيح هو الانتقال من الجهل إلى المعرفة، من الحقيقة إلى لوازمها الأخلاقية، من المعصية إلى الطاعة، من اللامبالاة إلى الاهتمام، من الأنانية(الفائدة الشخصية) إلى الإنسانية(الرحمة)

وإذا كان العلم سلس الانقياد فإن الجهل شديد المقاومة حتى عندما يفقد الأمل، وهو شرس جسور، على قول أحدهم: لا يأتي من صعوبة التعلم التي يواجهها الإنسان فقط، ولكن في الغالب من كون الإنسان لا يبحث إلا عن معرفة ما يرضى رغباته.

الجهل فجوة بين الأشياء كما هي في الواقع والإدراك، وأخطره الجهل المضاعف: الجهل بأننا نجهل.

وعليه إما ننظر لهذه المعاينة كتحليل للوصول إلى سد هذه الفجوة من خلال السعي إلى تعميم المعرفة ونشر الثقافة الصحيحة لتقريب المسافات، ولتحقيق العدل في التعليم والتربية أولا وفي بقية المجالات بالتتالي، وإما نتخذه ذريعة للترفع والنخبوية الضيقة والمعاملة بقسوة.

من الناس من يستحق الوصف الرادع، وفي حالات منهم من يستحق التأديب والغلظة بالأسلوب الجدلي التبكيتي لكن الصفة العامة للخطاب العلمي هي: المنطقية والأناقة والشفقة(الرحمة) بالأسلوب التعليمي (الشرح والتفسير).

البحث عن التوازن العقلي الذي نسعى إليه هو أولا لأنفسنا، وثانيا لغيرنا لأننا نريد مقاربة الأمور وحلها ومحاولة معالجتها باتزان واعتدال، ولأن صفة المعلم يجب أن تغلب صفة المجادل في شريعتنا.

حوار.. ؟

حوار بدون اتباع أي قاعدة ثرثرة لا تخدم الحقيقة ولا العقل ؛مجرد تفاعلات عقيمة.
يكون الحوار عندما يعرض واحد رأيه والآخر يمتحنه وفقا لقواعد الفن أو المذهب.
أما إذا كان القصد :لا يهم ما أقول الذي يهم كيف أظهر ،فيصبح الإمكان يقينا !

الإقناع المستحيل !

......

تقريباً لا يوجد حوار أقتنع فيه أحد المتحاورين من قادة الرأي برأي الآخر، ما عبَّر عنه العرب بقولهم "على كل كلام كلام" وصاغه ابن تيمية في معادلة ابستمولوجية دقيقة عندما قال :"
الناس لا يفصل بينهم النزاع إلا كتاب منزل من السماء، و إذا ردّوا إلى عقولهم فلكل واحد منهم عقله".

وعندما يحصل إقتناع _وهو نادر _فبعد مدة، بعد أن تتدخل آليات نفسية أخرى لأن هؤلاء يحضرون النقاش بآراء جاهزة على الأقل بمقدمات كبرى سابقة مشتركة الاستعمال.

كل حوار بين قادة الرأي هو حوار طرشان لعدة أسباب ذكر منها خبراء التواصل :
الأول :في الغالب يتكلم الإنسان لأنه يحاول رد الاتزان إلى داخله الذي حركه كلام الآخر ،فهو يبحث عن هذا الاتزان، ونفس الشيء بالنسبة لمن يقابله.
عندما يتناقش هؤلاء لا يبحثون عن الحقيقة والجمال والخير (على قول أفلاطون في الكهف) ولكن عن الحفاظ على اتزانهم الداخلي عن تناسق نظامهم المعرفي داخل كرتهم النفسية، والحقيقة والجمال والخير يقعون بالتبعية لهذا المطلب الداخلي،و أقصد أنها قيم بصبغة شخصية عندهم ليست هدفا مطلقا.

الثاني :السبب الابستمولوجي و هو أن أدلتنا ليست مبنية على وقائع ولكن على قيم أو تخمين،وحتى عندما تنطلق من وقائع ثابتة فإن شبكة قراءة الواقع مختلفة،وهو ما نجده في السبب الثالث:الناس إما محافظ و إما تقدمي، إما صاحب مبدأ و إما براجماتي ، إما أثري يغلب على عقله الاتباع، و إما واثق من عقله فوق اللزوم.

لهذا الأهم في أي نقاش بين هؤلاء_وهذه نصيحة ثمينة _ هو مراعاة شعور الانتماء إلى نفس العمق ،و إظهار إرادة التجاوز لأن تحت كل خلاف يوجد عمق مشترك هو الذي يسمح للناس بالتعايش والتعاون على الأهداف الكبرى العلمية والعملية.

....

غالب الناس لا يلاحظون الفرق بين الإقناع والاستمالة التي يستعمل فيها أساليب غير شريفة من التلاعب اللغوي، و تصوير الظن على أنه بديهة!
بينما الإقناع هو العمل على الرأي، على تغييره من خلال الدليل السالم من المعارضة الحقيقية، و مرجعية موثوقة.
الباحث عن الإقناع يوفر أولا مناخ النقاش :رقي الخطاب، أناقة العبارة، الاحترام، التفسير لا الجدل، عدم الاستعانة بقضايا خارج محل النزاع، مع هيكلية سرده.
بينما الباحث عن الاستمالة يفعل العكس :يغمز، يقلل من شأن مخالفه بأحكام قيمة، لا يركز على الدليل السالم من المعارضة بل يحشر كل ما قد يبدو مرتبطا بالموضوع، وينسج نظرية من أنصاف أجوبة، ويعتمد مرجعيات مجملة مثل: العقلاء ،العلماء ،الفلاسفة.. الخ.
و إذا كان مطلعا على البسيكولوجيا استعان بميكانزيمات اتخاذ القرار في الناس، ووسائل التحفيز عندهم مثل أن يظهر الخلاف على أنه معركة داود مع جالوت(أنا وحدي ضد المؤسسة)!

ومشكلته تقنيا هي أن هدفه شبه علمي، ولا يتحقق من فرضيته بسبر مختلف الاحتمالات، وخاصة يتكلم بدون مرجعية موثوقة معتمدة حقيقية.
فمثلا :الموضوع الكلامي اليوم لم يقدم أي جديد للعقل اللاهوتي الإسلامي إلا بعض الفتات المتفرق حيث طغى نوع من التفكير العقلاني (عقلانية خاصة) تريد سد كل الفجوات في موضوع غير قابل للتصور، تخلط بين سد الفجوات بين النصوص(الربط) بمادة النصوص، وبين سد الفجوات بين استشكالات فلسفية قائمة على أن كل واقعي معقول تفصيلا، فكثر الغث بصلصلة كلمات بدون جدوى، و تشدق مفاهيمي لغوي لا يتعلق بتصورات ولا بأي واقع، فقط مبارزة جدلية يبحث فيها عن

الفوز!
نشاهد اليوم عبارات جديدة توضع على المعاني القديمة، ومعاني جديدة توضع في قوالب قديمة ، لكن الأبرز هو اختفاء التحفظ العلمي الذي كان عند السلف لمنع توهم القياس أو الاسترسال في التشبيه!
عقل كلامي لا يفرق بين سهولة قوة الاعتراض وبين صعوبة قوة البناء.
فكما جرَّت قديما الفلسفة الكلام إلى أمراضها الميتافيزيقية يجرُّه الفكر المعاصر إلى أمراضه المعرفية.
وفي مثل هذه الفترات التي لا هي تقليد محض ولا هي اجتهاد حقيقي الأفضل لكثير من الناس التمسك بالاتباع بالمعنى الأقرب للتقليد فهو أسلم و أحكم لهم.

مسخ السلفية..!

....
تقريبا كل الجماعات الإسلامية فشلت أو أفشلت(أعتقد الأمرين) ، وبقيت جماعة واحدة(في الحقيقة هي جماعات وليست في درجة واحدة من الوعي) خارج التاريخ :تعيش في الماضي.
و الأخطر أنها لم تع لحد اليوم أن المعرفة كلية مشتركة، ليس لها حدود إدارية أو قومية لكن سياسيا واجتماعيا لابد أن تكون محلية وقيادتها محلية، و إلا كانت مادة بدون كتلة على تعبير الفيزيائي ، غنما تائهة بدون أي ثقل !
مادمنا لم نملك وسائل قراءة الواقع فسنستمر في إنتاج نفس نوعية القيادة العلمية واستنساخ الطلبة عليها.
يتم اليوم _في نظري _ خرقها بمقالات ستذيبها حيث أصبحت الرؤية المادية للوجود سلفية تيمية! وقول المتكلمين في الفطرة بأنها مجرد قابلية واستعداد وليست معرفة قبلية مقالة سنية تيمية، وقد تمت علمنة فقهها السياسي، و استهلاك طاقتها في الصراعات الدولية، ولا ندري ماذا سيدخلون فيها بعد هذا؟!
المهم ؛اللعبة أكبر من عقول الناشئة الذين يكيفون الأمور على أنها اختلاف علمي وتجديد بحثي، ويمكن النظر إليها من هذه الزوايا ولكنها ليست الرؤية الشاملة.
ومشكلة هؤلاء أنهم يضعون الرأي العليم في نفس مستوى الرأي التافه.

ولله الأمر من قبل ومن بعد.
في الصورة حكمة يعرفها المصورون؟

من الكفؤ للحديث؟

....

عالج فلاسفة العلوم وغيرهم ظاهرة "تحدث الناس في كل شيء" فوجدوا أن الإنسان يغلب عليه التحدُّث بوثوقية عن أشياء لا يعرفها؛والمفروض على النجَّار أن لا يتحدَّث أبعد من النجارة إلا بشرط.

في الحديث العادي كل الناس، النجار وغيره يقولون عشرات ومئات الأشياء تتجاوز كفاءتهم ،وهذا طبيعي لكن بشرط الوعي بذلك، فأنا أتحدَّث في الطب و البيولوجيا والفيزياء والفلك وغير ذلك لأننا كلنا نملك معلومات في مجالات كثيرة، لكن المشكل أننا لا نعرف معرفتنا، لا نعرف من أين جاءت، وهذه مصيبة كثير من طلبة العلم فضلا عن العوام.

وهذا يكشف لنا أن من يظهر كفاءة في الحديث قد يكون غير كفؤ لأنه لاكتشاف أننا غير أكفاء لابد أن نكون أكفاء كما قال غروغر.

فالكفؤ هو الشخص الذي عندما يتكلم في مجال جديد أو مسألة جديدة، عندما يتقدم في المسألة و يتعمق فيها يدرك أن الأمور معقدة.

عندما يكون المتكلم متبوعا (ولو ببعض الأفراد فقط) يجب أن يحذر لأن الناس لا تعتنق رأيه للتدليل الذي قدَّمه فأنا رأيت قوما يصرحون بصوابية قول لا يعرفون أولياته! بل التدليل يقع عندهم في المرتبة الثالثة أو الرابعة في سلم أسباب اعتناق الناس للآراء(كما أحصاه فلاسفة العلوم).

فالناس تميل للاستماع لمن يتحدث في كل شيء، لمن يتحدث بيقين ونوع تكبر أو فخر ، كأنه بوثوقيته وتعاليه وقطعيته يطمئنئهم في زمن الشكوك!

الإنسان العالم والكفؤ تجده حذرا وسطيا نوعا ما، أقل تحدثا من المتطرف، فعندما تدخل الشبكة ستجد من يشكك في "كروية الأرض" أكثر نشاطا من علماء الفيزياء والكونيات لأنه ينطلق من اعتقاد(ظن وتجربة تفكير =العقل هو المخبر) والثاني من معلومة، الأول من شك والثاني من يقين.

وهكذا الأمر في مسائل كثيرة لأننا في زمن تنتقل فيه المعلومة، و الظن، والوهم، والكذب والجهل، والواقعة.. الخ في نفس القنوات فتكتسب نفس المنزلة.
والإنسان إلا العالم الحقيقي يعلم أن الإنسان يبحث عن راحة نفسية فإذا كان اعتبار الخطأ حقيقة يريح نفسه فهو حقيقة.
وكل دليل تعارضه به سيكيفه بدون أن يبلغ المطابقة ،ويضعه في حواشي عقله.
يجب أن نفرق بين حب الحقيقة المجمل فينا وبين واقع حالنا المتمثل في جعل ما نحب حقيقة.
المعركة معركة أدلة لها سلطة ليست معركة تحاليل آراء نكتفي بها بالحس السليم إذا قدر وجوده.

سؤال له ما بعده؟!

.....
لا شك أن الاختلاف بين قراء ابن تيمية يفرض السؤال عن السبب، وهل هو دائما منهم: من اختلاف الأفهام والتجربة مع كلامه، وربما زاوية النظر، أم منه هو كذلك بقدر ما؟
وقد ورد علي مرة سؤال أثار عدة أسئلة أحب مشاركتها هنا لربما ألتقط وجهات نظر وأمثلة يمكنها أن توجهني في بحثها لأني مهتم كثيرا بالجواب عنها جوابا معقولا موضوعيا إلى أقصى ما نقدر عليه، فليست المرة الأولى التي تصادفني فيه هذه الاعتراضات.
والسؤال موجه لمن قرأ كل كتبه أو أكثرها، وانتبه إلى شيء من هذا فأحب أن أعرف كيف عالجه في عقله ليحتفظ بالاتساق المعرفي النفسي، من باب الاستفادة من عقول مختلفة، ولعل عند الناس ما لم نصل إليه؟
1 ـ هل توجد إشكالات في قراءة ابن تيمية تأتي منه هو، من أسلوبه، أو منهجه، أو اجتهاده وعدم عصمته؟
2 ـ هل يوجد نوع تضارب بين أقواله أم الأمر مجرد ظاهر بسبب كثرة كلامه وبحوثه، وأنواع مقارباته وتعدد منهجه في البحث بين نفي النفي العقلي والإثبات اللفظي في سياقه وبين نفي اللفظ، وبين البحث الاصطلاحي والبحث المعنوي العقلي؟

3 ـ هل تجد مثلا أنه يرى وجود تعدد مذهبي سلفي في التعامل مع الكلام ولوازمه العقلية علميا ولا أقصد عمليا؟
4 ـ هل الواقعية الحسية عنده واضحة بشكل كاف لنا، نجمع بانسجام بينها و بين قولنا: الله أصل ومصدر كل ما هو موجود، هو السبب السابق على كل الأسباب بحيث الصعود وراءه (ليس وراء الله مرمى) ليس له معنى لأنه مستحيل، ترتيبيا هو الأول، وهو الخالق لكل شيء، وهو بماهيته أو طبيعته متميز عن كل ما خلق، فهو واقع ـ من هذه الناحية ـ مستقل عن واقع المخلوقات، متعال على التصور والأوهام والخيال فلا تخضع طبيعته لها فإنه كان ولم يكن هذا الكون (الفاعل سابق للمفعول مهما كان الحال)؟
هل يفرق بين واقعية واقعنا التجريبي وبين واقعية وجود الله وطبيعته، أم معامل الاشتراك عنده هو الإحساس، والاختلاف في مجرد الرؤية فقط (الغيب والشهادة)، وفي نفي التماثل في الكيف،بدون فصل بين لوازم الصفات ولوازم الذات ؟
وأقصد :هل معامل الإحساس وحده كفيل في تحديد الواقعية عنده؟
هل الحقيقة المتعلقة بطبيعة وجود الله ولوازمه محتواة في واقعنا، أو في اللغة، أو في الفطرة، أو في الوحي، أو في الإله، أو تسبح فوق العالم في انتظار أن يطاردها العقل؟
5 ـ هل ترى أنه يوجد في كتبه أي نوع من أنواع الأخطاء، أو درجة من التضارب، أو عدم التماسك مع أن حججا تدعم الأطروحة؟
وأعني في المنهج المعرفي والتدليل في الإلهيات، وليس في الفقه والسلوك، ولا أقصد ـ أيضا ـ الجواب المبدئي ولكن في الواقع.
6 ـ هل كل ما يقوله ينتج لدينا يقينا أم بعضه مجرد معلومة نعمل بها على قاعدة: ما المانع، وممكن عقلا؟
أوضح: هل عمل ابن تيمية كان في دفع اللاحقيقة الكلامية والفلسفية أم كان في الإخبار بحقيقة لم يخبر بها السلف؟ لكنه ربما لم يستطع البقاء في الوظيفة الأولى لأن طبيعة الموضوعات أخذته إلى التقدم فيها والتعمق بحكم موقف المخالف وتنوع وتغير اعتراضاته على النصوص (تجدد الخطاب ومقتضياته).
ونحن نعلم أن كل الأسئلة التي ترد عقولنا وردت عقل السلف ـ أيضا ـ وربما

المقتضى عندهم أقوى، فهل هو من باب استخراج المضمر الضروري للحاجة أم من قبيل ما سماه بعضهم " زغل العلم" إذا وفقناه على هذا الوصف؟
وهل يوجد لديه أقوال هي من باب الدفع لها منطقيتها وحجيتها وصحتها لكنها لا ترتقي إلى درجة الحقيقة فلا نستطيع أن نقول هي صحيحة صحة كاملة مثل صحة الحقيقة المنصوصة، ما يلزم معه قبول القول بكثير من المسَّاكات والتحفُّظ؟

7 ـ هل مثلا يثبت شيئا في موضع وينفيه في آخر، وهل هذا تعارض، أم تغيير رأي غير معلن، أم تطور فهم؟ أم هناك سبب آخر؟ بغض النظر عن تكلف بعضنا لتأويل ما هو من هذا الجنس؟
بعض الأسئلة لا نعرف إن كانت تستدعي المرئي أم المخفي، وفي كل سؤال كبير يوجد سؤال كامن في داخله، فهذه طبيعة العلم.
أتمنى أن أرى تفكيرا جادا بمعلومات موثقة وفهم واضح وليس بالأفكار التلقائية والاعتماد على الحس السليم وحده.
لكن مع ذلك أعتقد أن التفكير في هذه القضايا ولو تلقائيا سيعينك بشكل فعال في تجاوز عقبات من هذا الجنس لفهم أعمق لعمل ابن تيمية، ولتقدير حقيقي لقيمة جهوده خاصة في المنهج المعرفي الشامل(العام).
الأجوبة التي لها معنى سأجمعها و أحاول تنسيقها و توجيه ما يبدو لي مستشكلا بما أقدر عليه على موقع آخر غير الفيسبوك.
وأما السؤال على السؤال فلن أتعامل معه.
ومهما قرأ الإنسان واجتهد تفوته أمور، وكل مصدر معرفي ثري كابن تيمية ولابد أن يثير أسئلة ابستمولوجية عند المهتمين به قبل المخالفين له حتى من باب "فكر وقاوم عقلك ،أو فكر ضد دماغك" على قول باشلار.
والمقصود :التفكير العلمي يتطلب أن نقاوم الفكرة الأولى، عدم التسليم بما يعتقده العقل تلقائيا بل اختباره.
التفكير ضد دماغك،يعني :استفزاز الأفكار التلقائية والعفوية التي يصدرها العقل على أنها بديهية ومتسقة وصحيحة.
يعني :لا ترفض مباشرة ما يجد عقلك صعوبة في فهمه أو قبوله.

ذكرني بقولك :"لسنا مثلهم"!

....

قال لي صديق :يبدو أنَّ الأمور تغيَّرت؛ إنِّي أرى الورود، والابتسامة لا تفارق محيا الحشود !

حتماً هناك وعي سياسي جديد ؟

قلتُ له :قال جزائريٌّ لصيني يعمل معه :نلتقي غدا الثامنة، الثامنة والنصف.

قال له الصيني مستغربا :لماذا نلتقي مرتين؟!

تحليل أسباب وصولنا إلى وضعية "خشبة نخرة في المحيط" هو ما سيحدد معاركنا ومراتبها.

فقبل معركة الأيديولوجية السياسية ، و معركة الحكم والدولة: معركة إحياء الوعي الميت، معركة رد الآدمي الداب إلى إنسانيته.

وعلى قول بوليتزر:" تصادم الأفكار أكثر عنفا من معركة الرجال"

الهوية و الجاهلية؟

.....

الأمازيغ والأنجلوساكسون ؟

ما هو تاريخ الانجلوساكسون بالنظر إلى تاريخ مابين النهرين أو تاريخ مصر؟

ما عدا خمسة صخور منتصبة في عراء لا يوجد أي تاريخ حضاري للانجلوساكسون(!) وكذلك الجرمان، ومع ذلك يحكمون العالم من قرون، وشيدوا أعظم حضارة مادية عرفتها البشرية!

ماذا يضرهم اليوم إن كانوا بدون تاريخ حضاري، و إن كانت لغتهم في القرون الوسطى لغة الدهماء والبرابرة إذا سادوا البشر اليوم؟

وماذا ينفع العراقيين أو السوريين أو المصريين تاريخهم الحضاري المجيد إذا كانوا اليوم في ذيل الأمم؟

أي تاريخ يبحث عنه الأمازيغي(المعقَّد) ولم تخرج من عنده علوم ولا آداب، ولا فلسفة ،ولا أي من مقومات الحضارة، ولا هو اليوم على رأس الأمم؟

لماذا وحده الأمازيغي دون كل الشعوب يشعر بعقدة النقص من تاريخه؟
لأن تاريخه كتاريخ العرب مقرون مع تاريخ الإسلام لا يوجد قبله شيء ذي بال ، فالعقدة هي من الهوية الإسلامية وليست قضية تاريخ ،إنه يبحث عن عز ومجد في غير الإسلام، هذا لب القضية.
الأمازيغي نوعان :مسلم هويته ما تضمنته الشهاداتان يعتز بدوره في الإسلام، في دولته وفتوحاته، وفي علومه و آدابه وحضارته ، ولا يجد أي تضارب بين لغته الأم ولغة دينه.
ولم تكن القضية عنده في لبس البرنس أو أكل الكسكس فقد حررته العقيدة من كل الجاهليات :جاهلية الأمازيغ وجاهلية العرب والرومان على حد سواء.
و أما النوع الثاني فممسوخ العقيدة والثقافة، منقوص الشخصية ،يريد أن يشتري له تاريخا مفبركا من قطع غير متجانسة، كرنفال تاريخ ممثلا في مسخ ثقافي موحد البيولوجيا :ثقافة فرعونية مع ثقافة رومانية وبيولوجيا أمازيغية !
هذا شخص حكم مصر وهو أمازيغي، وينصب له تمثالا بالزي الفرعوني المصري (!)
وهذا الرجل الثاني في المسيحية وهو أمازيغي(!)
وهذا أول روائي في تاريخ البشرية وهو أمازيغي !
الفكر غير أمازيغي لكن المفكر أمازيغي(؟) ما يعني بوضوح تصوره للهوية الأمازيغية مجرد عنصرية لأن أمازيغيته هنا لا تتجاوز البعد البيولوجي ،وكل هوية تعتمد البيولوجية هي عنصرية قحة.
بينما المجد الذي بناه أسلافه في الإسلام مجد إنساني حضاري في روحه وفي مادته، فخدموا اللغة العربية لأنها لغة القرآن، وخدموا العلوم الإسلامية و الطبيعية لأنها في خدمة الإسلام و البشرية وليس لخدمة قوم معينين، تماما كما جيشوا الجيوش وخاضوا الحروب من أجل ملة التوحيد الذي جمع شعوبا جمة تحت كلمته.
فرق بين من يدافع عن فكرته وبين من يدافع عن أناه، و أكثر من ذلك من يدافع عن مساحة إعلامية قابلة للسك.
لا يتعلق الأمر عند هؤلاء بالهوية بقدر ما يتعلق بتنصيب أنفسهم في مجال سياسي معين يسمح لهم فيما بعد بالمتاجرة برأس مال رمزي، وبالارتداد أن يقدروا على

تحويل هذا الرمزي إلى وضعية اجتماعية ونفوذ سياسي ما يعني أن الهوية مجرد غنيمة !

الجاهلية برأسين!

نحن الآن في أمة مسحوقة تحتفل بأعياد أمم أخرى وقريبا ستحتفل برأس السنة الصينية وربما سيعود اليهود وتحتفل معهم برأس السنة العبرية!

في هذه الأمة الضائعة في ثقافات أجنبية عنها صار الخطاب العلمي الشرعي ملعونا لسبب بسيط هو أنه في مملكة التفكير البورجوازي الموهوم فإن المزاوجة بين الحدة والعمق النظري تمرُّ على أنَّها مزيج غير مناسب بين الأنواع!

فيجب أن نتخلى عن الولاء والبراء ،عن الحدة الإيمانية ،عن المسميات الشرعية؛ لنحمل كلنا الورود ونتحدث مبتسمين كأننا غير معنيين بالموضوع، ونسمي الكفر و الضلال، والكذب والخداع :الرأي الآخر !

و البدعة الوثنية ثقافة وهوية؟!

وربما دون أن نفرق بين منسلخ عن الدين يجد فرصة في موضوع الأعياد، وبين جاهل أو مسلم كيوت يريد أن يكون fun مع الناس!

يتصور بعض الطائفيين داخل الماركسية _على قول لوكاكس في "تدمير العقل" لأنهم غرقوا في الفجوة بين التعقل والعقل _أن أكبر معارك التاريخ البشري المعركة بين المثالية و المادية كما يتصور بعض الجزائريين أن معركتهم اليوم هي بين العروبة و الأمازيغية!

وعن هذا التصور يدور النقاش اليوم عن حكم الاحتفال برأس السنة الأمازيغية فالقضية قضية هوية مفتعلة أو متوهمة ليست قضية سنة وبدعة ،والذين ينظرون للقضية من هذه الزاوية _ و إن كانوا محقين _يساهمون في الخبث الاديولوجي الذي يقف خلفها، والذي يستهدف تمزيق الهوية الإسلامية بصراع الهويات العرقية.

المعركة اليوم هي بين العقلانية واللاعقلانية، بين هوية حقيقية شرعية وبين هوية زائفة جاهلية

هل ما يدعو إليه من جعل من الاحتفال بهذا اليوم قضية وطنية وشعارا ثقافيا هوياتيا شيء عقلاني تدعمه الشريعة والتاريخ والمنطق والواقع أم هي خبث سياسي ومكر فجوري يمتطي عادة أصلها وثني لتمزيق الهوية الجامعة، الهوية الحقيقية و الوحيدة ؟

عندما يفقد إنسان عقلانيته في موضوع الهوية العرقية تعوض النطف مادته الرمادية في دماغه فيفاضل بها!

نحن نعرف أن الهوية ليست واقعا جوهريا يكفي ملاحظته إذ لو كانت كذلك لما تعددت واختلفت حولها العلوم فمن قلق الهوية، وغموض الهوية، وفخ الهوية وحرب الهوية ووهم الهوية و ضبابية الهوية وهوس الهوية إلى الهوية القاتلة.

أقل ما يمكن أن نقوله أنها سم جاء مع الاستعمار و الدولة الحديثة لا نجد له أي أثر في تراثنا وأنها مصطلح إشكالي لدى شريحة عريضة من المفكرين من الفلاسفة وعلماء الاجتماع والديموغرافية، والتحليل النفسي والانثروبولجيا

هناك عشرات الهويات للشخص الواحد اكثرها تمثلات غير ذاتية، لا تعبر عن حقيقته كإنسان لنستعرض القضية من أصلها فنقول:

أول ما بدأ هذا المفهوم بدأ عند الفلاسفة فجاء بناءً على الميتافيزيقا أن هوية الشيء هي:" علاقة كل شيء بنفسه، أن يكون واحدا، أو هي الانتماء لنفس الشيء كأخر ".

في الميتافيزيقا الابستمولوجية هي:" صفات موضوعات متميزة بالعدد فقط، درجة عليا من التشابه".

في علم النفس: الهوية هي " التمثيل الذي لفرد عن نفسه مقرون بشعور الاستمرارية والديمومة «.

في علم الاجتماع: هي "التمثيل الذي لجماعة عن نفسها، ما يشكل وحدتها واستمراريتها «.

هناك تعريفات كثيرة لمفهوم " الهوية" هي مقاربة خاطئة لمفهوم الهوية تجعله مولدا للنعرات الجاهلية، ويرد الانسان الى مستوى وحش، فعندما أسال: من أنا؟ ما هي هويتي؟ ما الذي يشكل هويتي؟

أجد أنني بهذه المقاربات موزع بين هوية جنسية (ذكرأو أنثى)، وثقافية (ما هي الثقافة إذا كان لها 150 تعريفا)، وعرقية (هل توجد أعراق)، ودينية (مؤمن ام كافر مؤمن بماذا وعلى أي مذهب)، ومهنية (انتمى الى هذه المؤسسة وادافع عن مصالحها)، وقانونية (بطاقة التعريف)، وسياسية (انتمى لهذا الحزب) ورياضية (أناصر الفريق الفلاني)؟

بهذه المقاربة الهوية في كل مكان، وفي كل زاوية تتربص بك...!

الاستعمال الفلسفي لمفهوم الهوية شيء آخر- غير التفاهات في علم الاجتماع والأنثروبولوجيا الثقافية - ميتافزيقي يرد المفهوم بعيدا عن كل هذه الاعتبارات إلى الواقع الوجودي = كل ما هو موجود، لأنك أولا شيء قبل أن تكون إنسانا مسلما جزائريا عربيا شيء من الواقع له خصائص إذا لكل موجود هوية، فليست الهوية خاصة بالإنسان.

هذه الهوية تسمى "الهوية العددية" نسبة الى العدد وليس للرقم الالكتروني، هي تمييز كل موجود عن موجود آخر، أهو أ.

ثم تأتي "الهوية النوعية" المنسوبة إلى مجموع خصائص مشتركة بين مجموع أفراد مثل "الانسانية "، نوع من الأشياء، لا تتعلق بمجرد التشابه في الكيفيات، فالموز يشبه الشجرة لكنه من نوع الحشائش، هوية نوعه هي العشب وليس الشجر.

عندما نغير هوية النوع يصبح شيئا آخر، والشيء الأصلي قد يتغير ويختلف لكن هويته تبقى.

كل البشر لهم هوية نوع واحدة، وهي أنه حي عاقل متكلم، ويرجع لنفس الأصل التراب أو الغبار النجمي كما تزعم بعض العلوم.

وهذه الهوية هي التي اعتمد عليها الشرع في محاربة الجاهليات العرقية عندما قال " الناس من آدم وآدم من تراب " وان التفاضل بينهم بالتقوى؛ وهذا يعني أن الأصل البشري واحد إذن الاختلاف المعتبر بينهم سيكون في أشياء أخرى لم يذكرها الفلاسفة خصوصا في العصر الحديث.

فالأصل واحد والقدرات والصفات النوعية واحدة ويختلفون في أشياء كثيرة فرعية مثل انهم شعوب وقبائل لكنها اختلافات غير معتبرة سببها كوني ضروري يتعلق بالتوالد والانتشار وليس بقيمة ذاتية، ومنها اختلافات اخرى تتعلق بمجالات أخرى لكنها أيضا غير معتبرة لأنها ليست من القيم النافعة لهم في الدنيا أو الآخرة فلم يبق إلا التقوى.

وعلى هذا فكثير من هذه الاختلافات مجرد تمثلات لذا تكون هويات سطحية.

إذا عرفنا أن الإنسان كشيء موجود هو نوع أذن هويته هنا أنه نوع واحد، لكن هذا الشيء الموجود الحي والعاقل والمتكلم ليس له حقيقة وجودية واحدة فهذه هوية خلق فيلزم أن تكون هناك هوية غاية، وهي تختلف بين المؤمن والملحد، عند المؤمن هي

عبادة الله، وهذه الهوية حددها الوحي ويشعر بها الإنسان في فطرته (وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون)، ولهذا تتوجه جميع المخلوقات إلى عبادة ما تعتقد انه الله، وبالتالي لم يهبها الإنسان لنفسه.

إذا عرفنا أن الإنسان كشيء موجود هو نوع أذن هويته هنا أنه نوع واحد، لكن هذا الشيء الموجود الحي والعاقل والمتكلم ليس له حقيقة وجودية واحدة فهذه هوية خلق فيلزم أن تكون هناك هوية غاية، وهي تختلف بين المؤمن والملحد، عند المؤمن هي عبادة الله، وهذه الهوية حددها الوحي ويشعر بها الإنسان في فطرته (وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون)، ولهذا تتوجه جميع المخلوقات إلى عبادة ما تعتقد انه الله، وبالتالي لم يهبها الإنسان لنفسه.

وهم الهوية :

وهوية التمثيل هي التمثيل الذي يعطيه فرد أو جماعة عن نفسها، وهي هوية سطحية لأنها هوية تبحث عن نفسها، وتضيع في كثرة الأبعاد،و بالتالي ليس لها عمق الهوية السابقة التي تعود إلى خصائص ثابتة وليس تمثلات.

ومشكلة هذه الهوية التمثلية هي أنها فخ أو طُعم خادع، فليس الوفاء لجماعته لأنها جماعته يبقينا نحن أنفسنا ميتافيزيقيا (علة وجودنا)بل الوفاء للقيم الانسانية الفطرية و المكتسبة من الوحي، و لهذا لما سئل النبي صلى الله عليه و سلم: هل حب القوم عصبية؟ قال: لا، لأنه فطري) ثم قال: :و لكن الانتصار لقومك على باطل هو عصبية ".

فلا عبرة إذن إلا بالقيم لأنها صور عن الحقيقة ، ولهذا أيضا عندما تداعى غلمان بالانتساب إلى الأنصار و المهاجرين وهي أسماء محمودة قال :" دعوها فإنها منتنة " أبدعوى الجاهلية و انا بينكم " .

والفخ أو الطعم الخادع هو أن الهوية التمثلية غالبا ما تكون هوية ثقافية وهي ظاهرة متعددة الأبعاد، محددة بالانتماء الثقافي المضطرب، ومبنية في مركز مجموعة ضخمة من الفئات تكون الذات فيها مقطعة الأوصال بين نظام قيم ولسانيات وديانات، وعادات، واعراف ... الخ.

والخطر فيها أنها تولد لا شعوريا التعصب والعنصرية ، فإذا كانت الثقافة مجموع

معقد يحتوي العلم والاعتقاد والفن والقانون والأخلاق والعادات وكل سلوكيات الانسان كفرد في مجتمع من الصعب أن تتحقق في جماعة بمفردها فينشأ التمايز بينهم في العرق وفي عادات تافهة تخص الطعام أو اللباس.

الثقافة في الانثروبولوجية الثقافية هي: تقنيات، أشياء مصنوعة، طرق صناعة، افكار، أهواء، قيم موروثة.

وعند بعضهم: طريقة العيش، أو المعاني والمعايير، أو المحيط المصنوع من الانسان.

وهناك ثقافة عالمة وثقافة جاهلة، في الأولى هي تطوير بعض القدرات العقلية بتمارين عقلية مناسبة، وفي المعنى الجاري نجد ان الثقافة عند بعضهم هي: معرفة انجازات العقل في الأدب والموسيقى والرسم، أو مجموع معلومات مجملة في مجالات مختلفة وهذا المعنى هو الغالب.

وهناك الثقافة المحمولة بالمركزية العرقية في الأنثروبولوجيا الاجتماعية: مجموع النشاطات والاعتقادات، والممارسات المشتركة لمجتمع أو لفصيل اجتماعي خاص.

نحن امام مشكل تعريف لا يولد الشعور بالتفوق العرقي؛ والتعريفات الماضية غير حاصره ولا معبرة بصورة ملموسة عن هذا المفهوم، وقد رصد (Kluckohn) تعريف الثقافة في العلوم الاجتماعية فوجدها 150 تعريفا.

فمثلا الشاب الجزائري عنده ثقافة الشباب، وثقافة مسلم وثقافة جزائري، وثقافة عربي أو أمازيغي، وثقافة أفريقي، وثقافة سلفي أو صوفي .. الخ، فأي هذه الثقافات تحدد هويته الذاتية الحقيقية، وهل يمكن أن يجمع بين كل هذه الأبعاد ...؟

وإذا أخذنا الثقافة بالمعنى الاجتماعي فهي: مجموع صفات مميزة، الروحية والمادية والعقلية، والعاطفية التي يتصف بها مجتمع او مجموعة اجتماعية، وهذه تلغي كل ثقافة مبنية على العرق.

إذا وسعنا المفهوم أمكن ان نقول: ما يجمع أعضاء جماعة ويجعلها متناسقة أو متناغمة، أو ما يحدد بلدا أو أمة، فما الذي يجمع الجزائريين بهذا الضابط غير الدين الإسلامي ولغته والأرض والتاريخ المشترك، فإذا نبشنا العصبية الجاهلية لم يكن لها دور ووظيفة إلا الهدم.

وإذا أخذنا الهوية في علم النفس الاجتماعي اعتراف الشخص بما هو عليه أو اعتراف الآخرين، الطريق التي يعرف بها مجموعة أنفسهم أو يعرفهم بها غيرهم على أساس

الانتماء الاجتماعي الممنوح او المطالب به دخلت في الهوية :العائلة، والعمر وغيرها فأقول: أنا أعرف نفسي بأني مسلم جزائري فما الذي سيضيفه لي إذا أضفت عربي أو أمازيغي وما الذي سينقصه؟
لا يضيف إلى أي شيء له قيمة مضافة، وسينقص مني أني سأتميز عن مسلم آخر بشيء لا يفيد الدين ولا الوطن، هذا لا يعني أنني لست من العرب أو الأمازيغ لكن ما الذي يصلح له رفع هذه الراية إلا التعصب العرقي إن لم يكن مجرد إخبار عن حق موجود كوجود القمر أو الشجر بدون أي خلفية تنتقص من شعب آخر أو تحتقره ...؟
أن تلبس مجموعة من الناس الأصفر وتأكل السمك بوصفة معينة وتسكن بيوتا من خشب على أشكال معينة، وتتكلم بلغتها فيما بينها فهذه عادات لا تعارض الدين ولا الانسانية لكن ان تضمنت تصريحا او تلميحا الانتقاص من مجموعة أخرى لهذه العادات أو اعتبار ذلك تفوقا عرقيا فهذا اولا حمق، وثانيا جاهلية وليس هوية؛ فلا مشكل في العادات ان لم تخالف الدين وتهين الإنسان.
يولد الإنسان في بقعة من الأرض، في قبيلة أو عائلة، في دولة، ما إن يترك تلك البقعة التي نشأ فيها، ويترك عائلته حتى يشعر بالغربة ولو كان في داخل دولته، فالدولة تتغير لكن الإقليم الجغرافي لا يتغير.
الهوية الأمازيغية نسبة للأمازيغ نسبة لما يعتقد أنه عرق له خصوصيات غير موجودة في غيره، وفي الحقيقة كل تلك الخصوصيات مجرد تمثلات في هوية مفتوحة على التاريخ إذ بعضها من تأثير أمم أخرى فيه.
مما لا شك فيه أن الهوية لا تنشأ من العرق في ذاته لأن العرق ليس هو ماهية الإنسان أو وجوده ،العرق مجرد صفة بيولوجية فالأحياء أنواع والإنسان نوع يتفوق على بقية الأنواع بالعقل.
العرق سلالة بيولوجية سطحية لأن بيولوجيا الإنسان واحدة لا دخل للإنسان فيها لذا لا ترتبط الهوية بالسلالة بل بماهية الإنسان في هويته الوجودية وفي ثقافته الدينية في هويته الغائية.
كل النظريات العنصرية قائمة على ربط الهوية بالعرق و السلالة في حين هوية الأمازيغي الحقيقية إنسانية تتجاوز الحدود والجغرافيا وهي مبنية على نوع الخلقة و الفطرة المشتركة ثم هويته الثقافية الدينية وهي كذلك تتجاوز الحدود والجغرافيا ثم في

الأخير هوية تمثلية بلغة محلية وعادات خاصة لا يجب بحال أن تعارض الهوية الحقيقية الذاتية: الهوية الوجودية الخلقية والهوية الدينية.
قريبا سيصبح الدعاة بسبب المميعين شفافين ينظر إليهم الناس وكأنهم غير موجودين يخترقهم البصر وتتجاهلهم العقول.

بين هوية الروح وعقدة هوية العرق

....
الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.
لا شك أن الخوض في مسألة الهوية العرقية تتخلله أهواء النفس وينفث فيه الشيطان النعرات المأججة للبغضاء، وللكلام فيها بعلم لابد من التمييز بين أصناف المنادين بهوية بربرية، وهذا ما سأحرص على الإشارة إليه لكن أهم من ذلك هو أن نقف عند السؤال التالي: هل فعلا يوجد ما هدد الهوية البربرية لأنه عندما لا تشعر الهوية بالتهديد لا تكون موضوعا لأي تساؤل، مثل حال المسلم السني البربري، فالهوية المطمئنة تفرض نفسها ببديهة هادئة. مارك؟
وسؤال الهوية سؤال معاصر لم يصبح مركزيا إلا لأن شيئا ما مزق الانسجام بين مكونات المجتمع، ومن ثم أصبحت الهوية البربرية هائجة تسعى بكل قوتها لتجعل الهوية الجامعة هشة.
وبحسب بومان نحن في معاصرة سائلة أصابت العائلة والدين والقبيلة والدولة والتعليم، سائلة لأنها متغيرة وغير مضبوطة، فلابد أن نعرف من أين جاء الهوس الهوياتي عند بعض البربر؟ ولماذا لا يخلد العرب والأتراك مثلا ملوكهم قبل الإسلام؟
....
الفرق المبين:
بعض طلبة العلم في الجزائر من قبائل عربية أو أمازيغية منذ أن تشربوا العقيدة الإسلامية تخطوا هذا الحديث فيسمع العربي منهم بعض الناس يقول: "نحن بربر عربنا الإسلام "ولا تحرك فيه أي شيء لأن الإسلام عمَّر روحه فلم يبق فيها متسع لغير الهوية الإنسانية والعبودية لله.

ويسمع البربري منهم الناس يقولون:"المغرب العربي" و"الجزائر دولة عربية" ولا يتحرك فيه شيء أيضا لأن العقيدة في قلبه محت آثار الجاهلية "الافتخار في الآباء «.
هو يعرف نفسه لكن لا يهمه إن كان من هذا العرق أو من ذاك الذي يهمه ويركز عليه هو أن يكون مؤمنا متبعا للنبي صلى الله عليه وسلم، ولا يوجد في الإسلام شيء بني على العرق ولا من أهدافه نبش التاريخ العرقي للشعوب، ولا الانبهار بعمران او آثار القدماء.
لأن هؤلاء الطلبة والمشايخ سواء كانوا عربا أم بربرا علموا أن الفضل إنما هو بالأسماء المحمودة في الكتاب والسنة مثل: الإسلام، والإيمان، والبر، والتقوى، والعلم، والعمل الصالح، والإحسان، ونحو ذلك، لا بمجرد كون الإنسان عربيا، أو عجميا، أو أسود، أو أبيض، ولا بكونه قرويا، أو بدويا. الاقتضاء.
ولأن الله قد أمر المؤمنين بالاعتصام بحبل الله جميعا، ونهاهم عن التفرق والاختلاف، وأمرهم بإصلاح ذات البين، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم، كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر».
وقال صلى الله عليه وسلم: «لا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تباغضوا، ولا تحاسدوا وكونوا عباد الله إخوانا، كما أمركم الله» وهذان حديثان صحيحان.
عندما تتغلغل العقيدة القرآنية في قلب الإنسان، عندها يصبح لديه معيار واحد للتقييم، وتتشكل لديه هوية جديدة، هوية الروح، وتضمحل هوية البدن وهوية المكان (على تقسيم حسن حنفي في كتابه "الهوية")
لأنها هوية تنبع من الذات، من جوهر الإنسان لا من الأعراض الخارجية المنفتحة على كل التغييرات الممكنة والتفاعلات ما بين البشر.
الهوية المبنية على التوحيد هوية أصيلة لأنها هوية الفطرة والوظيفة في الدنيا والمصير في الآخرة، واما الباقي فنفثات شيطانية؛ وهذا لا يعني أنه لا يمكننا الحديث عن التاريخ كتاريخ لكن بدون أن نصهره في نظرية أوسياق تفاضل وتميز عرقي فإن استدعاء العرق لا يكون إلا عندما يغلب الدم الدين، والعنصرية العقلانية.
لأنه لا يوجد أمر قرع البشرية أجل وأعظم من الإسلام وهدي النبي محمد صلى الله عليه وسلم، ولا يوجد في البشر من أخذه كله وفرح به مثل الصحابة فصار السابقون

الأولون من المهاجرين والأنصار أفضل خلق الله بعد الأنبياء، وصار أفضل الناس بعدهم: من اتبعهم بإحسان إلى يوم القيامة: من العرب والعجم.

فجاءت الشريعة باتباع أولئك السابقين على الهدى الذي رضيه الله لهم، وبمخالفة من سواهم، إما لمعصيته وإما لنقيصته، وإما لأنه مظنة النقيصة.

ولهذا كان الذين تناولوا العلم والإيمان من أبناء فارس، إنما حصل ذلك بمتابعتهم للدين الحنيف، بلوازمه من العربية وغيرها.

وأيضا فإن الله تعالى لما أنزل كتابه باللسان العربي، وجعل رسوله مبلغا عنه للكتاب والحكمة بلسانه العربي، وجعل السابقين إلى هذا الدين متكلمين به؛ لم يكن سبيل إلى ضبط الدين ومعرفته إلا بضبط اللسان، وصارت معرفته من الدين، وصار اعتبار التكلم به أسهل على أهل الدين في معرفة دين الله، وأقرب إلى إقامة شعائر الدين، وأقرب إلى مشابهتهم للسابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، في جميع أمورهم.

ولهذا: لما علم المؤمنون من أبناء فارس، وغيرهم، هذا الأمر، أخذ من وفقه الله منهم نفسه بالاجتهاد في تحقيق المشابهة بالسابقين، فصار أولئك من أفضل التابعين بإحسان إلى يوم القيامة، وصار كثير منهم أئمة لكثير من غيرهم، ولهذا كانوا يفضلون من الفرس من رأوه أقرب إلى متابعة السابقين. الاقتضاء.

وبهذا نعلم، أن المسلمين اليوم منهيون عن عادات الأمم المخالفة للسنة وإن لم تكن موجودة قديما.

قال الله تعالى ولا معقب لأمره: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} [الحجرات] .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح: «إن الله قد أذهب عنكم عبية الجاهلية، وفخرها بالآباء، مؤمن تقي وفاجر شقي، أنتم بنو آدم، وآدم من تراب»

عربي أو عجمي مؤمن تقي، وعربي أوعجمي فاجر شقي، فسبيل أهل الهدى والإيمان غير سبيل أهل النفاق أو الجهل والكفر.

لماذا يحتاج أحدهم للحديث عن هويته العرقية؟

....

اختراع الذات!

بدأت المشكلة البربرية مع التنصير فقبل ذلك لا نجد لها أثرا إلا ما كان من نعرات

قبلية تقع بين البربر أنفسهم وكذلك بين العروش العربية، ما يعني أن الاستعمار وتأثير الدولة الغربية الحديثة أحدث تغييرا في المجتمع الجزائري تمثل في التنصير وفي اليسارية والعلمانية بحيث لم يصبح الإسلام هوية جامعة بين هؤلاء وبين إخوانهم العرب فكان لابد من البحث عن هوية مستقلة عن الإسلام، والهويات لا تصنع من مواد الحاضر بل من الماضي.

تكون الهوية مشكلة في المجتمعات ذات الأبعاد المعتبرة ـ بحسب كوفمان ـ فمتى كان المجتمع الجزائري متعدد الأبعاد قبل المسيحية الحديثة والحركات اليسارية العلمانية؟ ليس المشكل في تعدد المجتمع الجزائري ولكن في تناقضاته الجديدة التي أوردتها عليه النصرانية والعلمانية.

وفي هذه التناقضات لا يمكن للانعكاس إلا أن يتحول إلى تفكير هواياتي حيث يجب على الأنا أن يصنع بالمادة التاريخية الشبكة الاثنية والادراكية التي ستحكم فعله السياسي.

ثم تقاطعت مطالب هؤلاء مع حنين بربر لا يريدون التخلي عن الهوية الإسلامية لكنهم في نفس الوقت يشعرون بحاجة إلى إظهار مجد تاريخي وتمييز عرقيتهم عن العرب لأن الإسلام ـ في نظرهم ـ عرَّبهم لغة على وجه الخصوص.

أصبح الواحد من هؤلاء نظرا للتجاذبات السياسية الأيديولوجية مدفوعا لبناء نفسه بسرد متواصل عن ذاته يستعد للمستقبل الجديد حيث سيصير بربريا فقط أو مسلما بدون أي أثر عربي، مدمجا قطعا من تاريخ البربر قبل الإسلام في سرديته هذه عن ذاته، والتي تشكل هويته الشخصية التي لا يشركه فيها الجزائري العربي أو البربري المستغني بالإسلام عن أي بُعد آخر.

ولأنه لا يمكنه أن يدعي هوية بدون أسلوب حياة يتماشى معها فوجد في احتفالية راس السنة هوية، وأسلوب الحياة: لغة محلية، لباس مخصوص، أعياد خاصة، طابع موسيقى.. الخ لا تشكل هوية حضارية، نعم هي هوية ثقافية بالمنظور الأنثروبولوجي الذي يجعل ما عليه سكان أستراليا الأصليين ثقافة لكنها ليست هوية يمكن أن تبني عليها دولة أو تؤسس حضارة.

يفكر هذا البربري في توجهه السياسي ويسأل نفسه ويفكر في ذاته في سياق متغير، وهكذا تصبح بسيكولوجية التوجه السياسي بسيكولوجية الهوية.

لا يمكن فهم مشكلة الهوية البربرية دون جدلية الفرد والسياق السياسي الذي بدأ في أواخر ايام الثورة واستمر بعد الاستقلال.
في العلوم الإنسانية الهوية عملية تفاعلية داخلية بجانبين لا ينفصلان: الجانب الذاتاني لتعريف شخصي الذات للذات، والجانب الاجتماعي لتعريف وضعي السياسي للذات من أجل ومن طرف الآخر، والجانبان متجادلان تكرههم الهوية على جدلية ذات وسياق كما يقول علماء النفس.
المجتمع الجزائري مركب من ثلاث جماعات: العرب والبربر والبربر المعرب لكن الهوية البربرية مركبة من متاهة من المسارات: الشاوي والقبائلي والإباضي والشلحي والترقي ولا تنطبق عليها معادلة بوجداس: جماعة اجتماعية يساوي ثقافة لأن الثقافة الجزائرية واحدة في جملتها، والاختلافات يسيرة وفرعية جدا، العربية لغة مشتركة لأنها لغة الدين والفرق في اللهجة والموقف من الهوية الإسلامية والوجود العربي، والباقي كله مشترك.
بناء الهوية عند بعض البربر هو بحث عن المعنى: ما معنى أن أكون بربريا؟
فالهوية عملية بناء معنى عنده لأنه يعتقد أن الإسلام دفنه تحت الهوية العربية، فهو يبحث عن صفات يقرر بها معناه كبربري.
ولأنه ضمن تعدد ثقافي يمنع الهوية البربرية من البروز مستقلة، ومن هنا كان لابد من البراءة من الهوية العربية حتى فيما احتضنه الإسلام منها.
لا يعرف هذا الشخص حدود الهوية العربية الخاصة وحدود الهوية الإسلامية فيعيش في جدلية الداخل والخارج، وتتشكل لديه عقدة لأنه لا يمكننا أن ننظر لأنفسنا بدون أن ننظر لأنفسنا في نظر غيرنا لنا.
يرفض بعض البربر الهوية التوليفية كما في الهوية الجزائرية الإسلامية لأنه يبغض العرب ويبغض أثرهم عليه، يبغض دورهم في الإسلام ويشعر لسبب غريب نوع دونية اتجاههم.
لا يوجد إنسان فهم الإسلام وتاريخ النبوة يبغض أي جنس فضلا عن بغض العرب وكيف يبغضهم والنبي عربي والقرآن عربي اللسان والصحابة عرب؟!
يساعد الماضي في فهم وتفسير الحاضر والاسقاط في المستقبل لكن في الواقع يتفتت الماضي إلى قطع متناثرة غير متجانسة، الماضي الجماعي مع العرب وسائر

الاعراق الإسلامية والماضي خاص ما قبل الإسلام
فكيف يريد هذا البربري بناء هوية من قطعة واحدة من الماضي فقط وهو ماض لم يبق له أثر تخلي عنه البربر لما عرفوا الإسلام أليست هذه هوية متخيلة؟
كيف يعيد بناء الماضي دون أهم قطعة فيه القطعة الممتدة ليومنا والتي بدون شك ستستمر إلى قيام الساعة وهي القطعة الإسلامية؟
عاش البربر منذ أن عرفوا الإسلام بهوية ثنائية توليفية: الجانب الملي والحضاري ممثلا في الإسلام وتاريخه، والخصوصية العرقية لغة وعادات فلم يمنعهم شيء من الحركة الذاتية الخاصة ضمن مرجعية ملية عامة.
وكل فرد منا حتى داخل الجماعة الواحدة له خصوصية ذاتية في المطعم والملبس وأسلوب الحياة واللهجة فالعربي في غرب الجزائر يتحدث العربية كما العربي في الشرق أو الجنوب لكن باختيارات لفظية مختلفة، فهذا يقول: أقعد وجمِّع، والأخر يقول: اجلس، وهذا يقول: قارع، والاخر يقول: استنى، ولهم طعام مشترك وطعام متميز بوصفات خاصة، وكذا في اختيارات ألوان خيمهم وملابسهم ... الخ فهل يحتاجون لهذا إلى اختراع هوية خاصة؟!
وعليه ما يدعو إليه بعض البربر من هوية ثقافية من المحال أن يشكل هوية حقيقية ذاتية.
الهوية بالمنظور الثقافي العرقي ليست قضاء محتوما ولكنها نتاج التاريخ ونظام استعدادات مفتوحة معرضة باستمرار لتجارب جديدة، ما يعني أنها متأثرة بها باستمرار وإن كانت دائمة فهي كذلك متحركة.
والتحسينات التي يضيفها بعض البربر إلى هويتهم حاليا مرتبطة بتطورات اجتماعية سياسية جديدة أدخلتها النزعة المسيحية والعلمانية التي لا يمكنها أن تعتمد هوية دينية وهي تنادي بهوية مواطنة، وتوثر فيها حاليا دينامية المجالات السياسية المولدة من تعدد الانتماءات وتكاثر نماذج التعرف الهوياتي.
عندما لا يوجد رأس مال هواياتي قادر على تقويض الهوية التي يعتقد هؤلاء أنها مفروضة عليهم يلجؤون إلى هذه التحسينات ويختلقون معارضة ترفع شعار الازدهار الهوياتي وتبث شعور المظلومية والخيبة لضرب الوحدة المفترضة بين شعبين.
يأتي التفكير الهوياتي هنا من الارتباك والقلق السياسي وإن كان سببه في أصله معاداة

الإسلام ثم تحول إلى وسيلة لمكاسب سياسية.
وقد يساهم النظام السياسي الحاكم في العناية بها سواء بتركها تعمل أو بكبتها واعاقتها في بعض الموضوعات لتزداد حدة بحثا عن نقل قطب السياسي الاجتماعي من جدلية الدولة إلى نزاع العرق.
هوية لنفسي وهوية لغيري فكل شيء يمر عبر صورتي عن نفسي وصورتي عند غيري التي تشكل شبكة تصنيف، فهويتي لغيري عملية وضع في علاقة هويات ممنوحة من طرف الغير مع هويات أتعرف فيها على نفسي.
يأتي الغضب والشعور بالظلم لتقدير الذات عندما تكون الفجوة بين صورتي عن نفسي وصورتي عند غيري مختلفة بطريقة سلبية كما يقول دوبار.
يعتقد بعض البربر أن العربي ينظر إليه كشخص بدون تميز حضاري، فليس له لغة مكتوبة، ولا فلسفة ولا آداب، وأنه تصدق عليه بلغته وآدابه وعلومه وغير ذلك، فيعمل كل ما في وسعه لتصحيح هذه الصورة وبرد فعل مواز.
فيحاول سد الفجوة بين الهوية الموروثة والهوية المستهدفة بسردية للذات، القصة التي يحكيها لنفسه ولغيره عن تاريخه، بينما في الحقيقة هو أخذ من الإسلام وليس من العرب، إذ قبله لم يتصل بهم.
نحن الآن في عصر الهويات الذي يفرض على من ضعف دينه ضرورة أن يخترع نفسه من جديد.
لا يقبل البربري العلماني والنصراني والملحد أن يعود إلى هوية المصير لأنه فقد هوية أجداده المسلمين فيريد أن يعود إلى هوية أجداده غير المسلمين؟
البحث عن الحاجة إلى الأمن الهوياتي بالرجوع إلى الشعور الانطولوجي - إريكسون - لا الميتافزيقي واللاهوتي.
هل كان للعرب والبربر حضارة قبل الإسلام؟
يعتقد بعض الناس أن العرب والبربر كانت لهم حضارة قبل الإسلام، ويستدل العربي بما ذكره القرآن عن ثمود وعاد وسبأ، ويستدل البربري بشخصيات بربرية دينية أو أدبية في الثقافة الرومانية أو الفينيقية.
وأنا لا أعتقد أن هذه الأمثلة كافية لتشكل حضارة أثرت في الإنسانية بخصائصها الذاتية.

ومع أن مصطلح حضارة مطاط إلا أنه يمكننا أن نميز بسهولة بين حضارة مشكلة من بعض العناصر المحلية، وبين حضارة أنتجت العلوم والآداب ودونتها ونظمتها وأثرت في العالم القديم سياسيا ودينيا وقانونيا وثقافيا ولغويا وقيميا، فالحضارة بالمعنى الثاني لم يعرفها العرب والبربرو الأتراك إلا بعد الإسلام.

والثابت أن العلوم والنظم السياسية ومأسسة الدولة فلسفيا عرف في الحضارة الإغريقية كما الثابت أنها استمدت العلوم من السوماريين والبابليين والمصريين، وكذا الفلسفات وبعض الرياضيات من فارس ومن الهند.

ولا يعرف المؤرخون أصل السوماريين إلا أنهم جاؤوا العراق من البحر.

والمقصود أن الدول المعمارية والمنتجة للعلوم المختلفة والفلسفات لم يعرفها العرب والبربر والترك وربما الأكراد إلا بعد الإسلام.

وإذا سلمنا أن البربر أمة عبقرية، وأصل الحضارة البشرية، اكتشفوا الأعداد ووضعوا القانون وأسسوا العلوم، وغزو العالم، وعمروا الأقاليم قبل الإسلام فما ينفعهم هذا في حاضرهم، وما علاقته بمعاداة العروبة، وهي معدن الإسلام، والاحتفال بطريقة وثنية بيناير، ونصب التماثيل لشخصيات وثنية مخالفة لملتهم؟!

....

مصطلح الجاهلية وسيد قطب؟

يعتقد بعض الناس أن مصطلح " الجاهلية" اخترعه سيد قطب ـ رحمه الله ـ وقد يعلم انه مصطلح شرعي تتكسر على أسواره كل أنواع الجاهليات مهما كانت مسمياتها وحتى يفرغه من قوته الشرعية وقوة منطقه ينسبه بشكل أو آخر لقطب؟!

كل ما كان من أفعال الجاهلية هو مذموم في دين الإسلام، قال النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه مسلم عن أبي مالك الأشعري: " أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن الفخر بالأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة".

وهذا ذم صريح لمن دعا بدعوى الجاهلية مثل الفخر بحسبه والطعن في الأنساب في الأعراق الأخرى، كما أفاد هذا الحديث أن الناس لن يتركوا بعض أمور الجاهلية، فما أضيف إلى الجاهلية فهو مذموم كما قال تعالى: {وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى} [الأحزاب]

وذم الجاهلية يقتضي منع التشبه بهم في كل ما يعارض السنة من أعياد وعادات

ونعرات ...الخ.
وفي قوله صلى الله عليه وسلم ـ كما في صحيح البخاري ـ لأبي ذر رضي الله عنه لما عير رجلا بأمه: «إنك امرؤ فيك جاهلية» فإنه ذم لذلك الخلق ولأخلاق الجاهلية التي لم يجئ بها الإسلام.
ومنه قوله تعالى: {إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ} [الفتح] فإن إضافة الحمية إلى الجاهلية اقتضى ذمها فما كان من أخلاقهم وأفعالهم، فهو كذلك. الاقتضاء.
وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: «ليس منا من دعا إلى عصبية، وليس منا من قاتل على عصبية، وليس منا من مات على عصبية».
عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من نصر قومه على غير الحق فهو كالبعير الذي ردي فهو ينزع بذنبه».
وما هذه الدعوات للهويات غير الإسلامية أو المنافسة لها إلا عصبية تبرأ منها النبي صلى الله عليه وسلم.
أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب في العصبية، حديث رقم (5118)، (5 / 341) وهو صحيح الإسناد. كما أخرجه أبو داود موقوفا على ابن مسعود برقم (5117) ، (5 / 340)
فإن الجاهلية وإن كانت في الأصل صفة، لكنه غلب عليه الاستعمال حتى صار اسما، ومعناه قريب من معنى المصدر، وأما الثاني فتقول طائفة جاهلية وشاعر جاهلي، وذلك نسبة إلى الجهل الذي هو عدم العلم، أو عدم اتباع العلم فإن من لم يعلم الحق، فهو جاهل جهلا بسيطا، فإن اعتقد خلافه، فهو جاهل جهلا مركبا، فإن قال خلاف الحق عالما بالحق، أو غير عالم فهو جاهل أيضا كما قال تعالى: {وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا} [الفرقان]
وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «إذا كان أحدكم صائما فلا يرفث ولا يجهل» هذا جزء من حديث جاء في الصحيحين وغيرهما.
هذه الملل الجاهلية فإنها جميعها مبتدعها ومنسوخها صارت جاهلية بمبعث محمد صلى الله عليه وسلم وإن كان لفظ الجاهلية لا يقال غالبا إلا على حال العرب التي كانوا عليها فإن المعنى واحد. ابن تيمية، الاقتضاء.

وعليه يدخل في مسمى الجاهلية، ما كان عليه أهل الجاهلية قبل الإسلام، وما عاد إليه كثير من العرب والعجم اليوم، من صفات وأعمال وعادات الجاهلية.

....

موقف النبي من آثار السابقين :

وفي حديث جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: لما مر بالحجر: «لا تدخلوا على هؤلاء المعذبين، إلا أن تكونوا باكين فإن لم تكونوا باكين فلا تدخلوا عليهم أن يصيبكم ما أصابهم» (4)

لم يعجب ببنائهم وآثارهم وعمرانهم.

وإذا كان الفضل الحقيقي بعد مجيء الإسلام هو اتباع ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم من الايمان والهدى باطنا وظاهرا، ومن كان فيه أمكن كان أفضل وقد شرف الله البربر وغيرهم من العجم من الحبشة والروم والفرس والترك بالإيمان والدين، فما الذي يبحث عنه بعض أولادهم عند ملوك وثنيين؟

التهوين الاصولي الفقهي بمصطلح العادة !

....

يبدأ بعض الفتن زنادقة ثم تنطلي على قوم صالحين فيزيدونها شرا في الناس لأنهم يؤطرونها بإيمانهم وصلاحهم، وهم أقدر من غيرهم على الأدلة المشتبهة فينفق سوق الشر تحت عباءة الصالح!

هكذا حدث في أول الأمر، وهكذا يحدث حاليا ،إضافة إلى تكاثر المرتزقة ممن يعرف الحقيقة لكنه يشتري به منزلة أو منبرا.

عندما حدثت فتنة "خلق القرآن" توقف فيها قوم فقال أئمة السنة :هؤلاء شر ممن قال بخلق القرآن !

ذلك أن التوقف في مسألة واضحة بينة أضر على الدين والعلم من البدعة نفسها.

والآن الأكثر ضررا على مسألة الهوية ليس البربريست فهؤلاء نبذوا الإسلام جملة ،ولكن من يريد إسلاما خاليا من أي عنصر عربي، فهذا سيخربها من الداخل.

ويزداد بلاء بعض هؤلاء عندما يقيسون أنفسهم بماليزيا وإندونيسيا، وهذا جهل منهم بفضل البربر على هؤلاء، فالبربر متصلين جغرافيا بالعرب، وشاركوا معهم في

الفتوحات الغربية، وهم مادة الدولة الإسلامية في الأندلس ، وكانوا حاضرين في معارك الإسلام مع الغرب غربا وشرقا حيث شكلوا بحرية جيش صلاح الدين الأيوبي.

كما أسسوا دولا حملت راية الأمة، وخدموا القرآن وعلومه ولغته، وكذا المذهب المالكي فاتصالهم بالإسلام و باللغة العربية أوثق و أعمق من اتصال الآسيويين،فمن غير المعقول تاريخيا و واقعيا أن تكون علاقتهم باللغة العربية في نفس مستوى علاقة الملاويين أو الأتراك.

ويريد هذا الباحث عن إسلام بدون أثر عربي أن يتخلى عن هذا الفضل لشبهة بربريستية!

وهناك صنف من الناس يحاول التخفيف لكنه يزيد الأمر وهنا على وهن، وهو الذي يحصر القضية في كونها عادة، فهي أولا عادة منهيا عنها شرعا ليست عادة مطلقة لأنها عادة عارضت سنة.

عليه فقط أن يراجع تأصيل البدعة، ولا يستغل الاختلاف في مفهومها، بل عليه اتباع الأرجح فالاختلاف عذر ظاهر فقط لا أثر له على اعتقاد التحريم.

ومتى استغل الإنسان مجرد تعدد الرواية أو الأقوال لمجرد التعدد لتأسيس قوله دون نظر حقيقي في المضمون فلشهوة.

و إذا قدرنا أنه يوجد من يحتفل بهذا العيد جريا على العادة من غير اعتقاد باطل ولا نظر فإن الأمر دخل في مفاسد أخرى.

والمقصود بلفظ "العادة" المباحات التي يتقوم بها معاش الإنسان أو السنة المتكررة، و"العادة الجاهلية سنة جاهلية، سواء عدوه عبادة أو لم يعدوه.

وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم :" لتتبعن سنن من كان قبلكم" و الاتباع هو الاقتفاء والاستنان، فمن عمل بشيء من سننهم فقد اتبع سنة جاهلية.

وهذا نص عام يوجب تحريم متابعة كل شيء من سنن الجاهلية في أعيادعم وغير أعيادعم (الاقتضاء ٢٥٤)

و الجاهلية اسم للحال، وهو الغالب في الكتاب والسنة ،وقد يكون خاصا بفترة زمنية، وهنا يقصد به عدم العلم.

فالعادة يراد بها المباح من الطعام واللباس وأفعال البشر الاعتيادية اللازمة لمعاشهم،

ويقصد بها السنة.
والعيد عادة بالمعنى الثاني أكثر منه بالمعنى الأول الذي هو جزء فيه وليس أصله.
والعادة المتمثلة في الطعام واللباس واللعب تابعة للعادة التي هي بمعنى السنة.
فالعيد عادة موجبة لتغيير العادة المعاشية بالتوسع في فيها، فلا يشترط التحريم في كون العادة متعبد بها بل لمجرد حدوثها.
وقد أبدل الله المسلمين عن كل أعياد جاهليتهم بيومين فمن لا يكفيه الله فلا كافي له!
وثانيا: المسألة تطورت واتخذت أبعادا وثنية و سياسية عنصرية،ولا يمكن بحال السيطرة الفقهية أو الاديولوجية على القضية بحيث نميز بين من صارت عنده مجرد عادة أكل معين ، وبين من يلبس الأقنعة الحيوانية، أو يريد أن ينافس بها الأعياد الشرعية.
و إذا انفلت الأمر عن الحيز الفقهي الأصولي فلابد من اعتبار الأبعاد الأخطر: السياسية والاجتماعية و العقدية.
كما أن تسويغ فعل القليل يؤدي إلى فعل الكثير، و إذا اشتهر الشيء النخبوي مثل النعرة البربرستية دخل فيه عوام الناس وتناسوا أصله حتى يصير عادة وعيدا يضاهي أعياد الله ويزيد عليها.
فهذه النعرات بدأت مع الاستعمار، وكانت حينها نخبوية لكن بعد محاصرة الدعوة الإسلامية في منطقة القبائل أصابت العوام فالحديث اليوم عن هذا الاحتفال بأنه مجرد عادة خارج السياق والواقع، يكتسب صفة التهوين و إخفاء الغبار تحت البساط!

بلدان المسلمين رواية ممتعة، عبارة عن مقطوعة هجائية لمجتمع مغيَّب ، حكاية رمزية عن عزلة الواقع الحقيقي في الواقع المفروض ، طرز روائي يفيض حيوية ! وإبداع حول المواطن غير المرئي (المخفي)

الجدل الإسلامي أم البيزنطي؟!

....

يكثر في حديثنا _وقلما ننتبه إليه _أحكام القيمة التي نستخدمها لتجاوز الأدلة عندما يصعب علينا إضعافها أو تكون بديهية.
و أحكام القيمة نوعان :قيمة جمالية وقيمة أخلاقية.
و أحكام القيمة في الاستخدام المعاصر محض نسبية .
و المحصلة أنه انتشرت القرمطة في السمعيات والسفسطة في العقليات و تكوَّر الفهم على نفسه فأصبح عقل الإنسان هو القائل والمقول.
إلى أي حد يمكن لحكم أخلاقي أن يكون مؤسسا كيف نعرف أن هذا الشيء مقبول أوغير مقبول.
هل يعود الأمر إلى فهمنا وتقديرنا أم عقولنا أداة تحليل الحكم الشرعي وليست حاكمة.
يقول لك أحدهم :"أنت تكفيري" ،فإذا أردت النزول لمستواه أجبته بأنه مرجئي وينتهي النقاش، أو ترده إلى الأدلة، والعكس صحيح.
وقد يقول لك آخر :أنتم "غلاة " فيكون أسهل الرد عليه أن تقول له :هذا لأنكم مميعون سائلون بدون قوام.
كذلك عندما تقول :هذا تهوين, قد يرد عليك بعضهم بأن قولك تهويل.
المهم أصبح توظيف المنطق المنوي عملة سائدة!
وعليه إما نعيش في هذه السفسطة والقرمطة، و إما نعود للحاكم وهو الدليل الشرعي، فليس أنا أو أنت من يقول :هذا اعتدال، وهذا غلو، وهذا شذوذ، وهذا تهويل أوتهوين, ولكنه الدليل الشرعي.
تماما كما في طول الصلاة وقصرها تحدده السنة وليس التقدير الشخصي كما جاء في حديث لا اذكره جيدا :"نهانا عن التطويل في الصلاة وأمنا بالصافات ".
بعض المنشورات في موضوع الساعة لا تثير أي إستشكال صحيح وتهمل تحديات الموضوع ،ربما تجد فيها أمورا عادية صالحة لموضوع آخر.
و كثيرا ما لا يفهم محل النزاع أو يرد إلى أطروحة أخرى.
الوسط ليس أين تقوم أنت ولكن حيث رسمت الشريعة نقطة الوسط.
و المحصل أن الجدل الإسلامي (الحالي) أصلح للتمثيل على نقاش الطُرش من الجدل البيزنطي!

في فقه self service !

....

نقل ابن تيمية عن إبي إسحاق الإسفراييني قوله عن المذهب القائل بتصويب المجتهدين في الأقوال المتناقضة :"أوله سفسطة و آخره زندقة"
فاولا يجعل الحقائق تابعة لاعتقاد الإنسان بحيث لا يوجد حقيقة موضوعية مستقلة عن الذات ،وهذا بالضرورة يجعل الأدلة متكافئة متساوية فيكون الإنسان حرا في الأخذ بما يشاء، ومن ثم يرتفع الأمر والنهي.
وكما قال ابن تيمية :يوجد فرق كبير أو كثير بين الدليل المقتضي للعلم القائم في النفس وهو اعتقاد ذهني وبين العلم المقتضي للوجود و القائم في الخارج وهو وجود خارجي موضوعي.
المشكل الأول: أن الذي يرى وجود الاختلاف كافيا لمشروعية الأقوال المتخالفة _ لأن الأدلة متكافئة أو حتى متفاضلة لكن لا يمكن الوصول إلى العلم بالراجح منها _ يرجح قوله على قول غيره فيجمع بين قولين متناقضين :تكافؤ الأدلة والترجيح بينها !
المشكل الثاني: هو أن النظار و الفقهاء الذين قصدهم الإسفراييني قالوا بذلك في مسائل الاجتهاد التي لا يوجد فيها نص بينما ما نراه اليوم هو في مسائل يحكمها النص فيقيدون دلالة النص الواضحة بقرينة ظنية تقديرية مجملة ثم يجعلون ذلك قولين متكافئين !
الفقه اليوم مركز تجاري فيه فتاوى ولكل فتوى ثمن معنوي للتقوى الباطنة ومادي للامتيازات و المنافع!
يشبه ما تتعرض له النصوص العملية ما تعرضت له النصوص العلمية كما مثلهم الغزالى بمن يضرب شجرة ضربا يزلزلها به وهو يزعم أنه يريد أن يثبتها!
و إذا بنيت الشريعة على أن الوجوب معلق باستطاعة العبد، ومنًّا من تكون المسائل مشتبهة عليه لكونها مثلا دقيقة لا يقدر فيها على اليقين وبالتالي لا يجب عليه فيها ما لا يقدر عليه من اليقين لكن لا يجوز له ترك ما فيه اعتقاد قوي غالب على ظنه، والقول المبني على نص صحيح حتى و إن لم يمكن التيقن منه بسبب معارضة القول الآخر يبقى أقوى منه.

وكذلك القول الذي عليه السلف أقوى في الاعتقاد مما عليه غيرهم، فإذا عجزت عن الترجيح فتمسك بما دلالته مباشرة ورجحه على ما يحتاج إلى مقدمات كثيرة أو دقيقة فكلما كان القول أقرب إلى النص أو إلى أقوال السلف كان الاعتقاد بصحته أقوى.
على كل الاختلاف الفقهي ثراء إذا عرفت ماهية الدليل وشروطه المعرفية ،ومراتب الأدلة و الأئمة ،وميزت بين سبيل أهل العلم والهدى وبين سبيل العالم الفاجر الذي فتنه هواه، و أما الخطأ فيقع من البر والفاجر.
ومن حسن قصده وسأل الله الهداية في كل حين فقد استعان على نفسه بأسباب التوفيق.

المعتدلون دائما ما يتخذهم الناس _ عمدا أو جهلا _ واقي صدمات (pare - chocs) للغلاة !

معركة المفردات!
اللغة أداة قمع أو تحرر بحسب النية المبطنة، والأحداث توجه في شكل كلمات، لهذا يجب الحذر من اللغة التي نتكلم بها لأن العدو يخترع لنا ألفاظا وديعة تقتلنا بعد مدة. .. !
المصطلحات تصهر الذهنية وتبني اللاشعور، ولا يمكن أن ندعي الإسلام ونستعمل مصطلحات أعدائه ومفاهيمهم، فهذا نفسه خضوع لهم.
وفقط عندما تحافظ على مفاهيمك تحافظ على لغتك، وبالتالي تحافظ على فكرك وهويتك الحقيقية.
والكلمات هي قوالب المفاهيم، وهي ـ أيضا ـ رايات الحرب الفكرية، و المعركة في اللغة أهم من معارك السياسة والقانون والسلاح.
لهذا يجب استرتيجيا الحفاظ على اللغة الشرعية فإنها وحدها الكفيلة بحماية العقل الباطن (الوعي اللاشعوري) و عرض المصطلحات الجديدة على الاعتبار الشرعي.
وعلينا أن نفهم أن مشكل التعميم هو مشكل في التجريد أولا، و أن الخبث يستغل الانعكاسية التجريدية ليدفع الأبرياء إلى التعميم الذي بدونه يبقى الباطل منفصلا متميزا عن الحق.

نعمة الإسلام

....

الحمد لله الذي جعلنا من خير أمَّة أخرجت للنَّاس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله.

(إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُبِّيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ، وَفَخْرَهَا بِالْآبَاءِ مُؤْمِنٌ تَقِيٌّ، وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ، أَنْتُمْ بَنُو آدَمَ وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ، لَيَدَعَنَّ رِجَالٌ فَخْرَهُمْ بِأَقْوَامٍ، إِنَّمَا هُمْ فَحْمٌ مِنْ فَحْمِ جَهَنَّمَ، أَوْ لَيَكُونُنَّ أَهْوَنَ عَلَى اللَّهِ مِنَ الْجِعْلَانِ الَّتِي تَدْفَعُ بِأَنْفِهَا النَّتِنَ)(01)

يا له من تشبيه ممَّن أوتي جوامع الكلام وخواتمه!

تدحرج الخنافس روث الحيوان تأخذه تتغذى منه(عقولها) وتتخذه مادة لبناء مساكنها(وطنيتها)!

العبية: الكبر والنخوة والفخر، انظر" شرح السنة للبغوي" (13 / 124).

والحمد لله الذي أكمل لنا ديننا وأتمَّ علينا نعمته ورضي لنا الإسلام ديناً، كرَّمنا بإنسانيتنا لم يتركنا نهبا للأهواء ونزَّهنا عن طبائع الحيوان.

والصلاة والسلام على من أخرجنا من الظلمات إلى النور المبعوث رحمة للعالمين بلسان عربي مبين.

....

1 ـ الحديث رواه أبو داود في "سننه"، كتاب الأدب، باب في التفاخر بالأحساب، والترمذي في "سننه "كتاب المناقب باب في فضل الشام واليمن؛ الأول حسن والثاني صحيح عند الألباني.

الصدع بالحق ورحمة الخلق

....

من لم يعرف مذاهب الناس ومسالكهم غال في الإنكار حتى يقودهم ذلك _ربما _إلى البغي و العدوان عليهم.

قال ابن تيمية في "الأصفهانية" :" فإن من عرف حقائق أقوال الناس وطرقهم التي

دعتهم إلى تلك الأقوال حصل له العلم والرحمة فعلم الحق ورحم الخلق، وكان مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.
وهذه خاصة أهل السنة المتبعين للرسول صلى الله عليه وسلم فإنهم يتبعون الحق ويرحمون من خالفهم باجتهاده حيث عذره الله ورسوله، وأهل البدع يبتدعون بدعة باطلة ويكفرون من خالفهم فيها".
هذا هو الطريق الكفيل بإصلاح الأمة، فأول الأمة صلح بالعلم والإيمان المتضمنين الرحمة ، ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا العلم والإيمان المتضمنين الرحمة (الصدع بالحق ورحمة الخلق) .

مراجع في موضوع الهوية

....
حظي موضوع الهوية في العصر الحديث باهتمام أكاديمي غربي كبير، ومما تيسر لي دراسته من هذه المؤلفات :
_ "الهويات في التشكل" ل_ يافي دان؛ يتناول تشكل الهوية اليهودية و المسيحية الأولى.
_"ديكتاتوريات الهويات" ل_لورون دربراي عن تأثر السياسة بالهوية.
_" اختراع الهويات الوطنية في أوروبا" ل_آن ماري تياز.
_" أزمة الهويات" ل_كلود دوبار.
_ "عرق، أمة، طبقة" ل_بليبار إتيان و آخر.
_ "اضطراب في الجنس، النسوية وتخريب الهوية" لجوديتث بوتلر(ممتاز في فضح شرور الفمينيزم)
_ "الهويات القاتلة" لأمين معلوف.
_ " الهوية "لحسن حنفي.
_" كل ما ليس من الهوية "نتالي هانيش.
_ "بسكولوجيا الهوية، الأنا والجماعة" لأدموند مارك.
هذا الأخير كتاب ممتاز، جمع الدراسات النفسية والاجتماعية في قضية الهوية، و أثرها في التعليم، وقد استفدت منه كثيرا لفهم عقدة الهوية العرقية.

كذلك كتاب حسان حنفي جيد مشكلته في نفيه كل أنواع الهويات في مقابل الهوية الإنسانية، (هوية الوجود أو الخلق) نفى الهوية الدينية الإسلامية ، فبالنسبة إليه وحدها الهوية الإنسانية لا تعارض العلمانية! مع أنه يقر في كتابه بفطرية الإسلام ،وهذا تناقض إذ الفطرة أصل خلقي يقتضي غاية.

إسلاميا لم أجد بحثا مجمعا مقاصديا في الموضوع مثل الفصل الذي بحث فيه ابن تيمية القضية في كتابه التحفة "اقتضاء الصراط المستقيم في مخالفة أهل الجحيم" وقد أبدع في جمع النصوص والآثار وشرحها و التوليف بينها،وتأصيل المسألة وكشف روح الإسلام فيها

ربما ينقصه في نظري تقييم أثر العامل الاجتماعي التاريخي في بعض الأقوال الفقهية المتعلقة بالموضوع.

مشكلة العادات والقاعدة الشرعية فيها ...؟

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.

لا يعاني الفكر الإسلامي من غزو الفكر الغربي بنظريات واضحة المشرب فحسب ولكن من عملية تفريغ ممنهج للمصطلحات الشرعية من محتوياتها الأساسية ،

والمؤسف أنه هناك مشاركة من المسلمين في هذه العملية لأنها فعليا بدأت من قديم، فيشارك فيها المسلمون اليوم في إطار الدفاع عن مذاهب اخترقتها العقلية الهلينية من قرون طويلة، فتفريغ محتوى كلمة "توحيد" الذي سحب معه محتوى كلمة " العبادة" وكلمة " مسلم "ليس جديداً يكفي أن تنظر في تعريفاتها عند كثير من المسلمين و تقارنها بوضعها في القرآن لتدرك المسافة التي أحدثت بين المفهومين.

وكثير من معارك علم الكلام هي معارك بين المصطلحات الإغريقية وبين المصطلحات الشرعية، ويمكنك أن تضع جدول مقارنة لمصطلحات علم الكلام وتبحث في تاريخها ثم تقارنها بمعانيها في القرآن والسنة وفي اللغة العربية السياقية لا المعجمية (لأن الناس لا تتكلم بالجذر المشترك للكلمة يعني بالمطلقات)، وستكتشف حجم الاختراق الذي حصل للمنظومة المعرفية الإسلامية.

لقد تم تغيير هندسة العقل الإسلامي في نظرية المعرفة وطرائق الاستدلال من مدة

طويلة لذا من الصعب علينا الانتباه بدون إعادة السؤال عن مصادر انتاج المعنى في الفكر الإسلامي.
وإذا أردت أن تغير تعريف شيء بدون أن تكتب له تعريفا جديدا يكفيك أن تفرغه من جوهره، فعندما تفصل بين الاستسلام الذي هو أساس تعريف المسلم وبين الولاء والبراء على أساس إسلام/جاهلية /كفر/شرك تكون النتائج على الأخلاق والقانون (الفقه)، فالولاء والبراء ليس فعلا او موقفا عاطفيا كما يظنه البعض ولكنه أولا تمييز بين المفاهيم الإسلامية والمفاهيم المعارضة لها، فهو أولا فرقان معرفي قبل أن يكون سلوكا إيمانيا.
أصبح المسلم يتعامل بمصطلحات غربية معربة وبمفاهيم لا يعرف معناها الحقيقي لأنه يأخذها من العرض التجاري لها من وسائل الإعلام ومن الفلسفة الغربية المقدمة في الواجهة والتي تغذي البناءات، لذلك كان من السهل عليه المساهمة في صناعة الإسلام الفولكلوري تحت المقياس الإسلامي الذي أسيء فهمه المتمثل في " التفريق بين العبادة والعادة" لأن هذا الفهم السيئ لم يضبط مفهوم "العادة" الذي قصده الفقهاء.
من المفاهيم الدخيلة على اللغة العربية العلمية مفهوم "ثقافة" فقد حملت هذه الكلمات بأمور لا تدل عليها في اللغة العربية لا لفظا ولا تصورا، ووقع اشتباه شديد بين مفهوم " العادات" في المنظومة الفقهية الإسلامية وبين مفهوم "العادات" في المنظومة الفكرية الغربية، حيث أصبحت كثير من الأشياء مندرجة تحت هذه الكلمة بما فيها تصرفات محرمة أو مكروهة في الإسلام، وهكذا اختلط المفهومان أو حاولوا إذابة المفهوم الإسلامي في المفهوم الغربي ومعه ضاع الضابط الشرعي للعادات.؟
لا يمكن الفصل بين العبادة والعادة بدون ضابط أو معيار واضح لأنها متداخلة من عدة أوجه فأفعال الصلاة مثل الوقوف مثلا أو السعي في الحج هي أفعال عادة لكن استوعبها الفعل التعبدي فأصبحت خاضعة لاعتباراته، وكذلك العقود، والصيد والإحراز والقبض والتبايع...الخ لأن الأقسام ثلاثة: عبادات محضة وعادات محضة والمشترك بينهما.
والسفر عادة بشرية لأنه انتقال من مكان إلى آخر، لكنه من وجه آخر قد يكون عباده إذا كان إلى عمرة أو حج أو هجرة في سبيل الله، كما انه تضمن آدابا إسلامية.
ودفن الميت عادة بشرية لكن الشريعة ادخلت عليه صفات مثل توجيه الميت نحو

الكعبة وقوله صلى الله عليه وسلم (اللحد لنا والشق لغيرنا) وقد يجد المسلمون حاجة الى الشق عند صعوبة الحفر في الأرض، فالعادات تتداخل مع العبادات من عدة اوجه، ولهذا يقول الفقهاء: النية تميز بين العبادات والعادات، وهذا أمر مهم في قضية نية القربة فهل المعتبر في الأحكام أصلها أم ما صارت إليه بعد التبدل ولنا هنا مثالان: فهل المعتبر ما كان عليه الصدر الأول وما كانت عليه الأمم قبل إسلامها أم ما تواصل فيها ...؟

كذلك ما يفعله الناس في الجنائز هو من العادات ومع ذلك فكثير منه مخالف لهدي النبي صلى الله عليه وسلم فالنكتة في امر العادات التي لم يأت فيها نص خاص هو البحث في نوعها.

كذلك اللون فقد تختلف الشعوب في لون ألبستها ويكون لها زي تقليدي لكن إذا كان أحمرا أو أصفرا خالصا كان من المنهي عنه، وخرج بذلك عن قاعدة " الأصل في العادات العفو " أو "الأصل في الأشياء الاباحة " بدون الدخول في الفرق بين القاعدتين بحكم النص.

تعريف العادة عند الفقهاء:

العادات لغة: جمع عادة، وهي مأخوذة من العوْد والمعاودة بمعنى الرجوع وتثنية الشيء وتكراره. انظر مقاييس اللغة 4/181.

فالأصل في العادات أنها مباحة إن لم تتعارض مع الشرع، لكن السؤال: هل يجوز لنا تقليد الأمم الأخرى في عاداتها مثل احتفالاتهم وأفراحهم وازيائهم الخاصة.. ـالخ.

فنحن نعلم أن كثيرا مما نهى عنه النبي صلى الله عليه وسلم من التشبه بغير المسلمين هو من العادات ...؟

ليست العادة المباحة هي كل ما يفعله البشر مما ليس من قبيل التعبد، فإذا فعلوا فعلا لم يقصدوا به التقرب إلى الله فهو عادة، و فالمقصود بـ " العادة" العادات العامة لجميع الأمم، أو ما اتصل بطبيعتهم الانسانية مما يفعله المسلم و الكافر كالطعام و الشراب واللباس و الركوب و المراكب و الملابس و النكاح و السكنى و المسكن و النوم و الفراش و المشي و الكلام.. الخ

يعني هي الأمور الطبيعية في الإنسان الملتصقة بالنوع الإنساني وليس الخاصة بالشعوب فهذه عادات مشتركة بين النوع الإنساني لا تدخل في القسم المنهي عنه من

عاداتهم بالنهي عن التشبه بهم تحريما او كراهة.
ولذلك نجد في مبحث النبوة ما يسميه المتكلمون " خوارق العادة" وهو خوارق القوانين الطبيعية كجعل النار باردة والتراب مغذيا والانجاب من غير أب والحبل أفعى حية.. الخ
ولهذا أيضا يقال: "العادة طبيعة ثانية"، ويقال: "مرجع سن اليأس إلى العادة"، والعادة هنا ليست العرف المعنوي، ولكن عادة الجسم يعني: طبيعته، لأن اليأس انقطاع دم الحيض وليس حكما معنويا، يعني ليس عرفا الذي هو استقرار النفوس على شيء معقول وقبلوه.
وعلى هذا نجد نوعين من العادة: عادة عامة في البشر وعادة خاصة بقوم، الأولى متعلقة بطبيعة البشر وفطرتهم فهي مشتركة فيهم، وهي التي تتعلق بمعاشهم ويحتاجون اليها وتنفعهم في دنياهم، وهي التي قصدتها القاعدة الشرعية كما نعرف ذلك عند تسبيبها.
والنوع الثاني: هو العادات الخاصة بكل قوم وليست مما يتقوم به معاش البشر مثل الاحتفالات والأعياد واختيار ألوان الألبسة والجانب الجمالي فيها فالجماليات عادة بشرية لكن تعيينها يعود إلى عادات خاصة بكل قوم، وهذه النوع هو ما يدخله علماء الاجتماع في الثقافة، ويريد بعضهم فصله عن قاعدة النهي عن التشبه بغير المسلمين لأنه ليس عبادة، ولأنه عادة.؟
عندما نحلل أمر العادات نجدها غير منضبطة فهي لا تختلف من شعب لآخر فقط بل من مدينة إلى مدينة، ومن حي إلى حي، وحتى من فرد إلى فرد فكل شخص وما اعتاد عليه، وكذلك أهل الأحياء او القرى فإذاً ربطها حصريا بالاختلافات بين الشعوب غير دقيق.
وهنا ضابط نغفل عنه هو: هل تدخل بعض عادات الشعوب في مفهوم الجاهلية، لأنه إذا رجعت أحوال الملل إلى العادات تغيرت الشرائع وماتت السنن بالزيادة والنقصان، وعندما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع» رواه مسلم، دخل فيه ما كانوا عليه من العادات كالاحتفالات مما ليس عادة عامة في البشر تتعلق بنوعهم الانساني.
ومعنى الجاهلية هو ما كانوا عليه مما لم يقره الإسلام فيدخل فيه ما كانوا عليه وإن لم

ينه عنه بعينه إذا كان النهي عن جنسه ثابتا لأن الناس قد تحدث عادات لكن جنسها مما نهت عنه الشريعة مثل الأعياد غير الإسلامية.
فمسمى الجاهلية يتناول كل ما كان قبل الإسلام وليس خاصا بالعرب كما في الحديث الذي رواه مسلم: (.. وإن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم، عربهم وعجمهم، إلا بقايا من أهل الكتاب). مات أكثرهم قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم.
فوضع الناس قبل الإسلام أنهم كانوا إما رجل من اهل الكتاب متمسك بكتاب مبدل أو مبدل منسوخ كاليهود ودين دارس بعضه مجهول وبعضه متروك وإما أمي عربي أو أعجمي مقبل على عبادة ما استحسنه من نجم أو وثن وقبر وغير ذلك، فكان الناس قبل البعثة المحمدية في جاهلية جهلاء. انظر تاريخية الديانات والشعوب في الاقتضاء.
ما هي العادة المقصودة؟
لقد قسم الفقهاء أعمال الخلق إلى قسمين: اعمال أو تصرفات (يدخل فيها الأقوال) يقومون بها في الدنيا ينتفعون بها في الاخرة او في الدنيا والاخرة تسمى" العبادات"، واعمال ينتفعون بها في معاشهم تسمى العادات، والأمور التي هي متصلة بمعاش البشر معروفة وهي موافقة طبيعتهم من الطعام والشراب والنكاح والتنقل وغيرها لا تدخل فيها الاعياد غير الإسلامية..
فالضابط في العبادات ما يصلح به دين الناس، والضابط في العادات ما يحتاج اليه الناس في دنياهم أو معاشهم فالعادة هي ما اعتاده الناس مما يحتاجون إليه، وبالاتفاق لا يحتاج الناس احتياجا مشتركا هو موافق لتحقيق طبيعتهم البشرية أعيادهم المختلفة.
وهذه العادات الطبيعية أو المشتركة أو المحتاج اليها من جميع الناس في المعاش كالأكل والشرب واللباس لم تتركها الشريعة مطلقة بل جاءت فيها بأحسن الآداب فحرمت بعضها كالأعياد وكرهت ما لا ينبغي واستحبت ما فيه مصلحة راجحة إما في مقاديرها أو اما في صفاتها، مثل البيع والشراء والعقود والأطعمة والأشربة فمنها المحرم ومنها المباح.
والكلام في هذه المسائل يحتاج إلى الاجتهاد في خصوص النوع هل ورد من الأدلة ما يقتضي التحريم أو لا." الاقتضاء"ابن تيمية بتصرف.
والعادات لها تأثير شديد فيما يحبه الله وفيما يكرهه ولهذا جاءت الشريعة بالنهي عن

التشبه بغير عادات السابقين في أقوالهم وأعمالهم وكراهة الخروج عليها من غير حاجة.
ولذلك فإن أعظم العادات اللسان لما تقارنه من العلوم والأخلاق والآداب. نفس المصدر
وإذا قلنا بأن الحاجة تراعى في العادات فالمقوم هنا هو الحاجة وهي عامة في الناس كإباحة الصيد والمأكل والمشرب والمسكن والمركب.
فإذا كره قوم لبس السواد أو ثياب الصوف أو ركوب الحمار فهذه عاداتهم لكنها ليست من العادات الطبيعية المتعلقة بحاجة الناس الى المعاش فلا يقال: هذه الأصل فيها العفو، ومعه أنه لم يرد فيها نص بالحظر، لكنها معارضة لطبيعة الأمور و لهدي النبي صلى الله عليه وسلم فما استقبحوه ليس قبيحا في العادة العامة و لكنه قبيح في عادتهم الخاصة.،و العادة قد تكون حسنة وقد تكون سيئة ،وما كان من العادات الحسنة فإن الشريعة تعتبره لكن مقياس الحسن هو الشريعة ثم العادة العامة و ليس عادة الناس الخاصة ، مثل عادة الدية و كسوة الكعبة التي وجدتها الشريعة في الجاهلية .
وعلى قول الشاطبي:" الأصل في العادات الالتفات الى المعاني" فالأكل والشرب والمركب من العادات المباحة بالأصل لكن الشريعة نهت عن الاسراف فيها فليست العادات على إطلاقها بل لها آداب وضوابط شرعية، فالشريعة لم تترك شيئا إلا وضعت له قانونا وقاعدة أساسها المصلحة وقوامها الفضائل الانسانية فعلمت الناس كيف يأكلون ويشربون ويجلسون على قارعة الطريق ويتبولون ويتحدثون ويزرون بعضهم ... الخ.
والاتجار من العادات مثله مثل الحزن على الميت ومع ذلك ضبطتها الشريعة،
والفخر بالأحساب عادة في البشر لكنه محرم لأنه لا يناسب النوع الإنساني، فما كان من العادات فقد بيَّن الدين آدابها ونهى عن رسومها الفاسدة، إما التي تقرب من حياة البهائم او كانت فاسدة قصدا.
وإذا ضاهت العادات الشريعة أصبحت بدعة فالاحتفال بأعياد السنة الميلادية وعيد البربر المسمى الناير هو من بدع العادات ظاهرا لكن فيه مضاهاة للكفار باطنا،
نعرف ذلك عندما نبحث عن القصد من تعظيمه وتخصيصه لا نجد حاجة بشرية في المعاش ولكن قصد تعبدي اختفى مع الزمن، لأنه إذا أراد الانسان أن يوسع على نفسه

فليس شرطا أن يخص يوما بعينه بل متى قدر فعل، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم (من تشبه بقوم فهو منهم) وحتى لو كان بعض التشبه مكروها فالأولى تركه خاصة عندما يكون عاما عنصريا.

ومعلوم أن الأعياد او الاحتفالات العامة فرصة للبطالة و اللعب، و هذا ما يجذب اليها النساء و الأطفال على وجه الخصوص حتى عجزت الديانات و الملوك عن نقل الناس عن عاداتهم في أعيادهم لقوة مقتضاها من نفوسهم فتغييرها يتطلب مزيلا قويا مثل التحريم فإذا علمنا أنه بعد نهي النبي صلى الله عليه و سلم عن اليومين اللذين اتخذهما أهل المدينة عيدين لم يكن في زمنه و زمن السلف (الصدر الأول) الاحتفال بغير العيدين الإسلاميين علمنا أن الدافع لذلك لا يكون إلا في قوة التحريم ، ولو كان النهي لمجرد الكراهة لوجد من يفعله كما في سائر المكروهات ..؟ نفس المصدر بتصرف.

فهل الاحتفال بيوم من الأيام ليس تعظيما له، وهو مجرد عن نية تخصه، وهل هذا عادة...؟

ومعلوم أن مثل هذه العادات غير مفصولة عن العبادات فمثلا جل الأعياد في النصارى أصلها روماني، وقد ترجع إلى أصل بابلي، مثل عيد الشجرة وعيد الأولياء(الموتى) ورأس السنة، وهي مقرونة بمقاصد وثنية فحتى أسماء الشهور الرومانية هي أسماء آلهة مثل شهر مارس هو إله الحرب.

والاحتفال بموسم الفلاحة، كلها كانت أفعال قربة لتلك الآلهة لأن التقويم لم يكن سببه الأول الفلاحة بل رصد الكواكب والأفلاك بدأ في المعابد ثم بعد ذلك انتقل الى تطبيقات الحياة الأخرى ولذلك نقول: أصل الحضارات البشرية ديني.

ما هي نية الاحتفال برأس السنة إذا عرفنا أن كل فعل صدر من عاقل متيقظ مختار لايخلو عن نية، سواء أكان من قبيل العبادات أم من قبيل العادات...؟

شهر جانفي أو يناير باللاتينية junuarius نسبة الى إله الأبواب janus هو الشهر الحادي عشر في التقويم الروماني،و الذي حوِّل الى الشهر الأول لأن السنة الروميلية كانت من 10 أشهر و أضاف "نوما" لها جانفي و فيفري .

وكانوا في ليلة دخول شهر يناير يقدمون له حلوى تسمى junual و يأكلون التمر و التين و العسل معتقدين أن عمل هذا اليوم يجلب سعادة السنة ،وفي تلك الليلة يتوسعون في الطعام على شرفه.

وقد كان عدد أيام العمل عندهم 55 يوما من السنة وبالبقية أعياد احتفال بالآلهة، ومنها الأعياد الفلاحية الت تبدأ من 11 إلى 15 يناير هي أعياد الإله lares وتعبر عن نهاية السنة الفلاحية بعد الانتهاء من الحرث.
و عيد يناير أول السنة الفلاحية و نهاية الحرث هون ما بين 12 و14 من شهر يناير و الاختلاف بسبب التفاوت مع رزنامة يوليوس، حيث ما بينه و بين الغريغورية 13 يوما ،ولهذا يقول بعض المؤرخين أن التاريخ الصحيح هو 14 يناير.
وفي هذا اليوم يذبح حيوان للقادر، وتوضع الأقنعة على الوجه والرأس في رمز عن المخفيات، وتصاحبه طقوس واعتقادات منها المشترك بين كل البربر ومنها بحسب كل منطقة وبعضهم يوزع بقايا العشاء على زوايا البيت، وعلى آلاته كآلة الحياكة ويقترن به تشاؤم بما مضى وتفاؤل بالقادم وربما سؤال أن تكون السنة جيدة وموسم الحصاد جيدا وعند بعضهم ربما كان في منطقة وهران الصوم عن بعض الأطعمة وكثير من المراسيم والطقوس والاعتقادات ذكرها من اعتنوا بالموضوع.
وحتى أصل الاسم " يناير " هو روماني لاتيني ianuarius و الذي يدل على بداية الانحراف الشمسي الشتوي.
وسواء كان أصله رومانيا أو بربريا هو من أعياد الجاهلية التي استمرت في البربر ومن ساكنهم من الأقوام الأخرى بعد الإسلام لقوة مقتضى الأعياد في النفوس، ولهذا كلما نقبنا في مثل هذه الأيام وجدناها اعيادا دينية في الأصل فقدت بعض امورها مع القرون والمعتبر في التشبه وكثير من الأحكام هو ما كان في الصدر الأول من الإسلام فهذا العيد ليس من اعياد البربر المسلمين ولكن من اعياد البربر عندما كانوا على ديانات اخرى وثنية ويهودية ونصرانية.
وعندما تدخلت الأنتثروبولجيا الاستعمارية التي سعت لإضعاف الوازع الديني لدى البربر وبث الدعوات العنصرية بين الشعوب مع تلاعب السياسة بما يسمى " الهوية" حولت العادات والتقاليد القديمة من التاريخ إلى الذاكرة ليكون التقليد هو النقل المتواصل للمحتوى الذي تسميه " الثقافي" عبر التاريخ كحامل للهوية القومية، والأولى ان يكون التقليد هو نقل القيم الدينية للسلف إلى الخلف وليس العادات الشعبية ما قبل الإسلامية لأنه عند التفصيل الحقيقي يكون التقليد مماسا للفكري والعادات مماسا للممارسات.

فما نشابه فيه البربر او الفرس أو العرب او الكرد أو الأقباط قبل دخولهم في الإسلام هو من المحدثات في الأمة الإسلامية لأن هذه العادات ممثلة في الأعياد هي من خصائصهم حال كونهم وثنيين او كفرة أو غير ذلك مما يدخل تحت المفهوم الشرعي " الجاهلية".

ولو فعله الصدر الأول من المسلمين لكان له اعتبار فإذا تركوا كل الأعياد الموروثة عن سلفهم و اكتفوا بالأعياد الإسلامية فقط ، فما فعله قوم في حال جاهليتهم لا يجوز التشبه بهم فيه و إن صاروا بعد ذلك مسلمين إذ المعتبر من النهي عن التشبه بالجاهلين ينضاف إليه النهي عن التشبه بالأعاجم حال كونهم غير مسلمين أو في حال اعادات و اخلاق لهم تكون مخالفة لعادات و اخلاق المسلمين هو ما كان عليه صدر الإسلام من السابقين الأولين،ولهذا كان الحسن البصري و عطاء و الطبري كما نقله الحافظ في " الفتح" يعللون اعفاء اللحى بكون الكفار في ذا الزمن كانوا يأخذون منها ثم تغير الأمر فلم تصبح عادة خاصة بهم.

وتحريم الصدقة على بني هاشم المعتبر فيه النسب وإن صارت ألسنتهم في بعض البلاد اعجمية بعد ذلك.

فأعياد الكفار وما يفعلونه فيها إما مبتدع في دينهم مثل أعياد النصارى وإما منسوخ بالإسلام.

وقد روى البيهقي في السنن الكبرى (9/234) عن عبد الله بن عمرو أنه قال: (من بنى بأرض المشركين وصنع نيروزهم ومهرجانهم وتشبه بهم حتى يموت حشر معهم يوم القيامة) واظنه إن كان صحيحا من قبيل المبالغة في الوعيد.

ومعلوم أن البناء على القبور والأكل والشرب بالشمال وخضب اللحية ومسالة السراويل والنعال وغير ذلك مما ورد فيه النهي عن التشبه بهم هي من العادات وليست من العبادات ولكنها عادات لغير المسلمين، طريقة خاصة بها ينهى المسلم عنها.

فالنهي عن مضاهاة اليهود والنصارى ومضاهاة فارس والروم ثابت في الشريعة لأن التشبه في العادات يورث المودة والمحبة فالمشاكلة تنتج المجانسة، والنهي عن التشبه بهم الذي ورد في الشريعة يقتضي أن جنس مخالفتهم مقصود شرعا.

وعليه فهذا العيد المسمى " الناير " وعيد رأس السنة هو من عادات الجاهلية وليس

من عادات المسلمين، ولا من عادات غير المسلمين التي هي مباحة للمسلمين.
والخلاصة: العادات نوعان: عامة متعلقة بمصلحة معاش النوع الانساني فهذه مشتركة، وعادات خاصة بكل قوم تخضع للتحسين والتقبيح العقلي والشرعي بالآداب الإسلامية، كما تخضع لقاعدة عدم التشبه بما لم يكن في صدر الإسلام.

لماذا نحن هكذا؟
أجوبة عن صراع السرديات واللغوس عندنا
(01) - المقدمة
....

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.
في هذه السلسلة من المقالات سأحاول تقديم أجوبة عن عبثية أفعالنا السياسية في الحاضر وبشاعة وهمنا السياسي، على الأقل تفسير أسباب عدم جدواها، سأستعرض واقع العالم المعاصر خصوصا الغربي وأسسه السوسيو أنثروبولوجية، ولماذا أهلكتنا محاولة التشبه به سياسيا (إيتوبيا الديمقراطية) ثم واقع الإنسان المسلم.

ولفهم واقع النظام الغربي الليبرالي لابد من سؤال الاستراتيجية الذي يفرض بالضرورة سؤال: هل توجد مؤامرة ليبرالية، دولة عالمية عميقة تتحكم في المال والمؤسسات المالية والتجارية والسياسية الكبرى، وما هو لغوس العولمة؟
يحتاج موضوع تفكيك واقع العالم الإسلامي وأسباب عجزه عن النهضة وتأسيس الدولة المرجوة إلى التحليل الجيد والقراءة المتزنة، نحتاج إلى تحليل من طراز عال (تحليل فلسفي تغذيه الوقائع).
وهذا التحليل الذي يجمع ويمزج بين التفسير الديني لهوان المسلمين وانحطاطهم مع حقائقهم السوسيو أنثروبولجية كالقبلية وحياة الترحال واستمرار الغزو فيهم إلى غاية قدوم الاحتلال الغربي، ومشاكل مناهج التعليم وأثر المذهبية والتصوف البدعي على العقل الإسلامي في رؤيته الحضارية: السياسية والاجتماعية والاستراتيجية ما يفسر لنا كيف ضاعت صيحة ابن خلدون التحذيرية ومعها قلق مالك بن نبي العلمي.

يحتاج هذا التحليل بدوره إلى إخراج الحس السليم من التزييف الممارس عليه بواسطة تقنيات الإعلام الجماهيري المشكل للوعي الذي أصبح الآن خطابا مختزلا يضع بطاقات من أجل تصنيف الناس مع أو ضد، والتفطن لفخ التاريخ والتحفظ من السرديات المفبركة.

وحده الحس السليم يسمح لي بالفصل بين مظاهر الموضوع لأن الأزمة لها مظهر سياسي معروف، وهو مظهر ضبابي ومظهرالشرعية ومظاهر الخلفية التاريخية والسوسيو أنثروبولجية.

وليكون هذا التحليل علميا فعالا بكفاءة عالية لابد من تغذيته بأمثلة واقعية ومصادر الواقع متعددة أهمها المصدر العلمي حيث يكون التمييز بواسطة حكمة نقدية بين الخطاب العلمي الأصيل والشريف وبين الخطاب العلمي التخريبي (تضارب المصالح) فهنا يقوم الحس السليم بتفكيك المحتوى، هل للأمر علاقة بالسياسي أم بالاجتماعي السياسي؟

المصدر الثاني هو المصدر الميداني حيث الوقائع المحضة ورد الفعل الانفعالي عليها ثم تبين الطريق بحسب الحاجات الأساسية والحقيقية التي تأخذ بعين الاعتبار طبائع الشعوب وتوجه سلبياتها نحو الهدف الإيجابي.

هذا الأمر في غاية الأهمية لأن كثيرا من التحاليل التي تنتجها النخب المسلمة ممتازة تبدو عليها الواقعية لكنها واقعية متوهمة لأنها نابعة من المنطقي النظري فقط، مثل شخص يقول: انا أقطع مسافة 07 كلم في ساعة فسأقطع 70 كلم في 10 ساعات فهذا منطق صحيح لكنه منطق نظري تنقصه الحقائق المادية: ماذا سيصادف في الطريق ؟، هل كله مستوي أم فيه أجزاء صاعدة؟ هل سيحافظ على نفس الوتيرة؟ درجة تحمله البدني؟ ... الخ

وهذا بالضبط سبب مخيال الرؤية السياسية الإسلامية فهي مبنية على منطق نظري وحتى شرعي لكنها لا تأخذ بالحسبان العناصر المادية، الحقائق السويو انثروبولوجية للفرد والجماعة، لدوائر الحكم.

وهذا مشكل مخططات التنمية في البلاد العربية فتاتي الحكومة في إطار سياسة الارتقاء بالمدن ونظافة المحيط الحضري وتبني أحياء سكنية تفرشها بالحصى

وتغرس فيها الأشجار بدون حسبان الاجتماعي السياسي حيث كلما احتاج الساكن إلى أشغال في بيته أخذ من الحصى المفروش وكسر أبناؤه الذين نشئوا في بيئة اجتماعية معينة يكون اللعب فيها خارج البيت ولم يتلق تربية بيئية تلك الأشجار.
وهذا نفسه نصادفه في مشكلة رفع الزبالة حيث كل الخطط الموضوعة فشلت لأن المواطن يلقي بالزبالة حيث يريد ومتى يريد، وعلى المصالح المعنية تتبعه يوميا وهو امر محال حتى في الدول المتقدمة لأن الميزانيات محدودة.
عندما تتخذ تدابير اقتصادية تقول بموجبها سندفع الشعب في هذا الاتجاه، سنفرض عليه التقشف أو زيادة وتيرة العمل، بدون رؤية اجتماعية سياسية تأخذ بعين الاعتبار القيم التي بني عليها مجتمعك وصفاته النفسية فستفشل حتما.
لابد من تحديد حواف المشكل مع اجتناب الصيغ السانحة السهلة، والسهولة اللغوية لصالح الصرامة العلمية.
إذا لم نفهم طبيعة المجتمع المعاصر وما الذي ينتجه، أي منطق يسبق حركته لن نكون قادرين على إصلاحه؟ وسنغرق في معضلة تكييف الخطاب مع الظروف أم مع الحقيقة؟
يحتاج سؤال النهضة إلى الإجابة عن سؤال "بول كلودال": من نحن؟ وكم الساعة الآن؟
أين نحن في سنة ٢٠٢١ وكم الساعة الآن؟
هذا السؤال عن أنفسنا وعن العالم من أجل اقتلاع دغل وضعيتنا اليوم.
مشروع النهضة الحضارية مشروع ضخم يجب أن يرتكز على نظرية، وهذه النظرية تتطلب أسس سوسيو أنثروبولوجية فلسفية أخلاقية وجمالية.
يحتاج إلى نقد شامل لفهوم التراث، وبناء توليف بين الإسلام المنزل والواقع المعاصر والمستقبل،وإعادة تقييم المبادئ التي أسست عليها الرؤية والمنهج لدى المصلحين المعاصرين.
صحيح أن المعركة في الروح، المعركة المعرفية والنفسية، لكن قبلها معركة إيجاد النخبة الصالحة الكفؤة ومعركتها السياسية لتنجح معركة الروح.
وإلى توجيه الكل بحسب المعنى ووحدة العمل، واقتراح الأسس النظرية للوحدة ومعالجة لغة الخطاب فالكلمة حاجز أمام النقاش وحاجب أمام رؤية الواقع، وكما قيل:

الكلمات نوافذ أو جدران.
ونحن اليوم أمام مؤسسات علمية ومناهج تنتج صورا جديدة للجهل: الجهل المركب حيث نعاين
ضعفا لغويا فاضحا، وصعوبة في التعبير بسهولة ودقة، مع الجهل بأبرز المحطات التاريخية، والعجز عن القيام باستنتاجات منطقية، وصعوبة بالغة في فهم النصوص العلمية والفلسفية.
والشعب مجرد تمثال رخام، من الصعب أن يلد الكتلة الحرجة لتغيير المجتمع، والتي تحتاج إلى الابقاء على الرابط حتى مع الاختلاف.
بحسب بعض المهتمين بالموضوع فإن عصر ثورة الجماهير انتهى وجاء عصر ثورات النخب، لقد استنفذ العصر أهم أشكال ثورة الجماهير ودخلنا في عهد جديد هوثورة النخب السياسية، هذه النخب التي تحيط الأنظمة الأوتوقراطية الجديدة مثل: مودي، ترامب، بوتين، بولسانارو، أردوغان، جونسون، فيكتور اوربان.. الخ التي بالنسبة إليها الشعب مجرد وسيلة انتخابية يستعمل للتخلي الجماهيري عن الديمقراطية.
يثورون أولا ضد كل النخب الأخرى التي يحتقرونها: النخب الليبرالية، نخب الإعلام، النخبة العلمانية، النخب المثقفة للنظام القديم الاقتصادي، الفنانين والجامعيين (مخزون النظام الليبرالي في الغرب) يعني: نخبة تخفي نخبويتها في خطاب مضاد للنخب.
سنتكلم في هذه السلسلة عن فشل ممثلي الهويات الكبرى الجامعة: الإسلام والعروبة وظهور القوميات الفرعية وسعيها لتأسيس دولة قومية ومآل الصراع السياسي المنهك للنهضة ولبناء دولة جامعة.
لماذا لا يوجد مكون سياسي يملك رؤية للدولة المعاصرة له مطالب واقعية، وما سبب العجز الاجتماعي في تكوين نخبة حقيقية؟
لماذا الصراع السياسي عندنا صراع إيديولوجي يريد فيه كل طرف الانفراد بالسلطة، ولا يأخذ البقية في الحسبان؟
حقيقته صراع وجودي وليس سياسي ينكر فيه كل طرف كل رموز تاريخية لا تنتمي لهويته، مع العلم أنه لا يمكنه بناء دولة جامعة بدون ذاكرة مشتركة.

بروز العلوم الاجتماعية والانثروبولجية الاجتماعية كشف لنا مزاعم الليبرالية بوجود مواطن مبادر ذاتيا لمصيره، مواطن يسيطر على نزواته ويخضعها لديكتاتورية العقل، وطرح علينا هذا السؤال: كيف نؤسس حياة سياسية سليمة مبنية على سلطة قوية لكن مستنيرة وعادلة في عالم ثقافيا وأخلاقيا مخرب بديانة السوق والاستهلاك والترفيه؟

لماذا نحن هكذا؟

سؤال يطرحه كثير من المسلمين العاديين عندما لا يجدون ما يبرر مراوحتنا في الرداءة، وكلما تحركنا سياسيا بمظاهرات أو حراك رجعنا القهقري بحيث تسوء أوضاعنا الاجتماعية والاقتصادية، أونكتشف أن الطبقة السياسية الجديدة التي كانت معارضة في الخارج أو مردومة في السجون بنفس فساد الطبقة القديمة وربما أسوأ من جهة الكثرة!

إلى المقال القادم: مشكلة عدم الاهتمام بالتاريخ!

ملاحظة:

المقصود بالأنثروبولوجيا ليس دراسة الصفات التشريحية والبيولوجية للإنسان ولكن مجموع العلوم التي تدرس الإنسان في المجتمع.

لماذا نحن هكذا؟

(02) مساءلة التاريخ لفهم الحاضر(أثر الماضي في فوضى الحاضر)

المعاينة: كل تجاربنا اليوم تغطس عروقها في الماضي

....

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.

لا يمكنك فهم الحاضر بدون مساءلة الماضي؛ يقول جورج أوروال في "١٩٨٤»:"من يتحكَّم في الماضي يتحكَّم في المستقبل، ومن يتحكَّم في الحاضر يتحكَّم في الماضي".

لا يمكن أن تعرف خلل ذهنية الشعوب وفساد بعض صفاتها النفسية من دون معرفة سوسيو انثروبولجيتها من تاريخها القريب، إلى نقطة التحول في الانحطاط، وبالنظر

في الكتب التي حفظت تاريخنا هذا نجد أن كثيرا من الصفات السلبية والآفات الاجتماعية فينا الآن مثل: النهب والاختلاس، واللهف على الدنيا، والاستئثار بالحكم، والزهد في العلوم، والطبقية الاجتماعية، وضعف مفهوم الدولة المركزية، وهيمنة السيف، والوصول بالمال الفاسد إلى المناصب.. الخ كانت موجودة فينا من قبل الاحتلال.

لا يتعلق الأمر بمعرفة التاريخ لتقديسه أو لفض نزاعاته ولكن لمساءلة الحاضر وتحضير المستقبل، هذه فائدة أي معرفة تاريخية، وكما يقول أبو القاسم سعد الله ـ رحمه الله ـ في مقدمته على "رحلة ابن حمادوش"ص:24: «وعلى الشباب العربي المسلم أن يتعلم من أخطاء الأوائل وضعفهم فلا يقع هو في نفس الخطأ والضعف، وما أحوجنا إلى المصلحين النقاد الذين يحوّلون سلبيات الماضي إلى إيجابيات تخدم الحاضر والمستقبل «.

لفرويد قاعدة أنثروبولوجية بعيدة المدى هي أن الماضي دائما حاضر فينا، وأحداثنا اليومية تضمن عبره وعظاته، وآثاره لا تقول ما كان عليه (فقط) ولكن ما نفعله نحن اليوم.

إن المجتمعات كالأفراد: الحوادث الأهم في تاريخهم والتي تقرر مصيرهم نسوها لكنها مسترجعة فقط في شكل تحولات وبدائل حيث تمتزج بها عناصر جديدة لكنها لا تمنع التكرار، تكرار التجارب الفاشلة [01]

التاريخ سرد تتداخل فيه الأحداث وتأويلاتها في نسيج لا ينتهي، فقط تتغير ألوانه بحسب الفترات، والسرد رواية متحركة تجرف في سيلها كل عناصر القصة وتعطيها المعنى المهيمن.

يمكن بناء السرد قطعة قطعة، فبركته لفرض نسخة واحدة أو لتغذية الأوهام بحيث يجد كل واحد تأويله الخاص، وهذا مال تقوم به الوسائط الاجتماعية الآن فهي عبارة عن طبول إلكترونية فردية هي خزان التلاعبات والمؤامرات من كل نوع (حرب السرديات؛ كريستين أوكرانت).

أشار غير واحد إلى قلة الاهتمام بالتاريخ وتسجيل الأحداث عندنا إلى النصف الثاني من القرن ١٨ أشار إلى ذلك الورثلاني في "نزهة الانظار" وأبو رأس وغيرهما.

ويعزو سعد الله هذا القصور العلمي إلى سيطرة التصوف والروح الدينية السلبية لأن

فن التاريخ متصل عندهم إلى سير العامة وبالأدب المجون.
في حين يقول بروفنصال في "مؤرخو الشرفاء": المغاربة قليلو الاهتمام بالتاريخ لأنهم يعتبرونه من المسائل الدنيوية والاشتغال به من باب اللهو والعبث " مقدمة عجائب الأسفار".
بالنسبة لي يرجع هذا إلى الوضع الثقافي للمؤرخ عندنا بحيث لا يمثل أعلى درجة المثقفين وثقافته ناقصة، وتقريبا بسبب التدين السلبي والنظرة النفعانية فينا لا يعد عندنا من النخب، يشبه الحكواتي؟!
كذلك مفهوم التاريخ عند المغاربة مرتبط بوضعهم الاجتماعي وخصوصا بنظام الحكم لذلك هو عبارة عن: السيرة الذاتية، و الأنساب لأن المجتمع قبلي طبقي يمثل النسب والشرف فيه رهان سياسي واجتماعي واقتصاي؛ وأخبار الملوك والحروب، ومنهجه السرد التاريخي (نقول وروايات)، ولا تزال لليوم المناطق الداخلية التي لازالت تحتفظ بالأثر القبلي خزان النظم السياسية.
والمحصلة: صراع السرديات الشعبوية الموروث من تلك الحقبة بين المناطق والقبائل والدول المتجاورة وصراع الحدود والتوظيف السياسي للنعرات حتى تحت الغطاء الديني: المذهبية والمرجعية الوطنية وصراع السرديات يولد بالضرورة صراع اللغوس (براديجم رؤية العالم والدولة).
استكشاف التاريخ والوقوف على الخصائص السوسيو أنثروبولوجية ممكن عبر كتب الرحالات العلمية والتجارية، وسواء التي كتبها المؤرخون والعلماء المسلمون أو الأجانب إذا حققت بالمقابلة مع المصادر الإسلامية مثل: رحلة العياشي والورثلاني وابن حمادوش والأغواطي، و"وصف إفريقيا" لحسن الوزان، و "فتح الإله"، و "عجائب الأسفار" لأبي رأس المعسكري وغيرها.
كتب هذا الأخير مثيرة للاهتمام لأنه كان يملك رؤية إسلامية شرعية، وله حس إسلامي قوي، مثقف مذهبيا، دافع عن نظام الدايات واستقلاله عن الإستانة، وقاوم الثورات ضده كما في كتابه " درء الشقاوة عن ثورة درقاوة"، وميز بين خير الدين وعروج بسبب الموقف من سفك الدماء (كما حصل في تلمسان)، وبرر تدخل الأتراك باحتلال الإسبان لمدن الساحل وتخاذل السلاطين الزيانيين وغيرهم ونشوب الحروب الأهلية في بلاد المغرب.

فمن المعلوم ان الجزائر مرت بنظام البايات، ونظام الباشوات (03 سنوات) ونظام الآغوات، ونظام الدايات الذي امتد من 1671 الي 1830 (الداي اسم المنصب التنفيذي) حيث تشكلت جمهورية عسكرية شمولية برتوشات مدنية شكلية، تقريبا مستقلة عن الخلافة العثمانية ومرتبطة بها رمزيا فقط، حكمها ضباط البحرية (الرياس) بنظام انتخابي، فسدت في أيامها الأخيرة قبل الاحتلال وازدادت القبائل العربية والقبائلية تمردا عليها.

وربما الأهم من كل ذلك حس أبي رأس الحضاري فعندما التقى مع شيخ الأزهر وتحدثا عن توابع سقوط الأندلس، وقال له شيخ الأزهر: لقد أبدلنا الله بها القسطنطينية، رد عليه ردا يكشف حسا حضاريا دقيقا ربما اكتسبه من سعة اطلاعه على التاريخ وفهمه العميق لابن خلدون قائلا: إن لم تكن إبلا فماعز!

لم يفعل العثمانيون بتوجههم العسكري الخالص إلا تأخير المحتوم فتخلفت الأمة في الآداب والفنون وانقرضت فيها العلوم، وما إن اخترع الغرب آلة الطبع حتى بدأت الحداثة والثورة الصناعية وغبنا في ظلام التخلف وأصبحنا لقمة سائغة لهم.

تقريبا من عصر المماليك لم تقدم الأمة أي إنتاج علمي جديد بحيث تعطل العقل الإسلامي في جميع المجالات لكن المدفع العثماني سمح لنا بالاستمرار لبضع قرون إلا حين جعلته الآلة البخارية بدون فعالية وتجاوزته صناعة الحديد الغربية فجاء الاستعمار ليجد شعوبا تعاني من طبقية اجتماعية وسياسية فاسدة، مهملة للعلوم، متحاربة، مزقها صراع السرديات الشعبية والنخبوية والعرقية والمذهبية الطائفية كما يمزقها اليوم صراع اللغوس!

كذلك كتاب "وصف افريقيا" ممتاز وإن كان غير دقيق طبوغرافيا وجغرافيا لأنه كتب بعضه نقلا عن الكتب معتمدا على مطالعاته وليس معاينة لكن كاتبه مثقف بالثقافتين الإسلامية والغربية وفيه شهادات سوسيوانثروبولجية قوية ومفيدة جدا تكشف نفسية الإنسان المغاربي آنذاك وطبائع الملوك وسياساتهم وأسباب انهيار الحضارة الإسلامية الأندلسية، وكيف انتشرت في بعض المناطق فنادق الخمرو الزنا والشذوذ الذين سموا بـ " الهِيوِي".

وأما «رحلة ابن حمادوش" فتنفع لتتبع الأخلاق الردية والبدع والخرافات وفساد النظام الاقتصادي من انتشار المكس، وفيه وصف خاص لهذه الأحوال في الجزائر

العاصمة وتطوان في المغرب الأقصى.
يظهر من كتابه (كذلك الكتب الأخرى) أن الجزائر كانت جمهورية عسكرية ديكتاتورية مطلقة، تسلط اليهود القادمون من أوروبا على اقتصادها، خاصة مع انحسار غنائم البحر، كما شهد الحرب الأهلية بالمغرب الأقصى، والحروب بين حكام الجزائر وحكام تونس، وعايش تدهور الدولة العثمانية.
وابن حمادوش صيدلي وطبيب وفلكي ومنطقي ورياضي وهي اختصاصات كانت قد انقرضت في الأمة في عصره، إضافة إلى اهتمامه بالفقه والتصوف، وربما يمكن أن نلمس حقيقة العلوم في نخبة عصره في نسبية عقلانيته وبعض اعتقاداته الخرافية في التنجيم وهكذا أمور.
مع ذلك كان مهتما بطبائع الناس وغرائب الأمور يعد كتابه شهادة حية لأفكارنا وأخلاقنا ونظمنا وأذواقنا في تلك الحقبة. انظر مقدمة سعد الله عليه.
ـ واما "رحلة الأغواطي" فضعيفة وغير دقيقة كتبها بمقابل مالي للسفير الأمريكي، وفيها تحامل على الوهابية وتخاريف مثل تحدث بعض القبائل الليبية باللغة القبطية.
كذلك من الكتب الغربية المهمة «تاريخ افريقيا الشمالية" لشارل اندري جوليان مفيد أنثروبولوجيا، وكتاب «الجزائر في كتب الرحالة الألمان " خاصة شهادة فاغنر، وكتاب دكتور شو الإنجليزي " رحلة في إيالة الجزائر" الذي اعتمدت عليه وزارة الحرب الفرنسية في التحضير لاحتلال الجزائر.
الخلاصة: إذا أردنا أن نفهم أنفسنا اليوم سياسيا واجتماعيا وبسيكولوجيا فعلينا النظر في هذه الكتب فإنه سيرى تسلسلا طبيعيا بين تلك الفترة وأوضاعنا اليوم، ولم تظهر لي الحاجة إلى إثقال هذه المقالات بشهادات منها، فالأمر (بالنسبة لتصور الدولة) فاجعة بأتم معنى الكلمة ومستوى الانحطاط الذي وصلناه قد لا يطيق الواحد منا الحديث عنه.
كذلك يمكن الاستخلاص بسهولة من هذه المصادر أن بعض عادات الجاهلية و نظامها الاجتماعي و الاقتصادي لم تختف و ظلت موجودة في المجتمع الإسلامي ما يعني أن الحضارة الإسلامية لم تتغلغل إلى المناطق الداخلية و أنها انحصرت في الحواضر فلما سقطت المدن الكبرى انهارت الأمة و أن النظام القبلي و حياة الترحال و ربما طغيان الحكم الذي كان يرى مصلحته في بقاء العصبية منع من انتشار

الحضارة الإسلامية في المناطق الداخلية التي لا نجد فيها اليوم آثار التمدن الإسلامي ولا تعبيد الطرق بحيث نجد بقايا الطرق الرومانية ولا نجد بقايا الطرق الإسلامية .
لا شك هناك فترات إيجابية لكنها قصيرة وغير عامة، ومن هنا أفهم سبب اختيار مالك بن نبي سقوط الدولة الموحدية كمنعرج الانهيار الحضاري الإسلامي وتحول الإنسان فيها إلى نصف إنسان مثقل بالأمراض النفسية والضعف العقلي.
وعليه يمكنني أن أقول: بدون رؤية سلفية للتاريخ ليس لهذه الأمة إلا الانحطاط لأن تاريخنا الوحيد الذي يصحح سوسيو انثروبولوجيا الإنسان المسلم لتكون صالحة لبناء حضارة ودولة عادلة هو تاريخ السلف فقط، كمرجعية ونقطة رسو مع حاجة ماسة لتجاوز الخصائص الزمنية، وما عداه فيه وعليه وتملؤه الألغام ويحتاج إلى تصفية وتمييز المكتسب الديني عن الخصائص الطبيعية وكيف تم استغلالها في بداية الأمة عن التعامل معها في فنترة الانحطاط الحضاري.
إلى المقال القادم: معضلة السياسة ووهم الشعوب السياسي.

....

1 - "الفرد غير قابل للحكم"؛ رولاند غوري.

الوهم السياسي!

....

كل الأنظمة السياسية محدودة لأنه لا توجد نظرية سياسية وضعية خرجت من الظلمة كلية، لا توجد نظرية سياسية أعلى، كلها تتلمس الحلول على طريقة الأعمى! ومن السذاجة بمكان اعتقاد وجود تفكير سياسي واقعي، كل السياسة الوضعية استشراف وتوقع وقمار ونرد!
ومشكلة الشعب أنه أعمى يغريه عميان بشعارات وبشارات، وكل من اعتقد منهم أنه سيفعل الأحسن فعل الأسوأ أو سيفعل!
ومصيبة الشعوب عندما تتبنى رؤية مادية للسياسة أنه لا يوجد فوق السياسة ما يمكن اللجوء إليه كمحكمة استئناف لمحاكمة التلمس والتجريب السياسي الذي يقوم به قادتهم العميان، فليست السياسة والديموقراطية من يعالج فساد نفسية الإنسان أو فطرته، ولا

هي من يرفع عنه البؤس.
المشكل العميق هو أن كل النظريات السياسية مادية الأساس، كلها نزعت الله من المعادلة كأن السياسة يمكنها أن تقدم للناس الازدهار والسعادة بدون ارتباط أحوالهم بالله؟ لكننا عندما ننظر في التاريخ السياسي البشري نخلص بسرعة إلى أنه لم يوجد أبدا نظام سياسي مادي استطاع القضاء على البؤس والطبقية الاجتماعية، والفترات الوحيدة التي يتساوى فيها الناس هي في الكوارث والحروب حيث يبلغ التضامن أوجه؛ انظر كتاب (اللامساواة في التاريخ) لـ والتر شيدال.
قال النبي صلى الله عليه وسلم "جعل الذل والصغار على من خالف أمري " علقه البخاري، لكن يشهد له قوله تعالى: {مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعاً} [فاطر]
قال ابن القيم: أي من كان يطلب العزة فليطلبها بطاعة الله، وقال بعض السلف: "الناس يطلبون العز بأبواب الملوك ولا يجدونه إلا في طاعة الله".
وقال الحسن: "وإن هَمْلَجَتْ بهم البراذين، وطقطقت بهم البغال إن ذل المعصية لفي قلوبهم، أبى الله عز وجل إلا أن يُذِلَّ من عصاه".
وذلك أن من أطاع الله تعالى فقد والاه، ولا يذل من والاه الله، كما في دعاء القنوت:"إِنَّهُ لا يَذِلُّ مَنْ وَالَيْتَ وَلا يَعِزُّ مَنْ عَادَيْتَ". إغاثة اللهفان.48
قال الله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ} [المجادلة]
وقال: {إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ} [الأعراف]
هناك مشاكل لا يمكن حلها بالمبادئ الديمقراطية فالديمقراطية لها ثمن إدراكي معرفي باهض يجعلها فكرة مستحيلة الانجاز، وأهم من ذلك ثمنها الأخلاقي (نزاهة المسؤول واستقامة المواطن والوعي بمسؤوليته).
والمصيبة أنه لا يوجد بديل عن الظلمة السياسية، ولا يمكن للأعمى أن يرمي عصاه التي يتلمس بها الطريق!
انظر " الجمهور الشبح " والتر ليبمان.
عندما يحاول الإنسان إصلاح أوضاعه دون أن يصلح نفسه أولا يراوح في مكانه بل كلما تحرك خطوة للأمام رجعة عشرة للخلف وقامر بالنزر اليسير الذي عنده {إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ}.

وأعظم مصيبة أن يظن الناس أن التديُّن الروتيني، والتعبُّد بالعادة ـ فضلا عن البدعي ـ سيُغيِّر أحوالهم للأحسن ، أو يعصمهم من سنن التاريخ وعقوباته!

لم يفهم المسلمون بعد أنهم حملوا رسالة ينوبون فيها عن انقطاع بعثة الأنبياء ولأجل هذا خصوا بسنن كونية متى أخلوا بالرسالة المنزلة لا المبدلة لم ينفعهم تقليد كائنا من كان من الأمم ولو جمعوا علوم الدنيا كلها وجربوا كل المناهج المادية الممكنة فإن الذل والهوان و أكل بعضهم بعضا سيلزمهم، سيتحركون في مكانهم!

....

ملاحظة:

كل المقالات العلمية بما فيها سلسلة " لماذا نحن هكذا؟" ستنزل كاملة على موقعي الجديد بعد أسبوع إن شاء الله تعالى، وسأكتفي هنا على الفاسبوك بملخصات لبعضها.

معضلة المنهج!

....

كلما أراد طالب العلم أن يدرس مادة علمية، أو أن يكتب بحثا سأل عن " المنهج"لأن هذه الكلمة بالنسبة إليه مبهمة مجملة تدل في وعيه على خطوات تقنية محددة لكنه لا يلمسها في الواقع.

فيجب أن تعلم أن أساس التعلم :الحسن النقدي وليس المنهج، والحس النقدي نكتسبه من كثرة القراءة وخصوصا من كثرة التفكير وعدم تلقي الأشياء مسلمة.

وأقوم سبل التعلم أن تقرأ كثيرا و بالضرورة ستنشأ لديك أسئلة كثيرة، النكتة هي في عدم إهمالها والانشغال بطلب جوابها.

وأما المنهج في الكتابة فيجب أن تعلم أنه لا توجد حيلة عامة تسمح لك بالاقتصاد في الدراسة والمطالعة فالمنهج يسمح بقيادة وتحضير تفكير من المفترض أنه ناضج قبل عملية الكتابة.

لا ينفع المنهج إذا لم يكن لدينا ما نقوله، لا، لا يمكن أن نكتب هكذا (أي شيء)، بطريقة عرضية رقيعة (بالنظر لشروط الاستدلال) إذا لم يكن لدينا ما نقوله فالصمت والمراقبة أفضل.

يجب أن تعطي ثقافتك لتفكيرك جسما، وشكلا وهيئة ومحتوى.
وعليه؛ ليس الفكر بلاغة ولكنه رؤية مؤسسة، فلعرض الأفكار بوضوح يجب أن نملك رؤية عريضة حول الموضوع تؤهلنا للدخول في تعقيدات.

....

خطوات كتابة بحث فلسفي تأتي في منشور قادم.

معضلة المنهج (٢)

(أَلَا سألوا إذ لم يَعْلَموا؛ فإنَّما شِفاءُ العِيِّ السؤالُ) [١]

....

بالنسبة لغالبيتنا فإن بعض مجالات العلم أو الموضوعات ضبابية أو غامضة لدرجة تربكنا ،وقد تصل إلى درجة أن تشكل لنا عقدة غامضة ما يستوجب أن نقول بصراحة أننا لا نفهم شيئا فيها.

الاعتراف بالجهل علامة على سلامة النفس من سطوة الأنا وعقد النقص، و أكثر من ذلك هو علامة على التواضع للحق وللخلق.

و هو على الأقل بداية في طرح الأسئلة ما يدل على الرغبة الصادقة في العلم، وهو مطية المعرفة، فمن الأفضل أن نطرق المشكل بشيء من السذاجة _كما فعل سقراط _حتى نطلب فيما بعد توضيحات كافية،أو نحث النفس على البحث والاستقصاء.

لا تلزم نفسك بفهم كل شيء حالا، لا تعتني بداية إلا بالنقاط الرئيسية، بالتصورات العامة ،المفاهيم المركزية الموجهة واترك التفاصيل جانبا، فإنها تأتي تباعا طبيعيا مع تكرار القراءة وتوسيع المطالعة.

....

١ _ رواه أبو داود وسكت عنه؛ وغيره وهو حسن في نهاية المطاف،انظر (التعليق على تمام المنة للألباني).

في يوم العلم
ماذا بقي من أثر جمعية العلماء؟

....

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.

لقد كانت نسبة الأمية في الجزائر قبل الاحتلال لا تتجاوز نسبة 20 % من الساكنة - بحسب مستشار رئيس الجمهورية للذاكرة والتاريخ - ولا أعرف مصدر هذا الإحصاء، وأنها بعد عشرين سنة من الاحتلال ارتفعت إلى 40 % لكن هناك شهادة الرحالة الألماني فيلهلم شيمبر (1804 - 1878) الذي زار الجزائر في شهر ديسمبر سنة 1831 وأقام بها عشرة أشهر ودوَّن شهادته في كتابه " رحلة فيلهلم شيمبر إلى الجزائر "حيث كتب:

" لقد بحثت قصدا عن عربي واحد في الجزائر يجهل القراءة والكتابة، غير أني لم أعثر عليه في حين أني وجدت ذلك في بلدان جنوب أوروبا، فقلما يصادف المرء هناك من يستطيع القراءة من بين أفراد الشعب" (ص 52 - 53).

لكن هذه المعلومة رغم قيمتها التاريخية فإنها مخادعة تغطي على الحقيقة ولا تفسر سبب الانحطاط إذ بدون أن نسأل عن نوعية التعليم آنذاك تتناقض هذه المعلومة مع أوضاعنا في تلك الفترة.

صحيح أن التعليم كان منتشرا بحسب عدد المدارس الكبير لكنها مدارس قرآنية حيث يبدأ الصبيان التعلم فيها في سن 05 أو 06 سنوات على الألواح، وبعد أخذ القرآن وشيء من التفسير، ونحن نعرف القيمة العلمية للعلوم الشرعية التي كانت تلقن في تلك الفترة، فبالنظر في أي كتاب رحلة علمية مثل رحلة العياشي والورثلاني - مثلا - نكتشف درجة الركود العلمي وضعف التحصيل على العموم، وقوة الاعتقادات الخرافية والبدع، وانتشار الجهل بين الناس، فشهادة شيمبر تتعلق بمدينة الجزائر وحدها وبالحضر من ساكنتها في الغالب.

ثم يتعلم الصبيان حرفة او ينخرطون في الجيش، وأحسنهم من يحصل على وظيفة محاسب!

فهم هذه الوضعية التناقضية جيدا يكون بالجواب عن صفعة نابليون التي وجهها لشيوخ الأزهر عندما سألهم: أين ذهبت معارف أجدادكم العرب؟!

يقول شيمبر: "الحضر ملمون بالعلوم ولكنهم لا يهتمون بها فإذا حفظ أحدهم القرآن وتعلم الكتابة وأصبح في مقدوره أن يفسر القرآن فإنه يعد عالما كبيرا "!

يقول توماس شو في كتابه " رحلة في إيالة الجزائر ": " أهملوا العلوم والفنون بسبب حياة الترحال وسطوة الأتراك؟ ما لم يترك لهم فرصة الاهتمام بالعلوم التي تحتاج تنميتها إلى الراحة والحرية.

... لم يبق لهم من علوم أسلافهم إلا بقايا معلومات جغرافيا وتاريخ وفلك للصلاة وكيمياء الورد فقط، هذا العلم الذي أتقنه أسلافهم، لا يعرفون الرازي[الطبيب] وابن رشد... يظن طبيب الداي أن أبقراط طبيب عربي كان قبل ابن سينا؟

.... يجهلون الرياضيات، والطب عندهم متخلف جدا، ولا يهتمون بالآلات التي صنعها سلفهم ولا يعرفون قيمتها".

قضية التخلف بسبب سطوة الأتراك لها نبرة استعمارية تفريقيه لكنها صحيحة نسبيا في الفترة الأخيرة حيث ظهرت مظالم الجنود على السكان، وكانت علاقات الأتراك بالقبائل العربية ومنطقة القبائل سيئة جدا.

وقد أشارت إليها مجلة الكتب السنوية الألمانية في عدد سبتمبر سنة 1830 م مستعينة بمعلومات من المجلة الإيطالية للعلوم والآداب والفنون وما كتبه شو وبنانتي وبيير دان.

وأجمع هؤلاء على أن الجزائريين عندهم ذاكرة قوية وذكاء كبير وقدرات طبيعية لو كانت لهم إرادة لحققوا التقدم، وقد بدأ اتصالهم بأوروبا قبل نصف قرن، وسافر كثير منهم إليها وحصلوا على معارف متنوعة، ومشكلتهم بحسب شو أنهم يفعلون كل شيء بالعادة!

في هذه الفترة خصوصا القرن 17 م كان المسلمون يظنون أن القرآن وحده يكفيهم كمصدر للعلم، وكانت معارفهم كلها دينية تقريبا، وكانت طرق التعليم سيئة تعتمد الحفظ، وتمجد التقليد والجمود، وتذكي النعرات المذهبية والطائفية، فلا تنمي ملكة النقد والشعور بالحاجة إلى التجديد فمات عقل الأمة وأصبح عقيما. [01]

لقد كانت نسبة الأمية في الجزائر غداة الاستقلال 85 % انخفضت سنة 2020م إلى

8,71 % (بحسب ديوان محو الامية) لكن علينا أن نميز جيدا بين معرفة قراءة الحروف وهو ما تمثله هذه الإحصائيات وبين الأمية الحضارية والثقافية فالشعب الجزائري وعلى وجه الخصوص الطلبة نسبة المقروئية فيهم ضعيفة جدا، ويميلون إلى قراءة كتب الترفيه كالروايات على حساب الكتب العلمية والفلسفية.

وبحسب ما نشرته العين الإخبارية في 08/11/2018 م بمناسبة معرض الكتاب فان نسبة المقروئية متدنية في الجزائر رغم الاقبال الكبير على المعرض ما يظهر تناقضا كبيرا حيث لا تتعدى 8،6 % والذين لا يقرؤون 56,86 %.

وأكثر الكتب مبيعات في المعرض هي الكتب الدينية وكتب التعليم، وهنا يجب أن نشير أنه لا يوجد إحصائيات حقيقية في الجزائر.

وعلى هذا نحن تقريبا نعاني نفس الوضعية التي كانت قبل الاحتلال و المتمثلة في انخفاض في نسبة الأمية الأبجدية لكن ارتفاع في نسبة الأمية الثقافية الحضارية؛وكل شخص يمارس التعليم ويخالط الطلبة يعلم هذا جيدا، ويعاين بسهولة أنهم يعانون من عجز عن المطالعة فضلا عن قيمتها والوقت الذي يخصصونه لها.

وفي يوم العلم الذي تحتفل به جمعية العلماء والجزائر سنويا في شهر أفريل لابد أن نسأل: ماذا بقي من ميراث جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي أسسها العلامة عبد الحميد بن باديس مع رفقاء دربه؟

عملية الإصلاح والتعليم التي قامت بها جمعية العلماء أثناء فترة الاحتلال لم تتواصل بعد الاستقلال، والسبب معروف وهو التضييق الذي عانت منه ولا تزال.

ويمكن ان نجزم اليوم ان كل أعضائها من أبناء الصحوة الإسلامية وليسوا من أبناء الجمعية ومع ذلك لا تزال مدارسها تحافظ بجهود الأفراد على تحفيظ القرآن وتلقين العلوم الشرعية وفي بعضها _ وهي قليلة جدا _ الفلسفة والمنطق والعلوم الإنسانية، ومحاولة تحديث العلوم الشرعية.

وجوهر الموضوع هو: ما الذي يجب أن ننتبه إليه حاليا لأنه كما قال أحد أصدقائي: المشكلة إذا اتينا للمجتمع الجزائري (بتراكماته الأنثروبولوجية التي خطت ملامح شخصيته الاجتماعية وحتى الفردية) فإن الدور الإصلاحي الذي قامت به الجمعية ومن بعدها الصحوة بدأ يتلاشى أثره اليوم، فبالرغم من أن تلك الفترة قد استطاع فيها المجتمع أن ينفض عنه غبار الجاهلية بنسبة معينة إلا أننا نلاحظ أن جرعة التدين

العام التي قد أخذها ما عادت فعالة اليوم، والمجتمع في طريق العودة إلى مرحلة ما قبل الإصلاح.
ومرد هذا إلى أن الصحوة لم تعرف كيف تحافظ على زخمها من خلال فهم المراحل التي ستواجهها، خاصة مرحلة التسيس التي أفسدت جهود مائة سنة فكانت صحوة عمياء فكريا بدون استشراف، وقادتها سذج فكريا بسبب قصور التكوين في العلوم المساعدة على حسن قراءة الواقع وفهم التاريخ والتراكمات الأنثروبولجية التي صاغت طيلة قرون الذهنية.
التناقض السلوكي و العقلي المتمثل في الإقبال على معرض الكتاب و اقتناء الكتب لكن لتزيين قاعة الضيوف بها و ليس لقراءتها و حتى الذي يقرأ فلا يتجاوز الفهارس و بعض الأسطر مرده المؤثرات الأنثروبولجية في تكوين الشخصية، فكما لم يتورع الناس قبل الاحتلال بعد أداء الصلاة من سلب بعضهم بعضا و غزو بعضهم بعضا ،وكثرة الفتن بينهم ـ كما أشار إليه الورثلاني في رحلته [02] ـ هو نفسه الآن بحيث نجد بعض الناس يصلون و يؤدون مناسك العمرة او الحج و نساؤهم محجبات؟!
،+ولا يمنعهم ذلك من اختلاس المال العام و النهب و المحسوبية و تضييع حقوق الناس ؟ !
هذه الحقيقة الانثروبولجية التي تأخذ في الطالب شكلا ، وفي السياسي والمسؤول الإداري والنخبة شكلا آخر، هي نفسها في التاجر الذي عندما تحل المناسبات الدينية يلهب الأسعار ويحرق المساكين!
ما يسميه الجزائريون اليوم " خوبزيست "الظاهرة السلبية التي مست النخبة، والمتمثلة في صرف الجهد والاهتمام فقط بالمعاش وتوظيف العلم والمعرفة كأداة لتحقيق رغد العيش هي نتيجة تراكم انثروبولوجي بيِّن.
ومن هنا تظهر القيمة الحضارية للعمل الذي قامت به جمعية العلماء والذي واصلته الصحوة لولا كابوس التسيس الإسلامي، وعجزها عن الانتقال إلى المرحلة الثانية مرحلة التأصيل الأكاديمي، ما يعني أن على الجمعية والصحوة أن يجددان نفسيهما هيكلة ورؤية .
إن لم تفهم الماضي والحاضر وتعرف مرضك لن تقدر على تحضير المستقبل.

....

01 ـ لمزيد معلومات انظر " الجزائر في كتب الرحالة الألمان " أبو العيد دودو.
02 ـ قال: «القتال بين المسلمين في وطننا كثير والفتنة بينهم قل أن ترتفع والهرج بينهم قوي " ص: 18، نزهة الأنظار، ولا شك أن هؤلاء كانوا يصلون ويقرؤون القرآن ويعرفون القراءة والكتابة إذ هذا كان حوالي سنة 1784م، واما انعدام الأمن وكثرة السرقة وقطع الطريق فحدث ولا حرج.

المجتمع والدولة وصراع اللغوس؟

....
بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.
هذا المصطلح " الدولة العميقة" مصطلح نحته الأتراك ويعني: وجود كيان مواز غير رسمي في داخل الدولة يحوز السلطة سريا، عبارة عن أشخاص في مراكز نفوذ وقرار سياسي واقتصادي وعسكري لهم مصلحة مشتركة أو أيديولوجية معينة يتحركون سريا لتحقيقها وخدمتها لا تهمهم اختيارات الشعب، بهذا الاعتبار هذا المفهوم خاص بالدول الغربية.
أما في العالم الإسلامي فالسلطة معروفة ظاهرة للعيان حتى عندما لا تكن جزءا من الحكومة نعرف من يدير الأمور ويملي قرارات الدولة لهذا فإن مفهوم "الدولة العميقة " يأخذ نبرة أخرى هي رفض طبقة كانت تحوز السلطة مغادرة الحكم، شخصيات في مختلف المجالات ترفض بسبب مصالح شخصية أو أيديولوجية التداول على السلطة.
عندما ترفض طبقة سياسية التنحية لصالح أخرى تصبح دولة داخل دولة، فمن الطبيعي أن تتنحى الطبقة السياسية التي خاضت حرب التحرير أو تولت مهمة انجاز البنية التحتية للدولة لصالح طبقة أخرى تناسب زمنها وأكثر كفاءة منها فالطبقة الأولى لا يمكنها بحال أن تكون اقتصاديا _ مثلا _في نفس قدرات وكفاءات طبقة رجال الأعمال لأنه مشكل براديجم ورؤية للعالم.
ولهذا تعجز الطبقة الأولى التي انقضى زمن رؤيتها وبراديجمها عن قيادة الدولة نحو نهضة حقيقية، فلم تحقق لا تنمية اقتصادية ولا عدالة اجتماعية، وهذه إحدى مآسي

العالم العربي والسبب المباشر في كون مجتمعاتنا مجتمعات عشوائية غارقة في السبات لا مبالية بمصيرها على قول فوكياما!
وعندما يرفض جيل أو طبقة سياسية مغادرة السلطة بعد انقضاء أجله او انتهاء مهمته تنشأ الدولة العميقة ومعها تنشأ المشاكل السياسية والفتن لأن الصراع معها صراع براديجم وصراع لغوس.
وعليه فإن الدولة العميقة تمثل في الحقيقة صراع براديجمات، صراع لغوس، وليس اللغوس إلا إدراج وقائع تجاربنا في الرؤية، وفي اتخاذ القرار، وحتى في الاستدلال.
المقصود هنا بـ " اللغوس"[01] كيف تفهم العالم وتفسره، براديجم التفكير الذي تستعمله للتفكير، أداة فهم العالم أو إن شئت المبادئ الكبرى التي تحكم تفكيرك وبالتالي رؤيتك للعالم.
بالنسبة لـ أرسطو من يتحكم في اللغوس (تفسير العالم للشعب) يتحكم في السلطة السياسية لكن وكما أسلف فإن اختلاف الأجيال واختلاف التحديات التي تواجه الشعوب يلزم بالضرورة اختلاف اللغوس لهذا فإن صراع الدولة العميقة مع القوى السياسية الجديدة هو صراع اللغوس القديم مع اللغوس الجديد مثل صراع اللغوس الذي نشاهده في أمريكا وأوروبا بين لغوس العولمة الذي يدعو إلى : الثقافة العالمية، الحدود بدون فائدة، حرية التجارة، الديمقراطية حق إنساني يتيح التدخل في الشؤون الداخلية، حقوق الإنسان، الأمم فكرة قديمة ، حكومة عالمية، وعملة عالمية ، والحكومة ليست بإرادة الشعوب ولكن بقانون القاضي، ومصدر القيم الأعلى والسلطة القاضي وليس المواطن.
ولغوس القومية الذي لا يريد شرعية القاضي ولكن شرعية الشعب، والدولة القومية لا الدولة العالمية، وعلى هذا يمكن فهم لوغوس البركسيت في بريطانيا.
عندما يتغير اللغوس تتغير الفكرة المهيمنة وتبدأ في فقدان سلطتها إلا بتدابير غير أخلاقية، لقد بدأ التغيير في أوروبا عندما حطم اللغوس الجديد لغوس لوثر لغوس الكنيسة حينما نزع عنها حق تفسير الكتاب المقدس فلم يقم لوثر بشيء كبير إنما ابتذل قراءته بترجمته من اللاتينية إلى الألمانية وهو ما كان محرما، وفي الوقت نفسه ظهرت المطبعة فسهل تطبيق فكرته، وكانت الخلاصة هي أنهم لا يحتاجون للرهبان، وهكذا فقدت الكنيسة سيطرتها ونفوذها.

وكل صراع لغوس تنجم عنه الحروب والفتن والقلاقل والاضطرابات فبدأ في أوروبا دينيا ثم قوميا، وقد شاهدنا ذلك في صراع اللغوس الماركسي مع الليبرالي، وما شهده العالم العربي من اضطرابات كلها ناجمة عن صراع لغوس بين جيل يرفض مغادرة السلطة وجيل له رؤية أخرى.

على العكس من ذلك لا نجد في الصين ودول شرق آسيا صراع لغوس عنيف لأن المجتمع منظم لنجاة الجماعة وليس لأولوية الفرد، وفكرهم الكونفوشيوسي على نقيض الفكر الأرسطي حيث يمكن للفكرة الفردية أن تنظم العالم.

الهدف عندهم هو تناغم المجتمع أو الجماعة بداية من العائلة، لا توجد معركة لوغوس حقيقية ولا صراع على الحكم كما في الغرب أو عندنا، ويجمعون بين الحكم الشمولي ورأسمالية ريكاردانية.

وقد أدرك مؤسسو الصين المعاصرة مبكرا ـ وكانوا طلابا في باريس ـ أن تقليد الغرب بالنسبة إليهم انتحار،وقد سبب لهم تخلفا لأزيد من قرن ونصف لأنهم أدركوا اختلاف العوامل الأنثروبولوجية ورؤية العالم وأسلوب الحياة بينهم وبين الغرب الأمر الذي لم يدركه المسلمون إلى الآن.

يفسر لنا شارل غاف وقد وفق في تطبيق نظرية صراع اللغوس في السياسة والاقتصاد لماذا لم تنجح أوروبا الموحدة من خلال تقسيمها بحسب معامل الحرية ومعامل عدم المساواة، يعني محور العدالة ومحور النمو.

بهذين المعاملين يقسم العالم الغربي إلى ثلاث مجموعات:

المجموعة الأولى: أستراليا، بريطانيا، كندا، نيوزلندا (الكومنولث) تعمل بالقانون الإنجليزي، عندها حرية أكثر ومساواة إلى حد مقبول وتتميز بمردودية مالية أفضل.

المجموعة الثانية: ألمانيا وبلجيكا ودول شمال أوروبا هي بلدان صغيرة جغرافيا وأقل حرية من المجموعة الأولى ولكنها أكثر مساواة، خلفيتها أنها دول لوثرية ولهذا يوجد فيها أكبر تناغم اجتماعي ونمو جيد ومردودية مالية مقبولة، وعندهم رغبة قوية في العيش معا، كما تتميز بضرائب مرتفعة لكن المواطن يعرف أين تذهب أمواله، ونظام التعليمي والصحي فعال جدا.

المجموعة الثالثة: هي الدول اللاتينية خلفيتها في الغالب كاثوليكية مثل فرنسا وإيطاليا وإسبانيا والبرتغال واليونان أقل حرية وأقل مساواة، ووزن الدولة فيها مرتفع جدا

وبالتالي كلفتها أكثر وفعاليتها أقل، ونتائجها الاقتصادية الأضعف، وعبأ هذا يقع على رجال أعمال هذه المنطقة في مقابل نظرائهم حيث لا يملكون فرصة لمنافستهم لأن سعر الصرف بقي ثابتا والأورو يربط مناطق مختلفة متفاوتة في الحرية والعدالة والكفاءة الاقتصادية.

تتمثل العدالة في دول الكومنولث في التساوي أمام العدالة لكن القانون الذي يحكم به القاضي يضعه الاقتصاد والتفاوت الاجتماعي.

كذلك في دول الكاثوليك نجد الطبقة السياسية فوق الشعب، يعني نفس نظام الكنيسة، كما نجد الاكراه الفردي أكثر، والقاعدة ليست الحرية والمساواة ولكن العالمية، ولهذا فإن فرنسا في الحقيقة ثقافيا ليست رأسمالية بل يسارية حيث رجل الأعمال رعية عند الإدارة وليس زبونا.

الخلاصة أن أوروبا خصوصا والعالم الغربي عموما ثلاث طرق حياة مختلفة فلا يمكن أن تتوحد سياسيا واقتصاديا وعسكريا، وليس حلف الناتو إلا أداة لخدمة سياسة أمريكا.

ولهذا لم يكن لإنجلترا التواجد في الاتحاد الأوروبي لأن ذلك يقلص حريتها.

والمقصود أنه يستحيل على الدول العربية التي فيها صراع لغوس أن تستقر سياسيا كما يستحيل على الدول العربية أن تتحد في مواقفها السياسية.

والمشكل الأعمق في صراع اللغوس عندنا هو انه مرتبط بعواملنا الأنثروبولوجية أولا قبل المصالح الاقتصادية والسياسية ،خاصة استحلال الثراء غير الشرعي ،ولابد لفهم هذا أن نخرج عن المفهوم السياسي للسلطة، فهي في الحقيقة ليست إلا قوة منظمة، قدرة على الفعل في مجال معين يستعملها شخص ما، ولهذا هي في الحديث النبوي الشريف مقرونة بالمسؤولية الأخلاقية (كلكم راع) ومتى فقد الشخص سواء كان أبا ، او مسؤولا عن شعب فما دون ذلك إلى شخص واحد الجانب الأخلاقي في لوغوسه فإنها تصبح مفسدة للإنسان ، لان الشعور بالعلو الذي تمنحه السلطة يفاقم و يبرز الفساد الكامن فيه ، فقيم الإنسان و عوامله الأنثروبولجية أو ماضيه يؤثر في فساده ،ولهذا قال كنط (1724 - 1804) في مقولته المشهورة : " حيازة السلطة تفسد لا محالة العقل".

والمؤسسات السياسية والأحزاب والجمعيات هي أيضا أهواء وأخلاق مجتمع لهذا نجد

أن قيادات الأحزاب والجمعيات هي نفسها منذ ثلاثين سنة أو أكثر، لم تتغير، فنفس الطبقة تحكم البلاد، ونفس الطبقة تحكم الحزب، ونفس الطبقة تحكم الجمعية وهكذا لأن العامل الأنثروبولوجي فينا: المرض الاجتماعي والضعف الأخلاقي والجهل الحضاري عميق في النفس فهو عميق في كل افعالنا ومؤسساتنا .
والعميق في المجتمع عميق في الدولة!
....

01 ـ شارل غاف ؛ صراع اللغوس في السياسة و الاقتصاد .

الشمولية وشبح الديموقراطية!

....

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.
نجحت الليبرالية في إقناع العالم بأن الشمولية صفة لصيقة ونتيجة حتمية لكل نظام يساري أو ثيوقراطي، وأنها وحدها من استطاعت تطبيق الديمقراطية على أسس الحرية السياسية والتداول على السلطة لكن الحقيقة الفلسفية التي تنزل للواقع وتذهب خلف المصطلحات إلى استراتيجية الممارسات المخفية تخلص إلى أن كل نظام سياسي نخبوي هو نظام شمولي بالضرورة.
الحقيقة المخفية عن الشمولية والمقصود بها هنا كل نظام سياسي لا ينتهج النظام الليبرالي في شقه السياسي هي أن التاريخ والواقع يثبتان أنه لا يمكن إدارة مجتمع إلا بنوع شمولية، فالحلول كقوارب النجاة محدودة، ويجب تنظيم النجدة وإلا دخلنا في الفوضى، ولا يمكن قبولها والسماح بها بحال، خذ مثلا الأزمة الصحية الحالية التي ولدت أزمة اجتماعية واقتصادية يوجد فيها بدون شك خاسرون، والسياسي هو الذي يقرر من هم؟
في النظام الشمولي الذي فيه نوع عدالة اجتماعية يحاول امتصاص الخسارة بتوزيع

مقبول لها، وبدلا من توجيه الإعانة المالية للشركات وحدها يرفع من المعاشات والأجور والمنحة الاجتماعية، ويجمد حقوق الكراء وفواتير الكهرباء والماء بينما نجد في النظام الليبرالي الأمريكي مثلا الطرد من المساكن في أوج الأزمة!

الفارق الوحيد هو أن الشمولية المنسوبة لكل نظام غير ديموقراطي بالمفهوم الليبرالي راعية على الأقل نظريا لإدارة الخير العام بينما الشمولية الليبرالية شمولية فاشية تحافظ على مصالح فئة قليلة على حساب الأغلبية.

من الوهم المروج له فلسفيا وإعلاميا الاعتقاد بأنه يمكن سياسة البشر بدون شمولية، والمعتبر هو أخلاقية هذه الشمولية وعدالتها وتنويرها وإلا فإن الشمولية تفرض بشكل أم بآخر، إما بطريقة احترازية وقائية ما قبليا وإما علاجية ما بعديا.

لم يوجد في تاريخ البشرية نظام غير شمولي يعني غير نخبوي أبدا، الفارق بينهما فقط بين أن تكون نخبة عالمة صالحة لها نفوذ وكلمة لا يستغني عنها أهل الشوكة وبين أن تكون نخبة حديدية أو رأسمالية تقدم المصلحة الفئوية على المصلحة العامة أو الحرية على العدالة الاجتماعية.

في صراع اللغوس بين الماركسية والليبرالية ترفع صورة شمولية يسارية معلنة في حين الشمولية الليبرالية مخفية باللعبة الصورية للديمقراطية.

وكما قال كلوسكار : الاستراتيجية التي تنتج المجتمع المدني تكشف المظهر الشمولي الاستبدادي لليبرالية لكن مع الحاجة للتمييز بين الرأسمالية الساذجة التي كانت في أزمة 1929م والتي عند الأزمة اختارت حلا جذريا هو الفاشية وبين رأسمالية المجتمع المدني التي عرفت كيف تفرض حلا آخر مستفيدة من دروس التاريخ.

مبدأ الاستراتيجية الشمولية الليبرالية الذي يسمح بسير العملياتي هو الأيديولوجية المعاصرة المهيمنة ايديولوجية المجتمع المدني التي الغرض منها تنظيم المجتمع في قنوات يسهل السيطرة عليه بها ولتقدم له الحرية الأخلاقية بديلا عن الحرية السياسية مع خلط متعمد بين حرية السوق وحرية الإنسان.

الشمولية بالمنظور اليساري هي غياب الاختلاف بين الخاص والعام، يعني: تسيير الدائرتين بنفس الأصناف حيث الدولة تطفلية بحسب تعريف ميشال فيبر.

خبث الشمولية الليبرالية أو الماركسية هو في قصدها منع صناعة الفرد أي استنساخ أفراد المجتمع فالشمولية الفاسدة الجبرية و العضوض معا هي التي تبدأ بتغيير عادات

الناس، بإضعاف الوازع الديني لديهم، بمحاربة التدين بتسهيل الفجور من خلال فكرنة و ابتذال أخلاقيات المتعة حتى يصبح التساؤل الروحي: ماذا عن الوجود، الغاية، الذاتية، الله، .. الخ بدون معنى، وتصبح هذه الأسئلة كلها مستهلكة، فيلتبس على المجتمع المعنى الروحي بالمعنى الاقتصادي والمعاشي حتى لا يعرف الناس أن هناك إمكانية حياة أخرى إذن طريقة أخرى للاستهلاك كريمة وعادلة ومتزنة لا تعبد شهوات الجسد ولا تهمل حقوقه.

بحسب فيبر لابد من خصوصية ليمكن للإنسان أن ينمو، وهذا صحيح فالبيئات التي تساهم في تكوين الفرد مثل العائلة والمدرسة وخصوصا المسجد عندنا يهددها الإعلام، والتضييق لأسباب صحية مبالغ فيها، وحاصلة الإعلام ـ وانظر مثلا الترفيه في شهر رمضان حيث أن افتقاد المعنى والعبثية الاجتماعية أصبحوا فنا! ـ لا يوجد فرد ولكن نموذج مستنسخ، فأين الحرية؟

يعبد الفرد اليوم في مجتمع الاستهلاك ما يسميه ورول " الإشعاع التافه" حيث يبحث الناس عن الظهور في الإعلام بأي ثمن، عندما تحضر الكاميرا يذبون في متطلبات الصورة.

أكثر الكتب مبيعات سنة 2020م في فرنسا مثلا: كتاب أوباما وهو كتاب تافه وكتب المهرجين الذين باتوا يسمون بـ " المؤثرين " على الشبكة أصحاب قنوات يوتيوب: كيف تستيقظ في الصباح سعيدا، وعرض موضات اليوم، أفضل أنواع أصباغ الشفاه الخ

ومعلوم أن هدف الرقمي الكمية «التكثير" وليس النوعية.

كذلك وظيفة العلوم التقنية (التكنولوجيا) شمولية بحسب فيبر، حيث غزت الشاشات حياة الإنسان بالرسائل المخربة التي تخلق الرغبة وتسحق حرية الاختيار حتى في داخل غرفته.

يقول دافيد غريبر (أنثروبولوجي) في كتابه "الديون خمسة آلاف سنة تاريخ" أن القرض معمول كعقد اجتماعي أساس علاقات الهيمنة، وهذا ما يؤكده سلوك صندوق النقد الدولي.

سنة 1960م أسس نادي روما من قبل صناعيين ومصرفيين طرحوا السؤال التالي: إلى متى يمكن أن نستمر في سياستنا الافتراسية إذا كان لا يوجد نمو غير نهائي في

عالم نهائي؛ يجب أن نفعل شيئا آخر؟
وخلاصتهم: كل شيء يتغير حتى لا يتغير شيء!
المقصود أن من اعتقد أن زوال نظام شمولي سيعقبه نظام ديموقراطي فهو واهم، فإنما نخبة تعقب نخبة، ومصلحة تخلف مصلحة.
ومن اعتقد أن حقوقه مقرونة بنوع النظام فهو ضحية تلاعب بعقله، الحقوق مرتبطة بنوع الإنسان بأخلاقياته وتقواه وكفاءته وليس بالمؤسسات.
ومن اعتقد أن سعادته في السياسية فهو ضال عن الحقيقة إنما سعادة العبد بيد الله تعالى واهم من السعادة التي هي في الدنيا تقريبا مجرد وهم إذ الدنيا دار ابتلاء والسعادة الوحيدة فيها هي سعادة طاعة الله أما الجانب الدنيوي فإنه يتقوم بالسلام الداخلي والخارجي وليس بالسعادة الموهومة.
ومن اعتقد انه يوجد من النظم السياسية ما هو أفضل من مبادئ الحكم في الإسلام فلخراب عقله وفساد باطنه شعر أو لم يشعر.
....
المراجع:
- الدابة المتوحشة، رأسمالية الإغراء؛ ميشال كلوسكار
- كوفيد 1984: الحقيقة السياسية للكذبة الصحية؛ ميشال فيبر.

العلم و الكسب!
....

في الغالب فإن القائم بما أمر الله به من الجهاد والعلم والعبادة يعجز عن الكسب(إلا إذا كانت وظيفته التعليم بأجرة) كالذين ذكرهم الله عز وجل في قوله :{للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضربا في الأرض يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس إلحافا} [البقرة].
نعم من القائمين بواجب التعليم والدعوة من يمكنه الكسب، فهذا يجب عليه مع قدرته عليه وتركه معصية، ولكن غالبية طلبة العلم خاصة ممن حصل العلم بالطريقة التقليدية يعجز عن واجب التكسب فضلا عن مستحبه لاقتناء الكتب والسفر والرحلة و

ضروريات الحياة.
وقد قسم الله المسلمين إلى أربعة أصناف :الأول :أهل القرآن والعلم والعبادة.
والثاني :التجار والزراع والصناع الذين يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله.
الثالث :المجاهدون والمرابطون في سبيل الله.
والرابع :المعذورون، قال :{علم أن سيكون منكم مرضى و آخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله و آخرون يقاتلون في سبيل الله} [المزمل]
فنشر العلم والقيام بدين الله دعوة إليه ودفاعا عنه لا يتم إلا بالاشتغال به كلية ،و هو أفضل عند الله من الكسب.
وفي الصحيحين عن أبي موسى قال النبي صلى الله عليه وسلم :("على كل مسلم صدقة" قالوا :يا رسول الله فمن لم يجد؟ قال :"يعمل بيده ينفع نفسه و يتصدق" قالوا :فإن لم يجد؟ قال :"يعين ذا الحاجة الملهوف "قالوا :فإن لم يجد؟ قال:" فليأمر بالمعروف وليمسك عن الشر فإنها له صدقة "). ابن تيمية، كتاب القدر ،بتصرف يسير.
والمقصود أن مساعدة فقراء أهل العلم والإنفاق على طلبة العلم المتفرغين له العاجزين عن الكسب أو محدودي الدخل واجب على الأمة فإن ازدهار الدين وصلاح الناس من تفرغ هؤلاء للعلم والتعليم خاصة و أن الوقف على طلبة العلم انقرض!
هذا فضلا عن المساهمة في المشاريع العلمية فتكوين الرجال وتمتين الدين غير النشاطات الاجتماعية.

ضعفت قبضة النخبة الصالحة على المجتمع كثيرا و الدور القيادي يتجه إلى مسوخ ثقافية!

أي جماعة ضعيفة التأثير في بيئتها فبسبب الفردانية وعدم التنظيم !
خطاب النخبة والمحل و مفارقة: الدعوة أم الدولة؟!
....

النخب موجودة فهي كل شخص قدوة بقيمه أو ينتج نوعا من أنواع الوعي ،أو له

سلطة التغيير في دائرته ، والحديث عن مستوياتها شيء آخر.
ونخبة كل مجتمع من جنسه فالتافه نخبته التي ستكون قدوته تافهة مثله ،فإذا لم يكن المحل قابلا إلا للسخافة فماذا تصنع النخبة الصالحة ؟
لكن بشرط فهم واقع الناس ونفسياتهم،وهل يتناسب الخطاب مع ذلك أم أنه خارج الكوكب ؟
إضافة إلى الأخذ بالأسباب المناسبة التي منها :
ضرورة التنظيم وترك الفردانية وحب الزعامة بالمشيخة، و التمكن من أدوات فهم الواقع (سبق وعددتها) واستعمال وسائل الاتصال المعاصرة، والدخول على الإنسان من بوابة ضعفه ، والإمكانيات المادية لتوفير بيئات مصغرة.
منظومة الفساد في هذا العصر عالمية لا يمكن مجابهتها بدون دولة لكن صناعة نخبة في مستوى التحديات من مهام أهل العلم عندما يدركون ما ينقصهم ويجبرونه في طلبتهم ،لا يستنسخون نموذجهم فيهم بل يطورونه.
غدا إن شاء الله نتكلم عن حكم الدعوة عند عموم الفساد، وكيف يتصرف المؤمن حيال الأمر.
و إليكم هذه النبذة عن شهر رمضان في الأيام الأولى للاحتلال، وهي ثابتة قبله أيضا لكنه فاقمها كمادة للتفكير.

شهر رمضان في الجزائر مع بداية الاحتلال!

هذه شهادة رحالة ألماني عن شهر رمضان في الجزائر في الفترة الممتدة ما بين ١٨٣٠ إلى ١٨٥٥م.
من كتاب "الجزائر في مؤلفات الرحالة الألمان١٨٣٠ _١٨٥٥ ، أبو العيد دودو.
يتم الإعلان عن بدء شهر الصيام بإطلاق مائة طلقة من" مدفع كبير أقيم في الميناء، وليست هذه الطلقات إحسانا من جانب الحكومة الفرنسية ذلك أن السلطات المدنية تحتم على المسلمين أن يدفعوا خمسة فرنكات لكل طلقة في مقابل هذه التحية.
وبعد هذه الطلقات توقد مصابيح كثيرة فوق منارات المساجد تضيء الهلال الذي يتوج رؤوسها، ويقف المؤذن بثيابه الجميلة وسط أضواء المصابيح ويرفع العلم

الأبيض ثم يدعو المؤمنين إلى الصلاة، وليس هناك مسلم راشد لا يسرع إلى تلبية النداء فلا الشيخوخة ولا الثروة تحول بينه وبين المضي إلى بيت الله.
وكانت المساجد _وعددها أيام إقامة فاغنر بالجزائر تسعة وثلاثون [عدد السكان مائة ألف] دائما مكتظة بالمصلين.
..... بعد انقضاء الصلاة يذهب الحضري إلى بيته، والعربي إلى باديته، والقبائلي إلى جباله ،وفي طريق عودتهم لا يتورع هؤلاء المصلون الأتقياء عن سلب إخوانهم في الدين أو قتل المسيحي الذي يجدونه وحيدا(١/٧٥_٧٨)
[معروف أنه في هذه الفترة وقبلها لم يكن الطريق آمنا لمن يخرج بدون حماية، مع انتشار ممارسة الغارة بين العروش،وانتشار قطاع الطرق بكثرة، وهذا من تناقضات السلوك عندنا في تلك الحقبة وكتب التاريخ تعج به.
و أما عن قتل المسيحي ففي تلك الفترة كانت الجزائر العاصمة تحوي كل الأجناس الغربية إما كتجار و غالبيتهم أسرى الغزو في البحر، ولم يكن كل الأهالي اعتادوا على وجودهم خاصة سكان البادية.
ونفس الشيئ يذكر في هذا الكتاب لكن بالعكس حيث يروي كيف أن الجنود الفرنسيين كانوا يعرضون على المعمر أن يقتلوا جزائريا مقابل مبلغ زهيد.!]
... المسلمون يصطفون خلف الإمام دون أن يقيموا وزنا للاصل والنسب فهناك الحضر والأتراك والكراغلة والعرب والقبائل والبسكريين والزنوج، يجلس التركي في ثيابه الفاخرة إلى جانب البسكري المتسخ الثياب [كان يزاول المهن اليدوية]
و المسلمون يلفون مسبحة حول أيديهم في أثناء الصلاة وقد أخذ عنهم المسيحيون كما هو معروف استعمال المسبحة وتصنع من ثمار الوقل الخاشع.
وكل فرد من هذه الطوائف المختلفة يترك نقطة الاتحاد هذه التي انمحى عندها اختلاف الطبقات ويعود إلى حياته اليومية و أعماله الخاصة.
[لقد كان المجتمع في هذه الفترة طبقيا مؤسسا على الشرف والنسب والانتماء العرقي أو المهني لكن كل ذلك يختفي داخل المسجد!]
ويحرص المسلمون فيما ذكره فاغنر على سماع الموسيقى طيلة شهر الصيام و يتسلون بمشاهدة الرقصات والعروض المسرحية والهزليات المتنوعة.
ويتشدد الجزائريون في المحافظة على الصيام، وطعام الصائمين في الليل الكسكسي

بالزيت ويضاف إليه اللحم المقلي والفواكه.
وبعد انقضاء الطعام ينصرفون إلى مشاهدة العروض الهزلية التي يشاهدها المرء في أغلب المقاهي العربية، وتحوي على إشارات وحركات مثيرة ومناظر فاحشة وسخرية مقذعة إلى درجة أنه ليس من اللائق الحديث عنها ووصفها هنا.
وثمة محل آخر يحظى بعدد كبير من الزوار في ليالي رمضان وهو المسرح الشعبي أو الڨرڨوز، ويقع في أقذر زاوية بمدينة الجزائر عبارة عن قبو مظلم.
والحقيقة أن الحضر لا يجدون مكانا أحسن من هذا يتعلم فيه أطفالهم ضروب السفالة و أنواع الآثام.
فهل يعجب الإنسان بعد هذا أن يرى هذا الشعب غارقا في الفساد والجبن والذلة و العبودية، ويرى شبابه يمتص أحط أنواع السموم التي تقضي على طاقاته وحريته الفكرية، والحكومة الفرنسية متسامحة في مثل هذه الفضائح فلم تحاول حتى الآن غلق تلك الأماكن التي تنشر الفساد و الانحلال بالعكس أن أوضاع تلك الأماكن قد تحسنت منذ دخول الفرنسيين إذ أنها لم تعد تدفع تلك الضرائب التي كانت تدفعها إلى الداي ومن هنا فإن عددها يزداد بسرعة وتهتم فرنسا بتزويدها بجيش من الفتيات يفوق عددهن عدد المعمرين بثلاثة أضعاف (١/٨٠_٨١)
[أخذ الداي للضريبة على اوكار الفساد ليس غريبا فقد ذكر ابن تيمية مثله في زمانه وكذلك ذكر حسن الوزان هذا عن فنادق فاس.
ظاهرة ارتباط شهر رمضان باهتمام زائد بالموسيقى عند حضر الجزائر أشار إليها توماس شو في كتابه (رحلة في إيالة الجزائر ١٧٦٥)
وتكلم عن شدة تدين السكان ،و أن هذه الأماكن كانت مرتعا للشباب، وأن القاضي أو السلطات كانت تغض الطرف عنها وكانت بحواشي مدينة الجزائر.
المهم التناقض السلوكي كان مقرونا بانتشار البدع وهيمنة شيوخ التدين الخرافي على الحياة الاجتماعية فقد مس الفساد كل المجالات ،و إن كان هناك بقية أهل علم عمروا المساجد بقراءة القرآن وختم البخاري في فترة أصبح فيها التدين روتين لدى العامة و مراسيم في المناسبات الدينية.
في شهادة فيلهم شيمبر وهو شخص يتمتع بموضوعية و إنسانية كما قال الأستاذ دودو دافع عن وضعية المرأة الجزائرية، و أفضلية المجتمع الجزائري على المجتمع

الأوروبي وبسالة سكان الجزائر في القتال، و أنه لولا تناحرهم لما غلبتهم فرنسا وغير ذلك مما دونه في كتابه لكنه في الوقت نفسه لم يغفل المظاهر السلبية والتي نجد أسوأ منها بكثير في شهادة ليون الإفريقي وغيره.
تقبل الله صيامكم وقيامكم ووفقنا لهدي النبي صلى الله عليه وسلم، ورزقنا و إياكم الصحة والعافية .

نوع النخبة؟

......

وجود نخبة هذا أمر مفروغ منه فما النخبة إلا ما انتخبه الجمهور على أنه زبدة المجتمع في الثقافة أو العلم أو السياسة أو الاقتصاد أو القانون أو الفنون.
هذه النخبة لا يخلو منها مجتمع في أي فترة من فترات تاريخه، ووضعه يكون دائما بحسب درجتها أو مستواها.
والمشكل الذي نعاني منه في هذا الأمر هو أن مجتمعنا ومؤسساتنا العلمية عجزت ولا تزال عن انتاج نخبة من المستوى الأول خصوصا النخبة العلمية والثقافية (intellectuel de premier plan) فقد لا يصدق هذا الوصف إلا على مالك بن نبي رحمه الله(هذا الصنف له قراءة شاملة وينتج التصورات).
ولهذا فإن أخطاء ما قبل الاستقلال وما بعده هي نفسها نفسها ،ومردها إلى هذا السبب بالدرجة الأولى فإن كل عمل (فعل سياسي خصوصا) لا يسبقه تفكير علمي وتنظير متين يؤول إلى الفوضى أو العبث و إلى نقائص تتكرر باستمرار.
وحده الأحمق يظن أن العالم يمكن أن يقوده الحمقى!

الدعوة عند انتشار الفساد؟

....

عندما نقرأ التاريخ نجد انه كلما طغى البشر في الفساد ردوا إلى الصفر، إلى البداية، في الغالب بالكوارث فالتصحيح الكوني لم يتخلف عن أي حضارة تمادت في الفساد والأمثلة كثيرة.

فرسان نهاية العالم الأربعة هي الاستعارة التي استعملها "مارتن شيدل"[1] في كتابه " تاريخ اللامساواة "وهم: الثورة ـ الحرب ـ وهط وانهيار الدولة ـ الأوبئة.
ويمكن ان ندخل تحت عنوان الأوبئة: الكوارث كالجفاف الطويل، الزلازل، ثوران البراكين الضخمة، الفيضانات الشديدة وسائر أنواع العذاب بالطبيعة.
الموضوع بالنسبة لهذا الكاتب هو أنه عندما يبلغ الظلم ـ الذي يسميه "عدم المساواة " أوجه فإنه لا يتقلص بدون هيجان عنف الجماهير اجتماعي أو طبيعي وهذا من العصر النيوليتي إلى يومنا؛ ومن النادر ان نلاحظ تراجع الظلم الاجتماعي في فترات السلم والوفرة والاستقرار السياسي.
توجيه الوصف إلى الظلم الاجتماعي سببه براديجم الكاتب بينما في الحقيقة مرد هذه الكوارث فساد الناس فما الظلم الاجتماعي إلا صورة له، نتيجة حتمية لاختلال منظومة القيم فيهم.
التدمير التام اجراء كوني لتفكيك حضارة خرجت عن طور فطرة إنسانيتها عندما تبدأ البربرية فيها تتغذى على التعقيدات التقنية والثقافية لهذه الحضارة، عندما يوظف العلم وخرق قوانين الطبيعة لازدهار الفجور.
قال الله تعالى: {ألم نهلك الأولين} {ثم نتبعهم الآخرين} وقال: {وكم أهلكنا من القرون من بعد نوح} والهلاك استحالة وتفكيك وفساد في الشيء.
ولقد ترك لنا الله عز وجل آثار القوم الذين عذبهم في الحياة الدنيا للمشاهدة والاعتبار، قال تعالى: {أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أكثر منهم وأشد قوة وآثارا في الأرض فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون}
والامة الإسلامية لا تخرج عن هذا المبدأ " عقوبة الظالمين" إلا أن الله تعالى خصها دون غيرها لفضل التوحيد وتحملها الرسالة وشهادتها على بقية الأمم، ولأن دورا لا يقل أهمية عن دورها الأول ينتظرها لتؤديه فمهما كان الحال تظل هي رمانة الميزان، وأفق البشرية بما جاء في قوله صلى الله عليه وسلم: "أمتي أمة مرحومة ليس عليها عذاب في الآخرة، عذابها في الدنيا: الفتن والزلازل والقتل".
وهذا الحديث حسن عند السفاريني (شرح ثلاثيات المسند) وصحيح عند الألباني (صحيح أبي داود) وضعفه بعضهم واستشكله آخرون.
وفسره القاري في " المرقاة" بان الأمة هنا امة الإجابة، والرحمة زائدة على سائر

الأمم ونفي العذاب عنها في الآخرة المقصود منه نفي شدته لأن غالب عذابها في الدنيا بالمحن والبلايا.

و لهذا الحديث علاقة بالحديث الآخر: " سألت ربي ثلاثا فأعطاني اثنتين، ومنعني واحدة: سألت ربي أن لا يهلك أمتي بالسنة فأعطانيها، وسألت ربي أن لا يهلك أمتي بالغرق فأعطانيها، وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها" صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض، حديث رقم (2890) ، (4 / 2216) .

والمقصود أنه خصت بسنن دون غيرها في باب العقوبة والعذاب، وهي فعلا مرحومة في الآخرة، فهي أول من يحاسب فلا تمكث في المحشر مثل غيرها، وهي أول من يجاوز الصراط وأول من يدخل الجنة، وهي أكثر الأمم صفوفا يوم القيامة، وأكثر أهل الجنة، وخصت بأنواع من الشفاعة أعظمها شفاعة نبيها، فهي بدون شك مرحومة في الآخرة بالنظر إلى غيرها من الأمم.

عندما تخور قوى الدعوة وتبدأ في التراجع هل يعني ذلك بالضرورة أن جمهور الأمة أصبح ميتا لا ينكأ فيه خطاب أم يجب أن نراجع أسباب التراجع بأبسط معيار وهو المقارنة بين الخطاب أيام رواجه وانتشاره وبين الخطاب في أيام أفوله أو تراجعه هل تغير فيه شيء وماذا حصل ما بين المرحلتين من أحداث وتجارب؟

إذا كان على الفجور و النفاق و الكفر فلا يوجد منه في الأمة اليوم ما لم يكن موجودا من عدة قرون فقط انتشار وسائل التواصل و التسهيلات التي تقدمها التكنولوجيا يظهر كأننا في شيء جديد تماما ، يكفي رصد ذلك في كتب التاريخ لتعلم أن الأوضاع الأخلاقية و الايمانية هي هي منذ أن بدأ التأصيل العلمي للانحراف من العصر العباسي الثاني، و هذه المظاهر السلبية في ازدياد و انتشار و توسع حتى بلغت ما نعرفه كلنا عند انهيار الدولة الإسلامية في الأندلس ،فالدين مفقود من تلك الأيام، و أقصد الدين الصحيح دين السلف الصالح ، ووحده الدين الصحيح يعصم من الفجور و تبعاته، أما الدين الفاسد فهو و إن كان صادقا عند بعضهم فأكثره دين رسوم و استرزاق، دين يبرر مخالفة السنة و يطلب الرخص للفساد عقيدة وفقها.

الهوى والشهوات ومزاج القطيع ـ على وصف أحد الفضلاء ـ ليس جديدا في الأمة، ولا هو من أسباب اعتزال المجتمع فمن فجر التاريخ وعند بعثة كل نبي في أمة من

الأمم كانت تلك الأمة في اوج شركها وكفرها وفجورها فإن الأنبياء يبعثون عند اندراس التوحيد ومسخ الفطرة البشرية.
ويمكن أن نضيف على فساد المشهد الديني فساد المؤسسات الدينية الرسمية أو ضعفها الشديد بحيث ينطبق عليها المثل القائل: العبد أشد على الناس من سيده.
والمؤسسات العلمية ومناهجها تنتج صورا جديدة للجهل، إضافة إلى المسخ الأخلاقي فالشباب في الجامعات_علي ما أخبرت به _يفطر في رمضان عمدا ويدخن نهارا لكننا نعلم أن أزمة المدرسة العمومية تابعة لأزمة العائلة والمجتمع (التفكك العائلي) ومن علاماته التفسخ الأخلاقي، وقلة التدين وتلاشي الآداب المدنية (civilité) وتأثر العلاقات الإنسانية عموما.
نجم عن هذه الحالة ـ على تعبير أحدهم ـ ولغياب وعي تاريخي ورؤية مستقبلية تصور سلبي وتشاؤمي للحياة في كل أبعادها ومستوياتها من الأخلاق والدين إلى الفكر والأدب والسياسة، فغلب على الناس من جهة الاهتمام المادي المعيشي فقط، ومن جهة أخرى اليأس والاحباط والشك في كل ما هو قائم.
وهذا الحالة أصابت المتدين وغير المتدين معا ففقدا الأمل ولم يبصرا شيئا يمكن البناء عليه، الأول شهته في العزلة وزينتها له، والثاني أدخلته في رفض الواقع وعدم الاعتراف به وصارت عملته في الحياة: اللامبالاة.
الأول تراوده فكرة القطيعة مع الواقع لكنه متردد لأنه يملك في خلفيته بذور رؤية تؤسس لبداية بينما الثاني قطيعته جذرية لا تتصل بشيء.
عندما يبلغ التذمر هذا المستوى فإن نقدنا لواقعنا يصبح بسبب وبدون سبب مع العجز عن اقتراح البدائل والمنافذ الممكنة.
نحن في فترة انهيار وتراجع الأيديولوجيات وتفكك الانتماءات غير العرقية وفقدان الثقة بالدولة ومؤسساتها وقوانينها وأحزابها، وهذا ما لا يجب أن يتسرب إلى الفكر السياسي والحضاري للطائفة المؤمنة لأنها آخر ملاذ لتيه الناس الفكري والهوياتي.
عندما يعم الفساد فإن الطائفة المؤمنة مطالبة بالثبات والحفاظ على نفسها باتخاذ إجراءات تحمي دين أفرادها من العزلة المشروعة عزلة الناس في الشر ومخالطتهم في الخير وفيما لابد لهم منه ، لكن عليها أن تواصل الدعوة.
والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر شيء آخر تماما ليس أحدهما علة للآخر فإن

سقوط التكليف بالأمر والنهي موقوف على علة أخرى غير علة انتشار الفساد وإذا صح التعبير فإن انتشار الفساد هو السجل التجاري للداعية.

و الدعوة اليوم ليست مستحيلة أو صعبة بل هي غير موجودة أصلا إلا في صورة ضعيفة فما الموجود إلا نقاش داخلي عقيم و مضر،و حروب كلامية بين المذاهب و الطوائف ،لا يوجد خطاب دعوي بالمواصفات القرآنية النبوية موجه للناس .

هذا فضلا عن تقصيرها في وسائل الدعوة فهي الآن إما خطاب متشدد خارج التاريخ وإما خطاب مميع لأحكام الشريعة بدلا من عرض كلام الله ورسوله على الناس يبحث عن تبرير نفسه وعجزه، يتراوح ما بين خطاب قانوني عسكري منفر لا يأخذ بالحسبان حقائق النفس البشرية وامراض العقول، يقسو به القلب ولا يلين، وما بين خطاب متعلمن بدون أن يشعر، أو مبتدع ضال منحرف يحمل في طياته بذور الكفر والنفاق يفتح طريق الإلحاد وينتن النفس بالشكوك.

وأهل الدين شذر مذر يغلب عليهم الخطاب الكلامي والفقهي القانوني والسياسي بدون لون وهذا ليس خطابا دعويا، والخطاب الأكاديمي على أهميته لا يصلح لدعوة عامة الناس.

والحقيقة هي أن الدعوة أو الدعاة هم من تغير وليس المجتمع فهو في نفس الفساد الذي كان فيه يوم كان الخطاب الدعوي فعالا ناجحا في السبعينيات وما بعدها إلى انتشار ظاهرة العنف.

لقد ترك الإسلاميون على أساس أنهم نضجوا الخطاب الدعوي الوعظي القرآني النبوي إلى خطاب التكفير والتجريح وتصفية الحسابات، أوعلم الكلام الجاف، أوالسياسة البلهاء فلا يمكنهم بحال أن يقولوا: لقد غلب الفجور وماتت القلوب ومسخت الفطر وتعطلت العقول فعلينا بأمر أنفسنا ولسنا ملزمين بالدعوة واتخاذ الأسباب المادية والمعرفية لتقويتها وانجاحها.

عندما فشلت التجارب تخلوا عن الهدف السياسي: الدولة الإسلامية المقيمة للدين والراعية لمصالح الناس ولم يكن المشكل في هذا الهدف ولكن في تصور ساذج لمراحل الوصول إليه فظنوا أن رواسب قرون من الانهيار ستعالجها قوة البندقية، أو نشاطات سياسية حزبية فكانت مقاربتهم عقدية محضة أو سياسية أدبية (لا فلسفية) بدون رؤية شاملة لميكانيزمات الحضارة ونشوء الدول الحضارية لا إمارات على

ركام حجارة.
رؤية تقفز على موروث عرقي ومذهبي وإقليمي يناقضها (عجزت عنه أوروبا رغم تقدمها وقوة وسائلها) تحتاج إلى هياكل أرضية لا توفرها الدولة القطرية.
متى لا يلزم المؤمن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟
" قول الله عز وجل: {عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم} لا يقتضي ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا نهيا ولا إذنا كما في الحديث المشهور في السنن عن أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ أنه خطب على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: " أيها الناس إنكم تقرؤون هذه الآية وتضعونها في غير موضعها وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: {إن الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيروه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه} .
وكذلك في حديث أبي ثعلبة الخشني مرفوعا في تأويلها {إذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا وإعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بخويصة نفسك}
وهذا يفسره حديث أبي سعيد في مسلم: {من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان}
الشرط: فإذا قوي أهل الفجور حتى لا يبقى لهم إصغاء إلى البر؛ بل يؤذون الناهي لغلبة الشح والهوى والعجب سقط التغيير باللسان في هذه الحال وبقي بالقلب.
وما ذكره الصديق ظاهر؛ فإن الله قال: {عليكم أنفسكم} أي الزموها وأقبلوا عليها ومن مصالح النفس فعل ما أمرت به من الأمر والنهي.
وقال: {لا يضركم من ضل إذا اهتديتم} وإنما يتم الاهتداء إذا أطيع الله وأدي الواجب من الأمر والنهي وغيرهما؛ ولكن في الآية فوائد عظيمة:
أحدها: ألا يخاف المؤمن من الكفار والمنافقين فإنهم لن يضروه إذا كان مهتديا.
الثاني: ألا يحزن عليهم ولا يجزع عليهم فإن معاصيهم لا تضره إذا اهتدى والحزن على ما لا يضر عبث وهذان المعنيان مذكوران في قوله: {واصبر وما صبرك إلا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون}.
الثالث: ألا يركن إليهم ولا يمد عينه إلى ما أوتوه من السلطان والمال والشهوات كقوله: {لا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم ولا تحزن عليهم} فنهاه عن الحزن عليهم والرغبة فيما عندهم في آية، ونهاه عن الحزن عليهم والرهبة منهم في

آية فإن الإنسان قد يتألم عليهم ومنهم إما راغبا وإما راهبا.
الرابع: ألا يعتدي على أهل المعاصي بزيادة على المشروع في بغضهم أو ذمهم أو نهيهم أو هجرهم أو عقوبتهم؛ بل يقال لمن اعتدى عليهم عليك نفسك لا يضرك من ضل إذا اهتديت كما قال: {ولا يجرمنكم شنآن قوم} الآية.
.... فإن كثيرا من الآمرين الناهين قد يتعدى حدود الله إما بجهل وإما بظلم وهذا باب يجب التثبت فيه وسواء في ذلك الإنكار على الكفار والمنافقين والفاسقين والعاصين.
الخامس: أن يقوم بالأمر والنهي على الوجه المشروع من العلم والرفق والصبر وحسن القصد وسلوك السبيل القصد فإن ذلك داخل في قوله: {عليكم أنفسكم} وفي قوله: {إذا اهتديتم}.
فهذه خمسة أوجه تستفاد من الآية لمن هو مأمور بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وفيها المعنى الآخر: وهو إقبال المرء على مصلحة نفسه علما وعملا وإعراضه عما لا يعنيه كما قال صاحب الشريعة: {من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه} ولا سيما كثرة الفضول فيما ليس بالمرء إليه حاجة من أمر دين غيره ودنياه لا سيما إن كان التكلم لحسد أو رئاسة.
وكذلك العمل فصاحبه إما معتد ظالم وإما سفيه عابث وما أكثر ما يصور الشيطان ذلك بصورة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله ويكون من باب الظلم والعدوان، فتأمل الآية في هذه الأمور من أنفع الأشياء للمرء.
.... وبإزاء هذا العدوان تقصير آخرين فيما أمروا به من الحق أو فيما أمروا به من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في هذه الأمور كلها فما أحسن ما قال بعض السلف: ما أمر الله بأمر إلا اعترض الشيطان فيه بأمرين - لا يبالي بأيهما ظفر - غلو أو تقصير. فالمعين على الإثم والعدوان بإزائه تارك الإعانة على البر والتقوى، وفاعل المأمور به وزيادة منهي عنها بإزائه تارك المنهي عنه وبعض المأمور به والله يهدينا الصراط المستقيم ولا حول ولا قوة إلا بالله" ابن تيمية؛ مجموع الفتاوى 14/479
الدعوة ماضية إلى قيام الساعة ولكنها بحسب قدرة الأفراد بحسب الممكن من علمهم وقدرتهم سواء الداعية او المدعو، ولا يتوقف المسلم عن فعل الحسنات ولو قامت القيامة كما في حديث «الفتيل" لكن من أهل الخير من تضره مقارنة الفجار

ومخالطتهم فهذا عليه أن يحرص على مصلحة نفسه ومصلحة من يطيعه من الناس، وليس عليه ان يعرض نفسه لما يضره.

في حين هناك من تلزمه الدعوى في هذه الظروف لقدرته عليها وعنده تحمل للأذى ولتكاليفها، ومادام في الناس من يقبل الخير كما نرى في كل يوم، نرى أناسا يتحولون من الفجور إلى التقوى، ومن المعصية إلى الطاعة وباب التوبة مفتوح إلى أن تغلقه الشمس.

هناك الكثير مما يمكن القيام به لتحسين الأوضاع ومقاومة الفساد في جميع المجالات لكنه يحتاج أولا إلى الوعي بقوة التنظيم والتجمع والوعي بقيمة الوسائل الموجودة وفائدتها وخصوصا الشعور بالمسؤولية.

جماعة لم تكوّن نخبة في مستوى التحديات " العصر" لا يمكنها بحال أن تزعم أنها أدت ما عليها واستنفذت طرق الإصلاح فهذا من الأخطاء الجسيمة حينما نظن أننا أدينا الواجب وفي الحقيقة لم نفعل، ولعل أبرز مثال على ذلك الزهد في الوسائل الموازية لوسائل الفجور.

يجب أن نكون قادرين على التعامل مع الواقع دون أن تهضمنا منظومته .

يجب أن نحضر البديل جيدا ونناضل لتغيير الواقع بناء عليه ،بعزيمة تشبه نوعا ما " مَا يَنْبَغِي لِنَبِيٍّ إِذَا لَبِسَ لَأْمَتَهُ أَنْ يَضَعَهَا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عَدُوِّهِ".

......

1 ـ مؤرخ نمساوي له خبرة عالمية بتاريخ الحضارات خاصة الغربية، المساواة عندهم ليست عند الولادة فقط وبعد ذلك كل واحد وعمله وجهده وقيمه ووظيفته وطاقته وأهليته، بل مطلقة، ومعيارها عقلي **محض بدون مرجع لعقيدة أو لقيمة أخلاقية أو حقيقة طبيعية.**

التديُّن (الصحوي) والمسلم الثالث (؟)

....

قيمة التفكير في واقع الإنسان:
قيمة مواصلة التفكير في الموضوع هو القدرة على الاستشراف فما التفكير الواقعي (واقع الإنسان) إلا عودة الفكر على ما مضى لأجل استشراف القادم، وإلا كان تفكيرا تجريديا، فهيكل التفكير الواقعي هو العودة على التجربة، على ما حصل، وهيكل التفكير التجريدي أو الميتافزيقي بالمعنى الفلسفي هو الضرورة والعموم.
الحرص على استمرار التفكير في الموضوع غرضه التساؤل عن مصداقية القراءة (قراءة الواقع) لتحرير منظورات جديدة بحسب النظرة الموجهة للواقع، وهذا يحتاج إلى ألا تترك تفكيرك يطفو في عملية غوص في التجريد.
فمثلا عند دراسة حالة التدين في المجتمع المسلم من المفيد أن تعلق مؤقتا التقسيمات الثنائية التي تقوم عليها قراءتنا التقليدية للتدين، والتساؤل عن المصداقية العلمية لهذا التقسيم لأن الخطأ في الحكم على ما مضى يؤدي بالضرورة إلى فساد الاستشراف.
في موضوعات كثيرة نفكر فيها ونصدر حكمنا عليها ثم نغلق ملفها، ويظل ذاك الحكم يصحب تفكيرنا في قضايا أخرى كمسلمة، وهذا الفخ يمنع التفكير من الاستشراف الصحيح لأن الواقع متحرك ويقبل على الدوام دخول متغيرات جديدة فمثلا في البداية كانت القسمة ثنائية: ملتزم /غير ملتزم، إسلامي /غير إسلامي، إسلامي /عامي، إسلامي /علماني، لكن متغيرات الواقع أضافت قسما ثالثا هو المتدين المتحرر من الانتماء إلى جهة، ليس له مرجعية معينة،و يغرف من التراث أو من المعروض باختياراته بحسب ثقافته وميوله من أي جهة بدون أن يرفع لواءها أو يقتصر على تلك الجهة فقط.
مساحة هذا القسم تتسع في كل يوم بسبب كل التشوهات التي لحقت التدين الصحوي مثل أنه أجنبي، مضاد للمرجعية المحلية، متشدد ومتطرف، نزع عن الناس بفرقان سنة _بدعة الشعور الساذج بأن الإسلام واحد في واقع المسلمين، بعيد عن العصر، مضيق لمعاش الناس، عنيف ... الخ.
وخصوصا أن التكنولوجيا الآن تخدم كلها عولمة الثقافة فتقود المستهلك لها بدون يقظة إلى عولمة التدين في المجتمع الإسلامي بحيث صار المسلم من القسم الثالث متحررا من المرجعية منح نفسه حق التفسير الديني لأنه مكن بتوفير كل المعلومات، الشيء ونقيضه الحقيقة الشرعية في بحر شبهات وهو لا يملك التكوين والأدوات

العقلية و العلمية للابحار فيها.
وهذه الجرأة على منح نفسه حق إنتاج المعنى الديني هو نتيجة حتمية لدفع الشباب نحو التدين الفردي (التدين بدون جماعة)
بتعبير آخر: نحن أمام عملية انفجار المنظومة بحيث أنهت الثقافة العالمية ثقافة النموذج الليبرالي في العالم الغربي احتكار الدين لإنتاج المعنى وهي على قدم وساق في العالم الإسلامي.
وقد بدأت العملية بالتمييز بين إسلامي ومسلم التي شارك فيها بعض السذج من عندنا وما هيس إلا تلاعب دلالي بتمييز عرفي بين مسلمين لا يعون البعد السياسي للإسلام لأنهم في الحقيقة الأصلية كذلك من الإسلاميين فكل مسلم إسلامي، ومصطلح إسلامي لا ينفي عنهم الإسلام ولكنه يميز بين إسلام شامل يستهدف بناء مجتمع على أحكام الإسلام وإسلام انحصر في الدولة الحديثة المعلمنة في العبادات وبعض المعاملات، وأصبح يشغل الحيز الفردي للإنسان فقط، وهذا ما تسعى إليه العلمانية.
جوهر استراتيجية ثقافة العولمة هو الفردانية (أو الفرداوية) الدينية التي وظيفتها الوحيدة أن تنهي احتكار الدين لإنتاج المعنى، وكل فرد يعطي نفسه المعنى الذي يناسبه للدين: معنى لما يفعله ولما هي عليه حياته فربط حرية الاختيار وحرية التفكير بالذاتية الفردية القصد منه القضاء على نمط التدين المحدد مسبقا بالشريعة.
الفردانية ومحاربة ثقافة الجماعة الغرض منها مسخ دين الله بحيث لا يتمسك الشباب المسلم إلا بما يشبه الدين في ظاهره دون حقيقته.
خطورة انتشار هذا القسم الثالث من المسلمين الممثل للتدين المميع والتدين بالتشهي والتدين بدون الولاء والبراء أنه غير معني بالمواجهة والمقابلة بين المتضادات، لا يعنيه تقابل: سنة/بدعة، دولة إسلامية/دولة علمانية، وحدة الالتزام/تحرر الالتزام، وعند بعضهم تقابل إيمان/كفر ولذلك ابتدع لنا «التراحم الإنساني " على الكفار.
ومعلوم أنه بدون مقابلة و مواجهة لا يوجد أي تفكير فما التفكير إلا الاعتبار ويستحيل بدون المواجهة والمقابلة ومن هنا سلبت هذه الفئة القدرة على التفكير الحقيقي.
وهذا القسم الذي بدأ كنتيجة اجتهاد شخصي متأثر بالتشوهات التي لحقت التدين الصحوي (إذا صح التعبير) تلقفته منابر تدين العولمة، التدين العالمي، تدين دين الحب والباطنية العالمية فأطرته وأصلت له تميعه وضيقت المسافة والهوة بين بقايا

فعالية التدين فيه والفجور الراقي؟
أخيرا: علاقتنا بالميدان لا يجب أن تكون عبارة عن نموذج لغوي فقط لان في البشرية جمعاء ما يقتضي معرفتها بالحق ومحبته، وإنما الجاهلية والغفلة لانغماس الإنسان في متاع الحياة وانشغاله بالمعاش تجعله يعرض عن طلب ما ينفعه من العلم ويتوصل به إلى سعادة الأولى والآخرة على تعبير ابن تيمية.
فعدم علم الإنسان بالحق وعدم إرادته للخير ليس لأنه غير موجود لم يبينه الله او لم يبثه في الآفاق، ولكن لأنه لا يطلبه، ولا يطلبه لأن روحه احتلت فيحتاج إلى من يحررها فقط.
والعقل لا يقبل تناقض المعيار أو تناقض وحدة القياس.

العلم شيء يكتسب قيمته من المحل الذي تضعه فيه.العلم شيء يكتسب قيمته من المحل الذي تضعه فيه.

اللعب بأعواد الثقاب!

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.
في فترة الأزمة يقترح المفكر ـ ونقصد هنا المتداول الغربي: الكاتب، أو الأستاذ، أو المحامي، أو السياسي، أو الشيخ، أوحتى الفنان (لأنه النموذج الذي فرضته الليبرالية كقدوة للمجتمع) .... الخ بصفة عامة: المثقف، رجل العلم، ما يسميهم بعضهم "أصحاب المهن العقلية" ـ قراءة لبؤس الشعوب وحلا لهذا البؤس عندما يكون هذا المجتمع في وضعية انهيار معالمه القديمة، وتكون التهديدات الاقتصادية ملحة ومخيفة، أو عندما يوظفه السياسي في لعبة الهويات.
وهكذا يلتف الشعب حول المعلم الرئيسي: "نحن"، نحن العرب، نحن الكرد، نحن البربر، نحن الأتراك .... الخ هذه "نحن" العرقية، وهناك "نحن" الدينية: نحن الأشاعرة، نحن أهل السنة والجماعة، نحن السلفية، نحن الإخوان، نحن الصوفية ...الخ لأنهم يشعرون أن هذا " النحن" فقد اتزانه.

من هؤلاء ممتهني الوظيفة العقلية يخرج من يسمون في العلوم السياسية بـــ " مقاولي الهويات" الهويات الخاصة المفرقة، أو التي تحوِّل الهوية الجامعة المشتركة إلى آلة دمار، هوية تتنكر للهويات الفرعية المباحة، أو تجعل في صدام معها، هوية مبنية على منطق منوي: إما هذا وإما هذا حيث لا يوجد وسط، لا يوجد تفاضل، ولا يوجد موازنة ومقابلة.

يمكن ان تتطور مواقف "مقاولي الهويات" للمجتمعات بسهولة في مثل هذه العملية، عملية التدمير، تدمير اللحمة الاجتماعية وتدميرالدفع نحو الأهداف المشتركة، بمجرد أن تضعف قبضة النظام السياسي تنفجر الأوضاع.

إن حمولة الخطاب الفكري العنيف مرتبطة أولا بسياق أزمة خاصة لمجتمع معين سواء كانت أزمة ثقافية أو سياسية أو اقتصادية.

والعنف الفكري عملية انزلاق دقيقة خفية، فمن النزاع إلى العنف، ومن السلام إلى المجزرة لأن الكلمات تفتح الطريق أمام الفعل، فنقتل الشخص أولا بالكلمات ثم نقتله بالفعل.

والعنف الفكري هو الذي يبني أطر المعانى التي تشرع العنف، وهكذا كان الأمر في التاريخ الإسلامي بين الطوائف والمذاهب يبدأ العنف فكريا ثم يصبح ماديا.

بحسب عبارة "كورنليوس كاستوريادس" يصبح" نحن ": الشكوى، التمزق، المعاناة، من سيخرج عرقنا او مذهبنا أو بلدنا من أزمته ويقترح منظورا جديدا؟

إعادة تشكيل هذا "النحن" الذي هو في حالة معاناة يهدف إلى تأكيد قوتنا، هويتنا ونقاءنا:"نحن في نحن، نحن بين نحن، يجب علينا أن نستعيد مجدنا وشرفنا، ولدينا الوسائل يكفي فقط أن نثق في أنفسنا وفي قوتنا الجماعية، وفي قاعدتنا المشتركة التي ليست الملة، أو السنة العامة، أو الوطن في قضايا معينة، ولكن الصفات الخاصة.

هناك فرق بين عرق يسير في الاتجاه الذي تسير فيه الأمة وبين عرق يسير في اتجاه مخالف كما هناك فرق بين مذهب يسير في الاتجاه الذي تسير فيه الملة وبين مذهب يسير في اتجاه مخالف.

العرق يجب أن يكون ضمن الأمة جزءا منها يخدم وجودها وأهدافها، والمذهب يجب أن يكون ضمن الملة يحقق وجودها ولا يضعف أساساتها، يواجه مخالفه لا يواجه الملة، ينازع منافسه لا ينازع الملة.

استقطاب الكل بين "هم" و "نحن " يجزم "كارل شميت" أنه أساس السياسي، ولهذا أجزم أن تحويل التدافع العلمي والصراع الفكري دون تمييز بين القريب والبعيد إلى صراع هوياتي من أسباب استمرار الأنظمة الفاسدة.

يمكن أن نطلق خطابا ملتهبا لكنه لا يلهب شيئا لأنه يوجد في المجتمع نار مضادة أو أن عقول الوقت ليست مستعدة بعد لتشتعل.

والحمد لله يوجد عقلاء وإلا كانت الكلمات لتصبح متفجرات خالصة ما إن تخرج من ألفيه.

في كتابه "خيانة المثقفين" عاين جوليان بندا عاين سنة ١٩٢٠ أن المفكرين صاروا يفقدون التزامهم لصالح القضايا الإنسانية العامة لخدمة أهواء عنصرية أو قومية أو ايديولوجية بلشفية. جوليان بندا، خيانة الكتبة، باريس، غراسي ٢٠٠٣ [١٩٢٧]

وهكذا مع طلبة العلم فقدوا التزامهم بقضايا الملة والأمة لصالح قضايا مذهبية خالصة، وحتى القضايا الصحيحة غالب عليها النفس المذهبي التصارعي، أو عجزوا عن الجمع التوليفي أو التعاضدي بينهما.

وهكذا تحت اسم: النقاء، الأمن، السلام، الحرية، العدالة، الديمقراطية وغيرها من عبارات التسويق السياسي، أو تحت عبارات: النصيحة، وحفظ الدين، وأحقية النقد وذم التعصب للرجال.. الخ يبرر الناس جرائمهم في حق الشعوب أو في حق الدين وفي حق أئمته.

كانت هذه مقدمة لموضوع "هل الأشاعرة من أهل السنة والجماعة؟" وخطورة العنف الفكري واللفظي في النقاش العلمي في هذا العصر بالذات لأنه ربما كان شيئا طبيعيا عند المتقدمين يوافق أعرافهم الاجتماعية وطبائعهم النفسية و لأن الفضلاء منهم كان عنفهم الفكري معتدلا واضح الأسباب يقابله العدل و الموازنة .

....

المصدر:

- مقدمة "الكلمة التي تقتل، تاريخ العنف الفكري من القديم إلى أيامنا، ازولاي فنسون
- "بغض الثقافة " كونراد بول ليسمان.

ما نزل بلاء إلا بذنب ولا رفع إلا بتوبة

القائل: عمر بن عبد العزيز
قال الله تعالى: {وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} [السجدة]
لقد بلغ البشر اليوم في فجورهم وكفرهم مبلغا لم يبلغوه من قبل فما من معصية استحق عليها المتقدمون الإبادة الربانية إلا وهي فيهم اليوم أشد وأكبر.
وإذا لم يفطن الإنسان إلى أن هذه المصائب التي حلت بالبشرية جمعاء واجتمعت عليهم: أوبئة وفيضانات وحرائق في كل مكان وأزمة اقتصادية وانتشار للفقر هي بسبب السيئات الكثيرة والقبائح الفظيعة ما يوجب مقت الله وبغضه فهو أعمى البصر والبصيرة.
قال سبحانه: {وَلَقَدْ أَرْسَلنَا إِلَى أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ فَلَوْلا إِذْ جَاءهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ} [الأنعام].
وقال تعالى: {وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ}
وقال تعالى: {أَوَلاَ يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لاَ يَتُوبُونَ وَلاَ هُمْ يَذَّكَّرُونَ} [التوبة]
فعلى المؤمن أن يجتهد في الدعاء إلى الله تعالى ليرفع عن المسلمين هذه المصائب وعليه أن يتوب إليه ويثبت على عبادته ويلتزم الصبر على هذا البلاء والشكر على نعمائه، ولا يقصر في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فهو ألزم في هذه الأحوال المظلمة لعله ينقلب بنعمة من الله وفضل لم يمسسه سوء.
رحم الله موتى المسلمين وجبر كسر المصابين منهم بأي من هذه المصائب.

العالم الذهني والتأويل والعنف الفكري واللفظي؟!

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله.
بحسب أطروحة فوكو فإنه فيما يخص السلطة فإن التاريخ ليس إلا تسلسل الهيمنات [إلا في فترة الأنبياء والمقتدين بهم].
وفيما يخص العلم فإنه ليس إلا تسلسل التأويلات. [01]

وقد صدق لأنه لا يوجد في العلم إلا النص والتأويل، والنص ثابت والتأويل متغير متكاثر، والنص يفسر نفسه والتأويل يفسره غيره، النص إخبار عن الشيء كما هو والتأويل فكرة عن الشيء، وعلاقة الدلالة فيه تقسم الوجود إلى أشياء وعلامات، فكرة عن الشيء وفكرة عن علامة الشيء (بحسب بورروريال)

وتنوع العلامات والتنقل من العلامة إلى العرض المؤقت مرورا بالرمز لا تقدم لنا إلا الالتباس في التمييز بين الوجود المتمثل " الشيء" وبين الوجود الممثل " العلامة".

إذا "العلم" الذي يعتمد عليه المؤول مصدره خارجي عن مصادر التلقي الشرعية، خارجي عن النص المؤول نفسه، هو الفلسفة المشائية التي تعتبر العلة الاولى لا مادية ولا كيفية لها ولا صفات ثبوتية، فالمؤول اقتنع بالنظرة الفلسفية لطبيعة الاله ومن ثم بحث عن مستندات داخل الشريعة أو البيئة التي تعيش فيها الشريعة فاستعان بالنظرة الفلسفية المشائية لاستعمال القراءة المجازية لنصوص الصفات، وكلها أدلة فرعية عن التصور المشائي الذي يستخدم مصطلحاته في بناء تصوره العقدي مثل مصطلح: جسم، مكان، حيز، تركيب. ... الخ

بيد أن تدخل علم خارجي عن الوحي يطرح معضلة عقلية أعمق من الأولى حيث إن إدخال الفلسفة اليونانية ومنطقها الصوري في قراءة النص الشرعي إخلال بالمعنى الأصلي للوحي، فالوحي هو وحي بحقائق وليس بألغاز تحتاج إلى الفلسفة فهذا إخضاع لمقام النبوة المعرفي لمقام الفيلسوف وفيه ما فيه من المشاكل.

والوحي هو وحي بحقائق، ومن الناحية العلمية الموضوعية فإن أي نص يجب أن يفهم أولا انطلاقا منه هو نفسه وفقا لنوعه، وفهم النص من خارجه بالاعتماد على عناصر خارجية هو تحريف وليس تأويلا.

ولهذا كان عمل السلف العلمي مع النص هو فهم التنزيل بينما صار العمل العلمي لكل من جاء بعدهم هو فهم التأويل وليس فهم التنزيل إذ العلاقة بالنبي صلى الله عليه وسلم أصبحت أطول ودخل فيها الوسطاء بوسائلهم الخارجية.

إن الممارسة التي ينتهجها المؤول والمتمثلة في الاقتراب من النص بطريقة التفكيك الاصطلاحي فيأخذ كلمة "العلو" ويعزلها عن سياقها هي طريقة شكوكية لزعزعة جميع العلاقات الدلالية في داخل النص تفاقم ايضا الفرق بين إدراك نظرة للنص بحسب أعراف اللغة العادية وحيرة علمية في مقابل النص لا ترى إلا المستوى

الدلالي الاصطناعي مع اقصاء لكل الأبعاد الأخرى للنص.
لا يشتغل النص كمعلومة إلا بتجاوز الحروف للوصول الي تكوين ودينامية المعنى، يعني فتح النص على ما يسمى اللغة الاصطناعية الاصطلاحية الفلسفية وهذه اللغة ليست هي لغة الوحي، ولا لغة من خوطبوا بالوحي، ومع إهمال تحديد المصطلح لأنه متعدد المعنى يقود إلى إغراق النص بتراكيبه البنائية الخاصة من العامة الى الأكثر دقة في بحر من الغموض.
وهنا يفرض السؤال نفسه هل من الممكن ان نستغني عن التأويل كمقاربة محدثة للنص مارسها المتكلمون والفلاسفة والباطنية كما استغنى عنها السلف فلو ان التأويل حافظ على موقف المتكلمين الاوائل بعدم الاعتراض على القراءة العادية للنصوص التي كان يجريها السلف لكان ممكنا التسامح معه لكنه صار يعارض أي قراءة مباشرة ويلزم بقراءة ثانية وثالثة ورابعة.
تناغم النص مع نفسه ورسالته لنا: تصوره للعالم هو ما ينتج عن قراءة اولية مباشرة لا نجد فيها قطعا متناثرة كلغز او سر مفقود، ولهذا لا نشعر بالحاجة عندما نقرأه أنه يريد أن يقول شيئا وأن هذا الشيء يفر منا، هذا نجده في التأويل نفسه ليس في التنزيل.
إن اخفاق القراءة التأويلية للنصوص الشرعية واضح لأن النص الشرعي ليس مغارة لم يستكشف السلف جميع زواياها فنأتي نحن ونبحث في زواياها المظلمة عن شيء نسوه لا يوجد في النصوص الشرعية، لا غموض لغوي ولا لبس عقلي لذا فإن القراءة التأويلية لا تعني إلا أن يكون القارئ حرا في اختراع مساره في القراءة.
بعضُ الأشياء مِثل: الحلم، و الأسطورة، و كلام المجانين، ليس من السهل أن نجد الطَّريق مِن ظاهرها إلى حقيقَتِها، فكل ما ليس مشروحاً، أو يكتنفه الغموض ، الغرابة فإنه يقاوم التحديد و التعريف ، وليس له قسمة مقطوع بها نضعه تحتها ، ولهذا يحتفظ في القراءة الأولى بإشكال أو تناقض يؤوله البشر ،و هذه مشكلة في الانتقال اللغوي ، مثل السفير الذي نرسله إلى بلد فإما يتقن لغة ذاك البلد و إما يطلب مترجماً ،فمشكل الانتقال اللغوي يحلها إتِّقان لغة المتكلم أو طلب المترجم لها، و لهذا كان الأنبياء هم المترجمين عن الله مراده للبشر، وكان السلف من الصحابة هم المترجمين لمراد الرسول .

ولهذا بعث الله الرسل حتى لا يتيه الناس في تأويل كلامه فالرسل حجة الله البالغة لأنهم التفسير الصحيح الوحيد لكلمته، وجعل لهم أصحابا لنفس الغرض حتى نغلق احتمال التفسير فهم من شاهد أفعالهم حين خروج أقوالهم من أفواههم شهدوا القول مع تعابير الوجه وحركة الأطراف ووتيرة التنفس، يعني: كل مادة التفسير وقرائنه المعنوية اجتمعت لهم حينما يتكلم الرسل شاهدوا القول مقرونا بالفعل.

ولهذا كان الفلاسفة الإغريق يجلبون عبدا ويسلمونه النص يقرأه عليهم فعلمهم سمعي وليس بصريا لأن المعاني بخلاف الأجسام أقرب للأدراك السمعي الذي ننشأ عليه وتعليمنا منذ الصبا، فالعقل أسمع للصوت منه للصورة فيما يخص المعاني، لان السمع يفعل كل قوى العقل بخلاف الصورة التي تدفع بعض قواه للخمول.

وعلى هذا لم يشعر السلف ~ في الغالب ~ بالحاجة إلى تأويل نصوص الصفات، في حين يشعر الفلاسفة والمتكلمون إلى هذه الحاجة، وبعضهم يجمع بين الموقفين فيثبتها على أنها معان أو أحوال أو إضافات وتعليقات، وهذا يعود بنا إلى مستويات التأويل: صرف اللفظ إلى معنى يستعمل فيه اللفظ مجازا ثم إثبات المعاني دون الإدراك الحسي، ثم الأحوال والإضافات ثم السلوب والنفي المحض. [02]

والمقصود أن التأويل حصل في الأمة وبدرجات مختلفة بحسب علاقة المتكلم بالنص ومنزلته عنده لذلك كانت بعض التأويلات أحسن من أخرى وهنا نحتاج إلى تحليلين: تحليل آليات التأويل لكن كذلك أسبابه الموضوعية، ولا أقصد موضوعية النص ولكن موضوعية المسار الحضاري، يعني: أسباب الاشتباه والشعور بالحاجة الملحة إليه فإن الشعور صادق وله أسباب ابستمية مفهومة داخل النظام الفكر الذي تعمل في داخله لكنها نابعة من تصور انطولوجي غير إسلامي خاطئ.

أقول هذا حتى ننتبه عند أي عتبة تتحول معركة التأويل إلى هجوم شخصي أو ربما إلى صورة من الحرب الصريحة أو المقنعة؟

يبدأ الهجوم بين الكتبة بإغفال ذكر المنافس الذي يزاحمنا الحديث في الموضوع، وهي طريقة لإنكار وجوده، لاغتياله رمزيا، وقد يبدأ بالتعنيف الفكري واللفظي وعندما لا يفلح لأن الحوار حوار الطرشان ينتقل إلى الاقصاء والطرد من الحاضنة والاغتيال الرمزي.

وهذا الانزلاق من المواجهة إلى الإنكار الفكري، من النقاش إلى الهجوم الشخصي

يعبر عنه الازدراء وهبوط المستوى والجمل الصغيرة القاتلة والعنيفة.
إن المدافعة الفكرية والصراع العلمي والمواجهة ليست في جميع الأحوال من قبيل العنف بل الازدراء والهجوم الشخصي والذم بمجرد الأسماء، فلابد أن تفهم سيسيولوجيا النزاع. [03]
والعنف عند بعض الناس ـ فلاسفة وأهل علم شرعي ـ يمثل لديهم الطاقة الحيوية، النبضة، القوة، فهو أمر طبيعي بحيث لا يوجد فرق بين نزاع وقوة والعنف مجرد وهم.
وهو ما نجده في أعمال "نيتشه" و"سرتر" حيث ينتهي العنف والحياة إلى الدلالة على نفس الشيء، ونجده عند طوائف من المسلمين والشخصيات العلمية حيث العنف يدل على نفس المعنى الذي تدل عليه الحقيقة والصواب، بمعنى آخر: يمنح الشعور بالصوابية مشروعية تعنيف الآخر والبغي عليه.
العنف الفكري عند هؤلاء وسيلة للضغط على إرادة الآخر، والقوة الرمزية للغة يمكنها بسهولة مرافقة ممارسة العنف الخالص.
للعنف الفكري أشكال كثيرة: الدعاية، والتلاعب بالعقول، وغسيل الأدمغة، وربما حتى المكر كما عند مكيافلي، وعندنا: منع المخالف من انتحال السنة بدلا من الاحتجاج عليه بها.
كذلك العنف عند من يمدح نفسه بالعلم مشبعا بثقافته سببه بذرة عنصرية اتجاه الذي لا يعلم أو يعتقد أنه لا يعلم، هو عنصرية الناس المتعلمة التي تنظر باحتقار وازدراء لمن يعتبرونهم جهلة. [04]
ولا يغرنكم جمال الأسلوب فإنه من خلاله تطلق الكلمات سمها، والعنف علامة على اللاتسامح، وهو نقيض منهج أهل السنة المتمثل في قرن العلم بالرحمة، فالعنف الفكري إذا صحبه العنف اللفظي وأهمل أسباب العذر وسيسيولوجيا النزاع ليس إلا كراهية مقطرة بسم الكلمات.
في قصيدة لـ "جاك سيملان بعنوان: "لا يجب ترك المفكرين يعلبون بأعواد الثقاب" يقول:
لأن هؤلاء السادة عندما نتركهم وحيدين فإن العالم الذهني ليس كله إشعاع.
ما هو إلا أن يكون وحيدا حتى يعمل اعتباطيا ولا يقوم إلا من أجل نفسه.

لنكرر: عندما نترك العالم الذهني وحيدا فإنه يكذب بصفة جسيمة! [05]
وإذا كانت مشكلة المؤول (الأقرب إلى رافض التأويل) هو العالم الذهني في التعامل مع التنزيل فإن رافض التأويل هو كذلك يعيش في العالم الذهني في حكمه على المؤول وحقيقة انتمائه إلى السنة من عدمه.

....

1 ـ دانيال ديبر؛ "العنف بين السلطة والتأويل في أعمال ميشال فوكو" ج ١ ص:٨٩
2 ـ مقتطع من مبحث " ترويض التأويل".
3 ـ جورج سيمل؛ النزاع، سترسبورغ ،سيرسي ١٩٩٢.
3 ـ الكلمة التي تقتل، تاريخ العنف الفكري من القديم إلى أيامنا؛ ازولاي، فنسون بوشرون ٢٠١٣.
4 ـ المصدر السابق.

كلام الإنسان تحت ظلال قصده و تاريخه الشخصي!

....

مشبعا بانتصاراته و إخفقاته وصراعاته وصورته في نفسه و طموحاته و حقيقته الباطنة يكون الإنسان متجذرا في قصده و تاريخه يشعر بحاجة ملحة إلى تحطيم كل جدار يقف أمام تحقيق آمال دواخله.
المنتسبون إلى المذاهب و الأئمة كثير منهم لا يوجد في انتسابه محتوى ثقافي علمي وسلوكي يمت بصلة حقيقية إلى ما ينتسب إليه،ربما علاقة علمية لا علاقة إيمانية، أو علاقة كتاب لا علاقة مبدأ.
وربما تحت وهم الانتساب المفتوح يقدمون لنا الشخصية العلمية التي ينتقدونها كأنها الشعب اليهودي: مرةً الشعب المختار ومرةً الشعب الملعون!
مثل هؤلاء يعانون من تراكب الانتسابات فوق بعضها بعضا فكل يوم والنزعة الانتسابية التي تجذبهم فالواحد منهم مشتت بين ذيله وراسه!
الظاهرة الجديدة المتمثلة في النقد السلفي(انتسابا) لابن تيمية و الألباني _رحمهما الله

تعالى وجزاهما عنا خيرا _ظاهرة مريبة ربما بالقصد ،وبدون شك بالمآل ليس لأنهما فوق النقد، أو لأن العلماء وطلبة العلم قصروا فيما يجب من نقدهم ومخالفتهم بل لأن هناك آدابا ومنهجا للنقد الداخلي تخالف النقد الخارجي، وهو فرق بيِّن لكل عاقل فالنقد الداخلي لا يهدف إلى إسقاط المنزلة بل لتصحيح القضية مع حفظ المقام لذلك يبتعد عن التتبع المستمر و الاشتغال به في قصاصات صحفية!

فمن العلماء من انتقد توغل ابن تيمية في مقارعة الفلاسفة مثل الذهبي، ومنهم من ذم استخدامه الاصطلاح الكلامي وخالفه في قضايا مثل الألباني ،ومنهم من أعلن مخالفته لمنهجه في النقد ومعاملة المخالف مثل ربيع المدخلي... الخ.

ولا يعني بالضرورة أنهم مصيبون في ذلك فهذا يرجع لقيمة المقاربة ومتانة الأصل المعتمد لكنه نقد،فلم تمنعهم هيبة الرجل من نقده مع حسن ظنهم به، وعلو منزلته في قلوبهم، واعترافاهم بسعة علمه ودقة تحقيقاته.

وبعض الطلبة يخالفونه في درجة استرساله مع الإثبات أو في مسألة تسلسل الحوادث خاصة في طرد المناظرات إما تصريحا ، و إما بعدم متابعته بنقل أقواله في الباب و الاستشهاد بها، ومنهم من يوجه له نقدا غير مباشر.. الخ

وهنا مسألتان :

الأولى :ليس ما يسمونه تناقضًا أو هفوة شنيعة أو خطأ هو في الحقيقة كذلك، لأنه ليس معهم إلا مجرد رأيهم أو اجتهاد في مقابل اجتهاده ،هذا إذا سلمنا أنهم فهموا نظامه الفكري ومفاصل تغيره أو تطوره؟

الثانية:حتى عندما يكون قوله بيِّن الخطأ يجب بيان أسباب الخطأ المعرفية أو المنهجية ودرجة تأثيرها على المنظومة لأن سله من هذه الأسباب غرضه الإضرار وهذا قصد فاسد .

والشيء نفسه مع الألباني، فأنا نفسي كتبت نقدا له "" موقف الألباني من السياسة" ، "حرفية الألباني" ،"نقد فقه الألباني" ،"فهم عبارات الألباني" ،"أنواع الكفر عند الألباني" وغيرها لكن مع ذلك أعرف منزلة الرجل وقيمته العلمية، وفضله على المسلمين عموما و أهل الحديث والسنة خصوصا، و أشهد على براعته وسلامة دينه رغم ما تعرض له من عدوان القريب والبعيد!

و إذا خالفته في منهجه الفقهي _مثلا _فهذا لا يعني أن فقهه كله ضعيف، فالنقد لابد

أن يحصر في مسائله تصريحا وتلميحا، ولا نستعمل الجزء للجر على الكل!
ما كان حقا بقصد محمود أثمر ودام وما كان غير ذلك ضر صاحبه لا محالة فإن بقي منه شيء فلبقاء الوزر !

اليقين والعافية حتى لا يضيع الإيمان!

....

قال النبي صلى الله عليه وسلم في حديث صحيح :"سَلُوا اللهَ العَفْوَ والعافيةَ واليَقينَ في الآخِرةِ".
لأن المسلم يحتاج إلى إيمان جازم يواجه به البلاء، و إلى العافية ليحفظ يقينه، فاليقين يعين عند البلاء، والعافية تحفظ اليقين من الامتحان و أن يزلزله البلاء.
في هذه الظروف التي تمر بها البلاد من شدة الوباء وبلاء الحرائق وكثرة الموت من لم يكن لديه يقين قبل البلاء سيعاني كثيرا من حر المصيبة وسيفتن قلبه.
وفي الغالب يكون ممن إن حصل له ما يهواه من الدنيا بقي له شيء من الإيمان، و إن أصابه ما يضر دنياه تبخر إيمانه وصار يسأل عن الحكمة من هذا البلاء؟!
بدون يقين يواجه البلاء يكون القلب مريضا في إرادته وقصده.
وعلى الإنسان أن يعلم أن العبودية حق الرب لا يعني أنه محتاج إليها ،وحق الربوبية مثل حق الوالدين.
فإن لم تعبده طوعيا شرعا عبدته كرها قدرا، فإما تشكر و إما تكفر، و إما تصبر و إما تندبر.
فالبلاء دعوة للإقرار بالربوبية حتى تأتي بالألوهية لأنه شعور بالحاجة والضعف فيسبق العبودية،و أعظم الشر أن تهمل عبادة خالق كل شيء.
إذا لم يغذ المسلم يقينه حال العافية بالطاعة وذكر الله تعالى فإنه سيعاني حال الابتلاء، وكونه يعلم أن الله موجود، والقرآن حق، والرسول حق، والإسلام حق، لن يعينه كثيرا لأن الهدى المجمل لا يقاوم الفتن إن لم يكن مفصلا في كل ما يتعرض له الإنسان من الجزئيات و الحوادث فالإنسان عقله محدود ويغلبه الهوى لغلبة الشبهات و الشهوات عليه.

وقد خلق ظلوما جهولا فالأصل فيه عدم العلم والميل إلى ما يهواه من الشر فيحتاج دائما إلى علم مفصل يزول به جهله، و إلى عدل في محبته وبغضه ورضاه وغضبه وفعله وتركه فإن لم يمن الله عليه بالعلم المفصل والعدل المفصل بقي في جهله وظلمه،ولهذا نسأل الله الهداية في كل صلواتنا فكيف بمن ترك الصلاة؟!
اعمل في حال الصحة لحال المرض، وفي حال العافية لحال الابتلاء، وفي حال الغنى لحال الفقر، وفي الدنيا للآخرة.
قوة القلب باليقين وحسن التوكل على الله سلاح المؤمن وحصنه ودواؤه وطريق أمله وفرجه،أصلح الله حالنا، وهدانا إليه، وجنبنا الفتن ما ظهر منها وما بطن، ورفع عنا وعن جميع المسلمين هذا البلاء، وجمع شملنا على دينه، وعلى التراحم بيننا.

....
_هذه المعاني فصلها ابن تيمية رحمه الله في كتبه.

مسؤولية المتابع للعلم الفاسد؟

العلم بدون صحة الإيمان؟

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.
المعرفة هي مجرد معلومات بدون لوازمها العقدية لا قيمة لها فعلية إلا في إظهار الثقافة والتشدق بها لتزيين المجالس والظفر بحظوظ النفس والتشيطن بهاعلى عباد الله إنما الذي ينظمها في عقد ويعطيها اتجاهها ووظيفتها هو الإيمان أو إن شئت الاعتقاد.
العلم الشرعي وخصوصا توابعه مع صحة الإيمان شيء وبدونه شيء آخر فقد يكون للشخص معلومات صحيحة كثيرة في موضوع معين، مثلا: حول صدق الرسول وثبوت نبوته، أو فضل الإسلام على الديانات الأخرى، أو فضل هذا القول على ذاك ورجحانه عليه، ومع ذلك تبقى مجرد معلومات لا أثر لها في حياته، يبقى على كفره أو ضلاله أو مذهبه الفاسد؟
لا يكفي أن تثبت للشخص صحة المعلومة ليتبع أثرها لذلك فإن المسلم مكلف بالتبليغ فقط، بعرض الموضوع بحججه لأن الاسترسال العملي مع موجبات المعلومة من

ترك حالة أو مقولة إلى حالة أو مقولة ثبت في روعه وفي عقله الباطن صحتها يحتاج إلى صحة الايمان أو صحة القصد والاستعداد النفسي لذلك.
وهذا الاستعداد باب يفتحه الله وحده فما لم يسأل الإنسان في نفسه الله قبول الحق، وان يهديه إليه، ويبدي في باطنه وفي حديث خواطره أنه سيقبله، ويتخلص في حديثه مع نفسه من العلائق مع أي شيء في مقابل الاهتداء إلى الحق فلن يقبله مهما كانت أدلته ظاهرة بينة، ولهذا أوصانا النبي صلى الله عليه وسلم أن نسأل الله في استفتاح الصلاة أن يهدينا لما اختلف فيه من الحق فإنه يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.
معالجة أقفال النفس وإعادة تصحيح العلاقة مع الله بالنسبة للمسلم، وكشف الرؤية الكونية حول الغاية من وجود الخلق وقيمة الأشياء بالنسبة لغيره مقدمة لكل تعامل مع معلومة صحيحة.
بعض خطباء المنابر الالكترونية في هذا العصر مشكلته في صحة النظر وسببها أن الهوى اعترض طريقه قبل معرفة الحق فلا يتبين له الحق ويبقى في ظلمة أفكاره.
لكن هناك صنف ليست مشكلته في صحة المعلومة بقدر ما هي في صحة إيمانه أو في سلامة قلبه فهذا من جنس من يعترضه الهوى بعد معرفة الحق فيجحده أو يشغب عليه فكثير منهم يشغب على الأصل و يفقد يقينه فيها بشبهة في الفرع { سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ (146) وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } [الأعراف].
بعض الناس ممن يتكلم في قضايا دينية بنوع علم سواء كان مجملا أو فيه شيء من التفصيل قد يعاني من مشكلة إيمانية مع السنة أو عنده خلل في معرفة مقام النبوة أو ليس معه إلا إيمان اعتورته شهوات قهرته فضعف عمله وقل ذكره فهجره التوفيق أو خذله الله أو كاد عقله وبقي محتفظا بتلك المعلومات وذاك القسط من العلم الشرعي الذي درسه من قبل فالعلم هو هو ولكن الحالة الإيمانية وما يتعلق بها من استعداد وتوجيه قد تغيرت إلا أننا نرى المعلومة التي يتكلم بها ولكننا لا نبصر حالته الايمانية فنتعجب كيف يوظف تلك المعلومة في حالة أو موقف لا يقبلها الإيمان! نسمع اليوم فتاوى وأفكارا إصلاحية فيها انهدام شريعة الإسلام من مضاهاة الشريعة ومضاهاة

العبادة الشرعية وعبادة المخلوق ومن البدع الغليظة ما لا يشك عالم صحيح الايمان أنه شريعة أخرى غير شريعة الإسلام المنزل.

كتب أحدهم لا يعرف شريعة الإسلام «محنة المسلمين مع العباقرة " وقصده ذم ترك الترحم على الكفار، وهذا قول نابع من أصل وحدة الوجود بحيث أن الإسلام عندهم ليس واجبا ولا الديانات الأخرى بما فيها من كفر وشرك محرمة وإنما الإسلام أفضل منها فقط؟

والرجل يعلم في قرارة نفسه أن المسلمين ليس لهم مشكلة مع عبقرية الرجل ولكن مع كفره وشركه وإلحاده.

فهؤلاء الذين يخرجون على الأمة بمقالات تهدم أصول الملة، ويعقدون بتلبيسات تمزج بين الحق والباطل مفهوم التوحيد البسيط الواضح، أو يطعنون في السنة وأهلها، قد يكون بعضهم منافقا يستبشع بعض أحكام الإسلام، أويعاني من مركب نقص أمام الثقافة الغربية لا عرف حكمة التشريع ولا فطن إلى فساد القول الغربي.

هناك فرق شاسع كما بين السماء والأرض بين منهج التعليم الإسلامي ومنهج التعليم العلماني اسمه " التزكية" فعند العلماء الشرعيين ليس كل واحد يستحق التعليم الشرعي وليس كل من هب ودب يتكلم في الشرع، الأول هو شرط التزكية النفسية عند طلب العلم، والثاني هو شرط التزكية العلمية لجواز الخوض في العلوم الشرعية.

وعلى هذا فإن المتابع مسؤول إذا أخل بشروط أخذ العلم عند المسلمين فوقع في ضلال أو انتهى به المطاف في الإلحاد او التنصر أو غير ذلك، ولهذا كان السلف يقولون: " احذروا من النَّاسِ صنفين: صاحب هوى قد فتنه هواه، وصاحب دنيا أعمته دنياه".

وكانوا يقولون: " احْذَرُوا فِتْنَةَ الْعَالِمِ الْفَاجِرِ، وَالْعَابِدِ الْجَاهِلِ؛ فَإِنَّ فِتْنَتَهُمَا فِتْنَةٌ لِكُلِّ مَفْتُونٍ ".

وروى الدارمي عن زياد بن حدير قال: قال لي عمر: هل تعرف ما يهدم الإسلام؟ قال: قلت: لا, قال: يهدمه زلة العالم، وجدال المنافق بالكتاب، وحكم الأئمة المضلين. صححه الألباني.

وروى أبو داود عن يزيد بن عميرة وكان من أصحاب معاذ بن جبل ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: كان لا يجلس مجلسا للذِّكْر، إلا قال حين يجلس: الله حَكَم قِسْط، هلَكَ

المرتابون، فقال معاذُ بن جبل يوما: إن وراءكم فِتَنا يَكْثُرُ فيها المال، ويُفتَح فيها القرآنُ حتى يأخذَه المؤمنُ والمنافقُ، والرجلُ والمرأةُ، والعبدُ والحرُّ، والصغيرُ والكبيرُ فيوشكُ قائل أن يقول: ما للناس لا يتَّبعوني وقد قرأت القرآن؟ وماهم بِمُتَّبِعِيَّ حتى أبتدعَ لهم غيرَه، فإياكم وما أبْتَدَع، فإنما ابتدَع ضلالة، وأحَذِّركم زَيغة الحكيم، فإن الشيطان قد يقول كلمة الضلالة على لسان الحكيم، وقد يقول المنافقُ كلمةَ الحق، قال: قلت لمعاذ: وما تدري ـ رحمك الله ـ أن الحكيم قد يقول كلمة الضلالة، وأنَّ المنافق يقول كلمة الحق؟ قال: بلى، اجتنِبْ من كلام الحكيم المشْتَهِراتِ التي يقال: ما هذه؟ ولا يَثْنِيَنَّك ذلك عنه فإنه لعله يُراجع، وتَلَقَّ الحق إذا سمعته، فإن على الحق نورا. قال الألباني: صحيح الإسناد موقوف.

قبل أن تتعلم المسائل الدقيقة وتعتني بمتابعتها من عند مجاهيل الوصف تعلم ما تتوقف معرفة الحق عليه وتحتاج إليه قبل ما تقفز فيما يعرف الحق بدونه في منهج التلقي أولا ثم في العلوم الشرعية نفسها بعد ذلك.

العلم و العالِم.. ؟

....

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.

بعض الأشخاص من أية ملة أو مذهب كانوا عندهم بيان وبلاغة وسرعة بديهة واستحضار وربط وشخصية وحضور اثناء الكلام ،ولكن ليس عندهم علم لان كلامهم جهل مركب أو سفه، فالعلم ليس البراعة في الكلام بالاصطلاح الفلسفي أو المنطقي أو الأصولي ولكن ما هو باطن القول وظاهره.

لهذا لا يغرنك الربط المنطقي بين المقدمات، وهو المصطلحات فكل الفلاسفة بما فيهم الوثنيون عندهم ربط منطقي قوي وتدليلات عقلية عالية الطراز، ومع ذلك فأقوالهم باطلة عقلا فضلا عن الشرع لأن العبرة ليست في شكل الدليل ولا في نظمه بل في مواده، ولأنه ليس العلم في عقولنا هو من يبحث عن إيجاد الحجج لتبرير فعل ما، ولكنها القدرة النفسية، فليس العلم قدرة معزولة في " النفس"، تتصرَّف بمفردها، بل يتصرَّف دائما بمعية قدرات انفعالية أخرى تعلب دورا في الظواهر العقلية لذا تسبق

النفسُ الذهن.
لهذا نحتاج إلى معرفة علاقة بسيكولوجية الفرد بعلمه وبأفعاله، وما هو العلم حتى نقول: فلان يتكلم بعلم أو قد تصرَّف عن علم؟ما يمكن تسميته بالحضور السلوكي في العلم ،نسبة الربط أثناء الحديث بين زكاة القلب والدليل.
وعليه عليك أن تعلم أن قوة البلاغة، والذكاء، وسرعة البديهة، وهندسة المعرفة، وقوة المنطق، وثراء اللغة العلمية بالمصطلح الخاص لا تخرج لوحدها الإنسان من الجهل المركب.
لهذا ومن باب تعليم الشباب الدفاع الذاتي عن عقولهم نتكلم عن المسألة من زواياها الثلاث: ما هو الجهل المركب، من هو العالم عند الله، وما هو العلم تقنيا.
" قال أبو حيان التيميَ: " الْعُلَمَاءُ ثَلَاثَةٌ " فَعَالِمٌ بِاَللَّهِ لَيْسَ عَالِمًا بِأَمْرِ اللَّهِ، وَعَالِمٌ بِأَمْرِ اللَّهِ لَيْسَ عَالِمًا بِاَللَّهِ، وَعَالِمٌ بِاَللَّهِ عَالِمٌ بِأَمْرِ اللَّهِ، فَالْعَالِمُ بِاَللَّهِ هُوَ الَّذِي يَخَافُهُ، وَالْعَالِمُ بِأَمْرِ اللَّهِ هُوَ الَّذِي يَعْلَمُ أَمْرَهُ وَنَهْيَهُ ".
وجاء عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: {وَاَللَّهِ إنِّي لَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَعْلَمَكُمْ بِحُدُودِهِ}.
والله سمى العاصي جاهلا: {إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ} ومعلوم أن العاصي شخص مميز ولذلك هو مكلف، فالتمييز ليس مانعا من الجهل.
والجهل في المعصية هو إما عدم العلم بعاقبة الفعل وإما فساد الإرادة، وهما متلازمان.
وعن الحسن: {الْعِلْمُ عِلْمَانِ فَعِلْمٌ فِي الْقَلْبِ وَعِلْمٌ عَلَى اللِّسَانِ، فَعِلْمُ الْقَلْبِ هُوَ الْعِلْمُ النَّافِعُ؛ وَعِلْمُ اللِّسَانِ حُجَّةُ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ}.
وفي الصحيحين عن أبي موسى أن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: {مَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مَثَلُ الْأُتْرُجَّةِ طَعْمُهَا طَيِّبٌ وَرِيحُهَا طَيِّبٌ، وَمَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مَثَلُ التَّمْرَةِ طَعْمُهَا طَيِّبٌ وَلَا رِيحَ لَهَا، وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مَثَلُ الرَّيْحَانَةِ رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مَثَلُ الْحَنْظَلَةِ طَعْمُهَا مُرٌّ وَلَا رِيحَ لَهَا}.
فهذا المنافق الذي يقرأ القرآن يحفظه ويتصور معانيه وقد يصدق أنه كلام الله ولا

يكون مؤمنا، كما أن اليهود يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وليسوا بمؤمنين، وعليه فالعلم غير مفصول عن العمل، ومتى كان مفصولا دل على أنه علم غير تام لأن العلم التام يستوجب العمل بموجبه لا محالة، فكل من لم يعمل بعلمه فهو جاهل في الحقيقة.
والعقل عند المسلمين وغيرهم هو غريزة باعتباره قوة في الإنسان وهو عند بعضهم من جنس العلوم وهو ما أسميه " العقل المكتسب «يعني ثقافة الشخص فأحيانا نقول: هذا شخص عاقل، ونقصد أنه حكيم ومرد ذلك إلى ثقافته وتجربته.
والعقل في اللغة مصدر عقلَ يعقلُ عقلا، فلا يسمى عاقلا إلا من عرف الخير فطلبه والشر فتركه، ولهذا قال أصحاب النار: {لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ}، وقال عن المنافقين: {تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ}"[01]
وعليه فمن لم يعرف عداوة الحداثة للدين ولو كان متخرجا من جامعات إسلامية شرعية فهو جاهل إما بعدم علم وإما بجهل مركب وإما بسفه لفساد الباطن.
والعلم عموما ما قام عليه الدليل، والديني في كل مجالاته ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم، وما سوى ذلك فباطل ملفق أو خزف مزوق. كما قيل.
في العلم لا يحكم على القول وحده كأنه جزء مستقل عن بقية الأقوال، يعني هناك وحدة معرفية لا يمكنك أن تقول في العقيدة قولا ينقضه قول آخر في الفقه أو في أصول الفقه.
ولهذا يختلف الناس حول الشخص بسبب تعلُّق كل واحد منهم بجانب من جوانب القول أو يغلب جانب على جوانب أخرى، فيرى قوله في هذا الباب صحيحا ولا يعرف أنه قول مطرود بباطل في أبواب أخرى.
لماذا نعجز عن التحليل الصحيح؟
الجواب في نظري هو أنَّ الخلط بين العلم وبين مجموعة معارف، أو اعتباره مجرَّد معلومة ومعطيات بدون إجراء، وبدون طريقة، وبدون التنبُّه إلى التذويت الذي نقوم به، فعندما يذوِّت شخص ما علماً ما يحوِّل هذا العلم إلى معرفة يعني التملك لكن ليس وحده فعملية التملك تكون في النفس و قد يقترن بهذا القول محبة أو بغض ، فيبني الشخص معرفته هذه داخل حزمة من الانفعالات و لهذا نفس المعرفة التي نستخلصها من القول عند شخص آخر لا تكون هي نفسها، ومن هنا تختلف الرؤى، فبقدر

الموضوعية بقدر ما تقترب الخلاصة وبقدر الذاتية بقدر ما تبتعد.
ومعلوم أن اكتساب العلم يفترض عملية مستمرة من الاستيعاب وتنظيم المعارف يجريها الشخص المتعلِّم مما يفرض التعارض مع كون العلم " مجرد التراكم والاحتفاظ" فكون وسائله تراكمية لا يعني أنه تراكم معلومات، ولا لغة اصطلاحية، بل ترتيبه " مراتب العلم " ومنهج توظيفه في النظرية الكلية أهم بكثير.
لهذا نحتاج أكثر من أي شيء آخر إلى معرفة فكرية تتمثل في قدرة التملُّك وتشكيل المفاهيم، ولربط هذا العلم بشبكته الإسلامية وبالواقع نحتاج إلى القدرة على طلب المعلومة الصحيحة ضمن الشبكة، يعني في داخل كلياتها الشرعية.
للعلم في التعريف المعاصر أبعاد هي:
البعد الأول: هو أن نميز العلم كمعرفة بدون اعتبار مسألة السبق والتعلق بالمفردات والمركبات، هنا نقول: المعرفة العلمية لا العامية هي التي تسمح لنا بتعريف ووصف موضوع بطريقة منتظمة داخل تخصص علمي معترف به، مثل هذا التعبير: " ما هو تعريف الصواب، أو البغض «، فهذا الجانب الوصفي في العلم، تجده عند كل متحدث ولا يعني أنه عالم.
البعد الثاني: هو أن نميز العلم كموضوع دراسة، في هذه الحالة الموضوع نفسه يعني: طريقة عزله عن بقية الموضوعات و المتغيرات و طريقة تعريفه، وهل يقبل تحقيقا بطبيعة علمية مثل هذا التعبير: " هنا مشكل علمي"، أو " هذا مشكل يخص العلم"،ليكون موضوع دراسة يجب أن نقسمه إلى تفريعاته و أجزائه ،عزل عناصره الأولية ، و القدرة على استخراج أبعاده ،يعني: أن يكون قابلا للمقايسة ،مثل السكر ليس موضوعا علميا في العلوم الدقيقة و لكن نسبة الكحول في الدم، لكنه موضوع علمي في الفقه و القانون و الإجرام و علم الاجتماع. وهذا الأهم.
البعد الثالث: هو أن نعتبر العلم منهجا، طريقة، وهذا يعني أن الاستدلال يجب أن يعتمد على مجموعة إجراءات ثابتة معروفة ومعترف بها مطابقة ومناسبة لموضوع الدراسة عند أهل العلم مثل هذا التعبير: " الإجراء العلمي تم احترامه بالحرف"، وهذا لا ينفصل عن البعد الثاني: وأقصد أنه لا يوجد فصل بين المعلوم والمنهج.
على هذا البعد تكون في الغالب قاعدة العلوم الشرعية لتوثيق بحوثها، فتوثيق الحديث يجب أن نحترم فيه أصول وقواعد علم الحديث، واستنباط الدلالة يجب أن نحترم فيه

قواعد ومبادئ أصول الفقه وإجراءات الاستدلال، وهذا جانب تفسيري في العلم.
البعد الرابع : وهو بيت القصيد ، وعليه يكون الانسان عالما أو جاهلا أن نعتبر العلم حالة ذهنية ،هي قيمة و صفة الذي يتخذ تصرفات تهيئه لإنتاج معرفة علمية، كما في هذا التعبير " أظهر الروح العلمية" بطريقة مختصرة هو حالة ذهنية و نفسية تتعلق بقيم كـ الحيادية، الموضوعية ، العقلانية الصحيحة ، التجرد من العاطفة ، الانصاف ،الأمانة العلمية ، فكل من يريد ارتداء معطف العلم يجب أن يتحلى بهذه الأوصاف و إلا لم تنفعه كل الأبعاد الأخرى .
وعلى هذا أقول: لا شك أن أقوال بعض الناس قد تحوز على الجانب الشكلي والظاهر في العلم ومع ذلك هي بعيدة عن المعرفة الصحيحة.
وعلى هذا قد تكون كثير من أقوال الناس تحوي منطقا معينا لكنها مع ذلك جهلا مركبا.
وإلى الذي يكسل عن طلب العلم والاسترسال مع فنونه فإذا ما وقع حدث رجع إلى الكتب المرجعية المقنِّنة لمسائل الفقه وخطف معنى أو مصطلحا وبنى عليه تحاليله أقول: لا يحوز صاحب هذه الطريقة كل تجربة البحث الضرورية للبث في كثر من القضايا، فهذا من خصائص العالم الذي يقرأ وينظر ويحقِّق المسائل بمعزل عن الأحداث.
الكفاءة العلمية هي مقدرة ترتكز على المعارف العلمية ولكن لا تُختزل فيها،ومن الصعب على غير الخبير ملاحظتها مباشرة من كلام أو كتابة الشخص.
العلم من حيث الوسيلة والشرط الإلمام والتبحر في علوم الكتاب والسنة ،ويصعب جدا ضبط العلم الإسلامي عقيدة وفقها بدون التوسع في الحديث النبوي فكلما قل النصيب فيه قل العلم الصحيح بالشرع.
....

1 ـ تفصيل موضوع الجهل و المعصية في مجموع الفتاوى(بتصرف).

الاهتمام(القراءة) المبالغ بالماجريات (الأحداث اليومية) على حساب ما يصلح الذهنية،أو يزكي النفس، أو يبني العقل مصيبة المصائب!

إذا ضعف إيمانك، وزادت فتنك،وحتما قلَّ طلبك المعرفة، فلأنك حبيس فقاعة الفيسبوك و إخوانه!

هل قراءة الأدب الروائي مفيدة ؟

......

يجيب بعض الناس" بأنه بحسب طبيعة الأدب والكمية والقارئ، فالأدب معروف أن من آثاره على النفس ترقيق طبائعها، فالكثير منه قد يفسدها إلا أن منه ما يحتاج اليه الإنسان من حين لآخر لغوصه في أعماق النفس و تحليله لطبيعة نفوس البشر بلغة معاصرة سلسلة،إضافة إلى الثراء اللغوي" .

لا شك في صحة هذا الجواب بالنسبة لأناس ليس لهم عناية بالعلوم الشرعية فممكن يجدون فائدة ما في الأدب الملتزم لكن بالنسبة لطلبة العلم الشرعي يبقى السؤال مطروحا:إلى أي حد، و ما نوع الأدب؟

و الثراء اللغوي الذي نكتسبه من الأدب الروائي صناعة إنشاء تصلح للخطباء وليس للعلم والفكر .

قراءة الأدب (كثير منه) فيه تضييع للوقت، وتفويت فرص التعلم، كما أنه يفسد النفس ويشغلها بخواطر السوء أو بما لا نفع منه،و أظن أن رحلة تخييم أو صيد أو نزهة خير منه خاصة الأدب المعاصر فكله غرائزي إباحي.

أظن أن طالب العلم الشرعي قد ينظر في الأدب لكن بحثا عن شيء لا يتعلق بأغراض الأدب وإلا فقد من جديته في خصوصيته.

وبحسب تجربتي فإن الأدب يصدق عليه قول ابن تيمية في الشعر بأنه فرع لا أصل له، يحرك بحسب موضوعه، ولهذا لا ينتج الا الخواطر من جنسه،وهو أقوى وسيلة تبعد الإنسان عن الواقع وهو لا يشعر.

يبحث الشباب في الأدب عن التسلية لأن هناك شعورا عاما لديهم بعدم جدوى العلم!

كذلك لا يناسب تعلقهم بالشاشات إلا الأدب الروائي فالصورة الإلكترونية هدمت كل البناء الباطني لشخصية المسلم.

الرواية كما قال أحدهم:" تصنع إيتوس خاصا بالناس و تعطيهم أدوات ابستمولوجية

في قالب نفسي انفعالي، و هنا تكمن خطورة الرواية المعاصرة في صناعة الانسان المعاصر بطريقة لا يمكن لأي خطاب فلسفي ديني سياسي أن يحاكيها" من جهة أنها تقدم السم في شكل محبوب وبمواد شهية، ولهذا كان أنفع العلم ما خالطه الوعظ.
خطورة الأدب انه يحتاج إلى قاعدة معرفية و إلى باطن قوي لأنه يفصل القارئ عن الواقع ويتسلل إلى جوهر التقوى والعفة.
ولأنه قلما يخدم هدفا ساميا ،وأحسن الأعمال الأدبية هي التي تروى تجربة شخصية عند صاحبها قدرة على حوار النفس واستكشاف أعماقها.
هناك نظرية تسمى "صناعة المعنى" تدور على سؤالين:
ماذا يحدث؟ وماذا يجب علي أن أفعل؟
هذان السؤلان يضيعان في الثقافة الأدبية لأنها شبح ثقافة! و لأن الجواب هنا يحتاج إلى المعلومة الصحيحة والقدرة العقلية على التحليل السريع و استيعاب المعلومات و تقييمها في حين أن كتب الرواية وكتب العلم الأدبية فيها معلومات تشوه الواقع، لا تتسم بالدقة.
المجتمعات اليوم وأقصد التي انهمكت في القراءة الروائية قاصرة تحتاج إلى ولي في أتفه الأشياء ،فهي لا تعرف ما يحدث فضلا عن أن تعرف ما يجب فعله.
الأدب المعاصر أوقف النمو العقلي للإنسان لكأنه طفل في السادسة، أنظر أنواع الأفلام والروايات والبرامج والرسوم المتحركة حيث أن إقبال الكبار عليها لا يقل عن إقبال الصغار!
قراءة الأدب متعة مضيعة للوقت ، ومن سلبياتها إنها تحتاج في أقل تقدير إلى قاعدة علمية ثقافية لامكانية الاستفادة منها.
كما تحتاج إلى بعض الخيال لتذوق القراءة وخصوبة الخيال وبال على العقل المحض وعلى عزيمة القلب.
القراءة العلمية مملة والقراءة الأدبية مسلية لكن كل قراءة هي مضيعة للوقت فتحتاج أيها العاقل إلى الاستثمار في الوقت فإن لم تفهم كل جملة وحيثيات الحبكة ومجريات القصة ضاع وقتك مرتين!
تحتاج القراءة إلى كثير من الذاكرة ،والذاكرة ليست قوى غير محدودة فعليك الاقتصاد في الذاكرة و تشغيلها في الأهم فإن الباطل في حياة الإنسان لا حد له.

والقراءة في الرواية تدفع إلى العزلة لأنها تفتح لك نافذة على عالم آخر لتهرب من يومياتك خاصة إذا كنت تعاني من القلق ولا تأنس بذكر الله تعالى.
ومن هنا فإن الإدمان عليها يعزلك عن العالم.
و إذا كانت الكتب أكثرها مشوه للواقع مخرب للحقيقية فإنها تعرضك لمساءلة نفسك ومراجعتها بناء على ذلك، وهذا خطر على شخصيتك،لأنك ستكوِّن ثقافتك واختياراتك من توجيهات الأدب الروائي ،ومنه ستتشكل ذهنيتك !
يمكن للأدب حتى الشعبي أن يرجح نمو أفكار مركزية فيك على حساب قيم أخرى أنفع منها لا تجدها إلا في الشرع.
يملك الأدب سلطة لأن غالب الناس يعده تسلية فيفسره بحسب أسلوب حياته :مشاعره، وحاجاته العاطفية.
يؤثر الأدب على اختياراتنا الحياتية اليومية ويزرع فينا الآمال الكاذبة،و يوجه بعض الناس لتصرفات سلبية،فهو يلطف الفجور.
في الأدب الروائي كما في منصات التواصل نقول كلمات بدون مفهوم واضح ومع ذلك تجد شعبيتها؟!
أتحدث هنا عن همة طالب علم يريد نصيبا من علم وسلوك ابن تيمية و البخاري وأحمد ومالك والثوري،،،، وهذا الضرب من العلماء العبَّاد.

الغراب ينتقد السواد (!)
[شكسبير]
....
الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.

التدين المفتوح!
هو التدين الفردي الذي تشجعه العلمانية كجزء من الثقافة العالمية، والغرض أن يمنح الشاب نفسه المعنى الذي يناسبه بعيدا عن أي مرجعية.
ووسيلته الخبيثة : فك الارتباط بين الشباب والعلماء من خلال حملات طعن داخلية

(أبناء جلدتنا وبلغة علمائنا) في كفاءة علماء الشريعة في تفسير النصوص و تقرير الأحكام الشرعية.
إشعار الشباب من خلال كل الصور التي يقذف بها وعيهم في نشرة أخبار، افلام، روايات، رسوم متحركة.. الخ بالقدرة والاستقلالية على الفهم واستنباط المعنى وأن كل شيء معلومات حتى العلوم الشرعية حتى يعتقد الأحمق أنه أعلم من علماء السلف، أو على الأقل يمكنه الوصول إلى حكم أحكم من حكمهم لأنه يملك ما لم يملكوه "غوغل"!
وهكذا نشاهد اليوم عملية تخنيث الحق بتزيين الباطل بالصحيح ،وضرب الأصل الصحيح بشبهة في الفرع !
وهجوم على مقام العلماء عند الناس.
إن الاتهام المنهجي للعلماء بالغياب و عدم فهم الواقع و المديونية... الخ منطلق مؤسس للشعبوية الفكرية التي تنتج نقدا بدون منهج واضح، وتعتمد الانتقاء والشبه الأدبية لا العلمية!
وحيث إنه لا يوجد دين بدون علماء،ولا تحقيق بدون كفاءة علمية شرعية، كما لا يوجد مجتمع ودولة بدون نخبة فإن الأسئلة الحقيقية هي :هل تعرف مراتب العلماء لتميز أنواعهم ؟
وهل تشاركهم علمهم حتى يمكنك الحكم عليه؟
وهل يوجد تمثيل حقيقي للعلماء في دوائر الحكم ومؤسسات التعليم و الإعلام ؟
وهل قمت بدورك في التلقي السليم أم أعجزك الطلب واستسهلت الكلام المرسل؟
النقد سهل بينما التحصيل العلمي على منهج العلماء المسلمين والبناء الفكري صعب.
نشاهد اليوم كتَّاب لهم رأي في كل شيء، ولا أحد يملء عيونهم، حيث أصبح ذم العلماء ونقدهم و الجرأة على تخطئتهم باتفه الأسباب الطريقة الوحيدة للشعور بالوجود !
فماذا يخفى التنصل من اتباع العلماء والخوض في مسائل علمية معقدة بدون أي مرجعية ؟
لا يشعر كثير منا بالمسخ الذي مارسه الفكر الغربي وأدواته التكنولوجية على المنهج التعليم الإسلامي حيث غرس فينا منهج التعليم العلماني أن التفكير الفردي وحرية

الرأي هما الشرط الضروري للوجود الإنساني.
كل شيء في هذا العالم المعاصر بنكهته الغربية يدعونا لابداء روحنا النقدية، وبدلا من أن نخضع النقد لشروطه العلمية والنفسية السلوكية الإسلامية أصبح على منصات بيع العقول المستعبدة والحائرة هوسا :نطلق الأحكام على مدار اليوم، جل المنشورات و التعليقات أحكام شخصية تقديرية ،فنقصف كل موضوع ينتصب أمامنا أو تصادفهم أعيننا بحكم من تقدير عقولنا وهي غير مكتملة البناء العلمي الشرعي.
وكما في سيكولوجية النقد فإن بعض الناس يخاف من أن يحكم عليه فيمنح نفسه سلطة الحاكم الذي لا يحاكم!
وتحت هذا الشعور الزائف بقوة عقولهم وسعة ثقافتهم يختفي العجز عن التحصيل الشرعي الحقيقي وتختفي الفتنة والانبهار بثقافة غربية فاضت على عقل ضيق لا يمكنه أن يحتويها ولا أن يهضمها!
يقول علماء النفس: لأننا نشتغل كمرآة بالنسبة لبعضنا البعض، لأنه لا توجد في العلم سلطة إلا سلطة الكفاءة فوحده نقد الأكفاء يظهر كفاءتنا !
الملاحظة السلبية التي نوجهها لعلماء جهابذة نحن بالنسبة إليهم جهلة معقدين يعانون من متلازمة التثاقف ليست في الغالب إلا صورة عن أنفسنا.
هذا العمل غير الواعي المسمى "إسقاط" هو ميكانيزم الدفاع الذاتى فقبل مواقع التواصل لم يكن يؤذن لي بالكلام في حضرة أهل العلم لأن المسجد وحلقة العلم والحضور المادي للعالم يفرض علي الكلام بعلم أو السكوت، ولكني الآن أعيش في عالم شكلته في أدق التفاصيل العقلية الغربية، ولاني غير مطبق لقاعدة هجر وسائل بثه لثقافته لأني لست من الغلاة الذين يحرمون التلفزيون، ويراقبون ما يدخل آذانهم و تلتقطه أعينهم فأنا مشبع بها نفسيا أشعر أني في سجن فها قد حررني فيسبوك من آداب التحصيل الشرعي وقواعد النقاش في القضايا الشرعية وبالتالي أرفض الانتقال إلى الجهة الأخرى من المرآة حيث توجد الحقيقة بقواعدها العلمية و السلوكية ،فلابد أن أجتنب المواجهة المباشرة مع جهلي الذي نفسيا لا أحتمل ظلاله علي.
هناك شباب وطلبة علم ينشرون على مواقع التواصل مقالات وتغريدات وفيديوهات فيها الحث على الخير والحكمة و تحليلات علمية وغير ذلك، وفي حياتهم الواقعية قد تركوا الصلاة،أو أضاعوها ،وهجروا القرآن ،أو أدمنوا على المخدرات، أو دخلوا في

علاقات محرمة.. الخ
الفايسبوك يفاقم أزمة الإنسان لأنه يوفر له ملاذا يخدر به ضميره!لكن السؤال :أي توفيق، و أي بصيرة مع اضطراب الفرائض واقتراف الكبائر؟!
وهناك فئة يأتيها الشيطان من جهة الكمالية لا الإيجابية المتمثلة في دعوة العلماء وطلبة العلم إلى تطوير أنفسهم بل السلبية التي هي عبارة عن رغبة مرضية تترجم إلى النقد المنهجي لأهل العلم الذين يحفظون آدابه وهيبته وقوانينه.
وفي هوسه بالكمال كمال الخطاب بمعلومات ثقافية في العلوم العصرية فإن العلماء عنده يغلب عليهم النقص والتقصير لأنهم مثلا لا يفسرون القرآن بنظريات الفيزياء الكمومية!
و في الوقت الذي يحكم على أهل العلم الشرعي بأنهم مذنبون في كل ما يحصل للأمة يحكم على نفسه بعدم القناعة الأبدية، يعني بالحيرة إلى الممات!
في الحقيقة هذا الصنف من الخطباء في مواقع التواصل والفضائيات المغرضة ليس له ثقة في علمه وكل ضجيجه وقعقعته ناتج عن شعوره بالنقص اتجاههم.
ليس لهذه الفئة دليل على حضورهم في هذا العالم إلا بضرب مقام نخبة علماء الأمة.
في الحقيقة هذه الظاهرة ما هي إلا رد فعل على تربية علمية عرجاء، وعلى وفوات شروط التحصيل وفقا للمنهج الإسلامي فلابد من تجاوز شروطه القاسية والصارمة بالمنهج العلماني حيث كل الناس لها رأي وكلهم يمكنه أن يعرف الصواب سواء كان منافقا أو فاجرا فالعلم الشرعي كسائر العلوم مجرد معلومات يكفي الظفر بها ومع شيء من الحس النقدي يمكن تخطئة كل أهل السنة وإيجاد مذهب جديد في القضية!
وهكذا تحوَّل شبابنا إلى نقاد رعوانيين اندفاعيين يحكمون على منارات طريقهم وخلاصهم بالظلمة عندما جعلوا أنفسهم فوقهم.
عندما يضعف إجلال الله تعالى يضعف تعظيم الشريعة ومن ثم تضعف مهابة أهل العلم بها. ، وهكذا قد يحكم على حادثة تاريخية بمصطلحات الماركسين!
والنصيحة لشبابنا أن يفتش نفسه ويتعرف على جروحها وجروح عقله، وبهذا وحده يعي الأسباب التي جعلته هكذا، وجعلته يزهد في تحصيل العلوم الشرعية بمراحلها، أو الاكتفاء بنتف من هنا وهناك ،و بدلا من السعي لبلوغ المستوى الذي يمنحك اعتراف أهل العلم بكفاءتك و صلاحك لتعليم الناس وفهم الأحكام الشرعية والقدرة

على تنزيلها على الوقائع تذم مبدأ التزكية!
الانفتاح المطلوب ليس في منهج التفكير الإسلامي ولكنه أولا انفتاح داخلي ثم انفتاح على الفكر المعاصر تعرفا لتعضيد البناء السلامي أو لنقد معارضه
الازدهار العقلي ليس في سطحيات الثقافة الغربية ولكن في تمييز جنسية الفكر ،ومعرفة الأصول المعرفية القرآنية و النبوية،والقدرة الاستدلالية بها.
طريق التحصيل طويل وشاق والعلم الشرعي بحار وراء بحار يبدأ العوم فيه بأحوال قلبية تتمثل أولا في الاعتراف الداخلي بالضعف بدون معونة الله تعالى ، بالفجوة العظيمة بينك وبين السلف، بالفراغ السلوكي وبالثغرة بين فهمك لمنهجك المعرفي الأصيل لا المبتدع وبين المنهج المعرفي الغربي ،بنقص همتك، وتململ عزيمتك.
لا يتعلق الأمر بالصمت المطبق ولكن بامتلاك منهج استدلال عقلي ضروري صحيح، و التمكن من العلوم الشرعية فهذا وحده يوصلك للمعنى النبيل للاستدلال كدليل على النضج العقلي الذي هو حليف المعرفة و التمييز.

أسوأ من العلماني الملحد ذاك الكائن الهجين الفكر الذي أفرزته المناهج العلمانية في تدريس التاريخ والتراث الإسلاميين.
هذا الهجين يحفر الدين من الداخل بمخلَّفات التراث العام ، يزعم الانتماء إليه،و في الحقيقة إنما ينتمي إلى نسخة مزورة من الإسلام!

لا تكن إنسانا رقميا يسوق صلاحه وعبقريته في شبكات النت ،وفي الحياة الواقعية أحمق غارق في مخلَّفات نفسه!

عنصري رغماً عنه (؟!)
....
الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.

لماذا ذم النبي صلى الله عليه وسلم الفخر بالآباء وبالأحساب وجعل ذلك من بقايا

الجاهلية؟
((كلكم بنو آدم وآدم خلق من تراب لينتهين قوم يفتخرون بآبائهم أو ليكونن أهون على الله من الجعلان))
((يا أيها الناس ان الله قد رفع عنكم عبية الجاهلية وتعاظمها بآبائها فالناس رجلان رجل بر تقي كريم على الله ورجل فاجر شقي هين على الله والناس بنو آدم وخلق الله آدم من تراب" حديث حسن.
وقال أيضا: ((أربع من أمر الجاهلية منها الفخر بالحسب)) وهو افتخار المرء ومباهاته ومدحه لخصال ومناقب فيه او في آبائه، والقصد التكبر والتعظم بمآثر أجداده.
ولفهم قيمة هذه النصوص في معالجة أمراض البشر وجاهليتهم نحتاج إلى فهم ماذا يدور في رأس إنسان مفتخر بآبائه، وبهذا نشرح كيف يتحوَّل هذا المفتخر إلى عنصري في نهاية المطاف..
حقيقة الانشقاق الهوياتي أنه جرح في الهوية الإنسانية العامة وفي الهوية العقدية حيث يفصل هذا الإنسان عن غيره لأسباب عرضية غير ذاتية.
إن كل بحث عن علاقة بالأصل يتجاوز التمييز البسيط الطبيعي والعرفي يصبح بالضرورة كراهية هوياتية.
العنصرية بغضاء ومقت هوياتي لأنه لا يوجد وقوف على هوية خاصة بدون تمييز عرقي حتى الهوية الوجودية الإنسانية تتضمن تمييز النوع الإنساني عن غيره، وكذلك الهوية الغائية هوية الاعتقاد إنما تتأكد بالتمييز بين المؤمن والكافر كما في القرآن قال تعالى: (أفنجعل الْمُسلمين كالمجرمين مَا لكم كَيفَ تحكمون) [الْقَلَم]
وَقَالَ تَعَالَى: (أم نجْعَل الَّذين آمنُوا وَعمِلُوا الصَّالِحَات كالمفسدين فِي الأَرْض أم نجْعَل الْمُتَّقِينَ كالفجار) [ص] وقال تعالى أيضا: {أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَّن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاء مَّحْيَاهُم وَمَمَاتُهُمْ سَاء مَا يَحْكُمُونَ} [الجاثية]
هذا في المصير مما يوجب التفريق بين المحسن والمسيء، بين أولياء الله وأعدائه.
وأما في الطبيعة والخلقة فقال:(: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ) [الحجرات]

(يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا) ما يعني أن البشر متساوون في أصل خلقتهم.

وهذا التمييز الإلهي هو التمييز الحقيقي الواقعي الوحيد لأنه تمييز في الدنيا بين الصالح والطالح، وفي الاخرة بين أهل الجنة وأهل النار، ومداره على التقوى فقط، وكل تمييز في نوع هوية أخرى هو تمييز وهمي عرضي دوافعه جاهلية.

....

ولتتضح لنا الفكرة نجيب عن السؤال التالي:

ـ هل يمكن تصور انتماء هوياتي بدون تمييز؟

ـ هل يمكن أن أثبت هويتي الإنسانية دون تمييز نفسي عن الحيوان والجماد والملاك والجن؟

ـ هل يمكن أن أثبت انتمائي إلى المسلمين دون أن أميز نفسي في المعتقد عن اليهود والنصارى والهندوس وكل الديانات؟

ـ هل يمكن أن أثبت هويتي الأمازيغية دون أن أميز نفسي ومجموعتي عن بقية الشعوب البشرية؟

لكن السؤال هنا: ما نوع هذا التمييز هل هو بيولوجي؟ هل هو عقدي؟ هل هو وجودي أم هو ثقافي بالاصطلاح الأنثروبولوجي الذي يعني العادات والتقاليد؟

وهل تصلح الثقافة كمعيار تمييز تفاضلي؟ وهل هي قيمة ثابتة؟ ولم نُدخل الثقافة المشتركة في هذا التمييز ولا ندخل الثقافة الشخصية داخل المجموعة البشرية الواحدة في هذا التمييز؟

ما المشترك بين عربي مسلم موحد وعربي كافر أو ملحد؟ ما المشترك بين قبائلي إنساني وقبائلي عنصري حتى ينتموا إلى هوية واحدة؟

وكيف تكون العادات الثانوية والعرق معيارا في بناء الهوية الواحدة ولا تكون العقيدة أو الصفات الإنسانية؟

الحقيقة أن كل سلوك تمييزي هو أصل كل مطالبة هوياتية وتمثلاتها.

نحن نعلم من جهة أن الضحية في التمييز الهوياتي في الجزائر بدايةً هو العربي

فالأمازيغي القبائلي لا يضع في جدول تمييزه الامازيغي الشاوي، أو المزابي، أو الترغي، لا يضع فيها إلا العربي!

ولنا أن نسأل: لماذا لا يدخل القبائلي في جدول تصنيفه بقية شعوب الأمازيغية؟

هل لأنها لا تملك وحدة مناطقية كالقبائل فهي منتشرة في ربوع الوطن متداخلة مع العرب أم لأن التمييز الهوياتي غطاء فقط لمطلب سياسي؟

المشكل في العنصريين أن الضحية قابلة للتبديل فكل عنصري في الأرض هو ضحية لعنصري آخر، لهذا ينتهي منطق العنصري إلا عض ذنبه!

فكثيراً ما يتصرف ضحايا العنصرية بعنصرية فإذا ما واجه القبائلي عنصرية قلة من العرب مارس عنصريته على كل العرب، وهكذا مع كل العنصريين من أي شعب كانوا!

مشكلة الشخص القبائلي ـ مثلا ـ الذي يفتخر أولا بأجداده وعاداته ويقدِّر أنه لا يلزم منه بغض العرب _ غافلا عن أن اللحظة تتساءل _أن استيقاظ الذاكرة الجمعية هو استيقظ لذاكرة متألمة تبحث عن نفسها في المعاناة والمظلومية مثل استيقاظ ذاكرة أبناء الشعوب التي استعمرت.

فهذا القبائلي منذ ١٤ قرنا لم يشعر باي ظلم اتجاه هويته العرضية الثقافية ثم فجأة استيقظ فيه المطلب الهوياتي فاللازم ليصدق مطلبه أن تكون ذاكرته متأملة من حقوق مهضومة إذن لابد أن يلبس ثوب الضحية ويخترع المظالم!

لاستيقاظ الذاكرة الجمعية بهذه الأسباب آثار مدمرة لأنها مصدر كراهية وتوجس بين مجموعات بشرية وتنافس في منزلة من الضحية مع للآخر؟

إذا لم تعرف الجزائر طيلة تاريخها الإسلامي سلخا اجتماعيا لطبقة من الشعب، أو أنها عانت من الرفض أو الاقصاء من الكتلة الغالبة، فكل الدول التي قامت فيها كانت أمازيغية؟!

والأمازيغ القبائل يعيشون في كل مناطق الجزائر، ويشغلون كل مناصب المسؤولية الممكنة، نجدهم في كثير من المجالات، وأحيانا على حساب مجموعات أخرى وفي مناطقها كما يراه بعضهم، وأكثرهم يزاول التجارة في المناطق العربية بدون أي تمييز ضده.

ولهذا تفسير منطقي فإن هجرة البشر تتبع العيش والمال والمناطق الصناعية في

الجزائر لأسباب مناخية واقتصادية وكذلك الأراضي الخصبة لا تقع في مناطق القبائل ومع ذلك يمكن لعنصري أن يفسره تفسيرا آخر!
إن الانفصال الهوياتي العرقي والثقافي يترجم إلى تمييز مناطقي كبير، والانغلاق على النفس، والقبائل لا يعيشون في خارج منطقة القبائل في غيتوهات أو أحياء صينية!
لا يمكن لأي هوية أن تثبت بدون علاقة أعلى /أخفض التي هي أتوماتيكية تفرض على جميع الانتماءات الهوياتية العرضية ، وهي وحدها التي تبرر الهوية وتشرعنها وتعقلنها فبدون الأفضلية التي نمنحها لجماعتنا و لعرقنا الذي ننتمي إليه وبالتالي لأنفسنا لا يمكن أن نجتنب الشعور بالذنب أو بتأنيب الضمير.
لا يمكن للقبائلي أن يثبت هوية حقيقية مؤسسة على صفة قبائلي إلا بالمقارنة مع العربي وحده لأن هذه الصفة ليست صفة عرقية والتي هي الامازيغية ولكنها صفة منطقة جغرافية، وبناء الانتماء والفخرفضلا عن التمييز والعنصرية والانفصال على الموقع الجغرافي أحمق شيء يمكن أن يتمسك به إنسان.
لهذا لا يوجد هوية بدون تمييز، ولا يوجد تمييز بدون تصنيف، فماذا يصنع القبائلي العنصري أو الذي يزعم انه يفتخر بجذوره بدون عنصرية ليتجاوز هذه العقبة؟
يحتاج إلى تبسيط المعادلة وتسهيلها على نفسه وذلك بتقليص الاختلافات في داخل الصنف الواحد، ففي الواقع الصنف الذي يقابل الصنف العربي هو الصنف الامازيغي وليس القبائلي لكن مجموع الامازيغ لا يوافقون هذا القبائلي، كما يحتاج إلى مضاعفة الاختلافات في الأصناف المخالفة أو القريبة.
وهذا لزيادة المسافة بينه وبينها، فالقبائلي في القبائل الكبرى يعاني كغيره من البشرمن تمييز داخلي بين العوائل والعروش وبين الأفراد غني/فقير - شريف/وضيع.. الخ وعنده تمييز ضد القبائل الصغرى لكنه يهمله، وعنده تمييز بين قرية وأخرى، كما عنده تمييز ضد الأمازيغي الشاوي لكنه يبحث عن زيادة المسافة مع العربي فقط!
لا يمكن الافتخار بالآباء بأي منطق كان، نعم يمكن أن نفخر بإيمانهم، بآدابهم لكن بدون شك ليس بجيناتهم (فهذه عملية ادراكية بدون نظام يتمثل في إقامة تعارض بين المتماثل الهوياتي والمختلف) (هنري تاجفال ١٩٧٨)
نحن نعلم أن كل فرد يميل إلى التمييز بينه أو بين المجموعة التي ينتمي إليها "في

المجموعة" وبين المجموعة الغريبة"خارج المجموعة" لأنه لا يمكن أن يثبت هوية وانتماءا في داخل مجموعته ولكنه يبحث عن تفسيرها عند الآخرين، لذلك ما يقوم به القبائلي هو أنه ضمنيا يستولي على الحديث باسم كل الامازيغ إذا لا يقابل العربي القبائلي ولكن الامازيغي.

فلابد له أن يضع موقفه العنصري تحت مصطلح التفضيل داخل المجموعة فيتهم بعضهم مثلا بوتفليقة بأنه فضَّل الغرب العربي على الوسط القبائلي أو الشرق الشاوي بينما في الحقيقة يوجد في الغرب أمازيغية، كما يوجد كثير من العرب في الوسط والشرق، والعلاقة الضمنية لهذه الشكوى أن المجموعة الأخرى محرومة غير مفضلة، فبدون صورة نمطية يلبسها للمقارنة مع الفريق الآخر يسقط انتماؤه الهوياتي في الماء، بتعبير اخر:

يجب أن يخترع اعتقادات مشتركة داخل مجموعته أو مجتمعه هي تبسيط عدواني متعلق بصفات مميزة لمجموعة مستهدفة، فما هي الصفات المميزة الحقيرة لدى العربي ليستهدفه بها وتظهر هوية القبائلي المتميزة؟

لا يوجد في الحقيقة صفة ذاتية للعربي فهو كسائر الناس صفاته الجوهرية واحدة كصفاتهم، وما يمكن أن يتميز به هو عرضي موجود في غيره فلم يبق لديه إلا تهمة الهيمنة والسيطرة.

إن المركزية العرقية مطبقة على مجموعات مختلفة أو بعيدة منظورا إليها بإجحاف على أنها متجانسة بدون نفاذية تحمل ماهية أو طبيعة خاصة تميزها عن غيرها ترجع إلى بيولوجيا، أوثقافة، أو لغة تظهر في جميع الحالات دونية تسفيلية.

لا يمكن للمجموعة المحتقَرة لأفرادها التخلص وادعاء الفردانية والخصوصية والهوية الشخصية بخلاف أفراد المجموعة العنصرية التي تميزهم!

درجة الايجابية في الهوية مرتبطة بتقدير الذات المرتبط بقدرة الجماعة التي ننتمي إليها في مقارنة نفسها بغيرها والتميز عنها بشكل كاف لنظهر علونا وتفوقنا.

يلغي بعض الأمازيغ القبائل الواقع الاقتصادي والتاريخي والديمغرافي والاستراتيجي عندما يفسر وتيرة التنمية في وهران مثلا أشغال البناء وعدد الشركات تفسيرا عنصريا هوياتيا.

....

حقيقة النعرة القبائلية

عندما تتغير عقيدة مجموعة بشرية تعيد تفسير ماضيها والعودة إلى ما قبل تلك العقيدة فنحن نعلم أن الثقافة الإسلامية عربية الطابع لأن لغة القرآن ولغة الرسول العربية ولأن الرعيل المؤسس كان عربيا في غالبيته، وطبيعيا أن تتطور العلوم والآداب بهذه اللغة فهذا أمر تقني ليس اختيارا عرقيا لذا العربية لغة الحضارة الإسلامية لأنها لغة دين المسلمين.

ومن هنا ستعتمد كل الاعراق التي ستعتنق الإسلام كدينامية حضارية اللغة العربية لكن ما إن يتخلى قسم من هذه المجموعات عن العقيدة الجامعة سيفسر ذلك على أنه هيمنة العرق العربي على العرق الآخر فتبدا أولا بمحاولة إيجاد نقاط الاختلاف ونقاط التفوق والتميز، ففي حين كان المؤرخ الامازيغي يتحدث عن تاريخ الامازيغ قبل الإسلام بعلمية خالية من الحماس والعاطفة بسبب الاختلاف العقدي بينه وبينهم ، فهو يرى الفرق بين الإسلام و الجاهلية بوضوح صار هذا القبائلي الذي فقد عقيدته أو تعرضت لمسخ يفاضل بذاك التاريخ ثم ينتقل إلى التميز المناطقي والبحث عن الانفصال؟

يتعقد المشكل لدى من لم تتغير عقيدته كثيرا لكنه أقتنع بالهوية الخاصة لمجموعته فهذا من تمنعه العقيدة من كراهية المجموعات الأخرى والمطالبة بالانفصال عنها لأنه لم يطرد آثار الاعتراف بوجود هوية عرقية كما عند من فقد عقيدته فكان نصرانيا أو ملحدا.

ولهذا لا نجد هذه الدعوات قبل فترة الاحتلال.

لا يمكن الفصل بين التمييز والتصنيف والهوية، نعم هناك تمييز بسيط وطبيعي أو أدنى أو عرفي ينتج عن العملية الادراكية للتصنيف بدون أن يتورط فيه الجانب العاطفي وأشكال متطرفة لأحكامٍ مسبقة عنصرية فعندما أقول أنا عربي أو عراقي أو هلالي أو كهربائي أو معاق إلى غير ذلك فهذا ناتج عملية إدراكية لوجودي الغرض منه التعريف بنفسي وليس الاسترسال في التمييز.

فأنا أميز بيني وبين القبائلي في لغة كل واحد منا في بيته، وفي بعض عادات الطعام، وفي تقاليد حياتية لكني لا اوليها أهمية يعني: لا أجعلها باي حال مناط مفاضلة، وحبي

لها لا يستلزم بغض الأخرى، فهذا تمييز طبيعي بسيط لا يخص الاعراق بل هو موجود داخل العرق الواحد وداخل العائلة الواحدة، فهناك عربي من عاداته في عيد الأضحى أن يبدأ بأكل الملفوف وبعد ٣٠ كلم منه تجد عربيا آخر عادته البداية بأكل الكرش والراس، وهكذا، بل قد تجد في بعض المناطق اختلافا لغويا بسيطا في مسافة ٧ كلم فقط.

لا يمكن لهوية شخص أو مجموعة أن تتأسس وتتحدد انطلاقا من مقارنة خاضعة لمبدأ خضوع /هيمنة، أو مدح ذاتي /ذم ذاتي لأن هذا تدبيب للوعي السياسي الذي في تعريفه التقليدي يرفض ويدفع المناطقية والعرقية، والفردانية ليركز على علاقات الهيمنة والسلطة، وافهم يا فاهم!

....

عندما عرف الفرس والروم والأمازيغ الأوائل وغيرهم من الشعوب غير العربية الإسلام خاصة من أدرك منهم الصحابة لم يكن لهم في الحياة هدف إلا التشبه بهم لأنهم أدركوا أن هؤلاء الرجال _ وكان غالبيتهم عربا _أفضل البشر وطريق السعادة في الدنيا والآخرة يمر بالتشبه بهم فتشبهوا بهم في كل شيء، في اللسان واللباس وغير ذلك وإن لم يكن بعض هذا واجبا عليهم.

لما فهموا قوله تعالى: (إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) وقوله صلى الله عليه وسلم: ((يا أيها الناس إن ربكم واحد، لا فضل لعربي على عجميّ، ولا لعجميّ على عربيّ، ولا لأبيض على أسود، ولا لأسود على أبيض إلا بالتقوى، الناس من آدم، وآدم من تراب"جعلوا نصب أعينهم الاقتداء بالصحابة و التمكن الشبه سليقي من اللسان العربي لأنه مفتاح ذلك ونسوا كل انتماء إلا للقرآن والسنة النبوية.

ليست العنصرية إلا عقيدة الشيطان ومدخلها التفاخر بالآباء بغض النظر عن عقيدتهم قال الله تعالى: (وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ - قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ) [الأعراف]

فإبليس أول عنصري؛ وإحساس البعض بأن "عنصره" أرقى وأفضل من الآخرين هو بداية الشر في التاريخ البشري، قال الله تعالى: (وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ] [الروم]

تزوج بلال ـ رضي الله عنه ـ وهو حبشي عتيق زهرية أخت عبد الرحمن بن عوف.
وهذا التفاخر بالآباء بغض النظر عن عقيدتهم وفي مقابل الانتقاص من الغير عنصرية موصوفة، وهي من الكبر لأنها تغمط النوع الإنساني حقه، قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((لن يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر)) ثم بين حقيقة الكبر فقال: ((الكبر بطر الحق وغمط الناس)).
ولا يحتاج للتفاخر بآبائه أو إلى العنصرية إلا من يريد تفريق أهل الملة الواحدة والبلد الواحد ممن له هدف سياسي خسيس، قال الله تعالى: (إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا ([سورة القصص]
والخلاصة: ((ليس منا من دعا إلى العصبية، وليس منا من قاتل على عصبية، وليس منا من مات على عصبية)) غير ذلك أدنى درجاته أنه تفاهة وسخافة.

فتنُ كلِّ زمان بحسب أهله
معضلات الحل السياسي!

....
هذه مقولة لابن تيمية في مجلد " قتال أهل البغي والخلافة والملك " ضمن " مجموع الفتاوى" ختم بها تحليله العقدي والأنثروبولوجي لأسباب مصير الأمور[السياسية] إلى الملوك والأمراء ونوابهم وخروج سياساتهم عن سنة النبي صلى الله عليه وسلم وسنة الخلفاء الراشدين كما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم في مدة انقضاء خلافة النبوة.
وقد خلص ابن تيمية إلى أن النقص ليس في الولاة وحدهم ولكنه منهم ومن الرعية، وقد قال الله تعالى: {وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} [الأنعام] وقد علمنا من سنن الله وعادته أنّه لا يؤيد الكذاب والفاجر ولا ينصر الظالم إنما يسلط ظالما على ظالم، ومن أعان ظالما بلي به.
فبالنسبة لابن تيمية انتقل المسلمون من وضع "خلافة النبوة" إلى وضع " الملك" وما اتصف به من الرحمة برهة والجبرية في غالب تاريخ المسلمين بسبب تغير البيئة الاجتماعية والثقافية، وقد يدل على ذلك قوله صلى الله عليهم وسلم: ((خَيْرُ الْقُرُونِ

الْقَرْنُ الَّذِي بُعِثْتُ فِيهِمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ)) واللفظ الصحيح " خير الناس".

والمقصود من هذا أن المسلمين قديما وحديثا منقسمون حول منهج الإصلاح إلى طريقين: طريق من يعتقد أن الإصلاح سياسي محض فهو أفقي وطريق من يعتقد أنه عقدي وأنثروبولوجي بالدرجة الأولى يعني: عقدي ونفسي واجتماعي.

وأصحاب الطريق الأول ينكرون الصحة المعنوية للمقدمة الأولى التي اعتمد عليها ابن تيمية في تحليله وهي " كما تكونون يولى عليكم" أو " كَمَا تَكُونُوا يُوَلَّى عَلَيْكُمْ" والتي تصح ربما مرسلة عن أبي إسحاق السبيعي فقط.

ومن المفيد لنا فحص الأساس التصوري لهذا القول فإنه وإن ارتكز عند ابن تيمية على قاعدة عقدية وجودية تضمنتها النصوص الشرعية كما في قوله تعالى: {قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ - تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ }[آل عمران]

خِلَافَةُ النُّبُوَّةِ ثَلَاثُونَ سَنَةً، ثُمَّ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُلْكَ أَوْ مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ)) أبو داود في "السنة" والترمذي في "الفتن"، وهو حسن صحيح وله ألفاظ: ((تكون الخلافة ثلاثون عاما ثم يكون الملك)) و ((تكون الخلافة ثلاثين سنة ثم تصير ملكا)) وهذه أحاديث صحيحة ضعفها بعض الناس بدون جدية حديثية ومنهج علمي ويؤيدها الواقع التاريخي.

نفهم من هذه النصوص أن الله هو من يؤتي الملك من يشاء من عباده وهو من ينزعه عمن يشاء، وهذا موافق للأصل الأول بأن كل شيء بإرادة الله ومشيئته، وأن ذلك مقرون بحكمته ورحمته وليس من قبيل الإرادة المحضة المجردة عن الحكمة.

وهنا تبرز نقطة في غاية الأهمية فقد عرفنا أن الفيلسوف كنط كان يفكر قوانين التاريخ الإنساني على شاكلة نموذج قوانين الطبيعة، وبالتالي يرى أن الحركة السياسية تتبع مسارا هندسيا او الانتظام الهندسي.

وفي الآية الكريمة التي أشارت إلى أن الملك في الناس بيد الله يهبه وينزعه وفق مشيئته نلاحظ أن ذلك قرن بالعز والذل فهو كذلك يعز ويذل من يشاء، وان الخير بيده، وعند أهل السنة لا يفعل الله إلا الخير والشر ليس إليه، وإلا لزمنا أن نقول بأنه

يخلق ما هو شر محض، لا نفع فيه، ولا رحمة، ولا حكمة لأحد، يخلق ما خلق لمجرد العذاب والشر وليس في إرادته مرجح للإحسان إلى الخلق، وأن تعذيبهم وتنعيمهم سواء عنده؟!

نعم يوجد في الإنسان ما هو شر إضافي كقوله تعالى: {إِنَّ الإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا} [المعارج]، وقال تعالى: {خُلِقَ الْإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ} [الأنبياء]

ما يعني أن نفس الإنسان خلقت خلقة تستلزم وجود ما وجد منها لحكمة عظيمة، ورحمة عميمة، فكان ذلك خيراً ورحمة، فالمعتبر هنا الغاية والحكمة لأن الشر المحض الخالي من أي خير هو عدم محض والعدم لا يضاف إلى الله تعالى، لأنه ليس بشيء والله خالق كل شيء، فالشر في هذا الإنسان من جهة عدم علمه وعدم إرادته الصالحة فلو فعل ما أمر به واتبع فطرته صلحت نفسه ولم تضره الخلقة التي خلقت عليها نفسه.

فتدبير أمر الملك في البشر من هذا الباب، وأن كل ذلك لتمام قدرته وكمال رحمته فالخير بيده وهو على كل شيء قدير ثم أعقب ذلك بذكر تحكمه في تعاقب الحياة والموت كما يتحكم في الكون من خلال تحكمه في تعاقب الليل والنهار، وقد سبق وبين لنا أنه يتحكم بمشيئته في تعاقب الملك وعدمه، والعز والذل ثم ختم أنه يرزق من يشاء بغير حساب، وكل نعمة تصيب الإنسان هي من الله {وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ} [النحل]

والملك والعز والحياة نعمة فهي من رزق الله تعالى لكنها نعم بحسب مآلها يوم القيامة فقد تكون فتنة للإنسان فكل نعمة لا تشكر هي نقمة وكل بلاء لا يصبر عليه فهو نقمة كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح المشهور: ((وَالَّذِي نَفسِي بِيَدِهِ لَا يقْضِي الله لِلْمُؤمنِ قَضَاء إِلَّا كَانَ خيرا لَهُ لَيْسَ ذَلِك إِلَّا لِلْمُؤمنِ إِن أصبته سراءُ شكرَ فَكَانَ خيرا لَهُ وَإِن أَصَابَته ضراءُ فَصَبر كَانَ خيرا لَهُ)).

واللازم أن من لَا يصبر على الْبلَاء وَلَا يشكرعلى الرخَاء لا يكون الْقَضَاء خيرا لَهُ.

وعليه فإن القرآن يخبرنا بأن المتحكم في الكون وفي حياة البشر واحد، ولا يعني أن حياة البشر الاجتماعية والسياسية خاضعة لنفس قوانين الطبيعة كما يذهب إليه كنط لكنها لا محالة خاضعة لقوانين خاصة بها نسميها السنن الإلهية في الأمم ولأمة

الإسلام سنن خاصة بها بحكم وظيفتها كأمة حملت الرسالة النهائية للبشرية.
مشكلة رأي من يرى أن الحل سياسي أفقي محض أنه يعزل نظام الحكم عن الخلفية الاجتماعية الثقافية، لهذا يجب أن نذهب ما بعد التوازي المجرد الذي ينظرون إليه والأمثلة الضعيفة التي يستشهدون بها فالنموذج الأنثروبولوجي يظهر بوضوح خصائص مشتركة بين المجتمع وقيادته من خلالها تتفاعل البناءات الاجتماعية والاعتقادات الشعبية والسلوك السياسي الواحدة مع الأخرى، وإذا وجد مثال عن حاكم صالح عقب أو قبل حاكم طالح فهذا استثناء وله أسبابه لكن في الغالب لا يطوِّل في الحكم ويفسد مباشرة بعده.
ومعلوم أن الإسلام مشروع نظام اجتماعي يؤكد وجود مجموع قواعد ثابتة لكل النوع الإنساني إلهية المصدر ومستقلة عن إرادة الإنسان، تحدد أفضل نظام للمجتمع، كما تحدد أسباب العزة وأسباب الذل والنصوص في هذا ثباتة معروفة.
إن استمرار الأنظمة عندنا استثنائي بشكل عجيب سواء في شكلها أو في بقائها فهل يرجع إلى قدرتها على استغلال الموارد الاستراتيجية الاقتصادية والدينية لتثبيت سيطرتها على الشعوب أم يرجع لأسباب كونية وعقدية وأنثروبولوجية خاصة بالمسلمين؟
يسأل علماء الاجتماع: هل يوجد حتمية عربية، استثناء عربي مؤسس على توليف أنظمة مبدئيا غير متطابقة، وشعوب مستاءة، تعقد آمالا وهمية حيث هناك فجوة فضائية بين واقعها وآمالها، مع عدم رضا دائم {وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْها رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْها إِذا هُمْ يَسْخَطُونَ - وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ راغِبُونَ} [التوبة]
يصف لورنس العربي في «أعمدة الحكمة السبعة " 1926 الشعوب العربية بأنها: " شعوب الفتنة الاضطراب، الغريزة تنظم قناعاتها ..... شعوب البداية الجميلة، مسحوبة بجنون بالتصورات الأكثر تجريدا، يبدون في الصراع شجاعة وإبداعا بدون حدود، غير مبالين بالنهاية، شعوب غير مستقرة كالماء".
بدون شك نعلم كلنا أن الحركات السياسية عندنا تتصف بأنها قصيرة الأمد سريعة الزوال ما يعني أنها تعاني من عيوب نفسية واجتماعية وأكثر من ذلك عقدية لهذا فإن مشكلة من يقترح أن الحل سياسي محض أن هذه الرؤية قائمة على منهج وصفي

وسياقي تاريخي يواجه حدودا داخلية لأن السياسة في حقيقتها بدون معنى محصل عبارة عن رد فعل وتقدير مصالح بحسبه، من جهة تواجهها مشكلة الواقع يعني: التعدد الإنساني والإنسان يعيش وسط أشباهه، ومن جهة أخرى غياب النظرة إلى الإنسان الكلي يفقدها معيار الحقيقة فهناك فارق مستوى ضخم في العمق بين التحليل السياسي و بين النصوص الشرعية أو الفقه السياسي عند أئمة السنة بسبب غياب القاعدة الميتافزيقية .

....

لماذا الحل السياسي غير منتج للدولة الإسلامية؟

معلوم أن الدولة الإسلامية دولة إيمانية بالدرجة الأولى لذا لا تقوم بدون عقيدة واختيار وقبول إيماني لا اقتصادي أو سياسي بحيث ليس الجوع والشبع، الرفاهية والفقر من يحدد العلاقة.

يكفي أن ننظر في صيغ البيعة الثابتة، مثل بيعة العقبة الثانية حيث بنيت على السمع والطاعة في النشاط والكسل، والنفقة في العسر واليسر، والامر بالمعروف والنهي عن المنكر والصدع بالحق ونصرة النبي صلى الله عليه وسلم في مقابل الجنة وليس شيئا من أمور الدنيا.

وكذلك في العقبة الأولى كانت مبنية ترك الشرك والسرقة والزنا والبهتان وقتل الأولاد وهذا كان قبل نزول الأحكام الشرعية.

وفي حديث مجاشع بن مسعود أصبحت بعد انقضاء زمن الهجرة مبنية على الإسلام والجهاد، ففي الدولة الإسلامية الايمانية يقوم العقد على التزام أحكام الإسلام وشرائعه وبقية القيم كالعدالة مضمنة في الشريعة على أحسن وجه.

لهذا فإن الدولة القائمة على العدالة الاجتماعية لا يمكنها الاستمرار إلا باستمرار العدالة الاجتماعية فإذا ما حلت أزمة اقتصادية انهارت.

وكل دولة إسلامية بالمعنى الإيماني تفشل في استمرارية العقد الايماني تتحول بالضرورة إلى دولة علمانية، وكذلك الدولة العلمانية التي تصبو إلى الصفة الايمانية إن عجزت عن إخراج أجيال تنظر للدولة بنظرة البيعة الإسلامية: تأسيس الدولة الإسلامية الايمانية وحمايتها في مقابل الجنة فستزول.

وفرض الدولة بالقهر والقوة إذا لم يتبع السواد الأعظم مصيره التنازع عن الحكم

وعدم الاستقرار.

لا يمكن للحل السياسي أن ينتج إلا دولة علمانية وقد يقال: ليكن هذا أولا ثم نتحول تدريجيا إلى نموذج خلافة النبوة أي حكم على هدي النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين فنعم لكن الشرط يظل هو هو.

يستنكر العلماني النصوص الشرعية في الحكم ويستغرب بعض الإسلاميين بعض ألفاظها لأن هذه النصوص يتماشى منطقها مع دولة قائمة على عقد إيماني عقائدي لا دنيوي محض (عقد اجتماعي) كما رأينا في نصوص البيعة الإسلامية.

واستغراب معاني النصوص الشرعية يأتي من عرضها على منطق الدولة العلمانية حيث لكل واحد حق نقد ما يريد ومن يريد، وحيث حق الفرد في نفس مستوى حق الجماعة، وحيث لا اعتبار للأخرة ولا احتساب للأجر عند الله، ولا ايمان بمحكمة اليوم الآخر، وحيث وظيفة الدولة الوحيدة تمتيع الناس بمختلف الشهوات لا دين ولا قيم.

فإن لم تنتبه لأوجه الاختلاف الشديد بين براديجم الدولة في الإسلام والبراديجم الغربي المادي المفصول عن كل قيمة ميتافزيقية فلن تفهم هذه النصوص الشرعية وستلتف عليها بالتأويل والتشكيك في الصحة وستراوح في مكانك.

اليوم الموجة قوية جداً، و نحن نسرِّب جوهرنا(عقيدتنا و ثقافتنا ودولنا) من كل مكان فيجب أن نكون محافظين أصيلين (في فكرنا و خطابنا وسلوكنا) بقوة.

و قبل أن نفكر في تغيير ما لدينا (على ما فيه)يجب علينا المحافظة عليه و إلا خربنا دارنا بأيدينا(!)

لابأس بوضع بعض الأهداف في الثلاجة إلى حين.

تناقضات لوغوس المسلم المعاصر (؟!)

....

لا يوجد في المسلمين من يقول لك: الدنيا خير من الآخرة، و أنا أبغض النبي صلى الله عليه وسلم، ومع ذلك قد يكون عربيدا، فاسقا، أو ملتزما لكن رؤيته للعالم للإنسان و للدولة و الحياة رؤية دنيوية يعني: مادية بناء عليها يُرتب أولوياته.

يعني أن براديجم التفكير الذي يستعمله للتفكير في العالم والحياة والإنسان والدولة

براديجم مادي أبيقوري..
وهذا اللوغوس أو المبادئ الكبرى التي تحكم تفكيره وبها يفهم العالم ويفسره مادية دنيوية دهرية فكيف ذلك ؟
يتكون اللوغوس من شقين :شق عقلي منطقي ذهني وهنا المسلم لا يخالف القرآن والسنة، فيحلل ما أحله الشرع ويحرم ما حرمه، ويقدم ما قدمه الشرع ويؤخر ما أخره يعني: يرى العالم و الوجود والحياة والإنسان وفقا للرؤية الشرعية لكنه مع ذلك يقترف الآثام فياكل الحرام وينهب المال العام والخاص، ويطلب الرئاسة بالباطل.. . الخ!
الشق الثاني: باطني شعوري بسيكولوجي عملي مؤسس على اللذة والألم ،المحبة والإرادة، وفي هذا الشق رؤيته دنيوية مادية تناقض رؤية الشق الأول.
فكل من يقع في الحرام مع علمه بأنه حرام فبسبب هذا التناقض بين شقي اللوغوس الذي يحكم رؤيته للعالم والإنسان والدولة فعلاقته العملية بهذه المفاهيم علاقة دنيوية وليست اخرويةإذ هي مبنية على النفع المادي وليست على الدين أو ابتغاء الأجر في الآخرة.
بتعبير آخر: عقليا يستحب الآخرة على الدنيا وعمليا سلوكيا يستحب الدنيا على الآخرة،
قال الله تعالى: {ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ} {أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ} {لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ} [النحل]
هنا جعل الله تعالى استحباب الدنيا على الآخرة هو الأصل والعلة والسبب الموجب للخسران.
وهذا الاستحباب قد يكون مع العلم والتصديق أن الكفر والفسق والحرام يضره في الآخرة. كما قال عن السحرة :{و يتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الآخرة من خلاق}
وبهذا يمكن أن نفهم قول النبي صلى الله عليه وسلم :
((يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا وَيُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنْ الدُّنْيَا)).

علاقة هذا المسلم الذي ضُرب لوغوسه في شقه الباطن العملي الشعوري بالعالم والإنسان والدولة علاقة عروض دنيوية لا غير!

َعندما قال النبي صلى الله عليه وسلم : ((تعس عبد الدِّينَار تعس عبد الدِّرْهَم تعس عبد القطيفة تعس عبد الخميصة تعس وانتكس واذا شيك فَلَا انتقش ان أعطي رَضِي وَإِن منع سخط))

جعل هذا الإنسان عبدا لما يرضيه وجوده ويسخطه فقده ووصفه بأنه "عبد"

فمزاج هذا الإنسان وشعوره وبسيكولوجيته يتحكم فيها عروض الدنيا فإن وجدها رضي وفرح و إن فقدها سخط وغضب بينما المؤمن أو المسلم القرآني الرباني يرضى لرضا الله ويسخط لسخطه، يرضى إذا أطاع و أطيع الله ويسخط إذا عصى أو عصي الله تعالى فعلاقته بالعالم والإنسان والدولة علاقة اخروية علميا عقليا وعمليا نفسيا.

لا يزيغ قلب المسلم أي باطنه إلا الدنيا كما في الحديث

قال الجنيد :

: " لَا يكون العَبْد عبدا حَتَّى يكون مِمَّا سوى الله تَعَالَى حرا «،

فَإِذا كَانَ يرضيه ويسخطه غير الله فَهُوَ عبد لذَلِك الْغَيْر فَفِيهِ من الشّرك بِقدر محبته وعبادته لذَلِك الْغَيْر زِيَادَة، قَالَ الفضيل بن عِيَاض: " وَالله مَا صدق الله فِي عبوديته من لأحد من المخلوقين عَلَيْهِ ربانية ".

- عندما يتغير اللغوس تتغير الفكرة المهيمنة وتبدأ في فقدان سلطتها ، وكل صراع لغوس تنجم عنه الحروب والفتن والقلاقل والاضطرابات

عندما تغير اللوغوس لوغوس عوام التابعين مع لوغوس الصحابة حيث لم يصبح الإيمان ورجاء الآخرة معيار الاختيار بل العصبية و المنافع الدنيوية وقعت الفتنة الكبرى فزالت خلافة النبوة ودخلنا في خلافة الملك لفترة صغيرة ملك رحمة ثم غلب الملك العصوض.

هناك تغييرات تحدث في اللوغوس لا ننتبه إليها مثل انفصال ولاية الحرب عن ولاية الصلاة، فمن سنن النبي صلى الله عليه وسلم و الخلفاء إلى الفترة الثانية للدولة العباسية أن أمير الصلاة هو أمير الحرب، وخروج العلم والعبادة من المسجد إلى مدارس خاصة.

و إذا تتبعنا المراحل الزمنية سنجد أنه في نفس الفترة انقضى زمن الحسنات المحضة بحيث صار تقريبا من المحال فعل حسنات بدون سيئات دونها في المفسدة وعم ذلك الحكام والعلماء والقضاة والعباد، وبدأ الفصل بين الشريعة والسياسة، و الشريعة والحقيقة، و الشرعي والعقلي، وحدثت المقالات و المذاهب وتكاثرت دويلات المسلمين !

عندما يتغير اللوغوس يُغير المعرفي ثم يلحقه الاجتماعي والسياسي والأخلاقي.

إذا فهمت هذا فهمت لماذا نعجز عن إنتاج أفعال تغير الواقع،وانه ليس في مقدورنا بهذا اللوغوس المادي في أهم جانب فيه إلا أن ننتج فردا ومجتمعا ودولة بحسبه عقيمة عن عمل راشد حقيقي، دولة دنيوية عضوض مهما فعلنا وحاولنا.

اللغوس الإسلامي الآن هو حب الدنيا وكراهية الموت، وحب الدنيا المقصود منه هنا استحبابها على الآخرة لأن حب الدنيا غريزة في الإنسان وقد زين له حبها

ولا يمكن لهذا اللغوس إلا أن يجلب الذل والهوان وجماع الشر :الغفلة عن الله واتباع الشهوات.

الصورة :هذه الشعارات logo هي التي تصنع اللوغوس المادي للإنسان المعاصر.

ظاهرة انتشار طلب الرقية؟

.....

ظاهرة انتشار الرقية في العالم الإسلامي خصوصا العربي لا ترجع في نظري إلى التعليلات الأساسية التي قدمها أحد الشيوخ مؤخرا بحسب فهمي لكلامه.

و أظن أن تعقيدات الظاهرة ناجمة عن ظاهرية المعاينة و المقارنة بالغرب، ومن عدم الوقوف على ماهية الصرع الشيطاني وأنواعه.

لا أظن أنه يوجد في العالم من الشعوب من هو أكثر صرعا من الغربيين ولكنه صرع لا يتخذ نفس المظاهر التي يتخذها عندنا، فالشيطان يعمل بحسب ثقافة الشعوب وبسيكولوجيتهم ،لا يضيع وقته في الإثبات المادي لوجوده إذا كان أصلا قد حقق هدفه بجعلهم من أصحاب السعير.

و إذا شئت أن تسميه صرعا عقليا أو فلسفيا فلاباس المهم أنهم أكثر الخلق الذين صرعهم، و هم أكثر البشرية تشاؤما وتنجيما وطلبا للطالع واعتقادا في البروج الفلكية!

ثانيا :هناك _ربما _فرق بين الصرع المطلق وبين الصرع السحري، وهنا أقترب من معاينة الشيخ نوعا ما فالمجتمع الغربي مجتمع هيدوني مادي أبيقوري عندما فقد الأساس الميتافزيقي فقد كل تعليل يدخل في جنس الميتافيزيقي، فلا يؤمن إلا بالسبب المادي، وحتى عندما يصرعه الشيطان صرعا فاضحا يتحاشي الاسترسال في التعليل الغريبي، فهو لا يؤمن _ في غالبيته _بوجود الإله أو قد علق الخوض في وجوده فكيف يؤمن بوجود مخلوق غيبي (غيب دنيوي) يصرعه، وهو سبب امراضه النفسية وكثرة انتحاره وتعاطيه المخدرات ومعاقرته للخمر ؟!

نقول هذا بغض النظر عن الفئة القليلة منهم التي لا تزال على عقيدة نصرانية وتمارس الرقية.

فمن الطبيعي جدا أن لا يلجأ الإنسان الغربي إلى طريق لا يؤمن بوجوده لحل مشاكله، بينما الإنسان في عالمنا الإسلامي يعاني من مشكلتين :

الأولى :مشكلة الجهل بدينه، بل وتغلغل منظومة السحر و الاستعانة بالجن في مذاهب دينية تعبدية.

ومعلوم أنه كلما ضعفت أثار النبوة في أمة قويت آثار الشيطان، وكلما ابتعدنا عن نور النبوة زاد الجهل شركا وسحرا و فجورا.

وفي المدة الأخيرة بدأت الرقية تنتشر في الغربيين المعتنقين للإسلام فعدم انتشارها في الغربيين يعود إلى عدم مصادفتهم لمن يقدم لهم تفسيرا لما يحدث لهم من اضطرابات نفسية لم يسعفهم الطب النفسي في علاجها وكذلك لسائر مشاكلهم وليس لعدم تعرضهم للصرع والمس الشيطاني.

الثانية :هذه الظاهرة عندنا ظاهرة ثقافية ودينية، مبنية على اعتقاد بدعي ، يتمثل في أن تحصيل المنافع العاجلة مشروع بغض النظر عن الوسيلة، فالعوام عقيدتهم وجدية أشد ضرورة من شروق الشمس، يعني: لا يؤمنون إلا بما يجدونه، فما حقق مصلحتهم هو مباح عندهم، مثل: من يقصد القبور والقباب لطلب الرزق أو الولد، فدليل صلاح هذه الطريق عندهم هو حصول الاستجابة!

و أما ربط الاستجابة بأسباب أخرى لا تظهر من الاقتران بين السبب والنتيجة فلا يعرفها ولا يؤمن بها.

في بلداننا ليس الأمي فقط من يستنجد بالسحر لحل مشاكله أو لايذاء عدوه بل كل

الطبقات إلا من صح توحيده، فكبار المسؤولين يلجؤون إلى السحرة لاحتواء مسؤول عليهم، أو لإزاحته من منصبه، أو للحصول على ترقية، وهذا في كل القطاعات بدون استثناء!

حتى التجار منهم من يختار هذا الطريق فمنهم من يعالج بها كساد سلعته، ومنهم من يستجلب بها الزبائن، ومنهم من يسعى بواسطته لتعطيل تجارة تنافسه!

وكثير من الصيادين إذا قل صيدهم رشوا شباكهم بمواد سحرية لتلتقط السمك!

المهم عندما يعتقد الناس أنه يمكنهم تحسين ظروفهم المعيشية بالسحر الذي لا يسمونه بهذا الاسم بل يقولون :"نكتب" ؟!

و إذا كانوا أصلا يرضون بأكل الحرام سواء بالسرقة والنهب والاختلاس والغش والربا والبيوع المحرمة فلماذا لا يعتقدون في الاسترزاق وقضاء الحوائج بالسحر؟!

هي منظومة يرجع هذا الجزء منها إلى عقيدة بدعية فاسدة في الرزق، و إلى فتنة المال والجاه و الرئاسة وفتنة المسلمين في المال كما في الحديث.

ومن الاستسهال رد الظاهرة إلى عقد وأمراض نفسية فحتى علم النفس علم مادي لا يؤمن بدور للشيطان في فساد باطن الإنسان، والناس تتحشاه لأنه لا يملك في الغالب كوسائل علاج إلا العقاقير المخدرة.

إذا تتبعنا الظاهرة شعبيا و أحصينا نوع الإنسان الذي يقصد السحرة والمشعوذين، وطبقته الاجتماعية ومستواه الثقافي ،فسندرك أنها حقيقة واقعية، وأن أكثر الخلق صرعى ولكنهم لا يدرون.

السحر في بيئتنا سلم اجتماعي، و علاج لمختلف الأمراض الروحية و العضوية، ووسيلة استرزاق ،يعالج تأخر الزواج أو الإنجاب، كما هو وسلاح لضرب الأعداء والخصوم و الانتقام وتنقيع الغليل.

وكلما زاد الحسد في الناس ،و الشح و الحرص على الدنيا بأي وسيلة زاد انتشار السحر.

يقع الالتباس من تشابه أعراض الأمراض النفسية وحتى العضوية مع أعراض السحر وتداخلها أحيانا ،ولذلك لا أظن أن الحل في رد الظاهرة إلى النفسي وحده بل إلى فساد عقيدة الناس، وضعف الخوف من الله تعالى، وغرق القلب في الشهوات التي غمرته فاعمته.

لا يمكن رد ظاهرة بهذا الانتشار والعمق والمستوى إلى الصفات الانثروبولجية وحدها بل الأولى ردها إلى فساد العقيدة ونوع التدين المنتشر لكن بشرط الصدق والموضوعية في الإخبار عن هذا الواقع.

الدولة المستحيلة!

....

إلى الساعة ولمدة ليست بالقصيرة الدولة الإسلامية الراشدة دولة مستحيلة ليس لأنها _ الآن في هذا العصر _ مثالية على قول الحلاق(!) فالحلاق غرق في مفهوم الدولة الحديثة فحَّمه على مفهوم الدولة في خلافة النبوة، خاصة من جهة الحقوق الاجتماعية.

ولا لأن داعش ليست خير مثال لمن ينجزها على قول من يرد عليه(!) ولكن لأن تفكير المسلمين المعاصرين ورؤيتهم لا يمكن إلا أن ينتج دولة علمانية عضوض(!) علمانية (؟!) لأن إقامة الدين آخر اهتمامهم في هيكل الدولة ،ولأن براديجمهم الحالي مادي مبني على العدالة الاجتماعية :سعر البطاطا، وأزمة الزيت والحليب والسكن و البطالة... الخ التي هي في الحقيقة تحصيل حاصل بالنسبة للدين إذ يحتويها في شريعته،وليست بيد الإنسان.

ولقوله صلى الله عليه وسلم : ((فَوَاللَّهِ مَا الفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلَكِنْ أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُبْسَطَ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا، وَتُلْهِيَكُمْ كَمَا أَلْهَتْهُمْ.)) وفي لفظ "تهلككم كما أهلكتهم" الحديث.

عضوض(! ؟) لأن الديمقراطية وليدة لوغوس مادي واحد عند جميع الغربيين على اختلاف حساسياتهم،سواء كانوا يمينا أو يسارا أو وسطا لكنها عندنا أداة الانفجار لاختلاف منهج التفكير والرؤية جذريا.

و لأننا في الأهم من ذلك لا نشع في أنفسنا بالعدل والشفافية والصفاء(لا نحمل منذ قرون طويلة قيمة التشارك السياسي).

و إذا واصلنا مع استخدام الاصطلاح الفلسفي فيمكن أن نقول :الدولة الإسلامية الراشدة هي pathos (هوى، وألم، معاناة، عاطفة) المسلمين المعاصرين لشدة فساد المعتقد أو السلوك أو الذهنية.

وقد قضى الله تعالى على هذه الأمة الهوان إلا أن تقوم بالدين (جعل الذل والصغار على من خالف أمري.)
براديجم الحرية، و براديجم العدالة ،و براديجم الدولة ووظيفتها الذي نتحرك على أساسه براديجم مادي دهري لا يمت للعقيدة الإسلامية بصلة.
نرجو من محامي القضية أن يقلل من العاطفي الانفعالي، وعندما ينضج فليخض المستحيل و المستحيل يفعل البقية، لكن لا ينسى أنه ليس مجنونا كما قيل (!)

الجدل الكلامي بدون نهاية (!)

......

النقاش الكلامي نقاش لا ينتهي، وحتى و إن كانت موضوعاته المركزية محدودة لا ينتهي، والنقاش الذي لا ينتهي نقاش بدون فائدة لا ينتهي إلى شيء مفيد.
ومرجع ذلك أسباب معرفية و أخرى نفسية ففي الغالب هو نقاش يتوالد باستمرار ككل نقاش عقيم.
فكيف يمكن الخروج منه بأدنى فائدة ؟
يشبه النقاش الكلامي و الفلسفي مباراة بينج بونج حيث يذهب الحديث في كل اتجاه ويرجع لنقطة البداية!
وكل الموضوعات على طاولة النقاش لا تدخل إليه بمنهجية لأن الاسترسال العلمي طالب بحضورها ولكن لسد الثغرات ومكاثرة الضجيج الخلفي حتى لا نبقى في الجوهري وندور على الموضوع من خارج!
يعني نقدم لاشيء إذا ستكون أكبر حجة في هذا النقاش "لم تفهم قولي، لم تفهم قول فلان" وبسرعة يشعر الإنسان الموضوعي أنه يضيع في وقته فماذا نصنع لإيقاف هذه اللعبة المسمومة التي لا تجلب إلا العدوان والبغي والضغينة؟
أولا لنسأل أنفسنا :إلى أي نتيجة أريد الوصول ؟
هل أريد إقناع الأشعري بأن عقيدته محدثة لا تمت للعقيدة الشرعية بصلة ،و أن عليه أن يتخلى عنها، أم أريده أن يتخلى عن مسألة واحدة أو بعض المسائل فقط فيصير سلفيا فيها و يظل أشعريا في البقية؟!

الإجابة عن هذا السؤال ستسمح لك بالتركيز على أصل المشكل، وهكذا ستكتشف أن النقاش معه في قضايا عينية وحتى في أبواب مثل باب الأسماء والصفات مضيعة للوقت لأنك تركت له ما يرتكز عليه، ولأنه سيصعب عليه جدا رؤية الموضوع بوضوح.
يعني ستبقى الأمور مشتبهة عليه، فما هو المطلوب؟
كل مذهب تخالفه يقوم على أسس معرفية تفرعت كلها عن رؤية وجودية فما لم تطالبه أو تتحدث أنت بلسان مذهبه وترسم أمامه مخطط مذهبه المعرفي أعني: براديجم مذهبه :الوجود ومصدر المعرفة والمنهج، وتناقشه في كل فصل منفصلا عن القضايا العينية الجزئية _ إن كان شخصا يتشوف للحق وتجرد عن هوي النشأة وسطوة الانتساب _ فلن تصل معه إلى نتيجة!
إذا كان أمامك شخص يرتكز على التبرير وليس على العلة فما يبرر الموضوع شيء وما كان علةوجوده وظهوره شيء آخر لأنه في الغالب سيعتمد على الاعتذار لنفسه ومهاجمة من تعتمد عليه في تقرير المسائل.
يمكنك أن تسأله التالي :كيف يكون لك يقين في هذه المسائل بدون نص او مع مخالفة النص، إذا كان ظاهر النص متفقا عليه وباطنه مختلفا فيه؟
لنفترض أنك تريد إخبارنا بشيء مهم فهل ستعتمد لغة بسيطة معهودة يفهمها كل الناس أم لغة رمزية؟
يجب أن تتموضع على البراديجم فقط :مشاكل التأسيس _ مصدر المعرفة _و منطقية المنهج إذا أردت أن تحسم النقاش معه، أو على الأقل تمنعه من الانتشار والتفرع.
يجب أن يكون منهجك في النقاش البحث عن حل لا يشعر معه المخالف أنه سيخسر هويته. وهكذا يمكن أن تكسب الوقت والجهد و تؤسس لموقف بناء لجولات أخرى.
تحتاج إلى معرفة عيوب النقاش مع المتكلمين ، وفهم سبب المراوحة في المكان معهم، وانه يرجع بالدرجة الأولى إلى انهم لم يقوموا لحد الآن بمراجعة ذاتية داخلية لمذهبهم ،فلا تزال بسيكولوجية نشوء المذهب مسيطرة عليهم تصبغ نقاشهم لغيرهم بصبغة طائفية عصبية.
إذا جئنا إلى رصد مشكلة المتكلمين المنهجية وبدون أن ندخل في تفكيك براديجمهم المعرفي فسنلاحظ غيابا شبه تام للنقاش الداخلي وبالتالي للنقد الذاتي، هناك ربما

اختلاف على استحياء بين المدرسة العربية (الغربية) والمدرسة المشرقية الأعجمية (شرق العراق) لا يصل درجة النقد للأسس المعرفية، ومن لم يقض حزنه على مفقود لا يمكنك أن تحزن بدلا عنه!
والمقصود أن من لم يبدأ بنفسه مراجعة نفسه في الغالب لا يقبل مراجعة غيره له، و الأسوء أنه غير قادر على المراجعة لا يملك الأهلية و إلا كان فعلها بنفسه!

كيف تكون ذكيا كفاية حتى لا تكون كثيرا (!)



التفكير غير مضبوط على المردودية، و إذا حاولت فسيعاني من اضطرابات تسحبه للهذيان والرطانة، ما يعبر عنه بالحشو والاجترار.
للتفكير إمكانياتان :أن يرجع على نفسه ،أو أن يرجع للوراء، لهذا التقى بعض الناس مع عباقرة جمعوا العلوم،و أعطوا ذكاء نادرا وبلاغة تنطق الحجر، لم ينتفعوا منهم بشيء مهم ،فليست مشكلة برهان بقدر ما هي مشكلة عدم محل يعلق فيه البرهان (؟)
التفكير إما ينسى نفسه في الموضوع، وهذا تفكير العباقرة، يفكرون في التفكير وفي شروط التفكير في نفس وقت التفكير في الموضوع.
و إما ينسى الموضوع ،وهو تفكير المتعالمين حيث يصبح التفكير لنفسه موضوع تلذذ منحرف(!) أو من لم يبلغ بعد.

قالوا :إعادة تدوير الفشل ممكنة إذا عرفتَ الفوائد الخفيَّة والعبر المستفادة.

قبولي النقاش لا يعني أننا في الهوى سوى (!)

....
المسلم الذي يستمد منهجه من القرآن يناقش بعلم وعدل ولا يتكلم بالظن وما تهواه النفس، قال النبي صلى الله عليه وسلم :((الْقُضَاةُ ثَلَاثَةٌ: قَاضِيَانِ فِي النَّارِ، وَقَاضٍ فِي الْجَنَّةِ، رَجُلٌ عَلِمَ الْحَقَّ وَقَضَى بِهِ فَهُوَ فِي الْجَنَّةِ، وَرَجُلٌ عَلِمَ الْحَقَّ وَقَضَى بِخِلَافِهِ فَهُوَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ قضى للناس عَلَى جَهْلٍ فَهُوَ فِي النَّارِ». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَغَيْرُهُ.

واللازم أنه إذا كان القضاء في الأموال والدماء والأعراض مشروطا بالعلم والعدل وإلا دخل النار فكيف بالقضاء في الملل والأديان، وأصول الإيمان والمعارف الإلهية بلا علم ولا عدل؟!

فمن تكلم في هذه الأبواب بالمتشابه المشكوك تاركا المحكم الصريح من النصوص غاية ما عنده الغرق في القدر المشترك بالمقاييس والآراء [المنطقية الأرسطية أو الرواقية] مع الإعراض عن الفروق المانعة من الإلحاق والتسوية [حيث انهم غرقوا هنا في إلحاق الغائب بالشاهد، سواء بالحد، أو العلة!

وقد أدرجوا القياس المنطقي المركب من مقدمتين بقسميه: الاقتراني والاستثنائي ضمن الأدلة العقلية عندهم، أنظر محصل الأفكار للرازي ص:١٤٣ وأبكار الأفكار للآمدي ١/١٩٨]

فلا شك أن الغلط من جهتهم كبير. ابن تيمية بتصرف.

وإذا كانت نفس المتكلِّم والقارئ سوية، وإذا لم تكن هناك رغبة منافية لقصد الحقيقة تقف في الخلف فإنَّ أي نقاش، في أي موضوع يقرب المختلفين إلى درجة ما.

الكلام بين شراهة النقاش وشجار النواقيس (!)

....

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.

منذ أن ظهر الأشاعرة والجدال معهم مستمر إلى يومنا هذا، في فترات يكون حوارا ونقاشا، وفي فترات أخرى مجرد مناكفات ومغالبة!

هل يمكن أن تستمر خصومة علمية كل هذه المدة الزمنية بدون حسم، أو تحسين للمواقف إن لم يكن هناك عوامل نفسية معقدة تظهر في شكل عناد وعصبية، وخلل في المنهج والمنظومة؟

لقد عرف العالم الغربي شجارات علمية مثل" شجار الكليات " ربما بدأ باستدراك أرسطو على أفلاطون ثم اختفى إلى عصر المدرسيين الذين أحيوه، ثم عاود الاختفاء مرة أخرى إلى ظهور الفلسفة التحليلية!

وهذا تقريبا من خصائص الفلسفة فإنها لا تحسن إلا الاستشكال ولكنها عاجزة عن تقديم جواب مقنع لكل الفلاسفة بسبب اختلاف الأنظمة الفلسفية وانغلاق كل نظام على

واقع خاص به، وعجزها عن التكامل!
لا يمكن للفلسفة أن تقترح الحقائق لأن كل فلسفة أصيلة" حقيقية" عندما تجعل نفسها نظاماً تقترح طريقتها الخاصة في تحديد ما هو " الواقع"، وتمييزه عن الظاهر، ولا يمكن بحال أن نثبت أنها أفضل من أخرى، وعلى قول أحدهم: " كل فلسفة هي عالم منغلق على نفسه، كون من الأفكار المنغلقة على ذاتها باختصار: نظام، كل نظام يتشكل لنفسه وانطلاقا من "حقيقة الحكم" الخاص به الأصلي وبالضرورة يعلن واقعها الخاص: وهذه الوضعية غير مناسبة مع مفهوم الحقيقة كما هي مستعملة في العلوم.
هذه الوضعية تقود إلى مثالية جذرية: الواقع المشترك الذي يزعم الفلاسفة كلهم أنهم وجدوه ليس في الحقيقة إلا واقع فلسفي الذي يكونه كل نظام فلسفي بطريقته، للعلم الحقيقة والواقع المشترك وللفلسفة صياغة وأقع أعلى لا يجيب ويقنع إلا نفسه هو الواقع الفلسفي!
وهذا حال الباطل تجده دائما ضائعا ليس له محل حقيقي.
ومرض الفلسفة: التعليقوية(commentarisme) (الحواشي عندنا) فهذا يعلق على هذا في دائرة مغلقة إلى ما لا نهاية فيعود الأسفل أعلى، والأعلى أسفلا في تبادل المنزلة إلى ما لا نهاية.
ومرجع هذا الداء عند الغربيين العقلية التفكيكية التجزيئية التي تميل إلى تجزئة المجزأ ورد الذيل على الرأس باستمرار!
المفروض أن يكون النقاش بين الأشاعرة وغيرهم من المسلمين نقاشا في مسائل دينية، والمفروض أن الديني يتأسس على نصوص، والمفروض _أيضا _أن يتحاكم المسلمون إليها بالدرجة الأولى.
تعليل سبب استمرار الخلاف
إذا جئنا إلى رصد مشكلة المتكلمين المنهجية وبدون أن ندخل في تفكيك براديجمهم المعرفي فسنلاحظ غيابا شبه تام للنقاش الداخلي وبالتالي للنقد الذاتي، هناك ربما اختلاف على استحياء بين المدرسة العربية (الغربية) والمدرسة المشرقية الأعجمية (شرق العراق) مع اختلاف زمني كبير، يعني أن الاختلاف لم يكن بحضور الطرفين في زمن واحد.

الخلاف بين الشرقيين والغربيين من الأشاعرة يدور حول القول بعينية الصفات وعدم تحقيق زيادتها على الذات، وأنها ممكنة بذاتها الذي مال إليه الرازي وإثبات الأحوال، وبعض الآراء الطبيعية (أنظر رسالة إثبات الواجب الجديدة الملا جلال الدواني ص:١٤٠، و "ميزان العقائد" لعبد العزيز الدهلوي ص:٢٣

والأشعري الوحيد الذي يمثل التهجم عليه نوع حركة نقدية عندهم هو خلافهم مع الغزالي في بعض المسائل، ولا يرجع إلى نقاش نقدي أكاديمي بينهم ولكن إلى ميله للتصوف وذمه للكلام ونقده على هذا الأساس للمتكلمين كما في "أول الواجبات" و"التكفير بدليل الأعراض".

وقد كان ردهم عليه غير علمي مجرد عقد شبهات أدبية عليه، يقول السبكي عن الغزالي: " لم يكن بارعا في علم الكلام، وانا لم أر له مصنفا في أصول الدين بعد شدة الفحص إلا أن يكون "قواعد العقائد" و"القواعد الصغرى" واما كتاب مستقل على قاعدة المتكلمين فلم أره "الطبقات 4/103

كما حاولوا الرد على الغزالي بمثل رسالة الفضالي" كفاية العوام في علم الكلام ".

المهم لم يقم المتكلمون بمراجعة حقيقية لمذهبهم حتى جمعوا في داخله عدة ميول مذهبية إما باتجاه المعتزلة، وإما باتجاه أهل الحديث، وإما باتجاه الفلاسفة، مع وجود ميل هجين عند بعض المتأخرين يظهر مشكلة تأسيسية عظيمة مع الكتاب والسنة في أهم أبواب الدين: "التوحيد العملي" حيث لم يجعلوه متعلقا بعلم أصول الدين بسبب مشكلهم الابستمولوجي في تعريف أصول الدين، وبناء عقيدتهم على نظرة فيزيائية إغريقية (الطبيعيات) ،و أصبح مفهوم الوحدانية عندهم هو :وحدانية الذات ووحدانية الفعل ووحدانية الصفات ،أنظر "عقيدة أبي بكر المرادي الحضرمي (ت ٤٨٩)ص:١٩٨" نهاية الإقدام في علم الكلام "تاج الدين الشهرستاني (ت ٥٤٨) ص:٩٠و"مقدمات المراشد إلى علم العقائد "ابن خمير السبتي (ت ٦١٤) ص:166.

والنتيجة هي أن المتكلمين كثيرا ما يستعملون" علم الكلام "و" علم أصول الدين" في نفس المعنى، فالكلام عندهم مرادف للتوحيد، وهذا راجع إلى استراتيجية تعاوض المصطلحات والتوظيف التبادلي لها الذي يطمس الفروق الفاصلة بينها من أجل تمرير عقائدهم.

والوحدانية في عرفهم معناها سلب تصور الكمية في ذاته وصفاته سبحانه وتعالى:

سواء الكمية المتصلة والكمية المنفصلة، أي: فهو سبحانه وتعالى ليس مركبا من أجزاء ولا مكونا من جزئيات، وكذلك صفاته تقتضي عندهم هذا التركيب والجزئية والافتقار والتبعيض فهذا هو نفي الأجزاء عنه، وهما والمعتزلة يشتركان في وحدة وجود الله الانطولوجية.

والحقيقة أن أصول الدين عند المتكلمين شبيه إلى حد بعيد بالإلهيات أو الميتافيزيقا عند الفلاسفة، وأهم أصل للدين لا يبحثه وهو توحيد العبادة!

والسؤال الابستمولوجي الذي يوضح المراوحة المعرفية عندهم في نفسل المشكل هو: كيف تصور المتكلمون العلاقة بين علمهم وبين عقيدة موجودة سابقة لعلمهم؟

فبالضرورة اعتقدوا أن خصائص علمهم المتمثلة في النظر العقلي الصوري الجدلي غير موجودة في هذه العقائد النصية، وهنا يتفرع سؤال أبستمولوجي عن هذا السؤال الانطولوجي هو: هل النظر العقلي الصوري في أدلة عقلية نصية أم في عقليات مطلقة؟

هل هو بحث عن دليل عقلي يعضد النص أم عن دلالة عقلية في النص فهو نظر طلبي وليس بنظر استدلالي.

ولما كان هذا هو وضع المطلب الأسمى في الإسلام الذي هو التوحيد في منظومتهم يسهل علينا فهم الانحراف الذي نتج عنه في مفهوم العبودية حيث لم ير بعضهم الحج إلى المشاهد بحجة تعظيم أئمة البيت أو الأولياء، وتحري الدعاء عند القبور وقصدها بالتعظيم والاستغاثة بالمقبورين والذبح عند الأضرحة والاعتقاد في رجال الغيب والأبدال يدبرون هذا الكون من الشرك ومن نواقض الإقرار بالربوبية؟!

وعليه فإن مفهوم التوحيد الذي يقررونه ليس هو التوحيد الذي كان الأنبياء يدعون إليه، بل هو توحيد عبارة عن خليط من مفاهيم إسلامية وأخرى إغريقية منطقية ليس هو التوحيد القرآني النبوي بحال.

وانظر" المقدمات"لمحمد بن يوسف السنوسي؛ الذي هو مدخل لعقيدته الصغرى "أم البراهين" تحدث فيها عن أنواع الشرك الستة، ولأصول الكفر والبدع السبعة، وذكر من ضمن هذه الأصول: مجرد التمسك بظواهر الكتاب والسنة؟!

لقد حاول محمد بن يوسف السنوسي (ت ٨٩٥) تنظيم الاعتقاد الأشعري بتحديد الآراء العقدية وضبط مستوى مناهج التأليف، وهو ما يتماشى مع فترة الضعف

والتقليد التي دخلتها الأمة.

وهذا المثال الوحيد الذي يمكن أن يستشهد به بعضهم على وجود نقد ذاتي داخل بيت الأشعرية إنما يعبر في الحقيقة عن جمودهم العقلي ورفض النقد الداخلي الذي مثله نوعا ما الرازي والمدرسة الفلسفية فيهم بغض النظر عن قيمة هذا النقد، فالمدرسة المشرقية انحرفت إلى الفلسفة فزادت ابتعادا عن النص و الأثر ،و المدرسة السنوسية اقتصرت على اختصار" الإرشاد " للجويني انظر:" من علم الكلام إلى فقه الكلام "خالد زهري ص:47 - "دراسات في الفلسفة وفي الفكر الإسلامي"، عمار طالبي، 588/٢ - " ثلاث عقائد أشعرية"، خالد زهري ص41 - "عثمان السلالجي ومذهبيته الأشعرية"، جمال علال البختي ص:204.

وإن كانت المدرسة المشرقية قد زادت الطين بلة من جهة الارتباط بالنص فإن المدرسة السنوسية أضعفت البحث الكلامي ولبَّست عندما حاولت إغفال المسائل التأسيسية لعلم الكلام الأشعري مثل: الطبيعيات (الكلام في الجواهر والأعراض) مع أنها أسس اعتقادهم في إثبات وجود الله وحدوث العالم والصفات الإلهية!

وكذلك إهمال الحديث عن أنواع الأدلة وطرائق الاستدلال وهذا لأنها فطنت إلى أن الأشعرية لا يملكون منطقا خاصا بهم، كما تركت الاسترسال مع المعتزلة في تفريعات باب العدل وهم سبب ظهور المذهب الأشعري؟

لقد حاول السنوسي فصل الأشعرية عن المقدمات الفلسفية التي استلفتها دون إعلان مصدرها فأهمل مباحث الفلسفة المشائية بشكل تام وحذر منها، وكذلك المباحث المتعلقة بمفهوم الإيمان وزيادته ونقصانه والاستثناء فيه، وأخيرا المباحث المتعلقة بالإمامة والصحابة التي ربما قدروا أنها من قسم الفقه لكن من يعرف طبيعة الصراع فيها وارتباط أسس المذاهب به يعرف أنها من قسم العقائد على الأقل في الجزء المنهجي.

فإذا لم يأت السنوسي بأي جديد وحاول التقليل من ذكر الخلاف الداخلي فلا يمكن أن نعد هذه الحركة القهقرية نقدا ومراجعة منهجية شاملة للمذهب، ومنه نفهم سبب مضغ الحجج نفسها!

يعاني المذهب الأشعري من عدة مشاكل هيكلية يكشف بعضها الترتيب الكرونولوجي الذي يثير استغرابا انطولوجيا وجوديا وابستمولوجيا على هذا المذهب فنحن نعرف

تاريخيا أن تمثيل الأشاعرة لأهل السنة بدأ في القرن الخامس الهجري ١١ الميلادي، فمن كان يمثل أهل السنة قبل ذلك؟
كما نعرف أنه ساد بفضل المدارس النظامية والغطاء السياسي ولكن أكثر من ذلك بسبب نظرته التوفيقية بين أهل الحديث الذين لهم اللفظ وبين المعتزلة الذين لهم المعنى، يعني أن حقيقته أنه مذهب تلفيقي!
بحسب بعض الباحثين فإن العقائد الإسلامية مرت بأطوار تاريخية:
الطور الأول: الخلاف بين أهل الحديث والمعتزلة (العقل) أهل الحديث عولوا على الإيمان ونبذوا العقل والمعتزلة فعلوا العكس، وهذا توصيف مغلوط فإن أهل الحديث نبذوا العقل المشائي والذري والرواقي الذي استعان به المتكلمون وليس العقل الفطري الضروري، وعولوا على الايمان لاعتقادهم بكفايته وهيمنته العلمية ـ والعملية آنذاك ـ على كل ما سواه.
نهاية هذا الطور يمثله الإمام أحمد الذي بدأ بعده انكماش نسبي لأهل الحديث.
الطور الثاني: ظهور أبي الحسن الأشعري الذي فارق المعتزلة والتحق بأهل الحديث مستخدما المناهج العقلية للمعتزلة في نقد عقائدهم ويمثل الاستدلال على العقائد القائم على الأدلة النقلية والعقلية على وجه التعاضد لكنه لقي صدا من بعض أهل الحديث خاصة من الحنابلة وإن تبناه بعضهم كابن الزاغوني.
ثم قضية مرسوم اللعن الذي افتعله المعتزلة.
الطور الثالث: عودة ظهور الأشاعرة في فترة الوزير نظام الملك واستعابوا بعض المعتزلة معهم مثل القفال الشاشي.
في الحقيقة هذا التقسيم خاطئ والتقسيم الصحيح: مرحلة السلف وسيادة أهل الحديث _مرحلة ظهور القدرية _مرحلة ظهور الجهمية وإلى هذا الحد ساد أهل الحديث _مرحلة نفوذ المعتزلة والذي قضى عليهم ليس الأشعري ولكن أهل الحديث وعلى رأسهم الإمام أحمد _مرحلة الأشعري _مرحلة سيادة المذهب الأشعري النسبية.
المشكل المنهجي عند هذا الباحث (جورج المقدسي) أنه يروي تاريخ الأشاعرة من كتبهم التبريرية ليس من كتبهم الكلامية، ولم يستعن بكتب غيرهم التي تقص علينا تاريخهم مثل" التسعينية" لابن تيمية مثلا.
والمشكلة التأسيسية الأخرى هي انتسابهم إلى الأشعري ومجرد هذا الانتساب يثير

إشكالا معرفيا لأنه إذا كان الأشعري نفسه انتسب إلى أهل الحديث ودافع عن معتقدهم بحسب علمه به، وبالطرق التي كان يحسنها أي: العقل المعتزلي فكيف ينتسب الأشاعرة إليه ويدعون تمثيل السنة، فالأولى ان يفعلوا مثله!

وهذا يعني أنهم ليسوا على وفاق تام معه في عقيدته كما في الإبانة والمقالات واستحسان الخوض في علم الكلام خاصة ورسالة أهل الثغر واللمع بدرجة أقل، وأنهم احتاجوا إلى الشرعية ولإعلان منهجهم الجامع بين النقل والعقل شكليا.

وقول جورج المقدسي أن الأشعري يظهر في "الإبانة" أثريا خالصا غير دقيق فهذا يصح من جهة الدعوى وبعض القضايا التي وافق فيها أهل الحديث وإلا فإن فيه مقالات مناقضة لعقيدة أهل الحديث.

والأشعري ليس متناقضا كما يزعم المستشرقون وإنما قال بما يعلم، فما علمه من اعتقاد أهل الحديث قال به، وأحيانا يخطئ عليهم كما في "المقالات"، وما لم يعلمه قال بموجب اجتهاده العقلي لهذا كان برزخا بين أهل الحديث والمعتزلة على وصف ابن تيمية.

ولا يوجد تعارض بين موقفه في "المقالات" وموقفه في "استحسان الخوض" كما يظن المقدسي لأنه في هذا الكتاب الأخير ينصر النظر العقلي لتعضيد النصوص لا ينصر معارضة النصوص فهو رد فعل منه على من ذم النظر العقلي. (ص:١٧) بغض النظر عن نسبة الكتاب إليه.

وما زعمه جولد تسيهر من أن فضل ظهور العقيدة الأشعرية يعود للأشاعرة لا إلى أبي الحسن الأشعري صحيح نسبيا لأنه أولا هو من فتح لهم الطريق فالوزير نظام الملك الذي مكنهم وظهر مذهبهم بفضله كان على عقيدة الأشعري وأصحابه، ولأن الانتساب إلى الأشعري المنتسب لأهل الحديث منحهم نوع شرعية فبفضل منهج الأشعري اقنعوا الناس أنهم أهل سنة.

يزعم الأشاعرة أن الأشعري كان له مذهبان، الشهرستاني في الملل والنحل، والسبكي في الطبقات:"مذهب الخطيب في الصفات أنها تمرر كما جاءت وهذا مذهب الأشعري.. وللأشعري قول آخر بالتأويل ١٣/٣، ص:١٥_١٨

كانت مشكلة الأشعرية ولا تزال هي في انتزاع الإقرار بشرعية مقولاتهم للقبول بهم في الوسط السني وكذلك الانتساب إلى المذهب الشافعي، وهي المعركة التي سيطلقها

السبكي على كل شافعي ذم الكلام أو ذم أهله.
قول جورج المقدسي (ص:٢٣) بأن الانتساب إلى العقيدة السنية متوقف على التمذهب بأحد المذاهب الفقهية السنية تحليل غير دقيق، نعم هناك معركة داخل المذهب الشافعي بين أهل الحديث والمتكلمين سنجدها في كتب أصول الفقه وفي الطبقات، فلا يمكن للأشاعرة الانتساب إلى المذهب الحنبلي لاختلاف المنهج، والمذهب المالكي الأول أثرى ينبذ العقليات الكلامية الفلسفية ليس إماما فيها، والمالكية فرع للشافعية في العقليات سواء أصول الفقه أو علم الكلام، والحنفية للمعتزلة ، والمذهب الحنفي في البداية مذهب تركز فيه المعتزلة ،والحنابلة صار فيه ثلاثة تيارات في المتأخرين اما في البداية فكان فيه أهل الحديث.
فلا يوجد وحده غرض التدثر بعباءة المذاهب الفقهية السنية بالاندساس فيها.
والمذهب الذي تواجد في كل المذاهب هو مذهب أهل الحديث وإن كان جمهور المحدثين على مذهب أهل الحديث يعني: الاجتهاد، فهناك بدون شك بحث عن الشرعية السنية في المذهب الأشعري.
لكن من جهة أخرى لابد لعالم الكلام من مذهب فقهي ما يطرح السؤال: لماذا غالبيتهم شوافع؟
والذي رجح الصراع العقدي بين الأشاعرة العقلانيين وكافة المذاهب الفقهية المعتنقة لمذهب أهل الحديث العقدي هو معونة السلطات السياسية لهم لأن قضاتهم كانوا يقبلون تولية المناصب للسلاطين بخلاف غيرهم، ولأن الملوك أسسوا لهم المدارس وأجروا عليهم النفقات وأخيرا لأن مذهبهم تلفيقي يسمح للسلطان بحفظ توازنات الطوائف وتغليف باطله بعباءتهم، وهذا لا يزال مستمرا لليوم!
نحن نعرف أنهم عانوا نفسيا كثيرا من مشكلة "شرعية المذهب" وانتسابه للسنة كما نجد ذلك واضحا في "طبقات السبكي" وفي «تبيين كذب المفتري" حيث حاولا إيجاد سند وتبرير لصناعة الكلام والرد المضمر على بعض أئمة الشافعية الذين أعلنوا الانفصال بين مذهبهم ومذهب المتكلمين.
والذي كان يهم ابن عساكر والسبكي بالدرجة الأولى هو موقف الشافعي من علم الكلام فكان معظم الجهد في إعادة تأويل أقوال الشافعي فالقضية تتعلق بقبول المذهب الأشعري داخل المذهب الشافعي، ولهذا يصرف ابن عساكر في مقدمة تبيينه رسالة

الغزالي "إلجام العوام عن علم الكلام "بقوله: إن هذا الأمر كان يعني الأشعري أكثر من غيره يعني: سبق الأشعري في نهى العوام عن علم الكلام".
لكن المصيبة لتوجيه ابن عساكر أن العامة عند الغزالي يدخل فيهم المتكلم!
والأشاعرة لا يعتمدون كتاب الأشعري "الإبانة عن أصول الديانة" إلا عندما يريدون إثبات انتماءهم لأهل الحديث، أنظر "تبيين كذب المفتري" للقاسم ابن عساكر ص :٣٨٨، و "رسالة في الذب عن أبي الحسن الأشعري" أبو القاسم ابن درباس (ت ٦٠٥) ص:١٠٧

يقول الغزالي في "الإحياء" طبعة الحلبي ١٩٣٩ ١/١٠٠: وإلى التحريم ذهب الشافعي ومالك وأحمد بن حنبل وسفيان وجميع أهل الحديث والسلف.
وممن دافعوا عن علم الكلام القرطبي في رسالته "زجر المفتري على أبي الحسن الأشعري" مصحوبة بمدح ابن دقيق العيد وردت في "طبقات السبكي" ٢٢٨وما بعدها، لكن على منهج السبكي لم يكن القرطبي وابن دقيق العيد في درجة عالية في علم الكلام حتى نقابل بينهم وبين من احتج بهم الغزالي.
تتسم "طبقات السبكي" بالدعاية للمذهب الأشعري داخل المذهب الشافعي بالدفاع عن جواز الاشتغال بعلم الكلام، وعن الأشعرية باعتبارها منهج أهل السنة الحقيقي، وفيها محاولة استمالة الشافعية والتهجم على خصوم الأشعرية خاصة أتباع المذهب الشافعي.
وقد اتبع السبكي استراتيجية إثارة التناقض فاثبت ما رواه ابن عبد البر عن الشافعي من ذم الكلام برواية ما يعارضه قال في "الطبقات" ٢٨١/٢: وهذا الحديث وأمثاله مما روي في ذم الكلام وقد روي ما يعارضه (اعتماد حجة اختلاف الرواية).
يعني: أن استراتيجيته ضرب بعضها بعضا فتبطل كلها، وبالتالي اللجوء إلى حجة الحاجة، وأن الخوض في الكلام يصير واجبا حين يتوفر شرطا الأهلية والضرورة ذبا عن حياض عقيدة أهل السنة:"فالكلام في الكلام عند الاحتياج واجب والسكوت عنه عند عدم الاحتياج سنة" (١٢/٢).
وقوله: "واجب" و "سنة" تلبيس لأن الواجب يؤجر فاعله ويأثم تاركه، والسنة يؤجر فاعلها ولا يأثم تاركها (تناقض مع حجة الحاجة) يعني الخوض في علم الكلام مباح

في كل وقت.
يعرف السبكي المتكلم بأنه كل من نافح عن عقيدة أهل السنة والجماعة، والأشعري هو كل شخص دافع عن الأشعري، وعلى هذا فبعض أهل الحديث متكلمة وبعضهم أشاعرة (١٢/٢)
يتلاعب السبكي بالعمومات فيجعل أتباع السلف الاثريين في عداد الأشاعرة لأن الأشعري لم يبتدع مذهبا جديدا بل اتبع طريقة السلف ونافح عنها بحجج عقلية، وكل من يقتفي منهجه في استخدام النظر العقلي في إثبات عقائد السلف فهو اشعري ٢٥٤/٢ يعني: إثبات عقائد بدون سند بمجرد نسبتها إلى السلف يجعل المتكلم سلفيا أثريا سنيا؟!
وقد سأل والده عن قلة من ذكرهم ابن عساكر في" التبيين" من علماء الأشاعرة فقال له: أتباع المرء من دان بمذهبه وقال بقوله على سبيل المتابعة والاقتفاء الذي هو أخص من الموافقة ٢٥٥/٢
ثم ذكر إدخال المعتزلة الصحابي الجليل ابن مسعود في "طبقات المعتزلة" فمن حق الأشاعرة إدخال ابي بكر وعمر في طبقاتهم، وفي "طبقات المعتزلة" أحمد بن يحي بن المرتضى إدخال أبي بكر وستة من كبار الصحابة في المعتزلة، وكل هذا يدخل هذا في إطار البحث عن الشرعية المهزوزة؟
وقد أدخل ابن عساكر والسبكي ابن عبد البر وابي طاهر الصلفي من المحدثين وابن عقيل الحنبلي في عداد الأشاعرة ٢٥٨/٢
وأما حجة ابن فورك فهي انه لم يتم الإجهاز على دعوة المعتزلة إلا بعلم الكلام، فالكلام يعضد الفقه، والفقه بدون الكلام قاصر عن الذب عن الدين وتفسيره 3/53.
وليعضد هذا الموقف سرد علينا قصة اشتغال ابن فورك بالكلام الذي لم يجد عند الفقيه الذي كان يختلف إليه قدرة على تفسير حديث "الحجر الأسود يمين الله "وأجابه أحد المتكلمين بجواب شاف فقرر الاشتغال بالكلام! ٥٣/٣
وهكذا تدخل القصة معركة الشرعية لأن القصة إذا استقبلتها بترحاب سمحت لك بالتعلم، نفس قصة أبي بكر بن العربي مع المحدث إسماعيل الأنصاري ومناظرته لباطني إسماعيلي بأداة استفهام " لمَ"؟
والعبرة منها أن الكلام لا يصادم الحديث، بل يفك ألغازه، وهو بذلك مقدم على الفقه،

وهكذا يشبه صنيع السبكي المعلم الياباني الذي يحكي لتلامذته القصص فقال له أحدهم: لمَ لا تذكر لنا العبرة؟ فرد عليه: أترضى أن أمضغ حبة الفاكهة " التفاحة مثلا" ثم أقدمها لك؟

ولما نقل قول أحد كبار الشافعية الفقيه ابن سريج: "قل ما رأيت من المتفقهة من اشتغل بالكلام فافلح يفوته الفقه ولا يصل إلى معرفة الكلام" تلاعب بمعناه لأن الفقه عنده لا يعلو على علم الكلام في ترتيب العلوم الشرعية، يعني في ترتيب المتكلمين وليس في ترتيب أئمة السنة وفقهاء الملة الذين لا يعتبرون أصلا علم الكلام علما شرعيا وإلا كيف ذموه وذموا المشتغلين به؟!

ويركز السبكي جدا على طعنه على ابن حزم والذهبي وابن تيمية بسبب موقفهم من المذهب الأشعري خاصة ابن تيمية والذهبي الذي كان شيخه والذي أثنى على "التبيين" بطريقة ذكية فقال بأنه كتاب جيد للأشاعرة فحسب (!) ثم ختم بهذا الدعاء: ... ونعمل بمحكم كتابك ونؤمن بمتشابهه ونصفك بما وصفت به نفسك. الطبقات ٢٤٨/٢

لقد نال الذهبي طعنا غير مسبوق من السبكي لأنه وشيخه المزي صديق ابن تيمية خصوصا هو المقاومة العنيدة لأهل الأثر ضد انتشار الأشعرية في المذهب الشافعي.

فتركيز السبكي الطعن عليه لأنه كان شافعيا عالي القدر شكل عقدة أمام تغلغل الأشعرية داخل المذهب الشافعي التأصيلي لان تغلغلهم الوجودي فيه كان من قرون، ويمكن ان نقول بانه يمثل رد فعل الفقهاء والمحدثين داخل المذاهب الفقهية لصد الأشعرية.

ومشكلة السبكي مع الذهبي إمام الجرح والتعديل أنه كسائر علماء الحديث اخرجوا علم الكلام من العلم وبالتالي رفعوا الحصانة عن متكلمي الأشاعرة.

كان الذهبي عقبة يصعب تخطيها على السبكي فلابد من الطعن فيه، وانه مائل للحنابلة، وفي الحقيقة الثورة أو المعركة داخل المذهب الشافعي في هذه الفترة أحدثها ابن تيمية عندما اقنع المزي والبرزالي والذهبي وابن كثير وغيرهم بمذهبه.

وقد خاب ظن السبكي لأن العلماء أجمعوا على عدالته وإمامته في الجرح والتعديل، وذكروا أن الذهبي شيخه وقد ترجم له في معجمه المختص، ولم يكن هذا شائعا، نبل الاستاذ وعقوق التلميذ "الشذرات" ٢٢١/٦

كان السبكي واعيا بصعوبة النيل من علماء مذهبه، ولهذا كانت التورية مشتهرة بين العلماء، وعندما لا يعجبه الحال يحتج بقول ابن عبد البر في "كتاب العلم": النهي عن قول العلماء في بعضهم بعضا ويجعله فصلا مع انه لم يحترم هذه القاعدة في عشرات العلماء الذين وقع فيهم.

ذكر السبكي في مقدمة كتابه قائمة بمن صنف في طبقات الشافعية قبله، واعترف بالقصور وسأل الله الصفح الجميل، ورجى من ناظريه المسامحة على ما جرى به القلم ١١٣/١ مع العلم أن المقدمات تكتب بعد الانتهاء من الكتابة وإلا كان وضع دعاءه وطلب المسامحة في آخر الكتاب فما الذي منعه من إصلاح جور القلم؟!

ويذكر الأسباب التي دفعته إلى تأليف "الطبقات" وهي وجود قصور في كتب طبقات الشافعية السابقة على كتابه منها الاختصار والعناية بالمجاهيل وترجمة علماء غير شافعية والسكوت عن عدد من أعلام الشافعية الكبار، وقد استعمل السبكي "تاريخ نيسابور" للحاكم النيسابوري كمصدر لترجمة أبي إسحاق الإسفراييني وأبي علي المانعي والقشيري وغيرهم.

ذكر السبكي "طبقات الفقهاء" لأبي إسحاق الشيرازي واعترض عليه قائلا: مع كثرة من جاء بعد الشيخ إسحاق من أصحابنا يقصد الإسفرائييني والشيرازي ترجم الإسفرائييني لكن في أقل من سطرين وجعله في عداد المتكلمين لا الشافعية ص:١٠٦ بينما استوفي ترجمة ابي حامد الإسفرائييني لأنه لم يكن متكلما.

المصنف الثاني هو الذي ابتدأه ابن الصلاح وراجعه النووي بعد وفاة ابن الصلاح وزاد عليه بعض الأسماء قليلة جدا فأخذه المزي وبيضه يقول السبكي: من العجيب ان الثلاثة اغفلوا حتى ذكر المزني وابن سريج والاصطخري والشيخ أبي على السنجي والقاضي حسين وإمام الحرمين وابن الصباغ وجماعة من المشهورين الذين يطرق سمع الشيخين أبي زكريا وابي عمرو ذكرهم ليلا ونهارا وعشية وأبكارا ١١٤/١.

وهذا لأن هذه المصنفات كانت منحازة بوضوح لأهل الحديث الشوافع، والمزي وصهره ابن كثير شافعية ناصروا ابن تيمية، وسجن القاضي الشافعي ابن الصصري المزي الشافعي ودافع عنه ابن تيمية الذي غسله المزي ودفن بجواره.

بالغ السبكي في الحط من قدر كتب التراجم التي صنفها أهل الحديث فانتقد الذهبي والخطيب البغدادي وأظهره في صورة من يعمد إلى الحذف، والعبادي لأنه لم يذكر

في كتابه ابن كلاب كان متكلما شافعيا وابن النجار.
يتهم السبكي بأن المجسمة - وهي صفة يطلقها على أهل الحديث الحنابلة - يروون الكذب لنصرة مذهبهم والشهادة على من يخالفهم في العقيدة بما يسوءه ١٩٢/١.
إن محاولة ابن عساكر والسبكي إقناع أهل السنة بالجذور السلفية للمنهج الأشعري تبين ان مذهب الأشاعرة كان يجد معارضة شديدة داخل المذاهب الفقهية وخصوصا الشافعي، وانه لم يكن مهيمنا كما صوره بعضهم.
ومن الشافعية الذين شنوا حربا على الكلام الكرجي (ت ٥٣٢) الذي نظم قصيدة شهيرة، والخطابي البستي (ت388) في كتابه "الغنية عن أهل الكلام وأهله «
اتهم السبكي الأول بالسرقة ٨٢/٤ ولم يعلق على الثاني.
يوجد أبو أحمد الكرجي القصاب هو صاحب العقيدة المعروفة بالقادرية التي كتبها للخليفة القادر وجمع عليها الناس وطارد من خالفها سنة 413 وتبعه عليها محمود بن سبكتكين بالمشرق.
ويوجد الشيخ أبو الحسن محمد بن عبد الملك الكرجي الشافعي في كتابه الذي سماه "الفصول في الأصول عن الأئمة الفحول إلزاماً لذوي البدع والفضول" وهو المقصود.
لقد فشل الأشاعرة في نيل الاعتراف بمذهبهم ولقد عملوا جاهدين للحط من أهل الحديث ومنزلتهم في تاريخ العقائد الإسلامية، وغض الطرف عن أهميتها، فرسموا صورة لأهل الحديث على أنهم ثلة قليلة من العلماء الرجعيين في مقابل السواد الاعظم من الشافعية ذوي المنهج التقدمي المستنير المتحالفين مع الأشاعرة، وهو ما حمل الناس على الاعتقاد أن الأشعرية هي العقيدة السنية الوسطية.
وربما ما اختار الأشاعرة التسمي بهذا الاسم" الأشعرية" إلا دليلا على الغموض الذي يحيط بمذهبهم؟ انظر "الأشعري والأشاعرة في التاريخ الديني الإسلامي"؛ جورج المقدسي، مركز نماء، الطبعة الأولى بيروت ٢٠١٨.
لقد عان الأشعرية من عاطفة التمييزضدهم فمارسوها على غيرهم، ولهذا يشكل التأكيد على سنيتهم عقدتهم في كل فترات التاريخ الكلامي؟
كذلك يعاني الأشاعرة إشكالية تضارب مصادر المؤسس وحقيقة مذهبه فرسالة "الاستحسان في الخوض في علم الكلام" في أحسن أحوالها كتبها عندما كان معتزليا.

وقد أشار إجناس جولدتسيهر في كتابه "العقيدة والشريعة في الإسلام" في الترجمة الفرنسية التي راجعها بنفسه أن "الإبانة عن أصول الديانة" هو آخر مؤلفات الأشعري التي حوت العقيدة التي استقر عليها.

وقد أشار بعض الباحثين إلى أنه أخذ ذلك عن محمد بن الموصلي الذي صرح بذلك في مصنفه "سيف السنة" ونسبه لـ «الرسائل السبع في العقائد" حيدرآباد ١٩٤٨ في الرسالة السادسة التي عنوانها "الذميمة الثانية للإبانة" لمحمد عنايت على الحيدر آبادي ص:٤٥

وبدون شك يظهر الأشعري في كتابيه "الإبانة" و"المقالات" أثريا إلى حد ما فهل بدأ بعد ترك الاعتزال أثريا ثم أصبح لاحقا أشعريا؟

وسبب هذا الإشكال رسالته" استحسان الخوض في علم الكلام" أم هو أثري جوز لنفسه الجدل الكلامي.

واما ما احتواه" اللمع "من آراء عقلانية صرفه فيه!

وقد سبق وحللنا هذا الإشكال عندما قلنا بأنه بعد تركه المعتزلة انتصر لعقيدة أهل الحديث والسنة لكن بحسب علمه بها، وحيث لم يعرف حقيقة مذهبهم وظَّف قدرته الكلامية يعني: خلفيته الجدلية الاعتزالية في نصرة ما اعتقد أنه مذهب أهل الحديث والسنة.

مع العلم أنه لم يذكرها ابن عساكر ولا السبكي ولا ابن تيمية، ولم يذكرها ابن فورك في قائمة مؤلفات الأشعري فلو كانت فعلا له لما فوت الأشاعرة الاستنصار بها على جواز الخوض في علم الكلام.

كما أن لغة هذه الرسالة حادة وساخطة تفترض انها رد على منتقدي الاشتغال بعلم الكلام وفيها جواز الاشتغال بعلم الكلام مطلقا، وهو خلاف رأي المتكلمين بأنه للضرورة فقط، كما تشكو من انقطاع السند فهي بكل حال موضع شك!

وفي "المقالات" لا يؤيد الأشعري الاشتغال بالكلام كما في "الاستحسان" بل يكتفي باستعراض آراء العلماء، فهو في نهاية الجزء الأول يقرر صراحة مذهب السلف (1/248 (وهو نفس موقفه في "الإبانة".

لكن في الجزء الثاني نجد عناية بعدد من المسائل الفلسفية مثل: السببية والإثبات والنفي، والجسم والجوهر الخ، وليس في هذا أي إشكال بخالف رأي جورج المقدسي

لأن الأشعري لم يكن محدثا عالما بتفاصيل اعتقاد أهل السنة بل كان متكلما يناصر عقيدة السلف بالنظر العقلي الذي ورثه عن المعتزلة.

ومخطوط المقالات الموجود بحيدرآباد بحسب الخط والورق يعود إلى القرن السادس الهجري كتب على صفحة الغلاف "الجزء الأول من" مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين "تأليف الشيخ أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري رضي الله عنه وآخر هذا الجزء هو آخر الكتاب" المقالات، ه ريتر1.

ونجد تحت هذا التعليق تعليقا آخر بخط يد مختلف نصه:"أحد المصنفات التي يملكها الشيخ البارع شمس الدين محمد ابن الشيخ العلامة تقي الدين عبد الكريم المقري الشافعي "ثم نجد بيتين شعريين في بطلان علم الكلام.

ويشير المحقق إلى أن ابن خلكان تلميذ ابن الصلاح ذكر هذين البيتين في ترجمته للشهرستاني وقد أورد الشهرستاني البيتين في مقدمة مصنفه" نهاية الإقدام في علم الكلام "دون ذكر صاحبهما، وهما بيتان ينسبان لابن الصائغ الأندلسي:

لقد طفت في تلك المعاهد كلها... وصيرت طرفي بين تلك المعالم

فلم أر إلا واضعا كف حائر... على ذقن أو قارعا سن نادم

فيرجح أن المخطوط ملك للشهرستاني.

المخطوطات الخمس البقية منه نسخت بعد القرن السادس الهجري فربما ألف الأشعري الجزئين على فترات بعيدة بينهما.

كذلك كل كبار الأشاعرة مثل: الباقلاني والجويني والشهرستاني والرازي والغزالي أعلنوا في آخر حياتهم الرجوع عن علم الكلام.

وقد كان أعلام الأشاعرة من بعد الأشعري مذبذبين بين موقفين متناقضين كحال الباقلاني في كتابه "الإبانة" كما يقول ابن تيمية في "مجموع الرسائل الكبرى" 1/459.(راجع:

المصادر المطبوعة للعقيدة الأشعرية "عبد الله الغزي _" الآراء الطبيعية لمتكلمي الإسلام "عبد الرزاق محمد _" الأشعري والأشاعرة "جورج المقدسي _" دراسات في تاريخ علم الكلام "رشدي راشد)

وكل هذا قرائن على عدم استقرار منهجي على مشروعية مذهبهم ينم عن خلل هيكلي في المذهب لن يصمد بالتالي أمام أي نقد داخلي لبراديجمه المعرفي.

والمقصود هنا ليس نقد المتكلمين في البراديجم فضلا عن أعيان المسائل الكلامية ولكن الإشارة إلى عيوب النقاش معهم، وتعليل سبب المراوحة في المكان معهم، وانه يرجع بالدرجة الأولى إلى انهم لم يقوموا لحد الآن بمراجعة ذاتية داخلية لمذهبهم فلا تزال بسيكولوجية نشوء المذهب مسيطرة عليهم تصبغ نقاشهم لغيرهم بصبغة عصبية عنادية.

الصورة :بدون معنى، فقط نحن في زمن الرمان!

قيل :تكون في مأزقٍ عندما تكتشف (متأخراً) أنَّ ما كان مقدَّما كحلِّ رائع لم يكن إلَّا فخًّا !

مثل القرض الذي تعجز عن الوفاء به !قيل :تكون في مأزقٍ عندما تكتشف (متأخراً) أنَّ ما كان مقدَّما كحلِّ رائع لم يكن إلَّا فخًّا !

مثل القرض الذي تعجز عن الوفاء به !

لماذا يستحيل تجديد علم الكلام؟

....

عندما نتحدث عن [علم] الكلام الإسلامي وبحوث المتكلمة فيه فإننا نعالج مسألة تاريخية محضة فعلم الكلام الإسلامي لم يعد موجودا إذا كنا نقصد بالوجود حركة البحث وعقلنة التصورات، أو إن شئت سنوات الإبداع.

وعلم الكلام عند المعاصرين لم يأت بجديد، لا يزال كما هو: مجرد ترديد لكلام السابقين بدون توسيع المعرفة فيه، ولا زيادة في الشرح، ولا صياغة جديدة؛ الاضافة الوحيدة هو الهوس بالعقلانية الغربية المعاصرة عند بعضهم، وتأثيث مباحثه بمصطلحاتها، وتهجين لقضاياه بدلائل الفلسفة المعاصرة.

كما أن المعرفة المتجادلة حوله معرفة مذهبية، وبالتالي لها طابع إيماني، فالاستماتة في الدفاع عن المسألة ضمن التقرير المذهبي ليس دفاعا عن حقيقة، ولكن عن عقيدة ومذهب، ولذلك تصاحبها كل تلك الأحوال العاطفية.

ولأننا ـ أيضا ـ لم نصل المرحلة التي يدرس فيها المسلم مذهبا ليس لأنه مذهبه أو للرد

على المخالفين له ولكن لفهم مبادئه المعرفية /الادراكية ونماذجه المعرفية ولتحديد منظومته دون قصد سد الفجوات ترقيعا بالشد الجدلي والكرم اللغوي؟
وفي تقديري لن يجدد علم الكلام لسببين:
السبب الأول: علم التوحيد السني الجدلي، والذي نقصد به هنا: التأصيل العقلي لعقيدة السلف في مواجهة عقيدة المتكلمين والفلاسفة منهجه والموقف التأسيسي له مغاير جذريا للعقلية الغربية في معالجة قضايا الايمان والأخلاق لأنه مبني على قاعدة "سنة ـ بدعة"، والسنة لا تجدد تجديدا يغيرها فذلك سيكون بدعة ضلالة، وإنما التجديد فيها بإعادة نشرها ودفع المعارض لها وتعضديها أو جعلها في مستوى القضايا الفلسفية الجديدة بعد الحداثة الغربية.
في الفكر الغربي لا يوجد شيء مقدس ولا ثنائية سنة ـ بدعة، لأن مفهوم الدين نقل عن دلالته الأصلية عندما نقل مفهوم الايمان في مقابل العقل فأصبح مجرد اختيار ذاتي بدون مبرر موضوعي(!)
وهكذا يمكن أن تزحزح عندهم أي شيء عن مكانه الأصلي بزحزحة المفهوم وتغيير الأسماء والمصطلحات...!
هذا إضافة الى تجاوزهم الابستمولوجي للمعرفة المذهبية إلى معرفة متعددة الاختصاصات، أما في التوحيد السني العقلي أو الجدلي فإن المواقف قبل ما تكون مذهبية هي إيمانية لأن أساسها النصوص، والانتساب والتوثيق فيه للسلف.
وإذا كان التوحيد السني عقدة الكلام يحتاج أن يبرر نفسه أمامه أو بالنظر إليه، وهو ما نعبر عنه بمشكلة الشرعية والأصالة
السبب الثاني: أن الكلام يواجه بحكم الانتساب والتوثيق إلى شخص أو شخصيات محدودة معينة السياج المذهبي وليس الالتزام المذهبي، بحيث أنه لم يحقق المتأخرون فيه أية نقلة معرفية، ولم يحلوا أيا من المشاكل التي أثارها عليهم أهل الحديث والسنة من أول ما ظهر، فلا يزال الموضوع الكلامي يعاني من شد جدلي، وبسبب ضعف المتأخرين فيه صارت مسائله مغلقة والدفاع عنها يغلب عليه التعنت والجدال باجترار الأجوبة الميتة.
لهذا الاختلاف العقدي الموجود اليوم لا يدل على خصوبة فكر وتدافع علمي بل يدل على حالة مرضية تعاني منها الأمة من قرون، فالمسائل بالنسبة لكل عقل متواضع

أمام الحقيقة، متجرد من الهوى والعصبية والشبه الملقنة والأحقاد المذهبية المدفونة في أعماقه يعلم أن جل هذه الاختلافات محسومة علميا من قرون، حسمها أهل الحديث والسنة بسند وإجماع سلفي وبمختلف الأدلة، وأن المخالف المعاصر لا يفعل سوى تكرار حجج تم نسفها من قرون، فتجديد النقاش حولها ليس تجديدا لأدلتها بل هو تجديد للعناد والتعنت ليس إلا.

فلحد الآن لم نر دليلا جديداً واحدا، لم نر إلا اجترار شبهات قديمة!

وشرط أي معتقد صحيح أن يكون منقولا عن صدر الأمة الأول، يعتمد الاستدلال فيه على الأدلة اللفظية السمعية التي هي الطريق، والمصدر الذي تخرج منه الأدلة العقلية الموافقة للضرورة والفطرة.

وبالتحليل النقدي لمسار المعارف والمنهجيات الكلامية وجد فيه المخالفون له فجوات معرفية ومنهجية بيِّنة الضعف ليس لها سبب موضوعي لتستمر كل هذه الازمنة، مثل غرقه في دلالات افتراضية تسبح في مجال الممكنات الذهنية المتكاثرة فيه بشكل أساسي.

لا يمكن تجديد علم الكلام لأنه ليس ـ بالتعبير الفلسفي ـ ليس من قبيل اللاهوت بل فلسفة، والفلسفة شهدت بعده تحولات كبيرة وكثيرة فإن أمكن أن يجدد نفسه فكفلسفة وليس كعلم عقيدة إسلامي.

وقد يستغرب بعضهم هذا لأنهم ينظرون إليه بحسب ما يدعيه لنفسه لا بحسب ما هو في نفسه في حقيقة الأمر، وكذلك لأنهم يخلطون ببين القصدية وبين الحقيقة الواقعية، وحقيقته من أول ظهوره أنه نظر عقلي مذموم في العقائد، فذم الكلام عند السلف وأهل الحديث ممارسة أصلية وإجماع.

إذن هو فكر صوري، يدل عليه حده يقول الجويني في "الكامل في اختصار الشامل": "إن الكلام ينبغي أن يستعمل الاصطلاح ولا يمكنه أن يمضي في استعمال ألفاظ العوام" منقول ص: ٣٢ [المحدثون عنده وألفاظهم الشرعية عوام؟]

ويقول الغزالي في "معيار العلم في فن المنطق "ص:٥٥:"عن اصطلاح النظار بالقياس إلى المعجم المنطقي ".

وعليه فعلم الكلام خطاب عقلي تصوري جدلي تحكمه قواعد منطقية، يتعلق بمباحث الأسماء والصفات والقدر وغيرها من العقائد الدينية.

وكونه يتعلق بالعقائد الدينية لا يجعل منه من قبيل الإلهيات او اللاهوت إذا لم تكن مصادره ومنهاجه دينية، ومصدره في الأصول العلمية ـ لا العملية ـ العقل وعندما ننظر في منهجه في التفكير والاستدلال نجده مطابقا للإجراءات المنطقية، وأتباعه عندهم ثقة عمياء في قدرة المنطق على أن يضمن صحة النتائج الاستدلالية إذا ما استوفيت الشروط الصورية كلها، تماما كثقة المشائين في المنطق الصوري.

وكيف يجدد نفسه وهو لا يملك أدواته لذلك فأصله طبيعيات تجريدية مستلفة مع الحذر في الدلالات ودفع بعض اللوازم كما في الجوهر.

لا ننكر أن المتكلمين صرحوا أن هدفهم ضمان الأساس العقلي لعقيدة المسلمين لكن على أي أساس انطلقوا؟!

فإن كان من قبيل اللاهوت فعند المتقدمين فقط ومن جهة القصدية والاستعمال لكن من حيث ابتعاده عن النصوص وفهم السلف ومغالاته في التأويل المناقض، وتأسيسه على رؤية في الطبيعيات غير إسلامية هو فلسفة.

وقول ريتشارد فرانك بانه لاهوت إسلامي لأنه العلم الأساسي للإسلام مغالطة لأن عقيدة أهل الحديث والسنة أسبق منه ولأنه رفض من أول يوم أن يكون ممثلا لعقيدة المسلمين، واما ما حدث فيما بعد فحدث كما حدثت كل الانحرافات في العبادة والفقه والسياسة والأصول (تعريف علم الكلام عند المعتزلة والأشعرية ضمن دراسات في تاريخ علم الكلام والفلسفة إشراف رشدي راشد.

فلا شك إذا أنه يشبه علم اللاهوت من حيث أنه استدلال عقلي على عقائد دينية مسبقة، فبحسب تعريف ابن خلدون من أنه "جدال عن الدين بالعقل" هو محدد بعقائد مسبقة، لكن في الحقيقة هذا تعريف نظري لا يمثل الحقيقة إذ نجد أن الحد الديني فيه لا يتجاوز القضايا الغيبية مثل البعث والجنة والنار ومثل هذه الأمور لكن في الانطولوجيا وإثبات وجود الله وصفاته وما يستتبعها يحافظ على الحد الديني فقط من خلال عدم إنكار النص لكن من حيث التأويل فهو فلسفي يعني غير مقيد بحدود مسبقة.

وممكن أن نعتبره من قبيل الإلهيات أو علم اللاهوت في التعبير الفلسفي من جهة أنه حاول صياغة بعض مسائل العقيدة الإسلامية كما في مسألة الاستواء الذي فسروه بالاستيلاء صياغة عقلية صورية لأنها في زعمه قدمت لنا في النص بلغة رمزية وقبلناها على أساس إيماني دون إثبات عقلي فهو لاهوت من أجل إثباته لفظ الصفة

فقط أما من جهة المعنى ووسائله المنطقية في التفسير هو فلسفة بدون شك.
لا يجب هنا أن نغفل عن السمة الأساسية لعلم الكلام وهي المقدمات الطبيعية التي قام عليها وهي هيكله الخفي وكونهم دفعوا بعض لوازمها عند الفلاسفة لم يغير كثيرا من النتيجة.
ويعترف بعض الأشاعرة أن أصولهم شاذة فعندما تكلم الجلال الدواني في جملة أمارات الطائفة الناجية ونقل معيار الطوسي وابن المطهر من الشيعة الباطنية في ذلك وهو " مخالفة سائر الآمة مخالفة بينة " قال: "بل الأليق بذلك هم الأشاعرة فإن أصولهم مخالفة لأكثر أصول المذاهب ولا يوافقهم فيها غيرهم" وعد بعض آرائهم ومنها أنهم جوزوا "رؤية كل موجود من الأعراض وغيرها حتى جوزوا رؤية الأصوات والطعوم والروائح، بل جوزوا رؤية أعمى الصين بقة الأندلس" (شرح العقائد العضدية) 1/41.انظر الآراء الطبيعية لمتكلمي الإسلام عبد ارزاق محمد.
مع أن خصائص الطائفة الناجية عينتها النصوص!
وفي الأخيرنقول: علم الكلام لاهوت إسلامي باعتبار أن كثيرا من المتكلمين كانوا علماء دين وباعتبار قصد بعضهم أنهم يدافعون عن العقيدة الإسلامية وباعتبار القسم الشرعي في عقيدتهم نحو مسائل البعث والنشور والجنة والنار والقبر ومثل هذه المسائل وخصوصا قضية الإمامة ولكن هذا القسم يشركهم فيه اهل الحديث والسنة وهم أقوم به.
اما حيث الأصول العلمية وقاعدتها الطبيعية ومنهجها المعرفي والاستدلالي ففلسفة لذا لا يمكنه أن يتجدد إلا كفلسفة وليس كعقيدة إسلامية أو توحيد او أصول الدين إلا إن قصدنا بالتجديد التخلي عنه أو الاحتفاظ باجزاء شكلية منه.

قد قيل : بعضهم يرى في وضعية(ما) تهديداً وبعضهم يرى أنَّها فرصة **!** (رؤيتك للعالم ليست العالم على الأقل عند غيرك)

وفي النفس قضبان !

....

ينظر الإنسان للعالم بفلتر ثقافي أو شخصي، ولذلك عندما تواجهه مشكلة سيحاول _في الغالب _التصرف على المصدر الخارجي لها بينما الحل في المصدر الداخلي ،يعني :الحل في العمل على نفسه:{إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم}
كل حياة الإنسان عبارة عن مجموعة عادات يدمن عليها فإن لم يجتهد للتخلص من عاداته السيئة لن تتغير أموره ،وسيظل هو هو مهما تغير العالم، ومهما سنحت له الفرص!
وهذا أمر يتطلب الوفاء بالعزم لإكراه نفسه التي تتلذذ بتلك العادات على تركها.
ومن لا يغلب نفسه لن يغلب واقعه.

العلم عند قطيع الكباش !

......
ليس العلم نداء تزاوج طنان لعصافير الشجرة ! ولا الصراخ بالشعارات المجردة!
ولا هو ضجيج كلامي يمضغ شبه تصورات!
و لا هو مرض روح النقد الفضفاضة التي أعدت قطيع المفكرين المعاصرين الذين ينهقون بلغة الكفار والمنافقين!
وليس العلم كليشيهات مستهجِنَة !
ولا هو التكيف مع ميوعة رياح التاريخ!
ليس العلم في المنقول الضعيف ولا في المعقول السخيف!
(ليس العلم قدرة على الاعتراض والقدح و الجدل و إنما العلم هو جواب السؤال)(ابن تيمية)
العلم وسيلة ومقصد ،موضوعيته في الوسيلة موضوعية استدلال، وموضوعيته في المقصد موضوعية تحقيق الغاية أخلاقيا و سياسيا.
من تصور العلم غير الحق تصور العلم مجردا عن الإيمان وعن الحماس وعن الولاء والبراء.

الناس في الحكم أربعة أقسام :

1_ من يريد العلو على الناس والفساد في الأرض(حال غالب الساسة من عبيد الدنيا وجنود الشيطان)
2 _ من يريد الفساد بلا علو كالمجرمين من سفلة الناس(من لا أعدمت قوته الشهوانية قوته العقلية ،لا يملك أدنى رؤية سياسية سفلية)
3 _ من يريد العلو بلا فساد كمن عنده دين يريد أن يعلو به على الناس(ومن يريد العلو على الخلق ولا بد أن يظلم في عرض أو مال)
4 _ من لا يريد علوا في الأرض ولا فسادا(الدولة عنده هي دين وقربة يتقرب بها إلى الله، فالعبد إما رباني _ كما قال النبي صلى الله عليه وسلم _ يشهد الصلاة لذكر الله والثناء عليه، يعبد الله بالتوحيد العلمي والعملي، وينكأ عدوا لله فيبذل جهده لمصالح العباد في دينهم ومعاشهم ،و إما حطام بشري)
ملخص براديجم طالبي تأسيس الدول في مختلف أشكالها في "الخلافة والملك" لابن تيمية.

الحرب على الدين في متحف الوهم (الإلحاد) ؟

....

وحده الدين هو المحور المؤالف في حياة الإنسانية، وكل مجتمع معاصر تمادى اليوم في الإلحاد إلا ويعيش لحد الآن كمجتمع على منجزات الدين، ومتى اندثرت آخر بقايا الدين فيه تفسخ إلى أشلاء مهترئة.
يحتاج الناس إلى أن يؤمنوا بأن كل وعي لابد أن يعود إلى قوة تؤالف بينهم، فهذا الحضور الإلهي الخلالي هو ما ينسج الروابط بينهم، ومن هنا وفي قلب أزمة التدين التي تعيشها البشرية يظهر أن الدين هو الحصن الوحيد أمام الدمار الذي تقود إليه الحضارة الغربية البشر.
" الله غير موجود" هذا هو الأس التحتاني للإلحاد ولوازمه هي أنه على الإنسان أن يجد بدون الله معنى للعالم ولحياته، وهذا ظهر بكل بداهة ممكنة أنه جذريا غير قادر عليه، فوحده الدين هو القادر على توفير المعنى والطريق للمصالحة بين أفراد الإنسانية.

كل الملاحدة في أي زمان كانوا خصوصا من بداية عصر الأنوار يهدفون إلى تدمير الإيمان بالغيب ما يسمونه "الميتافيزيقا" فبحسبهم ـ كما عند هولباخ ـ يقف الإيمان بالغيب خصوصا والإلهيات العقدية عموما حاجزا أمام التفكير مع أن كل قواعد العلم الطبيعي تأسست ضمن بيئة ميتافيزيقية والعلم المعاصر عالة عليها!

بحسب هولباخ فإن فكرة "روح لامادية" تؤسس لفكرة "الله"، والفكرة عن إله خالق ستسمح بدورها بتفكير عدم التجانس بين الجسم والروح وتفسير الاتحاد بين الروح والجسم.

كما أن فكرة "إله خالد" تسمح أيضا بتفكير "خلود الروح"(خلود الإنسان في الاخرة) التي تجعل تخيل حياة بعد الموت ممكنة، وبالتالي تؤسس لفكرة محكمة الله (الإيمان باليوم الآخر والحساب والعقاب)

بالنسبة لطبقة الرهبان (علماء الدين) ستجد نفسها شرعية بالمسافة الأنطولوجية التي تفصل الناس عن الخالق، وضرورة وجود وسطاء بينهما.

كما ترى فكرة "وجود روح ليست من جنس ما نعرف" وحدها تستلزم عند الملاحدة إثبات وجود الله واليوم الآخر والحساب والعقاب، والخلود والحاجة الضرورية إلى علماء الدين؟

الحرب على الدين او بالضبط على الإلهيات العقدية لها عدة أشكال مختلفة، ومن أكثرها انتشارا بين الشباب المتعلم إشباعهم بالعقلانية الأداتية المخبرية و التهوين من الدرس العقدي فنلاحظ اليوم أنَّ بعض الشباب المسلم الذي عنده ميل الى العلوم التجريبية و الطبيعية بسبب ما تمنحه من رضا عن النفس عند الظفر بفهم نظرياتها و التعامل مع الأرقام و المعادلات و إهمال للواجب عليه من العلوم الشرعية ينتهي إلى الالحاد أو إلى شكٍّ حاد لأنَّ غاية هذه العلوم وصف جزئي لواقع معقد كبير جدا على عقل الإنسان فلا تقدم إلاَّ أجزاء حقائق لا تشبع نهم النفس المعرفي إلى معرفة الحقيقة بصورة واضحة فيبحر معها بدايةً مكتشفا ما كان يجهله ومع كل اكتشاف علمي ينشأ لديه سؤال جديد ، فتجتمع الأسئلة و تتكاثر و تواصل ابحارها به تاركة تلك العلوم خلفها فيسقط في الشك،لأن كل العلوم الطبيعية حتى الكوسمولوجية عاجزة عن تأثيث هذا العالم بالمعنى، و الرؤية الوجودية الوحيدة الممكنة فيها إما الروحانية الربوبية وهي جمع بين نقيضين، و إما الرؤية العدمية وهي الإلحاد .

يبدا الإلحاد بنقد الدين تحت عذر " تجديد الدين"، " تجديد الخطاب الديني" " مراعاة الواقع" وهذه عبارات يطلقها الصديق والزنديق ولكل قصده وأدواته وشرطه، فنقد الدين (أصوله وثوابته) هو ما يؤسس قاعدة الإلحاد أو تطور فكرة الإلحاد في الإنسان.
عندما ينطلق نقد الدين دون تمييز واضح بين الدين المنزل الشرعي والدين المحرف المبدل سيقف الناقد عند عدم الانسجام الذاتي لهذا الدين، والذي يلغم مصداقيته عنده حيث لا يمكن للحس السليم أن يسند مثل هذا الدين، ولن يجد هذا الناقد الذي حمَّل الدين المنزل أوزار الدين المحرف المبدل تبريرا مقنعا لغزو الدين لكل مجالات ودوائر المجتمع فتنبت فيه فكرة العلمانية.

الدماغ ليس هو العقل هو مجرد عضو مكيف لتوصيل العقل بالعالم الخارجي.
مسابقة السباحة في الألعاب الأولمبية تتطلب مسبحا لمستوى هذه المسابقة لكن المسبح ليس هو من يصنع الحدث الأولمبي ،المسبح يجعله ممكنا في مكان معين.
لقد أصبحت المادية منتهية الصلاحية لا تقدم اية فرضية مفيدة لفهم العقل الإنساني والتجارب الباطنية(الوجدانية) هي بعيدة جدا عن هذا ،حيث يوجد مجال واسع لا تستطيع المادية ولوجه فضلا عن استكشافه.
من كتاب (من الدماغ إلى الله)

مظنة النفاق في العلم !
....

لا أعرف شخصا يقلل من قيمة النهي عن مشابهة الكفار إلا والسنة عنده في موضع شفقة،وقد تكون فيه نوع مودة للكفار؟!
ومن عرف قدر ضرر مشابهتهم فيما هو من خصائصهم عرف أنها تورث المودة لهم أو تكون مظنة لذلك.
قال الله تعالى :(ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع اهواء الذين لا

يعلمون) واهواؤهم هو ما يهوونه من هديهم الظاهر الذي هو من موجبات دينهم أو كفرهم وتوابعه ،وموافقتهم فيه اتباع لما يهوونه، ولهذا يفرح الكفار إذا وافقهم المسلم فحسم هذه المادة مطلب شرعي، والزجر عن اتباع اهوائهم هو لقطع الطريق عن اتباع ملتهم كما ربط في القرآن بين اهوائهم وملتهم.

و أصل هذا الاضطراب عند بعض الإخوة عدم معرفتهم بموجبات تعظيم السنة بسبب خلل في ترتيب المنهج العلمي ، فاهل السنة يبدؤون علمهم بالله سبحانه فهو أصل كل موجود و إليه منتهاه، فالعلم منه يبدأ بإثبات النبوة (الوحي) ودليل النبوة دليل على الله تعالى ثم الإيمان (الإقرار بما جاء به الرسول) ثم العلم هو معرفة ما جاء به الرسول،وما نهى عنه الرسول صلى الله عليه وسلم ليس موضع سخرية و إن لم يحقق شرط تنزيله على الواقعة.

والعلم عندهم بالضرورة من هذا :معرفة ما جاء به الرسول.

فاهل السنة على منهج القرآن يدعون الناس أولا إلى عبادة الله بالقلب واللسان، و عبادته متضمنة لمعرفته وذكره، يعني: الدعوة إلى العلم بالله والعمل له لأن أصل العلم بالله فطري ضروري أشد رسوخا في النفس من أي علم.

والأصل الجامع هو الله لأن منه البداية و إليه النهاية فالعلم به أصل كل علم وجامعه، من العلم به تتشعب كل العلوم.

وذكره أصل كل كلام وجامعه، والعمل له أصل كل عمل وجامعه، من عبادته تتشعب كل المقاصد الحسنة.

وما سوى الله إما فضل نافع أو فضول غير نافعة و إما أمر مضر.

{وكفى بربك هاديا نصيرا} وكل علم لابد له من هداية (دليل هاد) وكل عمل فلابد له من قوة (نصرة وتاييد).

فالله هو أصل كل هداية وعلم، و أصل كل نصرة وقوة.

و إذا كان العبد مخلوقا مربوبا مفطورا مصنوعا استلزم أن يعود في علمه وعمله إلى خالقه وفاطره وربه و صانعه.

فهذا الترتيب(الأنطولوجي) القرآني النبوي السلفي الذي تجده في كتب أهل السنة كصحيح البخاري مطابق للحق، وتاليف (ابستمولوجي) موافق للحقيقة إذ بناء الفرع على الأصل وتقديم الأصل على الفرع هو الحق.

بينما غيرهم يبدأ بنفسه يجعلها الأصل الذي يفرع عليه والاساس الذي يبني عليه فاول ما يبدؤون به :إدراكهم العلم بأي وسيلة يكون فجعلوا العلوم الحسية هي الأصل ثم انتقلوا إلى الفيزياء (إدراك الأمور الطبيعية) و الحسابية) فكان اصلهم الأمور السفلية إذا صعدوا منها غلب عليهم إثبات صانع العالم ثم مقدماتهم السفلية في إثبات النبوة ومنها يعرجوا على تلقى السمعيات. ومقدماتهم إما مشتبهة فيها نزاع أو خفية لا يفهمها إلا الأذكياء كثيرة طويلة معقدة.

الفيلسوف يبتدئ بالمنطق ثم الطبيعي و الرياضي ثم الميتافزيقي الإلهي، و المتكلم مثله يبتدئ بالنظر والعلم والدليل (وهو من جنس المنطق) ثم حدوث العالم و إثبات محدثه.

ولهذا يبتدئ السني باصل العلم والإيمان.

المتكلمة جعلوا بإزاء السنة العقليات الكلاميات، و الصوفية جعلوا بإزائها الذوقيات والحقائق، والملوك جعلوا بإزائها السياسة، و الفقهاء جعلوا بإزائها المذهب والعادة والرأي

والسنة هي ما سنه الرسول وشرعه تتناول ما سنه وشرعه من العقائد، وما سنه وشرعه من العمل.

فهي شرعة في العقائد والأقوال، وفي المقاصد والأفعال.

. والسنة عند أهل السنة منهج يمثل طريقة في العلم والكلام، وطريقة في الحال، وطريقة في العبادات الظاهرة و السياسات السلطانية

{ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرا لهم و أشد تثبيتا و إذا لاتيناهم من لدنا أجرا عظيما ولهديناهم صراطا مستقيما}

فلنحذر من هذه الأمور فمن هنا يبدأ وضع القدم في النفاق :العلم من غير خبر الرسول والعمل من غير أمره،ولأن المسلم معه إيمانه بأن الرسول اكمل الخلق و اعلمهم بالله ولا يمكنه تسويغ ترك متابعته فإن النفاق فيه في هذا الباب لن يكون الإعراض الصريح بل بشكل من أشكاله غير المباشرة مثل رد الوحي إلى المقدمات التي سلكها.

من أدرك هذا التأصيل عظم السنة ورفع مقام النبوة إلى موضعه القرآني و ظهر ذلك على علمه وعمله و أدبه مع ألفاظ الرسول.

أنظر "تمهيد الأوائل "و"كتاب الربوبية" ضمن مجموع الفتاوى فيها نهاية التفصيل.

إلحاد السوق؟

لا يجب أن نختزل الإلحاد في سطوة الشهوة على بعض النفوس فهذا إلحاد عوام الناس.

وفي الناس خبث وفجور وفساد فطرة وجهل ينتظر أي دعوة فاسدة ليتقمصها لأنه يجد فيها فساده، لا يشترط أن تكون إلحادا!

ومن درس تاريخ الفلسفة يعلم أنه بدون خبر الأنبياء لا يمكن للفيلسوف إلا أن يكون ماديا دهريا أو اتحاديا يقول بوحدة الوجود.

والثاني نهاية المطاف عنده هي مذهب الأول مشفرا في عبارات فارغة.

عندما نقرأ فلسفة كنط و شبنهاور و هولباخ وروسل (لماذا لست مسيحيا) لا نلمس فيها خبثا فجوريا بل مشكلة عميقة مع تناقضات الدين المسيحي وكون عقيدته فوق العقل و أنه من اللامعقول قبوله كما هو.

ولا شك أن فكرة الربوبية لازمة لهم حتى في هذه الحال لأنها فطرية ضرورية لكن الخراب الذي احدثته النصرانية في تصوراتهم طمست هذه الفطرة بينما عند كثير منهم احتفظوا بها مجملة مع الحرص الشديد على التخلص من كل علاقة بالمسيحية كما عند هلفتيوس وروسو وغيرهما من الروحانيين الربوبيين.

والمقصود إلحاد هؤلاء ليس كإلحاد دعاة النسوية و الشذوذ و المثلية.

نعم الإلحاد المجتمعي اليوم هو إلحاد لا مبالاة بموضوع الله وليس بحث وجوده من عدمه،ومنه إلحاد لا أدراني مطلق، وهذا إلحاد سهل على كل إنسان أن يتبعه.

ومن ضمنه إلحاد الأزمات النفسية كرد فعل على عدم قبول مصائب الواقع مثل فقدان محبوب أو انتقام من مجتمع أو بلد لأجل وضع اجتماعي غير مرغوب من فقر ومعاناة وغير ذلك.

لكن عندما يجد الجد تلجأ كل أشكال الإلحاد إلى الإلحاد الفلسفي والمذهب المادي المستعين بتاويله للعلوم الطبيعية.

لذا فإن المشكلة لا تتحمل التبسيط في صورة أزمة نفسية مجردة عن كل خلل في الرؤية الوجودية.

{واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين}
يموت بعض الناس بعيدا عن الحق الذي كان في يوم ما في متناولهم!

الحقيقة دائما محبطة عندما تخرج من عند غيرنا لكن البلاغة كذلك دائما مستعدة لتزويرها

الكلام قيد ؟

....

الصفة المؤسسة لفعل الكلام عند العاقل أن يكون ذاتي التدليل (ولا تقف ما ليس لك به علم) وموثوقا (إن كنتم صادقين) .
والمفروض أن كل إثبات يرتكز على دليل (معتبر عند المتكلم) فإنه من منطلق الأمانة يجب أن يكون ضامنا على محتوى كلامه بأنه كلام بعلم.
ومن الاحتيال في العلم تمييع مسؤوليته هذه في عملية الإحالة والعزو، فدور الإحالة أنها شاهد على فهم المتكلم وصدقه لا غير، لا يجب أن تبسط التصورات وتقعد المفاهيم فيها.
والمقصود أنت مسؤول عن المتلقي لا يجوز لك غشه بأي وجه مشعور به.

لا تدري هل سيُسمح لك بإصلاح ما بقي من عمرك ،في الوقت الذي يناسبك! (بَادِرُوا بِالأَعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ.)
(و _ أو)
لماذا وحده الوحي نصدقه بدون شرط نفي المعارض؟

....

مشكلة المنهج:
1 ـ تقرر كثير من المذاهب الإسلامية على أساس منطوق أو مضمون أن العلم شيء

والمنهج شيء آخر، وأن المسلمين منحوا الحقيقة بدون منهج موصل إليها، ومن هنا تعددت مناهج المسلمين؛ فلماذا؟

2 ـ للجواب عن هذا الإشكال نحتاج إلى تحليل إبستمولوجي إذ الأبستمولوجيا هي دراسة طرق اكتساب المعرفة: كيف أعرف إن كان ما أعرفه صحيحا؟

3 ـ وللجواب على هذا السؤال نحتاج إلى معرفة ما معنى العلم؟

تعريف العلم:

1 ـ لا يكاد يتفق البشر على تعريف العلم خاصة إذا اشترطوا في التعريف حدا جامعا مانعا لكن باعتبار الوصف المشترك بين أنواع العلم فإن كل علم هو _ في نهاية المطاف _ اعتقاد صحيح مبرر.

فإن كان كذلك فإن كل التحديات في المعرفة ستكون كامنة في الطريقة التي نبرر بها اعتقاداتنا.

كما أنه ليحصل الاتفاق بيننا نحتاج إلى تحديد ما هي "الحجة الشرعية" التي تسمح بتبرير هذا الاعتقاد لنقبله كلنا.

لكن بالنسبة للعلم الإلهي و الشرعي فإن الحجة على الخلق في القرآن هو الرسول، وبالتالي تكون الحجة الشرعية التي توجب الاتفاق بين المسلمين هي النص الشرعي.

إذا عرفنا هذا فلننتقل إلى المنهج الذي يوصل إلى العلم الصحيح :

تعريف المنهج:

1 ـ هو طريقة القيادة والتعبيرعن فكرتك طبقا لمبادئ هذا العلم وليس ذاك (العلم يحدد منهجه).

2 ـ هناك منهاج عام وهناك منهج خاص بكل علم.

المنهج العام هو الذي يناسب كل العلوم مثل: السبر والتقسيم والقياس...والتحليل والتركيب.. الخ.

والمنهج الخاص هو الذي لا يناسب إلا بعض العلوم مثل: التجربة.

اللازم:

1 ـ المنهج هو الطريقة، وهي الخطوات التي يتبعها العقل للوصول الى الحقيقة.

جميل؛ لكن هذا التعريف عام يناسب الحيارى والشاكين لا يناسب أهل النبوة (المسلمين) لأن الحقيقة عندهم موجودة في النص الشرعي. وعليه فنحن لا نبحث عن

الحقيقة ولكن عن اعتقادها وفهمها والعمل بموجبها.
وإذا كان شرط اتباع القرآن أو اتباع السنة هو "معرفة صحة النص ومعرفة فهمه" كان المنهج من جهة هو العلم الذي يثبت صحة النقل.
ومن جهة أخرى علم الأصول التي نفهم بها مضمونه.
وعلى هذا صار النص الشرعي هو منهج الإثبات وهو العلم نفسه.
2 ـ وإذا كانت الحقيقة متوفرة عند المسلمين في النص فيجب أن نميز بين نظرين (تفكيرين) أحدهما يبحث عن وجود الحقيقة والآخر يبحث في دلالتها :
الأول: النظر الطلبي: المتمثل في طلب دليل المسألة، فهذا النظر لا يجامع العلم بل يضاده لأن الإنسان يكون فيه طالبا للعلم، ولو كان عالما به لم يطلبه فهو شاك في الحقيقة أو جاهل بها.
الثاني: النظر الاستدلالي: وهو النظر في دليل بعد تصوره وتصور استلزامه الحكم، فهذا النظر يفيد العلم جزماً.
والفرق بينهما أن النوع الأول ينتجه الشك والحيرة والجهل يستلزم، والثاني ينتجه الذهول عن الشيء.
وقد اختلط على كثير من المسلمين هذا الأمر والتبس عليهم.
والقرآن يؤصل للنظر الاستدلالي وليس للنظر الطلبي لأن الشك المطلق ليس منهجا فيه، بل منهجه التذكير، تذكير الناس بضروراتهم الفطرية وبما أنزل إليهم من ربهم؛ ولهذا سيقول الناس يوم القيامة عندما يأتيهم العذاب: {رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نُجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلُ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ () وَسَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ} [إبراهيم] فهم يطلبون التأخير لإجابة دعوته واتباع الرسل وليس للنظر في القضية إذ وجوده ثابت في فطرتهم لا يحتاج إلى النظر لإثبات، فالإنسان لا يبحث عن وجود إلا ما شعر بوجوده، لا يطلب الدليل على المدعوم، والشعور تصور مطلق الوجود مرتبط بهوية الذات.
والخلاصة:
1 ـ إذا كان المقصود هو العلم(بالحقيقة) ، فالعلم الإلهي و الشرعي هو معرفة ما جاء به الرسول، يعني: معرفة المراد من النص.

2 ـ وإذا كان لكل علم طريق هو الدليل، فالدليل في العلوم الشرعية والإلهية هو النص من جهة الثبوت ومن جهة الدلالة.

3 ـ وإذا كان لكل علم مصدر ومرجع ، فمصدر العلم الإسلامي هم الأنبياء لأنهم جاؤوا بالمعرفة المفصلة التي تقوم بها الحجة البالغة.

إذن :1 _ الأنبياء هم المصدر، ولا طريق إليهم إلا النص عنهم.

2 _والدليل هو النص، وبديهيا يحتاج إلى نظر يستخرج دلالته وليس إلى نظر يطلب وجوده.

3 _ والمقصود هو العلم، والعلم اعتقاد صحيح مبرر، وكل هذا في النص سواء بالعلم الخاص بإثبات صحته أو بالعلم الذي يمنح فهمه.

النتيجة :النص هو الطريق ،وهو المقصود، وهو المصدر.

لهذا لم يجعل السلف إيمانهم بما دل عليه القرآن موقوفا على نفي المعارض لأنهم تيقنوا أنه لا يعارضه حق بل كل ما عارضه فهو باطل.

و أن ما تعلق به من اختلاف فمن قصر فهم وعلم بعضهم لا من نقص ما دل عليه القرآن{المص كتاب أنزل إليك فلا يكن في صدرك حرج منه لتنذر به وذكرى للمؤمنين () اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا ما تذكرون} [الأعراف].

هذا ما يسمى "المنهج الأثري _ المنهج السلفي"

ولهذا كانت طريقة السلف هي وحدها الموصلة إلى الحق دون طريقة من خالفهم.

هذه فوائد مختصرة من "تمهيد الأوائل" وغيره.

هذا "الأنا" الذي ينفخنا من الداخل؟ ما هو إلا منتج أفلام ذهنية تعيسة يخترع لنفسه بطولات لأنك عجزت عن بذل الجهد اللازم .

أصبح التكفير عند المعاتيه الجدد chewing-gum !

يعشق الدعي التدقيق الذي لا فائدة منه.يعشق الدعي التدقيق الذي لا فائدة منه.

في كل الفخاخ طعمها هواك!
(شبهات في طريق الشباب)

....

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.
من أعظم حيل ابليس وتلبيساته على المسلم طعنه في مقام النبوة بطريق ملتوي من خلال التشكيك في حجية السنة إذ بدون النبي صلى الله عليه وسلم لا يبقى طريق الى الله فأصل الإيمان هو الإيمان بالله ورسوله، ولا يتم الإيمان بالله بدون الإيمان بالرسول إذ هو الطريق إلى الله سبحانه وتعالى فلا يحصل العبد على النجاة والسعادة بدونه.
والإيمان بالرسول له لوازم ليس مجرد التصديق بأنه نبي لأن الإيمان هو الإقرار الذي يتضمن الانقياد لتصديق الرسول.
ومن هنا كانت كل المعارك مع أعداء الله هي في النبوة واتباع الرسول، واول مشكل علمي حصل في المسلمين كان التفريق بين الله ورسوله من خلال التفريق بين القرآن والسنة الذي بدأه الخوارج، وقد كان أصل مذهبهم هذا تعظيم القرآن لكنه تعظيم بدون علم إذ هو مبني على افتراض قبيح أن من السنة ما يعارض القرآن كما اعتقد من تطور مذهبه عن إستشكالات الخوارج فظن أن الشرع يعارض القدر فإما عجز عن إثبات الشرع إلا بإنكار القدر وإما عجز عن الايمان بالقدر إلا بتعطيل الشرع والغلو في القدر؟
وكذلك من ظن أن العقل يعارض الشرع، ومن ظن أن الحقيقة الذوقية تعارض الشريعة، ومن ظن أن السياسة تعارض الشريعة، وهكذا أول خلل دخل على هؤلاء المسلمين كان خللا في مقام النبوة ومنزلة الرسول فمنهم من ظن أن النبوة ليست صفة ثبوتية في النبي ومن ثم كان همه كله أن يثبت صدقه للناس في حين أن النبي صلى الله عليه وسلم هو الضامن على الصدق لأنه صادق عند الله سواء علمنا صدقه أو لم نعلمه فصدقه كنبوته قضية مستغنية عن علمنا إنما علمنا به يزيد فينا ولا يزيد فيه.
ولذلك أكثر من صدق الرسول لم يصدقه لأنه رأى معجزة ولكن لأن صدقه متضمن في دعوته لان ما دعاهم اليه تعرفه الفطرة ولا تنكره، ودلائل النبوة من جنس دلائل

الربوبية فيها الظاهر البين لجميع الناس الموافق لضروراتهم العقلية ومعارفهم الفطرية، وفيها ما يختص بمن عرفه، فلذلك يكفي كل من صحت فطرته ان يقرا سيرة النبي ليعرف انه نبي صادق.

والمعجزة تأتي لكسر المتعنت المعاند وإقامة حجة العذاب ليست هي مصدر إيمان الأكثرية بالرسل وهذا لأن الناس محتاجون الي الإقرار برسالته لشدة حاجتهم اليها، وصحة الشرع تعلم بالفطرة وأقصد بالعقلي الضروري وكذلك بالدليل النظري.

عندما نتتبع موضوع الدعوة عند الرسول صلى الله عليه وسلم سنجد أنه من حيث التكليف بدأ بدعوة الناس إلى عبادة الله وحده، لا يوجد في خطابه محاولة إثبات وجود الله لهم وهذا راجع إلى أن العرب الذين بعث فيهم كانوا مشركين يقرون بوجود الله فمشكلتهم في تعدد الالهة وإن لم تكن عندهم في مرتبة واحدة وكذلك لأن غالبية البشر يؤمنون بوجود الله إلا طائفة شاذة دهرية.

ولهذا لا نجد أن المعجزة (الآية) كانت قضية ملحة في دعوته كما عند غيره من الأنبياء إلا في استثناء في قصة موسى لأن فرعون أدعي الربوبية فالمعجزة تأتي لكسر التعنت ولذلك كانت مستوجبة لعذاب الاستئصال.

فعلى ماذا اعتمدت دعوة الناس إلى عبادة الله وحده بدون شك اعتمدت على ما فطرتهم من الإقرار بالربوبية لكن هل تضمنت الفطرة الربوبية وحدها أم فيها شيء آخر مقرون معها مثل القدرة على التمييز بين الخير والشر فمن عرضت عليهم الدعوة قبلوها لأنهم راوها حقا فتصديقهم للنبي صلى الله عليه وسلم لم يكن عن معجزة خارقة ولكن بفطرتهم فكما أن دعوته كانت مصدقة لما معهم من خبر النبوات السابقة هي أيضا مصدقة لما فطروا عليه من التمييز بين الصادق والكذاب، بين المعروف والمنكر ولهذا كانت الشريعة مكملة للفطرة.

قال الله للرسول: {قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي} يعني: الضلال من نفسك بسبب ابتعادك عن التلقي عن الله، والهدى في وحي الله وحده.

وقال: {وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى} وأيضا: {نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ} يعني: كل من لم يتلق العلم من القرآن فهو غافل وضال.

والفطرة تتضمن الإقرار بالله والإنابة إليه، وهذا معنى كلمة التوحيد لا إله إلا الله لأن الإله هو الذي يعرف ويعبد، وأصل العبادة هو عبادة القلب والقلب لا يعبد ما لا يعلم فيلزم أن عبادة الله التي كانت أول ما أمرت به الرسل متضمنة أو ناتجة عن معرفة الله ومحبته المغروسة في الفطر {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ}.

نحن أمام مذاهب إسلامية اختل عندها مقام النبوة لأنها تصورت بسبب تقصيرها في علم السلف أنه يمكن للأدلة اليقينية ان تتعارض سواء كانت عقلية او سمعية أو بعضها سمعي وبعضها عقلي فظن الظان منهم أن خالق العقل يمكن أن يوحي لنبيه بما يخالف العقل، أو أن أمين الله على وحيه عند الناس يمكن أن تخالف أقواله او أفعاله الوحي، وهكذا ظن هؤلاء أن الحقائق التي قد ينتهي إليها العقل أو والذوق او الرأي يمكن ان تخالف الوحي، ولأنهم مؤمنون بالله وبرسوله لا يمكنهم الإعراض عنه الإعراض التام احتاجوا إلى الاعتذار عما جاء به الرسول فاستعانوا بالتأويل و جعلوا كل ما خالف أصولهم من المتشابه.

ولأن كثيرا منهم هابوا رد ما ظنوه نقصا إلى الرسول حملوا على الرواة إما على الصحابة كما تفعل الرافضة وإما على من دونهم، وكثير منهم حملوا على مدوني السنة وإنما مشكلتهم مع السنة لكن ذلك عظيم فحملوا على حملتها ولو عرفوا قدر الرسالة الإسلامية ،و سنن الله في الأمم و كيف زورت كتب الأنبياء من قبل، و ما خصت به هذه الآمة من حمل آخر رسالة إلى البشرية، و ما يلزم لحفظ الرسالة كما نزلت و تبليغها لعلموا أن منزلة الصحابة أعلى مما يظنون إذ بدون حفظهم و فهمهم ونقلهم و جهادهم يمتنع تبليغ الرسالة و استمرارها إلى آخر الزمان، و بدون حملة الحديث النبوي و نقاده الذين أفنوا أعمارهم في تتبع مصادره و جمعه و نقده لذهب دين الأمة .

وإذا عدنا إلى بداية المصيبة وهي ظن الخوارج أن من السنة ما يخالف القرآن كالرجم ونصاب السرقة وغير ذلك فعظموا القرآن تعظيما مجملا لم يعظموا قواعده الكلية الخاصة بمنصب النبوة إذ كيف يفترضون هذا والرسول أعلم بما أنزل الله عليه، ولم ينزل عليه القرآن وحده بل أنزل عليه معه الحكمة، والرسالة متضمنة للكتاب والحكمة ليست الكتاب وحده.

فأمر القرآن باتباع السنة وحرم معاداة المؤمنين، ففعلوا العكس تركوا متابعة السنة

وكفروا المؤمنين، فهذا تعظيم القرآن بدون علم ولهذا تأول فيهم سعد بن أبي وقاص قوله تعالى : (وما يضل به إلا الفاسقين)

وإذا تتبعنا جل البدع الكبرى التي حدثت في الإسلام والتي استتبعها التكفير وجدناها مبنية على مقدمتين: الأولى أن هذا يخالف القرآن والثانية أن من خالف القرآن كفر بغض النظر إن كان فعلا مخالفا للقرآن او كان مخطئا او مذنبا معتقدا للوجوب أو للتحريم.

ولان الخوارج فارقوا السنة بمذهبهم هذا كان لزاما أن يفارقوا الجماعة فلما انزلوا السنة عن منصبها لم يبق معهم إلا القرآن وما وافق أهواءهم من السنة، وطردهم مذهبهم إلى تكفير أعيان الأمة وفضلائها وبالتالي إلى مفارقة جماعة المسلمين، ولعلك بهذا تفهم لم سمي أتباع الرسول " اهل السنة والجماعة «.

وكل تكفير بدعي حدث في المسلمين هو تكفير تأويل مبني على مسألتين: على أن الاعتقاد لا يؤثر في الحكم، والتفريق بين الأصول والفروع، وتشييدها على أن لله تعالى حكما عرفه من عرفه وجهله من جهله من أخطأه فهو آثم.

إذا صح إيمان المسلم وعرف ما جاء به القرآن علم أن الرسول جاء بالحق الذي لا يسوغ مخالفته، وأنه لابد لكل مسلم يطلب الله تعالى أن يتحرى متابعة الرسول، وأن كل من يدعي علما او عملا بدون متابعة الرسول فهو ضحية الشيطان.

فكل خير للإنسان في الوجود، فمنشؤه من جهة الرسول، وكل شر في العالم خاص بالعبد فسببه مخالفة الرسول او الجهل بما جاء به لان الرسالة ضرورية للعباد وحاجتهم إليها فوق كل حاجة والناس محتاجون الي الإقرار برسالته لشدة حاجتهم اليها، وصحة الشرع تعلم بالفطرة وأقصد بالعقلي الضروري وكذلك بالدليل النظري.

فهي روح العالم وحياته ونوره (وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا).

(أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها) والرسل هم وسائط الله بينه وبين عباده وظيفتهم ومهمتهم تعريف العباد ما ينفعهم وما يضرهم في معاشهم ومعادهم، وهم إما عاشوا بما يوافق الوحي الذي انزل إليهم في سلوكهم وأعمالهم واخلاقهم وحربهم وسلمهم وفي كل شأنهم، وإما خالفوه (كمن ينسب الظلم إلى الرسول) وهذا ممتنع إذا كيف يأتمنهم الله على وحيه

ويضمن نصرتهم ويشهد لهم بالصدق وبطاعته ويخالفون ما يوحي إليهم هذا ممتنع لا يمكن بأي حال.
فإن كانت كل أحوالهم موافقة للوحي الذي معهم وجعل لهم الله تعالى أَصحابا يبلغون عنهم إذ يمتنع أن يكونوا في كل مكان ويخاطبوا جميع الناس في مكان واحد وزمان واحد فيلزم ان أحوالهم وأقوالهم وأعمالهم المترجمة للوحي الذي أنزل عليهم خوطب بها أولا أولئك الأصحاب الذين نقلوها إلى غيرهم فكيف يكون ممكنا الاهتداء بالوحي وفهمه بدون سنة الرسل حتى يأتي أناس يقولون نحن سنشرح لكم القرآن من غير كلام الرسل وأعمالهم وكلام أصحابهم وأعمالهم بعقولنا او بأذواقنا وتجاربنا؟
يقول بعض الشباب اليوم: يجب أن نعرض نصوص السنة على العقل أو نعرضها على القرآن؟!
أولا: إذا كان النص صحيحا كيف تفترض أنه مخالف للقرآن، وإذا لم تفهم النص الحديثي فما يضمن فهمك للقرآن؟
ثانيا: هل انتظرت الأمة من 15 قرنا ظهورك لتجمع النصوص وتقابل بينها، ولا تقبل ما خالف القرآن حقيقة وليس ما يبدو لبعضهم ان ظاهره مخالف للقرآن؟
ثالثا: على أي عقل تعرض السنة وتتاحكم إليه العقل الغريزي أم العقل المستفاد؟
فإن العقل الغريزي ليس علما نتصور أن يعارض النص الصحيح لان العقل الغريزي شرط في كل علم سواء كان عقليا او سمعيا فامتنع ان يكون معارضا للنص، وامتنع أن يفوت كل عقول المسلمين الغريزية ويعرف عقلك الغريزي ان النص مناقض له، وما كان شرطا في الشيء امتنع ان يكون منافيا له.
وإن قصدت العقل المستفاد والذي ليس هو إلا العلوم المستفادة من العقل الغريزي فهذا العقل إما مستفاد من القرآن والسنة، وهذا لا يعارض السنة إذ منها تشكل، وإما مستفاد من الفلسفة ومحض الرأي فكيف يكون حكما على السنة النبوية؟
ومدار الرسالة الإسلامية على أصول قرآنية هي إثبات التوحيد والصفات والقدر والقصص القرآني، ثم الشرائع والأمر والنهي وما يستتبعهما تفصيلا، ثم الإيمان باليوم الاخر والجنة والنار والثواب والعقاب، وإن شئت قلت: التوحيد والتشريع والوعظ.
ولا سبيل لمعرفة هذه الأصول إلا من جهة الرسول، لا يمكن للعقل أن يهتدي

لتفاصيلها وحقائقها غاية ما يدركه هو وجه الضرورة إليها من حيث الجملة.
ومضمون من يشك في حجية السنة في الأصول أو في الأحكام أن الرسول بلغ قرآنا لا يفهم معناه وكذلك الصحابة والتابعين، أو أن دوره اقتصر على تبليغ القرآن فقط، مجرد وسيط لفظي وأما ما نقل إلينا بالسند الصحيح من أقواله ووصف أفعاله وأحواله فيمكن ان يخالف القرآن ويمكننا نحن ان نعرف مراد الله في القرآن ويكون مخالفا لذلك!
بعض هذه المقدمات من " تمهيد الأوائل" وبعضها من مصادر تيمية أخرى.
في المقال القادم نناقش ـ إن شاء الله تعالى ـ أصول التكفير البدعي وشبهاته.

المعازف بعيداً عن الفقه!
الحمد لله ، و الصلاة و السلام على رسول الله.
لا أريد في هذا المنشور الخوض في مسألة المعازف فقهيا ولكن مقاربتها سلوكيا ونفسيا ولكن لأن أحد الإخوة نقل كلاما لي يتعلق بحكم الإجماع في هذه المسألة فهذه بعض الكلمات توضح قصدي بخصوص دعوى الإجماع على تحريم المعازف، والمقصود بيان أن التحريم لا يحتاج إلى دعوى الإجماع لمن يقول به فحيثما كانت النصوص موجودة فهي كافية للترجيح.
بعض الفقهاء يجوِّز تنظيراً انعقاد الإجماع تخميناً واتفاقاً، وبعضهم يحكي الإجماع ويدعيه على هذا الإمكان عملياً، وهو ما تجد كتب الفقه مشحونة به، يستسهلون في دعوى الإجماع بدون استقراء حقيقي، هذا إن قدروا على جمع المكتوب فما بالك بالعلم الذي لم يكتب أو اختفت كتب أ أصحابه أو ضاعت أو حرقت فكيف ننسب لهم قولا بدون علم؟
المهم كثير من الفقهاء وعلماء الكلام يتساهلون في حكاية الإجماع لإجماع، قال شيخ الإسلام في " المجموع"{29/7}:
وقد رأيتُ بعضهم يدعي الإجماع في مسائل النزاع فيها قديم يتأوله ثم يستبعده ويدعي صحة الإجماع بمجرد التهويل، وما يفرض من دعاوى الإجماع فلا عبرة بها، وقد يدعون الإجماع في مسائل التي ليست من الجليات التي لا يعذر المخالف فيها فإذا أراد إبطال النزاع ادعى الإجماع، يقولون للمنازع: هذا خلاف الإجماع.

قال شيخ الإسلام في " الرد على الإخنائي"{ص:591}:
(إن دعوى الإجماع من علم الخاصة الذين لا يمكن الجزم فيه بأقوال العلماء، إنما معناها عدم العلم بالمنازع، ليس معناها الجزم بنفي المنازع، فإن ذلك قول بلا علم، ولهذا رد الأئمة ـ كالشافعي وأحمد وغيرهما على من ادعاها بهذا المعنى، وبسط الشافعي في ذلك القول، وأحمد كان يقول هذا كثيرا، ويقول: من ادعى الإجماع فقد كذب، وما يدريه أن الناس لم يختلفوا؟ ولكن يقول: لا اعلم مخالفا، وأبو ثور قال: إن الذي يذكر من الإجماع معناه: أنا لا نعلم منازعا.)
وقد بيَّن شيخ الإسلام في "المجموع" أن القول الذي ذكره أبو ثور هو المراد عند السلف في دعواهم الإجماع.
المقصود أن من قصَّر في النقل والاستدلال، ولم يعرف موارد النزاع لا يعرف الإجماع (والإجماع هل هو قطعي الدلالة أو ظني الدلالة؟ فإن من الناس من يطلق الإثبات بهذا وهذا، ومنهم من يطلق النفي لهذا ولهذا، والصواب التفصيل بين ما يقطع به من الإجماع، ويعلم يقينا أنه ليس فيه منازع من المؤمنين أصلا، فهذا يجب القطع بأنه حق، وهذا لا بد أن يكون مما بين فيه الرسول الهدى).
فهل مسألة الغناء (مع أن هذا الاسم مجمل مشترك يطلق على السماع المباح وعلى السماع المختلف فيه، فيتناول الغناء بدون معازف ومعها) من مورد النزاع أو من موارد الإجماع؟
كل العلماء يعلمون أن النزاع يتناولها لكنهم يقولون: فيها نزاع قليل، وبعضهم يقول: شاذ.
وبحسب معرفتي بمسائل النزاع يلجأ بعض الفقهاء إلى دعوى الإجماع ويكثرون منها عندما تكون أدلتهم تركيبية من مجموعة قرائن ويكون النص مشكلا عند بعضهم أو يستغربون في أنفسهم ورود نص واحد على مسألة عمت بها البلوى من فجر تاريخ البشر.
هذه المسألة كما قال العثيمين: لا أجماع عليها، والأولى الفصل بالأدلة، والله اعلم.
مما يتداوله المختصون في هذا العصر أن عادات الشباب في الاستماع إلى المعازف تحدث لهم رضَّات سمعية في المنظور القريب: (طنين الأذن، احتداد السمع...)
ستترك آثارا أخرى أخطر وطويلة الأمد مثل: ضعف السمع واختلال في الإدراك

السمعي.

وبحسب منظمة (oms) سنة 2015 فإن 1،1 مليار شابا في العالم يمكن أن يعانوا من ضعف سمعي مرتبط بالمعازف، وأن كل 7 من 10 أشخاص يعانون من طنين الأذن بسبب المعازف.

كما أكدت عدة أبحاث معاصرة وهذا مشاهد من التجربة أن الاستماع الطويل للمعازف ممكن يجعل الشخص خرعا خاملا فاتر الشعور.

وكما يمكنها نفخ الإنسان بالشعور بالسعادة والبهجة الوهمية ـ وهذا سبب إقبال الناس عليها ليس لهم علة أخرى ـ يمكنها إحداث العكس وإصابته بالكآبة وتقوِّي فيه المشاعر السلبية كالغضب والعنف كبعض المعازف الغربية، ولكن الغالب عليها أنها تحزن والحزن غير محمود لأنه يوهن قوة الفعل في الإنسان.

ويولع الناس بالمعازف لأنها تمنحهم الشعور بالرضا وهذا راجع إلى أنها تؤثر على الدماغ من خلال إفراز الدوبامين (هرمون السعادة والفرح) مثلها مثل الطعام والنكاح والمخدرات.

المقصود من هذا المنشور:

هو أن تعرف أن النفس تؤثر في أحكامك فتقرب إليك البعيد وتبعد عنك القريب وتزين لك القبيح وتقبح الزين لأنها تميل إلى الرجاء (وكل ما في ضمنه) والرجاء مضعف لقوتها العملية فلهذا تبالغ في الشهوات وعندها نهم وشراهة في المتعة، وما كان مواتيا لها قد وجدت لذته فإنها لا تشبع منه ولا تتوقف عنه حتى لو سبب لها الأذى أو أفسد أحوالها.

القلوب تجر إلى الرجاء وطريق العمل لله تعالى هو أن تخافه خوفا لا يشغلك عن الرجاء فإنك إن ألزمت قلبك الرجاء شغلته عن الخوف. كما قال داود الطائي رحمه الله.

والنفس تميل إلى ما يناسبها مثل الدعة والسكون وتستمتع بالأصوات التي تطربها وتجد فيها لذة فما وضع لها في صوت حسن استحسنته ومالت إليه، وكذلك تميل إلى ما يناسبها من الأقوال والأعمال كما تميل إلى ما يناسبها من الطعام والشراب والروائح وغير ذلك.

قال الله تعالى: (قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ) فسره ابن القيم كما في «الفوائد" فقال:

(أَي: على مَا يشاكله ويناسبه فَهُوَ يعْمل على طَرِيقَته الَّتِي تناسب أخلاقه وطبيعته، وكل إِنْسَان يجْرِي على طَرِيقَته ومذهبه وعادته الَّتِي ألفها وجبل عَلَيْهَا)

والمقصود أنه يجب أن تعرف نفسك وأنها إذا استحسنت شيئا وذاقت لذته وأطربها بالغت فيه وأنها تكره المقياس والميزان لا تستمتع باعتدال وتكره مفارقته خاصة إذا كان على نقيضه موجب للخوف والخشية وداعيا إلى اليقظة ومجاهدة النفس ومكابدة التعب وبذل الجهد في العبادة وتدبر القرآن وأنواع الطاعات ومداومة ذكر الله فإذا كنت طالبا المراتب العليا والأحوال القلبية الشريفة وغذيتها بالمعازف غلَّبتها على القرآن.

وقد تخدعك وتزين لك قراءة القرآن او الاستماع إليه ربع ساعة أو نصف ساعة في اليوم لتخدر فيك تأنيب الضمير وتشعرك أنك لا زالت من القوم ثم تستمع للمعازف الساعات الطوال والغالب عليها أنها ستسكن للمعازف أكثر من سكونها إلى القرآن.

إن معرفة مراتب العلماء كمعرفة مراتب الأعمال الشرعية، ولا شك أن إباحة المعازف تصريحا أو عمليا ذهب إليه بعض الفضلاء لكن إذا رأينا منزلة من حرَّمه وتركه فهي أجل علما وعملا وأكثر عددا، وكل واحد منا له في كل طبقة من طبقات المسلمين علماء معجب بهم يحبهم ويقدرهم ويستأنس باختياراتهم ويضيء بهم المسائل التي تستشكل عليه والتي يجد صعوبة لتحرير محل النزاع فيها، وهذه طريق ذكية لسلامة الدين وحفظ النفس عن السقوط في مرتبة لا يتشوف إليها.

وكما قال ابن تيمية في " الاقتضاء": (كثير من النفوس اللينة تميل إلى هجر السيئات دون الجهاد، والنفوس القوية قد تميل إلى الجهاد دون هجر السيئات، وإنما عقد الموالاة لمن جمع الوصفين، وهم أمة محمد حقيقة)

وأقصد بهذا أن كمال نفس المؤمن تكون بهجر السيئات وما اشتبه عليه وما يعلم من نفسه صادقا مع ربه أنه لا يزيد في نفسه قوة على الطاعة وبذل الجهد بل يفسد سره وخواطره ويحبب إليه الدنيا، وقد يوقعه في العشق والتخيل الباطل والتلذذ بأشباح الصور الجميلة.

وكثير من الناس يفنى عند الاستماع إلى المعازف عن الشعور بالواقع وتعظم في نفسه حظوظه البشرية ويضعف سلطان التقوى على باطنه.

يشرح ابن تيمية آلية عمل النفس و كيف يدخل عليها الباطل مع الحق يقول : (وَفِي

الْإِنْسَان قوتان قُوَّة الْحبّ وَقُوَّة البغض وَإِنَّمَا خلق ذَلِك فِيهِ لِيُحِب الْحق الَّذِي يُحِبهُ الله وَيبغض الْبَاطِل الَّذِي يبغضه الله وَهَؤُلَاء هم الَّذين يُحِبهُمْ الله وَيُحِبُّونَهُ وَالنَّفس تميل إِلَى الْإِشْرَاك بِحَسب الْإِمْكَان فَإِذا غلب على النُّفُوس قُوَّة الْمحبَّة لما يُنَاسِبهَا فأحبت الْحق فقد تنجذب بِسَبَب ذَلِك إِلَى محبَّة مَا يقارنه من الْبَاطِل

وَمن هُنَا مَال كثير من النساك إِلَى محبَّة الْأَصْوَات والصور وَغير ذَلِك بِسَبَب مَا فيهم من الْمحبَّة الَّتِي فِيهَا مَا هُوَ لله لَكِن لبسوا فِيهَا الْحق بِالْبَاطِلِ.

وَكَذَلِكَ قد يكون الشَّخْص بالمحبة يمِيل إِلَى شهوات الغي فِي بَطْنه وفرجه وإنفاق الْأَمْوَال فِيهَا ثمَّ إِنَّه بِسَبَب مَا فِيهِ من الْحبّ وَالدّين يحب الْحق وَأَهله ويعظمهم فتجد كثيرا من أهل الشَّهَوَات وَفِيهِمْ من الْمحبَّة لله وَرَسُوله مَا لَا يُوجد فِي كثير من النساك كَمَا قَالَ النَّبِي فِي حمار الَّذِي كَانَ يشرب الْخمر كثيرا (لَا تلعنه فَإِنَّهُ يحب الله وَرَسُوله) والْحَدِيث فِي صَحِيح البُخَارِيّ وَغَيره) جامع المسائل.

ولمن ليس له يقين بجواز المعازف أو استوت عنده الظنون أو غلب ظن على ظن لكن ليس بقرائن علمية وأحوال قلبية أقول له ما قاله السري: "لن يكمل رجل حتى يؤثر دينه على شهوته ولن يهلك حتى يؤثر شهوته على دينه".

كما أني لا أعتقد أن من أقبل على المعازف يستلذ بكلام الله ويستحليه وإن كثر تردده على لسانه كما قال أبو محمد الحريري.

والمقصود أخيرا أن المعازف لا تليق ببعض النفوس فإنها مفسدة لها، كما لا تليق بمن يتشوف إلى اللحاق بعلماء السلف وعبادهم فيما يقدر عليه، وإن تراعي حقائق نفسك وكيف هي في منازل السائرين في ملكوت المواهب الربانية النبوية خير لك من أن تخدعها ببحث فقهي قد يقصم ظهر البعير فيه شعرة جدل عقلي.

كتابٌ في رمضان

....

في شهر رمضان من كل عام اعتدت مع بعض الإخوة على مدارسة موضوع في علم السلوك (الأعمال القلبية) مثل: قواعد المجاهدة وتزكية النفس، قواعد العبادة عند ابن القيم، افتقار الخلق وغنى الله، معالجة أثرالذنوب.. الخ أو نتدارس كتابا من كتب

السلوك مثل: العبودية لابن تيمية، التحفة العراقية لابن تيمية، شرح عيوب النفس السلمي، طريق الهجرتين لابن القيم.
وهذه السنة اخترنا كتاب ابن تيمية "الفرق بين عبادة أهل الإيمان والسنة وعبادة أهل الشرك والبدعة" [في الفرق بين عبادات أهل الإسلام، والإيمان، والهدى، والتوحيد، والإخلاص، والعلم، والشرع، المتبعين للأنبياء والمرسلين، وبين عبادات أهل الشرك، والنفاق، والجهل، والضلال، والبدعة، من المشركين، ومن ضاهاهم، من مبتدعة أهل الملل.]
يدور هذا الكتاب على تتبع أسباب انحراف العبادة عند المسلمين، وقد وصفه مؤلفه بأنه "قاعدة عظيمة"، وهو كذلك لا من جهة قوة اللغة العلمية كما في كتبه مثل " الدرء، المنهاج، الصفدية.. الخ" "لأنه مكتوب بلغة فقهاء الحديث، وهي بسيطة سهلة بالمقارنة بلغته في كتبه الأخرى كالتي أشرت إليها، ولا من جهة موضوعاته فهي مألوفة لطالب العلم، ولكن من جهة المخطط العلمي الذي وضعت فيه.
بدأ هذه القاعدة ببيان الأصلين الذين تقوم عليهما العبادة عند المسلمين وسرد الأدلة القرآنية والنبوية على ذلك وتوقف سريعا عند مقام النبوة في العبادة وهو أن المسلم يطيع الله ويطيع الرسول لكنه لا يخشى ولا يتقي إلا الله تعالى وحده، يعني: أنه لا عبادة بدون اتباع الرسول ولكن لا يقصد الرسول بشيء من العبادة بخلاف ما يصنعه بعض المسلمين دعائه والاستغاثة به ميتا وغير ذلك.
وذكر مثالا على ذلك وهو الحسب وفسر الآية التي وردت فيه {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} [الأنفال]
وبعدها تكلم عن الإسلام العام الذي لا يقبل الله دينًا غيره، لا من الأولين ولا الآخرين، وهو أن يعبد الله في كل وقتٍ بما أمر به في ذلك الوقت، فهو المعبود وحده دائمًا.
ثم شرع في ذكر الفوارق بين الدين المعلوم المنزل والدين المجهول ودخل في بيان الشرك والتوحيد كما ستراه في آخر هذا المقال.
ثم ذكر الأصلين في انحراف عبادة المسلمين: النص الضعيف والرأي الضعيف.
وبعد أن مهد هذه المقدمات شرع في المعالجة العلمية المنهجية والتي بدأها بتحديد المعلم العملي الرمز والقدوة الذي يجب أن نحاكم إليه ما حدث في المسلمين وهم الصحابة و السبب وراء ذلك ككونهم أفضل الخلق بعد الأنبياء و الأدلة على ذلك وما

هي أوصاف خيريتهم، و لماذا يجب علينا اتباعهم مثل انهم كانوا قبل ظهور البدع في الأمة ،و انهم تلقوا القرآن و السنة و ما فيهما من العلم و العمل من الرسول صلى الله عليه و سلم أي تلقوا العلم حيا في سياقه بالمعاشرة و المواجهة و الحضور و انهم استوفوا شروط العلم و العمل .. الخ [كلام ابن تيمية مفرق في الكتاب] من باب: من عرف أقدارهم تبين له أنهم لم يكونوا يفعلوا ما يفعله المسلمون في العصور المتأخرة من البدع تماما كمن يعرف أقدار العلماء ومراتبهم وانهم أجل قدرا من بعض من قال برأي مخالف لما كان عليه الصحابة وسلف الأمة. [هذه قاعدة يعمل بها ابن تيمية كثيرا]

ثم شرع في بيان طريقتهم ومنهجهم في العبادة كيف كانوا يصلون على النبي صلى الله عليه وسلم ويسلمون عليه حيا وميتا وكيف يدخلون مسجده وصفة صلاتهم وهل تغيرت عبادته بعد موته صلى الله عليه وسلم أم بقيت كما كانت في حياته.

بعد ذلك دخل في موضوع الكتاب وهو " تعظيم القبور " الذي وقع فيه كثير من المسلمين فبدأ بذكرموضع دفن النبي صلى الله عليه وسلم وما يتعلق بهذه المسألة من مباحث كثيرة ومن أيبن دخل على المسلمين تعظيم المشاهد والقبور والآثار وقاعدة النهي عن التشبه بالكفار في القرآن والسنة.

واليوم ألخصكم مقدمة الكتاب:

التعرف على التوحيد والشرك وأسبابه بأقصر طريق

الشرك بالله تعالى نوعان قد يجتمعان في الغالب وقد يفترقان:

الأول: إما أن يدعو مع الله غيره من المخلوقات يعتقد أن لهم قربة ومنزلة عند الله، وقد سد الله سبحانه هذا الباب بأن قيد الشفاعة بإذنه {ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له}

وبيَّن سبب منع الشفاعة إلا بإذنه {قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير}

فكيف تكون لهم الشفاعة مطلقة وهم لا يملكون مثقال ذرة في هذا الوجود، ولم يشركوه في خ لقهما، ليس لهم ملك، ولا هم شركاء في الملك، ولا هم معينون له.

كما بين أن الشفاعة مشروطة برضاه عن قول الشافع: {يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ

أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا}، وأن الملائكة لا تشفع إلا لمن ارتضى {وَلا يَشْفَعُونَ إلا لِمَنِ ارْتَضَى}.

الثاني: إما أن يعبدوه بغير ما أمر وشرع فيجعلون بعض الخلق من علماء وشيوخ وحكام شركاء لله تعالى في التشريع يحرمون ما أحله أو يحللون ما حرمه {اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله}

{ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون}

أصل الشرك:

1 ـ يأتي من تعظيم القبور ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم : (اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد)) الموطأ وغيره.

((وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد إني انهاكم عن ذلك)) مسلم.

2 ـ وأصل تعظيم القبور هو اعتقاد نفع وضر المقبورين فيها {ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله}

وعليه فهناك دينان:

الأول: دين معلوم هو الدين الذي جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان عليه الصحابة والسلف: عبادة الله وحده لا شريك له، وتوجيه كل الأعمال إليه وحده، ومنزلة أعظم شفيع فيه وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم هو أن طاعته من طاعة الله تعالى، ولكن التقوى والخشية لله وحده، أعمالنا القلبية والظاهرية لله وحده، وطاعتنا طاعة لله ورسوله.

الثاني: دين مجهول يدعو إلى عبادة الله من غير علم ولاحجة بما لم ينزل الله به سلطانا أي: وحيا {ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا وما ليس لهم به علم وما للظالمين من نصير}

دينهم: ما يذوقونه ويجدونه في أنفسهم من غير علم ولا شرع.

أصل الانحراف في العبادة شيئان:

الأول: نصوص مكذوبة أو ضعيفة غير محتملة، وهذه الثانية أكثر من الأولى لأن

غالب المسلمين يخطئون من جهة الجهل بصحة النص لا يتعمدون الكذب.
ومن اللحظة التي بدأ بعض المسلمين مفسرين وفقهاء وعباد ونظار يزهدون في علوم الحديث تفاقمت البدع في العلم وفي العبادة.
الثاني: التكلم في الدين بالرأي والنظر والذوق والوجد دون اعتبار ذلك بالكتاب والسنة فهذا السبب الثاني فرع عن السبب الأول، لأن من عرف ما جاء به الرسول كما عرفه أهل الحديث والسنة كان عنده ميزان يعتبر به الرأي والذوق، الأقوال والأعمال.
الأصل الثالث الذي يعصم من الشرك والبدع في العلم والعبادة هو أن تعرف أن أفضل الخلق بعد الأنبياء الصحابة فهم أكمل المسلمين علما ودينا واعتصاما بحبل الله واتباعا لدين الإسلام كما نزل فمن تمسك بهديهم، واهتم بعلمهم وأحوالهم، واقتفى أثرهم سلم من الشرك كبيره وصغيره، ومن انحراف العبادة.
هذا ملخص الصفحات الأولى بشيء من الشرح والتصرف للتنسيق.

النفوس الجاهلة تميل للمجهولات الهائلة لأنها تستعظم ما لا تعرف معناه. الإحياء للغزالي

تعرف حقيقة الشيء بالحكم العلمي(الشرعي) فإن تعذر الترجيح فبمآلاته و آثاره إذا فقهت هذا فقد رزقت بصيرة.

انحطاط الغرب بعيون أبنائه!

....

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.
لا شك أن كل أمة في وضع انهيار حضاري هي تحت تأثير ثقافة وافدة في شتى مجالات الحياة، والأمة التي تكون في وضع انهيارأو ترهل معرفي، ترث مؤسسات علمية تحفظ التراث وتحرسه، لكنها في عملية الحفاظ عليه تقاوم الفكر الوافد لأنها لا تستطيع تمثُّله، وكذلك لأنَّه يحوي عناصر مخرِّبة للثقافة التراثية.

وهنا ينشأ اتجاهان: اتجاه يمانع ويقاوم الفكر الوافد، هواتجاه لا يملك أدوات تقويم الفكر الوافد، ولا يملك حلا إلا الرفض والاعتذار.

واتجاه يستورده بما فيه، ويتشربه، لكن ليس بالضرورة أن يكون هاضما له، غاطسا في عمقه، عند اللمبيق العقلي الذي يصنعه.

وبعد الاصطدام بين الاتجاهين تدخل هذه الأمة المرحلة الفعلية للوعي بضرورة تصفية التراث من الرواسب والاستفادة من الفكر الوافد بحذر، فقط عندما يظهر الاتجاه الثالث، الاتجاه الذي يعتبر من الضروري المحافظة على لب التراث وكل مواده الأصيلة، لكن لا يكفي هذا في بناء نهضة جديدة بدون الاستفادة من الفكر الوافد، هنا فقط يبدأ العمل الجاد وانطلاق التحوُّل الحقيقي.

وقد سبق وتكلمتُ في هذه القضية تفصيلا في مقال خاص، والمقصود أنه يوجد من المسلمين من يدافع عن الغرب موهما أن ذلك من قبيل الموازنة وأن فيهم صالحين وطيبين وأهل إحسان وإنسانية حقيقية وغير ذلك وليس هذا المشكل عندما نتحدث عن الغرب وربما هذا دس للسم في العسل خاصة إذا كان هذا الاعتذار للغرب مقرونا بالدفاع عن ماديته.

نحن نعرف أنه يوجد في المسلمين منافقون وكفرة وزنادقة وربما في أفضل بقاع بلادهم، وهذا لا يعني أن المسلمين منافقون وكفرة وزنادة فالحكم دائما للغالب وللاتجاه العام فكذلك الحكم على الغرب لا يرتكز على هذه النقاط: فيهم صالحون واهل إحسان وقيم إنسانية وقدموا للبشرية تكنولوجيا حسنت من صحتهم وظروف معيشتهم.. الخ فهذه أمور واضحة لا ينكرها عاقل لكن العاقل كذلك ينظر إلى ما هو أهم من هذا بكثير، بل لا مجال للمقارنة بينهما وهو تخريب فطرة الإنسان ومسخ أخلاقه ونشر الإلحاد والفجور في البشرية جمعاء فإن يخسر الإنسان صحته أو بدنه أو رفاهيته والماء البارد والهواء المكيف والسفر في طائرة ومثل هذه الأمور أهون عليه من أن يخسر دينه وفطرته وأخلاقه وإنسانيته الحقيقية.

وأن يعيش في كهف مؤمنا موحدا بأخلاق الإسلام والفطرة خير له من أن يعيش في أفضل عواصمهم، وما احداث السويد وأطفال المسلمين إلا مثالا واحدا.

يخلط هؤلاء الإخوة بين المعاصرة التي هي تحديث وسائل العيش في مختلف المجالات وبين الحداثة كفلسفة وفكر اجتماعي وسياسي وأخلاقي وأسلوب حياة.

كما يخلط بين مادية منهجية مخبرية أو حتى معرفية وبين رؤية مادية للوجود والإنسان والحياة أي: بين مادية جزئية ومادية كلية دهرية.

وبدون منهج معرفي أصيل وشبكة قراءة للواقع الغربي لا يمكن التنبه للنصب الحضاري، لمظاهر التمدن والعدالة الصورية ومستويات الظلم، والاضطهاد الاقتصادي، ولعبة الليبرالية السياسية والتداول على السلطة على نفس النموذج الاقتصادي.

ليكونَ الإنسانُ موضوعيا صادقا في خبره يجبُ عليه تمييز الوقائع عن التأويلات، يصفُها كما هي [كما يمكنُ إثباتُها] لأنَّ الوقائع ليست نتائجَ لغتِنا، فالواقع موضوعي غير قائم على اعتقادات شخصية وعلى أهوائنا.

القدرة الإنسانية على إدراك الحقيقة الواقعية تكمن بالاعتراف بها كما هي، وهذا العمل هو جزءٌ من المظهر الموضوعي للوجود، ومن لم يفهم هذا رفضَ طوعيا رؤيةَ الواقع ومواجهةَ حقيقتِه، ومن ثم يأذن لنفسِه في اعتناق أنظمة اعتقادات مدمرة لأنه في اللحظة التي رفضَ فيها رؤيةَ الواقع كما هو تخلى عن مسؤوليته في تغييرِ الواقع الموجود إلى الواقع المقصود.

ويستطيع المسلم أن يتجاهلَ الواقعَ مادام يقبل بنتائجِه عليه مهما كانت، ومادام يستطيعُ العيشَ في الواقعِ الذي يصنعُه له غيرُه، ليس له أن يتحملَ نتائج تجاهلِه الواقع حتى يدركَه هذا الواقعُ ويحطمه.

وعندما تشاهدُ الامةَ تذوب في عاداتٍ غربية تفسدُ نفسيتَها وانتماءَها يجبُ ان يكون فقهُ الواقع هنا هو سد هذا الخطر، فقهُ الواقع ليس الرخصة على طول، ولكن ضبط النازلة بروحِ الشريعة ومقاصدِها الكلية.

والشريعة هي التي تقول لنا: هنا علقوا الحكم الجزئي لفائدة الحكم الكلي، هنا خففوا عمومَ الحكم، أو افتحوا الذريعة وهنا سدوها، وليس الواقع الذي يتمثل دورُه في استثارة العقل الشرعي وتحفيز النظر الفقهي، يعني: الواقع يسأل ويستشكل لكن الشريعة هي من يجيب.

وانبهار بعض المسلمين وافتتانهم بالغرب أمر جرى به القدر كما قال صلى الله عليه وسلم:

((لتتبعن سنَن من كَانَ قبلكُمْ شبرا بشبر وذراعا بذراع حَتَّى لَو دخلُوا جُحر ضَب

لدخلتموه قَالُوا الْيَهُود وَالنَّصَارَى قَالَ فَمن ((لتأخذن أمتِي مَا أخذت الْأُمَم قبلهَا شبْرًا بشبر وذراعا بِذِرَاع قَالُوا فَارس وَالروم قَالَ وَمن النَّاس إِلَّا هَؤُلَاءِ)) سننَهم يعني عاداتهم والاتباع هو الاقتفاء والاستنان؟

وعليه لابد أن نسأل: إذا كانت هناك أسباب تشوه قراءة الواقع فمن يصنع في أذهاننا صورتنا عن الواقع الغربي؟

الأول: النشأة على تعميمات وأحكامٍ مُسبقة تربوية /عائلية / مجتمعية / وأحكام متفرعة عنها أخذناها من بيئتنا والثقافة المنتشرة فيها نستخدمها في تفسير الواقع، وربما يميلُ كثير منَّا إلى التخمين في تفسيرِ الواقع أكثر من ميلِه إلى الحصول على المعطيات الواقعية.

الثاني: الإعلام الذي كل دوره هو بناء الواقع الذهني، فانطلقاً من أيِّ معرفةٍ يتمكنُ الفردُ من بناءِ هذا الواقع، وبتعبيرٍ اخر: انطلاقا من أيِّ واقع يبني الفردُ واقعَهُ الخاص؟

- في سنة 1922 اقترح (Lippmann) أنَّ الاحساسَ الوحيد الذي يجدهُ أيُّ شخصٍ حولَ حدثٍ ما لا يرجع لتجربتِه ولكن للصورة الذهنية التي يملكُها عن هذا الحدث، مما يعني انَّ آراءَنا ليست أجوبةً على العالم الذي يُحيط بنا، يتعلق الأمرُ بإدراكِنا للعالم كما ندركُه، فالصور في رؤوسِنا هي التي تهيكل أفعالَنا وأحاسيسَنا، مع أنه لم يكن في زمنِه إلا الصحافةُ المكتوبة لتقديم الصور.

ثم جاءت " نظرية التثقيف"(cultivation théorie) والمقصود بها: مساهمة التلفزيون في تشكيل الواقع الاجتماعي، وتدور الأبحاث حول الأثر طويل الأمد لوسائل الإعلام على الاعتقادات والإدراكات (هي لجورج غربنار) فبالنسبةِ اليه الادراكات والاعتقادات المتعلقة بالعالم الخارجي تنتجُ من التعرض لوسائل الاعلام (كالتعرض لأشعة الشمس) وبالضبط التلفزيون.

حيث أكد أنَّ أثرَه طويلُ الأمد لأنه تراكمي وغيرُ مدرك (تقريبا غير مشعور به) وبتحليل نظام الرسائل الإعلامية بالتعرف على المؤشرات الثقافية وتحليل نتائج استهلاك وسائل الإعلام يمكن تقدير حجم أحكام القيمة التي تضخُ في وعي المتلقي، وما المربوط؟ ولأي شيء؟

يعني: التعرف على الملامح الثابتةِ والمكررة والمهيمنة للمحتوي التلفزيوني التي

تغلب على غالب الحصص التلفزيونية والسينما وليس على محطةٍ واحدة، يعني: عالم الإعلام.
وعليه فهناك هوة بين العالم الرمزي الذي تشكلُه وسائل الإعلام في عقولِ الجمهور وبين الواقع، حيث نسأل هل تعكسُ معطياتُ الإعلام الواقعَ كما هو أم تزوُره؟ وإذا كان نعم فإلى أي حدٍ؟
وكل هذه العناصر موجودة في المسلمين من نشأتهم وهي من يشكل صورتهم الذهنية عن الغرب.
وحتى نفهم أن الغرب يسير إلى حتفه ويقود البشرية معه إلى الهاوية لنفهم أسباب انحطاطه عند أبنائه:
أول من حلل حالة الغرب الحقيقية هو (أوزوالد سبنغلر) في كتابه " الانحطاط" الذي نشر الجزء الأول منه سنة 1918م والجزء الثاني سنة 1922م.
قدم في هذا الكتاب تحليلا تاريخيا ميكانيكيا يجمع الاقتصاد السياسي والسياسة والعلوم والرياضيات والفنون والموسيقى، بناه على تفريع الظواهر من ظاهرة بدائية وحيدة.
بعد ذلك جاء كتاب (غنتر أندرس) زوج الكاتبة المشهورة " انتهاء صلاحية الإنسان" وهو كتاب قوي جدا كتب الجزء الأول منه في الخمسينيات والثاني في السبعينيات.
وفي السنوات الأخيرة بدأت فكرة انحطاط الغرب تتردد في الأوسط الفكرية الغربية، ومؤخرا مع صدور كتاب (ميشال أونفري) "الانحطاط" سنة 2017م حيث اعتبر أن الغرب في مرحلته الأخيرة.
كل هؤلاء المفكرين وقفوا عند التفكك المفعل في الغرب برؤية فلسفية وعلمية خلصت إلى أن السقوط حتمي لأن وهم التقدم غير المحدود توقف وبدأت ملامح الخراب والدمار تلوح في كل المجالات، وبدلا من زمانية واعدة كان الغرب يحلم بها اكتشف نفسه في زمانية دورية "الرجوع الأبدي".
يقصد أن تاريخ العالم ليس تاريخا لتقدم الحقوق والاستقلالية ولكنه تاريخ لدورة الحضارات التي واحدة بعد الأخرى تفقس وتأخذ مداها، ثم تبرق وتشع وتهيمن ثم تهوي ككوكب ميت.
بحسب هذا الأخير فإن الانحلال الغربي مر بثلاث مراحل: مرحلة الوهن ثم مرحلة الشيخوخة وأخيرا مرحلة التميع والذوبان وهي التي يعيش فيها الآن.

وأكبر علامة على انحلال الغرب وانحطاطه هي: دخوله في طور البربرية بربرية الحلم العلموي "ما بعد الإنسان" ولأن العدم دائما يقيني فانحطاط الغرب كذلك.
وهذه نقطة في غاية الأهمية أقف عندها برهة للتوضيح لأن مشروع " ميتافرس" هو جزء منها وكذلك مشروع إيلون ماسك وأثرياء العالم:
انتقل الغرب من مادية أبيقورية هيدونية إلى رؤية ميكانيكية للعالم، من الإنسان الماكينة عند (لامتري) إلى ماكينة ما بعد الإنسان أو هزيمة الموت؟!
تدور الفكرة على أن التكنولوجيا ستمنح الإنسان وسائل التحرر من غالب الحدود التي فرضها عليه الخلق (التطور) والموت أولها، فبعد مدة يمكن أن نرى مخلوقات ما بعد بيولوجية: إما ذكاء اصطناعي ترث صانعها، وإما الإنسان نفسه مدمج مع آلة.
وكما يقول (تيري هوكي): "الأفراد مبتوري الأطراف يرقعون بـ بروتاز روبوتية هم في الحقيقة مختبر تجارب حيث تختبر أشكال الحياة في المستقبل، حيث يزاد في الإنسان ويضخم بحيث لا يعد هو نفسه" [سيبورغ فلسفة].
يعتقد الغربي أنه أصبح سيد نفسه بحيث يمكن أن يصنع نفسه على غير ما هو عليه، إعادة خلق نفسه مختلفا: أكثر قوة، أكثر أداء، أكثر جمالا، أكثر ذكاء، وأخيرا أكثر كمالا.
تقوم هذه الرؤية المادية على أنه ليس فقط لا توجد طبيعة إنسانية ولكن يجب القضاء على كل ما بقي في الإنسان طبيعيا حتى يمكنه أن يتحقق في كائن آخر لا يعرف الولادة، المرض، الفشل، الألم والموت.
بالمحصلة يتعلق الأمر بكائن مفرغ من جميع الحدود التي يرفضها عليه جسمه البدائي الهش الناقص والفاني = يستبدل بجسم اصطناعي من مواد غير قابلة للفساد أو يمكن استبدالها.
قد يقول كثير منا: هذا حلم أو هوس إنسان غربي فاحش الثراء وهو مجرد فنطاسم لكن الحقيقة أنه بدا يجري الآن وقد صار عقيدة حيث أن طفلة بريطانية مريضة بالسرطان قاضت والدها لأنه رفض ان يسمح لها بحفظ جسمها بعد موتها في مادة خاصة في انتظار اكتشاف علاج الموت أو القدرة على نقل وعي الإنسان إلى آلة أو أي شيء؟!
العقيدة العلمية التي بدأت تشق طريقها فيهم هي أن لم يعد دور التقنية تحقيق الطبيعة

أو إصلاحها أو تعويضها ولكن إيجاد إنسان بدون قلق ضمير، بدون عقوبة لتطرفه، حر في الفعل أو الترك، في خلق أو إعدام بحسب رغبته.
لهذا يمكن أن نقول: الرؤية الماكينية ليست نشوة مؤلفها ولكن محاولة لتفكيك أسرار الكائن والطبيعة، إعادة صنع ما صنعته الطبيعة ناقصا ليس فقط النباتات (ogm) ولا الحيوانات (انتقاء اصطناعي) ولكن أيضا الإنسان (ما بعد الإنسان) حيث تقوم الماكينة بزيادة قوة الإنسان أو تعوضه لكن بمحو خصائصه.
كيف بدأت منطقيا؟
بدأت الخدعة الماكينية بعد (فن الإنسان) بتقليد الطبيعة (الفن الإلهي) بعد ذلك تعرفت فيها: حيوانات ماكينة عند ديكارت، ثم إنسان ماكينة عند لاميتري، وفي الأخير استبدال ماكينة ما بعد الإنسان.

والسبب وراء هذا هو أن الإنسان الغربي مولع بالقوة وله رغبة شديدة فيها، يريد قوة بدون حدود، يريد أن يأخذ مكان الإله الذي مات ودفن من مدة طويلة (بموت الميتافيزيقا) [تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا]، والذي سحب في سقوطه مخلوقه الناقص والبدائي، انظر لأوصاف الأبطال في آدابهم ورسوماتهم للأطفال وفي السينما بقوة إلهية.
يتصور منظرو هذه التفاهة أن الخالق الجديد سيكون أكثر قوة من القديم لأنه لا يحتاج إلى العدالة الإلهية(تيوديسي)لأن العالم الجديد سيكون بدون شر، فالناس لن يعرفوا ماذا تعني هذه الكلمة لأن هذا العالم سيكون نقيا من كل ظلال من كل شائبة: "عالم نقي بدون تـﺜـراع، ولا ضراط، بدون عرق ولا نخامة، بدون براز ولا بول، عالم بدون مرض، بدون شيخوخة، بدون تجاعيد الوجه؟" نفس المصدر.
منطقية الرؤية:
بدون شك هذه اعتبارات فانطسمية سخيفة لكنها في منطق مثالي استعاضي للماكينية للإنسان، لإلغاء الجسم اللحمي بدأت من أفلاطون الذي اعتبره مقبرة الروح.
وإذا نظرت بعمق في مادية الغربي الأبيقورية الهيدونية ستجده يرفض المرض، المعاناة، الشيخوخة، إنهاء الموت أو تأخيره إلى أقصى حد، الحصول على أولاد كاملين ينجحون في كل شيء ... الخ

وهذا في الحقيقة صدى لواقعه وتطلعاته المجتمعاتية الصماء، فهي المحرك الأساسي لتقدم العلوم؟ (رفض القدرو الألم= لهذا كان جزءا من أركان الإيمان).
والنتيجة المنطقية أن هذا الفنطاسم الإنساني غير برئ هو فقط يترجم ويكشف شيئا حقيقيا في الإنسان الغربي.
وهكذا مع الإخصاب والحمل والتوالد، وبروتاز، وزرع الأعضاء، وصنع روبوتات قادرة على أداء وظائف الإنسان: قوة، حساب، تفكير، ذاكرة، قرار، فعل؟
و الحجة المقدمة للبشرية وهي الغطاء الذي تنتشر تحته هذه العقيدة الإلحادية هي حجة تحسين ظروف الإنسان، و التي ستسمح بقبول الطفرة التي يحضر لها، والممنوعات الأخلاقية، وأما الرقابة القضائية الحاليةعلى التجارب الطبية ف ستنسف كما نسفت قبل ذلك كثير منها، ليس تحت الضغط الاجتماعي ولكن المجتمعاتي (مثل زواج المثليين)
كيف تم الانتقال إلى هذا الانحراف الشديد؟
1 ـ الإنسان الماكينة عند لاميتري عبارة عن تطور رؤية مادية للطبيعة وللإنسان، هدفها الجوهري تفنيد أي تصور روحاني للوظائف الذهنية والعقلية للإنسا. = الإنسان ليس جوهرا روحيا إنما تعود لوظائف المادة المنظمة.
2 ـ أراد إبطال أي تصور إدراكي ديني، طبيعي، أو موحى عرضة لتأسيس نظام أخلاقي إلزامي أو محدد لدائرة اختصاص الماكينة الإنسانية.
3 ـ أخذ الفكرة من ديكارت وتصوره للحيوان الماكينة فقبله لم ينظر أي فيلسوف للحيوان على أنه ماكينة (لم تظهر الماكينات بعد)
4 ـ اعتبر أن الجسم الإنساني كماكينة أفضل تنظيما من الماكينة التي صنعها الإنسان لأنه خرج من أيدي الإله، لكن خطؤه (ديكارت)أنه حشر الإله في هذه القضية بينما تنظيم المادة يكفي لإنتاج هذا الأثر.
5 ـ ولأنه أيضا اعتبر روح الإنسان جوهرا وربطها بالجسم بطريقة غير مفهومة لتفسير المشاعر، الإحساس، الخيال، العقل والإرادة بينما قبول وجود الروح لتفسيرها هو الاختزال في عملية روح القدس. ((الروح ليست إلا حدا أجوف ليس لنا عنه فكرة والعقل الجيد لا يستعمله إلا لتعيين الجزء المفكر فينا)).
للانتقال من الحيوان الماكينة إلى الإنسان الماكينة نحتاج إلى طفرة

1 ـ لأنها رؤية أخرى للطبيعة "ليس فقط الجسم الإنساني هو ماكينة تركب بنفسها خصائصها: صورة حية للحركة الأبدية "لكن أيضا"مختلف أحوال الروح هي دائمة مرتبطة بأحوال الجسم وإثبات تلك التبعية وأسبابها ليس أفضل من التشريح المقارن لنفتح أحشاء الإنسان والحيوانات".

2 ـ الإنسان في جسمه كما في وظائفه الذهنية الأعلى: الذاكرة، الوعي، التفكير، العبقرية، التمييز بين الخير والشر واللذة ليس أقل ماكينية من الحيوان" الكل مرتبط بالطريقة التي ركبت بها ماكينتنا ".

النتيجة: نفهم أن التحول من الحيوانات إلى الإنسان ليس عنيفا كما قد يتصوره مؤمن غير مطلع.

3 ـ يشكل لاميتري نظرة توحيدية متجانسة للطبيعة التي تتضمن درجات تنظيم:" هذه هي تجانسية الطبيعة التي بدأنا نلتمسها والتشابه في مملكة الحيوان والنبات، من الإنسان إلى النبات".

اللازم: الإنسان الماكينة يعد ويهيأ التصور الماكيني للإنسان من أجل رده للطبيعة أكثر، الطبيعة كلها هي ماكينة ذاتية الضبط.

4 ـ لم يكن في نية لاميتري أن يفتح للإنسان منظورا للخروج من ظروفه وشروطه على العكس يهدف إلى حصره في الطبيعانية كلية=" الجسمانية هي كل الإنسان وبدون بقايا وسيدها هي اللذة: " المتعة سيدة الناس والآلهة، أمامها كل شيء يختفي حتى العقل نفسه.

التسلسل الفكري:

1 ـ إذا كان الإنسان آلة طبيعية أليس ممكننا بالتقدم التكنولوجي التفكير أنه يوما ما يكون هو الماكينة، ماكينة أخرى من نظام أكثر تعقيدا أعلى يمكنها أن تكمله أو تعوضه؟

2 ـ لكن نحتاج إلى طفرة أخرى أساسية ليس فقط تكنولوجية ولكن أيضا ايديولوجية: في عصر المعلومة ونانوتكنولوجي ليست الروح ولكنه الجسم من يصبح بالقوة إضافة مزعجة أما الروح فلا نحتاج إلى جوهرنتها فكل وظائفها يمكن أن تقوم بها رقاقات صغيرة.

3 ـ التطور الاصطناعي يستأنف التطور الطبيعي: ينفصل العقل كلية عن الطبيعة،

ويمكن أن يتخيل الحصول على جسم آخر غير قابل للتغير والفساد، وهكذا ننتقل من إنسان المتعة عند لاميتري إلى ما بعد الإنسان بدون إحساس وبدون رغبة لا يموت لأنه لم يعش.
4 ـ الرؤية الماكينية للعالم وللإنسان شهدت طفرات عدة لكن حملها نفس التيار: معرف لفترة في الطبيعة بعد ذلك توهم أنه يستطيع تجاوزها؟
المراجع: جون ميشال باسني، غدا ما بعد الإنسان ـ نهاية الإنسان فرنسيس فوكياما.
نعود إلى موضوع " انحطاط الغرب":
مفكر غربي آخر انتهى إلى نفس النتيجة هو (دافيد انجلز) صاحب كتاب "الانحطاط" و "أزمة الاتحاد الأوروبي" و"سقوط الجمهورية الرومانية" و"التعايش مع انحطاط أوروبا" صرح أن انحطاط الغرب ليس حادث مسار في الحضارة الغربية بل هو حالة خطيرة، فليس فقط هو اختفاء نموذج سياسي اقتصادي أو اجتماعي، ولكن مجموع ما كان الغرب طيلة ألف سنة.
الغرب ينحط يفكرون كيف يحافظون على ما شكل هوية الغرب بعد اختفائه.
بالنسبة إليه فإن الصدق مع النفس لابد أن يكون الفضيلة العليا لكل حضارة تحترم نفسها، وإذا كنا صادقين فإننا في طور الانحطاط، هكذا قال.
قال: انحطاط الغرب أثبته وبرهن عليه (أزوالد سبنغلر) و(أرنولد توينبي) ليس مجرد حادث عابر حادثا في مسيرة، ولكنه مطبوع في منطق تاريخ الغرب نفسه الذي هو الآن مصاب بأزمة سياسية اقتصادية ديموغرافية عرقية واجتماعية غير مسبوقة تقود ـ كما قادته قديما ـ إلى تمزق وحروب أهلية قبل السقوط في حكم إطلاقي يعيد الاستقرار لكن مع جمود ثقافي، وهذا ما ينتظر الغرب في العشريتين القادمتين، وما على الغربيين الا الاستعداد لذلك.
حقيقة التطورات الثقافية التي تجري حاليا مرعبة: شيخوخة السكان، الذكاء الاصطناعي، الهجرة الكبيرة، تفكك الدولة الأمة، التدمير الذاتى للمنظومة التعليمية والجامعية، تأخر الغرب بالنسبة للصين، تحول الديمقراطية إلى تقنوقراطية.
لذا فإن عملية الانحطاط مبرمة غير رجعية، فالنظام السياسي مهشم، وكذلك التضامن الاجتماعي بين مختلف المجموعات المجتمعية والثقافية؛ وهامش التصرف يضيق في كل يوم فغاية الإصلاحات أنها ستوقف ازدياد الانهيار للحفاظ على ما تبقى من

الحضارة الغربية.
وفي الحقيقة فإن تثبيت الانحطاط بالعودة الغرب إلى قيمه غير ممكن لأن قيمه نفسها بلغت حدها، وولدت ما تحمله في أعماق ذاتها فقط، وهو ما أكده هذا المفكر حيث قال: انحطاط الغرب يأتي من داخله وليس من خارجه.
يواصل بانه حتى أثر الإنسان على الطبيعة هو جزء من الانحطاط الغربي، وانه بدون التخلي عن الأيديولوجية المادية: الاستهلاكية، الأنانية، لا يمكن الطمع في بعض التوازن.
ماهي العلامات الأخرى التي تدل على انحطاط الغرب والتي يمكن لأي منا أن يعاينها؟
هي: تدمير العائلة التقليدية، صعود التفاهة، الخواء الروحي، أزمة الفلسفة حيث لم يعد الغرب قادرا على انتاج فيلسوف حقيقي ويقول إن آخرهم هو سارتر، الليبرالية تقتل الغرب عيانا تقتل أخلاقه الفطرية والدينية الموروثة، والجمهورية ستموت على يد الحرية كما قال سبنوزا.
إضافة إلى أن الإنسان الغربي أكثر من غيره يعاني من القلق والانزعاج، وفقدان المعنى والانحطاط الأخلاقي للنخبة التي لم تعد تهتم بالصلاح العام، والنسبوية التي تقطع أي ارتباط بالقيم الثابتة، والتجزئية العلمية التي حولت كل العلوم إلى تجارة ربحية محضة.
هناك عدة كتب بحثت الموضوع غير التي أشرت إليها في هذا المقال، مثل: العولمة أفول الغرب لإيلي آريي - غروب الغرب يوميات الانحطاط - نهاية المستقبل زوال التقنية وأزمة الغرب لـ جون جيمبل - انحطاط الغرب لـ فرنشيسكو كالاركو.
في مقال آخر سنتحدث عن انحطاط الغرب برؤية إسلامية إن شاء الله تعالى.

يقول بعض المتنسكة: الجدال عمل النفس! لكنهم يجادلون كثيرا و ليتهم بغير نفوسهم !

على كل حال من يحرك حاله الصوتُ بالقرآن خير ممن يحرك حاله صوت آخر !

إذا سأل الإمام في دعاء القنوت الفوز بالجنة والنجاة من النار لم تجد عيونـهم !
و إذا سأل الإفراج عن المسجونين وشفاء المرضى وقضاء دين المديونين فاضت أعينهم بالدموع !
القلب مقيمٌ عند الهمِّ والعين شاهد على ذلك.
ومن الهم أن يغلب هم الدنيا هم الآخرة؛ طرد الله همومكم كلها.

ما استفدته من كتاب "اقتضاء الصراط المستقيم"

....

أروع ما ظفرت به في هذا الكتاب وهو كتاب فريد في موضوعه أربع مسائل :
الأولى :أطروحة الكتاب أو غرض الكتاب :النهي عن التشبه بالكفار و المشركين والفجار وغيرهم، وهي مسألة أبدع فيها المؤلف خاصة في الفصل الخاص بالتحليل النفسي للتجانس والمشاكلة و أثرها على الإنسان.
الثانية :الجواب على شبهة استجابة الدعاء عند القبور و المشاهد ،وكان جوابه النقضي كافيا ايما كفاية لكنه مع ذلك أصل وفصل وشيد بعد الهدم.
الثالثة :موضوع البدعة فصله تفصيلا لا يضاهيه كتاب آخر، وكان فيه منصفا جمع بين صرامة تحليل لا مثيل لها في الموضوع مع رحمة وعذر.
الرابعة :تأصيل حكم الإسلام في العنصرية والعصبية و أنثروبولوجيا الشعوب والطوائف وماذا قدم الإسلام في هذه القضية للبشرية.
هذه هي الموضوعات التي أثارت انتباهي و إعجابي، ووجدته قد أبدع فيها، ربما ألخصها في مقالات مستقلة بكل موضوع.
الكتاب رائع إذا كانت موضوعاته أسئلة عالقة في عقلك، ويزيده روعة أنه يعج بالنصوص والآثار والنقول حتى تظن انه رجع إلى مصادر كثيرة جدا لكن الكمية تحتاج إلى توثيق هذه المصادر وترتيبها ليستفاد منها بذاك الشكل.
هل كان المؤلف يملك مسبقا مخططا هندسيا للموضوع، والمادة هي التي تبحث عنه وليس هو من يبحث عنها أم التفكير في الموضوع قاده إلى كل تلك الاستطرادات فهي

قضية ابتداه ؟
من يقرأ للمؤلف قد يظن أنه يكتب في فوضى دون نظام مسبق، و أن الأفكار تظهر من اندفاع الكتابة لكن من يتتبع الموضوعات ويحاول إستخراج العلاقة سيلمس أن الأفكار في عقله تتقافز من كثرتها وضيق المكان عليها، و ان فكرته أقوى بكثير من ألفاظه.
تقرأ وتقرأ راجيا أن ينتهي الموضوع حتى تقول: لقد استنزف الموضوع فإذا به يفتح نافذة جديدة فيعرض عليك أوجه أخرى للموضوع.
مع المؤلف أنت في متحف العقول.
وإشباع الاستشهاد بآيات القرآن و أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم كأنها تأخذ مكان المؤلف وتتحدث بدلا عنه!
هذا الكتاب من الكتب التي تحفزك لمواصلة القراءة ،و تستفز فيك سؤال الهوية الإسلامية.
النص يهيمن على الفكرة التي حينما تنتقل إليك تقاوم لأنك لا تملك نفس التعلق بالنص، نفس اليقين في عصمته ودلالته.
المعنى جاد صارم لكن المتعة العلمية العقلية حاضرة، وهذا توازن نادر في عالم الكتابة العلمية.
في الحقيقة ليس الاستطراد عند المؤلف إلا تهوية للموضوع الذي يريد المؤلف أن يودعه عندك بتلك الأسئلة التي يطرحها على المخالف.
اكثرنا تسيطر العبارة على فكرته، تتفوق عليها لأن الأفكار في عقولنا يتيمة تتسول المتابعة، ليس لنا تلك السعة العلمية لكن عند هذه الطينة من المؤلفين تشعر أن لديه ما يقوله زيادة على ما قدم، يوقف الاسترسال عمدا بتلك العبارة: "قد بسطنا المسألة في موضع آخر"!
يملك العلماء المتقدمون ذاك التوازن بين السيطرة على الفكرة والتركيب اللفظي ونحو الجملة.
الفكرة تبدأ عندنا بدون فائدة كبيرة ثم تجمع من هنا وهناك محسنات عقلية ولغوية و استدلالية بخلاف هذا الصنف من المؤلفين أول فكرة يقدمها تستدعي كل انتباهك،لا شك أن ادواتهم البلاغية و النحوية قوية لكن عقولهم أقوى، ليست عقولا ضعيفة بدون

تلك الأدوات.
و أقصد أنه في كلام المعاصرين تقوم الأدوات بأكبر قسط من المامورية، والمسودة عندنا أكبر من النسخة النهائية، ومن يقدر على الجمع لماذا يذهب للطرح ؟!
هذا الكتاب هو كتاب عن شخصية المسلم المتبع للآثار المستكفي بالكتاب والسنة وهدي السلف الصالح.

في كتب التراجم :من العلماء حجة في العلم ليسوا قدوة في العمل ! لكن بالنسبة لمن؟!

يمنحك القرآن يقظة دائمة فتظل متصلا بواقعك شاعرا بالفروق بين الموجودات لأنه الفرقان.
ولذلك أعتبره طلاب غياب التمييز حجابا !يمنحك القرآن يقظة دائمة فتظل متصلا بواقعك شاعرا بالفروق بين الموجودات لأنه الفرقان.
ولذلك أعتبره طلاب غياب التمييز حجابا !

معالجة شبهة استجابة الدعاء عند القبور في اقتضاء الصراط

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله.
قلت في منشور سابق بأن من روائع كتاب " اقتضاء الصراط المستقيم" جواب مسألة " استجابة الدعاء عند بعض القبور" فلنلخصها اليوم حتى يستفيد منها طلبة العلم مع تصرف مني: تنسيق وشرح وأمثلة.
معلوم انه من المسلمين من يعتقد أن الدعاء عند قبور الصالحين مستجاب، ولذلك يتحرون الدعاء عند هذه الأماكن التي يعتقدون فضل الدعاء عندها.
وفي الحقيقة هذا اعتقاد بعض العلماء المرموقين في الأمة المعروفين باتباع السنة واقتفاء آثار الصحابة منهم الذهبي ـ رحمه الله ـ الذي قال في ترجمة السيدة نفيسة: " وقيل كانت من الصّالحات العوابد والدّعاء مستجاب عند قبرها بل وعند قبور الأنبياء والصّالحين" سير أعلام النبلاء؛10/107
وذكر ابن الجوزي في " صفة الصفوة" أن إبراهيم الحربي صاحب الإمام أحمد قال عن قبر معروف الكرخي: " معروف الترياقي المجرب".1/472

وقال ابن عبد البر في " التمهيد": " وفي هذا الحديث دليل على التبرك بمواضع الأنبياء والصالحين ومقاماتهم ومساكنهم وإلى هذا قصد عبد الله بن عمر بحديثه هذا والله اعلم "13/67
يقصد حديث الشجرة التي سرَّ تحتها سبعون نبيا" وكما هو واضح من لفظه لم يذكر القبور والدعاء، ومع ذلك سنبحث هذا الحديث وفعل ابن عمر ـ رضي الله عنه ـ عندما نبحث مسألة " الفرق بين ما فعله النبي صلى الله عليه وسلم اختيارا وما فعله اتفاقا" ومخالفة الصحابة له.
كما سيجيب ابن تيمية عن هذه الشبهة القاتلة:" قد فعله بعض الفضلاء ".
لا شكّ أنّهم ما اعتبروا الدّعاء مستجابا عند هذه القبور إلاّ استشعارا منهم لعظمة المقبور وتأثيره في حصول الاستجابة، يعني: يستشفعون به وهو ميت، ويتخذونه سببا ووسيلة لحصول الاستجابة من الله!
ومن صور هذه المسألة عند بعض المسلمين أن يتأخر الانجاب عند زوجين فيقال لهما: اذهبا لقبر الولي فلان واتركا عنده صدقة أو اذبحا له فيفعلان ذلك وتحصل الاستجابة فتحمل المرأة وتلد؟!
وهكذا لكل صاحب حاجة عصيت عليه من رزق أو وظيفة فهل فعلا الدعاء عند هذه المواضع هو سبب الاستجابة لهم أم هناك أسباب أخرى؟ وكيف نعرف أن اختيار الدعاء عند القبور هو سبب الاستجابة إن كان مجرد الاقتران بين العلة والمعلول؟
يجيب ابن تيمية ـ رحمه الله ـ عن هذه الشبهة بجوابين: الأول تأصيل شرعي إيجابي مباشر، والثاني نقضي سلبي شرعي غير مباشر.
الجواب الأول:
يرد ابن تيمية الدعاء عند القبور إلى نوعين: أن يحصل بحكم الاتفاق لا لقصد الدعاء عندها بوجه خاص كمن يكون في مقبرة فيسال الله العافية له وللموتى كما ثبت في السنة.
الثاني: أن يتحرى الدعاء عندها بحيث يعتقد أن الدعاء عند هذا القبر أجوب منه في غيره ويخلص إلى أن هذا النوع منهي عنه إما نهي تحريم أو تنزيه وهو إلى التحريم أقرب.
وحتى لا يتشبث أناس بالنوع الأول لتبرير النوع الثاني يقول:" والفرق بين البابين

ظاهر فإن الرجل لو كان يدعو الله، واجتاز في ممره بصنم أو صليب أو كنيسة، أو كان يدعو في بقعة وهناك صليب هو عنه ذاهل، أو دخل كنيسة ليبيت فيها مبيتا جائزا، ودعا الله في الليل، أو بات في بيت بعض أصدقائه ودعا الله، لم يكن بهذا بأس. ولو تحرى الدعاء عند صنم أو صليب، أو كنيسة يرجو الإجابة بالدعاء في تلك البقعة، لكان هذا من العظائم.

بل لو قصد بيتا أو حانوتا في السوق، أو بعض عواميد الطرقات يدعو عندها، يرجو الإجابة بالدعاء عندها لكان هذا من المنكرات المحرمة؛ إذ ليس للدعاء عندها فضل. فقصد القبور للدعاء عندها من هذا الباب بل هو أشد من بعضه".

علل المنع:

1 ـ قد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم النهى عن اتخاذ القبور مساجد، واتخاذها عيدا، وعن الصلاة عندها والعلة التي من أجلها نهى عن الصلاة عندها هي لئلا تتخذ ذريعة إلى نوع من الشرك بالعكوف عليها وتعلق القلوب بها رغبة ورهبة.

فمن باب قياس الأولى يحرم الدعاء عند القبور.

التفصيل: لأن العاقل يعلم أن الداعي الذي نزلت به نزلة يدعو الله لاستجلاب خير كرزق أو ولد أو لرفع شر كمرض او محنة يكون حاله في الافتتان بالقبور إذا رجا الإجابة عندها أعظم من حال من يؤدي صلاة الفرض عندها في حال العافية لان هذا الأخير لا يكاد قلبه يفتن بذلك إلا قليلا اما الداعي المضطر ففتنته بذلك أعظم.

الاستنتاج: إذا كانت المفسدة التي لأجلها نهي عن الصلاة متحققة في حال الذين يتحرون الدعاء عند القبور كان نهيهم عن ذلك أوكد وأوكد.

وهذا واضح لمن فقه في دين الله، وتبين له ما جاءت به الحنفية من الدين الخالص لله، وعلم كمال سنة إمام المتقين في تجريد التوحيد، ونفي الشرك بكل طريق.

2 ـ هذا أمر لم أمر لم يشرعه الله ولا رسوله ولا فعله أحد من الصحابة ولا التابعين، ولا أئمة المسلمين ولا ذكره أحد من العلماء ولا الصالحين المتقدمين، بل أكثر ما ينقل من ذلك عن بعض المتأخرين بعد المائة الثانية؟!

تأكيد النفي:

1 ـ الصحابة قد أجدبوا مرات، وداهمتهم نوائب كأفراد وكجماعة وعندهم قبر أفضل خلق الله وخاتم الرسل وأعظم شفيع فلماذا لم يستسقوا ويستغيثوا عند قبر النبي صلى

الله عليه وسلم؟
بل خرج عمر بالعباس فاستسقى به ولم يستسق عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم.
ثم عمر المسجد والسقف كما كان، وأحدث حول الحجرة الحائط الخشبي، ثم بعد ذلك بسنين متعددة بنيت القبة على السقف، وأنكره من كرهه.
2 ـ قد كان من قبور الصحابة بالأمصار عدد كثير، وعندهم التابعون، ومن بعدهم من الأئمة، وما استغاثوا عند قبر صاحب قط، ولا استسقوا عند قبره ولا به، ولا استنصروا عنده ولا به.
الاعتراض:
قد يعترض أحدهم بالإمكان ونفي الدليل السمعي فيقول: وما يدرينا أن أحدهم فعل؟
الجواب:
1 ـ من المعلوم أن مثل هذا مما تتوفر الهمم والدواعي على نقله، بل على نقل ما هو دونه إذ هذا امر يحصل لجميع الناس فلابد ان يبتلوا ويمرضوا وتكون لهم حاجات كثيرة، ليس هو من المور التي تقع لهم نادرا بل هذا الغالب على حال البشر بغض النظر عن دينهم.
ومن تأمل كتب الآثار، وعرف حال السلف، تيقن قطعا أن القوم ما كانوا يستغيثون عند القبور، ولا يتحرون الدعاء عندها أصلا، بل كانوا ينهون عن ذلك من كان يفعله من جهالهم. كما قد ذكرنا بعضه.
2 ـ إما أن يكون الدعاء عندها أفضل منه في غير تلك البقعة، أو لا يكون.
ـ فإن كان أفضل: لم يجز أن يخفى علم هذا عن الصحابة والتابعين وتابعيهم؛ فتكون القرون الثلاثة الفاضلة جاهلة بهذا الفضل العظيم، ويعلمه من بعدهم.
كما لا يجوز شرعا وعقلا أن يعلموا ما فيه من الفضل العظيم ويزهدوا فيه، مع حرصهم على كل خير، لا سيما الدعاء، فإن المضطر يتشبث بكل سبب، وإن كان فيه نوع كراهة، فكيف يكونون مضطرين في كثير من الدعاء، وهم يعلمون فضل الدعاء عند القبور، ثم لا يقصدونه؟ هذا محال طبعا وشرعا.
ـ وإما لا يكون الدعاء عندها أفضل: وبالتالي يكون قصد الدعاء عندها ضلالة ومعصية، كما لو تحرى الدعاء وقصده عند سائر البقاع التي لا فضيلة للدعاء عندها، من شطوط الأنهار، ومغارس الأشجار وحوانيت الأسواق، وجوانب الطرقات، وما لا

يحصي عدده إلا الله.
الدليل من القرآن:
قوله تعالى: {أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ} [الشورى] فإذا لم يشرع الله استحباب الدعاء عند المقابر ولا وجوبه؛ فمن شرعه فقد شرع من الدين ما لم يأذن به الله وقال تعالى: {قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ} [الأعراف]
وهذه العبادة عند المقابر نوع من أن يشرك بالله ما لم ينزل به سلطانًا، لأن الله لم ينزل حجة تتضمن استحباب قصد الدعاء عند القبور وفضله على غيره، ومن جعل ذلك من دين الله فقد قال على الله ما لا يعلم.
وما أحسن قوله تعالى: {مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا} [الأعراف] لئلا يحتج بالمقاييس والحكايات والمنامات.
جواب شبهة استحباب بعض الفضلاء لهذا الفعل:
فإن قيل: فقد نقل عن بعضهم أنه قال: " قبر معروف الكرخي الترياق المجرب وروي عن معروف أنه أوصى ابن أخيه أن يدعو عند قبره.
وذكر أبو علي الخرقي في قصص مَنْ هجره أحمد، أن بعض هؤلاء المهجورين كان يجيء عند قبر أحمد، ويتوخى الدعاء عنده، وأظنه ذكر ذلك للمروذي ونقل عن جماعات أنهم دعوا عند قبور جماعات من الأنبياء والصالحين، من أهل البيت وغيرهم، فاستجيب لهم الدعاء، وعلى هذا عمل كثير من الناس.
وقد ذكر العلماء المصنفون في مناسك الحج إذا زار قبر النبي صلى الله عليه وسلم فإنه يدعو عنده، وذكر بعضهم أنه من صلى عليه سبعين مرة عند قبره ودعا استجيب له.
وذكر بعض الفقهاء في حجة من يجوز القراءة على القبر: أنها بقعة يجوز السلام والذكر والدعاء عندها، فجازت القراءة كغيرها.
وقد رأى بعضهم منامات في الدعاء عند قبر بعض الأشياخ، وجرب أقوام استجابة الدعاء عند قبور معروفة، كقبر الشيخ أبي الفرج الشيرازي المقدسي وغيره.
وقد أدركنا في أزماننا وما قاربها من ذوي الفضل علما وعملا من كان يتحرى الدعاء

عندها أو العكوف عليها، وفيهم من كان بارعا في العلم، وفيهم من كان له كرامات، فكيف يخالف هؤلاء؟

الجواب:

1 ـ نذكر هذه الشبهة من باب قمع العناد فقط لأنها شبهة بعيدة عن طريق العلم والدين فكل هذا لا تقوم به حجة إن كان عريا عن الدليل الشرعي.

2 ـ لم ينقل في استحباب الدعاء عند القبور ـ فيما علمناه ـ شيء ثابت، عن القرون الثلاثة التي أثنى النبي صلى الله عليه وسلم عليها حيث قال: «خير أمتي القرن الذي بعثت فيه، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم».

وعليه فعدم فعلهم له وعدم أمرهم به مع شدة المقتضى اليه لو كان فيه فضل يوجب علينا القطع بأن لا فضل فيه.

3 ـ كثيرمن الأمة كره ذلك وأنكره، قديما وحديثا، وإذا اختلف فيه المتأخرون فالفاصل بينهم: هو الكتاب والسنة وإجماع المتقدمين نصا واستنباطا، والحمد لله لا ينقل هذا عن إمام معروف، ولا عالم متبع؟

الحال الأول للحكايات الواردة:

والمنقول في ذلك إما يكون كذبا كما نقل بعضهم عن الشافعي أنه قال: «إني إذا نزلت بي شدة أجيء فأدعو عند قبر أبي حنيفة فأجاب " أو كلاما هذا معناه.

وهذا كذلك معلوم كذبه بالاضطرار عند من له معرفة بالنقل، فإن الشافعي لما قدم بغداد لم يكن ببغداد قبر ينتاب للدعاء عنده البتة، بل ولم يكن هذا على عهد الشافعي معروفا.

وقد رأى الشافعي بالحجاز واليمن والشام والعراق ومصر من قبور الأنبياء والصحابة والتابعين، من كان أصحابها عنده وعند المسلمين، أفضل من أبي حنيفة، وأمثاله من العلماء. فما باله لم يتوخَّ الدعاء إلا عنده؟

ثم أصحاب أبي حنيفة الذين أدركوه، مثل أبي يوسف ومحمد وزفر والحسن بن زياد وطبقتهم، لم يكونوا يتحرون الدعاء، لا عند قبر أبي حنيفة ولا غيره.

ثم قد تقدم عند الشافعي ما هو ثابت في كتابه من كراهة تعظيم قبور المخلوقين خشية الفتنة بها، وإنما يضع مثل هذه الحكايات من يقل علمه ودينه.

الحال الثاني للحكايات الواردة:

ـ وإما أن يكون المنقول من هذه الحكايات عن مجهول لا يعرف، ونحن لو روي لنا مثل هذه الحكايات المسيبة أحاديث عمن لا ينطق عن الهوى، لما جاز التمسك بها حتى تثبت، فكيف بالمنقول عن غيره؟

الحال الثالث للحكايات الواردة:

ومنها ما قد يكون صاحبه قاله أو فعله، باجتهاد يخطئ ويصيب، أو قاله بقيود وشروط كثيرة على وجه لا محذور فيه، فحرف النقل عنه، كما أن النبي صلى الله عليه وسلم لما أذن في زيارة القبور بعد النهي فهم المبطلون أن ذلك هو الزيارة التي يفعلونها، من حجها للصلاة عندها، والاستغاثة بها.

خلاصة هذا الباب:

هذه الحجج دائرة بين نقل لا يجوز إثبات الشرع به، أو قياس لا يجوز استحباب العبادات بمثله، مع العلم بأن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يشرعها، وتركه مع قيام المقتضي للفعل بمنزلة فعله، وإنما يثبت العبادات بمثل هذه الحكايات والمقاييس ـ من غير نقل عن الأنبياء النصارى وأمثالهم.

منهج إثبات الأحكام:

وإنما المتبع في إثبات أحكام الله كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وسبيل السابقين أو الأولين، لا يجوز إثبات حكم شرعي بدون هذه الأصول الثلاثة، نصا واستنباطا بحال.

الجواب الثاني بالنقض :

والمقصود بالنقض هنا تخلف الحكم المدعى ثبوته أو نفيه بثبوت نقيضه، وهو كالتالي:

1 ـ إن لازم قولكم هذا، ونتيجته التي لا انفكاك لكم عنها أن من استجيب له في دعاء ما،دلّ ذلك على حسن عمله أو مشروعيته، ومعلوم أن هذا الاعتقاد يوجب تحسين دين اليهود و النصارى و المجوس من كل الأصناف، حتى عباد الفئران و الثيران، فإن لهؤلاء من هذه الحكايات و الأقيسة نمطا كثيرا، منها على سبيل المثال: اعتقاد قريش يوم أحد أن سبب انتصارها هو من أفضال صنمها هبل عليها، ولذلك قال أبو سفيان:" أعل هبل"، و أجابه عمر بن الخطاب بتعليم النبي صلى الله عليه و سلم قائلا:" الله أعلى و أجل" رواه البخاري.

فهذه قريش نحرت لـ "هبل" الجزور ودعته واستغاثت به لينصرها على المسلمين، ولما أخذت بثأرها ما كان اعتقادها إلا أن " صنمها" المصنوع من الحجارة قد استجاب لها! و المسلمون جميعهم متفقون على أن أصنام قريش حجارة لا تملك من نفسها شيئا، فإذا لم يصلح هذا كدليل لقريش ولكل مشرك وكافر لم يصلح كذلك كدليل لمن يستحسن الدعاء عند القبور، و الحمد لله الذي جعل لنا من كل شيء مثلا.

فإن البشر منذ أن وجدوا على الأرض ولابد أن يوجد فيهم الدعاء ضرورة، ذلك أن حاجة الإنسان تخلق معه، وهؤلاء الكفار من الهنود وبني الأصفر يحصل لهم كل يوم من الاستجابة لدعواتهم مالا يعلمه إلا الله، وهم يدعون أوثانا وفئرانا وثيرانا!

فإن كان هذا وحده دليلا على أن أدعيتهم مشروعة ما دامت الإجابة تحصل بها، فطرد هذا الدليل كفر صريح، إذ يستلزم أن كل من استجيب له من الكفار وقد دعا باطلا فمدعوه حق، ولا يخفى على أي مسلم شناعة هذا القول، والكل يعلم أن ما سوى الإسلام فباطل مغلوب أهله يوم القيامة.

لقد رأى كثير من المسلمين النصارى يعالجون مرضاهم بالمس الشيطاني بالصليب وهو باطل سينزل المسيح عليه السلام ويكسره، فإن خاف الجني من هذا الصليب الباطل وخرج من بدن المصروع فهل يجب الاعتقاد أن هذا الصليب حق على أساس هذا الاستدلال الفاسد؟

وإذا التقى المسلمون والنصارى واليهود أو المجوس في حرب ضروس، والمسلمون يتوسلون إلى الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلى ويستغيثونه لينصرهم على عدوهم رافعين أصواتهم بالتكبير، والكفار رافعون صلبانهم ويضربون بنواقيسهم ونيرانهم ثم قضى الله بهزيمة المسلمين كما حصل مرارا في التاريخ فهل يجب بناء على استدلال من يستحسن الدعاء عند القبور أن نعتقد أن دينهم حق وأفضل من دين المسلمين؟

قال الله تعالى: { قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ } [الأعراف]

وهذا نفس جواب الأنبياء لقومهم، فإن النصر والهزيمة منوط بحكمة الخالق لا يدل على صلاح المنتصر أو فساده.

قال الله عز وجل: {وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إلا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الإنْسَانُ كَفُورًا} "الإسراء".

فهذا من علم الله أنه كافر يستجيب له إذا دعاه مضطرا، ونظائر هذا في القرآن كثير، منها قوله تعالى: {قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ () بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ} "الأنعام" أعظم السور التي تضمنت أصول التوحيد.

وقال أيضا: {مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا. وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا. كُلا نُمِدُّ هَؤُلاءِ وَهَؤُلاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا} "الإسراء".

فهؤلاء رغم أنهم لم يخلصوا له الدين في عبادته، ولم يطيعوا رسوله يستجيب لهم إذا دعوه.

فليس كل من متعه الله برزق ونصر بإجابة دعائه أو بغير ذلك كما هو مشاهد في أمم من الكفرة لهم من النعيم وملذات الدنيا وزينتها ما رزقهم الله إياه بدون دعاء ـ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((مَا أَحَدٌ أَصْبَرَ عَلَى أَذًى يَسْمَعُهُ مِنَ اللهِ تَعَالَى، إِنَّهُمْ يَجْعَلُونَ لَهُ نِدًّا وَيَجْعَلُونَ لَهُ وَلَدًا وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ يَرْزُقُهُمْ وَيُعَافِيهِمْ وَيُعْطِيهِمْ)) رواه الشيخان عن أبي موسى ـ رضي الله عنه واللفظ لمسلم ـ يكون ممن يحبه الله و يواليه، بل هو سبحانه يرزق المؤمن و الكافر، و البر و الفاجر، فقد يجيب الكفار و المشركين و يعطيهم سؤالهم في الدنيا وما لهم في الآخرة من خلاق، بل هو شر لهم، قال الله تعالى و قد انزل كتابه تبيانا و تفصيلا لكل شيء: { أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ. نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَل لَا يَشْعُرُونَ} "المؤمنون".

وقال: {فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ} "الأنعام".

وقال: {وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لأنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ} "آل عمران".

والإملاء كما ذكره المفسرون: إطالة العمر وما في ضمنه من الرزق والنصر، والتمتيع بطيبات الدنيا.

فليحذر من لم يطع الله حق طاعته، ولم يتبع الرسول صلى الله عليه وسلم حق الإتباع، وهو ماكث على المعاصي، والله يستجيب لدعائه فليحذر أن يكون من هؤلاء.

وقال الله عز وجل: {فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ * وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ}"القلم"، فهؤلاء لم ينفعهم يوم القيامة استجابة الله لدعائهم في الدنيا.

ومن هذا القبيل من يتعدى في دعائه من المسلمين،ممن يختار الدعاء عند القبور، أو بطلب ما لا يصلح له أن يطلبه إذا حصل له بعض مطلوبه ظن أن ذلك دليل على حسن عمله وعلى كرامته على الله، فهذا يشبه من أملى له الله و أمده بالبنين و المال يظن ذلك مسارعة له في الخيرات جاء في الحديث الصحيح:" إِذَا رَأَيْتُمُ اللَّهَ يُعْطِي الْعَبْدَ مَا يُحِبُّ وَهُوَ مُقِيمٌ عَلَى مَعْصِيَتِهِ فَإِنَّمَا ذَلِكَ اسْتِدْرَاجٌ ، ثم قرأ قوله تعالى { فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ } " رواه أحمد والطبراني في "الكبير" والبيهقي في "الشعب" بسند حسن ،وهذا لفظه في القضاء و القدر.

كذلك نقول: دعاء الله قد يكون دعاء عبادة كالأدعية المأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم، ليس فيها إلا المطالب العالية، والغايات السامية، فيثاب العبد على هذا الدعاء في الآخرة، مع ما يحصل له في الدنيا من قضاء الحوائج، وتسهيل أسباب العيش، فإن الأعمال المشروعة كثيرا ما تكون سببا في حصول منافع دنيوية، وذلك من رحمة الله بأهل طاعته أن يحسن إليهم ويلطف بهم من حيث لا يشعرون.

وقد يكون دعاء مسألة تقضى به حاجته، فإن دعا بالكيفية المشروعة الصحيحة، ولم يتعد فيه، فقد يثاب على هذا الدعاء في الآخرة كذلك، إذا كان هذا الدعاء مما يحبه الله كالدعاء بأسمائه الحسنى.

ودعاء المسألة قد يكون سببا لضرر في دين المسلم كما لو طلب مالا يلهيه عن عبادة الله، أو نعمة تحجبه عن الله، أو ولدا وزوجة يفتنونه في دينه، إذا لم يقيد ذلك بالاستخارة، فيعاقب على ما ضيع من حقوق الله، وعلى ما تعداه من حدوده.

جواب آخر:

ثم يقال: إن من يستحسن الدعاء عند القبور مختلفون، فلكل منهم قبر و ضريح يدعو عنده، و يدعو إلى الدعاء عنده، و يسيء الظن بالآخر، أو أن قبره يستجاب عنده و لا يستجاب عند غيره، ومن المحال إصابتهم جميعا، وموافقة بعضهم دون بعض تحكم ومجرد دعوى.

قال الله تعالى: {وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ}"البقرة".

فكل من كتم ما يعلمه من الحق، أو غيّره أو حرفه، أو عبد الله بما لم يشرعه ينتهي إلى قول اليهود والنصارى ـ كلية أو جزئيا ـ فمن يستحسن الدعاء عند القبور من المتصوفة يقول: ليست المتكلمة على الشيء إن هي إلا زبالة العقول وقياسات من جنس قياسات الشياطين، والمتكلمة يقولون: ليست المتصوفة على شيء إن هي إلا منامات وأحاديث النفس، وهم جميعا يتلون الكتاب!

جواب ثالث:

وإذا نقضنا عقيدة من يستحسن الدعاء عند القبور بفعل اليهود و النصارى و عبدة الأوثان انتقلنا للرد عليهم من وجه آخر زيادة في البيان و قطعا للشبه فنقول بإذن الله تعالى:

1 ـ اعلم أن الأسباب التي يخلق بها الله الحوادث في الأرض والسماء لا يحصيها إلا هو، وملكوت الله أوسع من أن يلحظه الإنسان أو يحيط به إدراكا.

وإذا كان انتقاض الاقتران بين العلة والمعلول دليلا على أن الدعاء ليس السبب الوحيد في حصول الاستجابة ونيل المطلوب، وقد أرشدنا النبي صلى الله عليه وسلم إلى الأسباب التي هي خير محض، كالتوكل على الله، والثقة به، ودعائه على الوجه المشروع في الأمكنة والأزمنة التي فضلها الله ورسوله، وبالكلمات المأثورات، كالصلاة والزكاة والعمرة والحج وتلاوة القرآن، وذكر الله، فإن هذه الأعمال يحصل بها من الخير في الدنيا والآخرة الشيء العظيم، وتجلب للمسلم الخير وتدفع عنه الشر أكثر من باقي الأسباب.

وقال صلى الله عليه وسلم: ((إِنَّ اللهَ لَا يَظْلِمُ مُؤْمِنًا حَسَنَةً، يُعْطَى بِهَا فِي الدُّنْيَا وَيُجْزَى بِهَا فِي الْآخِرَةِ، وَأَمَّا الْكَافِرُ فَيُطْعَمُ بِحَسَنَاتِ مَا عَمِلَ بِهَا لِلَّهِ فِي الدُّنْيَا، حَتَّى إِذَا أَفْضَى إِلَى الْآخِرَةِ، لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَةٌ يُجْزَى بِهَا)). أخرجه مسلم وأحمد.

وإذا كان الأمر كذلك علمنا أن الأسباب التي لم يرشدنا إليها الكتاب والسنة إما أنها أسباب لا يحصل بها أي أثر، أو أنها أسباب هي في نفسها مضرة تجلب النكد، ولا يحصل بها الغرض إلا نادرا.

ذلك أن الله فرق بين أمر التكوين"القدر" وبين أمر التشريع" الدين" أمر ونهي، فقدر أمورا وهو لا يحبها ولا يرضاها بأمر التكوين، وحرمها ونهى عنها وتوعد من يأتيها بأمر التشريع.

وقدَّر أمورا أخرى وهو يحبها ويرضاها ويريدها من عباده، فأرشد إليها بأمر التشريع، وقد يعين العبد على إتيانها من باب الإحسان.

فمن الأمر الأول: السحر والحسد والسرقة والغصب والربا والظلم والقتل والإفك وشهادة الزور وغيرها، ثبت أن كل هذه من المؤثرات في العالم بإذن الله تعالى قضى أن تكون مؤثرة ألا ترى أن الله قضى بالسحر كثيرا من أغراض النفوس الشريرة الخبيثة فمنهم من يطلبه للتفريق بين الزوجين، أو لإصابة عدوه بمرض أو لنيل شهوة ما، فيستعين بالسحر وغيره من الوسائل المحرمة شرعا.

وكذلك الرجل يسرق الطعام ويأكله فيحصل له به الشبع، وقد يصير غنيا بالسرقة والنهب أو بالربا، فهذه المطالب مع حصولها بهذه الوسائل المحرمة تكون على صاحبها وبالا يوم القيامة، ومجلبة للعذاب المقيم، وفي الدنيا من أسباب ضنك العيش، ومع ذلك هي أسباب مؤثرة يحصل بها التأثير فحصول التأثير بسبب ما ليس دليلا على مشروعية هذا السبب، فقط الدليل الشرعي هو الذي يجعله مشروعا.

قال تعالى: {وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ}"البقرة".

إن الذين يتعاطون السحر يعترفون بأنه لا ينفع في الآخرة، وانه كفر بما أنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم، وإنما يتشبثون بمنفعته في الدنيا لأنهم ممن لا يرجون لله وقارا، ولا يخافون يوما عبوسا قمطريرا.

فهؤلاء يفعلون ما يضرهم ولا ينفعهم، لأن ما يحصل لهم من هذا العمل إذا قدر أنه يحصل لهم منفعة في الدنيا قليلة حقيرة هي بما ينالهم من العذاب يوم القيامة مضرة، وليست منفعة، ولذلك قال الله عن الذين يتعلمون السحر، أو يفعلونه: {وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ} "البقرة".

فإذا لم تكن حصول المنفعة بالسحر دليلا على مشروعيته وحسنه بالاتفاق، لم تكن استجابة الدعاء عند القبور وقد نهى عنه الشرع دليلا على مشروعيته وحسنه.

وقوله تعالى عن السحر: {وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ

خَلَاقٍ}"البقرة" يقتضي أنه مما لا ينفع في الآخرة، ولا يحصل به إلا بعض المطالب الدنيوية، فلا يوجد من يطلب الإيمان والتقوى واليقين والإخلاص باستعمال السحر والتمائم، لأنهم علموا أنه لا أثر له في الآخرة، فهو من الأمور التي قدرها الله في الدنيا وجعلها مؤثرة بإذنه وهو لا يحبها ولا يرضاها، فكل ما أخبر الله عنه أنه لا يحبه ولا يرضاه فإنه مما لا ينفع في الآخرة.

فثبت أن كون الشيء قدره الله وقضاه وخلقه لا يقتضي أنه يحبه ويرضاه، فالله قدر الكفر والشرك والظلم ومع ذلك لا يحبها ولا يرضاها.

فليس كون الشيء مقدرا يعني أنه مطلوب للعبد ومستحب له، فكذلك قدَّر الله الربا والسرقة والزنا والخمر والميسر ومع ذلك نهى عنها، وتوعد عليها، مع أنها يحصل بها فائدة ومنفعة لأصحابها.

فلو عبدنا الله بما ثبت أنه نافع مؤثر ولم نلتفت إلى الإرادة والأمر الشرعيين لدعانا ذلك إلى أكل الخنزير وشرب الخمر والسرقة والتعامل بالربا والبيوع المحرمة لما يحصل لنا بها من المنافع والفوائد كما هو مشاهد في المجتمعات التي تستحل ذلك، ولكن لما نهى الله عنها علمنا أن مفسدتها أرجح من نفعها بأضعاف مضاعفة.

وكذلك الدعاء عند القبور فإنه وإن حصل به بعض الغرض فإن مضرته أعظم لما تنطوي عليه من مفاسد دنيوية وأخروية.

تعظيم مقام النبوة كاف لنجاة العبد من الشرك:

الذي يجب على المسلم اعتقاده للنجاة من الشرك أو البدع بكل أصنافها أن ما نهانا عنه الله ورسوله لا يصلح لنا في الدنيا والآخرة، وليس علينا أن نعرف مفسدته على وجه التفصيل والتخصيص، ولكن علينا أن ننتهي عنه استجابة لله وللرسول، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ}"الأنفال".

فليس على المؤمن ولا له أن يطلب من الرسول تبيين وجوه المفاسد، وإنما عليه طاعته، قال الله تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ}"النساء"، وقال: {مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ}"النساء"، وقال: {وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا}"النور".

فتصديق النبي صلى الله عليه وسلم يوجب توقيره ومحبته محبة مقدمة على النفس والمال والأهل والشيوخ والمذهب، وإيثار طاعته ومتابعة سنته، ومن لم تكن له بصيرة يدرك بها الفاسد الناشئ من هذا الدعاء البدعي فيكفيه أن يقلد الرسول صلى

الله عليه وسلم، فإنه لم يفعله، ولا ندب إليه.
فتعظيم مقام النبوة يقتضي منا أن ننظر فيما جاء عن نبينا صلى الله عليه وسلم إن كان هو وأصحابه يتحرون الدعاء عند القبور كما يفعل الناس اليوم، فما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم أو فعله أصحابه فعلناه، وما اجتنبه اجتنبناه، هذا إن أردنا أن نكون موافقين له ومتبعين، أما أن نعكس الأمر فسنكون مخالفين له.
والوعد بسعادة الدنيا والآخرة، والوعيد بشقاء الدنيا والآخرة معلق بطاعته فطاعته هي الصراط المستقيم، وهي حبل الله المتين، وهي العروة الوثقى".
فليس لأحد سبيل إلى رضا الله وكرامته و رحمته إلا الإيمان بمحمد صلى الله عليه و سلم و إتباعه،فإن الله أرسله برسالة عامة إلى جميع الثقلين في جميع أمور الدين الباطنة و الظاهرة بشرائع الإسلام و حقائق الإيمان إلى علمائهم و عبادهم و ملوكهم وسوقتهم، فليس لأحد و إن عظم علمه و عبادته و ملكه و سلطانه أن يعدل عما جاء به الرسول صلى الله عليه و سلم إلى ما يخالفه في شيء من الأمور الدينية باطنها و ظاهرها و شرائعها و حقائقها بل على جميع الخلق أن يتبعوه و يسلموا لحكمه قال تعالى:{ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا }"النساء"
فأعظم عاصم من الزلل و الخطأ إعطاء مقام النبوة حقه من التجريد و الفهم، قال النبي صلى الله عليه و سلم: ((إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ قَبْلِي إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتَهُ عَلَى خَيْرِ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ، وَيُنْذِرَهُمْ شَرَّ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ، وَإِنَّ أُمَّتَكُمْ هَذِهِ جُعِلَ عَافِيَتُهَا فِي أَوَّلِهَا، وَسَيُصِيبُ آخِرَهَا بَلَاءٌ، وَأُمُورٌ تُنْكِرُونَهَا، وَتَجِيءُ فِتْنَةٌ فَيُرَقِّقُ بَعْضُهَا بَعْضًا، وَتَجِيءُ الْفِتْنَةُ فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: هَذِهِ مُهْلِكَتِي، ثُمَّ تَنْكَشِفُ وَتَجِيءُ الْفِتْنَةُ، فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: هَذِهِ هَذِهِ، فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُزَحْزَحَ عَنِ النَّارِ، وَيُدْخَلَ الْجَنَّةَ، فَلْتَأْتِهِ مَنِيَّتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَلْيَأْتِ إِلَى النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ، وَمَنْ بَايَعَ إِمَامًا فَأَعْطَاهُ صَفْقَةَ يَدِهِ، وَثَمَرَةَ قَلْبِهِ، فَلْيُطِعْهُ إِنِ اسْتَطَاعَ، فَإِنْ جَاءَ آخَرُ يُنَازِعُهُ فَاضْرِبُوا عُنُقَ الْآخَرِ)) رواه مسلم في صحيحه.
وقال أبو ذر ـ رضي الله عنه ـ: ((لَقَدْ تَرَكَنَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَا يُحَرِّكُ طَائِرٌ جَنَاحَيْهِ فِي السَّمَاءِ إِلَّا أَذْكَرَنَا مِنْهُ عِلْمًا)) أحمد، ضعيف له شواهد صحيحة]
قال عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ: ((قَامَ فِينَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

مَقَامًا، مَا تَرَكَ شَيْئًا يَكُونُ فِي مَقَامِهِ ذَلِكَ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ، إِلَّا حَدَّثَ بِهِ» ، حَفِظَهُ مَنْ حَفِظَهُ وَنَسِيَهُ مَنْ نَسِيَهُ، قَدْ عَلِمَهُ أَصْحَابِي هَؤُلَاءِ، وَإِنَّهُ لَيَكُونُ مِنْهُ الشَّيْءُ قَدْ نَسِيتُهُ فَأَرَاهُ فَأَذْكُرُهُ، كَمَا يَذْكُرُ الرَّجُلُ وَجْهَ الرَّجُلِ إِذَا غَابَ عَنْهُ، ثُمَّ إِذَا رَآهُ عَرَفَهُ)) البخاري في صحيحه ومسلم عن حذيفة بلفظ مقارب.

"تجريد التوحيد هو الإقبال على الله دون ما سواه بحيث يكون حنيفا له، مخلصا له الدين، لا يحب شيئا إلا له ، ولا يتوكل إلا عليه، ولا يوالي إلا فيه، ولا يعادي إلا فيه، و لا يسال إلا إياه ،و لا يرجو إلا إياه، ولا يخاف إلا إياه ؛ يعبده و يستعين به بحيث يكون عند الحق بلا خلق ،و عند الخلق بلا هوى؛ قد فنيت عنه إرادة ما سواه بإرادته، ومحبة ما سواه بمحبته وخوف ما سواه بخوفه، ورجاء ما سواه برجائه، ودعاء ما سواه بدعائه، وهذا أمر لا يعرف بالذوق و الوجد إلا من له نصيب، وما من مؤمن إلا له منه نصيب " السلوك 10/335

فصل ابن تيمية هذه المسألة في الاقتضاء في 2/195.

بعد العيد إن شاء الله تعالى نختصر لكم مسألة " النهي عن التشبه بالكفار..... "

على أي أساس وبأي معيار تقيم المقالات والمنشورات التي تقرأها على الفيسبوك؟

....

هل تعجبك التي تحلل وتنتقد الماجريات؟

أم التي تقص عليك تجربة؟

أم التي تحرر لك محل نزاع علمي ديني أو فكري؟

....

هل تعجبك لأنها :

1 _ عملية مكتوبة لتقرأ وتفهم من أكبر عدد؟

2 _ بسيطة حتى لو كان الموضوع مدببا، لا تحتاج لمعجم، ولا لما يخفف وجع الراس؟

3 _ معلوماتها جديدة عليك ؟

4 _ تستعمل كلمات كل يوم، بعيدة عن العبارات الفخمة، عن الأكاديمية والعبارات التقنية؟

5 _ تشعر أنها تتحدث معك؟
6 _ الأسلوب جمل قصيرة؟
7 _ تناسب كل الأجيال تجد فيها حاجتها؟
8 _ مهذبة بلغة راقية ؟
9 _ بصوت يأمر وينهي، بدون لف ودوران، الخطوط واضحة والصفوف متميزة؟

صدمة الحق!

....

عندما نواجه بالحق من غيرنا فإن ذلك يصدمنا ويثير فينا حزمة مشاعر سلبية وربما عزة بالإثم!

وهذا أمر يجب أن نعرفه ونقر به حتى لا نهلك أنفسنا بالكذب عليها،فإن الناس الذين يقبلون الحق بعفوية في اللحظة قلة قليلة في عالم البشر.

يصدمنا الحق لأن ما نكون عليه من حال وقال هو جزء من هويتنا الشخصية التي نعتقد في باطننا أنها الهوية الحق ،و أنها تكونت فينا بعلم وقناعة ويقين.

وحتى لا نخسر أنفسنا ونورث نفاقا فالحل أن نعرض عن الموضوع، نلتزم الصمت ونعرض، نترك لنفوسنا وقتا للهدوء، وللضمير فرصة لمخاطبتها و مراجعتها،فالإعراض الظرفي _ لأنه في هذه الحالة رفض من دون معاداة وبغض _ هو خير من الجحود الذي يقود إلى العناد و التشغيب ،وربما الاغارة على النصوص الشرعية بتاويلات سخيفة توقعنا في الكذب!

يجب على المسلم أن يحتقر لنفسه بناء القناعة على الكذب، وعلى ما يعلم في قرارة نفسه أنه باطل وتشغيب وشبهات فإنه لن يجني إلا فضح نفسه أمام العقلاء الأسوياء ،و أخطر من ذلك مقت ربه، و إن أشعره الجهلة أو رفقة السوء بنشوة ما !

يتقي المسلم ربه باطنا وظاهرا إما خوفا، و إما حياء، و إما محبة(على قول المحاسبي) ، لا يوجد سبب ثالث و أحق ما يجب أن نلتزم به بالتقوى عالم العلم والفكر فإنه إمام العمل و أثره على الناس لا يحصيه إلا الله.

ابتغ الحق لا المغالبة، و احرص على الإقناع بالأدلة الحق التي تعلم من نفسك انها

حق، وليس تشويه مخالف مذهبك .
لا تكن معجبا برأيك عاشقا لصنمك فإن مصير الأصنام الحطام.
ومهما كذب الإنسان فإن فطرته تكره الكذب ولذلك لا يجذب النفوس إلا الصدق.
ومع علمي أن من اجتمعت فيه هذه القاذورات لا ينكأ فيه الكلام لأنه شبه ميت أطمع أن يصلح الله حالنا ويخلص باطننا من هذه الأمراض المهلكة.
ما النفس بدون تقى في السر إلا حفرة مخلفات.

لا يجب أن نطلب النقد ولو بتوليد البغلة !

لو قام السميد بمقصد زكاة الفطر لما كانت جبال الخبز تجمع للبهائم بدون ثمن !

إذا كان على العلل و المقاصد فقد تكلمنا فيها من سنوات فأجمل.لو قام السميد بمقصد زكاة الفطر لما كانت جبال الخبز تجمع للبهائم بدون ثمن !
إذا كان على العلل و المقاصد فقد تكلمنا فيها من سنوات فأجمل.

طرق الطالبين الوصول إلى الله تعالى؟

....

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.
لأننا تشبعنا بنموذج فكري غير قرآني محيط بنا من كل جهة يصعب علينا أن نفهم أن العلم واليقين في الإيمان وفي ذكر الله وخشيته.
نعم؛ نقرأ آيات وأحاديث تنضح بذلك لكن في الحقيقة نحن غير قادرين على استيعابه والجزم به بعلم لأن العلم الذي نعرفه هو مقدمات وتلازم منطقي واستدلال وتحليل وتركيب وقياس واستنباط ومقارنة ومصطلحات خاصة، يعني العلم عندنا مفاهيم وإجراءات ومعرفة المفردات والمركبات وتفريعات قابلة للمقايسة ... الخ
لذا ندفع بهذه المقررات القرآنية المؤسسة إلى هوامش عقولنا بعيدا عن مركزها الذي يصنع التفكير حيث تبقى تطفو في لا مكان، لا تجد أي تطبيق لها فعلي في تأسيس تفكيرنا، نقبل وجودها في تلك الوضعية عاطلة عن العمل لمهابة النص في أنفسنا فقط.

الدعوة إلى الكتاب والسنة دعوة مجملة لأنه لا نتصور عالما معتبرا أو طالب علم صحيح الإيمان لا يكون هذا قصده وعمله لأنها عودة للنصوص وهي عظيمة عند المنتسبين للسنة فكيف وقع اختلاف التناقض والتضاد.

الحاجة اليوم ليست فقط في العودة إلى الكتاب والسنة يعني: تخليص عقائدنا وأعمالنا مما يكون قد لحقها من البدع أو لتلقي الأحكام منهما بل إلى العودة اليهما كطريق للتفكير.

فمن أين يبدأ المسلم طريق العلم طريق طلب الله والدار الاخرة هل يبدا بطريق الذوق والتجرد أم بطريق النظر؟ وبأي منهج معرفي شامل يدرس العلوم الشرعية المختلفة؟ تكلم ابن تيمية ـ رحمه الله ـ عنه هذه المسائل في عدة مواضع من كتبه منها القاعدة المسماة "تمهيد الأوائل وتقرير الدلائل " وهي في جزء توحيد الربوبية من المجموع المجلد الثاني من الصفحة 2 إلى الصفحة 97 تقريبا وخصها بالكلام عن أصل العلم الإلهي وطرق الطالبين ثم بيان الفرق بين المنهج النبوي الإيماني العلمي الصلاحي ومناهج الفلاسفة وما تشعب منها كالمنهج الكلامي والعبادي المخالف لسبيل الأنبياء وسنتهم كما قال.

وفي المجلد 7من مجموع الفتاوى شرع في تفصيل قضية الإيمان وعلاقته بالعلم، وإليك مجمل التصور أحيانا أصوغه ببعض التصرف وأحيانا أنقل لفظ ابن تيمية.

أولا: لابد لطالب العلم من تسليم وتقليد في بدايته، والتسليم للنصوص وتقليد من علمه الآثار النبوية لا شك انه خير من التسليم والتقليد لمن علمه ذوق ورأي.

واللازم من هذه المقابلة السريعة بين التسليم للنص والتسليم للذوق والنظر أنه على المسلم النبيه أن ينطلق في طلب العلم باستيعاب العقائد السلفية والآثار السنية تسليما بصدق المخبر بها، وأنها الوحي الذي لا يأتيه الباطل من أي جهة، فالبداية بهذا غير أن يبدأ بهذه العلوم التي أساسها عقلي مجرد، أو وجدي مجرد عن المقدمة الإيمانية.

ثانيا: هذه المقدمات المسلمة التي ينطلق منها طالب العلم هذا هي مقدمات إيمانية مبنية على الطاعة والتسليم والذكر المستوجب للعلم والمعرفة.

وإذا كان النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي يعرف الحق في العقائد (معرفة الله وما يتفرع عنها من معرفة الوجود والنفس والدنيا والآخرة) وفي الأحكام (أوامر الله ونواهيه) فيلزم أن معرفة معرفته صلى الله عليه وسلم هي بمعرفة أخباره، ولا يكون

ذلك إلا بالسند الصحيح إليه (علوم الحديث).
قال أبو حمزة البغدادي: "من علم الطَّرِيق إِلَى الله سهل عَلَيْهِ سلوكه وَلَا دَلِيل على الطَّرِيق إِلَى الله إِلَّا مُتَابعَة الرَّسُول فِي أَحْوَاله وأقواله وأفعاله".
فلزم أن أول طرق العلم هو العلم بالسنة والآثار لأنه ما لا يتم معرفة الله ورسوله إلا به فهو مقدم في المعرفة.
يعني بتعبير أدق: أن هذه الطريق مبنية على مقدمة إيمانية علمية، ليست مقدمة وجدية صوفية بحتة، ولا مقدمة عقلية كلامية صرفه، مفادها أن ذكر الله يمنح الإيمان، وهو أصل الإيمان.
وإذا كان الله سبحانه هو رب كل شيء ومليكه، وهو معلم كل علم وواهبه، فكما أن نفسه أصل لكل شيء موجود، فذكره والعلم به أصل لكل علم.
وكل انحراف في العبادة وقع في الأمة فسببه انحراف في مفهوم التوحيد وبالضبط المفهوم الكلامي للتوحيد ثم الضعف في العلم بالسنة.
ولن يكتمل علمك أو يكون له نفاذ إلا بمعرفة ما قاله الناس مسلمهم وكافرهم في هذا الباب لكن كيف يمكنك الحكم وبأي معيار على كلام الناس إن لم يكن بالنظر في المعاني الموافقة للرسول والمعاني المخالفة لها.
يعني: يلزمك معرفة ما جاء به الرسول ابتداء وانتهاءً سواء لصلاح نفسك أو لصلاح الناس.
ومعلوم أن كلام الناس نوعان: نوع موجود في كلام الله ورسوله، ونوع غير موجود في كلام الله ورسوله.
فمنهج أهل السنة والحديث أصحاب الطريق القرآني يتعرف أولا على معنى الأول ويجعله هو الأصل، ثم يعرف ماذا يعني الناس بالثاني فيرده إلى الأول، وهو ما نسميه " الاعتبار بالكتاب والسنة".
واما غيرهم فيصنعون العكس يجعلون الألفاظ والمصطلحات التي أحدثوها ومعانيها هي الأصل، وما قاله الله ورسوله تبعا لها، يعني: يردونها إلى معانيهم بالتأويل والتحريف، أو إن شئت يعتقدون آراءهم فإن ناقضتها النصوص جعلوها من المتشابه.
فأي الفريقين تريد أن تكون؟
ولهذا نجد هذا في دعوة الأنبياء؟

ـ الْأَنْبِيَاءَ عَلَيْهِمْ السَّلَامُ دَعَوْا النَّاسَ إلَى عِبَادَةِ اللَّهِ أَوَّلًا بِالْقَلْبِ وَاللِّسَانِ.
ـ وَعِبَادَتُهُ مُتَضَمِّنَةٌ لِمَعْرِفَتِهِ وَذِكْرِهِ = فَأَصْلُ عِلْمِهِمْ وَعَمَلِهِمْ: هُوَ الْعِلْمُ بِاَللَّهِ وَالْعَمَلُ لِلَّهِ (فطري)
ـ أَصْلُ الْعِلْمِ الْإِلَهِيِّ فِطْرِيٌّ ضَرُورِيٌّ (كماله = تفاصيله في الوحي)

الدليل الشرعي على هذا:
(1) ـ النُّصُوصُ الْإِلَهِيَّةُ أثبتت أَنَّهُ بِالْإِيمَانِ يَخْرُجُ النَّاسُ مِنْ الظُّلُمَاتِ إلَى النُّورِ (العلم في الإيمان)
(2) ـ وصفت الْمُؤْمِن ـ وَهُوَ الْمُقِرُّ بِرَبِّهِ عِلْمًا وَعَمَلًا ـ بِالْحَيِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ وَالنُّورِ وَالظِّلِّ، والْكَافِرِ بِالْمَيِّتِ وَالْأَعْمَى وَالْأَصَمِّ وَالظُّلْمَةِ وَالْحَرُورِ.
(3) ـ وَقَالُوا فِي الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ: هُوَ الَّذِي إذَا ذُكِرَ اللَّهُ خَنَسَ وَإِذَا غُفِلَ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَسْوَسَ.
اللازم: 1 ـ أَنَّ ذِكْرَ اللَّهِ أَصْلٌ لِدَفْعِ الْوَسْوَاسِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {إنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ} وَقَالَ: {إنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ} وَقَالَ: {وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}
2 ـ الوسواس هُوَ مَبْدَأُ كُلِّ كُفْرٍ وَجَهْلٍ وَفِسْقٍ وَظُلْمٍ، يأتي الفطرة فيفسد التوحيد المغروس فيها ويخرب مبدأ الأخلاق والتشريع فَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ، عَنْ النَّبِيِّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ: ((قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: إنِّي خَلَقْت عِبَادِي حُنَفَاءَ فَاجْتَالَتْهُمْ الشَّيَاطِينُ وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْت لَهُمْ وَأَمَرَتْهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أُنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا)).
أصل العلم الإلهي ومبدأهُ ودليله الأول ـ بالنسبة للذين آمنوا ـ هو: الإيمان بالله ورسوله.
قال الله للرسول: {قُلْ إنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إلَيَّ رَبِّي} يعني: الضلال من نفسك بسبب ابتعادك عن التلقي عن الله، والهدى في وحي الله وحده.
3 ـ وَقَالَ: {وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى} وَقَالَ: {نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ} يعني: كل من لم يتلق العلم من

القرآن فهو غافل وضال.
4 ـ وَقَالَ: {وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا}.
واللازم: أن البداية بأي علم مهما كان لا يقود إلى الهدى، ولا يتحقق به المقصد لذا وجب أن يكون أول ما يبدأ به الإنسان هو علم الرسالة.
مقام النبوة:
ـ يشترك أهل الكلام وأهل الوجد والتجرد: في سلوك طرقهم ابتداء مجردة عن الإيمان بالله وبرسوله، مقتصرين على مجرد ما يحصله نظر القلب والعقل الموافق لما جاءت به الرسل تارة والمخالف له تارة أخرى، فمجرد النظر العقلي، ومجرد التجرد السلوكي مجرد تعبد عقلي دون النظر الشرعي والعمل الشرعي.
ـ الطرق الثلاث يقرون ببعثة الأنبياء ـــــــ يتعاملون مع مقام النبوة معاملة مختلفة:
1 ـ أهل الكلام: يعتبرون علم النبوة علما سمعيا نقليا لا يحمل في طياته الأدلة العقلية والبراهين المنطقية، ولذلك لابد عند توضيحه من الاستعانة بالطرق العقلية والحجاج عنه ببراهين العقل وطرق الجدال ـــــــ انتهوا إلى ما يعرفه كثير من الناس إلى التناقض والحيرة أو تكافؤ الأدلة.
كيف يتعاملون مع النصوص: ((الرازي يزعم أن الدليل اللفظي السمعي لا يفيد اليقين إلا بعشر شروط هي:1ـ عصمة رواة تلك الألفاظ، 2 ـ وإعرابها وتصريفها، 3 ـ وعدم الاشتراك ،4 ـ والمجاز ،5 ـ والنقل، 6 ـ والتخصيص بالأشخاص والأزمنة، 7 ـ وعدم الإضمار، 8 ـ والتقديم والتأخير، 9 ـ والنسخ، 10ـ وعدم المعارض العقلي))
ولو طبقنا هذه الشروط على كلامه هو لبطل كلامه!
أين أخفق الطريق العقلي المجرد: ـ ظن أصحاب طريق النظر والقياس والعقل أن العقل يفضي دائما إلى النتائج البرهانية، ولما وصل إلى حقائق الغيب توقف وعاد أدراجه إلى المنهج التجريبي عندما أدرك أن الغيب طور آخر لا مطمع للعقل أن يدركه أو يتجاوزه ـ لا يدرك إلا مجملات.
كيف انتقل أصحاب العقل إلى التجرد: ـ العقل أدرك إن جميع نظرياته مبنية على المعارف الضرورية التي يمده بها القلب، وأنه بدونها ينتهي إلى مرضه العضال وهو السفسطة ثم الوساوس.

البديهيات مغروسة في فطرة الإنسان فيعني أن أحداً قد غرسها وحرص على أن يكون للقلب دور في مسالك العلوم.
أدرك هذه الحقيقة ظن إن المعرفة القلبية طورا أعلى من المعرفة العقلية و لذلك أراد إن يستقل بها مهملا المعرفة العقلية، فانتهى به هو الآخر الأمر إلى تعظيم الوله و الحيرة و الجنون،إذ المعرفة القلبية معرفة وجدانية شعورية تقود غالبا إلى تعظيم المطلق و الكلي ، والقلب أعجز المسلكين عن تبرير العلل الفرعية و معرفة الأسباب العقلية التي لابد للإنسان منها لأعمار الأرض وتحقيق جانبه المادي ،فانتهى الأمر إلى الروحانية المفرطة التي أهملت الحياة و بإهمالها الحياة أهملت البناء الأساسي الذي تقوم عليه الروحانية .(التصوف الكشفي)
2 ـ أهل التجرد والوجد: ظنوا كأهل الكلام أن الأنبياء جاؤوا بعلوم لتنظيم العامة وأن النبوة طور معرفي من أطوار المعرفة القلبية (النبوة كسبية عند بعضهم)، ولذلك فإن ما يمكن أن يأخذ من النبي بواسطة السند يمكن إن يأخذ بواسطة الرياضة والتجرد أي الفيض والوجد.
3 ـ أهل الحديث والسنة:
1 ـ تيقنوا أن الأنبياء والمرسلين عرفوا الله بالوحي المعرفة التي هي حقيقة المعرفة الموافقة للحقيقة المطابقة لها، وعبدوه العبادة التي هي حق له بحسب ما منحهم، وعرفوا من خصوص الربوبية مالا يقوم به مجرد القياس النظري، ولا يناله مجرد الذوق الإرادي.
فهذه أم المقدمات العلمية وأساسها أي انحراف عنها يستلزم الباطل لا محالة، فمن اعتقد أن في النظر أو الوجد علما لم يعرفه الأنبياء فقد ضل سواء السبيل.
المقدمة الثانية: وهي صنو الأولى ولا تقل عنها أهمية: أنهم قد أخبروا بالمقدمة الأولى وبلغوها البلاغ الكامل التام الذي ليس بعده بلاغ.
فإذا عرف الأنبياء الحق في العقائد والأحكام وبلغوه كما عرفوه لزم أن معرفة هذا الحق متوقفة بالدرجة الأولى على معرفة أخبارهم، ولا يكون ذلك إلا بالسند أقصد بعلوم الحديث، فبها نعرف الحق الذي عرفه الأنبياء وأخبروا به، فلزم أن أول طرق العلم العلم بالسنة والآثار لأنه ما لا يتم معرفة الله ورسوله إلا به فهو مقدم في المعرفة.

فطريق أهل السنة مبني على مقدمة إيمانية علمية، ليست مقدمة وجدية صوفية بحتة، ولا مقدمة عقلية كلامية صرفه فذكر الله يعطي الإيمان وهو أصل الإيمان، والله سبحانه هو رب كل شيء ومليكه، وهو معلم كل علم وواهبه، فكما أن نفسه أصل لكل شيء موجود، فذكره والعلم به أصل لكل علم.

والقرآن يعطي العلم المفصل فيزيد الإيمان، كما عن جُنْدَبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْبَجَلِيِّ وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن عمرو بن العاص وغيرهم من الصحابة: ((كُنَّا عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غِلْمَانًا حَزَاوِرَةً (الغلام إذا اشتد وقوي وحزم)، تَعَلَّمْنَا الْإِيمَانَ قَبْلَ أَنْ نَتَعَلَّمَ الْقُرْآنَ، ثُمَّ تَعَلَّمْنَا الْقُرْآنَ فَازْدَدْنَا بِهِ إِيمَانًا)) أحمد، ابن ماجة وغيرهما.

وفي رواية حذيفة كما في (التمهيد): ((تَعَلَّمْنَا الْإِيمَانَ قَبْلَ أَنْ نَتَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَسَيَأْتِي قَوْمٌ فِي آخِرِ الزَّمَانِ يَتَعَلَّمُونَ الْقُرْآنَ قَبْلَ الْإِيمَانِ))

ولهذا كان أول ما نزل على النبي صلى الله عليه وسلم: {اقرأ باسم ربك الذي خلق} (العلق)، فأمره أن يقرأ باسم الله، فتضمن هذا الأمر بذكر الله، وما نزل من الحق، وقال: {خلق الإنسان من علق، اقرأ وربك الكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان مالم يعلم}.

فذكر سبحانه أنه خلق أكرم الأعيان الموجودة عموما وخصوصا وهو الإنسان، وأنه المعلم للعلم عموما وخصوصا للإنسان، وذكر التعليم بالقلم، الذي هو آخر المراتب ليستلزم تعليم القول، وتعليم العلم الذي في القلب.

وحقيقة الأمر أن العبد مفتقر إلى من يسأله من العلم والهدى، طالب سائل فبذكر الله والافتقار إليه يهديه الله ويدله، كما قال: "يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ"

ـ طريقا النظر والوجد كل منهما واجب ولا بد منه، ولا تتم السعادة إلا به فالأحوال الحاصلة مع عدم العقل ناقصة، والأقوال المخالفة للعقل باطلة، والرسل جاءت بما يعجز العقل عن دركه، لم تأت بما يعلم بالعقل امتناعه، لكن المسرفين فيه قضوا بوجوب أشياء وجوازها وامتناعها لحجج عقلية بزعمهم اعتقدوها حقا وهي باطل، وعارضوا بها النبوات وما جاءت به.

والمعرضون عنه صدقوا بأشياء باطلة ودخلوا في أحوال وأعمال فاسدة، وخرجوا

عن التمييز الذي فضل الله به بني آدم على غيرهم.
لكن النظر النافع أن يكون في دليل، فإن النظر في غير دليل لا يفيد العلم بالمدلول عليه، والدليل هو الموصل إلى المطلوب والمرشد إلى المقصود، والدليل التام هو الرسالة فيجب أن يكون النظر والوجد في الرسالة.
مصدر أصل الْعِلْمِ وَالْهُدَى:
1 ـ هُوَ الْإِيمَانُ بِالرِّسَالَةِ.
2 ـ الرسالة متضمنة للكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ.
3 ـ لهذا ربط الله طريق الهداية بالرسالة التي هي القرآن وما جاءت به الرسل وذكر ذلك كثيرا جدا كقوله: {ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ} وَقَوْلِهِ: {هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ}.
وَقَوْلِهِ: {إنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ} وَقَوْلِهِ: {وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ} وَقَوْلِهِ: {كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ} وَقَوْلِهِ: {فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى} وَقَوْلِهِ: {وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ صِرَاطِ اللَّهِ} وَقَالَ تَعَالَى: {وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ}.
اللازم: ـ أن آيات الله والرسول تمنعُ الكفر.
4 ـ كذلك حصر حصول الهداية والفلاح للمؤمنين دون غيرهم، كما في سورة البقرة: {هُدًى لِلْمُتَّقِينَ} الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ} الْآيَةَ ثُمَّ ذَمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَالَّذِينَ نَافَقُوا.
8 ـ أخبرأن كل أمة من البشرية اهتدت فبشرط ذلك، لا يمكن حصول هداية بدون إيمان كما في قوله: {إنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا}.
لماذا أمر أولا بالإيمان والعبادة؟
1 ـ لم يأمر بإثبات وجود الله أو إثبات حدوث العالم: لأن الْإِقْرَارَ بِالصَّانِعِ فِطْرِيٌّ ـ كَمَا قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: {كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ}.
2 ـ الْفِطْرَةُ تَتَضَمَّنُ الْإِقْرَارَ بِاَللَّهِ وَالْإِنَابَةَ إلَيْهِ، وَهذا مَعْنَى لَا إلَهَ إلَّا اللَّهُ؛ فَإِنَّ الْإِلَهَ هُوَ الَّذِي يُعْرَفُ وَيُعْبَدُ.

اللازم: أن الْمَقْصُودُ بِالدَّعْوَةِ:
1 ـ وُصُولَ الْعِبَادِ إلَى مَا خُلِقُوا لَهُ مِنْ عِبَادَةِ رَبِّهِمْ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ.
2 ـ وَالْعِبَادَةُ أَصْلُهَا: عِبَادَةُ الْقَلْبِ الْمُسْتَتْبِعِ لِلْجَوَارِحِ (فَإِنَّ الْقَلْبَ هُوَ الْمَلِكُ وَالْأَعْضَاءُ جُنُودُهُ، وَهُوَ الْمُضْغَةُ الَّذِي إذَا صَلَحَتْ صَلَحَ لَهَا سَائِرُ الْجَسَدِ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ لَهَا سَائِرُ الْجَسَدِ).
3 ـ ولا يحصل ذلك إلا بعلم القلب وحاله.
النتيجة: كَانَ هَذَا الْأَصْلُ الَّذِي هُوَ عِبَادَةُ اللَّهِ: بِمَعْرِفَتِهِ وَمَحَبَّتِهِ: هُوَ أَصْلُ الدَّعْوَةِ فِي الْقُرْآنِ، فَقَالَ تَعَالَى: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إلَّا لِيَعْبُدُونِ}.
العلاقة بين العلم والعمل في البراديجم الإسلامي:
1 ـ الْقُوَّةِ الْعِلْمِيَّةِ مَعَ الْعَمَلِيَّةِ بِمَنْزِلَةِ الْفَاعِلِ وَالْغَايَةِ (لا يوجد فعل بدون غاية)؛ وَلِهَذَا قِيلَ: الْعِلْمُ بِلَا عَمَلٍ كَالشَّجَرِ بِلَا ثَمَرٍ.
2 ـ وَالْمُرَادُ بِالْعَمَلِ هُنَا عَمَلُ الْقَلْبِ الَّذِي هُوَ إنَابَتُهُ إلَى اللَّهِ وَخَشْيَتُهُ لَهُ حَتَّى يَكُونَ عَابِدًا لَهُ.
وكذلك العبادة التامة فعل ما أمر به العبد وما جاءت به الرسل ، فالقرآن ذكر القوة النظرية العلمية والقوة الإرادية العملية ، كقوله تعالى:{ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا }(الفتح) {هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ} [التوبة] فالهدى كمال العلم، ودين الحق كمال العمل ، ويتوضح هذا الأمر بذكر مكانة العقل عند المتكلمة والمتصوفة وأهل السنة ، ثم ذكر كيف يكون النظر في الدليل الهادي.
النظر الصحيح يكون في دليل حق ليتنزه عن الباطل، فالنظر إن كان في دليل هاد كالقرآن والسنة وسلم من معارضات الشيطان من شبهات وشهوات تضمن العلم والهدى. أما إذا كان في دليل مضل، والناظر يعتقد صحته يدخل قلبه بعض الاعتقاد الفاسد إن النظر المفيد للعلم هو ما كان في دليل هاد، والدليل الهادي على العموم والإطلاق كتاب الله وسنة نبيه، فبذكر الله وما نزل الحق يحصل النفع والهدى في العلم.
النتيجة: 1ـ المقدمات المسلمة التي ينطلق منها السني السلفي: هي: المقدمات الإيمانية المبنية على الطاعة والتسليم، والذكر المستوجب للعلم والمعرفة.

2 ـ ينطلق المسلم في طلب العلم باستيعاب العقائد السلفية والآثار السنية تسليما بصدق المخبر بها، وأنها الوحي الذي لا يأتيه الباطل من أي جهة، هو الكفيل له بدرك ما يتفرع عن ذلك من علوم أخرى كأصول الفقه والفقه والسلوك وغيرها، غير أن يبدأ بهذه العلوم التي أساسها عقلي مجرد، أو وجدي مجرد عن المقدمة الإيمانية.

ـ طريقة أهل الحديث والسنة جامعة بين النظر في الدليل الهادي "الكتاب والسنة"، والعبادة بالعمل الشرعي "السلوك الشرعي" موصلة إلى عين المقصود، وغيرها من الطرق لا توصل إلا إلى نوع المقصود لا إلى عينه، فلم توافق الطريقة السلفية لا في الوسائل، ولا في المقاصد.

قال الله تعالى: {فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى} {سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَى} يعني: من يخشى الله يتذكر، وعليه فالتذكر هنا مستلزم لعبادته {هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ} وقال: {تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ}.

قال المفسرون في قوله: {سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَى} يعني سيتعظ بالقرآن من يخشى الله.

وفي قوله: {وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ} يعني: إنما يتعظ من يرجع إلى الطاعة.

واللازم أن الموعظة ثمرة للطاعة، والطاعة هي عبادة الله وذكره، فمن عبد الله وذكره حصل له اتعاظ بالقرآن ولا يكون الاتعاظ إلا إدراكا علميا لما يجب طلبه أو الهرب منه ذلك أن التذكر التام يستلزم التأثر بما تذكره، فإن تذكر محبوبا طلبه وإن تذكر مرهوبا هرب منه.

ولا يمكنه معرفة المحبوب إلا بعلم كما لا يمكنه معرفة المرهوب إلا بعلم ن فالعلم بأحدهما هو الذي يورث طلبه أو الهرب منه.

ولهذا يسمى هذا العلم " الداعي" ويقال: الداعي مع القدرة يستلزم وجود المقدور، وهو العلم بالمطلوب المستلزم لإرادة المعلوم المراد. هذا من موضع آخر 7/225

طرق الطالبين الوصول إلى الله تعالى؟

....

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.

لأننا تشبعنا بنموذج فكري غير قرآني محيط بنا من كل جهة يصعب علينا أن نفهم أن العلم واليقين في الإيمان وفي ذكر الله وخشيته.
نعم؛ نقرأ آيات وأحاديث تنضح بذلك لكن في الحقيقة نحن غير قادرين على استيعابه والجزم به بعلم لأن العلم الذي نعرفه هو مقدمات وتلازم منطقي واستدلال وتحليل وتركيب وقياس واستنباط ومقارنة ومصطلحات خاصة، يعني العلم عندنا مفاهيم وإجراءات ومعرفة المفردات والمركبات وتفريعات قابلة للمقايسة ... الخ
لذا ندفع بهذه المقررات القرآنية المؤسسة إلى هوامش عقولنا بعيدا عن مركزها الذي يصنع التفكير حيث تبقى تطفو في لا مكان، لا تجد أي تطبيق لها فعلي في تأسيس تفكيرنا، نقبل وجودها في تلك الوضعية عاطلة عن العمل لمهابة النص في أنفسنا فقط.
الدعوة إلى الكتاب والسنة دعوة مجملة لأنه لا نتصور عالما معتبرا أو طالب علم صحيح الإيمان لا يكون هذا قصده وعمله لأنها عودة للنصوص وهي عظيمة عند المنتسبين للسنة فكيف وقع اختلاف التناقض والتضاد.
الحاجة اليوم ليست فقط في العودة إلى الكتاب والسنة يعني: تخليص عقائدنا وأعمالنا مما يكون قد لحقها من البدع أو لتلقي الأحكام منهما بل إلى العودة اليهما كطريق للتفكير.
فمن أين يبدأ المسلم طريق العلم طريق طلب الله والدار الاخرة هل يبدا بطريق الذوق والتجرد أم بطريق النظر؟ وبأي منهج معرفي شامل يدرس العلوم الشرعية المختلفة؟
تكلم ابن تيمية ـ رحمه الله ـ عنه هذه المسائل في عدة مواضع من كتبه منها القاعدة المسماة "تمهيد الأوائل وتقرير الدلائل " وهي في جزء توحيد الربوبية من المجموع المجلد الثاني من الصفحة 2 إلى الصفحة 97 تقريبا وخصها بالكلام عن أصل العلم الإلهي وطرق الطالبين ثم بيان الفرق بين المنهج النبوي الإيماني العلمي الصلاحي ومناهج الفلاسفة وما تشعب منها كالمنهج الكلامي والعبادي المخالف لسبيل الأنبياء وسنتهم كما قال.
وفي المجلد 7من مجموع الفتاوى شرع في تفصيل قضية الإيمان وعلاقته بالعلم، وإليك مجمل التصور أحيانا أصوغه ببعض التصرف وأحيانا أنقل لفظ ابن تيمية.
أولا: لابد لطالب العلم من تسليم وتقليد في بدايته، والتسليم للنصوص وتقليد من علمه

الآثار النبوية لا شك انه خير من التسليم والتقليد لمن علمه ذوق ورأي.
واللازم من هذه المقابلة السريعة بين التسليم للنص والتسليم للذوق والنظر أنه على المسلم النبيه أن ينطلق في طلب العلم باستيعاب العقائد السلفية والآثار السنية تسليما بصدق المخبر بها، وأنها الوحي الذي لا يأتيه الباطل من أي جهة، فالبداية بهذا غير أن يبدأ بهذه العلوم التي أساسها عقلي مجرد، أو وجدي مجرد عن المقدمة الإيمانية.
ثانيا: هذه المقدمات المسلمة التي ينطلق منها طالب العلم هذا هي مقدمات إيمانية مبنية على الطاعة والتسليم والذكر المستوجب للعلم والمعرفة.
وإذا كان النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي يعرف الحق في العقائد (معرفة الله وما يتفرع عنها من معرفة الوجود والنفس والدنيا والآخرة) وفي الأحكام (أوامر الله ونواهيه) فيلزم أن معرفة معرفته صلى الله عليه وسلم هي بمعرفة أخباره، ولا يكون ذلك إلا بالسند الصحيح إليه (علوم الحديث).
قال أبو حمزة البغدادي: "من علم الطَّرِيق إِلَى الله سهل عَلَيْهِ سلوكه وَلَا دَلِيل على الطَّرِيق إِلَى الله إِلَّا مُتَابعَة الرَّسُول فِي أَحْوَاله وأقواله وأفعاله".
فلزم أن أول طرق العلم هو العلم بالسنة والآثار لأنه ما لا يتم معرفة الله ورسوله إلا به فهو مقدم في المعرفة.
يعني بتعبير أدق: أن هذه الطريق مبنية على مقدمة إيمانية علمية، ليست مقدمة وجدية صوفية بحتة، ولا مقدمة عقلية كلامية صرفه، مفادها أن ذكر الله يمنح الإيمان، وهو أصل الإيمان.
وإذا كان الله سبحانه هو رب كل شيء ومليكه، وهو معلم كل علم وواهبه، فكما أن نفسه أصل لكل شيء موجود، فذكره والعلم به أصل لكل علم.
وكل انحراف في العبادة وقع في الأمة فسببه انحراف في مفهوم التوحيد وبالضبط المفهوم الكلامي للتوحيد ثم الضعف في العلم بالسنة.
ولن يكتمل علمك أو يكون له نفاذ إلا بمعرفة ما قاله الناس مسلمهم وكافرهم في هذا الباب لكن كيف يمكنك الحكم وبأي معيار على كلام الناس إن لم يكن بالنظر في المعاني الموافقة للرسول والمعاني المخالفة لها.
يعني: يلزمك معرفة ما جاء به الرسول ابتداء وانتهاءً سواء لصلاح نفسك أو لصلاح الناس.

ومعلوم أن كلام الناس نوعان: نوع موجود في كلام الله ورسوله، ونوع غير موجود في كلام الله ورسوله.

فمنهج أهل السنة والحديث أصحاب الطريق القرآني يتعرف أولا على معنى الأول ويجعله هو الأصل، ثم يعرف ماذا يعني الناس بالثاني فيرده إلى الأول، وهو ما نسميه " الاعتبار بالكتاب والسنة".

واما غيرهم فيصنعون العكس يجعلون الألفاظ والمصطلحات التي أحدثوها ومعانيها هي الأصل، وما قاله الله ورسوله تبعا لها، يعني: يردونها إلى معانيهم بالتأويل والتحريف، أو إن شئت يعتقدون آراءهم فإن ناقضتها النصوص جعلوها من المتشابه.

فأي الفريقين تريد أن تكون؟

ولهذا نجد هذا في دعوة الأنبياء؟

ـ الْأَنْبِيَاءَ عَلَيْهِمْ السَّلَامُ دَعَوْا النَّاسَ إلَى عِبَادَةِ اللَّهِ أَوَّلًا بِالْقَلْبِ وَاللِّسَانِ.

ـ وَعِبَادَتُهُ مُتَضَمِّنَةٌ لِمَعْرِفَتِهِ وَذِكْرِهِ = فَأَصْلُ عِلْمِهِمْ وَعَمَلِهِمْ: هُوَ الْعِلْمُ بِاَللَّهِ وَالْعَمَلُ لِلَّهِ (فطري)

ـ أَصْلُ الْعِلْمِ الْإِلَهِيِّ فِطْرِيٌّ ضَرُورِيٌّ (كماله = تفاصيله في الوحي)

الدليل الشرعي على هذا:

(1) ـ النُّصُوصُ الْإِلَهِيَّةُ أثبتت أَنَّهُ بِالْإِيمَانِ يَخْرُجُ النَّاسُ مِنْ الظُّلُمَاتِ إلَى النُّورِ (العلم في الإيمان)

(2) ـ وصفت الْمُؤْمِن ـ وَهُوَ الْمُقِرُّ بِرَبِّهِ عِلْمًا وَعَمَلًا ـ بِالْحَيِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ وَالنُّورِ وَالظِّلِّ، والْكَافِرِ بِالْمَيِّتِ وَالْأَعْمَى وَالْأَصَمِّ وَالظُّلْمَةِ وَالْحَرُورِ.

(3) ـ وَقَالُوا فِي الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ: هُوَ الَّذِي إذَا ذُكِرَ اللَّهُ خَنَسَ وَإِذَا غُفِلَ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَسْوَسَ.

اللازم: 1 ـ أَنَّ ذِكْرَ اللَّهِ أَصْلٌ لِدَفْعِ الْوَسْوَاسِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {إنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ} وَقَالَ: {إنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ} وَقَالَ: {وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}

2 ـ الوسواس هُوَ مَبْدَأُ كُلِّ كُفْرٍ وَجَهْلٍ وَفِسْقٍ وَظُلْمٍ، يأتي الفطرة فيفسد التوحيد المغروس فيها ويخرب مبدأ الأخلاق والتشريع فَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ عِيَاضِ بْنِ

حِمَارٍ، عَنْ النَّبِيِّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ: ((قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: إنِّي خَلَقْت عِبَادِي حُنَفَاءَ فَاجْتَالَتْهُمْ الشَّيَاطِينُ وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْت لَهُمْ وَأَمَرَتْهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أُنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا)).

أصل العلم الإلهي ومبدأهُ ودليله الأول ـ بالنسبة للذين آمنوا ـ هو: الإيمان بالله ورسوله.

قال الله للرسول: {قُلْ إنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إلَيَّ رَبِّي} يعني: الضلال من نفسك بسبب ابتعادك عن التلقي عن الله، والهدى في وحي الله وحده.

3 ـ وَقَالَ: {وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى} وَقَالَ: {نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ} يعني: كل من لم يتلق العلم من القرآن فهو غافل وضال.

4 ـ وَقَالَ: {وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا}.

واللازم: أن البداية بأي علم مهما كان لا يقود إلى الهدى، ولا يتحقق به المقصد لذا وجب أن يكون أول ما يبدأ به الإنسان هو علم الرسالة.

مقام النبوة:

ـ يشترك أهل الكلام وأهل الوجد والتجرد: في سلوك طرقهم ابتداء مجردة عن الإيمان بالله وبرسوله، مقتصرين على مجرد ما يحصله نظر القلب والعقل الموافق لما جاءت به الرسل تارة والمخالف له تارة أخرى، فمجرد النظر العقلي، ومجرد التجرد السلوكي مجرد تعبد عقلي دون النظر الشرعي والعمل الشرعي.

ـ الطرق الثلاث يقرون ببعثة الأنبياء ـــــــ يتعاملون مع مقام النبوة معاملة مختلفة:

1 ـ أهل الكلام: يعتبرون علم النبوة علما سمعيا نقليا لا يحمل في طياته الأدلة العقلية والبراهين المنطقية، ولذلك لابد عند توضيحه من الاستعانة بالطرق العقلية والحجاج عنه ببراهين العقل وطرق الجدال ـــــــ انتهوا إلى ما يعرفه كثير من الناس إلى التناقض والحيرة أو تكافؤ الأدلة.

كيف يتعاملون مع النصوص: ((الرازي يزعم أن الدليل اللفظي السمعي لا يفيد اليقين إلا بعشر شروط هي:1- عصمة رواة تلك الألفاظ، 2 ـ وإعرابها وتصريفها، 3 ـ

وعدم الاشتراك ،4 ـ والمجاز ،5 ـ والنقل، 6 ـ والتخصيص بالأشخاص والأزمنة، 7 ـ وعدم الإضمار، 8 ـ والتقديم والتأخير، 9 ـ والنسخ، 10- وعدم المعارض العقلي))
ولو طبقنا هذه الشروط على كلامه هو لبطل كلامه!
أين أخفق الطريق العقلي المجرد: ـ ظن أصحاب طريق النظر والقياس والعقل أن العقل يفضي دائما إلى النتائج البرهانية، ولما وصل إلى حقائق الغيب توقف وعاد أدراجه إلى المنهج التجريبي عندما أدرك أن الغيب طور آخر لا مطمع للعقل أن يدركه أو يتجاوزه ــ لا يدرك إلا مجملات.
كيف انتقل أصحاب العقل إلى التجرد: ـ العقل أدرك إن جميع نظرياته مبنية على المعارف الضرورية التي يمده بها القلب، وأنه بدونها ينتهي إلى مرضه العضال وهو السفسطة ثم الوساوس.
البديهيات مغروسة في فطرة الإنسان فيعني أن أحداً قد غرسها وحرص على أن يكون للقلب دور في مسالك العلوم.
أدرك هذه الحقيقة ظن إن المعرفة القلبية طورا أعلى من المعرفة العقلية و لذلك أراد إن يستقل بها مهملا المعرفة العقلية، فانتهى به هو الآخر الأمر إلى تعظيم الوله و الحيرة و الجنون،إذ المعرفة القلبية معرفة وجدانية شعورية تقود غالبا إلى تعظيم المطلق و الكلي ، والقلب أعجز المسلكين عن تبرير العلل الفرعية و معرفة الأسباب العقلية التي لابد للإنسان منها لأعمار الأرض وتحقيق جانبه المادي ،فانتهى الأمر إلى الروحانية المفرطة التي أهملت الحياة و بإهمالها الحياة أهملت البناء الأساسي الذي تقوم عليه الروحانية .(التصوف الكشفي)
2 ـ أهل التجرد والوجد: ظنوا كأهل الكلام أن الأنبياء جاؤوا بعلوم لتنظيم العامة وأن النبوة طور معرفي من أطوار المعرفة القلبية (النبوة كسبية عند بعضهم)، ولذلك فإن ما يمكن أن يأخذ من النبي بواسطة السند يمكن إن يأخذ بواسطة الرياضة والتجرد أي الفيض والوجد.
3 ـ أهل الحديث والسنة:
1 ـ تيقنوا أن الأنبياء والمرسلين عرفوا الله بالوحي المعرفة التي هي حقيقة المعرفة الموافقة للحقيقة المطابقة لها، وعبدوه العبادة التي هي حق له بحسب ما منحهم،
وعرفوا من خصوص الربوبية مالا يقوم به مجرد القياس النظري، ولا يناله مجرد

الذوق الإرادي.
فهذه أم المقدمات العلمية وأساسها أي انحراف عنها يستلزم الباطل لا محالة، فمن اعتقد أن في النظر أو الوجد علما لم يعرفه الأنبياء فقد ضل سواء السبيل.
المقدمة الثانية: وهي صنو الأولى ولا تقل عنها أهمية: أنهم قد أخبروا بالمقدمة الأولى وبلغوها البلاغ الكامل التام الذي ليس بعده بلاغ.
فإذا عرف الأنبياء الحق في العقائد والأحكام وبلغوه كما عرفوه لزم أن معرفة هذا الحق متوقفة بالدرجة الأولى على معرفة أخبارهم، ولا يكون ذلك إلا بالسند أقصد بعلوم الحديث، فبها نعرف الحق الذي عرفه الأنبياء وأخبروا به، فلزم أن أول طرق العلم العلم بالسنة والآثار لأنه ما لا يتم معرفة الله ورسوله إلا به فهو مقدم في المعرفة.
فطريق أهل السنة مبني على مقدمة إيمانية علمية، ليست مقدمة وجدية صوفية بحتة، ولا مقدمة عقلية كلامية صرفه فذكر الله يعطي الإيمان وهو أصل الإيمان، والله سبحانه هو رب كل شيء ومليكه، وهو معلم كل علم وواهبه، فكما أن نفسه أصل لكل شيء موجود، فذكره والعلم به أصل لكل علم.
والقرآن يعطي العلم المفصل فيزيد الإيمان، كما عن جُنْدَبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْبَجَلِيِّ وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن عمرو بن العاص وغيرهم من الصحابة: ((كُنَّا عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غِلْمَانًا حَزَاوِرَةً (الغلام إذا اشتد وقوي وحزم)، تَعَلَّمْنَا الْإِيمَانَ قَبْلَ أَنْ نَتَعَلَّمَ الْقُرْآنَ، ثُمَّ تَعَلَّمْنَا الْقُرْآنَ فَازْدَدْنَا بِهِ إِيمَانًا)) أحمد، ابن ماجة وغيرهما.
وفي رواية حذيفة كما في (التمهيد): ((تَعَلَّمْنَا الْإِيمَانَ قَبْلَ أَنْ نَتَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَسَيَأْتِي قَوْمٌ فِي آخِرِ الزَّمَانِ يَتَعَلَّمُونَ الْقُرْآنَ قَبْلَ الْإِيمَانِ))
ولهذا كان أول ما نزل على النبي صلى الله عليه وسلم: {اقرأ باسم ربك الذي خلق} (العلق)، فأمره أن يقرأ باسم الله، فتضمن هذا الأمر بذكر الله، وما نزل من الحق، وقال: {خلق الإنسان من علق، اقرأ وربك الكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان مالم يعلم}.
فذكر سبحانه أنه خلق أكرم الأعيان الموجودة عموما وخصوصا وهو الإنسان، وأنه المعلم للعلم عموما وخصوصا للإنسان، وذكر التعليم بالقلم، الذي هو آخر المراتب

ليستلزم تعليم القول، وتعليم العلم الذي في القلب.
وحقيقة الأمر أن العبد مفتقر إلى من يسأله من العلم والهدى، طالب سائل فبذكر الله والافتقار إليه يهديه الله ويدله، كما قال: "يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ"

ـ طريقا النظر والوجد كل منهما واجب ولا بد منه، ولا تتم السعادة إلا به فالأحوال الحاصلة مع عدم العقل ناقصة، والأقوال المخالفة للعقل باطلة، والرسل جاءت بما يعجز العقل عن دركه، لم تأت بما يعلم بالعقل امتناعه، لكن المسرفين فيه قضوا بوجوب أشياء وجوازها وامتناعها لحجج عقلية بزعمهم اعتقدوها حقا وهي باطل، وعارضوا بها النبوات وما جاءت به.

والمعرضون عنه صدقوا بأشياء باطلة ودخلوا في أحوال وأعمال فاسدة، وخرجوا عن التمييز الذي فضل الله به بني آدم على غيرهم.

لكن النظر النافع أن يكون في دليل، فإن النظر في غير دليل لا يفيد العلم بالمدلول عليه، والدليل هو الموصل إلى المطلوب والمرشد إلى المقصود، والدليل التام هو الرسالة فيجب أن يكون النظر والوجد في الرسالة.

مصدر أصل الْعِلْمِ وَالْهُدَى:

1 ـ هُوَ الْإِيمَانُ بِالرِّسَالَةِ.

2 ـ الرسالة متضمنة للكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ.

3 ـ لهذا ربط الله طريق الهداية بالرسالة التي هي القرآن وما جاءت به الرسل وذكر ذلك كثيرا جدا كقوله: {ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ} وَقَوْلِهِ: {هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ}.

وَقَوْلِهِ: {إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ} وَقَوْلِهِ: {وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ} وَقَوْلِهِ: {كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ} وَقَوْلِهِ: {فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى} وَقَوْلِهِ: {وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ صِرَاطِ اللَّهِ} وَقَالَ تَعَالَى: {وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ}.

اللازم: ـ أن آيات الله والرسول تمنعُ الكفر.

4 ـ كذلك حصر حصول الهداية والفلاح للمؤمنين دون غيرهم، كما في سورة البقرة: {هُدًى لِلْمُتَّقِينَ} الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ} الْآيَةَ ثُمَّ ذَمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَالَّذِينَ نَافَقُوا.

8 ـ أخبر أن كل أمة من البشرية اهتدت فبشرط ذلك، لا يمكن حصول هداية بدون إيمان كما في قوله: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا}.

لماذا أمر أولا بالإيمان والعبادة؟

1 ـ لم يأمر بإثبات وجود الله أو إثبات حدوث العالم: لأن الْإِقْرَارَ بِالصَّانِعِ فِطْرِيٌّ - كَمَا قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: {كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ}.

2 ـ الْفِطْرَةُ تَتَضَمَّنُ الْإِقْرَارَ بِاَللَّهِ وَالْإِنَابَةَ إلَيْهِ، وَهذا مَعْنَى لَا إلَهَ إلَّا اللَّهُ؛ فَإِنَّ الْإِلَهَ هُوَ الَّذِي يُعْرَفُ وَيُعْبَدُ.

اللازم: أن الْمَقْصُودُ بِالدَّعْوَةِ:

1 ـ وُصُولَ الْعِبَادِ إلَى مَا خُلِقُوا لَهُ مِنْ عِبَادَةِ رَبِّهِمْ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ.

2 ـ وَالْعِبَادَةُ أَصْلُهَا: عِبَادَةُ الْقَلْبِ الْمُسْتَتْبِعِ لِلْجَوَارِحِ (فَإِنَّ الْقَلْبَ هُوَ الْمَلِكُ وَالْأَعْضَاءُ جُنُودُهُ، وَهُوَ الْمُضْغَةُ الَّذِي إذَا صَلَحَتْ صَلَحَ لَهَا سَائِرُ الْجَسَدِ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ لَهَا سَائِرُ الْجَسَدِ).

3 ـ ولا يحصل ذلك إلا بعلم القلب وحاله.

النتيجة: كَانَ هَذَا الْأَصْلُ الَّذِي هُوَ عِبَادَةُ اللَّهِ: بِمَعْرِفَتِهِ وَمَحَبَّتِهِ: هُوَ أَصْلُ الدَّعْوَةِ فِي الْقُرْآنِ، فَقَالَ تَعَالَى: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إلَّا لِيَعْبُدُونِ}.

العلاقة بين العلم والعمل في البراديجم الإسلامي:

1 ـ الْقُوَّةِ الْعِلْمِيَّةِ مَعَ الْعَمَلِيَّةِ بِمَنْزِلَةِ الْفَاعِلِ وَالْغَايَةِ (لا يوجد فعل بدون غاية)؛ وَلِهَذَا قِيلَ: الْعِلْمُ بِلَا عَمَلٍ كَالشَّجَرِ بِلَا ثَمَرٍ.

2 ـ وَالْمُرَادُ بِالْعَمَلِ هُنَا عَمَلُ الْقَلْبِ الَّذِي هُوَ إنَابَتُهُ إلَى اللَّهِ وَخَشْيَتُهُ لَهُ حَتَّى يَكُونَ عَابِدًا لَهُ.

وكذلك العبادة التامة فعل ما أمر به العبد وما جاءت به الرسل ، فالقرآن ذكر القوة النظرية العلمية والقوة الإرادية العملية ، كقوله تعالى:{ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا }(الفتح) {هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ} [التوبة]

فالهدى كمال العلم، ودين الحق كمال العمل ، ويتوضح هذا الأمر بذكر مكانة العقل عند المتكلمة والمتصوفة وأهل السنة ، ثم ذكر كيف يكون النظر في الدليل الهادي.
النظر الصحيح يكون في دليل حق ليتنزه عن الباطل، فالنظر إن كان في دليل هاد كالقرآن والسنة وسلم من معارضات الشيطان من شبهات وشهوات تضمن العلم والهدى. أما إذا كان في دليل مضل، والناظر يعتقد صحته يدخل قلبه بعض الاعتقاد الفاسد إن النظر المفيد للعلم هو ما كان في دليل هاد، والدليل الهادي على العموم والإطلاق كتاب الله وسنة نبيه، فبذكر الله وما نزل الحق يحصل النفع والهدى في العلم.
النتيجة: 1ـ المقدمات المسلمة التي ينطلق منها السني السلفي: هي: المقدمات الإيمانية المبنية على الطاعة والتسليم، والذكر المستوجب للعلم والمعرفة.
2 ـ ينطلق المسلم في طلب العلم باستيعاب العقائد السلفية والآثار السنية تسليما بصدق المخبر بها، وأنها الوحي الذي لا يأتيه الباطل من أي جهة، هو الكفيل له بدرك ما يتفرع عن ذلك من علوم أخرى كأصول الفقه والفقه والسلوك وغيرها، غير أن يبدأ بهذه العلوم التي أساسها عقلي مجرد، أو وجدي مجرد عن المقدمة الإيمانية.
ـ طريقة أهل الحديث والسنة جامعة بين النظر في الدليل الهادي "الكتاب والسنة"، والعبادة بالعمل الشرعي "السلوك الشرعي" موصلة إلى عين المقصود، وغيرها من الطرق لا توصل إلا إلى نوع المقصود لا إلى عينه، فلم توافق الطريقة السلفية لا في الوسائل، ولا في المقاصد.
قال الله تعالى: {فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى} {سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَى} يعني: من يخشى الله يتذكر، وعليه فالتذكر هنا مستلزم لعبادته {هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ} وقال: {تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ}.
قال المفسرون في قوله: {سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَى} يعني سيتعظ بالقرآن من يخشى الله.
وفي قوله: {وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ} يعني: إنما يتعظ من يرجع إلى الطاعة.
واللازم أن الموعظة ثمرة للطاعة، والطاعة هي عبادة الله وذكره، فمن عبد الله وذكره حصل له اتعاظ بالقرآن ولا يكون الاتعاظ إلا إدراكا علميا لما يجب طلبه أو الهرب منه ذلك أن التذكر التام يستلزم التأثر بما تذكره، فإن تذكر محبوبا طلبه وإن تذكر مرهوبا هرب منه.

ولا يمكنه معرفة المحبوب إلا بعلم كما لا يمكنه معرفة المرهوب إلا بعلم ن فالعلم بأحدهما هو الذي يورث طلبه أو الهرب منه.
ولهذا يسمى هذا العلم " الداعي" ويقال: الداعي مع القدرة يستلزم وجود المقدور، وهو العلم بالمطلوب المستلزم لإرادة المعلوم المراد. هذا من موضع آخر 7/225

تمييع الدين (!)

....

بعض الناس لأنه يترخص في حياته لا يمكنه منع نفسه من الميل مع كل قول مبيح (!)
وقد يصير مميعا لدينه بطريقة شبه عفوية (!) أخصائيا في تجاهل الضوابط الشرعية(!)
أستاذا في حياكة الشبهات الميتة (!)

....

والسؤال أي أنواع المميعين أنت (؟)

_ مميع عن وعي أم عن غير وعي(؟)
_ مميع لسبب اجتماعي يرى كل متمسك بالنصوص شخصا ضائعا في القشور،جاهلا بالواقع، علمه بدون فائدة، شريرا بدون رحمة(؟!)
_ مميع بسبب سياسي، فالمعركة تقتضي إذابة كل الحدود المعرفية والشرعية بين الحلفاء(؟)

....

دائما ما يجد المميع في التراث الفقهي المؤول حذاءً على مقاسه لكنه _ أيضا _ دائما بدون
رباط(!)

....

إذا كنت دائما من جهة الرخص القياسية ابتسم أنت مميع للدين محترف(!)

....

و إذا لم تكتشف كل نكهات التمييع فعند بعض المنتسبين للدعوة والفكر تمرينات تميعيية بديعة تعلمها قبل أن تموت(!)

حجج الترحم على الكافر؟!

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.

كل سقوط لنسمة إنسانية متزنة في قناعاتها، عاشت طيبة مع الناس، مساندة لحقوقهم يستدعي مواساة، وقد فطر الله عباده على الرحمة والرأفة فأشفق على من لا مواساة عنده.

وقد أدبنا الله سبحانه بأروع الآداب وأرشدنا إلى الرحمة فيما بيننا وإلى الشفقة، وجعل أحكام الآخرة لنفسه يحكم فيها بعلمه وعدله.

وقد جعل للدنيا أحكام السلم والحرب، وأحكام الموالاة والمعاداة، وحبب إلينا الإحسان ورغبنا في البر، وأوجب علينا العدل.

والاتزان أن نقدر على الجمع بين حفظ الحق الذي أعذر به ربنا سبحانه وتعالى وبلَّغه رسوله وبين ما لابد لنا منه من التراحم والمواساة، وحفظ حسنات الناس، والشهادة لهم بحق دون أن يغلب علينا اللين حتى نميّع الحق ونمحي حدوده، ونحدث دينا ما أنزل الله به من سلطان.

وعندما يكون الميت من غير أهل ملتنا فإن أهله لا يحتاجون منا ـ في باب الانفعال ـ أن نعطف عليه فنعطيه ما ليس من حقنا ولا من حقه، فقد استقرت الديانات ورسخت العقائد، وعرفت كل ملة أختها من قرون طويلة، ولكن أن نواسيهم في مصابهم بحق الأخوة أو القرابة أو الجورة ومثل ذلك فإن الوقت وقت حمولة عاطفية شديدة يحتاجون معها إلى كلمات دافئة وثقيلة المعنى في التعبير عن المواساة، وفي سعة

المعاني والعبارات التي أكرم بها الله عقلاء عباده ما يقوم بالغرض بأحسن طريق فيكفي المسلم أن يعزي في الكتابي ويذكره بخير ويشيد بفضائله، ويترك الترحم عليه إلى أهل ملته يترحمون عليه، ويحكمون له بما يوافق عقيدتهم.

وعليه؛ فهل يحق لمسلم أن يصف مقتولا كتابيا بأنه "شهيد الحرية أو القضية" وأن يترحم عليه؟

هذا ما سأبحثه في هذا المقال مستنيرا بما كتبه فضيلة الشيخ الدكتور علي قرة باغي في فتواه المعروفة، فإنه في نظري أحسن من كتب مدافعا عن موقف المجيز للترحم على موتى الكتابيين ووصفهم بـ" الشهيد" من حيث أني وجدته في تقديري أكثرهم تمسكا بالشريعة ورعاية لدلالة النصوص بخلاف من أغرق في التأويل المستكره للنصوص و آراء ضعيفة ، فإنه بارك الله فيه ـ وإن كان من هذا الفريق ـ رصَّع فتواه بقواعد أساسية تعد في حيثيات فتواه من الضوابط مثل: عدم جواز إطلاق لفظ "شهيد" إلا مقرونا مع صفة أخرى كـ "القضية والوطن والحرية" ليفهم أنه شهيد في الدنيا فقط دون الآخرة.

ومثل أن فتواه تخص ميزان الدنيا فقط، ولا تبحث أحكام الآخرة، ولا المصير إلى الجنة أو إلى النار.

وقد رد عليه غير واحد من الشيوخ الأفاضل ـ من الفريق الثاني ـ بما يمليه عليهم منصب العلم وحراسة دين المسلمين فحفظوا لإخوانهم مقام العلم وشهدوا لهم بالفضل فأجادوا، وذكروا أسباب المنع ومظان الاشتباه، وما عليه سلف الأمة وخلفها في هذا الموضوع.

ولهذا فليس في مقالي هذا زيادة علم على ما أصلُّوا وبيَّنوا ولكني أحببت الوقوف على بعض النقاط، وتحرير بعض الألفاظ، مؤكدا ـ كخلاصة للمقال ـ أنه لا يجوز بحال الترحم على غير المسلم بأي قصد واعتبار، وأنه لا يوجد أي دليل شرعي يجيز ذلك، وإنما وقع سوء فهم لبعض الأحاديث والتباس في الجمع بين النصوص، وهذا ما حرصت على بيانه دون أن نضرب النصوص بعضها ببعض.

يقول من أجاز الترحم على الكافر: الصحفية المقتولة شهيدة (!)

فإذا اعترض عليه قال: هي شهيدة الحرية والقضية والوطن(!)، ليست شهيدة بالمعنى الشرعي المشهور، ولكن الشريعة استعملت اللفظ استعمالات مختلفة فيجوز أن نقول:

"شهيدة الحرية"!
وهو هنا يستعين باللغة مزيلا كل الحدود بين اللغة المعجمية والمعنى الذي استقر عليه اللفظ عند المسلمين عندما يتعلق الأمر بالقتل.
لكنه في الوقت نفسه يسأل للنصرانية شهيدة الحرية الرحمة (!) فينتقل من وصف زعم أنه دنيوي خالص لا يترتب عليه أي حكم أخروي إلى أحكام الآخرة؟
وإذا قيل له: بأن طلب الرحمة للكفار لم يثبت به نص، وهو مناقض لأصول العقيدة الإسلامية قال: طلب الرحمة لها بمعنى تخفيف العذاب وليس غفرانا للكفر؛ فيكون قد جزم لها بدخول النار مع أنه يزعم أن ذلك من علم الغيب (!) كما أن طلب تخفيف العذاب عنها متعلق بأحكام الآخرة.
ويضيف: المسألة ليست كطلب المغفرة مختلف فيها فيكون قد جعل وقوع الاختلاف الضعيف مرجحا لذاته، وغاية ما عنده في هذه النقطة حديث أبي طالب وليس فيه حجة له.
لهذا يبدو لي أن فتوى الجواز رقعت بهذه الأسباب بعد صدورها لتبرير موقف لا لم يتقيد بالضوابط الشرعية كما يجب، والسياسة عنده أصل حاكم أو دافع عفوي، ولهذا فليس لهم في المسألة إلا أجوبة مضايق، قابلها رد فعل الطرف المقابل بزيادة فتدخل أمثال الدكتور لوضع النقاط على الحروف وتذكيرا بواجب العدل، وإليك التفصيل:
المسألة الأولى
قال فضيلة الدكتور قرة باغي: ((وكلامنا وفق الميزان لا يتعلق بكون الشخص من أهل الجنة، اومن أهل النار، فهذان معروفان حسب ميزانيهما، وإنما نتحدث عن ميزان التعامل في الدنيا))
قلت: هذا الكلام تغلب عليه الصحة، والمفروض أن يكون حاصرا لموقفنا عندما تتعلق القضية بأشخاص من غير ملتنا تجمعنا بهم قضايا تعاون على مصلحة عامة أو علاقة إنسانية ما من جورة أو قرابة او غير ذلك مما أجازته الشريعة وحثتنا فيه على المودة وحسن التعامل معهم وبرهم وغير ذلك.
ومن هذه القضايا التعزية على الموت ومواساتهم في مصابهم لكن الدكتور الفاضل غفل عن هذه القاعدة التوجيهية لأن دعاء الله بالرحمة لميت كتابي وتأويلها بتخفيف العذاب في القبر أو يوم القيامة هو من ميزان الأحكام في الآخرة وليس من ميزان

التعامل في الدنيا.
والمشكل أن بعض المتكلمين في المسألة من فريقه صاروا إلى قصد أمور أخروية، ولما اعترض عليهم إخوانهم نسجوا هذه الرقعة بخيط من الدنيا وخيط من الآخرة(!)
المسألة الثانية
قال فضيلة الدكتور قرة باغي: ((لفظ " شهد " ومشتقاته في أصل اللغة ليس خاصاً بالشهيد المقتول في سبيل الله، بل إن لفظ " شهيد" نفسه يطلق على الشاهد، والمقتول في اللغة، وكذلك في القرآن فقال تعالى {وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ} سورة البقرة: 282)).
قلت: كون لفظ " شهيد" يطلق في الشريعة (حتى لا نلمح بطريقة ما إلى التفريق بين القرآن والسنة) على من يقتل في سبيل الله، وعلى من يموت بأحد الأسباب التي عددها النص كالغرق والطاعون، وعلى الذي يخبر بما علم في قضية ـ والمستقر عليه في لغة الفقهاء وغيرهم تسميته بـ " الشاهد" حيث خصص استعمال اللفظ الأول" شهيد" بمن يقتل في سبيل الله أو بمن يموت وهو مسلم على حالة اعتبرتها الشريعة نوعا من الشهادة.
ويطلق كذلك على من غل أو فر من الزحف ـ بحسب تفصيل النووي ـ يعني هو مقتول في معركة في صفوف أهل الحق لكنه غل أو فر من الزحف لا علاقة لها بمحل النزاع.
وهذا من الانتشار في النقاش من غير طائل لأنه إذا حددت الشريعة استعمال اللفظ في هذه المعاني أو الحالات لا يجوز أن نحدث حالات أخرى فنقول: يجوز أن نطلق على من قتل في سبيل الحرية أو قضية عادلة أنه "شهيد" لأنه استعمل في الشريعة أو اللغة في معان محددة فيجوز أن نستعمله على ما نشاء من المعاني، فلم لا يجوز أن نستعمله على راقصة ، أوعلى من يموت في ملعب كرة قدم بسكتة قلبية فنسميه " شهيد الرياضة" وهكذا مثل: "شهيد الثقافة "و "شهيد الإنسانية" و "شهيد الفلاحة" و "شهيد الصناعة" و "شهيد التعليم" و "شهيد الفقراء" و "شهيد الطب" و "شهيد الطفولة" و" شهيد الصحافة" ... الخ مادام القياس مفتوحا بدون ضابط ؟ !
وقد علمنا يقينا أنه لا في الشريعة ولا في اللغة استعمل في وصف الكافر المقتول على قضية عادلة، فلزم أنه محدث في الاستعمال، ويوقع اللبس في الألفاظ الشرعية،

والأحكام الشرعية مثل سؤال الرحمة للكافر وتخفيف العذاب والتفريق بين الكفر والشرك لا تتبع مصطلحات الناس المحدثة.
فالمعنى لا يصح من هذه الجهة إذا المعهود والمتبادر في الذهن عند المسلمين أن هذا اللفظ عندما يطلق على مقتول نقصد الشهادة الشرعية، ولولا القدر المشترك بين الاستعمالين في ذهن المجيز- والذي يعني فضل هذه الموتة - لما قلتم لمن مات من الكفار على قضية عادلة بأنه" شهيد"، فلا معنى لاستعمال هذا اللفظ على مثل هذا إن لم تستشعروا فضل موتته.
وعليه يجب أن نستعمل الألفاظ التي استعملتها الشريعة في مواردها ولا يجوز التلاعب بتبديل المحل والمورد فإننا بهذا نزاحم اللفظ الشرعي المستقر عليه عند المسلمين في معنى واحد لأنه إذا خصص بمن يقتل في سبيل الله الذي ثبتت له أحكام شرعية دنيوية واخروية بحيث أن هذه الشهادة مرتبة في الصلاح والفضل، واستعملناه في نقيضه (مسلم/كافر) وقع اللبس.
ويحمل اللفظ على المشهور من معناه عند الناس خاصة إذا صدر عن أهل العلم وليس على المعاني المحدثة المستغربة أوالمنقرضة، والعبرة في معرفة المعنى المقصود بالاستعمال الحي وليس بالثبوت في المعاجم.
وكذلك الشهيد الذي مات من إحدى الأسباب التي حددها النص كالغرق والطاعون ليس حجة ولو ضعيفة لنجيز استعمال لفظ "الشهيد" على من مات كافرا في قضية عادلة لأن الصفات التي بني عليها الحكم بالشهادة خاصة محددة في النص لا يجوز أن ندخل أخرى، وهي لا تخص إلا المسلم، لا يدخل تحتها الكفار.
وبهذا يتبين لك أن قول الدكتور قرة باغي: ((فإطلاق العلماء لفظ الشهيد على من غل وسرق وأدبر دليل على جواز إطلاقه على شهداء الدنيا مثل شهيد الوطن، وشهيد القضية، أو الكلمة)) لا يسيغه أي منطق لا شرعي ولا لغوي إذ بحسب كلامه هذا يجوز أن نطلقه على أي شيء إذ هو محض اصطلاح واتفاق على الاستعمال في المورد الذي نشاء، وكيف لعاقل إذا عرف أن اللفظ استعمل عند العلماء في معنيين أو ثلاث مختلفين جاز لنا أن نستعمله على ما نشاء من المعاني؟
هنا يوجد نوع احتيال أو تداخل لأنه إذا أطلقه العلماء على حالة مذمومة وهي "الغل والفرار من الزحف" لم يكن القياس مبنيا على هذا إذ المناسبة اللغوية تقتضي أن

نطلقه قياسا على قاتل أطفال مثلا، فالمذموم يقاس على المذموم والمحمود يقاس على المحمود.

فقياس الدكتور مبني في الحقيقة على المعنى الشرعي المحمود وهو "الموت في سبيل الله" لأننا إذا أخذنا حالة الصحفية النصرانية المقتولة فهي صحيفة مقتدرة و مخلصة لقضية وطنها ـ بحسب أقوال الناس ـ وربما فاضلة في أخلاقها، وقتلها عدو غادر ظالم غاشم، وهي بعملها وجهدها تذود عن وطنها و أبناء شعبها ،فهذه لو كانت مسلمة لقلنا: لقد ماتت أشرف موتة يتمناها مؤمن (و أفضل الموت موت الشهداء)، ثم نصفها بأنها "شهيدة الوطن و القضية و الكلمة" فحتما الاشتراك لا يقع بين أوصافها هذه و أوصاف من غل و فر من الزحف، بل مع المسلم الذي يقاتل في سبيل الله لإعلاء كلمته فيقتل، فلزم أنهم قاسوا المعنى على هذا المعنى الأخير و احتجوا بالمعنى الأول " غل وفر"، يعني القصد شرعي و التبرير لغوي؟

ولو خاطبنا الناس بمثل هذا لم يفهم أحد منهم مرادنا في الحقيقة واتجه ذهنهم للمعنى الممنوع.

فإذا كان الاستعمال الذي ذهب إليه الدكتور منتفيا في الشريعة واللغة التي استعملها العلماء فمن أين له جواز استعماله في الترحم على كافر بالله وبرسوله فهذا من استعمال اللفظ المعروف معناه في معنى آخر غير معروف، وهذا اللفظ صار بهذا الاستعمال المحدث يستلزم بالضرورة أمورا مستورة!

المسألة الثالثة

قال فضيلة الدكتور قرة باغي: ((وبناءً على ذلك فإن استعمال لفظ (الشهيد) أو (الشهادة) ـ في اعرافنا- لمن قتل في سبيل وطنه او الحق أو الكلمة من غير المسلمين، أو لمن يقتل من المسلمين في غير سبيل الله صحيح وجائز ما دام أريد به أنه شهيد في الدنيا، ولم يرد به أنه شهيد في سبيل الله، أو أنه من أهل الجنة، أو أنه قتل في سبيل الله))

قلتُ: ما معنى انه "شهيد في الدنيا" هل نقصد مثلا الذي غل أو تولى عند الزحف نحكم له بأنه شهيد لكنه في الآخرة ليس كذلك لأن الله يحكم على البواطن، وقد اقترف ما يبطل قتاله وجهاده فهذا إذا علمنا حاله لم نقل ـ في الحقيقة ـ إنه شهيد، إذ الشهادة مرتبة إيمانية ولذلك الصحيح أننا لا نجزم بها إلا بنص.

وكون اللغة أو الاستعمال يحتمل أن نقول عنه بأنه شهيد في الدنيا، أي: له فضل هذه الصفة لأنه قاتل في صفوف المؤمنين وقتل على قضيتهم لكنه أرتكب ذنبا هو الغل أو فر من الزحف فليس له فضل هذه الصفة في الآخرة، فهنا مناسبة وسبب معقول نوعا ما لنصفه بانه شهيد في الدنيا فقط مع أنه ليس المستقر عليه عند العلماء.

وفي الحقيقة هذا الوصف بدون أي قيمة فعلية لأنه إذا كان عندنا مقاتلان في سبيل الله أحدهما قاتل بما يحبه الله ورسوله فقتل فهو شهيد في الدنيا والآخرة، وما وصفناه بأنه شهيد في الدنيا والاخرة إلا لفضل هذه الصفة وما ينبني عليها من مرتبة إيمانية وفضل.

واما الآخر فارتكب شيئا أبطل به جهاده فقلنا عنه بأنه شهيد في الدنيا والنصوص تنفي عنه استحقاق مرتبة الأول: شهيد في الدنيا وفي الآخرة، فماذا استفاد هذا الثاني من هذه الصفة ولم ترفعه عند الله ولا نال بها فضل الشهداء؟

لكننا نفهم وجه إمكانية تسميته بشهيد في الدنيا كأنه قام بنصف العمل فقط فهذا شيء وكون نصرانية مقتولة "شهيدة في الدنيا"شيء آخر لأنها فاقدة لشرط القياس وهو الإسلام ولأنه لا يوجد معنى محصل لنقول "شهيدة الدنيا" فأي فضل ـ في مقام الحمد أو الإشادة ـ لصفة لا قيمة لها في الآخرة ولا في الدنيا.

المسألة الرابعة

قال فضيلة الدكتور قرة باغي: ((لذلك عندما يقتل شخص دفاعاً عن وطنه أو كرامته أو نفسه فهو شهيد لهذا الغرض، فلو أطلق عليه شخص لفظ (الشهيد) بهذا الاعتبار لما خالف العقيدة ولا الكتاب ولا السنة، لأن الظاهر لا يقصد به أنه شهيد يدخل الجنة، أو في سبيل الله، لأن ذلك من علم الغيب، وعندئذ يجب أن يحمل كلام المؤمن على المحمل الصحيح المناسب مع عقيدته وواقعه، هذا هو منهج السلف الصالح، في حمل ما يصدر عن المسلم على المحمل الصحيح الحسن، حتى فيمن يظهر منه الكفر، فما ظنكم بالعالم، أو عامة المسلمين))

قلت: لا يوجد في العقيدة، ولا في الكتاب ولا في السنة، ولا في منهج السلف الصالح وصف الكافر الذي يموت مدافعا عن وطنه أو قضيته أنه شهيد، لا في الآخرة ولا في الدنيا، لذا لا يمكن حمل كلام المسلم الذي يطلق هذا الحكم المحمل الحسن لأنه محدث لا أصل له فيما سبق ذكره من مصادر إلا إذا اعترف بخطئه ولم يعاند بالجدال لأنه

أولا أطلق لفظا محدثا في هذا المعنى " شهيد القضية" و لأنه ثانيا: وصف من غير فائدة لأحد ، و ثالثا لأن الظاهر الذي ألحقه بهذا الوصف ـ بخلاف جزم الدكتور قرة باغي ـ يتعلق بعالم الغيب فهو يتحدث عن تخفيف العذاب والرحمة في الآخرة!
وما الحاجة إلى هذا الاستعمال المحدث الباطل لفظا ومعنى إذا لم يقتض أي فائدة مرجوة للمقتول ولا للحزين عليه فإذا قلتم: لا يتعلق بدخول الجنة وأنتم تتحدثون عن شخص أفضى إلى ربه فما ينفعه عند الله أن تقولوا هو "شهيد الحرية" و"شهيد في الدنيا"، وماذا ينفع أهله المكلومين كذلك في الدنيا، هل سنصبح مثل النصارى نوقد الشموع ونضع الزهور وننفخ في الأبواق تكريما للميت بأفعال لا تصله ولا تنفع الحي بعده؟ هذا لغو وعمل بدون فائدة لا يفعله عاقل!
المسألة الخامسة
قال فضيلة الدكتور قرة باغي: ((وفي القرآن نجد أن الرحمة ومشتقاتها وردت فيها مئات المرات، وأن هذه الرحمة شاملة في الدنيا للمسلم والكافر، وبخاصة من مات مؤمناً، وأنها شاملة لغير المؤمنين في بعض الأمور، فمثلاً إن دعاء سيدنا الرسول صلى الله عليه وسلم بالشفاعة العظمى يوم القيامة، واستجابة الله له يشملان جميع الناس في المحشر، وهذا محل اتفاق بين العلماء وأن هذا بلا شك جزء من الرحمة الإلهية))
قلت: في أرض المحشر يوجد جميع الناس مؤمنهم وكافرهم، ويقينا وبدون شك لو كان الكفار والمشركون وحدهم لما شفع لهم نبينا صلى الله عليه وسلم بتعجيل الحساب، فهو لا يشفع إلا في الموحدين كما جاء عند الطبري عن الزهري في قصة أبي طالب: " أَيْ عَمِّ إِنَّكَ ـ أَعْظَمُ النَّاسِ عَلَيَّ حَقًّا وَأَحْسَنُهُمْ عِنْدِي يَدًا فَقُلْ كَلِمَةً تَجِبُ لِي بِهَا الشَّفَاعَةُ فِيكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ".
فلزم بالضرورة أنه صلى الله عليه وسلم قصد الموحدين وأن غيرهم دخل بالتبعية.
وواضح من هذا الأمر أن النبي لا يقصد الشفاعة في الكفار والمشركين ولكن لما كان الحساب مشتركا استفادوا منه بالتبعية فلا يجوز ان يكون هذا دليلا، ولم يثبت فيه القصد على جواز سؤال الرحمة للكافر، خاصة وأنه في لفظ الدعاء " أمتي أمتي" فهو صلى الله عليه وسلم شفع لتعجيل الحساب لأمته وللمؤمنين وليس للجمع الذي دخل بالتبعية.

قال العراقي في " التثريب شرح التقريب" (3/113) وهو يتحدث عن شفاعة نبينا صلى الله عليه وسلم في الإراحة من هول الموقف وتعجيل الحساب: " أما الأولى فلا تختص بهم بل هي لإراحة الجمع كلهم وهي المقام المحمود (....) قلت يحتمل أن المراد الشفاعة العظمى التي للإراحة من هول الموقف وهي وإن كانت غير مختصة بهذه الأمة لكن هم الأصل فيها وغيرهم تبع لهم ولهذا كان اللفظ المنقول عن النبي - صلى الله عليه وسلم - فيها أنه «قال يا رب أمتي أمتي» فدعا فيهم فأجيبت وكان غيرهم تبعا لهم في ذلك".

ثم ما مدى نسبة هذه الفائدة (الرحمة) إلى العذاب المقيم لمن سيخلد في النار والأمور بعواقبها، وأي رحمة يعقبها عذاب مقيم هل يمكن أن نسميها رحمة؟

بتعبير آخر: تعجيل الحساب رحمة للمؤمنين فقط إذ من عذاب الانتظار سينتقلون إلى الجنة (الرحمة) بينما الكافر سينتقل من عذاب أهون إلى عذاب أشد (النار) فكيف يكون تعجيل الحساب رحمة له، فبدون شك لو علم ما ينتظره في النار لما استعجل بداية الحساب؟!

المسألة السادسة

قال فضيلة الدكتور علي قرة باغي: ((كما أن جماعة من الفقهاء منهم الإمام الحافظ الفقيه البيهقي يرون أن الأعمال الخيرة للكافر تنفعه في تخفيف عذابه، وليس في مغفرته، ويدل على ذلك دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم لتخفيف العذاب عن أبي طالب، حيث روى البخاري ومسلم وغيرهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((هو - أي أبو طالب - في ضحضاح من النار، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار)) رواه البخاري رقم (3883) مسلم (357)))

قلت: ليس في حديث أبي طالب حجة لما ذهب إليه البيهقي للأسباب التالية:

1 - لا يوجد فيه ذكر الرحمة ولا سؤالها ولكن تخفيف العذاب، وأن تسمية تخفيف العذاب رحمة غير دقيق ولا يطابق حقيقة واقعية والأولى تسميته " تخفيف العذاب" كما في النصوص لا يوجد في واحد منها أنه رحمة .

2 - الحديث يثبت شفاعة نبينا صلى الله عليه وسلم لعمه أبي طالب، ومثل هذه الشفاعة من خصائصه ففي الصحيحين واللفظ لمسلم أن العباس قال: ((عَمُّكَ أَبُو طَالِبٍ يَحُوطُكَ وَيَغْضَبُ لَكَ قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّهُ لَفِي ضَحْضَاحٍ مِنَ

النَّارِ، وَلَوْلَا أَنَا لَكَانَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ))
3 ـ ومن سياق الحديث نفهم أنها جزاء على ما أحاط به النبي صلى الله عليه وسلم من الرعاية والحماية والغضب له، وأن ذلك لن ينفعه إلا باعتبار عذاب غيره إذا كان عذابه في النار ضحضاح من نار إلى كعبيه يغلي منها دماغه فألم العذاب ثابت له، وهو أخف بالنسبة إلى ما يعذب به أهل الدرك الأسفل من النار.

ومعلوم أن الأمر النسبي اعتباري وإضافي ليس له حقيقة ذاتية فلو نظر من يعذب في الدرك الأسفل من النار إلى من يعذب هذا العذاب يرى أنه أهون من عذابه حتما لكن هل يستطيع أن يصفه بأنه مرحوم في هذا شك يدلنا عليه شعور الشخص المعني نفسه كما سيأتي؟

والمقصود أن تركيز إخواننا على قضية " تخفيف العذاب للكافر" كأنها شيء مفتوح لأي أحد، وأن هذا التخفيف رحمة، وكلنا يعرف ما هي الرحمة، وأنها في باب الألم والعذاب أن يزال، أو أن يكون مطاقا فمتى تمكن الإنسان من احتماله كان في ذلك بعض الراحة.

"ورحمة العباد رقة في القلب إذا وجدها الراحم من نفسه انعطف على المرحوم وانثنى عليه، ورحمة الله للعباد جود وفضل" ابن القيم، بدائع الفوائد 1/25

فهل الرحمة المقصودة هنا رحمة ذاتية لازمة للمرحوم بتخفيف العذاب أم بالنظر إلى عذاب غيره فقط، فإذا كان عذاب أبي طالب " فيجعل في ضحضاح من النار يبلغ كعبيه، يغلي منهما دماغه" هل هو من الرحمة بالاعتبار الأول أم بالاعتبار الثاني فقط.

والنبي صلى الله عليه وسلم لم يقل إن أبا طالب مرحوم ولكن قال: " إن أهون أهل النار عذاباً أبو طالب، وهو منتعل بنعلين من نار يغلي منهما دماغه". صحيح مسلم

فبهذا الحديث نفهم المقصود بتخفيف العذاب في النار، وكذلك من قوله صلى الله عليه وسلم كما في صحيح مسلم: ((إِنَّ أَهْوَنَ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا مَنْ لَهُ نَعْلَانِ وَشِرَاكَانِ مِنْ نَارٍ، يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ كَمَا يَغْلِ الْمِرْجَلُ، مَا يَرَى أَنَّ أَحَدًا أَشَدُّ مِنْهُ عَذَابًا وَإِنَّهُ لَأَهْوَنُهُمْ عَذَابًا))1/196

فهذا الحديث يشرح بصورة واضحة إن كان تخفيف العذاب في النار رحمة أم لا؟ إذ أخبرنا عن أخف عذاب أهل النار وقد يحتمل أن يستهين مؤمن به لقوله " أهون أهل

النار عذابا" ثم وصف لنا هذا العذاب فقال " نعلان وشراكان من نار يغلي منهما دماغه" يعني: لا يوجد أي شعور ببعض الراحة أو أن يكون الألم محتملا فكيف يكون هذا التخفيف رحمة؟

وعليه يمكن أن يظن طرف ثالث مثل شخص لا يزال في الدنيا أن هذا رحمة كما يمكن أن يظن من يعذب في الدرك الأسفل أن مثل هذا الشخص محظوظ أو مفضل لكن ما هو الحال والشعور بالنسبة للذي يعذب بهذا العذاب الخفيف؟

الجواب يقدمه لنا النبي صلى الله عليه وسلم عندما قال: " ما يرى أن أحدا أشد منه عذابا" فهو لا يرى أي رحمة في شدة عذابه ولشدته عليه وهوله يرى أنه لا يوجد في النار من هو أشد عذابا منه لكن في الحقيقة هو أخفهم عذابا.

إذن لا يتعلق الأمر بالرحمة ولكن بالعدل فنحن نعرف أنه يوجد في النار تفاوت في العذاب ويوجد فيها دركات يختلف العذاب فيها وبعض الناس أخف عذابا من غيرهم من دون شفاعة أحد أو دعاءه لأن جرمهم يقتضي عدلا تلك الشدة من العذاب وليس رحمة بهم بل عدلا فيهم أن يعذبوا بقدر جرمهم فلا يعذب المسلم كما يعذب الكافر ولا يعذب الكافر كما يعذب أئمة الكفر وهكذا الأمر من باب العدل وليس من باب الرحمة.

فمقتضى رحمة الله ومغفرته الجنة ومقتضى عذابه ونقمته النار والتفاوت في شدة العذاب من مقتضى عدله وقد قال: {نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ} [الحجر]

فكيف يكون مرحوما من لم يرفع ألمه، أو لم يجعل محتملا مطاقا له حتى يرى أنه أشد أهل النار عذابا وهو أخفهم عذابا في الحقيقة؟!

ولا أعتقد أنه يوجد في النار عذاب ألمه محتمل فالنار ليست حماما فيها مكان ساخن ومكان بارد، وما ذكره الله من تفاوت دركاتها حق فيعذب من يدخلها بقدر جرمه، والتفاوت فيها نسبية بين أهلها وليس نسبية بين عذاب أهلها ونعيم أهل الجنة، ولا يعني أنها مقتضى رحمة ما كأنها جنة في داخل النار، فكون عذاب أهل النار يتفاوت شيء، وكون ذلك رحمة ويستوجب الدعاء لهم بالرحمة شيء آخر، فحتى المسلم يدخل النار، وبدون شك ليس هو في مرتبة إبليس وفرعون والكفار المشركين والمنافقين في شدة العذاب.

ولتقريب الفهم أحيانا نقول للمريض الذي يتوجع خفف الله عنك ونقصد أن ينزل الألم

إلى درجة محتملة وهي الدرجة التي لا يخرج فيها الإنسان عن طوره حتى يطيش عقله ولا يكاد يهدأ وتراه فيها يصرخ ويدعو الله بأدعية لم تخطر على باله من قبل، فهذا التخفيف الذي يمكن أن نسميه رحمة وأما إذا كان في عذاب يغلي منه دماغه ويبلغ به الضر والألم أن يعتقد أنه أشد أهل النار عذابا وهو أخفهم في الحقيقة فلا أعتقد أنه يصح وصف هذا التخفيف بأنه رحمة.

وهذا التخفيف مخصص لقول الله عز وجل: {وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا} [فاطر]

وقد أخبرنا الله تعالى في القرآن عن الكفار والمشركين أنهم يطلبون الموت والخروج منها، ويطلبون تخفيف العذاب يوما فلا يجابون، وانهم ماكثون فيها ولا يموتون فيها: {وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ} [فاطر] وقال أيضا: {وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ قَالَ اخْسَأُوا فِيهَا وَلا تُكَلِّمُونِ}.

وقال تعالى: {إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ لا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ} [الزخرف]

فقال تعالى: {وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْماً مِنَ الْعَذَابِ قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلالٍ} [فاطر].

وقال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ خَالِدِينَ فِيهَا لا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلا هُمْ يُنْظَرُونَ} [البقرة].

وهكذا قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح "صحيح مسلم" عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "أما أهل النار الذين هم أهلها فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون".

وبالتالي.

هذا ظاهر في كونه خاصا بالنبي صلى الله عليه وسلم ليس لأحد من المسلمين أن يفعله، ليس أمرا مفتوحا لكل واحد، قال الحافظ في " فتح الباري" (8/507): " أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يترك الشفاعة له بل شفع له حتى خفف عنه العذاب

بالنسبة لغيره وكان ذلك من الخصائص في حقه (....) قوله "والله لأستغفرن لك ما لم أنه عنك" قال الزين بن المنير:" ليس المراد طلب المغفرة العامة والمسامحة بذنب الشرك وإنما المراد تخفيف العذاب عنه كما جاء مبينا في حديث آخر" قلت: وهي غفلة شديدة منه فإن الشفاعة لأبي طالب في تخفيف العذاب لم ترد وطلبها لم ينه عنه وإنما وقع النهي عن طلب المغفرة العامة وإنما ساغ ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم اقتداء بإبراهيم في ذلك ثم ورد نسخ ذلك كما سيأتي بيانه واضحا".

وهذا نوع من الشفاعة لا تنجي من عذاب الله ((ولو كان الشفيع أعظم الشفعاء جاهًا، فلا شفيع أعظم من محمد صلى الله عليه وسلم، ثم الخليل إبراهيم، وقد دعا الخليل إبراهيم لأبيه واستغفر له كما قال تعالى عنه: {رَبّنا اغْفرْ لي وَلوالدَيّ وللمُؤمنينَ يومَ يَقُومُ الحساب} [إبراهيم].

وقد كان صلى الله عليه وسلم أراد أن يستغفر لأبي طالب اقتداء بإبراهيم، وأراد بعض المسلمين أن يستغفر لبعض أقاربه فأنزل الله تعالى : {ما كان للنّبِيّ والذينَ آمَنُوا أنْ يَسْتَغْفِرُوا للمُشْرِكِينَ وَلَوْ كانُوا أولي قُرْبى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيّنَ لهُمْ أنهم أصْحَابُ الجحيم} [التوبة] ثم ذكر الله عذر إبراهيم فقال : {وما كان اسْتغْفارُ إبْراهيمَ لأبيهِ إلاّ عنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَها إيّاهُ فَلَمّا تَبَيّنَ لَهُ أنّهُ عَدُوٌ للهِ تَبَرّأ منْهُ إنَّ إبْراهيمَ لأوّاهٌ حليمٌ * وما كانَ اللهُ لِيُضلَّ قَوْمًا بَعْدَ إذْ هَداهُمْ حَتَّى يُبَيّن لهُمْ ما يَتّقونَ})) ابن تيمية؛ الوسيلة والتوسل 1/3

4 ـ وما يؤكد الخصوصية هنا أنه ورد في بعض روايات حديث أبي طالب أن هذه الشفاعة تكون في الآخرة كما في صحيح البخاري عن أبي سعيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذُكر عنده عمه أبو طالب فقال: "لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة، فيجعل في ضحضاح من النار يبلغ كعبيه، يغلي منهما دماغه".5/52 فلا يكون بهذا حجة لأحد لدعاء تخفيف العذاب عن شخص مات على الكفر إضافة إلى ما سبق.

5 ـ وإذا امتنع النبي صلى الله عليه وسلم عن الترحم على اليهودي يرجى له الهداية ـ والهداية من الرحمة بلا شك ـ وهو حي فكيف نترحم عليه وهو ميت قال الحافظ في " فتح الباري" (10/604): " فقد أخرج أبو داود وصححه الحاكم من حديث أبي موسى الأشعري قال:" كانت اليهود يتعاطسون عند النبي صلى الله عليه وسلم رجاء أن يقول يرحمكم الله فكان يقول: يهديكم الله ويصلح بالكم".

قال بن دقيق العيد: إذا نظرنا إلى قول من قال من أهل اللغة إن التشميت الدعاء

بالخير دخل الكفار في عموم الأمر بالتشميت، وإذا نظرنا إلى من خص التشميت بالرحمة لم يدخلوا قال: ولعل من خص التشميت بالدعاء بالرحمة بناه على الغالب لأنه تقييد لوضع اللفظ في اللغة.

قلت: وهذا البحث أنشأه من حيث اللغة، وأما من حيث الشرع فحديث أبي موسى دال على أنهم يدخلون في مطلق الأمر بالتشميت لكن لهم تشميت مخصوص وهو الدعاء لهم بالهداية وإصلاح البال، وهو الشأن، ولا مانع من ذلك، بخلاف تشميت المسلمين فإنهم أهل الدعاء بالرحمة بخلاف الكفار".

المسألة السابعة

قال فضيلة الدكتور قرة باغي: ((والخلاصة: إن بعض العلماء فرقوا بين الدعاء بالمغفرة للكافر، وبين الدعاء بالرحمة، فاتفقوا على منع الأول، واختلفوا في الثاني، فأجاز بعضهم ذلك وبينوا بأن آية ((إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ)) سورة النساء آ 48 تدل على التفرقة بين الشرك وغيره،وذكروا أنها أخص من دعوى مطلق الدعاء للكافر، وأن الذي لا يجوز هو الدعاء بالمغفرة على جريمة الشرك والكفر، وأما ماعدا ذلك فآخر الآية قد تدل على إمكانيته إن شاء الله تعالى.

والخلاصة أن الدعاء بالرحمة العامة التي وسعت كل شيء لا تدخل ضمن الدعاء المنهي عنه في نصوص كثيرة.

والآية السابقة تضع لنا موازين دقيقة وهي:

1- ميزان الشرك الذي يقوم على عدم مغفرته.

2- ميزان العدل الذي يقوم على أن الله تعالى يجازي كل إنسان

((فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ)) سورة الزلزلة (7-8))

قلت: 1 ـ قول الدكتور " تدل على التفرقة بين الشرك وغيره " قد يفهم منها بعض الناس أن الكفر يدخل " في غيره" إذا المعاصي ثلاث أنواع: الكفر والشرك والذنوب بقسميها الصغائر والكبائر، والآية ذكرت الشرك دون الكفر فإن لم ندقق قد يجعلون الكفر من جنس الذنوب مادام الآية لم تنص عليه؟!

وهذه الآية يستدل بها الدكتور على أن نفي المغفرة لا يستلزم نفي الرحمة لكن الآية بالأساس أصل في معرفة ما يقع تحت المشيئة مثل الذنوب وما لا يقع تحتها مثل الموت على الكفر والشرك.
ولا يزول اللبس إلا إذا بينا أنه لا يوجد فرق بين الكافر والمشرك في الكفر وإن أطلق الكفر على الجحود والشرك على صرف العبادة لغير الله.

كما يطلق على الكافر أنه مشرك وعلى المشرك أنه كافر كما قال الله: {وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ} [المؤمنون] وقال: {ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ * إِنْ تَدْعُوهُمْ لا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ} [فاطر] فسمى دعاءهم غير الله شركا في هذه السورة، وفي سورة قد أفلح المؤمنون سماه كفراً.
وقال سبحانه: {يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ * هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ} [التوبة] فسمى الكفار به كفارا وسماهم مشركين؛ فدل هذا على أن الكافر يسمى مشركا، والمشرك يسمى كافرا، والنصوص في ذلك عديدة.
ومن ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم: ((بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة)) صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله، وكذلك قوله: ((العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر)) أخرجه الإمام أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة بإسناد صحيح عن بريدة بن الحصيب.
2 ـ وأما من قد يظن أن الكفر دون الشرك هو يوم القيامة تحت المشيئة مثل أي ذنب مات عليه إن شاء عذبه وإن شاء غفر له كفره، فيكفيه هذه الآيات والأحاديث الصحيحة، قال الله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ () خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ} [البقرة]
وقال الله تعالى: {وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ} [التوبة]

وفي صحيح مسلم عن عمر ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا ابن الخطاب، اذهب فنادِ في الناس، أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون».
وفي الصحيحين ـ واللفظ لمسلم ـ عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ: قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: ((ألا لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة، اللهم هل بلغت؟ اللهم اشهد)).
وسبب اللبس الذي قد يقع فيه بعضهم هو أنه يأتي في القرآن التأكيد كثيرا على الشرك لأن الإيمان بالله قد أقر به في الجملة جمهور الخلائق إلا شواذ من الفلاسفة الدهرية، وإنما يقع اختلاف أهل الملل في أسمائه وأحكامه وعبادته.
وعليه فأكثر الكفر يكون في صورة الشرك أو تكذيب الرسل، ولا يتم الإيمان بالله بدون الإيمان بالرسول، ولذلك كان أحد أركان الشهادة: الشهادة بان محمدا رسول الله.
ولذلك ـ أيضا ـ نجد القرآن يولي أهمية خاصة بالشرك وبكفر الكتابيين لأنه أكثر ما يقع من الكفر: الشرك وتكذيب الرسول ورفض اتباعه، والكفر هو عدم الإيمان سواء كان تكذيبا أو استكبارا أو إباء أو إعراضا متى لم يحصل في القلب الإنسان التصديق والانقياد فهو كافر، فكيف يكون هذا تحت المشيئة؟!
وإذا كان الكفر فسادا في المقصود الذي خلق من أجله الخلق، وهذا لأنه متعلق بالقوة العقلية ولهذا لا يوصف به من لا تمييز له فهو اعتداء وفساد للقوة العقلية الإنسانية فكيف يكون تحت المشيئة؟! انظر هذه المعاني في " مجموع الفتاوى"15/430
عندما تأتي إلى مسألة " المحافظة على الصلاة" وشرح حديث ((خَمْسُ صَلَوَاتٍ كَتَبَهُنَّ اللَّهُ عَلَى الْعِبَادِ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ. فَمَنْ حَافَظَ عَلَيْهِنَّ كَانَ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدٌ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ وَمَنْ لَمْ يُحَافِظْ عَلَيْهِنَّ لَمْ يَكُنْ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدٌ إنْ شَاءَ عَذَّبَهُ. وَإِنْ شَاءَ أَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ)) تجد جل الفقهاء يقولون: قد جعل غير المحافظ عليها تحت المشيئة والكافر لا يكون تحت المشيئة، انظر مجموع الفتاوى 7/614 والموسوعة الفقهية الكويتية 27/54 وغيرها من المصادر.
فيجب فهم هذه الآية جيدا وأقصد ضابط " لا يغفر أن يشرك به " إذا الذنوب المتعلقة بحقوق العباد ليست شركا ولو تاب منها ومع ذلك لا تكون تحت المشيئة مثل الشرك الذي إذا تاب منه لم يكن تحت المشيئة بخلاف هذه الذنوب؟
فلو اكتفينا بهذا الضابط " تحت المشيئة/ ليس تحت المشيئة" لكانت هذه الذنوب أعظم

إثما وجرما عند الله تعالى، وهو ما لا يقوله مسلم فانتبه.
والكفر أصل الذنوب مثله مثل الشرك، ولذلك لا يعلم مخالف من العلماء أدخل الكفر تحت المشيئة، والفقهاء لم يذكروا الكفر لأن المسلم لا يقع فيه بالجحود أو تكذيب الرسول بخلاف الشرك الذي هو أخفى من دبيب النمل فعندما يذكرون هذه الآية ويذكرون الشرك ينتقلون مباشرة إلى الكبائر وليس فيهم من أدخل الكفر، فكيف أغفلوا الكفر وهو أعظم من الكبائر، الجواب في الأسباب المتقدمة؟
وهذا إبليس معترف بربه مقر بوجوده ومع ذلك هو رأس الكافرين لأنه لم يعبد الله واستكبر على أمره فقال فيه الله تعالى: {لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ} فهل يكون هو الآخر تحت المشيئة وليس ذنبه من قسم الشرك؟!
قول الدكتور الفاضل: " والآية السابقة تضع لنا موازين دقيقة وهي:
1- ميزان الشرك الذي يقوم على عدم مغفرته.
2- ميزان العدل الذي يقوم على أن الله تعالى يجازي كل إنسان ((فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ)) سورة الزلزلة 8-7))
غير دقيق بحيث أن الآية وبما سبق بيانه تضع موازين دقيقة للشرك والكفر الذي يقوم على عدم مغفرته وليس الشرك وحده فهذا توضيح وزيادة بيان.
ثانيا: نفي المغفرة لا يعني بالضرورة ثبوت الرحمة فالمغفرة تتضمن الرحمة بالضرورة فلا يعقل حصول مغفرة بدون رحمة لكن قد تكون رحمة بدون مغفرة وعليه ليس من اللازم أن يكون نفي المغفرة إثباتا للرحمة.
وما يدلك على أن الدكتور أساء فهم الآية " إن الله لا يغفر أن يشرك به" ما نقله ابن القيم في " بدائع الفوائد "من جواب القاضي [أبي يعلى]: " ومنها هل يجوز أن يقال إن الله يرحم الكافر؟ قال: "لا يجوز أن يقال إن الله يرحم الكافر لأن فيه رد الخبر الصادق {إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ} {لا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ} إلى أمثاله بل يقال: يخفف عذاب بعضهم قال تعالى: {أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ} و {آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ}"4/40.
ثالثا: كون ميزان العدل يجازي كل إنسان على إحسانه في الآخرة بينته النصوص بانه بشرط الايمان وفي الدنيا بدونه كما في قوله صلى الله عليه وسلم: ((إن الله لا يظلم مؤمنا حسنة، يعطى بها في الدنيا ويجزى بها في الآخرة، وأما الكافر فيطعم

بحسنات ما عمل بها لله في الدنيا، حتى إذا أفضى إلى الآخرة، لم تكن له حسنة يجزى بها)) صحيح مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

وقد يفترض بعض الناس مثلا جدليا فيقول: افترض أنه قبل خروج روح الكافر بدقائق غرس نخلة فلابد أن يجازي عنها يوم القيامة؟

فنقول: بنص الحديث الكفر مبطل لأي حسنة في الآخرة، لا تعد حسناته الا في الدنيا.

ثانيا: حديث الفسيلة خاطب به النبي صلى الله عليه وسلم المسلمين وليس الكفار حتى لا يزهدوا في الحسنات التي نرجو ثوابها عند الله، لأن غرس فسيلة قبيل القيامة بحيث لا يتوقع أن يستفيد منها مخلوق يدل على أن المقصود ابتغاء الأجر عند الله وليس الثمرة في الدنيا فقط، وفي هذا الحديث ذم الإنسانية العلمانية وهي الإحسان من أجل مقابل دنيوي فقط، وأن ما لم يكن لله فلا قيمة له في الآخرة.

قال ابن القيم: ((وهكذا الأعمال التي لغير الله وعلى غير أمره، يحسبها العامل نافعة له وليست كذلك، وهذه هي الأعمال التي قال الله عز وجل فيها: {وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا} [الفرقان]) اعلام الموقعين 1/120

فمن عمل لغير الله وعلى غير أمره تعنيهم هذه الآيات: {قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا} [الكهف] {وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا} [الفرقان] {كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ} [البقرة]

قال مجاهد: هي الأعمال التي لم تقبل، وقال تعالى: {مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ} فهؤلاء أعمالهم باطلة لا ثواب فيها.

((وأما المشركون والكفار فإن شركهم وكفرهم محبط حسناتهم، فلا يلقون ربهم بحسنة يرجون بها النجاة، ولا يعقب لهم شيء من مغفرة ذنوبهم، قال تبارك: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ}، وقال تعالى في حق الكفار والمشركين: {وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا}، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أَبَى اللَّهُ أَنْ يَقْبَلَ مِنْ مُشْرِكٍ عَمَلًا.

فالذنوب تزول آثارها بالتوبة النصوح، والتوحيد الخالص، والحسنات الماحية، والمصائب المكفرة لها، وشفاعة الشافعين في الموحدين، وآخر ذلك إذا عذب بما يبقى عليه منها أخرجه توحيده من النار، وأما الشرك بالله والكفر بالرسول، فإنه يحبط

جميع الحسنات بحيث لا يبقى معه حسنة.)) هداية الحيارى 2/464
وقال الله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ افْتَدَى بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ} [آل عمران].
وقال الله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [المائدة]
وفي صحيح مسلم عن عائشة قلت: يا رسول الله، ابن جدعان كان في الجاهلية يصل الرحم، ويطعم المسكين، فهل ذاك نافعه؟ قال: " لا ينفعه، إنه لم يقل يوما: رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين ".
وفي مسند أحمد وصححه ابن حبان ـ واللفظ له ـ عن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال قلت يا رسول الله إن أبي كان يصل الرحم، وكان يفعل ويفعل قال: "إن أباك أراد أمرا فأدركه" يعني: الذكر.
وأما استشهاد الدكتور بآية سورة الزلزلة فنرد عليه بأن كون أعمال الناس ستعرض لا شك في ذلك عند مسلم إذا الحجة البالغة لله تعالى وهو يحكم بعدل، ويعرض على الناس أعمالهم، وتشهد عليهم كتبهم، وتحكم عليهم موازين يوم القيامة، وكما تطيش كفة الميزان خيرا بكلمة التوحيد تطيش كفة ميزان الكافر والمشرك شرا بالكفر والشرك إذا كان لنا أن نقابل بينهما.
فهذا العرض لإقامة الحجة لا يستوجب الاعتداد بحسنات الكافر وبالتالي أنه يجازي عليها في الآخرة، فهذا قول شاذ غاية الشذوذ لا ينتهض ضد الأدلة والأصول وأقوال الأئمة.
ولو قلنا إنه يجازيه عليها في الآخرة بأن يضع عنه مثلا بعض الذنوب مع خلوده في العذاب المقيم فهذا ممكن عقليا، ولكننا في باب الآخرة فواجب التحفظ إلا على ما دلت عليه النصوص هو السبيل القويم، وقد مرت قضية تخفيف العذاب وهل هي مغنية؟
المسألة التاسعة
يقول بعضهم: إننا لا نعرف باطن المقتولة وعلى أي شيء فارقت الحياة؟
قلت: كوننا لا نعرف باطنها وما ماتت عليه عند مفارقة الروح، وهل بلغتها الحجة وأقيمت عليها فهذا كله ضدك إذا نحن مطالبون شرعا بحفظ أحكام الدنيا والحكم بالظاهر فمن مات على الكفر قلنا عند البحث والاستفصال: هو كافر والكافر حرمت

عليه الجنة، حكما عاما، وهذا من المعلوم من الدين بالضرورة.
ولذلك نغسل المنافق النفاق الباطني ونصلي عليه ـ في حال عدم علمنا به ـ مع علمنا بأن المنافق النفاق الأكبر كافر مخلد في النار، وذلك لأنه اظهر الإسلام فله حكم الظاهر لكن المعتبر في الآخرة حكم الباطن فلابد أن يكون مسلما باطنا وظاهرا، والإسلام ندخل فيه بكلمة التوحيد نطقا خالصا من القلب ويكون حقا بالمباني.
لا يجب أن نعتمد على فكرة أو حجة لمجرد أن لها وجها محتملا ولو أثارت اعتراضات قوية فهذا منهج الاعتماد على أي شيء يقبل التوظيف الحجاجي.
كما أن بعض إخواننا كانوا في غنى عن جرح مشاعر شركائهم أو أقاربهم من أهل المقتولة بجعلها قضية ملية نبش فيها كثير من الأغمار بدون ضابط شرعي ولا أخلاقي لو اكتفوا بتقديم التعزية والشهادة لها بخير كان فيها، ولم يلجوا باب الشهادة وتخفيف العذاب، والرحمة، ونبش باطن الناس عند مفارقة الحياة.
والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله.
دور العالم [المفكر عند تشومسكي] أن يقول الحقيقة بأحسن ما يمكنه ،وفي قضايا مهمة فعلا ،ولفئة مستهدفة بعناية يفترض أن تملك القدرة على التدخل وتقديم الحلول[البقية جمهور الفرجة]دور العالم [المفكر عند تشومسكي] أن يقول الحقيقة بأحسن ما يمكنه ،وفي قضايا مهمة فعلا ،ولفئة مستهدفة بعناية يفترض أن تملك القدرة على التدخل وتقديم الحلول[البقية جمهور الفرجة]

مسار الإلحاد :

_ الغلو الذي يعتقد معه صاحبه أنه عالم بموضوعاته وشدة تفجر النفس من الداخل!
_ ثم الفكر المسمى بالإسلامي (و التنوير الإسلامي) وهو فكر يدافع عن حضارة إسلامية ليس عن عقيدة إسلامية ،فكر سلوكيا مميع !
_ ثم الإنسية وفيها ينفصل الإيمان عن بقايا العمل ويصبح عقليا مجردا (الحج طواف في عقلك والصلاة خاطرة عن الإله) !
_ ثم الإلحاد الصريح أو المبطن!

مفرخة الإلحاد !

....

أنتجت النصرانية المزورة الإلحاد لأنها مكنت الفلاسفة من التشكيك في أسسها الفاسدة فشارك فيها الآباء الأوائل بالفلسفة التي مزجوا بها عقيدتهم لتبرير التناقض..!
ثم بذر فيها كالفين بذرة موت الروح مع الجسد !
وجعل ديكارت الشك علما و فقس إلحاد سبنوزا وهوبس وهويي!
وبعد ذلك يلحق بركب الضياع: التاريخ المقارن والنقد التوراتي ولا أدرانية كنط!
ثم تتوالى الضربات :إلحاد شكوكي، و إلحاد عملي عند هلفتيوس، و سادي عدمي ألماني، وقلق عند ديدرو!
ولأن المصائب تتابع أمطرت عليهم عقلانية هيجل ،و إلحاد أنثروبولوجي عند فويرباخ.
وختمت المسيرة بماركس ولينين بإلحاد اجتماعي اقتصادي تاريخاني، وآخر قبله بقليل بسيكولوجي فرداني عند شبنهاور وهارتمان ونيتشه!
ثم إلحاد الوجودية باسم الحرية، وإلحاد الفلسفة التحليلية حيث لا معنى للسؤال عن الله، والإلحاد التحرري من الأخلاق!
ليختم الإنسان الغربي مسيرته بإلحاد شعبي مضاد للمؤسسة الدينية، يرفع شعار التفكير الحر ضد الكنيسة!
وكان للروحانيين دور في تخريب الدين بعقيدة "من الله إلى الروح".
وبعد كل هذا ختموا الإلحاد بالانتقال إلى اللامبالاة وضياع المعنى!
وعلى خطاهم خطوة بخطوة يسير المسلمون إلا أن الفارق هو في وجود غرباء يستقيمون على الدين المنزل لا المبدل.
فعليك بدين أئمة السنة الذين يعتد بقولهم ودعك من الذين مُكر بعقولهم بسبب نفوسهم التي فرخ فيها الشيطان فإنما كلامهم مخاتلات علمية ومخادعات فكرية لست ندا لها، ولا تغامر بنفسك فإنها إن شربت الباطل لم تقبل الحق.

عندما تخوض في الترجيح الفقهي تذكر التالي :

1 _ لا يمكنك أن تقنع من حجب عقله جهل أو نوم تعليمي أو عصبية.
2 _ الحقيقة العلمية لا تكفي وحدها للإقناع فهناك السوابق، وقيود الهويات المذهبية و الجماعية.

3 _ بالنسبة للغالبية لا يمكن قبول رأي في غير سياقه ومساقه وسوابقه ولواحقه.
لذا لا تعكر مزاجك :قُل و مُر!

مقامات الجدال الفقهي !

....

بلا شك لا يوجد علم أثار النعرات والعصبيات، وطبعته السجالات بالسب والتهوين من قدر المخالف، والسعي في إذايته وربما قتله، وعزله من منصبه، وقطع رزقه مثل الفقه بعد عصور السلف الفاضلة، وقريبا منه و أحيانا أسوأ منه علم الكلام.

الفقه في الغالب حركية فعل علمي ممزوج بالنفساني يقابله رد فعل علمي ممزوج بالنفساني(يغلب عليه نفسية المغالبة وعرض العضلات)

ولم يسلم من هذا الشر إلا الأئمة الذين جمعوا بين معرفة الأمر ومعرفة الحكم ،معرفة الشرع ومعرفة القدر.

من الذين شهدوا بقلوبهم أن الله خلق ما قام بهم من أفعال الخير والبر فلم يروا لأنفسهم حمدا ولا منة.

ولم يروا لأنفسهم حقا على أحد ،و عرفوا أن ما قام بالعباد من أفعال يإذونهم بها فالله خالقها وهي منه عدل.

وما تركه الناس من حقوقهم التي يستحقونها فالله لم يخلقها وله الحمد على كل حال.

فإما تمارس الفقه في هذا المقام "مقام الحق"

وإما تمارس الفقه في "مقام التقوى العامة" مقام من له شهوات، وله التفات إلى الخلق: يفرح بمدحهم و يغضب لذمهم، فهذا له رؤية لنفسه يحتاج أن يجاهدها بالتقوى،ويحتاج إلى التمييز بالتقوى بين ما يفعله وما لا يفعله.

و إما أن تمارس الفقه في "مقام الحقيقة" فلا تفعل إلا ما أمرت به في الشرع لكن مع تقصير في شهود توحيد الربوبية ،وأنه لا حول ولا قوة إلا بالله، فيبقى ملتفتا إلى نفسه، فيفوته كمال هذا الشهود(إعدام النفس).

إذا عرفت هذا عرفت أين موقعك من لواحق و أثار الجدل الفقهي السلبية،ولماذا تنفعل للردود السلبية، وتنتصر لنفسك بشكل من الأشكال؟!

المنهج في كلمات تيمية :
مقدمة أولى :البشر مشتركون في حقيقتهم الآدمية:
في قوى إدراكهم وحركاتهم؛ يتشابهون في الإيمان وفي الكفر، في الهدى وفي الضلال، في العلم وفي الجهل، في العجز وفي القدرة.
الحقيقة :لذلك فإنَّ الخطاب لمتقدميهم هو نفسه لمتاخريهم.
اللازم :ولن يُصلح المتأخِّر إلا ما أصلح المتقدِّم.
مقدمة ثانية : العلم المشروع والنُّسك المشروع مأخوذ عن أصحاب رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم.
مقدمة ثالثة :وأمَّا من جاء بعدهم فلا ينبغي أن يجعل أصلا ،و إن كان صاحبه معذورا أو ماجورا لاجتهاد أو تقليد.
اللازم : فمن بنى الكلام في العلم أو في الإرادة على الكتاب والسنَّة و آثار الصَّحابة فقد أصاب طريق النُّبوَّة.

التقصير في عهد الله ووعده أكبر بكثير من اجتراح السيئات!

افعل ما أُمرت به تُعان على ترك ما نُهيت عنه.افعل ما أُمرت به تُعان على ترك ما نُهيت عنه.

مصدر اليقين و الإلهام
....

من كان بالله أعرف وله أعبد، ودعاؤه له أكثر، وقلبه له أذكر كان علمه الضروري بذلك أقوى و أكمل (مقدمة سلوكية نفسية)
وأهل الحديث أعرف الناس بالله لأنهم أعرف الناس بالرسول (مقدمة علمية استقرائية)
فعلمهم الضروري البديهي أقوى العلوم و أنفعها. ولأن قلوبهم معمورة بالتقوى فهم

أشد الناس تمسكا بالسنة صغيرها وكبيرها.
ملاحظة :
بحسب سياق كلامه (ابن تيمية) أظنه يقصد أهل الحديث هنا : الطراز الأول الذي يشمل المائل للفقه أو الزهد والعبادة.

كلمات منهجية تيمية

....

إذا كان التعبير وبيان العلم بالخطاب والكتاب ممكنا للفلاسفة والمتكلمين.. الخ (وقد فعلوا) فهو أشد إمكانا للرسول (و قد فعل)
اللازم: ؟!

حلول الإشكالات المعرفية المركزية التي أشير إليها نقلا أو استنباطا في هذه المنشورات القصيرة لن تشعر بوقعها وقوتها المعرفية، ولا بكم الهدى الذي تفتحه على القلب إن لم يسبق واستشكلت بنفسك تلك النقاط.
فبدون سؤال سبق في عقلك لن يجد الجواب مكانا يعلق به .

الأعلم بالرسول الأعلم في الأمة :

....

كلما كانت الطائفة إلى الله ورسوله أقرب كانت بالقرآن والحديث أعرف و أعظم عناية.
فخاصة كل متبوع أعلم به، وخاصة رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه ثم أهل الحديث والسنة من بعدهم.
وكل من كان بكلام الرسول و أحواله وبواطن أموره وظواهرها أعلم وبه أقوم كان أحق بالاختصاص به وليس هذا إلا للصحابة و لأهل الحديث والسنة من بعدهم لأنهم

الأعلم بالقرون الثلاث.
والمستقر عند المسلمين أن الذين قاموا بالدين علما وعملا ودعوة هم أتباع الرسول حقا، وهم ورثة الأنبياء وخلفاء الرسل.
أما ترجيح علم الصحابة وفهمهم و إيمانهم بالنصوص فلا يخفى إلا على متأخر غارق في مذاهب مصطنعة.

الانتماء والتحقق بين الحقيقة والادعاء

....
عندما نقول وصفا أو انتسابا :
أهل القرآن، أو أهل الحديث، أو أهل السنة، أو أهل الإرادة و الزهد،أو أهل الفقه.. الخ
لا نقصد المقتصرين على سماع ذاك العلم أو كتابته أو روايته بل كل
من كان أحق بحفظه ومعرفته وفهمه ظاهرا وباطنا واتباعه باطنا و ظاهرا.
بهذا تعرف المنتمين لعلم أو عمل على الحقيقة، وتميزهم عن المنتمين إليه رسما أو استرزاقا.

يستفيد من العلوم المحدثة التي هي داء الدين من لا يحسن الظن بها !يستفيد من العلوم المحدثة التي هي داء الدين من لا يحسن الظن بها !

الصحابة و العلم الأصيل

....
من يقرأ تراجم التابعين بطبقاتهم الثلاث يجد من تعظيم الصحابة ومدحهم والشهادة لهم بالعلم الغزير والحكمة والقوة على العبادة ما يدهش العاقل.
وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم مدح بعض أصحابه بالعلم مثل: عمر وعلي ومعاذ وابن عباس وغيرهم رضي الله عنهم أجمعين.
فما هو هذا العلم الذي مدحوا به؟
العلم إما أصيل و إما هجين :

الأول لا ينتسب إلى علم آخر (ليس فرعا عن علم آخر)له فضاء منطقي لبناءات استدلالية (في مثل علم الصحابة هي السنة نفسها قولا وعملا).

يتميز هذا العلم بمصفوفة منهجية تشكل الهوية المعرفية والاجتماعية لجماعته حيث أن مكان الاتفاق في هذا العلم عند أهل الحديث والسنة(بعد ذلك) هو النص ولواحقه من آثار و فتاوى وكلام أئمة السلف.

الثاني: مولد، له طبيعة مركبة، مكونة من معارف معزولة، مستوردة عليه، تأسست في خارجه.

ولذلك في الغالب لا يجتمع أهله على رؤية موحدة.

و للتوضيح نشرح التالي :

يعتمد الاصوليون المتكلمون في قسمة مسائل أصول الفقه ومواضيعه على الإمكان الذهني، والذي حقيقته هو عدم العلم بالامتناع ،وعدم العلم بالامتناع لا يستلزم العلم بالإمكان الخارجي.

ومعلوم أن ما يتصوره العقل قد يكون تصورا تاما وقد يكون ناقصا، ولان ما يتصور العقل طرفيه يجزم به،و إلا بقي في الظن، والناس يتفاوتون في ذلك.

ولهذا لا تعتبر الشريعة الإمكان الذهني ولا توقف أحكامها على تصورات الناس لها فالشريعة لا تعلق الأحكام على قوة الأذهان و تقسيمات العقل، وخير مثال على ذلك الحديث الآحاد بين أهل الحديث والمتكلمين (الفرق بين خبر الآحاد المطلق وبين خبر الآحاد عن النبي صلى الله عليه وسلم، والفرق اليقين التجريبي والظن النظري)

و لهذا _أيضا _كانت طريقة أهل الحديث منافرة للنظر العقلي المجرد عن معرفة الحديث فقها وفهما وحفظا ،وعن المعرفة بأقوال السلف لأن ذلك لا يقود إلا لمعرفة محضة ذهنية كلية.

هذه المعرفة المحضة هي التي جعلت اصولي المتكلمين يقررون "أن السمعيات معلومات لا تظهر في العقل ظهور العقليات" (المنخول نقلا عن الجويني).

فالقرائن عند أهل الحديث والسنة هي سنن الرسول و اثار صحابته، وبهذا يجمعون بين المتماثلات من الوقائع ويفرقون بين المختلفات.

و إذا كان موضوع أصول الفقه هو معرفة الدليل الشرعي ومرتبته فاهل الحديث يميزون بين الدليل الشرعي وبين غيره، ويعرفون مراتب الأدلة لأنهم يعرفون أعيان

الأدلة لمعرفتهم بالنصوص والآثار، وبالتالي يسهل عليهم تقديم الراجح.
ومعلوم أن من عرف أعيان الأدلة وفرق بينها كان بجنسها أعرف، بخلاف النظام المعرفي الاصولي الكلامي الذي يقوم على الإمكان الذهني فإنه لا يعرف إلا جنس الأدلة!
وقد ذكر الشاطبي في "الموافقات" (1/56)مثل هذا التفصيل وهو يتحدث عن طريقين مختلفين لمعرفة حكم الله ورسوله طريق بسيط مباشر وطريق معقد كثير الحرج، ومثَّل بتعريف المَلَك في الطريقين.
وبهذا نفهم منهج المحدثين ونظامهم المعرفي الذي يتركب من العلم الأصيل الذي كان عند الصحابة ونقله عنهم التابعون، و أنه عبارة عن مجموع متكون من النص ومن تفسير الصحابي وتفسير التابعي،يعني: جسم معرفي متكامل ومتصل.
فمعرفة كلام الصحابة في العلم والدين خير و أنفع من معرفة أقوال المتأخرين و أعمالهم في جميع أبواب الدين، والاقتداء بهم خير من الاقتداء بمن بعدهم كما ذلك على ذلك الكتاب والسنة كما في قوله تعالى :(واخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم)
وليس فضلهم لمجرد الصحبة _ كما يظنه بعض الجاهلين _ ولكن لأنهم أفضل علما، و أعمق فهما، و أقل تكلفا، و اغزر حكمة، و أحرص على الخير، و أبعد عن الشر كما في حديث "خير الناس".
بالنسبة لأهل الحديث والسنة يمكن أن يطلب المسلم الحق المتنازع حوله في اقوالهم إذا اختلفوا، و إنما يرد اختلافهم بالنص، وأي اختلاف وقع بعد إجماعهم فهو خطأ قطعا.
وعلى هذا لا يترك أهل الحديث والسنة قول النبي صلى الله عليه وسلم لقول كائن من كان، بل قد جردوا الاتباع و اعطوا مقام النبوة حقه.
فاساس المنهج المعرفي عندهم النظر في الدليل الهادي، وليس في أي دليل مطلق، وهو قول الله ورسوله، فوحده الدليل الهادي دليل منتج للعلم والمعرفة.
ولهذا كان إدراك علم النصوص أثراً لأهل الحديث، و إدراك معانيها قياسا في باطن الشريعة وظاهرها لفقهاء الحديث.
ولهذا قال ابن تيمية :(المجموع) 2/86

من زعم بلسان حاله أو مقاله أن طائفة غير أهل الحديث ادركوا من حقائق الأمور الباطنة الغيبية في أمر الخلق والبعث المبدأ والمعاد وأمر الإيمان بالله واليوم الآخر وتعرف واجب الوجود والنفس الناطقة والعلوم والأخلاق التي تزكو بها النفوس وتصلح وتكمل دون أهل الحديث فهو إن كان من المؤمنين بالرسل فهو جاهل فيه شعبة قوية من شعب النفاق و إلا فهو منافق خالص !

هذه بعض خصائص علم الصحابة الذي لم توقف الشريعة على شيئ خارج عنه، فما زاد على علمهم لا يتوقف عليه شيء من الشرع.

وقد كانوا طبقتين :طبقة كانت همتها مصروفة لحفظ الحديث وتبليغه كما سمعوه مثل أبي هريرة رضي الله عنه، وطبقة كانت همتها مصروفة إلى التفقه والاستنباط وتفجير النصوص و استخراج كنوزها مثل ابن عباس رضي الله عنهما.

وهكذا صار بعدهم أهل الحديث والسنة ورثوا علمهم و منهجهم فجانبوا البدع وحفظوا السنة وشرحوها ودلوا الناس عليها، فهم استمرار لهم ليسوا مذهبا ولا مقالة محدثة.

فليحبسك العذر عن أخطاء أهل الإيمان فإنهم لا يصدرون إلا عن قصد الخير.(و إلا من الذي يسلم من الخطأ في الأصول والفروع) ابن تيمية.فليحبسك العذر عن أخطاء أهل الإيمان فإنهم لا يصدرون إلا عن قصد الخير.(و إلا من الذي يسلم من الخطأ في الأصول والفروع) ابن تيمية.

الرؤية قبل الفعل!

....

العلم إمام العمل ،والنظرية تسبق التطبيق، لكن غاية العلم العمل.

إن لم تحدد إلى ماذا تدعو في نهاية المطاف(بعد الدعوة إلى: الوعي، و التفكر ،والدولة ،والنهضة، وبناء الحضارة... الخ) ؟ فلا تخلط بين غاية مؤقتة (هي في حقيقتها وسيلة) تخدم غاية كبرى ونهائية.

وبأي طريق تفصيلا؟ في مقابل الدعوات المقابلة ،وخاصة المناقضة فلأنك لا تملك رؤية واضحة؟

وفقدان الرؤية مرجعه عدم وضوح النموذج الفكري ،أو بالأحرى عدم امتلاكه.
والمقصود بالنموذج :ما هي الطريقة التي ترى بها الأشياء أو تقيمها.
و"كيف ترى" تعني: كيف تفكر في شيء؟
تفصيلا :كل رؤية سياسية، أو اجتماعية، أو ثقافية لابد أن تتفرع عن رؤية وجودية تسقيها.
والرؤية العامة أو الوجودية بالنسبة للمسلم تعني: مجموع العقائد الميتافيزيقية والمبادئ الشرعية التي توجه أفعاله، دعوته، نشاطه الثقافي والاجتماعي والسياسي.
الرؤية ليست قراءة الواقع قراءة وصفية ولكن فهم الأسباب الرئيسة التي صنعته(قراءة معيارية).
والأهم من ذلك معرفة الحلول الجوهرية (الربانية النبوية) التي تنقله من الموجود إلى المقصود.
إذا كان الأمر كذلك فإنه لا يمكنك تملك رؤية إن لم تحسم الاختلاف في العقائد،أي في صراع النماذج وتأثيره على الاعتقاد والسلوك.
فبدون حسم صراع النماذج الفكرية لن تعين وتحدد الحق بحدوده (في كلياته) والباطل بتاصيلاته.
لا يوجد منطقة محايدة بين الحق والباطل،والحق ليس موزعا على الناس بالإحسان الإجتماعي ،بل الحق في كتاب الله وفي سنة رسوله، وطريقه: الاتباع، ومادته: النص ولواحقه.
في الغالب تقبع خلف الأسباب السياسية والاجتماعية والثقافية أسباب إيمانية (أزمة إيمان) إن لم تعالج كما عالجها الأنبياء فإن مصير كل فعل إصلاحي الفشل.
هذا لأن البشر يتشاركون في طبيعتهم، في طرق الإدراك، وفي قوتهم العملية فيتشاركون في الكفر كما يتشاركون في الإيمان.
ولذلك فإن خطاب القرآن لمتقدميهم صالح لمتاخريهم، فنفس الطبيعة البشرية، ونفس أسباب الفجور، ونفس أسباب الشرك والكفر فلا تنفع معهم إلا دعوة على منهج النبوة.
إن فهمت هذا فهمت ما الذي يلزمك؛ إن لم تفهمه فأنت جزء من المشكل يجتهد في ايجاد الحل!
ربما أكبر معركة يجب أن يخوضها الصالحون في هذه الأمة هي التخلص من قبضة

النموذج الفكري الغربي المتغلغل فينا في أدق الأمور والذي يجعلنا نفكر بمصطلاحاتهم التي نترجمها حرفيا وهي وليدة رؤية خاصة بهم افرزها اعتقاد فاسد و مادية طاغية وشهرانية منفلتة في مسار تاريخي خاص، فيظهر خلافنا معهم في اللغة وليس في المحتوى.

أصول منهجية

....

من اعتقدها إيمانا بالله وبكمال علمه وحكمته وقدرته، وعرفها بأدلتها النقلية والعقلية اكتفى بالنصوص ولواحقها عن كل ما سواها، وعلم أن جماع مصالح البشر الدنيوية والأخروية في الايمان واتباع الرسول، وتتبع فهم السلف للنصوص ودعوة الناس وسياستهم بها.

وعندما يدخل في المعارف البشرية لا يدخلها محسناً الظن بها على حساب المعرفة الأولى فإن الاستفادة منها محدودة ونماذجها في الغالب دهرية.

فهذا أصل من أصول [البراديجم الإسلامي] متعلق بمقام النبوة يفتح عليك أبواب الهدى ويفسر لك سبب الانحراف الذي وقع في الأمة فاجعله نصب عينيك.

((وَالنَّاسُ كَثِيرًا مَا يَغْلَطُونَ مِنْ جِهَةِ نَقْصِ عِلْمِهِمْ وَإِيمَانِهِمْ بِكَلَامِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَقَدْرِ ذَلِكَ وَمَا اشْتَمَلَ عَلَيْهِ ذَلِكَ مِنْ الْعِلْمِ الَّذِي يَفُوقُ عِلْمَ الْأَوَّلِينَ والآخرين.

وَمَنْ عَلِمَ أَنَّ الرَّسُولَ أَعْلَمُ الْخَلْقِ بِالْحَقِّ وَأَفْصَحُ الْخَلْقِ فِي الْبَيَانِ وَأَنْصَحُ الْخَلْقِ لِلْخَلْقِ عَلِمَ أَنَّهُ قَدْ اجْتَمَعَ فِي حَقِّهِ كَمَالُ الْعِلْمِ بِالْحَقِّ وَكَمَالُ الْقُدْرَةِ عَلَى بَيَانِهِ وَكَمَالُ الْإِرَادَةِ لَهُ.

وَمَعَ كَمَالِ الْعِلْمِ وَالْقُدْرَةِ وَالْإِرَادَةِ يَجِبُ وُجُودُ الْمَطْلُوبِ عَلَى أَكْمَلِ وَجْهٍ فَيُعْلَمُ أَنَّ كَلَامَهُ أَبْلَغُ مَا يَكُونُ وَأَتَمُّ مَا يَكُونُ وَأَعْظَمُ مَا يَكُونُ بَيَانًا لِمَا بَيَّنَهُ فِي الدِّينِ مِنْ أُمُورِ الْإِلَـهِيَّةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ.

فَمَنْ وَقَّرَ هَذَا فِي قَلْبِهِ لَمْ يَقْدِرْ عَلَى تَحْرِيفِ النُّصُوصِ بِمِثْلِ هَذِهِ التَّأْوِيلَاتِ الَّتِي إذَا تُدُبِّرَتْ وَجَدَ مَنْ أَرَادَهَا بِذَلِكَ الْقَوْلَ مِنْ أَبْعَدِ النَّاسِ عَمَّا يَجِبُ اتِّصَافُ الرَّسُولِ بِهِ.

وَعَلِمَ أَنَّ مَنْ سَلَكَ هَذَا الْمَسْلَكَ فَإِنَّمَا هُوَ لِنَقْصِ مَا أُوتِيَهُ مِنْ الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ وَقَدْ قَالَ

تَعَالَى: {يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ})) المجموع 17/190
العمر قصير والأيام تجري، المشهد يوم القيامة عظيم، وشر المعذرة حين يحضر الموت، وشر الندامة يوم القيامة فمن فاته خير فاته للأبد، ومن حصله حصله للأبد فلا تضيع وقتك في التفاهة والتفاهة في الفلسفة هي [اللامعنى] أو غياب المعنى أو نقصان المعنى.

وعند كثير من المنحرفين عن منهج النبوة وفي الفكر الغربي هي طريقة تفكير أضحت تشكل مقياس إثبات وجود الأشياء أو قيمتها.

ومهما كان فإن كل كلام ينقصه معنى محصل أو يرتكز على تفصيل تافه يمتنع أن يشكل وعدا بالمعنى مهما كان الحال.

وحدها المعرفة الشرعية فيها المعنى المحصل لأنها شفافة بأدلة بدون غرابة، سالمة من التغير، بخلاف المناهج المنحرفة عن الوحي والفطرة فإنها تسعى خلف المعنى باللامعني، وهذا منهج متحد عام مشترك بينها يريد أن تنتصر حركية المعنى على ثباته واستقراره.

واليوم نشهد تناميا لفكر التفاهة خلف الإعجاب بالتنضيد الأكاديمي للكلام الأجوف.

وإذا كان أصل الأقوال الدينية هو تصديق الله ورسوله، وأصل الأعمال الدينية هو حب الله ورسوله فالتصديق بالمحبة هو أصل الإيمان، فلا تضيع وقتك وجهدك في أي كلام (وما أكثره في هذا العصر) لا يمنحك محبة الله ورسوله او لا يزيدها، أو ينقص من تصديقك الحقيقي الفعلي لله ولرسوله.

الدين عموما والعقيدة خصوصا ليست في الحقيقة مذهبا ولا يمكنها ان تكون مذهبا إلا بالتجوز اللغوي لأنه لا يمكن في الإلهيات أن نعتقد ما لا نص فيه.

والعقائد تثبت بالنصوص وتوثق بالنقل، ومن ينقل لفظها ينقل معناها.

وإذا كانت العقيدة مبنية في كلياتها على النصوص وفهم نقلتها لهذا لم تكن مذهبا لأحد وبالتالي فإن أي عالم ناقل أو شارح لهذه العقيدة وظيفته إضاءة الطريق لا صناعته.

هذه العقيدة قد يخوض الناس في نفي لوازمها الضرورية فيأتي العالم ويستطرد في إثباتها دفعا لافراغ النص من محتواه، وقد يحتاج إلى مخاطبة بيئته باللغة التي يفهمونها فلا يجمد على المصطلح، يعني يعيد كتابتها بصيغة مفاهيمية، وهذا لا يجعله منشئا لها.

في معركة لوازم النصوص تظهر قضايا اجتهادية دور العالم بهذه العقيدة هي توفير اختيار الأفضل الممكن بناء على نصوص هذه العقيدة.

والمتبع للعقيدة النصية بفهم نقلتها ليس مقلدا بل هو متبع بخلاف غيرها من العقائد الناشئة والمحدثة، فإن الاتباع هو اتباع النصوص ولواحقها (فهم الصحابة ومن أخذ عنهم) والتقليد هو اتباع الآراء الناشئة.

والاشتراك بين علماء هذه العقيدة في فن النظر وفي مفاهيمها المركزية الموجهة هو لاشتراكهم في المنهج المعرفي، وقد يكون نوع اختلاف بين بعضهم في جوانب المعنى وليس في لبه.

علماء هذه العقيدة يوفرون طريقة التفسير والجواب عن التساؤل، ويقدمون الإعانة على التوجه للتفكير في المسائل فالقناعة أولا بالمنهج المعرفي الذي تنبثق منه هذه العقيدة.

في هذه العقيدة لا يوجد مجال للجواز النسبي وللتعدد الموضوعي للحقيقة الذي يرفعنا فوق الانتماء وفوق الفهم المتعاطف المتحامل.

هذه العقيدة النصية حقيقة شرعية موضوعية مكتفية بنفسها عن ذاتيات العالم إلا في القليل وهي بنصاعتها واتصالها بالكتاب والسنة ترفض الانتماء المرضي لها الذي يرد العلم الشرعي خلف الانتماء.

هذه العقيدة مبنية في جملتها على تصديق النصوص والتسليم لها، يعني: مبنية على الإيمان لأنها عقيدة مخاطب بها كل طبقات المسلمين، وبعد ذلك وفي مرحلة ثانية تكون اختيارا حرا واعيا، حرا من ضغط البيئة والمنشأ والمديونيات، واعيا بحقيقة قوله وحقيقة قول الغير.

والمقصود الأول من هذا المنشور هو أن تعتني بدينك كما عرفه السلف، وأن تكون داعيا إليه وأن تجتنب إضاعة وقتك فيما يحسبه الناس معرفة ووعيا وثقافة وهو مجرد تفاهة مموهة مبنية على امثلة غيرمستوعبة للموضوع، أو تهتم لما ليس من قدرتها على حساب ما كلفت به مما يقع ضمن قدرتها.

بعضنا يحلم ويفكر وينظر لإقامة دولة راشدة، أو على النمط الغربي وقد يستهلك هذا الاهتمام جهده في تحصيل أو اتقان العلوم الشرعية وفي الاجتهاد في العبادة.

وفي ظني على العاقل أن يعرف الأعمال الشرعية أصلا ووصفا ويلزم بها نفسه ومن

يطيعه،و يبذل جهده لتوفير للناس رؤية شرعية صحيحة يقاومون بها هيمنة النموذج الغربي والمناهج المنحرفة فالظاهر أننا في زمن انهيار الحضارات وخروج الأمور عن السيطرة ما يستلزم دخول الأسباب الكونية.
يعيش البشر اليوم في مجتمعين :مجتمع قدم له الإفراط في الجنس ولواحقه من الخمر والمخدرات لابعاده عن القضايا الجوهرية ،ومجتمع ينشر فيه الدين الفاسد المقلم من كل مبدأ حي يفعل الولاء والبراء لحفظ حدود الحق، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي هو أداة التغيير واستجلاب رحمة الله،ففكر في نجاتك ثم في نجاة حاشيتك وبعد ذلك في نجاة عموم الناس.
أقول هذا لأني خبرت في الحياة أن كثيرا منا يهتم بقضايا أكبر منه ناسيا نفسه فمن أين له التوفيق ؟!

معالجة شبهة استجابة الدعاء عند القبور في اقتضاء الصراط

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله.
قلت في منشور سابق بأن من روائع كتاب " اقتضاء الصراط المستقيم" جواب مسألة " استجابة الدعاء عند بعض القبور" فلنلخصها اليوم حتى يستفيد منها طلبة العلم مع تصرف مني: تنسيق وشرح وأمثلة.
معلوم انه من المسلمين من يعتقد أن الدعاء عند قبور الصالحين مستجاب، ولذلك يتحرون الدعاء عند هذه الأماكن التي يعتقدون فضل الدعاء عندها.
وفي الحقيقة هذا اعتقاد بعض العلماء المرموقين في الأمة المعروفين باتباع السنة واقتفاء آثار الصحابة منهم الذهبي ـ رحمه الله ـ الذي قال في ترجمة السيدة نفيسة: " وقيل كانت من الصّالحات العوابد والدّعاء مستجاب عند قبرها بل وعند قبور الأنبياء والصّالحين" سير أعلام النبلاء؛10/107
وذكر ابن الجوزي في " صفة الصفوة" أن إبراهيم الحربي صاحب الإمام أحمد قال عن قبر معروف الكرخي: " معروف الترياقي المجرب".1/472
وقال ابن عبد البر في " التمهيد": " وفي هذا الحديث دليل على التبرك بمواضع الأنبياء والصالحين ومقاماتهم ومساكنهم وإلى هذا قصد عبد الله بن عمر بحديثه هذا والله اعلم "13/67

يقصد حديث الشجرة التي سرَّ تحتها سبعون نبيا" وكما هو واضح من لفظه لم يذكر القبور والدعاء، ومع ذلك سنبحث هذا الحديث وفعل ابن عمر ـ رضي الله عنه ـ عندما نبحث مسألة " الفرق بين ما فعله النبي صلى الله عليه وسلم اختيارا وما فعله اتفاقا" ومخالفة الصحابة له.

كما سيجيب ابن تيمية عن هذه الشبهة القاتلة:" قد فعله بعض الفضلاء ".

لا شكّ أنّهم ما اعتبروا الدّعاء مستجابا عند هذه القبور إلاّ استشعارا منهم لعظمة المقبور وتأثيره في حصول الاستجابة، يعني: يستشفعون به وهو ميت، ويتخذونه سببا ووسيلة لحصول الاستجابة من الله!

ومن صور هذه المسألة عند بعض المسلمين أن يتأخر الانجاب عند زوجين فيقال لهما: اذهبا لقبر الولي فلان واتركا عنده صدقة أو اذبحا له فيفعلان ذلك وتحصل الاستجابة فتحمل المرأة وتلد؟!

وهكذا لكل صاحب حاجة عصيت عليه من رزق أو وظيفة فهل فعلا الدعاء عند هذه المواضع هو سبب الاستجابة لهم أم هناك أسباب أخرى؟ وكيف نعرف أن اختيار الدعاء عند القبور هو سبب الاستجابة إن كان مجرد الاقتران بين العلة والمعلول؟

يجيب ابن تيمية ـ رحمه الله ـ عن هذه الشبهة بجوابين: الأول تأصيل شرعي إيجابي مباشر، والثاني نقضي سلبي شرعي غير مباشر.

الجواب الأول:

يرد ابن تيمية الدعاء عند القبور إلى نوعين: أن يحصل بحكم الاتفاق لا لقصد الدعاء عندها بوجه خاص كمن يكون في مقبرة فيسال الله العافية له وللموتى كما ثبت في السنة.

الثاني: أن يتحرى الدعاء عندها بحيث يعتقد أن الدعاء عند هذا القبر أجوب منه في غيره ويخلص إلى أن هذا النوع منهي عنه إما نهي تحريم أو تنزيه وهو إلى التحريم أقرب.

وحتى لا يتشبث أناس بالنوع الأول لتبرير النوع الثاني يقول:" والفرق بين البابين ظاهر فإن الرجل لو كان يدعو الله، واجتاز في ممره بصنم أو صليب أو كنيسة، أو كان يدعو في بقعة وهناك صليب هو عنه ذاهل، أو دخل كنيسة ليبيت فيها مبيتا جائزا، ودعا الله في الليل، أو بات في بيت بعض أصدقائه ودعا الله، لم يكن بهذا بأس.

ولو تحرى الدعاء عند صنم أو صليب، أو كنيسة يرجو الإجابة بالدعاء في تلك البقعة، لكان هذا من العظائم.
بل لو قصد بيتا أو حانوتا في السوق، أو بعض عواميد الطرقات يدعو عندها، يرجو الإجابة بالدعاء عندها لكان هذا من المنكرات المحرمة؛ إذ ليس للدعاء عندها فضل.
فقصد القبور للدعاء عندها من هذا الباب بل هو أشد من بعضه".
علل المنع:
1 ـ قد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم النهى عن اتخاذ القبور مساجد، واتخاذها عيدا، وعن الصلاة عندها والعلة التي من أجلها نهى عن الصلاة عندها هي لئلا تتخذ ذريعة إلى نوع من الشرك بالعكوف عليها وتعلق القلوب بها رغبة ورهبة.
فمن باب قياس الأولى يحرم الدعاء عند القبور.
التفصيل: لأن العاقل يعلم أن الداعي الذي نزلت به نزلة يدعو الله لاستجلاب خير كرزق أو ولد أو لرفع شر كمرض او محنة يكون حاله في الافتتان بالقبور إذا رجا الإجابة عندها أعظم من حال من يؤدي صلاة الفرض عندها في حال العافية لان هذا الأخير لا يكاد قلبه يفتن بذلك إلا قليلا اما الداعي المضطر ففتنته بذلك أعظم.
الاستنتاج: إذا كانت المفسدة التي لأجلها نهي عن الصلاة متحققة في حال الذين يتحرون الدعاء عند القبور كان نهيهم عن ذلك أوكد وأوكد.
وهذا واضح لمن فقه في دين الله، وتبين له ما جاءت به الحنفية من الدين الخالص لله، وعلم كمال سنة إمام المتقين في تجريد التوحيد، ونفي الشرك بكل طريق.
2 ـ هذا أمر لم أمر لم يشرعه الله ولا رسوله ولا فعله أحد من الصحابة ولا التابعين، ولا أئمة المسلمين ولا ذكره أحد من العلماء ولا الصالحين المتقدمين، بل أكثر ما ينقل من ذلك عن بعض المتأخرين بعد المائة الثانية؟!
تأكيد النفي:
1 ـ الصحابة قد أجدبوا مرات، وداهمتهم نوائب كأفراد وكجماعة وعندهم قبر أفضل خلق الله وخاتم الرسل وأعظم شفيع فلماذا لم يستسقوا ويستغيثوا عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم؟
بل خرج عمر بالعباس فاستسقى به ولم يستسق عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم.
ثم عمر المسجد والسقف كما كان، وأحدث حول الحجرة الحائط الخشبي، ثم بعد ذلك

بسنين متعددة بنيت القبة على السقف، وأنكره من كرهه.
2 ـ قد كان من قبور الصحابة بالأمصار عدد كثير، وعندهم التابعون، ومن بعدهم من الأئمة، وما استغاثوا عند قبر صاحب قط، ولا استسقوا عند قبره ولا به، ولا استنصروا عنده ولا به.
الاعتراض:
قد يعترض أحدهم بالإمكان ونفي الدليل السمعي فيقول: وما يدرينا أن أحدهم فعل؟
الجواب:
1 ـ من المعلوم أن مثل هذا مما تتوفر الهمم والدواعي على نقله، بل على نقل ما هو دونه إذ هذا امر يحصل لجميع الناس فلابد ان يبتلوا ويمرضوا وتكون لهم حاجات كثيرة، ليس هو من المور التي تقع لهم نادرا بل هذا الغالب على حال البشر بغض النظر عن دينهم.
ومن تأمل كتب الآثار، وعرف حال السلف، تيقن قطعا أن القوم ما كانوا يستغيثون عند القبور، ولا يتحرون الدعاء عندها أصلا، بل كانوا ينهون عن ذلك من كان يفعله من جهالهم. كما قد ذكرنا بعضه.
2 ـ إما أن يكون الدعاء عندها أفضل منه في غير تلك البقعة، أو لا يكون.
ـ فإن كان أفضل: لم يجز أن يخفى علم هذا عن الصحابة والتابعين وتابعيهم؛ فتكون القرون الثلاثة الفاضلة جاهلة بهذا الفضل العظيم، ويعلمه من بعدهم.
كما لا يجوز شرعا وعقلا أن يعلموا ما فيه من الفضل العظيم ويزهدوا فيه، مع حرصهم على كل خير، لا سيما الدعاء، فإن المضطر يتشبث بكل سبب، وإن كان فيه نوع كراهة، فكيف يكونون مضطرين في كثير من الدعاء، وهم يعلمون فضل الدعاء عند القبور، ثم لا يقصدونه؟ هذا محال طبعا وشرعا.
ـ وإما لا يكون الدعاء عندها أفضل: وبالتالي يكون قصد الدعاء عندها ضلالة ومعصية، كما لو تحرى الدعاء وقصده عند سائر البقاع التي لا فضيلة للدعاء عندها، من شطوط الأنهار، ومغارس الأشجار وحوانيت الأسواق، وجوانب الطرقات، وما لا يحصي عدده إلا الله.
الدليل من القرآن:
قوله تعالى: {أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ} [الشورى] فإذا لم

يشرع الله استحباب الدعاء عند المقابر ولا وجوبه؛ فمن شرعه فقد شرع من الدين ما لم يأذن به الله وقال تعالى: {قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ} [الأعراف]

وهذه العبادة عند المقابر نوع من أن يشرك بالله ما لم ينزل به سلطانًا، لأن الله لم ينزل حجة تتضمن استحباب قصد الدعاء عند القبور وفضله على غيره، ومن جعل ذلك من دين الله فقد قال على الله ما لا يعلم.

وما أحسن قوله تعالى: {مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا} [الأعراف] لئلا يحتج بالمقاييس والحكايات والمنامات.

جواب شبهة استحباب بعض الفضلاء لهذا الفعل:

فإن قيل: فقد نقل عن بعضهم أنه قال: " قبر معروف الكرخي الترياق المجرب وروي عن معروف أنه أوصى ابن أخيه أن يدعو عند قبره.

وذكر أبو علي الخرقي في قصص مَنْ هجره أحمد، أن بعض هؤلاء المهجورين كان يجيء عند قبر أحمد، ويتوخى الدعاء عنده، وأظنه ذكر ذلك للمروذي ونقل عن جماعات أنهم دعوا عند قبور جماعات من الأنبياء والصالحين، من أهل البيت وغيرهم، فاستجيب لهم الدعاء، وعلى هذا عمل كثير من الناس.

وقد ذكر العلماء المصنفون في مناسك الحج إذا زار قبر النبي صلى الله عليه وسلم فإنه يدعو عنده، وذكر بعضهم أنه من صلى عليه سبعين مرة عند قبره ودعا استجيب له.

وذكر بعض الفقهاء في حجة من يجوز القراءة على القبر: أنها بقعة يجوز السلام والذكر والدعاء عندها، فجازت القراءة كغيرها.

وقد رأى بعضهم منامات في الدعاء عند قبر بعض الأشياخ، وجرب أقوام استجابة الدعاء عند قبور معروفة، كقبر الشيخ أبي الفرج الشيرازي المقدسي وغيره.

وقد أدركنا في أزماننا وما قاربها من ذوي الفضل علما وعملا من كان يتحرى الدعاء عندها أو العكوف عليها، وفيهم من كان بارعا في العلم، وفيهم من كان له كرامات، فكيف يخالف هؤلاء؟

الجواب:

1 ـ نذكر هذه الشبهة من باب قمع العناد فقط لأنها شبهة بعيدة عن طريق العلم والدين فكل هذا لا تقوم به حجة إن كان عريا عن الدليل الشرعي.

2 ـ لم ينقل في استحباب الدعاء عند القبور ـ فيما علمناه ـ شيء ثابت، عن القرون الثلاثة التي أثنى النبي صلى الله عليه وسلم عليها حيث قال: «خير أمتي القرن الذي بعثت فيه، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم».

وعليه فعدم فعلهم له وعدم أمرهم به مع شدة المقتضى اليه لو كان فيه فضل يوجب علينا القطع بأن لا فضل فيه.

3 ـ كثيرمن الأمة كره ذلك وأنكره، قديما وحديثا، وإذا اختلف فيه المتأخرون فالفاصل بينهم: هو الكتاب والسنة وإجماع المتقدمين نصا واستنباطا، والحمد لله لا ينقل هذا عن إمام معروف، ولا عالم متبع؟

الحال الأول للحكايات الواردة:

والمنقول في ذلك إما يكون كذبا كما نقل بعضهم عن الشافعي أنه قال: «إني إذا نزلت بي شدة أجيء فأدعو عند قبر أبي حنيفة فأجاب " أو كلاما هذا معناه.

وهذا كذلك معلوم كذبه بالاضطرار عند من له معرفة بالنقل، فإن الشافعي لما قدم بغداد لم يكن ببغداد قبر ينتاب للدعاء عنده البتة، بل ولم يكن هذا على عهد الشافعي معروفا.

وقد رأى الشافعي بالحجاز واليمن والشام والعراق ومصر من قبور الأنبياء والصحابة والتابعين، من كان أصحابها عنده وعند المسلمين، أفضل من أبي حنيفة، وأمثاله من العلماء. فما باله لم يتوخَّ الدعاء إلا عنده؟

ثم أصحاب أبي حنيفة الذين أدركوه، مثل أبي يوسف ومحمد وزفر والحسن بن زياد وطبقتهم، لم يكونوا يتحرون الدعاء، لا عند قبر أبي حنيفة ولا غيره.

ثم قد تقدم عند الشافعي ما هو ثابت في كتابه من كراهة تعظيم قبور المخلوقين خشية الفتنة بها، وإنما يضع مثل هذه الحكايات من يقل علمه ودينه.

الحال الثاني للحكايات الواردة:

ـ وإما أن يكون المنقول من هذه الحكايات عن مجهول لا يعرف، ونحن لو روي لنا مثل هذه الحكايات المسيبة أحاديث عمن لا ينطق عن الهوى، لما جاز التمسك بها حتى تثبت، فكيف بالمنقول عن غيره؟

الحال الثالث للحكايات الواردة:

ومنها ما قد يكون صاحبه قاله أو فعله، باجتهاد يخطئ ويصيب، أو قاله بقيود وشروط كثيرة على وجه لا محذور فيه، فحرف النقل عنه، كما أن النبي صلى الله عليه وسلم لما أذن في زيارة القبور بعد النهي فهم المبطلون أن ذلك هو الزيارة التي يفعلونها، من حجها للصلاة عندها، والاستغاثة بها.

خلاصة هذا الباب:

هذه الحجج دائرة بين نقل لا يجوز إثبات الشرع به، أو قياس لا يجوز استحباب العبادات بمثله، مع العلم بأن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يشرعها، وتركه مع قيام المقتضي للفعل بمنزلة فعله، وإنما يثبت العبادات بمثل هذه الحكايات والمقاييس - من غير نقل عن الأنبياء النصارى وأمثالهم.

منهج إثبات الأحكام:

وإنما المتبع في إثبات أحكام الله كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وسبيل السابقين أو الأولين، لا يجوز إثبات حكم شرعي بدون هذه الأصول الثلاثة، نصا واستنباطا بحال.

الجواب الثاني بالنقض :

والمقصود بالنقض هنا تخلف الحكم المدعى ثبوته أو نفيه بثبوت نقيضه، وهو كالتالي:

1 - إن لازم قولكم هذا، ونتيجته التي لا انفكاك لكم عنها أن من استجيب له في دعاء ما،دلّ ذلك على حسن عمله أو مشروعيته، ومعلوم أن هذا الاعتقاد يوجب تحسين دين اليهود و النصارى و المجوس من كل الأصناف، حتى عباد الفئران و الثيران، فإن لهؤلاء من هذه الحكايات و الأقيسة نمطا كثيرا، منها على سبيل المثال: اعتقاد قريش يوم أحد أن سبب انتصارها هو من أفضال صنمها هبل عليها، ولذلك قال أبو سفيان:" أعل هبل"، و أجابه عمر بن الخطاب بتعليم النبي صلى الله عليه و سلم قائلا:" الله أعلى و أجل" رواه البخاري.

فهذه قريش نحرت لـ "هبل" الجزور ودعته واستغاثت به لينصرها على المسلمين، ولما أخذت بثأرها ما كان اعتقادها إلا أن " صنمها" المصنوع من الحجارة قد استجاب لها! و المسلمون جميعهم متفقون على أن أصنام قريش حجارة لا تملك من

نفسها شيئا، فإذا لم يصلح هذا كدليل لقريش ولكل مشرك وكافر لم يصلح كذلك كدليل لمن يستحسن الدعاء عند القبور، و الحمد لله الذي جعل لنا من كل شيء مثلا.
فإن البشر منذ أن وجدوا على الأرض ولابد أن يوجد فيهم الدعاء ضرورة، ذلك أن حاجة الإنسان تخلق معه، وهؤلاء الكفار من الهنود وبني الأصفر يحصل لهم كل يوم من الاستجابة لدعواتهم مالا يعلمه إلا الله، وهم يدعون أوثانا وفئرانا وثيرانا!
فإن كان هذا وحده دليلا على أن أدعيتهم مشروعة ما دامت الإجابة تحصل بها، فطرد هذا الدليل كفر صريح، إذ يستلزم أن كل من استجيب له من الكفار وقد دعا باطلا فمدعوه حق، ولا يخفى على أي مسلم شناعة هذا القول، والكل يعلم أن ما سوى الإسلام فباطل مغلوب أهله يوم القيامة.
لقد رأى كثير من المسلمين النصارى يعالجون مرضاهم بالمس الشيطاني بالصليب وهو باطل سينزل المسيح عليه السلام ويكسره، فإن خاف الجني من هذا الصليب الباطل وخرج من بدن المصروع فهل يجب الاعتقاد أن هذا الصليب حق على أساس هذا الاستدلال الفاسد؟
وإذا التقى المسلمون والنصارى واليهود أو المجوس في حرب ضروس، والمسلمون يتوسلون إلى الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلى ويستغيثونه لينصرهم على عدوهم رافعين أصواتهم بالتكبير، والكفار رافعون صلبانهم ويضربون بنواقيسهم ونيرانهم ثم قضى الله بهزيمة المسلمين كما حصل مرارا في التاريخ فهل يجب بناء على استدلال من يستحسن الدعاء عند القبور أن نعتقد أن دينهم حق وأفضل من دين المسلمين؟
قال الله تعالى: { قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ } [الأعراف]
وهذا نفس جواب الأنبياء لقومهم، فإن النصر والهزيمة منوط بحكمة الخالق لا يدل على صلاح المنتصر أو فساده.
قال الله عز وجل: {وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الإنْسَانُ كَفُورًا} "الإسراء".
فهذا من علم الله أنه كافر يستجيب له إذا دعاه مضطرا، ونظائر هذا في القرآن كثير، منها قوله تعالى: {قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ () بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا

تُشْرِكُونَ}"الأنعام" أعظم السور التي تضمنت أصول التوحيد.
وقال أيضا: {مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا. وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا. كُلا نُمِدُّ هَؤُلاءِ وَهَؤُلاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا}"الإسراء".
فهؤلاء رغم أنهم لم يخلصوا له الدين في عبادته، ولم يطيعوا رسوله يستجيب لهم إذا دعوه.
فليس كل من متعه الله برزق ونصر بإجابة دعائه أو بغير ذلك كما هو مشاهد في أمم من الكفرة لهم من النعيم وملذات الدنيا وزينتها ما رزقهم الله إياه بدون دعاء ـ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((مَا أَحَدٌ أَصْبَرَ عَلَى أَذًى يَسْمَعُهُ مِنَ اللهِ تَعَالَى، إِنَّهُمْ يَجْعَلُونَ لَهُ نِدًّا وَيَجْعَلُونَ لَهُ وَلَدًا وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ يَرْزُقُهُمْ وَيُعَافِيهِمْ وَيُعْطِيهِمْ)) رواه الشيخان عن أبي موسى ـ رضي الله عنه واللفظ لمسلم ـ يكون ممن يحبه الله و يواليه، بل هو سبحانه يرزق المؤمن و الكافر، و البر و الفاجر، فقد يجيب الكفار و المشركين و يعطيهم سؤالهم في الدنيا وما لهم في الآخرة من خلاق، بل هو شر لهم، قال الله تعالى و قد انزل كتابه تبيانا و تفصيلا لكل شيء:{ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ. نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَل لَا يَشْعُرُونَ}"المؤمنون".
وقال: {فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ}"الأنعام".
وقال: {وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ}"آل عمران".
والإملاء كما ذكره المفسرون: إطالة العمر وما في ضمنه من الرزق والنصر، والتمتيع بطيبات الدنيا.
فليحذر من لم يطع الله حق طاعته، ولم يتبع الرسول صلى الله عليه وسلم حق الإتباع، وهو ماكث على المعاصي، والله يستجيب لدعائه فليحذر أن يكون من هؤلاء.
وقال الله عز وجل: {فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ * وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ}"القلم"، فهؤلاء لم ينفعهم يوم القيامة استجابة الله لدعائهم في الدنيا.

ومن هذا القبيل من يتعدى في دعائه من المسلمين،ممن يختار الدعاء عند القبور، أو بطلب ما لا يصلح له أن يطلبه إذا حصل له بعض مطلوبه ظن أن ذلك دليل على حسن عمله وعلى كرامته على الله، فهذا يشبه من أملى له الله و أمده بالبنين و المال يظن ذلك مسارعة له في الخيرات جاء في الحديث الصحيح:" إِذَا رَأَيْتُمُ اللَّهَ يُعْطِي الْعَبْدَ مَا يُحِبُّ وَهُوَ مُقِيمٌ عَلَى مَعْصِيَتِهِ فَإِنَّمَا ذَلِكَ اسْتِدْرَاجٌ ، ثم قرأ قوله تعالى { فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ } " رواه أحمد والطبراني في "الكبير" والبيهقي في "الشعب" بسند حسن ،وهذا لفظه في القضاء و القدر.

كذلك نقول: دعاء الله قد يكون دعاء عبادة كالأدعية المأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم، ليس فيها إلا المطالب العالية، والغايات السامية، فيثاب العبد على هذا الدعاء في الآخرة، مع ما يحصل له في الدنيا من قضاء الحوائج، وتسهيل أسباب العيش، فإن الأعمال المشروعة كثيرا ما تكون سببا في حصول منافع دنيوية، وذلك من رحمة الله بأهل طاعته أن يحسن إليهم ويلطف بهم من حيث لا يشعرون.

وقد يكون دعاء مسألة تقضى به حاجته، فإن دعا بالكيفية المشروعة الصحيحة، ولم يتعد فيه، فقد يثاب على هذا الدعاء في الآخرة كذلك، إذا كان هذا الدعاء مما يحبه الله كالدعاء بأسمائه الحسنى.

ودعاء المسألة قد يكون سببا لضرر في دين المسلم كما لو طلب مالا يلهيه عن عبادة الله، أو نعمة تحجبه عن الله، أو ولدا وزوجة يفتنونه في دينه، إذا لم يقيد ذلك بالاستخارة، فيعاقب على ما ضيع من حقوق الله، وعلى ما تعداه من حدوده.

جواب آخر:

ثم يقال: إن من يستحسن الدعاء عند القبور مختلفون، فلكل منهم قبر و ضريح يدعو عنده، و يدعو إلى الدعاء عنده، و يسيء الظن بالآخر، أو أن قبره يستجاب عنده و لا يستجاب عند غيره، ومن المحال إصابتهم جميعا، وموافقة بعضهم دون بعض تحكم ومجرد دعوى.

قال الله تعالى: {وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ}"البقرة".

فكل من كتم ما يعلمه من الحق، أو غيّره أو حرفه، أو عبد الله بما لم يشرعه ينتهي إلى قول اليهود والنصارى ـ كلية أو جزئيا ـ فمن يستحسن الدعاء عند القبور من المتصوفة يقول: ليست المتكلمة على الشيء إن هي إلا زبالة العقول وقياسات من جنس قياسات الشياطين، والمتكلمة يقولون: ليست المتصوفة على شيء إن هي إلا منامات وأحاديث النفس، وهم جميعا يتلون الكتاب!

جواب ثالث:

وإذا نقضنا عقيدة من يستحسن الدعاء عند القبور بفعل اليهود و النصارى و عبدة الأوثان انتقلنا للرد عليهم من وجه آخر زيادة في البيان و قطعا للشبه فنقول بإذن الله تعالى:

1 ـ اعلم أن الأسباب التي يخلق بها الله الحوادث في الأرض والسماء لا يحصيها إلا هو، وملكوت الله أوسع من أن يلحظه الإنسان أو يحيط به إدراكا.

وإذا كان انتقاض الاقتران بين العلة والمعلول دليلا على أن الدعاء ليس السبب الوحيد في حصول الاستجابة ونيل المطلوب، وقد أرشدنا النبي صلى الله عليه وسلم إلى الأسباب التي هي خير محض، كالتوكل على الله، والثقة به، ودعائه على الوجه المشروع في الأمكنة والأزمنة التي فضلها الله ورسوله، وبالكلمات المأثورات، كالصلاة والزكاة والعمرة والحج وتلاوة القرآن، وذكر الله، فإن هذه الأعمال يحصل بها من الخير في الدنيا والآخرة الشيء العظيم، وتجلب للمسلم الخير وتدفع عنه الشر أكثر من باقي الأسباب.

وقال صلى الله عليه وسلم: ((إِنَّ اللهَ لَا يَظْلِمُ مُؤْمِنًا حَسَنَةً، يُعْطَى بِهَا فِي الدُّنْيَا وَيُجْزَى بِهَا فِي الْآخِرَةِ، وَأَمَّا الْكَافِرُ فَيُطْعَمُ بِحَسَنَاتِ مَا عَمِلَ بِهَا لِلَّهِ فِي الدُّنْيَا، حَتَّى إِذَا أَفْضَى إِلَى الْآخِرَةِ، لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَةٌ يُجْزَى بِهَا)). أخرجه مسلم وأحمد.

وإذا كان الأمر كذلك علمنا أن الأسباب التي لم يرشدنا إليها الكتاب والسنة إما أنها أسباب لا يحصل بها أي أثر، أو أنها أسباب هي في نفسها مضرة تجلب النكد، ولا يحصل بها الغرض إلا نادرا.

ذلك أن الله فرق بين أمر التكوين"القدر" وبين أمر التشريع" الدين" أمر ونهي، فقدر أمورا وهو لا يحبها ولا يرضاها بأمر التكوين، وحرمها ونهى عنها وتوعد من يأتيها بأمر التشريع.

وقدَّر أمورا أخرى وهو يحبها ويرضاها ويريدها من عباده، فأرشد إليها بأمر التشريع، وقد يعين العبد على إتيانها من باب الإحسان.

فمن الأمر الأول: السحر والحسد والسرقة والغصب والربا والظلم والقتل والإفك وشهادة الزور وغيرها، ثبت أن كل هذه من المؤثرات في العالم بإذن الله تعالى قضى أن تكون مؤثرة ألا ترى أن الله قضى بالسحر كثيرا من أغراض النفوس الشريرة الخبيثة فمنهم من يطلبه للتفريق بين الزوجين، أو لإصابة عدوه بمرض أو لنيل شهوة ما، فيستعين بالسحر وغيره من الوسائل المحرمة شرعا.

وكذلك الرجل يسرق الطعام ويأكله فيحصل له به الشبع، وقد يصير غنيا بالسرقة والنهب أو بالربا، فهذه المطالب مع حصولها بهذه الوسائل المحرمة تكون على صاحبها وبالا يوم القيامة، ومجلبة للعذاب المقيم، وفي الدنيا من أسباب ضنك العيش، ومع ذلك هي أسباب مؤثرة يحصل بها التأثير فحصول التأثير بسبب ما ليس دليلا على مشروعية هذا السبب، فقط الدليل الشرعي هو الذي يجعله مشروعا.

قال تعالى: {وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ} "البقرة".

إن الذين يتعاطون السحر يعترفون بأنه لا ينفع في الآخرة، وانه كفر بما أنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم، وإنما يتشبثون بمنفعته في الدنيا لأنهم ممن لا يرجون لله وقارا، ولا يخافون يوما عبوسا قمطريرا.

فهؤلاء يفعلون ما يضرهم ولا ينفعهم، لأن ما يحصل لهم من هذا العمل إذا قدر أنه يحصل لهم منفعة في الدنيا قليلة حقيرة هي بما ينالهم من العذاب يوم القيامة مضرة، وليست منفعة، ولذلك قال الله عن الذين يتعلمون السحر، أو يفعلونه: {وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ} "البقرة".

فإذا لم تكن حصول المنفعة بالسحر دليلا على مشروعيته وحسنه بالاتفاق، لم تكن استجابة الدعاء عند القبور وقد نهى عنه الشرع دليلا على مشروعيته وحسنه.

وقوله تعالى عن السحر: {وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ} "البقرة" يقتضي أنه مما لا ينفع في الآخرة، ولا يحصل به إلا بعض المطالب الدنيوية، فلا يوجد من يطلب الإيمان والتقوى واليقين والإخلاص باستعمال السحر والتمائم، لأنهم علموا أنه لا أثر له في الآخرة، فهو من الأمور التي قدرها الله في

الدنيا وجعلها مؤثرة بإذنه وهو لا يحبها ولا يرضاها، فكل ما أخبر الله عنه أنه لا يحبه ولا يرضاه فإنه مما لا ينفع في الآخرة.

فثبت أن كون الشيء قدره الله وقضاه وخلقه لا يقتضي أنه يحبه ويرضاه، فالله قدر الكفر والشرك والظلم ومع ذلك لا يحبها ولا يرضاها.

فليس كون الشيء مقدرا يعني أنه مطلوب للعبد ومستحب له، فكذلك قدَّر الله الربا والسرقة والزنا والخمر والميسر ومع ذلك نهى عنها، وتوعد عليها، مع أنها يحصل بها فائدة ومنفعة لأصحابها.

فلو عبدنا الله بما ثبت أنه نافع مؤثر ولم نلتفت إلى الإرادة والأمر الشرعيين لدعانا ذلك إلى أكل الخنزير وشرب الخمر والسرقة والتعامل بالربا والبيوع المحرمة لما يحصل لنا بها من المنافع والفوائد كما هو مشاهد في المجتمعات التي تستحل ذلك، ولكن لما نهى الله عنها علمنا أن مفسدتها أرجح من نفعها بأضعاف مضاعفة.

وكذلك الدعاء عند القبور فإنه وإن حصل به بعض الغرض فإن مضرته أعظم لما تنطوي عليه من مفاسد دنيوية وأخروية.

تعظيم مقام النبوة كاف لنجاة العبد من الشرك:

الذي يجب على المسلم اعتقاده للنجاة من الشرك أو البدع بكل أصنافها أن ما نهانا عنه الله ورسوله لا يصلح لنا في الدنيا والآخرة، وليس علينا أن نعرف مفسدته على وجه التفصيل والتخصيص، ولكن علينا أن ننتهي عنه استجابة لله وللرسول، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ} "الأنفال".

فليس على المؤمن ولا له أن يطلب من الرسول تبيين وجوه المفاسد، وإنما عليه طاعته، قال الله تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ} "النساء"، وقال: {مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ} "النساء"، وقال: {وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا} "النور".

فتصديق النبي صلى الله عليه وسلم يوجب توقيره ومحبته محبة مقدمة على النفس والمال والأهل والشيوخ والمذهب، وإيثار طاعته ومتابعة سنته، ومن لم تكن له بصيرة يدرك بها الفاسد الناشئ من هذا الدعاء البدعي فيكفيه أن يقلد الرسول صلى الله عليه وسلم، فإنه لم يفعله، ولا ندب إليه.

فتعظيم مقام النبوة يقتضي منا أن ننظر فيما جاء عن نبينا صلى الله عليه وسلم إن كان هو وأصحابه يتحرون الدعاء عند القبور كما يفعل الناس اليوم، فما فعله رسول الله

صلى الله عليه وسلم أو فعله أصحابه فعلناه، وما اجتنبه اجتنبناه، هذا إن أردنا أن نكون موافقين له ومتبعين، أما أن نعكس الأمر فسنكون مخالفين له.

والوعد بسعادة الدنيا والآخرة، والوعيد بشقاء الدنيا والآخرة معلق بطاعته فطاعته هي الصراط المستقيم، وهي حبل الله المتين، وهي العروة الوثقى".

فليس لأحد سبيل إلى رضا الله وكرامته و رحمته إلا الإيمان بمحمد صلى الله عليه و سلم و إتباعه،فإن الله أرسله برسالة عامة إلى جميع الثقلين في جميع أمور الدين الباطنة و الظاهرة بشرائع الإسلام و حقائق الإيمان إلى علمائهم و عبادهم و ملوكهم وسوقتهم، فليس لأحد و إن عظم علمه و عبادته و ملكه و سلطانه أن يعدل عما جاء به الرسول صلى الله عليه و سلم إلى ما يخالفه في شيء من الأمور الدينية باطنها و ظاهرها و شرائعها و حقائقها بل على جميع الخلق أن يتبعوه و يسلموا لحكمه قال تعالى:{ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا }"النساء"

فأعظم عاصم من الزلل و الخطأ إعطاء مقام النبوة حقه من التجريد و الفهم، قال النبي صلى الله عليه و سلم: ((إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ قَبْلِي إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتَهُ عَلَى خَيْرِ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ، وَيُنْذِرَهُمْ شَرَّ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ، وَإِنَّ أُمَّتَكُمْ هَذِهِ جُعِلَ عَافِيَتُهَا فِي أَوَّلِهَا، وَسَيُصِيبُ آخِرَهَا بَلَاءٌ، وَأُمُورٌ تُنْكِرُونَهَا، وَتَجِيءُ فِتْنَةٌ فَيُرَقِّقُ بَعْضُهَا بَعْضًا، وَتَجِيءُ الْفِتْنَةُ فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: هَذِهِ مُهْلِكَتِي، ثُمَّ تَنْكَشِفُ وَتَجِيءُ الْفِتْنَةُ، فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: هَذِهِ هَذِهِ، فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُزَحْزَحَ عَنِ النَّارِ، وَيُدْخَلَ الْجَنَّةَ، فَلْتَأْتِهِ مَنِيَّتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَلْيَأْتِ إِلَى النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ، وَمَنْ بَايَعَ إِمَامًا فَأَعْطَاهُ صَفْقَةَ يَدِهِ، وَثَمَرَةَ قَلْبِهِ، فَلْيُطِعْهُ إِنِ اسْتَطَاعَ، فَإِنْ جَاءَ آخَرُ يُنَازِعُهُ فَاضْرِبُوا عُنُقَ الْآخَرِ)) رواه مسلم في صحيحه.

وقال أبو ذر ـ رضي الله عنه ـ: ((لَقَدْ تَرَكَنَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَا يُحَرِّكُ طَائِرٌ جَنَاحَيْهِ فِي السَّمَاءِ إِلَّا أَذْكَرَنَا مِنْهُ عِلْمًا)) أحمد، ضعيف له شواهد صحيحة]

قال عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ: ((قَامَ فِينَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَقَامًا، مَا تَرَكَ شَيْئًا يَكُونُ فِي مَقَامِهِ ذَلِكَ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ، إِلَّا حَدَّثَ بِهِ» ، حَفِظَهُ مَنْ حَفِظَهُ وَنَسِيَهُ مَنْ نَسِيَهُ، قَدْ عَلِمَهُ أَصْحَابِي هَؤُلَاءِ، وَإِنَّهُ لَيَكُونُ مِنْهُ الشَّيْءُ قَدْ نَسِيتُهُ فَأَرَاهُ فَأَذْكُرُهُ، كَمَا يَذْكُرُ الرَّجُلُ وَجْهَ الرَّجُلِ إِذَا غَابَ عَنْهُ، ثُمَّ إِذَا رَآهُ عَرَفَهُ)) البخاري

في صحيحه ومسلم عن حذيفة بلفظ مقارب.
"تجريد التوحيد هو الإقبال على الله دون ما سواه بحيث يكون حنيفا له، مخلصا له الدين، لا يحب شيئا إلا له ، ولا يتوكل إلا عليه، ولا يوالي إلا فيه، ولا يعادي إلا فيه، و لا يسال إلا إياه ،و لا يرجو إلا إياه، ولا يخاف إلا إياه ؛ يعبده و يستعين به بحيث يكون عند الحق بلا خلق ،و عند الخلق بلا هوى؛ قد فنيت عنه إرادة ما سواه بإرادته، ومحبة ما سواه بمحبته وخوف ما سواه بخوفه، ورجاء ما سواه برجائه، ودعاء ما سواه بدعائه، وهذا أمر لا يعرف بالذوق و الوجد إلا من له نصيب، وما من مؤمن إلا له منه نصيب " السلوك 10/335
فصل ابن تيمية هذه المسألة في الاقتضاء في 2/195.
بعد العيد إن شاء الله تعالى نختصر لكم مسألة " النهي عن التشبه بالكفار..... "

مشاركتنا على الفيسبوك ببعض المقالات القصيرة هي من باب عرض طريق آخر للناس بدون قصد جدلي لأن عقلاء الناس لا يحتاجون إلى الجدال و الانتشار في كل فرع.
عقلاء الناس لا يحتاجون إلا أن نعرض عليهم طريقا آخر لبحث المسائل فيميزون الصواب من الخطأ بقوة عقولهم وزكاة نفوسهم.
أما المعاند المتعنت فيبحث عن الجدال والمناكفة ،و مع ذلك لا ينتفع بها إذ غرضه فاسد من الأساس.

غير قابل للاغتيال العلمي!
الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.
لا يمكنك تدمير ما حفظ الله، لا يمكنك تدمير ما لا تعرف.
عندما نتكلم عن علماء أئمة مثل ابن تيمية في سياق النقض لهم والذم، ومحاولة التعرض لمكانتهم وانتقاصها بأسلوب غوغائي ما يسمى بـ " الاغتيال الأدبي" فهو مما يخدم الحقيقة خدمة جليلة، فمن حيث يريد البعض الضر يقع النفع.
لقد ضعف المذهب الأشعري بحيث صار يمثله دعاة سوقية بدلا من مناقشة المخالف علميا غطسوا في ظلمة العصبية العامية محاولين إسقاط الشخص بالقضايا الجانبية

المزورة التي اختلقها بعض سلفهم لما أعياهم النقاش معه!
ولهذا ليس في وسعهم اغتياله علميا فقد حاول سلفهم طيلة قرون ومع ذلك صمد علمه ومؤلفاته واخترقت عصور الجهل والظلام التي أعقبت عصره بمدة قصيرة، وها هو اليوم حديث المسلم وغير المسلم فلا توجد شخصية علمية اعتنى بدراستها المعاصرون مثل ابن تيمية، وهي في كل يوم تتسع وتدخل مجالات جديدة، والمحفوظ من حفظه الله.
الميزة الفذة للنقاش العلمي الذي فتحه ابن تيمية مع المتكلمين أنه وضع حدا للجدل الكلامي العقيم وحسم القضايا الأبستمولوجية والبراديمية لعلم الكلام فقد نكث غزل الكلام من الداخل بحيث أظهر استحالة وصوله إلى حقيقة كلامية جدلية موازية للحقيقة النصية مقدما صورة مبهرة عن العقل المستفاد من الوحي، وبتفكيكه الكلام إلى مقدماته الموضوعة وضعه عاريا من المحسنات الاصطلاحية أمام العقلاء.
صديقي الأشعري الذي أعياه اجترار شبهات كلامية قديمة، ولم يبق له إلا الاغتيال العلمي على طريقة متأخري سلفه معتمدا على إقناع ـ بهذه الأساليب السوقية ـ من لا يقرأ لابن تيمية ولا يدري المسكين أين هو؟!
لا يمكن لشخص عنده فضول علمي وتواضع أمام الحقيقة يقرأ لابن تيمية مقاومة الرغبة في النظر عن قرب في كيفية تركيب علم هذا الرجل، في هذا الشيء الجميل المسمى "توافق العقل مع النقل" فعنده يلمس هيمنة القرآن على ما سواه، ويضع مقام النبوة بمعرفة واقعية فوق كل مقام عقلي مستفاد أو ذوقي.
ولهذا فإن مئات الألاف من طلبة العلم والباحثين والمثقفين لا يعيرون الأساليب التالفة أدنى اعتبار وعند هؤلاء يعيش علم ابن تيمية ويزدهر.
محاولاتكم الصبيانية لا تنم إلا عن قراءة متقدمة في ظواهرية العقل لتاريخ الخبل الكلامي حين يلتقي خبل التعصب المذهبي مع لا عقلانية الأصول فيتفقان على الهوس باغتيال ابن تيمية!
المعركة الجدلية بينكم وبين ابن تيمية كانت عنيفة ولا زالت لأن الأشعرية أكثر الفرق الإسلامية التي مزقها ابن تيمية معرفيا فإذا نزلتم إلى كهوف المكائد والتزوير فبسبب الإفلاس من الحجة.
النقد العلمي لابن تيمية أو غيره من العلماء نتفهمه فقد تكون أسبابه موضوعية أو

سائغة بحكم واقع علمي مضطرب أو خطأ شائع أو اشتباه، ولكن الهجوم لقصد الإيذاء لا تكون أسبابه إلا مصطنعة بغرض تجاهل المطلوب وصرف النظر عن جوهر القضية، وهذا ما يكتشفه كل باحث عن الحقيقة بتحليل المحرك الباطني للعدوان الذي تعرض له ابن تيمية على مر عصور التخلف.

وفي زمن الانتكاسات وبيع الذمم والضمائر المسلوبة والمدجنة بآليات الفكر العلماني الغربي والانحراف البدعي يأمل المسلمون من دعاتهم وعلمائهم لحظة صدق تمزق سكون المغلوبين وموقف حق يضيء بشعاعه ظلمات جاهلية العصر الحديث ووحشيته"عبادة الشهوات"

إن الموضوعية العلمية النازلة من إدراك استقرائي جمعي للنص الشرعي، الكاشفة لأحوال الفرق والمذاهب، المخبرة والدراسة له بصدق أعني بمطابقة له، الناظرة إلى الواقع الهش والأعرج لا يمكن لها بأي حال من أحوال أن تلوم الأشعري على أشعريته وميله اليها فالأسباب معروفة، ولكنها تلوم على الوضاعة والتعصب الأعمى واختلاق الأكاذيب.

فإننا ندعو الأشعرية حين التفكير إلى توازن الميول فلا يطغى حبهم لأشعريتهم على عقولهم فيوجهون حركة فكرهم نحو الخطابة حتى لا يفقد موضوعيته، ويقع في جريمة توظيف اللبس العلمي، وتأويل الحقائق الثابتة.

وهذا يدل على خلل الاتساق بين وظيفة العلم والدعوة وسطوة الانتساب الكلامية كأشعري، وان هدفهم من هذه الحملة السخيفة السجال للمغالبة وليس النقاش الواعي.

يجب أن نفرق بين الخطأ الذي يقع عرضا بسبب فساد التصور والجهل النسبي، وبين سوء القصد لغرض الجدل، والدفع في نحر الحقائق الساطعة ذلك أن علم ابن تيمية ومواقفه متواترة تشهد عليها مجموع كتبه وهي كثيرة جدا فأي اعتماد على مصدر معاد خارج عنها ضياع للأمانة العلمية.

ومن باب الابتعاد عن اللغو والسفه ولرفع المستوى فهذه شهادات من دارسين غربيين لا يعانون من حب ولا من بغض لشخص ابن تيمية يستفيد منها العاقل مع أن ما كتبه المسلمون المنصفون في هذا العصر عن ابن تيمية أقوى وأشمل وأدق لكن المتعصب يعاني منعقدة نقص ورهاب!

المهم ستجد هنا الفرق بين العلم والرقي اللغوي المعتمد على الحقائق العلمية وبين

السفه المتعالم الواقف على سخافات طفولية تتسلح بالإشاعة وتتغذي على الغث فقط.
ملاحظة: ما بين معقوفتين من كلامي.
ابن تيمية عند عقلاء الغربيين
كتاب " ابن تيمية وعصره" هو ملخص مؤتمر «ibn taymiyya and his time"
بدعم من مايكل كوك وتمويل مؤسسة ملون فونداسيون في جامعة برنستون 2005.
1 ـ لا يمكن لأي باحث تجاوز فكره وأعماله سواء اتفق مع منهج ابن تيمية أو اختلف معه جزئيا او كليا، فهو حلقة من الحلقات الكبرى في تاريخنا الفكري.
2 ـ أول من اهتم به هنري لاووست من خلال رسالته للدكتوراه «الآراء الاجتماعية والسياسية لابن تيمية «تحت إشراف لويس ماسينيون.
واورث لاووست تلميذه جورج مقدسي الاهتمام بابن تيمية [" ليس دقيقا" أبحاثه هامشية]
3 ـ يقول يوسف ربوبورت [محرر ابن تيمية وعصره] " بيان إساءة فهم فكر ابن تيمية ووضعه في خارج سياقاته التاريخية والفكرية سواء من محبيه وأتباعه أو من خصومه " [فهم الغربيون عنه في قراءة سريعة ما لم يفهمه المسلمون المتعصبون في قرون]
4 ـ اهتمام الغربيين به متزايد في السنوات الأخيرة فكتب جون هوفر " ibn taymiyya's theodicy of perpetual optimisme" ليدن 2007.
كاترينا بوري "ibn taymiyya :una vita esemplare"
و أحسن دراسة كمدخل لفكر ابن تيمية هي ما كتبه طوماس ميشال " a muslim theologian's response to christianity : ibn taymiyya's al jawab al sahih" دالمار 1984.
ومقالات يحي ميشو " goerge makdisi : ibn taymiyy : a suffi of the qadariyya order" - "thomas michel,ibn taymiyya's sharh on the futuh al ghayb" - " Geoffroy, le traité de soufisme d'un disciple d'ibn taymiyya al wassiti" التذكرة و الاعتبار و الانتصار للأبرار في الثناء على شيخ الإسلام و الوصاية به عماد الدين الواسطي - " t homerin, ibn taymiyya's al sufiya wa fugara" - " : hassan quassim murad

donald little, did ibn " - "mihan of ibn taymiyya , islamic studies
bori,a new " - "taymiya have a screw loose , studia islamica
sherman jackson, " - "source for the biohraphy of ibn taymiyya
"ibn taymiyya on trial in damsacus, journal of semitic studies

ـ مع ذلك لم يصدر إلى الان عمل متسق يكون مرجعية لأعمال ابن تيمية وفكره.

ـ يدور المؤتمر على بحث ثلاث مسائل:

الأولى: تحدد مساهمة ابن تيمية الكثيرة في الخطاب الفقهي والعقيدة والفلسفة والمنطق والتفسير والحديث والتصوف والنظرية السياسية والجدل العقدي لمعرفة هل هناك منهج تيمي واضح المعالم؟

وما هي خصائص هذا المنهج [أخفقوا كثيرا مثلا لم يبحثوا المنطق يعني الأصل المعرفي ولا النبوات يعني الأصل الميتافزيقي ومقالات غير عميقة ولا تصورانية[ٍ

الثانية: كيف أثر السياق التاريخي الفكري والسياسي والاجتماعي على فكر ابن تيمية ومساره المهني.

الثالثة: طبيعة تأثير فكر ابن تيمية في القرون التي أعقبت وفاته وكيف تلقاه المسلمون في العصر الحديث وكيف قدمت أفكاره؟

بتلخيص: المنهج التيمي والسياق التاريخي وصدى ابن تيمية المعاصر [هذه المقالات عاجزة عن تقديم فهم كامل لتراث ابن تيمية].

تكشف هذه المسائل الثلاث: 1 ـ مركزية العقل في فكر ابن تيمية العقدي والفقهي ومدى مخالفته لأصول مذهبه الحنبلي

2 ـ اعتماد ابن تيمية على منهج السلف وان سلفيته مركزية في فكره وأنها متحررة

3 ـ الصورة النمطية على انه شخص متعصب تبددها البحوث التي أظهرت انه يتمتع ببراغماتية واقعية في مقاربة المسائل العمل والممارسة.

5 ـ شهرته المعاصرة الطاغية تقف على نقيض التهميش الذي عناه في عصره وبعده دافع عنه بشدة البقاعي والشوكاني والألوسي والبزار.

ـ تلامذته عباقرة: ابن القيم، ابن كثير، ابن مفلح، ابن عبد الهادي، الذهبي؛ تعرض لحملة إهمال وتشويه من الأشاعرة والصوفية والمتمذهبة وغيرهم.

ـ [النصيحة الذهبية وزغل العلم رسائل منحولة تنسفها ترجمته عند الذهبي كان

معظما له كتبها متعصبون ضده ممن كان عنده مخطوطات الذهبي تجاوزها الغربيون بسهولة لسخافتها لكنها هفوة منهجية منهم]

6 ـ شوهه المتشددون الذين لم يفهموه مثل قاتل السادات وصاحب كتاب "الفريضة الغائبة" حتى كتب دانيال بن جامين وستيفن سيمون في كتابهما " the âge of sacred terror" فصلا تحت عنوان "ابن تيمية وأبناؤه" نيورك راندوم هاوس 2002.

وكتب إمانويل سيفا " ibn taymiyya :father of islamic revolution,medieval theologie and modern politics".

ـ غالبا ما يستشهد به دون أن يفهم كلامه وتستدعى نصوصه دون دراسة وافية إضافة إلى سعة اهتماماته وضخامة انتاجه العلمي فهم المسلمين له مغلوط في أكثره [هناك سبب آخر هو عدم الأمانة العلمية عند الطائفيين والمتذهبين]

7ـ يتفق خصوم ابن تيمية على ان الرجل كان مبدعا وحاذقا في الفكر الإسلامي تتجلى في كتاباته عبقرية أفكاره "كتب نقدا غير مسبوق للمنطق الأرسطي"، أعاد النظر في قصة الغرانيق التي تقيد أن الشيطان يمكنه أن يغوي الرسول بقوة أبستمولوجية لا نظير لها.

الحملة على ابن تيمية:

ـ الطائفية الفقهية: لم تكن الطائفة عند الفقهاء إلا المذهب الفقهي فهو أكثر من كونه انتماء فكريا وفقهيا هو عبارة عن مؤسسة لربط علاقات اجتماعية مهنية يمثل هوية أيديولوجية جماعية يمثل الجدل الفقهي في داخلها المنافسة لذلك لا يلتزم دائما بهوية المذهب= الجدل بين المتكلمين والقياسيين والمحدثين داخل المذهب الشافعي " جورج مقدسي".

ـ كانت هناك مراسلات بين ابن تيمية وتلامذته وبين تلامذته فيما بينهم درستها كاترينا بوري وهي تكشف لنا حقائق مهمة من تاريخ ابن تيمية وما عناه من اضطهاد وتقييد هو وتلامذته في حياته وبعد مماته: كان الاسم المتعارف عليه بينهم هو " الجماعة «تضم تلامذته المقربين الذين ساهموا في نشر آرائه وكانوا شركاء له في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وحفظوا بخطة حكيمة مؤلفاته، فهناك دوائر مختلفة للمتأثرين بابن تيمية.

ـ في أثناء سجنه بالإسكندرية سنة 709 هـ كتب أحد إخوته من مصر اسمه شرف الدين [727] رسالة إلى أخيه بدر الدين "717" قال فيها:" فنحن والجماعة في نعم الله الكاملة" [العقود الدرية لابن عبد الهادي]. سنة 706 بعث من سجنه في القاهرة رسالة إلى أخيه بدر الدين طلب منه توجيه السلام إلى الجماعة، وفي رسالة من سجن الإسكندرية قال " وأكثر ما ينقص على الجماعة " وانه يدعو لهم، " والمقصود إخبار الجماعة" والذي آمر به كل شخص منهم أن يتقي الله ويعمل لله مستعينا بالله مجاهدا في سبيل الله "
ـ مبادئ الجماعة: نجدها في رسالة أقرب تلاميذه إليه عماد الدين الواسطي "ت711» صوفي ابن شيخ الطريقة الأحمدية الرفاعية في مدينة واسط بالعراق كان شاذليا ولما التقى بابن تيمية تأثر بأفكاره، وعلاقته بابن تيمية تخبرنا عن علاقة ابن تيمية بالتصوف وهي علاقة بدون الانضواء تحت أية طريقة صوفية = الرسالة حفظها ابن عبد الهادي «أوصى فيها الجماعة بملازمة الشيخ والحث على اتباع طريقته" وهي موجهة إلى سبعة أفراد.
ـ عند كل محنة لابن تيمية كان تلامذته يمتحنون وتنالهم المحاكمات ولهذا أراد الواسطي تذكيرهم بالثبات وهي وصية سلوكية عن " النفوذ" الوصول وبلوغ الغاية الى الرسول وقواعد الدين ممثلة في الكتاب والسنة.
وكان يرى أن ابن تيمية ممن سلك طريق النفوذ فحصلت له المعرفة التامة بالله= ذكر في آخر الرسالة الانتصار الى المعارك العلمية التي خاضها ابن تيمية وداعيا الجماعة الى مواجهة الفقهاء الذين عطلوا الصفات و الذين جمدوا على تقليد الائمة دون الرجوع للكتاب و السنة و الصوفية البدعية رسمية الصوفية و التصدي للزنادقة الحلولية و الاتحادية و انهم قائمون في مواجهة الامراء و الاجناد الذين افسدوا في الأرض نتيجة جهلهم بحقائق الدين فهذا التجديد الذي رفع ابن تيمية لواءه ثم يستفيض في بيان مكانة ابن تيمية و ان الله أقامه ليجلي به حقيقة دينه وهو بالنسبة اليه العالم الذي اجتمع فيه علم الامر الشرعي الظاهر مع الامر الشرعي الباطن و ان قلبه متصل بأشعة انوار أسماء الله و صفاته و يوصيهم بحفظ ود الشيخ لعل الله يرزقهم قسطا مما رزقه ابن تيمية و يختم بالتالي " أصبحتم إخواني تحت سنجق رسول الله صلى الله عليه و سلم إن شاء الله تعالى مع شيخكم و إمامكم و شيخنا و إمامنا المبدوء

بذكره رضي الله عنه قد تميزتم عن جميع أهل الأرض فقهائها و فقرائها وصوفيتها وعوامها بالدين الصحيح [له رسالة " النصيحة في الصفات" و " مدخل أهل الفقه و اللسان إلى ميدان المحبة و العرفان " لم يشر فيها إلى ابن تيمية خوفا كما فعل المعلم]

.

ـ كانت رسالة الجماعة تصحيح الدين بمحاربة الجهل به وإعادة تزكية الأمة.

خطة الحفاظ على كتب ابن تيمية: بعد وفاة ابن تيمية كتب شهاب الدين ابن المري الحنبلي الذي تعرض للمحاكمة بعد نصره فتوى الشيخ في التوسل فأخرج الى القاهرة ثم نفي منها مع عائلته رسالة إلى أصحابه تلامذة الشيخ يأمرهم بالتواصل فيما بينهم متخوفا من انحصار كتب الشيخ وضياعها فينحسر علمه ومنهجه متحسرا على عدم توفر نسخ عن كتاب الشيخ " الرد على عقائد الفلاسفة" فاقترح الخطة التالية:

ـ يقوم ابن رشيق المالكي بنسخ كل كتب الشيخ " كان أبصر بخط ابن تيمية ابن كثير البداية والنهاية، وقال ابن عبد الهادي أنه هو من كان يكتب أعمال ابن تيمية ويجد في جمعها، العقود الدرية" له رسالة في تكسير الاحجار = ثم إذا جمعت هذه المؤلفات عهد بها للأصلح من الجماعة ليقابلها على نسخة الأصل = ثم يقوم هو وابن القيم بمراجعة أخيرة لأنهما أحذق تلامذته لمنع أي تصحيف أو تغيير لبعض المعاني.

ـ هذا الاهتمام بتراث ابن تيمية يدعو للدهشة والاعجاب أنه حرص على استمرار منهج السلف والطريقة السلفية = الأمر لا يتعلق بابن تيمية ولكن بالفهم الصحيح للإسلام.

ـ من تلاميذ الشيخ الغياني كتب رسالة ذكر فيها انه خادم شيخ الإسلام وهي شهادة حية على الامر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي قام به ابن تيمية تفرد برواية بعض الاحداث.

ـ اخوه عبد الله و ابن عبد الهادي و ابن القيم و ابن كثير و الذهبي و الواسطي و شرف الدين ابن المنجي ـ جمهرة كبيرة من علماء بغداد سجنوا لدعمهم فتوى ابن تيمية في الزيارة ـ منهم البزار قال كنت ملازمه نهارا و كثيرا من الليل " الأعلام العلية"

ومنهم : الطوفي و ابن زباطر الحراني و محمود بن عبيد البعلي و ابن عبادة الحراني وسراج الدين عمر و صفي الدين البغدادي و أحمد بن الحسن المقدسي و ابن صغير

الحنبلي الذي استضاف ابن تيمية في القاهرة بعد خروجه من السجن ومحمد ابن عبيدان البعلبكي وابن نجيح الحنبلي و اخوين من اسرة ابن الصائغ نور الدين و فخر الدين الأول قاضي العساكر ثم قاضي قضاة الشافعية في حلب و الثاني قاضي العساكر كان واحدا من خلص تلاميذ ابن تيمية استبشر به أصحابه ابن كثير البداية و انهاية و الآمدي نصراني اعتنق الإسلام على يد ابن تيمية كان شافعيا .
ـ ممن حوكموا بسبب فتوى الزيارة: ابن كثير وابن شاكر الكتبي وابن القيم وعبد الله بن يعقوب الاسكندري.
ـ الأمراء من أتباعه أوردهم ابن كثير في " البداية والنهاية" والبزار في "الأعلام العلية" منهم: الأمير الكبير سيف الدين أرغون، امير دمشق كتبغا المنصوري وهو الذي استرد كتب ابن تيمية عقب وفاته ومنهم الأمير صلاح الدين يوسف التكريتي كان يحبه كثيرا والأمير سيف الدين البراق من أكبر أصحاب ابن تيمية.
ـ ومن فقهاء الحنابلة الذين ناصروه ام زينب البغدادية وعلي المغربي وعماد الدين الخشاب وترجم ابن ناصر الدين الدمشقي لما يقرب 89 عالما تأثروا بآراء ابن تيمية في كتاب الرد الوافر.
ـ اهين الذهبي والمزي سنة 718 لمناصرتهما ابن تيمية ولاهما منصبين تدريس لم يحضر لهما كبير خلق وحضر فقيه حنبلي لدرس الذهبي فاعتقل.
ـ ممن انقلب على ابن تيمية تحت الضغط كمال الدين بن الزملكاني وابن الحريري الحنفي اتهما مع ابن تيمية بالتنسيق مع التتار لإعادة الأمير المعزول قبجان في دمشق عزل ابن الزملكاني بعد مساءلته عن مناصرة ابن تيمية وعزل من منصبه في المستشفى النوري وفقد الحريري منصبه التدريسي بعد ان كتب خطاب دعم ونصرة لابن تيمية 705." كذلك أبو حيان".
قال الذهبي: ولقد نصر السنة المحضة والطريقة السلفية واحتج لها براهين ومقدمات وأمور لم يسبق اليها وأطلق عبارات أحجم عنها الاولون والاخرون وهابوا وجسر هو عليها حتى قام عليه خلق من علماء مصر والشام قياما لا مزيد عليه وبدعوة ناظروه وكابروه ثم جرت لهامور ومحن ما بين ارتفاع وانخفاض ودخل في مسائل كبار لا تحتملها عقول أبناء زمانه ولا علومهم.
النتيجة: نظرة ابن تيمية الحركية للإسلام دعمت من قبل فئة من العلماء في حين

واجهها جمود المحدثين والمتمذهبين.
ـ الدعم الشعبي لابن تيمية: كانت العامة دائما في صفه فحين استدعي للقاهرة خرج في توديعه خلق كثير اصطفوا من باب داره حتى الجاسورة باكين وجلين عليه «العقود الدرية "، وتكرر الموقف عندما أطلق سراحه من السجن، وحين خطب الجمعة في جامع الحكيم اجتمع له خلق عظيم.
ـ وتحول سجنه الى مدرسة ودار عبادة حتى ان المساجين كانوا يرفضون الخروج حين موعد الافراج عنهم وكان الناس يزورونه في السجن لذلك نقل الى سجن الإسكندرية وكان يزار من علية القوم ويستفيد منه الطلاب والشيوخ.
ـ وفي جنازته خرجت الألوف النساء 16 الفا امرأة وحزنوا عليه حزنا شديدا ومئتي ألف من الرجال «تاريخ ابن الجزري".
ـ على الرغم من كل المحن والمحاكمات التي شهدتها حياته كان الناس يحبونه ويناصرونه حتى مماته " الا المؤسسة الدينية للمصالح". قال ابن كثير لولا ان أهل دمشق اقل من اهل بغداد ومنعت عنه الزيارة في السجن الذي مات فيه بينما كان الناس يزورون الامام احمد على فراش الموت لكانت جنازته أعظم من جنازة الامام احمد، غسله المزي ودفن بجواره " كلية الطب بدمشق".
ابن تيمية وأهل الحديث المعاصرين له: ـ لم يكن لديه وقت للمجاملات والأحاديث الجانبية وكانت فيه حدة كانا جادا طول الوقت ملتزما بالتقوي في كل أحواله
ـ كاترينا بوري: قطيعة ابن تيمية مع الحنابلة والمحدثين الذين كانوا يرون أن النقل وحده ويعادون العقليات فلم يحصل على دعمهم بل كانوا حربا عليه [تلامذته خارج الانتماء المذهبي درست بوري المراسلات بين تلامذته] لأن اجتهاده تجاوزهم.
ـ شعبيته عند الجماهير كانت طاغية بسبب شجاعته وإجلال مبادئه الأخلاقية بخلاف موقف العلماء منه بسبب الانتماء المذهبي ومزاوجته بين العلوم النقلية والعقلية، وقد رفض الاحتماء بأسس المذهب الحنبلي في المحاكمة الأولى حول العقيدة الواسطية على أنه معتقد حنبلي فقال لا بل هي معتقد الشرع والسلف" إقرار الحق أهم من السلامة الشخصية".
العقل والنقل في فكره: ـ على عكس المحدثين المدرسة التي دافع عنها بالتأصيل النقلي و العقلي بحث المسائل العقدية الفلسفية بتوسع و إسهاب وكان في حوار مستمر مع

الفلسفة ، لم يفهموا أنه كان مضادا لتنامي تأثير الفلسفة في الخطاب العقدي الإسلامي و أنه واجهه بإحياء منهج المحدثين بطريقة فلسفية [العقل ضروري مثل النقل] = العقل مع الإيمان و القرآن كنور العين إذا اتصل به نور الشمس= التطابق التام بين العقل و النقل = يرفض إمكانية معارضة القياس " أداة العقلانية الفقهية" لنصوص الوحي = يرفض تناقض نصوص الوحي مع المصلحة ينبع من قصور في فهم المصالح أو من تضييق مجالاتها = العملية العقلية التي يوازن بها المرء بين المصلحة و المفسدة أو يصل الى قياس صحيح نابعة من نصوص الوحي = القرآن و السنة ليسا مستودعا للأخبار فقط بل هما الدليل الصحيح لتصحيح القياس الفقهي.

ـ الصورة التي روجها خصومه وجهلة أتباعه أنه شخص مناهض للعقل بعيدة عن الحقيقة العلمية بل كان مدافعا عن تماسك وعقلانية المادة العقدية الموجودة في نصوص النقل = يقدم تفسيرا فلسفيا للنقل = حماية النقل بوسائل عقلية = لم يهدف الى رد الحجج العقلية بل طرح البديل " الجنس والنوع".جون هوفر

ـ عند المتكلمين يتعلق الكمال بالقدم لأنه يفترض الكمال عند ابن تيمية ليس فقط بل يتعلق أيضا بالمشيئة فمن يتصرف بمشيئته أكثر كمالا من الذي صفاته قديمة فقط «الكمال العقلي".

معنى السلف عند ابن تيمية: ـ السلف سلطة في المنهج العقدي والفقهي والهيرمينوطيقي عند ابن تيمية، وهذا مفهوم مركزي في فكره = في مقدمته في أصول التفسير تقوم ابستمولوجيته على السلف " السياق واللغة" في مقابل التفسير الفيلولوجي القائمة على البحث الموسوعي عن المعاني الممكنة لكلمات القرآن = يجب البحث عن تفسير السلف الذي نقل إلينا لأن فهمهم بالضرورة أعلى من غيرهم = علم التفسير فرع لعلم الحديث = الاعتماد على آراء الصحابة.

ـ سلفية ابن تيمية متحررة توقر الأجيال الأولى وتقوض سلطة تفسيرات المتأخرين = سخر من العلامة النحوي سيبويه = تعبر عن غياب أي توقير اتجاه ما يعتبره كثير من المسلمين علما صحيحا" نقاش".

ـ جدل ابن تيمية الكلامي هو ثيولوجية وابستمولوجية في آن واحد = العقل والنقل دائما متوافقان والثاني: السلف فهموا هذا التوافق بين النقل والعقل أحسن من المتأخرين = يتطابق مع أصل الرسالة كما فهمها السلف = دور ابن تيمية هو

استرجاع الوحدة القائمة بين العقل والنقل = إزالة قشور التفسيرات التي أضيفت بحسن نية من طرف العلماء والفقهاء «الشرع المؤول".

ـ الولاء للسلف أعفاه من أي ولاء آخر لأي معسكر ثيولوجيا او عداء له = رغم إعجابه الواضح بأحمد بن حنبل الا ان الآراء العقدية والفقهية الصحيحة ليست حكرا عليه = مذهب المدرسة الفقهية ليس دليلا فقهيا في حد ذاته = الأئمة ليسوا معصومين = يمكن لكل من يملك أهلية علمية ان يمحص آراءهم ويخلص الدليل الذي يقتنع به.

ـ ناقض عقلانية المعتزلة الذين قالوا بحرية المشيئة وقدرة العبد على الاختيار بين الايمان والكفر = عبقريته وإبداعه أنه استعمل نفس الأحاديث التي فيها نبرة قدرية من أجل التأكيد على حرية العبد «تفسير غير قدري يخالف بعض الفهوم السلفية لأحاديث الفطرة " = سببه مغالاتهم في الرد على المعتزلة نفاة القدر.

ـ لا يمكن لنظرية ابن تيمية في دوام الأفعال أن تكون نابعة مباشرة من قراءة عقدية بسيطة للسلف = الاحتجاج بالسلف دوره التوثيق الشرعي في مواجهة معارضة معاصريه = تميز المنهج التيمي.

متشدد أم براغماتي؟ ـ الصورة النمطية عن ابن تيمية انه سني متعصب = لأنه كان معاديا أشد العداء لأي خروج عن طريق السنة وكان أصوليا متشددا لا يقبل أي شكل من أشكال البدعة " تفصيل".

ـ النكتة : امتزجت مثاليته مع براغماتيته " راكيل يوكلاس" = كان متعاطفا مع مقاصد الذين وقعوا في الخطأ = ظنة انها مقاربة متناقضة في مسألة المولد فمن ناحية يعتبر أن الاحتفال بالمولد بدعة منكرة لان السلف لم يحتفلوا به لكن في نفس الوقت كان مدركا للدوافع السليمة التي من اجلها أقيم الاحتفال = الدوافع التي تجد جذورها في الحاجات الروحية للمجتمع المسلم = المولد عمل غير صحيح لكن فيه تقوى = لا يمكن تصحيحه بالرفض المتعالي و استنكار البدعة فقط بل نقر بالدوافع الطيبة و نحاول ان نوجه هذه الدوافع نحو الشكل الصحيح ببرنامج إصلاح ديني = الحق الموجود و الحق المقصود = فهم أسباب البدعة قصور العلم و تعقده = الحقيقة النظرية و الشروط المادية= المثالية والواقعية.

ـ موقفه من التدين الشعبي: دراسة براغماتية " واقعية" للعناصر الإيجابية والسلبية لهذا التدين = دون التنازل عن المثالية التي يسعى اليها " بحسب الممكن من العلم

والقدرة" = نفس المنهج في السياسة " منى حسان" عند لاووست ابن تيمية يرى ان الخلافة عفا عليها الزمن = عندها يعتبرها مؤسسة نموذجا أخلاقيا وفقهيا لا ينبغي التخلي عنه واستبداله بمؤسسة الملك.

الخطأ منهما: الخلافة كنظام سياسي موحد عفا عليه الزمن لكنها كنموذج ممارسة الحكم هي المطلوب من المسلمين = يعترض على الذين ينؤون بأنفسهم عن المشاركة السياسية بحجة غياب النموذج الأمثل للخلافة العادلة " مقارنة الفجار" = العيوب التي ظهرت في المتأخرين محتومة فيضطر الحكام الى الميل عن النموذج الأمثل في نفس الوقت يعترض على تجاهل المتعمد للنموذج الأمثل = يجب تقييم إيجابيات سلوك الحكام وسلبياتهم بطريقة براغماتية دون ان يغيب عن ذهنه نموذج السنة.

[micheal cook,commanding right and forbidding wrong in islamic thought] كامب ريدج2000.

ـ خالد الرويهب يجعل التهميش الذي تعرض له في عصره بسبب استنكارها من جمهور علماء وفقهاء السنة المشهورين " أشاعرة وصوفية ومتعصبة مذاهب وليسوا سنة خاصة"= تجاهل الحواضر العلمية تدريس كتبه " بل حرصوا على إعدامها وحرقها «تفصيل الأسباب في المنطق = أوجع نقده الشيعة والنصارى ـ

ـ إعادة اكتشاف ابن تيمية: تأثر به شاه ولي الله الدهلوي 1762، الصنعاني والشوكاني الالوسي 1899 رشيد رضا ،موسى جار الله بيكييف 1949 = أجمع فقهاء العصر العثماني بان فتواه في الطلاق شاذة ضعيفة لكنها اخذ بها في معظم الدول الإسلامية.

ـ علاقة الإسلاميين به : سياسيا وفقهيا يرتكز عليه كثير من المسلمين لإضفاء شرعية = الاستفادة من براغمياته كاحترام شرعية الدولة و المشاركة السياسية لكن مع جهل بنظامه الفكري مثل ما كتبه عبد السلام فرج " الفريضة الغائبة " نقول طويلة عن ابن تيمية على جواز استعمال العنف و شرعيته ضد الأنظمة الاستبدادية وغير الإسلامية = الفتوى بخصوص الغزو المغولي لسوريا متجاهلا السياقات الاجتماعية و التاريخية فقام بتشويه معناها = السؤال الذي وجه لابن تيمية : هل يجوز لأهل دمشق مساعدة سلاطين المماليك من القاهرة في وجه المغول الذين اعتنقوا الإسلام حديثا و بما أن كلا الجيشين يدين بالإسلام فهل يجوز مقاتلة المغول ؟ = صنف المغول في الفرقة الباغية الخارجة عن سلطة الدولة الإسلامية الشرعية والمغول على معتقداتهم الوثنية

وأعمالهم الوحشية في حق المسلمين فاعتناقهم الإسلام ليس له أي أثر فقهي فيجب مقاتلتهم كما يقاتل الكفار.

ـ دعم ابن تيمية البراغماتي لدولة المماليك غير العادلة في مواجهة الاستعمار الخارجي = اعتاد زعماء التنظيمات الإسلامية المسلحة والنجديون «أبو بطين"التجاهل المتعمد للسياق التاريخي والفقهي لكتابات ابن تيمية"معيار الأقرب للرسول".

ابن تيمية رغم الخصومة له: ـ رغم التهميش تحول الى سلطة علمية دينية وفكرية عالمية = يعتبر بإجماع عالمي تقريبا من المفكرين المبدعين وممن كان لهم منهج منتظم في تاريخ الإسلام " فضل الرحمن فازلور" : قدم ابن تيمية نظرة جديدة و ترك مقاربته التيمية الفريدة في كل مسالة كتب فيها من مسالة الصفات الى خلق العالم ومن رد عقيدة الحلول الى التسعير في الأسواق و لمكانته كمفكر متميز فان قراءة ابن تيمية تعطيك شعورا بالرضا الفكري باعتباره يشكل تحديا لقرائه .

ان موهبته الاستثنائية في قدرته على استخلاص العناصر الأكثر أهمية في أي حقل من حقول المعرفة الإسلامية و تصفيتها و تقديمها بصورة واضحة تجعل منه دليلا متميزا لفهم تاريخ الفكر الإسلامي بل هو اكثر من ذلك اذ بسبب المكانة الراهنة التي يحتلها في الخطابات الإسلامية المعاصرة فان القراءة الصحيحة لمدونته تهم مستقبل الإسلام و علاقته مع غير المسلمين و سواء احببناه ام لم نحبه فان ابن تيمية يبدو اكثر أهمية الان من أي وقت مضى

[لم يشهد الإسلام شخصية متأخرة عن السلف جمعت الشروط النفسية والعقلية مثله بل لم تشهد البشرية ذلك

وفي الأخير وجدنا ابن تيمية منفردا في طبيعة عمله و في جلالة هذا العمل، لأنه تفرد بالجمع بين المعرفة بالشريعة الإسلامية و منطقها و بالفلسفة المشائية و منطقها، وبالروح النقدية ولم يبد لنا أن هذه الخصال الثلاث قد اجتمعت لأحد ممن سبقه أو تبعه من الذين عابوا المنطق المشائي، فبعضهم حرمه و بعضهم أوجبه دون أن ينتبه فريق منهم إلى أن المنطق الصناعي لا يمكن تحريمه لأنه يتبطن منطقا طبيعيا فطر الله الناس عليه، ودون أن ينتبه الفريق الآخر إلى أن ما أوجبوه هو تحصيل لحاصل، لأن الله غرز أصول هذا المنطق في فطرة الإنسان، ولذلك بقي نقد ابن تيمية للمنطق

المشائي مفتقرا إلى عالم بالشريعة عارف بأساليب التفكير الفطري و صوره الصناعية، متشبع بالروح النقدية حتى يستطيع مواصلة عمل قام به الفقهاء و علماء الكلام الذين جدوا في حماية عقيدة عرفوا بساطتها فنفوا عنها التعقيد و أدركوا صحتها فابعدوا عنها عناصر الفساد، وشعروا بالخطر يتهدد أصالتها، و بالسموم تدب في أوصالها مما كانت تتجرعه من مناهل المعرفة التي كان الصراع من أجل البقاء يوجب عليها ورودها، والتي فتحتها سماحتها على آفاقها جميعا، فهبوا يذودون عنها بسلاح يفل كل سلاح ولا يفله سلاح، هو سلاح الفطرة التي لا يستطيع الإنسان ولو حاول الانسلاخ عنها، بذلك نقدوا الفلسفة المشائية وردوا منطقها و بذلك نقد ابن تيمية منطق المشائين نقدا لم يبلغ أحد من الفقهاء أو من علماء الكلام شأوه فيه، لأنه نقد مذهبي قصد به صاحبه على حماية أساليب التفكير الإسلامية و بيان أهميتها و مكانتها بين أساليب التفكير الأخرى فيكون بذلك قد دافع عن الفطرة بمنطق الفطرة".]

يقول الدكتور محمود اليعقوبي في (ابن تيمية والمنطق الأرسطي: ص:260):

[هذا الرجل ـ رحمه الله ـ من فضلاء الفلاسفة في الجزائر أو ممن أحاط بالفلسفة، و يدرسها في الجامعة، و إن كان ليس من الضروري أن كل من درس الفلسفة يكون فيلسوفا، و له أبحاث جيدة تخدم الفكر الإسلامي الصحيح كأصول الفقه، و المطلع على مؤلفاته يجده ربما أميل إلى الأشاعرة كما في معجمه الفلسفي، ويقرر كثيرا من مباحثهم في العقيدة، فلا يلزم من ذلك إذا وجدناه يمدح ابن تيمية و يبيّن لنا صورا مشرقة و فضائل عملاقة لهذا الرجل أن يكون سلفيا متعصبا لابن تيمية، أقول هذا لأن الفكر الطائفي و الأدلة المتجهلة المنتشرة بكثافة عند بعض المسلمين تجعل المدح دليل الإتباع و التعصب!

وكتابه " ابن تيمية والمنطق الأرسطي " أفضل ما كتب في هذا الموضوع لا يضاهيه أي عمل موجود لحد الآن مع بعض النقاط التي تحتاج إلى تحليل مثل مسألة التصور]

على هذا أدعوك أيها المسلم العاقل المتجرد من غلبة الهوى والعصبية أن تقرأ لابن تيمية في مشروع فكري متكامل ولا مانع أبدا من مخالفته فقط قدم دليلك وليكن معتبرا سالما من المعارضة مبنيا على مقدمات يقينية وتربطه منطقية ضرورية.

أنصحك بابن تيمية اقرأه بتحديات لغة(فكر) هذا العصر سيبهرك الرجل، ليس هو من يعرفه أكثر الناس..

هو رجل لم يضع على الحقيقة حدودا، وطنه ومذهبه الحقيقة، يغوصُ معك في بحرك ليخرجك إلى بر القرآن والسنة، لا يُقطِّع الحقيقة، ولا يتلعثم فيها، لا يتأرجح بين حقيقتين، بدون أن ينقص إيمانه وثقته بالقرآن والسنة قدر أنملة... بل يزداد ويزداد ... معه، بعد أن تتجول في عقل الإنسان، وتتبع أنهار خياله من مصبها إلى منبعها، وتنزل إلى أعماق أفكاره تدرك بالبرهان روعة علوم الوحي.

معه ستفهم الإنسان بكل لغاته، بكل آلامه وأحلامه، ترحم حيرته، بدون أن تقف عند غروره، تستطيع أن ترمي إليه طوق نجاة تنسجه من كلماته..

مشكلات وعوائق التعلم

....

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله.

هذه سلسلة مقالات عن مشاكل وعوائق التعلم في البيئة المعاصرة أنزلها غير مرتبة وممكن جدا أواصلها في مكان آخر بعد أيام قليلة إن شاء الله تعالى.

هذا السلسلة ثمرة تجربة

منذ ما يزيد عن ثلاثين سنة وبحكم دراسة العلوم الشرعية وغيرها، وخاصة بحكم تدريسها كتبت مقالات كثيرة بعضها أوراق تدريس وبعضها الآخر مناقشات مع غيري تتعلق بعوائق طلب العلم والمشاكل النفسية والتعليمية والاجتماعية التي تواجه طالب العلم أثناء التحصيل.

بعض هذه العوائق تكون من الطالب نفسه بسبب التكوين النفسي له أو بسبب أثر المحيط عليه وبعضها الآخر من المعلم نفسه.

لهذا فإن هذه السلسلة ستكون موجهة بالدرجة الأولى لطلاب العلم الذين قضوا مدة في التحصيل العلمي وليس للمبتدئين.

في هذه السلسة أسرد تجربتي مع التحصيل العلمي والصعوبات التي واجهتني، مثل: الحياء الذي يمنع من السؤال، وقلة الثقة في الذات، والحصر والجمود أثناء الطلب، ومشكلات الانتقال إلى مستوى أعلى، والمعاناة النفسية من طباع الشيوخ أو الرفقة،

أو من صعوبة الفهم، والعزلة المعرفية عزلة الاهتمام والانشغال عندما لا تجد رفقة لها نفس الطموح العلمي.
انقل إليكم المعلومات التي أقدر أنها قيمة وتعبت في تحصيلها، فهذه السلسلة ثمرة قراءة طويلة وواسعة ومئات الدروس والمقالات.
حرصت فيها على سيولة الأفكار والعبارات المناسبة، وعلى أن يكون لكلامي تضاريس فالكتابة طولية خطية يقطعها عدم اتصال بين الكلمات والجمل، تتطلب عملا شاقا لسد الفجوات وربط الكلام مع بعضه بعضا.
الإنسان بطبعه يتكلم أسرع مما يكتب لأن الكتابة تتطلب التفكير الذي يدور ما بين تقارير، ومعاينات، وسرديات، ووصفيات، ونصوص شارحة أو استدلالية، لهذا انتهجت فيها طريقة المزج بين العقلي والنفسي، بين العلمي والفكري، وبثثت القواعد العلمية والأصول المنهجية الكبرى والفوائد السلوكية في كل أجزاء هذه السلسلة، وجمعتها مبوبة ومرتبة في الفصل الخاص ببرنامج الطلب.
هذه السلسة ستكون عبارة عن سلسلة مقالات متفاوتة الحجم كل مقال يعالج قضية جوهرية في مسيرة التعلم، ويتناول بتفصيل عميق كيفية تحصيل العلم واكتساب المعرفة وقد رتبتها على الشكل التالي:
"مشكلة التعلم" تتكون من: مقدمة تجمع الأبواب التالية:
الباب الأول: لماذا تحتاج إلى طلب العلم؟ أو ضرورة الوعي بحاجتك إلى طلب العلم
الحاجة الشخصية: تريد ان تكون حرا ـ تريد فهم الأمور ـ تريد النجاح الإنساني ـ تريد السعادة الأبدية ـ بدون علم أنت لعبة في يد غيرك وضحية.
الحاجة الملية: الاهتمام بالأمة وعزتها فأنت فرد منها وجزء من مشاكلها أو من نجاتها.
الباب الثاني: معوقات تحقيق ذاتك بدون فهم الواقع، الفرق بين التفكير من وضعية واقعية والتفكير من التجريد.
الباب الثالث: يبحث المعوقات الخارجية عن ذات طالب العلم.
الباب الرابع: المشكلات النفسية.
الباب الخامس: مفاهيم مركزية حول وظيفة العلم.
الفصل الثاني: مشكلة الثقافة وكيفية تثقيف النفس.

الفصل الثالث: العلم والمعرفة ويتكون من الأبواب التالية: أدبيات العلم ـ المعرفة وماهية العلم
الفصل الرابع: تحديد المخالف وقوانين النقاش وقواعده.
الفصل الخامس: القراءة
الجزء الثاني: منهجية عامة ويتكون من الأبواب: منهجية القراءة ـ منهجية البحث ـ منهجية الكتابة.
الجزء الثالث: البرنامج العلمي الأولي للطالب.
بعد ذلك بتوفيق الله نخوض في سلسلة مقالات عن المنهج العلمي القرآني النبوي ـ ضمن مشروع أكبر تحت عنوان " شجرة موضوعات تكوين أهل العلم والإيمان في عصر الضلال والفجور «.

لماذا يُصدعكم السلفي بابن تيمية؟
وحقيقة الدفع الجديد "كلنا في الهوى سوى"!

....

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.
يعتقد بعض الإخوة أن جميع المقالات الإسلامية ما هي إلا إفرازات الاجتهاد في أصول الدين، يعني: «كلنا في الهوى سوى"!
أو قد يقصر الصوابية الجماعية داخل المنتسبين للسنة بمختلف أشكال الانتساب!
ومثل هذا لا يفرق بين أصول دين موثقة بالسند قد احتيج في فترة تغول البدع الكلامية والفلسفية إلى الصياغة المفاهيمية لها، واستخراج الأصول المعرفية التي تقوم عليها، وتحديد الكليات المركزية الموجهة للاستطراد فيها مع اللوازم، حاسمة قضية تجدد اللغة بقاعدة الاعتبار بالنص الشرعي، وبين جدل عقلاني مبني على طبيعيات غير إسلامية أو مخالفة لطبيعيات النصوص الشرعية فلا يفرق بين تعريف هذه القواعد التي سميت بأصول الدين وبين هذه القواعد نفسها، بين تعريف الكلام الخطابي وبين حقيقة الكلام.

لا يجب أن نرى علم الكلام بحسب ما كان يدعيه هو، ولكن بحسب ما هو في نفسه في حقيقة الأمر" ننظر في كتب الكلام"، لا في الكتب التي تبرر له مثل "تبيين كذب المفتري" لابن عساكر و"طبقات الشافعية" للسبكي وكتاب ابن الدباس وكتاب ابن مرزوق، او حتى ابن جهبل.

المشكل عند هذا الشخص حتما في كرونولوجية الفرق والمقالات ومقالاتها الأصلية التي تطورت عنها لتصبح مذهبا، ولهذا يعتقد بسطحية أن أهل السنة والجماعة خصوصا - مع قبولنا لفكرة تفاضل الناس في كل شيء حتى في حقيقة انتسابهم للسلف والسنة - ثمرة اجتهاد في أصول الدين مثلهم مثل المعتزلة والأشاعرة وغيرهم.

السلفي في هذا العصر يسعى ليكون منسجما مع منهجه فأصول الدين عنده لم تبدأ من عند ابن تيمية كما بدأ علم الكلام الأشعري مع الأشعري رحمه الله فالسلفي يملك كتبا قديمة جدا توثق أصول الدين عنده بالسند جمعت فيها النصوص و أقوال الصحابة والتابعين و أئمة السنة لكنه يعتمد على ابن تيمية ليس لأنه في مقام نبي كما يخرف بعضهم ولكن لأنه يمثل تطورا عند أهل السنة للتجاوب مع التحديات التي استهدفت الأمة، ما يدل على مرونتهم ففي فترة لها خصائص منعوا المناظرة مع المخالفين والرد عليهم ثم تغيرت خصائص فترات أخرى فأذنوا بالمناظرة والرد.

ولما انتهج المخالفون لهم اللغة العقلية المفاهيمية قابلوهم بالرد العقلي فابن تيمية يعتمد أساسا في كل مقرراته على توثيق تلك الكتب وبراعته هي في استخراج منهج معرفي كامل شامل لكل مجالات المعرفة والدين.

بخلاف المتكلم الذي لا يملك منطقا فاستعار منطق المشائين فإن السلفي يملك منطقه الخاص الذي يتكون من شقين: شق نقدي نقضي وشق تأسيسي قرآني نبوي قد يشترك مع المنطق الاغريقي في المسائل الفطرية التي يستبطنها.

فما قام به ابن تيمية مستفيدا ممن سبقه بل وحتى من نقد الفلسفة للفلسفة والكلام للكلام لا يشركه فيه غيره فكما كل الاصوليين عالة على الشافعي في أصول الفقه ليس لأنه اخترعه ولكن لأنه استخرجه وجمعه ودونه.

وكل الأمة عالة على البخاري في اشتراط الصحيح وبلوغ الدرجة العليا في العلم به على البخاري.

وكذلك كل الفلاسفة مهما كانوا عالة على أرسطو وبدرجة أقل على أفلاطون ولا

يعني ذلك أنهما لم يستفيدا ممن سبقهم.
وكل النحاة مهما كانوا ولأي طائفة انتموا لم يبلغوا مبلغ سيبويه.
فكذلك ابن تيمية رحمه الله إضافة إلى نصره لعقيدة السلف بالقرآن والسنة والآثار والعقل الفطري الضروري وجمع أدلتها إلى بعضها بعضا لم يسبق إلى تدوين المنهج المعرفي وتأصيله وطرده في كل مجالات الدين.
فإذا تعجب بعد ذلك متعجب عندما يمدح شخص أو جماعة إماما كابن تيمية، أو يظهرون مزاياه وقوة علمه أو يرجحون قوله على قول غيره فليس لأنه اخترع الحق وقبله كانت الأمة في ضلالة، وليس لأنه الذكي الاوحد فيها ولكن لكل ما سبق بيانه.
وعندما يناقشك سلفي بالأدلة التي أرشد إليها ابن تيمية فليس لأنه تيمي أو وهابي ـ كما تحب تسميته به وأنت تعلم أن مصادره ومراجعه أعلى وأقدم من ابن تيمية ولكنك تريد أن تدفع عنك نسبا قاصرا بدأ في المائة الثالثة!
وهو يختار صياغة ابن تيمية ولا ينقل لك قول أحمد أو ابن المبارك أو غيرهما، ولا يحتج عليك بما في " السنة" للخلال" او للبربهاري، أو "الشريعة" للاجري وغيرهم من كتب سلفية أثرية لأن مقدماتك ليست توثيقية حتى يقابلها بالتوثيق ولكنها عقلية مركبة من شبه ملقنة في أحسن أحوالها اشتبهت عليها النصوص لتقصير في معرفة ما دلت عليه النصوص وما كان عند السلف من الهدى.
فهو يختار ابن تيمية لأنه الاقدر على هداية طالب الهدى منكم، والاوجع للمعاند منكم فأنتم عندكم حساسية للردود العقلية وهو يملك ذلك ويشفعه بالقرآن والسنة.
ومن يعرف علم ابن تيمية يعرف أن الرجل قد حقق كثيرا من مسائل الدين الكبرى تحقيقا عظيما وردها الى القرآن والسنة خاصة العقائد، وأن العودة الى خلفه بدون التوليف السابق ارتداد عن سنة التطور العلمي التي قفزها أهل السنة من خلال جهده.
ومن يعرف علم الكلام معرفة حقيقية والفلسفة القديمة والجديدة يعرف أن كتبنا السابقة لشيخ الاسلام وإن كانت تحمل عقيدتنا فإننا بالاعتماد عليها فقط لن نقدر على مواجهة علم الكلام والفلسفة القديمة والجديدة لعدم توارد لغة الخطابين على بعضهما بعضا وإن كانت جوهر والأسس التحتاني لخطابنا الجامع بين السمع والعقل.
فاعتمادنا عليه اعتماد تعضيد لدفع صيال العقل الفلسفي والكلامي عن النص الشرعي.

لابن تيمية مميزات بحيث لا ينهض بهذه الطريق التي هي كشف ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم معرفة، والدعوة إليه حالا وعلما في عصور ضجت المصطلحات الفلسفية وبالجدل الكلامي حتى صار النص الشرعي مهجورا في وضع شفقة إلا طريقة ابن تيمية وتلامذته فهي تمثل تطورا طبيعيا في أداء أهل السنة، وجبرا في نقص بعض المنتسبين للسنة أمام الفلاسفة والمتكلمين وثقافة عصرهم.

ولا يمكن لأهل السنة أن ينصروا السنة نصرا كاملا عند المتكلمين والفلاسفة والشيعة والعقلانيين والعلمانيين ومخالفيهم من كل الطوائف حتى في التصوف والسلوك إلا من خلال الصورة التي وصل إليها أصول الدين أهل السنة عنده.

فابن تيمية وطريقته يجب وضعهم في إطار التطور الطبيعي لأهل السنة.

وكما قال الشافعي ـ رحمه الله ـ لما سئل متى يكون الرجل عالما؟: ((إذا تحقق في علم الدين فعلمه وتعرض لسائر العلوم فنظر فيما فاته فعند ذلك يكون عالما)).

وعليه فكثرة الاستشهاد بابن تيمية هو لهذه الأسباب وليس لأنه نبي معصوم أو لأنه أذكى المسلمين، ولا لأننا نتعصب له فالمتعصب هو الذي يسند قولا بدون دليل ويدافع عنه بطرق سوقية أو يلجأ إلى حجة التقليد.

ولأن السلفي صاحب سند منهجه الاتباع لا يحتاج ان يخترع لكم أدلة جديدة حتى يكون متحررا من ابن تيمية، ولا يملك بسبب منهجه رفاهية هذه الدعوى الفاسدة، وما جرمه إذا سبقه ابن تيمية إلى تلك الاستنباطات من القرآن والسنة، هل يلزم بالضرورة أن يأتيكم بأدلة مخترعة لم يسبق إليها؟

ولان السلفي لا يعاني من تضارب داخلي وتعارض يكفيه الاحتجاج عليكم بأدلة ابن تيمية بينما المتكلم يحتاج في كل زاوية أن يستشهد بأدلة إمام متكلم لأنهم يعانون من ضعف النسقية والوحدة المذهبية.

معلوم لنا أنه لم يتكلم السلف في التوحيد العلمي ضمن نظام معرفي تأسس نقضا للفلسفة وعلم الكلام الفلسفي (في مراحله المتأخرة) ولكنه كان عبارة عن مواقف مستنكرة الخوض في المسائل النظرية مع استنباطات محدودة للدفاع عن ظاهر النص، برزت منها بعض القواعد مثل مقولة الإمام مالك المشهورة في الاستواء.

بينما الأمر عند ابن تيمية (ولظروف مغايرة من كل وجه) منظومة كاملة تفرض الطرد والاستيعاب، فلا يمكنه إلا أن يتكلم في تلك القضايا ويستفصل فيها.

ولا ينبغي أن يكون المشكل عند الباحث الجاد في سلم الأشخاص الزمني ولكن في سلم المعرفة والمدارك، والعقل الإنساني ينتقل من المناطق الظليلة (المظلمة) إلى الوضوح بواسطة صفاء البناء المذهبي وليس باللجوء إلى القفز بين المذاهب...!

والحركة التصاعدية للمعرفة ترجع مشروعيتها بكل حق لمفهوم وحدة النظام، ومفهوم النظام المعرفي ليس مجرد مسلسل لحقائق عليا بل هو اتصال وشبكة وربط بين الاسباب فيما بينها، ليس ركاما من الأقوال حيث الكل مرمي عشوائيا.

لا تأخذ المعرفة قيمتها من مفاهيم جرداء فقط، ولكن من استنتاجات مركبة أو انشائية ينتقل فيها العقل في مسيرته من المبادئ البسيطة الى ما يلزم عنها من نتائج لزوما اضطراريا، وهنا ينتقل الفكر من المعلوم للمجهول.

وابن تيمية بحسب قراءتي له لا يشتغل بالاستنتاج الاغريقي، ولا يعترف به، وفنده تفنيدا تاما، وأقصد الاستنتاج الصوري أو القياسي حيث لا يكون في النتيجة شيء زائدا في المقدمات، يعني: تحصيل حاصل، ما دمنا نجد في النتيجة "المتحدث عنه والمتحدث به" بل من حقائق شرعية ايجابية (ثبوتية وسلوبيه مقترنة بالإثبات) هي الأساس الأسفل للحقائق العلوية.

ترهبنا المسائل عندما تكون مفصولة عن أساسها المعرفي وهذا لا يعني الاستغراب من التردد او بطلان التحفظ لكن بالأساس المعرفي البديل المطرد، وليس بالرهبة والاحتياط، وطلب بطَّانية السلف!!

وإلا على السلفي أن يقف عند كتب التوثيق العقدي (الشريعة-أصول اللالكائي.. ومثلها) ويدبر أموره بها، فمن أخذ بالإثبات يلزمه استيفاء النظرية.

ولأن أول ما يهتم به الباحث ليس اختلاف المسائل توسعا وضيقا، واختلاف المصطلح ولكن اختلاف أنظمة المعرفة، وإلى أي مدى طردت في حقبة من الحقبات، والحقائق العلمية مهما كانت عالية فإنها غير مفصولة عن قواعدها الأساسية السفلى عنها، ومتى تضرر القفز منها إلى الحقائق العليا فلخلل في الأساس المعرفي.

وعادي جدا أن تختلف قيمة الأجوبة وليس جوهرها بين محدث أثري وابن تيمية، ففي كل نظام تبرز أسئلة لا يجيب عنها بنفس القوة لطبيعة الموضوع وليس لخلل في النظام المعرفي، والمعتبر هو في أي نظام يقل هذا النوع من الأجوبة...؟

وقد بين ابن تيمية رحمه الله مذهب السلف وطريقتهم وانه وإن كان واحدا فإن بينهم

بعض التفاوت وإن شئت قلت: اختلاف درجات وليس اختلاف طبيعة فاختيار السلفي المعاصر لجواب ابن تيمية ليس لأنه يعاني من أجوبة المضايق بل لأن فيه عناية بالغة بقضية نفي اللوازم التي تشكل جوهر علم الكلام في تعامله مع النصوص الشرعية.

قال: (وأما المقام الثاني فكلام من لا ينفي هذه الأمور التي يحتج بها عليه نفاة العلو على العرش ليس لها أصل في الكتاب والسنة بل قد يثبتها أو يثبت بعضها لفظًا أو معنى، أو لا يتعرض لها بنفي ولا إثبات."

فهنا موقف من: لا ينفي لوازم النفاة التي لا أصل لها في الكتاب والسنة بل إما يثبتها أو يثبت بعضها لفظا او معنى.

2 ـ أو لا يتعرض لها بنفي ولا إثبات.

وموقف: (وهذا المقام هو الذي يتكلم فيه سلف الأمة وأئمتها وجماهير أهل الحديث وطوائف من أهل الكلام والصوفية وغيرهم وكلام هؤلاء أسد في العقل والدين وحيث ائتموا بما في الكتاب والسنة وأقروا بفطرة الله التي فطر عليها عباده فلم يغيروا وجعل كتب الله التي بعث بها رسله هي الأصل في الكلام.

وأما الكلام المجمل المتشابه الذي يتكلم به النفاة ففصلوا مجمله ولم يوافقوهم على لفظ مجمل قد يتضمن نفي معنى حق ولا وافقوهم أيضًا على نفي المعاني التي دل عليها القرآن والعقل وإن شنع النفاة على من يثبت ذلك أو عزموا أن ذلك يقدح في أدلتهم وأصولهم)

ونحن نعلم بالضرورة العقلية والحقيقة الواقعية أن العلماء يتفاوتون في الفهم والذكاء والحفظ والإحاطة والبديهة والقدرة على الاستنباط وقوة التوليف كما يتفاوتون في فصاحة التعبير وقوته وفي إدراك حقيقة اللوازم المنفية ومداها وارتدادها على الإثبات بالسلب.

وعليه فإن اعتماد السلفي على ابن تيمية هو لهذا السبب ليجبر تقصيرا أو نقصا مر على أهل الحق في فترات ضعفهم وتسلط المتكلمين عليهم، وهذا ما يغيض المتكلمين والمخالفين لذلك نهضوا عن بكرة أبيهم ورموه عن قوس واحدة، وهيهات هيهات لو كان الأمر بيد البشر لانتهوا من قرون، ولما وصلنا من كتبه شيء فانظر مع كل الحرب التي تعرض لها في زمنه من سجن له ولأصحابه ولجمع الكتب من النساخ

والمدارس وحرقها بقيت تقريبا كلها ولا زال تخرج بينما ينقص الأشاعرة كتب أئمتهم القدماء؟!

وكما قال قتادة بن دعامة السدوسي رحمه الله: من كان معه الله كان في الفئة التي لا تهزم.

السلفي لا يناقشكم باسم ابن تيمية ولكن بأدلة شرعية سمعية وعقلية فإن كان ابن تيمية ابتدأها او استلهمها ممن سبقه أو قواها أو نقلها كما هي فليس هذا المشكل إلا عند القشوريين فالمعتبر دلالة الدليل لا من سبق القول به.

فلم يعد بالإمكان معرفة الحق بدون مقدمات دقيقة لكثرة الاشتباه ومن قرون طويلة، والسلفي المعاصر الذي يحيط بهذه المقدمات معرفة وفهما ونقدا لم يخلقه الله بعد، نعم فيهم الأقوى والأقل ولكن مستوى ابن تيمية بعيد عن المعاصرين موافقين ومخالفين.

الموقف العلمي من النووي رحمه الله

....

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.

يخلط كثير ممن يدعي لنفسه الدراية بعلم الجرح والتعديل بين مسألتين جوهريتين تتطلب كل منهما كفاءة وتخصصات مختلفة، ففي حين يكفي الكلام على الرواة تجريحا وتعديلا العلم بطبقات الرواة والأسماء والألقاب والكنى وما قيل فيهم في كتب التراجم والرجال، مما يتعلق بعلم الجرح والتعديل، لان المترجم لهم يحتاج إلى شيئين اثنين: معرفة ضبطهم وعدالتهم، ومتى تحقق ضبطهم لم يعتبر الاختلاف المذهبي خارما لعدالتهم إلا في حدود مشروطة مضبوطة، وهو بحث رواية الداعية إلى بدعته. وهنا أكثر الذين منعوا الرواية عنه منعوها من جهة عدم التشييخ لا من جهة الثقة، فقد روى أئمة السنة وعلى رأسهم صاحبا الصحيحين عن مبتدعة دعاة إلى بدعهم، وهذا بحث فصلته في بحث "المنهج المنير في مسائل الهجر والتحذير".

أما من يريد جرح العلماء ليحكم عليهم إن كانوا مبتدعة أم لا؟ فإنه يحتاج أولا التمكن في موضوع النزاع، فإن تعلق الموضوع بمباحث العقيدة وعلم الكلام أو مقالات

الفرق أو قضايا أصول الفقه وجب عليه الإحاطة بهذه العلوم والمشاركة فيها، وإلا حكم بغير علم.
قال الذهبي في"سير أعلام النبلاء"{269/5}:" ثم إن الكبير من أئمة العلم إذا كثر صوابه، وعلم تحريه للحق، واتسع علمه، وظهر ذكاؤه، وعرف صلاحه وورعه واتباعه، يغفر له زلله، ولا نضلله ونطرحه، وننسى محاسنه نعم، ولا نقتدي به في بدعته وخطئه، ونرجو له التوبة من ذلك."
فالمسائل تتفرع إلى فروع يقول بها أهل السنة وفروع لا يقولون بها، ومن لم يحط بجوانب المسائل قد يبدع بما لا يستوجب التبديع عند أئمة السنة.
فإن لم نعرف هذه التفاصيل غلطنا، وغالطنا، وبغينا وظلمنا، وعاد الذم علينا.
والشاب من طلبة العلم لا يقتحم هذه الموضوعات مبكرا و يكفيه التحفظ والنظر في موقف كبار المشايخ فإنه متى ظن أنه فهم ما لم يفهموه انتهى أمره.
قال شيخ الإسلام ابن تيمية في"الدرء"{275/4} :" وتحقيق الأمر أن الكلام بالعلم الذي بينه الله ورسوله مأمور به وهو الذي ينبغي للإنسان طلبه، وأما الكلام بلا علم فيذم، ومن تكلم بما يخالف الكتاب والسنة فقد تكلم بلا علم، وقد يتكلم بما يظنه علما : إما برأي رآه، وإما بنقل بلغه، ويكون كلاما بلا علم، وهذا قد يعذر صاحبه تارة وإن لم يتبع، وقد يذم صاحبه إذا ظلم غيره ورد الحق الذي معه بغيا....
.... فالسعيد من تاب الله عليه من جهله وظلمه، وإلا فالإنسان ظلوم جهول، وإذا وقع الظلم والجهل في الأمور العامة الكبار أوجبت بين الناس العداوة والبغضاء، فعلى الإنسان أن يتحرى العلم والعدل فيما يقوله في مقالات الناس، فإن الحكم بالعلم والعدل في ذلك أولى منه في الأمور الصغار ،وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : " القضاة ثلاثة : قاضيان في النار وقاض في الجنة رجل علم الحق وقضى به فهو في الجنة ورجل قضى للناس على جهل فهو في النار ورجل علم الحق وقضى بخلافه فهو في النار " فإذا كان هذا فيمن يقضي في درهم وثوب، فكيف بمن يقضي في الأصول المتضمنة للكلام في رب العالمين وخلقه وأمره ووعده ووعيده ؟"
ومن أحسن الأمثلة على ذلك كلام ابن معين في الشافعي، وقول الإمام أحمد ابن حنبل: إنه لا يعرف الشافعي، ولا يعرف ما يقول".
والجانب المتعلق بتوثيق العلماء وتجريحهم من حيث السنة والبدعة موضوعه شاسع

لا يقوم به علم الحديث وحده، وكل من تكلم فيه وهو ضعيف في غير علم الحديث، غير مشارك للعلماء في علومهم، وغير عارف بمراتبهم فيها، فهو متطفل على علم الجرح والتعديل في شقه هذا.

من هو السني؟

وهذه الآن مجموعة قواعد ملخصة من كلام ابن تيمية في شرح حديث الفرقة الناجية ومن مواطن اخرى أجريها على النووي والحافظ وغيرهما تعرف إن كانوا من اهل السنة وقعوا في أخطاء أو مبتدعة حقيقين؟

هو الذي يقول بالكتاب والسنة والإجماع كمصادر للتلقي وصفته العملية أنه لا يتبع إلا الرسول متابعة مقرونة بالموالاة والمعادة فيه، ولا يُمنع أن يتبع العلماء في الفروع وحتى في دقائق الأصول لكنه لا يوالي عليها ويعادي فيها فهذا ليس إلا لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

أصالة ومنطلقا يكتفي السني بمجملات الكتاب والسنة، ولا ينصب مقالة لم يخاطب بها الرسول صلى الله عليه وسلم الأمة ويجعلها من أصول الدين، ما يعني أن الاستفصال والتدقيق جاء كرد فعل على المبتدعة الذين نفوا لوازم النصوص.

ومن هنا نفرق بين من خالف السنة في أصول عظيمة، يعني في كلياتها الكبرى وبين من خالف السنة في أمور دقيقة، يعني يثبت الكليات لكنه عجز عن معرفة الحق في التدقيق.

ومعلوم للعقلاء أن الخطأ وارد على جميع المسلمين فمتى يصير المخطئ مبتدعا؟

1 ـ عندما يبتدع قولا يفارق به جماعة المسلمين، يعني يأتيهم بقول لم يكن من دينهم عند سلفهم ولم تخاطب به الشريعة المسلمين.

2 ـ يوالي على هذا القول ويعادي مخالفه.

3 ـ يفرق به جماعة المسلمين فيجعلهم متعادين متناحرين عندما يمتحنهم به.

4 ـ ثم يفسق او يبدع أو يكفر المخالف دون الموافق على هذا القول.

النتيجة: هذا لا يكون إلا مبتدعا من أهل التفرق والاختلاف، فإن استحل بعد ذلك معاقبتهم وقتالهم فهو من جنس الخوارج الذين جاءت السنة بالتحذير منهم تعيينا دون سواهم.

فإن لم يفعل هذه الأمور كان مخطئا فقط وليس بمبتدع.

كيف نعرف المبتدع الحقيقي؟
عندما نشهد بالشهادتين نشهد أن محمدا صلى الله عليه وسلم رسول الله إلى خلقه، ومن هنا يلزمنا شيئان تنبني عليهما نتيجة نعرف بها السني من المبتدع:
الأول: يجب تصديقه في كل ما أخبر به لأنه صادق مصدق.
الثاني: يجب طاعته في كل ما أمر به.
هذا هو مقام النبوة الخاص بالنبي صلى الله عليه وسلم، والذي لا يشركه فيه أحد من الأمة، وهو مبنى قول مالك وغيره: كل أحد يؤخذ من قوله ويترك إلا الرسول.
من هم أهل السنة والجماعة؟
لا أريد الاستفصال في هذا الموضوع وسأكتفي بإشارات في ظني كافية لفهم المشكل فأقول:
أولا: أهل السنة هم من يقول بالكتاب والسنة والإجماع في أصوله المعرفية، ومذهبه في الإمامة مذهب أئمة السنة ويتولى جميع الصحابة، في أصوله السياسية، فمن هذه الحيثية الأخيرة الأشاعرة أهل سنة بامتياز.
وأما من جهة الأصول المعرفية فهم كذلك أهل السنة في التوحيد العملي وفيما يسمونه" السمعيات مثل عذاب القبر والحشر والصراط.. الخ" إلا من تصوف منهم التصوف البدعي الحلولي تصوف وحدة الوجود وعبادة وتعظيم المشاهد، وكذلك هم في الأحكام العملية سنة.
يبقى الأصول النظرية أو العلمية، وهنا عندهم اضطراب له تفسيرات علمية كثيرة أهمها مشكلتهم الأنطولوجية ومع ذلك حاولوا دائما المحافظة على اللفظ الشرعي وراعوا دلالات النصوص كما في مبحث النبوة بحيث أن التزامهم بأصولهم النظرية مع مهابة النصوص دفعهم إلى تناقضات شديدة ليس هذا موضع تفصيلها.
ينطلق المتكلمون في استعمالهم اللغة للتبرير من تجريد أنطولوجي مبنى على مفاهيم موجهة منطقية صورية، وهذه المفاهيم هي التي تحكم منهجم المتمثل في "استعمال الفكر النظري لعقلنة المضمون المعرفي في لغة الدين الرمزية بحسبهم" ورمزية لغة الوحي لا يملكون عليها أدلة مادية بل اضطروا إلى اعتبارها رمزية لا لأن عناصر لغوية وسياقية براجماتية أفادت ذلك ولكن لأن المفاهيم الانطولوجية السابقة هي من يقتضي هذا الفرض.

فالانحراف عندهم أنطولوجي ولد الانحراف الابستمولوجي (ترويض التأويل).
بطبيعة الحال هناك مشكل هيكلي داخل المذهب الأشعري يتمثل في أن المؤسس له كتب مثل " رسالة إلى أهل الثغر" و " المقالات" و " الإبانة" نصر فيها مذهب السلف بحسب علمه لكن صرح فيها بالانتماء إلى مذهب السلف واتباع الإمام أحمد، وأثبت فيها الصفات الخبرية وإن وجد فيها شيء لا يوافق عليه فهذا بحسب تكوينه العلمي الذي جمع جدلا كلاميا مع أصول كلابية مع ما تلقاه من أئمة الحديث والسنة الذين لقيهم.
وهذه الكتب هي التي دافع بها عنه ابن عساكر وأثبت بها سنيته وسلفيته.
فمن هذه الجهة من انتسب إلى الأشعري بهذه المؤلفات كان من أهل السنة والجماعة بدون شك لكن الأشعرية لا يأخذون بهذه الكتب ويزعمون أنها متقدمة عن كتابيه " اللمع" و " استحسان الخوض في علم الكلام " وبالتالي لا تمثل مذهبه الأخير: التأويل.
والحقيقة أن البحث العلمي يثبت العكس، الكتاب الأول" اللمع" يمثل مرحلته بعد التوبة من الاعتزال واللغة فيه لغة الجدل المعتزلي فمن غير المعقول أن يتوب من الاعتزال إلى السلفية ثم يعود إلى شبيه الاعتزال؟
ولما أعلن توبته على المنبر وأخرج كتبه لم يكن فيها " الإبانة" وقد أشار إجناس جولدتسيهر في كتابه "العقيدة والشريعة في الإسلام" في الترجمة الفرنسية التي راجعها بنفسه أن "الإبانة عن أصول الديانة" هو آخر مؤلفات الأشعري التي حوت العقيدة التي استقر عليها.
وقد أخذ ذلك عن محمد بن الموصلي الذي صرح بذلك في مصنفه "سيف السنة" أنظر "الرسائل السبع في العقائد" حيدرآباد ١٩٤٨ في الرسالة السادسة التي عنوانها "الذميمة الثانية للإبانة" لمحمد عنايت علي الحيدر آبادي ص:٤٥...منقول.
والخطيب البغدادي منسوب إلى مذهب الأشعري نقل الذهبي في ((السير)) (18/ 277): ((وقال عبد العزيز بن أحمد الكتاني: وكان يذهب إلى مذهب أبي الحسن الأشعري)).
فلو كان التأويل هو آخر مذهب للأشعري لما نسب إليه الخطيب الذي يقول بالمنع من التأويل.

واما رسالته " استحسان الخوض في علم الكلام" فلم يذكرها ابن عساكر ولا السبكي ولا ابن تيمية، ولم يذكرها ابن فورك في قائمة مؤلفات الأشعري فلو كانت فعلا له لما فوت الأشاعرة الاستنصار بها على جواز الخوض في علم الكلام.

وهذه الرسالة رد على منتقدي الاشتغال بعلم الكلام تبيح الاشتغال به مطلقا وهو خلاف رأي المتكلمين بأنه للضرورة فقط، كما تعاني من انقطاع السند!

ومشكلة كتاب " اللمع" أنه يقوم في جدليته على دليل الحدوث ولكنه يؤسس هذا الدليل على تأصيل جهمي " الجواهر المفردة" ثم زاد الباقلاني في شرحه حبة فأضاف أن الحدوث تخصيص بوقت دون وقت، والتخصيص لا بد له من مخصص الذي هو تحصيل حاصل، فهذا الكتاب يحوي بذرة التعطيل والتأويل، واعتماده يعطي نوع صلة مع الأشعري بخلاف الكتب الأخرى، ولهذا كثرت شروحهم عليه.

ومع ذلك فيه اشياء صحيحة وربما أهم نقطة يجب الاهتمام بها في هذا الكتاب هي:هل عدم تعرعه للصفات الخبرية مواقف مخالف لما في كتبه الأخيرة أم هو مجرد كتاب في مسالك الاستدلال؟!

والمقصود أن المشكل ليس مع الأشعري رحمه الله ولكن مع المنتسبين إليه والبحث فيهم له موضع آخر فلنعد إلى النووي وأمثاله رحمهم الله تعالى فنقول:

لا يجب أن نرى علم الكلام بحسب ما كان يدعيه هو، ولكن بحسب ما هو في نفسه في حقيقة الأمر" ننظر في كتب الكلام"، لا في الكتب التي تبرر له مثل تبيين كذب المفتري لابن عساكر وطبقات الشافعية للسبكي وكتاب ابن الدباس وكتاب ابن مرزوق، او حتى ابن جهبل.

لمعرفة الكلام يجب أن نعرف موضوعه ومنهجه، هو خطاب عقلي تصوري جدلي تحكمه قواعد منطقية، ويتعلق بمباحث الأسماء والصفات والقدر وغيرها من العقائد الدينية.

فلإثبات مسائل العقيدة بحث المتكلِّمون في: المادَّة وصفاتها، وتحوُّلاتها، وتفاعلاتها،و الحركة و السُّكون،و المكان و الزَّمان،و الثقل و الممانعة،والوجود و العدم،فقامت عقيدتهم على أربعة مبادئ وأسس عقليَّة جعلوها الرُّكن في عقيدتهم،وهي:1 ـ مبدأ الحدوث 2 ـ مبدأ التَّجزئة والانفصال 3 ـ مبدأ التَّغيُّر و التَّجدُّد 4 ـ مبدأ الاحتمال و التَّجويز .

يزعم المتكلمة أن علمهم استدلال عقدي على عقائد دينية مسبقة، فبحسب تعريف ابن خلدون من أنه جدال عن الدين بالعقل هو محدد بعقائد مسبقة.

لكن في الحقيقة هذا تعريف نظري لا يمثل الحقيقة إذ نجد أن الحد الديني فيه لا يتجاوز القضايا الغيبية مثل البعث والجنة والنار ومثل هذه الأمور لكن في الانطولوجيا وإثبات وجود الله وصفاته وما يستتبعها يحافظ على الحد الديني فقط من خلال عدم إنكار النص لكن من حيث التأويل فهو فلسفي يعني غير مقيد بحدود مسبقة.

أقول هذا لنميز المتكلم القح الذي يتميز بمسالك استدلالية خاصة وبين من تأثر ببعض أقوال المتكلمة لكنه لم يؤسسها على هذه الأصول والمسالك.

الكلام في المفاضلة بين المذاهب والعلماء خصوصا في باب أصول الدين وعلم الكلام لا يقدر عليه من لم يشارك في هذه العلوم دراسة وتحقيقا ومقابلة ونقدا.

ولم يتتبع كرونولوجية نشوء الفرق وأسبابه وتاريخ المقالات وخصائصها ونقاط اتصالها وتقاطعها فيما بينها.

والأهم من ذلك أصل المقالة ومختلف تحوراتها عبرالسنين كيف بدأت؟ وأين انتهت؟ وإلى ما تشعبت؟ ودرجة كل طبقة في طردها أو تهذيبها؟ فالفكرة تبدأ كبذرة ثم مع مر السنين تصير نظرية أولية، وهكذا حتى تصبح مذهبا له قواعد وأصول ومصطلحات وربما قوالب شرعية وشبه على النصوص.

ومع كل مرحلة تجر معها قوما من مختلف المشارب إذ عندما يشتبه الباطل بالحق وتتظافر ظروف سياسية واجتماعية ترفع أقواما وتضع آخرين، ويخترق المذاهب السنية الفقهية متكلمة تحت عباءة القضاء أو الفقه المذهبي او الحديث أو التفسير، وتصير لهم منزلة في مذاهبهم، و تصير مصطلحاتهم معتمدة حتى في علم أصول الفقه لقوتهم على التنظير و التبويب المنطقي و صناعة الحد يدخل معهم قوم من أهل العلم و الإيمان لم تسعفهم البيئة و الظروف التي صار إليها العالم الإسلامي للفصل بين الأصيل و الدخيل ، بين المصطلح الصحيح و بين المصطلح الدخيل ، بين القواعد العقلية المستفادة من أصول فلسفية و بين القواعد العقلية الضرورية فيتعذر عليهم التحقيق و تتسرب إليهم معان بدعية نجح المتكلمة في إدخالها تحت الألفاظ الشرعية .

ولذلك شهدت المذاهب الفقهية معارك داخلية طاحنة بين المنتسبين للمذهب أصالة

المحافظين على انتمائهم لعقيدة رواده وبين المتكلمين المنتسبين إليه، وقد كانت أكبر هذه المعارك داخل المذهب الشافعي وبدرجة أقل داخل المذهب الكلامي ستكون لنا فرصة الانبساط فيها عند بحث عقدة البحث عن الاعتراف عند المتكلمين.
إنَّ الخطأ الوارد على أهل العلم له أسباب كثيرة منها: ما دخل في المقالات وتلبَّس بها من حقٍّ يشوبه باطل، فالخطأ في أئمَّة الإسلام أكثره ناشئ عن عجز دفع هذه الشُّبهات وما تلبَّست به، لا من حبِّ مخالفة الحقِّ.
وأهل السُّنَّة والجماعة يرحمون الخلق، ويعذرون المخطئ في اجتهاده، لأنَّهم يعرفون سبب الاختلاف ومورد الشُّبهة، وأنَّ لوازم الحقِّ صارت دقيقة خفيَّة على أكثر النَّاس.
وعليه كيف لا نعذر من ينتمي للرَّسول صلَّى الله عليه وسلَّم خاصة إذا أخطأ عجزا عن معرفة دقائق علميَّة هي من لوازم الحقِّ، لم يدع إليها النَّبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم بألفاظ صريحة، ولا امتحن النَّاس عليها أو اجتهد بناءً على مقالات تلقَّاها ظنَّها حقًّا وصوابا؟
أنواع العلماء في المسائل العقلية والنقلية:
قال ابن تيمية في «الدرء"{35/7}:"وأهل العلم بالحديث أخص الناس بمعرفة ما جاء به الرسول ومعرفة أقوال الصحابة والتابعين لهم بإحسان، فإليهم المرجع في هذا الباب، لا إلى من هو أجنبي عن معرفته، ليس له معرفة بذلك، ولولا أنه قلد في الفقه لبعض الأئمة لكان في الشرع مثل آحاد الجهال من العامة.
فإن قيل: قلت: إن أكثر أئمة النفاة من الجهمية والمعتزلة كانوا قليلي المعرفة بما جاء به الرسول وأقوال السلف في تفسير القرآن وأصول الدين وما بلغوه عن الرسول، ففي النفاة كثير ممن له معرفة بذلك؟
قيل هؤلاء أنواع:
الأول: ليس لهم خبرة بالنقليات، بل هم يأخذون ما قاله النفاة عن الحكم والدليل ويعتقدونها براهين قطعية، وليس لهم قوة على الاستقلال بها، بل هم في الحقيقة مقلدون فيها، وقد اعتقد أقوال أولئك في جميع ما يسمعونه من القرآن والحديث وأقوال السلف، لا يحملونه على ما يخالف ذلك، إما أن يظنوه موافقا لهم، وإما أن يعرضوا عنه مفوضين لمعناه.
وهذه حال مثل: أبي حاتم البستي، وأبي سعد السمان المعتزلي، ومثل أبي ذر

الهروي، وأبي بكر البيهقي، والقاضي عياض، وأبي الفرج بن الجوزي، وأبي الحسن على ابن المفضل المقدسي وأمثالهم.
الثاني: من يسلك في العقليات مسلك الاجتهاد ويغلط فيها كما غلط غيره، فيشارك الجهمية في بعض أصولهم الفاسدة، مع انه لا يكون له من الخبرة بكلام السلف والأئمة في هذا الباب ما كان لائمة السنة، وإن كان يعرف متون الصحيحين وغيرهما.
وهذه حال أبي محمد بن حزم، وأبي الوليد الباجي، والقاضي أبي بكر بن العربي، وأمثالهم.
ومن وهذا النوع بشر المريسي، ومحمد بن شجاع الثلجي وامثالهما.
النوع الثالث: سمعوا الأحاديث والآثار وعظموا مذهب السلف وشاركوا المتكلمين الجهمية في بعض أصولهم الباقية، ولم يكن لهم من الخبرة بالقرآن والحديث والآثار ما لأئمة السنة والحديث، لا من جهة المعرفة والتمييز بين صحيحها وضعيفها، ولا من جهة الفهم لمعانيها، وقد ظنوا صحة بعض الأصول العقلية للنفاة الجهمية، ورأوا ما بينها من التعارض، وهذا حال أبي بكر بن فورك، والقاضي أبي يعلى، وابن عقيل وأمثالهم، ولهذا كان هؤلاء تارة يختارون طريقة أهل التأويل كما فعله ابن فورك وأمثاله في الكلام على مشكل الآثار.
وتارة يفوضون معانيها ويقولون: تجري على ظواهرها، كما فعله القاضي أبو يعلى وأمثاله في ذلك.
وتارة يختلف اجتهادهم، فيرجحون هذا تارة، وهذا تارة كحال ابن عقيل وأمثاله، وهؤلاء قد يدخلون في الأحاديث المشكلة ما هو كذب موضوع، ولا يعرفون إنه موضوع..."
فهؤلاء ثلاثة أنواع لا يدخل فيهم أمثال النووي بل هو نوع رابع سمع الأحاديث والآثار وعظم مذهب السلف، وله خبرة بتمييز الصحيح من الضعيف، لم يشتغل بالكلام ولا تغلغل في مقالاته ظن بعض مقررات المتكلمين صحيحة موافقة للشرع فقال بها.
إثبات العذر:
قال في "الدرء"{101/2}:" أبو ذر فيه من العلم والدين والمعرفة بالحديث والسنة

وانتصابه لرواية البخاري عن شيوخه الثلاثة وغير ذلك من المحاسن والفضائل ما هو معروف به.
وكان قد قدم إلى بغداد من هراة، فأخذ طريقة ابن الباقلاني وحملها إلى الحرم، فتكلم فيه وفي طريقته من تكلم، كـ أبي نصر السجزي، وأبي القاسم سعد بن علي الزنجاني وأمثالهما من أكابر أهل العلم والدين لما ليس هذا موضعه، وهو ممن يرجح طريقة الصبغي والثقفي على طريقة ابن خزيمة وأمثاله من أهل الحديث.
وأهل المغرب كانوا يحجون، فيجتمعون به ويأخذون عنه الحديث وهذه الطريقة ويدلهم على أصلها، فيرحل منهم من يرحل إلى المشرق، كما رحل أبو الوليد الباجي فأخذ طريقة أبو جعفر السمناني الحنفي صاحب القاضي أبي بكر، ورحل بعده القاضي أبو بكر بن العربي فأخذ طريقة أبي المعالي في الإرشاد.
ثم إنه ما من هؤلاء إلا من له في الإسلام مساع مشكورة، وحسنات مبرورة، وله في الرد على كثير من أهل الإلحاد والبدع، والانتصار لكثير من أهل السنة والدين ما لا يخفى على من عرف أحوالهم، وتكلم فيهم بعلم وصدق وعدل وإنصاف.
[التعليل] : لكن لما التبس عليهم هذا الأصل المأخوذ ابتداء عن المعتزلة، وهم فضلاء عقلاء احتاجوا إلى طرده والتزام لوازمه، فلزمهم بسبب ذلك من الأقوال ما أنكره المسلمون من أهل العلم والدين، وصار الناس بسبب ذلك: منهم من يعظمهم، لما لهم من المحاسن والفضائل، ومنهم من يذمهم، لما وقع في كلامهم من البدع والباطل، وخيار الأمور أوساطها.
وهذا لي مخصوصاً بهؤلاء، بل مثل هذا وقع لطوائف من أهل العلم والدين، والله تعالى يتقبل من جميع عباده المؤمنين الحسنات، ويتجاوز لهم عن السيئات، {ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم} (الحشر: 10) .
ولا ريب أن من اجتهد في طلب الحق والدين من جهة الرسول صلى الله عليه وسلم، وأخطأ في بعض ذلك فالله يغفر له خطأه، تحقيقاً للدعاء الذي استجابه الله لنبيه وللمؤمنين حيث قالوا: {ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا} (البقرة: 286) .
ومن اتبع ظنه وهواه فأخذ يشنع على من خالفه بما وقع فيه من خطأ ظنه صواباً بعد اجتهاده، وهو من البدع المخالفة للسنة، فإنه يلزمه نظير ذلك أو وأعظم أو أصغر

فيمن يعظمه هو من أصحابه، فقل من يسلم من مثل ذلك في المتأخرين، لكثرة الاشتباه والاضطراب، وبعد الناس عن نور النبوة وشمس الرسالة الذي به يحصل الهدى والصواب، ويزول به عن القلوب الشك والارتياب.

ولهذا تجد كثيراً من المتأخرين من علماء الطوائف يتناقضون في مثل هذه الأصول ولوازمها، فيقولون القول الموافق للسنة، وينفون ما هو من لوازمه، غير ظانين أنه من لوازمه، ويقولون ما ينافيه، غير ظانين أنه ينافيه، ويقولون بملزومات القول المنافي ما أثبتوه من السنة، وربما كفروا من خالفهم في القول المنافي وملزوماته، فيكون مضمون قولهم: أن يقولوا قولاً ويكفروا من يقوله، وهذا يوجد لكثير منهم في الحال الواحد، لعدم تفطنه لتناقض القولين، ويوجد في الحالين، لاختلاف نظره واجتهاده.

وسبب ذلك ما أوقعه أهل الإلحاد والضلال من الألفاظ المجملة التي يظن الظان أنه لا يدخل فيها إلا الحق، وقد دخل فيها الحق والباطل، فمن لم ينقب عنها أو يستفصل المتكلم بها - كما كان السلف والأئمة يفعلون - صار متناقضاً مبتدعاً ضالاً من حيث لا يشعر".

والمقصود أن العلماء أنواع لكل نوع مشربه وسبب لخطئه فمنهم المجتهد في تعلم السنة قضى عمره مع الأسانيد وركز على الأحكام الشرعية والأخلاق والسلوك وربما كذلك على معرفة رجال الحديث نفرق هنا بين مختلف مذاهبهم، بين أهل الشريعة والحديث منهم، وأقصد هنا علماء الحديث والفقه والتفسير منهم الذين جمعوا بين الإثبات والتأويل أو التفويض، وبين المتكلمين المائلين إما للفلسفة وإما للاعتزال.

الخلاصة: لم يعد بالإمكان معرفة الحق بدون مقدمات دقيقة لكثرة الاشتباه ومن قرون طويلة.

رحم الله النووي وجزاه عن أمة الإسلام خيرا وغفر لنا وله ولسائر المسلمين.

لو كان في أمتنا الآن نووي واحد لكان حالها أفضل لست أشك في ذلك.

القواعد العلمية التي تحكم ضوابط التبديع تاصيلها تفصيلا في مواضع أخرى ضمن الأسماء والأحكام.

لماذا السكوت أحيانا وعدم التجاوب؟

....

هناك رجال فضلاء لا أحب أن أخسر مودتهم، لهم عمق في قضايا، وفي أخرى مثل: الكلاميات والمنهجيات يتكلمون بالحس السليم وليس بالدراسة والإحاطة، لم يجددوا معلوماتهم.

ربما بلوروا موقفا من نظرهم لسلفيين يعرفونهم بغلظة أو غلو وضيق صدر، أو لهم اعتقادات سابقة نشؤوا عليها أو التقطوها في فترة ما، من قراءة أو لقاء، يشعرون الآن أن التسبيب العلمي في هذه المقالات تجاوزهم فهذا رد فعل منهم لا أعتقد أنه سيستمر أو يطول ففضلهم سيغلب في الأخير.

و أنا أختار ترك مناقشة هذا الصنف إذا رأيت تعليقاتهم لا تتوارد مع المقال، وأترك لهم مجالا للتنفس فإن ما فيهم من خير وصدق يفوق فائدة التحقيق في هذه المسائل الدقيقة فكل ميسر لما خلق له.

المهم الإيمان بالله وبرسوله، والتوفر على الكليات الشرعية، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وحب العدل الإنصاف، والاكتراث لأحوال الأمة.

والعلم إذا تفاوت بين الناس أفسد المودة بينهم إلا في حال تحكم قوي جدا في النفس.

وتغيير القناعات صعب جدا فالهوية متغلغلة متحكمة في المزاج النفسي توظف التبرير المنطقي لدفع الشعور بالانزعاج من الحقائق التي تخالف قناعتنا ،والعقل لا يقبل أن تبقى تلك الحقائق في حاشيته فإنها ستنهك النفس فيدخلها في دائرة قناعته بأي شبهة تطفئ جمرته.

والرحمة والاحترام يجب أن تظلل علاقتنا والعاقبة للمتقين.

والمقصود فهم الناس من هذا الصنف وعدم التسرع في الرد عليهم، والتسامح معهم والدعاء لهم، والرفق بهم فإن العلم وحده لا يصنع الصالحين.

مشكلات وعوائق التعلم 6

....

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله.

تكوين العقل أثناء التعلم

لا يوجد وصفة موحدة لتحصيل العلم الشرعي، لا يوجد قائمة بكتب يجب أن تقرأها بالضرورة كل هذا من أوهام بعض المؤلفين إنما يوجد أشياء عليك أن تعرفها أولا:

يجب ـ أولا ـ أن تكوِّن لنفسك قاعدة ثقافية شرعية تسمح لك بأن تضع عليها لبنات العلم من خلال مطالعة: السيرة النبوية، والتفسير، وتاريخ التشريع، وسير السلف، وأئمة السنة، ومتون السنة مرة أولى بحثا عن الاطلاع والمعرفة الأولية لأن التحقيق يأتي بعد مرحلة التحصيل، بعد أن تشرع في المشاريع الفكرية العلمية.

ففي هذه المواد تبدأ بمعرفة الله ومعرفة الرسول ومعرفة الصحابة وأئمة الهدى، وتلمس الهدى والبيان القرآني وتعتاد لغة النصوص وتستضيء بنور السنة.

ثم يجب ـ ثانيا ـ أن تحرص أثناء القراءة على تعلم قواعد الاستدلال ومراتب الأدلة العلمية، أعنى من ممارسة العلماء وليس من كتب أصول الفقه النظرية فهذه لها وقتها سيأتي ذكر البرنامج التفصيلي.

ما ذكرته لك أولا دوره أن يُملِّكك حصانة مفاهيمية تصونك من التأثر بأي كتاب تقرأه بدون وعي أو قصد، فتتعلم التفكير في تفكيرك حتى تحصى مصادر أفكارك وهويتها المعرفية فبدون القاعدة الثقافية الشرعية لن تملك الأمثلة المضادة التي تحدد بها الأفكار التي تمدك بها الكتب العلمية العقلية.

ولأنَّ التفكيرَ كالتنفس قد لا نشعر به فكثيرا ما نخلط بين التفكير وبين ردِ الفعل لأنَّ التفكيرَ وردَ الفعل في حدٍ واحد يخلط بينهما الإنسان، الفرقُ بينهما هو أنَّ ردَ الفعل يقدمُ لنا نظرةً إجمالية تجعلنا في العمى وفي ثقافةِ الارتياب ومخطئين في إدراك الواقع.

فبسبب تشابهُ التفكير مع عمليةِ التنفس من حيث عدم الشعور به إلى نكون تحت خطر التلقي غير الواعي للرسائل والمعلومات المغلوطة.

من الصعب أن يسلم المسلم من تأثير التفكير المهيمن فالتفكير الغربي يخترقك من خلال التربية والتمدرس المشبع به، وكذلك من خلال المحيط العائلي والاجتماعي، ويخترق الشباب عموما من خلال أسلوب الحياة الغربي وأدواتهم التكنولوجية، وينتهي بصبغ تفكير بعضنا فينخرطون في هذا التفكير من غير شعور.

وكما قال ابن تيمية في "الوصية الصغرى": " فإن الإنسان الذي ينشأ بين أهل علم

ودين قد يتلطخ من أمور الجاهلية بعدة أشياء فكيف بغير هذا؟ !" [الوصية الصغرى 10/656] فلا عاصم إلا الله.
من جهة أخرى تعاني أمتنا من فكر بدعي شاذ في واقع الحال لكنه يهيمن بسبب أن السلطان والمال في يد من لم يحقق التراث العلمي الإسلامي ولا الغربي مجهزين لإدامة الحال ينتقي نخبة ممن لم يميز بين الإسلام المنزل وبين الإسلام المؤول او المبدل، أو من سماسرة الاختصاصات يدفقون آراءهم بدلا من ممارسة مهنتهم، يبحرون بك في محيطهم الإيديولوجي.
فغرضي ألا تترك أي فيلسوف أو متكلم، أو متصوف، او متفقه، أو مفكر أو مختص في شأن ما يوهمك أنه يفكر انطلاقا من منطقة نقية من المقدمات الموضوعة (قضايا تعد صحتها مسلمة من غير استدلال وتجعل أساسا لاستنتاج قضايا أخرى) فلا يوجد إلا ما هو صادر عن العليم الحكيم وما هو صادر عن غيره.
النقاء الوحيد الممكن هو في النص الشرعي بفهم سلف الأمة ، فكل ما سواه ينطلق من أحكام سابقة تلقاها ولقنت له بشكل من الأشكال، فالعقائد تتشكل من تجارب شخصية، من تأثير عائلي أو مدرسي أو اعلامي أو حياتي أو من بيئة مذهبية معينة ثم ننطلق للدراسة والتخصص بحثا عما يؤكدها، ووحده الوحي يستطيع تنقية فطرتنا من هذه الشوائب.
وعليه يحتاج طالب العلم المسلم إلى القدرة على التفكير باستمرار فيما حصل لتفكيره من هذا التأثير فتتكون لديه حصانة مفاهيمية.
والغالب على الناس إلا من أيده ا أنه لله يفكر في تفكير غيره لكنه أبدا لا يفكر في تفكيره، من أين جاءه؟ وهل هو تفكيره حقيقة أم تفكير غيره؟
وهل يملك تصور أفكار غيره تصورا تاما فهو موافق بدليل يستطيع إعادة انتاج هذا التصور بكل مراحله؟
وعليه لا يوجد وصفة تعليمية يصبح بها الطالب عالما إلا إذا سلك منهج المتقدمين العلمي ومع ذلك فإن تكوين العقل ليكون قادرا على استيعاب كل ما يقرأ بقوة حسه السليم يحتاج إلى قراءة كتب مخصوصة والتمرس فيها فليس أي كتاب يعلمك طرائق الاستدلال العملية وكيفية الإحاطة بالاوجه والاحتمالات.
فهناك مرحلة التعرف على العلم وتاريخه ومدارسه ثم مرحلة معرفة مسائله وقضاياه

ومنهجه ثم مرحلة تحقيق محل النزاع فيه.
ولما كانت الكتب كثيرة جدا والعمر قصيرا والمشاغل كثيرة وليس كل الكتب تكون عقلك فيجب انتقاء كتب أولئك الذين ثبتت قوتهم في التوليف وعرفوا بسعة الاطلاع فمعهم تختصر الطريق و تربح الوقت إذا ما أسعفت بذلك بحفظ ما يجب حفظه من قواعد وتمرنت على ممارستها في بحوث تكتبها لنفسك أولا.
والمحقق في العلم غير الجمَّاعة وقد يكون محققا في فن دون فن، وقد يكون محققا بطريقة أثرية مثل ابن عبد البر و أمثاله ومن المتأخرين الشوكاني والصنعاني ، وقد يكون محققا نظارا يمزج التحقيق الأثري مع الصياغة العقلية والتنوع في مواد التدليل مثل ابن القيم و نظرائه.
ومنهم من يفيدك في غالب أبواب الدين ومختلف العلوم وعنده وحدة معرفية، ومنهم في فن دون فن، وفق في فن ولم يوفق في آخر أو لا يملك وحدة معرفية في الفقه واصوله منهج وفي العقليات منهج آخر.
باختصار أنظر في كل طبقة من يعجبك علمه وعقله، وعندما تقارنه بغيره تجده يقربك من القرآن والسنة أكثر من غيره، وتقتنع بكلامه أكثر من غيره، وتملس قوة واطراد وتماسك في استدلاله فاقرا له كثيرا واشتغل على جمع متفرقاته حتى تتشبع من ذلك.
بعض النقاط هنا مفسرة في حلقات أخرى عندما تجمعها رتبها بحسب الأرقام فأنا لا اراعي الترتيب لأني أريد ايصال معلومة حالية.

....
المشكلة عند لا تفتح المظلة؟ والقراءة بدون ضوابط سقوط حر!
فائدة تاريخ الصراع المذهبي.

....

فائدة تاريخ التدافع والصراع العلمي بين المذاهب مفيد للباحث المناقش إذا استثمر مخرجاته وما دار حوله حتى لا يضيع جهده سدى.
فمن دون شك من لم يقتنع بكلام ابن تيمية مباشرة من كتبه مثلا _ هذا إن كان قرأها ولم يعرف بعض كلامه بواسطة _ يستحيل أن يقتنع بكلامه الذي ينقله المعاصر مع

احتمال عدم فهمه له أو لخلل في الاقتباس أو غير ذلك. فمناقشة هؤلاء بقصد ردهم للصواب مضيعة للوقت لأن الصواب لا يتوقف على العلم بالحق ولكن على استعداد النفس لقبوله.

وكل شخص مفتون بنفسه، متعصب، يأكل بدينه، أو متكبر لن تقبل نفسه حقا يزيحه عن منصب، أو يرده إلى صف المغمورين، أو يقطع عنه امتيازات، أو شهرة ومكانة عند طائفته.

فمثل هؤلاء استحكم منهم الهوى وغلف قلوبهم.

فهؤلاء يدور كلامهم على ما يستشعرونه من صحة جدلية نظرية لا مادية يعني :صحيحة بحسب مقدماتها داخل نظامها وليست صحيحة بناء على مطابقة فرقان الشريعة ووفقا لمقدمات ضرورية.

لكن مع ذلك يوجد أناس في وسط الجسر أو عند بابه ينتظرون من يدفعهم لقطعه فهم في الوسط ينتظرون المرجح للحركة إلى الأمام أو إلى الخلف.

وعليه تكتب الردود العلمية لقصدين :

الأول :تقوية الموافق و إزالة الشبهات عنه وتوثيق يقينه.

الثاني :نقل المخالف التابع الذي لم يستحكم الهوى منه إلى حال أفضل، إلى مرتبة أقوم ليس شرطا نقله كلية.

بشرط اتباع أسلوب تعليمي في الردود الذي يشفع مباشرة بعد النقض بالتأسيس الاثباتي.

ولهذا الانفع في الردود الاكتفاء بما يقوم بالحاجة واجتناب التسلسل فيها.

وكذلك سواء بسواء في الطرفين ملتحقون جدد لا يعرفون كل هذا،والقسمة الصحيحة ليست خاصة قادة رؤوس وعامة بل بينهما درجات كثيرة ليسوا في استحكام الهوى و حب الحق والاذعان له سواء.

ومن كتب ردا على علماء سبقوه بقرون لم يكتبه ليقنعهم وهم موتى ولكن كتبه لينتفع به متبع لهم أحسن الظن بهم أو لم تكتمل عنده صورة المسائل.

وكذلك ينتفع به المخالف لهم إما بزيادة معرفة لمصادره أو ادلته.

والرد لم يتوقف في عصر من العصور، ولا اكتفى المتأخر برد المتقدم فدور المعاصر أن يعيد عرض المادة سواء أضاف إليها جديدا ،أو أعاد صياغتها، أو

لخصها فكثير من الناس لا يصل إليها.
وكم من عالم لم يستجاب لردوده إلا قليلا ومع ذلك لم يتركها وانتفع بها غير أبناء زمانه.
لهذا يحتاج هذا الموقف إلى نظرة شاملة تاخذ بعين الاعتبار كل هذا ،وتفرق بين اجترار النقاش من غير طائل فقد جرى القلم بما هو كائن وسيكون وبين توفير العرض دون هوس باقناع المخالف.
فالرد بهذا القصد من وسائل إزالة الحائل بينهم وبين الحق، وهذا أمر واقعي نشاهده في كل يوم.
والعلم الذي يبرز في الردود أقوى بكثير من غيره لأنه ناتج عن التحام صراعي بين عقلين، بين رؤيتين وبين منهجين.
وفي كل يوم تطلع عليه الشمس ينتقل الناس من موقف إلى موقف ومن مذهب إلى مذهب بقراءة فردية أو صداقة قوية أو للقاء مع مقال أو كتاب أو شخص لم يكن متوقعا والله الهادي.

أثر العقليات على النفس!

....

إذا كان الإنسان محبا لأئمة السلف معجبا بعلمهم فسيكون _بدون شك _معجبا أعمالهم.
وقد يقودنا طريق التعلم أو الفضول لمن عنده ميل إلى "أصول الدين والمقالات والفرق" إلى إدمان النظر في العقليات، و ربما البقاء فيها إلى الموت!
وقد يسترسل معها فيتوسع في الفلسفات القديمة و المعاصرة، ومن حجرة تطل على أخرى ينظر في العلوم الإنسانية والفكر الغربي المعاصر.
وهذا جيد لمن عصمه الله و أيده بنوره فلم تزده هذه المجالات كلما تعمق فيها إلا سوء ظن بها.
ومعلوم بالممارسة أن العقليات لا تزكي النفس ولا تحث على الطاعات، يتعلق القلب بها ويشغف بحل إشكالاتها فلا يتلذذ إلا بمسائلها وهي فعلا تمنح نشوة عقلية لا نظير

لها حتى جعل الفلاسفة وبعض المتكلمين الكمال الإنساني في العلم بالمجهول!
وهي تغر الإنسان بنفسه تشعره بالذكاء والنباهة، وتنفخ رؤيته لنفسه كما لا يفعل أي عالم آخر.
و إذا لم يجد من الرفقة من يطاوله فيها واكتشف تقصيرا أو قصورا عند العلماء دخله نوع من الاحتقار أو من التقليل من شأنهم وبطبيعة الحال الشيطان لا يفارق الإنسان حتى يموت.
هناك فرق شاسع بين الجدال الفلسفي الكلامي في أسماء الله وصفاته والوجود و الماهية ولو بالحق وبين العيش داخليا في نفسك بمشهد الأسماء والصفات.
الأول يجعل منك مجادلا بارعا لكن بدون تقوى باطنةممكن تكذب على نفسك بقوة التأويل لها فيغلب عليك الترخص وما هو أشد!
ورد الشبه بقوة العقل مع مرض القلب يورث تناقض العلم مع العمل ،ويضعف عزيمة العمل، وهيبة الكلام عن الله عز وجل إن لم يجبر بقوة استسلام وخضوع و تعظيم لأوامره ونواهيه توازيه.
الاهتمام بالمباحث المنطقية والفلسفية الكلامية هو لخدمة المنهج المعرفي الذي تحتاجه في الفكر عموما وفي كل أبواب الدين.
اما للجدال المحض فلا نفع فيه .
الإدمان على الجدل الكلامي بدون قوة سلوكية موازنة يورث شعور زائف بالعقلانية والذكاء يخرب باطن المسلم.
فكيف تتقي شر هذه العلوم على نفسك ودينك و أنت لا تعلم عن الناس إلا ظاهرهم ولا يعلمون عنك إلا ظاهرك؟
يعني: ممكن تعيش مخدوعا بهم ومخدوعين بك ،لا من جهة حاجة احدكما للآخر لكن من جهة عدم المذكر المشارك لك في هذه العلوم الخطيرة؟
الحل هو ما وجدته عند ابن تيمية _ وربما قد انتبهتم إلى أنه تقريبا لا يوجد متكلم أو متفلسف إمام في هذا تكلم في العبودية والسلوك إلا مثل القشيري وليس متكلما حقيقيا و ابن سينا في "مقامات العارفين" والتي في حقيقتها هي مقامات الجاهلين الضالين.
وربما الغزالي ولكنها مشحونة بالضعيف والموضوع وبعضها عرفان فلسفي.
وكذلك كتب الحارث المحاسبي فيها ولا تفي بمهمات السلوك.

أما من تكلم فيها بالقرآن والسنة وأقوال السلف وزهاد السنة فقليل جدا.
بالنسبة لي العسل المصفي في هذا الباب هو كتب ابن تيمية وابن القيم السلوكية فقد جمعت معرفة بأحوال القلوب مع تحقق بمعاني النصوص.
ومع ذلك لابد لك من مقياس، من علامات تعرف بها أين أنت؟
وهل وعيك حاضر لم تغفل عما ينفعك عند الله تعالى فتتدارك الأمر بعزلة محدودة وبتغيير الاهتمام إلى أن تستقيم نفسك؟
هذا المقياس هو :
1 _ هل تنشرح نفسك للعبادة والذي يعني أنك ميسر.
2 _ هل يفوتك ورد القرآن بسبب البحث أو النقاش أو التعلم أو التعليم ؟
3 _ هل تزداد ذكرا لله تعالى، وتلمس أثره عليك فإن عقوبة العارف انقطاع الذكر كما قال أحدهم؟
4 _ هل بلغت التوبة النصوح من ذنوبك الاعتيادية ما يعني أن الشهوة والشبهة قد خرجوا من قلبك؟
5 _ هل ظفرت بالرضا ولو حينا بعد حين فاستوت عندك الأمور وسكن قلبك إلى الله ؟
6 _ هل زاد انصافك ورحمتك الناس؟
7 _ هل تعيش بعقيدتك في مواقفك ومشاكلك الحياتية أم بما اعتاد عليه مجتمعك؟
المفروض أن العلو في العلم سواء كان شرعيا أصالة أو بالاستخدام يوازيه علو في العمل لله تعالى فكيف تطلب هذه العلوم إلى منتهاها وتتمنى الكمال فيها ولا تطلب التمام في العبادة ونقاوة القلب؟
إن قادتك كتب من تقرأ لهم سواء من أشرت إليهم أو غيرهم إلى هذه الخلاصة فقد نفعتك و أثمرت فيك و إلا فاحذر وطلق!

النزول إلى الجحيم..!

...

يشكو الناس من عجزهم عن التوبة ،من رجوعهم من نصف الطريق، من فلتان قلوبهم عليهم، من اضطرابات نفسية ومعارك شرسة في بواطنهم، من صعوبة الدنيا، من ضيق العيش.. وغير ذلك.

لا يعرفون تفسير ذلك :ما القابل منه ليتغير ويتحسن؟

وما الذي لا علاقة له بطاعة أو معصية ولكنه لا يمنع العيش السعيد والسكينة، فلن يصبح كل الناس اغنياء؟

وما الذي لا يضر مع طاعة الله ؟

و أنا أنصح من يعاني من هذه الأمور أن يقبل على كتب ابن القيم _رحمه الله _ يقرأها بحضور قلب، فلا أعلم عالما مسلما دوَّن كتبا تعالج مشاكل النفس وعقوبات القلب ولطائف أحوال القلوب ،وشرح القضاء والقدر، وكشف مداخل الشيطان و ألاعيب النفس، وشرح آثار الذنوب و أسباب الإصرار عليها مثل ما فعل في كتبه الكثيرة.

و أقصد كتبه السلوكية "التزكية" مثل :"الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي"، "إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان" ،"عدة الصابرين"، "روضة المحبين"، "طريق الهجرتين"، "مفتاح دار السعادة ".

بعض الناس يقول بأنه قرأها أو قرأ بعضها، لكن القراءة في بداية الطلب وبعد اكتمال الآلة ونضج تجربة الحياة والوقوع في المطبات مختلفة جذريا.

ومن قرأ هذه الكتب تجد أثرها على لسانه وعلى سلوكه، ومهما كان القدر الذي استفاده منها يسيرا نفعه.

وردت في القرآن كثير من الآيات وكذلك في الحديث النبوي تخبر عن العقوبات التي تضرب بها القلوب، وقد ذكر ابن القيم منها :

الختم على القلب ،والغشاوة على البصر، وإقفال القلب، وجعل الأكنة والرين عليه، والطبع عليه، وتقليبه، والحيلولة بين المرء وقلبه ،وإغفال القلب عن ذكر الرب، و إنساء الإنسان نفسه والضيق ،وصرفه عن الحق ،و إركاسه، و إنكاسه،و التثبيط عن الطاعة والإقعاد عنها.

وأنه من القلوب الأبكم الذي لا ينطق بالحق، والأصم الذي لا يسمع الحق، و الأعمى الذي لا يرى الحق {فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور}

[الحج]
وذكر أن القلب يخسف به كما يخسف بالبيوت إلى أسفل سافلين وصاحبه لا يشعر ،وعلامة ذلك أنه لا يزال جوَّالا حول السفليات والقاذورات والرذائل،قلوب همها الفجور أو النهب أو تتبع أخبار الناس.. الخ ،كما قال بعض السلف : "إن هذه القلوب جوالة فمنها ما يجول حول العرش، ومنها ما يجول حول الحش".
وذكر ابن القيم _أيضا _أن القلوب تمسخ كما تمسخ الصورة فيصير على قلب حيوان، له طباعه وأخلاقه كما تأول ذلك سفيان بن عيينة في قوله تعالى :{ وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم} [الأنعام]
رحلة القلب في هذه العقوبات هي رحلته نزولا إلى الجحيم في الدنيا، لكل إنسان نصيب منها، يختلف طولا و قصرا، شدة ولطفا
عبارة "النزول للجحيم" عبارة دينية في الأناجيل المحرمة تستخدم في علم النفس المعاصر للتعبير عن سفر في الألم و المعاناة ،في الغالب يقود للتعرف على الذات حيث يُترك الحديث للروح، أو هو السفر الذي تلتقي فيه بروحك.
يحتاج الإنسان عندما ينسى نفسه، و يوغل في الغفلة، ويفقد الانسجام الداخلي إلى النزول إلى الجحيم ليلمس قاع الإنسان ، وهناك تُحطم قوقعته لتظهر هشاشته المؤلمة.
في ذاك القاع يلتقي وجها لوجه مع حقيقة افتقاره إلى الله في كل أحواله، يتحدثان ساعة أو سنة أو أكثر _ بحسب سرعة استجابته _ عن غروره بقوته وبذكائه و بشبابه، عن نطه فوق أرض الملك غير مبال به.
عن الملك الذي تجسار على قوانينه و اقتحم محارمه، ونسب نعمه عليه إلى نفسه زورا.
في تلك البئر السحيقة حيث يفقد تقديره لذاته يزال عن قلبه حجاب الغفلة ليشهد أن الفقر والحاجة والنقص من لوازم خلقته التي يستحيل أن ترتفع عنه.
إن لم يتألم الإنسان وتضيق به الدنيا حتى يرغب في الموت أو يقترب منه لن يستسلم لله تعالى ليبعثه من جديد لحياة ثانية، وسبحان من يخرج الحي من الميت.
النزول للجحيم هو سفر للتداوي من أمراض الإنسان، لتطهر من رجس الشيطان فإن الله يمرضك ليشفيك، ويبتليك ليعافيك يميتك ليحييك ،يقودك نحو مراتب كمالك طورا بعد طور.

السقوط إلى الجحيم سقوط إلى القاع عندما نستمر في مقاومة التغيير الضروري، عندما نبالغ في تأخير ساعة التوبة والرجوع إلى الله.
هذا السفر في الألم، في الفراغ والقلق، في حرب الضمير الذي نفقد فيه عزة النفس، ونلمس ضعفنا و أنه لا حول ولا قوة لنا، و نكتشف أننا كنا نعبد الأسباب ونسينا ربَّ الأسباب يُصححنا ويقوِّمنا لديفعنا لتجاوز مقاومتنا للإقبال على الله تعالى كليا.
عندما تقاوم التغيير، لا تبحث عن ذنبك الخفي، يطول بؤسك وتلك الساعات التي ترحم فيها بين بلائين ما هي إلا برهة تترك لتتنفس حتى لا تغرق، لكن البلاء متواصل حتى تكتشف عيبك وتعرف من أين أوتيت ؛ولذلك فإن بعض الناس ينزلون للجحيم ولا يصعدون منه أبدا !
في الغالب يكون الذنب من ذنوب القلوب، و أسرع الناس خروجا من التجربة الذي لا يلجأ إلى محرمات يهدئ بها نفسه أو يتمرد به على وضعيته.
في رحلة النزول إلى الجحيم نذوق العقوبات القدرية التي تضرب بها القلوب والنفوس، والتي تضرب بها الأبدان و الأموال فنبتلى بالمرض أو نغرق في الديون.
يتعرض القلب لنوعين من الضرب :آلام وجودية مثل: حب ممرض مفتن أو هلع معطل أو قلق وهم لازمين.
النوع الثاني: قطع المواد التي بها حياة القلب وصلاحه فيحصل له أضدادها.
أهون العقوبة ما وقع بالمال، فأنت إلى هنا مرحوم، ثم ما وقع بالبدن ،وأشدها ما وقع بالقلب بسلب الإيمان أو بموت القلب ومحو لذة الذكر والقراءة والدعاء، وعمى البصيرة.
نعيش التجربة بآلام لكننا نتحدث عنها ببهجة إذا خرجنا منها فائزين، وتلك لذة الانتصار على النفس الأمارة بالسوء.
نعوذ بالله من سيئات أعمالنا ومن شرور أنفسنا، و سيئات الأعمال من شرور النفس.
ونسأل الله أن يقينا فعل السيئات فلا تصدر عنا، ويقينا جزاء ما وقعنا فيه منها بمغفرته ورحمته،و أن يلهمنا فعل الحسنات الماحية لجزاء السيئات و أن يرزقنا مراقبة الخواطر.
في كتاب "الداء والدواء" مادة وافية بشرح كل هذا.

بين موقفين:
الموقف من المقالة والموقف من أهلها
كيف بدأ علم الكلام؟

(01)
مغالطة الوسطية والحياد السلبي!

....

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.
قد يظن بعض الفضلاء في إطار حل يعتقدون أنهم هدوا إليه أن الحياد بين المختلفين في أصول الدين هو الحل الأمثل لتوحيد الجهود، ولذلك قد لا يظهرون من عقائدهم إلا ما لا يثير حفيظة أحد ظنا منهم أنها وسطية واعتدال دون أن يتساءلوا عن قيمة الشرعية لهذا الحل؟
لكن ذلك ليس في متناولهم لأن هذا الحل نفسه ينم عن عدم علم مقلق بما جاءت به الشريعة ويسوي بين الحق والباطل وتلك أعظم مصيبة قد يقع فيها المسلم.
وهؤلاء الفضلاء قد يكون تسلل إلى تفكيرهم التعليل الاستشراقي الذي أشربت به عقول معتزلة العصر ورافضته والمتمثل في رد كل المقالات المحدثة في الإسلام إلى الصراع السياسي وتلاعب الحكام خصوصا الأمويين يعني: انها حق نتج عن اجتهاد شجاع شوهه الحكام!
وإن كانت هذه الشبهة صالحة ظاهرا في فهم مشكلة الخوارج والشيعة السنة لكنها غير صحيحة بالمرة بالنسبة للبدع التي نشأت كلامية، ومشكل الخوارج كان له صورة ظاهرة سياسية مثل رفض حكم المتقاتلين لكن عمقه بدأ في زمن النبوة بعد غزوة حنين حينما رد مؤسس فرقتهم الحقيقي قسمة النبي صلى الله عليه و سلم و طعن في عدله فسبب ضلال الخوارج ليس سياسيا بالدرجة الأولى بل هو منهجهم القائم على الفصل بين القرآن و السنة و الاعتراض على السنة التي لم يفهموها كما في رفضهم التحاكم زاعمين انه مخالف للقرآن ومن ثم انشقوا عن امير المؤمنين علي

بن أبي طالب رضي الله عنه و ناظرهم ابن عباس رضي الله عنهما.
وكما قال أحد السلف: "لو طلبوا العلم لما خرجوا علينا بالسيوف " فقد كانوا يعانون من خفاء كثير من السنة عليهم.
وأما شيعة السنة فلعجزهم عن الترجيح بين نصوص الفضائل بين علي وعثمان رضي الله عنهما.
واما الشيعة الغالية والسبابة فكذلك سبب قولهما عقدي وليس بسياسي، ففي الحالتين المشكل ديني لا سياسي.
وهنا في هذا المقالات لا يهمنا الخوارج والشيعة سنصب اهتمامنا على المتكلمين معتزلة ومن تفرع عنهم.
أظن أن تحليلات المستشرقين تسللت من كتبهم إلى إخواننا أو من كتب الرافضة والمعتزلة المعاصرين، ومعهم بعض الإسلاميين السياسيين الذين احتاجوا في فترة ما للتنظير والتأصيل ممن تأثر بنظريات غربية في مفهوم الدولة والسياسة، واحتاجوا إلى إعادة تدوير الثورات التي حصلت في الإسلام في عهده المبكر.
أما عن نشوء علم الكلام فموضعه المقالة الثانية، وأدعوا هؤلاء الإخوة إلى قراءة كتاب " الفرقان بين الحق والباطل" الذي كتبه ابن تيمية ـ رحمه الله ـ في آخر حياته بسجن القلعة بدمشق فإنه عبارة عن توليف خبير بسبب نشوء الفرق الإسلامية، يؤرخ للأفكار والمقالات، ويغوص في الأسباب الأصولية التي ولدتها وطبيعة المشكلة المعرفية لكل مقالة مع القرآن والسنة.
هو بالفعل كتاب مهم جدا لفهم تاريخ نشوء الفرق وكيف تطورت المقالات لأنه يقف عند الكليات العلمية لمنهج كل فرقة المعرفي.
وهؤلاء الإخوة إن كانوا طلبة علم شرعي لا ينفعون أنفسهم إذ لم يحسموا أمرا جليلا كهذا ودعوى الاكتفاء بمجملات النصوص كما هو موقف السلف لن تنفعهم بحال لأنها بعد عصر السلف موقف نظري تجريدي إذ قد وقع الاستفصال في الأمة ولا مهرب لأحد منه، وموقف اللامبالاة لم يقل به أحد من الأمة، وهو أخطر بكثير من الاختلاف في حد ذاته يشبه من بعض الوجه موقف المتوقفة في القرآن.
والأسلم لهم الاكتفاء بموقف السكوت لأن الأمر ليس من اهتماماتهم، ولا عندهم قدرة على حسم قضاياه، ولان التزحلق على هذا الحل الخيالي يضعهم في صف المنحرفين

عن الدين الحق.

قبل أن أحدثك عن فساد علم الكلام في هياكله التأسيسية، ولا حاجة للنظر بعد ذلك في وظيفة مزعومة أو في قضاياه الفرعية يكفينا الجواب عن أهم سؤال علمي يكشف أنطولوجية الكلام وابستمولجيته نتكلم عن موقف الحياد ودعوى الوسطية:

دعوى الوسطية والحياد في هذه المسألة ناشئة عن اعتقاد خطير يضع عقيدة السلف وأئمة السنة في نفس مستوى مقالات المتكلمين، أي ليست من قبيل حق وباطل، كلها فيها حق وباطل، ومن هنا يعتقد أنه بإمكانه الحياد ويخادع نفسه لأنه لا يوجد موقف وسطي مع على الكلام، هذا موقف جهل لا موقف علم سببه تقصير فظيع في دراسة الموضوع.

يعيش كل واحد منا في عالم (رؤيته للوجود وللحياة، للامة لماضيها ومستقبلها، لكل ما حدث فيها، للقرآن والسنة، لمنزلة السلف، للمخالفين لهم) صنعته ثقافته ونوعية علمه وكميته فمنا من يعيش في عالم صنعته الفلسفة والكلام وكتب المعاصرين الفكرية والسياسية، ومنا من يعيش في عالم صنعته النصوص بفهم سلف الأمة ومواقف أئمة السنة وأقوالهم في هذه الموضوعات.

وبين هؤلاء يعيش صنف علمهم بالنصوص بفهم السلف وأئمة السنة لها ضحل ولشدة ضحالته يتبخر في كل يوم مع أول أشعة الشمس فلا يبقى إلا الملح والطين!

وكذلك علمه بالفلسفة والكلام ضحل، ولهذا يحاول الجمع بين المتناقضين، بين الوحي وإفرازات العقول المختلفة، ويذهب به الاجمال بعيدا حتى يظن الكل مجرد آراء!

هذا الصنف فيه طيبون يسعون للإنصاف ويبتغون العذر لأنهم فهموا ـ وهذا حق ـ أن من ثبت له الإيمان وحب الرسول ـ والقسمة بعد مبعث النبي صلى الله عليه ثلاثية:

قوم كفروا به وأظهروا كفرهم، وقوم آمنوا به وأظهروا إيمانهم، وقوم آمنوا به ظاهرا وكفروا به باطنا، فمن ثبت إيمانه نفرق بين إيمانه وقوله ـ إنما قصد التنزيه.

فمقصد هذا الصنف محمود يدل على شرف النفوس ونبلها لكن الطيبة في العلم هي حسن الخلق وأدب المخاطبة والتماس العذر وربما مودة صادقة وتعاون على خير ليست من وسائل التحقيق أو الترجيح.

والعذر لمن يستحقه طريق العلم المقرون بالرحمة فلا نهدر حسنات المخالف وفضله فيما فضل فيه، لكنه كذلك موضوع خارجي عن حكم المقالة في ذاتها.

ومعلوم أن البرهنة العلمية متحررة من المشاعر، لا تعترف بها، بل لا تشعر بها في الأساس.
والبرهان لا يجامل أحدا، لا يحابي، أصلا ليس له أحباب، وهو ليس صديقنا ولا ابن خالتنا، ولا تجمعه بنا أي علاقة، هو مستقل عنا، نحن من يحبه أو يبغضه، ونحن من يسعى إليه ويستدعيه ويستعين به.
البرهان عَلم نصبه الله لكل عباده لمن شاء منهم أن يستقيم، لا يمكن استعطافه، ولا يمكن رشوته نعم يوجد في السوق نسخ مزورة تشبهه تدعي لنفسها أنها برهان لكن حقيقتها أنها باطل ملفق مزوق.
البرهان عليه نور الوحي، تقبله النفس بفطرتها وتطمئن له لذلك لا يتناقص برهانان أبدا يستحيل ويمتنع.
لا يوجد حياد في العلم، ولا يمكن الكلام في العلم بدون اتخاذ موقف فيجب تأكيد موقفك بصورة واضحة، والابحار على سفينتين ممتنع، لا يمكن أن نكون محايدين أمام حقيقة إلهية شرعية او حتى واقعية مكتفين بوصفها فهذا ليس لقاء في كرة القدم، هذا صراع بين موقف يدافع عن مقام النبوة وعن عصمة الوحي وبين موقف معارض له يعلن علو العقل القياسي الكلامي أو الفلسفي المستفاد على النص الشرعي، فأنت مع أو ضد، لا يوجد هنا إمكانية للوقوف في الوسط، والوسطية ليست الوقوف في وسط الخط هذا مفهوم مغالط، لأن طول الخط يختلف بحسب علم كل واحد بالدين وعلومه.
والواقف عند نقطة لان علمه قليل أو غير محقق أو غير مستوعب يكون عند الأفق في طرف الخط بالنسبة لآخر أعلم إذاً الوسطية موقف عاطفي أو أدبي حقيقته أنه تلفيقي فلا يوجد وسط بين مقالة الإثبات ومقالة النفي، الوسط بينهما تناقض لأنه تقابل تضاد.
والجمع بين الإثبات والنفي في الأصول المنهجية ممتنع وإن كان ممكنا في المسائل الفرعية كمن يجمع بين التأويل والتفويض الكلامي حيث عجز عن التأويل فوض فهذا تناقض منهجي، ضعف علمي وليس من الوسطية في شيء.
الذين يدعون الوسطية في هذه المسائل في الغالب غير متخصصين لا في الإثبات ولا في النفي يعاملون الموضوع معاملة خناقات الشوارع: سلم على أخيك، وأشربوا قهوة

على حسابي!
الوسطية كشعار كل الناس تدعيها لكن بدون شك هي تتوقف على مدى علمك بالشريعة أحكاما وعللا وشروطا ومقاصد، فإذا كانت الوسطية تعني وقوفك في وسط علمك، فكيف نضبطها إذا كان وسط علم هذا هو بداية علم ذاك والاخر في آخر الخط؟
وكلهم يعتقد أنه في الوسط، وهو في الحقيقة لم يكذب، هو في وسط علمه لكن علمه هو الذي قصر أو زاد عن حد الوسطية الشرعية بالغلو أو التقصير فمن زاد على الشريعة أو أنقص منها خرج عن الوسطية المحمودة التي تعني الاعتدال.
حتى الشمس عندما تتوسط السماء يتوسط النهار، وعندما تتوسط الفلك يتوسط الجو فإذا انحرفت عن الوسطية فإما حر وإما قر.
" العدل " هو الاعتدال، والاعتدال هو صلاح القلب كما أن الظلم فساده، ولهذا جميع الذنوب يكون الرجل فيها ظالما لنفسه، والظلم خلاف العدل فلم يعدل على نفسه؛ بل ظلمها؛ فصلاح القلب في العدل، وفساده في الظلم. ابن تيمية.
فإذا حدث للإنسان شبهات فلم ير الحق او رآه على خلاف ما هو فهو بعيد عن الاعتدال فلا يمكنه أن يكون وسطيا.
والوسطية والاعتدال في الدين الإسلامي هما في متابعة الآثار لان فيها الاعتدال والائتلاف والتوسط الذي هو أفضل الأمور، ولان الاعتدال يستلزم إتمام الطرفين مثل وضع الإثبات في موضعه والنفي المقرون بالإثبات في موضعه [لا يوجد في القرآن نفي مطلق لأن النفي ليس من طرق العلم ولا يوجب لوحده بدون إثبات كمالا] كذلك من الاعتدال والوسطية وضع اللين في موضعه والشدة في موضعها فالتوسط الشرعي يدل على القوة والمكنة، ويدل على استقرار الحال بمعرفة حقيقة الطرفين، لذا كان الدين الوسط ما كان عليه خيار هذه الأمة قديما وحديثا.
وقوله تعالى: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ} [البقرة] فيه حكم وفوائد كثيرة ذكرها المفسرون والعلماء مثل: أن المسلمين ـ والمقصود بهم بهذا الخطاب بالدرجة الأولى الصحابة ومن اتبعهم بإحسان بالتبعية ـ متباعدون عن طرفي الإفراط والتفريط في كل الأمور.
كذلك عدلا خيار ومعلوم أن المسلمين بينهم نزاع كبير في أصول الدين فلا يمكن أن

يكونوا كلهم أمة وسطا ولا خير أمة.
ولا شك أن من لم ينحرف منهم انحراف اليهود والنصارى والصابئة ولزم سنة النبي صلى الله عليه وسلم وما عليه السلف قد تمسك بهذا الوسط القرآني ولم ينحرف إلى الأطراف فهو من أهل الاستقامة. ابن تيمية
ولهذا قال بعض العلماء وهو حقيقة علمية وواقعية: السنة في الإسلام كالإسلام في الملل، فأهل السنة وسطٌ في الصفات بين أهل التمثيل وأهل التعطيل، وهذا هو الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقًا. ابن تيمية

ويعجبني تفسير ابن تيمية رحمه الله بان الأمة الوسط لها العلم والرحمة كما أخبرالله عز وجل عن نفسه بقوله: {ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما} وقال تعالى: {ورحمتي وسعت كل شيء} وقال: {إنما إلهكم الله الذي لا إله إلا هو وسع كل شيء علما} وكذلك وصف العبد الذي لقيه موسى حيث قال: {آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما}.
فالعلم ـ في مناسبة هذا المقال ـ تميز المواقف والصفوف ووضوح الاعتقاد وأصوله، والتفصيل المبين بين المشترك والمختلف، والرحمة عذر من قصد خيرا ولم يسعفه العلم لفساد تصور او فوات علم.
غدا إن شاء الله تعالى أو بعد غد نجيب عن سؤال: كيف بدأ علم الكلام؟
وهل المشكل من النصوص أم من المتكلمة؟
فكل من يوافق المتكلمة أو يعتقد أنه عندهم حق استقلوا به غير موجود عند أهل السنة والجماعة (بالمعنى الخاص لا العام) يرى ـ وإن لم يصرح ـ بأن المشكل الذي كان سببا في نشوء علم الكلام ناشئ من النصوص، من بيان الله وبيان رسوله؟!
المقالات سانزلها هنا مختصرة حتى يكون طولها معقولا، وبعد أيام أنزلها إن شاء الله تعالى في مكان آخر بصيغة pdf كاملة.

شرط الاتباع والانحلال .... إلى أين؟

....

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.
السلفيون درجات وألوان فمنهم علماء في مختلف العلوم على الطريقة القديمة، ومنهم طلبة علم على الجادة عندهم سمت وآداب ولغة متحفظة وتعلق بالشريعة خطابا واعتناء وطلبا.
ومنهم أكاديميون يغلب عليهم البحث العلمي الدقيق، ومنهم دعاة مواقع تواصل لا تعرف حقيقتهم، فيهم من تظهر عليه النباهة والتعلق بالشريعة، وفيهم غيرذلك.
ومنهم عوام بعضهم مهذب بآداب السنة، وبعضهم فيه شراسة أخلاق وحدة لسان وجسارة على موضوعات أكبر منه يحشر نفسه فيما لا فائدة له فيه في الدنيا ولا في الآخرة.
ومنهم من يميل للأثر عناية ودراسة وخطابا، ومنهم من يميل للعقليات للدفاع عن الأثر، ومنهم من سقط على عقليات ابن تيمية بدون مقدماتها الأثرية وقوة التعلق بالوحي، وهذا الصنف في طور التحول إلى شيء آخر (سنتكلم عنه لاحقا)
ومنهم متمذهبة على أحد المذاهب، ومنهم متحررون من المذهبية.
ومن لم أذكرهم فإني أعدهم من عوام السلفية. /
يجمعهم أصول التلقي والعقيدة العلمية والعملية ومنهجها والإمامة وتعظيم السلف، وأصل أصولهم المنهجية الاتباع لا الابتداع إلا عند الصنف المتحول، وقد يختلفون في رؤيتهم السياسية المعاصرة.
كما عندهم اختلاف طفيف في الأسماء والأحكام.
جمعني صبيحة اليوم نقاش مع أخ طالب علم عنده انتباه جيد وفهم سريع وقدرة على ربط الأقوال واستخلاص المضمرات حول بعض النقاط كنت قد أشرت إليها من سنوات ـ من أن المقولات الفلسفية متحركة ومتداخلة تنقل صاحبها من مذهب فلسفي إلى آخر، وان من أحسن الظن بها فضلا أن يقسمها إلى محمود ومذموم فقد باع نفسه نسيئة ـ كان له الفضل اليوم في تنزيلها بشكل ملموس.
من يتتبع المنشغلين اليوم بالكلام والفلسفة من المنتسبين إلى السلفية سيجد أفرادا منهم يميلون شيئا فشيئا إلى الفلسفة الوضعية، وكما قال هذا الأخ لا يكترثون بالأسئلة الفلسفية التقليدية التي اعتنى بالإجابة عنها السلفيون المتقدمون وكذلك المتكلمة.

وقد انبهروا بكتابات أكاديميين مستشرقين عن الإسلام وتعلقوا بها، كتاب غربيون ينظرون للتراث الإسلامي من ثقب ولأن الطريقة الغربية في الخوض في التراث الإسلامي تطبق عليه أدوات العلوم الإنسانية وبراديمها المادي فمن حيث الشكل والرونق اللغوي ستتشبع!

لذا نشهد الآن الانتقال من الكلام في معاني النصوص في الأسماء والصفات إلى مخرجات نظريات المعرفة الغربية التي تنظر في ماهية الوجود وعلاقته بالإدراك.

وقد يستغرب بعضنا ذلك ويجدون صعوبة في الربط بين سلفية هؤلاء وبين الفلسفة الوضعية لأن في أذهانهم صورة لابن تيمية والبخاري والإمام أحمد وامثالهم لا صورة أوغست كونت!

ومع ذلك فإن الربط سهل وواضح وله عدة مستويات: علاقتهم بالعلوم الشرعية - درجة التعلق بالأثرية العلمية - كيف اكتشفوا ابن تيمية وأي جانب منه استهواهم؟

فمن المعرفة المستمدة من التجربة الحسية في المبادئ الأولية، وفي العلوم الاجتماعية بمقالات عن الماركسية وكيف شوه فهمها، ومن موضوع " قابلية الإحساس " في قضية «الرؤية" إلى " الواقعية الحسية" ثم إلى المادية الوجودية ومادية الإله وكل شيء.

وإذا عرفنا أن الفلسفة الوضعية تقوم على ثلاث أطروحات مرت بها الإنسانية: المرحلة اللاهوتية " الكلامية" ثم المرحلة الميتافيزيقية " البحث في الوجود ولواحقه" ثم المرحلة الوضعية حيث تدعي واقعية وجودية وعلمية، وتزعم القدرة على تفكيك الواقعي كما هو بطريقة موضوعية وكلية بالمعالجة المنطقية.

ولابد للوضعية من بحث علاقة الوجود بالإدراك لأن التجربة نافذة على الوقائع لكن الوقائع ليست إلا بناءات ذهنية لأنه ما بين واقعة وملاحظتها تتسرب أدوات وبعض الاستنتاج الذهني والذي بدونه يكون كل بحث مستحيلا.

وفي الفلسفة الوضعية تجربانية ومادية تنظر في الطبيعة والوجود الواقعي، والمجتمع والدولة وجدوا ميولهم فيها!

ومعلوم أن الفرع الراديكالي للتجربانية هو " الظواهرية" إذ مرت في الغرب بالطور المادي الصرف إلى مرحلتها النهائية الأخيرة الظواهرية الوجودية بطرفيها: العدمية والشكوكية. وقد سبق وفصلنا هذا الموضوع في مقالات" المعرفة الفطرية".

ولان الفلسفة لا تمارس الفلسفة بالنص الديني يبدأ السلفي المتفلسف النقاش في الفطرة المعرفية بالنصوص، ويستشكل عليها حتى تصبح من المتشابه، ثم يلبس ثوب الفلسفة المحضة.

كذلك فلسفة الإدراك ليست وصفية ولكنها نقدية أو استشكالية بالنسبة للخطاب الذي يمكن أن يقال عن المجال الادراكي؟

فما تستشكله الفلسفة ليس المدرك كما هو لكن كل الأدبيات المتعلقة به سواء كانت شرعية، أوعلمية، أو شعرية، أو ظواهرية.. الخ

وهكذا اللغوس تحت كل صوره هو المحل" المكان" الحقيقي للنشاط الفلسفي، ومن خلاله فقط تقصد الفلسفة موضوعاتها المستلفة.

الأخبار الشرعية ليست دراسة علمية ظواهرية لعالم الغيب تبحث في بنيته الموضوعية وتفسر ميكانيزماته وقوانين فيزيائه إذا جاز التعبير، وليست كذلك وصفا لجهات ظهوره الذاتي، لدلالته بالنسبة للعقل الفلسفي الكلامي والطريقة التي يقدم بها نفسه إليه، بل هي شهادة معاينة، أو شهادة إخبار صادق من العليم القادر الذي خلق الدنيا والآخرة تتضمن التفسير لا التأويل لفطرة عقلية نفسية، ولا شيء من هذا فلسفي كلامي.

لهذا فإن الحقيقة الشرعية حقيقة تطابق بين المعرفة والموضوع في حدود ما سمحت به الشريعة، ليست من قبيل الحقيقة عند المتكلمين والفلاسفة القائمة على الالتباس بين التخيل والإدراك كما في الكليات والماهيات، بين التفكير واللغة، بين المادة والوعي.

فالحقائق التي تكشفها النصوص الشرعية ليست من نفس طبيعة ما تعده الفلسفة أو علم الكلام حقيقة، ولهذا يتسلطان عليها بنقدهم اللوغولوجي المفصول عن المعرفة المحضة سواء كانت شرعية أو حتى علمية دقيقة، بل المفصول حتى عن المنطق لأن الحقيقة المنطقية تتمثل فقط في استنتاج القضايا انطلاقا من مسلمات أو مقدمات بشرط أن تثبت علاقة هوية تربط القضية المستنتجة بالقضايا الابتدائية، في حين الاستنتاج في علم الكلام والفلسفة مجرد عملية ثانوية وتقريبا هامشية، جل مشاكلهم لغوية اصطلاحية وليست فكرية.

علم الكلام والفلسفة ليسوا من قبيل الإدراك المعرفي لأنهما لا يتحدثان ـ خصوصا الفلسفة ـ عن الله تعالى بل عن المعرفة التي تتحدث عنه، فمعرفتهم به الخاصة كلها

سلوبية قائمة على نفي عنه كل صفة للعالم ولو كانت قدرا معنويا مشتركا لا يؤثر على الخصوصية بأي وجه من الأوجه!

ومعلوم أن السلفية لها عناية أساسية بقضايا محددة: النبوة وعصمة النص ـ مركزية فهم السلف ـ التوحيد العملي ـ الأسماء والصفات ـ الأسماء والأحكام ـ وكل ما يدور حول هذه القضايا سواء كمسائل أو كدلائل مثل القدر والإمامة.. الخ

وهناك قضايا جانبية لكنها ليست الغالبة عليهم، وهذا لأن السلفية تقوم كطريقة ومنهج على الاتباع اتباع السلف وأئمة السنة في تحديد الموضوعات فكون الكون ممتد إلى ما لا نهاية أم محدود وماذا يوجد وراءه؟ لا أثر لهذه المسائل في معرفة الله المعرفة التي يحتاجها الإنسان ويُبنى عليها الاستسلام والتعظيم والطاعة واليقين؛ والله تعالى ليس قضية حصرها عقل الإنسان فيخضعه لآليات الجواب المنطقي.

فالسلف كانوا حريصين على الموقف الأولي " الاكتفاء بمجملات النصوص" لأنها تكون الإيمان وتحفظه وتزيد اليقين وكافية لمعرفة الله تعالى مع الاعتصام بوصايا النبي صلى الله عليه وسلم بعدم الخوض في القدر لذا كان موقفهم الثاني المتمثل في "الرد على المتكلمين" من باب دفع الصائل عن عقائد المسلمين، فإذا انتقل السلفي إلى المبادرة في موضوعات خارجة عنها يبحثها العقل الفلسفي الغربي فقد خرج عن قيد الاتباع وقيد الجواب بحسب الحاجة.

قول السلف الصالح ـ رضي الله عنهم ـ:"الاتباع لا الابتداع" و " اقتصاد في سنة خير من اجتهاد في بدعة" قول ابستمولوجي أساسي وعميق لنحاول أن نمسك مداه بإنزال تفكير معاصر عليه إذا جاز هذا القول.

عندما نتكلم في العلم خاصة في العقائد ونخرج عن قيد الاتباع نتجاوز الموضوعات والعبارات التي استعملها العلماء وبالضرورة نتجاوز المعاني، وندخل فيما يشبه فلسفة دارجة أو عامة، مقاربة محدثة، فما دمنا متمسكين بالعبارات الشرعية فنحن في دين منزل ننقل عباراته وتفسير السلف لها، نعضدها بثقافة معاصرة، أو بفهمنا الخاص لكن لا نخرج عنها، ولكن عندما نفقد هذا القيد ندخل في مبادرات شخصية محدثة ونذوب في الفلسفة مع من ذاب منها من المعتزلة والمتكلمة وغيرهم.

هذه المعرفة التي ندخل فيها ستكون في البداية فوضى مركبة من: نصوص وعبارات شرعية، ومصطلحات حديثة فلسفية أو كلامية، ومعان جديدة فيزيائية أو رياضية

وفهوم شخصية ثم ستتحول إلى فلسفة محضة لن تجد فيها حتى البسملة!

تقريبا سنقضم مفهوم "الكيف مجهول" من حواشيه حتى يفقد وظيفته الأساسية: قطع تسلسل الأسئلة الممكنة وانعكاسية العقل على نفسه.

وهذه حالة تكشف شيئا مهما هي أن النصوص وتفسير العلماء لها لم يعد كافيا، لم يعد يشبع حاجة عقلنا، وهو بدوره يكشف أننا تحت وطأة المحيط والعالم الذي نعيش فيه لا نملك أصالة عميقة في فهم موقف السلف.

وعندما نتجاوز طريقة السلف فهذا يعني أنها تشهد مزاحمة في دواخلنا وأن العقل الغربي المبثوث في كل زوايا حياتنا يأكلنا من الداخل من غير شعور، هذا العقل الغربي المتمثل في " كل شيء موجود يمكن معرفة ماهيته وتفسير وجوده"، فهو من يدفعنا إلى تجاوز العبارات الشرعية والتعبير السلفي والطريقة السلفية، وليست قضية مصطلحات متجددة لأن المشكل يمس مفاهيم وموضوعات جديدة.

وفي هذه الحالة فإن هذا الاختيار المحدث لا يقبل الاختزال فمتى ابتعد العلم الشرعي عن الاتباع غرق في الفردانية، وحتى لو بذل هذا الإنسان جهدا للخروج من حالته الفردانية التي بالضرورة إذا ضعف الاتباع ستتشرب من حالته الاجتماعية والتاريخية وخلفيته التكوينية فإن حالته هذه تلحقه دائما لتحدده سلبيا حتى عندما يريد أن يكون موضوعيا مستقلا.

أي علم شرعي في العقائد يفقد صفة الاتباع سيكون له دائما لون الذي يشكله، فلا يوجد معرفة بذون ذات عارفة، والشرط الوحيد لتحجيم الذاتية هنا هو الاتباع، ما يعني - أيضا - أن العلم الشرعي عموما (في هذا المجال) غير ممكن إلا أن يكون بقيد الاتباع، لا يفقد هذه الهوية ولا يخرج عن حدود هذه الجنسية.

شرط الاتباع يمنع أن يكون العمل العلمي منطلقا من التشكل البيئي؟

سؤال الأخ الكريم: هل هذا انحلال لشخصية السلفي أم انفصال بين هؤلاء والسلفية الموروثة؟

هناك أشخاص انتموا إليها لكن إلى أي درجة فالأمر مختلف من شخص لآخر؟

بعضهم سقط على كتب ابن تيمية بدون أي توطئة علمية في السنة وشروحها وكتب أئمتها في التوحيد والطريقة، ولا اشتغل على العلوم الشرعية من فقه وحديث وتفسير، وأعجبه الجو العلمي والفيسبوكي والتفاف الحدثاء حوله، لم يفقه مغزى ابن تيمية، ولم

يأخذ منه إلا تعظيم العقل أما التعلق بالنصوص وأقوال السلف فلا.
وكانت المسائل مجرد أرضية لإبراز ذاك العقل فأصبح منظرا وقادته الأمور بحثا عن أجوبة جديدة يظن أنه يعضد بها أجوبة ابن تيمية وهذا أمر استبعده وأرجح طلبا للإبداع والتميز تماما كما حصل للمتكلمين قديما - إلى كتب الغربيين فانبهر بها ومن ثم هو الآن إما مهتم بترجمة كتبهم، وإما يحاول تطويع السلفية بالمقولات الغربية في الوجود والإدراك!
الاشتغال على كتب ابن تيمية عند هؤلاء باستلال مباحث العقل منها فقط واقتطاعها من سياقها الأثري والسلوكي والمنظومة التشريعية نتيجته بالضرورة ستكون الانحلال.
هل هذا انحلال؟
هو انحلال لو كانوا أصلا سلفيين فيجب التفريق بين من يدافع عن عقيدة أهل السنة بتقريرات ابن تيمية وبين من يدافع عن تقريراته و آرائه هو ويستشهد بابن تيمية يجر كلامه قهرا إلى تفلسفه المعاصر.
هل هذه الظاهرة غريبة في التاريخ الإسلامي؟
الجواب لا، وستتكرر ما استمرت الدنيا، وهي إن عنت شيئا إنما تعني أن الأفكار والمقالات مهما اختلطت بالشرعيات إذا كان أصلها غير شرعي فستطلبه حتى تبلغه، ولهذا شهدنا تحول المعتزلة من علم الكلام إلى الفلسفة، من مشكلة القدر في عقولهم عند سلفهم الأول قبل أن يصبحوا معتزلة إلى الجوهر الفرد والأعراض وعلاقتها بالأجسام.
كذلك انتقل الأشعرية من علم الكلام إلى الفلسفة بدؤوا بالانتقال إلى الاعتزال الذي خرج منه أولهم وعاد إليه الجيل الثالث، ثم نقلهم الرازي بعد مساهمة ممن أمرضهم كتابا الشفاء والنجاة لابن سينا إلى الفلسفة، وحاول السنوسي منعهم فردهم إلى ملخص اعتزالي.
وانتقل الشيعة من الاثبات إلى التجسيم ثم الى الاعتزال ثم الى السيناوية الوجودية المشائية مع العرفانية الأفلاطونية والفارسية!
التنافس والبحث عن الآراء الفلسفية المعارضة لآراء الخصوم كما كان سبب تحول من أشرت إليهم إلى الفلسفة يفعل فعلته كذلك اليوم!

الأبرز اليوم هو اختفاء التحفظ العلمي الذي كان عند السلف لمنع توهم القياس أو الاسترسال مع اللوازم المنطقية!
وكما جرَّت قديما الفلسفة الكلام إلى أمراضها الميتافيزيقية يجرُّه الفكر المعاصر إلى أمراضه المعرفية الوجودية والاجتماعية والسياسية!
وفي مثل هذه الفترات التي لا هي تقليد محض ولا هي اجتهاد حقيقي الأفضل لكثير من الناس التمسك بالاتباع فهو أسلم لدينه ، وكل ميسر لما خلق له.

مشكلات وعوائق التعلم 7

....

كلمة عن القراءة الفكرية (الغربية أصالة أو بالتبعية الثقافية)

وبخصوص القراءة فإنها كلمة محيطة بعدة أشياء وحدها ليست ما يشكل وعي الفرد إن لم تكن قراءة هادية لنفس سوية تستمد التوفيق والصواب والإلهام الصادق من الله تعالى، فالإنسان لا يقرأ إلا لهذه الأسباب: لمنفعة مادية كتحصيل شهادة للعمل أو للقدرة على طبع الكتب وبيعها، أو للتباهي، أو عنده شهوة في العلم، او للتسلية، وهذا يقرأ الكتب التافهة، أو صاحب مبدأ يحتاج إلى تلك المعرفة لخدمة مبدأه.
وكل هذه الأغراض لا تنفع في تكوين العقل الذي تحتاجه الأمة إلا الغرض الأخير وهو صاحب قضية مؤمن بها فالإيمان بقضيته سابق لقراءته الكتب فإن عدم الإيمان لم يجد فضيلة ولا مصلحة ولا لذة في القراءة.
وقد ضرب لنا الصحابي الجليل زيد بن ثابت لما كلفه النبي صلى الله عليه وسلم بتعلم اللغة العبرية لأنه لا يأمنهم فتعلمها في أسبوعين الفرق بين صاحب قضية وبين من يقرأ ويتعلم لأسباب أخرى.
كما لا يجب أن نغفل عن حرب الكلمات فالمصطلحات ألوية الكتائب، والأسوأ الذي حصل لحضارتنا وديننا وثقافتنا وفكرنا بدأ بكلمات عندما اعتدناها تشرعن كل سوء أصابنا.
واللغة الفلسفية والكلامية والفكرية المعاصرة تطمس الهوية اللغوية الشرعية، وهي ليست لغة معدة لتسهيل التواصل وتعميم المعرفة.

تحدد اللغة (طريقة التعبير) طريقتنا في التفكير، وتسعى لجعل العالم (الأحداث المخالفة للفطرة، للعقل السوي) معقولا، فاللغة كما تستعمل للشرح والتوضيح تستطيع حجب الحقيقة ومغالطتنا لهذا عندما نتبنى مفردات أعدائنا (المخالف العقدي والحضاري) نجد أنفسنا آليا ومن غير وعي عاجزين عن تصور طريقة أخرى للتفكير في الأشياء.

لهذا فإن الابتعاد عن لغتهم إلا بعد القدرة على تحليلها وفك شفرتها لفهم المقاصد الحقيقية خلفها ضرورة لطالب العلم المسلم.

لابد أن نعلم أن المؤسسات الإيديولوجية الغربية تملك قوة كبيرة على التزوير والتضليل وإعادة التفسير، إعادة تفسير الوقائع لفائدة من يهيمنون على الاقتصاد والنظام السياسي، يعني: منح العالم معقولية تخدمهم. [نيل بروكس من أوزكود هال مدرسة القانون، نعوم تشومسكي "عالم فوق واقعي تماما "ص:5]

حتى النقاشُ العلمي عندنا يعاني أحياناً من ظاهرةِ الابتذال البراغماتي للمفاهيم المهمةِ والاساسية في تحديد هويةِ الفكر وجنسيتِه، وابتذال هذه " المفاهيم" يفقدها أهميتَها.

والمشكل ليس في كون النقاش العلمي يعاني من بعض النقائص فهذا لأننا كلنا يتكلم بالتقريب فهكذا هي طبيعة اللغة لا يتدقق المعنى إلا بقرائن سياقية كثيرة فلا يمكن أن نراقب كل كلمة نتفوه بها لأننا نتكلم بسرعة بخلاف الكتابة.

لكن العيب في النخبة العلمية المخالطة للفكر الغربي والكلامي أنها تستقي الكلام مما سبق تسميته وهي كلمات جاهزة، وتعبيرات جاهزة نستعملها بدون تفكير لا تصلح لمناقشة القضايا الشرعية فعندما تقول مثلا:" قتلتني من الضحك" فانت مجرد تابع لشخص شاعر قوي الخيال قالها قبلك.

لهذا عليك أن تنتبه حتى لا تكون مجرد آلة مقلدة، موزعا آليا للجمل يتحدث آليا لا يخترع شيئا، ولا يحفر الفكرة إنما يستخدم نعوتا جاهزة.

وإن كانت الكلمة المكتوبة كلمة مراقبة وأعيد النظر فيها حيث يستطيع الكاتب وزن كلامه، وانتقاء كلامته فإن المراقب هو خلفيته المذهبية وأحكامه السابقة وليس الاعتبار بالنص الشرعي إلا عند أئمة العلم والإيمان.

يفيض النقش العلمي عندنا بمصطلحات عبارة عن كلمات مجردة، وعندما لا يفرق طالب العلم بين النقاش العلمي التدافعي المعاكس وبين الثرثرة العلمية، بين مقالات

كتبت بهدوء لفرش أفكار واضحة بدون جدل كبريائي وبين دردشة تتزين بتلك المصطلحات، بين التفكير الصارم الذي يملك ميزانا شرعيا هو اعتبار كل شيء بالنص الشرعي وبين التحدث الذي نحسبه علما حيث نسعى من أجل الظفر بكلمة رنانة تعصر الهواء وتثير الإعجاب ونغرق في حجج سلطة وهيبة: "من انت حتى تقول؟ قال فلان فإذن"، فنقتل الإنصاف وكل أصل ثمين لمعرفة الحق الذي بعث به النبي محمد صلى الله عليه و سلم.

فكثير من المصطلحات ليست إلا كلمات منمقة، عبارة عن حقيقة جزئية أو حقيقة مكذوبة أو حقيقة موجهة؛ مجرد وصلة، هذه المصطلحات الغربية أو الفلسفية والكلامية ليست إلا نصف حقيقة مع نصف كذبة فيها توهيم، وبعض الحق الذي فيها هو من أجل المتاجرة لبيع الكذب.

ولا أعني أن كل النخب العلمية المشار إليها تستعملها عمدا بل في كثير من الأحيان لعدم الانتباه لحركة الكلمات في المجال الفلسفي والفكري والاعلامي والثقافي والنثري حيث تصبح كلمة ظريفة صديقة معفاة من النقد لكنها تنبض سمية.

التشبع من هذه المصطلحات قد يظهر لنا الاتقان والصواب من خلال مستوى صياغة قناعاتنا وأحكامنا الصياغة اللغوية الاصطلاحية مع التنضيد الفكري ونكون في الحقيقة معرضين للخطأ بالنظر إلى الحجج المقابلة عندما نصطدم بأدلة الغير حيث نكتشف أن وجهة نظرنا كانت محدودة وربما مغلوطة لفقتها تلك اللغة في صورة أدلة صحيحة تبهر العقول، فحتى القواعد المنطقية وجدنا الكثرة يستعملها بدون اعتبار لحركيتها المذهبية الفلسفية والكلامية.

إن انفتاح العقل على العلوم النافعة والعلوم المعينة على فهم الواقع كالعلوم المسماة بالعلوم الإنسانية بشرط الانتباه إلى براديمها المادي ضرورة لتوسيع حدود علمنا وحصول التوفيق في إنزاله على الواقع.

ووحده العقل المؤمن يقترح قضايا أصيلة تحمل المعاني الواضحة الهادية إلى سواء سبيل.

التهويل من أجل التهوين!

مشكلة بعضهم مع ابن تيمية مشكلة مع سقفهم المعرفي!

....

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله.
شغلت ـ في هذه الأيام ـ بانتقاء وترتيب المواد التي سنبدأ بإنزالها على الموقع الجديد بدايةً من الأسبوع المقبل إن شاء الله تعالى فمن جهة أعالج ملفات أنجزتها من قبل، ومن جهة أخرى أواصل الكتابة في موضوعات أخرى حتى أتمكن في بداية كل شهر من إنزال ملفين كبيرين مما كتبته أو بحثته من قبل ولو لم ينشر وملف آخر فيه بحوث جديدة بالنسبة لي.
ما إن يبدأ الإنزال على الموقع فستظهر روابط الملفات والمقالات على حسابي هنا.
بعد نشر مقال " غير قابل للاغتيال العلمي " والذي هو في الحقيقة مقال وصفي ونقل لشهادات معاصرة مع شيء من التعليق عليها ظهرت ردود أفعال هنا وهناك فقلت في نفسي: بدلا من تتبع تعليقات مرسلة ومجملة لا فائدة منها فلننتقل من الوصفي إلى الحجاجي التقني، وهذا ما اشتغل عليه في ملف كبير أنزله على موقعي ـ إن شاء الله تعالى ـ في شهر أكتوبر لكن لأن أحد دعاة "تجديد علم الكلام" رأى أن يعلق تعليقا يناسب دعوته هذه فسأرد هنا على تعليقه وأشفعه بموضوع دعوى تجديد الكلام عنده.
وقد تكلمت من قبل عن استحالة تجديد العلم الكلام سواء على مفهوم الشيعة المعاصرين أو على مفهوم الدكتور طه عبد الرحمان أو أي مفهوم آخر بحكم علم الكلام نفسه ،والتجديد الوحيد الممكن (مع التجوز في العبارة) هو بكشف الفلسفة المندسة فيه والإقبال عليها صراحة بدون مواربة!
في الحقيقة لم أجد في تعليق هذا الأخ إلاّ مجادلة هشة في بنائها مبنية على لوازم مفترضة ، ليس فيه فرش للمدارك العلميّة لا السّمعيّة ولا العقلية كما يتطلبه الموضوع ، ولا أيّ إظهار للحجج الّتي استندت إليها أحكامه في تعليقه هذا فلم يرتق لا من حيث جدَّة الصّياغة العلمية ولا من حيث البناء الاستدلاليّ إلى درجة ردّ الممانعة والمعارضة بالأمثلة المضادّة، والّتي خلى منها بشكل شبه كامل.
فلم أجد فيه إلاّ مجملات ومبالغات بالتقدير الذهني واستنتاجات متسرعة موجودة في ذهن الأخ فقط!
لقد زعم هذا المعلق (تعليقا غير مباشر) أننا " زعمنا أن ابن تيمية استغرق كل الفهم الذي يساوي فهم الدين"

وأن لازم ذلك أنه اطلع على كل تراث السلف حتى ذاك الذي ضاع منه وعرف كل مآخذهم وأدلتهم الكلية والتفصيلية ويقصد المعلق (تراث أئمة الفقه مثلا أو العقيدة الذين اندثرت مذاهبهم)؟

لنجيبه بداية عن هذه الدعوى ولازمها الأول ثم نأتي على بقية اللوازم:

1 ـ القول بأننا زعمنا أن ابن تيمية استغرق كل فهم الدين فهذا من بنات فكر هذا الأخ ربما فهمه بالارتداد إذ يلزم عنه أنه أحاط بالدين في مقاصده الكلية والفرعية، وبكليات الدين وجزئياته، وأن كلامه في الدين حق كله في كل علومه ومعارفه ومجالاته! ولا أعتقد بوجود مسلم يعقل ما يقول يذكر هذا فهذا من باب التهويل عندما يفشل الإنسان في إجابة عن نقاط محددة كانت مسطرة بوضوح في المقال فيميل للتعميم.

2 ـ القول بأن لازم اللازم (لازم هذا الأخ) أنه فاته ما اندثر من علم السلف ممن اندثرت مذاهبهم قول تهافت من نفسه لأنه يفترض أن بعض الحق مات مع أهله فكانت الأمة في ضلالة بسبب نقصان هذا الفهم أو هذا الحق!

ولازم هذا أن الأمة بعد موت هؤلاء الأئمة اجتمعت على هدى وضلالة، حق وباطل فبعض الهدى وبعض الحق مات بموت أولئك الأئمة فالرجل لا يفرق بين عدم وجود أتباع اعتنوا بتهذيب وترتيب وتخريج أقوال أولئك الأئمة في صياغة مذهبية وبين علمهم وما نقله الأئمة عنهم من أصحاب الحديث وغيرهم!

ولنسأل: من أين لنا أحكام سفيان الثوري في الرجال، وفي الحديث، وفي القضايا الشرعية، وكذا تفسيره، وكلامه في علم السلوك، وفي أصول الدين وغير ذلك وهو ممن اندثر مذهبه الفقهي، وهذا تعبير غير دقيق لا يميز بين رفضه أن يتخذ كلامه مذهبا متبوعا وبين العلم الذي نقله إلى أصحابه من حفاظ الحديث.

افتراض أن شيئا من الحق الذي جاء به النبي صلى الله عليه وسلم مات واندثر بموت رجل من المسلمين يعني أن الإسلام دين غير محفوظ، وما لا يكون محفوظا فلا حجة فيه، فهذا يشبه من بعض الأوجه من يقول بتحريف القرآن وإذا كان القرآن محرفا فأي حجة فيه على الخلق؟!

من يقول بهذا الكلام " اندثار الحق بموت بعض العلماء في الزمن الأول" لم يقدر هذا الدين حقيقة قدره، ولم يعرف ما خصصت به هذه الأمة دون سواها من الأمم، ولمَ

هي خاتمة الأمم والشاهدة عليهم ورسالتها محفوظة إلى قيام الساعة؟

3 ـ تراث أئمة الفقه الذين اندثرت مذاهبهم لا دخل له في الموضوع فكلامهم العقدي وغيره مبثوث منقول في كتب السنة والحديث والتفسير ، وهو معروض لجميع الناس للاطلاع عليه فضلا عن ابن تيمية.

4 ـ القول بأن مخالفة ابن تيمية في أصل أو فرع هو مخالفة للدين بدون قيد ولا شرط لم يقله لا أصحابه ولا اتباعه، لا من الخاصة ولا من العامة لأنه باختصار وضع له في مقام النبوة الذي لا يليق بأحد إلا برسول الله صلى الله عليه وسلم، فهذا من أقوال الحشو للمبالغة والتهويل ليس إلا.

لكن هنا تفصيل دقيق :فقد يخالف أحدهم ابن تيمية في أصل مجمع عليه عند السلف مثل "ذم الكلام وأهله " الذي يدعو هذا الأخ لتجديده! فيقال له: خالفت الدين، والمقصود خالفت الأدلة التي تثبت القول الذي خالفته، أما بهذه الحرفية "من خالف ابن تيمية فقد خالف الدين" فهذا استلزام من الخيال لا حقيقة له في لغة طلبة العلم!

كذلك يقال لمن خالف أدلة قرآنية ساقها عالم من العلماء: قد خالفت القرآن ولا يعنون أنك بمجرد مخالفتك لهذا العالم خالفت القرآن بل يقصدون أن الأدلة التي أقامها هذا العالم تثبت أنك بقولك الفلاني مخالف للقرآن.

وإذا احتاجت البديهة إلى تدليل احتاجت الأقوال العلمية إلى لوازم مثل هذه!

وعليه فإن اختلاق مقدمات واهية لا توجد إلا في ذهن هذا الأخ ثم الاستنتاج منها مثل هذا الاستنتاجات الواهية لا يناسب إنسان يراقب فهمه قبل كلامه.

5 ـ العلم كمفاهيم وكمقولات يعرف الشخص المعين إن كان ملما به أم لا؟ لأنه من جنس الشعور القائم بالنفس فلا يمكن لشخص أن يقول لآخر: أنت لم تفهم كلام فلان أو لم تحط بكل أقواله إلا بالدليل وليس بالإمكان الذهني والاحتمال كما يفعله هذا الأخ.

6 ـ مطالبة هذا الأخ بعرض كلام ابن تيمية على محك النقد والمطابقة مع الأصول يفترض شيئين:

الأول: أن هذه الأصول يعرفها هذا الأخ وهي واضحة مميزة الحدود بعد أن يبين لنا هي أصول من؟ أصول المتكلمة أم أصول أهل الحديث والسنة ؟وهل هي أصول قرآنية نبوية سلفية أم أصول فلسفية الأصل ؟

فعلى هذا الأخ تعيين هذه الأصول حتى نعرفها و حتى تتم المقابلة والعرض.؟

الثاني: ليمارس هو محك النقد على تراث ابن تيمية ثم يبين لنا بالدليل أنه وجده مخطئا في القضية الفلانية والعلانية؟ بعد ذلك نبين له نحن محك النقد الذي انجزناه بالدليل وليس بكلام مرسل بدون خطام؟!

7 ـ خلاصة كلامه تشبه مقدمته، ويظهر انه افتقد دقة النظر والملاحظة في كلامه هذا حيث يقرأ كلاما له مفهوم واضح، محدد المعالم والحدود ويعبر عنه بمفهوم مغاير تماما فقوله: "يشترط لفهم السلف المرور بابن تيمية" هكذا بدون قيد أو شرط غير موجود إلا في ذهنه كأنه يخلط عمدا أو غفلة بين قولي :"لا يمكن نصرة عقيدة السلف في العصور المتأخرة إلا بطريقة ابن تيمية" وبين قوله هو "لا يمكن فهم السلف إلا بالمرور بابن تيمية".

لوازم قولي أن اللغة الأثرية محافظة يزدريها المتكلمة، وهي حجة عند من يعظم النصوص ويعظم السند في نقل العقائد والمقالات غير حجة عند من يعظم عقله المستفاد بينما لوازم قوله هو أن كلام السلف الغاز مشفرة مثل كلام المتكلمين الفلاسفة لم يفهمها إلا ابن تيمية؟!

،وهذا لا يقوله طويلب علم نظر في كتاب أو كتابين من الكتب التي جمعت أقوال السلف في التوحيد وأصول الدين!

لكن هل يستطيع من يعتمد هذه الكتب الأثرية التجاوب في المستوى نفسه مع الصيغة المفاهيمية لعقائد المتكلمين المشبعة بتصورات ومصطلحات فلسفية ومنطقية؟

بدون شك إسعافها له سيكون محدودا، وبالتالي ترجمة عقائدهم إلى أدلتها العقلية غير ممكن إلى اليوم بدون ابن تيمية.

وعليه وباختصار شديد اقول: هناك فرق شاسع لا يراه الأعمى أو المتعامي بين اعتبار مجهود ابن تيمية تطورا في طريقة ومنهجية الرد على المخالفين عند أهل السنة والجماعة في قضية الرد العقلي، وتجدد المصطلحات في العقيدة المبنية على النصوص السمعية، وبين القول بانه لا يمكن فهم السلف إلا بواسطة ابن تيمية فهناك عشرات العلماء الذين فهموا السلف ولم يكن ابن تيمية مولودا بعد وهو نفسه يعضد فهمه للسلف بفهمهم تجد أسماءهم مبثوثة في كتبه.

هذه المسألة فيها مستويات:

الأول: فهم ما هي عقيدة السلف بألفاظهم فهذا متوفر لكل قارئ يبذل الجهد العلمي

اللازم لكن هذا الفهم قد يُشبَّه عليه بالخلط بين تفويض الكيف وتفويض المعنى، بين التشابه العام والتشابه الخاص وهكذا أمور فيحتاج إلى التوسع في هذه العقيدة وتتبع مناظرات وردود أئمة السلف والسنة فيها، والإحاطة لغير حافظ واسع الاطلاع صعبة جدا فما يقرره الإمكان الذهني شيء وما نقدر عليه في الواقع شيء آخر.

الثاني: القدرة على ترجمة هذه العقيدة إلى منظومة معرفية، والتعبير عنها بمصطلحات متجددة، وصياغتها بأدلة عقلية مستنبطة منها، وتحقيق تنوع عبارتهم والقصد من مجملاتهم في إطار نظام معرفي متكامل فهذا لم يفعله إلا ابن تيمية، ومن يملك ابن خالة دليل في هذا فليتحفنا به؟!

أظن أن هذا الأخ تحرك لمثل هذا التعليق لأنه قال قبل ذلك في إطار دعواه لتجديد علم الكلام:" فكما أنتج لنا الكلام قديما مذاهب: كالمعتزلة والاشعرية والماتريدية وأهل الحديث" فجعل اعتقاد أهل الحديث والسنة منتجا من منتجات علم الكلام! مساويا في هذا الأصل لمعتقد المعتزلة والأشاعرة والماتريدية؟!

والعجيب أنه يريد التنقص من جهود ابن تيمية العلمية باستحالة إحاطته بفهم السلف لان بعضهم اندثر علمه لكنه يجعل هنا علم السلف منتجا من منتجات علم الكلام؟!

والخطير في هذا الكلام أن مقالات فرق المسلمين التي عددها (معتزلة وماتريدية وأشعرية وأهل حديث) إذا كانت من منتجات علم الكلام فهي إفرازات لاجتهاد كلامي، وهذا إن كان ينطبق على المتكلمين فنحن نعرف تاريخ نشأة علم الكلام ومراحله وأصل مقالة التعطيل فيه فإنه لا ينطبق على عقيدة أهل الحديث والسنة؟

وكلامه يوهم أنها كلها حق أو لها نفس القيمة، وهي متناقضة أشد التناقض إلا في أجزاء يسيرة أو في شكليات لفظية، فالخلاف في مسائل القدر، والإيمان، والصفات، وكلام الله و النبوة، والتوحيد، والشفاعة وغير ذلك فكيف يجمع من أصل مقالته الوحي مع من أصل مقالاته متكلمة أهل الكتاب والفلسفة؟!

يريد هذا الأخ ويقصد من كلامه تغيير موضوع علم الكلام من الميتافيزيقا الي الشؤون الإنسانية.

ثم إن أي كلام خارج الالهيات لا يمكن تسميته بعلم الكلام فعلى ما في علم الكلام هو برئ من رؤيا هذا الأخ.

لا يوجد عاقل يدخل موضوع الدولة والإنسان والمجتمع تحت علم الكلام! فهذا غير

موجود لا عند الفلاسفة ولا عند متكلمة الملل فضلا عن أهل الحديث والسنة!
مشكلة هذا الأخ أنه لم يفصل في قيمة علم الكلام، ويريد تجديده، ولا يمكنه الفصل فيه بدون تحديد المنهج المعرفي لعلم الكلام: التعريف والموضوع والمنهج ومصدر الموضوع وتقنية الحجاج الكلامي.
كلامه تنظير أجوف غير متماسك ، وتنقصه مقدمات كثيرة أثر غيابها على تصوره لموضوع الكلام ومن ثم لقضية تجديده بقضايا العلوم الإنسانية.
والكلام مع هذا الأخ حسب تصورين ابتدائيين:
الأول: إما الإسلام دين كامل بدون علم الكلام القديم فضلا عن فكرة تجديده.
الثاني: إما هو ناقص وكمَّله علم الكلام قديما لكنه يحتاج الآن إلى تحديث يحتاج هو الآخر إلى تجديد علم الكلام؟
يعتقد هذا الأخ أن "سلفنا القدامى [سلفنا الصالح وسلفنا الجهمية بدرجاتها الثلاث] حسموا مسائل الانطولوجيا والابستمولوجيا والأيديولوجيا على المستوى النظري ثم راحوا بعدها يؤسسون لمنظومة القيم والتشريع!".

الرجل تنقصه مقدمات أولية كثيرة فما الذي يجمع مسائل وجود الله أو وجود الأسماء والصفات أو وجود مقالة كل فرقة بين هذه الفرق الكلامية المتناقضة في هذه الأصول؟
ما الذي يجمع من الوجود عنده عيني مدرك بالحس مع من يقول بشيئية المعدوم (الوجود الماهوي) مع من يقول وجود الله وجود المعقولات والكليات؟!
وما الذي يجمع مسالك الاستدلال الكلامية المبنية على المذهب الذري وفيزياء الإغريق والتفريق بين الدليل العقلي والدليل السمعي، والمتواتر والآحاد، والنصوص عنده ظواهر كفرية مع من هو نقيض له في هذه الأمور؟
اللازم من قول هذا الأخ أن ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم كان لغزا مشفرا يحتاج إلى تفكيك قام به المتكلمون، ومن ثم "أسسوا منظومة القيم والتشريع"، كلمة " أسسوا" في سياق كلامه تعني "أنشؤوا »!
وبالعودة إلى أسئلتنا الابتدائية يعني أن الدين كان ناقصا قبل ظهور المتكلمين ناقصا ليس من حيث الوجود ولكن من حيث الفهم والتأسيس حتى ظهر المتكلمون وفكوا لنا

ألغازه!
كما جعل هذا الأخ ـ في نفس المنشور ـ "الخلافات بين الفرق خلافات فرعية"، بينما هي في أصول الدين؟!
واقترح علينا أن نجعلها كلها تحت "المرجعية الكلية الواحدة" فإن كان يقصد مصادر التلقي فليست واحدة عندهم من أول يوم ظهر فيه الكلام.
وكلمة "وحي" التي يذكرها هذا الأخ في كلامه مثل قوله "علم الكلام الذي يتبناه ليس هو التنكر لجهود القدامى بالخروج عن المقاصد و الأهداف الكبرى التي أسس لها الوحي و جاء علماء العقائد يبشرون بها " فلا محل لها من الإعراب فغالب ما في كلامه يفيد أن الوحي بدون علم الكلام المجدد بالعلوم الإنسانية الغربية مجرد لغز محير فسره وبشر به المتكلمون ومع ذلك ظل ناقصا، قال : "انما هو تكملة لما صاغه القدامى و إتمام لما شيده القدماء بتوسيع المسائل التي تلح على الانسان المعاصر مثل قضايا الانسان و القيم و التاريخ و الحرية و التداول على السلطة و العيش المشترك و نبذ الكراهية ".
فبدون اقتراحه هذا يكون ما وصل إليه القدامى غير كامل وناقص يحتاج إلى تكملة وإتمام بحسب تعبيره، هذا بغض النظر على وضعه الحق والباطل، الهدى والضلال في سلة واحدة!
يتصور هذا الأخ أن هذه الموضوعات" قضايا الانسان والقيم والتاريخ والحرية ولتداول على السلطة والعيش المشترك ونبذ الكراهية" غير موجودة عند المسلمين لأنه ربما لم يجدها عند المتكلمين فلأن الكلام يبحث في الالهيات ومجال هذه الموضوعات الفقه وتوابعه وهي موجودة في النصوص وفي الفقه في أدق المسائل وتتناول مختلف وضعيات الإنسان في مجتمعه.
وإذا بحث علماء المسلمين هذه الموضوعات في مجال الأحكام الشرعية أو الفقه السياسي " السياسة الشرعية" فلأنها ليست من مباحث أصول الدين وعلم الكلام وأصول الدين والتوحيد يبحثون في قضايا أسس عليها الدين وليس في الفرعيات والجزئيات العملية.
ولا أدري ما وجه إدخاله " التاريخ" في علم الكلام المجدد!
وما يدلك على قصده الحقيقي وأنه ليس المجال العلمي الذي تبحث فيه هذه

الموضوعات إن كان علم الكلام أو شيئا غيره بل إرادة علمنة العلوم الإسلامية وإعادة ترتيبها تقسيمها الذي كان بحسب قيمة كل علم في الرسالة المحمدية قوله: " فيغدو الدفاع عن العقيدة الإسلامية كالدفاع عن العدالة الاجتماعية او الكرامة الإنسانية ".
يريد أن يجعلها في مصف أصول الدين وبنفس القيمة والفضل والأهمية فتكون موضوعات التوحيد السلفي أو الإلهيات الكلامية قضية ضمن عدة قضايا يشملها اسم أصول الدين أو العقيدة أو علم الكلام [الجديد]!
فقط لم يحدثنا إن كان سيشملها مبحث التكفير والتبديع كسائر مسائل أصول الدين فمن يجحد التداول على السلطة مثلا يكفَّر؟!
في الحقيقة هذه الموضوعات من أصول دين العلمانية فليس عندها شيء أقدس من هذه الموضوعات لأنها أصلا بدون مقدس إيماني، والدين مكانه مربع الفرد كحرية شخصية؟
ومن هنا يصب هذا في تحييد الدين بحيث يصبح اختيارا ضمن عدة اختيارات وإلا كيف نفهم محاولته جعل الغاية التي من أجلها خلقت المخلوقات ونزلت من أجلها الكتب وبعثت الأنبياء وقامت من أجلها سوق الجنة والنار مثلها مثل التداول على السلطة ونبذ الكراهية والذي لا أدري إن كان يقصد به مبدأ الولاء والبراء أو شيئا آخر كالكراهية العرقية مثلا؟!
وهو يخلط بين ضرورة إعمال براديم إسلامي في المنتوج الفكري الغربي المعاصر لأنه لا يوجد غيره وبين علم الكلام.
وبحسب تصوره الظاهر من كلامه لا يوجد عند المسلمين براديم خاص بهم في هذه المسائل.
الخلاصة بإيجاز: هذا الأخ عينة من المسلمين بدون لغوس قرآني انطلق من مقدمة موضوعة" مسلمة" هي حال علم الكلام الإسلامي وانحصاره في الالهيات فهو لا يعرف غيره وأراد تجديده ليواكب ما يسميه القضايا العصرية: الدولة وحقوق الإنسان والعلوم الإنسانية.
بالنسبة إليه توجد حقيقة كلامية ـ لا أدري أن كان يوازي بينها وبين الحقيقة الشرعية ـ تشترك في بنائها عدة فرق إسلامية ومن هنا لا يجب أن نقصي فرقة من هذه الفرق من الحقيقة الشرعية؟

كلام هذا الأخ يبين أنه ضائع في الصورة الجدلية لعلم الكلام والتي افسدت تمييزه بين الدين كما نزل وبين صورة الدين في الجدل الكلامي.
يبدو لي أن الأخ يريد لعلم الكلام _وأخطأ هنا في التسمية وفي باب الدار _أن يكون حاضرا في حياة الإنسان المسلم في سلوكه وسياسته واقتصاده واجتماعياته.. الخ كأنه لا يعرف العقيدة في القرآن والسنة وكيف يعيش بها المسلم؟!ولا عرف النصوص الموجهة في هذه القضايا فضلا عن كلام العلماء وشروحهم؟!
فهذا حال من نشأ في وضع بدعي وغرق في الإسلام المبدل ولم يعرف غيره يظن أنه وقع على اكتشاف علمي كبير!!
هذا الأخ _بعد فهم كلامه الذي يبدو أنه هو نفسه غير فاهم له _ تأثر بالصورة السطحية للنقاش الكلامي فخلط بين علم الكلام الذي هو علم مبتدع دخيل وبين أصول الدين فالقيم الإسلامية والأحكام بالنسبة إليه هي إفراز عملي للنقاش النظري في الانطولوجيا والابستمولوجيا والايديولوجيا تقريبا جعلنا كالإغريق صنعوا تصوراتهم ودياناتهم من الأساطير ونحن صنعناها من الكلام؟
لا يمكن تجديد بدعة وعلم الكلام كعلم كلام بدعة!
بطبيعة الحال يزعجهم ان نقول: عقيدة السلف ثابتة ظاهرة ومعلومة الحدود والموضوعات وابن تيمية أقام الدليل على ذلك فهذا ينسف نظريته العلمانية على أنها كلها صواب باعتبار أصلها الاجتهادي، وتجديد الكلام يكون بتجديدها يعني بتجديد هذه البدع.
فهذا يهدم كلامه.
بعضُ النَّاس عندما لا يفهمون قضيَّة معيَّنة ضمن موقفين متقابلين، ويعجزون عن إدراك أبعادها لِضعف الآلة أو لِغلبة وسطوة أحد المواقف على نفوسِهم مع ضعف أدلَّته ~ وقد يكون القصور منهم لأنَّهم جمدوا على ما لديهم، أو عجزوا عن الانتقال إلى مستوى أعلى ~ يواسون أنفسهم ويُخفِّفون الوطأة عليهم بتصوير المواقف المتقابلة المتعارضة على أنَّها سواء يعني: إذا سقط مذهبُه لعدم كفاية أدلَّته أسقط معه المذهب الحقَّ.
وهذا ~ وإن كان من طبع الآدميِّ عندما لا يُعالج باطنه ~ إخفاق على مستوى الشُّعور يُلبَّس زوراً لباس المقارنة، فالتَّسوية بين الصَّحيح والفاسد ظُلم، وطلب الحقِّ في

الخطأ جهل.
ولأن كلام هذا الأخ كان مجملا ومرسلا لا يحتمل هذا الجواب أن يكون الرد تفصيليا فالمقدمات الناقصة عنده كثيرة جدا، وشحن المقال بالنصوص السمعية ونصوص أئمة السلف يحتاج إلى تدوين أكبر بكثير من مقالة.
فيما يخص كلام هذا الأخ عن تجديد علم الكلام تكلمت عنه بحسب ما يظهر منه فقد يضيع القصد في مقدمات غير كافية أو غير مدققة فتتفاوت الفصاحة مع الصحة أو لأسباب أخرى والله سبحانه من وراء المقاصد.

الوعظ بالفأل والإيجابية جيد سهل لكن التأسيس لهما صعب.الوعظ بالفأل والإيجابية جيد سهل لكن التأسيس لهما صعب.

عندما نتوقع شيئا سلبيا للأمة فهذا محض توقع عقلي؛ قلوبنا يجب أن تكون عند نقيضه.عندما نتوقع شيئا سلبيا للأمة فهذا محض توقع عقلي؛ قلوبنا يجب أن تكون عند نقيضه.

على قول العلماء :" النص الشرعي لا يرد بخلاف المحسوس".على قول العلماء :" النص الشرعي لا يرد بخلاف المحسوس".

صناعة المصلحين؟

....

صناعة مصلحين ليست صناعة مجادلين بل صناعة القدوة الجامع بين قوةالعلم ورشاد العمل.
ما الهدف من إيجاد المصلحين؟
بالجواب عن هذا السؤال تتحدد
الخصائص العلمية التفصيلية والنفسية التي يجب أن تتوفر فيهم.
الملح لا يفسد، و يصلح الطعام، ويمنع الأشياء من الفساد؛وكما قال الماوردي :"إذا فسد الملح فما يصلح الطعام؟!".

خراب العقل ووهن القلب!

....

التصديق بالوعد إيمان صحيح إذا اقترن به التصديق بالوعيد، و إلا كان من جنس الإرجاء الخفي الذي يفتك بالعقل فيعلقه بالوهم والأماني، وبالقلب فيوهنه ويضعف قوته على العمل؛ قال ابن القيم رحمه الله :

"مدار السعادة وقطب رحاها على التصديق بالوعيد ... فإذا تعطل من قلبه التصديق بالوعيد خرب خرابا لا يرجى معه فلاح البتة". (المدرج)

تعلق بالوعد ولكن انظر الوعيد الذي لم تلتفت إليه يستقيم عقلك ويصلح عملك.

المعركة لحد الآن خاسرة؟!

....

في قفزة وعي نوعية يسعى اليوم دعاتنا من الشباب إلى مخاطبة شباب الأمة _كما قال لي أحد الأصدقاء _ في الجانب العقلاني والمنطقي بينما يخاطبه الغرب (الليبرالية الفجورية "المتحررة") بالجانب العاطفي الانفعالي فيضرب pathos ليدمر ethos ويروح يربح!logos

البوطاش في تعبير بعض الماركسيين الجدد :كشف ساق المؤثرة الراقصة يرسل إشارة، والإشارة تثير الرغبة، والرغبة تحيله إلى حيوان مرح!

وهكذا مع سائر البضائع يبيعون له الحلم جاهز للحمل (prêt à porter) لكنه يجد نفسه بعد أن يتجاوز الأربعين في:" الكل مسموح به لكن لا شيء منه ممكن !"

انظروا في كلام النبي صلى الله عليه وسلم عن أصل الشرور "الزنا وما هو من جنسها، والسرقة والانتهاب، وشرب الخمر"، والتي يعقد عليها الفقهاء باب الحدود مع حد القذف، كيف أشار صلى الله عليه وسلم أنها تنذر بفساد الناس وتتقدم أشراط الساعة الوسطى.

من يتابع الغربيين المهتدين لا يجد عندهم عناية بتتبع أي فيلسوف شرقي أو غربي جل عنايتهم فهم القرآن والحديث لأن مطلبهم روحي قلبي وهم يعرفون أين اوصلتهم العقلانية والمنطق المفصولة عن الوحي.
ولأنه من اللغو فصل مفهوم العقل عن بسيكولوجيته.
لذا نقول :من الجيد عقلنة الخطاب الدعوي وصياغته منطقيا لكن الأساس أن يكون مرحلة ثانية أو شرحا ثانيا بعد الخطاب الشرعي بلغته السلوكية فإن المعركة الآن حول مجموع الخصائص النفسية المشكلة لوحدة الذات. باختصار: إنهم يسرقون الأرواح بالشهوات فبدلا من تقديم قول الروح :أجد السلام وتأخذ الأشياء (الماديات) مكانها يجعلون قول الأنا :تأخذ الأشياء مكانها و أجد السلام!
}لانذركم به ومن بلغ) ليس أنفع للناس لنفوسهم وعقولهم من لغة القرآن والسنة.

متى أقرأ الفكر الغربي ؟

....
إلى شبابنا العزيز علينا، والذي نتوسم فيه أن يكون أفضل منا لدينه و أمته: لا تتعجل قراءة الفكر الغربي فلابن رشد قول حكيم منسوب إليه من شرحه "مقالة الألف الصغرى" لأرسطو (يشك في نسبته إليه) يقول:
"يروم أن ينجي السفينة وهو يتعلم علم الملاحة أو يشفي المريض وهو يتعلم الطب!" يقصد الذي يتعلم علما قبل أن يتعلم منطقه. فلابد من استكمال دراسة علومنا الشرعية ومعرفة تراثنا جيدا خاصة و أن هناك محاولات جادة لرسم خريطته قبل الانهماك في الفكر الغربي.
وحتى عندما نقرا هذا الفكر يوصينا مالك بن نبي _ رحمه الله _ أن نقراه في معصرته أو في مقطرته،يعني بالنسبة لي: 1 _ تملك منهجي المعرفي الذي أقيم به المادة.
_ 2الاستعانة بالنقد الغربي /الغربي .
صحيح أن الفكر الغربي يفتن بلغته الأنيقة الراقية ومنهجيته الصارمة و معمارية معرفته لكنه إنما هو بيت أسس بنيانه _ في الإلهيات وما يتبعها من حقائق الإنسان والمجتمع _ على (شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم)
فلا نكون كالذين اشتبه عليهم البقر فتهوكوا! لذا أرجو أن يقل عدد ضحايا الاصطدام بالفكر الغربي وهم واقعون لا محالة !

لتفجير قوة الحق الموجود في الوحيين لا نحتاج إلا إلى الاعتزاز به ،والثقة فيه، واليقين به، ومن ثم يظهر لنا سطوته وهيمنته على كل ما سواه.

سكر العلم أو فراغ الطلب!

....

يبحث طالب العلم _في الغالب _ بعد مرحلة الطلب الأولى والثانية عن جمع المعارف المتفرقة سواء عند العلماء أو عند عالم واحد .
وفي بحثه هذا يحتاج إلى صفتين مهمتين :الصرامة والتواضع .
الصرامة مع نفسه أولا في حملها على الصبر أثناء البحث والتدوين والتلخيص.
ثم الصرامة في احترام إجراءات البحث وقوانين الاستدلال .
وأما التواضع فهو أن يشهد في نفسه عدم اكتمال فهمه، و أنه قابل للمراجعة.
لكن في سكر العلم أو من هلاوس الفراغ نقوم أحيانا بتوزيع الميداليات والنياشين على حاشيتنا من طلبة العلم!
وكذلك عندنا جرأة على إلقاء الأحكام التي تحتاج إلى استقراء كبير، ونحن في الحقيقة لم نقم به، ولا هو في مقدورنا إنما ننفس عن كبت نفسي اتجاه أحدهم أو بعضهم ، أو نملأ فراغات الكسل، أو نشبع عادة التكلم.
لا تشغل نفسك بترتيب العلماء و طلبة العلم إذا لم ترتب أولا علمك ونفسك!

Pathos – ethos - logos

....

في المنشور السابق عن الفرق بين عقلنة الخطاب الدعوي وبين الخطاب الغربي ذكرت هذه المصطلحات فطلب أحد الأفاضل شرحها، وفي الحقيقة تعريفها متوفر مبتذل يسهل الوصول إليه لكن الأهم فهم أبعاد هذا المثلث في صناعة خطاب دعوي ناجح فيه كفاءة ونجاعة.
وللدخول في هذا الأمر بمزيد تفصيل وتبيان أنقل لكم ما كتبه أحد طلبتنا (على صفحة خاصة) يظهر فيه فهمه للقضية سأضيف عليه بعض الجوانب ليكتمل تصور المسألة عند شبابنا من طلبة العلم.

قال : "بارك الله فيك على المقال الأخير الذي نشرته وكان ذلك الموضوع يدور في ذهني هذه الأيام بكثرة خصوصا في جانب (تحكيم الشريعة وتصور الناس لها)
في الشريعة الاسلامية نجد حضور لـ logos بالحجج المنطقية وكذلك نجد الـ pathosبالخطاب الوعظي.
ولكن كما ذكرتم نحن نخسر معركة ethos فالشريعة الإسلامية تعرضت لتشويه كبير في جانبethos ، فلا يكاد يذكر جانب الإسلاميين إلا ويتبادر إلى الذهن (الدموية، والتخلف، والتعصب، والحروب المذهبية الدينية، والانغلاق...الخ)
فكيف يمكننا كطلبة علم ومريدين للتغير معالجة هذا الجانب؟
هل بالتركيز على موضوع الجمال وقيمته في الجانب الإسلامي، أو بالسماح ببعض التجاوزات؟
فأقول: يقصد أصحاب هذه الاصطلاحات التالي:
(pathos)يسمح بملامسة الأبعاد الشعورية/ العاطفية أو الانفعالية للمستمع.
و (ethos)يسمح بلمس البُعد الأخلاقي للمستمع.
أما (logos) فيسمح بلمس البعد المنطقي للمستمع (المخاطَب) .
وهذه العناصر الثلاث هي التي تحدد قيمة وكفاءة ونجاعة أي خطاب.
من جهة أخرى لأننا أمام ثلاث أضلاع في الخطاب هي: المتكلم (المخاطِب) والمستمع (المخاطَب) والخطاب في حد ذاته نقول: "الإيتوس" مرتبط بالمتكلم (المخاطِب) بينما "الباتوس" متعلق بالمستمع (المخاطَب)، في حين "اللوغوس" هو بناء وهيكل الخطاب .
وبهذا الاعتبار الثاني تكلم أخونا الكريم فأراد أن يقول: الخطاب الشرعي بطبيعته متضمن للوغوس =التدليل المنطقي =منطقية الخطاب وعقلا نيته.
فاللوغوس هنا صفة للخطاب، بينما الباتوس هو صفة المتلقي أي: يجب أن نخاطب عاطفته ونفسيته الانفعالية =الشعور الآدمي وهذا موجود في الوعظ الإسلامي و في علم السلوك .
وأما الإيتوس فهو يتعلق بالمخاطِب أي: بالداعية بقوله أو بانتسابه فما هي الأخلاقية التي تشع منه = تطابق السلوك مع القول؟
وهنا يظهر أننا خسرنا المعركة ـ لحد الآن ـ فالمعركة لم يخسرها الخطاب الشرعي لأنه يفتقد لأحد عناصر الخطاب الحق الناجح بل المتكلم به هو الذي خسرها بسبب الانحرافات السلوكية التي وقع فيها مثل: مظاهر القتل بغير حق، والتفجير، وتفكيك المجتمعات،و الغلو في ذم بقية المسلمين،و تزكية الظلمة والفاسدين، والتشظي بين

دعاته، وفساد بعض سياسييه... وسائر الأمور التي تفقد الخطاب مصداقيته فما هو الحل؟
والجواب هو أن نقول :
1- وإن كان الخطاب الشرعي الذي يرفعه الداعية إلى الله متضمنا للوغوس لأنه يخاطب عقولا بشرية عندها فطرة وضرورة مشتركة فإن المشكلة عند بعض الناس لغوية وليست عقلية منطقية، وأعني أنهم لا تظهر لهم منطقية الخطاب وعقلانيته بلغة الوحي فيحتاج أن يترجم لهم بلغتهم الاصطلاحية الكلامية او الفكرية الفلسفية القديمة أو المعاصرة .
وإذا كان الأمر كذلك فإن غالب الناس لا يحتاجون إلى هذه الترجمة يكفيهم حسهم السليم وفطرتهم السوية وعقلهم الضروري لفهم منطقية وعقلانية الخطاب الشرعي.
وهذا الخطاب الشرعي لا ينقصه شيء - ونعود بالله أن يعتقد مسلم هذا - فقد جمع محاسن الكلام والأدلة كلها، ولم يغفل إلزام العقل بمبادئه البديهية، ولا الوصول إلى الشعور الباطن في النفس.
كما تحلى بقوة انتقاء بديع للعبارات، وبدعوة للتعالي، وبتكريم للمخاطب إلا في حالات الردع والوعيد بعد استتمام الحجة، وبالتالي جمع العناصر الثلاثة للخطاب الناجح النافع الهادي فمن لم يفهمه فلسوء فهمه ونقص عقله لا من قصور في بيان الله ورسوله، وكما قيل: كم من عاتب قولا صحيحا وآفته من الفهم السقيم! بطبيعة الحال إذا سلم العقل من الشبه الملقنة ومن سوء النشأة العلمية.
لكن هل نجد الشيء نفسه عند المتكلم بهذا الخطاب في هذا العصر، هذا هو السؤال الذي أراد ان يقف عنده أخونا الفاضل:
فمن جهة نجد بعض طلبة العلم قد بالغ في الخطاب العقلاني وغلب عليه ففقد " الباتوس" الذي يحتاج إليه غالبية البشر أي: الخطاب الذي يعالج بواطنهم ويخاطب أرواحهم، ويشرح لهم هذه الحياة، ويؤثث لهم هذا الوجود بحقائق الوحي، ويعطيهم أجوبة عن غدهم، وماذا بعد موتهم، ويعرفهم بعدوهم وحيله وخدعه ومظاهر تلونه في الصورة الآدمية المعقلنة والمؤنسة.
وهؤلاء هم من تحدثت عنهم في المنشور السابق فمع إحسانهم بعضهم مفرط في العلوم الشرعية، وعنده نهم لقراءة الفكر الغربي الذي يحاول أن يفك به أزمة العالم الإسلامي، ويقنع بلغته المسلمين!
لم يصلوا بعد إلى فهم أن الإسلام ذاتي المرجعية لا يحتاج لأي عنصر خارجي ليصلح المسلمين.

و إذا أرادوا فهم أسباب الانحطاط و التدهور و العجز عن النهوض و تفويت فرص النهضة فإن النصوص واضحة وكثيرة في الباب، ولا مانع من الاستعانة ببعض مخرجات الفكر الغربي بعد أن نخلصها من براديمها المادي مما يشترك فيه البشر، ونعضد به التحليل الشرعي لأحوال المسلمين الفردية و الجماعية و أحوال دولهم.
من جهة أخرى نجد المكتفي بالخطاب الشرعي كما هو سواء كان فقهيا أو وعظيا أو عقديا بلغته الأثرية أو المدرسية الإسلامية لكنه أضاع " الإيتوس" بمخالفة العمل للعلم، أو بسوء فهم شوه بعض الشيء سماحة الشريعة وعدالتها فارتد سوء عمله أو أخطاء تجربته على نظرة الناس للشريعة نفسها.
فيما يخص المعالجة التي اقترحها الأخ لا أعتقد أن النظرة الجمالية الإسلامية تتعلق بإصلاح الإيتوس (الرؤية الأخلاقية) بل هي أقرب للباتوس (رقي النفس، وجمالية الذوق، وتهذيب الطباع).
والمشكل يكمن فقط في شرح الشريعة فإذا كنا مقتنعين بأن الخطاب الشرعي موافق للعدل فهل يصعب علينا إقناع الناس بالعدل وهو صفة فطرية فيهم؟
نعم الطريق الأمثل في النقاش الخارجي (غير المسلم) أن نبدأ بالأساس العقدي الوجودي فمثلا إذا قلنا لملحد او كافر بحرمة الربا لم يجد في خطابنا عقلانية ومنطقية يستوعبها فكيف يقرض شخصا مبلغا كبيرا لمدة طويلة ثم يرده إليه بدون أي فائدة تتحقق له من هذا القرض؟!
وإذا أردت أن تبين له ضرر الربا على الناس والمجتمعات احتجت إلى لفة اقتصادية / اجتماعية طويلة.
لكن إن بدأنا بالأصل الوجودي العقدي وهو الايمان بالله واليوم الآخر وجد عقلانية ومنطقية أعلى فهناك فائدة ومصلحة أخروية تعود من جهة أخرى لنفع فردي وجماعي في الدنيا، ولهذا كلما ضعف الايمان بالله واليوم الآخر في أمة زاد فيها الربا.
مثال آخر: إذا طالبت من مريض كافر مشرف على الموت الصبر على الألم وعدم الانتحار لم يفهم ما فائدة الصبر على التألم إذا كان سيموت لكن إن كان مؤمنا بالله واليوم الآخر صبر على الألم لان الخطاب الشرعي أبلغه أنه مطهرة له وكفارة ورفعة درجة .
فالقضية إذاً قضية قاعدة التمثال: الرؤية الوجودية العقدية التي تعطي المعنى الكامل للحكم الشرعي، وتظهر المنطقية الأعلى من المنظومات البشرية المغلقة على عناصر قاصرة وناقصة.
نعم هناك أحكام شرعية تظهر عدالتها تلقائيا لا تحتاج لتفكير طويل .

ملاحظة :استعمالي لهذه المصطلحات في المنشور السابق لأني كنت اتحدث عن الخطاب الغربي لشبابنا ووفقا لمنظومته كيف يستهدفهم وفي أي مجال أو جانب فهذا من قبيل الاستعمال للحاجة.

مسألة اجتماعية !

الدولة مسؤولة عن إصلاح الناس بالقرآن (التربية والتعليم) و بالسلطان (القانون والعقوبات)

السؤال :من أين تأتي الدولة الصالحة؟ومن يصلحها؟

إما يخرج رجالها من المجتمع الصالح، ويلزم عنه أن المجتمع كذلك ملزم بإصلاح نفسه، على الأقل قسم منهم .

و إما ما يهمني السؤال :يصلحون انفسهم بالطفرة أو بخاصية ذاتية، المهم عليهم أن يصلحوا الناس ولو كانوا غير مؤهلين لذلك ؟!

هل هذه مسألة من قبيل "الجذر الأصم" أو "ثلاثية أكريبا" أم لها حل؟

الحاصل والمفترض؟ !

....

جميع الدول العربية مطبِّعة بالفعل أو بالقوة فقط منها التي طبَّعت قبل إقامة الدولة الفلسطينية فلم تعد تعني لها شيئا (أو قدَّرت أنها موهومة مستحيلة) على قول ترامب :إسرائيل ضيقة لابد أن نوسعها !

ومنها التي تشترط إقامة هذه الدولة أولا قبل حصول التطبيع أو إمكانيته ؟ !

يعني بالمحصلة كلهم يعترفون بشرعية الوجود الصهيوني ،وإنما يختلفون في تقديم المهر وتاخيره !!

قد يقال :هذا بحكم الظرف وليس موقفا نهائيا .

فعادت الأمور إلى "الظرف والواقع " عند هذا أو عند ذاك، وبقي المفترض وحده بدون صاحب !

أي عاقل يعلم قوة عدوه لا يكون همه إدراك تلك القوة أو ما يعادلها أو يكبحها هو غير واقعي.

وبهذا تكون قد علمت عدد الكينونات العاقلة في أمتنا !!

قال الله تعالى :{ و أعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم}
قال عقبة بن عامر فيما رواه عنه مسلم في صحيحه:
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر يقول : (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ألا إن القوة الرمي ألا إن القوة الرمي ألا إن القوة الرمي)
والرمي الضرب من مسافة فمن لم يعد لعدوه ما يرميه به رميا مكافئا أو مرهبا فما أعد قوته.

في سجن الذهنية!



إذا لم تكن أمراض السياسي السلوكية والذهنية إلا أمراض الفرد في مجتمعاتنا حيث يخرج الجميع تقريبا من بيئة دينية وثقافية واجتماعية واحدة ليس كما في الغرب حيث غالب الطبقة الحاكمة تخرج من بيئة بورجوازية أخذت مكان طبقة النبلاء لها تميز ثقافي و فكري على عموم مجتمعها فإن المعضلة عندنا معقدة لأنها مختلة من طرفيها فليس هناك فكر ناضج وذهنية قوية مع قيم أفضل مما لدى المجتمع تنزل من أعلى إلى أسفل، من السياسي إلى المسيس، من النخبة إلى الجماهير فنحن نعاني من التساوي في النفسية والذهنية والثقافة بين النخبة وعموم الناس بل قد تجد تفوقا عند بعض أفراد الأمة على النخبة.
في مجتمع نفس السلوكيات المرضية والذهنية التافهة السطحية والرؤية الوجودية الشهوانية التي تجدها عند العامي الجاهل تجدها عند بعض الشيوخ وعند المهندس والطبيب والصيدلي والأستاذ الجامعي ومدير المؤسسات الاقتصادية والإطارات الإدارية وعند السياسي والنخبة المثقفة التي تسترزق من هذا العفن العام.
أم المعارك حول شهوات الغي: البطن والفرج ولكننا نزوق الخطاب فنقول: إن التحدي عندنا اقتصادي / سياسي كأننا في النرويج!
قليل منا من يعتقد أن سبب مشاكلنا حضاري نفسي وذهني في منظومة القيم بتعبير العلوم الاجتماعية، ديني عقدي وشرعي وسلوكي بالتعبير الصحيح الدقيق فمن البديهي لكل شخص موضوعي مطلع أننا نعيش في رؤية إسلامية فكرية وسلوكية مؤولة ومبدلة ضعيفة العناصر الأصيلة حيث نعاني من تدين سطحي لا يتجاوز مجال

العبادات بدون قاعدتها العقدية، واعتقادات وثنية ممزوجة مع أخرى إسلامية صحيحة.
نحن أمام إنسان متناقض النفسية والذهنية يحب أمه لكن يسرقها، يأكل الرشى ولكنه كريم، يظلم في مجاله لكنه يكره الظلم في مجال غيره، أو يظلم في بلده ويندد به في بلاد أخرى، لا يبالي بمصدر مطعمه وملبسه ومسكنه، يأكل الحرام ويزكي ماله، يُرابي ويحج، يسرق ويرتشي ويصلي، يعصي وزوجته متحجبة! يكره أن يُغش لكنه يَغش!
يعتز بدينه لكن لا يلتزم بأحكامه، لا يكترث بالصالح العام، لا يتقن عمله وغير منتظم فيه، لا يشارك في العمل الاجتماعي والسياسي النافع لأمته، كل حركة يقوم بها الغرض منها منفعته الشخصية، لكنه يطالب المسؤول وغيره بالنزاهة في الاختيار والكفاءة والقيام بالعمل كما يجب واحترام المعايير !
هذا الكائن الغريب الموجود بكثرة في الشعب وفي نخبة البلاد، والجامع بين التناقضات العقلية والنفسية السلوكية هو التحدي الكبير الذي يواجهنا والمتمثل في رده إلى الفطرة الإنسانية والحقيقة الشرعية.

موقف كثير من المسلمين من "الفقر" مادي وتعليلهم الاجتماعي به ماركسي ! خالص!
عندما تكون الفلسفة مجرد عامية متشدقة!

التبسيط ووهم الفهم ؟ !
ومحنة الشيوخ مع مزبلة السوشل ميديا !


تبسيط الخطاب يكون باجتناب المصطلحات والغموض وعدم الإطالة لكن بحسب الفئة المستهدفة فالكاتب (في الحقيقة) يكتب لنفسه لكنه يخاطب غيره، وهذا الغير قد يكون في مستواه و قد لا يكون .
من دون شك الكلام البسيط أسرع في فهم الناس لكن ليس كل شيء يقبل التبسيط، وعليه ليس دائما تسمح الشروح البسيطة بفهم القضايا و الظواهر .

الخطاب البسيط في المسائل المركبة بالامثلة المبتذلة التي تغري الناس البسطاء قد ينشأ عنه وهم الفهم !
فإن العالم معقول لكنه معقد فظواهره وقضاياه مركبة من عوامل متعددة ،وفيه تراتبية أسباب وعلل لا يسمح الخطاب البسيط من توصيلها للناس فإن لم ترتفع إليها لم تفهم .
بعض الشيوخ الأفاضل يجتهد لتوصيل المعاني الشرعية بلغة مهلهلة يفهمها الجميع، ومعلوم أن التبسيط مناف بطبعه مع التفصيل، أو قد لا يسعفه وقت، أو يغفل عن وضع الاستثناءات فينهال عليه الجهلة والسفلة بكلام لاذع قبيح ليس لأنه أخطأ في هذا الكلام بالضبط ولكن لأنهم لا يرضون مذهبه في قضية أخرى ،والله المستعان.

السرقة مثلا "مصيبة" للمسروق "ذنب" للسارق= الأول يصبر ويقاضي إذا أمكنه، والثاني يعاقب هنا أو هناك

تعقيدات فهم العلاقة الثلاثية في القدر!

🌼🌼🌼🌼
وأنا أتابع قضية "الفقر " على مختلف وسائط التواصل هالني جهل بعض المسلمين بعقيدة القدر فإما جبري و إما قدري تغلب عليه نظرة مادية للأشياء ففهمت فهما حسيا عدة أشياء:
1- لماذا نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الخوض الجدلي في باب القدر.
2- لماذا قيل: "هذه مسألة زلت فيها أقدام وضلت فيها أحلام وتاهت فيها أفهام" من كل الطوائف حتى عند أهل السنة والحديث فبعض كبار القوم بحثها طولا وعرضا وغاص فيها إلى المسموح به لعلم البشر وقد أوتي رحمه الله من كل علم نصيب وافر فظل محافظا على التوازن وهو ينتقل فيها من مستوى إلى مستوى يحل معضلة كل مستوى حتى بلغ آخرها فوقع في الجبر! ولعل هذا ما قاده إلى مسألة أخرى كبيرة، وللمس هذا الأمر عن قرب يمكنك النظر في شروح العلماء لحديث محاجة آدم لموسى عليهما السلام؟!
وربما لذلك قال الشيخ عبد القادر الجيلاني: " كثير من الرجال إذا دخلوا إلى القضاء والقدر أمسكوا وأنا انفتحت لي فيه روزنة فنازعت أقدار الحق بالحق للحق والولي من يكون منازعا للقدر لا من يكون موافقا له."

ومسألة القدر مبنية على حقائق دينية عظيمة "من تركها ضل عن نهج الموحدين ومن اكتفى فيها في بعض الأمور دون بعض أو في مقام دون مقام أو حال دون حال نقص إيمانه وولايته لله بحسب ما نقص من الحقائق الدينية وهذا مقام عظيم غلط فيه الغالطون وكثر فيه الاشتباه على السالكين حتى زلق فيه من اكابر الشيوخ المدعين للتحقيق والتوحيد والعرفان ما لا يحصيهم إلا الله الذي يعلم السر والإعلان". ابن تيمية العبودية.

3- لماذا قال ابن عباس رضي الله عنهما: "القدر نظام التوحيد" ومعنى ذلك أن التوحيد برمته يختل إذا اختل الإيمان بالقدر؛ وبه نفهم لماذا كانت أول مسألة عارض بها بعض المسلمين النصوص، ومنها انفتح باب الشر الكلامي على المسلمين في الإيمان ثم في الكلام والصفات.

4- الحمد لله أن المطلوب منا شرعا الإيمان بالقدرو فهم أساسه النصي فقط وليس تفاصيله فضلا عن بعض أسراره وإلا لم يسلم منا إلا القليل .

5- هناك مسلكان لتناول مسألة القدر :

الأول: الطرح الكلامي (أقصد العقلي الفلسفي من دون تجرد عن النصوص) وله فوائده وهي كثيرة لكن لا فائدة منه لعموم المسلمين والخروج منه بقاعدة عملية صعب.

الثاني: الطرح السلوكي وهو أعظم وأنفع، فيه تزكية للنفس وتصفية للتوحيد وبه يتحقق إخلاص الدين لله تعالى.

بطبيعة الحال الموضوع طويل ومعقد ليس هنا المحل الأمثل للدخول فيها فنكتفي هنا بإشارات سريعة، ونحاول الوقوف على معادلة يعيش بها المسلم، ويفسر بها هذا العالم وحوادثه دون أن يكون جبريا نافيا للأسباب والإنسان عنده دمية مسؤولة عن غير أفعالها، أو قدريا عابدا للأسباب غافلا عن رب الأسباب .

عن ابن عبَّاس مرفوعا قال: " لا يزال أمرُ هذه الأمةِ مواتياً أو مقارباً، شكَّ الراوي، حتى يتكلموا في الولدانِ والقدَرِ". صحيح ابن حبان، والمستدرك على الصحيحين: على شرطهما ولا علة له ووافقه الذهبي 88/1 وغيرهما كثير.

قال أبو حاتم: الولدان أراد به أطفال المشركين [الأحاديث المختارة 11/12]

في هذا الحديث أرَّخ لنا النبي صلى الله عليه وسلم بداية الاستشكال على النصوص، ومتى يزول أمر الأمة عن القِوامة أو المقاربة، وهو عدم الوقوف حيث وقفت النصوص.

قال ابن عبد البر في " التمهيد" نفس الموضع السابق: " عن ابن عون قال: كنت عند القاسم بن محمد إذ جاءه رجل فقال: "ماذا كان بين قتادة وبين حفص بن عمير في

أولاد المشركين؟ قال: أو تكلم ربيعة الرأي في ذلك؟ فقال القاسم: إذا الله انتهى عند شيء فانتهوا وقفوا عنده، قال: فكأنما كانت نارا فأطفئت."
ولما روى يحيى بن آدم لابنِ المبارك هذا الحديث قال له ابنُ المبارك: أفيَسكُتُ الإنسان على الجهلِ؟
وقد صدقَ ابنُ المبارك لأنه إذا وقعت الشبهةُ لم يكن الهُدى في السُّكوت، فالسكوت فيه السلامة قبل وقوع الشبهة وليس بعدها.
فقال له يحيى بنُ آدم: أفتأمرُ بالكلامِ؟
فسكتَ ابنُ المبارك لأنَّ الكلام الذي سأل عنه يحي بن آدم كان مذموما فيه مغالطات كثيرة، فلو أمر بالكلام مطلقاً لتضمن إذنه الكلام بما فيه من أخطاء. ابن تيمية بتصرف.
كان السلف يقولون: "إن الكلام في القدر هو أبو جاد الزندقة" لأن نفي الحكمة هو أصل حجة الفلاسفة على نفي الصانع وأن الجدال في القدر كان في البحث عن الحكمة والإرادة: لمَ فعل ما فعل؟!
للقدر مراتب: هي العلم والكتابة والمشيئة والخلق فصلها ابن القيم ـ رحمه الله ـ هي مدخل لتسهيل فهم الموضوعات المتنازع حولها.
مسألة القدر كالدين كله الصالحون فيها ثلاثة أقسام: مسلم ومؤمن ومحسن، القسم الأول يسميه ابن تيمية أهل مقام التقوى العامة، والثاني أهل مقام الحقيقة، والثالث أهل مقام الحق.
والثلاثة يشتركون في الطريق في أن كلا منهم لا يفعل إلا الطاعة لكن يتفاوتون بكمال المعرفة والشهادة وبصفاء النية والإرادة.
تمثيل المسألة:
ـ حدد الشيخ عبد القادر الجيلاني ـ رحمه الله ـ أطراف المعادلة الوجودية فيما يشبه المثلث إذا أردت الفهم: 1 ـ على رأس المثلث الله سبحانه وتعالى الخالق لكل شيء ما سواه: أعيان وأفعال وأحوال وأقوال، لا يعزب عن علمه شيء، ولا يقع في الوجود شيء من دون مشيئته.
2ـ في الزاوية اليسرى في أسفل المثلث "أنا" أو "أنت."
3ـ في الزاوية اليمنى أسفل المثلث " الخلق" = غيرك.
المجموع: علاقة ثلاثية: علاقتك أنت بالله سبحانه وتعالي ثم علاقة الخلق بالله تعالى ثم علاقتك أنت بالخلق.
وأوصى بشيئين: 1 ـ في علاقتك بالخالق جل جلاله يجب أن تزيح الخلق منها = كن مع الحق(الله) بدون خلق = لأنهم لا يملكون لك شيئا مهما علت مراتبهم في الدنيا

وعظمت سلطتهم على الناس فهم مثلك تماما تحت المشيئة والقدرة يسخرهم الله في خير أو في شر.
وهذا مدلول الحديث القدسي العظيم: " يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم، يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم، يا عبادي كلكم عار إلا من كسوته فاستكسوني أكسكم .... " إلى آخر الحديث
لاحظ في كل النصوص تقريبا [هناك استثناء يخص الأنبياء في قضية الاصطفاء ليس هذا موضعه] سواء في القرآن او السنة الابتداء من العبد والجزاء من الله مثل قوله تعالى: {فأما من أعطى واتقى * وصدق بالحسنى* فسنيسره لليسري*واما من بخل واستغنى* وكذب بالحسنى" فسنيسره للعسرى} [الليل]
فالعبد يعطي أولا ويتقي ويصدق بالحسنى فالابتداء منه والله جزاءً له ييسره لليسري، ونفس الشيء مع الطرف الآخر البخيل المكذب بالحسنى.
2- في علاقتك بالخلق (كل ما سوى الله) يجب أن تزيح نفسك (أطماعك في الناس) قال: " كن مع الخلق بلا نفس أو بلا هوى = لأنهم وفقا للعلقة الأولى (العلاقة مع الخالق) لا يملكون لك شيئا فهم أنفسهم لا يملكون ما ينفعهم او يضرهم فكيف بك أنت؟!
ثم لا يمكنك أن تكون حرا طليقا الحرية التامة الحقيقية حرية القلب والضمير إلا إذا تحررت منهم فإن العبد حر ما قنع والحر عبد ما طمع.
وكل خير يصلك منهم فإنما المنعم به عليك على الحق هو الله، ولأن المنافي لإخلاص الدين لله تعالى الشرك في الربوبية فإن الرب سبحانه هو المالك المدبر المعطي المانع الضار النافع الخافض الرافع المعز المذل فمن شهد أن المعطي أو المانع أو الضار أو النافع أو المعز أو المذل غيره فقد أشرك بربوبيته و من أراد أن يتخلص من هذا الشرك فلينظر إلى المعطي الأول مثلا فيشكره على ما أولاه من النعم و ينظر إلى من أسدى إليه المعروف من الخلف فيكافئه عليه إن قدر و إن لم يقدر دعا الله له لقوله صلى الله عليه و سلم : (من أسدى إليكم معروفا فكافئوه فإن لم تجدوا ما تكافئونه فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه).
وهذا لان النعم كلها لله تعالى كما قال تعالى: (وما بكم من نعمة فمن الله) فالله سبحانه هو المعطي على الحقيقة فإنه هو الذي خلق الأرزاق وقدرها وساقها إلى من يشاء من عباده والمعطي من الخلق الذي أعطاك هو الذي أعطاه وحرك قلبه ليعطي لك او لغيرك فالله هو الأول والاخر". ابن تيمية بتصرف يسير المجموع1/92
كيف يتعامل أهل المقامات الثلاثة مع المصيبة:
- المسلم أهل مقام التقوى العامة يصبر وهو واجب بالاتفاق.

- المؤمن أهل مقام الحقيقة يصبر ويرضا بحكم الله وهو أعلى من الصبر.
- المحسن أهل مقام الحق يصبر ويرضا ويشكر الله على المصيبة لما يرى من إنعام الله عليه بها حيث جعلها سببا لتكفير خطاياه ورفع درجته وإنابته إلى الله وتضرعه إليه وإخلاصه له في التوكل عليه ورجائه دون المخلوقين.
نعود لمثال المثلث:

1- نفترض أن واحدا من الخلق مثل: جارك أو قريبك أو غريب أو مسؤول عنك سرقك وأخذ حقك كيف تعمل الإيمان بالقدر دون أن تعطل الشرع وتعمل بوصية الشيخ عبد القادر الجيلاني؟

2- تنظر أولا في علاقتك بالله فسترى أن هذا الظلم الذي وقع عليك هو مصيبة بالنسبة إليك = ألم مادي ومعنوي كان مقدرا عليك.

3- كونها مصيبة يستلزم انها جزاء عن خطا سابق فهي كفارة له {وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ} ولقول النبي صلى الله عليه وسلم: "عجبًا لأمر المؤمن، إن أمره كله عجب، ما يقضي الله له من قضاء إلاّ كان خيرًا له، إن أصابته سرَّاءُ شكَرَ فكان خيرًا له، وإن أصابَتْه ضرَّاءُ صَبَر فكان خيرًا له."

4- بالنسبة للذي سرقك أو ظلمك تنظر في علاقته هو بالله فتجد أن هذا الفعل بالنسبة إليه هو ذنب (معصية)كان مقدرا عليه هو كذلك(وبحث تقدير الذنوب له شأن آخر) وتذكر قضية الابتداء من العبد والجزاء من الله، فهذا الرجل فعل من تعطيل امر الله ما أوقعه فيما نهاه، فترك الأمر من العبد والوقوع في النهي من الله لهذا من أراد أن يعان على ترك النواهي فليجتهد في فعل الأوامر على وجهها.

5- الاستخلاص: مع كون الذي وقع عليك مصيبة مقدرة فهو بالنسبة للآخر ذنب يعاقب عليه بالشريعة الظاهرة وهو كفارة له، او يوم القيامة إن لم يحد ولم يتب منه .
فكون الأمور مقدرة مقضية لا يمنع أن تتوقف على أسباب مقدرة أيضا تكون من العبد فالله يقدر الأمور ويقضيها بالأسباب التي جعلها معلقة بها من أفعال العباد وغير افعالهم.

في الختام:
كون المسلم يعلم ويعتقد أن الذي أصابه من شخص آخر من شر هو مصيبة تقتضي منه الصبر لا ينافي سعيه لاستيفاء حقه من العدالة.
وكون الآخرفي مقام الشهود يصبر ويرضى ويشكر لأنه يشهد أن الله هو الذي خلق ما قام به هو وغيره من أفعال البر والخير فلا يرى لنفسه حمدا ولا منة على أحد.
ويرى ان الله خلق أفعال العباد فلا يرى أحدا مسيئا اليه على الحقيقة، ويشهد أنه لا حول ولا قوة إلا بالله، وما قام بالعباد من أفعال يأذونه بها فالله خالقها، وهي من عدله،

وما فاته من حقه فالله لم يخلقه وله الحمد على كل حال على ما فعل وما لم يفعل، فهذا مقام رفيع شريف هو حالة قلبية بين العبد وربه لا يلزم منه تعطيل الأسباب والشرائع ونفي المسؤولية عن أهل الشر والظلم كما سبق بيانه، ولزوم خضوعهم للعقاب في الدنيا أو في الأخرى او فيهما معا.
هذا ما امكن تبسيطه و للتفاصيل و الدقائق مواضع أخرى.

غزو النفوس بالواقع يغلقها على اليأس والضعف وشفاؤها الوعد.

فنطاسيا الخطاب :حلول لغوية "هدرة" لمشاكل واقعية.!

تجارة الإرجاء!

🌼🌼🌼🌼
تعاني الأمة في هذه الآونة من الإرجاء السياسي عند أكثر من طائفة أشهرها [مداخلة السلفية]!
لكن هذا الإرجاء موجود كذلك في بعض [حزبية الإخوان] و بعض [متفقهة المذهبية و متعبدة الصوفية]!
عند المداخلة :أصله قديم ناجم عن فقه سياسي باطنه عداء صراعي سياسي وثارات خرج من الناصبة .
عند حزبية الإخوان :انتهازية سياسية وطموحات شخصية، وهو نفسه عند بعض العوام .
عند متفقهة المذهبية ومتعبدة الصوفية :معاوضة عن امتيازات وحماية.
الإرجاء السياسي [المدخلي] الموجود اليوم لم يعرفه التاريخ الإسلامي من قبل إلا عند فئة شاذة جدا وصفهم ابن تيمية بمذهب قدماء الشاميين، ويقصد بعض أتباع بني أمية الذين يقولون بإن الإمام تجب طاعته في كل شيء (طاعة مطلقة) وأن الله إذا استخلف إماما تقبَّل منه الحسنات وتجاوز له عن السيئات (لا يؤاخذه بذنب). انظر مناهج السنة 487/3
هذا المذهب هو أصل الإرجاء السياسي الذي نجده اليوم، إذا أردنا المرجعية التاريخية و إلا فهناك أسباب جديدة نعرج عليها في مناسبة أخرى.

قال ابن تيمية في نقده لهذا المذهب الخبيث : "مجرد كون الشخص حاكما على الناس لا يُمدحُ بها الإنسانُ ولا يستحقُّ على ذلك الثواب، وإنما يُمدحُ ويثابُ على ما يفعلُه من العدل والصدق، والأمرِ بالمعروف والنهْي عن المنكر، والجهاد وإقامة الحدودِ، كما يُذمُّ ويُعاقَبُ على ما يفعلُه من الظلم والكذب والأمرِ بالمنكر والنهْي عن المعروف وتعطيلِ الحدودِ، وتضييع الحقَوق، وتعطيلِ الجهاد". ابن تيمية المصدر نفسه.

هذه الفئة على العقيدة الشرعية في باب "القدر" فيما يخص أفعال العباد لكن في السياسة والحكم نجدهم جبرية (يناسبون الحكم الجبري) على مذهب جهم وغلاة الصوفية، الذين يسوون بين الصالح والفاسد، بين المؤمن والكافر، وهؤلاء يسوون بين السيئات والحسنات، ويفضلون الفاجر على مخالفهم الذي يبدعونه.

واللازم عندهم يقتضي التسليم للبلاء والأوضاع المختلة بدون مدافعة بعلم وعمل سلمي راشد .

خرجوا من أصل أهل السُّنَّة بعدم الخروج بعنف والصبر بدون مداهنة مع التعاون على البر إلى الإرجاء مع الولاة أي: تحويل سيئاتهم إلى حسنات بشكل من الأشكال، وقد يأمرونهم (طلب ورجاء) أحيانا: اسجنوا فلانا وامنعوا فلانا ولكن لا ينهوهم أبدا!! لا في علن ولا في سر فهم أخس في نفوسهم عندهم من أن يكلمهم الواحد منهم عن الأحوال الجوية !

هذا المذهب سينسف نفسه يوم تقرر السعودية التعددية السياسية و إلا هو باق!

الخلاصة :إرجاء هؤلاء ديني و إرجاء الآخرين مصلحي!

"الإسلام جاء ليغير الواقع ليس ليتعايش معه" نعم هذا صحيح لكن الانتقال دفعةً من "الصفر" إلى "المائة" موجود في عقل النظّام فقط!

قصة المدخلية بين التمني والواقع!



الكلام عن أي فرد أو جماعة أو مذهب أو ملة يجب أن يكون بعدل وعلم بعيدا عن الحديث الصحفي والمبتذل المنتشر على السوشل مديا حديث التهويل والتهوين، ومهما بلغت مخالفتك للمداخلة وكراهية منهجهم فإن الكلام فيهم بحق يلزمك .

كثير من الشباب الذي ينشط الآن على مواقع التواصل لم يشهد نشأتهم ولا يعرف مداخلهم وتاصيلاتهم ومراجعهم، ولا يفرق بين ما اشتبه عليهم من أصول وقواعد علمية في الجرح والتعديل ومنهج السلف في نقد الرجال وقاعدة الهجر والتحذير وبين بغيهم وشراسة اخلاقهم كما لا يفرق بين الصادق منهم الذي يجرح ويذم تدينا وبين المتاجر وصاحب المصلحة ويضع الجميع في سلة واحدة .

ونحن الذين هرمنا في مقارعة هذا المذهب سئمنا منه ويثقل علينا اجترار الكلام معه لذلك نكتفي بملخصات هي زبدة مخالطتنا ومناقشتنا لهم فلا يتوقع منا الشباب أن نعيد التأصيل في هذه القاعدة فضلا عن تقديم شهادتنا لكل ما حدث وما عرفناه عن مخالطة ومباشرة وما كتبناه من دقيق حالهم وبواطن مجالسهم فهذا مظانه ليست هنا .

والقول بأن " المدخلية" أو " الحدادية" أو "أتباع الشيخ ربيع" صناعة وفبركة أجهز الأمن السعودية تنشأة وتكوينا غير صحيح ولا يسعفه الاطلاع على السلفية المعاصرة وأسباب انشقاقاتها المنهجية نعم التوظيف السياسي أمر قابل للنقاش وهو لا يخصهم وحدهم فإن التوظيف المباشر وغير المباشر المحلي والإقليمي والدولي للدين لم يبدا من اليوم وإن كان توظيف المداخلة له خصوصية.

عندما نتحدث عن منهج جماعة لابد ان نجيب عن إشكالاتها وأدلتها وأمثلتها ونقولاتها، وإلا بقينا في الخطب الإنشائية، وقصة من القصص، وحكاية من الحكايات، و ـ معذرة ـ أقول: تصبح الأدلة هي كيت وكيت والتوحيد تثليت!

نريد أن نبتعد قدر الإمكان عن منهج الرغوة والزبد المتمثل في الاكتفاء بالتلميحات والتلويحات في غياب التأصيل العلمي، في زمن التخليط والبغي، فهي من باب إثبات الحضور لا إثبات الحق!

فمن أراد أن يجتنب الشبهات العلمية، ويعصم عقله من الحيرة المنهجية التي غلفت عقول الشباب بسبب تناقض الأقوال، ويجعل بينه وبين علم فقهاء أهل الحديث نسبا صريحا غير هجين، وكان من أهل الصدق الذين يحبون التثبت في النقل، و الإنصاف في المقال، و اعز الله قلوبهم بالحق فذاقوا طعمه، ورشفوا من حلاوته، وسكن صدورهم برد اليقين، وعرفوا ما في الجور على الناس من الذل والهوان عند الله، وما في الجهل بالحق من غربة وقلة، ولو كثر عدد المصفقين فيلزمهم الكلام عنهم بمنهجية تبدا بالكرونولوجية او الترتيب الزمني فنحن نعلم أنه قبل أن يصير الشيخ ربيع رأسا في السلفية لم يكن هذا المنهج موجودا مستقلا عن سلفية الألباني ـ رحمه الله ـ ومن تابع نقاشاته مع بعض السلفيين في مسائل التبديع و الهجر و التحذير يدرك أن البذور كانت تخمر في الرؤوس.

وكذلك من يقرأ أطروحة الشيخ ربيع للماجستير والأخرى للدكتوراه يدرك غاية الإدراك أن هذا المنهج ناتج عن سوء فهم كبير عند الشيخ ربيع لمنهج السلف وأئمة السنة.

كيف تم تنصيب الشيخ ربيع على رأس السلفية هذه قضية شارك فيها غير وأحد من شيوخ السلفية الذين تم التخلص منهم بعد ذلك أو ذاقوا وبال فعلهم.

والمذهب إذا كان مبنيا على قواعد وشبهات ومقالات نجدها عند المتقدمين المتأخرين عن عصر السلف ممن اشتهر بالشدة أو كان له مزاج وعيدي لا يمكن أن ننسب نشأته إلى أجهزة أمن معاصرة نعم يمكن أنهم نظروا في قدرات هذا المنهج على خدمة نظام الحكم في المملكة فوظفوه لكن البغي والحدة والشدة وفبركة التهم من أجل التجريح والإسقاط والاستعداء بالسلطان والنظر إلى حسناته دون سيئاته والهجر الجائر موجودة عند أفراد من المتقدمين على المدخلية بقرون وجمع أقوال هؤلاء في صياغة واحدة هو منهج المدخلية .

وحتى لا أطيل هنا أقول: من ناحية التأصيل العلمي لمنهجهم في النقد والهجر والتحذير لم يبتدع المداخلة مذهبا جديدا كما يحلو للبعض الاعتقاد بل كل قواعدهم يمكن أن نستخرجها من عند المتقدمين لكنها مقتطعة من سياقها وبدون قوابلها فهم عمدوا إلى جمع كل شاردة في كتب الجرح وغيرها تناسب نفسيتهم واعتقادهم وكونوا منها منهجا هجينا.

ومعلوم أن العلماء اختلفوا في مسائل النقد ما بين متشدد ومتساهل ومعتدل، ومنهم من بدع وهو في البدعة قد وقع، فإن لم يكن لنا أصل جامع نرجع إليه تهنا بين تضارب الأقوال، وشق كل متفوه قناة صب فيها رأيه وظنه ووهمه، وربما جهله، وأول الأصول وأهمها على الإطلاق رد ما تنازعنا فيه إلى الله ورسوله قبل أي أحد كائنا من كان.

ومن أراد تعرية وسائل تحنيط الحقائق في هذا المنهج فقد كتب فيه الناس مئات المقالات والكتب المتنوعة.

وعموم المداخلة ممَّن لم يحط علماً بمدارك الأحكام فهم وشيخهم بين متأوِّل ومعاند، لم يؤتوا تمييزا في مظان الاشتباه، ربما سحبوا ذيل المطلقات على المعيَّنات، والوعيد على الوعد، والمغفور له على الآثم، ومتبع الهوى على طالب الحقِّ؛ فهذا غلط ممكن ومحتمل، لكنه قبيح، لأنَّه يهتك حرمة المسلمين، ويسوِّي بين المؤمنين والفاجرين، وبين من قصدوا خدمة الدِّين، ومن قصدوا محو رسمه، وإبطال أصوله .

وعليه، فإنَّ الاضطراب في هذه الأصول هو سبب كلُّ هذا الهرج العلمي من تسلُّط الجهَّال على العلماء وطلبة العلم وحتى على عوام المسلمين وهذا شيء والقول بأنهم

فبركة مخابراتية شيء آخر غير صحيح بالمرة كما أن القول بأن في شيوخهم تجار تجريح وأصحاب مصالح مادية صحيح لكن تعميمه على جميع شيوخهم باطل يكذبه الواقع والمعلوم من حال بعضهم .
و التعريض و كذب المقدمات و تغيير المواقف و المذاهب ليس خاصا بالشيخ ربيع فهو فاش في أهل هذا العصر من كل الطوائف إلا من رحم الله و قصة الشيخ ربيع مع سيد قطب رحمه الله قليل من الناس من يعرف حقيقتها و تتبعها من البداية إلى النهاية فإن تاريخ و قصة هذا المذهب تتداخل فيها أمور و احداث سياسية كبرى و جور وقع على بعض العلماء قابله رد فعل و هكذا تتطور الأمور و تصير أشياء أخرى.
القول بأن المدخلية فبركة أمنية يغطي على هشاشة المتأخرين في تحقيق مكتنزهم العلمي.

رفض الحقائق المطلقة لأنها سبب الثبات والاستقرار والعمق ووضوح الهوية.

صناعة العيب!



تكلم ابن القيم رحمه الله في "المدارج" في مراتب الجود بكلام بديع وعندما جاء للمرتبة الرابعة مرتبة الجود بالعلم قال:
))ولقد شاهدت من شيخ الإسلام ابن تيمية -قدس الله روحه- في ذلك أمرا عجيبا كان إذا سئل عن مسألة حكمية، ذكر في جوابها مذاهب الأئمة الأربعة، إذا قدر، ومأخذ الخلاف، وترجيح القول الراجح، وذكر متعلقات المسألة التي ربما تكون أنفع للسائل من مسألته؛ فيكون فرحه بتلك المتعلقات، واللوازم أعظم من فرحه بمسألته وهذه فتاويه - رحمه الله - بين الناس؛ فمن أحب الوقوف عليها رأى ذلك. ((
ثم ذكر كيف حوَّل خصومه هذه الفضيلة إلى مذمة فقال:
))وكان خصومه - يعني شيخ الإسلام ابن تيمية - يعيبونه بذلك، ويقولون: سأله السائل عن طريق مصر - مثلا - فيذكر له معها طريق مكة، والمدينة، وخراسان، والعراق، والهند. وأي حاجة بالسائل إلى ذلك ((
ثم رد عليهم ابن القيم ببيت شعر جعله العوام عندنا حكمة :عندما لم يلحق عنقود العنب قال :حامض!

ماذا نفعل عندما لا يمكننا فعل شيء ؟

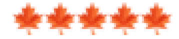


يقول "غنتر اندرس" صاحب كتاب "انتهاء صلاحية الإنسان" (زوج هانا أرندت) :"في مواجهة نهاية العالم [القوة القاهرة] تعلن أرواحنا الانسحاب !! "

بينما يقول النبي صلى الله عليه وسلم :" إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة فإن استطاع أن لا تقوم حتى يغرسها فليغرسها ". أخرجه البخاري ـ في الأدب المفرد ـ من حديث أنس .

سلطة من لا سلطة لهم على الواقع هي الثبات على قيمهم وبثها في الناس وفعل المقدور لهم لا ما يتمنون فإن ذلك أعلى الأفعال حينما تُخفَّض الحياة إلى المستوى النباتي (على وصف أحدهم).

التكيُّف !



لا يوجد ترجمة دقيقة لفلاسفة ما قبل الميلاد فأقدم كتاب ترجمهم كتاب"حياة و مذاهب الفلاسفة المرموقين" للشاعر ومؤرخ التراجم "ديوجين ليرس" والذي جاء بعد آخرهم بسبعة قرون؟!

ذكر بعض الباحثين فيه التالي:

كان "سقراط" ابن قابلة قوي البنية كبير العينين شجاعا في الحروب!

وكان "أفلاطون" طويلا قوي البنية له مهابة.

وكان "أرسطو" قصيرا بساقين ضعيفة، ابن قابلة توليد و طبيب له صلة الملوك!

ولم يكن من أبناء أثينا (ولد البلاد) ينادونه "الغريب !"

قالوا :كان عنده حس فكاهي؛ والمهم في أعراف المجتمع الاثيني لم يكن جميل الطلعة، ولا قوي البنية لتتوقف عنده العيون !

كما كان يتعتع أو على لسانه شعرة ! فحلق لحيته _ على خلاف العرف عند الإغريق _و ارتدى اللباس الملون والحلى ليتميز بشيء يثير انتباههم ويملأ أعينهم .

ليقبل " أبناء البلد "على توليه مدرسة شيخه أفلاطون!

المتكيفون مع الوضع لتحقيق المآرب من قديم الزمان، وقد يكونون نوابغ في فكرهم!!

حامل لواء الجرح والتعديل وسيد قطب (؟!)
قصة مدخلية السلفية(2)



لما بدأ تلاميذ "محمد قطب" ـ رحمه الله ـ من السعوديين [النجديين عقيدة] التهجم على الشيخ الألباني ـ رحمه الله ـ واتهامه بالإرجاء (!)وكانوا آنذاك شبابا محاولةً منهم لجر التيار السلفي الذي كان تحت تأثير قوي جدا للشيخ الألباني للحركية السياسية وقع الشق والانشقاق فتولى الشيخ ربيع الدفاع عن شيخه الألباني.
والشيخ ربيع بحسب المجالس الخاصة والكلام المباشر على عقيدة النجديين يكفر بالمسألة النظرية "ترك جنس العمل" وكان حسن الظن بسيد قطب ـ رحمه الله ـ كما تجده في الطبعة الأولى من كتابه " منهج الأنبياء" لكن المسألة أخذت أبعادا أخرى لما كان القصد منها إسقاط الألباني وهو جبل له أصحاب وأتباع كثر لا يسقط في هدوء، وليسوا في منزلته العلمية وقوة دعوته ليتم لهم ذلك.
وربما لهذا كان الشيخ ربيع يكتب في قضايا الأسماء والأحكام (الإيمان) تحت اسم مستعار كما أشار إلى ذلك رفيق دربه والرجل الثاني في "مداخلة السلفية "فالح الحربي" ـ رحمه الله.
المهم اجتمع لدى الشيخ ربيع سببان لمهاجمة مهاجمي الشيخ الألباني:
السبب الأول: الدفاع عن الألباني، وفي هذه كان مصيبا، فإن كلام مهاجميه من قبيل توليد البغلة(!)
وربما قد لخص الشيخ الدكتور العقل هذا الأمر حينما قال: " ليس كل من رمي بالإرجاء فهو مرجئي ، لاسيما في عصرنا هذا ، فإن أصحاب النزعة التكفيرية ، وأهل التشدد سواء ممن كانوا على مذهب الخوارج أو من دونهم من الذين يجهلون قواعد السلف في الأسماء والأحكام أقول: إن أصحاب هذه النزعات صاروا يرمون المخالفين لهم من العلماء وطلاب العلم بأنهم مرجئة ، وأكثر ما يكون ذلك من مسائل الحكم بغير ما أنزل الله ، ومسائل الولاء و البراء ونحوها{...} بل من الجدير بالتنويه أن بعض طلاب العلم الكبار الذين كتبوا في مسائل التكفير في هذا العصر رموا بعض المخالفين لهم في التوجهات بالإرجاء في مسائل خلافية عند السلف ، ولا تدخل عند التحقيق في أصول الإرجاء.}(121(
ومعروف من يقصد العقل بكلامه هذا، وقد كتبنا في نقده بحثا كبيرا بعنوان " ظاهرة التكفير في الفكر الإسلامي المعاصر."
وبها استحق الشيخ ربيع تلك الكلمة من الألباني.

السبب الثاني: مذهب مهاجمي الألباني السياسي وموقفهم من حرب الخليج الأولى، وهنا التقت وتقاطعت الفزعة للألباني مع مصلحة النظام السياسي مع القناعة الشخصية بخطورة التوجه الجديد بحسب ما دفعته الأحداث هذه لإعادة القراءة والتفكير.

ومن ينظر فيما كتبه الشيخ ربيع عن "سيد قطب" يدرك أنه لم يتعرض له في جوهر فكره أو لم يناقش الفكر فالشيخ ربيع سطحي جدا لا يملك مؤهلات التعمق والسبر والتصنيف وبناء التصورات، وقد وصفه وصفا دقيقا الشيخ عبد الرحمان عبد الخالق ـ رحمه الله ـ.

كذلك وهو الأهم والدافع المباشر كان غرضه ضرب مرجعية خصومه على طريقة من يريد قتل كلبه يقول عنه: هو مكلوب !

فردوده على سيد قطب الكتابية سطحية جدا الغرض منها إسقاط "سفر الحوالي" و"سلمان العودة" وهذه المجموعة، وكل من يذكر سيد قطب في مرجعيته لأنه سيبني عليه سؤال الامتحان: ما قولك في سيد قطب؟ ! والذي ظل فعَّالا إلى أن ارتد السلاح على صاحبه فشتتهم شذر مذر !

يقول في كتابه "سيد قطب هو مصدر تكفير المجتمعات الإسلامية": فهذا المنهج يزعم أنه يدعو إلى حاكمية الله، وهو يحمل في طياته الرفض لحاكمية الله في العقائد والعبادات وفي طريقة الفهم للنصوص القرآنية والنبوية ويحمل في طياته رفض الرجوع إلى الله ورسوله في قضايا الخلاف."

وهكذا لكون سيد قطب مرجعية لسفر الحوالي وسلمان فهد العودة والتيار الحركي السلفي في تحليل واقع المسلمين وقضية الحاكمية والجاهلية المعاصرة وكذا أمور _ هم في الحقيقة أقدر منه تأصيلا علميا لها _ أخذ سيد قطب عند الشيخ ربيع منزلة الجهم بن صفوان عند أهل السنة كقاعدة تمثال التعطيل، وسيد قاعدة تمثال الحركية السياسية والتكفير!

ومعلوم أن موقف المؤسسة الدينية السعودية الرسمية من سيد وربما يمثلها هنا بكر أبو زيد وابن جبرين ـ رحمهما الله ـ واللجنة الدائمة كان إيجابيا محمودا فلو كانت قضية أجهزة أمنية ـ كما يصوره الهواة لأن الحجوري رأى في مجلس الشيخ ربيع صهره (زوج ابنته) وكان عقيدا في المخابرات السعودية ـ لما هاجمه الشيخ ربيع صراحة فإنه بمثابة الهجوم على "الدرر السنية!"

مع النظام الجديد في المملكة كان هذا التخمين سيكون أقوى لكن في ذاك الزمن فلا . هنا قام الانتماء إلى جماعة والوفاء الى شيخ ـ الذي سيتغير بعد اندلاع المعركة مع أصحاب الألباني الشاميين ـ ومتطلبات الرئاسة على التيار، والفقه السياسي السني

المقتنع به كما يتصوره، والتوظيف السياسي بالإيعاز الخفي والتشجيع بتجاوز الموقف العقدي/الفقهي الباطني .

ومعلوم أن المعركة الأولى الداخلية في السلفية بعد المعركة مع "الحركيين" و "السروريين "و " القطبيين"كما يسميهم أشعلها الشيخ ربيع مع الشيخ "عدنان عرور" وموضوعها كان الموقف من سيد قطب تضلله أم لا تضلله؟ إذ صار عندهم رمزا على الإخوانية السياسية وقلب أنظمة الحكم وتمييع منهج السلف(!)

ثم تسلسلت عمليات الاغتيال العلمي بالمغراوي والماربي وغيرهما ،وكلها كان محورها بالأساس سيد قطب أو الموقف من الموقف من سيد قطب!

ومعلوم أن الألباني كان محدثا متقنا قضى حياته وهو يخالف الحافظ وابن معين والذهبي وابن ابي حاتم والبخاري. الخ في أحكامهم على الرجال عندما يقتضي ذلك السبر والتحقيق وهؤلاء جهابذة وأئمة الأئمة في الجرح والتعديل، وبالتالي لم تكن كلمته ذات دلالة تزكية وترشيح لمنصب رياسة السلفية فهذا لا يعتقده مبتدئ في علم الحديث بل مجرد إخبار عن دور يقوم به الشيخ ربيع هو النشاط في نقد شخصيات الدعوة الإسلامية الطبيعي في الأدبيات السلفية الحديثية مع مخالفته له في الطريقة وحتى في الحكم فموقف الألباني من سيد قطب مخالف تماما لموقف الشيخ ربيع .

نحن نعرف كلام الألباني عن "حسن البنا" في لقائه مع حامد الفقي، وكلامه عن سيد قطب في" مختصر العلو"{ص:58} وعن المودودي في "الضعيفة"{175/1} وفي "سؤالات أبي العينين"

بل في شريط " من حامل راية الجرح والتعديل في العصر الحاضر" يخالفه في موضوع " الموازنة" عندما يقسم الكلام في نقد الرجال إلى ترجمة تاريخية تقتضي الموازنة وإلى كلام من أجل التحذير.

والمهم أنه يخالفه في مسائل كثيرة منها " الهجر والتحذير" أكبر مسائل السلفية التجريحية المنهجية، وكذا في الترحم على اموات المسلمين المخالفين وغيرها.

والذي لم ينتبه إليه الألباني ـ رحمه الله ـ هو أن عوام السلفية لن يفهموا هذه الكلمة العلمية الأكاديمية على وجهها، وأنه عندما ستستعر حرب القيادة ستستغل في اتجاه آخر لم يقصده هو ولا دار بخلده !

نشوء المذاهب وتطورها أمر معقد مركب وتدخل فيه عناصر كثيرة علمية ونفسية واجتماعية وسياسية ليس من السهل على من لم يبذل جهدا في دراسة الأدبيات والتأصيلات ونقاط التقاطع والاختلاف والانفصال أن يتتبع خيوطها، وطلب السهولة في ذم الشيخ ربيع وأتباعه لن يساهم في حل شيء، ولا في إقناع أصحاب العقول فيهم.

التسوية من الأسفل(!)



درس الخبراء الغربيون حالة السوشل ميديا وكم التجهيل الذي يتحرك فيها ،ووجدوا أن الخبراء الذين ينشرون عليها مقالات أو أي حامل آخر يعانون مع غير الخبراء، وسموا هذه الظاهرة "التسوية من أسفل" أي: تسوية فارق المستويات من أسفل حيث يجذب الأدنى مستوى الخبير إلى قاع جهله.
لذلك ستجد أن المعرفة أصبحت في المجموعات المغلقة حيث هناك نوع تكافؤ في مستوى النقاش.
لكن الدعوة إلى الله يجب أن تتجاوز هذا العيب في هذه المواقع وتستمر في استغلالها مع بعض الضوابط يلتزم بها الناشر فيها أهمها :لا يناقش إلا من وجد فيه كفاءة للنقاش، و يترك حرية للمعلقين فليس شرطا أن يجيب على تعليقاتهم.
بالنسبة لي في الغالب أكتب مقالات طويلة نوعا ما، وفي شكل سلسلة، وهذا النوع لا يناسب السوشل ميديا لذلك سانتقل إلى الموقع الذي أشرت إليه مع خاصية الإعلان عن المقال هنا وتنزيل النبذ المختصرة إن شاء الله تعالى.
فهذا القرار يخص المقالات فقط اما الانطباعات والماجريات فسنستمر عليها هنا.

ابن تيمية في أعين بعض المشتغلين عليه؟



الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله.
دار هذا السؤال في مجلس إلكتروني جمع بعض طلبة العلم: " أين بلغ ابن تيمية ذروة العبقرية العقلية وقمة الإيمان العلمي في كل الموضوعات التي كتب فيها؟."
بطبيعة الحال ومنطقيا سينظر كل واحد من المشاركين لهذا السؤال من زاوية الإشكال الذي يعاني منه والذي وجد جوابه عند ابن تيمية، أو سينظر إلى المسألة التي قلبت موازين التفكير عنده، أو نقلته من عالم معرفي كان يعيش فيه إلى عالم آخر حيث وقع له تغيير جذري، فهذه الأجوبة تعبر عن انطباعاتنا من قراءة ابن تيمية لا غير.

أجاب أحدهم بقوله: "أظن في جوابه على الرازي في درء التعارض ‹‹وهو يقصد مسألة تعارض الدليل العقلي مع النقلي وكون الأدلة السمعية تفيد اليقين.
ومسألة " موافقة العقل للنقل" مسألة عظيمة إذ يعرف كلنا ما جنته الأدلة المحسوبة عقلية على الملل وعلى الشريعة الإسلامية فهنا أحدث ابن تيمية ثورة عارمة في المفاهيم وأعطى العقل قيمته الحقيقية ومنزلته وهي فهم الوحي وأنه خلق وسخر لذلك فلا يناقض الخلق الأمر.
ولهذا يرى كثير من قراء ابن تيمية قديما وحديثا أن أعظم مؤلفاته عبقرية كتاب "درء تعارض العقل والنقل."
وأجاب آخر: ميزة بن تيمية مقارنة بعصره هو تحليله للأفكار واستلامها من الوحيين، لم أكن أقدر هذا حتى بعد حضور الدروس لسنوات، بديت نلاحظ أن بن تيمية يفرغ الجهد في عمق الفكرة ويستذكر كل الأدلة الشرعية في الباب بينما علماء معاصرون له كلاسيكيون لا يتتبعون أصول الأفكار ولوازمها."
وهنا وقف هذا المجيب عند ثلاث قوى في العقلية التيمية:
الأولى: القدرة الفائقة على التحليل إلى أصغر المكونات ثم تكوين التوليف.
الثانية: معيار التقييم لأي فكرة الاعتبار بالوحيين.
الثالثة: الاستيعاب المنهجي للتحقيق العلمي .
في الحقيقة الذي يقضي وقتا مع مؤلفات ابن تيمية يجد عند الرجل عناية بتفكيك والتعرف على البناءات الذهنية لتفكير المخالف، لا يهمل تحديد دوافع النفس الإنسانية، وقوي جدا في الحفرالأركيولوجي عند السلف لكن دائما مع العودة للحاضر والقيام بالتعديلات اللازمة ولعل أهم مثال منهجي/علمي على هذه الخاصية هو عندما حدد منهج السلف العلمي لما قال :
))وهذه طريق أئمة الهدى تجد " الإمام أحمد " إذا ذكر أصول السنة قال: "هي التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم")) لأنهم النقلة والشهود والمتعاملين مباشرة مع المصدر كما يشكلون السياق والمجال التداولي الأول.
ثم قال: ((وكتب كتب التفسير المأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين، وكتب الحديث والآثار المأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين، وعلى ذلك يعتمد في أصوله العلمية وفروعه حتى قال في رسالته إلى خليفة وقته " المتوكل ": لا أحب الكلام في شيء من ذلك إلا ما كان في كتاب الله أو في حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو الصحابة أو التابعين فأما غير ذلك فالكلام فيه غير محمود)).

كأن الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ حدد المستوى الطبقي الذي تتوقف عنده الموثوقية العلمية ووصفه ما قبله بالمحمود وما بعده بأنه غير محمود، يعني: اعتماده كأصول يفرع عليها العالم ويتخذها مذهبا، لا يعني عدم وجود علم وصلاح بل هذا وصف للمجموع وليس للأفراد .

ثم قال: ((وكذلك في " الزهد " و " الرقاق " و " الأحوال " فإنه اعتمد في " كتاب الزهد " على المأثور عن الأنبياء صلوات الله عليهم من آدم إلى محمد ثم على طريق الصحابة والتابعين ولم يذكر من بعدهم)).

يقصد أنه بعد هذه الطبقة بدا الانحراف في السلوك واتخاذ لباس الصوف وتجريد الكلام في الذوقيات.. الخ.

ثم جاء إلى المسألة الكبرى " المرجعية العلمية فقال: ((وكذلك وصفه لآخذ العلم أن يكتب ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم ثم عن الصحابة ثم عن التابعين. ـ وفي رواية أخرى ـ ثم أنت في التابعين مخير.

وله كلام في " الكلام الكلامي ". و " الرأي الفقهي " وفي " الكتب الصوفية " و " السماع الصوفي."

يقصد أن هذا الضابط او التحديد المرجعي يؤرخ لبداية الانحراف عن نهج السلف في الكلام الفلسفي والآراء الفقهية والأحوال السلوكية، فهذه المعاينة والحفر الطبقي ثم تأتي العودة إلى الحاضر حاضر ابن تيمية وحاضر كل من جاء بعد فترة السلف وحاضرنا نحن أيضا فقال :

))ليس هذا موضعه يحتاج تحريره إلى تفصيل وتبيين كيفية استعماله في حال دون حال)). مجلد السلوك.

يقصد أن كلام الإمام أحمد على صحته وصوابيته ودقة مراميه يحتاج استخراج كل ما فيه من علم إلى ضبط، وانه لا يصلح لاستعمال في كل الأحوال في التقييم والحكم به، ثم يذكر الأسباب والقاعدة الشرعية التي بموجبها يجب أن نقيد كلام الإمام أحمد فقال :

))فإنه ينبني على الأصل الذي قدمناه من أنه قد يقترن بالحسنات سيئات إما مغفورة أو غير مغفورة، وقد يتعذر أو يتعسر على السالك سلوك الطريق المشروعة المحضة (التي أخبر الإمام أحمد عن مرجعيتها) إلا بنوع من المحدث لعدم القائم بالطريق المشروعة علما وعملا فإذا لم يحصل النور الصافي بأن لم يوجد إلا النور الذي ليس بصاف وإلا بقي الإنسان في الظلمة فلا ينبغي أن يعيب الرجل وينهى عن نور فيه ظلمة إلا إذا حصل نور لا ظلمة فيه وإلا فكم ممن عدل عن ذلك يخرج عن النور بالكلية إذا خرج غيره عن ذلك؛ لما رآه في طرق الناس من الظلمة((

كلامه هنا واضح لا يحتاج إلى تفسير وقد بحثه في كتابه " الاقتضاء" تحت عنوان "مراتب الأعمال حيث ذكر الواجب في حق النفس والواجب في حق الغير، و باختصار هو يخبرنا انه بعد الفترة التي حددها الإمام أحمد بدا الانحراف في براديم المسلمين المعرفي و السلوكي و السياسي وهذا تجده مفصلا عنده في كتاب" الخلافة و الملك " و انه لو عملنا بكلام الإمام أحمد بإطلاق لم يسلم الكثير ووقع الذم و جرد الناس من النور ولو كان معه بعض الظلمة إذ بعد تلك الفترة لم يكن بالوسع إلا حسنات مقرونة بسيئات ولا يكلف الله نفسا إلا وسعها فإن غاب القائم بالطريقة المشروعة علما و عملا فمن أين للناس تجاوز العوائق المعرفية فمن قدر على نور بلا ظلمة = علم وعمل بدون بدعة فهو الأولى ومن لم يقدر فلأنه يتعذر و يتعسر عليه الطريق المشروع.

المهم ليس هذا موضوع تفصيل هذا الأصل الذي يحدد المرجعية الصافية وفي الوقت نفسه يؤسس للعذر المعرفي وطريقة التعامل بين المعلوم وبين المقدور عليه؛

ومقصودي بيان قوة الشيخ رحمه الله في الحفر عند السلف لكن دائما بالعودة إلى الحاضر والقيام بالتعديلات اللازمة المستمدة من الشريعة.

يذيب ابن تيمية الإشكالات العلمية بالعمل على المصطلحات واعتباراها باللغة الشرعية واللغة العادية ويطارد الغياب الابستمولوجي (النسق المعرفي) عند المخالف، و يتتبع الثنائيات، و ينتبه للتضاد و التناقض، لا يسلم بالأحكام المسبقة و الأصول الموضوعة، و يكشف الإشكالات المصطنعة بالتمييزيين العلل و العلاقات، مع عناية و نفس طويل في التصنيف و التحديد و التعريف ،قوته الحجاجية في دقة الانتباه للاستدلال بدون تسلسل منطقي الذي أصَّل له في بحوثه في التلازم كشرط أساسي في قوانين الاستدلال، وبذلك يرسم شبكة التصورات و يحدد العين التي شرب منها المخالفون للرسل و للسلف.

وهو ممتار في التفكير خارج المذهب وبالتحليل النقدي للتفكير لأنه يفكر بطريقة منظومية.

وهو كثير التأكيد في العلم او في العمل على الوعي الأخلاقي، ويعمل بمبدأ الكف عن الانتظار والمبادرة إلى الفعل بالمتاح الممكن كما نجده في " رسالة الحسبة" و " الامر بالمعروف" وفي سلوكه الشخصي مع الملوك والمخالفين وفي الحروب مع المغول.

وأجاب ثالث بالتالي: "النبوات" و"الرد على المنطقيين" من الكتب التي جمع رحمه الله جانباً كبيراً من الأدلة العقلية النقلية ورد بها على كبرى المذاهب الفكرية والفلسفية

وذكر مع ذلك ما يلزم من اتباع النبي والالتزام بسلوكه الشرعي (العبادة وما يلزم من ترابطها بأعمال القلوب)

هذا الجواب غائر في فهم المشاكل المعرفية التي وجد ابن تيمية الأمة تتخبط فيها وهنا انتباه مفصلي إلى محور كل القضايا الدينية ومصدر كل البلاء الذي دخل الأمة وهو تحقيق مقام النبوة فإنه أعظم أبواب الدين خطورة إذ النبوة هي الصلة وقاعدة التمثال التي تحمل كلمة الله إلى البشر وهي تجسد الصورة الإنسانية الممثلة لمراد الله من الناس في القرآن.

إضافة إلى مبحث خصائص الدليل وشروطه فإنه سبيكة ذهبية لا نظير لها أو العين التي يتفجر منها نهر قوانين الاستدلال الفطري والشرعي.

وأما " الرد على المنطقيين" فإن قيمة المنطق الأرسطي عند جميع أمم الأرض ودوره في فساد الملل نقده وحده كفيل في رفع مصف هذا الكتاب فإذا انضاف الى ذلك معالجة كبرى القضايا الفلسفية كمسالة " الماهية " و " الكليات " مع ما احتواه من الرؤية الكوزمولوجية الشرعية للكون فهذا أمر آخر.

وأجاب رابع بالتالي: ابن تيمية بنى نظرته المعرفية لحال البشر مع دين الله على ثلاث نقاط:

(1ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب = أي أن كمال صفات الله عزّ وجلّ وكون الرسول صلى الله عليه وسلم هو خاتم الرسل يستلزمان حتماً كمال مصدرية الوحي وكمال استدامته كمرجعية ثقافية (نظرة وجودية، اعتقاد في الخالق، سلوك، حكم على أمور الدنيا = فقه) إلى أن يرث الله الأرض ومن عليه، فهو المجيب لكل الأسئلة.

(2وهي تفرع أو إسقاط إنساني للنقطة واحد وللآية ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب، فالصحابة وباقي السلف من بعدهم كمل علمهم -كطبقة- للوحي، واستخلاصاتهم من الوحي أكمل الخلاصات، واستخلاصاتهم هي نتيجة تفاعل الإنسان (علماً نظريا في معرفة الله أي العقيدة ومعرفة الدنيا أي الفقه، وسلوكاً تعبدياً أو معاشياً) المحمل بالوحي مع واقع لم يكن فيه النبي حياً، فثقافة السلف (النظرية والسلوكية والاجتماعية) هي أكمل الثقافات الإنسانية لأنها ألصقهم بالوحي.

(3باقي الثقافات (نظرية وغيرها) تحاكم إلى النقطتين الأوليين، أو بالأحرى تسائل النقطتين الأوليين وهما تجيبان. فعلى عكس غيره من أهل الحديث، ابن تيمية لم يستمسك بالنقطتين الأوليين فقط، بل جعل الثقافات التي خالطها المسلمون وبدلوا بها الدين، تسأل والنقطتان الأوليين تجيبان أي جعلهما في مكان المعلم كامل العلم ورفيع

السلوك مقابل إنسانٍ يجرب يصيب حيناً ويخطئ أحياناً. وهذه المسائلة هي التي سمحت له بصياغة إجابات بلغة عصره لكن بعلم السلف.
وهذا ـ حقيقة ـ تلخيص ممتاز لسلفية ابن تيمية في ثلاث نقاط مع ترابط وتوارد النقطتين الأوليتين على الأخيرة ببراعة يمكن ان نلخصها كالتالي: لا توجد معرفة معصومة إلا الوحي وإن كانت المعرفة الضرورية كذلك إلا أنها وحدها مجملة لا تجيب عن الحقائق الإلهية والشرعية ولأن الغاية من العلم العمل، وحملة هذه المعرفة توثيقا وفهما هم السلف، وكمال العلم والعمل عندهم فهم النموذج والمدخل إلى المعرفة الشرعية.
وأجاب الأخيربالتالي: مما كتبه ابن تيمية وأجاد فيه هو في كتابه "الخلافة والملك" وكيف فك شيفرة بداية انحراف الامة واستخراجه لبراديقم الآخرة. والله واعلم
هذا الجواب يمكن أن أصفه بأنه ضبط إضاءة فكل الأجوبة السابقة كانت إضاءات وعبارة عن مصابيح فضبط هذا الجواب إشعاع كل مصباح أو ذهب لمصدر الطاقة إذ أن الجواب عن أسباب انحراف الأمة ليس سهلا وهو متفرع كثيرا تناول كل جواب سابق شقا منه، وكل أجوبة هؤلاء الأفاضل منهجية بدون استثناء وهذا الجواب هو أس القضايا المنهجية: أسباب الانحراف هو ضياع البراديم الأخروي فإذا أردنا ترتيب كل هذه الأجوبة لوضع منهج معرفي كامل لابد أن نبدأ بهذا الجواب فهو الأس وقاعدة التمثال الكبرى = الانحراف عن براديم الآخرة كان وراء الانحراف المعرفي و السلوكي و السياسي.
الخلاصة :
كل ما ذكره هؤلاء الأفاضل يصلح أن نتمسك به كأعلى إنجاز معرفي لابن تيمية فكل أعماله المنطقية والكلامية والفلسفية والفقهية والسلوكية كلها تظهر عبقريته الفذة.
ومع ذلك فإن كل هذه الأجوبة قضايا منهجية وأنا كنت أبحث عن القضية الموضوع. بالنسبة لي الاستاذية الكبرى عنده حيث تتجلى عبقرية المؤمن الجامع بين عمق الفهم للقرآن ومقتضيات مقام النبوة المعرفية مع القدرة العقلية على السبر والتحقيق هي فيما كتبه عن الغاية من الرسالة الإلهية النبوية حيث يلتقي ويمتزج التوحيد الخالص (إخلاص الدين لله) مع فهم القدر فإنه حل هنا إشكال الإشكالات وفتح قفل الرؤية الوجودية: الغاية من الخلق والقوة التي تحرك الوجود وحقيقة الإنسان.
لا يوجد مسألة أعظم ولا أشرف ولا أعلى من عبودية الله مخلصين له الدين، ولا يوجد من أبدع في بيان التوحيد وأسراره السلوكية، ومعرفة الله وطرائقها وخزائنها عقليا وشرعيا وعمليا من خلال مبحث مشهد القدر وما تضمنه من مسائل بديعة في الإرادة والمحبة والحكمة والفرق بين الأمر والخلق وغيرها.

وهذا الأمر يجمعه قوله: " لَكِنَّ أَوَّلَ الدِّينِ وَآخِرَهُ وَظَاهِرَهُ وَبَاطِنَهُ هُوَ التَّوْحِيدُ، وَإِخْلَاصُ الدِّينِ كُلِّهِ لِلَّهِ هُوَ تَحْقِيقُ قَوْلِ لَا إلَهَ إلَّا اللَّهُ" وهو لا يتم إلا بتجريد الاتباع للنبي صلى الله عليه وسلم.

ولم أجد من أجاب عن سؤال: هل الإنسان مسير أو مخير (الجبر والاختيار)؟ بجواب عقلي مقنع موافق للنصوص ضمن مذهب أهل الحديث والسنة مثل ما اجاد به ابن تيمية.

وإذا شئت قلت: التوحيد والقدر، أو الغاية ونظامها، أو معرفة الربوبية وفهم الألوهية عقلا وقلبا قولا وعملا.

لماذا اخترت هذا الموضوع؟ إضافة إلى الأسباب السابقة لأن كل المخالفين للرسل تعتمد مقالتهم التعطيلية في اختراع مفهوم للـ" الواحد" مخالف لمفهوم القرآن والسنة فإن ضربت هذا المقالة والتي تعتمد على حجة " التركيب" سقط كل بنياهم الكلامي والفلسفي فهي أم المسائل.

ثانيا: أعظم مسألة يقف خلفها تكذيب الرسل أو تأويل كلامهم تأويلا باطلا في مسائل الصفات الاختيارية هي " قيام الحوادث " وهي لازمة لجميع الطوائف والملل فالقضية الكبرى تدور بين متعلق فعل الله بذاته وفعله بخلقه.

وعليه فكل الأجوبة التي ذكرها هؤلاء الأفاضل إنما هي تحقيق منهج وتصحيح منهج وبناء براديم لأجل هذه الغاية: تحقيق التوحيد ضمن نظام القدر (أفعال الله ومشيئته).

وابن تيمية هذا لا يعرج عليه الكثير إلا ربما في مبحث الوجود والماهية عند الاتحادية فمن لم يعرف ابن تيمية هنا لم يعرف جوهر القضية التي عاش من أجلها الرجل.

في العنوان الحدود الجغرافية للعقول 😁

عقيدة المالكية وفقههم (؟!)



يهاجم بعض الناس الشيوخ السلفيين الذين عندهم عناية بمذهب مالك _رحمه الله_ تحت ذريعة أن المالكية أشعرية واللازم في هذا العقل المتأزم أن الأشعرية يملكون حصرية المذهب المالكي !

فاولا لم يصبح المالكية أشعرية إلا بعد الدولة الموحدية التي قتلت القاضي والفقيه المالكي "القاضي عياض" رحمه الله لأنه رفض الإقرار "بعصمة ابن تومرت" وتزكيتها، ورمت جثته في مزبلة النصارى؟!(سير أعلام النبلاء)

هل اللازم بحسب هذا العقل المنتكس أن المالكية قبل هذه الدولة يلعنون المالكية بعد هذه الدولة !

ثانيا : القيمة العليا في المذهب المالكي هي الإمام مالك _ رحمه الله _ ولم يكن أشعريا لا هو ولا قدماء أصحابه من رفقته ومن المؤسسين للمذهب بل كان على عقيدة أهل الحديث والسنة قبل أن يخلق الأشعري واتباعه!
وعقيدة مالك كتب عنها ابن أبي زيد القيرواني _رحمه الله _ وذكرت متفرقة في كتب الحديث والتفسير والفقه.
وكتب عنها من المعاصرين الشيخ "محمد المغراوي " والشيخ "سعود الدعجان. "
السلفية _ بعيدا عن هوس التهويل والتهوين _ لا يختلفون في جواز التمذهب بحسب القدرة كأي تكليف، و إنما عند بعضهم لا يقبلون حصر وتعيين الإمام المتبوع لأن له تداعيات معرفية وعملية سلبية .
و السلفية لا علاقة لها بالتمذهب إلا في مباحث اصولية معينة تخص تعيين الامام المتبع فلم يزل في السلفية علماء من كل المذاهب الفقهية.
والإمام مالك عندهم من كبار أئمة السنة إلا أنهم بخلاف غيرهم لا يمدحون عقله في الفقه والأحكام ويهملونه في أصول الدين.
وربما ما كتبه ابن تيمية عن منزلة مذهب مالك و أصوله يعطي طالب المعرفة بدون نعرة تافهة نظرة علمية على هذا الكلام.

العمى الأيديولوجي والعلمي(!)



الأيديولوجيا ليست شيئا مذموما كما في ثقافة الغرب فإن العالم بدونها عالم نسبيات ولا شيء فيه حقيقي متفاضل بل الكل بنفس القيمة الخير والشر، الفضيلة والرذيلة !
الأيديولوجية فكرة أو مجموعة أفكار نعتبرها حقيقة يقينية نفسر بها الأحداث أو العالم لا نقبل نقاشا فيها فتصبح دغمائية بالمعنى الحداثي وتسبب "العمى الأيديولوجي !"
وقياسا : الفكرة التي تسيطر على التفكير وتمنع النظر إلى الحقائق الأخرى عقلية أو واقعية لماذا نبتلى بها ؟
أحيانا الواقع واضح يعلن عن نفسه ويمكن استشراف نتائجه بسهولة ومع ذلك تجرفنا الفكرة المسيطرة على رؤيتنا النظرية بعيدا عنه !
يبين القرآن أنه من أعرض عن اتباع الحق الذي يعلمه تبعا لهواه أورثه ذلك الجهل والضلال كما في قوله تعالى :{فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم}
هذه الآية ومثيلاتها أصل في فهم القدر لكنها كذلك تفسر أصل "العمى العلمي" الذي يصاب به الأذكياء ونظار العلم إذا حصل لهم علم من قبل وخالفوه لهواهم !

ولهذا قال من قال من السلف كسعيد بن جبير :إن من ثواب الحسنة الحسنة بعدها، و إن من عقوبة السيئة السيئة بعدها.. التأصيل في "التحفة العراقية."
ولعل هذا يفسر لنا كيف ضل أقوام عندهم قوة عقل، ووقع آخرون في أقوال ضعيفة بادية الضعف!

إذا اعترضت فليكن بأمر فقهي أو علمي لا بإطلاق لفظي أو باصطلاح خاص!

الفلاسيف والمفاليس (!)

عندما يصل الفلاسفة إلى طريق مقطوع بتناقض أو استحالة ينحتون مصطلحا جديدا يلحمون به مقالاتهم في الهواء!
وعندنا بعض القوم عندما يعجزون عن التعامل بعلم وهدوء مع مخالفيهم ينحتون لهم أسماءً تشبع كراهية نفوسهم !
وكما قيل :"لا نعرف إن كان المدح صادقا لكننا متيقنون أن المسبة من القلب!!"

لتتجاوب مع تفاعلات آراء الفيسبوكيين تحتاج إلى رأس "هيدرا" [كائن أسطوري بتسعة رؤوس!
و يبقي فعل المقدور شرفا لنا

في الباحة الخلفية للمذهب الأشعري(1)


المقدمة
الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.
في تقديري النقاش الكلامي هذه الأيام في الأدلة التفصيلية بدون فائدة، وقراءة المهتم بقضايا الأسماء والصفات وما يتبعها للعلماء المتقدمين ادعى لإقناعه من كلام المعاصرين فان لم يقتنع بالمتقدمين فلا دواء له!

سنحاول في هذه السلسلة عن المذهب الأشعري العبور الي الخلفية الحقيقية لهذا المذهب حيث نستهدف الجذور ونقف عند كرونولوجيا المذهب: النشأة والتطور بشيء من اجتماعيات المعرفة وتاريخ المذهب، وتاريخ أو أصل الأفكار الأشعرية، ودرجات الاختلاف فيه، وطبيعة الحجة الكلامية وإجراءات الاستدلال عندهم .
من البدايات الأولى عانى الأشعرية من مقاومة ومدافعة داخل المذاهب الفقهية على وجه الخصوص الشافعية وتوابعهم المالكية (أشعرية المالكية عالة في الكلام وأصول الفقه على أشعرية الشافعية تتلمذوا لهم، وقبلهم لم تكن عندهم دراية بهذه العلوم كما يشهد بذلك غير واحد من علمائهم؟!
قال ابن خلدون: ((وأما المالكية فلا ذكر لهم لا بين هؤلاء ولا بين أولئك، أي: المتكلمين والفقهاء))
وقال: ((تآليف الحنفيّة والشّافعيّة فيه أكثر من تآليف المالكيّة لأنّ القياس عند الحنفيّة أصل للكثير من فروع مذهبهم كما عرفت فهم لذلك أهل النّظر والبحث، وأمّا المالكيّة فالأثر أكثر معتمدهم وليسوا بأهل نظر وأيضا فأكثرهم أهل الغرب وهم بادية غفل من الصّنائع إلّا في الأقلّ، وللغزاليّ رحمه الله تعالى فيه كتاب المآخذ ولأبي بكر العربيّ من المالكيّة كتاب التّلخيص جلبه من المشرق. ولأبي زيد الدّبّوسيّ كتاب التّعليقة ولابن القصّار من شيوخ المالكيّة عيون الأدلّة))
أشار بعض الباحثين إلى أن علم أصول الفقه لم يكن نافقا عند المغاربة بسبب بعض الانتقادات في مناهج التعليم التي أخذوها عن ابن خلدون وأبي بكر بن العربي وغيرهما حتى قال بعضهم: ((مما أسقط الفكر الشرعي بالمغرب في ضرب من الاجترار للمسائل الفرعية وانصرفت الهمة إلى مجرد الاشتغال بها شرحا واختصارا ووقع الابتعاد عن روح الاجتهاد والكشف))
ووصفهم القاضي عياض ((بقلة استعمالهم النظر، وقلة تحققهم به))
وقال ابن العربي (آراء ابن العربي الكلامية): ((فإن ظهر عندهم من له معرفة أو جاءهم بفائدة في الدين وطريقة من سلف الصالحين وسرد عليهم البراهين غمزوا جانبه وقبحوا عجائبه وعيبوا حقه استكبارا وعتوا وسعوا في إخماد ذكره وتحقير قدره وافتعلوا عليه وردوا كل عظيمة إليه)).
وذكر الحسنُ اليوسي في (محاضراته) عن ابنِ الفضلِ النحويِّ أنه لما دخل سجلماسة وجعل يُدرِّس أصول الفقه مر به عبد الله بنُ بسَّام أحد رؤساء البلد فقال: "ما العلم الذي يقرؤه هذا؟ فأخبروه فقال: هذا يريد أن يدخل علينا علوما لا نعرفها وأمر بإخراجه."

وألحق ابن رشد الحفيد فقهاء زمانه بمرتبة العوام وجعلهم عموما من أبعد الناس عن علم أصول الفقه وأقلهم عناء واحتفاء به.
قال في (فصل المقال) (ص:30): ((ولو رام إنسان اليوم من تلقاء نفسه أن يقف على جميع الحجج التي استنبطها النظار من أهل المذاهب في مسائل الخلاف التي وضعت المناظرة فيها بينهم في معظم بلاد الإسلام ما عدا المغرب)).
فيما يخص أصول الفقه يمكن تفسير ذلك بأنه يصح على فترة المرابطين وإمارات الخوارج ببلاد المغرب وقد يقال بأن استيلاء المذهب المالكي على البلاد بدون منازع لم يحتاجوا معه إلى هذا العلم لدفع المخالف وهذا ذكره عبد المجيد جبار وتبدو لي أنه تبرير ضعيف.
لكن مع ظهور بقي بن مخلد ومنذر بن سعيد البلوطي وابن حزم والخليفة الموحدي يعقوب بن منصور فإن عبد المؤمن كان يمنع التمذهب بأي مذهب فقهي.
ولعل هناك سبب آخر وهو نفور المغاربة من علم الكلام بسبب طبعهم وأثرية الإمام مالك وقدماء المالكية، وقد علمنا أن هذا العلم وضع عليه المتكلمون أيديهم من بداية القرن الثالث الهجري قال المُقْرِي: ((وكل العلوم لها عندهم حظ واعتناء إلا الفلسفة والتنجيم فإن لها حظا عند خواصهم ولا يتظاهرون بهما خوف العامة)) نفح الطيب؛ المقري 221/1
قال المُقْرِي: ((وعلم الأصول عندهم متوسط الحال هو الصواب لأنه يغلب عليهم الطريقة الأثرية الفقهية)) المرجع نفسه.
يمكن القول وهذا ينطبق على المالكية المتقدمين أنهم أشبه الناس بالسلفية فيما يخص العلوم النظرية يأخذونها بحذر لأنهم أهل أثر مما تلقوه من الإمام مالك من كراهية الرأي فاخذوا من أصول الفقه ما يحتاجونه وتركوا الفضلى والمباحث التي لا أثر لها في الفقه .
وربما لهذا تجد أن المنطقي من حيث التوافق المعرفي هو أن ينتقل المالكي إلى عقيدة أهل الحديث فيوافق أئمته المتقدمين وأصول مذهبهم وإلا ينتقل إلى مذهب الشافعي لأنهم أئمة الكلام وينغمس فيه!
ولم يقدم الأشاعرة المغاربة للعالم الإسلامي أئمة في الكلام من الطراز العالي كما قدموا في الفقه والأصول والحديث أمثال: ابن حزم وابن عبد البر وبقي بن مخلد.. الخ ولا يظهر العلماء المالكية الأشعرية في شجرة أئمة المذهب إلى غاية الطبقة الخامسة وما بعدها قبل ذلك لا وجود لهم من بداية الأشعري ثم طبقة ابن مجاهد و الحسن الباهلي وعلي الطبري ثم طبقة تلاميذ التلاميذ مثل: الباقلاني وابن فورك، ولا في الطبقة الثالثة طبقة عبد القاهر البغدادي وما بعدها، ولا في الطبقة الرابعة طبقة

الغزالي و الكيا هراسي و بدؤوا يظهرون في الطبقة الخامسة ما بين الجويني و الرازي حيث ظهر أبو بكر بن العربي في طبقة الشهرستاني تقريبا القرن السادس / السابع الهجري بدا الظهور الفعلي لأشاعرة المالكية أو بلاد المغرب.
لكنهم أشرقوا من المغرب على المشرق بـ" العفيف التلمساني وابن سبعين وابن عربي وسيد بدوي والشاذلي" وهذه طائفة من الاتحادية، وبالمناسبة إذا وجدت المسودة سأنقل لكم ترجيح ابن عربي للمذاهب الفقهية !
والمذهب الأشعري يعاني من عدة مشاكل كبرى راجعة بالأساس إلى منهجه التلفيقي، وكما يقال: "خرج المعتزلة من الباب وخرج الأشاعرة من النافذة!"
بالإضافة إلى هذا الصراع داخل المدرسة الفقهية شكلت لهم مسألة الاعتراف بالسنية (الشرعية) هاجسا ظل يطاردهم إلى غاية اليوم فهم في محاولات متتالية متكررة بالدعاوى المرسلة وبالزيف يبحثون عن الاعتراف؟!
كما انهم يعانون من مشكل هيكلي تأسيسي: هل هم على مذهب الأشعري أم على مذهب الباقلاني؟
ولماذا ظهر فيهم اتجاهات نحو المخالفين لهم فمنهم من يقترب من أهل الحديث والسنة، ومنهم من عاد إلى سلفه المعتزلة، ومنهم من طرد مذهبه فحط الرحال عند الفلاسفة، وما بينهم اتجاه هجين يمثل مرحلة الانحطاط العلمي وضعف المستوى يمثله اتجاه السنوسي حاول إخفاء الأصول الفيزيائية الإغريقية التي بنوا عليها مذهبهم تحت ذريعة تنظيم المذهب!
في هذه السلسلة من المقالات سنسلط الضوء على صناعة المذهب الأشعري كيف تمت فبركته وسننظر فيه من الداخل ونبحث كل ما أشرنا إليه إضافة إلى إثبات سند مقالة التعطيل التي يرجع إليها بالأدلة التاريخية والعقلية وقضايا أخرى مثل الاتصال المعرفي مع الاتحادية وغيرها .
كلمة عن أشعرية المغاربة
يبحث المغاربة عن علو السند في المذهب الأشعري! ولذلك يحاولون جاهدين تجاوز المؤرخين الذين أرخوا الدخول الرسمي للمذهب الأشعري إلا بلاد المغرب بقيام الدولة الموحدية مثل ابن خلدون وغيره كثير محاولين استغلال الفجوة بين الاتصال الفردي الشخصي لبعض المغاربة مع هذا المذهب وبين الفرض السلطاني والانتشار.
نقل الناصري في " الاستقصاء " كلام ابن خلدون عن تاريخ دخول المذهب الأشعري منتصرا له مع بعض التحفظ قائلا وإن كان [المذهب الأشعري] قد ظهر في المغرب قبل ابن تومرت ظهورا ما "، ويقصد انه ظهور فردي أو محتشم.
وإليك التاريخ العقدي لدول المغرب من عند صاحب الاستقصاء:(1/197)

))وَأما حَالهم فِي الْأُصُول والإعتقادات فَبعد أَن طهرهم الله تَعَالَى من نَزعَة الخارجية أولا والرافضية ثَانِيًا أَقَامُوا على مَذْهَب أهل السّنة وَالْجَمَاعَة مقلدين لِلْجُمْهُورِ من السّلف رَضِي الله عَنْهُم فِي الْإِيمَان بالمتشابه وَعدم التَّعَرُّض لَهُ بالتأويل مَعَ التَّنْزِيه عَن الظَّاهِر وَهُوَ وَالله أحسن الْمذَاهب وأسلمها وَللَّه در الْقَائِل

...)عقيدتنا أَن لَيْسَ مثل صِفَاته ... وَلَا ذَاته شَيْء عقيدة صائب(

)سلم آيَات الصِّفَات بأسرها ... وأخبارها للظَّاهِر المتقارب(

)ونؤيس عَنْهَا كنه فهم عقولنا ... وتأويلنا فعل اللبيب المراقب(

)ونركب للتسليم سفنا فَإِنَّهَا ... لتسليم دين الْمَرْء خير المراكب(

وَاسْتمرّ الْحَال على ذَلِك مُدَّة إِلَى أَن ظهر مُحَمَّد بن تومرت مهْدي الْمُوَحِّدين فِي صدر الْمِائَة السَّادِسَة فَرَحل إِلَى الْمشرق وَأخذ عَن علمائه مَذْهَب الشَّيْخ أبي الْحسن الْأَشْعَرِيّ ومتأخري أَصْحَابه من الْجَزْم بعقيدة السّلف مَعَ تَأْوِيل الْمُتَشَابه من الْكتاب وَالسّنة وتخريجه على مَا عرف فِي كَلَام الْعَرَب من فنون مجازاتها وضروب بلاغاتها مِمَّا يُوَافق عَلَيْهِ النَّقْل وَالشَّرْع ويسلمه الْعقل والطبع ثمَّ عَاد مُحَمَّد بن تومرت إِلَى الْمغرب ودعا النَّاس إِلَى سلوك هَذِه الطَّرِيقَة وَجزم بتضليل من خالفها بل بتكفيره وسمى أَتبَاعه الْمُوَحِّدين تعريضا بِأَن من خَالف طَرِيقَته لَيْسَ بموحد وَجعل ذَلِك ذَرِيعَة إِلَى الإنتزاء على ملك الْمغرب حَسْبَمَا تقف عَلَيْهِ مفصلا بعد إِن شَاءَ الله لكنه مَا أَتَى بطريقة الْأَشْعَرِيّ خَالِصَة بل مزجها بِشَيْء من الخارجية والشيعية حَسْبَمَا يعلم ذَلِك بإمعان النّظر فِي أَقْوَاله وأحواله وأحوال خلفائه من بعده وَمن ذَلِك الْوَقْت أقبل عُلَمَاء الْمغرب على تعَاطِي مَذْهَب الْأَشْعَرِيّ وَتَقْرِيره وتحريره درسا وتأليفا إِلَى الآن وَإِن كَانَ قد ظهر بالمغرب قبل ابْن تومرت فظهورا مَا وَالله أعلم)).انتهى

ونحن نعرف أن المغرب قد دخله المعتزلة والخوارج والشيعة على فترات كما أن المغاربة كانوا يرحلون للمشرق لطلب العلم أو التجارة أو للحج ويلتقون المتكلمين الشافعية فلا يبعد أن يأخذوا عنهم وهذا أمر طبيعي لكن عندما نقول متى أصبح المذهب الرسمي لدولهم فالحقيقة التاريخية تثبت أنه بعد قيام الدولة الموحدية حيث جاءهم ابن تومرت بمذهب هجين فيه خليط اعتزال وأشعرية وتشيع وخارجية.

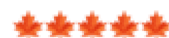
والمغاربة كما رأيت في بعض الملتقيات عندهم مشكل مع كبيرهم الذي علمهم الكلام فإن بعضهم ينقل عن ابن تومرت قوله: " أهل المغرب لم تكن لهم العقائد"؟! وينسب ذلك إلى ابن تاويت الطنجي.

وعليه فإن الموحدين هم من فرض المذهب الأشعري على الخاصة والعامة بمختلف الطرق،فإن صدقت كلمة " الناس على دين ملوكهم" ففي المغاربة لها خصوصية وحدها إلى يومنا !

في المقال القادم إن شاء الله: " الصراع داخل المذاهب الفقهية بين الأشعرية والسلفية وعقدة الشرعية."

عدم القدرة على تكوين صورة ذهنية إرادية مرض يسمى "العقل الأعمى" لا أدري إن كان له علاج؟!

عقدة الاعتراف بالشرعية(!)


المعتزلة نسبوا إليهم عبد الله بن مسعود فهي بنا ننسب إلينا أبا بكر وعمر (!!)
ذكر السبكي إدخال المعتزلة عبد الله بن مسعود _ رضي الله عنه _ في "طبقات المعتزلة" وعليه من حق الأشاعرة _ عنده _إدخال أبى بكر وعمر في طبقات الأشعرية (!!)
وقد أدخل أحمد بن يحي بن المرتضى أبا بكر وستة من كبار الصحابة في المعتزلة (!؟)
كما أدخل السبكي _ إضافة على ما سبق _وابن عساكر" ابن عبد البر وابا طاهر الصلفي من المحدثين وابن عقيل الحنبلي في عداد الأشاعرة 258/2
البحث عن الشرعية المهزوزة في عمق النفسية الكلامية(!)

المفاضلة بين المذاهب في الأحلام(!)


في كتاب "الرؤيا والمبشرات" يذكر ابن عربي صاحب الفصوص أنه رأى في المنام مالكا (الإمام) فأوصاه بطلب الحديث والعمل به (!)
ثم ذكر أن صاحبا له وهو "أبو العباس أحمد بن منصور الحريري الحلفاوي" بمدينة تونس قال : ((كان لي اعتقاد كبير في الإمام أبي حنيفة لحسن رأيه وجودة ذهنه،

وكنت أميل إليه من دون الأئمة فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم فلم يكلمني، وهبت أن أسأله وكان أبو بكر خلفه فقلت :يا أبا بكر كيف مراتب الأئمة عندكم؟
فقال :اللاحق بنا أحمد بن حنبل ثم الشافعي ثم مالك ثم أبو حنيفة؛ قال أبو العباس:٪ فتعجبت وعلمت أن النجاة في متابعة الحديث. ((
قال ابن عربي: و أخبرت بهذه الحكاية القاضي "عبد الوهاب الأزدي الاسكندراني" بمكة سنة 599 ه_ فقال :هو الصحيح، وذكر له رؤيا أخرى.(ص:77)
سؤال المفاضلة بين العلماء والمذاهب يشغل بال أي طالب علم لكن معرفة مراتب العلماء صعب والكلام فيه بعلم وعدل أصعب حيث تدخل اعتبارات ذاتية كثيرة .
والمقصود :فيما يخصنا نحن لا نحتج بكلام ابن عربي لا في اليقظة ولا في المنام لكن نشفق على اتحادية المالكية!

المرجعية الوطنية (؟!)



المقصود من هذا المصطلح هو أنه توجد "مرجعية وطنية" في العقائد والأحكام والسلوك بتعبير آخر "رسمية"، وهي رسمية لأن هذه المرجعية لا تستطيع الدفاع عن نفسها بالأدلة والاقناع العلمي تحتاج إلى من يحميها بوسائل أخرى(!)
وفي المقابل توجد في هذا الوطن المخصوص "مرجعية أجنبية" يعني: هناك دين أو رؤية دينية محلية، ودين أو رؤية دينية اجنبية مستوردة(!)
والمعتبر في التمييز بينهما هو الأقدمية يعني: نحن في مشكلة "الهنود الحمر" :الساكن الأول والوافد الثاني (!) ولكن بالاعتباط فلا معيارية في هذا التفريق الذي اختار نقطة زمنية معينة" ما بعد الموحدين " وجعلها الفيصل في هذا التمييز (!)
وعليه يعاني هذا المصطلح من الاضطراب ،ولو فحصناه بشيء من التفكيك لن نكون بحاجة إلى البحث في أدلة مستقلة، فهو من ذاته هلامي مطاطي اعتباطي، مبني على بعد سياسي موهوم على حساب كل الأبعاد الإنسانية والشرعية الأخرى.
مجرد تفكيكه يزعزع علاقاته الدلالية فإنه تم تكوينه بدون دينامية للمعنى فابختصار هو شعار تجاري للدين حيث هناك دين (made in algeria) المفروض بسواعد جزائرية والتقنية ما عليش مستوردة نحبه (!) ودين مستورد نبغضه؛ وهكذا نجد أنفسنا في أزمة (import /export) دينية علمية (!!)

فلنفحص هذا المفهوم ونفككه للنظر في قيمته التاريخية والعلمية فمن الوهلة الأولى يظهر أنه مصطلح سياسي سيكسبيكاوي للدين؟!

🍀المرجعيات 🍀

المرجعية الفقهية:

_الإمام مالك _رحمه الله _حجازي مدني محدث !(!!) أثري شديد الذم لعلم الكلام (!!)

و لشدة عقدة الأشعرية في الشرعية ينسون أن كتب الإمام مالك بين أيدينا والقاعدة الكبرى في الصفات ماخوذة عنه، ويقولون :كان مفوضا !!

الرجل يقول: الاستواء معلوم والكيف مجهول، وهم يقولون :فوض علمه لله تعالى؟ !

المرجعية العقدية:

_الأشعري _ رحمه الله _ عراقي بصري متكلم (!!)رجع عن الاعتزال فتركوا كتبه التي تظهر رجوعه وتمسكوا بما تاب عنه (؟!)

المرجعية السلوكية:

_الجنيد _ رحمه الله _ عراقي بغدادي متصوف فاضل (غير محصلين فيه) (!!)

_عبد القادر الجيلاني _ رحمه الله _ عراقي بغدادي في الأظهر ،حنبلي المذهب (!!)متبرئ من الكلام على عقيدة الإمام أحمد .

_أبو حامد الغزالي طوسي نيسابوري ذم الكلام وهجره، متصوف غرق في الإشراق الفلسفي، مات وهو يدرس صحيح البخاري(!!)

ملاحظة:

_مرجعيتهم الحقيقية في السلوك الباطني ابن عربي وطائفته الباقي للزينة فقط .

النتيجة الأولى :ولا واحد من هؤلاء تتناوله صفة "وطني" بأي حال (!)

النتيجة الثانية : قسم من المصريين، وربما السودانيين، وأهل ليبيا، وأهل تونس، وأهل المغرب الأقصى، وأهل موريتانيا، وأهل الساحل وغرب إفريقيا مالكية /أشعرية فهي مرجعية وطنية بالاختيار وليس بالإنجاز.

فإن أرادوا أن تكون وطنية الإنجاز لا الاختيار الأعمى عليهم أن يتبنوا اختيارات أخرى داخل هذه المذاهب؟ !

🍁الوطنية 🍁

مفهوم اخترعه الغربيون في القرن (19) لا يعرفه أحد من العالمين قبل ذلك، وهو مصطلح علماني استبدل الانتماء للدين والقبيلة بالانتماء لحدود إدارية !

ولم يجد أنصار هذا المفهوم المحدث دليلا عليه إلا حنان النبي صلى الله عليه وسلم إلى أرض مولده مع أنه حاربهم، ولم يقم عندهم بعد الفتح؟!

نعم؛ يمكن الحديث عن "الوطنية" في كثير من الأمور وبضوابط لكن أن يوصف بها مذهب ديني سني أو بدعي فهذا عين الجهل بالدين والتاريخ ؟ !

والخلاصة:

يأتي أصحاب "المرجعية" ويقولون :هؤلاء جابوا لنا دينا جديدا، ونحن نريد دين أجدادنا (؟!)

فنقول :أي أجدادك تقصد الذين كانوا قبل الدولة الموحدية أم الذين بعدها؟ !

ومن أين أتى أجدادك بدينهم من المريخ أم اخترعوه؟ !

وما بال جدك "القديس اوغسطين" و"تكفريناس" وجدتك "الكاهنة" وجدك" الهلالي القرمطي" أو "الصفري" أو "العبيدي" هل كانت عندهم هم كذلك "مرجعية وطنية " لم يحفظوها ؟

ما الذي يجعل دين أجدادي في هذه الحقبة أحسن و أفضل و أصح من دين أجدادي في حقبة زمنية أخرى هل هو الاختيار الاعتباطي الأعمى أم الدليل والحجة؟

إذاً لماذا تحتاج إلى "مرجعية وطنية رسمية !؟"

لا يمكن أن تثبت التناقض عند غيرك وتقصيه عن نفسك بدعوى مرسلة؟!

مناشير وتعليقات "إثبات الحضور" لا تنفع عند الغائب فهما وفعلا فحاول أن تنفع غيرك بما عندك في الموضوع وبرِّد عقلك لا يحترق!

"كبسلة العلماء" و إمكانية فلسفة أصيلة؟

.

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.

نناقش اليوم ـ بعون الله ـ مفهوم الكبسلة الفلسفية لعالم من علماء المسلمين التي كتب عنها الأستاذ " عبد الله البُريدي كتابه " ابن تيمية فيلسوف الفطرة " وندع قضية " فلسفة أصيلة " ليوم آخر.

الكاتب يوصل لمفهوم ويدعو لتطبيقه على العلماء المسلمين ومثَّل بابن تيمية وكنت أتمنى أن يمثل له بعالم آخر وهذا يطرح سؤال قابلية المفهوم للتعميم؟

علي كل في الكتاب مسائل مفيدة نافعة في معمارية العلم .

عمل الكاتب :

كتابه يأتي ـ بحسبه ـ في إطار مجال مهجور هو «التوصيف المكبسل للفلاسفة الكبار" = الطرح المكثف المختصر.
يبدأ الكاتب بعد مقدمة عن وضع الفلسفة عند المسلمين بالحديث عن "مرتبة ابن تيمية " بأنه من " العلماء الفلاسفة" فهو عالم ديني بالدرجة الأولى وهو فيلسوف ـ أيضا ـ بامتياز.
سبب هذا التوصيف :
لكونه متقنا لأدوات التفلسف الرصين، ومطلعا على أدبيات الفلسفة وتياراتها ورموزها، مشتغلا بالدحض والبناء في الباحة الفلسفية ذاتها باستخدام تلك الأدوات في مباحث كلامية ابستمولوجية ولغوية وسياسية .
النقاش:
1ـ لم يعرِّف الكاتب "الفيلسوف" ولا «الفلسفة" حتى يتسنى له تصنيفه، وهذا في تقديري خطأ منهجي إذ لا يمكن الحديث عن أي مفهوم قبل تحديده وتعريفه.
2ـ الكاتب يستعمل وصف " فيلسوف" كقدر زائد على " عالم ديني" ما نفهم منه أن مرتبة "عالم فيلسوف" أعلى من رتبة " عالم ديني" وهنا يجب أن نعرف ماذا يقصد بـ " فيلسوف" فـ"عالم ديني" نعرف معناه والمصطلح لا يحتمل إلا معنيين:
الأول: المعنى العام وهو القدرة والبارعة على التفكير في المسائل وصناعة التصورات، وهو ما كان المسلمون يسمونه " نظَّار" و"النظر" عندهم مرادف لكلمة " تفكير"، كما يحمل على التفكير خارج المسائل الدينية فهل كان منطلق ابن تيمية الشرع أم التساؤل المطلق الذي يحصل للفيلسوف فكيف نصفه حينئذ بانه " فيلسوف"؟!
الثاني: هو الانتماء إلى منظومة فلسفية معينة والتفكير بحسب مبادئها ورؤيتها الوجودية.
والتفلسف هو التفكير في مجموع وقائع لاستخلاص عمومات، ولهذا نقول: فلسفة الفن، فلسفة التاريخ ...الخ فهل كان هم ابن تيمية في تفكيره الوقوف على المطلق والعمومات؟
عند فحص شكل الفلسفة، نوع التفكير الذي يناسبها، ما نسميه" العقل الفلسفي" يظهر أنه يمكن تعريفها ـ في العصر الحديث ـ كالتالي: تتمثل في الحاجة بالإحاطة بكل الآراء مضافة إلى خصائص العقل الفلسفي وهي: التفكير الحر، الفحص الحر، والتخلص عند التفكير من كل تأثير خارجي عن المنطق، إنه الاستدلال بدون الاعتراف بأي سلطة إلا سلطة هذا العلم ونور العقل.

وللعقل الفلسفي خاصيتان: ـ الميل إلى التفكير من أجل التعميم ـ والحرية في التفكيرأي: عدم الاعتماد على أي مرجعية إلا مرجعية العقل المجرد، وهذه كذبة لها موضع آخر.
من هذا الشرط الأخير تتبع بالضرورة الفروق بين الفلسفة والدين، وبالتالي بين عالم الدين والفيلسوف فالدين يقبل بالإضافة إلى شهادة العقل سلطة الوحي الذي يسميه الفلاسفة (التقليد التاريخي)، بينما الفلسفة لا تعترف إلا بالأسئلة والأجوبة الصادرة عن العقل وحده، ومن هنا كان مجالهما مختلفاً.
يقول بوسوي: الفلسفة هي علم بالإنسان وبالله، بينما يعرفها شيشرون بأنها علم الأشياء الإلهية والإنسانية، أما أرسطو فيقول: " علم العلل الأولى والمبادئ الأولى"، وأخيراً قالوا: " الفلسفة هي علم المطلق " وهذا الذي سنجده عند بعض نظار المسلمين انتقلوا من التفكير في الوجود العيني إلى الوجود المطلق مثل ابن سينا والرازي وهذه الزمرة.
ممكن أن نجعل هذه التعريفات كلها تعود إلى الشيء نفسه، ولهذا يجب أولا أن نعرف " المطلق" فنقول: مطلق عن الشيء الذي هو بنفسه أو نفسه ـ الذي لا يعتمد على أي شيء ـ الذي بدون أية علاقة ـ المطلق يكون مجردا (حراً) من المكان والزمن، وهذا نجده عند الصوفية الاتحادية في مراتب الوجود أو نظرية الصدور الفلسفية المعدلة عندهم حيث مرتبة " الأحدية" مرتبة اللاتعين والإطلاق والذات البحت والوجود في هذه المرتبة منزه عن أي إضافة لقيد أو نعت حتى عن قيد الإطلاق!
وهذا اللامتعين أي: الله تعالى علوا كبيرا في صورته الأولى قبل أن يتحرك (يصدر عنه المتعين الأول أو العقل الأول أو الروح الأعظم أو الانسان الكامل أو النبي السماوي أو القلم، أو الحقيقة المحمدية أو " الألف".. الى غير ذلك من أسماء، وهم لا يستعملون كلمة" تحرك" كما يقول ابن عربي :
"ظهرت الأشياء بـ «الباء" (النبي السماوي وهو الله المنتقل من مرتبة الكنه الأحدية إلى مرتبة المتعين الأول الذي سيخلق كل شيء) لأن الله واحد فلا يصدر عنه إلا واحد فكان الباء أول شيء صدر عن الحق تعالى فهي "ألف" على الحقيقة (تحركت وبالنسبة لي استلقت!) ولأنها ظهرت في الوجود في المرتبة الثانية سميت " باء" لتمتاز عن الحق تعالى عن الوجود الأول(الأحدية) ويبقى اسم الألف لله تعالى" أي : الألف اسم لحالة الأحدية و " الباب" اسم للحالة الثانية في الوجود حالة الخلق، وهذه المرحلة الثانية التي لها عدة أسماء عندهم هي مرحلة الوحدة حيث هي عبارة عن علمه تعالى بذاته و صفاته و بجميع الموجودات على وجه الإجمال من غير امتياز بعضها عن بعض.

مرآة من جهة في اتجاه ماض هي "أ" ومن جهة في اتجاه مستقبل هي "ب" والزمن هنا تقدير ذهني لا حقيقة له .
والمرتبة الثالثة مرتبة " التعين الثاني" وتسمى «الواحدية" حيث العلم بذاته وبجميع الموجودات على التفصيل وامتياز بعضها عن بعض.
والمهم أن كل هذا الكفر والسفه هي مراتب قديمة، والتقديم والتأخير عقلي لا زماني كشاف اصطلاحات الفنون (1/ 110).يعني :الكل قديم لا أول له !
ويقول ابن سبعين: وللمتصور من حيث هو لا من جهتها لا وصف ولا نعت ولا اسم ولا رسم ولا حد، وإن كان له شيء من ذلك كله ولكن بأول مرتبة صورية إطلاقية فله الإطلاقات الأحدية والجمع والسذاجة والسكون والثبوت وشبه ذلك.
ومناقشة هذه الكفريات الجهليات له موضع آخر يأتي إن شاء الله تعالى .
إذا عرفنا هذا فهمنا أن كل تعريفات الفلسفة تجعل موضوعها المطلق فالبحث عن العلة الأولى هو المبدأ الأول، هو البحث عن البدائي، فالمطلق سواء في عالم المعرفة أو عالم الوجود، من هنا تلتقي كل التعريفات في هذا: " الفلسفة هي علم المطلق."
لكن هناك أنظمة فلسفية جديدة مثل "الفلسفة الوضعية" لا تعترف بوجود المطلق، فلا يمكن أن نستبعد نظما فلسفية تثير نفس الأسئلة ولا تختلف عنها إلا بطريقة الحل، فلا يجب أن نجعل موضوع الفلسفة شيئا يختلف في وجوده يعني وفقا لداء المنطق يجب ان نبحث عن تعريف جامع مانع!
عندما نعتبر الوقائع التي تهتم بها الفلسفة خصوصا المعاصرة نرى أنها كلها مظاهر ترجع للإنسان، وفي الإنسان، إلى ما ليس له أي شيء فيزيائي، إلى ما لا تدرسه العلوم الوضعية فمجال الفلسفة هو الإنسان الداخلي بحسب تعبيرهم.
والإنسان الداخلي يتكون من أفعال(حقائق) لا تقع تحت الحواس لكن نعرفها بالحس الباطني يسمونه " الوعي" وبالتالي يسمون هذه الأحوال "حالات الوعي" فالفلسفة إذاً هي علم حالات الوعي وشروطها إذ لا يمكن استبعاد المطلق بحال إذ هل المطلق من شروط حالات الوعي؟
والخلاصة لهذه النقطة هي: لا يمكن اعتبار ابن تيمية فيلسوفا بأي تعريف كان للفلسفة إذ كل التفكير الذي قام به هو التمييز بين الكلي والمطلق والمعين في الوجود وفي المعرفة وكل منطلقاته المعرفية شرعية.
كذلك يبدو من هذا الرفع من قيمة الوصف بـ " الفيلسوف" التقليل من القيمة الشرعية والعقلية لوصف " عالم دين !"
فيما يخص أدوات التفكير الفلسفي التي أتقنها ابن تيمية نتكلم عنها في الحلقة الثانية أو الثالثة حتى لا يطول المقال أكثر مما هو عليه.

النقطة الثانية التي ارتكز عليها الأستاذ البريدي في هذا الوصف هو أن ابن تيمية " لم يذم الفلسفة ذما كليا من كل وجه بل ذم التفلسف المتمرد المتكلف المطول المعقد."
والجواب أولا الأستاذ ينقل نقد ابن تيمية للمقدمات الكلامية في أدلتهم الوجودية إلى الفلاسفة وهذا خطأ كبير لا يفرق بين منطلق وغاية المتكلم ومنطلق وغاية الفيلسوف.
ثانيا: لا يوجد موضع واحد في كل كتبه _ بحسب علمي بها _ مدح فيه الفلسفة بل على العكس يقول بان اليهود والنصارى بعد تغيير دينهم أفضل من الفلاسفة، وأن كلامهم في الإلهيات باطل ضعيف جدا لم ينفق إلا بعد التزويق والتعديلات التي أدخلها عليه الفلاسفة المسلمون، والمسألة الوحيدة التي يقر لهم بغلبة الصحة هي كلامهم في الطبيعيات لا غير.
ولابن تيمية قاعدة كبرى فيما يخص الفلاسفة وهي: إن لم تبلغهم النبوة فهم خيار الخلق ممن لم تبلغهم النبوة، وإن بلغتهم النبوة فهم شرار الخلق، والتعليل بديهي ظاهر من نفسه.
وإذا كان ابن تيمية يمدح العقل فإنه أولا يمدح ما يسميه" العقل الشرعي" وأما العقل الضروري فهو مشترك في كل البشر لا يوجب مدحا من نفسه إلا إذا اقترن به معرفة حق أو رد باطل.
في الحلقة القادمة إن شاء الله تعالى نتكلم عن مفهوم " الكبسلة" عند الأستاذ قيمته وفائدته في هذا العصر، والفهم الدقيق الذي ينطوي عليه إذا ما تم بشروط نتحدث عنها مع بيان نقاط الضعف او الصعوبات التي تواجه هذا المفهوم في عالمنا الإسلامي وكذلك خصائص ابن تيمية التي جعلته عند الأستاذ مستحقا للكبسلة.

التفكير في مذهب مالك العقدي بعقلية مقلدة الأشعري؟!



عندما يجيب الأشعري عن الإشكالات التي تواجه مذهبه مثل مشكلة التأسيس والأصل وعدم السند وفقدان التوثيق ودعوة الدفاع عن معتقد السلف ـ بدون مرجعية إليهم وبعلم أجمعوا على ذمه وذم المشتغل به ـ لا يملك أجوبة على أسئلة خارجة عن التزكية الذاتية لمذهبه.
وهكذا نلتمس من عبارات أجوبتهم أزمة حادة في شرعية المذهب وهشاشة الأصل وأنهم يعالجون التناقضات الخارجية بقناعة داخلية لا يمكن التدليل لها فمثلا انتسب الأشاعرة إلى الأشعري ومجرد هذا الانتساب يثير إشكالا معرفيا لأنه إذا كان

الأشعري نفسه انتسب إلى أهل الحديث ودافع عن معتقدهم بحسب علمه به، وبالطرق التي كان يحسنها أي: العقل المعتزلي ! فكيف ينتسب الأشاعرة إليه، ويدعون تمثيل السنة الأولى أن يفعلوا مثله؟!وقد تفطن المعاصرون منهم بهذا الأمر فصاروا ينتحلون السنة ولكن العبرة بالأئمة المؤسسين وليس بالمقلدين.
وهذا يعني أنهم ليسوا على وفاق تام معه في عقيدته كما في "الإبانة" و"المقالات" ولا يميزون بين المادة الاعتزالية والمادة الكلابية والمادة السنية في كتبه بالاعتماد على مثل رسالة "استحسان الخوض في علم الكلام" ولا تصح نسبتها إليه، وكذا "اللمع" الثابت أنه من كتبه المتقدمة قبل أن يهجر الطريقة الاعتزالية والكلابية فمشكلة الشرعية تطاردهم في كل زاوية من مذهبهم وهذا ينقلنا إلى موضوع عنوان المنشور.
عندما يواجه الأشعري المتفقه على مذهب مالك ـ رحمه الله ـ بتناقض هذا الجمع بين الأثرية المالكية مع الكلامية الأشعرية ـ وهذا السؤال يكشف هشاشة أصولهم والمصادر الحقيقية لمذهبهم الغريبة عن عقيدة من يدعون تمثيلهم والدفاع عن عقيدتهم أي السلف وأئمة السنة ـ يجيب بعقلية أشعرية خالصة لا توجد إلا عنده مبنية على الجواز المحض (الاحتمال المفتوح) فيقول:
"لم يترك الإمام مالك مذهبا في العقيدة يسع كل أبواب العقيدة، ونقحه أتباعه بعده كما فعلوا في الفقه، والسلفيون وقفوا على قول واحد للإمام مالك في فرع من فروع العقيدة، وظنوا أنهم وقفوا على كل عقيدته ."
ومثل هذا النظر يوجب الشفقة عليه كأن الإمام مالك كان وحده في زمنه خرج من العدم لا ينتمي لمدرسة معروفة لها منهج واحد في التعامل مع النصوص عقدية كانت أم فقهية مدرسة أهل الحديث والسنة؟!
ولأنهم بنوا معتقدهم على رأي رجل واحد ثم توسع فيه أتباعه، وهذا أشكل مشاكلهم المعرفية ظنوا أن أهل الحديث والسنة مثلهم مصادر عقيدتهم من شخص واحد يأخذون عنه دينهم؟!
وهذا هو الفرق التأسيسي والهيكلي بين شرعية عقيدة أهل الحديث والسنة وبين لا شرعية عقيدة المتكلمين أشعرية وغيرهم فأهل السنة عقيدتهم عن مجموع السلف ليس لأحد الأئمة اختصاص بها إنما هو مبلغ عمن سبقه مبسطا بما فهمه فتجد فيها المسائل عن مالك وعن الشافعي وعن احمد وعن حماد وعن سفيان الثوري وعن ابن عيينة، وعمن هو أجل منهم من التابعين، وهكذا حتى الصحابة عقيدة ليست رأيا لواحد وموثقة بالسند ومؤصلة بالنصوص.
🍁كيف نعرف أصل العقائد ومرجعيتها؟🍁

كتب أهل الحديث والسنة أهل الآثار سواء في الحديث أو التفسير أو الفقه مملوءة بالنقل عن السلف والأئمة مثل مالك والثوري والأوزاعي وأبي حنيفة والشافعي وأحمد بن حنبل وغيرهم، لما يوافق قول أهل الإثبات، ولا تجد فيها شيئا مما يوافق قول المتكلمين النفاة.
وبهذا تعرف غرابة قول من جعل قول أهل الحديث والسنة قولا ومذهبا للحنابلة لأنه إذا كان الإثبات ثابتا في كل تلك المصادر فكيف يكون قولا للكرامية والحنابلة؟!
ومن المعلوم أن الإثبات ظهر قبل الإمام أحمد فكيف ينسب لأتباعه؟
ثم كيف يفعل الأشعري مع عبد الله بن سعيد بن كلاب، والحارث المحاسبي، وأبي العباس القلانسي، وأبي الحسن بن مهدي الطبري، وعامة قدماء الأشعرية الذين يقولون: إن الله بذاته فوق العرش، ويردون على النفاة غاية الرد، وكلامهم في ذلك كثير؟!كما بينه ابن تيمية في "الدرء."
ونفس هذه الكتب والمصادر تثبت أن النفي لم يكن يعرف إلا عن الجهمية وأتباعهم ومن وافق الفلاسفة مع أن المنقول عن أكثر الفلاسفة هو قول أهل الإثبات، كما نقله ابن رشد الحفيد عنهم؟
🍁والفيصل أن يقال🍁 :
مذهب السلف إن كان يعرف بالنقل عنهم فليرجع في ذلك إلى الآثار المنقولة عنهم، وإن كان إنما يعرف بالاستدلال المحض بأن يكون كل من رأى قولا عنده هو الصواب قال: " هذا قول السلف لأن السلف لا يقولون إلا الصواب وهذا هو الصواب »! فهذا هو الذي يجرئ المبتدعة على أن يزعم كل منهم: أنه على مذهب السلف فقائل هذا القول قد عاب نفسه بنفسه حيث انتحل مذهب السلف بلا نقل عنهم بل بدعواه: أن قوله هو الحق؟!
وأما أهل الحديث فإنما يذكرون مذهب السلف بالنقول المتواترة ويذكرون من نقل مذهبهم من علماء الإسلام، وتارة يروون نفس قولهم في هذا الباب."
فإذا أردنا أن نبين مذهب السلف ذكرنا طريقين:
أحدهما: نذكرما تيسر من ذكر ألفاظهم، ومن روى ذلك من أهل العلم بالأسانيد المعتبرة.
الثاني: نذكر من نقل مذهب السلف من جميع طوائف المسلمين من طوائف الفقهاء الأربعة ومن أهل الحديث والتصوف وأهل الكلام كالأشعري وغيره، فصار مذهب السلف منقولا بإجماع الطوائف وبالتواتر لم نثبته بمجرد دعوى الإصابة لنا والخطأ لمخالفنا كما يفعل أهل البدع. نفس المصدر السابق بتصرف يسير.

وعليه؛ فلأن المذهبية أكلت فهمهم فتؤخذ المذاهب عن رجل واحد فيقابلون مذهب مالك في الفروع بمذهبه في الأصول فإن لم يوجد له مذهب في الأصول كما يوهمون الناس فلنصنع مذهبا لنا؟
ومعلوم أن الأشعري ـ رحمه الله ـ لم يكن من أئمة الحديث والسنة؛ نعم دافع عن عقيدتهم بما بلغه من علم لكن الانتماء وحسن القصد شيء، والتحقق بعلمهم ومنهجهم شيء آخر.
ولأن الشخص الأشعري لا يشتغل في التأصيل العقدي على النصوص فظاهرها عنده غيرمراد أو كفريعتقد أنه لم يبلغنا مذهب مالك في العقيدة، وانه يشترط أن يبلغنا كاملا! وهو يعلم أن مالك ولا غيره في وقته حصر جميع الأحاديث والآثار في الأحكام فكيف يحصرها في العقائد؟
في حين بالنسبة لأهل الحديث والسنة المعتمدين على توثيق الأثار عقيدة مالك معلومة عندهم تماما كعقيدة أقرانه من الأئمة، وليس شرطا أن تكون شاملة لكل المسائل وليس الدلائل فالعبرة بالمجموع وليس بقول الفرد فحتي في النصوص قد بلغ هذا ما لم يبلغ ذاك.
فقد صح عن مالك ـ رحمه الله ـ مسألة القرآن كلام الله عز وجل، وموقفه من القدرية والمرجئة والشيعة والجهمية، والايمان، وفي المعية والنزول والرؤية، والحياء والمحبة والسمع والرضا والسخط والصفات الخبرية، وكثير من القضايا في العقيدة العملية كسب النبي صلى الله عليه وسلم مما يتعلق بمبحث النبوة وغيرها.
و يظهر أنهم أخذوا هذه الشبهة من متقدميهم كما فعل الجويني مع كتاب " الشريعة " للآجري زعم أنه لم يسبقه إلى التأليف في أحاديث الصفات أحد قبله ، و أنه أورد فيه الأحاديث المتشابهة كما يفعل المشبهون أو المتلاعبون الزنادقة!فأظهر من نفسه جهلا بالغا ؛ ويعجب المرء كيف يجعل أمثال هؤلاء الجهل علما والعلم جهلا، و لكن من يقول "عدم العلم علم" لا يستغرب منه مثل هذا ،إذ بمجرد مطالعة كتاب " الشريعة " يعلم القارئ أن العلم الذي هو في هذا الكتاب مأخوذ عن أولئك الذين زعم الجويني أنهم لم يخوضوا في أحاديث الصفات، وهم مالك ،والشافعي وغيرهما ،فهؤلاء هم الذين نقلوا للأمة هذه الأحاديث ، ولعل الجويني ـ كما قال شيخ الإسلام في " التسعينية 3/911 ـ لم ير الموطأ بحال ، فإن من أشهر أحاديث الموطأ حديث النزول كما بينه القرطبي ردا على صاحبه الجويني؟!
وأمهات هذه المسائل المنقولة عن الإمام مالك هي التي تشكل الأصل الذي تتفرع عنه كل قواعد أهل الحديث والسنة في العقيدة، ومن هنا نعلم أن قول مالك في "الاستواء" ليس مسألة فرعية في العقائد كما يعتقد الأشعري بل قوله أم المسائل العقدية وأصلها

المعرفي الذي تعالج كل قضايا الباب لأنه لا توجد قاعدة تخص صفة دون صفة فالكيف مجهول عن الذات والصفات، والاستواء معلوم كسائر الصفات.
فمثلا: قاعدة «جاءت بلا كيف" مروية عن مكحول، والزهري، ومالك بن أنس، وسفيان الثوري، والليث بن سعد، والأوزاعي، فقولهم " أمروها كما جاءت " نقض للمعطلة وقولهم «بلا كيف" نقض للممثلة.
روى الخلال في "السنة" عن الوليد بن مسلم قال: سألت سفيان والأوزعي ومالك بن أنس والليث بن سعد عن هذه الأحاديث فقالوا: نمرها كما جاءت. قال الخلال: هذا في أحاديث الصفات وهو مذهب السلف إثبات حقيقتها ونفي علم الكيفية.
فهذا القول:" أمروها كما جاءت " معناه إبقاء دلالتها على ما جاءت به من المعاني اللائقة به سبحانه وتعالى وهو نفي العلم بالكيفية فلو كانوا لا يعتقدون ثبوت المعنى لما احتاجوا إلى نفي الكيف فإن غير الثابت لا وجود له في نفسه فنفي كيفيته لغو من القول.
ولو كان السلف يقصدون من تلك العبارة التفويض لقالوا:" أمروا لفظها ولا تتعرضوا لمعناها" فهم أهل لغة وبيان لا يحتاجون لكبير جهد لتبليغ المعنى المراد عندهم.
والأشعري الذي صار ينصرقول" التفويض" لأن قول" التأويل" لم يستطع إقامة الدليل عليه فكل ما عنده مجموع شبهات أصلها منطقي صوري لا يهتم بخطورة تداعيات هذا القول على أصول الإسلام وأصل النبوة ومقامها الإيماني المعرفي مثل دعوى الجهل بمعنى كلام الرسول صلى الله عليه وسلم، وعدم العلم به، والفقه له؛
أي: تفويض علم معاني النصوص إلى الله تعالى، والإعراض عنها بالكلية.
والنتيجة: الرسول صلى الله عليه وسلم لم يعلم المراد، ولم يبلغ البلاغ المبين فكيف يبلغ ما كان يجهله؟!
ومن المعلوم أن الله تعالى أمرنا أن نتدبر القرآن، وحضّنا على عقله وفهمه، فكيف يجوز مع ذلك أن يراد منا الإعراض عن فهمه ومعرفته وعقله؟
وعلى قولهم: الأنبياء والمرسلون لا يعلمون معاني ما أنزل الله عليهم من هذه النصوص، ولا الملائكة، ولا السابقون الأولون.
حينئذ فيكون ما وصف الله به نفسه في القرآن، أو كثير مما وصف الله به نفسه لا يعلم الأنبياء معناه، بل يقولون كلاماً لا يعقلون معناه!
وكذلك نصوص المثبتين للقدر عند طائفة، والنصوص المثبتة للأمر والنهي والوعد والوعيد عند طائفة، والنصوص المثبتة للمعاد عند طائفة!

ومعلومٌ أن هذا قدحٌ في القرآن والأنبياء؛ إذ كان الله أنزل القرآن وأخبر أنه جعله هدى وبياناً للناس، وأمر الرسول أن يبلغ البلاغ المبين، وأن يبين للناس ما نزّل إليهم، وأمر بتدبر القرآن وعقله.

وأشرف ما فيه؛ هو ما أخبر به الربّ عن صفاته، أو عن كونه خالقاً لكل شيء، وهو بكل شيء عليم، أو عن كونه أمراً ونهياً، ووعداً وتوعداً، أو عما أخبر به عن اليوم الآخر، لا يعلم أحد معناه، فلا يعقل ولا يتدبر، ولا يكون الرسول بيَّن للناس ما نزل إليهم، ولا بلغ البلاغ المبين.

وعلى هذا التقدير: يقول كل ملحد ومبتدع: الحق في نفس الأمر ما علمته برأيي وعقلي، وليس في النصوص ما يُناقض ذلك؛ لأن تلك النصوص مشكلة متشابهة، لا يعلم أحد معناها، وما لا يعلم أحد معناه لا يجوز أن يُستدلّ به، فيبقى هذا الكلام سداً لباب الهدى والبيان من جهة الأنبياء، وفتحاً لباب من يعارضهم ويقول: إن الهدى والبيان في طريقنا لا في طريق الأنبياء؛ لأنا نحن نعلم ما نقول ونبينه بالأدلة العقلية، والأنبياء لم يعلموا ما يقولون، فضلاً عن أن يُبينوا مرادهم، فتبين أن قول أهل التفويض الذين يزعمون أنهم متبعون للسنة والسلف من شر أقوال أهل البدع والإلحاد. (درء تعارض العقل والنقل 1201-205.)

و"الذين يقولون إنهم أتباع السلف، فيقولون: إنه لم يكن الرسول يعرف معنى ما أنزل عليه من هذه الآيات، ولا أصحابه يعلمون معنى ذلك، بل لازم قولهم أنه هو نفسه لم يكن يعرف معنى ما تكلم به من أحاديث الصفات، بل يتكلم بكلام لا يعرف معناه وكذلك السلف لم يكونوا يعرفون معاني النصوص، بل يقولون ذلك في الرسول، وهذا القول من أبطل الأقوال. (نقض المنطق ص 56-57)

ولا أدري إن كان المفوض يفوض معنى وجود الله؛ والتفويض مقالة الجهال الذين يجَّهلون السمع.

ولو كان الأشعري صادقا لا يراوغ بمثل هذا الجدل الضعيف فعلى الأقل أخذ بقول مالك فيما ثبته عنه وإن كان يجهل عنه الكثير فإذا سئل عن " الاستواء" أجاب بجواب مالك الثابت عنده لكنه لا يفعل لأن جواب مالك يهدم عقيدته في الأسماء والصفات فجوابه هنا عن التناقض بين أثرية مالك وكلامية الأشعري جواب جدلي ليس إلا.

ثم يتعجب الإنسان كيف يجعلون قول مالك في الاستواء من فروع العقيدة ربما أرادوه أن يتكلم في طبيعياتهم كالجوهر وتماثل الأجسام و بمصطلحاتهم المحدثة قال أبو بكر بن العربي ـ و هو يرد على الجويني في مسألة " علم الله" (العواصم جزء الكلاميات) :" إن هذه الألفاظ من "الجملة" و "التفصيل" و "الحصر" ألفاظ مولدة ركبت عليها المبتدعة علومها ، و خاض فيها علماؤنا معهم ، و لكل واحد فيها اصطلاح تركيب

معناه على ما اصطلح عليه فيها ، و يختلف الاثنان في الوجه المصطلح عليه فيتباريان و يتعارضان ، و نحن إذا تكلمنا على ذلك قلنا : دعونا من العبارات المحدثة الفاسدة " (ص: 142).
فهذا متكلم أشعري يصرح بأن مصطلحات المتكلمين محدثة فاسدة، لكل قوم معنى فيها غير الذي للآخرين!
على كل أتباع هذا المذهب المعاصرين يخالفون متقدميهم الذين يشهدون أن مذهبهم بدون أصل شرعي فقد أدرج الجلال الدواني (ت 918) هذا في جملة أمارات الطائفة الناجية فحكى قول الطوسي وابن المطهر على أن الطائفة الناجية هي التي تخالف سائر الأمة مخالفة بيّنة وأنها الإمامية، فقال:" بل الأليق بذلك هم الأشاعرة فإن أصولهم مخالفة لأكثر أصول المذاهب ولا يوافقهم فيها غيرهم" وعد بعض آرائهم ومنها أنهم جوزوا "رؤية كل موجود من الأعراض وغيرها حتى جوزوا رؤية الأصوات والطعوم والروائح، بل جوزوا رؤية أعمى الصين بقة الأندلس" (شرح العقائد العضدية) 41/1.
والخلاصة: من كان ناقصا في معرفة اعتقاد أهل السنة كان ناقصا في معرفة المقالات التي تخالفه.
والتشبيه على الناس باجوبة اللوازم لا ينفع فالتعاطي مع لوزام النفي بما يبطلها ليس مقالة أصلية و إن كان حقا فعند نسبة المذاهب إلى الأئمة لا ننسب إليهم اطرادات اللوازم ثم نقول :أين قال مالك كذا وكذا؟ !
إذا واتت مناسبة فككنا _ إن شاء الله تعالى _كلمة الإمام مالك في الاستواء إلى ما ادركناه من فوائدها المنهجية والعلمية .
وهذه المقالات لا نستهدف بها من أصمَّ أذنيه وإنما العاقل المتواضع للحقائق المستعد نفسيا لقبولها.

"كبسلة العلماء" الممكن والمحال؟



نواصل مع كتاب الأستاذ عبد الله البُريدي (ابن تيمية فيلسوف الفطرة) حيث يمثل هذا العنوان التجربة التي قام بها الأستاذ مع مفهوم " الكبسلة" والذي طبقه على ابن تيمية فوجد أن المنظومة التيمية تقوم على مفهوم الفطرة فكبسله في " فيلسوف الفطرة"؟

الفكرة التي يطرحها الأستاذ الفاضل هي ما ينقص المسلمين فإنها تدخل في تحقيق الموروث العلمي وهندسته بطرق تسهل على المعاصرين الاستفادة منه والبناء عليه لكن لابد أن نتحدث عن الفكرة وما ينقصها وعن واقعيتها بالنسبة لجميع الشخصيات العلمية .

🍁تعريف الكبسلة🍁

تشكيل الوحدة والتئام الشتات = البحث عن الوحدة في المتنوع، والمتماسك في المتشظي حيث تدور الأفكار الكبرى حول قضية كبري تنتظم حولها كل المجالات في عقد واحد .

🍁النقد🍁

1- هذا المصطلح يستخدم في الإعلام الآلي (encapsulation)وهي عملية تتمثل في جمع المعطيات والمناهج ضمن هيكل مع إخفاء التطبيق أو فصول التنفيذ، يعني: منع الوصول إلى المعطيات بطريق آخر غير الخدمات المقترحة = الغلق والتحديد بمعالم والتلخيص.

وفكرة الأستاذ هي العكس تماما تتمثل في تمكين القارئ من الوصول إلى فهم منظومة الفيلسوف أو العالم بسرعة وبإيجاز، وهذا المقصود تناسبه الكبسلة المأخوذة من "كبسولات الدواء" حيث أن العناصر الفعالة في حاوية صغيرة جدا بالنظر إلى الأدوية التقليدية يعني: الكبير في مقابل الصغير، والطويل في مقابل القصير، والكثير كمًّا في مقابل القليل النافع.

هذا المفهوم أخده الأستاذ من الغربيين من تسمية كنط "فيلسوف العقل والنقد" شوبنهاور "فيلسوف الإرادة والتشاؤم" ونتشه "فيلسوف القوة " ... الخ.

2- ضغط علم ابن تيمية وحشره في كبسولة هو غير قابل للضغط فهل كبسولة ابن تيمية «مفهوم الفطرة" أم كبسولة "مفهوم النص" هي الأولى فيكون " فيلسوف النص"، لأن الأسس عنده على الأقل في أربع مفاهيم: الوحي والنبوة والسلف ثم الفطرة فهي أربع مفاهيم.

3- فإذا كان الأمر يتعلق بالوحدة في المتنوع أي: متنوعات القضايا التي عالجها الفيلسوف يضبطها أو يمسكها في عقد واحد مفهوم ما تدور عليه الأفكار الكبرى وتنتظم حوله كل المجالات فهناك ما هو مقدم على مفهوم الفطرة مثل: "عصمة النص - معيارية النبوة - فهم السلف" فإما هذا المفهوم منهجي وإما غائي فإن كان منهجيا فأولى المفاهيم بالكبسلة في ظني هو مفهوم "الواقعية" الذي تدور عليه كل المنظومة التيمية، وإن كان غائيا فمفهوم " التوحيد "

وإذا كان الأستاذ يشترط ألا تزيد الكبسلة عن مفهومين فيكون العنوان " فيلسوف الواقعية والتوحيد" فلابد من الكبسلة أن تتناول على الأقل مفهومين: الأول منهجي والثاني غائي موضوعي.

فوائد الكبسلة بحسب الأستاذ

1- تدخلنا في عقل الفيلسوف "في رحى فلسفته ."

2- إذابة الغموض في طروحات الفيلسوف وتوحيد المفترق في سردية واضحة مكثفة .

3- معرفة العمق المفاهيمي والتنظيري والنجاعة العلمية والتطبيقية في معالجاته .

4- تحقن الأدبيات العلمية بمداخل بحثية جديدة قد تكون قادرة على تأسيس نماذج إرشادية (براديم) جديدة في هذا الحقل أو ذاك .

شروط الكبسلة: نحتاج إلى منظومة مفاهيم كافية وقراءة تنقيبية معمقة في تراث الفيلسوف .

ملاحظة

إذا كانت هذه هي شروط الكبسلة والغاية منها فالكبسلة مجرد حوصلة تحتاج حينئذ إلى عمل قاعدي كبير يتمثل في عمل ابستمولوجي واسع فهذه الخطوات التي ذكرها الأستاذ تعود إلى "معمارية العلم والمعرفة"، والتي تحتاج إلى ما يسمى" شبكة مفاهيم ـ مخطط تصورات ـ شجرة أفكار ـ أو نوعا ما توبوغرام " نتكلم عنه لاحقا في فرصة أخرى.

شروط استحقاق الكبسلة

لاستحقاق هذا العمل العلمي الكبير والعميق لابد أن يكون العالم أو الفيلسوف كبيرا.

كيف نعرف أن العالم أو الفيلسوف كبير؟

1- بشمولية المجالات التي يقترحها أو تقديمه فلسفة شاملة في مجال رئيس: الوجود ـ المعرفة ـ الأخلاق ـ الجمال ـ السياسة ـ الاقتصاد.

يعني: يقصد الأستاذ المجالات التي يعد بها الغربيون فلسفة ما أنها منظومية مثل منظومة هيغل .

لكن ينقصها مجال هو القانون أو الحقوق، بالنسبة لنا الشريعة، وكذلك ينقصها مجال السلوك الذي تدخل فيه السيكولوجيا والأخلاق العملية.

2- حجم التأثير الفكري والمجتمعي للفيلسوف أي: تأثيره على الأجيال اللاحقة، وحضوره في أدبياتهم مع ملاحظة الندرة في الإبداعات الكبرى في المجال الفلسفي .

ينقل الأستاذ سؤال رندال كولينس: كيف يجذب المفكر الانتباه إلى نفسه؟

الجواب

بأفكار جديدة أو مهمة مع وجوب إسهامه في حل الإشكاليات لا في خلقها ـ وقدرته على خلق مساحات كافية للإبداع لمن بعده (علم اجتماع الفلسفات) .
وبناء على هذه الشروط اختار الأستاذ ابن تيمية لعملية الكبسلة أشار إلى خصائص ابن تيمية التي تجعله مستحقا لشروط الكبسلة فقال :
🍁خصائص ابن تيمية العلمية🍁
1ـ التأثر ثم صياغة منظومة جديدة لا يمنعه التأثر من التوليف بين التأثيرات حتى تشكل نسقا منسجما جديدا يعني: انه انتقائي في المعرفة يأخذ كل ما يبدو له صحيحا ويؤلف بينه في شكل متناسق.
2ـ ابن تيمية عالم عابر للتخصصات لكنه يبقى مفسرا فقيها أصوليا سلفيا، يعني أنه موسوعي لا ينظر للقضايا التي يبحثها من تخصص واحد.
3ـ اجتمعت فيه القوتان العلمية والعملية ما سمح له بتجاوز القواطع والآفات التي تقطع طريق السالك ولا ينجو منها إلا الواحد بعد الواحد، يعني أوتي خصائص نفسية سلوكية أعانته على التجرد والموضوعية والانصاف .
4ـ ابن تيمية أنشأ حفريات المعرفة (اركولوجي) = دراسة الأفكار والأنساق المعرفية فتعج نصوصه بحفر فكري تنقيبي ـ وتتبع أسس الأفكار ومصادرها الأولى ـ وذكر أسباب تشكلها وعوامل تطورها ـ مع عناية بتاريخ الأفكار وسياقات ظهورها ـ مع الإنصاف والتجرد في الحكم والتقييم ـ والدقة في النقل والعزو ـ واعتبر علمه جهادا من أجل الحقيقة.
🍁والسؤال المهم هنا🍁
على كم واحد من علماء المسلمين تنطبق تلك الشروط؟
وهل في مقدوره القيام بالعمل نفسه مع شخصيات علمية أخرى؟
وبحسب تعريف الأستاذ فإن ابن تيمية "عالم دين فيلسوف"، وهذا لا نجده بكثرة في المسلمين، ربما ينطبق على الغزالي والرازي وأشبههما لكن هل تنطبق عليهما كل الشروط فمثلا من يعود عن مذهب أو مقالة كبرى لا يمكن كبسلتها!
ومن كان ضعيفا في الفقه أو في الحديث سيؤثر على عملية الكبسلة إضافة عن سؤال أصالة الفكرة !
والأهم لابد أن نفرق بين الفيلسوف والمطلع على الفلسفة الأول يتميز بالقدرة على انتاج التصورات والكلام في العلم منشئا للمفاهيم.
كذلك ابن حزم تجتمع فيه كثير من هذه الشروط لكنه كسابقيه بدون منطق خاص إذ منطقه المنطق الأرسطي، وليست له أعمال نقدية للفلسفة والمنطق كسابقيه؟

وهل لهؤلاء الأفاضل كلام فلسفي في: الذوق والجمال والأخلاق والسلوك والسياسة والاقتصاد؟ فبعضهم كالغزالي تكلم في السلوك والأخلاق، وابن حزم عنده كلام في الاقتصاد ونقصد المعاملات التجارية وشيء يسير من الأخلاق، وهكذا أمور لكن هل أحدث فيها نظريات مهمة؟

والرازي تكلم في اللذات وعنده شيء من نقد الفلسفة وأمور أخرى؟!

وأظن أن هذه الأسئلة يجيب عنها المختصون في كل واحد من هؤلاء لكن على ضوء الشروط التي أشار إليها الأستاذ البريدي لأنها شروط علمية تحقق المقصود من الكبسلة.

ربما المعيار لابد أن يحدد مجال الاجتهاد وسعته وتعدده ودرجة التقليد وقوة الابداع وتحقيق المسائل.

وأخيرا كان على الكاتب استعمال مصطلح "تفكير علمي" بدلا من "تفلسف راشد" فعندما أبدع المسلمون علم الحديث وأصول الفقه لم يسموه فلسفة كما أن من حقق منهم مبدأ" الأصالة الفكرية" كانت جهودهم تدور داخل المنظومة الإسلامية.

المنخرطون في تأصيل الباطل صنفان :"مرتزقة مستفيدون منه، أو "مغفلون مفيدون" لهم غرمه ولغيرهم مغنمه.

بناء شبكة مفاهيم (مخطط تصورات ـ شجرة أفكار)
بالتقنية المناسبة يمكن صعود قمم الجبال



هذه الطريقة في التعلم هي أحدث الطرق التعليمية، وهي نافعة جدا لطلبة العلم للتعلم بطريقة نظامية تسد فجوات التعلم العفوي كما تنفع المعلمين في تحضير الدروس وفي مراقبة مستوى المتعلمين، وفيها تسهيل كبير لاكتساب التصورات العلمية المركبة، وهي سهلة بعد تمرين أو اثنين يتقنها الطالب ومن ثم يمكنه تلخيص كتاب بسرعة واستخراج ما فيه من مفاهيم والتفطن للأمثلة المضادة ونقاط ضعف الأطروحة أو تناقضها وهكذا.

وهي طريقة تصلح لتعليم الأطفال كما تصلح لتفكيك أعقد الكتب العلمية الفكرية وتقريبا هي سبر وتقسيم ودوران عملي لا غير لكن مرتبة بطريقة تسهل العمل بها بعيدا عن التعقيدات الاصطلاحية.

تعريف التفكير

هو اكتساب التصورات، ما نسميه تقليديا "التفكير" هو تمثُّل أفكار "تصورات" وربطها فيما بينها.

ما هو التعلم؟

1- لنتعلم يجب أن نفهم، ولنفهم يجب أن نتقن كيفية الانتقال من المعين إلى المجرد، ونتعلم تطوير الأفكار المركبة.
2- التعلم هو قبل كل شيء القدرة على تمييز الصفات " الخصائص."
3- الصفة هي ما يسمح بتمييز فكرة عن فكرة وموضوع عن موضوع.
4- تقريبا كل النشاط الإدراكي يتعلق بعملية تصنيف: تعميم وتجريد وتمييز ومقارنة.
5- العلم هو القدرة على معرفة التماثل والاختلاف ومن ثم الجامع والفارق.

فائدة شبكة المفاهيم

1- إدارة وتنظيم الأفكار = تشكيل الأفكار وربطها.
2- حفظ العلم لأن تذكر الخريطة أو المخطط أسهل من حفظ الكلام.
3- حل الإشكالات فعند ضبط جميع العلاقات بين المفهوم الرئيس والمفاهيم التي خرج منها والتي خرجت منه والجانبية التي ترتبط به بنوع علاقة تظهر حلول الإشكال.
4- توحيد المعارف وإعطائها صفة العلمية = التنظيم والبناء الهيكلي =المعمارية.
5- التعرف على العلاقات يفيد في فهم الإشكالات ويكسب التركيز.
6- أي مفهوم " فكرة - كلمة" يمكن أن نبني حوله شبكة كاملة من العلاقات المنطقية بواسطة تصورات مرتبطة به مباشرة وأخرى غير مباشرة.

مراحل بناء شبكة المفاهيم

1- اختيار المفهوم مراد دراسته.
2- تحديد التصورات المفتاحية .
3- البحث عن التقاطعات الممكنة كالتالي:

أ - استخراج التصور المركزي.
ب - استخراج التصورات الأبوية (التي خرج منها)
ج - استخراج التصورات البنوية (التي خرجت منه)
هـ - استخراج التصورات الجانبية ذات الصلة به.

د ـ وضع تقاطعات تبين العلاقات.

لتدقيق نوع العلاقة بين التصورات نبحث التالي:

ـ الجوهرية ـ المطابقة ـ التضمن ـ التلازم ـ الطرد ـ العكس ـ الجنسية ـ التضاد ـ التضايف،

ـ وهذه نفسها هي التي تسمح لك باستخراج التصور الأصلي والفرعي والجانبي.

ـ الكل مقدم في شكل تراتبي من العام إلى الخاص.

استعمال شبكة المفاهيم للتقييم

1ـ تكشف شبكة المفاهيم التمثلات الذهنية (الأفكار) قبل دراسة الموضوع.

2ـ بعد الدراسة تمثل تقييم تلخيصي.

الخطوات العملية

1ـ في وسط الصفحة نكتب الفكرة العامة.

2ـ رسم الفرع بلون مختلف (لكل فكرة كبيرة مهمة)

3ـ التعبيرعن الفكرة بكلمة واحدة.

4ـ رسم فروع ثانوية على نفس المبدأ.

5ـ في نهاية الفرع اجعل لكل فكرة رمزا أو صورة.

6ـ أضف التفاصيل إلى الفروع.

7ـ توضيح العلاقات بالسهام .

ملاحظات :

1ـ الكلمات المفتاحية والتصور يستعمل وظائف الفص الأيسر.

ـ الألوان والرموز والصور تستعمل وظائف الفص الأيمن.

2ـ من المهم أن يقوي طالب العلم عقله النقدي من خلال التعرف على نوعين من الإجراءات:

الأولى :الإجراءات النفسية:

يتحضر بها لدراسة أي قضية مثل: تعليق الحكم ـ استبعاد الآراء الشخصية حتى يكون التصور ـ انفتاح عقله ـ الضبط الذاتي ـ التفكير في التفكير ـ معرفة أنواع التفكير.

الثانية :الإجراءات العقلية

تأطير المشكل ـ التحليل (الفرز والإضافة والمقارنة) البحث عن الانتظام (معنى الانتظام) ـ علاقة الأجزاء بالكل ـ الملاحظة (أسئلة الملاحظة) ـ الانتباه لعلاقة علة/أثر ـ سبب /نتيجة ـ المزاحم ـ التفسيرـ الفائدة التي تعمل من أجلها الدلالة ـ مستويات الفهم ـ أعمال كل مستوى ـ التفسير باللازم .

في الأخير

تسبيب خطوات التعلم هذه بأساليب التفكير الإسلامي ـ عند ابن تيمية ـ يأتي مع مقال" العقل النقدي" إن شاء الله تعالى حيث نتكلم عن فائدة معرفة النوع وبالتالي خصائص المعينات، وحقيقة القياس، والمنهج الإسلامي المعرفي العام في التعلم.

)؟ (!



هناك إنسان أسطوري من أساطير القرن العشرين إنسان أحفورة خلفته معركة الوعي والاستيقاظ الضارية .
هو مسلم سلفي أو خلفي، يحب أن ينبز مخالفه بلقب فيه تحقير أو ذم، و يرفض الصفة التي ينبزه بها مخالفه (!)
يناصر كل قضاياه حتى الجادة بالتضخم النفسي كأنها مباراة رياضية (!)
العلماء عنده من وافق هواه ويرفض _ لشدة جهله بما هو العلم _ وصف غيرهم بهذه الصفة بدون قيد ولا شرط (!)
هذا الإنسان مصيبة الأمة في بعض أبنائها (!)

أحجية فهم الواقع!



لا يوجد منهج يلقنك فقه الواقع بخطوة مجهرية بعد أخرى إنما المعلومة والهيكل يضعانك على الطريق والباقي للتحصيل السابق (تحتاج إلى نشاط عقلي متكاثر دائم في مجالات معرفية مختلفة فالعلم الذي نختزنه في أنفسنا يفعل تلقائيا عندما يلتقي بموضوعه) بإعمال العقل النقدي.
يواجه عقلك كما هائلا من المعلومات المتناقضة تسري حول نفس الحدث، ولتقف على درجات الرمادي بين الأبيض والأسود تحتاج إلى معلومات متنوعة وانفتاح على عدة مصادر مختلفة .
هناك أربع مستويات للفهم في القراءة: ـ الفهم الظاهري(مباشر) ـ الفهم الاستنتاجي (غير مباشر) ـ الفهم النقدي(التصحيح) ـ الفهم المبدع (التطبيق) ففي أي مستوى يقف فهمك؟

☘من يصنع صورتنا عن الواقع؟☘
1- النشأة على التعميم = أحكام مسبقة تربوية/مجتمعية / إعلامية.
2- الميل للتخمين بدلا عن المعطيات الواقعية.
3- مصادر تضخ في وعيك احكام قيمة لا تعكس الواقع بل توزره (كل وسائل الإعلام بدون استثناء) ادبيات لا محل لها في واقع العالم المعاصر .
4- التقليد الاعمى = تأخذ تصورات لشخصيات علمية/سياسية/فكرية تصير أفكارك تماثل واقع هذه الشخصيات لا تماثل واقع اللحظة او الوضعية = نبتعد عن الواقع وكلنا يقين أننا فيه، قال ابن القيم: لكل زمان حكم والناس أشبه بزمانهم منهم بآبائهم.
النتيجة: لن يسمح لك بالفهم = ستوضع دائما في الارتباك = الفهم سلاح المعركة.
☘وسائل فهم الواقع☘
1- فهم الواقع مهم لكن كيف نقرأه؟ لا يوجد علم مستقل يسمى" فقه الواقع"؟
2- العلوم الدينية تقرأ الواقع البشري المشترك الذي لا يتغير = هي أداة حراسة وسائل قراءة الواقع من الانحراف عن السنن البشرية الاجتماعية والنفسية وغيرها = تؤطر البراديمات = هي حقيقة ليست مقاربة.
3- تفسير الواقع يحتاج إلى قاعدة معلومات حديثة ودقيقة = قاعدة المعلومات الدينية الكاملة غير كافية بدون قاعدة معلومات واقعية.
☘تفسير الواقع☘
هو فطنة الى تغير الظروف ناتج عن مقارنة معطيات حديثة بأخرى أقدم = وقوع ترتيب جديد في الأسباب والعلل.
1- لذا تحتاج الى: علم التاريخ ـ الاجتماع ـ الاقتصاد ـ علم النفس ـ ثقافة كبيرة ـ عقل نقدي للتحليل والتوليف.
2- الذكاء والمنطق لا يكفيان = المشاكل معقدة تتداخل فيها مستويات = مستويات التحليل هي مستويات الفهم.
3- رافق تطور العلوم الحديثة حالة تجاوز تفسير الطبيعة إلى سبر سلوكيات الإنسان = اكتشاف القوانين التي تسيره.
4- هذه العلوم تمنحك أنثروبولوجية الموضوع =الوقوف على كل أضلاعه = تكشف ماهية الشيء ومقاصديته.
5- كذلك المنهج الكرونولوجي للحدث لتفكيك العناصر بحثا عن التشابه بينها = تدلنا على الوحدة والانتظام.
☘معلومة عامة مبتذلة☘

إذا لم تفهم بعد أن كل الدول التي يفكر لها أكفاء تعرف حجمها الحقيقي وبناء عليه يمكنك تفسير سياستها فإن لم تعرف حجمها أنت أخطأت في تفسير سياستها وتوقعت منها ما هو من نسيج أوهامك!

- والدول تقبل أن تدفع الثمن الفظيع إذا كان سيحدث اختلافا معتبرا وإلا فلا!

و إذا لم تر في الواقع أنه يتم حاليا رسكلة شخصيات علمية أحرقتها خدمات السياسة لإحياء هيئات ميتة من أجل مشروع علمنة جديد هذه المرة سيؤصل له منتسبون للعلوم الشرعية !

و إذا لم تفهم أن الأغبياء عندنا يكفي لتصنع لهم شيخا (مفبركا) أن يظهر لهم على شاشة وهو يقرأ من كتاب ويلهج بالسنة والذب عن الدين ليكثر أتباع؟!

ستبدأ المعركة بالمطويات وتنتهي في المطولات! معارك دونكيشوط مع طاحونات الهواء!

إذا لم تفهم أن المعركة معركة حول العقيدة العملية وظلالها على كل علوم الدين؟ !

إذا لم تفهم هذا فلا شيء في الدنيا سيساعدك على فهم الواقع!

العدد الكافي؟



يقول علماء الاجتماع : تنتهي الحضارة عندما تصبح القواعد التي تنظم المجتمع مثل :"الدين والقانون والتراتبية الاجتماعية" غير محترمة من قبل عدد كاف من الناس ؟!

حال كمال الحيدري؟



يقال: "إن الفلسفة نظَّفت بعض الشيعة من قاذورات مقالاتهم" وهذا صحيح لكنها لم تردهم إلى الإسلام إنما سلكوا طريقا آخر قد يُضلل بعض الناس لأنهم في هذا الطريق

لا يسبُّون، ويعتنون بالمسائل الفلسفية الوجودية وبالمنطقيات وبعضهم بالعرفان لكن هذا الطريق الثاني أشد وأعمق في الكفر من الأول!
سألني أحدهم عن " مراجعات الشيخ كمال الحيدري" ما حقيقتها؟
فقلت له بالتعبير المجازي: "نزل من جهنم إلى لظى" (!) رغم أنه يبدو في كلامه الجديد قد أنصف الصحابة وأمهات المؤمنين ـ رضوان الله عليهم جميعا ـ وكذلك نقض قول الشيعة بتحريف القرآن، وهكذا مسائل فأين الشر في كلامه؟
حقيقةً لقد جمع الحيدري في مراجعاته عدة أقوال حسنة لكنه جمعها في عقد زندقة! فمن ذلك أن أهل البيت في القرآن هن أمهات المؤمنين، وأن الصحابة عدول صادقون في دينهم بلَّغوا الدين كما تلقوه، وأن القول بتحريف القرآن يبطل الدين كله، وأن غالبية المرويات الشيعية كذب مدسوس، وأن القرآن والواقع لا يثبت عصمة الأئمة، وتكلم عن إمام الزمان بنقد ابن تيمية للامعقولية القول به، وأن الرسول هو الشخصية الثالثة عند الشيعة وليس الأول، وهكذا مسائل كثيرة، مع تصريحه ببقائه على مذهب التشيع (؟!)

🍁كيف يمكن ذلك؟ 🍁

الحيدري انتقل إلى مذهب الباطنية الفلسفية، وفي هذا المذهب ينصهر الباطني من خلفية سنية مع الباطني من خلفية شيعية، بل والباطني من كل الملل، وفي هذا المذهب لا تهمهم كثيرا ولاية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ السياسية إذا كانت الولاية الروحية له ثابتة أي: الولاية التكوينية؟!ومن هنا يزيلون فتيل الاختلاف حول الخلافة.

🍁الولاية التكوين ية 🍁

هي تلك السلطة التي لها وظيفة الخلق والتكوين للعالم بكافة شؤونه ومظاهره تنوب في فعلها عن الحق وتتوسط بينه وبين الخلق يسميها بحسب التعبير الفلسفي تمثل العقل الأول أو الصادر والمتعين الأول الذي هو من حيث العلم جامع لكل شيء ومن حيث الفعل تقوم به السماوات والأرض وما بينهما حيث يسري في كل شيء ويمد الحياة لكل شيء لذلك يطلق عليه (الإله الصانع) تمييزا له عن (الإله المتعال).
يسميها الحيدري في كلامه "نظرية واسطة الفيض" حيث كل الأنبياء أنوار "الحقيقة المحمدية(!) "
والحيدري ينقل عن ابن عربي قوله في علي: "هو أمين كل الأنبياء" كما أنهم ورثوا من التصوف الكلابي موالاة الصحابة وأمهات المؤمنين وعدم التعرض لهم.

🍁أقسام المتصوفة 🍁

تقسيم التصوف عند الصوفية المتأخرة إلى تصوف سلفي وتصوف غزالي وتصوف فلسفي غير دقيق ومخادع بل قسمته الصحيحة: تصوف الزهاد والعباد على طريقة أهل السنة والجماعة عند بعضهم بعض الغلو في بعض المقامات.
ثم التصوف المخلوط بالكلام وهو التصوف على الطريقة الكلابية مثل: تصوف الحارث المحاسبي وأبي طالب المكي والقشيري وغيرهم.
وأخيرا التصوف الفلسفي وهو تصوف المتأخرين أصحاب الوحدة والحلول وهو تصوف يشتبه على الناس لأنه يخلط التصوف الثاني بكلام الفلاسفة وإشراقهم الباطني فيقدم الفلسفة الباطنية في قوالب كلام المتصوفة.
و بعض الصوفية المتأخرين ينسبون تصوفهم إلى الغزالي لأنه كان الباب بين التصوف الثاني و الثالث.
🍁والزندقة في كلام الحيدري في موضوعين اثنين🍁
🍁الأول🍁
عندما سأل نفسه هل يكفر الشيعة المخالف لهم؟ في حوار مع منشط حصة، ونقل له هذا المنشط قول بعض الشيعة الذي فيه نوع تورية وحيدة؟ فقال له الحيدري: بأن الشيعة عن بكرة أبيهم يكفِّرون المخالف السنة وغيرهم، وأن السنة كذلك يكفِّرون الشيعة!
ولما سأله المنشط عن السبب؟ قال: السبب هو الموروث الروائي عند الطائفتين، وهذه أعظم الزندقة، ولا يوجد ما يهدم الدين مثلها فإن كان الموروث الروائي الشيعي كله كذب مدسوس لا يسلم منه إلا أقل من القليل وهو ما أخذوه عن أهل السنة فإن النقل عند أهل السنة صحيح مبني علم دقيق في التثبت من صحته فأهل السنة يعرفون الرواة معرفة حسية ليس كالشيعة يروون عمن لا يعرفون وعن أشخاص أتهمهم أئمتهم في الدين وبالكذب عليهم!
كما أن الحيدري يصحح دين الشيعة بالمرويات التي صحت في مذهبه وبأحاديث أهل السنة فهو ضمنيا يقر بصحة النقل فكيف يجعله كله سبب التكفير الباطل؟!
ثم قوله هذا مبني على كذبة فإن الحيدري يزعم أنه مطلع على كل كتب السنة بمختلف روافدهم ولو كان كذلك لعلم أن تكفير الشيعة مختلف فيه عند أهل السنة وليس من قضايا الإجماع عندهم، وفيه تفاصيل كثيرة فليس في أهل السنة من يكفر عوامهم ومقلدتهم.
فأهل السنة يميزون أولا بين فرق الشيعة المتعددة فيكفرون الباطنية منهم بالاتفاق، وإن حكموا على الشيعة بالضلال فإنهم لا يحكمون عليهم بالخروج الكلي من الإسلام.

كما ينفى الإمام ابن تيميه إجماع علماء أهل السنة على تكفير الشيعة،من خلال تقريره أن للعلماء قولين فى تكفيرهم حيث يقول في مجموع الفتاوى: (وَأَمَّا تَكْفِيرُهُمْ وَتَخْلِيدُهُمْ : فَفِيهِ أَيْضًا لِلْعُلَمَاءِ قَوْلَانِ مَشْهُورَانِ : وَهُمَا رِوَايَتَانِ عَنْ أَحْمَد . وَالْقَوْلَانِ فِي الْخَوَارِجِ وَالْمَارِقِينَ مِنْ الحرورية وَالرَّافِضَةِ وَنَحْوِهِمْ ...)

وهذا ابن تيمية ـ رحمه الله ـ يعده الشيعة أكبر خصوهم وأشدهم عليهم (!) يقرر أن تمذهب الكافر بمذهب الرافضة خير له يقول: " وقد ذهب كثير من مبتدعة المسلمين من الرافضة والجهمية وغيرهم إلى بلاد الكفار فأسلم على يديه خلق كثير، وانتفعوا بذلك، وصاروا مسلمين مبتدعين، وهو خير من أن يكونوا كفارا" (مجموع الفتاوى143/2).

كما يفاضل بين الإسماعيلية والإمامية ويقول: " وأولئك ملاحدة منافقون، والإمامية الاثنا عشرية خير منهم بكثير فإن الإمامية مع فرط جهلهم وضلالهم فيهم خلق مسلمون باطنا وظاهرا، ليسوا زنادقة منافقين، لكنهم جهلوا وضلوا واتبعوا أهواءهم "..

و"أما أولئك فأئمتهم الكبار العارفون بحقيقة دعوتهم الباطنية زنادقة منافقون، وأما عوامهم الذين لم يعرفوا أمرهم فقد يكونون مسلمين" (منهاج السنة: 452/2).

كذلك يخطِّئ من يفضل اليهود والنصارى على الشيعة يقول: " كل من كان مؤمنا بما جاء به محمد فهو خير من كل من كفر به، وإن كان في المؤمن بذلك نوع من البدعة، سواء كانت بدعة الخوارج والشيعة والمرجئة والقدرية أو غيرهم) (مجموع الفتاوى :516/353).

وقد يجيز الصلاة خلفهم إذا لم يكن في تركها مصلحة كالقدرة على الصلاة خلف الإمام الأفضل (مجموع الفتاوى: 308/2)

وبالمحصلة التكفير يعود إلى القاعدة العامة: "كفر المقالة أو العمل والتوقف في تكفير المعين على استيفاء شروط التكفير وانتفاء موانعه(مجموع الفتاوى:500/28)

وبهذا ثبت الاختلاف الجوهري بين دين قائم على العلم والعدل والانضباط بالشريعة، وبين دين قائم على التزوير والكراهية والحقد .

🍁الثاني 🍁

قوله بنظرية " واسطة الفيض " وأن جميع الأنبياء هم من نور "الحقيقة المحمدية" التي يسميها الشيعة ـ أيضاـ "الروح الأعظم" و"الصادر الأول" و"المتعين الأول" ... الخ الذي صدر عنه الخلق، وهذا قول أكفر من كفر النصارى واليهود بعد تبديل دينهم.

🍁وألخصها سريعا في هذه النقاط🍁

هذا الصادر الأول هو "مظهر جميع الاسماء والصفات ومجمع كل الحقائق والآيات، فهو الكتاب الجامع". ايقاظ النائمين، ص51.
وهو المعبر عنه باسم الله الأعظم الذي يجمع هذه الأسماء على النحو الاجمالي، فهذا الاسم عبارة عن صورة الانسان الكامل او مظهره، وهو نفس حقيقة النبي الاكرم، فالله هو اسم للذات الالهية باعتبار جامعيته لجميع النعوت الكمالية، وصورته الانسان الكامل" (اسرار الآيات، ص42-44).
وسواء عند باطنية السنة أو الشيعة يكون النبي محمد صلى الله عليه وسلم هو ذلك الاله الذي تتوقف عليه جميع التنزلات الوجودية والخلقية.
🍁الحقيقة المحمدية 🍁
1- كل ما للأنبياء والأولياء من وجود وصور قائم بحسب الحقيقة المحمدية.
2- هذه الحقيقة تتجلى بصور جميع الأنبياء بما في ذلك صورة محمد وشخصه الجسماني ومن بعد ذلك صورة الأئمة والأولياء.
3- الكل يأخذون علمهم من تلك الحقيقة ومبلغ كمال العرفاء وعلمهم يتم من خلال هذه الروح المحمدية.
4- صور صدر المتألهين بأن نفوس العرفاء تصير عقولا بالفعل، والعقل بالفعل هو الموجود الحقيقي والحياة العقلية الأخروية.
5- والنبي بروحه المقدس سبب لوجوداتهم الحقيقية ومبدأ لكمالاتهم العرفانية: منشأ لفيضان الكمالين: الأولي الأقدس والثانوي المقدس = هو الوسط بينهم وبين الحق: مبدأ فطرتهم في سلسلة الافتقار النزولي كما انه المرجع في كمالاتهم في سلسلة الارتقاء الصعودي.
يصبح للنبوة خصوصية الانبساط والخلافة المطلقة التي يتم بها تكوين الأشياء ومن ثم هي نبوة تكوينية (خالقة) قبل أن تكون نبوة قيمية معيارية تمارس دور الهداية والإنذار.
وبحسب منطق السنخية ليس محمد خاتم الأنبياء إلا نبي جاء على سنخ نبوة محمد الأول الذي يسبق جميع الأنبياء والخلق أجمعين.
🍁الخلاصة 🍁
- النبوة التكوينية والولاية العرفانية يعبران عن حقيقة واحدة لها وجهان: ظاهر وباطن = من حيث الظاهر هي نبوة ومن حيث الباطن هي ولاية.
- بالنسبة للعرفاء للنبي محمد صلى الله عليه وسلم حقيقة عليا مجردة لها صفة الولاية التكوينية والتي تتمثل بما يطلقون عليه " الإنسان الكامل" الذي هو سبب إيجاد العالم وبقائه أزلا وأبدا دنيا وآخرة. تفسير صدر المتألهين، مصدر سابق، ج5، ص120.

ذهب الجيلي في آخر كتابه إلى تقسيم أنواع العبادات لكل البشر من نصارى، يهود، مشركين كفار. الخ كلهم جعلهم عابدين باعتبار ما !
وتبريره وتبرير ابن عربي لتوحيد النصاري أعجوبة رياضية فرق بحسبها ابن عربي التوحيد إلى: توحيد النصارى وسماه «التوحيد المركب" لأن أقل الجمع ثلاثة وهو الفرد فافتقر كل ممكن إلى الاسم الفرد، وسموا كفارا لأنهم ستروا الثاني بالثالث!
ويمكن ـ عند الجيلي ـ الوصول إلى الكمال بثلاثة أشياء: البداءة = الحصول على الخصائص الإلهية ثم التواسط: إدراك الكوني والالهي ثم المقدرة: استعمال للتأثير على المخلوقات.
وفي الأخير فإن الباطنية يعظمون النبي في صورته الإلهية لا في إتباعه !
فهذا اعتقاد كمال الحيدري والباطنية الشيعة والسنة على حد سواء ليس بينهم إلا اختلاف عبارات واختلاف طفيف في ترتيب الصادرات مثل هل جبريل عليه السلام العقل العاشر ما تحت فلك القمر الذي صدر عنه الوجود كما يقوله الفارابي واتباعه أم هو نائب الصادر الأول ووزيره؟!
وبعضهم لا يؤمن بيوم القيامة والحشر فإنه إن صدر الوجود فيضا فما علة تغييره؟ فيؤمنون بالتناسخ، وبعضهم يؤمن ببعث النفوس العالمة فقط دون الجاهلة، وأفضلهم من يؤمن ببعث الأرواح دون الأجسام؟
على كل يوجد اضطراب في تصورهم الآخرة ونعيمها وعذابها .
وعندهم شوق عظيم لمعرفة العالم الآخرـ عالم الربوبية والوحدة الملكوت الأعلى وليس عالم الآخرة ـ لذا يتسلط على أكثرهم الشياطين، ويستعملون السحر ويجيزونه كما قال أحد ضلالهم في الجزائر، وهذا موروث عن أفلوطين فإنه يحكي نصيبا من ذلك في " التاسوعات" وربما لهذا السبب انتحر ابن سبعين عندما قطع عروق يديه !
بهذا نقول: مراجعات كمال الحيدري حسنة لكن الخيط الذي يربطها هو رؤية وجودية مبنية على وحدة الوجود والحقيقة المحمدية مع الطعن في النقل برمته، وكل هذا كفر صريح.

العقل الاجتراري (!)



عقلٌ يعيش في التكرار مصابٌ بالاجترار الذهني فأفكاره تكرارية، وهو عاجز عن تجاوزها والسيطرة عليها، تدور في فراغ متعب للعقل وللنفس !

.في هذا العقل كل شيء يدور في حلقة مفرغة فنفس المسائل العلمية أو السياسية
يتداول عليها في كل سنة أو فترة بنفس الأجوبة !
الخلاف العلمي عنده شجار يمتد لقرون !
ونفس المشاكل السياسية والاجتماعية والاقتصادية يعاني منها في كل سنة!
عقل يراوح في مكانه، لا يتقدم لأنه لم يحل المشاكل القديمة لتأتيه الجديدة !
مجتمع يمشي بدون توقف في دائرة لكنه يدور على مشاكله، فقط ينتظر! وفي الانتظار يضيع وقته فلا يتقدم !
يفعل نفس الأشياء، ولا يعرف ماذا عليه أن يفعل ليخرج من الدوران على نفسه وعلى نفس المشاكل، لا يرى حلا لمشاكله؟!
كأنه عقل محبوس! في وضع محبوس! في زمن يجري !
عقل بدون أفق فحياة ومجتمع بدون أفق !
العقل المنهار لا يتجدد والزمن يتقدم وهو يرجع إلى حالة بدائية يغلب عليها التفكير الغريزي فقط (مقتنيات مادية و شهوات) !
يعدُّ الانهيار العلمي الديني والأخلاقي الذي اعقب العصور الفاضلة للإسلام تطورا لكن التخلف في التقنية والعمران انهيارا حضاريا !
العقل العلمي الديني تطور إلى الصورة التي نراه عليها اليوم لكن العقل العلمي المادي انهار وانحط؟ !
وهكذا المجتمع المنهار إذا عاش يدور على نفسه عاد إلى حالة بدائية عاجلا أم آجلا
!وحواليكم الأمثلة؟

جهود مقلين في هباء (؟ !)



بدون شك هناك جهود دعوية وعلمية وغيرها في التعليم وفي نشر الوعي على مختلف الحوامل لكننا لا نشعر بآثارها اجتماعيا و سياسيا؟
في إدراكنا للواقع _ نقصا وغاية _ وفهمنا لشروط التغيير نختلف كثيرا بحيث لا يوجد توجه جماعي معتبر يكفي لإحداث تغيير مامول ، لا يوجد تلك الموجة التي نشاهدها في الشعوب التي تتسارع فيها خطوات النهضة في كل المجالات؟
فمنا من يشبه حاله حال الشخص الذي استيقظ من النوم في اللحظة التي لم يفتح فيها بعد عينيه (مستيقظ في الظلمة يشعر بأهمية فهم الواقع واقع المسلمين وواقع العالم لكنه لا يفهمه) (!)

و بعضنا تصدق عليه حالة "الهلوسة التنويمية" حالة يكون فيها بين النوم واليقظة يغلب عليها شبه رؤى وتجارب سمعية غير اعتيادية (سكران)
و بعضنا قد استيقظ وفتح عينيه لكن لم يقم بعد من فراشه (يرى العلامات والطريق ولا يفعل يعتزل طوعيا مسؤولية الفعل) (!)
لكن قليل منا من قام من فراشه وبدأ الحركة الايجابية .
يخبرك عن صلاحنا المساجد(!)
و يخبرك عن وعينا الأسواق و السوشل ميديا !
ويخبرك عن عقلنا نمط التدين و كثرة الأصول البدعية فيه (!)
وإذا رفع القلم عن النائم حتى يستيقظ(القلم الحضاري) وعن الطفل حتى يبلغ، والشعب قاصر أبدي(!)
و النخبة الضعيفة تزيده ضعفا (!)
وساعة الشعوب والأمم تدور فكم الساعة الآن؟

لنتقدم خطوة!

☘☘☘☘☘☘
عندما تقرأ أو تستمع احرص على فهم المغزى والقصد الذي بنى عليه المتكلم كلامه لا لترد عليه فيكون عقلك مستهلكا لطاقته مشغولا بالتقاط ما يمكن نقضه فإنه "على كل كلام كلام!"
والزحلقة بالكلمات سهل لكنه لا يقود إلى نتيجة، وهذا سبب عقم النقاش بين المسلمين !
نعم قد لا نفهم قصد المتكلم لأن كلامه غير مطابق للواقع،و العقل لا يستقل وحده بمعرفة مراد المتكلم لأن دلالة الخطاب سمعية فنحتاج إلى معرفة عادة المتكلم في لغته أو معرفة اصطلاحاته ثم المعقول من كلامه لنتمكن من فهم قصده، وبهذا قد نجتنب كثيرا من النزاع اللفظي ومن سوء الظن.

في عالم منحط وحده المال بقي واقفا(!)

☘☘☘☘☘☘
المال هو القوة الوحيدة التي بقيت واقفة بين أنقاض العالم الغربي !

نحوه تمتدُّ أيدينا، وفيه تتوه قلوبنا وأفكارنا.. هذا الانتصار للمال نقبله كلُّنا بدون همهمة !
في نفس الفخ نسقط الواحد تلو الآخر مثل العميان في لوحة بروغيل * (1568)
كما كل الأذواق موجودة في طبيعتنا، كما معايير الجودة، ومدة إنجاز شغل تختلف وتتعارض، وتهتز وتتدمر، يبدو لنا عاديا أن يفرض المال معاييره علينا!
جون كلود كريار؛ المال، حياته، موته؛ ص:16-17 .
*عنوان هذه اللوحة يشير إلى مثل وجهَّه المسيح ـ عليه السلام ـ للفارسيين: "اتركوهم إنهم عميان يقودون عميانا، وإذا قاد أعمى أعمى آخر وقع الاثنان في الحفرة."!
🌿وصايا الرسول حول المال وشروط السعي إليه🌿
جاء في الصحيحين عن عمرو بن عوف »أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث أبا عبيدة بن الجراح إلى البحرين يأتي بجزيتها ،وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو صالَح أهل البحرين وأمر عليهم العلاء بن الحضرمي فقدم أبو عبيدة بمال من البحرين فسمعت الأنصار بقدوم أبي عبيدة فوافوا صلاة الفجر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرف فتعرضوا له فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رآهم، ثم قال: " أظنكم سمعتم أن أبا عبيدة قدم بشيء من البحرين فقالوا: أجل يا رسول الله فقال: أبشروا وأملوا ما يسركم، فوالله ما الفقر أخشى عليكم، ولكن أخشى عليكم أن تبسط الدنيا عليكم، كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم كما أهلكتهم« الحديث أخرجه البخاري ومسلم والترمذي وابن ماجه وأحمد في المسند وغيرهم .
🌿المقصود 🌿
أخبر صلى الله عليه وسلم أنه لا يخاف فتنة الفقر علينا وإنما يخاف بسط الدنيا وتنافسها وإهلاكها.
وفي ـ ربما ـ آخر ما قاله النبي صلى الله عليه وسلم على المنبر كما في الصحيحين عن عقبة بن عامر " أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج يوما فصلى على أهل أحد صلاته على الميت، ثم انصرف إلى المنبر فقال: " إني فرط لكم، وأنا شهيد عليكم، وإني والله لأنظر إلى حوضي الآن، وإني أعطيت مفاتيح خزائن الأرض ـ أو مفاتيح الأرض ـ وإني والله ما أخاف عليكم أن تشركوا بعدي، ولكن أخاف عليكم أن تتنافسوا فيها.«
وفي رواية: «ولكني أخشى عليكم الدنيا أن تنافسوا فيها وتقتتلوا، فتهلكوا كما هلك من كان قبلكم» البخاري ومسلم وأحمد في المسند والترمذي.

المال فتنة عظيمة حتى على الصالحين، وقد فتن من الأولين خلق ففي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو- رضي الله عنهما - عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إذا فتحت عليكم خزائن فارس والروم أي قوم أنتم؟ " قال عبد الرحمن بن عوف: نكون كما أمرنا الله عز وجل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: تنافسون، ثم تتحاسدون، ثم تتدابرون أو تتباغضون، أو غير ذلك - ثم تنطلقون إلى مساكين المهاجرين فتحملون بعضهم على رقاب بعض «

ومعنى تحملون بعضهم على رقاب بعض، أي: تجعلون بعضهم أمراء على بعض. انظر: شرح النووي على مسلم.(97 / 18)

حال الدنيا وشروط اتقاء فتنتها

الدنيا جميلة فاتنة عبَّر عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله: «إن الدنيا حلوة خضرة" فوصف فتنتها ثم أخبرنا كيف نتقيها ونتقي فتنة المال، أو ما هي الشروط التي تقينا شر المال وفتنته في الدنيا والآخرة فقال كما في الصحيحين عن أبي سعيد - رضي الله عنه - قال: «جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر وجلسنا حوله فقال: " إن مما أخاف عليكم بعدي: ما يفتح من زهرة الدنيا وزينتها، فقال رجل: أو يأتي الخير بالشر يا رسول الله؟ فسكت عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقيل: ما شأنك تكلم رسول الله ولا يكلمك؟ قال: ورأينا أنه ينزل عليه فأفاق يمسح عنه الرحضاء وقال: أين هذا السائل؟ وكأنه حمده، فقال: إنه لا يأتي الخير بالشر» وفي رواية: فقال: «أين السائل آنفا؟ أو خير هو؟ - ثلاثا - إن الخير لا يأتي إلا بالخير وإن مما ينبت الربيع: ما يقتل حبطا أو يلمّ إلا آكلة الخضر فإنها أكلت حتى إذا امتدت خاصرتها استقبلت عين الشمس فثلطت وبالت، ثم رتعت وإن هذا المال خضر حلو، ونعم صاحب المسلم هو، لمن أعطى منه المسكين واليتيم، وابن السبيل - أو كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - وإنه من يأخذه بغير حقه كالذي يأكل ولا يشبع، ويكون عليه شاهدا يوم القيامة.«

الخلاصة هنا

نعم المال صاحبا للمسلم إذا أخذه من حل فلم يكلب على تحصيله بأي سبيل ولو كانت محرمة، وأنفق منه في وجوه الإنفاق المعروفة مثل: على المساكين واليتامى وابن السبيل، وعلى ما يقوم به الدين من الدعوة والعلم وغير ذلك.

حب المال؟

يكاد يكون حب المال فينا غريزة فلا يعقل أن يكره رجل المال إلا أن يكون مجنونا أو زاهدا على طريقة داود الطائي وأمثاله وإلا فإن استثناء النبي صلى الله عليه وسلم تمني المال الذي عند الغير من الحسد المذموم الذي سماه بعض العلماء " غبطة" قد

يدل على وطأة المال في النفس الإنسانية فيمكن أن يكره الإنسان فضل شخص عليه في المال فيحب أن يكون مثله أو أفضل منه كما في الحديث المتفق عليه عن ابن مسعود وابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لَا حسد إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ رجل آتَاهُ الله الْحِكْمَة فَهُوَ يقْضِي بهَا وَيعلمهَا وَرجل آتَاهُ الله مَالا وسلطه على هَلَكته فِي الْحق)
ولفظ ابن عمر: (رجل آتَاهُ الله الْقُرْآن فَهُوَ يقوم بِهِ آنَاء اللَّيْل وَالنَّهَار وَرجل آتَاهُ الله مَالا فَهُوَ ينْفق مِنْهُ فِي الْحق آنَاء اللَّيْل وَالنَّهَار)
ورواه البخاري من حديث أبي هريرة ـ وهو أكمل الألفاظ في ظني ـ: (لَا حسد إِلَّا فِي اثْنَيْنِ رجل آتَاهُ الله الْقُرْآن فَهُوَ يتلوه اللَّيْل وَالنَّهَار فَسَمعهُ رجل فَقَالَ: يَا لَيْتَني أُوتيت مثل مَا أُوتِيَ هَذَا فَعمِلت فِيهِ مثل مَا يعْمل هَذَا، وَرجل آتَاهُ الله مَالا فَهُوَ يهلكه فِي الْحق فَقَالَ رجل: يَا لَيْتَني أُوتيت مثل مَا أُوتِيَ هَذَا فَعمِلت فِيهِ مثل مَا يعْمل هَذَا).
واستخدام النبي صلى الله عليه وسلم لهذا التعبير " يهلكه في الحق" له دلالة قوية على فتنة المال وعواقبه الوخيمة عند الله إن لم يتق فيه العبد الأنانية والبخل والشح فإنه هالكه لا محالة!
🌿المال بين الذكاء والغباء 🌿
قال أحدهم من "ضحايا البراديم المادي على السوسيل ميديا": "لو نظرت بإمعان ستجد أن أكثر الأغنياء أذكياء وأكثر الفقراء أغبياء"! أو هكذا عبارة.
ولست أدري أنتهى لهذه الخلاصة عن استقراء أم عن نظره في حال غالب أغنياء العالم الغربي فوجدهم متعلمين عندهم ذكاء فاستنتج أنهم حصَّلوا تلك الثروة لذكائهم، وبالتالي من كان فقيرا فلغبائه؟!
وهذه قراءة مادية محضة مغالطة تدل على جهله بدينه وضعف معاينته لواقع الناس في الغرب أو في الشرق فإن الفقر والغني ليسا بيد العبد في الأصل فالعبد يتسبب ويسعى والرب يتم له ذلك أو يحميه من الغني إذا كان مضرا له فإن الله يعلم ونحن لا نعلم ما يصلحنا وما يضرنا فلو كان الغني بالذكاء لكان أذكياء العالم قديما وحديثا أغنى الناس فلو كان كل من كان ذكيا ـ و كل البشر عندهم ذكاء و إن تفاوت ـ وجب أن يكونوا أغنياء بقدر ذكائهم لكننا وجدنا في التاريخ أذكياء عاشوا فقراء وماتوا فقراء من الأنبياء و الصحابة و الأئمة و الفلاسفة وغيرهم حتى قال الشافعي ـ رحمه الله ـ:
لو كان بالحيل الغنى لوجدتني ** بنجوم أقطار السماء تعلقي
لكن من رزق الحجا حرم الغنى ** ضدان مفترقان أي تفرق
وأظن أنه لا هذا ولا ذاك لا يتعلق الغني والفقر بذكاء أو بغباء ولكن بقدر يكتب للعبد في بطن أمه كما جاء في الحديث الصحيح (إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَكَّلَ بِالرَّحِمِ مَلَكًا يَقُولُ:

يَا رَبِّ نُطْفَةٌ، يَا رَبِّ عَلَقَةٌ، يَا رَبِّ مُضْغَةٌ، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَقْضِيَ خَلْقَهُ قَالَ: أَذَكَرٌ أَمْ أُنْثَى، شَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ، فَمَا الرِّزْقُ وَالأَجَلُ، فَيُكْتَبُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ) صحيح البخاري.
وقول الشافعي الأول يفيد نوعا ما هذا المعني فنفى ارتباط الغني بالذكاء لكن في البيت الثاني ينتقض عليه القول بالعلماء الأغنياء أمثال: ابي حنيفة والليث وعبد الله بن مبارك وإن كان الغالب على العلماء الفقر ولو كان اختيارا منهم " الزهد" ففي نهاية المطاف يقضي الله الغنى والفقر بأسباب كثيرة مختلفة.
وفي واقعنا كم من غني فاحش الثراء جاهل قليل الفطنة حتى إني جالست أحدهم قال لي: سيأتي الحج السنة القادمة في شهر رمضان!
مصدر الغنى في الغرب ـ ولأنها مجتمعات كانت منظمة ومبنية على الاستحقاق وعندها معيارية وفيها وفرة وازدهار لا يتوقع في الغالب أن يصير غنيا الذي يبيع سندويشات على قارعة الطريق إن لم تكن شبكة كبيرة منتشرة في البلاد أو خارجه ـ هو التعليم العالي يعني: القدرة على الابتكار والاختراع بينما الثراء في بلدنا مصدره العلاقات مع النفوذ الإداري أو التجارة فيمكن لأي غبي أن يكون غنيا بهذا الاعتبار.
واعلم أن الله يعطينا ما يصلحنا لا ما نتمناه، وأنت أنظر بعينيك كم من الأغنياء الذين تعرفهم عنده تقوى وينفق في الحق، وكم منهم فيه فجور ينفق في الباطل فما الأحسن له عند الله؟
)وَإِنَّ الرُّوحَ الأَمِينَ نَفَثَ فِي رَوْعِي أَنَّهَا لَنْ تَمُوتَ نَفْسٌ حَتَّى تَسْتَكْمِلَ أَقْصَى رِزْقِهَا وَإِنْ أَبْطَأَ عَنْهَا، فَاتَّقُوا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ، وَلا يَحْمِلَنَّكُمُ اسْتِبْطَاءُ شَيْءٍ مِنَ الرِّزْقِ أَنْ تَطْلُبُوهُ بِشَيْءٍ مِنَ مَعْصِيَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لا يُدْرَكُ مَا عِنْدَهُ إِلا بِطَاعَتِهِ) رواه غير واحد وورد بألفاظ متقاربة يبدو لي هذا أكثرها صراحة وتفصيلا.
قال الله سبحانه وتعالى : {كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلَاقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلَاقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلَاقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ} [التوبة]
🌵لو كان المال حيا لعبده كثير من الناس🌵 !
......................يتبع إن شاء الله تعالى.

قد يحدُّ الذكاء نفسه(!)

التفاعل مع المقالات؟


يوجد على "الفيسبوك" صفحات مفيدة كثيرة لكن صفحة فيها :هضم معرفي للمتقدمين، وقدرة على استخراج أصولهم، وتبين إجراءات تفكيرهم، ونقد شرعي وعقلي صريح، وتفسير الواقع بلوازمه، واعتناء بمعصرات التفكير الغربي، وتوظيفها في فهم بعض الأحوال و الإشكالات، مع حرية تفكير كبيرة ضمن إطار "الاتباع لا الابتداع" فهذا قليل حتى لا أقول هو نادر بالنسبة لي!
مثل هذه الصفحات التفاعل فيها ضعيف جدا وهو أمر مستغرب حقا، و أظنه لسببين :
🌿الأول 🌿
هو أن العقل الخفيف (أو الارعن أحيانا) عقل يشتغل بطريقة المحاكاة فيفعل كما يفعل الناس في تعبير ابن مسعود _ رضي الله عنه _" هو عقل إمعة" ينفق كمية كبيرة من طاقته النفسية لاجتناب التفكير الحقيقي، يبذل جهدا ليجتنب الوعي، وإدراكه للحياة متشظي مقطوع عن الواقع الشامل!
وحالة التعليق للجد التي يعيش فيها تجعله عقل ينط في داخله فينط عند الصفحات التي ينط عندها الناس !
هذا العقل الانتباه فيه شديد الاهتزاز لا يمكنه بحال ممارسة نظر عميق فبسرعة ينفصل عن أي حديث أو منشور علمي جاد، ويتخذ موقفا يتباعد به فهذا العقل نفهم عدم اهتمامه بهذه الصفحات ونسأل الله أن يبصره .
🌿السبب الثاني 🌿
العقل الذكي الذي هو في حقيقته مسجون لكنه لا يدري، هذا العقل يعرف قيمة هذه الصفحات إذا صادفها لكنه في داخله غير مقتنع كفاية ووحده الوعي الكامل له قوة السحب فإذا كان صاحب الصفحة غير معروف، ولم تسبقه شهرته كشيخ أو دكتور، وهذه العبارات في ثقافتنا من وسائل المصادقة على المعرفة! فلا يمكنه بالتالي المصادقة على قيمة المقال بالتفاعل معه ولو بالاعجاب !
نعم؛ من الذكاء أن تقرأ ما يكتبه غيرك في صمت، والمهم أن تتعامل مع المقروء في عقلك لا تحتاج أن تعلق وتظهر موافقتك أو مخالفاتك ففي الغالب ستكون بدون قيمة فعلية، والمفيد لك أن تستفيد وتترك ما لا توافق عليه فأنت لا تحتاج للتعليق أو الإعجاب، ولا كاتب المقال إذا كان بمستوى مقاله يكترث لاعجاب القراء تفاعلهم؛ المهم قيمة فكره في نفسه وقناعته هو به.

هذا كله ينمُّ عن ذكاء لكن الحمق هو أن الإنسان قد يخاطب _ في لحظة انفصال عن الوعي بذاته _ الفراغ ! كمن يكلم نفسه في الشارع:
رجل يمر في شارع يكلم بصوت مرتفع مستمعا متخيلا! قد نقول :هذا مجنون، ونجد بعض الانزعاج كما لو كان شيئا فاحشا !
ماذا يوجد في العمق؟
الشخص الذي يكتب ويواصل الكتابة رغم عدم التفاعل أو قلته يكتب لنفسه فهو يمارس التفكير أثناء الكتابة، وكذلك بالكتابة على الفيسبوك يستجمع ما فهمه من قراءاته في ربط واحد يحاول أن يضعه تحت فكرة أو مفهوم جامع.
ومثل هذا الشخص قد لا يكترث للتفاعل مع مقالاته لكن نفسه ولابد أن تسال عن سبب عدم تفاعل الناس مع ما يكتب، قد تقول له :"المستوى أعلى منهم" لكنه موقن كيقينه بالشمس أنه ليس نادرة الزمان فيعود السؤال من جديد!
وقد يجد الجواب وقد لا يجده، وهو مستمر في الكتابة لجمهور شبح إلى أن يجد بديلا لهذا المنبر الذي يسمح له بالتفكير لأن التفكير الحقيقي الذي يذهب إلى أطراف الموضوع لا يكون إلا كتابة .
وأما صاحبنا شبيهه الذي يكلم نفسه في الشارع بصوت مرتفع فهو لأن الوعي بالذات اختفى ليس بسبب تلك الأعطال الطبيعية التي نسميها "النوم" و"الاغماء الوعائي" ولكن لأنه هنا الذات الداخلية خدعت الطبيعة نفسها لهذا النور(الوعي بالذات) بالإخلال بالواجب الأول للذات الواعية وهو عدم البقاء في الوعي اللاواقعي (عندما ألقاه سأقول له كذا وكذا)
هذا من الآثار التي ينتجها شخصيا من انتجاته الذهنية:أتخيل مستمعا، أتخيل أني أحدثه، وهذا أمر مشروع نقع فيه كلنا لكن بصمت فما إن ننتهك الصمت فنتحدث بصوت عال تكون العقوبة آنية: نفقد الوعي بالذات وينقطع الرابط المضئ الذي يوحدني بنفسي ويؤسسني .
حال الوعي العادي يبرق بحدس واضح و دقيق وفي حال صاحبنا هذا الذي يحكم هو بقية هذا الوعي فقط، إلى أن يأتي منبه ويرده للحالة الطبيعية.
فكذلك كاتب المقال الذي يكلم نفسه لا يمكنه الاستمرار في تكليم الأشباح، و إن كان سيكلم نفسه فليكلمها في سره هذا الوضع الطبيعي،لأنه بخلاف الأول لم يفقد وعيه بذاته ولكنه فقد القارئ الواعي به .
في نظرية "منطقة الأقرب للنمو" لأحد علماء الروس في النفس تمثل الفارق بين ما يمكن أن يفعله متعلم بدون مساعدة، وما يمكن أن ينجزه بمساعدة نصائح وتشجيعات

مرافق كفؤ ففي هذه المنطقة يحدث التعلم والتفكير الأهم لأن الشخص يكون مدفوعا إلى تجاوز قدراته لاستيعاب الجديد .
هذه تحديات مسلم في هذا العصر في الانتقال من الفكرة إلى التصور حيث ترتبط الفكرة بكل الأفكار بعلاقة ثم تتحول إلى مفهوم يعني: دراسة وحكم .
شجعوا بعضكم واخرجوا من ضيق حسابات الانتماء و آراء الناس .
لو كان لي الأمر لاهديت هؤلاء الناس (غالبيتهم شباب) هذا التاج.

تراجع العلم _ عند المعاصرين _ ليترك مكانه سديما فارغا من الفهم مشبعا بالإحالات!

لقد وقع في الإسلام تعظيم بعض المفاهيم بمبالغة كبيرة مثل مفهوم "العقل" حتى فضلوه على العلم أو جعلوا العقل هو العلم بينما العقل عند بعض السلف الذين تكلموا عنه وعند المعاصرين هو غريزة أي قوة في الإنسان وظيفتها التمييز من أجل الاختيار والعلم هو المقدمات اليقينية (من مصدر يقيني) فقام الناس بتعظيم الغريزة المشتركة بين المؤمن والكافر على حساب العلم (الدليل الهادي) كمن يفضل الإجراءات التي يقوم بها العقل من تمييز ومقابلة وتعميم وتصنيف على العلم الذي في القرآن والسنة.
والمقصود عظموا العقل المستفاد (بمعنى الثقافي لا على معنى المشائين) وهو مستفاد من مقدمات هي أصول موضوعة و مصادرات غير إسلامية وهكذا حاولوا تعويض وسائل المصادقة على العلم والمعرفة التي هي التوثيق و أصل وطبيعة المقال بهذا العقل الثقافي ثم اوجبوا التحاكم إليه في حين التحاكم يكون إلى العلم بالعقل الغريزي المشترك بين المكلفين.